الجلد الثالث
من
تفسير ابن عادل
المسمى
باللباب في علوم الكتاب

[illegible]

الجلد الثالث
في
تفسير ابن عادل الحنبلي
المسمى
باللباب في علوم الكتاب

قوله تعالى كهيعص اعلم ان حروف المعجم على نوعين ثنائي وثلاثي وقد جرت عادة العرب
ان ينطقوا بالثنائيات المقطوعة ممالة فيقولوا يا تا ثا وكذلك امثالها وان ينطقوا بالثلاثيات
التي في وسطها الالف مفتوحة مشبعة فيقولوا دال ذال صاد ضاد وكذلك اشكالها
اما الزاي وحده من بين حروف المعجم فمعتاد فيه الامران فان من اظهر يافي النطق حتى يصير
ثلاثيا لم يمله ومن لم يظهر ياه في النطق حتى يشبه الثنائيين اماله واعلم ان اشباع الفتحة في جميع
المواضع اصل والامالة فرع عليه ولهذا يجوز اشباع كل ممال ولا يجوز امالة كل مشبع من
المفتوحات والعامة على تسكين اواخر هذه الاحرف المقطعة ولذلك كان بعض القرا يقف على كل
حرف منها وقفة يسيرة مبالغة في تمييز بعضها من بعض وقرا الحسن كاف بالضم كانه جعلها معربة
ومنعها من الصرف للعلمية والتانيث وللقرا خلاف في امالة يا وها وتفخيمها وبعضهم يعبر عن التفخيم
بالضم كما يعبر عن الامالة بالكسر وانما ذكرت هذا لان عباراتهم في ذلك موهمة واظهر دال صاد
قبل ذال ذكر نافع وابن كثير وعاصم لانه الاصل وادغمها فيها الباقون والمشهور اخفا نون عين
قبل الصاد لانها تقاربها وتشترك في الفم وبعضهم يظهرها لانها حروف مقطعة يقصد
تمييز بعضها من بعض قوله ذكر فيه ثلاثة اوجه احدها انه مبتدا محذوف الخبر تقديره
فيما يتلى عليكم ذكر الثاني انه خبر محذوف المبتدا تقديره المتلو ذكر او هذا ذكر الثالث
انه خبر الحروف المقطعة وهو قول يحيى بن زياد قال ابو البقا وفيه بعد لان الخبر هو المبتدا في
المعنى وليس في الحروف المقطعة ذكر الرحمة ولا في ذكر الرحمة معناها وذكر مصدر مضاف وقيل
الى مفعوله وهو الرحمة والرحمة في نفسها مصدر ايضا مضاف الى فاعله وعبده مفعول به والثاني
انه نفس الرحمة ويكون فاعل الذكر غير مذكور لفظا والتقدير ان ذكر الله رحمته عبده وقيل
بل ذكر مضاف الى فاعله على الاتساع ويكون عبده منصوبا بنفس الذكر والتقدير ان ذكرت الرحمة
عبده فجعل الرحمة ذاكرة له مجازا وزكريا بدل او عطف بيان او منصوب باضمار اعني وقرا
ابن يعمر ونقلها الزمخشري عن الحسن ذكر فعلا ماضيا مشددا ورحمة بالنصب على انها مفعول ثان
تقدمت على الاول وهو عبده والفاعل اما ضمير القران او ضمير الباري تعالى والتقدير ان ذكر
القران المتلو او ذكر الله عبده رحمته اي جعل العبد يذكر رحمته ويجوز على المجاز المتقدم ان يكون رحمة
ربك هو المفعول الاول والمعنى ان الله جعل الرحمة ذاكرة للعبد وقيل الاصل ذكر برحمة فلما انتزع
الجار نصب مجروره ولا حاجة اليه وقرا الكلبي ذكر بالتخفيف ماضيا رحمة بالنصب على المفعول
به عبده بالرفع فاعلا بالفعل قبله زكريا بالرفع على البيان او البدل او على اضمار مبتدا وهو نظير

اضمار الناصب في القراءة الاولى وقرا يحيى بن يعمر فيما نقله عنه الداني ذكر فعل امر رحمة وعبده
بالنصب فيهما على انهما مفعولان وهما على ما تقدم من كون كل واحد يجوز ان يكون المفعول الاول
او الثاني بالتاويل المتقدم في جعل الرحمة ذاكرة مجازا فصل قال ابن عباس هذه
الحروف اسم من اسما الله تعالى وقال قتادة اسم من اسما القران وقيل اسم للسورة وقيل
قسم اقسم الله به ويروى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله كهيعص قال الكاف من كريم
وكبير والها من هاد والبا من رحيم والعين من عليم وعظيم والصاد من صادق وعن ابن عباس
ايضا انه حمل اليا على الكريم مرة وعلى الحكيم اخرى وعن ابن عباس في العين انه من عزيز ومن عدل
قال ابن الخطيب وهذه اقوال ليست قوية لانه لا يجوز من الله تعالى ان يودع كتابه ما لا
يدل عليه اللغة لا بالحقيقة ولا بالمجاز لانا ان جوزنا ذلك فتح علينا باب قول من يزعم ان للظاهر
باطنا واللغة لا تدل على ما ذكروه فانه ليست دلالة الكاف على الكافي اولى من دلالته على الكريم
والكبير او على اسم اخر من اسما الرسول والملائكة او الجنة والنار فيكون حملها على بعض دون البعض
تحكما فصل تحتمل ان يكون المراد من قوله رحمة ربك عبده زكريا ثم في كونه رحمة وجهان
احدهما ان يكون رحمة على امته لانه هداهم الى الايمان والطاعة والثاني ان يكون رحمة على
نبينا محمد عليه السلام وعلى امة محمد لان الله تعالى لما شرع لمحمد عليه السلام طريقته في الاخلاص
والابتهال في جميع الامور الى الله تعالى صار ذلك لطفا داعيا له ولامته الى تلك الطريقة فكان
زكريا رحمة ويحتمل ان يكون المراد ان هذه السورة فيها ذكر الرحمة التي يرحم بها عبده زكريا
قوله تعالى اذ نادى ربه نداء خفيا في ناصب اذ ثلاثة اوجه احدها انه ذكر
ولم يذكر الحوفي غيره والثاني انه رحمة وقد ذكر الوجهين ابو البقا والثالث انه بدل من
زكريا بدل اشتمال لان الوقت مشتمل عليه وسياتي مثل هذا عند قوله واذكر في الكتاب مريم
ونحوه فصل راعى سنة الله في اخفا دعوته لان الجهر والاخفا عند الله سيان وكان
الاخفا اولى لانه ابعد عن الريا وادخل في الاخلاص وقيل اخفاه لئلا يلام على طلب الولد في
زمان الشيخوخة وقيل اسره من مواليه الذين خافهم وقيل خفت صوته لضعفه وهرمه كما جاء في
صفة الشيخ صوته خفات وسمعه تارات فان قيل من شرط النداء الجهر فكيف الجمع بين
كونه نداء وخفيا فالجواب من وجهين الاول انه اتى باقصى ما قدر عليه من رفع الصوت لان
صوته كان ضعيفا لنهاية ضعفه بسبب الكبر فكان نداء نظرا الى القصد خفيا نظرا الى الواقع
الثاني انه دعا في الصلاة لان الله تعالى اجابه في الصلاة لقوله تعالى فنادته الملائكة وهو
قائم يصلي في المحراب ان الله يبشرك وكون الاجابة في الصلاة يدل على كون الدعا في الصلاة
فوجب ان يكون النداء فيها خفيا وفي التفسير اذ نادى ربه في محرابه نداء خفيا دعا سرا من قومه
في جوف الليل قوله تعالى قال رب اني وهن العظم مني الاية قوله قال رب لا محل
لهذه الجملة لانها تفسير لقوله نادى ربه وبيان ولذلك ترك العاطف بينهما لشدة الوصل
وقوله وهن العامة على فتح الها وقرا الاعمش بكسرها وقرئ بضمها وهذه لغات في هذه
اللفظة ووحد العظم لارادة الجنس يعني ان هذا الجنس الذي هو عمود البدن واشد ما فيه
واصلبه قد اصابه الوهن ولو جمع لكان قصدا اخر وهو انه لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها كذا
قاله الزمخشري وقيل اطلق المفرد والمراد به الجمع كقوله
• بها جيف الحسرى فاما عظامها • فبيض واما جلدها فصليب • اي جلودها • ومثله
• كلوا في بعض بطنكم تعفوا فان زمانكم زمن خميص • اي بطونكم ومني حال من العظم وفيه رد
على من يقول ان الالف واللام تكون عوضا من الضمير المضاف اليه لانه قد جمع بينهما هنا وانا

كان الاصل وهن عظمي ومثله في الدلالة على ذلك ما انشده شاهدا على ما ذكر
• رحيب قطاب الجيب منها رقيقة • بجس الندامى بضه المتجرد • ومعنى وهن العظم مني
ضعف ورق العظم من الكبر وقال قتادة اشتكى سقوط الاضراس **قوله** واشتعل
الراس شيبا اي ابيض شعر الراس شيبا وفي نصبه شيبا ثلاثة اوجه اشهرها انه تمييز
منقول من الفاعلية اذ الاصل اشتعل شيب الراس قال الزمخشري شبه الشيب
بشواظ النار في بياضه وانتشاره في الشعر وفشوه فيه واخذه منه كل ماخذ باشتعال النار
ثم اخرجه مخرج الاستعارة ثم اسند الاشتعال الى مكان الشعر ومنبته وهو الراس واخرج
الشيب مميزا ولم يصف الراس اكتفا بعلم المخاطب انه راس زكريا فمن ثم فصحت هذه
الجملة وشهد لها بالبلاغة انتهى وهذا من استعارة محسوس لمحسوس ووجه الجمع الانبساط
والانتشار والثاني انه مصدر على غير الصدر فان معنى اشتعل الراس شاب الثالث انه
مصدر واقع موقع الحال اي شايبا او ذا شيب وادغم السين في الشين ابو عمرو **قوله**
بدعايك فيه وجهان اظهرهما ان المصدر مضاف لمفعوله اي بدعاي اياك والمعنى
عودتني الاجابة فيما مضى ولم تخيبني والثاني انه مضاف لفاعله اي لم اكن بدعايك
لي للايمان شقيا اي لما دعوتني الى الايمان امنت ولم اشق **قوله** واني خفت
الموالي العامة على خفت بكسر الخا وسكون الفا وهو ماض مسند لتا المتكلم والموالي
مفعول به بمعنى ان مواليه كانوا شرار بني اسرايل فخافهم على الدين قاله الزمخشري قال
ابو البقا لا بد من حذف مضاف اي عدم الموالي او جور الموالي وقرا الزهري الا انه سكن
يا الموالي وقد تقدم انه قد تقدر الفتحة في اليا والواو وعليه قراة زيد بن علي تطعمون
اهاليكم وقد تقدم ايضاح هذا وقرا عثمان بن عفان وزيد بن ثابت وابن عباس
وسعيد بن جبير وسعيد بن العاص ويحيى بن يعمر وعلي بن الحسين في اخرين خفت بفتح الخا
والفا مشددة وتا تانيث كسرت لالتقا الساكنين والموالي فاعل به بمعنى درجوا وانقرضوا
بالموت **قوله** من وراي هذا متعلق في قراة الجمهور بما تضمنه الموالي من معنى الفعل
اي الذين يلون الامر بعدي ولا يتعلق بخفت لفساد المعنى وهذا على ان يراد بوراي
معنى خلفي وبعدي واما في قراة خفت بالتشديد فيتعلق الظرف بنفس الفعل ويكون
وراي بمعنى قدامي والمعنى انهم خفوا قدامه ودرجوا ولم يبق منهم من به تقو واعتضاد ذكر
هذين المعنيين الزمخشري **والموالي** بنو العم يدل على ذلك تفسير الشاعر لهم بذلك في قوله
• مهلا بني عمنا مهلا موالينا • لا تنبشوا بيننا ما كان مدفونا • وقال اخر •
• ومولى قد دفعت الضيم عنه • وقد امسى بمنزله المضيم • وهو قول الاصم وقال مجاهد
العصبه وقال ابو صالح الكلالة وقال ابن عباس والحسن والكلبي الورثة وعن ابن مسلم
المولى يراد به الناصر وابن العم والمالك والصاحب وهو هنا من يقوم بميراثه مقام الولد والمختار
ان المراد من الموالي الذين يخلفونه بعده اما في السياسة او في المال او في القيام بامر الدين
وهو يدل على معنى القرب والدنو يقال وليته اليه وليا اي دنوت منه واوليته اياه ادنيته
منه وكل مما يليك وجلست مما يليه ومنه المولى وهو المطر الذي يلي الوسمي والولية البردعة لانها تلي
ظهر الدابة وولي اليتيم والقتيل وولي البلد لان من تولى امرا فقد قرب منه وقوله تعالى فول
وجهك شطر المسجد الحرام من قولهم ولاه ركنه اي جعله مما يليه واما ولى عنه اذا ادبر فهو من قولهم فلان
اولى من فلان اي احق وافعل التفضيل من الوالي والولي كالادنى والاقرب من الداني والقريب
وفيه معنى القرب ايضا لان من كان احق بالشي كان اقرب اليه والمولى اسم لموضع الولي كالمرمي

والمبنا اسم لموضع الرمي والبنا والجمهور على وراي بالمد وقرا ابن كثير في رواية عنه وراي بالقصر
ولا يبعد ذلك عنه ~~وراي بالقصر~~ فانه قد قصر شركاي في النحل كما تقدم وسياتي انه قرا ان
راه استغنى في العلق كانه كان يوثر القصر على المد لخفته ولكنه عند البصريين لا يجوز سعة
قوله وكانت امراتي عاقرا اي لا تلد والعقر في البدن الجرح وعقرت الفرس بالسيف
ضربت قوايمه **قوله** من لدنك يجوز ان يتعلق بهب ويجوز ان يتعلق بمحذوف على
انه حال من وليا لانه في الاصل صفة للنكرة فقدم عليها **قوله** يرثني ويرث
قرا ابو عمرو والكسايي بجزم الفعلين على انهما جواب للامر اذ تقديره ان تهب يرث
والباقون برفعهما على انهما صفة لوليا وقرا علي رضي الله عنه وابن عباس والحسن ويحيى بن يعمر
والجحدري وقتادة في اخرين يرثني بيا الغيبة والرفع وارث مسندا لضمير المتكلم قال
صاحب اللوامح في الكلام تقديم وتاخير والتقدير يرثني به وارث من ال يعقوب انه ان مت قبله وارثه
ماله ان مات قبلي ونقل هذا عن الحسن وقرا علي ايضا وابن عباس والجحدري يرثني
وارث جعلوه اسم فاعل اي يرثني به وارث ويسمى هذا التجريد في علم البيان وقرا مجاهد
اويرث وهو تصغير وارث والاصل وويرث بواوين وجب قلب اولاهما همزة لاجتماعهما
متحركتين اول كلمة نحو اويصل تصغير واصل والواو الثانية بدل عن الف فاعل واويرث
مصروف لا يقال ينبغي ان يكون غير مصروف لان فيه علتين الوصف ووزن الفعل فانه
بزنة ابيطر مضارع بيطر وهذا مما يكون الاسم فيه منصرفا في التكبير ممتنعا في التصغير
لا يقال ذلك لانه غلط بين لان اويرثا وزنه فويعل لا افيعل بخلاف احيمر تصغير
احمر وقرا الزهري وارث بكسر الواو ويعنون بها الامالة وقوله رضيا مفعول
ثان وهو فعيل بمعنى فاعل واصله رضيو لانه من الرضوان **فصل** معنى قوله فهب لي
من لدنك وليا اعطني من عندك ابنا واعلم ان زكريا عليه السلام قدم على السوال امورا
ثلاثة الاول كونه ضعيفا والثاني كون الله تعالى ما رد دعاه والثالث كون المطلوب سببا
للمنفعة في الدين ثم بعد ذلك صرح بالسوال اما كونه ضعيفا فالضعف اما ان يكون في
الباطن او في الظاهر والضعف في الباطن اقوى من ضعف الظاهر فلهذا ابتدا ببيان ضعف
الباطن فقال وهن العظم مني وذلك لان العظم اصلب اعضا البدن وجعل كذلك
لمنفعتين الاولى ليكون اساسا وعمدا يعتمد عليها بقية الاعضا لانها موضوعة على العظام
والحامل يجب ان يكون اقوى من المحمول والثانية انها في بعض المواضع وقاية لغيرها
من الاعضا كعظام الصدر وقحف الراس وما كان كذلك يجب ان يكون صلبا ليصبر على ملاقاة
الافات واذا كان العظم صلبا فمتى وصل الضعف اليه كان ضعف ما عداه مع رخاوته
اولى ولان العظم حامل لساير الاعضا فوصول الضعف الى الحامل موجب لوصوله الى المحمول
فلهذا اخص العظم بالوهن من بين ساير الاعضا واما ضعف الظاهر فلاستيلا ضعف الباطن عليه
وذلك مما يزيد الدعا توكيدا لما فيه من الاتكال على حول الله وقوته واما كونه غير
مردود الدعا فوجه توسله به من وجهين الاول انه اذا قبله اولا فلو رده ثانيا
لكان الرد محبطا للانعام الاول والمنعم لا يسعى في احباط انعامه والثاني ان مخالفة
العادة تشق على النفس فاذا تعود الانسان اجابة الدعا فلو رد بعد ذلك لكان ذلك في
غاية المشقة والجفا ممن يتوقع منه الانعام يكون اشق فكان زكريا عليه السلام قال انك
ان رددتني بعدما عودتني القبول مع نهاية ضعفي كان ذلك بالغا الى النهاية القصوى
في الم القلب فقال ولم اكن بدعايك رب شقيا تقول العرب سعد بحاجته اذا ظفر

الظاهر
فلانه

لها وشفقي لها اذا خاب ولم يبلها واما كون المطلوب منتفعا به في الدين فهو قوله واني
خفت الموالي قال ابن عباس والحسن الموالي الورثة وقد تقدم واختلفوا في خوفه من الموالي
فقيل خافهم على افساد الدين وقيل خاف ان ينتهي امره اليهم بعد موته في مال وغيره مع
انه عرف حالهم وقصورهم في العلم والقدرة عن القيام بمنصبه وقيل يحتمل ان يكون الله
قد اعلمه انه لم يبق من انبياء بني اسرائيل نبي له اب الا نبي واحد فخاف ان يكون ذلك من بني عمه
اذ لم يكن له ولد فسال الله تعالى ان يهب له ولدا يكون هو ذلك النبي والظاهر يقتضي
ان خوفه كان في امر يهتم بمثله الانبيا ولا يمتنع ان يكون زكريا كان اليه مع النبوة السياسة
من جهة الملك فخاف منهم بعده على احدهما او عليهما وقوله خفت خرج على لفظ الماضي
لكنه يفيد انه في المستقبل ايضا يقول الرجل قد خفت ان يكون كذا وخشيت ان يكون
كذا اي انا خائف لا يريد انه قد زال الخوف عنه وكذا قوله وكانت امراتي عاقرا اي انها
عاقر في الحال لان العاقر لا يجوز ان تكون ولودا في العادة ففي الاخبار عنه بلفظ الماضي اعلام
بتقادم العهد في ذلك والغرض من هذا بيان استبعاد حصول الولد فكان ايراده
بلفظ الماضي اقوى وايضا فقد يوضع الماضي مكان المستقبل وبالعكس قال الله تعالى
واذ قال الله يا عيسى بن مريم اانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين وقوله من ورائي قال
قال ابو عبيدة من قدامي وبين يدي وقال اخرون بعد موتي فان **قيل** كيف علم
حالهم من بعده وكيف علم انهم يبقون بعده فضلا من ان يخاف شرهم **فالجواب** انه
يعرف ذلك بالامارات والظن في حصول الخوف وربما عرف ببعض الامارات استمرارهم
على عادتهم في الفساد وقوله فهب لي من لدنك وليا الاكثرون على انه طلب الولد وقيل
بل طلب من يقوم مقامه ولدا كان او غيره والاول اقرب لقوله تعالى في سورة آل
عمران حكاية عنه رب هب لي من لدنك ذرية طيبة وايضا فقوله ههنا يرثني يؤيده
وايضا يؤيده قوله تعالى في سورة الانبيا وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا فدل
على انه سال الولد لانه اخبر ههنا ان له موالي وانه غير منفرد عن الورثة وهذا وان
امكن حمله على وارث يصلح لان يقوم مقامه لكن حمله على الولد اظهر واحتج اصحاب القول
الثاني بانه لما بشر بالولد استعظمه على سبيل التعجب وقال انى يكون لي غلام ولو كان
دعاؤه لطلب الولد لما استعظم ذلك واجيبوا بانه عليه السلام سال عما يوهب له وهو وامراته
على هيئتهما او يوهب له بان يحولا شابين يولد لمثلهما وهذا يحكى عن الحسن وقيل ان قول زكريا
عليه السلام في الدعا وكانت امراتي عاقرا انما سال ولدا من غيرها او منها بان يصلحها الله للولد
فكانه عليه السلام قال اني ايست ان يكون لي منها ولد فهب لي من لدنك وليا كيف
شئت اما ان تصلحها للولادة واما ان تهبه لي من غيرها فلما بشر بالغلام سال ايرزق
منها او من غيرها فاخبر بانه يرزقه منها واختلفوا في المراد بالميراث فقال ابن عباس
والحسن والضحاك وراثة المال في الموضعين وقال ابو صالح وراثة النبوة وقال
السدي ومجاهد والشعبي يرثني المال ويرث من ال يعقوب النبوة وهو مروي ايضا عن
ابن عباس والحسن والضحاك وقال مجاهد يرثني العلم ويرث من ال يعقوب النبوة واعلم ان
لفظ الارث يستعمل في جميعها اما في المال فلقوله تعالى واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم
واما في العلم فلقوله واورثنا بني اسرائيل الكتاب وقال عليه السلام العلماء ورثة الانبيا وان
الانبيا لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما يورثوا العلم وقال تعالى وورث سليمان داود
وهذا يحتمل وراثة الملك ووراثة النبوة وقد يقال اورثني هذا غما وحزنا **فصل**

قال

قال الزجاج الاولى ان يحمل على ميراث غير المال لقوله عليه السلام نحن معاشر الانبيا لا نورث
ما تركنا صدقة ولانه يبعد ان يشفق زكريا وهو نبي من الانبيا ان يرثه بنو عمه ماله
والمعنى انه خاف تضييع بني عمه دين الله وتغيير احكامه على ما كان شاهده من بني اسرائيل
من تبديل الدين وقتل الانبيا فسال ربه وليا صالحا يامنه على امته ويرث نبوته وعلمه
لئلا يضيع الدين **قوله** ويرث من ال يعقوب الال خاصة الرجل الذي يؤول امرهم
اليه ثم قد يؤول امرهم اليه للقرابة تارة وللصحبة اخرى كال فرعون وللموافقة في الدين
كال النبي واكثر المفسرين على ان يعقوب ههنا هو يعقوب بن اسحق بن ابرهيم عليهم السلام لان زوجة
زكريا عليه السلام هي اخت مريم وكان من ولد سليمن بن داود من ولد يهودا بن يعقوب واما
زكريا عليه السلام فهو من ولد هرون اخي موسى وهرون وموسى من ولد لاوي بن يعقوب
ابن اسحق وكانت النبوة في سبط يعقوب لانه هو اسرائيل صلى الله عليه وسلم وقال بعض المفسرين
ليس المراد من يعقوب ههنا ولد اسحق بن ابرهيم بل يعقوب بن ماثان اخو عمران بن ماثان
وكان ال يعقوب اخوال يحيى بن زكريا وهذا قول الكلبي ومقاتل وقال الكلبي كان بنو
ماثان رؤوس بني اسرائيل وملوكهم وكان زكريا رئيس الاحبار يومئذ فاراد ان يرثه
ولده حبورته ويرث بنو ماثان ملكهم **فصل** اختلفوا في تفسير الرضي فقيل
برا تقيا مرضيا وقيل رضيا من الانبيا ولذلك استجاب الله له فوهب له يحيى سيدا
وحصورا ونبيا من الصالحين لم يعص ولم يهم بمعصية وقيل رضيا في امته لا يتلقى
بالتكذيب ولا يواجه بالرد **فصل** احتجوا بهذه الاية على مسالة خلق الافعال
لان زكريا سال الله تعالى ان يجعله رضيا فدل على ان فعل العبد مخلوق لله تعالى
فان **قيل** المراد ان يلطف به بضروب الالطاف فيختار ما يصير به رضيا عنده
فنسب ذلك الى الله تعالى **فالجواب** من وجهين الاول لو حملناه على جعل
الالطاف عند ما يصير المرء باختياره رضيا لكان ذلك مجازا وهو خلاف الاصل
الثاني ان جعل تلك الالطاف واجبة على الله تعالى لا يجوز الاخلال به وما كان واجبا
لا يجوز طلبه بالدعاء والتضرع **قوله تعالى** يا زكريا انا نبشرك بغلام الاية
اختلفوا في المنادي فالاكثر على انه الله تعالى لان زكريا انما كان يخاطب الله تعالى
وهو السائل بقوله رب اني وهن العظم مني وبقوله ولم اكن بدعائك رب شقيا وبقوله
فهب لي وبقوله بعده رب انى يكون لي غلام فوجب ان يكون هذا النداء من الله
تعالى والا لفسد النظم وقيل هذا النداء من الملك لقوله فنادته الملائكة وهو قائم يصلي
في المحراب ان الله يبشرك بيحيى وايضا فانه لما قال وقد بلغت من الكبر عتيا قال كذلك
قال ربك هو علي هين وهذا لا يجوز ان يكون كلام الله فوجب ان يكون كلام الملك ويمكن
ان يجاب بانه يحتمل ان يحصل النداءان نداء الله تعالى ونداء الملائكة ويمكن ان يكون
قوله كذلك قال ربك من كلام الله تعالى كما سياتي بيانه ان شاء الله تعالى وفي الكلام
اختصار تقديره استجاب الله دعاه فقال يا زكريا انا نبشرك بغلام بولد ويقال فيه
زكريا بالمد والقصر ويقال زكري ايضا نقله ابن كثير فان **قيل** اذا كان دعاؤه باذن
فما معنى البشارة وان كان بغير اذن فماذا اقدم **فالجواب** يجوز ان يسال بغير
اذن ويحتمل انه اذن له فيه ولم يعلم وقته فبشر به **قوله** يحيى فيه قولان اظهرهما
انه اسم اعجمي لا اشتقاق له ومنعه من الصرف للعلمية والعجمة وقيل بل هو منقول من الفعل
المضارع كما سموا بيعمر ويعيش ويموت وهو يموت بن المزرع والجملة من قوله اسمه يحيى في محل

جر صفة لغلام ولذلك لم يجعل وسميا كقوله رضيا اعرابا وتصريفا لانه من السمو وفيه دلالة كقول البصريين ان الاسم من السمو ولو كان من الوسم لقيل وسيما **فصل** قال ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير وعكرمة وقتادة انه لم يسم احد قبله بهذا الاسم وقال سعيد ابن جبير وعطا لم نجعل له شبيها ومثلا كقوله تعالى هل تعلم له سميا اي مثلا ومعنى انه لم يكن له مثل لانه لم يعص ولم يهم بمعصية قط كانه جواب لقوله واجعله رب رضيا فقيل له انا نبشرك بغلام لم نجعل له شبيها في الدين ومن كان كذلك كان في غاية الرضا وفي هذا نظر لانه يقتضي تفضيله على الانبيا كادم ونوح وابرهيم وموسى وذلك باطل وقيل لم يكن له مثل في امر النسا لانه كان سيدا وحصورا وقال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس لم تلد العواقر مثله ولدا وقيل لان كل الناس انما يسميهم اباوهم وامهاتهم بعد دخولهم في الوجود واما يحيى فان الله سماه قبل دخوله في الوجود فكان ذلك من خواصه وقيل لانه ولد بين شيخ وعجوز عاقر واختلفوا في سبب تسميته بيحيى فعن ابن عباس لان الله تعالى احيى به عقر امه ويرد على هذا قصة ابرهيم وزوجته حين قالت يا ويلتا االد وانا عجوز وهذا بعلي شيخا فينبغي ان يكون اسم ولدهم يحيى وعن قتادة لان الله تعالى احيى قلبه بالايمان والطاعة والله تعالى سمى المطيع حيا والعاصي ميتا بقوله افمن كان ميتا فاحييناه وقال اذا دعاكم لما يحييكم وقيل لان الله تعالى احياه بالطاعة حتى لم يعص ولم يهم بمعصية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من احد الا وقد عصى او هم الا يحيى بن زكريا فانه لم يهم ولم يعملها وفي هذا نظر لانه كان ينبغي ان يسمى الانبيا كلهم والاوليا يحيى وقال ابن القسم بن حبيب لانه استشهد والشهدا احيا عند ربهم قال تعالى بل احيا عند ربهم وفي ذلك نظر لانه كان يلزم منه ان يسمى الشهدا كلهم يحيى وقال عمر بن عبد الله المقدسي اوحى الله تعالى الى ابرهيم عليه السلام ان قل لسارة باي تخرج منها عبدا لا يهم بمعصية اسمه حي فقال هبي له من اسمك حرفا فوهبت له حرفا من اسمها فصار يحيى وكان اسمها يسارة فصار اسمها سارة وقيل لان يحيى اول من امن بعيسى فصار قلبه حيا بذلك الايمان وذلك ان ام يحيى كانت حاملا به فاستقبلتها مريم وقد حملت بعيسى فقالت لها ام يحيى يا مريم احامل انت فقالت لم تقولين فقالت اني ارى ما في بطني يسجد لما في بطنك **قوله** قال رب انى يكون لي غلام اي من اين يكون لي غلام والغلام هو الانسان الذكر في ابتدا شهوته للجماع ويستعمل في التلميذ يقال غلام ثعلب وكانت امراتي عاقرا اي وامراتي عاقر ولم يقل عاقرة لان ما كان على فاعل من صفة المونث مما لم يكن للمذكر فانه لا تدخل فيه الها نحو امراة عاقر وحايض قال الخليل هذه صفات مذكر وصف بها المونث كما وصفوا المذكر بالمونث حين قالوا رجل ربعة وربعة وغلام يفعة **قوله** عتيا فيه اربعة اوجه اظهرها انه مفعول به اي بلغت عتيا من الكبر فعلى هذا من الكبر يجوز ان يتعلق ببلغت ويجوز ان يتعلق بمحذوف على انه حال من عتيا لانه في الاصل صفة له الثاني ان يكون مصدرا موكدا لمعنى الفعل لان بلوغ الكبر في معناه الثالث انه مصدر واقع موقع الحال من فاعل بلغت اي عاتيا او ذا عتي الرابع انه تمييز وعلى هذه الاوجه الثلاثة فمن مزيدة ذكره ابو البقا والاول هو الوجه والعتي بزنة فعول وهو مصدر عتا يعتو اي يبس وصلب قال الزمخشري وهو اليبس والجساوة في المفاصل والعظام كالعود القاحل يقال عتا العود وعسا اوبلغت من مدارج الكبر ومراتبه ما يسمى عتيا يريد بقوله اوبلغت انه يجوز ان يكون من عتا يعتو اي فسد والاصل عتو بواوين فاستثقل واوان بعد ضمتين فكسرت التا تخفيفا فانقلبت

الواو الاولى يا لسكونها وانكسار ما قبلها فاجتمع يا وواو وسبقت احديهما بالسكون فقلبت الواو يا وادغمت فيها اليا الاولى وهذا الاعلال جائز في المفرد كهذا النحو والجمع نحو عصي الا ان الكثير في المفرد التصحيح كقوله وعتوا عتوا كبيرا وقد تعل كهذه الاية والكثير في الجمع الاعلال وقد تصح نحو انكم لتنظرون في نحو كثيرة وقالوا فتي وفتو وقرا الاخوان عتيا وصليا وبكيا وجثيا بكسر الفا للاتباع والباقون بالضم على الاصل وقرا عبد الله بن مسعود بفتح الاول من عتيا وصليا جعلهما مصدرين على زنة فعيل كالعجيج والرحيل وقرا عبد الله وابي بن كعب ومجاهد عسيا بضم العين وكسر السين المهملة وتقدم اشتقاق هذه اللفظة في الاعراف وتصريفها والعتي والعسي واحد يقال عتا يعتو عتوا وعتيا فهو عات وعسا يعسو عسوا وعسيا فهو عاس والعاسي هو الذي غيره طول الزمان الى حال اليبس وليل عات طويل وقيل شديد الظلمة **فصل** في هذه الاية سوالان السوال الاول لم تعجب زكريا عليه السلام بقوله انى يكون لي غلام مع انه هو الذي طلب الغلام والسوال الثاني قوله انى يكون لي غلام هذا التعجب يدل على الشك في قدرة الله تعالى على ذلك وذلك كفر وهو غير جايز على الانبيا عليهم السلام والجواب عن الاول اما على قول من قال ما طلب الولد فالاشكال زايل واما على قول من قال انه طلب الولد فالجواب ان المقصود من قوله انى يكون لي غلام هو البحث عن انه تعالى يجعلهما شابين ثم يرزقهما او يتركهما شيخين ويرزقهما الولد مع الشيخوخة ويدل عليه قوله تعالى وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وانت خير الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه وما هذا الاصلاح الا انه تعالى اعاد قوة الولادة وذكر السدي في الجواب وجها اخر فقال انه لما سمع الندا بالبشارة جاه الشيطان فقال ان هذه الصورة ليست من الله تعالى بل من الشيطان يسخر منك فلما شك زكريا قال رب انى يكون لي غلام وغرض السدي من هذا ان زكريا عليه السلام لو علم ان المبشر بذلك هو الله تعالى لما جاز له ان يقول ذلك فارتكب هذا فقال بعض المتكلمين هذا باطل قطعا اذ لو جوز الانبيا في بعض ما يرد عن الله تعالى انه من الشيطان لجوزه في سايره ولزالت الثقة عنهم في الوحي وعنا فيما يودونه الينا ويمكن ان يجاب عنه بان هذا الاحتمال قايم في اول الامر وانما يزول بالمعجزة فلعل المعجزة لم تكن حاصلة في هذه الصورة فحصل الشك فيها دون ما عداها والجواب عن السوال الثاني من وجوه الاول ان قوله انا نبشرك بغلام اسمه يحيى ليس نصا في كون ذلك الغلام ولدا له بل يحتمل ان زكريا عليه السلام راعى الادب ولم يقل هذا الغلام هل يكون ولدا لي ام لا بل ذكر تعذر حصول الولد في العادة حتى ان تلك البشارة ان كانت بالولد فالله تعالى يزيل الابهام ويجعل الكلام صريحا فلما ذكر ذلك صرح الله تعالى بكون الولد منه فكان الغرض من كلام زكريا هذا الا انه كان شاكا في قدرة الله تعالى الثاني انه ما ذكر ذلك للشك لكن على وجه التعظيم لقدرته وهذا كالرجل الذي يرى صاحبه قد وهب الكثير الخطير فيقول اني سمحت نفسك باخراج مثل هذا من مالك تعظيما وتعجبا الثالث ان من شان من بشر بما يتمنى ان يولد له فرط السرور به عند اول ما يرد عليه استثبات ذلك الكلام اما لان شدة فرحه به يوجب ذهوله عن مقتضيات العقل والفكر وهذا كما ان امراة ابرهيم عليه السلام بعد ان بشرت باسحاق قالت يا ويلتا االد وانا عجوز وهذا بعلي شيخا ان هذا لشي عجيب فازيل تعجبها بقوله اتعجبين من امر الله واما طلبا للالتذاذ بسماع ذلك الكلام مرة اخرى واما مبالغة في تاكيد التبشير **قوله** قال كذلك قال ربك في محل الكاف من كذلك وجهان احدهما انه رفع على خبر ابتدا مضمر اي الامر كذلك ويكون الوقف على كذلك

ثم يبتدي بجملة اخري والثاني انها منصوبة المحل فقدره ابو البقا بأفعل ما طلبت وهو كناية
عن مطلوبه بجعلنا صلة مقدر وظاهره انه مفعول به وقال الزمخشري او نصب بقال
وذلك اشارة الي مبهم يفسره هو علي هين ونحوه وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هولا مقطوع
مصبحين وقرا الحسن وهو علي هين ولا تخرج هذا الا علي الوجه الاول اي الامر كما قلت وهو
علي ذلك تهون علي ووجه اخر وهو ان يشار بذلك الي ما تقدم من وعد الله لا الي قول زكريا
وقال محذوف في كلتا القراتين اي قال هو علي هين قال وهو علي هين وان شيت لم تنوه لان الله
هو المخاطب والمعني انه قال ذلك ووعده وقوله الحق وفي هذا الكلام قلق وحاصله يرجع الي
ان قال الثانية هي الناصبة للكاف وقوله وقال محذوف يعني تفريعا علي ان الكلام قد تم
عند قال ربك ويبتدا بقوله هو علي هين في كلتي القراتين يعني قراة العامة وقرا الحسن وقوله
وان شيت لم تنوه اي لم تنوا القول المقدر لان الله هو المتكلم بذلك وظاهر كلام بعضهم ان قال
الاولي مسندة الي ضمير الملك وقد صرح بذلك ابن جرير وتبعه ابن عطية قال الطبري
ومعني قوله قال كذلك اي الامران اللذان ذكرت من المراة العاقر والكبر هو كذلك ولكن
قال ربك والمعني عنده قال الملك كذلك اي علي هذه الحال قال ربك هو علي هين انتهي
وقرا الحسن البصري علي بكسر اليا المتكلم كقوله علي لعمر نعمة بعد نعمة لوالده ليست بذات عقارب
انشده بالكسر وتقدم الكلام علي هذه المسيلة في قراة حمزة بمصرخي **قوله** وقد خلقتك
هذه جملة مستانفة وقرا الاخوان خلقناك اسنده الي الواحد المعظم نفسه والباقون خلقتك
بتا المتكلم وقوله ولم تك شيا جملة حالية ومعني نفي كونه شيا اي شيا يعتد به كقوله
اذا راي غير شي ظنه رجلا وقالوا عجبت من لا شي وتجوز ان يكون قال ذلك لان المعدوم ليس
بشي **تنبيه** اطلاق لفظ الهين في حق الله تعالي مجاز لان ذلك انما يصح في حق من يجوز ان يصعب
عليه شي ولكن المراد به انه اذا اراد شيا كان واما وجه الاستدلال بقوله وقد خلقتك من
قبل ولم تك شيا فالمعني انه لما خلقه من العدم الصرف والنفي المحض كان قادرا علي خلق
الذوات والصفات الان خلق الولد من الشيخ والشيخة لا تحتاج فيه الا الي تبديل الصفات فالقادر
علي خلق الذوات والصفات معا اولي ان يكون قادرا علي تبديل الصفات واذا اوجده من عدم
فكذا يرزقه الولد بان يعيد اليه والي صاحبته القوة التي عنها يتولد الماان اللذان من اجتماعهما
يخلق الولد **فصل** الجمهور علي ان قوله قال كذلك قال ربك يقتضي ان القايل لذلك ملك مع بلا شك
الاعتراف بان قوله يا زكريا انا نبشرك بغلام قول الله وقوله هو علي هين قول الله تعالي وهذا
بعيد لانه اذا كان ما قبل هذا الكلام وما بعده قول الله تعالي فكيف يصح ادراج هذه
الالفاظ فيما بين هذين القولين والاولي ان يقال قايل هذا القول ايضا هو الله تعالي كما ان
الملك العظيم اذا وعد عبده شيا عظيما فيقول العبد من اين يحصل لي هذا فيقول فيقول ان
سلطانك ضمن لك بذلك كانه ينبهه بذلك علي ان كونه سلطانا مما يوجب عليه الوفا بالعهد
والوعد فكذلك ههنا **قوله تعالي** قال رب اجعل لي اية الايه اي اجعل لي علامة
ودلالة علي حمل امراتي قال بعض المفسرين طلب الاية لتحقق البشارة وهو بعيد لانه تحقق
البشارة بتصريح القول وهو اقوي من اظهار الدلالة والحق ان البشارة بالولد وقعت مطلقة
فلم يعرف وقتها بمجرد البشارة فطلب الاية ليعرف بها وقت الوقوع واتفقوا علي ان تلك
الاية هي تعذر الكلام عليه فان بمجرد السكوت مع القدرة علي الكلام لا يكون معجزة فقيل انه
اعتقل لسانه والصحيح انه امتنع عليه الكلام مع انه كان متمكنا من ذكر الله تعالي ومن قراءه
التورية لان اعتقال اللسان مطلقا قد يكون لمرض وقد يكون للمعجزة فلا يعرف زكريا عليه

السلام ان ذلك الاعتقال معجزا الا اذا عرف انه ليس لمرض وهذا مما لا يعرف الا بدليل اخر
فاما اذا اعتقل لسانه عن كلام الناس مع القدرة علي التكلم بذكر الله تعالي وقراءة التوريه
علم بالضرورة ان ذلك الاعتقال ليس لعلة بل لمحض المعجزة والايه فيتحقق الاية ويويده قوله
تعالي اتيتك الا تكلم الناس فمفهومه انه كان قادرا علي التكلم مع غير الناس **قوله** سويا حال
من فاعل تكلم اي لا تكلم الناس في هذه المدة مع كونك صحيحا سليما وعن ابن عباس ان سويا من
صفة الليالي بمعني كاملات فيكون نصبه علي النعت للظرف والجمهور علي نصب ميم تكلم
جعلوها الناصبة وابن ابي عبلة بالرفع بجعلها المخففة من الثقيلة واسمها ضمير شان محذوف
ولا فاصلة وتقدم تحقيقه **قوله** فخرج علي قومه من المحراب وكان الناس من ورا المحراب
ينتظرونه ان يفتح لهم الباب فيدخلون ويصلون اذ خرج عليهم زكريا متغير اللون فانكروا
وقالوا مالك يا زكريا فاوحي اليهم فاوي اليهم وقال مجاهد كتب لهم في الارض والاول اشبه
بالاية لقوله تعالي في ال عمران ثلاثة ايام الا رمزا والرمز لا يكون كناية للكلام والمراد بالتسبيح
الصلاة اي صلوا بكرة وعشيا والمعني انه كان يخرج علي قومه بكرة وعشيا فيامرهم بالصلاة
فلما كان وقت حمل امراته ومنع من الكلام خرج اليهم فامرهم بالصلاة اشارة وروي عن ابن
ابي العالية ان البكرة صلاة الفجر والعشي صلاة العصر **قوله** ان سبحوا يجوز في ان ان تكون
مفسرة لاوحي وان تكون مصدرية مفعوله بالايحا وبكرة وعشيا ظرفا زمان للتسبيح وانصرفت
بكرة لانه لم يقصد بها العلمية فلو قصد بها العلمية امتنعت من الصرف وسوا قصد بها
وقت بعينه نحو لاسيرن الليلة الي بكره ام لم يقصد نحو بكرة وقت نشاط لان علميتها جنسية
كاسامة ومثلها في ذلك كله غدوة وقرا طلحة سبحوه بها الكناية وعنه ايضا سبحن باسنادالفعل
الي ضمير الجماعة موكدا بالثقيلة وهو كقوله ليقولن ما يحبسه وقد تقدم تصريفه **قوله**
يا يحيي خذ الكتاب بقوة في الكلام حذف معناه ووهبنا له يحيي وقلنا له يا يحيي خذ الكتاب
يعني التورية بقوة وجد وقيل كتابا اخر كما خص كثيرا من الانبيا بذلك والاول اولي لان حمل الالف
واللام علي المعهود السابق اولي ولا معهود ههنا الا التورية وهذه الاية تدل علي ان الله تعالي
بلغ يحيي الحد الذي يجوز ان يخاطبه بذلك فحذف ذكره لدلالة الكلام عليه **قوله** بقوة حال
من الفاعل والمفعول اي ملتبسا انت او متلبسا هو بقوة وليس المراد بالقوة القدرة علي الاخذ
لان ذلك معلوم لكل احد فيجب حمله علي معني يفيد المدح وهو الكد والصبر علي القيام بامر
النبوة والمراد منه حصول ملكه تقتضي سهوله الاقدام علي المامور به والاحجام عن المنهي عنه
قوله واتيناه الحكم صبيا قال ابن عباس الحكم النبوة صبيا وهو ابن ثلاث سنين وقيل
الحكم فهم الكتاب فقرا التورية وهو صغير وقال معمر هو العقل وروي انه قال ما للعب خلقنا
والاول اولي لان الله تعالي احكم عقله في صباه واوحي اليه فان الله تعالي بعث يحيي وعيسي
عليهما السلام وهما صبيان لا كما بعث موسي ومحمدا عليهما السلام وقد بلغا الاشد فان قيل
كيف يعقل حصول العقل والفطنة والنبوة حال الصبي فالجواب هذا المسايل اما ان
يمنع خرق العادات او لا يمنع منه فان منع منه فقد انسد باب النبوات لان الامر فيها
علي المعجزات ولا معني لها الا خرق العادات وان لم يمنع فقد زال هذا الاستبعاد وانه
ليس استبعاد صيرورة الصبي عاقلا اشد من استبعاد انشقاق القمر وانفلاق البحر
وصبيا حال من ها اتيناه **قوله** وحنانا تجوز ان يكون مفعولا به نسقا علي الحكم اي واتيناه
تحننا والحنان الرحمة واللين وانشد ابو عبيدة قول الحطيبة لعمر بن الخطاب
تحنن علي هداك المليك فان لكل مقام مقالا قال واكثر استعماله مثني كقولك حنانيك

وقوله حنانيك بعض الشر اهون من بعض وجوز فيه ابو البقا ان يكون مصدرا كانه يريد
به المصدر الواقع في الدعا نحو سقيا ورعيا فنصبه باضمار فعل كاخواته ويجوز ان يرتفع على خبر
ابتدا مضمر نحو فصبر جميل وسلام عليكم في احد الوجهين وانشد سيبويه
وقالت حنان ما اتى بك ههنا اذو نسب ام انت بالحي عارف وقيل لله تعالى الحنان كما
يقال له رحيم قال الزمخشري وذلك على سبيل الاستعارة **فصل** اعلم ان الحنان اصله من الحنين
وهو الارتياح والجزع للفراق كما يقال حنين الناقة وهو صوتها اذا اشتاقت ولدها ذكره الخليل
وفي الحديث انه عليه السلام كان يصلي الى جذع في المسجد فلما اتخذ المنبر وتحول اليه حنت تلك
الخشبة حتى سمع حنينها فهذا هو الاصل ثم قيل تحنن فلان على فلان اذا انعطف عليه ورحمه
واختلف الناس في وصف الله تعالى بالحنان فاجازه بعضهم وجعله بمعنى الروف والرحيم ومنهم من
اباه لما يرجع اليه اصل الكلمة قالوا ولم يصح الخبر بهذه اللفظة في اسما الله تعالى واذا عرفت هذا
فنقول في الحنان ههنا وجهان احدهما ان نجعله صفة لله تعالى والثاني ان نجعله صفة ليحيى
فان جعلناه صفة لله تعالى فيكون التقدير واتيناه الحكم حنانا اي رحمة منا ثم ههنا احتمالات
الاول ان يكون الحنان من الله تعالى ليحيى والمعنى واتيناه الحكم صبيا حنانا منا عليه اي رحمة
عليه وزكوة اي وتزكية له وتشريفا له والثاني ان يكون الحنان من الله تعالى لزكريا والمعنى
استجبنا لزكريا دعوته بان اعطيناه ولدا ثم اتيناه الحكم صبيا وحنانا من لدنا عليه اي على
زكريا فعلنا ذلك وزكوة اي تزكية له عن ان يصير مردود الدعا الثالث ان يكون الحنان
من الله تعالى لامة يحيى عليه السلام والمعنى اتيناه الحكم صبيا حنانا على امته لعظم انتفاعهم
بهدايته وارشاده وان جعلناه صفة ليحيى عليه السلام ففيه وجوه الاول اتيناه الحكم والحنان
على عباده اي والتعطف عليهم وحسن النظر لهم كما وصف محمدا عليه السلام بقوله حريص عليكم
بالمومنين روف رحيم وقوله فبما رحمة من الله لنت لهم وقوله وزكوة اي شفقته ليست داعية
الى الاخلال بالواجب لان الرافة واللين ربما اورثت ترك الواجب الا ترى الى قوله تعالى ولا
تاخذكم بهما رافة في دين الله وقال قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة وقال
اذلة على المومنين اعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لايم والمعنى انا
جمعنا له التعطف على عباد الله مع الطهارة عن الاخلال بالواجبات ويحتمل انا اتيناه التعطف
على الخلق والطهارة فلم يعص ولم يهم بمعصية الثاني قال عطا بن ابي رباح وحنانا من لدنا تعظيما
من لدنا والمعنى اتيناه الحكم صبيا تعظيما اذ جعلناه نبيا وهو صبي ولا تعظيم اكثر من هذا ودليل
عليه ما روي ان ورقة بن نوفل مر على بلال وهو يعذب قد الصق ظهره برمضا البطحا وهو
يقول احد احد فقال والذي نفسي بيده لئن قتلتموه لاتخذنه حنانا اي معظما **قوله** من
لدنا صفة له وقوله وزكوة قال ابن عباس هي الطاعة والاخلاص وقال قتادة والضحاك هي
العمل الصالح والمعنى اتيناه رحمة من عندنا وتحننا على العباد ليدعوهم الى طاعة ربهم وعملا صالحا
في اخلاص وقال الكلبي صدقة تصدق الله بها على ابويه وقيل زكيناه بحسن الثنا كما
يزكي الشهود الانسان وهذه الاية تدل على ان فعل العبد خلق لله تعالى جعل طهارته وزكوته
من الله تعالى وحمله على الالطاف بعيد لانه عدول عن الظاهر **قوله** وكان تقيا مسلما
مخلصا مطيعا والتقي هو الذي يتقي ما نهى الله عنه فيجتنبه ويتقي مخالفة امر الله فلا يهمله
واولى الناس بهذا الوصف من لم يعص الله ولا يهم بمعصية وكان يحيى عليه السلام كذلك
فان قيل ما معنى قوله وكان تقيا وهذا ابتدا تكليفه فالجواب انما خاطب الله
بذلك الرسول واخبر عن حاله حيث كان كما اخبر عن نعم الله تعالى عليه **قوله** وبرا

بجوز

الم

لان الله تعالى

يجوز ان يكون نسقا على خبر كان اي كان تقيا برا ويجوز ان يكون منصوبا بفعل اي وجعلناه
برا وقرا الحسن برا بكسر البا في الموضعين وتاويله واضح كقوله ولكن البر من امن وتقدم
تاويله وبوالديه متعلق ببرا وعصيا يجوز ان يكون وزنه فعولا والاصل عصوي ففعل
فيه ما يفعل في نظايره وفعول للمبالغة كصبور ويجوز ان يكون وزنه فعيلا وهو للمبالغة ايضا
فصل برا بوالديه اي بارا لطيفا بهما محسنا اليهما ولم يكن جبارا عصيا الجبار المتكبر
وقال سفيان الجبار الذي يضرب ويقتل على الغضب كقوله تعالى اتريد ان تقتلني كما
قتلت نفسا بالامس ان تريد الا ان تكون جبارا وكقوله واذا بطشتم بطشتم جبارين
والجبار ايضا القاهر قال تعالى العزيز الجبار والعصي العاصي والمراد وصفه والمراد
وصفه بالتواضع ولين الجانب وذلك من صفات المومنين كقوله تعالى واخفض جناحك
للمومنين وقال تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وقيل الجبار هو الذي
لا يرى لاحد على نفسه حقا وقيل العصي ابلغ من العاصي كما ان العليم ابلغ من العالم **قوله**
وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا قال محمد بن جرير الطبري وسلام
عليه يوم ولد اي امان عليه من الله يوم ولد ان تناله الشياطين كما تنال سايربني ادم ويوم
يموت اي امان له من عذاب القبر ويوم يبعث حيا اي ومن عذاب الله يوم القيامة قال
سفين بن عيينة اوحش ما يكون الانسان في هذه الاحوال يوم ولد فيرى نفسه خارجا
مما كان فيه ويوم يموت فيرى قوما لم يكن عاينهم ويوم يبعث فيرى نفسه في محشر عظيم لم ير
مثله فخص يحيى بالسلامة في هذه المواطن الثلاثة قال عبد الله بن نفطويه وسلام عليه يوم
ولد اي اول ما راى الدنيا ويوم يموت اي اول ما يرى فيه امر الاخرة ويوم يبعث
حيا اي اول يوم يرى فيه الجنة والنار **فصل** السلام يمكن ان يكون من الله وان
يكون من الملايكة وعلى التقديرين فيدل على تشريفه وفضله لان الملايكة لا يسلمون الا
عن امر الله ويدل على ان ليحيى مزية في هذا السلام على ما لساير الانبيا كقوله تعالى سلام على نوح
سلام على ابرهيم وقال ليحيى يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا وليس ذلك لساير الانبيا
روي ان عيسى عليه السلام قال ليحيى عليه السلام انت افضل مني لان الله تعالى قال سلام
عليك وانا سلمت على نفسي واجاب الحسن عن هذا فقال هذا يجري مجرى سلام الله على عيسى
لان عيسى معصوم لا يفعل الا ما امره الله به واعلم ان السلام عليه يوم ولد يكون تفضلا
من الله تعالى لانه لم يتقدم منه عمل يكون ذلك السلام جزاله واما السلام عليه يوم يموت
ويوم يبعث حيا فيجوز ان يكون ثوابا كالمدح والتعظيم **فصل** في فوايد هذه
القصة منها تعليم اداب الدعا وهو قوله ندا خفيا يدل على ان افضل الدعا خفية
ويوكده قوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية ولان رفع الصوت مشعر بالقوة والجلادة
واخفا الصوت مشعر بالضعف والانكسار وعمدة الدعا الانكسار والتبري عن حول
النفس وقوتها والاعتماد على فضل الله تعالى واحسانه ويستحب ان يذكر في مقدمة
الدعا عجز النفس وضعفها كقوله وهن العظم مني واشتعل الراس شيبا ثم يذكر نعم الله عليه
كقوله ولم اكن بدعايك رب شقيا ويكون الدعا لما يتعلق بالدين لا لمحض الدنيا كقوله واني
خفت الموالي وان يكون الدعا بلفظ يا رب كما ذكر ومنها بيان فضل زكريا ويحيى عليهما
السلام اما زكريا فلتضرعه وانقطاعه الى الله بالكلية واجابة الله دعاه وان الله تعالى بشره
وبشرته الملايكة واعتقال لسانه عن الكلام دون التسبيح واما يحيى فلانه لم يجعل له من قبل
سميا وقوله يا يحيى خذ الكتاب بقوة واتيناه الحكم صبيا وكونه رحيما حنانا وطاهرا وتقيا

لرم

وبرا بوالديه ولم يكن جبارا ولم يعص قط ولا هم بمعصية ثم سلم عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم
يبعث حيا ومنها كونه تعالى قادرا على خلق الولد وان كان الابوان في نهاية الشيخوخة ردا على
اهل الطبايع ومنها ان المعدوم ليس بشي كقوله ولم تك شيا فان قيل المراد ولم تك شيا
مذكورا كما في قوله تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيا مذكورا ونحن نقول به لان
الانسان عبارة عن جواهر متالفة قامت بها اعراض مخصوصة والجواهر المتالفة الموصوفة
بالاعراض المخصوصة غير ثابتة في المعدوم انما الثابت هو اعتبار تلك الجواهر مفردة غير
مركبة وهي ليست بالانسان فظهر ان الاية لا دلالة فيها على المطلوب ومنها ان الله تعالى
ذكر هذه القصة في سورة ال عمران وذكرها في هذه السورة فلنعتبر حالها في الموضعين
فنقول ان الله تعالى بين في هذه السورة انه دعا ربه ولم يبين الوقت وبينه في ال عمران بقوله
كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا الى ان قال هنالك دعا زكريا ربه قال
رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعا والمعنى ان زكريا عليه السلام لما راى خرق
العادة في حق مريم طمع في حق نفسه فدعا ربه وصرح في ال عمران بان المنادي هو الملايكة
بقوله فنادته الملايكة وهو قايم يصلي في المحراب والاظهر ههنا ان المنادي بقوله يا زكريا انا
نبشرك هو الله وقد تقدم انه لا منافاة بينهما وقال في ال عمران اني يكون لي غلام وقد بلغني الكبر
وامراتي عاقر فذكرا ولا كبر نفسه ثم عقر المراة وههنا قال وكانت امراتي عاقرا وقد بلغت من
الكبر عتيا وجوابه ان الواو لا يقتضي الترتيب وقال في ال عمران وقد بلغني الكبر وقال ههنا
وقد بلغت من الكبر عتيا وجوابه ان ما بلغك فقد بلغته وقال في ال عمران اياتك الا تكلم
الناس ثلاثة ايام الا رمزا وقال ههنا ثلاث ليال سويا وجوابه دلت الايتان على ان المراد
ثلاثة ايام بلياليهن والله اعلم **قوله تعالى** واذكر في الكتاب مريم القصة اعلم انه
تعالى انما قدم قصة يحيى عليه السلام على قصة عيسى لان خلق الولد من شيخين فانيين اقرب الى مناهج العادة
من خلق الولد لا من اب البتة واحسن طرق التعليم والتفهيم الترقي من الاقرب فالاقرب الى الاصعب
فالاصعب **قوله** اذ انتبذت في اذ اوجه احدها انها منصوبة باذكر على انها خرجت على
الظرفية اذ تستحيل ان تكون باقية على مضيها والعامل فيها ما هو نص في الاستقبال الثاني انه منصوب
بمحذوف مضاف لمريم تقديره واذكر خبر مريم او نباها اذ انتبذت فاذ منصوب بذلك الخبر
او النبا الثالث انه منصوب بفعل محذوف تقديره وبين اي الله تعالى فهو كلام اخر وهذا كما
قال سيبويه في قوله انتهوا خيرا لكم وهو في الحاذق اقوي وان كان مفعولا به الرابع ان يكون منصوبا
على الحال من ذلك المضاف المقدر اي خبر مريم او نبا مريم وفيه بعد قاله ابو البقا الخامس انه
بدل من مريم بدل اشتمال قال الزمخشري لان الاحيان مشتملة على ما فيها وفيه ان المقصود
بذكر مريم ذكر وقتها هذا الوقوع هذه القصة العجيبة فيه قال ابو البقا بعد ان حكى عن
الزمخشري هذا الوجه وهو بعيد لان الزمان اذا لم يكن حالا من الجثة ولا خبرا عنها ولا صفة
لها لم يكن بدلا منها انتهى وفيه نظر لانه لا يلزم من عدم صحة ما ذكر عدم صحة البدلية الا ترى
نحو سلب زيد ثوبه فثوبه لا يصح جعله خبرا عن زيد ولا حالا منه ولا وصفا له ومع ذلك فهو بدل
اشتمال السادس ان اذ بمعنى ان المصدرية كقولك لا اكرمك اذ لم تكرمني اي لانك لا تكرمني فعلى
هذا يحسن بدل الاشتمال اي واذكر مريم انتباذها ذكره ابو البقا وهو في الضعف غاية
ومكانا يجوز ان يكون ظرفا وهو الظاهر وان يكون مفعولا به على المعنى اذ المعنى اتت مكانا
والانتباذ افتعال من النبذ وهو الطرح والالقا ونبذه بضم النون وفتحها اي ناحية وهذا
اذا جلس قريبا منك حتى لو نبذت اليه شيا وصل اليه ونبذت الشي رميته ومنه النبيذ

لانه

لانه يطرح في الانا واصله منبوذ فصرف الى فعيل ومنه قيل للقيط منبوذ لانه رمي به ومنه
النهي عن المنابذة في البيع وهو ان تقول اذا نبذت اليك الثوب او الحصاة فقد وجب البيع وقد
تقدم فقوله اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا تباعدت واعتزلت عن اهلها مكانا في الدار
مما يلي المشرق ثم انها مع ذلك اتخذت من دون اهلها حجابا قال ابن عباس سترا وقيل جلست
وراء جدار وقال مقاتل وراء جبل **فصل** اختلف المفسرون في سبب احتجابها فقيل
انها لما رات الحيض تباعدت عن مكان عبادتها تنتظر الطهر فتغتسل وتعود فلما طهرت جاءها
جبريل عليه السلام وقيل طلبت الخلوة للعبادة وقيل تباعدت لتغتسل من الحيض محتجبة من
شي يسترها وقيل كانت في منزل زوج اختها زكريا وفيه محراب على حده تسكنه وكان زكريا اذا
خرج اغلق عليها فتمنت ان تجد خلوة في الجبل لتفلي راسها فانفجر السقف لها فخرجت في المشرفة
وراء الجبل فاتاها الملك وقيل عطشت فخرجت الى المفازة لتستقي وكل هذه الوجوه محتملة واعلم
ان المكان الشرقي هو الذي يلي شرقي بيت المقدس او شرقي دارها قال ابن عباس اني لاعلم خلق
الله لاي شي اتخذت النصارى المشرق قبلة لقوله مكانا شرقيا فاتخذوا ميلاد عيسى قبلة وهو
قول الحسن **قوله** فارسلنا اليها روحنا الجمهور على ضم الراء من روحنا وهو ما يحيون به وقرا
ابو حيوة وسهل بفتحها اي ما فيه راحة للعباد كقوله فروح وريحان وحكى النقاش انه قرئ روحنا
بتشديد النون وقال هو اسم ملك من الملايكة **قوله** بشرا سويا حال من فاعل تمثل وسوغ
وقوع الحال جامدة وصفها فلما وصفت النكرة وقعت حالا **فصل** اختلفوا في هذا الروح
فالاكثرون على انه جبريل عليه السلام لقوله تعالى نزل به الروح الامين وسمي روحا لان الدين
يحيى به وقيل سمي روحا على المجاز لمحبته وتقريبه كما تقول لحبيبك روحي وقيل المراد من الروح
عيسى جاء في صورة بشر فحملت به والاول اصح وهو انه جبريل عرض لها في صورة شاب امرد حسن
الوجه جعد الشعر سوي الخلق وقيل في صورة ترب لها اسمه يوسف من خدم بيت المقدس قيل انما
تمثل لها في صورة بشر لكي لا تنفر منه ولو ظهر في صورة الملايكة لنفرت عنه ولم تقدر على استماع
كلامه وههنا اشكالات الاول انه لو جاز ان يظهر الملك في صورة الانسان المعين لجيد
لا يمكننا القطع بان هذا الشخص الذي نراه في الحال هو زيد الذي رايناه بالامس لاحتمال
ان الملك او الجني تمثل بصورته وفتح هذا الباب يودي الى السفسطة ولا يقال هذا انما يجوز
في زمان جواز البعث فاما في زماننا فلا يجوز لانا نقول هذا الفرق انما يعلم بالدليل
فالجاهل بذلك الدليل يجب ان لا يقطع بان هذا الشخص الذي راه الان هو الذي راه بالامس
الثاني انه جاء في الاخبار ان جبريل عليه السلام شخص عظيم جدا فذلك الشخص العظيم كيف صار
بدنه في مقدار جثة الانسان وذلك يوجب تداخل الاجزا وهو محال الثالث انا لو جوزنا ان
يتمثل جبريل عليه السلام في صورة الادمي فلم لا يجوز تمثله في صورة جسم اصغر من الادمي كالذباب
والبق والبعوض ومعلوم ان كل مذهب جر الى هذا فهو باطل الرابع ان تجويزه يفضي الى القدح
في خبر التواتر فلعل الشخص الذي حارب يوم بدر لم يكن محمدا بل كان شخصا اخر يشبهه وكذا القول
في الكل والجواب عن الاول ان ذلك التجويز لازم على الكل لان من اعترف بافتقار العالم
الى الصانع المختار فقد قطع بكونه قادرا على ان يخلق شخصا اخر مثل زيد في خلقه وتخطيطه
واذا جوزنا ذلك فقد لزم الشك في ان زيدا المشاهد الان هو الذي شاهدناه بالامس
ام لا ومن انكر الصانع المختار واسند الحوادث الى اتصالات الكواكب وتشكلات الفلك
لزمه ان يحدث اتصال غريب في الافلاك يقتضي حدوث شخص مثل زيد في كل الامور وحينئذ
يعود التجويز المذكور وعن الثاني انه لا يمتنع ان يكون جبريل له اجزا اصلية فالاجزا الاصلية

قليله جدا فحينئذ يكون متمكنا من التشبه بصورة الانسان بهذا اذا احلنا ه جسما بيانا ذا لطافة
دوحا بيا فاي استبعاد في ان يتنوع تارة بالهيكل الصغير وعن الثالث ان اصل التجويز تام في العقل
وانما عرف فساده بدلايل السمع وهو الجواب عن السوال الرابع **قوله** قالت اني اعوذ بالرحمن
منك ان كنت تقيا اي ان كان يرجى فيك ان تتقي الله فاني عايذة به منك لانها علمت ان الاستعاذة
لا توثر الا في التقي فهو كقول القايل ان كنت مومنا فلا تظلمني اي ينبغي ان يكون تقواك مانعا لك
من الفجور كقوله تعالى وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مومنين اي ان شرط الايمان يوجب هذا لا
ان الله تخشى في حال دون حال وقيل كان في ذلك الزمان انسان فاجر يتبع النسا اسمه تقي فظنت
مريم ان ذلك الشخص المشاهد هو ذاك والاول اصح **قوله** ان كنت تقيا جوابه محذوف او
متقدم **قوله** ليهب قرا نافع وابو عمرو ليهب بالياء والباقون لاهب بالهمزة فالاولى الظاهر
منها ان الضمير للرب اي ليهب الرب وقيل الاصل لاهب بالهمز وانما قلبت الهمزة يا تخفيفا لانها
مفتوحة بعد كسرة فتتفق القراتان وفيه بعد واما الثانية فالضمير للمتكلم والمراد به الملك
واسنده لنفسه لانه سبب فيه ويويده ان في بعض المصاحف امرني ان اهب لك ويجوز ان
يكون الضمير لله تعالى ويكون على الحكاية بقول محذوف **فصل** لما علم جبريل خوفها قال انما
انا رسول ربك ليزول عنها ذلك الخوف ولكن الخوف لا يزول بمجرد هذا القول بل لا بد من دلالة
تدل على انه جبريل عليه السلام فيحتمل ان يكون قد ظهر معجز عرفت به انه جبريل عليه السلام
ويحتمل انها عرفت صفة الملايكة من جهة زكريا عليه السلام فلما قال لها انما انا رسول ربك اظهر
لها من جسده ما عرفت به انه ملك فيكون ذلك هو العلم والذي يظهر انها كانت تعرف صفة الملك
بالامارات حين كان ياتيها بالرزق في المحراب وقال لها زكريا يا مريم اني لك هذا قالت هو من
عند الله **قوله** غلاما زكيا ولدا صالحا طاهرا من الذنوب قالت اني يكون لي غلام ولم يمسسني
بشر ولم اك بغيا انما تعجبت مما بشرها جبريل لانها قد عرفت بالعادة ان الولادة لا تكون الا من
رجل والعادات عند اهل المعرفة معتبرة في الامور وان جوزنا خلاف ذلك في القدرة فليس
في قولها هذا دلالة على انها لم تعلم انه تعالى قادر على خلق الولد ابتدا وكيف وقد عرفت انه
تعالى خلق ابا البشر على هذا الحد ولانها كانت منفردة بالعبادة ومن يكون كذلك لا بد من ان يعرف
قدرة الله على ذلك فان قيل قولها ولم يمسسني بشر كاف في المعنى فلم قالت ولم اك بغيا فالجواب
من وجهين احدهما انها جعلت المس عبارة عن النكاح الحلال لانه كناية عنه قال تعالى من قبل
ان تمسوهن والزنا انما يقال فيه فجر بها او ما اشبهه والثاني انها اعادت لتعظيم حالها كقوله
تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوله وملايكته وجبريل وميكال فكذا ههنا ان
من لم تعرف من النسا بزوج فاغلظ احوالها اذا اتت بولد ان تكون زانية فافردت ذكر
البغي بعد دخوله في الكلام لانه اعظم ما في بابه **قوله** بغيا في وزنه قولان احدهما قول
المبرد ان وزنه فعول والاصل بغوي فاجتمعت اليا والواو فادغمت الواو في اليا قال ابو البقا
ولذلك لم تلحق تا التانيث كما لم تلحق في صبور وشكور ونقل الزمخشري عن ابي الفتح من كتاب
التمام انها فعيل قال ولو كانت فعولا لقيل بغو كما يقال فلان نهو عن المنكر ولم يعقبه بنكير
ومن قال انها فعيل فهي بمعنى فاعل او بمعنى مفعول فان كانت بمعنى فاعل فينبغي ان تكون بتا
التانيث نحو امراة قديرة وبصيرة واجيب عن ذلك بانها بمعنى النسب كحايض وطالق اي
ذات بغي وقال ابو البقا من جعلها بمعنى فاعل لم تلحق التا ايضا لانها للمبالغة فجعل العلة في عدم
اللحاق كونه للمبالغة وليس بشي وان قيل بانها بمعنى مفعول فعدم التا واضح وتقدم الكلام على قوله
قال كذلك قال ربك هو علي هين وهو كقوله في ال عمران كذلك الله يخلق ما يشا اذا قضى امرا فانما

يقول

يقول له كن فيكون لا يمتنع عليه ما يريد خلقه ولا يحتاج في انشايه الى الالات والمواد **قوله**
ولنجعله يجوز ان يكون علة ومعللة محذوف تقديره لنجعله اية للناس فعلنا ذلك ويجوز ان
يكون نسقا على علة محذوفة تقديره لنبين به قدرتنا ولنجعله اية والضمير عايد على الغلام
واسم كان مضمر فيها اي وكان الغلام اي خلقه وايجاده امرا مقضيا اي لا بد منه والمراد
بالاية العلامة اي علامة للناس ودلالة على قدرتنا على انواع الخلق فانه تعالى خلق ادم من
غير ذكر ولا انثى وخلق حوا من ذكر بلا انثى وخلق عيسى من انثى بلا ذكر وخلق بقية الخلق من ذكر
وانثى ورحمة منا اي ونعمة لمن تبعه على دينه وكان امرا مقضيا محكوما مفروغا منه وعامة لا
يرد ولا يبدل **قوله تعالى** فحملته فانتبذت به قيل ان جبريل رفع درعها فنفخ في
جيبه فحملت حين لبست وقيل نفخ جبريل من بعيد فوصل الريح اليها فحملت بعيسى في الحال
وقيل ان النفخة كانت في فيها فوصلت الى بطنها وقيل كان النافخ هو الله تعالى لقوله فنفخنا
فيه وظاهره يفيد ان النافخ هو الله تعالى ولانه تعالى قال ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم
ومقتضى التشبيه حصول المشابهة الا فيما اخرجه الدليل وفي حق ادم النافخ هو الله تعالى لقوله
ونفخت فيه من روحي فكذا ههنا واذا عرف هذا ظهر ان في الكلام حذفا تقديره فنفخ فيها
فحملته قيل حملت وهي بنت ثلاث عشرة سنة وقيل بنت عشر وقد كانت حاضت حيضتين
قبل ان تحمل وليس في القران ما يدل على شي من هذه الاحوال **قوله** فانتبذت به الجار
والمجرور في محل نصب على الحال اي انتبذت وهو مصاحب لها كقوله تدوس بنا الجماجم والتربا
والمعنى اعتزلت وهو في بطنها كقوله تنبت بالدهن اي تنبت والدهن فيها مكانا قصيا بعيدا
من اهلها قال ابن عباس اقصى الوادي وهو وادي بيت لحم فرارا من قومها ان يعيروها بولادتها
من غير زوج واختلفوا في علة الانتباذ فروى الثعلبي في العرايس عن وهب قال ان مريم لما
حملت بعيسى عليه السلام كان معها ابن عم لها يسمى يوسف النجار وكانا منطلقين الى المسجد الذي
عند جبل صهيون وكانت مريم ويوسف يخدمان ذلك المسجد ولا يعلم من اهل زمانهما احد
اشد اجتهادا منهما واول من عرف حمل مريم يوسف فتحير في امرها فكلما اراد ان يتهمها ذكر
صلاحها وعبادتها وانها لم تغب عنه ساعة قط فقال انه قد وقع في نفسي من امرك شي وقد
حرصت على كتمانه فغلبني ذلك فرايت ان الكلام فيه اشفى لصدري فقالت قل قولا جميلا قال
اخبريني يا مريم هل نبت زرع بغير بذر وهل نبتت شجرة من غير غيث وهل يكون ولد من
غير ذكر قالت نعم الم تعلم ان الله انبت الزرع يوم خلقه من غير بذر وهذا البذر انما حصل
من الزرع الذي انبته من غير بذر الم تعلم ان الله انبت الشجرة من غير غيث وبالقدرة جعل
الغيث حياة الشجر بعد ما خلق الله كل واحد منهما على حدة او تقول ان الله لا يقدر على ان ينبت
الشجرة حتى استعان بالما ولولا ذلك لم يقدر على انباته قال يوسف لا اقول هذا ولكني اقول
ان الله تعالى خلق ادم وامراته من غير ذكر ولا انثى فعند ذلك زالت التهمة من قلبه وكان ينوب عنها
في خدمة المسجد لاستيلا الضعف عليها بسبب الحمل وضيق القلب فلما قرب نفاسها اوحى
الله تعالى اليها ان اخرجي من ارض قومك لئلا يقتلوا ولدك فاحتملها يوسف الى ارض مصر
على حمارته فلما بلغت تلك البلاد ادركها النفاس فالجاها الى اصل نخلة وذلك في زمان
برد فاحتضنتها فوضعت عندها وقيل انها استحيت من زكريا فذهبت الى مكان بعيد لئلا
يعلم بها زكريا عليه السلام وقيل لانها كانت مشهورة في بني اسرايل بالزهد لنذر امها وتشاح
الانبيا في تربيتها وتكفل زكريا بها وكان الرزق ياتيها من عند الله فلما كانت في نهاية الشهرة
استحيت من هذه الواقعة فذهبت الى مكان بعيد وقيل خافت على ولدها من القتل لو ولدته بين

اظهرهم وكل هذه الوجوه يحتمله وليس في القران ما يدل على شي منها **فصل** اختلفوا في مدة حملها
فروي عن ابن عباس انها تسعة اشهر كسائر النسا في الغالب وقيل ثمانية اشهر وكان ذلك اية اخري
لانه لا يعيش ولد يولد لثمانية الا عيسى وقال عطا وابو العالية والضحاك سبعة اشهر وقيل ستة
اشهر وقال مقاتل بن سليمان ثلاث ساعات حملت به في ساعة وصور في ساعة ووضعت في ساعة
حين زالت الشمس من يومها وقال ابن عباس كان الحمل والولادة في ساعة واحدة ويدل عليه
وجهان الاول قوله تعالى فحملته فانتبذت به فاجاها المخاض فناداها من تحتها والفا للتعقيب
فدلت هذه الفاات على ان كل واحد من هذه الاحوال حصل عقيب الاخر من غير فصل وذلك
يوجب كون مدة الحمل ساعة واحدة لا يقال انتبذ ذهابها مكانا قصيا كيف يحصل في ساعة واحدة
لانا نقول السدي فسره بانها ذهبت الى اقصى موضع في جانب محرابها الثاني ان الله تعالى قال
في وصفه ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون فثبت ان عيسى عليه
السلام كما قال الله تعالى كن فكان وهذا مما لا يتصور فيه مدة الحمل انما تتصور مدة الحمل في المتولد
عن النطفة **قوله** والقصي البعيد يقال مكان قاص وقصي بمعنى واحد مثل عاص وعصي
فاجاها الاصل في جا ان يتعدي لواحد بنفسه فاذا دخلت عليه الهمزة كان القياس يقتضي تعديه
لاثنين قال الزمخشري الا ان استعماله قد تغير بعد النقل الى معنى الالجا الا تراك لا تقول جيت المكان
واجاتيه زيد كما تقول بلغته وابلغتيه ونظيره اتى حيث لم يستعمل الا في الاعطا ولم تقل اتيت المكان
واتانيه فلان وقال ابو البقا الاصل جاها ثم عدي بالهمزة الى مفعول ثان واستعمل بمعنى الجاها
قال ابو حيان قوله ان اجاها استعمل بمعنى الجاها يحتاج الى نقل ائمة اللغة المستقرين لذلك من
لسان العرب والاجاه تدل على المطلق فتصلح لما هو بمعنى الالجا ولما هو بمعنى الاختيار كما تقول اقمت
زيدا فانه يصلح ان يكون اقامتك له قسرا واختيارا واما قوله الا تراك لا تقول الى اخره فمن راي ان
التعديه بالهمزة قياس اجاز ذلك وان لم يسمع ومن منع فقد سمع ذلك في جا فيجيز ذلك واما تنظيره ذلك
باتى فليس نظيرا صحيحا لانه بناه على ان همزته للتعدية وان اصله اتى بل اتى مما بني على افعل ولو
كان منقولا من اتى المتعدي لواحد لكان ذلك الواحد هو المفعول الثاني والفاعل هو الاول اذا عديته
بالهمزة تقول اتى المال زيدا واتى عمرو زيدا المال فيختلف التركيب بالتعديه لان زيدا عند النحويين
هو المفعول الاول والمال هو المفعول الثاني وعلى ما ذكره الزمخشري كان يكون العكس فدل على انه ليس
على ما قاله وايضا فاتى مرادف لاعطى فهو مخالف من حيث الدلالة في المعنى وقوله ولم يقل اتيت المكان
واتيته هذا غير مسلم بل تقول اتيت المكان كما تقول جيت المكان قال الشاعر
اتوا ناري فقلت منون انتم فقالوا الجن قلت عموا صباحا ومن راي التعدية بالهمزة قياسا قال
اتيته قال شهاب الدين وهذه الابحاث التي ذكرها الشيخ ظاهرة الاجوبه فلا نطول بذكرها وقرا
الجمهور فاجاها اي الجاها وساقها ومنه قوله وجار سار معتمدا اليكم اجاته المخافة والرجا وقرا
حماد بن سلمة فاجاها بالف بعد الفا وهمزة بعد الجيم من المفاجاة بزنة قابلها ويقرا بالعين مخففتين
كانهم خففوا الهمزة بعد الجيم وبذلك دويت بين بين والجمهور على فتح الميم من المخاض وهو وجع الولادة
وروي عن ابن كثير بكسر الميم فقيل هما بمعنى وقيل المفتوح اسم مصدر كالعطا والسلام والمكسور مصدر
كالقتال واللقا والفعال قد جا من واحد كالعقاب والطراق قاله ابو البقا والميم اصلية لانه من
تمخضت الحامل تتمخض والى جذع يتعلق في قراة العامة باجاها اي ساقها اليه وفي قراة حماد بمحذوف
لانه حال من المفعول اي فاجاها مستندة الى جذع النخلة **فصل** المعنى الجاها المخاض وهو وجع
الولادة الى جذع النخلة لتستند اليها وتتمسك بها عند وجع الولادة وكانت نخلة يابسة في الصحرا
في شدة الشتا ولم يكن لها سعف ولا خضرة والتعريف فيها اما ان يكون من تعريف الاسما الغالبة

كتعريف

كتعريف النجم وابن الصعق او كانت تلك الصحرا كان فيها جذع نخلة مشهور عند الناس فاذا قيل
جذع النخلة فهم منه ذاك واما ان يكون تعريف الجنس اي جذع هذه الشجرة خاصة كان الله تعالى
ارشدها الى النخلة ليطعمها منها الرطب الذي هو اشبه الاشيا موافقة للنفسا ولان النخلة
اشد الاشيا صبرا على البرد ولا تثمر الا عند اللقاح فكانه تعالى قال واذا قطع راسها لم تثمر فكانه
تعالى قال كما ان الانثى لا تلد الا مع الذكر فكذا النخلة لا تثمر الا باللقاح ثم انه اظهر الرطب من
غير اللقاح ليدل ذلك على جواز ظهور الولد من غير ذكر قالت يا ليتني مت قبل هذا تمنت الموت **فان**
قيل كيف تمنت الموت مع انها كانت تعلم ان الله تعالى بعث جبريل عليه السلام وعدها
بان يجعلها وولدها اية للعالمين فالجواب من وجوه الاول تمنت الموت استحيا من الناس
فانساها الاستحيا بشارة الملايكة بعيسى الثاني ان عادة الصالحين اذا وقعوا في بلا ان يقولوا
ذلك كما روي عن ابي بكر انه نظر الى طاير على شجرة فقال طوبى لك يا طاير تقع على الشجر وتاكل
من الثمر ووددت اني ثمرة ينقرها الطاير وعن عمر انه اخذ تبنة من الارض فقال يا ليتني هذه
التبنة لم اكن شيا وعن علي يوم الجمل ليتني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة وعن بلال ليت بلالا لم تلده
امه فثبت ان هذا الكلام يذكره الصالحون عند اشتداد الامر عليهم الثالث لعلها قالت ذلك
لئلا تقع المعصية ممن يتكلم فيها والا فهي راضية بما بشرت به **قوله** نسيا الجمهور على كسر النون وسكون
السين وبصريح اليا بعدها وقرا حمزة وحفص وجماعة بفتح النون فالمكسور فعل بمعنى مفعول
كالذبح والطحن ومعناه الشي الحقير الذي من شانه ان ينسى كالوتد والحبل وخرقة الطمث ونحوها تمنت
لو كانت شيا تافها لا يوبه له من حقه ان ينسى عادة قال ابن الانباري من كسر فهو اسم لما ينسى كالنقض
اسم لما ينقض والمفتوح مصدر يسد مسد الوصف وقال الفرا هما لغتان كالوتر والوتر والكسر احب
الي وقرا محمد بن كعب القرظي نسيا بكسر النون والهمز وبدل اليا وروي عنه ايضا وعن بكر بن حبيب
السهمي فتح النون مع الهمزة قالوا وهو من نسات اللبن اذا صببت فيه ماء فاستهلك فيه فالمكسور ايضا
كذلك الشي المستهلك والمفتوح مصدر كما كان ذلك من النسيان ونقل ابن عطية عن بكر ابن حبيب
نسا بفتح النون والسين والقصر كعصا كانه جعل فعلا بمعنى مفعول كالقبض بمعنى المقبوض ومنسيا
نعت على المبالغة واصله منسوي فادغم وقرا ابو جعفر والاعمش منسيا بكسر الميم للاتباع لكسرة السين
ولم يعتد بالساكن لانه حاجز غير حصين كقولهم منتن ومنخر والمغيرة والمغيرة **قوله** فناداها
من تحتها قرا الاخوان ونافع وحفص بكسر ميم من وجر تحتها على الجار والمجرور والباقون بفتحها ونصب
تحتها فالقراة الاولى تقتضي ان يكون الفاعل في نادى مضمرا وفيه تاويلان احدهما هو جبريل ومعنى
كونه من تحتها انه في مكان اسفل منها ويدل على ذلك قراة عيسى فناداها ملك من تحتها فصرح به ومعنى
كونه اسفل منها اما ان يكونا في مكان مستو وهناك مبدا معين وهي عند النخلة وجبريل بعيد عنها فكل من
كان اقرب كان فوق وكل من كان ابعد كان تحت ولهذا فسر الكلبي قوله تعالى اذ جاوكم من فوقكم ومن
اسفل منكم ولهذا قال بعضهم ناداها من اقصى الوادي وقيل كانت مريم على اكمة عالية وجبريل اسفل
قاله عكرمة وروي عن عكرمة ان جبريل ناداها من تحت النخلة ومن تحتها على هذا فيه وجهان احدهما
انه متعلق بالندا اي جا الندا من هذه الجهة والثاني انه حال من الفاعل اي فناداها وهو تحتها وثاني
التاويلين ان الضمير لعيسى اي فناداها المولود من تحت ذيلها والجار فيه الوجهان من كونه متعلقا
بالندا او بمحذوف على انه حال والثاني وضح والقراة الثانية تكون فيها من موصولة والظرف صلتها
والمراد بالموصول اما جبريل واما عيسى وقرا وعلقمة فخاطبها مكان فناداها **فصل**
قال الحسن وسعيد بن جبير ان المنادي هو عيسى عليه السلام وقال ابن عباس والسدي وقتادة
والضحاك وجماعة ان المنادي جبريل عليه السلام وكانت مريم على اكمة وجبريل ورا الاكمة تحتها

كذا وجد

وقال ابن عيينه وعاصم المنادي على القراة بالفتح هو عيسى وعلى القراة بالكسر هو الملك والاول اقرب لوجوه الاول ان قوله فناداها من تحتها بفتح الميم انما يستعمل اذا كان قد علم قبل ذلك ان تحتها احد والذى علم كونه تحتها هو عيسى عليه السلام فوجب حمل اللفظ عليه واما قراة كسر الميم فلا تقتضي كون المنادي جبريل الثاني ان ذلك الموضع موضعا للوث والنظر الى العورة وذلك لا يليق بالملايكة الثالث ان قوله فناداها فعل ولا بد ان يكون فاعله قد تقدم ذكره والذي تقدم ذكره هو جبريل وعيسى عليهما السلام الا ان ذكر عيسى اقرب لقوله فحملته فانتبذت به والضمير عايد الى المسيح فكان حمله عليه اولى الرابع ان عيسى عليه السلام لم يكن كلمها لما علمت انه ينطق ولما كانت تشير الى عيسى بالكلام **فصل** من قال المنادي هو عيسى فالمعنى ان الله تعالى انطقه لها حين وضعته تطييبا لقلبها وازالة للوحشة عنها حتى تشاهد في اول الامر ما بشرها به جبريل عليه السلام من علو شان ذلك الولد ومن قال المنادي هو جبريل عليه السلام قال انه ارسل اليها ليناديها بهذه الكلمات كما ارسل اليها في اول الامر تذكيرا للبشارات المتقدمة **قوله** ان لا تحزني يجوز في ان ان تكون مفسرة لتقدمها ما هو بمعنى القول ولا على هذا ناهية وحذف النون للجزم وان تكون الناصبة ولا حينيذ نافية وحذف النون للنصب ومحل ان اما نصب او جر لانها على حذف حرف الجر اي فناداها بكذا والضمير في تحتها اما لمريم عليها السلام واما للنخلة والاول اولى لتوافق الضميرين **قوله** قد يجوز ان يكون مفعولا اول وتحتك مفعول ثان لانها بمعنى صير ويجوز ان يكون بمعنى خلق فيكون تحتك لغوا **والسري** قيل انه الرجل المرتفع القدر من سرو يسرو وكثرف يشرف فهو سري واصله سريو فاعلا اعلال سيد فلامه واو والمراد به في الاية عيسى عليه السلام ويجمع سري على سراه بفتح السين وسرو اكظر فاوهما جمعان شاذان بل قياس جمعه اسريا كغني واغنيا وقيل السري من سروت الثوب اي نزعته وسروت الجل عن الفرس اي نزعته كان السري سري ثوبه بخلاف المدثر والمتزمل قاله الراغب وقيل انه النهر الصغير ويناسبه فكلي واشربي واشتقاقه من سرى يسري لان الما يسري فيه فلامه على هذا ياء وانشد الليبد ٭ فتوسطا عرض السري فصدعا مسجودة متجاورا قلامها ٭ **فصل** قال الحسن وابن زيد السري هو عيسى والسري هو النبيل الجليل يقال فلان من سروات قومه اي من اشرافهم وروي ان الحسن رجع عنه وروي عن قتادة وغيره ان الحسن تلا هذه الاية وبجنبه حميد بن عبد الرحمن الحميري قد جعل ربك تحتك سريا فقال ان كان لسريا وان كان لكريما فقال له حميد يا ابا سعيد انما هو الجدول فقال له الحسن من ثم تعجبنا مجالستك واحتج من قال هو النهر بان النبي صلى الله عليه وسلم سيل عن السري فقال هو الجدول وبقوله تعالى فكلي واشربي فدل على انه النهر حتى ينضاف الما الى الرطب فتاكل وتشرب واحتج من قال انه عيسى بان النهر لا يكون تحتها بل الى جنبها ولا يجوز ان يجاب عنه بان المراد انه جعل النهر تحت امرها يجري بامرها ويقف بامرها كقوله وهذه الانهار تجري من تحتي لان هذا حمل اللفظ على مجازه ولو حملناه على عيسى لم نحتج الى هذا المجاز وايضا فانه موافق لقوله وجعلنا ابن مريم وامه اية واجيب بما تقدم ان المكان المستوي اذا كان فيه مبدا معين فكل من كان اقرب منه كان فوق وكل من كان ابعد منه كان تحت **فصل** اذا قيل بان السري هو النهر ففيه وجهان الاول قال ابن عباس ان جبريل ضرب برجله الارض وقيل عيسى فظهرت عين ما عذب وجرى وقيل كان هناك ما جار والاول اقرب لان قوله قد جعل ربك تحتك سريا يدل على الحدوث في ذلك الوقت ولان الله تعالى ذكره تعظيما لشانها وذلك لا يدل الا على الوجه الذي قلناه وقيل كان هناك نهر يابس اجرى الله فيه الما وحييت النخلة اليابسة فاورقت واثمرت وارطبت قال ابو عبيدة والفرا السري هو النهر مطلقا وقال الاخفش هو النهر الصغير **قوله** وهزي

اليك

اليك بجذع النخلة يجوز ان يكون البا في بجذع زايدة كهي في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم ٭ لا يقرون بالسور ٭ وانشد الطبري ٭ بواد يمان ينبت السدر صدره واسفله بالمرخ والشبهان ٭ اي ينبت المرخ اي هزي جذع النخلة اي حركي جذع النخلة قال الفرا تقول العرب هزه وهز به وخذ الخطام وخذ بالخطام وزوجتك فلانه وبفلانه ويجوز ان يكون المفعول محذوفا والجار حال من ذلك المحذوف تقديره وهزي اليك رطبا كاينا بجذع النخلة ويجوز ان يكون هذا محمولا على المعنى اذ التقدير هزي الثمرة بسبب هز الجذع اي انفضي الجذع واليه نحا الزمخشري فانه قال او افعلي الهز كقوله ٭ يجرح في عراقيبها نصلي ٭ قال ابو حيان وفي هذه الاية وفي قوله تعالى واضمم اليك جناحك ما يرد على القاعدة المتقررة في علم النحو من انه لا يتعدى فعل المضمر المتصل الى ضميره المتصل الا في باب ظن وفي لفظتي فقد وعدم لا يقال ضربتك ولا ضربتني اي ضربت انت نفسك وضربت انا نفسي وانما يوتي في هذا بالنفس وحكم المجرور بالحرف حكم المنصوب فلا يقال هززت اليك ولا زيد هز اليه ولذلك جعل النحويون عن وعلى اسمين في قول امري القيس ٭ دع عنك نهبا صيح في حجراته ٭ ولكن حديثا ما حديث الرواحل ٭ وقول الاخر ٭ هون عليك فان الامور بكف الاله مقاديرها ٭ وقد ثبت هكذا كما اشتهر لدخول حرف الجر عليها في قوله ٭ غدت من عليه بعد ما تم ظموها تصل وعن قيض بزيزا مجهل ٭ وقول الاخر ٭ فقلت للركب لما ان علا بهم من عن يمين الحبا نظرة قبل ٭ واما الى فحرف بلا خلاف فلا يمكن فيها ان يكون اسما كعن وعلى ثم اجاب بان اليك في الايتين لا يتعلق بالفعل قبله انما يتعلق بمحذوف على جهة البيان تقديره اعني اليك قال كما تاولوا ذلك في قوله اني لكما لمن الناصحين في احد الاوجه قال شهاب الدين وفي ذلك جوابان اخران احدهما ان الفعل الممنوع تعديه الى الضمير المتصل انما هو حيث يكون الفعل واقعا بذلك الضمير والضمير محل له نحو دع عنك وهون عليك واما الهز والضم فليسا واقعين بالكاف فلا محذور والثاني ان الكلام على حذف مضاف تقديره هزي الى جهتك ونحوك واضمم الى جهتك ونحوك **فصل** قال الفقها الجذع من النخلة هو الاسفل وما دون الراس الذي عليه الثمرة وقال قطرب كل خشبة في اصل شجرة فهي جذع **قوله** تساقط قرا حمزة تساقط بفتح التا وتخفيف السين وفتح القاف والبا قون غير حفص كذلك الا انهم شددوا السين وحفص بضم التا وتخفيف السين وكسر القاف فاصل قراة غير حفص تتساقط بتايين مضارع تساقط فحذف حمزة احدى التايين تخفيفا نحو تنزل وتذكرون والباقون ادغموا التا في السين وقراة حفص مضارع ساقط وقرا الاعمش والبرا يساقط كالجماعة الا انه باليا من تحت ادغم التا في السين اذ الاصل يتساقط فهو مضارع اساقط واصله تساقط فادغم فاجتلبت همزة الوصل كادارا في تداركوا ونقل عن ابي حيوة ثلاث قراات وافقه مسروق في الاولى وهي تسقط بضم التا وسكون السين وكسر القاف من اسقط والثانية كذلك الا انه باليا من تحت الثالثة كذلك الا انه رفع رطبا جنيا بالفاعلية وقرئ تتساقط بتايين من فوق وهو اصل قراة الجماعة وتسقط ويسقط بفتح التا واليا ورفع الرطب بالفاعلية وتسقط وسكون السين وضم القاف ورفع الرطب بالفاعلية وبعطي من الافعال ما يوافقه في القراات المتقدمة ومن قرا بالتا من فوق فالفعل مسند اما للنخلة واما للثمرة المفهومة من السياق واما للجذع وجاز تانيثه لاضافته الى مونث فهو كقوله ٭ كما شرقت صدر القناة من الدم ٭ وكقراة تلتقطه بعض السيارة ٭ ومن قرا باليا من تحت فالضمير للجذع وقيل للثمر المدلول عليه بالسياق واما نصب رطبا فلا يخرج عن كونه تمييزا او حالا موطية اذ كان الفعل قبله لازما او مفعولا به ان كان الفعل متعديا ويرد كل شي الى ما يليق به من القراات وجوز المبرد في نصبه وجها غريبا وهو ان يكون مفعولا به بهزي وعلى هذا فتكون

المثلة من باب التنازع في بعض القراآت وهي ان يكون الفعل فيها متعديا ويكون المسئلة من
اعمال الثاني للحذف من الاول وقرا طلحة بن سليمان جنيا بكسر الجيم اتباعا لكسرة النون
قال الرطب اسم جنس لرطبه بخلاف تخم فانه جمع لتخمة والفرق انهم لزموا تذكيره فقالوا هو
الرطب وتانيث ذاك فقالوا هي التخم فذكروا الرطب باعتبار الجنس وانثوا التخم باعتبار الجمعية
وهو فرق لطيف ويجمع على ارطاب شذوذا كربع وارباع والرطب ما قطع قبل يبسه وجفافه
وخص الرطب بالرطب من التمر وارطب النخل نحو اتمر واجنى والجنى ما طاب وصلح للاجتناء
وهو فعيل بمعنى مفعول اي رطبا مجنيا وقيل بمعنى فاعل اي طريا والجنى ايضا المجتنى من
العسل واجنى التمر ادرك ثمره واجنت الارض كثر جناها واستعير من ذلك جني ثلاث جنا به
كما استعير اجترم جريمة فصل المعنى جمعنا لك بين الاكل والشرب قال عمرو بن ميمون
ليس شي خير للنفسا من التمر والرطب ثم تلا هذه الاية وقال بعض العلما اكل الرطب والتمر
للمراة التي ضربها الطلق يسهل عليها الولادة وقال الربيع بن خثيم ما للنفسا عندي خير من الرطب
ولا للمريض خير من العسل قالت المعتزلة هذه الافعال الخارقة للعادة كانت معجزة لزكريا
وغيره من الانبيا وهذا باطل لان زكريا عليه السلام ما كان له علم بحالها ومكانها فكيف بتلك
المعجزات بل الحق انها كانت كرامات لمريم وارهاصا لعيسى عليهما السلام لان النخلة لم تكن مثمرة اذ ذاك
لان ميلاده كان في زمن الشتا وليس ذاك وقت ثمر قوله فكلي واشربي وقري عينا نصب عينا
على التمييز منقول من الفاعل اذ الاصل لتقر عينك والعامة على فتح القاف من قري امرا من قرت
عينه تقر بكسر العين في الماضي وفتحها في المضارع وقري بكسر القاف وهي لغة نجد يقولون قرت
عينه تقر بفتح العين في الماضي وكسرها في المضارع والمشهود ان مكسور العين في الماضي للعين والمفتوح
في المكان يقال قررت بالمكان اقر به وقد يقال قررت بالمكان بالكسر وسياتي ذلك في قوله
تعالى وقرن في بيوتكن وفي وصف العين بذلك تاويلان احدهما انه ماخوذ من القر وهو البرد
وذلك ان العين اذا فرح صاحبها كان دمعها قارا واذا حزن كان حارا ولذلك قالوا في الدعا عليه
اسخن الله عينه وفي الدعا له اقر الله عينه قال ابو تمام ٭ فاما عيون العاشقين فاسخنت ٭
٭ واما عيون الشامتين فقرت ٭ والثاني انه ماخوذ من الاستقرار والمعنى اعطاه الله ما يسكن عينه
فلا تطمح الى غيره فصل المعنى فكلي من الرطب واشربي من النهر وقري عينا وطيبي نفسا وقدم
الاكل على الشرب لان حاجة النفسا الى الرطب اشد من احتياجها الى شرب الما لكثرة ما سال منها
من الدم قبل تولد عيسى وتقدم معناه فان قيل ان مضرة الخوف اشد من مضرة الجوع والعطش
لان الخوف الم الروح والجوع الم البدن والم الروح اقوى من الم البدن يروى انه اجيعت شاة تقدم
اليها علف وعندها ذيب فبقيت الشاة مدة مديدة لا تتناول العلف مع جوعها خوفا من
الذيب ثم كسر رجلها وقدم العلف اليها فتناولت العلف مع الم البدن فدل ذلك على ان الم
الخوف اشد من الم البدن واذا كان كذلك فلم قدم دفع ضرر الجوع والعطش على دفع ضرر الخوف
فالجواب ان هذا الخوف كان قليلا لان بشارة جبريل عليه السلام كانت قد تقدمت فما كانت
تحتاج الا الى التذكير مرة اخرى قوله فاما ترين دخلت ان الشرطية على ما الزايدة
للتوكيد فادغمت فيها وكتبت متصلة وترين تقدم تصريفه اي ان ترى تدخل عليه نون
التوكيد فكسرت اليا لالتقا الساكنين معناه فاما ترين من البشر احدا فسالك عن ولدك والعامة
على صريح اليا المكسورة وقرا ابو عمرو في رواية ترئن بهمزة مكسورة بدل اليا ولذلك روي عنه
لترؤن بابدال الواو همزة قال الزمخشري هذا من لغة من يقول لبات بالحج وحلات السويق
يعني بالهمز وذلك للمقاربة بين الهمزة وحروف اللين وتجرا ابن خالويه على ابي عمرو فقال هو لحن

عند اكثر النحويين وقرا ابو جعفر قاري المدينة وشيبه وطلحة ترين بيا ساكنة ونون
خفيفة قال ابن جني وهي شاذة قال شهاب الدين لانه كان ينبغي ان يوثر الجازم فيحذف
نون الرفع كقول الافوه ٭ اما ترى راسي ازري به ماس زمان ذي انتكاث مووس ٭ ولم
يوثر هنا شذوذا وهذا نظير قول الاخر ٭ لولا فوارس من نعم واسرتهم يوم الصليفاء لم يوفون بالجار
فلم يعمل وابقى نون الرفع ومن البشر حال من احدا لانه لو تاخر لكان وصفا وقال ابو البقا
او مفعول يعني انه متعلق بنفس الفعل قبله قوله فقولي بين هذا الجواب وشرطه جملة
محذوفة تقديره فاما ترين من البشر احدا فسالك الكلام فقولي وبهذا المقدر تخلص من
اشكال وهو ان قولها فلن اكلم اليوم انسيا كلام فيكون ذلك تناقضا لانها قد كلمت انسيا بهذا
الكلام وجوابه ولذلك قال بعضهم انها ما نذرت في الحال بل صبرت حتى اتاها القوم فذكرت
لهم اني نذرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم انسيا وقيل المراد بقوله فقولي الى اخره انه بالاشارة
وليس بشي بل المعنى فلن اكلم اليوم انسيا بعد هذا الكلام وقرا زيد بن علي صيا ما بدل صوما وهما
مصدران فصل معنى قوله صوما اي صمتا وكذلك كان يقرا ابن مسعود والصوم في اللغة
الامساك عن الطعام والكلام قال السدي كان في بني اسرايل من اراد ان يجتهد صام عن
الكلام كما يصوم عن الطعام فلا يتكلم حتى يمسي قيل كانت تكلم الملايكة ولا تكلم الانس قيل امرها
الله تعالى بنذر الصمت لئلا تشرع مع من اتهمها في الكلام الاول لمعنيين الاول ان كلام عيسى
عليه السلام اقوى في ازالة التهم من كلامها وفيه دلالة على ان تفويض الكلام الى الافضل
اولى الثاني كراهة مجادلة السفها وفيه ان السكوت عن السفيه واجب ومن اذل الناس
سفيه لم يجد مسافها قوله فاتت به قومها تحمله به في محل نصب على الحال من فاعل
اتت اي اتت مصاحبة له نحو جات بثيابه اي متلبسا بها ويجوز ان تكون البا متعلقة بالاتيان
واما تحمله فيجوز ان يكون حالا ثانية من فاعل اتت ويجوز ان يكون حالا من الهاء في به وظاهر
كلام ابي البقا انها حال من ضميري مريم وعيسى معا وفيه نظر قوله شيا مفعول به اي فعلت
شيا او مصدر اي نوعا من المجي غريبا والفري العظيم من الامر يقال في الخير والشر
وقيل الفري العجيب وقيل المتفعل ومن الاول الحديث في وصف عمر رضي الله عنه فلم
ار عبقريا يفري فريه والفري قطع الجلد للخرز والاصلاح والافرا افساده وفي المثل جا يفري
الفري اي يعمل العمل العظيم وقال ٭ فلانت تفري ما خلقت ٭ وبعض القوم يخلق ثم لا يفري ٭
وقرا ابو حيوة فيما نقل عنه ابن خالويه فريا بالهمز وفيما نقل ابن عطية فريا بكسر الرا وقراه
ابو عمرو بن العلا ما كان اباك امرؤ سوء جعل النكرة الاسم والمعرفة الخبر كقوله ٭
يكون مزاجها عسل وما ٭ وقوله ولا يك موقف منك الوداعا ٭ وهنا احسن لوجود الاضافة
في الاسم فصل قيل انها ولدت ثم حملته في الحال الى قومها وقال ابن عباس والكلبي
احتمل يوسف النجار مريم وابنها عيسى الى غار ومكث اربعين يوما حتى طهرت من نفاسها ثم
حملته مريم الى قومها فكلمها عيسى في الطريق فقال يا اماه ابشري فاني عبد الله ومسيحه فلما دخلت
على اهلها ومعها الصبي بكوا وحزنوا وكانوا اهل بيت صالحين فقالوا يا مريم لقد جيت شيا فريا
عظيما منكرا قال ابو عبيدة كل امر فايق من عجب او عمل فهو فري وهذا منهم على وجه الذم والتوبيخ
لقولهم بعده يا اخت هارون ما كان ابوك امرا سوء وما كانت امك بغيا قوله يا اخت
هرون يريدون يا شبيهة هرون قال قتادة وكعب بن زيد والمغيرة بن شعبة كان هرون
رجلا صالحا عابدا مقدما في بني اسرايل روي انه تبع جنازته يوم مات اربعون الفا كلهم يسمى
هرون من بني اسرايل سوى ساير الناس شبهوها به على معنى انا ظننا انك مثله في الصلاح وليس

المراد منه الاخوة في النسب كقوله تعالى ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وروي المغيرة بن
شعبة قال لما قدمت نجران سالوني فقالوا انكم تقرؤن يا اخت هارون وموسى قبل عيسى بكذا
وكذا فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم سالته عن ذلك فقال انهم كانوا يسمون بانبيايهم
والصالحين قبلهم قال ابن كثير واخطا محمد بن كعب القرظي في زعمه انها اخت موسى وهرون
نسبا فان بينهما من الدهور الطويلة ما لا يخفى على من عنده ادنى علم وكانه غره ان في التوراة ان
مريم اخت موسى وهرون ضربت بالدف يوم نجى الله موسى وقومه واغرق فرعون وجنوده فاعتقد
ان هذه هي تلك وهذا في غاية البطلان والمخالفة للحديث الصحيح المتقدم وقال الكلبي كان
هرون اخا مريم من ابيها وكان امثل رجل في بني اسرايل وقال السدي انما عنوا به هرون
اخا موسى لانها كانت من نسله كما يقال للتميمي يا اخا تميم ويا اخا همدان اي يا واحدا منهم وقيل
كان هرون فاسقا في بني اسرايل معلنا بالفسق فشبهوها به وقول الكلبي اقرب لوجهين الاول ان
الاصل في الكلام الحقيقة فيحمل الكلام على اخيها المسمى بها دون الثاني انها اضيفت اليه ووصف
ابوها بالصلاح وحينيذ يصير التوبيخ اشد لان من كان حال ابويه واخيه هذه الحال يكون
صدور الذنب منه افحش ثم قالوا ما كان ابوك امرء سوء قال ابن عباس اي زانيا وما كانت
امك بغيا اي زانية فمن اين لك هذا الولد **قوله** فاشارت اليه الاشارة معروفة تكون
باليد والعين وغير ذلك والهاء عن يا وانشد والكثيره نقلت وفي الاخبار داخل الاجدا باغرناك (الثاني)
قوله من كان في المهد صبيا في كان هذه اقوال احدها انها زايدة وقول ابي عبيد اي كيف نكلم
من في المهد وصبيا على هذا انتصب على الحال من الضمير المستتر في الجار والمجرور الواقع صلة وقد
رد ابو بكر هذا القول اعني كونها زايدة بانها لو كانت زايدة لما نصبت الخبر وهذه قد نصبت
صبيا وهذا الرد مردود بما تقدم من نصبه على الحال لا الخبر الثاني انها تامة بمعنى حدث
ووجد والتقدير كيف نكلم من وجد صبيا وصبيا حال من الضمير في كان الثالث انها بمعنى صار
اي كيف نكلم من صار في المهد صبيا وصبيا على هذا خبرها فهو كقوله فقطا الحزن قد كانت فراخا بيوضها
الرابع انها الناقصة على بابها من دلالتها على اقتران مضمون الجملة بالزمان الماضي من غير
تعرض للانقطاع كقوله تعالى وكان الله غفورا رحيما ولذلك يعبر عنها بانها ترادف لم يزل
وقال الزمخشري كان لايقاع مضمون الجملة في زمان ماض مبهم صالح للقريب والبعيد وهو
هنا لقرينة خاصة والدال عليه معنى الكلام وانه مسوق للتعجب ووجه اخر وهو ان يكون
نكلم حكاية حال ماضية اي كيف عهد قبل عيسى ان يكلم من في المهد حتى نكلمه نحن واما من فالظاهر
انها موصولة بمعنى الذي ويضعف جعلها نكرة موصوفة اي كيف نكلم شخصا او مولودا وجوز الفرا
والزجاج فيها ان تكون شرطية وكان بمعنى يكن وجوابها الشرط اما متقدم وهو كيف نكلم او محذوف
لدلالة هذا عليه اي من يكن في المهد صبيا فكيف نكلمه فهي على هذا مرفوعة المحل بالابتدا
وعلى ما قبله منصوبة بنكلم واذا قيل بان كان زايدة هل تحمل ضميرا ام لا فيه خلاف ومن جوز
استدل بقوله فكيف اذا مررت بدار قوم وجيران لنا كانوا كرام فرفع بها الواو ومن منع تاول
البيت بانها غير زايدة وان خبرها هو لنا قدم عليها وفصل بالجملة بين الصفة والموصوف وابو
عمرو يدغم الدال في الصاد والاكثرون على انه اخفا **فصل** لما بالغوا في توبيخ مريم سكتت
واشارت الى عيسى ان كلموه قال ابن مسعود لما لم يكن لها حجة اشارت اليه ليكون كلامه حجة لها اي
هو الذي يجيبكم اذا ناطقتموه قال السدي لما اشارت اليه غضبوا وقالوا لسخريتها بنا اشد من
زناها وقالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا والمهد هو حجرها وقيل هو المهد بعينه والمعنى كيف نكلم
صبيا سبيله ان ينام في المهد قال السدي فلما سمع عيسى عليه السلام كلامهم وكان يرضع ترك

الرضاع واقبل عليهم بوجهه واتكا على يساره واشار بسبابة يمينه فقال اني عبد الله وقيل كلمهم بذلك
ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغا يتكلم فيه الصبيان وقال وهب اتاها زكريا عليه السلام عند مناظرتها
اليهود فقال لعيسى انطق بحجتك ان كنت امرت بها فقال عيسى عند ذلك وهو ابن اربعين يوما
وقال مقاتل هو يوم ولد اني عبد الله اقر على نفسه بالعبودية لله عز وجل لما تكلم لئلا يتخذ
الها وفيه فوايد الاولى ان ذلك الكلام في ذلك الوقت كان سببا لازالة الوهم الذي ذهب
اليه النصارى فلا جرم اول ما تكلم قال اني عبد الله الثانية ان الحاجة في ذلك الوقت
انما هو نفي تهمة الزنا عن مريم ثم ان عيسى عليه السلام لم ينص على ذلك وانما نص على اثبات عبودية
نفسه كانه جعل ازالة التهمة عن الله تعالى اولى من ازالة التهمة عن الام فلهذا اول ما تكلم بقوله
اني عبد الله الثالثة ان التكلم بازالة التهمة عن ابيه يفيد ازالة التهمة عن الام لان الله
تعالى لا يخص الفاجرة بولد في هذه الدرجة العالية والمرتبة العظيمة اما التكلم بازالة التهمة
عن الام لا يفيد ازالة التهمة عن ابيه فكان الاشتغال بذلك ههنا اولى **فصل** في ابطال
قول النصارى وجوه الاول انهم وافقونا على ان ذاته سبحانه لم يحل في ناسوت عيسى بل قالوا الكلمة
حلت فيه والمراد من الكلمة العلم فنقول العلم لما حصل في عيسى ففي تلك الحالة اما ان يقال انه بقي
في ذات الله تعالى او ما بقي فان كان الاول لزم حصول الصفة الواحدة في محلين وذلك غير
معقول ولانه لو جاز ان يقال العلم الحاصل في ذات عيسى هو العلم الحاصل في ذات الله بعينه فلم
لا يجوز في كل واحد ذلك حتى يكون العلم الحاصل لكل واحد هو العلم الحاصل لذات الله وان كان
الثاني لزم ان يقال ان الله تعالى لا يبقى عالما بعد حلول علمه في عيسى وذلك مما لا يقوله عاقل قال
ابن الخطيب وثانيها مناظرة جرت بيني وبين بعض النصارى فقلت له هل تسلم ان عدم الدليل
لا يدل على عدم المدلول ام لا فان انكرت لزمك ان لا يكون الله قديما لان دليل وجوده هو
العالم فاذا لزم من عدم الدليل عدم المدلول لزم من عدم العالم في الازل عدم المدلول
فنقول اذا جوزت اتحاد كلمة الله بعيسى او حلولها فيه فكيف عرفت ان كلمة الله تعالى ما حلت
في زيد وعمرو بل كيف عرفت انها ما حلت في هذه الهرة وفي هذا الكلب فقال لي ان هذا السوال
لا يليق بك لانا انما اثبتنا ذلك الاتحاد والحلول بناء على ما ظهر على يد عيسى من احيا الموتى وابرا الاكمه
والابرص فاذا لم نجد شيا من ذلك على يد غيره فكيف نثبت الاتحاد او الحلول فقلت له اني عرفت
بهذا الكلام انك ما عرفت اول الكلام لانك سلمت لي ان عدم الدليل لا يدل على عدم المدلول
واذا كان هذا الحلول غير ممتنع في الجملة فاكثر ما في هذا الباب انه وجد ما يدل على حصوله في
حق عيسى ولم يوجد ذلك الدليل في حق زيد وعمرو ولكن عدم الدليل لا يدل على عدم المدلول فلا يلزم
من عدم ظهور هذه الخوارق على يد زيد وعمرو وعلى السنور والكلب عدم ذلك الحلول فثبت
انك مهما جوزت القول بالاتحاد والحلول لزمك تجويز حصول ذلك الاتحاد والحلول في حق كل احد
بل في حق كل حيوان ونبات ولكن المذهب الذي يسوق قايله الى مثل هذا القول الركيك يكون
باطلا قطعا ثم قلت له وكيف دل احيا الموتى وابرا الاكمه والابرص على ما قلت اليس انقلاب
العصى ثعبانا ابعد من انقلاب الميت حيا فاذا ظهر على يد موسى ولم يدل على الاهية فبان
لا يدل هذا على الهية عيسى اولى وثالثها ان دلالة احوال عيسى على العبودية اقوى من دلالتها
على الربوبية لانه كان مجتهدا في العبادة والعبادة لا تليق الا بالعبد وانه كان في نهاية البعد
عن الدنيا والاحتراز عن اهلها حتى قالت النصارى ان اليهود قتلوه ومن كان في الضعف هكذا
فكيف يليق به الربوبية ورابعها ان المسيح اما ان يكون قديما او محدثا والقول بقدمه
باطل لانا نعلم بالضرورة انه ولد وكان طفلا ثم صار شابا وكان ياكل ويشرب ويعرض له ما يعرض

لسائر البشر وان كان محدثا كان مخلوقا ولا معنى للعبودية الا ذلك فان قيل المعنى بالالهية انه حلت
فيه صفة الاله فالجواب هب انه كذلك لكن الحال هو صفة الاله والمسيح هو المحل والمحل محدث
مخلوق فالمسيح عبد محدث فكيف يمكن وصفه بالالهية وخامسها ان الولد لابد وان يكون من
جنس الوالد فان كان لله ولد فلابد ان يكون من جنسه فاذن قد اشتركا من بعض الوجوه فان لم
يتميز احدهما عن الاخر بامر ما فكل واحد منهما هو الاخر وان حصل الامتياز فما به الامتياز غير ما
به الاشتراك فيلزم وقوع التركيب في ذات الله تعالى وكل مركب ممكن فالواجب ممكن هذا خلف
هذا كله على الاتحاد والحلول فان قالوا معنى كونه الها انه سبحانه خص نفسه او بدنه بالقدرة
على خلق الاجسام والتصرف في هذا العالم فهذا ايضا باطل لان النصارى نقلوا عنه الضعف
والعجز وان اليهود قتلوه فلو كان قادرا على خلق الاجسام لما قدروا على قتله بل كان هو يقتلهم
ويخلق لنفسه عسكرا يذبون عنه فان قالوا معنى كونه الها انه اتخذه لنفسه على سبيل التشريف
وهذا قد قال به قوم من النصارى يقال لهم الارمنوسية وليس فيه كبير خطا الا في اللفظ
قوله اتاني الكتاب قيل معناه سيؤتيني الكتاب ويجعلني نبيا روى عكرمة عن ابن عباس ان
هذا اخبار عما كتب له في اللوح المحفوظ كما قيل للنبي صلى الله عليه وسلم متى كنت نبيا قال كنت نبيا
وادم بين الروح والجسد وعن الحسن انه الهم التورية وهو في بطن امه وقال الاكثرون اوتي
الانجيل وهو صغير طفل وكان يعقل عقل الرجال فمن قال الكتاب هو التورية قال لان الالف
واللام للعهد ولا معهود حينئذ الا التورية ومن قال الانجيل قال الالف واللام للاستغراق
وظاهر كلام عيسى ان الله اتاه الكتاب وجعله نبيا وامره بالصلاة والزكوة وان يدعوا الى الله تعالى
والى دينه وشريعته من قبل ان يكلمهم وانه تكلم مع امه واخبرها بحاله واخبرها بانه يكلمهم
بما يدل على براءتها فلهذا اشارت اليه بالكلام قال بعضهم اخبر انه نبي ولكنه ما كان رسولا لانه
في ذلك الوقت ما جاء بالشريعة ومعنى كونه نبيا انه رفيع القدر عالي الدرجة وهذا ضعيف
لانه قرن بذكر النبوة ذكر الشرع وهو قوله واوصاني بالصلاة والزكوة ثم قال وجعلني
مباركا اينما كنت نفاعا حيث ما توجهت وقال مجاهد معلما للخير وقال عطاء ادعوا الى
الله والى توحيده وعبادته وقيل مباركا على من اتبعني روى قتادة ان امراة رأته وهو يحيي
الموتى ويبرئ الاكمه والابرص فقالت طوبى لبطن حملك وثدي ارضعت به فقال عيسى
مجيبا لها طوبى لمن تلا كتاب الله واتبع ما فيه ولم يكن جبارا شقيا قوله اينما كنت يدل
على ان حاله لم يتغير كما قيل انه عاد الى حال الصغر وزوال التكليف وقوله اينما كنت هذه
شرطية وجوابها اما محذوف مدلول عليه بما تقدم اي اينما كنت جعلني مباركا واما متقدم
عند من يرى ذلك ولا جائز ان يكون استفهامية لانه يلزم ان يعمل فيها ما قبلها واسماء
الاستفهام لها صدر الكلام فتعين ان تكون شرطية لانها منحصرة في هذين المعنيين ثم قال
واوصاني بالصلوة والزكوة اي امرني بهما فان قيل لم يكن لعيسى مال فكيف يؤمر بالزكوة
قيل المعنى لو كان لي مال وقيل المراد بالزكوة الاستكثار من الخير ما دمت حيا فان قيل
كيف يؤمر بالصلاة والزكوة مع انه كان طفلا والقلم مرفوع عن الصغير لقوله عليه السلام
رفع القلم عن ثلاث الحديث فالجواب من وجهين الاول ان قوله واوصاني بالصلاة والزكوة
لا يدل على انه تعالى اوصاه بادائهما في الحال بل بعد البلوغ فيكون المعنى انه تعالى
اوصاني بادائهما في وقت وجوبهما علي وهو وقت البلوغ الثاني لعل الله تعالى لما انفصل
عيسى عليه السلام من امه صيره بالغا عاقلا تام الخلقة ويدل عليه قوله تعالى ان مثل عيسى
عند الله كمثل ادم فكما انه تعالى خلق ادم تاما كاملا دفعة فكذا القول في عيسى عليه السلام

وهذا اقرب الى ظاهر اللفظ لقوله ما دمت حيا فانه يفيد ان هذا التكليف متوجه عليه في
جميع زمان حياته ولكن لقائل ان يقول لو كان الامر كذلك لكان القوم حين راوه راوا
شخصا كامل الاعضاء تام الخلقة وصدور الكلام عن مثل هذا الشخص لا يكون عجيبا فكان ينبغي
ان لا يتعجبوا والجواب ان يقال انه تعالى جعله مع صغر جثته قوي التركيب كامل العقل
بحيث كان يمكنه اداء الصلوة والزكوة والاية دالة على ان تكليفه لم يتغير حين كان في الارض
وحين رفع الى السماء وحين ينزل مرة اخرى لقوله ما دمت حيا قوله ما دمت حيا ما مصدرية
ظرفية وتقدم على دام شرط في اعمالها والتقدير مدة دوامي حيا ونقل ابن عطية عن عاصم
وجماعة انهم قرءوا دمت بضم الدال وعن ابن كثير وابي عمرو واهل المدينة دمت بكسرها وهذا
لم نره لغيره وليس موجودا في كتب القراءات والشاذة الموجودة الان فيجوز ان يكون اطلع عليه
في مصنف غريب ولا شك ان في دام لغتين يقال دمت يدوم وهي اللغة الغالبة ودمت
تدام كخفت تخاف وتقدم نظير هذا في مات يموت ومات يمات قوله وبرا بوالدتي
العامة على فتح الباء فيه تاويلان احدهما انه منصوب نسقا على مباركا اي وجعلني برا والثاني
انه منصوب باضمار فعل واختير هذا على الاول لان فيه فصلا كثيرا بجملة الوصية ومتعلقها
قال الزمخشري جعل ذاته برا لفرط بره او نصبه بفعل في معنى وصاني وكلفني لان اوصاني بالصلوة
وكلفني بها واحد وقرئ برا بكسر الباء اما على حذف مضاف واما على المبالغة في جعله نفس
المصدر وتقدم في البقرة انه يجوز ان يكون وصفا على فعل وحكى الزهراوي وابو البقاء انه
قرئ بكسر الباء والراء وتوجيهه انه نسق على الصلوة اي اوصاني بالصلوة وبالزكوة وبالبر وبر والدتي
متعلق بالبر والبر فصل قوله برا بوالدتي اشارة الى تنزيه امه عن الزنا اذ لو كانت
زانية لما كان الرسول المعصوم مامورا بتعظيمها وبرها لانه تاكد حقها عليه لتمحض حقها اذ لا والد
له سواها قوله ولم يجعلني جبارا شقيا يدل على ان فعل العبد مخلوق لله تعالى لانه لما اخبر انه
تعالى جعله برا وما جعله جبارا انما يحسن لو ان الله تعالى جعل غيره جبارا وغيره بارا بامته
فان الله تعالى لو فعل ذلك بكل احد لم يكن لعيسى مزية تخصيص بذلك ومعلوم انه عليه السلام انما
ذكر ذلك في معرض التخصيص ومعنى قوله ولم يجعلني جبارا اي ما جعلني متكبرا بل انا خاضع لامي
متواضع لها ولو كنت جبارا لكنت عاصيا شقيا قال بعض العلماء لا تجد العاق الا جبارا شقيا وتلا
وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا ولا تجد سيئ الملكة الا مختالا فخورا وقرا وما ملكت ايمانكم
ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا قوله والسلام علي الالف واللام في السلام للعهد لانه تقدم
لفظه في قوله وسلام عليه كقوله كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول اي ذلك السلام
الموجه الى يحيى موجه الي قال الزمخشري الصحيح ان يكون هذا التعريف تعريضا باللعنة
على متهمي مريم عليها السلام واعدائها من اليهود وتحقيقه ان اللام لاستغراق الجنس فاذا قال
والسلام علي فكانه قال وكل السلام علي خاصة فقد عرض بان ضده على الاعداء ونظيره قول
موسى عليه السلام والسلام على من اتبع الهدى يعني ان العذاب على من كذب وتولى وكان المقام
مقام اللجاج والعناد فيليق به مثل هذا التعريض فصل روي ان عيسى عليه السلام
قال ليحيى انت خير مني سلم الله عليك وسلمت على نفسي واجاب الحسن فقال ان تسليمه على نفسه
تسليم الله عليه لانه انما فعله باذن الله قال القاضي السلام عبارة عما يحصل به الامن ومنه
السلامة في النعم وزوال الافات فكانه سال ربه ما اخبر الله تعالى انه فعل بيحيى واعظم
احتياج الانسان الى السلامة في هذه الاحوال الثلاثة وهو يوم الولادة اي السلامة عند
الولادة من طعن الشيطان ويوم الموت اي عند الموت من الشرك ويوم البعث من الاهوال

قال المفسرون لما كلمهم عيسى بهذا علموا براءة مريم ثم سكت عيسى عليه السلام فلم يتكلم بعد ذلك حتى
بلغ المدة التي تتكلم فيها الصبيان **قوله** يوم ولدت منصوب بما تضمنه على من الاستقرار ولا
يجوز نصبه بالسلام للفصل بين المصدر ومعموله وقرا زيد بن علي ولدت جعله فعلا ماضيا
مسند الضمير مريم والتاء للتانيث وحيا حال موكدة **فصل** اعلم ان اليهود والنصارى ينكرون
ان عيسى عليه السلام تكلم في زمان الطفولية واحتجوا بان هذا من الوقايع العجيبة التي الدواعي
على نقلها فلو وجدت لنقلت بالتواتر ولو كان كذلك لعرفه النصارى لا سيما وهم اشد الناس بحثا
عن احواله واشد الناس غلوا فيه حتى ادعوا كونه الها ولا شك ان الكلام في الطفولية من المناقب
العظيمة فلما لم تعرفه النصارى مع شدة الحب وكمال البحث عنه علمنا انه لم يوجد ولان اليهود اظهروا
عداوته حين ادعا النبوة والرسالة فلو انه عليه السلام تكلم في المهد لكانت عداوتهم معه اشد
ولكان قصدهم قتله اعظم بحيث لم يحصل شي من ذلك علمنا انه ما تكلم واما المسلمون فاحتجوا بالعقل
على انه تكلم فقالوا لولا كلامه الذي دلهم على براءة امه عن الزنا لما تركوا اقامة الحد عليها ففي تركهم
لذلك دلالة على انه عليه السلام تكلم في المهد واجابوا عن الشبه الاولى بانه ربما كان الحاضرون
عند كلامه قليلين فلذلك لم يشتهر وعن الثاني لعل اليهود ما حضروا هناك وما سمعوا كلامه وانما
سمع كلامه اقاربه لاظهار براءة امه فلذلك لم يشتغلوا بقتله **قوله** ذلك عيسى بن مريم قول الحق
يجوز ان يكون عيسى خبرا لذلك ويجوز ان يكون بدلا او عطف بيان وقول الحق خبره ويجوز ان يكون
قول الحق خبر مبتدا مضمر اي هو قول وابن مريم يجوز ان يكون نعتا او بدلا او بيانا او خبرا ثانيا
وقرا عاصم وحمزة وابن عامر قول الحق بالنصب والباقون بالرفع فالرفع على ما تقدم وقال الزمخشري
وارتفاعه على انه خبر بعد خبر قال ابو حيان وهذا الذي ذكره لا يكون الا على المجاز في قول وهو
ان يراد به كلمة الله لان اللفظ لا يكون الذات والنصب يجوز فيه ان يكون مصدرا موكدا لمضمون الجملة
كقولك هو عبد الله الحق لا الباطل اي اقول قول الحق فالحق الصدق وهو من اضافة الموصوف الى صفته
اي القول الحق كقوله وعد الصدق اي الوعد الصدق ويجوز ان يكون منصوبا على المدح ان اريد
بالحق الباري تعالى والذي نعت للقول ان اريد به عيسى وسمي قولا كما سمي كلمة لانه عنها نشا وذلك لان
الحق هو اسم الله فلا فرق بين ان يقول عيسى هو كلمة الله وبين ان يقول عيسى قول الحق وقيل هو منصوب
باضمار اعني وقيل هو منصوب على الحال من عيسى ويويد هذا ما نقل عن الكسائي في توجيه الرفع
انه صفة لعيسى وقرا الاعمش قال برفع اللام وهي قراءة ابن مسعود ايضا وقرا الحسن قول بضم القاف
ورفع اللام وكذلك في الانعام قوله الحق وهي مصادر لقال يقال قال يقول قولا وقالا وقولا كالرهب
والرهب والرهب وقال ابو البقا والقال اسم مثل القيل وحكى قول الحق بضم القاف مثل الروح
وهي لغة فيه قال شهاب الدين والظاهر ان هذه مصادر كلها ليس بعضها اسما للمصدر كما تقدم في
الرهب والرهب والرهب وقرا طلحة والاعمش قال الحق جعل قال فعلا ماضيا والحق فاعل به والمراد
به الباري تعالى اي قال الله الحق ان عيسى هو كلمة الله ويكون قوله الذي فيه يمترون خبر مبتدا
محذوف وقرا علي بن ابي طالب والسلمي وداود بن ابي هند ونافع والكسائي في رواية عنهما تمترون
بتا الخطاب والباقون بيا الغيبة ويمترون يفتعلون اما من المرية وهي الشك واما من المراء
وهو الجدال وتقدم الكلام على نصب فيكون **فصل** ذلك اشارة الى ما تقدم قال
الزجاج اي ذلك الذي قال اني عبد الله عيسى بن مريم وفي قوله عيسى بن مريم اشارة الى انه
ولد هذه المراة لا انه ابن الله وقوله الذي فيه يمترون اي يختلفون فاما امتراؤهم في عيسى
فقايل يقول هو ابن الله وقايل يقول هو الله وقايل يقول هو ساحر كاذب وتقدم الكلام على ذلك
في ال عمران وروي ان عيسى عليه السلام لما رفع حضر اربعة من اكابر علمايهم فقيل للاول ما تقول

في عيسى قال هو الله هبط الى الارض خلق واحيى ثم صعد الى السما فتبعه على ذلك خلق وهم اليعقوبية
وقيل للثاني ما تقول قال هو ابن الله فتابعه النسطورية وقيل للثالث ما تقول قال هو اله وامه
اله والله اله فتابعه على ذلك ناس وهم الاسرايلية وقيل للرابع ما تقول فقال هو عبد الله
ورسوله وهو المومن المسلم وقال اما تعلمون ان عيسى كان يطعم وينام وان الله تعالى لا يجوز
ذلك عليه فخصمهم **قوله** ما كان لله ان يتخذ من ولد نفي عن نفسه الولد اي ما كان من
صفته اتخاذ الولد والمعنى ان ثبوت الولد له محال فقوله ما كان لله ان يتخذ من ولد كقولنا ما
كان لله ان يكون له ثان وشريك اي لا يصح ذلك ولا ينبغي بل يستحيل فلا يكون نفيا على الحقيقة
وان كان بصورة النفي وقيل اللام منقولة اي ما كان الله ليتخذ من ولد والمراد ما كان لله
ان يقول لاحد انه ولدي لان هذا الخبر كذب والكذب لا يليق بحكمة الله تعالى وكماله فقوله
ما كان لله ان يتخذ من ولد كقولنا ما كان لله ان يظلم اي لا يليق بحكمته وكمال الهيته **قوله**
سبحانه اذا قضى امرا اذا اراد ان يحدث فانما يقول له كن فيكون وهذا كالحجة على تنزيهه
عن الولد وبيانه ان الذي يجعل لله ولدا اما ان يكون الولد قديما ازليا او محدثا فان كان ازليا
فهو محال لانه يكون واجبا لذاته ولو كان واجبا لذاته لما افتقر في وجوده الى الواجب لذاته لان
الواجب لذاته غنيا لذاته فلو كان مفتقرا في وجوده الى الواجب لذاته كان ممكنا لذاته والممكن
لذاته محتاج لذاته فيكون عبدا له لانه لا معنى للعبودية الا ذلك وان كان الولد محدثا فيكون
وجوده بعد عدمه بخلق ذلك القديم وايجاده وهو المراد من قوله اذا قضى امرا فانما يقول
له كن فيكون عبدا لا ولدا فثبت انه يستحيل ان يكون لله ولد **فصل** دلت هذه الاية
على قدم كلام الله تعالى لانه اذا اراد احداث شي قال له كن فيكون فلو كان قوله كن محدثا لافتقر
حدوثه الى قول اخر ولزم التسلسل وهو محال فثبت ان قول الله قديم لا محدث واحتج
المعتزلة بالاية على حدوث كلام الله تعالى من وجوه احدها انه تعالى ادخل كلمة اذا وهي
دالة على الاستقبال فوجب ان لا يحصل ذلك القول الا في الاستقبال وثانيها ان الفا للتعقيب
والفا في قوله فانما يقول يدل على تاخر ذلك القول عن ذلك القضا والمتاخر عن غيره محدث
وثالثها الفا في قوله فيكون يدل على حصول ذلك الشي عقيب ذلك القول من غير فصل فيكون
قول الله تعالى متقدما على حدوث الحادث تقدما بلا فصل والمتقدم على المحدث تقدما بلا
فصل يكون محدثا فقول الله محدث قال ابن الخطيب واستدلال الفريقين ضعيف اما
الاول فلانه يقتضي ان يكون قوله كن قديما وذلك باطل بالاتفاق واما استدلال المعتزلة
فلانه يقتضي ان يكون قول الله الذي هو مركب من الحروف والاصوات محدثا وذلك لا نزاع فيه
انما المدعي قدمه شيا اخر **فصل** من الناس من اجرى الاية على ظاهرها وزعم انه تعالى
اذا احدث شيا قال له كن وهذا ضعيف لانه اما ان يقول له كن قبل حدوثه او حال حدوثه
فان كان الاول كان خطابا مع المعدوم وهو عبث وان كان حال حدوثه فقد وجد بالقدرة
والارادة لا بقوله كن ومن الناس من زعم ان المراد من قوله كن هو التخليق والتكوين لان
القدرة على الشي غير وتكوين الشي غير فان الله تعالى قادر في الازل وغير مكون في الازل ولانه
الان قادر على عالم سوى هذا العالم وغير مكون له فالقادرية غير المكونية والتكوين ليس هو نفس
المكون لان المكون انما حدث لان الله تعالى كونه واوجده فلو كان التكوين نفس المكون لكان
قولنا المكون انما وجد بتكوين الله بمنزلة قولنا المكون انما وجد بنفسه وذلك محال فثبت ان
التكوين غير المكون فقوله كن اشارة الى الصفة المسماة بالتكوين وقال اخرون قوله كن عبارة
عن نفاذ قدرة الله تعالى ومشيته في الممكنات فان وقوعها بتلك القدرة والارادة من غير

امتناع واندفاع تجري مجرى العبد المطيع المنقاد لامر مولاه فعبر الله تعالى عن ذلك المعنى بهذه العبارة على سبيل الاستعارة **قوله** وان الله قرا ابن عامر والكوفيون وان بكسر الهمزة على الاستيناف ويؤيدها قراءة ابي ان الله بالكسر دون واو وقرا الباقون بفتحها وفيها اوجه احدها انها على حذف حرف الجر متعلقا بما بعده والتقدير ولان الله ربي وربكم فاعبدوه كقوله تعالى وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا والمعنى لوحدانيته اطيعوه واليه ذهب الزمخشري تابعا للخليل وسيبويه الثاني انها عطف على الصلاة والتقدير واوصاني بالصلوة وبان الله واليه ذهب الفرا ولم يذكر مكي غيره ويؤيده ما في مصحف ابي وبان الله ربي باظهار الباء الجارة وقد استبعد هذا القول لكثرة الفواصل بين المتعاطفين واما ظهور الباء في مصحف ابي فلا يرجح هذا لانها للسببية والمعنى بسبب ان الله ربي وربكم فاعبدوه فهي كاللام الثالث ان يكون ان وما بعدها نسقا على امرا المنصوب بقضى والتقدير واذا قضى امرا وقضى ان الله ربي وربكم ذكر ذلك ابو عبيدة عن ابي عمرو بن العلا واستبعد الناس صحة هذا النقل عن ابي عمرو لانه من الجلالة في العلم والمعرفة بمنزلة تمنعه من هذا القول لانه اذا عطف على امرا لزم ان يكون داخلا في حيز الشرط باذا وكونه تبارك وتعالى ربنا لا يتقيد بشرط البتة بل هو ربنا على الاطلاق ونسبوا هذا الوهم لابي عبيدة لانه كان ضعيفا في النحو وعدوا له غلطات ونقلوا ذلك منها الرابع ان يكون في محل رفع خبرا لابتداء مضمر تقديره والامر ان الله ربي وربكم ذكر ذلك عن الكسائي ولا حاجة الى هذا الاضمار الخامس ان يكون في محل نصب نسقا على الكتاب في قوله قال اني عبد الله اتاني الكتاب على ان يكون المخاطب بذلك معاصري عيسى عليه السلام والقايل لهم ذلك عيسى وعن وهب عهد اليهم عيسى ان الله ربي وربكم قال هذا القايل ومن كسر الهمزة يكون قد عطف ان الله على قوله اني عبد الله فهو داخل في حيز القول وتكون الجمل من قوله ذلك عيسى بن مريم الى اخرها جمل اعتراض كانه قال اني عبد الله وان الله ربي وربكم فاعبدوه وهذا قول ابي مسلم الاصفهاني وهو بعيد **فصل** قوله وان الله ربي وربكم يدل على ان مدبر العالم ومصلح امورهم هو الله خلاف قول المنجمين ان المدبر للناس ومصلح امورهم في السعادة والشقاوة هي الكواكب ويدل ايضا على ان الاله واحد لان لفظ الله اسم علم له سبحانه فلما قال ان الله ربي وربكم اي لا رب للمخلوقات سوى الله وذلك يدل على التوحيد وقوله فاعبدوه قد ثبت في اصول الفقه ان ترتيب الحكم على الوصف مشعر بالعلية فهاهنا وقع الامر بالعبادة مرتبا على ذكر وصف الربوبية فدل على انه انما يلزمنا عبادته سبحانه لكونه ربا لنا وذلك يدل على انه تعالى انما تجب عبادته لكونه منعما على الخلايق بانواع النعم ولذلك قال ابرهيم عليه السلام لما منع اباه من عبادة الاوثان قال لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيا اي انها لم تكن منعمة على العباد فلم تجز عبادتها وبين هاهنا انه لما ثبت ان الله تعالى ربا ومربيا وجبت عبادته فقد ثبت طردا وعكسا تعلق العبادة بكون المعبود منعما ثم قال هذا صراط مستقيم يعني القول بالتوحيد ونفي الولد والصاحبة صراط مستقيم وسمى هذا القول صراطا مستقيما تشبيها بالطريق لانه المودي الى الجنة **قوله** فاختلف الاحزاب من بينهم قيل المراد النصارى سموا احزابا لانهم تحزبوا ثلاث فرق في امر عيسى النسطورية والملكانية واليعقوبية وقيل المراد بالاحزاب النصارى واليهود فجعله بعضهم ولدا وبعضهم كذابا وقيل المراد بالاحزاب الكفار بحيث يدخل فيه اليهود والنصارى والكفار الذين كانوا في زمان محمد عليه السلام وهذا هو الظاهر لانه لا تخصيص فيه ويؤيده قوله فويل للذين

كفروا

كفروا **قوله** مشهد يوم عظيم مشهد مفعل امرا من الشهادة واما من الشهود وهو الحضور ومشهد هنا يجوز ان يراد به الزمان او المكان او المصدر فاذا كان من الشهادة والمراد به الزمان فتقديره من وقت شهادة وان اريد به المكان فتقديره من مكان شهادة يوم وان اريد به المصدر فتقديره من شهادة ذلك اليوم وان تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم والملايكة والانبيا واذا كان من الشهود وهو الحضور فتقديره من شهود الحساب والجزا يوم القيامة او من مكان الشهود فيه وهو الموقف او من وقت الشهود واذا كان مصدرا فالاية المتقدمتين فتكون اضافته الى الظرف من باب الاتساع كقوله مالك يوم الدين ويجوز ان يكون المصدر مضافا لفاعله على ان يجعل اليوم شاهدا عليهم اما حقيقة واما مجازا ووصف ذلك المشهود بانه عظيم لانه لا شي اعظم مما يشاهد ذلك اليوم من اهواله **قوله** اسمع بهم وابصر هذا لفظ امر ومعناه التعجب واصح الاعاريب فيه كما تقرر في علم النحو ان فاعله هو المجرور بالباء والباء زايدة وزيادتها لازمة اصلاحا للفظ لان افعل امرا لا يكون فاعله الا ضميرا مستترا ولا يجوز حذف هذه الباء الا مع ان وان كقوله [illegible] فاحسن وادن لامر ان تنزلا اي بان تنزل فالمجرور مرفوع المحل ولا ضمير في افعل ولنا قول ثان ان الفاعل مضمر والمراد به المتكلم كان المتكلم يامر نفسه بذلك والمجرور بعده في محل نصب ويعزى هذا للزجاج ولنا قول ثالث ان الفاعل ضمير المصدر والمجرور منصوب المحل ايضا والتقدير احسن يا حسن بزيد ولشبه هذا الفاعل عند الجمهور بالفضلة لفظا جاز حذفه للدلالة عليه كهذه الاية فان تقديره وابصر بهم **فصل** قالوا التعجب استعظام الشي مع الجهل بسبب عظمه ثم يجوز استعمال لفظ التعجب عند مجرد الاستعظام من غير خفاء السبب او من غير ان يكون للعظمة سبب حصوله قال الفرا قال سفين قرات عند شريح بل عجبت ويسخرون فقال ان الله لا يعجب من شي انما يعجب من لا يعلم قال فذكرت ذلك لابرهيم النخعي فقال ان شريحا شاعر يعجبه علمه وعبد الله اعلم بذلك منه قراها بل عجبت ويسخرون ومعناه انه صدر من الله تعالى فعل لو صدر مثله من الخلق لدل على حصول التعجب في قلوبهم وبهذا التاويل يضاف المكر والاستهزا الى الله تعالى واذا عرف هذا فللتعجب صيغتان احدهما ما افعله والثانية افعل به كقوله تعالى اسمع بهم وابصر والنحويون ذكروا له تاويلات الاول قالوا اكرم بزيد اصله اكرم زيد اي صار ذا كرم كاغد البعير اي صار ذا غدة الا انه اخرج على لفظ الامر ما معناه الخبر كما اخرج على لفظ الخبر ما معناه الامر كقوله تعالى والمطلقات يتربصن بانفسهن والوالدات يرضعن اولادهن من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا اي يمده الرحمن والباء زايدة الثاني ان يقال انه امر لكل احد بان يجعل زيدا كريما اي بان يصفه بالكرم والباء زايدة كما في قوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة قال ابن الخطيب وسمعت لبعض الادباء فيه تاويلا ثالثا وهو ان قولك اكرم بزيد يفيد ان زيدا بلغ في الكرم الى حيث انه في ذاته صار كرما حتى لو اردت جعل غيره كريما فهو الذي يلصقك بمقصودك ويحصل لك غرضك **فصل** المشهور ان معنى قوله اسمع بهم وابصر ما اسمعهم وما ابصرهم والتعجب على الله تعالى محال انما المراد ان اسماعهم وابصارهم يومئذ جدير بان يتعجب منهما بعد ما كانوا صما عميا في الدنيا وقيل معناه التهديد مما سيسمعون وسيبصرون ما يسوءهم ويصدع قلوبهم وقال القاضي ويحتمل ان يكون المراد اسمع هولاء وابصرهم اي عرفهم حال اليوم الذي ياتوننا ليعتبروا وينزجروا وقال الجبائي ويجوز اسمع الناس بهم وابصرهم بهم ليعرفوا امرهم وسوء عاقبتهم فينزجروا عن الاتيان بمثل فعلهم **قوله** يوم ياتوننا معمول لابصر ولا يجوز ان يكون معمولا لاسمع لانه لا يفصل بين فعل التعجب ومعموله ولذلك

كان الصحيح انه لا يجوز ان يكون المسئلة من باب التنازع وقد جوزه بعضهم ملتزما اعمال الثاني
وهو خلاف قاعدة الاعمال وقيل بل هو امر حقيقة والمامور هو رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى
اسمع الناس وابصرهم بهم وتحديثهم بما ذا يصنع من العذاب وهو مشغول عن ابجا العالية **قوله** لكن
الظالمون اليوم نصب اليوم بما تضمنه الجار من قوله في ضلال مبين اي لكن الظالمون استقروا في
ضلال مبين اليوم ولا يجوز ان يكون هذا الظرف هو الخبر والجار لغو لئلا يخبر عن الجثة بالزمان بخلاف
قولك القتال اليوم في دار زيد فانه يجوز الاعتباران **فصل** المعنى لكن الظالمون اليوم في ضلال
مبين اي خطاء بين وفي الاخرة يعرفون الحق وقيل لكن الظالمون اليوم في الاخرة في ضلال عن الجنة
بخلاف المؤمنين وقوله لكن الظالمون من ايقاع الظاهر موقع المضمر **قوله** وانذرهم يوم الحسرة
هذا امر لمحمد عليه السلام بان ينذر من في زمانه والانذار التخويف من العذاب لكي يحذروا ترك
عبادة الله تعالى ويوم الحسرة هو يوم القيامة لانه يكثر التحسر من اهل النار وقيل يتحسر ايضا
في الجنة اذا لم يكن من السابقين الى الدرجات العالية لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من احد
يموت الا ندم قالوا وما ندمه يا رسول الله قال ان كان محسنا ندم ان لا يكون ازداد وان كان مسيئا
ندم ان لا يكون نزع والاول اصح لان الحسرة غم ولا يليق باهل الجنة **قوله** اذ قضي الامر يجوز ان يكون
منصوبا بالحسرة والمصدر المعرف بال يعمل في المفعول الصريح عند بعضهم فكيف بالظرف ويجوز ان
يكون بدلا من يوم فيكون معمولا لانذر كذا قالا ابو البقا والزمخشري وتبعهما ابو حيان ولم يذكر غير
البدل وهذا لا يجوز ان كان الظرف باقيا على حقيقته اذ يستحيل ان يعمل المستقبل في الماضي فان
جعلت اليوم مفعولا به اي خوفهم نفس اليوم اي انهم يخافون اليوم نفسه صح ذلك لخروج الظرف
الى حيز المفاعيل الصريحة **فصل** في قوله اذ قضي الامر وجوه احدها قضي الامر ببيان
الدلايل وشرح امر الثواب والعقاب وثانيها اذ قضي الامر يوم الحسرة بفناء الدنيا وزوال
التكليف والاول اقرب لقوله وهم لا يومنون وثالثها اذ قضي الامر فرغ من الحساب وادخل اهل
الجنة الجنة واهل النار النار وذبح الموت كما روي انه سيل النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله قضي
الامر فقال حين يجا بالموت على صورة كبش املح فيذبح والفريقان ينظرون فيزداد اهل الجنة
فرحا الى فرح واهل النار غما الى غم **قوله** وهم في غفلة وهم لا يومنون جملتان حاليتان وفيهما
قولان احدهما انهما حالان من الضمير المستتر في قوله في ضلال مبين على هاتين الحالتين السيئتين والثاني
انهما حالان من مفعول انذرهم اي انذرهم على هذه الحال وما بعدها وعلى الاول يكون قوله وانذرهم
اعتراضا والمعنى وهم في غفلة عما يفعل بهم في الاخرة وهم لا يومنون لا يصدقون بذلك اليوم **قوله**
انا نحن نرث الارض ومن عليها اي نميت سكان الارض ونهلكهم جميعا ويبقى الرب وحده نرثهم
والينا يرجعون نجزيهم باعمالهم وقرا العامة يرجعون بالياء من تحت مبنيا للمفعول والسلمي وابن ابي
اسحق وعيسى مبنيا للفاعل والاعرج بالتاء من فوق مبنيا للمفعول على الخطاب ويجوز ان يكون التفاتا
وان لا يكون **قوله تعالى** واذكر في الكتاب ابرهيم الاية اعلم ان منكري التوحيد الذين اثبتوا
معبودا سوى الله تعالى فريقان منهم من اثبت معبودا غير الله حيا عاقلا وهم النصارى ومنهم من
اثبت معبودا غير الله جمادا ليس بحي ولا عاقل وهم عبدة الاوثان والفريقان وان اشتركا في
الضلال الا ان ضلال عبدة الاوثان اعظم فلما بين الله تعالى ضلال الفريق الاول تكلم في ضلال
الفريق الثاني وهم عبدة الاوثان فقال واذكر في الكتاب والواو في قوله واذكر عطف على قوله
ذكر رحمة ربك عبده زكريا كانه لما انتهت قصة زكريا وعيسى عليهما السلام قال قد ذكرت حال
زكريا فاذكر حال ابرهيم وانما امره بالذكر لانه عليه السلام ما كان هو ولا قومه ولا اهل بلده
مشتغلين بالتعليم ومطالعة الكتب فاذا اخبر عن هذه القصة كما كانت من غير زيادة ولا نقصان

كان ذلك اخبارا عن الغيب ومعجزا باهرا دالا على نبوته وانما ذكر الاعتبار بقصة ابرهيم عليه السلام
لوجوه الاول ان ابرهيم عليه السلام كان ابا للعرب وكانوا مفتخرين بعلو شانه وطهارة دينه على
ما قال تعالى ملة ابيكم ابرهيم وقال ومن يرغب عن ملة ابرهيم الا من سفه نفسه فكانه تعالى قال
للعرب ان كنتم مقلدين لابايكم على قولكم انا وجدنا اباءنا على امة فاشرف ابايكم واعلاهم قدرا هو ابرهيم
عليه السلام فقلدوه في ترك عبادة الاوثان وان كنتم مستدلين فانظروا في هذه الدلايل التي ذكرها
ابرهيم عليه السلام لتعرفوا فساد عبادة الاوثان وبالجملة فاتبعوا ابرهيم اما تقليدا او استدلالا
الثاني ان كثيرا من الكفار في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون نترك دين اباينا
واجدادنا فذكر الله تعالى قصة ابرهيم عليه السلام وهو انه ترك دين ابيه وابطل قوله بالدليل
ورجح متابعة الدليل على متابعة ابيه الثالث ان كثيرا من الكفار كانوا يتمسكون بالتقليد وينكرون
الاستدلال كما حكى الله عنهم انا وجدنا اباءنا لها عابدين فحكى الله تعالى عن ابرهيم التمسك بطريقة
الاستدلال تنبيها للكفار على سقوط طريقتهم ثم قال تعالى في صفة ابرهيم انه كان صديقا نبيا
والصديق مبالغة في الكثير الصدق القايم عليه يقال رجل خمير وسكير للمولع بهذه الافعال وقيل
هو الذي يكون كثير التصديق بالحق حتى يصير مشهورا به والاول اولى لان الصدق بالشي لا يوصف بكونه
صديقا الا اذا كان صادقا في ذلك التصديق فيعود الامر الى الاول فان قيل اليس قد قال تعالى
والذين امنوا بالله ورسله اوليك هم الصديقون فالجواب المؤمنون بالله ورسله صادقون في
ذلك التصديق واعلم ان النبي يجب ان يكون صادقا في كل ما اخبر لان الله تعالى صدقه ومصدق
الله صادق فلزم من هذا كون الرسول صادقا فيما يقوله ولان الرسل شهدا الله على الناس لقوله
تعالى وجينا بك عليها ولا شهيدا والشهيد انما يقبل قوله اذا لم يكن كاذبا فان قيل فما قولكم في قول
ابرهيم بل فعله كبيرهم واني سقيم فالجواب مشروح في هذه الايات وبينا ان شيا من ذلك
ليس بكذب ولما ثبت ان كل نبي يجب ان يكون صديقا ولا يجب في كل صديق ان يكون نبيا ظهر
بهذا قرب مرتبة الصديق من مرتبة النبي فلهذا انتقل من ذكر كونه صديقا الى ذكر كونه نبيا
واما النبي فمعناه كونه رفيع القدر عند الله وعند الناس واي رفعة اعلا من رفعة من جعله
الله واسطة بينه وبين عباده وقوله كان صديقا معناه صار وقيل وجد صديقا نبيا اي كان
من اول وجوده الى انتهايه موصوفا بالصدق والصيانة **قوله** اذ قال لابيه يجوز ان يكون
بدلا من ابرهيم بدل اشتمال كما تقدم في اذ انتبذت وعلى هذا فقد فصل بين البدل والمبدل
منه بقوله انه كان صديقا نبيا نحو رايت زيدا ونعم الرجل اخاك وقال الزمخشري ويجوز ان يتعلق
اذ بكان او بصديقا نبيا اي كان جامعا لخصايص الصديقين والانبيا حين خاطب اباه بتلك
المخاطبات ولذلك جوز ابو البقا ان يعمل فيه صديقا نبيا او معناه قال ابو حيان الاول
يعني البدلية يقتضي تصرف اذ وهي لا تتصرف والثاني فيه اعمال كان في الظرف وفيه خلاف والثالث
لا يكون العامل مركبا من مجموع لفظين بل يكون العمل منسوبا للفظ واحد ولا جايز ان يكون معمولا
لصديقا لانه قد وصف الا عند الكوفيين ويبعد ان يكون معمولا لنبيا لانه يقتضي ان التنبيه
كانت في وقت هذه المقالة قال شهاب الدين العامل فيه ما لخصه ابو القسم وبصنعة حسن صناعته
من مجموع اللفظين في قوله اي كان جامعا لخصايص الصديقين والانبيا حين خاطب اباه وقد
تقدمت قراة ابن عامر يا ابت وفي مصحف عبد الله وا ابت بوا التي للندبة والتا عوض من يا
الاضافة ولا يقال يا ابتي لئلا يجمع بين العوض والمعوض منه وقد يقال يا ابتا ليكون الالف بدلا
من اليا **قوله** لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيا وصف الاوثان بصفات ثلاث
كل واحدة منها قادحة في الالهية وبيان ذلك من وجوه احدها ان العبادة غاية التعظيم فلا يستحق

الا لمن له غاية الانعام وهو الاله الذي منه اصول النعم وفروعها على ما تقرر في تفسير قوله
وان الله ربي وربكم وقوله كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم وكما انه لا يجوز الاشتغال
بشكرها ما لم تكن منعمة وجب ان لا يجوز الاشتغال بعبادتها وثانيها انها اذا لم تسمع ولم تبصر
لا تميز من يطيعها عمن يعصيها فاي فائدة في عبادتها وهذا تنبيه على ان الاله يجب ان يكون
عالما بكل المعلومات وثالثها ان الدعاء مخ العبادة فاذا لم يسمع الوثن دعاء الداعي فاي منفعة
في عبادته واذا لم يبصر تقرب من يتقرب اليه فاي منفعة في ذلك التقرب ورابعها
ان السامع المبصر الضار النافع افضل ممن كان عاريا عن كل ذلك والانسان موصوف بهذه
الصفات فيكون افضل واكمل من الوثن فكيف يليق بالافضل عبودية الاخس وخامسها اذا
كانت لا تنفع ولا تضر فلا يرجى لها منفعة ولا يخاف من ضررها فاي فائدة في عبادتها وسادسها
اذا كانت لا تحفظ نفسها عن الكسر والافساد حين جعلها ابرهيم عليه السلام جذاذا فاي
رجاء فيها للغير فكانه عليه السلام قال ليست الالهة الا الرب يسمع ويبصر ويجيب دعوة الداعي
اذا دعاه فان قيل اما ان يقال ان ابا ابرهيم عليه السلام كان يعتقد في تلك الاوثان انها
الهة قادرة مختارة خالقة او يقال انه ما كان يعتقد ذلك بل كان يعتقد انها تماثيل
للكواكب والكواكب هي الالهة المدبرة للعالم فتعظيم تماثيل الكواكب او كان يعتقد ان هذه
الاوثان تماثيل اشخاص معظمة عند الله من البشر فتعظيمها يقتضي كون اولئك الاشخاص شفعاء
لهم عند الله او كان يعتقد ان تلك الاوثان طلسمات ركبت بحسب اتصالات مخصوصة
للكواكب قل ما يتفق مثلها او لغير ذلك فان كان ابو ابرهيم من القسم الاول كان في نهاية الجنون
لان العلم بان هذا الخشب المنحوت في هذه الساعة ليس خالقا للسموات والارض من اجل العلوم
الضرورية فالشاك فيه يكون مجنونا والمجنون لا يناظر ولا يورد عليه الحجة وان كان من القسم
الثاني فهذه الدلائل لا تقدح في شيء من ذلك لان ذلك المذهب انما يبطل باقامة الدلائل على
ان الكواكب ليست احياء ولا قادرة والدليل المذكور هنا لا يفيد ذلك فالجواب لا نزاع في انه لا
يخفى على العاقل ان الخشب المنحوت لا يصلح لخلق العالم وانما مذهبهم على الوجه الثاني وانما اورد
ابرهيم عليه السلام هذه الدلالة عليهم لانهم كانوا يعتقدون ان عبادتها تفيد نفعا اما على
سبيل الخاصية الحاصلة عن الطلسمات او على سبيل ان الكواكب تنفع وتضر فبين ابرهيم عليه
السلام انه لا منفعة في طاعتها ولا نصرة في الاعراض عنها فوجب ان تجتنب عبادتها **قوله**
يا ابت اني قد جاني من العلم بالله والمعرفة ما لم ياتك فاتبعني على ديني اهدك صراطا سويا
مستقيما يا ابت لا تعبد الشيطان اي لا تطعه فيما يزين لك من الكفر والشرك لانهم ما كانوا يعبدون
يعبدون الشيطان فوجب حمله على الطاعة ان الشيطان كان للرحمن عصيا اي عاصيا وكان بمعنى
الحال اي هو كذلك **فان قيل** هذا القول يتوقف على اثبات امور احدها اثبات الصانع وثانيها
اثبات الشيطان وثالثها ان الشيطان عاص لله ورابعها انه لما كان عاصيا لم تجز طاعته
وخامسها ان الاعتقاد الذي كان عليه ازر مستفاد من طاعة الشيطان ومن شان الدلالة التي
تورد على الخصم ان تكون مركبة من مقدمات معلومة يسلمها الخصم ولعل ابا ابرهيم كان منازعا
في كل هذه المقدمات وكيف والمحكي عنه انه ما كان يثبت الها سوى نمروذ فكيف يسلم وجود الرحمن
واذا لم يسلم وجوده فكيف يسلم ان الشيطان عاص للرحمن وبتقدير تسليم ذلك فكيف يسلم الخصم
بمجرد هذا الكلام ان مذهبه مقتبس من الشيطان بل لعله يقلب ذلك على خصمه **فالجواب**
ان الحجة المعول عليها في ابطال مذهب ازر هو قوله لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا
وهذا الكلام يجري مجرى التخويف والتحذير الذي يحمله على النظر في تلك الدلالة فسقط السؤال

قول

قوله يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب قال الفراء اخاف اعلم والاكثرون على انه محمول على ظاهره
فالقول الاول انما يصح لو كان ابرهيم عليه السلام عالما بان اباه سيموت على الكفر وذلك لم يثبت
فوجب اجراؤه على ظاهره فانه كان يجوز ان يؤمن فيصير من اهل الثواب ويجوز ان يدوم على
الكفر فيكون من اهل العقاب ومن كان كذلك كان خائفا لا قاطعا والاولون فسروا الاية فقالوا
اخاف بمعنى اعلم ان يمسك عذاب يصيبك عذاب من الرحمن ان اقمت على الكفر فتكون للشيطان
وليا قرينا لان الولاية سبب المعية فاطلق اسم السبب على المسبب مجازا وقيل المراد بالعذاب
هنا الخذلان والتقدير اني اخاف ان يمسك خذلان من الله فتصير مواليا للشيطان ويتبرأ الله
منك **فصل** اعلم ان ابرهيم عليه السلام رتب هذا الكلام في غاية الحسن لانه ذكر اولا
ما يدل على المنع من عبادة الاوثان ثم امره باتباعه في النظر والاستدلال وترك التقليد ثم
ذكر ان طاعة الشيطان غير جائزة في العقول ثم ختم الكلام بالوعيد الزاجر عن الاقدام على ما لا
ينبغي ثم انه عليه السلام اورد هذا الكلام الحسن مقرونا باللطف والرفق فان قوله في مقدمة
كل كلام يا ابت دليل على شدة الحب والرغبة في صونه عن العقاب وارشاده الى الصواب وختم
الكلام بقوله اني اخاف ان يمسك وذلك يدل على شدة تعلق قلبه بمصالحه وانما فعل ذلك لوجوه
الاول لقضاء حق الابوة على ما قال تعالى وبالوالدين احسانا والارشاد الى الدين من اعظم انواع
الاحسان فاذا انضم اليه رعاية الادب والرفق كان نورا على نور والثاني ان الهادي الى
الحق لا بد وان يكون رفيقا لطيفا يورد الكلام على سبيل الرفق لان ايراده على سبيل العنف
يصير كالسبب في اعراض المستمع فيكون ذلك في الحقيقة سعيا في الاغواء وثالثها ما روى ابو هريرة
قال قال عليه السلام اوحى الله تعالى الى ابرهيم انك خليلي حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مداخل
الابرار فان كلمتي سبقت لمن حسن خلقه ان اظله تحت عرشي واسكنه حظيرة القدس وادنيه
من جواري **قوله** اراغب انت يجوز فيه وجهان احدهما ان يكون راغب مبتدا لاعتماده على
همزة الاستفهام وانت فاعل سد مسد الخبر والثاني انه خبر مقدم وانت مبتدا مؤخر ورجح الاول
بوجهين احدهما انه ليس فيه تقديم ولا تاخير اذ رتبة الفاعل التاخير عن رافعه والثاني
انه لا يلزم منه الفصل بين العامل ومعموله بما ليس معمولا للعامل وذلك لان عن الهتي
متعلق براغب فاذا جعل انت فاعلا فقد فصل بما هو كالجزء من العامل بخلاف جعله خبرا
فانه اجنبي اذ ليس معمولا لراغب **فصل** اعلم ان ابرهيم عليه السلام لما دعا اباه الى التوحيد
وذكر الدلالة على فساد عبادة الاوثان واردف ذلك بالوعظ البليغ مقرونا باللطف
والرفق قابله ابوه بجواب مضاد لذلك فقابل حجته بالتقليد بقوله اراغب انت عن
الهتي فاصر على ادعاء الهيتها جهلا وتقليدا وقابل وعظه بالسفاهة حيث هدده بالضرب
والشتم وقابل رفقه في قوله يا ابت بالعنف فلم يقل له يا بني بل قال يا ابرهيم وانما حكى
الله تعالى ذلك لمحمد عليه السلام تخفيفا على قلبه ما كان يصل اليه من اذى المشركين وليعلم
ان الجهال منذ كانوا على هذه السيرة المذمومة ثم قال لئن لم تنته لارجمنك قال الكلبي ومقاتل
والضحاك لاشتمنك ولابعدنك عني بالقول القبيح ومنه قوله والذين يرمون المحصنات اي بالشتم
ومنه الرجيم اي المرمي باللعن قال مجاهد كل رجم في القران بمعنى الشتم وهذا ينتقض بقوله
تعالى رجوما للشياطين وقال ابن عباس لاضربنك وقال الحسن لارجمنك بالحجارة وهو قول ابي
مسلم لان اصله الرمي بالرجام فحمله عليه اولى وقال المورخ لاقتلنك بلغة قريش ومما يدل على انه
اراد الطرد والابعاد قوله واهجرني مليا **قوله** مليا في نصبه ثلاثة اوجه احدها انه
منصوب على الظرف الزماني اي زمنا طويلا ومنه الملوان الليل والنهار وملاوة الدهر بتثليث

اليم قال نعسا لها من السباب ملاوة فالج ابات الوسول الوسول المحب ٭ وانشد السدي على ذلك
لمهلهل ٭ فتصدعت صم الجبال لموته وبكت عليه المرملات مليا ٭ اي ابدا والثاني انه منصوب على
الحال معناه سالما سويا قال ابن عباس اعتزلني سالما لا تصيبك مني معرة فهو حال من فاعل اهجرني
وكذلك فسره ابن عطية مستبدا اي غنيا عني من قولهم هو ملي بكذا او لكذا قال الزمخشري اي مطيقا
والمعنى مليا بالذهاب عني والهجران قبل ان اثخنك بالضرب حتى لا تقدر ان تبرح والثالث انه نعت
لمصدر محذوف اي هجرا مليا يعني واسعا متطاولا ولا كتطاول الزمان الممتد قال الكلبي اجتنبني
طويلا والمراد بقوله واهجرني اي بالمفارقة من الدار والبلد وهي كهجرة النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
اي تباعد عني لكي لا اراك وقيل اهجرني بالقول وعطف واهجرني على معطوف عليه محذوف يدل
عليه لارجمنك اي فاحذرني واهجرني لاني ارجمك فلما سمع ابرهيم عليه السلام كلام ابيه اجاب
بامرين احدهما انه وعده بالتباعد منه اي موافقة وانتيادا لامر ابيه والثاني قوله سلام عليك
توديع ومتاركة اي سلمت مني لا امسك بمكروه وذلك لانه لم يومر بقتاله على كفره كقوله لنا اعمالنا ٭
ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وهذا يدل على جواز متاركة
المنصوح اذا ظهر منه اللجاج وعلى انه تحسن مقابلة الاساة بالاحسان ويجوز ان يكون دعا له بالسلامة
استمالة الا ترى انه وعده بالاستغفار فيكون سلام بر ولطف وهو جواب الحليم للسفيه كقوله واذا
خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وقرا ابو البرهشم سلاما بالنصب وهو واضح مما تقدم **قوله**
سا ستغفر لك ربي لما اعياه امره وعده ان يراجع الله فيه فيساله ان يرزقه التوحيد ويغفر له
والمعنى سا سال الله لك توبة تنال بها المغفرة انه كان بي حفيا برا لطيفا واحتج بهذه الاية من طعن
في عصمة الانبيا وذلك ان ابرهيم عليه السلام استغفر لابيه وابوه كان كافرا والاستغفار للكفار
غير جايز فثبت ان ابرهيم عليه السلام فعل ما لا يجوز اما استغفاره لابيه فلقوله سا ستغفر لك
لك ربي وقوله واغفر لابي انه كان من الضالين واما كون ابيه كان كافرا فبالاجماع ونص القران
واما ان الاستغفار لا يجوز فلقوله تعالى ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي
قربى ولقوله في سورة الممتحنة لقد كان لكم اسوة حسنة في ابرهيم الى قوله الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن
لك والجواب ان الاية تدل على انه لا يجوز لنا التاسي به في ذلك لكن المنع من التاسي به في ذلك
لا يدل على ان ذلك كان معصية فان كثيرا من الاشيا هي من خواص رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا
يجوز لنا التاسي به فيها مع انها كانت مباحة له وايضا لعل هذا الاستغفار كان من باب ترك الاولى
وحسنات الابرار سيات المقربين **قوله** واعتزلكم وما تدعون من دون الله قال مقاتل كان
اعتزاله اياهم انه فارقهم من كوثى فهاجر منها الى الارض المقدسة والاعتزال عن الشي هو التباعد عنه
وادعوا ربي اعبد ربي الذي يضر وينفع والذي خلقني وانعم علي عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا
اي عسى ان لا اشقى بدعايه وعبادته كما تشقون انتم بعبادة الاصنام ذكر ذلك على سبيل التواضع
كقوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيتي يوم الدين وقوله شقيا فيه تعريض بشقاوتهم في دعا الهتهم
وقيل عسى ان يجيبني ان دعوته **قوله** فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وذهب مهاجرا
الى ربه فعوضه اولادا انبيا بعد هجرته ولا حالة في الدين والدنيا للبشر ارفع من ان يجعله الله
دنولا الى خلقه ويلزم الخلق طاعته والانقياد له مع ما تحصل له من عظم المنزلة في الاخرة **قوله**
وكلا جعلنا نبيا كلا مفعول مقدم هو الاول ونبيا هو الثاني ثم انه مع ذلك وهب لهم من رحمته
قال الكلبي المال والولد وهو قول الاكثرين قالوا هو ما بسط لهم في الدنيا من سعة الرزق وقيل
الكتاب والنبوة وجعلنا لهم لسان صدق عليا يعني ثنا حسنا رفيعا في كل اهل الاديان وعبر
باللسان عما يوجد باللسان كما عبر باليد عما يوجد باليد وهو العطية فاستجاب الله دعوته

في

في قوله واجعل لي لسان صدق في الاخرين فصيره قدوة حتى ادعاه اهل الاديان كلهم قال
تعالى ملة ابيكم ابرهيم **قوله تعالى** واذكر في الكتاب موسى الاية قرا اهل الكوفة مخلصا بفتح
اللام اي مختارا اختاره الله واصطفاه وقيل اخلصه الله من الدنس والباقون بالكسر ومعناه
اخلص التوحيد لله والعبادة ومتى ورد القران بقراتين فكل منهما ثابت مقطوع به فجمع الله تعالى
من صفة موسى كلا الامرين ثم قال وكان رسولا نبيا وهذان وصفان مختلفان لكن المعتزلة زعموا
كونهما متلازمين فكل رسول نبي وكل نبي رسول ومن الناس من انكر ذلك وياتي الكلام عليه ان شا الله
تعالى في سورة الحج عند قوله وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ثم قال وناديناه من جانب
الطور الايمن يعني يمين موسى والظاهر ان الايمن صفة للجانب بدليل انه نعته في قوله تعالى وواعدناكم
جانب الطور الايمن وقيل انه صفة للطور اذ اشتقاقه من اليمن والبركة والطور جبل بين مصر
ومدين ويقال اسمه الزبير وذلك حين اقبل من مدين وراى النار فنودي يا موسى اني انا الله
رب العالمين **قوله** وقربناه نجيا اي مناجيا والنجي المناجي كما تقول جليس ونديم ونجيا حال من
مفعول قربناه واصله نجيو لانه من نجا ينجو قال ابن عباس معناه قربه وكلمه وقيل انجيناه من
اعدايه ومعنى التقريب اسماعه كلامه وقيل رفعه على الحجب حتى سمع صرير القلم حيث يكتب
التورية في الالواح وهو قول ابي العالية قال القاضي المراد بالقرب انه رفع قدره وشرفه بالمناجاة
لان استعمال القرب في الله قد صار في التعارف لا يراد به الا المنزلة كما يقال في حق العبادة
تقرب وفي الملايكة عليهم السلام انهم مقربون **قوله** ووهبنا له من رحمتنا في هذه وجهان
احدهما انها تعليلية اي من اجل رحمتنا واخاه على هذا مفعول به وهرون بدل او عطف بيان
او منصوب باضمار اعني ونبيا حال والثاني انها تبعيضية اي بعض رحمتنا قال الزمخشري واخاه
على هذا بدل وهارون عطف بيان قال ابو حيان الظاهر ان اخاه مفعول وهبنا ولا ترادف
من فتبدل اخاه منها **فصل** قال ابن عباس كان هرون اكبر من موسى عليهما السلام
وانما وهب الله تعالى له نبوته لا شخصه واخوته وذلك اجابة لدعايه في قوله واجعل لي وزيرا
من اهلي هرون اخي اشدد به ازري فاجابه الله تعالى بقوله قد اوتيت سولك يا موسى وقوله
سنشد عضدك باخيك **قوله تعالى** واذكر في الكتاب اسمعيل وهو اسمعيل بن ابرهيم
جد النبي صلى الله عليه وسلم انه كان صادق الوعد قال مجاهد لم يعد شيا الا وفى به روي عن
ابن عباس انه وعد صاحبا له ان ينتظره في مكان فانتظره سنة وايضا وعد من نفسه الصبر
على الذبح فوفى حيث قال ستجدني ان شا الله من الصابرين ويروى ان عيسى عليه السلام قال له
رجل انتظرني حتى اتيك فقال عيسى نعم وانطلق الرجل ونسي الميعاد فجا الى حاجته الى ذلك المكان وعيسى
عليه السلام هناك للميعاد وعن رسولنا صلى الله عليه وسلم انه واعد رجلا ونسي ذلك الرجل فانتظره
من الضحى الى قريب غروب الشمس وسيل الشعبي عن الرجل يعد ميعادا الى اي وقت ينتظره قال ان
واعده نهارا فكل النهار وان واعده ليلا فكل الليل وسيل ابرهيم بن زيد عن ذلك فقال اذا واعده
في وقت الصلوة فانتظره الى وقت صلوة اخرى ثم قال وكان رسولا نبيا وتقدم تفسيره وكان يامر
اهله بالصلوة والزكوة والمراد بالاهل قومه وقيل اهله جميع امته قال المفسرون انه كان رسولا
الى جرهم والمراد بالصلوة قال ابن عباس يريد التي افترضها الله عليهم وهي الحنيفية التي افترضت
علينا قيل كان يبدا باهله في الامر بالعبادة ليجعلهم قدوة لمن سواهم كما قال تعالى وانذر عشيرتك
الاقربين وامر اهلك بالصلوة قوا انفسكم واهليكم نارا واما الزكوة فعن ابن عباس انها طاعة الله
والاخلاص فكانه تناوله على ما يزكوا به الفاعل عند ربه والظاهر انه اذا قرنت الصلوة بالزكوة
ان يراد بها الصدقات الواجبة **قوله** وكان عند ربه مرضيا قائما بطاعته وقيل رضيه

الله لنبوته ورسالته والعامة على قراته كذلك معتد لا واصله مرضوو بواوين الاولى زايدة
كهي في مضروب والثانية لام الكلمة لانه من الرضوان فاعل نقلب الواو الاخيرة يا فاجتمعت
اليا والواو نقلبت الواو يا وادغمت ويجوز النطق بالاصل وقد تقدم تحريرهذا وقرا ابن
ابي عبلة بهذا الاصل وهو الاكثر ومن الاعلال **قوله**
لقد علمت عرسي مليكة انني انا الموء معديا عليه وعاديا وقالوا رض مسنية ومسنوة اي
مسقاه بالسانية **قوله** واذكر في الكتاب ادريس الاية ادريس هو جد ابي نوح عليهما السلام
وهو نوح بن لمك بن متوشلح بن اخنوخ وهو ادريس عليه السلام وقيل سمي ادريس لكثرة دراسته
الكتب وكان خياطا وهو اول من خط بالقلم وخاط الثياب ولبس المخيط وكان قبله يلبسون
الجلود واول من اتخذ السلاح وقاتل الكفار واول من نظر في علم الحساب انه كان صديقا نبيا
ورفعناه مكانا عليا قيل يعني في الجنة وقيل هي الرفعة بعلو الرتبة في الدنيا كقوله ورفعنا لك
ذكرك وقيل انه رفع الى السما روى انس بن مالك عن مالك بن صعصعة عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه راى ادريس في السما الرابعة ليلة المعراج وكان سبب رفع ادريس على ما قاله كعب وغيره
انه سار ذات يوم في حاجة فاصابه وهج الشمس فقال يارب انا مشيت يوما فكيف من يحملها
مسيرة خمسمائة عام في يوم واحد اللهم خفف عنه من ثقلها وحرها فلما اصبح الملك وجد من خفة
الشمس وحرها ما لا يعرف فقال يارب ما الذي قضيت فيه قال ان عبدي ادريس سالني ان اخفف
عنك حملها وحرها فاجبته فقال رب اجعل بيني وبينه خلة فاذن له حتى اتى ادريس فكان
يساله ادريس فقال له اني اخبرت انك اكرم الملايكة واكرمهم عند ملك الموت فاشفع لي اليه
ليوخر اجلي فازداد شكرا وعبادة فقال الملك لا يوخر الله نفسا اذا جا اجلها وانا مكلمه فرفعه الى
السما ووضعه عند مطلع الشمس ثم اتى ملك الموت فقال حاجة لي اليك صديق لي من بني ادم
تشفع بي اليك لتوخر اجله قال ليس ذلك الي ولكن ان احببت اعلمته اجله فيتقدم في نفسه قال نعم
فنظر في ديوانه فقال انك كلمتني في انسان ما اراه يموت ابدا قال وكيف قال لا اجده يموت الا عند
مطلع الشمس قال فاني اتيتك وتركته هناك قال انطلق فلا اراك تجده الا وقد مات فوالله ما بقي
من اجل ادريس شي فرجع الملك فوجده ميتا واختلفوا في انه حي في السما ام ميت فقيل هو ميت
وقيل حي وقيل اربعة من الانبيا احيا اثنان في الارض الخضر والياس واثنان في السما ادريس وعيسى
قوله تعالى اوليك الذين انعم الله عليهم من النبيين الاية من الاولى للبيان لان كل الانبيا
منعم عليهم فالتبعيض محال والثانية للتبعيض فجر وربما بدل مما قبله باعادة العامل بدل بعض
من كل وقوله واسرايل عطف على ابرهيم وقوله وممن هدينا يحتمل ان يكون عطفا على من النبيين
وان يكون عطفا على من ذرية ادم **فصل** اعلم انه تعالى اثنى على كل واحد ممن تقدم ذكره
من الانبيا بما يخصه من الثنا ثم جمعهم اخرا فقال اوليك الذين انعم الله عليهم من النبيين اي
بالنبوة وغيرها واوليك اشارة الى المذكورين في هذه السورة من زكريا الى ادريس ثم جمعهم
في كونهم من ذرية ادم ثم خص بعضهم بانهم من ذرية ادم ثم خص بعضهم ممن حملنا مع نوح ومنهم من
هو من ذرية ادم دون من حمله مع نوح وهو ادريس عليه السلام فقد كان سابقا على نوح والذين
هم من ذرية من حمل مع نوح هو ابرهيم لانه من ولد سام بن نوح واسمعيل واسحق ويعقوب من ذرية
ابرهيم ثم خص بعضهم بانه من ولد اسرايل اي يعقوب وهم موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى
من قبل الام فرتب الله تعالى احوال الانبيا الذين ذكرهم على هذا الترتيب منبها بذلك على انهم كما
فضلوا باعمالهم فلهم منزلة في الفضل بولادتهم منها وولاء الانبيا ثم بين انهم ممن هدينا واجتبينا
منبها بذلك على انهم خصوا بهذه المنازل لهداية الله تعالى لهم ولانه اختارهم للرسالة **قوله**

اذا تتلى جملة شرطية فيها قولان اظهرهما انها لا محل لها لاستينافها والثاني انها خبر اوليك
والموصول قبلها صفة لاسم الاشارة وعلى الاول يكون الموصول نفس الخبر وقرا العامة تتلى
بتاءين من فوق وقرا عبد الله وشيبة وابو جعفر وابن كثير وابن عامر وورش عن نافع في
روايات شاذة باليا اولا من تحت والتانيث مجازي فلذلك جاز في الفعل الوجهان **قوله**
سجدا حال مقدرة قال الزجاج لانهم وقت الخرور ليسوا سجدا وبكيا فيه وجهان اظهرهما انه
جمع باك وليس بقياس بل القياس جمعه على فعلة كقاض وقضاة ولم يسمع فيه هذا الاصل وقد تقدم
ان الاخوين يكسران على الاتباع والثاني انه مصدر على فعول نحو جلس جلوسا وقعد قعودا والاصل
فيه على كلا القولين بكوي بواو ويا فاعل الاعلال المشهور في مثله وقال ابن عطية وبكيا بكسر
وهو مصدر لا يحتمل غير ذلك قال ابو حيان وليس بسديد بل الاتباع جايز فيه وهو جمع كقولهم
عصي ودلي جمع عصا ودلو وعلى هذا ان يكون بكيا اما مصدر موكد لفعل محذوف اي وبكوا بكيا
اي بكا واما مصدر واقع موقع الحال اي باكين او ذوي بكا او جعلوا نفس البكا مبالغة قال
الزجاج بكيا جمع باك مثل شاهد وشهود وقاعد وقعود ثم قال الانسان في حال خروره لا يكون
ساجدا والمراد خروا مقدرين للسجود ومن قال في بكيا انه مصدر فقد اخطا لان سجدا جمع ساجد
وبكيا معطوف عليه **فصل** قال المفسرون ان الانبيا عليهم السلام كانوا اذا سمعوا ايات
الله والمراد الايات التي تتضمن الوعد والوعيد والترغيب والترهيب خروا سجدا جمع ساجد
وبكيا جمع باك خضوعا وخشوعا وحذرا وخوفا قال بعضهم المراد بالسجود الصلوة وقال بعضهم
المراد سجود التلاوة وقيل المراد بالسجود الخضوع والخشوع عند التلاوة قال عليه السلام اتلوا
القران وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا **قوله تعالى** فخلف من بعدهم خلف الاية لما
وصف الانبيا بالمدح ترغيبا لنا في التاسي بهم ذكر بعدهم من هو بالضد منهم فقال فخلف
من بعدهم اي من بعد هولا الانبيا خلف من اولادهم يقال خلفه اذا اعقبه خلف سو باسكان
اللام والخلف بفتح اللام الصالح كما قالوا وعد في ضمان الخير ووعيد في ضمان الشر وفي الحديث
في الله خلف من كل هالك وفي الشعر ذهب الذين يعاش في اكنافهم وبقيت في خلف كجلد الاجرب
قال السدي اراد بهم اليهود ومن لحق بهم وقال مجاهد وقتادة هم في هذه الاية اضاعوا
الصلاة تركوا الصلاة المفروضة وقال ابن مسعود وابرهيم اخروها عن وقتها وقال
سعيد بن المسيب هو ان لا يصلي الظهر حتى ياتي العصر ولا يصلي العصر حتى تغرب الشمس واتبعوا
الشهوات قال ابن عباس هم اليهود تركوا الصلاة المفروضة وشربوا الخمور واستحلوا نكاح الاخت
من الاب وقال مجاهد هولا قوم يظهرون في اخر الزمان ينزو بعضهم على بعض في الاسواق
والازقة فسوف يلقون غيا قال وهب وابن عباس وعطا وكعب هو واد في جهنم بعيد
قعره وقال ابو امامة مجازاة الاثام وقال الضحاك غيا خسرانا وقيل هلاكا وقيل عذابا
ونقل الاخفش انه قرى يلقون بضم اليا وفتح اللام وتشديد القاف من لقاه مضاعفا لقوله
يلقون ليس معناه يرون فقط بل معناه الاجتماع والملابسة مع الروية **قوله** الا من
تاب فيه وجهان اظهرهما انه استثنا متصل وقال الزجاج هو منقطع وهذا بناء منه على
ان المضيع للصلاة من الكفار وقرا عبد الله والحسن والضحاك وجماعة الصلوات جمعا **فصل**
احتجوا بقوله الا من تاب وامن وعمل صالحا على ان الايمان غير العمل لانه عطف العمل على الايمان
والمعطوف غير المعطوف عليه اجاب الكعبي بانه تعالى فرق بين التوبة والايمان والتوبة من
الايمان فكذلك العمل الصالح يكون من الايمان وان فرق بينهما وهذا الجواب ضعيف لان عطف
الايمان على التوبة يقتضي المغايرة بينهما لان التوبة عزم على الترك والايمان اقرار بالله وبما

شيئا بران فلذلك سمعنا في هذه الصورة ولما بين تعالى وعيد من لم يتب بين ان من تاب وامن
وعمل صالحا فلهم الجنة ولا يلحقهم ظلم وههنا سوالان لان السؤال الاول الاستثنا دل على انه لا
بد من التوبة والايمان والعمل الصالح وليس الامر كذلك لان من تاب عن الكفر ولم يدخل وقت الصلاة
او كانت المراة حايضا فان الصلوة لا تجب عليه وكذلك الصوم والزكوة فلو تاب في ذلك الوقت
كان من اهل النجاة مع انه لم يصدر عنه عمل فلم يجز توقف الامر على العمل الصالح والجواب ان هذه
الصورة نادرة والاحكام انما تناط بالاعم الاغلب السؤال الثاني قوله ولا يظلمون شيئا يدل
على ان الثواب مستحق بالعمل لا بالتفضل لانه لو كان بالتفضل لاستحال حصول الظلم لكن من مذهبكم
انه لا استحقاق للعبد بعمله الا بالوعد واجيب بانه لما اشبهه اجرى على حكمه **قوله**
جنات عدن العامة على كسر التا نصبا على انها بدل من الجنة وعلى هذه القراءة يكون قوله ولا
يظلمون شيئا فيه وجهان احدهما انه اعتراض بين البدل والمبدل منه والثاني انه حال كذا قال
ابو حيان وفيه نظر من حيث ان المضارع المنفي بلا كالمثبت في انه لا ياتي بالواو والحال
وقرا ابو حيوة والحسن وعيسى بن عمر والاعمش جنات بالرفع وفيه وجهان احدهما انه خبر مبتدا مضمر
تقديره تلك او هي جنات عدن والثاني وبه قال الزمخشري انها مبتدا يعني ويكون خبرها
التي وعد وقرا الحسن بن حي وعلي بن صالح والاعمش في رواية جنة عدن نصبا مفردا ولما في
والحسن والازرق عن حمزة جنة رفعا مفردا وتخريجها واضح مما تقدم قال الزمخشري لما كانت
مشتملة على جنات عدن ابدلت منها لقولك ابصرت دارك القاعة والعلالي وعدن معرفة
علم بمعنى العدن وهو الاقامة كما جعلوا فينة وسحر وامس فيمن لم يصرفه اعلاما لمعاني الفينة
والسحر والامس فجرى مجرى العدن لذلك او هو علم لارض الجنة لكونها دار اقامة ولولا ذلك لما ساغ
الابدال لان النكرة لا تبدل من المعرفة الا موصوفة ولما ساغ وصفها بالتي قال ابو حيان وما ذكره
متعقب اما دعواه ان عدنا علم لمعنى العدن فيحتاج الى توقيف وسماع من العرب وكذا دعوى
العلمية الشخصية فيه واما قوله ولولا ذلك الى قوله موصوفة فليس بمذهب البصريين لان مذهبهم
جواز ابدال النكرة من المعرفة وان لم تكن موصوفة وانما ذلك شي قاله البغداديون وهم محجوجون
بالسماع على ما بيناه وملازمته فاسدة واما قوله ولما ساغ وصفها بالتي فلا يتعين كون التي صفة
وقد ذكرنا انه يجوز اعرابه بدلا قال شهاب الدين الظاهر ان التي صفة والتمسك بهذا الظاهر
كان وايضا فان الموصول في قوة المشتقات وقد نصوا على ان البدل بالمشتق ضعيف فكذا ما في
معناه **قوله** بالغيب فيه وجهان احدهما ان البا حالية وفي صاحب الحال احتمالان احدهما
ضمير الجنة وهو عايد الموصول اي وعدها وهي غايبة عنهم لا يشاهدونها والثاني ان تكون هي عبا
اي وهم غايبون عنها لا يرونها انما امنوا بمجرد الاخبار منه والوجه الثاني ان البا سببية اي
بسبب تصديق الغيب وبسبب الايمان به **قوله** انه كان يجوز في هذا الضمير وجهان
احدهما انه ضمير الباري تعالى يعود على الرحمن اي ان الرحمن كان وعده ماتيا والثاني انه ضمير
الامر والشان لانه مقام تعظيم وتفخيم وعلى الاول يجوز ان يكون في كان ضمير هو اسمها يعود على
الله تعالى ووعده بدل من ذلك الضمير بدل اشتمال وماتيا خبرها ويجوز ان لا يكون فيها
ضمير بل هي رافعة لوعده وماتيا الخبر ايضا وهو نظير ان زيدا كان ابوه منطلقا وماتيا
فيه وجهان احدهما انه مفعول على بابه والمراد بالوعد الجنة اطلق عليها المصدر اي موعوده نحو
درهم ضرب الامير وقيل الوعد مصدر على بابه وماتيا مفعول بمعنى فاعل ولم يرتضه الزمخشري
فانه قال قيل في ماتيا مفعول بمعنى فاعل والوجه ان الوعد هو الجنة وهم ياتونها او هو من قولك
اتى اليه احسانا اي كان وعده مفعولا منجزا وقال الزجاج كلما وصل اليك فقد وصلت اليه

وما اتاك فقد اتيته والمقصود من قوله انه كان وعده ماتيا بيان ان وعده تعالى وان كان
بامر غايب فهو كانه مشاهد حاصل والمراد تقرير ذلك في القلوب **قوله** لا يسمعون فيها لغوا
اللغو من الكلام هو ما يلغى ويطرح وهو المنكر من القول كقوله لا يسمع فيها لاغية وقال مقاتل هو
اليمين الكاذبة وفيه دلالة على وجوب اجتناب اللغو لان الله تعالى نزه عنه الدار التي لا تكليف
فيها ولقوله واذا مروا باللغو مروا كراما وقوله واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه الاية **قوله** الا
سلاما ابدى الزمخشري فيه ثلاثة اوجه احدها ان يكون معناه ان كان تسليم بعضهم على بعض وتسليم
الملايكة عليهم لغوا فلا يسمعون لغوا الا ذلك فهو من وادي قوله
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتايب الثاني انهم لا يسمعون فيها الا قولا يسلمون
فيه من العيب والنقيصة على الاستثنا المنقطع الثالث ان معنى السلام هو الدعا بالسلامة ودار السلام
هي دار السلامة واهلها اغنيا عن الدعا بالسلامة فكان ظاهره من باب اللغو وفضول الحديث لولا
ما فيه من فايدة الاكرام وظاهر هذا ان الاستثنا على الاول والاخير متصل فانه صرح بالمنقطع
في الثاني اما اتصال الثالث فواضح لانه اطلق اللغو على السلام بالاعتبار الذي ذكره واما الاتصال
في الاول فمن اذ لا يعد ذلك عيبا فليس من جنس الاول وسياتي تحقيق هذا ان شا الله تعالى عند قوله
لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى **قوله** ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا فيه سؤالان
السؤال الاول ان المقصود من هذه الايات وصف الجنة باحوال مستعظمة ووصول الرزق
اليهم بكرة وعشيا ليس من الامور المستعظمة والجواب من وجهين الاول قال الحسن اراد تعالى ان يرغب
كل قوم بما احبوه في الدنيا فلذلك ذكر اساور الذهب والفضة ولبس الحرير التي كانت عادة العجم
والارايك التي هي الحجال المضروبة على الاسرة وكانت عادة اشراف اليمن ولا شي احب الى العرب من
الغدا والعشا فوعدهم بذلك الثاني المراد دوام الرزق تقول انا عند فلان صباحا ومسا
وبكرة وعشيا تريد الدوام ولا تقصد الوقتين المعلومين السؤال الثاني قال تعالى لا يرون فيها
شمسا ولا زمهريرا وقال عليه السلام لا صباح عند ربك ولا مسا بل هم في نور ابدا والبكرة والعشي
لا يوجدان الا عند وجود الصباح والمسا والجواب المراد انهم ياكلون على مقدار الغداة والعشي
لا ان في الجنة غدوة ولا عشيا اذ لا ليل فيها وقيل انهم يعرفون النهار برفع الحجب ووقت
الليل بارخا الحجب وقيل المراد رفاهة العيش وسعة الرزق اي لهم رزقهم متى شاوا **قوله** تلك
الجنة التي نورث صحت الاشارة بتلك الى الجنة لانها غايبة وقرا الاعمش بابراز عايد الموصول
وقرا الحسن والاعرج وقتادة نورث بفتح الواو وتشديد الراء من ورث مضعفا وقوله نورث
استعارة اي نبقي عليه الجنة كما يبقى على الوارث مال الموروث وقيل معناه ننقل تلك المنازل ممن لو
اطاع لكانت له الى عبادنا الذين اتقوا ونجعل هذا النقل ارثا قاله الحسن **فصل**
المتقي هو من اتقى المعاصي واتقى ترك الواجبات قال القاضي هذه الاية دالة على ان الجنة
يدخلها من كان تقيا والفاسق المرتكب للكباير لم يوصف بذلك واجيب بان الاية تدل
على ان المتقي يدخلها وليس فيها دلالة على ان غير المتقي لا يدخلها وايضا فصاحب الكبيرة متق عن
الكفر فقد صدق عليه انه متق لان المتقي جزء مفهوم قولنا المتقي عن الكفر واذا كان صاحب
الكبيرة يصدق عليه انه متق وجب ان يدخل الجنة فالاية بان تدل على ان صاحب الكبيرة يدخل
الجنة اولى من ان تدل على انه لا يدخلها **قوله تعالى** وما نتنزل الا بامر ربك الاية
قال ابن عطية الواو عاطفة جملة كلام على اخرى واصلة بين القولين وان لم يكن معناهما واحدا
وقد اغرب النقاش في حكاية قول وهو ان قوله وما نتنزل متصل بقوله قال انما انا رسول ربك
ليهب لك وقال ابو البقا وما نتنزل اي ويقول الملايكة فجعله معمولا لقول مضمر وقيل هو من

كلام اهل الجنة وهو اقرب مما قبله ونتنزل مطاوع نزل بالتشديد ومقتضي العمل في مهله وقد لا
تقتضيها قال الزمخشري التنزل على معنيين معنى النزول على مهل ومعنى النزول على الاطلاق كقوله
• فلست لانسي ولكن لملاك تنزل من جو السما يصوب • لانه مطاوع نزل ونزل يكون بمعنى انزل ويكون
بمعنى التدريج واللائق بهذا الموضع هو النزول على مهل والمراد ان نزولنا في الاحايين وقتا بعد
وقت قال شهاب الدين وقد تقدم انه يفرق بين نزل وانزل في اول هذا الموضوع وقرا العامة
نتنزل بنون الجمع وقرا الاعرج يتنزل بيا الغيبة وفي الفاعل حينئذ قولان احدهما انه ضمير جبريل
قال ابن عطيه ويرده قوله له ما بين ايدينا وما خلفنا لانه لا يطرد معه وانما يتجه ان يكون خبرا
عن جبريل اي القران لا يتنزل الا بامر الله في الاوقات التي يقدرها وقد يجاب ابن عطيه بانه على
اضمار القول اي قائلا له ما بين ايدينا والثاني انه يعود على الوحي وكذا قال الزمخشري على
الحكاية عن جبريل والضمير للوحي ولا بد من اضمار هذا القول ايضا **قوله** له ما بين ايدينا
استدل بعض النحاة على ان الازمنة ثلاثة ماض وحاض ومستقبل بهذه الاية وهو كقول زهير
• واعلم علم اليوم والامس قبله ولكنني عن علم ما في غد عم • **فصل** روى ابن عباس ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال يا جبريل ما منعك ان تزورنا فنزلت وما نتنزل الا بامر ربك الاية وقال
عكرمة والضحاك وقتادة ومقاتل والكلبي احتبس جبريل عن النبي صلى الله عليه وسلم حين ساله قومه
عن اصحاب الكهف وذي القرنين والروح فقال اخبركم غدا ولم يقل ان شا الله حتى شق على النبي صلى الله
عليه وسلم فقال المشركون وعده ربه وقلاه ثم نزل بعد ايام فقال له رسول الله صلى الله عليه
وسلم ابطات علي حتى ساء ظني واشتقت اليك فقال له جبريل اني كنت اليك اشوق ولكني عبد مامور
اذا بعثت نزلت واذا حبست احتبست فنزل قوله وما نتنزل الا بامر ربك وقوله ولا تقولن لشي
اني فاعل ذلك غدا الا ان يشا الله وسورة والضحى وفي الاية سوال وهو ان قوله تلك الجنة التي نورث
من عبادنا من كان تقيا كلام الله وقوله وما نتنزل كلام غير الله فكيف جاز عطف هذا على ما
قبله من غير فصل واجيب بانه اذا كانت القرينة ظاهرة لم تقبح كقوله تعالى اذا قضى امرا فانما
يقول له كن فيكون وهذا كلام الله ثم عطف عليه قوله وان الله ربي وربكم فاعبدوه واعلم ان
ظاهر قوله وما نتنزل الا بامر ربك خطاب جماعة لواحد وذلك لا يليق الا بالملائكة الذين ينزلون
على الرسول فلذلك ذكروا في سبب النزول ما تقدم ثم قال له ما بين ايدينا وما خلفنا اي علم ما
بين ايدينا قال سعيد بن جبير وقتادة ومقاتل ما بين ايدينا من امر الاخرة والثواب والعقاب
وما خلفنا ما مضى من امر الدنيا وما بين ذلك ما يكون من هذا الوقت الى قيام الساعة وقيل ما بين
ايدينا من امر الاخرة وما خلفنا من امر الدنيا وما بين ذلك اي بين النفختين وبينهما اربعون سنة وقيل
ما بين ايدينا ما بقي من امر الدنيا وما خلفنا ما مضى منها وما بين ذلك هذه حياتنا وقيل ما بين
ايدينا بعد ان نموت وما خلفنا قبل ان نخلق وما بين ذلك مدة الحياة وقيل ما بين ايدينا الارض
اذا اردنا النزول اليها وما خلفنا السما وما انزل منها وما بين ذلك الهوا يريد ان ذلك كله لله عز
وجل فلا نقدر على شي الا بامره ثم قال وما كان ربك نسيا اي ناسيا اي ما نسيك ربك بمعنى ما
تركك والناسي التارك كقوله ما ودعك ربك وما قلى اي ما كان امتناع النزول لترك الله لك وتوديعه
اياك **قوله** رب السموات فيه ثلاثة اوجه احدها انه بدل من ربك الثاني انه خبر مبتدا
مضمر اي هو رب الثالث كونه مبتدا والخبر الجملة الامرية بعده وهذا اماشي على راي الاخفش اذ يجوز
زيادة الفا في خبر المبتدا مطلقا **قوله** لعبادته تتعلق باصطبر فان قيل لم يقل واصطبر على عبادته
لانها صلته فكان حقه تعديه بعلى فالجواب انه ضمن معنى الثبات لان العبادة ذات تكاليف ثقل
من تثبت لها فكانه قيل واثبت لها مصطبرا واستدلوا بهذه الاية على ان فعل العبد خلق الله تعالى

لان فعل العبد حاصل بين السموات والارض وهو رب لكل شي حصل بينهما **قوله** هل تعلم له سميا ادغم
الاخوان وهشام وجماعة لام هل في التا وانشدوا على ذلك بيت مزاحم العقيلي •
• فدع ذا ولكن هتعين متيما على ضوء برق اخر الليل ناصب • **فصل** دل ظاهر الاية
على انه تعالى رتب على الامر بالعبادة والامر بالمصابرة عليها انه لا سمي له والاقرب انه ذكر الاسم
واراد هل تعلم له نظيرا فيما يقتضي العبادة والذي يقتضيها كونه منعما باصول النعم وفروعها
وهي خلق الاجسام والحيوة والعقل وغيرها فانه لا يقدر على ذلك احد سواه سبحانه واذا كان
قد انعم عليك بغاية الانعام وجب ان تعظمه بغاية التعظيم وهي العبادة قال ابن عباس هل تعلم
له مثلا وقال الكلبي ليس له شريك في اسمه وذلك لانهم وان كانوا يطلقون لفظ الاله على الوثن
فما اطلقوا لفظ الله تعالى على شي ثم قال ابن عباس لا يسمى بالرحمن غيره وايضا هل تعلم من سمي باسمه
على الحق دون الباطل لان التسمية على الباطل كلا تسمية لانها غير معتد بها والقول الاول اقرب
قوله تعالى ويقول الانسان ايذا ما مت الاية اذا منصوب بفعل مقدر مدلول عليه
بقوله تعالى لسوف اخرج تقديره اذا مت ابعث او احيي ولا يجوز ان يكون العامل فيه اخرج لان
ما بعد لام الابتدا لا يعمل فيما قبلها قال ابو البقا لان ما بعد اللام وسوف لا يعمل فيما قبلهما
كان قال شهاب الدين قد جعل المانع مجموع الحرفين اما اللام فمسلم واما حرف التنفيس فلا مدخل
له في المنع لان حرف التنفيس يعمل ما بعده فيما قبله تقول زيدا ساضرب وسوف اضرب ولكن فيه
خلاف ضعيف والصحيح الجواز وانشدوا عليه •
• فلما رأته امنا هان وجدها • وقالت ابونا هكذا سوف يفعل • فهكذا منصوب بيفعل
بعد حرف التنفيس وقال ابن عطيه واللام في قوله لسوف مجلوبة على الحكاية لكلام مقدم بهذا
المعنى كان قائلا قال للكافر اذا مت يا فلان لسوف تخرج حيا فقرر الكلام على الكلام على جهة
الاستبعاد وكرر اللام حكاية للقول الاول قال ابو حيان ولا يحتاج الى هذا التقدير ولا ان هذا
حكاية لكلام تقدم بل هو من كلام الكافر وهو استفهام فيه معنى الجحد والاستبعاد وقال الزمخشري
لام الابتدا الداخلة على المضارع تعطي معنى الحال فكيف جامعت حرف الاستقبال قلت لم
تجامعها الا مخلصة للتوكيد كما اخلصت الهمزة في يا الله للتعويض واضمحل عنها معنى التعريف قال
ابو حيان وما ذكر من ان اللام تعطي الحال مخالف فيه فعلى مذهب من لا يرى ذلك يسقط السوال
واما قوله كما اخلصت الهمزة فليس ذلك الا على مذهب من يزعم ان اصله الاه واما من يزعم
ان اصله لاه فلا يكون الهمزة فيه للتعويض اذ لم يحذف منه شي ولو قلنا ان اصله الاه وحذفت
فا الكلمة لم يتعين ان الهمزة فيه في الندا للتعويض اذ لو كانت عوضا من المحذوف لثبتت دائما
في الندا وغيره ولما جاز حذفها في الندا قالوا يا الله بحذفها وقد نصوا على ان همزة الوصل في الندا
شاذ وقرا الجمهور ايذا بالاستفهام وهو استبعاد كما تقدم وقرا ابن ذكوان بخلاف عنه وجماعة
اذا بهمزة واحدة على الخبر او الاستفهام وحذف اداته للعلم بها ولدلالة القراة الاخرى عليها وقرا
طلحة بن مصرف لساخرج بالسين دون سوف هذا نقل الزمخشري عنه وغيره نقل عنه سا خرج دون
لام ابتدا وعلى هذه القراة يكون العامل في الظرف نفس اخرج ولا يمنع حرف التنفيس على
الصحيح وقرا العامة اخرج مبنيا للمفعول والحسن وابو حيوة اخرج مبنيا للفاعل وحيا حال
موكدة لان من لازم خروجه ان يكون حيا وهو كقوله ابعث حيا **فصل** لما امر بالعبادة
والمصابرة عليها فكان سايلا سال وقال هذه العبادات لا منفعة فيها في الدنيا واما الاخرة
فقد انكرها قوم فلا بد من ذكر الدلالة على القول بالحشر حتى يظهر فائدة الاشتغال بالعبادة
فلهذا حكى الله تعالى قول منكري الحشر فقال ويقول الانسان الاية قالوا ذلك على سبيل الانكار

والاستبعاد وذكروا في الانسان وجهين احدهما ان يكون المراد الجنس كقوله هل اتى على الانسان
فان قيل كلهم غير قايلين بذلك فكيف يصح هذا القول فالجواب من وجهين الاول ان
هذه المقالة لما كانت موجودة في جنسهم صح اسنادها الى جميعهم كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا
وانما القاتل رجل منهم الثاني ان هذا الاستبعاد موجود ابتدا في طبع كل احد الا ان بعضهم تركه
للدلالة القاطعة على صحة القول به القول الثاني ان المراد بالانسان شخص معين فقيل ابي بن
خلف الجمحي وقيل ابو جهل وقيل المراد جنس الكفار القايلين بعدم البعث ثم ان الله تعالى اقام
الدلالة على صحة البعث فقال اولا يذكر الانسان الاية قرا نافع وابن عامر وعاصم وجماعة
يذكر مخففا مضارع ذكر والباقون بالتشديد مضارع تذكر والاصل يتذكر فادغمت
التا في الذال وقد قرا بهذا الاصل وهو يتذكر ابي والهمزة في قوله اولا يذكر موخره عن حرف
العطف تقديرا كما هو قول الجمهور وقد رجع الزمخشري الى راي الجمهور هنا فقال الواو عطفت لا يذكر
على يقول وسطت همزة الانكار بين المعطوف وحرف العطف ومذهبه ان يقدر بين حرف العطف
وهمزة الاستفهام جملة يعطف عليها ما بعدها وقد فعل هذا اعني الرجوع الى قول الجمهور في سورة
الاعراف كما نبه عليه في موضعه **قوله** من قبل اي من قبل بعثه وقدره الزمخشري من قبل
الحالة التي فيها وهي حالة بقايه **فصل** قال بعض العلما لو اجتمع كل الخلايق على ايراد حجة
في البعث على هذا الاختصار ما قدروا عليه اذ لا شك ان الاعادة ثانيا اهون من الايجاد اولا ونظيره
قوله تعالى قل يحييها الذي انشاها اول مرة وقوله وهو الذي يبدا الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه
واحتجوا بهذه الاية على ان المعدوم ليس بشي وهو ضعيف لان الانسان عبارة عن مجموع جواهر
متالفة قامت بها اعراض وهذا المجموع ما كان شيا ولكن لم قلت ان كل واحد من تلك الاجزا
ما كان شيا قبل كونه موجودا فان قيل كيف امر الله تعالى الانسان بالتذكر مع ان التذكر هو العلم
بما علمه من قبل ثم تخللها سهو فالجواب المراد اولا يتفكر فيعلم خصوصا اذا قري اولا يذكر بالتشديد
اما اذا قري اولا يذكر مخففا فالمراد اولا يعلم ذلك من حال نفسه لان كل احد يعلم انه لم يكن حيا في
الدنيا ثم صار حيا ثم انه تعالى لما قرر المطلوب بالدليل اردفه بالتهديد فقال فوربك لنحشرنهم
والشياطين اي نجمعهم في المعاد يعني المشركين المنكرين للبعث مع الشياطين وذلك انه يحشر كل كافر
مع شيطان في سلسلة وفايدة القسم امران احدهما ان العادة جارية بتاكيد الخبر باليمين والثاني
ان في اقسام الله تعالى باسمه مضافا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع منه لشانه كما رفع من
شان السما والارض في قوله فورب السماء والارض انه لحق والواو في والشياطين يجوز ان يكون للعطف
وبمعنى مع وهي بمعنى مع اوقع والمعنى انهم يحشرون مع قرنايهم من الشياطين الذين اغووهم ثم لنحضرنهم
حول جهنم اي نحضرهم على اذل صورة لقوله جثيا لان البارك على ركبتيه صورته صورة الذليل
او صورة العاجز فان قيل هذا المعنى حاصل للكل لقوله وترى كل امة جاثية ولان العادة جارية
بان الناس في مواقف مطالبات الملوك يتجاثون على ركبهم لما في ذلك من القلق او لما يدهمهم من
شدة الامر التي لا يطيقون معها القيام على ارجلهم واذا كان هذا حاصلا للكل فكيف يدل على مزيد
ذل الكفار فالجواب لعل المراد انهم يكونون من وقت الحشر الى وقت الحضور في الموقف على هذه الحال
وذلك موجب لمزيد ذلهم **قوله** جثيا حال مقدرة من مفعول لنحضرنهم وجثيا جمع جاث جمع
على فعول نحو قاعد وقعود وجالس وجلوس وفي الاية لغتان احديهما الواو والاخرى اليا يقال
جثا يجثو جثوا وجثا يجثي جثاية فعلى التقدير الاول يكون اصله جثوو بواوين الاولى زايدة علامة
علامة للجمع والثانية لام الكلمة ثم اعلت اعلال عصي ودلي وتقدم تحقيقه في عتيا وعلى الثاني
يكون الاصل جثويا فاعل اعلال هين وميت وعن ابن عباس انه بمعنى جماعات جماعات جمع جثوه

وهو المجموع من التراب والحجارة وفي صحته عنه نظر من حيث ان فعلة لا تجمع على فعول ويجوز في جثيا
ان يكون مصدرا على فعول واصله كما تقدم في حال كونه جمعا اما جثوو واما جثوي وقد تقدم ان
الاخوين يكسران فاءه والباقون بضمونها والجثو القعود على الركب **قوله** ثم لننزعن من كل شيعة
اي لنخرجن من كل امة واهل دين من الكفار والشيعة فعلة كفرقة ومنه الطايفة التي شاعت
اي تبعت غاويا من الغواة قال تعالى ان الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعا والمعنى انه تعالى
يحضرهم اولا حول جهنم ثم يميز البعض من البعض فمن كان اشدهم تمردا في كفره خص بعذاب عظيم
لان عذاب الضال المضل يجب ان يكون فوق عذاب من يضل تبعا لغيره وليس عذاب من يتمرد
ويتجبر كعذاب المقلد ومعنى الاية انه ينزع من كل فرقة من كان اشد عتوا وتمردا ليعلم ان عذابه
اشد وفايدة هذا التمييز التخصيص بشدة العذاب لا التخصيص باصل العذاب فلذلك قال
في جميعهم ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا ولا يقال اولى الا مع اشتراكهم في العذاب **قوله**
ايهم اشد فيه اقوال كثيرة اظهرها عند جمهور المعربين وهو مذهب سيبويه ان ايهم موصولة
بمعنى الذي وان حركتها حركة بناء بنيت عند سيبويه لخروجها عن النظاير واشد خبر مبتدا مضمر
والجملة صلة لايهم وايهم وصلتها في محل نصب مفعولا بها بقوله لننزعن ولاي احوال اربعة اضلا
تبنى فيها وهي كما في هذه الاية ان تضاف ويحذف صدر صلتها ومثله قول الاخر

اذا ما اتيت بني مالك فسلم على ايهم افضل

بضم ايهم وتفاصيلها مقررة في كتب النحو وزعم الخليل
رحمه الله ان ايهم هنا مبتدا واشد خبره وهي استفهاميه والجملة محكية بالقول مقدر والتقدير
لننزعن من كل شيعة المقول فيهم ايهم اشد وقوى الخليل تخريجه بقول الشاعر

ولقد ابيت من الفتاة بمنزل فابيت لا حرج ولا محروم

قال تقديره فابيت يقال في لا حرج
ولا محروم وذهب يونس الى انها استفهامية مبتدا وما بعدها خبرها كقول الخليل الا انه
زعم انها معلقة لننزعن فهي في محل نصب لانه يجوز التعليق في ساير الافعال ولا يخصه بافعال
القلوب كما يخصه بها الجمهور وقال الزمخشري ويجوز ان يكون النزع واقعا على من كل شيعة كقوله
ووهبنا له من رحمتنا اي لننزعن بعض كل شيعة فكان قايلا قال من هم فقيل ايهم اشد عتيا فجعل
ايهم موصولة ايضا ولكن هي في قوله خبر مبتدا محذوف اي هم الذين هم اشد قال ابو حيان وهذا
تكلف ما لا حاجة اليه وادعا اضمار غير محتاج اليه وجعل ما ظاهره انه جملة واحدة جملتين
وحكى ابو البقا عن الاخفش والكسائي ان مفعول لننزعن من كل شيعة ومن مزيدة قال وهما يجيزان
زيادة من وايهم استفهام اي لننزعن كل شيعة وهذا خالف في المعنى تخريج الجمهور فان تخريجهم
يودي الى التبعيض وهذا يودي الى العموم الا ان تجعل من لابتدا الغاية لا للتبعيض فيتفق
التخريجان وذهب الكسائي الى ان معنى لننزعن لننادين فعومل معاملته فلم يعمل في اي
قال المهدوي ونادي معلق اذا كان بعده جملة نصب فيعمل في المعنى ولا يعمل في اللفظ
وقال المبرد ايهم متعلق بشيعة فلذلك ارتفع والمعنى من الذين تشايعوا ايهم اشد
كانهم يتبادرون الى هذا ويلزمه على هذا ان يقدر مفعولا لننزعن محذوفا وقدر بعضهم
في قول المبرد من الذين تعاونوا فنظروا ايهم قال النحاس وهذا قول حسن وقد حكى الكساي
تشايعوا بمعنى تعاونوا قال شهاب الدين وفي هذه العبارة المنسوبة للمبرد قلق ولا يتبين التاويل
عنه وجه الرفع على ما ذا يكون وبينه ابو البقا لكن جعل ايهم فاعلا لما تضمنته شيعة من معنى
الفعل قال التقدير لننزعن من كل فريق يشيع ايهم وهي على هذا بمعنى الذي ونقل الكوفيون ان
ايهم في الاية بمعنى الشرط والتقدير ان اشتد عتوهم او لم يشتد كما تقول ضربت القوم ايهم غضب
المعنى ان غضبوا او لم يغضبوا وقرا طلحة بن مصرف ومعاذ بن مسلم الهرا استاذ الفرا وزايدة عن

الاعمش ايهم نصبا فعلى هذه القراءة والتي قبلها ينبغي ان يكون مذهب سيبويه جواز اعرابها وبنايها وهو المشهور عند النقلة عنه وقد نقل عنه انه حتم بناها قال النحاس ما علمت احدا من النحويين الا وقد خطا سيبويه قال وسمعت ابا اسحاق الزجاج يقول ما تبين لي ان سيبويه غلط في كتابه الا في موضعين هذا احدهما قال وقد اعرب سيبويه ايا وهي مفردة لانها مضافة فكيف يبنيها مضافة وقال الجرمي خرجت من البصرة فلم اسمع منذ فارقت الخندق الى مكة احدا يقول لاضربن ايهم قايم بالضم بل ينصب **قوله** على الرحمن متعلق باشد وعتيا منصوب على التمييز وهو محول عن المبتدا اذ التقدير ايهم هو عتوه اشد ولا بد من محذوف يتم به الكلام التقدير فنلقيه في العذاب او فنبدا بعذابه قال الزمخشري فان قلت بم يتعلق على والبا فان تعلقهما بالمصدر لا سبيل اليه قلت هما للبيان لا للصلة او يتعلقان بافعل اي عتوهم اشد على الرحمن وصليهم اولى بالنار كقولهم هو اشد على خصمه وهو اولى بكذا يعني بعلى قوله على الرحمن وبالبا قوله بالذين هم وقوله بالمصدر يعني بهما عتيا وصليا واما كونه لا سبيل اليه فلان المصدر في نية الموصول ولا يتقدم معمول الموصول عليه وجوز بعضهم ان يكون عتيا وصليا في هذه الاية مصدرين كما تقدم وجوز ان يكونا جمع عات وصال فانتصابهما على هذا على الحال وعلى هذا يجوز ان يتعلق على والبا بهما لزوال المحذور المذكور قال المفسرون معنى قوله ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا اي احق بدخول النار يقال صلي يصلى صليا مثل لقي يلقى لقيا وصلى يصلي صليا مثل مضى يمضي مضيا اذا دخل النار وقاسى حرها **قوله تعالى** وان منكم الا واردها الاية الواو في وان فيها وجهان احدهما انها عاطفة هذه الجملة على ما قبلها وقال ابن عطية وان منكم الا واردها قسم والواو يقتضيه ويفسره قول النبي صلى الله عليه وسلم من مات له ثلاث من الولد لم تمسه النار الا تحلة القسم واراد بالقسم قوله تعالى وان منكم الا واردها قال ابو حيان وذهل عن قول النحويين انه لا يستغنى عن القسم بالجواب لدلالة المعنى الا اذا كان الجواب باللام او بان والجواب هنا على زعمه بان النافية فلا يجوز حذف القسم على ما نصوا وقوله والواو يقتضيه يدل على انها عنده واو القسم ولا يذهب نحوي الى ان مثل هذه الواو واو قسم لانه يلزم من ذلك حذف المجرور وابقا الجار ولا يجوز ذلك الا ان وقع في شعر او نادر كلام بشرط ان يقوم صفة المحذوف مقامه كما اولوا في قولهم نعم السير على بيس العير اي على عير بيس العير وقول الشاعر • والله ما ليلي بنايم صاحبه • اي برجل نام صاحبه وهذه الاية ليست من هذا الضرب اذ لم يحذف المقسم وقامت صفته مقامه وان حرف نفي ومنكم صفة لمحذوف تقديره وان احد منكم ويجوز ان يكون التقدير وان منكم الا من هو واردها وقد تقدم لذلك نظاير والخطاب في قوله منكم يحتمل الالتفات وعدمه قال الزمخشري التفات الى الانسان ويعضده قراءة ابن عباس وعكرمة وان منهم او خطاب للناس من غير التفات الى المذكور والحتم القضا والوجوب حتم اي اوجبه حتما ثم يطلق الحتم على الامر المحتوم لقوله تعالى هذا خلق الله وهذا درهم ضرب الامير وعلى ربك متعلق بحتم لانه في معنى اسم المفعول ولذلك وصفه بمقضيا

فصل المعنى وما منكم الا واردها والورود هو موافاة المكان وقيل القسم فيه مضمر اي والله ما منكم من احد الا واردها واختلفوا في معنى الورود هنا فقال ابن عباس والاكثرون الورود ههنا هو الدخول والكناية راجعة الى النار وقالوا يدخلها البر والفاجر ثم ينجي الله المتقين فيخرجهم منها ويدل على ان الورود هو الدخول قوله تعالى يقدم قومه يوم القيمة فاوردهم النار • وروي ابن عيينة عن عمرو بن دينار ان نافع بن الازرق مارى ابن عباس في الورود فقال ابن عباس هو الدخول وقال نافع ليس الورود الدخول فتلى ابن عباس انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون

ادخلها

ادخلها هو ولا ام لا ثم قال يا نافع اما والله انا وانت سنردها وانا ارجو ان يخرجني الله وما ارى الله مخرجك منها بتكذيبك ويدل عليه ايضا قوله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا اي ننجي من الواردين من اتقى ولا يجوز ان تقول ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا الا والكل واردون والاخبار المروية دالة على هذا القول وهو ما روي ان عبد الله بن رواحة قال اخبر الله تعالى عن الورود ولم يخبر بالصدر فقال عليه السلام يا ابن رواحة اقرا ما بعدها ثم ننجي الذين اتقوا فدل على ان ابن رواحة فهم من الورود الدخول ولم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم ذلك وعن جابر انه سيل عن هذه الاية فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المومنين بردا وسلاما حتى ان للنار ضجيجا من بردها وقيل المراد من تقدم ذكره من الكفار فكنى عنهم اولا كناية الغيبة ثم خاطب خطاب المشافهة قالوا ولا يجوز ان يدخل النار مومن ابدا لقوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اوليك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها والمبعد عنها لا يوصف بانه واردها ولو وردوا جهنم لسمعوا حسيسها وقوله وهم من فزع يومئذ امنون والمراد من قوله وان منكم الا واردها الحضور والروية لا الدخول لقوله ولما ورد ماء مدين اراد الحضور وقال عكرمة الاية في الكفار يدخلونها ولا يخرجون منها وقال ابن مسعود وان منكم الا واردها يعني القيمة والكناية راجعة اليها قال البغوي والاول اصح وعليه اهل السنة انهم جميعا يدخلون النار ثم يخرج الله منها اهل الايمان لقوله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا اي الشرك وهم المومنون والنجاة انما تكون مما دخلت فيه كان على ربك حتما مقضيا اي كان ورودكم جهنم حتما لازما مقضيا قضاه الله عليكم **قوله** ثم ننجي قرا العامة ثم ننجي بضم ثم على انها العاطفة وقرا علي بن ابي طالب وابن مسعود وابن عباس وابي والجحدري ف ويعقوب ثم بفتحها على انها الظرفية ويكون منصوبا بما بعده اي هناك ننجي الذين اتقوا وقرا الجمهور ننجي بضم النون الاولى وفتح الثانية وتشديد الجيم من نجا مضعفا وقرا الكسايي والاعمش وابن محيصن ننجي من انجى والفعل على هاتين القراءتين مضارع وقرات فرقة نجي بنون واحدة مضمومة وجيم مشددة وهو على هذه القراءة ماض مبني للمفعول وكان من حق قاريها ان يفتح اليا ولكنه سكنه تخفيفا وتحتمل هذه القراءة توجيها اخر سيأتي في قراءة متواترة اخر سورة الانبيا وقرا علي بن ابي طالب ايضا ننحي بحاء مهملة من التنحية ومفعول اتقوا اما محذوف مراد للعلم به اي اتقوا الشرك والظلم **قوله** جثيا اما مفعول ثان ان كان نذر يتعدى لاثنين بمعنى نترك ونصير واما حال ان جعلت نذر بمعنى نخليهم وجثيا على ما تقدم وفيها يجوز ان يتعلق بنذر وان يتعلق بجثيا ان كان حالا ولا يجوز ذلك فيه ان كان مصدرا ويجوز ان يتعلق بمحذوف على انه حال من جثيا لانه في الاصل صفة لنكرة قدم عليها فنصب حالا

فصل اختلفوا في انه كيف يندفع عن المتقين ضرر النار اذا وردوها على القول بان الورود هو الدخول فقيل البقعة المسماة بجهنم لا يمتنع ان يكون في خلالها ما لا نار فيه واذا كان كذلك لم يمتنع ان يدخل الكل في جهنم ويكون المومنون في تلك المواضع الخالية عن النار والكفار في وسط النار وعن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض اليس وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي خامدة وقيل ان الله تعالى يخمد النار فيعبرها المومنون وتنهار بالكافرين قال ابن عباس يردونها كانها اهالة وقيل ان الله تعالى يجعل النار الملاصقة لابدان المومنين بردا وسلاما كما جا في الحديث المتقدم وكما في حق ابرهيم عليه السلام وكما في الكوز الواحد من الما يشربه القبطي فيكون دما ويشربه الاسرايلي فيكون ما عذبا وفي الحديث تقول النار للمومن جز يا مومن فقد اطفا نورك لهبي وعن مجاهد في قوله

تعالى وان منكم الا واردها قال من حم من المسلمين فقد وردها وفي الخبر الحمى كير من جهنم وهي حظ المومن من النار واعلم انه لا بد من احد هذه الوجوه في الملايكة الموكلين بالعذاب حتى يكونوا في النار مع المعاقبين فان قيل اذا لم يكن على المومنين عذاب في دخولهم فما الفايدة في ذلك الدخول فالجواب ان ذلك مما يزيدهم سرورا اذا علموا الخلاص منه وايضا فيه مزيد غم على اهل النار حيث يظهر فضيحتهم عند من كان يخوفهم من النار فما كانوا يلتفتون اليه وايضا ان المومنين اذا كانوا معهم في النار يكونوا يزداد غم الكفار وسرور المومنين وايضا فان المومنين كانوا يخوفونهم بالحشر والنشر ويستدلوا على ذلك فما كانوا يقبلون تلك الدلايل فاذا دخلوا جهنم معهم اظهروا لهم انهم كانوا صادقين فيما قالوه وان المكذبين بالحشر والنشر كانوا كاذبين وايضا انهم اذا شاهدوا ذلك العذاب صار سببا لمزيد التذاذهم بنعيم الجنة على ما قال •

• وبضدها تتبين الاشيا • **قوله تعالى** واذا تتلى عليهم اياتنا بينات الاية لما اقام الحجة على مشركي قريش المنكرين للبعث واتبعه بالوعيد حكى عنهم انهم عارضوا حجة الله بكلام فقالوا لو كنتم انتم على الحق وكنا على الباطل لكان حالكم في الدنيا احسن من حالنا لان الحكيم لا يليق به ان يوقع اولياه المخلصين في الذل واعداه المعرضين عن خدمته في العز والراحة ولما كان الامر بالعكس فان الكفار كانوا في النعمة والراحة والاستعلا والمومنين كانوا في ذلك الوقت في الخوف والقلة فدل على ان الحق ليس مع المومنين هذا حاصل شبهتهم وقوله اياتنا بينات اي واضحات وقيل مرتلات وقيل ظاهرات الاعجاز قال الذين كفروا يعني النضر بن الحرث وذويه من قريش للذين امنوا يعني فقرا اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكانت فيهم قشافة وفي عيشتهم خشونة وفي ثيابهم رثاثة وكان المشركون يرجلون شعورهم ويلبسون خير ثيابهم فقالوا للمومنين اي الفريقين خير مقاما منزلا ومسكنا وهو موضع الاقامة واحسن نديا اي مجلسا ومثله النادي **قوله** مقاما قرا ابن كثير مقاما بالضم ورويت عن ابي عمرو وهي قراة ابن محيصن وهو موضع الاقامة والمنزل والباقون بالفتح وفي كلتي القراتين يحتمل ان يكون اسم مكان او اسم مصدر اما من قام الاثيا او من اقام اي خير مكان قيام او اقامة **فصل** قالوا زيد خير من عمرو وشر من بكر ولم يقولوا اخير منه ولا اشر منه لان هاتين اللفظتين كثر استعمالهما فحذفت همزتاهما ولم يثبتا الا في فعل التعجب فقالوا اخير بزيد واشرر بعمرو وما اخير زيدا وما اشر عمرا والعلة في اثباتهما في فعل التعجب ان ابنيت هاتين اللفظتين اسما اكثر من استعمالهما فعلا فحذفت الهمزة في موضع الكثرة وبقيت على اصلها في موضع القلة ثابتة **والندي** فعيلا اصله نديو لان لامه واو يقال ندوتهم اندوهم اي اتيت ناديهم والنادي مثله ومنه فليدع ناديه اي اهل ناديه والندي والنادي مجلس القوم ومتحدثهم وقيل هو مشتق من الندا وهو الكرم لان الكرما يجتمعون فيه وانتديت المكان والمنتدى كذلك وقال حاتم •

• دعيت في اول الندي ولم يُنظر الي باعين خزر • والمصدر الندو ومقاما ونديا منصوبا على التمييز من افعل وقرا ابو حيوه والاعرج وابن محيصن يتلى بالياء من تحت والباقون بالتا من تحت واللام في للذين يحتمل ان يكون للتبليغ وهو الظاهر وان يكون للتعليل **قوله** وكم اهلكنا كم مفعول مقدم واجب التقديم لان له صدر الكلام لانها اما استفهامية او خبرية وهي محمولة على الاستفهامية واهلكنا متسلط على كم اي كثيرا من القرون اهلكنا ومن قرن تمييز لكم مبين لها **قوله** احسن في هذه الجملة وجهان احدهما واليه ذهب الزمخشري وابو البقا انها في محل نصب صفة لكم قال الزمخشري الا ترى انك لو اسقطت هم لم يكن لك بد من نصب احسن على الوصفية وفي هذا نظر لان النحويين نصوا على ان كم الاستفهامية والخبرية لا

توصف ولا يوصف بها الثاني انها في محل جر صفة لقرن ولا بد ورد في هذا وانما جمع في قوله هم لان قرن وان كان لفظه مفردا فمعناه جمع فقرن كلفظ جمع وجميع يجوز مراعاة لفظه تارة فيفرد كقوله تعالى نحن جميع منتصر ومراعاة معناه اخرى فيجمع كقوله تعالى لما جميع لدينا محضرون **فصل** لما ذكروا شبهتهم اجاب الله عنها بقوله وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورئيا اي متاعا واموالا **قوله** ورئيا الجمهور على رئيا بهمزة ساكنة بعدها يا مشددة وصلا ووقفا وحمزة اذا وقف يبدل هذه الهمزة يا على اصله في تخفيف الهمز ثم له بعد ذلك وجهان الاظهار اعتبارا بالاصل والادغام اعتبارا باللفظ وفي الاظهار صعوبة لا تخفى وفي الادغام ابهام انها مادة اخرى وهو الري الذي بمعنى الامتلا والنضارة ولذلك ترك ابو عمرو واصله في تخفيف همزه وقرا قالون عن نافع وابن ذكوان عن ابن عامر وريا بيا مشددة بعد الرا فقيل هي مهموزة الاصل ثم ابدلت الهمزة يا وادغمت والرءي بالهمز قيل من روية العين وفعل فيه بمعنى مفعول اي مرئي وقيل من الرواء وحسن المنظر وقيل بل هو من الري ضد العطش وليس مهموز الاصل والمعنى احسن منظرا لان الري والامتلا احسن من ضديهما ومعناه الارتوا من النعمة فان المتنعم يظهر فيه ارتوا النعمة والفقير يظهر عليه ذبول الفقر وقرا حميد وابو بكر عن عاصم في رواية الاعشى وريئا بيا ساكنة بعدها همزة وهو مقلوب من رئيا في قراة العامة ووزنه فلع وهو من راه يراه كقول الشاعر • وكل خليل راني فهو قايل • من اجلك هذا هامة اليوم او غد • في القلب من القلب ما فيه وروى اليزيدي قراة وريا بيا بعدها الف بعدها همزة وهي من المراءاة اي يرى بعضهم حسن بعض ثم خفف الهمزة الاولى بقلبها يا وهو تخفيف قياسي وقرا ابن عباس ايضا في رواية طلحة وريا بيا فقط مخففة ولها وجهان احدهما ان يكون اصلها كقراة قالون ثم خفف الكلمة بحذف احدى اليايين وهي الثانية لان بها حصل الثقل ولانها لام الكلمة والاواخر احرى بالتغيير والثاني ان يكون اصلها كقراة حميد وريئا بالقلب ثم نقل حركة الهمزة الى اليا قبلها وحذف الهمزة على قاعدة تخفيف الهمزة بالنقل فصار وريا كما ترى وتجاسر بعضهم فجعل هذه القراة لحنا وليس اللاحن غيره لخفا توجيهها عليه وقرا ابن عباس ايضا وابن جبير وجماعة وزيا بزاي ويا مشددة والزي البزة الحسنة والالات المجتمعة لانه من زوي كذا يزويه اي يجمعه والمتزين يجمع الاشيا التي تزينه ويظهر زيه **قوله** من كان في الضلالة من يجوز ان يكون شرطية وهو الظاهر وان تكون موصولة ودخلت الفا في الخبر لما تضمنه الموصول من معنى الشرط وقوله فليمدد فيه وجهان احدهما انه طلب على بابه ومعناه الدعا والثاني لفظه لفظ الامر ومعناه الخبر قال الزمخشري اي مد له الرحمن بمعنى امهله فاخرج على لفظ الامر ايذانا بوجوب ذلك او فمد له في معنى الدعا بان يمهله الله وينفس في مدة حياته **قوله** حتى اذا راوا حتى هذه هي ما تقدم في نظايرها من كونها حرف جر او حرف ابتدا وانما الشان فيما هي غاية له على كلا القولين فقال الزمخشري وفي هذه الاية وجهان الاول ان تكون متصلة بالاية التي هي رابعتها والايتان اعتراض بينهما اي قالوا اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا حتى اذا راوا ما يوعدون اي لا يبرحون يقولون هذا القول ويتولعون به لا يتكافون عنه الى ان يشاهدوا الموعود راي العين فقوله فسيعلمون من هو شر مكانا مذكور في مقابلة قولهم خير مقاما واضعف جندا في مقابلة قولهم واحسن نديا فبين تعالى انهم وان ظنوا في الحال ان منزلتهم افضل من حيث فضلهم الله بالمقام والندي فسيعلمون من بعد ان الامر بالضد من ذلك وانهم شر مكانا فانه لا مكان شر من النار والمناقشة في الحساب واضعف جندا فلقد كانوا يظنون وهم في الدنيا ان اجتماعهم ينفع فاذا راوا ان لا ناصر لهم في الاخرة عرفوا عند ذلك انهم مبطلين فيما ادعوا ثم قال والثاني ان يتصل بما

يليها والمعنى ان الذين في الضلالة ممدود لهم ثم ذكر كلاما طويلا ثم قال الى ان بيابنوا نصره الله المؤمنين او يشاهدوا الساعة ومقدماتها فان قلت حتى هذه ما هي قلت هي التي تحكي بعدها الجمل الا ترى الجملة الشرطية واقعة بعدها وهي اذا راوا ما يوعدون فسيعلمون قال ابو حيان نستبعد للوجه الاول وهو في غاية البعد لطول الفصل بين قوله قالوا اي الفريقين وبين الغاية وفيه الفصل بجملتي اعتراض ولا يجيزه ابو علي وهذا الاستبعاد قريب وقال ابو البقا حتى يحكي ما بعدها هاهنا وليست متعلقة بفعل **قوله** اما العذاب واما الساعة تقدم الكلام في اما من كونها حرف عطف اولا ولا خلاف ان احد معانيها التفصيل كما في الاية الكريمة والعذاب والساعة بدلان من قوله ما يوعدون المنصوب براوا وفسيعلمون جواب الشرط ومن هو شر مكانا يجوز ان يكون من موصولة بمعنى الذي ويكون مفعولا ليعلمون ويجوز ان يكون استفهامية في محل رفع بالابتدا وهو مبتدا ثان وشر خبره والمبتدا والخبر خبر الاول ويجوز ان يكون الجملة متعلقة لفعل الرؤية فالجملة في محل نصب على التعليق **فصل** قال المفسرون مد الرحمن اي امهله واملى له في الامر فاخرج على لفظ الامر ومعناه الخبر اي يدعه في طغيانه ويمهله في كفره حتى اذا راوا ما يوعدون اما العذاب وهو الاسر والقتل في الدنيا واما الساعة يعني القيامة فيدخلون النار وقوله واما الساعة يدل على ان المراد بالعذاب عذاب يحصل قبل يوم القيمة فيحتمل ان يكون المراد به الاسر والقتل كما تقدم ويحتمل ان يكون عذاب القبر ويمكن ان يكون تغير احوالهم من العز الى الذل ومن الغنى الى الفقر ومن الصحة الى المرض ومن الامن الى الخوف فسيعلمون عند ذلك من هو شر مكانا منزلا واضعف جندا اقل ناصرا لانهم في النار والمؤمنون في الجنة وهذا رد عليهم في قولهم اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا **قوله** ويزيد الله في هذه الجملة وجهان احدهما انها لا محل لها لاستينافها فانها سيقت للاخبار بذلك وقال الزمخشري انها معطوفة على موضع فليمدد لانه واقع موقع الخبر تقديره من كان في الضلالة يمد له الرحمن مدا ويزيد اي في ضلالهم بذلك المد قال ابو حيان ولا يصح ان يكون ويزيد معطوفا على فليمدد سوا كان دعا او خبرا بصورة الامر لانه في موضع الخبر ان كانت من موصولة او في موضع الجواب ان كانت من شرطية وعلى كلي التقديرين فالجملة من قوله ويزيد الله الذين اهتدوا هدى عارية من ضمير يعود على من يربط جملة الخبر بالمبتدا او جملة الشرط بالجزا الذي هو فليمدد وما عطف عليه لان المعطوف على الخبر خبر والمعطوف على جملة الجزا جزا واذا كانت اداة الشرط اسما لا ظرفا تعين ان يكون في جملة الجزا ضميره او ما يقوم مقامه وكذا في الجملة المعطوفة عليها وذكر ابو البقا ايضا كما ذكر الزمخشري قال شهاب الدين وقد يجاب عما قاله بانا نختار على هذا التقدير ان يكون من شرطيه وقوله لا بد من ضمير يعود على اسم الشرط غير الظرف ممنوع لان فيه خلافا تقدم تحقيقه ودليله في سورة البقرة فقد يكون الزمخشري وابو البقا من القايلين بانه لا يشترط **فصل** اعلم انه تعالى لما بين انه يمامل الكفار بعد ذلك بما ذكره فلذلك يزيد المومنين المهتدين هدى اي ايمانا وايقانا على يقينهم ومن الناس من حمل زيادة الهدى على الثواب اي يزيدهم ثوابا على ذلك الاهتدا ومنهم من فسر الزيادة بالعبادة المرتبة على الايمان ثم قال والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا قال المحققون هي الايمان والاعمال الصالحة تبقى لصاحبها وبعضهم قال الصلوات وبعضهم قال التسبيح وقد تقدم ثم قال خير عند ربك ثوابا وخير مردا عاقبة ومرجعا ولا يجوز ان يقال هذا خير الا والمراد انه خير من غيره فالمراد اذا انه خير مما ظنه الكفار بقولهم خير مقاما واحسن نديا **قوله تعالى** افرايت الذي كفر باياتنا الاية افرايت عطف بالفا ايذانا بافادة التعقيب كانه قيل اخبر ايضا

بنقمة

ل

بنقمة هذا الكافر عقيب قصة اوليك وارايت بمعنى اخبرني كما تقدم والموصول هو المفعول الاول والثاني هو الجملة الاستفهامية من قوله اطلع الغيب ولاوتين جواب قسم مضمر والجملة القسمية كلها في محل نصب بالقول وقوله هنا وولدا وفي اخر السورة وقالوا اتخذ الرحمن ولدا ومنها ان دعوا وفي الزخرف ان كان للرحمن ولد وفي نوح ماله وولده قرا الاخوان الاربعة بضم الواو وسكون اللام ووافقهما ابن كثير وابو عمرو على الذي في نوح دون السورتين والباقون وهم نافع وابن عامر وعاصم قراوا ذلك كله بفتح اللام والواو فاما القراة بفتحتين فواضحة وهو اسم مفرد قايم مقام الجمع واما قراة الضم والاسكان فقيل هي كالتي قبلها في المعنى يقال ولد وولد كما يقال عرب وعرب وعدم وعدم وقيل بل هي جمع لولد نحو اسد واسد وانشدوا على ذلك ولقد رايت معاشرا قد ثمروا مالا وانشد واشاهدا على ان الولد والولد مترادفان قول الاخر

فليت فلانا كان في بطن امه وليت فلانا كان ولد حمار

وقرا عبد الله ويحيى بن يعمر وولدا بكسر الواو وهي لغة في الولد ولا يبعد ان يكون هذا من باب الذبح والرعي فيكون ولد بمعنى مولود ولذلك في الذي بفتحتين نحو القبض بمعنى المقبوض **قوله** اطلع هذه همزة استفهام سقط من اجلها همزة الوصل وقد قرى بسقوطها درجا وكسرها ابتدا على ان همزة الاستفهام قد حذفت لدلالة ام عليها كقوله

لعمرك ما ادري وان كنت داريا بسبع رمين الجمر ام بثمان

واطلع من قولهم اطلع فلان الجبل اي ارتقى علاه قال جرير

لاقيت مطلع الجبال وعورا

فالغيب مفعول به لا على اسقاط حرف الجر اي على الغيب كما زعم بعضهم **فصل** لما استدل على صحة البعث واورد شبهة المنكرين واجاب عنها ذكر عنهم ما قالوه استهزا وطعنا في القول بالحشر فقال افرايت الذي كفر باياتنا قال الحسن نزلت في الوليد بن المغيرة والمشهور انها نزلت في العاص بن وايل قال خباب بن الارث كان لي عليه دين فاتيته اتقاضاه فقال لا والله لا اقضيك حتى تكفر بمحمد فقلت لا والله لا اكفر بمحمد حيا ولا ميتا وفي رواية حتى تموت ثم تبعث قال واني لميت ثم مبعوث قلت نعم فقال انكم تزعمون انكم تبعثون وان في الجنة ذهبا وفضة وحريرا فانا اقضيك ثم فانه سيكون لي مال وولد ثم قال تعالى اطلع الغيب قال ابن عباس انظر في اللوح المحفوظ وقال مجاهد اعلم علم الغيب حتى يعلم افي الجنة هو ام لا والمعنى ان الذي ادعى حصوله لا يتوصل اليه الا باحد هذين الطريقين اما علم الغيب واما عهد من عالم الغيب فبايهما توصل اليه قيل العهد كلمة الشهادة وقال قتادة عملا صالحا قدمه فهو يرجوا بذلك ما يقول وقال الكلبي عهد اليه ان يدخله الجنة كلا رد عليه اي انه لم يفعل ذلك **قوله** كلا للنحويين في هذه اللفظة ستة مذاهب احدها وهو مذهب جمهور البصريين كالخليل وسيبويه وابي الحسن الاخفش وابي العباس انها حرف ردع وزجر وهذا معنى لايق بها حيث وقعت في القران وما احسن ما جات في هذه الاية حيث زجرت وردعت ذلك القايل والثاني وهو مذهب النضر بن شميل انها حرف تصديق بمعنى نعم فيكون جوابا ولا بد حينيذ من ان يتقدمها شي لفظا او تقديرا وقد يستعمل في القسم والثالث وهو مذهب الكسايي وابي بكر بن الانباري ونصر بن يوسف وابن واصل انها بمعنى حقا والرابع وهو مذهب ابي عبد الله محمد بن الباهلي انها رد لما قبلها وهذا قريب من معنى الردع الخامس انها صلة في الكلام بمعنى اي كذا قيل وفيه نظر فان اي حرف جواب ولكنه مختص بالقسم السادس انها حرف استفتاح وهو قول ابي حاتم ولتقرير هذه المذاهب موضوع يليق به وقد قرى هنا بالفتح والتنوين في كلا هذه ويروى عن ابي نهيك وحكى الزمخشري هذه القراة واعزاها لابن نهيك في قوله كلا سيكفرون كما سياتي وتحكى ايضا قراة بضم الكاف والتنوين ويعزيها لابن نهيك ايضا فاما قوله ابن نهيك فليس هو ابن نهيك انما هو ابو نهيك بالكنية وفي قراة الفتح والتنوين اربعة اوجه احدها انه منصوب بفعل

ووالده

المصدر بفعل مقدر من لفظها تقديره كلّوا كلًّا اي اعيوا عن الحق اعياء او كلّوا عن عبادة الله لتهاونهم
بها من قول العرب كلّ السيف اذا نبا عن الضرب وكلّ زيد اي تعب وقيل المعنى كلّوا في دعواهم
وانقطعوا والثاني انه مفعول به بفعل مقدر من معنى الكلام تقديره حملوا كلًّا والكلّ ايضا الثقل
تقول فلان كلّ على الناس ومنه قوله تعالى وهو كلّ على مولاه والثالث ان التنوين بدل من الف كلا
وهي التي يراد بها الردع والزجر فيكون حرفا ايضا قال الزمخشري ولقائل ان يقول ان صحت هذه
الرواية فهي كلا التي للردع قلب الواقف عليها الفها نونا كما في قوله قواريرا قال ابو حيان وهذا
ليس بجيد لانه قال التي للردع والتي للردع حرف ولا وجه لقلب الفها نونا وتشبيهه بقواريرا ليس
بجيد لان قواريرا اسم رجع به الى اصله فالنون ليس بدلا من الف بل هو تنوين الصرف وهذا
الجمع مختلف فيه أيتحتم منع صرفه ام يجوز قولان وسنقول ايضا ان لغة بعض العرب يصرفون ما لا ينصرف
فهذا القول انما على قول من لا يرى بالتحتم او على تلك اللغة والرابع انه نعت لآلهة قاله ابن عطية
وفيه نظر اذ ليس المعنى على ذلك وقد يظهر له وجه ان يكون وصف الالهة بالكلّ الذي هو المصدر
بمعنى الاعياء والعجز كانه قيل آلهة كالّين اي عاجزين منقطعين ولما وصفهم بالمصدر وحده وروى
ابن عطية والداني وغيره عن ابي نهيك انه قرأ كُلًّا بضم الكاف والتنوين وفيها تاويلان احدها
ان ينتصب على الحال اي سيكفرون جميعا كذا قدره ابو البقاء واستبعده والثاني انه منصوب
بفعل مقدر اي يرفضون اي يجحدون او يتركون كلًّا قاله ابن عطية وحكى ابن جرير ان ابا نهيك
قرأ كلٌّ بضم الكاف ورفع اللام منونة على انه مبتدأ والجملة الفعلية بعده خبره وظاهر عبارة هولاء
انه لم يقرأ بذلك الا في كلا الثانية وقرأ علي بن ابي طالب ونُمِدّ من امدّ وقد تقدم القول في مدّه
وامدّه **قوله** ونرثه ما يقول يجوز في ما وجهان احدهما ان يكون مفعولا بها والضمير في نرثه منصوب
على اسقاط الخافض تقديره ونرث منه ما يقوله والثاني ان يكون بدلا من الضمير في نرثه بدل
الاشتمال وقدّر بعضهم مضافا قبل الموصول اي نرثه معنى ما يقول او مسمى ما يقول وهو المال والولد
لان نفس القول لا يورث **قوله** فردا حال اما مقدرة نحو فادخلوها خالدين او مقارنة وذلك
مبني على الاختلاف في معنى الاية **فصل** سنكتب سنحفظ ما يقول فنجازيه في الاخرة وقيل
نامر الملايكة حتى يكتبوا ما يقول ونمد له من العذاب مدا اي نزيده عذابا فوق العذاب
وقيل نطيل عذابه ونرثه ما يقول اي ما عنده من المال والولد باهلاكنا اياه وابطال
ملكه وقوله ما يقول لانه زعم ان له مالا وولدا اي لا نعطيه ونعطي غيره فيكون الارث راجعا
الى ما تحت القول لا الى نفس القول وقيل معنى قوله ونرثه ما يقول اي نحفظ ما يقول حتى
نجازيه به ويأتينا فردا يوم القيامة بلا مال ولا ولد **قوله** واتخذوا من دون الله الهة
الاية لما تكلم في مسألة الحشر والنشر تكلم الان في الرد على عباد الاصنام فقال واتخذوا من
دون الله الهة يعني كفار قريش اتخذوا الاصنام الهة يعبدونها ليكونوا لهم عزا اي منعة
بحيث يكونون لهم شفعاء وانصارا ينقذونهم من الهلاك ثم اجاب الله تعالى بقوله كلا ليس الامر
كما زعموا سيكفرون بعبادتهم اي كلهم سيكفرون بعبادة هذه الاوثان **قوله** سيكفرون يجوز
ان يعود الضمير على الالهة لانه اقرب مذكور ولان الضمير في يكونون ايضا عايدا عليهم فقط
ومثله واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم ثم قال فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون قيل اراد بذلك
الملايكة لانهم يكفرون بعبادتهم ويتبرأون منهم ويخاصمونهم وهو المراد من قوله اهؤلاء اياكم
كانوا يعبدون وقيل ان الله يحيي الاصنام يوم القيمة حتى يوبخوا عبادها ويتبرأوا منهم فيكون
ذلك اعظم لحسرتهم وقيل الضمير يعود على المشركين ومثله قوله والله ربنا ما كنا مشركين الا ان فيه
عدم توافق الضماير اذ الضمير في يكونون عايد على الالهة وبعبادتهم مصدر مضاف الى فاعله ان

عاد

عاد الضمير في عبادتهم على المشركين العابدين والى المفعول ان عاد على الالهة **قوله** ضدا انما
وحّده وان كان خبرا عن جمع لاحد وجهين اما لانه مصدر في الاصل والمصادر موحدة مذكرة
واما لانه مفرد في معنى الجمع قال الزمخشري والضد العون وحّد توحيد قوله عليه السلام وهم يد
على من سواهم لاتفاق كلمتهم وانهم كشيء واحد لفرط تضامّهم وتوافقهم والضد العون والمعاونة
ويقال من اضدادكم اي اعوانكم قيل وسمي العون ضدا لانه يضاد من يعاديك وينافيه باعانته
لك عليه وفي التفسير ان الضد هنا الاعداء وقيل القرن وقيل البلاء وهذه تناسب معنى الاية
قيل ذكر ذلك في مقابلة قولهم عزا والمراد ضد العز وهو الذل والهوان اي يكونون عليهم ضدا
لما قصدوه وارادوه كانه قيل ويكونون عليهم ذلا لهم **قوله** الم تر انا ارسلنا الاية لما ذكر حال
هولاء الكفار مع الاصنام في الاخرة ذكر بعده حالهم مع الشياطين في الدنيا وانهم يتولونهم وينقادون
لهم فقال الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين احتج اهل السنة بهذه الاية على ان الله تعالى
سلطهم عليهم لارادة ان يستولوا عليهم وتاكد هذا بقوله تؤزهم ازا فان معناه لتؤزهم ازا وتاكد
هذا بقوله واستفزز من استطعت منهم بصوتك قال القاضي حقيقة اللفظ توجب انه تعالى ارسل
الشياطين الى الكافرين الكفار كما ارسل الانبياء بان حملهم رسالة يؤدونها اليهم ولا يجوز في تلك الرسالة الا
ما ارسل عليه الشياطين من الاغواء فكان يجب في الكفار ان يكونوا بقبولهم من الشياطين مطيعين وذلك
كفر من قايله ولان من العجب تعلق المجبرة بذلك لان عندهم ان ضلالهم من قبله تعالى خلق فيهم الكفر وقدرة
الكفر فلا تاثير لما يكون من الشياطين واذا بطل حمل اللفظ على ظاهره فلا بد من التاويل فنحمله على انه
تعالى خلى بين الشياطين وبين الكفار وما منعهم من اغوايهم وهذه التخلية يسمى ارسالا في سعة اللغة كما
اذا لم يمنع الرجل كلبه من دخول بيت جيرانه يقال ارسل كلبه علينا وان لم يرد اذى الناس وهذه التخلية
وان كان فيها تشديد للمحنة عليهم فهم متمكنون بان لا يقبلوا منهم ويكونون ثوابهم على ترك القبول اعظم
والدليل عليه قوله تعالى وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم
قال ابن الخطيب وهذا لا يمكن حمله على ظاهره فان قوله الشياطين لو ارسلهم الله تعالى الى الكفار
لكان الكفار مطيعين له بقبول قول الشياطين قلنا الله تعالى ما ارسل الشياطين الى الكفار بل ارسلهم
عليهم والارسال عليهم هو التسليط لارادة ان يصير مستوليا عليه فاين هذا من الارسال اليه وقوله
ضلال الكافر من قبل الله تعالى فاي تاثير للشيطان فيه قلنا لم لا يجوز ان اسماع الشياطين اياه تلك
الوسوسة يوجب في قلبه الضلال بشرط سلامة فهم السامع لان كلام الشيطان من خلق الله تعالى
فيكون ذلك الضلال الحاصل في قلب الكافر منتسبا الى الشيطان والى الله تعالى من هذين الوجهين
وقوله لم لا يجوز ان يكون المراد بالارسال التخلية قلنا كما خلى بين الشياطين والكفرة فقد خلى بينهم وبين
الانبياء ثم انه تعالى خص الكافر بانه ارسل الشياطين عليه فلا بد من فايدة زايدة ههنا ولان قوله
تؤزهم ازا اي تحركهم تحريكا شديدا فالمعنى من ذلك الارسال يوجب ان يكون ذلك الاز مرادا لله
تعالى اذ تحصل المقصود منه **قوله** ازا مصدر موكد والاز والازيز والهز والاستفزاز قال
الزمخشري اخوات وهو التهيج وشدة الازعاج اي تغريهم على المعاصي وتهيجهم لها بالوساوس قال
ابن عباس تؤزهم ازا اي تزعجهم في المعاصي ازعاجا من الطاعة الى المعصية والاز ايضا شدة الصوت
ومنه ازّ المرجل ازا وازيزا اي غلا واشتد غليانه حتى سمع له صوت وفي الحديث فكان له ازيز
للجذع حين فارقه النبي صلى الله عليه وسلم **قوله** فلا تعجل عليهم اي لا تعجل بطلب عقوبتهم يقال عجلت
عليه بكذا اذا استعجلته منه انما نعد لهم عدا قال الكلبي يعني الليالي والايام والشهور والاعوام وقيل
الانفاس التي يتنفسونها في الدنيا الى الاجل الذي اجل لتعذيبهم وقيل نعد انفاسهم واعمالهم
فنجازيهم على قليلها وكثيرها وقيل نعد الاوقات اي وقت الاجل المعين لكل احد الذي لا يتطرق

اليه الزيادة والنقصان **قوله** يوم نحشر منصوب بسيكفرون او بيكونون عليهم ضدا او بنعد لان
نعد تضمن معنى المجازاة او بقوله لا يملكون الذي بعده او بمضمر وهو اذكر او احذر وقيل هو معمول
لجواب سوال مقدر كانه قيل متى يكون ذلك فقيل يكون يوم نحشر وقيل تقديره يوم نحشر ونسوق نفعل
نفعل بالفريقين ما لا يحيط به الوصف **قوله** وفدا نصب على الحال وكذلك وردا والوفد الجماعة
الوافدون يقال وفد يفد وفدا ووفودا ووفادة اي قدم على سبيل التكرمة فهو في الاصل مصدر
ثم اطلق على الاشخاص كالضيف وقال ابو البقا وفد جمع وافد مثل راكب وركب وصاحب وصحب
وهذا الذي قاله ليس مذهب سيبويه لان فاعلا لا يجمع على فعل عند سيبويه واجازه الاخفش فاما
ركب وصحب فاسما جمع لا جمع بدليل تصغيرها على الفاظها قال ٭ اخشى رجلا وركيبا عاديا ٭
فان قيل لعل ابا البقا اراد الجمع اللغوي فالجواب انه قال بعد قوله هذا والورد اسم
لجمع وارد فدل على انه قصد الجمع صناعة المقابل لاسم الجمع والورد اسم للجماعة العطاش الواردين للما
وهو في الاصل ايضا مصدر اطلق على الاشخاص يقال ورد الما يرده ورودا وورد اقال الشاعر
٭ ردي ردي ورد قطاة صما كدرية اعجبها برد الما ٭ وقال ابو البقا هو اسم لجمع وارد وقيل
هو بمعنى وارد وقيل هو محذوف من وارد وهو بعيد يعني انه يجوز ان يكون صفة على فعل وقرا
الحسن والجحدري يحشر المتقون ويساق المجرمون على ما لم يسم فاعله **فصل** قال المفسرون اذكر
لهم يا محمد اليوم الذي يجمع فيه من اتقى الله في الدنيا بطاعته الى الرحمن الى جنته وفدا اي جماعات جمع
وافد مثل راكب وركب وصاحب وصحب وقال ابن عباس ركبانا وقال ابو هريرة على الابل وقال
علي بن ابي طالب ما تحشرون والله على ارجلهم ولكن على نوق رحالها الذهب ونجايب سرجها يواقيت
ان هموا بها سارت وان هموا طارت ونسوق المجرمين الكافرين الى جهنم وردا اي مشاة وقيل عطاشا
قد تقطعت اعناقهم من العطش وقوله ونسوق المجرمين يدل على انهم يساقون الى النار باهانة واستخفاف
كانهم عطاش تساق الى الما والورد العطاش وحقيقة الورد المسير الى الما فسمي به الواردون **فصل**
طعن الملحد في قوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن فقالوا هذا انما يستقيم ان لو كان الحشر عند غير
الرحمن فهذا الكلام لا ينتظم واجاب المسلمون بان التقدير يوم نحشر المتقين الى محل كرامة الرحمن
قوله لا يملكون في هذه الجملة وجهان اظهرهما انها مستانفة سيقت للاخبار بذلك والثاني انها في
محل نصب على الحال مما تقدم وفي هذه الواو قولان احدهما انها علامة للجمع ليست ضميرا البتة وانما
هي علامة كهي في لغة اكلوني البراغيث والفاعل من اتخذ لانه في معنى الجمع قاله الزمخشري وفيه بعد
وكانه قيل لا يملك الشفاعة الا المتخذون عهدا قال ابو حيان ولا ينبغي حمل القران على هذه اللغة
القليلة مع وضوح جعل الواو ضميرا وقد قال الاستاذ ابو الحسن بن عصفور انها لغة ضعيفة قال
شهاب الدين قد قالوا ذلك في قوله عموا وصموا كثير منهم واسروا النجوى الذين ظلموا فلهذا الموضع بهما
اسوة ثم قال ابو حيان وايضا فالالف والواو والنون التي تكون علامات لا ضماير لا يحفظ ما يجي
بعدها فاعلا الا بصريح الجمع وصريح التثنية او العطف اما ان ياتي بلفظ مفرد ويطلق على
جمع او مثنى فيحتاج في اثبات مثل ذلك الى نقل واما عود الضماير مثناة او مجموعة على مفرد في اللفظ
يراد به المثنى والمجموع فمسموع معروف في لسان العرب على انه يمكن قياس هذه العلامات على تلك
الضماير ولكن لا احوط ان لا يقال الا بسماع والثاني ان الواو ضمير وفيما يعود عليه حينئذ اربعة
اوجه احدها انها تعود على الخلق جميعهم لدلالة ذكر الفريقين المتقين والمجرمين عليهم عليهم اذ هما قسماه
والثاني انه يعود على المتقين والمجرمين وهذا لا يظهر مخالفته للاول اصلا لان هذين القسمين
هما الخلق كله والثالث انه يعود على المتقين فقط او المجرمين فقط وهو تحكم **قوله** الا من اتخذ
هذا الاستثنا يترتب على عود الواو على ما ذا فان قيل بانها تعود على الخلق او على الفريقين المذكورين

او على المتقين فقط فالاستثنا حينئذ متصل وفي محل المستثنى الوجهان المذكوران اما الرفع على البدل
واما النصب على اصل الاستثنا وان قيل انه يعود على المجرمين فقط كان استثنا منقطعا وفيه حينئذ
اللغتان المشهورتان لغة الحجاز التزام النصب ولغة تميم جوازه مع جواز البدل كالمتصل وجعل
الزمخشري هذا الاستثنا من الشفاعة على حذف مضاف تقديره لا يملكون الشفاعة الا شفاعة
من اتخذ فيكون نصبه على وجهين البدل واصل الاستثنا نحو ما رايت احدا الا زيدا وقال بعضهم
ان المستثنى منه محذوف والتقدير لا يملكون الشفاعة لاحد الا لمن اتخذ عند الرحمن عهدا
فحذف المستثنى منه للعلم به فهو كقول الاخر ٭
٭ نجا سالم والنفس منه بشدقه ولم ينج الا جفن سيف ومئزرا ٭ اي ولم ينج بشي وجعل ابن عطية
الاستثنا متصلا وان عاد الضمير في لا يملكون على المجرمين فقط على ان يراد بالمجرمين الكفرة والعصاة
من المسلمين قال شهاب الدين ولا بعد فيه وكما استبعد اطلاق المجرمين على العصاة كذلك يستبعد
غيره اطلاق المتقين على العصاة بل اطلاق المجرم على العاصي اشهر من اطلاق المتقي عليه **فصل**
قال بعضهم لا يملكون ان يشفعوا لغيرهم كما يملك المومنون وقال اخرون لا يملك غيرهم ان يشفع لهم
وهذا اولى لان الاول يجري مجرى ايضاح الواضح واذا ثبت ذلك دلت الاية على حصول الشفاعة
لاهل الكباير لانه قال عقيبه الا من اتخذ عند الرحمن عهدا والتقدير لا يشفع الشافعون الا لمن اتخذ
عند الرحمن عهدا يعني للمومنين كقوله لا يشفعون الا لمن ارتضى فكل من اتخذ عند الرحمن عهدا وجب
دخوله فيه وصاحب الكبيرة اتخذ عند الرحمن عهدا وهو التوحيد فيجب دخوله فيه ويوكده ما روي
ابن مسعود انه عليه السلام قال لاصحابه ذات يوم ايعجز احدكم ان يتخذ عند كل صباح ومسا عند الله
عهدا قالوا وكيف ذلك قال يقول كل صباح ومسا اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة
اني اعهد اليك باني اشهد ان لا اله الا انت وحدك لا شريك لك وان محمدا عبدك ورسولك فانك
ان تكلني الى نفسي تقربني من الشر وتباعدني من الخير واني لا اثق الا برحمتك فاجعل لي عهدا توفينيه
يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد فاذا قال ذلك طبع الله بطابع ووضع تحت العرش فاذا كان يوم
القيمة نادى مناد اين الذين لهم عند الرحمن عهدا فيدخلون الجنة فظهر ان المراد من العهد كلمة الشهادة
وظهر وجه الدلالة على ثبوت الشفاعة لاهل الكباير **قوله تعالى** وقالوا اتخذ الرحمن ولدا
تقدم خلاف القرا في قوله ولدا بفتح اللام وسكونها وانهما لغتان مثل العرب والعرب والعجم والعجم
واعلم انه لما رد على عبدة الاوثان عاد الى الرد على من اثبت له ولدا وقالت اليهود عزير
ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت العرب الملايكة بنات الله والمراد هنا
الرد على الذين قالوا الملايكة بنات الله وهم العرب الذين يعبدون الاوثان لان الرد
على النصارى تقدم اول السورة **قوله** لقد جيتم شيا ادا العامة على كسر الهمزة من ادا وهو الامر
العظيم المنكر المتعجب منه قاله ابن عباس وقال مجاهد عظيما منه وقرا امير المومنين والسلمي
بفتحها وخرجوه على حذف مضاف اي شيا ذا اد لان الاد بالفتح مصدر يقال اده الامر وادني
يودني ادا اي اثقلني وقال ابو حيان ذكر ان الاد والاد بفتح الهمزة وكسرها هو العجب وقيل
هو العظيم المنكر والادة الشدة وعلى قوله ان الاد والاد بمعنى واحد ينبغي ان لا يحتاج الى حذف
مضاف الا ان يريد انه اراد بكونهما بمعنى العجب في المعنى لا في المصدرية وعدمها والاد في
كلام العرب الدواهي **قوله** تكاد قرا نافع والكسائي بالياء من تحت والباقون بالتاء من فوق
وهما واضحتان اذ التانيث مجازي وكذلك في سورة الشورى وقرا ابو عمرو وابن عامر وابو بكر
عن عاصم وحمزة ينفطرن مضارع انفطر لقوله تعالى اذا السما انفطرت والباقون يتفطرن
مضارع تفطر بالتشديد في هذه السورة وقراها حمزة وابن عامر بالياء والتاء وتشديد الطا

والباقون على اصولهم في هذه السورة فتلخص من ذلك ان ابا عمرو وابا بكر يقران بالياء والنون
في السورتين وان نافعا وابن كثير والكسائي وحفصا عن عاصم يقرون بالياء والتاء وتشديد الطاء
فيهما وان حمزة وابن عامر في هذه السورة بالياء والنون وفي الشورى بالياء والتاء وتشديد الطاء
فالانفطار من فطره اذا شقه والتفطر من فطره اذا شققه وكرر فيه الفعل قال ابو البقاء وهو هنا
اشبه بالمعنى اي التشديد وينفطرن في محل خبر تكاد وزعم الاخفش ان كاد هنا بمعنى الارادة وانشد
كادت وكدت وتلك خير ارادة • لو عاد من زمن الصبابة ما مضى • **فصل** يقال انفطر
الشيء وتفطر اي تشقق وقرا ابن مسعود يتصدعن وتنشق الارض اي تخسف بهم والانفطار في السماء
اي تسقط عليهم وتخر الجبال هدا اي تهد هدا بمعنى تنطبق عليهم فان قيل من اين تؤثر القول
باثبات الولد لله في انفطار السموات وانشقاق الارض وخرور الجبال فالجواب من وجوه الاول
ان الله تعالى يقول كدت افعل هذا بالسموات والارض والجبال عند وجود هذه الكلمة غضبا مني
على من تفوه بها لولا حلمي واني لا اعجل بالعقوبة كقوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن
زالتا ان امسكهما من احد من بعده انه كان حليما غفورا الثاني ان يكون استعظاما للكلمة وتهويلا من
فظاعتها وهدمها لاركان الدين وقواعده الثالث ان السموات والارض والجبال تكاد ان تفعل
كذلك لو كانت تعقل من غلظ هذا القول وهذا تاويل ابي مسلم الرابع ان السموات والارض والجبال
كانت سليمة من كل العيوب فلما تكلم بنو ادم بهذا القول ظهرت العيوب فيها **قوله** هدا فيه ثلاثة
اوجه احدها انه مصدر في موضع الحال اي مهدودة وذلك على ان يكون هذا المصدر من هد زيد
الحائط يهده هدا اي هدمه والثاني وهو قول ابي جعفر انه مصدر على غير الصدر لما كان في معنى
لان الخرور السقوط والهدم وهذا على ان يكون من هد الحائط يهد بالكسر اي انهدم فيكون لازما الثالث
ان يكون مفعولا من اجله قال الزمخشري اي لانها تهد **قوله** ان دعوا في محله خمسة اوجه احدها
انه في محل نصب على المفعول من اجله قاله ابو البقاء والحوفي ولم يبينا ما العامل فيه ويجوز ان يكون
العامل تكاد او تخر او هدا اي تهد لان دعوا ولكن شرط النصب هنا مفقود وهو اتحاد الفاعل في
المفعول له والعامل فيه فان عنينا انه على اسقاط اللام وسقوط اللام مطرد مع ان فقريب وقال
الزمخشري وان يكون منصوبا بتقدير سقوط اللام وافضاء الفعل على الخرور او الهد والهد بدعاء
الولد للرحمن فهذا تصريح منه بانه على اسقاط الخافض وليس مفعولا له من تكا الوجه الثاني ان يكون
مجرورا بعد اسقاط الخافض كما هو مذهب الخليل والكسائي والثالث انه بدل من الضمير في منه
كقوله • على حالة لو ان في القوم حاتما • على جوده لضن بالماء حاتم • بجر حاتم الاخير بدلا من الهاء في
جوده قال ابو حيان وهو بعيد لكثرة الفصل بين البدل والمبدل منه بجملتين الوجه الرابع ان
يكون مرفوعا بهدا قال الزمخشري ان هدها دعاء الولد للرحمن قال ابو حيان وفيه بعد لان
الظاهر في هدا ان يكون مصدرا توكيدا والمصدر التوكيدي لا يعمل ولو فرضناه غير توكيدي لا يعمل
بقياس الا ان كان امرا او مستفهما عنه نحو ضربا زيدا واضربن زيدا على خلاف فيه واما ان كان خبرا
كما قدره الزمخشري اي هدها دعاء الولد للرحمن فلا ينقاس بل ما جاء من ذلك هو نادر كقول امري القيس
• وقوفا بها صحبي على مطيهم • يقولون لا تهلك اسى وتجمل • اي وقف صحبي الخامس انه خبر مبتدا
محذوف تقديره الموجب لذلك دعاؤهم كذا قدره ابو البقاء ودعا يجوز ان يكون بمعنى سمى
فيتعدى لاثنين ويجوز جر ثانيهما بالباء قال الشاعر • يعمل
• دعتني اخاها ام عمرو ولم اكن • اخاها ولم ارضع لها بلبان • دعتني اخاها بعد ما كان بيننا • من الفعل ما لا
وقول الاخر • الا رب من يدعى نصيحا وان تغب • تجده بغيب منك غير نصيح • والمفعول الثاني في
الاية محذوف قال الزمخشري طلبا للعموم والاحاطة بكل ما يدعى له ولدا ويجوز ان يكون من دعا

الاخوان

بمعنى

بمعنى نسب الذي مطاوعه ما في قوله عليه السلام من ادعى الى غير مواليه وقول الشاعر
• انا بني نهشل لا ندعي لاب عنه • ولا هو بالابناء يشرينا • اي لا ينتسب اليه وينبغي مضارع
انبغى وانبغى مطاوع لبغى اي طلب وان تتخذ فاعله وقد عدا ابن مالك ينبغي في الافعال التي لا تتصرف
وهو مردود عليه فانه قد سمع فيه الماضي قالوا انبغى وكرر لفظ الرحمن تنبيها على انه تعالى
هو الرحمن وحده لان اصول النعم وفروعها ليست الا منه **فصل** قال ابن عباس وكعب
فزعت السموات والارض والجبال وجميع الخلائق الا الثقلين وكادت ان تزول وغضبت الملائكة
واستعرت جهنم حين قالوا لله ولد ثم نفى الله عن نفسه الولد فقال وما ينبغي للرحمن ان يتخذ
ولدا اي ما يليق به اتخاذ الولد لان ذلك محال اما الولادة المعروفة فلا مقالة في امتناعها واما
التبني فان الولد لا بد وان يكون شبيها بالوالد ولا شبيه لله تعالى ولان اتخاذ الولد انما يكون لاغراض
اما من سرور او استعانة او ذكر جميل وكل ذلك لا يصح في الله تعالى **قوله** ان كل من في السموات
والارض يجوز في من ان يكون نكرة موصوفة وصفتها الجار بعدها ولم يذكر ابو البقاء غير ذلك
وكذلك الزمخشري الا ان ظاهر عبارته يقتضي ان لا يجوز غير ذلك فانه قال من موصوفة فانها وقعت
بعد كل نكرة اشبهت وقوعها بعد رب في قوله • رب من انضجت غيظا صدره • انتهى ويجوز ان
تكون موصولة قال ابو حيان اي ما كل الذي في السموات وكل يدخل على الذي لانها تاتي للجنس كقوله
تعالى والذي جا بالصدق وصدق به ونحوه • وكل الذي حملتني اتحمل • يعني انه لا بد من تاويل الموصول
بالعموم حتى تصح اضافة كل اليه ومتى اريد به معهود بعينه تخصص واستحال اضافة كل اليه وآت
الرحمن خبر كل جعل مفردا حملا على لفظها ولو جمل لجاز وقد تقدم اول الكتاب انها متى اضيفت
لمعرفة جاز الوجهان وقد تكلم السهيلي في ذلك فقال كل اذا ابتديت وكانت مضافة لفظا يعني
لمعرفة فالاحسن الا افراد الخبر حملا على المعنى تقول كلكم ذاهب اي كل واحد منكم ذاهب هكذا
هذه المسالة في القران والحديث والكلام الفصيح فان قلت في قوله وكلهم اتيه انما هو حمل
على اللفظ لانه اسم مفرد قلنا بل هو اسم للجمع واسم الجمع لا تخبر عنه بافراد تقول القوم ذاهبون
ولا يقول ذاهب وان كان لفظ القوم لفظ المفرد وانما حسن كلكم ذاهب لانهم يقولون كل
واحد منكم ذاهب فكان الافراد مراعاة لهذا المعنى قال ابو حيان وتحتاج كلكم ذاهبون
ونحوه الى سماع ونقل عن العرب تقرير ما قاله السهيلي قال شهاب الدين وتسمية الافراد
حملا على المعنى غير الاصطلاح بل ذلك حمل على اللفظ والجمع هو الحمل على المعنى وقال ابو البقا
ووحد اتي حملا على لفظ كل وقد جمع في موضع اخر حملا على معناها قال شهاب الدين
قوله في موضع اخر ان عنى في القران فلم يات الجمع الا وكل مقطوعة عن الاضافة نحو كل
في فلك يسبحون وكل اتوه داخرين وان عنى في غيره فيحتاج الى سماع عن العرب كما تقدم
والجمهور على اضافة ات الى الرحمن وقرا عبد الله بن الزبير وابو حيوة وطلحة وجماعة تنوينه
ونصب الرحمن وانتصب عبدا وفردا على الحال **فصل** المعنى ان كل معبود من الملائكة
في السموات وفي الارض من الناس الا ياتي الرحمن يلتجي الى ربوبيته عبدا منقادا مطيعا ذليلا
خاضعا كما يفعل العبيد ومنهم من حمله على يوم القيامة خاصة والاول اولى لانه لا تخصيص
فيه لقد احصاهم وعدهم عدا اي عد انفاسهم واياهم واثارهم فكلهم تحت تدبيره وقهره
محيط بهم لا يخفى عليه شيء من امورهم وكلهم اتيه اي كل واحد منهم ياتيه يوم القيامة فردا
وحيدا ليس معه من الدنيا شيء وتبرا المشركون منهم **قوله تعالى** ان الذين امنوا وعملوا
الصالحات الى اخرها لما رد على الكفرة وشرح اقوالهم في الدنيا والاخرة ختم السورة بذكر احوال
المومنين **قوله** ودا العامة على ضم الواو وقرا ابو الحرث الحنفي بفتحها وجناح بن حبيش بكسرها

بكسرها فيحتمل ان يكون المفتوح مصدرا والمضموم والمكسور اسمين قال المفسرون سيجعل لهم الرحمن محبة قال مجاهد يحبهم الله ويحببهم الى عباده المؤمنين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا احب الله العبد قال لجبريل قد احببت فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في اهل السما ان الله قد احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يوضع له القبول في الارض واذا ابغض العبد قال مالك لا احسبه الا قال في البغض مثل ذلك واعلم ان في سيجعل اما لان السورة مكية وكان المؤمنون حينئذ ممقوتين من الكفرة فوعدهم الله ذلك اذا جا الاسلام والمعنى سيحدث لهم في القلوب مودة واما ان يكون ذلك يوم القيمة يحببهم الى خلقه بما يظهر من حسناته وروي عن كعب قال مكتوب في التورية لا محبة في الارض حتى يكون ابتداوها من الله تعالى ينزلها على اهل السما ثم على اهل الارض وتصديق ذلك في القران قوله سيجعل لهم الرحمن ودا وقال ابو مسلم معناه يهب لهم ما يحبون والود والمحبة سوا فقال اتيت فلانا محبته وجعلت له وده ومن كلامهم يودي لو كان كذا فالمعنى سيعطيهم الرحمن ودهم اي محبوبهم في الجنة والقول الاول اولى لتفسير الرسول عليه السلام ولان حمل المحبة على المحبوب مجاز قال ابو مسلم القول الثاني اولى لوجوه احدها كيف يصح القول الاول مع علمنا بان المسلم التقي تبغضه الكفار وقد يبغضه كثير من المسلمين وثانيها ان مثل هذه المحبة قد تحصل للكفار والفساق اكثر فكيف يمكن جعله انعاما في حق المؤمنين وثالثها ان محبتهم في قلوبهم من فعلهم لا ان الله تعالى فعله فكان حمل الاية على اعطاء المنافع الاخروية اولى واجيب عن الاول بان المراد يجعل له محبة عند الملائكة والانبيا وعن الثاني ما روي عنه عليه السلام انه حكى عن ربه سبحانه انه قال اذا ذكرني عبدي في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملا ذكرته في ملا اطيب منهم وافضل والكافر والفاسق ليسا كذلك وعن الثالث انه محمول على فعل الالطاف وخلق داعية اكرامه في قلوبهم **قوله** بلسانك يجوز ان يكون متعلقا بمحذوف على انه حال واللسان هنا اللغة اي انزلناه كاينا بلسانك وقيل هي بمعنى على وهذا الا حاجة اليه **قوما لدا** جمع الد وهو الشديد الخصومة كالحمر جمع احمر قال اهل اللغة الالد بل لا يظهر له معنى جمع الالد وهو المعوج في المناظرة الرواغ عن الحق المايل عنه وفي الحديث ان ابغض الرجال الى الله الخصم الالد اي المعوج **فصل** يسرناه سهلناه يعني القران بلسانك يا محمد لتبشر به المتقين يعني المومنين وهذا كلام مستانف بين به عظيم موقع هذه السورة لما فيها من ذكر التوحيد والنبوة والحشر والرد على فرق المبطلين فبين تعالى انه يسر ذلك بلسانه ليبشر وينذر ولولا انه تعالى نقل قصصهم الى اللغة العربية لما تيسر ذلك على الرسول ولما ذكر انه يبشر به المتقين ذكر في مقابلته من هو في مخالفة التقوى ابلغ وهو الالد الذي يتمسك بالباطل ويجادل فيه فقال وتنذر به قوما لدا وهو الشديد في الخصومة وقال مجاهد هو الظالم الذي لا يستقيم وقال ابو عبيدة الالد الذي لا يقبل الحق ويدعي الباطل وقال الحسن الالد الاصم عن الحق ثم ختم السورة بموعظة بليغة فقال وكم اهلكنا قبلهم من قرن لانهم اذا تاملوا وعلموا انه لا بد من زوال الدنيا وانه لا بد فيها من الموت خافوا سوء العاقبة في الاخرة فكانوا الى الحذر من المعاصي اقرب ثم اكد تعالى ذلك فقال هل تحس منهم من احد قرا الناس تحس بضم التا وكسر الحا من احس وقرا ابو حيوة وابو جعفر وابن ابي عبلة تحس بفتح التا وضم الحا وقرا بعضهم تحس بالفتح والكسر من حسه اي شعر به ومنه الحواس الخمس **منهم** حال من احد اذ هو في الاصل صفة له ومن احد مفعول زيدت فيه من وقرا حنظلة تسمع بضم التا وفتح الميم مبنيا للمفعول وركزا مفعول على كلتي القرائتين الا انه مفعول ثان في القراة الشاذة **والركز** الصوت الخفي دون نطق بحروف ولا فم ومنه ركز الرمح اي غيب طرفه في الارض واخفاه ومنه الركاز وهو المال المدفون لخفايه

كذا

في مقابلة

واستاره

واستتاره وانشدوا ٠ فتوجست ركز الانيس فراعها عن ظهر غيب والانيس سقامها ٠ **فصل** قال المفسرون هل تحس هل ترى وقيل هل تجد منهم من احد لان الرسول عليه السلام اذا لم يحس منهم احدا برؤية وادراك ووجدان ولا يسمع لهم ركزا اي صوتا خفيا دل ذلك على انقراضهم وفنايهم بالكلية قال الحسن بادوا جميعا فلم يبق منهم عين ولا اثر روى الثعلبي عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة مريم اعطي من الاجر بعدد من صدق بزكريا ويحيى وعيسى وموسى وهارون وابرهيم واسحق ويعقوب واسمعيل عشر حسنات وبعدد من دعى لله ولدا وبعدد من لم يدع له ولدا

سورة طه مكية

وهي مايه وخمس وثلاثون اية وعدد كلماتها الف وثلاث مايه واحدى واربعون كلمة وعدد حروفها خمسة الاف ومايتان واثنان واربعون حرفا ٠ عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعطيت السورة التي ذكرت فيها البقرة من الذكر الاول واعطيت طه والطواسين من الواح موسى واعطيت فواتح القران وخواتم السورة التي ذكرت فيها البقرة من تحت العرش واعطيت المفصل نافلة ٠ بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى طه قرا ابو عمرو بفتح الطا وكسر الها وكسرهما جميعا حمزة والكسائي وابو بكر والباقون بفتحهما قال الزجاج ويقرا طه بفتح الطا وسكون الها وكلها لغات قال الزجاج من فتح الطا والها فلان ما قبل الالف مفتوح ومن كسر الطا والها امال الى الكسر لان الحرف مقصور والمقصور يغلب عليه الامالة الى الكسر **فصل** قد تقدم الكلام في الحروف المقطعة اول الكتاب وفي هذه ههنا قولان الصحيح انها من ذلك وقيل انه مفيد فقال الثعلبي طا شجرة طوبى والها الهاوية فكانه اقسم بالجنة والنار وقال سعيد بن جبير هو افتتاح اسمه الطيب الطاهر الهادي وقيل يا مطمع الشفاعة للامة ويا هادي الخلق الى الملة وقيل الطا تسعة في الحساب والها خمسة يكون اربعة عشر ومعناه يا ايها البدر وقيل غير ذلك **فصل** قيل معنى طه يا رجل وهو مروي عن ابن عباس والحسن ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وعكرمة والكلبي ثم قال سعيد بن جبير بالنبطية وقال قتادة بالسريانية وقال عكرمة بالحبشية وقال الكلبي بلغة عك وقيل عكل وقيل هي لغة يمانية وحكى الكلبي انك لو قلت في عك يا رجل لم يجب حتى تقول طه وقال الطبري طه في عك بمعنى يا رجل وانشد قول شاعرهم ٠ دعوت بطه في القتال فلم يجب فخفت عليه ان يكون موايلا ٠ وقول الاخر ٠ ان السفاهة طه في خلايقكم لا قدس الله ارواح الملاعين ٠ قال الزمخشري واثر الصنعة ظاهر في البيت المستشهد به فذكره وقال السدي معناه يا فلان وقال الزمخشري ايضا ولعل عكا تصرفوا في يا هذا كانهم في لغتهم قالبون الياطاء فقالوا في يا طا واختصروا هذا فاقتصروا على ها يعني فكانه قيل في الاية الكريمة يا هذا وفيه بعد كبير واعترض عليه بعضهم فقال لو كان كذلك لوجب ان يكتب اربعة احرف طاها قال ابو حيان ثم تخرص وحزر على عك ما لم يقله نحوي وهو انهم يقلبون يا التي للندا طا فحذفون اسم الاشارة ويقتصرون منه على ها التي للتنبيه وقيل طه اصله طأها بهمز طا امرا من وطي يطا وها ضمير مفعول يعود على الارض ثم ابدل الهمزة لسكونها الفا وحذفها في الامر نظرا الى اصلها اي طا الارض بقدميك وقد جا في الحديث انه قام حتى تورمت قدماه وقرا الحسن وعكرمة وابو حنيفة وورش في اختياره طه باسقاط الالف بعد الطا وها ساكنة وفيها وجهان احدهما ان الاصل طا بالهمز امرا ايضا من وطي يطا ثم ابدل الهمزة ها كابدالهم لها في هرقت وهرحت وهنرت والاصل ارقت وارحت وانرت والثاني انه ابدل الهمزة الفا كانه اخذه من وطي يطا بالبدل كقوله ٠ لا هناك المرتع ٠ ثم حذف الالف حملا للامر على المجزوم وتناسيا لاصل الهمزة ثم الحقها السكت واجرى الوصل مجرى الوقف وقد تقدم في اول يونس الكلام على امالة طا وها **قوله** انزلنا هذه قراة العامة وقرا طلحة

ما نزل مبنيا للمفعول القران رفع لقيامه مقام فاعله وهذه الجملة يجوز ان يكون مستانفة ان جعلت
طه تعديدا للاسما الحروف ويجوز ان يكون خبرا لطه ان جعلتها اسما للسورة ويكون القران ظاهرا واقعا
موقع المضمر لان طه قران ايضا ويجوز ان يكون جواب قسم ان جعلت طه مقسما به وقد تقدم تفصيل
ذلك **فصل** قال الكلبي لما انزل على النبي صلى الله عليه وسلم الوحي بمكة اجتهد في العبادة حتى كان
يراوح بين قدميه في الصلاة لطول قيامه وكان يصلي الليل كله فانزل الله هذه الاية وامره
ان يخفف على نفسه فقال ما انزلنا عليك القران لتشقى وقيل راى المشركون اجتهاده في العبادة
قالوا انك لتشقى حيث تركت دين ابائك اي لتعنى وتتعب وما انزل عليك القران يا محمد الا
لشقائك فنزلت ما انزلنا عليك القران لتشقى واصل الشقا في اللغة العنا وقيل المعنى انك لا
تلام على كفر قومك كقوله لست عليهم بمسيطر وقوله وما انت عليهم بوكيل اي انك لا تواخذ
بذنبهم وقيل ان هذه السورة من اوايل ما نزل بمكة وكان عليه السلام في ذلك الوقت كان مقهورا
تحت ذل الاعدا فكانه تعالى قال لا تظن انك تبقى ابدا على هذه الحالة بل يعلوا امرك ويظهر قدرك
فانا ما انزلنا عليك مثل هذا القران لتبقى شقيا فيما بينهم بل لتصير معظما مكرما **قوله**
الا تذكرة في نصبه اوجه احدها ان يكون مفعولا من اجله والعامل فيه فعل الانزال ولذلك لتشقى
علة له ايضا ووجب مجي الاول مع اللام لانه ليس لفاعل الفعل المعلل ففاتته شريطة الانتصاب
على المفعولية والثاني جاز قطع اللام عنه ونصبه لاستجماعه الشرايط هذا كلام الزمخشري ثم قال
فان قلت هل يجوز ان يقول ما انزلنا ان تشقى كقوله ان تحبط اعمالكم قلت بلى ولكنها نصبه طارية
كالنصبة في واختار موسى قومه واما النصبة في تذكرة فهي كالتي في ضربت زيدا لانه احد المفاعيل الخمسة
التي هي اصول وقوانين لغيرها قال شهاب الدين قد منع ابو البقا ان يكون مذكرة مفعولا له لانزلنا
المذكورة لانها قد تعدت الى مفعول له وهو لتشقى فلا يتعدى الى اخر من جنسه وهذا المنع ليس
بشي لانه يجوز ان يعلل الفعل بعلتين فاكثر وانما هذا بنا منه على انه لا يقتضي العامل من هذه
الفضلات الا شيا واحدا الا بالبدلية او العطف الثاني ان يكون تذكرة بدلا من محل لتشقى وهو راي
الزجاج وتبعه ابن عطيه واستبعده ابو جعفر ورده الفارسي بان التذكرة ليست بشقا وهو رد
واضح وقد اوضح الزمخشري هذا فقال فان قلت هل يجوز ان يكون تذكرة بدلا من محل لتشقى قلت
لا لاختلاف الجنسين ولكنها نصب على الاستثنا المنقطع الذي الا فيه بمعنى لكن قال ابو حيان يعني
باختلاف الجنسين ان نصب تذكرة نصبه صحيحة ليست بعارضة والنصبة التي تكون في لتشقى
بعد نزع الخافض نصبه عارضة والذي يقول انه ليس له محل البتة فيتوهم البدل منه قال شهاب الدين
ليس مراد الزمخشري باختلاف الجنسين الا ما نقل عن الفارسي ردا على الزجاج واي اثر لاختلاف
النصبتين في ذلك الثالث ان يكون نصبا على الاستثنا المنقطع اي لكن انزلناه تذكرة الرابع انه
مصدر موكد لفعل مقدر اي لكن ذكرنا او تذكرة انت تذكرة قيل التقدير ما انزلنا عليك القران
لتحمل متاعب التبليغ الا ليكون تذكرة كما يقال ما شافهناك بهذا الكلام لتتاذى الا ليعتبر غيرك
الخامس انه مصدر في موضع الحال اي الا مذكرا السادس انه بدل من القران ويكون القران هو التذكرة
قاله الحوفي السابع انه مفعول له ايضا ولكن العامل فيه لتشقى ويكون المعنى كما قال الزمخشري انا انزلنا
عليك القران لتحمل متاعب التبليغ ومقاولة العتاة من اعدا الاسلام ومقاتلتهم وغير ذلك من انواع
المشاق وتكاليف النبوة وما انزلنا عليك هذا المتعب الشاق الا ليكون تذكرة وعلى هذا الوجه يجوز
ان يكون تذكرة حالا ومفعولا له انتهى فان قيل من اين احدث انه لما جعله حالا ومفعولا له ان
العامل فيه لتشقى والمانع ان يريد بالعامل فيه فعل الانزال فالجواب ان هذا الوجه قد تقدم
له في قوله وكل واحد من لتشقى وتذكرة علة للفعل وايضا فان تفسيره للمعنى المذكور منصب على

تسلط لتشقى على تذكرة الا ان ابا البقا لما لم يظهر هذا المعنى الذي ظهر للزمخشري منع من عمل لتشقى في
تذكرة فقال ولا يصح ان يعمل فيها لتشقى لفساد المعنى وجوابه ما تقدم ولا عزو في تسمية التعب شقا
قال الزمخشري والشقا يجي في معنى التعب ومنه المثل اتعب من رايض مهر واشقى من رايض مهر
ولمن يخشى متصل بتذكرة وزيدت اللام في المفعول تقوية للعامل لكونه فرعا ويجوز ان يكون متعلقا
بمحذوف على انه صفة لتذكرة وخص من يخشى بالتذكر لانهم المنتفعون بها كقوله هدى للمتقين **قوله**
تنزيلا في نصبه اوجه احدها ان يكون بدلا من تذكرة اذا جعل حالا لا اذا كان مفعولا له لان
الشي لا يعلل بنفسه لانه يصير التقدير ما انزلنا القران الا للتنزيل الثاني ان ينتصب بنزل
مضمرا الثالث ان ينتصب بانزلنا لان معنى ما انزلناه الا تذكرة انزلناه تذكرة الرابع ان ينتصب
على المدح والاختصاص الخامس انه ينتصب بيخشى مفعولا به اي انزله الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله
وهو معنى حسن واعراب بين قال ابو حيان والاحسن ما قدمناه اولا من انه منصوب بنزل مضمرا
وما ذكره الزمخشري من نصبه على غيره فمتكلف اما الاول ففيه جعل تذكرة وتنزيل حالين وهما مصدران
وجعل المصدر حالا لا ينقاس وايضا فمدلول تذكرة ليس مدلول تنزيل ولا تنزيل بعض تذكرة فان كان
بدلا فيكون بدل اشتمال على مذهب من يرى ان الثاني مشتمل على الاول لان التنزيل مشتمل على
التذكرة وغيرها واما قوله لان معنى ما انزلناه الا تذكرة انزلناه تذكرة فليس كذلك لان معنى
الحصر يفوت في قوله انزلناه تذكرة واما نصبه على المدح فبعيد واما نصبه بيخشى ففي غاية البعد
لان يخشى راس اية وفاصلة فلا يناسب ان يكون تنزيلا منصوبا بيخشى وقوله وهو معنى حسن واعراب
بين عجمة وبعد عن ادراك الفصاحة قال شهاب الدين ويكفيه رد الشي الواضح من غير دليل ونسبة
هذا الرجل الى عدم الفصاحة ووجود العجمة **قوله** ممن خلق يجوز ان يتعلق بتنزيلا وان يتعلق
بمحذوف على انه صفة لتنزيلا وفي خلق التفات من تكلم في قوله انزلنا الى الغيبة وجوز الزمخشري ان
يكون ما انزلنا حكاية لكلام جبريل وبعض الملايكة فلا التفات على هذا وقوله **العلا** جمع عليا
نحو دنيا ودنا ونظيره في الصحيح كبرى وكبر وفضلى وفضل يقال سما علياء وسموات علا ومعنى الاية
تنزيلا ممن خلق اي من الله الذي خلق الارض والسموات العلى يعني العالية الرفيعة وفايدة رفع السموات
بالعلا الدلالة على عظم قدرة من يخلق مثلها في علوها وبعد مرتقاها **قوله** الرحمن العامة
على رفعه وفيه اوجه احدها انه بدل من الضمير المستكن في خلق ذكره ابن عطيه ورده ابو حيان
بان البدل يحل محل المبدل منه ولو حل ما محله لم يجز لخلو الجملة الموصول بها من رابط ان يربطها به
الثاني ان يرتفع على خبر مبتدا مضمر تقديره هو الرحمن الثالث ان يرتفع على الابتدا مشارا بلامه
الى من خلق والجملة بعده خبره وقرا جناح بن حبيش الرحمن مجرورا وفيه وجهان احدهما انه بدل
من الموصول لا يقال انه يودي الى البدل بالمشتق وهو قليل لان الرحمن جرى مجرى الجوامد لكثرة
ايلايه العوامل والثاني ان يكون صفة للموصول ايضا قال ابو حيان ومذهب الكوفيين ان الاسما
النواقص كمن وما لا يوصف منها الا الذي وحده فعلى مذهبهم لا يجوز ان يكون صفة قال
ذلك كالراد على الزمخشري والجملة من قوله على العرش استوى خبر لقوله الرحمن على القول بانه مبتدا
او خبر مبتدا مضمر ان قيل انه مرفوع على خبر مبتدا مضمر وكذلك في قراة من جره وفاعل
استوى ضمير يعود على الرحمن وقيل بل فاعله ما الموصولة بعده اي استوى له ما في السموات
قال ابو البقا وقال بعض الغلاة ما فاعل استوى وهذا بعيد ثم هو غير نافع له في التاويل اذ يبقى
قوله الرحمن على العرش كلاما تاما ومنه هرب قال شهاب الدين هذا يروى عن ابن عباس وانه كان
يقف على لفظ العرش ثم يبتدي استوى له ما في السموات وهذا لا يصح عنه **قوله** الثرى هو
التراب الندي ولامه يا بدليل تثنيته على ثريين وقولهم ثريت الارض تثرى ثرى والثرى يستعمل

في انقطاع المودة قال جرير ۝ فلا تنبشوا بيني وبينكم الثرى فان الذي بيني وبينكم مثري ۝
وان الثرا بالمد كثرة المال قال اماوي ما يغني الثراء عن الفتى ۝ اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر
وما احسن قول دريد في قصيدته التي جمع فيها بين الممدود والمقصور باختلاف معنى **فصل**
قال المفسرون معنى له ما في السموات وما في الارض لما شرح ملكه بقوله الرحمن على العرش استوى
والملك لا ينتظم الا بالقدرة والعلم لا جرم عقبه بالقدرة ثم بالعلم اما القدرة ففي هذه الاية
والمعنى انه تعالى مالك لهذه الاقسام الاربعة فهو مالك لما في السموات من ملك ونجم وغيرهما ومالك
لما في الارض من المعادن والفلوات ومالك لما بينهما من الهوى ومالك لما تحت الثرى قال
الضحاك يعني ما وارى الثرى من شي وقال ابن عباس ان الارضين على ظهر النون والنون على بحر وراسه
وذنبه يلتقيان تحت العرش والبحر على صخرة خضرا خضرة السما منها وهي الصخرة التي ذكر الله في قصة
لقمن فتكن في صخرة والصخرة على قرن ثور والثور على الثرى وما تحت الثرى لا يعلمه الا الله عز وجل
وذلك الثور فاتح فاه فاذا جعل الله البحار بحرا واحدا سالت في جوف ذلك الثور فاذا وقعت في
جوفه يبست واما العلم فقوله وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى قال الحسن السر ما اسر الرجل
الى غيره واخفى من ذلك ما اسر في نفسه وعن ابن عباس وسعيد بن جبير السر ما تسر في نفسك واخفى
من السر ما يلقيه الله في قلبك من بعد ولا تعلم انك ستحدث به نفسك لانك تعلم ما تسر اليوم
ولا تعلم ما تسر غدا والله يعلم ما اسررت اليوم وما تسر غدا وقال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس السر
ما اسر ابن ادم في نفسه واخفى ما خفي عليه مما هو فاعله قبل ان يعمله وقال مجاهد السر العمل الذي يسر
من الناس واخفى الوسوسة وقيل السر هو العزيمة واخفى ما يخطر على القلب ولم يعزم عليه وقال زيد
ابن اسلم يعلم السر واخفى اي يعلم اسرار العباد واخفى سره من عباده فلا يعلمه احد **قوله** واخفى
جوزوا فيه وجهين احدهما انه افعل تفضيل اي واخفى من السر والثاني انه فعل ماض اي واخفى الله عن
عباده غيبه كقوله ولا يحيطون به علما **قوله** الله لا اله الا هو الجلالة اما مبتدا والجملة المنفية
خبرها واما خبر لمبتدا محذوف اي هو الله والحسنى تانيث الاحسن وقد تقدم ان جمع التكسير في
غير العقلا يعامل معاملة المونثة الواحدة ولما ذكر صفاته وحد نفسه فقال الله لا اله الا هو له
الاسما الحسنى **فصل** قالوا كلمة لا ههنا دخلت على الماهية واذا انتفت الماهية انتفت كل افرادها
وانما الله اسم علم للذات المعينة اذ لو كان اسم معنى لكان كليا محتملا للكثرة فلم تكن هذه الكلمة مفيدة
للتوحيد وقالوا لا استحقت عمل ان لمشابهتها لها من وجهين الاول ملازمة الاسما والاخر تناقضهما فان
احدهما لتاكيد الثبوت والاخر لتاكيد النفي ومن عادتهم تشبيه الضدين بالاخر في الحكم واذا كان
كذلك فنقول لما قالوا ان زيدا ذاهب كان يقولوا لا رجلا ذاهب الا انهم بنوا لا مع ما دخل عليه
من الاسم المفرد على الفتح اما البنا فلشدة اتصال حرف النفي بما دخل عليه كانهما صارا مفردا واحدا
واما الفتح فلانهم قصدوا البنا على الحركة المستحقة توفيقا بين الدليل الموجب للاعراب والدليل
الموجب للبنا وخبره محذوف تقديره لا اله في الوجود ولا حول ولا قوة لنا وهذا يدل على
ان الوجود زايد على الماهية فان قيل تصور الثبوت مقدم على تصور السلب فان السلب
ما لم يضف الى الثبوت لا يمكن تصوره فكيف قدم هنا السلب على الثبوت فالجواب لما كان
هذا السلب من موكدات الثبوت لا جرم قدم عليه **فصل** ينبغي لاهل لا اله الا الله
ان تحصلوا اربعة اشيا حتى يكونوا من اهل لا اله الا الله التصديق والتعظيم والجلالة والحرمة
فمن ليس له التصديق فهو منافق ومن ليس له التعظيم فهو مبتدع ومن ليس له الجلالة فهو مراي ومن
ليس له الحرمة فهو فاجر **فصل** قال بعضهم قوله الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة
طيبة انه لا اله الا الله اليه يصعد الكلم الطيب لا اله الا الله وتواصوا بالحق لا اله الا الله قل انما

اعظكم بواحدة بلا اله الا الله وقفوهم انهم مسولون عن قول لا اله الا الله بل جا بالحق وصدق
المرسلين هو لا اله الا الله يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا هو لا اله الا الله ويضل
الله الظالمين عن قول لا اله الا الله **فصل** قال عليه السلام افضل الذكر لا اله الا الله وافضل
الدعا استغفر الله ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك
وللمومنين والمومنات وقال عليه السلام ان الله خلق ملكا من الملايكة قبل ان خلق السموات والارض
وهو يقول اشهد ان لا اله الا الله مادا بها صوته لا يقطعها ولا يتنفس فيها ولا يتمها فاذا اتمها
امر اسرافيل بالنفخ في الصور وقامت القيمة تعظيما لله وعن انس قال عليه السلام ما زلت اشفع
الى ربي ويشفعني واشفع اليه ويشفعني حتى قلت يا رب شفعني فيمن قال لا اله الا الله قال يا محمد
هذه ليست لك ولا لاحد وعزتي وجلالي لا ادع احدا في النار قال لا اله الا الله وقال سفين
الثوري سالت جعفر بن محمد عن حمعسق فقال الحا حكمه والميم ملكه والعين عظمته والسين سناوه
والقاف قدرته يقول الله عز وجل بحكمي وملكي وعظمتي وسناي وقدرتي لا اعذب بالنار
من قال لا اله الا الله محمد رسول الله وعن ابن عمر قال عليه السلام من قال في السوق لا اله الا الله
وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شي قدير
كتب الله له الف الف حسنة ومحا عنه الف الف سية وبنا له بيتا في الجنة وروي عن موسى بن
عمران عليه السلام قال يا رب علمني شيا اذكرك به قال قل لا اله الا الله قال كل عبادك يقول لا اله
الا الله فقال قل لا اله الا الله قال انما اردت شيا تخصني به قال يا موسى لو ان السموات السبع
ومن فيهن في كفة ولا اله الا الله في كفة لمالت بهن لا اله الا الله **فصل** قيل ان لله تعالى اربعة
الاف اسم لا يعلمها الا الله والانبيا اما الالف الرابعة فان المومنين يعلمونها فثلاث ماية في التورية
وثلثماية في الانجيل وثلثماية في الزبور وماية في القران تسعة وتسعون منها ظاهرة وواحد مكنون
من احصاها دخل الجنة واعلم ان الاسما الواردة في القران منها ما ليس بانفراده ثنا ومدح كقوله
جاعل وفالق وصانع فاذا قيل فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا صار مدحا واما الاسم الذي
يكون مدحا فمنه ما اذا قرن بغيره صار ابلغ نحو قولنا حي فاذا قيل الحي القيوم او الحي الذي لا يموت
كان ابلغ وايضا بديع فاذا قلت بديع السموات والارض ازداد المدح ومن هذا الباب ما كان اسم
مدح ولكن لا يجوز افراده كقولنا دليل وكاشف فاذا قيل يا دليل المتحيرين ويا كاشف الضر والبلوى
جاز ومنه ما يكون اسم مدح مفردا او مقرونا كقولنا الرحيم الكريم ومن الاسما ما يكون مقارنها اجنبي
كقولك الاول الاخر المبدي المعيد الظاهر الباطن العزيز الحكيم **قوله تعالى** وهل اتاك
حديث موسى الاية لما عظم حال القران وحال الرسول بما كلفه اتبع ذلك بما يقوي قلب رسوله من
ذكر احوال الانبيا تقوية لقلبه في الابلاغ كقوله وكلا نقص عليك من انبا الرسل ما نثبت به فوادك
وبدا بموسى لان فتنته كانت اعظم ليتسلى قلب الرسول عليه السلام بذلك ويصبر على تحمل المكاره **قوله**
وهل اتاك يحتمل ان يكون هذا اول ما اخبر به من امر موسى فقال وهل اتاك اي لم ياتك الى الان فتنبه
له وهذا قول الكلبي ويحتمل ان يكون قد اتاه ذلك في الزمان المتقدم فكانه قال اليس قد اتاك وهذا
قول مقاتل والضحاك عن ابن عباس وهذا وان كان على لفظ الاستفهام الذي لا يجوز على الله تعالى لكن
المقصود منه تقرير الخبر في قلبه وهذه الصورة ابلغ في ذلك كقولك لصاحبك هل بلغك عني كذا فيتطلع
السامع الى معرفة ما يومي اليه ولو كان المقصود هو الاستفهام لكان الجواب يصدر من قبل موسى لا من
قبل الله تعالى **قوله** اذ راى جوزوا ان يكون منصوبا بالحديث وهو الظاهر ويجوز ان ينتصب
باذكر مقدرا قاله ابو البقا او بمحذوف بعده اي اذ راى نارا كان كيت وكيت كما قاله الزمخشري وهل
على بابها من كونها استفهام تقرير وقيل بمعنى قد وقيل بمعنى النفي وقرا الاهل امكثوا بضم الهاء حمزة

وقد تقدم انه الاصل وهو لغة الحجاز وقال ابو القاسم ان الضم للاتباع **قوله** انست اي ابصرت
والايناس الابصار البين ومنه انسان العين لانه يبصر به الاشيا والانس لظهورهم كما قيل الجن لاستتارهم
وقيل هو الوجدان وقيل الاحساس فهو اعم من الابصار وانشد والحرث بن حلزه
* انست نباة وقد روعها القناص وقد دنا الامسا * **والقبس** الجذوة من النار وهي الشعلة
في راس عود او قصبة ونحوهما وهو فعل بمعنى مفعول كالقبض والنقض بمعنى المقبوض والمنقوض ويقال
انست الرجل علما وقبسته نارا ففرقوا بينهما هذا قول الكسائي والمبرد وقال الكسائي ان فعل وافعل
يقالان في المعنيين فيقال قبسته نارا وعلما واقبسته ايضا علما ونارا وقوله منها يجوز ان يتعلق
باتيكم او بمحذوف على انه حال من قبس واما لبعضهم الف هدى وقفا والجيد ان لا تمال لان الالف
انها بدل من التنوين **فصل** قال المفسرون استاذن موسى شعيبا في الرجوع من مدين الى
مصر لزيارة والدته واخيه فاذن له فخرج باهله واخذ على غير الطريق مخافة ملوك الشام فولدت
امراته في ليلة شاتية وكانت ليلة جمعة فالجاه المسير الى جانب الطور الغربي الايمن فقدح زنده
فلم يور فبينما هو في مزاولة ذلك اذ ابصر نارا من بعيد عن يسار الطريق من جانب الطور قال
السدي فظن انها نار من نيران الرعاة وقال اخرون انه عليه السلام راها في شجرة وليس في القران ما
يدل على ذلك وقال بعضهم الذي راه لم يكن نارا بل تخيله نارا والصحيح انه راى نارا ليكون
صادقا في خبره اذ الكذب لا يجوز على الانبيا قيل النار اربعة اقسام نار تاكل ولا تشرب وهي
نار الدنيا ونار تشرب ولا تاكل وهي نار الشجر الاخضر لقوله جعل لكم من الشجر الاخضر نارا ونار تاكل وتشرب وهي نار المعدة ونار
لا تاكل ولا تشرب وهي نار موسى عليه السلام وقيل ايضا النار اربعة احدها نار لها نور بلا حرقة
وهي نار موسى عليه السلام ونار لها حرقة بلا نور وهي نار جهنم ونار لها حرقة ونور وهي نار الدنيا ونار
لا حرقة لها ولا نور وهي نار الاشجار فلما ابصر الاشجار قال لاهله امكثوا يجوز ان يكون هذا الخطاب
للمراة وولدها والخادم ويجوز ان يكون للمراة وحدها خرج على ظاهر لفظ الاهل فان الاهل
يقع على الجمع وايضا فقد تخاطب الواحد بلفظ الجمع تفخيما اي اقيموا في مكانكم اني انست نارا
اي ابصرت نارا والايناس الابصار وقيل ابصار ما يونس به ولما وجد منه الايناس وكان متيقنا
حقيقة لهم اتى بكلمة اني ليوطن انفسهم ولما كان الاتيان بالقبس ووجود الهدى مترقبين متوقعين
بنى الامر فيهما على الرجا والطمع فقال لعلي ولم يقطع فيقول اني اتيكم لئلا يعد ما لم يتيقن الوفا به
والنكتة فيه ان قوما قالوا كذب ابرهيم للمصلحة وهو محال لان موسى عليه السلام قبل نبوته احترز فلم
يقل اني اتيكم بل قال لعلي اتيكم والقبس النار المقتبسة في راس عود او فتيلة او غيرهما او اجد على
النار هدى اي ما يهتدى به وهو اسم مصدر فكانه قال اجد على النار ما اهتدي
به من دليل او علامة ومعنى الاستعلا في النار ان اهل النار يستعلون المكان القريب منها ولان
المصطلين بها اذا احاطوا بها كانهم مشرفين عليها فكانه قال اجد على النار من يدلني فلما اتاها اي النار قال
ابن عباس راى شجرة خضرا من اسفلها الى اعلاها اطافت بها نار بيضا تتقد كاضوء ما يكون فوقف
متعجبا من شدة ضوء تلك النار وشدة خضرة تلك الشجرة فلا النار تغير خضرتها ولا كثرة ما الشجرة
تغير ضوء النار قال ابن مسعود كانت الشجرة سمرة خضرا وقال مقاتل وقتادة والكلبي كانت من العوسج
وقال وهب كانت من العليق وقيل من العناب قال اكثر المفسرين ان الذي راه موسى لم يكن نارا بل
كان نور الرب ذكر بلفظ النار لان موسى عليه السلام حسبه نارا فلما دنا منها سمع تسبيح الملايكة وراى
نورا عظيما قال وهب ظن موسى انها نار اوقدت فاخذ من دقاق الحطب وهو الحشيش اليابس ليقتبس
من لهبها فمالت اليه كانها تريده فتاخر عنها وهابها ثم لم تزل تطمعه ويطمع فيها ثم لم يكن باسرع من
خمودها كانها لم تكن ثم رمى موسى ببصره الى فروعها فاذا خضرتها ساطعة في السما واذا نور بين السما

والارض

والارض له شعاع تكل عنه الابصار فلما راى موسى ذلك وضع يديه على عينيه فنودي يا موسى قال
القاضي الذي يروى من ان الزند ما كان يوري فجايز وما روي من ان النار تاخرت عنه فان كانت
النبوة قد تقدمت له فجايز ذلك والا فهو ممنوع الا ان يكون معجزة لغيره من الانبيا لان قوله وانا
اخترتك فاستمع لما يوحى دليل على انه انما اوحي اليه في هذه الحال وجعله نبيا وعلى هذا يبعد ما
ذكروه من تاخر النار عنه وبين فساد ذلك قوله تعالى فلما اتاها نودي ولو كانت تتاخر عنه
حالا بعد حال لما صح ذلك ولما بقي لفا التعقيب فايدة والجواب ان القاضي انما بنى هذا الاعتراض
على مذهبه في ان الارهاص غير جايز وذلك باطل فبطل قوله واما التمسك بفا التعقيب فتقريبه لان
تخلل الزمان القليل بين المجي والندا لا يقدح في فا التعقيب **قوله** نودي القايم مقام الفاعل
ضمير موسى وقيل ضمير المصدر اي نودي الندا وهو ضعيف ومنعوا ان يكون القايم مقامه الجملة
من يا موسى لان الجملة لا تكون فاعلا **قوله** اني قرا ابن كثير وابو عمرو بالفتح على تقدير البا اي
باني لان الندا يوصل بها تقول ناديته بكذا وانشد الفارسي قول الشاعر
* ناديت باسم ربيعة بن مكرم ان المنوه باسمه الموثوق * وجوز ابن عطية ان يكون بمعنى
لاجل وليس بظاهر والباقون بالكسر اما على اضمار القول كما هو راي البصريين اي فقيل واما لان
الندا في معنى القول عند الكوفيين وقوله اني يجوز ان يكون مبتدا وما بعده خبره والجملة خبر ان
ويجوز ان يكون توكيدا للضمير المنصوب ويجوز ان يكون فصلا **فصل** قال المفسرون لما
نودي يا موسى اجاب سريعا ما يدري من دعاه فقال اني اسمع صوتك ولا ادري مكانك فاين
انت فقال انا فوقك ومعك وامامك وخلفك واقرب اليك من نفسك فعلم ان ذلك لا ينبغي
الا لله عز وجل فايقن به فاخلع نعليك روى ابن مسعود مرفوعا في قوله اخلع نعليك قيل كانت
من جلد حمار ميت ويروى غير مدبوغ وقال عكرمة ومجاهد ليباشر بقدميه تراب الارض
المقدسة فيناله بركتها لانها قدست مرتين فخلعهما والقاهما من ورا الوادي قيل انه عرف ان
المنادي هو الله تعالى لانه راى النار في الشجرة الخضرا بحيث ان تلك الخضرة ما كانت تطفي تلك النار
وتلك النار ما كانت تضر بتلك الخضرة وهذا لا يقدر عليه احد الا الله تعالى **قوله** طوى
قرا الكوفيون وابن عامر طوى بضم الطا والتنوين وقرا الباقون بضمها من غير تنوين وقرا الحسن
والاعمش وابو حيوة وابن محيصن بكسر الطا منونا وابو زيد عن ابي عمرو بكسرها من غير تنوين فمن ضم
ونون فانه صرفه لانه اوله بالمكان ومن منعه فيحتمل اوجها احدها انه منعه للتانيث باعتبار
البقعة والعلمية الثاني انه منعه للعدل الى فعل وان لم يعرف اللفظ المعدول عنه وجعله
كعمر وزفر الثالث انه اسم اعجمي فمنعه للعلمية والعجمة ومن كسر ولم ينون فباعتبار البقعة ايضا فان كان
اسما فهو نظير عنب وان كان صفة فهو نظير عدى وسوى ومن نونه فباعتبار المكان وعن الحسن
البصري انه بمعنى الثنا بالكسر والقصر والثنا المكرر مرتين فيكون معنى هذه القراة انه طهر مرتين
فيكون مصدرا منصوبا بلفظ المقدس لانه بمعناه كانه قيل المقدس مرتين من التقديس وقرا عيسى
ابن عمر والضحاك طاوي اذهب وطوى اما بدل من الوادي او عطف بيان له او مرفوع على اضمار
مبتدا او منصوب على اضمار اعني **فصل** استدلت المعتزلة بقوله اخلع نعليك على ان كلام الله
تعالى ليس بقديم اذ لو كان قديما لكان الله قايلا قبل وجود موسى اخلع نعليك يا موسى ومعلوم
ان ذلك سفه فان الرجل في الدار الخالية اذا قال يا زيد افعل ويا عمرو لا تفعل مع ان زيدا وعمرا
لا يكونان حاضرين يعد ذلك جنونا وسفها فكيف يليق ذلك بالاله سبحانه وتعالى واجيب عن
ذلك بوجهين الاول ان كلامه تعالى وان كان قديما الا انه في الازل لم يكن امرا ولا نهيا الثاني
انه كان امرا بمعنى انه وجد في الازل شي لما استمر الى ما لا يزال صار الشخص به مامورا من غير وقوع التغيير

في ذلك الشي كان القدرة تقتضي صحة الفعل ثم انها كانت موجودة في الازل من غير هذه الصحة
فلما استمرت الى ما لا يزال حصلت الصحة فكذا ههنا وهذا كلام فيه غموض وبحث دقيق فصل
قال بعضهم في الاية دلالة على كراهة الصلاة والطواف في النعل والصحيح عدم الكراهة لانا ان عللنا
الامر بخلع النعلين لتعظيم الوادي وتعظيم كلام الله تعالى كان الامر مقصورا على تلك الصورة وان عللنا
بان النعلين كانتا من جلد حمار ميت غير مدبوغ بان يكون محظورا لبس جلد الحمار الميت وان كان مدبوغا
فان كان ذلك فهو منسوخ بقوله عليه السلام ايما اهاب دبغ فقد طهر وقد صلى النبي صلى الله عليه وسلم
في نعليه ثم خلعهما في الصلاة فخلع الناس نعالهم فلما سلم قال ما لكم خلعتم نعالكم قالوا خلعت فخلعنا قال
فان جبريل عليه السلام اخبرني ان فيهما قذرا فلم يكره النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة في النعل وانكر على
الخالعين خلعها واخبرهم انه انما خلعهما لما فيهما من القذر فصل قال عكرمة وابن زيد طوى
اسم للوادي قال الضحاك طوى واد مستدير عميق مثل الطوي في استدارته وقيل طوى معناه
مرتين نحو ثنى اي قدس الوادي مرتين اي نودي موسى نداين يقال ناديته طوى اي مثنى وقيل طوى اي طيا
قال ابن عباس انه مر بذلك الوادي ليلا فطواه فكان المعنى بالوادي الذي طويته طيا اي قطعته حتى
ارتفعت الى اعلاه ومن ذهب الى هذا قال طوى مصدر خرج عن لفظه كانه قال طويته طوى
كما يقال هدي هدى قوله تعالى وانا اخترتك اي للرسالة والكلام قرا حمزة في لخرتين
وانا اخترناك بفتح الهمزة بضمير المتكلم المعظم نفسه وقرا السلمي والاعمش وابن هرمز كذلك الا انهم كسروا
الهمزة والباقون وانا اخترتك بضمير المتكلم وحده وقرا ابي واني اخترتك بفتح الهمزة فاما قراة حمزة
فعطف على قوله اني انا ربك وذلك انه يفتح الهمزة هناك فيفعل ذلك لما عطف غيرها عليها وجوز ابو
البقا ان يكون الفتح على تقدير ولانا اخترناك فاستمع فعلقه باستمع والاول اولى ومن كسرها فلانه
يقرا اني انا ربك بالكسر وقراة ابي كقراة حمزة بالنسبة للعطف ومفعول اخترتك الثاني محذوف اي
اخترتك من قومك قوله لما يوحى الظاهر تعلقه باستمع ويجوز ان يكون اللام مزيدة في المفعول
على حد قوله تعالى ردف لكم وجوز الزمخشري وغيره ان يكون المسيلة من باب التنازع بين اخترتك
وبين استمع كانه قيل اخترتك لما يوحى فاستمع لما يوحى قال الزمخشري تعلق اللام باستمع او باخترتك
وقد رد ابو حيان هذا بان قال ولا يجوز التعليق باخترتك لانه من باب الاعمال فكان يجب ان يختار
اعادة الضمير مع الثاني فكان يكون فاستمع له لما يوحى فدل على انه من باب اعمال الثاني قال
شهاب الدين والزمخشري عنى التعليق المعنوي من حيث الصلاحية واما تقدير الصناعة فلم يعنه
وما يجوز ان تكون مصدرية وبمعنى الذي اي فاستمع للوحي وللذي يوحى فصل هذه
الاية يدل على ان النبوة لا تحصل بالاستحقاق لان قوله وانا اخترتك يدل على ان ذلك المنصب العالي
انما حصل لان الله تعالى اختاره له ابتدا لا انه يستحقه على الله تعالى وقوله فاستمع لما يوحى اليك
فيه نهاية الهيبة والجلالة كانه قال لقد جاءك امر عظيم فتاهب له واجعل كل عقلك وخاطرك مصروفا
اليه ثم قال انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني ولا تعبد غيري وهذا يدل على ان علم الاصول مقدم
على علم الفروع لان التوحيد من علم الاصول والعبادة من علم الفروع وايضا فالفا في قوله فاعبدني
يدل على ان عبادته انما لزمت لالهيته فصل احتجوا بهذه الاية على انه يجوز تاخير البيان عن
وقت الحاجة من وجهين الاول انه تعالى بعد ان امره بالتوحيد امره بالعبادة ولم يذكر كيفية
العبادة فثبت انه يجوز ورود المجمل منفكا عن البيان الثاني انه قال اقم الصلاة لذكري ولم
يبين كيفية الصلاة قال القاضي لا يمتنع ان موسى عليه السلام قد عرف الصلاة التي تعبد الله
بها شعيبا عليه السلام وغيره من الانبيا فتوجه الخطاب الى ذلك ويحتمل انه تعالى بين له في الحال
وان كان المنقول في القران لم يذكر الا هذا القول واجيب عن الاول بانه لا يتوجه في قوله تعالى

فاعبدني

فاعبدني وايضا فحمل مثل هذا الخطاب العظيم على فايدة جديدة اولى من حمله على امر معلوم لان موسى
عليه السلام ما كان يشك في وجوب الصلاة التي جا بها شعيب عليه السلام فلو حملنا قوله واقم الصلاة
لذكري على ذلك لم يحصل من هذا الخطاب العظيم فايدة زايدة اما لو حملناه على صلاة اخرى لحصلت فايدة
زايدة وقوله لعل الله بينه في ذلك الموضع وان لم يحكه في القران قلنا لا شك ان البيان اكثر فايدة
من المجمل فلو كان مذكورا لكان اولى بالحكاية قوله لذكري يجوز ان يكون المصدر مضافا للفاعل اي
لاني ذكرتها في الكتب او لاني اذكرك ويجوز ان يكون مضافا للمفعول اي لان تذكرني وقيل معناه
ذكر الصلاة بعد نسيانها لقوله عليه السلام من نام عن صلاة او نسيها فليصلها اذا ذكرها قال الزمخشري
وكان حق العبادة لذكرها ثم قال ومن يتمحل له ان يقول اذا ذكر الصلاة فقد ذكر او على حذف
مضاف اي لذكر صلاتي او لان الذكر والنسيان من الله تعالى في الحقيقة وقرا ابو رجا والسلمي الذكرى
بلام التعريف والف التانيث وبعضهم لذكرى منكرة وبعضهم للذكر بالتعريف والتذكير فصل
ذكروا في قوله لذكري وجوها احدها لذكري بمعنى لتذكرني فان ذكري ان اعبد ويصلى لي وثانيها
لتذكرني فيها لاشتمال الصلوة على الاذكار عن مجاهد وثالثها لاني ذكرتها في الكتب وامرت بها
ورابعها لان اذكرك بالمدح والثنا وخامسها لذكري خاصة لا يشوبه ذكر غيري وسادسها لتكون
لي ذاكرا غير ناس فعل المخلصين كقوله لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وسابعها لاوقات ذكري
وهي مواقيت الصلاة لقوله ان الصلاة كانت على المومنين كتابا موقوتا وثامنها اقم الصلاة حين
تذكرها اي انك اذا نسيت صلاة فاقضها اذا ذكرتها قال عليه السلام من نسي صلاة فليصلها اذا ذكرها
لا كفارة لها الا ذلك ثم قرا اقم الصلاة لذكري قال الخطابي هذا الحديث يحتمل وجهين احدهما
لا يكفرها غير قضايها والاخر انه لا يلزمه في نسيانها غرامة ولا كفارة كما تلزم الكفارة في ترك صوم
رمضان من غير عذر وكما يلزم المحرم اذا ترك شيا من نسكه فدية من دم او اطعام انما يصلي ما ترك فقط
فان قيل حق العبادة ان يقول صل الصلوة لذكرها كما قال عليه السلام اذا ذكرها فالجواب
قوله لذكري معناه للذكر الحاصل بخلقي او بتقدير حذف مضاف اي لذكر صلاتي فصل لو فاتته
صلوات يستحب ان يقضيها على ترتيب الادا فلو ترك الترتيب في قضايها جاز عند الشافعي رحمه الله
ولو دخل عليه وقت فريضة وتذكر فايتة فان كان في الوقت سعة استحب ان يبدا بالفايتة ولو
بدا بصلاة الوقت جاز وان ضاق الوقت بحيث لو بدا بالفايتة فاتت صلاة الوقت فيجب البداءة
بصلاة الوقت لئلا تفوت الاخرى ولو تذكر الفايتة بعد ما شرع في صلاة الوقت اتمها ثم قضى الفايتة
ويستحب ان يعيد صلاة الوقت بعدها ولا يجب وقال ابو حنيفة رحمه الله يجب الترتيب
في قضا الفوايت ما لم تزد على صلاة يوم وليلة حتى قال لو تذكر في خلال صلاة الوقت فايتة تركها
اليوم يبطل فرض الوقت فيقضي الفايتة ثم يعيد صلوة الوقت الا ان يكون الوقت ضيقا فلا يبطل
واستدل بالاية والخبر والقياس والاثر اما الاية فقوله اقم الصلاة لذكري اي لتذكرها واللام
بمعنى عند كقوله اقم الصلاة لدلوك الشمس اي عند دلوكها فالمعنى اقم الصلاة عند تذكرها وذلك يقتضي
وجوب الترتيب واما الخبر فقوله عليه السلام من نسي صلاة فليصلها اذا ذكرها والفا للتعقيب
وروي في الصحيحين ان عمر بن الخطاب جا الى النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق فجعل يسب كفار قريش
ويقول يا رسول الله ما صليت العصر حتى كادت الشمس ان تغرب فقال النبي صلى الله عليه وسلم وانا
والله ما صليتها بعد قال فنزل الى بطحان فصلى العصر بعد ما غابت الشمس ثم صلى بعدها المغرب
والاستدلال به من وجهين احدهما انه قال صلوا كما رايتموني اصلي وقد صلى الفوايت على الولا فيجب
علينا اتباعه والثاني ان فعل النبي صلى الله عليه وسلم اذا خرج مخرج البيان للمجمل كان حجة وهذا
الفعل خرج بيانا للمجمل قوله اقيموا الصلاة ولهذا قالوا ان الفوايت اذا كانت قليلة تجب مراعاة

الترتيب فيها فاذا كثرت سقط الترتيب للمشقة واما الاثر فروي عن ابن عمر انه قال من فاته صلاة فلم يذكرها الا في صلاة الامام فليمض في صلاته فاذا قضى صلاته مع الامام يصلي ما فاته ثم ليعيد التي صلاها مع الامام وروي ذلك مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم واما القياس فانهما صلاتا فرض جمعهما وقت واحد في اليوم والليلة فاشبهتا صلاتي عرفة والمزدلفة فلما لم يجب اسقاط الترتيب فيهما وجب ان يكون حكم الفوايت فيما دون اليوم والليلة كذلك واحتج الشافعي رحمه الله بما روى ابو قتادة انهم لما ناموا عن صلاة الفجر ثم انتبهوا بعد طلوع الشمس امرهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يقودوا رواحلهم ثم صلاها ولو كان وقت الصلاة معينا للصلوة لما جاز ذلك فعلمنا ان ذلك الوقت وقت لتقرر الوجوب عليه لكن على سبيل التضييق بل على سبيل التوسع واذا ثبت هذا فنقول ايجاب قضا الفوايت والحاضرة اذا فرض الوقت الخاص يجري مجرى التخيير بين الواجبين فوجب ان يكون المكلف مخيرا في تقديم ايهما شا ولانه لو كان الترتيب واجبا في الفوايت لما سقط بالنسيان الا ترى انه اذا صلى الظهر والعصر بعرفة في يوم غيم ثم تبين انه صلى الظهر قبل الزوال والعصر بعد الزوال فانه يعيدهما جميعا ولم يسقط الترتيب بالنسيان لما كان شرطا فيهما فههنا ايضا لو كان الترتيب شرطا فيهما لما كان يسقط بالنسيان **قوله** ان الساعة اتية اكاد اخفيها لما خاطب موسى عليه السلام بقوله فاعبدني واقم الصلاة لذكري اتبعه بقوله ان الساعة اتية اكاد اخفيها وما اليق هذا اتباعا وقيل من تاول قوله لذكري اي لاذكرك بالاثابة والكرامة فقال عقيب ذلك ان الساعة اتية لانها وقت الاثابة ووقت المجازاة ثم قال اكاد اخفيها العامة على ضم الهمزة من اخفيها وفيها تاويلات احدها ان الهمزة في اخفيها للسلب والازالة اي ازيل خفاها نحو اعجمت الكتاب اي ازلت عجمته واشكيته اي ازلت شكواه ثم في ذلك معنيان احدهما ان الخفا بمعنى الستر ومتى زال سترها فقد اظهرها والمعنى انها لتحقق وقوعها وقربها اكاد اظهرها لولا ما تقتضيه الحكمة من التاخير والثاني ان الخفا هو الظهور كما سياتي والمعنى ازيل ظهورها واذا ازال ظهورها فقد استترت والمعنى اني لشدة ابهامها اكاد اخفيها فلا اظهرها البتة وان كان لابد من اظهارها ولذلك يوجد في بعض المصاحف كمصحف ابي اكاد اخفيها من نفسي فكيف اظهركم عليها وهو على عادة العرب في المبالغة في الاخفا قال

∘ ايام تصحبني هند واخبرها ∘ ما كدت اكتمه عني من الخبر ∘

وكيف تصور كتمانه من نفسه قال القاضي هذا بعيد لان الاخفا انما يصح فيمن يصح له الاظهار وذلك مستحيل عليه تعالى لان كل معلوم معلوم له فالاظهار والاسرار فيه مستحيل ويمكن ان يجاب بان ذلك واقع على التقدير بمعنى لو صح مني اخفاؤه عن نفسي لاخفيته عني والاخفا وان كان محالا في نفسه الا انه لا يمتنع ان يذكر هذا على التقدير مبالغة في عدم اطلاع الغير عليه والتاويل الثاني ان اكاد زايدة قاله ابن جبير وانشد غيره شاهدا عليه قول زيد الخيل

∘ سريع الى الهيجاء شاك سلاحه فما ان يكاد قرنه يتنفس ∘ وقول الاخر ∘

∘ وان لا الوم النفس مما اصابني وان لا اكاد بالذي نلت انجح ∘

ولا حجة في شي منه والتاويل الثالث ان الكيدودة بمعنى الارادة قاله الاخفش وجماعة وقول ابي مسلم نحو كقوله كذلك كدنا ليوسف ومن امثالهم المتداولة لا افعل ذلك ولا اكاد اي لا اريد ان افعله وهذا لا ينفع فيما قصدوه التاويل الرابع ان خبرها محذوف تقديره اكاد اتي بها لقربها وانشد واقول ضابي البرجمي ∘

هممت ولم افعل وكدت وليتني تركت على عثمان تبكي حلايله ∘

اي كدت افعل فالوقف على اكاد ∘ والابتدا باخفيها واستحسنه ابو جعفر وذكر ابن الخطيب هنا سوالا فقال ان كاد نفيه اثبات واثباته نفي قال تعالى وما كادوا يفعلون اي فعلوا ذلك فقوله اكاد اخفيها يقتضي انه ما اخفاها وذلك باطل لوجهين احدهما قوله تعالى ان الله عنده علم الساعة والثاني ان قوله لتجزى كل نفس بما تسعى انما يليق بالاخفا لا بالاظهار ثم اجاب بوجوه الاول ان كاد موضوع للمقاربة فقط من غير

بيان

بيان النفي والاثبات فقوله اكاد اخفيها معناه قرب الامر فيه من الاخفا واما انه هل حصل ذلك الاخفا او ما حصل فهو غير مستفاد من اللفظ بل بقرينة قوله لتجزى كل نفس بما تسعى فان ذلك انما يليق بالاخفا لا بالاظهار الثاني ان اكاد من الله واجب فمعنى قوله اكاد اخفيها اي انا اخفيها على الخلق كقوله عسى ان يكون قريبا اي هو قريب قاله الحسن وذكرنا في التاويلات المتقدمة وقرا ابو الدرداء وابن جبير والحسن ومجاهد وحميد اخفيها بفتح الهمزة والمعنى اظهرها بالتاويل المتقدم يقال خفيت الشي اظهرته واخفيته سترته هذا هو المشهور وقد نقل عن ابي الخطاب ان خفيت واخفيت بمعنى وحكي عن ابي عبيد ان اخفى من الاضداد يكون بمعنى اظهر وبمعنى ستر وعلى هذا يتحد القراتان ومن مجي خفيت بمعنى اظهرت قول امرئ القيس

∘ خفاهن من انفاقهن كانما خفاهن ودق من عشي مجلب ∘ وقول الاخر ∘

∘ فان تدفنوا الداء لا نخفه وان توقدوا الحرب لا نقعد ∘

قال الزجاج وهذه القراة ابين لان معناها اكاد اظهرها فيفيد انه قد اخفاها والحكمة في اخفا الساعة ووقت الموت ان الله تعالى وعد قبول التوبة عند قربهما فلو عرف وقت الموت لاشتغل بالمعصية الى قرب ذلك الوقت ثم يتوب فيتخلص من عقاب المعصية فتعريف وقت الموت كالاغرا بفعل المعصية وهو لا يجوز **قوله** لتجزى هذه لام كي وليست بمعنى القسم اي لتجزين كما نقله ابو البقا عن بعضهم وتتعلق هذه اللام باخفيها وجعلها بعضهم متعلقة باتية وهذا لا يتم الا اذا قدرت ان اكاد اخفيها معترضة بين المتعلق والمتعلق به اما اذا جعلتها صفة لاتية فلا يتجه على مذهب البصريين لان اسم الفاعل متى وصف لم يعمل فان عمل ثم وصف جاز وقال ابو البقا وقيل باتية ولذلك وقف بعضهم عليه وقفة يسيرة ايذانا بانفصالها عن اخفيها **قوله** بما تسعى متعلق بتجزى وما يجوز ان تكون مصدرية او موصولة اسمية ولابد من مضاف اي تجزى بعقاب سعيها او بعقاب ما سعته **فصل** لما حكم بمجي الساعة ذكر الدليل عليه وهو انه لولا القيمة لما تميز المطيع من العاصي وهو المعني بقوله تعالى ام نجعل المتقين كالفجار واحتجت المعتزلة بهذه الاية على ان الثواب مستحق على العمل لان البا للالصاق فقوله بما تسعى يدل على ان المؤثر في ذلك الجزا هو ذلك السعي واحتجوا بها ايضا على ان فعل العبد غير مخلوق لله تعالى لان الاية صريحة في اثبات سعي العبد ولو كان الفعل مخلوقا لله تعالى لم يكن للعبد سعي البتة **قوله** فلا يصدنك عنها من لا يومن بها من لا يومن هو المنهي صورة والمراد غيره فهو من باب لا اريتك ههنا وقيل ان صد الكافر عن التصديق بها سبب للتكذيب فذكر السبب ليدل على المسبب والضميران في عنها وبها للساعة قاله ابن عباس وذلك لانه يجب عود الضمير الى اقرب مذكور وهو هنا الساعة وقيل للصلوة وقال ابو مسلم الضمير في عنها للصلاة وفي بها للساعة قال وهذا جايز في اللغة فالعرب تلف الخبرين ثم ترمي بجوابهما جملة ليرد السامع الى كل خبر حقه واجيب بان هذا انما يصار اليه عند الضرورة ولا ضرورة ههنا **قوله** فتردى يجوز فيه ان ينتصب بجواب النهي باضمار ان وان يرتفع على خبر ابتدا مضمر تقديره فانت تردى وقرا يحيى تردى بكسر التا وقد تقدم انها لغة والردى الهلاك يقال ردي يردى ردى قال دريد بن الصمة ∘

تنادوا فقالوا اردت الخيل فارسا فقلت اعبد الله ذلكم الردي ∘

فصل الخطاب في قوله فلا يصدنك يحتمل ان يكون مع موسى وان يكون مع محمد عليهما السلام والاقرب انه مع موسى عليه السلام لان جميع الكلام خطاب له وعلى كلا الوجهين فلا معنى لقول الزجاج انه ليس بمراد وانما اريد به غيره وذلك لانه ظن ان النبي عليه السلام لما لم يجز عليه مع النبوة ان يصده احد عن الايمان بالساعة لم يجز ان يكون مخاطبا بذلك وليس الامر كما ظن لانه اذا كان مكلفا بان لا يقبل الكفر بالساعة من احد وكان قادرا على ذلك جاز ان يخاطب به ويكون المراد بقوله فلا يصدنك عنها النهي عن الميل اليهم ومقاربتهم **فصل** المقصود نهي موسى عليه السلام عن التكذيب

بالبعث ولكن ظاهر اللفظ يقتضي نهي من لم يؤمن عن صد موسى عليه السلام وفيه وجهان احدهما ان
صد الكافر عن التصديق بها سبب للتكذيب فذكر السبب ليدل على المسبب والثاني ان صد الكافر
مسبب عن رخاوة الرجل في الدين فذكر المسبب ليدل حمله على السبب كقولهم لا اريتك ههنا المراد
نهيه عن مشاهدته والكون بحضرته فكذا ههنا كانه قيل لا يكن رخاوتك في الدين شديدا **فصل**
دلت الاية على وجوب تعلم علم الاصول لان قوله فلا يصدنك يرجع معناه الى صلابته في الدين
وتلك الصلابة ان كان المراد بها التقليد لم يتميز المبطل فيه عن المحق فلابد ان يكون المراد بهذه الصلابة
كونه قويا في تقرير الدلايل وازالة الشبهات حتى لا يتمكن الخصم من ازالته عن الدين بل يكون هو متمكنا من
ازالة المبطل عن بطلانه **فصل** قوله فلا يصدنك يدل على ان العباد هم الذين يصدون ولو
كان تعالى هو الخالق لافعالهم لكان هو الصاد وهم فدل ذلك على بطلان القول بالجبر واجيب بالمعارضة
بمسيلة العلم والداعي ثم قال تعالى واتبع هواه والمعنى ان منكر البعث انما انكره اتباعا للهوى لا
للدليل وهذا من اعظم الدلايل على فساد التقليد لان المقلد متبع للهوى لا للحجة ثم قال فتردى اي
فتهلك **قوله تعالى** وما تلك بيمينك ما مبتدا استفهامية وتلك خبره وبيمينك متعلق بمحذوف
لانه حال كقوله وهذا بعلي شيخا والعامل في الحال المقدرة معنى الاشارة وجوز الزمخشري ان يكون تلك
موصولة بمعنى التي وبيمينك صلتها ولم يذكر ابن عطية غيره وهذا ليس مذهب البصريين لانهم لم يجعلوا
من اسما الاشارة موصولا الا اذا بشروط تقدمت واما الكوفيون فيجيزون ذلك في جميعها ومنه هذه
الاية عندهم اي وما التي بيمينك وانشدوا ايضا . نجوت وهذا تحملين طليق . اي والذي تحملين وقال
الفرا معناه وما هذه التي بيمينك **فصل** السؤال انما يكون لطلب العلم وهو على الله تعالى محال
فما فايدة قوله وما تلك بيمينك والجواب فيه فوايد الاولى حكمة هذا السؤال تنبيهه وتوقيفه
على انها عصى حتى اذا قلبها حية علم انها معجزة عظيمة وهذا على عادة العرب يقول الرجل لغيره هل تعرف
هذا وهو لا يشك انه يعرفه ويريد ان ينضم اقراره بلسانه الى معرفته بقلبه الثانية ان يقرر
عنده انها خشبة حتى اذا قلبها ثعبانا لا يخافها الثالثة انه تعالى لما اراه الانوار المتصاعدة
من الشجرة الى السما واسمعه كلام نفسه ثم اورد عليه التكليف الشاق وذكر له المعاد وختم ذلك بالتهديد
العظيم فتحير موسى عليه السلام ودهش فقيل له وما تلك بيمينك وتكلم معه بكلام البشر ازالة لتلك
الدهشة والحيرة **فان قيل** هذا خطاب من الله مع موسى بلا واسطة ولم تحصل ذلك لمحمد عليه
السلام فيلزم ان يكون موسى افضل من محمد فالجواب انه تعالى كما خاطب موسى فقد خاطب محمدا في قوله
فاوحى الى عبده ما اوحى الا ان الفرق ان الذي ذكره موسى عليه السلام افشاه الى الخلق والذي ذكره مع
محمد كان سرا لم يا هل له احدا من الخلق وايضا ان كان موسى تكلم معه فان امة محمد تخاطبون الله في كل يوم
مرات على ما قال عليه السلام المصلي يناجي ربه والرب تكلم مع احاد امة محمد يوم القيمة بالتسليم والتكريم
لقوله سلام قولا من رب رحيم **قوله** هي عصاي هي تعود على المستفهم عنه وقرا العامة عصاي بفتح
اليا والجحدري وابن ابي اسحق عصي بالقلب والادغام وقد تقدم توجيه ذلك اول البقرة ولمن نسب
هذه اللغة والشعر المروي في ذلك وروي عن ابي عمرو وابن ابي اسحق ايضا والحسن عصاي بكسر اليا للالتقا
الساكنين وعن ابن ابي اسحق ايضا عصاي بسكونها وصلا وقد نقل نافع مثل ذلك في محياي بجمع بين
ساكنين وصلا وتقدم الكلام هناك **قوله** اتوكا يجوز ان يكون خبرا ثانيا لهي ويجوز ان يكون حالا
اما من عصاي واما من اليا وفيه بعد لانه لا يجي الحال من المضاف اليه قليل وله مع ذلك شروط ليس فيه
شي منها هنا ويجوز ان يكون جملة مستانفة وجوز ابو البقا نقلا عن غيره ان يكون عصاي منصوبا
بفعل مقدر واتوكا هو الخبر ولا ينبغي ان يقال ذلك والتوكؤ التحامل على الشي وهو بمعنى الاتكا وقد تقدم
تفسيره في يوسف لما من مادة واحدة وذكرنا الاختلاف وزنهما والهش بالمعجمة الخبط يقال

هششت الورق اهشه اي خبطته ليسقط والمعنى اخبط بها واضرب اغصان الشجر ليسقط ورقها
على غنمي فتاكله واما هش يهش بكسر العين في المضارع فبمعنى البشاشة وقد قرا النخعي بذلك فقيل
هو بمعنى اهش بالضم والمفعول محذوف في القراتين اي اهش الورق او الشجر وقيل هو في هذه القراة
من هش هشاشة اذا مال وقرا الحسن وعكرمة واهس بضم الها والسين المهملة وهو السوق ومنه
الهس والهساس وعلى هذا فكان ينبغي ان يتعدى بنفسه ولكنه ضمن معنى ما يتعدى بعلى وهو اقوم
واهول ونقل ابن خالويه عن النخعي انه قرا واهش بضم الهمزة وكسر الها من اهش رباعيا وبالمهملة ونقلها
عنه الزمخشري بالمعجمة فيكون عنه قراات ونقل صاحب اللوامح عن مجاهد وعكرمة واهش بضم الها
وتخفيف الشين قال ولا اعرف لها وجها الا ان يكون فد استثقل التضعيف مع تفشي الشين
فخفف وهي بمعنى قراة العامة وقرا بعضهم غنمي بسكون النون ولانفاس وقري على نفسد بد الي
والمارب جمع مارية وهي الحاجة وكذلك الاربة ايضا وفي را المارية الحركات الثلاث وانما قال
مارب لان مارب في معنى جماعة فكانه قال جماعة من الحاجات اخرى ولم يقل اخر لرؤس الاي ولكن
كقوله الاسما الحسنى وقد تقدم قريبا قال ابو البقا ولو قيل اخر لكان على اللفظ يعني اخر كقوله فعدة
من ايام اخر بضم الهمزة وفتح الخا وباللوظ لفظ الجمع ونقل الاهوازي عن شيبة والزهري مارب
قال بغير همز كذا اطلق والمراد بغير همز محقق بل مسهل بين بين والا فالحذف بالكلية شاذ .
فصل قيل لما قال عصاي فقد تم الجواب الا انه عليه السلام ذكر الوجوه الاخر لانه كان
يحب المكالمة مع ربه فجعل ذلك كالوسيلة الى تحصيل هذا الغرض اتوكو عليها التوكو والاتكا واحد
كالتوقي والاتقا اي اعتمد عليها اذا عييت او وقفت على راس القطيع واهش بها على غنمي اي اضرب
بها اغصان الشجر ليسقط ورقها على الغنم فتاكله ولي فيها مارب اخرى اي حوايج ومنافع وانما
اجمل في المارب رجا ان يساله ربه عن تلك المارب فيسمع كلام الله مرة اخرى ويطول امر
المكالمة بسبب ذلك قال وهب كانت ذات شعبتين ومحجن فاذا طلب ثمر الشجر جناه بالمحجن فاذا حاول
كسره لواه بالشعبتين فاذا سار وضعها على عاتقه يعلق بها ادانه من القوس والكنانة والثياب
واذا كان في البرية ركزها والقى عليها كساه فكان ظلا وقيل كان فيها من المعجزات انه كان يستقي
بها فتطول طول البير وتصير شعبتاها دلوا ويصيران شمعتين في الليل واذا ظهر عدو حاربت
عنه واذا اشتهى ثمرة ركزها فاورقت واثمرت وكان يحمل عليها رداه وسماه وكانت يابسة
ويركزها فينبع الما واذا رفعها نضب وكانت تقيه الهوام قال مقاتل اسمها نبعة وروي
عن ابن عباس انها كانت تماشيه وتحدثه قال الله تعالى القها يا موسى اي انبذها قال
وهب ظن موسى انه يقول ارفضها فالقاها على وجه الارض ثم نظر اليها فاذا هي حية تسعى صفرا
من اعظم ما يكون من الحيات تمشي بسرعة لها عرف كعرف الفرس وكان بين لحييها اربعون ذراعا
صارت شعبتاها شدقين لها والمحجن عنقا وعرفا تهتز وعيناها تتقدان كالنار تمر بالصخرة
العظيمة مثل الخلفة من الابل فتلتقمها وتقصف الشجرة العظيمة بانيابها ويسمع لاسنانها صريفا
عظيما وهذا خارق عظيم وبرهان قاطع على ان الذي يكلمه هو الذي يقول للشي كن فيكون **فصل**
والحكمة في قلب العصى حية في ذلك الوقت من وجوه احدها ليكون معجزة لموسى عليه السلام يعرف
بها نبوة نفسه لانه عليه السلام الى هذا الوقت ما سمع الا النداء والندا وان كان مخالفا للعادات
الا انه لم يكن معجزا لاحتمال ان يكون ذلك من عادات الملايكة او الجن فقلب العصى حية ليكون
دليلا قاهرا على المعجز الثاني انه تعالى عرضها عليه ليشاهدها اولا فاذا شاهدها عند فرعون
لا يخافها الثالث انه وان كان راعيا فقيرا ثم نصب للمنصب العظيم فلعله بقي متعجبا من
ذلك فقلب العصى حية تنبيها على اني لما قدرت على ذلك فكيف تستبعد مني نصرة مثلك في اظهار

الدين **فان قيل** كيف قال هنا حية وفي موضع كانها جان وهي الحية الخفيفة الصغيرة
وقال في موضع ثعبان وهو اكبر ما يكون من الحيات فالجواب ان الحية اسم جنس يقع على الذكر
والانثى والصغير والكبير واما الجان فقيل عبارة عن ابتدا حالها فانها كانت حية على قدر العصى
ثم تورمت وتزايدت وانتفخت حتى صارت ثعبانا وقيل كانت في عظم الثعبان وسرعة الجان
لقوله فلما راها تهتز كانها جان **وتسعى** يجوز ان يكون خبرا ثانيا عند من يجوز ذلك ويجوز ان يكون
صفة لحية فلما عاين ذلك موسى ولى مدبرا وهرب ثم ذكر ربه فوقف استحيا منه ثم نودي خذها ولا تخف
سنعيدها سيرتها الاولى اي نردها عصا كما كانت **قوله** سيرتها في نصبها اوجه
احدها ان تكون منصوبة على الظرف اي في سيرتها اي طريقتها الثاني انها منصوبة على البدل
من ها سنعيدها بدل اشتمال لان السيرة الصفة اي سنعيدها صفتها وشكلها الثالث انها منصوبة
على اسقاط الخافض اي الى سيرتها قال الزمخشري ويجوز ان يكون مفعولا من عاده اي عاد اليه فيتعدى
لمفعولين ومنه بيت زهير • وعادك ان تلاقيها عداء • وهذا هو معنى قول من قال انه على اسقاط الى
وكان قد جوز ان يكون ظرفا كما تقدم الان ابا حيان رده بانه ظرف مختص فلا يصل اليه الفعل الا
بواسطة في الا فيما شذ **والسيرة** فعلة تدل على الهيئة من السير كالركبة من الركوب ثم اتسع فعبر بها عن
المذهب والطريقة قال خالد الهذلي • فلا تغضبن من سيرة انت سرتها فاول راض سيرة من يسيرها
وجوز ايضا ان ينتصب بفعل مضمر اي يسير سيرتها الاولى ويكون هذه الجملة المقدرة في محل نصب
على الحال اي سنعيدها سائرة سيرتها **فان قيل** لما نودي يا موسى وخص بتلك الكرامات
العظيمة وعلم انه مبعوث من عند الله تعالى الى الخلق فلما ذا خاف **فالجواب** من وجوه احدها
ان ذلك الخوف كان من نفرة الطبع لانه عليه السلام ما شاهد مثل ذلك قط وهذا معلوم
بدلايل العقول قال ابو القسم الانصاري وذلك الخوف من اقوى الدلايل على صدقه في النبوة لان
الساحر يعلم ان الذي اتى به تمويه فلا يخافه البته وثانيها خاف لانه عليه السلام عرف ما لقي ادم منها
وثالثها ان مجرد قوله ولا تخف لا يدل على حصول الخوف كقوله ولا تطع الكافرين لا يدل على وجود تلك الطاعة
لكن قوله فلما راها تهتز كانها جان ولى مدبرا يدل عليه **فصل** قال المفسرون كان على موسى مدرعة
من صوف قد خلها بعيدان فلما قال الله له خذها لف طرف المدرعة على يده فامره الله ان يكشف يده
فكشف وقيل ان ملكا قال له ارايت لو اذن الله بما تحاذره اكانت المدرعة تغني عنك شيا قال لا
ولكني ضعيف ومن ضعف خلقت فكشف يده ثم وضعها في فم الحية فاذا هي عصا كما كانت ويده في
شعبتيها في الموضع الذي يضعها اذا توكا واعلم ان ادخاله يده في فم الحية من غير ضرر معجزة وانقلابها
خشبا معجزة اخرى وانقلاب العصا حية معجزة اخرى ففيها توالي معجزات مع المآرب التي تقدمت **قوله**
واضمم يدك الى جناحك لا بد هنا من حذف والتقدير واضمم يدك تنضم واخرجها تخرج فحذف من
الاول والثاني واثبت مقابليهما ليدلان على ذلك ايجازا واختصارا وانما احتيج الى هذا لانه لا يترتب على
مجرد الضم الخروج وقوله بيضا حال من فاعل تخرج **قوله** من غير سو يجوز ان يكون متعلقا بتخرج وان
يكون متعلقا ببيضا لما فيها من معنى الفعل نحو ابيضت من غير سو ويجوز ان يكون متعلقا بمحذوف على انه
حال من الضمير في بيضا وقوله من غير سو يسمى عند اهل البيان الاحتراس وهو ان يوتى بشي يرفع توهم
من يتوهم غير المراد وذلك ان البياض قد يراد به البرص والبهق فاتى بقوله من غير سو نفيا لذلك
قوله اية فيها اوجه احدها ان يكون حالا اعني انها بدل من بيضا الواقعة حالا الثاني انها حال
من الضمير في بيضا الثالث انها حال من الضمير في الجار والمجرور الرابع انها منصوبة بفعل محذوف
فقدره ابو البقا جعلناها اية وقدره الزمخشري او اتيناك اية وقدره الزمخشري خذ اية وقدره
ايضا دونك اية ورد ابو حيان هذا بان ذلك من باب الاغراء ولا يجوز اضمار الظروف في الاغراء قال

لان العامل حذف وناب هذا مكانه فلا يجوز ان يحذف النايب ايضا وايضا فان احكامها تخالف احكام
الصريح فلا يجوز اضمارها وان اجاز اضمار الافعال **فصل** يقال لكل ناحيتين جناحان كجناحي العسكر
لطرفيه وجناحا الانسان جانباه والاصل المستعار منه جناحا الطاير لانه يجنحهما عند الطيران
وجناح الانسان عضده اي اضمم يدك الى بطنك تخرج بيضا نيرة مشرقة من غير سو وعن ابن عباس
الى جناحك اي الى صدرك والاول اولى لان يدي الانسان يشبهان جناحي الطاير ولانه قال تخرج بيضا
ولو كان المراد بالجناح الصدر لم يكن لقوله تخرج معنى ومعنى ضم اليد الى الجناح ما قال في اية اخرى وادخل
يدك في جيبك لانه اذا ادخل يده في جيبه كان كانه قد ضم يده الى جناحه والسو الرداة والقبح في كل
شي وكني به عن البرص كما كني عن العورة بالسوة والبرص ابغض شي الى العرب فكان جديرا بان يكنى عنه
بالسو وكان عليه السلام شديد الادمة فكان اذا ادخل يده اليمنى في جيبه وادخلها تحت ابطه
الايسر واخرجها فكانت تبرق مثل البرق وقيل مثل الشمس من غير برص ثم اذا ردها عادت الى لونها
الاول اية اخرى دلالة اخرى على صدقك سوى العصا **قوله** لنريك متعلق بما دلت عليه اية اي دللنا
بها لنريك او جعلناها او اتيناك المقدر وقدره الزمخشري لنريك فعلنا ذلك وجوز الحوفي ان يتعلق
باضمم وجوز غيره ان يتعلق بتخرج ولا يجوز ان يتعلق بلفظ اية لانها قد وصفت وقدره الزمخشري
ايضا لنريك خذ هذه الاية ايضا **قوله** من اياتنا الكبرى يجوز ان يتعلق من اياتنا بمحذوف على انه حال
من الكبرى ويكون الكبرى على هذا مفعولا ثانيا لنريك والتقدير لنريك الكبرى حال كونها من اياتنا اي
بعض اياتنا ويجوز ان يكون المفعول الثاني نفس من اياتنا فيتعلق بمحذوف ايضا ويكون الكبرى على هذا
صفة لاياتنا وصف الجمع المونث غير العاقل وصف الواحدة على حد مآرب اخرى والاسما الحسنى
وهذان الوجهان قد نقلهما الزمخشري والحوفي وابو البقا وابن عطية واختار ابو حيان الثاني
قال لانه يلزم من ذلك ان يكون اياته كلها هي الكبرى لان ما كان بعض الايات الكبر صدق عليه
انه الكبرى واذا جعلت الكبرى مفعولا ثانيا لم تتصف الايات بالكبر لانها هي المتصفة بافعل
التفضيل وايضا اذا جعلت الكبرى مفعولا فلا يمكن ان يكون صفة للعصى واليد معا اذ كان يلزم التثنية
ولا جايز ان يختص احديهما بالوصف دون الاخرى لان التفضيل في كل منهما **فصل** قال المفسرون
من اياتنا الكبرى ولم يقل الكبر لرووس الاي وقيل فيه اضمار معناه لنريك من اياتنا الاية الكبرى ويدل
عليه قول ابن عباس كانت يد موسى اكبر اياته وهو قول الحسن قال اليد اعظم في الاعجاز من العصى لانه جعل
الكبرى مفعولا ثانيا لنريك وجعل ذلك راجعا للاية المترسه وقد ضعف ذلك بانه ليس في الاية
الا تغير اللون واما العصى ففيها تغير اللون وخلق الزيادة في الجسم وخلق الحياة والقدرة والاعضا
المختلفة وابتلاع الشجر والحجر ثم عادت عصى بعد ذلك فقد وقع التغير مرة اخرى في كل هذه الامور
فكانت العصى اعظم واما قوله لنريك من اياتنا الكبرى فقد ثبت انه عايد الى الكلام وانه غير مختص
باليد **قوله تعالى** اذهب الى فرعون انه طغى لما اظهر له الايات عقبها بان امره بالذهاب
الى فرعون وبين العلة في ذلك وهو انه طغى وانما خص فرعون بالذكر مع انه بعث موسى الى الكل لانه
ادعى الالهية وتكبر وكان متبوعا فكان ذكره اولى ومعنى طغى جاوز الحد في العصيان والتمرد فبلغه
رسالتي وادعه الى عبادتي وحذره نقمتي قال موسى رب اشرح لي صدري وسعه للحق قال ابن عباس يريد
حتى لا اخاف غيرك والسبب في هذا السوال ما حكى الله تعالى عنه في موضع اخر ويضيق صدري ولا ينطلق
لساني وذلك ان موسى كان يخاف فرعون خوفا شديدا لشدة شوكته وكثرة جنوده وكان يضيق صدرا
بما كلف من مقاومة فرعون وحده فسال الله تعالى ان يوسع قلبه حتى يعلم ان احدا لا يقدر على مضرته
الا باذن الله واذا علم ذلك لم يخف فرعون وشدة شوكته وكثرة جنوده **قوله** لي صدري متعلق
باشرح قال الزمخشري فان قلت لي في قوله اشرح لي صدري ويسر لي امري ما جدواه والامر مستتب

بدونه قلت فذا ابهم الكلام اولا فقال اشرح لي ويسر لي فعلم ان ثم مشروحا وميسرا ثم بين ورفع الابهام
بذكرهما فكان اكد لطلب الشرح لصدره والتيسير لامره ويقال يسرته لكذا ومنه فسنيسره لليسرى
ويسرت له كذا ومنه هذه الاية **قوله** ويسر لي امري اي سهل علي ما امرتني به من تبليغ الرسالة
الى فرعون وذلك لان كل ما يصدر من العبد من الافعال والاقوال والحركات والسكنات فما لم يرد العبد
صدوره استحال ان يصير فاعلا له فهذه الارادة صفة محدثة ولا بد لها من فاعل وفاعلها ان كان هو
العبد افتقر في تحصيل تلك الارادة الى ارادة اخرى ولزم التسلسل بل لا بد من الانتهاء الى ارادة
يخلقها مدبر العالم فني الحقيقة هو الميسر للامور **قوله** واحلل عقدة من لساني وذلك ان موسى
كان في حجر فرعون ذات يوم في صغره فلطم فرعون لطمة واخذ بلحيته فقال فرعون لاسية امراته ان
هذا عدوي واراد ان يقتله فقالت اسية انه صبي لا يعقل ولا يميز وجربه ان شيت فجات بطستين
في احدهما جمر وفي الاخر جوهر فوضعتهما بين يدي موسى فاراد ان ياخذ الجوهر فاخذ جبريل عليه السلام
يد موسى فوضعها على النار فاخذ جمرة فوضعها في فيه فاحترق لسانه وصارت عليه عقدة وقيل قربا
اليه تمرة وجمرة فجعلها في فيه فاحترق لسانه قالوا ولم تحترق اليد لانها اله اخذ العصى وقيل كان
ذلك التعقد خلقة فسال الله تعالى ازالته واختلفوا في انه لم طلب حل تلك العقدة فقيل لئلا يقع خلل
في اداء الوحي وقيل لئلا يستخف بكلامه فينفروا عنه ولا يلتفتوا اليه وقيل لاظهار المعجزة كما ان حبس
لسان زكريا عن الكلام كان معجزا في حقه فكذا اطلاق لسان موسى عليه السلام معجز في حقه **فصل**
قال الحسن ان تلك العقدة زالت بالكلية لقوله تعالى قد اوتيت سؤلك يا موسى وقيل هذا ضعيف لانه
عليه السلام لم يقل واحلل العقدة من لساني بل قال واحلل عقدة من لساني فاذا احل عقدة واحدة
فقد اتاه الله سواله والحق انه انحل اكثر العقد وبقي منها شي لقوله حكاية عن فرعون ام انا خير من هذا
الذي هو مهين ولا يكاد يبين مع بقاء قدر من الانعقاد في لسانه واجيب عنه بوجهين احدهما ان المراد
بقوله ولا يكاد يبين اي لا ياتي ببيان وحجة والثاني ان كاد بمعنى قرب فلو كان المراد هو البيان اللساني
لكان معناه انه لا يقارب البيان فكان فيه نفي البيان بالكلية وذلك باطل لانه خاطب فرعون
وقومه وكانوا يفهمون فكيف يمكن نفي البيان بل انما قالوا ذلك تمويها ليصرفوا الوجوه عنه واعلم
ان النطق فضيلة عظيمة ويدل عليه وجوه الاول قوله تعالى خلق الانسان علمه البيان ولهذا قيل الانسان
هو الحيوان الناطق الثاني اتفاق العقلاء على تعظيم امر اللسان قال زهير
⁕ لسان الفتى نصف ونصف فواده ⁕ فلم يبق الا صورة اللحم والدم ⁕ وقالوا ما الانسان لولا اللسان
الا بهيمة مرسلة اي لو ذهب النطق اللساني لم يبق من الانسان الا القدر الحاصل في البهائم وقالوا المرء
باصغريه قلبه ولسانه وقالوا المرء مخبوء تحت لسانه الثالث ان في مناظرة ادم مع الملائكة ما ظهرت
الفضيلة الا بالنطق حيث قال يا ادم انبئهم باسمائهم فلما انباهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب
السموات والارض **قوله** من لساني يجوز ان يتعلق بمحذوف على انه صفة لعقدة اي من عقد لساني
ولم يذكر الزمخشري غيره ويجوز ان يتعلق بنفس احلل والاول اولى **قوله** واجعل لي وزيرا يجوز ان يكون
لي مفعولا ثانيا مقدما ووزيرا هو المفعول الاول ومن اهلي على هذا يجوز ان يكون صفة لوزيرا ويجوز
ان يكون متعلقا باجعل وهارون بدل من وزيرا وجوز ابو البقا ان يكون هرون عطف بيان
لوزيرا ولم يذكر الزمخشري غيره ولما حكى ابو حيان هذا لم يعقبه بنكير وهو عجب منه فان عطف البيان
يشترط فيه التوافق تعريفا وتنكيرا وقد عرفت ان وزيرا نكرة وهرون معرفة والزمخشري قد
تقدم له مثل ذلك في قوله تعالى فيه ايات بينات مقام ابرهيم وتقدم الكلام معه هناك وهو
عايد هنا ويجوز ان يكون هرون منصوبا بفعل محذوف كانه قال اخصص من بينهم هرون اي من
بين اهلي ويجوز ان يكون وزيرا مفعولا ثانيا وهرون هو الاول وقدم الثاني عليه اعتنا بامر

الوزارة

الوزارة وعلى هذا فقوله لي يجوز ان يتعلق بنفس الجعل وان يتعلق بمحذوف على انه حال من وزيرا اذ هو
في الاصل صفة له ومن اهلي على ما تقدم من وجهيه ويجوز ان يكون وزيرا مفعولا اول ومن اهلي هو
الثاني وقوله لي مثل قوله ولم يكن له كفوا احد يعنون انه به يتم المعنى ذكر ذلك ابو البقا ولما حكاه
ابو حيان لم يعقبه بنكير وهو عجب لان شرط المفعولين في باب النواسخ صحة انعقاد الجملة الاسمية
وانت لو ابتدات بوزير واخبرت عنه بمن اهلي لم تجز اذ لا مسوغ للابتدا به واخي بدلا او عطف بيان
لهرون وقال الزمخشري وان جعل عطف بيان اخر جاز وحسن قال ابو حيان ويبعد فيه عطف
البيان لان عطف البيان الاكثر فيه ان يكون الاول دونه في الشهرة وهذا بالعكس قال شهاب الدين
لم يرد الزمخشري ان اخي عطف بيان لهرون حتى يقول الشيخ ان الاول وهو هرون اشهر من الثاني
وهو اخي انما عنى الزمخشري انه عطف بيان ايضا لوزيرا وكذلك قال اخر ولا بد من الاتيان بلفظه
ليعرف انه لم يرد الا ما ذكرته قال ووزيرا وهرون مفعولا قوله اجعل او لي ووزيرا مفعولاه وهرون
عطف بيان للوزير واخي في الوجهين بدل من هرون وان جعل عطف بيان اخر جاز وحسن فقوله
اخر يعين ان يكون عطف بيان لما جعل عنه عطف بيان قبل ذلك وجوز الزمخشري في اخي ان يرتفع
بالابتدا ويكون خبره الجملة من قوله اشدد به وذلك على قراة الجمهور له بصيغة الدعا وعلى هذا
فالوقف على هرون وقرا ابن عامر اشدد بالمضارعة وجزم الفعل جوابا للامر واشركه بضم الهمزة
للمضارعة وجزم الفعل نسقا على ما قبله حكاية عن موسى اي افعل ذلك وقرا الباقون بحذف همزة
الوصل من الاول وفتح همزة القطع في الثاني على انها دعا من موسى لربه بذلك وعلى هذه القراة
تكون هذه الجملة قد ترك فيها العطف خاصة دون ما تقدمها من جمل الدعا وقرا الحسن اشدد
مضارع شدد بالتشديد **والوزير** قيل مشتق من الوزر وهو الثقل وسمي بذلك لانه يحمل اعبا
الملك ومونه فهو معين على امر الملك وقايم بامره وقيل بل هو من الوزر وهو الملجا كقوله تعالى
لا وزر وقال ⁕ من السباع الضواري دونها وزر ⁕ والناس شرهم ما دونه وزر ⁕
⁕ كم معشر سلموا لم يوذهم سبع ⁕ ولا نرى بشرا لم يوذهم بشر ⁕ وقيل من الموازرة وهي المعاونة
نقله الزمخشري عن الاصمعي قال وكان القياس ازيرا يعني بالهمزة لان المادة كذلك قال الزمخشري فقلبت
الهمزة الى الواو ووجه قلبها اليها ان فعيلا جا بمعنى مفاعل مجيئا صالحا كقولهم عشير وجليس وخليط
وصديق وخليل ونديم فلما قلبت في اخيه قلبت فيه وحمل الشي على نظيره ليس بعزيز ونظرا الى
الوازر واخواته والى الموازرة يعني ان وزيرا بمعنى موازر وموازر تقلب فيه الهمزة واوا قليله
قياسا لانها همزة مفتوحة بعد ضمة فهو نظير موجل ويواخذكم فشبهه فحمل اذيرا عليه في القلب وان
لم يكن فيه سبب القلب والموازرة ماخوذة من ازار الرجل وهو الموضع الذي يشده الرجل اذا استعد
لعمل متعب **فصل** اعلم ان طلب الوزير اما انه خاف على نفسه العجز عن القيام بذلك الامر
فطلب المعين او لانه راى ان التعاون على الدين والتظاهر عليه مع مخالصة الود وزوال التهمة
قربة عظيمة في الدعا الى الله تعالى ولذلك قال عيسى بن مريم عليه السلام من انصاري الى الله قال الحواريون
نحن انصار الله وقال لمحمد عليه السلام حسبك الله ومن اتبعك من المومنين وقال عليه السلام ان لي
في السماء وزيرين وفي الارض وزيرين فاللذان في السماء جبريل وميكايل واللذان في الارض
ابو بكر وعمر وقال عليه السلام اذا اراد الله بملك خيرا قيض له وزيرا صالحا ان نسي ذكره وان
نوى خيرا اعانه وان اراد شرا كفه وقال انوشروان لا يستغني اجود السيوف عن الصقل
ولا اكرم الدواب عن السوط واراد موسى عليه السلام ان يكون ذلك الوزير من اهله اي من اقاربه
وان يكون اخاه هرون والسبب فيه اما لان التعاون على الدين منقبة عظيمة فاراد ان لا تحصل
هذه الدرجة الا لاهله او لان واحدا منهما كان في غاية المحبة لصاحبه وكان هرون اكبر سنا

من موسي باربع سنين وكان افصح لسانا منه واجمل واوسم ابيض اللون وكان موسي ادم اللون افني
جعدا اشدد به ازري قوّ به ظهري واشركه في امري في النبوة والازر القوة وازره قواه وقال
ابوعبيدة ازري اي ظهري وفي كتاب الخليل الازر الظهر ثم انه تعالي حكي عنه ما لاجله دعا بهذا
الدعا فقال كي نسبحك كثيرا قال الكلبي نصلي لك كثيرا ونحمدك ونثني عليك والتسبيح تنزيه الله
تعالي في ذاته وصفاته عما لا يليق به ونذكرك كثيرا اي نصفك بصفات الجلال والكبريا **قوله**
كثيرا نعت لمصدر محذوف او حال من ضمير المصدر كما هو راي سيبويه وجوز ابو البقا ان يكون نعتا
لزمان محذوف اي زمانا كثيرا **قوله** انك كنت بنا بصيرا اي عالما بانا لا نريد بهذه الطاعات
الا وجهك ورضاك او بصيرا بان الاستعانة بهذه الاشيا لاجل حاجتي في النبوة اليها او بصيرا
بوجوه مصالحنا فاعطنا ما هو اصلح لنا **قوله تعالي** قال قد اوتيت سؤلك يا موسي ولقد
مننا عليك مرة اخري فعل بمعني مفعول كقولك خبز بمعني مخبوز واكل بمعني ماكول ولا ينقاس ومرة
مصدر واخري تانيث اخر بمعني غير وزعم بعضهم انها بمعني اخرة فيكون مقابلة للاولي وتخيل
لذلك بان قال سماها اخري وهي اولي لانها اخري في الذكر **فصل** اعلم ان موسي عليه السلام
لما سال ربه تلك الامور الثمانية وكان في المعلوم ان قيامه بما كلف لا يتم الا باجابته اليها
لا جرم اجابه الله تعالي اليها ليكون اقدر علي بلاغ ما كلف به فقال قد اوتيت سؤلك يا موسي
ولقد مننا عليك مرة اخري فنبه بذلك علي امور احدها كانه تعالي قال اني راعيت مصلحتك
قبل سؤالك فكيف لا اعطيك مرادك قبل السوال وثانيها اني كنت ربيتك فلو منعتك الان كان
ذلك ردا بعد القبول واساة بعد الاحسان فكيف يليق بكرمي وثالثها انا اعطيناك في الازمنة
السالفة كلما احتجت اليه ورقيناك الي الدرجة العالية وهي منصب النبوة فكيف يليق بمثل هذه
التربيه المنع عن المطلوب ومعني مننا عليك انعمنا عليك مرة اخري **فان قيل** لم ذكر تلك
النعم بلفظ المنة مع ان هذه اللفظة موذية والمقام مقام التلطف **فالجواب** انما ذكر ذلك
ليعرف موسي عليه السلام ان هذه النعم التي وصل اليها ما كان مستحقا لشي منها بل انما خصه الله
بها لمحض الفضل والاحسان **فان قيل** لم قال مرة اخري مع انه تعالي ذكر مننا كثيرة
فالجواب لم يعن بمرة اخري مرة واحدة من المنن لان ذلك قد يقال في القليل والكثير
قوله اذ اوحينا العامل في اذ مننا اي مننا عليك في وقت ايحاينا الي امك وابهم في قوله
ما يوحي للتعظيم كقوله تعالي فغشيهم من اليم ما غشيهم وهذا وحي الهام لان الاكثرين علي ان ام موسي
عليه السلام ما كانت من الانبيا وذلك لان المراة لا تصلح للقضا والامامة ولا تمكن عند اكثر العلما
من تزويج نفسها ويدل علي ذلك قوله تعالي وما ارسلنا قبلك الا رجالا يوحي اليهم والوحي قد جا في القران
لا بمعني النبوة قال تعالي واوحي ربك الي النحل واذ اوحيت الي الحواريين ثم اختلفوا في المراد بهذا
الوحي علي وجوه الاول انه رويا راتها ام موسي وكان تاويلها وضع موسي عليه السلام في التابوت
وقذفه في البحر وان الله تعالي يرده عليها الثاني انه عزيمة جازمة وقعت في قلبها دفعة
واحدة الثالث المراد خطور البال وغلبته علي القلب **فان قيل** الالقا في البحر قريب
من الاهلاك وهو مساو للخوف الحاصل من القتل المعتاد من فرعون فكيف يجوز الاقدام علي احدهما
لاجل الصيانة عن الثاني **فالجواب** لعلها عرفت بالاستقرا صدق روياها فكان الالقا في
البحر الي السلامة اغلب علي ظنها من وقوع الولد في يد فرعون او لعله اوحي الي بعض الانبيا في ذلك
الزمان كشعيب عليه السلام او غيره ثم ان ذلك النبي عرفها اما مشافهة او مراسلة واعترض عليه
بان الامر لو كان كذلك لما لحقها الخوف **واجيب** بان ذلك الخوف كان من لوازم البشرية كما ان موسي
عليه السلام كان يخاف فرعون مع ان الله تعالي كان امره بالذهاب اليه مرارا الثالث لعل بعض

الانبيا المتقدمين كابرهيم واسحق ويعقوب عليهم السلام اخبروا بذلك الخبر وانتهي ذلك الخبر الي امه
او لعل الله تعالي بعث اليها ملكا لا علي وجه النبوة كما بعث الي مريم في قوله فتمثل لها بشرا سويا واما
قوله ما يوحي معناه اوحينا الي امك ما يجب ان يوحي وانما وجب ذلك الوحي لان الواقعة واقعة عظيمة
ولا سبيل الي معرفة المصلحة فيها الا بالوحي فكان الوحي فيها واجبا **قوله** ان اقذفيه يجوز ان
تكون ان مفسرة لان الوحي بمعني القول ولم يذكر الزمخشري غيره وجوز غيره ان يكون مصدرية ومحلها
حينئذ النصب بدلا من ما يوحي والضماير في قوله ان اقذفيه الي اخرها عايدة علي موسي عليه السلام
لانه المحدث عنه وجوز بعضهم ان يعود الضمير في قوله فاقذفيه في اليم للتابوت وما بعده وما
قبله لموسي عليه السلام وعابه الزمخشري وجعله تنافرا ومخرجا للقران عن اعجازه فانه قال
والضماير كلها راجعة الي موسي ورجوع بعضها اليه وبعضها الي التابوت فيه هجنة لما يودي اليه من
تنافر النظم فان قلت المقذوف في البحر هو التابوت وكذلك الملقي الي الساحل قلت ما ضرك لو جعلت
المقذوف والملقي الي الساحل هو موسي في جوف التابوت حتي لا تفرق الضماير فيتنافر عليك النظم الذي
هو ام اعجاز القران والقانون الذي وقع عليه التحدي ومراعاته اهم ما يجب علي المفسر قال ابو حيان
ولقايل ان يقول ان الضمير اذا كان صالحا لان يعود علي الاقرب وعلي الابعد كان عوده علي الاقرب
راجحا وقد نص النحويون علي هذا فعوده علي التابوت في قوله فاقذفيه في اليم فليلقه اليم راجح وقد
والجواب ان احدهما اذا كان محدثا عنه والاخر فضلة كان عوده علي المحدث عنه ارجح ولا يلتفت
الي القرب ولهذا رددنا علي ابي محمد بن حزم في دعواه ان الضمير في قوله تعالي فانه رجس عايد علي خنزير
لا علي لحم لكونه اقرب مذكور فيحرم بذلك شحمه وغضروفه وعظمه وجلده فان المحدث عنه هو لحم خنزير
لا خنزير وقد تقدمت المسيلة في الانعام **قوله** فليلقه اليم هذا امر معناه الخبر ولكونه امرا
لفظا جزم جوابه في قوله ياخذه وانما خرج بصيغة الامر مبالغة اذ الامر اقطع الافعال واكدها
وقال الزمخشري لما كانت مشية الله وارادته ان تجري ما اليم ويلقي بذلك التابوت الي الساحل
سلك في ذلك سبيل المجاز وجعل اليم كانه ذو تمييز امر بذلك ليطيع الامر ويمتثل رسمه فقيل
فليلقه اليم بالساحل وبالساحل يحتمل ان يتعلق بمحذوف علي ان الباء للحال اي ملتبسا بالساحل وان
يتعلق بنفس الفعل علي ان الباء ظرفية بمعني في والقذف يستعمل بمعني الالقا والوضع ومنه قوله تعالي
وقذف في قلوبهم الرعب **واليم** البحر والمراد به هنا نيل مصر في قول الجميع واليم اسم يقع علي النهر
والبحر العظيم قال الكسائي والساحل فاعل بمعني مفعول سمي بذلك لان الما يسحله اي سرع الي
اعلاه **فصل** روي انها اتخذت تابوتا قال مقاتل ان الذي صنع التابوت حزقيل مومن
ال فرعون وجعلت في التابوت قطنا محلوجا ووضعت فيه موسي وقيرت راسه وشقوقه بالقير
ثم القته في النيل وكان يشرع منه نهر كبير في دار فرعون فبينا فرعون جالس علي راس البركة مع
امراته اسية اذا بتابوت يجي به الما فامر الغلمان والجواري باخراجه فاخرجوه وفتحوا راسه فاذا صبي
من اصبح الناس وجها فلما راه فرعون احبه بحيث لم يتمالك فذلك قوله والقيت عليك محبة مني
قال ابن عباس احبه وحببه الي خلقه وقال عكرمة ما راه احد الا احبه **فان قيل** قوله
ياخذه عدو لي وعدو له لم يكن موسي في ذلك الوقت معاديا له **فالجواب** من وجهين الاول
كونه كافرا عدو الله وكونه عدوا لموسي عليه السلام فانه بحيث لو ظهر له حاله لقتله الثاني عدو
له من حيث يوول امره الي العداوة **قوله** مني فيه وجهان قال الزمخشري مني لا يخلو اما ان يتعلق
بالقيت فيكون المعني علي اني احببتك ومن احبه الله احبته القلوب واما ان يتعلق بمحذوف هو صفة
لمحبة اي محبة حاصلة او واقعة مني قد ركزتها انا في القلوب وزرعتها فيها فلذلك احبتك
امراة فرعون حتي قالت قرة عين لي ولك لا تقتلوه روي انه كان علي وجهه مسحة جمال وفي عينيه

ملاحة لايكاد يصبر عنه من رآه وهو كقوله سيجعل لهم الرحمن ودا قال القاضي هذا الوجه اقرب
لانه حال صغره لايكاد يوصف بمحبة الله تعالى التي ظاهرها من جهة الدين لان ذلك انما يستعمل في
المكلف من حيث استحقاق الثواب فالمراد اول ما ذكر في كيفيته في الخلقة يستحلي ويغتبط به وكذلك
كانت حاله مع فرعون وامراته ويمكن ان يقال بل الاحتمال الاول ارجح لان الاحتمال الثاني يحوج
الى الاضمار وهو ان يقال والقيت عليك محبة حاصلة مني وواقعة بتخليقي وعلى الاول لاحاجة الى
الاضمار واما قوله انه حال صباه لاتحصل له محبة الله فممنوع لان معنى محبة الله هو ايصال النفع الى
عباده وهذا المعنى كان حاصلا في حقه في زمان صباه وعلم الله ان ذلك يستمر الى اخر عمره
فلاجرم اطلق عليه لفظ المحبة **قوله** ولتصنع قرا العامة بكسر اللام وضم التا وفتح النون على
البنا للمفعول ونصب الفعل باضمار ان بعد لام كي وفيه وجهان احدهما ان هذه العلة معطوفة
على علة مقدرة قبلها والتقدير ليتلطف بك ولتصنع او ليعطف عليك وترام ولتصنع فتلك
العلة المقدرة متعلقة بقوله والقيت اي القيت عليك المحبة ليعطف عليك ولتصنع ففي الحقيقة
هو متعلق بما قبله من القا المحبة والثاني ان هذه اللام تتعلق بمضمر بعدها تقديره ولتصنع على
عيني فعلت ذلك اي القيت عليك محبة مني او كان كيت وكيت ومعنى ولتصنع اي لتربى ويحسن
اليك وانا راعيك ومراقبك كما يراعي الانسان الشي بعينه اذا اعتنى به قاله الزمخشري ومجاز
هذا ان من صنع للانسان شيا فهو حاضر ينظر اليه صنعه كما يحب ولا يمكنه ان يخالف غرضه فكذا
هذا او في كيفية المجاز قولان الاول المراد من العين العلم اي تربى على علم مني ولما كان العالم بالشي يحرسه
عن الافات اطلق لفظ العين على العلم لاشتباههما من هذا الوجه الثاني المراد من العين الحراسة
لان الناظر الى الشي يحرسه عما لا يريده فالعين كانها سبب للحراسة فاطلق اسم السبب على المسبب
مجازا وهو كقوله تعالى انني معكما اسمع وارى ويقال عين الله عليك اذا دعا له بالحفظ والحياطة وقرا
الحسن وابو نهيك ولتصنع بفتح التا قال ثعلب معناه ليكون حركتك وتصرفك على عين مني وقال قريبا
منه الزمخشري وقال ابو البقا اي لتفعل ما امرك بمراي مني وقرا ابو جعفر وشيبة ولتصنع بسكون
اللام والعين وضم التا وهو امر معناه لتربّ وليحسن اليك وروي عن ابي جعفر في هذه القراة كسر لام
الامر ويحتمل مع كسر اللام او سكونها حالة تسكين العين ان يكون لام كي وانما سكنت تشبيها بكيف وكيد
والفعل منصوب والتسكين في العين لاجل الادغام لانه لا يقرا في الوصل الا بالادغام فقط **قوله**
اذ تمشي في عامل هذا الظرف اوجه احدها ان العامل فيه القيت اي القيت عليك محبة مني في وقت
مشي اختك الثاني انه منصوب بقوله ولتصنع اي لتربى وتحسن اليك في هذا الوقت قال الزمخشري
والعامل في اذ تمشي القيت او لتصنع وقال ابو البقا اذ تمشي يجوز ان يتعلق باحد الفعلين يعني بالفعلين
ما تقدم من القيت او لتصنع وعلى هذا فيجوز ان تكون المسيلة من باب التنازع لان كلا من هذين
العاملين يطلب هذا الظرف من حيث المعنى ويكون من اعمال الثاني للحذف من الاول وهذا انما يتجه كل
الاتجاه اذا اجملت ولتصنع معطوفا على علة محذوفة متعلقة بالقيت اما اذا جعلته متعلقا بفعل
مضمر بعده فيبعد ذلك او يمتنع لكون الثاني صار من جملة اخرى الثالث ان يكون اذ تمشي بدلا من اذ
اوحينا قال الزمخشري فان قلت كيف يصح البدل والوقتان مختلفان متباعدان قلت كما يصح وان
اتسع الوقت وتباعد طرفاه ان يقول لك الرجل لقيت فلانا سنة كذا فتقول وانا لقيته اذ ذاك وربما
لقيه هو في اولها وانت في اخرها قال ابو حيان وليس كما ذكر لان السنة تقبل الاتساع فاذن وقع
لقيهما فيها بخلاف هذين الظرفين فان كل واحد منهما ضيق ليس بمتسع لتخصيصهما بما اضيفا اليه فلا
يمكن ان يقع الثاني في الظرف الذي وقع فيه الاول اذ الاول ليس متسعا لوقوع الوحي فيه ووقوع مشي
الاخت فليس وقت وقوع الفعل مشتملا على اجزا وقع في بعضها المشي بخلاف السنة قال شهاب الدين

وهذا احتمل منه عليه فان زمن اللقا ايضا ضيق لا يسع فعليهما وانما ذلك مبني على التساهل والمراد
ان الزمان مشتمل على فعليهما وقال ابو البقا ويجوز ان يكون بدلا من اذ الاولى لان مشي اخته كان منة
عليه يعني ان قوله اذ اوحينا منصوب بقوله مننا فاذا جعل اذ تمشي بدلا منه كان ايضا ممتنا به
عليه الرابع ان يكون العامل فيه مضمرا تقديره اذكر اذ تمشي وهو على هذا مفعول به لفساد المعنى
على الظرفية **فصل** اذ تمشي اختك اسمها مريم يروى انه فشا الخبر عن ان آل فرعون اخذوا
غلاما في النيل وكان لا يرتضع ثدي كل امراة يؤتى بها لان الله تعالى حرم عليه المراضع غير الله واضطروا
الى تتبع النسا فخرجت اخته متعرفة خبره فجات اليهم متنكرة فقالت هل ادلكم على من يكفله اي على امراة
ترضعه قالوا نعم فجات بالام فقبلت ثديها فذلك قوله فرجعناك الى امك كي تقر عينها بلقايك **قوله**
كي تقر عينها قرا العامة تقر بفتح التا والقاف وقرات فرقة تقر بكسر القاف وقد تقدم في سورة مريم
انهما لغتان وقرا جناح بن حبيش تُقر بضم التا وفتح القاف على البنا للمفعول عينها رفعا لما لم يسم
فاعله ولا تحزن اي يذهب عنها الحزن فان قيل لو قال كي لا تحزن وتقر عينها كان قوله ولا تحزن فضلا
لانه متى حصل السرور وجب زوال الغم لا محالة فالجواب المراد تقر عينها بسبب وصولك اليها ويزول
عنها الحزن بسبب وصول لبن غيرها الى باطنك **قوله** وقتلت نفسا فنجيناك من الغم وهذه المنة
الخامسة قال ابن عباس هو الرجل القبطي الذي قتله خطا بان وكزه حيث استغاثه الاسرايلي اليه
فحصل له الغم من وجهين الاول من عقاب الدنيا وهو اقتصاص فرعون منه على ما حكى الله تعالى عنه
فاصبح في المدينة خايفا يترقب والثاني من عقاب الله حيث قتله لا بامر الله فنجاه الله تعالى من
الغمين اما من فرعون فوفق له المهاجرة الى مدين واما من عقاب الاخرة فلانه تعالى غفر له ذلك قال
كعب الاحبار كان عمره اذ ذاك ابن اثنتي عشرة سنة **قوله** فتونا فيه وجهان احدهما انه مصدر
على فعول كالقعود والجلوس الا ان فعولا قليل في المتعدي ومنه الشكور والكفور والثبور واللزوم قال
تعالى لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا وهذا على مذهبهم في تاكيد الاخبار بالمصادر كقوله وكلم الله
موسى تكليما والثاني انه جمع فتن او فتنة على ترك الاعتداد بتا التانيث كحجور وبدور في حجرة
وبدرة اي فتناك ضروبا من الفتن عن ابن عباس انه ولد في عام يقتل فيه الولدان والقته امه في البحر
وقتل القبطي واجر نفسه عشر سنين وضل عن الطريق وتفرقت غنمه في ليلة مظلمة ولما سال سعيد بن
جبير عن ذلك اجاب بما تقدم وصار يقول عند كل واحدة هذه فتنة يا ابن جبير فالمعناه الزمخشري
وقال غيره بفتون من الفتن اي المحن تختبر بها وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس ان الفتون وقوعه
في محنة بعد محنة خلصه الله منها اولها ان امه حملته في السنة التي كان فرعون يذبح فيها الاطفال
ثم ان القاه في البحر في التابوت ثم منعه من الرضاع الا من ثدي امه ثم اخذه بلحية فرعون ثم هم
بقتله ثم تناوله الجمرة بدل الجوهرة ثم قتله القبطي وخروجه الى مدين خايفا فعلى هذا معنى فتناك
اخلصناك من تلك المحن كما يفتن الذهب بالنار فيتخلص من كل خبث فيه **فان قيل** انه تعالى
عدد انواع منه على موسى في هذا المقام فكيف يليق بهذا الموضع قوله وفتناك فتونا فالجواب
من وجهين الاول ما تقدم من ان فتناك بمعنى خلصناك تخليصا والثاني ان الفتنة تشديد المحنة
يقال فتن فلان عن دينه اذا اشتدت عليه المحنة حتى رجع عن دينه قال تعالى واذا اوذي في الله جعل
فتنة الناس كعذاب الله وقال احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون وقال
ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ولما كان التشديد في المحنة مما يوجب
كثرة الثواب عند الله من جملة النعم **فان قيل** هل يصح اطلاق الفتان عليه سبحانه اشتقاقا
من قوله وفتناك فتونا فالجواب لا لانه صفة ذم في العرف واسما الله تعالى توقيفية لاسيما فيما يوهم
ما لا ينبغي **قوله** فلبثت سنين في اهل مدين والتقدير وفتناك فتونا فخرجت خايفا الى اهل

مدين ولبثت سنين فيهم وهي اما عشر او ثمان كقوله تعالى على ان تاجرني ثماني حجج فان اتممت عشرا فمن عندك وقال وهب لبث موسى عند شعيب عليهما السلام ثمانية وعشرين سنة منها عشر سنين مهر امراته وبرده قوله تعالى فلما قضى موسى الاجل اي الاجل المشروط عليه في تزوجه ومدين بلدة شعيب على ثمان مراحل من مصر **قوله** ثم جئت على قدر يا موسى هذا الجار متعلق بمحذوف على انه حال من فاعل جئت اي جئت موافقا لما قدر ذلك كذا قدره ابو البقا وهو تفسير معنى والتفسير الصناعي ثم جئت مستقرا او كائنا على مقدار معين كقول الاخر

• نال الخلافة او جاءت على قدر • كما اتى ربه موسى على قدر •

ولا بد من حذف في الكلام اي على قدر امر من الامور وقال محمد بن كعب جئت على القدر الذي قدرت انك تجيء فيه وقال مقاتل كان موعدا في تقدير الله وقال عبد الرحمن بن كيسان على راس اربعين سنة وهو القدر الذي يوحي فيه الى الانبيا وهذا قول اكثر المفسرين اي على الموعد الذي وعده الله وقدر انه يوحي اليه بالرسالة وهو اربعون سنة **قوله** واصطنعتك لنفسي اي اخترتك واصطفيتك افتعال من الصنع لوحيي ورسالتي وابدلت التا طا لاجل حرف الاستعلا وهذا مجاز عن قرب منزلته ودنوه من ربه لان احدا لا يصطنع الا من يختاره قال القفال واصطنعتك اصله من قولهم اصطنع فلان فلانا اذا احسن اليه حتى يضاف اليه فيقال هذا صنيع فلان وجريح فلان وقوله لنفسي اي لاصرفك في اوامري لئلا تشتغل الا بما امرتك به وهو اقامة حجتي وتبليغ رسالتي وان تكون في حركاتك وسكناتك لي لا لنفسك ولا لغيرك وقال الزجاج اخترتك لامري وجعلتك القائم بحجتي والمخاطب بيني وبين خلقي كاني الذي اقمت عليهم الحجة وخاطبتهم **قوله** اذهب انت واخوك باياتي لما قال واصطنعتك لنفسي عقبه بذكر ما له اصطنعه وهو الابلاغ والادا والبا في باياتنا بمعنى مع لانهما لو ذهبا اليه بدون اية معهما لم يلزمه الايمان وذلك من اقوى الدلايل على فساد التقليد قال ابن عباس يعني الايات التسع التي بعث الله بها موسى وقيل انها العصى واليد لانهما اللذان جرى ذكرهما في هذا الموضع ولم يذكر انه عليه السلام اوتي قبل مجيئه الى فرعون ولا بعد مجيئه حتى لقي فرعون فالتمس منه اية غير هاتين الايتين قال تعالى حكاية عن فرعون ان كنت جيت باية فات بها ان كنت من الصادقين فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضا للناظرين وقال فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملايه فان قيل كيف يطلق لفظ الجمع على الاثنين فالجواب من وجوه احدها ان العصى كانت ايات انقلابها حيوانا ثم انها في اول الامر كانت صغيرة لقوله تعالى تهتز كانها جان ثم كانت تتعظم وهذه اية اخرى ثم كانت تصير ثعبانا وهذه اية اخرى ثم انه عليه السلام كان يدخل يده في فمها فلم تضره وهذه اية اخرى ثم كانت تنقلب عصى وهذه اية اخرى وكذلك اليد فان بياضها اية وشعاعها اية اخرى ثم زوالها بعد ذلك اية اخرى فدل ذلك على انهما كانتا ايات كثيرة وثانيها هب ان العصى امر واحد ولكن فيها ايات لان انقلابها حية يدل على وجود اله قادر على الكل عالم بالكل حكيم ويدل على نبوة موسى ويدل على جواز الحشر حيث انقلب الجماد حيوانا فهذه ايات كثيرة ولذلك قال ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا الى قوله فيه ايات بينات مقام ابرهيم ومن دخله كان امنا فها هنا اولى وثالثها قال بعضهم اقل الجمع اثنان وقيل معنى قوله باياتي امدكما باياتي واظهر على ايديكما من الايات ما تزاح به العلل من فرعون وقومه والمعنى فان اياتي معكما كما يقال اذهب فان جندي معك اي اني امدك بهم متى احتجت وقيل الايات العصى واليد وحل العقدة من لسانه وذلك ايضا معجزة **قوله** ولا تنيا يقال ونى يني ونيا كوعد يعد وعدا اذا فتر وكاسر والوني الفتور ومنه امراة اناة وصفوها بفتور القيام كناية عن ضخامتها قال

• منا الاناة وبعض القوم يحسبنا • انا بطاء وفي ابطاينا سرع •

والاصل ونات فابدلوا الهمزة من

الواو

الواو كاحد في وحد وليس بالقياس وفي الحديث ان فيك لخصلتين يحبهما الله الحلم والاناة والواني المقصر في امره قال الشاعر • فما انا بالواني ولا الضرع الغمر • وونى فعل لازم لا يتعدى وزعم بعضهم انه يكون من اخوات زال وانفك فيعمل بشرط النفي او شبهه عمل كان فيقال ما ونى زيد قايما اي ما زال قايما وانشد ابن مالك شاهدا على ذلك قوله • لا يني الحب شيمة الحب ما دام فلا تحسبنه ذا • اي لا يزال الحب اي بضم الحا شيمة الحب اي بكسرها وهو المحب ومن منع ذلك يتاول البيت على حذف حرف الجر بان هذا الفعل يتعدى تارة بعن وتارة بفي فيقال ما ونيت عن حاجتك فالتقدير لا يني الحب في شيمة المحب وفيه مجاز بليغ وقد عدي في الاية الكريمة بفي وقرا يحيى بن وثاب ولا تنيا بكسر التا اتباعا لحركة النون وسكن اليا من ذكري قرا اهل الحجاز وابو عمرو لنفسي اذهب وذكري اذهبا وان قومي اتخذوا ومن بعدي اسمه بفتح اليا فيهن وافقهم ابو بكر في من بعدي اسمه وقرا الاخرون باسكانها والمراد بالذكر تبليغ الرسالة وقيل لا تفترا عن ذكر الله والحكمة فيه ان من ذكر جلال الله استخف غيره فلا يخاف احدا وتقوى روحه بذلك الذكر فلا يضعف في مقصوده ومن ذكر الله لا بد وان يكون ذاكرا احسانه وذاكر احسانه لا يفتر في اداء اوامره وقيل لا تفترا في ذكري عند فرعون وكيفية الذكر ان يذكرا لفرعون وقومه ان الله تعالى لا يرضى منهم الكفر ويذكرا لهم امر الثواب والعقاب والترغيب والترهيب **قوله** اذهبا الى فرعون انه طغى ذكر المذهوب اليه في قوله اذهبا الى فرعون وحذفه في الاول في قوله اذهب انت واخوك اختصارا في الكلام وقال القفال فيه وجهان احدهما ان قوله اذهب انت واخوك باياتي يحتمل ان يكون كل واحد منهما مامورا بالذهاب على الانفراد فقيل مرة اخرى اذهبا ليعرفا ان المراد منه ان يشتغلا بذلك جميعا لا ان ينفرد به احدهما دون الاخر والثاني ان قوله اذهب انت واخوك باياتي امر بالذهاب الى كل الناس من بني اسرايل وقوم فرعون ثم قوله اذهبا الى فرعون امر بالذهاب الى فرعون وحده قيل وهذا فيه بعد بل الذهابان متوجهان لشي واحد وهو فرعون وقد حذف من كل من الذهابين ما اثبته في الاخر وذلك انه حذف المذهوب اليه من الاول واثبته في الثاني وحذف المذهوب به وهو باياتي من الثاني واثبته في الاول **فان قيل** قوله اذهبا الى فرعون خطاب مع موسى وهرون وهرون عليه السلام لم يكن حاضرا هناك وكذا في قوله تعالى قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى واجاب القفال بوجوه احدها ان الكلام كان مع موسى الا انه كان متبوع هرون فجعل الخطاب معه خطابا مع هرون وكلام هرون على سبيل التقدير بالخطاب في تلك الحالة وان كان مع موسى عليه السلام وحده الا انه تعالى اضافه اليهما كما في قوله واذ قتلتم نفسا فادارءتم فيها وقوله لين رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل وروي ان القايل هو عبد الله بن ابي وحده وثانيها يحتمل ان الله تعالى لما قال قد اوتيت سولك يا موسى سكت حتى لقي اخاه ثم ان الله تعالى خاطبهما بقوله اذهبا الى فرعون وثالثها حكي في مصحف بن مسعود قال ربنا اننا نخاف اي انا واخي **قوله** فقولا له قولا لينا قرا ابو معاذ قولا لينا وهو تخفيف من لين كميت في ميت وقوله لعله فيه اوجه احدها ان لعل على بابها من الترجي وذلك بالنسبة الى المرسل وهو موسى وهرون اي اذهبا على رجايكما وطمعكما في ايمانه اذهبا مترجيين طامعين وهذا معنى قول الزمخشري ولا يستقيم ان يرد ذلك في حق الله تعالى اذ هو عالم بعواقب الامور وعن سيبويه كلما ورد في القران من لعل وعسى فهو من الله واجب يعني انه مستحيل بقا معناه في حق الله تعالى والثاني ان لعل بمعنى كي فتفيد العلية وهذا قول الفرا قال كما تقول اعمل لعلك تاخذ اجرك اي كي تاخذ والثالث انها استفهامية اي هل يتذكر او يخشى وهذا قول ساقط وذلك انه يستحيل الاستفهام في حق الله تعالى كما يستحيل الترجي فاذا كان لا بد من التاويل فحمل اللفظ على ما يحمل له باقيا اولى من اخراجه عنه

ادعوا به

فان قيل لم امر الله تعالى باللين مع الكافر الجاحد فالجواب من وجهين احدهما انه كان
قد ربى موسى عليه السلام فامره ان يخاطبه بالرفق رعاية لتلك الحقوق وهذا تنبيه على نهاية تعظيم
حق الابوين والثاني ان من عادة الجبابرة اذا اغلظ لهم في الوعظ ان يزدادوا عتوا وتكبرا والمقصود
من البعثة حصول النفع لا حصول زيادة الضرر فلهذا امر الله تعالى بالرفق لعله يتذكر او يخشى
اي يتعظ ويخاف فصل اختلفوا في ذلك القول اللين فقال ابن عباس لا تعنفا في قولكما وقال
السدي وعكرمة كنياه فقولا يا ابا العباس وقيل يا ابا الوليد وقال مقاتل القول اللين هل لك
الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى وقولهما انا رسولا ربك الى قوله والسلام على من اتبع الهدى وقال
السدي القول اللين ان موسى اتاه ووعده على قبول الايمان شبابا لا يهرم وملكا لا ينزع منه
الا بالموت وتبقى عليه لذة المطعم والمشرب والمنكح الى حين موته واذا مات دخل الجنة فاعجبه ذلك
وكان لا يقطع امرا دون هامان وكان غايبا فلما قدم اخبره بالذي دعاه اليه موسى قال اردت ان
اقبل منه فقال له هامان كنت ارى لك عقلا ورايا انت رب تريد ان تكون مربوبا وانت تعبد
تريد ان تعبد فقلبه عن رايه فصل قال ابن الخطيب هذا التكليف لا يعلم سره الا الله تعالى
لانه تعالى لما علم انه لا يومن قط كان ايمانه ضد ذلك العلم الذي يمتنع زواله فيكون سبحانه عالما
بامتناع ذلك الايمان واذا كان عالما بذلك فكيف امر موسى بذلك الرفق وكيف بالغ في الامر بتلطف
دعوته الى الله تعالى مع علمه باستحالة حصول ذلك منه ثم مذهب ان المعتزلة بينا زعموا في هذا الاستاع
من غير ان يذكروا شبهة قادحة في هذا السوال ولكنهم سلموا انه كان عالما بانه لا تحصل ذلك الايمان
وسلموا ان فرعون لا يستفيد ببعثة موسى عليه السلام الا استحقاق العذاب والرحيم الكريم كيف يليق
به ان يدفع سكينا الى من علم قطعا انه يمزق به بطن نفسه ثم يقول انى ما اردت بدفع السكين اليه الا
الاحسان اليه يا اخي العقول قاصرة عن معرفة هذه الاسرار ولا سبيل فيها الا التسليم وترك
الاعتراض والسكوت بالقلب واللسان ويروى عن كعب انه قال والذي يحلف به كعب انه لمكتوب
في التورية فقولا له قولا لينا وساقسي قلبه فلا يومن قوله قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا او
ان يطغى قد تقدم ان هرون لم يكن حاضرا هناك فكيف قال قالا ربنا وتقدم جوابه فان قيل
ان موسى عليه السلام قال رب اشرح لي صدري واجابه الله بقوله قد اوتيت سولك يا موسى وهذا
يدل على انه قد شرح صدره وعين له ذلك الامر فكيف قال بعده اننا نخاف فان حصول الخوف
يمنع من حصول شرح الصدر فالجواب شرح الصدر عبارة عن قوته على ضبط تلك الاوامر والنواهي
وحفظ تلك الشرايع على وجه لا يتطرق اليها السهو والتحريف وذلك شي اخر غير زوال الخوف فان قيل
انما علم موسى وهرون عليهما السلام وقد حملهما الله تعالى الرسالة انه تعالى يومنهما من القتل فالجواب
قد امنا ذلك وان جوزا ان ينالهما السو من قبل تمام الاداء وبعده وايضا فانهما استظهرا بان سالا
ربهما ما يزيد في ثبات قلوبهما على دعايه وذلك بان ينضاف الدليل النقلي الى العقلي زيادة في
الطمانينة كما في قوله تعالى ولكن ليطمين قلبي فان قيل لما تكرر الامر من الله تعالى بالذهاب
فعدم الذهاب والتعلل بالخوف هل يدل على المعصية فالجواب ان اقتضى الامر الفور كان ذلك
من اقوى الدلايل على المعصية لا سيما وقد اكثر الله تعالى من انواع التشريف وتقوية القلب وازالة
الغم ولكن الامر لبس على الفور فزال السوال وهذا من اقوى الدلايل على ان الامر لا يقتضي الفور اذا ضممت
اليه ما يدل على ان المعصية غير جايزة على الرسل قوله ان يفرط علينا ان يفرط مفعول نخاف
ويقال فرط يفرط سبق وتقدم ومنه الفارط وهو الذي يتقدم الواردة الى الما وفرس فرط يسبق
الخيل اي نخاف ان يعجل علينا بالعقوبة ويبادرنا بها قاله الزمخشري ومن ورود الفارط بمعنى المتقدم
على الواردة قول الشاعر واستعجلونا وكانوا من صحابتنا كما تقدم فراط لوراد وفي الحديث انا

فرطكم على الحوض اي سابقكم ومتقدمكم وقرا يحيى بن وثاب وابن محيصن وابو نوفل يفرط بضم حرف
المضارعة وفتح الرا على البنا للمفعول والمعنى خافا ان يسبق في العقوبة اي يحمله حامل عليها وعلى المعاجلة
بها اما قومه واما الشيطان واما حب الرياسة واما ادعاوه الالهية وقرا ابن محيصن في رواية
والزعفراني ان يفرط بضم حرف المضارعة وكسر الرا من افرط قال الزمخشري من افرطه غيره اذا
حمله على العجلة خافا ان يحمله حامل على المعاجلة بالعقاب وقال كعب بن زهير
تنفي الرياح القذا عنه وافرطه من صوب سارية بيض يعاليل اي سبقت اليه هذه
البيض لتملاه وفاعل يفرط ضمير فرعون وهذا هو الظاهر الذي ينبغي ان لا يعدل عنه وجعله ابو البقا
مضمرا لدلالة الكلام عليه فقال فيجوز ان يكون التقدير ان يفرط علينا منه قول فاضمر القول لدلالة
الحال عليه كما تقول فرط مني قول وان يكون الفاعل ضمير فرعون كما كان في يطغى فصل قال ابن عباس
يفرط علينا يعجل علينا بالقتل والعقوبة يقال فرط عليه فلان اذا عجل بمكروه وفرط منه امر اي بدر
وسبق او ان يطغى يجاوز الحد بالتخطي الى ان يقول فيك ما لا ينبغي لجراته عليك واعلم ان من الاشيا
ما لو دفعه لا عذار يذكرها فلا يبدا بختم كلامه بما هو الاقوى كما ان الهدهد ختم عذره بقوله
وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله فكذا هاهنا بدا موسى بقوله ان يفرط علينا وختم بقوله
او ان يطغى لما كان طغيانه في حق الله تعالى اعظم من افراطه في حق موسى وهرون قوله قال
لا تخافا انني معكما اسمع واري اي لا تخافا مما عرض في قلبكما من الافراط والطغيان لان ذلك هو
المفهوم من الكلام لانه تعالى لم يومنهما من الرد ولا من التكذيب بالايات ومعارضة السحرة وقوله
انني معكما اي بالحراسة والحفظ وقوله اسمع واري قال ابن عباس اسمع دعاكما فاجيبه واري ما
يراد بكما فامنع لست بغافل عنكما فلا تهتما وقال القفال قوله اسمع واري يحتمل ان يكون مقابلا
لقوله يفرط علينا او ان يطغى بان لا يسمع منا او ان يطغى بان يقتلنا فقال الله تعالى انني معكما اسمع
كلامكما فاسخره للاستماع منكما واري افعاله فلا اتركه حتى يفعل بكما ما تكرهانه واعلم ان مفعول
اسمع واري محذوف فقيل تقديره اسمع اقوالكما واري افعالكما وعن ابن عباس اسمع جوابه لكما
واري ما يفعل بكما ويكون من حذف الاقتصاد نحو يحيي ويميت قوله فاتياه اعاد التكليف
المتقدم فقال فاتياه فقولا وذلك انه قال تعالى اذهب الى فرعون وثانيا قال اذهب
انت واخوك وثالثا قال اذهبا الى فرعون وانما قال هاهنا فاتياه فان قيل انه
تعالى امرهما بان يقولا له قولا لينا وهاهنا امرهما بان يقولا انا رسولا ربك فارسل معنا بني
اسرايل ولا تعذبهم وفي هذا تغليظ من وجوه الاول قوله انا رسولا ربك وهذا يقتضي انقياده
لهما والتزامه لطاعتهما وذلك يعظم على الملك المتبوع والثاني قوله فارسل معنا بني اسرايل فيه
ادخال النقص على ملكه لانه كان محتاجا اليهم فيما يريده من الاعمال وايضا امرهم له بالارسال
يقتضي وجود الطاعة والانقياد فيصير تحت امرهم والثالث نهيهم له بقولهم ولا تعذبهم والرابع
قولهم قد جيناك باية من ربك فما الفايدة في القول اللين اولا والتغليظ ثانيا فالجواب ان الانسان
اذا اظهر اللجاجة فلا بد له من التغليظ فان قيل اليس ان الاولى ان يقولا انا رسولا ربك قد
جيناك باية فارسل معنا بني اسرايل ولا تعذبهم لان ذكر المعجز مقرونا بادعا الرسالة اولى من تاخيره
عنه فالجواب بل هذا اولى لانهم ذكروا مجموع الدعاوي ثم استدلوا على ذلك المجموع بالمعجز قوله
قد جيناك باية من ربك قال الزمخشري هذه الجملة جارية من الجملة الاولى وهي انا رسولا ربك مجرى البيان
والتفسير لان دعوى الرسالة لا تثبت الا ببينتها التي هي مجي الاية فان قيل ان الله تعالى اعطاه
ايتين وهما العصا واليد ثم قال اذهب انت واخوك باياتي وذلك يدل على الثلاث ايات وقال
هاهنا جيناك باية وذلك يدل على انها كانت واحدة فكيف الجمع اجاب القفال بان معنى الاية

ههنا الاشارة الي جنس الايات كانه قال قد جيناك ببيان من عند الله ثم يجوز ان يكون ذلك حجة
واحدة او حججا كثيرة وقال غيره المراد في هذا الموضع تثبيت الدعوى ببرهانها فكانه قيل قد
جيناك بمعجزة وبرهان وحجة على ما ادعينا من الرسالة كقوله قد جيتكم ببينة من ربكم وقوله فات
باية ان كنت من الصادقين وقوله اولو جيتك بشي مبين وتقدم الجواب عن التثنية والجمع وان في
العصي واليد ايات **قوله** والسلام على من اتبع الهدى يحتمل ان يكون تسليما منهما لم يومرا بقوله فيكون
الجملة مستانفة لا محل لها من الاعراب قال بعضهم ان على بمعنى اللام اي والسلام لمن اتبع الهدى كقوله
لهم اللعنة ولهم سوء الدار اي عليهم اللعنة وقال تعالى من عمل صالحا فلنفسه ومن اسا فعليها وقال ان احسنتم
احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها وهذا وعد منهما لمن امن وصدق بالسلامة له من عقوبات الدنيا
والاخرة والسلام بمعنى السلامة كما يقال رضاع ورضاعة وقيل هذا من كلام الله تعالى كانه قال
فقولا انا رسولا ربك وقولا له والسلام على من اتبع الهدى وليس المراد منه التحية انما معناه سلم من
عذاب الله من اسلم **فصل** ارسل معنا بني اسرايل خل عنهم واطلقهم عن اعمالك ولا تعذبهم لا تتعبهم
في العمل وكان فرعون يستعملهم في الاعمال الشاقة **قوله** انا قد اوحي الينا ان العذاب على من كذب وتولى
هذه الاية من اقوى الدلايل على ان عقاب المومن لا يدوم لان الالف واللام في العذاب للاستغراق
او لافادة الماهية وعلى التقديرين يقتضي انحصار هذا الجنس في من كذب وتولى فوجب ان لا تحصل لغير
المكذب المتولي وظاهر هذه الاية يقتضي القطع بانه لا يعاقب احدا من المومنين بترك العمل به في بعض
الاوقات فوجب ان يبقى على اصله في نفي الدوام ولان العقاب المتناهي اذا حصل بعده السلامة
مدة غير متناهية صار ذلك العقاب كانه لا عقاب فلذلك تحسن مع حصول ذلك القدر ان
يقال انه لا عقاب وايضا فقوله والسلام على من اتبع الهدى يقتضي حصول السلامة لكل من اتبع
الهدى اذا فسرنا السلام بالسلامة والعارف بالله قد اتبع الهدى فوجب ان يكون صاحب السلامة
ومعنى الاية انما يعذب الله من كذب بما جينا به واعرض عنه **قوله** ان العذاب ان وما في حيزها
في محل الرفع لقيامها مقام الفاعل الذي حذف في وحي البناء وسبب بنايه للمفعول خوفا ان يبدا
من فرعون بادرة لمن اوحي لو سماه فطويا ذكره تعظيما له واستهانة بالمخاطب **قوله** قال فمن ربكما
يا موسى نادى موسى وحده بعد مخاطبته لهما معا اما لان موسى هو الاصل في الرسالة وهرون تبع
وردؤ ووزير واما لان فرعون كان الخبيث يعلم الرتة التي في لسان موسى ويعلم فصاحة اخيه بدليل
قوله واخي هرون هو افصح مني لسانا وقوله ولا يكاد يبين فاراد استنطاقه دون اخيه اما لانه حذف
المعطوف للعلم به اي يا موسى وهرون قاله ابو البقا وبدا به وقد يقال حسن الحذف كون موسى فاصله
لا يقال كان ينبغي في ذلك ان يتقدم هرون ويوخر موسى فيقال يا هارون وموسى فتحصل مجانسة الفواصل
من غير حذف لان بدا موسى اهم فهو المبدو به واعلم ان في الكلام حذف لانه لما قال فاتياه فقولا انا
رسولا ربك ان ارسل معنا بني اسرايل الى قوله ان العذاب على من كذب وتولى امر من الله تعالى لموسى بان
يقول لفرعون ذلك الكلام فالتقدير فذهبا الى فرعون فقالا له ذلك فقال مجيبا لهما من ربكما **قوله**
اعطى كل شي خلقه في هذه الاية وجهان احدهما ان يكون كل شي مفعولا اول وخلقه مفعولا ثانيا على معنى
اعطى كل شي شكله وصورته الذي يطابق المنفعة المنوطة به كما اعطى العين الهيئة التي تطابق الابصار
والاذن الشكل الذي يطابق الاستماع وبوافقه وكذلك اليد والرجل واللسان قاله مجاهد او اعطى
كل حيوان نظيره في الخلق والصورة حيث جعل الحصان والحجر زوجين والناقة والبعير والرجل والمراة ولم
يزاوج شي منها غير جنسه ولا ما هو مخالف لخلقه وقيل المعنى اعطى كل شي مخلوق خلقه اي هو الذي ابتدعه
وقيل المعنى اعطى كل شي مما خلق خلقه وصورته على ما يناسبه من الاتقان لم يجعل خلق الانسان
في خلق البهايم ولا بالعكس بل خلق كل شي فقدره تقديرا الثاني ان يكون كل شي مفعولا ثانيا وخلقه هو

الاول مقدم الثاني عليه والمعنى اعطى خليقته كل شي يحتاجون اليه ويرتفقون به وقرا عبد الله والحسن
والاعمش وابو نهيك وابن ابي اسحق ونصير عن الكسائي وجماعة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
خلقه بفتح اللام فعلا ماضيا وهذه الجملة في هذه القراة تحتمل ان تكون منصوبة المحل صفة لكل
او في محل جر صفة لشي وهذا معنى قول الزمخشري صفة للمضاف يعني كل او للمضاف اليه يعني شي والمفعول
الثاني على هذه القراة محذوف ويحتمل ان يكون حذفه حذف اختصار للدلالة عليه اي اعطى كل شي
خلقه ما يحتاج اليه ويصلحه او كماله ويحتمل ان يكون حذفه حذف اقتصار والمعنى ان كل شي خلقه
الله لم يخله من انعامه وعطايه **فصل** اعلم ان فرعون كان شديد عظيم الغلبة كثير
العسكر ثم ان موسى لما دعاه الى الله لم يبطش به ولم يوذه بل خرج معه في المناظرة لانه لو اذاه لنسب
الى الجهل والسفاهة فاستنكف من ذلك وشرع في المناظرة وذلك يدل على ان السفاهة من غير حجة
شي لم يرتضه فرعون مع كمال جهله وكفره فكيف يليق ذلك بمن يدعي الاسلام والعلم ثم ان فرعون لما
سال موسى عليه السلام عن ذلك قبل موسى ذلك السوال واشتغل باقامة الدلالة على وجود الصانع
وذلك يدل على فساد التقليد ويدل ايضا على فساد قول التعليمية الذين يقولون يستفيد معرفة
الاله من قول الرسول لان موسى عليه السلام اعترف ههنا بان معرفة الله تجب ان تكون متقدمة على معرفة
الرسول ودلت الاية ايضا على انه يجوز حكاية كلام المبطل لانه تعالى حكى كلام فرعون في انكاره الاله
وحكى شبهات منكري النبوة وشبهات منكري الحشر الا انه يجب ان يذكر الجواب مقرونا بالسوال كما
فعله الله تعالى في هذه المواضع ليلا يبقى الشك ودلت الاية على ان المحق يجب عليه استماع كلام المبطل
ويجيب عنه من غير ايذاء ولا ايحاش كما فعل موسى عليه السلام بفرعون ههنا ولقوله تعالى ادع الى سبيل
ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وقال وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله **فصل**
قال بعضهم ان فرعون كان عارفا بالله تعالى الا انه كان يظهر الانكار تكبرا وتجبرا لقوله لقد علمت
ما انزل هولاء الا رب السموات والارض فمن نصب التاء في علمت كان ذلك خطابا لموسى عليه السلام مع
فرعون وذلك يدل على ان فرعون كان عالما بذلك ولقوله وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا
ولانه لو لم يكن عاقلا لم يجز تكليفه والعاقل يعلم بالضرورة انه وجد بعد العدم ويعلم ان من كان
كذلك افتقر الى مدبر وهذان العلمان الضروريان يستلزمان العلم بوجود المدبر ولان قول
موسى عليه السلام ربنا الذي اعطى كل شي خلقه ثم هدى يقتضي ذلك لان كلمة الذي يقتضي وصف
المعرفة بجملة معلومة عند المخاطب وايضا فان ملك فرعون لم يتجاوز القبط ولم يبلغ الشام ولما
هرب موسى الى مدين قال له شعيب لا تخف انك من الامنين فمع هذا كيف يعتقد في نفسه انه
خالق هذه السموات والارض والشمس والقمر وانه خالق نفسه لانه يعلم بالضرورة عجزه عنها ويعلم
بالضرورة انها كانت موجودة قبله فحصل العلم الضروري بانه ليس موجدها ولا خالقها واختلفوا
في كيفية جهله بالله تعالى فيحتمل انه كان دهريا نافيا للمدبر ويحتمل انه كان فلسفيا قايلا بالعلة
الموجبة ويحتمل انه كان من عبدة الكواكب ويحتمل انه كان من الحلولية واما ادعاوه الربوبية لنفسه
فمعنى انه يجب عليهم طاعته والانقياد له **فصل** قال ههنا فمن ربكما يا موسى وقال في سورة
الشعرا وما رب العالمين وهو سوال عن الماهية فهما سوالان مختلفان والواقعة واحدة والاقرب
ان يقال سوال من كان مقدما على سوال ما لانه كان يقول اني انا الله والرب قال فمن ربكما فلما اقام
موسى الدلالة على الوجود وعرف انه لا يمكنه ان يقاومه في هذا المقام لظهوره وجلايه عدل الى الطلب
الماهية وهذا تنبيه على انه كان عالما بالله لانه ترك المنازعة في هذا المقام لعلمه بغاية ظهوره
وشرع في المقام الصعب لان العلم بماهية الله تعالى غير حاصل للبشر **فصل** قال فمن ربكما
فلم يقل من الهكما لانه اثبت نفسه ربا له في قوله الم نربك فينا وليدا فذكر ذلك على سبيل التعجب

كأنه قال انا ربك فلم تدعي ربا اخر وهذا يشبه كلام نمرود حين قال له ابرهيم ربي الذي يحيي ويميت
قال نمرود انا احيي واميت ولم يكن الاحيا والاماتة التي ذكرها ابرهيم هي التي عناها نمرود بل الاشتراك في
اللفظ فكذا ههنا لما ادعى موسى عليه السلام ربوبية الله تعالى ذكر فرعون هذا الكلام اي انا الرب
الذي ربيتك ومعلوم ان الربوبية التي ادعاها موسى عليه السلام لله تعالى غير هذه الربوبية في
المعنى وانه لا مشاركة بينهما الا في اللفظ **فصل** استدل موسى عليه السلام على اثبات الصانع
باحوال المخلوقات وهو قوله ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى وهذه الدلالة هي التي ذكرها
الله تعالى لمحمد عليه السلام في قوله سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى وقال
وقال ابرهيم عليه السلام فانهم عدو لي الا رب العالمين الذي خلقني فهو يهدين واعلم ان الخلق عبارة
عن تركيب القوالب والابدان والهداية عبارة عن ايداع القوى المدركة والمحركة في تلك الاجسام
فالخلق مقدم على الهداية كما قال تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الى ان قال ثم انشاناه
خلقا اخر واعلم ان عجايب حكمة الله تعالى في الخلق والهداية بحر لا ساحل له ولنذكر منه امثلة احدها
ان الطبيعي يقول الثقيل هابط والخفيف صاعد واثقل الاشيا الارض ثم الما واخفها النار ثم الهوى
فلذلك وجب ان تكون النار اعلا العنصريات والارض اسفلها ثم انه تعالى قلب هذا في خلقة الانسان فجعل
اعلا الاشيا منه الشعر والعظم وهما ايبس ما في البدن وهما بمنزلة الارض ثم جعل تحت الدماغ الذي
هو بمنزلة الما وجعل تحته النفس الذي هو بمنزلة الهوى وجعل تحته الحرارة الغريزية التي في القلب
وهي بمنزلة النار فجعل مكان الارض من البدن الاعلا وجعل مكان النار من البدن الاسفل ليعلم ان ذلك
بتدبير القادر الحكيم لا باقتضا العلة والطبيعة وثانيها انك اذا نظرت الى عجايب النحل في تركيب
البيوت المسدسة وقسمتها وعجايب احوال البق والبعوض في اهتدايها الى مصالح انفسها لعرفت
ان ذلك لا يمكن الا بالهام مدبر عالم بجميع المعلومات وثالثها انه تعالى هو الذي انعم على الخلايق بما
به قوامهم من المطعوم والمشروب والملبوس والمنكوح ثم هداهم الى كيفية الانتفاع بها فيستخرجون المعادن
من الجبال واللالي من البحار ويركبون الادوية والدياقات النافعة ويجمعون بين الاشيا المختلفة ويستخرجون
لذايذ الاطعمة فدل ذلك على انه تعالى هو الذي خلق كل الاشيا ثم اعطاهم العقول التي بها يتوصلون الى
كيفية الانتفاع بها وليس هذا مختص بالانسان بل عام في جميع الحيوان فاعطى كل الانسان انسانة والحمار
حمارة والبعير ناقة ثم هداه لها ليدوم التناسل وهدى الاولاد هدي الامهات بل هذا غير مختص
بالحيوانات بل هو حاصل في اعضايها فخلق اليد على تركيب خاص واودع فيها قوة الاخذ وخلق الرجل على
تركيب خاص واودع فيها قوة المشي وكذا العين والاذن وجميع الاعضا ثم ربط البعض بالبعض على وجه
يحصل من ارتباطها مجموع واحد من الانسان وانما دلت هذه الاشيا على وجود الصانع لان اتصاف
كل جسم من هذه الاجسام بتلك الصفة اعني التركيب والقوة الهادية اما ان يكون واجبا او جايزا والاول
باطل لانا نشاهد تلك الاجسام بعد الموت منفكة عن ذلك التركيب والقوى فدل على ان ذلك جايز
والجايز لا بد له من مرجح وليس ذلك المرجح هو الانسان ولا ابواه لان فعل ذلك يستدعي قدرة عليه وعلما بما
فيه من المصالح والمفاسد والامران منتفيان عن الانسان لانه بعد كمال العقل يعجز عن تغيير شعرة واحدة
وبعد البحث الشديد عن كتب التشريح لا يعرف من منافع الاعضا ومصالحها الا القدر القليل فلا بد وان يكون
المتولي لتدبيرها وترتيبها موجودا اخر وذلك الموجود لا يجوز ان يكون جسما لان الاجسام متساوية
في الجسمية واختصاص ذلك الجسم بتلك المؤثرية لا بد وان يكون جايزا فيفتقر الى سبب اخر والدور
والتسلسل محالان فلا بد من الانتها في سلسلة الحاجة الى مدبر ليس بجسم ولا جسماني ثم تاثير ذلك المؤثر اما
ان يكون بالذات او بالاختيار والاول محال لان الموجب لا يميز مثلا عن مثل وهذه الاجسام متساوية
في الجسمية فلم اختص بعضها بالصورة الفلكية وبعضها بالصورة العنصرية وبعضها بالنباتية وبعضها بالحيوانية

فثبت ان المؤثر قادر والقادر لا يمكنه مثل هذه الافعال العجيبة الا اذا كان عالما ثم ان هذا المدبر
الذي ليس بجسم ولا جسماني لا بد وان يكون واجب الوجود في ذاته وصفاته والا لافتقر الى مدبر اخر ولزم
التسلسل وهو محال واذا كان واجب الوجود في قادريته وعالميته والواجب لذاته لا يتخصص ببعض الممكنات
دون البعض فوجب ان يكون عالما بكل ما صح ان يكون معلوما وقادرا على كل ما صح ان يكون مقدورا
فظهر بهذه الدلالة التي تمسك بها موسى وقررناها استنادا العالم الى مدبر ليس بجسم ولا جسماني وهو واجب
الوجود في ذاته وصفاته عالم بكل المعلومات قادر على كل المقدورات وذلك هو الله سبحانه وتعالى
قوله قال فما بال القرون الاولى البال الفكر يقال خطر ببالي كذا ولا يثنى ولا يجمع وشذ جمعه على بالات
ويقال للحال المكترث بها وكذلك يقال ما باليت بالة والاصل باليه كعافية تحذف لامه تخفيفا **ك**
فصل قال المفسرون البال الحال اي ما حال القرون الماضية والامم الخالية كقوم نوح وعاد وثمود
وفي ارتباط هذا الكلام بما قبله وجوه الاول ان موسى عليه السلام لما قرر على امر المبدا قال فرعون
ان كان اثبات المبدا ظاهرا الى هذا الحد فما بال القرون الاولى ما اثبتوه بل تركوه فكان موسى عليه السلام
لما استدل على اثبات الصانع بالدلالة القاطعة قدح فرعون في تلك الدلالة بقوله ان كان الامر على ما
ذكرت من قوة الدلالة وجب على اهل القرون الماضية ان لا يغفلوا عنه فعارض الحجة بالتقليد الثاني
ان موسى عليه السلام لما هدده بالعذاب في قوله ان العذاب على من كذب وتولى قال فرعون فما بال القرون
الاولى فانها كذبت ولم يعذبوا الثالث وهو الاظهر ان فرعون لما قال فمن ربكما يا موسى فذكر موسى عليه السلام
دليلا ظاهرا على صحة دعواه فقال ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى خاف فرعون فاراد ان يصرفه عن
ذلك الكلام ويشغله بالحكايات فقال فما بال القرون الاولى فلم يلتفت موسى عليه السلام الى ذلك الحديث
وقال علمها عند ربي في كتاب ولا يتعلق غرضي باحوالهم ولا اشتغل بها ثم عاد الى تتميم كلامه الاول وابراز
الدلايل الباهرة على الوحدانية فقال الذي جعل لكم الارض مهادا وسلك لكم فيها سبلا وهذا الوجه هو
المعتمد في صحة النظم **فان قيل** العلم الذي عند الرب كيف يكون في الكتاب وذلك ان علم الله صفة
قايمة به فكون صفة الشيء حاصلة في كتاب غير معقول فذكروا في الجواب وجهين الاول معناه انه تعالى
اثبت تلك الاحكام في كتاب عنده ليكون ما كتبه فيه ظاهرا للملايكة فيكون ذلك زيادة لهم في الاستدلال
على انه تعالى عالم بكل المعلومات منزه عن السهو والغفلة ولقايل ان يقول قوله في كتاب يوهم احتياجه
سبحانه في العلم الى ذلك الكتاب وهذا وان كان غير واجب لا محالة ولكنه لا اقل من ان يوهمه في اول الامر
لا سيما للكفار فكيف يحسن ذكره مع معاند مثل فرعون في وقت الدعوة الوجه الثاني ان يفسر ذلك
بان بقا تلك المعلومات في علمه سبحانه كبقا المكتوب في الكتاب فيكون الغرض من هذا الكلام تاكيد
القول باسرارها معلومة لله تعالى بحيث لا يزول شيء منها عن علمه ويؤكد هذا التفسير قوله بعد ذلك
لا يضل ربي ولا ينسى وقيل انما رد موسى علم ذلك الى الله لانه لم يعلم ذلك فان التورية انزلت بعد هلاك
فرعون والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ **قوله** علمها عند ربي في خبر هذا المبتدا وجوه احدها انه عند
ربي وعلى هذا فقوله في كتاب متعلق بما تعلق به الظرف من الاستقرار ومتعلق بمحذوف على انه حال
من الضمير المستتر في الظرف او خبر ثان الثاني ان الخبر قوله في كتاب فعلى هذا قوله عند ربي معمول
للاستقرار الذي تعلق به في كتاب كما تقدم في عكسه او يكون حالا من الضمير المستتر في الجار الواقع خبرا
وفيه خلاف اعني تقديم الحال على عاملها المعنوي والاخفش يجيزه ويستدل بقراءة والسموات مطويات
بيمينه وقوله ... رهط ابن كوز محقبي ادراعهم فيهم ورهط ربيعة بن حذار وقال بعض النحويين انه
اذا كان العامل معنويا والحال ظرفا او عديله حسن التقديم عند الاخفش وغيره وهذا منه او يكون
ظرفا للعلم نفسه او يكون حالا من المضاف اليه وهو الضمير في علمها ولا يجوز ان يكون في كتاب متعلقا بعلمها
على قولنا ان عند ربي الخبر كما جاز تعلق عند ربي به لئلا يلزم الفصل بين المصدر ومعموله باجنبي وقد تقدم

انه لا خبر عن الموصول الا بعد تمام صلته الثالث ان يكون الظرف وحرف الجر معا خبرا واحدا في المعنى
فيكون بمنزلة هذا حلو حامض قاله ابو البقا وفيه نظر اذ كل منهما يستقل بفايدة الخبرية بخلاف هذا
حلو حامض والضمير في علمها فيه وجهان اظهرهما عوده على القرون والثاني عوده على الغيبة لدلالة ذكر
القرون على ذلك لانه ساله عن بعث الامم والبعث يدل على الغيبة **قوله** لا يضل ربي في هذه الجملة
وجهان احدهما انها في محل جر صفة لكتاب والعايد محذوف تقديره في كتاب لا يضله ربي او لا يضل
حفظه ربي فربي فاعل يضل على هذا التقدير وقيل تقديره الكتاب ربي فيكون في يضل ضمير
يعود على كتاب وربي منصوب على التعظيم وكان الاصل عنه ربي فحذف الحرف اتساعا يقال ضللت
كذا وضللته بفتح اللام وكسرها لغتان مشهورتان واشهرهما الفتح والثاني انها مستانفة لا محل لها من
الاعراب ساقها تبارك وتعالى لمجرد الاخبار بذلك حكاية عن موسى وقرا الحسن وقتادة والجحدري وعيسى
الثقفي وابن محيصن وحماد بن سلمة لا يضل بضم اليا اي لا يضل ربي الكتاب اي لا يضيعه يقال
اضللت الشي اي اضعته فربي فاعل على هذا التقدير وقيل تقديره لا يضل احد ربي عن علمه اي عن
علم الكتاب فيكون الرب منصوبا على التعظيم وفرق بعضهم بين ضللت واضللت فقال ضللت منزلي
بغير الف واضللت بعيري ونحوه من الحيوان بالالف نقل ذلك الرماني عن العرب وقال الفرا يقال
ضللت الشي اذا اخطات مكانه وضللت لغتان فلم تهتد له لقولك ضللت الطريق والمنزل ولا
يقال اضللته الا اذا ضاع منك كالدابة انفلتت وشبهها **قوله** ولا ينسى في فاعل ينسى قولان
احدهما انه عايد على ربي اي ولا ينسى ربي ما اثبته في الكتاب والثاني ان الفاعل ضمير عايد على الكتاب
على سبيل المجاز كما اسند اليه الاحصا مجازا في قوله الا احصاها لما كان محلا للاحصا **فصل**
قال مجاهد في قوله تعالى لا يضل ربي ولا ينسى ان معنى اللفظين واحد اي لا يذهب عليه شي ولا يخفى عليه
وفرق الاكثرون بينهما فقال القفال لا يضل عن الاشيا ومعرفتها وما علم من ذلك لم ينسه فاللفظ
الاول اشارة الى كونه عالما بكل المعلومات وقوله ولا ينسى دليل على بقا ذلك العلم ابد الاباد
وهو اشارة الى نفي التغير وقال مقاتل لا يخطي ذلك الكتاب ربي ولا ينسى ما فيه وقال الحسن
لا يخطي وقت البعث ولا ينساه وقال ابو عمرو واصل الضلال الغيبوبة والمعنى لا يغيب عن شي ولا
يغيب عنه شي وقال ابن جرير لا يخطي في التدبير فيعتقد في ما ليس بصواب كونه صوابا واذا عرفه
لا ينساه وكلها متقاربة والتحقيق هو الاول واعلم ان فرعون لما سال موسى عن الاله فقال فمن
ربكما وكان ذلك مما سبيله الاستدلال اجاب بالصواب باوجز عبارة واحسن معنى ولما ساله عن
القرون الاولى وكان ذلك مما سبيله الاخبار ولم ياته خبر في ذلك وكله الى عالم الغيوب **قوله**
الذي جعل في هذا الموصول وجهان احدهما انه خبر مبتدا مضمر او منصوب باضمار امدح وهو على هذين
التقديرين من كلام الله تعالى لا من كلام موسى وانما احتجنا الى ذلك لان قوله فاخرجنا به وقوله كلوا
وارعوا انعامكم وقوله منها خلقناكم الى قوله ولقد اريناه لا ياتي ان يكون من كلام موسى فلذلك
جعلناه من كلام الباري تعالى ويكون فيه التفات من ضمير الغيبة الى ضمير المتكلم المعظم نفسه فان قلت
اجعله من كلام موسى يعني انه وصف ربه تعالى بذلك ثم التفت الى الاخبار عن الله بلفظ التكلم قيل انما
جعلناه التفاتا في الوجه الاول لان المتكلم واحد بخلاف هذا فانه لا ياتي فيه الالتفات المذكور
واخواته من كلام الله والثاني ان الذي صفة لربي فيكون في محل رفع او نصب على حسب ما تقدم
من اعراب ربي وفيه ما تقدم من الاشكال في نظم الكلام من قوله فاخرجنا واخواته من عدم جواز
الالتفات وانما كان قد قال بذلك الزمخشري والحوفي وقال ابن عطية ان كلام موسى تم عند قوله وانزل
من السما ماء وان قوله فاخرجنا الى اخره من كلام الله تعالى وفيه بعد وقرا الكوفيون مهدا بفتح الميم
وسكون الها من غير الف والباقون مهادا بكسر الميم وفتح الها والف بعدها وفيه وجهان احدهما انه

الفضل انهما مصدران بمعنى واحد يقال مهدته مهدا ومهادا والثاني انهما مختلفان فالمهاد هو الاسم
والمهد هو الفعل كالفرش والفراش فالفرش المصدر والفراش اسم لما يفرش وان مهادا جمع مهد نحو فرخ
وفراخ وكعب وكعاب ووصف الارض بالمهد اما مبالغة واما على حذف مضاف اي ذات مهد وقال
ابو عبيد الذي اختاره مهادا وهو اسم والمهد الفعل وقال غيره المهد الاسم والمهاد الجمع كالفرش والفراش
اجاب ابو عبيد بان الفراش والفرش فعل **قوله** شتى فعلى والفه للتانيث وهو جمع لشتيت نحو
مرضى في جمع مريض وجرحى في جمع جريح وقتلى في جمع قتيل يقال شت الامر يشت شتا وشتاتا فهو شت
اي تفرق وشتان اسم فعل ماض بمعنى افترق ولذلك لا يكتفي بواحد وفي شتى وجه احدها انها منصوبة
نعتا لازواجا اي ازواجا متفرقة بمعنى مختلفة الالوان والطعوم والثاني انها منصوبة على الحال من ازواجا
وجاز مجي الحال من النكرة لتخصصها بالصفة وهي من نبات الثالث ان ينتصب على الحال ايضا من فاعل
الجار لانه لما وقع وصفا رفع ضميرا فاعلا الرابع انه في محل جر نعتا لنبات قال الزمخشري يجوز ان يكون
صفة لنبات ونبات مصدر سمي به النابت كما سمي بالنبت واستوى فيه الواحد والجمع يعني انها شتى
مختلفة النفع واللذة والطعم واللون والرايحة والشكل بعضها يصلح للناس وبعضها للبهايم و وافقه ابو البقا
ايضا والظاهر الاول **قوله** كلوا منصوب بقول محذوف وذلك القول منصوب على الحال من فاعل
اخرجنا تقديره فاخرجنا كذا قايلين كلوا وترك مفعول الاكل على حد تركه في قوله تعالى وكلوا واشربوا
وارعوا رعى يكون لازما ومتعديا يقال رعى الدابة رعيا فهو راعيها ورعت الدابة ترعى رعيا فهي راعية وجا
في الاية متعديا **والنهى** فيه قولان احدهما انه جمع نهية كغرف جمع غرفة والثاني انها اسم مفرد
وهو مصدر كالهدى والسرى قاله ابو علي وقد تقدم اول الكتاب انهم قالوا لم يات مصدر على فعل
من المعتل اللام الا السرى والهدى وبكى وان بعضهم زاد لقى وانشد عليه بيتا وهذا اللفظ اخر فيكون
خامسا والنهى العقل قالوا سمي بذلك لانه ينهى صاحبه عن ارتكاب القبايح **فصل** لما ذكر موسى
عليه السلام الدلالة الاولى وهي دلالة عامة تتناول جميع المخلوقات من الحيوان والنبات والجماد
ذكر بعده دلايل خاصة فقال الذي جعل لكم الارض مهادا اي جعلها بحيث يتصرف العباد وغيرهم
عليها بالنوم والقعود والقيام والزراعة وجميع المنافع المذكورة في تفسير قوله الذي جعل لكم الارض
فراشا وسلك لكم فيها سبلا السلك ادخال الشي في الشي اي ادخل في الارض لاجلكم طرقا تسلكونها قال
ابن عباس سهل لكم فيها طرقا وانزل من السما ماء تقدم الكلام فيه في البقرة فاخرجنا به ازواجا تقدم
ان هذا من كلام موسى تقديره يقول ربي الذي جعل لكم كذا وكذا فاخرجنا نحن معاشر عباده بذلك
الما بالحراثة ازواجا من نبات وتقدم ان الصحيح انه من كلام الله تعالى لان ما بعده لا يليق بموسى
عليه السلام ولان اكثر ما في قدرته صرف المياه الى سقي الاراضي والحراثة فاما اخراج النبات على اختلاف
طبايعه والوانه واشكاله فليس من موسى عليه السلام فثبت انه كلام الله تعالى وقوله ازواجا اي
اصنافا سميت بذلك لانها مزدوجة مقترنة بعضها مع بعض شتى مختلفة الالوان والطعوم والمنافع بعضها
يصلح للناس وبعضها للبهايم كلوا امرا اباحة وارعوا انعامكم يقول العرب رعيت الغنم فرعت اي اسيموا
انعامكم ترعى ان في ذلك اي فيما ذكرت من هذه النعم لايات لعبرة او دلالات لاولي النهى لذوي العقول
قال الضحاك لاولي النهى الذين ينتهون عما حرم الله عليهم وقال قتادة لذوي الورع **قوله تعالى**
منها خلقناكم الاية لما ذكر منافع الارض والسما بين انها غير مطلوبة لذاتها بل لكونها وسايل الى منافع
الاخرة فقال منها خلقناكم اي من الارض **فان قيل** انما خلقنا من النطفة على ما بين في ساير
الايات فالجواب من وجوه الاول انه لما خلق اصلنا وهو ادم عليه السلام من تراب كما قال
كمثل ادم خلقه من تراب حسن اطلاق ذلك علينا الثاني ان قوله الانسان انما هو من النطفة ودم
الطمث وهما يتولدان من الاغذية والغذا اما حيواني او نباتي والحيواني ينتهي الى النباتي والنبات

انما يحدث من امتزاج الما والتراب فصح انه سبحانه خلقنا منها وذلك لانا في كوننا مخلوقين من النطفة
الثالث روي ابن مسعود ان ملك الارحام ياتي الي الرحم حين يكتب اجل المولود ورزقه والارض التي
يدفن فيها وانه ياخذ من تراب تلك البقعة ويذره علي النطفة ثم يدخلها في الرحم ثم قال وفيها نعيدكم
اي عند الموت والدفن ومنها نخرجكم تارة اخري يوم البعث **قوله تعالى** ولقد اريناه اياتنا
الاية الروية بصرية فلما دخلت همزة النقل تعدت بها الي اثنين وهما الها والثاني اياتنا والمعني
ابصرناه والاضافة هنا قايمة مقام التعريف العهدي اي الايات المعروفة كالعصي واليد ونحوهما
والافلم يري الله تعالى فرعون جميع اياته وجوز الزمخشري ان يراد بها الايات علي العموم بمعنى ان
موسي عليه السلام اراه الايات التي بعث بها وعدد عليه الايات التي جات بها الرسل قبله عليهم السلام
وهو نبي صادق ولا فرق بين ما تخبر عنه وبين ما يشاهد به قال ابوحيان وفيه بعد لان الاخبار بالشي
لا يسمي روية له الا بمجاز بعيد وقيل بل الروية هنا قلبية فالمعني اعلمناه وايد ذلك انه لم يره
الا العصي واليد فقط ومن جوز استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه او اعمال المشترك في معنييه يجيز
ان يراد المعنيان جميعا وتاكيد الايات بكلها يدل علي ارادة العموم لانهم قالوا فايدة التوكيد بكل
واخواتها دفع توهم وضع الاخص موضع الاعم فلا يدعي انه اراد بالايات ايات مخصوصة وهذا يتمشي
علي ان الروية قلبية ويراد بالايات ما يدل علي وحدانية الله وصدق المبلغ فاما الايات الدالة
علي الوحدانية فقوله الذي اعطي كل شي خلقه ثم هدي وقوله الذي جعل لكم الارض مهدا الي اخره
وما ذكره في سورة الشعرا قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والارض وما بينهما الايات
واما الايات الدالة علي صدق المبلغ فهي الايات التسع المختصة بموسي عليه السلام وهي العصا واليد
وفلق البحر والحجر والجراد والقمل والضفادع والدم ونتق الجبل ومعنا اريناه عرفناه صحتها
واوضحنا له وجه الدلالة فيها وانما اضاف الايات الي نفسه سبحانه وتعالى مع ان المظهر لها موسي
لانه اجراها علي يديه كما اضاف نفخ الروح الي نفسه فقال فنفخنا فيها من روحنا مع ان النفخ كان
من جبريل عليه السلام ولم يذكر مفعول التكذيب والاباء تعظيما له وهو معلوم **فصل** ولقد
اريناه اياتنا يعني الايات التسع فكذب بها وزعم انها سحر وابي ان يسلم فان قيل قوله كلها
يفيد العموم والله تعالى ما اراه جميع الايات لان من جملة الايات ما اظهرها علي ايدي الانبيا
قبل موسي عليه السلام وبعده فالجواب لفظ الكل وان كان للعموم لكن قد يستعمل في الخصوص مع
القرينة كما يقال دخلت السوق فاشتريت كل شي او يقال ان موسي عليه السلام اراه اياته وعدد
عليه ايات غيره من الانبيا فكذب فرعون بالكل او يقال تكذيب بعض المعجزات يقتضي تكذيب الكل
فحكي الله تعالى ذلك علي الوجه الذي يلزم قال القاضي الابا الامتناع وانه لا يوصف به الا من
كذب يتمكن من الفعل والترك ولانه تعالى ذمه بانه كذب وبانه ابي ولو انه لم يقدر علي ما هو فيه لم
يصح وهذا السوال وجوابه تقدم في سورة البقرة في ابليس ابي واستكبر **قوله** اجيتنا لتخرجنا من
ارضنا يعني مصر بسحرك ياموسي وتركيب هذه الشبهة عجيب وذلك لانه القي في مسامعهم ما يصيرون
مبغضين له جدا وهو قوله اجيتنا لتخرجنا من ارضنا لان هذا مما يشق علي الانسان في النهاية ولذلك
جعله الله تعالى مساويا للقتل في قوله اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ثم لما صار واقي نهاية
البغض له اورد الشبهة الطاعنة في نبوته عليه السلام وهي ان ما جيتنا به سحر لا معجز ولما علم ان المعجز
انما يتميز عن السحر بكون المعجز مما يتعذر معارضته قال فلناتينك بسحر مثله **قوله** فلناتينك
جواب قسم محذوف تقديره والله لناتينك وقوله بسحر يجوز ان يتعلق بالاتيان وهذا هو الظاهر
ويجوز ان يتعلق بمحذوف علي انه حال من فاعل الاتيان اي متلبسين **قوله** موعدا يجوز ان يكون زمانا
كقوله ان موعدهم الصبح ويرجحه قوله موعدكم يوم الزينة والمعني عين لنا وقت اجتماع ولذلك

اجابهم

اجابهم بقوله موعدكم يوم الزينة وضعفوا هذا بانه ينبو عنه قوله موعدكم يوم وبقوله لانخلفه
بان المعني لانخلف الوقت في الاجتماع فيه ويجوز ان يكون مكانا والمعني تبين لنا مكانا معلوما نعرفه
نحن وانت فناتيه وتايد بقوله مكانا سوي فان هذا ايدل علي انه مكان وهذا اينبو عنه قوله
موعدكم يوم الزينة ويجوز ان يكون مصدرا اي اجعل بيننا وبينك وعدا لانخلفه ويويد هذا
قوله لانخلفه نحن ولا انت لان الوعد هو الذي يصح وصفه بالخلف وعدمه والي هذا انحا
جماعة مختارين له ويرد عليهم بقوله موعدكم يوم الزينة فانه لا يطابقه وقال الزمخشري
ان جعلته زمانا نظرا في ان قوله موعدكم يوم الزينة مطابق له لزمك شيان ان تجعل الزمان
مخلفا وان يعضل عليك ناصب مكانا وان جعلته مكانا لقوله مكانا سوي لزمك ايضا ان يوقع
الاخلاف علي المكان وان لا يطابق قوله موعدكم يوم الزينة وقراة الحسن غير مطابقة له زمانا
ومكانا جميعا لانه قرا يوم الزينة بالنصب فبقي ان تجعل مصدرا بمعني الوعد ويقدر مضاف
محذوف اي مكان الوعد ويجعل الضمير في نخلفه للوعد ومكانا بدل من المكان المحذوف فان قلت
فكيف طابقه قوله موعدكم يوم الزينة ولا بد من ان تجعله زمانا والسوال واقع عن المكان
لا عن الزمان قلت هو مطابق معني وان لم يطابقه لفظا لانهم لابد لهم ان يجتمعوا يوم الزينة في مكان
بعينه مشتهر باجتماعهم فيه في ذلك الزمان فبذكر الزمان علم المكان واما قراة الحسن فالموعد
فيها مصدر لا غير والمعني انجاز وعدكم يوم الزينة وطابق هذا ايضا من طريق المعني ويجوز
ان لا يقدر مضاف محذوف ويكون المعني اجعل بيننا وبينك وعدا لانخلفه وقال ابوالبقا
هو هنا مصدر لقوله لانخلفه نحن ولا انت والجعل هنا بمعني التصيير وموعدا مفعول اول
والظرف هو الثاني والجملة من قوله لانخلفه صفة لموعدا ونحن توكيد مصحح للعطف علي الضمير
المرفوع المستتر في نخلفه ومكانا بدل من المكان المحذوف كما قدره الزمخشري وجوز ابوعلي الفارسي
وابوالبقا ان ينتصب مكانا علي المفعول الثاني لاجعل قال وموعدا علي هذا مكان ايضا ولا ينتصب
بموعد لانه مصدر قد وصف يعني انه يصح نصبه مفعولا ثانيا ولكن بشرط ان يكون الموعد
بمعني المكان ليطابق المبتدا والخبر في الاصل وقوله ولا ينتصب بالمصدر يعني انه لا يجوز ان يدعي
انتصاب مكانا بموعد والمراد بالموعد المصدر وان كان جايزا من جهة المعني لان الصناعة
تاباه وهو وصف المصدر والمصدر شرط اعماله عدم وصفه قبل العمل عند الجمهور وهذا
الذي منعه الفارسي وابوالبقا جوزه الزمخشري وبدا به فقال فان قلت فبم ينتصب مكانا
قلت بالمصدر وانما يدل عليه المصدر فان قلت كيف يطابقه الجواب قلت اما علي قراة
الحسن فظاهر واما علي قراة العامة فعلي تقدير وعدكم وعد يوم الزينة قال ابوحيان وقوله
ان مكانا ينتصب بالمصدر ليس بجايز لانه قد وصف قبل العمل بقوله لانخلفه وهو موصول
والمصدر اذا وصف قبل العمل لم يجز ان يعمل عندهم ثم قال شهاب الدين الظروف والمجرورات
يتسع فيها ما لا يتسع في غيرها وفي المسئلة خلاف مشهور وابوالقسم نحا الي جواز ذلك وجعل
الحوفي انتصاب مكانا علي الظرف وانتصابه باجعل فتحصل في نصب مكانا خمسة اوجه احدها
انه بدل من مكانا المحذوف الثاني انه مفعول ثان للجعل الثالث انه نصب باضمار فعل
الرابع انه منصوب بنفس المصدر الخامس انه منصوب علي الظرف بنفس اجعل وقرا ابوجعفر
وشيبه لانخلفه بالجزم علي جواب الامر والعامة بالرفع علي الصفة لموعد كما تقدم وقرا
ابن عامر وحمزة وعاصم والحسن سوي بضم السين منونا وصلا والباقون بكسرها وهما لغتان
مثل عدي وعدي وطوي وطوي فالكسر والضم علي انها صفة بمعني مكان عدلا الا ان الصفة
علي فعل كثيرة نحو لبد وحطم وقليله علي فعل وحكي سيبويه لحم زيم ولم ينون الحسن سوي

اجري الوصل مجرى الوقف ولاجايز ان يكون منع صرفه للعدل على فعل كعمر لان ذاك في الاعلام
واما فعل في الصفات فمصروفة نحو حطم ولبد وقرا عيسى بن عمر سوى بالكسر من غير تنوين وهي كقراة
الحسن في التاويل وسوى معناه عدلا ونصفه قال الفارسي كانه قال قربه منا قال الاخفش سوى
مقصور ان كسرت سينه او ضممت وممدود ان فتحتها ثلاث لغات ويكون فيها جميعها بمعنى
غير وبمعنى عدل ووسط بين الفريقين قال الشاعر
وان ابانا كان حل ببلدة ** سوى بين قيس قيس عيلان والفزر
قال وتقول مررت برجل
سواك وسواك وسوائك اي غيرك ويكون للجميع واعلا هذه اللغات الكسر قاله النحاس وزعم بعض
اهل اللغة والتفسير ان معنى مكانا سوى مستو من الارض لا وعر فيه ولا حزونة **فصل** قال
مقاتل وقتادة ومكانا عدلا بيننا وبينك وعن ابن عباس نصفا اي تستوي مسافة الفريقين
وقال مجاهد منصفا بيننا قال الكلبي مكانا سوى هذا المكان الذي نحن فيه وقال ابن زيد
مستويا لا يحجب العين ما فيه من الارتفاع والانخفاض حتى يشاهد كل الحاضرين كل ما يجري وقيل
سوى اي يستوي حالنا في الرضا به **قوله** موعدكم يوم الزينة خبر الموعد كم فان جعلت موعدكم
زمانا لم تحتج الى حذف مضاف اذ التقدير زمان الوعد يوم الزينة وان جعلته مصدرا احتجت
الى حذف مضاف تقديره وعدكم وعد يوم الزينة وقرا الحسن والاعمش وعيسى وعاصم في بعض
طرقه وابو حيوة وابن ابي عبلة وقتادة والجحدري وهبيرة يوم بالنصب وفيه اوجه احدها ان
يكون خبر الموعد كم على ان المراد بالموعد المصدر اي وعدكم كاين في يوم الزينة كقولك القتال يوم
كذا والسفر غدا الثاني ان يكون موعدكم مبتدا والمراد به الزمان وضحى خبره على نية التعريف فيه
لانه ضحى ذلك اليوم بعينه قاله الزمخشري ولم يبين ما الناصب ليوم الزينة ولا يجوز ان يكون منصوبا
بموعدكم على هذا التقدير لانه جعله زمانا به الزمان او المكان لا يعمل وان كان مشتقا فيكون
الناصب له فعلا مقدرا وواخذه ابو حيان في قوله على نية التعريف قال لانه وان كان ضحى
ذلك اليوم بعينه فليس على نية التعريف بل هو نكرة وان كان من يوم بعينه لانه ليس معدولا عن
الالف واللام كسحر وهو معرف بالاضافة ولو قلت جئت يوم الجمعة بكرا لم يدع ان بكرا معرفة وان
كنت تعلم انه من يوم بعينه الثالث ان يكون موعدكم مبتدا والمراد به المصدر ويوم الزينة
ظرف له وضحى منصوب على الظرف خبر الموعد كما اخبر عنه في الوجه الاول بيوم الزينة نحو القتال
يوم كذا **قوله** وان يحشر الناس في محله وجهان احدهما الجر نسقا على الزينة اي موعدكم يوم الزينة
ويوم ان يحشر اي ويوم حشر الناس والثاني الرفع نسقا على يوم التقدير موعدكم يوم كذا وموعدكم
ان يحشر الناس اي حشرهم وقرا ابن مسعود والجحدري وابو نهيك وعمرو بن فايد وان تحشر الناس بتا
الخطاب في تحشر وروي عنهم يحشر بيا الغيبة والناس نصب في كلتا القراتين على المفعولية والضمير في
القراتين لفرعون اي وان تحشر انت يا فرعون او وان يحشر فرعون وجوز بعضهم ان يكون الفاعل
ضمير اليوم في قراة الغيبة وذلك مجاز لما كان الحشر واقعا فيه نسب اليه نحو نهاره صايم وليله
قايم وضحى نصب على الظرف العامل فيه تحشر ويذكر ويونث والضحا بالمد وفتح الضاد فوق
الضحى لان الضحى ارتفاع النهار والضحاء بعد ذلك وهو مذكر لا غير **فصل** قال مجاهد
وقتادة ومقاتل والسدي يوم الزينة كان يوم عيد لهم يتزينون فيه ويجتمعون في كل سنة
وقيل هو يوم النيروز قاله مقاتل وقال ابن عباس وسعيد بن جبير يوم عاشورا واختلفوا في القايل
موعدكم يوم الزينة فقيل هو فرعون بين الوقت قال القاضي لان المطالب بالاجتماع هو فرعون والظاهر
انه من كلام موسى لانه جواب لقول فرعون فاجعل بيننا وبينك موعدا وايضا ان تعيين يوم الزينة
يقتضي اطلاع الكل على ما سيقع فيه فتعيينه انما يليق بالمحق الذي يعرف ان اليد له لا بالمبطل الذي يعرف

الذي

الذي ليس معه الا التلبيس وايضا فقوله موعدكم خطاب للجميع فلو جعلناه من فرعون لموسى وهرون
لزم اما حمله على التعظيم وذلك لا يليق بحال فرعون معهما او على ان اقل الجمع اثنان وهو غير جايز اما
لو جعلناه من موسى الى فرعون وقومه استقام الكل وانما واعدهم ذلك اليوم ليكون علو كلمة الله وظهور
دينه وكبت الكافرين وزهوق الباطل على رؤوس الاشهاد وفي المجمع الغاص ليكثر المحدث بذلك الامر
العجيب في كل بدو وحضر ويشيع في جميع اهل الوبر والمدر قال القاضي انه عين اليوم بقوله يوم
الزينة ثم عين من اليوم وقتا معينا بقوله وان يحشر الناس ضحى اي وقت الضحوة فما رايها را **قوله**
فتولى فرعون فجمع كيده ثم اتى التولي قد يكون اعراضا وقد يكون انصرافا والظاهر انه هنا بمعنى الانصراف
وهو مفارقته موسى على الحق فجمع كيده مكره وقومه وحيله وسحرته والاته ثم اتى الموضع بما جمعه قال
ابن عباس كانوا اثنين وسبعين ساحرا مع كل واحد منهم حبل وعصى وقيل كانوا اربع ماية وقال كعب
اثني عشر الفا وقيل اكثر من ذلك ثم ضربت لفرعون قبة فجلس فيها ينظر اليهم وكان طول القبة سبعين
ذراعا فقال لهم موسى عند ذلك يعني للسحرة الذين جمعهم فرعون ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم
بعذاب اي لا تزعموا ان الذي جيت به ليس بحق وانه سحر وانكم تتمكنون من معارضتي فيسحتكم الله بعذاب
اي يهلككم قاله مقاتل والكلبي وقال قتادة فيستاصلكم وقد خاب من افترى الخيبة الحرمان والخسران
قوله ويلكم قال الزجاج يجوز في انتصاب ويلكم ان يكون المعنى الزمهم الله ويلا ان افتروا على الله
ويجوز على النداء كقوله يا ويلتى االد وانا عجوز ويا ويلنا من بعثنا من مرقدنا **قوله** فيسحتكم قرا
الاخوان وحفص عن عاصم فيسحتكم بضم اليا وكسر الحا والباقون بفتحهما فقراة الاخوين من اسحت رباعيا
وهي لغة نجد وتميم قال الفرزدق التميمي
وعض زمان يا ابن مروان لم يدع ** من المال الا مسحتا او مجلف
وقراة الباقين من سحته ثلاثيا وهي لغة الحجاز واصل هذه المادة الدلالة على الاستقصا والنفاد ومنه
سحت الحالق الشعر اي استقصاه فلم يترك منه شيا ويستعمل في الاهلاك والاذهاب ونصبه باضمار ان
في جواب النهي ولما انشد الزمخشري قول الفرزدق الا مسحتا او مجلف قال بعد ذلك في بيت لم تزل الركب تصطك
في تسوية اعرابه قال شهاب الدين يعني ان هذا البيت صعب الاعراب واذ قد ذكر ذلك فلنذكرما
ورد في هذا البيت من الروايات وما قال الناس في ذلك على حسب ما يليق بهذا الموضوع فاقول
وبالله الحول روي هذا البيت بثلاث روايات كل واحدة لا تخلوا من ضرورة الاولى لم يدع بفتح
اليا والدال ونصب مسحت وفي هذه خمسة اوجه الاول ان معنى لم يدع من المال الا مسحتا لم يبق
الا مسحت فلما كان هذا في قوة الفاعل عطف عليه قوله او مجلف بالرفع وهذا البيت استشهد الزمخشري
على قراة ابي والاعمش فشربوا منه الا قليل برفع قليل وقد تقدم الثاني انه مرفوع بفعل مقدر دل
عليه لم يدع والتقدير او بقي مجلف الثالث ان مجلف مبتدا وخبره مضمر تقديره او مجلف كذلك
وهو تخريج الفرا الرابع انه معطوف على الضمير المستتر في مسحتا وكان من حق هذا ان يفصل بينهما
بتاكيد او فاصل ما الا ان القايل بذلك وهو الكسايي لا يشترط وايضا فهو جايز في الضرورة عند الكل
الخامس ان يكون مجلف مصدرا بزنة اسم المفعول كقوله تعالى كل ممزق اي تمزيق وعلى هذا
فهو نسق على عض زمان اذ التقدير رمت بنا هموم المنى وعض زمان او تجليف فهو فاعل لعطفه على
الفاعل وهو قول الفارسي وهو احسنها الرواية الثانية فتح اليا وكسر الدال ورفع مسحت وتخريجها واضح
وهو ان يكون من ودع في بيته يدع فهو وادع بمعنى بقي يبقى فهو باق فيرتفع مسحت بالفاعلية ويرتفع
مجلف بالعطف عليه ولابد حينيذ من ضمير محذوف تقديره من اجله او بسببه ليرتبط الكلام
الرواية الثالثة يدع بضم اليا وفتح الدال على ما لم يسم فاعله ومسحت بالرفع لقيامه مقام
الفاعل ومجلف عطف عليه وكان من حق الواو ان لا تحذف بل تثبت لانها لم تقع بين يا وكسرة
وانما حذفت حملا للمبني للمفعول على المبني للفاعل وفي البيت كلام اطول من هذا تركته اختصارا

وهذا اليه وقد ذكرته في البقرة وفسرت معناه ولغته وصلته بما قبله فعليك بالالتفات اليه **قوله** فتنازعوا امرهم بينهم اي تنازعوا وتشاوروا واستقروا على شيء واحد وقال مقاتل اختلفوا فيما بينهم قال محمد بن اسحاق ووهب لما قال لهم موسى لا تفتروا على الله كذبا قال بعضهم لبعض ما هذا بقول ساحر قال بعض المفسرين ان فرعون وقومه دخلوا مع السحرة في التنازع وقال اخرون انما تنازع السحرة وحدهم اي تناظروا وتشاوروا في امر موسى سرا من فرعون قال الكلبي قالوا سرا ان غلبنا موسى اتبعناه وهو قول ابن عباس **قوله** واسروا النجوى اي المناجاة يكون مصدرا واسما اي اسروا النجوى من فرعون قال ابن عباس ان نجواهم ان غلبنا موسى اتبعناه وقال قتادة ان كان ساحرا فسنغلبه وان كان من السما فله امره وقال السدي نجواهم هو قولهم ان هذان لساحران يريدان ان يخرجاكم من ارضكم **قوله** ان هذين اختلف القراء في هذه الاية الكريمة فقرا ابن كثير وحده ان هذانّ بتخفيف إنْ والالف وتشديد النون وحفص كذلك الا انه خفف نون هذان وقرا ابو عمرو انّ بالتشديد هذين بالياء وتخفيف النون والباقون كذلك الا انهم قرءوا هذان بالالف فاما القراءة الاولى وهي قراءة ابن كثير وحفص فاوضح القراءات معنى ولفظا وخطا وذلك انهما جعلا ان المخففة من الثقيلة فاهملت ولما اهملت كما هو الافصح من وجهيها خيف التباسها بالنافية فجي باللام فارقة في الخبر فهذان مبتدا ولساحران خبره ووافقت خط المصحف فان الرسم هذن دون الف ولا يا وسياتي بيان ذلك واما تشديد نون هذانّ فعلى ما تقدم في سورة النسا متقنا واما الكوفيون فيزعمون ان ان نافية بمعنى ما واللام بمعنى الا وهو خلاف مشهور وقد وافق تخريجهم هنا قراءة بعضهم ما هذان الا ساحران واما قراءة ابي عمرو فواضحة من حيث الاعراب والمعنى اما الاعراب فهذين اسم ان وعلامة نصبه اليا ولساحران خبرها ودخلت اللام توكيدا واما من حيث المعنى فانهم اثبتوا لهما السحر بطريق تاكيدي من طرفيه ولكنهم استشكلوها من حيث خط المصحف وذلك انه رسم هذن بدون الف ولا يا فاتيانه بالياء زيادة على خط المصحف قال ابو اسحاق لا اجيز قراءة ابي عمرو لانها خلاف المصحف وقال ابو عبيد رايتها في الامام مصحف عثمان هذن ليس فيها الف وهكذا رايت رفع الاثنين في ذلك المصحف باسقاط الالف واذا كتبوا النصب والخفض كتبوه باليا ولا يسقطونها قال شهاب الدين وهذا لا ينبغي ان يرد به على ابي عمرو وكم جا في الرسم اشيا خارجة عن القياس وقد نصوا انهم على انه لا يجوز القراءة بها فليكن هذا منها اعني مما خرج عن القياس فان قلت ما نقلته عن ابي عبيد مشترك الالزام بين ابي عمرو وغيرهم فانهم كما اعترضوا عليه بزيادة اليا يعترض عليهم بزيادة الالف فان الالف ثابتة في قراءتهم ساقطة من خط المصحف فالجواب ما تقدم من قول ابي عبيد انه راهم يسقطون الالف من رفع الاثنين فاذا كتبوا النصب والخفض كتبوه باليا وذهب جماعة منهم عايشة رضي الله عنها وابو عمرو الى ان هذا مما لحن فيه الكاتب واقيم بالصواب يعنون انه كان من حقه ان يكتبه باليا فلم يفعل فلم يقراه الناس الا باليا على الصواب واما قراءة الباقين ففيها اوجه احدها ان ان بمعنى نعم وهذان مبتدا ولساحران خبره ومن ورود ان بمعنى نعم قوله ::

• بكر العواذل في المشيب يلمنني والومهنّه • ويقلن شيب قد علاك وقد كبرت فقلت انّه •

اي فقلت نعم والها للسكت وقال رجل لابن الزبير لعن الله ناقة حملتني اليك فقال ان وصاحبها اي نعم ولعن صاحبها وهذا راي المبرد وعلي بن سليمان في اخرين وهو مردود من وجهين احدهما عدم ثبوت ان بمعنى نعم وما اورده يؤول اما البيت فان الها اسمها والخبر محذوف لفهم المعنى تقديره انه كذلك واما قول ابن الزبير فذلك من حذف المعطوف عليه وابقا المعطوف وحذف خبر ان للدلالة عليه تقديره انها وصاحبها ملعونان وفيه تكلف لا يخفى والثاني دخول اللام على

جر

خبر المبتدا غير المؤكد بان المكسورة لان مثله لا يقع الا ضرورة كقوله ::

• ام الحليس لعجوز شهربه • ترضى من اللحم بعظم الرقبه •

وقد يجاب عنه بان لساحران يجوز ان يكون خبر مبتدا محذوف دخلت عليه هذه اللام تقديره لهما ساحران وقد فعل ذلك الزجاج كما سنا في حكايته عنه الثاني ان اسمها ضمير القصة وهو ها التي قبل ذان وليست ها التي للتنبيه الداخلة على اسما الاشارة والتقدير ان القصة ذان لساحران وقد رد هذا من وجهين احدهما من جهة الخط وهو انه لو كان كذلك لكان ينبغي ان يكتب انها فيصلوا الضمير بالحرف قبله كقوله تعالى فانها لا تعمى الابصار فكتبهم اياها مفصولة من انّ متصلة باسم الاشارة يمنع كونها ضميرا وهو واضح الثاني انه يودي الى دخول لام الابتدا في الخبر غير المنسوخ وقد يجاب عنه بما تقدم الثالث ان اسمها ضمير الشان محذوف والجملة من المبتدا والخبر بعده في محل رفع خبر الا ان التقدير انه اي الامر والشان وقد ضعف هذا بوجهين احدهما حذف اسم ان وهو غير جايز الا في شعر بشرط ان لا يباشر ان فعلا كقوله • ان من يدخل الكنيسة يوما • يلق فيها جاذرا وظبا • والثاني دخول اللام في الخبر وقد اجاب الزجاج بانها داخلة على مبتدا محذوف تقديره لهما ساحران وهذا قد استحسنه شيخه المبرد اعني جوابه بذلك الرابع ان هذان اسمها ولساحران خبرها وقد رد هذا بانه كان ينبغي ان يكون هذين باليا كقراءة ابي عمرو وقد اجيب عن ذلك بانه على لغة بني الحرث وبني الهجيم وبني العنبر وزبيد وعذرة ومراد وخثعم وكنانة وحكى هذه اللغة الايمة الكبار كابي الخطاب وابي زيد الانصاري والكسائي قال ابو زيد سمعت من العرب من يقلب كل يا ينفتح ما قبلها الفا يجعلون المثنى كالمقصور فيثبتون الفا في جميع احواله ويقدرون اعرابه بالحركات وانشدوا قوله • فاطرق اطراق الشجاع ولو يرى • مساغا لناباه الشجاع لصمما • اي لنابيه وقوله • ان اباها وابا اباها • قد بلغا في المجد غايتاها :: اي غايتيها قال الفرا وحكى بعض بني اسد قال هذا خط يدا اخي اعرفه وقال قطرب هولاء يقولون رايت رجلان واشتريت ثوبان قال وقال رجل من بني ضبة جاهلي :: اعرف منا الانف والعينانا • ومنخرين اشبها ظبيانا :: وقال اخر • كان صريف نابان اذا ما امرها • ترنم الخطبان • الحطبان ذكر الصردان وروى ابن جني عن قطرب :: هناك ان تبكي تشعشان حب الفواد ما بل البدان :: قال الفرا وذلك وان كان قليلا اقيس لان ما قبل حرف التثنية مفتوح فينبغي ان يكون ما بعده الفا لانفتاح ما قبلها وذكر قطرب انهم يفعلون ذلك فرارا الى الالف التي هي اخف حروف المد ويقولون كسرت يداه وركبت علاه يعني يديه وعليه وقال شاعرهم :: تزود مني بين اذناه ضربة • دعته الى هابي التراب عقيم • الى غير ذلك من الشواهد واستدل لقراءة ابي عمرو بانها قراءة عثمان وعايشة وابن الزبير وسعيد بن جبير وروى هشام بن عروة عن ابيه عن عايشة رضي الله عنها انها سئلت عن قوله تعالى ان هذان لساحران وعن قوله ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى في المايدة وعن قوله لكن الراسخون في العلم منهم الى قوله والمقيمين الصلوة والموتون الزكوة فقالت يا ابن اختي هذا خطا من الكاتب وروي عن عثمان انه نظر في المصحف فقال ارى فيه لحنا وستقيمه العرب بالسنتها وعن ابي عمرو انه قال اني لاستحيي ان اقرا ان هذان لساحران وقرا ابن مسعود واسروا النجوى ان هذان ساحران بفتح أنّ واسقاط اللام على انها وما في حيزها بدل من النجوى كذا قاله الزمخشري وتبعه ابو حيان ولم ينكره وفيه نظر لان الاعتراض بالجملة القولية بين البدل والمبدل منه لا يصح وايضا فان الجملة القولية مفسرة للنجوى في قراءة العامة وكذا قاله الزمخشري اولا فكيف يصح ان يجعل أنّ هذا ساحران بدلا من النجوى وقرا حفص عن عاصم بتخفيف النون وعن الاخفش ان هذا لساحران خفيفة بمعنى ثقيلة وهي لغة لقوم يرفعون بها ويدخلون اللام ليفرقوا بينها وبين

التي تكون في معني ما روي عن ابي بن كعب ما هذان الا ساحران وروي عنه ايضا إن هذان الا ساحران
وعن الخليل مثل ذلك وعن ابي ايضا ان ذان لساحران **فصل** قال المحققون هذه القرات
لا يجوز تصحيحها لانها منقولة بطريق الاحاد والقران يجب ان يكون منقولا بالتواتر اذ لو جوزنا
اثبات زيادة في القران بطريق الاحاد لما امكننا القطع بان هذا الذي هو عندنا كل القران
لانه لما جاز في هذه القرات انها من القران مع كونها ما نقلت بالتواتر جاز في غيرها ذلك
فثبت ان تجويز كون هذه القرات من القران يطرق جواز الزيادة والنقصان والتغيير في القران
المشهورة وذلك يخرج القران عن كونه حجة ولما كان ذلك باطلا فكذلك ما قروا ما الطعن في
القراة المشهورة فلو حكمنا ببطلانها جاز مثله في جميع القران وذلك يفضي الى القدح في التواتر
والى القدح في كل القران وهو باطل واذا ثبت ذلك امتنع صيرورته معارضا بخبر الواحد المنقول
عن بعض الصحابة وايضا فان المسلمين اجمعوا على ان ما بين الدفتين كلام الله وكلام الله لا يجوز ان يكون
لحنا وغلطا ولذلك ذكر النحويون وجه تصحيح القراة المشهورة كما تقدم **فصل** اعلم انه
تعالي لما ذكر ما اسروه من النجوي حكي عنهم ما اظهروه مما يدل على التنفير عن متابعة موسي وهو امور
احدها قولهم ان هذين لساحران وهذا طعن منهم في معجزات موسي ومبالغة في التنفير عنه لان كل طبع
سليم ينفر عن السحر وعن رؤية الساحر لان الانسان يعلم ان السحر لا بقاله فاذا اعتقدوا فيه السحر
قالوا كيف نتبعه وهو لا بقا له ولا لدينه وثانيها قوله يريدان ان يخرجاكم من ارضكم وهذا
نهاية التنفير لان مفارقة الوطن والمنشا شديدة على القلب وهذا القول فرعون تريد ان
تخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسي فكان السحرة تلقنوا هذه الشبهة من فرعون ثم اعادوها وثالثها
قولهم ويذهبا بطريقتكم المثلي وهذا ايضا تاثير شديد في القلب فان العدو اذا استولي على جميع
المناصب والاشيا التي يرغب فيها فذلك يكون في نهاية المشقة على القلب قال ابن عباس
يعني بسراة قومكم واشرافهم يقال هولا طريقة قومهم اي اشرافهم والمثلي تانيث الامثل وهو الافضل
وسمي الافضل بالامثل لان الامثل هو الاشبه بالحق وقيل الامثل الاوضح الاظهر وحدث الشعبي
عن علي قال يصرفان وجوه الناس اليهما وقال قتادة طريقتكم المثلي يومئذ بنوا اسرايل كانوا اكثر
القوم عددا واموالا فقال عدو الله يريدان ان يذهبا بهم لانفسهم وقيل بطريقتكم اي بسنتكم
ودينكم الذي انتم عليه والمثلي نعت الطريقة تقول العرب فلان على الطريقة المثلي يعني على الهدي
المستقيم وقيل الطريقة المثلي الجاه والمنصب والرياسة **قوله** بطريقتكم الباء معدية كالهمزة
والمعني يا مزطريقتكم قال الزجاج هذا من باب حذف المضاف واذا كانت الطريقة عبارة
عن السادة فلا حذف **قوله** فاجمعوا قرا ابو عمرو فاجمعوا بوصل الالف وفتح الميم والباقون بقطعها
مفتوحة وكسر الميم وقد تقدم تحقيق ذلك في سورة يونس وكيدكم مفعول به وقيل هو على اسقاط
الخافض اي على كيدكم وليس بشي فاما قراة ابي عمرو فهي من الجمع اي لا تدعوا شيا من كيدكم الا جيتم به
بدليل قوله فجمع كيده ومعني قراة الباقين قيل معناه الجمع ايضا تقول العرب اجمعت الشي وجمعته
بمعني واحد والصحيح ان معناه العزم والاحكام قال الفرا الاجماع الاحكام والعزيمة على الشي اي
اجمعوا كلكم على كيده مجتمعين له ولا تختلفوا فيختل امركم ثم ايتوا صفا اي جميعا قاله مقاتل والكلبي
وقيل اي مصطفين مجتمعين ليكون انظم لامركم واشد لهيبتكم وقال ابو عبيدة والزجاج الصف
موضع الجمع ويسمي المصلي صفا اي ايتوا المكان الموعود الذي تجتمعون فيه لعيدكم **قوله** صفا
يجوز ان يكون حالا من فاعل ايتوا اي ايتوا مصطفين اي ذوي صف فهو مصدر في الاصل وقيل
هو مفعول به اي ايتوا قوما صفا وفيه التسمية بالمصدر وهو على حذف المضاف اي ذوي صف
قوله وقد افلح قال الزمخشري اعتراض يعني وقد نازع من غلب يعني بالاعتراض انه جي بهذه الجملة

اجنبية بين كلامهم ومقولهم لان من جملة قولهم قالوا يا موسي اما ان تلقي وهذه الجملة اعني قوله وقد
افلح من كلام الله تعالى فهي اعتراض بهذا الاعتبار وفيه نظر لان الظاهر انها من مقولاتهم قالوا
ذلك تحريضا لقومهم على القتال وحينئذ فلا اعتراض **قوله تعالى** قالوا يا موسي اما ان تلقي
الاية وههنا حذف والتقدير فحضروا الموضع قال السحرة يا موسي **قوله** اما ان تلقي فيه اوجه
احدها انه منصوب باضمار فعل تقديره اختر احد الامرين كذا قدره الزمخشري قال ابو حيان
وهذا تفسير معني لا تفسير اعراب وتفسير الاعراب اما تختار الالقا والثاني انه مرفوع على خبر
مبتدا محذوف تقديره الامر اما التاوك او التاونا كذا قدره الزمخشري الثالث ان يكون
مبتدا وخبره محذوف تقديره التاوك اول ويدل عليه قوله واما ان نكون اول من القي واختار
هذا ابو حيان وقال فتحسن المقابلة من حيث المعني وان لم تحسن مقابلة من حيث التركيب اللفظي
قال وفي تقدير الزمخشري الامر التاوك لا مقابلة فيه وتقدم نظير هذا في الاعراف **فصل**
معني الكلام اما ان تلقي ما معك قبلنا واما ان نلقي ما معنا قبلك وهذا التخيير مع تقديمهم
في الذكر احسن ادب منهم وتواضع فلا جرم رزقهم الله الايمان ببركته ثم ان موسي عليه السلام قابل
ادبهم بادب فقال بل القوا **فان قيل** كيف جاز ان يقول موسي بل القوا فيامرهم بما هو
سحر وكفر لانهم اذا قصدوا بذلك تكذيب موسي عليه السلام كان كفرا **فالجواب** من وجوه
الاول لا نسلم ان نفس الالقا كفر لانهم اذا القوا وكان غرضهم ان يظهر الفرق بين ذلك الالقا وبين
معجزة موسي عليه السلام كان ذلك الالقا ايمانا انما الكفر هو القصد الي تكذيب موسي وهو عليه السلام
انما امر بالالقا لا بالقصد الي التكذيب فزال السوال والثاني ذلك الامر كان مشروطا والتقدير
القوا ما انتم ملقون ان كنتم محقين كقوله تعالى فاتوا بسورة من مثله اي ان كنتم قادرين الثالث
انه لما تعين ذلك طريقا الي كشف الشبهة صار ذلك مبيحا جايزا وهذا كالمحق اذا علم ان في قلب
واحد شبهة وانه لو لم يطالبه بذكرها وتقريرها باقصي ما يقدر عليه لبقيت تلك الشبهة في قلبه
ويخرج بسببها عن الدين فان للمحق ان يطالبه بتقريرها على اقصي الوجوه ويكون غرضه من ذلك ان يجيب
عنها ويزيل اثرها عن قلبه فمطالبته بذكر الشبهة لهذا الغرض جايز فكذا ههنا الرابع ان لا يكون
ذلك امرا بل معناه انكم ان اردتم فعله فلا مانع منه حسا لكي ينكشف الحق الخامس ان موسي عليه
السلام لا شك انه لما كان كارها لذلك ولا شك انه نهاهم عن ذلك بقوله ويلكم لا تفتروا على الله
كذبا فيسحتكم بعذاب واذا كان كذلك استحال امرهم بذلك لان الجمع بين كونه ناهيا امرا بالفعل
الواحد محال فعلمنا ان امره غير محمول على ظاهره وحينئذ يزول الاشكال **فان قيل** لم
قدمهم في الالقا على نفسه مع ان تقديم اسماع الشبهة على اسماع الحجة غير جايز فكذا تقديم ايراد
الشبهة على ايراد الحجة يجب ان لا يجوز لاحتمال انه ربما ادرك الشبهة فلا يتفرغ لادراك الحجة بعده
فيبقي حينئذ في الكفر والضلال وليس لاحد ان يقول ان ذلك كان بسبب انهم لما قدموه على انفسهم
فهو عليه السلام قابل ذلك بان قدمهم لان امثال ذلك انما تحسن فيما يرجع الي حظ النفس فاما ما يرجع
الي الدليل والشبهة فغير جايز **فالجواب** انه عليه السلام كان قد اظهر المعجزة مرة واحدة فما
كان به حاجة الي اظهارها مرة اخري والقوم انما جاوا للمعارضة فقال عليه السلام لو اظهرت المعجزة
اولا لكنت كالسبب في اقدامهم على اظهار السحر وقصد ابطال المعجزة وهو لا يجوز ولكني افوض الامر
اليهم باختيارهم يظهرون ذلك السحر ثم اظهر انا ذلك المعجز الذي يبطل سحرهم فيكون هذا التقديم
سببا لدفع الشبهة فكان اولي **قوله** فاذا حبالهم هذه الفا عاطفة على جملة محذوفة دل عليها
السياق والتقدير فالقوا فاذا واذا هذه هي التي للمفاجاة وفيها ثلاثة اقوال تقدمت احدها
انها باقية على ظرفية الزمان الثاني انها ظرف مكان الثالث انها حرف قال الزمخشري

والتحقيق فيها انها الكاينة بمعني الوقت الطالبة ناصبا لها وجمله تضاف اليها خصت في بعض
المواضع بان يكون الناصب لها فعلا مخصوصا وهو فعل المفاجاة والجملة ابتدائية لا غير فتقدير
قوله تعالي فاذا حبالهم وعصيهم ففاجاه موسي وقت تخييل سعي حبالهم وعصيهم وهذا تمثيل والمعني
علي مفاجاته حبالهم وعصيهم مخيلة اليه السعي قال ابو حيان قوله انها زمانية قول مرجوح فهو
مذهب الرياشي وقوله الطالبة ناصبا صحيح وقوله وجملة تضاف اليها ليس صحيحا عند بعض
اصحابنا لانها اما ان تكون هي خبر المبتدا واما ان تكون معمولة لخبر المبتدا واذا كان كذلك استحال
ان تضاف الي الجملة لانها اما ان تكون بعض الجملة او معموله لبعضها فلا يمكن الاضافة وقوله خصت
في بعض المواضع الي اخره قد بينا الناصب لها وقوله والجملة بعدها ابتدائية لا غير هذا الحصر
ليس بصحيح بل قد جوز الاخفش علي ان الجملة الفعلية المقترنة بقد تقع بعدها نحو خرجت فاذا
قد ضرب زيد عمرا وبني علي ذلك مسيلة الاشتغال نحو خرجت فاذا زيد قد ضربه عمرو برفع زيد
ونصبه علي الاشتغال وقوله والمعني علي مفاجاته حبالهم وعصيهم مخيلة اليه السعي فهذا
عكس ما قرر بل المعني علي مفاجاة حبالهم وعصيهم اياه فاذا قلت خرجت فاذا السبع فالمعني
انه فاجاني السبع وهجم ظهوره انتهي قال شهاب الدين وما رد به غير لازم له لانه رد عليه بقول
بعض النحاة وهو لا يلزم ذلك القول حتي يرد به عليه لا سيما اذا كان المشهور غيره ومقصوده تفسير
المعني وقال ابو البقا الفا جواب ما حذف وتقديره فالقوا فاذا في هذا ظرف مكان العامل فيه
القوا وفي هذا نظر لان القوا هذا المقدر لا يطلب جوابا حتي تقول الفا جوابه بل كان ينبغي ان
يقول الفا عاطفة هذه الجمله الفجائية علي جملة اخري مقدرة وقوله ظرف مكان هذا مذهب
المبرد وظاهر قول سيبويه ايضا وان كان المشهور بقاؤها علي الزمان وقوله ان العامل فيها فالقوا
لا يجوز لان الفا تمنع من ذلك هذا الكلام ابي حيان ثم قال بعده ولان اذا هذه انما هي معمولة لخبر
المبتدا الذي هو حبالهم وعصيهم ان لم نجعلها في موضع الخبر لانه يجوز ان يكون الخبر تخيل ويجوز ان
يكون اذا وتخيل في موضع الحال وهذا نظير خرجت فاذا الاسد رابض ورابضا فاذا رفعت رابضا
كانت اذا معمولة له والتقدير فبالحضرة الاسد رابض او في المكان واذا انصبت كانت اذا خبرا ولذلك
يكتفي بها وبالمرفوع بعدها كلاما نحو خرجت فاذا الاسد **قوله** تخيل اليه قرا العامة تخيل بضم
اليا الاولي وفتح الثانية مبنيا للمفعول وانها تسعي مرفوع بالفعل قبله لقيامه مقام الفاعل
تقديره تخيل اليه سعيها وجوز ابو البقا فيه وجهين اخرين احدهما ان يكون القايم مقام الفاعل
ضمير الحبال والعصي وانما ذكر ولم يقل تخيل بالتا من فوق لان تانيث الحبال غير حقيقي الثاني
ان القايم مقام الفاعل ضمير يعود علي الملقي فلذلك ذكر وعلي الوجهين ففي قوله انها تسعي وجهان
احدهما انه بدل اشتمال من ذلك الضمير المستتر في تخيل والثاني انه مصدر في موضع نصب علي
الحال من الضمير المستتر ايضا والمعني تخيل اليه هي انها ذات سعي ولا حاجة الي هذا وايضا فقد نصوا
علي ان المصدر المؤول لا يقع موقع الحال لو قلت جا زيد ان يركض تريد ركضا بمعني ذا ركض لم يجز
وقرا ابن ذكوان تخيل بالتا من فوق وفيه ثلاثة اوجه احدها ان الفعل مسند لضمير الحبال والعصي
اي تخيل الحبال والعصي وانها تسعي بدل اشتمال من ذلك الضمير الثاني كذلك الا ان انها تسعي حال
اي ذات سعي كما تقدم تقريره قبل ذلك الثالث ان الفعل مسند لقوله انها تسعي كقراة العامة في
احد الاوجه وانما انث الفعل لاكتساب المرفوع التانيث بالاضافة اذ التقدير تخيل اليه سعيها
فهو كقوله • شرقت صدر القناة من الدم • فله عشر امثالها • وقرا ابو السماك تخيل بفتح التا واليا
مبنيا للفاعل والاصل تتخيل فحذف احدي التايين نحو تنزل الملايكة وانها تسعي بدل اشتمال ايضا
من ذلك الضمير وجوز ابن عطية ايضا انه مفعول من اجله ونقل ابن جبارة الهذلي قراة ابي السماك

تخيل بضم التا من فوق وكسر اليا فالفعل مسند لضمير الحبال وانها تسعي مفعول اي تخيل
الحبال سعيها ونصب ابن عطية هذه القراة للحسن وعيسي الثقفي وقرا ابو حيوة نخيل بنون
العظمة وانها تسعي مفعول به ايضا علي هذه القراة وقرا الحسن والثقفي عصيهم بضم العين
حيث وقع وهو الاصل وانما كسرت العين اتباعا للصاد وكسرت الصاد اتباعا للبا نحو دلو
ودلي وفتي والاصل عصوو بواوين فاعل كما تري بقلب الواوين يايين استثقالا لانها انكسرت
الصاد ليصح اليا وكسرت العين اتباعا ونقل صاحب اللوامح ان قراة الحسن عصيهم بضم العين
وسكون الصاد وتخفيف اليا مع الرفع وهو ايضا جمع كالعامة الا انه علي فعل كحمر والاول
علي فعول كفلوس والجملة من تخيل يحتمل ان يكون في محل رفع خبرا لهي علي ان اذا الفجائية فضله
وان يكون في محل نصب علي الحال علي ان اذا الفجائية هي الخبر والضمير في اليه الظاهر عوده علي
موسي وقيل يعود علي ويدل للاول قوله تعالي فاوجس في نفسه خيفة موسي وفيه اضمار اي فالقوا
فاذا حبالهم وعصيهم جمع حبل وعصي **فصل** قال ابن عباس القوا حبالهم وعصيهم واخذوا
اعين الناس فراي موسي والقوم كان الارض امتلات حيات وكانت اخذت ميلا من كل جانب وانها
وانها تسعي فخاف واوجس في نفسه اضمر في نفسه خوفا وقيل وجد في نفسه خوفا **فان قيل**
كيف استشعر الخوف وقد عرض عليه المعجزات الباهرة كالعصي واليد فجعل العصي حية عظيمة ثم
انه تعالي لما كانت ثم اعطاه الاقتراحات الثمانية وذكر ما اعطاه قبل ذلك من المنن وقال له بعد
ذلك كله انني معكما اسمع واري فمع هذه المقدمات الكبيرة كيف وقع الخوف في قلبه **والجواب**
احدها قال الحسن ان ذلك الخوف انما كان للطبع البشريه من ضعف القلب وان كان قد علم موسي
انهم لا يصلون اليه وان الله ناصره والثاني قال مقاتل خاف علي القوم ان يلتبس عليهم الامر فيشكوا
في امره فيظنوا انهم قد ساووا موسي عليه السلام ويوكده قوله تعالي انك انت الاعلي الثالث خاف
حيث بداوا وتاخر القاوه ان ينصرف بعض القوم قبل مشاهدة ما يلقيه فيدوموا علي اعتقاد
الباطل الرابع لعله عليه السلام كان مامورا بان لا يفعل شيا الا بالوحي فلما تاخر نزول الوحي في ذلك
الجمع بقي في الخجل الخامس لعله عليه السلام خاف من انه لو ابطل سحرهم فلعل فرعون قد اعد اقواما
اخرين فيحتاج مرة اخري الي ابطال سحرهم وهلم جرا فلا يظهر له منقطع وحينيذ لا يتم الامر ولا يحصل
المقصود **فصل** اختلفوا في عدد السحرة فقال الكلبي كانوا اثنين وسبعين ساحرا اثنان من
القبط وسبعون من بني اسرايل اكرههم فرعون علي ذلك مع كل واحد منهم عصي وحبل وقال ابن جريج
وعكرمة تسع مايه ثلثمايه من الفرس وثلثمايه من الروم وثلثمايه من الاسكندرية وقال وهب
خمسة عشر الفا وقال السدي بضعة وثلاثون الفا وقال القسم بن سلام سبعون الفا وظاهر القران
لا يدل علي شي من هذه الاقوال ثم انه تعالي ازال ذلك الخوف بقوله لا تخف انك انت الاعلي اي الغالب
يعني لك الغلبة والظفر وهذا يدل علي ان خوفه كان لامر يرجع الي ان امره لا يظهر للقوم فامنه الله تعالي
بقوله انك انت الاعلي وفيه انواع من المبالغة احدها ذكر كلمة التاكيد وهي ان وثانيها تكرير
الضمير وثالثها لام التعريف ورابعها لفظ العلو وهو الغلبة الظاهرة **قوله** والق ما في يمينك
وههنا سوال وهو انه لو لم يقل والق عصاك والجواب جاز ان يكون تصغيرا لها اي لا تبال بكثرة
حبالهم وعصيهم والق العويد الفرد الصغير الجرم الذي بيمينك فانه بقدرة الله يتلقفها علي
وحدته وكثرتها وصغره وعظمها وجاز ان يكون تعظيما لها اي لا تحتفل بهذه الاجرام الكثيرة فان
في يمينك شيا اعظم منها كلها وهذه علي كثرتها اقل شي عندها فالقها تتلقفها باذن الله ويمحقها
قوله تلقف اي تلتقم وتبتلع ما صنعوا بسرعة قرا العامة بفتح اللام وتشديد القاف
وجزم الفا علي جواب الامر وقد تقدم ان حفصا يقرا تلقف بسكون اللام وتخفيف القاف

و قرا ابن ذكوان هنا تلقف بالرفع اما على الحال واما على الاستيناف وانث الفعل في تلقف حملا
على معنى ما لان معناها العصي ولو ذكر ذهابا الى لفظها لجاز ولم يقرا به وقال ابو البقا انه يجوز
ان يكون فاعل تلقف ضمير موسى فعلى هذا يجوز ان يكون تلقف في قراة الرفع حالا من موسى وفيه بعد
وصنعوا ههنا اختلقوا وزوروا والعرب تقول في الكذب هو كلام مصنوع **قوله** انما صنعوا
كيد ساحر العامة على رفع كيد على انه خبر ان وما موصوله وصنعوا صلتها والعايد محذوف والموصول
هو الاسم والتقدير ان الذي صنعوه كيد ساحر ويجوز ان يكون ما مصدرية فلا حاجة الى العايد
والاعراب بحاله والتقدير ان صنعهم كيد ساحر وقرا مجاهد وحميد وزيد بن علي كيد
بالنصب على انه مفعول به وما مزيده مهيئة وقرا الاخوان كيد سحر على ان المعنى كيد ذوي سحر
او جعلوا نفس السحر مبالغة او تبيين للكيد اي حيلة سحر لانه يكون سحرا وغير سحر كما تميز ساير الاعداد
بما يفسرها نحو ماية درهم والف دينار ومثله علم فقه وعلم نحو وقال ابو البقا كيد ساحر اضافة
المصدر الى الفاعل وكيد سحر اضافة الجنس الى النوع والباقون ساحر وافرد ساحرا وان كان
المراد به جماعة قال الزمخشري لان القصد في هذا الكلام الى معنى الجنسية لا الى معنى العدد فلو جمع
لخيل ان المقصود هو العدد وقري ساحرا بالنصب على ان ما كافة ثم قال ولا يفلح الساحر حيث
اتى من الارض قال ابن عباس لا يسعد حيث كان وقيل معناه حيث احتال **قوله** فالقي السحرة
سجدا لما القي ما في يمينه وصارت حية وتلقف ما صنعوا وظهر الامر خروا عند ذلك سجدا لانهم كانوا
في اعلا طبقات السحر فلما راوا ما فعل موسى عليه السلام خارجا عن صناعتهم عرفوا انه ليس من السحر
البتة نقل ان رييسهم قال كنا نغلب الناس بالسحر وكانت الالات تبقى علينا فلو كان هذا سحرا
فاين ما القيناه فاستدل بتغير احوال الاجسام على الصانع القادر العالم وبظهورها على يد موسى
عليه السلام على كونه رسولا صادقا من الله فلاجرم تابوا وامنوا واتوا بما هو النهاية في الخضوع وهو السجود
قال الاخفش انهم من سرعة ما سجدوا كانهم خروا قال الزمخشري ما اعجب امرهم قد القوا حبالهم
وعصيهم للكفر والجحود ثم القوا رووسهم بعد ساعة للشكر والسجود فما اعظم الفرق بين الالقايين
وروي انهم لم يرفعوا رووسهم حتى راوا الجنة والنار وراوا ثواب اهلها وعن عكرمة لما خروا سجدا
اراهم الله في سجودهم منازلهم التي يصيرون اليها في الجنة قال القاضي هذا بعيد لانه لو راوهم
عيانا لصاروا ملجيين وذلك لا يليق به قولهم انا امنا بربنا ليغفر لنا واجيب بانه لما جاز
لابويهم مع قطعه بكونه مغفورا له ان تقول والذي اطمع ان يغفر لي خطيتي فلم لا يجوز في حق السحرة
قوله امنا برب هرون وموسى احتج التعليمية بهذه الاية وقالوا انهم امنوا بالله الذي عرفوه من
قبل هرون وموسى وفي الاية فايدتان الفايدة الاولى ان فرعون ادعى الربوبية في قوله انا
ربكم والالهية في قوله ما علمت لكم من اله غيري فلو قالوا امنا برب العالمين لكان فرعون يقول
انهم امنوا بي لا بغيري فلقطع هذه التهمة اختاروا هذه العبارة ويدل عليه تقديمهم ذكر هرون
على موسى لان فرعون كان يدعي ربوبية موسى بناء على انه رباه فقال الم نربك فينا وليدا فالقوم
لما احترزوا عن ايهامات فرعون قدموا ذكر هرون على موسى قطعا لهذا الخيال الفايدة
الثانية هي انهم لما شاهدوا ما خصهما الله تعالى به من المعجزات العظيمة والدرجات الشريفة
قالوا رب هرون وموسى **قوله** امنتم له قبل ان اذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر اعلم ان فرعون
لما شاهد منهم السجود والاقرار خاف ان يصير ذلك سببا لاقتدا ساير الناس بهم في الايمان بالله وبرسوله
ففي الحال القى هذه الشبهة في البين وهي مشتملة على التنفير من وجهين الاول ان الاعتماد على خاطر
الانسان لا يجوز بل لابد فيه من البحث والمناظرة والاستعانة بخواطر الغير فلما لم تفعلوا شيا من ذلك
بل في الحال امنتم له دل ذلك على ان ايمانكم ليس عن بصيرة بل لسبب اخر والثاني قوله انه لكبيركم

الذي

الذي علمكم السحر يعني انكم تلامذته في السحر فاصطلحتم على ان تظهروا العجز من انفسكم ترويجا لامره
وتفخيما لشانه ثم بعد ايراد هذه الشبهة اشتغل بالتهديد تنفيرا لهم عن الايمان وتنفيرا لغيرهم عن
الاقتدا بهم فقال لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف **قوله** لاقطعن تقدم نحوه ومن خلاف
حال اي مختلفه ومن لابتدا الغاية وتقدم نحو هذا وما قري به وقوله في جذوع النخل يحتمل ان
يكون حقيقة في التفسير انه نقر جذوع النخل حتى جوفها ووضعهم فيها فماتوا جوعا وعطشا
وان يكون مجازا وله وجهان احدهما انه وضع في مكان على والاصل على جذوع النخل
كقول الاخر   بطل كان ثيابه في سرحه   يحذي نعال السبت ليس بتوام   والثاني
انه شبه تمكنهم بتمكن من حواه الجذع واشتمل عليه شبه تمكن المصلوب في الجذع بتمكن الشي الموعي
في وعايه فلذلك قيل في جذوع النخل ومن تعدي صلب بفي قوله ∴
∴ وقد صلبوا العبدي في جذع نخلة ∴ فلا عطست شيبان الا باجدعا ∴ **قوله** اينا
اشد مبتدا وخبر وهذه الجملة سادة مسد المفعولين ان كانت علم على بابها ومسد واحد
ان كانت عرفانية ويجوز على جعلها عرفانية ان تكون اينا موصولة بمعنى الذي وبنيت لانها
قد اضيفت وحذف صدر صلتها واشد خبر مبتدا محذوف والجملة من ذلك المبتدا وهذا
الخبر صلة لاي واي وما في حيزها في محل نصب مفعولا بها كقوله تعالى ثم لننزعن من كل شيعة
ايهم اشد على الرحمن في احد وجهيه كما تقدم واراد بقوله اينا نفسه لعنه الله وموسى لقوله امنتم
له واشد عذابا اي انا على ايمانكم به او رب موسى على ترك الايمان به وابقى اي ادوم **فان**
قيل ان فرعون مع قرب عهده بمشاهدة انقلاب العصا حية عظيمة وذكروا انها
قصدت ابتلاع قصر فرعون وآل الامر الى ان استغاث بموسى من شر ذلك الثعبان فمع قرب
عهده بذلك وعجزه عن دفعه كيف يعقل ان يهدد السحرة ويبالغ في وعيدهم الى هذا الحد ويستهزي
بموسى ويقول اينا اشد عذابا **فالجواب** يجوز ان يقال انه كان في اشد الخوف
في قلبه الا انه كان يظهر الجلادة والوقاحة تمشية لناموسه وترويجا لامره ومن استقرا احوال
اهل العالم علم ان العاجز قد يفعل امثال هذه الاشيا ويدل على صحة ذلك ان كل عاقل يعلم بالضرورة
ان عذاب الله اشد من عذاب البشر ثم انه انكر ذلك وايضا فقد كان عالما بكذبه في قوله
انه لكبيركم الذي علمكم السحر لانه علم ان موسى ما خالطهم البته وما لقيهم وكان يعرف سحرته ويعرف
استاذ كل واحد منهم وكيف حصل ذلك العلم ثم مع ذلك قال هذا الكلام فثبت ان سبيله
في ذلك ما ذكرناه قال ابن عباس رضي الله عنه كانوا في اول النهار سحرة وفي اخره شهدا **قوله**
قالوا لن نوثرك على ما جانا من البينات اي لن نختارك على ما جانا من الدلالات لما هددهم فرعون
اجابوه بما يدل على حصول اليقين التام والبصيرة الكاملة في اصول الدين فقالوا لن نوثرك ومما
يدل على ان فرعون طلب منهم الرجوع عن الايمان والا فعل بهم ما اوعدهم فاجابوه بقولهم لن
نوثرك وبينوا العلة وهي ان الذي جاهم بينات وادلة والذي يذكره فرعون محض الدنيا وقيل
كان اشتد الامر انهم قالوا لو كان هذا سحرا فاين حبالنا وعصينا **قوله** والذي فطرنا فيه وجهان
احدهما ان الواو عاطفة عطفت هذا الموصول على ما جانا اي لن نوثرك على الذي جانا ولا على
الذي فطرنا اي على طاعة الذي فطرنا وعلى عبادته وانما اخروا ذكر الباري تعالى لانه من
باب الترقي من الادنى الى الاعلا والثاني انها واو قسم والموصول مقسم به وجواب القسم محذوف
اي وحق الذي فطرنا لن نوثرك على الحق ولا يجوز ان يكون الجواب لن نوثرك عند من يجوز تقديم الجواب
لانه لا يجاب القسم بلن الا في الشذوذ من الكلام **قوله** فاقض ما انت قاض يجوز في ما وجهان
اظهرهما انها موصولة بمعنى الذي وانت قاض صلتها والعايد محذوف اي قاضيه وجاز حذفه

وان كان محفوضا لانه منصوب المحل اي فاقض الذي انت قاضيه والثاني انها مصدرية ظرفية
والتقدير فاقض امرك مدة ما انت قاض ذكر ذلك ابو البقا ومنع بعضهم جعلها مصدرية قال لان
ما المصدرية لا توصل بالجمل الاسمية وهذا المنع ليس مجمعا عليه بل جوز ذلك جماعة كثيرة ونقل ابن
مالك ان ذلك يكثر اذا دلت ما على الظرفية وانشد ❊
❊ واصل خليلك ما التواصل ممكن ❊ فلانت او هو عن قليل ذاهب ❊ ونقل انه كان غير ظرفية وانشد
❊ احلامكم لسقام الجهل شافية كما دماؤكم تشفي من الكلب ❊ **قوله** انما تقضي هذه الحياة تجوز في ما
هذه وجهان احدهما ان تكون المهيئة لدخول ان على الفعل والحيوة الدنيا ظرف لتقضي ومفعوله
محذوف اي تقضي غرضك وامرك ويجوز ان تكون الحيوة مفعولا به على الاتساع في الظرف باجرائه مجرى
المفعول به كقولك صمت يوم الجمعة ويدل لذلك قراءة ابي حيوة تقضي هذه الحيوة ببنا الفعل للمفعول
ورفع الحياة لقيامها مقام الفاعل وذلك انه اتسع فيه فقام مقام الفاعل فرفع والثاني
ان تكون ما مصدرية هي اسم ان والخبر الظرف والتقدير ان قضاءك في هذه الحياة الدنيا يعني
ان لك الدنيا فقط ولنا الاخرة وقال ابو البقا فان كان قد قري بالرفع فهو خبر ان يعني لو قري
برفع الحيوة لكان خبر الان ويكون اسمها حينئذ ما وهي موصولة بمعنى الذي وعايدها محذوف
تقديره ان الذي تقضيه هذه الحياة لا غيرها **قوله** وما اكرهتنا تجوز في ما هذه وجهان
احدهما انها موصولة بمعنى الذي وفي محلها احتمالان احدهما انها منصوبة المحل نسقا على خطايانا
اي ليغفر لنا ايضا الذي اكرهتنا والاحتمال الثاني مرفوعة المحل على الابتدا والخبر محذوف
تقديره والذي اكرهتنا عليه من السحر محطوط عنا او لا نواخذ به ونحوه والوجه الثاني انها نافية
قال ابو البقا وفي الكلام تقديم تقديره ليغفر لنا خطايانا من السحر ولم يكرهنا عليه وهذا
بعيد عن المعنى والظاهر هو الاول ومن السحر تجوز ان يكون حالا من الها في عليه او من الموصول
ويجوز ان يكون لبيان الجنس **فصل** قال المفسرون لما علم السحرة انهم متى اصروا على
الايمان ادفع بهم فرعون ما اوعدهم به فقالوا اقض ما انت قاض لا على وجه الامر لكن اظهروا
ان ذلك الوعيد لا يزيلهم عن ايمانهم البتة ثم بينوا ما لاجله يسهل عليهم احتمال ذلك فقالوا انما
تقضي هذه الحيوة الدنيا اي قضاؤك وحكمك انما يكون في هذه الحيوة الدنيا وهي فانية تزول
عن قريب ومطلوبنا سعادة الاخرة وهي باقية والعقل يقتضي تحمل الضرر الفاني للتوصل
الى السعادة الباقية ثم قالوا انا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا ولما كان اقرب خطاياهم عهدا
ما اظهروه من السحر قالوا وما اكرهتنا عليه من السحر وفي ذلك الاكراه وجوه الاول قال
ابن عباس ان ملوك ذلك الزمان كانوا ياخذون بعض رعيتهم ويكلفونهم تعلم السحر فاذا شاخ
احدهم بعثوا اليه احداثا ليعلمهم ليكون في كل وقت من يحسنه فقالوا ذلك اي كما في التعلم اولا والتعلم
ثانيا تكرهنا وهو قول الحسن وقال مقاتل كانت السحرة اثنين وسبعين اثنان من القبط
وسبعون من بني اسرائيل كان فرعون اكرههم على تعليم السحر وقال عبد العزيز بن ابان قالت السحرة
لفرعون ارنا موسى اذا نام فاراهم موسى نايما فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا لفرعون ان هذا
ليس بسحر ان الساحر اذا نام بطل سحره فابى عليهم الا ان يعارضوه وقال الحسن ان السحرة
حشروا من المداين ليعارضوا موسى فاحضروا بالحشر وكانوا مكرهين في الحضور لقوله وابعث في
المداين حاشرين ياتوك بكل سحار عليم وقال عمرو بن عبيد دعوة السلطان اكراه وهذا ضعيف
لان دعوة السلطان اذا لم يكن معها خوف لم تكن اكراها ثم قالوا والله خير وابقى قال محمد بن اسحق
خير منك ثوابا وابقى عقابا لمن عصاه وقال محمد بن كعب خير منك ان اطيع وابقى عذابا
منك ان عصي وهذا جواب لقوله ولتعلمن اينا اشد عذابا وابقى **قوله** انه من يات ربه

مجرما قيل هذا ابتدا كلام من الله وقيل من تمام قول السحرة ختموا كلامهم بشرح احوال المجرمين واحوال
المومنين في عرصة القيامة والها في انه ضمير الشان والجملة الشرطية خبرها ومجرما حال من فاعل
يات وقوله لا يموت تجوز ان يكون حالا من الها في له وان يكون حالا من جهنم لان في الجملة ضميركل
منهما والمراد بالمجرم المشرك الذي مات على الشرك فان له جهنم لا يموت فيها فيستريح ولا يحيى
حياة ينتفع بها **فان قيل** الجسم الحي لا بد وان يبقى اما حيا او ميتا فخلوه عن الوصفين
محال **فالجواب** ان المعنى يكون في جهنم باسوا حال لا يموت موتة مريحة ولا يحيا
حياة ممتعة وقال بعضهم ان لنا حالة ثالثة وهي كحالة المذبوح قبل ان يهدي فلا هو حي لانه
قد ذبح ذبحا لا تبقى الحياة معه ولا هو ميت لان الروح لم تفارقه بعد فهي حالة ثالثة **فصل**
استدلت المعتزلة بهذه الاية في القطع على وعيد اصحاب الكباير قالوا صاحب الكبيرة مجرم
وكل مجرم فان له جهنم لقوله من يات مجرما وكلمة من في معرض الشرط تفيد العموم بدليل انه يجوز
استثنا كل واحد منها والاستثنا يخرج من الكلام ما لولاه لدخل واجيب بانه لا نسلم ان صاحب
الكبيرة مجرم لانه تعالى جعل المجرم في مقابلة المومن لقوله ومن ياته مومنا وقال ان الذين اجرموا
كانوا من الذين امنوا يضحكون وايضا فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا والمومن صاحب الكبيرة
وان عذب بالنار لا يكون بهذا الوصف وفي الخبر الصحيح يخرج من النار من كان في قلبه مثقال
ذرة من ايمان قال ابن الخطيب وهذه اعتراضات ضعيفة اما قوله ان الله تعالى جعل
المجرم في مقابلة المومن فمسلم لكن هذا انما ينفع لو ثبت ان صاحب الكبيرة مومن ومذهب المعتزلة
انه ليس بمومن فهذا المعترض كانه بنى الاعتراض على مذهب نفسه وذلك ساقط وقوله ثانيا انه لا
يليق بصاحب الكبيرة ان يقال في حقه ان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا قلنا لا نسلم فان عذاب
جهنم في غاية الشدة قال تعالى ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته واما الحديث فقالوا
القران متواتر فلا يعارضه خبر الواحد ويمكن ان يقال ثبت في اصول الفقه انه يجوز تخصيص
القران بخبر الواحد وللخصم ان يجيب بان ذلك يفيد الظن فيجوز الرجوع اليه في العمليات وهذه
المسلة ليست من العمليات بل من الاعتقادات فلا يجوز الرجوع اليه ههنا واعترض اخر فقال
اجمعنا على ان هذه المسلة مشروطة بنفي التوبة وبان لا يكون عقاب محبطا بثواب طاعته والقدر
المشترك بين الصورتين هو ان لا يوجد ما يحبط ذلك العقاب لكن عندنا العفو محبط للعقاب وعندنا
ان المجرم الذي لا يوجد في حقه العفو لا بد وان يدخل جهنم قال ابن الخطيب وهذا الاعتراض ايضا
ضعيف اما شرط نفي التوبة فلا حاجة اليه لانه قال من يات ربه مجرما لان المجرم اسم ذم فلا يجوز
اطلاقه على صاحب الصغيرة بل الاعتراض الصحيح ان نقول عموم هذا الوعيد معارض بما جا بعده
من عموم الوعد وهو قوله تعالى ومن ياته مومنا قد عمل الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلا
وكلامنا فيمن اتى بالايمان والاعمال الصالحة ثم اتى بعد ذلك ببعض الكباير **فان قيل**
عقاب المعصية يحبط ثواب الطاعة **قلنا** لم لا يجوز ان يقال ثواب الايمان يدفع عقاب
المعصية فان قالوا فلو كان كذلك لوجب ان لا يجوز اقامة الحد عليه **قلنا** اما اللعن فغير
جايز عندنا واما اقامة الحد فقد يكون على سبيل المحنة كما في حق التايب وقد يكون على سبيل
التنكيل قالت المعتزلة قوله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله
فالله تعالى نص على انه يجب عليه اقامة الحد على سبيل التنكيل وكل من كان كذلك استحال ان يكون
مستحقا للمدح والتعظيم واذا لم يبق ذلك لم يبق الثواب على قولنا ان عذاب الكبيرة اولى بازالة
ثواب الطاعة المتقدمة من الطاعات بدفع عقاب الكبيرة الطارية فقد انتهى كلامهم في مسلة
الوعيد قلنا حاصل الكلام يرجع الى ان النص الدال على اقامة الحد عليه على سبيل التنكيل صار معارضا

للنصوص الدالة على اقامة الحد عليه كونه مستحقا للثواب فلم كان ترجيح احدهما على الاخر اولي من
العكس وذلك لان المومن كما ينقسم الي السارق والي غير السارق فالسارق ينقسم الي المومن وغير
المومن فلم يكن لاحدهما مزية على الاخر في العموم والخصوص واذا تعارضا تساقطا ثم نقول لا نسلم
ان كلمة من في افادة العموم قطعية بل ظنية وسلمنا قطعيه فلا يجوز التعويل على ما ذكرتموه
فصل تمسك المجسمة بقوله من يات ربه فقالوا الجسم انما ياتي ربه لو كان الرب في المكان وجوابه
ان الله تعالى جعل اتيانهم موضع الوعد اتيانا الي الله مجازا لقول ابرهيم عليه السلام اني ذاهب
الي ربي سيهدين **قوله** ومن ياته مومنا قرا ابو عمرو ساكنة الها وتختلسها ابو جعفر وقالون ويعقوب
والاخرون بالاشباع مومنا مات على الايمان قد عمل اي وقد عمل الصالحات واعلم ان قوله قد عمل
الصالحات يقتضي ان يكون اتيا بكل الصالحات وذلك بالاتفاق غير معتبر ولا ممكن فينبغي ان يحمل
ذلك على اداء الواجبات ثم ذكر ان من اتى بالايمان والاعمال الصالحة كانت لهم الدرجات العلا ثم
فسر الدرجات العلا فقال جنات عدن تجري من تحتها الانهار وفي الاية تنبيه على حصول
العفو لاصحاب الكباير لانه تعالى جعل الدرجات العلي من الجنة لمن اتى بالايمان والاعمال الصالحة
فسائر الدرجات التي هي غير عالية لا بد وان يكون لغيرهم وما هم الا العصاة من اهل الايمان والعلى
جمع العليا والعليا تانيث الاعلا **قوله** جنات بدل من الدرجات او بيان قال ابو البقا ولا
يجوز ان يكون التقدير هي جنات لان خالدين حال وعلى هذا التقدير لا يكون في الكلام ما يعمل
في الثاني وعلى الاول يكون العامل في الحال الاستقرار ومعنى الاشارة **قوله** وذلك جزا من تزكي
قال ابن عباس يريد من قال لا اله الا الله ومعنى تزكي تطهر من الذنوب قال عليه السلام ان اهل
الدرجات العلي ليراهم من تحتهم كما ترون الكوكب الدري في افق السما وان ابا بكر وعمر منهم واعلم
انه ليس في القران ان فرعون فعل باوليك القوم المومنين ما اوعدهم ولم يثبت في الاخبار **قوله
تعالى** ولقد اوحينا الي موسي ان اسر بعبادي الاية وفي هذه الاية دلالة على ان موسي عليه
السلام في تلك الحال كثر مستجيبوه فاراد تعالى تمييزهم من طايفة فرعون فاوحي اليه ان يسري بهم
ليلا والسري سير الليل والاسرا مثله والحكمة في السري بهم ليلا ايتا هدهم العدو ويمنعهم عن مرادهم
او ليكون ذلك عايقا لفرعون عن طلبه وتتبعه او ليكون اذا تقارب العسكران لا يري عسكر موسي
عسكر فرعون فلا يهابونهم **قوله** فاضرب لهم طريقا في نصب طريقا وجهان احدهما انه مفعول
به وذلك على سبيل المجاز وهو ان الطريق متسبب عن ضرب البحر اذ المعنى اضرب البحر لينفلق لهم فيصير
طريقا فبهذا يصح نسبة الضرب الي الطريق وقيل ضرب هنا بمعنى جعل اي اجعل لهم طريقا واشرعه
فيه والثاني انه منصوب على الظرف قال ابو البقا التقدير موضع طريق فهو مفعول فيه على
الظاهر ونظيره قوله ان اضرب بعصاك البحر وهو مثل ضربت زيدا وقيل ضرب هنا بمعنى جعل
وشرع مثل قولهم ضربت له بسهم انتهي فقوله على الظاهر يعني انه لولا التاويل لكان ظرفا **قوله**
يبسا صفة لطريقا وصف به لما يوول اليه لانه لم يكن يبسا بعد انما مرت عليه الصبا فجففته
كما روي في التفسير وقيل في الاصل مصدر وصف به مبالغة او على حذف مضاف او جمع يابس
كخادم وخدم وصف به الواحد مبالغة كقوله ومعا جياعا اي كجماعة جياع وصف به لفرط
جوعه وقرا الحسن يبسا بالسكون وهو مصدر ايضا وقيل المفتوح اسم والساكن مصدر وقرا ابو
حيوة يابسا اسم فاعل حملة معني الطريق ومن قرا يبسا بتحريك البا فالمعني طريقا ذا يبس ومن
قرا بتسكين البا فهو مخفف عن اليبس فالمعني ما كان فيه وحل ولا نداوة فضلا عن الما وذلك ان
الله تعالى ايبس لهم الطريق في البحر **قوله** لا تخاف العامة على تخاف مرفوعا وفيه اوجه احدها
انه مستانف فلا محل له من الاعراب الثاني انه في محل نصب على الحال من فاعل اضرب اي اضرب

غير خايف والثالث انه صفة لطريقا والعايد محذوف اي لا تخاف فيه وحمزة وحده من السبعة
لا تخف بالجزم وفيه اوجه احدها ان يكون نهيا مستانفا الثاني انه نهي ايضا في محل نصب على
الحال من فاعل اضرب او صفة لطريقا كما تقدم في قراة العامة الا ان ذلك تحتاج الي اضمار قول
اي مقولا لك او طريقا مقولا فيها لا تخف كقوله جاوا بمذق هل رايت الذيب قط الثالث
مجزوم على جواب الامر اي ان تضرب طريقا يبسا لا تخف **قوله** دركا قرا ابو حيوة دركا
بسكون الرا والدرك والدرك اسمان من الادراك اي لا يدركك فرعون وجنوده وتقدم
الكلام عليهما في سورة النسا وان الكوفيين قراوه بالسكون كابي حيوة هنا **قوله** ولا تخشي لم يقرا
الا باثبات الالف وكان من حق من قرا لا تخف جزما ان يقرا لا تخش بحذفها كما قال بعضهم وليس بشي
لان القراة سنة وفيها اوجه احدها ان يكون حالا وفيه اشكال وهو ان المضارع المنفي بلا
كالمثبت في عدم مباشرة الواو له وتاويله على حذف مبتدا اي وانت لا تخشي كقوله
نجوت وارهنهم مالكا والثاني انه مستانف اخبره تعالى انه لا يحصل له خوف والثالث
انه مجزوم بحذف الحركة تقديرا كقوله اذا العجوز غضبت فطلق ولا ترضاها ولا تملق
وقوله كان لم تر قبلي اسيرا يمانيا ومنه فلا تنسي في احد القولين اجرا حرف العلة مجري الحرف
الصحيح وقد تقدم ذلك في سورة يوسف عند من يتقي ويصبر الرابع انه مجزوم ايضا بحذف حرف
العلة وهذه الالف ليست تلك اعني لام الكلمة انما هي الف اشباع اتي بها موافقة للفواصل ورؤس
الاي فهي كالالف في قوله الرسولا والسبيلا والظنونا وهذه الاوجه انما تحتاج اليها في قراة جزم
لا تخف واما من قراه مرفوعا فهذا معطوف عليه اي لا تخاف ادراك فرعون ولا تخشي الغرق
قوله فاتبعهم فرعون بجنوده قال ابو مسلم يزعم رواة اللغة ان اتبعهم وتبعهم واحد وذلك
جايز وتحتمل ان يكون البا زايدة اي اتبعهم فرعون جنوده كقوله لا تاخذ بلحيتي اسري بعبده
وقال غيره في با بجنوده اوجه احدها ان يكون البا للحال وذلك على ان اتبع متعد لاثنين
حذف ثانيهما والتقدير فاتبعهم فرعون عقابه وقدره ابو حيان ردته وحشمه قال
شهاب الدين والاول احسن والثاني ان البا زايدة في المفعول الثاني والتقدير فاتبعهم فرعون جنوده
كقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم لا يقران بالسور واتبع قد جا متعديا لاثنين صريحا قال تعالى
واتبعناهم ذرياتهم بايمان والثالث انها متعدية على ان اتبع قد يتعدي لواحد بمعني تبع ويكون
على هذا الوجه ان تكون البا للحال ايضا بل هو الاظهر وقرا ابو عمرو في رواية والحسن فاتبعهم بالتشديد
وكذلك قراه الحسن في جميع القران الا في قوله فاتبعه شهاب ثاقب **قوله** ما غشيهم فاعل
غشيهم وهذا من باب الاختصار وجوامع الكلم الي ما يقل لفظه ويكثر معناها اي فغشيهم ما لا
يعلم كنهه الا الله تعالى وقرا الاعمش فغشاهم مضعفا وفي الفاعل حينيذ ثلاثة اوجه احدها
انه ما غشاهم كالقراة قبله اي غطاهم من اليم ما غطاهم والثاني هو ضمير الباري تعالى اي
فغشاهم الله والثالث هو ضمير فرعون لانه السبب في هلاكهم وعلى هذين الوجهين فما غشاهم
في محل نصب مفعولا ثانيا **فصل** قيل ان فرعون جنوده ان اتبعوا موسي وقومه وكان هو فيهم
فغشيهم اصابهم من اليم ما غشيهم وهو الغرق وقيل غشيهم علاهم وسترهم من اليم ما غشيهم
يريد بعض ما اليم لا كله وقيل غشيهم من اليم ما غشي قوم موسي فغرقوا هم ونجا موسي وقومه واضل
فرعون قومه وما هدي اي ما ارشدهم وهذا تكذيب لفرعون وتهكم به في قوله وما اهديكم
الا سبيل الرشاد احتج القاضي بقوله واضل فرعون قومه فقال لو كان الضلال من خلق الله لما جاز
ان يقال واضل فرعون بل وجب ان يقال الله اضلهم ولان الله تعالى ذمه بذلك فكيف
يكون خالقا للكفر لان من ذم غيره بشي لا بد وان يكون المذموم هو الذي فعله والا استحق الذم

فصل قال ابن عباس لما امر الله تعالى موسى ان يقطع بقومه البحر وكان بنوا اسرايل استعاروا
من قوم فرعون الحلي والدواب لعيد يخرجون اليه فخرج بهم ليلا وكان يوسف عليه السلام عهد اليهم
عند موته ان يخرجوا بعظامه معهم من مصر فلم يعرفوا مكانها حتى دلتهم عجوز على موضع العظم فاخذوه
وقال موسى عليه السلام للعجوز احتكمي فقالت اكون معك في الجنة فلما خرجوا تبعهم فرعون فلما انتهى
موسى الى البحر قال هنا امرت فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق فقال لهم موسى
ادخلوا فيه قالوا كيف وهي رطبة فدعا فهبت عليه الصبا فجفت فقالوا نخاف الغرق في بعضنا
فجعل بينهم كوى حتى يرى بعضهم بعضا ثم دخلوا حتى جاوزوا واقبل فرعون الى تلك الطرق فقال له قومه
ان موسى قد سحر البحر كما ترى وكان على فرس حصان فاقبل جبريل بين يدي فرعون فابصر الحصان الفرس
فاقتحم بفرعون على اثرها وصاحت الملايكة في الناس الحقوا حتى اذا دخل اخرهم وكاد اولهم ان يخرج التقى
البحر عليهم فغرقوا فرجع بنوا اسرايل حتى ينظروا اليهم وقالوا يا موسى ادع الله يخرجهم لنا حتى ننظر
اليهم فلفظهم البحر الى الساحل واصابوا من سلاحهم قال ابن عباس ان جبريل قال يا محمد لو رايتني وانا
ادس فرعون في الماء والطين مخافة ان يتوب فهذا معنى قوله فغشيهم من اليم ما غشيهم قال ابن
الخطيب وفي القصة ابحاث الاول قال بعض المفسرين ان موسى لما ضرب البحر انفرق اثنى عشر
طريقا يابسا وبقي الما قايما بين الطريقين كالطود العظيم وهو الجبل فاخذ كل سبط من بني اسرايل
في الطريق وهو معنى قوله فصار كل فرق كالطود العظيم ومنهم من قال انما حصل طريق واحد
لقوله فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا ويمكن حمله على الجنس الثاني ان قول بني اسرايل بعد ان اظهر لهم
الله الطرق وبينها تعنتوا وقالوا نريد ان يرى بعضنا بعضا فهذا كالبعيد لان القوم لما ابصروا
مجي فرعون صاروا في نهاية الخوف والخايف اذا وجد طريق الفرار والخلاص كيف يتفرغ للتعنت
البارد الثالث ان فرعون كان عاقلا بل كان في نهاية الدهاء فكيف اختار ان يلقي نفسه
للتهلكة فانه كان يعلم من نفسه ان انفلاق البحر ليس بامره وذكروا عند هذا وجهين احدهما
ان جبريل كان على الرمكة فتبعه فرس فرعون ولقايل ان يقول هذا بعيد لانه يبعد ان يكون
خوض الملك في امثال هذه المواضع مقدما على خوض جميع العسكر فلو كان الامر على ما قالوا لكان
فرعون في ذلك الدخول كالمجبور وذلك مما يزيده خوفا ويحمله على الامساك عن الدخول وايضا
فاي حاجة لجبريل عليه السلام الى هذه الحيلة وقد كان يمكنه ان ياخذه مع فرسه ويرميه في
الما ابتدا بل الاولى ان يقال انه امر مقدمة العسكر بالدخول فدخلوا وما غرقوا فغلب على
ظنه السلامة فلما دخل اغرقهم الله الرابع ان قولهم عن جبريل انه كان يدسه في الما والطين
خوفا ان يومن فبعيد لان المنع من الايمان لا يليق بالملايكة والانبيا الخامس روي ان موسى عليه
السلام كلم البحر فقال انفرق لي لاعبر فقال البحر لا يمر علي رجل عاص وهذا غير ممتنع على اصول
اهل السنة لان عندهم البنية ليست شرطا للحيوة وعند المعتزلة ان ذلك على لسان الحال
لا على لسان القال **قوله تعالى** يا بني اسرايل قد انجيناكم من عدوكم الاية قرا الاخوان
قد انجيتكم وواعدتكم ورزقتكم بتا المتكلم والباقون انجيناكم وواعدناكم ورزقناكم بنون العظمة
واتفقوا على ونزلنا وتقدم خلاف ابي عمرو في وعدنا في البقرة وقرا حميد نجيناكم بالتشديد
وقرى الايمن بالجر قال الزمخشري خفض على الجوار كقولهم جحر ضب خرب وجعله ابو حيان
شاذا ضعيفا وخرجه على انه نعت للطور وقال وصف بذلك لما فيه من اليمن او لكونه على
يمين من يستقبل الجبل وجانب مفعول ثان على حذف مضاف اي اتيان جانب ولا يجوز ان يكون
المفعول الثاني محذوفا وجانب ظرف للوعد والتقدير وعدناكم التورية في هذا المكان لانه
ظرف مكان مختص لا يصل اليه الفعل بنفسه ولو قيل انه توسع في هذا الظرف فجعل مفعولا به

اي جعل نفس الموعود مجوزا عليه فيحتمل ويريدان **قوله** فيحل قرا العامة فيحل بكسر الحا واللام
من يحلل والكساي في اخرين بضمهما وابن عيينه وافق العامة في الحا والكساي في اللام فقراة العامة
من حل عليه كذا اي وجب من حل الدين يحل اي وجب قضاوه ومنه قوله حتى يبلغ الهدي محله
ومنه ايضا ويحل عليه عذاب مقيم وقراة الكساي من حل يحل اي نزل ومنه او تحل قريبا من
دارهم والمشهود ان فاعل يحل في القرايتين هو غضبي وقال صاحب اللوامح انه مفعول به وان الفاعل
نزل لشهرته والتقدير فيحل عليكم طغيانكم غضبي ودل على ذلك ولا تطغوا ولا يجوز ان يسند الى
غضبي فيصير في موضع رفع بفعله ثم قال وقد يحذف المفعول للدليل عليه وهو العذاب
ونحوه قال شهاب الدين ان حل متعد بنفسه لانه من الاحلال كما صرح هو به واذا كان من
الاحلال تعدى لواحد وذلك المتعدي اليه اما غضبي على ان الفاعل ضمير عايد على الطغيان
كما قدره واما محذوف والفاعل غضبي وفي عبارته قلق وقرا طلحة لا يحلن عليكم بلا الناهية
وكسر الحاء وفتح اللام من يحلن ونون التاكيد المشددة اي لا تتعرضوا للطغيان فيحق عليكم غضبي
وهو من باب لا ارينك ههنا وقرا زيد بن علي ولا تطغوا بضم الغين من طغا يطغو كغزا
يغزو وقوله فيحل يجوز ان يكون مجزوما عطفا على ولا تطغوا كذا قال ابو البقا وفيه نظر اذ المعنى
ليس على نهي الغضب ان يحل بهم والثاني انه منصوب باضمار ان في جواب النهي وهو واضح

فصل اعلم ان الله تعالى لما انعم على قوم موسى عليه السلام بانواع النعم ذكرهم ولا
شك ان ازالة الضرر يجب تقديمه على ايصال المنفعة وايصال المنفعة الدينية اعظم من
ايصال المنفعة الدنيوية فلهذا بدا تعالى بازالة الضرر بقوله انجيناكم من عدوكم فان فرعون
كان ينزل بهم انواع الظلم والاذلال والاعمال الشاقة ثم ذكر المنفعة الدينية وهي قوله وواعدناكم
جانب الطور الايمن وذلك انه انزل عليهم في ذلك القرب كتابا فيه بيان دينهم وشرح شريعتهم
او لانه حصل لهم شرف بسبب ذلك قال المفسرون وليس للجبل يمين ولا يسار بل المراد ان طور
سينا عن يمين السالك من مصر الى الشام ثم ثلث بذكر المنفعة الدنيوية فقال وانزلنا عليكم
المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم امر اباحة ثم زجرهم عن العصيان فقال ولا تطغوا فيه
قال ابن عباس لا يظلم بعضكم بعضا فياخذه من صاحبه وقال مقاتل والضحاك لا تظلموا فيه انفسكم
بان تجاوزوا حد الاباحة وقال الكلبي لا تكفروا النعمة اي لا تستعينوا بنعمتي على مخالفتي ولا
تعرضوا عن الشكر ولا تعدلوا عن الحلال الى الحرام والمراد بالطيبات ههنا اللذايذ لان المن
والسلوى من لذايذ الاطعمة وقال الكلبي ومقاتل الطيبات الحلال وذلك لان الله تعالى
انزله اليهم ولم تمسه يد الادميين روي انهم كانوا يصبحون فيجدونه بين بيوتهم فياخذون منه
قدر حاجتهم في ذلك اليوم الى الغد ومن ادخر منه لا كثر من ذلك فسد ومن اخذ منه قليلا كفاه
او كثيرا لم يفضل عنه يصنعون منه مثل الخبز وهو في غاية البياض والحلاوة فاذا كان اخر النهار
غشيهم طير السلوى فيقتنصون منها بلا كلفة ما يكفيهم لعشاهم واذا كان الصيف ظلل عليهم
الغمام يقيهم حر الشمس ثم قال فيحل عليكم غضبي اي يجب عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد
هوى اي هلك وقيل شقي وقيل وقع في الهاوية هوى يهوي هويا اذا سقط من علو الى سفل ثم
قال واني لغفار لمن تاب وامن واعلم انه تعالى وصف نفسه بكونه غافرا وغفورا وغفارا
وبان له غفرانا ومغفرة وعبر عنه بلفظ الماضي والمستقبل والامر اما وصف كونه غافرا فقوله
غافر الذنب واما كونه غفورا فقوله وربك الغفور واما كونه غفارا فقوله واني لغفار لمن تاب
وامن واما الغفران فقوله غفرانك ربنا واما المغفرة فقوله وان ربك لذو مغفرة للناس واما
صيغة الماضي فقوله في حق داود فغفرنا له واما صيغة المستقبل فقوله ويغفر ما دون ذلك لمن

يشا وقوله ان الله يغفر الذنوب جميعا وقوله ليغفر لك الله واما لفظ الاستغفار فقوله
استغفروا ربكم ويستغفرون للذين امنوا وههنا نكتة وهي ان العبد له اسما ثلاثة الظالم
والظلوم والظلام اذا كثر منه الظلم ولله في مقابلة كل واحد من هذه الاسما اسما فكانه تعالى
قال ان كنت ظالما فانا غافر وان كنت ظلوما فانا غفور وان كنت ظلاما فانا غفار قال
ابن عباس من تاب عن الشرك وامن ووحد الله وصدقه وعمل صالحا ادى الفرايض ثم اهتدى
علم ان ذلك توفيق من الله عز وجل وقال قتادة وسفين الثوري لزم الاسلام حتى مات عليه وقال
الشعبي ومقاتل والكلبي علم ان لذلك ثوابا وقال زيد بن اسلم تعلم العلم ليهتدي كيف يعمل وقال
سعيد بن جبير اقام على السنة والجماعة **فصل** قال بعضهم تجب التوبة عن الكفر اولا ثم الاتيان
بالايمان ثانيا لهذه الاية فانه قدم التوبة على الايمان ودلت هذه الاية ايضا على ان العمل الصالح
غير داخل في الايمان لانه تعالى عطف العمل الصالح على الايمان والمعطوف تغاير المعطوف عليه

قوله تعالى وما اعجلك عن قومك يا موسى ما اعجلك مبتدا وخبر وما استفهامية عن سبب
التقدم على قومه قال الزمخشري فان قلت ما اعجلك سوال عن سبب العجلة فكان الذي ينطبق عليه
من الجواب ان يقال طلب زيادة رضاك والشوق الى كلامك وتنجيز موعدك وقوله هم اولاء على اثري
كما ترى غير منطبق عليه قلت قد تضمن ما واجهه به رب العزة شيئين احدهما انكار العجلة في نفسها
والثاني السوال عن سبب التقدم والحامل عليه فكان اهم الامرين الى موسى بسط العذر وتمهيد
العلة في نفس ما انكر عليه فاعتل بانه لم يوجد مني الا تقدم يسير مثله لا يعتد به في العادة ولا
يحتفل به وليس بيني وبين من سبقته الا مسافة قريبة يتقدم مثلها الوفد راسهم ومقدمهم
ثم عقبه بجواب السوال عن السبب فقال وعجلت اليك رب لترضى واجاب غيره عن هذا السوال
بانه عليه السلام ورد عليه من هيبة عتاب الله ما اذهله عن الجواب المنطبق المرتب على حد ود
الكلام **فصل** في الاية سوالات الاول قوله وما اعجلك استفهام وهو على الله تعالى
محال والجواب انه كان في صفة الاستفهام ولا امتناع فيه الثاني ان موسى عليه السلام اما ان يقال
انه كان ممنوعا عن ذلك التقدم او لم يكن ممنوعا عنه فان كان ممنوعا كان ذلك التقدم معصية
فيلزم وقوع المعصية من الانبيا وان لم يكن ممنوعا كان ذلك الانكار غير جايز والجواب لعله
عليه السلام ما وجد نصا في ذلك الا انه باجتهاده تقدم فاخطا في ذلك الاجتهاد فاستوجب العتاب
الثالث قوله وعجلت والعجلة مذمومة والجواب انها ممدوحة في الدين قال الله تعالى وسارعوا
الى مغفرة من ربكم الرابع قوله لترضى يدل على انه عليه السلام انما فعل ذلك ليحصل الرضا لله تعالى
وذلك باطل من وجهين احدهما يلزم تجدد صفة الله والاخر انه تعالى قبل حصول ذلك الرضا
يجب ان يقال انه كان راضيا عن موسى لان تحصيل الحاصل محال ولما لم يكن راضيا عنه وجب ان يكون
ساخطا عليه وذلك لا يليق بحال الانبيا والجواب المراد تحصيل دوام الرضا كقوله ثم اهتدى
والمراد دوام الاهتدا الخامس قوله وعجلت اليك رب لترضى يدل على انه ذهب الى الميعاد قبل
الوقت الذي عينه الله له والا لم يكن ذلك تعجيلا ثم ظن ان مخالفة امر الله سبب لتحصيل رضاه وذلك
لا يليق باجهل الناس فضلا عن كليم الله والجواب ان ذلك كان باجتهاد واخطا فيه السادس قوله
اليك يقتضي كون الله في الجهة لان الى لانتها الغاية والجواب اتفقنا على ان الله تعالى لم يكن
في الجبل فالمراد الى مكان وعدك **فصل** دلت الاية على انه تعالى امره بحضور الميقات مع قوم
مخصوصين فقال المفسرون هم السبعون اختارهم الله من جملة بني اسرايل يذهبوا معه الى الطور
لياخذوا التورية فسار بهم موسى ثم عجل موسى من بينهم شوقا الى ربه وخلف السبعين وامرهم ان يتبعوه
الى الجبل فقال الله وما اعجلك عن قومك يا موسى فقال مجيبا لربه هم اولاء على اثري اي بالقرب مني

ياتون من بعدي وعجلت اليك رب لترضى لتزداد رضى **قوله** هم اولاء على اثري كقوله ثم انتم هولاء
تقتلون وعلى اثري يجوز ان يكون خبرا ثانيا وان يكون حالا وقرا الجمهور اولاء بهمزة مكسورة والحسن
وابن معاذ بيا مكسورة ابدل الهمزة يا تخفيفا وابن وثاب اولى بالقصر دون همزة وقرات طايفة اولاي
بيا مفتوحة وهي قريبة من الغلط والجمهور على اثري بفتح الهمزة والثا وابو عمرو في رواية عبد الوارث
وزيد بن علي اثري بكسر الهمزة وسكون الثا وعيسى بضمها وسكون الثا وحكاها الكسايي لغة **قوله**
فانا قد فتنا قومك من بعدك اي ابتلينا الذين خلفتهم مع هارون وكانوا ستماية الف فافتتنوا بالعجل
غير اثني عشر الفا من بعدك من بعد انطلاقك الى الجبل **فصل** قالت المعتزلة لا يجوز ان يكون
المراد ان الله خلق فيهم الكفر لوجهين الاول الدلايل العقلية الدالة على انه لا يجوز من الله تعالى
ان يفعل ذلك والثاني انه قال واضلهم السامري وايضا فلان موسى لما طالبهم بذكر سبب الفتنة
فقال افطال عليكم العهد ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم فلو حصل ذلك بتخليق الله لكان لهم
ان يقولوا السبب فيه ان الله خلقه فينا لا ما ذكرت فكان يبطل كلام موسى عليه السلام وايضا فقوله
ان اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم ولو كان ذلك بخلقه لا يستحال ان يغضب عليهم فيما هو الخالق له
ولما بطل ذلك وجب ان يكون لقوله فتنا معنى اخر وذلك لان الفتنة قد تكون بمعنى الامتحان يقال
فتنت الذهب بالنار اذا امتحنته بالنار فتميز الجيد من الردي فههنا شدد الله التكليف عليهم لان
السامري لما اخرج لهم العجل صاروا مكلفين بان يستدلوا بحدوث جملة العالم والاجسام على ان له
الها ليس بجسم وحينيذ يعرفوا ان العجل لا يصلح للالهية فكان هذا التعبد تشديدا في التكليف و
والتشديد في التكليف موجود قال تعالى احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون والجواب
ليس في ظهور صوت من عجل متخذ من الذهب شبهة اعظم مما في الشمس والقمر والدليل الذي ينفي كون
الشمس والقمر الها اولى بان ينفي كون العجل الها فحينيذ لا يكون حدوث العجل تشديدا في التكليف ولا
يصح حمل الاية عليه فوجب حمله على خلق الضلال فيهم وقولهم اضاف الاضلال الى السامري قلنا
اليس ان جميع المسببات العادية تضاف الى اسباب من الظاهر وان كان الموجد هو الله تعالى فكذا
ههنا وايضا قرى واضلهم السامري اي واشد ضلالهم السامري وعلى هذا لا يبقى للمعتزلة استدلال
ثم الذي يحسم مادة الشغب مسلة الداعي **قوله** واضلهم السامري العامة على انه فعل ماض مسند
الى السامري وقرا ابو معاذ في اخرين واضلهم مرفوعا بالابتدا وهو افعل تفضيل والسامري خبره
ومعنى اضلهم ادعاهم وصرفهم الى عبادة العجل واضاف الاضلال الى السامري لانهم ضلوا بسببه قال
ابن عباس في رواية سعيد بن جبير كان السامري علجا من اهل كرمان وقع الى مصر وكان من قوم يعبدون
البقر والاكثرون على انه كان من عظما بني اسرايل من قبيلة يقال لها السامرة قال الزجاج وقال
عطا عن ابن عباس كان الرجل من القبط جارا لموسى وقد امن به روي انهم اقاموا بعد مفارقة
موسى عشرين ليلة وحسبوها اربعين مع ايامها وقالوا قد اكملنا العدة ثم كان امر العجل بعد ذلك فان
قيل وكيف التوفيق بين هذا وبين قوله لموسى عند مقدمه انا فتنا قومك من بعدك فالجواب
من وجهين الاول انه تعالى اخبر عن الفتنة المترقبة بلفظ الموجودة الكاينة على عادته كقوله
اقتربت الساعة ونادى اصحاب الجنة الى غير ذلك الثاني ان السامري شرع في تدبير الامر لما غاب
موسى عليه السلام ثم رجع موسى الى قومه بعد ما استوفى الاربعين ذا القعدة وعشر ذي الحجة **قوله**
غضبان اسفا حالان وقد تقدم في سورة الاعراف قيل الاسف شدة الغضب فلا يلزم التكرار
لان غضبان يفيد اصل الغضب واسفا يفيد كماله وقال الاكثرون حزينا وجزعا يقال
اسف ياسف اسفا فهو اسف اذا حزن وقيل الاسف المغتاظ وفرق بين الاغتياظ والغضب لان
الله تعالى لا يوصف بالغيظ ويوصف بالغضب من حيث ان الغضب ارادة الاضرار بالمغضوب

عليه والغيظ تغير يلحق المغتاظ وذلك لا يصح إلا على الأجساد كالضحك والبكاء ثم إن موسى عليه السلام
عاتبهم بعد رجوعه فقال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا صدقا فقيل المراد بالوعد الحسن
إنزال التورية وقيل الثواب على الطاعات وثواب مجاهد العهد وهو قوله ولا تطغوا فيه إلى قوله
ثم اهتدى ويدل عليه بعد ذلك أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فكأنه
قال أنسيتم ذلك الذي قال الله لكم ولا تطغوا وقيل الوعد الحسن ههنا يحتمل أن يكون وعدا حسنا
في منافع الدين وأن يكون في منافع الدنيا أما منافع الدين فهو الوعد بإنزال الكتاب الهادي إلى الشرائع
والوعد بحصول الثواب العظيم في الآخرة وأما منافع الدنيا فإن الله تعالى قد وعدهم قبل إهلاك
فرعون أن يورثهم أرضهم وديارهم فإن قيل قوله ألم يعدكم ربكم هذا الكلام إنما يتوجه عليهم لو كانوا
معترفين بالإله أخرسوا العجل إما لما اعتقدوا أنه لا إله سواه على ما أخبر الله عنهم أنهم قالوا هذا إلهكم
وإله موسى كيف يتوجه عليهم هذا الكلام فالجواب أنهم كانوا معترفين بالإله لكنهم عبدوا العجل على
التأويل الذي تذكره عباد الأصنام **قوله** وعدا حسنا يجوز أن يكون مصدرا مؤكدا والمفعول
الثاني محذوف تقديره وعدكم بالكتاب وبالهداية أو نزل المفعول الثاني لينهم ويجوز أن يكون
الوعد بمعنى الموعود فيكون هو المفعول الثاني **قوله** أفطال عليكم العهد أي أفنسيتم ذلك العهد
وقيل أفطال عليكم مدة مفارقتي إياكم وطول العهد يحتمل أمورا أحدها أفطال عليكم العهد بنعم الله
من إنجائكم من فرعون وغير ذلك من النعم المذكورة في أول سورة البقرة كقوله فطال عليهم الأمد
فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون وثانيها روي أنهم عرفوا أن الأجل أربعون ليلة فجعلوا كل يوم
بإزاء ليلة وردوه إلى عشرين قال القاضي هذا ركيك لأن ذلك لا يكاد يشتبه على أحد وثالثها أن
موسى عليه السلام وعدهم ثلاثين ليلة فلما زاده الله فيها عشرة أخرى طال العهد **قوله** أم أردتم
أن يحل عليكم غضب من ربكم هذا لا يمكن إجراؤه على ظاهره لأن أحدا لا يريد ذلك ولكن المعصية
لما كانت توجب ذلك ومريد السبب مريد للمسبب أي أردتم أن تفعلوا فعلا يوجب عليكم الغضب
من ربكم فأخلفتم موعدي وهذا يدل على موعد كان منه عليه السلام مع القوم فقيل المراد ما وعدوه
من اللحاق والمجيء على أثره وقيل ما وعدوه من الإقامة على دينه إلى أن يرجع إليهم من الطور وموعد
مصدر يجوز أن يكون مضافا إلى الفاعلة بمعنى وجدتموني أخلفتكم ما وعدتكم وأن يكون مضافا إلى المفعول
بمعنى أنهم وعدوه أن يتمسكوا بدينه وسنته **قوله** بملكنا قرأ الإخوان بضم الميم ونافع وعاصم
بفتحها والباقون بكسرها فقيل لغات بمعنى واحد كالنقض والنقض والنقض في مصادر ومعناها
القدرة والتسلط وفرق الفارسي وغيره بينها فقال المضموم معناه لم يكن ملك فنخلف موعدك
بسلطانه وإنما فعلناه بنظر واجتهاد فالمعنى على أن ليس لهم ملك كقول ذي الرمة ∴
لا تشتكي سقطة منها وقد رقصت بها المفاوز حتى ظهرها حدب • أي لا يقع منها سقطة فتشتكي
وفتح الميم مصدر من ملك أمره والمعنى ما فعلناه بأنا ملكنا الصواب بل غلبتنا أنفسنا وكسر الميم
كثر فيما تحوزه اليد وتحويه ولكنه يستعمل في الأمور التي يبرمها الإنسان ومعناها كالمعنى التي قبلها والمصدر
في هذين الوجهين مضاف للفاعل والمفعول محذوف أي بملكنا الصواب **قوله** حملنا قرأ نافع
وابن كثير وابن عامر وحفص بضم الحاء وكسر الميم مشددة وأبو جعفر كذلك إلا أنه خفف الميم والباقون
بفتحها خفيفة الميم فالقراءة الأولى والثانية نسبوا فيهما الفعل إلى غيرهم وفي الثالثة نسبوه إلى أنفسهم
وأوزارا مفعول ثان على غير القراءة الثالثة ومن زينة يجوز أن يكون متعلقا بحملنا وأن يكون متعلقا
بمحذوف على أنه صفة لأوزارا وقوله فكذلك نعت لمصدر أو حال من ضميره عند سيبويه أي القاء
مثل إلقائنا **فصل** اختلفوا في القائل ما أخلفنا موعدك بملكنا على وجهين فقيل القائلون هم الذين
لم يعبدوا العجل كأنهم قالوا ما أخلفنا موعدك بأمرنا بملكه وقد يضيف الرجل فعل قريبه إلى نفسه

كقوله

كقوله تعالى وإذ فرقنا بكم البحر وإذ قتلتم نفسا وإن كان الفاعل لذلك آباءهم فكأنهم قالوا الشبهة قويت
على عبدة العجل فلم نقدر على منعهم عنه ولم نقدر أيضا على مفارقتهم لأنا خفنا أن يصير ذلك سببا لوقوع
الفرقة وزيادة الفتنة وقيل هذا قول عبدة العجل والمعنى أن غيرنا أوقع الشبهة في قلوبنا وفاعل
السبب فاعل المسبب فخلف الوعد هو الذي أوقع الشبهة فإنه كان كالمالك لنا فإن قيل كيف
رجوع قريب من ستمائة ألف إنسان من العقلاء المكلفين عن الدين الحق دفعة واحدة إلى عبادة عجل
يعرف فسادها بالضرورة ثم إن مثل هذا الجمع لما فارقوا الدين وأظهروا الكفر فكيف يعقل رجوعهم
دفعة واحدة عن ذلك الدين بسبب رجوع موسى عليه السلام وحده إليهم فالجواب هذا غير ممتنع
في حق البله من الناس ثم إن القوم فيهم والعذر الحامل لهم على ذلك الفعل فقالوا ولكنا حملنا أوزارا
من زينة القوم لمن قرأ بالتخفيف فالمعنى حملنا مع أنفسنا ما كنا استعرناه من القوم ومن قرأ بالتشديد
فقيل إن موسى عليه السلام أمرهم باستعارة الحلي والخروج بها فكأنه ألزمهم ذلك والمراد بالأوزار
حلي قوم فرعون وقيل جعلنا كالضامن لها إلى أن نؤديها إلى الحيث يأمرنا الله وقيل إن الله تعالى جعلهم
ذلك أي ألزمهم حكم المغنم فقيل أخذوها على وجه العارية ولم يردوها حين خرجوا من مصر استعاروا
لعيد لهم وقيل إن الله تعالى لما أغرق فرعون نبذ البحر حليهم فأخذوها وكانت غنيمة ولم تكن
الغنيمة حلالا لهم في ذلك الزمان فسماها الله أوزارا لذلك لأنه يجب عليهم حفظها من غير فايدة
فكانت أثقالا وقيل سميت أوزارا لكثرتها وثقلها والأوزار الأثقال وقيل المراد بالأوزار الآثام
والمعنى حملنا آثاما روي أن هرون عليه السلام قال إنها نجسة فتطهروا منه وقال السامري إن موسى
إنما احتبس عقوبة بالحلي فيجوز أن يكونوا أرادوا هذا القول وقد يقول الإنسان للشيء الذي يلزمه رده
هذا كله إثم وذنب وقيل إن ذلك الحلي كان للقبط يتزينون به في مجامع لهم يجري فيها الكفر فلذلك
وصفت بكونها أوزارا كما يقال مثله في آلات المعاصي وقولهم فقذفناها أي طرحناها في الحفيرة
وذلك أن هرون قال لهم إن تلك غنيمة لا تحل فاحفروا الحفر واحفيره ثم ألقوه فيها حتى يرجع موسى
فيرى فيها رأيه ففعلوا وقيل قذفوها في موضع أمرهم السامري بذلك وقيل في موضع جمع فيه النار
ثم قالوا وكذلك ألقى السامري ما معه من الحلي فيها **قوله** فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار قال
ابن عباس أوقد هارون نارا وقال اقذفوا ما معكم فيها فألقوا فيها ثم ألقى السامري ما كان معه
من تربة حافر فرس جبريل قال قتادة كان قد صر قبضة من ذلك التراب في عمامته فأخرج لهم
عجلا جسدا له خوار واختلفوا هل كان ذلك الجسد حيا أم لا فقيل لا لأنه لا يجوز إظهار خرق العادة
على يد الضال بل السامري صور صورة على شكل العجل وجعل فيها منافذ ومخارق بحيث يدخل فيها
الرياح فيخرج صوت يشبه صوت العجل وقيل إنه صار حيا وخار كما يخور العجل لقوله فقبضت
قبضة من أثر الرسول ولو لم يصر حيا لما بقي لهذا الكلام فايدة ولأنه تعالى سماه عجلا والعجل حقيقة
هو الحيوان وسماه جسدا وهو إنما يتناول الحي وأثبت له الخوار وأما ظهور خارق العادة على يد
الضال فجائز لأنه لا يحصل الالتباس وههنا كذلك فوجب أن لا يمتنع وروى عكرمة عن ابن عباس
أن هرون عليه السلام مر بالسامري وهو يصنع العجل فقال ما تصنع فقال أصنع ما ينفع ولا يضر
فادع لي فقال اللهم أعطه ما سأل فلما مضى هرون قال السامري اللهم إني أسألك أن يخور فخار
وفي رواية فألقى التراب في فم العجل وقال كن عجلا يخور فكان كذلك بدعوة هرون وعلى هذا
التقدير يكون ذلك معجزا للنبي **قوله** فقالوا هذا إلهكم وإله موسى وههنا إشكال وهو أن
القوم إن كانوا في الجهالة بحيث اعتقدوا أن ذلك العجل المعمول في تلك الساعة هو الخالق للسموات
والأرض فهم مجانين وليسوا مكلفين ولأن هذا محال على مثل ذلك الجمع العظيم وإن لم يعتقدوا ذلك
فكيف قالوا هذا إلهكم وإله موسى وجوابه لعلهم كانوا من الحلولية جوزوا حلول الإله وحلول صفة

من صفاته في ذلك الجسم وان كان ذلك ايضا في غاية البعد لان ظهور الخوار لا يناسب الالهية ولكن لعل
القوم كانوا في نهاية البلادة **قوله** فنسي قرا العامة بكسر السين وقرا الاعمش بسكون السين وهي لغة
فصيحة والضمير في نسي ان يعود على السامري وعلى هذا قيل انه من كلام الله تعالى كانه اخبر عن السامري
انه نسي الاستدلال على حدوث الاجسام وان الاله لا يحل في شي ولا يحل فيه شي ثم انه بين المعنى الذي يجب
الاستدلال به وهو قوله افلا يرون ان لا يرجع اليهم قولا اي لم يخطر ببالهم ان من لا يتكلم ولا ينفع ولا يضر
لا يكون الها ولا يكون للاله تعلق بالحالية والمحلية ويجوز ان يعود على موسى وعلى هذا قيل هذا قول
السامري والمعنى ان هذا الهكم واله موسى فنسي موسى ان هذا هو الاله فذهب يطلبه في موضع اخر وهو
قول الاكثرين وقيل فنسي وقت الموعد في الرجوع **قوله** افلا يرون ان لا يرجع اليهم قولا اي ان العجل
لا يكلمهم لا يجيبهم اذا دعوه ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا وهذا استدلال على عدم انه اله بانه لا يتكلم
ولا ينفع ولا يضر وهذا يدل على ان الاله لا بد وان يكون موصوفا بهذه الصفات وهو كقوله تعالى
في قصة ابرهيم عليه السلام لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر وان موسى عليه السلام في الاكثر لا يقول
الاعلى دلايل ابرهيم **قوله** ان لا يرجع العامة على رفع يرجع لانها المخففة من الثقيلة ويدل
على ذلك وقوع اصلها وهو المشددة في قوله الم يروا انه لا يكلمهم قال الزجاج الاختيار والرفع بمعنى
انه لا يرجع كقوله وحسبوا ان لا تكون فتنة بمعنى انه لا يكون وقرا ابو حيوة والشافعي وابان بنصبه
جعلوها الناصبة والروية على الاولى يقينية وعلى الثانية بصرية وقد تقدم تحقيق هذين القولين
في المايدة والسامري منسوب لقبيلة يقال لها سامرة **فصل** دلت الاية على وجوب النظر
في معرفة الله تعالى وقال في اية اخرى الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا وهو قريب في
ذم عبدة الاصنام فاسئلوهم ان كانوا ينطقون اي لو كان يكلمهم لكان الها والشي يجوز ان يكون مشروطا
بشروط كثيرة وفوات واحد منها يقتضي فوات المشروط وحصول الواحد منها لا يقتضي حصول
المشروط قال بعض اليهود لعلي رضي الله ما دفنتم نبيكم حتى اختلفتم فقال انما اختلفنا عنه وما اختلفنا فيه
وانتم ما جفت اقدامكم من ماء البحر حتى قلتم لنبيكم اجعل لنا الها كما لهم الهة **قوله** ولقد قال لهم
هرون من قبل انما قال ذلك شفقة منه على نفسه وعلى الخلق اما شفقته على نفسه فلانه كان مامورا
من عند الله بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر وكان مامورا من عند اخيه موسى عليه السلام اخلفني في
قومي واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين فلو لم يشتغل بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر كان مخالفا لامر
الله ولامر موسى وذلك لا يجوز واما الشفقة على الخلق فلان الانسان يجب ان يكون مشفقا على
خلق الله خصوصا على ابنا جنسه واي شفقة اعظم من ان يرى جمعا يتهافتون على النار فمنعهم منها ولما
ثبت ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والشفقة على المسلمين واجب ثم ان هرون عليه السلام راي
القوم يتهافتون على النار فلم يبال بكثرتهم بل صرح بالحق فقال يا قوم انما فتنتم به واعلم ان هرون
عليه السلام سلك في هذا الوعظ احسن الوجوه لانه زجرهم عن الباطل اولا بقوله انما فتنتم به
ثم دعاهم الى معرفة الله ثانيا بقوله وان ربكم الرحمن ثم دعاهم ثالثا الى النبوة بقوله فاتبعوني
ثم دعاهم رابعا بقوله واطيعوا امري وهذا هو الترتيب الجيد لانه لا بد قبل كل شي من اماطة
الاذى عن الطريق وهو ازالة الشبهات ثم معرفة الله فانها هي الاصل ثم النبوة ثم الشريعة فثبت
ان هذا الترتيب احسن الوجوه وانما قال وان ربكم الرحمن فخص هذا الموضع باسم الرحمن تنبيها
على انهم متى تابوا قبل الله توبتهم لانه هو الرحمن ومن رحمته ان خلصهم من افات فرعون ثم انهم
لجهلهم قابلوا هذا الترتيب الحسن في الاستدلال بالتقليد فقالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع
الينا موسى كانهم قالوا لا نقبل حجتك ولكن نقبل قول موسى وهذه عادة المقلد **قوله** انما فتنتم
قرا العامة انما فتنتم وان ربكم الرحمن بالكسر فيهما لانها بعد القول لا بمعنى الظن وقرات فرقة

بفتحها

بفتحهما وخرجت على لغة سليم وهي انهم يفتحون ان بعد القول مطلقا وقرا ابو عمرو في رواية الحسن
وعيسى بن عمر بفتح ان ربكم فقط وخرجت على وجهين احدهما انها وما بعدها بتاويل مصدر في
محل رفع خبر المبتدا المحذوف تقديره والامر ان ربكم الرحمن فهو من عطف الجمل لا من عطف المفردات
والثاني انها مجرورة بحرف مقدر اي لان ربكم الرحمن فاتبعوني وقد تقدم القول في نظير ذلك
بالنسبة الى هذه الفاء **فصل** لما قالوا لهرون لن نبرح عليه عاكفين اي مقيمين على عبادة
العجل حتى يرجع الينا موسى اعتزلهم هرون في اثني عشر الفا الذين لم يعبدوا العجل فلما رجع موسى وسمع
الصياح والجلبة وكانوا يرقصون حول العجل قال للسبعين الذين معه هذا صوت الفتنة فلما راي
هرون اخذ شعر راسه بيمينه ولحيته بشماله وقال له ما منعك اذ رايتهم ضلوا الا تتبعن **قوله**
اذ منصوب بمنعك اي اي شي منعك وقت ضلالهم ولا فيها قولان احدهما انها مزيدة اي
ما منعك من ان تتبعني والثاني انها دخلت حملا على المعنى اذ المعنى ما حملك على ان لا تتبعني وما دعاك
الى ان لا تتبعني ذكره علي بن عيسى وقد تقدم تحقيق هذين القولين في سورة الاعراف والقراة في يا ابن
ام **فصل** ومعنى تتبعني اي تتبع امري ووصيتي يعني هلا قاتلتهم وقد علمت اني لو كنت فيهم
لقاتلتهم على كفرهم وقيل ان لا تتبعني اي ما منعك من اللحوق بي واخباري بضلالهم فتكون مفارقتك
اياهم زجرا لهم عما اتوه افعصيت امري **فصل** تمسك الطاعنون في عصمة الانبيا عليهم
السلام بهذه الاية من وجوه احدها ان موسى عليه السلام اما ان يكون قد امر هارون باتباعه
او لم يامره فان امره فاما ان يكون هرون قد اتبعه او لم يتبعه فان اتبعه كان كلام موسى لهرون
معصية وذنبا لان ملامة غير المجرم معصية وان لم يتبعه كان هرون تاركا للواجب فكان
فاعلا للمعصية وان قلنا ان موسى ما امره باتباعه كانت ملامته اياه بترك الاتباع معصية
وعلى جميع التقديرات يلزم اسناد المعصية اما الى موسى او الى هرون وثانيها قول موسى افعصيت
امري استفهام على سبيل الانكار فوجب ان يكون هرون قد عصاه وان يكون ذلك العصيان
منكرا والا كان موسى كاذبا وهو معصية واذا فعل هرون ذلك فقد فعل المعصية وثالثها قوله
يا بن ام لا تاخذ بلحيتي ولا براسي وهذا معصية لان هرون عليه السلام قد فعل ما قدر عليه
فكان الاخذ براسه ولحيته معصية وان فعل ذلك قبل تعرف الحال كان ذلك معصية ورابعها
ان هرون قال لا تاخذ بلحيتي ولا براسي فان كان الاخذ بلحيته وراسه جايزا كان قول هرون لا تاخذ
منعا له ان يفعله فيكون ذلك القول معصية وان لم يكن ذلك الاخذ جايزا كان موسى عليه السلام
فاعلا للمعصية والجواب عن الكل انه حاصل هذه الوجوه تمسك بظواهر قابلة للتاويل ومعا
ما يبعد عن التاويل بما يتسارع اليه التاويل غير جايز واذا ثبتت هذه المقدمة ففي الجواب
وجوه احدها انا وان اختلفنا في جواز عصمة الانبيا لكن اتفقنا على جواز ترك الاولى عليهم واذا كان
كذلك فالفعل الذي يفعله احدهما ويمنع منه الاخر اعني موسى وهرون عليهما السلام لعله كان
احدهما اولى والاخر كان ترك الاولى فلذلك فعله احدهما وتركه الاخر فان قيل هذا التاويل
غير جايز لان كل واحد منهما كان جازما فيما ياتي به فعلا كان او تركا وفعل المندوب وتركه لا
يجزمون قلنا تقييد المطلق بالدليل غير ممتنع فيحمل الجزم في الفعل والترك على ان المراد افعل
ذلك او اتركه ان كنت تريد الاصلح وقد يترك هذا الشرط اذا كانا تواطيا على رعايته معلوما
متقررا وثانيها ان موسى عليه السلام اقبل وهو غضبان على قومه فاخذ براس اخيه وجره اليه
كما يفعل الانسان بنفسه مثل ذلك عند الغضب فان الغضبان المتفكر قد يعض على شفتيه واناميه
ويفتل لحيته فاجرى موسى اخاه هرون مجرى نفسه لانه كان اخاه وشريكه يصنع به ما يصنع الرجل
بنفسه في حال الفكر والغضب واما قوله لا تاخذ بلحيتي ولا براسي فلا يمتنع ان يكون هرون عليه

السلام خاف من ان يتوهم بنوا اسرايل انه منكر عليه فبين انه معاون له ثم اخذ في شرح القصة فقال اني خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرايل وثانيها ان بني اسرايل كانوا على نهاية سوء الظن بموسى حتى ان هرون غاب عنهم غيبة فقالوا لموسى انت قتلته فلما وعد الله موسى وكتب له في الالواح من كل شي ثم رجع فراى من قومه ما راى اخذ براس اخيه ليدنيه فيتفحص عن كيفية الواقعه فخاف هرون ان يسبق الى قلوبهم ما لا اصل له فقال اشفاقا على موسى لا تاخذ بلحيتي ولا براسي لئلا يظن القوم ما لا يليق بك ورابعها قال الزمخشري كان موسى عليه السلام رجلا حديدا مجبولا على الحدة والخشونة والتصلب في كل شي شديد الغضب لله ولدينه فلم يتمالك حين راى قومه يعبدون عجلا من دون الله بعد ما راوا من الايات العظام ان القى الواح التورية لما غلب عليه من الدهشة العظيمة غضبا لله وحمية وعنف باخيه وخليفته على قومه فاقبل عليه اقبال العدو وقال ابن الخطيب وهذا الجواب ساقط لانه يقال هب انه كان شديد الغضب ولكن مع ذلك الغضب الشديد هل كان يبقى عاقلا مكلفا ام لا فان بقي عاقلا مكلفا فالاسوله باقيه بتمامها اكثر ما في الباب انك ذكرت انه يغضب شديدا وذلك من جملة المعاصي وان قلتم انه في ذلك الغضب لم يبق عاقلا ولا مكلفا فهذا الامر تصنيه مسلم البته فهذه اجوبة من لم يجوز الصغاير اما من جوزها فالسوال ساقط وجواب اخر وهو ان موسى عليه السلام لما رجع الى بني اسرايل كان عالما بانهم قد فتنوا وان السامري قد اضلهم والدليل عليه قوله تعالى لموسى انا قد فتنا قومك من بعدك واذا كان كذلك فموسى عليه السلام انما جا وهو عالم بحالهم فانكاره على هرون لعلمه بحالهم قبل مجيه اليهم لا لما اثبتوه في سوالهم وقوله افعصيت امري يدل على ان تارك المامور به عاص والعاصي مستحق للعقاب لقوله ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم فمجموع الايتين يدل على ان الامر للوجوب **قوله** يا ابن ام قيل انما خاطبه بذلك ليدفعه عنه ويتركه وقيل كان اخاه لامه واعلم انه ليس في القران دلالة على انه فعل ذلك فان النهي عن الشي لا يدل على كون المنهي فاعلا للمنهي عنه لقوله ولا تطع الكافرين والمنافقين وانما في القران انه اخذ براس اخيه يجره اليه وهذا القدر لا يدل على الاستخفاق بل قد يفعل لسائر الاغراض على ما بيناه **قوله** لا تاخذ بلحيتي ولا براسي الجمهور على كسر اللام من اللحية وهي اللغة الفصحى وفيها الفتح وبه قرا عيسى بن سليمان الحجازي والفتح لغة الحجاز وتجمع على لحى كقرب وتقل فيها الضم كما قالوا صور بالكسر وحقها الضم والباء في بلحيتي ليست زايدة اما لان المعنى لا يكن منك اخذ واما لان المفعول محذوف اي لا تاخذني ومن زعم زيادتها كهي في ولا تلقوا بايديكم فقد تعسف **فصل** معنى قوله براسي اي بشعر راسي وكان قد اخذ بذوابته اني خشيت لو انكرت عليهم لصاروا حزبين يقتل بعضهم بعضا فتقول انت فرقت بين بني اسرايل وخشيت ان فارقتهم وتبعتك لصاروا احزابا يتقاتلون فتقول انت فرقت بين بني اسرايل ولم ترقب قولي ولم تحفظ وصيتي حين قلت لك اخلفني في قومي واصلح اي ارفق بهم **قوله** ولم ترقب قولي هذه الجمله محلها النصب نسقا على فرقت بين بني اسرايل اي ان تقول فرقت بينهم وان تقول لم ترقب قولي اي لم تنتان وقرا ابو جعفر ترقب بضم حرف المضارعة من ارقب **فان قيل** ان قول موسى عليه السلام ما منعك ان لا تتبعني افعصيت امري يدل على انه امره بشي فكيف حسن في جوابه ان يقال انما لم امتثل قولك خوفا من ان تقول لم ترقب قولي وهل يجوز مثل هذا الكلام على العاقل فالجواب لعل موسى عليه السلام انما امره بالذهاب اليه بشرط ان لا يودي ذلك الى فساد القوم فلما قال موسى ما منعك ان لا تتبعني قال لانك انما امرتني باتباعك اذا لم تحصل الفساد فلو جيتك مع حصول الفساد ما كنت مراقبا لك **قوله** قال فما خطبك يا سامري ما خطبك مبتدا وخبر وتقدم الكلام على الخطب في

يوسف ومعناه هنا ما امرك وشانك اي ما حملك على ما صنعت وقال ابن عطية هنا انه يقتضي انتهارا كانه قال ما نحسك وما شومك ورد عليه ابو حيان بقوله قال فما خطبكم ايها المرسلون **قوله** بصرت يقال بصر بالشي اي علمه وابصره اي نظر اليه كذا قال الزجاج وقال غيره بصر بالشي وابصره بمعنى علمه والعامة على ضم الصاد في الماضي والمضارعه وقرا الاعمش وابو السمال بصرت بالكسر بصروا بالفتح وهي لغة وعمرو بن عبيد بالبنا للمفعول في الفعلين اي اعلمت بما لم يعلموا به وقرا الاخوان تبصروا خطابا لموسى وقومه او تعظيما له كقوله اذا طلقتم النسا * حرمت النسا سواكم * والباقون بالغيبة عن قومه والعامة على فتح القاف من قبضة وهي المرة من قبض قال الزمخشري واما القبضة فالمرة من القبض واطلاقها على المقبوض من تسمية المفعول بالمصدر قال شهاب الدين والنحاة يقولون ان المصدر الواقع كذلك لا يونث بالتا يقولون هذه حلة نسج اليمن ولا يقول نسجة اليمن ويعترضون بهذه الاية ثم يجيبون بان الممنوع انما هو التا الداله على التحديد لا على مجرد التانيث وهذه التا داله على مجرد التانيث وكذلك قوله والارض جميعا قبضته وقرا الحسن قبضة بضم القاف وهي كالغرفة والمضغة في معنى المغروف والمقبوض وروي عنه قبصة بالصاد المهملة والقبض بالمعجمة بجميع الكف وبالمهملة باطراف الاصابع وله نظاير كالخضم والقضم الاول بجميع الفم والثاني بمقدمه والقصم قطع بانفصال والفصم بالفا بانفصال وقد تقدم شي من ذلك في البقرة وادغم ابن محيصن الضاد المعجمة في تا المتكلم مع ابقا به الاطباق كما تقدم في بسطت وادغم الاخوان وابو عمرو الدال في التا من فنبذتها **فصل** لما اجاب هرون اخاه موسى بالجواب المتقدم اقبل موسى على السامري وقال له ما خطبك اي ما حملك على ما فعلت فقال بصرت بما لم يبصروا به اي رايت ما لم يروا بنوا سرايل وعرفت ما لم يعرفوا قال ابن عباس علمت ما لم يعلموا ومنه قولهم رجل بصير اي عالم قاله ابو عبيدة واراد انه راى جبريل عليه السلام فاخذ من موضع حافر دابته قبضة من تراب فقال فقبضت قبضة من اثر الرسول وقرا ابن مسعود من اثر فرس الرسول والمراد بالرسول جبريل عليه السلام عند عامة المفسرين واراد باثره التراب الذي اخذه من موضع حافر دابته لما راه يوم فلق البحر وعن علي رضي الله عنه ان جبريل عليه السلام لما نزل ليذهب موسى الى الطور ابصره السامري من بين الناس واختلفوا في انه كيف اختص السامري برويه جبريل ومعرفته من بين الناس فقال ابن عباس في رواية الكلبي انما عرفه لانه راه في صغره وحفظه من القتل حين امر فرعون بذبح اولاد بني اسرايل فكانت المراة اذا ولدت طرحت ولدها حيث لا يشعر به ال فرعون فتاخذ الملايكة الولدان ويربونهم حتى يترعرعوا ويختلطوا بالناس فكان السامري ممن اخذه جبريل عليه السلام وجعل كف نفسه في فيه وارتضع منه العسل واللبن ليربيه لما قضي على يديه من الفتنة فلم يزل يختلف اليه حتى عرفه قال ابن جريج فعلى هذا قوله بصرت بما لم يبصروا به يعني رايت ما لم يروه ومن فسر الابصار بالعلم فهو صحيح ويكون المعنى علمت ان تراب فرس جبريل عليه السلام له خاصة الاحيا وذلك انه كان كلما رفع الفرس يديه او رجليه في مشيه على الطريق اليبس يخرج تحته النبات في الحال وقال ابو مسلم ليس في القران تصريح بما ذكره المفسرون فهنا وجه اخر وهو ان يكون المراد بالرسول موسى عليه السلام وباثره سنته ورسمه الذي امر به فقد يقول الرجل ان فلانا يقفوا اثر فلان ويقتص اثره اذا كان يمتثل رسمه والتقدير ان موسى عليه السلام لما اقبل على السامري باللوم والمسله عن الامر الذي دعاه الى اضلال القوم في العجل فقال بصرت بما لم يبصروا به اي عرفت ان الذي انتم عليه ليس بحق وقد كنت قبضت قبضة من اثرك ايها الرسول اي شيا من دينك فنبذته اي طرحته فعند ذلك اعلمه موسى عليه السلام بما له من العذاب في الدنيا والاخرة وانما اورد بلفظ الاخبار عن غايب كما يقول الرجل لرييسه

وهو مواجه له ما يقول الامير في كذا او بما ذا يأمر الامير واما اداه وان موسى عليه السلام رسولا
مع جحده وكفره فعلى مذهب من حكى الله عنه قوله يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون وان لم
يؤمنوا بالانزال قال ابن الخطيب وهذا القول الذي ذكره ابو مسلم ليس فيه الا انه مخالف للمفسرين
ولكنه اقرب الى التحقيق لوجوه احدها ان جبريل عليه السلام ليس معهودا باسم الرسول ولم يجر له
فيما تقدم ذكر حتى يجعل لام التعريف اشارة اليه فاطلاق لفظ الرسول لارادة جبريل كانه تكليف
بعلم الغيب وثانيها انه لا بد فيه من الاضمار وهو قبضة من اثر حافر دابة الرسول والاضمار
خلاف الاصل وثالثها انه لا بد من التعسف في بيان ان السامري كيف اختص من بين جميع الناس
برؤية جبريل ومعرفته ثم كيف عرف ان تراب حافر دابته يؤثر هذا الاثر والذي ذكروه من
ان جبريل عليه السلام هو الذي رباه فبعيد لان السامري ان عرف انه جبريل حال كمال عقله عرف
قطعا ان موسى عليه السلام نبي صادق فكيف تحاول الاضلال وان كان ما عرفه حال البلوغ فاي منفعة
لكون جبريل عليه السلام مربيا له حال الطفولية في حصول تلك المعرفة ورابعها انه لو جاز
اطلاع بعض الكفرة على تراب هذا شانه لكان لقائل ان يقول فلعل موسى اطلع ايضا على شيء اخر يشبه
ذلك فلاجله اتى بالمعجزات فيرجع حاصله الى سؤال من يطعن في المعجزات ويقول لم لا يجوز ان يقال
انهم انما اتوا بهذه المعجزات لاختصاصهم بمعرفة بعض الادوية التي لها خاصية ان يفيد
حصول تلك المعجزة وحينئذ ينسد باب المعجزات بالكلية ثم قال وكذلك سولت لي نفسي اي زينت
والمعنى فعلت ما دعتني اليه نفسي وسولت ماخوذ من السول **قوله** فاذهب فان لك في الحياة
ان تقول لا مساس قرا العامة بكسر الميم وفتح السين وهو مصدر لفاعل كالقتال من قاتل وهو منفي
المشاركة وفي التفسير لا تمسني ولا امسك وان من مسه اصابته الحمى وقرا الحسن وابو حيوة وابن ابي عبلة
وقعنب بفتح الميم وكسر السين هكذا عبر ابو حيان وتبع فيه ابا القاسم ومتى اخذنا بظاهر هذه
العبارة لزم ان يقرا مسيس بقلب الالف يا لانكسار ما قبلها ولكن لم يرو كذلك فينبغي ان يكونوا
ارادوا بالكسر الامالة ويدل على ذلك ما قاله الزمخشري وقرئ لا مساس بوزن فجار ونحوه قولهم
في الظباء ان وردت الما فلا عباب ۔ وان فقدته فلا اباب ۔ وهي اعلام للمسة والعبة والابة
وهي المرة من الاب وهو الطلب فهذا تصريح منه ببقاء الالف على حالها ويدل ايضا عليه قول
صاحب اللوامح هو على صورة نزال ونظار من اسماء الافعال بمعنى انزل وانظر فهذا ايضا تصريح
باقرار الالف على حالها ثم قال صاحب اللوامح فهذه الاسماء التي بهذه الصيغة معارف
ولا تدخل عليها لا النافية التي تنصب النكرات نحو لا مال لك لكنه فيه نفي الفعل فتقديره
لا يكون منك مساس ومعناه النهي اي لا تمسني وقال ابن عطية لا مساس هو معدول عن المصدر
كفجار ونحوه وشبهه ابو عبيدة ونحوه بنزال ودراك ونحوه والشبه صحيح من حيث هي معدولة
وفارقه من حيث ان هذه عدلت عن الامر ومساس وفجار عدلت عن المصدر ومن هذا
قول الشاعر ۔ تميم كرهط السامري وقوله ان لا يريد السامري مساس ۔ فكلام الزمخشري
وابن عطية يعطي ان مساس على هذه القراءة معدول عن المصدر كفجار عن الفجرة وكلام صاحب
اللوامح يقتضي انها معدولة عن فعل امر الا ان يكون مراده انها معدولة كما ان اسم الفعل
معدول كما تقدم توجيه ابن عطية لكلام ابي عبيدة **فصل** معنى الكلام انك ما دمت
حيا ان تقول لا مساس اي لا اخالط احدا ولا يخالطك احد وامر موسى بني اسرائيل ان لا يخالطوه
ولا يقربوه قال ابن عباس لا مساس لك ولولدك والمساس من المماسة معناه لا يمس بعضنا بعضا
فصار السامري يهيم في الارض مع الوحوش والسباع لا يمس احدا ولا يمسه احد عاقبه الله بذلك
وكان اذا لقي احدا يقول لا مساس اي لا تقربني ولا تمسني وقيل كان اذا مس احدا او مسه احد حما

جميعا

جميعا حتى ان بقاياهم اليوم يقولون ذلك واذا مس احد من غيرهم احدا منهم حما جميعا في الوقت
وقال ابو مسلم يجوز ان يريد مس النساء فيكون من تعذيب الله اياه انقطاع مسه فلا يكون له من
يؤنسه فيخليه الله من زينة الدنيا التي ذكرها في قوله المال والبنون زينة الحياة الدنيا **قوله**
وان لك موعدا لن تخلفه الموعد بمعنى الوعد وقرا ابن كثير وابو عمرو تخلفه بكسر اللام على البناء
للفاعل اي تجي اليه ولن تغيب عنه والباقون بفتحها على البناء للمفعول وقرا ابو نهيك فيما حكاه عنه ابن
خالويه بفتح التاء من فوق وضم اللام وحكى عنه صاحب اللوامح كذلك الا انه بالياء من تحت وابن
مسعود والحسن بضم نون العظمة وكسر اللام فاما القراءة الاولى فمعناها لن تجده مخلفا كقولك احمدته
واجبنته اي وجدته محمودا وجبانا وقيل المعنى سيصل اليك ولن تستطيع الروغان ولا الحيدة
عنه قال الزمخشري وهذا من اخلفت الوعد اذا وجدته مخلفا قال الاعشى :
۔ اثوى وقصر ليلة ليزودا ۔ فمضى واخلف من قتيلة موعدا ۔ ومعنى الثانية لن يخلف الله موعده
الذي وعدك وفتح اللام اختيار ابي عبيد كانه قال موعدا حقا لا خلف فيه ولن يخلفك الله والمعنى
ان الله مكافيك على فعلك ولا تفوته واما قراءتا ابي نهيك فهما من خلفه يخلفه اذا جاء بعده اي
الموعد الذي لك لا يدفع قولك الذي تقوله وهي قراءة مشكلة قال ابو حاتم لا نعرف لقراءة ابي نهيك
مذهبا واما قراءة ابن مسعود فاسند الفعل فيها الى الله تعالى والمفعول الاول محذوف **قوله**
ظلت العامة على فتح الظاء وبعدها لام ساكنة وابن مسعود وقتادة والاعمش بخلاف عنه وابو حيوة وابن
ابي عبلة ويحيى بن يعمر بكسر الظاء وروي عن ابن يعمر ضمها ايضا وابي والاعمش في الرواية الاخرى ظللت
بلامين اولاهما مكسورة فاما قراءة العامة ففيها حذف احد المثلين وابقاء الظاء على حالها من حركتها
وانما حذف تخفيفا وعده سيبويه في الشاذ يعني شذوذ قياس لا شذوذ استعمال وعد معه الفاظا
اخر نحو مست واحست كقوله ۔ احسن به فهن اليه سوس ۔ وعد ابن الانباري همت في هممت ولا يكون
هذا الحذف الا اذا سكنت لام الفعل وذكر بعض المتاخرين ان هذا الحذف منقاس في كل مضاعف
العين واللام سكنت لامه وذلك في لغة سليم قال شهاب الدين والذي اقول انه متى التقى التضعيف
المذكور والكسر نحو ظللت ومسست انقاس الحذف وهل يجري الضم مجرى الكسر في ذلك فالظاهر
انه يجري بل بطريق الاولى لان الضم اثقل من الكسر نحو غضضن يا نسوة اي اغضضن ابصاركن ذكره
ابن مالك واما الفتح فالحذف فيه ضعيف نحو قرن يا نسوة في المنزل ومنه في احد توجيهي قراءة
وقرن في بيوتكن كما سياتي ان شاء الله تعالى واما الكسر فوجهه انه نقل كسرة اللام الى الظاء بعد
سلبها حركتها ليدل عليها واما الضم فيحتمل ان يكون جاء فيه لغة على فعل يفعل بفتح العين في الماضي وضمها
في المضارع ثم نقلت كما تقدم ذلك في الكسر واما ظللت بلامين فهذه هي الاصل وهي منبهة
على غيرها وعاكفا خبر ظل **قوله** لنحرقنه جواب قسم محذوف اي والله لنحرقنه والعامة على ضم
النون وكسر الراء مشددة من حرقه يحرقه بالتشديد وفيها تاويلان اظهرهما انها من حرقه
بالنار والثاني انه من حرق ناب البعير اذا وقع عض بعضه على بعض والصوت المسموع منه
يقال له الصريف والمعنى لنبردنه بالمبرد بردا نحكه به كما يفعل البعير بانيابه بعضها على بعض
وقرا الحسن وقتادة وابو جعفر لنحرقنه بضم النون وسكون الحاء وكسر الراء من احرق رباعيا وقرا
ابن عباس وحميد وعيسى وابو جعفر لنحرقنه كذلك الا انه بضم الراء فيجوز ان يكون من احرق وحرق
بمعنى كانزل ونزل واما القراءة الاخيرة فمعنى لنبردنه بالمبرد **قوله** ثم لننسفنه العامة على
فتح النون الاولى وسكون الثانية وكسر السين خفيفة وقرا عيسى بضم السين وقرا ابن مقسم بضم
النون الاولى وفتح الثانية وكسر السين مشددة **والنسف** التفرقة والتذرية وقيل
قلع الشيء من اصله يقال نسفه ينسفه بكسر السين وضمها في المضارع وعليه القراءتان والتشديد

اي لن تخلفه

للتكثير فصل معني احراقه علي قراة التشديد قال السدي امر موسي بذبح العجل فذبح وسال منه الدم ثم احرق ونسف رماده وهذا يدل علي انه صار لحما ودما لان الذهب لا يمكن احراقه بالنار وفي حرف ابن مسعود لنذبحنه ولنحرقنه وعلي قراة التخفيف اي لنبردنه بالمبرد وهذه القراة يدل علي انه لم ينقلب لحما ودما فان ذلك لا يبرد بالمبرد ومنه قيل للمبرد المحرق وقال السدي اخذ موسي العجل فذبحه ثم حرقه ثم بردت عظامه بالمبرد ثم ذراه في اليم ثم لما فرغ من ابطال ما ذهب اليه السامري عاد الي بيان الدين الحق فقال انما الهكم اي المستحق للعبادة الله الذي لا اله الا هو وسع كل شي علما قال مقاتل يعلم من يعبده ومن لا يعبده قوله وسع كل شي علما العامة علي كسر السين خفيفة وعلما علي هذه القراة تمييز منقول من الفاعل اذ الاصل وسع كل شي علمه وقرا مجاهد وقتادة بفتح السين مشددة وفي انتصاب علما حينئذ اوجه احدها انه مفعول به قال الزمخشري وجهه ان وسع متعد الي مفعول واحد وهو كل شي واما علما فانتصابه علي التمييز فاعلا في المعني فلما نقل نقل الي التعديه الي مفعولين نصبهما معا علي المفعوليه لان المميز فاعل في المعني كما تقول في خاف زيد عمرا خوفت زيدا عمرا فيرد بالنقل ما كان فاعلا مفعولا وقال ابو البقا والمعني اعطي كل شي علما فضمنه معني اعطي وما قاله الزمخشري اولي والوجه الثاني انه تمييز ايضا كما هو في قراة التخفيف قال ابو البقا وفيه وجه اخر وهو ان يكون بمعني عظم خلق كل شي كالارض والسما وهو بمعني بسط فيكون علما تمييزا وقال ابن عطية وسع خلق الاشيا وكثرها بالاختراع قوله تعالي كذلك نقص الكاف اما نعت لمصدر محذوف او حالا من ضمير ذلك المصدر المقدر والتقدير كذلك نقص هذا النبا الغريب نقص من انبا صفة لمحذوف هو مفعول نقص اي نقص نبا من انبا فصل لما ذكر قصة موسي عليه السلام مع فرعون ثم مع السامري قال كذلك نقص عليك من سابق اخبار الامم واحوالهم تكثيرا لبيناتك وزيادة في معجزاتك وقد اتيناك من لدنا ذكرا يعني القران لقوله وهذا ذكر مبارك انزلناه وانه لذكر والقران ذي الذكر يا ايها الذي نزل عليه الذكر وفي تسمية القران بالذكر وجوه احدها انه كتاب فيه ذكر ما يحتاج اليه الناس من امر دينهم ودنياهم وثانيها انه يذكر انواع الا الله ونعمايه وفيه التذكير والموعظة وثالثها فيه الذكر والشرف لك ولقومك كما قال وانه لذكر لك ولقومك وسمي الله تعالي كل كتاب انزله ذكرا فقال فاسالوا اهل الذكر وكما بين نعمته بذلك بين وعيده لمن اعرض عنه فقال من اعرض عنه فانه يحمل يوم القيامة وزرا اي من اعرض عن القران ولم يومن به ولم يعمل بما فيه فانه يحمل يوم القيمة وزرا والوزر هو العقوبة الثقيلة سماها وزرا لثقلها علي المعاقب تشبيها بالحمل الثقيل وقيل حملا ثقيلا من الاثم قوله من اعرض يجوز ان يكون من شرطية او موصولة والجملة الشرطية او الخبرية الشبيهة بها في محل نصب صفة لذكرا قوله خالدين فيه حال من فاعل يحمل فان قيل كيف يكون الجمع حالا من مفرد فالجواب انه حمل لفظ من فافرد الضمير في قوله اعرض وفانه ويحمل وعلي معناها فجمع في خالدين ولهم والمعني مقيمين في عذاب الوزر والضمير في فيه يعود للوزر والمراد في العقاب المتسبب عن الوزر وهو الذنب فاقيم السبب مقام المسبب وقرا داود بن رفيع يحمل مضعفا مبنيا للمفعول والقايم مقام فاعله ضمير من ووزرا مفعول ثان قوله وسا هذه سا التي بمعني بيس وفاعلها مستتر فيها يعود علي حملا المنصوب علي التمييز لان هذا الباب يفسر الضمير فيه بما بعده والتقدير وسا الحمل حملا والمخصوص بالذم محذوف تقديره وسا الحمل حملا وزرهم ولا يجوز ان يكون الفاعل لبيس ضمير الوزر لان شرط الضمير في هذا الباب ان يعود علي نفس التمييز فان قلت ما انكرت ان يكون في سا ضمير الوزر قلت لا يصح ان يكون في سا وحكمه حكم بيس ضمير شي بعينه غير مبهم ولا جايز ان يكون سا هنا بمعني اهم واحزن

فيكون متصرفة كساير الافعال قال الزمخشري كفاك صادا عنه ان يود كلام الله تعالي الي اخرف الوزر لهم يوم القيامة حملا وذلك بعد ان تخرج عن عهدة هذه اللام وعهدة هذا المنصوب انتهي واللام في لهم متعلقة بمحذوف علي سبيل البيان كهي في هيت لك والمعني بيس ما حملوا علي انفسهم من الاثم كفرا بالقران قوله يوم ينفخ يوم بدل من يوم القيامة او بيان له او منصوب باضمار فعل او خبر مبتدا مضمر وبني علي الفتح علي راي الكوفيين كقراة هذا يوم ينفع وقد تقدم وقرا ابو عمرو ننفخ مبنيا للفاعل بنون العظمة لقوله ونحشر اسند الفعل الي الامر به تعظيما للمامور وهو الملك اسرافيل والباقون بالياء مضمومة مفتوح الفاء علي البنا للمفعول والقايم مقام الفاعل الجار والمجرور بعده والعامة علي اسكان الواو في الصور وقرا الحسن وابن عامر في رواية بفتحها جمع صورة كغرف جمع غرفة وقد تقدم القول في الصور في الانعام وقري ينفخ ونحشر مفتوحة مبنيا للفاعل وهو الله تعالي او الملك وقرا الحسن وطلحة وحميد ينفخ كالجمهور ويحشر بالياء مفتوحة مبنيا للفاعل كما تقدم ضمير الباري او ضمير الملك وروي عن الحسن ايضا ويحشر مبنيا للمفعول المجرمون رفع به وزرقا حال من المجرمين والمراد زرقة العيون وجات الحال هنا بصفة يشبه الملازمة لان اصلها علي عدم اللزوم ولو قلت في الكلام جاني زيد ازرق العينين لم يجز الا بتاويل فصل قيل الصور قرن ينفخ فيه يدعا به الناس للحشر وقيل انه جمع صورة والنفخ نفخ الروح فيه ويدل عليه قراة من قرا الصور بفتح الواو والاول اولي لقوله تعالي فاذا نقر في الناقور والله تعالي يعرف الناس امور الاخرة بامثال ما شوهد في الدنيا ومن عادة الناس النفخ في البوق عند الاسفار وفي العساكر والمراد من هذا النفخ هو النفخة الثانية لقوله بعد ذلك ونحشر المجرمين يوميذ زرقا فالنفخ في الصور كالسبب لحشرهم فهو كقوله يوم ينفخ في الصور فتاتون افواجا والزرقة هي الخضرة في سواد العين فيحشرون زرق العيون سود الوجوه فان قيل اليس ان الله تعالي اخبر انهم يحشرون عميا فكيف يكون اعمي وازرق فالجواب لعله يكون اعمي في حال وازرق في حال وقيل زرقا اي عميا قال الزجاج يخرجون زرقا في اول الامر ويعمون في المحشر وسواد العين اذا ذهب تزرق فان قيل كيف يكون اعمي وقد قال تعالي ليوم تشخص فيه الابصار وشخوص البصر من الاعمي محال وايضا قال في حقهم اقرا كتابك والاعمي كيف يقرا فالجواب ان احوالهم قد تختلف وقيل المراد بقوله زرقا اي زرق العيون والعرب تتشام بها وقيل يجتمع مع الزرقة سواد الوجه وقال ابو مسلم المراد بالزرقة شخوص ابصارهم والازرق شاخص فانه لضعف بصره يكون محدقا نحو الشي وهذه حال الخايف المتوقع لما يكره وهي كقوله انما يوخرهم ليوم تشخص فيه الابصار وروي ثعلب عن ابن الاعرابي زرقا عطاشا قال لانهم من شدة العطش يتغير سواد اعينهم حتي تزرق لقوله تعالي ونسوق المجرمين الي جهنم وردا وحكي ثعلب عن ابن الاعرابي زرقا اي طامعين علي ما لا ينالونه فصل قالت المعتزلة لفظ المجرمين يتناول الكفار والعصاة فيدل علي عدم العفو عن العصاة قال ابن عباس يريد بالمجرمين الذين اتخذوا مع الله الها اخر وتقدم هذا البحث قوله يتخافتون يجوز ان يكون مستانفا وان يكون حالا ثانية من المجرمين وان يكون حالا من الضمير المستتر في زرقا فيكون حالا متداخلة اذ هي حال من حال ومعني يتخافتون اي يتسارون فيما بينهم ويتكلمون خفية يقال خفت يخفت وخافت مخافتة والتخافت السرار نظيره قوله فلا تسمع الا همسا وانما يتخافتون لانه امتلات صدورهم من الرعب والهول او لانهم بسبب الخوف صاروا في نهاية الضعف فلا يطيقون الجهر وقوله ان لبثتم الا عشرا هو مفعول المسارة وقوله الا عشرا يجوز ان يراد الليالي وحذف التا من العدد قياس وان يراد الايام فيسال لم حذفت التا فقيل انه اذا لم يذكر المميز في عدد المذكر جاز حذف التا وعدمها سمع من كلامهم صمنا من الشهر خمسا والصوم انما هو الايام دون الليالي وفي الحديث من صام رمضان واتبعه بست من شوال وحسن

الحذف هنا لكونه راس اية وفاصلة **فصل** قال الحسن وقتادة والضحاك ارادوا به اللبث في
الدنيا اي مكثتم في الدنيا الا عشرا وليال واحتجوا بقوله تعالى قال كم لبثتم في الارض عدد سنين قالوا لبثنا
يوما او بعض يوم فان قيل اما ان يقال انهم نسوا قدر لبثهم في الدنيا او ما نسوا ذلك والاول غير جايز
اذ لو جاز ذلك لجاز ان يبقي الانسان خمسين سنه في بلده ثم ينساه والثاني غير جايز لانه كذب واهل الاخرة
لا يكذبون لا سيما وهذا الكذب لا فايدة فيه فالجواب من وجوه الاول لعلهم اذا حشروا في اول
الامر وعاينوا تلك الاهوال وشدة وقعها ذهلوا عن مقدار عمرهم في الدنيا وما يذكروا الا القليل
فقالوا ليتنا ما عشنا تلك الايام القليلة في الدنيا حتى لا نقع في هذه الاهوال والانسان قد يذهل
عند الهول الشديد وتمام تقريره مذكور في سورة الانعام في قوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا
ما كنا مشركين وثانيها انهم عالمون بمقدار عمرهم في الدنيا الا انهم لما قابلوا اعمارهم في الدنيا باعمار
الاخرة وجدوها في نهاية القلة فقال بعضهم ما لبثنا في الدنيا الا عشرة ايام وقال اعقلهم ما لبثنا الا
يوما واحدا اي قدر لبثنا في الدنيا بالقياس الى قدر لبثنا كعشرة ايام بل كاليوم الواحد بل كالعدم
وانما خص العشرة والواحد بالذكر لان القليل في امثال هذه المواضع لا يعبر عنه الا بالعشرة والواحد وثالثها
انهم لما عاينوا الشدايد تذكروا ايام النعمة والسرور وتاسفوا عليها فوصفوها بالقصر لان ايام السرور
قصار ورابعها ان ايام الدنيا قد انقضت وايام الاخرة مستقبلة والذاهب وان طالت مدته
قليل بالقياس الى الاتي وان قصرت مدته فكيف والامر بالعكس ولهذه الوجوه رجح الله تعالى قول من
بالغ في التقليل فقال اذ يقول امثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما وقيل المراد منه اللبث في القبر ويويده
قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يوفكون وقال الذين
اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم البعث فاما من جوز الكذب
على اهل القيمة فلا اشكال له في الاية واما من لم يجوزه قال ان الله تعالى لما احياهم في القبر وعذبهم
ثم اماتهم ثم بعثهم يوم القيامة لم يعرفوا مقدار لبثهم في القبر كم كان فخطر ببال بعضهم
انه في التقدير عشرة ايام وقال اخرون انه يوم واحد فلما وقعوا في العذاب مرة اخرى
استقلوا زمان الموت الذي هو زمان الخلاص لما نالهم من هول العذاب وقيل المراد باللبث
بين النفختين وهو اربعون سنة لان العذاب يرفع عنهم بين النفختين فاستقصروا مدة لبثهم لهول ما عاينوا
والاكثرون على ان قوله ان لبثتم الا عشرا اي عشرة ايام فيكون قول من قال ان لبثتم الا يوما اقل وقال
مقاتل ان لبثتم الا عشرا اي ساعات لقوله كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها وعلى هذا
يكون اليوم اكثر ثم قال تعالى نحن اعلم بما يقولون اي يتسارون اذ يقول امثلهم طريقة اي اوفاهم
عقلا واعدلهم قولا ان لبثتم الا يوما قصر ذلك في اعينهم في جنب ما استقبلهم من الاهوال يوم القيمة
قيل نسوا مقدار لبثهم لشدة ما دهمهم **قوله** اذ منصوب باعلم وطريقة منصوب على التمييز
قوله تعالى ويسالونك عن الجبال الاية لما وصف امر يوم القيامة حكى سوال من لم يومن
بالحشر قال ابن عباس سال رجل من ثقيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كيف تكون
الجبال يوم القيامة فانزل الله هذه الاية وقال الضحاك نزلت في مشركي مكة قالوا يا محمد كيف تكون
الجبال يوم القيامة على سبيل الاستهزا فقل ينسفها ربي نسفا واجاب بفا التعقيب لان مقصودهم
من هذا السوال الطعن في الحشر والنشر فلا جرم امر بالجواب مقرونا بحرف التعقيب لان تاخير
البيان في مثل هذه المسيلة الاصولية غير جايز واما المسايل الفروعية فجايز فلذلك ذكرها هناك
بغير حرف التعقيب والضمير في ينسفها عايد الى الجبال والنسف التذرية وقيل القلع اي يقلعها
من اصلها وتجعلها هبا منثورا قال الخليل ينسفها يذهبها ويطيرها **قوله** فيذرها في هذا
الضمير قولان احدهما انه ضمير الارض اضمرت للدلالة عليها كقوله ما ترك على ظهرها من دابة والثاني

ضمير الجبال وذلك على حذف مضاف اي فيذر مراكزها ومقارها ويذر يجوز ان يكون بمعنى يخلها فتكون
قاعا حالا وان يكون بمعنى يترك التصيير به فيتعدى لاثنين فقاعا ثانيهما وفي القاع اقوال فقيل هو
منتقع الما ولا يليق معناه هنا وقيل انه المنكشف من الارض قاله مكي وقيل انه المكان المستوي ومنه
قول ضرار بن الخطاب • ليكونن بالبطاح قريش • بقعة القاع في اكف الاماء • وقيل انه الارض التي لا نبات
فيها ولا بنا والصفصف الارض الملسا وقيل المستوية فهما قريبان من المترادف وجمع القاع اقوع
واقواع وقيعان **قوله** لا ترى فيها عوجا يجوز في هذه الجملة ان يكون مستانفة وان تكون حالا من
الجبال ويجوز ان تكون صفة للحال المتقدمة وهي قاعا على احد التاويلين او صفة للمفعول الثاني على
التاويل الاخر وتقدم الكلام على العوج وقال الزمخشري هنا فان قلت قد فرقوا بين العوج والعوج قالوا
العوج بالكسر في المعاني وبالفتح في الاعيان والارض عين فكيف صح فيها كسر العين قلت اختيار هذا
اللفظ له موقع حسن بديع في وصف الارض بالاستوا والملاسة ونفي الاعوجاج عنها على ابلغ ما يكون
وذلك انك لو عمدت الى قطعة ارض فسويتها وبالغت في التسوية على عينك وعيون البصرا واتفقتم على انه
لم يبق فيها اعوجاج قط ثم استطلعت راي المهندس فيها وامرته ان يعرض استواها على المقاييس الهندسية
لعثر فيها على عوج في غير موضع لا يدرك ذلك بحاسة البصر ولكن بالقياس الهندسي فنفى الله تعالى ذلك
العوج الذي دق ولطف عن الادراك اللهم الا بالقياس الذي يعرفه صاحب التقدير الهندسي وذلك
الاعوجاج لما لم يدرك الا بالقياس دون الاحساس لحق بالمعاني فقيل فيه عوج بالكسر **والامت**
النتو اليسير يقال مد حبله حتى ما فيه امت وقيل الامت التل وهو قريب من الاول وقيل الشقوق في
الارض وقيل الاكام وقال الحسن العوج ما انخفض من الارض والامت ما نشز من الروابي والمقصود
من وصف الارض بهذه الاوصاف انها تكون في ذلك اليوم ملسا خالية عن الارتفاع والانخفاض وانواع
الانحراف والاعوجاج **قوله** يوميذ منصوب بيتبعون وقيل بدل من يوم القيمة قاله الزمخشري
وفيه نظر للفصل الكبير وايضا فانه يبقى يتبعون غير مرتبط بما قبله وبه يفوت المعنى والتقدير
يوم اذ نسفت الجبال **فصل** الداعي اسرافيل والدعا هو النفخ في الصور اي يتبعون صوت
الداعي الذي يدعوهم الى موقف القيمة وقوله لا عوج له اي لا يعدل عن احد بدعايه بل يحسب الكل وقيل
لا عوج لدعايه وهو من المقلوب اي لا عوج لهم عن دعا الداعي لا يعوجون عنه يمينا ولا شمالا وقيل انه
ملك قايم على صخرة بيت المقدس ينادي ويقول ايتها العظام النخرة والاوصال المتفرقة واللحوم المتمزقة
قومي الى عرض الرحمن **قوله** وخشعت الاصوات للرحمن اي سكنت وذلت وخضعت ووصف الاصوات
بالخشوع والمراد اهلها **قوله** فلا تسمع الا همسا الاستثنا مفعول به وهو استثنا مفرغ والهمس الصوت
الخفي قيل هو تحرك الشفتين دون نطق قال الزمخشري هو الذكر الخفي ومنه الحروف المهموسة
وقال ابن عباس والحسن وعكرمة الهمس وطي الاقدام اي لا تسمع الا خفق الارض باقدامهم ومنه همست
الابل اذا سمع ذلك من وقع اخفافها على الارض قال • وهن يمشين بنا هميسا • **قوله**
الا من اذن فيه اوجه احدها انه منصوب على المفعول به ليوميذ بدل مما تقدم او منصوب بما
بعد لا عند من يجيز ذلك والتقدير يوم اذ يتبعون لا تنفع الشفاعة **قوله** الا من اذن له فيه اوجه
احدها انه منصوب على المفعول به والناصب له تنفع ومن حينيذ واقعة على المشفوع له الثاني
انه في محل رفع بدلا من الشفاعة ولا بد من حذف مضاف تقديره الا شفاعة من اذن له
الثالث انه منصوب على الاستثنا من الشفاعة بتقدير المضاف المحذوف وهو استثنا متصل
على هذا ويجوز ان يكون استثنا منقطعا اذا لم يقدر شيا وحينيذ يجوز ان يكون منصوبا وهي لغة
الحجاز او مرفوعا وهو لغة تميم وكل هذه الاوجه واضحة **قوله** في الموضعين للتعليل كقوله
وقال الذين كفروا للذين امنوا اي لاجله ولاجلهم **فصل** المعنى لا تنفع الشفاعة احدا من

الناس الا من اذن له الرحمن اي الا من اذن له الله ان يشفع له ورضي له قولا اي ورضي قوله قال
ابن عباس يعني لا اله الا الله وهذا يدل على انه لا يشفع لغير المومنين وقالت المعتزلة الفاسق
غير مرضي عند الله فوجب ان لا يشفع الرسول في حقه وهذه الاية من اقوي الدلايل على ثبوت الشفاعة
في حق الفساق لان قوله ورضي له قولا يكفي في صدقه ان يكون الله تعالى قد رضي له قولا واحدا
من اقواله والفاسق قد ارتضي الله من اقواله شهادة ان لا اله الا الله فوجب ان يكون الشفاعة
نافعة له لان الاستثنا من النفي اثبات فان قيل انه تعالى استثني من ذلك النفي بشرطين احدهما
حصول الاذن والثاني ان يكون رضي له قولا فهب ان الفاسق قد حصل فيه احد الشرطين وهو انه
تعالى رضي له قولا فلم قلتم انه اذن فيه فالجواب ان هذا التقييد كافي في حصول الاستثنا لقوله تعالى
لا يشفعون الا لمن ارتضي فاكتفي هناك بهذا التقييد ودلت هذه الاية على انه لا بد من الاذن فظهر
من مجموعهما انه اذا رضي له قولا لا يحصل الاذن في الشفاعة واذا حصل القيدان حصل الاستثنا
وتم المقصود **قوله** يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم الضمير في قوله بين ايديهم عايد الي الذين يتبعون
الداعي ومن قال ان قوله من اذن له الرحمن المراد به الشافع قال الضمير عايد اليه والمعنى لا تنفع
شفاعة الملايكة والانبيا الا من اذن له الرحمن في ان يشفع من الملايكة ثم قال يعلم ما بين ايديهم
وما خلفهم يعني ما بين ايدي الملايكة كقوله في اية الكرسي قاله الكلبي ومقاتل وفيه تقريع لمن يعبد
الملايكة ليشفعوا له قال مقاتل يعلم ما كان قبل خلق الملايكة وما كان بعد خلقهم ومن قال
الضمير عايد الي الذين يتبعون الداعي قال يعلم الله ما بين ايديهم اي ما قدموا وما خلفهم من امر
الدنيا قاله الكلبي وقال مجاهد ما بين ايديهم من امر الدنيا والاعمال وما خلفهم من امر الاخرة
وقال الضحاك يعلم ما مضي وما بقي ومتي تكون القيمة ولا يحيطون به علما قيل الكناية راجعة الي
ما اي هو يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يعلمونه اي العباد لا يعلمون ما بين ايديهم وما خلفهم
وقيل الكناية راجعة الي الله اي الي عباده ولا يحيطون به علما **قوله** وعنت الوجوه يقال عني
يعنو اذا ذل وخضع واعناه غيره اي اذله ومنه العناة جمع عان وهو الاسير قال
فبات مكروب كورث وراه ٭ وعان فككت الغل عنه ففداني ٭ وقال امية بن ابي الصلت
مليك على عرش السما مهيمن ٭ لعزته تعنو الوجوه وتسجد ٭ وفي الحديث فانهن عوان والمعني
ان ذلك اليوم تذل الوجوه اي المكلفين انفسهم ذكر الوجوه واراد اصحاب الوجوه لان قوله وعنت
الوجوه من صفات المكلفين لا من صفات الوجوه كقوله وجوه يوميذ ناعمة لسعيها راضية
وخص الوجوه بالذكر لان الخضوع بها يبين وفيها يظهر وتقدم تفسير الحي القيوم روي ابو امامة
الباهلي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اطلبوا اسم الله الاعظم في هذه السور الثلاث البقرة
وال عمران وطه قال الراوي فوجدنا المشترك في السور الثلاث الله لا اله الا هو الحي القيوم **قوله**
وقد خاب تجوز ان تكون هذه الجملة مستانفة وان تكون حالا ولا يجوز ان تكون اعتراضا قال
الزمخشري وقد خاب وما بعده اعتراض كقوله خابوا وخسروا وكل من ظلم فهو خايب خاسر ومراده
بالاعتراض هنا انه خص الوجوه بوجوه العصاة حتي تكون الجملة قد دخلت بين العصاة وبين ومن
يعمل من الصالحات فهذا عنده قسيم وعنت الوجوه فلهذا كان اعتراضا واما ابن عطية فجعل الوجوه
عامة فلذلك جعل وقد خاب من حمل ظلما معادلا بقوله ومن يعمل من الصالحات الي اخره **فصل**
قال ابن عباس خاب خسر من اشرك بالله والظلم الشرك قال الله تعالى ان الشرك لظلم عظيم والمراد
بالخيبة الحرمان اي حرم الثواب من حمل ظلما اي ظلم ولم يتب ثم قال ومن يعمل من الصالحات
وهو مومن اي ومن يعمل شيا من الصالحات والمراد به الفرايض وكان عمله مقرونا بالايمان نظيره
ومن ياته مومنا قد عمل الصالحات **قوله** وهو مومن جملة حالية فلا يخاف قرا ابن كثير يخف

علي

على النهي والمعنى ابن فالنهي عن الخوف امر بالامن والباقون برفعه على النفي والاستينا في اي فهو لا يخاف
والهضم النقص تقول العرب هضمت لزيد من حقي اي نقصت منه ومنه هضيم الكشحين اي
ضامرهما ومن ذلك ايضا طلعها هضيم اي دقيق متراكب كان بعضه يظلم بعضا فينقصه حقه
ورجل هضيم ومهتضم اي مظلوم وهضمته واهتضمته وتهضمته كله بمعني قال المتوكل الليثي
ان الاذلة واللئام لمعشر ٭ مولاهم المتهضم المظلوم ٭ قيل والظلم والهضم متقاربان وفرق القاضي
الماوردي بينهما فقال الظلم منع جميع الحق والهضم منع بعضه والظلم هنا هو ان يعاقب لا على
جريمة او يمنع عن الثواب على الطاعة والهضم ان ينقص من ثوابه وقال ابو مسلم الظلم ان ينقص من
الثواب والهضم ان لا يوفي حقه **قوله** وكذلك انزلناه نسق على كذلك نقص قال الزمخشري ومثل
ذلك الانزال وكما انزلنا عليك هولا الايات انزلنا القران كله على هذه الوتيرة وقال غيره
والمعنى كما قدرنا هذه الامور وجعلناها حقيقة بالمرصاد للعباد كذلك حذرناها وانزلناها
وانزلناه قرانا عربيا لتفهمه العرب فيقفوا على اعجازه ونظمه وخروجه عن جنس الكلام البشري
وصرفنا فيه من الوعيد اي كررناه وفصلناه **قوله** من الوعيد صفة لمفعول محذوف اي صرفنا
في القران وعيدا من الوعيد والمراد به الجنس ويجوز ان يكون من مزيدة على راي الاخفش فالمفعول
به والتقدير وصرفنا فيه الوعيد لعلهم يتقون اي يجتنبون الشرك او تحدث لهم ذكرا اي يجدد
لهم القران عبرة وعظة وقرا الحسن وتحدث كالجماعة الا انه سكن لام الفعل وعبد الله والحسن
ايضا في رواية ومجاهد وابو حيوة نحدث بالنون وتسكين اللام وخرج على اجرا الوصل مجري
الوقف او على تسكين الفعل استثقالا للحركة كقول امري القيس فاليوم اشرب غير مستحقب ٭
وقول جرير ٭ او نهر تيري فلا تعرفكم العرب ٭ وقد نقله كما تقدم ابو عمرو وفي الراحاضة نحو ينصركم
وقري نحدث بتا الخطاب او تحدث انت **قوله** او تحدث فيه سوالات الاول كيف يكون
محدثا للذكر والجواب لما حصل الذكر عند قراته اضيف اليه الثاني لم اضيف الذكر الى القران
وما اضيفت التقوي اليه والجواب لان التقوي عبارة عن ان لا يفعل القبيح وذلك استمرار
على العدم الاصلي فلم تجز اسناده الى القران واما حدوث الذكر فامر حدث بعد ان لم يكن
فجازت اضافته الى القران الثالث كلمة او للمنافات بين التقوي وحدوث الذكر ولا يصح الا لتقا الا
مع الذكر فما معناه والجواب هذا كقوله جالس الحسن او ابن سيرين اي لا تكن خاليا منهما فكذا هاهنا
وقيل معني الكلام انا انزلنا القران ليتقوا فان لم يحصل ذلك فلا اقل من ان يحدث القران لهم ذكرا
وشرفا وصيتا حسنا وعلى التقديرين يكون انزاله تقوي **قوله** فتعالي الله الملك الحق لما عظم
امر القران اردفه بان عظم نفسه وذلك تنبيه على انه يجب على خلقه تعظيمه وانما وصف ملكه
بالحق لان ملكه لا يزول ولا يتغير وليس بمستفاد من قبل الغير ولا غيره اولي به فلهذا وصف بذلك
وتعالي تفاعل من العلو وقد ثبت ان علوه وعظمته لا تكيفه الاوهام ولا تقدره العقول ثم
قال ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضي اليك وحيه قال ابو مسلم ان من قوله ويسالونك عن الجبال
الي هنا يتم الكلام وينقطع ثم قوله ولا تعجل بالقران خطاب مستانف كانه قال ويسالونك ولا تعجل
بالقران وقال غيره ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل عليه جبريل بالقران يبادر فيقرا معه
قبل ان يفرغ جبريل من التلاوة مخافة الانفلات والنسيان فنهاه الله عن ذلك وامره ان يسكت
حال قراة الملك ثم يقرا بعد فراغه من القراة فكانه تعالى لما شرح نفع القران للمكلفين وبين
انه سبحانه متعال عن كل ما لا ينبغي ومن كان كذلك يجب ان يصون رسوله عن السهو والنسيان في امر
الوحي فاذا حصل الامان عن السهو والنسيان فلا تعجل بالقران فقوله ولا تعجل بالقران يحتمل ان يكون المراد
لا تعجل بقراته في نفسك لما روي عطا عن ابن عباس اي يكون اخذك القران على تثبت وسكون ويحتمل

لا تعجل في تاديته الي غيرك قال مجاهد وقتادة معناه لا تقريه اصحابك ولا تمله عليهم حتى يتبين لك معانيه ويحتمل في اعتقاد ظاهره ويحتمل في تعريف الغير ما يقتضيه ظاهره اي حتى يتبين بالوحي تمامه او بيانه وهما جميعا لانه يجب التوقف في معنى الكلام الى ان يفرغ لجواز ان يحصل عقيبه استثنا او شرط او غيرهما من المخصصات فان قيل الاستعجال الذي نهي عنه ان كان فعله بوحي فكيف نهي عنه فالجواب لعله فعله باجتهاد وكان الاولى تركه فلهذا نهي عنه قوله من قبل ان يقضى اليك وحيه العامة على بناء يقضى للمفعول ورفع وحيه لقيامه مقام الفاعل والجحدري وابو حيوة والحسن وهي قراة عبد الله نقضي بنون العظمة مبنيا للفاعل ووحيه مفعول به وقرا الاعمش كذلك الا انه سكن لام الفعل استثقل الحركة وان كانت خفيفة على حرف العلة وقد تقدم من ذلك شواهد عند قراة من اوسط ما تطعمون اهليكم قوله وقل رب زدني علما اي بالقران ومعانيه وقيل علما الى ما علمت وكان ابن مسعود اذا قرا هذه الاية قال اللهم زدني ايمانا ويقينا قوله تعالى ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسي الاية في تعلق هذه الاية بما قبلها وجوه الاول انه تعالى لما قال كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق ثم انه عظم امر القران ذكر هذه القصة انجازا للوعد في قوله كذلك نقص عليك الثاني انه لما قال وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون او يحدث لهم ذكرا اتبعه بقصة ادم عليه السلام كانه قال ان طاعة بني ادم للشياطين وتركهم التحفظ من الوساوس امر قديم فانا عهدنا الى ادم من قبل اي من قبل هولاء الذين صرفنا لهم الوعيد بالغنا في تنبيهه فقلنا له ان هذا عدو لك ولزوجك ثم انه مع ذلك نسي وترك ذلك العهد فامر البشر في ترك التحفظ امر قديم الثالث انه لما قال لمحمد وقل رب زدني علما ذكر بعده قصة ادم فانه عهد اليه وبالغ في تحذيره عن العدو ودل ذلك على ضعف البشرية عن التحفظ فيحتاج حينئذ الى الاستعانة بربه في ان يوفقه لتحصيل العلم ويجنبه عن السهو والنسيان الرابع ان محمدا عليه السلام لما قيل له ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه دل على انه كان في امر الدين بحيث زاد على قدر الواجب فلما وصفه بالافراط وصف ادم بالتفريط في ذلك فانه تساهل ولم يتحفظ حتى يتبين بوصف الاول بالتفريط والاخر بالافراط ليعلم ان البشر لا ينفك عن نوع زلة الخامس ان محمدا لما قيل له ولا تعجل ضاق قلبه وقال في نفسه لولا اني اقدمت على ما لا ينبغي والا لما نهيت عنه فقيل له يا محمد ان كنت فعلت ما نهيت عنه فانما فعلته حرصا منك على العبادة وحفظا لاداء الوحي وان اباك اقدم على ما لا ينبغي لتساهله وترك التحفظ فكان امرك احسن من امره والمراد بالعهد هنا امر الله اي امرناه ووصيناه ان لا ياكل من الشجرة من قبل هولاء الذين صرفنا لهم الوعيد في القران فتركوا الايمان وقال ابن عباس من قبل ان ياكل الشجرة عهدنا اليه ان لا ياكل منها وقال الحسن من قبل محمد والقران قوله فنسي قرا اليماني بضم النون وتشديد السين بمعنى نساه الشيطان وعلى هذه القراة يحتمل ان يقال اقدم على المعصية من غير تاويل وان يقال اقدم عليها مع التاويل وعلى القراة المشهورة يحتمل ان يكون المراد بالنسيان نقيض الذكر وانما عوتب على ترك التحفظ والمبالغة في الضبط حتى تولد منه النسيان ويحتمل ان يكون المراد بالنسيان الترك وانه ترك ما عهد اليه من ترك الاكل ثمرتها قوله ولم نجد له عزما يجوز ان يكون وجد علمية فيتعدى لاثنين وهما له عزما وان يكون بمعنى الاصابة فيتعدى لواحد وهو عزما قوله له متعلق بالوجدان او بمحذوف على انه حال من عزما اذ هو في الاصل صفة له تقدمت عليه والعازم هو المصمم فقوله ولم نجد له عزما يحتمل ولم نجد له عزما على ترك المعصية او على التحفظ والاحتراز عن الغفلة او على الاحتياط في كيفية الاجتهاد اذا قلنا انه عليه السلام انما اخطا بالاجتهاد وقال الحسن ولم نجد له صبرا عما نهي عنه وقال عطية حفظا لما امر به وقال قتيبة رايا معزوما حيث اطاع عدوه ابليس الذي حسده وابى ان يسجد له والعزم في اللغة توطين

النفس على الفعل قال ابو امامة الباهلي لو وزن حلم ادم بحلم جميع ولده لرجح عليه وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزما فان قيل اتقولون ان ادم كان ناسيا لامر الله حين اكل من الشجرة قيل يجوز ان يكون نسي امره ولم يكن النسيان في ذلك الوقت مرفوعا عن الانسان بل كان مواخذا به وانما رفع عنا وقيل نسي عقوبة الله وظن انه نهي تنزيه قوله واذ قلنا للملايكة اسجدوا لادم تقدم الكلام على ذلك مفصلا في سورة البقرة وقوله ابى جملة مستانفة لانها جواب سوال مقدر اي ما منعه من السجود فاجيب بانه ابى واستكبر ومفعول الابى يجوز ان يكون مرادا وقد صرح به في الاية الاخرى في قوله ابى ان يكون مع الساجدين وحسن حذفه هنا كون العامل راس فاصلة ويجوز ان لا يراد البتة وان المعنى انه من اهل الاباء والعصيان من غير نظر الى متعلق الاباء ما هو قوله فقلنا يا ادم ان هذا عدو لك ولزوجك وسبب تلك العداوة من وجوه الاول ان ابليس كان حسودا فلما راى اثار نعم الله في حق ادم حسده فصار عدوا له الثاني ان ادم عليه السلام كان شابا عالما لقوله تعالى وعلم ادم الاسما كلها وابليس كان شيخا جاهلا لانه اثبت فضيلته بفضيلة اصله وذلك جهل والشيخ ابدا يكون عدوا للشاب العالم الثالث ان ابليس مخلوق من النار وادم مخلوق من الماء والتراب فبين اصليهما عداوة فبقيت تلك العداوة فان قيل لم قال فلا يخرجنكما من الجنة مع ان المخرج لهما من الجنة هو الله فالجواب لما كان بوسوسته هو الذي فعل ما ترتب عليه الخروج صح ذلك قوله فتشقى منصوب باضمار ان في جواب النهي والنهي في الصورة لابليس والمراد به هنا اي لا تتعاطيا اسباب الخروج فيحصل لكما الشقا وهو الكد والتعب الدنيوي خاصة ويجوز ان يكون مرفوعا على الاستيناف اي فانت تشقى كذا قدره ابو حيان وهو بعيد او ممتنع اذ ليس المقصود الاخبار بانه يشقى بل ان وقع الاخراج لهما من ابليس حصل ما ذكروا واسند الشقاوة اليه دونها لان الامور معدوقة بروس الرجال وحسن ذلك كونه راس فاصلة ولانه ان اريد بالشقا التعب في طلب القوت فذلك على الرجل دون المراة قوله ان لك ان لا تجوع لك خبر ان وان لا تجوع في محل نصب اسمها والتقدير ان لك عدم الجوع والعري قيل منصوب تقديرا نسقا على تجوع والعري تجرد الجلد عن شي يقيه يقال منه عري يعرى عريا قال الشاعر فان يعرين ان كسي الجواري فتنبوا العين عن كرم عجاف قوله وانك لا تظما قرا نافع وابو بكر وانك بكسر الهمزة والباقون بفتحها فمن كسر فيجوز ان يكون ذلك استينافا وان يكون نسقا على ان الاولى ومن فتح فلانه عطف مصدرا مؤولا على اسم ان الاولى والخبر لك المتقدم والتقدير ان لك عدم الجوع وعدم العري وعدم الظما والضحي وجاز ان يكون ان بالفتح اسما لان بالكسر للفصل بينهما ولولا ذلك لم يجز لو قلت ان ان زيدا قايم حق لم يجز فلما فصل بينهما جاز ويقول ان عندي ان زيدا قايم فعندي هو الخبر قدم على الاسم وهو ان وما في تاويلها لكونه ظرفا والاية من هذا القبيل اذ التقدير وان لك انك لا تظما وقال الزمخشري فان قلت ان لا تدخل على ان فلا يقال ان ان زيدا منطلق والواو نايبة عن ان وقايمة مقامها فلم دخلت عليها قلت الواو لم توضع لتكون ابدا نايبة عن ان انما هي نايبة عن كل عامل فلما لم تكن حرفا موضوعا للتحقيق خاصة كان لم تمتنع اجتماعهما كما اجتمع ان وان قوله ولا تضحى يعني اي برز للشمس قال عمر بن ابي ربيعة
رات رجلا اما اذا الشمس عارضت فيضحى واما بالعشي فيخصر
وذكر الزمخشري هنا معنا حسنا في كونه تعالى ذكر هذه الاشيا بلفظ النفي دون ان يذكر اضدادها بلفظ الاثبات فقول ان لك الشبع والكسوة والري والاكتنان في الظل قال وذكرها بلفظ النفي لنقايضها التي هي الجوع والعري والظما والضحو ليطرق سمعه باسامي اصناف الشقوة التي حذره منها حتى يتحامى السبب الموقع فيها كراهة لها قوله فوسوس اليه اي انهى اليه الوسوسة واما وسوس له فمعناه لاجله قال الزمخشري فان قلت كيف عدي وسوس تارة باللام في قوله فوسوس لهما الشيطان واخرى بالى قلت وسوسة الشيطان كقولك

التكلي وقوقة الدجاجة في انها حكايات الاصوات فحكمها حكم صوت واجرس ومنه وسوسة المبرسم
وهو موسوس بالكسر والفتح لحن وانشد ابن الاعرابي • وسوس يدعو مخلصا رب الفلق • فاذا قلت
وسوس له فمعناه لاجله كقوله • اجرس لها يا ابن ابي كباش • ومعنى وسوس اليه انهى اليه الوسوسة
كقولك حدث اليه واسر اليه وقال ابو البقاء عدي وسوس بالى لانه بمعنى اسر وعداه في موضع اخر
باللام لكونه بمعنى ذكر له ويكون بمعنى لاجله **قوله** هل ادلك على شجرة الخلد يعني على شجرة ان اكلت
منها بقيت مخلدا وملك لا يبلى اي من اكل من هذه الشجرة دام ملكه قال ابن الخطيب واقعة ادم
عجيبة وذلك لان الله رغبه في دوام الراحة وانتظام المعيشة بقوله فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى
ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظما فيها ولا تضحى ورغبه ابليس ايضا في دوام الراحة
بقوله هل ادلك على شجرة الخلد وفي انتظام المعيشة بقوله وملك لا يبلى فكان الشي الذي رغب الله
تعالى ادم فيه هو الذي رغبه ابليس فيه الا ان الله تعالى وقف ذلك على الاحتراس عن تلك الشجرة وابليس
وقفه على الاقدام عليها ثم ان ادم عليه السلام مع كمال عقله وعلمه بان الله مولاه وناصره ومربيه
وعلمه بان ابليس عدوه حيث امتنع من السجود له وعرض نفسه للعنة بسبب عداوته كيف قبل في
الواقعة الواحدة والمقصود الواحد قول ابليس مع علمه بعداوته له واعرض عن قول الله تعالى بانه
هو الناصر والمولى ومن تامل هذا الباب طال تعجبه وعرف اخر الامر ان هذه القصة كالتنبيه
على انه لا دافع لقضا الله ولا مانع منه وان الدليل وان كان في غاية الظهور ونهاية القوة فانه لا يحصل
النفع به الا اذا قضى الله ذلك وقدره ويدل على ذلك ما ثبت في الحديث الصحيح روى البخاري
ومسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال احتج ادم وموسى عند ربهما فحج ادم موسى قال موسى انت ادم
الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه واسجد لك ملايكته واسكنك في جنته ثم اهبطت الناس
بخطيتك الى الارض فقال ادم انت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه واعطاك الالواح فيها
تبيان كل شي وقربك نجيا فبكم وجدت الله كتب التورية قبل ان اخلق قال موسى باربعين عاما
قال ادم فهل وجدت فيها وعصى ادم ربه فغوى قال نعم قال افتلومني على ان عملت عملا كتبه الله
على ان اعمله قبل ان يخلقني باربعين سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فحج ادم موسى وروى مسلم
عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الله مقادير الخلايق
قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة قال وعرشه على الما وقال كل شي بقدر حتى العجز
والكيس **قوله** فاكلا منها يعني ادم وحوى فبدت لهما سوآتهما قال ابن عباس عريا من النور الذي كان
الله البسهما حتى بدت فروجهما وانما جمع سواتهما كما قال صغت قلوبكما وطفقا يخصفان عليهما من
ورق الجنة قال الزمخشري طفق يفعل كذا مثل جعل يفعل كذا واخذ وانشا وحكمها حكم كاد في وقوع
الخبر فعلا مضارعا وبينه مسافة قصيرة وقري يخصفان للتكثير والتكرير من خصف النعل وهو ان
تخرز عليها الخصاف اي يلزقان الورق بسوآتهما للستر وهو ورق التين **قوله** وعصى ادم ربه
باكل الشجرة فغوى اي فعل ما لم يكن له فعله وقيل اخطا طريق الجنة وضل حيث طلب الخلد باكل ما نهي
عن اكله فخاب ولم ينل مراده وقال ابن الاعرابي اي فسد عليه عيشه وصار من العز الى الذل ومن
الراحة الى التعب قال ابن قتيبة يجوز ان يقال عصى ادم ولا يجوز ان يقال ادم عاص لانه انما يقال
عاص لمن اعتاد فعل المعصية كالرجل يخيط ثوبه فيقال خاط ثوبه ولا يقال هو خياط حتى يعاوده
ويعتاده **قوله** فغوى الجمهور على فتح الواو وبعدها الف وتقدم تفسيرها وقيل معناه بشم من
قولهم غوي البعير بكسر الواو والبا اذا اصابه ذلك وحكى ابو البقا هذه قراة وفسروها بهذا المعنى
قال الزمخشري وعن بعضهم فغوي فبشم من كثرة الاكل وهذا وان صح على لغة من يقلب اليا المكسور ما
قبلها الفا فيقول في فني وبقي فنا وبقا وهم بنو طي تفسير خبيث قال شهاب الدين كانه لم يطلع على انه

قري بكسر الواو ولو اطلع عليها لردها وقد ذكر القايل هذه المقالة من نسبة ادم عليه السلام الى البشم
فصل تمسك بعضهم بقوله وعصى ادم ربه فغوى في صدور الكبيرة عنه من وجهين الاول
ان العاصي اسم للذم فلا يطلق الا على صاحب الكبيرة ولقوله تعالى ومن يعص الله ورسوله فان له نار
جهنم خالدين فيها ولا معنى لصاحب الكبيرة الا من فعل فعلا يعاقب عليه الثاني ان الغواية والضلالة
اسمان مترادفان والغي ضد الرشد ومثل هذا الاسم لا يتناول الا الفاسق المنهمك في فسقه واجيب عن الاول
بان المعصية مخالفة الامر والامر قد يكون بالواجب وبالندب فانك تقول امرته فعصاني وامرته
بشرب الدوا فعصاني واذا كان كذلك لم يمتنع اطلاق اسم العصيان على ادم بكونه تاركا للمندوب
فاجاب المستدل بانا بينا ان ظاهر القران يدل على ان العاصي يستحق العقاب والعرف يدل
على انه اسم ذم فوجب تخصيص اسم العاصي بتارك الواجب ولانه لو كان تارك المندوب عاصيا
لوجب وصف الانبيا باسرهم بانهم عصاة لانهم لا ينفكون من ترك المندوب فان قيل
وصف تارك المندوب بانه عاص مجاز والمجاز لا يطرد قلنا لما سلمت كونه مجازا فالاصل عدمه واما
قوله يقال امرته بشرب الدوا فعصاني قلنا لا نسلم ان هذا الاستعمال يروى عن العرب ولين سلمنا
ذلك لكنهم انما يطلقون ذلك اذا جزموا عليه بالفعل وحينيذ يكون معنى الايجاب حاصلا وان
لم يكن الوجوب حاصلا وذلك يدل على ان لفظ العصيان لا يجوز اطلاقه الا عند تحقق الايجاب لكنا
اجمعنا على ان الايجاب من الله يقتضي الوجوب فيلزم ان يكون اطلاق لفظ العصيان على ادم عليه
السلام انما كان لكونه تاركا للواجب ومن الناس من سلم ان الاية تدل على صدور المعصية منه
لكنه زعم ان المعصية كانت من الصغاير لا من الكباير وهذا قول عامة المعتزلة وهذا ايضا
ضعيف لانا بينا ان اسم العاصي اسم للذم وان ظاهره يدل على انه يستحق العقاب وذلك لا يليق
بالصغيرة اجاب ابو مسلم بانه عصى في مصالح الدنيا لا فيما يتصل بالتكاليف وكذا القول في غوى وهذا
ايضا بعيد لان مصالح الدنيا مباحة من تركها لا يوصف بالعصيان الذي هو اسم ذم ولا يقال
لاهما بعد ورد واما التمسك بقوله فغوى فاجابوا عنه من وجوه احدها انه خاب من نعيم الجنة
لانه انما اكل من الشجرة ليدوم ملكه فلما اكل زال فلما خاب سعيه قيل انه غوى وتحقيقه ان الغي ضد
الرشد والرشد هو ان يتوصل بشي الى شي فيصل الى المقصود ومن يتوصل بشي الى شي فيحصل ضد
مقصوده كان ذلك غيا وثانيها قال بعضهم غوى اي بشم من كثرة الاكل قال ابن الخطيب
والاولى عندي في هذا الباب ان يقال هذه الواقعة كانت قبل النبوة وقد تقدم شرح ذلك في
البقرة وههنا بحث لا بد منه وهو ان ظاهر القران وان دل على قوله وعصى فغوى لكن ليس لاحد ان يقول
ان ادم كان عاصيا غاويا ويدل على صحة هذا القول امور احدها قال العتبي يقال للرجل يخيط
ثوبه خاط ثوبه ولا يقال هو خياط حتى يعاوده ويعتاده ويصير معروفا بالخياطة وهذه
الزلة لم تصدر عن ادم الا مرة واحدة فوجب ان لا يجوز اطلاق هذا الاسم عليه وثانيها ان على
تقدير ان تكون هذه الواقعة انما وقعت قبل النبوة لم يجز بعد ان قبل الله توبته وشرفه بالرسالة
والنبوة اطلاق هذا الاسم عليه كما لا يقال لمن اسلم بعد الكفر وشرب او زنا ثم تاب وحسنت
توبته لا يقال له بعد ذلك كافر وشارب او زاني فكذا ههنا وثالثها ان قولنا عاص وغاو
يوهم كونه عاصيا في اكثر الاشيا ولم يردها بان اللفظتان في القران مطلقتين بل مقرونتين
بالقصة التي عصى فيها فكانه قال عصى في كيت وكيت وذلك لا يوهم ما ذكرنا ورابعها انه يجوز
من الله ما لا يجوز من غيره كما يجوز للسيد من ولده وعبده عند معصيته من اطلاق القول ما
لا يجوز لغيره **قوله** ثم اجتباه ربه اي اختاره واصطفاه فتاب عليه بالعفو وهداه الى
التوبة حتى قال ربنا ظلمنا انفسنا قال عليه السلام لو جمع بكا اهل الدنيا الى بكا داود لكان

بكاوه اكثر ولو جمع ذلك الى نوح لكان بكاوه اكثر وانما سمي نوحا لنوحه على نفسه ولو جمع ذلك كله الى بكاء ادم على خطيئته كان بكاوه اكثر قال وهب لما كثر بكاوه امره الله تعالى بان يقول لا اله الا انت سبحانك وبحمدك عملت سوا وظلمت نفسي فاغفر لي فانك خير الغافرين فقالها ادم ثم قال قل سبحانك لا اله الا انت عملت سوا وظلمت نفسي فتب علي انك انت التواب قال ابن عباس هن الكلمات التي تلقاها ادم من ربه **قوله** قال اهبطا منها جميعا هنا سوال وهو ان قوله اهبطا اما ان يكون خطابا مع شخصين او اكثر فان كان خطابا مع شخصين فكيف قال بعده فاما ياتينكم وهو خطاب الجمع وان كان خطابا بالجمع فكيف قال اهبطا واجاب ابو مسلم بان الخطاب لادم ومعه ذريته ولابليس ومعه ذريته ولكونهما جنسين صح قوله اهبطا ولاجل اشتمال كل واحد من الجنسين على الكثرة صح قوله فاما ياتينكم وقال الزمخشري لما كان ادم وحوى عليهما السلام اصل البشر الذين منهما تفرعوا جعلوا كانهما البشر انفسهما فخوطبوا مخاطبتهما فقيل فاما ياتينكم على لفظ الجماعة ومن قال بان اقل الجمع اثنان او بانه يعبر عن الاثنين بلفظ الجمع كقوله فقد صغت قلوبكما فلا يحتاج الى تاويل **قوله** بعضكم لبعض عدو قد تقدم تفسيره فاما ياتينكم مني هدى فمن اتبع هداي وهذا يدل على ان المراد الذرية والمراد بالهدى الرسل وقيل الايات والادلة وقيل القران فلا يضل في الدنيا ولا يشقى في الاخرة وقيل لا يضل ولا يشقى في الاخرة لانه تعالى يهديه الى الجنة وقيل لا يضل ولا يشقى في الدنيا فان قيل المتبع لهدى الله قد يشقى في الدنيا فالجواب ان المراد لا يضل في الدنيا ولا يشقى بسبب الدين فان حصل بسبب اخر فلا باس ولما وعد تعالى من يتبع الهدى اتبعه بالوعيد لمن اعرض فقال ومن اعرض عن ذكري والذكر يقع على القران وعلى سائر كتب الله تعالى كما تقدم **قوله** ضنكا صفة لمعيشة واصله المصدر فكانه قال معيشة ذات ضنك فلذلك لم يونث ويقع للمفرد والمثنى والمجموع بلفظ واحد وقرا الجمهور ضنكا بالتنوين وصلا وابداله الفا وقفا كسائر المعربات وقرات فرقة ضنكى بالف كسكرى وفي هذه الالف احتمالان احدهما انها بدل من التنوين وانما اجري الوصل مجرى الوقف كما تقدم في نظاير وسياتي منها بقية ان شا الله تعالى والثاني ان يكون الف التانيث بني المصدر على فعلى نحو دعوى **والضنك** الضيق والشدة يقال منه ضنك عيشه يضنك ضناكة وضنكا وامراة ضناك كثيرة لحم البدن كانهم تخيلوا ضيق جلدها به **فصل** قال جماعة من المفسرين الكافر بالله يكون حريصا على الدنيا طالبا للزيادة ابدا فعيشه ضنك وايضا فالظلمة من ضرب الله عليه الذلة والمسكنة بكفره قال تعالى وضربت عليهم الذلة والمسكنة وقال ولو انهم اقاموا التورية والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقال ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السما والارض وقال ابن مسعود وابو هريرة وابو سعيد الخدري المراد بالعيشة الضنكى عذاب القبر وقال الحسن وقتادة والكلبي هو الضيق في الاخرة في جهنم فان طعامهم الضريع والزقوم وشرابهم الحميم والغسلين فلا يموتون فيها ولا يحيون وقال ابن عباس المعيشة الضنك هي ان يضيق عليه ابواب الخير فلا يهتدي لشي منها وعن عطا المعيشة الضنك هي معيشة الكافر لانه غير موقن بالثواب والعقاب وروي عن علي عليه السلام انه قال عقوبة المعصية ثلاثة ضيق المعيشة والعسر في اللذة وان لا يتوصل الى قوته الا بمعصية الله **قوله** ونحشره يوم القيامة اعمى قرا العامة ونحشره بالنون ورفع الفعل على الاستيناف وقرا ابان بن تغلب في اخرين بتسكين الراء وهي محتملة لوجهين احدهما ان يكون الفعل مجزوما نسقا على محل جزاء الشرط وهو الجملة من فان له معيشة فان محلها الجزم فهي كقراءة من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم بتسكين الراء والثاني ان يكون السكون سكون تخفيف نحو يامركم وبابه وقرات فرقة بياء الغيبة وهو الله تعالى او الملك وابان بن تغلب في رواية ونحشره بسكون الهاء وصلا وتخريجها اما على لغة بني عقيل وبني كلاب واما على اجراء الوصل مجرى الوقف واعمى نصب

على الحال **فصل** قال ابن عباس اعمى البصر وقال مجاهد والضحاك ومقاتل اعمى عن الحجة وهو رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس قال القاضي وهذا ضعيف لان في القيمة لا بد ان يعلمهم الله بطلان ما كانوا عليه حتى يميز لهم الحق من الباطل ومن هذا حاله لا يوصف بذلك الاعجاز ولا يليق بهذا قوله وقد كنت بصيرا ولم يكن كذلك في حال الدنيا ومما يويد ذلك انه تعالى علل ذلك العمى بان المكلف نسي الدلايل فلو كان العمى الحاصل في الاخرة عين ذلك النسيان لم يكن للمكلف بسبب ذلك ضرر **قوله** لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا اعلم ان الله تعالى جعل هذا العمى جزا على تركه اتباع الهدى وقوله وقد كنت بصيرا جملة حالية من مفعول حشرتني وفتح اليا من حشرتني قبل الهمزة نافع وابن كثير **قوله** كذلك اتتك قال ابو البقا الكاف في موضع نصب اي حشرا مثل ذلك او فعلنا مثل ذلك او اتيانا مثل ذلك او جزاء مثل اعراضك او نسيانا وهذه الاوجه التي قالها يكون الكاف في بعضها نعتا على المصدر وفي بعضها نصبا على المفعول به ولم يذكر الزمخشري فيه غير المفعول به فقال اي مثل فعلت انت فعلنا ثم فسر بان اياتنا اتتك واضحة مستنيرة فلم تنظر اليها بعين المعتبر فتركتها واعرضت عنها وكذلك اليوم تنسى تترك في النار **قوله** وكذلك نجزي من اسرف اي ومثل ذلك الجزاء نجزي من اسرف اي اشرك ولم يومن بايات ربه ولعذاب الاخرة اشد وابقى مما يعذبهم في الدنيا والقبر وابقى وادوم **قوله** افلم يهد لهم في فاعله اوجه احدها انه ضمير الباري تعالى ومعنى يهدي يبين ومفعول يهدي محذوف تقديره افلم يبين الله لهم العبر وفعله بالامم المكذبة قال ابو البقا وفي فاعله وجهان احدهما ضمير اسم الله تعالى وعلق يبين هنا اذ كانت بمعنى اعلم كما علق في قوله وتبين لكم كيف فعلنا بهم قال ابو حيان وكم هنا خبرية والخبرية لا تعلق العامل عنها وقال الزمخشري ويجوز ان يكون فيه ضمير الله او الرسول ويدل عليه القراءة بالنون الوجه الثاني ان الفاعل مضمر يفسره ما دل عليه من الكلام بعده قال الحوفي كم اهلكنا قد دل على هلاك القرون التقدير افلم يبين لهم هلاك من اهلكنا من القرون ومحو اثارهم فيتعظوا بذلك وقال ابو البقا الفاعل ما دل عليه اهلكنا اي اهلاكنا والجملة مفسرة له الوجه الثالث ان الفاعل نفس الجملة بعده قال الزمخشري فاعل لم يهد الجملة بعده يريد الم يهد لهم هذا بمعناه ومضمونه ونظيره قوله تعالى وتركنا عليه في الاخرين سلام على نوح في العالمين اي تركنا عليه هذا الكلام قال ابو حيان وكون الجملة فاعل يهد هو مذهب كوفي واما تشبيهه وتنظيره بقوله وتركنا عليه في الاخرين سلام على نوح في العالمين فان تركنا معناه معنى القول فحكيت به الجملة كانه قيل وقلنا عليه واطلقنا عليه هذا والجملة تحكى بمعنى القول كما تحكى بالقول الوجه الرابع انه ضمير الرسول صلى الله عليه وسلم لانه هو المبين لهم بما يوحي اليه من اخبار الامم السالفة والقرون الماضية وهذا الوجه تقدم نقله عن الزمخشري الوجه الخامس ان الفاعل محذوف نقل ابن عطية عن بعضهم ان الفاعل مقدر تقديره الهدى او الامر او النظر والاعتبار قال ابن عطيه وهذا عندي احسن التقادير قال ابو حيان وهذا قول المبرد وليس بجيد اذ فيه حذف الفاعل وهو لا يجوز عند البصريين وتحسينه ان يقال الفاعل مضمر تقديره يهد هو اي الهدى قال شهاب الدين ليس في هذا القول ان الفاعل محذوف بل فيه انه مقدر ولفظ مقدر كثيرا ما يستعمل في المضمر واما مفعول يهد ففيه وجهان احدهما انه محذوف والثاني ان يكون الجملة من كم وما في خبرها لانها معلقة له فهي سادة مسد مفعوله الوجه السادس ان الفاعل كم قاله الحوفي وانكره على قايله لان كم استفهام لا يعمل فيها ما قبلها قال ابو حيان وليست كم هنا استفهامية بل هي خبرية واختار ان يكون الفاعل ضمير الله تعالى فقال واحسن التخاريج ان يكون الفاعل ضميرا عايدا على الله تعالى كانه قال افلم يبين الله ومفعول يبين محذوف اي العبر باهلاك القرون السابقة ثم قال كم اهلكنا اي كثيرا اهلكنا فكم مفعولة

باهلكنا والجملة كانها مفسرة للمفعول المحذوف ليهد قال القفال جعل كثرة ما اهلك من القرون مبينا لهم
كما تدجعل مثل ذلك واعظا لهم وزاجرا و قرا ابن عباس وابو عبد الرحمن السلمي اولم نهد بالنون المؤذنة بالتعظيم
قال الزجاج يعني اولم نبين لهم بيانا يهتدون به لو تدبروا وتفكروا و قوله كم اهلكنا فالمراد به المبالغة
في كثرة من اهلكه الله تعالى من القرون الماضية **قوله** من القرون في محل نصب نعتا لانها نكرة
وبضعف جعله حالا من النكرة ولا يجوزان يكون تمييزا على قواعد البصريين ومن داخله عليه على حد
دخولها على غيره من التمييزات لتنزيهه **قوله** يمشون حال من القرون او من مفعول اهلكنا والضمير في
هذين عايد على القرون المهلكه ومعناه انا اهلكناهم وهم في حال امن ومشي وتقلب في حاجاتهم
كقوله اخذناهم بغتة ويجوز ان يكون حالا من الضمير في لهم والضمير في يمشون على هذا عايد على من عاد
عليه الضمير في لهم وهم المشركون المعاصرون لرسول الله صلى الله عليه وسلم والعامل فيها يهد والمعنى
انكم تمشون في مساكن الامم السالفة وتتصرفون في بلادهم فينبغي ان تعتبروا لئلا يحل بكم ما حل بهم وقرا
ابن السميفع يمشون مبنيا للمفعول مضعفا لانه لما تعدى بالتضعيف جاز بناؤه للمفعول **فصل**
المعنى ولم تبين القران او ما تقدم من التقادير لكفار مكة كم اهلكنا قبلهم من القرون يمشون في
مساكنهم ديارهم اذا سافروا والخطاب لقريش كانوا يسافرون الى الشام فيرون ديار المهلكين من
اصحاب الحجر وثمود وقريات لوط ان في ذلك لايات لاولي النهى لذوي العقول ثم بين تعالى الوجه الذي
لاجله لا ينزل العذاب معجلا على من كفر بمحمد عليه السلام فقال ولولا كلمة سبقت من ربك لكان
لزاما واجل مسمى وفيه تقديم وتاخير والتقدير ولولا كلمة سبقت من ربك واجل مسمى لكان لزاما والكلمة
هي الحكم بتاخير العذاب عنهم اي ولولا حكم سبق بتاخير العذاب عنهم واجل مسمى هو القيمة وقيل يوم بدر
لكان العذاب لازما لهم **قوله** واجل مسمى في رفعه وجهان اظهرهما عطفه على كلمة اي ولولا اجل مسمى لكان
والثاني جوزه الزمخشري وهو ان يكون مرفوعا عطفا على الضمير المستتر والضمير عايد على الاخذ العاجل
المدلول عليه بالسياق وقام الفصل بالخبر مقام التاكيد والتقدير ولولا كلمة سبقت من ربك لكان
الاخذ العاجل واجل مسمى لازمين لهم كما كانا لازمين لعاد وثمود ولم ينفرد الاجل المسمى دون الاخذ
العاجل فقد جعل اسم كان عايدا على ما دل عليه السياق الا انه قد يشكل عليه مسيلة وهي انه قد جوز
في لزام وجهين احدهما ان يكون مصدرا لازم كالخصام والاشكال على هذا والثاني ان يكون وصفا
على فعال بمعنى مفعل اي ملزم كانه آلة اللزوم لفرط لزومه كما قالوا لزاز خصم وعلى هذا ايضا لكان
ينبغي ان يطابق في التثنيه فيقال لزامين بخلاف كونه مصدرا فانه يفرد على كل حال وجوز ابو البقا
ان يكون لزاما جمع لازم كقيام جمع قايم **فصل** والمراد ان امة محمد عليه السلام وان كذبوا فانهم
يؤخرون ولا يفعل بهم ما فعل بغيرهم من الاستيصال وذلك لانه علم فيهم من يؤمن وقيل علم ان في نسلهم
من يؤمن ولو نزل بهم العذاب لعمهم الهلاك وقيل المصلحة فيه خفيه لا يعلمها الا الله وقال اهل السنة
له بحكم المالكية ان يخص من يشا بفضله ومن يشا بعذابه من غير علة اذ لو كان فعله لعلة لكانت تلك
العلة ان كانت قديمة لزم قدم الفعل وان كانت حادثة افتقرت الى علة اخرى ولزم التسلسل
ثم انه تعالى لما اخبر نبيه بانه لا يهلك احدا قبل استيفا اجله امره بالصبر فقال فاصبر على ما يقولون
اي من تكذيبهم النبوة وقيل تركهم القبول قال الكلبي ومقاتل هذه الاية منسوخة باية القتال ثم قال
وسبح بحمد ربك اي صل بامر ربك وقيل صل لله بالحمد له والثنا عليه ونظيره قوله واستعينوا بالصبر
والصلاة **قوله** بحمد ربك حال اي وانت حامد لربك على انه وفقك للتسبيح واعانك عليه وافقلوا
في التسبيح على قولين فالاكثرون على ان المراد منه الصلاة وهولا اختلفوا على ثلاثة اوجه الاول ان
المراد الصلوات الخمس قال ابن عباس دخلت الصلوات الخمس فيه فقبل طلوع الشمس هي الفجر وقبل غروبها
الظهر والعصر لانهما جميعا قبل الغروب ومن انا الليل فسبح المغرب والعتمه ويكون قوله واطراف النهار

كالتوكيد للصلاة بين الوقتين في طرفي النهار وهما صلاة الفجر وصلاة المغرب كما اختصت الصلاة
الوسطى بالتوكيد الثاني ان المراد الصلوات الخمس والنوافل لان الزمان اما ان يكون قبل طلوع الشمس او قبل
غروبها فالليل والنهار دخلا في هاتين العبارتين واوقات الصلوات الواجبة دخلت فيها ففي قوله
ومن انا الليل فسبح واطراف النهار للنوافل الثالث ان المراد اربع صلوات فقوله قبل طلوع الشمس
للفجر وقبل غروبها للعصر ومن انا الليل للمغرب والعتمه بقي الظهر خارجا وعلى هذا التاويل يمكن ان
يستدل بهذه الاية على ان المراد بالصلاة الوسطى صلاة الظهر لان قوله حافظوا على الصلوات المراد به
هذه الاربع ثم افرد الوسطى بالذكر والثاني يسبحوا ولي من التاكيد والاول اقوى هذا اذا حملنا التسبيح
على الصلاة وقال ابو مسلم لا يبعد حمله على التنزيه والاجلال والمعنى اشتغل بتنزيه الله تعالى في هذه
الاوقات فان قيل النهار له طرفان فكيف قال واطراف النهار بل الاولى ان يقول كما قال واقم الصلاة
طرفي النهار فالجواب من الناس من قال اقل الجمع اثنان فيسقط السوال ومنهم من قال انما جمع لانه يكرر في
كل نهار ويعود وقوله ومن انا الليل يتعلق بسبح الثانية وقد تقدم ما في هذه الفا **قوله** واطراف
العامة على نصبه وفيه وجهان احدهما انه عطف على محل ومن انا الليل والثاني انه عطف على قبل
وقرا الحسن وعيسى بن عمر واطراف بالجر عطفا على انا الليل وقوله هنا اطراف وفي هود طرفي النهار
فقيل هو من وضع الجمع موضع التثنية كقوله فقد صغت قلوبكما وقيل هو على حقيقته والمراد
بالاطراف الساعات **قوله** ترضى قرا الكسائي وابو بكر عن عاصم ترضى مبنيا للمفعول والباقون مبنيا
للفاعل وعليه ولسوف يعطيك ربك فترضى والمعنى ترضى ما تنال من الشفاعة او ترضى بما تنال من
الثواب على منع التاكقوله وكان عند ربه مرضيا **قوله** ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا
منهم قيل المراد منه نظر العين وهولا قالوا مد النظر تطويله وان لا يكاد يرده استحسانا للمنظور واعجابا
به كما فعل نظارة قارون حيث قالوا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ عظيم حتى واجههم
اولوا العلم والايمان فقالوا ويلكم ثواب الله خير لمن امن وعمل صالحا وفيه ان النظر غير الممدود يعفى
عنه كنظر الانسان الى الشي مرة ثم يغض ولما كان النظر الى الزخارف كالمركوز في الطباع قيل ولا تمدن
عينيك اي لا تفعل ما انت معتاد له ولقد شدد المتقون في وجوب غض البصر عن ابنيه الظلمه
ولباس الفسقة ومراكبهم وغير ذلك لانهم اتخذوا هذه الاشيا لعيون النظارة فالناظر اليها محصل
لغرضهم وكالمغري لهم على اتخاذها وقال ابو مسلم ليس المنهي عنه هنا هو النظر بل هو الاسف اي
لا تاسف على ما فاتك مما نالوه من حظ الدنيا قال ابو رافع نزل ضيف بالرسول عليه السلام فبعثني
الى يهودي فقال قل له ان رسول الله يقول بعني كذا وكذا من الدقيق واسلفني الى هلال رجب
فاتيته فقلت له ذلك فقال والله لا ابيعه ولا اسلفه الا برهن فاتيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاخبرته بقوله فقال والله لئن باعني واسلفني لقضيته واني لامين في السما امين في
الارض اذهب بدرعي الحديد اليه فنزلت هذه الاية وقال عليه السلام ان الله لا ينظر الى صوركم
ولا الى اموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم وقال ابو الدردا الدنيا دار من لا دار له ومال من لا
مال له ولها يجمع من لا عقل له وعن الحسن لولا حمق الناس لخربت الدنيا وعن عيسى بن مريم عليه
السلام لا تتخذوا الدنيا دارا فتتخذكم لها عبيدا وعن عروة بن الزبير كان اذا راى ما عند السلطان
يتلو هذه الاية وقال الصلاة يرحمكم الله **قوله** ازواجا في نصبه وجهان احدهما انه منصوب
على المفعول به والثاني انه منصوب على الحال من الها في به راعى لفظ ما مرة فافرد ومعناها اخرى فلذلك
جمع قال الزمخشري ويكون الفعل واقعا على منهم كانه قيل الى الذين متعنا به وهو اصناف منهم
قاله ابن عباس وناسا منهم قاله الكلبي والزجاج رجالا منهم **قوله** زهرة في نصبه تسعة اوجه
احدها انه مفعول ثان لانه ضمن متعنا معنى اعطينا فازواجا مفعول اول وزهرة هو الثاني ان يكون

بدلا من ازواجا وذلك اما على حذف مضاف اي ذوي زهرة واما على المبالغة جعلوا نفس الزهرة
الثالث ان يكون منصوبا بفعل مضمر دل عليه متعنا تقديره جعلنا لهم زهرة الرابع نصبه على
الذم قال الزمخشري وهو النصب على الاختصاص الخامس ان يكون بدلا من موضع الموصول قال
ابو البقا واختاره بعضهم وقال اخرون لا يجوز لان قوله لنفتنهم من صلة متعنا فيلزم الفصل
بين الصلة والموصول بالاجنبي وهو اعتراض حسن السادس ان ينتصب على البدل من محل به السابع
ان ينتصب على الحال من ما الموصول الثامن انه حال من الها في به وهو ضمير الموصول فهو كالذي قبله في
المعنى فان قيل كيف يقع الحال معرفة فالجواب ان تجعل زهرة منونة نكرة وانما حذف التنوين لالتقا
الساكنين نحو ولا ذاكر الله الا قليلا وعلى هذا فبم جرت الحيوة فقيل على البدل من ما الموصولة التاسع
انه تمييز لما او للها في به قاله الفرا وقد رده عليه بانه معرفة والمميز لا يكون معرفة وهذا
غير لازم لانه يجوز تعريف التمييز على اصول الكوفيين العاشر انه صفة لازواجا بالتاويل المذكور
في نصبه حالا وقد منع ابو البقا هذا الوجه بكون الموصوف نكرة والوصف معرفة وهذا اجاب
عنه بما اجيب في تنويع نصبه حالا اعني حذف التنوين لالتقا الساكنين والعامة على تسكين الها
وقرا الحسن وابو البرهسم وابو حيوة بفتحها فقيل بمعنى كجهره وجهره واجاز الزمخشري ان يكون جمع
زاهر كفاجر وفجر وبار وبررة وروى الاصمعي عن نافع لنفتنهم بضم النون من افتنه اذا اوقعه
في الفتنة والزهرة بفتح الها وسكونها كنهر ونهر ما يروق من النور وسراج زاهر لبريقه ورجل
ازهر وامراة زهرا من ذلك والانجم الزهر هي المضية فصل معنى متعنا الذذنا به والامتاع
الالذاذ بما يدرك من المناظر الحسنة ويسمع من الاصوات المطربة ويشم من الروائح الطيبة وغير ذلك
من الملابس والمناكح يقال امتعه ومتعه تمتيعا والتفعيل يقتضي التكثير ومعنى الزهرة فيمن حرك
الزينة والبهجة كما جا في الجهرة قرئ ارنا الله جهرة وقيل جمع زاهر وصفا لهم بانهم زاهروا هذه الحيوة
الدنيا لصفا الوانهم وتهلل وجوههم بخلاف ما عليه الصلحا من شحوب الالوان والتقشف في الثياب
ومعنى لنفتنهم لنعذبهم كقوله ولا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا
وقال ابن عباس لنجعل ذلك فتنة لهم بان ازيدلهم في النعمة فيزيدوا كفرا وطغيانا ثم قال ورزق
ربك في المعاد يعني في الجنة خير وابقى اي خير مما طلبوه وابقى لانه يدوم ولا ينقطع وليس كذلك حال
ما اوتوه من الدنيا ويحتمل ان ما اوتيته من يسير الدنيا اذا قرنته بالطاعة ورضيت به وصبرت
عليه كانت عاقبته خير لك ويحتمل ان يكون المراد ما اعطي من النبوة والدرجات الرفيعة قوله
وامر اهلك بالصلاة اي قومك وقيل من كان على دينك كقوله وكان يامر اهله بالصلوة وحمله بعضهم
على اقاربه واصطبر عليها اي اصبر على الصلاة وحافظ عليها فانها تنهى عن الفحشا والمنكر وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الاية يذهب الى فاطمة وعلي عليهما السلام كل صباح ويقول
الصلاة ثم بين تعالى انه انما امرهم بذلك لنفعهم وانه متعال عن المنافع فقال لا نسئلك رزقا اي لا
نكلفك ان ترزق احدا من خلقنا ولا ان ترزق نفسك وانما نكلفك عملا فتفرغ بالك لامر الاخرة
كما قال بعضهم من كان في عمل الله كان الله في عمله وقال ابو مسلم معناه انما يريد منه ومنهم العبادة
ولا يريد منه ان يرزقه كما يريد السادة من العبيد الخراج ونظيره وما خلقت الجن والانس الا
ليعبدون ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون وقيل المعنى انما امرناك بالصلاة لتنتفع
لا لانا ننتفع بصلاتك نحن نرزقك في الدنيا بوجوه النعم وفي الاخرة بالثواب قال عبد الله بن سلام
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل باهله ضيق او شدة امرهم بالصلاة وتلا هذه الاية
والعاقبة الجميلة المحمودة للتقوى اي لاهل التقوى قال ابن عباس الذين صدقوك واتبعوك واتقوني
ويؤيده قوله في موضع اخر والعاقبة للمتقين وقرا ابن وثاب نرزقك بادغام القاف في الكاف

والمشهور عنه انه لا يدغم الا اذا كانت الكاف متصلة بميم جمع نحو خلقكم كما تقدم قوله وقالوا
لولا ياتينا باية من ربه واعلم ان هذا من لاذم قوله تعالى فاصبر على ما يقولون وهو قولهم لولا ياتينا
باية اي هلا ياتينا باية كما ارسل الاولون ثم اجاب عنه بقوله اولم تاتهم بينة ما في الصحف الاولى اي
بيان ما فيها وهو القران اذا وفقها في كتبهم مع ان الرسول لم يشتغل بالدراسة والتعلم فكان ذلك
اخبارا عن الغيب فيكون معجزا وقيل بينة ما في الصحف الاولى ما فيها من البشارة بمحمد صلى الله عليه
وسلم وبنبوته وبعثته وقال ابن جرير والقفال بينة ما في الصحف الاولى من انبا الامم الذين اهلكنا
لما جاتهم البينات فكفروا بها واقترحوا الايات فلما اتتهم لم يؤمنوا بها فاخذناهم بالعقوبة والهلاك
فما يؤمنهم ان يكون حالهم في سوال الايات كحال اوليك قوله اولم تاتهم بينة قرا نافع وابو عمرو
وحفص تاتهم بالتانيث والباقون بالياء من تحت لان التانيث مجازي وقرا العامة بينة ما بالاضافة
بينة الى ما مرفوعة وهي واضحة وقرا ابو عمرو فيما رواه ابو زيد بتنوين بينة مرفوعة وعلى هذه
القراة فيها اوجه احدها انها بدل من بينة بدل كل من كل الثاني ان يكون خبر مبتدا مضمر اي هي
ما في الصحف الاولى الثالث ان يكون ما نافية قال صاحب اللوامح واريد بذلك ما في القران من الناسخ
والفصل مما لم يكن في غيره من الكتب وقرات جماعة بينة بالتنوين والنصب ووجهها ان يكون ما
فاعلة وبينة نصب على الحال وانث على معنى ما ومن قرا بتا التانيث فحملا على معنى ما ومن قرا بيا الغيبة
فعلى لفظها وقرا ابن عباس بسكون الحا من الصحف قوله ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله الها
في قبله يجوز ان تعود للرسول كقوله لولا ارسلت الينا رسولا وجوز الزمخشري وغيره قوله ان يعود على
بينة باعتبار انها في معنى البرهان والدليل والمعنى ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبل ارسال الرسول او من
قبل مجي البرهان لقالوا يوم القيامة لولا هلا ارسلت الينا رسولا يدعونا فنتبع اياتك من قبل ان
نذل ونخزى بالعذاب والذل الهوان والخزي الافتضاح اي لكان لهم ان يقولوا ذلك فيكون عذرا لهم
فاما الان فقد ارسلناك وبينا على لسانك ما عليهم وما لهم فلم يبق لهم حجة البتة روى ابو سعيد الخدري
قال عليه السلام يحتج على الله يوم ثلاثة الهالك في الفترة يقول لم ياتني رسول وتلا لولا ارسلت الينا رسولا
والمغلوب على عقله يقول لم تجعل لي عقلا انتفع به ويقول الصغير كنت صغيرا لا اعقل فترفع لهم
النار ويقال ادخلوها فيدخلها من كان في علم الله انه شقي ويبقى من في علم الله انه سعيد فيقول الله اي
عصيتم فكيف برسلي لو اتوكم فصل قال الجبائي هذه الاية تدل على وجوب فعل اللطف
اذ المراد انه يجب ان يفعل بالمكلفين ما يؤمنون عنده ولو لم يفعل لكان لهم ان يقولوا هلا فعلت
ذلك بنا لنؤمن وهلا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك وان كان في المعلوم انهم لا يؤمنون وان بعث
اليهم الرسول لم يكن لهم في ذلك حجة فصح انه انما يكون حجة لهم اذا كان في المعلوم انهم يؤمنون عنده اذا
اطاعوه فصل قال الكعبي قوله لولا ارسلت الينا رسولا اوضح دليل على انه تعالى يقبل الاحتجاج
من عباده وانه ليس قوله لا يسال عما يفعل كما ظنه الجبرية من ان ما هو جور منا يكون عدلا منه بل تاويله
انه لا يقع منه الا العدل قال واذا ثبت انه تعالى يقبل الحجة فلو لم يكونوا قادرين على ما امروا به
لكان لهم فيه اعظم حجة فصل دلت الاية على ان الوجوب لا يتحقق الا بالشرع اذ لو تحقق
العقاب قبل مجي الشرع لكان العقاب حاصلا قبل الشرع قوله فنتبع نصب باضمار ان في
جواب التحضيض وفي اعراب ابي البقا في جواب الاستفهام وهو سهو وقرا ابن عباس وابن الحنفية
والحسن وجماعة كثيرة نذل ونخزى مبنيين للمفعول قوله قل كل متربص كل مبتدا ومتربص
خبره افرد حملا على لفظ كل والمعنى كل منا ومنكم متربص منتظر عاقبة امره وذلك ان المشركين قالوا
نتربص بمحمد حوادث الدهر فاذا مات تخلصنا قال الله تعالى فتربصوا فانتظروا فستعلمون اذا جا
امر الله وقامت القيمة وظهر امر الثواب والعقاب فانه يتميز المحق من المبطل ويحتمل ان يكون المراد

قبل الموت اما بسبب اجلها او بسبب ظهور الدولة والقوة **قوله** فستعلمون من اصحاب يجوز في
من وجهان اظهرهما ان تكون استفهامية مبتداة واصحاب خبره والجملة في محل نصب سادة مسد المفعولين
والثاني ويعزى للفرا ان تكون موصولة بمعنى الذين واصحاب خبر مبتدا مضمر اي هم اصحاب وهذا على
مقتضى مذهبهم بحذف مثل هذا العايد وان لم تطل الصلة ثم علم يجوز ان تكون عرفانية فيكتفي بهذا
المفعول وان تكون على بابها فلابد من تقدير ثانيهما **قوله** الصراط السوي قرا العامة السوي
على وزن فعيل بمعنى المستوي وقرا ابو مجلز وعمران بن حدير السوا بفتح السين والمد بمعنى الوسط الجيد
وقرا يحيى بن يعمر والجحدري السوء على فعل يا اعتبار ان الصراط يذكر ويونث وقرا ابن عباس السوء بفتح
السين بمعنى الشر وروي عنهما السوي بضم السين وتشديد الواو وتحتمل ذلك وجهين احدهما ان يكون
قلب الهمزة واوا وادغم الواو في الواو وان يكون فعلي من السوا واصله السويا فقلبت اليا واوا وادغم
ايضا وكان قياس هذه السنا لانه متى اجتمع يا وواو وسبقت احدهما بالسكون فقلبت الواو يا وهنا
فعل بالعكس وقري السوي بضم السين وفتح الواو وتشديد اليا تصغير سو قاله الزمخشري قال ابو
حيان وليس بجيد اذ لو كان كذلك لثبتت همزة سو والاجود ان يكون تصغير سوي كقولهم عطي في عطا
قال شهاب الدين وقد جعله ابو البقا ايضا تصغير السوء يعني بفتح الهمزة ويرد عليه ما تقدم من
ايراده على الزمخشري وابدال مثل هذه الهمزة جايز ولا ايراد **قوله** ومن اهتدى فيه ثلاثة
اوجه احدها ان تكون استفهامية وحكمها كالتي قبلها الا في حذف العايد الثاني انها في محل رفع على
ما تقدم في الاستفهامية الثالث انها في محل جر نسقا على الصراط اي واصحاب من اهتدى وعلى هذين الوجهين
تكون موصولة قال ابو البقا في الوجه الثاني وفيه عطف الخبر على الاستفهام وفيه تقوية قول الفرا
يعني انه اذا جعلها موصولة كانت خبرية ومعنى الكلام فستعلمون اذا جا امر الله وقامت القيمة من اصحاب
الصراط المستقيم ومن اهتدى من الضلالة نحن ام انتم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الله عز وجل قرا طه ويس قبل ان خلق ادم بالفي عام فلما سمعت الملايكة القران قالوا طوبى لامة
ينزل عليها هذا وطوبى لالسن تتكلم بهذا وطوبى لاجواف تحمل هذا وعن الحسن ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا يقرا اهل الجنة من القران الا يس وطه **سورة الانبيا مكية** وهي مائة واثنتا ومائة
عشرة اية وكلماتها الف كلمة وثمانية وستون كلمة وعدد حروفها الف وثمان مائة وتسعون
حرفا بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** اقترب للناس حسابهم الاية اللام متعلق
باقترب قال الزمخشري هذه اللام لا تخلوا اما ان تكون صلة لاقترب او تاكيدا لاضافة الحساب
اليهم كقولك ازف للحي رحيلهم الاصل ازف رحيل الحي ثم ازف للحي الرحيل ثم ازف للحي رحيلهم ونحوه ما
اورده سيبويه في باب ما يثنى فيه المستقر توكيدا نحو عليك زيد حريص عليك وفيك زيد راغب
فيك ومنه قولهم لا ابا لك لان اللام موكدة لمعنى الاضافة وهذا الوجه اغرب من الاول قال
ابو حيان معنى بقوله صلة لاقترب اي متعلقة به واما جعله اللام توكيدا لاضافة الحساب اليهم
مع تقدم اللام ودخولها على الاسم الظاهر فلا نعلم احدا يقول ذلك وايضا فيحتاج الى ما تتعلق به الحريص
ولا يمكن تعلقها بحسابهم لانه مصدر موصول ولانه قدم معموله عليه وايضا فان التوكيد يكون
متاخرا عن الموكد وايضا فلو اخر في هذا التركيب لم يصح واما تشبيهه بما اورده سيبويه فالفرق
واضح فان عليك معمول وعليك المتاخرة تاكيد وكذلك فيك زيد راغب فيك متعلق فيك
براغب وفيك الثانية توكيد وانما غره في ذلك تركيب حساب الناس وكذلك ازف رحيل الحي
فاعتقد اذا تقدم الظاهر مجرورا باللام واضيف مصدر الى ضميره انه من باب فيك زيد راغب
فيك فليس مثله واما لا ابا لك فهي مسئلة مشكلة وفيها خلاف ويمكن ان يقال فيها ذلك لان اللام
فيها جاوزت الاضافة ولا يقاس عليها لشذوذها وخروجها عن الاقيسة قال شهاب الدين

مسئلة

مسئلة الزمخشري اشبه شي بمسئلة لا ابا لك والمعنى الذي اورده صحيح واما كونها مشكلة فهو انما بناها
على قول الجمهور والمشكل مقرر في بابه فلا يضرنا القياس عليه لتقرره في مكانه **قوله** وهم في غفلة
معرضون يجوز ان يكون الجار متعلقا بمحذوف على انه حال من الضمير في معرضون وان يكون
خبرا للضمير ومعرضون خبر ثان وقول ابي البقا في هذا الجار انه خبر ثان يعني في العدد والا فهو
اول في الحقيقة وقد يقال لما كان في تاويل المفرد جعل المفرد الصريح مقدما في الرتبة فهو ثان بهذا
الاعتبار وهذه الجملة في محل نصب على الحال من للناس **فصل** نزلت في منكري البعث
والقرب لا يعقل الا في المكان والزمان والقرب المكاني هنا ممتنع فتعين القرب الزماني فان قيل
كيف وصف بالاقتراب وقد عد بعد هذا القول اكثر من ستماية عام فالجواب من وجوه الاول
انه مقترب عند الله لقوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك
كالف سنة مما تعدون الثاني ان كل ات قريب وان طالت اوقات ترقبه وانما البعيد هو الذي
انقرض قال الشاعر فما زال ما تهواه اقرب من غد ولا زال ما تخشاه ابعد من امس الثالث ان
المقابلة اذا كانت موجلة الى سنة ثم انقضى منها شهر فانه لا يقال اقترب الاجل اما اذا كان الماضي اكثر من
الباقي فانه يقال اقترب الاجل فعلى هذا الوجه قال العلما ان فيه دلالة على قرب القيمة ولهذا قال
عليه السلام بعثت انا والساعة كهاتين وقال عليه السلام ختمت النبوة كل ذلك لان الباقي من مدة
التكليف اقل من الماضي واعلم انه انما ذكر تعالى هذا الاقتراب لما فيه من مصلحة المكلفين ليكثر نحرزهم
خوفا منها ولم يعين الوقت لان كتمان وقت الموت اصلح لهم والمراد بالناس من له مدخل في الحساب وهم
المكلفون دون من لا مدخل له فيه قال ابن عباس المراد بالناس المشركون وهذا من اطلاق اسم الجنس على بعضه
للدليل القايم وهو ما يتلوه من صفات المشركين وقوله وهم في غفلة معرضون وصفهم بالغفلة والاعراض
اما الغفلة فالمعنى انهم غافلون عن حسابهم ساهون لا يتفكرون في عاقبتهم مع اقتضا عقولهم انه لا بد من
جزا للمحسن والمسي ثم اذا انتبهوا من سنة الغفلة ورقدة الجهالة بما يتلى عليهم من الايات اعرضوا وسدوا
اسماعهم **قوله** ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث ذكر الله تعالى ذلك بيانا لكونهم معرضين وذلك
ان الله تعالى يجدد لهم الذكر كل وقت ويظهر لهم الاية بعد الاية والسورة بعد السورة ليكرر
على اسماعهم الموعظة لعلهم يتعظون فما يزيدهم ذلك الا استسخارا **قوله** محدث العامة
على جر محدث نعتا لذكر على اللفظ وقوله من ربهم فيه اوجه اجودها ان يتعلق بياتيهم
ويكون من لابتدا الغاية مجازا والثاني ان يتعلق بمحذوف على انه حال من الضمير المستتر في
محدث الثالث ان يكون حالا من نفس ذكر وان كان نكرة لانه قد تخصص بالوصف بمحدث
وهو نظير ما جاني رجل قايما منطلق تفصل بالحال بين الصفة والموصوف وايضا فان الكلام
نفي وهو مسوغ لمجي الحال من النكرة الرابع ان يكون نعتا لذكر فيجوز في محله وجهان الجر باعتبار
اللفظ والرفع باعتبار المحل لانه مرفوع المحل اذ هو مزيد فيه وسياتي في جعله نعتا لذكر
اشكال من حيث انه قد تقدم غير الصريح على الصريح وتقدم تحريره في المايدة الخامس ان يتعلق
بمحذوف على سبيل البيان وقرا ابن ابي عبلة محدث رفعا نعتا لذكر على المحل لان من مزيدة فيه
لاستكمال الشرطين وقال ابو البقا ولو رفع على موضع من ذكر جاز كانه لم يطلع عليها قراة وزيد
ابن علي محدثا نصبا على الحال من ذكر وسوغ ذلك وصفه بمن ربهم ان جعلناه صفة او اعتمادة
على النفي ويجوز ان يكون من الضمير المستتر في من ربهم اذا جعلناه صفة **قوله** الا استمعوه هذه
الجملة حال من مفعول ياتيهم وهو استثنا مفرغ وقد منعه مصنع عند قوم وهم يلعبون حال من
فاعل استمعوه اي استمعوه لاعبين **فصل** قال مقاتل معنى محدث يحدث الله الامر بعد الامر
وقيل الذكر المحدث ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم وبينه من السنن والمواعظ سوى ما في القران وانما

الى الرب لانه اعني بقوله الا استمعوه لاعبين لا يعتبرون ولا يتغافلون **فصل** استدلت المعتزلة بهذه الاية على حدوث القران فقالوا القران ذكر والذكر محدث فالقران محدث بيان ان القران ذكر قوله تعالى في صفة القران ان هو الا ذكر للعالمين وانه لذكر لك ولقومك انا نحن نزلنا الذكر وانه هو الا ذكر وقران مبين وهذا ذكر مبارك انزلناه وبيان ان الذكر محدث والجواب من وجهين الاول ان قوله تعالى ان هو الا ذكر للعالمين وقوله وهذا ذكر مبارك انزلناه اشارة الى المتركب من الحروف والاصوات وذلك مما لا نزاع فيه بل حدوثه معلوم بالضرورة انما النزاع في قدم كلام الله تعالى بمعنى اخر الثاني ان قوله ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث لا يدل على حدوث كل ما كان ذكرا لان قول القايل لا يدخل هذه البلدة رجل فاضل الا يبغضوه فانه لا يدل على ان كل رجل يجب ان يكون فاضلا بل على ان من الرجال من هو فاضل واذا كان كذلك فالاية لا تدل الا على ان بعض الذكر محدث فيصير نظم الكلام القران ذكر وبعض الذكر محدث وهذا لا ينتج شيا فظهر ان الذي ظنوه قاطعا لا يفيد ظنا ضعيفا فضلا عن القطع **قوله** لاهية يجوز ان يكون حالا من فاعل استمعوه عند من يجيز تعدد الحال فيكون الحالان مترادفين وان يكون حالا من فاعل يلعبون فيكون الحالان متداخلين وعبر الزمخشري عن ذلك فقال وهم يلعبون لاهية قلوبهم حالان مترادفتان او متداخلتان واذا جعلنا حالين مترادفتين ففيه تقدم الحال غير الصريحة على الصريحة وفيه من البحث ما في باب النعت وقلوبهم مرفوع بلاهية وقال البغوي لاهية نعت تقدم الاسم ومن حق النعت ان يتبع الاسم في الاعراب فاذا تقدم النعت الاسم فله حالتان فصل ووصل فحالته في الفصل النصب كقوله تعالى خاشعا ابصارهم ودانية عليهم ظلالها ولاهية قلوبهم وفي الوصل حالة ما قبله من الاعراب كقوله اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها والعامة على نصب لاهية وابن ابي عبلة على الرفع على انها خبر ثان لقوله وهم عند من يجوز ذلك او خبر مبتدا محذوف عند من لا يجوزه **قوله** واسروا النجوى الذين ظلموا يجوز في محل الذين ثلاثة اوجه الرفع والنصب والجر فالرفع من ستة اوجه احدها انه بدل من واو اسروا تنبيها على اتسامهم بالظلم الفاحش وعزاه ابن عطية لسيبويه وغيره للمبرد الثاني انه فاعل والواو علامة جمع الفاعل كما تدل التا على تانيثه وكذلك يفعلون في التثنية فيقولون قاما اخواك وانشدوا * يلومونني في اشتراء النخيل اهلي وكلهم الوم * واليه ذهب الاخفش وابو عبيدة وضعف بعضهم هذه اللغة وبعضهم حسنها ونسبها لازد شنوءة وتقدمت هذه المسئلة في المائدة عند قوله تعالى ثم عموا وصموا كثير منهم الثالث ان يكون الذين مبتدا واسروا جملة خبرية قدمت على المبتدا ويعزى للكسائي الرابع ان يكون الذين مرفوعا بفعل مقدر فقيل تقديره يقولون الذين واختاره النحاس قال والقول كثيرا ما يضمر ويدل عليه قوله بعد ذلك هل هذا الا بشر مثلكم وقيل تقديره اسرها الذين ظلموا الخامس انه خبر مبتدا مضمر تقديره هم الذين ظلموا السادس انه مبتدا وخبره الجملة من قوله هل هذا الا بشر ولا بد من اضمار القول على هذا القول تقديره الذين ظلموا يقولون هل هذا الا بشر والقول يضمر كثيرا والنصب من وجهين احدهما الذم والثاني اضمار اعني والجر من وجهين ايضا احدهما النعت والثاني البدل من للناس ويعزى هذا للفرا وفيه بعد **قوله** هل هذا الى قوله تبصرون يجوز في هاتين الجملتين الاستفهامية ان يكونا في محل نصب بدلا من النجوى وان يكونا في محل نصب باضمار القول قالهما الزمخشري وان يكونا في محل نصب على انهما محكيتان بالنجوى لانها في معنى القول وانتم تبصرون جملة حالية من فاعل تاتون **فصل** اعلم ان الله تعالى ذم الكفار بهذا الكلام وزجر غيرهم عن مثله لانهم اذا استمعوا وهم يلعبون لم يحصلوا الا على مجرد الاستماع الذي قد يشارك فيه البهيمة الانسان ثم اكد ذمهم بقوله لاهية قلوبهم واللاهية من لهى عنه اذا ذهل وغفل وقدم ذكر اللعب على اللهو كما في قوله تعالى انما الحياة الدنيا لعب ولهو تنبيها

قوله ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث وكذلك ما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث صح

ولسنا على حجج صح

على

على ان اشتغالهم باللعب الذي معناه الذهول والغفلة والسخرية والاستهزاء معلل باللهو الذي معناه الذهول فانهم انما اقدموا على اللعب لذهولهم عن الحق وقوله واسروا النجوى فيه سؤال وهو ان النجوى اسم من التناجي وهو لا يكون الا خفية فما معنى قوله واسروا والجواب انهم بالغوا في اخفائها وجعلوا بحيث لا يفطن احد لتناجيهم فان قيل لم قال واسروا النجوى الذين ظلموا فالجواب ان ابدال الذين ظلموا من اسروا اشعارا بانهم الموسومون بالظلم الفاحش فيما اسروا به او جا على لغة من قال اكلوني البراغيث وقوله هل هذا الا بشر مثلكم قال الزمخشري هذا الكلام كله في محل النصب بدلا من النجوى اي واسروا هذا الحديث وهو قولهم هل هذا الا بشر مثلكم ويحتمل ان يكون التقدير واسروا النجوى وقالوا هذا الكلام وانما اسروا هذا الحديث لوجهين احدهما انما كان ذلك شبه التشاور فيما بينهم والتحاور في طلب الطريق الى هدم امره وعادة المتشاورين ان يجتهدوا في كتمان سرهم عن اعدايهم والثاني يجوز ان يسروا نجواهم بذلك ثم يقولون لرسول الله وللمومنين ان كان ما تدعونه حقا فاخبرونا بما اسررناه واعلم انهم طعنوا في نبوته عليه السلام بامرين احدهما انه بشر مثلهم والثاني ان الذي اتى به سحر وكلا الطعنين فاسد اما الاول فلان النبوة تقف صحتها على المعجزات والدلايل لا على الصور اذ لو ارسل الملك اليهم لما علم كونه نبيا بصورته وانما كان يعلم بالعلم فاذا ظهر ذلك على من هو بشر فيجب ان يكون نبيا بل اولى ان يكون المبعوث الى البشر بشرا لان المرء الى القبول من اشكاله اقرب وهو به انيس واما الثاني فهو ان ما اتى به الرسول من القران ظاهر الوعيد لا مرية فيه ولا لبس وقد كان عليه السلام يتحداهم بالقران مدة من الزمان حالا بعد حال وهم ارباب الفصاحة والبلاغة وكانوا في نهاية الحرص على ابطال امره واقوى الامور في ابطال امره معارضة القران فلو قدروا على المعارضة لامتنع ان لا ياتوا بها لان الفعل عند توفر الدواعي وارتفاع الصارف واجب الوقوع فلما لم ياتوا بها دلنا ذلك على انه في نفسه معجز وانهم عرفوا حاله فكيف يجوز ان يقال انه سحر والحال ما ذكرناه وكل ذلك يدل على انهم كانوا عالمين بصدقه الا انهم كانوا يموهون على ضعفايهم بمثل هذا القول وان كانوا فيه مكابرين والمعنى افتاتون تحضرون السحر وانتم تعلمون انه ليس بسحر **قوله** قل ربي يعلم القول قرا الاخوان وحفص قال على لفظ الخبر والضمير للرسول صلى الله عليه وسلم والباقون قل على الامر **قوله** في السماء فيه اوجه احدها ان يتعلق بمحذوف على انه حال من القول والثاني انه حال من فاعل يعلم وضعفه ابو البقا وينبغي ان يمتنع والثالث انه متعلق بيعلم وهو قريب مما قبله وهو السميع العليم والمعنى لا يخفى عليه شي وهو السميع لاقوالهم العليم بافعالهم وقال الزمخشري فان قلت هلا قيل يعلم السر لقوله واسروا النجوى قلت القول عام يشمل السر والجهر فكان في العلم به العلم بالسر وزيادة فكان اكد في بيان الاطلاع على نجواهم من ان يقول يعلم السر كما ان قوله يعلم السر اكد من ان يقول يعلم سرهم فان قلت لم ترك الاكد في سورة الفرقان في قوله قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض قلت ليس بواجب ان يجي بالاكد في كل موضع ولكن يجي بالوكيد تارة وبالاكد اخرى كما يجي بالحسن في انه قدم هنا انهم اسروا النجوى فكانه قال ان ربي يعلم ما اسروه فوضع القول موضع ذلك للمبالغة وثم قصد وصفه بانه عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة وانما قدم السميع على العليم لانه لا بد من سماع الكلام اولا ثم من حصول العلم بمعناه **قوله** اضغاث احلام خبر مبتدا محذوف اي هو اضغاث والجملة نصب بالقول واعلم انه تعالى حكى ها هنا حكاية تقولهم هل هذا الا بشر مثلكم افتاتون السحر ثم قال بل قالوا اضغاث احلام بل افتراه بل هو شاعر فحكى عنهم هذه الاقوال المختلفة ونبه كلامهم انه كونه بشرا ما نفع من كونه رسولا لان الله سلمنا انه غير مانع ولكن لا نسلم ان هذا القران معجز ثم اما ان نساعد على ان فصاحة القران خارجة عن مقدور البشر فلم لا يجوز ان يكون ذلك سحرا او ان

لم نساعد عليه فان ادعينا كونه في نهاية الركاكة قلنا انه اضغاث احلام وان ادعينا انه متوسط
بين الركاكة والفصاحة قلنا انه افتراه وان ادعينا انه كلام فصيح قلنا انه من جنس فصاحة
سائر الشعر وعلى جميع هذه التقديرات فانه لا يثبت كونه معجزا ولما فرغوا من تقديره الاحتمالات
قالوا فليأتنا باية كما ارسل الاولون والمراد انهم طلبوا منه حالة لا يتطرق اليها شيء من هذه
الاحتمالات وقال المفسرون ان المشركين اقتسموا القول فيه وفيما يقوله فقال بعضهم اضغاث
احلام اي اباطيلها واهاويلها راها في النوم وقال بعضهم بل افتراه اي اختلقه وقال بعضهم بل محمد (بالايات)
شاعر وما جاءكم به شعر فليأتنا باية ان كان صادقا كما ارسل الاولون من الرسل **قوله** كما (محمد)
ارسل يجوز في هذه الكاف وجهان احدهما ان يكون في محل جر نعتا لاية اي باية مثل اية ارسال
الاولين فما مصدرية والثاني ان يكون نعتا لمصدر محذوف اي اتيانا مثل ارسال الاولين فاجابهم
الله تعالى بقوله ما امنت قبلهم من قرية اي قبل مشركي مكة من قرية اتتهم الايات اهلكناها اي
اهلكناهم بالتكذيب افهم يؤمنون ان جاءتهم اية والمعنى انهم في العتو اشد من الذين اقترحوا على
انبيائهم الايات وعاهدوا انهم يؤمنون عندها فلما جاءتهم نكثوا وخالفوا فاهلكهم الله فلو اعطيناهم
ما يقترحون لكانوا اشد نكثا قال الحسن انما لم يجابوا لان حكم الله تعالى ان من كذب بعد الاجابة الى ما
اقترحه فلا بد من ان ينزل به عذاب الاستيصال وقد مضى حكمه في امة محمد صلى الله عليه وسلم خاصة
بخلافه فلذلك لم يجبهم وتقدم الكلام في اعراب نظير قوله اهلكناها وانهم يؤمنون **قوله**
يوحي اليهم قرا حفص نوحي بنون العظمة مبنيا للفاعل اي نوحي نحن والباقون بالياء وفتح الحاء مبنيا
للمفعول وقد تقدم في يوسف وهذه الجملة في محل نصب نعتا لرجالا واليهم في القراءة الاولى منصوب
المحل والمفعول محذوف اي نوحي اليهم القران او الذكر ومرفوع المحل في القراءة الثانية لقيامه مقام
الفاعل **فصل** اعلم انه تعالى اجاب عن سؤالهم الاول وهو قولهم ما هذا الا بشر مثلكم
بقوله وما ارسلنا قبلك الا رجالا يوحي اليهم فبين ان هذه عادة الله في الرسل من قبل محمد عليه
السلام ولم يمنع ذلك من كونهم رسلا واذا صح ذلك فيهم فقد ظهر على محمد مثل اياتهم فاسألوا اهل
الذكر يعني علماء اهل الكتاب حتى يعلموكم ان رسل الله الموحى اليهم كانوا بشرا ولم يكونوا ملائكة وانما
احالهم على اولئك لانهم كانوا يتابعون المشركين في معاداة الرسول وامر المشركين بمسألة اهل الكتاب
لانهم الى تصديق من لم يؤمن بالنبي صلى الله عليه وسلم اقرب منهم الى تصديق من امن قال تعالى ولتسمعن
من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا **فان قيل** اذا لم يوثق باليهود
والنصارى فكيف يجوز ان يامرهم بان يسالوهم عن الرسل **فالجواب** اذا تواتر خبرهم وبلغ حد
الضرورة جاز ذلك لانا نعلم بخبر الكفار اذا تواتر كما نعلم بخبر المومنين وقال ابن زيد اراد باهل
الذكر المومنين وهو بعيد لانهم كانوا طاعنين في القران وفي الرسول فاما تعلق كثير من الفقهاء بهذه
الاية في ان للقاضي ان يرجع الى فتيا العلماء وفي ان للمجتهد ان ياخذ بقول مجتهد اخر فبعيد لان هذه
الاية خطاب مشافهة وهي واردة في هذه الواقعة المخصوصة ومتعلقة باليهود والنصارى على
التعيين **قوله** ان كنتم لا تعلمون جواب الشرط محذوف لدلالة ما تقدم عليه اي فاسألوهم
ومفعولا العلم يجوز ان يرادا اي لا تعلمون ان ذلك كذلك ويجوز ان لا يرادا اي ان كنتم من غير ذوي
العلم **قوله** وما جعلناهم جسدا اي ما جعلنا الرسل الا جسدا ولم يقل اجسادا لانه اسم جنس
لا ياكلون الطعام هذا رد لقولهم مال هذا الرسول ياكل الطعام والمعنى لم نجعل الرسل ملائكة
بل جعلناهم بشرا ياكلون الطعام وما كانوا خالدين في الدنيا **قوله** لا ياكلون الطعام في هذه
الجملة وجهان اظهرهما انها في محل نصب نعتا لجسدا وجسدا مفرد يراد به الجمع وهو على حذف
مضاف اي ذوي اجساد غير اكلين الطعام وجعل يجوز ان يكون بمعنى صير فيتعدى لاثنين

تأتيهما

تانيهما جسدا ويجوز ان يكون بمعنى خلق وانشا فيتعدى لواحد فيكون جسدا حالا وتاويله بمشتق
اي متغذين لان الجسد لا بد له من الغذاء وقال ابو البقاء ان لا ياكلون حالا اخرى بعد جسدا اذا
قلنا ان جعل يتعدى لواحد وفيه نظر بل هي صفة لجسدا بالاعتبارين لا يليق المعنى الا به **قوله**
صدقناهم الوعد صدق يتعدى لاثنين الى ثانيهما بحرف الجر وقد يحذف يقول صدقتك الحديث
وفي الحديث كما في واستغفر وقد تقدم في ال عمران قال الزمخشري هو مثل واختار موسى قومه
سبعين رجلا والاصل في الوعد ومن قومه والمعنى صدقناهم الوعد الذي وعدناهم باهلاك اعدائهم
المكذبين وكل مشرك فانجيناهم ومن نشاء اي انجينا المومنين الذين صدقوا الرسل واهلكنا المسرفين
اي المشركين المكذبين وكل مشرك مسرف على نفسه **قوله** لقد انزلنا اليكم كتابا يا معشر قريش فيه
ذكركم اي شرفكم كما قال وانه لذكر لك ولقومك وهو شرف لمن امن به وقال مجاهد فيه حديثكم وقال
الحسن فيه ذكركم اي ذكر ما تحتاجون اليه من امر دينكم افلا تعقلون وهذا كالبعث على التدبر للقول
لانهم كانوا عقلاء لان الخوف من لوازم العقل فمن لم يتدبر فكانه خرج عن العقل **قوله** وكم قصمنا كم
في محل نصب مفعولا مقدما بقصمنا ومن قرية تمييز والظاهر ان كم هنا خبرية لانها تفيد التكثير
والقصم القطع وهو الكسر الذي يبين تلاؤم الاجزاء بخلاف الفصم **قوله** كانت ظالمة في محل جر
صفة لقرية ولا بد من مضاف محذوف قبل قرية اي وكم قصمنا من اهل قرية بدليل عود الضمير
في قوله فلما احسوا ولا يجوز ان يعود على قوله قوما لانه لم يذكر لهم ما يقتضي ذلك **فصل**
لما حكى عنهم تلك الاعتراضات الساقطة لكونها في مقابلة ما ثبت اعجازه وهو القران ظهر
للكل ان اعتراضهم كان لاجل حب الرياسة والدنيا والمراد بقوله قصمنا اهلكنا قال ابن
عباس المراد منه القتل بالسيوف والمراد بالقرية حضور وحول باليمن ينسب اليها الثياب
وفي الحديث لبس رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثوبين حوليين وروي حضوريين بعث الله اليهما
نبيا فقتلوه فسلط الله عليهم بخت نصر كما سلطه على اهل بيت المقدس فاستاصلهم وروي انه
لما اخذتهم السيوف نادى مناد من السماء يا لثارات الانبياء فندموا واعترفوا بالخطا وقالوا يا ويلنا
انا كنا ظالمين وقال الحسن المراد عذاب الاستيصال وهذا اقرب لان اضافة ذلك الى الله
اقرب من اضافته الى القاتل ثم بتقدير ان يحمل ذلك على عذاب القتل فما الدليل على الحصر في
القريتين التي ذكرا ابن عباس وقوله كانت ظالمة اي كافرة يعني اهلها وانشانا بعدها اي احدثنا
بعد هلاك اهلها قوما اخرين فلما احسوا باسنا اي عذابنا بحاسة البصر اذا هم منها يركضون
اي يسرعون هاربين والركض ضرب الدابة بالرجل يقال ركض الدابة يركضها ركضا ومنه قوله
تعالى اركض برجلك فيجوز ان يركبوا دوابهم يركضونها هاربين منهزمين من قريتهم لما ادركتهم
مقدمة العذاب ويجوز ان يشبهوا في سرعة عدوهم على ارجلهم بالراكبين الراكضين **قوله**
اذا هم اذا هذه فجائية وتقدم الخلاف فيها وهم مبتدا ويركضون خبره وتقدم اول الكتاب ان
امثال هذه الاية دالة على ان لما ليست ظرفية بل حرف وجوب لوجوب لان الظرف لا بد له من
عامل ولا عامل هنا لان ما بعد اذا لا يعمل فيما قبلها والجواب انه عمل فيها معنى المفاجاة المدلول
عليه باذا والضمير في منها يعود على قرية ويجوز ان يعود على باسنا لانه في معنى النقمة والباساء فانث
الضمير حملا على المعنى ومن على الاول لابتداء الغاية وللتعليل على الثاني **قوله** لا تركضوا
اي قيل لهم لا تركضوا لا تهربوا قال الزمخشري القول محذوف فان قلت من القايل قلت
يحتمل ان يكون بعض الملائكة ومن ثم من المومنين او يكونوا خلقاء بان يقال لهم ذلك وان لم
يقل او يقوله رب العزة ويسمعه ملائكته لينفعهم في دينهم او يلهمهم ذلك فيجد ثوابه نفوسهم
وقوله وارجعوا الى ما اترفتم فيه من العيش الرافه والحال الناعمة والاتراف ابطار النعمة وهي

الترقه وقوله لعلكم تسالون تهكم بهم وتوبيخ قال ابن عباس تسالون عن قتل نبيكم وقال غيره هذا
التهكم تحتمل وجوها الاول ارجعوا الى نعمتكم ومساكنكم لعلكم تسالون عما جرى عليكم ونزل باموالكم ومساكنكم
فتجيبوا السايل عن علم ومشاهدة الثاني ارجعوا واجلسوا كما كنتم في مجالسكم حتى يسالكم عبيدكم
ومن ينفذ فيه امركم ونهيكم ويقولوا لكم بم تامرون وماذا ترسمون كعادة المخدوم الثالث يسالكم
الناس عما في ايديكم ويستشيرونكم في المهمات **قوله** فما زالت تلك دعواهم اسم زالت تلك ودعواهم
الخبر هذا هو الصواب وقد قال الحوفي والزمخشري وابو البقا بجواز العكس وهو مردود بانه اذا خفي
الاعراب مع استوايهما في المسوغ لكون كل منهما اسما او خبرا وجب جعل المتقدم اسما والمتاخر خبرا وهو
من باب ضرب موسى عيسى وتقدم ايضاح هذا في اول سورة الاعراف فليلتفت اليه وتلك اشارة
الى الجملة المقولة قال الزمخشري تلك اشارة الى يا ويلنا لانها دعوى كانه قيل فما زالت تلك الدعوى دعواهم
والدعوى بمعنى الدعوة قال تعالى واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين وسميت دعوى لانهم كانوا دعوا
بالويل فقالوا يا ويلنا قال المفسرون لم يزالوا يكررون هذه الكلمة فلم ينفعهم ذلك كقوله فلم يك ينفعهم
ايمانهم لما راوا باسنا حتى جعلناهم حصيدا الحصيد الزرع المحصود اي جعلناهم مثل الحصيد شبههم
في استيصالهم به كما تقول جعلناهم رمادا اي مثل الرماد **قوله** حصيدا مفعول ثان لان الجعل
هنا تصيير فان قيل كيف ينصب جعل ثلاثة مفاعيل فالجواب ان حصيدا وخامدين يجوز
ان يكون من باب هذا حلو حامض كانه قيل جعلناهم جامعين بين الوصفين جميعا ويجوز ان يكون
خامدين حالا من الضمير في جعلناهم او من الضمير المستكن في حصيدا فانه في معنى محصود فيجوز ان يكون
من باب ما تعدد فيه الخبر نحو زيد كاتب شاعر وجوز ابو البقا فيه ايضا ان يكون صفة لحصيدا
وحصيدا بمعنى محصود كما تقدم فلذلك لم يجمع وقال ابو البقا والتقدير مثل حصيد فلذلك لم يجمع
كما لم يجمع مثل المقدر انتهى واذا كان بمعنى محصودين فلا حاجة والمعنى انهم هلكوا بذلك العذاب
حتى لم يبق حس ولا حركة وجفوا كما يجف الحصيد وخمدوا كما تخمد النار **قوله تعالى** وما خلقنا
السما والارض الاية اعلم انه لما بين اهلاك القرية لاجل تكذيبهم اتبعه بما يدل على انه فعل ذلك
عدلا منه ومجازاة على ما فعلوا فقال وما خلقنا السما والارض وما بينهما لاعبين اي وما سوينا هذا
السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من العجايب والغرايب كما سوى الجبابرة سقوفهم
وفرشهم للعب واللهو وانما سويناها لفوايد دينية ودنيوية اما الدينية فليتفكر المكلفون فيها
على ما قال ويتفكرون في خلق السموات والارض واما الدنيوية فلما تتعلق بها من المنافع التي لا تعد ولا
تحصى وهو كقوله وما خلقنا السما والارض وما بينهما باطلا وقوله ما خلقناهما الا بالحق وقيل
وجه النظم ان الغرض منه تقرير نبوة محمد عليه السلام والرد على منكريه لانه اظهر المعجز عليه فان كان
محمد كاذبا كان اظهار المعجز عليه من باب اللعب وذلك منفي عنه وان كان صادقا فهو المطلوب وحينيذ
يفسد كل ما ذكروه من المطاعن ولاعبين حال من فاعل خلقنا **فصل** قال القاضي عبد الجبار ودلت
هذه الاية على ان اللعب ليس من قبله تعالى اذ لو كان كذلك لكان لاعبا فان اللاعب في اللغة اسم
لفاعل اللعب فنفي الاسم الموضوع للفعل يقتضي نفي الفعل والجواب يبطل ذلك بمسيلة الداعي وقد
تقدم **قوله** لو اردنا ان نتخذ لهوا قال ابن عباس في رواية عطا اللهو المراة وهو قول الحسن وقتادة
وقال في رواية الكلبي اللهو الولد بلغة اليمن وهو قول السدي وهو في المراة اظهر لان الوطي يسمى
لهوا في اللغة والمراة محل الوطي لاتخذناه من لدنا اي من عندنا من الحور العين لا من عند من
اهل الارض وقيل معناه لو كان ذلك جايزا في مشيتنا لم نتخذه بحيث يظهر لهم ويستر ذلك حتى
لا يطلعوا عليه وتاويل الاية ان النصارى لما قالوا في المسيح وامه ما قالوا رد الله عليهم بهذا وقال
لاتخذناه من لدنا لانكم لا تعلمون ان ولد الرجل وزوجته يكونان عنده لا عند غيره **قوله**

ان كنا فاعلين في ان هذه وجهان احدهما انها نافية اي ما كنا فاعلين قاله قتادة ومقاتل وابن
جريج والثاني انها شرطية وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب لو عليه والتقدير ان كنا فاعلين
اتخذناه ولكنا لم نفعله لانه لا يليق بالربوبية **قوله** بل نقذف بالحق على الباطل بل حرف
اضراب عن اتخاذ اللهو واللعب وتنزيه لذاته كانه قال سبحاننا ان نتخذ اللهو واللعب بل من موجب
حكمتنا ان نغلب اللعب بالجد وندحض الباطل بالحق والمعنى دع الذي قالوا فانه كذب وباطل
ونقذف نرمي ونسلط قال تعالى ويقذفون من كل جانب دحورا اي يرمون بالشهب بالحق بالايمان
على الباطل على الكفر وقيل الحق قول الله انه لا ولد له والباطل قولهم اتخذ الله ولدا **قوله** فيدمغه
العامة على رفع الغين نسقا على ما قبله وقرا عيسى بن عمر بنصبها قال الزمخشري وهو في ضعف قوله
ساترك منزلي لبني تميم والحق بالحجاز فاستريحا وقري شاذا فيدمغه بضم الميم وهي محتملة لان
يكون في المضارع لغتان يفعل ويفعل وان يكون الاصل الفتح والضمة للاتباع في حرف الحلق ويدمغه
اي يصيب دماغه من قولهم دمغت الرجل اي ضربته في دماغه كقولهم راسه وكبده ورجله اذا
اصاب منه هذه الاعضا واصل الدمغ شج الراس حتى يبلغ الدماغ واستعار القذف والدمغ تصويرا
لابطاله به فجعله كانه جرم صلب كالصخرة مثلا قذف به على جرم رخو اجوف فدمغه اهلكه
واذهبه فاذا هو زاهق ذاهب ولكم الويل يعني من كذب الرسول ونسب القران الى انه سحر واضغاث
احلام وغير ذلك من الاباطيل **قوله** مما تصفون فيه اوجه احدها انه متعلق بالاستقرار الذي
تعلق به الخبر اي استقر لكم الويل من اجل ما تصفون ومن تعليلية وهذا اوجه وجيه والثاني انه متعلق
بمحذوف والثالث انه حال من الويل اي الويل واقعا مما تصفون كذا قدره ابو البقا وما في مما تصفون
يجوز ان يكون مصدرية فلا عايد عند الجمهور وان يكون بمعنى الذي او نكرة موصوفة فلا بد من العايد
عند الجميع حذف لاستكمال الشروط والمعنى مما تصفون الله بما لا يليق به من الصاحبة والولد وقال
مجاهد مما تكذبون **قوله** وله من في السموات والارض الاية لما نفى اللعب عن نفسه ونفي اللعب لا يصح
الا بنفي الحاجة ونفي الحاجة لا يصح الا بالقدرة التامة عقب تلك الاية بقوله وله من في السموات
والارض لدلالة ذلك على كمال الملك والقدرة وقيل لما حكى كلام الطاعنين في النبوات واجاب عنها
وهو ان غرضهم من تلك المطاعن التمرد وعدم الانقياد بين ههنا انه تعالى منزه عن طاعتهم لانه هو المالك
لجميع المخلوقات ولاجل ان الملايكة مع جلالتهم مطيعون له خايفون منه فالبشر مع كونهم في نهاية
الضعف اولى ان يطيعوه **قوله** ومن عنده يجوز فيه وجهان احدهما انه معطوف على من الاولى
اخبر تعالى عن من في السموات والارض وعن من عنده بان الكل له في ملكه وعلى هذا فيكون من باب ذكر
الخاص بعد العام تنبيها على شرفه لان قوله من في السموات شمل من عنده وتقدم نظيره في قوله
وجبريل وميكال وقوله لا يستكبرون على هذا فيه اوجه احدها انه حال من من الاولى او الثانية
او منهما معا وقال ابو البقا حال اما من الاولى او الثانية على قول من رفع بالظرف يعني انه اذا جعلنا
من في قوله وله من في السموات مرفوعا بالفاعلية والرافع الظرف وذلك على راي الاخفش جاز ان يكون لا
يستكبرون حالا من الضمير المستكن في عنده الواقع صلة ولا يكون اما من من الاولى واما من الثانية
لان الفاعل تجي منه الحال ومفهومه انا اذا جعلناها مبتدا لا تجي يستكبرون حالا وكانه يرى ان
الحال لا تجي من المبتدا وهو راي لبعضهم ويجوز ان يكون لا يستكبرون حالا من الضمير المستكن في عنده
الواقع صلة وان يكون حالا من الضمير المستكن في له الواقع خبرا والوجه الثاني من وجهي من ان يكون
مبتدا ولا يستكبرون خبره وهذه جملة معطوفة على جملة قبلها وهل الجملة من قوله وله من في
السموات استينافية او معادلة لجملة قوله ولكم الويل اي لكم الويل ولله جميع العالم علويه وسفليه
والاولى اظهر ولا يستحسرون اي لا يكلون ولا يتعبون يقال استحسر البعير اي كل وتعب قال علقمة

ابن عبده .. بها جيف الحسرى فاما عظامها فبيض واما جلدها فصليب . ويقال الحسر البعير
وحسرته انا فيكون لازما ومتعديا واحسرته ايضا فيكون فعل وافعل بمعنى واحد وجهي نحو
قال الزمخشري فان قلت الاستحسار مبالغة في الحسور فكان الابلغ في وصفهم ان ينفي عنهم ادنى
الحسور قلت في الاستحسار بيان ان ما هم فيه يوجب غاية الحسور واقصاه وانهم احقا لتلك العبادة
الشاقة بان لا يستحسروا فيما يفعلون وهو سوال حسن وجواب مطابق قوله يسبحون يجوز ان يكون مستانفا
وان يكون حالا من الفاعل في الجملة قبله ولا يفترون يجوز فيه الاستيناف والحال من فاعل يسبحون
فصل دلت هذه الاية على ان الملك افضل من البشر من ثلاثة اوجه تقدمت في البقرة
والمراد بقوله ومن عنده هم الملائكة بالاجماع وصفهم الله تعالى بانهم يسبحون الليل والنهار لا
يفترون وهذا لا يليق بالبشر وهذه العندية عندية الشرف لا عندية المكان والجهة روى عبد الله بن
الحارث بن نوفل قال قلت لكعب ارايت قول الله تعالى يسبحون الليل والنهار لا يفترون ثم قال
جاعل الملائكة رسلا افلا يكون الرسالة ما نعة لهم عن ذلك التسبيح وايضا قال اولئك عليهم
لعنة الله والملائكة فكيف يشتغلون باللعن حال اشتغالهم بالتسبيح اجاب كعب الاحبار وقال
التسبيح لهم كالتنفس لنا فكما ان اشتغالنا بالتنفس لا يمنعنا الكلام فكذلك اشتغالهم بالتسبيح لا يمنعهم
من سائر الاعمال فان قيل هذا القياس غير صحيح لان الاشتغال بالتنفس انما لم يمنع من الكلام لان آلة
التنفس غير آلة الكلام واما التسبيح واللعن فهما من جنس الكلام فاجتماعهما محال فالجواب اي
استبعاد في ان خلق الله لهم السنة كثيرة بعضها يسبح الله وبعضها يلعنون اعداء الله او يقال
معنى قوله لا يفترون انهم لا يفترون عن العزم على ادائه في اوقاته اللايقة له كما يقال ان فلانا
مواظب على الجماعة لا يفتر عنها لا يراد به انه ابدا مشتغل بها بل يراد به انه مواظب على العزم على ادائها
في اوقاتها قوله تعالى ام اتخذوا هذه ام المنقطعة فيتقدر ببل التي لاضراب الانتقال
وبالهمزة التي معناها الانكار واتخذ يجوز ان يكون بمعنى صنع فيتعلق من به ويجوز ابو حيان ان يكون
بمعنى صير التي في قوله واتخذ الله ابرهيم خليلا قال وفيه معنى الاصطفا والاختيار ومن الارض
يجوز ان يتعلق بالاتخاذ كما تقدم وان يتعلق بمحذوف على انها نعت لالهة اي من جنس الارض قوله
هم ينشرون جملة في محل نصب صفة لالهة وقرا العامة ينشرون بضم حرف المضارعة من انشر وقرا
الحسن بفتحها وضم الشين يقال انشر الله الموتى فنشروا ونشر يكون لازما ومتعديا فصل ام اتخذوا
الهة استفهام بمعنى الجحد اي لم يتخذوا من الارض يعني الاصنام من الخشب والحجارة وهما من الارض والمنكر
بعد اتخاذهم الهة من الارض ينشرون الموتى فان قيل كيف انكر عليهم الهة تنشر وما كانوا يدعون ذلك
لالهتهم بل كانوا في نهاية البعد عن هذه الدعوى فانهم كانوا مع اقرارهم بالله وانه خالق السموات والارض
منكرين للبعث ويقولون من يحيي العظام وهي رميم فكيف يدعون ذلك للجماد الذي لا يوصف بالقدرة
البتة فالجواب انهم لما اشتغلوا بعبادتها ولا بد للعبادة من فايدة وهي الثواب فاقدامهم على عبادتها
يوجب اقرارهم بكونهم قادرين على الحشر والنشر والثواب والعقاب فذكر ذلك على سبيل التهكم
بهم والمعنى اذا لم يكونوا قادرين على ان يحيوا ويميتوا ويضروا وينفعوا فاي عقل يجوز اتخاذهم الهة
وقوله من الارض كقولك فلان من مكة او من المدينة وقوله هم يفيد معنى الخصوصية كانه قيل
ام اتخذوا الهة لا يقدرون على الانشا الا هم وحدهم قوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا
الا هنا صفة للنكرة قبلها بمعنى غير والاعراب فيها متعذر فجعل على ما بعدها وللوصف بها شروط
منها تنكير الموصوف او قربه من النكرة بان يكون معرفا بال الجنسية ومنها ان يكون جمعا صريحا كالاية
او ما في قوة الجمع كقوله لو كان غيري سليمى الدهر غيره وقع الحوادث الا الصارم الذكر فالا الصارم
صفة لغيري لانه في معنى الجمع ومنها ان لا يحذف موصوفها عكس غير وانشد سيبويه على ذلك قوله

اتخاذ

م

وكل

وكل اخ مفارقه اخوه لعمر ابيك الا الفرقدان اي وكل اخ غير الفرقدين مفارقه اخوه وقد وقع
الوصف بالا كما وقع الاستثنا بغير والاصل في الا الاستثنا وفي غير الصفة ومن ملح كلام الزمخشري
واعلم ان الا وغير يتعارضان ولا يجوز ان يرتفع الجلالة على البدل من الهة لفساد المعنى قال الزمخشري
فان قلت ما منعك من الرفع على البدل قلت لان لو بمنزلة ان في ان الكلام معها موجب والبدل لا يسوغ
الا في الكلام غير الموجب كقوله تعالى ولا يلتفت منكم احد الا امراتك وذلك لان اعم العام يصح
نفيه ولا يصح ايجابه فجعل المانع صناعيا مستندا الى ما ذكر من عدم صحة ايجاب اعم العام واحسن
من هذا ما ذكره ابو البقا من جهة المعنى فقال ولا يجوز ان يكون بدلا لان المعنى يصير الى قولك لو كان فيهما
الله لفسدتا الا ترى انك لو قلت ما جاني قومك الا زيد على البدل لكان المعنى جاني زيد وحده ثم
ذكر الوجه الذي رد به الزمخشري فقال وقيل يمتنع البدل لان قبلها ايجابا ومنع ابو البقا النصب على
الاستثنا لوجهين احدهما انه فاسد في المعنى وذلك انك اذا قلت لو جاني القوم الا زيدا لقتلتهم كان
معناه ان القتل امتنع لكون زيد مع القوم ولو نصبت في الاية لكان المعنى ان فساد السموات والارض
امتنع لوجود الله تعالى مع الالهة وفي ذلك اثبات اله مع الله واذا رفعت على الوصف لا يلزم مثل
ذلك لان المعنى لو كان فيهما غير الله لفسدتا والوجه الثاني ان الهة هنا نكرة والجمع اذا كان نكرة لم
يستثن منه عند جماعة من المحققين اذ لا عموم له بحيث يدخل فيه المستثنى لولا الاستثنا وهذا الوجه
الذي منعاه اعني الزمخشري وابا البقا قد اجازه المبرد وغيره واما المبرد فانه قال جاز البدل
لان ما بعد لو غير موجب في المعنى والبدل في غير الواجب احسن من الوصف وفي هذا نظر من جهة
ما ذكره ابو البقا من فساد المعنى وقال ابن الصايغ تابعا للمبرد لا يصح المعنى عندي الا ان يكون الا في
معنى غير التي يراد بها البدل اي لو كان فيهما الهة عوض واحد اي بدل الواحد الذي هو الله لفسدتا وهذا
المعنى اراده سيبويه في المسالة التي جاءت بها توطية وقال الشلوبين في مسالة سيبويه لو كان معنا رجل الا
زيد لغلبنا ان المعنى لو كان معنا رجل مكان زيد لغلبنا فالا بمعنى غير التي بمعنى مكان وهذا ايضا
جنوح من ابي علي الى البدل وما ذكره ابن الصايغ من المعنى المتقدم مسوغ للبدل وهو جواب عما افسده به
ابو البقا وجه البدل اذ معناه واضح ولكنه قريب من تفسير المعنى لا من تفسير الاعراب فصل المعنى
لو كان يتولاهما ويدبر امرهما شي غير الواحد الذي فطرهما لفسدتا ولا يجوز ان يكون الا بمعنى الاستثنا
لانها لو كانت استثنا لكان المعنى لو كان فيهما الهة ليس معهم الله لفسدتا وهذا يوجب بطريق المفهوم انه
لو كان فيهما الهة معهم الله ان لا تحصل الفساد وذلك باطل لانه لو كان فيهما الهة فسواء كان الله معهم او لم يكن
الله معهم فالفساد لازم ولما بطل حمله على الاستثنا ثبت ما ذكرنا وهو ان المعنى لو كان في السما والارض
الهة غير الله لفسدتا اي لخربتا وهلك من فيهما بوجود التمانع من الالهة لان كل امر صدر عن اثنين
فاكثر لم يجر على النظام ويدل العقل على ذلك من وجوه الاول انا لو قدرنا الهين لكان احدهما
اذا انفرد صح منه تحريك الجسم واذا انفرد الثاني صح منه تسكينه فاذا اجتمعا وجب ان يبقيا على
ما كانا عليه حال الانفراد فعند الاجتماع يصح ان يحاول احدهما التحريك والاخر التسكين
فاما ان يحصل المرادان وهو محال واما ان يمتنعا وهو ايضا محال لانه يكون كل واحد منهما عاجزا
وايضا المانع من تحصيل مراد كل واحد مراد الاخر والمعلول لا يحصل الا مع علته فلو امتنع المرادان
لحصلا وذلك محال واما ان يمتنع احدهما دون الثاني وذلك ايضا محال لان الممنوع يكون عاجزا
والعاجز لا يكون الها ولانه لما كان كل واحد منهما مستقلا بالايجاد لم يكن عجز احدهما اولى من عجز
الاخر فثبت ان القول بوجود الهين يوجب هذه الاقسام الفاسدة فكان القول به باطلا
الوجه الثاني ان الاله يجب ان يكون قادرا على جميع الممكنات فلو فرضنا الهين لكان كل واحد
منهما قادرا على جميع الممكنات فاذا اراد كل واحد منهما تحريك جسم فتلك الحركة اما ان تقع بهما معا او

ان

لا يقع بواحد منهما او يقع باحدهما دون الثاني والاول محال لان الاثر مع المؤثر المستقل واجب الحصول ووجوب حصوله به يمنع من اسناده الى الثاني فلو اجتمع على الاثر الواحد مؤثران مستقلان يلزم ان يستغني بكل واحد منهما عن كل واحد منهما فيكون محتاجا اليهما وغنيا عنهما وهو محال واما ان لا يقع بواحد منهما البتة فهذا يقتضي كونهما عاجزين وايضا فامتناع وقوعه لهما انما يكون لاجل وقوعه بذاك وبالضد فلو امتنع وقوعه بهما لوقع بهما معا وهو محال واما ان يقع باحدهما دون الثاني فهو باطل لان وقوعه بهذا يلزم منه رجحان احد الالهين على الاخر من غير مرجح وهو محال الوجه الثالث لو قدرنا الالهين فاما ان يتفقا او يختلفا فان اتفقا على الشي الواحد فذلك الواحد مقدورهما ومرادهما فيلزم وقوعه بهما وهو محال وان اختلفا فاما ان يقع المرادان او لا يقع واحد منهما او يقع احدهما دون الاخر والكل محال فثبت ان الفساد لازم على كل التقديرات وذكروا وجوها اخر عقليه وفي هذا كفاية انه تعالى نزه نفسه فقال سبحان الله رب العرش عما يصفون اي عما يصفه به المشركون من الشرك والولد فان قيل اي فايدة لقوله تعالى رب العرش عما يصفون فالجواب ان هذه المناظرة وقعت مع عبدة الاصنام وهي انه كيف يجوز للعاقل ان يجعل الجماد الذي لا يعقل ولا يحس شريكا في الالهية لخالق العرش العظيم وموجد السموات والارضين قوله لا يسال عما يفعل اعلم ان اهل السنة استدلوا على انه تعالى لا يسال عما يفعل بامور احدها انه لو كان كل شي معللا بعلة كانت تلك العلة معللة بعلة اخرى ولزم التسلسل فلا بد في قطع التسلسل من الانتهاء الى ما يكون غنيا عن العلة واولى الاشيا بذلك ذات الله تعالى وصفاته مبراة عن الافتقار الى المبدع المخصص فكذا فاعليته يجب ان تكون مقدسة عن الاستناد الى الموجب والمؤثر وثانيها ان فاعليته لو كانت معللة بعلة لكانت تلك العلة اما ان تكون واجبة او ممكنة فان كانت واجبة لزم من وجوبها وجوب كونها فاعلا وحينئذ يكون موجبا بالذات لا فاعلا بالاختيار وان كانت ممكنة كانت تلك العلة فعلا لله تعالى فيفتقر فاعليته لتلك العلة الى علة اخرى ولزم التسلسل وهو محال وثالثها ان علة فاعلية الله تعالى للعالم ان كانت قديمة لزم ان يكون فاعليته للعالم قديمة فيلزم قدم العالم وان كانت محدثة افتقرت الى علة اخرى ولزم التسلسل ورابعها انه ان فعل فعلا لغرض فاما ان يكون متمكنا من تحصيل ذلك الغرض بدون تلك الواسطة او لا يكون متمكنا منه فان كان متمكنا منه كان توسط تلك الواسطة عبثا وان لم يكن متمكنا منه كان عاجزا والعجز على الله تعالى محال واما العجز علينا فغير ممتنع فلذلك كانت افعالنا معللة بالاغراض وذلك في حق الله تعالى محال وخامسها لو كان فعله معللا بغرض لكان ذلك الغرض اما ان يكون عايدا الى الله تعالى او الى العباد والاول محال لانه منزه عن النفع والضر واذا بطل ذلك تعين ان الغرض لا بد وان يكون عايدا الى العباد ولا غرض للعباد الا حصول اللذة وعدم حصول الالام والله تعالى قادر على تحصيلها ابتدا من غير واسطة واذا كان كذلك استحال ان يفعل شيا لاجل شي وسادسها ان الموجودات ملكه ومن تصرف في ملك نفسه لا يقال له لم فعلت ذلك وسابعها ان من قال لغيره لم فعلت ذلك فهذا السوال انما يحسن حيث يكون للسايل على المسؤل حكم على فعله وذلك في حق الله تعالى محال فانه لو فعل اي فعل شا فالعبد كيف يمنعه عن ذلك بان يهدده بالعقاب فذلك على الله محال وان هدده باستحقاق الذم والخروج عن الحكم والاتصاف بالسفاهة على ما يقوله المعتزلة فذلك ايضا محال لانه مستحق للمدح والاتصاف بصفات الحكمة والجلال فثبت بهذه الوجوه انه لا يجوز ان يقال لله في افعاله لم فعلت وان كل شي صنعه لا علة لصنعه واما المعتزلة فانهم سلموا انه يجوز ان يقال الله عالم بقبح القبيح وعالم بكونه غنيا عنه ومن كان كذلك فانه يستحيل ان يفعل القبيح واذا عرفنا ذلك عرفنا ان كل ما يفعله الله فهو حكمة وصواب واذا كان كذلك لم يجز للعبد ان يقول لله لم فعلت هذا ثم قال تعالى وهم يسالون وهذا يدل على كون المكلفين مسؤلين عن افعالهم واعلم ان منكري التكاليف احتجوا على قولهم بوجوه

احدها

احدها قالوا التكليف اما ان يتوجه على العبد حال استوا داعيته الى الفعل والترك او حال رجحان احدهما على الاخر والاول محال لان حال الاستوا يمتنع الترجيح وحال امتناع الترجيح يكون تكليفا بالمحال والثاني محال لان حال الرجحان يكون الراجح واجب الوقوع وايقاع ما هو ممتنع الوقوع تكليف ما لا يطاق وثانيها قالوا كل ما علم الله وقوعه فهو واجب فيكون التكليف به عبثا وكل ما علم الله عدمه كان ممتنع الوقوع فيكون التكليف به تكليف بما لا يطاق وثالثها قالوا سوال العبد اما ان يكون لفايدة او لا لفايدة فان كان لفايدة فان عادت الى العبد فهو محال لان سواله لما كان سببا للعقاب لم يكن نفعا عايدا الى العبد بل ضررا عايدا اليه وان لم يكن في سواله فايدة كان عبثا وهو غير جايز على الحليم بل كان اضرارا وهو غير جايز على الرحيم والجواب من وجهين الاول ان غرضه من ايراد هذه الشبهة النافية للتكليف ان يلزمونا نفي التكليف فكانكم كلفتمونا بنفي التكليف وهذا مناقض الثاني ان مدار كلامكم في هذه الشبهات على حرف واحد وهو ان التكاليف كلها تكليف بما لا يطاق فلا يجوز من الحكيم ان يوجهها على العباد فيرجع حاصل هذه الشبهات الى انه يقال لله تعالى لم كلفت عبادك الا انا قد بينا انه سبحانه لا يسال عما يفعل فظهر بهذا ان قوله لا يسال عما يفعل اصل لقوله وهم يسالون فتامل هذه الدقايق العجيبة لتقف على طرف من اسرار علم القران فان قيل قوله وهم يسالون مناكد بقوله فوربك لنسالنهم اجمعين وبقوله وقفوهم انهم مسؤلون الا انه ينافيه قوله فيومئذ لا يسال عن ذنبه انس ولا جان فالجواب ان يوم القيامة يوم طويل وفيه مقامات فيصرف كل واحد من السلب والايجاب الى مقام دفعا للتناقض فصل قالت المعتزلة انه تعالى لو كان هو الخالق للحسن والقبيح لوجب ان يذم عما يفعل بل كان يذم بما من حقه الذم كما يحمد بما من حقه الحمد وثانيها انه يجب ان لا يسال عن المامور به اذ لا فاعل سواه وثالثها انه لا يجوز ان يسالوا عن عملهم اذ لا عمل لهم ورابعها ان عملهم لا يمكنهم ان يعدلوا عنه من حيث انه خلقه واوجده فيهم وخامسها انه تعالى صرح في كثير من المواضع انه يقبل حجة العباد كقوله رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وهذا يقتضي ان لهم عليه حجة قبل بعثة الرسل وقال ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا ونظايرهذه الايات كثيرة وكلها تدل على ان حجة العبد متوجهة على الله تعالى والجواب هو المعارضة بمسالة الداعي ومسالة العلم ثم بالوجوه المتقدمة التي بينا فيها انه يستحيل طلب علية افعال الله تعالى فصل في تعلق هذه الاية بما قبلها وهو ان من اثبت لله تعالى شريكا ليس عنده الا طلب الكمية في افعال الله تعالى وذلك لان الثنويه والمجوس وهم الذين اثبتوا الشريك لله تعالى قالوا رأينا في العالم خيرا او شرا ولذة والما وحياة وموتا وصحة وسقما وغنا وفقرا وفاعل الخير خير وفاعل الشر شرير ويستحيل ان يكون الفاعل الواحد خيرا وشريرا معا فلا بد من فاعلين ليكون احدهما فاعلا للخير والاخر للشر فرجع حاصل هذه القسمة الى مدبر العالم لو كان واحدا فلم خص هذا بالحياة والصحة والغناء وخص هذا بالموت والالم والفقر فيرجع حاصله الى طلب الكمية لا جرم انه تعالى بعد ان ذكر الدليل على التوحيد ذكر ما هو النكتة الاصلية في الجواب عن شبهة القايلين بالشريك لان الترتيب الجيد في المناظرة ان يبتدا بذكر الدليل المثبت للمطلوب ثم يذكر بعده الجواب عن شبهة الخصم قوله تعالى ام اتخذوا من دونه الهة استعظاما لكفرهم وهو استفهام انكار وتوبيخ قل هاتوا برهانكم اما من جهة العقل واما من جهة النقل واعلم انه تعالى لما ذكر دليل التوحيد اولا وقرر الاصل الذي عليه تخرج شبهات القايلين بالتثنية اخذ يطالبهم بدليل شبهتهم قوله هذا ذكر من معي العامة على اضافة ذكر الى من اضاف المصدر الى مفعوله كقوله تعالى بسوال نعجتك وقرئ ذكر بالتنوين فيهما ومن مفتوحة الميم نون المصدر ونصب به المفعول كقوله تعالى او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما وقرا يحيى بن يعمر ذكر بتنوينهما ومن بكسر الميم فيهما وبيان احدهما ان ثم موصوفا محذوفا

قامت صفته وهي الظرف مقامه والتقدير هذا ذكر من كتاب معي ومن كتاب قبلي والثاني ان معي بمعنى عندي ودخول من على مع في الجملة نادر لانها ظرف لا تنصرف وقد ضعف ابو حاتم هذه القراة ولم ير لدخول من على مع وجها ووجهه بعضهم بانه اسم هو ظرف نحو قبل وبعد فكما تدخل من على اخواته كذلك تدخل عليه وقرا طلحة ذكرٌ معي وذكرٌ قبلي بتنوينهما دون من فيهما وقرات طايفة ذكرُ من بالاضافة لمن كالعامة وذكرٌ من قبلي بتنوينه وكسر ميم من ووجهها واضح مما تقدم **فصل** قال ابن عباس هذا ذكر من معي اي هذا هو الكتاب المنزل على من معي وهذا ذكر من قبلي اي الكتاب الذي نزل على من تقدمني من الانبيا وهذه التورية والانجيل والزبور والصحف وليس في شي منها اني اذنت بان تتخذوا الها من دوني بل ليس فيها الا اني انا الله لا اله الا انا كما قال بعد هذا وما ارسلنا من قبلك من رسول الا يوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون وهذا اختيار القفال والزجاج وقال سعيد بن جبير وقتادة ومقاتل والسدي معناه القران ذكر من معي بما هو خير من معي على ديني ومن يتبعني الى يوم القيامة بما لهم من الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية وذكر خبر من قبلي من الامم السالفة ما فعل بهم في الدنيا وما يفعل بهم في الاخرة وقال القفال المعنى قل لهم هذا الكتاب الذي جيتكم به قد اشتمل على احوال من معي من المخالفين والموافقين وعلى بيان احوال من قبلي من المخالفين والموافقين فاختاروا لانفسكم فكان الغرض منه التهديد ثم قال بل اكثرهم لا يعلمون الحق لما طالبهم بالدلالة على ما ادعوه وبين انه لا دليل لهم البتة لا من جهة العقل ولا من جهة السمع ذكر بعده ان وقوعهم في هذا المذهب الباطل ليس لاجل دليل ساقهم اليه بل لان عندهم اصل الشر والفساد وهو عدم العلم والاعراض عن استماع الحق والعامة على نصب الحق وفيه وجهان اظهرهما انه مفعول به بالفعل قبله والثاني انه مصدر موكد قال الزمخشري ويجوز ان يكون المنصوب ايضا على التوكيد لمضمون الجملة السابقة كما تقول هذا عبد الله الحق لا الباطل فاكد انتفا العلم وقرا الحسن وابن محيصن وحميد برفع الحق وفيه وجهان احدهما انه مبتدا والخبر مضمر والثاني انه خبر لمبتدا مضمر قال الزمخشري وقري الحق بالرفع على توسط التوكيد بين السبب والمسبب والمعنى ان اعراضهم بسبب الجهل هو الحق لا الباطل **قوله تعالى** وما ارسلنا من قبلك من رسول الاية اعلم ان هذه الاية مقررة لما سبقها من ايات التوحيد وقرا حمزة والكسائي وحفص عن عاصم نوحي بالنون وكسر الحا على التعظيم لقوله ارسلنا وقرا الاخرون بالياء وفتح الحا على الفعل المجهول **قوله** وقالوا اتخذ الرحمن ولدا الاية لما بين بالدلايل القاهرة كونه منزها عن الشريك والضد والند اردف ذلك ببراته عن اتخاذ الولد قال المفسرون نزلت في خزاعة حيث قالوا الملايكة بنات الله وقالوا انه تعالى صاهر الجن على ما حكى الله تعالى عنهم فقال وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ثم انه تعالى نزه نفسه عن ذلك بقوله سبحانه لان الولد لا بد وان يكون شبيها بالوالد فلو كان لله ما يشبهه من بعض الوجوه فلا بد وان يخالفه من وجه اخر وما به المشاركة غير ما به الممايزة فيلزم التركيب في ذات الله تعالى وكل مركب ممكن فاتخاذه للولد يدل على كونه ممكنا غير واجب وذلك يخرجه عن حد الالهية ويدخله في حد العبودية فلذلك نزه نفسه **قوله** بل عباد خبر مبتدا مضمر اي هم عباد ومكرمون نعت قراة العامة مخفف وقراة عكرمة مشددا ولا يسبقونه جملة في محل رفع صفة لعباد والعامة على كسر الباء في يسبقونه وقرى بضمها وخرجت على انه مضارع سبقه اي غلبه في السبق يقال سابقته فسبقته يسبقه اي غلبه في السبق ومضارع فعل في المغالبة مضموم العين مطلقا الا في بابي العين واللام والمراد لا يسبقونه بقوله تعوض من الالف واللام عن الضمة عند الكوفيين والضمير محذوف عند البصريين اي بالقول منه **فصل** لما نزه تعالى نفسه عن الولد اخبر عنهم بانهم عباد والعبودية تنافي الولادة الا انهم مكرمون مفضلون على ساير العباد لا يسبق قولهم قوله واذا كان قولهم تابعا لقوله فعملهم ايضا مبني على عمله لا يعملون عملا

مالم يومروا به ثم انه تعالى ذكر ما يجري مجرى السبب لهذه الطاعة فقال يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم والمعنى انهم لما علموا كونه سبحانه ذكر ما يجري مجرى السبب لهذه الطاعة فقال يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم اي انهم لما علموا كونه سبحانه عالما بجميع المعلومات علموا كونه عالما بظواهرهم وبواطنهم فكان ذلك داعيا لهم الى نهاية الخضوع وكمال العبودية قال ابن عباس يعلم ما قدموا واخروا من اعمالهم وقال مقاتل يعلم ما كان قبل ان خلقهم وما كان بعد خلقهم وقيل ما بين ايديهم الاخرة وما خلفهم الدنيا وقيل بالعكس ثم قال ولا يشفعون الا لمن ارتضى اي لمن هو عند الله مرضي قاله مجاهد وقال ابن عباس لمن قال لا اله الا الله وهم من خشيته اي من خشيتهم منه فاضيف المصدر الى مفعوله مشفقون خايفون لا يامنون من مكره ونظيره قوله تعالى لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه راى جبريل عليه السلام ليلة المعراج ساقطا كالحلس من خشية الله **قوله** ومن يقل منهم اني اله من دونه قال قتادة عنى به ابليس حيث دعا الى عبادة نفسه وامر بطاعة نفسه فان احدا من الملايكة لم يقل اني اله من دون الله والاية لا تدل على انهم قالوا ذلك او ما قالوه وهذا قريب من قوله لين اشركت ليحبطن عملك **قوله** فذلك نجزيه يجوز في ذلك وجهان احدهما انه مرفوع بالابتدا وهذا اوجه حسن والثاني انه منصوب بفعل مقدر يفسره هذا الظاهر والمسيلة الاشتغال وفي هذا الوجه اضمار عامل مع الاستغنا عنه فهو مرجوح والفا وما في حيزها في موضع جزم جوابا للشرط **وكذلك** نعت لمصدر محذوف او حال من ضمير المصدر اي جزا مثل ذلك الجزا او نجزي الجزا حال كونه مثل ذلك وقرا العامة نجزي بفتح النون وابو عبد الرحمن المقري بضمها ووجهها انه من اجزا بالهمز من اجزاني كذا اي كفاني ثم خفف الهمزة فانقلبت الى اليا **فصل** احتجت المعتزلة بقوله ولا يشفعون الا لمن ارتضى على ان الشفاعة في الاخرة لا تكون لاهل الكباير لانه لا يقال في اهل الكباير ان الله يرتضيهم والجواب قول ابن عباس والضحاك ان معنى الا لمن ارتضى اي لمن قال لا اله الا الله وهذه الاية من اقوى الدلايل في اثبات الشفاعة لاهل الكباير وهو ان من قال لا اله الا الله فقد ارتضاه الله في ذلك ومتى صدق عليه انه ارتضاه في ذلك فقد صدق عليه انه ارتضاه الله لان المركب متى صدق عليه انه ارتضاه فقد صدق لا محالة كل واحد من اجزايه واذا ثبت ان الله سبحانه قد ارتضا وجب اندراجه تحت هذه الاية من اقوى الدلايل لنا على ما قرره ابن عباس **فصل** دلت الاية على ان الملايكة مكلفون لقوله وهم بامره يعملون وعلى ان الملايكة معصومون **قوله** كذلك نجزي الظالمين قال القاضي عبد الجبار وهذا يدل على ان كل ظالم يجزيه الله جهنم كما توعد الملايكة به وذلك يوجب القطع بانه تعالى لا يغفر الكباير في الاخرة واجيب بان اقصى ما فيه ان هذا العموم مشعر بالوعيد وهو معارض بعمومات الوعد والمراد بالظالمين الواضعين الالهية والعبادة في غير موضعها **قوله تعالى** اولم ير الذين كفروا الايات اعلم انه تعالى شرع الان في الدلايل الدالة على وجود الصانع وعلى كونه منزها عن الشريك وعلى التوحيد فيكون كالتوكيد لما تقدم لانها دالة على حصول الترتيب العجيب في العالم ووجود الالهين مقتضي وقوع الفساد وفيها رد على عبدة الاوثان من حيث ان الاله القادر على مثل هذه المخلوقات العظيمة كيف يجوز في العقل ان يعدل عن عبادته الى عبادة حجر لا يضر ولا ينفع فهذا وجه النظم قرا ابن كثير الم ير من غير واو والباقون بالواو ونظير حذف الواو واثباتها هاهنا ما تقدم في البقرة وال عمران في قوله قالوا اتخذ الله ولدا سارعوا الى مغفرة وقد تقدم حكمه وادخال الواو يدل على العطف على اخر تقدمه والروية هنا يجوز ان تكون قلبية وان تكون بصرية فان وما في حيزها سادة مسد مفعولين عند الجمهور على الاول ومسد واحد والثاني محذوف عند الاخفش وسادة مسد واحد فقط على الثاني **فان قيل** ان كان المراد

بالروية البصرية فمشكل لان القوم ما راوهم كذلك البتة ولقوله تعالى ما اشهدتهم خلق السموات والارض
وان كان المراد بالروية العلم فمشكل لان الاجسام قابلة للفتق والرتق في انفسها فالحكم عليها بالرتق اولا
وبالفتق ثانيا لا سبيل اليه الا بالسمع والمناظرة مع الكفار المنكرين للرسالة فكيف يجوز مثل هذا الاستدلال
فالجواب المراد من الروية العلم وما ذكروه من السوال فدفعه من وجوه احدها انا نثبت نبوة محمد
عليه السلام بسائر المعجزات ثم نستدل بقوله ثم نجعله دليلا على حصول النظام في العالم وانتفا الفساد
عنه وذلك موكد الدلالة المذكورة في التوحيد وثانيها ان نحمل الرتق والفتق على امكان الرتق والفتق
والعقل يدل عليه لان الاجسام يصح عليها الاجتماع والافتراق فاختصاصها بالاجتماع دون الافتراق
او بالعكس يستدعي مخصصا وثالثها ان اليهود والنصارى كانوا عالمين بذلك فانه جا في التورية
ان الله تعالى خلق جوهرة ثم نظر اليها بعين الهيبة فصارت ما ثم خلق السموات والارض منها وفتق بينها
وكان بين اليهود وعبدة الاوثان نوع صداقة بسبب الاشتراك في عداوة محمد صلى الله عليه
وسلم فاحتج الله عليهم بهذه الحجة على انهم يقبلون قول اليهود في ذلك قوله كانتا الضمير يعود
على السموات والارض بلفظ التثنية والمتقدم جمع وفي ذلك اوجه احدها ما ذكره الزمخشري فقال
وانما قيل كانتا دون كن لان المراد جماعة السموات وجماعة الارضين ومنه قولهم لقاحان سوداوان
اي جماعتان فعل في المضمر لثاني قال ابو البقا الضمير يعود على الجنسين الثالث قال الحوفي قال كانتا
رتقا والسموات جمع لانه اراد الصنفين قال الاسود بن يعفر ان المنية والحتوف كلاهما يوفي المخارم
يرقبان سواري لانه اراد النوعين وتبعه ابن عطية في هذا فقال وقال كانتا من حيث هما نوعان
ونحوه قول عمرو بن شييم الم يحزنك ان حبال قيس وتغلب قد تباينتا انقطاعا قال الاخفش
السموات نوع والارض نوع ومثله ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ومن ذلك اصلحنا
بين القومين ومرت بنا غنمان اسودان لان هذا القطيع غنم وذاك غنم قوله رتقا خبر ولم يثن لانه
في الاصل مصدر ثم لك ان تجعله قائما مقام المفعول كالخلق بمعنى المخلوق او تجعله على حذف مضاف
اي ذواتي رتق وهذه قراة الجمهور وقرا الحسن وزيد بن علي وابو حيوة وعيسى رتقا بفتح التا وفيه وجهان
احدهما انه مصدر ايضا ففيه الوجهان المتقدمان في الساكن التا والثاني انه فعل بمعنى مفعول
كالقبض والنفض بمعنى المقبوض والمنفوض وعلى هذا فكان ينبغي ان يطابق خبره في التثنية واجاب
الزمخشري عن ذلك فقال هو على تقدير موصوف اي كانتا شيئا رتقا وقال المفضل كانتا رتقين كقوله
وما جعلناهم جسدا لا ياكلون الطعام وحد جسدا كذلك ما نحن فيه كل واحد رتق ورجح بعضهم
المصدرية بعدم المطابقة في التثنية وقد عرف جوابه وله ان يقول الاصل عدم حذف الموصوف
فلا يصار اليه دون ضرورة والرتق الانضمام ارتتق حلقه اي انضم وامراة رتقا اي منسدة
الفرج فلم يمكن جماعها من ذلك والفتق فصل ذلك المرتتق وهو من احسن البديع هنا حيث قابل
الرتق بالفتق فصل قال ابن عباس في رواية عكرمة والحسن وقتادة وسعيد بن جبير كانتا
شيا واحدا ملتزمين ففصل الله بينهما ورفع السما الى حيث هي واقر الارض وهذا القول يوجب
ان خلق الارض مقدم على خلق السماء لانه تعالى لما فصل بينهما ترك الارض حيث هي واصعد
الاجزا السماوية قال كعب خلق الله السموات والارض ملتصقتين ثم خلق ريحا توسطها ففتقتها وقال
مجاهد والسدي كانت السموات مرتتقة طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع سموات وكذلك
الارض كانت مرتتقة طبقة واحدة فجعلها سبع ارضين وقال ابن عباس في رواية عطا واكثر
المفسرين ان السموات كانت رتقا مستوية صلبة لا تمطر والارض رتقا لا تنبت ففتق السما بالمطر
والارض بالنبات ونظيره قوله تعالى والسماء ذات الرجع والارض ذات الصدع ورجحوا هذا الوجه
بقوله بعد ذلك وجعلنا من الما كل شي حي وذلك لا يليق الا وللما تعلق بما تقدم وهو ما ذكرنا

فان قيل هذا الوجه مرجوح لان المطر لا ينزل من السموات بل من سما واحدة وهي سماء
الدنيا فالجواب انما اطلق عليه لفظ الجمع لان كل قطعة منها سما كما يقال ثوب اخلاق وبرمة اعشار
وعلى هذا التاويل فتحمل الروية على الابصار وقال ابو مسلم يجوز ان يراد بالفتق الايجاد والاظهار كقوله
فاطر السموات والارض وكقوله بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن فاخبر عن الايجاد
بلفظ الفتق وعن الحال قبل الايجاد بلفظ الرتق وتحقيقه ان العدم نفي محض فليس فيه ذوات
واعيان متباينة بل كانه امر واحد متصل متشابه فاذا وجدت الحقايق فعند الوجود والتكوين
تتميز بعضها من بعض وينفصل بعضها عن بعض فهذا الطريق حسن جعل الرتق مجازا عن العدم والفتق
عن الوجود وقيل ان الليل سابق النهار لقوله واية لهم الليل نسلخ منه النهار فكانت السموات والارض
مظلمة اولا ففتقها الله باظهار النهار والمبصر واعلم ان دلالة هذه الوجوه على اثبات الصانع ووحدانيته
ظاهرة لان احدا لا يقدر على مثل ذلك قوله وجعلنا من الما كل شي حي يجوز في جعل هذه
ان تكون بمعنى خلق فيتعدى لواحد وهو كل شي ومن الما متعلق بالفعل قبله ويجوز ان يتعلق بمحذوف
على انه حال من كل شي لانه في الاصل يجوز ان يكون وصفا له فلما قدم عليه نصب على الحال ومعنى
خلقه من الما احد شيين اما لشدة احتياج كل حيوان للما فلا يعيش بدونه واما لانه مخلوق من النطفة
التي تسمى ما ويجوز ان يكون جعل بمعنى صير فيتعدى لاثنين ثانيهما الجار بمعنى انا صيرنا كل شي حي بسبب
من الما فلا بد له منه والعامة على خفض حي صفة لشي وقرا حميد بنصبه على انه مفعول ثان لجعلنا
والظرف لغو ويبعد على هذه القراة ان يكون جعل بمعنى خلق وان ينتصب حيا على الحال قال الزمخشري
ومن في هذا نحو من في قوله عليه السلام ما انا من دد ولا الدد مني فان قيل كيف قال
خلقنا من الما كل حيوان وقد قال والجان خلقناه من قبل من نار السموم وقال عليه السلام ان الله
تعالى خلق الملايكة من النور وقال في عيسى اذ تخلق من الطين كهيئة الطير فتنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله
وقال في حق ادم خلقه من تراب فالجواب ان اللفظ وان كان عاما الا ان القرينة المخصصة قايمة
فان الدليل لا بد وان يكون مشاهدا محسوسا ليكون اقرب الى المقصود وبهذا الطريق تخرج عنه
الملايكة والجن وادم وقصة عيسى لان الكفار لم يروا شيا من ذلك فصل قال بعض المفسرين
المراد بقوله كل شي حي الحيوان فقط وقال اخرون بل يدخل فيه النبات لانه من الما صار ناميا وصار
فيه الرطوبة والخضرة والنور والثمر وهذا القول اليق بالمقصود لان المعنى كانه قال ففتقنا السما لانزال
المطر وجعلنا منه كل شي في الارض من النبات وغيره حيا فان قيل النبات لا يسمى حيا فالجواب
لا نسلم ويدل عليه قوله تعالى كيف يحيي الارض بعد موتها ثم قال افلا يومنون والمعنى افلا
يومنون بان يتدبروا هذه الادلة فيعملوا بها ويتركوا طريقة الشرك قوله وجعلنا في الارض
رواسي الرواسي الجبال والراسي هو الداخل في الارض قوله ان تميد مفعول من اجله اي لا تميد فحذفت
لا لفهم المعنى كما زيدت في لئلا يعلم اهل الكتاب او كراهة ان تميد وقدره ابو البقا فقال مخافة
ان تميد وفيه نظر لانا ان جعلنا المخافة مسندة الى المخاطبين اختل شرط من شروط النصب في المفعول
له وهو الفاعل وان جعلناها مسندة لفاعل الجعل استحال ذلك لانه تعالى لا يسند اليه الخوف وقد
يقال نختار ان يسند المخافة الى المخاطبين وقولكم يختل شرط من شروط النصب جوابه انه ليس منصوب
بل مجرور بحرف العلة المقدر وحذف حرف الجر مطرد مع ان وان بشرطه فصل قال
ابن عباس ان الارض بسطت على الما فكانت تكفا باهلها كما تكفا السفينة فارساها الله بالجبال
الثقال قوله وجعلنا فيها فجاجا سبلا في فجاجا وجهان احدهما انه مفعول به وسبلا بدل منه
والثاني انه منصوب على الحال من سبلا لانه في الاصل صفة له كما تقدم انتصب حالا كقوله
لمية موحشا طلل يلوح كانه خلل وبدل على ذلك مجيه صفة في قوله تعالى لتسلكوا منها سبلا فجاجا

وقال الزمخشري فان قلت في الفجاج معنى الوصف فما لها قدمت على السبل ولم توخر كقوله تعالى لتسلكوا
منها سبلا فجاجا قلت لم تقدم وهي صفة ولكن جعلت حالا كقوله لعزه موحشا طلل قديم فان قلت
ما الفرق بينهما من جهة المعنى قلت احدهما اعلام بانه جعل فيها طرقا واسعة والثاني انه حين خلقها
خلقها على تلك الصفة فهو بيان لما ابهم ثمه قال ابو حيان يعني بالابهام ان الوصف لا يلزم
ان يكون الموصوف متصفا به حالة الاخبار عنه وان كان الاكثر قيامه به حالة الاخبار عنه الاترى
انه يقال مررت بوحشي القاتل حمزة وحالة المرور لم يكن قائما به قتل حمزة **والفج** الطريق الواسع والجمع
الفجاج والضمير في فيها يجوز ان يعود على الارض وهو الظاهر كقوله والله جعل لكم الارض بساطا
لتسلكوا منها سبلا فجاجا وان يعود على الرواسي يعني انه جعل في الجبال طرقا واسعة وهذا قول مقاتل
والضحاك ورواية عطا عن ابن عباس وعن ابن عمر قال كانت الجبال منضمة فلما اغرق الله قوم نوح فرقها
فجاجا وقوله لعلهم يهتدون اي لكي يهتدون اذ الشك لا يجوز على الله والمعنى ليهتدوا الى البلاد وقيل
ليهتدوا الى وحدانية الله بالاستدلال قالت المعتزلة وهذا يدل على انه تعالى اراد من جميع المكلفين
الاهتدا وقد تقدم وقيل الاهتدا الى البلاد والاهتدا الى وحدانية الله تعالى يشتركان في اصل الاهتدا
فيحمل اللفظ على ذلك المشترك استعمالا في مفهوميه معا **قوله** وجعلنا السما سقفا محفوظا سميت سقفا
لانها كالسقف للبيت ومعنى محفوظا اي محفوظ من الوقوع كقوله ويمسك السما ان تقع وقيل محفوظا من
الشياطين **قوله** وهم عن اياتها معرضون وقرا مجاهد وحميد عن ايتها بلفظ الافراد جعل الخلق اية وهي مشتملة على ايات
جعلها حالا معتدية وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر
اوالخلق الواحد واراد به الجنس والمعنى ان الكفار معرضون عما خلق في السما من الشمس والقمر والاستيضا
بنورهما والنجوم والاهتدا بها وحياة الارض بامطارها وعن كونها ايه بينة على وجود الصانع ووحدانيته
لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها **قوله** وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك
يسبحون اي كل منهما من الشمس والقمر او منها اي من الليل والنهار والشمس والقمر ويسبحون يجوز ان يكون خبر
كل على المعنى وفي فلك متعلق به ويجوز ان يكون حالا والخبر في فلك وكون المضاف اليه يجوز ان يقدر
بالاربعة الاشيا المذكورة ذكره ابو البقا ولم يذكر غيره الا ان المضاف اليه الشمس والقمر وهو
الظاهر لان السباحة من صفتهما دون الليل والنهار وعلى هذا فيعتذر عن الاتيان بضمير الجمع
وعن كونه جمع من يعقل اما الاول فقيل انما جمع لان ثم معطوفا محذوفا تقديره والنجوم كما دلت
عليه ايات اخر وصارت النجوم وان لم تكن مذكورة يعود هذا الضمير اليها وقال الزمخشري الضمير
للشمس والقمر والمراد بهما جنس الطوالع كل يوم وليلة جعلوها متكاثرة لتكاثر مطالعها وهو السبب
في جمعها بالشموس والاقمار انتهى والذي حسن ذلك كونه راس اية وقال ابو البقا ويسبحون كل خبر
كل على المعنى لان كل واحد اذا سبح فكلها يسبح قيل يسبحون على هذا الوجه حال والخبر في فلك وقيل
التقدير كلها والخبر يسبحون واتى بضمير الجمع على معنى كل وفي هذا الكلام نظر من حيث انه لما جوز
ان يكون المضاف اليه شيئين جعل الخبر الجار ويسبحون حالا فرارا من عدم مطابقة الخبر للمبتدا فوقع
في تخالف الحال وصاحبها واما الثاني فلانه لما اسند اليها السباحة التي هي من افعال العقلا
جمعها جمع العقلا كقوله رايتهم لي ساجدين واتينا طايعين قال الزمخشري والتنوين في كل عوض
عن المضاف اليه اي كلهم في فلك يسبحون وهذه الجملة يجوز ان يكون لا محل لها من الاعراب لاستينافها
ويجوز ان يكون محلها النصب على الحال من الشمس والقمر فان قلنا ان السباحة تنسب الى الليل والنهار
كما نقل عن ابي البقا في احد الوجهين فيكون حالا من الجميع وان كان لا يصح نسبتها اليهما كانت حالا
من الشمس والقمر وقيل الجمع قد تقدم قال ابو حيان او محلها النصب على الحال من الشمس والقمر لان
الليل والنهار لا يتصفان بانهما يجريان في فلك فهو كقولك رايت هندا وزيدا متبرجة انتهى

وسبقه الى هذا الزمخشري يعني انه قد دل دليل على ان الحال من بعض ما تقدم كما في المثال
المذكور وقال الزمخشري فان قلت لكل واحد من القمرين فلك على حدة فكيف قال في فلك يسبحون
قلت هذا كقولهم كساهم الامير حلة وقلدهم سيفا اي كل واحد منهم والسباحة العوم في الما وقد
يعبر به عن مطلق الذهاب وقد تقدم اشتقاقه في سبحانك ومعنى يسبحون يسيرون بسرعة كالسابح
في الما **فصل** اعلم ان للكواكب حركتين الاولى مجمع عليها وهي حركتها من المشرق الى المغرب
والحركة الثانية قالت الفلاسفة واصحاب الهيئة ان للكواكب حركة اخرى من المغرب الى
المشرق قالوا وهي ظاهرة في السبعة السيارة خفية في الثابتة واستدلوا بانا وجدنا الكواكب
السيارة كل ما كان منها اسرع حركة اذا فارق ما هو ابطا حركة منه تقدمه نحو المشرق وهذا
في القمر ظاهر جدا فانه يظهر بعد الاجتماع بيوم او يومين من ناحية المغرب على بعد من الشمس
ثم يزداد كل ليلة بعدا منها الى ان يقابلها وكل كوكب كان شرقيا منه على طريقه على ممر البروج
يزداد كل ليلة قربا منه ثم اذا ادركه ستره بطرفه الشرقي وينكشف ذلك الكوكب بطرفه
الغربي فعلمنا ان لهذه الكواكب السيارة حركة من المغرب الى المشرق واجيبوا بان ذلك محال لان
الشمس مثلا اذا كانت متحركة بذاتها من المغرب الى المشرق حركة بطيئة وهي متحركة بسبب الحركة
اليومية من المشرق الى المغرب لزم كون الجرم الواحد متحركا حركتين الى جهتين مختلفتين دفعة واحدة
وذلك محال لان التحرك الى جهة يقتضي حصول المتحرك في الجهة المنتقل اليها فلو تحرك الجسم الواحد
دفعة واحدة الى جهتين لزم حصوله دفعة واحدة في مكانين وهو محال قالوا ما ذكرتموه ينتقض بما
اذا دارت الرحا الى جانب والنملة التي يكون عليها متحركة الى خلاف ذلك الجانب والكلام في هذه
المسالة مكان غير هذا **فصل** والفلك مدار النجوم والفلك في كلام العرب كل مستدير
وجمعه افلاك ومنه فلكة المغزل قال الضحاك الفلك ليس بجسم وانما هو مدار هذه النجوم وقال
الكلبي الفلك استدارة السما وقال بعضهم الفلك موج مكفوف تجري الشمس والقمر والنجوم فيه
مما يجموع تجري فيه الكواكب واحتجوا بان السباحة لا تكون الا في الما واجيبوا بالمنع فانه يقال
في الفرس الذي يمد يديه في الجري سابح وقال الحسن الفلك طاحونة كهيئة المغزل وقال جمهور
الفلاسفة واصحاب الهيئة الافلاك اجرام صلبة لا ثقيلة ولا خفيفة غير قابلة للخرق والالتيام
والنمو والذبول واختلف الناس في حركات الكواكب فقال بعضهم الفلك ساكن والكواكب
تتحرك فيه كحركة السمكة في الما وقال اخرون الفلك متحرك والكواكب تتحرك فيه ايضا اما
مخالفة الجهة حركته او موافقة لجهته اما بحركة مساوية لحركة الفلك في السرعة والبطو او مخالفة
وقيل الفلك متحرك والكوكب مغروز فيه اما الاول فقالت الفلاسفة انه باطل لانه يوجب
خرق الفلك وهو محال واما الثاني فحركة الكواكب ان كانت مخالفة لحركة الفلك فذلك
ايضا يوجب الخرق وان كانت حركتها الى جهة حركة الفلك فان كانت مخالفة لها في السرعة
والبطو لزم الانخراق وان استويا في الجهة والسرعة والبطو فالخرق ايضا لازم لان الكوكب تحرك
بالعرض بسبب حركة الفلك فيبقى حركته الذاتية زايدة فيلزم الخرق فلم يبق الا القسم الثالث
وهو ان يكون الكوكب مغروزا في الفلك والفلك يتحرك فيتحرك الكوكب بسبب حركة الفلك
واعلم ان مدار هذا الكلام على ان امتناع الخرق على الافلاك باطل بل الحق ان الاقسام الثلاثة
ممكنة والله تعالى قادر على كل الممكنات والذي دل عليه لفظ القران ان الافلاك ثابتة والكواكب
جارية فيها كما تسبح السمكة في الما **فصل** احتج ابن سينا على كون الكواكب احيا ناطقة
بقوله يسبحون قال والجمع بالواو والنون لا يكون الا للعقلا وبقوله تعالى والشمس والقمر رايتهم
لي ساجدين والجواب انما اتى بضمير العقلا للوصف بفعلهم وهو السباحة **قوله تعالى**

وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد الاية لما استدل بالاشيا المذكورة وهي من اصول النعم الدنيوية اتبعه
بما يدل على ان هذه الدنيا امرها كذلك لا يبقي ولا يدوم وانما خلقها سبحانه وتعالى للابتلا والامتحان
وليتوصل بها الى دار الخلود نقال وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد قال مقاتل ان ناسا كانوا يقولون
ان محمدا لا يموت فنزلت هذه الاية وقيل كانوا يقدرون انه سيموت فيشمتون به في قولهم نتربص
بمحمد ريب المنون فنفى الله عنه الشماتة بهذه الاية فقال افان مت فهم الخالدون اي قضي الله ان
لا يخلد في الدنيا بشرا الا انت ولا هم وفي هذا المعنى قول القايل
فقل للشامتين بنا افيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا ۝ وقيل يحتمل انه لما اظهر انه عليه السلام خاتم
الانبيا وجاز ان يقدر مقدر انه لا يموت اذ لو مات لتغير شرعه فنبه الله تعالى على ان حاله كحال
غيره من الانبيا عليهم السلام في الموت **قوله** افان مت تقدم نظيره في ال عمران عند قوله افان
مات او قتل وفي هذه الاية دليل لمذهب سيبويه وهو انه اذا اجتمع شرط وقسم اجيب الشرط
فتكون الاية قد دخلت فيها همزة الاستفهام على جملة الشرط والجملة المقترنة بالفا جواب الشرط
وليست منصب للاستفهام وزعم يونس ان الاستفهام منصب على الجملة المقترنة بالفا وان الشرط
معترض بين الاستفهام وبينها وجوابه محذوف وليس بشي اذ لو كان كما قال لكان التركيب افان
مت هم الخالدون بغير فا وكان ابن عطية نحى منحى يونس فانه قال والف الاستفهام داخلة في المعنى
على جواب الشرط **قوله** كل نفس ذايقة الموت هذا العموم مخصوص فان له تعالى نفسا لقوله تعالى
تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك مع ان الموت لا يجوز عليه قال ابن الخطيب وكذا الجمادات لها نفوس
وهي لا تموت والعام المخصوص حجة فيبقى معمولا به فيما عدا هذه الاشيا وذلك يبطل قول الفلاسفة
في ان الارواح البشرية والعقول والنفوس الفلكية لا تموت واعلم ان الذوق هاهنا لا يمكن اجراوه
على ظاهره لان الموت ليس من جنس المطعوم حتى يذاق بل الذوق ادراك خاص فيجوز جعله مجازا عن الادراك
واما الموت فالمراد منه هنا مقدماته من الالام العظيمة لان الموت قبل دخوله في الوجود يمتنع ادراكه
وحال وجوده يصير الشخص ميتا والميت لا يدرك شيا والاضافة في ذايقة الموت في تقدير
الانفصال لانه لما يستقبل كقوله غير محلي الصيد وهديا بالغ الكعبة **قوله** ونبلوكم بالشر
والخير نبلوكم نختبركم بالشر والخير بالشدة والرخا والصحة والسقم والغنى والفقر وقيل بما تحبون
وما تكرهون لكي يشكر على المنح ويصبر على المحن فيعظم ثوابه اذا قام بما يلزم وانما سمي ذلك ابتلا
وهو عالم بما يكون من اعمال العاملين قبل وجودهم لانه في صورة الاختبار **قوله** فتنة في
نصبه ثلاثة اوجه احدها انه مفعول من اجله الثاني انه مصدر في موضع الحال اي فاتنين
الثالث انه مصدر من معنى العامل لا من لفظه لان الابتلا فتنة فكانه قيل نفتنكم فتنة ثم قال
والينا ترجعون اي الى حكمه ومحاسبته ومجازاته يبين بذلك بطلان قولهم في نفي البعث والمعاد وقرا
العامة ترجعون بتا الخطاب مبنيا للمفعول وغيرهم بيا الغيبة على الالتفات **قوله** واذا
راك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا والمعنى ما يتخذونك الا هزوا وهذا رجوع الى ذكر كفرهم
قال السدي ومقاتل نزلت في ابي جهل مر به النبي صلى الله عليه وسلم وكان ابو سفين مع ابي جهل
فقال ابو جهل لابي سفين هذا نبي بني عبد مناف فقال ابو سفين وما ينكروان يكون نبيا في بني عبد مناف
فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قولهما فقال لابي جهل ما اراك تنتهي حتى ينزل بك ما نزل بعمك
الوليد بن المغيرة واما انت يا ابا سفين فانما قلت ما قلته رحمة فنزلت هذه الاية **قوله**
ان يتخذونك ان هنا نافية وهي وما في حيزها جواب الشرط باذا واذا مخالفة لادوات الشرط
في ذلك فان ادوات الشرط متى اجيبت بان النافية او بما النافية وجب الاتيان بالفا تقول
ان اتيتني فان اهينك اي فما اهينك وتقول اذا اتيتني ما اهينك بغير فا بدل له قوله تعالى

امد

واذا

واذا تتلى عليهم اياتنا بينات ما كان حجتهم الا ان قالوا واتخذ هنا متعد لاثنين وهزوا هو الثاني
اما على حذف مضاف واما على الوصف بالمصدر مبالغة واما على وقوعه موقع اسم المفعول وفي
جواب اذا قولان احدهما انه ان النافية وقد تقدم والثاني انه محذوف وهو القول الذي يحكي
به الجملة الاستفهامية في قوله اهذا الذي يذكر الهتكم اذ التقدير واذا راك الذين كفروا يقولون
اهذا الذي ويكون الجملة المنفية معترضة بين الشرط وبين جوابه المقدر **قوله** وهم بذكر
الرحمن هم كافرون هم الاولى مبتدا خبره كافرون وبذكر متعلق بالخبر والتقدير وهم كافرون
بذكر وهم الثاني تاكيد للاول تاكيدا لفظيا فوقع الفصل بين العامل ومعموله بالموكد وبين الموكد
والموكد بالمعمول وفي هذه الجملة قولان احدهما انها في محل نصب على الحال من فاعل يتخذونك واليه
نحى الزمخشري القول المقدر اي يقولون ذلك وهم على هذه الحالة والثاني انها حال من فاعل
يتخذونك واليه نحى الزمخشري فانه قال والجملة في موضع الحال اي يتخذونك هزوا وهم على حال
هي اصل الهزء والسخرية وهي الكفر بالله **فصل** والمعنى انهم يعيبون عليه كونه يذكر الهتهم
التي لا تضر ولا تنفع بالسو مع انهم يذكر المنعم عليهم الخالق المحيي المميت كافرون ولا فعل اقبح من ذلك
فيكون الهزء واللعن والذم عليهم من حيث لا يشعرون يقال فلان يذكر فلانا اي يعيبه وفلان
يذكر الله اي يعظمه ويحتمل ان يراد بذكر الرحمن القران ومعنى اعادة هم ان الاولى اشارة الى القوم
الذين كانوا يفعلون ذلك الفعل والثانية ابانة لاختصاصهم به وايضا فان اعادتها تاكيدا وتعظيما
لفعلهم **قوله تعالى** خلق الانسان من عجل الاية في المراد بالانسان قولان احدهما انه النوع
وذلك انهم كانوا يستعجلون العذاب ويقولون متى هذا الوعد والمعنى ان بنيته من العجلة وعليها طبع
كما قال وكان الانسان عجولا فان قيل مقدمة الكلام لا بد وان يكون مناسبة للكلام وكون الانسان
مخلوقا من العجل يناسب كونه معذورا فيه فلم رتب على هذه المقدمة قوله فلا تستعجلون فالجواب
انه تعالى نبه بهذا على ان ترك الاستعجال حالة مرغوب فيها القول الثاني ان المراد بالانسان شخص
معين فقال ابن عباس في رواية عطا نزلت الاية في النضر بن الحرث وقال مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمه
والسدي والكلبي ومقاتل والضحاك المراد ادم عليه السلام روى ابن جريج وليث بن ابي سليم قال
خلق الله ادم بعد كل شي من اخر نهار يوم الجمعة فلما دخل الروح راسه ولم تبلغ اسفله نظر الى ثمار
الجنة فلما دخل الروح جوفه اشتهى الطعام فوثب قبل ان تبلغ الروح الى رجليه عجلان الى ثمار الجنة
فوقع فقيل خلق الانسان من عجل والقول الاول اولى لان الغرض ذم القوم وذلك لا يحصل الا اذا حملنا
لفظ الانسان على النوع **قوله** من عجل فيه قولان احدهما انه من باب القلب والاصل خلق العجل من
الانسان لشدة صدوره منه وملازمته له والى هذا ذهب ابو عمرو ويؤيده قراءة عبد الله خلق العجل
من الانسان والقلب موجود في كلامهم قال الشاعر ۝ حسرت كفي عن السربال اخذه ۝ يريد حسرت السربال
عن كفي ۝ ومثله في الكلام اذا طلعت الشعرى استوى العود على الحربا ۝ وقالوا عرضت الناقة على الحوض
وتقدم منه امثلة الا ان بعضهم تخصه بالضرورة وتقدم فيه ثلاثة مذاهب والثاني
انه لا قلب فيه وفيه تاويلات احسنها ان ذلك على المبالغة جعل ذات الانسان كانها خلقت
من نفس العجلة دلالة على شدة اتصاف الانسان بها وانها مادته التي اخذ منها كما قيل للرجل
الذي هو حاد نار تشتعل والعرب قد تسمي المرء بما يكثر منه فيقول ما انت الا اكل ونوم وما
هو الا اقبال وادبار قال الشاعر ۝ ترتع اذا نسيت حتى اذا ذكرت فانما هي اقبال وادبار
ويتاكد هذا بقوله خلق الانسان عجولا قال المبرد خلق الانسان من عجل اي من شانه العجلة
كقوله خلقكم من ضعف اي ضعفا ومثله في المبالغة من جانب النفي قوله عليه السلام لست
من الدد ولا الدد مني والدد اللعب وفيه لغات دد محذوف اللام وددا مقصورا كعصا

الرحمن

ودذن بالنون والعقه في احدي لغاته مجهوله الاصل لا ندري اهي عن ياء او واو وقيل خلق الانسان
من عجل اي بسرعة وتعجيل غير ترتيب خلق ساير الادميين من النطفة ثم العلقة ثم المضغة ثم العظام
ثم انشاه خلقا اخر وقال ابو عبيدة العجل الطين بلغة حمير قال شاعرهم •
والنبع في الصخرة الصما منبته • والنخل ينبت بين الما والعجل • قال الزمخشري بعد انشاده هذا
البيت والله اعلم بصحته قال شهاب الدين وهو معذور وهذا الجار يحتمل تعلقه بخلق على المجاز او
الحقيقة المتقدمين وان يتعلق بمحذوف على انه حال كانه قال خلق الانسان عجلا قاله ابو البقا وقرا
العامة خلق مبنيا للمفعول الانسان مرفوعا لقيامه مقام الفاعل وقرا مجاهد وحميد وابن مقسم
خلق مبنيا للفاعل الانسان نصبا مفعولا به **فان قيل** القوم استعجلوا الوعيد على وجه التكذيب
ومن هذا حاله لا يكون مستعجلا على الحقيقة فالجواب ان استعجالهم بما توعدهم من عقاب الاخرة
او هلاك الدنيا يتضمن استعجال الموت وهم عالمون بذلك فكانوا مستعجلين حقيقة **قوله** سأريكم
اياتي مواعيدي قيل هي الهلاك المعجل في الدنيا والاخرة ولذلك قال فلا تستعجلون اي انه سيأتي
لا محالة في وقته فلا تطلبوا العذاب قبل وقته فأراهم يوم بدر وقيل كانوا يستعجلون القيمة وقيل
الايات ادلة التوحيد وصدق الرسول وقيل الايات اثار القرون الماضية بالشام واليمن **قوله**
ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين هذا هو الاستعجال المذموم المذكور على سبيل الاستهزا
وهو كقوله ويستعجلونك بالعذاب ولولا اجل مسمى لجاءهم العذاب فبين تعالى انهم يقولون ذلك لجهلهم
وغفلتهم **قوله** متى هذا متى خبر مقدم فهي في محل رفع وزعم بعض الكوفيين انها في محل نصب على
الظرف والعامل فيها فعل مقدر اي متى يأتي هذا والتقدير متى يجي هذا الوعد او متى يأتي ونحوه والاول
اشهر **قوله** لو يعلم جوابها مقدر لانه ابلغ في الوعيد فقدره الزمخشري لما كانوا بتلك الصفة
من الكفر والاستهزا والاستعجال ولكن جهلهم هو الذي هونه عندهم وقدره ابن عطيه لما استعجلوا
وقدره الحوفي لسارعوا وقدره غيرهم لعلموا صحة البعث وقال البغوي لما اقاموا على كفرهم ولما استعجلوا
بقولهم متى هذا الوعد **وحين** مفعول به لعلموا وليس منصوبا على الظرف اي لو يعلمون وقت عدم
كف النار وقال الزمخشري ويجوز ان يكون يعلم متروكا بلا تعديه بمعنى لو كان معهم علم ولم يكونوا جاهلين
لما كانوا مستعجلين وحين منصوب بمضمر اي حين لا يكفون عن وجوههم النار يعلمون انهم كانوا على الباطل
وعلى هذا الحين منصوب على الظرف لانه جعل مفعول العلم انهم كانوا وقال ابو حيان والظاهر ان مفعول
يعلم محذوف لدلالة ما قبله اي لو يعلم الذين كفروا مجي الموعود الذي سألوا عنه واستبطوه وحين
منصوب بالمفعول الذي هو مجي ويجوز ان يكون من باب الاعمال على حذف مضاف واعمل الثاني والمعنى
لو يعلمون مباشرة النار حين لا يكفونها عن وجوههم **فصل** ثم انه تعالى ذكر في دفع هذا
الحزن عن قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهين الاول انه بين ما لصاحب هذا الاستهزا من
العقاب الشديد فقال لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم
ينصرون اي لو يعلمون الوقت الذي يسألون عنه بقولهم متى هذا الوعد وهو وقت صعب شديد
تحيط بهم فيه النار من قدام ومن خلف فلا يقدرون على دفعها عن انفسهم ولا يجدون ناصرا ينصرهم
كقوله فمن ينصرنا من باس الله ان جانا وانما خص الوجوه والظهور لان مس العذاب لها اعظم موقعا قال
بعضهم ولا عن ظهورهم السياط **قوله** بغتة نصب على الحال اي مباغتة والضمير في تاتيهم يعود
على النار وقيل على الحين لانه في معنى الساعة وقيل على الساعة التي يصيرهم فيها الى العذاب وقيل
على الوعد لانه في معنى النار التي وعدوها قاله الزمخشري وفيه تكلف وقرا الاعمش بل ياتيهم بيا الغيبة
بغتة بفتح الغين فيبهتهم باليا ايضا فاما اليا فاعاد الضمير على الحين او على الوعد وقيل على النار
وانما ذكر ضميرها لانها في معنى العذاب ثم راعى لفظ النار فانث في قوله ردها وقوله بل تاتيهم

اضراب انتقال وقال ابن عطيه بل استدراك مقدر قبله نفي تقديره ان الايات لا تاتي على حسب
اقتراحهم وفيه نظر لانه يصير التقدير لا تاتيهم الايات على حسب اقتراحهم بل تاتيهم بغتة فيكون
الظاهر ان الايات تاتي بغتة وليس ذلك مرادا قطعا وان اراد ان يكون التقدير بل تاتيهم الساعة
او النار فليس مطابقا لقاعدة الاضراب **فصل** لما بين شدة هذا العقاب بين ان وقت
مجيه غير معلوم لهم بل تاتيهم بغتة وهم غير محتسبين ولا مستعدين فتبهتهم اي تدهشهم حيارى
واقفين لا يستطيعون حيلة في ردها ولا هم ينظرون اي لا يمهلون لتوبة او معذرة وانما لم يعلم
المكلفين وقت الموت والقيامة لما فيه من المصلحة لان المرء مع كتمان ذلك اشد حذرا واقرب الى
التلافي ثم ذكر الوجه الثاني في دفع الحزن عن قلب الرسول عليه السلام فقال ولقد استهزى
برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون اي عقوبة استهزائهم وحاق وحق
بمعنى نزل وزال والمعنى فكذلك يحيق بهؤلا وبال استهزائهم **قوله تعالى** قل من يكلؤكم
الاية لما بين ان الكفار في الاخرة لا يكفون عن وجوههم النار وبما وصفه به اتبعه بانهم في
الدنيا ايضا لولا ان الله تعالى يحرسهم ويحفظهم لما بقوا في السلامة فقال لرسوله قل لهؤلا الكفار
الذين يستهزءون ويغترون بما هم عليه من يكلؤكم بالليل والنهار وهذا كقول الرجل لمن حصل
في قبضته ولا مخلص له منه من ينصرك مني وهل لك مخلص والكلاءة الحفظ اي يحفظكم بالليل والنهار
من الرحمن ان نزل بكم عذابه يقال كلاه الله يكلؤه كلاءة بالكسر كذا ضبطه الجوهري فهو كالي بالهمز
قال ابن هرمه • ان سليمى والله يكلؤها • ضنت بشي ما كان يرزؤها • واكتلات منه احترست
ومنه سمي النبات كلا لان به تقوم بنية البهايم وتحرس ويقال بلغ الله بك اكلا العمر والمكلا موضع
تحفظ فيه السفن وفي الحديث نهي عن بيع الكالي بالكالي اي بيع الدين بالدين كان كلا من رب
الدينين يكلا الاخر اي يراقبه وقال ابن عباس المعنى من يمنعكم من عذاب الرحمن وقرا الزهري
وابن القعقاع يكلوكم بضمة خفيفة دون همز وحكى الكسائي والفرا يكلوكم بفتح اللام وسكون
الواو وقال شهاب الدين ولم اعرفها قراة وهو قريب من لغة من يخفف اكلت الكلا على الكلو
وقفا الا انه اجري الوصل مجري الوقف **قوله** من الرحمن متعلق بيكلؤكم على حذف مضاف اي من
امر الرحمن اي من باسه كقوله يحفظونه من امر الله وبالليل بمعنى في الليل وانما ذكر الليل والنهار لان
لكل واحد من الوقتين افات تختص به والمعنى من يحفظكم بالليل اذا نمتم وبالنهار اذا تصرفتم في معايشكم
وخص هنا اسم الرحمن بالذكر تلقينا للجواب حتى يقول العاقل انت الكالي يا الهنا لكل الخلايق برحمتك
كما في قوله ما غرك بربك الكريم خص اسم الكريم تلقينا **قوله** بل هم اضراب عما تضمنه الكلام الاول
من النفي اذ التقدير ليس لهم كالي ولا مانع غير الرحمن والمراد بذكر ربهم القران ومواعظ الله فهم
لا يتاملون في شي منها ليعرفوا انه لا كالي لهم سواه ويتركوا عبادة الاصنام التي لا تحفظهم ولا تنعم
عليهم **قوله** ام لهم الهة ام منقطعة اي بل الهم الهة فالميم صلة والمعنى الهم الهة تمنعهم وقد
تقدم ما فيها وقوله من دوننا فيه وجهان احدهما انه متعلق بتمنعهم قيل والمعنى الهم الهة تجعلهم
في منعة وعز والى هذا ذهب الحوفي والثاني انه متعلق بمحذوف لانه صفة لالهة اي الهة من دوننا
تمنعهم ولذلك قال ابن عباس ان في الكلام تقديما وتاخيرا ثم وصف الالهة بالضعف فقال
لا يستطيعون نصر انفسهم وهذا استيناف لا محل له ويجوز ان يكون صفة لالهة وفيه بعد من حيث
المعنى قال ابن الخطيب لا يستطيعون خبر مبتدا محذوف اي فهذه الالهة لا تستطيع حماية انفسها عن
الافات وحماية النفس اولى من حماية الغير فاذا لم تقدر على حماية انفسها فكيف تقدر على حماية
غيرها وقوله ولا هم منا يصحبون قال ابن عباس يجارون تقول العرب انا لك جار وصاحب من
فلان اي مجير منه وقال مجاهد ينصرون وقال قتادة لا يصحبون من الله بخير بل ثم نعنا هولا الكفار

الفعل ح

واباهم في الدنيا اي امهلناهم وقيل اعطيناهم النعم حتى طال عليهم العمر اي امتد بهم الزمان فاغتروا
افلا يرون انا ناتي الارض ننقصها من اطرافها اي افلا يرونها ولا المشركون بالله المستعجلون بالعذاب
انا قد زدنا في انا ننقص الارض من جوانبها ناخذ الواحد بعد الواحد من المشركين ونفتح البلاد
والقرى من حول مكة ونزيدها في ملك محمد اما كان لهم عبرة في ذلك فيومنوا برسول الله صلى الله عليه
وسلم افهم الغالبون ام نحن وهو استفهام تقريع قال ابن عباس ومقاتل والكلبي ننقصها بفتح البلدان
وروي عن ابن عباس رواية اخرى المراد نقصان اهلها وقال عكرمة تخريب القرى وموت اهلها وقيل
موت العلما وهذه الرواية ان صحت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يعدل عنها والا فالاظهر
ههنا ما يتعلق بالغلبة ولذلك قال افهم الغالبون قال القفال نزلت هذه الاية في كفار مكة فكيف يدخل
فيها العلما والفقها **قوله** قل انما انذركم بالوحي اي اخوفكم بالقران وقوله ولا يسمع قرا ابن عامر هنا
ولا تسمع بضم التا للخطاب وكسر الميم الصم الدعا منصوبين وقرا ابن كثير كذلك في النمل والروم وقرا باقي
السبعة بفتح يا الغيبة والميم الصم بالرفع الدعا بالنصب في جميع القران وقرا الحسن كقراة ابن عامر
الا انه بيا الغيبة وروي عنه ابن خالويه ولا يسمع بيا الغيبة مبنيا للمفعول الصم رفعا الدعا نصبا
وروي عن ابي عمرو بن العلا ولا يسمع بضم اليا من تحت وكسر الميم الصم نصبا الدعا رفعا فاما قراة ابن
عامر وابن كثير فالفاعل فيها ضمير المخاطب وهو الرسول عليه السلام فانتصب الصم والدعا على المفعولين
واولهما هو الفاعل المعنوي واما قراة الجماعة فالفعل مسند للصم فانتصب الدعا مفعولا به واما قراة
الحسن الاولى فاسند الفعل فيها الى ضمير الرسول صلى الله عليه وسلم وهي كقراة ابن عامر في المعنى واما قراة
الثانية فاسند الفعل فيها الى الصم قايما مقام الفاعل فانتصب الثاني وهو الدعا واما قراة ابي
عمرو فانه اسند فيها الى الدعا على سبيل الاتساع وحذف المفعول الثاني للعلم به والتقدير ولا يسمع الدعا
الصم شيا البته ولما وصل ابو البقا الى هنا قال ولا يسمع فيه قراات وجوهها ظاهرة ولم يذكرها **واذا**
في ناصبه وجهان احدهما انه يسمع والثاني انه الدعا فاعمل المصدر المعرف بال واذا اعملوه في المفعول
الصريح ففي الظرف اولى قال الزمخشري فان قلت الصم لا يسمعون دعا المبشر كما لا يسمعون دعا المنذر فكيف
قيل اذا ما ينذرون قلت اللام في الصم عايدة الى هولا المنذرين كاينة للعهد لا للجنس والاصل ولا
يسمعون اذا ما ينذرون فوضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على تصامهم وسدهم اسماعهم اذا
انذروا اي انهم على هذه الصفة من الجراة والجسارة على التصام عن الانذار والايات ثم بين تعالى ان حالهم
ستتغير الى ان يصير والحيث اذا شاهدوا اليسير مما انذروا به فعنده يسمعون ويعتذرون
ويعترفون حيث لا ينفعهم وهذا هو المراد بقوله ولين مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولن يا
ويلنا انا كنا ظالمين واصل النفح من الريح اللين قال الزمخشري في المس والنفحة ثلاث مبالغات لفظ
المس وما في النفح من معنى القلة والنزارة يقال نفحته الدابة ونفحه نفحا يسيرا والنفح الخطرة قال
ابن عباس نفحة طرف وقيل قليل وقال ابن جريج نصيب من قولهم نفح فلان لفلان من ماله
اي اعطاه حظا منه قال ابو زيد من حيث ما نفحت له اياه من يداها خليل يواصله وقيل ضربة
من قولهم نفحت الدابة برجلها اي ضربت ومن عذاب صفة لنفحة ثم بين تعالى ان جميع ما نزل بهم في
الاخرة لا يكون الا عدلا لانهم بقولهم ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين اي مشركين دعوا على انفسهم بالويل
بعد ما اقروا بالشرك **قوله** ونضع الموازين القسط قال الزجاج ذوات القسط ووضعها
احضارها وانما جمع الموازين لكثرة من يوزن اعمالهم وهو جمع تفخيم ويجوز ان يرجع الى الوزنات وفي
نصب القسط وجهان احدهما انه نعت للموازين وعلى هذا فلم افرد وعنه جوابان احدهما انه في
الاصل مصدر والمصدر يوحد مطلقا والثاني انه على حذف مضاف الوجه الثاني انه مفعول من
اجله اي لاجل القسط الا ان في هذا نظرا من حيث ان المفعول له اذا كان معرفا بال يقل تجرده

من

من حرف العلة تقول جيت للاكرام ويقل جيت الاكرام كقوله . لا اقعد الجبن عن الهيجا . ولو توالت
زمر الاعدا . وقري القصط بالصاد لاجل الطا وقد تقدم **قوله** ليوم القيمة في هذه اللام
اوجه احدها قال الزمخشري مثلها في قولك جيت لخمس خلون من الشهر ومنه بيت النابغة .
توهمت ايات لها فعرفتها . لستة اعوام وذا العام سابع . والثاني انها بمعنى في واليه ذهب ابن قتيبة
وابن مالك وهو راي الكوفيين ومنه عندهم لا يجليها لوقتها ولقول مسكين الدارمي .
اوليك قومي قد مضوا لسبيلهم . كما قد مضى من قبل عاد وتبع . وكقول الاخر .
وكل اب وابن وان عمرا معا . مقيمين مفقود لوقت وفاقد . والثالث انها على بابها من التعليل
ولكن على حذف مضاف اي لحساب يوم القيمة **وشيا** يجوز ان يكون مفعولا ثانيا وان يكون مصدرا اي
شيا من الظلم **فصل** في وضع الموازين قولان احدهما قال مجاهد هذا مثل والمراد بالموازين العدل
ويروى مثله عن قتادة والضحاك والمراد بالوزن القسط بينهم في الاعمال فمن احاطت حسناته
بسياته ثقلت موازينه اي ان حسناته تذهب سياته ومن احاطت سياته بحسناته فقد خفت
موازينه اي ذهبت سياته بحسناته حكاه ابن جرير عن ابن عباس والثاني ان الموازين توضع حقيقة
ويوزن بها الاعمال روي عن الحسن انه ميزان له كفتان ولسان وهو بيد جبريل عليه السلام يروى
ان داود عليه السلام سال ربه ان يريه الميزان فاراه كل كفة ما بين المشرق والمغرب فغشي عليه فافاق
فقال الهي من الذي يقدر ان يملا كفته حسنات فقال يا داود اني اذا رضيت عن عبد ملاتها بتمرة
وعلى هذا القول في كيفية وزن الاعمال طريقان احدهما ان يوزن صحايف الاعمال والثاني ان تجعل
في كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة وفي كفة السيات جواهر سود مظلمة **فان قيل** اهل القيمة
اما ان يكونوا عالمين بكونه تعالى عادلا غير ظالم ولا يعلمون ذلك فان علموا كان مجرد حكمه كافيا في معرفة
ان الغالب هو الحسنات او السيات فلا فايدة في وضع الميزان وان لم يعلموا ذلك لم تحصل الفايدة في وزن
الصحايف لاحتمال انه جعل احدى الصحيفتين اثقل واخف ظلما فلا فايدة في وضع الميزان على كلا
التقديرين **والجواب** قال ابن الخطيب اما على قولنا لا يسال عما يفعل وايضا ففيه ظهور حال الولي من
العدو في مجمع الخلايق فيكون لاحد القبيلين في ذلك اعظم السرور وللاخرى اعظم الغم ويكون ذلك
بمنزلة نشر الصحف وغيره واذا ثبت ذلك فالدليل على وجود الموازين الحقيقية ان حمل لفظ الميزان
على مجرد العدل مجاز وصرف اللفظ عن الحقيقة الى المجاز من غير دليل غير جايز لا سيما وقد جات الاحاديث
الكثيرة بالاسانيد الصحيحة في ذلك **قوله** وان كان مثقال حبة قرا نافع هنا وفي لقمان برفع
مثقال على ان كان تامة اي وان وجد مثقال والباقون بالنصب على انها ناقصة واسمها مضمر اي وان
كان العمل ومن خردل صفة لحبة وقرا العامة اتينا من الاتيان بقصر الهمزة اي جينا بها وفي حرف
ابي جينا وكذا قرا ابن مسعود وهو تفسير معنى لا تلاوة وقرا ابن عباس ومجاهد وسعيد وابن ابي
اسحق والعلا بن سيابة وجعفر بن محمد اتينا بمد الهمزة وفيها اوجه احدها انه فاعلنا من المواتاة
وهي المجازاة والمكافاة والمعنى جازينا بها ولذلك تعدى بالبا الثاني انها من فاعله من الاتيان بمعنى
المجازاة والمكافاة لانهم اتوه بالاعمال واتاهم بالجزا قاله الزمخشري الثالث انه افعل من الاتيان كذا
توهم بعضهم وهو غلط قال ابن عطية ولو كان اتينا اعطينا لما تعدت بحرف جر ويوهن هذه
القراة ان بدل الواو المفتوحة همزة ليس بمعروف وانما يعرف ذلك في المضمومة والمكسورة يعني انه
كان من حق هذا القاري ان يقرا واتينا مثل واطينا لانها من المواتاة على الصحيح فابدل هذا القاري
الواو المفتوحة همزة وهو قليل ومنه احد واناة وقال ابو البقا ويقرا بالمد بمعنى جازينا بها فهو يقرب
من معنى اعطينا لان الجزا اعطا وليس منقولا من اتينا لان ذلك لم ينقل عنهم وقرا حميد اثبنا من
الثواب والضمير في بها عايد على المثقال وانث ضميره لاضافته لمونث فهو كقوله .

تم م

كما شرقت صدر القناة من الدم • في اكتسابه التانيث بالاضافة **فصل** زعم الجبائي ان
من استحق مائة جزء من العقاب فاتى بطاعة يستحق بها خمسين جزءا من الثواب فهذا الاقل يحبط بالاكثر
يبقى الاكثر كما كان وهذه الاية تبطل قوله لان الله تعالى تمدح بان اليسير من الطاعة لا يسقط
ولو كان الامر كما قال الجبائي لسقطت الطاعة من غير فايدة **فان قيل** الحبة اعظم من الخردلة
فكيف قال حبة من خردل فالوجه فيه ان يفرض الخردلة كالدينار ثم تعتبر الحبة من ذلك الدينار
والغرض المبالغة في ان شيا من الاعمال صغيرا كان او كبيرا غير ضايع عند الله ثم قال وكفى بنا حاسبين
قال السدي محصين والحسب معناه العد وقال ابن عباس عالمين حافظين لان من حسب شيا علمه
وحفظه والغرض منه التحذير فان المحاسب اذا كان عالما بحيث لا يمكن ان يفوته شي وكان في القدرة
بحيث لا يعجز عن شي فحقيق بالعاقل ان يكون شديد الخوف منه **قوله تعالى** ولقد اتينا
موسى وهرون الفرقان الاية لما امر رسوله ان يقول انما انذركم بالوحي اتبعه بانه عادة الله في
الانبيا قبله فقال ولقد اتينا موسى وهرون الفرقان يعني الكتاب المفرق بين الحق والباطل وهو
التورية وكان ضيا الغاية وموجه يتوصل به الى طرق الهدى في معرفة الشرايع وكان ذكرى اي
موعظة او ذكرما يحتاجون اليه في دينهم ومصالحهم وقال ابن زيد الفرقان النصر على الاعدا كقوله
تعالى وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يعني يوم بدر حين فرق بين الحق والباطل وهو مروي عن ابن
عباس ولا نه ادخل الواو في قوله وضيا اي اتينا موسى النصر والضيا وهو التورية لان العطف يقتضي
المغايرة وقيل المراد بالفرقان البرهان الذي فرق به بين الحق والباطل وقال الضحاك الفرقان فلق
البحر وقال محمد بن كعب الفرقان الخروج عن الشبهات ومن قال المراد بالفرقان التورية قال الواو
في قوله وضيا يكون من باب عطف الصفات والمراد به شي واحد اي اتيناه الجامع بين هذه
الاشيا وقيل الواو زايدة قال ابو البقا فضيا حال على هذا وانما خص الذكر بالمتقين كما في قوله
هدى للمتقين **قوله** الذين يخشون في محله ثلاثة اوجه الجر على النعت او البدل او البيان والرفع
والنصب على القطع وفي معنى الغيب وجوه الاول يخشون اي يخافون ربهم ولم يروه فيا تمرون
باوامره وينتهون عن نواهيه وثانيها يخشون ربهم وهم غايبون عن الاخرة واحكامها وثالثها
يخشون ربهم في الخلوات اذا غابوا عن الناس وهم من الساعة مشفقون خايفون ثم قال ولما انزلت
عليه الفرقان ذكر ذلك هذا القران المنزل عليك وهو معنى قوله وهذا ذكر مبارك يعني القران ذكر لمن
تذكر به مبارك يتبرك به ويطلب منه الخير افانتم يا اهل مكة له منكرون جاحدون استفهام توبيخ
وتعيير والمعنى لا انكار في انزاله وفي عجايب ما فيه **قوله تعالى** ولقد اتينا ابرهيم رشده
من قبل الاية رشده مفعول ثان وقرا العامة رشده بضم الرا وسكون الشين وعيسى الثقفي بفتحهما
والرشد والرشد كالعدم والعدم وقد تقدم الكلام عليهما والمراد بالرشد النبوة لقوله وكنا به
عالمين لانه تعالى انما يخص بالنبوة من يعلم من حاله انه في المستقبل يقوم بحقها ويجتنب ما لا يليق بها
ويحترز عما ينفر قومه من القبول وقيل الرشد الاهتدا لوجوه الصلاح في الدين والدنيا لقوله تعالى
فان انستم منهم رشدا وقيل يدخل تحت الرشد النبوة والاهتدا **قوله** من قبل اي من قبل موسى
وهرون قاله ابن عباس وهذا احسن ما قدر به المضاف اليه وقيل من قبل بلوغه او نبوته حين كان
في السرب فظهرت له الكواكب فاستدل بها وهذا على قول من حمل الرشد على الاهتدا والا لزمه ان
يحكم بنبوته عليه السلام قبل البلوغ قاله مقاتل وروي الضحاك عن ابن عباس معنى من قبل اي
حين كان في صلب ادم لما اخذ الله ميثاق النبيين والضمير في به يعود على ابرهيم وقيل على رشده
والمعنى انه تعالى علم منه اشيا بديعة واسرارا عجيبة حتى اهله لان يكون خليلا له وهذا كقولك في رجل
كبيرا انا عالم بفلان فان هذا الكلام في الدلالة على تعظيمه ادل مما اذا شرحت حاله **فصل**

دلت الاية على ان الايمان مخلوق لله تعالى لانه لو كان الرشد هو التوفيق والبيان وقد فعل الله تعالى
ذلك بالكفار فيجب ان يكون قد اتاهم رشدهم واجاب الكعبي بان هذا يقال فيمن قبل لا فيمن رد وذلك
كمن اعطى المال لولدين فقبله احدهما وثمره ورده الاخر واخرجه عن يده فيقال اغنى فلان ابنه فيمن
ثمر المال ولا يقال مثله فيمن ضيع وهذا الجواب لا يتم الا اذا جعلنا قبوله جزءا من مسمى الرشد وذلك
باطل لان المسمى اذا كان مركبا من جزوين ولا يكون احدهما مقدورا للفاعل لم يجز اضافة ذلك
المسمى الى ذلك الفاعل فكان يلزم ان لا يجوز اضافة الرشد الى الله تعالى بالحقوله لكن النص وهو قوله
ولقد اتينا ابرهيم رشده صريح في ان ذلك الرشد انما حصل من الله تعالى فبطل قوله **قوله**
اذ قال يجوز ان يكون منصوبا باتينا او برشده او بعالمين او بمضمر اي اذكر وقت قوله وجه
ابو البقا فيه ان يكون بدلا من موضع قبل اي انه يحل محله فيصح المعنى اذ يصير التقدير ولقد اتيناه
رشده اذ قال وهو بعيد من المعنى بهذا التقدير **قوله** ما هذه التماثيل اي الصور يعني الاصنام
والتمثال الاسم للشي الموضوع مشبها بخلق من خلق الله واصله من مثلت الشي بالشي اذا شبهته به فاسم
ذلك الممثل تمثال والتماثيل جمع تمثال وهو الصورة المصنوعة من رخام او نحاس او خشب تشبه
خلق الادمي وغيره من الحيوانات قال امرؤ القيس • فيا رب يوم قد لهوت وليلة بانسة كانها خط تمثال •
قوله لها قيل اللام للعلة اي عاكفون لاجلها وقيل بمعنى على اي عاكفون عليها وقيل ضمن عاكفون
معنى عابدين فلذلك اتى باللام وقال ابو البقا وقيل افادت معنى الاختصاص وقال الزمخشري
لم ينو للعاكفين مفعولا واجراه مجرى ما لا يتعدى كقوله فاعلون العكوف لها او واقفون لها فان قلت
هلا قيل عليها عاكفون كقوله يعكفون على اصنام لهم قلت لو قصد التعدية لعداه بصلته التي هي على
قال شهاب الدين الاولى ان تكون اللام للتعليل وصلة عاكفون محذوفة اي عاكفون عليها لاجلها
لا لشي اخر **قوله** قالوا وجدنا اباءنا لها عابدين عابدين مفعول ثان لوجدنا ولها لا تعلق له
لان اللام زايدة في المفعول به لتقدمه **فصل** اعلم ان القوم لم يجدوا في جوابه الا طريقة
التقليد فاجابوه بان اباءهم سلكوا هذا الطريق فاقتدوا بهم فلا جرم اجابهم ابرهيم عليه السلام
بقوله لقد كنتم انتم واباؤكم في ضلال مبين فبين ان الباطل لا يصير حقا بكثرة المتمسكين به **قوله**
انتم تاكيد للضمير المتصل قال الزمخشري وانتم من التاكيد الذي لا يصح الكلام مع الاخلال به
لان العطف على ضمير هو في حكم بعض الفعل ممتنع ونحوه اسكن انت وزوجك الجنة قال ابو حيان
وليس هذا حكما مجمعا عليه فلا يصح الكلام مع الاخلال به لان الكوفيين يجيزون العطف على الضمير
المتصل المرفوع من غير تاكيد بالضمير المنفصل ولا فصل وتنظيره ذلك باسكن انت وزوجك الجنة
مخالف لمذهبه في اسكن انت وزوجك لانه يزعم ان وزوجك ليس معطوفا على الضمير المستكن في
اسكن بل مرفوع بفعل مضمر اي ولتسكن فهو عنده من قبيل عطف الجمل وقوله هنا مخالف لمذهب
سيبويه قال شهاب الدين لا يلزم من ذلك انه خالف مذهبه اذ يجوز ان ينظر بذلك عند من
يعتقد ذلك وان لم يعتقده هو وفي ضلال يجوز ان يكون خبرا ان كانت ناقصة او متعلقا
بكنتم ان كانت تامة **قوله** قالوا اجيتنا بالحق ام انت من اللاعبين لما حقق عليه السلام ذلك
عليهم ولم يجد واحد من كلامه مخلصا وراوه منكرا عليهم مع كثرتهم قالوا اجيتنا بالحق ام انت من
اللاعبين فاوهموه بهذا الكلام انه يبعد ان يقدم على الانكار عليهم جادا في ذلك وقالوا اجاد
انت فيما تقول ام لاعب فاجابهم عليه السلام بقوله بل ربكم رب السموات والارض الاية **قوله**
بالحق متعلق بجيت وليس المراد به حقيقة المجي اذ لم يكن غايبا وام انت ام متصلة وان كان بعدها
جملة لانها في حكم المفرد اذ التقدير اي الامرين واقع مجيك بالحق ام لعبك كقوله •
• ما ابالي انبث بالحزن تيس ام جفاني بظهر عيب لييم • **وقوله**

لعمرك ما ادري وان كنت داريا • شعيث بن سهم ام شعيث بن منقر • يريد اي الامرين واقع ولو كانت
منقطعة لقدرت ببل والهمزة وليس ذلك مراداً **قوله** الذي فطرهن يجوز ان يكون مرفوع المحل
او منصوبه على القطع والضمير المنصوب في فطرهن للسموات والارض قال ابو حيان ولما لم تكن السموات
والارض تبلغ في العدد الكثير منه جاء الضمير ضمير القلة قال شهاب الدين ان عنى لم يبلغ كل واحد
من السموات والارض فمسلم ولكنه غير مراد بل المراد المجموع وان عنى لم يبلغ المجموع منهما فغير مسلم
لانه يبلغ اربع عشرة وهو فوق حد جمع الكثرة اللهم الا ان تقول ان الارض شخص واحد وليست
بسبع كالسماء على ما راه بعضهم فيصح له ذلك ولكنه غير معول عليه وقيل على التماثيل قال
الزمخشري وكونه للتماثيل اثبت لتضليلهم وادخل في الاحتجاج عليهم وقال ابن عطيه فطرهن
عبارة عنها كانها تعقل وهذا من حيث لها طاعة وانقياد وقد وصفت في مواضع بوصف
من يعقل وقال غيره فطرهن اعاد ضمير من يعقل لما صدر منهن من الاحوال التي تدل على انها من
قبيل من يعقل فان الله تعالى اخبر بقوله اتينا طايعين وقوله عليه السلام اطت السماء وحق لها
ان تيط قال شهاب الدين كان ابن عطيه وهذا القايل توهما ان هن من الضماير المختصة بالمؤنثات
العاقلات وليس كذلك بل هو لفظ مشترك بين العاقلات وغيرها قال تعالى منها اربعة حرم ثم قال
تعالى فلا تظلموا فيهن **قوله** على ذلكم متعلق بمحذوف اي وانا شاهد على ذلكم او على البيان وقد
تقدم نظيره نحو لكما من الناصحين **فصل** اعلم ان القوم لما اوهموه انه كالمازح فيما خاطبهم
به في امر اصنامهم اظهر ذلك بالقول اولاً ثم بالفعل ثانياً اما القول فهو قوله بل ربكم رب السموات
والارض وهذا يدل على ان الخالق الذي خلقها لمنافع العباد هو الذي يحسن ان يعبد لان القادر
على ذلك هو الذي يقدر على الضر والنفع وهذه الطريقة هي نظير قوله لم تعبد ما لا يسمع ولا
يبصر ولا يغني عنك شيئا ثم قال وانا على ذلكم من الشاهدين اي على انه لا اله الا الذي لا يستحق العبادة
غيره وقيل من الشاهدين على انه خالق السموات والارض وقيل اني قادر على اثبات ما ذكرته بالحجة
واني لست مثلكم اقول ما لا اقدر على اثباته بالحجة ولم يزيدوا على انكم وجدتم عليه اباكم وقيل
المراد منه المبالغة في التاكيد والتحقيق كقول الرجل اذا بالغ في مدح احد او ذمه اشهد انه كريم
او ذميم واما الفعل فقوله وتالله لاكيدن اصنامكم لامكرن بها قرا العامة تالله بالتاء المثناة
فوق وقرا معاذ بن جبل واحمد بن حنبل بالباء الموحدة قال الزمخشري فان قلت ما الفرق بين التاء
والباء قلت الباء هي الاصل والتاء بدل من الواو والمبدل منها ان التاء فيها زيادة معنى وهو التعجب كانه
تعجب من تسهل الكيد على يده وتاتيه اما قوله ان الباء هي الاصل فيدل على ذلك تصرفها في الباب بخلاف
الواو والتاء وان كان السهيلي قدر دكون الواو بدلا منها وقال ابو حيان النظر يقتضي ان كلا منهما
اصل واما قوله التعجب فمنصوص النحويين انه يجوز فيها التعجب وعدمه وانما يلزم ذلك مع
اللام كقوله لله يبقى على الايام ذو حيد بمشمخر به الظيان والاس **قوله** بعد منصوب
بلاكيدن ومدبرين حال موكدة لان تولوا يفهم معناها وقرا العامة تولوا بضم التاء واللام مضارع
ولي مشدداً وقرا عيسى بن عمر تولوا بفتحهما مضارع تولى والاصل تتولوا فحذف احدى التاءين اما
الاولى على راي هشام واما الثانية على راي البصريين وينصرها قراءة الجميع فتولوا عنه مدبرين ولم
يقرا احد تولوا وهي قياس قراءة الناس هنا على كلتا القراءتين فلام الكلمة محذوفة وهو الياء لانه من ولي
ومتعلق هذا الفعل محذوف تقديره تولوا الى عيدكم ونحوه **فان قيل** الكيد ضرر الغير بحيث
لا يشعر به ولا يتاتى ذلك في الاصنام فكيف قال لاكيدن اصنامكم فالجواب
توسعا لما كان عندهم ان الضرر يجوز عليها وقيل المراد لاكيدن في اصنامكم لانه بذلك الفعل
انزل بهم الغم **قوله** جذاذا قرا العامة جذاذا بضم الجيم والكسائي بكسرها وابن عباس

وابو نهيك وابو السماك بفتحها قال قطرب هي في لغاتها كلها مصدر فلا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث
والظاهر ان المضموم اسم للشيء المكسر كالحطام والرفات والفتات بمعنى الشيء المحطم والمفتت
وقال اليزيدي المضموم جمع جذاذة بالضم نحو زجاج في زجاجة والمكسور جمع جذيذ نحو كرام في
كريم وقال بعضهم المفتوح مصدر بمعنى المفعول اي مجذوذين فيجوز على هذا ان يكون على
حذف مضاف اي ذوات جذاذ وقيل المضموم جمع جذاذة بالضم والمكسور جمع جذاذة بالكسر
والمفتوح مصدر وقرا ابن وثاب جذذا بضمتين دون الف بين الذالين وهو جمع جذيذ كقليب
وقلب وقرئ بضم الجيم وفتح الذال وفيها وجهان احدهما ان يكون اصلها ضمتين وانما خففت
بابدال الضمة فتحة نحو سرر وذلل في جمع سرير وذليل وهي لغة لبني كلب والثاني انه جمع جذة
نحو قبب في قبة ودرر في درة والجذ القطع والتكسير وعليه قوله •
• بنو المهلب جذ الله دابرهم امسوا رمادا فلا اصل ولا طرف • وتقدم هذا مستوفى في هود **فان
قيل** لم قال جعلهم وهذا جمع لا يليق الا بالعقلاء فالجواب عامل الاصنام معاملة العقلاء حيث
اعتقدوا فيها ذلك **قوله** الا كبيرا استثناء من المنصوب في فجعلهم اي لم يكسره بل تركه ولهم
صفة له وهذا الضمير يجوز ان يعود على الاصنام وتاويل عود ضمير العقلاء عليها تقدم ويجوز ان يعود
على عابديها والضمير في اليه يجوز ان يعود الى ابرهيم اي يرجعون الى مقالته حين يظهر لهم الحق او
غلب على ظنه انهم لا يرجعون الا اليه لما شاهدوه من انكاره لدينهم وسب الهتهم فيبكتهم بما
اجابه من قوله بل فعله كبيرهم هذا فاسالوهم ويجوز ان يعود الى الكبير وفيه وجهان احدهما
لعلهم يرجعون اليه كما يرجعون الى العالم في حل المشكلات فيقولون ما لهولاء مكسورة وما لك
صحيح والفاس على عاتقك وهذا قول الكلبي وانما قال ذلك بناء على كثرة جهالاتهم فلعلهم كانوا
يعتقدون فيها انها تجيب وتتكلم والثاني انه عليه السلام قال ذلك مع علمه انهم لا يرجعون
اليه استهزاء بهم **فصل** قال السدي كان لهم في كل سنة عيد يجتمعون فيه فكانوا اذا رجعوا من
عيدهم دخلوا على الاصنام فسجدوا لها ثم عادوا الى منازلهم فلما كان هذا الوقت قال آزر لابرهيم
لو خرجت معنا فخرج معهم فلما كان ببعض الطريق القى نفسه وقال اني سقيم اشتكي رجلي فلما
مضوا وبقي ضعفاء الناس نادى وقال تالله لاكيدن اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين اي الى
عيدكم فسمعوها منه واحتج هذا القايل بقوله تعالى سمعنا فتى يذكرهم وقال الكلبي كان
ابرهيم عليه السلام من اهل بيت ينظرون في النجوم وكانوا اذا خرجوا الى عيدهم لم يتركوا الا مريضا
فلما هم ابرهيم بكسر الاصنام نظر قبل يوم العيد الى السماء وقال لاصحابه اراني اشتكي غدا وهو
قوله فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم واصبح في الغد معصوبا راسه فخرج القوم لعيدهم
ولم يتخلف احد غيره فقال وتالله لاكيدن اصنامكم فسمع رجل منهم هذا القول فحفظه عليه
ثم اخبر به غيره وانتشر ذلك في جماعة فلذلك قال تعالى قالوا سمعنا فتى يذكرهم ثم ان ابرهيم
عليه السلام دخل بيت الاصنام فوجد سبعين صنما مصطفة وعند الباب صنم عظيم من ذهب
مستقبل الباب وفي عينيه جوهرتان يضيئان بالليل فكسرها كلها بفاس في يده حتى لم يبق الا
الكبير علق الفاس في عنقه **فان قيل** اولئك الاقوام اما ان يكونوا عقلاء او لم يكونوا عقلاء
فان كانوا عقلاء وجب ان يكونوا عالمين بالضرورة ان تلك الاصنام لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا
تضر فاي حاجة في اثبات ذلك الى كسرها اقصى ما في الباب ان يقال القوم كانوا يعظمونها كما
يعظم الواحد منا المصحف والمسجد والمحراب وكسرها لا يقدح في تعظيمها من هذا الوجه وان
لم يكونوا عقلاء لم يحسن مناظرتهم ولا بعثة الرسل اليهم فالجواب انهم كانوا عقلاء وكانوا عالمين
بالضرورة انها جمادات ولكن لعلهم كانوا يعتقدون فيها انها تماثيل الكواكب وانها طلسمات موضوعة

بحيث ان كل من عبدها انتفع وكل من استخف بها ناله منها ضرر شديد ثم ان ابرهيم عليه السلام
كسرها ولم ينله منها ضرر البتة فكان فعله دالا على فساد مذهبهم **قوله** من فعل هذا يجوز
في من ان تكون استفهامية وهو الظاهر فعلى هذا يكون الجملة من قوله انه لمن الظالمين استينافا
لا محل لها من الاعراب ويجوز ان تكون موصولة بمعنى الذي وعلى هذا فالجملة من انه في محل رفع خبرا
للموصول والتقدير الذي فعل هذا بالهتنا انه ومعنى الاية من فعل هذا الكسر والحطم الشديد
معدود في الظلمة اما لجراته على الالهة الحقيقة بالتوقير والاعظام واما لانهم راوا افراطا في
كسرها وتماديا في الاستهانة بها **قوله** يذكرهم في هذه الجملة اوجه احدها ان سمع هنا
تتعدى لاثنين لانها متعلقة بعين فيكون فتى مفعولا اول ويذكرهم هذه الجملة في محل نصب
مفعولا ثانيا الا ترى انك لو قلت سمعت زيدا وسكت لم يكن كلاما بخلاف سمعت قراته وحديثه
والثاني انها في محل نصب ايضا صفة لابرهيم قال الزمخشري فان قلت ما حكم الفعلين بعد سمعنا
وما الفرق بينهما قلت هما صفتان لفتى الا ان الاولى وهو يذكرهم لا بد منه لسمع لانك لا تقول
سمعت زيدا وتسكت حتى تذكر شيا مما يسمع واما الثاني فليس كذلك وهذا الذي قاله لا يتعين
لما عرفت ان سمع ان تعلقت بما يسمع نحو سمعت مقالة بكر فلا خلاف انها تتعدى لواحد وان
تعلقت بما لا يسمع فلا يكتفى به ايضا بلا خلاف بل لا بد من ذكر شي يسمع لو قلت سمعت زيدا وسكت
او سمعت زيدا يركب لم يجز فان قلت سمعته يقرا صح وجرى في ذلك خلاف بين النحاة فابو علي
يجعلها متعدية لاثنين ولا يمشي عليه قول النحاة وغيره يجعلها متعدية لواحد ويجعل الجملة بعد
المعرفة حالا وبعد النكرة صفة وهذا اراد الزمخشري **قوله** ابرهيم في رفع ابرهيم
اوجه احدها انه مرفوع على ما لم يسم فاعله اي يقال له هذا اللفظ وكذلك قال ابو البقا فالمراد
الاسم لا المسمى وفي هذه المسئلة خلاف بين النحويين اعني تسلط القول على المفرد الذي لا يودي معنى
جملة ولا هو مقتطع من جملة ولا هو مصدر للقال ولا هو صفة لمصدره نحو قلت زيدا اي قلت هذا
اللفظ فاجازه جماعة كالزجاجي والزمخشري وابن خروف وابن مالك ومنعه اخرون وممن اختار
رفع ابرهيم على ما ذكرت الزمخشري وابن عطية اما اذا كان المفرد مودبا معنى جملة كقولهم
قلت خطبة وشعرا وقصيدة او اقتطع من جملة كقوله
اذا ذقت فاها قلت طعم مدامة • معتقة مما يجي به التجر • او كان مصدرا نحو قلت قولا او
صفة له نحو قلت حقا او باطلا فانه يتسلط عليه كذا قالوا وفي قولهم المفرد المقتطع من الجملة نظر
لان هذا لم يتسلط عليه القول انما تسلط على الجملة المشتملة عليه الثاني انه خبر مبتدا مضمر اي
يقال له هذا ابرهيم او هو ابرهيم الثالث انه مبتدا محذوف الخبر اي يقال له ابرهيم فاعل ذلك
الرابع انه منادى وحرف النداء محذوف اي يا ابرهيم وعلى الاوجه الثلاثة فهو مقتطع من
جملة وتلك الجملة محكية بيقال وتقدم تقرير هذا في البقرة عند قوله وقولوا حطة رفعا
ونصبا وفي الاعراف عند قوله قالوا معذرة رفعا ونصبا والجملة من يقال له تحتمل ان تكون مفعولا
اخر نحو ظننت زيدا كاتبا شاعرا وان تكون صفة على راي الزمخشري ومن تابعه وان يكون حالا من
فتى وجاز ذلك لتخصصه بالوصف **فصل** لما سمع بعض القوم قول ابرهيم عليه السلام
وتالله لاكيدن اصنامكم وسمعوا سبه لالهتهم غلب على ظنهم انه الفاعل لذلك فلذلك قالوا سمعنا
فتى يذكرهم اي يعيبهم ويسبهم يقال له ابرهيم هو الذي نظن انه صنع هذا فبلغ ذلك نمرود
الجبار واشراف قومه فقالوا فاتوا به على اعين الناس قاله نمرود اي جيئوا به ظاهرا
اي بمراى من الناس لعلهم يشهدون عليه انه الذي فعله قال الحسن وقتادة والسدي كرهوا
ان ياخذوه بغير بينة وقال محمد بن اسحق لعلهم يشهدون اي يحضرون عقابه فينزجروا عن الاقدا م

علي

على مثله وقال الكلبي ومقاتل المراد مجموع الامرين اي يشهدون عليه ويشهدون عقابه **قوله**
على اعين في محل نصب على الحال من الها في به اي ايتوا به ظاهرا مكشوفا بمراى منهم ومنظر قال
الزمخشري فان قلت ما معنى الاستعلاء في على قلت هو وارد على طريق المثل اي تثبت اتيانه على الاعين
ويتمكن ثبات الراكب على المركوب وتمكنه منه **قوله** ءانت فعلت في انت وجهان احدهما
انه فاعل بفعل مقدر يفسره الظاهر بعده والتقدير افعلت هذا بالهتنا فلما حذف الفعل
انفصل الضمير والثاني انه مبتدا والخبر بعده الجمله والفرق بين الوجهين من حيث اللفظ واضح
فان الجملة من قوله فعلت الملفوظ بها على الاول لا محل لها لانها مفسرة ومحلها الرفع على الثاني ومن
المعنى ان الاستفهام اذا دخل على الفعل اشعر بان الشك انما تعلق به هل وقع ام لا من غير شك
في فاعله واذا دخل على الاسم وقع الشك فيه هل هو الفاعل والفعل غير مشكوك في وقوعه بل
هو واقع فقط فاذا قلت اقام زيد كان شكك في قيامه واذا قلت ازيد قام وجعلته مبتدا
كان شكك في صدور الفعل منه ام من عمرو والوجه الاول هو المختار عند النحاة لان الفعل تقدم
ما يطلبه وهو اداة الاستفهام **قوله** بل فعله هذا الاضراب عن جملة محذوفة تقديره لم
افعله انما الفاعل حقيقة الله تعالى واسناد الفعل الى كبيرهم من ابلغ التعاريض **قوله**
هذا فيه ستة اوجه احدها ان يكون نعتا لكبيرهم الثاني ان يكون بدلا من كبيرهم الثالث
ان يكون خبرا لكبيرهم على ان الكلام يتم عند قوله بل فعله وفاعل الفعل محذوف كذا نقله ابو البقا
وقال وهذا بعيد لان حذف الفاعل لا يسوغ قال شهاب الدين وهذا القول يعزى للكسائي
وحينئذ لا يحسن الرد عليه بحذف الفاعل فانه يجيز ذلك ويلتزمه ويجعل التقدير بل فعله
من فعله ويجوز ان يكون اراد بالحذف الاضمار لانه لما لم يذكر الفاعل لفظا صح تسمي ذلك حذفا الرابع ان يكون الفاعل
ضمير فتى الخامس ان يكون الفاعل ضمير ابرهيم وهذان الوجهان يويدان ان المراد بحذف الفاعل
انما هو الاضمار السادس ان فعله ليس فعلا بل الفا حرف عطف دخلت على عل التي اصلها لعل حرف
ترج وحذف اللام الاولى ثابت فصار اللفظ فعله اي فلعله فحذفت اللام الاولى وخففت
الثانية وهذا يعزى للفرا وهو مرغوب عنه وقد استند لعلي مذهبه بقراة ابن السميفع فعلّه
بتشديد اللام وهي قراة شاذة لا يترجح بالقراة المشهورة اليها وكان الذي حملهم على هذا اخفاء
وجه صدور هذا الكلام عن النبي عليه السلام **فصل** اعلم ان القوم لما قالوا له انت فعلت
هذا بالهتنا يا ابرهيم طلبوا منه الاعتراف بذلك ليقدموا على ايذائه فنقلب الامر عليهم وقال
بل فعله كبيرهم هذا وكان قد علق الفاس في رقبته واراد بذلك اقامة الحجة عليهم واظهار
جهلهم في عبادة الاوثان وقال فسلوهم ان كانوا ينطقون واعلم ان للناس ههنا قولان الاول قول
كافة المحققين وهو ان قول ابرهيم عليه السلام بل فعله كبيرهم هذا من قبيل التعريض وهو من
وجوه احدها ان قصد ابرهيم عليه السلام تقرير الفعل لنفسه على اسلوب تعريضي وليس قصده
نسبة الفعل الى الصنم وهذا كما لو قال صاحبك وقد كتبت كتابا بخط رشيق وانت شهير بحسن
الخط ولا يقدر هو الا على خرمشة فاسدة انت كتبت هذا فقلت له بل كتبته انت وكان قصده
بهذا تقريره لك مع الاستهزاء لا نفيه عنك واثباته للامي او المخرمش لان اثباته والامر دائر بينهما
للعاجز منهما استهزاء واثبات للقادر وثانيها ان ابرهيم عليه السلام غاظته تلك الاصنام حين
ابصرها مصطفة وكان غيظه من كبيرها اشد لما راى من زيادة تعظيمهم له فاسند الفعل
اليه لانه هو السبب في استهانته لها وحطمه لها والفعل كما يسند الى مباشره يسند الى الحامل عليه
وثالثها ان يكون حكاية لما يلزم عن مذهبهم كانه قال لهم ما تنكرون ان يفعله كبيرهم فان حق من يعبد
ويدعى الها ان يقدر على هذا واشد منه ذكر هذه الاوجه الثلاثة الزمخشري ورابعها ما تقدم

ما تقدم عن الكسائي انه كان يقف عند قوله كبيرهم ثم يبتدي فيقول هذا فاسلوهم والمعنى بل فعله
كبيرهم وعنى نفسه لان الانسان اكبر من كل صنم فانه كناية عن غير مذكور اي فعله من فعله وكبيرهم
ابتدا كلام وخامسها قال القتيبي معناه على التقديم والتاخير اي بل فعله كبيرهم ان كانوا ينطقون
فاسلوهم فجعل النطق شرطا للفعل ان قدروا على النطق قدروا على الفعل فاراهم عجزهم وفي ضمنه
انا فعلت ذلك وسادسها قراة ابن السميفع المتقدمة والقول الثاني قال البغوي والاصح ان
ابرهيم عليه السلام اراد بذلك العمل اقامة الحجة عليهم فذلك قوله فاسلوهم ان كانوا ينطقون
حتى يخبر وا من فعل ذلك بهم لما روى ابو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لم يكذب
ابرهيم الا ثلاث كذبات ثنتان منهن في ذات الله قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله
لسارة هذه اختي وفي حديث الشفاعة قول ابرهيم عليه السلام اني كذبت ثلاث كذبات والقايلون
بهذا القول قرروه من جهة العقل وقالوا الكذب ليس قبيحا لذاته فان النبي اذا هرب من ظالم واختفى
في دار انسان فجا الظالم وسال عنه فانه يجب الكذب فيه واذا كان كذلك فاي بعد ان ياذن الله
في ذلك لتوبيخهم والاحتجاج عليهم لمصلحة لا يعلمها الا هو كما اذن ليوسف عليه السلام حتى امر مناديه
فقال لاخوته ايتها العير انكم لسارقون ولم يكونوا سرقوا قال ابن الخطيب وهذا القول مرغوب عنه
اما الخبر فلان يضاف الكذب الى رايه اولى من يضاف الى الانبيا والدليل القاطع عليه انه لو جاز
ان يكونوا للمصلحة وباذن الله تعالى فيه فليجز هذا الاحتمال في كل ما اخبروا عنه وفي كل ما اخبر الله عنه
وذلك يبطل الوثوق بالشرايع ويتطرق التهم اليها ثم لو صح ذلك الخبر فهو محمول على المعاريض على ما قال
عليه السلام ان في المعاريض لمندوحة عن الكذب فاما قوله اني سقيم فلعله سقيم القلب كما يجي
في موضعه واما قوله بل فعله كبيرهم فقد ظهر الجواب عنه واما قوله لسارة هذه اختي اي في الدين
واما قصة يوسف عليه السلام فتقدم الكلام عليها **قوله** ان كانوا ينطقون جوابه محذوف
ومن جوز التقديم جعل فاسلوهم هو الجواب **قوله** فرجعوا الى انفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون
فيه وجوه الاول ان ابرهيم عليه السلام لما نبههم على قبح طريقتهم بما اورده عليهم علموا ان عبادة
الاصنام باطلة وانهم في غرور وجهل في ذلك الثاني قال مقاتل رجعوا الى انفسهم فلاموها وقالوا
انكم انتم الظالمون لابرهيم حيث تزعمون انه كسرها مع ان الفاس بين يدي الصنم الكبير الثالث انتم
الظالمون لانفسكم حيث سالتموه حتى انه يستهزي بكم في الجواب **قوله** ثم نكسوا على رؤسهم قرا العامة
نكسوا مبنيا للمفعول مخفف الكاف اي نكسهم الله او خجلهم وعلى رؤسهم حال اي كاينين على رؤسهم
ويجوز ان يتعلق بنفس الفعل والنكس والتنكيس القلب يقال نكس راسه ونكسه مخففا ومشددا
اي طاطاه حتى صار اعلاه اسفله وقرا ابو حيوه وابن ابي عبله وابن الجارود وابن مقسم نكسوا
بالتشديد وقد تقدم انه لغة في المخفف فليس التشديد للتعدية ولا للتكثير وقرا رضوان ابن
عبد المعبود نكسوا مخففا مبنيا للفاعل وعلى هذا فالمفعول محذوف تقديره نكسوا انفسهم على رؤسهم
فصل قال المفسرون اجرى الله الحق على السنتهم في القول الاول ثم ادركتهم الشقاوة وهو معنى
قوله ثم نكسوا على رؤسهم اي ردوا الى الكفر بعد ان اقروا على انفسهم بالظلم وقيل قلبوا على انفسهم
حقيقة بفرط اطراقهم خجلا وانكسارا وانخزالا مما بهتهم ابرهيم فما احاروا جوابا الا ما هو حجة
لابرهيم عليه السلام حين جادلهم فقالوا لقد علمت ما هولاء ينطقون فاقروا بهذه الحجة التي لحقتهم
قوله لقد علمت هذه الجملة جواب قسم محذوف والقسم وجوابه معمولان لقول مضمر وذلك
القول المضمر حال من مرفوع نكسوا اي نكسوا قايلين والله لقد علمت **قوله** ما هولاء ينطقون
يجوز ان تكون ما هذه حجازية فيكون هولاء اسمها وينطقون في محل نصب خبرها او تميمية فلا عمل
لها والجملة المنفية بأسرها سادة مسد المفعولين ان كانت علمت على بابها ومسد واحد ان كانت

عرفانية

ايم

قالوام

عرفانية **قوله** قالوا افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيا ان عبدتموه ولا يضركم ان تركتم
عبادته اف لكم تبا وتقذرا لكم ولما تعبدون من دون الله تقدم الكلام على اف في سورة
سبحان قال الزمخشري اف صوت اذا صوت به دل على ان صاحبه متضجر وان ابرهيم عليه السلام
اضجره ما راى من ثباتهم على عبادتها بعد وضوح الحق وانقطاع عذرهم وزهوق الباطل وتافف
واللام في لكم وفي لما لام التبيين اي التافيف لكم لا لغيركم وهي نظير قوله هيت لك ثم قال افلا
تعقلون اي ليس لكم عقل تعقلون هذا وتعرفونه فلما الزمهم الحجة وعجزوا عن الجواب قالوا حرقوه
وانصروا الهتكم ليس في القران من القايل ذلك والمشهور انه نمرود بن كنعان بن سنجاريب بن نمرود
ابن كوس بن حام بن نوح وقال مجاهد سمعت ابن عمر يقول انما اشار بتحريق ابرهيم رجل من الاكراد
من فارس وروى ابن جريج عن وهب عن شعيب قال ان الذي قال حرقوه اسمه هيزن فخسف الله
به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة **فصل** قال مقاتل لما اجتمع نمرود وقومه
لاحراق ابرهيم حبسوه في بيت وبنوا له بنيانا كالحظيرة وذلك قوله ابنوا له بنيانا فالقوه في
الجحيم ثم جمعوا له الحطب الكثير حتى ان الرجل والمراة لو مرضت قالت ان عافاني الله لاجمعن حطبا
لابرهيم وقيل بنوا اتونا بقرية يقال لها كوثى ثم جمعوا له اصلاب الحطب من اصناف الخشب مدة
اربعين يوما وكانت المراة تغزل وتشتري الحطب بغزلها فتلقيه فيه احتسابا في دينها فلما اشتعلت
النار واشتدت حتى ان كانت الطير لتمر بها وهي في اقصى الجو فتحترق من شدة وهجها روي انهم
لم يعلموا كيف يلقوه فيها فجا ابليس وعلمهم عمل المنجنيق فعملوه وقيل صنعه لهم رجل من الاكراد يقال
له هيزن وكان اول من صنع المنجنيق فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة
ثم عمدوا الى ابرهيم عليه السلام فوضعوه فيه مقيدا مغلولا فصاحت السما والارض ومن فيها
من الملايكة صيحة واحدة اي ربنا ما في ارضك احد يعبدك غير ابرهيم وانه يحرق فيك فاذن
لنا في نصرته فقال سبحانه ان استغاث باحد منكم او دعاه فلينصره فقد اذنت له في ذلك
وان لم يدع غيري فانا اعلم به وانا وليه فخلوا بيني وبينه فانه خليلي ليس لي خليل غيره وانا
الهه ليس له اله غيري فلما ارادوا القاه في النار اتاه خازن المياه فقال ان اردت اخمدت
النار واتاه خازن الرياح فقال ان شيت طيرت النار في الهوى فقال ابرهيم لا حاجة لي
اليكم ثم رفع راسه الى السما وقال اللهم انت الواحد في السما وانا الواحد في الارض ليس في الارض
من يعبدك غيري حسبي الله ونعم الوكيل قال ابن عباس حسبنا الله ونعم الوكيل قالها ابرهيم حين القي
في النار وقالها محمد حين قيل له ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم
الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سو وحين القي في النار قال لا اله الا انت سبحانك رب العالمين
لك الحمد ولك الملك لا شريك لك ثم رموه في المنجنيق الى النار فاتاه جبريل فقال يا ابرهيم الك حاجة
قال اما اليك فلا قال فاسال ربك قال حسبي من سوالي علمه بحالي فقال الله تعالى يا نار كوني بردا
وسلاما على ابرهيم قال كعب الاحبار جعل كل شي يطفي عنه النار الا الوزغ فانه كان ينفخ النار روت
ام شريك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر بقتل الوزغ وقال كان ينفخ على ابرهيم وقال السدي
القايل كوني بردا وسلاما هو جبريل وقال ابن عباس في رواية مجاهد لو لم يتبع بردا سلاما لمات ابرهيم
من بردها قال ولم يبق يوميذ نار الا طفيت ولو لم يقل على ابرهيم بقيت ذات بردا بدا قال
السدي فاخذت الملايكة بضبعي ابرهيم واقعدوه على الارض فاذا عين ما عذب وورد احمر ونرجس
ولم تحرق النار منه الا وثاقه وقال المنهال بن عمرو واخبرت ان ابرهيم عليه السلام لما القي في النار كان
فيها اما اربعين يوما او خمسين يوما وقال ما كنت اطيب عيشا مني اذ كنت فيها قال ابن يسار وبعث
الله عز وجل ملك الظل في صورة ابرهيم فقعد الى جنب ابرهيم يونسه واتى جبريل بقميص من حرير الجنة

وطنفسه فالبسه القميص واجلسه على الطنفسه وقعد معه تحدثه وقال يا ابرهيم ان ربك يقول اما علمت
ان النار لا تضر احبائي ثم نظر نمرود من صرح له واشرف على ابرهيم فراه جالسا في روضة وراى الملك قاعدا
الى جنبه وما حوله نار تحرق فناداه نمرود يا ابرهيم هل تستطيع ان تخرج منها قال نعم قال قم
فاخرج فقام يمشي حتى خرج منها قال له نمرود من الرجل الذي رايته معك في صورتك قاعدا
الى جنبك قال ذاك ملك الظل ارسله ربي ليونسني فقال له نمرود اني متقرب الى الهك قربانا لما رايت
من قدرته وعزته فيما صنع بك واني ذابح له اربعة الاف بقرة فقال ابرهيم عليه السلام لا يقبل
الله منك ما دمت على دينك هذا قال نمرود لا استطيع ترك ملكي ولكن سوف اذبحها له فذبحها ثم
كف عن ابرهيم روي ان ابرهيم عليه السلام القي في النار وهو ابن ست عشرة سنة وانما اختار والمعاقبة
بالنار لانها اقوى العقوبات وروي ان هاران ابا لوط قال لهم ان النار لا تحرقه لانه سحر النار ولكن اجعلوه
على شيء واوقدوا تحته ففعلوا فطارت شرارة في لحية ابي لوط فاحرقته **قوله** بردا اي ذات برد
واظاهر في سلاما انه نسق على بردا فيكون خبرا عن كوني وجوز بعضهم ان ينتصب على المصدر المقصود
به التحية في العرف وقد رد هذا بانه لو قصد ذلك لكان الرفع فيه اولى نحو قول ابرهيم سلام
وهذا غير لازم لانه لا يجوز ان ياتي القران على الفصيح والافصح ويدل على ذلك انه جا منصوبا
والمقصود به التحيه نحو قول الملائكة قالوا سلاما وقوله على ابرهيم متعلق بنفس سلام ان قصد به
التحية ويجوز ان يكون صفة فيتعلق بمحذوف وعلى هذا يحتمل ان يكون قد حذف صفة الاول
لدلالة صفة الثاني عليه تقديره كوني بردا عليه وسلاما عليه **فصل** قال ابو مسلم الاصفهاني
في تفسير قوله قلنا يا نار والمعنى انه سبحانه وتعالى جعل النار بردا وسلاما لان هناك كلاما كقوله
ان نقول له كن فيكون اي يكونه واحتج عليه بان النار جماد فلا يجوز خطابه والاكثرون على انه
وجد ذلك القول ثم هؤلاء لهم قولان احدهما قال السدي ان القايل هو جبريل والثاني قول
الاكثرين ان القايل هو الله تعالى وهو الاقرب الاليق بالظاهر وقوله النار جماد فلا يكون في
خطابها فايدة فالجواب لم لا يجوز ان يكون المقصود من ذلك الامر مصلحة عايدة الى الملائكة
فصل اختلفوا في كيفية برد النار فقيل ان الله تعالى ازال ما فيها من الحرارة والاحراق
وابقى ما فيها من الاضاءة والاشراق والله على كل شيء قدير وقيل انه تعالى خلق في جسم ابرهيم
كيفية مانعة من وصول النار اليه كما يفعل بخزنة جهنم في الاخرة وكما انه ركب بنية النعامة
بحيث لا يضرها ابتلاع الحديد المحماه وبدن السمندل بحيث لا يضره المكث في النار وقيل انه خلق
بينه وبين النار حايلا يمنع من وصول اثر النار اليه قال المحققون والاول اولى لان ظاهر
قوله يا نار كوني بردا اي نفس النار صارت باردة حتى سلم ابرهيم من تاثيرها **فإن قيل**
النار ان بقيت كما كانت والحرارة جزء من مسمى النار امتنع كون النار باردة فاذن يجب ان يقال
المراد من النار الجسم الذي هو احد جزء مسمى النار وذلك مجاز فلم كان مجازكم اولى فالجواب ان المجاز
الذي ذكرناه يبقى معه حصول البرد وفي الذي ذكرتم لا يبقى فكان مجازنا اولى **فصل**
معنى كون النار سلاما على ابرهيم ان البرد اذا افرط اهلك كالحر فلا بد من الاعتدال وهو من
وجوه الاول ان يقدر الله بردها بالمقدار الذي لا يوثر والثاني ان بعض النار صار بردا
وبقي بعضها على حرارته فتعادل الحر والبرد والثالث انه تعالى جعل في جسمه مزيد حر فانتفع
بذلك البرد والتذ به **فصل** روي ان كل النيران في ذلك الوقت زالت وصارت بردا
ويويد ذلك ان النار اسم للماهية فلا بد وان حصل هذا البرد في الماهية ويلزم منه عمومه في كل
افراد الماهية وقيل بل اختصت بتلك النار لان الغرض انما تعلق ببرد تلك النار وفي النار منافع
للخلق فلا يجوز تعطيلها والمراد خلاص ابرهيم لا ايصال الضرر الى ساير الخلق **فإن قيل** لم يجوز

ما روي من انه لو لم يقل وسلاما لاتى البرد عليه قال ابن الخطيب ذلك بعيد لان برد النار لم
يحصل منها وانما حصل من جهة الله فهو القادر على الحر والبرد فلا يجوز ان يقال كان البرد يعظم
لولا قوله وسلاما **قوله** وارادوا به كيدا اي ارادوا ان يكيدوه فجعلناهم الاخسرين قيل معناه
انهم خسروا السعي والنفقة ولم يحصل لهم مرادهم وقيل فجعلناهم مغلوبين غالبوه فلقنه الله الحجة
وقيل ارسل الله على نمرود وقومه البعوض فاكلت لحومهم وشربت دماءهم ودخلت واحدة في
دماغه فاهلكته **قوله تعالى** ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين لما نصره الله
تعالى اتم النعمة عليه بان نجاه ونجا لوطا وهو ابن اخيه وهو لوط بن هاران نجاهما من نمرود وقومه
من ارض العراق الى الارض التي باركنا فيها للعالمين يعني مكة وقيل ارض الشام بارك الله فيها بالخصب
وكثرة الاشجار والثمار والانهار ومنها بعث اكثر الانبياء وقال تعالى الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله
قال ابي بن كعب سماها مباركة لان ما من ماء عذب الا وينبع اصله التي ببيت المقدس وروى قتادة
ان عمر بن الخطاب قال لكعب الا تتحول الى المدينة فيها مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبره فقال
اني وجدت في كتاب الله المنزل يا امير المومنين ان الشام كنز الله من ارضه وبها كنزه من عباده
وروى عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انها ستكون
هجرة بعد هجرة فخيار الناس الى مهاجر ابرهيم **قوله** ولوطا يجوز فيه وجهان احدهما ان ينتصب
بنجيناه يكون معطوفا على المفعول قبله والثاني ان يكون مفعولا معه والاول اولى وقوله الى الارض
يجوز فيه وجهان احدهما ان يتعلق بنجيناه على ان تضمن معنى اخرجناه بالنجاة فلما ضمن معنى اخرج تعدى
تعديته والثاني انه لا تضمين فيه وان حرف الجر يتعلق بمحذوف على انه حال من الضمير في نجيناه
اي نجيناه منتهيا الى الارض كذا قدره ابو حيان وفيه نظر من حيث انه قدر كونا مقيدا وهو كثيرا
ما يرد على الزمخشري وغيره ذلك **فصل** اعلم ان لوطا امن بابرهيم كما قال تعالى فامن
له لوط وكان ابن اخيه وهو لوط بن هاران بن تارخ وهاران هو اخو ابرهيم وكان لهما اخ ثالث
يقال له ناحور بن تارخ وامنت به ايضا سارة وهي بنت عمه وهي سارة بنت هاران الاكبر عم ابرهيم
فخرج من كوثى من ارض حدود بابل بالعراق مهاجرا الى ربه ومعه لوط وسارة فخرج يلتمس الفرار
بدينه والامان على عبادة ربه حتى نزل حران فمكث بها ما شاء الله ثم ارتحل منها ونزل ارض الشام
من فلسطين وهي برية الشام ثم خرج منها مهاجرا حتى قدم مصر ثم خرج من مصر يريد الشام ونزل
لوط بالموتفكة وهي من السبع على مسيرة يوم وليلة واقرب وبعثه الله نبيا فذلك قوله ونجيناه
ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين **قوله** ووهبنا له اسحاق ويعقوب نافلة قال مجاهد
وعطا النافلة العطية وكذلك النفل ويسمى الرجل الكثير العطا نوفلا وقيل الزيادة وقيل ولد الولد
فعلى الاول ينتصب انتصاب المصدر من معنى العامل وهو ووهبنا لا من لفظه لان الهبة والاعطا
متقاربان في المعنى كالعاقبة والعافيه وعلى الاخيرين ينتصب على الحال والمراد بها يعقوب والنافلة
مختصة بيعقوب على كل تقدير لان اسحاق ولده لصلبه وهذا قول ابن عباس وابي بن كعب وابن
زيد وقتادة **قوله** وكلا مفعول اول لجعلنا وصالحين هو الثاني توسط العامل بينهما والاصل
وجعلنا اي صيرنا كلا من ابرهيم ومن ذكر معه صالحين وقوله وجعلناهم ايمة كما تقدم الا انه
توسط العامل وقوله يهدون صفة لايمة وبامرنا متعلق بيهدون وقد تقدم القصر بعد
المتعلق بلفظ ايمة وقراة القراء فيها **فصل** المعنى وكلا من ابرهيم واسحاق ويعقوب جعلنا
صالحين قال الضحاك اي مرسلين وقال اخرون عاملين بطاعة الله وجعلناهم ايمة يقتدى بهم في الخير
يهدون يدعون الناس الى ديننا بامرنا واوحينا اليهم فعل الخيرات اي العمل بالشرايع وقال
ابو مسلم المراد النبوة واقام الصلاة اي اقامة الصلاة يعني المحافظة وايتاء الزكوة وكانوا لنا عابدين

موجهين دلت هذه الاية على ان افعال العباد مخلوقه لله تعالى لان قوله تعالى وكلا جعلنا صالحين
يدل على ان الصلاح من قبله واجاب الجبائي بانه لو كان كذلك لما وصفهم بكونهم صالحين
وبكونهم ائمة وبكونهم عابدين ولما مدحهم بذلك واذا كان كذلك فلابد من التاويل وهو من وجهين
الاول ان يكون المراد انه تعالى اتاهم من لطفه وتوفيقه ما صلحوا به والثاني ان المراد تسميتهم
بذلك كما يقال زيد فسق فلانا وكفره اذا وصفه بذلك وكان مصدقا عند الناس وكما يقال في
الحاكم زكى فلانا وعدله وجرحه اذا حكم بذلك والجواب المعارضة بمسئلة العلم الداعي واما
الحمل على اللطف فباطل لان فعل الالطاف عام في المكلفين فلابد في هذا التخصيص من مزيد فايدة
ولان قوله جعلته صالحا كقولك جعلته متحركا فحمله على تحصيل شي سوى الصلاح ترك للظاهر
واما الحمل على التسمية فمحال لان ذلك انما يصار اليه الا عند الضرورة في بعض المواضع ولا ضرورة
ههنا الا ان يرجعوا مرة اخرى الى فصل المدح والذم وحينئذ نرجع الى مسئلتي الداعي والعلم
قوله فعل الخيرات قال الزمخشري اصله ان يفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات
وكذلك اقام الصلاة وايتا الزكوة قال ابو حيان كان الزمخشري لما راى ان فعل الخيرات واقام
الصلاة وايتا الزكوة ليس من الاحكام المختصة بالموحى اليهم بل هم وغيرهم في ذلك مشتركون بنى
الفعل للمفعول حتى لا يكون المصدر مضافا من حيث المعنى الى ضمير الموحى اليهم فلا يكون التقدير
فعلهم الخيرات واقامهم الصلوة وايتاهم الزكوة ولا يلزم ذلك اذ الفاعل مع المصدر محذوف ويجوز
ان يكون من حيث المعنى مضافا الى الظاهر محذوف يشمل الموحى اليهم وغيرهم والتقدير فعل المكلفين
الخيرات ويجوز ان يكون مضافا الى ضمير الموحى اليهم ويقيموا الصلاة ويوتوا الزكوة واذا كانوا هم قد
اوحي اليهم ذلك فاتباعهم جارون مجراهم ولا يلزم اختصاصهم به ثم اعتقاد بنا المصدر للمفعول
مختلف فيه اجاز ذلك الاخفش والصحيح منعه فليس ما اختاره الزمخشري بمختار وفي الشهاب الذي
الذي يظهر ان الزمخشري لم يقدر هذا التقدير الذي ذكره الشيخ حتى يلزمه ما قاله بل انما قدر
ذلك لان نفس الفعل الذي هو معنى صادر من فاعله لا يوحى انما يوحى الفاظ تدل عليه فكانه قيل
واوحينا هذا اللفظ وهو ان يفعل الخيرات ثم صاغ ذلك الحرف المصدري مع ما بعده
مصدرا منونا ناصبا لما بعده ثم جعله مصدرا مضافا لمفعوله وقال ابن عطيه والاقام
مصدر وفي هذا نظر انتهى يعني ابن عطية بالنظر ان مصدر افعل على الافعال فان كان صحيح العين
جا تاما كالاكرام وان كان معتلها حذف منه احدى الالفين وعوض منه تا التانيث فيقال
اقامة فلما لم يقل كذلك جا فيه النظر المذكور وقال ابو حيان واي نظر في هذا وقد نص سيبويه
على انه مصدر بمعنى الاقامة وان كان الاكثر الاقامة بالتا وهو المقيس في مصدر افعل اذا اعتلت
عينه وحسن ذلك انه قابل وايتا الزكوة وهو بغير تا فيقع الموازنة بين قوله واقام الصلوة وايتا
الزكوة وقال الزجاج حذفت التا من اقامة لان الاضافة عوض عنها وهذا قول الفرا زعم ان
التا تحذف للاضافة كالتنوين وقد تقدم بسط القول في ذلك عند قراة من قرا في تراة عدة
ولكن كره قوله تعالى ولوطا اتيناه حكما وعلما الاية في الواو في قوله ولوطا قولان احدهما
قال الزجاج انه عطف على قوله واوحينا اليهم والثاني قال ابو مسلم انه عطف على قوله
اتينا ابرهيم رشده من قبل ولابد من ضمير في قوله ولوطا كانه قال واتينا لوطا فهو منصوب
بفعل مقدر يفسره الظاهر بعده تقديره واتينا لوطا اتيناه فهي من الاشتغال والنصب في
مثله هو الراجح ولذلك لم يقرا الا به لعطف جملته على جملة فعلية وهو احد المرجحات وقيل
ان لوطا منصوب باذكر لوطا اتيناه حكما اي الحكمة والفصل بين الخصوم بالحق وقيل النبوة وعلما قيل
ادخل التنوين على الحكم والعلم دلالة على علو شان ذلك الحكم وذلك العلم قوله ونجيناه من

القرية اي من اهلها يدل على ذلك انهم كانوا ولذلك اسند عمل الخبائث اليها والمراد اهلها بريد سدوما
والخبائث صفة لموصوف محذوف اي تعمل الاعمال الخبائث كانوا ياتون الذكران في ادبارهم ويتضا
رطون في انديتهم مع اشيا اخر كانوا يعملون من المنكرات انهم كانوا قوم سوء فاسقين وادخلناه في
رحمتنا قال مقاتل الرحمة النبوة وقال ابن عباس والضحاك انها الثواب انه من الصالحين قوله
تعالى ونوحا اذ نادى من قبل الاية في نصب نوحا وجهان احدهما انه منصوب عطفا على لوطا
فيكون مشتركا معه في عامله الذي هو اتينا المفسر الظاهر وكذلك داود وسليمان والتقدير
ونوحا اتيناه حكما وداود وسليمان اتيناهما حكما وعلى هذا فاذ بدل من نوحا ومن داود وسليمان
بدل اشتمال وتقدم تحقيق مثل هذا في طه الثاني انه منصوب باضمار اذكر اي اذكر نوحا وداود
وسليمان اي اذكر خبرهم وقصتهم وعلى هذا فيكون اذ منصوبا بنفس المضاف المقدر اي خبرهم
الواقع في وقت كان كيت وكيت وقوله من قبل اي من قبل هؤلا المذكورين فصل المراد
من هذا النداء دعاوه على قومه بالعذاب ويدل على ذلك قوله اني مغلوب فانتصر وقوله رب لا
تذر على الارض من الكافرين ديارا ويوكده قوله تعالى فاستجبنا له فنجيناه ويدل ذلك على ان نداه
ودعاه كان بان ينجيه مما يلحقه من جهتهم من الاذى بسبب تكذيبهم ورده عليه واتفق المحققون
على ان ذلك النداء كان بامر الله لانه لو لم يكن باذنه لم يومن ان يكون المصلحة ان لا يجاب اليه فيصير
ذلك سببا لنقصان حال الانبيا وقال اخرون لم يكن ماذونا له في ذلك قال ابو امامة لم يتحسر
احد في خلق الله تحسر ادم ونوح عليهما السلام فتحسر ادم على قبول وسوسة ابليس وتحسر نوح على دعايه
على قومه فاوحى الله اليه ان دعوتك وافقت قدري قوله فنجيناه واهله من الكرب العظيم
المراد بالاهل هنا اهل دينه قال ابن عباس المراد من الكرب العظيم من الغرق وتكذيب قومه وقيل
لانه كان اطول الانبيا عمرا واشدهم بلا والكرب اشد الغم قوله ونصرناه من القوم فيه اوجه
احدها ان يضمن نصرناه معنى منعناه وعصمناه ومثله فمن ينصرنا من باس الله فلما ضمن معناه تعدى
تعديته والثاني ان نصر مطاوعه انتصر فتعدى تعديه ما طاوعه قال الزمخشري هو نصر الذي
مطاوعه انتصر وسمعت هذليا يدعو على سارق اللهم انصرهم منه اي اجعلهم منتصرين منه ولم يظهر
فرق بالنسبة الى التضمين المذكور فان معنى قوله منتصرين منه اي ممتنعين او معصومين منه الثالث
ان من بمعنى على اي على القوم قال المبرد تقديره ونصرناه من مكروه القوم قال تعالى فمن ينصرنا
من باس الله والمعنى منعناه من القوم الذين كذبوا باياتنا ان يصلوا اليه بسوء انهم كانوا قوم سوء ن
لتكذيبهم له وردهم عليه فاغرقناهم اجمعين لخلصه منهم بذلك قوله تعالى وداود وسليمان الاية
تقدم الكلام على الاعراب واعلم ان المقصود ذكر نعم الله على داود وسليمان فذكر اولا النعمة المشتركة
بينهما ثم ذكر ما يختص كل واحد من النعم اما النعمة المشتركة فهي قصة الحكومة وهو ان الله زينهما بالعلم
والفهم في قوله وكلا اتينا حكما وعلما قال اكثر المفسرين المراد بالحرث الزرع وقال ابن مسعود وابن عباس
كان الحرث كرما قد تدلت عناقيده اذ نفشت فيه غنم القوم اي رعته ليلا فافسدته والنفش الرعي
بالليل قاله ابن السكيت وهو قول جمهور المفسرين والنفش الانتشار ومنه كالعهن المنفوش ونفشت
الماشية اي رعت ليلا بغير راع عكس الهمل وهو رعيها نهارا بلا راع وعن الحسن ان النفش هو الرعي بلا
راع ليلا كان او نهارا قوله وكنا لحكمهم شاهدين في الضمير المضاف اليه حكم اوجه احدها انه ضمير
جمع يراد به المثنى وانما وقع الجمع موقع التثنية مجازا او لان التثنية جمع واقل الجمع اثنان ويدل على
ان المراد التثنية قراة ابن عباس لحكمهما بصيغة التثنية الثاني ان المصدر مضاف للحاكمين وهما
داود وسليمان وللمحكوم له والمحكوم عليه فهم جماعة وهذا يلزم منه اضافة المصدر لفاعله ومفعوله
دفعة واحدة وهو انما يضاف لاحدهما فقط وفيه الجمع بين الحقيقة والمجاز فان الحقيقة اضافة المصدر

وقرا ابي ونصرناه على القوم م

منهام

لناعله والمجاز امنافية لمعقوله الثالث ان هذا مصدر لا يراد به الدلالة على علاج بل جي به للدلالة
على ان هذا الحدث وقع وصدر كقولهم له ذكا ذكا الحكماء وفهم فهم الاذكيا فلا يتخيل حرف مصدري ويفعل
واذا كان كذلك فهو مضاف في المعنى للحاكم والمحكوم له والمحكوم عليه وبنو فيه الحذف وان المذكور ان
قوله ففهمناها قرا العامة ففهمناها بالتضعيف الذي للتعدية والضمير للمسئلة اوللفتيا
وقرا عكرمة فافهمناها بالهمزة عداه بالهمزة كما عداه العامة بالتضعيف **فصل** قال اكثر
المفسرين دخل رجلان على داود عليه السلام احدهما صاحب حرث والاخر صاحب غنم فقال
صاحب الحرث ان غنم هذا دخلت في حرثي ليلا فافسدته فلم تبق منه شيا فقال داود اذهب
فان الغنم لك فخرجا فمرا على سليمان فقال كيف قضى بينكما فاخبراه فقال لو وليت امركما لقضيت
بغير هذا وروي انه قال غير هذا ارفق بالفريقين فاخبر بذلك داود فدعاه فقال كيف تقضي
وروي انه قال له بحق النبوة والابوة الا اخبرتني بالذي هو ارفق بالفريقين فقال ادفع الغنم
الى صاحب الحرث ينتفع بدرها ونسلها وصوفها ومنافعها ويبذر صاحب الغنم لصاحب الحرث
مثل حرثه فاذا صار الحرث كهيئته يوم اكل دفع الى اهله واخذ صاحب الغنم غنمه فقال داود
القضا ما قضيت وقال ابن مسعود ومقاتل ان راعيا نزل ذات ليلة بجنب كرم فدخلت الاغنام
الكرم وهو لا يشعر فاكلت القضبان وافسدت الكرم فذهب صاحب الكرم من الغد الى داود
فقضى له بالغنم لانه لم يكن بين ثمن الكرم وثمن الاغنام تفاوت وذكرا في القصة قال ابن عباس حكم
سليمان بذلك وهو ابن احدى عشرة سنة واما حكم الاسلام ان ما افسدت الماشية المرسلة بالنهار من
مال الغير فلا ضمان على ربها وما افسدت بالليل ضمنه ربها لان في عرف الناس ان اصحاب الزرع
يحفظونها بالنهار والمواشي تسرح بالنهار وترد بالليل الى المراح روي محيصة ان ناقة للبرا بن عازب
دخلت حايطا فافسدت فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان على اهل الحوايط حفظها بالنهار
وان ما افسدت المواشي بالليل ضامن على اهلها وذهب اصحاب الراي الى ان المالك اذا لم يكن معها
فلا ضمان عليه فيما اتلفت الماشية ليلا كان او نهارا **فصل** قال ابو بكر الاصم انهما لم يختلفا
في الحكم البتة وانه تعالى بين لهما الحكم على لسان سليمان والصواب انهما اختلفا ويدل عليه اجماع الصحابة
رضي الله عنهم وايضا قوله تعالى وكنا لحكمهم شاهدين ثم قال ففهمناها سليمان والفا للتعقيب فوجب
ان يكون ذلك الحكم سابقا على هذا الفهم وذلك الحكم السابق ان اتفقا فيه لم يبق لقوله ففهمناها
سليمان فايدة وان اختلفا فيه فهو المطلوب **فصل** احتج الجبايي على ان الاجتهاد غير جايز
من الانبيا بوجوه الاول قوله تعالى قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي ان اتبع الا ما يوحى الي
وقوله وما ينطق عن الهوى الثاني ان الاجتهاد وطريقه الظن وهو قادر على اليقين فلا يجوز المصير
الى الظن كالمعاين للقبلة لا يجوز له الاجتهاد الثالث لو جاز له الاجتهاد في الاحكام لكان لا يتوقف في
شي منها فلما توقف في مسئلة الظهار واللعان الى ورود الوحي دل على ان الاجتهاد غير جايز عليه الرابع
ان الاجتهاد انما يصار اليه عند فقد النص وفقد النص في حق الرسول كالممتنع فوجب ان لا يجوز
الاجتهاد الخامس لو جاز الاجتهاد من الرسول لجاز ايضا من جبريل وحينيذ لا يحصل الامان ان هذه
الشرايع التي جا بها هي من نصوص الله ام من اجتهاد جبريل واجيب عن الاول ان الاية واردة
في ابدال اية باية لانه عقيب قوله وقال الذين لا يرجون لقانا ايت بقران غير هذا او بدله ولا مدخل
للاجتهاد في ذلك واما قوله وما ينطق عن الهوى فمن جوز له الاجتهاد يقول ان الذي اجتهد فيه هو عن
وحي على الجملة وان لم يكن كذلك على التفصيل وايضا فالاية واردة في الادا عن الله لا في حكمه الذي يكون
بالعقل وعن الثاني ان الله تعالى اذا قال له اذا غلب على ظنك كون الحكم معللا في الاصل بكذا
ثم غلب على ظنك قيام ذلك المعنى في صورة اخرى فاحكم بمثل ذلك الحكم فهنا الحكم مقطوع به والظن

غير واقع فيه بل في طريقه وعن الثالث لعله عليه السلام كان ممنوعا عن الاجتهاد في بعض الانواع او كان
ماذونا له مطلقا لكنه لم يظهر له في تلك الصورة وجه الاجتهاد فتوقف وعن الرابع لم لا يجوز
ان يحبس النص عنه في بعض الصور فحينيذ يحصل شرط جواز الاجتهاد وعن الخامس ان هذا الاجتهاد
مدفوع باجماع الامة على خلافه ثم الذي يدل على جواز الاجتهاد له وجوه الاول انه عليه السلام
اذا غلب على ظنه ان الحكم في الاصل معلل بمعنى ثم علم او ظن قيام ذلك المعنى في صورة اخرى فلا بد
وان يغلب على ظنه ان حكم الله في هذه الصورة مثل ما في الاصل كقوله عليه السلام ارايت لو كان على
امك دين فقضيته الثاني قوله تعالى فاعتبروا امر الكل بالاعتبار فوجب اندراج الرسول عليه
السلام فيه لانه امام المعتبرين وافضلهم الثالث ان الاستنباط ارفع درجات العلما فوجب ان
يكون للرسول فيه مدخل والا لكان كل واحد من المجتهدين افضل منه في هذا الباب فان قيل انما يلزم لو لم
يكن درجته اعلا من الاعتبار وليس الامر كذلك لانه كان يستدرك الاحكام وحيا على سبيل اليقين
فكان ارفع درجة من الاجتهاد الذي قصاراه الظن فالجواب لا يمتنع ان لا يجد النص في بعض المواضع
فلو لم يكن من اهل الاجتهاد لكان اقل درجة من المجتهد الذي يمكنه تعرف ذلك الحكم من الاجتهاد
وايضا فقد تقدم انه لما امر بالاجتهاد كان ذلك مفيدا للقطع الرابع قوله عليه السلام العلما
ورثة الانبيا فوجب ان يثبت للانبيا درجة الاجتهاد ليرث العلما عنهم ذلك الخامس قوله تعالى
عفا الله عنك لم اذنت لهم فذاك الاذن ان كان باذن الله تعالى استحال ان يقال له لم اذنت وان
كان بهوى النفس فهو غير جايز وان كان بالاجتهاد فهو المطلوب **فصل** قال الجبايي لو جوزنا الاجتهاد
من الانبيا ففي هذه المسئلة لا نجوزه لوجوه احدها ان الذي وصل الى صاحب الزرع من در
الماشية وصوفها ومنافعها مجهول المقدار فكيف يجوز الاجتهاد في جعل المجهول عوضا عن الاجر وثانيها
ان اجتهاد داود عليه السلام ان كان صوابا لزم ان لا ينقض لان الاجتهاد لا ينقض بالاجتهاد وان كان
خطا وجب ان يبين الله توبته عنه كما بين ما حكاه عن الانبيا عليهم السلام فلما مدحهما بقوله وكلا اتينا
حكما وعلما دل على انه لم يقع الخطا من داود عليه السلام وثالثها لو حكم بالاجتهاد لكان الحاصل هناك
ظنا لا علما لكن الله تعالى قال وكلا اتينا حكما وعلما ورابعها كيف يجوز ان يكون عن اجتهاد مع قوله
ففهمناها سليمان واجيب عن الاول بان الجهالة في القدر لا تمنع من الاجتهاد كالجعالات
وحكم المصراة وعن الثاني لعل خطاه كان من باب الصغاير وعن الثالث ان المتمسك بالقياس
فان الظن واقع في طريق الحكم واما الحكم فمقطوع به وعن الرابع ان المجتهد اذا تامل واجتهد
وادى اجتهاده الى حكم كان الله تعالى فهمه من حيث بين له طريق ذلك فهذا جملة الكلام في بيان
انه لا يمتنع ان يكون اختلاف داود وسليمان في ذلك الحكم انما كان بسبب الاجتهاد واما بيان
انه لا يمتنع ايضا ان يكون اختلافهما فيه بسبب النص فوجهه ان يقال ان داود عليه السلام كان
مامورا بالحكم من قبل الله تعالى ثم انه تعالى نسخ ذلك بالوحي الى سليمان خاصة وامره ان يعرف داود
ذلك فصار ذلك الحكم حكمهما جميعا وقوله ففهمناها سليمان اي اوحينا اليه فان قيل هذا باطل لوجهين
الاول لما انزل الله الحكم الاول على داود وجب ان ينزل نسخه ايضا على داود ولا على سليمان الثاني ان
الله مدح كل واحد منهما على الفهم ولو كان ذلك على سبيل النص لم يكن في فهمه كثير مدح واعلم ان
القول الاول اولى لانه روي في الاخبار الكثيرة ان داود لم يكن بت الحكم في ذلك حتى سمع من سليمان
ان غير ذلك اولى وفي بعضها ان داود ناشده لكي يورد ما عنده ولو كان نصا لكان يظهره
ولا يكتمه ووجه الاجتهاد فيه ما ذكره ابن عباس ان داود عليه السلام قوم قدر الضرر في الكرم فكان
مساويا لقيمة الغنم وكان عنده ان الواجب في ذلك الضرر ان يزال بمثله من النفع فلا جرم سلم الغنم
الى المجني عليه كما قال ابو حنيفة في العبد اذا جنى على النفس يدفعه المولى بذلك او يفديه واما

اللهم

سليمان فاداه اجتهاده الى ان تجب مقابلة الاصول بالاصول والزوايد بالزوايد واما مقابلته
بالزوايد فغير جايز لانه تقتضي الحيف ولعل منافع الغنم في تلك السنة كانت موازنة فحكم به كما
قال الشافعي فيمن غصب عبدا فابق من يده انه يضمن القيمة فينتفع بها المغصوب منه بازاء
ما فوته الغاصب من منافع العبد فاذا ظهر ترادا **فصل** اذا ثبت ان تلك المخالفة
كانت مبنية على الاجتهاد فهل تدل هذه القصة على ان المصيب واحدا والكل مصيبون فمن قال
المصيب واحد استدل بقوله تعالى ففهمناها سليمان قال ولو كان الكل مصيبون لم يكن لتخصيص
سليمان بهذا التفهيم فايدة واما القايلون بان الكل مصيبون فمنهم من استدل بقوله تعالى وكلا
اتينا حكما وعلما ولو كان المصيب واحدا ومخالفه مخطيا لما صح ان يقال وكلا اتينا حكما وعلما قال
ابن الخطيب وكلا الاستدلالين ضعيف اما الاول فلان الله تعالى لم يقل انه فهمه الصواب
فيحتمل انه فهمه الناسخ ولم يفهم ذلك داود فكل واحد منهما مصيب فيما حكم به على ان اكثر ما في الاية
انها دالة على ان داود وسليمان ماكانا مصيبين وذلك لا يوجب ان يكون الامر كذلك في شرعنا
واما الثاني فلانه تعالى لم يقل كلا اتيناه حكما فيما حكم به هنا بل يجوز ان يكون اتاه حكما وعلما
بوجوه الاجتهاد وطرق الاحكام على انه لا يلزم من كون كل مجتهد مصيب في شرعهما ان يكون الامر
كذلك في شرعنا **قوله تعالى** وسخرنا مع داود الجبال يسبحن هذه من النعم التي خص بها داود
فقوله يسبحن في موضع نصب على الحال والطير يجوز ان ينتصب نسقا على الجبال وان ينتصب على
المفعول معه وقيل يسبحن مستانف فلا محل له وهو بعيد وقرئ والطير رفعا وفيه وجهان احدهما
انه مبتدا والخبر محذوف اي والطير مسخرات ايضا والثاني انه نسق على الضمير في يسبحن ولم يوكد
ولم يفصل وهو موافق لمذهب الكوفيين **فصل** قال ابن عباس كان يفهم تسبيح الحجر والشجر
وقال وهب كانت الجبال تجاوبه بالتسبيح وكذلك الطير وقال قتادة يسبحن اي يصلين معه
اذا صلى وقيل كان داود اذا فتر يسمعه الله تسبيح الجبال والطير لينشط في التسبيح ويشتاق اليه
وقال بعض المفسرين انه يحتمل ان يكون تسبيح الجبال والطير بمثابة قوله وان من شيء الا يسبح
بحمده وتخصيص داود عليه السلام بذلك انما كان بسبب انه كان يعرف ذلك ضرورة فيزداد لحصل ح
يقينا وتعظيما وقالت المعتزلة لو حصل الكلام في الجبل اما بفعله او بفعل الله فيه والاول محال
لان بنية الجبل لا تحتمل الحياة والعلم والقدرة وما لا يكون حيا عاقلا قادرا يستحيل منه الفعل
والثاني محال لان المتكلم عندهم من كان فاعلا للكلام فلو كان فاعل ذلك الكلام هو الله لكان
المتكلم هو الله لا الجبال فثبت انه لا يمكن اجراوه على ظاهره فعند هذا قالوا معنى قوله وسخرنا
مع داود الجبال قوله يا جبال اوبي معه اي تصرفي معه وسيري بامره ومعنى يسبحن من السبح
الذي هو السباحة خرج اللفظ فيه على التكثير ولو افرد لقيل يسبح فلما كثر قيل يسبحن معه اي يسرن
وهو كقوله ان لك في النهار سبحا طويلا اي تصرفا ومذهبا اذا ثبت هذا فنقول ان سيرها
هو التسبيح لدلالته على قدرة الله واعلم ان مدار هذا القول على ان بنية الجبال لا تقبل الحياة
وان المتكلم من فعل الكلام وكلاهما ممنوع واما الطير فلا امتناع ان يصدر عنها الكلام ولكن
اجمعت الامة على ان المكلفين اما الجن او الانس او الملايكة فيمتنع فيها ان تبلغ في العقل الى درجة
التكليف بل يكون حالها كحال الطفل في ان يومر وينهى وان لم يكن مكلفا فصار ذلك معجزا من حيث
جعلها في الفهم بمنزلة المراهق وايضا دلالة على قدرة الله وعلى تنزيهه عما لا يجوز فيكون القول فيه
كالقول في الجبال وقدم الجبال على الطير لان تسخيرها وتسبيحها اعجب وادل على القدرة وادخل في
الاعجاز لانها جماد والطير حيوان ثم قال وكنا فاعلين اي قادرين على ان نفعل هذا وان كان
عجبا عندكم وقيل نفعل ذلك بالانبياء عليهم السلام الانعام الثاني **قوله** وعلمناه صنعة لبوس

الجمهور

الجمهور على فتح اللام من لبوس وهو الشيء المعد للبس قال الشاعر البس لكل حالة لبوسها اما نعيمها واما بوسها
والمراد باللبوس ههنا الدرع لانها تلبس وهو في اللغة اسم لكل ما يلبس ويستعمل في الاسلحة كلها وهو
بمعنى الملبوس كالحلوب والركوب وقرئ لبوس بضم اللام وحينيذ اما ان يكون جمع لبس المصدر
الواقع موقع المفعول واما ان لا يكون واقعا موقعه والاول اقرب ولكم يجوز ان يتعلق بعلمناه
وان يتعلق بصنعة قاله ابو البقا وفيه بعد وان يتعلق بمحذوف على انه صفة للبوس قال
قتادة اول من صنع الدرع وسردها وحلقها داود وانما كانت صفائح **قوله** لتحصنكم هذه
لام كي وفي متعلقها اوجه احدها ان يتعلق بعلمناه وهذا ظاهر على القولين الاخيرين واما على القول
الثالث فيشكل وذلك انه يلزم تعلق حرفي جر متحدين لفظا ومعنى ويجاب عنه بان يجعل بدلا من لكم
باعادة العامل كقوله تعالى لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم وهو بدل اشتمال وذلك ان الناصبة للفعل
المقدر موولة هي ومنصوبها بمصدر وذلك المصدر بدل من ضمير الخطاب في لكم بدل اشتمال
والتقدير وعلمناه صنعة لبوس لتحصنكم والثاني ان يتعلق بصنعة على معنى انه بدل من لكم كما تقدم
تقريره وذلك على راي ابي البقا فانه علق لكم بصنعة والثالث انها تتعلق بالاستقرار الذي
تعلق به لكم اذا جعلناه صفة لما قبله وقرا الحرميان والاخوان وابو عمرو ليحصنكم بالياء من تحت
والفاعل الله تعالى وفيه التفات على هذا الوجه اذ تقدمه ضمير المتكلم في قوله وعلمناه او داود
او التعليم او اللبوس وقرا حفص وابن عامر بالتاء من فوق والفاعل الصنعة او الدرع وهي مونثة
او اللبوس لانها يراد بها ما يلبس وهو الدرع والدرع مونثة كما تقدم وقرا ابو بكر لنحصنكم بالنون
جريا على علمناه وعلى هذه القراات الثلاث الحاء ساكنة والصاد مخففة وقرا الاعمش لتحصنكم وكذا
النعيمي عن ابي عمرو بفتح الحاء وتشديد الصاد الا ان الاعمش بالتاء من فوق وابو عمرو بالياء من تحت وقد
تقدم ما هو الفاعل **فصل** معنى لتحصنكم اي لتحرزكم وتمنعكم من باسكم اي حرب عدوكم وقال
السدي من وقع السلاح فيكم ذكر الحسن ان لقمن الحكيم صلوات الله عليه حضر داود وهو يعمل الدرع
فاراد ان يساله عما يفعل ثم كف عن السوال حتى فرغ منها ولبسها على نفسه فقال عند ذاك الصمت
حكمة وقليل فاعله ثم قال تعالى فهل انتم شاكرون يقول لداود واهل بيته وقيل يقول لاهل مكة
فهل انتم شاكرون نعمي بطاعة الرسول **قوله تعالى** ولسليمن الريح العامة على النصب اي
وسخرنا الريح لسليمن فهي منصوبة بعامل مقدر وقرا ابن هرمز وابو بكر عن عاصم في رواية بالرفع
على الابتدا والخبر الجار قبله وقرا الحسن وابو رجا بالجمع والنصب وابو حيوة بالجمع والرفع وتقدم
الكلام على الجمع والافراد في البقرة وبعضها ولا قراة في سبا كذلك كما سياتي بيانه ان شا الله تعالى
قوله عاصفة حال والعامل فيها على قراة من نصب سخرنا المقدر وفي قراة من رفع الاستقرار
الذي تعلق به الخبر يقال عصفت الريح تعصف عصفا وعصوفا فهي عاصف وعاصفة واسد
تقول اعصفت بالالف تعصف فهي معصف ومعصفة والريح تذكر وتونث والعاصفة الشديدة
الهبوب فان قيل قد قال في موضع اخر تجري بامره رخا والرخا اللين قيل كانت الريح تحت امره
ان اراد ان تشتد اشتدت وان اراد ان تلين لانت فان قيل قال في داود وسخرنا مع داود
الجبال وقال في حق سليمن وسخرنا لسليمن الريح فذكر في حق داود بكلمة مع وفي حق سليمان باللام
وراعى هذا الترتيب ايضا في قوله يا جبال اوبي معه وقال وسخرنا له الريح تجري بامره فما الفايدة
في تخصيص داود بلفظ مع وسليمن باللام فالجواب يحتمل ان الجبل لما اشتغل بالتسبيح حصل له
نوع شرف فما اضيف بلام التمليك واما الريح فلم يصدر منه الا ما يجري مجرى الخدمة فلا جرم
في عاصفة ح اضيف الى سليمن بلام التمليك وهذا جواب اقناعي **قوله** تجري يجوز ان يكون حالا ثانية وان
يكون حالا من الضمير فيكون حالين متداخلتين وزعم بعضهم ان التي باركنا فيها صفة للريح وفي الاية

تقديم وتاخير والتقدير الريح التي باركنا فيها الى الارض وهو تعسف والمراد بقوله الي الارض التي باركنا
فيها بيت المقدس قال الكلبي كان سليمن عليه السلام وقومه يركبون عليها من اصطخر الي الشام والي حيث
شا ثم يعود الي منزله ثم قال وكنا بكل شيء عالمين اي وكنا بكل شيء علمناه عالمين بصحة التدبير فيه علمنا
انما نعطي سليمان من تسخير الريح وغيره يدعوه الي الخضوع لربه **قوله** من يغوصون يجوز ان يكون
موصولة او موصوفة وعلي كلي التقديرين فموضعها اما نصب نسقا علي الريح اي وسخرنا له من يغوصون
او رفع علي الابتدا والخبر في الجار قبله وجمع الضمير حملا علي معني من وحسن ذلك تقدم الجمع في قوله
الشياطين فلما ترشح جانب المعني فروعي ونظيره قوله وان من الشوان من هي روضة نبح الريا من بينها ونفوح
داعي التانيث لتقدم قوله وان من الشوان ودون ذلك صفة لعملا **فصل** يحتمل ان يكون
من يغوصون منهم هو الذي يعمل ساير الاعمال ويحتمل انهم فرقة اخري ويكون الكل داخلين في لفظه
من والاول اقرب وظاهر الاية انه سخرهم لكنه قد روي انه تعالي سخر كفارهم دون المومنين وهو
الاقرب من وجهين احدهما اطلاق لفظ الشياطين والثاني قوله وكنا لهم حافظين فان المومن اذا سخر
في امر لا يجب ان يحفظ لئلا يفسد وانما يجب ذلك في الكافر ومعني يغوصون اي يدخلون تحت الما
فيخرجون له من قعر البحر الجواهر ويعملون عملا دون ذلك اي دون الغوص وهو ما ذكره تعالي في
قوله يعملون له ما يشا من محاريب وتماثيل الاية وكنا لهم حافظين حتي لا يخرجوا من امره وقيل وكل
بهم جمعا من الملايكة وجمعا من الجن المومنين وقال ابن عباس ان سلطانه مقيم عليهم يفعل بهم ما يشا وفي
كونهم محفوظين ثلاثة اوجه احدها انه تعالي كان يحفظهم لئلا يذهبوا وثانيها قال الكلبي كان يحفظهم
من ان يهيجوا احدا في زمانه وثالثها قال الزجاج كان يحفظهم من ان يفسدوا ما عملوا وكان دابهم
ان يعملون ثم يفسدونه بالليل روي ان سليمن كان اذا بعث شيطانا مع انسان ليعمل له عملا قال
له اذا فرغ من عمله قبل الليل اشغله بعمل اخر لئلا يفسد ما عمل وكان من عادة الشياطين انهم اذا
فرغوا من العمل ولم يشتغلوا بعمل اخر خربوا ما عملوا وافسدوه **فصل** سال الجباي نفسه فقال
كيف يتهيا لهم هذه الاعمال واجسامهم رقيقة لا يقدرون علي حمل الثقيل وانما يمكنهم الوسوسة
واجاب بانه سبحانه كثف اجسامهم خاصة وقواهم وزاد في عظمهم ليكون ذلك معجزة لسليمن
فلما مات سليمان عليه السلام ردهم الي الخلقة الاولي لانه لو بقاهم علي الخلقة الثانية لصار شبهة
علي الناس ولو ادعي متنبي النبوه وجعله دلالة لكان كمعجزات الرسل فلذلك ردهم الي خلقتهم الاول
قال ابن الخطيب وهذا الكلام ساقط من وجوه احدها لم قلتم ان الجن من الاجسام فلم لا يجوز وجود
محدث ليس بمتحيز ولا قايم بالمتحيز ويكون الجن منهم فان قلت لو كان كذلك لكان مثلا
للباري تعالي قلت هذا ضعيف لان الاشتراك في اللوازم الثبوتية لا يدل علي الاشتراك في اللزوم
فكيف اللوازم السلبية سلمنا انه جسم لكن لا يجوز حصول القدرة علي هذه الاعمال الشاقة في الجسم
اللطيف وكلامه بنا علي ان البنية شرط وليس في يده الا الاستقرا الضعيف سلمنا انه لا بد من
تكثيف اجسامهم لكن لم قلت بانه لا بد من ردها الي الخلقة الاولي بعد موت سليمن وقوله
بانه يفضي الي التلبيس قلنا التلبيس غير لازم لان النبي اذا جعل ذلك معجزة لنفسه فللمدعي ان
يقول لم لا يجوز ان يقال ان قوة اجسادهم كانت معجزة لنبي اخر ومع قيام هذا الاحتمال لا يتمكن
المتنبي من الاستدلال به واعلم ان اجسام هذا العالم اما كثيفة او لطيفة اما الكثيف فاكثف
الاجسام الحجارة والحديد وقد جعلهما الله تعالي معجزة لداود عليه السلام فانطق له الحجر والان
الحديد وكل واحد منهما كما يدل علي التوحيد والنبوة يدل علي صحة الحشر لانه لما قدر علي احيا الحجارة
فاي بعد في احيا العظام الرميمة واذا قدر علي ان يجعل في اصبع داود عليه السلام قوة النار
مع كون الاصبع في نهاية اللطافة فاي بعد في ان يجعل التراب اليابس جسما حيوانيا والطف

الاشيا

الاشيا في هذا العالم الهوي والنار وقد جعلهما الله تعالي معجزة لسليمن عليه السلام اما الهوي فقوله
وسخرنا له الريح واما النار فلان الشياطين مخلوقون من النار وقد سخرهم الله تعالي له ثم كان
يامرهم بالغوص في المياه والنار تنطفي بالما ولم يكن تضرهم وذلك يدل علي قدرته علي اظهار
الضد من الضد **قوله تعالي** وايوب اذ نادي ربه الاية قوله وايوب كقوله ونوحا
وما بعده وقرا العامة بالفتح لتسليط النداء عليها باضمار حرف الجر اي باني وعيسى بن عمر بالكسر
فمذهب البصريين اضمار القول اي نادي فقال اني ومذهب الكوفيين اجري الندا مجري القول
والضر بالضم المرض في البدن وبالفتح الضرر في كل شي فهو اعم من الاول **فصل** قال وهب
ابن منبه كان ايوب عليه السلام كان ايوب رجلا من الروم وهو ايوب بن اموص بن رازح بن
روم بن عيص بن اسحق بن ابرهيم وكانت امه من ولد لوط بن هاران وكان الله قد اصطفاه ونباه
وبسط عليه الدنيا وكانت له البثنية من ارض الشام كلها سهلها وجبلها وكان له فيها من اصناف المال
كله من الابل والبقر والغنم والخيل والحمير والبساتين وما لا يكون لرجل افضل منه في العدة والكثرة
والاهل والولد من الرجال والنسا وكان رحيما بالمساكين يكفل الايتام والارامل ويكرم الضيف ويبلغ
ابن السبيل وكان معه ثلاثة نفر قد امنوا به وعرفوا فضله قال كان احدهم من اهل اليمن يقال له
اليفن ورجلان من اهل بلدة يقال لاحدهما بلدد والاخر صافر وكانوا كهولا وكان ابليس لا يحجب عن
شي من السموات وكان يقف فيهن حيث ما اراد حتي رفع الله عيسى فحجب من اربع فلما بعث محمد صلي
الله عليه وسلم حجب من الثلاث الباقية فسمع ابليس تجاوب الملايكة بالصلوة علي ايوب وذلك
حين ذكره الله واثني عليه فادركه البغي والحسد فصعد سريعا حتي وقف من السماء موقفا كان يقفه
فقال الهي نظرت في عبدك ايوب فوجدته عبدا انعمت عليه فشكرك وعافيته فحمدك ولو ابتليته بنزع
ما اعطيته لحال عما هو عليه من شكرك وعبادتك ولخرج عن طاعتك فقال الله تعالي انطلق فقد
سلطتك علي ماله فانقض عدو الله ابليس حتي وقع الي الارض ثم جمع عفاريت الجن ومردة الشياطين
وقال لهم ماذا عندكم من القوة فاني سلطت علي مال ايوب فقال عفريت من الشياطين اعطيت
من القوة ما اذا شيت تحولت اعصارا من نار فاحرق كل شي فقال له ابليس فات الابل ورعاتها
فذهب فاتي الابل حين وضعت روسها وانبثت في مراعيها فلم يشعر الناس حتي ثار من
تحت الارض اعصار من نار لا يدنو منه احد الا احترق فاحرق الابل ورعاتها حتي اتي
علي اخرها ثم جا ابليس في زي بعض الرعاة الي ايوب فوجده قايما يصلي فقال يا ايوب
اقبلت نار حتي غشيت ابلك فاحرقتها ومن فيها غيري فقال ايوب الحمد لله الذي هو اعطاها وهو
اخذها وقديما وطنت نفسي ومالي علي الفنا فبقي الناس مبهوتين متعجبين فمن قايل يقول ما
كان ايوب يعبد شيا وما كان الا في غرور ومنهم من يقول لو كان اله ايوب يقدر
علي ان يصنع شيا لمنع وليه ومنهم من يقول هو الذي فعل ما فعل ليشمت به عدوه ويفجع
به صديقه فقال ايوب الحمد لله حين اعطاني وحين نزع مني عريانا خرجت من بطن امي
وعريانا اعود في التراب وعريانا احشر الي الله ولو علم الله فيك خيرا ايها العبد لنقل روحك
مع تلك الارواح وصرت شهيدا ولكنه علم منك شرا فاخرك فرجع ابليس الي اصحابه خاسيا
ذليلا فقال لهم ماذا عندكم من القوة فقال عفريت اخر عندي من القوة ما اذا شيت
صحت صيحة لا يسمعها ذو روح الا خرجت روحه فقال له ابليس فات الغنم ورعاتها
فانطلق فصاح بها فماتت ومات رعاتها ثم جا ابليس متمثلا بقهرمان الرعاة الي ايوب وهو يصلي
فقال له مثل القول الاول ورد عليه ايوب الرد الاول فرجع ابليس صاغرا الي اصحابه فقال
لهم ماذا عندكم من القوة فاني لم اكلم قلب ايوب فقال عفريت اخر عندي من القوة ما اذا شيت

تحولت ريحا عاصفا اقلع كل شي انبت عليه فقال اذهب الي الحرث والفدادين فاتاهم فاهلكهم
ثم اتي ابليس متمثلا الي ايوب وقال مثل قوله فرد عليه ايوب الرد الاول وكلما انتهي اليه هلاك
مال من امواله حمد الله واحسن الثنا عليه ورضي عنه بالقضا ووطن نفسه بالصبر علي البلا حتي لم
يبق له مال فلما راي ابليس صبره علي ذلك وقف الموقف الذي كان يقفه عند الله فقال الهي ان ايوب
يري انك ما متعته بولده فانت معطيه المال فهل انت مسلطي علي ولده فانها المصيبة التي لا تقوم
لها قلوب الرجال قال الله تعالي انطلق فقد سلطتك علي ولده فاتي اولاد ايوب في قصرهم فلم يزل
يزلزله بهم من قواعده حتي قلب القصر عليهم ثم جا ايوب متمثلا بالمعلم الذي يعلمهم الحكمة وهو جريح
مشدوخ الوجه والراس يسيل دمه ودماغه فقال لو رايت بنيك كيف انقلبوا منكوسين علي
رووسهم لتقطع قلبك فلم يزل يقول هذا ونحوه ويرققه حتي رق ايوب عليه السلام وبكي وقبض
قبضة من التراب ووضعها علي راسه وقال ليت امي لم تلدني فاغتنم ابليس ذلك وصعد سريعا
ووقف موقفه ثم لم يلبث ايوب ان فاق وابصر واستغفر وصعد قرناوه من الملايكة بتوبته
فسبقت توبته الي الله تعالي وهو اعلم فوقف ابليس ذليلا فقال يا الهي انما هون علي ايوب المال والولد
لعلمه انه يري انك اذا متعته بنفسه فانت تعيد له المال والولد فهل انت مسلطي علي جسده
فقال الله عز وجل انطلق فقد سلطتك علي جسده وليس لك علي قلبه وعقله ولسانه سلطان وكان
الله عز وجل اعلم به لم يسلطه عليه الا رحمة ليعظم له الثواب وتجعله عبرة للصابرين وذكري
للعابدين وكل بلا نزل بهم ليتاسوا به في الصبر ورجا للثواب فانقض عدو الله سريعا فوجد
ايوب ساجدا فعجل قبل ان يرفع راسه فاتاه من قبل وجهه فنفخ في منخره نفخة اشتعل بها جسده
فخرج من قرنه الي قدمه ثاليل مثل اليات الغنم ووقعت فيه حكة لا يملكها فكان يحك باظفاره
حتي سقطت كلها ثم حكها بالمسوح الخشنة حتي قطعها ثم حكها بالفخار والحجارة الخشنة حتي تقطع لحمه
وتغير وانتن فاخرجوه اهل القرية وجعلوه علي كناسة وجعلوا له عريشا ورفضه الناس كلهم الا
امراته رحمه بنت افراثيم بن يوسف فكانت تصلح اموره وتختلف اليه بما يصلحه ثم انه مثا طول
الحكاية الي ان قال ان ايوب عليه السلام ابتهل الي الله تعالي متضرعا اليه فقال رب لاي شي خلقتني
يا ليتني عرفت الذنب الذي اذنبت والعمل الذي عملت فصرفت وجهك عني الم اكن للغريب دارا
وللمسكين قرارا ولليتيم وليا وللمراة قيما الهي انا عبد ذليل ان احسنت فالمن لك وان اسات فبيدك
عقوبتي جعلتني للبلا غرضا وللفتنة نصبا وسلطت علي ما لو سلطته علي جبل لضعف عن حمله الهي
تقطعت اصابعي وتساقطت لهواتي وتناثر شعري ذهب المال فصرت اسال اللقمة فيطعمني
من يمن بها علي ويعيرني بفقري وهلاك اولادي قال الامام ابو القسم الانصاري رحمه الله
وفي جملة هذا الكلام ليتك اذ كرهتني لم تخلقني ثم قال ولو كان ذلك صحيحا لاغتنم ابليس ان يحمله
علي الشكوي وان يخرجه عن حلية الصابرين والله لم يخبر عنه الا قوله اني مسني الضر وانت ارحم
الراحمين وقال انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب واختلف العلما في السبب الذي قال
لاجله اني مسني الضر فروي ابن شهاب عن انس عن رسول الله صلي الله عليه وسلم ان ايوب عليه
السلام بقي في البلا ثماني عشرة سنة فرفضه القريب والبعيد الا رجلين كانا يغدوان اليه
ويروحان فقال احدهما للاخر ذات يوم والله ان ايوب اذنب ذنبا ما اذنبه احد من
العالمين فقال له صاحبه وما ذاك فقال منذ ثماني عشرة سنة لم يرحمه الله ولم يكشف ما به
فلما راحا الي ايوب لم يصبر حتي ذكر ذلك له فقال ايوب ما ادري ما تقولان غير ان الله تعالي
يعلم اني كنت امر علي الرجلين يتنازعان فيذكران الله فارجع الي بيتي فاكفر عنهما كراهية ان يذكرا
الله الا في حق وروي ان الرجلين لما دخلا عليه قالا لو كان لايوب عند الله منزلة ما بلغ الي

هذه الحالة فما شق علي ايوب شي اشد مما سمع منهما وقال اللهم ان كنت تعلم اني لم ابت شبعانا وانا
اعلم مكان جايع فصدقني فصدق ثم قال اللهم ان كنت تعلم اني لم البس قميصي قط وانا اعلم مكان عاري
فصدقني فصدق وهما يسمعان ثم خر ايوب ساجدا ثم قال اللهم لا ارفع راسي حتي تكشف ما بي قال
فكشف الله ما به وروي الحسن قال مكث ايوب بعد ما القي علي الكناسة سبع سنين واشهرا
ولم يبق له مال ولا ولد ولا صديق غير امراته رحمه صبرت معه وكانت تاتيه بطعام وتحمد الله
تعالي مع ايوب والصبر علي ما ابتلاه فصرخ ابليس صرخة جزعا من ايوب فاجتمع جنوده من اقطار
الارض فقالوا له ما خبرك قال اعياني هذا العبد الذي سالت الله ان يسلطني عليه وعلي ماله
وولده فلم ادع له مالا ولا ولدا فلم يزدد بذلك الا صبرا وحمدا ثم سلطت علي جسده فتركته ملقي
في كناسة ما يقربه الا امراته وهو مع ذلك لا يفتر من الذكر والحمد فاستغثت بكم لتغيثوني فاشيروا
علي فقالوا ارايت ادم حين اخرجته من الجنة من اين اتيته قال من قبل امراته قالوا فشانك من قبل امراته فانه
لا يستطيع ان يعصيها لانه لا يقربه احد غيرها قال اصبتم فانطلق حتي اتي امراته فتمثل لها في صورة
رجل فقال اين بعلك يا امة الله فقالت هو ذاك يحك قروحه ويتردد الدواب في جسده فلما سمعها
طمع ان يكون ذلك جزعا فوسوس اليها وذكرها ما كان لها من النعم والمال وذكرها جمال ايوب
وشبابه قال الحسن فصرخت فلما صرخت علم انها قد جزعت فاتاها بسخلة فقال ليذبح هذا ايوب
لغير الله فيبرا قال فجات تصرخ الي ايوب تقول حتي متي يعذبك ربك الا يرحمك اين المال اين الولد
اين الماشية اين الصديق اين الحسن اين جسمك الذي قد بلي وصار مثل الرماد وتردد فيك الدواب
اذبح هذه السخلة واسترح قال ايوب عليه السلام اتاك عدو الله ونفخ فيك فاجبته انما تذكرين
ما كنا فيه من المال والولد والصحة ومن اعطاناها ذلك قالت الله قال فكم متعنا به قالت ثمانين
سنة قال فمنذ كم ابتلانا هذا البلا قالت سبع سنين قال ما انصفت ربك الا صبرت
في البلا ثمانين سنة كما كنا في الرخا ثمانين سنة لين شفاني الله لاجلدنك مائة جلدة امرتني ان اذبح
لغير الله وحرام علي ان اذوق بعد هذا شيا من طعامك وشرابك الذي تاتيني به فطردها
فذهبت فلما نظر ايوب في شانه وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق وقد ذهبت امراته
خر ساجدا وقال رب اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين فقال ارفع راسك فقد استجبت لك
اركض برجلك فركض برجله فنبعت عين ما فاغتسل منها فلم يبق في ظاهر بدنه دابة الا
سقطت ثم ضرب برجله مرة اخري فنبعت عين اخري فشرب منها فلم يبق في جوفه دا الا خرج وقام
صحيحا وعاد اليه شبابه وجماله حتي صار احسن ما كان ثم كسي حلة فلما قام جعل يلتفت فلا
يري شيا مما كان له من الاهل والمال الا وقد ضاعفه الله حتي ذكر ان الما الذي اغتسل منه
تطاير علي صدره جرادا من ذهب فجعل يضمه بيده فاوحي الله اليه يا ايوب الم اغنك قال
بلي ولكن من يشبع من نعمك قال فخرج حتي جلس علي مكان مشرف ثم ان امراته قالت هب انه طردني
افاتركه حتي يموت جوعا وتاكله السباع لارجعن اليه فلما رجعت ما رات تلك الكناسة ولا تلك
الحال واذا الامور قد تغيرت فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكي وهابت صاحب
الحلة ان تاتيه وتسال عنه فارسل اليها ايوب ودعاها فقال ما تريدين يا امة الله فبكت
وقالت اردت ذلك المبتلي الذي كان ملقي علي الكناسة قال لها ايوب ما كان منك فبكت
وقالت بعلي قال اتعرفينه اذا رايتيه قالت وهل يخفي علي فتبسم وقال هو انا فعرفته بضحكه
فاعتنقته ثم قال انك امرتني ان اذبح سخلة لابليس واني اطعت الله وعصيت ابليس ودعوت
الله فرد علي ما ترين وروي الضحاك ومقاتل ان ايوب بقي في البلا سبع سنين وسبعة اشهر
وسبعة ايام وسبع ساعات وقال وهب بقي في البلا ثلاث سنين فلما غلب ايوب عليه السلام

ابليس ذهب ابليس لعنه الله الي امراته علي هيئة ليست كهيئة بني ادم في العظم والحسن والجمال علي مركب
ليس من مراكب الناس فقال لها انت صاحبة ايوب قالت نعم قال فهل تعرفيني قالت لا قال فانا
اله الارض صنعت بايوب ما صنعت وذلك لانه عبد اله السما وتركني فاغضبني ولو سجد لي سجدة واحدة
رددت عليه وعليك جميع ما لكما من مال وولد فان ذلك عندي قال وهب وسمعت انه قال
لو ان صاحبك اكل طعاما ولم يسم الله لعوفي مما به من البلا وفي رواية اخري قال لها لو شيت فاسجدي
لي سجدة واحدة لرجعت المال والولد واعافي زوجك فرجعت الي ايوب فاخبرته بما قال لها فقال
لها ايوب عليه السلام اتاك عدو الله ليفتنك ثم اقسم ان عافاه الله ليضربنها مائة سوط فقال عند
ذلك مسني الضر يعني من طمع ابليس في سجودي له وسجود زوجتي له ودعايه اياها واياي الي الكفر
وفي رواية قال وهب كانت امراة ايوب تعمل للناس وتاتيه بقوته فلما طال عليه البلا وسيمها
الناس فلم يستعملوها فالتمست ذات يوم شيا من الطعام فلم تجد شيا فجزت قرنا من راسها فباعته
برغيف فاتته فقال لها اين قرنك فاخبرته بذلك فحينيذ قال مسني الضر وفي رواية قال
اسمعيل السدي لم يقل ايوب مسني الضر الا لاشيا ثلاثة احدها قول الرجلين له لو كان عملك صالحا
لما اصابك ما اصابك والثاني كانت لامراته ثلاث ذوايب فعمدت الي احدها فقطعتها وباعتها
فاعطوها بذلك خبزا ولحما وجات الي ايوب فقال من اين هذا قالت كل فانه حلال فلما كان من الغد
لم تجد شيا فباعت الثانية وكذلك فعلت في اليوم الثالث وقالت كل فانه حلال فقال لا اكل لتوهم
ما لم تخبريني فاخبرته فبلغ ذلك من ايوب ما الله اعلم به وقيل انما باعت لان ابليس تمثل في صورة
بشر وقال لين تركتم ايوب في قريتكم فاني اخاف ان يعدي اليكم فانه من العلة فاخرجوه الي باب
البلد ثم قال لهم ان امراته تدخل في بيوتكم وتعمل وتمس زوجها فاتوا انه يتعدي علته فجنبتم فلم يستعملها
احد فباعت ضفيرتها والثالث حين قالت له امراته ما قالت وفي رواية قيل سقطت
دودة من فخذه فردها الي موضعها وقال قد جعلني الله طعمة لك فعضته عضة فقال مسني الضر
شديدة تم واوحي الله اليه لولا اني جعلت تحت كل شعرة صبرا لما صبرت **فصل** طعنت المعتزلة في
هذه القصة من وجوه الاول قال الجبائي ذهب بعض الجهال الي ان ما كان به من المرض كان فعلا
للشيطان سلطه عليه لقوله تعالي عنه مسني الشيطان بنصب وعذاب وهذا جهل اما اولا فانه
لو قدر علي احداث الامراض والاسقام وضدها من العافية لتهيا له فعل الاجسام ومن هذا
حاله يكون الها واما ثانيا فلان الله تعالي اخبر عنه وعن جنوده بان قال وما كان لي عليكم من
سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فالواجب تصديق خبر الله تعالي دون الرجوع الي وهب
ابن منبه وهذا اعتراض ضعيف لان المذكور في الحكاية ان الشيطان نفخ في منخره فوقعت
الحكة فيه فلم قلتم ان القادر علي النفخة التي تولد منها هذه الحكة لا بد وان يكون قادرا علي خلق
الاجسام وهل هذا الا محض التحكم واما التمسك بالنص فضعيف لانه انما يقدم علي هذا الفعل مع
علمه انه لو اقدم عليه لما منعه الله تعالي وهذه الحالة لم تحصل الا في حق ايوب عليه السلام من انه
استاذن الله فاذن له واذا كان كذلك لم يكن بين ذلك النص وبين هذه الحكاية مناقضة وثانيها
قالوا ما روي انه عليه السلام لم يبال الا عند امور مخصوصة بعيد لان الثابت في العقل انه يحسن
من المرء ان يسال ذلك ربه ويفزع اليه كما يحسن منه المداواة واذا جاز ان يسال ربه عند الغم بما
يراه من اهله جاز ايضا ان يسال ربه من قبل نفسه **فان قيل** افلا يجوزون انه تعالي
تعبده بان لا يسال الكشف الا في اخر امره قلنا يجوز ذلك بان يعلمه ان زوال ذلك به مدة
مخصوصة من مصالحه ومصالح غيره لا محالة فعلم عليه السلام انه لا وجه للمسيلة في هذا الامر
الخاص فاذا قرب الوقت جاز ان يسال ذلك من حيث يجوز ان يدوم ويجوز ان ينقطع وثالثها

قالوا

قالوا انها ذلك المرض الي حد التنفير غير جايز علي الانبيا **فصل** اعلم انه عليه السلام
الطف في السوال حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة وذكر ربه بغاية الرحمة ولم يصرح بالمطلوب
فان قيل اليس ان الشكوي تقدح في كونه صابرا فالجواب قال سفين بن عيينه ولو شكي
الي الله فانه لا يعد ذلك جزعا اذا كان في شكواه راضيا بقضا الله اذ ليس من شرطه استحلا البلا
الم تسمع قول يعقوب انما اشكوا بثي وحزني الي الله **قوله** وانت ارحم الراحمين وذلك ان كل من
يرحم غيره فاما ان يرحمه طلبا للثنا في الدنيا او الثواب في الاخرة او للرقة الجنسية في الطبع فيكون
مطلوب ذلك الراحم حظ نفسه واما الحق سبحانه فانه يرحم عباده من غير طلب زيادة او نقصان
من الثنا ومن صفات الكمال فهو ارحم الراحمين وايضا فكل من رحم غيره فانما ذلك بمعونة رحمة الله
لان من اعطا غيره طعاما او ثوبا او دفع عنه بلا فلولا الله سبحانه خلق المطعوم والملبوس والاذوية
والا لما قدر احد علي اعطا ذلك الشي ولولا الله لما حصل النفع بذلك فاذن رحمة العباد مسبوقة
برحمة الله وملحوقة برحمته فما بين الطرفين كالقطرة في البحر فوجب ان يكون ارحم الراحمين وايضا
فلولا ان الله تعالي خلق في قلب العبد تلك الدواعي والارادات لاستحال صدور تلك الرحمة
عنه فكان الراحم في الحقيقة هو الحق سبحانه لانه هو الذي انشا تلك الداعية فكان تعالي ارحم الراحمين
فان قيل كيف يكون ارحم الراحمين مع انه ملا الدنيا من الافات والاسقام والامراض والالام
وسلط البعض علي البعض بالايذا وكان قادرا علي ان يغني كل واحد عن ايلام الاخر وايذايه فالجواب
ان كونه سبحانه ضارا لا ينافي كونه نافعا بل هو الضار النافع فاضراره ليس لدفع مشقة ونفعه ليس
لجلب منفعة بل لا يسال عما يفعل **قوله** فاستجبنا له يدل علي انه دعا ربه لكن هذا الدعا
يجوز ان يكون وقع منه علي سبيل التعريض كما يقال ان رايت او ان اردت او احببت فافعل كذا ويجوز
ان يكون علي سبيل التصريح بازالة ما به من ضر وبين تعالي انه اتاه اهله ويدخل فيه من ينسب
اليه من زوجة وولد وغيرهما قال ابن مسعود وابن عباس وقتادة ومقاتل والحسن والكعبي وكعب
ان الله تعالي احيا له اهله يعني اولاده باعيانهم واعطاه مثلهم معهم وهو ظاهر القران قال
الحسن اتاه الله المثل من نسل ماله الذي رده اليه واهله ويدل عليه ما روي الضحاك عن
ابن عباس ان الله رد الي المراة شبابها فولدت له ستة وعشرين ذكرا قال وهب كان له سبع
بنات وثلاث بنين وقال ابن يسار كان له سبع بنين وسبع بنات وروي عن انس يرفعه انه كان
له اندران اندر للقمح واندر للشعير فبعث الله سحابتين فافرغت احديهما علي اندر القمح الذهب
وافرغت الاخري علي اندر الشعير الورق حتي فاض وروي ابو هريرة قال قال رسول الله صلي الله
عليه وسلم بينما ايوب يغتسل عريانا خر عليه جراد من ذهب فجعل ايوب يحثي في ثوبه فناداه ربه
يا ايوب الم اكن اغنيتك عما تري قال بلي يا رب ولكن لا غني بي من بركتك وروي ليث قال
ارسل مجاهد الي عكرمة وساله عن الاية فقال قيل لايوب ان اهلك لك في الاخرة فان شيت
عجلناهم لك في الدنيا وان شيت كانوا لك في الاخرة واتيناك مثلهم في الدنيا فقال يكونون لي في الاخرة
واوتي مثلهم في الدنيا فعلي هذا يكون معني الاية واتيناه اهله في الاخرة ومثلهم معهم في الدنيا
واراد بالاهل الاولاد فاما الذين اهلكوا فانهم لم يردوا عليه في الدنيا **قوله** رحمة فيها
وجهان اظهرهما انها مفعول من اجله والثاني انها مصدر لفعل مقدر اي رحمناه رحمة ومن عندنا
صفة لرحمة **قوله** وذكري للعابدين اي فعلنا به تلك الرحمة وهي النعمة لكي يتفكر فيها الذكر
وينتفعون فيعتبرون وخص العابدين لانهم المنتفعون بذلك **قوله تعالي** واسمعيل يعني ابن
ابرهيم وادريس وهو اخنوخ وذا الكفل كل من الصابرين لما ذكر صبر ايوب اتبعه بذكر هولا
فانهم ايضا كانوا من الصابرين علي الشدايد والمحن والعبادة اما اسمعيل فصبر علي الانقياد للذبح

وصبر على المقام ببلد لا زرع فيه ولا ضرع ولا ابنا وصبر في بنا البيت فاكرمه الله واخرج من
صلبه خاتم النبيين واما ادريس فتقدمت قصته في سورة مريم قال ابن عمر بعث الى قومه داعيا
لهم الى الله فابوا فاهلكهم الله ورفع ادريس الى السما السابعة واما ذا الكفل قال الزجاج الكفل
في اللغة اللقب الذي يحمل على عجز البعير يركب عليه الرديف وقال ابن الاثير هو كسا يحوط حول
سنام البعير ثم يركب فذلك الكسا هو الكفل وهو بكسر الكاف واسكان الفا فاصله من الكفل
بفتح الفا والكفل ايضا النصيب قال تعالى يكن له كفل منها اي نصيب واختلفوا في تسميته
بهذا الاسم فقال الحسن كان له ضعف عمل الانبيا في زمانه وضعف ثوابهم وقال
ابن عباس ان نبيا من انبيا بني اسرايل اتاه الله الملك والنبوة ثم اوحى الله اليه اني اريد قبض
روحك فاعرض الملك على بني اسرايل فمن تكفل لك انه يصلي بالليل لا يفتر ويصوم بالنهار لا يفطر
ويقضي بين الناس ولا يغضب فادفع ملكك اليه ففعل ذلك فقام شاب فقال انا اتكفل لك بهذا
ووفا به فشكر الله له ونباه فسمي ذا الكفل وعلى هذا فالمراد بالكفل هنا الكفالة لانه تكفل بامور
فوفى بها وقال مجاهد لما كبر اليسع عليه السلام قال لو اني استخلفت رجلا على الناس في حياتي فتكفل حم
حتى انظر كيف يعمل فجمع الناس فقال من يتقبل مني بثلاث استخلفه يصوم النهار ويقوم الليل ويقضي
فلا يغضب فقام رجل تزدريه العين فقال انا فرده ذلك اليوم وقال مثلها في اليوم الاخر فسكت
الناس وقام ذلك الرجل فقال انا فاستخلفه فاتاه ابليس في صورة شيخ ضعيف حين اخذ مضجعه
للقايلة وكان لا ينام بالليل والنهار الا تلك النومة فدق الباب فقال من هذا فقال شيخ
كبير مظلوم فقال ففتح الباب فقال ان بيني وبين قومي خصومة وانهم ظلموني وفعلوا وفعلوا
وجعل يطول حتى حضر الرواح وذهبت القايلة فقال اذا رحت فاتني اخذ حقك فانطلق
وراح فكان في مجلسه ينظر هل يرى الشيخ فلم يره فلما كان الغد يقضي بين الناس ينتظره فلا يراه
فلما رجع الى القايلة اخذ مضجعه اتاه فدق الباب فقال من هذا فقال الشيخ المظلوم ففتح له
فقال الم اقل فاذا قعدت فاتني فقال انهم اخبث قوم اذا عرفوا انك قاعد قالوا نحن نعطيك
حقك واذا قمت جحدوني قال فانطلق فاذا رحت فاتني فاتته القايلة فراح فجعل ينظر
ولا يراه وشق عليه النعاس فقال للبواب في اليوم الثالث قد غلب علي النعاس فلا تدع احدا
يقرب هذا الباب حتى انام فجا ابليس في تلك الساعة فلم ياذن له الرجل فدخل في كوة في البيت
فتسور منها ودق الباب من داخل فاستيقظ وعاتب البواب فقال اما من قبلي فلم يات فانظر
من اين اتيت فقام الى الباب فاذا هو مغلق كما اغلقه واذا الرجل معه في البيت فقال له
اتنام والخصوم بابك فقال انت ابليس قال نعم اعييتني في كل شي ففعلت هذه الافعال بك
فعصمك الله مني فسمي ذا الكفل لانه تكفل بامر فوفى به وقيل غير ذلك **فصل** قال
ابو موسى الاشعري ومجاهد ذو الكفل لم يكن نبيا بل كان عبدا صالحا وقال الحسن والاكثرون
كان نبيا وهو الاظهر لانه تعالى قرن ذكره باسمعيل وادريس والغرض ذكر الفضلا من عباده
فدل ذلك على نبوته ولان السورة ملقبة بسورة الانبيا ولان قوله ذا الكفل يحتمل ان يكون
لقبا وان يكون اسما والاولى ان يكون اسما لانه اكثر فايدة من اللقب واذا ثبت ذلك فالكفل
هو النصيب لقوله تعالى يكن له كفل منها والظاهر ان الله تعالى انما سماه بذلك تعظيما له فوجب
ان يكون الكفل هو كفل الثواب فسمي بذلك لان عمله وثواب عمله كان ضعف عمل غيره وضعف
ثواب غيره وقد كان في زمنه انبيا على ما روي **فصل** قيل ان ذا الكفل زكريا
وقيل يوشع وقيل الياس ثم قالوا خمسة من الانبيا عليهم السلام سماهم الله باسمين اسرايل ويعقوب
والياس وذا الكفل وعيسى والمسيح ويونس وذا النون ومحمد واحمد **قوله** كل من الصابرين

اي على القيام بامر الله واحتمال الاذى في نصرة دينه وادخلناهم في رحمتنا قال مقاتل الرحمة
النبوة ونصيرهم الى الجنة والثواب وقال اخرون يتناول جميع اعمال البر **قوله تعالى**
وذا النون اذ ذهب مغاضبا الاية ذا بمعنى صاحب والنون الحوت ويجمع على نينان كحوت
وحيتان والمراد بذي النون يونس عليه السلام وسمي بذلك لان النون ابتلعه وقد تقدم ان
الاسم اذا دار بين ان يكون مفيدا ولقبا فحمله على المفيد اولى خصوصا اذا علمت الفايدة التي
لذلك الوصف **قوله** مغاضبا حال من فاعل ذهب والمفاعلة هنا تحتمل ان يكون على بابها
من المشاركة اي غاضب قومه وغاضبوه حين لم يومنوا في اول الامر وفي بعض التفاسير مغاضبا
لربه فان صح ذلك عمن يعتبر قوله فينبغي ان يكون اللام للتعليل لا للتعدية للمفعول اي لاجل ربه
ولدينه ويحتمل ان يكون بمعنى غضبان فلا مشاركة كعاقبت وسافرت والعامة على مغاضبا
اسم فاعل وقرا ابو شرف مغاضبا بفتح الضاد على ما لم يسم فاعله كذا نقله ابو حيان ونقله
الزمخشري عن ابي شرف مغضبا دون الف من اغضبته فهو مغضب **قوله** ان لن نقدر ان هذه
المخففة واسمها ضمير الشان محذوف ولن نقدر هو الخبر والفاصل حرف النفي والمعنى لن نضيق
عليه كقوله فقدر عليه رزقه ومن قدر عليه رزقه والعامة على نقدر بنون العظمة مفتوحة
وتخفيف الدال والمفعول محذوف اي الجهات والاماكن وقرا الزهري بضمها وتشديد الدال
وقرا ابن ابي ليلى وابو شرف والكلبي وحميد بن قيس ويعقوب يقدر بضم اليا من تحت وفتح
الدال خفيفة مبنيا للمفعول وقرا الحسن وعيسى بن عمر بفتح اليا وكسر الدال خفيفة وعلي بن ابي
طالب واليماني بضم اليا وكسر الدال مشددة والفاعل على هذين الوجهين ضمير يعود على الله
تعالى **قوله** ان لا اله الا انت يجوز في ان وجهان احدهما انها المخففة من الثقيلة فاسمها
كما تقدم محذوف والجملة المنفية بعدها الخبر والثاني انها تفسيرية لانها بعد ما هو بمعنى القول
لا حروفه **فصل** معنى الاية واذكر صاحب الحوت وهو يونس بن متى اذ ذهب مغاضبا
قال ابن عباس كان يونس وقومه يسكنون فلسطين فغزاهم ملك وسبا منهم تسعة اسباط
ونصف وبقي سبطان ونصف فاوحى الله الى شعيا النبي ان اذهب الى حزقيل الملك وقل له
حتى يوجه نبيا قويا امينا فاني القي في قلوب اوليك حتى يرسلوا معه بني اسرايل فقال
الملك فمن ترى وكان في مملكته خمسة من الانبيا فقال يونس بن متى فانه قوي امين فدعا الملك
يونس وامره ان يخرج فقال يونس هل امرك الله باخراجي قال لا قال فهل سماني لك قال لا قال
فها هنا انبيا غيري اقويا فالحوا عليه فخرج مغاضبا للنبي وللملك ولقومه فاتى بحر الروم فوجد
قوما هيوا سفينة فركب معهم وقال عروة بن الزبير وسعيد بن جبير وجماعة اذ ذهب عن
قومه مغاضبا لربه اذ كشف عن قومه العذاب بعد ما وعدهم فكره ان يكون بين قوم قد
جربوا عليه الخلف فيما وعدهم واستحيا منهم ولم يعلم السبب الذي به رفع العذاب عنهم وكان
غضبه انفة من ظهور خلف وعده وان يسمى كذابا لا كراهية لحكم الله وفي بعض الاخبار انه
كان من عادة قومه ان يقتلوا من جربوا عليه الكذب فخشي ان يقتلوه لما لم ياتهم العذاب للميعاد
فغضب والمغاضبة ههنا هي المفاعلة التي تكون من واحد كالمسافرة والمعاقبة فمعنى قوله
مغاضبا اي غضبان وعن ابن عباس قال اتى جبريل يونس فقال انطلق الى اهل نينوى فانذرهم
قال التمس دابة قال الامر اعجل من ذلك فغضب فانطلق الى السفينة وقال وهب ان يونس بن
متى كان عبدا صالحا وكان في خلقه ضيق فلما حمل عليه اثقال النبوة تفسخ تحتها تفسخ الربع تحت
الحمل الثقيل فقذفها من يديه وخرج هاربا منها فلذلك اخرجه الله من اولي العزم فقال لنبيه
محمد صلى الله عليه وسلم فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وقال فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب

الحوت **قوله** فظن ان لن نقدر عليه اي لن نقضي عليه العقوبة قال مجاهد وقتادة والضحاك
والكلبي وهو رواية العوفي عن ابن عباس يقال قدر الله شيا تقديرا وقدر يقدر قدرا بمعنى
واحد ومنه قوله نحن قدرنا بينكم الموت في قراة من خففها دليل هذا التاويل قراة عمر بن عبد
العزيز والزهري فظن ان لن نقدر عليه بالتشديد وقال عطا وكثير من العلما معناه فظن ان لن
نضيق عليه الحبس من قوله تعالى ان الله يبسط الرزق لمن يشا ويقدر اي يضيق وقال ابن زيد
هو استفهام معناه افظن انه يعجز ربه فلا يقدر عليه وعن الحسن قال بلغني ان يونس لما اصاب
الذنب انطلق مغاضبا لربه واستزله الشيطان حتى ظن ان لن نقدر عليه وكان له سلف عبادة
فابى الله ان يجعله للشيطان فقذفه في بطن الحوت فمكث فيه اربعين من بين يوم وليلة وقال
عطا سبعة ايام وقيل ثلاثة ايام وقيل ان الحوت ذهب به مسيرة ستة الاف سنة وقيل بلغ به تخوم
الارض السابعة فتاب الى ربه في بطن الحوت وراجع نفسه فقال لا اله الا انت سبحانك اني كنت
من الظالمين حين عصيتك وما صنعت من شي فلم اعبد غيرك فاخرجه الله من بطن الحوت برحمته
فصل احتج القايلون بجواز الذنب على الانبيا بهذه الاية من وجوه احدها ان اكثر
المفسرين على انه ذهب يونس مغاضبا لربه فيقال هذا قول ابن مسعود وابن عباس والحسن والشعبي
وسعيد بن جبير ووهب واختيار ابن قتيبة ومحمد بن جرير واذا كان كذلك فمغاضبة الله من اعظم
الذنوب ثم على تقدير ان هذه المغاضبة لم تكن مع الله بل كان مع ذلك الملك او مع القوم فهو
ايضا محظور لقول الله تعالى فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت وهذا يقتضي ان ذلك
الفعل من يونس محظور وثانيها قوله فظن ان لن نقدر عليه وذلك يقتضي كونه شاكا في قدرة
الله وثالثها قوله اني كنت من الظالمين والظلم مذموم قال تعالى الا لعنة الله على الظالمين ورابعها
انه لو لم يصدر منه الذنب فلم عاقبه الله بان القاه في البحر في بطن الحوت وخامسها قوله
فالتقمه الحوت وهو مليم والمليم هو ذو الملامة ومن كان كذلك فهو مذنب وسادسها قوله
ولا تكن كصاحب الحوت فان لم يكن صاحب ذنب لم يجز النهي عن التشبه به وان كان مذنبا فهو
المطلوب وسابعها قوله فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت وقال فاصبر كما صبر اولو العزم
وهذا يقتضي ان ذلك الفعل يخرج من ان يكون يونس من اولي العزم **والجواب** انه ليس في
الاية من غاضبه فلا يقطع على نبي الله بانه غاضب ربه لان ذلك صفة من يجهل كون الله مالكا للامر
والنهي والجاهل بالله لا يكون مومنا فضلا عن ان يكون نبيا واما ما روي من انه خرج مغاضبا لامر
يرجع الى الاستعداد فمما يرتفع حال الانبيا عنه لان الله اذا امرهم بشي فلا يجوز ان يخالفوه لقوله
تعالى وما كان لمومن ولا مومنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان تكون لهم الخيرة من امرهم وقوله فلا
وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت فاذا كان في
الاستعداد مخالفة لم يجز ان يقع ذلك منهم واذا ثبت انه لا يجوز صرف هذه المغاضبة الى
الله وجب ان يكون المراد انه خرج مغاضبا لغير الله والغالب انه انما يغاضب من يعصيه
فيما يامره به فيحمل على مغاضبة قومه او الملك او هما جميعا ومعنى مغاضبته لقومه انه غضبهم
لمفارقته لخوف حلول العذاب وقرى مغضبا كما تقدم واما قولهم مغاضبة القوم ايضا محظور
لقوله ولا تكن كصاحب الحوت فالجواب لا نسلم انه كانت محرمة اما الذهاب فلان الله
امره بتبليغ الرسالة اليهم واما امره بان يبقى معهم ابدا فظاهر الامر لا يقتضي التكرار فلم يكن
خروجه من بينهم معصية واما الغضب لما لم يكن منهيا عنه قبل ذلك ظن ان ذلك جايز من
حيث انه لم يفعله الا غضبا لله وانفة لدينه بل كان الاولى له ان يصابر وينتظر من الله
الامر بالمهاجرة عنهم ولهذا قال تعالى ولا تكن كصاحب الحوت كان الله تعالى اراد لمحمد صلى الله

عليه

عليه وسلم افضل المنازل واعلاها واما **الجواب** عن قوله فظن ان لن نقدر عليه فنقول من
ظن عجز الله فهو كافر ولا خلاف انه لا يجوز نسبة ذلك الى احاد المومنين فكيف الى الانبيا فاذن
لا بد فيه من التاويل وفيه وجوه **الاول** فظن ان لن نقدر عليه نضيق عليه كقوله الله يبسط
الرزق لمن يشا ويقدر ومن قدر عليه رزقه اي يضيق وكذا قوله واما اذا ما ابتلاه فقدر
عليه رزقه اي ضيق فمعناه ان لن نضيق عليه وعلى هذا فالاية حجة لنا لان يونس ظن انه مخير
ان شا اقام وان شا خرج وانه تعالى لا يضيق عليه في اختياره وكان في المعلوم ان الصلاح في تاخير
خروجه وهذا من الله بيان لما يجري مجرى العذر له من حيث خرج لا على تعمد المعصية لكن ظن
ان الامر في خروجه موسع يجوز ان يتقدم ويوخر وكان الصلاح خلاف ذلك **الثاني** ان يكون
هذا من باب التمثيل اي فكانت حالته ممثلة لحال من ظن ان لن نقدر عليه في خروجه عن قومه
من غير انتظار لامر الله **الثالث** ان يفسر القدر بالقضا والمعنى فظن ان لن نقضي عليه بشدة
قاله مجاهد وقتادة والضحاك والكلبي ورواية العوفي عن ابن عباس واختار الفرا والزجاج
يقال قدر الله الشي قدرا وقدره تقديرا فالقدر بمعنى التقدير وتقدم قراة عمر بن عبد
العزيز والزهري بضم النون والتشديد من التقدير وروي انه دخل على ابن عباس على
معوية فقال معوية لقد ضربتني امواج القران البارحة فغرقت فيها فلم اجد لنفسي خلاصا الا بك
فقال وما هي قال اظن نبي الله ان لن نقدر عليه فقال ابن عباس هذا من القدر لا من القدرة **الرابع**
معناه فظن ان لن نبين القدرة والفعل مناسبه فلا يبعد جعل احدهما مجازا عن الاخر **الخامس**
انه استفهام بمعنى التوبيخ كما تقدم عن ابن زيد **السادس** قول من قال ان هذه الواقعة كانت
قبل رسالة يونس فيكون هذا الظن حاصلا قبل الرسالة واذا كان كذلك فلا يبعد في حق غير
الانبيا ان يسبق ذلك الى وهمه بوسوسة الشيطان ثم انه يرده بالحجة والبرهان واما الجواب
عن قوله اني كنت من الظالمين فنقول ان حملناه على ما قبل النبوة فلا كلام وان حملناه على
ما بعدها فيجب تاويله لانا لو اجريناه على ظاهره لاستحق اللعن وهذا لا يقوله مسلم واذا وجب
التاويل فنقول لا شك انه كان تاركا للفضيلة مع القدرة على تحصيل الافضل فكان ذلك
ظلما واما **الجواب** عن القايه في البحر في بطن الحوت وان ذلك عقوبة فلا نسلم ان ذلك عقوبة
اذ الانبيا لا يجوز ان يعاقبوا بل المراد المحنة واما **الجواب** عن الملامة فانما كانت بسبب
ترك الافضل **فصل** فنادى في الظلمات قال الزمخشري اي في الظلمة الشديدة
المتكاثفة في بطن الحوت كقوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات وقوله يخرجونهم من النور الى
الظلمات وقيل اراد ظلمة الليل والبحر وبطن الحوت ان لا اله الا انت سبحانك نزه ربه عن كل
النقايص ومنها العجز وهذا يدل على انه ما كان مراده من قوله فظن ان لن نقدر عليه انه ظن
العجز وانما قال سبحانك لان معناه سبحانك ان تفعل جورا او تشتهي الانتقام او عجزا عن
تخليصي عن هذا الحبس بل فعلته بحق الالهية وبمقتضى الالهية اني كنت من الظالمين اي ظلمت نفسي
بفراري من قومي بغير اذنك كانه قال كنت من الظالمين وانا الان من التايبين النادمين فاكشف
عني المحنة روى انس عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مكروب يدعوا بهذا الدعا الا استجيب
له **قوله** فاستجبنا له ونجيناه من الغم اي من غمه بسبب كونه في بطن الحوت وبسبب
خطيئته **قوله** وكذلك ننجي المومنين الكاف نعت لمصدر او حال من ضمير المصدر اي كما
انجينا يونس من كرب الحوت اذ دعانا او كما نجينا يونس كذلك ننجي المومنين من كربهم اذا
استغاثوا بنا وقرا العامة ننجي بضم النون الاولى وسكون الثانية من انجى ينجي وقرا ابن عامر
وابو بكر عن عاصم نجي بتشديد الجيم وسكون اليا وفيها اوجه احسنها ان يكون الاصل ننجي بضم

الاولى وفتح الثانية وتشديد الجيم فاستثقل توالي مثلين فحذفت الثانية كما حذفت في قوله
ما نزل الملايكة في قراءة من قراه كما تقدم وكما حذفت التا الثانية في قوله تذكرون وتظاهرون
وبابه ولكن ابو البقا استضعف هذا التوجيه بوجهين فقال احدهما ان النون الثانية اصل
وهي فا الكلمة فحذفها يبعد جدا والثاني ان حركتها غير حركة النون الاولى فلا يستثقل الجمع بينهما
بخلاف تظاهرون الا ترى انك لو قلت تتحامى المظالم لم يمتنع حذف الثانية اما كون الثانية اصلا
فلا اثر له في منع الحذف الا ترى ان النحويين اختلفوا في اقامة واستقامة اي الالفين المحذوفة
مع ان الاولى هي اصل لانها عين الكلمة واما اختلاف الحركة فلا اثر له ايضا لان الاستثقال باتحاد
لفظ الحرفين على اي حركة كانا الوجه الثاني ان نجي فعل ماض مبني للمفعول وانما سكنت لامه تخفيفا
كما سكنت في قوله ما بقي من الربا في قراءة شاذة تقدمت قالوا واذا كان الماضي الصحيح قد سكن
تخفيفا فالمعتل اولى ومنه انما شعري قد تدخلط بجلجلان وتقدم من ذلك جملة فاسند هذا
الفعل الى ضمير المصدر مع وجود المفعول الصريح كقراءة ابي جعفر ليجزي قوما بما كانوا يكسبون
وهذا راي الكوفيين والاخفش وتقدمت شواهد ذلك والتقدير نجي النجا قال ابو البقا وهو
ضعيف من وجهين احدهما تسكين اخر الفعل الماضي والاخر اقامة المصدر مع وجود المفعول
الصريح وقد عرف جوابهما مما تقدم الوجه الثالث ان الاصل ننجي كقراءة العامة الا ان النون
الثانية قلبت جيما وادغمت في الجيم بعدها وهذا ضعيف جدا لان النون لا تقارب الجيم فتدغم
فيها الوجه الرابع انه ماض مسند لضمير المصدر اي نجي النجا كما تقدم في الوجه الثاني الا ان المومنين
ليس منصوبا بنجي بل بفعل مقدر وكان صاحب هذا الوجه فر من اقامة غير المفعول به مع وجوده
فجعله من جملة اخرى وهذه القراءة متواترة ولا التفات على من طعن على قاريها وان كان ابو علي
قال هي لحن وهذه جراة منه وقد سبقه الى ذلك ابو اسحق الزجاج واما الزمخشري فانما طعن على
بعض الاوجه المتقدمة فقال ومن تمحل لصحته فجعله فعل وقال نجي النجا المومنين وارسل اليا
واسنده الى مصدره ونصب المومنين فمتعسف بارد التعسف فلم ير تضعيف هذا التخريج بل للقراءة
عنده تخريج اخر وقد يمكن ان يكون هو المبتدا به لسلامته مما تقدم من الضعف **قوله
تعالى** وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا الايه اعلم انه تعالى بين ههنا انقطاع زكريا
الى ربه لما مسه الضر بتفرده واحب من يونسه ويقويه على امر دينه ودنياه ويقوم مقامه
بعد موته فدعا الله تعالى دعا مخلص عارف بقدرة ربه على ذلك وان بهت به الحال وبزوجته
من الكبر وغيره مما يمنع من ذلك بحكم العادة فقال رب لا تذرني فردا وحيدا لا ولد لي ولا وارث يرثني
وارثا وانت خير الوارثين ثنا على الله بانه الباقي بعد فنا الخلق وانه افضل من بقي حيا ويحتمل ان يكون
المعنى ان لم ترزقني من يرثني فلا ابالي فانك خير الوارثين قال ابن عباس كان سنه مائة سنة
وسن زوجته تسعا وتسعين فاستجبنا له اي فعلنا ما اراده بسواله ووهبنا له يحيى ولدا صالحا
واصلحنا له زوجه اي جعلناها ولودا بعدما كانت عقيما قاله اكثر المفسرين وقيل كانت سيئة الخلق
سليطة اللسان فاصلح الله خلقها وقيل جعلها مصلحة في الدين فان صلاحها في الدين من اكبر اعوانه
لانه يكون اعانه في الدين والدنيا واعلم ان قوله ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه يدل على ان
الواو لا تفيد الترتيب لان اصلاح الزوج مقدم على هبة الولد مع انه تعالى اخره في اللفظ ثم
قال انهم يعني الانبيا الذين سماهم في هذه السورة وقيل زكريا وولده واهله كانوا يسارعون
في الخيرات والمسارعة في طاعة الله من اكبر ما يمدح المرء به لانه يدل على حرص عظيم على الطاعة
قوله ويدعوننا العامة على ثبوت نون الرفع قبل نا مفكوكة منها وقراة فرقة يدعونا بحذف
نون الرفع وطلحة بادغامها فيها وهذان الوجهان فيهما اجرا نون نا مجرى نون الوقاية وقد تقدم

هام

قوله

قوله رغبا ورهبا يجوز ان ينتصبا على المفعول من اجله وان ينتصبا على انهما مصدران
واقعان موقع الحال اي راغبين راهبين وان ينتصبا على المصدر الملاقي لعامله في المعنى دون
اللفظ لان ذلك نوع منه والعامة على فتح الغين والها وابن وثاب والاعمش وروية عن
ابي عمرو بسكون الغين والها ونقل عن الاعمش وهو الاشهر عنه بضم الرا وما بعدها وقرات فرقة
بضمة وسكون فيهما **فصل** ومعنى رغبا طمعا ورهبا خوفا اي رغبا في رحمة الله ورهبا
من عذاب الله وكانوا لنا خاشعين اي متواضعين قال قتادة ذللا لامر الله وقال مجاهد
الخشوع هو الخوف اللازم في القلب **قوله تعالى** والتي احصنت فرجها الاية يجوز ان ينتصب
قوله والتي نسقا على ما قبلها وان ينتصب باضمار اذكر وان ترتفع بالابتدا والخبر محذوف
اي وفيما يتلى عليكم التي احصنت ويجوز ان يكون الخبر فنفخنا وزيدت الفا على راي الاخفش نحو
زيد فقايم وفي كلام الزمخشري نفخنا الروح في عيسى فيها قال ابو حيان مواخذا له فاستعمل نفخ متعديا
والمحفوظ انه لا يتعدى في تعديه الى سماع وغير متعد استعمله هو في قوله اي نفخت في المزمار
انتهى ما واخذه به قال شهاب الدين وقد سمع نفخ متعديا ويدل على ذلك ما قرى في الشاذ فانفخها
فتكون طيرا وقد حكاها هو قراة فكيف ينكرها فعليك بالالتفات الى ذلك وقال ابن الخطيب
جعلنا النفخ في مريم من جهة روحنا وهو جبريل عليه السلام لانه نفخ في جيب درعها فوصل
النفخ الى جوفها اي امرنا جبريل فنفخ في جيب درعها واحدثنا بذلك النفخ المسيح في بطنها واما
الروح اليه تشريفا لعيسى عليه السلام ومعنى احصنت فرجها اي احصانا كليا من الحلال والحرام جميعا
كما قالت ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا وقيل منعت جبريل جيب درعها قبل ان تعرفه والاول
اولى لانه الظاهر من اللفظ **قوله** وجعلناها وابنها اية للعالمين امام يعرفا بانها كثيرة
احداها ظهور الحبل فيها لا من ذكر وذلك معجزة خارجة عن العادة وثانيها ان رزقها كان
ياتيها به الملايكة من الجنة لقول زكريا انى لك هذا قالت هو من عند الله وثالثها ورابعها قال
الحسن انها لم تلتقم ثديا قط وتكلمت هي ايضا في صباها كما تكلم عيسى واما ايات عيسى عليه السلام
فقد تقدم بيانها **فان قيل** هلا قيل ايتين كما قال وجعلنا الليل والنهار ايتين
ليطابق المفعول فالجواب ان كلا منهما اية بالاخر فصارا اية واحدة لان حالهما بمجموعهما اية واحدة
وهي ولادتها اياه من غير فحل او نقول حذف من الاول لدلالة الثاني او بالعكس اي وجعلنا ابن
مريم اية وامه كذلك وهو نظير الحذف في قوله والله ورسوله احق ان يرضوه وقد تقدم او ان
معنى الكلام وجعلنا شانهما وامرهما اية **قوله تعالى** ان هذه امتكم الاية العامة على
رفع امتكم خبرا لان ونصب امة واحدة على الحال وقيل على البدل من هذه فيكون قد فصل
بالخبر بين البدل والمبدل منه نحو زيدا قايم اخاك وقرا الحسن امتكم بالنصب على البدل من
هذه او عطف البيان وقرا ايضا هو وابن ابي اسحاق والاشهب العقيلي وابو حيوة وابن ابي
عبلة وهرون عن ابي عمرو امة واحدة بالرفع على خبر ان وامتكم امة واحدة برفع الثلاثة
على ان يكون امتكم خبر ان كما تقدم وامة واحدة بدل منها بدل نكرة من معرفة او تكون
امة واحدة خبر مبتدا محذوف ومعنى امتكم قال الزمخشري الامة الملة واشار الى ملة
الاسلام امة واحدة اي دينا واحدا وهو الاسلام غير مختلف فابطل ما سوى الاسلام
من الاديان واصل الامة الجماعة التي هي على مقصد واحد فجعلت الشريعة امة لاجتماع اهلها
على المقصد الواحد ثم قال وانا ربكم الهكم فاعبدون **قوله** وتقطعوا اي اختلفوا والاصل
وتقطعتم الى ان الكلام صرف الى الغيبة على طريق الالتفات كانه ينعى عليهم ما افسدوه الى
اخرين ويقبح عندهم فعلهم ويقول لهم الا ترون الى عظيم ما ارتكب هولا والمعنى اختلفوا في الدين

نصا د وا فرقا احزابا قال الكلبي وفرقوا دينهم بينهم يلعن بعضهم بعضا ويتبرا بعضهم من بعض
والتقطع ههنا بمعنى التقطيع **قوله** امرهم فيه ثلاثة اوجه احدها انه منصوب على اسقاط
الخافض اي تفرقوا في امرهم الثاني انه مفعول به وعدي تقطعوا لانه بمعنى قطعوا الثالث انه
تمييز وليس بواضح معنى وهو معرفة فلا يصح من جهة صناعة البصريين قال ابو البقا وقيل
هو تمييز اي تقطع امرهم فجعله منقولا من الفاعلية **وزبرا** يجوز ان يكون مفعولا ثانيا
على ان يضمن تقطعوا معنى صيروا بالتقطيع واما ان ينصب على الحال من المفعول اي مثل زبر اي
كتب فان الزبر جمع زبور كرسل جمع رسول او يكون حالا من الفاعل نقله ابو البقا في سورة المومنين
وفيه نظر اذ لا معنى له وانما يظهر كونه حالا من الفاعل في قراءة زبرا بفتح البا اي فرقا والمعنى
صيروا امرهم زبرا اي قطعوه في هذه الحال والوجهان ماخوذان من تفسير الزمخشري لمعنى
الاية الكريمة فانه قال والمعنى جعلوا امر دينهم فيما بينهم قطعا كما يتوزع الجماعة ويقتسمونه
فيصير لهذا نصيب ولذلك نصيب تمثيلا لاختلافهم فيه وصيرورتهم فرقا واحزابا وفي
الكلام التفات من الخطاب وهو قوله امتكم الى الغيبة تشنيعا عليهم بسوء صنيعهم وقرا الاعمش
زبرا بفتح البا جمع زبرة وهي قطعة الحديد في الاصل ونصبه على الحال من ضمير الفاعل في تقطعوا
كما تقدم ولم يتعرض له ابو البقا في السورة وتعرض له في المومنين فذكر فيه الاوجه المتقدمة
وزاد انه قرئ زبرا بسكون البا وهو بمعنى المضموم **قوله** كل الينا راجعون توعدهم بان هذه
الفرق المختلفة اليه يرجعون فيحاسبهم ويجازيهم باعمالهم قال عليه السلام تفرقت بنو اسرايل
على احدى وسبعين فرقة فهلكت سبعون وخلصت فرقة وان امتي ستفترق على اثنين وسبعين
فرقة تهلك احدى وسبعين فرقة وتخلص فرقة قالوا يا رسول من تلك الفرقة قال الجماعة
الجماعة الجماعة وهذا الخبر تبين ان المراد بقوله ان هذه امتكم الجماعة المتمسكة بما بينه الله تعالى
في هذه السورة من التوحيد والنبوات وان قول الرسول في الناجية انها الجماعة ليس تعريفا
للفرقة الناجية اذ لا فرقة تمسكت بباطل او بحق الا وهي جماعة من حيث العدد ولهذا طعن بعضهم
في صحة الخبر فقال ان اراد بالاثنين وسبعين فرقة اصول الاديان فلم يبلغ هذا القدر وان
اراد الفروع فانها تتجاوز هذا القدر الى اضعاف ذلك وقيل ايضا ضد ذلك وهو انها كلها
ناجية الا فرقة واحدة والجواب قال ابن الخطيب المراد ستفترق امتي في حال ما وليس فيه
دلالة على افتراقها في ساير الاحوال ولا انه لا يجوز ان يزيد وينقص **قوله** فمن يعمل من الصالحات
وهو مومن الاية لما ذكر امر الامة وتفرقهم وانهم راجعون الى حيث لا امر الا له اتبع ذلك بقوله فمن يعمل
من الصالحات وهو مومن فلا كفران لسعيه اي لا تجحد ولا يبطل سعيه والكفران مصدر بمعنى الكفر
قال ، رايت اناسا لا تنام جدودهم ، وجدي ولا كفران لله نايم ، ولسعيه متعلق بمحذوف اي
نكفر لسعيه ولا يتعلق بكفران لانه يصير مطولا والمطول ينصب وهذا مبني والضمير في له يعود
على السعي والمعنى لا بطلان لثواب عمله وهو كقوله ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو مومن فاولئك
كان سعيهم مشكورا فالكفران مثل في حرمان الثواب والشكر مثل في اعطايه فقوله فلا كفران
المراد نفي الجنس للمبالغة لان نفي الماهية يستلزم نفي جميع افرادها ثم قال وانا له كاتبون اي
لسعيه كاتبون اما في ام الكتاب او في المصحف الذي يعرض يوم القيمة والمراد من ذلك ترغيب العباد
في الطاعات **قوله** وحرام على قرية قرا الاخوان وابو بكر وروي عن ابي عمرو وحرم بكسر الحا وهما
لغتان كالحل والحلال وقرا ابن عباس وعكرمه وحرم بفتح الحا وكسر الراء وفتح الميم على انه فعل ماض
وروي عنهما ايضا وعن ابي العالية بفتح الحاء والميم وضم الراء بزنة كرم وهو فعل ماض ايضا
وروي عن ابن عباس فتح الجميع وهو فعل ماض ايضا والثاني بضم الحاء وكسر الراء مشددة وفتح الميم

هذه ج

وسكون الراء

ماضيا

ماضيا مبنيا للمفعول وروي عن عكرمة بفتح الحاء وكسر الراء وتنوين الميم فجعله اسما وفي رفعه
وجهان احدهما انه مبتدا وفي الخبر حينيذ ثلاثة اوجه احدها قوله لا يرجعون وفي ذلك
حينيذ اربع تاويلات التاويل الاول ان لا زايدة والمعنى وممتنع على قرية قدرنا اهلاكها
لكفرهم رجوعهم الى الايمان الى ان تقوم الساعة وممن ذهب الى زيادتها ابو عمر واستشهد عليه بقوله
تعالى ما منعك ان لا تسجد يعني في احد القولين التاويل الثاني انها غير زايدة وان المعنى انهم غير
راجعين عن معصيتهم وكفرهم التاويل الثالث ان الحرام قد يراد به الواجب ويدل عليه قوله تعالى
اتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا وترك الشرك واجب ويدل عليه ايضا قول الخنسا ،
وان حراما لا ارى الدهر باكيا على شجوه الا بكيت على صخر ، وايضا فمن الاستعمال اطلاق احد الضدين على
الاخر وهو مجاز مشهور قال تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها ومن ثم قال الحسن والسدي لا يرجعون عن
الشرك وقال قتادة لا يرجعون الى الدنيا التاويل الرابع قال ابو مسلم بن بحر حرام ممتنع
وانهم لا يرجعون فيكون عدم رجوعهم واجبا واذا امتنع الانتفا وجب الرجوع فيكون المعنى ان
رجوعهم الى الحياة في الدار الاخرة واجبا ويكون الغرض منه ابطال قول من ينكر البعث وتحقيقه
ما تقدم انه لا كفران لسعي احد وانه تعالى يجازيه يوم القيمة وقول ابن عطية قريب من هذا
فانه قال وممتنع على الكفرة المهلكين انهم لا يرجعون الى عذاب الله واليم عقابه فتكون لا على
بابها والحرام على بابه الوجه الثاني ان الخبر محذوف تقديره وحرام توبتهم او رجا بعثهم
ويكون انهم لا يرجعون علة لما تقدم من معنى الجملة فيكون حينيذ في لا احتمالان الاحتمال الاول
ان تكون زايدة ولذلك قال ابو البقا في هذا الوجه بعد تقديره الخبر المتقدم اذا جعلت
لا زايدة قلت والمعنى عنده لانهم يرجعون الى الاخرة وجزايها الاحتمال الثاني ان تكون غير
زايدة بمعنى ممتنع توبتهم او رجا بعثهم لانهم لا يرجعون الى الدنيا فيستدركوا فيها ما فاتهم من
ذلك الوجه الثالث ان يكون هذا المبتدا لا خبر له لفظا ولا تقديرا وانما رفع شيا يقوم مقام
خبره من باب اقايم اخواك قال ابو البقا والجيد ان تكون انهم فاعلا سد مسد الخبر وفي هذا نظر
لان ذلك يشترط فيه ان يعتمد الوصف على نفي او استفهام وهنا لم يعتمد المبتدا على شي من ذلك
اللهم الا ان نحو نحو الاخفش فانه لا يشترط ذلك وهو الظاهر وحينيذ تكون في لا الوجهان المتقدمان
من الزيادة وعدمها باختلاف معنيين اي امتنع رجوعهم الى الدنيا او عن شركهم اذا قدرتها
زايدة او امتنع عدم رجوعهم الى عقاب الله في الاخرة اذا قدرتها غير زايدة الوجه الثاني
من وجهي رفع حرام انه خبر مبتدا محذوف فقدره بعضهم الاقاله والتوبه حرام وقدره
ابو البقا اي ذلك الذي ذكر من العمل الصالح حرام وقال الزمخشري وحرام على قرية اهلكناها
ذاك وهو المذكور في الاية المتقدمة من العمل الصالح والسعي المشكور غير المكفور ثم علل فقيل
انهم لا يرجعون عن الكفر فكيف لا يمتنع ذلك وقرا العامة اهلكناها بنون العظمة وقرا
ابو عبد الرحمن وقتادة اهلكتها بتا المتكلم ومن قرا حرم بفتح الحا وكسر الرا وتنوين الميم فهو في
قراته صفة على فعل نحو حذر وقال ، وان اتاه خليل يوم مسغبة ، يقول لا غايب مالي ولا حرم ،
ومن قراه فعلا ماضيا فهو في قراته مسند لان وما في خبرها ولا يخفى الكلام في لا بالنسبة الى
الزيادة وعدمها فان المعنى واضح مما تقدم وقري انهم بالكسر على الاستيناف وحينيذ فلا بد
من تقدير مبتدا يتم به الكلام تقديره ذلك العمل الصالح حرام وتقدم نحو هذا **قوله**
تعالى حتى اذا فتحت الاية تقدم الكلام على حتى الداخلة على اذا مشبعا وقال الزمخشري هنا
فان قلت بم تعلقت حتى واقعة غاية له وايه الثلاث هي قلت هي متعلقة بحرام وهي غاية له
لان امتناع رجوعهم لا يزول حتى تقوم القيمة وهي حتى التي يحكي بعدها الكلام والكلام المحكي هو الجملة

احد

من الشرط والجزا اعني اذا وما في خبرها وابو البقا نحي هذا النحو فقال وحتى متعلقة في المعنى بحرام اي يستمر
الامتناع الى هذا الوقت ولا عمل لها في اذا وقال الحوفي هي غاية والعامل فيها ما دل عليه المعنى من
تاسفهم على ما فرطوا فيه من الطاعة حين فاتهم الاستدراك وقال ابن عطية حتى متعلقة بقوله
وتقطعوا وتحتمل على بعض التاويلات المتقدمة ان يتعلق بيرجعون وتحتمل ان يكون حرف ابتدا وهو
الاظهر بسبب اذا لانها تقتضي جوابا هو المقصود ذكره قال ابو حيان وكون حتى متعلقة بتقطعوا
فيه بعد من حيث كثرة الفصل لكنه من حيث المعنى جيد وهو انهم لا يزالون مختلفين على دين الحق الى
قرب مجي الساعة فاذا جاءت الساعة انقطع ذلك كله وتلخص في تعلق حتى اوجه احدها انها متعلقة
بحرام والثاني انها متعلقة بمحذوف دل عليه المعنى وهو قول الحوفي الثالث انها متعلقة بتقطعوا
الرابع انها متعلقة بيرجعون وتلخص في حتى وجهان احدهما انها حرف ابتدا وهو قول الزمخشري
وابن عطية فيما اختاره والثاني انها حرف جر بمعنى الى وقرا فتحت بالتشديد ابن عامر والباقون
بالتخفيف وتقدم ذلك اول الانعام وفي جواب اذا اوجه احدها انه محذوف فقدره
ابو اسحاق قالوا يا ويلنا وقدره غيره فحينئذ يبعثون وقوله فاذا هي شاخصة عطف على هذا
المقدر والثاني ان جوابها الفا في قوله فاذا هي قاله الحوفي والزمخشري وابن عطية فقال الزمخشري
واذا هي المفاجاة وهي تقع في المجازاة سادة مسد الفا كقوله تعالى اذا هم يقنطون فاذا جاءت
الفا معها تعاونتا على وصل الجزا بالشرط فيتاكد ولو قيل اذا هي شاخصة كان سديدا وقال ابن
عطية والذي اقول ان الجواب في قوله فاذا هي شاخصة وهذا هو المعنى الذي قصد ذكره لانه
رجوعهم الذي كانوا يكذبون به وحرم عليهم امتناعه وقوله ياجوج هو على حذف مضاف اي سد
ياجوج وماجوج وتقدم الكلام فيهما وهما قبيلتان من جنس الانس يقال الناس عشرة اجزا تسعة
اجزا منها ياجوج وماجوج يخرجون حين يفتح السد سخره الله ابدا وقيل بل اذا جعل الله الارض
دكا زالت تلك الصلابة من اجزا الارض فحينئذ ينفتح السد **قوله** وهم قال اكثر المفسرين هم
كناية عن ياجوج وماجوج وقال مجاهد كناية عن جميع العالم باسرهم اي يخرجون من قبورهم ومن كل
موضع فيحشرون الى موقف الحساب والاول اظهر والا لتكلف النظم ولانه روي في الخبر ان ياجوج
وماجوج لا بد وان يسيروا في الارض ويقبلوا على الناس من كل موضع مرتفع وقرا العامة ينسلون
بكسر السين وابو السماك وابن ابي اسحق بضمها والحدب النشز من الارض المرتفع ومنه الحدب
في الظهر وكل كدية او اكمة فهي حدبة وبها سمي القبر لظهوره على وجه الارض والنسلان مقاربة
الخطو مع الاسراع كالرمل يقال نسل ينسل وينسل بالفتح في الماضي والكسر والضم في المضارع ونسل
وعسل واحد قال الشاعر • عسلان الذيب امسى قاربا • برد الليل عليه فنسل • والنسل من
ذلك وهو الذرية اطلق المصدر على المفعول ونسلت ريش الطاير من ذلك وقدم الجار على متعلقه
لتواخي رووس الآي وقرا عبد الله وابن عباس جدث بالثا المثلثة والجيم اعتبارا بقوله فاذا هم
من الاجداث الى ربهم ينسلون وقري بالفا وهي بدل منها قال الزمخشري الثا للحجاز والفا لتميم
وينبغي ان يكونا اصلين لان كلاهما لغة مستقلة ولكن قد كثر ابدال الثا من الفا قالوا مغثور في مغفور
وقالوا فم في ثم فابدلت هذه من هذه تارة وهذه من هذه اخرى روي حذيفة بن اسيد الغفاري
قال اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر فقال ما تذكرون قالوا نذكر الساعة قال انها لن
تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول
عيسى بن مريم وياجوج وماجوج وثلاث خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة
العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم **قوله** واقترب الوعد الحق المراد
بالوعد الموعود وهو يوم القيامة وسمي الموعود وعدا تجوزا قال الفرا وجماعة الواو في قوله واقترب

مقحمة معناه حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج اقترب الوعد الحق كقوله فلما اسلما وتله للجبين وناديناه
اي ناديناه ويدل عليه ما روي حذيفة قال لو ان رجلا اقتنى فلوا بعد خروج ياجوج وماجوج لم
يركبه حتى تقوم الساعة وقال قوم لا يجوز طرح الواو وجعلوا جواب حتى اذا فتحت في قوله يا ويلنا ويكون
في اذا معنى التهديد **قوله** فاذا هي شاخصة ابصار اذا هنا للمفاجاة وهي فيها اوجه اجودها
ان يكون هي ضمير القصة وشاخصة خبر مقدم وابصار مبتدا موخر والجملة خبر هي لانها لا تفسر الا بجملة
مصرح بجزئيها وهذا مذهب البصريين والمعنى ان القصة ان ابصار الذين كفروا تشخص عند ذلك من
شدة الاهوال واذا فتحت ياجوج وماجوج واقترب الوعد الحق قالوا يا ويلنا قد كنا في غفلة الثاني
ان يكون شاخصة مبتدا وابصار فاعل سد مسد الخبر وهذا يتمشى على راي الكوفيين لان ضمير
القصة يفسر عندهم بالمفرد العامل عمل الفعل فانه في قوة الجملة الثالث قال الزمخشري هي ضمير مبهم
توضحه الابصار ويفسره كما فسر الذين ظلموا واسروا ولم يذكر غيره قال شهاب الدين وهذا قول
الفرا فانه قال هي ضمير الابصار تقدمت لدلالة الكلام ومجي ما يفسرها وانشد شاهدا على ذلك
• فلا وابيها لا تقول حليلتي • الا فر عني مالك بن ابي كعب • الرابع ان تكون هي عمادا وهو قول الفرا
ايضا قال لانه يصلح موضعها هو فيكون كقوله انه انا الله ومثله فانها لا تعمى الابصار وانشد
• بثوب ودينار وشاة ودرهم • فهل هو مرفوع بما ههنا راس • وهذا لا يتمشى الا على احد قولي
الكسائي وهو انه يجيز تقدم الفصل مع الخبر المتقدم نحو هو خير منك زيد الاصل زيد هو
خير منك وقال ابو حيان اجاز هو القايم زيد على ان زيدا هو المبتدا والقايم خبره وهو عماد
واصل المسالة زيد هو القايم قال شهاب الدين وفي هذا التمثيل نظر لان تقدم الخبر هنا ممتنع
لاستوايهما في التعريف بخلاف المثال المتقدم فيكون اصل الاية الكريمة فاذا ابصار الذين
كفروا هي شاخصة فلما قدم الخبر وهو شاخصة قدم معها العماد وهذا ايضا انما يجي على مذهب
من يرى وقوع العماد قبل النكرة غير المقاربة للمعرفة الخامس ان تكون هي مبتدا وخبره مضمر
يتم الكلام حينئذ على هي ويبتدا بقوله شاخصة ابصار والتقدير فاذا هي بارزة اي الساعة
بارزة او حاضرة وشاخصة خبر مقدم وابصار مبتدا موخر ذكره الثعلبي وهو بعيد جدا
لتنافر التركيب وهو التعقيد عند علما البيان **قوله** يا ويلنا معمول لقول محذوف
اي يقولون يا ويلنا وفي هذا القول المحذوف وجهان احدهما انه جواب حتى اذا كما تقدم والثاني
في محل نصب على الحال من الذين كفروا قاله الزمخشري **قوله** قد كنا في غفلة من هذا يعني
في الدنيا حيث كذبنا وقلنا انه غير كاين بل كنا ظالمين انفسنا بتلك الغفلة وتكذيب محمد
وعبادة الاوثان **قوله** انكم وما تعبدون اتي هنا بما وهي لغير العقلا لانه متى اختلط
العاقل بغيره تخير الناطق بين ما ومن وقرا العامة حصب بالمهملتين والصاد مفتوحة
وهو ما تحصب اي يرمى في النار ولا يقال له حصب الا وهو في النار فاما قبل ذلك فحطب
وشجر وغير ذلك وقيل يقال له حصب قبل الالقا في النار قيل هو الحطب بلغة اهل اليمن
وقال عكرمة هو الحطب بالحبشية وقرا ابن السميفع وابن ابي عبلة وروبت عن ابن كثير بسكون
الصاد وهو مصدر فيجوز ان يكون واقعا موقع المفعول او على المبالغة او على حذف مضاف وقرا
ابن عباس بالضاد معجمة مفتوحة او ساكنة وهو ايضا ما يرمى به في النار ومنه المحضب عود
تحرك به النار ليوقد وانشد • فلا تك في حربنا محضبا • فتجعل قومك شتى شعوبا • وقرا
امير المومنين وابي وعايشة وابن الزبير حطب بالطا ولا اظنها الا تفسيرا لا تلاوة **فصل**
المعنى انكم ايها المشركون وما تعبدون من دون الله يعني الاصنام حصب جهنم اي وقودها
وهذا تشبيه واصل الحصب الرمي قال تعالى ارسلنا عليهم حاصبا اي ريحا ترميهم ترميهم بالحجارة

قوله انتم لها واردون جوز ابو البقا في هذه الجملة ثلاثة اوجه احدها ان تكون بدلا من حصب
جهنم يعني ان الجملة بدل من المفرد الواقع خبرا وابدال الجملة من المفرد اذا كان احدهما بمعني
الاخر جايز اذ التقدير انكم انتم لها واردون والثاني ان تكون الجملة مستانفة والثالث ان تكون
في محل نصب على الحال من جهنم وفيه نظر من حيث مجي الحال من المضاف اليه في غير المواضع المستثناه
ومعني انتم لها واردون اي فيها داخلون وانما جات اللام في لها لتقدمها تقول انت لزيد ضارب
كقوله تعالى والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والمعني انه لابد وان تردوها ولا معدل لكم
عن دخولها **فصل** روي ابن عباس انه عليه السلام دخل المسجد وصناديد قريش في المسجد
الحطيم وحول الكعبة ثلثمايه وستون صنما فجلس اليهم فعرض له النضر بن الحرث فكلمه رسول الله صلى
الله عليه وسلم حتي افحمه ثم تلا عليهم انكم وما تعبدون من دون الله الاية فاقبل عبد الله بن الزبعري
فراهم يتهامسون فقال فيم خوضكم فاخبره الوليد بن المغيرة بقول رسول الله فقال ابن الزبعري
انت قلت ذلك قال نعم قال خصمتك ورب الكعبة اليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح
وبنو مليح عبدوا الملايكة فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجب فضحك القوم ونزلت
تعالى ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون وقالوا الهتنا خير ام هو ما ضربوه لك الا
جدلا بل هم قوم خصمون ونزل في عيسى والملايكة ان الذين سبقت لهم منا الحسني وفي رواية
اخرى انه عليه السلام قال بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك فانزل الله تعالى ان الذين
سبقت لهم منا الحسني يعني عزيرا والمسيح والملايكة قال ابن الخطيب واعلم ان سوال ابن
الزبعري غير متوجه من وجوه احدها ان ذلك الخطاب كان مع مشركي مكه وهم كانوا يعبدون
الاصنام فقط وثانيها انه لم يقل ومن تعبدون بل قال وما تعبدون وكلمة ما لا تتناول
العقلا واما قوله تعالى وما بناها وقوله ولا اعبد ما تعبدون فمحمول على الشي ونظيره ههنا
ان يقال انكم والشي الذي تعبدون من دون الله لكن لفظ الشي لا يفيد العموم فلا يتوجه سوال
ابن الزبعري وثالثها ان من عبد الملايكة لا يدعي انهم الهة وقال سبحانه لو كان هولا الهة ما
وردوها ورابعها هب انه ثبت العموم لكنه مخصوص بالدلايل العقليه والسمعية في حق
الملايكة والمسيح وعزير لبراتهم من الذنوب والمعاصي ووعد الله اياهم بكل مكرمة وهو المراد
بقوله سبحانه ان الذين سبقت لهم منا الحسني وخامسها الجواب الذي ذكره رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو انهم كانوا يعبدون الشياطين فان قيل الشياطين عقلا ولفظ ما
لا يتناولهم فكيف قال ذلك قلنا كانه عليه السلام قال لو ثبت لكم انه يتناول العقلا فسوال لكم
ايضا غير لازم من هذا الوجه فاما ما قيل انه عليه السلام سكت عند ايراد ابن الزبعري هذا
السوال فهو خطا لانه لا اقل من انه عليه السلام كان ينبه لهذه الاجوبه التي ذكرها المفسرون
لانه اعلم منهم باللغه وتفسير القران فكيف يجوز ان تظهر هذه الاجوبة لغيره ولم يظهر له منها
شي فان قيل يجوز ان يسكت عليه السلام انتظارا للبيان قلنا كان البيان حاضرا معه فلم تحز
عليه السكوت لكن لا يتوهم عليه الانقطاع عن سوالهم ومن الناس من اجاب عن سوال ابن الزبعري
تعالى ان الله تعالى يصور لهم في النار ملكا على صورة من عبدوه وحينيذ تبقى الاية على ظاهرها
وهذا ضعيف من وجهين الاول ان القوم لم يعبدوا تلك الصورة وانما عبدوا شيا اخر لم يحصل
معهم في النار الثاني ان الملك لا يصير حصب جهنم في الحقيقه وان صح ان يدخلها فان خزنة النار
يدخلونها مع انهم ليسوا حصب جهنم **فصل** الحكمة في انهم قرنوا بالهتهم امور احدها انهم
لا يزالون بمقارنتهم في زيادة غم وحسرة لانهم ما وقعوا في ذلك العذاب الا بسببهم والنظر الى وجه
العدو باب من العذاب وثانيها انهم قدروا ان يشفعوا لهم في الاخرة فاذا وجدوا الامر على

عكس ما قدروا لم يكن شي ابغض اليهم منهم وثالثها ان القاها في النار يجري مجرى الاستهزا بها
ورابعها قيل ما كان منها حجرا او حديدا يحمي فيعذب بحماده بها وما كان خشبا يجعل جمرة
يعذب بها صاحبها **قوله تعالى** لو كان هولا الهة ما وردوها اعلم ان قوله وما
تعبدون بالاصنام التي لدخول لفظ ما وهذا الكلام بالشياطين التي لقوله هولا ويحتمل ان
يريد الشياطين والاصنام وغلب العقلا ونبه الله تعالى على انه من يرمى في النار لا يمكن ان يكون
الها قال ابن الخطيب وهنا سوال وهو ان قوله لو كان هولا الهة ما وردوها لكنهم وردوها
فهم ليسوا الهة هذه الحجة اما ان يكون ذكرها لنفسه او لغيره فان ذكرها لنفسه فلا فايدة فيه
لانه كان عالما بانها ليست الهة وان ذكرها لغيره فاما ان يذكرها لمن يصدق بنبوته او ذكرها
لمن يكذب بنبوته فان ذكرها لمن يصدق بنبوته فلا حاجة الى هذه الحجة لان كل من صدق بنبوته
لم يقل بالاهية هذه الاصنام وان ذكرها لمن كذب بنبوته فذلك المكذب لا يسلم ان تلك الالهة
يردون النار فكان ذكر هذه الحجة لا فايدة فيه كيف كان وايضا فالقايلون بالالاهية لم يعتقدوا
الا كونها تماثيل الكواكب او صورة الشفعا وذلك لا يمنع دخولها النار واجيب عن ذلك بان
المفسرين قالوا المعني لو كان هولا يعني الاصنام الهة على الحقيقة ما وردوها اي ما دخل عابدوها
النار **قوله** الهة العامة على النصب خبرا لكان وقرا طلحة بالرفع وتخريجها كتخريج قوله
اذا مت كان الناس صنفان ففيها ضمير الشان **قوله** وكل فيها خالدون يعني العابدين
والمعبودين وهذا تفسير لقوله انكم وما تعبدون من دون الله وقوله لهم فيها زفير قال
الحسن الزفير هو اللهيب اي يرتفعون بسبب لهب النار حتى اذا ارتفعوا وارادوا الخروج
ضربوا بمقامع الحديد فهووا الى اسفلها سبعين خريفا قال الخليل الزفير ان يملا الرجل صدره
غما ثم يتنفس قال ابو مسلم قوله لهم عام لكل معذب فنقول لهم زفير من شدة ما ينالهم والضمير
في قوله وهم فيها خالدون يرجع الى المعبودين اي لا يسمعون صراخهم وشكواهم ومعناه
انهم لا يغيثونهم وشبهه سمع الله لمن حمده اي اجاب الله دعاه وقوله وهم فيها لا يسمعون على قول
ابي مسلم محمول على الاصنام ومن حمله على الكفار فيحتمل ثلاثة اوجه احدها ان الكفار يحشرون
صما كما يحشرون عميا زيادة في عذابهم والثاني لا يسمعون ما ينفعهم لانهم انما يسمعون اصوات المعذبين او كلام
من يتولى تعذيبهم من الملايكة والثالث قال ابن مسعود رضي الله عنه ان الكفار يجعلون في
توابيت من نار ثم تجعل تلك التوابيت في توابيت اخر ثم تلك التوابيت في توابيت اخر
من نار عليها مسامير من نار فلذلك لا يسمعون شيا ولا يرى احد منهم ان احدا في النار يعذب
غيره والاول ضعيف لان اهل النار يسمعون كلام اهل الجنة فلذلك يستغيثون بهم
على ما ذكره الله في سورة الاعراف **قوله** ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الاية قال
بعض اهل العلم ان ههنا بمعنى الا اي الا الذين سبقت لهم منا الحسني قال ابن الخطيب قد
بينا فساد هذا القول وذكرنا ان سوال ابن الزبعري لم يكن واردا فلم يبق الا احد امرين
الاول ان يقال ان عادة الله تعالى انه متى شرح عقاب الكفار اردفه بشرح ثواب
الابرار فلهذا ذكر هذه الاية عقيب تلك الاية فهي عامة في حق كل المومنين الثاني ان هذه
الاية نزلت في تلك الواقعة لتكون كالتاكيد في دفع سوال ابن الزبعري ثم قال العبرة
بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وهذا هو الحق اجراها على عمومها فيكون الملايكه والمسيح
وعزير عليهم السلام داخلين فيها لا ان الاية مختصة بهم ومن قال العبرة بخصوص السبب
خصص قوله ان الذين بهولا فقط **قوله** منا يجوز ان يتعلق بسبقت ويجوز ان يتعلق
بمحذوف على انه حال من الحسني قال الزمخشري الحسني الخصلة المفضلة في الحسن تانيث الاحسن وهي

نعم صح

قوله م

صح م

صما كما يحشرون صح

اما السعادة واما البشرى بالثواب واما التوفيق للطاعة ثم شرح احوال ثوابهم فقال
اوليك عنها مبعدون قال اهل العفو معناه اوليك عنها يخرجون واحتجوا بوجهين الاول
قوله وان منكم الا واردها اثبت الورود والورود الدخول فدل على ان هذا الابعاد هو الاخراج
والثاني ان ابعاد الشي عن الشي لا يصح الا اذا كانا متقاربين لانهما لو كانا متباعدين استحال
ابعاد احدهما عن الاخر لان تحصيل الحاصل محال وقالت المعتزلة اوليك عنها مبعدون لا يدخلون
النار ولا يقربونها البته واحتج القاضي عبد الجبار على فساد الاول بامور احدها ان قوله
تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى يقتضي ان الوعد بثوابهم قد تقدم في الدنيا وليس هذه
حال من يخرج من النار وثانيها انه تعالى قال اوليك عنها مبعدون فكيف يدخل في ذلك
من وقع فيها وثالثها قوله لا يسمعون حسيسها وقوله لا يحزنهم الفزع الاكبر يمنع من ذلك والجواب
عن الاول لا نسلم ان المراد من قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى هو ان الوعد بثوابهم قد تقدم
ولم لا يجوز ان يكون المراد من الحسنى تقدم الوعد بالثواب بل هذا حال من يخرج من النار فان عنده
المحابطة باطل ويجوز الجمع بين استحقاق الثواب والعقاب وعن الثاني انا بينا ان قوله اوليك عنها
مبعدون لا يمكن اجراوه على ظاهره الا في حق من كان في النار وعن الثالث ان قوله لا يسمعون حسيسها
مخصوص بما بعد الخروج وعلى قول المعتزلة بان المراد بقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى
اوليك عنها مبعدون انهم لا يدخلون النار ولا يقربونها يبطل القول بان جميع الناجين يردون
النار ثم يخرجون الى الجنة فيجب التوفيق بينها وبين قوله وان منكم الا واردها وقد تقدم **قوله**
وهم فيما اشتهت الى قوله وتتلقاهم كل جملة من هذه الجمل يحتمل ان يكون حالا مما قبلها وان
يكون مستانفة وكذا الجملة المضمرة من القول العامل في جملة قوله هذا يومكم اذ التقدير
وتتلقاهم الملايكة يقولون هذا يومكم **فصل** معنى لا يسمعون حسيسها اي صوتها وحركة
تلهبها اذا نزلوا منازلهم في الجنة والحس والحسيس الصوت الخفي وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون مقيمون
كقوله وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين لا يحزنهم الفزع الاكبر النفخة الاخيرة لقوله تعالى ونفخ
في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض وقال الحسن حين يومر بالعبد الى النار وقال
ابن جريج حين يذبح الموت وينادي يا اهل الجنة خلود فلا موت وقال سعيد بن جبير والضحاك هو ان
تطبق جهنم وذلك بعد ان يخرج الله منها من يريد ان يخرجه وتتلقاهم الملايكة اي تستقبلهم
الملايكة على ابواب الجنة يقولون هذا يومكم الذي كنتم توعدون فان قيل اي بشارة في انهم
لا يسمعون حسيسها فالجواب المراد منه تاكيد بعدهم عنها لان من قرب منها قد يسمع
حسيسها فان قيل اليس اهل الجنة يرون اهل النار فكيف لا يسمعون حسيس النار فالجواب
اذا حملناه على التاكيد زال هذا السوال **قوله تعالى** يوم نطوي السما الايه في يوم نطوي
اوجه احدها انه منصوب بلا يحزنهم الثاني انه منصوب بتتلقاهم الثالث انه
منصوب باضمار اذكر واعني الرابع انه بدل من العايد المقدر تقديره توعدونه يوم
نطوي فيوم بدل من الها ذكره ابو البقا وفيه نظر اذ يلزم من ذلك خلو الجملة الموصول بها من
عايد على الموصول ولذلك منعوا جا الذي مررت به ابي عبد الله على ان يكون ابي عبد الله
بدلا من الها لما ذكروان كان في المسيلة خلاف الخامس انه منصوب بالفزع قاله الزمخشري
وفيه نظر من حيث انه اعمل المصدر الموصوف قبل اخذه معموله وقد تقدم ان نافعا يقرا
يحزن بضم اليا الا هنا وان شيخه ابن القعقاع يقرا يحزن بالفتح الا هنا وقرا العامة نطوي
بنون العظمة وشيبة بن نصاح في اخرين يطوي بيا الغيبة والفاعل هو الله تعالى وقرا ابو
جعفر في اخرين تطوي بضم التا المثناة من فوق وفتح الواو مبنيا للمفعول وقرا العامة

السجل بكسر السين والجيم وتشديد اللام كالطمر وقرا ابو هريرة وصاحبه ابو زرعة بن عمرو بن
جرير بضمهما واللام مشددة ايضا بزنة عتل ونقل ابو البقا تخفيفها في هذه القراة ايضا
فيكون بزنة عنق وابو السماك وطلحة والاعمش بفتح السين والحسن وعيسى بن عمر بكسرها والجيم في
هاتين القراتين ساكنة واللام مخففة قال ابو عمرو وقراة اهل مكة مثل قراة الحسن والسجل الصحيفة
مطلقا وقيل بل هو مخصوص بصحيفة العهد وهي من المساجلة وهي المكاتبة والسجل الدلو الملاى
وقال بعضهم هو فارسي معرب فلا اشتقاق له وطي مصدر مضاف للمفعول والفاعل محذوف
تقديره كما يطوي الرجل الصحيفة ليكتب فيها او لما يكتبه فيها من المعاني والفاعل يحذف مع
المصدر باطراد والكلام في الكاف معروف اعني كونها نعتا لمصدر مقدر او حالا من ضميره
واصل طي طوي فاعل كنظايره وروي عن علي وابن عباس ان السجل اسم ملك يطوي كتب اعمال
بني ادم وروى ابو الجوزا عن ابن عباس ان السجل اسم رجل كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه
وسلم وعلى هذين القولين يكون المصدر مضافا لفاعله والكتاب اسم الصحيفة المكتوبة قال
بعضهم وهذا القول بعيد لان كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا معروفين وليس
فيهم من سمي بهذا وقال ابو اسحق الزجاج السجل الرجل بلغة الحبشة وقال الزمخشري كما يطوي
الطومار للكتابة اي ليكتب فيه او لما يكتب فيه لان الكتاب اصله المصدر كالبنا ثم يوقع على
المكتوب فقدره الزمخشري من الفعل المبني للمفعول وقد عرف ما فيه من الخلاف واللام في الكتاب
اما مزيدة في المفعول ان قلنا ان المصدر مضاف لفاعله واما متعلقة بطي اذا قلنا المراد بالسجل
الطومار فالمصدر وهو الطي مضاف الى المفعول والفاعل محذوف والتقدير كطي الطاوي السجل
وهذا قول الاكثرين وقيل اللام بمعنى على وهذا ينبغي ان لا يجوز لبعد معناه على كل قول والقراة
المذكورة في السجل كلها لغات فيه وقرا الاخوان وحفص للكتب جمعا والباقون للكتاب مفردا والرسم
يحتملهما فالافراد يراد به الجنس والجمع للدلالة على الاختلاف والمعنى المكتوبات اي لما يكتب فيه
من المعاني الكثيرة فيكون معنى طي السجل للكتاب كون السجل ساترا لتلك الكتابة ومخفيا لها لان الطي
هو الدرج ضد النشر الذي يكشف **قوله** كما بدانا في متعلق هذه الكاف وجهان احدهما انها
متعلقة بنعيده وما مصدرية وبدانا صلتها هي وما في حيزها في محل جر بالكاف واول خلق
مفعول بدانا والمعنى نعيد اول خلق اعادة مثل بداتنا له اي كما ابرزناه من العدم الى الوجود
نعيده من العدم الى الوجود والى هذا نحا ابو البقا فانه قال الكاف نعت لمصدر محذوف اي
نعيده عودا مثل بديه وفي قوله عودا نظر اذ الاحسن ان نقول اعادة والثاني انها تتعلق
بفعل مضمر قال الزمخشري ووجه اخر وهو ان ينتصب الكاف بفعل مضمر يفسره نعيده
وما موصولة اي نعيد مثل الذي بدانا نعيده واول خلق ظرف لبدانا اي اول ما خلق او حال
من ضمير الموصول الساقط من اللفظ الثابت في المعنى قال ابو حيان وفي تقديره تهيئة بدانا
لان ينصب اول خلق على المفعولية وقطعه عنه من غير ضرورة تدعو الى ذلك وارتكاب اضمار
بعيد مفسرا بنعيده وهذه عجمة في كتاب الله واما قوله ووجه اخر وهو ان ينتصب الكاف
بفعل مضمر يفسره نعيده فهو ضعيف جدا لانه مبني على ان الكاف اسم لا حرف وليس مذهب الجمهور
وانما ذهب الى ذلك الاخفش وكونها اسما عند البصريين مخصوص بالشعر قال شهاب الدين كلما قدره
فهو جار على القواعد المنضبطة وقاده الى ذلك المعنى الصحيح فلا مواخذة عليه ويظهر ذلك بالتامل
لغير الفطن **واما** ما ففيها ثلاثة اوجه احدها انها مصدرية والثاني انها بمعنى الذي
وقد تقدم تقرير هذين والثالث انها كافة للكاف عن العمل كما في قوله كما الناس مجروم عليه وتجا
يمن رفع الناس قال الزمخشري اول خلق مفعول نعيد الذي يفسره نعيده والكاف مكفوفة بما

يوم

والمعنى نعيد اول الخلق كما بدانا ه تشبيها للاعادة بالابتدا في تناول القدرة لهما على السوا فان قلت فما اول الخلق حتى نعيده كما بداه قلت اوله ايجاده من العدم فكما اوجده اولا من عدم يعيده ثانيا عن عدم **واما** اول الخلق فيحصل فيه اربعة اوجه احدها انه مفعول بدانا والثاني انه ظرف لبدانا والثالث انه منصوب على الحال من ضمير الموصول كما تقدم والرابع انه حال من مفعول نعيده قاله ابو البقا والمعنى مثل اول خلقه واما تنكير خلق فللدلالة على التفصيل قال الزمخشري فان قلت ما بال الخلق منكرا قلت هو كقولك اول رجل جاني زيد واول الرجال ولكنك وحدته ونكرته ارادة تفصيلهم رجلا رجلا فكذلك معنى اول الخلق بمعنى اول الخلايق لان الخلق مصدر لا يجمع **قوله** وعدا منصوب على المصدر المؤكد لمضمون الجملة المتقدمة فناصبه مضمر اي وعدنا ذلك وعدا **فصل** اختلفوا في كيفية الاعادة فقيل ان الله يفرق اجزا الاجسام ولا يعدمها ثم انه يعيد تركيبها فذاك هو الاعادة وقيل انه تعالى يعدمها بالكلية ثم انه يوجدها بعينها مرة اخرى وهذه الاية دالة على هذا الوجه لانه تعالى شبه الاعادة بالابتدا والابتدا ليس عبارة عن تركيب الاجزا المتفرقة بل عن الوجود بعد العدم فوجب ان تكون الاعادة كذلك واحتج الاولون بقوله تعالى والسموات مطويات بيمينه فدل هذا على ان السموات حال كونها مطوية تكون موجودة وبقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض وهذا يدل على ان الارض باقية لكنها جعلت غير الارض **فصل** قال المفسرون كما بدانا هم في بطون امهاتهم عراة غرلا كذلك نعيدهم يوم القيامة ولقد جيتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة روى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انكم محشورون حفاة عراة غرلا ثم قرا كما بدانا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين يعني الاعادة والبعث وقيل المراد حقا علينا بسبب الاخبار عن ذلك وتعلق العلم بوقوعه وان وقوع ما علم الله وقوعه واجب ثم حقق ذلك بقوله ولقد كتبنا في الزبور قرا حمزة بضم الزاي والباقون بفتحها بمعنى المزبور كالمحلوب والمركوب يقال زبرت الكتاب اي كتبته والزبور بضم الزاي جمع زبرة كقشرة وقشور ومعنى القرايتين واحد لان الزبور هو الكتاب قال سعيد بن جبير ومجاهد والكلبي ومقاتل الزبور جميع الكتب المنزلة والذكر ام الكتاب الذي عنده والمعنى من بعد ما كتب ذكره في اللوح المحفوظ وقال ابن عباس والضحاك الزبور التورية والذكر الكتب المنزلة من بعد التورية وقال قتادة والشعبي الزبور والذكر التورية وقيل الزبور زبور داود والذكر القران وبعد بمعنى قبل كقوله تعالى وكان وراءهم ملك اي امامهم والارض بعد ذلك دحاها اي قبله وقيل الزبور زبور داود ع والذكر هو ما روى انه عليه السلام قال كان الله ولم يكن معه شي ثم خلق الذكر **قوله** من بعد الذكر يجوز ان يتعلق بكتبنا ويجوز ان يتعلق بنفس الزبور لانه بمعنى المزبور اي المكتوب اي المزبور من بعد ومفعول كتبنا ان وما في خبرها اي كتبنا وراثة الصالحين للارض اي حكمنا به **قوله** ان الارض يعني ارض الجنة يرثها عبادي الصالحون قال مجاهد يعني امة محمد صلى الله عليه وسلم ويدل عليه قوله تعالى وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض وقال ابن عباس اراد اراضي الكفار يفتحها المسلمون وهذا حكم من الله تعالى باظهار الدين واعزاز المسلمين وقيل اراد الارض المقدسة يرثها الصالحون لقوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها ان في هذا اي في هذا القران يعني ما فيه من الاخبار والوعد والوعيد والمواعظ البالغة لبلاغا ووصولا الى البغية فمن اتبع القران وعمل به وصل الى ما يرجوا من الثواب وقيل لبلاغا اي كفاية والقران زاد الجنة كبلاغ المسافر لقوم عابدين اي مومنين وقال ابن عباس عالمين قال كعب الاحبار هم امة محمد صلى الله عليه وسلم اهل الصلوات

لهم

للخمس وشهر رمضان **قوله** وما ارسلناك الا رحمة يجوز ان ينتصب رحمة مفعولا له اي لاجل الرحمة ويجوز ان ينتصب على الحال مبالغة في ان جعله نفس الرحمة واما على حذف مضاف اي ذا رحمة او بمعنى راحم وفي الحديث يا ايها الناس انما انا رحمة مهداة **قوله** للعالمين يجوز ان يتعلق بمحذوف لانها صفة لرحمة اي كاينة للعالمين ويجوز ان يتعلق بارسلناك عند من يرى تعلق ما بعد الا بما قبلها جايزا وبمحذوف عند من لا يرى ذلك هذا اذا لم يفرغ الفعل لما بعدها اما اذا فرغ فيجوز نحو ما مررت الا بزيد كذا قاله ابو حيان هنا وفيه نظر من حيث ان هذا ايضا مفرغ لان المفرغ عبارة عما افتقر ما بعد الا لما قبلها على جهة المعمولية له **فصل** قال ابن عباس قوله رحمة للعالمين عام في حق من امن ومن لم يومن اعلم انه عليه السلام كان رحمة في الدين والدنيا اما في الدين فلانه عليه السلام بعث والناس في جاهلية وضلال واهل الكتابين كانوا في حيرة في امر دينهم لطول مكثهم وانقطاع تواترهم ووقوع الاختلاف في كتبهم فبعث الله محمدا حين لم يكن لطالب الحق سبيل الى الفوز والثواب فدعاهم الى الحق وبين لهم سبيل الصواب وشرع لهم الاحكام وميز الحلال والحرام فمن كانت همته طلب الحق فلا يركن الى التقليد ولا الى العناد والاستكبار وقال تعالى قل هو للذين امنوا هدى وشفا الى قوله وهو عليهم عمى واما في الدنيا فلانهم تخلصوا بسببه من الذل والقتل فان قيل كيف كان رحمة وقد جا بالسيف واستباحة المال فالجواب من وجوه الاول انما جا بالسيف لمن انكر وعاند ولم يتفكر ولم يتدبر ومن اوصاف الله الرحمن الرحيم وهو منتقم من العصاة وقال وانزلنا من السما ما مباركا ثم قد يكون سببا للفساد الثاني ان كل نبي من الانبيا قبله اذا كذبه قومه اهلك الله المكذبين بالخسف والمسخ والغرق وانه تعالى اخر عذاب من كذب رسولنا الى الموت او الى القيمة قال تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم ولا يقال اليس انه قال قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم وقال ليعذب المنافقين لانا نقول تخصيص العام لا يقدح فيه الثالث انه عليه السلام كان في نهاية حسن الخلق قال تعالى وانك لعلى خلق عظيم وقيل له عليه السلام ادع على المشركين فقال انما بعثت رحمة ولم ابعث عذابا وقال في رواية حذيفة انما انا بشر اغضب كما يغضب البشر فايما رجل سببته او لعنته فاجعلها اللهم عليه صلاة الى يوم القيامة الرابع قال عبد الرحمن بن زيد الا رحمة للعالمين يعني المومنين خاصة **فصل** قالت المعتزلة لو كان تعالى اراد من الكافر الكفر ولم يرد منه القبول من الرسول بل ما اراد منهم الا الرد عليه وخلق ذلك فيهم ولم يخلقهم الا لذلك كما تقول اهل السنة لوجب ان يكون ارساله نقمة وعذابا عليهم لا رحمة وهو خلاف هذا النص ولا يقال ان رسالته رحمة للكفار من حيث لم يعجل عذابهم في الدنيا كما عجل عذاب ساير الامم لانا نقول ان كونه رحمة للجميع على حد واحد وما ذكرتموه في الكفار فهو حاصل للمومنين وايضا فان الذي ذكروه من نعم الدنيا كانت حاصلة للكفار قبل بعثته عليه السلام لحصولها بعده بل كانت نعمهم في الدنيا قبل بعثته لحصولها بعده واعظم لان في بعثته نزل بهم الغم والخوف ثم امر الجهاد الذي فيه اكبر همة فلا يجوز ان يكون هذا هو المراد والجواب ان نقول لما علم الله ان ابا لهب لا يومن البتة واخبر عنه انه لا يومن كان امره بالايمان امرا بقلب علمه جهلا وخبر الصدق كذبا وذلك محال فكان قد امره بالمحال وان كانت البعثة مع هذا القول رحمة فلم لا يجوز ان يقال البعثة رحمة مع انه خلق الكفر في الكافر ولان قدرة الكافر ان لم تصلح الا للكفر فقط فالسوال عليهم لازم وان كانت صالحة للضدين توقف الترجيح على مرجح من قبل الله تعالى ناظما للتسلسل وحينيذ يعود الالزام ثم نقول لم لا يجوز ان يكون رحمة للكفار

بمعني تاخير عذاب الاستيصال عنهم وقولهم اولا لما كان رحمة للجميع على حد واحد وجب
ان يكون رحمة للكفار من الوجه الذي كان رحمة للمومنين فالجواب ليس في الاية انه عليه
السلام رحمة للكل باعتبار واحد او باعتبارين مختلفين فدعواكم كون الوجه واحدا تحكم
وقولهم نعم الدنيا كانت خالصة للكفار من قبل فالجواب نعم ولكنه عليه السلام لكونه
رحمة للمومنين لما بعث حصل الخوف للكفار من نزول العذاب فلما اندفع ذلك عنهم بسبب
حضوره كان ذلك رحمة في حق الكفار **فصل** تمسكوا بهذه الاية في انه افضل من
الملايكة لان الملايكة من العالمين فوجب ان يكون هو افضل منهم واجيب بانه معارض
بقوله تعالى في حق الملايكة ويستغفرون للذين امنوا وذلك رحمة منهم في حق المومنين والرسول
عليه السلام داخل في المومنين وكذا قوله تعالى ان الله وملايكته يصلون على النبي **قوله**
قل انما يوحى الي انما الهكم اله واحد الاية لما اورد على الكفار الحجج في ان لا اله سواه وبين انه
ارسل رسوله رحمة للعالمين اتبع ذلك بما يكون انذارا في مجاهدتهم والاقدام عليهم
فقال قل انما يوحى الي **قوله** انما الهكم ان وما في خبرها في محل رفع لقيامه مقام الفاعل
اذ التقدير انما يوحى الي وحدانية الهكم وقال الزمخشري انما لقصر الحكم على شي او لقصر
الشي على حكم كقولك انما زيد قايم وانما يقوم زيد وقد اجتمع المثالان في هذه الاية لان انما
يوحى الي مع فاعله بمنزلة انما يقوم زيد وانما الهكم اله واحد بمنزلة انما زيد قايم وفايدة
اجتماعهما الدلالة على ان الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم مقصور على استيثار الله بالوحدانية
قال ابو حيان اما ما ذكره في انما انها لقصر ما ذكر فهو مبني على ان انما للحصر وقد قررنا انها
لا تكون للحصر وان ما مع ان كهي مع كان ومع لعل فكما انها لا تفيد الحصر في التشبيه ولا الحصر
في الترجي فكذلك لا تفيده مع ان واما جعله انما المفتوحة الهمزة مثل المكسورة تدل
على القصر فلا نعلم الخلاف الا في انما بالكسر واما انما بالفتح فحرف مصدري ينسبك منه مع
ما بعده مصدر فالجملة بعدها ليست جملة مستقلة ولو كانت انما دالة على الحصر لزم
ان يقال انه لم يوح اليه شي الا التوحيد وذلك لا يصح الحصر فيه اذ قد اوحي اليه اشيا غير
التوحيد قال شهاب الدين الحصر بحسب كل مقام على ما يناسبه فقد يكون هذا المقام
يقتضي الحصر في ايحا الوحدانية لشي جرى من انكار الكفار وحدانيته تعالى وان الله لم يوح
اليه فيها شيا وهذا الجواب الناس عن هذا الاشكال الذي ذكره الشيخ في قوله انما
انت منذر انما انا بشر انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة الى غير ذلك وما من قوله انما يوحى
يجوز فيها وجهان احدهما ان تكون كافة وقد تقدم والثاني ان تكون موصولة كهي في قوله
انما صنعوا ويكون الخبر هو الجملة من قوله انما الهكم اله واحد تقديره ان الذي يوحى الي هو
هذا الحكم **قوله** فهل انتم مسلمون استفهام معناه الامر بمعنى اسلموا كقوله فهل انتم منتهون
اي انتهوا **قوله** فان تولوا فقل اذنتكم على سوا اذنتكم اعلمتكم فالهمزة فيه للنقل قال
الزمخشري اذن منقول من اذن اذا علم ولكنه كثر استعماله في الجري مجرى الانذار ومنه
قوله فاذنوا بحرب وقول ابن حلزة ٭ اذنتنا ببينها اسما ٭ وقد تقدم تحقيق هذا في
البقرة **قوله** على سوا في محل نصب على الحال من الفاعل والمفعول معا اي مستوين في
العلم بما اعلمتكم به لم نطوه عن احد منهم **فصل** قال ابو مسلم الانذار على السوا الدعا
على الحرب مجاهرة كقوله فانبذ اليهم على سوا وفايدة ذلك انه كان يجوز ان يقدر من
اشرك ان حالهم مخالف لسائر حال الكفار في المجاهرة فعرفهم بذلك انهم كالكفار في ذلك
وقيل المعنى اي اعلمتكم بالحرب وان لا صلح بيننا على سوا اي لتنذروا باجمعكم لتتاهبوا لما يراد بكم

اي

اي اذنتكم على وجه نستوي نحن وانتم في العلم به وقيل المعنى فقد اعلمتكم ما هو الواجب
عليكم من التوحيد وغيره على سوا في الابلاغ والبيان لاني بعثت معلما والغرض منه ازاحة
العذر لئلا يقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا وقيل لتستووا في الايمان وقيل اذنتكم على سوا
اي على مهل اي لا اعاجل بالحرب الذي اذنتكم بل امهل واوخر رجا اسلامكم **قوله** وان
ادري العامة على ارسال اليا ساكنة اذ لا موجب لغير ذلك وروي عن ابن عباس انه قرا
وان ادري اقريب وان ادري لعله فتنة بفتح اليا بين وخرجت على التشبيه بيا الاضافة
على ان ابن مجاهد انكر هذه القراة البتة وقال ابن جني هو غلط لان ان نافية لا عمل لها
ونقل ابو البقا عن غيره انه قال وجه تخريجها انه القى حركة الهمزة على اليا فتحركت وبقيت الهمزة
ساكنة فابدلت الفا لانفتاح ما قبلها ثم ابدلت همزة متحركة لانها في حكم المبتدا بها والابتدا
بالساكن محال وهذا تخريج متكلف لا حاجة اليه ونسبة راويها عن ابن عباس الى الغلط اولى
من هذا التكلف فانها قراة شاذة منكرة وهذا التخريج وان نفع في الاولى فلا يجري في الثانية
شيا وسياتي قريب من ادعى قلب الهمزة الفا ثم قلب الالف همزة في قوله منساته ان شا الله
تعالى وبذلك يسهل الخطب في التخريج المذكور والجملة الاستفهامية في محل نصب بادري لانها
معلقة لها عن العمل واخر المستفهم عنه لكونه فاصلة ولو وسط لكان التركيب اقريب ما
توعدون ام بعيد ولكنه اخر مراعاة لرووس الاي وما توعدون يجوز ان يكون مبتدا وما قبله
خبر عنه ومعطوف عليه وجوز ابو البقا فيه ان يرتفع فاعلا بقريب قال لانه اعتمد على الهمزة قال
ويخرج على قول البصريين ان يرتفع ببعيد لانه اقرب اليه يعني انه يجوز ان يكون المبتدا
من التنازع فان كلا من الوصفين يصح تسلطه على ما توعدون من حيث المعنى **فصل**
المعنى وما ادري اقريب ام بعيد ما توعدون يعني القيامة او من عذاب الدنيا وقيل
الذي اذنتهم به من الحرب لا يعلم هو قريب ام بعيد لئلا يقدر ان يتاخر وذلك ان السورة مكية
وكان الامر بالجهاد بعد الهجرة وقيل ما توعدون من غلبة المسلمين عليهم **قوله** انه يعلم
الجهر من القول ويعلم ما تكتمون والمقصود منه الامر بالاخلاص وترك النفاق ومن القول حال من الجهر مام
قوله لعله فتنة الظاهر ان هذه الجملة معلقة لادري والكوفيون يجرون الترجي مجرى الاستفهام
في ذلك الا ان النحويين لم يعدوا من المعلقات لعل وهي ظاهرة في ذلك كهذه الاية وكقوله وما يدريك
لعله يزكى وما يدريك لعل الساعة قريب **فصل** المعنى وما ادري لعل تاخير العذاب
عنكم او لعل ابهام الوقت الذي ينزل عليكم العذاب فتنة لكم اي بلية واختبار لكم ليرى صنيعكم
وهل تتوبوا عن الكفر ام لا وقيل لعل ما انتم فيه من الدنيا بلية لكم والفتنة البلوى والاختبار
وقيل لعل تاخير الجهاد فتنة لكم اذا انتم دمتم على كفركم وقيل لعل ما بينت لكم فتنة لكم لانه
زيادة في عذابهم ان لم يومنوا ومتاع الى حين اي تمتعون الى انقضا اجالكم **قوله** رب احكم قلع
قرا حفص عن عاصم قال رب خبرا عن الرسول عليه السلام والباقون قل على الامر وقرا العامة رب
بكسر البا اجتزا بالكسرة عن يا الاضافة وهي الفصحى وقرا ابو جعفر بضم البا فقال صاحب اللوامح
انه منادى مفرد ثم قال وحذف حرف النداء فيما كان ان يكون وصفا لاي بعيد بابه الشعر
قال شهاب الدين وليس هذا من المنادى المفرد بل نص بعضهم على ان هذه بعض اللغات الجايزة
في المضاف الى يا المتكلم حالة ندايه وقرا العامة احكم على صورة الامر وقرا ابن عباس وعكرمة وابن
يعمر ربي بسكون اليا احكم افعل تفضيل فهما مبتدا وخبر وقرى احكم بفتح الميم كاكرم على انه فعل
ماض في محل خبر ايضا الربي وقرا العامة تصفون بالخطاب وقرا رسول الله صلى الله عليه
وسلم وابي رضي الله عنه تصفون باليا من تحت وهي مروية ايضا عن عاصم وابن عامر والغيبة

والخطاب وامتحان **فصل** المعنى رب اقض بينهم وبين قومي بالحق اي بالعذاب والحق ههنا بمعنى العذاب كانه استعجل لهم العذاب نظيره ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق فلا جرم حكم الله تعالى عليهم بالقتل يوم بدر وقال اهل المعاني رب احكم بحكمك الحق فحذف الحكم واقيم الحق مقامه والله يحكم بالحق طلب اولم يطلب ومعنى الطلب ظهور الرغبة من الطالب للحق وقيل المعنى افصل بيني وبينهم بما يظهر الحق للجميع وهو ان تنصرني عليهم وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون من الكذب والباطل وقيل كانوا يطمعون ان تكون لهم الشوكة والغلبة فكذب الله ظنونهم وخيب آمالهم ونصر رسوله والمؤمنين **فصل** روي عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة اقترب للناس حسابهم حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القران **سورة الحج مكية غير ست آيات** نزلت بالمدينة وهي قوله هذان خصمان الى قوله وهدوا الى صراط الحميد • وهي ثمان وسبعون آية وعدد كلماتها الفان ومايتان واحدى وتسعون كلمة وعدد حروفها خمسة الاف وخمسة وسبعون حرفا • بسم الله الرحمن الرحيم • يا ايها الناس اتقوا ربكم اي احذروا عقابه والامر بالتقوى يتناول اجتناب المحرمات واجتناب ترك الواجبات **قوله** ان زلزلة الساعة الزلزلة شدة حركة الشي ويجوز في هذا المصدر وجهان احدهما ان يكون مضافا لفاعله وذلك على تقديرين احدهما ان يكون من زلزل اللازم بمعنى تزلزل فالتقدير ان تزلزل الساعة والثاني ان يكون من زلزل المتعدي ويكون المفعول محذوفا تقديره ان زلزال الساعة الناس كذا قدره ابو البقا والاحسن ان يقدر ان تزلزال الساعة الارض يدل عليه قوله اذا زلزلت الارض ونسبة التزلزل والزلزال الى الساعة على سبيل المجاز الوجه الثاني ان يكون المصدر مضافا الى المفعول به على طريقة الاتساع في الظرف كقوله • طباخ ساعات الكرى زاد الكسل • وقد اوضح الزمخشري ذلك بقوله ولا تخلو الساعة منها ان يكون على تقدير الفاعلة لها كانها هي التي تزلزل الاشيا على المجاز الحكمي فيكون الزلزلة مصدرا مضافا الى فاعله او على تقدير المفعول فيها على طريق الاتساع في الظرف واجرايه مجرى المفعول به كقوله تعالى بل مكر الليل والنهار **فصل** اختلفوا في وقت هذه الزلزلة فقال علقمة والشعبي هي من اشراط الساعة قبل قيام الساعة ويكون بعدها طلوع الشمس من مغربها وقال ابن عباس زلزلة الساعة قيامها فيكون معها روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث الصور انه قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفخات نفخة الفزع ونفخة الصعق ونفخة القيمة وان عند نفخة الفزع يسير الله الجبال وترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة وتكون الارض كالسفينة تضربها الامواج او كالقنديل المعلق ترجحها الرياح وقال مقاتل وابن زيد هذا في اول يوم من ايام الاخرة وليس في الاية دلالة على هذه الاقوال لان هذه الاضافة تصح وان كانت فيها ومعها كقولنا آيات الساعة وامارات الساعة **قوله** يوم فيه اوجه احدها ان ينتصب بتذهل ولم يذكر الزمخشري غيره الثاني انه منصوب بعظيم الثالث انه منصوب باضمار اذكر الرابع انه بدل من الساعة وانما فتح لانه مبني لاضافته الى الفعل وهذا انما يتمشى على قول الكوفيين وتقدم تحقيقه اخر المائدة الخامس انه بدل من زلزلة بدل اشتمال لان كلا من الحدث والزمان يصدق انه مشتمل على الاخر ولا يجوز ان ينتصب بزلزلة لما يلزم من الفصل بين المصدر ومعموله بالخبر **قوله** ترونها في هذا الضمير قولان اظهرهما انه ضمير الزلزلة لانها المحدث عنها ويؤيده ايضا قوله تذهل كل مرضعة والثاني انه ضمير الساعة فعلى الاول يكون الذهول والوضع حقيقة لانه في الدنيا وعلى الثاني يكون على سبيل التعظيم والتهويل وانما نفي الحقيقة اذا المراد بالساعة القيمة

بلرم

علي شي

وهو

وهو كقوله يوما يجعل الولدان شيبا **قوله** تذهل في محل نصب على الحال من ها في ترونها فان الروية هنا بصرية وهذا انما يجي على غير الوجه الاول واما الوجه الاول وهو ان تذهل ناصب ليوم ترونها فلا محل للجملة من الاعراب لانها مستانفة او يكون محلها النصب على الحال من الزلزلة او من الضمير في عظيم وان كان مذكرا لانه هو الزلزلة في المعنى او من الساعة وان كانت مضافا اليها لانها اما فاعل او مفعول كما تقدم واذا جعلناها حالا فلا بد من ضمير محذوف تقديره تذهل فيها وقرا العامة تذهل بفتح التا والها من ذهل عن كذا يذهل وقرا ابن ابي عبلة واليماني بضم التا وكسر الها ونصب كل على المفعولية من اذهله عن كذا يذهله عداه بالهمزة والذهول الاشتغال عن الشي وقيل اذا كان مع دهشة وقيل اذا كان لطران شاغل من هم او مرض ونحوهما وذهل بن شيبان اصله من هذا والمرضعة من تلبست بالفعل والمرضع من شانها ان ترضع كحايض فاذا اريد التلبس قيل حائضة قال الزمخشري فان قلت لم قيل مرضعة دون مرضع قلت المرضعة التي هي في حال الارضاع ملقمة ثديها الصبي والمرضع التي من شانها ان ترضع وان لم تباشر الارضاع في حال وصفها به والمعنى ان من شدة الهول تذهل هذه عن ولدها فكيف بغيرها وقال بعض الكوفيين المرضعة يقال للام والمرضع يقال للمستاجرة غير الام وهذا مردود بقول الشاعر •

• كمرضعة اولاد اخرى وضيعت • بني بطنها هذا الضلال عن القصد • فاطلق المرضعة بالتا على غير الام وقول الكوفيين مرضعة يرد ايضا قول الكوفيين ان الصفات المختصة بالمونث لا تلحقها تا التانيث نحو حايض وطالق فالذي يقال ان قصد النسب فالامر على ما ذكروا وان قصد الدلالة على التلبس بالفعل وجبت التا فيقال حايضة وطالقة وطامثة **قوله** عما ارضعت يجوز في ما ان تكون مصدرية اي عن ارضاعها ولا حاجة الى تقدير حذف على هذا ويجوز ان يكون بمعنى الذي فلا بد من حذف عايد اي ارضعته ويقويه تعدي تضع الى مفعول دون مصدر **والحمل** بالفتح ما كان في بطن او على راس شجرة وبالكسر ما كان على ظهر **قوله** وترى الناس سكارى العامة على فتح التا من ترى على الخطاب الواحد وقرا زيد بن علي بضم التا وكسر الراء على ان الفاعل ضمير الزلزلة او الساعة وعلى هذه القراة فلا بد من مفعول اول محذوف ليتم المعنى به اي وترى الزلزلة او الساعة الخلق الناس سكارى بضم التا وفتح الراء على ما لم يسم فاعله ونصب الناس بنوه من المتعدي لثلاثة فالاول قام مقام الفاعل وهو ضمير الخطاب والناس سكارى هما الاول والثاني ويجوز ان يكون متعديا لاثنين فقط على معنى وترى الزلزلة او الساعة الناس قوما سكارى فالناس هو الاول وسكارى هو الثاني وقرا الزعفراني وعباس في اختياره وترى كقراة ابي هريرة الا انهما رفعا الناس على انه مفعول لم يسم فاعله والتانيث في الفعل على تاويلهم بالجماعة وقرا الاخوان سكرى على وزن وصفه المونثة بذلك واختلف في ذلك هل هذه صيغة جمع على فعلى كمرضى وقتلى او صفة مفردة استغني بها في وصف الجماعة خلاف مشهور تقدم في قوله اسرى وظاهر كلام سيبويه انه جمع تكسير فانه قال وقوم يقولون سكرى جعلوه مثل مرضى لانهما شيئان يدخلان على الانسان ثم جعلوا روبى مثل سكرى وهم المستثقلون نوما من شرب الرايب وقال الفارسي ويجوز ان يكون جمع سكر كزمن وزمنى وقد حكي رجل سكر بمعنى سكران فيجي سكرى حينئذ لتانيث الجمع قال شهاب الدين ومن ورود سكر بمعنى سكران قوله •

• وقد جعلت اذا ما قمت يثقلني • ثوبي فانهض نهض الشارب السكر •

• وكنت امشي على رجلين معتدلا • فصرت امشي على اخرى من الشجر • ويروى البيت الاول

لطران م

ويؤيد هذا قراءة ابي هريرة والاعرج والي نهيك وترى الناس سكارى بضمهم

وماهم بسكرى م

الشارب الثمل والثاني اصح لدلالة البيت الثاني عليه وقرا الباقون سُكارى بضم السين وقد تقدم في البقرة خلاف هل هذه الصيغة جمع تكسير او اسم جمع وقرا ابو هريرة وابو نهيك وعيسى بفتح السين فيهما وهو جمع تكسير واحده سكران قال ابو حاتم وهي لغة تميم وقرا الحسن والاعرج وابو زرعة والاعمش سُكرى وما هم بسُكرى بضم السين فيهما فقال ابن جني هي اسم مفرد كالبشرى لهذا افتاني ابو علي وقال ابو الفضل فعلي بضم الفاء من صفة الواحد من الاناث لكنها لما جعلت من صفات الناس وهم جماعة اجريت الجماعة بمنزلة المونث الموحد وقال الزمخشري هو غريب قال شهاب الدين ولا غرابة فان فعلي بضم الفاء كثر مجيها في اوصاف المونثة نحو الرُّبى والحبلى وجوز ابو البقا فيه ان يكون محذوفا من سكارى وكان من حق هذا القاري ان يحرك الكاف بالفتح ابقا لها على ما كانت عليه وقد رواها بعضهم كذلك عن الحسن وقري وتُرى الناس بالبنا من تحت ورفع الناس وقرا ابو زرعة في رواية سَكرى بالفتح وما هم بسُكرى بالضم وعن ابن جبير كذلك الا انه حذف الالف من الاول دون الثاني واثبات السكر وعدمه بمعنى الحقيقة والمجاز اي وترى الناس سكرى على التشبيه وما هم بسكرى على التحقيق قال الزمخشري فان قلت لم قيل اولا ترون ثم قيل ترى على الافراد قلت لان الروية اولا علقت بالزلزلة فجعل الناس جميعا رايين لها وهي معلقة اخرا بكون الناس على حال السكر فلا بد ان جعل كل واحد منهم رايا لساير هم

فصل روي ان هاتين الايتين نزلتا بالليل في غزوة بني المصطلق والناس يسيرون فنادي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمعوا حوله فقراهما عليهم فلم يُرَ اكثر باكيا من تلك الليلة فلما اصبحوا لم يحطوا السروج عن الدواب ولم يضربوا الخيام ولم يطبخوا القدور والناس بين باك وجالس حزين متفكر فقال عليه السلام اتدرون اي يوم ذلك اليوم قالوا الله ورسوله اعلم قال ذلك يوم يقول الله تعالى لادم قم فابعث بعث النار من ولدك فيقول ادم وما بعث النار فيقول الله من كل الف تسع مائة وتسعة وتسعين الى النار وواحدا الى الجنة فعند ذلك يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد قال فيقولون وايّنا ذلك الواحد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة وتسعة وتسعون من ياجوج وماجوج ومنكم واحد وفي رواية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشروا وسددوا وقاربوا فان معكم خليقتين ما كانتا في قوم الا كثرتاه ياجوج وماجوج ثم قال اني لارجوا ان تكونوا ربع اهل الجنة فكبروا وحمدوا الله ثم قال اني لارجوا ان تكونوا نصف اهل الجنة فكبروا وحمدوا الله ثم قال اني لارجوا ان تكونوا ثلثي اهل الجنة ان اهل الجنة مائة وعشرون صفا ثمانون امتي وما المسلمون في الكفار الا كالشامة في جنب البعير وكالشعرة البيضا في الثور الاسود ثم قال ويدخل من امتي سبعون الفا الجنة بغير حساب فقال عمر سبعون الفا فقال نعم ومع كل واحد سبعون الفا فقام عكاشة بن محصن وقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم قال انت منهم فقام رجل من الانصار وقال مثل قوله فقال سبقك بها عكاشة فخاض الناس في السبعين الفا فاخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قالوا فقال عليه السلام هم الذين لا يكتوون ولا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون **فصل** معنى الاية قال ابن عباس تذهل تشتغل وقيل تنسا كل مرضعة اذا شاهدت ذلك الهول وقد القمت المرضع ثديها نزعته من فيه لما يلحقها من الدهشة عما ارضعت اي عن ارضاعها او عن الذي ارضعته وهو الطفل وتضع كل ذات حمل حملها اي تسقط ولدها لتمام وغير التمام قال الحسن وهذا يدل على ان هذه الزلزلة تكون في الدنيا لان بعد البعث لا يكون حبل قال القفال ويحتمل ان يقال ان من ماتت حاملا او مرضعة بعثت حاملا ومرضعة تضع حملها من الفزع ويحتمل ان يكون

المراد من ذهول المرضعة ووضع الحامل على جهة المثل كما تاولوا قوله يوما يجعل الولدان شيبا وترى الناس سكارى من الخوف وما هم بسكارى من الشراب وقيل معناه كانهم سكارى ولكن ما رهقهم من خوف عذاب الله هو الذي اذهب عقولهم فان قيل هل يحصل ذلك الخوف لكل احد او لاهل النار خاصة فالجواب قال قوم ان الفزع الاكبر وغيره يختص باهل النار وان اهل الجنة يحشرون وهم امنون لقوله لا يحزنهم الفزع الاكبر وقيل بل يحصل للكل لانه سبحانه لا اعتراض عليه في شي من افعاله **فصل** احتجت المعتزلة بقوله ان زلزلة الساعة شي عظيم وصفها بانها شي مع انها معدومة وبقوله تعالى ان الله على كل شي قدير فالشي الذي قدر الله عليه اما ان يكون موجودا او معدوما والاول محال والا لزم كون القادر قادرا على ايجاد الموجود واذا بطل هذا ثبت ان الشي الذي قدر الله عليه معدوم فالمعدوم شي واحتجوا ايضا بقوله تعالى ولا تقولن لشي اني فاعل ذلك غدا الا ان يشا الله اطلق اسم الشي على المعدوم في الحال فالمعدوم شي واجيب عن الاول ان الزلزلة عبارة عن الاجسام المتحركة وهي جواهر قامت بها اعراض وتحقق ذلك في العدم محال فالزلزلة يستحيل ان تكون شيا حال عدمها فلا بد من التاويل ويكون المعنى انها اذا وجدت صارت شيا وهذا هو الجواب عن الباقي **قوله** ومن الناس من يجادل الاية في النظم وجهان الاول انه اخبر فيما تقدم عن اهوال القيمة وشدتها ودعا الناس الى تقوى الله بين في هذه الاية قوما من الناس الذين ذكروا في الاولى واخبر عن مجادلتهم الثاني انه تعالى بين انه مع هذا التحذير الشديد يذكر زلزلة الساعة وشدايدها قال ومن الناس من يجادل في الله بغير علم **قوله** من يجادل يجوز ان يكون من نكرة موصوفة وان تكون موصولة وفي الله اي في صفاته وبغير علم مفعول او حال من فاعل يجادل وقرا زيد بن علي ويتبع مخففا **فصل** قال المفسرون نزلت في النضر ابن الحرث كان كثير الجدل وكان يقول الملايكة بنات الله والقران اساطير الاولين وكان ينكر البعث واحيا من صار ترابا ويتبع في ضلاله في الله بغير علم كل شيطان مريد فالمريد المتمرد المستمر في الشر يريد شياطين الانس وهم رؤسا الكفار الذين يدعون من دونهم الى الكفر وقيل اراد ابليس وجنوده قال الزجاج المريد المارد المرتفع الاملس يقال صخرة مردا اي ملسا ويجوز ان يستعمل في غير الشيطان اذا جاوز حد مثله **قوله** كتب عليه انه قرا العامة كتب مبنيا للمفعول وفتح ان في الموضعين وفي ذلك وجهان احدهما ان انه وما في خبره في محل رفع لقيامه مقام الفاعل فالها في عليه وفي انه يعود ان على من المتقدمة ومن الثانية يجوز ان يكون شرطية والفا جوابها وان يكون موصولة والفا زايدة في الخبر لشبه المبتدا بالشرط وفتحت ان الثانية لانها وما في خبرها في محل رفع خبر المبتدا المحذوف تقديره فشانه وحاله انه يضله او تقدر فانه مبتدا والخبر محذوف اي فله انه يضله الثاني قال الزمخشري ومن فتح فلان الاول فاعل كتب والثاني عطف عليه قال ابو حيان وهذا لا يجوز لانك اذا جعلت فانه عطفا على انه بقيت انه بلا استيفا خبر لان من تولاه من فيه مبتداه فان قدرتها موصولة فلا خبر لها حتى يستقل خبرا لانه وان جعلتها شرطية فلا جواب لها اذ جعلت فانه عطفا على انه قال شهاب الدين وقد ذهب ابن عطيه الى مثل قول الزمخشري فانه قال وانه في موضع رفع على المفعول الذي لم يسم فاعله واما الثانية عطف على الاولى موكد وهذا رد واضح وقرئ كتب مبنيا للفاعل اي كتب الله فان وما في خبرها في محل نصب على المفعول به وباقي الاية على ما تقدم وقرا الاعمش والجعفي عن ابي عمرو انه فانه بكسر الهمزتين وقال ابن عطيه وقرا ابو عمرو انه فانه بالكسر فيهما وهذا يوهم انه مشهور عنه وليس كذلك وفي تخريج هذه القراة ثلاثة اوجه ذكرها الزمخشري الاول ان يكون على حكاية المكتوب كما هو كانه قيل كتب عليه هذا اللفظ كما تقول كتب

عليه ان الله هو الغني الحميد الثاني ان يكون على اضمار قيل الثالث ان كتب فيه معني قيل قال
ابو حيان اما تقدير قيل يعني فيكون عليه في موضع مفعول ما لم يسم فاعله وانه من تولاه الجملة
مفعول لم يسم لقيل للضمير وهذا ليس مذهب البصريين فان الجملة عندهم لا تكون فاعلا فلا يكون
مفعول ما لم يسم فاعله وكان ابو حيان قد اختار ما بدا به الزمخشري اولا وفيه ما قررناه وهو انه
اسند الفعل الى الجملة فاللازم مشترك وقد تقدم تقرير مثل هذا في اول البقرة ثم قال واما
الثاني يعني انه ضمن كتب معني القول فليس مذهب البصريين لانه لا تكسر ان عندهم الا بعد القول
الصريح لا ما هو بمعناه والضميران في عليه وانه عائدان على من الاولى كما تقدم وكذلك الضماير في
تولاه وفانه والمرفوع في يضله ويهديه لان من الاولى هو المحدث عنه والضمير المرفوع في تولاه
والمنصوب في يضله ويهديه عائد على من الثانية وقيل الضمير في عليه لكل شيطان والضمير في فانه
للشان وقال ابن عطيه الذي يظهر لي ان الضمير الاول في انه يعود على كل شيطان وفي فانه يعود
على من الذي هو المتولي **فصل** قيل معني كتب عليه مثل اي كانما كتب اضلال من يتولاه عليه
لظهور ذلك في حاله وقيل كتب عليه في ام الكتاب واعلم ان هذا الكلام يحتمل ان يكون راجعا الى
من يجادل وان يرجع الى الشياطين فان رجع الى من يجادل فانه يرجع الى لفظه الذي هو موحد فكانه
قال كتب من يتبع الشيطان اضله عن الجنه وهداه الى النار وذلك زجر منه فكانه قال كتب
على من هذا حاله ان يصير اهلا لهذا الوعد وان رجع الى الشيطان كان المعنى ويتبع كل شيطان
مريد قد كتب عليه انه من يتولاه فهو ضال وعلى هذا الوجه ايضا يكون زجرا عن اتباعه **قوله
تعالى** يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث الاية لما حكي عنهم الجدال بغير علم في اثبات الحشر
والنشر وذمهم عليه الزمهم الحجة واورد الدلالة على صحة ذلك من وجهين احدهما الاستدلال
بخلقة الحيوان اولا ثم بخلقة النبات ثانيا وهذا موافق لما اجمله في قوله قل يحييها الذي انشاها
اول مرة وقوله فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة فكانه تعالى قال ان كنتم في ريب
اي شك من البعث فتفكروا في خلقتكم الاولى لتعلموا ان القادر على خلقكم اولا قادر على خلقكم
ثانيا **قوله** من البعث يجوز ان يتعلق بريب ويجوز ان يتعلق بمحذوف على انه صفة
لريب وقرا الحسن البعث بفتح العين وهي لغة كالطرد والطرد والحلب في الحلب بالسكون قال
ابو حيان والكوفيون اسكان العين عندهم تخفيف فيما وسطه حرف حلق كالنهر والنهر والشعر
والشعر والبصريون لا يقيسونه وما ورد من ذلك هو عندهم مما جا فيه لغتان وهذا يوهم
ظاهره ان الاصل البعث بالفتح وانما خفف وليس الامر كذلك وانما محل النزاع اذا سمع الحلقي
مفتوح العين هل يجوز تسكينه ام لا الا انه كلما جا ساكن العين من الحلقيها يدعي ان اصلها الفتح
كما هو ظاهر عبارته **قوله** فانا خلقناكم من تراب اي خلقنا اصلكم وهو ادم من تراب
نظيره قوله كمثل ادم خلقه من تراب وقوله منها خلقناكم ويحتمل ان خلقة الانسان من
المني ودم الطمث وهما انما يتولدان من الاغذية والاغذيه اما حيوان او نبات وكذا اغذا
الحيوان ينتهي الى النبات قطعا للتسلسل والنبات انما يتولد من الارض والماء فصح قوله انا
خلقناكم من تراب **فصل** قال النووي في التهذيب التراب معروف والمشهور الصحيح
الذي قاله الفرا والمحققون انه جنس لا يثنى ولا يجمع ونقل ابو عمر الزاهد في شرح الفصيح عن
المبرد انه قال هو جمع واحدته ترابه والنسبه الى التراب ترابي وذكر النحاس في كتابه صناعة
الكتاب في التراب اثني عشر لغة يقال تراب وتورب على وزن جعفر وتوارب وتيرب بفتح اولهما
والابلب والاثلب الاول بكسر الهمزة واللام والثاني بفتحهما والثالث بينهما ومنه قولهم بفيه
الاثلب وهو الكثكث بفتح الكافين وبالثا المثلثه المكررة والكثكث بكسر الكافين والدقعم بكسر

الدال والعين والدقعا والمد والرغام بفتح الرا والغين المعجمة ومنه ارغم الله انفه اي الصقه
بالرغام وهو التراب تصور مفتوح البا الموحدة كالعصا والكلخ بكسر الكاف والخا المعجمة واسكان اللام
بينهما والكلخ بكسر الكاف واللام واسكان الميم بينهما والخا ايضا معجمة والعثير بكسر العين المهملة واسكان
الثا المثلثة وبعدها يا مثناة تحت مفتوحة **قوله** ثم من نطفة والنطفه اسم لكل ما القليل
اي ما كان وهو هنا ما الفحل وجمعها نطاف فكانه سبحانه يقول انا الذي قلبت ذلك التراب
ايا بشرا لطيفا مع انه لا مناسبة بينهما والمراد من الخلق من النطفة الذرية **قوله** ثم من
علقه والعلقه قطعة الدم الجامدة وجمعها علق ولا شك ان بين الما وبين الدم الجامد مباينة
شديدة وعن بعضهم وقد سيل عن اصعب الاشيا فقال وقع الزلق على العلق اي على دم القتلى
في المعركة **قوله** ثم من مضغة المضغة القطعة من اللحم قدر ما يمضغ نحو الغرفه والاكله
بمعني المغروفة والماكولة **قوله** مخلقة وغير مخلقة العامة على الجر في مخلقه وفي غير على النعت
وقرا ابن ابي عبلة بنصبهما على الحال من النكرة وهو قليل جدا وان كان سيبويه قاسه والمخلقة
الملسا التي لا عيب فيها من قولهم صخرة خلقا اي ملسا وخلقت السواك سويته وملسته وقيل
التضعيف في مخلقة دلالة على تكثير الخلق لان الانسان ذو اعضاء متباينة وخلق متفاوتة
قاله الشعبي وقتادة وابو العالية وقال ابن عباس وقتادة مخلقة تامة الخلق وغير مخلقة اي
ناقصة الخلق وقال مجاهد مصورة وغير مصورة وهو السقط وقيل المخلقه من تمت فيه احوال
الخلق وغير المخلقه من لم يتم فيه احوال الخلق قاله قتادة والضحاك وقيل المخلقه الولد الذي
تاتي به المراة لوقته وغير المخلقة السقط روى علقمه عن ابن مسعود قال ان النطفة اذا استقرت
في الرحم اخذها ملك بكفه وقال اي رب مخلقه او غير مخلقة فان قال غير مخلقة قذفها في الرحم
دما ولم يكن نسمة وان قال مخلقة قال الملك اي رب اذكر ام انثى اشقي ام سعيد ما الاجل ما العمل
ما الرزق وباي ارض تموت فيقال له اذهب الى ام الكتاب فانك تجد فيها كل ذلك فيذهب
فيجدها في ام الكتاب فينسخها ولا تزال معه حتى ياتي على اخر صفته **قوله** لنبين لكم كمال
قدرتنا وحكمتنا في تصريف اطوار خلقكم لتستدلوا بقدرته في ابتدا الخلق على قدرته على الاعادة
وقيل لنبين لكم ان تغيير الصفه والخلقة هو اختيار من الفاعل المختار ولولاه لما صار بعضه
مخلقا وبعضه غير مخلق وقيل لنبين لكم ما تاتون وما تذرون وما تحتاجون اليه في
العبادة **قوله** ونقر في الارحام ما نشا العامة على رفع ونقر لانه مستانف وليس علة لما
قبله فينتصب نسقا على ما تقدم وقرا يعقوب وعاصم في رواية بنصبه قال ابو البقا على
ان يكون معطوفا في اللفظ والمعني مختلف لان اللام في لنبين للتعليل واللام المقدرة مع نقر
للصيرورة وفيه نظر لان قوله معطوفا في اللفظ يدفعه قوله واللام المقدرة فان تقدير
اللام يقتضي النصب باضمار ان بعدها لا بالعطف على ما قبله وعن عاصم ايضا ثم نخرجكم
بنصب الجيم وقرا ابن ابي عبلة ليبين ويقر بالبا من تحت فيهما والفاعل هو الله تعالى كما في
قراة النون وقرا يعقوب في رواية ونقر بفتح النون وضم القاف ورفع الرا من قر الما
يقره اي صبه وقرا ابو زيد النحوي ويقر بفتح اليا من تحت وكسر القاف ونصب الرا اي
ويقر الله وهو من قر الما اذا صبه وفي الكامل لابن جبارة لنبين ونقر ثم نخرجكم بالنصب
فيهن يعني وبالنون في الجميع . المفضل بالبا فيهما مع النصب ابو حاتم وبالبا والرفع عمر بن
شبه انتهي وقال الزمخشري والقراة بالرفع اخبار بانه تعالى يقر في الارحام ما يشا ان يقره
ثم قال والقراة بالنصب تعليل معطوف على تعليل ومعناه خلقناكم مدرجين هذا التدريج
لغرضين احدهما ان نبين قدرتنا والثاني ان نقر في الارحام من نقر ثم يولد وينشو احد

التكليف في كلهم وبعضد هذه القراة قوله ثم لتبلغوا اشدكم قال شهاب الدين تسميه مثل هذه
الافعال المسندة الي الله تعالي غرضا لا يجوز وقرا وثاب نشا بكسر النون وهو كسر حرف المضارعة
كما تقدم في قوله نستعين والمراد بالاجل المسمي يعني نقر في الارحام ما نشا فلا نمجه ولا نسقطه الي
اجل مسمي وهو حد الولادة وهو اخر ستة اشهر او تسعة اشهر او اربع سنين كما نشا وقد رتام
الخلق والمدة قوله ثم نخرجكم طفلا اي نخرجكم من بطون امهاتكم طفلا حال من مفعول نخرجكم
وانما وحد لانه في الاصل مصدر كالرضي والعدل فيلزم الافراد والتذكير قاله المبرد واما
لانه مراد به الجنس ولان العرب تذكر الجمع باسم الواحد قال تعالي والملايكة بعد ذلك ظهير
واما لان المعني نخرج كل واحد منكم نحو القوم يشبعهم رغيف اي كل واحد منهم وقد يطابق به
ما يراد به فيقال طفلان واطفال وفي الحديث سيل عن اطفال المشركين والطفل يطلق علي
الولد من حين الانفصال الي البلوغ واما الطفل بالفتح فهو الناعم والمراة طفلة قال

ولقد لهوت بطفلة ميالة • بلهاء تطلعني علي اسرارها • وقال

احببت في الطفلة التبلا • لا كثيرا يشبه الجولا • اما الطفل بفتح الطا والفا فوقت ما بعد العصر
من قولهم طفلت الشمس اذا مالت للغروب وطفلت المراة اي صارت ذا طفل قوله ثم لتبلغوا
اشدكم الاشد كمال القوة والعقل وهو من الفاظ الجموع التي لا واحد لها فبنيت لذلك علي لفظ
الجمع والمعني انه سهل في تربيتكم واغذيتكم امورا الي بلوغ اشدكم فنبه بذلك علي الاحوال التي بين
خروج الطفل من بطن امه وبين بلوغ الاشد لان بين الحالتين وسايط قوله ومنكم من
يتوفي العامة علي ضم اليا من يتوفي وقرات فرقة يتوفي بفتح اليا وفيه تخريجان احدهما ان
الفاعل ضمير الباري تعالي اي يتوفاه الله تعالي كذا قدره الزمخشري والثاني ان الفاعل ضمير
من اي يتوفي اجله وهذه القراة كالتي في البقرة والذين يتوفون منكم اي مدتهم ومعني الاية ومنكم
من يتوفي علي قوته وكماله ومنكم من يرد الي ارذل العمر وهو الهرم والخرف فيصير كما كان في
اوان الطفولية ضعيف البنية سخيف العقل قليل الفهم وروي عن ابي عمرو ونافع انهما قرا
العمر بسكون الميم وهو تخفيف قياس نحو عنق في عنق قوله لكيلا يعلم هذا الجار متعلق
بيرد وقد تقدم نظيره في النحل والمعني يبلغ من السن ما يتغير عقله فلا يعقل شيا فان قيل
انه يعلم بعض الاشيا كالطفل فالجواب المراد انه يزول عقله فيصير كانه لا يعلم شيا لان
مثل ذلك قد يذكر في النفي مبالغة ومن الناس من قال هذه الحال لا تحصل للمومنين لقوله تعالي
ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين امنوا وهو ضعيف لان معني قوله ثم رددناه دلالة علي
الذم فالمراد ما يجري مجري العقوبة ولذلك قال الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر غير
ممنون وهذا تمام الاستدلال بخلقة الحيوان واما الاستدلال بخلقة النبات فهو قوله
تعالي وتري الارض هامدة فنصب هامدة علي الحال لان الروية بصرية والهمود السكون والخشوع
وهمدت الارض يبست ودرست وهمد الثوب بلي قال الاعشي

قالت قتيلة ما لجسمك شاحبا • واري ثيابك بالبيات همدا •

والاهتزاز التحرك
وتجوز به هنا عن انبات الارض نباتها بالما والجمهور علي ربت اي زادت من ربا يربو وقرا ابو جعفر
وعبد الله بن جعفر وابو عمرو في رواية وربات بالهمز اي ارتفعت يقال ربا بنفسه عن كذا اي ارتفع
عنه ومنه الربية وهو من يطلع علي موضع عال لينظر للقوم ما ياتيهم وهو عين القوم ويقال له ربي
ايضا قال الشاعر • بعثنا ربيئا قبل ذلك مخملا • كذيب الغضا يمشي الضراء ويتقي • قوله من كل
زوج فيه وجهان احدهما انه صفة للمفعول المحذوف تقديره وانبتت الوانا او ازواجا من كل زوج
والثاني ان من زايدة اي انبتت كل زوج وهذا ماش عند الكوفيين والاخفش والبهيج الحسن

الذي

الذي يسر ناظره وقد بهج بالضم فهو بهيج وبهجة اي حسن وابهجني كذا اي سرني بحسنه فصل
المعني وتري الارض هامدة يابسة لا نبات فيها فاذا انزلنا عليها الما المطر اهتزت تحركت بالنبات
والاهتزاز الحركة علي سرور وربت اي ارتفعت وزادت وذلك ان الارض ترتفع وتنتفخ فذلك
تحركها وقيل فيه تقديم وتاخير معناه وربت واهتزت قال المبرد اراد اهتزت وربا نباتها
فحذف المضاف والاهتزاز في النبات اظهر يقال اهتز النبات اي طال وانما انث لذكر الارض وانبتت
من كل زوج بهيج وهذا مجاز لان الارض لا تنبت وانما المنبت هو الله تعالي لكنه يضاف اليها توسعا
ومعني من كل زوج اي من كل نوع من انواع النبات والبهجة حسن الشي ونضارته ثم انه تعالي لما
قرر هذين الدليلين رتب عليهما ما هو المطلوب وذلك قوله تعالي ذلك بان الله هو الحق الاية
ذلك فيه ثلاثة اوجه احدها انه مبتدا والخبر الجار بعده والمشار اليه ما تقدم من خلق بني ادم
وتطويرهم حاصل بان الله هو الحق وانه الي اخره الثاني ان ذلك خبر مبتدا مضمر اي الامر ذلك
الثالث ان ذلك منصوب بفعل مقدر اي فعلنا ذلك بسبب ان الله هو الحق فالبا علي الاول مرفوعة
المحل وعلي الثاني والثالث منصوبته قوله وان الساعة اتية فيه وجهان احدهما انه عطف
علي المجرور بالبا اي ذلك بان الساعة والثاني انه ليس معطوفا عليه ولا داخلا في حيز السببية وانما
هو خبر والمبتدا محذوف لفهم المعني والتقدير والامر ان الساعة ولا ريب فيها ويحتمل ان تكون هذه
الجملة خبرا ثانيا وان تكون حالا فصل المعني ذلك لتعلموا ان الله هو الحق والحق هو الموجود
الثابت فكانه تعالي بين ان هذه الوجوه المتنافية وتواردها علي الاجسام يدل علي وجود
الصانع وانه يحيي الموتي وهذا تنبيه علي انه لما لم يستبعد من الاله ايجاد هذه الاشيا فكيف
يستبعد منه اعادة الاموات وانه علي كل شي قدير اي ان الذي يصح منه ايجاد هذه الاشيا لابد
وان يجب اتصافه بالقدرة لذاته ومتي كان لذلك كان قادرا علي الاعادة وان الساعة اتية لا
ريب فيها وان الله يبعث من في القبور والمعني انه تعالي لما اقام الدلايل علي ان الاعادة في نفسها ممكنة
وانه سبحانه قادر علي كل الممكنات وجب القطع بكونه قادرا علي الاعادة واذا ثبت الامكان والصادق
اخبر عن وقوعه فلا بد من القطع بوقوعه قوله تعالي ومن الناس من يجادل في الله بغير علم
الاية جعل ابن عطية هذه الواو للحال فقال وكانه يقول هذه الامثال في غاية الوضوح ومن
الناس مع ذلك من يجادل فكان الواو واو الحال والاية المتقدمة الواو فيها واو عطف قال ابو حيان
ولا يتخيل ان الواو في ومن الناس من يجادل واو حال وعلي تقدير الجملة التي قدرها قبله لو كان مصرحا
بها فلا تتقدر بالذ فلا يكون للحال وانما هي للعطف قال شهاب الدين ومنعه من تقديرها باذ
فيه نظر اذ لو قدر لم يلزم منه محذور قوله بغير علم يجوز ان يتعلق بيجادل وان يتعلق بمحذوف
علي انه حال من فاعل يجادل اي يجادل ملتبسا بغير علم اي جاهلا قوله ثاني عطفه حال من فاعل
يجادل اي معرضا وهي اضافة لفظية نحو ممطرنا والعامة علي كسر العين وهو الجانب كني به عن التكبر
والحسن بفتح العين وهو مصدر بمعني التعطف وصفه بالقسوة قوله ليضل متعلق اما بيجادل
واما بثاني عطفه وقرا العامة بضم اليا من يضل والمفعول محذوف اي ليضل غيره وقرا مجاهد
وابو عمرو في رواية بفتحها اي ليضل هو في نفسه قوله له في الدنيا خزي هذه الجملة يجوز ان تكون
حالا مقدرة اي مستحقا ذلك وان تكون حالا مقدرة وان تكون مستانفة وقرا زيد بن علي واذيقه
بهمزة المتكلم وعذاب الحريق يجوز ان يكون من باب اضافة الموصوف لصفته اذ الاصل العذاب الحريق
اي المحرق كالسميع بمعني المسمع فصل قال ابو مسلم ان الاية الاولي واردة في الاتباع المقلدين
وهذه الاية واردة في المتبعة عن المقلدين فان كلا المجادلين جادل بغير علم وان كان احدهما تبعا
والاخر متبوعا وبين ذلك قوله ولا هدي ولا كتاب منير فان مثل ذلك لا يقال في المقلد وانما يقال

بمن يخاصم بنا على شبهة فان قيل كيف يصح ما قلتم والمقلد لا يكون مجادلا قلنا يجادل تصويبا
لتقليده وقد يورد الشبهة الظاهرة اذا تمكن منها وان كان معتمده الاصلي هو التقليد وقيل
ان الاية الاولى نزلت في النضر بن الحرث وهو قول ابن عباس وفائدة المكرر المبالغة في الذم
وايضا قد ذكر في الاية الاولى اتباعه تقليدا بغير حجة وفي الثانية مجادلته في الدين واضلاله
غيره بغير حجة والاول اقرب لما تقدم ودلت الاية على ان الجدال مع العلم والهدى والكتاب حق
حسن والمراد بالعلم العلم الضروري وبالهدى الاستدلال والنظر لانه يهدي الى المعرفة وبالكتاب
المنير الوحي والمعنى يجادل من غير مقدمة ضرورية ولا نظرية ولا سمعية وهو كقوله ويعبدون
من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم ثم قال تعالى ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله ثني
العطف عبارة عن التكبر والخيلاء قال مجاهد وقتادة لاوي عنقه وقال عطية وابن زيد معرضا
عما يدعى اليه تكبرا والعطف الجانب وعطفا الرجل جانباه عن يمين وشمال وهو الموضع الذي يعطفه
الانسان اي يلويه ويميله عند الاعراض عن الشيء ونظيره قوله تعالى واذا تتلى عليه اياتنا ولى
مستكبرا وقوله واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم ليضل عن سبيل الله من
ضم اليا فمعناه ليضل غيره عن طريق الحق فجمع بين الضلال والكفر واضلال الغير ومن فتح اليا فالمعنى
ليضل هو عن دين الله له في الدنيا خزي عذاب وهوان وهو القتل يوم بدر فقتل النضر وعقبة بن
ابي معيط يوم بدر صبرا ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ويقال له ذلك بما قدمت يداك
وان الله ليس بظلام للعبيد والكلام في قوله ذلك بان الله كالكلام في قوله ذلك بما قدمت
وكذا قوله وان الله يجوز عطفه على السبب ويجوز ان يكون التقدير والامر ان الله فيكون منقطعا
عما قبله **قوله** ظلام مثال مبالغة فان قيل اذا قلت ليس زيد بظلام لا يلزم منه نفي اصل الظلم
فان نفي الاخص لا يستلزم نفي الاعم فالجواب ان المبالغة انما جيء بها لتكثير محالها فان العبيد
جمع واحسن من هذا ان فعالا هنا للنسب اي بذي ظلم لا للمبالغة **فصل** قالت المعتزلة
هذه الاية تدل على مطالب الاول دلت على ان العبد انما وقع في ذلك العذاب بسبب عمله فلو
كان فعله خلقا لله تعالى لكان حين خلقه استحال منه ان لا يتصف به فلا يكون ذلك العقاب
بسبب فعله فاذا عاقبه عليه كان ذلك محض الظلم وذلك خلاف النص الثاني ان قوله وان
الله ليس بظلام للعبيد يدل على انه سبحانه انما لم يكن ظالما بفعل ذلك العذاب وهذا يدل على انه
لو عاقبه لا بسبب فعل يصدر من جهته لكان ظالما وهذا يدل على انه لا يجوز تعذيب الاطفال
لكفر ابايهم الثالث انه سبحانه تمدح بانه لا يفعل الظلم فوجب ان يكون قادرا عليه خلاف
ما يقوله النظام وان يصح ذلك منه خلاف ما يقوله اهل السنة الرابع انه لا يجوز الاستدلال
بهذه الاية على انه تعالى لا يظلم لان عندهم صحة نبوة النبي عليه السلام موقوفة على نفي الظلم فلو
اثبتنا ذلك بالدليل السمعي لزم الدور واجاب ابن الخطيب عن الكل بالمعارضة بالعلم
والداعي **قوله تعالى** ومن الناس من يعبد الله على حرف الاية قال ابن عباس وسعيد
ابن جبير والحسن ومجاهد وقتادة نزلت في قوم من الاعراب كانوا يقدمون المدينة مهاجرين
من باديتهم فكان احدهم اذا قدم المدينة فصح بها جسمه ونتجت فرسه مهرا حسنا وولدت
امراته غلاما وكثر ماله قال هذا دين حسن وقد اصبت فيه خيرا واطمان اليه وان اصابه مرض
وولدت امراته جارية واجهضت رماكه وقل ماله قال ما اصبت منذ دخلت هذا الدين
الا شرا فينقلب عن دينه وذلك الفتنة فانزل الله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف قال
اكثر المفسرين اي على شك واصله من حرف الشيء وهو طرفه وقيل على انحراف او على طرف الدين لا في
وسطه كالذي يكون في طرف العسكر ان راى خيرا ثبت والا فر وعلى حرف حال من فاعل يعبد اي

متزلزلا

متزلزلا ومعنى على حرف اي على شك او على انحراف او على طرف الدين لا في وسطه **فصل** لما بين
حال المظهرين للشرك المجادلين فيه عقبه بذكر المنافقين فقال ومن الناس من يعبد الله على حرف
وهذا امثل لكونهم على قلق واضطراب في دينهم لا على سكون وطمانينة كالذي يكون على طرف العسكر
فان احس بغنيمة قر والا فر وهذا هو المراد بقوله فان اصابه خير اطمان به وان اصابته فتنة
انقلب على وجهه قال الحسن هو المنافق يعبد الله بلسانه دون قلبه فان اصابه خير صحة
في جسمه وسعة في عيشته اطمان به وسكن اليه وان اصابته فتنة بلاء في جسده وضيق في
عيشته انقلب على وجهه ارتد ورجع الى ما كان عليه من الكفر **فصل** ذكروا في السبب
وجوها احدها ما تقدم والثاني قال الضحاك نزلت في المولفة قلوبهم منهم عيينة بن بدر
والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس قال بعضهم لبعض ندخل في دين محمد فان اصابنا خير
عرفنا انه حق وان كان غير ذلك عرفنا انه باطل الثالث قال ابو سعيد الخدري اسلم رجل من
اليهود وقد ذهب بصره وماله وولده فقال يا رسول الله اقلني فاني ما اصبت من ديني هذا
خيرا ذهب بصري ومالي وولدي فقال عليه السلام ان الاسلام لا يقال ان الاسلام يسبك
كما يسبك النار خبث الحديد والذهب والفضة ونزلت هذه الاية وههنا اشكال وهو ان
المفسرين اجمعوا على ان السورة مكية الا ست ايات ذكروها اولها هذان خصمان اختصموا الى قوله
صراط الحميد ولم يعدوا هذه الوقايع التي ذكروها في سبب نزول هذه الاية مع انهم يقولوا
ان هذه الوقايع انما كانت بالمدينة كما تقدم النقل عنهم **فان قيل** كيف قال وان
اصابته فتنة انقلب والخير ايضا فتنة لانه امتحان لقوله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة
فالجواب مثل هذا كثير في اللغة لان النعمة بلاء وابتلاء قال تعالى فاما الانسان اذا ما ابتلاه
ربه فاكرمه ونعمه ولكن انما يطلق اسم البلاء على ما يثقل على الطبع والمنافق ليس عنده الخير الا الخير
الدنيوي وليس عنده الشر الا الشر الدنيوي لانه لا دين له فلذلك وردت الاية على ما يعتقده فان
قيل اذا كانت الاية في المنافق فما قوله انقلب على وجهه وهو في الحقيقة لم يسلم حتى ينقلب
فالجواب انه اظهر بلسانه خلاف ما كان اظهر فصار يذم الدين عند الشدة وكان من قبل
يمدحه وذلك انقلاب على الحقيقة **فان قيل** لما بين الخير والشر فلما قال فان اصابه
خير اطمان به كان يجب ان يقول وان اصابه شر انقلب على عقبيه فالجواب لما كانت
الشدة ليست بقبيحة لم يقل تعالى وان اصابه شر بل وصفه بما لا يفيد فيه القبح **قوله**
خسر الدنيا والاخرة قرا العامة خسر فعلا ماضيا وهو يحتمل ثلاثة اوجه الاستيناف والحالية
من فاعل انقلب ولا حاجة الى اضمار قد على الصحيح والبدلية من قوله انقلب كما ابدل المضارع
من مثله في قوله يلق اثاما يضاعف وقرا مجاهد والاعرج وابن محيصن والجحدري في اخرين
خاسر بصيغة اسم الفاعل منصوب على الحال وهي تؤيد كون الماضي في قراءة العامة حالا وقرئ برفعه
وفيه وجهان احدهما ان يكون فاعلا بانقلب ويكون من وضع الظاهر موضع المضمر اي انقلب
خاسر الدنيا والاصل انقلب هو والثاني انه خبر مبتدا محذوف اي هو خاسر وهذه القراءة
تؤيد الاستيناف في قراءة المضي على التخريج الثاني وحق من قرا خاسر رفعا ونصبا ان يجر الاخرة
لعطفها على الدنيا المجرورة بالاضافة ويجوز ان تبقى النصب فيها اذ يجوز ان تكون الدنيا منصوبة
وانما حذف التنوين من خاسر لالتقاء الساكنين نحو قوله ولا ذاكر الله الا قليلا **فصل**
معنى خسرانه الدنيا هو انه يخسر العز والكرامة واصابة الغنيمة واهلية الشهادة والامامة والقضاء
ولا يبقى ماله ودمه مصونا واما خسران الاخرة فيفوته الثواب الدائم ويحصل له العقاب الدائم
ذلك هو الخسران المبين **قوله** يدعو من دون الله ما لا يضره ان عصاه ولم يعبده وما لا ينفعه

ان اطاعه وعبده وذلك هو الضلال البعيد عن الحق والرشد وهذه الاية تدل على ان الاية
الاولى لم ترد في اليهودي لانه ليس ممن يدعوا من دون الله الاصنام والاقرب انها واردة في
المشركين الذين انقطعوا الى الرسول على وجه النفاق **قوله** يدعوا لمن ضره اقرب من نفعه فيه عشرة
اوجه وذلك انه اما ان يجعل يدعوا متسلطا على الجملة من قوله لمن ضره اقرب من نفعه او لا
فان جعلناه متسلطا عليها كان فيه سبعة اوجه احدها ان يدعوا بمعنى يقول واللام للابتدا
ومن موصوله في محل رفع بالابتدا وضره مبتدا ثان واقرب خبره وهذه الجملة صلة للموصول
وخبر الموصول محذوف تقديره يقول للذي ضره اقرب من نفعه اله او الهي ونحو ذلك والجملة
كلها في محل نصب بيدعوا لانه بمعنى يقول فهي محكية به وهذا قول ابي الحسن وعلى هذا فيكون قوله
لبئس المولى مستانفا ليس داخلا في المحكي فتبله لان الكفار لا يقولون في اصنامهم ذلك ورد
بعضهم هذا القول بان فاسد المعنى اذ الكفار لا يعتقدون في الاصنام ان ضرها اقرب من
نفعها البته الثاني ان يدعوا مشبه بافعال القلوب لان الدعا لا يصدر الا عن اعتقاد و
افعال القلوب تعلق فيدعوا معلق ايضا باللام ومن مبتدا موصول والجملة بعده صلة
وخبره محذوف على ما مر في الوجه قبله والجملة في محل نصب كما يكون كذلك بعد افعال
القلوب الثالث ان يضمن يدعوا معنى يزعم فتعلق كما تعلق والكلام فيه كالكلام في الوجه الذي
قبله الرابع ان الافعال كلها يجوز ان تعلق قلبية كانت او غيرها فاللام معلقة ليدعوا
وهو مذهب يونس فالجملة بعده والكلام فيها كما تقدم الخامس ان يدعوا بمعنى يسمي فيكون
اللام مزيدة في المفعول الاول وهو الموصول وصلته ويكون المفعول الثاني محذوفا تقديره
يسمي الذي ضره اقرب من نفعه الها ومعبودا ونحو ذلك السادس ان اللام مزالة من موضعها
والاصل يدعوا من لضره اقرب فقدمت من تاخر وهذا قول الفرا ورد هذا بان ما في
صلة الموصول لا يتقدم على الموصول السابع ان اللام زايدة في المفعول به وهو من والتقدير
يدعوا من ضره اقرب فمن موصول والجملة بعدها صلتها والموصول هو المفعول بيدعوا وزيدت
فيه اللام كزيادتها في قوله ردف لكم في احد القولين ورد هذا بان زيادة اللام انما تكون اذا
كان العامل فرعا او تقدم المعمول وقرا عبد الله يدعوا من ضره بغير لام ابتدا وهي مؤيدة
لهذا الوجه وان لم نجعله متسلطا على الجملة بعده كان فيه ثلاثة اوجه اظهرها ان يدعوا
الثاني توكيد ليدعوا الاول ولا معمول له كانه قيل يدعوا يدعوا من دون الله الذي لا يضره ولا
ينفعه وعلى هذا فيكون الجملة من قوله ذلك هو الضلال معترضة بين المؤكد والمؤكد لان فيها
تشديدا وتاكيدا للكلام ويكون قوله لمن ضره كلاما مستانفا فيكون اللام للابتدا ومن موصولة
وضره مبتدا واقرب خبره والجملة صلة ولبئس جواب قسم مقدر وهذا القسم المقدر وجوابه
خبر للمبتدا الذي هو الموصول الثاني ان يجعل ذلك موصولا بمعنى الذي وهو مبتدا والضلال خبره والجملة
صلة له وهذا الموصول مع صلته في محل نصب مفعولا بيدعوا اي يدعوا الذي هو الضلال
وهذا منقول عن ابي علي الفارسي وهذا ماش على راي البصريين اذ لا يكون عندهم من اسما الاشارة
موصول الا اذا بشروط تقدم ذكرها واما الكوفيون فيجيزون في اسما الاشارة مطلقا ان تكون
موصولة وعلى هذا فيكون لمن ضره اقرب مستانفا على ما تقدم الثالث ان يجعل ذلك مبتدا وهو
جوزوا فيه ان يكون بدلا او فصلا او مبتدا والضلال خبر ذلك او خبر هو على حسب الخلاف في
هو ويدعوا حال والعامل فيه محذوف تقديره يدعوه وقدروا هذا الفعل الواقع موقع الحال
يدعوا قال ابو البقا وهو ضعيف ولم يبين وجه ضعفه وكان وجهه ان يدعوا مبني للفاعل
فلا يناسب ان يقدر الحال الواقعة موقعه اسم مفعول بل المناسب ان يقدر باسم فاعل فكان ينبغي

ان يقدروه داعيا ولو كان التركيب يدعى مبنيا للمفعول لحسن تقديره مدعوا الا ترى انك اذا قلت
جا زيد يضرب كيف تقدره بضارب لا بمضروب **فصل** اختلفوا في المراد بقوله يدعوا لمن
ضره اقرب من نفعه فقيل المراد روساهم الذين يفزعون اليهم لانه يصح منهم ان يضروا ويؤيد
هذا ان الله تعالى بين في الاية الاولى ان الاوثان لا تضرهم ولا تنفعهم وهذه الاية تقتضي كون
المذكورين فيها ضارا نافعا فلو كان المذكور في هذه الاية هو الاوثان لزم التناقض وقيل
المراد الاوثان ثم اجابوا عن التناقض بوجوه احدها انها لا تضر ولا تنفع بانفسها ولكن عبادتها
سبب الضرر وذلك يكفي في اضافة الضرر اليها لقوله تعالى رب انهن اضللن كثيرا من الناس
فاضاف الاضلال اليهم من حيث كانوا سببا للضلال فكذلك هنا نفى الضرر عنهم في الاية الاولى
بمعنى كونها فاعله واضاف الضرر اليهم في هذه الاية بمعنى ان عبادتها سبب الضرر وثانيها كانه
سبحانه بين في الاية الاولى انها في الحقيقة لا تضر ولا تنفع ثم قال في الاية الثانية ولو سلمنا كونها ضارة
نافعة لكن ضرها اكثر من نفعها وثالثها ان الكفار اذا انصفوا علموا انه لا يحصل منها لا نفع ولا ضرر
في الدنيا ثم انهم في الاخرة يشاهدون العذاب العظيم بسبب عبادتها فكانهم يقولون لها في الاخرة
ان ضركم اعظم من نفعكم **قوله** لبئس المولى ولبئس العشير المولى هنا الناصر والعشير الصاحب
والمعاشر والمخصوص بالذم محذوف تقديره لبئس المولى ولبئس العشير ذلك المدعو واعلم ان
هذا الوصف بالروسا اليق لانه لا يكاد يستعمل في الاوثان فبين تعالى انهم يعدلون عن
عبادة الله الذي هو خير الدنيا والاخرة الى عبادة الاصنام والى طاعة الروسا بقوله لبئس
المولى والمراد ذم ما انتصروا بهم **قوله تعالى** ان الله يدخل الذين امنوا الاية لما بين
في الاية السالفة حال عبادة المنافقين وحال معبودهم وان معبودهم لا ينفع ولا يضر بين
ههنا صفة عبادة المومنين وصفة معبودهم وان عبادتهم حقيقة ومعبودهم يعطيهم اعظم
المنافع وهو الجنة التي من كمالها جمعها بين الزرع والشجر وان تجري تحتها الانهار وبين انه يفعل ما
يريد بهم من انواع الفضل والاحسان زيادة على اجورهم كما قال تعالى فيوفيهم اجورهم ويزيدهم
من فضله واحتج اهل السنة في خلق الافعال بقوله ان الله يفعل ما يريد قالوا اجمعنا على انه
تعالى يريد الايمان ولفظة ما للعموم فوجب ان يكون فاعلا للايمان لقوله ان الله يفعل ما
يريد واجاب عنه الكعبي بان الله تعالى يفعل ما يريد ان يفعله غيره واجيب بان هذا
تقييد للعموم وهو خلاف النص **قوله** من كان يظن من يجوز ان تكون شرطية وهو الظاهر وان
تكون موصولة والضمير في ينصره الظاهر عوده على من وفسر النصر بالرزق وقيل يعود على الدين
والاسلام فالنصر على بابه قال ابن عباس والكلبي ومقاتل والضحاك وقتادة وابن زيد والسدي
واختيار الفرا والزجاج ان الضمير في ينصره يرجع الى محمد عليه السلام يريد ان من ظن ان لن ينصر الله
محمدا في الدنيا باعلا كلمته واظهار دينه وفي الاخرة باعلا درجته والانتقام ممن كذبه والرسول
عليه السلام وان لم يجر له ذكر في هذه الاية ففيها ما يدل عليه وهو ذكر الايمان في قوله ان الله يدخل
الذين امنوا وعملوا الصالحات والايمان لا يتم الا بالله ورسوله **قوله** فليمدد الفا جواب الشرط او
خبر للموصول والفا للتشبيه بالشرط والجمهور على كسر اللام من ليقطع وسكنها بعضهم كما يسكنها بعد الفا
والواو لكونهن عواطف وكذلك اجروا ثم مجراهما في تسكين ها هو وهي بعدها وهي قراءة الكسائي
ونافع في رواية قالون عنه **قوله** هل يذهبن الجملة الاستفهامية في محل نصب على اسقاط
الخافض لان النظر تعلق بالاستفهام واذا كان بمعنى الفكر تعدى بفي وقوله ما يغيظ ما موصولة
بمعنى الذي والعايد هو الضمير المستتر وما وصلتها مفعوله بقوله يذهبن اي هل يذهبن كيده
الشي الذي يغيظه فالمرفوع في يغيظه عايد على الذي والمنصوب على من كان يظن وقال

ابو حيان وما في ما يغيظ بمعنى الذي والعايد محذوف او مصدرية قال شهاب الدين كلا هذين
القولين لا يصح اما قوله العايد محذوف فليس كذلك بل هو مضمر مستتر في حكم الموجود كما تقدم تقريره
قبل ذلك وانما يقال محذوف فيما كان منصوب المحل ومجرورة اما قوله او مصدرية فليس كذلك
ايضا اذ لو كانت مصدرية لكانت حرفا على الصحيح واذا كانت حرفا لم يعد عليها ضمير واذا لم
يعد عليها ضمير بقي الفعل بلا فاعل فان قلت اضمر في يغيظ ضميرا فاعلا يعود على من كان يظن
فالجواب ان من كان يظن في المعنى مغيظ لا غايظ وهذا بحث حسن **فصل** المعنى من كان
يظن ان لن ينصر الله نبيه صلى الله عليه وسلم في الدنيا والاخرة فليمدد بسبب الى السماء والسبب
الحبل والسما سقف البيت هذا قول الاكثرين اي ليشدد حبلا في سقف بيته فليختنق به حتى
يموت ثم ليقطع الحبل بعد الاختناق وقيل سمي الاختناق قطعا وقيل ليقطع اي ليمد الحبل حتى
ينقطع فيموت مختنقا فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ صنيعه وحيلته غيظه والمعنى فليختنق
غيظا حتى يموت وليس هذا على سبيل الحتم ان يفعل لانه لا يمكنه القطع والنظر بعد الاختناق
والموت ولكنه كما يقال للحاسد اذا لم ترض بهذا فاختنق ومت غيظا وقال ابن زيد المراد
من السما السما المعروفة ومعنى الاية من كان يظن ان لا ينصر الله نبيه ويكيده في امره ليقطعه
عنه فليقطعه من اصله فان اصله من السما فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع عن النبي صلى الله
عليه وسلم الوحي الذي ياتيه فلينظر هل يقدر على اذهاب غيظه بهذا الفعل **فصل**
روي ان هذه الاية نزلت في قوم من اسد وغطفان دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم الى
الاسلام وكان بينهم وبين اليهود حلف وقالوا لا يمكننا ان نسلم لانا نخاف ان لا ينصر محمد ولا
يظهر امره فينقطع الحلف بيننا وبين اليهود فلا يميروننا ولا يؤوونا فنزلت هذه الاية
وقال مجاهد النصر بمعنى الرزق والهاء راجعة الى من ومعناه من كان يظن ان لن يرزقه
الله في الدنيا والاخرة نزلت فيمن اسا الظن بالله عز وجل وخاف ان لا يرزقه فليمدد بسبب الى
السما اي سما البيت فلينظر هل يذهبن فعله ذلك ما يغيظ وهو خيفة فعله ان لا يرزق وقد
ياتي النصر بمعنى الرزق تقول العرب من ينصرني نصره الله اي من يعطيني اعطاه الله قال ابو عبيدة
تقول العرب ارض منصورة اي ممطورة وعلى كل الوجوه فانه زجر للكفار عن الغيظ فيما لا فايدة
فيه **قوله** وكذلك انزلناه الكاف اما حال من ضمير المصدر المقدر واما نعت لمصدر محذوف
على حسب ما تقدم من الخلاف اي ومثل ذلك الانزال انزلنا القران كله ايات بينات فايات
حال **قوله** وان الله يهدي يجوز في ان ثلاثة اوجه احدها انها منصوبة المحل عطفا على
معمول انزلناه اي وانزلنا ان الله يهدي من يريد اي انزلناه هداية الله لمن يريد هدايته
الثاني انها على حذف حرف الجر وذلك الحرف متعلق بمحذوف والتقدير ولان الله يهدي من
يريد انزلناه فيجي في موضعها القولان المشهوران اهي في محل نصب ام جر والى هذا ذهب
الزمخشري وقال في تقديره ولان الله يهدي به الذين يعلم انهم يؤمنون انزله كذلك مبينا
الثالث انها في محل رفع خبر المبتدا مضمر تقديره والامر ان الله يهدي من يريد **فصل**
قال اهل السنة المراد من الهداية اما وضع الادلة او خلق المعرفة اما الاول فغير جايز لانه
تعالى فعل ذلك في حق كل المكلفين ولان قوله يهدي من يريد دليل على الهداية غير واجبة
عليه بل هي متعلقة بمشيته سبحانه ووضع الادلة عند الخصم واجب فيبقى المراد منه خلق
المعرفة قال القاضي عبد الجبار في الاعتذار هذا يحتمل وجوها احدها يكلف من
يريد لان من كلف واحدا شيا فقد وصفه له وبينه وثانيها ان يكون المراد يهدي الى الجنة
والاثابة من يريد ممن امن وعمل صالحا وثالثها ان يكون المراد ان الله يلطف بمن يريد ممن

علم

علم انه اذا هدي ثبت على ايمانه كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وهذا الوجه هو
الذي اشار الحسن اليه بقوله ان الله يهدي من قبل لا من يقبل والوجهان الاولان ذكرهما ابو علي
واجيب عن الاول بان الله تعالى ذكر ذلك بعد بيان الادلة وعن الثاني من الشبهات
لا يجوز حمله على محض التكليف واما الوجهان الاخيران فمدفوعان لانهما عند الخصم واجبان
على الله وقوله يهدي من يريد يقتضي عدم الوجوب **قوله تعالى** إن الذين آمنوا
الاية لما قال وان الله يهدي من يريد اتبعه ببيان من يهديه ومن لا يهديه واعلم
ان ان الثانية واسمها وخبرها في محل رفع خبر ان الاولى قال الزمخشري وادخلت ان
على كل واحد من جزئي الجملة لزيادة التاكيد ونحوه قول جرير، إن الخليفة إن الله سربله،
سربال ملك به ترجى الخواتيم، قال ابو حيان وظاهر هذا انه شبه البيت بالاية وكذلك
قرنه الزجاج بالاية ولا يتعين ان يكون البيت كالاية لان البيت يحتمل ان يكون ان الخليفة
خبره به ترجى الخواتيم ويكون ان الله سربله جملة اعتراض بين اسم ان وخبرها بخلاف الاية
فانه يتعين قوله ان الله يفصل وحسن دخول ان على الجملة الواقعة خبرا لطول الفصل بينهما
بالمعاطيف قال شهاب الدين قوله فانه يتعين قوله ان الله يفصل يعني ان يكون خبرا ليس
كذلك لان الاية محتملة لوجهين اخرين ذكرهما الناس الاول ان يكون الخبر محذوفا تقديره
يفترقون يوم القيامة ونحوه والمذكور تفسير له كذا ذكره ابو البقا والثاني ان ان الثانية تكرير
للاولى على سبيل التوكيد وهذا ماش على القاعدة وهو ان الحرف اذا كرر توكيدا اعيد معه ما
اتصل به او ضميره ما اتصل به وهنا قد اعيد معه ما اتصل به اولا وهي الجلالة المعظمة فلم
يتعين ان يكون قوله ان الله يفصل خبرا لان الاولى كما ذكروا اختلف العلما في المجوس فقيل قوم
يعبدون النار وقيل الشمس والقمر وقيل اعتزلوا النصارى ولبسوا المسوح وقيل اخذوا من
دين النصارى شيا ومن دين اليهود شيا وهم القايلون بان للعالم اصلان نور وظلمة وقيل
هم قوم يستعملون النجاسات والاصل نجوس بالنون فابدلت ميما ومعنى يفصل بينهم يوم القيمة
اي يحكم بينهم ان الله على كل شي شهيد اي عالم بما يستحقه كل منهم فلا يجري في ذلك الفصل
ظلم ولا حيف **قوله تعالى** الم تر ان الله يسجد له الاية قيل المراد بهذه الروية
العلم اي الم تعلم وقيل الم تر بقلبك والمراد بالسجود قال الزجاج انها مطيعة لله تعالى كقوله
تعالى للسماء والارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طايعين ان نقول له كن فيكون وان منها
لما يهبط من خشية الله وان من شي الا يسبح بحمده وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والمعنى ان
هذه الاجسام لما كانت قابلة لجميع ما يحدثه الله تعالى فيها من غير امتناع اشبهت
الطاعة والانقياد وهو السجود فان قيل هذا التاويل يبطله قوله تعالى وكثير من الناس
فان السجود بالمعنى المذكور عام في كل الناس فاسناده الى كثير منهم يكون تخصيصا من غير فايدة
فالجواب من وجوه الاول ان السجود بالمعنى المذكور وان كان عاما في حق الكل الا ان بعضهم
تكبر وترك السجود في الظاهر فهذا الشخص وان كان ساجدا بذاته فليس ساجدا بظاهره واما المومن فانه ساجد
بذاته وبظاهره فلاجل هذا الفرق حصل التخصيص بالذكر وثانيها ان يقطع قوله
وكثير من الناس عما قبله ثم فيه ثلاثة اوجه الاول ان تقدير الاية ولله يسجد من في السموات
ومن في الارض ويسجد له كثير من الناس فيكون السجود الاول بمعنى الانقياد والثاني بمعنى
العبادة وانما فعلنا ذلك لقيام الدلالة على انه لا يجوز استعمال اللفظ المشترك في
معنييه جميعا الثاني ان يكون قوله وكثير من الناس مبتدا وخبره محذوف وهو مثاب
لان خبر مقابله يدل عليه وهو قوله حق عليه العذاب والثالث ان يبالغ في تكثير المحقوق

بالعذاب فيعطف كثير على كثير ثم يخبر عنهم بحق عليهم العذاب وثالثها ان من يجوز استعمال اللفظ
المشترك في مفهوميه جميعا يقول المراد بالسجود في حق الاحيا العقلا العبادة وفي حق الجمادات
الانقياد ومن ينكر ذلك فيقول ان الله تعالى تكلم بهذه اللفظة مرتين فعنى بها في حق العقلا
الطاعة وفي حق الجمادات الانقياد **فان قيل** قوله ولله يسجد من في السموات ومن في الارض
عام فيدخل فيه الناس فلم قال وكثير من الناس مرة اخرى فالجواب لو اقتصر على ما تقدم لاوهم
ان كل الناس يسجدون كما ان كل الملايكة يسجدون فبين ان كثيرا منهم يسجد طوعا دون كثير منهم
فانه يمتنع عن ذلك وهم الذين حق عليهم العذاب وقال القفال السجود ههنا هو الخضوع والتذلل
بمعنى كونها مقترنة بالطاقة اليه والحاجة الى تخليقه وتكوينه وعلى هذا تاولوا قوله وان من
شي الا يسبح بحمده وقال مجاهد ان سجود هذه الاشيا سجود ظلها لقوله تعالى تتفيو ظلاله
عن اليمين والشمايل سجدا لله وقال ابو العالية ما في السما نجم ولا شمس ولا قمر الا يقع ساجدا
حين يغيب ثم لا ينصرف حتى يوذن له فياخذ ذات اليمين حتى يرجع الى مطلعه **قوله** وكثير من
الناس فيه اوجه احدها انه مرفوع بفعل مضمر تقديره ويسجد له كثير من الناس وهذا عند
من يمنع استعمال المشترك في معنييه او الجمع بين الحقيقة والمجاز في كلمة واحدة وذلك ان السجود
المسند لغير العقلا غير السجود المسند للعقلا فلا يعطف كثير من الناس على ما قبله لاختلاف
الفعل المسند اليهما في المعنى الا ترى ان سجود غير العقلا هو الطواعية وهو من باب الاشتراك
المعنوي والاذعان لامره وسجود العقلا هو هذه الكيفية المخصوصة الثاني انه معطوف على ما
تقدمه وفي ذلك ثلاثة تاويلات احدها ان المراد بالسجود القدر المشترك بين الكل العقلا وغيرهم
وهو الخضوع والطواعية وهو من باب الاشتراك المعنوي والتاويل الثاني انه مشترك اشتراكا
لفظيا ويجوز استعمال المشترك في معنييه والتاويل الثالث ان السجود المسند للعقلا حقيقة ولغيرهم
مجاز ويجوز الجمع بين الحقيقة والمجاز على خلاف في هذه الاشيا مذكور في كتب الاصول الثالث من
الاوجه المتقدمة ان يكون كثير مرفوعا بالابتدا وخبره محذوف وهو مثاب لدلالة خبر مقابله
عليه وهو قوله وكثير حق عليه العذاب كذا قدره الزمخشري وقدره ابو البقا مطيعون او مثابون
او نحو ذلك الرابع ان يرتفع كثير على الابتدا ايضا ويكون خبره من الناس اي من الناس الذين هم
الناس على الحقيقة وهم الصالحون والمتقون الخامس ان يرتفع بالابتدا ايضا ويبالغ في تكثير المحقوقين
بالعذاب فيعطف كثير على كثير ثم يخبر عنهم بحق عليه العذاب ذكر ذلك الزمخشري كما تقدم قال
ابو حيان بعد ان حكى عن الزمخشري الوجهين الاخيرين قال وهذان التخريجان ضعيفان ولم يبين وجه
ضعفهما قال شهاب الدين اما اولهما فلا شك في ضعفه اذ لا فايدة طايلة في الاخبار بذلك واما
الثاني فقد يظهر وذلك ان التكرير يفيد التكثير وهو قريب من قولهم عندي الف والف وقوله
لو عد قبر وقبر كنت اكرمهم • وقرا الزهري والدواب بتخفيف البا قال ابو البقا ووجهها
انه حذف البا الاولى كراهية التضعيف والجمع بين ساكنين وقرا جناح بن حبيش وكبير بالبا الموحدة
وقري وكثير حقا بالنصب وناصبه محذوف وهو الخبر تقديره وكثير حق عليه العذاب حقا والعذ ب
مرفوع بالفاعلية وقري حق مبنيا للمفعول وقال ابن عطية وكثير حق عليه العذاب يحتمل ان يكون
معطوفا على ما تقدم اي وكثير حق عليه العذاب يسجد اي كراهية وعلى رغمه اما بظله واما بخضوعه
عند المكاره فقوله معطوف على ما تقدم يعني عطف الجمل لا انه هو وحده عطف على ما قبله بدليل
انه قدره مبتدا وخبره قوله يسجد **فصل** قال ابن عباس في رواية عطا وكثير من الناس
يوحد وكثير حق عليه العذاب ممن لا يوحد وروي عنه انه قال وكثير من الناس في الجنة وهذه
الرواية تؤكد ان قوله وكثير من الناس مبتدا وخبره محذوف وقال اخرون الوقف على قوله

وكثير

وكثير من الناس ثم استانف بواو الاستيناف فقال وكثير حق عليه العذاب ليس لهم احد يدفع
بقدر على ازالة ذلك الهوان عنهم مكرما لهم ثم بين بقوله ان الله يفعل ما يشا انه الذي يصح
منه الاكرام والهوان يوم القيامة بالثواب والعقاب **قوله تعالى** هذان خصمان
اختصموا في ربهم الاية لما بين ان الناس قسمان منهم من يسجد لله ومنهم من حق عليه العذاب
ذكر ههنا كيفية اختصامهم والخصم في الاصل مصدر ولذلك يوحد ويذكر غالبا وعليه قوله
تعالى نبا الخصم اذ تسوروا ويجوز ان يثنى ويجمع ويونث وعليه هذه الاية ولما كان كل خصم
فريقا يجمع طايفة قال اختصموا بصيغة الجمع كقوله وان طايفتان من المومنين اقتتلوا فالجمع
مراعاة للمعنى وقرا ابن ابي عبلة اختصما مراعاة للفظ وهي مخالفة للسواد وقال ابو البقا واكثر
الاستعمال توحيده فمن ثناه وجمعه حمله على الصفات والاسما واختصموا انما جمع حملا على المعنى لان
كل خصم تحته اشخاص وقال الزمخشري الخصم صفة وصف بها الفوج او الفريق فكانه قيل هذان فوجان
او فريقان يختصمان وقوله هذان للفظ واختصموا للمعنى كقوله ومنهم من يستمع اليك حتى اذا
خرجوا ولو قيل هاولا خصمان او اختصما جاز ان يراد المومنون والكافرون قال شهاب الدين
ان عنى بقوله ان خصما صفة بطريق الاستعمال المجازي فسلم لان المصدر يكثر الوصف به وان
اراد انه صفة حقيقة فخطاوه ظاهر لتصريحهم بان رجل خصم مثل رجل عدل وقوله هذان
للفظ اي انما اشير اليهما اشارة المثنى وان كان في الحقيقة المراد الجمع باعتبار لفظ الفوجين
والفريقين ونحوهما وقوله كقولهم ومنهم من يستمع الى اخره وفيه نظر لان في تيك الاية تقدم
شي له لفظ ومعنى وهو من وهنا لم يتقدم شي له لفظ ومعنى وقوله تعالى في ربهم اي في دين
ربهم فلا بد من حذف مضاف اي جادلوا في دينه وامره وقرا الكسايي في رواية عنه خصمان
بكسر الخا واحتج من قال اقل الجمع اثنان بقوله هذان خصمان اختصموا واجيب بان المعنى
جمع كما تقدم **فصل** اختلفوا في تفسير الخصمين فقيل المراد طايفة المومنين وجماعتهم
وطايفة الكفار وجماعتهم وان كل الكفار يدخلون في ذلك قال ابن عباس يرجع اهل الاديان
الستة في ربهم اي في ذاته وصفاته وقيل ان اهل الكتاب قالوا نحن احق بالله واقدم منكم كتابا
ونبينا قبل نبيكم وقال المومنون نحن احق بالله امنا بمحمد وامنا بنبيكم وبما انزل الله من كتاب
وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم تركتموه وكفرتم به حسدا فهذه خصومتهم في ربهم وقيل هو ما روي
قيس بن عباد عن ابي ذر الغفاري انه كان يحلف بالله ان هذه الاية نزلت في ستة نفر من قريش
تبارزوا يوم بدر حمزة وعلي وعبيدة بن الحرث • وعتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن المغيرة
وقال علي رضي الله عنه انا اول من يجثو للخصومة بين يدي الله وقال عكرمة هما الجنة والنار قالت
النار خلقني الله لعقوبته وقالت الجنة خلقني الله لرحمته فقص الله على محمد خبرهما والاقرب هو الاول
لان السبب وان كان خاصا فالواجب حمل الكلام على ظاهره وقوله هذان كالاشارة الى من تقدم
ذكره وهم الاديان الستة المذكورون في قوله ان الذين امنوا والذين هادوا والصابين والنصارى
والمجوس والذين اشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيمة وايضا ذكر صنفين اهل طاعته واهل معصيته
ممن حق عليه العذاب فوجب رجوع ذلك اليهما فمن خص به مشركي العرب واليهود من حيث قالوا في نبيهم
وكتابهم ما حكينا فقد اخطا وهذا هو الذي يدل على ان قوله ان الله يفصل بينهم اراد به الحكم
لان ذلك التخاصم يقتضي ان الواقع بعده حكما فبين تعالى حكمه في الكفار وذكر من احوالهم ثلاثة امور
احدها **قوله** فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار وهذه الجملة تفصيل وبيان لفصل
الخصومة المعني بقوله تعالى ان الله يفصل بينهم قاله الزمخشري وعلى هذا فيكون هذان خصمان معترضا
والجملة من اختصموا حالية وليست موكدة لانها اخص من مطلق الخصومة المفهومة من خصمان

وقرا الزعفراني في اختياره قُطِعت مخففة الطا والقراة المشهورة تفيد التكثير وهذه محتملة
والمراد بالثياب احاطة النار بهم كقوله لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وقال سعيد بن جبير
ثياب من نحاس مذاب وقال بعضهم يلبس اهل النار مقطعات من النار **قوله** يصب هذه
الجملة تحتمل ان تكون خبرا ثانيا للموصول وان يكون حالا من الضمير في لهم وان يكون مستانفة والحميم
هو الما الحار الذي انتهت حرارته قال ابن عباس لو قطرت منه قطرة على جبال الدنيا لاذابتها
قوله يصهر جملة حالية من الحميم والصهر الاذابة يقال صهرت الشحم اي اذبته والصهارة الالية
المذابة وصهرته الشمس اذابته بحرارتها قال ، تصهره الشمس ولا ينصهر ، وسمي
الصهر صهرا لامتزاجه باصهاره تخيلا لشدة المخالطة وقرا الحسن في اخرين يُصَهَّر بفتح الصاد
وتشديد الها مبالغة وتكثيرا لذلك والمعنى ان الحميم الذي يصب من فوق رءوسهم يذيب ما في
بطونهم من الشحوم والاحشا **قوله** والجلود فيه وجهان اظهرهما عطفه على ما الموصولة اي
يذاب الذي في بطونهم من الامعا ويذاب ايضا الجلود اي يذاب ظاهرهم وباطنهم والثاني
انه مرفوع بفعل مقدر اي وتحرق الجلود قالوا لان الجلد لا يذاب انما ينقبض وينكمش اذا
صلي النار وهو في التقدير كقوله ، فعلفتها تبنا وما باردا ، وزججن الحواجب والعيونا ،
والذين تبوءوا الدار والايمان فانه على تقدير وسقيتها ماء وكحلن العيون واعتقدوا الايمان
قوله ولهم مقامع يجوز في هذا الضمير وجهان اظهرهما انه يعود على الذين كفروا وفي اللام
حينئذ قولان احدهما انها للاستحقاق والثاني انها بمعنى على كقوله ولهم اللعنة وليس بشي الوجه
الثاني ان الضمير يعود على الزبانية اعوان جهنم ودل عليهم سياق الكلام وفيه بعد ومن حديد
صفة لمقامع وهي جمع مقمعة بكسر الميم لانها الة القمع يقال قمعه يقمعه اذا ضربه بشي يزجره
به ويذله والمقمعة المطرقة وقيل السوط اي سياط من حديد وفي الحديث لو وضعت
مقمعة منها في الارض فاجتمع عليها الثقلان ما اقلوها **قوله** كلما ارادوا كل نصب على
الظرف وتقدم الكلام في تحقيقها في البقرة والعامل فيها هنا قوله اعيدوا ومن غم فيه وجهان
اظهرهما انه بدل من الضمير في فيها باعادة العامل بدل اشتمال كقوله لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم
ولكن لابد في بدل الاشتمال من رابط ولا رابط فقالوا هو مقدر تقديره من غمها والثاني انه
مفعول له ولما نقص شرط من شروط النصب جر بحرف السبب وذلك الشرط هو عدم اتحاد
الفاعل فان فاعل الخروج غير فاعل الغم فان الغم من النار والخروج من الكفار واعلم ان الاعادة لا
تكون الا بعد الخروج والمعنى كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم فخرجوا اعيدوا فيها ومعنى الخروج ما يروى
عن الحسن ان النار تضربهم بلهبها فترفعهم حتى اذا كانوا في اعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها
سبعين خريفا **قوله** وذوقوا منصوب بقول مقدر معطوف على اعيدوا اي وقيل لهم ذوقوا
عذاب الحريق اي المحرق مثل الاليم والوجيع قال الزجاج هولاء احد الخصمين وقال في الخصم الاخر
وهم المومنون ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار **قوله**
يحلون العامة على ضم اليا وفتح الحا واللام مشددة من حلاه يحليه اذا البسه الحلي وقرى بسكون
الحا وفتح اللام مخففة وهو بمعنى الاول كانه عدوه تارة بالتضعيف وتارة بالهمزة قال ابو البقا
من قولك احلي اي البس الحلي وهو بمعنى المشدد وقرا ابن عباس بفتح اليا وسكون الحا وفتح اللام
مخففة وفيه ثلاثة اوجه احدها انه من حليت المراة تحلى فهي حال وكذلك حلي الرجل فهو حال
اذا لبسا الحلي او صار ذوي حلي الثاني انه من حلي بعيني كذا اذا استحسنته ومن مزيدة في قوله
من اساور قال فيكون المعنى يستحسنون فيها الاساور الملبوسة ولما نقل ابو حيان هذا الوجه
عن ابي الفضل الرازي قال وهذا ليس بجيد لانه جعل حلي فعلا متعديا ولذلك حكم بزيادة

من

من في الواجب وليس مذهب البصريين وينبغي على هذا التقدير ان لا يجوز لانه لا يحفظ بهذا
المعنى الا لازما فان كان بهذا المعنى كانت من للسبب اي بلباس اساور والذهب يحلون بعين من
راهم اي يحلى بعضهم بعين بعض وهذا الذي نقله عن ابي الفضل قاله ابو البقا وجوز في مفعول
الفعل وجها اخر فقال ويجوز ان يكون من حلي بعيني كذا اذا حسن وتكون من زائدة او يكون المفعول
محذوفا ومن اساور نعت له فقد حكم عليه بالتعدي ليس الا وجوز في المفعول الوجهين المذكورين
الثالث انه من حَلِيَ بكذا اذا ظفر به فيكون التقدير يحلون باساور ومن بمعنى البا ومن حلي
بمعنى ظفر قولهم لم يحل فلان بطائل اي لم يظفر به واعلم ان حلي بمعنى لبس الحلية او بمعنى ظفر من
مادة اليا لانهما من الحلية واما حلي بعيني كذا فانه من مادة الواو لانه من الحلاوة وانما قلبت
الواو يا لانكسار ما قبلها **قوله** من اساور من ذهب في من الاولى ثلاثة اوجه احدها
انها زائدة كما تقدم تقريره عن الرازي وابي البقا وان لم يكن من اصول البصريين والثاني انها
للتبعيض اي بعض اساور والثالث انها لبيان الجنس قاله ابن عطية وبه بدا وفيه نظر اذ لم يتقدم
شي مبهم وفي من ذهب لابتدا الغاية وهي نعت لاساور كما تقدم وقرا ابن عباس من اسور دون
الف ولا ها وهو محذوف من اساور كما قالوا جندل والاصل جنادل قال ابو حيان وكان قياسه
صرفه لانه نقص بناؤه فصار كجندل لكنه قدر المحذوف موجودا فمنعه الصرف قال شهاب الدين
فقد جعل التنوين في جندل المقصور من جنادل تنوين صرف وقد نص بعض النحاة على انه تنوين عوض
كهو في جوار وغواش وبابهما والاساور جمع سوار **قوله** ولولوا قرا نافع وعاصم بالنصب والباقون
بالخفض فاما النصب ففيه اربعة اوجه احدها انه منصوب باضمار فعل تقديره ويوتون
لولوا ولم يذكر الزمخشري غيره وكذا ابو الفتح حمله على اضمار فعل الثاني انه منصوب نسقا على موضع
من اساور وهذا كتخريجهم وارجلكم بالنصب عطفا على محل برؤسكم ولان يحلون فيها من اساور في قوة
يلبسون اساور فحمل هذا عليه الثالث انه عطف على اساور ومن مزيدة فيها كما تقدم الرابع
انه معطوف على ذلك المفعول المحذوف التقدير يحلون فيها الملبوس من اساور ولولوا فلولوا عطف
على الملبوس واما الجر فعلى وجهين احدهما عطفه على اساور والثاني عطفه على من ذهب
لان السوار يتخذ من اللولو ايضا ينظم بعضه الى بعض وقد منع ابو البقا ان يعطف على ذهب قال
لان السوار لا يكون من اللولو في العادة قال شهاب الدين بل قد يتخذ منه في العادة السوار واختلف
الناس في رسم هذه اللفظة في الامام فنقل الاصمعي انها في الامام لولو بغير الف بعد الواو ونقل
الجحدري انها ثابتة في الامام بعد الواو وهذا الخلاف بعينه قراة وتوجيها جار في حرف فاطر
ايضا قال البغوي واختلفوا في وجه اثبات الالف فيه فقال ابو عمرو اثبتوها كما اثبتوا في قالوا
وكانوا وقال الكسائي اثبتوها للهمزة لان الهمزة حرف من الحروف وقرا ابو بكر في رواية المعلى
ابن منصور عنه لولوا بهمزة اولا وواو اخرا وفي رواية يحيى عنه عكس ذلك وقرا الفياض ولوليا بواو
اولا ويا اخرا والاصل لولوا ابدل الهمزتين واوين فبقي في اخر الاسم واو بعد ضمة ففعل فيها ما فعل
باد لجمع دلو بان قلبت الواو يا والضمة كسرة وقرا ابن عباس وليليا بياين فعل ما فعل الفياض
ثم اتبع الواو الاولى للثانية في القلب وقرا طلحة ولول بالجر عطفا على المجرور قبله وقد تقدم
ان الاصل ولولو بواوين ثم اعل اعلال ادل واللولو قيل كبار الجوهر وقيل صغاره **قوله**
ولباسهم فيها حرير اي انهم يلبسون في الجنة ثياب الابريسم والمعنى انه تعالى يوصلهم في الاخرة الى ما
حرمه عليهم في الدنيا قال عليه السلام من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الاخرة فان دخل الجنة
لبسه اهل الجنة ولم يلبسه **قوله** وهدوا الى الطيب من القول يجوز ان يكون من القول حالا من
الضمير المستكن فيه ومن للتبعيض او للبيان قال ابن عباس الطيب من القول شهادة ان لا اله الا

الله ويؤيد هذا قوله مثل كلمة طيبة وقوله اليه يصعد الكلم الطيب وهو صراط الحميد لقوله
وانك لتهدي الى صراط مستقيم وقال ابن زيد لا اله الا الله والله اكبر والحمد لله وسبحان الله
وقال السدي هو القران وقال ابن عباس في رواية عطا هو قول اهل الجنة الحمد لله الذي صدقنا
وعده وهدوا الى صراط الحميد الى دين الله وهو الاسلام والحميد هو الله المحمود في افعاله **قوله**
تعالى ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله الايه لما فصل بين الكفار والمومنين ذكر
عظم حرمة البيت وعظم كفرها ولاد فقال ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد
الحرام وذلك بالمنع من الهجرة والجهاد وقال ابن عباس نزلت الاية في ابي سفين بن حرب واصحابه حين
صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم سنه الحديبية عن المسجد الحرام وعن ان يحجوا ويعتمروا وان نحروا
الهدي فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قتالهم وهو محرم ثم صالحوه على ان يعود في العام القابل
قوله ويصدون فيه ثلاثة اوجه احدها انه معطوف على ما قبله وحينئذ ففي عطفه على الماضي
ثلاثة تاويلات احدها ان المضارع قد لا يقصد به الدلالة على زمن معين من حال او استقبال
وانما يراد به مجرد الاستمرار فكانه قيل ان الذين كفروا من شانهم الصد عن سبيل الله ومثله
الذين امنوا وتطمين قلوبهم بذكر الله الثاني انه مؤول بالماضي لعطفه على الماضي الثالث انه
على بابه وان الماضي قبله مؤول بالمستقبل الوجه الثاني انه حال من فاعل كفروا وبه بدا ابو البقا
وهو فاسد ظاهرا لانه مضارع مثبت وما كان كذلك لا يدخل عليه الواو وما ورد منه على
قلته مؤول فلا يحمل عليه القران وعلى هذين القولين فالخبر محذوف واختلفوا في موضع تقديره
فقدره ابن عطيه بعد قوله والباد اي ان الذين كفروا خسروا وهلكوا ونحو ذلك وقدره الزمخشري
بعد قوله والمسجد الحرام اي ان الذين كفروا نذيقهم من عذاب اليم وانما قدره كذلك لان قوله
نذقه من عذاب اليم يدل عليه الا ان ابا حيان قال في تقدير الزمخشري بعد المسجد الحرام لا يصح
قال لان الذي صفة للمسجد الحرام فموضع التقدير هو بعد والباد يعني انه يلزم من تقديره الفصل
بين الصفة والموصوف باجنبي وهو خبر ان فيصير التركيب ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل
الله والمسجد الحرام نذيقهم من عذاب اليم الذي جعلناه للناس وللزمخشري ان ينفصل عن هذا
الاعتراض بان الذي جعلناه لا نسلم انه نعت للمسجد حتى يلزم ما ذكر بل يجعله مقطوعا عنه
نصبا او رفعا ثم قال ابو حيان لكن مقدر الزمخشري احسن من مقدر ابن عطيه لانه لا يدل عليه الجملة
الشرطية بعد من جهة اللفظ وابن عطية لحظ من جهة المعنى لان من اذيق العذاب خسر
وهلك الوجه الثالث ان الواو في ويصدون مزيدة في خبر ان تقديره ان الذين كفروا يصدون
وزيادة الواو مذهب كوفي تقدم بطلانه وقال ابن عطية وهذا مفسد للمعنى المقصود قال
شهاب الدين ولا ادري فساد المعنى من اي جهة الا ترى انه لو صرح بقولنا ان الذين كفروا يصدون
لم يكن فيه فساد معنى فالمانع انما هو امر صناعي عند اهل البصرة لا معنوي اللهم الا ان يريد معنى
خاصا يفسد بهذا التقدير فيحتاج الى بيانه **قوله** الذي جعلناه يجوز جره على النعت او البدل
او البيان والنعت باضمار فعل والرفع باضمار مبتدا والجعل يجوز ان يتعدى لاثنين بمعنى صير
وان يتعدى لواحد والعامة على رفع سوا وقرا حفص عن عاصم بالنصب هنا وفي الجاثية سوا
محياهم ووافقه على الذي في الجاثية الاخوان وسياتي توجيهه فاما على قراة الرفع فان قلنا ان جعل
بمعنى صير كان في المفعول الثاني ثلاثة اوجه اظهرها ان الجملة من قوله سوا العاكف فيه هي
المفعول الثاني ثم الاحسن في رفع سوا ان يكون خبرا مقدما والعاكف والبادي مبتدا مؤخر
وانما وحد الخبر وان كان المبتدا اثنين لان سوا في الاصل مصدر وصف به وقد تقدم اول البقرة
واجاز بعضهم ان يكون سوا مبتدا وما بعده الخبر وفيه ضعف او منع من حيث الابتدا بالنكرة من

غير مسوغ ولانه متى اجتمع معرفة ونكرة جعلت المعرفة المبتدا وعلى هذا الوجه اعني كون الجملة
مفعولا ثانيا فقوله للناس يجوز فيه وجهان احدهما ان يتعلق بالجعل اي جعلناه لاجل الناس كذا
والثاني انه متعلق بمحذوف على انه حال من مفعول جعلناه ولم يذكر ابو البقا فيه على هذا الوجه
غير ذلك وليس معناه متضحا الوجه الثاني ان للناس هو المفعول الثاني والجملة من قوله سوا العاكف
في محل نصب على الحال اما من الموصول واما من عايده وبهذا الوجه بدا ابو البقا وفيه نظر لانه
جعل هذه الجملة التي هي محط الفايدة فضله الوجه الثالث ان المفعول الثاني محذوف قال
ابن عطيه والمعنى الذي جعلناه للناس قبلة ومتعبد فتقدير ابن عطيه هذا مرشد لهذا الوجه
الا ان ابا حيان قال ولا يحتاج الى هذا التقدير الا ان كان اراد تفسير المعنى لا الاعراب فيسوغ لان
الجملة في موضع المفعول الثاني فلا يحتاج الى هذا التقدير وان جعلناها متعدية لواحد كان
قوله للناس متعلقا بالجعل على العلية وجوز فيه ابو البقا وجهين اخرين احدهما انه حال من مفعول
جعلناه والثاني انه مفعول تعدى اليه بحرف الجر وهذا الثاني لا يتعقل كيف يكون للناس مفعولا
عدي اليه الفعل بالحرف هذا ما لا يعقل فان اراد انه مفعول من اجله فهي عبارة بعيدة من
عبارة النحاة واما على قراة حفص فان قلنا جعل يتعدى لاثنين كان سوا مفعولا ثانيا وان قلنا
يتعدى لواحد كان حالا من هاء جعلناه وعلى التقديرين فالعاكف مرفوع به على الفاعلية لانه
مصدر وصف به فهو في قوة اسم الفاعل المشتق تقديره جعلناه مستويا فيه العاكف ويدل عليه
قولهم مررت برجل سوا هو والعدم فهو تاكيد للضمير المستتر فيه والعدم نسق على الضمير المستتر ولذلك
ارتفع ويروى سوا والعدم بدون تاكيد وهو شاذ وقرا الاعمش وجماعة سوا نصبا العاكف جرا
وفيه وجهان احدهما انه بدل من الناس بدل تفصيل والثاني انه عطف بيان وهذا اراد ابن عطيه
بقوله عطفا على الناس ويمتنع في هذه القراة رفع سوا لفساده صناعة ومعنى ولذلك قال
ابو البقا وسوا على هذا نصب لا غير واثبت ابن كثير يا والبادي وصلا ووقفا واثبتها ابو عمرو وورش
وصلا وحذفاها وقفا وحذفها الباقون وصلا ووقفا وهي محذوفة في الامام **فصل**
معنى الكلام ويصدون عن المسجد الحرام الذي جعلناه للناس قبلة ومنسكا ومتعبدا كما قال وضع
للناس وتقدم الكلام على معنى سوا باختلاف القراة واراد بالعاكف المقيم فيه والبادي الطاري
من البدو وهو النازع اليه من غربه وقال بعضهم يدخل في العاكف الغريب اذا جاور ولزمه
كالبعيد وان لم يكن من اهله واختلفوا في معنى سوا فقال ابن عباس في بعض الروايات انهما يستويان
في سكنى مكة والنزول بها فليس احدهما احق بالنزول الذي يكون فيه من الاخر الا ان يكون احد
سبق الى المنزل وهو قول قتادة وسعيد بن جبير ومذهب هولا تحريم كرا دور مكة وبيعها
واستدلوا بالاية والخبر اما الاية فهذه قالوا ان ارض مكة لا تملك فانها لو ملكت لم يستو العاكف
فيها والباد فلما استويا ثبت ان سبيلها سبيل المساجد واما الخبر فقوله عليه السلام مكة
مناخ لمن سبق اليه وهذا مذهب ابن عمر وعمر بن عبد العزيز وابي حنيفة واسحق الحنظلي وقال
عبد الرحمن بن سابط كان الحجاج اذا قدموا مكة لم يكن احد من اهل مكة احق بمنزله منهم وكان
عمر بن الخطاب رضي الله عنه نهى الناس ان يغلقوا ابوابهم في الموسم وعلى هذا فالمراد بالمسجد الحرام
الحرم كله لان اطلاق لفظ المسجد الحرام وارادة البلد الحرام جايز لقوله تعالى سبحان الذي
اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام وايضا فقوله العاكف المراد منه المقيم واقامته لا تكون
في المسجد بل في المنازل وقيل سوا العاكف فيه والبادي في تعظيم حرمته وقضاء النسك فاليه
ذهب مجاهد والحسن وجماعة اي ليس للمقيم ان يمنع البادي وبالعكس قال عليه السلام يا بني
عبد المطلب من ولي منكم من امور الناس شيا فلا يمنعن احدا طاف بهذا البيت او صلى اية ساعة

من ليل او نهار وهذا قول من اجاز بيع دور مكة وقد جرت مناظرة بين الشافعي واسحق الحنظلي بمكة
وكان اسحق لا يرخص في كرا بيوت مكة فاحتج الشافعي بقوله تعالى الذين اخرجوا من ديارهم
فاضاف الديار الى مالكيها وقال عليه السلام يوم فتح مكة من اغلق بابه فهو امن وقوله عليه السلام
هل ترك لنا عقيل من رباع وقد اشترى عمر بن الخطاب دار السجن اترى انه اشتراها من مالكيها او من
غيرهما لكيها قال اسحق فلما علمت ان الحجة لزمتني تركت قولي والقول بجواز بيع دور مكة واجارتها
قول طاوس وعمرو بن دينار وبه قال الشافعي **قوله** ومن يرد فيه بالحاد فيه اربعة اوجه
احدها انه مفعول يرد محذوف وقوله بالحاد بظلم حالان مترادفتان والتقدير ومن يرد فيه
مرادا ما عادلا عن القصد ظالما نذقه من عذاب اليم وانما حذف ليتناول كل متناول قال
معناه الزمخشري والثاني ان المفعول ايضا محذوف تقديره ومن يرد فيه تعديا وبالحاد حال
اي متلبسا بالحاد وبظلم بدل باعادة الجار الثالث ان يكون بظلم متعلقا بيرد والبا للسببية
اي بسبب الظلم وبالحاد مفعول به والبا مزيدة فيه كقوله ولا تلقوا بايديكم • لا يقرأن بالسور •
واليه ذهب ابو عبيدة وانشد للاعشى • ضمنت برزق عيالنا ارماحنا • اي ضمنت رزقه
ويؤيده قراة الحسن ومن يرد الحاده بظلم قال الزمخشري اراد الحاده فيه فاضافه على الاتساع
في الظرف كمكر الليل ومعناه ومن يرد ان يلحد فيه ظالما الرابع ان يضمن يرد معنى يتلبس فلذلك
تعدي بالباء اي ومن يتلبس بالحاد مريدا له والعامة على يرد بضم اليا من الارادة وحكى
الكسائي والفراء انه قرئ يرد بفتح اليا قال الزمخشري من الورود ومعناه من اتى فيه بالحاد
ظالما **فصل** الالحاد العدول عن القصد واصله الحاد الحافر واختلف المفسرون فيه
فقيل انه الشرك اي من لجا الى الحرم ليشرك به عذبه الله وهو احدى الروايات عن ابن عباس وهو
قول مجاهد وقتادة وروي عن ابن عباس هو ان تقتل فيه من لا يقتلك او تظلم من لا يظلمك وروي
عن ابن عباس انها نزلت في عبد الله بن سعيد حيث استلبه النبي صلى الله عليه وسلم فارتد مشركا
وفي قيس بن صبابة وقال مقاتل نزلت في عبد الله بن خطل حيث قتل الانصاري وهرب الى مكة
كافرا فامر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله يوم الفتح وقال مجاهد تضاعف السيات بمكة كما
تضاعف الحسنات وعن سعيد بن جبير وحبيب بن ابي ثابت هو احتكار الطعام بمكة وعن
عطا هو قول الرجل في المبايعة لا والله وبلى والله وعن عبد الله بن عمر انه كان له فسطاطان
احدهما في الحل والاخر في الحرم فاذا اراد ان يعاتب اهله عاتبهم في الحل فقيل له في ذلك
فقال كنا نحدث ان من الالحاد فيه ان يقول الرجل كلا والله وبلى والله وعن عطا هو دخول
الحرم غير محرم وارتكاب شي من محظورات الاحرام من قتل صيد او قطع شجر ولما كان
الالحاد بمعنى الميل من امر الى امر بين تعالى ان المراد بهذا الالحاد ما يكون ميلا الى الظلم
فلهذا قرن الظلم بالالحاد لانه لا معصية كبرت ام صغرت الا وهو ظلم ولذلك قال تعالى
ان الشرك لظلم عظيم وقوله نذقه من عذاب اليم بيان للوعيد **قوله تعالى** واذ
بوانا لابرهيم مكان البيت الاية اي اذكر حين واللام في لابرهيم فيها ثلاثة اوجه
احدها انها للعلة ويكون مفعول بوانا محذوفا اي بوانا الناس لاجل ابرهيم مكان البيت
وبوا جا متعديا صريحا قال تعالى ولقد بوانا بني اسرايل لنبوينهم من الجنة غرفا وقال
الشاعر • كم صاحب لي صالح بواته بيدي لحدا • والثاني انها مزيدة في المفعول به وهو
ضعيف لما تقرر انها لا تزاد الا بعد تقدم المعمول او كون العامل فرعا الثالث ان يكون
معدية للفعل على انه مضمن معنى فعل يتعدى بها اي هيانا له مكان البيت كقولك هيات
له بيتا فيكون اللام معدية قال معناه ابو البقا وقال الزمخشري واذكر حين جعلنا

لابرهيم

لابرهيم مكان البيت مباءة ففسر المعنى بانه ضمن بوانا معنى جعلنا ولا يريد تفسير الاعراب وفي مكان
البيت وجهان اظهرهما انه مفعول به والثاني قال ابو البقا ان يكون ظرفا وهو ممتنع من حيث
انه ظرف مختص فحقه ان يتعدى اليه بفي **فصل** روي ان الكعبة الكريمة بنيت خمس
مرات احداها بنا الملائكة قبل ادم وكانت من ياقوتة حمرا ثم رفعت الى السما ايام الطوفان
والثانية بنا ابرهيم عليه السلام والثالثة بنا قريش في الجاهلية وقد حضر رسول الله صلى
الله عليه وسلم هذا البنا والرابعة بنا ابن الزبير والخامسة بنا الحجاج وهو البنا الموجود
اليوم وروي ان ابا ذر قال قلت يا رسول الله اي مسجد وضع اول قال المسجد الحرام قال
قلت اي قال المسجد الاقصى قلت كم بينهما قال اربعون سنة والمسجد الاقصى اسسه يعقوب
عليه السلام وروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث
الله جبريل عليه السلام الى ادم وحوى فقال لهما ابنيا لي بيتا فخط لهما جبريل فجعل ادم يحفر
وحوى تنقل حتى اجابه الما نودي من تحته حسبك يا ادم فلما بنياه اوحى الله تعالى اليه ان
يطوف به وقيل له انت اول الناس وهذا اول بيت ثم تناسخت القرون حتى حجه نوح ثم تناسخت
القرون حتى رفع ابرهيم القواعد منه وروي عن علي رضي الله عنه ان الله تعالى اوحى الى ابرهيم
عليه السلام ان ابن لي بيتا في الارض فضاق به ذرعا فارسل الله السكينة وهي ريح خجوج لها
راس فاتبع احدهما صاحبه حتى انتهت ثم تطوقت في موضع البيت تطوق الحية فبنى ابرهيم حتى
اذا بلغ مكان الحجر قال لابنه ابغني حجرا فالتمس حجرا حتى اتاه به فوجد الحجر الاسود قد ركب فقال
لابنه من اين لك هذا قال جاء به من لا يتكل على بنايك جاء به جبريل من السما فاتمه قال فمر عليه
الدهر فانهدم فبنته العمالقة ثم انهدم فبنته جرهم ثم انهدم فبنته قريش ورسول الله صلى
الله عليه وسلم يومئذ رجل شاب فلما ارادوا ان يرفعوا الحجر الاسود اختصموا فيه فقالوا نحكم
بيننا اول من يخرج من هذه السكة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اول من خرج فقضى بينهم
ان يجعلوه في مربط ثم يرفعه جميع القبايل كلهم فرفعوه ثم ارتقى هو فرفعوا اليه الركن فوضعه
وكانوا يدعونه الامين قال موسى بن عقبة كان بنا الكعبة قبل المبعث بخمس عشرة سنة قال
ابن اسحاق كانت الكعبة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ثماني عشرة ذراعا وكانت تكسى القباطي
ثم كسيت البرود واول من كساها الديباج الحجاج بن يوسف واما المسجد الحرام فاول من
اخر بنيان البيوت من حول الكعبة عمر بن الخطاب اشتراها من اهلها وهدمها فلما كان عثمن
اشترى دورا وزادها فيه فلما ولي ابن الزبير احكم بنيانه واكثر ابوابه وحسن جدرانه ولم
يوسعه شيا اخر فلما استقر الملك الى عبد الملك بن مروان زاد في ارتفاع جدرانه وامر بالكعبة
فكسيت الديباج وتولى ذلك بامر الحجاج وروي ان الله تعالى لما امر ابرهيم عليه السلام ببنا
البيت لم يدر اين يبني فبعث الله تعالى ريحا خجوجا فكشفت ما حول البيت عن الاساس وقال
الكلبي بعث الله سحابة بقدر البيت فقامت بحيال البيت فيها راس يتكلم وله لسان وعينان
يا ابرهيم ابن على قدري وحيالي فبنا عليه **قوله** ان لا تشرك في ان هذه ثلاثة اوجه احدها
انها هي المفسرة قال الزمخشري بعد ان ذكر هذا الوجه فان قلت كيف يكون النهي عن الشرك
والامر بتطهير البيت تفسيرا للتبوية قلت كانت التبوية مقصودة من اجل العبادة
فكانه قيل تعبدنا ابرهيم قلنا لا تشرك يعني الزمخشري ان ان المفسرة لا بد ان يتقدمها
ما هو بمعنى القول لا حروفه ولم يتقدم الا التبوية وليست بمعنى القول ولا يريد بقوله قلنا
لا تشرك تفسير الاعراب بل تفسير المعنى لان المفسرة لا تفسر القول الصريح الثاني انها المخففة من
الثقيلة قاله ابن عطية وفيه نظر من حيث ان ان المخففة لا بد ان يتقدمها فعل تحقيق

او ترجيح كما لها اذا كانت مشددة الثالث انها المصدرية التي تنصب المضارع وهي توصل
بالماضي والمضارع والامر والنهي كالامر وعلى هذا فان مجرورة بلام العلة مقدرة اي بوانا
لئلا تشرك وكان من حق اللفظ على هذا الوجه ان يكون ان لا يشرك بيا الغيبه وقد قري بذلك
قال ابو البقا وقوى ذلك قراة من قراه باليا يعني من تحت ووجه قراة العامة على هذا التخريج
ان يكون من الالتفات من الغيبة الى الخطاب الرابع انها الناصبة ومجرورة بلام ايضا الا
ان اللام متعلقة بمحذوف اي فعلنا ذلك لئلا تشرك وجعل النهي صلة لها وقوى ذلك قراة اليا
قاله ابو البقا والاصل عدم التقدير مع عدم الاحتياج اليه وقرا عكرمه وابو نهيك ان لا
يشرك باليا قال ابو حيان على معنى ان تقول معنى القول الذي قيل له وقال ابو حاتم ولا بد من
نصب الكاف على هذه القراة بمعنى لئلا يشرك قال شهاب الدين كانه لم يظهر له صلة ان المصدرية
بجملة النهي فجعلها نافية وسلط ان على المضارع بعدها حتى صار عنده معمولا لها وهذا غير لازم
لما تقدم من وضوح المعنى مع جعلها ناهية **فصل** وههنا سوالات الاول اذا قلنا ان
ان هي المفسرة فكيف يكون النهي عن الشرك والامر بتطهير البيت تفسيرا للتبويه والجواب
انه سبحانه لما قال جعلنا البيت مرجعا لابرهيم فكانه قيل ما معنى كون البيت مرجعا له
فاجيب عنه بان معناه ان يكون بقلبه موحدا لرب البيت عن الشريك والنظير مشتغلا
بتنظيف البيت عن الاوثان والاصنام السوال الثاني ان ابرهيم عليه السلام لما لم يشرك بالله
فكيف قيل لا تشرك بي والجواب المعنى لا تجعل في العبادة لي شريكا ولا تشرك بي غرضا اخر
في بنا البيت السوال الثالث ان البيت ما كان معمورا قبل ذلك فكيف قال وطهر بيتي
والجواب لعل ذلك المكان كان صحرا فكانوا يرمون اليها الاقذار فامر ابرهيم ببنا البيت
في ذلك المكان وتطهيره عن الاقذار وكانت معمورة وكانوا وضعوا فيها اصناما فامره
الله تعالى بتخريب ذلك البنا ووضع بنا جديد وذلك هو التطهير عن الاوثان او يكون المراد
انك بعد ان تبنيه فطهره عما لا ينبغي من الشرك وقوله للطايفين قال ابن عباس للطايفين بالبيت
من غير اهل مكة والقايمين اي المقيمين فيها والركع السجود اي المصلين من الكل وقيل
القايمون هم المصلون **قوله** واذن في الناس بالحج قرا العامة بتشديد الذال بمعنى ناد
وقرا الحسن وابن محيصن آذن بالمد والتخفيف بمعنى اعلم ويبعده قوله في الناس اذ كان ينبغي
ان يتعدى بنفسه ونقل ابو الفتح عنهما انهما قرآ بالقصر وتخفيف الذال وخرجها ابو الفتح
وصاحب اللوامح على انها عطف على بوانا اي واذكر اذ بوانا واذ اذن في الناس وهي تخريج
واضح وزاد صاحب اللوامح فقال فيصير في الكلام تقديم وتاخير ويصير يأتوك جزما على جواب
الامر الذي في وطهر ونسب ابن عطيه ابا الفتح في هذه القراة الى التصحيف فقال بعد ان حكى
قراة الحسن وابن محيصن وآذن بالمد وتصحف هذا على ابن جني فانه حكى عنهما واذن على فعل
ماض والجواب على ذلك بان نجعله عطفا على بوانا قال شهاب الدين ولم يتصحف عليه بل حكى
هذه القراة ابو الفضل الرازي في اللوامح عنهما وذكرها ايضا ابن خالويه ولكنه لم يطلع عليها
فلسب من اطلع الى التصحيف ولو تانى اصاب اذ كاد وقرا ابن ابي اسحق بالحج بكسر الحاء حيث وقع كما
تقدم عنه **فصل** قال اكثر المفسرين لما فرغ ابرهيم من بنا البيت قال الله له اذن في
الناس بالحج قال يا رب وما يبلغ صوتي قال عليك الاذان وعلي البلاغ فصعد ابرهيم الصفا وفي
رواية ابا قبيس وفي رواية على المقام فارتفع المقام حتى صار كاطول الجبال فادخل اصبعيه في
اذنيه واقبل بوجهه يمينا وشمالا وشرقا وغربا وقال يا ايها الناس الا ان ربكم قد بنى بيتا وقد
كتب عليكم الحج الى البيت العتيق فاجيبوا ربكم فاجابه كل من يحج من اصلاب الآبا وارحام الامهات

لبيك

لبيك اللهم لبيك قال ابن سعيد فاول من اجابه اهل اليمن فهم اكثر الناس حجا وقال مجاهد من
اجاب مرة حج مرة ومن اجاب مرتين او اكثر فيحج مرتين او اكثر بتلك المقدار قال ابن عباس
لما امر الله ابرهيم بالاذان تواضعت له الجبال وخفضت وارتفعت له القرى وقال
الحسن واكثر المعتزلة ان المامور بالاذان هو محمد عليه السلام واحتجوا بان ما جا في القران
وامكن حمله على ان محمدا هو المخاطب به فهو اولى وقد بينا ان قوله واذ بوانا اي واذكر يا محمد
اذ بوانا فهو في حكم المذكور فلما قال واذن فاليه يرجع الخطاب قال الجبائي امر محمد عليه السلام
ان يفعل ذلك في حجة الوداع قالوا انه ابتدا فرض الحج من الله تعالى للرسول وفي قوله ياتوك
دلالة على ان المراد ان يحج فيقتدى به وروى ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الله قد فرض عليكم الحج فحجوا **قوله** رجالا نصب على الحال وهو جمع راجل نحو صاحب
وصحاب وتاجر وتجار وقايم وقيام وقرا عكرمة والحسن وابو مجلز رجالا بضم الرا
وتشديد الجيم وروي عنهم تخفيفها وافقهم ابن ابي اسحاق على التخفيف وجعفر بن محمد ومجاهد
على التشديد وروي عن ابن عباس ايضا فالمخفف اسم جمع كظوار والمشدد جمع تكسير
كصايم وصوام وروي عن عكرمة ايضا رجالى كنعامى بالف التانيث ولذلك عن ابن
عباس وعطا الا انهما شددا الجيم **قوله** وعلى كل ضامر نسق على رجالا فيكون حالا
اي مشاة وركبانا والضمور الهزال ضمر يضمر ضمورا والمعنى ان الناقة صارت ضامرة
لطول سفرها **قوله** ياتين النون ضمير كل ضامر حملا على المعنى اذ المعنى على ضوامر فاتين
صفة لضامر واتى بضمير الجمع حملا على المعنى اي جماعة الابل وقد تقدم اول الكتاب
ان كلا اذا اضيفت الى نكرة لم يراع معناها الا في تليل كقوله ٭
٭ جادت عليه كل عين ثره فتركن كل حديقة كالدرهم ٭ وهذه الاية ترده فان كلا
فيها مضافة لنكرة وقد روعي معناها وكان بعضهم اجاب عن بيت زهير بانه انما جاز
ذلك لانه في جملتين قيل له فهذه الاية جملة واحدة لان ياتين صفة لضامر وجوز ابو
حيان ان يكون الضمير يشمل رجالا وكل ضامر قال على معنى الجماعات والرفاق قال
شهاب الدين فعلى هذا يجوز ان تقال عنده الرجال ياتين ولا يتغير كونه اجتمع مع الرجال
هنا كل ضامر فيقال جاز ذلك لما اجتمع معه ما يجوز فيه ذلك انه يلزم منه تغليب غير
العاقل وهو ممنوع وقال البغوي وانما جمع ياتين لمكان كل واراد النوق وقرا ابن مسعود
والضحاك وابن ابي عبلة ياتون تغليبا للعقلا الذكور وعلى هذا فيحتمل ان يكون قوله وعلى
كل ضامر حالا ايضا ويكون ياتون مستانفا متعلق به من كل فج اي ياتون رجالا وركبانا
ثم ياتون من كل فج وان يتعلق بقوله ياتوك اي ياتوك على كل ضامر من كل فج وياتون
مستانف ايضا ولا يجوز ان يكون صفة لرجالا ولضامر لاختلاف الموصوف في الاعراب
لان احدهما منصوب والاخر مجرور ولو قلت رايت زيدا ومررت بعمرو العاقلين على النعت
لم يجز بل على القطع وقد جوز ذلك الزمخشري فقال وقرى ياتون صفة للرجال والركاب
وهو مردود بما ذكرنا والفج الطريق بين الجبلين ثم يستعمل في ساير الطرق اتساعا والعميق
البعيد سفلا يقال بير عميق ومعيق فيجوز ان يكون مقلوبا الا انه اقل من الاول قال
٭ اذا الخيل جات من فجاج عميقة يمد بها في السير اشعث شاحب ٭ وقرا ابن مسعود معيق
ويقال عمق وعمق بكسر العين وضمها عمقا بفتح الفا قال الليث عميق ومعيق والعميق في
الطريق اكثر وقال الفرا عميق لغة تميم ومعيق لغة الحجاز واعمقت البير وامعقتها وعمقت
ومعقت عماقة ومعاقة واعماقا وامعاقا قال رؤبه ٭ وقايم الاعماق خاوي المخترق ٭

الاعماق هنا بفتح الهمزة جمع عمق وعلى هذا فلا قلب في معين لانها لغة مستقلة وهو ظاهر قول الليث ايضا ويؤيده قراة ابن مسعود بتقديم الميم ويقال عميق بالعين المعجمة ايضا **فصل** بدا الله بذكر المشاة تشريفا لهم روى سعيد بن جبير باسناده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان للحاج الراكب له بكل خطوة تخطوها راحلته سبعون حسنة وللماشي سبع ماية حسنة من حسنات الحرم قيل يا رسول الله وما حسنات الحرم قال حسنة بماية الف حسنة واعلم قال تعالى ياتوك رجالا لانه هو المنادي فمن اتى مكة حاجا فكانه اتى ابرهيم عليه السلام لانه يجيب نداءه **قوله** ليشهدوا يجوز في هذه اللام وجهان احدهما ان تتعلق باذن اي اذن ليشهدوا والثاني انها متعلقة بياتوك وهو الاظهر قال الزمخشري ونكر منافع لانه اراد منافع مختصة بهذه العبادة دينية ودنياوية لا توجد في غيرها من العبادات قال سعيد ابن المسيب ومحمد بن علي الباقر المنافع هي العفو والمغفرة وقال سعيد بن جبير التجارة وهي رواية بن زيد عن ابن عباس قال الاسواق وقال مجاهد التجارة وما يرضي الله به من امر الدنيا والاخرة ويذكروا اسم الله في ايام معلومات قال الاكثرون هي عشر ذي الحجة قيل لها معلومات للحرص على علمها بحسابها من اجل وقت الحج في اخرها والمعدودات ايام التشريق وروي عن علي انها يوم النحر وثلاثة ايام بعده وهو اختيار الزجاج لان الذكر على بهيمة الانعام يدل على التسمية على نحرها والنحر للهدايا انما يكون في هذه الايام وروى عطا عن ابن عباس انها يوم عرفة ويوم النحر وايام التشريق وقيل عبر عن الذبح والنحر بذكر اسم الله لان المسلمين لا ينفكون عن ذكر اسم الله اذا نحروا ثم قال على ما رزقهم من بهيمة الانعام يعني الهدايا والهدايا تكون من النعم وهي الابل والبقر والغنم قال الزمخشري البهيمة مبهمة في كل ذات اربع في البر والبحر فبينت بالانعام وهي الابل والبقر والغنم **قوله** فكلوا منها قيل هذا امر وجوب لان اهل الجاهلية كانوا لا ياكلون من لحوم هداياهم شيا ترفعا على الفقرا وقيل هذا امر اباحة واتفق العلما على ان الهدي اذا كان تطوعا كان للمهدي ان ياكل منه وكذلك اضحية التطوع لان النبي صلى الله عليه وسلم امر ان يوخذ من كل جزور بضعة فطبخت واكل من لحمها وحسي من مرقها وكان هدي تطوع واختلفوا في الهدي الواجب كالنذور والكفارات والجبرانات للنقصان مثل دم القران ودم التمتع ودم الاساءة ودم التعليم والحلق والواجب بافساد الحج وقواته وجزا الصيد فقال الشافعي واحمد لا ياكل منه وقال ابن عمر لا ياكل من جزا الصيد والنذر وياكل مما سواهما وقال مالك ياكل من هدي التمتع ومن كل هدي وجب عليه الا من فدية الاذى وجزا الصيد والنذور وعند اصحاب الراي ياكل من دم التمتع والقران ولا ياكل من واجب سواهما **قوله** واطعموا البايس الفقير يعني الزمن الفقير الذي لا شي له قال ابن عباس البايس الذي ظهر بوسه في ثيابه وفي وجهه والفقير الذي لا يكون كذلك فيكون ثيابه نقية ووجهه وجه غني والبوس شدة الفقر **قوله** ثم ليقضوا تفثهم العامة على كسر اللام وهي لام الامر وقرا نافع والكوفيون والبزي بسكونها اجرا للمنفصل مجرى المتصل نحو كيف وهو نظير تسكين ها هو بعد ثم في قراة الكساي وقالون حيث اجريت ثم مجرى الواو والفاء والتفث قيل اصله من التف وهو وسخ الاظفار وقلبت الفا ثا كمغثور في مغفور وقيل هو الوسخ والقذر يقال تفثك وحكى قطرب تفث الرجل اي كثر وسخه في سفره قال الزجاج ان اهل اللغة لا يعرفون التفث الا من التفسير وقال المبرد اصل التفث في كلام كل قاذورة تلحق الانسان فيجب عليه نقضها وقال القفال قال نفطويه سالت اعرابيا فصيحا ما معنى

قوله ثم ليقضوا تفثهم فقال ما افسر القران ولكنا نقول للرجل ما اتفثك اي اوسخك وما ادرنك ثم قال القفال وهذا اولى من قول الزجاج لان القول قول المثبت لا قول النافي والمراد بالتفث هنا الوسخ والقذارة من طول الشعر والاظفار والشعث والحاج اشعث اغبر والمراد قص الشارب والاظفار ونتف الابط وحلق العانة فالمراد بالقضا ازالة ذلك والمراد به الخروج من الاحرام بالحلق وقص الشارب والتطيب ولبس الثياب وقال ابن عمر وابن عباس قضا التفث مناسك الحج كلها وقال مجاهد هو مناسك الحج واخذ الشارب ونتف الابط وحلق العانة وقلم الاظفار وقيل التفث هنا رمي الجمار وقيل معنى ليقضوا تفثهم ليصنعوا ما يصنعه المحرم من ازالة شعر وشعث ونحوهما عند حله وفي ضمن هذا قضا جميع المناسك اذ لا يفعل هذا الا بعد فعل المناسك كلها **قوله** وليوفوا قرا ابو بكر وليوفوا بالتشديد والباقون بالتخفيف وتقدم في البقرة ان فيه ثلاث لغات وفى ووفى واوفى وقرا ابن ذكوان وليوفوا بكسر اللام والباقون بسكونها وهذا الخلاف جار في قوله وليطوفوا والمراد بالوفا ما اوجبه بالنذر وقيل ما اوجبه الدخول في الحج من المناسك قال مجاهد اراد نذر الحج والهدي وما ينذره الانسان من شي يكون في الحج وقيل المراد الوفا بالنذر مطلقا وقوله وليطوفوا المراد الطواف الواجب وهو طواف الافاضة يوم النحر بعد الرمي والحلق وسمي البيت العتيق قال الحسن القديم لانه اول بيت وضع للناس وقال ابن عباس وابن الزبير لانه اعتق من الجبابرة فكم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله ولما قصده ابرهه فعل به ما فعل فان قيل قد تسلط الحجاج عليه فالجواب انه ما قصد التسلط على البيت وانما تحصن به عبد الله بن الزبير فاحتال لاخراجه ثم بناه وقال ابن عيينه لم يملك قط وقال مجاهد اعتق من الغرق وقيل لانه بيت كريم من قولهم عتاق الخيل والطير **فصل** والطواف ثلاثة الطواف الاول طواف القدوم وهو ان من قدم مكة يطوف بالبيت سبعا يرمل ثلاثا من الحجر الاسود الى ان ينتهي اليه ويمشي اربعا وهذا الطواف سنة لا شي على تاركه والثاني طواف الافاضة يوم النحر بعد الرمي والحلق ويسمى ايضا طواف الزيارة وطواف الصدر وهو واجب لا يحصل التحلل من الاحرام ما لم يات به والثالث طواف الوداع لا رخصة لمن اراد مفارقة مكة الى مسافة القصر في ان يفارقها حتى يطوف بالبيت سبعا فمن تركه فعليه دم الا الحايض والنفسا فلا وداع عليهما لما روي عن ابن عباس قال امر الناس ان يكون اخر عهدهم بالبيت الا انه ارخص للمراة الحايض والرمل يختص بطواف القدوم ولا رمل في طواف الافاضة والوداع **قوله تعالى** ذلك ومن يعظم حرمات الله الاية ذلك خبر مبتدا مضمر اي الامر والشان ذلك قال الزمخشري كما يقدم الكاتب جملة من كلامه في بعض المعاني فاذا اراد الخوض في معنى اخر قال هذا وقد كان كذا وقدره ابن عطيه فرضكم ذلك او الواجب ذلك وقيل هو مبتدا خبره محذوف اي ذلك الامر الذي ذكرته وقيل في محل نصب اي امتثلوا ذلك ونظير هذه الاشارة قول زهير بعد تقدم جمل في وصف هرم بن سنان ◦ هذا وليس كمن يعيى بخطبته ◦ وسط الندي اذا ما ناطق نطقا ◦ والحرمة ما لا يحل هتكه وجميع ما كلفه الله تعالى بهذه الصفة من مناسك الحج وغيرها فيحتمل ان يكون عاما في جميع تكاليفه ويحتمل ان يكون خاصا فيما يتعلق بالحج وعن زيد بن اسلم الحرمات خمس الكعبة الحرام والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمشعر الحرام وقال ابن زيد الحرمات ههنا البيت الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمسجد الحرام والاحرام وقال الليث حرمات الله ما لا تحل انتهاكها وقال الزجاج الحرمة ما وجب القيام به وحرم التفريط فيه **قوله** فهو خير له فهو ضمير المصدر المفهوم من قوله ومن يعظم اي فتعظيم حرمات الله خير له كقوله تعالى ◦

اعدلوا هو اقرب وخيرهنا ظاهرها التفضيل بالتاويل المعروف ومعني التعظيم العلم بوجوب القيام بها
وحفظها وقوله عند ربه اي عند الله في الاخرة وقال الاصم فهو خير له من التهاون **قوله** واحلت
لكم الانعام الا ما يتلي عليكم ووجه النظم انه كان يجوز ان يظن ان الاحرام اذا حرم الصيد وغيره
فالانعام ايضا تحرم فبين تعالي ان الاحرام لا توثر فيها ثم استثني منه ما يتلي في كتاب الله من المحرمات
من النعم وهو المذكور في سورة المايدة في قوله غير محلي الصيد وانتم حرم وقوله ولا تاكلوا مما لم يذكر
اسم الله عليه **قوله** الا ما يتلي عليكم يجوز ان يكون استثنا متصلا ويصرف الي ما تحرم من بهيمة
الانعام لسبب عارض كالموت ونحوه وان يكون استثنا منقطعا اذ ليس فيها محرم وقد تقدم
تقريرهذا اول المايدة **قوله** من الاوثان في من ثلاثة اوجه احدها انها لبيان الجنس
وهو مشهور قول المعربين ويتقدر بقولك الرجس الذي هو الاوثان وقد تقدم ان شرط كونها
بيانية ذلك ويجي مواضع كثيرة لا يتاتي فيها ذلك ولا بعضه والثاني انها لابتدا الغاية قال
شهاب الدين وقد خلط ابو البقا القولين فجعلهما قولا واحدا قال ومن لبيان الجنس اي اجتنبوا
الرجس من هذا القبيل وهو بمعني ابتدا الغاية ههنا يعني انه في المعني يوول الي ذلك ولا يوول اليه
البتة الثالث انها للتبعيض وقد غلط ابن عطيه القايل بكونها للتبعيض فقال ومن قال ان من
للتبعيض قلب معني الاية فافسده وقد تمكن التبعيض فيها بان يعني بالرجس عبادة الاوثان وبه قال
ابن عباس وابن جريج فكانه قال فاجتنبوا من الاوثان الرجس وهو العبادة لان المحرم من الاوثان
انما هو العبادة الا تري انه قد يتصور استعمال الوثن في بنا وغيره مما لم يحرم الشرع استعماله
فللوثن جهات منها عبادتها وهي بعض جهاتها قاله ابو حيان والاوثان جمع وثن يطلق علي ما صور
من نحاس وحديد وخشب ويطلق ايضا علي الصليب قال عليه السلام لعدي بن حاتم وقد راي في
عنقه صليبا الق هذا الوثن عنك وقال الاعشي ٭ يطوف العباد بابوابه ٭ كطوف النصاري ببيت الوثن
واشتقاقه من وثن الشي اي اقام بمكانه وثبت فهو واثن وانشد لروبه ٭
٭ علي اخلا الصفا الوثن ٭ اي المقيمين علي العهد وقد تقدم الفرق بين الوثن والصنم **فصل**
قال المفسرون فاجتنبوا الرجس من الاوثان اي عبادتها اي كونوا علي جانب منها فانها رجس
اي سبب الرجس وهو العذاب والرجس بمعني الرجز وقال الزجاج من ههنا للتجنيس اي اجتنبوا الاوثان
التي هي الرجس واجتنبوا قول الزور واعلم انه تعالي لما حث علي تعظيم حرماته اتبعه بالامر باجتناب
الاوثان وقول الزور لان توحيد الله وصدق القول اعظم الحرمات وانما جمع الشرك وقول الزور
في سلك واحد لان الشرك من باب الزور لان المشرك زاعم ان الوثن يحق له العبادة فكانه قال
فاجتنبوا عبادة الاوثان التي هي راس الزور كله ولا تقربوا شيا منه وما ظنك بشي من قبيله
عبادة الاوثان وسمي الاوثان رجسا لا للنجاسة لكن لان وجوب تجنبها اكد من وجوب تجنب
الرجس لان عبادتها اعظم من التلوث بالنجاسات قال الاصم وانما وصفها بذلك لان عادتهم في
القربان ان يتعمدوا سقوط الدما عليها وهذا بعيد وانما وصفها بذلك استحقارا واستخفافا والزور
من الازورار وهو الانحراف كما ان الافك من الافك وذكر المفسرون في قول الزور وجوها الاول قولهم هذا
حلال وهذا حرام والثاني شهادة الزور لان النبي صلي الله عليه وسلم صلي الصبح فلما سلم قام قايما
واستقبل الناس بوجهه وقال عدلت شهادة الزور الاشراك بالله وتلا هذه الاية الثالث الكذب
والبهتان الرابع قول اهل الجاهلية في تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك
قوله حنفا لله حال من فاعل اجتنبوا وكذلك غير مشركين وهي حال موكدة اذ يلزم من كونهم
حنفا عدم الاشراك اي مخلصين له اي تمسكوا بالاوامر والنواهي علي وجه العبادة لله وحده لا علي
وجه اشراك غير الله به ولذلك قال غير مشركين به ثم قال ومن يشرك بالله فكانما خر من السما

اي

اي يسقط من السما الي الارض **قوله** فتخطفه قرا نافع بفتح الخا والطا مشددة واصلها تختطفه
فادغم وباقي السبعة فتخطفه بسكون الخا وتخفيف الطا وقرا الحسن والاعمش وابو رجا بكسر التا والخا
والطا مع التشديد وروي عن الحسن ايضا فتح الطا مشددة مع كسر التا والخا وروي عن الاعمش
كقراة العامة الا انه بغير فا تخطفه وتوجيه هذه القراات قد تقدم في اوايل البقرة عند قوله
يكاد البرق يخطف وقرا ابو جعفر الرياح جمعا وقوله خر في معني تخر ولذلك عطف عليه المستقبل
وهو فتخطفه ويجوز ان يكون علي بابه ولا يكون فتخطفه عطفا عليه بل هو خبر مبتدا مضمر اي فهو
تخطفه قال الزمخشري يجوز في هذا التشبيه ان يكون من المركب والمفرق فان كان تشبيها مركبا
فكانه قال من اشرك بالله فقد اهلك نفسه اهلاكا ليس وراه اهلاك بان صور حاله بصورة حال
من خر من السما فاختطفته الطير فتفرق مزعا في حواصلها او عصفت به الريح حتي هوت به
في بعض المطاوح البعيدة وان كان مفرقا فقد شبه الايمان في علوه بالسما والذي ترك الايمان
واشرك بالله بالساقط من السما والاهوا التي تتوزع افكاره بالطير المختطفة والشيطان الذي
يطوح به في وادي الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة والسحيق
البعيد ومنه سحقه الله اي ابعده ومنه قوله عليه السلام سحقا سحقا اي بعدا بعدا والنخلة
السحوق الممتدة في السما من ذلك **قوله** ذلك ومن يعظم شعاير الله الاية اعراب ذلك كاعراب
ذلك المتقدم وتقدم تفسير الشعاير واشتقاقها في المايدة والمعني ذلك الذي ذكرته من اجتناب
الرجس وقول الزور وتعظيم شعاير الله من تقوي القلوب قال ابن عباس شعاير الله البدن والهدايا
واصلها من الاشعار وهو اعلامها لتعرف انها هدي وتعظيمها استحسانها واستسمانها وقيل
شعاير الله اعلام دينه وقيل مناسك الحج وقوله فانها من تقوي القلوب اي فان تعظيمها
من افعال ذوي تقوي القلوب فحذفت هذه المضافات ولا يستقيم المعني الا بتقديرها لانه لا
بد من راجع من الجزا الي من ليرتبط به قال الزمخشري قال ابو حيان وما قدره عار من راجع من
الضمير من الجزا الي من الا تري ان قوله فان تعظيمها من افعال ذوي تقوي القلوب ليس في شي منه
ضمير يرجع من الجزا الي من يربطه به واصلاحه ان يقول فان تعظيمها منه فالضمير في منه عايد الي
من وانما ذكرت القلوب لان المنافق قد يظهر التقوي من نفسه وقلبه خاليا عنها فلهذا لا يكون
مجدا في الطاعات واما المخلص الذي تمكنت التقوي من قلبه فانه يبالغ في ادا الطاعات علي سبيل
الاخلاص واعلم ان الضمير في قوله فانها من تقوي القلوب فيه وجهان احدهما انه ضمير الشعاير
علي حذف مضاف اي فان تعظيمها من تقوي القلوب والثاني انه ضمير المصدر المفهوم من الفعل
قبله اي فان التعظيم من تقوي القلوب والعايد علي اسم الشرط من هذه الجملة الجزايية مقدر
تقديره فانها من تقوي القلوب منهم ومن جوز اقامة ال مقام الضمير وهم الكوفيون اجاز ذلك
هنا والتقدير من تقوي قلوبهم كقوله فان الجنة هي الماوي وتقدم تقريره والعامة علي خفض
القلوب وقري برفعها فاعلة للمصدر قبلها وهو تقوي **قوله** لكم فيها منافع اي في الشعاير
بمعني الشرايع اي لكم في التمسك بها وقيل في بهيمة الانعام وهو قول مجاهد وقتادة والضحاك ورواية
مقسم عن ابن عباس وعلي هذا فالمنافع درها ونسلها واصوافها واوبارها وركوب ظهرها الي اجل
مسمي وهو ان يسميها ويوجبها هديا فاذا فعل ذلك لم يكن له شي من منافعها وروي عن ابن عباس ان في
البدن منافع مع تسميتها هديا بان تركبوها ان احتجتم اليها وتشربوا لبنها ان احتجتم اليه الي اجل
مسمي يعني الي ان تنحروها وهذا اختيار الشافعي ومالك واحمد واسحق وهو اولي لان النبي صلي الله عليه
وسلم مر برجل يسوق بدنة وهو في جهد فقال عليه السلام اركبها فقال يا رسول الله انها هدي فقال
اركبها ويلك وقال عليه السلام اركبوا الهدي بالمعروف حتي تجد ظهرا واحتج ابو حنيفة علي انه

لا يملك منافعها بانه لا يجوز له ان يوجرها للركوب فلو كان مالكا لمنافعها لملك عقد الاجارة عليها
كمنافع ساير المملوكات واجيب بان هذا قياس في معارضة النص فلا عبرة به وايضا فان ام
الولد لا يملك بيعها ويملك الانتفاع بها فكذا ههنا ومن حمل المنافع على ساير الواجبات يقول لكم
فيها اي في التمسك بها منافع الى اجل مسمى ينقطع التكليف عنده والاول قول جمهور المفسرين لقوله
ثم محلها الى البيت العتيق اي ان لكم في الهدايا منافع كثيرة في دنياكم ودينكم واعظم هذه المنافع
محلها الى البيت العتيق اي وقت وجوب نحرها منتهية الى البيت كقوله هديا بالغ الكعبة وقوله
محلها يعني حيث تحل نحرها واما البيت العتيق فالمراد به الحرم كله لقوله فلا يقربوا المسجد الحرام
بعد عامهم هذا اي الحرم كله فالنحر على هذا القول مكة ولكنها نزهت عن الدما الى منى ومنى
من مكة قال عليه السلام كل فجاج مكة منحر وكل فجاج منى منحر قال القفال هذا انما يختص بالهدايا
التي تبلغ منى فاما الهدي المتطوع به اذا عطب قبل بلوغ مكة فان محله موضعه ومن قال
الشعاير المناسك قال معنى قوله ثم محلها الى البيت العتيق اي محل الناس من احرامهم الى البيت العتيق
ان يطوفوا به طواف الزيارة يوم النحر **قوله تعالى** ولكل امة جعلنا منسكا الاية قرا الاخوان
هذا وفيما بعده منسكا بالكسر والباقون بالفتح فقيل هما بمعنى واحد والمراد بالمنسك مكان
النسك او المصدر وقيل المكسور مكان والمفتوح مصدر قال ابن عطية والكسر في هذا من الشاذ
ولا يسوغ فيه القياس ويشبه ان يكون الكسائي سمعه من العرب قال شهاب الدين وهذا الكلام
منه غير مرضي كيف يقول ويشبه ان يكون الكسائي سمعه والكسائي يقول قرات به فكيف يحتاج
الى سماع مع تمسكه باقوى السماعات وهو روايته لذلك قرانا متواترا وقوله من الشاذ يعني قياسا
لا استعمالا فانه فصيح في الاستعمال وذلك ان فعل يفعل بضم العين في المضارع قياس المفعل منه
ان يفتح عينه مطلقا سوا اريد به الزمان ام المكان ام المصدر وقد شذت الفاظ ضبطها
النحاة في كتبهم مذكورة في هذا الكتاب **فصل** ولكل امة اي جماعة مومنة سلفت قبلكم
من عهد ابرهيم عليه السلام جعلنا منسكا اي ضربا من القربان اي اهراقة الدما وجعل العلة
في ذلك ان يذكرا سمه عند ذبحها ونحرها فقال ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة
الانعام اي عند الذبح والنحر لانها لا تتكلم وقال بهيمة الانعام قيد بالنعم لان من البهايم ما ليس
من الانعام كالخيل والبغال والحمير لا يجوز ذبحها في القرابين وكانت العرب تسميها تذبحه للصنم
العتر والعتيرة كالذبح والذبيحة **قوله** فالهكم اله واحد في كيفية النظم وجهان الاول
ان الاله واحد وانما اختلفت التكاليف باختلاف الازمنة والاشخاص لاختلاف المصالح والثاني
فالهكم اله واحد لا تذكروا على ذبايحكم غير اسمه فله اسلموا انقادوا واطيعوا فمن انقاد لله
كان مخبتا فلذلك قال بعده وبشر المخبتين قال ابن عباس وقتادة المخبت المتواضع الخاشع وقال
مجاهد المطمينين الى الله والخبت المكان المطمين من الارض قال ابو مسلم حقيقة المخبت من صار
في خبت من الارض يقول اخبت الرجل اذا صار في الخبت كما يقال انجد واتهم واشام وقال
الكلبي هم الرقيقة قلوبهم وقال عمرو بن اوس هم الذين لا يظلمون واذا ظلموا لم ينتصروا **قوله**
الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم يجوز ان يكون هذا الموصول في موضع جر او نصب او رفع
فالجر من ثلاثة اوجه النعت للمخبتين او البدل منهم او البيان لهم والنصب على المدح والرفع على
اضمار هم وهو مدح ايضا ويسميه النحويون قطعا والمعنى اذا ذكر الله ظهر عليهم الخوف من عقاب
الله والخشوع والتواضع لله والصابرين على ما اصابهم من البلايا والمصايب من قبل الله لانه الذي
يجب الصبر عليه كالامراض والمحن فاما ما يصيبهم من قبل الظلمة فالصبر عليه غير واجب بل لو
امكنه دفع ذلك لزمه الدفع ولو بالمقاتلة **قوله** والمقيمي الصلاة في اوقاتها والعامة

علي

علي خفض الصلوة باضافة المقيمين اليها وقرا الحسن وابو عمرو في رواية بنصبها على حذف النون تخفيفا
كما يحذف التنوين لالتقا الساكنين وقرا ابن مسعود والاعمش بهذا الاصل والمقيمين الصلاة
وباثبات النون ونصب الصلاة وقرا الضحاك والمقيم الصلوة قال ابن عطية وهذه الاحاديث
قراة العامة لغطاوا بما يظهر مخالفتها وتقاوخطائم قال ومما رزقناهم ينفقون اي يتصدقون
فهم خايفون خاشعون متواضعون لله مشتغلون بخدمة ربهم بالبدن والنفس والمال
قوله والبدن جعلناها لكم من شعاير الله الاية العامة على نصب البدن على الاشتغال
ورجح النصب وان كان محوجا للاضمار على الرفع الذي لم يحوج اليه لتقدم جملة فعلية على جملة
الاشتغال وقرى برفعها على الابتدا والجملة بعدها الخبر والعامة ايضا على تسكين الدال
وقرا الحسن وتروى عن نافع وشيخه ابي جعفر بضمها وهما جمعان لبدنه نحو ثمرة وثمر وثمر فالتسكين
يحتمل ان يكون تخفيفا من المضموم وان يكون اصلا وقيل البدن والبدن جمع بدن والبدن جمع
لبدنه نحو خشبة وخشب ثم يجمع على خشبا على خشب وخشب وقيل البدن اسم مفرد لا جمع يعنون
اسم جنس وقرا ابن ابي اسحاق البدن بضم البا والدال وتشديد النون وهي تحتمل وجهين احدهما
انه قرا كالحسن فوقف على الكلمة وضعف لانها كقولهم هذا فرخ ثم اجري الوصل مجرى الوقف في
ذلك فيحتمل ان يكون اسما على فعل كعتل وسميت البدنة بدنة لانها تبدن اي تسمن وهل تختص
بالابل الجمهور على ذلك قال الزمخشري والبدن جمع بدنه سميت لعظم بدنها وهي الابل خاصة
لان رسول الله صلى الله عليه وسلم الحق البقر بالابل حين قال البدنه عن سبعة والبقرة عن سبعة
فجعل البقر في حكم الابل فصارت البدنة متناولة في الشريعة للجنسين عند ابي حنيفة واصحابه
والا فالبدن هي الابل وعليه تدل الاية وقيل لا تختص بالابل فقال الليث البدنة بالها يقع على
الناقة والبقرة والبعير وما يجوز في الهدي والاضاحي ولا يقع على الشاة وقال عطا وغيره ما اشعر
من ناقة او بقرة لقول النبي صلى الله عليه وسلم حين سيل عن البقر فقال وهل هي الا من البدن وقيل
البدن يراد به العظيم السن من الابل والبقر ونقل النووي في تحرير الفاظ التنبيه عن الازهري
انه قال البدنة تكون من الابل والبقر والغنم ويقال للسمين من الرجال فهو اسم جنس مفرد **قوله**
من شعاير الله هو المفعول الثاني للجعل بمعنى التصيير وقوله لكم فيها خير الجملة حال اما من ها جعلناها
واما من شعاير الله وهذان مبنيان على ان الضمير في فيها هل هو عايد على البدن او على شعاير
والاول قول الجمهور **قوله** فاذكروا اسم الله عليها صواف نصب صواف على الحال اي مصطفة
جنب بعضها الى بعض وقرا ابو موسى الاشعري والحسن ومجاهد وزيد بن اسلم صوافي جمع صافية
اي خالصة لوجه الله تعالى وقرا ابو عمرو بن عبيد كذلك الا انه نون اليا فقرا صوافيا واستشكلت
من حيث انه جمع متناه وخرجت على وجهين احدهما ذكره الزمخشري وهو ان يكون التنوين عوضا
من حرف الاطلاق عند الوقف يعني انه اذا وقف على صوافي باشباع فتحة اليا فتولد منها الف
تسمى حرف الاطلاق ثم عوض عنه هذا التنوين وهو الذي تسميه النحويون تنوين الترنم والثاني انه
جا على لغة من يصرف ما لا ينصرف وقرا الحسن صواف بالكسر والتنوين ووجهها انه نصبها بفتحة
مقدرة فصار حكم هذه الكلمة كحكمها حالة الرفع والجر في حذف اليا وتعويض التنوين نحو هولا جوار
ومررت بجوار وتقدير الفتحة في اليا كثير كقولهم اعط القوس باريها ٭ وقوله ٭
كان ايديهن بالقاع القرق ٭ ايدي جوار يتعاطين الورق ٭ وقول الاخر وكسوت عار لحمه ٭
ويدل على ذلك قراءة بعضهم صوافي بياء ساكنة من غير تنوين نحو رايت القاضي يا فتى بسكون اليا
ويجوز ان يكون سكن اليا في هذه القراة للوقف ثم اجري الوصل مجراه وقرا العبادلة ومجاهد والاعمش
صوافن بالنون جمع صافنة وهي التي تقوم على ثلاث وطرف الرابعة اي على طرف سنبكه لان البدنه

تعقل احدى يديها فتقوم على ثلاث الا ان الصوافن انما يستعمل في الخيل كقوله الصافنات الجياد
كما سياتي فيكون استعماله في الابل استعارة **فصل** سميت البدنة بدنة لعظمها يريد الابل
العظام الصحاح الاجسام يقال بدن الرجل بدنا وبدانة اذا ضخم فاما اذا اسن واسترخى
يقال بدن تبدينا جعلناها لكم من شعائر الله اي من اعلام دينه سميت شعائر لانها تشعر
وهو ان تطعن بحديدة في سنامها فيعلم انها هدي لكم فيها خير النفع في الدنيا والاجر في العقبى
فاذكروا اسم الله عليها عند نحرها صواف اي قياما على ثلاث قوائم قد صفت رجليها واحدى
يديها ويدها اليسرى معقولة فينحرها كذلك لما روى زياد بن جبير قال رايت ابن عمر اتى على رجل
قد اناخ بدنة ينحرها فقال ابعثها قياما مقيدة سنة محمد صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد الصواف
اذا علقت رجلها اليسرى وقامت على ثلاث قال المفسرون قوله فاذكروا اسم الله عليها فيه
حذف اي اذكروا اسم الله على نحرها وهو ان يقال عند النحر بسم الله والله اكبر ولا اله الا الله
والله اكبر اللهم منك واليك والحكمة في اصطفافها ظهور كثرتها للناظرين فتقوى نفوس المحتاجين
ويكون التقرب بنحرها عند ذلك اعظم اجرا واعلا لاسم الله وشعاير دينه **فصل** اذا قال
لله على بدنة هل يجوز له نحرها في غير مكة قال ابو حنيفة ومحمد يجوز وقال ابو يوسف لا يجوز
الا بمكة واتفقوا فيمن نذر هديا ان عليه ذبحه بمكة ومن قال لله علي جزور انه يذبحه
حيث شا وقال ابو حنيفة البدنة بمنزلة الجزور فوجب ان يجوز له نحرها حيث يشا بخلاف
الهدي فانه قال تعالى هديا بالغ الكعبة فجعل بلوغ الكعبة من صفة الهدي واحتج ابو يوسف
بقوله والبدن جعلناها لكم من شعائر الله فكان اسم البدن يفيد كونها قربة فكان كاسم الهدي
واجاب ابو حنيفة بانه ليس كلما كان ذبحه قربة اختص بالحرم فان الاضحية قربة وهي جايزة
في ساير الاماكن **قوله** فاذا وجبت جنوبها اي سقطت بعد النحر فوقعت على جنوبها الارض
واصل الوجوب السقوط يقال وجبت الشمس اذا سقطت للمغيب ووجب الجدار اي سقط ومنه
الواجب الشرعي كانه وقع علينا ولزمنا قال اوس بن حجر • الم تكسف الشمس شمس النهار والبدر
للجبل الواجب **قوله** فكلوا منها امر اباحة واطعموا القانع والمعتر اختلفوا في معناهما فقال
عكرمة وابرهيم وقتادة القانع الجالس في بيته المتعفف يقنع بما يعطى ولا يسال والمعتر
الذي يسال قال الازهري قال ابن الاعرابي يقال عروت فلانا واعتريته وعروته واعتررته
اذا اتيته تطلب معروفه ونحوه قال ابو عبيد وروى العوفي عن ابن عباس القانع الذي
لا يتعرض ولا يسال والمعتر الذي يريك نفسه ويتعرض ولا يسال فعلى هذين التاويلين يكون
القانع من القناعة يقال قنع قناعة اذا رضي بما قسم له وقال سعيد بن جبير والحسن والكلبي القانع
الذي يسال والمعتر الذي يتعرض ولا يسال وقيل القانع الراضي بالشي اليسير من قنع يقنع قناعة
فهو قانع والقنع بغير الف هو السايل ذكره ابو البقا وقال الزمخشري القانع السايل من قنعت
وكنعت اذا خضعت له وسالته قنوعا والمعتر المتعرض بغير سوال او القانع الراضي بما عنده
وبما يعطى من غير سوال من قنعت قنعا وقناعة والمعتر المتعرض بالسوال انتهى وفرق بعضهم
بين المعنيين بالمصدر فقال قنع يقنع قنوعا اي سال وقناعة اي تعفف ببلغته واستغنى
بها وانشد للشماخ • لمال المرء يصلحه فيغني مفاقره اعف من القنوع • وقال ابن قتيبة
المعتر المتعرض من غير سوال يقال عره واعتره وعراه واعتراه اي اتاه طالبا معروفه قال
لعمرك ما المعتر يغشى بلادنا لنمنعه بالضايع المتهضم • وقول الاخر •
سلي الطارق المعتر يا ام مالك اذا ما اعتراني بين قدري ومجزري • وقرا ابو رجا القنع دون الف
وفيها وجهان احدهما ان اصلها القانع فحذف الالف كما قالوا معول ومحيط وجدد وعليط

في مقوال ومخياط وجنادل وعلابط والثاني ان القانع هو الراضي باليسير والقنع السايل كما تقدم
تقريره قال الزمخشري والقنع الراضي لا غير وقرا الحسن والمعتري اسم فاعل من اعترى يعتري وقرا
اسماعيل ويروى عن ابي رجا والحسن ايضا والمعتر بكسر الرا اجتزا بالكسرة عن لام الكلمة وقرى والمعتري
بفتح اليا قال ابو البقا وهو في معناه اي في معنى المعتر في قراة العامة قال بعضهم والاقرب
ان القانع هو الراضي بما يدفع اليه من غير سوال والحاح والمعتر هو الذي يعرض ويطالب ويعتريهم
حالا بعد حال فيفعل ما يدل على انه لا يقنع بما يدفع اليه ابدا وقال ابن زيد القانع المسكين والمعتر
الذي ليس بمسكين ولا يكون له ذبيحة ويجي الى القوم فيتعرض لهم لاجل لحمهم **قوله** كذلك سخرناها
الكاف نعت مصدر او حال من ذلك المصدر اي مثل وصفنا ما وصفنا من نحرها قياما سخرناها لكم
نعمة منا لتتمكنوا من نحرها لعلكم تشكرون لكي تشكروا انعام الله عليكم **قوله** لن ينال الله لحومها
العامة على القراة بيا الغيبة في الفعلين لان التانيث مجازي وقد وجد الفصل بينهما وقرا يعقوب
بالتا فيهما اعتبارا باللفظ وقرا زيد بن علي لحومها ولا دماها بالنصب والجلالة بالرفع ولكن يناله
بضم اليا على ان يكون القايم مقام الفاعل التقوى ومنكم حال من التقوى ويجوز ان يتعلق بنفس يناله
فصل لما كان عادة الجاهلية اذا نحروا البدن لطخوا الكعبة بدمايها قربة الى الله عز وجل
فانزل الله هذه الاية لن ينال الله لحومها ولا دماوها قال مقاتل لن يرفع الى الله لحومها ولا
دماوها ولكن يناله التقوى منكم اي ولكن يرفع اليه منكم الاعمال الصالحة وهي التقوى والاخلاص وما
اريد به وجه الله **فصل** قالت المعتزلة دلت هذه الاية على امور احدها ان الذي ينتفع
به فعله دون الجسم الذي ينحر وثانيها انه سبحانه غني عن كل ذلك وانما المراد ان يجتهد العبد
في امتثال امره وثالثها انه لما لم ينتفع بالاجسام التي هي اللحوم والدما وانتفع بتقواه وجب ان يكون
تقواه فعلا له والا كان تقواه بمنزلة اللحوم ورابعها انه لما شرط القبول بالتقوى وصاحب
الكبيرة غير متقي فوجب ان لا يكون عمله مقبولا وانه لا ثواب له والجواب اما الاولان فحقان
واما الثالث فمعارض بالداعي والعلم واما الرابع فصاحب الكبيرة وان لم يكن متقيا مطلقا ولكنه
متقي فيما اتى به من الطاعة على سبيل الاخلاص فوجب ان يكون طاعته مقبوله وعند هذا تنقلب
الاية حجة عليهم **قوله** كذلك سخرها الكاف نعت مصدر او حال من ذلك المصدر ولتكبروا
متعلق به اي انما سخرها لذلك لتكبروا الله وهو التعظيم بما يفعله عند النحر وقبله وبعده وعلى
ما هداكم متعلق بالتكبير عدي بعلى لتضمنه معنى الشكر على ما هداكم ارشدكم لمعالم دينه ومناسك
حجه وهو ان يقول الله اكبر على ما هدانا والحمد لله على ما ابلانا واولانا ثم قال بعده على سبيل الوعد
لمن امتثل امره وبشر المحسنين الموحدين والمحسن هو الذي يفعل الحسن من الاعمال فيصير محسنا الى نفسه
بتوفير الثواب اليه **قوله تعالى** ان الله يدفع عن الذين امنوا قرا ابن كثير وابو عمرو يدفع
والباقون يدافع وفيه وجهان احدهما ان فاعل بمعنى فعل المجرد نحو جاوزته وجزته وسافرت
وطارقت والثاني انه اخرج على زنة المفاعلة مبالغة فيه لان فعل المفاعلة ابلغ من غيره وقال
ابن عطية يحسن دفاع لانه قد عن للمومنين من يدفعهم ويوذيهم فيجي مقاومته ودفعه عنهم مدافعة
يعني فيلحظ فيها المفاعلة **فصل** لما بين الحج ومناسكه وما فيه من منافع الدنيا والاخرة
وذكر قبل ذلك صد الكفار عن المسجد الحرام اتبع ذلك ببيان ما يزيل الصد ويومن معه التمكن
من الحج فقال ان الله يدفع عن الذين امنوا قال مقاتل ان الله يدفع كفار مكة عن الذين امنوا بمكة
وهذا حين امر المومنين بالكف عن كفار مكة قبل الهجرة حين اذوهم فاستاذنوا النبي صلى الله عليه
وسلم في قتلهم سرا فنهاهم والمعنى ان الله يدفع غايلة المشركين عن المومنين ويمنعهم من المومنين
ولم يذكر ما يدفعه حتى يكون افخم واعظم واعم وان كان في الحقيقة انه لا يدافع بين المشركين

فلذلك قال بعده ان الله لا يحب كل خوان كفور فنبه بذلك على انه يدفع عن المومنين كيد من هذا
صفته بشارة للمومنين باعلائهم على الكفار وهو كقوله لن يضروكم الا اذى وقوله انا لننصر رسلنا
والذين امنوا وقوله انهم لهم المنصورون ان الله لا يحب كل خوان في امانة الله كفور لنعمته قال
ابن عباس خانوا الله فجعلوا معه شركاء وكفروا نعمته قال الزجاج من تقرب الى الاصنام بذبيحته
وذكر عليها اسم غير الله فهو خوان كفور قال مقاتل اقروا بالصانع وعبدوا غيره فاي خيانة اعظم
من هذه **قوله** اذن للذين يقاتلون قرا اذن مبنيا للمفعول نافع وابو عمرو وعاصم والباقون
قراوه مبنيا للفاعل قال الفرا والزجاج يعني اذن الله للذين يحرصون على قتال المشركين في المستقبل
واما يقاتلون فقراه مبنيا للمفعول نافع وابن عامر وحفص والباقون مبنيا للفاعل وحصل من مجموع
الفعلين ان نافعا وحفصا بنياهما للمفعول وان ابن كثير وحمزة والكسايي بنوهما للفاعل وان
ابا عمرو وابا بكر بنيا الاول للمفعول والثاني للفاعل وان ابن عامر عكس هذا فهذه اربع رتب والماذون
فيه محذوف للعلم به اي للذين يقاتلون في القتال وبانهم ظلموا متعلق باذن والباء سببية اي
بسبب انهم مظلومون **فصل** قال المفسرون كان مشركوا مكة يوذون اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلا يزالون يجيئون بين مضروب ومشجوج يشكون ذلك الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيقول لهم اصبروا فاني لم اومر بالقتال حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فانزل الله تعالى هذه الاية وهي اول اية اذن الله فيها بالقتال ونزلت هذه الاية بالمدينة
وقال مجاهد نزلت هذه الاية في قوم باعيانهم خرجوا مهاجرين من مكة الى المدينة فكانوا يمنعون
فاذن الله لهم في قتال الكفار الذين يمنعونهم من الهجرة بانهم ظلموا اي بسبب ما ظلموا واعتدوا
عليهم بالايذا وان الله على نصرهم لقدير وهذا وعد منه تعالى بنصرهم كما يقول المرء لغيره ان
اطعتني فانا قادر على مجازاتك لا يعني بذلك الا القدرة بل يريد انه سيفعل ذلك **قوله**
الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق يجوز ان يكون الذين في محل جر نعتا للموصول الاول او بيانا له او
بدلا منه وان يكون في محل نصب على المدح وان يكون في محل رفع على اضمار مبتدا **فصل** لما بين
انهم انما اذنوا في القتال لاجل انهم ظلموا فسر ذلك الظلم بقوله الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا
ان يقولوا ربنا الله فبين تعالى ظلمهم لهم بهذين الوجهين الاول انهم اخرجوا من ديارهم والثاني
اخرجوهم بسبب قولهم ربنا الله وكل واحد من الوجهين عظيم في الظلم **قوله** الا ان يقولوا فيه
وجهان احدهما انه منصوب على الاستثنا المنقطع وهذا مما يجمع العرب على نصبه لانه منقطع
لا يمكن توجه العامل اليه وما كان كذا اجمعوا على نصبه نحو ما زاد الا ما نقص وما نفع الا ما ضر
فلو توجه العامل جاز فيه لغتان النصب وهو لغة الحجاز وان يكون كالمتصل في النصب والبدل
نحو ما فيها الا احد الا حمار وان كانت الاية الكريمة من الذي لا يتوجه عليه العامل لانك لو قلت الذين
اخرجوا من ديارهم الا ان يقولوا ربنا الله لم يصح الثاني انه في محل جر بدلا من حق قال الزمخشري
اي بغير موجب سوى التوحيد الذي ينبغي ان يكون موجب الاقرار والتمكين لا موجب الاخراج والتسيير
ومثله هل تنقمون منا الا ان امنا بالله انتهى وممن جعله في موضع جر بدلا مما قبله الزجاج الا ان ابا
حيان رد ذلك فقال ما اجازاه من البدل لا يجوز لان البدل لا يجوز الا حيث سبقه نفي او نهي او
استفهام في معنى النفي واما اذا كان الكلام موجبا او امرا فلا يجوز البدل لان البدل لا يكون الا حيث
يكون العامل يتسلط عليه ولو قلت قام الا زيد وليضرب الا عمرو لم يجز ولو قلت في غير القران اخرج
الناس من ديارهم الا ان يقولوا لا اله الا الله لم يكن كلاما هذا اذا تخيل ان يكون الا ان يقولوا في موضع
جر بدلا من غير المضاف الى حق واما اذا كان بدلا من حق كما نص عليه الزمخشري فهو في غاية الفساد
لانه يلزم منه ان يكون البدل يلي غير فيصير التركيب بغير الا ان يقولوا وهذا لا يصح ولو قدرنا

بغير

بغير كما يقدر في المنفي في ما مررت باحد الا زيد فتجعله بدلا لم يصح لانه يصير التركيب لغير غير قولهم
ربنا الله فيكون قد اضيف غير الى غير وهي فيصير بغير غير ويصح في ما مررت باحد الا زيد
ان تقول ما مررت بغير زيد ثم ان الزمخشري حين مثل البدل قدره بغير موجب سوى التوحيد
وهذا تمثيل للصفة جعل الا بمعنى سوى ويصح على الصفة فالتبس عليه باب الصفة بباب البدل
فيجوز ان تقول ما مررت بالقوم الا زيد على الصفة لا على البدل **قوله** ولولا دفع الله تقدم الكلام
فيه في البقرة وتوجيه القراتين وقرا نافع وابن كثير لهدمت بالتخفيف والباقون بالتثقيل الدال
على التكثير لان المواضع كثيرة متعددة والقراءة الاولى صالحة لهذا المعنى ايضا **قوله**
صوامع وبيع وصلوات ومساجد العامة على صلوات بفتح الصاد واللام جمع صلوة وقرا جعفر
ابن محمد وصلوات بضمهما وروي عنه ايضا بكسر الصاد وسكون اللام وقرا الجحدري بضم
الصاد وفتح اللام وابو العالية بفتح الصاد وسكون اللام والجحدري ايضا وصلوت بضمهما
وسكون الواو وبعدها تاء مثناة من فوق مثل صلب وصلوب والكلبي والضحاك كذلك الا انهما اعجما
التاء بثلاث من فوقها والجحدري ايضا وابو العالية وابو رجاء ومجاهد كذلك الا انهم جعلوا بعد
التاء المثلثة الفا فقروا صلواثا وروي عن مجاهد في هذه التاء المثناة من فوق ايضا وروي عن
الجحدري ايضا صلوات بضم الصاد وسكون اللام والف بعد الواو والتاء مثلثة وقرا عكرمة
صلويثا بكسر الصاد وسكون اللام وبعدها ياء مثناة من تحت بعدها ثاء مثلثة بعدها الف
وحكى ابن مجاهد انه قرئ صلوات بكسر الصاد وسكون اللام بعدها واو وبعدها الف بعدها
ثاء مثلثة وقرا الجحدري وصلوب مثل كعوب بالباء الموحدة وهو جمع صليب وفعول جمع فعيل شاذ
نحو ظريف وظروف واسينة واسون وروي عن ابي عمرو وصلوات كالعامة الا انه لم ينون منعه
الصرف للعلمية والعجمة كانه جعله اسم موضع فهذه اربع عشرة قراة المشهور منها واحدة وهي هذه
الصلاة المعهودة ولا بد من حذف مضاف ليصح تسلط الهدم اي مواضع صلوات او تضمن هدمت
معنى عطلت فيكون قدرا مشتركا بين المواضع والافعال فان تعطيل كل شي بحسبه واخر المساجد
لحدوثها في الوجود والانتقال الى الاشرف والصلوات في الامم الماضين صلوة كل ملة بحسبها
وظاهر كلام الزمخشري انها بنفسها اسم مكان فانه قال وسميت الكنيسة صلوة لانها يصلى فيها
وقيل هي كلمة معربة اصلها بالعبرانية صلوثا انتهى واما غيرها من القراآت فقيل هي سريانية او عبرانية
دخلت في لسان العرب ولذلك كثر فيها اللغات **والصوامع** جمع صومعة وهي البنا المرتفع
الحديد الاعلى من قولهم رجل اصمع وهو الحديد القول ووزنها فوعلة كدوخلة فهي متعبد
الرهبان لانهم ينفردون وقال قتادة للصابين والبيع جمع بيعة وهي متعبد النصارى قاله قتادة
والزجاج وقال ابو العالية هي كنايس اليهود وقال الزجاج الصوامع للنصارى وهي التي بنوها
في الصحارى والبيع لهم ايضا وهي التي بنوها في البلد والصلوات لليهود قال الزجاج وهي بالعبرانية
صلوثا والمساجد للمسلمين فهذا هو الاشهر وقال ابو العالية الصلوات للصابين وقال الحسن
انها باسرها اسما المساجد اما الصوامع فلان المسلمين قد يتخذون الصوامع واما البيع فاطلق
هذا الاسم على المساجد على سبيل التشبيه واما الصلوات فالمعنى انه لولا ذلك الدفع لانقطعت الصلوات
ولخربت المساجد **فصل** معنى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض اي بالجهاد واقامة الحدود
كانه قال ولولا دفع الله اهل الشرك بالمومنين من حيث ياذن لهم في جهادهم وينصرهم على اعدايهم
لاستولى اهل الشرك على اهل الاديان وعطلوا ما يبنونه من مواضع العبادة وقال الكلبي يدفع بالنبيين
عن المومنين وبالمجاهدين عن القاعدين عن الجهاد وروى ابو الجوزا عن ابن عباس يدفع الله بالمحسن عن
المسيء وبالذي يصلي عن الذي لا يصلي وبالذي يتصدق عن الذي لا يتصدق وبالذي يحج عن الذي لا يحج

دعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يدفع بالمسلم الصالح عن ماية من اهل بيته ومن جيرانه
ثم تلا هذه الاية وقال الضحاك يدفع بدين الاسلام وباهله عن اهل الذمة وقال مجاهد يدفع عن
الحقوق بالشهود وعن النفوس بالقصاص **فان قيل** لما ذا جمع الله بين مواضع عبادات اليهود والنصارى
والنصارى وبين مواضع عبادة المسلمين فالجواب اما على قول الحسن فالمراد بهذه المواضع اجمع مواضع
المؤمنين وان اختلفت العبارات عنها واما على قول غيره فقال الزجاج المعنى لولا دفع الله الناس
بعضهم ببعض لهدم في شرع كل نبي المكان الذي يتعبد فيه فلولا الدفع لهدمت في زمن موسى الكنايس
التي كانوا يصلون فيها في شرعه وفي زمن عيسى الصوامع والبيع وفي زمن نبينا المساجد فعلى هذا انما
دفع عنهم حين كانوا على الحق قبل التحريف وقبل النسخ **فان قيل** كيف تهدم الصلوات على
تاويل من تاوله على صلوة المسلمين فالجواب من وجوه **الاول** المراد من هدم الصلوة
ابطالها واهلاك من يفعلها كقولهم هدم فلان احسان فلان اذا قابله بالكفر دون الشكر الثاني
ما تقدم من باب حذف المضاف كقوله واسئل القرية اي اهلها فالمراد مكان الصلاة الثالث لما
كان الاغلب فيما ذكر ما يصح ان يهدم جاز ضم ما لا يصح ان يهدم اليه كقولهم متقلدا سيفا ورمحا
وان كان الرمح لا يتقلد **فان قيل** لم قدم الصوامع والبيع في الذكر على المساجد فالجواب
لانها اقدم في الوجود وقيل اخر المساجد في الذكر كما في قوله ومنهم سابق بالخيرات قال عليه
السلام نحن الاخرون السابقون **قوله** يذكر فيها اسم الله يجوز ان يكون صفة للمواضع المتقدمة
كلها ان اعدنا الضمير من فيها عليها قال الكلبي ومقاتل يعود الى الكل لان الله تعالى يذكر في هذه
المواضع كلها ويجوز ان يكون صفة للمساجد فقط ان خصصنا الضمير في فيها بها تشريفا لها ثم قال
ولينصرن الله من ينصره اي ينصر دينه ونبيه وقيل تلقي الجهاد بالقبول نصرة لدين الله ان الله لقوي
اي على هذه النصرة التي وعدها المؤمنين عزيز وهو الذي لا يضام ولا يمنع مما يريده **قوله**
الذين ان مكناهم يجوز في هذا الموصول ما جاز في الموصول قبله ويزيد هذا عليه بانه يجوز ان يكون
بدلا من من ينصره ذكره الزجاج اي ولينصرن الله الذين ان مكناهم وان مكناهم شرط واقاموا
جوابه والجملة الشرطية باسرها صلة للموصول **فصل** لما ذكر الذين اذن لهم في القتال
وصفهم في هذه الاية فقال الذين ان مكناهم في الارض والمراد من هذا التمكين السلطنة ونفاذ
القول على الخلق اي نصرناهم على عدوهم حتى يتمكنوا من البلاد قال قتادة هم اصحاب محمد صلى الله عليه
وسلم المهاجرون لان الانصار لم يخرجوا من ديارهم فوصفهم بانهم اقاموا الصلوة واتوا الزكوة وامروا
بالمعروف ونهوا عن المنكر ثم قال ولله عاقبة الامور اي اخر امور الخلق ومصيرهم اليه اي يبطل
كل ملك سوى ملكه فتصير الامور اليه بلا منازع **قوله** وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم
قوم نوح الاية لما بين اخراج الكفار المؤمنين من ديارهم بغير حق واذن في مقاتلتهم وضمن للرسول
النصرة وبين ان لله عاقبة الامور اردفه بما يجري مجرى التسلية للرسول بالصبر على اذيتهم بالتكذيب
وغيره فقال وان يكذبوك قومك فقد كذبت قبلهم ساير الامم انبياءهم وذكر الله تعالى سبعة
منهم فان قيل لم قال وكذب موسى ولم يقل وقوم موسى فالجواب من وجهين **الاول** ان
موسى ما كذبه قومه بنو اسرايل وانما كذبه غير قومه وهم القبط الثاني كانه قيل بعد ما ذكر
تكذيب كل قوم رسولهم وكذب موسى ايضا مع وضوح اياته وعظم معجزاته فما ظنك بغيره فامليت
للكافرين اي امهلتهم الى الوقت المعلوم عندي ثم اخذتهم عاقبتهم فكيف كان نكيري اي فكيف كان
انكاري عليهم بالعذاب وهذا استفهام تقرير اي اليس كان واقعا قطعا ابدلتهم بالنعمة نقمة وبالكثرة
قلة وبالحياة موتا وبالعمارة خرابا واعطيت الانبياء جميع ما وعدتهم من النصر على اعدايهم والتمكين
لهم في الارض فينبغي ان تكون عادتك يا محمد الصبر عليهم فانه تعالى انما يمهل لمصلحة فلا بد من الرضا

والتسليم

والتسليم وان شق ذلك على القلب **والنكير** مصدر بمعنى الانكار كالنذير بمعنى الانذار واثبت يا
نكيري حيث وقع ورش في الوصل وحذفها في الوقف والباقون بحذفها وصلا ووقفا **قوله**
وكاين من قرية يجوز ان يكون كاين منصوبة المحل على الاشتغال بفعل مقدر يفسره اهلكتها وان يكون في
محل رفع على الابتدا والخبر اهلكتها وتقدم تحقيق القول فيها قال بعضهم المراد من قوله وكاين من قرية
وكم على وجه التكثير وقيل معناه ورب قرية والاول اولى لانه اوكد في الزجر وقوله اهلكتها قرا ابو عمرو
ويعقوب اهلكتها بالتا وهو اختيار ابي عبيد لقوله فامليت للكافرين ثم اخذتهم وقرا ابن كثير واهل
الكوفة والمدينة اهلكناها **قوله** وهي ظالمة جملة حالية من ها اهلكناها وقوله فهي خاوية
عطف على اهلكناها فيجوز ان يكون في محل رفع لعطفها على الخبر على القول الثاني وان لا يكون لها محل لعطفها
على الجملة المفسرة على القول الاول فهذا عنى الزمخشري بقوله والثانية يعني قوله فهي خاوية لا محل
لها لانها معطوفة على اهلكناها وهذا الفعل ليس له محل تفريعا على القول بالاشتغال والا اذا قلنا
انه خبر لكاين كان له محل ضرورة **فصل** المعنى وكم من قرية اهلكتها اي اهلها لقوله وهي ظالمة
اي واهلها ظالمون فهي خاوية ساقطة على عروشها على سقوفها قال الزمخشري كل مرتفع اظلك من سقف
بيت او خيمة او ظلة فهو عرش والخاوي الساقط من خوى النجم اذا سقط او من خوى المنزل اذا خلا
من اهله فاذا فسرنا الخاوي بالساقط كان المعنى انها ساقطة على سقوفها اي خرت سقوفها على الارض
ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف وان فسرناه بالخالي كان المعنى انها خلت من الناس مع بقاء
عروشها وسلامتها ويمكن ان يكون خبرا بعد خبر اي هي خالية وهي على عروشها يعني ان السقوف سقطت على
الارض فصارت في قرار الحيطان وبقيت الحيطان قايمة فهي مشرفة على السقوف الساقطة **قوله**
وبير معطلة عطف على قرية وكذلك وقصر اي وكاين من بير وقصر اهلكناهما وقيل يحتمل ان يكون
معطوفة وما بعدها على عروشها اي خاوية على بير وقصر ايضا وليس بشي والبير من بارت الارض اي
حفرتها ومنه التابير وهو شق كيزان الطلع والبير فعل بمعنى مفعول كالذبح بمعنى المذبوح وهي مونثة
وقد تذكر على معنى القليب وقوله وبير ذو حفرت وذو طويت يحتمل التذكير والتانيث
والمعطلة المهملة والتعطيل الاهمال وقرا الحسن معطلة بالتخفيف يقال اعطلت البير وعطلتها
فعطلت بفتح الطا واما عطلت المراة من الحلي فبكسر الطا والمعنى وكم من بير معطلة متروكة مخلاة
عن اهلها والمشيد المرتفع قال قتادة والضحاك ومقاتل رفيع طويل وقال سعيد بن جبير وعطا
ومجاهد المجصص من الشيد وهو الجص وانما بنيهما من شاده وفي النساء مشيدة لانه هناك بعد جمع فناسب
التكثير وهنا بعد مفرد فناسب التخفيف ولانه راس اية وفاصلة **فصل** المعنى انه تعالى
بين ان اهل القرية مع تكلف بنيانهم لها واغتباطهم بها جعلت لاجل كفرهم بهذا الوصف وكذلك
البير التي تكلفوها وصارت شربهم صارت معطلة بلا شارب ولا وارد والقصر الذي احكموه بالجص
وطولوه صار خاليا بلا ساكن وجعل ذلك عبرة لمن اعتبر وهذا يدل على ان تفسير على مع اولى لان
التقدير وهي خاوية مع عروشها وقيل ان البير المعطلة والقصر المشيد باليمن اما القصر على قلة جبل
والبير في سفحه ولكل واحد منهما قوم في نعمة فكفروا فاهلكهم الله وبقي البير والقصر خاليين وروى
ابو روق عن الضحاك ان هذه البير بحضرموت في بلدة يقال لها حاضورا وذلك ان صالحا مع اربعة
الاف نفر ممن امن به اتوا حضرموت فلما نزلوها مات صالح فسميت بذلك لان صالحا حين حضرها مات
فبنوا قوم صالح حاضورا وقعدوا على هذه البير وامروا عليهم جلهس بن جلاس وجعلوا وزيره
سحاريب فاقاموا بها زمانا ثم كفروا وعبدوا صنما فارسل الله اليهم حنظلة بن صفوان وكان حمالا
فيهم فقتلوه في السوق فاهلكهم الله وعطل بيرهم وخرب قصورهم قال الامام ابو القاسم الانصاري
وهذا عجيب لاني زرت قبر صالح بالشام في بلدة يقال لها عكا فكيف يقال انه بحضرموت **قوله**

تعالى افلم يسيروا في الارض الاية يعني كفار مكة افلم يسيروا في الارض فينظروا الى مصارع المكذبين
من الامم الخالية فتذكر ما نكل به الاعتبار لان الروية لها حظ عظيم في الاعتبار وكذلك سماع
الاخبار ولكن لا يكمل هذان الامران الا بتدبر القلب لان من عاين وسمع ولم يتدبر ولم يعتبر
لم ينتفع ولهذا قال فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور **قوله** فتكون بالنصب
على جواب الاستفهام وعبارة الحوفي على جواب النفي يرد وقيل على جواب النفي وقرأ مبشر بن عبيد فيكون
بالياء من تحت لان التانيث مجازي ومتعلق يعقلون محذوف اي ما حل بالامم السالفة ثم قال قلوب
يعقلون بها اي يعلمون بها وهذا يدل على ان العقل هو العلم وعلى ان محل العلم هو القلب لانه
جعل القلب آلة لهذا العقل فيكون القلب محلا للعقل ولهذا اسمى الجهل بالعمى لان الجاهل لكونه متحيرا
يشبه الاعمى ثم قال واذان يسمعون بها اي ما يذكر لهم من اخبار القرون الماضية فيعتبرون
بها **قوله** فانها لا تعمى الضمير للقصة ولا تعمى الابصار مفسرة له وحسن التانيث في الضمير كونه
وليه فعل بعلامة تانيث ولو ذكر في الكلام فقيل فانه لجاز وهي قراءة مروية عن عبد الله بن
مسعود والتذكير باعتبار الامر والشان وقال الزمخشري ويجوز ان يكون ضميرا ابهم يفسره الابصار
وفي تعمى ضمير راجع اليه قال ابو حيان وما ذكره لا يجوز لان الذي يفسره ما بعده محصور وليس
هذا واحدا منه وهو في باب رب وفي باب نعم وبئس وفي باب الاعمال وفي باب البدل وفي باب
المبتدا والخبر على خلاف في بعضها وفي باب ضمير الشان والخمسة الاول تفسر بمفرد الا ضمير الشان
فانه يفسر بجملة وهذا ليس واحدا من الستة قال شهاب الدين بل هذا من المواضع المذكورة وهو
باب المبتدا غاية ما في ذلك انه دخل عليه ناسخ وهو ان فهو نظير قولهم هي العرب تقول ما شاءت
وهي النفس تحمل ما حملت وهو قوله تعالى ان هي الا حياتنا وقد جعل الزمخشري جميع ذلك مما يفسر
بما بعده ولا فرق بين الاية الكريمة وبين هذه الامثلة الا دخول الناسخ ولا اثر له وعجيب
من غفلة الشيخ عن ذلك **قوله** التي في الصدور صفة او بدل او بيان وهل هو توكيد كقوله
يطير بجناحيه لان القلوب لا تكون في غير الصدور او لها معنى زائد كما قال الزمخشري الذي قد
تعورف واعتقد ان العمى في الحقيقة مكانه البصر وهو ان تصاب الحدقة بما يطمس نورها واستعماله
في القلب استعارة ومثل فلما اريد اثبات ما هو خلاف المعتقد من نسبة العمى الى القلوب حقيقة
ونفيه عن الابصار احتاج هذا التصوير الى زيادة تعيين وفضل تعريف ليتقرر ان مكان العمى
هو القلوب لا الابصار كما تقول ليس المضا للسيف ولكنه للسانك الذي بين فكيك تقرير الما ادعيته
للسان وتثبيت لان محل المضا هو هو لا غير وكانك قلت ما نفيت المضاء عن السيف واثبته
للسانك فلتة مني ولا سهوا ولكن تعمدت به اياه بعينه تعمدا وقد رد ابو حيان على الزمخشري
قوله تعمدت به اياه وجعل هذه العبارة عجمة من حيث انه فصل الضمير وليس من مواضع فصله
وكان صوابه ان يقول تعمدته به كما تقول السيف ضربتك به لا ضربت به اياك وقد تقدم نظير
هذا الرد والجواب عنه بما اجيب عن قوله تعالى يخرجون الرسول واياكم ولقد وصينا الذين
اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم وهو انه مع قصد تقديم غير الضمير عليه لغرض يمتنع اتصاله
قال شهاب الدين واي خطا في مثل هذا حتى يدعي العجمة على فصيح شهد له بذلك اعداوه وان كان
مخطيا في بعض الاعتقادات مما لا تعلق له بما نحن بصدده وقال ابن الخطيب وعندي فيه وجه
اخر وهو ان القلب قد يجعل كناية عن الخاطر والتدبر كقوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له
قلب وعند قوم ان محل الفكر هو الدماغ فالله تعالى بين ان محل ذلك هو الصدر وفي محل العقل خلاف
مشهور والى الاول ميلا ابن عطية قال هو مبالغة كما تقول نظرت اليه بعيني وكقوله يقولون بافواههم
وقد تقدم ان في قوله بافواههم فايدة زيادة على التاكيد **قوله تعالى** ويستعجلونك

بالعذاب

بالعذاب ولن يخلف الله وعده الاية نزلت في النضر بن الحرث حيث قال ان كان هذا هو الحق
من عندك فامطر علينا حجارة من السماء وهذا يدل على انه عليه السلام كان يخوفهم بالعذاب
ان استمروا على كفرهم ولهذا قال ولن يخلف الله وعده فانجز ذلك يوم بدر ثم بين ان العاقل
لا ينبغي له ان يستعجل عذاب الاخرة فقال وان يوما عند ربك اي فيما ينالهم من العذاب وشدته
كالف سنة فبين تعالى انهم لو عرفوا حال عذاب الاخرة وانه بهذا الوصف لما استعجلوه قاله
ابو مسلم وقيل المراد طول ايام الاخرة في المحاسبة وقيل ان اليوم الواحد والالف سنة بالنسبة
اليه على السواء لانه القادر الذي لا يعجزه شيء فاذا لم يستبعدوا امهال يوم فلا تستبعدوا ايضا
امهال الف سنة مما تعدون قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي يعدون بياء الغيبة لقوله ويستعجلونك
وقرأ الباقون بالتاء لانه اعم ولانه خطاب للمسلمين واتفقوا في تنزيل السجدة بالتاء قال ابن
عباس يعني يوما من الايام الستة التي خلق الله فيها السموات والارض وقال مجاهد وعكرمة يوما
من ايام الاخرة لما روى ابو سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشروا يا معشر
صعاليك المهاجرين بالفوز التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل اغنياء الناس بنصف يوم وذلك
قدر خمس ماية سنة **قوله** وكاين من قرية امليت لها وهي ظالمة اي امهلتها مع استمرارهم
على ظلمهم فاغتروا بذلك التاخير ثم اخذتهم بان انزلت العذاب بهم ومع ذلك فعذابهم
مدخر وهو معنى قوله والي المصير **فان قيل** ما الفايدة في قوله اولا فكاين بالفاء وهاهنا
قال وكاين بالواو فالجواب ان الاولى وقعت بدلا عن قوله فكيف كان نكير واما هذه
فحكمها ما تقدمها من الجملتين المعطوفتين بالواو اعني قوله ولن يخلف الله وعده وان يوما عند
ربك كالف سنة **قوله** قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين امر رسوله بان يديم لهم
التخويف والانذار وان لا يصده استعجالهم للعذاب على سبيل الهزء عن ادامة التخويف والانذار
وان يقول لهم انما بعثت للانذار فاستهزاوكم بذلك لا يمنعني منه **قوله** فالذين امنوا وعملوا
الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم لما امر الرسول بان يقول لهم اني نذير مبين اردف ذلك بان
امره بوعدهم ووعيدهم لان هذه صفة المنذر فقال فالذين امنوا وعملوا الصالحات فجمع بين
الوصفين وهذا يدل على ان العمل خارج عن مسمى الايمان وبه يبطل قول المعتزلة ويدخل في الايمان
كل ما يجب من الاعتقاد بالقلب والاقرار باللسان ويدخل في العمل الصالح كل واجب وترك
محظور ثم بين تعالى ان من جمع بينهما فالله تعالى يجمع له بين المغفرة والرزق الكريم فالمغفرة عبارة
عن غفران الصغاير او عن غفران الكباير بعد التوبة او عن غفرانها قبل التوبة والاولان واجبان
عند الخصم واداء الواجب لا يسمى غفرانا فبقي الثالث وهو العفو عن اصحاب الكباير من اهل القبلة
واما الرزق الكريم فهو اشارة الى الثواب والكريم هو الذي لا ينقطع ابدا وقيل هو الجنة **قوله**
والذين سعوا في اياتنا معجزين اي اجتهدوا في ردها والتكذيب بها وسموها سحرا وشعرا
واساطير الاولين يقال لمن بذل جهده في امر انه سعى فيه توسعا كما اذا بلغ الماشي نهاية طاقته
فيقال انه سعى وذكر الايات واراد التكذيب بها مجازا قال الزمخشري يقال سعيت في
امر فلان اذا اصلحه او افسده بسعيه **قوله** معجزين قرا ابو عمرو وابن كثير بتشديد
الجيم هنا وفي حرفي سبا والباقون معاجزين في الاماكن الثلاثة والجحدري كقراءة ابن كثير
وابي عمرو في جميع القران وابن الزبير معجزين بسكون العين فاما الاولى ففيها وجهان احدهما قال
الفارسي معناه ناسبين اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الى العجز نحو فسقته اي نسبته الى الفسق
والثاني انها للتكثير ومعناها مثبطين الناس عن الايمان واما الثانية فمعناها ظانين انهم يعجزوننا
وقيل معاندين وقال الزمخشري عاجزه سابقه لان كل واحد منهما في طلب اعجاز الاخر

عن اللحاق به فاذا سبقه قيل اعجزه وعجزه فالمعنى سابقين او مسابقين في زعمهم وتقديرهم طامعين ان كيدهم للاسلام يتم لهم والمعنى سعوا في نفيها بالفساد وقال ابو البقاء معاجزين في معنى المشدد مثل عاهد وعهد وقيل عاجز سابق وعجز سبق

فصل اختلفوا في المراد هل معاجزين الله او الرسول والمؤمنين والاقرب هو الثاني لانهم ان انكروا الله استحال منهم ان يطمعوا في اعجازه وان اثبتوه فيبعد ان يعتقدوا انهم يعجزونه ويغلبونه ويصح منهم ان يظنوا ذلك في الرسول بالحيل والمكايد فاما القايلون بالاول فقال قتادة ظانين ومقدرين انهم يعجزوننا بزعمهم ان لا بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار او يعجزوننا يفوتوننا فلا نقدر عليهم كقوله تعالى ام حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا او يعجزون الله بادخال الشبه في قلوب الناس واما معاجزين فالغالب في الحقيقة يرجع الى الرسول والامة لا الى الله تعالى ثم قال اولئك اصحاب الجحيم اي يخلدون فيها

قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الاية قال ابن عباس ومحمد ابن كعب القرظي وغيرهما من المفسرين لما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم اعراض قومه عنه وشق عليه ما راى من مباعدتهم عما جاءهم به تمنى في نفسه ان ياتيه من الله ما يقارب بينه وبين قومه لحرصه على ايمانهم فجلس ذات يوم في نادي من اندية قريش واحب يومئذ ان لا ياتيه من الله شيء ينفروا عنه وتمنى ذلك فانزل الله سورة والنجم اذا هوى فقراها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى القى الشيطان على لسانه لما كان يحدث به نفسه ويتمناه تلك الغرانيق العلى منها الشفاعة ترتجى فلما سمعت قريش ذلك فرحوا به ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في قراءته وقرا السورة كلها وسجد في اخر السورة فسجد المسلمون لسجوده وسجد جميع من في المسجد من المشركين فلم يبق في المسجد مؤمن ولا كافر الا سجد الا الوليد بن المغيرة وابو احيحة سعيد بن العاص فانهما اخذا حفنة من البطحاء ورفعاها الى جبهتهما لانهما كانا شيخين كبيرين فلم يستطيعا السجود وتفرقت قريش وقد سرهم ما سمعوا وقالوا قد ذكر محمد الهتنا باحسن الذكر وقالوا قد عرفنا ان الله يحيي ويميت ويخلق ويرزق ولكن الهتنا هذه تشفع لنا عنده فان جعل لها محمد نصيبا فنحن معه فلما امسى رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه جبريل فقال يا محمد ماذا صنعت تلوت على الناس ما لم اتك به عن الله عز وجل وقلت ما لم اقل لك فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم حزنا شديدا وخاف من الله خوفا عظيما فانزل الله هذه الاية يعزيه وكان به رحيما قال ابن الخطيب واما اهل التحقيق فقالوا هذه الرواية باطلة موضوعة لوجوه من القران والسنة والمعقول اما القران فقوله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين وقوله قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي ان اتبع الا ما يوحى الي وقوله وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى فلو انه قرا عقيب هذه الاية قوله تلك الغرانيق العلى لكان قد ظهر كذب الله في الحال وذلك لا يقوله مسلم وقوله وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك لتفتري علينا غيره واذن لاتخذوك خليلا وكلمة كاد عند بعضهم قرب ان يكون الامر كذلك مع انه لم يحصل وقوله ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم وكلمة لولا لانتفاء الشيء لانتفاء غيره فدل ذلك على ان ذلك الركون القليل لم يحصل وقوله لنثبت به فؤادك وقوله سنقرئك فلا تنسى واما السنة فروي عن محمد بن اسحاق انه سئل عن هذه القصة فقال هذا من وضع الزنادقة وصنف فيه كتابا وقال الامام ابو بكر احمد بن الحسين البيهقي هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل ثم قال رواة هذه القصة مطعونون وروى البخاري في صحيحه انه عليه السلام قرا سورة النجم وسجد فيها المسلمون والمشركون والانس والجن وليس فيه ذكر الغرانيق وروي هذا الحديث من طرق كثيرة وليس فيها البتة ذكر الغرانيق واما المعقول فمن وجوه احدها ان من جوز على الرسول

تعظيم

تعظيم الاوثان فقد كفر لان من المعلوم بالضرورة ان اعظم سعيه كان في نفي الاوثان وثانيها انه عليه السلام ما كان عليه في اول الامر ان يصلي ويقرا القران عند الكعبة امنا لاذى المشركين له حتى كانوا ربما مدوا ايديهم اليه وانما كان يصلي اذا لم يحضروا ليلا او في اوقات خلوة وذلك يبطل قولهم وثالثها ان معاداتهم للرسول كانت اعظم من ان يقروا بهذا القدر من غير ان يقفوا على حقيقة الامر فكيف اجمعوا على انه عظم الهتهم حتى خروا سجدا مع انه لم يظهر عندهم موافقته لهم ورابعها قوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله اياته وذلك لان احكام الايات بازالة ما يلقيه الشيطان عن الرسول اقوى من نسخه بهذه الايات التي تبقى الشبهة معها فاذا اراد الله تعالى احكام الايات لئلا يلتبس القران بغيره فبان يمنع الشيطان من ذلك اصلا اولى وخامسها انا لو جوزنا ذلك ارتفع الامان عن شرعه وجوزنا في كل الشرايع ان يكون كذلك ويبطل قوله تعالى بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس فانه لا فرق في العقل بين النقصان عن الوحي وبين الزيادة فيه فبهذه الوجوه عرفنا على سبيل الاجمال ان هذه القصة موضوعة اكثر ما في الباب ان جمعا من المفسرين ذكروها لكنهم ما بلغوا حد التواتر وخبر الواحد لا يعارض الدلايل العقلية والنقلية المتواترة واما من جهة التفصيل فالتمني جاء في اللغة لامرين احدهما تمني القلب والثاني القراءة قال الله تعالى ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا اماني اي الا قراءة لان الامي لا يعلم القران من المصحف وانما يعلمه من القراءة وقال حسان

تمنى كتاب الله اول ليلة ۝ واخرها لاقى حمام المقادر ۝

وقيل انما سميت القراءة امنية لان القارئ اذا انتهى الى اية رحمة تمنى حصولها واذا انتهى الى اية عذاب تمنى ان لا يبتلى بها وقال ابو مسلم التمني هو التقدير وتمنى هو تفعل من منيت والمنية وفاة الانسان للوقت الذي قدره الله ومنى الله لك اي قدر لك واذا تقرر ذلك فان التالي مقدر للحروف يذكرها شيا فشيا فالحاصل ان الامنية اما القراءة واما الخاطر فان فسرناها بالقراءة ففيه قولان الاول انه تعالى اراد بذلك ما يجوز ان يسهو الرسول فيه ويشتبه على القارئ دون ما رووه من قوله تلك الغرانيق العلى والثاني المراد منه وقوع هذه الكلمة في قراءته ثم اختلف القايلون بهذا على وجوه الاول ان النبي عليه السلام لم يتكلم بقوله تلك الغرانيق العلى ولا الشيطان تكلم به ولا احد تكلم به لكنه عليه السلام لما قرا سورة النجم اشتبه الامر على الكفار فحسبوا بعض الفاظه ما رووه من قولهم تلك الغرانيق العلى وذلك على حسب ما جرت العادة به من توهم بعض الكلمات على غير ما يقال قاله جماعة وهو ضعيف لوجوه احدها ان التوهم في مثل ذلك انما يصح فيما جرت العادة بسماعه فاما غير المسموع فلا يقع ذلك فيه وثانيها انه لو كان كذلك لوقع هذا التوهم في بعض دون البعض فان العادة مانعة من اتفاق الجمع العظيم في الساعة الواحدة على خيال واحد فاسد في المحسوسات وثالثها لو كان كذلك لم يكن مضافا الى الشيطان الوجه الثاني قالوا ان ذلك الكلام كلام الشيطان وذلك بان يلفظ بكلام من تلقاء نفسه يوقعه في درج تلك التلاوة في بعض وقفاته ليظن انه من جنس الكلام المسموع من الرسول قالوا ويؤكد ذلك انه لا خلاف ان الجن والشياطين يتكلمون فلا يمتنع ان ياتي الشيطان بصوت مثل صوت الرسول فيتكلم بهذه الكلمات في اثناء كلام الرسول وعند سكوته فاذا سمع الحاضرون تلك الكلمة بصوت مثل صوت الرسول وما راوا شخصا اخر ظن الحاضرون انه كلام الرسول ثم هذا لا يكون قادحا في النبوة لما لم يكن فعلا له وهذا ايضا ضعيف فانك اذا جوزت ان يتكلم الشيطان في اثناء كلام الرسول بما يشتبه على كل السامعين كونه كلاما للرسول بقي هذا الاحتمال في كل ما يتكلم به الرسول فيفضي الى ارتفاع الوثوق عن كل الشرع فان قيل هذا الاحتمال قايم في الكل ولكنه لو وقع لوجب

في حكمه الله ان يبين الحال فيه كما في هذه الواقعة ازالة للتلبيس فالجواب لا يجب على الله تعالى
ازالة الاحتمالات كما في المتشابهات واذا لم يجب على الله ذلك امكن الاحتمال في الكل الوجه الثالث
ان يقال المتكلم بذلك بعض شياطين الانس وهم الكفرة فانه عليه السلام لما انتهى في قراءة هذه
السورة الى هذا الموضع وذكر اسماء الهتهم وقد علموا من عادته انه يعيبها فقال بعضهم تلك الغرانيق
العلى فاشتبه الامر على القوم لكثرة لغط القوم وكثرة صياحهم وطلبهم تغليطه واخفاء قراءته
ولعل ذلك في صلاته لانهم كانوا يقربون منه في حال صلاته ويسمعون قراءته ويلغون فيها وقيل
انه عليه السلام كان اذا تلا القرآن على قريش توقف في فصول الايات فالقى بعض الحاضرين ذلك
الكلام في تلك الوقفات فتوهم القوم انه من قراءة الرسول ثم اضاف الله ذلك الى الشيطان لانه
بوسوسته يحصل ولا اولانه سبحانه جعل ذلك المتكلم نفسه شيطانا وهذا ايضا ضعيف لوجهين
احدهما انه لو كان كذلك لكان يجب على الرسول ازالة الشبهة وتصريح الحق وتبكيت ذلك القايل
واظهار ان هذه الكلمة صدرت منه ولو فعل ذلك لنقل فان قيل انما لم يفعل الرسول ذلك
لانه كان قد ادى السورة بكمالها الى الامة دون هذه الزيادة فلم يكن ذلك موديا الى اللبس
كما لم يوذ سهوه في الصلاة بعد ان وصفها الى اللبس قلنا لان القرآن لم يكن مستقرا على حالة واحدة
في زمان حياته لانه كان ياتيه الايات فيلحقها بالسور فلم يكن تاديه تلك السورة بدون هذه
الزيادة سببا لزوال اللبس وثانيهما لو كان كذلك لاستحق العتاب على فعل الغير وذلك لا يليق
بالحكيم الوجه الرابع ان المتكلم بهذا هو الرسول عليه السلام ثم هذا يحتمل ثلاثة اوجه اما ان
يكون قال هذه الكلمة سهوا او قسرا او اختيارا فان قالها سهوا كما يروى عن قتادة ومقاتل انهما
قالا انه عليه السلام كان يصلي عند المقام فنعس وجرى على لسانه هاتان الكلمتان فلما فرغ من
السورة سجد وسجد كل من في المسجد وفرح المشركون بما سمعوا واتاه جبريل واستقراه فلما انتهى الى
الغرانيق قال لم آتك بهذا فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ان نزلت هذه الاية وهذا
ضعيف لوجوه احدها انه لو جاز هذا السهو لجاز في ساير المواضع وحينيذ يزول الثقة عن الشرع
وثانيها ان الساهي لا يجوز ان يقع منه مثل هذه الالفاظ المطابقة لوزن السورة وطريقتها
ومعناها فانا نعلم بالضرورة ان واحدا لو انشد قصيدة لما جاز ان يسهو حتى يتفق منه بيت شعر
في وزنها ومعناها وطريقتها وثالثها هب انه تكلم بذلك سهوا فكيف لا يتنبه لذلك حين
قراها على جبريل واما ان تكلم بذلك قسرا كما قال قوم ان الشيطان اجبر النبي على التكلم به وهذا
ايضا فاسد لوجوه احدها ان الشيطان لو قدر على ذلك في حق النبي لكان اقتداره علينا اكثر
فوجب ان يزيل الشيطان الناس عن الدين ولجاز في اكثر ما يتكلم به احدنا ان يكون ذلك باجبار
الشيطان وثانيها ان الشيطان لو قدر على هذا الاجبار لارتفع الامان عن الوحي لقيام هذا
الاحتمال وثالثها انه باطل لقوله تعالى حاكيا عن الشيطان وما كان لي عليكم من سلطان الا ان
دعوتكم فاستجبتم لي وقوله تعالى انه ليس له سلطان على الذين امنوا وقال الا عبادك منهم المخلصين
ولا شك انه عليه السلام كان سيد المخلصين واما ان كان تكلم بذلك اختيارا فههنا وجهان
احدهما ان نقول ان هذه الكلمة باطلة والثاني ان نقول انها ليست كلمة باطلة اما على الاول
فذكروا فيه طريقين الاول قال ابن عباس في رواية عطاء ان شيطانا يقال له الابيض اتاه على
صورة جبريل والقى عليه هذه الكلمة فقراها فلما سمع المشركون ذلك اعجبهم فجاءه جبريل واستعرضه
فقرا السورة فلما بلغ الى تلك الكلمة قال جبريل انا ما جئتك بهذا فقال رسول الله انه اتاني آت
على صورتك فالقاه على لساني الطريق الثاني قال بعض الجهال انه عليه السلام لشدة حرصه
على ايمان القوم ادخل هذه الكلمة من عند نفسه ثم رجع عنها وهذان القولان لا يرغب فيهما

نسلم

نسلم البتة لان الاول يقتضي انه عليه السلام ما كان يميز بين الملك المعصوم والشيطان الخبيث
والثاني يقتضي انه كان خاينا في الوحي وكل واحد منهما خروج عن الدين واما الوجه الثاني وهو ان
هذه الكلمة ليست باطلة فههنا ايضا طرق الاول ان يقال الغرانيق هم الملايكة وقد
كان ذلك قرآنا منزلا في وصف الملايكة فلما توهم المشركون انه يريد الهتهم نسخ الله ذلك الثاني
ان يقال المراد منه الاستفهام على سبيل الانكار فكانه قال اشفاعتهن ترتجى الثالث ان
يقال ذكر تعالى الاثبات واراد النفي كقوله يبين الله لكم ان تضلوا اي لا تضلوا كما قد يذكر
النفي ويريد به الاثبات كقوله قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيئا والمعنى ان تشركوا
وهذان الوجهان الاخيران يعترض عليهما بانه لو جاز ذلك بناء على هذا التاويل فلم لا يجوز ان
يظهروا كلمة الكفر في جملة القرآن او في الصلاة بناء على هذا التاويل ولكن الاصل في الدين ان لا يجوز
عليهم شيء من ذلك لان الله تعالى قد نصبهم حجة واصطفاهم للرسالة فلا يجوز عليهم ما يطعن
في ذلك او ينفر ومثل ذلك في التنفير اعظم من الامور التي جنبه الله تعالى عن تركها نحو الفظاظة
وقول الشعر فقد ظهر القطع بكذب هذه الوجوه المذكورة في قوله الغرانيق العلى هذا اذا
فسرنا التمني بالتلاوة واما ان فسرنا التمني بالخاطر وتمني القلب فالمعنى انه عليه السلام اذا تمنى
بعض ما يتمناه من الامور وسوس الشيطان اليه بالباطل ويدعوه الى ما لا ينبغي ثم ان الله تعالى
ينسخ ذلك ويبطله ويهديه الى ترك الالتفات الى وسوسته ثم اختلفوا في كيفية وسوسته
على وجوه احدها انه تمنى ما يتقرب به الى المشركين من ذكر الهتهم بالثناء قالوا انه عليه
السلام كان يحب ان يتالفهم فكان يتردد ذلك في نفسه فعند ما لحقه النعاس زاد تلك
الزيادة من حيث كانت في نفسه وهذا ايضا خروج عن الدين لما تقدم وثانيها قال
مجاهد انه عليه السلام كان يتمنى انزال الوحي عليه على سرعة دون تاخير فنسخ الله ذلك بان عرفه
ان انزال ذلك بحسب المصالح في الحوادث والنوازل وغيرها وثالثها يحتمل انه عليه السلام
عند نزول الوحي كان يتفكر في تاويله اذا كان مجملا فيلقي الشيطان في جملته ما لم يرده فبين
تعالى انه ينسخ ذلك بالابطال ويحكم ما اراده بادلته واياته ورابعها معنى اذا تمنى اذا
اراد فعلا مقربا الى الله القى الشيطان في فكره ما يخالفه فرجع الى الله في ذلك وهو كقوله
ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وكقوله واما ينزغنك
من الشيطان نزغ فاستعذ بالله ومن الناس من قال لا يجوز حمل الامنية على تمني القلب
لانه لو كان كذلك لم يكن ما يخطر ببال رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنة للكفار وذلك يبطله
قوله ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم والجواب
لا يبعد انه اذا قوي التمني اشتغل الخاطر فحصل السهو في الافعال الظاهرة بسببه فيصير
ذلك فتنة للكفار

فصل

رجع حاصل البحث الى الغرض من هذه الاية بيان ان الرسل
الذين ارسلهم الله وان عصمهم عن الخطا مع العلم فلم يعصمهم عن جواز السهو ووسوسة الشيطان
بل حالهم في جواز ذلك كحال ساير البشر فالواجب ان لا يتبعوا الا فيما يفعلونه عن علم وذلك هو المحكم
وقال ابو مسلم معنى الاية انه لم يرسل نبيا الا اذا تمنى كانه قيل وما ارسلنا الى البشر
ملكا وما ارسلنا اليهم نبيا الا منهم وما ارسلنا من نبي خلا عند تلاوته من وسوسة الشيطان
وان يلقي في خاطره ما يضاد الوحي ويشغله عن حفظه فيثبت الله النبي على الوحي وعلى حفظه
ويعلمه صواب ذلك وبطلان ما يكون من الشيطان قال وفيما تقدم من قوله قل يا ايها الناس
انما انا لكم نذير مبين تقوية لهذا التاويل كانه تعالى امره ان يقول للكافرين انا نذير لكم لكني
من البشر لا من الملايكة ولم يرسل الله قبلي ملكا وانما ارسل رجالا فقد يوسوس الشيطان اليهم

فان قيل هذا انما يصح لو كان السهو لا يجوز على الملائكة قلنا اذا كانت الملائكة درجة من الانبيا
لم يلزم من استيلائهم بالوسوسة على الانبيا استيلاء وهم بالوسوسة على الملائكة واعلم انه تعالى
لما شرح حال هذه الوسوسة اردف ذلك ببحثين الاول كيفية ازالتها وهو قوله فينسخ الله
ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله اياته والمراد ازالته وازالة تاثيره وهو النسخ اللغوي لا النسخ
الشرعي المستعمل في الاحكام واما قوله ثم يحكم الله اياته فاذا حمل التمني على القراة فالمراد به
ايات القران والا فيحمل على احكام الادلة التي لا يجوز فيها الغلط البحث الثاني انه تعالى
لما بين اثر تلك الوسوسة شرح اثرها في حق الكفار اولا ثم في حق المومنين ثانيا اما في حق الكفار فهو
قوله ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة وذلك انهم افتتنوا لما سمعوا ذلك والمراد به تشديد التعبد
لان ما يظهر من الرسول عليه السلام من الاشتباه في القراة سهوا يلزمهم البحث عن ذلك ليميز والـ
السهو من العمد وليعلموا ان العمد صواب والسهو قد لا يكون صوابا ثم قال للذين في قلوبهم مرض شك
ونفاق وخصهم بذلك لانهم مع كفرهم يحتاجون الى التدبر واما المومنون فقد تقدم علمهم
بذلك فلا يحتاجون الى التدبر واما القاسية قلوبهم فهم المشركون المصرون على جهلهم باطنا وظاهرا
ثم قال وان الظالمين لفي شقاق بعيد يريد ان هاولا المنافقين والمشركين والمعنى وانهم
فوضع الظاهر موضع المضمر فقضى عليهم بالظلم وابرزهم ظاهرين للشهادة عليهم بهذه الصفة
الذميمة والشقاق الخلاف الشديد والمنافاة والمباعدة سوا واما في حق المومنين فهو قوله
وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك ولنرجع الى الاعراب فنقول قوله الا اذا تمنى
القى الشيطان في هذه الجملة بعد الا ثلاثة اوجه احدها انها في محل نصب على الحال من
رسول والمعنى وما ارسلناه الا حالة هذه والحال محصورة والثاني انها في محل الصفة لرسول فيجوز ان
يحكم على موضعها بالجر باعتبار لفظ الموصوف وبالنصب باعتبار محله فان من مزيدة فيه الثالث
انها في محل موضع استثنا من غير الجنس قاله ابو البقا يعني انه استثنا منقطع واذا هذه يجوز
ان تكون شرطية وهو الظاهر واليه ذهب الحوفي وان يكون لمجرد الظرفية قال ابو حيان
ونصوا على انه يليها يعني الا في النفي المضارع بلا شرط نحو ما زيد الا يفعل وما رايت زيدا
الا يفعل والماضي بشرط تقدم فعل نحو ما يأتيهم من رسول الا كانوا او مصاحبه قد نحو ما زيد
الا قد فعل وما جا بعد الا في الاية جملة شرطية ولم يليها ماض مصحوب بقد ولا عار منها
فان صح ما نصوا عليه يؤول على ان اذا جردت للظرفية ولا شرط فيها وفصل بها بين الا والفعل
الذي هو القى وهو فصل جائز فيكون الا قد وليها ماض في التقدير ووجد شرطه وهو تقدم
فعل قبل الا وهو وما ارسلنا قال شهاب الدين ولا حاجة الى هذا التكلف المخرج للاية
عن معناها بل هي جملة شرطية اما حال او صفة او استثنا كقوله الا من تولى وكفر فيعذبه
وكيف يدعي الفصل بها وبالفعل بعدها بين الا وبين الفعل من غير ضرورة تدعو اليه ومع عدم
صحة المعنى وقوله تعالى اذا تمنى انما افرد الضمير وان تقدمه شيئان معطوف احدهما
على الاخر بالواو لان في الكلام حذفا تقديره وما ارسلنا من قبلك من رسول الا اذا تمنى ولا
نبي الا اذا تمنى كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه والحذف اما من الاول او من الثاني والضمير
في امنيته فيه قولان اظهرهما انه ضمير الشيطان والثاني انه ضمير الرسول **قوله** ليجعل في
متعلق هذه اللام ثلاثة اوجه اظهرها انها متعلقة بيحكم اي ثم يحكم الله اياته ليجعل وقوله والله
عليم حكيم جملة اعتراض واليه نحا الحوفي والثاني انها متعلقة بينسخ واليه نحا ابن عطية وهو ظاهر
ايضا الثالث انها متعلقة بالقى وليس بظاهر وفي اللام قولان احدهما انها للعلة والثاني انها للعاقبة
وما في قوله ما يلقي الظاهر انها بمعنى الذي ويجوز ان تكون مصدرية **قوله** والقاسية

آل

ال في القاسية موصولة والصفة صلتها وقلوبهم فاعل بها والضمير المضاف اليه هو عائد
الموصول وانثت الصلة لان مرفوعها مونث مجازي ولو وضع فعل موضعها لجاز تانيثه
والقاسية عطف على الذين اي فتنة للذين في قلوبهم مرض وفتنة للقاسية قلوبهم **قوله**
وليعلم الذين عطف على ليجعل عطف علة على مثلها والضمير في انه قال الزمخشري انه يعود على
تمكين الشيطان اي ليعلم المومنون ان تمكين الشيطان من ذلك الالقا هو الحق اما على قول اهل
السنة فلانه تعالى يتصرف كيف شا في ملكه وملكه فكان حقا واما على قول المعتزلة فلانه تعالى
حكيم فيكون كل افعاله صوابا فيومنوا به وقال ابن عطية انه يعود على القران وهو وان لم يجر
له ذكر فهو في قوة المنطوق وهو قول مقاتل وقال الكلبي انه يعود الى نسخ الله ما القاه الشيطان
وقوله فيومنوا عطف على وليعلم وفتخبت عطف عليه وما احسن ما وقعت هذه الفاآت
ومعنى فتخبت اي تخضع وتسكن له قلوبهم لعلمهم بان المقتضي كائن وكل ميسر لما خلق له **فصل**
ومعنى اوتوا العلم اي التوحيد والقران وقال السدي التصديق فيومنوا به اي يعتقدوا
انه من الله **قوله** وان الله لهادي قرا العامة لهادي الذين بالاضافة تخفيفا وابن ابي
عبلة وابو حيوة بتنوين الصفة واعمالها في الموصول والمعنى ان الله يهدي الذين امنوا الى طريق
قويم وهو الاسلام **قوله تعالى** ولا يزال الذين كفروا في مرية الاية لما بين حال
الكافرين اولا ثم حال المومنين ثانيا عاد الى شرح حال الكافرين مرة اخرى فقال ولا يزال
الذين كفروا في مرية شك ونفاق منه اي من القران او من الرسول او مما القاه الشيطان والمرية
والمرية بالكسر والضم لغتان مشهورتان وظاهر كلام ابي البقا انهما قراتان **قوله** حتى
تاتيهم الساعة وهذا يدل على ان الاعصار الى قيام الساعة لا تخلو من هذا وصفه بغتة اي فجاة
من دون ان يشعروا ثم جعل الساعة غاية لكفرهم وانهم يومنون عند اشراط الساعة على وجه الالجا
وقيل اراد بالساعة الموت او ياتيهم عذاب يوم عقيم قال الاكثرون هو يوم بدر وقال
عكرمة والضحاك هو يوم القيمة والعقيم من العقم وفيه قولان احدهما انه السد يقال
امراة معقومة الرحم اي مسدودته عن الولادة وهذا قول ابي عبيد والثاني ان اصله
القطع ومنه الملك عقيم اي لانه يقطع صلة الرحم بالتزاحم عليه ومنه العقيم لانقطاع ولده
والعقم انقطاع الخير ومنه يوم عقيم قيل لانه لا ليلة بعده ولا يوم فشبه بمن انقطع نسله
وقيل لانهم لا يرون فيه خيرا وقيل لان كل ذات حمل تضع حملها في ذلك اليوم فكيف تحصل الحمل
فيه هذا ان اريد به يوم القيمة وان اريد به يوم بدر فقيل لان ابنا الحرب تقتل فيه فكانت
النسا لم يلدنهم فيكن عقما يقال رجل عقيم وامراة عقيم اي لا يولد لهما والجمع عقم وقيل لانه الذي
لا خير فيه يقال ريح عقيم اذا لم ينشئ مطرا ولم يلقح شجرا وقيل انه لا مثل له في عظم امره وذلك
لقتال الملائكة فيه والقول الاول اولى لانه لا يجوز ان يقال ولا يزال الذين كفروا ويكون المراد
الى يوم بدر لان من المعلوم انهم في مرية بعد يوم بدر فان قيل لما ذكر الساعة فلو حملتم
اليوم العقيم على يوم القيمة لزم التكرار قلنا ليس كذلك لان الساعة مقدمات القيمة واليوم
العقيم هو نفس ذلك اليوم وعلى ان الامر لو كان كما قال لم يكن تكرارا لان في الاول ذكر الساعة وفي
الثاني ذكر عذاب ذلك اليوم وان اريد بالساعة وقت الموت وبعذاب يوم عقيم القيمة فالسوال
زايل **قوله** الملك يومئذ لله وهذا من اقوى ما يدل على ان اليوم العقيم هو هذا اليوم وان
انه لا مالك في ذلك اليوم سواه ويومئذ منصوب بما تضمنه لله من الاستقرار لوقوعه خبرا
ويحكم يجوز ان يكون حالا من اسم الله وان يكون مستانفا والتنوين في يومئذ عوض من جملة فقدرها
الزمخشري يوم يومنون وهو لازم لزوال المرية وقدرها ايضا يوم تزول مريتهم ثم انه تعالى بين

كيف يحكم بينهم وانه يصير المومنين الي جنات النعيم والكافرين الي عذاب مهين **قوله**
والذين كفروا مبتدا وقوله فاوليك وما بعده خبره ودخلت الفا لتضمن المبتدا معني الشرط
بالشرط المذكور ويحتمل ان يكون خبرا عن اوليك وعذاب فاعل به لاعتماده علي المخبر عنه
وان يكون خبرا مقدما وما بعده مبتدا والجملة خبرا وليك **قوله** والذين هاجروا مبتدا
وقوله ليرزقنهم جواب قسم مقدر والجملة القسمية وجوابها خبر قوله والذين هاجروا وفيه
دليل علي وقوع الجملة القسمية خبرا للمبتدا ومن منع بضمر قولا هو الخبر تحكي به هذه الجملة القسمية
وهو قول مرجوح **قوله** رزقا يجوز ان يكون مفعولا ثانيا علي انه من باب الرعي والذبح اي مرزوقا
حسنا وان يكون مصدرا موكدا وقوله ثم قتلوا وقوله مدخلا تقدم الخلاف في القراة بهما في
آل عمران وفي النسا **فصل** لما ذكر ان الملك له يوم القيمة وانه يحكم بينهم ويدخل المومنين
الجنات اتبعه بذكر الوعد الكريم للمهاجرين وافردهم بالذكر تفخيما لشانهم فقال والذين
هاجروا فارقوا اوطانهم وعشايرهم في طاعة الله وطلب رضاه ثم قتلوا او ماتوا ومم كذلك
قال مجاهد نزلت في طوايف خرجوا من مكة الي المدينة للهجرة فتبعهم المشركون فقاتلوهم وظاهر
الاية العموم ثم قال ليرزقنهم الله رزقا حسنا والرزق الحسن هو الذي لا ينقطع ابدا وهو
نعيم الجنة وقال الاصم انه العلم والفهم لقول شعيب عليه السلام ورزقني منه رزقا حسنا
اي حلالا وهو الغنيمة وهذان الوجهان ضعيفان لانه تعالي جعله جزا علي هجرتهم في سبيل
الله بعد القتل والموت وبعدهما لا يكون الا نعيم الاخرة ثم قال وان الله لهو خير الرازقين
ومعلوم ان كل الرزق من عنده فقيل التفاوت انما كان بسبب انه تعالي يختص بان يرزق
بما لا يقدر عليه غيره وقيل المراد انه الاصل في الرزق وغيره انما يرزق بما تقدم من
الرزق من جهة الله وقيل ان غيره ينقل من يد الي يد غيره لا انه يفعل نفس الرزق وقيل ان
غيره اذا رزق فانما يرزق لانتفاعه به اما لاجل خروجه عن الواجب او لاجل ان يستحق به حمدا او ثنا
او لاجل الرقة الجنسية واما الحق سبحانه فان كماله صفة ذاتية له فلا يستفيد من شي كمالا زايدا
فالرزق الصادر منه لمحض الاحسان وقيل ان غيره انما يرزق اذا حصل في قلبه ارادة ذلك الفعل
وتلك الارادة من الله فالرازق في الحقيقة هو الله **فصل** قالت المعتزلة الاية تدل علي
امور ثلاثة الاول ان غير الله قادر والثاني ان غير الله يصح ان يرزق ويملك ولولا كونه قادرا
فاعلا لما صح ذلك الثالث ان الرزق لا يكون الا حلالا لان قوله خير الرازقين يدل علي كونهم
ممدوحين والجواب لا نزاع في كون العبد قادرا فان القدرة مع الداعي موثرة في الفعل
بمعني الاستلزام والثالث بحث لفظي تقدم الكلام فيه **فصل** دل قوله ثم قتلوا او ماتوا
علي ان حال المقتول في الجهاد والميت علي فراشه سوا لانه تعالي جمع بينهما في الوعد ويويده
ما روي انس ان النبي صلي الله عليه وسلم قال المقتول في سبيل الله والمتوفي في سبيل الله بغير قتل
هما في الاجر شريكان ولفظ الشركة يشعر بالتسوية والا فلا ينبغي لتخصيصهما بالذكر فايدة **قوله**
ليدخلنهم هذه الجملة يجوز ان تكون بدلا من ليرزقنهم وان تكون مستانفة وقوله مدخلا يرضونه
قال ابن عباس انما قال يرضونه لانهم يرزقون في الجنة ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر علي قلب
بشر فيرضونه وقوله في عيشة راضية وقوله ارجعي الي ربك راضية مرضية ورضوان من الله اكبر
ثم قال وان الله لعليم حليم عليم بما يستحقونه فيفعله بهم ويزيدهم وعليم بما يرضونه فيعطيهم ذلك
في الجنة واما الحليم فلا يعجل بالعقوبة علي من يقدم علي المعصية بل يمهل ليقع منه التوبة فيستحق الجنة
قوله تعالي ذلك ومن عاقب ذلك خبر مبتدا مضمر اي الامر ذلك وما بعده مستانف
والبا في قوله بمثل ما عوقب به للسببية في الموضعين قاله ابو البقا والذي يظهر ان الاولي يشبه

ان يكون للالة ومن عاقب مبتدا خبره لينصرنه الله **فصل** المعني الامر ذلك الذي قصصنا
عليك ومن عاقب بمثل ما عوقب به اي قاتل من كان يقاتله ثم كان المقاتل مبغيا عليه بان اضطر
الي الهجرة ومفارقة الوطن وابتدي بالقتال قال مقاتل نزلت في قوم من المشركين اتوا قوما من
المسلمين لليلتين بقيتا من المحرم وكره المسلمون قتالهم وسالوهم ان يكفوا عن القتال من اجل الشهر
الحرام فابوا وقاتلوهم فذلك بغيهم عليهم وثبت المسلمون لهم فنصروا فوقع في نفس المسلمين من القتال
في الشهر الحرام فانزل الله هذه الاية وعفي عنهم وغفر لهم والعقاب الاول بمعني الجزا واطلق اسم
العقوبة علي الاول للتعلق الذي بينه وبين الثاني كقوله تعالي وجزاء سيئة سيئة مثلها يخادعون الله
وهو خادعهم وهذه النصرة تقوي تاويل من اول الاية علي مجاهدة الكفار لا علي القصاص لان
ظاهر النص لا يليق الا بذلك وقال الضحاك هذه الاية في القصاص والجراحات لانها مدنية قال
الشافعي واحمد في احدي الروايتين عنه من حرق حرقناه ومن غرق غرقناه لهذه الاية فان الله تعالي
جوز للمظلوم ان يعاقب بمثل ما عوقب به ووعده النصر وقال ابو حنيفة واحمد في الرواية الاخري
بل يقتل بالسيف فان قيل كيف تعلق الاية بما قبلها فالجواب كانه تعالي قال مع اكرامي لهم في الاخرة
بهذا الوعد لا ادع نصرتهم في الدنيا علي من بغي عليهم ثم قال وان الله لعفو غفور اي ان الله ندب
المعاقبين الي العفو عن الجاني بقوله فمن عفي واصلح فاجره علي الله وان تعفوا اقرب للتقوي ولمن صبر
وغفر ان ذلك لمن عزم الامور فلما لم يات بهذا المندوب فهو نوع اساة فكانه تعالي قال اني عفوت
عن هذه الاساة وغفرتها وقيل انه تعالي وان ضمن له النصر علي الباغي لكنه عرض مع ذلك بما هو اولي
به وهو العفو والمغفرة فلوح بذكرها بين الصفتين وفيه وجه اخر وهو انه تعالي دل بذكر العفو
والمغفرة علي انه قادر علي العقوبة لانه لا يوصف بالعفو الا القادر علي ضده **قوله** ذلك
بان الله يولج الليل في النهار وفيه وجهان الاول اي ذلك النصر بسبب انه قادر ومن قدرته
كونه خالقا الليل والنهار ومتصرفا فيهما فوجب ان يكون قادرا عالما بما يجري فيهما واذا كان كذلك
كان قادرا علي النصر الثاني المراد انه مع ذلك النصر ينعم في الدنيا بما يفعله من تعاقب الليل
والنهار وولوج احدهما في الاخر ومعني يلج احدهما في الاخر انه يحصل ظلمة هذا في ضيا ذلك
بغيبوبة الشمس وضيا ذلك في ظلمة هذا بطلوعها كما يضي البيت بالسراج ويظلم بفقده وقيل
هو ان يزيد في احدهما ما ينقص من الاخر من الساعات وذلك مبتدا وبان الله خبره ثم قال
وان الله سميع بصير اي انه كما يقدر علي ما لا يقدر عليه غيره فكذلك يدرك المسموع والمبصر فلا
يجوز المنع عليه وذلك كالتحذير من الاقدام علي ما لا يجوز في المسموع والمبصر **قوله** ذلك بان
الله هو الحق قرا العامة وان ما عطفا علي الاول والحسن بكسرها استينافا وقوله هو الحق يجوز
ان يكون فصلا ومبتدا وجوز ابو البقا ان يكون توكيدا وهو غلط لان المضمر لا يوكد المظهر
ولكان صيغة النصب اولي به من الرفع فيقال اياه لان المتبوع منصوب وقرا الاخوان وحفص
وابو عمرو هنا وفي لقمن يدعون بالياء من تحت والباقون بالتاء من فوق والفعل مبني للفاعل وقرا
مجاهد واليماني بالياء من تحت مبنيا للمفعول والواو التي هي ضمير تعود علي معني ما والمراد بها الاصنام
او الشياطين ومعني الاية ان ذلك الوصف الذي تقدم من القدرة علي هذه الامور لاجل ان الله
هو الحق اي هو الموجود الواجب لذاته الذي يمتنع عليه التغير والزوال او ان ما يفعل من عبادته
هو الحق وما يفعل من عبادة غيره فهو الباطل كقوله ليس له دعوة في الدنيا ولا في الاخرة وان الله
هو العلي الكبير العلي القاهر المقتدر نبه بذلك علي انه القادر علي الضر والنفع دون سا ير
من يعبد مرغبا بذلك في عبادته زاجرا عن عبادة غيره واما الكبير فهو العظيم في قدرته وسلطانه
وذلك يفيد كمال القدرة **قوله تعالي** الم تر ان الله انزل من السما ما الاية لما دل

علي قدرته بما تقدم اتبعه بانواع اخر من الدلايل علي قدرته ونعمته فقال الم تر ان الله انزل وفيه
ثلاثة اوجه احدها ان المراد الروية الحقيقية لان الما النازل من السما يري بالعين واخضرار النبات
علي الارض مري فحمل الكلام علي حقيقته اولي والثاني المراد الم تخبر علي سبيل الاستفهام الثالث
المراد الم تعلم قال ابن الخطيب والاول ضعيف لان الما وان كان مريا الا ان كون الله منزلا له من
السما غير مري واذا ثبت هذا وجب حمله علي العلم لان المقصود من تلك الروية هو العلم لان الروية
اذا لم يقترن بها العلم كانت كانها لم تحصل قوله فتصبح فيه قولان احدهما انه مضارع لفظا
ماض معني تقديره فاصبحت فهو عطف علي انزل قاله ابو البقا ثم قال بعد ان عطفه علي انزل يقتضي
ان يكون له محل من الاعراب وهو الرفع خبرا لان لكنه لا يجوز لعدم الرابط والثاني انه علي بابه ورفعه
علي الاستيناف قاله ابو البقا فهي اي القصة وتصبح الخبر قال شهاب الدين ولا حاجة الي تقدير
مبتدا بل هذه جملة فعلية مستانفة لاسيما وقدر المبتدا ضمير القصة ثم حذفه وهو لا يجوز لانه
لا يوتي بضمير القصة الا للتاكيد والتعظيم والحذف ينافيه قال الزمخشري فان قلت هلا قيل
فاصبحت ولم صرف الي لفظ المضارع قلت لنكتة فيه وهي افادة بقا اثر المطر زمانا بعد زمان
كما تقول انعم علي فلان عام كذا فاروح واغدو شاكرا له ولو قلت رحت وغدوت لم يقع ذلك
الموقع فان قلت فماله رفع ولم ينصب جوابا للاستفهام قلت لو نصب لاعطي عكس الغرض لان
معناه اثبات الاخضرار فينقلب بالنصب الي نفي الاخضرار مثاله ان تقول لصاحبك الم تر اني
انعمت عليك فتشكر ان نصبت فانت ناف لشكره شاك تفريطه وان رفعته فانت مثبت للشكر
وهذا وامثاله مما يجب ان يرغب له من اتسم بالعلم في علم الاعراب وتوقير اهله وقال ابن عطية
قوله فتصبح بمنزلة قوله فيضحي او يصبح عبارة عن استعجالها اثر نزول الما واستمرارها كذلك عادة
ورفع قوله فتصبح من حيث ان الاية خبر والفا عاطفة وليست بجواب لان كونها جوابا لقوله
الم تر فاسد المعني قال ابو حيان ولم يبين هو ولا الزمخشري قبله كيف يكون النصب نافيا للاخضرار
ولا كون المعني فاسدا قال سيبويه وسالته يعني الخليل عن الم تر ان الله انزل من السما ما فتصبح
الارض مخضرة فقال هذا واجب وتنبيه كانك قلت اتسمع انزل الله من السما ما فكان كذا وكذا
قال ابن خروف وقوله هذا واجب وقوله فكان كذا يريد انهما ماضيان وفسر الكلام باتسمع ليريك
انه لا يتصل بالاستفهام لضعف حكم الاستفهام فيه وقال بعض شراح الكتاب لا يمكن نصبه لان
الكلام واجب الا تري ان المعني ان الله انزل فالارض هذه حالها وقال الفرا الم تر خبر كما تقول
في الكلام اعلم ان الله يفعل كذا فيكون كذا وتقولنا فامتنع النصب جوابا للاستفهام هنا لان النفي
اذا دخل عليه الاستفهام وان كان مقتضي تقريرا في بعض تقريرا في بعض الكلام هو معامل معاملة
النفي المحض في الجواب الا تري الي قوله تعالي الست بربكم قالوا بلي وكذلك الجواب بالفا اذا اجبت
النفي كان علي معنيين في كل منهما ينتفي الجواب فاذا قلت ما تاتينا فتحدثنا بالنصب فالمعني ما تاتينا
محدثا وانما تاتينا ولا تحدث ويجوز ان يكون المعني انك لا تاتي فكيف تحدث فالحديث منتف
في الحالتين والتقرير باداة الاستفهام كالنفي المحض في الجواب يثبت ما دخلته الهمزة وينفي الجواب
فيلزم من هذا التقرير اثبات الروية وانتفا الاخضرار وهو خلاف المقصود وايضا فان جواب
الاستفهام ينعقد منه مع الاستفهام السابق شرط وجزا كقوله ٭ الم تسال فتخبرك الرسوم ٭
تتقدر ان تسال تخبرك الرسوم وهنا لا يتقدر ان تر انزال المطر تصبح الارض مخضرة لان اخضرارها
ليس مترتبا علي علمك او رويتك انما هو مترتب علي الانزال وانما عبر بالمضارع لان فيه تصوير الهيئة
التي الارض عليها والحالة التي لابست الارض والماضي يفيد انقطاع الشي وهذا كقول محمد بن
معوية يصف حاله مع اسد نازله في قصة جرت له مع الحجاج بن يوسف الثقفي وهو ابيات

فبتها يسموا بنا ظرتين تحسب ٭ فيهما لما اجالها شعاع سراج
لما نزلت بحصن ازبر مهصر ٭ للقرن ارواح العدي مجاج
فاكر احمل وهو يقعي باسته ٭ فاذا يعود فراجع اذ راج
وعلمت اني ان ابيت نزاله ٭ اني من الحجاج لست بناجي
فقوله فاكر تصوير للحالة التي لابسها قال شهاب الدين اما قوله وايضا فان جواب الاستفهام
ينعقد مع الاستفهام الي قوله انما هو مترتب علي الانزال منتزع من كلام ابي البقا قال ابو البقا
انما رفع الفعل هنا وان كان قبله استفهام لامرين احدهما انه استفهام بمعني الخبر اي قد رايت
فلا يكون له جواب والثاني ان ما بعد الفا ينصب اذا كان المستفهم عنه سببا له ورويته لانزال
الما لا يوجب اخضرار الارض وانما يجب عن الما واما قوله وانما عبر بالمضارع فهو معني كلام الزمخشري
بعينه وانما غير عبارته واوسعها وقوله فتصبح استدل به بعضهم علي ان الفا لا يقتضي التعقيب
قال لان اخضرارها متراخ عن انزال الما هذا بالمشاهدة واجيب عن ذلك بما نقله عكرمة من
ان ارض مكة وتهامة علي ما ذكروا انها تمطر الليلة فتصبح الارض غدوة خضرة فالفا علي بابها قال
ابن عطية شاهدت هذا في السوس الاقصي نزل المطر ليلا بعد قحط فاصبحت تلك الارض الرملة
التي تسفيها الرياح قد اخضرت بنبات ضعيف وقيل تراخي كل شي بحسبه وقيل ثم جمل محذوفة
قبل الفا تقديره فتهتز وتربوا وتنبت فتصبح بين ذلك قوله تعالي فاذا انزلنا عليها الما اهتزت
وربت وانبتت وهذا من الحذف الذي يدل عليه فحوي الكلام كقوله تعالي فارسلون يوسف
ايها الصديق افتنا الي اخر القصة وتصبح يجوز ان يكون الناقصة وان تكون التامة ومخضرة
حال قاله ابو البقا وفيه بعد عن المعني اذ يصير التقدير فتدخل الارض في وقت الصباح علي هذه
الحال ويجوز فيها ايضا ان تكون علي بابها من الدلالة علي اقتران مضمون الجملة بهذا الزمن الخاص وانما
خص هذا الوقت لان الخضرة والبساتين ابهج ما تري فيه ويجوز ان يكون بمعني تصير وقرا العامة
مخضرة بضم الميم وتشديد الرا اسم فاعل من اخضرت فهي مخضرة والاصل مخضررة بكسر الرا
الاولي فادغمت في مثلها وقرا بعضهم مخضرة بفتح الميم وتخفيف الرا بزنة مبقلة ومسبعة
والمعني ذات خضروات وذات سباع وذات بقل ثم قال ان الله لطيف خبير اي انه رحيم
بعباده ولرحمته فعل ذلك حتي عظم انتفاعهم به لان الارض اذا اصبحت مخضرة والسما اذا امطرت
كان ذلك سببا لعيش الحيوانات اجمع ومعني خبيرا اي عالم بمقادير مصالحهم فيفعل علي قدر ذلك
من غير زيادة ولا نقصان وقال ابن عباس لطيف بارزاق عباده خبير بما في قلوبهم من القنوط
وقال الكلبي لطيف في افعاله خبير باعمال خلقه وقال مقاتل لطيف باستخراج النبت خبير
بكيفية خلقه له ما في السموات وما في الارض عبيدا وملكا وهو غني عن كل شي لانه كامل لذاته ولكنه
لما خلق الحيوان فلا بد في الحكمة من مطر ونبات فخلق هذه الاشيا رحمة للحيوانات وانعاما عليهم
لا لحاجة به الي ذلك واذا كان كذلك كان انعامه خاليا عن غرض عايد اليه فكان مستحقا للحمد فكانه
قال انه لكونه غنيا لم يفعل ما فعله الا للاحسان ومن كان كذلك كان مستحقا للحمد فوجب ان يكون
حميدا فلهذا قال وان الله لهو الغني الحميد قوله تعالي الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض
اي ذلل لكم ما فيها فلا اصلب من الحجر ولا اشد من الحديد ولا اكثر هيبة من النار وقد سخرها لكم وسخر
الحيوانات ايضا حتي ينتفع بها للاكل والركوب والحمل قوله والفلك العامة علي نصب الفلك
وفيه وجهان احدهما انها عطف علي ما في الارض اي سخر لكم ما في الارض وسخر لكم الفلك وافردها
بالذكر وان اندرجت بطريق العموم تحت ما في قوله ما في الارض لظهور الامتنان بها ولعجيب
تسخيرها دون ساير المسخرات وتجري علي هذا حال والثاني انها عطف علي الجلالة تقديره الم تر

ان الفلك تجري في البحر فتجري خبر على هذا وضم لام الفلك هنا الكسائي فيما رواه عن الحسن وهي قراءة ابن مقسم وقرا ابو عبد الرحمن وطلحة والاعرج وابو حيوة والزعفراني برفع والفلك على الابتدا وتجري بعده الخبر ويجوز ان يكون ارتفاعه عطفا على محل اسم ان عند من يجوز ذلك نحو ان زيدا وعمرو قايمان وعلى هذا فتجري حال ايضا والبا في بامره للسببية **فصل** وكيفية تسخيره الفلك هو من حيث تسخير الما والرياح تحركها فلولا صفتهما على ما هما عليه لما جرت بل كانت تغوص او تقف فنبه تعالى على نعمته بذلك وبان خلق ما تعمل منه السفن وبان بين كيف تعمل وقال بامره لانه تعالى لما كان هو المجري لها بالرياح نسب ذلك الى امره توسعا لان ذلك يفيد تعظيمه بالكثرة بما يفيد لو اضافه الى فعله على عادة الملوك في مثل هذه اللفظة **قوله** ويمسك السما ان تقع في ان تقع ثلاثة اوجه احدها انها في محل نصب او جر لانها على حذف حرف الجر تقديره من ان تقع الثاني انها في محل نصب فقط لانها بدل من السما بدل اشتمال اي ويمسك وقوعها يمنعه الثالث انها في محل نصب على المفعول من اجله فالبصريون يقدرون كراهة ان تقع والكوفيون لبلا تقع **قوله** الا باذنه في هذا الجار وجهان احدهما انه متعلق بتقع اي الا باذنه فتقع والثاني انه متعلق بيمسك قال ابن عطية ويحتمل ان يعود قوله الا باذنه على الامساك لان الكلام يقتضي بغير عمد ونحوه كانه اراد الا باذنه فيه نمسكها قال ابو حيان ولو كان على ما قال لكان التركيب باذنه دون اداة الاستثنا ويكون التقدير ويمسك السما باذنه قال شهاب الدين وهذا الاستثنا مفرغ ولا يقع في موجب لكنه لما كان الكلام قبله في قوة النفي ساغ ذلك اذ التقدير لا يتركها تقع الا باذنه والذي يظهر ان هذه البا حالية اي الا متلبسة بامره ثم قال ان الله بالناس لروف رحيم اي المنعم بهذه النعم الجامعة لمنافع الدنيا والدين قد بلغ الغاية في الاحسان والانعام فهو اذن روف رحيم **قوله** وهو الذي احياكم ان اناكم ولم تكونوا شيا ثم يميتكم عند انقضا اجالكم ثم يحييكم يوم القيمة للثواب والعقاب ان الانسان لكفور لنعم الله عز وجل وهذا كما يعدد المرء نعمه على ولده ثم يقول ان الولد لكفور لنعم الوالد زجرا له عن الكفران وبعثا له على الشكر فلذلك اورد تعالى ذلك في الكفار فبين انهم دفعوا هذه النعم وكفروا بها وجهلوا خالقها مع وضوح امرها ونظيره قوله وقليل من عبادي الشكور قال ابن عباس الانسان هنا هو الكافر وقال في رواية هو الاسود بن عبد الاسد وابو جهل والعاص وابي بن خلف والاولى انه في كل المنكرين **قوله تعالى** لكل امة جعلنا منسكا هم ناسكوه لما عدد نعمه وانه روف رحيم بعباده وان كان منهم من يكفر ولا يشكر اتبعه بذكر نعمه بما كلف فقال لكل امة جعلنا منسكا وحذف الواو من قوله لكل امة لانه لا تعلق لهذا الكلام بما قبله فحذف العاطف قال الزمخشري لان تلك وقعت مع ما يدانيها ويناسبها من الاي الوارده في امر النسايك فعطفت على اخواتها واما هذه فواقعة مع اباعد من معناها فلم تجد معطفا **قوله** هم ناسكوه هذه الجملة صفة لمنسكا وقد تقدم انه يقرا بالفتح والكسر وتقدم الخلاف فيه هل هو مصدر او مكان وقال ابن عطية ناسكوه يعطي ان المنسك المصدر ولو كان مكانا لقال ناسكون فيه يعني ان الفعل لا يتعدى الى ضمير الظرف الا بواسطة وما قاله غير لازم لانه قد يتسع في الظرف فيجري مجرى المفعول به فيصل الفعل الى ضميره بنفسه وكذا ما عمل عمل الفعل ومن الاتساع في ظرف الزمان قوله ٭ ويوم شهدناه سليما وعامرا ٭ قليل سوى الطعن النهال نوافله ٭ ومن الاتساع في ظرف المكان قوله ٭ وشرب اشربه نبيل ٭ لا اجن الطعم ولا وبيل ٭ يريد اشرب فيه **فصل** روي عن ابن عباس المنسك شريعة عاملون بها ويويد قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وروي عنه انه قال عيدا يذبحون فيه وقال مجاهد وقتادة

قربان يذبحون وقيل موضع عبادة وقيل ما الفوا بالفونه والاول اولى لان المنسك ماخوذ من النسك وهو العبادة واذا وقع الاسم على عبادة فلا وجه للتخصيص فان قيل هلا حملتموه على الذبح لان المنسك في العرف لا يفهم منه الا الذبح وهلا حملتموه على موضع العبادة وعلى وقتها فالجواب عن الاول لا نسلم ان المنسك في العرف مخصوص بالذبح لان ساير افعال الحج تسمى مناسك قال عليه السلام خذوا عني مناسككم وعن الثاني ان قوله هم ناسكوه اليق بالعبادة منه بالوقت والمكان **قوله** فلا ينازعنك قرا الجمهور بتشديد النون وقري بالنون الخفيفة وقرا ابو مجلز فلا ينزعنك من نزعته من كذا اي قلعته منه وقال الزجاج هو من نازعته فنزعته انزعه اي غلبته في المنازعة ومجي هذه الاية كقوله تعالى فلا يصدنك عنها وقولهم لا ارينك ههنا **فصل** معنى الكلام على قراءة ابي مجلز اي اثبت في دينك ثباتا لا يطمعون ان يخدعوك ليزيلوك عنه وعلى قراءة فلا ينازعنك فيه قولان الاول قال الزجاج انه نهي له عن منازعتهم كما تقول لا يضاربك فلان اي لا تضاربه قال بعض المفسرين فلا ينازعنك في الامر في امر الذبايح نزلت في بديل بن ورقا وبشر بن سفين ويزيد بن جحش قالوا لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ما لكم تاكلون ما تقتلون بايديكم ولا تاكلون ما قتله الله والثاني ان المراد ان عليهم اتباعك وترك مخالفتك وقد استقرت الان الامر على شرعك وعلى انه ناسخ لكل ما عداه فكانه قال لكل امة بقيت منها بقية يلزمها ان تحول الى اتباع الرسول عليه السلام فلذلك قال وادع الى ربك اي لا تخص بالدعا امة دون امة فكلهم امتك فادعهم الى شريعتك فانك على هدى مستقيم والهدى يحتمل ان يكون نفس الدين وان يكون ادلة الدين وهو اولى كانه قال ادعهم الى هذا الدين فانك من حيث الدلالة على طريقة واضحة ولهذا قال فان جادلوك اي فان عدلوا عن هذه الادلة الى المرا والتمسك بعاداتهم فقل الله اعلم بما تعملون اي انه ليس بعد ايضاح الادلة الا هذا الجنس الذي يجري مجرى الوعيد والتحذير من يوم القيامة الذي يتردد بين جنة وثواب وبين نار وعقاب لمن رد وانكر فقال الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون فتعرفون حينيذ الحق من الباطل **قوله تعالى** الم تعلم ان الله يعلم ما في السما والارض الاية لما قال الله يحكم بينكم اتبعه بما به يعلم انه تعالى عالم بما يستحقه كل واحد ويقع الحكم بينهم بالعدل لا بالجور فقال لرسوله الم تعلم ان الله يعلم ما في السما والارض وهذا استفهام معناه تقوية قلب الرسول عليه السلام والوعد له وايعاد الكافرين بان افعالهم كلها محفوظة عند الله لا يضل عنه ولا ينسى والخطاب مع الرسول والمراد ساير العباد لان الرسالة لا تثبت الا بعد العلم بكونه تعالى عالما بكل المعلومات اذ لو لم يثبت ذلك لجاز ان يشتبه عليه الكاذب بالصادق فحينيذ لا يكون اظهار المعجزة دليلا على الصدق واذا كان كذلك استحال ان لا يكون الرسول عالما بذلك فثبت ان المراد ان يكون خطابا مع الغير ثم قال ان ذلك في كتاب اي كله في كتاب يعني اللوح المحفوظ وقال ابو مسلم معنى الكتاب الحفظ والضبط والشد يقال كتبت المزادة اكتبها اذا خرزتها فحفظت بذلك ما فيها ومعنى الكتاب بين الناس حفظ ما يتعاملون به فالمراد بالاية انه محفوظ عنده وايضا فالقول الاول يوهم ان علمه مستفاد من الكتاب واجيب بان هذا القول وان كان صحيحا نظرا الى الاشتقاق لكن حمل اللفظ على المتعارف اولى ومعلوم ان الكتاب هو ما يكتب فيه الامور فان قيل اي فايدة في ذلك الكتاب اذا كان محفوظا فالجواب ان كتبه تلك الاشيا في ذلك الكتاب مع كونها مطابقة للموجودات دليل على انه تعالى غني في علمه عن ذلك الكتاب وفايدته ان الملايكة ينظرون فيه ثم يرون الحوادث داخلة في الوجود على وفقه فيصير ذلك دليلا لهم زايدا على كونه تعالى عالما بكل المعلومات وقوله ان ذلك على الله يسير اي العلم

بجميع ذلك على الله يسير والمعنى ان ذلك مما يتعذر على الخلق لكنه متى اراده الله تعالى كان فعبر عن
ذلك بانه يسير وان كان هذا الوصف لا يستعمل الا فينا من حيث تسهل وتصعب علينا الامور وتعالى
الله عن ذلك ثم انه تعالى بين ما يقدم الكفار عليه مع عظم نعمه ووضوح دلايله فقال ويعبدون
من دون الله ما لم ينزل به سلطانا حجة وما ليس لهم به علم اي عن جهل وليس لهم به دليل عقلي فهو
تقليد وجهل والقول الذي هذا شانه يكون باطلا وما للظالمين من نصير اي وما للمشركين من
نصير مانع يمنعهم من عذاب الله **قوله** واذا تتلى عليهم اياتنا يعني القران بينات لانه متضمن
للدلالة العقلية وبيان الاحكام **قوله** تعرف العامة على تعرف خطابا مبنيا للفاعل المنكر
مفعول به وعيسى بن عمر يعرف باليا من تحت مبنيا للمفعول المنكر مرفوع قايم مقام الفاعل والمنكر
اسم مصدر بمعنى الانكار وقوله الذين كفروا من اقامة الظاهر مقام المضمر للشهادة عليهم بذلك
قال الكلبي تعرف في وجوههم الكراهة للقران وقال ابن عباس التجبر والترفع وقال مقاتل
انكروا ان يكون من الله **قوله** يكادون يسطون هذه حال اما من الموصول وان كان مضافا
اليه لان المضاف جزؤه واما من الوجوه لانها يعبر بها عن اصحابها كقوله وجوه يوميذ عليها غبرة
ثم قال اوليك هم ويسطون ضمن معنى يبطشون فيتعدى تعديته والا فهو متعد بعلى يقال
سطا عليه واصله القهر والغلبة وقيل اظهار ما يهول للاخافة ولفلان سطوة اي تسلط وقهر
وقال الخليل والفرا والزجاج السطو شدة البطش والمعنى يهمون بالبطش والوثوب تعظيما لانكار
ما خوطبوا به اي يكادون يبطشون بالذين يتلون عليهم اياتنا اي محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه
من شدة الغيظ يقال سطا عليه وسطا به اذا تناوله بالبطش والعنف ثم امر رسوله بان يقابلهم
بالوعيد فقال قل افانبيكم بشر من ذلكم اي بشر لكم واكره اليكم من هذا القران الذي تسمعون
او من غيظكم على التالين وسطوكم عليهم او مما اصابكم من الكراهة والضجر بسبب ما تلي عليكم **قوله**
النار تقرا بالحركات الثلاث فالرفع من وجهين احدهما الرفع على الابتدا والخبر
الجملة من وعدها الله والجملة لا محل لها فانها مفسرة للشر المتقدم كانه قيل ما شر من ذلك
فقيل النار وعدها الله والثاني انها خبر مبتدا مضمر كانه قيل ما شر من ذلك فقيل النار
اي هو النار وحينيذ يجوز في وعدها الله الرفع على كونها خبرا بعد خبر واجيز ان يكون
بدلا من النار وفيه نظر من حيث ان المبدل منه مفرد وقد يجاب عنه بان الجملة في تاويل
مفرد ويكون بدل اشتمال كانه قيل النار وعدها الله الكفار واجيز ان يكون مستانفا
لا محل لها ولا يجوز ان يكون حالا قال ابو البقا لانه ليس في الجملة ما يصلح ان يعمل في الحال
وظاهر نقل ابي حيان عن الزمخشري انه يجيز كونها حالا فقال واجاز الزمخشري ان يكون النار
مبتدا ووعدها خبرا وان يكون حالا على الاعراب الاول انتهى والاعراب الاول هو كون النار
خبر مبتدا مضمر والزمخشري لم يجعلها حالا الا اذا نصبت النار او جرتها باضمار قد هذا نصه
وانما منع ذلك لما تقدم من قول ابي البقا وهو عدم العامل واما النصب فهو قراة زيد
ابن علي وابن ابي عبلة وفيه ثلاثة اوجه احدها انها منصوبة بفعل مقدر يفسره الفعل
الظاهر والمسالة من الاشتغال الثاني قال الزمخشري انها منصوبة على الاختصاص الثالث
ان تنتصب باضمار اعني وهو قريب مما قبله او هو هو واما الجر فهو قراة ابن ابي اسحق وابرهيم
ابن نوح على البدل من شر والضمير في وعدها قال ابو حيان الظاهر انه هو المفعول الاول
على انه تعالى وعد النار بالكفار ان يطعمها اياهم الا ترى الى قوله تعالى وتقول هل من مزيد
ويجوز ان يكون الضمير هو المفعول الثاني والذين كفروا هو المفعول الاول كما قال وعد الله
المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم قاله شهاب الدين وينبغي ان يتميز هذا الثاني لانه

متى اجتمع بعد ما يتعدى الى اثنين شيئان ليس ثانيهما عبارة عن الاول فالفاعل المعنوي رتبته
التقديم وهو المفعول الاول ونعني بالفاعل المعنوي من يتاتى منه فعل فاذا قلت وعدت
زيدا دينارا فالدينار هو المفعول لانه لا يتاتى منه فعل وهو نظير اعطيت زيدا درهما فزيد
هو الفاعل لانه اخذ الدرهم وقوله وبيس المصير المخصوص بالذم محذوف تقديره وبيس المصير
هي النار **فصل** والمعنى ان الذي ينالكم من النار اعظم مما ينالكم عند تلاوة هذه الايات
من الغضب والغم وهي النار وعدها الله الذين كفروا اذا ماتوا على كفرهم وبيس المصير هي **قوله
تعالى** يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له الاية لما بين انهم يعبدون من دون الله ما لا
حجة لهم به ولا علم ذكر ههنا ما يدل على ابطال قولهم **قوله** ضرب مثل قال الاخفش ليس
هنا مثل وانما المعنى جعل الكفار لله مثلا قال الزمخشري فان قلت الذي جا به ليس مثلا فكيف
سماه مثلا قلت قد سميت الصفة والقصة الرايعة المتلقاة بالاستحسان والاستغراب مثلا
تشبيها لها ببعض الامثال المسيرة لكونها مستغربة مستحسنة وقيل معنى ضرب جعل كقولهم
ضرب السلطان البعث وضرب الجزية على اهل الذمة اي جعل ذلك عليهم ومعنى الاية جعل
لي شبه في الاوثان اي جعل المشركون الاصنام شركاي فعبدوها وقيل هو مثل من حيث المعنى
لانه ضرب مثل من يعبد الاصنام بمن يعبد ما لا يخلق ذبابا فاستمعوا له اي فتدبروه حق تدبره
لان نفس السماع لا ينفع وانما ينفع بالتدبر **قوله** ان الذين تدعون قرا العامة تدعون بتا
الخطاب والحسن ويعقوب وهرون ومحبوب عن ابي عمرو بالياء من تحت وهي في كلتيهما مبني للفاعل
وموسى الاسواري واليماني يدعون بالياء من اسفل مبنيا للمفعول والمراد الاصنام فان قيل
قوله ضرب يفيد فيما مضى والله تعالى هو المتكلم بهذا الكلام ابتدا فالجواب اذا كان ما يورد
من الوصف معلوما من قبل جاز ذلك فيه ويكون ذكره بمنزلة اعادة امر تقدم **قوله**
لن يخلقوا جعل الزمخشري نفي لن للتابيد وتقدم البحث معه في ذلك والذباب معروف وهو
واحد وجمعه القليل اذبة وفي الكثرة يجمع على ذبان وذبان بكسر الذال وضمها وعلى ذب والمذبة
ما يطرد بها الذباب وهو اسم جنس واحدته ذبابة يقع للمذكر والمونث فيفرد بالوصف **قوله**
ولو اجتمعوا له قال الزمخشري نصب على الحال كانه قال مستحيل خلقهم الذباب حال اجتماعهم لخلقه
وتعاونهم عليه فكيف حال انفرادهم وقد تقدم ان هذه الوا عاطفة هذه الجملة الحالية
على حال محذوفة اي انتفى خلقهم الذباب على كل حال ولو في هذه الحالة المقتضية لخلقهم فكانه
تعالى قال ان هذه الاصنام ان اجتمعت لا تقدر على خلق ذبابة على ضعفها فكيف يليق بالعاقل
جعلها معبودا **قوله** وان يسلبهم الذباب شيا السلب اختطاف الشي بسرعة يقال
سلبه نعمته والسلب ما على القتيل وفي الحديث من قتل قتيلا فله سلبه وقوله لا يستنقذوه
منه الاستنقاذ استفعال بمعنى الافعال يقال انقذه من كذا اي انجاه منه وخلصه ومثله
ابل المريض واستبل **فصل** كانه تعالى قال اترك امر الخلق والايجاد وتكلم فيما هو اسهل
منه فان الذباب ان سلب منها شيا فهي لا تقدر على استنقاذ ذلك الشي من الذباب واعلم ان
الدلالة الاولى صالحة لان يتمسك بها في نفي كون المسيح والملايكة الهة واما الثانية فلا
فان قيل هذا الاستدلال اما ان يكون لنفي كون الاوثان خالقة عالمة حية مدبرة واما لنفي
كونها مستحقة للتعظيم والاول فاسد لان نفي كونها كذلك معلوم بالضرورة فلا فايدة في اقامة
الدلالة عليه واما الثاني فهذه الدلالة لا تفيده لانه لا يلزم من نفي كونها حية ان لا تكون معظمة
فان جهات التعظيم مختلفة فالقوم كانوا يعتقدون فيها انها طلسمات موضوعة على صور
الكواكب بحيث تحصل منها الضر والنفع فهو يبطل هذه الدلالة فانها لم تمنع نفسها في هذا

العذر وهو تخليص النفس عن الذبابة اوانها تماثيل الملائكة والانبيا المتقدمين فالجواب
اما كونها طلسمات موضوعة على صور الكواكب بحيث تحصل منها الضر والنفع فهو يبطل بهذه الدلالة
فانها لم تنفع نفسها في هذا القدر وهو تخليص النفس عن الذباب فلان لا تنفع غيرها اولى واما
انها تماثيل الملائكة والانبيا المتقدمين فقد تقرر في العقل ان تعظيم غير الله ينبغي ان يكون
اقل من تعظيم الله والقوم كانوا يعظمونها غاية التعظيم وحينئذ كان يلزم التسوية بينها وبين
الخالق سبحانه في التعظيم فمن ههنا استوجبوا الذم **فصل** قال ابن عباس كانوا يطلون
الاصنام بالزعفران فاذا جف جاءت الذباب فاستلبته وقال السدي كانوا يضعون الطعام
بين يدي الاصنام فيقع الذباب عليه فياكل منه وقال ابن زيد كانوا يحلون الاصنام
باليواقيت واللآلي وانواع الجواهر ويطيبونها بانواع الطيب فربما يسقط منها واحدة فاخذها
طاير او ذباب فلا تقدر الالهة على استردادها ضعف الطالب والمطلوب قيل هو اخبار
وقيل تعجب والاول اظهر قال ابن عباس الطالب الذباب تطلب ما تسلب من الطيب
عن الصنم والمطلوب الصنم يطلب الذباب منه السلب وقيل العكس الطالب الصنم والمطلوب
الذباب فالصنم كالطالب لانه لو طلب ان يلحقه ويستنقذ منه ما استلبه لعجز عنه والذباب
بمنزلة المطلوب وقال الضحاك الطالب العابد والمطلوب المعبود لان كون الصنم طالبا ليس
حقيقة بل على سبيل التقدير وقيل المعنى ضعف اي ظهر قبح هذا المذهب كما يقال عند
المناظرة ما اضعف هذا المذهب وما اضعف هذا الوجه **قوله** ما قدروا الله حق
قدره اي ما عظموه حق تعظيمه حيث جعلوا هذه الاصنام على نهاية خساستها شركا له في
المعبودية ان الله لقوي عزيز قوي لا يتعذر عليه فعل شي عزيز لا يقدر احد على منعه فبين
فاي حاجة الى القول بالشريك قال الكلبي في هذه الاية وفي نظيرها في سورة الانعام انها
نزلت في مالك بن الصيف وكعب بن الاشرف وكعب بن اسد وغيرهم من اليهود حيث قالوا ان الله
سبحانه لما فرغ من خلق السموات والارض اعيا من خلقها فاستلقى واستراح ووضع احدى رجليه
على الاخرى فنزلت هذه الاية تكذيبا لهم ونزل قوله وما مسنا من لغوب **قوله تعالى**
الله يصطفي من الملائكة رسلا الاية لما ذكر ما يتعلق بالالهيات ذكر ههنا ما يتعلق بالنبوات
قال مقاتل قال الوليد بن المغيرة ءانزل عليه الذكر من بيننا فانزل الله هذه الاية **فان قيل**
كلمة من للتبعيض فقوله من الملائكة يقتضي ان يكون الرسل بعضهم لا كلهم وقوله جاعل الملائكة رسلا
يقتضي كون كلهم رسلا فكيف الجمع فالجواب يجوز ان يكون المذكور ههنا من كان رسلا الى بني ادم
وهو اكابر الملائكة كجبريل وميكائيل واسرافيل والحفظة صلوات الله عليهم واما كل الملائكة فبعضهم
رسل البعض قال بعضهم تقدير الكلام ومن الناس رسلا ولا حاجة لذلك بل قوله ومن الناس يقدر
التقدير اي يصطفي من الملائكة ومن الناس رسلا **فان قيل** قوله في سورة الزمر لو اراد
الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء فدل على ان ولده يجب ان يكون مصطفى وهذه الاية
تدل على ان بعض الملائكة وبعض الناس من المصطفين فلزم بمجموع الايتين اثبات الولد فالجواب
ان قوله لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى يدل على ان كل ولد مصطفى ولا يدل على ان كل مصطفى
ولد فلا يلزم من دلالة هذه الاية على وجود مصطفى كونه ولدا وايضا فالمراد من هذه الاية
تبكيت من عبد غير الله من الملائكة كانه سبحانه ابطل في الاية الاولى قول عبدة الاوثان وفي
هذه الاية ابطل قول عبدة الملائكة فبين ان علو درجة الملائكة ليس لكونهم الهة لان الله اصطفاهم
لمكان عبادتهم فكانه تعالى بين انهم ما قدروا الله حق قدره اذ جعلوا الملائكة معبودة مع الله
ثم بين تعالى بقوله ان الله سميع بصير انه يسمع ما يقولون ويرى ما يفعلون ولذلك اتبعه

بقوله تعالى يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم قال ابن عباس ما قدموا وما خلفوا وقال الحسن ما بين
ايديهم ما عملوا وما خلفهم ما هم عاملون من بعد ثم قال والى الله ترجع الامور اشارة الى القدرة
التامة والتفرد بالالهية والحكمة ومجموعها يتضمن التنبيه على الزجر عن الاقدام على المعصية **قوله
تعالى** يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا الى اخر السورة لما ذكر الالهيات ثم النبوات اتبعه
بالكلام في الشرايع وهو من اربعة اوجه الاول تعيين المامور والثاني اقسام المامور به والثالث
ذكر ما يوجب قبول تلك الاوامر والرابع تاكيد ذلك التكليف فاما تعيين المامور به فهو قوله
يا ايها الذين امنوا وهذا خطاب للمومنين لانه صرح بهم ولقوله هو اجتباكم ولقوله هو سماكم
المسلمين وقوله وتكونوا شهدا على الناس وقيل خطاب لكل المكلفين مومنا كان او كافرا لان التكليف
بهذه الاشيا عام في كل المكلفين فلا معنى لتخصيص المومن بذلك واما فايدة التخصيص فلانه لما لم
يقبله الا المومنون خصهم بالذكر ليحرضهم على المواظبة على ما قبلوه وكالتشريف لهم في ذلك الافراد
واما المامور به فاربعة امور الاول الصلاة وهو المراد بقوله اركعوا واسجدوا وذلك لان اشرف
اركان الصلاة هو الركوع والسجود والصلاة هي المختصة بهذين الركنين فجرى ذكرهما مجرى ذكر
الصلاة وذكر ابن عباس ان الناس كانوا في اول اسلامهم يركعون ولا يسجدون حتى نزلت هذه الاية
والثاني قوله واعبدوا ربكم قيل وحدوه وقيل اعبدوا ربكم في ساير المامورات والمنهيات
وقيل افعلوا الركوع والسجود وساير الطاعات بنية العبادة الثالث قوله وافعلوا الخير قال
ابن عباس هو صلة الرحم ومكارم الاخلاق لعلكم تفلحون لكي تفوزوا بالجنة وقيل كلمة لعل للترجي
فان الانسان قلما يخلو في ادا فريضة من تقصير فليس هو على يقين من ان الذي اتى به هل هو
مقبول عند الله والعواقب مستورة وكل ميسر لما خلق له **فصل** اختلفوا في سجود التلاوة
عند قراءة هذه الاية فذهب عمر وعلي وابن عمر وابن مسعود وابن عباس الى انه يسجد وبه قال
ابن المبارك والشافعي واحمد واسحق لما روى عقبة بن عامر قال قلت يا رسول الله فضلت سورة الحج
بان فيها سجدتين قال نعم من لم يسجدهما فلا يقراهما وقال سفين الثوري واصحاب الراي لا يسجد
ههنا وعدد سجود القران اربع عشرة سجدة عند اكثر اهل العلم منها ثلاث في المفصل وروي عن ابي بن
كعب وابن عباس ليس في المفصل سجود وبه قال مالك وقد صح عن ابي هريرة قال سجدنا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم في اقرا واذا السما انشقت وابو هريرة متاخر الاسلام واختلفوا في سجدة ص
فروي عن ابن عباس انها سجدة شكر وهو مذهب الشافعي وعن عمر انه يسجد فيها وهو قول الثوري وابن
المبارك واصحاب الراي واحمد واسحق الرابع **قوله** وجاهدوا في الله حق جهاده يجوز ان يكون
حق جهاده منصوبا على المصدر وهو واضح وقال ابو البقا ويجوز ان يكون نعتا لمصدر محذوف
اي جهادا حق جهاده وفيه نظر من حيث ان هذا معرفة فكيف يجعل صفة لنكرة قال
الزمخشري فان قلت ما وجه هذه الاضافة وكان القياس حق الجهاد فيه او حق جهادكم فيه كما
قال وجاهدوا في الله قلت الاضافة تكون بادنى ملابسة واختصاص فلما كان الجهاد مختصا
بالله من حيث انه مفعول من اجله ولوجهه صحت اضافته اليه ويجوز ان يتسع في الظرف كقوله
ويوم شهدناه سليما وعامرا يعني بالظرف الجار والمجرور وكانه كان الاصل حق جهاد فيه فحذف
حرف الجر واضيف المصدر للضمير وهو من باب هو حق عالم وجد عالم اي عالم حقا وعالم جدا **فصل**
المعنى جاهدوا في سبيل الله اعدا الله حق جهاده وهو استفراغ الطاقة فيه قاله ابن عباس وعنه
قال لا تخافون لومة لايم وقال الضحاك ومقاتل اعملوا لله حق عمله واعبدوه حق عبادته وقال
مقاتل بن سليمن نسخها قوله فاتقوا الله ما استطعتم وهذا بعيد لان التكليف شرطه القدرة لقوله
تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها وما جعل عليكم في الدين من حرج يريد الله بكم اليسر ولا يريد

بكم العسر فكيف قال وجاهدوا في الله على وجه لا يقدر عليه وقال اكثر المفسرين حق الجهاد ان يكون
بنية صادقة وقيل يفعله عبادة لا رغبة في الدنيا من حيث الاسم والغنيمة وقيل تجاهد واخرا
كما جاهدوا اولا فقد كان جهادهم في الدين اقوى وكانوا فيه اثبت نحو صبرهم يوم بدر وروي عن
عمر انه قال لعبد الرحمن بن عوف اما علمت انا كنا نقرا وجاهدوا في الله حق جهاده في اخر الزمان
كما جاهدتم في اوله قال عبد الرحمن ومتى ذلك يا امير المومنين قال اذا كانت بنو امية الامرا
وبنو المغيرة الوزرا واعلم انه يبعد ان يكون هذه الزيادة من القران والا لنقل كنقل نظايره
ولعله ان صح ذلك عن الرسول فانما قاله كالتفسير للاية وروي عن ابن عباس انه قرا وجاهدوا في الله
حق جهاده كما جاهدتم اول مرة فقال عمر رضي الله عنه من الذي امرنا بجهاده فقال قبيلتان من قريش
مخزوم وعبد شمس فقال صدقت وقيل معنى الاية استفرغوا وسعكم في احيا دين الله واقامة حقوقه
بالحرب واليد واللسان وجميع ما يمكن وردوا انفسكم عن الهوى والميل وقال ابن المبارك هو مجاهدة
النفس والهوى وهو الجهاد الاكبر وهو حق الجهاد وقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع
من غزوة تبوك قال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر واراد بالجهاد الاصغر الجهاد مع الكفار
وبالجهاد الاكبر الجهاد مع النفس واما بيان ما يوجب قبول هذه الاوامر فهو ثلاثة الاول **قوله**
هو اجتباكم اي اختاركم لدينه وهذا من اعظم التشريفات فاي رتبة اعلا من هذا واي سعادة فوق
هذا ثم قال وما جعل عليكم في الدين من حرج وهذا كالجواب عن سؤال وهو ان التكاليف وان كان تشريفا
لكنه شاق على النفس فاجاب الله بقوله ما جعل عليكم في الدين من حرج روي ان ابا هريرة رضي الله
عنه قال كيف قال الله ما جعل عليكم في الدين من حرج مع انه منعنا عن الزنا والسرقة فقال
ابن عباس بلى ولكن الاصر الذي كان على بني اسرايل وضع عنكم وهذا قول الكلبي قال المفسرون معناه
ان المومن لا يبتلي بشي من الذنوب الا جعل الله له منه مخرجا بعضها بالتوبة وبعضها برد المظالم
والقصاص وبعضها بالكفارات وليس في دين الاسلام ذنب الا يجد العبد سبيلا الى الخلاص من العذاب
فيه وقال مقاتل هو الاتيان بالرخص فمن لم يستطع ان يصلي قايما فليصل جالسا ومن لم يستطع ذلك
فليوم واباحة الفطر في السفر للصايم والقصر فيه والتيمم واكل الميتة عند الضرورة **فصل**
استدلت المعتزلة بهذه الاية على المنع من تكليف ما لا يطاق وقالوا لما خلق الله الكفر والمعصية
في الكافر والعاصي ثم نهاه عنه كان ذلك من اعظم الحرج وذلك منفي بصريح هذا النص والجواب
انه لما امره بترك الكفر وترك الكفر يقتضي انقلاب علمه جهلا فقد امر المكلف بقلب علم الله جهلا
وذلك من اعظم الحرج ولما استوى العدمان زال السؤال الموجب الثاني **قوله** ملة ابيكم فيه
اوجه احدها انها منصوبة باتبعوا مضمرا قاله الحوفي وتبعه ابو البقا الثاني انها منصوبة على الاختصاص
اي اعني بالدين ملة ابيكم الثالث انها منصوبة بمضمون ما تقدمها كانه قال وسع دينكم توسعة
ملة ابيكم ثم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه قاله الزمخشري وهذا اظهرها الرابع
انه منصوب بجعلها مقدرا قاله ابن عطية الخامس انها منصوبة على حذف كاف الجر اي كملة ابيكم
قاله الفرا وقال ابو البقا قريبا منه فانه قال وقيل تقديره مثل ملة لان المعنى سهل عليكم الدين
مثل ملة ابيكم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقوله ابرهيم بدلا او بيانا او منصوب
باعني **فصل** والمقصود من ذكر ابرهيم التنبيه على ان هذه التكاليف والشرايع هي شريعة
ابرهيم والعرب كانوا محبين لابرهيم عليه السلام لانهم من اولاده فكان ذكره كالسبب لانقيادهم
لقبول هذا الدين فان قيل ليس كل المسلمين يرجع نسبه الى ابرهيم فالجواب ان هذا خطاب
مع العرب وهم كانوا من نسل ابرهيم وقيل خاطب به جميع المسلمين وابرهيم اب لهم على معنى
وجوب اكرامه وحفظ حقه كما يجب احترام الاب فهو كقوله تعالى وازواجه امهاتهم وقال النبي

صلى الله عليه وسلم انما انا لكم مثل الوالد فان قيل هذا يقتضي ان يكون ملة محمد كملة ابرهيم سوا فيكون
الرسول ليس له شرع مخصوص ويؤكده قوله اتبع ملة ابرهيم فالجواب انما وقع هذا الكلام مع عبدة
الاوثان فكانه قال عبادة الله وترك الاوثان هي ملة ابرهيم واما تفاصيل الشرايع فلا تعلق لها
بهذا الموضع **قوله** هو سماكم في هذا الضمير قولان احدهما انه يعود على ابرهيم لانه اقرب مذكور
الا ان ابن عطية قال وفي هذه اللفظة يعني قوله وفي هذا ضعف قول من قال الضمير لابرهيم ولا
يتوجه الا بتقدير محذوف من الكلام مستانف انتهى ومعنى ضعف قول من قال بذلك ان قوله وفي
هذا عطف على من قبل وهذا اشارة الى القران فيلزم ان ابرهيم سماهم المسلمين في القران وهو غير واضح
لان القران المشار اليه انما نزل بعد ابرهيم بمدد طوال فلذلك ضعف قوله وقوله الا بتقدير
محذوف الذي ينبغي ان يقدر وسميتم في هذا القران المسلمين وقال ابو البقا قيل الضمير لابرهيم
فعلى هذا الوجه يكون قوله وفي هذا اي وفي هذا القران سبب تسميتهم وهو قول ابرهيم ربنا
واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك فاستجاب الله له وجعلها امة محمد صلى الله عليه وسلم
والثاني ان الضمير يعود على الله تعالى ويدل له قراة ابي الله سماكم بصريح الجلالة اي سماكم في الكتب
السالفة وفي هذا القران الكريم ايضا وهذا مروي عن ابن عباس ويؤيده قوله ليكون الرسول
شهيدا عليكم وتكونوا شهدا على الناس فبين انه سماهم بذلك لهذا الغرض وهذا لا يليق الا بالله فقوله
ليكون الرسول متعلق بسماكم فبين فضلكم على ساير الامم وسماكم بهذا الاسم لاجل الشهادة المذكورة
فلما خصكم بهذه الكرامة فاعبدوه ولا تردوا تكاليفه وهذا هو الموجب الثالث لقبول التكاليف
وتقدم الكلام في انه كيف يكون الرسول شهيدا علينا وكيف تكون امته شهدا على الناس في سورة
البقرة واما ما يجري مجرى المؤكد لما مضى فهو **قوله** فاقيموا الصلاة واتوا الزكوة يعني المعروفتين
لانها المعهودة واعتصموا بحبل الله اي بدلايله العقلية والسمعية قال ابن عباس سلوا الله العصمة
عن كل المحرمات وقيل ثقوا بالله وتوكلوا عليه وقال الحسن تمسكوا بدين الله هو مولاكم سيدكم والمتصرف
فيكم وناصركم وحافظكم فنعم المولى ونعم النصير فكانه تعالى قال انا مولاك بل انا ناصرك وحسن حذف
المخصوص بالمدح وقوع الثاني راس اية وفاصلة **فصل** احتجت المعتزلة بهذه الاية
من وجوه احدها ان قوله لتكونوا شهدا على الناس يدل على انه تعالى اراد الايمان من الكل لانه
تعالى لا يجعل الشهيد على عباده الا من كان عدلا مرضيا فاذا اراد ان يكونوا شهدا على الناس فقد
اراد ان يكونوا جميعا صالحين عدولا وقد علمنا ان منهم فاسق فدل ذلك على ان الله تعالى اراد
من الفاسق كونه عدلا وثانيها قوله واعتصموا بالله وكيف يمكن الاعتصام به مع ان الشر لا يوجد
الا منه وثالثها قوله فنعم المولى فانه لو كان كما يقوله اهل السنة من انه خلق اكثر عباده ليخلق فيهم
الكفر والفساد ثم يعذبهم لما كان نعم المولى بل كان لا يوجد من شرار الموالي احد الا وهو خير منه
فكان يجب ان يوصف بانه بيس المولى وذلك باطل فدل على انه سبحانه ما اراد من جميعهم الا الصلاح
فان قيل لم لا يجوز ان يكون نعم المولى للمومنين خاصة كما انه نعم النصير لهم خاصة قلنا انه تعالى
مولى الكافرين والمومنين جميعا فيجب ان يقال انه نعم المولى للمومنين وبيس المولى للكافرين فان
ارتكبوا ذلك فقد ردوا القران والاجماع وصرحوا بشتم الله تعالى الله عن ذلك ورابعها
قوله سماكم المسلمين من قبل يدل على اثبات الاسما الشرعية وانها من قبل الله لانها لو كانت لغة
لما اضيفت الى الله تعالى على وجه الخصوص والجواب عن الاول وهو قولهم ان كونه تعالى
مريدا لكونه شاهدا يستلزم كونه مريدا لكونه عدلا فنقول ان كانت ارادة الشي مستلزمة لارادة
لوازمه فارادة الايمان من الكافر يوجب ان تكون مستلزمة لارادة جهل الله فيلزم كونه تعالى
مريدا لجهل نفسه وان لم يكن ذلك واجبا فقد سقط الكلام واما قوله واعتصموا بالله فيقال

هذا ايضا وارد عليكم فانه سبحانه خلق الشهوة في قلب الفاسق واكدها وخلق المشتهى وقربه منه
ودفع المانع ثم سلط عليه شياطين الانس والجن وعلم لا محالة انه يقع في الفجور والضلال وفي الشاهد
كل من يفعل ذلك فانه يكون بيس الولي فان صح قياس الغايب على الشاهد فهذا الذم عليكم وان بطل
سقط كلامكم بالكلية والله اعلم روى الثعلبي باسناده عن ابي امامة عن ابي بن كعب قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحج اعطي من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من
حج واعتمر فيما مضى وفيما بقي • **سورة المومنين مكية** • وهي مايه وثمان
عشرة ايه والف ومايتان واربعون كلمة وعدد حروفها اربعة الاف وثمان مايه وحرفان
• بسم الله الرحمن الرحيم • **قوله تعالى** قد افلح المومنون الايات العشر روى ابن شهاب
عن عروة بن الزبير عن عبد الرحمن بن عبد القاري قال سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول
كان اذا نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي يسمع عند وجهه كدوي النحل فمكثنا ساعة
وفي رواية فنزل عليه يوما فمكثنا ساعة واستقبل القبلة فرفع يديه وقال اللهم زدنا
ولا تنقصنا واكرمنا ولا تهنا واعطنا ولا تحرمنا واثرنا ولا توثر علينا وارض عنا ثم قال
لقد انزل علينا عشر ايات من اقامهن دخل الجنة ثم قرا قد افلح المومنون عشر ايات ورواه الامام
احمد وعلي بن المديني وجماعة عن عبد الرزاق وقالوا واعطنا ولا تحرمنا وارض عنا **قوله**
قد هنا للتوقع قال الزمخشري قد نقيضة لما فقد يثبت المتوقع ولما تنفيه ولا شك ان المومنين
كانوا متوقعين لهذه البشارة وهي الاخبار بثبات الفلاح لهم فخوطبوا بما دل على ثبات ما توقعوه
وقال البغوي قد حرف تاكيد وقال المحققون قد يقرب الماضي من الحال يدل على ان الفلاح
قد حصل لهم وانهم عليه في الحال وهو ابلغ من تجريد ذكر الفعل والعامة على افلح مفتوح الهمزة
واللام فعلا ماضيا مبنيا للفاعل وورش على قاعدته من نقل حركة الهمزة الى الساكن قبلها وحذفها
وعن حمزة في الوقف خلاف فروي عنه كورش وكالجماعة وقال ابو البقا من التي حركة الهمزة على الدال
وحذفها فعلته ان الهمزة بعد حذف حركتها صيرت الفا ثم حذفت لسكونها وسكون الدال
قبلها في الاصل ولا يعتد بحركة الدال لانها عارضة وفي كلامه نظر من وجهين احدهما ان
اللغة الفصيحة في النقل حذف الهمزة من الاصل فيقولون المرة والكمة في المراة والكماة واللغة
الضعيفة فيه ابقاوها وتدبيرها بحركة ما قبلها فيقولون المراه والكماه بمدة بدل الهمزة
كراس وفاس فيمن خففها فقوله صيرت الفا ارتكاب لاضعف اللغتين الثاني انه وان سلم
انها صيرت الفا فلا نسلم حذفها لسكونها وسكون الدال في الاصل بل حذفها الساكن محقق في
اللفظ وهو الفا من افلح ومتى وجد سبب ظاهر احيل الحكم عليه دون السبب المقدر وقرا
طلحة بن مصرف وعمرو بن عبيد افلح مبنيا للمفعول اي دخلوا في الفلاح فيحتمل ان يكون من
افلح متعديا يقال افلحه اي اصاره الى الفلاح فيكون افلح مستعملا لازما ومتعديا وقرا طلحة ايضا
افلحوا بفتح الهمزة واللام وضم الحاء وتخريجها على ان الاصل افلحوا المومنون بلحاق علامة جمع قبل
الفاعل كلغة اكلوني البراغيث فجيء فيها ما تقدم في قوله ثم عموا وصموا كثير منهم واسروا النجوى
الذين ظلموا قال عيسى سمعت طلحة يقراها فقلت له اتلحن قال نعم كما لحن اصحابي يعني ان اتبعتهم فيما
قرات به فان لحنوا على سبيل فرض المحال فانا لاحن تبعا لهم وهذا يدل على شدة اعتناء القدما
بالنقل وضبطه خلافا لمن يغلط الرواة وقال ابن عطية وهي قراة مردودة قال شهاب الدين
ولا ادري كيف يردها مع ثبوت مثلها في القران باجماع وهما الايتان المتقدمتان وقال
الزمخشري وعنه اي عن طلحة افلح بضمة بغير واو اجتزاء بها عنها كقوله • فلو ان الاطبا كان حولي
وفيه نظر من حيث ان الواو لا يثبت في مثل هذا درجا لالتقا الساكنين فالحذف هنا لابد

منه فكيف يقول اجتزا عنها بها واما تنظيره بالبيت فليس مطابقا لان حذفها من الاية من ورى ومن
ومن البيت ضرورة وهذه الواو لا يظهر لفظها في الدرج بل يظهر في الوقف وفي الخط وقد اختلف
النقلة لقراة طلحة هل يثبت للواو صورة ففي كتاب ابن خالويه مكتوبا بواو بعد الحا وفي اللوامح
وحذفت الواو بعد الحا لالتقايهما في الدرج وكانت الكتابة عليها محمولة على الوصل نحو ويمح الله
الباطل قال شهاب الدين ومثله سندع الزبانية لصال الجحيم قال المفسرون والفلاح النجاة والبقا
قال ابن عباس سعد المصدقون بالتوحيد وبقوا في الجنة وتقدم الكلام في الايمان في البقرة **قوله**
في صلاتهم خاشعون الجار متعلق بما بعده وقدم للاهتمام به وحسنه كونه متعلقه فاصلة
وكذلك فيما بعده من اخواته واضيفت الصلوة اليهم لانهم هم المنتفعون بها والمصلى له غني
عنها فلذلك اضيفت اليهم دونه **فصل** اختلفوا في الخشوع فمنهم من جعله من افعال
القلوب كالخوف والرهبة ومنهم من جعله من افعال الجوارح كالسكوت وترك الالتفات ومنهم من
جمع بين الامرين وهو الاولى قال ابن عباس مخبتون اذلا وقال الحسن وقتادة خايفون وقال
مقاتل متواضعون وقال مجاهد هو غض البصر وخفض الصوت والخشوع قريب من الخضوع الا
ان الخضوع في البدن والخشوع في البدن والبصر والصوت قال تعالى وخشعت الاصوات
للرحمن وعن علي هو ان لا يلتفت يمينا ولا شمالا وقال سعيد بن جبير هو ان لا يعرف من على
يمينه ولا من عن يساره وقال عطا هو ان لا تعبث بشي من جسدك لان النبي صلى الله عليه وسلم
ابصر رجلا يعبث بلحيته في الصلاة فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه قال ابن
الخطيب وهو عندنا واجب ويدل عليه امور احدها قوله تعالى افلا يتدبرون القران ام على
قلوب اقفالها والتدبر لا يتصور بدون الوقوف على المعنى وقوله تعالى ورتل القران ترتيلا
اي قفوا على عجايبه ومعانيه وثانيها قوله تعالى اقم الصلاة لذكري وظاهر الامر للوجوب
والغفلة تضاد الذكر فمن غفل في جميع صلاته كيف يكون مقيما للصلاة لذكره وثالثها
قوله تعالى ولا تكن من الغافلين وظاهره للتحريم وقوله حتى تعلموا ما تقولون تعليل لنهي السكران
وهو مطرد في الغافل المستغرق في الدنيا ورابعها قوله عليه السلام من لم تنهه صلاته عن
الفحشا والمنكر لم يزدد من الله الا بعدا وصلاة الغافل لا تمنع من الفحشا وقال عليه
السلام كم من قايم حظه من قيامه التعب والنصب وما اراد به الا الغافل وقال
ايضا ليس للعبد من صلاته الا ما عقل وقالت عايشة سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن الالتفات في الصلاة فقال هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد وعن ابي
ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يزال الله عز وجل مقبلا على العبد ما كان في صلاته
فاذا التفت اعرض عنه وذهب بعضهم الى انه ليس بواجب لان اشتراط الخضوع والخشوع
خلاف لاجماع الفقها فلا يلتفت اليه واجيب بان هذا الاجماع ممنوع لان المتكلمين اتفقوا
على انه لا بد من الخضوع والخشوع واحتجوا بان السجود لله تعالى طاعة وللصنم كفر وكل واحد
منهما يماثل الاخر في ذاته ولوازمه فلا بد من امر لاجله يصير السجود في احدى الصورتين
طاعة وفي الاخرى معصية قالوا وما ذاك الا القصد والارادة والمراد من القصد
ايقاع تلك الافعال لداعية الامتثال وهذه الداعية لا يمكن حصولها الا عند الحضور **قوله**
والذين هم عن اللغو معرضون قال عطا عن ابن عباس عن الشرك وقال الحسن عن المعاصي وقال
الزجاج كل باطل ولهو وما لا يجمل من القول والفعل وقيل هو معارضة الكفار بالشتم والسب
قال الله تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما اي اذا سمعوا الكلام القبيح اكرموا انفسهم عن
الدخول فيه واعلم ان اللغو قد يكون كفرا كقوله تعالى لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه

وقد يكون كذبا كقوله لا يسمع فيها لغوا ولا تأثيما ولما وصفهم بالخشوع في
الصلاة اتبعه بوصفهم بالاعراض عن اللغو ليجمع لهم الفعل والترك **قوله** والذين هم للزكوة فاعلون
اللام في قوله للزكوة مزيدة في المفعول لتقدمه على عامله ولكونه فرعا والزكوة في الاصل
مصدر ويطلق على القدر المخرج من الاعيان وقال الزمخشري اسم مشترك بين عين ومعنى
فالعين القدر الذي يخرجه المزكي من النصاب والمعنى فعل المزكي وهو الذي اراده الله فجعل
المزكين فاعلين له ولا يسوغ فيه غيره لانه ما من مصدر الا يعبر عنه بالفعل ويقال لمحدثه
فاعل يقول للضارب فاعل الضرب وللقاتل فاعل القتل وللمزكي فاعل التزكية وعلى هذا
الكلام كله والتحقيق في هذا انك تقول في جميع الحوادث فيقال لكشفا علمه الله او بعض الخلق
ولم يمتنع الزكوة الدالة على العين ان يتعلق بها فاعلون لخروجها من صحة ان يتناولها الفاعل ولكن
لان الخلق ليسوا بفاعليها وقد انشد لامية بن ابي الصلت
المطعمون الطعام في السنة الازمة والفاعلون للزكوات ويجوز ان يراد بالزكوة العين
ويقدر مضاف محذوف وهو الاداء وحمل البيت على هذا اصح لانها فيه مجموعة قال شهاب الدين
انما احوج ابا القاسم الى هذا ان بعضهم زعم انه يتعين ان يكون الزكوة هنا المصدر لانه لو اراد
العين لقال مؤدون ولم يقل فاعلون فقال الزمخشري لم يمتنع ذلك لعدم صحة تناول
فاعلها بل لان الخلق ليسوا بفاعليها وانما جعل الزكوات في بيت امية اعيانا لجمعها لان المصدر
لا يجمع وناقشه ابو حيان وقال يجوز ان يكون مصدرا وانما جمع لاختلاف انواعه وقال
ابو مسلم ان فعل الزكوة يقع على كل فعل محمود مرضي كقوله قد افلح من تزكى وقوله فلا تزكوا انفسكم
ومن جملته ما يخرج من حق المال وانما سمي بذلك لانها تطهر من الذنوب لقوله تعالى تطهرهم
وتزكيهم بها وقال الاكثرون المراد بها هنا الحق الواجب في الاموال خاصة لان هذه اللفظة
قد اختصت في الشرع بهذا المعنى فان **قيل** ان الله تعالى لم يفصل بين الصلوة والزكوة فلم
فصل هنا بينهما بقوله والذين هم عن اللغو معرضون فالجواب لان ترك اللغو من متممات الصلوة
قوله والذين هم لفروجهم حافظون الفرج اسم يجمع سواة الرجل والمراة وحفظ الفرج
التعفف عن الحرام **قوله** الا على ازواجهم فيه اوجه احدها انه متعلق بحافظون على
التضمين معنى ممسكين او قاصرين وكلاهما يتعدى بعلى قال تعالى امسك عليك زوجك الثاني
ان على بمعنى من اي الا من ازواجهم كما جاءت من بمعنى على في قوله ونصرناه من القوم واليه ذهب
الفرا الثالث ان يكون في موضع نصب على الحال قال الزمخشري الا والين على ازواجهم
او قوامين عليهن من قولك كان فلان على فلانة فمات عنها فخلف عليها فلان ونظيره كان زياد
على البصرة اي واليا عليها ومنه قولهم فلانة تحت فلان ومن ثم سميت المراة فراشا الرابع
ان يتعلق بمحذوف يدل عليه غير ملومين قال الزمخشري كانه قيل يلامون الا على ازواجهم
اي يلامون على كل مباشرة الا ما اطلق لهم فانهم غير ملومين عليه قال شهاب الدين وانما لم
يجعله متعلقا بملومين لوجهين احدهما ان ما بعد الا لا يعمل فيما قبلها الثاني ان المضاف
اليه لا يعمل فيما قبل المضاف الخامس ان يجعل صلة لحافظين قال الزمخشري من قولك احفظ
على عنان فرسي على تضمينه معنى النفي كما ضمن قولهم نشدتك بالله الا فعلت معنى ما طلبت منك
الا فعلك يعني ان صورته اثبات ومعناه نفي قال ابو حيان بعد ما ذكر ذلك عن الزمخشري
وهذه وجوه متكلفة ظاهر فيها العجمة قال شهاب الدين واي عجمة في ذلك على ان الشيخ جعلها
متعلقة بحافظون على ما ذكره من التضمين وهذا لا يصح له الا بان يرتكب وجها منها وهو التاويل
بالنفي كنشدتك الله لانه استثنا مفرغ ولا يكون الا بعد نفي او ما في معناه السادس قال

ابو البقا في موضع نصب بحافظون على المعنى لان المعنى صانوها عن كل فرج الا عن فروج ازواجهم
قال شهاب الدين وفيه شيئان احدهما تضمين حافظون معنى صانوا وتضمين على معنى عن **قوله**
او ما ملكت ما بمعنى اللاتي وما في محل الخفض يعني وعلى ما ملكت ايمانهم وفي وقوعها على العقلا
وجهان احدهما انها واقعة على الانواع كقوله فانكحوا ما طاب اي انواع والثاني قال
الزمخشري اريد من جنس العقلا ما يجري مجرى غير العقلا وهم الاناث قال ابو حيان وقوله
وهم ليس بجيد لان لفظ هم مختص بالذكور فكان ينبغي ان يقول وهو على لفظ ما او وهن على معنى ما
واجيب بان الضمير عايد على العقلا فقوله وهم اي والعقلا الاناث وقال ابن الخطيب
هلا قيل من ملكت والجواب لانه اجتمع في السرية وصفان احدهما الانوثة وهي مظنة نقصان
العقل والاخر كونها بحيث تباع وتشترى كسائر السلع فلهذين الوصفين فيها جعلت كانها ليست
من العقلا **فصل** هذه الاية في الرجال خاصة لان المراة لا يجوز لها ان تستمتع بفرج
مملوكها فان قيل اليس الزوجة والمملوكة لا تحل له الاستمتاع بها في احوال كحال الحيض وحال العدة
والصيام والاحرام وفي الامة حال تزوجها من الغير وحال عدتها وكذا الغلام داخل في ظاهر
قوله او ما ملكت ايمانهم فالجواب من وجهين الاول ان مذهب ابي حنيفة ان الاستثنا
من النفي لا يكون اثباتا لقوله عليه السلام لا صلاة الا بطهور ولا نكاح الا بولي فان ذلك لا يقتضي
حصول الصلاة بمجرد حصول الطهور وحصول النكاح بمجرد حصول الولي وفايدة الاستثنا صرف
الحكم لا صرف المحكوم به فقوله والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم معناه انه يجب حفظ
الفرج عن الكل الا في هاتين الصورتين فاني ما ذكرت حكمهما لا بالنفي ولا بالاثبات الثاني
سلمنا ان الاستثنا من النفي اثبات فغايته انه عام دخله التخصيص بالدليل فيبقى حجة فيما
عداه وقوله فانهم غير ملومين يعني يحفظ فرجه الا من امراته وامته فانه لا يلام على ذلك اذا
كان على وجه اذن الشرع فيه دون الاتيان في غير المأتي وفي حال الحيض والنفاس فانه محظور
ويلام على فعله فمن ابتغى ورا ذلك اي التمس وطلب سوى الازواج والمملوكات فاولئك هم
العادون الظالمون المتجاوزون من الحلال الى الحرام وفيه دليل على ان الاستمنا باليد حرام قال
ابن جريج سالت عطاء عنه فقال مكروه سمعت ان قوما يحشرون وايديهم حبالى فاظن انهم هولا
وعن سعيد بن جبير قال عذب الله امة كانوا يعبثون بمذاكيرهم **قوله** والذين هم لاماناتهم
قرا ابن كثير هنا وفي سال لامانتهم بالتوحيد والباقون بالجمع وهما في المعنى واحد اذ المراد
العموم والجمع اوفق **والامانة** في الاصل مصدر ويطلق على الشي المؤتمن عليه كقوله ان تؤدوا
الامانات الى اهلها وتخونوا اماناتكم وانما يؤدى ويخان الاعيان لا المعاني كذا قال الزمخشري
اما ما ذكره من الايتين فمسلم واما هذه الاية فتحتمل المصدر وتحتمل العين **والعهد**
ما عقده على نفسه فيما يقربه الى الله ويقع ايضا على ما امر الله به كقوله الذين قالوا ان الله عهد
الينا والعقود التي عاقدوا الناس عليها يقومون بالوفا بها فالامانات تكون بين الله وبين العبد
كالصلوة والصيام والعبادات الواجبة وتكون بين العبيد كالودايع والبضايع فعلى العبد
الوفا بجميعها وقوله راعون الراعي القايم على الشي بحفظه ويصلحه كراعي الغنم ومنه يقال من
راعي هذا الشي اي متوليه **قوله** والذين هم على صلواتهم يحافظون قرا الاخوان على صلوتهم
بالتوحيد والباقون صلواتهم بالجمع وليس في المعارج خلاف والافراد والجمع كما تقدم في
اماناتهم واماناتهم قال الزمخشري فان قلت كيف كرر ذكر الصلوة اولا واخرا قلت هما ذكران
مختلفان وليس بتكرير وصفوا اولا بالخشوع في صلوتهم واخرا بالمحافظة عليها ثم قال وايضا
فقد وحدت اولا ليفاد اي في اوقاتها الخشوع في جنس الصلاة اي صلاة كانت وجمعت اخرا

لينفاد المحافظة على اعدادها وهي الصلوات الخمس والوتر والسنن الراتبة وهذا انما يتجه في قراة غير
الاخوين واما الاخوان فانهما افردا اولا وآخرا على ان الزمخشري قد حكي الخلاف في جميع المتلوة
الثانية وافرادها بالنسبة الى القراة وقيل كرر ذكر الصلوة ليبين ان المحافظة عليها واجبة كما ان
الخشوع فيها واجب ثم قال اوليك هم الوارثون فان قيل كيف سمي ما يجدونه من الثواب والجنة
مع انه سبحانه حكم بان الجنة حقهم في قوله ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة
فالجواب من وجوه الاول روى ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من
احد الا وله منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار فان مات ودخل النار ورث اهل الجنة منزله
وذلك قوله اوليك هم الوارثون وايضا فقد قال الفقها انه لا فرق بين ما ملكه الميت وبين
ما يقدر فيه الملك في انه يورث عنه كذلك قالوا في الدية التي انما تجب بالقتل انها تورث مع
انه ما ملكها على التحقيق وهذا يويد ما ذكرنا قيل انه تعالى وصف كل الذي يستحقونه ارثا
وعلى ما قلتم انما يدخل في الارث ما كان يستحقه غيرهم لو اطاع فالجواب لا يمتنع انه تعالى
جعل ما هو هذا المومن بعينه منزلة لذلك الكافر لو اطاع لانه عند ذلك كان يزيد في
المنازل فاذا اسن هذا اعدل بذلك اليه الثاني ان انتقال الجنة اليهم من دون محاسبة ومعرفة
بمقاديره يشبه انتقال المال الى الوارث الثالث ان الجنة كانت مسكن ابينا ادم عليه
السلام فاذا انتقلت الى اولاده كان ذلك شبيها بالميراث **فان قيل** كيف حكم على
الموصوفين بالصفات السبعة بالفلاح مع انه تعالى ما تمم ذكر العبادات الواجبة كالصوم
والحج فالجواب ان قوله لاماناتهم وعهدهم راعون يأتي على جميع الواجبات من الافعال
والتروك كما تقدم والطهارات دخلت في جملة المحافظة على الصلوات لكونها من شرايطها والحج
ان قوله هم الوارثون يفيد الحصر لكنه تجب ترك العمل به لانه ثبت ان الجنة يدخلها الاطفال
والمجانين والولدان والحور ويدخلها الفساق من اهل القبلة بعد العفو لقوله تعالى ويغفر
ما دون ذلك لمن يشاء وتقدم الكلام في الفردوس في سورة الكهف **قوله** هم فيها خالدون
يجوز في هذه الجملة ان تكون مستانفة وان تكون حالا مقدرة اما من الفاعل يرثون واما
من مفعوله الذي فيها ذكر كل منهما ومعنى الكلام لا يموتون ولا يخرجون وقد جا في الحديث ان الله
خلق ثلاثة اشيا بيده خلق ادم بيده وكتب التورية بيده وغرس الفردوس بيده ثم قال
وعزتي لا يدخلها مومن خمر ولا ديوث **قوله تعالى** ولقد خلقنا الانسان من سلالة
من طين الايات لما امر بالعبادات في الايات المتقدمة بطريق الحث عليها والاشتغال بعبادة الله
لا يصح الا بعد معرفته الله لا جرم عقبها بذكر ما يدل على وجوده واتصافه بصفات الجلال
والوحدانية فذكرا نواعا من الدلايل منها تقلب الانسان في ادوار خلقته وهي تسعة اولها
ولقد خلقنا الانسان قال ابن عباس وعكرمة وقتادة ومقاتل المراد بالانسان ادم عليه
السلام سل من كل تربة وخلقت ذريته من ماء مهين وقيل الانسان اسم جنس يقع على الواحد
والجمع والسلالة هي الاجزا الطينية المبثوثة في اعضايه التي لما اجتمعت وحصلت في اوعية
المني صارت منيا وهذا اطابق لقوله تعالى وبدا خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من
سلالة من ماء مهين قال ابن الخطيب وفيه وجه اخر وهو ان الانسان انما يتولد من النطفة
وهي انما تتولد من فضل الهضم الرابع وذاك انما يتولد من الاغذية وهي اما حيوانية او نباتية
والحيوانية تنتهي الى النباتية والنبات انما يتولد من صفو الارض والماء فالانسان في الحقيقة يكون
متولدا من سلالة من طين ثم ان تلك السلالة بعد ان تواردت عليها اطوار الخلقة وادوار الفطرة
صارت منيا **قوله** من سلالة فيه وجهان اظهرهما ان يتعلق بخلقنا ومن لابتدا الغاية

والثاني

والثاني ان يتعلق بمحذوف على انه حال من الانسان **والسلالة** فعالة وهو بنا يدل على القلة
كالقلامة وهي من سللت الشي من الشي اي استخرجته منه ومنه قولهم هو سلالة ابيه كانه انسل من
ظهره وانشد فجات به عضب الاديم غضنفرا سلالة فرج كان غير حصين وقال امية بن ابي
الصلت خلق البرية من سلالة منتن والى السلالة كلها ستعود وقال عكرمة هو الماء يسيل
من الظهر والعرب تسمي النطفة سلالة والولد سليلا وسلالة لانهما مسلولان وقال الزمخشري
السلالة الخلاصة لانها تسل من بين الكدر وهذه الجملة جواب قسم محذوف اي والله لقد
خلقنا وعطفت على الجملة قبلها لما بينهما من المناسبة وهو انه لما ذكر المتصفين بتلك الاوصاف
يرثون الفردوس فتضمن ذلك المعاد الاخروي ذكر النشاة الاولى ليستدل بها على المعاد فان
الابتداء في العادة اصعب من الاعادة لقوله وهو اهون عليه وهذا احسن من قول ابن عطية
هذا ابتدا كلام والواو في اوله عاطفة جملة كلام على جملة كلام وان تباينتا في المعنى وقد تقدم
بيان وجه المناسبة **قوله** من طين في من وجهان احدهما انها لابتدا الغاية والثاني
انها لبيان الجنس قال الزمخشري فان قلت ما الفرق بين من ومن قلت الاولى للابتدا
والثانية للبيان كقوله من الاوثان قال ابو حيان ولا يكون للبيان الا اذا قلنا ان السلالة
هي الطين اما اذا قلنا انه مما نسل من الطين فمن لابتدا الغاية وفيما يتعلق به من هذه ثلاثة
اوجه احدها انها تتعلق بمحذوف اذ هي صفة لسلالة ثانيها انها تتعلق بنفس سلالة لانها
بمعنى مسلولة الثالث انها تتعلق بخلقنا لانها بدل من الاولى اذا قلنا ان السلالة هي نفس الطين
قوله ثم جعلناه نطفة في هذا الضمير قولان احدهما انه يعود للانسان فان اريد غير ادم
فواضح ويكون خلقه من سلالة الطين خلق اصله وهو ادم فيكون على حذف مضاف وان كان
المراد به ادم فيكون الضمير عايدا على نسله اي جعلنا نسله فهو على حذف مضاف ايضا ويويده
قوله وبدا خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين او عاد الضمير على الانسان
اللايق به ذلك وهو نسل ادم فلفظ الانسان من حيث هو صالح للاصل والفرع ويعود كل شي
لما يليق به واليه نحا الزمخشري **قوله** في قرار يجوز ان يتعلق بالجعل وان يتعلق بمحذوف
على انه صفة لنطفة والقرار المستقر وهو في موضع الاستقرار والمراد بها الرحم ووصفت بالمكانة
التي هي صفة المستقر فيها لاحد معنيين اما على المجاز كطريق سائر وانما السائر من فيه واما لمكانتها
في نفسها لانها تمكنت بحيث هي واحرزت ومعنى جعل الانسان نطفة انه خلق جوهر الانسان
اولا طينا ثم جعل جوهره بعد ذلك نطفة في اصلاب الاباء فتقذفه الصلب بالجماع الى رحم
المراة فصار الرحم قرارا مكينا لهذه النطفة تتخلق فيه الى ان تصير انسانا **قوله** ثم خلقنا
النطفة علقة وما بعدها ضمن خلق معنى جعل التصييرية فتعدت لاثنين كما يضمن جعل
معنى خلق فيتعدى لواحد نحو وجعل الظلمات والنور والمعنى حولنا النطفة عن صفاتها الى صفات
العلقة وهي الدم الجامد فجعلنا العلقة مضغة اي جعلنا ذلك الدم الجامد مضغة اي قطعة
لحم كانها مقدار ما يمضغ كالغرفة وهو ما يغترف وسمي التحويل خلقا لانه تعالى يفني بعض اعراضها
ويخلق اعراضا غيرها فسمي خلق الاعراض خلقا لها كانه سبحانه يخلق فيها اجزا زايدة **قوله**
فخلقنا المضغة عظاما اي صيرناها كذلك وقرا العامة عظاما والعظام بالجمع فيهما وابن عامر
وابو بكر عن عاصم عظما والعظم بالافراد فيهما والسلمي والاعرج والاعمش بافراد الاول وجمع الثاني
وابو رجا ومجاهد وابرهيم بن ابي بكر بجمع الاول وافراد الثاني عكس ما قبله فالجمع على الاصل
لانه مطابق لما يراد به والافراد للجنس كقوله والملك صفا وكقوله وهن العظم مني وقال
الزمخشري وضع الواحد موضع الجمع لزوال اللبس لان الانسان ذو عظام كثيرة قال ابو حيان

وهذا عند سيبويه واصحابه لا يجوز الا في ضرورة وانشدوا كلوا في بعض بطنكم تعفوا وان كان
معلوما ان كل واحد له بطن قال شهاب الدين ومثله لا تنكروا القتل وقد سبينا في حلقكم عظم
وقد شجينا يريد في حلوقكم ومثله قول الاخر بها جيف الحسرى فاما عظامها فبيض واما جلدها فصليب
يريد جلودها ومنه وعلى سمعهم **قوله** فكسونا العظام لحما اي البسنا لان اللحم يستر العظم
فجعله كالكسوة لها قيل بين كل خلقين اربعون يوما ثم انشاناه خلقا اخر اي خلقا مباينا
للخلق الاول مباينة ما ابعدها حيث جعله حيوانا وكان جمادا وناطقا وكان ابكم وسميعا
وكان اصم وبصيرا وكان اكمه واودع باطنه وظاهره بل كل جزء من اجزائه عجايب فطرة وغرايب
حكمة لا تحيط بها وصف الواصفين قال ابن عباس ومجاهد والشعبي وعكرمة والضحاك
وابو العالية المراد بالخلق الاخر هو نفخ الروح فيه وقال قتادة نبات الاسنان والشعر
وروي ابن جريج عن مجاهد انه استوا الشباب وعن الحسن قال ذكرا وانثى وروي العوفي عن ابن
عباس ان ذلك تصريف احواله بعد الولادة من الاستهلال الى الارتضاع الى القعود الى القيام
الى المشي الى ان ياكل ويشرب الى ان يبلغ الحلم وخلق الفهم والعقل ويتقلب في البلاد الى ما بعدها
الى ان يموت قالوا وفي هذه الاية دلالة على بطلان قول النظام ان الانسان هو الروح لا البدن
فانه سبحانه بين ان الانسان هو المركب من هذه الاشيا وفيها دلالة ايضا على بطلان قول
الفلاسفة الذين يقولون الانسان شي لا ينقسم وانه ليس بجسم ثم قال فتبارك الله اي فتعالى
الله لان البركة يرجع معناها الى الامتداد والزيادة وكل ما زاد على الشي فقد علاه ويجوز ان
يكون المعنى البركات والخيرات كلها من الله وقيل اصله من البروك وهو الثبات فكانه قال
البقا والدوام والبركات كلها منه فهو المستحق للتعظيم والثنا بانه لم يزل ولا يزال احسن الخالقين
المصورين والمقدرين والخلق في اللغة التقدير قال زهير ولانت تفري ما خلقت وبعض القوم
يخلق ثم لا يفري **قوله** احسن الخالقين فيه ثلاثة اوجه احدها انه بدل من الجلالة الثاني
انه نعت للجلالة وهو اولى مما قبله لان البدل بالمشتق يقل الثالث ان يكون خبر مبتدا مضمر
اي هو احسن والاصل عدم الاضمار وقد منع ابو البقا ان يكون وصفا قال لانه نكرة وان
اضيف لمعرفة لان المضاف اليه عوض من من وهكذا جميع افعل منك قال شهاب الدين
وهذا ابنا منه على احد القولين في افعل التفضيل اذا اضيف هل اضافته محضة ام لا والصحيح
الاول والمميز لافعل محذوف لدلالة المضاف اليه عليه اي احسن الخالقين خلقا المقدرين
تقديرا كقوله اذن للذين يقاتلون اي في القتال حذف الماذون فيه لدلالة الصلة عليه
فصل قالت المعتزلة لولا ان غير الله قد يكون خالقا لما جاز القول بانه احسن الخالقين
كما لو لم يكن في عباده من يحكم ويرحم لم يجز ان يقال فيه احكم الحاكمين وارحم الراحمين والخلق
في اللغة هو كل فعل وجد من فاعله مقدرا لا على سهو وغفلة والعباد قد يفعلون ذلك على هذا
الوجه قال الكعبي هذه الاية وان دلت على ان العبد خالق الا ان اسم الخالق لا يطلق على العبد
الا مع القيد كما انه يجوز ان يقال رب الدار ولا يجوز ان يقول رب ولا يقول العبد لسيده هذا
ربي ولا يقال انما قال الله سبحانه ذلك لانه وصف عيسى عليه السلام بانه يخلق من الطين كهيئة
الطير لانا نجيب عنه من وجهين احدهما ان ظاهر الاية يقتضي انه سبحانه احسن الخالقين الذين هم
جمع فحمله على عيسى خاصة لا يصح والثاني اذا صح وصف عيسى بانه يخلق صح ان غيره سبحانه يخلق
ويصح ايضا وصف غيره من المصورين بانه يخلق واجيب بان هذه الاية معارضة بقوله
الله خالق كل شي فوجب حمل هذه الاية على احسن الخالقين في اعتقادكم وظنكم كقوله وهو اهون
عليه وجواب ثان وهو ان الخالق هو المقدر لان الخلق هو التقدير والاية تدل على انه تعالى

احسن المقدرين والتقدير يرجع معناه الى الظن والحسبان وذلك في حق الله تعالى محال
فتكون الاية من المتشابه وجواب ثالث ان الاية تقتضي كون العبد خالقا بمعنى كونه
مقدرا لكن لم قلت انه خالق بمعنى كونه موجدا **فصل** قالت المعتزلة الاية تدل على
ان كل ما خلقه الله حسن وحكمة وصواب والا لما جاز وصفه بانه احسن الخالقين واذا كان
كذلك وجب ان لا يكون خالقا للكفر والمعصية فوجب ان يكون العبد هو الموجد لها واجيب
بان من الناس من حمل الحسن على الاحكام والاتقان في التركيب والتاليف ثم لو حملناه على ما
قالوه فعندنا انه يحسن من الله كل الاشيا لانه ليس فوقه امر ونهي حتى يكون ذلك مانعا له عن
فعل شي **فصل** روي الكلبي عن ابن عباس ان عبد الله بن سعد بن ابي سرح كان يكتب
هذه الايات لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انتهى الى قوله خلقا اخر عجب من ذلك فقال
فتبارك الله احسن الخالقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب هكذا انزلت فشك
عبد الله وقال ان كان محمد صادقا فيما يقول فانه يوحى الي كما يوحى اليه وان كان كاذبا فلا خير
في دينه فهرب الى مكة فقيل انه مات على الكفر وقيل انه اسلم يوم الفتح وروي سعيد بن جبير
عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الاية قال عمر بن الخطاب فتبارك الله احسن الخالقين فقال رسول
الله هكذا انزلت يا عمر وكان عمر يقول وافقني ربي في اربع الصلاة خلف المقام وضرب الحجاب
على النسوة وقولي لهن او ليبدلنه الله خيرا منكن فنزل قوله عسى ربه ان طلقكن والرابع قوله
فتبارك الله احسن الخالقين قال العارفون هذه الواقعة كانت من اسباب السعادة
لعمر وسبب الشقاوة لعبد الله كما قال تعالى يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا فان قيل
فعلى كل الروايات فقد تكلم البشر ابتدا بمثل نظم القران وذلك يقدح في كونه معجزا كما ظنه
عبد الله فالجواب هذا غير مستبعد اذا كان قدره القدر الذي لا يظهر فيه الاعجاز
فسقطت شبهة عبد الله **قوله** ثم انكم بعد ذلك لميتون اي بعد ما ذكر ولذلك افرد
اسم الاشارة وقرا العامة لميتون وزيد بن علي وابن ابي عبلة وابن محيصن لمائتون والفرق بينهما
ان الميت يدل على الثبوت والاستقرار والمائت على الحدوث كضيق وضائق وفرح وفارح
فيقال لمن سيموت ميت ومائت ولمن مات ميت فقط دون مائت لاستقرار الصفة وثبوتها
وسياتي مثله في الزمر ان شا الله تعالى فان قيل الموت لم يختلف فيه اثنان وكم من مخالف
في البعث فلم اكد المجمع عليه ابلغ تاكيد وترك المختلف فيه من تلك المبالغة في التاكيد فالجواب ان
البعث لما تظاهرت ادلته وتظافرت ابرز في صورة المجمع عليه المستغني عن ذلك وانهم لما لم يعملوا
للموت ولم يهتموا باموره نزلوا منزلة من ينكره فابرزهم في صورة المنكر الذي استبعدوه كل
استبعاد وكان ابو حيان سئل عن ذلك فاجاب بان اللام غالبا تخلص المضارع للحال ولا يمكن
دخولها في يبعثون لانه مخلص للاستقبال لعمله في الظرف المستقبل واعترض على نفسه بقوله
وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فان اللام دخلت على المضارع العامل في ظرف مستقبل
وهو يوم القيامة فاجاب بانه خرج هذا بقوله غالبا او بان العامل في يوم القيامة مقدر
وفيه نظر اذ فيه تهيئة العامل للعمل وقطعه عنه ويقدر ذلك متعلق يبعثون ولا يمنع لام
الابتدا من ذلك **قوله** ثم انكم يوم القيمة تبعثون جعل الاماتة التي هي اعدام الحيوة والبعث
الذي هو اعادة ما يفنيه ويعدمه دليلين على اقتدار عظيم بعد الانشا والاختراع **فان
قيل** ما الحكمة في الموت وهلا وصل نعيم الاخرة وثوابها بنعيم الدنيا فيكون ذلك في
الانعام ابلغ فالجواب هذا كالمفسدة في حق المكلفين لانه متى عجل للمرء الثواب فيما يتحمله من
المشقة في الطاعات صار اتيانه بالطاعات لاجل تلك المنافع لا لاجل طاعة الله بدليل انه لو

قيل لمن يصوم ويصلي اذا فعلت ذلك ادخلناك الجنة في الحال فانه لا ياتي بذلك الفعل الا لطلب الجنة
فلاجرم اخره وبعده بالاماتة وهو الاعادة ليكون العبد عابدا لطاعته لا لطلب الانتفاع **فان**
قيل هذه الاية تدل على نفي عذاب القبر لانه قال ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم
القيمة تبعثون ولم يذكر بين الامرين الاحيا في القبر والاماتة فالجواب من وجهين الاول انه ليس
في ذكر الحياتين نفي الثالثة والثاني ان الغرض من ذكر هذه الاجناس الثلاثة الاحيا والاماتة
والاعادة والذي ترك ذكره فهو من جنس الاعادة **قوله تعالى** ولقد خلقنا فوقكم سبع
طرايق الاية اي سبع سموات سميت طرايق لتطارقها وهو ان بعضها فوق بعض يقال طارقت
النعل اذا اطبق نعلا على نعل وطارق بين الثوبين اذا لبس ثوبا على ثوب قاله الخليل والزجاج
والفرا قال الزجاج هو كقوله سبع سموات طباقا وقال علي بن عيسى سميت بذلك لانها طرايق
الملايكة في العروج والهبوط وقيل لانها طرايق الكواكب في مسيرها والوجه في انعامه علينا بذلك
انه جعلها موضعا لارزاقنا بانزال الما منها وجعلها مقرا للملايكة ولانها موضع الثواب ومكان
ارسال الانبيا ونزول الوحي **قوله** وما كنا عن الخلق غافلين اي بل كنا لهم حافظين من ان يسقط
عليهم الطرايق السبع فتهلكهم وهذا قول سفين بن عيينه وهو كقوله تعالى ان الله يمسك السموات
والارض ان تزولا وقوله ويمسك السما ان تقع على الارض وقال الحسن انا خلقناها فوقهم لندر عليهم
بالارزاق والبركات منها وقيل خلقنا هذه الاشيا دلالة على قدرتنا ثم بين كمال العلم بقوله
وما كنا عن الخلق غافلين يعني عن اعمالهم واقوالهم وضمايرهم وذلك يفيد نهاية الزجر وقيل
وما كنا عن خلق السموات غافلين بل نحن لها حافظين لئلا تخرج عن التقدير الذي اردناها عليه
كقوله تعالى ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت واعلم ان هذه الايات دالة على مسايل منها انها
تدل على وجود الصانع فان انقلاب هذه الاجسام من صفة الى صفة اخرى تضاد الاولى مع امكان
بقايها على الصفة الاولى يدل على انه لا بد من مغير ومنها انها تدل على فساد القول بالطبيعة فان
شيا من تلك الصفات لو حصلت بالطبيعة لوجب بقاوها وعدم تغيرها ولو قيل انما تغيرت تلك
الصفات لتغير تلك الطبيعة افتقرت تلك الطبيعة الى خالق وموجد ومنها انها تدل على ان المدبر
قادر عالم لان الجاهل لا يصدر عنه هذه الافعال العجيبة ومنها انها تدل على انه عالم بكل المعلومات
قادر على كل الممكنات ومنها انها تدل على جواز الحشر والنشر بصريح الاية ولان الفاعل لما كان قادرا على
كل الممكنات وعالما بكل المعلومات وجب ان يكون قادرا على اعادة التركيب الى تلك الاجزا كما كانت
ومنها ان معرفة الله تجب ان تكون استدلالية لا تقليدية والا لكان ذكر هذه الدلايل عبثا
قوله تعالى وانزلنا من السما ما بقدر الاية لما استدل اولا على كمال القدرة بخلق الانسان
ثم استدل ثانيا بخلق السموات استدل ثالثا بنزول الامطار وكيفية تاثيرها في النبات واعلم
ان الما في نفسه نعمة وهو مع ذلك سبب لحصول النعم فلاجرم ذكره الله اولا ثم ذكر ما يحصل به
من النعم ثانيا قال اكثر المفسرين انه تعالى ينزل الما في الحقيقة من السما لظاهر الاية ولقوله وفي السما
رزقكم وما توعدون وقال بعضهم المراد بالسما السحاب وسماه سما للعلو والمعنى ان الله صعد الاجزا
المايية من قعر الارض ومن البحار الى السما حتى صارت عذبة صافية بسبب ذلك التصعيد
ثم ان تلك الذرات تاتلف وتتكون ثم ينزله الله على قدر الحاجة اليه ولولا ذلك لم تنتفع بتلك المياه
لتفرقها في قعر الارض ولا بما البحار لملوحته ولانه لا حيلة في اجرا مياه البحار على وجه الارض لان
البحار هي الغاية في العمق وهذه الوجوه انما يتمحلها من ينكر الفاعل المختار فاما من اقر به فلا حاجة
به الى شي منها وقوله بقدر قال مقاتل بقدر ما يكفيهم للمعيشة من الزرع والغرس والشرب
ويسلمون معه من المضرة وقوله فاسكناه في الارض قيل جعلناه ثابتا في الارض قال ابن عباس

انزل

انزل الله تعالى من الجنة خمسة انهار سيحون وجيحون ودجلة والفرات والنيل انزلها من عين واحدة
من عيون الجنة من اسفل درجة من درجاتها على جناحي جبريل عليه السلام ثم استودعها الجبال
واجراها في الارض وجعل فيها منافع للناس فذلك قوله وانزلنا من السما ما بقدر فاسكناه في الارض
ثم يرفعها عند خروج ياجوج وماجوج ويرفع ايضا القران والعلم كله والحجر الاسود من ركن البيت
ومقام ابرهيم وتابوت موسى بما فيه فيرفع كل ذلك الى السما فذهب قوله وانا على ذهاب به
لقادرون فاذا رفعت هذه الاشيا من الارض فقد اهلها خير الدنيا والدين وقيل معنى
فاسكناه في الارض ما يبقى في الغدران والمستنقعات ينتفع به الناس في الصيف عند انقطاع
المطر وقيل فاسكناه في الارض ثم اخرجنا منها ينابيع فما في الارض كله من السما **قوله** وانا
على ذهاب به لقادرون على ذهاب متعلق بلقادرون واللام لا تتقدم عليه مانعة من ذلك
وبه متعلق بذهاب وهي مرادفة للهمزة كهي في لذهب بسمعهم اي على اذهابه والمعنى كما قدرنا على
انزاله فكذلك نقدر على رفعه وازالته فتهلكوا عطشا وتهلك مواشيكم وتخرب اراضيكم قال
الزمخشري قوله على ذهاب به من اوقع النكرات واحزها للمفصل والمعنى على وجه من وجوه الذهاب
به وطريق من طرقه وفيه ايذان بكمال اقتدار المذهب وانه لا يتعسر عليه شي وهو ابلغ في الايعاد
من قوله قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن ياتيكم بما معين واعلم انه تعالى لما نبه على عظيم
نعمته بخلق الما ذكر بعده النعم الحاصلة من الما فقال فانشانا لكم به اي بالما جنات من نخيل
واعناب انما ذكر النخيل والاعناب لكثرة منافعها فانهما يقومان مقام الطعام والادام والفواكه
رطبا ويابسا وقوله ولكم فيها فواكه كثيرة اي في الجنات فكما ان فيها النخيل والاعناب فيها الفواكه
الكثيرة ومنها تاكلون شتا وصيفا قال الزمخشري يجوز ان يكون هذا من قولهم فلان ياكل من حرفة
يحترفها وصنعة يعملها يعنون انها طعمته وجهته التي منها يحصل رزقه كانه قال وهذه الجنات
وجوه ارزاقكم ومعايشكم **قوله** وشجرة عطف على جنات اي وانشانا لكم شجرة وقريت
مرفوعة على الابتدا وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو سينا بكسر السين والباقون بفتحها والاعمش كذلك
الا انه قصرها فاما القراة الاولى فالهمزة فيها ليست للتانيث اذ ليس في الكلام فعلا بكسر الاول
وهمزته للتانيث بل للالحاق بسرداح وقرطاس فهي كعلباء فتكون الهمزة كهمزة كساء قال
الفارسي وهي الياء التي ظهرت في درحاية والدرحاية الرجل القصير السمين وجعل ابو البقاء هذه
الهمزة اصلية فتكون الهمزة على هذا الاصل مثل حملاق وليست للتانيث اذ ليس في الكلام مثل
حمراء والياء اصلا اذ ليس في الكلام سينا يعني ماده سين ونون وهمزة وهذا يخالف لما تقدم
من كونها بدلا من زايد ملحق بالاصل على ان كلامه يحتمل التاويل الى ما تقدم وعلى هذا فمنع الصرف
للتعريف والتانيث لانها اسم بقعة بعينها وقيل للتعريف والعجمة قال بعضهم والصحيح ان
سينا اسم اعجمي نطقت به العرب فاختلفت فيه لغاتها فقالوا سينا كحمراء وصحراء وسيناء كعلباء
وحرباء وسينين كخنديد وزحليل والخنديد الجبل والخصي ايضا فهو من الاضداد وهو ايضا
راس الجبل المرتفع والزحليل المتنحي من زحل اذا تنحى وقال الزمخشري طور سينا وطور سينين لا
تخلوا اما ان يضاف فيه الطور الى بقعة اسمها سينا وسينون واما ان يكون اسما للجبل مركبا من
مضاف ومضاف اليه كامرء القيس وكبعلبك فيمن اضاف فمن كسر سين سينا فقد منع الصرف
للتعريف والعجمة او التانيث لانها بقعة وفعلا لا يكون الفه للتانيث كعلبا وحربا قال
شهاب الدين وكون الف فعلا بالكسر ليست للتانيث هو قول اهل البصرة واما الكوفيون فعندهم انها
تكون للتانيث فهي عندهم ممنوعة للتانيث اللازم كحمرا وبابها وكسر السين من سينا لغة كنانة واما
القراة الثانية فالفها للتانيث فمنع الصرف واضح قال ابو البقا وهمزته للتانيث اذ ليس في الكلام

تعالى بالفتح وما حكي الفراء من قولهم ما به نبها حرعال لا يثبت وان ثبت فهو شاذ لا تحمل عليه وقد وهم بعضهم فجعل سينا مشتقة من السنا وهو الضوء ولا يصح ذلك لوجهين احدهما انه ليس عربي الوضع نصوا على ذلك كما تقدم الثاني انا وان سلمنا انه عربي الوضع لكن المادتان مختلفتان فان عين السنا نون وعين سينا يا كما قال بعضهم وفيه نظر اذ لقايل ان يقول لا نسلم ان عين سينا بل عينها نون ويا وها مزيدة وهمزتها منقلبة عن واو كما قلبت السنا ووزنها حينئذ فيعال وفيعال موجود في كلامهم كميلاع وقيتال مصدر قاتل **قوله** تنبت قرا ابن كثير وابو عمرو تنبت بضم التا وكسر البا والباقون بفتح التا وضم البا فاما الاولى ففيها ثلاثة اوجه احدها ان انبت بمعنى نبت فهو مما اتفق فيه فعل وافعل وانشد والزهير رايت ذوي الحاجات حول بيوتهم قطينا بها حتى اذا انبت وانكره الاصمعي اي نبت الثاني ان الهمزة للتعدية والمفعول محذوف لفهم المعنى اي تنبت ثمرها او جناها وبالدهن حال اي ملتبسا بالدهن الثالث ان البا مزيدة في المفعول به كهي في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم وقول الاخر سود المحاجر لا يقرا ن بالسور وقول الاخر نضرب بالسيف ونرجو بالفرج واما القراة الاخرى فواضحة والبا للحال من الفاعل اي ملتبسة بالدهن يعني وفيها الدهن كما يقال ركب الامير بجنده وقرا الحسن والزهري وابن هرمز تنبت مبنيا للمفعول من انبتها الله وبالدهن حال من المفعول القايم مقام الفاعل اي ملتبسة بالدهن وقرا زر بن حبيش تنبت الدهن من انبتت وبسقوط البا هنا يدل على زيادتها في قراة من انبتها والاشهب وسليمان بن عبد الملك بالدهان وهو جمع دهن كرمح ورماح واما قراة ابي عمرو وعبد الله تخرج فتفسير لا قراة لمخالفة السواد والدهن عصارة ما فيه دسم والدهن بالفتح المسح بالدهن مصدر دهن يدهن والمداهنة من ذلك كانه يمسح على صاحبه ليقر خاطره **فصل** اختلفوا في طور سينا وفي طور سينين فقال مجاهد معناه البركة اي من جبل مبارك وقال قتادة معناه الحسن اي الجبل الحسن وقال الضحاك معناه بالنبطية الحسن وقال عكرمة بالحبشية وقال الكلبي معناه المشجر اي جبل مشجر وقيل هو بالسريانية الملتف بالاشجار وقال مقاتل كل جبل فيه اشجار مثمرة فهو سينا وسينين بلغة النبط وقال ابن زيد هو الجبل الذي نودي منه موسى بين مصر وايلة وقال مجاهد سينا اسم حجارة بعينها اضيف الجبل اليها لوجودها عنده والمراد بالشجرة التي تنبت بالدهن اي تثمر الدهن وهو الزيتون قال المفسرون وانما اضافه الله الى هذا الجبل لان منها تشعبت في البلاد وانتشرت ولان معظمها هناك **قوله** وصبغ العامة على الجر عطفا على بالدهن والاعمش وصبغا بالنصب نسقا على موضع بالدهن كقراءة وارجلكم في احد محتملاته وعامر بن عبد الله وصباغ بالالف وكانت هذه القراة مناسبة لقراة من قرا بالدهان والصبغ والصباغ كالدبغ والدباغ وهو اسم ما يفعل به قال الزمخشري هو ما يصطبغ به اي يصبغ به الخبز وللاكلين صفة والمعنى ادام للاكلين فنبه تعالى على احسانه بهذه الشجرة لانها تخرج هذه الثمرة التي يكثر الانتفاع بها وهي طرية ومتخرة وبان تعصر فيظهر الزيت منها وتعظم وجوه الانتفاع به **قوله تعالى** وان لكم في الانعام لعبرة الاية لما ذكر النعم الحاصلة من الما والنبات ذكر هذه النعم الحاصلة من الحيوان فذكر ان فيها عبرة مجملا ثم فصلها من اربعة اوجه احدها قوله نسقيكم مما في بطونها والمراد جميع وجوه الانتفاع ووجه الاعتبار فيه انها تجتمع في الضروع وتخلص من بين الفرث والدم باذن الله فيستحيل الى طهارة ولون وطعم موافق للشهوة وتصير غذا فمن استدل بذلك على قدرة الله وحكمته فهو من النعم الدينية ومن انتفع به فهو من النعم الدنيوية وايضا فهذه الالبان التي تخرج من بطونها اذا ذبحت لم تجد لها اثرا وذلك دليل على عظم قدرة الله وتقدم الكلام في نسقيكم في النحل وقرئ تسقيكم بالتاء من فوق مفتوحة اي تسقيكم الانعام وثانيها قوله ولكم فيها منافع اي بالبيع

والانتفاع باثمانها وثالثها قوله ومنها تاكلون اي كما تنتفعون بها وهي حية تنتفعون بها بعد الذبح بالاكل ورابعها قوله وعليها وعلى الفلك تحملون اي على الابل في البر وعلى الفلك في البحر ولما بين دلايل التوحيد اردفها بالقصص كما هو العادة في ساير السور **قوله تعالى** ولقد ارسلنا نوحا الى قومه الايات قيل كان نوح اسمه يشكر ثم سمي نوحا لكثرة ما ناح على نفسه حين دعا على قومه بالهلاك فاهلكهم الله بالطوفان فندم على ذلك وقيل لمراجعته ربه في شان ابنه وقيل لانه مر بكلب مجذوم فقال له اخسا يا قبيح فعوتب على ذلك وقال الله تعالى اعبتني اذ خلقته ام عبت الكلب وهذه وجوه متكلفة لان الاعلام لا تفيد صفة في المسمى **قوله** يا قوم اعبدوا الله وحده ما لكم من اله غيره اي ان عبادة غير الله لا تجوز اذ لا اله سواه وقرئ غيره بالرفع على المحل وبالجر على اللفظ ثم انه لما لم ينفع فيهم الدعا واستمروا على عبادة غير الله حذرهم بقوله افلا تتقون زجرهم وتوعدهم باتقا العقوبة لينصرفوا عما هم عليه ثم انه تعالى حكى عنهم شبهتهم في انكار نبوة نوح عليه السلام وهي قولهم ما هذا الا بشر مثلكم وهذه الشبهة تحتمل وجهين احدهما ان يقال انه لما كان ساير الناس في القوة والفهم والعلم والغنى والفقر والصحة والمرض سوا امتنع كونه رسولا لله لان الرسول لا بد وان يكون معظما عند الله وحبيبا له والحبيب لا بد وان تختص عن غير الحبيب بمزيد الدرجة والعزة فلما انتفت هذه الاشيا علمنا انتفا الرسالة والثاني ان يقال ان هذا الانسان مشارك لكم في جميع الامور ولكنه احب الرياسة والمتبوعية فلم يجد اليها سبيلا الا بادعا النبوة فصار ذلك شبهة لهم في القدح في نبوته ويؤكد هذا الاحتمال قولهم يريد ان يتفضل عليكم اي يطلب الفضل عليكم ويترأسكم الشبهة الثانية قولهم ولو شا الله لانزل ملايكة اي ولو شا الله ان لا نعبد سواه لانزل ملايكة بابلاغ الوحي لان بعثة الملايكة اشد افضا الى المقصود من بعثة البشر لان الملايكة لعلو شانهم وشدة سطوتهم وكثرة علومهم ينقاد الخلق اليهم ولا يشكون في رسالتهم فلما لم يفعل ذلك علمنا انه ما ارسل رسولا الشبهة الثالثة قولهم ما سمعنا بهذا في ابائنا الاولين فقولهم بهذا اشارة الى نوح عليه السلام اي بارسال بشر رسولا او بهذا الذي يدعو اليه نوح وهو عبادة الله وحده لان اباهم كانوا يعبدون الاوثان وذلك انهم كانوا لا يعولون في شي من مذاهبهم الا على التقليد والرجوع الى قول الابا فلما لم يجدوا في نبوة نوح عليه السلام هذه الطريقة حكموا بفسادها الشبهة الرابعة قولهم ان هو الا رجل به جنة اي جنون فتربصوا به حتى حين وهذه الشبهة من باب الترويج على العوام لانه عليه السلام كان يفعل افعالا على خلاف عاداتهم فكان الرؤسا يقولون للعوام انه مجنون فكيف يجوز ان يكون رسولا الشبهة الخامسة قولهم فتربصوا به حتى حين وهذا يحتمل ان يكون متعلقا بما قبله اي انه مجنون فاصبروا الى زمان يظهر عاقبة امره فان افاق والا فاقتلوه ويحتمل ان يكون كلاما مستانفا وهو ان يقولوا لقومهم اصبروا فانه ان كان نبيا حقا فالله ينصره ويقوي امره فنتبعه حينئذ وان كان كاذبا فالله يخذله ويبطل امره فحينئذ نستريح منه واعلم انه تعالى لم يذكر الجواب عن هذه الشبهة لركاكتها ووضوح فسادها لان كل عاقل يعلم ان الرسول لا يصير رسولا لكونه من جنس الملك وانما يصير رسولا بتميزه عن غيره بالمعجزات فسوا كان من جنس الملك او من جنس البشر فعند ظهور المعجز عليه يجب ان يكون رسولا بل جعل الرسول من البشر اولى لما تقدم من ان الجنسية مظنة الالفة والموانسة واما قولهم يريد ان يتفضل عليكم فان ارادوا ارادته لاظهار فضله حتى يلزمهم الانقياد لطاعته فهذا واجب في الرسول وان ارادوا انه يترفع عليهم على سبيل التكبر فالانبيا منزهون عن ذلك واما قولهم ما سمعنا بهذا فهو استدلال بعدم التقليد

لابد لعلي وجود الشي فعدمه منزلة من بدل عدمه واما قولهم به جنة فكذبوا لانهم كانوا يعلمون بالضرورة
كمال عقله واما قولهم فتربصوا فضعيف لانه اذا ظهرت الدلالة على نبوته وهي المعجزة وجب عليهم
قبول قوله في الحال ولا يجوز توقيف ذلك الى ظهور دولته لان الدولة لا تدل على الحقية وان لم يظهر
المعجز لم يجز قبول قوله سوا ظهرت الدولة او لم تظهر **قوله** قال رب انصرني بما كذبون اي اعني
هلاكهم بتكذيبهم اياي كانه قال اهلكهم بسبب تكذيبهم اياي وقيل انصرني بدل ما كذبون كما
تقول هذا بذاك اي بدل ذاك ومكانه وقيل انصرني بانجاز ما وعدتهم من العذاب وهو ما كذبوه فيه
حين قال لهم اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم ولما اجاب الله دعاه قال فاوحينا اليه ان اصنع
الفلك باعيننا اي بحفظنا وكلائتنا كان معه من الله حفاظ يكلؤنه بعيونهم لئلا يتعرض له ولا
يفسد عليه عمله قيل كان نوح نجارا وكان عالما بكيفية اتخاذ الفلك وقيل ان جبريل عليه السلام
علمه عمل السفينة وهذا هو الاقرب لقوله باعيننا ووحينا فاذا جاء امرنا واعلم ان لفظ الامر
كما هو حقيقة في طلب الفعل بالقول على سبيل الاستعلا كذا هو حقيقة في الشان العظيم لان قولك هذا
امر تردد الذهن بين المفهومين فدل ذلك على كونه حقيقة فيهما وقيل انما سماه امرا تعظيما وتفخيما
كقوله قال لها وللارض ايتيا طوعا او كرها **قوله** وفار التنور تقدم الكلام في التنور في سورة
هود فاسلك فيها اي ادخل فيها يقال سلك فيه دخله وسلك غيره واسلكه من كل زوجين اثنين
اي من كل زوجين من الحيوان الذي يحضره في الوقت اثنين الذكر والانثى لكي لا ينقطع نسل ذلك
الحيوان وكل واحد منهما زوج لا كما يقوله العامة ان الزوج هو الاثنان روي انه لم يحمل الا ما يلد
ويبيض وقرئ من كل بالتنوين واثنين تاكيد وزيادة بيان واهلك اي وادخل اهلك الا من
سبق عليه القول ولفظ على انما يستعمل في المضار قال تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وهذه
الاية تدل على امرين احدهما انه تعالى امره بادخال سائر من امن به وان لم يكن من اهله وقيل المراد
باهله من امن دون من يتصل به نسبا او سببا وهذا ضعيف والا لما جاز الاستثنا بقوله الا
من سبق عليه القول والثاني قال ولا تخاطبني في الذين ظلموا يعني كنعان فانه سبحانه لما اخبر
باهلاكهم وجب ان ينهاه عن ان يساله في بعضهم لانه ان اجابه اليه فقد صير خبره الصادق
كذبا وان لم يجبه اليه كان ذلك تحقيرا لشان نوح عليه السلام فلذلك قال انهم مغرقون اي الغرق
نازل بهم لا محالة **قوله** فاذا استويت انت ومن معك على الفلك اعتدلت انت ومن معك
على الفلك قال ابن عباس كان في السفينة ثمانون انسانا نوح وامراته سوى التي غرقت وثلاث بنين
سام وحام ويافث وثلاث نسوة لهم واثنان وسبعون انسانا فكل الخلائق نسل من كان في السفينة
روي سعيد بن المسيب عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ولد لنوح ثلاث اولاد
سام وحام ويافث فاما سام فابو العرب وفارس والروم واما يافث فابو ياجوج وماجوج والخزر
واما حام فابو هذه الجلدة السودا وياجوج وماجوج بنو عم الترك قال ابن الجوزي ولد لحام
كوش وبيرش وموعع وبوان وولد لكوش نمرود وهو اول الجبابرة ملك بعد الطوفان ثلثماية
سنة وعلى عهده قسمت الارض وتفرق الناس واختلفت الالسن ونمرود ابرهيم الخليل ومن
ولد بيرش البربر ومن ولد موعع ياجوج وماجوج ومن ولد بوان الصقالبة والنوبة والحبشة
والهند والسند ولما اقتسم اولاد نوح الارض نزل بنو حام مجرى الجنوب والدبور فجعل الله فيهم
الادمة وبياضا قليلا وهم اكثر الارض وروي ان فالغ بن عابر قسم الارض بين اولاد نوح بعد
موت نوح فنزل بنو سام سرة الارض فكانت فيهم الادمة والبياض ونزل بنو يافث مجرى الشمال
والصبا فكانت فيهم الحمرة والشقرة ونزل بنو حام مجرى الجنوب والدبور فتغيرت الوانهم وروي ابن شهاب
قال قيل لعيسى عليه السلام احي حام بن نوح فقال ادوني قبره فادوه فقام فقال يا حام بن نوح

احيا

لعلم البربر

احيا باذن الله عز وجل فلم يخرج ثم قالها الثانية فخرج فاذا شق لحيته وراسه ابيض فقال ما هذا فقال
سمعت الدعا الاول فظننت انه من الله تعالى فشاب له شقي ثم سمعت الدعا الثاني فعلمت انه من
الدنيا فخرجت قال منذ كم مت قال منذ اربعة الاف سنة ما ذهبت عني سكرة الموت حتى الان وروي
ان الذي احياه عيسى بن مريم سام بن نوح والله اعلم وروي عن المعتمر بن هلال قال الارض
اربعة وعشرون الف فرسخ فاثنا عشر الف للسودان وثمانية للروم وثلاثة للفرس والف للعرب
وقال مجاهد ربع من لا يلبس الثياب من السودان مثل جميع الناس **قوله** فقل الحمد لله الذي
نجانا من القوم الظالمين الكافرين وانما قال فقل ولم يقل فقولوا لان نوحا كان نبيا لهم واماما لهم
فكان قوله قولا لهم مع ما فيه من الاشعار بفضل النبوة واظهار كبريا الربوبية وان رتبة ذلك
المخاطب لا يترقى اليها الا ملك او نبي قال قتادة علمكم الله ان تقولوا عند ركوب السفينة بسم الله
مجراها ومرساها وعند ركوب الدابة سبحان الذي سخر لنا هذا وعند النزول وقل رب انزلني
منزلا مباركا قال الانصاري وقال لنبينا وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق
وقال فاذا قرات القران فاستعذ بالله فكانه تعالى امرهم بان لا يغفلوا عن ذكره في جميع احوالهم
قوله وقل رب انزلني منزلا مباركا قرا ابو بكر بفتح ميم منزلا وكسر الزاي والباقون بضم الميم
وفتح الزاي والمنزل والمنزل كل منهما يحتمل ان يكون اسم مصدر وهو الانزال او النزول وان يكون اسم
مكان النزول او الانزال الا ان القياس منزلا بالضم والفتح لقوله انزلني واما الفتح والكسر فعلى
انه مصدر الثلاثي مناب مصدر الرباعي كقوله انبتكم من الارض نباتا وتقدم نظيره في مدخل
ومدخل في سورة النسا واختلفوا في المنزل فقيل نفس السفينة وقيل بعد خروجه من السفينة
منزلا من الارض مباركا والاول اقرب لانه امر بهذا الدعا حال استقراره فيكون هو المنزل
دون غيره ثم قال وانت خير المنزلين وذلك ان الانزال في الامكنة قد يقع من غير الله كما يقع
من الله لانه يحفظ من انزله في سائر احواله ثم بين تعالى ان فيما ذكر من قصة نوح وقومه ايات
دلالات وعبر في الدعا الى الايمان والزجر عن الكفر فان اظهار تلك المياه العظيمة ثم اذهابها لا
يقدر عليه الا القادر على كل المقدورات وظهور تلك الواقعة على وفق قول نوح يدل على المعجز
العظيم وافنا الكفار وبقا الارض لاهل الطاعة من اعظم انواع العبر **قوله** وان كنا لمبتلين
ان مخففة واللام فارقة وقيل ان نافية واللام بمعنى الا وتقدم ذلك مرارا فعلى الاول
معناه وقد كنا وعلى الثاني ما كنا الا مبتلين فيجب على كل مكلف ان يعتبر بهذا الذي ذكرناه
وقيل المراد لمعاقبين من كذب الانبيا وسلك مثل طريقة قوم نوح وقيل المراد كما عاقب
بالغرق من كذب فقد يمتحن من لم يكذب على وجه المصلحة لا على وجه التعذيب لكي لا يقدر
ان كل الغرق يجري على وجه واحد **قوله تعالى** ثم انشانا من بعدهم قرنا اخرين الايات
قال ابن عباس واكثر المفسرين هذه قصة هود لقوله تعالى حكاية عن هود واذكروا اذ جعلكم
خلفا من بعد قوم نوح ومجي قصة هود عقيب قصة نوح في سورة الاعراف وهود والشعرا
وقال بعضهم هي قصة صالح لان قومه الذين كذبوه هم الذين هلكوا بالصيحة وتقدم كيفية
الدعوة في قصة نوح **قوله** فارسلنا فيهم قال الزمخشري فان قلت حق ارسل ان يعدى بالى
كاخواته التي هي وجه وانفذ وبعث فما باله عدي في القران بالى تارة وبفي اخرى كقولك كذلك
ارسلناك في امة قلت لم يعد بفي كما عدي بالى ولم يجعله صلة مثله ولكن الامة او القرية جعلت
موضعا للارسال كقول رؤبة ارسلت فيها مصعبا ذا اقحام وقد جابعث على ذلك كقوله
تعالى ولو شينا لبعثنا في كل قرية نذيرا **قوله** ان اعبدوا الله يجوز ان تكون المصدرية اي
ارسلناه بان اعبدوا اي بقوله اعبدوا وان تكون مفسرة افلا تتقون قال بعضهم هذا الكلام غير

موصول بالاول وانما قاله لهم بعد ان كذبوه وردوا عليه بعد اقامة الحجة عليهم فعند ذلك خوفهم
بقوله افلا تتقون هذه الطريقة مخافة العذاب الذي انذركم به ويجوز ان يكون موصولا بالكلام
الاول بان رآهم معرضين عن عبادة الله مشتغلين بعبادة الاوثان فدعاهم الى عبادة الله وحذرهم
من العذاب بسبب اقبالهم على عبادة الاوثان **قوله** وقال الملا قال الزمخشري فان قلت
ذكر مقالة قوم هود في جوابه في سورة الاعراف وسورة هود بغير واو وقال الملا الذين كفروا
من قومه انا لنراك في سفاهة قالوا ما نراك الا بشرا مثلنا وههنا مع الواو فاي فرق بينهما قلت
الذي بغير واو على تقدير سوال سائل قال فماذا قيل له فقيل له قالوا كيت وكيت واما الذي مع
الواو فعطف لما قالوه على ما قاله ومعناه انه اجتمع في الحصول اي في هذه الواقعة هذا الكلام
الحق وهذا الكلام الباطل وشتان ما بينهما قال شهاب الدين وللقايل ان يقول هذا جواب بنفس
الواقع والسوال باق اذ يحسن ان يقال لم لا جعل هنا قولهم ايضا جوابا لسوال سائل كما في نظيرتيها او عكس
الامر **قوله** وكذبوا بلقاء الاخرة اي بالمصير الى الاخرة واترفناهم نعمناهم ووسعنا عليهم في
الحيوة الدنيا ما هذا الا بشر مثلكم ياكل مما تاكلون منه وقد تقدم شرح هذه الشبهة في القصة
الاولى **قوله** ويشرب مما تشربون اي منه فحذف العايد لاستكمال شروطه وهو اتحاد الحرف
والمتعلق وعدم قيامه مقام مرفوع وعدم ضمير اخر هذا اذا جعلناها بمعنى الذي فان جعلتها
مصدرية لم تحتج الى عايد ويكون المصدر واقعا موقع المفعول اي من مشروبكم وقال في التحرير
وزعم الفرا ان معنى مما تشربون على حذف اي تشربون منه فان جعلتها بمعنى الذي حذفت العايد ولم
تحتج الى اضمار من يعني انه يقدر تشربونه من غير حرف جر وحينئذ يكون شروط الحذف ايضا موجودة
ولكنه تفوت المقابلة اذ قوله تاكلون منه فيه تبعيض فلو قدرت هنا تشربونه من غير من فاتت
المقابلة ثم ان قوله وهو لا يجوز عند البصريين ممنوع بل هو جايز لوجود شروط الحذف **قوله**
ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون لمغبونون جعلوا اتباع الرسول خسرانا ولم يجعلوا عبادة الصنم
خسرانا قال الزمخشري واذن واقع في جزاء الشرط وجواب للذين قاولوهم من قومهم قال
ابو حيان وليس واقعا في جزاء الشرط بل ذلك جواب للقسم المحذوف واقعا بين انكم والخبر وانكم والخبر
ليس جزاء للشرط بل ذلك جواب للقسم المحذوف قبل ان الشرطية ولو كان التركيب الخبري جوابا للزمت الفا
في انكم بل لو كان بالفا في تركيب غير القران لم يكن ذلك التركيب جايزا الا عند الفرا والبصريون لا يجيزونه
وهو عندهم خطا قال شهاب الدين يعني انه اذا توالى شرط وقسم اجيب سابقهما والقسم هنا متقدم
فينبغي ان يجاب ولا يجاب الشرط ولو اجيب الشرط لاختلفت الفاء على الاعند بعض الكوفيين
فانه يجيب الشرط وان تاخر وهو موجود في الشعر **قوله** ايعدكم انكم الاية في اعرابها ستة
اوجه احدها ان اسم ان الاولى مضاف لضمير الخطاب حذف واقيم المضاف اليه مقامه والخبر
قوله اذا متم وانكم مخرجون تكرير لان الاولى للتاكيد والدلالة على المحذوف والمعنى ان اخراجكم
اذا متم وكنتم الثاني ان خبر ان الاولى هو مخرجون وهو العامل في اذا وكررت الثانية توكيدا لما
طال الفصل واليه ذهب الجرمي والمبرد والفرا ويدل على كون الثانية توكيدا قراة عبد الله وكنتم
ترابا وعظاما مخرجون الثالث ان انكم مخرجون مؤول بمصدر مرفوع بفعل محذوف وذلك الفعل
المحذوف هو جواب اذا الشرطية واذا الشرطية وجوابها المقدر خبر لانكم الاولى تقديره يحدث
انكم مخرجون الرابع كالثالث في كونه مرفوعا بفعل مقدر الا ان هذا الفعل المقدر خبر لان الاولى
وهو العامل في اذا الخامس ان خبر الاولى محذوف لدلالة خبر الثانية عليه تقديره انكم تبعثون
وهو العامل في الظرف وان الثانية وما في خبرها بدل من الاولى وهذا مذهب سيبويه السادس
ان يكون انكم مخرجون مبتدا وخبره الظرف مقدما عليه والجملة خبر عن انكم الاولى والتقدير ايعدكم

انكم اخراجكم كاين او مستقر وقت موتكم ولا يجوز ان يكون العامل في اذا مخرجون على كل قول لان ما في
خبر ان لا يعمل فيما قبلها ولا يعمل فيها متم لانه مضاف اليه وانكم وما في خبره في محل نصب او جر
بعد حذف الحرف اذ الاصل ايعدكم بانكم ويجوز ان لا يقدر حرف جر فيكون في محل نصب فقط
نحو وعدت زيدا خيرا **قوله** هيهات هيهات اسم فعل معناه بعد وكرر للتوكيد وليست
المسئلة من التنازع قال جرير • فهيهات هيهات العقيق واهله • وهيهات خل بالعقيق نواصله •
وفسره الزجاج في ظاهر عبارته بالمصدر فقال البعد لما توعدون فظاهرها انه مصدر
بدليل عطف الفعل عليه ويمكن ان يكون فسر المعنى فقط وهيهات اسم لفعل قاصر يرفع الفاعل
وهنا قد جاء ما ظاهره الفاعل مجرورا باللام فمنهم من جعله على ظاهره وقال ما توعدون فاعل به
وزيدت فيه اللام التقدير بعد بعد ما توعدون وهو ضعيف اذ لم يعهد زيادتها في الفاعل
ومنهم من جعل الفاعل مضمرا لدلالة الكلام عليه فقدره ابو البقا هيهات التصديق او الصحة
لما توعدون وقدره غيره بعد اخراجكم ولما توعدون للبيان قاله الزمخشري ليبا المستبعد ما
هو بعد التصويت بكلمة الاستبعاد كما جاءت اللام في هيت لك لبيان المهيت به وقال الزجاج
البعد لما توعدون فجعله مبتدا والجار بعده الخبر قال الزمخشري فان قلت ما توعدون هو
المستبعد ومن حقه ان يرتفع بهيهات كما ارتفع بقوله • فهيهات هيهات العقيق واهله •
فما هذه اللام قلت قال الزجاج في تفسيره البعد لما توعدون او بعد لما توعدون فيمن
نون فنزله منزلة المصدر قال ابو حيان وقول الزمخشري فيمن نونه نزله منزلة المصدر ليس
بواضح لانهم قد نونوا اسماء الافعال ولا نقول انها اذا نونت نزلت منزلة المصادر قال شهاب
الدين الزمخشري لم يقل كذا انما قال فيمن نون نزله منزلة المصدر لاجل قوله او بعد فالتنوين
علة لتقديره اياه نكرة لا لكونه منزلا منزلة المصدر فان اسماء الافعال ما نون منها نكرة وما لم ينون
معرفة بخصوصه وصلة بعد الاول بالسكوت والثاني بسكوت تما وقال ابن عطية طورا يلي الفاعل دون
لام تقول هيهات مجي زيد اي بعد واحيانا يكون الفاعل محذوفا عند اللام كهذه الاية التقدير
بعد الوجود لما توعدون ولم يستجوده ابو حيان من حيث قوله حذف الفاعل والفاعل لا يحذف
ومن حيث فيه حذف المصدر وهو الوجود وابقا معموله وهو لما توعدون وهيهات الثاني
تاكيد للاول تاكيدا لفظيا وقد جاء غير موكد كقوله • هيهات منزلنا بنعف سويقة • كانت مباركة على الايام •
وقال اخر • هيهات ناس من اناس ديارهم • دقاق ودار الاخرين الاوابن • وقال رؤبة
• هيهات من مخرق هيهاؤه • قال الفيسي شارح ابيات الايضاح وهذا امثل قولك بعد بعده
وذلك انه بني من هذه اللفظة فعلال كما بني من الجلجلة التلتال والزلزال والالف في هيهات غير الالف
في هيهاه فهي في هيهات لام الفعل الثانية كقاف الحقحقة الثانية وهي في هيهاه الف
الفعلال الزايدة وفي هذه اللفظة لغات كثيرة تزيد على الاربعين ذكر منها الصغاني ستة
وثلاثين لغة وهي هيهات • وايهات • وهيهان • وايهان • وهايهات • واهيهات • كل واحد من هذه
الست مضمومة الاخر ومفتوحته ومكسورته وكل واحد منها منونة وغير منونة فتكون ستا
وثلاثين وحكى غيره هيهاتا • وايهاك بكاف الخطاب • وايهاء • وايها • وايهنا • وهيها • فاما المشهور
وما قرئ به فالمشهور هيهات بفتح التا من غير تنوين بني لوقوعه موقع المبني ولشبهه بالحرف
وتقدم تحقيق ذلك وبها قرا العامة وهي لغة اهل الحجاز وهيهاتا بالفتح والتنوين وبها قرا
ابو عمرو في رواية هرون عنه ونسبها ابن عطية لخالد بن الياس وهيهات بالضم والتنوين وبها قرا
الاحمر وابو حيوة وبالضم من غير تنوين ويروى عن ابي حيوة ايضا فعنه فيها وجهان وافقه ابو السمال
في الاولى دون الثانية وهيهات بالكسر والتنوين وبها قرا عيسى وخالد بن الياس وبالكسر من غير

تنوين وهي قراة ابي جعفر وشيبه وتروى عن عيسى ايضا وهي لغة تميم واسد وهيهاتْ باسكان التا وبها قرا
عيسى بن عمر الهمداني ايضا وخارجه عن ابي عمرو والاعرج وفيها ه بالهاء اخرا وصلا وايهات بابدال
الهاء همزة مع فتح التاء وبها تين قرا بعض القرا فيما نقل ابو البقا فهذه تسع لغات قد قرئ بهن ولم
يتوا ترمنها غير الاولى فتجوز ابدال الهمزة من الهاء الاولى في جميع ما تقدم فيكمل بذلك ست عشرة لغة
واسمان بالنون اخرا وا بها بالالف اخرا فمن فتح التا قالوا فهي عنده اسم مفرد ومن كسرها فهي عنده جمع
تانيث كزينبات وهندات ويعزى هذا الى سيبويه لانه قال هي مثل بيضات فنسب اليه انه جمع
من ذلك حتى قال بعض النحويين مفردها هيهه مثل بيضه وليس بشي بل مفردها هيهاة قالوا وكان ينبغي
علي اصله ان يقال فيها هيهيات بقلب الف هيهاة يا لزيادتها على الاربعة نحو ملهيات ومعزيات
ومومنيات لانها من بنات الاربعة المضعفة من اليا من باب حاحيت وصيصيه واصلها بوزن القلقلة
والخحفة فانقلبت اليا الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فصارت هيهاة كالسلقاة والجعباة وان كانت
اليا التي انقلبت عنها الف سلقاة وجعلناه زايدة وياء هيهيه اصلا فلما جمعت كان قياسها على قولهم
ارطبانات وعلقيات ان يقولوا فيها هيهيات الا انهم حذفوا الالف لالتقا الساكنين فلما كانت في اخر
اسم مبني كما حذفوها في ذان واللتان ذتان ليفصلوا بين الالفات في اخر المبنيه والالفات في اخر
المتمكنة وعلى هذا حذفوها في اولات وذوات لتخالف ما حصيات ونويات وقالوا من فتح تاء هيهات
فحقه ان يكتبها ها لانها في مفرد كثمرة وتواه ومن كسرها فحقه ان يكتبها تا لانها في جمع كهندات
وكذلك حكم الوقف سوا ولا التفات الى لغة كيف الاخوة والاخواه ولا هذه ثمرات لقلتها وقد رسمت
في المصحف بالها واختلف القراء في الوقف عليها فمنهم من اتبع الرسم فوقف بالها وهما الكساي والبزي
عن ابن كثير ومنهم من وقف بالتا وهم الباقون وكان ينبغي ان يكون الاكثر على الوقف بالها لوجهين
احدهما موافقة الرسم والثاني انهم قالوا المفتوح اسم مفرد اصله هيهيه كزلزله وقلقله من مضاعف
الرباعي وقد تقدم ان المفرد يوقف على تا تانيثه بالها واما التنوين فهو على قاعدة تنوين اسماء
الافعال دخوله دال على التنكير وخروجه دال على التعريف المعنيي من نون اعتقد تنكيرها
وتصور معنى المصدر انكرة كانه قال بعدا بعدا ومن لم ينون اعتقد تعريفها وتصور معنى
المصدر المعرفة كانه قال البعد البعد فجعل التنوين دليل التنكير وعدمه دليل التعريف
انتهى ولا يوجد تنوين التنكير الا في نوعين اسما الافعال واسما الاصوات نحو سيبويه وسيبويه وليس
بقياس بمعنى انه ليس لك ان تنون منها ما شيت بل ما سمع تنوينه اعتقد تنكيره والذي يقال في القرات
المتقدمة ان من نون جعله للتنكير كما تقدم ومن لم ينون جعل عدم التنوين للتعريف ومن فتح
فللخفة وللاتباع ومن كسر فعلى اصل التقا الساكنين ومن ضم فتشبيها بقبل وبعد ومن سكن فلان
اصل البنا السكون ومن وقف بالها فاتباعا للرسم ومن وقف بالتا فعلى الاصل سوا كسرت التا او فتحت
لان الظاهر انها سوا وانما ذلك من تغيير اللغات وان كان المنقول عن مذهب سيبويه ما تقدم هكذا
ينبغي ان يعلل القرات المتقدمة وقال ابن عطية فمن ضم ونون انه اسم معرب مستقل مرفوع بالابتدا
وخبره لما توعدون اي البعد لوعدكم كما تقول النجح لسعيك وقال الرازي في اللوامح فاما من رفع
ونون احتمل ان يكونا اسمين متمكنين مرفوعين خبرهما من حروف الجر بمعنى البعد لما توعدون والتكرار
للتاكيد ويجوز ان يكونا اسما للفعل والضم للبنا مثل حوب في زجر الابل لكنه نونه نكرة قال الشهاب الدين
وكان ينبغي لابن عطيه ولابي الفضل ان يجعلاه اسما في حالة النصب مع التنوين على انه مصدر واقع
موقع الفعل وقرا ابن ابي عبلة هيهات هيهات ما توعدون من غير لام جر وهي واضحة مزيلة لمدعي
زيادتها في قراة العامة **وما** في لما توعدون تحتمل المصدرية اي لوعدكم وان يكون بمعنى الذي
والعايد محذوف اي توعدونه **قوله** ان هي ضمير يفسره سياق الكلام اي ان حالتكم الا حياتنا

وقال

وقال الزمخشري هذا ضمير لا يعلم ما يراد به الا بما يتلوه من بيانه واصله ان الحياة الا حياتنا
الدنيا فوضع هي موضع حياتنا لان الخبر يدل عليها ويبينها ومنه هي النفس تتحمل ما حملت وهي العرب
تقول ما شاءت وقد جعل بعضهم هذا القسم مما يفسر بما بعده لفظا ورتبة ونسبه الى الزمخشري متعلقا
بما نقلناه عنه قال شهاب الدين ولا تعلق له في ذلك **قوله** نموت ونحيا جملة مفسرة لما ادعوه من
ان حياتهم ما هي الا كذا وزعم بعضهم ان فيها دليلا على عدم الترتيب في الواو اذ المعنى نحيا ونموت
اذ هو الواقع ولا دليل فيها لان الظاهر من معناها يموت البعض منا ويحيا اخرون وهلم جرا يسيرون
الى انقراض العصر فيخلف غيره مكانه وقيل نموت نحن ونحيا ابناؤنا وقيل القوم كانوا يعتقدون
الرجعة اي نموت ثم نحيا بعد ذلك الموت **فصل** اعلم ان القوم طعنوا في نبوته بكونه بشرا
ياكل ويشرب ثم جعلوا الطاعته خسرانا اي انكم ان اعطيتموه الطاعة من غير ان يكون لكم بازايها نفع
فذلك هو الخسران ثم طعنوا في صحة الحشر والنشر فقالوا ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم
مخرجون من دون احيا للمجازاة ثم لم يقتصروا على هذا القدر حتى قرنوا به الاستبعاد العظيم فقالوا
هيهات هيهات لما توعدون ثم اكدوا ذلك بقولهم ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ولم يريدوا
بقولهم نموت ونحيا الشخص الواحد بل ارادوا ان البعض يموت والبعض يحيا وانه لا اعادة ولا حشر
فلذلك قالوا وما نحن بمبعوثين ثم بنوا على هذا فطعنوا في نبوته وقالوا لما اتى في دينه هذا الباطل
فقد افترى على الله كذبا وما نحن له بمومنين واعلم ان الله تعالى لما اجاب عن هاتين الشبهتين
لظهور فسادهما اما الاولى فتقدم الجواب عنها واما انكارهم الحشر والنشر فجوابه انه سبحانه لما كان
قادرا على كل الممكنات عالما بكل المعلومات وجب ان يكون قادرا على الحشر والنشر وايضا فلولا الاعادة
لكان تسليط القوي على الضعيف في الدنيا ظلما وهو غير لايق بالحكيم على ما تقرر في قوله تعالى ان الساعة
اتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى واعلم ان الرسول لما يئس من قبول دعوته فزع الى ربه وقال
رب انصرني بما كذبون وقد تقدم تفسيره فاجاب الله سواله وقال عما قليل ليصبحن نادمين **قوله**
عما قليل في ما هذه وجهان احدهما انها مزيدة بين الجار والمجرور للتوكيد كما زيدت في الباء نحو فبما رحمة
وفي من نحو مما خطاياهم وقليل صفة لزمن محذوف اي عن زمن قليل والثاني انها غير زايدة
بل هي نكرة بمعنى شي او زمن وقليل صفتها او بدل منها وهذا الجار فيه ثلاثة اوجه احدها انه
متعلق بقوله ليصبحن اي ليصبحن عن زمن قليل نادمين الثاني انه متعلق بنادمين وهذا على
احد الاقوال ولام القسم وذلك ان فيها ثلاثة اقوال جواز تقدم معمول ما بعدها عليها مطلقا
وهو قول الفرا وابي عبيدة والثاني المنع مطلقا وهو قول جمهور البصريين والثالث التفصيل بين
الظرف وعديله وبين غيرهما فيجوز فيهما للاتساع ويمتنع في غيرهما فلا يجوز في والله لاضربن
زيدا لاضربن لانه غير ظرف ولا عديله والثالث من الاوجه المتقدمة انه متعلق بمحذوف
تقديره عما قليل ينصر حذف لدلالة ما قبله عليه وهو قوله رب انصرني وقرئ لتصبحن بتاء
الخطاب على الالتفات او على ان القول صدر من الرسول لقومه بذلك **قوله** عما قليل الاية
معناه انه تظهر لهم علامات الهلاك فعند ذلك تحصل لهم الحسرة والندامه على ترك القبول ثم
بين تعالى الهلاك الذي انزل عليهم بقوله فاخذتهم الصيحة بالحق قيل ان جبريل عليه السلام
صاح بهم صيحة عظيمة فهلكوا وقال ابن عباس الصيحة هي الرجفة وعن الحسن الصيحة
نفس العذاب والموت كما يقال فيمن يموت دعي فاجاب وقيل هي العذاب المصطلم قال
الشاعر صاح الزمان بآل برمك صيحة خروا لشدتها على الاذقان والاول اولى
لانه الحقيقة **قوله** بالحق اي دمرناهم بالعدل من قولك فلان يقضي بالحق اذا كان
عادلا في قضايه وقال المفضل بالحق اي بما لا مدفع له كقوله وجاءت سكرة الموت بالحق

قوله فجعلناهم غثاء الجعل بمعنى التصيير وغثاء مفعول ثان والغثاء قيل هو الجفاء وتقدم في الرعد قاله الاخفش وقال الزجاج هو البالي من ورق الشجر والعيدان اذا جرى السيل خالط زبده واسود ومنه قوله غثاء احوى وقيل كلما يلقيه السيل والقدر مما لا ينتفع به وبه يضرب المثل في ذلك ولامه واو لانه من غثا الوادي يغثوا غثوا وكذلك غثت القدر واما غثيت نفسه تغثي غثيانا اي خبثت فهو قريب من معناه ولكنه من مادة اليا وتشدد ثا الغثا وتخفف وقد جمع على اغثا وهو شاذ بل كان قياسه ان يجمع على اغثية كاغربة او على غثيان كغربان وغلمان وانشد والامرء القيس من السيل والغثا فلكة مغزل بتشديد الثا وتخفيفها والجمع اي والاغثاء **قوله** فبعدا للقوم الظالمين بعدا مصدر يذكر من اللفظ بفعله فناصبه واجب الاضمار لانه بمعنى الدعا عليهم والاصل بعد بعدا وبعدا نحو رشد رشدا ورشدا وفي هذه اللام قولان اظهرهما انها متعلقة بمحذوف للبيان كهي في سقيا له وجدعا له قاله الزمخشري والثاني انها متعلقة ببعدا قاله الحوفي وهذا مردود لانه لا يحفظ حذف هذه اللام ووصول المصدر الى مجرورها البتة ولذلك منعوا الاشتغال في قوله والذين كفروا فتعسا لهم لان اللام لا تتعلق بتعسا بل بمحذوف وان كان الزمخشري جوز ذلك وسياتي في موضعه ان شا الله تعالى

فصل فجعلناهم غثاء صيرناهم هلكى فيبسوا يبس الغثاء من نبات الارض فبعدا بمنزلة اللعن الذي هو التبعيد من الخير للقوم الظالمين الكافرين ذكر هذا على وجه الاستخفاف والاهانة لهم **قوله تعالى** ثم انشانا من بعدهم قرونا اخرين اي اقواما اخرين قيل المراد قصة لوط وشعيب وايوب ويوسف صلوات الله عليهم والمعنى انه ما اخلا الديار من المكلفين ما تسبق من امة اجلها من صلة اي ما تسبق امة اجلها وقت هلاكها وقيل اجال حياتها وتكليفها قال اهل السنة هذه الاية تدل على المقتول ميت باجله اذ لو قتل قبل اجله لكان قد تقدم الاجل او تاخر وذلك ينافيه هذا النص **قوله** ثم ارسلنا رسلنا تترى في تترى وجهان اظهرهما انه منصوب على الحال من رسلنا يعني متواترين اي واحدا بعد واحد وتتابعوا على حسب الخلاف في معناه وحقيقته انه مصدر واقع موقع الحال والثاني انه نعت مصدر محذوف تقديره ارسالا تترى اي متتابعا او ارسالا اثر ارسال وقرا ابن كثير وابو عمرو وابو جعفر وهي قراءة الشافعي تترى بالتنوين ويعقوب بالالف وباقي السبعة تترى بالف صريحة دون تنوين والوقف عندهم يكون باليا ويميله حمزة والكسائي وهو مثل غضبى وسكرى ولا يميله ابو عمرو في الوقف وهذه هي اللغة المشهورة فمن نونه فله وجهان احدهما ان وزن الكلمة فعل كفلس فقوله تترى كقولك نصرته نصرا ووزنه في قراءتهم فعلا وقد رد هذا الوجه بانه لم يحفظ جريان حركات الاعراب على رايه فيقال هذا تترٌ ومررت بتترٍ نحو هذا نصرٌ ورايت نصرا ومررت بنصرٍ فلما لم يحفظ ذلك بطل ان يكون وزنه فعلا الثاني ان الفه للالحاق فتجعل كهي في ارطى وعلقى فلما نون ذهبت للالتقا الساكنين وهذا اقرب مما قبله ولكنه يلزم منه وجود الف الالحاق في المصادر وهو نادر الثالث انها للتانيث كدعوى وهي واضحة فتحصل في الفه ثلاثة اوجه احدها انها بدل من التنوين في الوقف الثاني انها للالحاق الثالث للتانيث واختلف فيها هل هي مصدر كدعوى وذكرى او اسم جمع كاسرى وشتى كذا قاله ابو حيان وفيه نظر اذ المشهور ان اسرى وشتى جمعا تكسير لا اسما جمع وفاؤها في الاصل واو لانها من المواترة والوتر فقلبت تاء كما قلبت تاء في توريه وتولج وتيقور وتخمة وتراث وتجاه فانه من الورى والولوج والوقار والوخامة والوراثة والوجه واختلفوا في مدلولها فعن الاصمعي واحدا بعد واحد وبينهما هنيهة وقال غيره هو من المواترة وهي التتابع بغير مهلة وقال الراغب والتواتر تتابع الشي وترا وفرادى

قال تعالى ثم ارسلنا رسلنا تترى والوتيرة السجية والطريقة يقال هو على وتيرة واحدة والترة الذحل والوتيرة الحاجز بين المنخرين **قوله** كلما جاء امة رسولها كذبوه اي انهم سلكوا في تكذيب انبيائهم مسلك من تقدم ذكره ممن اهلكه الله بالغرق والصيحة ولذلك قال فاتبعنا بعضهم بعضا بالاهلاك **قوله** وجعلناهم احاديث قيل هو جمع حديث ولكنه شاذ والمعنى سمرا وقصصا يتحدث من بعدهم بامرهم ولم يبق منهم عين ولا اثر الا الحديث الذي يعتبر به وقيل بل هو جمع احدوثة كاضحوكة واعجوبة وهو ما يتحدث به الناس تلهيا وتعجبا وقال الاخفش لا يقال ذلك الا في الشر ولا يقال في الخير وقد شذت العرب في الفاظ فجمعوها على صيغة مفاعيل كاباطيل واقاطيع وقال الزمخشري يكون اسم جمع للحديث ومنه احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو حيان وافاعيل ليس من ابنية اسم الجمع فانما ذكره النحاة فيما شذ عن الجموع كقطيع واقاطيع واذا كان عباديد قد حكموا عليه بانه جمع تكسير مع انهم لم يلفظوا له بواحد فاحرى احاديث وقد لفظ له بواحد وهو حديث فاتضح انه جمع تكسير لا اسم جمع لما ذكرنا ثم قال **قوله تعالى** فبعدا لقوم لا يؤمنون وهذا دعاء وذم وتوبيخ وذلك وعيد شديد ثم ارسلنا موسى واخاه هرون الاية يجوز ان يكون هرون بدلا وان يكون بيانا وان يكون منصوبا باضمار اعني واختلفوا في الايات فقال ابن عباس هي الايات التسع وهي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والبحر والسنين ونقص الثمرات وقال الحسن باياتنا اي بديننا واحتج بان المراد لو كان الايات وهي المعجزات والسلطان المبين هو ايضا المعجز لزم منه عطف الشي على نفسه والاول اقرب لان لفظ الايات اذا ذكر مع الرسل فالمراد به المعجزات واما احتجاجه فالجواب عنه من وجوه الاول ان المراد بالسلطان المبين يجوز ان يكون اشرف معجزاته وهي العصا لان فيها معجزات شتى من انقلابها حية وتلقفها ما صنع السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربهما بها وكونها حارسا وشمعة وشجرة مثمرة ودلوا ورشا فلاجتماع هذه في العصا بل فيها افردت بالذكر كقوله وجبريل وميكال والثاني يجوز ان يكون المراد بالايات نفس تلك المعجزات وبالسلطان المبين كيفية دلالتها على الصدق لانها وان شاركت ايات سائر الانبيا في كونها ايات فقد فارقتها في قوة دلالتها على قبول قول موسى عليه السلام الثالث ان يكون المراد بالسلطان المبين استيلا موسى عليه السلام عليهم في الاستدلال على وجود الصانع واثبات النبوة وانه ما كان يقيم لهم قدرا ولا وزنا واعلم ان الاية تدل على ان معجزات موسى كانت معجزات هرون ايضا وان النبوة مشتركة بينهما وكذلك المعجزات ثم قال الى فرعون وملائه فاستكبروا وانقطعوا عن الايمان وكانوا قوما عالين متكبرين قاهرين غيرهم بالظلم **قوله** لبشرين بشر يقع على الواحد والمثنى والمجموع والمذكر والمونث قال تعالى ما انتم الا بشر وقد تطابق ومنه هذه الاية واما افراد مثلنا فلانه يجري مجرى المصادر في الافراد والتذكير ولا يونث اصلا وقد يطابق ما هو له مثنية كقوله مثليهم راي العين وجمعا كقوله ثم لا يكونوا امثالكم وقيل اريد المماثلة في البشرية لا الكمية وقيل اكتفي بالواحد عن الاثنين وقومهما لنا عابدون جملة حالية **فصل** فقالوا يعني فرعون وقومه انؤمن لبشرين مثلنا يعنون موسى وهرون وقومهما لنا عابدون اي مطيعون متذللون قال ابو عبيدة والعرب تسمي كل من دان لملك عابدا له ويحتمل ان يقال انه كان يدعي الالهية وان طاعة الناس له عبادة ولما خطر ببالهم هذه الشبهة صرحوا بالتكذيب ولما كان التكذيب كالعلة لهلاكهم لا جرم رتبه عليه بفا التعقيب فقال فكذبوهما فكانوا من المهلكين اي بالغرق اي فبحكم عليهم بالغرق فان الغرق لم يحصل عقيب التكذيب انما حصل عقيب التكذيب حكم الله تعالى عليهم بالغرق في الوقت اللايق به **قوله**

ولقد آتينا موسى الكتاب قيل اراد قوم موسى فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ولذلك اعاد
الضمير من قوله لعلهم عليهم وفيه نظر اذ يجوز عود الضمير على القوم من غير تقدير اضافتهم الى موسى
ويكون هدايتهم مترتبة على ايتا التورية لموسى قال الزمخشري لا يجوز ان يرجع الضمير في لعلهم
الى فرعون وملايه لان التورية انما اوتيت بنو اسرايل بعد اغراق فرعون بدليل قوله تعالى
ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى بل المعنى الصحيح ولقد آتينا موسى
الكتاب لعلهم يعملون بشرايعها ومواعظها فذكر موسى والمراد ال موسى كما يقال هاشم وثقيف
والمراد قومهم **قوله** وجعلنا ابن مريم وامه اية والمراد عيسى عليه السلام وامه اية دالة على
قدرتنا ولم يقل ايتين قيل معناه جعلنا شانهما اية وقيل المعنى كل واحد اية كقوله كلتا الجنتين
اتت اكلها قال المفسرون معنى كون عيسى وامه اية انه خلق من غير ذكر وانطقه في المهد في الصغر
واجرى على يديه ابرا الاكمه والابرص واحيا الموتى واما مريم فلانها حملت من غير ذكر وقال
الحسن تكلمت مريم في صغرها كما تكلم عيسى وهو قولها هو من عند الله ان الله يرزق من يشا بغير حساب
ولم تلقم ثديا قط قال ابن الخطيب والاقرب ان جعلهما اية هو نفس الولاد لانه ولد من غير ذكر
وولدته من دون ذكر فاشتركا جميعا في هذا الامر العجيب الخارق للعادة ويدل على هذا
وجهان الاول قوله وجعلنا ابن مريم وامه اية لان نفس المعجز ظهر فيهما لا انه ظهر على يديهما لان
الولادة فيه وفيها بخلاف الايات التي ظهرت على يده الثاني قوله اية ولم يقل ايتين وحمل
هذا اللفظ على الامر الذي لا يتم الا بمجموعهما اولى وذلك هو الولاد لا المعجزات التي كانت لعيسى **قوله**
واويناهما الى ربوة الربوة والرباوة في رايهما الحركات الثلاث وهي الارض المرتفعة قال
عطا عن ابن عباس هي بيت المقدس وهو قول قتادة وابي العالية وكعب قال كعب هي اقرب
الارض الى السما بثلاثة عشر ميلا وقال ابو هريرة انها الرملة وقال السدي ارض فلسطين
وقال عبد الله بن سلام هي دمشق وهو قول سعيد بن المسيب ومقاتل والضحاك وقال الكلبي
وابن زيد هي مصر والقرار المستقر من الارض مستويه منبسطة وقال قتادة ذات ثمار
وما اي لاجل الثمار يستقر فيها ساكنوها **قوله** ومعين صفة لموصوف محذوف اي وما
معين وفيه قولان احدهما ان ميمه زايدة واصله معيون اي مبصر بالعين فاعل اعلال مبيع
وبابه وهو مثل قولهم كبدته اي ضربت كبده وراسته اي اصبت راسه وعنته اي ادركته
بعيني ولذلك ادخله الخليل في مادة ع ي ن والثاني ان الميم اصلية ووزنه فعيل مشتق
من المعن واختلف في المعنى فقيل هو الشي القليل ومنه الماعون وقيل هو من معن الشي معانه
اي كثر قال جرير ٭ ان الذين غدوا بلبك غادروا ٭ وشلا بعينك لا يزال معينا ٭ وقال الراغب
هو من معن الماء جرى وسمي مجاري الماء معنان وامعن الفرس تباعد في عدوه وامعن بحقي ذهب
به وفلان معن في حاجته يعني سريعا فكله راجع الى معنى الجري والسرعة وفي المعين قولان
احدهما انه مفعول لانه لظهوره مدرك بالعين من عانه اذا ادركه بعينه وقال الفرا
والزجاج ان شيت جعلته فعيلا من الماعون ويكون اصله من المعين والماعون فاعول منه
قال ابو علي والمعن السهل الذي ينقاد ولا يتعاصى والماعون ما سهل على معطيه قالوا وسبب الايوا
انها فرت بابنها عيسى الى الربوة وبقيت بها اثني عشر سنة وانما ذهب بها ابن عمها يوسف ثم رجعت
الى اهلها بعد ما مات ملكهم **قوله تعالى** يا ايها الرسل كلوا من الطيبات الاية اعلم
ان هذا الخطاب مع كل الرسل وذلك غير ممكن لان الرسل انما ارسلوا متفرقين في ازمنة مختلفة
فلهذا اولوه على وجوه فقيل معناه الاعلام بان كل رسول نودي في زمانه بهذا المعنى ووصي
ليعتقد السامع ان امرا نودي له جميع الرسل ووصوا به حقيق ان يوخذ به ويعمل عليه وقال

الحسن

الحسن ومجاهد وقتادة والسدي والكلبي وجماعة اراد به محمدا عليه السلام وحده على مذهب العرب
في مخاطبة الواحد بلفظ الجماعة كقولك للواحد ايها القوم كفوا عنا اذاكم ولانه ذكر ذلك بعد انقضا
اخبار الرسل وقال ابن جرير المراد عيسى عليه السلام لانه انما ذكر بعد ذكره فكانه الجامع
للطعام والشراب ولانه روي ان عيسى عليه السلام كان ياكل من غزل امه والاول اقرب لانه اوفق
للفظ ولانه روي عن ام عبد الله اخت شداد بن اوس انها بعثت الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم بقدح لبن في شدة الحر عند فطره وهو صايم فرده الرسول اليها وقال من اين لك هذا
فقالت من شاة لي فقال من اين هذه الشاة فقالت اشتريتها بمالي فاخذه ثم انها جاته فقالت
يا رسول الله لم رددته فقال عليه السلام بذلك امرت الرسل ان لا تاكل الا الطيبا ولا تعمل
الا صالحا واختلفوا في الطيب فقيل هو الحلال وقيل هو المستطاب المستلذ من الماكل **قوله**
واعملوا صالحا يجوز ان يكون صالحا نعتا لمصدر محذوف اي واعملوا عملا صالحا من غير نظر الى ما
تعملونه كقولهم يعطي ويمنع ويجوز ان يكون مفعولا به وهو واقع على نفس المعمول اني بما تعملون عليم
وهذا تحذير من مخالفة ما امرهم به واذا كان ذلك تحذيرا للرسل مع علو شانهم فبان يكون
تحذيرا لغيرهم اولى **قوله** وان هذه امتكم امة واحدة قرا ابن عامر وحده وان بفتح
الهمزة وتخفيف النون والكوفيون بكسرها والتثقيل والباقون بفتحها والتثقيل فاما قراة
ابن عامر فهي المخففة من الثقيلة وسيأتي توجيه الفتح في الثقيلة فتتضح معنى قراته واما قراة
الكوفيين فعلى الاستيناف واما قراة الباقين ففيها ثلاثة اوجه احدها انها على حذف اللام
اي ولان هذه فلما حذف الحرف جرى الخلاف المشهور وهذه اللام تتعلق بفاتقون والكلام في
الفا كالكلام في قوله واياي فارهبون الثاني انها منسوقة على بما تعملون اي اني عليم بما تعملون
وبان هذه فهذه داخلة في حيز المعلوم الثالث ان في الكلام حذفا تقديره واعلموا ان هذه
امتكم وتقدم فتقطعوا امرهم بينهم زبرا وما قيل فيهما **فصل** المعنى وان هذه ملتكم وشريعتكم
التي انتم عليها امة واحدة اي ملة واحدة وهي الاسلام فان قيل لما كانت شرايعهم مختلفة
فكيف يكون دينهم واحدا فالجواب ان المراد من الدين ما لا يختلفون فيه من اصول الدين
من معرفة ذات الله وصفاته واما الشرايع فان الاختلاف فيها لا يسمى اختلافا في الدين فكما
يقال في الحايض والطاهر من النسا ان دينهن واحد وان افترق تكليفهما فكذا هنا وقيل المعنى ان هذا الذي تقدم
مما امرت به المرسلين قبلكم وامركم واحد وانا ربكم فاتقون فاحذروا ان تقطعوا امرهم بينهم
بينهم اي تفرقوا فصاروا فرقا يهودا ونصارى ومجوسا زبرا اي فرقا وقطعا مختلفة واحدها
زبور وهو الفرقة والطايفة ومثلها الزبرة وجمعها زبر ومنه زبر الحديد وقرا بعض اهل
الشام زبرا بفتح البا وقال مجاهد وقتادة زبرا اي كتبا اي دان كل فريق بكتاب غير الكتاب
الذي دان به الاخر وقيل جعلوا كتبهم قطعا امنوا بالبعض وكفروا بالبعض وحرفوا البعض
كل حزب بما لديهم فرحون بما عندهم من الدين معجبون مسرورون ولما ذكر تفرقهم في دينهم
اتبعه بالوعيد وقال فذرهم في غمرتهم وهذا خطاب لنبينا عليه السلام اي دع هولاء
الكفار في جهلهم **قوله** في غمرتهم مفعول ثان لذرهم اي اتركهم مستقرين في غمرتهم ويجوز ان يكون
ظرفا للترك والمفعول الثاني محذوف والغمرة في الاصل الما الذي يغمر القامة والغمر الما الذي يغمر
الارض ثم استعير ذلك للجهالة فقيل فلان في غمرة والمادة تدل على الغطا والاستتار ومنه الغمر
بالضم لمن لم يجرب الامور وغمار الناس وخمارهم زحامهم والغمر بالكسر الحقد لانه يغطي القلب والغمرات
الشدايد والغامر الذي يلقي نفسه في المهالك وقال الزمخشري الغمرة الما الذي يغمر القامة
فضربت لهم مثلا لما هم فيه من جهلهم وعمايتهم او شبهوا باللاعبين في غمر الما لما عليه من الباطل كقوله

تعالى

كاتني ضارب في غمره لعب . وقرا امير المؤمنين وابو حيوه وابو عبد الرحمن غمراتهم بالجمع لان لكل منهم
غمرة تخصه وقراة العامة لاتاتي هذا المعنى فانه اسم جنس مضاف **قوله** حتى حين اي الي ان
يموتوا وقيل الي حين المعاينة وقيل الي حين العذاب ولما كان القوم في نعم عظيمة في الدنيا جاز ان
يظنوا ان تلك النعم كالثواب المعجل لهم على اديانهم فبين سبحانه ان الامر بخلاف ذلك فقال
ايحسبون ان ما نمدهم به من مال وبنين اي ان ما نعطيهم ونجعله مددا لهم من المال والبنين في
الدنيا نسارع لهم في الخيرات اي نعجل لهم في الخيرات ونقدمها ثوابا باعمالهم لمرضاتنا عنهم بل لا
يشعرون ان ذلك استدراج لهم **قوله** ان ما نمدهم في ما هذه ثلاثة اوجه احدها انها بمعنى
الذي وهي اسم ان والعايد من هذه الجملة ونمدهم به صلتها وعايدها ومن مال حال من الموصول
او بيان له فيتعلق بمحذوف ونسارع خبر ان والعايد من هذه الجملة الي اسم ان محذوف تقديره
نسارع لهم به او فيه الا ان حذف مثله قليل وقيل الرابط بين هذه الجملة باسم ان هو الظاهر
الذي قام مقام المضمر من قوله في الخيرات اذ الاصل نسارع لهم فيه فاوقع الخيرات موقعه تعظيما
وتنبيها على كونه من الخيرات وهذا يتمشى على مذهب الاخفش اذ يرى الربط بالاسما الظاهرة وان
لم يكن بلفظ الاول فيجيز زيد الذي قام ابو عبد الله اذا كان ابو عبد الله كنية زيد وتقدمت
منه امثلة قال ابو البقا ولا يجوز ان يكون الخبر من مال لانه كان من مال فلا يعاب عليهم اعتقادهم
ان تلك الاموال خير لهم الثاني ان يكون ما مصدرية فينسبك منها ومما بعدها مصدر هو اسم
ان ونسارع هو الخبر وعلى هذا فلا بد من حذف ان المصدرية قبل نسارع ليصح الاخبار تقديره
ان نسارع فلما حذفت ان ارتفع المضارع بعدها والتقدير ايحسبون ان امدادنا لهم من كذا
مسارعة منا لهم في الخيرات الثالث انها مهيئة كافة وبه قال الكسايي في هذه الاية وحينيذ
يوقف على وبنين لانه قد حصل بعد فعل الحسبان نسبة من مسند ومسند اليه نحو حسبت انما يطلق
عمرو وانما تقوم انت وقرا يحيى بن وثاب انما بكسر الهمزة على الاستيناف ويكون حذف مفعولي الحسبان
اقتصارا واختصارا وابن كثير في رواية يمدهم بالبا وهو الله تعالى وقياسه ان يقرا يسارع
بالبا ايضا وقرا السلمي وابن ابي بكرة يسارع بالبا وكسر الرا وفي فاعله وجهان احدهما الباري
تعالى والثاني ضمير ما الموصولة ان جعلناها بمعنى الذي او على المصدر ان جعلناها مصدرية
وحينيذ يكون نسارع لهم الخبر فعلى الاول يحتاج الي تقدير عايد اي يسارع الله لهم به او فيه
وعلى الثاني لا يحتاج اذ الفاعل ضمير ما الموصولة وعن ابي بكرة المتقدم ايضا يسارع بالبا ومبنيا
للمفعول وفي الخيرات هو القايم مقام الفاعل والجملة خبر ان والعايد محذوف على ما تقدم
وقرا الحسن نسرع بالنون من اسرع وهي كنسارع فيما تقدم وبل لا يشعرون اضراب عن الحسبان
المستفهم عنه استفهام تقريع وهو اضراب انتقال والمعنى انهم اشباه البهايم لا شعور لهم حتى يتفكروا
في ذلك الامداد وهو استدراج ام مسارعة في الخير روي زيد بن ميسرة قال اوحى الله تعالى الى
نبي من الانبيا ايفرح عبدي ان ابسط له الدنيا وهو ابعد له مني ويجزع ان اقبض عنه الدنيا
وهي اقرب له مني ثم تلى ايحسبون انما نمدهم **قوله** ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون الايات
لما ذم من تقدم بقوله ايحسبون انما نمدهم ثم قال بل لا يشعرون بين بعده صفات من يسارع
في الخيرات فقال ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون والاشفاق يتضمن الخشية مع زيادة رقة
وضعف وقيل جمع بينهما للتاكيد ومنهم من حمل الخشية على العذاب والمعنى ان الذين هم من عذاب
ربهم مشفقون اي خايفون من عقابه **قوله** من خشية فيه وجهان احدهما انها لبيان الجنس قال
ابن عطية هي لبيان جنس الاشفاق قال شهاب الدين وهي عبارة قلقة والثاني انها متعلقة بمشفقون
قاله الحوفي وهو واضح **قوله** والذين هم بايات ربهم يؤمنون يصدقون وايات الله هي المخلوقات

الدالة على وجوده والذين هم بربهم لا يشركون وليس المراد منه الايمان بالتوحيد ونفي الشريك لله تعالى
لان ذلك داخل في قوله والذين هم بايات ربهم يؤمنون بل المراد منه نفي الشرك الخفي وهو ان يكون مخلصا
في العبادة لا يقدم عليها الا لوجه الله وطلب رضوانه **قوله** والذين يوتون ما اتوا العامة على
انه من الايتاء اي يعطون ما اعطوا وقرات عايشة وابن عباس والحسن والاعمش ياتون ما اتوا من
الاتيان اي يفعلون ما فعلوا من الطاعات واقتصر ابو البقا في ذكر الخلاف على اتوا فقط وليس بجيد لانه
يوهم ان من قرا اتوا بالقصر قرا يوتون من الرباعي وليس كذلك **قوله** وقلوبهم وجلة هذه الجملة
حال من فاعل يوتون فالواو للحال والمعنى يعطون ما اعطوه ويدخل فيه كل حق يلزم ايتاوه وسوا كان
من حقوق الله كالزكوات والكفارات وغيرها او من حقوق الادميين كالودايع والديون واصناف
الانصاف والعدل وبين ان ذلك انما ينفع اذا فعلوه وقلوبهم وجلة اي انهم يقدمون على العبادة
على وجل من تقصير واخلال بنقصان روي ان عايشة سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
والذين يوتون ما اتوا وقلوبهم وجلة اهو الذي يزني ويشرب الخمر ويسرق وهو على ذلك يخاف الله
فقال عليه السلام لا يا بنت الصديق ولكن هو الرجل يصلي ويصوم ويتصدق وهو على ذلك يخاف
الله **قوله** انهم يجوز ان يكون التقدير وجلة من انهم اي خايفة من رجوعهم الي ربهم ويجوز ان يكون
لانهم اي سبب الوجل الرجوع الي ربهم **قوله** اوليك يسارعون هذه الجملة خبر ان الذين وقرا
الاعمش انهم بالكسر على الاستيناف فالوقف على وجلة تام او كاف وقرا الحسن يسرعون من اسرع قال
الزجاج يسارعون ابلغ يعني من حيث ان المفاعلة تدل على قوة الفعل لاجل المغالبة **قوله** وهم لها
سابقون في الضمير لها اوجه اظهرها انه يعود على الخيرات لتقدمها في اللفظ وقيل يعود على الجنة
وقال ابن عباس الي السعادة وقال الكلبي سبقوا الامم الي الخيرات والظاهر ان سابقون هو الخبر
ولها متعلق به قدم للفاصلة وللاختصاص واللام قيل بمعنى الي يقال سبقت له واليه بمعنى
ومفعول سابقون محذوف تقديره سابقون الناس اليها وقيل اللام للتعليل اي سابقون الناس
لاجلها وتكون هذه الجملة موكدة للجملة قبلها وهي يسارعون في الخيرات ولانها تفيد معنى اخر وهو الثبوت
والاستقرار بعد ما دلت الاولى على التجدد وقال الزمخشري اي فاعلون السبق لاجلها او سابقون الناس
لاجلها قال ابو حيان وهذان القولان عندي واحد قال شهاب الدين ليسا بواحد اذ مراده بالتقدير
الاول ان لا يقدر للسبق مفعول البتة وانما الغرض الاعلام بوقوع السبق منهم من غير نظر الي من
سبقوه كقوله يحيي ويميت وكلوا واشربوا يعطي ويمنع وغرضه في الثاني تقدير مفعول حذف
للدلالة واللام للعلة في التقديرين وقال الزمخشري ايضا او اياها سابقون اي ينالونها قبل
الاخرة حيث عجلت لهم في الدنيا قال شهاب الدين يعني ان لها هو المفعول بسابقون وتكون اللام قد
زيدت في المفعول وحسن زيادتها شيان كل منهما لو انفرد لاقتضى الجواز كون العامل فرعا وكونه
مقدما عليه معموله وقال ابو حيان ولا يدل لفظ لها سابقون على هذا التفسير لان سبق الشي الشي
يدل على تقدم السابق على المسبوق فكيف يقول وهم يسبقون الخيرات هذا لا يصح قال شهاب الدين
ولا ادري عدم الصحة من اي جهة وكانه تخيل ان السابق يتقدم على المسبوق فكيف يتلاقيان لكنه
كان ينبغي ان يقول فكيف يقول وهم ينالون الخيرات وهم لا يجامعونها لتقدمهم عليها الا ان يكون قد سبقه
القلم فكتب بدل وهم ينالون وهم يسبقون وعلى كل تقدير فاين عدم الصحة وقال الزمخشري
ايضا ويجوز ان يكون وهم لها سابقون خبرا بعد خبر ومعنى وهم لها كمعنى قوله انت لها احمد من بين البشر
يعني ان هذا الوصف الذي وصف به الصالحين غير خارج من حد الوسع والطاقة فتحصل في اللام
ثلاثة اقوال احدها انها بمعنى الي والثاني انها للتعليل على بابها والثالث انها مزيدة وفي خبر
المبتدا قولان احدهما انه سابقون وهو الظاهر والثاني انه الجار كقوله . انت لها احمد من بين البشر

وهذا قد رجحه الطبري وهو مروي عن ابن عباس **قوله** ولا نكلف نفسا الا وسعها الاية لما ذكر كيفية اعمال المؤمنين المخلصين ذكر حكمين من احكام اعمال العباد فالاول قوله ولا نكلف نفسا الا وسعها قال المفضل الوسع الطاقة وقال مقاتل والضحاك والكلبي والمعتزلة هو دون الطاقة لان الوسع انما سمي وسعا لانه يتسع عليه فعله ولا يصعب ولا يضيق فبين ان اولئك المخلصين لم يكلفوا اكثر مما عملوا قال مقاتل من لم يستطع القيام فليصل قاعدا ومن لم يستطع الجلوس فليوم ايما ومن لم يستطع الصوم فليفطر **قوله** ولدينا كتاب ينطق بالحق ينطق صفة لكتاب وبالحق يجوز ان يتعلق بينطق وان يتعلق بمحذوف حالا من فاعله اي ينطق متلبسا بالحق ونظيره هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق فشبه الكتاب بمن يصدر عنه البيان فان الكتاب لا ينطق لكنه يعرب بما فيه وينطق الناطق اذا كان محقا فان قيل هولاء الذين يعرضون عليهم ذلك الكتاب اما ان يكونوا محيلين للكذب على الله او يجوزون ذلك عليه فان احالوه عليه فانهم يصدقونه في كل ما يقول سوا وجد الكتاب او لم يوجد وان جوزوه عليهم لم تحصل لهم بذلك الكتاب يقين لتجويزهم انه سبحانه كتب فيه خلاف ما حصل وعلى التقديرين لا فايدة في ذلك الكتاب فالجواب يفعل الله ما يشا وعلى انه لا يبعد ان يكون ذلك مصلحة للمكلفين من الملايكة **قوله** وهم لا يظلمون لا ينقص من حسناتهم ولا يزاد على سياتهم ونظيره ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا قالت المعتزلة الظلم اما ان يكون بالزيادة في العقاب او بالنقصان من الثواب او بان يعذب على ما لم يعمل او بان يكلفهم فتكون الاية دالة على كون العبد موجدا لفعله وان لكان تعذيبه عليه ظلما ويدل على انه لا يكلف ما لا يطاق واجيب بانه لما كلف ابا لهب ان يومن والايمان يقتضي تصديق الله في كل ما اخبر به ومما اخبر ان ابا لهب لا يومن فقد كلفه بان يومن فيلزمكم **قوله** بل قلوبهم في غمرة اي في غفلة وجهالة يعني الكفار في غفلة من هذا اي القران اي من هذا الذي بيناه في القران او من هذا الكتاب الذي ينطق بالحق او من هذا الذي هو وصف المشفقين ولهم اي لها ولاء الكفار اعمال من دون ذلك اي اعمال خبيثة من المعاصي من دون ذلك اي سوى جهلهم وكفرهم وقيل دون ذلك يعني من دون اعمال المومنين التي ذكرها الله عز وجل قال بعضهم اراد اعمالهم في الحال وقيل بل اراد المستقبل لقوله هم لها عاملون وانما قال ثم لها عاملون لانها مثبتة في علم الله تعالى وفي اللوح المحفوظ فوجب ان يعملوها ليدخلوا بها النار لما سبق لهم من الشقاوة وقال ابو مسلم هذه الايات من صفات المشفقين كانه قال بعد وصفهم ولا نكلف نفسا الا وسعها ونهاية ما اتى به هولا المشفقون ولدينا كتاب تحفظ اعمالهم ينطق بالحق فلا يظلمون بل قلوبهم في غمرة من هذا هو ايضا وصف لهم بالحيرة كانه قال وهم مع ذلك الوجل والخوف كالمتحيرين في ان اعمالهم مقبولة او مردودة ولهم اعمال من دون ذلك اي لهم ايضا من النوافل ووجوه البر سوى ما هم عليه اما اعمالا قد عملوها في الماضي او سيعملوها في المستقبل ثم انه تعالى رجع بقوله حتى اذا اخذنا مترفيهم الى وصف الكفار وهذا قول قتادة قال ابن الخطيب وقول ابي مسلم اولى لانه اذا امكن رد الكلام الى ما يتصل به كان اولى من رده الى ما بعد خصوصا وقد يرغب المومن في فعل الخير بان يذكر ان اعماله محفوظة كما يحذر بذلك من الشر وقد يوصف المومن لشدة فكره في امر اخرته بان قلبه في غمرة ويراد انه قد استولى عليه الفكر في قبوله او رده وفي انه هل ادى عمله كما يجب او قصر فان قيل فما المراد بقوله من هذا وهو اشارة الى ما ذا قلنا اشارة الى اشفاقهم ووجلهم بانهما مستوليان على قلوبهم **قوله** هم لها عاملون كقوله هم لها سابقون **قوله** حتى اذا حتى هذه اما حرف ابتدا والجملة الشرطية بعدها غاية لما قبلها واذا الثانية فجائية هي جواب الشرطية واما حرف جر عند بعضهم وتقدم تحقيقه وقال الحوفي حتى غاية وهي عاطفة واذا ظرف مضاف لما بعده فيه معنى الشرط واذا الثانية في موضع جواب الاولى ومعنى الكلام عامل في اذا والمعنى جاروا والعامل في الثانية اخذنا وهو كلام لا يظهر وقال

ابن

ابن عطية وحتى حرف ابتدا لا غير واذا واذا الثانية التي هي جواب يمنعان من ان يكون حتى غاية لعاملون قال شهاب الدين يعني ان الجملة الشرطية وجوابها لا يظهر ان يكون غاية لعاملون وظاهر كلام مكي انها غاية لعاملون فانه قال اي لكفار قريش اعمال من الشر دون اعمال اهل البر هم لها عاملون الى ان ياخذ الله اهل النعم والبطر منهم اذا هم يجارون **والجوار** الصراخ مطلقا وانشد الجوهري

يراوح من صلوات المليك ۞ فطورا سجودا وطورا جوارا ۞

وتقدم مستوفى في النحل **فصل**

قال الزمخشري حتى هذه هي التي يبتدا بعدها الكلام والكلام الجملة الشرطية واعلم ان الضمير في مترفيهم راجع الى من تقدم ذكره من الكفار لان العذاب لا يليق الا بهم والمراد بالمترفين روساوهم قال ابن عباس هو السيف يوم بدر وقال الضحاك يعني الجوع حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اشدد وطاتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فابتلاهم الله بالقحط حتى كلوا الكلاب والجيف وقيل اراد عذاب الاخرة ثم بين تعالى انهم اذا نزل بهم هذا يجارون اي يرتفع اصواتهم بالاستغاثة والضجيج لشدة ما نالهم ويقال لهم على وجه التبكيت لا تجاروا اليوم انكم منا لا تنصرون لا تمنعون منا ولا ينفعكم تضرعكم قد كانت اياتي تتلى عليكم يعني القران فكنتم على اعقابكم تنكصون وهذا مثل يضرب لمن تباعد عن الحق كل التباعد فهو كقوله وكنتم على اعقابكم تنكصون اي ترجعون قهقرى وتتاخرون عن الايمان وتنفرون عن تلك الايات وعن من يتلوها كما يذهب الناكص على عقبيه بالرجوع الى ورايه **قوله** على اعقابكم فيه وجهان احدهما انه متعلق بتنكصون كقوله نكص على عقبيه والثاني انه متعلق بمحذوف لانه حال من فاعل تنكصون قاله ابو البقا وقرا امير المومنين تنكصون بضم الكاف وهي لغة **قوله** مستكبرين حال من فاعل تنكصون وبه فيه قولان احدهما انه يتعلق بمستكبرين والثاني انه متعلق بسامرا وعلى الاول فالضمير للقران لانهم كانوا يجتمعون حول البيت بالليل يسمرون وكان عامة سمرهم ذكر القران وتسميته سحرا وشعرا او للبيت شرفه الله تعالى كانوا يقولون لا يظهر علينا احد لانا اهل الحرم وكانوا يفتخرون به لانهم ولاته والقايمون به قاله ابن عباس ومجاهد وقيل الضمير في به للرسول عليه السلام او للنكوص المدلول عليه بتنكصون كقوله اعدلوا هو اقرب والبا في هذا كله للسببية لانهم استكبروا بسبب القران لما تلي عليهم وبسبب البيت لانهم كانوا يقولون نحن ولاته وبالرسول لانهم كانوا يقولون هو منا دون غيرنا او بالنكوص لانه سبب الاستكبار وقيل ضمن الاستكبار معنى التكذيب فلذلك عدي بالبا وهذا ياتي على ان يكون الضمير للقران او للرسول واما على الثاني وهو تعلقه بسامرا فيجوز ان يكون الضمير عايدا على ما عاد عليه فيما تقدم الا النكوص لانهم كانوا يسمرون بالقران وبالرسول اي يجعلونهما حديثا لهم يخوضون في ذلك كما يسمر بالاحاديث وكانوا يسمرون في البيت فالبا ظرفية على هذا **وسامرا** نصب على الحال اما من فاعل تنكصون واما من الضمير في مستكبرين وقرا ابن مسعود وابن عباس وابو حيوة ويروى عن ابي عمرو سمرا بضم الفاء وفتح الميم مشددة وزيد بن علي وابو رجا وابن عباس ايضا سمارا كذلك الا انه بزيادة الف بين الميم والرا وكلاهما جمع لسامر وهما جمعان مقيسان لفاعل الصفة نحو ضرب وضراب في ضارب والافصح الافراد لانه قد يقع على ما فوق الواحد بلفظ الافراد تقول قوم سامر ونظيره نخرجكم طفلا والسامر ماخوذ من السمر وهو سهر الليل ماخوذ من السمر وهو ما يقع على الشجر من ضو القمر فيجلسون اليه يتحدثون مستانسين به قال

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا ۞ انيس ولم يسمر بمكة سامر ۞

قال ۞ ولا اتيك ما سمر ابنا سمير ۞ يعنون الليل والنهار وقال الراغب ۞ ويقال سامر وسمار وسمر وسامرون وسمرت الشي وابل مسمرة اي مهملة والسامري منسوب الى رجل انتهى والسمرة احد الالوان والسمراء يكنى بها عن الحنطة **قوله** تهجرون قرا العامة بفتح التا وضم الجيم وهي تحتمل

وجهين احدها انها من الهجر بسكون الجيم وهو القطع والصد اي يهجرون ايات الله ورسوله ويزهدون فيهما
فلا يتصلون بهما والثاني انها من الهجر بفتحها وهو الهذيان يقال هجر المريض هجرا اي هذى فلا مفعول له
ونافع وابن محيصن بضم التا وكسر الجيم من الهجر اهجارا اي الفحش في منطقه قال ابن عباس يعني كانوا يسبون
النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه وقرا زيد بن علي وابن محيصن وابو نهيك بضم التا وفتح الها وكسر الجيم
مشددة مضارع هجّر بالتشديد وهو محتمل لان يكون تضعيفا لهجرا وللهجرا والهجر وقرا ابن ابي عاصم
كالعامة الا انه باليا من تحت وهو التفات **قوله** افلم يدبروا القول اي يتدبروا القول
يعني ما جاهم من القول وهو القران من حيث انه كان مباينا لكلام العرب في الفصاحة ومبرا من
التناقض مع طوله فيعرفوا ما فيه من الدلالات على صدق محمد صلى الله عليه وسلم ومعرفة الصانع
والوحدانية فتركوا الباطل وترجعوا الى الحق ام جاهم ما لم يات اباهم الاولين واعلم ان اقدامهم
على كفرهم وجهلهم لا بد وان يكون لاحد امور اربعة الاول ان لا يتاملوا دليل نبوته وهو المراد
من قوله افلم يتدبروا القول وهو القران يعني انه كان معرفا لهم والثاني ان يعتقد وان مجي
الرسل على خلاف العادة وهو المراد من قوله ام جاهم ما لم يات اباهم وذلك انهم عرفوا بالتواتر
مجي الرسل الى الامم السالفة وكانت الامم بين مصدق ناجي وبين مكذب هالك افما دعاهم ذلك
الى تصديق الرسل وقال بعضهم ام ههنا بمعنى بل والمعنى بل جاهم ما لم يات اباهم والثالث ان لا يكونوا
عالمين بديانته وحسن خصاله قبل ادعا النبوه وهو المراد من قوله ام لم يعرفوا رسولهم فهم له
منكرون والمعنى انهم كانوا يعرفونه قبل ان يدعي الرسالة وكونه في نهاية الامانة والصدق وغاية
الفرار عن الكذب والاخلاق الذميمة وكانوا يسمونه الامين فكيف كذبوه بعد ان اتفقت كلمتهم
على تسميته بالامين والرابع ان يعتقدوا فيه الجنون فيقولوا انما حمله على ادعا الرسالة جنونه
وهو المراد بقوله ام يقولون به جنة وهذا ايضا ظاهر الفساد لانهم كانوا يعلمون بالضرورة انه
اعقل الناس فالمجنون كيف يمكنه ان ياتي بمثل ما اتى به من الدلايل القاطعة والشرايع الكاملة
وفي كونهم سموه بذلك وجهان احدها انهم نسبوه الى ذلك والثاني انهم قالوا ذلك ايهاما لعوامهم
لئلا يتبعوه ذواله فتذكروا ذلك استحقارا له ثم انه تعالى بعد ان عد هذه الوجوه ونبه على
فسادها قال بل جاهم بالحق اي بالصدق والقول الذي لا يخفى صحته على عاقل واكثرهم للحق كارهون
لانهم تمسكوا بالتقليد وعلموا انهم لو اقروا بمحمد لزالت رياستهم ومناصبهم فلذلك كرهوه فان قيل
قوله واكثرهم للحق كارهون يدل على ان اقلهم لا يكرهون الحق فالجواب انه كان منهم من ترك الايمان
انفة من توبيخ قومه وان يقولوا ترك دين ابايه لا كراهة للحق **قوله** ولو اتبع الحق اهواءهم الجمهور
على كسر الواو لالتقاء الساكنين وابن وثاب بضمها تشبيها بواو الضمير كما كسرت واو الضمير تشبيها
لها **فصل** قال ابن جريج ومقاتل والسدي وجماعة الحق هو الله اي لو اتبع الله
مرادهم فيما يفعل وقيل لو اتبع مرادهم فسمى لنفسه شريكا وولدا كما يقولون لفسدت السموات والارض
وقال الفرا والزجاج المراد بالحق القران اي نزل القران بما يحبون من جعل الشريك والولد على
ما يعتقدون لفسدت السموات والارض ومن فيهن وهو كقوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا
قوله بل اتيناهم بذكرهم العامة على اسناد الفعل الى ضمير المتكلم المعظم نفسه والمراد اتتهم
رسلنا وقرا ابو عمرو في رواية آتيناهم بالمد بمعنى اعطيناهم فيحتمل ان يكون المفعول الثاني غير
مذكور ويحتمل ان يكون بذكرهم والبا مزيدة فيه وابن ابي اسحق وعيسى بن عمر وابو عمرو ايضا اتيتهم
بتا المتكلم وحده وابو البرهسم وابو حيوة والجحدري وابو رجا اتيتهم بتا الخطاب وهو الرسول عليه
السلام وعيسى بذكراهم بالف التانيث وقتادة نذكرهم بنون المتكلم المعظم نفسه مكان با الجر مضارع ع
ذكر المشدد ويكون نذكرهم جملة حالية وتقدم الكلام خرجا وخراج في الكهف **فصل**

قال ابن عباس بل اتيناهم بذكرهم بما فيه فخرهم وشرفهم يعني القران فهو كقوله لقد انزلنا اليكم
كتابا فيه ذكركم اي شرفكم وانه لذكر لك ولقومك اي شرف لك ولقومك فهم عن ذكرهم شرفهم
معرضون وقيل الذكر هو الوعظ والتحذير ام تسالهم على ما جيتهم به خرجا اجرا وجعلا فخراج ربك
خير اي ما يعطيك الله من رزقه وثوابه خير وهو خير الرازقين وتقدم الكلام على نظيره
قوله وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم وهو الاسلام وان الذين لا يومنون بالاخرة عن الصراط
عن دين الحق لناكبون لعادلون عن هذا الطريق لان طريق الاستقامة واحد وما يخالفه فكثير
قوله عن الصراط متعلق بناكبون ولا يمنع لام الابتدا من ذلك على راي تقدم تحقيقه والنكوب
والنكب العدول والميل ومنه النكبا للريح بين ريحين سميت بذلك لعدولها عن المهاب ونكبته
حوادث الدهر اي هبت هبوب النكبا والمنكب مجتمع ما بين العضد والكتف والانكب المايل
المنكب ولفلان نكابة في قومه اي نقابة فيحتمل ان يكون الكاف بدلا من القاف ويقال نكب ونكّب
مخففا ومثقلا **قوله** ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر قحط وجدب وقيل ضر القتال
والسبي وقيل مضار الاخرة وعذابها **قوله** للجوا جواب لو وقد توالى فيه لامان وفيه تضعيف
لقول من قال ان جوابها اذا نفي بلم ونحوها مما صدر فيه حرف النفي بلام انه لا يجوز دخول اللام
لو قلت لو قام زيد للم يقم عمرو لم يجز قال لئلا تتوالى لامان وهذا موجود في الايجاب كهذه الاية
ولم يمتنع والا فما الفرق بين النفي والاثبات في ذلك **واللجاج** التمادي في العناد في تعاطي
الفعل المزجور عنه ومنه اللجة بالفتح لتردد الصوت كقوله في لجة امسك فلانا عن فل ولجة
البحر لتردد امواجه ولجة الليل لتردد ظلامه واللجلجة تردد الكلام وهو تكرير لج ويقال لج
فالتج ومعنى الاية لتمادوا في طغيانهم وضلالهم متحيرون ولم ينزعوا عنه **قوله** ولقد اخذناهم
بالعذاب قال المفسرون لما اسلم ثمامة بن اثال الحنفي ولحق باليمامة ومنع الميرة عن اهل مكة ودعا
النبي صلى الله عليه وسلم على قريش ان يجعل عليهم سنين كسني يوسف فاصابهم القحط حتى اكلوا العلهز
جا ابو سفيان الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال انشدك الله والرحم الست تزعم انك بعثت
رحمة للعالمين فقال بلى فقال قد قتلت الاباء بالسيف والابنا بالجوع فادع الله يكشف عنا هذا
القحط فدعا فكشف عنهم فانزل الله هذه الاية والمعنى اخذناهم بالجوع فما اطاعوا وقال الاصم
العذاب هو ما نالهم يوم بدر من القتل والاسر يعني ان ذلك مع شدته ما دعاهم الى الايمان
وقيل المراد من عذب من الامم الخالية فما استكانوا اي مشركوا العرب **قوله** فما استكانوا
تقدم وزن استكان في ال عمران وجا الاول ماضيا والثاني مضارعا ولم يجيئا ماضيين ولا
مضارعين ولا جا الاول مضارعا والثاني ماضيا لافادة الماضي وجود الفعل وتحققه وهو
بالاستكانة اليق بخلاف التضرع فانه اخبر عنهم بنفي ذلك في الاستقبال واما الاستكانة فقد توجد
منهم وقال الزمخشري فان قلت هلا قيل وما تضرعوا او فما يستكينون قلت لان المعنى محناهم
فما وجدت منهم عقيب المحنة استكانة وما من عادتهم ولا ان يستكينوا ويتضرعوا حتى يفتح
عليهم باب العذاب الشديد فظاهر هذا ان حتى غاية لنفي الاستكانة والتضرع ومعنى الاستكانة
طلب السكون اي ما خضعوا وما ذلوا الى ربهم وما تضرعوا بل مضوا على تمردهم **قوله** حتى
اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد قرئ فتحنا بالتشديد قال ابن عباس ومجاهد يعني
القتل يوم بدر وقيل الموت وقيل قيام الساعة وقيل الجوع اذا هم فيه مبلسون ايسون من
كل خير وقرا السلمي مبلَسون بفتح اللام من ابلسه اي ادخله في الابلاس وتقدم الكلام في اذا
واو **قوله تعالى** هو الذي انشا لكم السمع والابصار الاية العطف لا يحسن الا مع المجانسة فاي
مناسبة بين قوله ومنوا الذي انشا لكم السمع وبين ما قبله والجواب كانه تعالى لما بين مبالغة

الكفار في الاعراض عن سماع الادلة والاعتبار وتامل الحقايق قال للمومنين هو الذي اعطاكم هذه
الاشيا ونفعكم لها تنبيها على ان من لم يعمل هذه الاعضا فيما خلقت له فهو بمنزلة عادمها كقوله
فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افيدتهم من شي وافرد السمع والمراد الاسماع ثم قال
قليلا ما تشكرون قال ابو مسلم وليس المراد ان لهم شكرا وان قل لكنه كما يقال للكفور والجاحد
للنعمة ما اقل شكر فلان ثم قال وهو الذي ذراكم في الارض اي خلقكم قال ابو مسلم ويحتمل
بسطكم فيها ذرية بعضكم من بعض حتى كثرتم كقوله ذرية من حملنا مع نوح اي هو الذي جعلكم في الارض
متناسلين ويحشركم يوم القيامة الى دار لا حاكم فيها سواه فجعل حشرهم الى ذلك الموضع حشرا اليه
لا بمعنى المكان ثم قال وهو الذي يحيي ويميت اي نعمة الحياة وان كانت من اعظم النعم فهي منقطعة
وانه سبحانه اذا انعم بها فالمقصود منها الانتقال الى دار الثواب ثم قال وله اختلاف الليل
والنهار اي تدبير الليل والنهار في الزيادة والنقصان ووجه النعمة بذلك معلوم قال الفرا جعلهما
مختلفين يتعاقبان ويختلفان في السواد والبياض ثم قال افلا تعقلون قرا ابو عمرو في رواية
يعقلون بيا الغيبة على الالتفات والمعنى افلا تعقلون ما ترون من صنعه فتعتبرون **قوله**
بل قالوا مثل ما قال الاولون اي كذبوا كما كذب الاولون قالوا ايذا متنا وكنا ترابا وعظاما اينا
لمبعوثون لمحشورون قالوا ذلك منكرين متعجبين واعلم انه سبحانه لما اوضح دلايل التوحيد عقبه
بذكر المعاد فذكروا انكارهم البعث مع وضوح ادلته وذكر انكارهم ذلك تقليدا للاولين وذلك
يدل على فساد القول بالتقليد ثم حكى قولهم لقد وعدنا نحن واباونا هذا من قبل كانهم قالوا ان
هذا الوعد كما وقع منه عليه السلام فقد وقع قديما من ساير الانبيا ثم لم يوجد مع طول العهد
وظنوا ان الاعادة تكون في الدنيا ثم قالوا لما لم يكن ذلك فهو من اساطير الاولين والاساطير جمع
اسطار وهي جمع سطر اي ما كتبه الاولون مما لا حقيقة له او جمع اسطوره **قوله تعالى**
قل لمن الارض ومن فيها اعلم انه يمكن ان يكون المقصود من هذه الايات الرد على منكري الاعادة
وان يكون المقصود الرد على عبدة الاوثان لان القوم كانوا معترفين بالله وقالوا نعبد الاصنام
لتقربنا الى الله زلفى فقال تعالى قل يا محمد مجيبا لهم يعني اهل مكة لمن الارض ومن فيها من الخلق
ان كنتم تعلمون خالقها ومالكها سيقولون لله فلا بد لهم من ذلك لانهم مقرون انها مخلوقة فقل
لهم اذا اقررتم بذلك افلا تذكرون فتعلمون ان من قدر على خلق الارض ومن فيها ابتدا يقدر
على احيايهم بعد الموت وفي قوله ان كنتم تعلمون سوال يا تي في قوله وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم
تعلمون ووجه الاستدلال به على نفي عبادة الاوثان من حيث ان عبادة من خلقهم وخلق الارض
وكل من فيها هي الواجبة دون عبادة ما لا يضر ولا ينفع وقوله افلا تذكرون معناه الترغيب
في التدبر ليعلموا بطلان ما هم عليه **قوله** قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم
سيقولون الله ووجه الاستدلال بها على الامرين كما تقدم وانما قال افلا تتقون اي تحذرون
تنبيها على ان اتقا عذاب الله لا تحصل الا بترك عبادة الاوثان والاعتراف بجواز الاعادة **قوله**
سيقولون الله في الاخيرتين من غير لام جر ورفع الجلالة جوابا على اللفظ لقوله من قوله سيقولون
الله قل افلا تتقون سيقولون الله قل فاني تسحرون لان المسوول به مرفوع المحل وهو من فجا
جوابه مرفوعا مطابقا لفظا وكذلك رسم الموضعان في مصاحف البصرة والباقون لله في
الموضعين باللام وهو جواب على المعنى لانه لا فرق بين قوله من رب السموات وبين قوله لمن السموات
ولا بين قوله من بيده ولا لمن له الاحسان وهذا كقولك من رب هذه الدار فيقال زيد وان شيت
لزيد لان قولك من ربه ولمن هو في معنى واحد لان السوال لا فرق فيه بين ان يقال لمن هذه الدار
ومن ربها واللام مرسومة في مصاحفهم فوافق كل مصحفه ولم تختلف في الاول انه لله لانه مرسوم

باللام

با للام وجا الجواب باللام كما في السوال ولو حذفت من الجواب لجاز لانه لا فرق بين لمن الارض
ومن رب الارض الا انه لم يقرا به احد **قوله** قل من بيده ملكوت كل شي لما ذكر الارض اولا والسما
ثانيا عمم الحكم هاهنا فقال من بيده ملكوت كل شي ويدخل في الملكوت الملك والملك والتا فيه
على سبيل المبالغة وهو يجير اي يومن من يشا ولا يجار عليه اي لا يومن من اخافه الله يقال اجرت
فلانا على فلان اذا منعته منه **قوله** ان كنتم تعلمون فيه سوال وهو كيف قال ان كنتم
تعلمون ثم حكى عنهم سيقولون الله وفيه تناقض والجواب لا تناقض لان قوله ان كنتم تعلمون
لا ينفي علمهم بذلك وقد يقال مثل ذلك في الحجاج على وجه تعلمهم والبعث على اعترافهم بما يورد من
ذلك وقوله فاني تسحرون اي تصرفون عن توحيده وطاعته والمعنى كيف يخيل لكم الحق باطلا
بل اتيناهم بالحق بالصدق وانهم لكاذبون فيما يدعون من الشرك والولد وقري هنا ببعض ما قري
به في نظيره فقرا ابن ابي اسحق اتيتهم بتا الخطاب وغيره بتا المتكلم **قوله تعالى** ما اتخذ الله
من ولد وما كان معه من اله الاية وهذه الاية كالتنبيه على الرد على الكفار الذين يقولون الملايكة
بنات الله وقوله وما كان معه من اله رد على اتخاذهم الاصنام الهة ويحتمل ان يريد به ابطال
قول النصارى والثنوية ثم انه تعالى ذكر الدليل على ذلك بقوله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا
بعضهم على بعض اي لانفرد كل واحد من الالهة بما خلقه ولم يرض ان يضاف خلقه الى غيره ومنع
الاله الاخر عن استيلا ما خلق ولعلا بعضهم على بعض اي طلب بعضهم مغالبة بعض كفعل ملوك
الدنيا فيما بينهم وحين لم يروا ذلك فاعلموا انه اله واحد **قوله** اذا جواب وجزا قال الزمخشري
فان قلت اذا لا تدخل الا على كلام هو جواب وجزا فكيف وقع قوله لذهب جوابا وجزا ولم
يتقدم شرط ولا سوال سايل قلت الشرط محذوف تقديره لو كان معه الهة حذف لدلالة
وما كان معه من اله وهذا راي الفرا وقد تقدم في الاسرا في قوله واذا لاتخذوك خليلا ثم انه
تعالى نزه نفسه فقال سبحان الله عما يصفون من اثبات الولد والشريك قري تصفون بتا الخطاب
وهو التفات **قوله** عالم الغيب قرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وحفص عن عاصم بالجر على البدل
من الجلالة وقال الزمخشري صفة لله كانه محض الاضافة فيعرف المضاف والباقون بالرفع على
القطع خبر مبتدا محذوف ومعنى الاية انه يختص بعلم الغيب والشهادة فغيره وان علم الشهادة لكن
لم يعلم الغيب لان الشهادة لا يتكامل بها النفع الا مع العلم بالغيب وذلك كالوعيد لهم فلذلك قال
فتعالى الله عما يشركون **قوله** فتعالى عطف على معنى ما تقدم كانه قال علم الغيب فتعالى كقولك
زيد شجاع فعظمت منزلته اي شجع فعظمت او يكون على اضمار القول اي اقول فتعالى الله **قوله**
قل رب اما تريني ان اريتني ما يوعدون اي ما اوعدتهم من العذاب قرا العامة بريني بصريح
اليا والضحاك ترئني بالهمز عوض من اليا وهذا كقراءته فاما ترئن لترؤن بالهمز وهو بدل شاذ
قوله رب فلا تجعلني جواب الشرط ورب نداء معترض بين الشرط وجزايه وذكر الرب مرتين
مرة قبل الشرط ومرة قبل الجزاء مبالغة في التضرع فان قيل كيف يجوز ان يجعل الله نبيه مع
الظالمين حتى يطلب ان لا يجعله معهم فالجواب يجوز ان يسال العبد ربه ما علم ان يفعله وان يستعيذ
به مما علم ان لا يفعله اظهارا للعبودية وتواضعا لربه **قوله** وانا على ان نريك هذا الجار متعلق
بلقادرون اذ لا محذوف على خلاف سبق في ان هذه اللام تمنع ما بعدها ان يعمل فيما قبلها والمعنى انهم
كانوا ينكرون الوعد بالعذاب فقيل لهم ان الله قادر على انجاز ما وعد في الدنيا وقيل المراد
عذاب الاخرة **قوله** ادفع بالتي هي احسن السيئة وهو الصفح والاعراض والصبر على اذاهم قال
الزمخشري قوله ادفع بالتي هي احسن السيئة لما فيه من التفضيل والمعنى الصفح عن اساتهم ومقابلتها
بما امكن من الاحسان اذا اجتمع الصفح والاحسان وبذل الطاقة فيه كانت حسنة مضاعفة

بازا السيئة قيل هذه الاية نسخت باية السيف وقيل محكمة لان المداراة محثوث عليها ما لم تؤد الى
نقصان دين او مروءة ثم قال نحن اعلم بما يصفون اي يقولون من الشرك **قوله تعالى**
وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين الاية لما ادب رسوله بقوله ادفع بالتي هي احسن اتبعه
بما يتقوى على ذلك وهو الاستعاذة بالله من امرين احدهما من همزات الشياطين والهمزات جمع
همزة وهي النخسة والدفعة بيد وغيرها وهو كالهز والاز ومنه مهماز الرايض والمهماز بمعناه
من ذلك كالمحراث من الحرث والهماز الذي يعيب الناس كانه يدفع بلسانه وينخس به **فصل**
معنى اعوذ بك امتنع واعتصم بك من همزات الشياطين نزغاتهم وقال الحسن وساوسهم
وقال مجاهد نفخهم ونفثهم وقال اهل المعاني دفعهم بالاغواء الى المعاصي قال الحسن كان عليه
السلام يقول بعد استفتاح الصلوة لا اله الا الله ثلاثا الله اكبر ثلاثا اللهم اني اعوذ بك من
همزات الشياطين ونفثه ونفخه فقيل يا رسول الله ما همزه قال الموتة التي تاخذ ابن ادم اي
الجنون قيل فما نفثه قال الشعر قيل فما نفخه قال الكبر والثاني قوله واعوذ بك رب
ان يحضرون اي في شيء من اموري وانما ذكر الحضور لان الشيطان اذا حضره وسوس **قوله تعالى**
حتى اذا جاء احدهم الموت الاية في حتى هذه اوجه احدها انها غاية لقوله بما يصفون والثاني
انها غاية لكاذبون وبين هذين الوجهين قول الزمخشري حتى يتعلق بيصفون اي لا يزالون على
سوء الذكر الى هذا الوقت والاية فاصلة بينهما على وجه الاعتراض والتاكيد ثم قال او على قوله
وانهم لكاذبون قال شهاب الدين قوله او على قوله كذا كلام محمول على المعنى اذ التقدير حتى
معلقة على يصفون او على قوله لكاذبون وفي الجملة فعبارة مشكلة الثالث قال ابن عطية حتى
في هذه المواضع حرف ابتداء ويحتمل ان يكون غاية مجردة بتقدير كلام محذوف والاول ابين
لان ما بعدها هو المعنى به المقصود ذكره قال ابو حيان فتوهم ابن عطية ان حتى اذا كانت
حرف ابتداء لا يكون غاية وهي وان كانت حرف ابتداء فالغاية معنى لا تفارقها ولم يبين الكلام
المحذوف المقدر وقال ابو البقاء حتى غاية في معنى العطف وقال ابو حيان والذي يظهر
لي ان قبلها جملة محذوفة تكون غاية لها يدل عليها ما قبلها التقدير فلا اكون كالكفار الذين
تهمزهم الشياطين وتحضرهم حتى اذا ونظير حذفها قول الشاعر فيا عجبا حتى كليب تسبني
اي يسبني الناس كلهم حتى كليب الا ان في البيت دل ما بعدها عليها بخلاف الاية الكريمة
قوله رب ارجعون في قوله ارجعون بخطاب الجمع ثلاثة اوجه اجودها انه على سبيل
التعظيم كقوله فان شئت حرمت النساء سواكم وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا وقال
اخر الا فارحموني يا اله محمد وقد يوخذ من هذا البيت ما يرد على ابن مالك حيث قال
انه لم نعلم احدا اجاز للداعي ان يقول يا رحيمون قال لئلا يوهم خلاف التوحيد وقد اخبر تعالى
عن نفسه بهذه الصيغة وشبهها للتعظيم في مواضع من كتابه الكريم كقوله تعالى انا نحن
نزلنا الذكر وانا له لحافظون الثاني انه نادى ربه ثم خاطب ملائكته بقوله ارجعون
ويجوز على هذا الوجه ان يكون على حذف مضاف اي يا ملائكة ربي فحذف المضاف ثم التفت اليه
في عود الضمير كقوله وكم من قرية اهلكناها ثم قال او هم قائلون التفاتا لامر المحذوف
الثالث ان ذلك يدل على تكرير الفعل كانه قال ارجعون ارجعون ارجعون نقله ابو البقاء
وهو يشبه ما قالوه في قوله القيا في جهنم انه بمعنى الق الق ثنى الفعل للدلالة على ذلك
وانشدوا قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل اي قف قف **فصل** لما علم
انه تعالى اخبر ان هولاء الكفار الذين ينكرون البعث يسالون الرجعة الى الدنيا عند معاينة
الموت فقال حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون ولم يقل ارجعني وهو يسال الله وحده

الرجعة لما تقدم في الاعراب وقال الضحاك كنت جالسا عند ابن عباس فقال من لم يزك ولم
يحج سال الرجعة عند الموت فقال رجل انما يسال ذلك الكفار فقال ابن عباس انا اقرا عليك
قرانا وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتني الى اجل قريب
فاصدق وقال عليه السلام اذا حضر الانسان الموت جمع كل شيء كان يمنعه من حقه بين يديه
فعنده يقول رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت واختلفوا في وقت مسيلة الرجعة
فالاكثرون على انه يسال حال المعاينة وقيل بل عند معاينة النار في الاخرة وهذا القايل
انما ترك ظاهر هذه الاية لما اخبر تعالى عن اهل النار في الاخرة انهم يسالون الرجعة **قوله**
لعلي اعمل صالحا فيما تركت اي ضيعت اي اقول لا اله الا الله وقيل اعمل بطاعة الله تعالى وقيل
اعمل صالحا فيما قصرت فيدخل فيه العبادات البدنية والمالية وهذا اقرب لانهم تمنوا الرجعة
ليصلحوا ما افسدوه **فان قيل** قوله لعلي اعمل صالحا كيف يجوز ان يسال الرجعة مع
الشك فالجواب ليس المراد بلعل الشك فانه في هذا الوقت باذل للجهد في العزم على الطاعة
ان اعطي ما سال فهو مثل من قصر في حق نفسه وعرف سوء عاقبة ذلك التقصير فيقول مكنوني
من التدارك لعلي اتدارك فيقول هذه الكلمة مع كونه جازما بانه سيتدارك ويحتمل ايضا ان الامر
المستقبل اذا لم يعرفوه اوردوا الكلام الموضوع للترجي والظن دون اليقين فقد قال تعالى
ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه **قوله** كلا كلمة ردع وزجر اي لا ترجع معناه المنع مما طلبوا
كما يقال لطالب الامر المستبعد هيهات ويحتمل ان يكون ذلك اخبارا بانهم يقولون ذلك
وان هذا الخبر حق فكانه قال حقا انها كلمة هو قايلها والاول اقرب **قوله** انها كلمة من
باب اطلاق الجزء وارادة الكل كقوله اصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد يعني قوله
الا كل شيء ما خلا الله باطل وتقدم طرف من هذا في ال عمران وهو قايلها صفة للكلمة والمراد
بالكلمة سواله الرجعة كلمة هو قايلها ولا ينالها وقيل معناه لا يخليها ولا يسكت عنها لاستيلاء
الحسرة عليه **قوله** ومن ورايهم اي امامهم وبين ايديهم برزخ البرزخ الحاجز بين المتنافيين
وقيل الحجاب بين الشيئين ان يصل احدهما الى الاخر وهو بمعنى الاول وقال الراغب اصله برزه
بالهاء فعرب وهو في القيامة الحايل بين الانسان وبين المنازل الرفيعة والبرزخ قبل البعث
المنع بين الانسان وبين الرجعة التي تمناها قال مجاهد حجاب بينهم وبين الرجوع الى الدنيا وقال
قتادة بقية الدنيا قال الضحاك البرزخ ما بين الموت الى البعث وقيل هو القبر وهم فيه الى
يوم يبعثون **قوله تعالى** فاذا نفخ في الصور الاية لما قال ومن ورايهم برزخ الى
يوم يبعثون ذكر احوال ذلك اليوم فقال فاذا نفخ في الصور قرا العامة بضم الصاد وسكون
الواو وهو الة اذا نفخ فيها ظهر صوت عظيم جعله الله علامة لخراب الدنيا ولاعادة الاموات
قال عليه السلام انه قرن ينفخ فيه وقرا ابن عباس والحسن بفتح الواو جمع صورة والمعنى فاذا نفخ
في الصور ارواحها وقرا ابو رزين بكسر الصاد وفتح الواو وهو شاذ وهذا عكس لحى بضم اللام
جمع لحية بكسرها وقيل ان النفخ في الصور استعارة والمراد منه البعث والحشر **قوله** فلا
انساب الانساب جمع نسب وهو القرابة من جهة الولادة ويعبر به عن التواصل وهو في الاصل
مصدر قال لا نسب اليوم ولا خلة اتسع الخرق على الراقع **قوله** بينهم يجوز تعلقه
بنفس انساب وكذلك يومئذ اي فلا قرابة بينهم في ذلك اليوم ويجوز ان يتعلق بمحذوف على انه صفة
لانساب والتنوين في يومئذ عوض من جملة تقديره يومئذ ينفخ في الصور **فصل**
من المعلوم انه تعالى اذا اعادهم فالانساب ثابتة لان المعاد هو الولد والوالد فلا يجوز ان
يكون المراد نفي النسب حقيقة بل المراد نفي حكمه وذلك من وجوه احدها ان من حق النسب

ان يقع به التعاطف والتراحم كما يقال في الدنيا اسألك بالله والرحم ان تفعل كذا فنفى سبحانه ذلك
من حيث ان كل احد من اهل النار يكون مشغولا بنفسه وذلك يمنعه من الالتفات الى النسب كما ان
الانسان في الدنيا اذا وقع في الامر عظيمة ينسى ولده ووالده وثانيها ان من حق النسب ان يحصل
به التفاخر في الدنيا وان يسال البعض عن احوال البعض وفي الاخرة لا يتفرغون لذلك وثالثها
ان ذلك عبارة عن الخوف الشديد فكل امرء مشغول بنفسه عن نسبه واخيه وفصيلته التي تؤويه
قال ابن مسعود يوخذ العبد والامة يوم القيامة على رؤس الخلايق ينادي مناد الا ان هذا فلان
فمن له عليه حق فيات الى حقه فيفرح المرء يومئذ ان يثبت له الحق على امه او اخيه او ابيه ثم قرا
ابن مسعود فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون وروي عطا عن ابن عباس انها النفخة الثانية فلا
انساب بينهم اي لا يتفاخرون في الدنيا ولا يتساءلون سؤال تواصل كما كانوا يتساءلون في الدنيا من انت
ومن اي قبيلة انت ولم يرد ان الانساب تنقطع فان قيل اليس قد جاء في الحديث كل
نسب ونسب ينقطع الا نسبي ونسبي قيل معناه لا ينقطع يوم القيامة سبب ولا نسب الا
سببه ونسبه وهو الايمان والقران فان قيل قد قال ههنا ولا يتساءلون وقال
ولا يسال حميم حميما وقال واقبل بعضهم على بعض يتساءلون فالجواب روي ابن عباس ان للقيمة احوالا
ومواطن ففي موطن يشتد عليهم الخوف فيشغلهم عظم الامر عن التساؤل فلا يتساءلون وفي موطن يفيقون
افاقة فيتساءلون وقيل اذا نفخ في الصور نفخة واحدة شغلوا بانفسهم عن التسايل فاذا نفخ فيه اخرى
اقبل بعضهم وقالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا وقيل المراد لا يتساءلون بحقوق النسب وقيل
لا يتساءلون صفة للكفار لشدة خوفهم واما قوله واقبل بعضهم على بعض يتساءلون فهو صفة اهل الجنة
اذا دخلوها وعن الشعبي قالت عايشة يا رسول الله اما نتعارف يوم القيمة اسمع الله يقول فلا انساب
بينهم يومئذ فقال عليه السلام ثلاث مواطن عند رؤية القيمة تذهل فيها كل مرضعة عما ارضعت
وعند الموازين وعلى جسر جهنم **قوله** فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون لما ذكر القيمة شرح
احوال السعداء والاشقيا قيل المراد بالموازين الاعمال فمن اتى بما له قدر وخطر فهو الفايز المفلح ومن
اتى بما لا وزن له ولا قدر فهو الخاسر قاله ابن عباس قال الموازين جمع موزون وهي الموزونات
من الاعمال الصالحة التي لها وزن وقدر عند الله من قوله فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا اي
قدرا وقيل ميزان له لسان وكفتان توزن به الحسنات في احسن صورة والسيات في اقبح صورة
وتقدم ذلك في سورة الانبيا **قوله** ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم قال
ابن عباس غبنوها بان صارت منازلهم للمؤمنين وقيل امتنع انتفاعهم بانفسهم لكونهم في العذاب
قوله في جهنم خالدون يجوز ان يكون خالدون خبرا ثانيا لاولئك وان يكون خبر مبتدا مضمر
اي هم خالدون وقال الزمخشري في جهنم خالدون بدل من خسروا انفسهم ولا محل للبدل والمبدل
منه لان الصلة لا محل لها وقال ابو حيان جعل في جهنم بدلا من خسروا وهذا بدل غريب وحقيقته
ان يكون البدل الفعل الذي تعلق به في جهنم اي استقروا في جهنم وهو بدل شي من شي لان من خسر
نفسه استقر في جهنم قال شهاب الدين فجعل الشيخ الجار والمجرور البدل دون خالدون والزمخشري
جعل جميع ذلك بدلا بدليل قوله بعد ذلك او خبرا بعد خبر لاولئك او خبر مبتدا محذوف
وهذان انما يليقان بخالدون واما في جهنم فمتعلق به فيحتاج كلام الزمخشري الى جواب وايضا
فيصير خالدون مفلتا وجوز ابو البقا ان يكون الموصول نعتا لاسم الاشارة وفيه نظر اذ الظاهر
كونه خبرا له **قوله** تلفح يجوز استينافه ويجوز حاليته ويجوز كونه خبرا اخر لاولئك واللفح
اصابة النار الشي بوهجها واحراقها له وهو اشد من النفح وقد تقدم النفح في الانبيا **قوله**
وهم فيها كالحون الكلوح تشمير الشفة العليا واسترخا السفلى قال عليه السلام في قوله وهم

فيها كالحون قال تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط راسه وتسترخي شفته السفلى
حتى تبلغ سرته وقال ابو هريرة يعظم الكافر في النار مسيرة سبع ليال ضرسه مثل احد وشفاههم
عند سررهم سود زرق حفي مقبوحون ومنه كلوح الاسد اي تكشيره عن انيابه ودهر كالح وبرد
كالح اي شديد وقيل الكلوح تقطيب الوجه وتسوره وكلح الرجل يكلح كلوحا وكلاحا **قوله**
الم تكن اياتي تتلى عليكم يعني القران تخوفون بها فكنتم بها تكذبون قالت المعتزلة دلت الاية على انهم
انما عذبوا بسوء افعالهم ولو كان فعل العبد بخلق الله لما صح ذلك والجواب ان القادر على الطاعة
والمعصية ان صدرت المعصية عنه لا لمرجح البتة كان صدورها عنه اتفاقيا لا اختياريا
فوجب ان لا يستحق العقاب وان كان لمرجح فذلك المرجح ليس من فعله والا لزم التسلسل فحينئذ يكون
صدور تلك الطاعة عنه اضطراريا لا اختياريا فوجب ان لا يستحق الثواب **قوله** قالوا ربنا
غلبت علينا شقوتنا الاية لما قال سبحانه الم تكن اياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون ذكر ما يجري مجرى
الجواب عنه وهو من وجهين الاول قولهم ربنا غلبت علينا شقوتنا قرا الاخوان شقاوتنا بفتح
الشين والف بعد القاف والباقون بكسر الشين وسكون القاف وهما مصدران بمعنى واحد
فالشقاوة كالقساوة وهي لغة فاشية والشقوة كالفطنة والنعمة وانشد الفراء
كلف من عنايه وشقوته بنت ثماني عشرة من حجته وهي لغة الحجاز قال ابو مسلم الشقوة من
الشقا كجرية الماء والمصدر الجري وقد يجي لفظ فعلة والمراد الهيئة والحال فيقول جلسة حسنة
وركبة وقعدة وذلك من الهيئة وتقول عاش فلان عيشة طيبة ومات ميتة كريمة وهذا هو
الحال والهيئة فعلى هذا المراد من الشقوة حال الشقا وقرا قتادة والحسن في رواية كالاخوين الا
انهما كسرا الشين وشبل في اختياره كالباقين الا انه فتح الشين قال الزمخشري غلبت علينا ملكتنا
من قولك غلبني فلان على كذا اذا اخذه منك والشقاوة سوء العاقبة **فصل** قال الجبائي المراد
ان طلبنا اللذات المحرمة وخروجنا عن العمل الحسن ساقنا الى هذه الشقاوة فاطلق اسم المسبب على
السبب وليس هذا باعتذار فيه لان علمهم بان لا عذر لهم فيه ثابت عندهم ولكنه اعتراف بقيام الحجة
عليهم في سوء صنيعهم واجيب بانك حملت الشقاوة على طلب تلك اللذات المحرمة وطلب تلك
اللذات حصل باختيارهم او لا باختيارهم فان حصل باختيارهم فذلك الاختيار محدث فان استغنى
عن المؤثر فلم لا يجوز في كل الحوادث ذلك وحينئذ ينسد عليك باب اثبات الصانع وان افتقر الى
محدث فمحدثه اما العبد او الله فان كان هو العبد فذلك باطل لوجوه احدها ان قدرة العبد
صالحة للفعل والترك فان توقف صدور تلك الارادة عنه الى مرجح اخر عاد الكلام فيه ولزم
التسلسل وان لم يتوقف على المرجح فقد جوزت رجحان احد طرفي الممكن على الاخر لا لمرجح وذلك يسد
باب اثبات الصانع وثانيها ان العبد لا يعلم كمية تلك الافعال ولا كيفيتها والجاهل بالشي لا
يكون محدثا له والا لبطلت دلالة الاحكام والاتقان على العلم وثالثها ان احدا في الدنيا
لا يرضى بان يختار الجهل بل لا يقصد الا تحصيل العلم فالكافر ما قصد الا تحصيل العلم فان كان هو
الموجد لفعله وجب ان لا يحصل الا ما قصد ايقاعه لكنه لم يقصد الا تحصيل العلم فكيف حصل
الجهل فثبت ان الموجد للدواعي والبواعث هو الله ثم ان الداعية ان كانت سايقة الى الخير كانت
سعادة وان كانت سايقة الى الشر كانت شقاوة وقال القاضي قولهم ربنا غلبت علينا شقوتنا
دليل على انه لا عذر لهم لاعترافهم فلو كان كفرهم من خلقه وارادته وعلموا ذلك لكان ذكرهم ذلك
اولى واقرب الى العذر والجواب قد بينا ان الذي ذكروه ليس الا ذلك ولكنهم مقرون ان لا عذر
لهم فلا جرم قيل اخسؤا فيها والوجه الثاني لهم في الجواب قولهم وكنا قوما ضالين اي عن الهدى
وهذا الضلال الذي جعلوه كالعلة في اقدامهم على التكذيب ان كان هو نفس التكذيب لزم تعليل

الشيء بنفسه وهو باطل فلم يبق الا ان يكون ذلك الضلال عبارة عن شيء اخر ترتب عليه فعلهم وهو
ذاك الاخلاق الداعي الى الضلال ثم ان القوم لما اعتذروا بهذين العذرين قالوا ربنا اخرجنا منها
اي من النار فان عدنا لما انكرنا فانا ظالمون نعند ذلك اجابهم الله تعالى فقال اخسئوا فيها
ولا تكلمون فان قيل كيف يجوز ان يطلبوا الخروج وقد علموا ان عقابهم دائم قلنا يجوز ان
يلحقهم السهو عن ذلك في احوال شدة العذاب فيسالون الرجعة ويحتمل ان يكون مع علمهم بذلك
يسالون على وجه الغوث والاستراوح **قوله** اخسئوا فيها ابعدوا فيها كما يقال للكلب اذا
طرد اخسا اي انزجروا كما ينزجر الكلاب اذا زجرت يقال خسا الكلب وخسا بنفسه ولا تكلمون
في دفع العذاب فاني لا ارفعه عنكم وليس هذا نهيا لانه لا تكليف في الاخرة قال الحسن هو اخر
كلام يتكلم به اهل النار ثم لا يتكلمون بعدها الا الشهيق والزفير ويصير لهم عوا كعوا الكلاب لا يفهمون
ولا يفهمون **قوله تعالى** انه كان فريق من عبادي الاية العامة على كسر همزة انه استينافا
وابي والعتكي بفتحها اي لانه والها في ضمير الشان قال البغوي الها في انه عماد وتسمى المجهولة ايضا
قوله فاتخذتموهم سخريا قرا الاخوان ونافع هنا وفي ص بكسر السين والباقون بضمها في
المومنين وسخريا مفعول ثان للاتخاذ واختلف في معناهما فقال الخليل وسيبويه والكسايي
وابو زيد هما بمعنى واحد نحو دري ودري وبحر لجي ولجي بضم اللام وكسرها وقال يونس ان
اريد الخدمة والتسخير فالضم لا غير وان اريد الهزو فالضم والكسر ورجح ابو علي وتبعه مكي
قراة الكسر قالا لان ما بعدها اليق لها لقوله وكنتم منهم تضحكون ولا حجة فيه لانهم جمعوا بين
الامرين سخروهم في العمل وسخروا بهم استهزا والسخرة بالتا الاستخدام وسخريا بالضم منها والسخر
بدونها الهزو والمكسور منه قال الاعشى اني اتاني حديث لا اسر به من علو لا كذب فيه ولا سخر
ولم تختلف السبعة في ضم ما في الزخرف لان المراد الاستخدام وهو يقوي قول من فرق بينهما
الا ان ابن محيصن وابن مسلم واصحاب عبد الله كسروه ايضا وهي تقوية لقول من جعلهما بمعنى
واليا في سخريا وسخريا للنسب زيدت للدلالة على قوة الفعل فالسخري اقوى من السخر كما قيل
في الخصوص خصوصية دلالة على قوة ذلك قال معناه الزمخشري **فصل** اعلم انه تعالى
قرعهم بامر يتصل بالمومنين قال مقاتل ان روس قريش مثل ابي جهل وعقبة وابي بن خلف كانوا
يستهزئون باصحاب محمد ويضحكون بالفقرا منهم كبلال وخباب وعمار وصهيب والمعنى اتخذتموهم
هزوا حتى انسوكم بتشاغلكم بهم على تلك الصفة ذكري وكنتم منهم تضحكون ونظيره ان الذين
اجرموا كانوا من الذين امنوا يضحكون ثم انه تعالى ذكر ما يوجب اسفهم وحسرتهم بان وصف ما
جازى به اوليائه فقال اني جزيتهم اليوم بما صبروا اي جزيتهم الجزا الوافر **قوله** انهم هم
الفايزون قرا الاخوان بكسر الهمزة استينافا والباقون بالفتح وفيه وجهان اظهرهما انه تعليل
فيكون نصبا باضمار الخافض اي لانهم هم الفايزون وهي موافقة للاولى فان الاستينافا فيه تعليل ايضا
والثاني قاله الزمخشري ولم يذكر غيره انه مفعول ثان لجزيتهم اي جزيتهم فوزهم وعلى الاول يكون
المفعول الثاني محذوفا **قوله تعالى** قال كم لبثتم قرا الاخوان قل كم لبثتم قل ان لبثتم
بالامر في الموضعين وابن كثير كالاخوين في الاول فقط والباقون قال في الموضعين على الاخبار
عن الله او الملك والفعلان مرسومان بغير الف في مصاحف الكوفة وبالف في مصاحف مكة
والمدينة والشام والبصرة فحمزة والكسايي وافقا مصاحف الكوفة وخالفها عاصم او وافقها
على تقدير حذف الالف من الرسم وارادتها وابن كثير وافق في الثاني مصاحف مكة وفي الاول
غيرها او اياها على تقدير حذف الالف وارادتها واما الباقون فوافقوا مصاحفهم في الاول
والثاني فمعنى الامر معنى الاية قولوا ايها الكافرون فاخرج الكلام مخرج الواحد والمراد منه

الجماعة اذا كان معناه مفهوما ويجوز ان يكون الخطاب لكل واحد منهم اي قل ايها الكافر وا على
الخبر اي قال الله عز وجل للكفار يوم البعث كم لبثتم في الارض اي في الدنيا او في القبور **وكم**
في موضع نصب على ظرف الزمان اي كم سنة **وعدد** بدل من كم قاله ابو البقا وقال
غيره ان عدد سنين تمييز لكم وهذا هو الصحيح وقرا الاعمش والمفضل عن عاصم عددا منونا وفيه
اوجه احدها ان يكون عددا مصدرا اقيم مقام الاسم فهو نعت مقدم على المنعوت قاله
صاحب اللوامح يعني ان الاصل سنين عددا اي معدودة لكنه يلزم تقديم النعت على المنعوت
فصوابه ان تقول فانتصب حالا هذا مذهب البصريين والثاني ان لبثتم بمعنى عددتم فيكون
نصب عددا على المصدر وسنين بدل منه وقال صاحب اللوامح ايضا وفيه بعد لعدم
دلالة اللبث على العدد والثالث ان عددا تمييز لكم وسنين بدل منه **فصل** الغرض
من هذا السوال التبكيت والتوبيخ لانهم كانوا ينكرون لبثا في الاخرة اصلا ولا يعدون اللبث
الا في دار الدنيا ويظنون ان بعد الموت يدوم الفنا ولا اعادة فلما حصلوا في النار وايقنوا
دوامها وخلودهم فيها سالهم كم لبثتم في الارض منبها لهم على ما ظنوه دايما طويلا وهو يسير
بالاضافة الى ما انكروه فحينيذ تحصل لهم الحسرة على ما كانوا يعتقدونه في الدنيا من حيث
تيقنوا خلافه وهذا هو الغرض من السوال **فان قيل** فكيف يصح ان يقولوا في جوابهم
لبثنا يوما او بعض يوم ولا يقع الكذب من اهل النار فالجواب لعلهم نسوا الكثرة ما هم
فيه من الاهوال وقد اعترفوا بهذا النسيان وقالوا فاسيل العادين قال ابن عباس انساهم
ما كانوا فيه من العذاب بين النفختين وقيل مرادهم بقولهم لبثنا يوما او بعض يوم تصغير
لبثهم وتحقيره بالاضافة الى ما وقعوا فيه من العذاب وقيل ارادوا ان لبثهم في الدنيا يوما
او بعض يوم من ايام الاخرة لان يوم القيمة مقداره خمسين الف سنة **فصل** اختلفوا
في ان السوال عن اي لبث فقيل عن لبثهم احيا في الدنيا فاجابوا بان قدر لبثهم كان يسيرا بنا
على ان الله اعلمهم ان الدنيا متاع قليل وان الاخرة هي دار القرار وقيل المراد اللبث في حال
الموت لان قوله في الارض يفيد الكون في الارض اي في القبر والحي انما يقال فيه انه على الارض
وهذا ضعيف لقوله ولا تفسدوا في الارض واستدلوا ايضا بقوله ويوم تقوم الساعة
يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة ثم قال فاسيل العادين اي الملايكة الذين يحفظون اعمال بني
ادم ويحصونها عليهم وهذا قول عكرمة وقيل الملايكة الذين يعدون ايام الدنيا وقيل
المعنى سل من يعرف عدد ذلك فانا نسيناه وقرى العادين بالتخفيف وهي قراة الحسن والكسايي
في رواية جمع عاد اسم فاعل من عدا اي الظلمة فانهم يقولون مثل ما قلنا وقيل العادين القدما
المعمرين فانهم يستقصونه قاله ابو البقا كقولك هذه بير عادية اي سل من تقدمنا وحذف
احدى يايي النسب كما قالوا الاشعرون وحذف الاخرى لالتقا الساكنين قال شهاب الدين
المحذوف اولا هي اليا الثانية لانها المتحركة وبحذفها يلتقي ساكنان ويويد ما ذكره ابو البقا
ما نقله الزمخشري قال وقرى العاديين اي القدما المعمرين فانهم يستقصرونها فكيف من
دونهم وقال ابن خالويه ولغة اخرى العاديين يعني بيا مشددة جمع عادية بمعنى القدما
فصل احتج من انكر عذاب القبر بهذه الاية فقال قوله كم لبثتم في الارض يتناول
زمان كونهم احيا فوق الارض وزمان كونهم امواتا في بطن الارض فلو كانوا معذبين في القبر
لعلموا ان مدة مكثهم في الارض طويلة فلم يقولوا لبثنا يوما او بعض يوم والجواب من وجهين
الاول ان الجواب لا بد وان يكون بحسب السوال وانما سيلوا عن موت لا حياة بعده الا في الاخرة
وذلك لا يكون الا بعد عذاب القبر والثاني يحتمل ان يكونوا سيلوا عن قدر اللبث الذي اجتمعوا

فيه فلا مدخل في تقدم موت بعضهم على بعض فيصح ان يكون جوابهم لبثنا يوما او بعض يوم **قوله** ان لبثتم اي ما لبثتم الا قليلا فكانه قيل لهم صدقتم ما لبثتم فيها الا قليلا لانها في مقابلة ايام الاخرة **قوله** لو انكم جوابها محذوف تقديره لو كنتم تعلمون مقدار لبثكم من الطول لما اجبتم بهذه المدة وانتصب قليلا على النعت لزمن محذوف او لمصدر محذوف اي الا زمنا قليلا او الا لبثا قليلا **قوله** افحسبتم انما خلقناكم عبثا الاية في نصب عبثا وجهان احدهما انه مصدر واقع موقع الحال اي عابثين والثاني انه مفعول من اجله اي لاجل العبث واللعب وما لا فائدة فيه اي لتعبثوا وتلعبوا كما خلقت البهائم لا ثواب لها ولا عقاب وكل ما ليس له غرض صحيح يقال عبث يعبث عبثا اذا خلط عمله بلعب واصله من قولهم عبثت الاقط اي خلطته والعبيث طعام مخلوط بشيء ومنه العوبثاني لتمر وسويق وسمن مختلط **قوله** وانكم يجوز ان يكون معطوفا على انما خلقناكم فيكون الحسبان منسحبا عليه وان يكون معطوفا على عبثا اذا كان مفعولا من اجله قال الزمخشري ويجوز ان يكون معطوفا على عبثا اي للعبث ولتركلم غير مرجوعين وقدم الينا على ترجعون لاجل الفواصل **قوله** لا ترجعون هو خبر انكم وقرا الاخوان ترجعون مبنيا للفاعل والباقون مبنيا للمفعول وقد تقدم ان رجع يكون لازما ومتعديا وقيل لا يكون الا متعديا والمفعول محذوف **فصل** لما شرح صفات القيمة استدل على وجودها بانه لولا القيمة لما تميز المطيع عن العاصي والصديق عن الزنديق وحينئذ يكون خلق هذا العالم عبثا وهو كقوله ايحسب الانسان ان يترك سدى والمعنى انما خلقتم للعبادة واقامة اوامر الله عز وجل روي ان رجلا مصابا مر على ابن مسعود فرقاه في اذنيه افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون حتى ختمها فبرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو ان رجلا موقنا قراها على جبل لزال ثم نزه نفسه تعالى عما تصفه به المشركون فقال فتعالى الله الملك الحق والملك هو المالك للاشيا الذي لا يزول ملكه وقدرته والحق هو الذي يحق له الملك لان كل شيء منه واليه والثابت الذي لا يزول ملكه لا اله الا هو رب العرش الكريم قرا العامة الكريم مجرورا نعتا للعرش وصف بذلك لتنزل الخيرات منه والبركة والرحمة او لنسبته الى اكرم الاكرمين كما يقال بيت كريم اذا كان ساكنوه كراما وقرا ابو جعفر وابن محيصن واسمعيل عن ابن كثير وابان بن تغلب بالرفع وفيه وجهان احدهما انه نعت للعرش ايضا ولكنه قطع عن اعرابه لاجل المدح على خبر مبتدا مضمر وهذا جيد لتوافق القراتين في المعنى والثاني انه نعت لرب **فصل** قال المفسرون العرش السرير الحسن وقيل المرتفع وقال ابو مسلم العرش هنا السموات بما فيها من العرش الذي تطوف الملائكة ويجوز ان يراد به الملك العظيم والاكثرون على انه العرش حقيقة **قوله** ومن يدع شرط وفي جوابه وجهان اصحهما انه قوله فانما حسابه وعلى هذا ففي الجملة المنفية وهي قوله لا برهان له به احدهما انها صفة لالها وهي صفة لازمة اي لا يكون الاله المدعو من دون الله الا كذا فليس لها مفهوم لفساد المعنى ومثله ولا طاير يطير بجناحيه لا يفهم ان ثم الها اخر يدعو من دون الله له برهان وان ثم طاير يطير بغير جناحيه والثاني انها جملة اعتراض بين الشرط وجوابه والى الوجهين اشار الزمخشري بقوله وهي صفة لازمة كقوله يطير بجناحيه جي بها للتوكيد لا ان يكون في الالهة ما يجوز ان يقوم عليه برهان ويجوز ان يكون اعتراضا بين الشرط والجزا كقولك من احسن الى زيد لا احد احق بالاحسان منه فالله مثيبه والثاني من الوجهين الاولين ان جواب الشرط قوله لا برهان له به كانه فر من مفهوم الصفة لما يلزم من فساده فوقع في شيء لا يجوز الا في ضرورة شعر وهو حذف فا الجزا من الجملة الاسمية كقوله • من يفعل الحسنات الله يشكرها • والشر بالشر عند الله مثلان • وقد تقدم تخريج كون لا برهان له على الصفة ولا اشكال لانها صفة لازمة او على انها جملة اعتراض

فصل

فصل لما بين انه الملك الحق لا اله الا هو اتبعه بان من ادعى الها اخر فقد ادعى باطلا لانه لا برهان له به لا حجة ولا بينة له لانه لا حجة في دعوى الشرك وهذا يدل على صحة النظر وفساد التقليد ثم قال فانما حسابه اي جزاؤه عند ربه يجازيه بعمله كما قال ان علينا حسابهم كانه قال ان عقابه بلغ الى حيث لا يقدر احد على حسابه الا الله **قوله** انه لا يفلح الكافرون شتان ما بين فاتحة السورة وخاتمتها قرا الجمهور بكسر همزة انه على الاستيناف المفيد للعلة وقرا الحسن وقتادة انه بالفتح وخرجه الزمخشري على ان يكون خبر حسابه قال ومعناه حسابه عدم الفلاح والاصل حسابه انه لا يفلح هو فوضع الكافرون في موضع الضمير لان من يدعو في معنى الجمع و وكذلك حسابه انه لا يفلح في معنى حسابهم انهم لا يفلحون انتهى ويجوز ان يكون ذلك على حذف حرف العلة اي لانه لا يفلح وقرا الحسن لا يفلح بفتح اليا واللام مضارع فلح بمعنى افلح فعل وافعل فيه بمعنى والله اعلم **فصل** المعنى لابعد من محدود وكذب ثم امر الرسول بان يقول رب اغفر وارحم ويثني عليه بانه خير الراحمين وقد تقدم بيان كونه ارحم الراحمين فان قيل كيف اتصال هذه الخاتمة بما قبلها فالجواب انه سبحانه لما شرح احوال الكفار في جهلهم في الدنيا وعذابهم في الاخرة امر بالانقطاع الى الله والالتجا الى غفرانه ورحمته فانهما العاصمان عن كل الافات والمخافات روي ان اول سورة قد افلح واخرها من كنوز العرش من عمل بثلاث ايات من اولها واتعظ باربع من اخرها فقد نجا وافلح وروى الثعلبي في تفسيره عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المومنين بشرته الملايكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت •

سورة النور

مدنية وهي اربع وستون اية والف وثلثماية وستة عشر كلمة وخمسة الاف وثمانية وثمانون حرفا • بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** سورة انزلناها وفرضناها الاية قرا العامة سورة بالرفع وفيه وجهان احدهما ان يكون مبتدا والجملة بعدها صفة لها وذلك هو المسوغ للابتدا بالنكرة وفي الخبر وجهان احدهما انه الجملة من قوله الزانية والزاني والى هذا نحا ابن عطيه فانه قال ويجوز ان يكون مبتدا والخبر الزانية والزاني وما بعد ذلك والمعنى السورة المنزلة والمفروضة كذا وكذا اذ السورة عبارة عن ايات مسرودة لها بدا وختم والثاني ان الخبر محذوف اي فيما يتلى عليكم سورة او فيما انزلنا سورة والوجه الثاني من الوجهين الاولين ان يكون خبر المبتدا مضمرا اي هذه سورة وقال ابو البقا سورة بالرفع على تقدير هذه سورة او فيما يتلى عليك سورة فلا تكون سورة مبتدا لانها نكرة وهذه عبارة مشكلة على ظاهرها كيف تقول لا تكون مبتدا مع تقديره فيما يتلى عليك سورة وكيف يعلل المنع بانها نكرة مع تقديره لخبرها جارا مقدما عليها وهو مسوغ للابتدا بالنكرة وقرا الحسن بن عبد العزيز وعيسى الثقفي وعيسى الكوفي ومجاهد وابو حيوة وطلحة بن مصرف في اخرين سورة بالنصب وفيها اوجه احدها انها منصوبة بفعل مقدر غير مفسر بما بعده تقديره اتل سورة او اقرا سورة والثاني انها منصوبة بفعل مضمر يفسره ما بعده والمسالة من الاشتغال تقديره انزلنا سورة انزلناها والفرق بين الوجهين ان الجملة بعد سورة في محل نصب على الاول ولا محل لها على الثاني الثالث انها منصوبة على الاغرا اي دونك سورة قاله الزمخشري ورده ابو حيان بانه لا يجوز حذف اداة الاغرا واستشكل ابو حيان ايضا على وجه الاشتغال جواز الابتدا بالنكرة من غير مسوغ ومعنى ذلك انه ما من موضع يجوز النصب على الاشتغال الا ويجوز ان يرفع على الابتدا وهنا لو رفعت سورة بالابتدا لم يجز اذ لا مسوغ فلا يقال رجلا ضربته لامتناع رجل ضربته ثم اجاب بانه

ان اعتقد حذف وصف جاز اي سورة معظمة او موضحة انزلناها فيجوز ذلك الرابع انها منصوبة
على الحال منها في انزلناها والحال من المكني يجوز ان يتقدم عليه قاله الفرا وعلى هذا فالضمير
في انزلناها ليس عايدا على سورة كانه قيل انزلنا الاحكام سورة من سور القران فهذه الاحكام
ثابتة بالقران بخلاف غيرها فانه قد يثبت بالسنة وتقدم معنى الانزال **قوله**
وفرضناها قرا ابن كثير وابو عمرو بالتشديد والباقون بالتخفيف فالتشديد اما للمبالغة
في الايجاب وتوكيده واما لتكثير المفروض عليهم واما لتكثير الشي المفروض والتخفيف بمعنى
اوجبناها مقطوعا بها وقيل الزمناكم العمل بها وقيل قدرنا ما فيها من الحدود والفرض
التقدير قال الله فنصف ما فرضتم اي قدرتم ان الذي فرض عليك القران ثم ان السورة
لا يمكن فرضها لانها قد دخلت في الوجود وتحصيل الحاصل محال فوجب ان يكون المراد فرضنا
ما بين فيها من الاحكام ثم قال وانزلنا فيها ايات بينات واضحات لعلكم تذكرون تتعظون
واراد بالايات ما ذكر في السورة من الاحكام والحدود ودلايل التوحيد وقرى تذكرون بتشديد
الدال وتخفيفها وتقدم معنى لعل في سورة البقرة قال القاضي لعل بمعنى كي فان قيل الانزال
يكون في صعود الى نزول وهذا يدل على انه تعالى في جهة فالجواب ان جبريل كان يحفظها
من اللوح ثم ينزلها على النبي صلى الله عليه وسلم فقيل انزلناها توسعا وقيل ان الله تعالى انزلها من
ام الكتاب الى السما الدنيا دفعة واحدة ثم انزلها بعد ذلك على لسان جبريل عليه السلام وقيل
معنى انزلناها اعطيناها الرسول كما تقول العبد اذا كلم سيده رفعت اليه حاجتي كذلك يكون
من السيد الى العبد الانزال قال الله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه
قوله تعالى الزانية والزاني في رفعهما وجهان مذهب سيبويه انه مبتدا وخبره
محذوف اي فيما يتلى عليكم حكم الزانية ثم بين ذلك بقوله فاجلدوا الى اخره والثاني وهو مذهب
الاخفش وغيره انه مبتدا والخبر جملة الامر ودخلت الفا لشبه المبتدا بالشرط ولكون الالف
واللام بمعنى الذي تقديره من زنا فاجلدوه او والذي زنت والذي زنا فاجلدوهما وتقدم
الكلام على هذه المسيلة في قوله واللذان ياتيانها منكم فاذوهما وعند قوله والسارق والسارقة
فاغنى عن اعادته وقرا عيسى الثقفي ويحيى بن يعمر وعمرو بن فايد وابو جعفر وابو شيبة ورويس
بالنصب على الاشتغال قال الزمخشري وهو احسن من سورة انزلناها لاجل الامر وقرى والزان
بلا يا ومعنى فاجلدوا فاضربوا كل واحد منهما مائة جلدة يقال جلده اذا ضرب جلده كما
يقال راسه وبطنه اذا ضرب راسه وبطنه وذكر بلفظ الجلد لئلا يبرح ولا يضرب بحيث
يبلغ اللحم **قوله** ولا تاخذكم بهما رافة رحمة ورقة قرا العامة هنا وفي الحديد بسكون
همزة رافة وابن كثير بفتحها وقرا ابن جريج وتروى ايضا عن ابن كثير وعاصم راافة بالف بعد
الهمزة بزنة سحابة وكلها مصادر لراف به يروف وتقدم معناه واشهر المصادر الاول ونقل
ابو البقا فيها لغة رابعة وهي ابدال همزة الفا وهذا ظاهر وقرا العامة تاخذكم بتا التانيث
مراعاة للفظ وعلي بن ابي طالب والسلمي ومجاهد بالياء من تحت لان التانيث مجازي وللفصل
بالمفعول والجار **في** بهما يتعلق بتاخذكم او بمحذوف على سبيل البيان ولا يتعلق برافة
لان المصدر لا يتقدم عليه معموله وفي دين الله متعلق بالفعل قبله ايضا وهذه الجملة
دالة على جواب الشرط بعدها او هي الجواب عند بعضهم **فصل** الزنا حرام وهو من الكباير
لان الله تعالى قرنه بالشرك وقتل النفس في قوله ولا يزنون وقال ولا تقربوا الزنا وقال
عليه السلام يا معشر الناس اتقوا الزنا فان فيه ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الاخرة
اما التي في الدنيا فيذهب البها ويورث الفقر وينقص العمر واما التي في الاخرة فسخط الله وسو

لحساب

الحساب وعذاب النار قال بعض العلما في حد الزنا انه عبارة عن ايلاج فرج في فرج مشتهى
طبعا محرم قطعا واختلف العلما في اللواط هل يسمى زنا ام لا فقيل نعم لقوله عليه السلام اذا
اتى الرجل الرجل فهما زانيان ولدخوله في حد الزنا المتقدم وقيل لا يسمى زنا لانه في العرف لا يسمى
زانيا ولو حلف لا يزني فلاط لم يحنث ولان الصحابة اختلفوا في حكم اللواط وكانوا عالمين باللغة
واما الحديث فمحمول على الاثم بدليل قوله عليه السلام اذا اتت المراة المراة فهما زانيتان وقوله
عليه السلام اليدان يزنيان والعينان يزنيان واما دخوله في مسمى الفرج لما فيه من الانفراج فبعيد
لان الفم والعين منفرجان ولا يسميان فرجا وسمي النجم نجما لظهوره وما سموا كل ظاهر نجما وسموا الجنين
جنينا لاستتاره وما سموا كل مستتر جنينا واختلفوا في حد اللوطي فقيل حد الزنا ان كان محصنا
رجم وان كان غير محصن جلد وغرب وقيل يقتل الفاعل والمفعول مطلقا واختلفوا في كيفية
قتله فقيل تضرب رقبته كالمرتد لقوله عليه السلام من عمل عمل قوم لوط فاقتلوه وقيل يرجم بالحجارة
وقيل يهدم عليه جدار وقيل يرمى من شاهق لان الله تعالى عذب قوم لوط بكل ذلك وقيل
يعزر الفاعل واما المفعول فعليه القتل ان قلنا يقتل الفاعل وان قلنا على الفاعل حد الزنا
فعلى المفعول جلد مائة وتغريب عام محصنا كان او غير محصن وقيل ان كانت امراة محصنة
فعليها الرجم **فصل** واجمعت الامة على حرمة اتيان البهيمة واختلفوا في حده فقيل
حد الزنا وقيل يقتل مطلقا لقوله عليه السلام من اتى بهيمة فاقتلوه واقتلوها معه وقيل
التعزير وهو الصحيح واما السحق واتيان الميتة والاستمنا باليد فلا يشرع فيه الا التعزير
فصل تقدم الكلام في حد الزنا في سورة النسا واما اثباته فلا يحصل الا بالاقرار او
بالبينة اما الاقرار فقال الشافعي يثبت بالاقرار مرة واحدة لقصة العسيف وقال
ابو حنيفة واحمد لا بد من الاقرار اربع مرات لقصة ماعز ولقوله عليه السلام انك شهدت على
نفسك اربع مرات ولو كانت المرة الواحدة مثل الاربع في ايجاب الحد لكان هذا الكلام لغوا ولقول
ابي بكر رضي الله عنه لماعز بعد اقراره الثالثة لو اقررت الرابعة لرجمك رسول الله وقال
بريدة الاسلمي كنا معشر اصحاب محمد نقول لو لم يقر ماعز اربع مرات ما رجمه رسول الله وايضا
فكما لا يقبل في الشهادات على الزنا الا اربع شهادات فكذا في الاقرار وكما ان الزنا لا ينتفي الا باربع
شهادات في اللعان فلا يثبت الا باقرار اربع مرات واما البينة فاجمعوا على انه لا بد من
اربع شهادات لقوله تعالى فاستشهدوا عليهن اربعة منكم **فصل** قال بعض العلما
لا خلاف في انه يجب على القاضي ان يمتنع عن القضا بعلم نفسه كما اذا ادعى رجل على اخر حقا واقام
عليه بينة والقاضي يعلم انه قد ابراه او ادعى انه قتل اباه وقت كذا وقد راه القاضي حيا
بعد ذلك او ادعى نكاح امراة وقد سمعه القاضي طلقها لا يجوز ان يقضي به ولو اقام عليه شهودا
وهل يجوز له ان يقضي بعلم نفسه مثل ان ادعى عليه الفا وقد راه القاضي اقرضه او سمع المدعى
عليه يقر به فقال ابو يوسف ومحمد والمزني يجوز له ان يقضي بعلمه لانه لما جاز له ان يحكم بشهادة
الشهود وهي انما تفيد الظن فلان يجوز بما هو منه على علم اولى قال الشافعي اقضي بعلمي وهو اقوى
من شاهدين او شاهد وامراتين وهو اقوى من شاهد ويمين وبشاهد ويمين وهو اقوى من
النكول ورد اليمين وقيل لا يحكم بعلمه لان انتفا التهمة شرط في القضا ولم يوجد هذا في الاول
فاما العقوبات فان كانت العقوبة من حقوق العباد كالقصاص وحد القذف فهو مثل
المال ان قلنا لا يقضي فهاهنا اولى والا فقولان والفرق بينهما ان حقوق الله تعالى مبنية على المساهلة
والمسامحة ولا فرق في القولين ان يحصل العلم للقاضي في بلد ولايته وزمان ولايته او في غيره
وقال ابو حنيفة ان حصل له العلم في بلد ولايته وفي زمان ولايته له ان يقضي بعلمه والا

فصل لا يقيم الحد الا الامام او نايبه وللسيد ان يقيم الحد على رقيقه لقوله عليه السلام اذا زنت امة احدكم فليجلدها وقيل بل يرفعه الى الامام ويجلد المحصن مع ثيابه ولا يجرد ولكن ينبغي ان يكون بحيث يصل الم الضرب اليه واما المراة فلا يجوز تجريدها بل يربط عليها ثيابها حتى لا تنكشف ويلي ذلك منها امراة ويضرب بسوط لا جديد يجرح ولا خلق لا يولم ولا يمد ولا يربط بل يترك حتى يتقي بيديه ويضرب الرجل قايما والمراة جالسة ويفرق السياط على اعضايه ولا يجمعها في موضع واحد ويتقي المهالك كالوجه والبطن والفرج قال الشافعي يضرب على الراس وقال ابو حنيفة لا يضرب على الراس فصل ولا يقام الحد على الحامل حتى تضع ولدها ويستغني عنها لحديث الجهينة واما المريض فان كان يرجى زوال مرضه اخر حتى يبرا ان كان الحد جلدا وان كان رجما اقيم عليه الحد لان المقصود قتله وان كان مرضه لا يرجى زواله لم يضرب بالسياط لم يضرب بضغث فيه عيدان بعدد ما يجب عليه لقصة ايوب عليه السلام وادلة جميع ما تقدم مذكورة في كتب الفقه فصل لو فرق السياط تفريقا لا يحصل به التنكيل مثل ان ضرب كل يوم سوطا او سوطين لم يحسب وان ضرب كل يوم عشرين واكثر حسب فصل ويقام الحد في وقت اعتدال الهوى فان كان في وقت شدة حر او برد نظرنا ان كان الحد رجما اقيم عليه كما يقام في المرض لان المقصود قتله وقيل ان كان الرجم ثبت باقراره اخر الى اعتدال الهوى وزوال المرض ان كان يرجى زواله لانه ربما رجع عن اقراره في خلال الرجم وقد اثر الرجم في جسمه فيعين شدة الحر والبرد والمرض على اهلاكه وان ثبت بالبينة لا يوخر لانه لا يسقط وان كان الحد جلدا لم تجز اقامته في شدة الحر والبرد كما لا يقام في المرض فصل معنى قوله ولا تاخذكم بهما رافة قال مجاهد وعكرمة وعطا وسعيد بن جبير والنخعي والشعبي لا تاخذكم بهما رافة فتعطلوا الحدود ولا تقيموها وقيل ولا تاخذكم رافة فتخففوا ولكن اوجعوهما ضربا وهو قول سعيد بن المسيب والحسن قال الزهري تجتهد في حد الزنا والفرية وتخفف في حد الشرب وقال قتادة تخفف في الشرب وتجتهد في الزنا ومعنى في دين الله اي في حكم الله روي ان عبد الله بن عمر جلد جارية له زنت فقال للجلاد اضرب ظهرها ورجليها فقال له ابنه ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله فقال يا بني ان الله لم يامرني بقتلها وقد ضربت فاوجعت فصل اذا ثبت الزنا باقراره فمتى رجع ترك وقع به بعض الحد او لم يقع به لان ماعزا لما مسته الحجارة هرب فقال عليه السلام هلا تركتموه وقيل لا يقبل رجوعه ويحفر للمراة الى صدرها ولا يحفر للرجل واذا مات في الحد غسل وكفن وصلي عليه ودفن في مقابر المسلمين قوله ان كنتم تومنون بالله واليوم الاخر معناه ان المومن لا تاخذه الرافة اذا جا امر الله قوله وليشهد عذابهما اي وليحضر حدهما اذا اقيم عليهما طايفة نفر من المومنين قال النخعي ومجاهد اقله رجل واحد لقوله تعالى وان طايفتان من المومنين اقتتلوا وقال عطا وعكرمة اثنان لقوله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طايفة وكل ثلاثة فرقة والخارج عن الثلاثة واحد واثنان والاحتياط يوجب الاخذ بالاكثر وقال الزهري وقتادة ثلاثة فصاعدا لان الطايفة هي الفرقة التي تكون حافة حول الشي وهذه الصورة اقل ما لا بد منه لحصولها الثلاثة وقال ابن عباس انها اربعة عدد شهود الزنا وهو قول مالك وابن زيد وقال الحسن البصري عشرة لانها العدد الكامل واعلم ان قوله وليشهد امر فظاهره للوجوب لكن الفقها قالوا يستحب حضور الجمع والمقصود اعلان اقامة الحد لما فيه من الردع ودفع التهمة وقيل اراد بالطايفة الشهود يجب حضورهم ليعلم بقاوهم على الشهادة وقال الشافعي ومالك يجوز للامام ان يحضر رجمه وان لا يحضر وكذا الشهود لا يلزمهم الحضور وقال ابو حنيفة

ان ثبت بالبينة وجب على الشهود ان يبداوا بالرمي ثم الامام ثم الناس وان ثبت بالاقرار بدا الامام ثم الناس واحتج الشافعي بان النبي صلى الله عليه وسلم رجم ماعزا والغامدية ولم يحضر رجمهما واما تسميته عذابا فانه يدل على انه عقوبة ويجوز ان يسمى عذابا لانه يمنع المعاودة كما يسمى نكالا لذلك قوله تعالى الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك وحرم ذلك على المومنين قرا ابو البرهسم وحرم مبنيا للفاعل مشددا وزيد ابن علي حرم بوزن كرم واختلفوا في معنى الاية وحكمها فقال مجاهد وعطا بن ابي رباح وقتادة والزهري والشعبي ورواية العوفي عن ابن عباس قدم المهاجرون المدينة وفيهم فقرا لا اموال لهم ولا عشاير وبالمدينة نسا بغايا يكرين انفسهن وهن يومئذ اخصب اهل المدينة فرغب ناس من فقرا المسلمين في نكاحهن لينفقن عليهم فاستاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية وحرم على المومنين ان يتزوجوا تلك البغايا لانهن كن مشركات وقال عكرمة نزلت في نساء بمكة والمدينة منهن تسع لهن رايات كرايات البيطار يعرفن بها منهن ام مهزول جارية السايب بن ابي السايب المخزومي وكان الرجل ينكح الزانية في الجاهلية يتخذها ماكلة فاراد ناس من المسلمين نكاحهن على تلك الجهة فاستاذن رجل من المسلمين نبي الله صلى الله عليه وسلم في نكاح ام مهزول واشترطت له ان تنفق عليه فانزل الله هذه الاية فان قيل قوله تعالى الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك ظاهره خبر وليس الامر كذلك لان الزاني قد ينكح المومنة العفيفة والزانية قد ينكحها المومن العفيف وايضا فقوله وحرم ذلك على المومنين ليس كذلك فان المومن يحل له التزوج بالمراة الزانية فالجواب من وجوه احدها وهو احسنها ما قاله القفال ان اللفظ وان كان عاما لكن المراد منه الاعم الاغلب لان الفاسق الخبيث الذي من شانه الزنا لا يرغب في نكاح المراة الصالحة وانما يرغب في فاسقة مثله او في مشركة والفاسقة لا ترغب في نكاح الرجل الصالح بل تنفر عنه وانما ترغب فيمن هو من جنسها من الفسقة والمشركين فهذا على الاعم الاغلب كما يقال لا يفعل الخير الا الرجل التقي وقد يفعل الخير من ليس بتقي فكذا هاهنا واما قوله وحرم ذلك على المومنين فالجواب من وجهين الاول ان نكاح المومن الممدوح عند الله الزانية ورغبته فيها محرم عليه لما فيه من التشبه بالفساق وحضور موقع التهمة والتسبب لسو المقالة فيه والغيبة ومجالسة الخطا فيها التعرض لاقتراف الاثام فكيف بمزاوجة الزواني والفجار وثانيها ان صرف الرغبة بالكلية الى الزواني وترك الرغبة في الصالحات محرم على المومنين لان قوله الزاني لا ينكح الا زانية معناه ان الزاني لا يرغب الا في زانية فهذا محرم على المومنين ولا يلزم من حرمة هذا الحصر حرمة التزوج بالزانية فهذا هو المعتمد في تفسير الاية الوجه الثاني ان الالف واللام في قوله الزاني وفي قوله المومنين وان كان للعموم ظاهرا لكنه مخصوص بالاقوام الذين نزلت فيهم كما قدمناه انفا الوجه الثالث ان قوله الزاني لا ينكح الا زانية وان كان خبرا في الظاهر لكن المراد منه النهي والمعنى كل من كان زانيا فلا ينبغي ان ينكح الا زانية وحرم ذلك على المومنين هكذا كان الحكم في ابتدا الاسلام وعلى هذا الوجه ذكروا قولين احدهما ان ذلك الحكم باق الى الان حتى يحرم على الزاني والزانية التزوج بالعفيف والعفيفة وبالعكس وهذا مذهب ابي بكر وعمر وعلي وابن مسعود ثم في هذا ولا من يسوي بين الابتدا والدوام فيقول كما لا يحل للمومن ان يتزوج بالزانية فكذلك لا يحل له اذا زنت تحته ان يقيم عليها ومنهم من يفصل لان في جملة ما يمنع من التزوج ما لا يمنع من دوام النكاح كالاحرام والعدة والعو الثاني ان هذا الحكم صار منسوخا واختلفوا في ناسخه فقال الجبايي ان ناسخه هو الاجماع وعن سعيد

بين

ابن المسيب انه منسوخ بعموم قوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النسا وانكحوا الايامى منكم قال
المحققون هذان الوجهان ضعيفان اما قول الجبائي فلانه ثبت في اصول الفقه ان الاجماع لا ينسخ
ولا ينسخ به وايضا فالاجماع الحاصل عقيب الخلاف لا يكون حجة والاجماع في هذه المسئلة مسبوق
بخلاف ابي بكر وعمر وعلي فكيف يصح واما قوله فانكحوا ما طاب لكم من النسا فلا يصلح ان يكون ناسخا
لانه لا بد من ان يشترط فيه ان لا يكون هناك مانع من النكاح ولقايل ان يقول لا يدخل فيه تزوج
الزانية من المومنين كما لا يدخل فيه تزوجها من الاخ وابن الاخ وان للزنا تاثيرا في الفرقة ما
ليس لغيره الا ترى انه اذا قذفها يتبعها بالفرقة على بعض الوجوه ولا يجب مثل ذلك في سائر ما يوجب
الحد ولان الزنا يورث العار ويوثر في الفراش فنفارق غيره واحتج من ادعى النسخ بان رجلا
سال النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان امراتي لا ترد يد لامس قال طلقها قال اني
احبها وهي جميلة قال استمتع بها وفي رواية فامسكها اذن وروي ان عمر بن الخطاب ضرب رجلا وامراة
في زنا وحرص ان يجمع بينهما فابى الغلام وروي ان ابن عباس سيل عن رجل زنا بامراة فهل له ان يتزوجها
فاجازه ابن عباس وشبهه بمن سرق ثمر شجرة ثم اشتراه وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سيل عن
ذلك فقال اوله سفاح واخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال الوجه الرابع ان يحمل النكاح على الوطي
والمعنى ان الزاني لا يطا حين يزني الا زانية او مشركة وكذا الزانية وحرم ذلك على المومنين وهذا
تاويل ابي مسلم وهو قول سعيد بن جبير والضحاك بن مزاحم ورواية الوالبي عن ابن عباس قال
الزجاج وهذا التاويل فاسد من وجهين الاول انه ما ورد النكاح في كتاب الله الا بمعنى
التزويج ولم يرد البتة بمعنى الوطي الثاني ان ذلك تخرج الكلام عن الفايدة لانا لو قلنا المراد ان
الزاني لا يطا الا الزانية فالاشكال عايد لانا نرى الزاني قد يطا العفيفة حين تتزوج بها ولو قلنا
المراد ان الزاني لا يطا الا الزانية حين يكون وطيه زنا فهذا كلام لا فايدة فيه **فان قيل**
اي فرق بين قوله الزاني لا ينكح الا زانية وبين قوله الزانية لا ينكحها الا زان فالجواب ان الكلام
الاول يدل على ان الزاني لا يرغب الا في نكاح الزانية بخلاف الزانية فقد ترغب في نكاح غير
الزاني فلا جرم بين ذلك بالكلام الثاني **فان قيل** لم قدم الزانية على الزاني في اول السورة
وههنا بالعكس فالجواب سيقت تلك الاية لعقوبتهما لجنايتهما فالمراة هي المادة في الزنا واما
ههنا فمسوقة لذكر النكاح والرجال اصل فيه لانه هو الراغب الطالب **قوله تعالى** والذين
يرمون المحصنات الاية هي كقوله الزانية والزاني فاجلدوا فيعود فيه ما تقدم بحاله وقوله المحصنات
فيه وجهان احدهما ان المراد به النسا فقط وانما خصهن بالذكر لان قذفهن اشنع والثاني ان
المراد بهن النسا والرجال وعلى هذا فيقال كيف غلب المونث على المذكر والجواب انه صفة
لشي محذوف يعم الرجال والنسا اي الانفس المحصنات وهو بعيد او نقول ثم معطوف محذوف لفهم
المعنى وللاجماع على ان حكمهم حكمهن اي والمحصنين **قوله** باربعة شهدا العامة على اضافة اسم العدد
للمعدود وقرا ابو زرعة وعبد الله بن مسلم بالتنوين في العدد واستفصح الناس هذه القراة حتى
تجاوز بعضهم الحد كابن جني ففضلها على قراة العامة قال لان المعدود متى كان صفة فالاجود الاتباع
دون الاضافة تقول عندي ثلاثون ضاربون ويضعف ثلاثة ضاربين وهذا غلط لان الصفة
التي جرت مجرى الاسما تعطي حكمها فيضاف اليها العدد وشهدا من ذلك فانه كثر حذف موصوفه
قال تعالى من كل امة بشهيد واستشهدوا شهيدين وتقول عندي ثلاثة اعبد وكل ذلك صفة في
الاصل ونقل ابن عطيه عن سيبويه انه لا يجيز تنوين العدد الا في شعر وليس كما نقله عنه في الاسما نحو
ثلاثة رجال واما الصفات ففيها التفصيل المتقدم وفي شهدا على هذه القراة ثلاثة اوجه احدها
انه تمييز وهذا فاسد لان من ثلاثة الى عشرة يضاف لمميزه ليس الا وغير ذلك ضرورة الثاني انه

حال وهو ضعيف ايضا لمجيها من النكرة من غير مخصص الثالث انها مجرورة نعتا لاربعة ولم تنصرف
لالف التانيث **فصل** ظاهر الاية لا يدل على الشي الذي به رموا المحصنات وذكر الرمي لا
يدل على الزنا اذ قد يرميها بسرقة او شرب خمر بل لا بد من قرينة دالة على التعيين واتفق العلما
على ان المراد الرمي بالزنا وفي دلالة الاية عليه وجوه الاول تقدم ذكر الزنا والثاني انه تعالى
ذكر المحصنات وهن العفايف فدل ذلك على ان المراد رميها بضد العفاف الثالث قوله ثم لم
ياتوا باربعة شهدا يعني على صحة ما رموا به وكون الشهود اربعة من شروط الزنا الرابع الاجماع
على انه لا يجب الحد بالرمي بغير الزنا فوجب ان يكون المراد هو الرمي بالزنا **فصل**
شروط الاحصان خمسة الاحصان والعقل والبلوغ والحرية والعفة من الزنا حتى ان من زنا
مرة اول بلوغه ثم تاب وحسنت حالته منذ عمره فقذفه قاذف لا حد عليه فان اقر المقذوف
على نفسه بالزنا او اقام القاذف اربعة من الشهود على زناه سقط الحد عن القاذف لان الحد
وجب للفرية وقد ثبت صدقه **فصل** والفاظ القذف صريح وكناية وتعريض
فالصريح ان يقول يا زانية او زنيت او زنا قبلك او دبرك فان قال زنا بدنك فقيل كناية
لان حقيقة الزنا من الفرج والصحيح انه صريح لان الفعل يصدر بكل البدن والفرج آلة
والكناية ان يقول يا فاسقة يا فاجرة يا خبيثة يا مواجرة يا ابن الحرام او لا ترد يد لامس فلا
يكون قذفا الا بالنية وكذا لو قال لعربي يا نبطي وبالعكس فان اراد القذف فهو قذف لام
المقول له والا فلا فان قال عنيت نبطي الدار او اللسان وادعت ام المقول له ارادة القذف
فالقول قوله مع يمينه والتعريض ليس بقذف وان نواه كقوله يا ابن الحلال اما انا فما زنيت
وليست امي زانية لان الاصل براة الذمة فلا يجب بالشك والحد يدرا بالشبهات وقال مالك
يجب فيه الحد وقال احمد واسحق هو قذف في حال الغضب دون الرضا **فصل** اذا قذف
شخصا واحدا مرارا فان اراد بالكل زنية واحدة وجب حد واحد فان قال الثاني بعد ما حد
للاول عزر للثاني وان قذفه بزنايين مختلفين كقوله زنيت بزيد ثم قال زنيت بعمرو فقيل يتعدد
اعتبارا باللفظ ولانه حق ادمي فلا يتداخل كالديون والصحيح انه يتداخل لانهما حدان من
جنس واحد فتداخل كحدود الزنا ولو قذف زوجته مرارا فالصحيح انه يكتفي بلعان واحد
سوا قلنا يتعدد الحد او لا وان قذف جماعة بكلمة واحدة فقيل حد واحد لان هلال بن امية
قذف امراته بشريك بن سحما فقال عليه السلام البينة او حد في ظهرك فلم يوجب على هلال الا حدا
واحدا مع انه قذف زوجته بشريك وقيل لكل واحد حد وان كان بكلمات فلكل واحد حد **فصل**
اذا قذف الصبي والمجنون امراته او اجنبيه فلا حد عليه ولا لعان لا في الحال ولا بعد البلوغ لقوله
عليه السلام رفع القلم عن ثلاث ولكن يعزران للتاديب ان كان لهما تمييز والاخرس ان فهمت
اشارته او كتابته وقذف بالاشارة او بالكتابة لزمه الحد وكذلك يصح لعانه بالاشارة فاما
اما العبد اذا قذف الحر فقيل يلزمه نصف الحد وقيل الحد كله واما الكافر اذا قذف المسلم
فعليه الحد لدخوله في عموم الاية وان كان المقذوف غير محصن لم يجب الحد بل يوجب التعزير
الا ان يكون المقذوف معروفا بما قذف به فلا حد هناك ولا تعزير **قوله** ثم لم ياتوا باربعة
شهدا اي يشهدون على زناهن فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واوليك هم
الفاسقون قوله واوليك هم الفاسقون يجوز ان يكون هذه الجملة مستانفة وهو الاظهر وجوز
ابو البقا فيها ان يكون حالا وقوله الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم
اعلم ان في هذا الاستثنا خلافا فهل يعود لما تقدمه من الجمل ام الى الجملة الاخيرة فقط وتكلم
عليها من النحاة ابن مالك والمهابادي فاختار ابن مالك عوده الى الجمل المتقدمة والمهابادي

الى الاخيرة وقال الزمخشري رد شهادة القاذف معلق عند ابي حنيفة رحمه الله باستيفاء الحد
فاذا شهد قبل الحد او قبل تمام استيفائه قبلت شهادته فاذا استوفي لم تقبل شهادته ابدا
وان تاب وكان من الابرار الاتقيا وعند الشافعي رحمه يتعلق رد شهادته بنفس القذف فاذا
تاب عن القذف بان يرجع عنه عاد مقبول الشهادة وكلاهما متمسك بالاية فابو حنيفة رحمه الله
جعل جزا الشرط الذي هو الرمي الجلد ورد الشهادة عقيب الجلد على التابيد وكانوا مردودي
الشهادة عنده في ابدهم وهو مدة حياتهم وجعل قوله واولئك هم الفاسقون كلاما مستانفا
غير داخل في حيز جزا الشرط كانه حكاية حال الرامين عند الله بعد انقضا الجملة الشرطية والا
الذين تابوا استثنا من الفاسقين ويدل عليه قوله فان الله غفور رحيم والشافعي رحمه الله جعل
جزا الشرط الجملتين ايضا غير انه صرف الابد الى مدة كونه قاذفا وهي تنتهي بالتوبة عن القذف وجعل
الاستثنا متعلقا بالجملة الثانية انتهى واعلم ان الاعراب متوقف على ذكر الحكم ومحل المستثنى
فيه ثلاثة اوجه احدها انه منصوب على اصل الاستثنا والثاني انه مجرور بدلا من الضمير
في لهم وقد اوضح الزمخشري ذلك بقوله وحق المستثنى عنده اي الشافعي ان يكون مجرورا بدلا من هم
في لهم وحقه عند ابي حنيفة ان يكون منصوبا لانه من موجب والذي يقتضيه ظاهر الاية ونظمها
ان تكون الجمل الثلاث بمجموعهن جزا الشرط كانه قيل ومن قذف المحصنات فاجلدوهم وردوا
شهادتهم وفسقوهم اي فاجمعوا لهم الجلد والرد والتفسيق الا الذين تابوا عن القذف واصلحوا
فان الله يغفر لهم فينقلبون غير مجلودين ولا مردودين ولا مفسقين قال ابو حيان وليس
ظاهر الاية يقتضي عود الاستثنا الى الجمل الثلاث بل الظاهر هو ما يعضده كلام العرب وهو الرجوع ع
الى الجملة التي تليها والوجه الثالث انه مرفوع بالابتدا وخبره الجملة من قوله فان الله غفور رحيم
واعترض بخلوها من رابط واجيب بانه محذوف اي غفور لهم واختلفوا ايضا في هذا الاستثنا
هل هو متصل او منقطع والثاني ضعيف جدا **فصل** الاقرار بالزنا يثبت بشهادة
رجلين بخلاف فعل الزنا لان الفعل يعسر الاطلاع عليه وقيل لا يثبت الا باربعة كفعل الزنا
فصل اذا شهدوا على فعل الزنا يجب ان يذكروا الزاني والمزني بها لانه قد يراه على
جارية ابنه فيظن انه زنا ويجب ان يشهدوا انا راينا ذكره يدخل في فرجها دخول الميل في
المكحلة فلو شهدوا مطلقا انه زنا لم تثبت بخلاف ما لو قذف انسانا وقال زنيت يجب الحد
ولا يستفسر ولو اقر على نفسه بالزنا فقيل يجب ان يستفسر كالشهود وقيل لا يجب كما في القذف
فصل لا فرق بين ان يجي الشهود مجتمعين او متفرقين وقال ابو حنيفة اذا شهدوا متفرقين
لا تثبت وعليهم حد القذف وحجة الاول ان الاتيان باربعة شهدا قد يشترك بين الاتيان
بهم مجتمعين ومتفرقين وايضا فكل حكم ثبت بشهادة الشهود اذا جاووا مجتمعين ثبت اذا جاووا
متفرقين كسائر الاحكام بل هذا اولى لان مجيئهم متفرقين ابعد من التهمة ومن تلقين بعضهم من
بعض ولذلك اذا وقعت ريبة للقاضي في شهادة الشهود فرقهم وايضا فانه لا يشترط ان يشهدوا
معا في حالة واحدة بل اذا اجتمعوا عند القاضي قدم واحدا بعد واحد واحتج ابو حنيفة بان
الشاهد الواحد لما شهد فقد قذفه ولم يات باربعة من الشهدا فيجب عليه الحد للاية
اقصى ما في الباب انهم عبروا عن القذف بلفظ الشهادة وذلك لا عبرة به لانه يودي الى اسقاط
حد القذف راسا لان كل قاذف يمكن ان يقذف بلفظ الشهادة ويتوسل بذلك الى اسقاط الحد
عن نفسه وتحصل مقصوده وايضا فلان المغيرة بن شعبة شهد عليه بالزنا اربعة عند عمر بن
الخطاب ابو بكرة وشبل بن معبد ونافع ونفيع وقال زياد وكان رابعهم رايت استا تنبو ونفسا
يعلو ورجلاه على عاتقه كاذني حمار ولا ادري ما وراء ذلك فجلد عمر الثلاثة ولم يسال هل معهم

شاهد

شاهدا اخر ولو قبل بعد ذلك شهادة غيرهم لتوقف اداء الحد عليه **فصل** لو شهد على الزنا
اقل من اربعة لم يثبت وهل يجب حد القذف على الشهود فقيل يجب عليهم حد القذف لما تقدم
انفا وقيل لا يجب لانهم جاوا مجي الشهود ولانا لو حددنا لانسد باب الشهادة على الزنا لان كل احد
لا يامن ان لا يوافقه صاحبه فيلزمه الحد **فصل** لو اتى القاذف باربعة فساق
فشهدوا على المقذوف بالزنا قال ابو حنيفة سقط الحد عن القاذف ولا يجب الحد على الشهود
وقال الشافعي في احد قوليه يحدون واحتج ابو حنيفة بانه اتى باربعة شهدا فلا يلزمه
الحد والفاسق من اهل الشهادة فقد وجدت شرايط الشهادة الا انه لم يقبل شهادتهم
للتهمة واحتج الشافعي بانهم ليسوا من اهل الشهادة **قوله** فاجلدوهم ثمانين جلدة وهذا
خطاب للامام او للمالك او لرجل صالح اذا فقد الامام وتخص من هذا العموم صور الاولى الوالد
اذا قذف ولده او ولد ولده وان سفل لا يجب عليه الحد كما لا يجب عليه القصاص بقتله
الثانية القاذف اذا كان عبدا فالواجب جلده اربعين وكذا المكاتب وام الولد ومن
بعضه حر فقيل كالرقيق وقيل بالحساب الثالثة من قذف رقيقه او من زنت قديما
ثم تابت وحسن حالها لا يجب الحد بقذفها **فصل** قالوا اشد الضرب في الحد وحد
الزنا ثم ضرب حد الخمر ثم ضرب القاذف لان سبب عقوبته تحتمل للصدق والكذب الا انه
عوقب صيانة للاعراض **فصل** قال مالك والشافعي حد القذف يورث وكذلك
اذا كان الواجب بقذفه التعزير يورث عنه وقيل لا يورث الا ان يطالب المقذوف قبل
موته فان قذف بعد موته ثبت لوارثه طلب الحد وعند ابي حنيفة الحد لا يورث ويسقط
بالموت حجة الشافعي انه حق ادمي يسقط بعفوه ولا يستوفى الا بطلبه ويحلف عنه المدعى عليه
اذا انكر واذا كان حقا ادميا وجب ان يورث لقوله عليه السلام من مات عن حق فلورثته وحجة
ابي حنيفة لو كان موروثا لورثه الزوج والزوجة ولانه حق ليس فيه معنى المال فلا يورث
كالوكالة والمضاربة واجيب بانا لا نسلم ان الزوج والزوجة لا يرثانه وان سلم فالفرق
بينهما ان الزوجية تنقطع بالموت ولان المقصود من الحد دفع العار عن النسب وذلك لا يلحق الزوج
والزوجة **فصل** اذا قذف انسانا بين يدي الحاكم او قذف امراته برجل بعينه
والرجل غايب فعلى الحاكم ان يبعث الى المقذوف ويخبره بان فلانا قذفك وثبت لك حد
القذف عليه كما لو ثبت له مال على اخر وهو لا يعلم تجب عليه اعلامه ولهذا بعث النبي صلى الله
عليه وسلم انيسا ليخبرها ان فلانا قذفها بابنه ولم يبعثه ليتجسس عن زناها وليس للامام اذا رمي
رجل بزنا ان يبعث اليه يساله عن ذلك **قوله** ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا قال اكثر الصحابة
والتابعين اذا تاب قبلت شهادته وهو قول الشافعي وقال ابو حنيفة واصحابه والثوري والحسن
ابن صالح لا تقبل شهادة المحدود في القذف اذا تاب وادلة المذهبين مذكورة في كتب الفقه
وهي مبنية على ان الاستثنا هل يرجع الى الجملة الاخيرة او الى كل الجمل المتقدمة فلذلك اختلف
العلما في قبول شهادة القاذف بعد التوبة وفي حكم هذا الاستثنا فذهب قوم الى ان القاذف
ترد شهادته بنفس القذف واذا تاب وندم وندم على ما قال وحسنت حالته قبلت شهادته
سوا تاب بعد اقامة الحد عليه او قبله لقوله تعالى الا الذين تابوا وقالوا الاستثنا راجع الى الشهادة
والى الفسق فبعد التوبة تقبل شهادته ويزول عنه اسم الفسق يروى ذلك عن عمر وابن عباس وهو
قول سعيد بن جبير ومجاهد وعطا وطاوس وسعيد بن المسيب وسليمان بن يسار والشعبي وعكرمة
وعمر بن عبد العزيز والزهري وبه قال مالك والشافعي لما روي ان عمر بن الخطاب ضرب الذين
شهدوا على المغيرة بن شعبة ثم قال لهم من اكذب نفسه قبلت شهادته فاكذب شبل ونافع انفسهما

نكان يقبل شهادتهما وذهب قوم ان شهادة المحدود في القذف لا تقبل ابدا وان تاب وقالوا
الاستثنا يرجع الي قوله واوليك هم الفاسقون وهو قول النخعي وشريح واصحاب الراي وقالوا بنفس
القذف ترد شهادته ما لم يحد قال الشافعي هو قبل ان يحد شر منه حين يحد لان الحدود كفارات
فكيف تردون شهادته في احسن حالته وتقبلونها في شر حالته وذهب الشعبي الي ان حد القذف
يسقط بالتوبة وقالوا الاستثنا يرجع الي الكل وعامة العلما علي انه لا يسقط بالتوبة الا ان يعفوا
عنه المقذوف فيسقط كالقصاص يسقط بالعفو ولا يسقط بالتوبة فان قيل اذا قبلتم شهادته
بعد التوبة فما معني قوله ابدا قيل معناه لا تقبل شهادته ابدا ما دام مصرا علي قذفه لان ابد كل
انسان علي ما يليق بحاله كما يقال لا تقبل شهادة الكافر ابدا يراد به ما دام كافرا

فصل

اختلفوا في كيفية التوبة بعد القذف فقبل التوبة منه اكذابه نفسه بان يقول كذبت فلا اعود
الي مثله وقيل لا يقول كذبت لانه ربما يكون صادقا فيكون قوله كذبت كذبا والكذب معصية
واتيان المعصية لا يكون توبة عن معصية اخري بل يقول القذف باطل ندمت علي ما قلت ورجعت
عنه ولا اعود اليه ولا بد من مضي مدة عليه بعد التوبة تحسن حاله فيها حتي تقبل شهادته وقدر تلك
المدة سنة حتي تمر عليه الفصول الاربعة التي يتغير فيها الاحوال والطباع كاجل العنين وقد علق
الشرع احكاما بالسنة من الزكوة والجزية وغيرهما وهذا معني قوله واصلحوا ثم قال فان الله غفور رحيم
اي يقبل التوبة **قوله تعالي** والذين يرمون ازواجهم الايات لما ذكر احكام قذف
الاجنبيات عقبه باحكام قذف الزوجات قال ابن عباس لما نزل قوله والذين يرمون المحصنات
ثم لم ياتوا باربعة شهدا قال عاصم بن عدي الانصاري ان دخل رجل منا بيته فراي رجلا علي
بطن امراته فان جا باربعة رجال يشهدون بذلك فقد قضي الرجل حاجته وخرج وان قتله قتل
به وان قال وجدت فلانا مع تلك المراة ضرب وان سكت سكت علي غيظ اللهم افتح وكان لعاصم
هذا ابن عم يقال له عويمر وله امراة يقال لها خولة بنت قيس فاتي عويمر عاصما فقال لقد رايت
شريك بن سحما علي بطن امراتي خولة فاسترجع عاصم واتي رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال يا رسول
الله ما اسرع ما ابتليت بهذا في اهل بيتي فقال رسول الله وما ذاك قال اخبرني عويمر بن عمي انه
راي شريك بن سحما علي بطن امراته خولة فدعا رسول الله صلي الله عليه وسلم بهم جميعا فقال لعويمر
اتق الله في زوجتك وابنة عمك ولا تقذفها فقال يا رسول الله تالله لقد رايت شريكا علي بطنها
واني ما قربتها منذ اربعة اشهر وانها حبلي من غيري فقال لها رسول الله اتقي الله ولا تخبري الا بما صنعت
فقالت يا رسول الله ان عويمر رجل غيور وانه راي شريكا يطيل النظر ويتحدث فحملته الغيرة علي ما
قال فانزل الله هذه الاية فامر رسول الله بان يوذن الصلاة جامعة فصلي العصر ثم قال لعويمر
قم وقل اشهد بالله ان خولة لزانية واني لمن الصادقين ثم قال في الثانية اشهد اني رايت شريكا علي
بطنها واني لمن الصادقين ثم قال في الثالثة اشهد بالله انها حبلي من غيري واني لمن الصادقين
ثم قال في الرابعة قل اشهد بالله انها زانية واني ما قربتها منذ اربعة اشهر واني لمن الصادقين
ثم قال في الخامسة لعنة الله علي عويمر يعني نفسه ان كان من الكاذبين ثم قال اقعد وقال لخولة
قومي فقامت وقالت اشهد بالله ما انا بزانية وان زوجي لمن الكاذبين وقالت في الثانية اشهد
بالله ما راي شريكا علي بطني وانه لمن الكاذبين وقالت في الثالثة اشهد بالله ما انا حبلي منه وانه
لمن الكاذبين وقالت في الرابعة اشهد بالله انه ما راني علي فاحشة قط وانه من الكاذبين وقالت
في الخامسة غضب الله علي خولة ان كان عويمر من الصادقين في قوله ففرق النبي صلي الله عليه وسلم
بينهما وفي رواية عكرمة عن ابن عباس ان هلال بن امية قذف امراته عند النبي صلي الله عليه وسلم
بشريك بن سحما فقال النبي صلي الله عليه وسلم البينة والاحد في ظهرك فقال يا رسول الله اذا

راي

راي احدنا علي امراته رجلا ينطلق يلتمس البينة فجعل النبي صلي الله عليه وسلم يقول البينة والاحد
في ظهرك فقال هلال والذي بعثك بالحق اني لصادق ولينزلن الله ما يبري ظهري من الحد فنزل
جبريل عليه السلام وانزل عليه والذين يرمون ازواجهم فقرا حتي بلغ ان كان من الصادقين
فانصرف رسول الله صلي الله عليه وسلم فارسل اليهما فجا هلال فشهد والنبي صلي الله عليه وسلم يقول
ان الله يعلم ان احدكما كاذب فهل منكما تايب ثم قامت فشهدت فلما كان عند الخامسة وقفوها
وقالوا انها موجبة قال ابن عباس فتلكات ونكصت حتي ظننا انها ترجع ثم قالت لا افضح قومي ساير
اليوم فمضت وقال النبي صلي الله عليه وسلم ابصروها فان جات به اكحل العينين سابغ الاليتين
خدلج الساقين فهو لشريك بن سحما فجات به كذلك فقال النبي صلي الله عليه وسلم لولا ما مضي من كتاب
الله عز وجل لكان لي ولها شان وفي رواية عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت والذين يرمون
المحصنات الاية قال سعيد بن عبادة لو اتيت لكاع وقد تفخذها رجل لم يكن لي ان اهيجه
حتي اتي باربعة شهدا فوالله ما كنت لاتي باربعة شهدا حتي يفرغ من حاجته ويذهب وان قلت
ما رايت ان في ظهري لثمانين جلدة فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم يا معشر الانصار الا تسمعون
ما يقول سيدكم قالوا لا تلمه فانه رجل غيور ما تزوج امراة قط الا بكرا ولا طلق امراة له واجترا
رجل منا ان يتزوجها قال سعد يا رسول الله بابي انت وامي والله اني لاعرف انها من الله وانها حق
ولكن عجبت من ذلك فقال عليه السلام فان الله يابا الا ذلك فقال صدق الله ورسوله قال فلم
يلبثوا الا يسيرا حتي جا ابن عم له يقال له هلال بن امية من حديقة له وهو احد الثلاثة الذين تاب
الله عليهم فراي رجلا مع امراته يزني بها فامسك حتي اصبح فلما اصبح غدا علي رسول الله صلي الله
عليه وسلم وهو جالس مع اصحابه فقال يا رسول الله اني جيت اهلي عشا فوجدت رجلا مع امراتي
رايت بعيني وسمعت باذني فكره رسول الله صلي الله عليه وسلم ما جا به وثقل عليه حتي عرف ذلك
في وجهه فقال هلال والله يا رسول الله اني لاري الكراهة في وجهك مما اتيت به والله يعلم
اني لصادق وما قلت الا حقا واني لارجوا ان يجعل الله لي فرجا فهم رسول الله صلي الله عليه
وسلم بضربه قال واجتمعت الانصار فقالوا ابتلينا بما قال سعد يجلد هلال وتبطل
شهادته فانهم لذلك رسول الله صلي الله عليه وسلم يريد ان يامر بضربه اذا نزل عليه الوحي
فامسك اصحابه عن كلامه حين عرفوا ان الوحي قد نزل حتي فرغ فانزل الله والذين يرمون
ازواجهم الي اخر الايات فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم ابشر يا هلال فان الله قد جعل
لك فرجا فقال كنت ارجوا ذلك من الله عز وجل فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم ارسلوا
اليها فجات فكذبت هلالا فقال عليه السلام الله يعلم ان احدكما كاذب فهل منكما تايب وامر
بالملاعنة وشهد هلال اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين فقال عليه السلام له عند
الخامسة اتق الله يا هلال فان عذاب الدنيا اهون من عذاب الاخرة فقال والله لا يعذبني
الله عليها كما لم يجلدني عليها رسول الله وشهد الخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين
ثم قال رسول الله صلي الله عليه وسلم اتشهدين فشهدت اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين
ثم قال لها عند الخامسة ووقفها اتق الله فانها الخامسة الموجبة وان عذاب الله اشد من
عذاب الناس فتلكات ساعة وهمت بالاعتراف ثم قالت والله لا افضح قومي فشهدت
الخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين ففرق رسول الله صلي الله عليه وسلم
بينهما وقضي ان الولد لها ولا يدعي لاب ولا يرمي ثم قال رسول الله صلي الله عليه وسلم
ان جات به كذا وكذا فهو لزوجها وان جات به كذا وكذا فهو للذي قيل فيه فجات به غلاما
كانه جمل اورق علي التشبيه المكروه وكان بعد اميرا بمصر ولا يدري من ابوه

فصل

اذا رمي الرجل امراته بالزنا يجب عليه الحد ان كانت محصنة والتعزير ان لم تكن محصنة كما في رمي الاجنبي الا ان قذف الاجنبي لا يسقط الحد عن القاذف الا باقرار المقذوف او ببينة اربعة شهدا على الزنا وفي قذف الزوجة يسقط الحد عنه باحد هذين الامرين وباللعان وانما اعتبر الشارع اللعان في الزوجات دون الاجنبيات لانه لا ضرر عليه في زنا الاجنبيه والاولي له ستره واما في الزوجة فيلحقه العار والنسب الفاسد فلا يمكنه الصبر عليه

فصل اذا قذف زوجته ونكل عن اللعان لزمه حد القذف فاذا لاعن ونكلت عن اللعان لزمها حد الزنا وقال ابو حنيفة تحبس الناكل منهما حتي يلاعن حجة القول الاول قوله تعالي والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهدا فاجلدوهم ثمانين جلدة ثم عطف عليه حكم الازواج فقال والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهدا الا انفسهم الايه فكما ان مقتضي قذف الاجنبيات الاتيان بالشهود او الجلد فكذا موجب قذف الزوجات الاتيان باللعان او الحد وايضا قوله ويدروا عنها العذاب ان تشهد اربع شهادات والالف واللام في العذاب للمعهود السابق وهو الحد وليسا للعموم لانه لم يجب عليها جميع انواع العذاب ومما يدل علي بطلان الحبس في حق المراة ان تقول ان كان الرجل صادقا فحدوني وان كان كاذبا فخلوني وليس حبسي في كتاب الله وسنة رسوله ولا الاجماع ولا القياس واحتج ابي حنيفة بان المراة ما فعلت سوي انها تركت اللعان وهذا الترك ليس ببينة علي الزنا ولا اقرار منها به فوجب ان لا يجوز رجمها لقوله عليه السلام لا تحل دم امرء مسلم الحديث واذا لم تجب الرجم اذا كانت محصنة لم تجب الجلد في غير المحصن لانه لا قايل بالفرق وايضا فالنكول ليس بصريح الا قرار فلم يجز اثبات الحد به كاللفظ المحتمل للزنا ولغيره

فصل من صح يمينه صح لعانه فيجري اللعان بين الرقيقين والذميين والمحدودين وكذا اذا كان احدهما رقيقا او كان الزوج مسلما والمراة ذمية **فان قيل** اللعان شهادة فوجب ان لا يصح الا من اهل الشهادة وانما قلنا اللعان شهادة لقوله تعالي ولم يكن لهم شهدا الا انفسهم فشهادة احدهم اربع شهادات فسمي اللعان شهادة كقوله واستشهدوا شهيدين ولان النبي صلي الله عليه وسلم امرهما باللعان بلفظ الشهادة ولم يقتصر علي لفظ اليمين واذا ثبت ان اللعان شهادة وجب ان لا يقبل من المحدود في القذف لقوله ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واذا ثبت ذلك في المحدود ثبت في العبد والكافر اما للاجماع علي انهما ليسا من اهل الشهادة او لانه لا قايل بالفرق فالجواب ان اللعان ليس شهادة في الحقيقة بل هو يمين مخصوصة لانه لا يجوز ان يشهد الانسان لنفسه ولانه لو كان شهادة لكانت المراة تاتي بثمان شهادات لانها علي النصف من الرجل ولانه يصح من الاعمي والفاسق ولا يجوز شهادتهما فان قيل الفاسق والفاسقة قد يتوبان قلنا وكذلك العبد قد يعتق فتجوز شهادته

فصل قال عثمان البتي اذا تلاعن الزوجان لم يقع الفرقة لان اللعان ليس بصريح ولا كناية عن الفرقة فلا يفيد الفرقة كسائر الاقوال التي لا اشعار لها بالفرقة ولان اكثر ما فيه ان يكون الزوج صادقا في قوله وهذا لا يوجب تحريما الا تري انه لو قامت البينة عليها لم يوجب ذلك تحريما فاذا كان كاذبا والمراة صادقة فاولي ان لا يوجب تحريما وايضا لو تلاعنا فيما بينهما لم يوجب الفرقة فكذا عند الحاكم وايضا فاللعان قايم مقام الشهود في قذف الاجنبيات فكما انه لا فايدة في احضار الشهود هناك الا اسقاط الحد فكذا اللعان لا تاثير له الا اسقاط الحد وايضا فلو اكذب الزوج نفسه في قذفه اياها ثم حد لم يوجب ذلك فرقة فكذا اذا لاعن لان اللعان قايم مقام درء الحد واما تفريق النبي صلي الله عليه وسلم في قصة العجلاني وكان قد طلقها ثلاثا بعد اللعان فلذلك فرق بينهما وقال اصحاب الراي لا تقع الفرقة بفراغهما من اللعان

حتي يفرق الحاكم بينهما لما روي سهل بن سعد في قصة العجلاني مضت السنه في المتلاعنين ان يفرق بينهما ولان قصة عويمر انهما لما فرغا قال كذبت عليها يا رسول الله ان امسكتها هي طالق ثلاثا فطلقها ثلاثا قبل ان يامرها ولو وقعت الفرقة باللعان لبطل قوله كذبت عليها ان امسكتها لان امساكها غير ممكن ولان اللعان شهادة ولا يثبت حكمه الا عند الحاكم فوجب ان لا يوجب الفرقة الا بحكم الحاكم كما لم يثبت المشهود به الا بحكم الحاكم وقال مالك والليث وزفر اذا فرغا من اللعان وقعت الفرقة وان لم يفرق الحاكم بينهما لانهما لو تراضيا علي البقا علي النكاح لم تخليا بل فرق بينهما فدل علي ان اللعان قد اوجب الفرقة وقال الشافعي اذا اكمل الزوج الشهادة فقد زال فراش امراته ولا تحل له ابدا لقوله تعالي ويدروا عنها العذاب الايه فدل هذا علي انه لا تاثير للعان المراة الا في دفع العذاب عن نفسها وان كل ما يجب باللعان من الاحكام فقد وقع بلعان الزوج ولان لعان الزوج مستقل بنفي الولد فوجب ان يكون الاعتبار بقوله في الالحاق لا بقولها

فصل في كيفية اللعان وهو مذكور في الاية صريحا قال العلما يقام الرجل حتي يشهد والمراة قاعدة وتقام المراة حتي تشهد والرجل قاعد ويامر الامام من يضع يده علي فيه عند الانتهاء الي اللعنة والغضب ويقول له اني اخاف ان لم تكن صادقا ويكون اللعان عند الحاكم فان كان بمكة كان بين المقام والركن وان كان بالمدينة عند المنبر وببيت المقدس في مسجده وفي المواضع المعظمة ولعان المشرك في الكنيسة واما في الزمان فيوم الجمعه بعد العصر ولا بد من حضور جماعة واقلهم اربعة وهذا التغليظ قيل واجب وقيل مستحب

فصل في معني الايه والذين يرمون ازواجهم اي يقذفون نساءهم ولم يكن لهم شهدا يشهدون علي صحة ما قالوا الا انفسهم اي غير انفسهم فشهادة احدهم اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين **قوله** ولم يكن لهم شهدا الا انفسهم في رفع انفسهم وجهان احدهما انه بدل من شهدا ولم يذكر الزمخشري في غضون كلامه غيره والثاني انه نعت له علي ان الا بمعني غير قال ابو البقا ولو قري بالنصب لجاز علي ان يكون خبر كان او منصوبا علي الاستثنا وانما كان الرفع هنا اقوي لان الا هنا صفة للنكرة كما ذكرنا في سورة الانبيا قال شهاب الدين وعلي قراة الرفع يحتمل ان يكون كان ناقصة وخبرها الجار وان تكون تامه اي ولم يوجد لهم شهدا وقرا العامة يكن بالياء من تحت وهو الفصيح لانه اذا اسند الفعل لما بعد الا علي سبيل التفريغ وجب عند بعضهم التذكير في الفعل نحو ما قام الا هند ولا يجوز لما قامت الا في ضروره كقوله وما بقيت الا الضلوع الجراشع او في شذوذ كقراة الحسن لا تري الا مساكنهم وقري ولم تكن بالتاء من فوق وقد عرف ما فيه

قوله فشهادة احدهم في رفعها ثلاثة اوجه احدها ان يكون مبتدا وخبره مقدر التقدير اي فعليهم شهادة او موخر اي فشهادة احدهم كافيه او واجبة الثاني ان يكون خبر مبتدا مضمر اي فالواجب شهادة احدهم الثالث ان يكون فاعلا بفعل مقدر اي فيكفي والمصدر هنا مضاف للفاعل وقرا العامة اربع شهادات بالنصب علي المصدر والعامل فيه شهادة فالناصب للمصدر مصدر مثله كما تقدم في قوله فان جهنم جزاوكم جزا موفورا وقرا الاخوان وحفص برفع اربع علي انها خبر المبتدا وهو قوله فشهادة ويتخرج علي القرايتين تعلق الجار في قوله بالله فعلي قراة النصب يجوز فيه ثلاثة اوجه احدها ان يتعلق بشهادات لانه اقرب اليه والثاني انه متعلق بقوله فشهادة اي فشهادة احدهم بالله ولا يضر الفصل باربع لانها معمولة للمصدر فليست اجنبيه الثالث ان المسئله من باب التنازع فان كلا من شهادة وشهادات يطلبه من حيث المعني وتكون المسئله من اعمال الثاني للحذف من الاول وهو مختار البصريين وعلي قراة الرفع يتعين تعلقه بشهادات اذ لو علقت بشهادة لزم الفصل بين المصدر ومعموله بالخبر ولا يجوز لانه

اجنبي ولم يختلف في اربع الثانية وهي قوله ان تشهد اربع شهادات انها منصوبة للتصريح بالعامل فيها وهو الفعل **قوله** والخامسة اتفق السبعة على رفع الخامسة الاولى واختلفوا في الثانية فنصبها حفص ونصبهما معا الحسن والسلمي وطلحة والاعمش فالرفع على الابتدا وما بعده من ان وما في حيزها الخبر واما نصب الاولى فعلى قراءة من نصب اربع شهادات يكون النصب للعطف على المنصوب قبلها وعلى قراءة من رفع يكون النصب بفعل مقدر اي ويشهد الخامسة واما نصب الثانية فعطف على ما قبلها من المنصوب وهو اربع شهادات والنصب هنا اقوى منه في الاولى لقوة النصب فيما قبلها كما تقدم تقريره ولذلك لم يختلف فيه واما ان وما في حيزها فعلى قراءة الرفع تكون في محل رفع خبر المبتدا كما تقدم وعلى قراءة النصب يكون على اسقاط الخافض فيتعلق ذلك الخافض بذلك الناصب للخامسة اي ويشهد الخامسة بان لعنة الله وبان غضب الله وجوز ابو البقا ان يكون بدلا من الخامسة **قوله** ان لعنة الله عليه قرا العامة بتشديد ان في الموضعين وقرا نافع بتخفيفها في الموضعين الا انه يقرا غضب الله بجعل غضب فعلا ماضيا والجلالة فاعله كذا نقل ابو حيان عنه التخفيف في الاولى ايضا ولم ينقله غيره فعلى قراءته يكون اسم ان ضمير الشان في الموضعين ولعنة الله مبتدا وعليه خبرها والجملة خبر ان وفي الثانية يكون غضب الله جملة فعلية في محل خبر ان ايضا ولكنه يقال يلزمكم احد امرين وهو اما عدم الفصل بين المخففة والفعل الواقع خبرا واما وقوع الطلب خبرا في هذا الباب وهو ممتنع تقرير ذلك ان خبر المخففة متى كان فعلا متصرفا غير مقرون بقد وجب الفصل بينهما بما تقدم في سورة المائدة فان اجيب بانه دعا اعترض بان الدعا طلب وقد نصوا على ان الجمل الطلبية لا تقع خبرا لان حتى تاولوا قوله• ان الرياحة لا تصيبك للسبب • وقوله• ان الذين قتلتم امس سيدهم • لا تحسبوا ليلهم عن ليلكم ناما على اضمار القول ومثله ان بورك من في النار وقرا الحسن وابو رجا وقتادة والسلمي وعيسى بتخفيف ان وغضب الله بالرفع على الابتدا والجار بعده خبره والجملة خبر ان وقال ابن عطية وان الخفيفة على قراءة الرفع في قوله ان غضب قد وليها الفعل قال ابو علي واهل العربية يستقبحون ان يليها الفعل الا ان يفصل بينها وبينه بشي نحو قوله علم ان سيكون افلا يرون الا يرجع فاما قوله وان ليس للانسان فذلك لعلة تمكن ليس في الافعال واما قوله ان بورك من في النار فبورك في معنى الدعا فلم يجي دخول الفواصل لئلا يفسد المعنى قال وظاهر هذا ان غضب ليس دعا بل هو خبر عن غضب الله عليها والظاهر انه دعا كما ان بورك كذلك وليس المعنى على الاخبار فيهما فاعترض ابي علي وابي محمد ليس بمرضي **قوله** ولولا فضل الله جواب لولا محذوف اي لهلكتم او لعاجلكم بالعقوبة ولكنه ستر عليكم ورفع عنكم الحد باللعان وان الله تواب يعود على من يرجع عن المعاصي بالرحمة حكيم فيما فرض من الحدود **قوله تعالى** ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم الاية في خبر ان وجهان احدهما انه عصبة ومنكم صفته قال ابو البقا وبه افاد الخبر والثاني ان الخبر الجملة من قوله لا تحسبوه ويكون عصبة بدلا من فاعل جاءوا قال ابن عطية التقدير ان فعل الذين وهذا انسق في المعنى واكثر فايدة من ان يكون عصبة خبر ان كذا اورده عنه ابو حيان غير معترض عليه والاعتراض عليه واضح من حيث انه اوقع خبر ان جملة طلبية وقد تقدم انه لا يجوز وان ورد منه شي في الشعر اول كالبيتين المتقدمين وتقدير ابن عطية ذلك المضاف قبل الموصول ليصح به التركيب الكلامي اذ لو لم يقدر لكان التركيب لا تحسبوهم ولا يعود الضمير في لا تحسبوه على قول ابن عطية على الافك لئلا تخلو الجملة من رابط يربطها بالمبتدا وفي قول غيره يجوز ان يعود على الافك او على القذف او على المصدر المفهوم من جاءوا او على ما نال المسلمين من الغم **فصل** سبب نزول هذه الاية ما روى الزهري

عن

عن سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وعلقمة بن ابي وقاص وعبيد الله بن عتبة بن مسعود كلهم رووا عن عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد سفرا اقرع بين نسايه فايتهن خرج سهمها خرج بها معه قالت فاقرع بيننا في غزوة غزاها قبل بني المصطلق فخرج فيها سهمي فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول اية الحجاب فحملت في هودج فسرنا حتى اذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته تلك وقفل دنونا من المدينة قافلين نزل منزلا ثم اذن بالرحيل فقمت حين اذنوا ومشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شاني اقبلت الى رحلي فلمست صدري فاذا عقدي من جزع ظفار قد انقطع فرجعت والتمست عقدي فحبسني ابتغاوه واقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بي فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري وهم يحسبون اني فيه لخفتي وكان النسا اذ ذاك خفافا لم يهبلن ولم يغشهن اللحم انما ياكلن العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه وكنت جارية حديثة السن فظنوا اني في الهودج وذهبوا بالبعير ووجدت عقدي بعدما استمر الجيش فجيت منازلهم وليس بها منهم داع ولا مجيب فتيممت منزلي الذي كنت فيه وظننت انهم سيفقدوني ويعودون في طلبي فبينا انا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش يتبع امتعة الناس يحمله الى المنزل الاخر لئلا يذهب شي فلما راني عرفني وكان راني قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي بجلبابي ووالله ما تكلمنا بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه وهوى حتى اناخ راحلته فوطي على يديها فقمت اليها فركبتها وانطلق يقود بي الراحلة حتى اتينا الجيش موعرين في نحر الظهيرة وهم نزول وافتقدني الناس حين نزلوا وماج الناس في ذكري فبينا الناس كذلك اذ هجمت عليهم فتكلم القوم وخاضوا في حديثي قالت فهلك من هلك وكان الذي تولى كبر الافك عبد الله بن ابي بن سلول قال عروة ولم يسم من اهل الافك الا حسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش في اناس اخرين لا علم لي بهم غير انهم عصبة كما قال الله عز وجل قال عروة وكانت عايشة تكره ان يسب عندها حسان وتقول هو الذي قال • فان ابي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء • قالت عايشة وقدم رسول الله المدينة ولم ارمه عليه السلام ما عهدت من اللطف الذي كنت اعرف منه والناس يفيضون في قول اصحاب الافك ولا اشعر بشي من ذلك فاشتكيت حين قدمت شهرا وهو يريبني في وجعي اني لا ارى من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذي كنت ارى منه حين اشتكي انما يدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسلم ثم يقول كيف تيكم ثم ينصرف فذلك يريبني ولا اشعر بالشر حتى خرجت حين نقهت فخرجت مع ام مسطح قبل المناصع وكانت متبرزنا وكنا لا نخرج الا ليلا الى ليل وذلك قبل ان نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا وامرنا امر العرب الاول في البرية قبل الغايط فكنا نتاذى بالكنف ان نتخذها عند بيوتنا قالت فانطلقت انا وام مسطح وهي بنت ابي رهم بن المطلب بن عبد مناف وامها ابنة صخر بن عامر خالة ابي بكر الصديق رضي الله عنه وابنها مسطح بن اثاثة بن عباد بن المطلب فاقبلت انا وام مسطح قبل بيتي حين فرغنا من شاننا فعثرت ام مسطح في مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها بيس ما قلت اتسبين رجلا شهد بدرا فقالت اي هنتاه اولم تسمعي ما قال فقلت وما قال فاخبرتني بقول اهل الافك وقالت اشهد بالله انك من المومنات الغافلات فازددت مرضا على مرضي فلما رجعت الى بيتي دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال كيف تيكم فقلت له اتاذن لي ان اتي ابوي قالت واريد ان استيقن الخبر من قبلهما قالت فاذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لامي يا اماه ماذا يتحدث الناس قالت يا بنية هوني عليك فوالله لقل ما كانت امراة قط وضيية عند رجل يحبها ولها ضراير الا كثرن عليها فقلت سبحان الله اولقد تحدث

الناس بها فبكيت تلك الليلة حتى اصبحت لا يرقى لي دمع ولا اكتحل بنوم فدخل علي ابي وانا
ابكي فقال لامي ما يبكيها قالت لم تكن علمت ما قيل فيها فاقبل يبكي قالت ودعا رسول الله صلى
الله عليه وسلم علي بن ابي طالب واسامة بن زيد حين استلبث الوحي يسالهما ويستشيرهما في فراق
اهله فقال اسامة يا رسول الله هم اهلك ولا نعلم الا خيرا واما علي فقال لم يضيق الله عليك
والنسا سواها كثير وسل الجارية تصدقك فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فقال
اي بريرة هل رايت من شيء يريبك قالت له بريرة والذي بعثك بالحق نبيا ما رايت عليها
امرا اغمصه اكثر من انها جارية حديثة السن تنام عن عجين اهلها فياتي الداجن فياكله
قالت فقام نبي الله خطيبا على المنبر فقال يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغ اذاه
في اهلي يعني عبد الله بن ابي فوالله ما علمت على اهلي الا خيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه
الا خيرا وما كان يدخل على اهلي الا معي فقام سعد بن معاذ اخو بني عبد الاشهل فقال انا يا رسول
الله اعذرك فان كان من الاوس ضربت عنقه وان كان من اخواننا الخزرج فامرتنا فعلناه
فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكان رجلا صالحا ولكن اخذته الحمية وكانت ام حسان
بنت عمه من فخذه فقال لسعد بن معاذ كذبت لعمر الله لا تقدر على قتله فقام اسيد بن حضير
وهو ابن عم سعد بن معاذ فقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنقتلنه وانك لمنافق تجادل
عن المنافقين فثار الحيان الاوس والخزرج حتى هموا ان يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم
على المنبر فلم يزل يخفضهم حتى سكتوا قالت فبكيت يومي ذلك كله وليلتي لا يرقى لي دمع ولا اكتحل
بنوم فاصبح ابواي عندي وقد بكيت ليلتين ويوما حتى اني لاظن ان البكاء فالق كبدي فبينا ابواي
جالسان عندي وانا ابكي فاستاذنت علي امراة من الانصار فاذنت لها فجلست تبكي معي فبينا
نحن على ذلك اذ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا فسلم ثم جلس قالت ولم يجلس عندي منذ
قيل في ما قيل وقد لبث شهرا لا يوحى اليه في شاني بشيء فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين جلس ثم قال اما بعد يا عايشة فانه بلغني عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبريك الله
وان كنت الممت بذنب فاستغفري الله وتوبي اليه فان العبد اذا اعترف ثم تاب تاب الله عليه
قالت فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعي حتى ما احس منه قطرة فقلت
لابي اجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال فقال والله لا ادري ما اقول لرسول الله
فقلت لامي اجيبي رسول الله فقالت امي والله لا ادري ما اقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فقلت وانا جارية حديثة السن لا اقرا من القران كثيرا اني والله لقد علمت انكم قد سمعتم هذا
الحديث حتى استقر في انفسكم وصدقتم به فلين قلت لكم اني بريئة لا تصدقوني ولين اعترفت لكم
بامر والله يعلم اني منه بريئة لتصدقني فوالله لا اجد لي ولكم مثلا الا ابا يوسف حين قال فصبر
جميل والله المستعان على ما تصفون ثم تحولت واضطجعت على فراشي وانا اعلم والله يعلم اني
حينئذ بريئة وان الله مبريي ببراءتي ولكن والله ما كنت اظن ان الله منزل في شاني وحيا يتلى
ولشاني في نفسي كان احقر من ان يتكلم الله في بامر ولكني كنت ارجو ان يرى الله رسوله
صلى الله عليه وسلم في النوم رؤيا يبريني الله بها فوالله ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من
مجلسه ولا خرج من اهل البيت احد حتى انزل الله على نبيه فاخذه ما كان ياخذه من البرحاء
عند الوحي حتى انه ليتحدر منه العرق مثل الجمان في اليوم الشاتي من ثقل القول الذي انزل عليه
قالت فسري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك وكان اول كلمة تكلم بها ان قال يا عايشة
اما والله قد براك الله قالت فقالت لي امي قومي اليه فقلت فوالله لا اقوم اليه فاني لا احمد
الا الله قالت وانزل الله ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم العشر ايات فقال ابو بكر لا انفق

على

على مسطح بعدها وكان ينفق عليه لقرابته منه فانزل الله ولا ياتل اولوا الفضل منكم والسعة الى
قوله غفور رحيم فلما سمع ابو بكر قوله تعالى الا تحبون ان يغفر الله لكم قال ابو بكر والله اني لاحب
ان يغفر الله لي فرجع الى النفقة على مسطح وقال والله لا انزعها منه ابدا قالت فلما انزل عذري
قام رسول الله على المنبر فذكر ذلك وتلا القران فلما نزل ضرب عبد الله بن ابي ومسطح وحسان
وحمنة الحد **فصل** الافك ابلغ ما يكون من الكذب والافترا وهو اسوا الكذب وسمي
افكا لكونه مصروفا عن الحق من قولهم افك الشيء اذا قلبه عن وجهه فقيل هو من البهتان واجمع
المسلمون على ان المراد ما افك به على عايشة وانما وصف الله ذلك الكذب بكونه افكا لان المعروف
من حال عايشة خلافه وذلك من وجوه الاول ان كونها زوجة المعصوم يمنع من ذلك لان الانبيا
يبعثون الى الكفار ليدعوهم ويستعطفوهم فيجب ان لا يكون معهم ما ينفر عنهم وكون زوجة
الانسان مسافحة من اعظم المنفرات فان **قيل** كيف جاز ان يكون امراة الرسول كافرة كامراة
نوح ولوط ولم يجز ان تكون فاجرة وايضا فلو لم يجز لكان الرسول اعرف الناس بامتناعه ولو عرف
ذلك لما خاف ولما سال عايشة عن كيفية الواقعة **فالجواب** عن الاول ان الكفر ليس من المنفرات
بخلاف الفجور فانه من المنفرات **والجواب** عن الثاني انه عليه السلام كثيرا ما يكون يضيق قلبه
من اقوال الكفار مع علمه بفساد ذلك كما قال تعالى ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون
فهذا من هذا الباب الثاني ان المعروف من عايشة قبل تلك الواقعة انما هو الصون والبعد
عن مقدمات الفجور ومن كان كذلك كان اللايق احسان الظن به الثالث ان القاذفين كانوا
من المنافقين واتباعهم وكلام المفتري ضرب من الهذيان فلمجموع هذه كان ذلك القول معلوم
الفساد قبل نزول الوحي **فصل** العصبة قيل الجماعة من العشرة الى الاربعين وكذلك
العصابة وهم عبد الله بن ابي راس المنافقين وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن
اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم **قوله** كبره العامة على كسر الكاف وضمها في قراءة
الحسن والزهري وابو رجاء وابو البرهسم وابن ابي عبلة ومجاهد وعمرة بنت عبد الرحمن ورويت
ايضا عن ابي عمرو والكساي فقيل هما لغتان في مصدر كبر الشيء اي عظم لكن غلب في الاستعمال
ان المضموم في السن والمكان يقال هو كبر القوم بالضم اي اكبرهم سنا او مكانة وفي الحديث
في قصة محيصة وحويصة الكبر الكبر وقيل بالضم معظم الافك وبالكسر البداءة به وقيل
بالكسر الاثم **قوله** منكم معناه ان الذين جاءوا بالكذب في امر عايشة جماعة منكم ايها المومنون
لان عبد الله كان من جملة من حكم له بالايمان ظاهرا **قوله** لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير
لكم هذا شرح حال المقذوف وليس خطابا مع القاذفين فان قيل هذا مشكل من وجهين
احدهما انه لم يتقدم ذكرهم والثاني ان المقذوفين هم عايشة وصفوان فكيف تحمل عليهما
صيغة الجمع في قوله لا تحسبوه شرا لكم فالجواب عن الاول انه تقدم ذكرهم في قوله منكم
وعن الثاني ان المراد من لفظ الجمع كل من تاذى بذلك الكذب ومعلوم انه صلى الله عليه وسلم
تاذى بذلك وكذلك ابو بكر ومن يتصل به فان قيل فمن اي جهة يصير خيرا لهم مع انه مضرة
فالجواب لوجوه احدها انهم صبروا على ذلك الغم طلبا لمرضات الله فاستوجبوا به الثواب
وهذه طريقة المومنين **وثانيها** لولا اظهارهم الافك كان يجوز ان يبقى الهم كامنا في صدور
البعض وعند الاظهار انكشف كذب القوم **وثالثها** صار خيرا لهم لما فيه من شرفهم وبيان
فضلهم من حيث نزلت ثماني عشرة اية كل واحدة منها مستقلة ببراءة عايشة وشهد الله بكذب
القاذفين ونسبهم الى الافك واوجب عليهم اللعن والذم وهذا غاية الشرف والفضل ورابعها
صيرورتها بحال تعلق الكفر بقذفها فان الله لما نص على كون تلك الواقعة افكا وبالغ في شرحه

فكل من شك فيه كان كافرا قطعا وهذه درجة عالية وقال بعضهم قوله تعالى لا تحسبوه شرا
لكم خطاب مع القاذفين وجعله الله خيرا لهم من حيث كان هذا الذكر عقوبة معجلة كالكفارة
ومن حيث تاب بعضهم عنده وهذا القول ضعيف لانه تعالى خاطبهم بالكاف ولما وصف اهل
الافك خاطبهم بالهاء بقوله لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم ومعلوم ان نفس ما اكتسبوه لا يكون
عقوبة فالمراد لهم جزاء ما اكتسبوه من العقاب في الاخرة والمذمة في الدنيا والمعنى ان قدر العقاب
يكون مثل قدر الخوض **قوله** والذي تولى كبره اي الذي قام باشاعة هذا الحديث وهو
عبد الله بن ابي بن سلول والعذاب العظيم هو النار في الاخرة وروي عن عايشة في حديث الافك
قالت ثم ركبت واخذ صفوان بالزمام فمررنا بملاء من المنافقين وكانت عادتهم ان ينزلوا
منتبذين من الناس فقال عبد الله بن ابي رئيسهم من هذه قالوا عايشة قال والله ما نجت
منه ولا نجا منها وقال امراة نبيكم باتت مع رجل حتى اصبحت ثم جاء يقودها وشرع في ذلك
ايضا حسان بن ثابت ومسطح وحمنة بنت جحش زوجة طلحة بن عبيد الله ثم الذين تولوا
كبره والاقرب انه عبد الله بن ابي فانه كان منافقا يطلب ما يقدح في الرسول قال
مسروق دخلت على عايشة وعندها حسان بن ثابت ينشد شعرا يشبب بابيات له وقال
حصان رزان ما تزن بريبة • وتصبح غرثى من لحوم الغوافل • فقالت له عايشة
لكنك لست كذلك قال مسروق فقلت لها لم تاذنين له ان يدخل عليك وقد قال الله والذي
تولى كبره منهم له عذاب عظيم قالت واي عذاب اشد من العما وروي ان عايشة ذكرت
حسان وقالت ارجو له الجنة فقيل اليس هو الذي تولى كبره فقالت اذا سمعت شعره في مدح
الرسول رجوت له الجنة وقال عليه السلام ان الله يؤيد حسان بروح القدس في شعره وروي
ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بالذين رموا عايشة فجلدوا الحد جميعا **فصل** المراد من
اضافة الكبر اليه انه كان مبتدءا بذلك القول فلا جرم حصل له من العقاب ما حصل للكل من
قال ذلك لقوله عليه السلام من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة
وقال ابو مسلم سبب تلك الاضافة شدة الرغبة في اشاعة تلك الفاحشة **قوله** لولا اذ
سمعتموه لولا هذه تحضيضية اي هلا وذلك كثير في اللغة اذا كانت تلي الفعل كقوله لولا اخرتني
وقوله فلولا كانت فاما اذا وليت الاسم فليس كذلك كقوله لولا انتم لكنا مؤمنين ولولا فضل الله
عليكم واذ منصوب بظن والتقدير لولا ظن المؤمنون بانفسهم اذ سمعتموه وفي هذا الكلام التفات
قال الزمخشري فان قلت هلا قيل لولا اذ سمعتموه ظننتم بانفسكم خيرا وقلتم ولم عدل عن
الخطاب الى الغيبة وعن الضمير الى الظاهر قلت ليبالغ في التوبيخ بطريقة الالتفات وليصرح
بلفظ الايمان دلالة على ان الاشتراك فيه مقتض ان لا يصدق احد قاله في اخيه وان لا
يظن بالمسلمين الا خيرا وقوله ولم عدل عن الخطاب يعني في قوله وقالوا فانه كان الاصل
وقلتم فعدل عن هذا الخطاب الى الغيبة في وقالوا وقوله وعن الضمير يعني ان الاصل كان ظننتم
فعدل عن ضمير الخطاب الى لفظ المؤمنين **فصل** المعنى هلا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات
بانفسهم باخوانهم خيرا وقال الحسن باهل دينهم لان المؤمنين كنفس واحدة كقوله ولا تقتلوا انفسكم
فسلموا على انفسكم المعنى بامثالكم المؤمنين وقيل جعل المؤمنين كالنفس الواحدة فيما يجري عليها من
الامور فما جرى على احدهم مكروه فكانه جرى على جميعهم كما قال عليه السلام مثل المسلمين
في تراحمهم وتواصلهم كمثل الجسد اذا وجع بعضه وجع كله بالسهر والحمى وقال عليه السلام المؤمنون
كالبنيان يشد بعضه بعضا وقوله هذا افك مبين اي كذب بين لولا جاؤا هلا جاؤا عليه باربعة
شهداء اي على ما زعموا يشهدون على معاينتهم ما رموها به فاذ لم ياتوا بالشهداء ولم يقيموا بينة على ما

قالوه فاولئك عند الله اي في حكمه هم الكاذبون **فان قيل** كيف يصيرون عند الله
كاذبين اذا لم ياتوا بالشهداء ومن كذب فهو عند الله كاذب سواء اتى بالشهداء او لم يات فالجواب
معناه كذبوهم بامر الله وقيل هذا في حق عايشة خاصة فانهم كانوا عند الله كاذبين وقيل
المعنى في حكم الكاذبين فان الكاذب يجب زجره عن الكذب فلما شابه الكاذب في الزجر
اطلق عليه انه كاذب مجازا **قوله** فاذ لم ياتوا اذ منصوب بالكاذبون في قوله فاولئك
عند الله هم الكاذبون وهذا الكلام في قوة شرط وجزاء **قوله** ولولا فضل الله عليكم
ورحمته لمسكم فيما افضتم فيه من الافك عذاب عظيم وهذا الزجر ولولا ههنا لامتناع الشيء
لوجود غيره ويقال افاض في الحديث واندفع وخاض والمعنى ولولا اني قضيت ان اتفضل
عليكم في الدنيا بالنعم التي من جملتها الامهال وان اترحم عليكم في الاخرة بالعفو لعاجلتكم
بالعقاب على ما خضتم فيه من حديث الافك وقيل المعنى ولولا فضل الله عليكم لمسكم
العذاب في الدنيا والاخرة معا فيكون فيه تقديم وتاخير وهذا الفضل هو حكم الله لمن تاب
وقال ابن عباس المراد بالعذاب العظيم اي عذاب لا انقطاع له يعني في الاخرة لانه ذكر
عذاب الدنيا من قبل فقال والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم وقد اصابه فانه
جلد وحد **قوله** اذ تلقونه اذ منصوب بمسكم او بافضتم وقرا العامة تلقونه والاصل
تتلقونه فحذف احدى التائين كتنزل ونحوه ومعناه يتلقاه بعضكم من بعض قال الكلبي
وذلك ان الرجل منهم يلقى الرجل فيقول بلغني كذا وكذا يتلقونه تلقيا قال الزجاج يلقيه
بعضهم الى بعض والبزي على اصله في انه يشدد التاء وصلا وتقدم تحقيقه في البقرة نحو ولا
تيمموا وهو هناك سهل لان ما قبله حرف لين بخلاف هنا وابو عمرو والكسائي وحمزة على اصولهم
في ادغام الذال في التاء وقرا ابي تتلقونه بتائين وتقدم انها الاصل وقرا ابن السميفع في رواية
عنه تُلْقُونَه بضم التاء وسكون اللام وضم القاف مضارع القى القاء وقرا هو في رواية
اخرى تَلْقَونه بفتح التاء وسكون اللام وفتح القاف مضارع لقي وقرا ابن عباس وعايشة
وعيسى وابن يعمر وزيد بن علي بفتح التاء وكسر اللام وضم القاف من ولق الرجل اذا كذب قال
ابن سيده جاؤا بالمتعدي شاهدا على غير المتعدي وعندي انه اراد تلقون فيه فحذف
الحرف ووصل الفعل للضمير يعني انهم جاؤا بتلقونه وهو متعد مفسرا بتكذبون وهو غير متعد
ثم حمله على ما ذكر وقال الطبري وغيره ان هذه اللفظة ماخوذة من الولق وهو الاسراع بالشيء
بعد الشيء كعدد في اثر عدد وكلام في اثر كلام يقال ولق في سيره اي اسرع وانشد
• جاءت به عنس من الشام تلق • وقال ابو البقاء اي يسرعون فيه واصله من الولق وهو الجنون
وقرا زيد بن اسلم تالقونه بفتح التاء وهمزة ساكنة ولام مكسورة وقاف مضمومة من الالق
وهو الكذب وقرا يعقوب تيلقونه بكسر التاء من فوق بعدها ياء ساكنة ولام مفتوحة وقاف
مضمومة وهو مضارع ولق بكسر اللام كما قالوا تيجل مضارع وجل وقوله بافواهكم كقوله يقولون
بافواههم وقد تقدم **فصل** اعلم ان الله تعالى وصفهم بارتكاب ثلاثة اثام وعلق مس
العذاب العظيم بها احدها تلقي الافك بالسنتهم وذلك ان الرجل كان يلقى الرجل يقول له ما وراك
فيحدثه بحديث الافك حتى شاع واشتهر ولم يبق بيت ولا ناد الا طار فيه فكانهم سعوا في اشاعة
الفاحشة وذلك من العظايم وثانيها انهم كانوا يتكلمون بما لا علم لهم به وذلك يدل على انه
لا يجوز الاخبار الا مع العلم ونظيره ولا تقف ما ليس لك به علم وثالثها انهم كانوا يستصغرون
ذلك وهو عظيمة من العظايم ويدل الاية على ان القذف من الكباير لقوله وهو عند الله عظيم ويدل
على ان الواجب على المكلف في كل محرم ان يستعظم الاقدام عليه لقوله وتحسبونه هينا على ان

عمل المعصية لا يختلف بظن فاعله وحسبانه بل ربما كان ذلك موكد العظمة فان قيل ما معنى
قوله بافواهكم والقول لا يكون الا بالفم **فالجواب** معناه ان الشيء المعلوم يكون علمه في القلب
فيترجم عنه باللسان وهذا الافك ليس الا قولا يجري على السنتكم من غير ان يحصل في القلب علم
به كقوله يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم **قوله** ولولا اذ سمعتموه قلتم كقوله ولولا اذ سمعتموه
ظن ولكن لا التفات فيه قال الزمخشري فان قلت كيف جاز الفصل بين لولا وقلتم بالظرف
قلت للظروف شان ليس لغيرها لانها لا ينفك عنها ما يقع فيها فلذلك اتسع فيها قال ابو حيان
وهذا يوهم اختصاص ذلك بالظروف وهو جار في المفعول به تقول لولا زيدا ضربت ولولا عمرا
قتلت وقال الزمخشري ايضا فان قلت اي فائدة في تقديم الظرف حتى وقع فاصلا قلت
الفائدة فيه بيان انه كان الواجب عليهم ان يتحرزوا اول ما سمعوا بالافك عن التكلم به فلما
كان ذكر الوقت اهم وجب تقديمه فان قلت ما معنى يكون والكلام بدونه متلبث لو قيل
ما لنا ان نتكلم بهذا قلت معناه ينبغي ويصح اي ما ينبغي وما يصح كقوله ما يكون لي ان اقول
فصل قوله لولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك هذا اللفظ هنا معناه
التعجب هذا بهتان عظيم اي كذب عظيم يبهت ويتحير من عظمته روي ان ام ايوب قالت لابي
ايوب الانصاري اما بلغك ما يقول الناس في عايشة فقال ابو ايوب سبحانك هذا بهتان عظيم
فنزلت الاية على وفق قوله **قوله تعالى** يعظكم الله ان تعودوا الاية وهذا من باب
الزواجر اي يعظكم الله بهذه المواعظ التي بها تعرفون عظم هذا الذنب ولان فيه الحد والنكال
في الدنيا والعذاب في الاخرة ولكن لا تعودوا الى مثل هذا الفعل ابدا **قوله** ان تعودوا فيه
ثلاثة اوجه احدها انه مفعول من اجله اي يعظكم كراهة ان تعودوا والثاني انه على حذف
في اي في ان تعودوا نحو وعظت فلانا في كذا فتركه الثالث انه ضمن معنى فعل يتعدى بمن
ثم حذفت اي يزجركم بالوعظ عن العود وعلى هذين القولين يجي القولان في محل ان بعد نزع
الخافض قال ابن عباس يحرم الله عليكم وقال مجاهد ينهاكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم
مومنين ويبين الله لكم الايات في الامر والنهي والله عليم بامر عايشة وصفوان حكيم ببراءتهما ولعلم
ان العليم الحكيم هو الذي لا يامر الا بما ينبغي ولا يهمل جزاء المستحقين فلهذا ذكرهما من الصفتين
وخصهما بالذكر **فصل** استدلت المعتزلة بقوله ان كنتم مومنين على ان ترك القذف من
الايمان لان المعلق على الشرط عدم عند عدم الشرط واجيبوا بان هذا معارض بقوله ان الذين
جاوا بالافك عصبة منكم اي منكم ايها المومنون فدل ذلك على ان القذف لا يوجب الخروج عن
الايمان واذا ثبت التعارض حملنا هذه الاية على التهييج في الاتعاظ والانزجار **فصل**
قالت المعتزلة دلت هذه الاية على انه تعالى اراد من جميع من وعظه مجانبة مثل ذلك في المستقبل
وان كان فيهم من لا يطيع لمن هذا الوجه يدل على انه يريد منهم كلهم الطاعة وان عصوا ولان
قوله يعظكم الله ان تعودوا اي لكي لا تعودوا لمثله وذلك يدل على الارادة وتقدم الجواب عنه مرارا
فان قيل هل يجوز ان يسمى الله واعظا لقوله تعالى يعظكم الله فالاظهر انه لا يجوز كما لا يجوز
ان يسمى الله معلما لقوله الرحمن علم القران **قوله تعالى** ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة
الاية لما بين ما على الافك وعلى من سمعه وما ينبغي ان يتمسكوا به من اداب الدين اتبعه بقوله
ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة ليعلم ان من احب ذلك فقد شارك في هذا كما شارك فيه
من فعله والاشاعة الانتشار يقال في هذا العقار سهم شايع اذا كان في الجميع ولم يكن منفصلا
وشاع الحديث اذا ظهر في العامة والمعنى ان الذين يحبون ان يظهر ويذيع الزنا في الذين امنوا
لهم عذاب اليم في الدنيا والاخرة يعني عبد الله بن ابي واصحابه المنافقين والعذاب في الدنيا

لحد

للحد وفي الاخرة النار وظاهر الاية يتناول كل من كان بهذه الصفة والاية انما نزلت في قذفة
عايشة الا ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ثم **قال** والله يعلم وانتم لا تعلمون وهذا حسن
الموقع في هذا الموضع لان محبة القلب كامنة ونحن لا نعلمها الا بالامارة واما الله سبحانه فانه
لا يخفى عليه وهذا نهاية في الزجر لان من احب اشاعة الفاحشة وان بالغ في اخفاء تلك المحبة فهو
يعلم ان الله يعلم ذلك منه ويعلم قدر الجزاء عليه وهذه الاية تدل على ان العزم على الذنب العظيم
ذنب وان ارادة الفسق فسق لانه تعالى علق الوعيد بمحبة اشاعة الفاحشة **فصل** قالت
المعتزلة ان الله تعالى قد بالغ في ذم من احب اشاعة الفاحشة فلو كان تعالى هو الخالق لافعال
العباد لما كان مشيع الفاحشة الا هو فكان يجب ان لا يستحق الذم على اشاعة الفاحشة الا هو لانه
هو الذي فعل تلك الاشاعة وغيره لم يفعل شيا وتقدم الكلام على نظيره **قوله تعالى**
ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله رؤوف رحيم جواب لولا محذوف اي لعاجلكم بالعقوبة
قال ابن عباس يريد مسطحا وحسان وحمنة ويجوز ان يكون الخطاب عاما وقيل جوابه في قوله
ما زكى منكم من احد وقيل جوابه لكانت الفاحشة تشيع فتعظم المضرة وهو قول ابي مسلم والاقرب
ان جوابه محذوف لان قوله من بعد ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم كالمنفصل من
الاول فلا يكون جوابا للاول خصوصا وقد وقع بين الكلامين كلام اخر **قوله تعالى** يا ايها الذين
امنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان الاية قرئ خطوات بضم الطاء وسكونها والخطوات جمع خطوة
وهو من خطا الرجل يخطو خطوا فاذا اردت الواحدة قلت خطوة مفتوحة الاول والمراد بذلك
السيرة والمعنى لا تتبعوا اثار الشيطان ولا تسلكوا مسالكه في اشاعة الفاحشة والله تعالى وان
خص بذلك المومنين فهو نهي لكل المكلفين لان قوله ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يامر بالفحشا
منع لكل المكلفين من ذلك والفحشا ما افرط قبحه والمنكر ما تنكره النفوس فتنفر عنه ولا ترتضيه
قوله فانه يامر في هذه الهاء ثلاثة اوجه احدها انها ضمير الشان وبه بدا ابو البقاء
والثاني انها ضمير الشيطان وهذان الوجهان انما يجوزان على راي من لا يشترط عود ضمير على اسم
الشرط من جملة الجزاء الثالث انه عايد على من الشرطية **قوله** ما زكى العامة على تخفيف
الكاف يقال زكا يزكو وفي الفه الامالة وعدمها وقرا الاعمش وابن محيصن وابو جعفر بتشديدها
وكتبت الفه يا وهو شاذ لانه من ذوات الواو كغزا وانما حمل على لغة من امال او على كتابة
المشدد فعلى قراءة التخفيف يكون من احد فاعلا وعلى قراءة التشديد يكون مفعولا ومن مزيدة على
كلا التقديرين والفاعل هو الله تعالى **فصل** قال مقاتل ما زكى ما صلح وقال ابن قتيبة
ما طهر وقيل من بلغ في الطاعة لله مبلغ الرضا يقال زكا الزرع فاذا بلغ المومن في الصلاح
في الدين ما يرضاه تعالى يسمى زكيا فلا يقال زكى الا اذا وجد زاكيا كما لا يقال لمن ترك الهدى
هداه الله مطلقا بل يقال هداه الله فلم يهتد ودلت الاية على ان الله تعالى هو الخالق لافعال
العباد لان التزكية كالتسويد والتحمير فكما ان التسويد تحصيل السواد فكذا التزكية تحصيل الزكا في
المحل والمعتزلة حملوه هنا على فعل الالطاف او على الحكم بكون العبد زكيا وهو خلاف الظاهر ولان
الله تعالى قال ولكن الله يزكي من يشا علق التزكية على الفضل والرحمة وخلق الالطاف واجبا
فلا يكون معلقا بالفضل والرحمة واما الحكم بكونه زكيا فذلك واجب لانه لولا الحكم به لكان
الكذب على الله محال فكيف يجوز تعليقه بالمشية **فصل** قال ابن عباس في رواية عطا
هذا الخطاب للذين خاضوا في الافك ومعناه ما طهر من هذا الذنب ولا صلح امره بعد الذي
فعل اي ما قبل منكم توبة احد ابدا ولكن الله يزكي يطهر من يشا من الذنب بالرحمة والمغفرة والله
سميع عليم اي يسمع اقوالكم في القذف واقوالكم في البراءة وعليم بما في قلوبكم من محبة اشاعة الفاحشة

اومن كواهتها واذا كان كذلك وجب الاحتراز عن معصيته **قوله تعالى** ولا ياتل
اولوا العلم منكم الاية يجوز ان يكون يا تل يفتعل من الالية وهي الحلف كقوله والت حلفة لم تحلل
ونصر الزمخشري هذا بقراة الحسن ولا يتال من الالية كقوله من تالى على الله يكذبه ويجوز ان يكون
يفتعل من الوت اي قصرت كقوله تعالى لا يالونكم خبالا وقال
وما المرء ما دامت حشاشة نفسه بمدرك اطراف الخطوب ولا ال وقال ابو البقا وقري
ولا يتال على يتفعل وهو من الالية ايضا ومنه تالى ابن اوس حلفة ليردني الى نسوة كانهن مغايد
قوله ان يوتوا هو على اسقاط الجار وتقديره على القول الاول ولا ياتل اولوا الفضل
على ان لا يحسنوا وعلى الثاني ولا يقصر اولوا الفضل في ان يحسنوا وقرا ابو حيوة وابو البرهسم وابن
قطيب توتوا بتا الخطاب وهو التفات موافق لقوله الا تحبون وقرا الحسن وسفيان بن الحسين
ولتعفوا ولتصفحوا بالخطاب وهو موافق لما بعده **فصل** المشهور ان معنى الاية لا يحلف
اولوا الفضل فيكون افتعال من الالية قال ابو مسلم وهذا ضعيف لوجهين احدهما ان
ظاهر الاية على هذا التاويل يقتضي المنع من الحلف على الاعطا وهم ارادوا المنع على ترك
الاعطا فهذا المتاول قد اقام النفي مكان الايجاب وجعل المنهي عنه ماموراً به الثاني انه
قل ما يوجد في الكلام افتعلت مكان افعلت وانما يوجد مكان فعلت وهنا اليت من الالية
افتعلت فلا يقال فعلت من الزمت التزمت ومن عطيت اعتطيت ثم قال في ياتل ان اصله
ياتلي ذهبت اليا للجزم لانه نهي وهو من قولك ما الوت فلانا نصحا ولم ال في امري جهدا اي ما
قصرت ولم ابال والمراد لا تقصروا في ان تحسنوا اليهم ويوجد كثيرا افتعلت مكان افعلت تقول
كسبت واكتسبت وصنعت واصطنعت وهذا التاويل مروي عن ابي عبيدة قال ابن الخطيب
وهذا هو الصحيح دون الاول واجاب الزجاج عن الاول بان لا تحذف في اليمين كثيرا
قال الله تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا يعني ان لا تبروا وقال امرؤ القيس
فقلت يمين الله ابرح قاعدا اي لا ابرح واجابوا عن السوال الثاني ان جميع المفسرين
الذين كانوا قبل ابي مسلم فسروا اللفظ باليمين وقول واحد منهم حجة في اللغة فكيف الكل ويعضده
قراة الحسن ولا يتال **فصل** قال المفسرون معناه ولا يحلف اولوا الفضل منكم والسعة
اي اولوا الغنى يعني ابا بكر الصديق ان يوتوا اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله
يعني مسطحا وكان مسكينا مهاجرا بدريا ابن خالة ابي بكر حلف ابو بكر لا ينفق عليه وليعفوا
وليصفحوا عنهم خوضهم في امر عايشة الا تحبون تخاطب ابا بكر ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم
فلما قراها رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابي بكر قال بلى انا احب ان يغفر الله لي ورجع
الى مسطح نفقته التي كان ينفق عليه وقال والله لا انزعها منه ابدا وقال ابن عباس والضحاك
اقسم ناس من الصحابة فيهم ابو بكر ان لا يتصدقوا على رجل تكلم بشي من الافك ولا ينفعوهم
فانزل الله هذه الاية **فصل** اجمع المفسرون على ان المراد من قوله اولوا الفضل ابو بكر
وهذا يدل على انه كان افضل الناس بعد الرسول لان الفضل المذكور في الاية اما في الدنيا
واما في الدين والاول باطل لان الله تعالى ذكره في معرض المدح له والمدح من الله بالدنيا
غير جايز ولانه لو جاز ذلك لكان قوله والسعة تكريرا فتعين ان يكون المراد منه الفضل في الدين
فلو كان غيره مساويا له في الدرجة في الدين لم يكن هو صاحب الفضل لان المساوي لا يكون فاضلا
فلما اثبت الله له الفضل غير مقيد لشخص دون شخص وجب ان يكون افضل الخلق ترك العمل به في
حق الرسول عليه السلام فيبقى معمولا به في حق الغير واجمعت الامة على ان الافضل اما ابو بكر او علي
فاذا تبين انه ليس المراد عليا تعينت الاية في ابي بكر وانما قلنا ليس المراد عليا لان ما قبل

الاية

الاية وما بعدها يتعلق بابنة ابي بكر ولانه تعالى وصفه بانه من اولي السعة وان عليا رضي الله عنه
لم يكن من اولي السعة في الدنيا في ذلك الوقت فثبت ان المراد منه ابو بكر قطعا **فصل**
اجمعوا على ان مسطحا كان من البدريين وصح عنه عليه السلام انه قال لعل الله نظر الى اهل بدر فقال
اعملوا ما شيتم فقد غفرت لكم فكيف صدرت الكبيرة منه بعد ان كان بدريا والجواب انه
لا يجوز ان يكون المراد منه افعلوا ما شيتم من المعاصي فانا مر بها لانا نعلم بالضرورة ان التكليف
كان باقيا عليهم ولو حملناه على ذلك لافضى الى زوال التكليف عنهم ولو كان كذلك لما جاز ان يحد
مسطح على ما فعل ويوجب حمله على احد امرين الاول انه تعالى علم توبة اهل بدر فقال افعلوا ما شيتم
من النوافل من قليل وكثير فقد غفرت لكم واعطيتكم الدرجات العالية في الجنة والثاني ان
يكون المراد انهم يوافون بالطاعة فكانه تعالى قال قد غفرت لكم لعلمي بانكم تموتون على التوبة
والانابة فذكر حالهم في الوقت واراد العاقبة **فصل** دلت الاية على ان الايمان على الامتنا ٤
من الخير غير جايز وانما يجوز اذا حصلت داعية صارفة عنه **فصل** مذهب الجمهور ان من
حلف على يمين فراي غيرها خيرا منها انه ينبغي له ان ياتي بالذي هو خير ثم يكفر عن يمينه وقال بعضهم
انه ياتي بالذي هو خير وذلك كفارته لان الله تعالى امر ابا بكر بالحنث ولم يوجب عليه كفارة ولقوله
عليه السلام من حلف على يمين فراي غيرها خيرا منها فليات الذي هو خير وذلك كفارته واحتج
الجمهور بقوله تعالى ولكن يواخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته وقوله ذلك كفارة ايمانكم
اذا حلفتم وقوله لايوب عليه السلام وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث وقد علمنا ان
الحنث كان خيرا من تركه ولو كان الحنث فيها كفارتها لما امر بضربها بل كان يحنث بلا كفارة وقال
عليه السلام من حلف على يمين فراي غيرها خيرا منها فليات الذي هو خير وليكفر عن يمينه واما قولهم
ان الله تعالى لم يذكر الكفارة في قصة ابي بكر فان حكمها كان معلوما عندهم واما قوله عليه
السلام فليات الذي هو خير وذلك كفارته فمعناه تكفير الذنب لا انه الكفارة المذكورة في الكتاب
فصل روي عن عايشة انها قالت فضلت ازواج النبي بعشر خصال تزوج رسول الله بي
بكرا دون غيري وابواي مهاجران وجا جبريل بصورتي وامره ان يتزوج بي وكنت اغتسل
معه في انايه وجبريل ينزل عليه وانا معه في لحاف فتزوج بي في شوال وبنى بي في ذلك الشهر
وقبض بين سحري ونحري وانزل الله عذري من السما ودفن في بيتي وكل ذلك لم يساو في غيري
قال بعضهم لقد برا الله اربعة باربعة برا يوسف وشهد شاهد من اهلها وبرا موسى من
قول اليهود بالحجر الذي ذهب بثوبه وبرا مريم بانطاق ولدها وبرا عايشة بهذه الايات في
كتابه المتلو على وجه الدهر **قوله تعالى** ان الذين يرمون المحصنات الغافلات الغافلة
عن الفواحش المومنات والغافلة عن الفاحشة اي لا يقع في قلبها وكانت عايشة كذلك فقال
بعضهم الصيغة عامة فيدخل فيه قذفه عايشة وغيرها وقيل المراد قذفه عايشة قالت
عايشة رميت وانا غافلة وانما بلغني بعد ذلك فبينا رسول الله عندي اذ اوحي اليه قال
ابشري وقرا ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المومنات وقيل المراد جملة ازواج
رسول الله وانهن لشرفهن خصصن بان من قذفهن فهذا الوعيد لاحق به واحتج هولاء بامور
الاول ان قاذف ساير المحصنات يقبل توبته لقوله في اول السورة والذين يرمون المحصنات
الى قوله الا الذين تابوا واما القاذف في هذه الاية فانه لا تقبل توبته لقوله تعالى لعنوا في
الدنيا والاخرة ولم يذكر استثنا وايضا فهذه صفة المنافقين في قوله ملعونين اينما ثقفوا
الثاني ان قاذف ساير المحصنات لا يكفر والقاذف في هذه الاية كافر لقوله يوم تشهد عليهم السنتهم
وايديهم وذلك صفة الكفار والمنافقين لقوله ويوم يحشر اعدا الله الى النار الايات الثالث

انه قال ولهم عذاب عظيم والعذاب العظيم هو عذاب الكفر فدل على ان عذاب هذا القاذف
عقاب الكفر وعقاب قاذف سائر المحصنات لا يكون عقاب الكفر وروي ان ابن عباس كان بالبصرة
يوم عرفة وكان يسأل عن تفسير القران فسئل عن تفسير هذه الاية فقال من اذنب ذنبا ثم تاب
قبلت توبته الا من خاض في امر عائشة واجاب الاولون بان الوعيد المذكور في هذه الاية
لا بد وان يكون مشروطا بعدم التوبة لان الذنب سوا كان كفرا او فسقا فاذا تاب عنه صار
مغفورا وقيل هذه الاية نزلت في مشركي مكة حين كان بينهم وبين رسول الله عهد فكانت
المراة اذا خرجت الى المدينة مهاجرة قذفها المشركون من اهل مكة وقالوا انها لتفجر فنزلت
فيهم **قوله** يوم تشهد ناصبة الاستقرار الذي تعلق به لهم وقيل بل ناصبة عذاب ورد
بانه مصدر موصوف واجيب بان الظرف يتسع فيه ما لا يتسع في غيره وقرا الاخوان يشهد
بالياء من تحت لان التانيث مجازي وقد وقع الفصل والباقون بالتاء مراعاة للفظ **قوله**
يومئذ التنوين في اذ عوض من الجملة تقديره يومئذ تشهد وقد تقدم خلاف الاخفش فيه
وقرا زيد بن علي يوفيهم مخففا من اوفى وقرا العامة بنصب الحق نعتا لدينهم وابو حيوة
وابو روق ومجاهد وهي قراءة ابن مسعود برفعه نعتا لله تعالى **فصل** يوم تشهد عليهم
السنتهم قال المفسرون هذا قبل ان يختم على افواههم وايديهم وارجلهم يروى انه يختم على
الافواه فتتكلم الايدي والارجل بما عملت في الدنيا وقيل تشهد السنة بعضهم على بعض وايديهم
وارجلهم بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق جزاءهم الواجب وقيل حسابهم العدل
ويعلمون ان الله هو الحق المبين يبين لهم حقيقة ما كان يعدهم في الدنيا وان ما سمي الله بالحق لان
عبادته هي الحق دون عبادة غيره وقيل سمي بالحق ومعناه الموجود لان نقيضه الباطل وهو
المعدوم ومعنى المبين المظهر **قوله تعالى** الخبيثات للخبيثين الاية قال اكثر المفسرين
الخبيثات من القول والكلام للخبيثين من الناس والخبيثون من الناس للخبيثات من القول والطيبات
من القول للطيبين من الناس والطيبون من الناس للطيبات من القول والمعنى ان الخبيث من
القول لا يليق الا بالخبيث من الناس والطيب لا يليق الا بالطيب فعائشة رضي الله عنها لا
يليق بها الخبيثات من القول لانها طيبة فيضاف اليها طيبات الكلام من الثناء الحسن وما يليق بها
وقال الزجاج معناه لا يتكلم بالخبيثات الا الخبيث من الرجال والنساء ولا يتكلم بالطيبات الا
الطيب من الرجال والنساء وهذا ذم للذين قذفوا عائشة ومدح للذين براوها بالطهارة
وقال ابن زيد معناه الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات
من النساء امثال عبد الله بن ابي والشاكين في الدين والطيبات من النساء للطيبين من الرجال
والطيبون من الرجال للطيبات من النساء يريد عائشة طيبها الله لرسوله الطيب صلى الله
عليه وسلم اولئك مبرؤون يعني عائشة وصفوان ذكرهما بلفظ الجمع كقوله فان كان له اخوة
اي اخوان وقيل اولئك مبرؤون يعني الطيبين والطيبات منزهون مما يقولون وقيل التزكي
تعلق بالنبي عليه السلام وبعائشة وصفوان فبرا الله كل واحد منهم وقيل المراد كل ازواج
الرسول براهن الله تعالى من هذا الافك ثم قال لهم مغفرة يعني براءة من الله وقيل العفو
عن الذنوب والرزق الكريم الجنة **قوله** لهم مغفرة يجوز ان يكون جملة مستانفة وان يكون
في محل رفع خبرا ثانيا ويجوز ان يكون لهم خبرا واولئك ومغفرة فاعله **قوله تعالى**
يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم الاية لما ذكر حكم الرمي والقذف ذكر ما يليق به لان
اهل الافك انما توصلوا الى بهتانهم لوجود الخلوة فصارت كانها طريق التهمة فاوجب الله تعالى
ان لا يدخل المرء بيت غيره الا بعد الاستئذان والسلام لان الدخول على غير هذا الوجه يوقع

التهمة وفي ذلك من المضرة ما لا خفاء به **قوله** تستانسوا يجوز ان يكون من الاستئناس لان
الطارق يستوحش من انه هل يوذن له او لا فاذا اذن له استانس وهو رديف الاستئذان فوضع موضعه
وقيل من الايناس وهو الابصار اي حتى يستكشفوا الحال وفسره ابن عباس حتى تستاذنوا وليست
قراءة وما ينقل عنه انه قال تستانسوا خطا من الكاتب انما هو تستاذنوا فشيء مفترى عليه وضعفه
بعضهم بان هذا يقتضي الطعن في القران الذي نقل بالتواتر ويقتضي صحة القران الذي لم
ينقل بالتواتر وفتح هذين البابين يطرق الشك الى كل القران وانه باطل وروي عن الحسن
البصري انه قال ان في الكلام تقديما وتاخيرا والمعنى حتى تسلموا على اهلها وتستانسوا وهذا
ايضا خلاف الظاهر وفي قراءة عبد الله حتى تسلموا وتستاذنوا وهو ايضا خلاف الظاهر واعلم
ان هذا نظير ما تقدم في الرعد افلم ييأس الذين امنوا وتقدم القول فيه والاستئناس
الاستعلام والاستكشاف من انس الشيء اذا ابصره كقوله اني انست نارا والمعنى حتى تستعلموا
الحال هل يراد دخولكم قال كان دحلي وقد زال النهار بنا يوم الجليل على مستانس وحد
وقيل هو من الانس بكسر الهمزة اي يتعرف هل فيها انسي ام لا وحكى الطبري انه بمعنى وتونسوا
انفسكم قال ابن عطية وتصريف الفعل ياب ان يكون من انس **فصل** قال الخليل
الاستئناس الاستبصار من قوله انست نارا اي ابصرت وقيل هو ان يتكلم بتسبيحة او تكبيرة او
يتنحنح يوذن اهل البيت وجملة حكم الاية انه لا يدخل بيت الغير الا بعد السلام والاستئذان
واختلفوا هل يقدم الاستئذان او السلام فقيل يقدم الاستئذان فيقول ادخل سلام عليكم
لقوله حتى تستانسوا اي تستاذنوا وتسلموا على اهلها والاكثرون على انه يقدم السلام فيقول
سلام عليكم ادخل لما روي ان رجلا دخل على النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسلم ولم يستاذن
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارجع فقل السلام عليكم ادخل وروي ابن عمر ان رجلا استاذن عليه
فقال ادخل فقال ابن عمر لا فامر بعضهم الرجل ان يسلم فسلم فاذن له وقيل ان وقع بصره على انسان
قدم السلام والا قدم الاستئذان ثم يسلم والحكمة في ايجاب تقديم الاستئذان انه يهجم
على ما لا يحل له ان ينظر اليه من عورة او على ما لا يحب القوم ان يعرفه من الاحوال **فصل**
عدد الاستئذان ثلاثا لما روى ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستئذان
ثلاث الاولى يستمعون والثانية يستصلحون والثالثة ياذنون او يردون وعن ابي
سعيد الخدري قال كنت جالسا في مجلس الانصار فجاء ابو موسى فزعا فقلنا له ما افزعك فقال
اخبرني عمر ان اتيه فاتيته فاستاذنت ثلاثا فلم يوذن لي فرجعت فقال ما منعك ان
تاتيني فقلت قد جئت فاستاذنت ثلاثا فلم يوذن لي وقد قال عليه السلام اذا استاذن
احدكم ثلاثا فلم يوذن له فليرجع فقال لتاتيني على هذا بالبينة او لاعاقبنك فقال ابو سعيد
لا يقوم معك الا اصغر القوم قال فقام ابو سعيد فشهد له وفي بعض الروايات ان عمر قال
لابي موسى لم اتهمك ولكن خشيت ان يتقول الناس على رسول الله وعن قتادة الاستئذان ثلاثة
الاول ليسمع الحي والثاني ليتهيا والثالث ان شا اذن وان شا رد وهذا من محاسن الاداب
لانه في اول كرة ربما منعهم بعض الاشغال من الاذن وفي الثانية ربما كان هناك ما يمنع
فاذا لم يجب في الثالثة يستدل بعدم الاذن على مانع وتجب ان يكون بين كل واحدة والاخرى
وقت ما فاما قرع الباب بعنف والصياح بصاحب الدار فذاك حرام لانه ايذا وكذا قصة
بني اسد وما نزل فيها من قوله ان الذين ينادونك من ورا الحجرات اكثرهم لا يعقلون **فصل**
في كيفية الوقوف على الباب روى ابو سعيد قال استاذن رجل على رسول الله وهو مستقبل الباب
فقال عليه السلام لا تستاذن وانت مستقبل الباب وروي انه عليه السلام كان اذا اتى باب قوم

لم يستقبل الباب من تلقا وجهه ولكن من ركنه الايمن او الايسر فيقول السلام عليكم وذلك ان
الدور لم يكن عليها يومئذ ستور **فصل** كلمة حتى للغاية والحكم بعد الغاية يكون بخلاف
ما قبلها فقوله لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا يقتضي جواز الدخول بعد الاستيذان
وان لم يكن من صاحب البيت اذن والجواب ان الله تعالى جعل الغاية الاستيناس ولا يحصل الا
بعد الاذن وايضا فانا علمنا بالنص ان الحكمة في الاستيذان ان لا يدخل الانسان على غيره بغير
اذنه فان ذلك مما يسوءه وهذا المقصود لا يحصل الا بعد الاذن وايضا قوله فان لم تجدوا
فيها احدا فلا تدخلوها حتى يوذن لكم منع الدخول الا مع الاذن فدل على ان الاذن شرط في
اباحة الدخول في الاية الاولى واذا ثبت هذا فنقول لا بد من الاذن او ما يقوم مقامه لقوله
عليه السلام اذا دعي احدكم فجا مع الرسول فان ذلك له اذن وقال بعضهم ان من جرت العادة
له باباحة الدخول فهو غير محتاج الى الاستيذان واعلم ان ظاهر الاية يقتضي قبول الاذن
مطلقا سوا كان الآذن صبيا او امراة او عبدا او ذميا فانه لا يعتبر في هذا الاذن صفات
الشهادة وكذلك قبول اخبارها ولا في الهدايا ونحوها **فصل** ويستاذن على المحارم
لما روي ان رجلا سال النبي صلى الله عليه وسلم فقال استاذن على اختي فقال عليه السلام نعم
اتحب ان تراها عريانة وسال رجل حذيفة استاذن على اختي فقال ان لم تستاذن عليها رايت
ما يسوءك ولعموم قوله واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستاذنوا الا ان ترك الاستيذان على
المحارم وان كان غير جايز ايسر لجواز النظر الى شعرها وصدرها وساقها ونحوه **فصل**
اذا اطلع انسان في دار انسان بغير اذنه ففقا عينه فهي هدر لقوله عليه السلام من اطلع
في دار قوم بغير اذنهم ففقوا عينه فقد هدرت عينه وقال ابو بكر الرازي هذا الخبر
ورد على خلاف قياس الاصول فانه لا خلاف انه لو دخل داره بغير اذنه ففقا عينه كان ضامنا
وكان عليه القصاص ان كان عامدا والارش ان كان مخطيا والداخل قد اطلع وزاد على الاطلاع
فظاهر الحديث يخالف لما حصل عليه الاتفاق فان صح فمعناه من اطلع في دار قوم ونظر الى
حرمهم فمنع فلم يمتنع فذهبت عينه في حال الممانعة فهي هدر فاما اذا لم يكن الا النظر ولم
يقع فيه ممانعة ولا نهي ثم جا انسان ففقا عينه فهذا جاني يلزمه حكم جنايته لظاهر قوله
تعالى العين بالعين الى قوله والجروح قصاص واجيب بان التمسك بقوله العين بالعين
ضعيف لانا اجمعنا على ان هذا النص مشروط بما اذا لم تكن العين مستحقة فانه لو كانت مستحقة
لم يلزمه القصاص فلم قلت ان من اطلع في دار انسان لم يكن عينه مستحقة واما قوله انه لو دخل
لم يجز فقء عينه فكذا اذا نظر فالفرق بينهما انه اذا دخل علم القوم بدخوله عليهم فاحترزوا
عنه وتستروا فاما اذا نظر فقد لا يكونوا عالمين بذلك فيطلع منهم على ما لا يجوز الاطلاع عليه
فلا يبعد في حكم الشرع ان يبالغ هنا في الزجر حسما لهذه المفسدة وايضا فرد حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا القدر من الكلام غير جايز **فصل** اذا عرض امر
في دار من حريق او هجوم سارق او ظهور منكر فهل يجب الاستيذان فقيل كل ذلك مستثنى
بالدليل **واما السلام** فهو من سنة المسلمين التي امروا بها وهو تحية اهل الجنة ومجلبة
للمودة ونافي للحقد والضغاين قال عليه السلام لما خلق الله ادم ونفخ فيه الروح عطس
فقال الحمد لله فحمد الله باذن الله فقال له الله يرحمك ربك يا ادم اذهب الى هولا الملايكة
وملا منهم جلوس فقل السلام عليكم فلما فعل ذلك رجع الى ربه قال هذه تحيتك وتحية ذريتك
وعن علي بن ابي طالب قال قال رسول صلى الله عليه وسلم حق المسلم على المسلم ست يسلم عليه اذا لقيه
ويجيبه اذا دعاه وينصح له بالغيب ويشمته اذا عطس ويعوده اذا مرض ويشهد جنازته

اذا

اذا مات وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان سركم ان يسل الغل من صدوركم
فافشوا السلام بينكم **قوله** ذلكم خير لكم اي ان فعل ذلك خير لكم واولى بكم من الهجوم وبغير
اذن لعلكم تذكرون اي لتذكروا هذا التاديب فتتمسكوا به فان لم تجدوا فيها اي فان لم تجدوا
في البيوت احدا ياذن لكم في دخولها فلا تدخلوها حتى يوذن لكم لجواز ان يكون هناك احوال مكتومة
وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا وذلك انه كما يكون الدخول قد يكرهه صاحب الدار فكذا الوقوف
على الباب قد يكرهه فلا جرم كان الاولى له ان يرجع هو ازكى لكم اي الرجوع هو اطهر واصلح
لكم قال قتادة اذا لم يوذن له فلا يقعد على الباب فان للناس حاجات واذا حضر فلم يستاذن
وقعد على الباب منتظرا جاز كان ابن عباس ياتي الانصاري لطلب الحديث فيقعد على الباب
حتى يخرج ولا يستاذن فيخرج الرجل ويقول يا ابن عم رسول الله لو اخبرتني فيقول هكذا امرنا
ان نطلب العلم واذا وقف فلا ينظر من شق الباب اذا كان الباب مردودا لما روي ان رجلا
اطلع على النبي صلى الله عليه وسلم من ستر الحجرة وفي يد النبي صلى الله عليه وسلم مدرا فقال لو
علمت ان هذا ينظر حتى اتيه لطعنت بالمدرا في عينه وهل جعل الاستيذان الا من اجل
البصر **قوله** والله بما تعملون عليم اي من الدخول بالاذن وغير الاذن ولما ذكر الله تعالى
حكم الدور المسكونة ذكر بعده حكم الدور التي هي غير مسكونة فقال ليس عليكم جناح ان
تدخلوا بيوتا غير مسكونة قال المفسرون لما نزلت اية الاستيذان قالوا كيف بالبيوت التي بين
مكة والمدينة والشام وعلى ظهر الطريق ليس فيها ساكن فانزل الله عز وجل ليس عليكم جناح ان
تدخلوا بيوتا غير مسكونة اي بغير استيذان فيها متاع لكم اي منفعة لكم قال محمد بن الحنفية انها
الخانات والرباطات وحوانيت البياعين وقال ابن زيد هي بيوت التجار وحوانيتهم التي بالاسواق
يدخلها للبيع والشرا وهو المنفعة قال ابرهيم النخعي ليس على حوانيت السوق اذن وكان ابن سيرين
اذا جا الى حانوت السوق يقول السلام عليكم ادخل ثم يلج وقال عطا هي البيوت الخربة والمتاع هو
قضا الحاجة فيها من البول والغايط وقيل هي جميع البيوت التي لا ساكن لها وقيل هي الحمامات وروي
ان ابا بكر قال يا رسول الله ان الله قد انزل عليك اية في الاستيذان وانا نختلف في تجاراتنا
فننزل هذه الخانات افلا ندخلها الا باذن فنزلت هذه الاية والاصح انه لا يختلف بمنع دخول
الجميع تحت الاية لان الاستيذان انما جا لئلا يطلع على عورة فان لم يخف ذلك فله الدخول
لانه ماذون فيها عرفا والله يعلم ما تبدون وما تكتمون وهذا وعيد للذين يدخلون الخربات
والدور الخالية من اهل الريبة **قوله تعالى** قل للمومنين يغضوا من ابصارهم الاية
الغض اطباق الجفن بحيث يمنع الروية قال فغض الطرف انك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا
وفي من اربعة اوجه احدها انها للتبعيض لانه يعفى عن الناظر اول نظرة تقع من غير
قصد والثاني لبيان الجنس قاله ابو البقاء وفيه نظر من حيث انه لم يتقدم مبهم يكون
مفسرا بمن الثالث انها لابتدا الغاية قاله ابن عطية الرابع قال الاخفش انها مزيدة **فصل**
قال الاكثرون المراد غض البصر عما يحرم والاقتصار به على ما يحل فان قيل كيف دخلت
من في غض البصر دون حفظ الفرج فالجواب ان ذلك دليل على ان امر النظر اوسع الا ترى
ان المحارم لا باس بالنظر الى شعورهن وصدورهن وكذا الجواري المستعرضات واما امر الفروج
فمضيق وقيل معنى يغضوا من ابصارهم اي ينقصوا من نظرهم بالبصر اذا لم يكن من عمله فهو معفو
وعلى هذا من ليست زايدة ولا هي للتبعيض بل هي صلة للغض يقال غضضت من فلان اذا
نقصت منه **فصل** العورات تنقسم اربعة اقسام عورة الرجل مع الرجل وعورة المراة
مع المراة وعورة المراة مع الرجل وعورة الرجل مع المراة **اما** الرجل مع الرجل فيجوز له ان

ينظر الى جميع بدنه الا العورة وهي ما بين السرة والركبة والسرة والركبة ليستا بعورة وقال مالك الفخذ ليس بعورة وهو مردود بقوله عليه السلام غط فخذك فانها من العورة وقوله لعلي لا تبرز فخذك ولا تنظر الى فخذ حي ولا ميت فان كان امرد لم تحل النظر الى وجهه ولا الى شي من سائر بدنه بشهوة ولا يجوز للرجل مضاجعة الرجل وان كان كل واحد منهما في جانب من الفراش لقوله عليه السلام لا تفضي الرجل الى الرجل في فراش واحد ولا تفضي المراة الى المراة في ثوب واحد وتكره معانقة الرجل للرجل وتقبيله الا لولده شفقة لما روي انس قال قال رجل يا رسول الله الرجل منا يلقى اخاه او صديقه اينحني له قال لا قال ايلتزمه ويقبله قال لا قال افياخذ بيده ويصافحه قال نعم ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المعانقة والمكامعة وهي معانقة الرجل للرجل وتقبيله **واما** عورة المراة مع المراة ففي كالرجل مع الرجل فيما ذكرنا سوا والذمية هل يجوز لها النظر الى بدن المسلمة فقيل هي كالمسلمة مع المسلمة والصحيح انه لا يجوز لها النظر لانها اجنبية في الدين لقوله تعالى او نسائهن وليست الذمية من نسائنا **واما** عورة المراة مع الرجل فاما ان تكون اجنبية او ذات محرم او مستمتعة فان كانت اجنبية فاما ان تكون حرة او امة فان كانت حرة فجميع بدنها عورة الا الوجه والكفين لانها تحتاج الى ابراز الوجه للبيع والشرا والى اخراج الكفين للاخذ والعطا والمراد بالكف الى الكوع واعلم ان النظر الى وجهها ينقسم ثلاثة اقسام اما ان لا يكون فيه غرض ولا فتنة واما ان يكون فيه غرض ولا فتنة واما ان يكون لشهوة فان كان لغير غرض فلا يجوز النظر الى وجهها فان وقع بصره عليها بغتة غض بصره لقوله تعالى قل للمومنين يغضوا وقيل يجوز مرة واحدة اذا لم يكن فتنة وبه قال ابو حنيفة ولا يجوز تكرار النظر لقوله عليه السلام لا تتبع النظرة النظرة فان لك الاولى وليست لك الاخيرة وقال جابر سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظر الفجاة فامرني ان اصرف بصري فان كان فيه غرض ولا فتنة وهو امور احدها ان يريد نكاح امراة فينظر الى وجهها وكفيها لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم للرجل الذي ساله ان يتزوج امراة من الانصار انظر اليها فان في اعين الانصار شيا وقال عليه السلام اذا خطب احدكم المراة فلا جناح عليه ان ينظر اليها اذا كان انما ينظر اليها للخطبة وقال المغيرة بن شعبة خطبت امراة فقال عليه السلام نظرت اليها فقلت لا قال فانظر فانه احرى ان يدوم بينكما وذلك يدل على جواز النظر بشهوة الى الوجه والكفين اذا اراد ان يتزوجها ولقوله تعالى لا يحل لك النسا من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج ولو اعجبك حسنهن ولا يعجبه حسنهن الا بعد روية وجوههن وثانيها اذا اراد شرا جارية فله ان ينظر منها الى ما ليس بعورة وثالثها عند المبايعة ينظر الى وجهها متاملا حتى يعرفها عند الحاجة ورابعها يحل النظر اليها عند تحمل الشهادة ولا ينظر الى غير الوجه فان كان النظر لشهوة فهو محرم لقوله عليه السلام العينان تزنيان **واما** النظر الى بدن الاجنبية فلا يجوز الا في صور احدها يجوز للطبيب الامين ان ينظر للمعالجة والختان ينظر الى فرج المختون للضرورة وثانيها ان يتعمد النظر الى فرج الزانيين ليشهد على الزنا وكذلك ينظر الى فرجها ليشهد على الولادة والى ثدي المرضعة ليشهد على الرضاع وقال بعض العلما لا يجوز للرجل ان يقصد النظر في هذه المواضع لان الزنا مندوب الى ستره وفي الولادة والرضاع تقبل شهادة النسا فلا حاجة الى نظر الرجال وثالثها لو وقعت في غرق او حرق فله ان ينظر الى بدنها لتخليصها فان كانت الاجنبية امة فقيل عورتها ما بين السرة والركبة وقيل عورتها ما لا يبين في المهنة فخرج منه عنقها وساعدها ونحرها ولا يجوز لمسها ولا لها لمسه الا لحاجة لان اللمس اقوى من النظر لان الانزال باللمس يفطر الصايم وبالنظر لا يفطره **فصل** فان كانت المراة ذات رحم محرم بنسب او رضاع فعورتها مع الرجل المحرم كعورة الرجل مع الرجل

وقيل

وقيل عورتها ما لا تبدوا عند المهنة وهو قول ابي حنيفة وسياتي بقية التفاصيل ان شا الله تعالى في تفسير الاية **فصل** فان كانت المراة مستمتعة كالزوجة والامة التي يحل وطيها فيجوز للزوج والسيد ان ينظر الى جميع بدنها حتى الفرج الا انه يكره النظر الى الفرج وكذا الى فرج نفسه لانه يروى انه يورث الطمس وقيل لا يجوز النظر الى فرجها ولا فرق فيه بين ان تكون الامة قنة او مدبرة او ام ولد او مرهونة فان كانت مجوسية او مرتدة او وثنية او مشتركة بينه وبين غيره او مزوجة او مكاتبة فهي كالاجنبية لقول النبي صلى الله عليه وسلم اذا زوج احدكم جاريته عبده او اجيره فعورته معها ما بين السرة والركبة **فصل** فاما عورة الرجل مع المراة فلا يجوز لها قصد النظر عند خوف الفتنة ولا تكرير النظر الى وجهه لما روت ام سلمة انها كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وميمونة اذ اقبل ابن ام مكتوم فقال احتجبا منه فقالت يا رسول الله اليس هو اعمى لا يبصرنا فقال عليه السلام افعميا وان انتما الستما تبصرانه وان كان محرما لها فعورته ما بين السرة والركبة وان كان زوجها او سيدها الذي له وطيها فلها ان تنظر الى جميع بدنه غير انه يكره النظر الى الفرج كهو معها **فصل** ولا يجوز للرجل ان يجلس عاريا في بيت خال وله ما يستر عورته لانه عليه السلام سيل عنه فقال الله احق ان يستحيا منه وقال عليه السلام اياكم والتعري فان معكم من لا يفارقكم الا عند الغايط وحين يفضي الرجل الى اهله **قوله** ويحفظوا فروجهم اي عما لا يحل وقال ابو العالية كل ما في القران من حفظ الفرج فهو عن الزنا والحرام الا في هذا الموضع فانه اراد به الاستتار حتى لا يقع بصر الغير عليه وهذا ضعيف لانه تخصيص من غير دليل والذي يقتضيه الظاهر حفظ الفروج عن ساير ما حرم عليهم من الزنا والمس والنظر **قوله** ذلك ازكى لهم اي غض البصر وحفظ الفرج ازكى لهم اي خير لهم واطهر ان الله خبير بما يصنعون عليم بما يعملون **قوله** وقل للمومنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن والكلام فيه كما تقدم وقدم غض البصر على حفظ الفرج لان النظر بريد الزنا والبلوى فيه اشد واكثر ولا يكاد يقدر على الاحتراز منه **قوله** ولا يبدين زينتهن اي لا يظهرن زينتهن لغير محرم والمراد بالزينة الخفية وهما زينتان خفية وظاهرة فالخفية مثل الخلخال والخضاب في الرجل والسوار في المعصم والقرط والقلايد فلا يجوز لها اظهارها ولا للاجنبي النظر اليها والمراد من الزينة موضع الزينة وقيل المراد بالزينة محاسن الخلق التي خلقها الله وما تزين به الانسان من فضل لباس لان كثيرا من النسا ينفردن بخلقهن من ساير ما يعد زينة فاذا حملناه على الخلقة وفينا العموم حقه ولا يمنع دخول ما عدا الخلقة فيه ولان قوله وليضربن بخمرهن على جيوبهن يدل على ان المراد من الزينة ما يعم الخلقة وغيرها فكانه تعالى منعهن من اظهار محاسن خلقتهن موجبا سترها بالخمار **قوله** الا ما ظهر منها اما الذين حملوا الزينة على الخلقة فقال القفال معنى الاية الا ما يظهره الانسان في العادة وذلك من النسا الوجه والكفان ومن الرجال الوجه واليدين والرجلين فرخص لهم في كشف ما اعتيد كشفه وادت الضرورة الى اظهاره وامرهم بستر ما لا ضرورة في كشفه ولما كان ظهور الوجه والكفين ضرورة لا جرم اتفقوا على انهما ليسا بعورة واما القدم فليس ظهوره ضروريا فلا جرم اختلفوا فيه هل هو من العورة ام لا والصحيح انه عورة وفي صوتها وجهان اصحهما ليس بعورة لان نسا النبي صلى الله عليه وسلم كن يروين الاخبار للرجال **واما** الذين حملوا الزينة على ما عدا الخلقة قالوا انه تعالى انما ذكر الزينة لانه لا خلاف في انه تحل النظر اليها حال انفصالها عن اعضا المراة فلما حرم الله النظر اليها حال اتصالها ببدن المراة كان ذلك مبالغة في حرمة النظر الى اعضا المراة وعلى هذا القول تحل النظر الى زينة وجهها من الوشمة والغمرة وزينة بدنها

من الخضاب والخواتيم والثياب لان سترها فيه حرج لان المراة لا بد لها من مزاولة الاشيا بيديها
والحاجة الى كشف وجهها للشهادة والمحاكمة والنكاح قال سعيد بن جبير والضحاك والاوزاعي
الزينة الظاهرة التي استثنى الله الوجه والكفان وقال ابن مسعود هي الثياب لقوله تعالى خذوا
زينتكم عند كل مسجد وقال الحسن الوجه والثياب وقال ابن عباس الكحل والخاتم والخضاب في الكف
فما كان من الزينة الظاهرة يجوز للرجل الاجنبي النظر اليها اذا لم تخف فتنة وشهوة فان خاف شيا
منها غض البصر فصل واتفقوا على تخصيص قوله ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها بالحراير
دون الاما والمعنى فيه ظاهر لان الامة قال فلا بد من الاحتياط في بيعها وشرايها وذلك لا يمكن
الا بالنظر اليها على الاستقصا قوله وليضربن ضمن يضربن معنى يلقين فلذلك عداه بعلى وقرا
ابو عمرو في رواية بكسر لام الامر وقرا طلحة بخمرهن بسكون الميم وتسكين فعل في الجمع ولحسن تسكين
المفرد وكسر الجيم من جيوبهن ابن كثير والاخوان وابن ذكوان والخمر جمع خمار وفي القلة يجمع على اخمرة
قال امرؤ القيس ٭ وترى الشجرا في ريقه كرؤس قطعت فيها الخمر ٭ والجيب ما في طوق
القميص يبدو منه بعض الجسد فصل قال المفسرون ان نسا الجاهلية كن يسدلن خمرهن
من خلفهن وان جيوبهن كانت من قدام وكان ينكشف نحورهن وقلايدهن فامرن ان يضربن
مقانعهن على الجيوب ليغطي بذلك اعناقهن ونحورهن قالت عايشة رحم الله نسا المهاجرات الاول
لما انزل الله وليضربن بخمرهن على جيوبهن شققن مروطهن فاختمرن بها قوله ولا يبدين زينتهن
يعني الزينة الخفية التي لم يبح لهن كشفها في الصلاة ولا للاجانب وهو ما عدا الوجه والكفين
الا لبعولتهن قال ابن عباس ومقاتل يعني لا يضعن الجلباب والخمار الا لازواجهن او ابايهن
او ابا بعولتهن او ابنايهن او ابنا بعولتهن او اخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن فيجوز لهولا
ان ينظروا الى الزينة الباطنة ولا ينظر الى ما بين السرة والركبة الا الزوج فانه يجوز له ان ينظر
الى جميعها على ما تقدم وهولا محارم فان قيل ايحل لذي المحرم في المملوكة والكافرة
ما لا يحل له في المومنة فالجواب اذا ملك المراة من محارمه فله ان ينظر منها الى بطنها وظهرها
لا على وجه الشهوة فان قيل فما القول في العم والخال فالجواب ان الظاهر انهما كساير
المحارم في جواز النظر وهو قول الحسن البصري قال لان الاية لم يذكر فيها الرضاع وهو كالنسب
وقال في سورة الاحزاب لا جناح عليهن في ابايهن الاية ولم يذكر فيها البعولة وقد ذكره هنا
وقال الشعبي انما لم يذكرهما الله لئلا يصفها العم عند ابنه والخال كذلك والمعنى ان ساير القرابات
تشترك مع الاب والابن في المحرمية الا العم والخال وابناهما واذا راها الاب وصفها لابنه وليس
بمحرم وهذا من الدلالات البليغة في وجوب الاحتياط عليهن في النسب فصل والسبب
في اباحة نظر هولا الى زينة المراة هو الحاجة الى مداخلتهن ومخالطتهن واحتياج المراة الى صحبتهم في
الاسفار في النزول والركوب قوله او نسايهن قال اكثر المفسرين المراد اللاتي على دينهن
قال ابن عباس ليس للمسلمة ان تتجرد بين نسا اهل الذمة ولا تبدي للكافرة الا ما تبدي للاجانب
الا ان تكون امة لها وكتب عمر الى ابي عبيدة ان يمنع نسا اهل الكتاب من دخول الحمام مع المومنات
وقيل المراد بنسايهن جميع النسا وهذا هو الاولى وقول السلف محمول على الاستحباب قوله
او ما ملكت ايمانهن وهذا يشمل العبيد والاما واختلفوا في ذلك فقال قوم عبد المراة محرم لها يجوز
له الدخول عليها اذا كان عفيفا وان ينظر الى مولاته الا ما بين السرة والركبة كالمحارم وهو ظاهر القران
وهو مروي عن عايشة وام سلمة وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم اتى فاطمة بعبد قد وهبه لها
وعلى فاطمة ثوب اذا قنعت به راسها لم يبلغ رجليها واذا غطت به رجليها لم يبلغ راسها فلما راى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تلقى قال انه ليس عليك باس انما هو ابوك وغلامك وعن مجاهد

كن

كن امهات المؤمنين لا يحتجبن عن مكاتبهن ما بقي عليه درهم وكانت عايشة تمتشط والعبد ينظر
اليها وقال ابن مسعود والحسن وابن سيرين وسعيد بن المسيب لا ينظر العبد الى شعر مولاته وهو
قول ابي حنيفة وقال ابن جريج المراد من الاية الاما دون العبيد وان قوله او نسايهن او ما ملكت
ايمانهن انه لا يحل لامراة مسلمة ان تتجرد بين يدي امراة مشركة الا ان يكون تلك المشركة امة لها
قوله او التابعين غير اولي الاربة من الرجال قرا ابن عامر وابو بكر غير نصبا وفيها وجهان
احدهما انه استثنا وقيل على القطع لان التابعين معرفة وغير نكرة والثاني انه حال والباقون غير
بالجر نعتا او بدلا او بيانا والاربة الحاجة وتقدم اشتقاقها في طه قوله من الرجال حال من
اولي فصل المراد بالتابعين غير اولي الاربة قال مجاهد وعكرمة والشعبي هم الذين يتبعون
القوم ليصيبوا من فضل طعامهم لا همة لهم الا ذلك ولا حاجة لهم في النسا وعن ابن عباس انه الاحمق
العنين وقال الحسن هو الذي لا ينتشر ولا يستطيع غشيان النسا ولا يشتهيهن وقال سعيد بن جبير
المعتوه وقال عكرمة المجبوب وقيل هو المخنث وقال مقاتل هو الشيخ الهم والعنين والخصي والمجبوب
ونحوه واعلم ان الخصي والمجبوب ومن يشاكلهما قد لا يكون له اربة في نفس الجماع ويكون له اربة
فيما عداه من التمتع وذلك يمنع من ان يكون هو المراد فيجب ان يحمل المراد على من لا اربة له في
ساير وجوه التمتع لما روت عايشة قالت كان رجل مخنث يدخل على ازواج النبي صلى الله عليه وسلم
فكانوا يعدونه من غير اولي الاربة فدخل النبي صلى الله عليه وسلم يوما وهو عند بعض نسايه
وهو ينعت امراة فقال انها اذا اقبلت اقبلت باربع واذا ادبرت ادبرت بثمان فقال
النبي صلى الله عليه وسلم لا ارى هذا يعلم ما ههنا لا يدخلن هذا عليكم وفي رواية عن زينب بنت
ام سلمة عن ام سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها وعندها مخنث فاقبل على اخي ام سلمة
فقال يا عبد الله ان فتح الله عليكم الطايف دللتك على بنت غيلان فانها تقبل باربع وتدبر
بثمان فقال عليه السلام لا يدخلن عليكم هذا فاباح رسول الله دخول المخنث عليهن فلما علم انه يعرف
احوال النسا واوصافهن علم انه من اولي الاربة فحجبه وفي الخصي والمجبوب ثلاثة اوجه احدها
استباحة الزينة الباطنة والثاني تحريمها والثالث تحريمها على الخصي دون المجبوب قوله
او الطفل الذين لم يظهروا تقدم في الحج ان الطفل يطلق على المثنى والمجموع فلذلك وصف بالجمع
وقيل لما قصد به الجنس روعي فيه الجمع كقولهم اهلك الناس الدينار الحمر والدرهم البيض وعورات
جمع عورة وهو ما يريد الانسان ستره من بدنه وغلب في السوءتين والعامة على عورات بسكون
الواو وهي لغة عامة العرب سكنوها تخفيفا لحرف العلة وقرا ابن عامر في رواية عورات
بفتح العين ونقل ابن خالويه انها قراءة ابن ابي اسحق والاعمش وهي لغة هذيل بن مدركة
قال الفرا وانشدني بعضهم ٭ اخو بيضات رايح متاوب ٭ رفيق بمسح المنكبين سبوح ٭
وجعلها ابن مجاهد لحنا وخطا يعني من طريق الرواة والا فهي لغة ثابتة فصل
الظهور على الشي يكون بمعنى العلم به كقوله تعالى انهم ان يظهروا عليكم اي يشعروا بكم
ويكون بمعنى الغلبة عليه كقوله فاصبحوا ظاهرين فلهذا قال مجاهد وابن قتيبة معناه
لم يطلعوا على عورات النسا ولم يعرفوا العورة من غيرها من الصغر وقال الفرا والزجاج لم
يبلغوا ان يطيقوا اتيان النسا وقيل لم يبلغوا حد الشهوة فصل فاما المراهق فيلزم
المراة ان تستر منه ما بين سرتها وركبتها وفي لزوم ستر ما عداه وجهان الاول لا يلزم لان
القلم غير جار عليه والثاني يلزم كالرجل لانه مشتهي والمراة قد تشتهيه واسم الطفل شامل له
الى ان يحتلم واما الشيخ فان بقيت له شهوة فهو كالشاب وان لم يبق له شهوة ففيه وجهان
احدهما ان الزينة الباطنة معه مباحة والعورة معه ما بين السرة والركبة والثاني ان جميع

البدن معه عورة الا الزينة الظاهرة وههنا اخر الصور التي استثناها الله تعالي والرضاع كالنسب
قوله ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن قال ابن عباس وقتادة كانت المراة
تمر بالناس وتضرب برجلها ليسمع قعقعة خلخالها فنهين عن ذلك لان الذي يغلب عليه
شهوة النسا اذا سمع صوت الخلخال يصير ذلك داعية له زايدة الي مشاهدتهن وعلل تعالي
ذلك بقوله ليعلم ما يخفين من زينتهن وفي الاية فوايد الاولي انها نهي عن استماع الصوت
الدال علي وجود الزينة فلان يدل علي المنع من اظهار الزينة اولي الثانية ان المراة منهية
عن رفع صوتها بالكلام بحيث يسمع ذلك الاجانب اذ كان صوتها اقرب الي الفتنة من صوت خلخالها
ولذلك كرهوا اذان النسا لانه يحتاج فيه الي رفع الصوت والمراة منهية عنه الثالثة تدل
علي تحريم النظر الي وجهها بشهوة لان ذلك اقرب الي الفتنة قوله تعالي وتوبوا الي الله
جميعا ايها المومنون قال ابن عباس توبوا مما كنتم تفعلونه في الجاهلية لعلكم تسعدون في الدنيا
والاخرة وقيل توبوا من التقصير الواقع منكم في امره ونهيه وقيل راجعوا طاعة الله فيما امركم
ونهاكم من الاداب المذكورة في هذه السورة قوله ايها المومنون العامة علي فتح الها
واثبات الف بعد الها وهي ها التي للتنبيه وقرا ابن عامر هنا وفي الزخرف يايها الساحر
وفي الرحمن ايه الثقلان بضم الها وصلا فاذا وقف سكن ووجهها انه لما حذفت الالف لالتقا
الساكنين استخفت الفتحة علي حرف خفي فضمت اليها اتباعا وقد رسمت هذه المواضع الثلاثة
دون الف فوقف ابوعمرو والكساي بالف والباقون بدونها اتباعا للرسم ولموافقة الخط اللفظ
وثبتت في غير هذه المواضع حملا لها علي الاصل نحو يايها الناس يايها الذين امنوا وبالجملة فالرسم
سنة متبعة قوله تعالي وانكحوا الايامي منكم لما امر تعالي بغض الابصار وحفظ
الفروج بين بعده ان الذي امر به انما هو فيما لا يحل ثم ذكر بعد ذلك طريق الحل فقال
وانكحوا الايامي منكم الايامي جمع ايم وزنه فيعل يقال منه آم يئيم كباع يبيع قال الشاعر
• كل امري سيئيم منه العرس اومنها ييم • وقياس جمعه ايايم كسيد وسيايد والايامي
فيه وجهان اظهرهما من كلام سيبويه انه جمع علي فعالي غير مقلوب وكذلك يتامي وقيل ان
الاصل ايايم ويتايم في ايم ويتيم فقلبا والايم من لا زوج له ذكرا كان او انثي قال النضر
ابن شميل الايم في كلام العرب كل ذكر لا انثي معه وكل انثي لا ذكر معها وهو قول ابن عباس في رواية
الضحاك تقول زوجوا اياماكم بعضكم من بعض وخصه ابوبكر الخفاف بمن فقدت زوجها
فاطلاقه علي البكر مجاز وقال الزمخشري تايمتما اذا لم يتزوجا بكرين كانا او ثيبين وانشد
• فان تنكحي انكح وان تتايمي وان كنت افتي منكم اتايم • وعن رسول الله صلي الله عليه وسلم
اللهم اني اعوذ بك من العيمة والغيمة والايمة والقرم العيمة بالمهملة شدة شهوة
اللبن وبالمعجمة شدة العطش والايمة طول العطش والقرم شدة شهوة الاكل والقرم شدة
شهوة اللحم ومنكم حال وكذا من عبادكم فصل قوله وانكحوا امر وظاهر الامر
للوجوب فدل علي ان الولي يجب عليه تزويج موليته واذا ثبت هذا وجب ان لا يجوز النكاح الا
بولي لان كل ما وجب علي الولي حكم بانه لا يصح من المولية لو فعلت ذلك لفوتت علي الولي تمكنه من
ادا هذا الواجب وانه غير جايز ولم تطابق قوله عليه السلام اذا جاكم من ترضون دينه وخلقه
فزوجوه الا تفعلوه تكن فتنة في الارض قال ابوبكر الرازي هذه الاية وان اقتضت الايجاب
الا انه اجمع السلف علي انه لم يرد الايجاب ويدل عليه امور احدها انه لو كان ذلك واجبا لنقل
عن النبي صلي الله عليه وسلم وعن السلف مستفيضا لعموم الحاجة اليه فلما علمنا ان سائر الاعصار
كانت فيهم ايامي من الرجال والنسا ولم ينكر واذلك ثبت انه لم يرد الايجاب وثانيها اجمعنا

علي

علي ان الايم الثيب لو ابت التزويج لم يكن للولي اجبارها عليه وثالثها اتفاق الكل علي انه لا
يجب علي السيد تزويج امته وعبده وهو معطوف علي الايامي فدل علي انه غير واجب في الجميع
بل ندب في الجميع ورابعها ان اسم الايامي يشمل الرجال والنسا وهو في الرجال ما اريد به
الاوليا دون غيرهم كذلك في النسا والجواب ان جميع ما ذكرته تخصيصات تطرقت الي
الاية والعام بعد التخصيص حجة فوجب اذا التمست المراة الايم من الولي التزويج وجب
وحينيذ ينتظم الكلام فصل قال الشافعي الاية تقتضي جواز تزويج البكر البالغة
بدون رضاها لان الاية والحديث يدلان علي امر الولي بتزويجها ولولا قيام الدلالة علي انه لا
تزوج الثيب الكبيرة بغير رضاها لكان جايزا له تزويجها ايضا لعموم الاية فصل
الناس في النكاح قسمان الاول من تتوق نفسه للنكاح فيستحب له ان ينكح ان وجد اهبته سوا
كان مقبلا علي العبادة اولم يكن ولكن لا يجب وان لم يجد اهبته يكسر شهوته بالصوم لقوله عليه
السلام يا معشر الشباب من استطاع منكم الباه فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج
ومن لم يستطع فليصم فان الصوم له وجا الثاني من لا تتوق نفسه الي النكاح فان كان لعلة
من كبر او مرض او عجز فيكره له لانه يلتزم ما لا يمكنه القيام به وكذلك اذا كان لا يقدر علي
النفقة وان لم يكن به عجز وكان قادرا علي القيام بحقه لم يكره له النكاح لكن الافضل ان يتخلي
للعبادة لان الله تعالي مدح يحيي بكونه حصورا والحصور الذي لا ياتي النسا مع القدرة عليهن
ولا يقال هو الذي لا ياتي النسا مع العجز لان مدح الانسان بما يكون عيبا غير جايز واذا كان مدحا
في حق يحيي وجب ان يشرع في حقنا لقوله تعالي فبهداهم اقتده ولا تحمل الهدي علي الاصول لان
التقليد فيها غير جايز فوجب حمله علي الفروع وقال عليه السلام اعلموا ان خير اعمالكم الصلوة
وقال عليه السلام افضل اعمال امتي قراة القران وقال ابوحنيفة النكاح افضل لقوله عليه
السلام احب المباحات الي الله النكاح ولان النكاح يتضمن صون النفس عن الزنا فيكون دفعا
للضرر عن النفس والباقي طلب نفع ودفع الضرر اولي من طلب النفع واجيب بان تحمل الاحب
علي الاصلح في الدنيا لبلا يقع التناقض بين كونه احب وبين كونه مباحا والمباح ما يستوي
طرفاه في الثواب والعقاب والمندوب ما ترجح وجوده علي عدمه فيكون العباده افضل
وبقية المباحث مذكوره في كتب الفقه قوله منكم اي زوجوا ايها المومنون من لا زوج له
من احرار رجالكم ونسايكم وقيل اراد الحرية والاسلام وقوله والصالحين من عبادكم وامايكم
ظاهره يقتضي الامر بتزويج هذين الفريقين اذا كانوا صالحين وخص الصالحين بالذكر ليحصن
دينهم ويحفظ عليهم صلاحهم ولان الصالحين منهم هم الذين مواليهم يشفقون عليهم وينزلونهم
منزلة الاولاد في المودة فكانوا مظنة للتوصيه والاهتمام بهم ومن ليس بصالح فحاله علي العكس
من ذلك وقيل اراد الصلاح لامر النكاح حتي يقوم العبد بما يلزم لها وتقوم الامة بما يلزم للزوج
وقيل اراد بالصلاح ان لا يكون صغيرة لا يحتاج الي النكاح فصل ظاهر الاية يدل
علي ان العبد لا يتزوج بنفسه وانما يتولي تزويجه مولاه ولكن ثبت بالدليل انه اذا امره بان
يتزوج جاز ان يتولي تزويج نفسه فيكون توليه باذنه بمنزلة تولي السيد فاما الاما فان
المولي يتولي تزويجهن خصوصا علي قول من لا يجوز النكاح الا بولي فصل الولي شرط في صحة
النكاح لقوله عليه السلام لا نكاح الا بولي وقال عليه السلام ايما امراة نكحت بغير اذن وليها
فنكاحها باطل ثلاثا فان اصابها فلها المهر بما استحل من فرجها فان اشتجروا فالسلطان ولي من
لا ولي له قوله ان يكونوا فقرا يغنهم الله من فضله الاصح ان هذا ليس وعدا باغنا من يتزوج
بل المعني لا تنظروا الي فقر من يخطب اليكم او فقر من تريدون تزوجها ففي فضل الله ما يغنيهم

والمال غادٍ ورائح وليس في الفقر ما يمنع من الرغبة في النكاح فهذا معنى صحيح وليس فيه ان الكلام قصد به وعدا للغنا حتى لا يجوز ان يقع فيه خلف وروي عن قدما الصحابة ما يدل على ان ذلك وعد فروي عن ابي بكر قال اطيعوا الله فيما امركم به من النكاح ينجز لكم ما وعدكم من الغنى وعن عمر وابن عباس مثله وشكى رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحاجة فقال عليك بالباه وقال طلحة بن مصرف تزوجوا فانه اوسع لكم في رزقكم واوسع في اخلاقكم ويزيد الله في مروتكم فان قيل فنحن نرى من كان غنيا تزوج فيصير فقيرا فالجواب من وجوه احدها ان هذا الوعد مشروط بالمشية في قوله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شا والمطلق يحمل على المقيد وثانيها ان اللفظ وان كان عاما الا انه يختص ببعض المذكورين دون البعض وهو في الايامى الاحرار الذين يملكون فيستغنون بما يملكون وثالثها المراد بالغنى العفاف فيكون الغنى هنا معناه الاستغنا بالنكاح عن الوقوع في الزنا **فصل** استدل بعضهم بهذه الاية على ان العبد والامة يملكان لان ذلك راجع الى كل من تقدم فاقتضى ان العبد قد يكون فقيرا وغنيا وذلك يدل على الملك فثبت انهما يملكان والمفسرون تاولوه على الاحرار خاصة فقالوا هو راجع الى الايامى وان فسرنا الغنى بالعفاف سقط استدلالهم وقوله والله واسع عليم اي يوسع عليهم من فضاله عليم بمقادير ما يصلحهم من الافضال والرزق **قوله** وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا لما ذكر تزويج الحراير والاما ذكر حال من يعجز عن ذلك فقال وليستعفف اي وليجتهد في العفة كان المستعفف طالب من نفسه العفاف وقوله لا يجدون نكاحا اي لا يتمكنون من الوصول اليه يقال لا يجد المرء الشي اذا لم يتمكن منه قال تعالى فمن لم يجد فصيام شهرين ويقال هو غير واجد للما وان كان موجودا اذا لم يمكنه ان يشتريه ويجوز ان يراد بالنكاح ما ينكح به من المال فبين تعالى ان من لا يتمكن من ذلك فليطلب التعفف ولينتظر ان يغنيه الله من فضله ثم يصل الى بغيته من النكاح فان قيل اليس ملك اليمين يقوم مقام نفس النكاح قلنا لكن من لم يجد المهر والنفقة فبان لا يجد ثمن الجارية اولى **قوله تعالى** والذين يبتغون الكتاب الاية لما بعث السيد على تزويج الصالحين من العبيد والاما مع الرق رغبهم في ان يكاتبوهم اذا طلبوا ذلك ليصيروا احرارا فيتصرفون في انفسهم كالاحرار فقال والذين يبتغون الكتاب يجوز في الذين الرفع على الابتدا والخبر الجملة المقترنة بالفا لما تضمنه المبتدا من معنى الشرط ويجوز نصبه بفعل مقدر على الاشتغال كقولك زيدا فاضربه وهو ارجح لما كان الامر والكتاب والكتابة كالعتاب والعتابة وفي اشتقاق لفظ الكتابة وجوه احدها ان اصل الكلمة من الكتب وهو الضم والجمع ومنه سميت الكتابة لانها تضم النجوم بعضها الى بعض وتضم ماله الى ماله وثانيها ماخوذ من الكتاب ومعناه كتبت لك على نفسي ان تعتق اذا وفيت بمال وكتبت لي على نفسي ان تفي لي بذلك او كتبت عليك الوفا بالمال وكتبت على الوفا بالعتق قاله الازهري وثالثها سمي بذلك لما يقع فيه من التاجيل بالمال المعقود عليه لانه لا يجوز ان يقع على مال هو في يد العبد حين يكاتب لان ذلك مال لسيده اكتسبه في حال ما كانت يد السيد غير مقبوضة عن كسبه فلا يجوز لهذا المعنى ان يقع هذا العقد حالا بل يقع موجلا ليكون متمكنا من الاكتساب ثم من داب التهيئة ان يكتب على من عليه المال الموجل كتاب فلهذا المعنى سمي هذا العقد كتابا لما فيه من الاجل قال تعالى لكل اجل كتاب **فصل** قال بعض العلما الكتابة ان يقول لمملوكه كاتبتك على كذا ويسمي مالا معلوما يوديه في نجمين او اكثر ويبين عدد النجوم وما يودي في كل نجم ويقول اذا اديت ذلك المال فانت حرا وينوي ذلك بقلبه ويقول العبد قبلت فان لم يقل بلسانه او لم ينو بقلبه اذا اديت ذلك

المال

المال فانت حر لم يعتق وقال مالك وابو حنيفة واصحابه لا حاجة الى ذلك لان قوله تعالى فكاتبوهم ليس فيه شرط فتصح الكتابة بدون هذا الشرط واذا صحت الكتابة وجب ان يعتق بالادا للاجماع واحتج الاولون بان الكتابة ليست عقد معاوضة محضة لان ما في يد العبد ملك للسيد والانسان لا يبيع ملكه بملكه بل قوله كاتبتك كناية في العتق فلا بد فيه من لفظ التعليق او نيته **فصل** لا تجوز الكتابة الحالة لان العبد ليس له ملك يوديه في الحال واذا عقدت حالة توجهت المطالبة عليه في الحال فاذا عجز عن الادا لم يحصل مقصود العقد كما لو اسلم في شي لا يوجد عند المحل لا يصح بخلاف ما لو اسلم الى معسر فانه يجوز لانه يتصور ان يكون له ملك في الباطن فلا يعجز لا يتحقق وقال ابو حنيفة يجوز لقوله تعالى فكاتبوهم وهو مطلق يتناول الكتابة الحالة والموجلة وايضا فمال الكتابة بدل عن الرقبة فهو بمنزلة اثمان السلع المبيعة فيجوز حالة وايضا فاجمعوا على جواز العتق معلقا على مال حال فالكتابة مثله لانه بدل عن العتق في الحالين الا ان في احدهما العتق معلق على شرط الادا وفي الاخر معجل فوجب ان لا يختلف حكمهما **فصل** لا تجوز الكتابة على اقل من نجمين لانه يروى عن علي وعثمن وابن عمر روي ان عثمن غضب على عبده فقال لاضيقن عليك ولاكاتبنك على نجمين ولو جاز على اقل من ذلك لكاتبه على الاقل لان التضييق فيه اشد وانما شرطنا التنجيم لانه عقد ارفاق ومن شرط الارفاق التنجيم ليتيسر عليهم الادا وقال ابو حنيفة تجوز الكتابة على نجم واحد لان ظاهر قوله فكاتبوهم ليس فيه تقييد **فصل** يشترط ان يكون المكاتب بالغا عاقلا فان كان صبيا او مجنونا لم تصح كتابته لقوله تعالى والذين يبتغون الكتاب والابتغا لا يتصور من الصبي والمجنون وقال ابو حنيفة يجوز كتابة الصبي ويقبل عنه المولى **فصل** ويشترط ان يكون السيد مكلفا مطلقا فان كان صبيا او محجورا عليه لسفه لم تصح كتابته كما لا يصح بيعه لان قوله فكاتبوهم خطاب ولا يتناول غير المكلف وقال ابو حنيفة تصح كتابة الصبي باذن الولي **فصل** اختلفوا في قوله تعالى فكاتبوهم هل هو امر ايجاب او ندب فقيل امر ايجاب فيجب على السيد ان يكاتب مملوكه اذا ساله ذلك بقيمته او اكثر اذا علم فيه خيرا فان ساله بدون قيمته لم يلزمه وهذا قول ابن دينار وعطا واليه ذهب داود بن علي ومحمد بن جرير لظاهر الاية وايضا فلان سبب نزولها انها نزلت في غلام لحويطب بن عبد العزي يقال له صبيح سال مولاه ان يكاتبه فابى عليه فنزلت الاية فكاتبه على ماية دينار ووهب له منها عشرين دينارا وروي ان عمر امر انسا بان يكاتب سيرين ابا محمد بن سيرين فابى فرفع عليه الدرة وضربه وقال فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا وحلف عليه ليكاتبنه ولو لم يكن واجبا لكان ضربه بالدرة ظلما ولم ينكر عليه احد من الصحابة فجرى ذلك مجرى الاجماع وقال اكثر الفقها انه امر استحباب وهو ظاهر قول ابن عباس والحسن والشعبي واليه ذهب مالك وابو حنيفة والشافعي والثوري واحمد لقوله عليه السلام لا يحل مال امرئ مسلم الا عن طيب نفس منه ولانه لا فرق بين ان يطلب الكتابة او يطلب بيعه ممن يعتقه في الكفارة فكما لا يجب ذلك فكذا الكتابة **فان قيل** كيف يصح ان يبيع ماله بماله فالجواب اذا ورد الشرع به جاز كما اذا علق عتقه على مال يكسبه فيوديه او يودى عنه صار سببا لعتقه **فان قيل** هل يستفيد العبد بعقد الكتابة ما لا يملكه لولا الكتابة فالجواب نعم لانه دفع اليه الزكوة قبل الكتابة لم تحل له اخذها واذا صار مكاتبا حل له اخذها واذا صار سوا ادى فعتق او عجز فعاد الى الرق واستفاد ايضا ان الكتابة تبعثه على الاجتهاد في

الكسب ولولاها لم يكن ليفعل ذلك ويستفيد المولى الثواب لانه اذا باعه فلا ثواب واذا كاتبه فالولا له فورد الشرع بجواز الكتابة لهذه الفوايد **قوله** ان علمتم فيهم خيرا قال عليه السلام ان علمتم لهم حرفة ولا تدعوهم كلا على الناس وقال ابن عمر قوة على الكسب وهو قول مالك والثوري وقال عطا والحسن ومجاهد والضحاك الخير المال لقوله تعالى ان ترك خيرا اي مالا وقال عطا بلغني ذلك عن ابن عباس ويروى ان عبدا لسلمان الفارسي قال له كاتبني قال لك مال قال لا قال تريد ان تطعمني اوساخ الناس ولم يكاتبه قال الزجاج لو اراد به المال لقال ان علمتم لهم خيرا وايضا فلان العبد لا مال له بل المال لسيده وقال ابرهيم النخعي وابن زيد وعبيده صدقا وامانة وقال طاوس وعمرو بن دينار مالا وامانة وقال الحسن صلاحا في الدين قال الشافعي واظهر معاني الخير في العبيد الاكتساب مع الامانة واحب ان لا يمتنع من الكتابة اذا كان هكذا لان مقصود الكتابة قلما تحصل الا بهما فانه ينبغي ان يكون كسوبا تحصل المال ويكون امينا يصرفه في نجومه ولا يضيعه **قوله** واتوهم من مال الله الذي اتاكم قيل هذا خطاب للموالي تجب على المولى ان تحط عن مكاتبه من مال الكتابة شيا وهو قول عثمان وعلي والزبير وجماعة وبه قال الشافعي وهولا اختلفوا في قدره فقيل تحط عنه ربع مال الكتابة وهو قول علي ورواه بعضهم عن علي مرفوعا وعن ابن عباس تحط الثلث وقيل ليس له حد بل تختلف بكثرة المال وقلته وهو قول الشافعي لان ابن عمر كاتب غلاما له على خمسة وثلاثين الف درهم فوضع من اخر كتابته خمسة الاف درهم وقيل تحط عنه قدرا تحصل الاستعانة به قال سعيد ابن جبير كان ابن عمر اذا كاتب مكاتبه لم يضع عنه شيا من اول نجومه مخافة ان يعجز فيرجع اليه صدقته ووضع من اخر كتابته ما احب وكاتب عمر عبدا فجاءه بنجمه فقال اذهب فاستعن على اداء مال الكتابة فقال المكاتب لو تركته الى اخر نجم فقال اني اخاف ان لا ادرك ذلك وقيل هو امر استحباب لقوله عليه السلام المكاتب عبد ما بقي عليه درهم وقوله عليه السلام ايما عبد كاتب على ماية فاداها الا عشرة فهو عبد ولو كان الحط واجبا سقط عنه بقدره وايضا فلو كان الايتا واجبا لكان وجوبه معلقا بالعقد فيكون العقد موجبا له ومسقطا له وذلك محال لتنافي الاسقاط والايجاب وايضا فلو كان الحط واجبا لما احتاج الى ان يضع عنه بل كان يسقط القدر المستحق كمن له على انسان دين ثم لذلك الاخر على الاول مثله فانه يصير قابضا له وايضا فلو كان واجبا لكان قدر الايتا اما ان يكون معلوما او مجهولا فان كان معلوما وجب ان تكون الكتابة بثلاثة ارباع المال على قول من يجعله الربع فيعتق اذا ادى ثلاثة الاف اذا كان العقد على اربعة الاف وذلك باطل لان ادا جميعها شرط فلا يعتق باداء البعض لقوله عليه السلام المكاتب عبد ما بقي عليه درهم وان كان مجهولا صارت الكتابة مجهولة لان الباقي بعد الحط مجهول فلا يصح كما لو كاتب عبده على الف درهم الا شيء وقال قوم المراد بقوله واتوهم اي سهمهم الذي جعله الله لهم من الصدقات المفروضات بقوله وفي الرقاب وهو قول الحسن وزيد بن اسلم ورواية عطا عن ابن عباس وعلى هذا الخطاب لغير السادة لانهم اجمعوا على انه لا يجوز للسيد ان يدفع زكوته الى مكاتبه وقال الكلبي وعكرمه وابرهيم هو خطاب لجميع الناس وحث على معونة المكاتب لقوله عليه السلام من اعان مكاتبا في فك رقبته اظله الله في ظل عرشه **فصل** اذا مات المكاتب قبل ادا النجوم فقيل يموت رقيقا وترتفع الكتابة سوا ترك مالا او لم يترك كما لو تلف المبيع قبل القبض يرتفع البيع وهو قول عمر وابن عمر وزيد بن ثابت وبه قال عمر بن عبد العزيز والزهري وقتاده واليه ذهب الشافعي واحمد وقيل ان ترك وفا لما بقي عليه من الكتابة كان حرا وان كان فيه فضل

فالزيادة لاولاده الاحرار وهو قول عطا وطاوس والنخعي والحسن وبه قال مالك والثوري واصحاب الراي **فصل** ولو كاتب عبده كتابة فاسدة يعتق باداء المال لان عتقه معلق بالاداء وقد وجد ويتبعه الاولاد والاكساب كما في الكتابة الصحيحة ويفترقان في بعض الاحكام وهي ان الكتابة الصحيحة لا يملك المولى فسخها ما لم يعجز المكاتب عن اداء النجوم ولا تبطل بموت المولى ويعتق بالابراء من النجوم والكتابة الفاسدة يملك المولى فسخها قبل اداء المال حتى لو ادى المال بعد الفسخ لا يعتق وتبطل بموت المولى ولا يعتق بالابراء من النجوم واذا عتق المكاتب باداء المال لا يثبت التراجع في الكتابة الصحيحة ويثبت في الكتابة الفاسدة فيرجع المولى عليه بقيمة رقبته وهو يرجع على المولى بما دفع اليه ان كان مالا **قوله تعالى** ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء الايه لما بين ما يلزم من تزويج العبيد والاماء وكتابتهم اتبع ذلك بالمنع من اكراه الاماء على الفجور اعلم ان العرب تقول للملوك فتى وللملوكه فتاه قال تعالى فلما جاوزا قال لفتاه وقال تراود فتاها وقال مما ملكت ايمانكم من فتياتكم وقال عليه السلام ليقل احدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وامتي والبغا الزنا مصدر بغت المراة تبغي بغاء اي زنت وهو مختص بزنا النسا **فصل** قال المفسرون نزلت في عبد الله بن ابي المنافق كان له ست جواري معاذه ومسيكه واميمة وعمرة واروي وقتيله يكرههن على البغا وضرب عليهن ضرايب ياخذها وكذلك كانوا يفعلون في الجاهلية يواجرون اماهم فلما جاء الاسلام قالت معاذه لمسيكة ان هذا الامر الذي نحن فيه لا يخلو من وجهين فان يكن خيرا فقد استكثرنا منه وان يك شرا فقد ان لنا ان ندعه فشكيا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الاية وروي انه جات احدى الجاريتين يوما ببرد وجات الاخرى بدينار فقال لهما ارجعا فازنيا فقالتا والله لا نفعل وقد جا الاسلام وحرم الزنا فاتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكيا اليه فانزل الله عز وجل هذه الاية وروي ان عبد الله بن ابي اسر رجلا فاراد الاسير جارية عبد الله وكانت الجارية مسلمة فامتنعت الجارية لاسلامها واكرهها سيدها على ذلك رجاء ان تحمل من الاسير فيطلب فدا ولده فنزلت الاية وروى ابو صالح عن ابن عباس قال جا عبد الله بن ابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه جارية من اجمل الناس تسمى معاذه وقال يا رسول الله هذه لايتام فلان افلا نامرها بالزنا فيصيبون من منافعها فقال عليه السلام لا فاعاد الكلام فنزلت الاية **فصل** الاكراه انما يحصل بالتخويف بما يقتضي تلف النفس ومعنى قوله ان اردن تحصنا اي اذا اردن وليس معناه الشرط لانه لا يجوز اكراههن على الزنا ان لم يردن تحصنا كقوله عز وجل وانتم الاعلون ان كنتم مومنين اي اذ كنتم مؤمنين وقيل انما شرط ارادة التحصين لان الاكراه انما يكون عند ارادة التحصين فان لم ترد التحصين بغت طوعا لانه متى لم توجد ارادة التحصن لم تكن كارهة للزنا وكونها غير كارهة للزنا يمتنع اكراهها فامتنع الاكراه لامتناعه في نفسه وقيل هذا الشرط لا مفهوم له لانه خرج مخرج الغالب لان الغالب ان الاكراه لا تحصل الا عند ارادة التحصن كما ان الخلع يجوز في غير حالة الشقاق ولكن لما كان الغالب وقوع الخلع في حالة الشقاق لا جرم لم يكن لقوله فان خفتم ان لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به ومنه قوله تعالى واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا والقصر لا يختص بحال الخوف ولكنه اخرجه على الغالب نكذا ههنا وقال بعض العلما في الاية تقديم وتاخير تقديره وانكحوا الايامى منكم ان اردن تحصنا ولا تكرهوا فتياتكم على البغا لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا اي لتطلبوا من اموال الدنيا يريد من كسبهن وبيع اولادهن والتحصن التعفف

قوله ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم اي غفور رحيم للمكرهات والوزر
على المكره وكان الحسن اذا قرا هذه الاية قال لهن والله لهن والله وقال ابن الخطيب فيه
وجهان احدهما غفور لهن لان الاكراه يزيل الاثم والعقوبة عن المكره فيما فعل والثاني
فان الله غفور رحيم بالمكره بشرط التوبة وهذا ضعيف لانه يحتاج الى الاضمار والاول لا يحتاج
اليه وفي هذا نظر لانه لابد من ضمير يعود على اسم الشرط عند الجمهور كما تقدم تحقيقه في البقرة
قوله فان الله جملة وقعت جوابا للشرط والعايد على اسم الشرط محذوف تقديره غفور
لهم وقدره الزمخشري في احد تقديرانه وابن عطية وابو البقا فان الله غفور لهن اي للمكرهات
فعريت جملة الجزا عن رابط يربطها باسم الشرط ولا يقال ان الرابط هو الضمير المقدر الذي
هو فاعل المصدر اذ التقدير من بعد اكراههم لهن فليكتف بهذا الرابط المقدر لانهم لم
يعدوا ذلك من الروابط تقول هند عجبت من ضربها زيدا فهذا جايز ولو قلت هند عجبت
من ضرب زيدا اي من ضربها لم يجز لخلوها من الرابط وان كان مقدرا ولما قدر الزمخشري لهن
اورد سؤالا فقال فان قلت لا حاجة الى تعليق المغفرة بهن لان المكرهة على الزنا بخلاف المكره
غير آثمة قلت لعل الاكراه غير ما اعتبرته الشريعة من اكراه بقتل او بما يخاف منه التلف
او فوات عضو حتى يسلم من الاثم وربما قصرت عن الحد الذي تعذر فيه فتكون آثمة قوله
تعالى ولقد انزلنا اليكم ايات مبينات الاية لما ذكر الاحكام وصف القران بصفات
ثلاث احدها قوله ولقد انزلنا اليكم ايات مبينات اي مفصلات وقرا حمزة والكساى وابن
عامر مبينات بكسر اليا اي انها تبين للناس الحلال والحرام كقوله تعالى بلسان عربي مبين وتقدم
الكلام في مبينات كسرا وفتحا وثانيها قوله ومثلا من الذين خلوا من قبلكم قال الضحاك
يريد المثل ما في التورية والانجيل من اقامة الحدود فانزل في القران مثله وقال مقاتل
قوله ومثلا اي شبها من حالهم بحالكم في تكذيب الرسل يعني بينا لكم ما احللنا بهم من العقاب
لتمردهم على الله فجعلنا ذلك مثلا لكم وهذا تخويف لهم فقوله ومثلا عطف على ايات اي
وانزلنا مثلا من امثال الذين من قبلكم وثالثها قوله وموعظة للمتقين اي الوعيد والتحذير
ولا شك انه موعظة للكل وخص المتقين بالذكر لما تقدم في قوله هدى للمتقين قوله
تعالى الله نور السموات والارض الاية هذه جملة من مبتدا وخبر اما على حذف مضاف اي ذو
نور السموات والمراد بالنور عدله ويويد هذا قوله مثل نوره واضاف النور لهذين الظرفين
اما دلالة على سعة اشراقه وفشو اضاته حتى تضي له السموات والارض واما لارادة اهل
السموات والارض وانهم يستضيبون به ويجوز انه بالغ في العبارة على سبيل المدح كقولهم فلان
شمس البلاد وقمرها قال النابغة فانك شمس والملوك كواكب اذا طلعت لم يبد منهن كوكب
وقال قرا القبايل خالد بن يزيد ويجوز ان يكون المصدر واقعا موقع اسم الفاعل اي
منور السموات ويويد هذا الوجه قراة امير المومنين وزيد بن علي وابي جعفر وعبد العزيز
المكي نور فعلا ماضيا وفاعله مبتدا الباري تعالى السموات مفعوله وكرم بنصب والارض
بالنصب نسقا عليه وقرا الحسن فعال الله منور السموات فصل قال ابن عباس هادي
اهل السموات والارض فهم بنوره الى الحق يهتدون وبهداه من حيرة الضلالة ينجون وقال
الضحاك منور السموات والارض يقال نور الله السما بالملايكة ونور الارض بالانبيا وقال
مجاهد مدبر الامور في السموات والارض وقال ابي بن كعب والحسن وابو العالية مزين السموات
والارض زين السما بالشمس والقمر والنجوم وزين الارض بالانبيا والعلما والمومنين وقيل
بالنبات والاشجار وقيل معناه الانوار كلها منه كما يقال فلان رحمة اي منه الرحمة

وقد يذكر مثل هذا اللفظ على طريق المدح كقول القايل
اذا سار عبد الله من مرو ليلة فقد سار منها نورها وجمالها قوله مثل
نوره كمشكاة مبتدا وخبر وهذه الجملة ايضاح وتفسير لما قبلها فلا محل لها وثم مضاف
محذوف اي كمثل مشكاة قال الزمخشري اي صفة نوره العجيبة الشان في الاضاة كصفة مشكاة اي
كصفة مشكاة واختلفوا في الضمير في نوره فقيل هو لله تعالى اي مثل نور الله عز وجل في
قلب المومن وهو النور الذي يهتدي به كما قال فهو على نور من ربه وكان ابن مسعود يقرا
مثل نوره في قلب المومن وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس مثل نوره الذي اعطى المومن وعلى
هذا المراد بالنور الايمان او الايات البينات وقيل يعود على المومنين او المومن اي
امنه اي مثل نور قلب المومن وكان ابي يقرا هذه الالفاظ كلها واعاد الضمير على ما
قاله والمراد بالنور الايمان والقران كقوله تعالى قد جاكم من الله نور وكتاب مبين يعني
القران وقال سعيد بن جبير والضحاك الضمير يعود على محمد صلى الله عليه وسلم ولم يتقدم
لهذه الانبيا ذكر واما عوده على المومنين في قراة ابي ففيه اشكال من حيث الافراد
قال مكي يوقف على الارض في هذه الاقوال الثلاثة وقيل اراد بالنور الطاعة سمى طاعة
الله نورا واضاف هذه الانوار الى نفسه تفضيلا فصل واختلفوا في هذا التشبيه
هل هو تشبيه مركب اي انه قصد فيه تشبيه جملة بجملة من غير نظر الى مقابلة جزء
بجزء بل قصد تشبيه هذا وانه تعالى صنعته في كل مخلوق على الجملة بهذه الجملة من النور
الذي تتخذونه وهو ابلغ صفات النور عندكم او تشبيه غير مركب اي قصد مقابلة جزء
بجزء ويترتب الكلام فيه بحسب الاقوال في الضمير في نوره والمشكوة الكوة غير
النافذة وهل هي عربية ام حبشية معربة خلاف وقال مجاهد هي القنديل وقيل هي
الحديدة او الرمانة التي يوضع فيها الذبال وهو الفتيل ويكون في جوف الزجاجة وقيل
هي العمود الذي يوضع على راسه المصباح وقيل ما يعلق فيه القنديل من الحديدة واماله
المشكاة الدوري عن الكساي لتقدم الكسر وان وجد فاصل ورسمت بالواو كالزكوة والصلوة
والمصباح السراج الضخم واصله من الضوء ومنه الصبح والزجاجة واحدة الزجاج
وهو جوهر معروف وفيه ثلاث لغات فالضم لغة الحجاز وبها قرا العامة والكسر والفتح لغة
قيس وبالفتح قرا ابن ابي عبلة ونصر بن عاصم في رواية ابن مجاهد وبالكسر قرا نصر بن عاصم
في رواية عنه وابو رجا وكذلك الخلاف في قوله الزجاجة والجملة من قوله فيها مصباح
صفة لمشكوة ويجوز ان يكون الجار وحده هو الوصف ومصباح مرتفع به فاعلا قوله
دري قرا ابو عمرو والكساي بكسر الدال ويا بعدها همزة وقرا حمزة وابو بكر عن عاصم بضم
الدال ويا بعدها همزة والباقون بضم الدال وتشديد اليا من غير همز وهذه الثلاثة في
السبع وقرا زيد بن علي والضحاك وقتادة بفتح الدال وتشديد اليا وقرا الزهري بكسرها
وتشديد اليا وقرا ابان بن عثمن وابن المسيب وابو رجا وقتادة ايضا درى بفتح
الدال ويا بعدها همزة فاما الاولى فقراة واضحة لانه بنا كثير يوجد في الاسماء نحو سكين
وفي الصفات نحو سكير واما القراة الثانية فهي من الدرء بمعنى الدفع اي يدفع بعضها
بعضا اي يدفع ضوءها خفاها قيل ولم يوجد شي وزنه فعيل الا مريقا للعصفر وسريه
على قولنا انها من السرور وانه ابدل من احدى المضعفات يا وادغمت فيها يا فعيل
ومريخا للذي في داخل القرن اليابس ويقال بكسر الميم ايضا وعليه ودري في هذه القراة
ودرية ايضا في قول وقال بعضهم وزن دري في هذه القراة فعول كسبوح قدوس

فاستثقل توالي الضم فنقل الى الكسر وهذا منقول ايضا في سُرِّية وذُرِّيَّة واما القراة الثالثة
فتحتمل وجهين احدهما ان يكون اصلها الهمز كقراة حمزة الا انه ابدل من الهمز يا وادغم فيتحد معنى
القراتين وتحتمل ان يكون نسبة الى الدر لصفايه وظهور اشراقها وان كان الكوكب اكثر ضوا
من الدر لكنه يفضل الكواكب بضيايه كما يفضل الدر سا ير الحب واما قراة تشديد اليا مع
فتح الدال وكسرها فالذي يظهر انه منسوب الى الدر والفتح والكسر في الدال من باب تغييرات
النسب واما فتح الدال مع المد والهمز ففيها اشكال قال ابو الفتح وهو بنا عزيز لم يحفظ منه
الا السكينة بفتح القاف وتشديد العين قال شهاب الدين وقد حكى الاخفش فعليه السكينة
والوقار وكوكب دَرِّيء من درائه **قوله** توقد قرا ابن كثير وابو عمرو توقد بزنة تفعل
فعلا ماضيا فيه ضميرا فاعله يعود على المصباح ولا يعود على كوكب لفساد المعنى والاخوان
وابو بكر توقد بضم التا من فوق وفتح القاف مضارع اوقد وهو مبني للمفعول والقايم مقام
الفاعل ضمير يعود على زجاجة فاستتر في الفعل وباقي السبعة كذلك الا انه باليا من تحت والضمير
المستتر يعود على المصباح وقرا الحسن والسلمي وابن محيصن ورويت عن عاصم من طريق المفضل
كذلك الا انه ضم الدال جعله مضارع توقد والاصل تتوقد بتاين فحذف احديهما كتذكر
والضمير ايضا للزجاجة وقرا عبد الله وقد فعلا ماضيا بزنة قتل مشددا اي المصباح وقرا
الحسن وسلام ايضا يوقد باليا من تحت وضم الدال مضارع توقد والاصل يتوقد بيا
من تحت وتا من فوق فحذف التا من فوق هذا شاذ اذ لم يتوال مثلان ولم يبق في اللفظ ما
يدل على المحذوف بخلاف تنزل وتذكر وبابه فان فيه تاين والبا في يدل على ما فقد وقد يتمحل
لصحته وجه من القياس وهو انهم قد حملوا اعد ونعد ويعد على تعد في حذف الواو لوقوعها
بين يا وكسرة فلذلك حملوا يتوقد باليا والتا على نتوقد بتاين وان لم يكن الاستثقال موجودا
في اليا والتا **قوله** من شجرة من لابتدا الغاية وثم مضاف محذوف اي من زيت شجرة
وزيتونة فيها قولان اشهرهما انها بدل من شجرة الثاني انها عطف بيان وهذا مذهب الكوفيين
وتبعهم ابو علي وتقدم هذا في قوله من ماء صديد **قوله** لا شرقيه صفة لشجرة ودخلت
لا لتفيد النفي وقرا الضحاك بالرفع على اضمار مبتدا اي لا هي شرقية والجملة ايضا في محل جر
نعتا لشجرة **قوله** يكاد هذه الجملة ايضا نعت لشجرة **قوله** ولو لم تمسسه نار جوابها
محذوف اي لاضاءت لدلالة ما تقدم عليه والجملة حالية وتقدم تحرير هذا في قولهم ردوا
السايل ولو جا على فرس وانها لاستقصا الاحوال حتى في هذه الحال وقرا ابن عباس والحسن
يمسسه باليا لان التانيث مجازي ولانه قد فصل بالمفعول ايضا **فصل** في كيفية هذا
التمثيل قال جمهور المتكلمين معناه ان هداية الله قد بلغت في الظهور والجلا الى اقصى الغايات
وصار ذلك بمنزلة المشكاة التي يكون فيها زجاجة ما فيه وفي الزجاجة مصباح يتقد بزيت
بلغ النهاية في الصفا **فان قيل** لم شبهه بذلك مع ان ضو الشمس اعظم منه
فالجواب انه تعالى اراد ان يصف الضو الكامل الذي يلوح وسط الظلمة لان الغالب على
اوهام الخلق وخيالاتهم انما هو الشبهات التي هي كالظلمات وهذا المقصود لا يحصل من ضو
الشمس لان ضوها اذا ظهر امتلا العالم من النور الخالص واذا غاب امتلا العالم من الظلمة الخالصة لمعة
فلاجرم كان هذا المثل اليق واوفق **فصل** اعلم ان الامور التي اعتبرها الله تعالى في
هذا المثل توجب كمال الضو فاولها ان المصباح اذا لم يكن في المشكاة تفرقت اشعته اما اذا
وضع في المشكاة اجتمعت اشعته فكانت اشد انارة وتحقق ذلك ان المصباح ينعكس شعاعه
من بعض جوانب الزجاجة الى البعض لما في الزجاجة من الصفا والشفافية فيزداد بسبب

ذلك

ذلك الضو والنور والذي يحقق ذلك ان شعاع الشمس اذا وقع على الزجاجة الصافية تضاعف
الضو الظاهر حتى انه يظهر فيما يقابله مثل ذلك الضو فاذا انعكست تلك الاشعة من كل جانب
من جوانب الزجاجة الى الجانب الاخر كثرت الانوار والاضواء وبلغت النهاية وثانيها
ان ضو المصباح يختلف بحسب اختلاف ما يتقد فيه فاذا كان الدهن صافيا خالصا كانت
حاله بخلاف حاله اذا كان كدرا وليس في الادهان التي توقد ما يظهر فيه من الصفا مثل
الذي يظهر في الزيت فربما يبلغ في الصفا والرقة مبلغ الماء مع زيادة بياض فيه وشعاع
يتردد في اجزايه وثالثها ان الزيت يختلف باختلاف شجرته فاذا كانت لا شرقية ولا غربية
بمعنى انها كانت بارزة للشمس في كل حالاتها يكون زيتونها اشد نضجا فكان زيته اكثر صفا لان
زيادة تاثير الشمس تؤثر في ذلك فاذا اجتمعت هذه الامور وتعاونت صار ذلك الضو خالصا
كاملا فيصلح ان يجعل مثلا لهداية الله تعالى **فصل** قال بعضهم هذه الاية من
المقلوب والتقدير مثل نوره كمصباح في مشكوة لان المشبه به هو الذي يكون معدنا للنور
ومنبعا له وذلك هو المصباح لا المشكاه **فصل** قال مجاهد المشكاة القنديل والمعنى
كمصباح في مشكاة المصباح في زجاجة يعني القنديل قال الزجاج انما ذكر الزجاجة لان
النور وضوءها فيها ابين من كل شيء وضوءه يزيد في الزجاج ثم وصف الزجاجة فقال
الزجاجة كانها كوكب دري والدرء الدفع لان الكواكب تدفع الشياطين من السما وشبهه
حالة الدفع لانه يكون في تلك الحالة اضوا وانور وقيل دري اي طالع يقال درا النجم اذا
طلع وارتفع ويقال هو من درا الكوكب اذا اندفع منقضا فيتضاعف ضوؤه في ذلك الوقت
ويقال درا علينا فلان اي طلع وظهر وقيل الدري اي ضخم مضي ودراري النجوم عظامها وقيل
الكوكب الدري واحد من الكواكب الخمسة العظام وهي زحل والمريخ والمشتري والزهره
وعطارد وقيل الكواكب المضية كالزهرة والمشتري والثوابت التي في العظم الاول فان
قيل لم شبهه بالكوكب ولم يشبهه بالشمس والقمر فالجواب لان الشمس والقمر يلحقهما الخسوف
والكواكب لا يلحقها الخسوف توقد يعني المصباح اي اتقد ويقال توقدت النار اي اتقدت
يعني ان الزجاجة لان الزجاجة لا توقد هذا على قراة من ضم التا وفتح القاف واما على قراة الاخرين
فتوقد يعني المصباح من شجرة مباركة اي من زيت شجرة مباركة فحذف المضاف بدليل
قوله يكاد زيتها يضي واراد بالشجرة المباركة الزيتون وهي كثيرة البركة والنفع لان الزيت
يسرج به وهو اضوا واصفى الادهان وهو ادام وفاكهة ولا يحتاج في استخراجه الى عصار
بل كل احد يستخرجه وقيل اول شجرة نبتت بعد الطوفان وبارك فيها سبعون نبيا منهم
الخليل وجا في الحديث انه مصحه من الباسور وهي شجرة تورق من اعلاها الى اسفلها وقال
عليه السلام كلوا الزيت وادهنوا به فانه من شجرة مباركة وقيل المراد زيتون الشام لانه
في الارض المباركة فلهذا جعل الله هذه الشجرة بانها لا شرقية ولا غربية واستدلوا على
ذلك بوجوه احدها ان الشام وسط الدنيا فلا يوصف شجرها بانها شرقية او غربية
وهذا ضعيف لان من قال الارض كرة لم يثبت للمشرق والمغرب موضعين معينين بل
لكل بلد مشرق ومغرب على حدة لان المثل مضروب لكل من يعرف وقد يوجد في غير الشام كوجوده
فيه وثانيها قال الحسن لانها من شجر الجنة اذ لو كانت من شجر الدنيا لكانت اما شرقية
واما غربية وهذا ايضا ضعيف لانه تعالى انما ضرب المثل بما شاهدوه وهم ما شاهدوا
شجر الجنة وثالثها انها شجرة يلتف بها ورقها التفافا شديدا ولا تصل الشمس اليها سواء كانت
الشمس شرقية او غربية وليس في الشجر ما يورق غصنه من اوله الى اخره مثل الزيتون والرمان

وهذا ايضا ضعيف لان الغرض صفا الزيت وذلك لا يحصل الا بكمال نضج الزيتون وذلك انما
يحصل في العادة بوصول اثر الشمس اليه لا بعدم وصوله ورابعها قال ابن عباس المراد الشجرة
التي تبرز على جبل عالي او صحرا او سعة فتطلع الشمس عليها حالتي الطلوع والغروب وهذا قول
سعيد بن جبير وقتادة وقال الفرا والزجاج لا شرقية وحدها ولا غربية وحدها ولكنها شرقية
وغربية كما يقال فلان لا مسافر ولا مقيم اذا كان لا يسافر ولا يقيم اي تصيبها الشمس عند طلوعها
وعند غروبها فتكون شرقية غربية تاخذ حظها من الامرين فيكون زيتها اضوى كما يقال فلان
ليس باسود ولا ابيض يريد ليس باسود خالص ولا بابيض خالص بل اجتمع فيه الامران وهذا
الرمان ليس بحلو ولا حامض اي اجتمع فيه الحلاوة والحموضة وهذا هو المختار لان الشجرة اذا
كانت كذلك كان زيتها في نهاية الصفا وحينئذ يكون مقصود التمثيل اتم وقيل المراد بالمشكاة
صدر محمد والزجاجة قلب محمد والمصباح ما في قلب محمد من الدين توقد من شجرة مباركة يعني
واتبع ملة ابرهيم والشجرة ابرهيم ثم وصف ابرهيم بقوله لا شرقية ولا غربية اي لا يصلي قبل
المشرق ولا قبل المغرب كاليهود والنصارى بل كان عليه السلام يصلي الى الكعبة ثم قال
يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار لان الزيت اذا كان خالصا صافيا ثم رأي من بعيد يرى
كان له شعاعا فاذا مسته النار ازداد ضوءا على ضوء كذلك قال ابن عباس يكاد قلب
المومن يعمل بالهدى قبل ان ياتيه العلم فاذا جاءه العلم ازداد نورا على نور وهدى على هدى
وقال الضحاك يكاد محمد يتكلم بالحكمة قبل الوحي قال عبد الله بن رواحة لو لم يكن فيه ايات
مبينة كانت بديهته تنبيك بالخبر وقال محمد بن كعب القرظي المشكاة ابرهيم والزجاجة اسمعيل
والمصباح محمد صلى الله عليه وسلم سماه الله مصباحا كما سماه سراجا فقال وسراجا منيرا توقد
من شجرة مباركة وهي ابرهيم عليه السلام وسماه مباركا لان اكثر الانبيا من صلبه لا شرقية ولا
غربية اي لم يكن ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما لان اليهود تصلي قبل المغرب
والنصارى قبل المشرق يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار يكاد محاسن محمد صلى الله عليه وسلم
تظهر للناس قبل ان يوحى اليه نور على نور نبي من نسل نبي نور محمد على نور ابرهيم **قوله** نور على
نور خبر مبتدا مضمر اي ذلك نور وعلى نور صفة لنور والمعنى ان القران نور من الله عز
وجل لخلقه مع ما اقام لهم من الدلايل والاعلام قبل نزول القران فازدادوا بذلك
نورا على نور يهدي الله لنوره من يشا قال ابن عباس لدين الاسلام وهو نور البصيرة
وقيل القران قال ابي ان المومن يتقلب في خمسة انوار قوله نور وعمله نور ومدخله نور
ومخرجه نور ومصيره الى النور واستدل اهل السنة بهذه الاية على صحة مذهبهم
فقالوا انه تعالى بعد ان بين ان هذه الدلايل التي بلغت في الظهور والوضوح الى هذا
الحد الذي لا يمكن الزيادة عليه قال يهدي الله بايضاح هذه الادلة لنوره من يشاء
اي وضوح هذه الدلايل لا يكفي ولا ينفع ما لم يخلق الله الايمان **قوله** ويضرب الله
الامثال للناس بين الاشباه للناس اي للمكلفين تقريبا لافهامهم وتسهيلا لنيل الادراك
والله بكل شيء عليم وهذا كالوعيد لمن لا يعتبر ولا يتفكر في امثاله ولا ينظر في ادلته فيعرف
وضوحها وبعدها عن الشبهات قال المعتزلة قوله تعالى ويضرب الله الامثال للناس
ذكره في معرض النعمة وانما يكون نعمة عظيمة لو امكنهم الانتفاع به وتقدم جوابه **قوله
تعالى** في بيوت اذن الله ان ترفع الاية البا من بيوت تضم وتكسر لغة واعلم ان قوله
في بيوت يقتضي محذوفا يكون فيها وذكروا فيه ستة اوجه احدها ان قوله في بيوت صفة
لمشكاة اي كمشكاة في بيوت اي في بيت من بيوت الله الثاني انه صفة لمصباح وهذا اختيار

اكثر

اكثر المحققين واعترض عليه ابو مسلم بن بحر الاصفهاني من وجهين الاول ان المقصود من
ذكر المصباح المثل وكون المصباح في بيت اذن الله لا يزيد في هذا المقصود لان ذلك
لا يزيد المصباح انارة واضاءة والثاني ان الذي تقدم ذكره فيه وجوه يقتضي كونه
واحدا كقوله كمشكاة وقوله فيها مصباح وقوله في زجاجة وقوله كانها كوكب دري
ولفظ البيوت جمع ولا يصح كون هذا الواحد في كل البيوت واجيب عن الاول ان
المصباح الموضوع في الزجاجة الصافية اذا كان في المساجد كان اعظم وافخم فكان
اضوا فكان التمثيل به اتم واكمل وعن الثاني انه لما كان القصد بالمثل هذا الذي له
هذا الوصف فيدخل تحته كل مشكاة فيها مصباح في زجاجة تتوقد من الزيت فتكون
الفايدة في ذلك ان ضوءه يظهر في هذه البيوت بالليالي عند الحاجة الى عبادة الله تعالى
كقولك الذي يصلح لخدمتي رجل يرجع الى علم وقناعة يلزم بيته لكان وان ذكر بلفظ
الواحد فالمراد النوع فكذا ها هنا الوجه الثالث انه صفة لزجاجة الرابع انه يتعلق
بتوقد اي توقد في بيوت والبيوت هي المساجد قال سعيد بن جبير عن ابن عباس قال
المساجد بيوت الله في الارض وهي تضيء لاهل السما كما تضيء النجوم لاهل الارض وعلى
هذه الاقوال الاربعة لا توقف على عليم الوجه الخامس انه متعلق بمحذوف كقوله
في تسع ايات اي سبحوه في بيوت السادس انه متعلق بيسبح اي يسبح رجال في بيوت
وفيها تكرير للتوكيد كقوله ففي الجنة خالدين فيها وعلى هذين القولين فتوقف على عليم
قوله اذن الله في محل جر صفة لبيوت وان ترفع على حذف الجار اي في ان ترفع
ولا يجوز تعلق في بيوت بقوله ويذكر لانه عطف على ما في خبر ان وما بعد ان لا يتقدم
عليها **فصل** قال اكثر المفسرين المراد بالبيوت ها هنا المساجد قال عكرمة
هي البيوت كلها والاول اولى لان في البيوت ما لا يوصف بان الله اذن ان ترفع وايضا فان
الله تعالى وصفها بالذكر والتسبيح والصلوة وذلك لا يليق الا بالمساجد ثم القايلون بانها
المساجد قال بعضهم بانها اربع مساجد لم يبنها الا نبي الكعبة بناها ابرهيم واسمعيل فجعلاها
قبلة وبيت المقدس بناه داود وسليمن عليهما السلام ومسجد المدينة بناه النبي عليه السلام
ومسجد قبا اسس على التقوى بناه رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله ابن بريده وعن الحسن
ان ذلك بيت المقدس يسرج فيه عشرة الاف قنديل وهذا تخصيص بغير دليل وقال ابن
عباس المراد جميع المساجد كما تقدم **قوله** ان ترفع قال مجاهد تبنى كقوله واذ يرفع ابرهيم
القواعد من البيت وهو مروي عن ابن عباس وقال الحسن والزجاج تعظم وتطهر عن الانجاس
ولغو الافعال وقيل مجموع الامرين ويذكر فيها اسمه قال ابن عباس يتلى فيها كتابه وقيل عام
في كل ذكر **قوله** يسبح له فيها قرا ابن عامر وابو بكر بفتح البا مبنيا للمفعول والقايم مقام
الفاعل احد المجرورات الثلاث والاولى منها بذلك الاولى لاحتياج العامل الى مرفوعه فالذي
يليه اولى ورجال على هذه القراة مرفوع على احد وجهين اما بفعل مقدر لتعذر اسناد الفعل
اليه وكانه جواب سوال مقدر كانه قيل من يسبحه فقيل يسبحه رجال وعليه في احد الوجهين
قول الشاعر ليبك يزيد ضارع لخصومة ومختبط مما تطيح الطوايح كانه قيل من يبكيه
فقيل يبكيه ضارع الا ان في اقتباس هذا خلافا فمنهم من جوزه وقاس عليه ضربت هند زيد اي
ضربها زيد ومنهم من منعه والوجه الثاني في البيت ان يزيد منادى حذف منه حرف الندا
اي يا زيد وهو ضعيف جدا الثاني ان رجال خبر مبتدا محذوف اي المسبحه رجال وعلى هذه القراة
يوقف على الاصال وباقي السبعه بكسر البا مبنيا للفاعل والفاعل رجال فلا يوقف على الاصال

وقرا ابن وثاب وابو حيوه تسبح بالتا من فوق وكسر البا لان جمع التكسير يعامل معاملة المونث في بعض
الاحكام وهذا منها وقرا ابو جعفر كذلك الا انه فتح البا وخرجها الزمخشري على اسناد الفعل
الى الغدو والاصال على زيادة البا كقولهم صيد عليه يوما اي وحشها وخرجها غيره على ان القايم
مقام الفاعل ضمير التسبيحة اي تسبح التسبيحة على المجاز المسوغ لاسناده الى الوقتين كما خرجوا
قراة ابي جعفر ايضا ليجزي قوما اي ليجزي الجزا قوما بل هذا اولى من اية الجاثية اذ ليس هنا مفعول
صريح **فصل** اختلفوا في هذا التسبيح فالاكثرون حملوه على الصلوة المفروضة وهولا منهم من حمله
على صلاة الصبح والعصر فقال كانتا واجبتين في بدء الحال ثم زيد فيهما وقال عليه السلام من صلى
صلاة البردين دخل الجنة وقيل اراد الصلوة المفروضة فالتي تودي بالغداة صلاة الفجر
والتي تودي بالاصال صلاة الظهر والعصر والعشايين لان اسم الاصيل يجمعها والاصال جمع اصيل
وهي العشي وانما وحد الغدو لانه مصدر في الاصل لا يجمع والاصيل اسم يجمع قال الزمخشري بالغدو
اي باوقات الغدو وقيل صلاة الضحى قال عليه السلام من مشى الى صلاة مكتوبة وهو متطهر
فاجره كاجر الحاج المحرم ومن مشى الى تسبيح الضحى لا ينصبه الا اياه فاجره كاجر المعتمر وصلوة على
اثر صلوة لا لغو بينهما كتاب في عليين وقال ابن عباس ان صلاة الضحى لفي كتاب الله يوز بهذه
الاية وقيل المراد منه تنزيه الله تعالى عما لا يليق به في ذاته وفعله لانه قد عطف على ذلك
الصلوة والزكوة فقال عن ذكر الله واقام الصلاة وايتا الزكوة وهذا الوجه اظهر وقرى بالغدو
والايصال وهو الدخول في الاصيل **قوله** لا تلهيهم في محل رفع لرجال خص الرجال بالذكر في هذه
المساجد لانه ليس على النسا جمعه ولا جماعة في المسجد لا تلهيهم تشغلهم تجارة قيل خص التجارة
بالذكر لانها اعظم ما يشتغل به الانسان عن الصلوة والطاعات قال الحسن اما والله انهم كانوا
يتجرون ولكن اذا جاتهم فرايض الله لم يلههم عنها شي فقاموا بالصلوة والزكوة فان قيل البيع
داخل في التجارة فلم اعاد البيع فالجواب من وجوه الاول ان التجارة جنس يدخل تحته انواع الشرا
والبيع وانما خص البيع بالذكر لان الالتها به اعظم لكون الربح الحاصل من البيع معين ناجز
والربح الحاصل من الشرا مشكوك مستقبل الثاني ان البيع تبديل العرض بالنقدين والشرا بالعكس
والرغبه في تبديل النقد اكثر من العكس الثالث قال الفرا التجارة لاهل الجلب يقال تجر فلان
في كذا اذا جلبه من غير بلده والبيع ما باعه على يديه الرابع اراد بالتجارة الشرا وان كان
اسم التجارة يقع على البيع والشرا جميعا لانه ذكر البيع بعده كقوله تعالى واذا راوا تجارة او
لهوا يعني الشرا **قوله** عن ذكر الله عن حضور المساجد لاقامة الصلوات فان قيل فما معنى
قوله واقام الصلوة فالجواب قال ابن عباس المراد باقام الصلوة اقامتها لمواقيتها لان من اخر الصلاة
عن وقتها لا يكون من مقيمي الصلاة ويجوز ان يكون قوله الصلاة تفسير الذكر الله ثم يذكرون
الصلاة قال الزجاج وانما حذفت الها لانه يقال اقمت الصلوة اقامة وكان الاصل اقواما
ولكن قلبت الواو الفا فاجتمعت الفان فحذفت احديهما لالتقا الساكنين فبقي اقمت الصلاة اقاما
فادخلت الها عوضا من المحذوف وقامت الاضافة ههنا في التعريض مقام الها المحذوفة وهذا
اجماع من النحويين **فصل** المراد الصلوات المفروضة لما روى سالم عن ابن عمر انه كان في
السوق فاقيمت الصلاة فقام الناس واغلقوا حوانيتهم فدخلوا المسجد فقال ابن عمر فيهم نزلت هذه
الاية رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وقوله وايتا الزكوة يريد المفروضة
قال ابن عباس اذا حضر وقت اداء الزكوة لم يحبسوها وروي عن ابن عباس ايضا المراد من الزكوة
طاعة الله والاخلاص وهذا ضعيف لانه تعالى علق الزكوة بالايتا وهذا لا يحتمل الا ما يعطى
من حقوق المال **قوله** يخافون يوما يجوز ان يكون نعتا ثانيا لرجال وان يكون حالا من

مفعول

مفعول تلهيهم ويوما مفعول به لا ظرف على الاظهر وتتقلب صفة ليوما **قوله** تتقلب فيه
القلوب والابصار تتقلب القلوب عما كانت عليه في الدنيا من الشرك والكفر وتنفتح الابصار
من الاغطية بعد ان كانت مطبوعة عليها لا تبصر وكلهم انقلبوا من الشرك الى اليقين كقوله
وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وقوله لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاك
فبصرك اليوم حديد وقيل تتقلب القلوب تطمع في النجاة وتخشى الهلاك وتتقلب الابصار
من اي ناحية توخذ من ناحية اليمين ام من ناحية الشمال ومن اي ناحية يعطون كتابهم
امن قبل اليمين ام من قبل الشمال والمعتزلة لا يرضون بهذا التاويل لانهم قالوا ان اهل الثواب
لا خوف عليهم البتة واهل العقاب لا يرجون العفو وقيل ان القلوب تزول من اماكنها فتبلغ
الحناجر والابصار تصير زرقا وقيل تتقلب البصر بشخوصه من هول الامر وشدته وقال
الجبائي تتقلب القلوب والابصار تغير هيئاتها بسبب ما ينالها من العذاب قال ويجوز ان يريد
به تقليبها على جمر جهنم كقوله ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يومنوا به اول مرة **قوله**
ليجزيهم يجوز تعلقه بيسبح اي يسبحون لاجل الجزا ويجوز تعلقه بمحذوف اي فعلوا ذلك ليجزيهم
وظاهر كلام الزمخشري انه من باب الاعمال فانه قال والمعنى يسبحون ويخافون ليجزيهم ويكون
على اعمال الثاني للحذف من الاول وقوله احسن ما عملوا اي ثواب احسن او احسن جزا ما عملوا وما
مصدرية او بمعنى الذي او نكرة **فصل** المراد بالاحسن الحسنات اجمع لانه لا يجازيهم
على مساوي اعمالهم بل يغفرها لهم وقيل يجزيهم جزا احسن ما عملوا على الواحد عشرا الى سبع ماية
ثم قال ويزيدهم من فضله اي ما لم يستحقوه باعمالهم فان قيل هذا يدل على ان لفعل
الطاعة اثرا في استحقاق الثواب لانه تعالى ميز الجزا عن الفضل وانتم لا تقولون بذلك فان
عندكم العبد لا يستحق على ربه شيا قلنا نحن نثبت الاستحقاق بالوعد فذلك القدر هو الذي
يستحق والزايد عليه هو الفضل ثم قال والله يرزق من يشا بغير حساب وذلك تنبيه على كمال
قدرته وكمال جوده وسعة احسانه فكانه تعالى لما وصفهم بالجد والاجتهاد في الطاعة وهم
مع ذلك في نهاية الخوف فالحق سبحانه يعطيهم الثواب العظيم على طاعاتهم ويزيدهم الفضل الذي
لا حد له في مقابلة خوفهم **قوله تعالى** والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة الاية
لما بين حال المومن انه في الدنيا يكون في النور وبسببه يكون متمسكا بالعمل الصالح ثم بين انه
يكون في الاخرة فايزا بالنعيم المقيم والثواب العظيم اتبع ذلك ببيان ان الكافر يكون في الاخرة
في اشد الحسرات وفي الدنيا في اعظم انواع الظلمات وضرب لكل واحد منهما مثلا اما المثل الدال
على حسرته في الاخرة فقوله والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة قال الازهري السراب ما يرى
للعين وقت الضحى في الفلوات تشبيها بالما الجاري وليس بما ولكن الذي ينظر اليه من بعيد
يظنه ما جاريا يقال سرب الما يسرب سروبا اذا جرى فهو سارب وقيل السراب ما يتراى
للانسان في شدة القفر في شدة الحر مما يشبه الما وقيل ما ينكاثف من قعور القيعان قال
الشاعر فلما كففت الحرب كانت عهودكم كلمع سراب في الفلا متالق يضرب به المثل
لمن يظن بشي خيرا فيخلف ظنه وقيل هو الشعاع الذي يرى نصف النهار في شدة الحر في البراري
يخيل للناظر انه الما السارب اي الجاري فاذا قرب منه انفش فلم ير شيا والال ما ارتفع من
الارض وهو شعاع يرى بين السما والارض بالغدوات شبه الملاء يرفع الشخوص يرى فيها الصغير
كبيرا والقصير طويلا والرقراق يكون بالعشايا وهو ما يرقرق من السراب اي جا وذهب **قوله**
بقيعة فيه وجهان احدهما انه متعلق بمحذوف على انه صفة لسراب والثاني انه ظرف والعامل
فيه الاستقرار العامل في كاف التشبيه **والقيعة** بمعنى القاع قاله الزمخشري وهو المنبسط

من الارض وتقدم في طه وقيل بل هي جمعة بكار وجيره قاله الفرا وقرا مسلمة بن محارب بتا ممطوطة
وروي عنه بتا بشكل الهاء ويقف عليها بالهاء وفيها اوجه احدها ان تكون بمعنى قيعة كالعا
وانما اشبع الفتحة فتولد منها الف كقوله • مخزنبق لنباع • قاله صاحب اللوامح والثاني
انه جمع قيعة وانما وقف عليها بالهاء ذهابا به مذهب لغة طي في قولهم الاخوة والاخواه
ودفن البناه من المكرماه اي والاخوات والبنات والمكرمات وهذه القراة توبدان قيعه
جمع قاع الثالث قال الزمخشري وقد جعل بعضهم بقيعاه بتاء مدورة كرجل عزهاه نظاهر
هذا انه جعلهما بنا مستقلا ليس جمعا ولا اشباعا **قوله** يحسبه الظمان جملة في محل
الجر صفة لسراب ايضا وحسن ذلك لتقدم الجار على الجملة هذا ان جعلنا الجار صفة والضماير
المرفوعة في جاءه وفي لم يجده وفي وجد والضماير في عنده وفي وفاه وفي حسابه كلها ترجع
الى الظمان لان المراد به الكافر المذكور اولا وهذا قول الزمخشري وهو حسن وقيل بل
الضميران في جاءه ووجد عايدان على الظمان والباقيه عايده على الكافر وانما افرد الضمير
على هذا وان تقدمه جمع وهو قوله والذين كفروا حملا على المعنى اذ المعنى كل واحد من الكفار
والاول اولى لاتساق الضماير وقرا ابو جعفر وروي عن نافع الظمان بالقاء حركة الهمزة على الميم
فصل قال الزجاج الظمان قد تخفف همزته وهو الشديد العطش ثم وجه
التشبيه ان الذي ياتي به الكافر ان كان من افعال البر فهو لا يستحق عليه ثوابا مع انه يعتقد ان له
ثوابا عليه وان كان من افعال الاثم فهو يستحق عليه العقاب مع انه يعتقد انه ثوابا فكيف
كان فهو يعتقد ان له ثوابا عند الله تعالى فاذا وافا عرصة القيمة ولم يجد الثواب بل وجد
العقاب العظيم عظمت حسرته وتناهى غمه فيشبه حاله حال الظمان الذي تشتد حاجته الى
السراب وتعلق قلبه به ويرجوا به النجاة ويقوى طمعه فاذا جاءه وايس مما كان يرجوه عظم ذلك
عليه قال مجاهد السراب عمل الكافر واتيانه اياه موته ومفارقته الدنيا **فان قيل**
قوله حتى اذا جاءه يدل على كونه شيا وقوله لم يجده شيا مناقض له **فالجواب** من وجوه
الاول معناه لم يجد شيا نافعا كما يقال فلان ما عمل شيا وان كان قد اجتهد الثاني اذا
جاءه اي جا موضع السراب لان السراب يرى من بعيد بسبب الكثافة كانه ضباب وهبا فاذا
قرب منه رق وانتشر وصار كالهوا **قوله** ووجد الله عنده اي وجد عقاب الله عنده
الذي توعد به الكافر وقيل وجد الله عنده اي عند عمله اي وجد الله بالمرصاد وقيل
قدم على الله فوفاه حسابه اي جزا عمله قيل نزلت في عتبة بن ربيعة بن امية كان قد تعبد
ولبس المسوح والتمس الدين في الجاهلية ثم كفر في الاسلام **قوله** والله سريع الحساب قال
بعض المتكلمين لانه تعالى عالم بجميع المعلومات فلا يشق عليه الحساب وقال بعض المتكلمين معناه
لا يشغله محاسبة احد عن اخر كنحن ولو كان يتكلم بالة كما تقول المشبهة لما صح ذلك **قوله**
تعالى او كظلمات هذا مثل اخر ضربه الله تعالى لاعمال الكفار وفي هذا العطف اوجه
احدها انه نسق على كسراب على حذف مضاف واحد تقديره او كذي ظلمات ودل على هذا
المضاف قوله اذا اخرج يده لم يكد يراها فالكناية تعود الى المضاف المحذوف وهو قول ابي علي
الثاني انه على حذف مضافين تقديره او كاعمال ذي ظلمات فتقدر ذي ليصح عود الضمير اليه
في قوله اذا اخرج يده وتقدر اعمال ليصح تشبيه اعمال الكفار باعمال صاحب الظلمة اذ لا معنى
لتشبيه العمل بصاحب الظلمة الثالث انه لا حاجة الى حذف البتة والمعنى انه شبه اعمال الكفار
في حيلولتها بين القلب وما يهتدي به بالظلمة واما الضميران في اخرج يده فيعودان على محذوف
دل عليه المعنى اي اذا اخرج يده من فيها واو هنا للتنويع لا للشك وقيل بل هي للتخيير اي شبهوا

اعالم

اعمالهم بهذا او بهذا وقرا سفين بن حسين او كظلمات بفتح الواو وجعلها عاطفة دخلت عليها
همزة الاستفهام التي معناه التقرير وقد تقدم ذلك في قوله او امن اهل القرى **قوله**
في بحر لجي في بحر صفة لظلمات فيتعلق بمحذوف واللجي منسوب الى اللج وهو معظم البحر قاله الزمخشري
وقال غيره منسوب الى اللجة بالتاء وهي ايضا معظمه فاللجي هو العميق الكثير الما وفيه لغتان
كسر اللام وضمها **قوله** يغشاه موج صفة اخرى لبحر هذا اذا اعدنا الضمير في يغشاه على
بحر وهو الظاهر وان قدرنا مضافا محذوفا اي او كذي ظلمات كما فعل بعضهم كان الضمير في
يغشاه عايدا عليه وكانت الجملة حالا منه لتخصيصه بالاضافة او صفة له **قوله** من فوقه
موج يجوز ان يكون هذه جملة من مبتدا وخبر صفة لموج الاول ويجوز ان يجعل الوصف الجار
والمجرور فقط وموج فاعل به لاعتماده على الموصوف **قوله** من فوقه سحاب فيه الوجهان
المذكوران قبله من كون الجملة صفة لموج الثاني او الجار فقط **قوله** ظلمات قرا العامة
بالرفع وفيه وجهان اجودهما ان يكون خبر مبتدا مضمر تقديره هذه او تلك ظلمات الثاني
ان يكون ظلمات مبتدا والجملة من قوله بعضها فوق بعض خبره • ذكره الحوفي وفيه نظر لانه لا
مسوغ للابتدا بهذه النكرة اللهم الا ان يقال انها موصوفة تقديرا اي ظلمات كثيرة متكاثفة
كقولهم السمن منوان بدرهم وقرا ابن كثير ظلمات بالجر الا ان البزي روى عنه حينيذ حذف التنوين
من سحاب فقرا البزي عنه سحاب ظلمات باضافة سحاب لظلمات وروى قنبل عنه التنوين في
سحاب كالجماعة مع جره لظلمات فاما رواية البزي فقال ابو البقا جعل الموج المتراكم بمنزلة
السحاب واما رواية قنبل فانه جعل ظلمات بدلا من ظلمات الاولى **قوله** بعضها فوق بعض
جملة من مبتدا وخبر في موضع رفع او جر على حسب القراتين في ظلمات قبلها لانها صفة لها وجوز
الحوفي على قراة رفع ظلمات في بعضها ان يكون بدلا من ظلمات ورد عليه من حيث المعنى اذ المعنى
على الاخبار بانها ظلمات وان بعض تلك الظلمات فوق بعض وصفا لها بالتراكم لان المعنى
ان بعض تلك الظلمات فوق بعض من غير اخبار بان تلك الظلمات السابقة ظلمات متراكمة وفيه
نظر اذ لا فرق بين قولك بعض الظلمات فوق بعض وبين قولك الظلمات بعضها فوق بعض وان
تخيل ذلك في بادي الراي **قوله** اذا اخرج يده لم يكد يراها تقدم الكلام في كاد وان بعضهم
زعم ان نفيها اثبات واثباتها نفي وتقدمت ادلة ذلك في البقرة عند قوله وما كادوا يفعلون
وقال الزمخشري هنا لم يكد يراها مبالغة في لم يرها اي لم يقرب ان يراها ومنه قول ذي الرمة
• اذا غير النايي المحبين لم يكد • رسيس الهوى من حب مية يبرح • اي لم يقرب من البراح فما
باله يبرح وقال ابو البقا اختلف الناس في تاويل هذا الكلام ومنشا الاختلاف فيه ان موضع
كاد اذا نفيت وقوع الفعل واكثر المفسرين على ان المعنى انه لا يرى يده فعلى هذا في التقدير
ثلاثة اوجه احدها ان التقدير لم يرها ولم يكد ذكره جماعة من النحويين وهذا خطا لان قوله
لم يرها جزم بنفي الروية وقوله لم يكد اذا اخرجها على مقتضى الباب كان التقدير ولم يكد يراها
كما هو مصرح به في الاية فان اراد هذا القايل انه لم يكد يراها وانه راها بعد جهد تناقض
لانه نفى الروية ثم اثبتها وان كان معنى لم يكد يراها لم يرها البتة على خلاف الاكثر في هذا الباب
فينبغي ان يحمل عليه من غير ان يقدر لم يرها والوجه الثاني قال الفرا ان كاد زايدة وهو بعيد
الثالث ان كاد خرجت هاهنا على معنى قارب والمعنى لم يقارب رويتها واذا لم يقاربها باعدها
وعليه جا قول ذي الرمة في البيت المتقدم اي لم يقارب البراح ومن هاهنا حكي عن ذي الرمة
انه لما روجع في هذا البيت قال لم اجد بدل لم يكد والمعنى الثاني انه راها بعد جهد والتشبيه على
هذا صحيح لانه مع شدة الظلمة اذا احد نظره الى يده وقربها من عينه راها انتهى اما الوجه

الاول وهو ما ذكره انه قول الاكثرين انه يكون نفيها اثباتا فقد تقدم انه غير صحيح وليس هو قول
الاكثر وانما غرهم في ذلك اية البقرة وما انشد بعضهم وهو انحوي هذا العصر ما هي لفظة ابتيت
واما ما ذكره من زيادة كاد فهو قول ابي بكر وغيره ولكنه مردود عندهم واما ما ذكره من المعنى
الثاني وهو انه راها بعد جهد فهو مذهب الفرا والمبرد والعجب كيف يعدل عن المعنى الذي اشار
اليه الزمخشري وهو المبالغة في نفي الروية وقال ابن عطية ما معناه اذا كان الفعل بعد
كاد منفيا دل على ثبوته نحو كاد زيد لا يقوم او مثبتا دل على نفيه نحو كاد زيد يقوم ونقول كاد
النعام يطير فهذا يقتضي نفي الطيران عنه فاذا قلت كاد النعام ان لا يطير وجب الطيران له
واذا تقدم النفي على كاد احتمل ان يكون موجبا وان يكون منفيا تقول المفلوج لا يكاد يسكن فهذا
تضمن نفي السكون وتقول رجل منصرف لا يكاد يسكن فهذا تضمن ايجاب السكون بعد جهد **فصل**
اعلم ان الله تعالى بين ان اعمال الكفار ان كانت حسنة فمثلها السراب وان كانت قبيحة فهي
الظلمات وفيه وجه اخر وهو ان اعمالهم اما كسراب بقيعة وذلك في الاخرة واما كظلمات في بحر
وذلك في الدنيا وقيل ان الاية الاولى في ذكر اعمالهم وانهم لا يحصلون منها على شي والاية الثانية
في ذكر عقايدهم فانها تشبه الظلمات كما قال يخرجهم من الظلمات الى النور اي من الكفر الى الايمان
يدل عليه قوله تعالى ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور **فصل** واما تقرير المثل
فهو ان البحر اللجي يكون قعره مظلما جدا بسبب غور الما فاذا ترادفت عليه الامواج ازدادت
الظلمة فاذا كانت فوق الامواج سحاب بلغت الظلمة النهاية القصوى فالواقع في قعر هذا البحر
اللجي يكون في نهاية شدة الظلمة ولما كانت العادة في اليد انها من اقرب ما يراها وابعد ما يظن
انه لا يراها فقال تعالى اذا اخرج يده لم يكد يراها فبين سبحانه بهذا بلوغ تلك الظلمة التي هي اقصى
النهايات ثم شبه الكافر في اعتقاده وهو ضد المومن في قوله تعالى نور على نور وفي قوله يسعى
نورهم بين ايديهم وبايمانهم ولهذا قال ابي بن كعب الكافر يتقلب في خمس من الظلم كلامه ظلمة
وعمله ظلمة ومدخله ظلمة ومخرجه ظلمة ومصيره الى الظلمات الى النار وفي كيفية هذا التشبيه
وجوه الاول قال الحسن ان الله تعالى ذكر ثلاثة انواع من الظلمات ظلمة البحر وظلمة الامواج وظلمة
السحاب كذا الكافر له ظلمات ثلاث ظلمة الاعتقاد وظلمة القول وظلمة العمل الثاني قال ابن
عباس شبه قلبه وسمعه وبصره بهذه الظلمات الثلاث الثالث ان الكافر لا يدري ولا يدري
انه لا يدري ويعتقد انه يدري فهذه المراتب الثلاث شبه تلك الظلمات الثلاث الرابع
قلب مظلم في صدر مظلم في جسد مظلم الخامس ان هذه الظلمات متراكمة فكذا الكافر لشدة
اصراره على كفره قد تراكمت عليه الضلالات حتى لو ذكر عنده اظهر الدلايل لم يفهمه **قوله**
ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور قال ابن عباس من لم يجعل الله له دينا وايمانا فلا
دين له وقيل من لم يهده الله فلا ايمان له ولا يهديه احد قال اهل السنة انه تعالى لما
وصف هداية المومن بانها في نهاية الجلا والظهور عقبها بان قال يهدي الله لنوره من يشاء
ولما وصف اضلاله الكافر بانها في نهاية الظلمة عقبه بقوله ومن لم يجعل الله له نورا فما له
من نور والمراد من ذلك ان يعرف الانسان ان ظهور الدلايل لا يفيد الايمان وظلمة الطريق
لا تمنع منه فان الكل مربوط بخلق الله وهدايته وتكوينه قال القاضي قوله ومن لم يجعل الله
له نورا اي في الدنيا بالالطاف فما له من نور اي لا يهتدي فيتحير وتقدم الكلام عليه **قوله
تعالى** الم تر ان الله يسبح له من في السموات والارض الاية لما وصف انوار قلوب المومنين
وظلمات قلوب الجاهلين اتبع ذلك بدلايل التوحيد والمعنى الم تعلم لان التسبيح لا يرى بالبصر
بل يعلم بالقلب وهذا استفهام والمراد به التقرير والبيان قال ابن الخطيب اما ان يكون

المراد

المراد من هذا التسبيح دلالة بخلق هذه الاشيا على كونه تعالى منزها عن النقايص موصوفا
بنعوت الجلال او يكون المراد منه في حق البعض الدلالة على التنزيه وفي حق الباقين النطق باللسان
والاول اقرب لان القسم الثاني متعذر لان في الارض من لا يكون مكلفا لا يسبح بهذا المعنى
والمكلفون منهم من لا يسبح ايضا بهذا المعنى كالكفار واما القسم الثاني وهو ان يقال ان من
في السموات وهم الملايكة يسبحون باللسان واما الذين في الارض فمنهم من يسبح على سبيل الدلالة
فهذا يقتضي استعمال اللفظ الواحد في الحقيقة والمجاز معا وهو غير جايز فلم يبق الا القسم الاول
وهو ان هذه الاشيا مشتركة في ان اجسامها وصفاتها دالة على تنزيه الله تعالى وقدرته والاهيته
وتوحيده وعدله فسمي ذلك تنزيها توسعا فان قيل فالتسبيح بهذا المعنى حاصل لجميع المخلوقات
فما وجه تخصيصه هاهنا بالعقلا قلنا لان خلقة العقلا اشد دلالة على وجود الصانع سبحانه
لان العجايب والغرايب في خلقهم اكثر وهي العقل والنطق والفهم **قوله** والطير قرا العامة
والطير رفعا صافات نصبا فالرفع عطف على من والنصب على الحال وقرا الاعرج والطير
نصبا على المفعول معه وصافات حالا ايضا وقرا الحسن وخارجة عن نافع والطير صافات
برفعهما على الابتدا والخبر ومفعول صافات محذوف اي اجنحتها **قوله** كل قد علم صلاته
في هذه الضماير اقوال احدها انها كلها عايدة على كل اي كل قد علم هو صلاة نفسه وتسبيحها وهذا
اولى ليوافق الضماير الثاني ان الضمير في علم عايد على الله تعالى وفي صلاته وتسبيحه عايد على كل
ويدل عليه قوله والله عليم بما يفعلون الثالث بالعكس اي علم كل صلاة الله وتسبيحه اي اللذين
امر بهما وبان يفعلا كاضافة الخلق الى الخالق وعلى هذا فقوله والله عليم استيناف ورجح
ابو البقا ان لا يكون الفاعل ضمير كل قال لان القراة برفع كل على الابتدا فيرجع ضمير الفاعل
اليه ولو كان فيه ضمير اسم الله لكان الاولى نصب كل لان الفعل الذي بعدها قد نصب ما
هو من سببها فيصير كقولك زيدا ضرب عمرو غلامه فتنصب زيدا بفعل دل عليه ما بعده وهو
اقوى من الرفع والاخر جايز قال شهاب الدين وليس كما ذكر من ترجيح النصب على الرفع في
هذه الصورة ولا في هذه السورة بل نص النحويون على ان مثل هذه الصورة يرجح رفعها
بالابتدا على نصبها على الاشتغال لانه لم يكن ثم قرينة من القراين التي جعلوها مرجحة للنصب
والنصب يحوج الى اضمار والرفع لا يحوج اليه فكان ارجح وقرات فرقة علم صلوته وتسبيحه
بالرفع وبنا الفعل للمفعول الذي لم يسم فاعله ذكرها ابو حاتم **فصل** وجه اتصال
هذا بما قبله انه تعالى لما ذكر ان اهل السموات والارض يسبحون ذكر ان المستقرين في الهوي الذي
هو بين السما والارض وهم الطير يسبحون وذلك ان اعطا الجرم الثقيل القوة التي بها يقوى على الوقوف
في جو السما صافة باسطة اجنحتها بما فيها من القبض والبسط من اعظم الدلايل على قدرة الصانع
المدبر سبحانه وجعل طيرانها سجودا منها له سبحانه وذلك يويد ان المراد من التسبيح دلالة
هذه الامور على التنزيه لا النطق اللساني وقال ابو ثابت كنت جالسا عند ابي جعفر الباقر
فقال لي اتدري ما تقول هذه العصافير عند طلوع الشمس وبعد طلوعها قال فانهن يقدسن
ربهن ويسالنه قوت يومهن واستبعد المتكلمون ذلك فقالوا الطير لو كانت عارفة بالله
لكانت كالعقلا الذين يفهمون كلامنا واشارتنا لكنها ليست كذلك فانا نعلم بالضرورة بانها
اشد نقصانا من الصبي الذي لا يعرف هذه الامور فبان تمتنع ذلك فيها اولى واذا ثبت انها
لا تعرف الله استحال كونها مسبحة له بالنطق فثبت انها لا تسبح الله الا بلسان الحال كما تقدم
قال بعض العلما انا نشاهد من الطيور وساير الحيوانات اعمالا لطيفة يعجز عنها اكثر العقلا
واذا كان كذلك فلم لا يجوز ان يلهمها معرفته ودعاه وتسبيحه وبيان انه سبحانه الهمها الاعمال

اللطيفة وجوه احدها ان الدب يرمي بالحجارة و ياخذ العصا و يرمي الانسان حتي يتوهم انه مات
فيتركه و ربما عاود ديمته ويتجسس نفسه ويصعد الشجر اخف صعود ويهشم الجوز بين كفيه تعريضا
بالواحدة وصدمه بالاخري ثم ينفخ فيه فيذر قشره ويتغذي به ويحكي عن الفارسي مرتقته امورا
عجيبة وثانيها امر النحل وما لها من الرياسة والبيوت المسدسة التي لا يتمكن من بنايها افاضل
المهندسين وثالثها انتقال الكراكي من طرف من اطراف العالم الي الطرف الاخر طلبا لما يوافقها من
الاهوية ويقال من خواص الخيل ان كل واحد يعرف صوت الفرس الذي قاتله وقتا ما والفهد اذا
سقي وشرب من الدوا المعروف بخانق الفهد عمد الي زبل الانسان لياكله والتماسيح تفتح افواهها
لطاير يقع عليها يقال له القطقاط وينظف ما بين اسنانها وعلي راس ذلك الطاير كالشوكة فاذا
هم الانسان بالتقام ذلك الطير تاذي من تلك الشوكة فيفتح فاه فيخرج ذلك الطاير والسلحفاة
تتناول بعد اكل الحية صعترا جبليا ثم يعود من ذلك وحكي بعض الثقات المجربين للصيد انه
شاهد الحباري تقاتل الافعي وتنهزم عنه الي بقلة تتناول منها ثم تعود ولا تزال كذلك وكان
ذلك الشخص قاعدا في كن وكانت البقلة قريبة من مسكنه فلما اشتغل الحباري قلع البقلة فعاد
الحباري الي منبتها فلم يجدها واخذ يدور حول منبتها دورانا متتابعا حتي خر ميتا فعلم الشخص
انه يعالج باكلها من اللسعة وتلك البقلة هي الجرجير البري وابن عرس يستظهر في الحية باكل السذاب
فان النكهة السذابية تنفر عنها الافعي والكلاب اذا دودت بطونها اكلت سنبل القمح واذا
جرحت اللقالق بعضها بعضا داوت الجراحة بالصعتر الجبلي والقنافذ تحس بالشمال
والجنوب قبل الهبوب فتغير المدخل الي جحرها وكان رجل بالقسطنطينية قد اثري بسبب انه
ينذر بالرياح قبل هبوبها وينتفع الناس بانذاره وكان السبب فيه قنفذ في داره يفعل الصنيع
المذكور فيستدل به والخطاف صناع في اتخاذ العش من الطين وقطع الخشب فان اعوزه الطين
ابتل وتمرغ في التراب ليحمل جناحاه قدرا من الطين واذا فرخ بالغ في تعهد الفراخ ويأخذ
ذرقها بمنقاره ويرميها عن العش واذا دنا الصيد من مكان فراخ الصيحة ظهر له الصيحة
وقربت مطمعة له ليتبعها ثم تذهب الي جانب اخر سوي جانب الفراخ وناقر الخشب قلما
يقع علي الارض بل علي الشجر ينقر الموضع يعلم ان فيه دودا والغرانيق تصعد في الجو عند الطيران
فان حجب بعضها عن بعض سحاب او ضباب احدثت عن اجنحتها حفيفا مسموعا يتبع به بعضهم
بعضا واذا باتت علي جبل فانها تضع روسها تحت اجنحتها الا القايد فانه ينام مكشوف الراس
فيسرع انتباهه واذا سمع جرسا صاح وحال النمل في الذهاب الي مواضعها علي خط مستقيم
يحفظ بعضها بعضا امر عجيب واذا كشف عن بيوتهم الساتر الذي كان يستره وكان تحته بيض
لهم فان كل نملة تاخذ بيضة في فمها وتذهب في اسرع وقت والاستقصا في هذا الباب مذكور
في كتاب طبايع الحيوان والمقصود من ذلك ان الفضلا من العقلا يعجزون عن امثال هذه الحيل
واذا كان كذلك فلم لا يجوز ان يقال انها تسبح الله وتثني عليه وان كانت غير عارفة بساير الامور
التي يعرفها الناس ويويد هذا قوله تعالى ولكن لا تفقهون تسبيحهم ثم قال والله عليم بما
يفعلون قرا الجمهور بالياء من تحت علي المبالغة في وصف قدرة الله تعالى وعلمه بخلقه وقرا عيسى
والحسن بالتاء من فوق فتنبيه المعني المذكور وزيادة الوعيد والتخويف من الله تعالى وفي مصحف
ابي وابن مسعود والله بصير بما تفعلون **قوله تعالى** ولله ملك السموات والارض
تنبيه علي ان الكل منه لان كل ما سواه ممكن ومحدث والممكن والمحدث لا يوجد الا عند الانتهاء الي القديم
الواجب ويدخل في هذا جميع الاجرام والاعراض وافعال العباد واحوالهم وخواطرهم وقوله والي
الله المصير وهذا دليل علي المعاد وانه لا بد من مصير الكل اليه **قوله تعالى** الم تر ان

الله يزجي سحابا الاية هذه الروية بصرية والازجا السوق قليلا قليلا ومنه البضاعة المزجاة التي
يزجيها كل احد وازجا السير في الابل الرفق حتي تسير سيرا سيرا **قوله** بينه انما دخلت بين علي
مفرد وهي انما تدخل علي مثنى فما فوقه لانه اما ان يراد بالسحاب الجنس فعاد الضمير عليه علي حكمه
واما ان يراد حذف مضاف اي بين قطعه فان كل قطعة سحابة قال ابن عطية بين مقتضية لسحاب
لان مفهوم السحاب يقتضي ان بينه فروجا وورش عن نافع لا يهمز يولف وقالون عن نافع والباقون
يهمزون يولف **قوله** ثم يجعله ركاما اي متراكما يركب بعضها علي البعض ويتكاثف والركب تقول
ان الله تعالى اذا جعل السحاب ركاما بالريح عصر بعضه بعضا فيخرج الودق منه ومن ذلك قوله
تعالى وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا ومن ذلك قول حسان بن ثابت كلتاهما حلب العصر فعاطني بزجاجة
ارخاهما للمفصل وروي للانفصل بكسر الميم وفتح الصاد فالمفصل واحد المفاصل والمفصل اللسان
وروي بالقاف اراد حسان الخمر والما الذي مزجت اي من عصير العنب وهذه من عصير السحاب
نقله ابن عطية وقال اهل الطبايع ان تكون السحاب والمطر والثلج والبرد والطل والصقيع في
اكثر الامر يكون من تكاثف البخار وفي الاقل من تكاثف الهوي اما الاول فالبخار الصاعد ان كان
قليلا وكان في الهوي من الحرارة ما يحلل ذلك البخار فحينيذ يتحلل وينقلب هوا وان كان البخار كثيرا ولم
يكن في الهوي من الحرارة ما يحلله فتلك الابخرة المتصاعدة اما ان تبلغ في صعودها الي الطبقة الباردة
من الهوي او لا تبلغ فان بلغت فاما ان يكون البرد قويا او لا يكون فان لم يكن البرد هناك قويا
تكاثف ذلك البخار بذلك القدر من البرد واجتمع وتقاطر فالبخار المجتمع هو السحاب والمتقاطر
هو المطر والديمة والوابل انما يكون من امثال هذه الغيوم وان كان البرد شديدا فلا يخلو اما
ان يصل البرد الي الاجزا البخارية قبل اجتماعها وانحلالها حبات كبارا او بعد صيرورتها كذلك فان
كان علي الوجه الاول نزل ثلجا وان كان علي الوجه الثاني نزل بردا وان لم تبلغ الابخرة الي الطبقة
الباردة فاما ان تكون كثيرة او قليلة فان كانت كثيرة فقد تنعقد سحابا ماطرا وقد لا تنعقد
اما الاول فلاسباب خمسة احدها اذا منع هبوب الرياح عن تصاعد تلك الابخرة وثانيها
ان تكون الرياح ضاغطة اياها الي الاجتماع بسبب وقوف جبال قدام الريح وثالثها ان يكون هناك
رياح متقابلة متصادمة فتعود الابخرة حينيذ ورابعها ان يعرض للبخار المتقدم وقوف لثقله
وبطو حركته فيلتصق به ساير الاجزا الكثيرة المدد وخامسها لشدة برد الهوي القريب من الارض
وقد نشاهد البخار يصعد في بعض الجبال صعودا يسيرا حتي كانه مكبة موضوعة علي وهدة ويكون
الناظر اليها فوق تلك الغمامة والذين يكونون تحت الغمامة يمطرون والذين يكونون فوقها يكونون
في الشمس وان كانت الابخرة القليلة الارتفاع قليلة لطيفة فاذا ضربها برد الليل وكثفها
فانها تصير ماء محسوسا ينزل نزولا متفرقا لا يحس به الا عند اجتماع شي يعتد به فان لم يجمد كان طلا
وان جمد كان صقيعا ونسبة الصقيع الي الطل نسبة الثلج الي المطر والجواب انا دللنا
علي حدوث الاجسام وتوسلنا بذلك الي كونه قادرا مختارا يمكنه ايجاد الاجسام فلا يتعطع بما ذكر
وايضا فهب ان الامر كما ذكرتم ولكن الاجسام بالاتفاق ممكنة في ذواتها فلا بد لها من مؤثر
ثم انها متماثلة فاختصاص كل واحد منها بصفته المعينة من الصعود والهبوط واللطافة والكثافة
والحرارة والبرودة لا بد له من مخصص فاذا كان هو سبحانه خالقا لتلك الطبايع فتلك الطبايع
في هذه الاحوال لا بد لها من سبب وخالق السبب خالق المسبب فكان سبحانه هو الذي يزجي
سحابا لانه هو الذي خلق تلك الطبايع المحركة لتلك الابخرة من باطن الارض الي جو الهوي ثم تلك الابخرة
ترادفت في صعودها والتصق بعضها بالبعض فهو سبحانه هو الذي جعلها ركاما فعلي جميع التقديرا
توجه الاستدلال بهذه الاشيا علي القدرة والحكمة **قوله** فتري الودق يخرج من خلاله تقدم

الخلاف في خلال هل هو مفرد كحجاب ام جمع كجبال جمع جبل ويؤيد الاول قراءة ابن مسعود والضحاك
ويروى عن ابي عمرو ايضا من خلله بالافراد وقرأ عاصم والاعرج وينزّل على المبالغة والجمهور على
التخفيف **والودق** قيل هو المطر ضعيفا كان او شديدا قال •
• فلا مزنة ودقت ودقها ولا ارض ابقل ابقالها • وقيل هو البرق وانشد
• اثرن عجاجة وخرجن منها خروج الودق من خلل السحاب • والودق في الاصل مصدر
يقال ودق السحاب يدق ودقا ويخرج حال لان الرؤية بصرية **قوله** من السما من جبال
فيها من برد من لابتداء الغاية اتفاقا لان ابتداء الانزال من السما واما الثانية ففيها ثلاثة
اوجه احدها انها لابتداء الغاية ايضا فهي ومجرورها بدل من الاولى باعادة العامل والتقدير
وينزل من جبال السماء اي من جبال فيها فهو بدل اشتمال الثاني انها للتبعيض قاله الزمخشري وابن
عطية لان جنس تلك الجبال من جنس البرد فعلى هذا هي ومجرورها في موضع مفعول الانزال كانه
قال وينزل بعض جبال الثالث انها زائدة اي ينزل من السما جبالا وقال الحوفي من جبال بدل
من الاولى ثم قال وهي للتبعيض ورده ابو حيان بانه لا يستقيم البدلية الا بتوافقهما معنى لو قلت
خرجت من بغداد من الكرخ لم تكن الاولى والثانية الا لابتداء الغاية واما الثالثة ففيها اربعة
اوجه الثلاثة المتقدمة والرابع انها لبيان الجنس قاله الحوفي والزمخشري فيكون التقدير على
قولها وينزل من السماء بعض جبال التي هي البرد فالمنزل برد لان بعض البرد برد ومفعول ينزل
برد من جبال كما تقدم تقريره وقال الزمخشري او الاوليان للابتدا والثالثة للتبعيض يعني انه
الخلاف بدل من الاولى كما تقدم تقريره وحينئذ يكون مفعول ينزل هو الثالثة مع مجرورها والتقدير
وينزل بعض برد من السما من جبالها واذا قيل بان الثانية والثالثة زائدتان فهل مجرورهما
في محل نصب والثاني بدل من الاول والتقدير وينزل من السما جبالا بردا فيكون بدل كل من
كل او بعض من كل او الثاني في محل نصب مفعولا لينزل والثالث في محل رفع على الابتدا وخبره
الجار قبله خلاف الاول قول الاخفش والثاني قول الفرا صفة لجبال فيحكم على موضعها بالجر اعتبارا
باللفظ او بالنصب اعتبارا بالمحل فيجوز ان يكون فيها وحده هو الوصف ويكون من برد
فاعلا به لاعتماده اي استقر فيها برد وقال الزجاج معناه وينزل من السما من جبال
برد فيها كما يقول هذا خاتم في يدي من حديد اي خاتم حديد في يدي وانما جئت في
هذا وفي الاية بمن لما فرقت ولانك اذا قلت هذا خاتم من حديد وخاتم من حديد كان
المعنى واحدا انتهى فيكون من برد في موضع جر صفة لجبال كما كان من حديد صفة لخاتم ويكون
مفعول ينزل من جبال ويلزم من كون الجبال بردا ان يكون المنزل بردا وقال ابو البقا
والوجه الثاني ان التقدير شيئا من جبال فحذف الموصوف واكتفى بالصفة وهذا الوجه
هو الصحيح لان قوله فيها من برد يحوجك الى مفعول يعود الضمير اليه فيكون تقديره وينزل
من جبال السماء جبالا فيها برد وفي ذلك زيادة حذف وتقدير مستغنى عنه وفي كلامه
نظر لان الضمير له شيء يعود عليه وهو السما فلا حاجة الى تقدير شيء اخر لانه مستغنى عنه
وليس ثم مانع يمنع من عوده على السماء وقوله اخرا وتقديره مستغنى عنه يا في قوله وهذا
الوجه هو الصحيح والضمير في به يجوز ان يعود على البرد وهو الظاهر ويجوز ان يعود على الود
ق والبرد معا جريا بالضمير مجرى اسم الاشارة كانه قيل فيصيب بذلك وقد تقدم نظيره •
فصل قال ابن عباس اخبر الله ان في السماء جبالا من برد ثم ينزل منها ما شا وهو قول
اكثر المفسرين وقيل المراد بالسما هو الغيم المرتفع سمي بذلك لسموه وارتفاعه وانه تعالى انزل
من الغيم الذي هو سما البرد واراد بقوله من جبال السحاب العظام لانها اذا عظمت شبهت بالجبال

كما

كما يقال فلان يملك جبالا من مال ووصف بذلك توسعا وذهبوا الى ان البرد ما جامد خلقه
الله في السحاب ثم انزل الى الارض وقال بعضهم انما سمي ذلك الغيم جبالا لانه سبحانه خلقها
من البرد وكل جسم متحجر فهو من الجبال ومنه قوله تعالى خلقكم والجبلة الاولين قال المفسرون
والاول اولى لان السما اسم لهذا الجسم المخصوص فتسمية السحاب سما بالاشتقاق مجاز وكما يصح ان
يجعل الما في السحاب ثم ينزله بردا فقد يصح في القدرة جعل هذين الامرين في السماء فلا وجه
لترك الظاهر **قوله** فيصيب به من يشا اي بالبرد من يشا فيهلك زرعه وامواله ويصرفه
عن من يشا اي يصرف ضرره عن من يشا بان لا يسقطه عليه **قوله** يكاد سنا برقه العامة على قصر
سنا وهو الضوء وهو من ذوات الواو ويقال سنا يسنو سنا اي اضا يضيء قال امرؤ القيس
• يضيء سناه او مصابيح راهب • والسناء بالمد الرفعة قال • وسن كسنيق سناء وسنما •
وقرأ ابن وثاب سناء برقه بالمد وبضم البا من برقه وفتح الرا وروي عنه ضم الرا ايضا
فاما قراءة المد فانه شبه المحسوس من البرق لارتفاعه في الهوى بغير المحسوس من الانسان
فاما برقه فجمع برقة وهي المقدار من البرق كغرفة وغرف ولقمة ولقم واما ضم الرا فاتباع
كظلمات بضم اللام اتباعا لضم الظا وان كان اصلها السكون وقرأ العامة ايضا يذهب
بفتح اليا والها وابو جعفر بضم اليا وكسر الها من اذهب وقد خطأ هذه القراءة الاخفش
وابو حاتم قالا لان البا تعاقب الهمزة وليس ردهما بصواب لانها تتخرج على ما خرج وما قرئ
به في المتواتر تنبت بالدهن من ان البا مزيدة او ان المفعول محذوف والبا بمعنى من تقديره
يذهب النور من الابصار كقوله • شرب النزيف ببرد ماء الحشرج • **فصل** المعنى
يكاد ضوء برق السحاب يذهب بالابصار من شدة ضوئه واعلم ان البرق الذي صفته
كذلك لابد وان يكون نارا عظيمة خالصة والنار ضد الما والبرد فظهوره يقتضي ظهور الضد
من الضد وذلك لا يمكن الا بقدرة قادر حكيم ثم قال يقلب الله الليل والنهار بصرفهما
في اختلافهما وتعاقبهما يأتي بالليل ويذهب بالنهار ويأتي بالنهار ويذهب بالليل قال
عليه السلام قال الله تعالى يؤذيني ابن ادم يسب الدهر وانا الدهر بيدي الامر اقلب الليل
والنهار وقيل المراد ولوج احدهما في الاخر وقيل المراد تغير احوالهما في الحر والبرد وغيرهما
ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار اي ان في الذي ذكرت من هذه الاشيا لعبرة لاولي البصائر
اي دلالة لاهل العقول على قدرة الله وتوحيده **قوله تعالى** والله خلق كل دابة
من ما الاية لما استدل اولا باحوال السما والارض وثانيا بالاثار العلوية استدل ثالثا
باحوال الحيوانات قال ابن عطية قرأ حمزة والكسائي والله خالق كل دابة على الاضافة **فان**
قيل لم قال والله خلق كل دابة من ما مع ان كثيرا من الحيوانات لم تخلق من الما كالملائكة
خلقوا من النور وهم اعظم الحيوانات عددا وكذلك الجن وهم مخلوقون من النار وخلق ادم من
التراب لقوله خلقه من تراب وخلق عيسى من الريح لقوله فنفخنا فيها من روحنا ونرى كثيرا
من الحيوانات يتولد لا عن نطفة فالجواب من وجوه احسنها ما قال القفال ان من ما صلة كل
دابة وليس هو من صلة خلق والمعنى ان كل دابة متولدة من الما فهي مخلوقة لله تعالى وثانيها
ان اصل جميع المخلوقات الما على ما روي ان اول ما خلق الله جوهرة فنظر اليها بعين الهيبة فصارت
ما ثم من ذلك الما خلق النار والهوا والنور والمقصود من هذه الاية بيان اصل الخلقة وكان اصل
الخلقة الما فلهذا ذكره الله تعالى وثالثها المراد من الدابة التي تدب على وجه الارض
ومسكنهم هنالك فيخرج الملائكة والجن ولما كان الغالب من هذه الحيوانات كونهم مخلوقين
من الما اما لانها متولدة من النطفة واما لانها لا تعيش الا بالما لا جرم اطلق عليه لفظ الكل تنزيلا

للغالب منزلة الكل وقيل الجار في قوله من ما متعلق بخلق اي خلق من ما كل دابة ومن لابتدا
الغاية ويرد على هذا السوال المتقدم **فان قيل** لم نكر الما في قوله من ما وعرفه في
قوله من الما كل شي حي فالجواب جا ههنا منكرا لان المعنى خلق كل دابة من نوع من الما مختصا
بتلك الدابه وعرفه في قوله من الما كل شي حي لان المقصود هناك كونهم مخلوقين من هذا الجنس
وههنا بيان ان ذلك الجنس ينقسم الى انواع كثيرة **قوله** فمنهم من يمشي انما اطلق من على
غير العاقل لاختلاطه بالعاقل في المفصل عن وهو كل دابة وكان التعبير عن اولى ليوافق
اللفظ وقيل لما وصفهم بما يوصف به العقلا وهو المشي اطلق عليها من وفيه نظر لان هذه
الصفة ليست خاصة بالعقلا بخلاف قوله تعالى افمن يخلق كمن لا يخلق وقوله ٭
اسرب القطا هل من يعير جناحه ٭ البيت وقد تقدم خلاف القرا في خلق كل دابة في سورة
ابرهيم واستعير المشي للزحف على البطن كما استعير المشفر للشفه وبالعكس كما قالوا في الامر المستمر
قد مشى هذا الامر ويقال فلان ما يمشي له امر **فان قيل** لم حصر القسمة في هذه
الثلاثة انواع من المشي وقد نجد من يمشي على اكثر من اربع كالعناكب والعقارب والرتيلا والحيوان
الذي له اربعة واربعون رجلا فالجواب هذا القسم الذي لم يذكر كالنادر فكان ملحقا بالعدم
وايضا قال النقاش انه اكتفى بذكر ما يمشي على اربع عن ذكر ما يمشي على اكثر لان جميع الحيوان
انما اعتماده على اربع وهي قوام مشيته وكثرة الارجل لبعض الحيوان زيادة في الخلقة لا يحتاج
ذلك الحيوان في مشيه الى جميعها قال ابن عطية والظاهر ان تلك الارجل الكثيرة ليست باطلا
بل هي محتاج اليها في تنقل الحيوان وهي كلها تتحرك في تصرفه وجواب اخر وهو ان قوله تعالى يخلق
الله ما يشا كالتنبيه على ساير الاقسام وفي مصحف ابي بن كعب ومنهم من يمشي على اكثر فعم هذه
الزيادة جميع الحيوان ولكنه قران لم يثبت بالاجماع **قوله** يخلق الله ما يشا ان الله على كل شي
قدير لانه القادر على الكل والعالم بالكل فهو المطلع على احوال هذه الحيوانات فاي عقل يقف
عليها واي خاطر يصل الى ذرة من اسرارها بل هو الذي يخلق ما يشا كما يشا ولا يمنعه منه مانع
قوله لقد انزلنا ايات مبينات والاولى حمله على كل الادلة وقيل المراد القران لانه كالمشتمل
على كل الادلة والعبر والله يهدي من يشا الى صراط مستقيم وتقدم الكلام في نظاير هذه الاية
بين اهل السنة والمعتزلة **قوله تعالى** ويقولون امنا بالله وبالرسول واطعنا الاية
لما ذكر دلايل التوحيد اتبعه بذم قوم اعترفوا بالدين بالسنتهم ولكنهم لم يقبلوه بقلوبهم قال
مقاتل نزلت هذه الاية في بشر المنافق وكان قد خاصم يهوديا في ارض فقال اليهودي نتحاكم الى
محمد صلى الله عليه وسلم وقال المنافق نتحاكم الى كعب بن الاشرف فان محمدا يحيف علينا فانزل الله
هذه الاية وقد مضت قصتها في سورة النسا وقال الضحاك نزلت في المغيرة بن وايل كان بينه
وبين علي بن ابي طالب ارض فتقاسماها فوقع على ما لا يصيبه الما الا بمشقة فقال المغيرة بعني
ارضك فباعها اياه وتقابضا فقيل للمغيرة اخذت سبخة لا ينالها الما فقال لعلي اقبض ارضك
فانما اشتريتها ان رضيتها ولم ارضها فقال علي بل اشتريتها ورضيتها وعرفت حالها لا اقبلها
منك ودعاه الى ان يخاصمه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال المغيرة اما محمد فلا اتيه
ولا احاكم اليه فانه يبغضني وانا اخاف ان يحيف علي فنزلت الاية وقال الحسن نزلت
هذه في المنافقين الذين كانوا يظهرون الايمان ويسرون الكفر **فصل** المعنى ويقولون
امنا بالله وبالرسول واطعنا يعني المنافقين يقولونه ثم يتولى يعرض عن طاعة الله ورسوله
فريق منهم من بعد ذلك اي من بعد قولهم امنا ويدعوا الى غير حكم الله ثم قال وما اوليك
بالمومنين **فان قيل** انه تعالى حكى عن كلهم انهم يقولون امنا ثم حكى عن فريق

منهم فالجواب ان قوله وما اوليك بالمومنين راجع الى الذين تولوا لا الى الجملة الاولى وايضا
فلو رجع الى الاولى لصح ويكون معنى قوله ثم يتولى فريق منهم اي يرجع هذا الفريق الى الباقين
فيظهر بعضهم لبعض الرجوع كما اظهروه ثم بين تعالى انهم اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان
فريقا منهم معرضون وهذا ترك للرضا بحكم الرسول لقوله تعالى وان يكن لهم الحق ياتوا اليه
مذعنين منقادين لحكمه اي اذا كان الحق لهم على غيرهم اسرعوا الى حكمه لثقتهم انه كما يحكم عليهم
بالحق يحكم لهم ايضا بالحق وهذا يدل على انهم انما يعرضون متى عرفوا الحق لغيرهم او شكوا فاما اذا
عرفوه لانفسهم عدلوا عن الاعراض وسارعوا الى الحكم واذعنوا ببذل الرضا **قوله** ليحكم
افرد الضمير وقد تقدمه اسمان وهما الله ورسوله فهو كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه لان
حكم رسوله هو حكمه قال الزمخشري كقولك اعجبني زيد وكرمه اي كرم زيد ومنه ٭
٭ ومنهل من الفلا في وسطه ٭ غلسته قبل القطا وفرطه ٭ اي قبل فرط القطا يعني قبل تقدم
القطا وقرا ابو جعفر الجحدري وخالد بن الياس والحسن ليحكم بينهم هنا والتي بعدها مبنيا للمفعول
والظرف قايم مقام الفاعل **قوله** اذا فريق اذا هي الفجائية وهي جواب اذا الشرطية اولا
وهذا احد الادلة على منع ان يعمل في اذا الشرطية جوابها فان ما بعد الفجائية لا يعمل فيما قبلها
كذا ذكره ابو حيان وتقدم تحرير هذا وجواب الجمهور عنه **قوله** اليه يجوز تعلقه بياتوا
لان اتى وجا قد جا معديين بالى ويجوز ان يتعلق بمذعنين لانه بمعنى مسرعين في الطاعة وصححه
الزمخشري قال لتقدم صلته ودلالته على الاختصاص ومذعنين حال والاذعان الانقياد يقال
اذعن فلان لفلان اي انقاد له وقال الزجاج الاذعان الاسراع مع الطاعة **قوله** ام ارتابوا
ام يخافون ام فيهما منقطعة تقدر عند الجمهور بحرف الاضراب وهمزة الاستفهام تقديره بل
ارتابوا بل ايخافون ومعنى الاستفهام هنا التقرير والتوقيف ويبالغ به تارة في الذم كقوله
٭ الست من القوم الذين تعاهدوا على اللوم والفحشا في سالف الدهر ٭ وتارة في المدح كقول
جرير ٭ الستم خير من ركب المطايا ٭ واندى العالمين بطون راح ٭ وان يحيف مفعول الحيف
الميل والجور في القضا يقال حاف في قضايه اي مال **فصل** افي قلوبهم مرض
نفاق ام ارتابوا شكوا وهو استفهام ذم وتوبيخ اي هم كذلك ام يخافون ان يحيف الله عليهم
ورسوله اي يظلم بل اولئك هم الظالمون لانفسهم باعراضهم عن الحق قال الحسن بن ابي الحسن من دعا
خصمه الى حكم من حكام المسلمين فلم يجب فهو ظالم **فان قيل** اذا خافوا ان يحيف الله
عليهم ورسوله فقد ارتابوا في الدين واذا ارتابوا ففي قلوبهم مرض فالكل واحد فاي فايدة في
التعديد فالجواب قوله افي قلوبهم مرض اشارة الى النفاق وقوله ام ارتابوا اشارة الى
انهم بلغوا في حب الدنيا الى حيث يتركون الدين بسببه **فان قيل** هذه الثلاثة
متغايرة ولكنها متلازمة فكيف ادخل عليها كلمة ام فالجواب الاقرب انه تعالى نبههم
على كل واحد من هذه الاوصاف فكان في قلوبهم مرض وهو النفاق وكان فيها شك وارتياب
وكانوا يخافون الحيف من الرسول وكل واحد من ذلك كفر ونفاق ثم بين تعالى بقوله واوليك هم
الظالمون بطلان ما هم عليه لان الظلم يتناول كل معصية كما قال تعالى ان الشرك لظلم عظيم
قوله تعالى انما كان قول المومنين العامة على نصب قول خبرا لكان والاسم ان المصدرية
وما بعدها وقرا امير المومنين والحسن وابن ابي اسحق برفعه على انه الاسم وان وما في حيزها الخبر
وهي عندهم مرجوحة لانه متى اجتمع معرفتان فالاولى جعل الاعرف الاسم وان كان سيبويه
خير في ذلك بين كل معرفتين ولم يفرق هذه التفرقة وتقدم تحقيق هذا في ال عمران **فصل**
انما كان قول المومنين اذا دعوا الى الله اي الى كتاب الله ورسوله ليحكم بينهم وهذا ليس على طريق

الخبر ولكنه تعليم ادب الشرع بمعنى ان المومنين ينبغي ان يكونوا هكذا ان يقولوا سمعنا واطعنا اي
سمعنا الدعا واطعنا بالاجابة فاوليك هم المفلحون ومن يطع الله ورسوله قال ابن عباس فيما
ساه وسره ويخش الله فيما صدر عنه من الذنوب في الماضي ويتقه فيما بقي من عمره فاوليك هم الفايزون
الناجون **قوله** ويتقه القراة فيه بالنسبة الي القاف على مرتبتين الاولي تسكين القاف
ولم يقراها الا حفص والباقون بكسرها واما بالنسبة الي ها الكناية فانهم فيها على خمس مراتب الاولي
تحريكها مفصولة قولا واحدا وبها قرا ورش وابن ذكوان وخلف وابن كثير والكساي الثانية
تسكينها قولا واحدا وبها قرا ابو عمرو وابو بكر عن عاصم الثالثة اسكان الهاء او وصلها بيا وبها
قرا خلاد الرابعة تحريكها من غير صلة وبها قرا قالون وحفص الخامسة تحريكها موصولة او مقصورة
وبها قرا هشام فاما اسكان الها وقصرها واشباعها فقد مر تحقيقه مستوفي واما تسكين القاف
فانهم حملوا المنفصل على المتصل وذلك انهم يسكنون عين فعل فيقولون كبد وكتف وصبر في كبد
وكتف وصبر لانها كلمة واحدة ثم اجري ما اشبه ذلك من المنفصل مجرى المتصل فان يتقه صار
منه تقه بمنزلة كتف فسكن كما يسكن ومنه • قالت سليمي اشتر لنا سويقا • بسكون الرا كما سكن
الاخر • فبات منتصبا وما تكردسا • وقول الاخر • عجبت لمولود وليس له اب • وذي ولد لم يلده
ابوان
يريد منتصبا ولم يلده وتقدم في اول البقرة تحرير هذا الضابط في قوله فهي كالحجارة وهي وهو
ونحوها وقال مكي كان يجب على من سكن القاف ان يضم الها لان ها الكناية اذا سكن ما قبلها
ولم يكن الساكن يا ضمت نحو منه وعنه ولكن لما كان سكون القاف عارضا لم يعتد به وابقي الها على
كسرها التي كانت عليها مع كسر القاف ولم يصلها بيا لان اليا المحذوفة قبل الهاء مقدرة منوية
فبقي الحذف الذي في اليا قبل الهاء على اصله وقال الفارسي الكسرة في الها لالتقا الساكنين وليست
الكسرة التي قبل الصلة وذلك ان ها الكناية ساكنة في قراته ولما اجري تقه مجري كتف وسكن القاف
التقي ساكنان ولما التقيا اضطر الي تحريك احدهما فاما ان يحرك الاول او الثاني لا سبيل الي تحريك
الاول لانه يعود الي ما فر منه وهو ثقل فعل فحرك ثانيهما باصل التقا الساكنين فلذلك
كسرها ويويد قوله لم يلده ابوان وذلك ان اصله لم يلده بكسر اللام وسكون الدال
للجزم ثم لما سكن اللام التقي ساكنان فلو حرك الاول لعاد الي ما فر منه فحرك ثانيهما وهو
الدال وحركها بالفتح وان كان على خلاف اصل التقا الساكنين مراعاة لفتحة اليا وقد رد
ابو القسم بن فيرة قول الفارسي وقال لا يصح قوله انه كسر الها لالتقا الساكنين لان حفصا
لم يسكن الها في قراته قط وقد رد ابو عبد الله شارح قصيدته هذا الرد وقال وعجبت من
نفيه الاسكان عنه مع ثبوته عنه في ارجه وفالقه واذا قراه في ارجه وفالقه احتمل ان
يكون تقه عنده قبل سكون القاف كذلك ورد بما يرجح ذلك بما ثبت عن عاصم من قراته
اياه بسكون الها مع كسر القاف قال شهاب الدين لم يعن الشاطبي بانه لم يسكن الها قط الها من
حيث هي هي وانما عني ها يتقه خاصة وكان الشاطبي ايضا يعتذر من التوجيه الذي تقدم
عن مكي ويقول تعليله حذف الصلة بان اليا المحذوفة قبل الها مقدرة منوية فبقي حذف
الصلة بعد الها على اصله غير مستقيم من قبل انه قرا يوده وشبهه بالصلة ولو كان يعتبر
ما قاله من تقدير اليا قبل الهاء لم يصلها قال ابو عبد الله هو وان قرا يوده وشبهه
بالصلة فانه قرا يرضه بغير صلة فالحق مكي يتقه بيرضه وجعله مما خرج فيه عن نظايره
لاتباع الاثر والجمع بين اللغتين ورجح ذلك عنده لان اللفظ عليه ولما كانت القاف في حكم
المكسورة بدليل كسر الهاء بعدها صار كانه يتقه بكسر القاف والها من غير صلة كقراة قالون
وهشام في احد وجهيه فعلله بما يعلل به قراتهما والشاطبي يرجح عنده حمله على الاكثر مما قرا به

لا

لا على ما قيل وقد رد فاقتضي تعليله بما ذكر **قوله تعالى** واقسموا بالله جهد ايمانهم في جهد
في جهد ايمانهم وجهان احدهما انه منصوب على المصدر بدلا من اللفظ بفعله اذ اصل اقسم
بالله جهد اليمين اقسم يجهد اليمين جهدا فحذف الفعل وقدم المصدر موضوعا موضعه مضافا
الي المفعول كضرب الرقاب قاله الزمخشري والثاني انه حال تقديره مجتهدين في ايمانهم
كقولهما افعل ذلك جهدك وطاقتك وقد خلط الزمخشري الوجهين فجعلهما وجها واحدا [illegible]
فقال بعد ما تقدم عنه وحكم هذا المنصوب حكم الحال كانه قيل جاهدين ايمانهم وتقدم
الكلام على جهد ايمانهم في المائدة **فصل** قال مقاتل من حلف بالله فقد اجتهد في اليمين
وذلك ان المنافقين كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اينما كنت نكن معك لين خرجت
خرجنا وان اقمت اقمنا وان امرتنا بالجهاد جاهدنا فقال الله تعالى قل لهم لا تقسموا لا تحلفوا
وههنا تم الكلام ولو كان قسمهم لما يجب لم يجز النهي عنه لان من حلف على القيام بالبر والواجب
لا يجوز ان ينهي عنه فثبت ان قسمهم كان لنفاقهم وكان باطنهم بخلاف ظاهرهم ومن نوي
الغدر لا الوفا فقسمه قبيح **قوله** طاعة معروفة في رفعها ثلاثة اوجه احدها انه
خبر مبتدا مضمر تقديره امرنا طاعة او المطلوب طاعة الثاني انها مبتدا والخبر محذوف
اي امثل او اولي وقد تقدم ان الخبر متي كان في الاصل مصدرا بدلا من اللفظ بفعله وجب
حذف مبتداه كقوله صبر جميل ولا يبرز الا اضطرارا كقوله •
• فقالت على اسم الله امرك طاعة • وان كنت قد كلفت ما لم اعود • على خلاف في ذلك
والثالث ان يكون فاعله بفعل محذوف اي ولتكن طاعة ولتوجد طاعة واستضعف
ذلك بان الفعل لا يحذف الا اذا تقدم مشعر به كقوله يسبح له فيها بالغدو والاصال
في قراة من بناه للمفعول اي يسبحه رجال او يجاب به نفي كقولك بلى زيد لمن قال لم يقم احد
او استفهام كقوله • الا هل اتى ام الحويرث مرسل • بلي خالد ان لم تعقه العوايق •
وقرا زيد بن علي واليزيدي طاعة بنصبها بفعل مضمر وهو الاصل قال ابو البقا ولو قري
بالنصب لكان جايزا في العربية وذلك على المصدر اي اطيعوا طاعة وقولوا قولا وقد دل
عليه قوله بعدها قل اطيعوا الله قال شهاب الدين قوله ولو قري بالنصب لكان جايزا
قد تقدم النقل لقراته واما قوله وقولوا قولا فكانه سبق لسانه الي اية القتال وهي فاولي
لهم طاعة وقول معروف ولكن النصب هناك ممتنع او بعيد **فصل** المعني هذه
طاعة بالقول باللسان دون الاعتقاد وهي معروفة اي امر عرف منكم انكم تكذبون وتقولون
ما لا تفعلون قاله مجاهد وقيل طاعة معروفة بنية خالصة افضل وامثل من يمين
باللسان لا يوافقها الفعل وقال مقاتل بن سليمن ليكن منكم طاعة معروفة هذا على
قراة الرفع واما على قراة النصب فالمعني اطيعوا الله طاعة والله خبير بما تعملون اي لا يخفي
عليه شي من سرايركم فانه فاضحكم لا محالة ومجازيكم على نفاقكم ثم قال قل اطيعوا الله
والرسول فان تولوا اي عن طاعة الله ورسوله فانما عليه اي على الرسول ما حمل كلف وامر به
من تبليغ الرسالة وعليكم ما حملتم من الاجابة والطاعة وقرا نافع في رواية فانما عليه ما حمل
بفتح الحا والتخفيف اي فعليه اثم ما حمل من المعصية وان تطيعوه تهتدوا اي تصيبوا الحق
وان عصيتموه فما على الرسول الا البلاغ المبين والبلاغ بمعني التبليغ والمبين الواضح **قوله**
فان تولوا يجوز ان يكون ماضيا ويكون الواو ضمير الغايبين ويكون في الكلام التفات من
الخطاب الي الغيبة وحسن الالتفات هنا كونه لم يواجههم بالتولي والاعراض وان يكون مضارعا
حذفت احدي تابيه والاصل تتولوا ويرجح هذا قراة البزي بتشديد التاء فان تولوا وان كان

بعضهم بيتضعفها للجمع بين ساكنين على غير حده ويرجحه ايضا الخطاب في قوله وعليكم ما حملتم
وان تطيعوه تهتدوا ودعوى الالتفات من الغيبة الى الخطاب ثانيا بعيد **قوله تعالى**
وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات الاية تقدير النظم بلغ ايها الرسول فقد وعد الله
الذين امنوا منكم اي الذين جمعوا بين الايمان والعمل الصالح ان يستخلفهم في الارض فيجعلهم الخلفا
والغالبين والمالكين كما استخلف عليها من قبلهم في زمن داود وسليمن عليهما السلام وغيرهما وانه
يمكن لهم دينهم وتمكينه ذلك بان يؤيدهم بالنصر والاعزاز ويبدلهم من بعد خوفهم من العدو امنا
بان ينصرهم عليهم فيقتلوهم ويامنوا بذلك شرهم قال ابو العالية مكث النبي صلى الله عليه وسلم
بعد الوحي بمكة عشر سنين مع اصحابه وامروا بالصبر على اذى الكفار فكانوا يصبحون ويمسون
خائفين ثم امروا بالهجرة الى المدينة وامروا بالقتال وهم على خوفهم لا يفارق احد منهم سلاحه
فقال رجل منهم ما ياتي علينا يوم نامن فيه ونضع السلاح فانزل الله هذه الاية وعد الله الذين
امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم ادخل اللام لجواب اليمين المضمرة يعني والله ليستخلفنهم في
الارض ليورثنهم ارض الكفار من العرب والعجم فيجعلهم ملوكها وسكانها كما استخلف الذين من قبلهم قال
قتادة داود وسليمن وغيرهما من الانبيا وقيل كما استخلف الذين من قبلهم يعني بني اسرائيل
حيث اهلك الجبابرة بمصر والشام واورثهم ارضهم ودیارهم روى عدي بن حاتم قال بينا
انا عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ اتاه رجل فشكى اليه الفاقة ثم اتاه اخر فشكى اليه قطع السبيل فقال
يا عدي هل رايت الحيرة قلت لم ارها وقد انبئت عنها قال فان طالت بك حياة فلترين الظعينة
ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف احدا الا الله قلت فيما بيني وبين نفسي فاين دعار طي الذين
قد سعروا البلاد ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى قلت كسرى بن هرمز قال لئن طالت بك حياة لترين
الرجل يخرج من مكة ملء كفه من ذهب او فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد احدا يقبله وليلقين
الله احدكم يوم القيمة وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له وليقولن الم ابعث اليك رسولا يبلغك فيقول
بلى فيقول الم اعطك مالا وافضل عليك فيقول بلى فينظر عن يمينه فلا يرى الا جهنم وينظر عن يساره
فلا يرى الا جهنم قال عدي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اتقوا النار ولو بشق التمرة فمن
لم يجد تمرا فبكلمة طيبة قال عدي فرايت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف الا
الله تعالى وكنت فيمن فتح كنوز كسرى بن هرمز ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال النبي صلى الله عليه وسلم
يخرج الرجل ملء كفه **قوله** ليستخلفنهم فيه وجهان احدهما هو جواب قسم مضمر اي اقسم ليستخلفنهم
ويكون مفعول الوعد محذوفا تقديره وعدهم الاستخلاف لدلالة قوله ليستخلفنهم عليه والثاني
ان يجري وعد مجرى القسم لتحققه فلذلك اجيب بما يجاب به القسم **قوله** كما استخلف اي
استخلافا كاستخلافهم والعامة على بناء استخلف للفاعل وابو بكر بناه للمفعول فالموصول منصوب
على الاول ومرفوع على الثاني **قوله** وليبدلنهم قرا ابن كثير وابو بكر وليبدلنهم بسكون البا
وتخفيف الدال من ابدل وتقدم توجيههما في الكهف في قوله ان يبدلهما ربهما **قوله** يعبدونني
فيه سبعة اوجه احدها انه مستانف اي جواب لسوال مقدر كانه قيل ما بالهم يستخلفون
ويؤمنون فقيل يعبدونني الثاني انه خبر مبتدا مضمر اي هم يعبدونني والجملة ايضا استينافية
تقتضي المدح الثالث انه حال من مفعول وعد الله الرابع انه حال من مفعول ليستخلفنهم الخامس
ان يكون حالا من فاعل السادس ان يكون حالا من مفعول ليبدلنهم السابع ان يكون حالا من
فاعله **قوله** لا يشركون يجوز ان يكون مستانفا وان يكون حالا من فاعل يعبدونني اي يعبدونني
موحدين وان يكون بدلا من الجملة التي قبله الواقعة حالا وتقدم ما فيها **فصل** دل قوله
وعد الله على انه تعالى متكلم لان الوعد نوع من انواع الكلام والموصوف بالنوع موصوف بالجنس

ولانه تعالى ملكه مطاع والملك المطاع لا بد وان يكون بحيث يمكنه وعد اوليائه ووعيد اعدائه
فثبت انه سبحانه متكلم **فصل** ودلت الاية على انه سبحانه يعلم الاشيا قبل وقوعها خلافا
لهشام بن الحكم فانه قال لا يعلمها قبل وقوعها ووجه الاستدلال انه تعالى اخبر عن وقوع الشي في
المستقبل اخبارا على التفصيل وقد وقع المخبر مطابقا للخبر ومثل هذا الخبر لا يصح الا مع العلم
فصل ودلت الاية على انه تعالى حي قادر على جميع الممكنات لقوله ليستخلفنهم في الارض
وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا وقد فعل كل ذلك وصدور هذه الاشيا
لا يصح الا من القادر على كل المقدورات **فصل** ودلت الاية على انه سبحانه هو المستحق
للعبادة لانه قال يعبدونني وقالت المعتزلة الاية تدل على ان فعل الله تعالى معلل بالغرض لان
المعنى لكي يعبدونني وقالوا ايضا الاية تدل على انه سبحانه يريد العبادة من الكل لان من
فعل فعلا لغرض فلا بد وان يكون مريدا لذلك الغرض **فصل** ودلت الاية على انه
سبحانه منزه عن الشريك لقوله لا يشركون بي شيا وذلك يدل على نفي الاله الثاني وعلى انه لا يجوز
عبادة غير الله سبحانه **فصل** ودلت الاية على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه اخبر
عن الغيب بقوله ليستخلفنهم في الارض وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد
خوفهم امنا وقد وجد هذا المخبر موافقا للخبر ومثل هذا الخبر معجز والمعجز دليل الصدق فدل
على صدق محمد عليه السلام **فصل** دلت الاية على ان العمل الصالح خارج عن مسمى الايمان
خلافا للمعتزلة لانه عطف العمل الصالح على الايمان والمعطوف خارج عن المعطوف عليه **فصل**
دلت الاية على امامة الائمة الاربعة لانه تعالى وعد الذين امنوا وعملوا الصالحات من الحاضرين
في زمان محمد عليه السلام بقوله منكم بانه يستخلفهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وان يمكن
لهم دينهم المرضي وان يبدلهم بعد الخوف امنا ومعلوم ان المراد بهذا الوعد بعد الرسول هؤلاء
لان استخلاف غيره لا يكون الا بعده ومعلوم ان لا نبي بعده لانه خاتم الانبيا فاذن المراد بهذا
الاستخلاف طريقة الامامة ومعلوم ان بعد الرسول لم تحصل هذا الاستخلاف الا في ايام ابي بكر
وعمر وعثمان لان في ايامهم كانت الفتوح العظيم وحصل التمكين وظهور الدين والامن ولم يحصل ذلك
في ايام علي كرم الله وجهه لانه لم يتفرغ لجهاد الكفار لاشتغاله بمحاربة من خالفه من اهل الصلوة
فثبت بهذا دلالة الاية على صحة خلافة هؤلاء **فان قيل** الاية متروكة الظاهر
لانها تقتضي حصول الخلافة لكل من امن وعمل صالحا ولم يكن الامر كذلك تركنا عنه ولكن لا يجوز ان يكون
المراد من قوله ليستخلفنهم هو انه تعالى اسكنهم في الارض ومكنهم من التصرف لان المراد خلافة الله
ويدل عليه قوله كما استخلف الذين من قبلهم واستخلاف من كان قبلهم لم يكن بطريق الامامة فوجب
ان يكون الامر في حقهم ايضا كذلك تركنا عنه لكن ههنا ما يدل على انه لا يجوز حمله على خلافة رسول
الله صلى الله عليه وسلم لان مذهبكم انه عليه السلام لم يستخلف احدا وروي عن علي رضي الله عنه
انه قال اترككم كما ترك نبي الله فعبر عنه بلفظ الجمع على سبيل التعظيم كقوله تعالى انا انزلناه في
ليلة القدر وقال في حق علي رضي الله عنه الذين يقيمون الصلوة ويوتون الزكوة وهم راكعون
تركنا عنه ولكن نحمله على الائمة الاثني عشر والجواب عن الاول ان كلمة من للتبعيض فقوله منكم
يدل على ان المراد من هذا الخطاب بعضهم وعن الثاني الاستخلاف بالمعنى الذي ذكرتموه حاصل
لجميع الخلق والمذكور ههنا في معرض البشارة فلا بد وان يكون مغايرا له واما قوله تعالى كما
استخلف الذين من قبلهم فالذين كانوا قبلهم قد كانوا خلفا تارة بسبب النبوة وتارة بسبب الملك
فالخلافة حاصلة في الصورتين وعن الثالث انه وان كان من مذهبنا انه عليه السلام لم يستخلف
احدا بالتعيين ولكن قد استخلف بذكر الوصف والامر والاختيار فلا يمتنع في هؤلا انه تعالى استخلفهم

وان الرسول استخلفهم وعلى هذا الوجه قالوا في ابي بكر رضي الله عنه خليفة رسول الله والذي قيل انه
عليه السلام لم يستخلف اريد به على وجه التعيين واذا قيل استخلف فالمراد على طريقة الوصف والامر
وعن الرابع ان حمل لفظ الجمع على الواحد مجاز وهو خلاف الاصل وعن الخامس انه باطل لوجهين
احدهما قوله تعالى منكم يدل على ان هذا الخطاب كان مع الحاضرين وهولا الايمة ما كانوا حاضرين
الثاني انه تعالى وعدهم القوة والشوكة والبقا في العالم ولم يوجد ذلك فيهم فثبت بهذا صحة
امامة الايمة الاربعة وبطل قول الرافضة الطاعنين على ابي بكر وعمر وعثمان وعلي وبطلان قول
الخوارج والطاعنين على عثمان وعلي **قوله** ومن كفر بعد ذلك اراد كفران النعمة ولم يرد الكفر بالله
تعالى فاولئك هم الفاسقون العاصون لله عز وجل قال المفسرون اول من كفر بهذه النعمة وجحد
حقها الذين قتلوا عثمان فلما قتلوه غير الله ما بهم وادخل عليهم الخوف حتى صاروا يقتتلون
بعد ان كانوا اخوانا روى حميد بن هلال قال قال عبد الله بن سلام في عثمان ان الملايكة لم
تزل محيطة بمدينتكم هذه منذ قدمها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اليوم فوالله لئن
قتلتموه لتذهبون ثم لا تعودون ابدا فوالله لا يقتله رجل منكم الا لقي الله اجذم لا يد له وان
سيف الله لم يزل مغمودا عنكم والله لئن قتلتموه ليسلنه الله عز وجل ثم لا يغمد عنكم اما قال
ابدا واما قال الى يوم القيامة فما قتل نبي قط الا قتل به سبعون الفا ولا خليفة الا قتل به
خمسة وثلاثون وروى علي بن الجعد قال اخبرني حماد بن سلمة عن ابن دينار عن سعيد بن
جهمان عن سفينة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الخلافة ثلاثون سنة ثم تكون
ملكا ثم قال امسك خلافة ابي بكر سنتين وخلافة عمر عشر وعثمان اثني عشرة وعلي ست قال
علي قلت لحماد سفينة القايل لسعيد امسك قال نعم **قوله تعالى** واقيموا الصلوة
فيه وجهان احدهما انه معطوف على اطيعوا الله والرسول وليس بعيدا ان يقع بين المعطوف والمعطو
عليه قاله الزمخشري قال شهاب الدين وقوله لان حق المعطوف ان يحجم لا يظهر علة للحكم الذي
ادعاه والثاني ان قوله واقيموا من باب الالتفات من الغيبة الى الخطاب وحسنه الخطاب
في قوله قبل ذلك منكم ثم قال واطيعوا الرسول لعلكم ترحمون اي افعلوها على رجا الرحمة **قوله**
لا تحسبن قرا العامة لا تحسبن بتا الخطاب والفاعل ضمير المخاطب ويمتنع او يبعد جعله الرسول
عليه السلام لان مثل هذا الحسبان لا يتصور منه حتى ينهى عنه وقرا حمزة وابن عامر لا يحسبن
بيا الغيبة وهي قراة حسنة واضحة فان الفاعل فيها ضمير يعود على ما دل السياق عليه اي لا
يحسبن حاسب او احد واما على الرسول لتقدم ذكره ولكنه ضعيف للمعنى المتقدم خلافا لمن
لحن قاري هذه القراة كابي حاتم وابي جعفر والفرا قال النحاس ما علمت احدا من اهل العربية
بصريا ولا كوفيا الا وهو يلحن قراة حمزة فمنهم من يقول هي لحن لانه لم يات الا مفعول واحد ليحسبن
وقال الفرا هو ضعيف واجازه على حذف المفعول الثاني التقدير لا يحسبن الذين كفروا انفسهم
معجزين قال شهاب الدين وسبب تلحينهم هذه القراة انهم اعتقدوا ان الذين فاعل ولم يكن في
اللفظ الا مفعول واحد وهو معجزين فلذلك قالوا ما قالوا والجواب عن ذلك من وجوه احدها
ان الفاعل مضمر يعود على ما تقدم او على ما يفهم من السياق كما سبق تحريره الثاني ان المفعول
الاول محذوف تقديره لا يحسبن الذين كفروا انفسهم معجزين الا ان حذف احد المفعولين
ضعيف عند البصريين ومنه قول عنترة ولقد نزلت فلا تظني غيره مني بمنزلة المحب المكرم
اي تظني غيره واقعا ولما نحى الزمخشري الى هذا الوجه قال وان يكون الاصل لا يحسبنهم الذين
كفروا معجزين ثم حذف الضمير الذي هو المفعول الاول وكان الذي سوغ ذلك ان الفاعل والمفعولين
لما كانت لشي واحد اقتنع بذكر اثنين عن ذكر الثالث فتقدر المفعول الاول ضميرا متصلا

قال ابو حيان وقد رددنا هذا التخريج في اواخر آل عمران في قوله لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا
في قراة من قرا بالغيبة وجعل الفاعل الذين يفرحون وملخصه ان هذا ليس من الضماير التي يفسرها
ما بعدها فلا يتقدر لا يحسبنهم اذ لا يجوز ظننه زيدا قايما على رفع زيد بظننه وقد تقدم رد
هذا الرد في الموضع المذكور الثالث ان المفعولين هما قوله معجزين في الارض قاله الكوفيون
ولما نحا اليه الزمخشري قال والمعنى لا تحسبن الذين كفروا احدا يعجز الله في الارض حتى يطمعوا هم
في مثل ذلك وهذا معنى قوي جيد قال شهاب الدين قيل هو خطا لان الظاهر تعلق في
الارض بمعجزين فجعله مفعولا ثانيا كالتهيية للعمل والقطع عنه وهو نظير ظننت قايما في الدار
قوله وماواهم النار فيه ثلاثة اوجه احدها ان هذه الجملة عطف على جملة النهي قبلها
من غير تاويل ولا اضمار وهو مذهب سيبويه اعني عطف الجمل بعضها على بعض وان اختلفت
انواعها خبرا وطلبا وانشا وقد تقدم تحقيقه في اول الكتاب الثاني انها معطوفة عليها ولكن
بتاويل جملة النهي بجملة خبرية والتقدير الذين كفروا لا يفوتون الله وماواهم النار قاله الزمخشري
كانه يرى تناسب الجمل شرطا في العطف هذا ظاهر حاله الثالث انها معطوفة على جملة مقدرة
قال الجرجاني لا احتمل ان يكون وماواهم متصلا بقوله لا تحسبن ذاك نهي وهذا ايجاب فهو اذن
معطوف بالواو على مضمر قبله تقديره لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض بل هم مقهورون
وماواهم النار **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم
الاية قال ابن عباس وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما من الانصار يقال له مدلج
ابن عمرو الى عمر بن الخطاب وقت الظهيرة ليدعوه فدخل فراى عمر بحالة كره عمر رويته ذلك فانزل
الله هذه الاية وقال مقاتل نزلت في اسما بنت مرثد كان لها غلام كبير فدخل عليها في وقت
كرهته فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان خدمنا وغلماننا يدخلون علينا في حال
نكرهها فانزل الله يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم اللام للامر ملكت ايمانكم يعني العبيد والاما قال
القاضي هذا الخطاب وان كان ظاهره للرجال فالمراد به الرجال والنسا لان التذكير يغلب على
التانيث قال ابن الخطيب والاولى عندي ان الحكم ثابت في النسا بقياس جلي لان النسا في باب
العورة اشد حالا من الرجال فهو كتحريم الضرب بالقياس على حرمة التافيف وقال ابن عباس
هي في الرجال والنسا يستاذنون على كل حال في الليل والنهار واختلف العلما في هذا الامر فقيل
للندب وقيل للوجوب وهو الاظهر **قوله** والذين لم يبلغوا الحلم اي من الاحرار وليس المراد
الاطفال الذين لم يظهروا على عورات النسا بل الذين عرفوا امر النسا ولكن لم يبلغوا واتفق الفقها
على ان الاحتلام بلوغ واختلفوا في بلوغ خمس عشرة سنة اذا لم يوجد احتلام قال ابو حنيفة
لا يكون بالغا حتى يبلغ ثماني عشرة سنة ويستكملها الغلام والجارية تستكمل سبع عشرة سنة وقال
الشافعي وابو يوسف ومحمد في الغلام والجارية خمس عشرة سنة اذا لم تحتلم لما روى ابن عمر انه عرض
على النبي يوم احد وهو ابن اربع عشرة سنة فلم يجزه وعرض عليه يوم الخندق وله خمس عشرة سنة
فاجازه قال ابو بكر الرازي هذا الخبر مضطرب لان احدا كان في سنة ثلاث والخندق في سنة
خمس فكيف يكون بينهما سنة ثم مع ذلك فان الاجازة في القتال لا تعلق لها بالبلوغ فقد لا يوذن
للبالغ لضعفه ويوذن لغير البالغ لقوته ولطاقته لحمل السلاح ولذلك لم يساله النبي عليه السلام عن
الاحتلام والسن واختلفوا في الانبات هل يكون بلوغا فاصحاب الراي لم يجعلوه بلوغا لقوله عليه
السلام رفع القلم عن الصبي حتى يحتلم وقال الشافعي هو بلوغ لان النبي عليه السلام امر بقتل من انبت من
بني قريظة قال الرازي الانبات يدل على القوة البدنية فالامر بالقتل لذلك لا للبلوغ
فصل قال ابو بكر الرازي دلت هذه الاية على ان من لم يبلغ وقد عقل يومر بفعل

التوابع وينهي عن ارتكاب القبائح قال الله تعالي امرهم بالاستيذان في هذه الاوقات وقال عليه
السلام مروهم بالصلوة وهم ابنا سبع واضربوهم علي تركها وهم ابنا عشر وقال ابن عمر يعلم الصبي الصلوة
اذا عرف يمينه من شماله وقال ابن مسعود اذا بلغ الصبي عشر سنين كتبت له حسناته ولا تكتب عليه
سيئاته حتي يحتلم واعلم انه انما يومر بذلك تمرينا ليعتاده ويسهل عليه بعد البلوغ **فصل**
قال الاخفش الحلم من حلم الرجل بفتح اللام ومن الحلم حلم بضم اللام يحلم بكسر اللام **قوله** ثلاث
مرات فيه وجهان احدهما انه منصوب علي الظرف الزماني اي ثلاثة اوقات ثم فسر تلك الاوقات
بقوله من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ومن بعد صلاة العشا والثاني انه منصوب علي المصدرية
اي ثلاثة استيذانات ورجح ابو حيان هذا فقال والظاهر من قوله ثلاث مرات ثلاثة استيذانات
لانك اذا قلت ضربت ثلاث مرات لا يفهم منه الا ثلاث ضربات ويويده قوله عليه السلام الاستيذان
ثلاث قال شهاب الدين سلمنا ان الظاهر كذا ولكن الظاهر هنا متروك للقرينة المذكورة وهي التفسير
بثلاثة الاوقات المذكورة وقرا الحسن وابو عمرو في رواية الحلم بكسر العين وهي تميمية **قوله** من
قبل صلوة فيه ثلاثة اوجه احدها انه بدل من قوله ثلاث فيكون في محل نصب الثاني انه
بدل من عورات فيكون في محل جر الثالث انه خبر مبتدا مضمر اي هي تلك المرات فيكون في محل
رفع وقوله وحين تضعون عطف علي محل من قبل صلوة الفجر **قوله** من الظهيرة فيه ثلاثة
اوجه احدها ان من لبيان الجنس اي حين ذلك الذي هو الظهيرة الثاني انها بمعني في اي تضعون
في الظهيرة الثالث انها بمعني اللام اي من اجل حر الظهيرة وقوله ومن بعد صلوة العشا عطف علي
ما قبله والظهيرة شدة الحر وهو انتصاف النهار **قوله** ثلاث عورات قرا الاخوان وابو بكر
ثلاث نصبا والباقون رفعا فالاولي تحتمل ثلاثة اوجه اظهرها انها بدل من قوله ثلاث
مرات قال ابن عطية انما يصح البدل بتقدير اوقات ثلاث عورات فحذف المضاف واقيم
المضاف اليه مقامه وكذا قدره الحوفي والزمخشري وابو البقا ويحتمل انه جعل نفس ثلاث
المرات نفس ثلاث العورات مبالغة فلا تحتاج الي حذف مضاف وعلي هذا الوجه اعني وجه
البدل لا يجوز الوقف علي ما قبل ثلاث عورات لانه بدل منه وتابع له ولا يوقف علي المتبوع دون
تابعه الثاني ان ثلاث عورات بدل من الاوقات المذكورة قاله ابو البقا يعني قوله من قبل
صلاة الفجر وما عطف عليه ويكون بدلا علي المحل فلذلك نصب الثالث ان ينتصب باضمار
فعل فقدره ابو البقا اعني واحسن من هذا التقدير اتقوا واحذروا ثلاث واما الثانية
فثلاث خبر مبتدا محذوف تقديره هن ثلاث عورات وقدره ابو البقا مع حذف مضاف
فقال اي هي اوقات ثلاث عورات فحذف المبتدا والمضاف قال شهاب الدين وقد لا تحتاج
اليه علي جعل العورات نفس الاوقات مبالغة وهو المفهوم من كلام الزمخشري وان كان قدر
مضافا كما تقدم عنه قال الزمخشري وسمي كل واحد من هذه الاحوال عورة لان الناس يختل
تسترهم وتحفظهم فيها والعورة الخلل ومنه اعور الفارس واعور المكان والاعور المختل العين فهذا
منه يوذن بعدم بعد من تقدير اوقات مضاف لعورات بخلاف كلامه اولا فيوخذ من مجموع
كلامه وجهان وعلي قراة الرفع وعلي الوجهين قبلها في تخريج قراة النصب يوقف علي ما قبل ثلاث
عورات لانها ليست تابعة لما قبلها وقرا الاعمش عورات بفتح الواو وهي لغة هذيل وبني تميم
يفتحون عين فعلات واوا ويا وانشد. اخو بيضات رائح متاوب. رفيق بمسح المنكبين سبوح.
فصل المعني يستاذنوا في ثلاثة اوقات من قبل صلاة الفجر ووقت القيلولة ومن
بعد صلاة العشا وخص هذه الاوقات لانها ساعات الخلوة ووضع الثياب فربما يبدو من الانسان
ما لا يحب ان يراه احد من العبيد والصبيان فامرهم بالاستيذان في هذه الاوقات فاما غيرهم

من قبل

فيستاذنون

فليستاذنون في جميع الاوقات وسميت هذه الاوقات عورات لان الانسان يضع فيها ثيابه فتبدو
عورته **فصل** قال بعضهم ان قوله تعالي يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتي
تستانسوا وتسلموا علي اهلها يدل علي ان الاستيذان واجب في كل حال فنسخ بهذه الاية في غير هذه
الاحوال الثلاثة قال ابن عباس لم يكن للقوم ستور ولا حجاب وكان الخدم والولايد يدخلون
فربما يرون منهم ما لا يحبون فامروا بالاستيذان وقد بسط الله الرزق واتخذ الناس الستور فرأي
ان ذلك اغني عن الاستيذان وقال اخرون الاية الاولي اريد بها المكلف لانه خطاب لمن
امن والمراد بهذه الاية غير المكلف لا يدخل في بعض الاحوال الا باذن وفي بعضها بغير اذن
ولا وجه للنسخ **فان قيل** قوله الذين ملكت ايمانكم يدخل فيه من بلغ فالنسخ لازم
فالجواب ان قوله تعالي يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتي تستانسوا لا يدخل
تحته العبيد والاما فلا يجب النسخ قال ابو عبيد لم يصر احد من العلما الي ان الامر بالاستيذان
منسوخ وروي عطا عن ابن عباس انه قال ثلاث ايات من كتاب الله تركهن الناس فلا اري
احدا يعمل بهن قال عطا حفظت آيتين ونسيت واحدة وقوله يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر
وانثي وذكر سعيد بن جبير ان الاية الثالثة قوله واذا حضر القسمة اولوا القربي الاية وسئل
الشعبي عن قوله ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم امنسوخة هي قال لا والله قيل له ان الناس لا يعملون
بها قال الله المستعان وقال سعيد بن جبير في هذه الاية ان ناسا يقولون نسخت والله ما
نسخت ولكنها مما تهاون به الناس **قوله** ليس عليكم هذه الجملة يجوز ان يكون لها محل من الاعراب
وهو الرفع نعتا لثلاث عورات في قراة من رفعها كانه قيل هن ثلاث عورات مخصوصة بعدم
الاستيذان وان لا يكون لها محل بل هي كلام مقرر للامر بالاستيذان في تلك الاحوال خاصة وذلك
في قراة من نصب ثلاث عورات **قوله** بعدهن قال ابو البقا التقدير بعد استيذانهم فيهن
ثم حذف حرف الجر والفاعل فبقي بعد استيذانهم ثم حذف المصدر يعني بالفاعل الضمير المضاف
اليه الاستيذان فانه فاعل معنوي بالمصدر وهذا غير ظاهر بل الذي يظهر ان المعني ليس عليكم
جناح ولا عليهم اي العبيد والاما والصبيان جناح في عدم الاستيذان بعد هذه الاوقات
المذكورة ولا حاجة الي التقدير الذي ذكره **قوله** طوافون خبر مبتدا مضمر تقديره هم
طوافون وعليكم متعلق به **قوله** بعضكم علي بعض في بعضكم ثلاثة اوجه احدها انه مبتدا
وعلي بعض الخبر فقدره ابو البقا يطوف علي بعض وتكون هذه الجملة بدلا مما قبلها ويجوز ان تكون
موكدة ومبينة يعني انها افادة افادة الجملة التي قبلها فكانت بدلا او موكدة ورد ابو حيان
هذا بانه كون مخصوص فلا يجوز حذفه **والجواب** عنه ان الممتنع الحذف اذا لم يدل عليه
دليل وقصد اقامة الجار والمجرور مقامه وهنا عليه دليل ولم يقصد اقامة الجار مقامه
ولذلك قال الزمخشري خبره علي بعض علي معني طايف علي بعض وحذف لدلالة طوافون عليه الثاني
ان يرتفع بدلا من طوافون قاله ابن عطية وقال ابو حيان ولا يصح ان قدر الضمير ضمير غيبة
لتقدير المبتدا هم لانه يصير التقدير هم يطوف بعضكم علي بعض وهو لا يصح فان جعلت التقدير انتم
يطوف بعضكم علي بعض فيدفعه ان قوله عليكم يدل علي انهم هم المطوف عليهم وانتم طوافون يدل
علي انهم طايفون فتعارضا قال شهاب الدين نختار ان التقدير انتم ولا يلزم محذور وقوله فيدفعه
الي اخره لا تعارض فيه لان المعني كل منكم ومن عبيدكم طايف علي صاحبه وان كان طواف احد النوعين
غير طواف الاخر لان المراد الظهور علي احوال الشخص ويكون بعضكم بدلا من طوافون وعلي بعض بدلا
من عليكم باعادة العامل فابدلت مرفوعا من مرفوع ومجرورا من مجرور ونظيره **قوله**.
فلما قرعنا النبع بالنبع بعضه. ببعض ابت عيدانه ان تكسرا. فبعضه بدل من النبع المنصوب

وبعض بدل من المجرور بالبا الثالث انه مرفوع بفعل مقدر اي يطوف بعضكم على بعض حذف لدلالة
طوافون عليه قاله الزمخشري وقرا ابن ابي عبلة طوافين بالنصب على الحال من ضمير عليهم **فصل**
المعنى ليس عليكم ولا عليهم يعني العبيد والاما والصبيان جناح في الدخول عليكم بغير استيذان
بعدهن اي بعد هذه الاوقات الثلاثة طوافون عليكم اي العبيد والخدم يطوفون عليكم يترددون
ويدخلون ويخرجون في اشغالهم بغير اذن بعضكم على بعض **فان قيل** هل تقتضي
ذلك اباحة كشف العورة لهم فالجواب لا وانما اباح تعالى ذلك حيث كانت العادة
لا تكشف العورة في غير تلك الاوقات فمتى كشفت عورتها مع ظن دخول الخدم فذلك محرم عليها
فان كان الخادم مكلفا حرم عليه الدخول اذا ظن ان هناك كشف عورة **فان قيل** اليس
في الناس من جوز للبالغ من المماليك ان ينظر الى شعر مولاته فالجواب من جوز ذلك فالشعر
عنده ليس بعورة في حق المالك كما هو في حق ذي الرحم اذ العوره تنقسم اقساما وتختلف بالاضافات
فصل هذه الاباحة مقصورة على الخدم دون غيرهم وقوله ليس عليكم جناح هذا
الحكم مختص بالصغار دون البالغين لقوله بعد ذلك واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستاذنوا
كما استاذن الذين من قبلهم **قوله** واذا بلغ الاطفال منكم الحلم اي الاحتلام يريد الاحرار
الذين بلغوا فليستاذنوا اي يستاذنون في جميع الاوقات في الدخول عليكم كما استاذن الذين من
قبلهم من الاحرار الكبار وقيل يعني الذين كانوا مع ابرهيم وموسى وعيسى عليهم السلام كذلك يبين الله
لكم اياته دلالاته وقيل احكامه والله عليم بامور خلقه حكيم بما دبرهم قال سعيد بن المسيب
يستاذن الرجل على امه فانما انزلت هذه الاية في ذلك وسئل حذيفة ايستاذن الرجل على والدته
قال نعم وان لم تفعل رايت منها ما تكره **قوله** والقواعد من النسا القواعد جمع قاعد من غير
تا تانيث ومعناه القواعد عن النكاح او عن الحيض او عن الاستمتاع او عن الحبل او عن الجميع ولولا تخصيصهن
بذلك لوجبت التا نحو ضاربة وقاعدة من القعود المعروف وقوله من النسا وما بعده بيان لهن
والقواعد مبتدا ومن النسا حال واللاتي صفة للقواعد لا للنسا وقوله فليس عليهن الجملة خبر المبتدا
وانما دخلت الفا لان المبتدا موصوف بموصول لو كان ذلك الموصول مبتدا لجاز دخولها في خبره ولذلك
منعت ان يكون اللاتي صفة للنسا اذ لا يبقى مسوغ لدخول الفا في خبر المبتدا وقال ابو البقا ودخلت
الفا لما في المبتدا من معنى الشرط لان الالف واللام بمعنى الذي وهذا مذهب الاخفش وتقدم
تحقيقه في المايدة ولكن هنا ما يغني عن ذلك وهو وصف المبتدا بالموصوف المذكور وغير متبرجات
حال من عليهن والتبرج الظهور من البرج وهو البنا الظاهر والتبرج سعة العين يرى بياضها
محيطا بسوادها كله لا يغيب منه شي والتبرج اظهار ما يجب اخفاوه بان تكشف المراة للرجال
بابدا زينتها واظهار محاسنها وبزينة تتعلق به **قوله** وان يستعففن مبتدا بتاويل استعفافهن
وخير خبره **فصل** قال المفسرون القواعد هن اللواتي تعدن عن الحيض والولد من
الكبر ولا يطمع لهن في الازواج والاولى ان لا يعتبر تعودهن عن الحيض لان ذلك ينقطع والرغبة
فيهن باقية والمراد تعودهن عن الازواج ولا يكون ذلك الا عند بلوغهن الى حيث لا يرغب فيهن
الرجال لكبرهن قال ابن قتيبة سميت المراة قاعدا اذا كبرت لانها تكثر القعود وقال ربيعه
هن العجز اللواتي اذا راهن الرجال استقذرهن فاما من كانت فيها بقية من جمال وهي محل الشهوة
فلا تدخل في هذه الاية فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن عند الرجال يعني يضعن بعض ثيابهن
وهي الجلباب والردا الذي فوق الثياب والقناع الذي فوق الخمار فاما الخمار فلا يجوز وضعه لما فيه
من كشف العورة وقرا عبد الله بن مسعود وابي بن كعب ان يضعن من ثيابهن وروي عن ابن عباس
انه قرا ان يضعن جلابيبهن وعن السدي عن شيوخه ان يضعن خمرهن عن رووسهن وانما خصهن الله

بذلك لان التهم مرتفعة عنهن وقد بلغن هذا المبلغ فلو غلب على ظنهن خلاف ذلك لم يحل لهن وضع الثياب
ولذلك قال وان يستعففن خير لهن فانما جعل ذلك افضل لانه ابعد عن الظنة فعند الظنة يلزمهن
ان لا يضعن ذلك كما يلزم الشابة والله سميع عليم **قوله تعالى** ليس على الاعمى حرج الاية
قال ابن عباس لما انزل الله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل تحرج المسلمون
عن مواكلة المرضى والزمنى والعمي والعرج وقالوا الطعام افضل الاموال وقد نهانا الله عز وجل عن
اكل المال بالباطل والاعمى لا يبصر موضع الطعام الطيب والاعرج لا يتمكن من الجلوس ولا يستطيع
المزاحمة على الطعام والمريض يضعف عن التناول فلا يستوفي الطعام فانزل الله هذه الاية
وعلى هذا التاويل يكون على بمعنى في اي ليس في الاعمى يعني ليس عليكم في مواكلة الاعمى والاعرج والمريض
حرج وقال سعيد بن جبير والضحاك وغيرهما كان العرجان والعميان والمرضى يتنزهون عن مواكلة
الاصحا لان الناس يتقذرونهم ويكرهون مواكلتهم ويقول الاعمى ربما اكثرا كل ويقول الاعرج
ربما اخذ مكان اثنين فنزلت هذه الاية وقال مجاهد نزلت هذه الاية ترخيصا لهاولاي في الاكل
من بيوت من سمى الله في هذه الاية لان هولاء كانوا يدخلون على الرجل لطلب العلم فاذا لم يكن عنده
ما يطعمهم ذهب بهم الى بيوت ابايهم وامهاتهم او بعض من سمى الله عز وجل في هذه الاية فكان اهل
الزمانة يتحرجون من ذلك الطعام ويقولون ذهب بنا الى بيت غيره فانزل الله هذه الاية وقال
سعيد بن المسيب كان المسلمون اذا غزوا خلفوا زمناهم ويدفعون اليهم مفاتيح ابوابهم ويقولون
قد احللنا لكم ان تاكلوا مما في بيوتنا فكانوا يتحرجون من ذلك ويقولون لا ندخلها وهم غيب فانزل
الله هذه الاية رخصة لهم وقال الحسن نزلت الاية رخصة لهاولاي في التخلف عن الجهاد وقال
تم الكلام عند قوله ولا على المريض حرج وقوله تعالى ولا على انفسكم كلام منقطع عما قبله وقيل
لما نزل قوله ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل قالوا لا يحل لاحد منا ان ياكل عند احد فانزل الله عز وجل
ولا على انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم اي لا حرج عليكم ان تاكلوا من بيوتكم فان قيل اي فايدة في
اباحة اكل الانسان طعامه في بيته فالجواب قيل اراد من اموال عيالكم وازواجكم وبيت
المراة كبيت الزوج وقال ابن قتيبة اراد من بيوت اولادكم نسب بيوت الاولاد الى الابا كقوله
عليه السلام انت ومالك لابيك **فصل** دلت هذه الاية بظاهرها على اباحة الاكل من
هذه المواضع بغير استيذان وهو منقول عن قتادة وانكره الجمهور ثم اختلفوا فقيل كان ذلك في
صدر الاسلام فنسخ بقوله عليه السلام لا يحل مال امري مسلم الا عن طيب نفس منه ويدل على هذا
النسخ قوله تعالى لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يوذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه وكان في ازواج
الرسول من لهن الابا والاخوات فعم بالنهي عن دخول بيوتهن الا بالاذن في الاكل فان قيل انما
اذن الله تعالى في هذه الاية لان المسلمين لم يكونوا يمنعون قراباتهم هولاء من ان ياكلوا في بيوتهم
حضروا او غابوا فجاز ان يرخص في ذلك فالجواب لو كان الامر كذلك لم يكن لتخصيص هولاء الاقارب
بالذكر معنى لان غيرهم كهم في ذلك وقال ابو مسلم المراد من هولاء الاقارب اذا لم يكونوا مومنين
لانه تعالى نهى من قبل عن مخالطتهم بقوله لا تجد قوما يومنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد
الله ورسوله ثم انه تعالى اباح في هذه الاية ما حظره هناك قال ويدل عليه ان في هذه السورة
امر بالتسليم على اهل البيوت فقال حتى تستانسوا وتسلموا على اهلها وفي بيوتها ولاء المذكورين
لم يامر بذلك بل امر بان يسلموا على انفسهم فالمقصود من هذه الاية اثبات الاباحة في الجملة لا اثبات
الاباحة في جميع الاوقات وقيل لما علم بالعادة ان هولاء القوم تطيب نفوسهم باكل من يدخل
عليهم والعادة كالاذن فيجوز ان يقال خصهم الله بالذكر لان هذه العادة في الاصل توجد
منهم ولذلك ضم اليها الصديق ولما علمنا ان هذه الاباحة انما حصلت لاجل حصول الرضا فيها

فلا حاجة الى الفتح **قوله** او بيوت ابائكم او بيوت امهاتكم او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم
او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم او ما ملكتم مفاتحه قال
ابن عباس عني بذلك وكيل الرجل وقيمه في ضيعته وماشيته لا باس عليه ان ياكل من ثمر ضيعته
ويشرب من لبن ماشيته ولا يحمل ولا يدخر وملك المفتاح كونه في يده وحفظه قال المفضل المفاتح
واحدها مفتح بفتح الميم وواحد المفاتيح مفتح بالكسر وقال الضحاك يعني من بيوت عبيدكم
ومماليككم لان السيد يملك منزل عبده والمفاتح الخزاين لقوله وعنده مفاتح الغيب ويجوز ان يكون
الذي يفتح به وقال عكرمة اذا ملك الرجل المفتاح فهو خازن فلا باس ان يطعم الشي اليسير وقال
السدي الرجل يولي طعامه غيره يقوم عليه فلا باس ان ياكل منه وقيل وما ملكتم مفاتحه ما
خزنتموه عندكم قال مجاهد وقتادة من بيوت انفسكم مما اخترتم وملكتم **قوله** او ما
ملكتم مفاتحه العامة على فتح الميم واللام مخففة وابن جبير مُلِّكتم بضم الميم وكسر اللام مشددة
اي مَلَّكتم غيركم والعامة على مفاتحه دون ياء جمع مفتح وابن جبير مفاتيحه بالياء بعد التا
جمع مفتاح وجوز ابو البقا ان يكون جمع مفتح بالكسر وهو الالة وان يكون جمع مَفتح بالفتح وهو
المصدر بمعنى الفتح والاول اقيس وقرا ابو عمرو في رواية هرون عنه مفتاحه بالافراد وهي قراة
قتادة **قوله** او صديقكم العامة على فتح الصاد وحميد الخراز روي كسرها اتباعا لكسرة الدال
والصديق يقع للواحد والجمع كالخليط والقطين ونحوهما **فصل** الصديق الذي صدقك
في المودة قال ابن عباس نزلت في الحرث بن عمرو خرج غازيا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وخلف مالك بن زيد على اهله فلما رجع وجده مجهودا فساله عن حاله فقال تحرجت ان اكل طعامك
بغير اذنك فانزل الله هذه الاية وكان الحسن وقتادة يريان دخول الرجل بيت صديقه والتحرم
بطعامه من غير استيذان منه في الاكل بهذه الاية والمعنى ليس عليكم جناح ان تاكلوا من منازل
هولا اذا دخلتموها وان لم تحضروا من غير ان تتزودوا وتحملوا وحكي ان الحسن دخل داره واذا حلقة
من اصدقايه وقد اخرجوا سلالا من تحت سريره فيها الخبيص واطايب الاطعمة مكبين عليها
ياكلون فتهللت اسارير وجهه سرورا وضحك وقال هكذا وجدناهم يعني كبراء الصحابة وعن
ابن عباس الصديق اكبر من الوالدين لان اهل جهنم لما استغاثوا لم يستغيثوا بالابا والامهات
بل قالوا فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وحكي ان اخا الربيع بن خثيم دخل منزله في حال
غيبته فانبسط الى جاريته حتى قدمت اليه ما اكل فلما قدم اخبرته بذلك فاسره ذلك وقال ان
صدقت فانت حرة **فصل** احتج ابو حنيفة بهذه الاية على ان من سرق من ذي رحم
محرم انه لا يقطع لان الله تعالى اباح لهم الاكل من بيوتهم ودخولها بغير اذنهم فلا يكون ماله محرزا
منهم فان قيل فيلزم ان لا يقطع اذا سرق من مال صديقه فالجواب من اراد سرقة
ماله لا يكون صديقا له **قوله** ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا قال الاكثرون
نزلت في بني ليث بن عمرو وحي من كنانة كان الرجل منهم لا ياكل وحده فيمكث يومه حتى يجد ضيفا
ياكل معه فان لم يجد من يواكله لم ياكل شيا وربما قعد الرجل والطعام بين يديه من الصباح
الى الرواح وربما كانت معه الابل الحفل فلا يشرب من البانها حتى يجد من يشاربه فاذا امسى ولم
يجد احدا اكل هذا قول قتادة والضحاك وابن جريج وقال عطا الخراساني عن ابن عباس كان
الغني يدخل على الفقير من ذوي قرابته وصداقته فيدعوه الى طعامه فيقول والله اني لاجنح
اي اتحرج ان اكل معك وانا غني وانت فقير فنزلت هذه الاية وقال عكرمة وابو صالح
نزلت في قوم من الانصار كانوا لا ياكلون اذا نزل بهم ضيف الا مع ضيفهم فرخص لهم في ان ياكلوا كيف
شاوا جميعا مجتمعين او اشتاتا متفرقين وقال الكلبي كانوا اذا اجتمعوا لياكلوا طعاما عزلوا للاعمى

طعاما على حدة وكذلك للزمن والمريض فبين الله لهم ان ذلك غير واجب **قوله** جميعا حال
من فاعل تاكلوا واشتاتا عطف عليه وهو جمع شت وشتى جمع شتيت وشتان تثنية شت قاله
المفضل وقيل الشت مصدر بمعنى التفرق ثم يوصف به ويجمع **قوله** فاذا دخلتم بيوتا
فسلموا على انفسكم اي ليسلم بعضكم على بعض جعل انفس المسلمين كالنفس الواحدة كقوله تعالى ولا تقتلوا
انفسكم قال ابن عباس فان لم يكن احد فعلى نفسه ليقل السلام علينا من قبل ربنا قال جابر
وطاوس والزهري وقتادة والضحاك وعمرو بن دينار اذا دخل الرجل بيته فليسلم على اهله
ومن في بيته قال قتادة اذا دخلت بيتك فسلم على اهلك فهم احق من سلمت عليهم واذا دخلت
بيتا لا احد فيه فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين حدثنا ان الملايكة ترد عليه وعن
ابن عباس في قوله فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم قال اذا دخلت المسجد فقل السلام علينا
وعلى عباد الله الصالحين قال القفال وان كان في البيت اهل الذمة فليقل السلام على من
اتبع الهدى **قوله** تحية منصوب على المصدر من معنى فسلموا فهو من باب قعدت جلوسا كانه
قال فحيوا تحية وتقدم وزن التحية ومن عند الله يجوز ان يتعلق بمحذوف صفة لتحية وان يتعلق
بنفس تحية اي التحية صادرة من جهة الله ومن لابتدا الغاية مجازا الا انه يعكر على الوصف تاخر
الصفة الصريحة عن الموولة وتقدم ما فيه **فصل** تحية من عند الله اي مما امركم الله به
قال ابن عباس من قال السلام عليكم معناه اسم الله عليكم مباركة طيبة قال ابن عباس حسنة
جميلة وقال الضحاك معنى البركة فيه تضعيف الثواب كذلك يبين الله لكم الايات اي يفصل الله
شرايعه لعلكم تعقلون عن الله امره ونهيه قال انس وقفت على راس النبي صلى الله عليه وسلم اصب
الما على يديه فرفع راسه وقال الا اعلمك ثلاث خصال تنتفع بها قلت بابي انت وامي يا رسول الله
بلى قال من لقيت من امتي فسلم عليهم يطل عمرك واذا دخلت بيتا فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة
الضحى فانها صلاة الاوابين **قوله تعالى** انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله
واذا كانوا معه اي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على امر جامع يجمعهم من حرب حضرت او صلاة
جمعة او عيد او جماعة او تشاور في امر نزل فقوله امر جامع من الاسناد المجازي لانه لما كان
سببا في جمعهم نسب الفعل اليه مجازا وقرا اليماني على امر جميع فيحتمل ان يكون صيغة مبالغة
بمعنى مجمع وان لا يكون والجملة الشرطية من قوله واذا كانوا وجوابها عطف على الصلة من قوله
امنوا والامر الجامع هو الذي يعم ضرره او نفعه والمراد به الخطب الجليل الذي لا بد لرسول
الله صلى الله عليه وسلم من ارباب التجارب والاراء ليستعين بتجاربهم فمفارقة احدهم في هذه
الحالة مما يشق على قلبه **فصل** قال الكلبي كان النبي صلى الله عليه وسلم يعرض في خطبته
بالمنافقين ويعيبهم فينظر المنافقون يمينا وشمالا فاذا لم يرهم احد انسلوا وخرجوا ولم يصلوا وان
ابصرهم احد ثبتوا وصلوا خوفا فنزلت هذه الاية فكان المومن بعد نزول هذه الاية لا يخرج
لحاجته حتى يستاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان المنافقون يخرجون بغير اذن **فصل**
قال العلما كل امر اجتمع عليه المسلمون مع الامام لا يخالفونه ولا يرجعون عنه الا باذن وهذا
اذا لم يكن سبب يمنعه من المقام فان حدث سبب يمنعه من المقام بان يكونوا في المسجد فتحيض
منهم امراة او يجنب رجل او يعرض له مرض فلا يحتاج الى الاستيذان **فصل** قال الجبائي
دلت الاية على ان استيذانهم الرسول من ايمانهم ولولا ذلك لجاز ان يكونوا كاملي الايمان والجواب
هذا بنا على ان كلمة انما للحصر وايضا فالمنافقون انما تركوا الاستيذان استخفافا وذلك كفر **قوله**
ان الذين يستاذنونك تعظيما لك ورعاية للادب اولئك الذين يومنون بالله ورسوله اي يعملون
بموجب الايمان ومقتضاه قال الضحاك ومقاتل المراد عمر بن الخطاب وذلك انه استاذن في غزوة

تبوك في الرجوع الى اهله فاذن له وقال انطلق فوالله ما انت منافق يريد ان يسمع المنافقين ذلك
الكلام فلما سمعوا ذلك قالوا ما بال محمد اذا استاذنه اصحابه اذن لهم واذا استاذناه ابى فوالله ما نراه
يعدل قال ابن عباس ان عمر استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في العمرة فاذن له ثم قال يا ابا
حفص لا تنسنا في صالح دعائك **قوله** لبعض شانهم تعليل اي لاجل بعض حاجتهم واظهر العامة
الضاد عند الشين وادغمها ابو عمرو فيها لما بينهما من التقارب لان الضاد من اقصى حافة اللسان والشين
من وسطه وقد استضعف جماعة من النحويين هذه هذه الرواية واستبعدوها عن ابي عمرو
راس الصناعة من حيث ان الضاد اقوى من الشين ولا يدغم الاقوى في الاضعف واسا الزمخشري
على راويها السوسي وقد اجاب الفاسي عنه فقيل وجه الادغام ان الشين اشد استطالة من الضاد
وفيها تفش ليس في الضاد فقد صارت الضاد انقص منها وادغام الانقص في الازيد جايز قال
ويؤيد هذا ان سيبويه حكى عن بعض العرب اطجع في اضطجع واذا جاز ادغامها في الطا فادغامها
في الشين اولى والخصم لا يسلم جميع ما ذكر ومستند المنع واضح **فصل** فاذا استاذنوك لبعض
شانهم امرتهم فاذن لمن شئت منهم بالانصراف اي ان شئت فاذن واستغفر لهم الله وهذا تنبيه
على ان الاولى ان لا يستاذنوا وان اذن لان الاستغفار يكون عن ذنب ويحتمل ان يكون امر بالاستغفار
لهم مقابلة على تمسكهم باذن الله تعالى في الاستيذان **فصل** قال مجاهد قوله فاذن
لمن شئت منهم نسخت هذه الاية وقال قتادة نسخت هذه الاية بقوله لم اذنت لهم والاية
تدل على انه تعالى فوض الى رسول الله بعض امر الدين ليجتهد فيه رايه **قوله تعالى**
لا تجعلوا دعا الرسول بينكم كدعا بعضكم بعضا قال سعيد بن جبير وجماعة كثيرة معناه لا تنادوه
باسمه فتقولون يا محمد ولا بكنيته فتقولون يا ابا القاسم بل نادوه وخاطبوه بالتوقير يا رسول الله
يا نبي الله وعلى هذا يكون المصدر مضافا الى المفعول وقال المبرد والقفال لا تجعلوا دعاه اياكم
كدعا بعضكم لبعض فتتباطؤون عنه كما يتباطا بعضكم عن بعض اذا دعاه لامر بل تجب عليكم
المبادرة لامره ويؤيده قوله فليحذر الذين يخالفون عن امره وعلى هذا يكون المصدر مضافا
للفاعل وقال ابن عباس احذروا دعا الرسول عليكم اذا اسخطتموه فان دعاه موجب ليس
كدعا غيره وروي عنه ايضا لا ترفعوا اصواتكم في دعايه وهو المراد من قوله ان الذين يغضون
اصواتهم عند رسول الله وقول المبرد اقرب الى نظم الاية وقرا الحسن نبيكم بتقديم النون
على البا المكسورة بعدها يا مشددة مخفوضة مكان بينكم الظرف في قراة العامة وفيها ثلاثة
اوجه احدها انه بدل من الرسول الثاني انه عطف بيان لان النبي باضافته الى المخاطبين
صار اشهر من الرسول الثالث انه نعت لا يقال انه لا يجوز لان هذا كما قررتم اعرف والنعت
لا يكون اعرف من المنعوت بل اما اقل او مساوي لان الرسول صار علما بالغلبة على محمد صلى الله عليه وسلم
فقد تساويا تعريفا **قوله** قد يعلم الله قد تدل على التقليل مع المضارع الا في افعال الله
فتدل على التحقيق كهذه الاية وقد ردها بعضهم الى التقليل لكن الى متعلق العلم يعني ان الفاعلين
لذلك قليل فالتقليل ليس في العلم بل في متعلقه **قوله** لواذا فيه وجهان احدهما انه
منصوب على المصدر من معنى الفعل الاول اذ التقدير يتسللون منكم تسللا او يلاوذون لواذا
والثاني انه مصدر في موضع الحال اي ملاوذين واللواذ مصدر لاوذ وانما صحت الواو وان انكسر
ما قبلها ولم تقلب يا كما قلبت في قيام وصيام لانها صحت في الفعل نحو لاوذ فلو اعلت في الفعل اعلت
في المصدر نحو القيام والصيام لقلبها الفا في قام وصام واما مصدر لاذ بكذا يلوذ به فمعتل نحو لاذ
لياذا مثل صام صياما وقام قياما **واللواذ** والملاوذة التستر يقال لاوذ فلان بكذا اذا استتر
به واللوذ ما يطيف بالجبل وقيل اللواذ الروغان من شي الى شي في خفية ووجه المفاعلة ان كلا

منهم

منهم يلوذ بصاحبه فالمشاركة موجودة وقرا يزيد بن قطيب لواذا بفتح اللام وهي تحتمل لوجهين
احدهما ان يكون مصدر لاذ ثلاثيا فيكون مثل طاف طوافا والثاني ان يكون مصدر لاوذ الا انه فتحت
الفا اتباعا لفتحة العين وهو تعليل ضعيف يصلح لمثل هذه القراة **فصل** المعنى قال
المفسرون ان المنافقين كانوا يخرجون مستترين بالناس من غير استيذان حتى لا يروا وقال ابن عباس
كان المنافقون يثقل عليهم المقام في المسجد يوم الجمعة واستماع خطبة النبي صلى الله عليه وسلم
فكانوا يلوذون ببعض اصحابه فيخرجون من المسجد في استتار وقال مجاهد يتسللون من الصف
في القتال وقيل كان هذا في حفر الخندق ينصرفون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مختفين وقيل يعرضون
عن الله وعن كتابه وعن ذكره وعن نبيه **قوله** فليحذر الذين فيه وجهان اشهرهما وهو الذي
لا يعرف النحاة غيره ان الموصول هو الفاعل وان تصيبهم مفعوله اي فليحذر المخالفون عن امره اصابتهم
فتنة والثاني ان فاعل فليحذر ضمير مستتر والموصول مفعول به ورد هذا بوجوه منها ان
الاضمار خلاف الاصل وفيه نظر لان هذا الاضمار في قوة المنطوق به فلا يقال هو خلاف الاصل
الا ترى ان نحو قم وليقم فاعله مضمر ولا يقال في شي منه هو خلاف الاصل وانما الاضمار خلاف الاصل
فيما كان حذفا نحو واسال القرية ومنها ان هذا الضمير لا مرجع له اي ليس له شي يعود عليه فبطل
ان يكون الفاعل ضميرا مستترا واجيب بان الذي يعود عليه الضمير هو الموصول الاول اي
فليحذر المتسللون المخالفين عن امره فيكونون قد امروا بالحذر منهم اي امروا باجتنابهم كما يومر
باجتناب الفساق وردوا هذا بوجهين احدهما ان الضمير مفرد والذي يعود عليه جمع ففاتت
المطابقة التي هي شرط في تفسير الضماير الثاني ان المتسللين هم المخالفون فلو امروا بالحذر
عن الذين يخالفون لكانوا قد امروا بالحذر عن انفسهم وهو لا يجوز لانه لا يمكن ان يومروا بالحذر
عن انفسهم ويمكن ان يجاب عن الاول بان الضمير وان كان مفردا فانما عاد على جمع باعتبار ان المعنى
فليحذر هو اي من ذكر قبل ذلك وحكى سيبويه ضربني وضربت قومك اي ضربني من ثم ومن ذكر
وهي مسيلة معروفة في النحو او يكون التقدير فليحذر كل واحد من المتسللين وعن الثاني بانه
يجوز ان يومر الانسان بالحذر عن نفسه مجازا يعني انه لا يطاوعها على شهواتها وما تسوله له من
السوء كانه قيل فليحذر المخالفون انفسهم فلا تطيعوها فيما تامرهم به ولهذا يقال امر نفسه ونهاها
وامرته نفسه باعتبار المجاز ومنها انه يصير قوله ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم مفلتا
ضايعا لان يحذر يتعدى لواحد وقد اخذه على زعمكم وهو الذين يخالفون ولا يتعدى الى اثنين
حتى يقولوا ان ان تصيبهم فتنة في محل مفعوله الثاني فيبقى ضايعا وفيه نظر لانه لا نسلم ضياعه
لانه مفعول من اجله واعترض على هذا بانه يستكمل شروط النصب لاختلاف الفاعل لان فاعل
الحذر غير فاعل الاصابة وهو ضعيف لان حذف حرف الجر يطرد مع ان وان تقول سلم شروط
النصب غير موجودة وهو مجرور باللام تقديرا وانما حذفت مع ان لطولها بالصلة ويخالفون يتعدى
بنفسه نحو خالفت امر زيد وبالى نحو خالفت الى كذا فكيف تعدى هذا بحرف المجاورة وفيه اوجه
احدها انه ضمن معنى صد واعرض اي صد عن امره واعرض عنه بخالفه والثاني قال ابن
عطية معناه يقع خلافهم بعد امره كما تقول كان المطر عن ريح كذا وعن لما عدا الشي الثالث
انها مزيدة اي يخالفون امره واليه نحا الاخفش وابو عبيدة والزيادة خلاف الاصل وقرئ يخلّفون
بالتشديد ومفعوله محذوف اي يخلفون انفسهم **فصل** المعنى فليحذر الذين يخالفون اي
يعرضون عن امره او يخالفون امره وينصرفون عنه بغير اذنه ان تصيبهم فتنة اي لئلا تصيبهم فتنة
قال مجاهد بلاء في الدنيا او يصيبهم عذاب اليم وجيع في الاخرة والضمير في امره يرجع الى الرسول
وقال ابو بكر الرازي الاظهر انه لله تعالى لانه يليه **فصل** الاية تدل على ان الامر للوجوب

لان تارك المامور مخالف للامر ومخالف الامر يستحق العقاب ولا معنى للوجوب الا ذلك **قوله تعالى** الا ان لله ما في السموات والارض اي ملكا وعبيدا وهذا تنبيه على كمال قدرته تعالى عليهما وعلى ما بينهما وفيهما **قوله** قد يعلم ما انتم عليه قال الزمخشري ادخل قد ليوكد علمه بما هم عليه من المخالفة عن الدين والنفاق ويرجع توكيد العلم الى توكيد الوعيد وذلك ان قد اذا دخلت على المضارع كانت بمعنى ربما فوافقت ربما في خروجها الى معنى التكثير في نحو قوله
فان تمس مهجور الفنا فربما اقام به بعد الوفود وفود
ونحو من ذلك قول زهير
اخي ثقة لا تهلك الخمر ماله ولكنه قد تهلك المال نايله
قال ابو حيان وكون قد اذا دخلت على المضارع افادت التكثير قول لبعض النحاة وليس بصحيح وانما التكثير مفهوم من السياق والصحيح انه لتقليل الشيء او لتقليل نظيره وان فهم تكثير فمن السياق لا منها **قوله** ويوم يرجعون في يوم وجهان احدهما انه مفعول به لا ظرف لعطفه على قوله ما انتم عليه اي يعلم الذي انتم عليه من جميع احوالكم ويعلم يوم يرجعون كقوله ان الله عنده علم الساعة وقوله لا يجليها لوقتها الا هو والثاني انه ظرف لشيء محذوف قال ابن عطية ويجوز ان يكون التقدير والعلم الظاهر لكم او نحو هذا يوم فيكون النصب على الظرف انتهى وقرا العامة يرجعون مبنيا للمفعول وابو عمرو في اخرين مبنيا للفاعل وعلى كلتي القراتين فيجوز وجهان احدهما ان يكون في الكلام التفات من الخطاب في قوله ما انتم عليه الى الغيبة في قوله يرجعون والثاني ان ما انتم عليه خطاب عام لكل احد والضمير في يرجعون للمنافقين خاصة فلا التفات حينئذ **فصل** المعنى يعلم ما انتم عليه من الايمان والنفاق وقد صلة ويوم يرجعون اليه يعني يوم البعث فينبيهم بما عملوا من الخير والشر والله بكل شيء عليم روي عن عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنزلوا النسا الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن المغزل وسورة النور وروي الثعلبي عن ابي امامة عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النور اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل مومن فيما مضى وفيما بقي

سورة الفرقان مكية

وهي سبع وسبعون اية وثمان ماية واثنان وسبعون كلمة وعدد حروفها ثلاثة الاف وسبع ماية وثمانون حرفا ، بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى تبارك الذي نزل الفرقان على عبده الاية اعلم انه تعالى تكلم في هذه السورة في التوحيد والنبوة واحوال القيمة ثم ختمها بذكر العباد المخلصين المومنين قال الزجاج تبارك تفاعل من البركة والبركة كثرة الخير وزيادته وفيه معنيان احدهما تزايد خيره وتكاثره قال ابن عباس معناه جا بكل بركة قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها والثاني قال الضحاك تعظم الذي نزل الفرقان اي القران على عبده وقيل الكلمة تدل على البقا وهو ماخوذ من بروك البعير ومن بروك الطير على الما وسميت البركة بركة لثبوت الما فيها والمعنى انه سبحانه باقي في ذاته ازلا وابدا ممتنع التغير وباقي في صفاته ممتنع التبدل **فان قيل** كلمة الذي موضوعة في اللغة للاشارة الى الشيء عند محاولة تعريفه بقضية معلومة واذا كان كذلك فالقوم ما كانوا عالمين بانه سبحانه الذي نزل الفرقان مجزا فالجواب انه لما ظهر الدليل على كونه من عند الله فلقوة الدليل وظهوره اجراه سبحانه مجرى المعلوم **فصل** وصف القران بالفرقان لانه فرق بين الحق والباطل في نبوة محمد عليه السلام وبين الحلال والحرام او لانه فرق في النزول كقوله وقرانا فرقناه لتقراه على الناس على مكث وهذا اقرب لانه قال نزل الفرقان على عبده ولفظة نزل يدل على التفريق ولفظة انزل تدل على الجمع ولهذا قال في سورة ال عمران نزل عليك الكتاب بالحق وانزل التورية والانجيل والمراد بالعبد ههنا محمد صلى الله عليه وسلم **قوله** ليكون اللام متعلقة بنزل وفي اسم يكون ثلاثة اوجه احدها انه ضمير يعود على الذي نزل

اي

اي ليكون الذي نزل الفرقان نذيرا الثاني انه يعود على الفرقان وهو القران اي ليكون الفرقان نذيرا اضاف الانذار اليه كما اضاف الهداية اليه في قوله ان القران يهدي وهذا بعيد لان المنذر والنذير من صفات الفاعل للتخويف ووصف القران به مجاز وحمل الكلام على الحقيقة اولى الثالث انه يعود على عبده اي ليكون عبده محمد صلى الله عليه وسلم نذيرا وهذا احسن الوجوه معنى وصناعة لقربه مما يعود عليه والضمير يعود على اقرب مذكور وللعالمين متعلق بنذيرا وانما قدم لاجل الفواصل ودعوى افادة الاختصاص بعيدة لعدم تاتيها هنا ورجح ابو حيان عوده على الذي قال لانه العمدة المسند اليه الفعل وهو من وصفه تعالى كقوله تعالى انا كنا منذرين ونذيرا الظاهر فيه انه بمعنى منذر ويجوز ان يكون مصدرا بمعنى الانذار كالنكير بمعنى الانكار ومنه فكيف كان عذابي ونذر **فان قيل** قوله تبارك يدل على كثرة الخير والبركة فالمذكور عقيبه لابد وان يكون سببا لكثرة الخير والمنافع والانذار يوجب الغم والخوف فكيف يليق ذكره بهذا الموضع فالجواب ان الانذار يجري مجرى تاديب الوالد كما انه كلما كانت المبالغة في تاديب الولد اكثر كان رجوع الخلق الى الله اكثر وكانت السعادة الاخروية اتم واكثر وهذا كالتنبيه على انه لا التفات الى المنافع العاجلة لانه تعالى لما وصف نفسه بانه معطي الخيرات الكثيرة لم يذكر الا منافع الدين ولم يذكر منافع الدنيا البتة **قوله** الذي له ملك يجوز في الذي الرفع نعتا للذي الاول او بيانا او بدلا او خبرا لمبتدا محذوف او النصب على المدح وما بعد بدل من تمام الصلة فليس اجنبيا فلا يضر الفصل به بين الموصول الاول والثاني اذا جعلنا الثاني تابعا له **فصل** الذي له ملك السموات والارض اشارة الى احتياج هذه المخلوقات اليه سبحانه حال حدوثها وبقائها وانه سبحانه هو المتصرف فيها كيف يشا ولم يتخذ ولدا اي هو الفرد ابدا ولا يصح ان يكون غيره معبودا او وارثا للملك عنه وهذا رد على النصارى ولم يكن له شريك في الملك اي هو المتفرد بالالهية واذا عرف العبد ذلك انقطع رجاوه عن كل ما سواه ولم يشتغل قلبه الا برحمته واحسانه وفيه رد على الثنوية والقايلين بعبادة النجوم والاوثان **قوله** وخلق كل شيء الخلق هنا عبارة عن الاحداث والتهيية لما يصلح له لا خلقية ولا تفاوت حتى يجي قوله فقدره تقديرا معيدا اذ لو حملنا خلق كل شيء على معناه الاصلي من التقدير لصار الكلام وقدر كل شيء فقدره **فصل** قوله خلق كل شيء يدل على انه تعالى خالق الاعمال من وجهين الاول ان قوله كل شيء يتناول جميع الاشيا ومن جملتها افعال العباد والثاني انه تعالى نفى الشريك فكان قايلا قال ههنا اقوام معترفون بنفي الشركاء والانداد ومع ذلك يقولون بخلق افعال انفسهم فذكر الله تعالى هذه الاية ردا عليهم قال القاضي الاية لا تدل عليه لوجوه احدها انه تعالى صرح بكون العبد خالقا فقال واذ تخلق من الطين كهيئة الطير وقال فتبارك الله احسن الخالقين وتمدح بانه قدره تقديرا ولا يجوز ان يريد به الا الحسن والحكمة دون غيره فظاهر الاية لا يدل الا على التقدير لان الخلق عبارة عن التقدير فلا يتناول الا ما يظهر فيه التقدير وهو الاجسام لا الاعراض والجواب ان قوله واذ تخلق وقوله احسن الخالقين معارض بقوله الله خالق كل شيء وبقوله هل من خالق غير الله وقولهم لا يجوز التمدح بخلق الفساد فالجواب لم لا يجوز ان يتمدح به من حيث نفاذ القدرة **قوله تعالى** واتخذوا يجوز ان يعود الضمير على الكفار الذين تضمنهم لفظ العالمين وان يعود على من ادعى لله شريكا وولدا لدلالة قوله ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وان يعود على المنذرين لدلالة نذيرا عليهم **قوله** لا يخلقون صفة لالهة وغلب العقلا على غيرهم لان الكفار كانوا يعبدون العقلا كعزير والمسيح والملايكة وغيرهم

كالكواكب والاصنام ومعنى لا يخلقون لا يقدرون على التقدير والخلق يوصف به العباد قال زهير ● ولانت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري ● ويقال خلقت الاديم اي قدرته هذا اذا اريد بالخلق التقدير فان اريد به الايجاد فلا يوصف به غير الباري تعالى وقد تقدم وقيل معنى يخلقون كقوله وتخلقون افكا **فصل** لما وصف نفسه بصفات الجلال والعز والعلو اردفه بتزييف مذهب عبدة الاوثان من وجوه منها انها ليست خالقة للاشيا والاله يجب ان يكون قادرا على الخلق والايجاد ومنها انها مخلوقة والمخلوق محتاج والاله يجب ان يكون غنيا ومنها انها لا تملك لانفسها ضرا ولا نفعا ومن كان كذلك لا يملك موتا ولا حياة ولا نشورا اي لا يقدر على الاحيا والاماتة لا في زمن التكليف ولا في زمن المجازاة ومن كان كذلك كيف يسمى الها وكيف يستحق العبادة **فصل** احتج اهل السنة بقوله لا يخلقون شيا على ان فعل العبد مخلوق لله تعالى لانه عاب هولاء الكفار من حيث عبدوا ما لا يخلق شيا وذلك يدل على ان من خلق يستحق ان يعبد فلو كان العبد خالقا لكان معبودا الها واجاب الكعبي بانا لا نطلق اسم الخالق الا على الله تعالى وقال بعض اصحابنا في الخلق انه الاحداث لا بعلاج وفكر وتعب ولا يكون ذلك الا لله تعالى ثم قال قد قال الله تعالى الهم ارجل يمشون بها في وصف الاصنام افيدل ذلك على ان كل من له رجل يستحق ان يعبد فاذا قالوا لا قيل فكذلك ما ذكرتموه وقد قال تعالى فتبارك الله احسن الخالقين وهذا الكلام كلام الكعبي والجواب قوله لا نطلق اسم الخالق على العبد قلنا بل يجب ذلك لان الخلق في اللغة هو التقدير والتقدير يرجع الى الظن والحسبان فوجب ان يكون اسم الخالق حقيقة في العبد مجازا في الله فكيف يمكنهم منع اطلاق لفظ الخالق على العبد واما قوله تعالى الهم ارجل يمشون بها فالعيب انما وقع عليهم فلاجرم ان من تحقق العجز في حقه من بعض الوجوه لم يحسن عبادته واما قوله تبارك الله احسن الخالقين فتقدم الكلام عليه واعلم ان في استدلال اهل السنة بالاية نظر لاحتمال ان العيب انما حصل بمجموع الامرين وهو كونهم ليسوا خالقين وكونهم مخلوقين والعبد وان كان خالقا الا انه مخلوق فلا يلزم ان يكون العبد الها معبودا **فصل** دلت الاية على البعث لانه تعالى ذكر النشور ومعناه ان المعبود يجب ان يكون قادرا على ايصال الثواب الى المطيعين والعقاب الى العصاة فمن لا يكون كذلك يجب ان لا يصلح للالهية **قوله تعالى** وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه الاية لما تكلم اولا في التوحيد وثانيا في الرد على عبدة الاوثان تكلم ههنا في مسئلة النبوة وحكى شبه الكفار فانكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فالشبهة الاولى قوله وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه واعانه عليه قوم اخرون قال الكلبي ومقاتل نزلت في النضر بن الحرث هو الذي قال هذا القول واعانه عليه قوم اخرون يعني عامر مولى حويطب بن عبد العزى ويسار غلام عامر بن الحضرمي وجبر مولى عامر هولاء الثلاثة كانوا من اهل الكتاب وكانوا يقرون التورية فلما اسلموا وكان النبي يتعهدهم فمن اجل ذلك قال النضر ما قال وقال الحسن عبيد بن الحضرمي الحبشي الكاهن وقيل جبر ويسار وعداس عبيد كانوا بمكة من اهل الكتاب فزعم المشركون ان محمدا ياخذ منهم **قوله** افتراه الها تعود على افك وقال ابو البقا الها تعود على عبده في اول السورة قال شهاب الدين ولا اظنه الا غلطا وكانه اراد ان يقول الضمير المرفوع في افتراه فغلط وافتراه اختلقه والافترا افتعال من فريت يقال فريت الاديم **قوله** ظلما فيه اوجه احدها انه مفعول به لان جا يتعدى بنفسه وكذلك اتى والثاني انه على اسقاط الخافض اي جاوا بظلم قاله الزجاج الثالث انه في موضع الحال فيجي فيه ما في قولك جا زيد عدلا قال الزمخشري فقد جاوا ظلما وزورا اي كفروا ظلما وكذبا كقوله

لقد

لقد جيتم شيا ادا فانتصب بوقوع المجي اما كونه ظلما فلانهم نسبوا هذا الفعل القبيح الى من كان مبرا عنه فقد وضعوا الشي في غير موضعه وذلك هو الظلم واما كونه زورا فلانهم كذبوا قال ابو مسلم الظلم تكذيبهم الرسول الشبهة الثانية **قوله تعالى** وقالوا اساطير الاولين اكتتبها الاية يجوز في اكتتبها ثلاثة اوجه احدها ان يكون حالا من اساطير والعامل فيها معنى التنبيه او الاشارة المقدرة فان اساطير خبر مبتدا محذوف تقديره هذه اساطير الاولين مكتتبة والثاني ان يكون في موضع خبر ثان لهذه الثالث ان يكون اساطير مبتدا واكتتبها خبره واكتتبها الافتعال هنا يجوز ان يكون بمعنى امر بكتابتها كافتصد واحتجم اذا امر بذلك ويجوز ان يكون بمعنى كتبها وهو من جملة افترايهم عليه لانه كان اميا لا يقرا ولا يكتب ويكون كقولهم استكبه واصطبه اي سكبه وصبه والافتعال مشعر بالتكلف ويجوز ان يكون من كتب بمعنى جمع من الكتب وهو الجمع لا من الكتابة بالقلم وقرا طلحة اكتتبها مبنيا للمفعول قال الزمخشري والمعنى اكتتبها له كاتب لانه كان اميا لا يكتب بيده ثم حذفت اللام فافضى الفعل الى الضمير فصار اكتتبها اياه كاتب كقوله واختار موسى قومه ثم بني الفعل للضمير الذي هو اياه فانقلب مرفوعا مستترا بعد ان كان منصوبا بارزا وبقي ضمير الاساطير على حاله فصار اكتتبها كما ترى قال ابو حيان ولا يصح ذلك على مذهب جمهور البصريين لان اكتتبها له كاتب وصل الفعل فيه لمفعولين احدهما مسرح وهو ضمير الاساطير والاخر مقيد وهو ضميره عليه السلام ثم اتسع في الفعل فحذف حرف الجر فصار اكتتبها اياه كاتب فاذا بني هذا للمفعول انما ينوب عن الفاعل المفعول المسرح لفظا وتقديرا لا المسرح لفظا المقيد تقديرا فعلى هذا يكون التركيب اكتتبه لا اكتتبها وعلى هذا الذي قلناه جا السماع **قال** الفرزدق

● ومنا الذي اختير الرجال سماحة ● وجودا اذا هب الرياح الزعازع ●

ولو جا على ما قرره الزمخشري لجا التركيب ومنا الذي اختيره الرجال لان اختير تعدى الى الرجال باسقاط حرف الجر اذ تقديره اختير من الرجال وهو اعتراض حسن بالنسبة الى مذهب الجمهور ولكن الزمخشري قد لا يلتزمه ويوافق الاخفش والكوفيين واذا كان الاخفش وهم يتركون المسرح لفظا وتقديرا ويقيمون المجرور بالحرف مع وجوده فهذا اولى والظاهر ان الجملة من قوله اكتتبها في محل من تتمة قول الكفار وعن الحسن انها من كلام الباري تعالى وكان حق الكلام على هذا ان يقرا اكتتبها بهمزة مقطوعة مفتوحة للاستفهام كقوله افترى على الله كذبا ام به جنة ويمكن ان يعتذر عنه انه حذف الهمزة للعلم بها كقوله تعالى وتلك نعمة تمنها علي وقول الاخر

● افرح ان ازرا الكرام وان اورث ذودا شصايصا نبلا ●

يريد او تلك وا افرح فحذف لدلالة الحال وحقه ان يقف على الاولين قال الزمخشري كيف قيل اكتتبها فهي تملى عليه وانما يقال امليت عليه فهو يكتتبها قلت فيه وجهان احدهما اراد اكتتابها وطلبه فهي تملى عليه او كتبت له وهو امي فهي تملى عليه اي تلقى عليه من كتاب يتحفظها لان صورة الالقا على الحافظ كصورة الالقا على الكاتب وقرا عيسى وطلحة تتلى بتاءين من فوق من التلاوة وبكرة واصيلا ظرفا زمان للاملا والياء في تملى بدل من اللام كقوله فليملل وقد تقدم **فصل** المعنى ان هذا القران ليس من الله انما هو مما سطره الاولون كاحاديث رستم واسفنديار جمع اسطار واسطورة كاحدوثة استنسخها محمد من اهل الكتاب فهي تملى عليه اي تقرا عليه ليحفظها لا ليكتبها بكرة واصيلا غدوة وعشيا **قوله** قل انزله الذي يعلم السر الاية وهذا جواب عن شبههم وذلك انه عليه السلام تحداهم بالمعارضة واظهر عجزهم عنها ولو كان عليه السلام اتى بالقران من عند نفسه او استعان باحد لكان من الواجب عليهم ايضا ان يستعينوا باحد فياتوا بمثل هذا

القران فلما عجزوا عنه ثبت انه وحي الله وكلامه فلهذا قال قل انزله يعني القران الذي يعلم السر في السموات والارض لان القادر على تركيب الفاظ القران لا بد وان يكون عالما بكل المعلومات ظاهرها وخفيها ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ثم قال انه كان غفورا رحيما ذكر الغفور في هذا الموضع لوجهين احدهما قال ابو مسلم انه لما انزله لاجل الانذار وجب ان يكون غفورا رحيما غير مستعجل بالعقوبة الثاني انهم استوجبوا بمكابرتهم هذه ان يصب عليهم العذاب صبا ولكن صرف عنهم كونه غفورا رحيما يمهل ولا يعاجل الشبهة الثالثة **قوله تعالى** وقالوا مال هذا الرسول ياكل الطعام ما استفهامية مبتداة والجار بعدها خبر وياكل جملة حالية وبها تتم فايدة الاخبار كقوله فما لهم عن التذكرة معرضين وقد تقدم في النسا ان لام الجر كتبت مفصولة عن مجرورها وهو خارج عن قياس الخط والعامل في الحال الاستقرار العامل في الجار ونص الجار ذكره ابو البقا **قوله** فيكون العامة على نصبه وفيه وجهان احدهما نصبه على جواب التحضيض والثاني قال ابو البقا فيكون منصوب على جواب الاستفهام وفيه نظر لان ما بعد الفا لا يترتب على هذا الاستفهام وشرط النصب ان ينعقد منهما شرط وجزا وقرى فيكون بالرفع وهو معطوف على انزل وجاز عطفه على الماضي لان المراد بالماضي المستقبل اذ التقدير لولا ينزل **قوله** او يلقى او تكون معطوفان على انزل لما تقدم من كونه بمعنى ينزل ولا يجوز ان يعطفا على فيكون المنصوب في الجواب لانهما مندرجان في التحضيض في حكم الواقع بعد لولا وليس المعنى على انهما جواب للتحضيض فيعطفا على جوابه وقرا الاعمش وقتادة او يكون له بالياء من تحت لان تانيث الجنة مجازي **قوله** ياكل منها الجملة في موضع الرفع صفة لجنة وقرا الاخوان ناكل بنون الجمع والباقون بالياء من تحت اي الرسول **قوله** وقال الظالمون وضع الظاهر موضع المضمر اذ الاصل وقالوا قال الزمخشري واراد بالظالمين اياهم باعيانهم قال ابو حيان وقوله ليس تركيبا سايغا بل التركيب العربي ان يقول ارادهم باعيانهم **فصل** وهذه الشبهة التي ذكروها في نهاية الرذالة فقالوا ما لهذا الرسول ياكل الطعام كما ناكل نحن ويمشي في الاسواق يلتمس المعاش كما نلتمس فمن اين له الفضل علينا وكيف يمتاز عنا بالنبوة وهو مثلنا في هذه الامور وقالوا لولا انزل اليه ملك هلا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا يصدقه ويشهد له ويرد على من خالفه او يلقى اليه كنز من السما فينفقه ولا يحتاج الى التردد لطلب المعاش وكانوا يقولون له لست انت ملك لانك تاكل والملك لا ياكل ولست بملك لان الملك لا يتسوق وانت تتسوق وتتبذل وما قالوه فاسد لان اكله الطعام لكونه ادميا ومشيه في الاسواق لتواضعه وكان ذلك صفة له وقالوا وتكون له جنة ياكل منها والمعنى ان لم يكن له كنز فلا اقل من ان يكون كواحد من الدهاقين فيكون له بستان ياكل منه وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا مخدوعا وقيل مصروفا عن الحق وتقدمت هذه القصة في اخر بني اسرايل ثم اجابهم الله تعالى عن هذه الشبه بقوله انظر كيف ضربوا لك الامثال يعني الاشباه فضلوا عن الحق فلا يستطيعون سبيلا الى الهدى ومخرجا عن الضلالة وبيان وجه الجواب كانه تعالى قال انظر كيف اشتغل القوم بضرب هذه الامثال التي لا فايدة فيها لاجل انهم لما ضلوا وارادوا القدح في نبوتك لم يجدوا الى القدح فيه سبيلا البتة اذ الطعن عليه انما يكون بما يقدح في المعجزات التي ادعاها لا بهذا الجنس من القول **قوله تعالى** تبارك الذي ان شا جعل لك خيرا من ذلك الاية وهذا هو الجواب الثاني عن تلك الشبه اي تبارك الذي ان شا جعل لك خيرا من ذلك الذي قالوا وافضل من الكنز والبستان الذي ذكروا اي انه قادر على ان يعطي الرسول كلما ذكروه ولكنه تعالى يعطي عباده بحسب المصالح او على وفق المشية ولا اعتراض لاحد عليه في شي من افعاله قال ابن عباس خيرا من ذلك اي مما عيروك بفقد الجنة الواحدة وهو سبحانه قادر على ان يعطيك جنات كثيرة وقال في رواية عكرمة خيرا من ذلك اي من

المشي

المشي في الاسواق وابتغا المعاش وقوله ان شا جعل لك انه تعالى قادر على ذلك لا انه شاك لان الشك لا يجوز على الله وقيل ان هنا بمعنى قد اي قد جعلنا لك في الاخرة جنات ومساكن وانما ادخل ان تنبيها للعباد على انه لا ينال ذلك الا برحمته وانه معلق على محض مشيته وليس لاحد من العباد حق على الله لا في الدنيا ولا في الاخرة **قوله** جنات يجوز ان يكون بدلا من خيرا وان يكون عطف بيان لذلك عند من يجوزه في النكرات وان يكون منصوبا باضمار اعني وتجري من تحتها الانهار صفة **قوله** ويجعل لك قرا ابن كثير وابن عامر وابو بكر برفع يجعل والباقون بادغام لام يجعل في لام لك واما الرفع ففيه وجهان احدهما انه مستانف والثاني انه معطوف على جواب الشرط قال الزمخشري لان الشرط اذا وقع ماضيا جاز في جوابه الجزم والرفع كقوله وان اتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غايب مالي ولا حرم قال الزمخشري وليس مذهب سيبويه بل مذهبه ان الجواب محذوف وان هذا المضارع منوي به التقديم وهو مذهب المبرد والكوفيين انه جواب على حذف الفا ومذهب اخرين انه جواب لا على حذفها بل لما كان الشرط ماضيا ضعف تاثير ان فارتفع قال الزمخشري بنى قوله على هذين المذهبين ثم قال ابو حيان وهذا التركيب جايز فصيح وزعم بعض اصحابنا انه لا يجي الا في ضرورة واما القراة الثانية فتحتمل وجهين احدهما ان سكون اللام للجزم عطفا على محل جعل لانه جواب الشرط والثاني انه مرفوع وانما سكن لاجل الادغام قاله الزمخشري وغيره وفيه نظر من حيث ان من جملة من قرا بذلك وهو نافع والاخوان وحفص ليس من اصولهم الادغام حتى يدعى لهم في هذا المكان نعم ابو عمرو واصله الادغام وهو يقرا هنا بسكون اللام فيحتمل ذلك على قراته وهذا من محاسن علم النحو والقراات معا وقال الواحدي وبين القراتين فرق في المعنى فمن جزم فالمعنى ان شا يجعل لك قصورا في الدنيا ولا يحسن الوقف على الانهار ومن رفع حسن الوقف على الانهار واستانف ويجعل لك قصورا في الاخرة وقرا ابن سليمن وطلحة بن سليمن ويجعل بالنصب وذلك باضمار ان على جواب الشرط واستضعفها ابن جني ومثل هذه القراة

فان يهلك ابو قابوس يهلك ربيع الناس والبلد الحرام ونا خذ بعده بذناب عيش اجب الظهر ليس له

سنام

بالتثليث في ونا خذ **فصل** القصور جماعة القصر وهو المسكن الرفيع قال المفسرون القصور هي البيوت المشيدة والعرب تسمي كل بيت مشيد قصرا ويحتمل ان يكون لكل جنة قصر فيكون مسكنا ومتنزها ويجوز ان يكون القصور مجموعة والجنات مجموعة وقال مجاهد ان شا جعل لك جنات في الاخرة وقصورا في الدنيا روي انه عليه السلام قال عرض علي ربي ليجعل لي بطحا مكة ذهبا فقلت لا يا رب ولكن اشبع يوما واجوع يوما او قال ثلاثا او نحو هذا فاذا جعت تضرعت اليك ودعوتك واذا شبعت حمدتك وشكرتك وروت عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو شيت لسارت معي جبال الذهب جاني ملك فقال ان ربك يقرا عليك السلام ويقول ان شيت نبيا عبدا وان شيت نبيا ملكا فنظرت الى جبريل عليه السلام فاشار الي ان ضع نفسك فقلت نبيا عبدا قالت وكان النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك لا ياكل متكيا ويقول اكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد وعن ابن ابن عباس قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وجبريل عليه السلام معه فقال جبريل هذا ملك قد نزل من السماء استاذن ربه في زيارتك فلم يلبث الا قليلا حتى جا الملك وسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان الله يخيرك ان يعطيك مفاتيح كل شي لم يعط احدا قبلك من غير ان ينقصك مما لك شيا فقال عليه السلام بل يجمعها لي جميعا في الاخرة فنزل تبارك الذي ان شا الاية **قوله تعالى** بل كذبوا بالساعة اي بالقيمة فلا يرجون ثوابا ولا عقابا فلا يتكلفوا النظر والفكر ولهذا لا ينتفعون بما يورد عليهم من الدلايل واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا قال ابو مسلم اعتدنا اي جعلناها عتيدا ومعدا لهم والسعير النار الشديدة الاستعار وعن الحسن انه اسم من اسمائهم **فصل** احتج اهل السنة على

ان الجنة مخلوقة بقوله تعالى اعدت للمتقين وعلى ان النار التي هي دار العقاب مخلوقة بهذه الاية قال
الجبائي يحتمل في قوله واعتدنا ان المراد منه نار الدنيا لانها يعذب الكفار والفساق في قبورهم ويحتمل
نار الاخرة ويكون المعنى واعتدنا اي سنعدها كقوله ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار وهذا جواب
ساقط لان المراد من السعير اما نار الدنيا او نار الاخرة فان كان الاول فاما ان يكون المراد انه تعالى
يعذبهم في الدنيا بنار الدنيا او يعذبهم في الاخرة بنار الدنيا والاول باطل لانه تعالى ما عذبهم
بالنار في الدنيا والثاني ايضا باطل لانه لم يقل احد من الامة انه تعالى يعذب الكفرة في الاخرة بنيران
الدنيا فثبت ان المراد نار الاخرة وانها معدة وما حمل الاية على ان الله تعالى سيجعلها معدة فترك
للظاهر من غير دليل **قوله** اذا رأتهم هذه الجملة الشرطية في موضع نصب صفة لسعيرا لانه مؤنث
بمعنى النار **قوله** سمعوا لها تغيظا وزفيرا فان قيل التغيظ لا يسمع فالجواب من ثلاثة اوجه
احدها انه على حذف مضاف اي صوت تغيظها والثاني انه على حذف تقديره سمعوا ورأوا تغيظا
وزفيرا فيرجع كل واحد الى ما يليق به اي رأوا تغيظا وسمعوا زفيرا والثالث انه يضمن سمعوا معنى يشمل الشيئين
اي ادركوا لها تغيظا وزفيرا وهذان الوجهان الاخيران منقولان من قوله •
و رأيت زوجك في الوغى متقلدا سيفا ورمحا • ومن قوله • فعلفتها تبنا وماء باردا • اي ومعتقلا
رمحا وسقيتها ماء اي يضمن متقلدا معنى متسلحا وعلفتها معنى اطعمتها تبنا وماء باردا **فصل**
معنى اذا رأتهم من مكان بعيد قال الكلبي والسدي من مسيرة عام وقيل من مسيرة مائة سنة
روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من كذب علي متعمدا فليتبوأ بين عيني جهنم قالوا وهل
لها من عينين قال نعم الم تسمع قول الله عز وجل اذا رأتهم من مكان بعيد وقيل اذا رأتهم زبانيتها
قال الجبائي ان الله تعالى ذكر النار واراد الخزنة الموكلين بتعذيب اهل النار لان الرؤية تصح منهم
ولا تصح من النار فهو كقوله واسأل القرية واراد اهلها **قوله** واذا القوا منها مكانا ضيقا مكانا منصوب
على الظرف ومنها في محل نصب على الحال من مكان لانه في الاصل صفة له ومقرنين حال من مفعول القوا وثبورا
مفعول به فيقولون يا ثبوراه ويجوز ان يكون مصدرا من معنى دعوا وقيل منصوب بفعل من لفظه مقدر
تقديره ثبرنا ثبورا وقرأ معاذ بن جبل مقرنون بالواو ووجهها ان يكون بدلا من مفعول القوا وقرأ عمرو
ابن محمد ثبورا بفتح الثاء والمصادر التي على فعول بالفتح قليلة جدا وينبغي ان يضم هذا اليها وهي مذكورة
في البقرة عند قوله وقودها الناس **فصل** قال ابن عباس تضيق جهنم عليهم كما يضيق الزج على
الرمح وهو منقول ايضا عن ابن عمر وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال والذي نفسي بيده انهم
يستكرهون في النار كما يستكره الوتد في الحائط قال الكلبي الاسفلون يرفعهم اللهب والاعلون يحطهم
الداخلون فيزدحمون في تلك الابواب قال الزمخشري الكرب مع الضيق كما ان الفرج مع السعة
ولذلك وصف الله الجنة بان عرضها السموات والارض وقوله مقرنين اي مصفدين قد قرنت
ايديهم الى اعناقهم في الاغلال وقيل مقرنين مع الشياطين في السلاسل كل كافر مع شيطانه وتقدم
ما يشابه هذا واذا العذاب دعوا بالويل والثبور قال ابن عباس يقولون ويلاه وقال الضحاك هلاكا
فيقولون واثبوراه فهذا حينك وزمانك فيقال لهم لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا
اي هلاككم اكثر من ان تدعوا مرة واحدة فادعوا ادعية كثيرة قال الكلبي نزل هذا كله في ابي جهل
والكفار الذين ذكروا تلك الشبهات **قوله تعالى** اذلك خير ام جنة الخلد الاية لما وصف
العقاب المعد للمكذبين بالساعة اتبعه بما يؤكد الحسرة والندامة فقال اذلك خير فان قيل
كيف يقال العذاب خير ام جنة الخلد وهل يجوز ان يقول العاقل السكر احلى ام الصبر فالجواب هذا
يحسن في معرض التقريع كما اذا اعطى السيد عبده مالا فتمرد وابى واستكبر فضربه ويقول له هذا خير
ام ذلك **فصل** قال ابو مسلم جنة الخلد هي التي لا ينقطع نعيمها والخلد والخلود سواء كالشكر والشكور

قال تعالى لا نريد منكم جزاء ولا شكورا فان قيل الجنة اسم لدار مخلدة فاي فائدة في قوله جنة
الخلد فالجواب الاضافة قد تكون للتمييز وقد تكون لبيان صفات الكمال كقوله تعالى
الله الخالق البارئ وهذا من هذا الباب **فصل** احتج المعتزلة بهذه الاية على
اثبات الاستحقاق من وجهين الاول ان اسم الجزاء لا يتناول الا المستحق فاما الموعود بمحض التفضيل
فلا يسمى جزاء والثاني لو كان المراد بالجزاء ما صرتم اليه بمجرد الوعد فلا يبقى بين قوله جزاء وبين قوله
مصيرا تفاوت فيصير ذلك تكريرا من غير فائدة والجواب انه لا نزاع في كونه جزاء انما النزاع في
ان كونه جزاء ثبت بالوعد او بالاستحقاق وليس في الاية ما يدل على التعيين فان قيل ان الجنة
ستصير للمتقين جزاء ومصيرا فالجواب من وجهين لكنها بعد ما صارت كذلك فلم قال الله
كانت لهم جزاء ومصيرا فالجواب من وجهين الاول ان ما وعد الله فهو في تحققه كانه قد كان ولانه قد
كان مكتوبا في اللوح المحفوظ قبل ان يخلقهم الله بازمنة متطاولة ان الجنة جزاؤهم ومصيرهم **قوله**
لهم فيها ما يشاؤون هو نظير قوله ولكم فيها ما تشتهي انفسكم وفيها ما تشتهيه الانفس **فان قيل**
اهل الدرجات النازلة اذا شاهدوا الدرجات العالية لا بد وان يريدوها فاذا سألوها ربهم
فان اعطاها لم يبق بين الناقص والكامل تفاوت في الدرجة وان لم يعطها قدح ذلك في قوله لهم
فيها ما يشاؤون وايضا فالاب اذا كان ولده في دركات النيران واشد العذاب فلو اشتهى ان يخلصه
الله تعالى من ذلك العذاب فان فعل قدح ذلك في ان عذاب الكافر مخلد وان لم يفعل قدح ذلك
في قوله ولكم فيها ما تشتهي انفسكم وفي قوله لهم فيها ما يشاؤون خالدين والجواب ان الله تعالى
يزيل هذا الخاطر عن قلوب اهل الجنة ويشتغلون بما هم فيه من اللذات عن الالتفات الى حال
غيرهم **قوله** خالدين منصوب على الحال اما من فاعل يشاؤون واما من فاعل لهم لوقوعه خبرا
والعائد على ما محذوف اي لهم فيها الذي يشاؤونه حال كونهم خالدين **قوله** كان على ربك في
اسم كان وجهان احدهما انه ضمير ما يشاؤون ذكره ابو البقاء والثاني انه يعود على الوعد المفهوم
من قوله وعد المتقون ومسؤولا على المجاز اي يسئل هل وفى بك ام لا او يسأله من وعد به **فصل**
قوله كان على ربك وعدا مسؤولا يدل على ان الجنة حصلت بحكم الوعد لا بحكم الاستحقاق كما تقدم وقوله
مسؤولا اي مطلوبا وقيل ان المؤمنين سألوا ربهم في الدنيا فقالوا ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك وقال
محمد بن كعب القرظي الملائكة سألوا ربهم للمؤمنين بقولهم ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم
وقيل ان المكلفين سألوه بلسان الحال لانهم لما تحملوا المشقة الشديدة في طاعة الله كان ذلك قائما
مقام السؤال قال المتنبي • وفي النفس حاجات وفيك فطانة • سكوتي كلام عندها وخطاب •
وقيل وعدا مسؤولا اي واجبا وان لم يسأل قاله الفراء وقيل مسؤولا اي من حقه ان يكون مسؤولا لانه
حق واجب اما بحكم الاستحقاق على قول المعتزلة او بحكم الوعد على قول اهل السنة **قوله
تعالى** ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله الاية قرأ ابن عامر نحشرهم فنقول بالنون
فيهما وابن كثير وحفص بالياء من تحت فيهما والباقون بالنون في الاول وبالياء في الثاني وهن واضحات
وقرأ الاعرج نحشرهم بكسر الشين في جميع القرآن قال ابن عطية هي قليلة في الاستعمال قوية في القياس
لان يفعل بكسر العين في المتعدي اقيس من يفعل بضم العين وقال ابو الفضل الرازي وهو القياس
في الافعال الثلاثية المتعدية لان يفعل بضم العين قد يكون من اللازم الذي هو فعل بضمها
في الماضي قال ابو حيان وليس كما ذكرا بل فعل المتعدي الصحيح جميع حروفه اذا لم تكن للمغالبة
ولا حلقي عين ولا لام فانه جاء على يفعل ويفعل كثيرا فان شهر احد الاستعمالين اتبع والا فالخيار
حتى ان بعض اصحابنا خير فيهما سمعا للكلمة او لم يسمعا قال شهاب الدين الذي خير في ذلك هو
ابن عصفور فخير ان يقول زيد يفعل بكسر العين ويضرب بكسر الراء مع سماع الضم في الاول

والكسر في الثاني وسبقه إلى ذلك ابن درستويه إلا أن النحاة على خلافه **قوله** وما يعبدون عطف
على مفعول نحشرهم ويضعف نصبه على المعية وغلب غير العاقل عليه فأتى بما دون من **فصل**
ظاهر قوله وما يعبدون أنها الأصنام لأن ما لما لا يعقل وظاهر قوله فيقول أأنتم أضللتم أنه
من عبد من الأحياء كالملائكة والمسيح وعزير وغيرهم لأن الإضلال وجد منهم فلهذا اختلفوا فقال
مجاهد أراد الملائكة والجن والمسيح وعزيرا وقال عكرمة والضحاك والكلبي يعني الأصنام فقيل
لهم كيف يخاطب الله تعالى الجماد فأجابوا بوجهين أحدهما أنه تعالى يخلق الحياة فيها ويخاطبها
والثاني أن يكون ذلك بالكلام النفساني لا بالقول اللساني بل بلسان الحال كما ذكر بعضهم في تسبيح
الموات وكلام الأيدي والأرجل وكما قيل سل الأرض من شق أنهارك وغرس أشجارك فإن لم تجبك
جوابا أجابتك اعتبارا وقال الأكثرون المراد الملائكة وعيسى وعزير عليهم السلام قالوا ويتأكد
هذا القول بقوله تعالى ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون فإن قيل
لفظة ما لا تستعمل للعقلاء فالجواب من وجهين الأول لا نسلم أن كلمة ما لا تستعمل لمن لا يعقل لأنهم
قالوا من لمن لا يعقل في قوله تعالى فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على
أربع الثاني أنه أريد به الوصف كأنه قيل ومعبودهم وقال تعالى والسماء وما بناها ولا أنتم
عابدون ما أعبد وهذا لا يستقيم إلا على أحد هذين الوجهين **فصل** قالت المعتزلة هذه
الآية تدل على القائلين بأن الله يضل عباده في الحقيقة لأنه لو كان الأمر كذلك لكان الجواب
الصحيح أن يقولوا إلهنا ههنا قسم ثالث غيرهما هو الحق وهو أنك أضللتهم فلما لم يقولوا ذلك بل
نسبوا ضلالهم إلى أنفسهم علمنا أنه تعالى لا يضل أحدا من عباده فإن قيل لا نسلم أن المعبودين
ما تعرضوا لهذا القسم بل ذكروه فقالوا ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وهذا تصريح بأن
ضلالهم إنما حصل لأجل ما فعل الله بهم وهو أنه تعالى متعهم وآباءهم بنعيم الدنيا قلنا لو كان الأمر
كذلك لكان يلزم أن يصير الله محجوجا في يد أولئك المعبودين ومعلوم أنه ليس الغرض ذلك بل الغرض
أن يصير الكافر محجوجا مفحما ملوما وأجاب أهل السنة بأن القدرة على الضلال إن لم تصلح للاهتداء
والإضلال فمن الله تعالى وإن صلحت له لم يترجح اقتدارها للضلال على اقتدارها على الاهتداء إلا
لمرجح من الله تعالى وعند ذلك يزول السؤال وأما ظاهر هذه الآية وإن كان لهم لكنه معارض
بسائر الظواهر المطابقة لقولنا **قوله** ما ولا يجوز أن يكون نعتا لعبادي أو بدلا أو بيانا
قوله ضلوا السبيل على حذف حرف الجر وهو عن كما صرح به في قوله يضل عن سبيله ثم اتسع فيه
فحذف نحو هدى فإنه يتعدى بإلى وقد يحذف اتساعا ومثل مطاوع أضل فإن قيل إنه تعالى
كان عالما في الأزل بحال المسؤول عنه فما فائدة هذا السؤال فالجواب هذا سؤال تقريع للمشركين
كما قيل لعيسى أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله فإن قيل فما فائدة أأنتم وهم وهلا
قيل أضللتم عبادي هؤلاء أم ضلوا السبيل فالجواب هذا سؤال عن الفاعل فلا بد من ذكره
حتى يعلم أنه المسؤول عنه وقوله أأنتم أضللتم أم هم ضلوا إنما قدم الاسم على الفعل لما تقدم في قوله أأنت
قلت للناس **قوله** ينبغي العامة على بنائه للفاعل وأبو عيسى الأسود القاري ينبغي مبنيا للمفعول
قال ابن خالويه زعم سيبويه أن ينبغي لغة **قوله** أن نتخذ فاعل ينبغي ومفعول قائم مقام
الفاعل في قراءة الأسود وقرأ العامة نتخذ مبنيا للفاعل ومن أولياء مفعوله وزيدت فيه من [illegible]
ويجوز أن يكون مفعولا أولا على أن اتخذ متعدية لاثنين ويجوز أن لا يكون المتعدية لاثنين بل لواحد فعلى
هذا من دونك متعلق بالاتخاذ أو بمحذوف على أنه حال من أولياء وقرأ أبو الدرداء وزيد بن ثابت وأبو رجاء
والحسن وأبو جعفر في آخرين نتخذ مبنيا للمفعول وفيه أوجه أحدها أنها المتعدية لاثنين فالأول
هم ضمير المتكلمين والثاني قوله من أولياء ومن للتبعيض أي ما كان ينبغي أن نتخذ بعض أولياء قاله الزمخشري

الثاني أن من أولياء هو المفعول الثاني أيضا إلا أن من مزيدة في المفعول الثاني وهذا مردود بأن
من لا تزاد في المفعول الثاني إنما تزاد في الأول قال ابن عطية ويضعف هذه القراءة دخول من
في قوله من أولياء اعترض بذلك سعيد بن جبير وغيره قال الزجاج أخطأ من قرأ بفتح الخاء
وضم النون لأن من إنما تدخل في هذا الباب في الأسماء إذا كانت مفعولة أولا ولا تدخل على مفعول
الحال تقول ما اتخذت من أحد وليا ولا يجوز ما اتخذت أحدا من ولي الثالث أن يكون من أولياء
في موضع الحال قاله ابن جني إلا أنه قال ودخلت من زيادة لمكان النفي المتقدم كقولك ما
اتخذت زيدا من وكيل فظاهر هذا أنه جعل الجار والمجرور في موضع الحال وحينئذ يستحيل أن
يكون من مزيدة ولكنه يريد أن هذا المجرور هو الحال نفسه ومن مزيدة فيه إلا أنه لا يحفظ
زيادة من في الحال وإن كانت منفية وإنما حفظ زيادة الباء فيها على خلاف في ذلك فإن قيل
هذه القراءة غير جائزة لأنه لا مدخل لهم في أن يتخذهم غيرهم أولياء قلنا المراد إنا لا نصلح لذلك
فكيف ندعوهم إلى عبادتنا وقرأ الحجاج نتخذ من دونك فبلغ عاصما فقال مقت المخدج أو ما
علم أن فيها من **فصل** أجابوا بقولهم سبحانك وفيه وجوه أحدها أنه تعجب منهم
تعجبوا مما قيل لهم لأنهم ملائكة والأنبياء معصومون فما أبعدهم عن الإضلال الذي هو مختص بإبليس
وجنوده وثانيها أنهم نطقوا بسبحانك ليدلوا على أنهم المسبحون الموسومون بذلك فكيف يليق
بحالهم أن يضلوا عباده وثالثها قصدوا بالتسبيح تنزيهه عن الأنداد سواء كان المسيح
وثنيا أو نبيا أو ملكا ورابعها قصدوا تنزيهه أن يكون مقصوده من هذا السؤال
استفادة علم أو إبراء من كل بريء من الجرم بل إنما سألهم تقريعا للكفار وتوبيخا لهم وقولهم ما
كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء معناه إذا كنا لا نرى أن نتخذ من دونك وليا
فكيف ندعو غيرنا إلى ذلك أي ما كان لنا أن نأمرهم بعبادتنا ونحن نعبدك وقيل ما كان
ينبغي لنا أن نكون أمثال الشياطين وقيل ما كان لنا أن نتخذ من دون رضاك من أولياء أي
إنا لما علمنا أنك لا ترضى بهذا ما فعلناه فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه وقيل
قالت الملائكة إنا وهم عبيدك ولا ينبغي لعبيدك أن يتخذوا من دون إذنك وليا ولا حبيبا
فضلا عن أن يتخذ عبد إلها وقيل قالت الأصنام إنا لا يصلح منا أن نكون من العابدين
فكيف يمكننا أن ندعي أنا من المعبودين **قوله** ولكن متعتهم لما تضمن كلامهم أنا لم نضلهم
ولم نحملهم على الضلال حسن هذا الاستدراك وهو أن ذكروا سببه أي أنعمت عليهم وتفضلت
فجعلوا ذلك ذريعة إلى ضلالهم عكس القضية والمعنى متعتهم وآباءهم في الدنيا بطول العمر والصحة
والنعمة حتى نسوا الذكر تركوا الموعظة والإيمان بالقرآن وقيل تركوا ذكرك وغفلوا عنه
قوله وكانوا قوما بورا أي هلكى غلب عليهم الشقاء والخذلان وبورا يجوز فيه وجهان أحدهما
أنه جمع بائر كعائذ وعوذ والثاني أنه مصدر في الأصل كالزور فيستوي فيه المفرد والمثنى
والمجموع والمذكر والمؤنث وهو من البوار وهو الهلاك وقيل من الفساد وهي لغة الأزد يقولون
بارت بضاعته أي فسدت وأمرنا بائر أي فاسد وهذا معنى قولهم كسدت البضاعة وقال
الحسن هو من قولهم أرض بور أي لا نبات بها وهذا يرجع إلى معنى الهلاك والفساد **قوله**
تعالى فقد كذبوكم هذا خطاب مع المشركين أي كذبكم المعبودون في قولكم إنهم آلهة وإنهم
أضلوكم وقيل خطاب للمؤمنين في الدنيا أي فقد كذبوكم أيها المؤمنون الكفار بما تقولونه من
التوحيد في الدنيا وهو معنى قوله بما تقولون وهذه الجملة من كلام الله تعالى اتفاقا على إضمار
القول والالتفات قال الزمخشري هذه المفاجأة بالاحتجاج والإلزام حسنة رائعة وخاصة إذا
انضم إليها الالتفات وحذف القول ونحوها قوله عز وجل يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين

لكم علي فترة من الرسل ان تقولوا ما جانا من بشير ولا نذير وقول القايل

قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا ثم القفول فقد جينا خراسانا انتهى يريد الامل في الاية الكريمة فقتلنا تذكرتموكم وفي البيت فقتلنا قد جينا وقرا ابو حيوة وقنبل في رواية ابن ابي الصلت عنه بالياء من تحت اي فقد كذبكم الالهة بما يقولون سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نتخذ الي اخره وقيل المعنى فقد كذبكم ايها المومنون الكفار بما يقولون من الافترا عليكم **قوله** فما يستطيعون قرا حفص بتا الخطاب والمراد عبادها والمعنى فما تستطيعون انتم يا كفار صرف العذاب عنكم وقيل الصرف التوبة وقيل الحيلة وقرا الباقون بتا الغيبة والمراد الالهة التي كانوا يعبدونها من عاقل وغيره ولذلك غلب العاقل واتي بواو الضمير والمعنى فما يستطيع الهتكم ان يصرفوا عنكم العذاب وان يحتالوا لكم **قوله** ومن يظلم منكم نذقه قرا العامة نذقه بنون العظمة وقرئ باليا وفي الفاعل وجهان اظهرهما انه الله تعالى لدلالة قراة العامة علي ذلك والثاني انه ضمير الظلم المفهوم من الفعل وفيه تجوز باسناد اذاقة العذاب الى سببها وهو الظلم والمعنى ومن يشرك منكم نذقه عذابا كبيرا **فصل** تمسك المعتزلة بهذه الاية في القطع بوعيد اهل الكباير قالوا ثبت ان كلمة من في معرض الشرط للعموم وثبت ان الكافر ظالم لقوله ان الشرك لظلم عظيم والفاسق ظالم لقوله ومن لم يتب فاوليك هم الظالمون فثبت بهذه الاية ان الفاسق لا يعفي عنه بل يعذب لا محالة والجواب انا لا نسلم ان كلمة من في معرض الشرط للعموم والكلام فيه مذكور في اصول الفقه سلمنا انه للعموم لكن قطعا ام ظاهرا ودعوى القطع ممنوعة فانا نرى في العرف العام والاستعمال المشهور استعمال صيغ العموم مع ارادة الاكثر ولان المراد اقوام معينون ويدل عليه قوله تعالى ان الذين كفروا سوا عليهم اانذرتهم ام لم تنذرهم لا يومنون ثم ان كثيرا من الذين كفروا قد امنوا فلا دافع ان يقال قولنا الذين كفروا كان يفيد العموم لكن المراد منه اما الغالب او المراد منه اقوام مخصوصون وعلى التقديرين ثبت ان استعمال الفاظ العموم في الاغلب عرف ظاهر واذا كان كذلك كانت دلالة هذه الصيغ على العموم دلالة ظاهرة لا قاطعة وذلك لا ينفي تجويز العفو سلمنا دلالته قطعا لكن اجمعنا علي ان قوله ومن يظلم منكم مشروط بان لا يزيل ذلك الظلم بتوبة او بطاعة هي اعظم من ذلك الظلم فيرجع حاصل الامر الي قوله يظلم منكم مشروط بان لا يحصل ما يزيله وعند هذا فنقول هذا مسلم لكن لم قلتم انه لم يوجد ما يزيله فان العفو عندنا احد الامور الثلاثة التي تزيله وذلك هو اول المسالة سلمنا دلالته علي ما قال لكنه معارض بايات الوعد كقوله ان الذين امنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا فان قيل ايات الوعيد اولى لان السارق يقطع على سبيل التنكيل واذا ثبت انه مستحق للعقاب ثبت ان استحقاق الثواب محبط لما بينا ان الجمع بين الاستحقاقين محال قلنا لا نسلم ان السارق يقطع علي سبيل التنكيل الا ترى انه لو تاب فانه يقطع علي سبيل التنكيل نزلنا عن هذه المقامات ولكن قوله تعالى ومن يظلم منكم خطاب مع قوم مخصوصين معينين فهب انه لا يعفو عنهم فلم قلت انه لا يعفو عن غيرهم **قوله تعالى** وما ارسلنا قبلك من المرسلين الاية هذا جواب عن قولهم مال هذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق اي هذه عادة مستمرة من الله تعالى في كل رسله فلا وجه لهذا الطعن **قوله** الا انهم لياكلون حق الكلام ان يقال الا انهم بفتح الالف لانه متوسط والمكسورة لا تليق الا بالابتدا فلهذا ذكروا في هذه الجملة ثلاثة اوجه احدها انها في محل نصب صفة لمفعول محذوف وقدره الزجاج والزمخشري وما ارسلنا قبلك احدا من المرسلين الا اكلين وماشين وانما حذف لان في قوله من المرسلين دليلا عليه نظيره قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم بمعنى ما منا احد وقدره ابن عطية رجالا او رسلا والضمير في انهم وما بعده عايد علي هذا الموصول المحذوف والثاني قال الفرا انها

لا محل لها من الاعراب وانما هي صلة لموصول محذوف هو المفعول لارسلنا تقديره الا من انهم فالضمير في انهم وما بعده عايد علي معنى من المقدر واكتفى بقوله من المرسلين عنه كقوله وان منكم الا واردها فعلى قول الزجاج الموصوف محذوف وعلى قول الفرا الموصول هو المحذوف ولا يجوز حذف الموصول وتبقية الصلة عند البصريين الا في مواضع تقدم التنبيه عليها في البقرة الثالث ان الجملة محلها النصب على الحال واليه ذهب ابن الانباري قال التقدير الا وانهم يعني انها حالية فقدر معها الواو بيانا للحالية فكسر بعد استيناف ورد بكون ما بعد الا صفة لما قبلها وقدره ابو البقا ايضا والعامة على كسر ان لوجود اللام في خبرها ولكون الجملة حالا على الراجح قال ابو البقا ولو قيل لو لم تكن اللام لان الجملة حالية اذ المعنى الا وهم وقيل المعنى الا قيل انهم وقرئ انهم بالفتح على زيادة اللام وان مصدرية التقدير الا انهم اي ما جعلناهم رسلا الي الناس الا لكونهم مثلهم وقرا العامة يمشون خفيفة وامير المومنين علي بن ابي طالب وعبد الله يمشون مشددا مبنيا للمفعول اي تمشيهم حوايجهم او الناس وقرا عبد الرحمن يمشون بالتشديد مبنيا للفاعل وهي بمعنى يمشون قال الشاعر

ومشى باعضان المياه وابتغى قلايص منها صعبة وركوب

قال الزمخشري ولو قرئ يمشون لكان اوجه لولا الرواية يعني بالتشديد قال شهاب الدين قد قرا بها السلمي ولله الحمد **فصل** روي الضحاك عن ابن عباس قال لما عير المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا مال هذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق انزل الله عز وجل هذه الاية يعني ما انا الا رسول وما كنت بدعا من الرسل وهم كانوا ياكلون الطعام ويمشون في الاسواق كما قال في موضع اخر ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اي بلية فالغني فتنة للفقير يقول الفقير ما لي لم اكن مثله والصحيح فتنة للمريض والشريف فتنة للوضيع قال ابن عباس اي جعلت بعضكم بلا لبعض لتصبروا على ما تسمعون منهم وترون من خلافهم وتتبعون الهدى وقال الكلبي والزجاج والفرا نزلت في روسا المشركين وفقرا الصحابة فاذا راى الشريف الوضيع قد اسلم قبله انف ان يسلم واقام على كفره لئلا يكون للوضيع السابقة والفضل عليه ويدل عليه قوله تعالى لو كان خيرا ما سبقونا اليه وقيل هذا عام في جميع الناس روى ابو الدردا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ويل للعالم من الجاهل وويل للسلطان من الرعية وويل للرعية من السلطان وويل للمالك من المملوك وويل للشديد من الضعيف وللضعيف من الشديد بعضهم لبعض فتنة وقرا هذه الاية وروي عن ابن عباس والحسن هذا في اصحاب البلا والعافية وفي الخلق والخلق وفي العقل وفي العلم وفي الرزق وفي الاجل وقيل هذا احتجاج عليهم في تخصيص محمد بالرسالة مع مساواته لهم في البشرية وصفاتها فالمرسلون يتاذون من المرسل اليهم بانواع الاذى على ما قال ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب ومن الذين اشركوا اذى كثيرا والمرسل اليهم يتاذون ايضا من الرسل بحسب الحسد وصيرورته مكلفا بالخدمة وبذل النفس والمال بعد ان كان رييسا مخدوما والاولى حمل الاية على الكل لان بين الجميع قدرا مشتركا قال عليه السلام اذا نظر احدكم الى من فضل عليه في المال والجسم فلينظر الى من دونه في المال والجسم **قوله** اتصبرون وكان ربك بصيرا اتصبرون المعادل محذوف اي ام لا تصبرون وهذه الجملة استفهام والمراد منه التقرير فان موقعه بعد الفتنة موقع ايكم بعد الابتلا في قوله ليبلوكم ايكم احسن عملا بمعنى انها معلقة لما فيها من معنى فعل القلب فتكون منصوبة المحل على اسقاط الخافض والمعنى اتصبرون على البلا فقد علمتم ما وعد الصابرين وكان ربك بصيرا اي عالما بمن يصبر وبمن لا يصبر فيجازي كلا منهم بما يستحقه من ثواب وعقاب **قوله تعالى** وقال الذين لا يرجون لقانا الاية هذه هي الشبهة الرابعة لمنكري محمد صلى الله عليه وسلم وحاصلها لم لم تنزل الملايكة حتى تشهد ان محمدا محق في دعواه او نرى ربنا حتى يخبرنا بانه ارسله الينا **فصل** قال الفرا قوله تعالى الذين لا يرجون لقانا

اي لا تخافون لقانا فوضع الرجا موضع الخوف لغة تهامية اذا كان معه جحد ومنه قوله ما لكم لا ترجون
لله وقارا اي لا تخافون له عظمة قال القاضي لا وجه لذلك لان الكلام متى امكن حمله على الحقيقة لم تجز حمله
على المجاز والمعلوم من حال عباد الاصنام انهم كانوا لا يخافون العقاب لتكذيبهم بالعقاب فلذلك لا يرجون
الثواب لمثل ذلك فقوله لا يرجون لقانا محمول على الحقيقة وهو انهم لا يرجون لقا ما وعدنا على الطاعة
من الثواب والجنة ومعلوم ان من لا يرجوا ذلك لا يخاف العقاب ايضا فالخوف تابع للرجا **فصل**
دلت الاية على جواز الروية لان اللقا جنس تحته انواع احدا نواعه الروية والاخر الاتصال والمماسة
وهما هنا باطلان فدل على جواز الروية لان الرايي يصل برويته الي حقيقة المري فسمي الروية لقا
وقالت المعتزلة تفسيرا للقا بروية البصر جهل باللغة لانه يقال في الدعا لقاك الله الخير ويقول
القايل لم الق الامير وان راه من بعيد اذا حجب عنه ويقال في الضرير لقي الامير اذا اذن له ولم
يحجب وقد تلقاه في الليلة الظلما ولا يراه بل المراد من اللقا ههنا المصير الى حكمه حيث لا حكم لغيره
في يوم لا تملك نفس لنفس شيا لا انه روية البصر قال ابن الخطيب وهذا كلام ضعيف لان اللفظ
الموضوع لمعنى مشترك بين معاني كثيرة ينطلق على كل واحد من تلك المعاني فيصح قوله لقاك الله الخير
ويصح قول الاعمى لقيت الامير ويصح قول البصير لقيته بمعنى ما وصلت اليه واذا ثبت هذا فنقول
قوله وقال الذين لا يرجون لقانا مذكور في معرض الذم لهم فوجب ان يكون رجا اللقا حاصلا
ومسمي اللقا مشترك بين الوصول الكافي وبين الوصول بالروية وقد بطل الاول فتعين الثاني وقولهم
المراد من اللقا الوصول الي حكمه صرف للفظ عن ظاهره بغير دليل فثبت دلالة الاية على صحة
الروية بل على وجوبها بل على انكار الروية لبين الامر بين الكفار **فصل** لولا انزل اي هلا
انزل علينا الملايكة فيخبرونا انه صادق او نري ربنا فيخبرنا بذلك لقد استكبروا في انفسهم
اي تعظموا في انفسهم بهذه المقالة قال الكلبي ومقاتل نزلت الاية في ابي جهل والوليد واصحابهما
المنكرين للنبوة والبعث **قوله** عتوا مصدر وقد صح هنا وهو الاكثر واعل في مريم في عتيا
لمناسبة ذكرت هناك وهي تواخي روس الفواصل **فصل** قال مجاهد عتوا طغوا وقال
مقاتل عتوا علوا في القول والعتو اشد الكفر وافحش الظلم وعتوهم طلبهم روية الله حتى يومنوا به
وقوله في انفسهم لانهم اضمروا الاستكبار في قلوبهم واعتقدوه كما قال ان في صدورهم الا كبر ما هم
ببالغيه وعتوا عتوا كبيرا وغلوا في الظلم **فصل** وهذا جواب عن شبهتهم وبيانه من وجوه
احدها ان القران لما ظهر كونه معجزا فقد تمت دلايل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فبعد ذلك
يكون اقتراح امثال هذه الايات لا يكون الا محض التعنت والاستكبار وثانيها ان نزول الملايكة
لو حصل لكان ايضا من جملة المعجزات فلا يدل على الصدق لخصوص كونه نزول الملك بل لعموم كونه
معجزا فيكون قبول ذلك المعجز ورد المعجز الاخر ترجيحا لاحد المثلين على الاخر من غير مزيد فايدة
ومرجح وهو محض الاستكبار والتعنت وثالثها انهم بتقدير ان يروا الرب ويسالوه عن صدق
محمد عليه السلام وهو سبحانه يقول نعم هو رسولي فذلك لا يزيد في التصديق على اظهار المعجز على يد
محمد عليه السلام لانا بينا ان المعجزة تقوم مقام التصديق بالقول اذ لا فرق اذا ادعى النبوة بين
ان يقول اللهم ان كنت صادقا فاحيي هذا الميت فيحييه الله تعالى والعادة لم تجر بمثله وبين
ان يقول له صدقت واذا كان التصديق بالقول والتصديق الحاصل بالمعجز سيان في كونه
تصديقا للمدعي كان تعيين احدهما محض استكبار وتعنت ورابعها يمكن ان يكون المراد ان الله
تعالى قال لو علمت انهم ما ذكروا هذا السوال لاجل الاستكبار والعتو الشديد لاعطيتهم مقترحهم
ولكني علمت انهم ذكروا هذا الاقتراح لاجل الاستكبار والتعنت فلو اعطيتهم مقترحهم لما انتفعوا
فلا جرم لا اعطيهم ذلك وخامسها لعلهم سمعوا من اهل الكتاب ان الله يرى وانه تعالى لا ينزل

الملايكة في الدنيا على عوام الخلق ثم انهم علقوا ايمانهم على ذلك على سبيل الاستهزا **فصل** استدل
المعتزلة بهذه الاية على عدم الروية لان رويته لو كانت جايزة لما كان سوالها عتوا واستكبارا
قالوا فقوله لقد استكبروا في انفسهم وعتوا عتوا كبيرا ليس الا لاجل سوال الروية واستعظم في اية
اخرى قولهم لن نومن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الصاعقة فثبت ان الاستكبار والعتو
ههنا انما حصل لاجل سوال الروية وتقدم الكلام على ذلك في سورة البقرة ونقول ههنا انا بينا
ان قوله وقال الذين لا يرجون لقانا يدل على الروية واما الاستكبار والعتو فلا بد له ذلك على
ان الروية مستحيلة لان من طلب شيا محالا لا يقال انه عتا واستكبر الا ترى قولهم اجعل لنا الها
كما لهم الهة لم يثبت لهم بطلب هذا المحال عتوا واستكبارا بل قال انكم قوم تجهلون ومما يدل على ذلك
ان موسى عليه السلام لما قال رب ارني انظر اليك ما وصفه الله بالاستكبار والعتو لانه عليه السلام
طلب الروية شوقا وهوا ولا لما طلبوها امتحانا وتعنتا لاجرم وصفهم بذلك **قوله** يوم يرون
فيه اوجه احدها انه منصوب باضمار فعل يدل عليه قوله لا بشرى اي يمنعون البشرى يوم يرون
الثاني انه منصوب باذكر فيكون مفعولا به الثالث انه منصوب بيعذبون مقدرا ولا يجوز
ان يعمل فيه نفس البشرى لوجهين احدهما انها مصدر والمصدر لا يعمل فيما قبله والثاني انها
منفية بلا وما بعد لا لا يعمل فيما قبلها **قوله** لا بشرى هذه الجملة معمولة لقول مضمر اي يرون
الملايكة يقولون لا بشرى فالقول حال من الملايكة وهو نظير التقدير في قوله والملايكة يدخلون
عليهم الى قوله سلام عليكم قال ابو حيان واحتمل بشرى ان يكون مبنيا مع لا واحتمل ان يكون في نية
التنوين منصوب اللفظ ومنع من الصرف للتانيث اللازم فان كان مبنيا مع لا احتمل ان يكون
يوميذ خبرا وللمجرمين خبر بعد خبر او نعتا للبشرى او متعلقا بما تعلق به الخبر وان يكون يوميذ
صفة لبشرى والخبر للمجرمين ويجي خلاف سيبويه والاخفش هل الخبر لنفس لا والخبر للمبتدا الذي هو
مجموع لا وما بني معها وان كان في نية التنوين وهو معرب جاز ان يكون يوميذ وللمجرمين خبرين
وجاز ان يكون يوميذ خبرا وللمجرمين صفة والخبر اذا كان الاسم ليس مبنيا لنفس لا باجماع قال
شهاب الدين قوله واحتمل ان يكون في نية التنوين الي اخره لا يتاتي الا على قول ابي اسحق وموافقيه
يرى ان اسم لا النافية للجنس معرب وبعتذر عن حذف التنوين بكثرة الاستعمال ويستدل عليه
بالرجوع اليه الا في الضرورة وينشد الا رجلا جزاه الله خيرا ويتاوله البصريون على اضمار
الا ترونني رجلا وكان يمكن الشيخ ان يجعله معربا كما ادعى بطريق اخرى وهي ان يجعل بشرى عاملة
في يوميذ او في للمجرمين فيصير من قبيل المطول والمطول معرب لكنه لم يلم بذلك وسياتي شي
من هذا في كلام ابي البقا رحمه الله تعالى وتجوز ان يكون بشرى معربا منصوبا بطريق اخرى
وهي ان يكون منصوبا بفعل مقدر اي لا يبشرون بشرى كقوله تعالى لا مرحبا بهم لا اهلا ولا
سهلا الا ان كلام الشيخ لا يمكن تنزيله على هذا القول جاز ان يكون يوميذ وللمجرمين خبرين
فقد حكم ان لها خبرا واذا جعلت منصوبة بفعل مقدر لا يكون للاجنبية خبر لانها داخلة على ذلك
الفعل المقدر وهذا موضع حسن **قوله** يوميذ للمجرمين قد تقدم في يوميذ اوجه وجوز
ابو البقا ان يكون منصوبا ببشرى قال واذا قدرت انها منونة غير مبنية مع لا ويكون الخبر
للمجرمين وجوز ايضا هو والزمخشري ان يكون يوميذ تكريرا ليوم يرون ورده ابو حيان سواء
اريد بالتكرير التوكيد اللفظي ام اريد به البدل قال لان يوم منصوب بما تقدم ذكره من اذكر
او من يعدم البشرى وما بعد لا العاملة في الاسم لا يعمل فيه ما قبلها وعلى تقديره ما ذكراه يكون
العامل فيه ما قبل لا وما رده ليس بظاهر لان الجملة المنفية معمولة للقول المضمر الواقع حالا من
الملايكة والملايكة معمولة ليرون ويرون معمول ليوم خصصا بالاضافة فلا وما في حيزها من تتمة

الظرف الاول من حيث انها معمولة لبعض ما في خبره فليست باجنبية ولاما نعه من ان يعمل ما قبلها
فيما بعدها والعجب له كيف خيل هذا وغفل عما تقدم فانه واضح مع التامل **وحجرا** من وضع
الظاهر موضع المضمر شهادة عليهم بذلك والضمير في يقولون تجوز عوده للكفار وللملائكة
من المصادر الملتزم اضمار ناصبها ولا يتصرف فيه نحو معاذ الله وسعدك وعمرك وهذه كلمة كانوا
يتكلمون بها عند لقاء عدو وهجوم نازلة ونحو ذلك يضعونها موضع الاستعاذة قال سيبويه ويقول
الرجل للرجل تفعل كذا فيقول حجرا وهي من حجره اذا منعه لان المستعيذ طالب من الله ان يمنع المكروه
لا يلحقه وكان المعنى اسال الله ان يمنعه منعا ويحجره حجرا والعامة على كسر الحاء والضحاك والحسن وابو
رجا على ضمها وهو لغة فيه قال الزمخشري ومجيئه على فعلا وفعلا في قراءة الحسن تصرف فيه لاختصاصه
بموضع واحد كما كان قعدك وعمرك كذلك وانشد لبعض الرجاز
قالت وفيها حيدة وذعر عوذ بربي منكم وحجر وهذا الذي انشده الزمخشري يقتضي تصرف حجرا
وقد تقدم نص سيبويه على انه يلتزم النصب وحكى ابو البقا فيه لغة ثالثة وهي الفتح قال وقد
قري بها فعلى هذا يحمل فيه ثلاث لغات متفرقة ومحجورا صفة موكدة للمعنى كقولهم ذيل ذايل والذل
الهوان وموت مايت والحجر العقل لانه يمنع صاحبه **فصل** يوم يرون الملائكة عند
الموت قاله ابن عباس وقال الباقون يريد يوم القيمة لا بشري يومئذ للكافرين قالت المعتزلة
الاية تدل على القطع بوعيد الفساق وعدم العفو لان قوله لا بشري للمجرمين نكرة في سياق النفي
فيعم جميع انواع البشري في جميع الاوقات بدليل من اراد تكذيب هذه القضية قال له بشري في الوقت
الفلاني فلما كان ثبوت البشري في وقت من الاوقات يذكر لتكذيب هذه القضية علمنا ان قوله لا بشري
يقتضي نفي جميع البشري في كل الاوقات وشفاعة الرسول لهم من اعظم البشري فوجب ان لا يثبت ذلك
لاحد من المجرمين والكلام على التمسك بصيغ العموم قد تقدم مرارا **فصل** اختلفوا في القايلين
حجرا محجورا فقال ابن جريج كانت العرب اذا نزلت بهم شدة وراوا ما يكرهون قالوا حجرا محجورا فهم
يقولونه اذا عاينوا الملائكة قال مجاهد يعني عوذا معاذا فيستعيذون من الملائكة وقال ابن
عباس تقول الملائكة حراما محرما ان يدخل الجنة الا من قال لا اله الا الله قال مقاتل اذا خرج الكفار
من قبورهم قالت لهم الملائكة حجرا محجورا اي حرام محرم عليكم ان يكون لكم البشري **قوله** وقدمنا
الى ما عملوا من عمل اي وعمدنا الى عملهم **قوله** فجعلناه هباء منثورا الهباء والهبوة التراب
الدقيق قاله ابن عرفة قال الجوهري يقال فيه هبا يهبو اذا ارتفع واهبيته انا اهباء وقال
الخليل والزجاج هو مثل الغبار الداخل في الكوة يتراءى مع ضوء الشمس فلا يمس بالايدي ولا يرى
في الظل وهو قول الحسن وعكرمة ومجاهد وقيل الهباء ما تطاير من شرر النار اذا اضطرمت والواحدة
هباة على حد تمر وتمرة ومنثورا اي مفرقا نثرت الشي فرقته والنثرة النجوم متفرقة والنثر الكلام
غير منظوم على المقابلة بالشعر قال ابن عباس وقتادة وسعيد بن جبير هو ما تسفيه الرياح وتذريه
من التراب وحطام الشجر وقال مقاتل هو ما يسطع من حوافر الدواب عند المسير وفايدة الوصف
به ان الهباء تراه منتظما مع الضوء فاذا حركته تفرق فجي بهذه الصفة ليفيد ذلك وقال الزمخشري
او مفعول ثالث لجعلناه اي فجعلناه جامعا لحقارة الهباء والتناثر كقوله كونوا قردة خاسئين
اي جامعين للمسخ والخسء قال ابو حيان وخالف ابن درستويه فخالف النحويين في منعه ان يكون لكان
خبران وازيد وقياس قوله في جعل ان يمنع ان يكون لها خبر ثالث قال شهاب الدين مقصوده ان
كلام الزمخشري مردود قياسا على ما منعه ابن درستويه من تعدد خبر كان **قوله تعالى**
اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا اي من هولاء المشركين المستكبرين واحسن مقيلا موضع قايلة وفي
افعل هاهنا قولان احدهما انها على بابها من التفضيل والمعنى ان المومنين خير في الاخرة مستقرا

من مستقر الكفار واحسن مقيلا من مقيلهم لو فرض ان يكون لهم ذلك او على انهم خير في الاخرة
منهم في الدنيا والثاني ان يكون لمجرد الوصف من غير مفاضلة **فصل** قال المفسرون
يعني ان اهل الجنة لا يمر بهم يوم القيامة الا قدر النهار من اوله الى قدر القايلة حتى يسكنوا مساكنهم
من الجنة قال ابن مسعود لا ينتصف النهار يوم القيمة حتى يقيل اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار
وقرا ثم ان مقيلهم لالى الجحيم وهكذا كان يقرا وقال ابن عباس في هذه الاية الحساب ذلك اليوم
من اوله وقال قوم حين قالوا في منازلهم قال الازهري القيلولة والمقيل الاستراحة نصف
النهار وان لم يكن مع ذلك نوم لان الله تعالى قال واحسن مقيلا والجنة لا نوم فيها وروي ان
يوم القيمة يقصر على المومنين حتى يكون كما بين العصر الى غروب الشمس **قوله** ويوم تشقق السما
في يوم اما اذكر واما ينفرد الله بالملك يوم تشقق لدلالة قوله الملك يومئذ الحق للرحمن عليه
وقرا الكوفيون وابو عمرو هنا وفي ق تشقق بالتخفيف والباقون بالتشديد وهما واضحتان حذف
الاولون تا المضارعة او تا التفعل على خلاف في ذلك والباقون ادغموا تا التفعل في الشين لما
بينهما من المقاربة وهما كتظاهرون وتظاهرون حذفا وادغاما وقد مضى في البقرة **قوله**
بالغمام في هذه الباء ثلاثة اوجه احدها على السببية اي بسبب الغمام يعني بسبب طلوعه
منها ونحوه السما منفطر به كانه الذي تشقق به السماء الثاني انها للحال اي ملتبسة بالغمام الثالث
انها بمعنى عن الغمام كقوله يوم تشقق الارض عنهم والباء وعن يتعاقبان تقول رميت عن القوس
وبالقوس **قوله** ونزل الملائكة فيها اثنتا عشرة قراءة ثنتان في المتواتر وعشر في الشاذ فقرا
ابن كثير من السبعة وننزل بنون مضمومة ثم اخرى ساكنة وزاي خفيفة مكسورة مضارع انزل
والملائكة بالنصب مفعول به وكان من حق المصدر ان يجي بعد هذه القراءة على انزال قال
ابو علي لما كان انزل ونزل يجريان مجري واحد اجرا مصدر احدهما عن مصدر الاخر وانشد
وقد تطويت انطواء الحضب لان تطويت وانطويت بمعنى ومثله وتبتل اليه تبتيلا
اي تبتلا وقرا الباقون من السبعة ونزل بضم النون وكسر الزاي المشددة وفتح اللام ماضيا
مبنيا للمفعول الملائكة بالرفع لقيامه مقام الفاعل وهي موافقة لمصدرها وقرا ابن
مسعود وابو رجا ونزل بالتشديد ماضيا مبنيا للفاعل وهو الله تعالى الملائكة مفعول به وعنه
ايضا وانزل مبنيا للفاعل عداه بالتضعيف مرة وبالهمزة اخرى والاعتذار عن مجي مصدره
على التفعيل كالاعتذار عن ابن كثير وعنه ايضا وانزل مبنيا للمفعول وقرا هرون عن ابي عمرو وتنزل
الملائكة بالتا من فوق وتشديد الزاي ورفع اللام مضارعا مبنيا للفاعل الملائكة بالرفع مضارع
تنزل بالتشديد وعلى هذه القراءة فالمفعول محذوف اي وتنزل الملائكة ما امرت ان تنزله
وقرا الخفاف عنه وجناح بن حبيش ونزل مخففا مبنيا للفاعل الملائكة بالرفع وخارجة عن
ابي عمرو ايضا وابو معاذ ونزل بضم النون وتشديد الزاي ونصب الملائكة والاصل وننزل
بنونين حذف احديهما وقرا ابو عمرو وابن كثير في رواية عنهما بهذا الاصل وننزل بنونين وتشديد
الزاي وقراي ونزلت بالتشديد مبنيا للمفعول وتنزلت بزيادة تاء في اوله وتاء التانيث فيهما
وقرا ابو عمرو في طريقة الخفاف عنه ونزل بضم النون وكسر الزاي خفيفة مبنيا للمفعول قال
صاحب اللوامح فان صحت هذه القراءة فانه حذف منها المضاف واقيم المضاف اليه مقامه تقديره
ونزل نزول الملائكة فحذف النزول ونقل اعرابه الى الملائكة بمعنى نزل نازل الملائكة لان المصدر
يجي بمعنى الاسم وهذا مما يجي على مذهب سيبويه ترتيب بنا اللازم للمفعول به لان الفعل يدل
على مصدره قال شهاب الدين وهذا تمحل كثير دعت اليه ضرورة الصناعة وقال ابن جني
وهذا غير معروف لان نزل لا يتعدى الى مفعول فيبني هنا للملائكة ووجهه ان يكون مثل زكم

الرجل وجن فانه لايقال الا ركبه واجنه الله وهذا باب سماع لا قياس ونظيره هذه القراة ما تقدم في سورة الكهف في قراءة من قرا فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا بنصب وزن من حيث تعديه القاصر وتقدم ما فيها **فصل** الغمام هو الابيض الرقيق مثل الضباب ولم يكن الا لبني اسرائيل في تيههم والالف واللام في الغمام ليس للعموم بل للعهود وهو ما ذكره في قوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام قال ابن عباس تنشق سما الدنيا فينزل اهلها وهم اكثر ممن في الارض من الجن والانس ثم تنشق السما الثانية فينزل اهلها وهم اكثر ممن في السما الدنيا ومن الجن والانس ثم كذلك حتى تنشق السما السابعة واهل كل سما يزيدون على اهل السما التي قبلها ثم ينزل الكروبيون ثم حملة العرش **فان قيل** ثبت بالقياس ان نسبة الارض الى سما الدنيا كحلقة في فلاة فكيف بالقياس الى الكرسي والعرش وملايكة هذه المواضع باسرها كيف تسع الارض لكل هولا فالجواب قال بعض المفسرين يكونون في الغمام والغمام يكون مقر الملايكة **قوله** الملك يوميذ فيه اوجه احدها ان يكون الملك مبتدا والخبر الحق ويوميذ متعلق بالملك وللرحمن متعلق بالحق او بمحذوف على التبيين او بمحذوف على انه صفة للحق الثاني ان الخبر يوميذ والحق نعت للملك وللرحمن على ما تقدم الثالث ان الخبر للرحمن ويوميذ متعلق بالملك والحق نعت للملك قيل ويجوز نصب الحق باضمار اعني **فصل** المعنى ان الملك الذي هو الملك حقا ملك الرحمن يوم القيمة قال ابن عباس يريد ان يوم القيمة لا ملك يقضي غيره ومعنى وصفه بكونه حقا انه لا يزول ولا يتغير **فان قيل** مثل هذا الملك لم يكن قط الا للرحمن فما الفايدة في قوله يوميذ فالجواب لان في ذلك اليوم لا مالك له سواه لا في الصورة ولا في المعنى فتخضع له الملوك وتعنوا له الوجوه وتذل له الجبابرة بخلاف ساير الايام وكان يوما على الكافرين عسيرا اي شديدا وهذا الخطاب يدل على انه لا يكون على المومنين عسيرا جا في الحديث انه يهون يوم القيامة على المومن حتى يكون اخف عليه من صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا **قوله** ويوم يعض الظالم يوم معمول لمحذوف او معطوف على يوم تشقق ويعض مضارع عض ووزنه يفعل بكسر العين بدليل قولهم عضضت اعض وحكى الكسائي فتحها في الماضي فعلى هذا يقال اعض بالكسر في المضارع والعض هنا كناية عن شدة الندم ومثله حرق نابه قال ٥ ابى الضيم والنعمان يحرق نابه عليه فافضى والسيوف معاقله ٥ وهذه الكناية ابلغ من تصريح المكنى عنه **فصل** ال في الظالم يحتمل العهد والجنس على خلاف في ذلك فالقايلون بالعهد اختلفوا على قولين الاول قال ابن عباس اراد بالظالم عقبة بن ابي معيط ابن امية بن عبد شمس كان لا يقدم من سفر الا صنع طعاما ودعا اليه جيرته واشراف قومه وكان يكثر مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم ويعجبه حديثه فقدم ذات يوم من سفر فصنع طعاما ودعا الناس ودعا الرسول فلما قرب الطعام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انا باكل طعامك حتى تشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله فقال عقبة اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فاكل الرسول من طعامه وكان عقبة صديقا لابي بن خلف فلما اتى ابي بن خلف قال له يا عقبة صبات قال لا والله ما صبات ولكن دخل على رجل فابى ان ياكل طعامي الا ان اشهد له فاستحييت ان يخرج من بيتي ولم يطعم فشهدت له فطعم فقال ما انا بالذي ارضى منك ابدا الا ان تاتيه وتبصق في وجهه وتطا على عنقه ففعل ذلك عقبة فقال عليه السلام لا القاك خارجا من مكة الا علوتك بالسيف فقتل عقبة يوم بدر صبرا واما ابي بن خلف فقتله النبي صلى الله عليه وسلم بيده يوم احد قال الضحاك لما بزق عقبة في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد بزاقه في وجهه فاحترق خداه فكان اثر ذلك فيه حتى الموت وقال الشعبي كان عقبة بن ابي معيط خليل امية بن خلف فاسلم عقبة فقال امية وجهي من وجهك حرام ان بايعت محمدا فكفر وارتد فانزل الله عز وجل ويوم يعض الظالم

على

على يديه يعني عقبة يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا اي ليتني اتبعت محمدا فاتخذت معه سبيلا الى الهدى وقرا ابو عمرو يا ليتني اتخذت بفتح اليا والاخرون باسكانها الثاني قال الرافضة الظالم هو رجل بعينه وان المسلمين عرفوا اسمه وكتموه وجعلوا فلانا بدلا من اسمه وذكروا فلانين من اصحاب الرسول ومن حمل الالف واللام على العموم لانها اذا دخلت على الاسم المفرد افادت العموم بالقرينة وهي ان ترتيب الحكم على الوصف مشعر بعلية الوصف فدل على ان المؤثر في العض على اليدين كونه ظالما فيعم الحكم لعموم علته وهذا القول اولى من التخصيص بصورة واحدة ونزوله في واقعة خاصة لا ينافي العموم بل تدخل فيه تلك الصورة وغيرها والمقصود من الاية زجر الكل عن الظلم وذلك لا يحصل الا بالعموم **فصل** قال الضحاك ياكل يديه الى المرفق ثم تنبت ولا يزال هكذا كلما اكلها نبتت وقال المحققون هذه اللفظة للتحسر والغم يقال عض اناملة وعض على يديه **قوله** يقول هذه الجملة حال من فاعل يعض وجملة التمني بعد القول محكية به وتقدم الكلام في مباشرة يا لليت في النسا **قوله** يا ويلتا قرا الحسن يا ويلتي بكسر التا صريحة بعدها وهي الاصل وقرا الدوري بالامالة قال ابو علي وترك الامالة احسن لان اصل هذه اللفظة اليا فبدلت الكسرة فتحة واليا الفا فرارا من اليا فمن امال رجع الى الذي منه فر اولا وهذا مستوفى نحو باع فان اصله اليا ومع ذلك اما لوا وقد ما لوا يا حسرتا على ما فرطت ويا اسفا وهما كيا ويلتي في كون الفهما عن يا المتكلم **وفلان** كناية عن علم من يعقل وهو منصرف وفل كناية عن نكرة من يعقل من الذكور وفلة عن من يعقل من الاناث والفلان والفلانة بالالف واللام عن غير العاقل ويختص فل وفلة بالندا الا في ضرورة كقوله ٥ في لجة امسك فلانا عن فل ٥ وليس فل مرخما من فلان خلافا للفرا وزعم ابو حيان ان ابن عصفور وابن مالك وابن العلج وهموا في جعلهم فل كناية عن علم من يعقل كفلان ولام فل وفلان فيها وجهان احدهما انها واو والثاني انها يا **فصل** تقدم الكلام في يا ويلتا في هود ليتني لم اتخذ فلانا خليلا يعني ابي بن خلف لقد اضلني عن الذكر عن الايمان والقران بعد اذ جاءني يعني الذكر مع الرسول وكان الشيطان وهو كل متمرد عات من الجن والانس وكل من صد عن سبيل الله فهو شيطان وقيل اشار الى خليله وقيل اراد ابليس فانه الذي حمله على ان صار خليلا لذلك المضل ومخالفة الرسول ثم خذله وهو معنى قوله للانسان خذولا اي تاركا يتركه ويتبرا منه عند نزول البلا والعذاب وقوله وكان الشيطان يحتمل ان تكون هذه الجملة من مقول الظالم فتكون منصوبة المحل بالقول وان يكون من مقول الباري تعالى فلا محل لها لاستينافها **قوله تعالى** وقال الرسول يا رب ان قومي اتخذوا هذا القران مهجورا قال اكثر المفسرين ان هذا القول وقع من الرسول وقال ابو مسلم بل المراد ان الرسول يقوله في الاخرة كقوله فكيف اذا جينا من كل امة بشهيد وجينا بك على هولا شهيدا والاول اولى لان قوله وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين تسلية للرسول ولا يليق ذلك الا اذا وقع القول منه **فمهجورا** مفعول ثان لاتخذوا وجاز ونحو منقول من الهجر بفتح الهاء وهو الترك والبعد اي جعلوه متروكا بعيدا لم يومنوا به ولم يتقبلوه واعرضوا عن استماعه وقيل هو من الهجر بالضم اي مهجورا فيه ثم حذف الجار بدليل قوله مستكبرين به سامرا تهجرون وهجرهم فيه قولهم فيه انه شعر وسحر واساطير الاولين وكذب وهجرا اي هذيانا قال عليه السلام من تعلم القران وعلق مصحفا ولم يتعاهده ولم ينظر فيه جا يوم القيمة متعلقا به يقول يا رب العالمين عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني وبينه وجعل الزمخشري مهجورا هنا مصدرا بمعنى الهجر قال كالمجلود والمعقول قال شهاب الدين وهو غير مقيس ضبطه اهل اللغة في الفاظ فلا يتعدى الا النقل **قوله تعالى** وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا الاية ذكر ذلك تسلية

للرسول وان له اسوة بسائر الرسل فليصبر على ما يلقاه من قومه كما صبر اولوا العزم من الرسل وكفى
بربك هاديا ونصيرا قال المفسرون الباء زائدة بمعنى كفى ربك هاديا ونصيرا منصوبان على الحال
وقيل على التمييز هاديا الى مصالح الدين والدنيا ونصيرا على الاعداء **فصل** احتج اهل
السنة بهذه الاية على انه تعالى خالق الخير والشر لان قوله جعلنا لكل نبي عدوا يدل على ان تلك
العداوة من جعل الله تعالى فتلك العداوة كفر قال الجبائي المراد من الجعل التبيين لانه
تعالى لما بين انهم اعداؤه فقد جعلهم اعداءه كما اذا بين الرجل ان فلانا لص فقد جعله لصا وكما
يقال في الحاكم انه عدل فلانا وفسق فلانا وجرحه وقال الكعبي انه تعالى لما امر نبيه بعداوة
الكفار وعداوتهم للكفار تقتضي عداوته لهم فلهذا جاز ان يقول وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا
من المجرمين لانه سبحانه هو الذي حمله ودعاه الى ما استعقب تلك العداوة وقال ابو مسلم
يحتمل في العدو انه البعيد لا القريب اذ المعاداة المباعدة كما ان النصرة قرب من المظاهرة وقد
باعد الله بين المؤمنين والكافرين والجواب عن الاول ان التبيين لا يسمى البتة جعلا
لان من بين لغيره وجود الصانع وقدمه لا يقال انه جعل الصانع وجعل قدمه والجواب
عن الثاني ان الذي امر الله تعالى هل له تاثير في وقوع العداوة في قلوبهم او ليس له فيه
تاثير فان كان الاول فقد تم الكلام لان عداوتهم للرسول كفر فاذا امر الله الرسول بما له اثر
في تلك العداوة فقد امر بما له اثر في وقوع الكفر وان لم يكن له فيه تاثير البتة كان منقطعا
عنه بالكلية فيمتنع اسناده اليه وهذا هو الجواب عن قول ابي مسلم **فان قيل**
قوله عليه السلام يا رب ان قومي اتخذوا هذا القران مهجورا في المعنى كقول نوح عليه السلام رب
اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي الا فرارا فكان المقصود من هذا انزال العذاب
فكذا هنا فكيف يليق هذا بمن وصفه الله بالرحمة في قوله وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
فالجواب ان نوحا عليه السلام لما ذكر ذلك دعا عليهم واما محمد عليه السلام لما ذكر هذا
ما دعا عليهم بل انتظر فلما قال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا كان ذلك كالامر له بالصبر
على ذلك وترك الدعاء عليهم فافترقا **فان قيل** قوله جعلنا صيغة التعظيم و
العظيم اذا ذكر نفسه في معرض التعظيم وذكر انه يعطي فلا بد وان يكون تلك العطية عظيمة
كقوله ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم وقوله انا اعطيناك الكوثر فكيف يليق
بهذه الصيغة ان تكون تلك العطية هي العداوة التي هي منشأ الضرر في الدين والدنيا فالجواب
خلق العدو سبب لازدياد المشقة التي هي موجبة لمزيد الثواب **قوله تعالى**
وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القران الاية هذه شبهة خامسة لمنكري النبوة فان اهل مكة
قالوا تزعم انك رسول من عند الله فهلا تاتينا بالقران جملة كما اتى موسى بالتورية جملة وكما اتى عيسى
بالانجيل جملة وداود بالزبور قال ابن جريج من اوله الى اخره في ثنتين او ثلاث وعشرين سنة وجملة
حال من القران اذ هي في معنى مجتمعا **قوله** كذلك الكاف اما مرفوعة المحل اي الامر كذلك
ولنثبت علة لمحذوف اي لنثبت فعلنا ذلك واما منصوبة على الحال اي انزل مثل ذلك او على
النعت لمصدر محذوف ولنثبت متعلق بذلك الفعل المحذوف وقال ابو حاتم هي جواب قسم وهذا
قول مرجوح نحا اليه الاخفش وجعل منه ولتصغى وقد تقدم في الانعام وقرا عبد الله ليثبت
بالياء اي الله تعالى **فصل** هذا جواب عن شبهتهم وبيانه من وجوه احدها انه عليه
السلام لم يكن من اهل القراءة والكتابة فلو نزل ذلك عليه جملة واحدة كان لا يضبطه ولجاز عليه فيه الخطا
والغلط وثانيها ان من كان الكتاب عنده فربما اعتمد على الكتاب وتساهل في الحفظ فالله تعالى ما اعطاه
الكتاب جملة واحدة بل كان ينزل عليه وظيفة ليكون حفظه له اكمل فيكون ابعد عن المساهلة وقلة

التحصيل

التحصيل وثالثها انه تعالى لو انزل الكتاب جملة واحدة لنزلت الشرائع باسرها دفعة على الخلق فكان
يثقل عليهم ذلك فلما نزل مفرقا منجما نزلت التكاليف قليلا قليلا فكان تحملها اسهل ورابعها
انه اذا شاهد جبريل حالا بعد حال يقوى قلبه بمشاهدته على اداء ما حمل وعلى الصبر على عوارض
النبوة وعلى احتمال الاذى وعلى التكاليف الشاقة وخامسها انه لما شرط الاعجاز فيه مع كونه منجما
ثبت كونه معجزا فانه لو كان ذلك مقدورا للبشر لوجب ان ياتوا بمثله منجما مفرقا ولما عجزوا عن معارضة
نجومه المفرقة تعين معارضة الكل اولى وسادسها كان القران ينزل بحسب اسولتهم ووقائعهم
فكانوا يزدادون بصيرة وكان ينضم الى الفصاحة الاخبار عن الغيوب وسابعها ان السفارة
بين الله وبين انبيائه وتبليغ كلامه الى الخلق منصب عظيم فيحتمل ان يقال انه تعالى لو انزل
القران على محمد دفعة واحدة لبطل المنصب على جبريل عليه السلام فلما انزله مفرقا منجما بقي ذلك
العالي عليه فلذلك جعله الله تعالى منجما **فصل** قوله كذلك يحتمل ان يكون من تمام كلام
المشركين اي جملة واحدة كذلك اي كالتورية والانجيل ويحتمل ان يكون من كلام الله تعالى ذكره
جوابا لهم اي كذلك انزلناه مفرقا **فان قيل** كذلك اشارة الى شيء تقدمه والذي تقدم
هو انزاله جملة فكيف فسر بكذلك انزلناه مفرقا فالجواب ان الاشارة الى الانزال مفرقا لا الى
جملة **قوله** ورتلناه ترتيلا الترتيل التفريق ومجيء الكلمة بعد الاخرى بسكوت يسير دون
قطع النفس ومنه ثغر رتل ومرتل اي مفلج الاسنان بين اسنانه فرج يسيرة قال الزمخشري
ونزل هنا بمعنى انزل لا غير كخبر بمعنى اخبر والا لكان متدافعا يعني ان نزل بالتشديد يقتضي بالاصالة
التنجيم والتفريق فلو لم نجعل بمعنى انزل لا يقتضي ذلك لتدافع مع قوله جملة لان الجملة تنافي التفريق
وهذا بناء منه على معتقده وهو ان التضعيف يدل على التفريق وقد نص على ذلك في مواضع من الكشاف
في سورة البقرة واول آل عمران واخر الاسرا وحكى هناك عن ابن عباس ما يقوي ظاهر صحة **قوله**
فصل ورتلناه ترتيلا قال ابن عباس بيناه بيانا والترتيل التبيين في ترسل وتثبت
وقال السدي فصلناه تفصيلا وقال مجاهد بعضه في اثر بعض وقال النخعي والحسن وقتادة
فرقناه تفريقا آية بعد آية **قوله** ولا ياتونك يعني المشركين بمثل يضربونه في ابطال امرك الا
جئناك بالحق الذي يدفع ما جاءوا به من المثل ويبطله كقوله بل نقذف بالحق على الباطل
فيدمغه فاذا هو زاهق فسمى ما يوردون من الشبه مثلا وسمى ما يدفع به الشبه حقا **قوله**
الا جئناك بالحق هذا الاستثناء مفرغ والجملة في محل نصب على الحال اي لا ياتونك بمثل الا في حال
ايتائنا اياك كذا والمعنى ولا ياتونك بسؤال عجيب الا جئناك بالامر الحق واحسن تفسيرا اي بيانا
وتفصيلا وتفسيرا تمييز والمفضل عليه محذوف تفسيرا من مثلهم والتفسير تفعيل من الفسر
وهو كشف ما قد غطي ثم ذكر مآل هؤلاء المشركين فقال الذين يحشرون على وجوههم يساقون
ويجرون الى جهنم وروي انهم يمشون في الاخرة مقلوبين وجوههم على القفا وارجلهم الى فوق وقال
عليه السلام ان الذي امشاهم على ارجلهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم والاول اولى لانه ورد
ايضا **قوله** الذين يحشرون يجوز رفعه خبر مبتدا محذوف اي هم الذين ويجوز نصبه على الذم
ويجوز ان يرتفع بالابتداء وخبره الجملة من قوله اولئك شر مكانا ويجوز ان يكون اولئك بدلا او بيانا
للموصول وشر مكانا خبر الموصول **فصل** اولئك شر مكانا منزلا ومصيرا من اهل الجنة واضل
سبيلا واخطا طريقا وههنا سوال كما تقدم في قوله اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا ولما تكلم في التوحيد
ونفي الانداد واثبات النبوة واحوال القيمة شرع في ذكر القصص على الطريقة المعلومة **قوله**
تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب الاية لما قال وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وذكر ذلك
في معرض التسلية له ذكر جماعة من الانبياء وعرفه تكذيب اممهم والمعنى لست يا محمد باول من

ارسلنا فكذب فقد اتينا موسى الكتاب وقوينا عضده باخيه هرون **فان قيل**
كون هرون فالمنافي لكونه شريكا يجب ان يقال انه لما صار خرج عن كونه وزيرا فالجواب
لامنافاة بين الصنفين لانه لا يمتنع ان يشركه في النبوة ويكون وزيرا وظهيرا ومعينا له ولا وجه
لقول من قال في قوله فقلنا اذهبا انه خطاب لموسى عليه السلام وحده بل يجري مجرى قوله
اذهبا الى فرعون انه طغى **قوله** هرون بدلا وبيان او منصوب على القطع ووزيرا مفعول
ثان وقيل حال والمفعول الثاني قوله معه قال الزجاج الوزير في اللغة الذي يرجع اليه ويعمل برايه
والوزير ما يعتصم به ومنه كلا لا وزر اي لا منجا ولا ملجا قال القاضي ولذلك لا يوصف تعالى بان
له وزير **قوله** فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا يعني القبط **قوله** فدمرناهم
العاطفة على فدمرنا فعلا ماضيا معطوفا على محذوف اي فذهبا فكذبوهما فدمرناهم تدميرا
اهلكناهم اهلاكا وقرا علي كرم الله وجهه فدمراهم امر لموسى وهرون وعنه ايضا فدمرانهم
كذلك ايضا ولكنه مؤكد بالنون الشديدة وعنه ايضا فدمرا بهم بزيادة الباء الجر بعد فعل الامر
وهي تشبه القراءة قبلها في الخط ونقل عنه الزمخشري فدمرتهم بتاء المتكلم **فان قيل** الفا
للتعقيب والاهلاك لم يحصل عقيب بعث موسى وهرون اليهم بل بعده بمدة مديدة
فالجواب ان التعقيب محمولة على الحكم بالاهلاك لا على الوقوع وقيل انه تعالى اراد اختصار القصة
فذكر المقصود منها اولها واخرها والمراد الزام الحجة ببعث الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم
واعلم ان قوله كذبوا باياتنا ان حملنا تكذيب الايات على تكذيب الايات الالهية فلا اشكال
وان حملناه على تكذيب ايات النبوة فاللفظ وان كان للماضي فالمراد به المستقبل **قوله تعالى**
وقوم نوح الاية يجوز ان يكون قوما منصوبا عطفا على مفعول دمرناهم ويجوز ان يكون منصوبا بفعل
مضمر يفسره قوله اغرقناهم ويرجح هذا تقدم جملة فعلية قبله هذا اذا قلنا ان لما ظرف زمان واما
اذا قلنا انها حرف وجوب لوجوب فلا يتاتى ذلك لان اغرقناهم حينئذ جواب لما وجوابها لا يفسر
ويجوز ان يكون منصوبا بفعل مقدر لا على سبيل الاشتغال اي اذكر قوم نوح **فصل** انما
قال كذبوا الرسل اما لانهم كانوا من البراهمة المنكرين لكل الرسل ولان تكذيبهم لواحد تكذيب للجميع
لان من كذب رسولا واحدا فقد كذب جميع الرسل وقوله اغرقناهم قال الكلبي امطرنا عليهم السما
اربعين يوما واخرج ما في الارض ينبع في تلك الاربعين فصارت الارض بحرا واحدا وجعلناهم اي
جعلنا اغراقهم وقصتهم للناس اية للظالمين اي لكل من سلك سبيلهم واعتدنا للظالمين في الاخرة
عذابا اليما **قوله تعالى** وعادا وثمودا واصحاب الرس الاية وعادا فيه ثلاثة اوجه ان يكون
معطوفا على قوم نوح وان يكون معطوفا على مفعول جعلناهم وان يكون معطوفا على محل للظالمين
لانه في قوة وعدنا الظالمين بعذاب **قوله** واصحاب الرس فيه وجهان احدهما من عطف المغاير
وهو الظاهر والثاني انه من عطف بعض الصفات على بعض والمراد باصحاب الرس ثمود لان الرس
البير التي لم تطو عن ابي عبيد وثمود اصحاب ابار وقيل الرس نهر بالمشرق وكانت قرى اصحاب الرس
على شاطئ النهر فبعث الله اليهم نبيا من ولد يهودا بن يعقوب فكذبوه فلبث فيهم زمانا فشكى
الى الله منهم فحفروا بيرا وارسلوه فيها وقالوا نرجوا ان ترضى عنا الهتنا وكانوا عامة يومهم يسمعون انين
نبيهم وهو يقول سيدي ترى ضيق مكاني وشدة كربي وضعف ركني وقلة حيلتي فعجل قبض روحي
حتى مات فارسل الله عليهم ريحا عاصفة شديدة الحر وصارت الارض من تحتهم حجر كبريت تتوقد
واظلتهم سحابة سودا فذابت ابدانهم كما يذوب الرصاص وقيل انهم اناس عبدة اصنام قتلوا نبيهم
ودسوه في بير اي دسوه فيها وقال قتادة والكلبي الرس بير بفلج اليمامة قتلوا نبيهم فهو حنظلة بن
صفوان وقيل هم بقية ثمود قوم صالح وهم اصحاب البير التي ذكر الله تعالى في قوله وبير معطلة وقصر

مشيد

مشيد وقال كعب ومقاتل والسدي الرس بانطاكية قتلوا فيها حبيب النجار ودسوه في بير
وهم الذين ذكرهم الله تعالى في سورة يس وقيل هم اصحاب الاخدود والرس هو الاخدود والذي
حفروه وقال عكرمة هم قوم رسوا نبيهم في بير وقيل الرس المعدن وجمعه رساس وروي
عن علي رضي الله عنه انهم قوم كانوا يعبدون شجرة الصنوبر وسموا اصحاب الرس لانهم رسوا نبيهم
في الارض وروى ابن جرير عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله بعث نبيا الى اهل قرية فلم يؤمن به
من اهل القرية احد الا عبدا اسود ثم انهم حفروا للرسول بيرا والقوه فيها ثم طبقوا عليها حجرا ضخما وكان
ذلك الرجل الاسود يحتطب ويشتري له طعاما وشرابا ويرفع الصخرة ويدليه اليه فكان ذلك ما
شا الله فاحتطب يوما فلما اراد ان يحملها وجد نوما فاضطجع وضرب الله على اذنه سبع سنين ثم
هب واحتمل حزمته واشترى طعاما وشرابا وذهب الى الحفرة فلم يجد احدا وكان قومه قد استخرجوه
وامنوا به وصدقوه وكان ذلك النبي يسالهم عن الاسود ويقول لهم انه اول من يدخل الجنة **قوله**
وقرونا اي واهلكنا قرونا كثيرا بين ذلك واصحاب الرس والقرون جمع قرن قال علي رضي الله عنه
القرن اربعون سنة وهو قول النخعي وقيل مائة وعشرون سنة وقيل غير ذلك وتقدم الكلام عليه
في سورة سبحان عند قوله وكم اهلكنا من القرون من بعد نوح **قوله** بين ذلك اشارة الى من تقدم
ذكره وهم جماعات فلذلك حسن دخول بين عليه وقد يذكر الذاكر اشياء مختلفة ثم يشير اليها بذلك ويحسب
الحاسب اعدادا ثم يقول فذلك كيت وكيت اي ذلك المحسوب او المعدود **قوله**
وكلا يجوز نصبه بفعل يفسره ما بعده اي وحذرنا او ذكرنا كلا اي بمعنى ضربنا له الامثال ويجوز
ان يكون معطوفا على ما تقدم وضربنا بيان لسبب اهلاكهم واما كلا الثانية فمفعول مقدم **فصل**
ضربنا له الامثال اي الاشباه في اقامة الحجة عليهم فلم نهلكهم الا بعد الانذار
وقيل بينا لهم وازحنا عللهم فلما كذبوا تبرناهم تتبيرا اهلكناهم اهلاكا وقال الاخفش كسرناهم تكسيرا
قال الزجاج كل شي كسرته وفتته فقد تبرته **قوله تعالى** ولقد اتوا على القرية
التي امطرت الاية اراد بالقرية قريات لوط وكانت خمس قرى فاهلك الله منها اربعا ونجت واحدة
وهي صغر كان اهلها لا يعملون العمل الخبيث يعني ان قريشا مروا مرارا كثيرا الى الشام على تلك القرية
التي امطرت مطر السوء اي اهلكت بالحجارة من السما افلم يكونوا يرونها في مرورهم وينظرون الى
اثار عذاب الله ونكاله فيعتبروا ويتذكروا **قوله** مطر السوء فيه ثلاثة اوجه احدها انه
مصدر على حذف الزوايد اي امطار السوء الثاني انه مفعول ثان اذ المعنى اعطيتها واوليتها مطر السوء
الثالث انه نعت مصدر محذوف اي امطارا مثل مطر السوء وقرا زيد بن علي مطرت ثلاثيا مبنيا
للمفعول ومطر متعد قال ه كمن بواديه بعد المحل ممطور وقرا ابو السمال مطر السوء بضم السين وقد
تقدم الكلام على السوء والسوء في براءة وقوله اتوا على القرية انما عدي اتى بعلى لانه ضمن معنى مر
قوله بل كانوا لا يرجون نشورا في هذا الرجا ثلاثة اوجه اقواها ما قاله القاضي وهو انه
محمول على حقيقة الرجا لان الانسان لا يتحمل متاعب التكليف الا لرجا ثواب الاخرة فاذا لم يؤمن
بالاخرة لم يرج ثوابها فلا يتحمل تلك المشاق وثانيها معناه لا يتوقعون نشورا فوضع الرجا موضع التوقع
لانه انما يتوقع العاقبة من يؤمن وثالثها معناه لا يخافون على اللغة التهامية وهو ضعيف **قوله**
واذا راك الذين كفروا الاية لما بين مبالغة المشركين في انكار نبوته بايراد الشبهات بين بعد ذلك انهم
اذا راوا الرسول اتخذوه هزوا ولم يقتصروا على ترك الايمان به بل زادوا عليه بالاستهزاء والاستخفاف
ويقول بعضهم لبعض اهذا الذي بعث الله رسولا **قوله** ان يتخذونك ان الاولى نافية والثانية
مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينهما وهزوا مفعول ثان ويحتمل ان يكون التقدير موضع هزو
وان يكون مهزوا بك وهذه الجملة المنفية تحتمل وجهين احدهما انها جواب اذا الشرطية واختصت اذا

بان جوابها متى كان منفيا بما او ان او لا لا تحتاج الى الفا بخلاف غيرها من ادوات الشرط فعلى هذا
يكون قوله اهذا الذي في محل نصب بالقول المضمر وذلك القول المضمر في محل نصب على الحال
اي ان يتخذونك قائلين ذلك والثاني انها جملة معترضة بين اذا وجوابها وجوابها هو ذلك
القول المضمر المحكي به اهذا الذي والتقدير واذا رأوك قالوا اهذا الذي بعث فاعترض بجملة النفي
ومفعول بعث محذوف هو عائد الموصول اي بعثه ورسولا على بابه من كونه صفة فينتصب على
الحال وقيل هو مصدر بمعنى رسالة فيكون على حذف مضاف اي ذا رسول بمعنى ذا رسالة او يجعل
نفس المصدر مبالغة او بمعنى مرسل وهو تكلف **قوله** ان كاد ليضلنا تقدم نظيره في سبحان
قوله لولا ان صبرنا جوابها محذوف اي لضللنا عن آلهتنا قال الزمخشري ولولا في مثل
هذا الكلام جار من حيث المعنى لا من حيث الصيغة مجرى التقييد للحكم المطلق **فصل**
قال المفسرون ان ابا جهل كان اذا مر باصحابه على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مستهزئا
اهذا الذي بعث الله رسولا ان كاد قد كاد ليضلنا اي قد قارب ان يضلنا عن آلهتنا لولا ان صبرنا
عليها اي لو لم نصبر عليها لصرفنا عنها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا من اخطأ
طريقا واعلم ان الله تعالى اخبر عن المشركين انهم متى رأوا الرسول عليه السلام اتوا بنوعين من الافعال
احدهما الاستهزاء فيقولون اهذا الذي بعث الله رسولا وذلك جهل عظيم لان الاستهزاء اما ان يكون
بصورته او بحقيقته والاول باطل لانه عليه السلام كان احسن منهم وبتقدير انه لم يكن كذلك لكنه
عليه السلام ما كان يدعي التميز عنهم بالصورة بل بالحجة والثاني باطل لانه عليه السلام ادعى التميز عنهم
بظهور المعجز عليه دونهم وانهم ما قدروا على القدح في حجته ففي الحقيقة هم الذين يستحقون ان يهزأ
بهم ثم انهم لوقاحتهم قلبوا القضية واستهزءوا بالرسول وذلك يدل على ان المبطل ليس له الا السفاهة
والوقاحة والنوع الثاني قولهم ان كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا ان صبرنا عليها فسموا ذلك ضلالا وذلك
يدل على انهم كانوا مبالغين في تعظيم آلهتهم ويدل على جده واجتهاده في صرفهم عن عبادة الاوثان
فلهذا قالوا ان كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا ان صبرنا عليها وذلك يدل على انهم كانوا مقهورين بالحجة ولم
يكن في ايديهم الا مجرد الوقاحة **قوله** من اضل جملة الاستفهام معلقة ليعلمون فهي سادة
مسد مفعوليها ان كانت على بابها ومسد واحد ان كانت بمعنى عرف ويجوز في من ان تكون موصولة
واضل خبر مبتدأ مضمر هو العائد على من تقديره من هو اضل وانما حذف للاستطالة بالتمييز
كقولهم ما انا بالذي قائل لك سوءا وهذا الظاهر ان كانت متعدية لواحد وان كانت متعدية لاثنين
تحتاج الى تقدير ثان ولا حاجة اليه **فصل** لما وصفوه بالاضلال في قولهم ان كاد ليضلنا
بين تعالى انه سيظهر لهم من المضل ومن الضال عند مشاهدة العذاب الذي لا محيص لهم منه
فقال وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا وهذا وعيد شديد على التمادي والاعراض
عن الاستدلال والنظر **قوله تعالى** ارأيت من اتخذ الهه هواه الآية ارأيت كلمة
تصلح للاعلام والسؤال وههنا تعجب من هذا وصفه ونعته وقوله من اتخذ الهه هواه مفعولا الاتخاذ
من غير تقديم ولا تأخير لاستوائهما في التعريف وقال الزمخشري فان قلت لم اخر هواه والاصل قولك
اتخذ الهوى الها قلت ما هو الا تقديم المفعول الثاني على الاول للعناية به كما تقول علمت منطلقا
زيدا لفضل عنايتك بالمنطلق وقال ابو حيان وادعاء القلب يعني ان التقديم ليس بجيد لانه من ضرائر
الاشعار قال شهاب الدين قد تقدم فيه ثلاث مذاهب ان هذا ليس من القلب المذكور في شيء
انما هو تقديم وتأخير فقط وقرأ ابن هرمز الاهة هواه على وزن فعالة والاهة بمعنى المالوه والهاء
للمبالغة كعلامة ونسابة والاهة مفعول ثان قدم لكونه نكرة ولذلك صرف وقيل الاهة هي الشمس
ورد هذا بانه كان ينبغي ان يمتنع من الصرف للعلمية والتأنيث واجيب بانها تدخل عليها ال كثيرا

فلما نزعت منها صارت نكرة جارية مجرى الاوصاف ويقال الاهة بضم الهمزة اسما للشمس وقرأ
بعض المدنيين الهه هواه جمع اله وهو ايضا مفعول مقدم وجمع باعتبار الانواع فقد كان الرجل
يعبد الهة شتى ومفعول ارأيت الاول من والثاني الجملة الاستفهامية **فصل** قال ابن عباس
الهوى يعبد وقال سعيد ابن جبير كان الرجل من المشركين يعبد الحجر فاذا رأى حجرا احسن منه طرح الاول
واتخذ الآخر وعبده افانت تكون عليه وكيلا اي حافظا تحفظه عن اتباع هواه اي لست كذلك ونظيره
لست عليهم بمسيطر وما انت عليهم بجبار ولا اكراه في الدين قال الكلبي نسختها آية القتال ام تحسب
ان اكثرهم يسمعون او يعقلون يسمعون ما تقول سماع طالب الافهام او يعقلون ما يعاينون من
الحجج والاعلام وام هنا منقطعة بمعنى بل ان هم الا كالانعام في عدم انتفاعهم بالكلام وعدم تدبرهم
وتفكرهم بل هم اضل سبيلا لان البهائم تهتدي لمراعيها ومشاربها وتنقاد لاربابها التي تتعهدها
وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وقلوب الانعام خالية عن العلم وعن الاعتقاد الفاسد وهؤلاء
قلوبهم خالية عن العلم وملآنة من الاعتقاد الباطل وعدم علم الانعام لا يضر باحد وجهل هؤلاء منشأ
للضرر العظيم لانهم يصدون الناس عن سبيل الله والبهائم لا تستحق عقابا على عدم العلم وهؤلاء مستحقون
على عدم العلم اعظم العقاب وهؤلاء الكفار لا يعرفون طريق الحق ولا يطيعون ربهم الذي خلقهم
ورزقهم ولان الانعام تسجد وتسبح لله وهؤلاء الكفار لا يفعلون **فان قيل** لم قال
ام تحسب ان اكثرهم فحكم بذلك على الاكثر دون الكل **فالجواب** لانه كان فيهم من يعرف
الله ويعقل الحق الا انه ترك الاسلام لحب الرياسة لا للجهل **فان قيل** انه تعالى لما
نفى عنهم السمع والعقل فكيف ذمهم على الاعراض عن الدين وكيف بعث الرسول اليهم فان شرط
التكليف العقل **فالجواب** ليس المراد انهم لا يعقلون بل المراد انهم لم ينتفعوا بذلك العقل فهو
كقول الرجل لغيره اذا لم يفهم انما انت اعمى واصم **قوله تعالى** الم تر الى ربك كيف مد
الظل الآية لما بين جهل المعرضين عن دلائل التوحيد وبين فساد طريقتهم ذكر انواعا من الدلائل
الدالة على وجود الصانع فاولها الاستدلال بحال الظل في زيادته ونقصانه وتغير احواله **قوله**
الم تر فيه وجهان احدهما انه من رؤية العين والثاني انه من رؤية القلب يعني العلم فان
حملناه على رؤية العين فالمعنى الم تر الى الظل كيف مده ربك وان حملناه على العلم وهو اختيار
الزجاج فالمعنى الم تعلم وهذا اولى لان الظل اذا جعلناه من المبصرات فتاثير قدرة الله في تمديده
غير مرئي بالاتفاق ولكنه معلوم من حيث ان كل مبصر فله مؤثر فحمل هذا اللفظ على رؤية القلب
اولى من هذا الوجه وهذا الخطاب وان كان ظاهره للرسول فهو عام في المعنى لان المقصود بيان
نعم الله تعالى بالظل وجميع المكلفين مشتركون في تنبيههم لهذه النعمة **وكيف** منصوبة
بمد وهي معلقة لترى فهي في موضع نصب وقد تقدم القول في الم تر **فصل** الظل عبارة
عن عدم الضوء مما من شانه ان يضيء وهو ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس جعله ممدودا لانه
ظل لا شمس معه كما قال في ظل الجنة وظل ممدود اذ لم يكن معه شمس ولو شاء لجعله ساكنا دائما
ثابتا لا يزول ولا تذهبه الشمس قال ابو عبيدة الظل ما نسخته الشمس وهو بالغداة والفيء ما
نسخ الشمس وهو بعد الزوال سمي فيئا لانه فاء من جانب المغرب الى جانب المشرق ثم جعلنا الشمس
عليه دليلا اي على الظل دليلا ومعنى دلالتها عليه انه لو لم تكن الشمس لما عرفت الظل ولولا النور لما عرفت
الظلمة والاشياء تعرف باضدادها قال الزمخشري فان قلت ثم في هذين الموضعين كيف موقعها
قلت موقعها لبيان تفاضل الامور الثلاث كان الثاني اعظم من الاول والثالث اعظم منهما تشبيها
لتباعد ما بينها في الفضل بتباعد ما بينها في الوقت **قوله** ثم قبضناه يعني الظل الينا قبضا يسيرا
بالشمس التي تاتي عليه والقبض جمع المنبسط من الشيء معناه ان الظل يعم جميع الارض قبل طلوع الشمس فاذا

طلعت الشمس فجعل الله الظل جزءا فجزءا قبضا يسيرا اي خفيفا وقيل المراد من قبضها يسيرا قبضها عند
قيام الساعة وذلك بقبض اسبابها وهي الاجرام التي تلقي الظلال وقوله يسيرا كقوله حشر علينا يسير
قوله تعالي وهو الذي جعل لكم الليل لباسا الاية هذا هو النوع الثاني شبه الليل
من حيث يستر الكل ويغطي باللباس الساتر للبدن ونبه علي ما لنا فيه من النفع بقوله والنوم سباتا
والسبات هو الراحة اي راحة لابدانكم وقطعا لعملكم واصل السبت القطع والنائم مسبوت لانه انقطع
عمله وحركته قال ابو مسلم السبات الراحة ومنه يوم السبت لما جرت به العادة من الاستراحة
فيه ويقال للعليل اذا استراح من تعب العلة مسبوت وقال الزمخشري السبات الموت والمسبوت
الميت لانه مقطوع الحياة قال وهذا كقوله وهو الذي يتوفاكم بالليل وانما قلنا ان تفسيره بالموت
اولي من تفسيره بالراحة لان النشور في مقابلته وجعل النهار نشورا قال ابو مسلم هو بمعني الانتشار
والحركة كما سمي تعالي نوم الانسان وفاة فقال يتوفي الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها كذلك وفق
بين القيام من النوم والقيام من الموت في التسمية بالنشور **قوله تعالي** وهو الذي ارسل
الرياح نشرا الاية هذا هو النوع الثالث وقد تقدم الكلام علي نظيره في الاعراف بين يدي رحمته
يعني المطر وانزلنا من السما ما طهورا قال الزمخشري فان قلت انزال الما موصوفا بالطهارة وتعليله
بالاحيا والسقي يوذن بان الطهارة شرط في صحة ذلك كما تقول حملني الامير علي فرس جواد لاصيد
عليه الوحش قلت لما كان سقي الاناسي من جملة ما انزل له الما وصفه بالطهارة اكراما لهم وتتميما
للمنة عليهم وطهورا يجوز ان يكون صفة مبالغة منقولا من طاهر كقوله تعالي شرابا طهورا وقال
الي رجح الاكفال غيد من الظبا عذاب الثنايا ريقهن طهور وان يكون اسم ما يتطهر به كالنحور
لما ينحر به والفطور لما يفطر به قال عليه السلام في البحر هو الطهور ماوه الحل ميتته اراد به المطهر
فالما مطهر لانه يطهر الانسان من الحدث والنجاسة كما قال في اية اخري وينزل عليكم من السما ما ليطهركم به
فثبت ان التطهير مختص بالما وذهب اصحاب الراي الي ان الطهور هو الطاهر حتي جوزوا ازالة
النجاسة بالمايعات كالخل وما الورد والمرق ولو جاز ازالة النجاسة بها لجاز رفع الحدث بها
وقال عليه السلام التراب طهور المسلم ولو لم يجد الما عشر حجج ولو كان معني الطهور هو الطاهر
لكان معناه التراب طاهر المسلم وحينئذ لا ينتظم الكلام وكذا قوله عليه السلام طهور انا احدكم اذا
ولغ الكلب فيه ان يغسل سبعا ولو كان الطهور هو الطاهر لكان معناه طاهر انا احدكم وحينئذ
لا ينتظم الكلام ويجوز ان يكون مصدرا كالقبول والولوغ **قوله** لنحيي به فيه وجهان اظهرهما
انه متعلق بالانزال والثاني وهو صعب انه متعلق بطهور ووصف بلدة بميت وهي مؤنثة
للمذكر لانها بمعني البلد **قوله** ونسقيه العامة علي ضم النون وقرا ابو عمرو وعاصم في رواية
عنهما وابو حيوة وابن ابي عبلة بفتحها وقد تقدم انه قرئ بذلك في النحل والمومنين وتقدم
الكلام علي ذلك **قوله** مما خلقنا يجوز ان يتعلق بنسقيه وهي لابتدا الغاية ويجوز ان يتعلق
بمحذوف علي انها حال من انعاما ونكرت الانعام والاناسي قال الزمخشري لان علية الناس وجلهم
مجتمعون بالاودية والانهار فبهم غنية عن سقي الما واعقابهم وهم كثير منهم لا يعيشهم الا ما
ينزل الله من رحمته وسقيا سمايه **قوله** واناسي فيه وجهان احدهما وهو مذهب سيبويه
انه جمع انسان والاصل اناسين فابدلت النون يا وادغم فيها اليا قبلها نحو ظربان وظرابي
وهو قول الفرا والمبرد والزجاج انه جمع انسي وفيه نظر لان فعالي انما يكون جمعا لما فيه يا مشددة
لا تدل علي نسب نحو كرسي وكراسي فلو اريد بكرسي النسب لم يجز جمعه علي كراسي ويبعد ان يقال
ان اليا في انسي ليست للنسب وكان حقه ان يجمع علي اناسية نحو مهالبة في المهلبي وازارقة في الازرقي
وقرا يحيي بن الحارث الذماري والكسائي في رواية واناسي بتخفيف اليا قال الزمخشري بحذف يا

افاعيل

الفاعيل كقوله اناعم في اناعيم قال الزمخشري فان قلت لم قدم احيا الارض وسقي الانعام علي سقي
الاناسي قلت لان حياة الاناسي بحياة ارضهم وحياة انعامهم فقدم ما هو سبب حياتهم ولانهم اذا
ظفروا بسقيا ارضهم وسقي انعامهم لم يعدموا سقياهم **فان قيل** لم خص الاناسي والانعام
هيهنا بالذكر دون الطيور والوحش مع انتفاع الكل بالما **الجواب** لان الطير والوحش تبعد في
طلب الما فلا يعوزها الشرب بخلاف الانعام لانها قنية الاناسي وعامة منافعهم متعلقة بها فكان الانعام
عليهم بسقي انعامهم كالانعام عليهم بسقيهم وقال اناسي كثيرا قيل لم قال كثيرا قيل لانه قد يجعل ويعوده
ويراد به الكثرة كقوله وقرونا بين ذلك كثيرا وحسن اولئك رفيقا **قوله** ولقد صرفناه في
هذه الها ثلاثة اوجه احدها قال الجمهور انها ترجع الي المطر ثم قال بعضهم المعني صرفنا
نزول الما من وابل وطل وجود وطش ورذاذ وغير ذلك وقال بعضهم صرفناه اي اجريناه
في الانهار حتي انتفعوا بالشرب والزراعات وانواع المعاش به وقال اخرون معناه انه تعالي
ينزله في مكان دون مكان وفي عام ثم في العام الثاني يقع بخلاف ما وقع في العام الاول قال ابن عباس
ما عام باكثر مطرا من عام ولكن الله يصرفه في الارض ثم قرا هذه الاية وروي ابن مسعود عن النبي صلي الله
عليه وسلم انه قال ما من عام بامطر من عام ولكن اذا عمل قوم بالمعاصي حول الله ذلك الي غيرهم
فاذا عصوا جميعا صرف الله ذلك الي الفيافي الثاني قال ابو مسلم الضمير راجع الي المطر والسحاب والاظلال
وسائر ما ذكره من الادلة الثالث اي هذا القول صرفناه بين الناس في القران وفي سائر الكتب
والصحف التي انزلت علي الرسل وهو ذكر انشا السحاب وانزال المطر ليتفكروا ويستدلوا به علي الصانع وقرا
عكرمة صرفناه بتخفيف الرا وقيل التصريف راجع الي الريح ليذكروا ويتفكروا في قدرة الله تعالي
فابي اكثر الناس الا كفورا جحودا وكفرانا هو انهم اذا امطروا قالوا مطرنا بنو كذا وروي زيد بن خالد
الجهني قال صلي لنا رسول الله صلي الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية في اثر صلاة سما كانت من
الليل فلما انصرف اقبل علي الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال اصبح من عبادي
مؤمن بي وكافر فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي وكافر بالكواكب واما من قال
مطرنا بنو كذا وكذا فذاك كافر بي مؤمن بالكواكب **فصل** قال الجبائي قوله ليذكروا يدل
علي انه تعالي يريد من الكل ان يذكروا ويشكروا ولو اراد منهم ان يكفروا ويعرضوا لما صح ذلك وذلك
يبطل قول من قال ان الله مريد لكفر من يكفر قال ودل قوله فابي اكثر الناس الا كفورا علي قدرتهم
علي فعل هذا التذكر اذ لو لم يقدروا لما جاز ان يقال ابوا ان يفعلوه كما لا يقال في الزمن ابي ان يسعي
وقال الكعبي قوله ولقد صرفناه بينهم ليذكروا حجة علي من زعم ان القران وبال علي الكافرين
وانه لم يرد بانزاله ان يؤمنوا لان قوله ليذكروا عام في الكل وقوله تعالي اكثر الناس يقتضي ان يكون
هذا الاكثر داخلا في ذلك العام لانه لا يجوز ان يقال انزلناه علي قريش ليؤمنوا فابي اكثر بني تميم
الا كفورا والجواب قد تقدم مرارا **قوله تعالي** ولو شينا لبعثنا في كل قرية نذيرا
رسولا ينذرهم والمراد من ذلك تعظيم النبي صلي الله عليه وسلم من وجوه احدها انه تعالي بين
انه مع القدرة علي بعثة نذيرا ورسولا في كل قرية خصه بالرسالة وفضله بها علي الكل ولذلك
اتبعه بقوله فلا تطع الكافرين اي لا توافقهم وثانيها المراد ولو شينا لخففنا عنك اعبا الرسالة
الي كل العالمين ولبعثنا في كل قرية نذيرا ولكنا قصرنا الامر عليك واجللناك وفضلناك علي سائر
الرسل فقابل هذا الاجلال بالتشدد في الدين وثالثها ان الاية تقتضي مزج اللطف بالعنف
لانها تدل علي القدرة علي ان يبعث في كل قرية نذيرا مثل محمد وانه لا حاجة بالحضرة الالهية الي محمد البتة
وقوله ولو شينا يدل علي انه تعالي لا يفعل ذلك والمعني ولكن بعثناك الي القري كلها وحملناك ثقل
نذارة جميعها لتستوجب بصبرك عليه ما اعتدنا لك من الكرامة والدرجة الرفيعة فلا تطع

الكافرين فيما يدعونك اليه من هواهم فتفتهم وهذا يدل على ان النهي عن الشي لا يقتضي كون المنهي عنه مشتغلا به **قوله** وجاهدهم به اي بالقران وبترك الطاعة المدلول عليه بقوله فلا تطع اي بما دل عليه ولو شينا لبعثنا في كل قرية نذيرا من كونه نذيرا كافة القرى او بالسيف والاقرب الاول لان السورة مكية والامر بالقتال ورد بعد الهجرة بزمان فالمراد بذل الجهد في الدعا جهادا كبيرا شديدا **قوله تعالى** وهو الذي مرج البحرين الاية هذا النوع الرابع في مرج قولان احدهما بمعنى خلط ومزج ومنه مرج الامر اي اختلط قاله ابن عرفه وقيل مرج اجرى وامرج لغة فيه قيل مرج لغة الحجاز وامرج لغة نجد وفي كلام بعض الفصحا بحران احدهما بالاخر ممزوج وما العذب منهما بالاجاج ممزوج وقيل ارسلهما في مجاريهما وخلاهما كما ترسل الخيل في المرج قاله ابن عباس واصل المرج الخلط والارسال يقال مرجت الدابة وامرجتها اذا ارسلتها في المرعى وخليتها تذهب حيث تشا **قوله** هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج هذه الجملة لا محل لها لانها مستانفة جواب لسوال مقدر كان قايلا قال كيف مرجهما فقيل هذا عذب وهذا ملح ويجوز على ضعف ان تكون حالية والفرات المبالغ في الحلاوة والتاء فيه اصلية لام الكلمة ووزنه فعال وبعض العرب يقف عليها هاء وهذا كما تقدم في التابوت ويقال سمي الما الحلو فراتا لانه يفرت العطش اي يشقه ويقطعه والاجاج المبالغ في الملوحة وقيل في الحرارة وقيل في المرارة وهذا من احسن المقابلة حيث قال تعالى عذب فرات وملح اجاج وانشد بعضهم فلا والله لا انفك ابكي الى ان نلتقي شعثا عراتا الى ان تزحت اجاج عيني على جدث حوى العذب الفراتا ما احسن ما كنى عن دمعه بالاجاج وعن المبكي عليه بالعذب الفرات وكان سبب انشاد هذين البيتين ان بعضهم لحن قايلهما في قوله عراتا كيف يقف على تا التانيث المنونة بالالف فقيل له انها لغة مستفيضة يجعلون التا كغيرها فيبدلون تنوينها بعد الفتح الفا حكي عن العرب اكلت تمرتا نحو اكلت زيتا وقرا طلحة وقتيبة عن الكسائي ملح بفتح الميم وكسر اللام وكذا في سورة فاطر وهو مقصور من مالح كقولهم برد في بارد قال وصليانا بردا وتما مالح لغة شاذة وقال ابو حاتم هذه قراة منكرة **قوله** بينهما برزخا يجوز ان يكون الظرف متعلقا بالجعل وان يتعلق بمحذوف على انه حال من برزخا والاول اظهر ومعنى برزخا اي حاجزا بقدرته لئلا يختلط احدهما بالاخر **قوله** وحجرا محجورا الظاهر عطفه على برزخا وقال الزمخشري فان قلت حجرا محجورا ما معناه قلت هي الكلمة التي يقولها المتعوذ وقد فسرناها وهي هنا واقعة على سبيل المجاز كان كل واحد من البحرين يقول لصاحبه حجرا محجورا كانه يتعوذ من صاحبه ويقول له حجرا محجورا كما قال لا يبغيان وهو من احسن الاستعارات يعني ما قاله يكون منصوبا بقول مضمر **فان قيل** لا وجود للبحر العذب فكيف ذكره الله تعالى هنا لا يقال هذا مدفوع من وجهين احدهما ان المراد منه الاودية العظام كالنيل وجيحون الثاني لعله حصل في البحار موضع يكون جانبيه عذبا والاخر ملحا لانا نقول اما الاول فضعيف لان هذه الاودية ليس فيها ما ملح والبحار ليس فيها ما عذب فلم تحصل البتة موضع التعجب واما الثاني فضعيف لان موضع الاستدلال لا بد وان يكون معلوما واما محض التجويز فلا يحسن الاستدلال فالجواب انا نقول المراد من البحر العذب هذه الاودية ومن البحر الاجاج البحار الكبار وجعل بينهما برزخا اي حايلا من الارض ووجه الاستدلال ههنا ان العذوبة والملوحة ان كانت بسبب طبيعة الارض والما فلا بد من الاستوا وان لم يكن كذلك فلا بد من قادر حكيم يخص كل واحد من الاجسام بصفة خاصة ويمكن الجواب بطريق اخر وهو انا راينا نيل مصر داخلا في بحر الملح ابيضا لونه متميزا بلون بحر الملح ولا يختلط به ويوخذ منه ويشرب **قوله تعالى** وهو الذي خلق من الما بشرا الاية هذا نوع خامس وفي هذا الما قولان احدهما انه النطفه والثاني انه الما الذي يسقى

به

به الادمي فيتولد منه الاغذية وتتولد من الاغذية النطفه كما تقدم في قوله وخلقنا من الما كل شي حي **قوله** من الما يجوز ان يتعلق بخلق وان يتعلق بمحذوف حال من ما ومن لابتدا الغاية او للتبعيض **قوله** فجعله نسبا وصهرا اي جعله ذا نسب وصهر قال الخليل لا يقال لاهل بيت المراة الا اصهار ولا لاهل بيت الرجل الا اختان قال ومن العرب من يطلق الاصهار على الجميع وهذا هو الغالب وقيل النسب ما لا يحل نكاحه والصهر ما يحل نكاحه والنسب ما يوجب الحرمة والصهر ما لا يوجبها والصحيح ان النسب من القرابة والصهر الخلطة التي تشبه القرابة وهو النسب المحرم للنكاح وقد تقدم ان الله تعالى حرم بالنسب سبعا وبالسبب سبعا في قوله عز وجل حرمت عليكم امهاتكم وكان ربك قديرا حيث خلق من النطفة نوعين من البشر الذكر والانثى **قوله تعالى** ويعبدون من دون الله الاية لما ذكر دلايل التوحيد عاد الى تهجين سيرتهم فقال ويعبدون اي هولا المشركين ما لا ينفعهم ان عبدوه ولا يضرهم ان تركوه وكان الكافر على ربه ظهيرا اي معينا للشيطان على ربه بالمعاصي قال الزجاج يعاون الشيطان على معصية الله لان عبادتهم الاصنام معاونة للشيطان فان قيل كيف يصح في الكافر ان يكون معاونا للشيطان على ربه بالعداوة فالجواب انه تعالى ذكر نفسه واراد رسوله فقال ان الذين يوذون الله وقيل معناه وكان الكافر على ربه هينا ذليلا كما يقول الرجل لمن يستهين به جعلني بظهر اي جعلني هينا ويقال ظهرت به اذا جعلته خلف ظهرك كقوله واتخذتموه وراكم ظهريا قاله ابو مسلم وقياس العربية ان يقال مظهور اي مستخف به متروك ورا الظهر فقيل فيه ظهير بمعنى مظهور ومعناه هين على الله ان يكفر الكافر وهو تعالى يستهين بكفره والمراد بالكافر قيل ابو جهل لان الاية نزلت فيه والاولى حمله على العموم لان خصوص السبب لا يقدح في عموم اللفظ قيل ويجوز ان يريد بالظهير الجماعة كقوله والملايكة بعد ذلك ظهير كما جا الصديق والخليط فعلى هذا يكون المراد بالكافر الجنس وان بعضهم مظاهر لبعض على اطفاء نور الله قال تعالى واخوانهم يمدونهم في الغي **قوله** على ربه يجوز ان يتعلق بظهيرا وهو الظاهر وان يتعلق بمحذوف على انه خبر كان وظهيرا حال والظهير المعاون **قوله** وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا اي منه ووجه تعلقه بما تقدم ان الكفار يطلبون العون على الله ورسوله والله تعالى بعث رسوله لنفعهم لانه بعثه ليبشرهم على الطاعة وينذرهم على المعصية فيستحقوا الثواب ويحترزوا عن العقاب فلا جهل اعظم من جهل من استفرغ جهده في ايذا من هو مستفرغ جهده في صلاح مهماته دينا ودنيا ولا يسالهم البتة على ذلك اجرا **قوله** الا من شا فيه وجهان احدهما هو منقطع اي لكن من يشا ان يتخذ الى ربه سبيلا فليفعل والثاني انه متصل على حذف مضاف يعني الا اجر من اي الاجر الحاصل على دعايه الى الايمان وقبوله لانه تعالى ياجرني على ذلك حكاه ابو حيان وفيه نظر لانه لم يسند السوال المنفي في الظاهر الى الله تعالى انما اسنده الى المخاطبين فكيف يصح هذا التقدير **فصل** المعنى ما اسيلكم على تبليغ الوحي من اجر فيقولوا انما يطلب محمد اموالنا بما يدعونا اليه فلا نتبعه وقوله الا من شا ان يتخذ الى ربه سبيلا استثنا منقطعا معناه لكن من شا ان يتخذ الى ربه سبيلا بانفاق ماله في سبيله فعل ذلك والمعنى لا اسلكم لنفسي اجرا ولكن لا امنع من انفاق المال في طلب مرضات الله واتخاذ السبيل الى جنته **قوله** وتوكل على الحي الذي لا يموت لما بين ان الكفار يتظاهرون على ايذايه وامره ان لا يطلب منهم اجرا امره بان يتوكل عليه في دفع جميع المضار وفي جلب جميع المنافع وانما قال على الحي الذي لا يموت لان من توكل على الحي الذي يموت فاذا مات المتوكل عليه صار المتوكل ضايعا واما الله تعالى فهو حي لا يموت فلا يضيع المتوكل عليه وسبح بحمده قيل المراد بالتسبيح الصلاة وقيل قل سبحان الله والحمد لله وكفى به بذنوب عباده خبيرا عالما وهذه كلمة يراد بها المبالغة يقال كفى بالعلم جمالا وكفى بالادب مالا وهو بمعنى حسبك اي لا تحتاج معه الى غيره لانه

خبير باحوالهم قادر على مكافاتهم وهذا وعيد شديد **قوله تعالى** الذي خلق السموات والارض
الاية لما امر الرسول بان يتوكل عليه وصف نفسه بامور منها انه حي لا يموت وانه عالم بجميع المعلومات
بقوله وكفى به بذنوب عباده خبيرا ومنها انه قادر على كل الممكنات وهو قوله الذي خلق السموات
والارض وهذا متصل بقوله الحي الذي لا يموت لانه سبحانه لما كان خالقا للسموات والارض والكل وما
بينهما ثبت انه هو القادر على جميع المنافع ودفع المضار وان النعم كلها من جهته فحينئذ لا يجوز التوكل
الا عليه والذي خلق يجوز ان يكون مبتدا والرحمن خبره وان يكون خبر مبتدا مقدر اي هو الذي خلق وان
يكون منصوبا بفعل مضمر وان يكون صفة للحي الذي لا يموت او بدلا او بيانا هذا على قراة الرحمن بالرفع
ومن قراه بالجر فيتعين ان يكون الذي خلق صفة للحي فقط **قوله** في ستة ايام فيه سؤال وهو
ان الايام عبارة عن حركة الشمس في السموات فقبل السموات لا ايام فكيف قال خلقها في ستة ايام والجواب
في مدة مقدارها هذه المدة لا يقال الشي الذي يقدر بمقدار محدود ويقبل الزيادة والنقصان
والتجزيه لا يكون عدما محضا بل لا بد وان يكون موجودا فيلزم من وجوده وجود مدة قبل وجود العالم
وذلك يقتضي قدم الزمان لانا نقول هذا معارض بنفس الزمان لان المدة المتوهمة المحتملة لعشرة
ايام لا تملي بخمسة والمدة المتوهمة المحتملة لخمسة ايام لا تحتمل عشرة ايام فيلزم ان يكون للمدة مدة اخرى
فلما لم يلزم من هذا قدم الزمان لم يلزم ما قلتموه وعلى هذا القول لعل الله سبحانه خلق المدة اولا ثم
خلق السموات والارض فيها بمقدار ستة ايام وقيل في ستة ايام من ايام الاخرة كل يوم مقداره الف
سنة وهو بعيد لان التعريف لا بد وان يكون بامر معلوم لا بامر مجهول **فان قيل**
لم قدر الخلق والايجاد بهذا المقدار فالجواب على قول اهل السنة المشية والقدرة كافية
للتخصيص وقالت المعتزلة لا بد من حكمة وهو ان التخصيص بهذا المقدار اصلح وهذا بعيد لوجهين الاول
ان حصول تلك الحكمة اما ان يكون واجبا لذاته او جايزا فان كان واجبا وجب ان لا يتغير فيكون
حاصلا في كل الازمنة فلا يصلح ان يكون سببا لزمان معين وان كان جايزا افتقر حصول تلك
الحكمة في ذلك الوقت الى مخصص اخر ولزم التسلسل الثاني ان التفاوت بان واحد لا يصل اليه
عقل المكلف فحصول ذلك التفاوت لما لم يكن مشعورا به كيف يقدح في حصول المصالح واعلم
انه يجب على المكلف على كل قول ان يقطع الطمع عن امثال هذه الاسوله فانه بحر لا ساحل له كتقدير
ملايكة النار بتسعة عشر وحملة العرش بثمانية والشهور باثني عشر والسموات بالسبع وعدد الصلوات
ومقادير النصب في الزكوات وكذا الحدود والكفارات فالاقرار بكل ما قاله الله حق هو الدين
والواجب ترك البحث عن هذه الاشيا وقد نص الله على ذلك في قوله تعالى وما جعلنا اصحاب
النار الا ملايكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين
امنوا ايمانا ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمومنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون
ماذا اراد الله بهذا مثلا ثم قال وما يعلم جنود ربك الا هو وهو الجواب ايضا في انه لم لم يخلقها
في لحظة وهو قادر على ذلك وعن سعيد بن جبير انما خلقها في ستة ايام وهو يقدر ان يخلقها
في لحظة تعليما لخلقه الرفق والتثبت وقيل ثم خلقها يوم الجمعة فجعله الله عيدا للمسلمين **قوله**
ثم استوى على العرش لا يجوز حمله على الاستيلا والقدرة لان اوصاف الله لم تزل فلا يصح دخول
ثم فيه ولا على الاستقرار لانه يقتضي التغير الذي هو دليل الحدوث ويقتضي التركيب وكل ذلك على الله
محال بل المراد انه خلق العرش ورفعه **فان قيل** يلزم ان يكون خلق العرش بعد خلق
السموات وليس كذلك لقوله تعالى وكان عرشه على الما فالجواب كلمة ثم ما دخلت على خلق العرش بل
على رفعه على السموات **قوله** الرحمن قرا العامة بالرفع وفيه اوجه احدها انه خبر الذي خلق او
خبر مبتدا مضمر اي هو الرحمن ولهذا اجاز الزجاج وغيره الوقف على العرش ثم يبتدي الرحمن اي هو

الرحمن الذي لا ينبغي السجود والتعظيم الا له او يكون بدلا من الضمير في استوى او يكون مبتدا وخبره
الجملة من قوله فاسئل على راي الاخفش كقوله ٭ وقايلة خولان فانكح فتاتهم ٭ او يكون صفة للذي
خلق اذا قلنا انه مرفوع وقرا زيد بن علي الرحمن بالجر فيتعين الذي خلق والذي خلق صفة للحي فقط
لئلا يفصل بين النعت ومنعوته باجنبي **قوله** فاسئل به في الباء قولان احدهما هي على بابها وهي
متعلقة بالسوال والمراد بالخبير الله تعالى ويكون من التجريد كقولك لقيت به اسدا والمعنى فاسال
الله الخبير بالاشيا قال الزمخشري او فاسال بسواله خبيرا كقولك رايت به اسدا اي برويته انتهى
قال الكلبي فاسال به خبيرا به فقوله به يعود الى ما ذكر من خلق السموات والارض والاستوى على العرش
والباء من صلة الخبير وذلك الخبير هو الله تعالى لانه لا دليل في العقل على كيفية خلق السموات والارض
ولا يعلمها احد الا الله وخبيرا مفعول سل على هذا ومنصوب على الحال المؤكدة واستضعفه ابو البقا قال
ويضعف ان يكون خبيرا حالا من فاعل اسال لان الخبير لا يسال الا على جهة التوكيد كقوله وهو الحق مصدقا
ثم قال ويجوز ان يكون حالا من الرحمن اذا رفعته باستوى والثاني ان يكون الباء بمعنى عن اما
مطلقا واما مع السوال خاصة كهذه الاية الكريمة وكقول علقمة بن عبده ٭
٭ فان تسالوني بالنساء فانني خبير بادواء النساء طبيب ٭ والضمير في عنه لله تعالى وخبيرا
من صفات الملك وهو جبريل قال ابن عباس ان ذلك الخبير هو جبريل عليه السلام وانما قدم
لرووس الاي وحسن النظم وهذا قول الزجاج والاخفش ويجوز على هذا اي كون خبيرا من صفات
جبريل ان تكون البا على بابها وهي متعلقة بخبيرا كما تقدم اي فاسال الخبير به وقال ابن جرير
الباء في به صلة والمعنى فاساله خبيرا وخبيرا نصب على الحال وقيل قوله به تجري مجرى القسم كقوله
واتقوا الله الذي تساءلون به **قوله تعالى** واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن الاية قال اكثر
المفسرين الرحمن اسم من اسما الله مكتوب في الكتب المتقدمة والعرب ما عرفوه قال مقاتل
ان ابا جهل قال ان الذي يقول محمد شعر فقال عليه السلام الشعر غير هذا ان هذا الا كلام الرحمن
فقال ابو جهل بخ بخ لعمري والله انه لكلام الرحمن الذي باليمامة هو يعلمك فقال عليه السلام الرحمن
الذي هو اله السما ومن عنده ياتيني الوحي فقال يا ال غالب من يعذرني من محمد يزعم ان الله واحد
وهو يقول الله يعلمني والرحمن الستم تعلمون انهما الاهان قال القاضي والاقرب ان مرادهم انكار
الله لا الاسم لان هذه اللفظة عربية وهم كانوا يعلمون انها تفيد المبالغة في الانعام ثم ان قلنا
انهم كانوا منكرين لله كان قولهم وما الرحمن سوال عن الحقيقة كقول فرعون وما رب العالمين
وان قلنا انهم كانوا مقرين بالله لكنهم جهلوا كونه تعالى مسمى بهذا الاسم كان قولهم وما الرحمن سوال
عن هذا الاسم **قوله** انسجد لما تامرنا قرا الاخوان يامرنا بيا الغيبة يعنون محمدا كان
بعضهم قال لبعض انسجد لما يامرنا محمد او يامرنا المسمى بالرحمن ولا نعرف ما هو والباقون بالخطاب
يعني لما تامرنا انت يا محمد **وما** يجوز ان يكون بمعنى الذي والعايد محذوف لانه متصل لان امر
يتعدى الى الثاني باسقاط الحرف ولا حاجة الى التدريج الذي ذكره ابو البقا وهو ان الاصل
لما تامرنا بالسجود له ثم بسجوده ثم تامرناه ثم تامرنا كذا قدره ثم قال هذا على مذهب ابي الحسن
واما على مذهب سيبويه فحذف ذلك من غير تدريج قال شهاب الدين وهذا ليس مذهب سيبويه
ويجوز ان تكون موصوفة والكلام في عايدها موصوفة كهي موصولة ويجوز ان تكون مصدرية ويكون
اللام للعلة اي انسجد من اجل امرك وعلى هذا يكون المسجود له محذوفا اي انسجد للرحمن لما تامرنا وعلى
هذا لا تكون ما واقعة على العالم وفي الوجهين الاولين تحتمل ذلك وهو المتبادر للفهم **قوله** وزادهم
نفورا قول القايل لهم اسجدوا للرحمن نفورا عن الدين والايمان ومن حقه ان يكون باعثا على الفعل
والقبول قال الضحاك سجد رسول الله وابو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمرو بن عبسة ولما راهم المشركون

يسجدون تباعدوا في ناحية المسجد مستهزئين من هذا وهو المراد من قوله وزادهم نفورا اي فزادهم
سجودهم نفورا **قوله تعالى** تبارك الذي جعل في السما بروجا الاية لما حكى من يزيد نفور
الكفار عن السجود وذكر ما لو تفكروا فيه لعرفوا وجوب السجود والعبادة للرحمن فقال تبارك الذي
جعل في السماء بروجا تقدم القول في تبارك قال الحسن ومجاهد وقتادة وفي رواية عن ابن عباس البروج
هي النجوم الكبار سميت بروجا لظهورها لان اشتقاق البرج من التبرج وهو الظهور وقال عطيه العوفي
البروج هي القصور العالية لانها هذه الكواكب كالمنازل لسكانها وهذا اولي لقوله تعالى وجعل
فيها اي في البروج **فان قيل** لم لا يجوز ان يكون قوله فيها راجعا الي السماء دون البروج
فالجواب لان البروج اقرب فعود الضمير اليها اولي وروي عطا عن ابن عباس هي البروج الاثني عشر
قوله وجعل فيها سراجا قرا الجمهور بالافراد والمراد به الشمس لقوله تعالى وجعل الشمس
سراجا ويؤيده ايضا ذكر القمر بعده والاخوان سرجا بضمتين جمعا نحو حمر في حمار وهم باعتبار
الكواكب النيرات وانما ذكر القمر تشريفا له كقوله وجبريل وميكال بعد انتظامهما في الملائكة وقرا
الاعمش والنخعي وابن وثاب كذلك الا انه بسكون الرا تخفيفا والحسن والاعمش والنخعي وعاصم في رواية
عصمة وقمرا بضمة وسكون وهو جمع قمر كالحمر في حمرا والمعني وذا ليال قمر منيرا لحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه ثم التفت الي المضاف بعد حذفه فوصفه تمييزا ولو لم يعتبره لقال منيرة
ونظير مراعاته بعد حذفه قول حسان . يسقون من ورد البريص عليهم . بردا يصفق بالرحيق السلسل
الاصل ما بردي فحذفه ثم راعاه في قوله يصفق بالياء من تحت ولو لم يكن ذلك لقال تصفق
بالتا من فوق على ان بيت حسان يحتمل ان يكون كقوله . ولا ارض ابقل ابقالها . مع ان ابن كيسان
يجيزه سعة وقال بعضهم لا يبعد ان يكون القمر بمعني القمر كالرشد والرشد **قوله تعالى**
وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة الاية في خلفة وجهان احدهما انه مفعول ثان والثاني انه
حال بحسب القولين في جعل وخلفة يجوز ان يكون مصدرا من خلفه يخلفه اذا جا مكانه وان يكون
اسم هيئة منه كالركبة وان يكون من الاختلاف كقوله . ولها بالماطرون اذا . اكل النمل الذي جمعا .
خلفه حتي اذا ارتبعت سكنت من جلق بيعا . في بيوت وسط دسكرة حولها الزيتون قد ينعا .
ومثله قول زهير . بها العين والارآم يمشين خلفة . واقر دخلفة قال ابو البقا لان
المعني يخلف احدهما الاخر فلا يتحقق هذا الا منهما قال ابن عباس جعل كل واحد منهما يخلف صاحبه
فيما يحتاج ان يعمل فيه فمن فرط في عمل احدهما قضاه في الاخر جا رجل الي عمر بن الخطاب فقال فاتتني
الصلوة الليلة فقال ادرك ما فاتك من ليلتك في نهارك فان الله عز وجل جعل الليل والنهار
خلفة وقال مجاهد وقتادة والكسائي يقال لكل شيين اختلفا هما خلفان فقوله خلفة اي مختلفين
هذا اسود وهذا ابيض وهذا طويل وهذا قصير والاول اقرب **قوله** لمن اراد ان يذكر
قراة العامة بالتشديد وقرا حمزة بالتخفيف وعن ابي بن كعب يتذكر والمعني لينظر الناظر في
اختلافهما فيعلم انه لا بد في انتقالهما من حال الي حال من ناقل ومغير فيستدل او اراد شكورا قال
مجاهد اي شكر نعمة ربه فيها والشكور بالضم مصدر شكر شكورا بمعني الشكر وبالفتح صيغة مبالغة
قوله تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون عباد الرحمن رفع بالابتدا وفي خبره وجهان
احدهما الجملة الاخيرة في اخر السورة اوليك يجزون وبه بدا الزمخشري والذين يمشون وما بعده
صفات للمبتدا والثاني ان الخبر يمشون والعامة على عباد واليماني عباد بضم العين وتشديد البا
جمع عابد والحسن عبد بضمتين والعامة يمشون بالتخفيف مبنيا للفاعل واليماني والسلمي بالتشديد
مبنيا للمفعول **فصل** هذه الاضافة للتخصيص والتفضيل والا فالخلق كلهم عباد
الله **قوله** هونا اما نعت مصدر اي مشيا هونا واما حال اي هينين والهون اللين والرفق

اي

اي يمشون بالسكينة والوقار متواضعين ولا يضربون باقدامهم اشرا وبطرا ولا يتبخترون خيلا
وقال الحسن علما حلما وقال محمد بن الحنفية اصحاب وقار وعفة لا يسفهون وان سفه عليهم
حلموا واذا خاطبهم الجاهلون يعني السفها بما يكرهونه قالوا سلاما قال مقاتل قولا يسلمون فيه
من الاثم وقيل المعني لا نجاهلكم وقيل المراد حلمهم في مقابلة الجهل وقال الاصم قالوا سلاما اي سلام
توديع لا تحية كقول ابرهيم عليه السلام لابيه سلام عليك قال الكلبي وابو العالية نسختها اية
القتال **قوله** سلاما يجوز ان ينتصب على المصدر بفعل مقدر اي نسلم سلاما او نسلم
تسليما منكم لا نجاهلكم فاقيم السلام مقام التسليم ويجوز ان ينتصب على المفعول به اي قالوا هذا
اللفظ قال الزمخشري اي قالوا سدادا من القول يسلمون فيه من الاذي والمراد سلامهم من السفه
كقوله . الا لا يجهلن احد علينا . فنجهل فوق جهل الجاهلينا . ورجح سيبويه ان المراد بالسلام
السلامة لا التسليم لان المومنين لم يومروا قط بالتسليم على الكفرة وانما امروا بالمسالمة ثم نسخ
ذلك ولم يذكر سيبويه في كتابه نسخا الا في هذه الاية **قوله** والذين يبيتون لربهم سجدا
وقياما لما ذكر وصفهم بالنهار من وجهين احدهما ترك الايذا بقوله يمشون على الارض هونا والثاني
تحمل الاذي بقوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما شرح صفتهم في الليل قال الزجاج كل
من ادركه الليل فقد بات وان لم ينم كما يقال بات فلان قلقا والمعني يبيتون لربهم سجدا على
وجوههم وقياما على اقدامهم قال ابن عباس من صلي بعد العشا ركعتين فقد بات ساجدا
وقايما وروي عثمان بن عفان قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم من صلي العشا في جماعة
كان كقيام نصف ليله ومن صلي الفجر في جماعة كان كقيام ليله **قوله** سجدا خبر يبيتون
ويضعف ان يكون تامة اي دخلوا في البيات وسجدا حال ولربهم متعلق بسجدا وقدم
السجود على القيام وان كان بعده في الفعل لاتفاق الفواصل وسجدا جمع ساجد كضارب وضراب
وقرا ابو البرهسم سجودا وهو قعود ونحوه اللغة الفاشية وارد الشراة وبجيلة يقولون بات
وهي لغة العوام اليوم **قوله** والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم قال ابن عباس
يقولون في سجودهم وقيامهم هذا القول **قوله** غراما اي لازما دائما وعن الحسن كل غريم يفارق
غريمه الا غريم جهنم وانشد بشر بن ابي حازم . يوم النسار ويوم الجفار كانا عذابا وكانا غراما .
وقول الاعشي . ان يعاقب يكن غراما وان يعط جزيلا فانه لا يبالي . فغراما بمعني شر
لازم وقيل غراما ملحا لازما ومنه الغريم لالحاحه والزامه ويقال فلان مغرم بالنساء اذا
كان مولعا بهن وسال ابن عباس نافع بن الازرق عن الغرام فقال هو الوجع **قوله** انها
ساءت مستقرا ومقاما يجوز ان تكون ساءت بمعني احزنت فيكون متصرفة ناصبة للمفعول وهو
هنا محذوف اي انها يعني جهنم احزنت اصحابها ومستقرا يجوز ان يكون تمييزا وان يكون حالا ويجوز
ان تكون ساءت بمعني بيست فيعطي حكمها ويكون المخصوص بالذم محذوفا وفي ساءت ضمير مبهم يفسره
مستقرا ومستقرا يتعين ان يكون تمييزا اي ساءت هي اي مخصوص وهو الرابط بين هذه الجملة
وبين ما وقعت خبرا عنه وهو انها كذا قدره ابو حيان وقال ابو البقا ومستقرا تمييز وساءت
بمعني بيس **فان قيل** يلزم من هذا اشكال وذلك انه يلزم تانيث فعل الفاعل المذكر
من غير مسوغ لذلك فان الفاعل في ساءت على هذا يكون ضميرا عايدا على ما بعده وهو مستقرا ومقاما
وهما مذكران فمن اين جا التانيث **والجواب** ان المستقر عبارة عن جهنم فلذلك جا تانيث
فعله ومثله قوله . او حرة عيطل ثبجا مجفرة دعايم الزور نعمت زورق البلد . ومستقرا
ومقاما قيل مترادفان وعطف احدهما على الاخر لاختلاف لفظيهما وقيل بل هما مختلفا المعني
فالمستقر للعصاة فانهم يخرجون والمقام للكفار فانهم يخلدون **فان قيل** انهم سالوا الله

ان يصرف عنهم عذاب جهنم لعلتين احديهما ان عذابها كان غراما والثانية انها ساءت مستقرا ومقاما فما الفرق بين الوجهين فالجواب قال المتكلمون عقاب الكافر يجب ان يكون مضرة خالصة عن شوائب النفع دائمة فقوله ان عذابها كان غراما اشارة الي كونه مضرة خالصة عن شوائب النفع وقوله انها ساءت مستقرا ومقاما اشارة الي كونه دائما خلصت المغايرة وقرات فرقة مقاما بفتح الميم اي مكان قيام وقراءة العامة هي المطابقة للمعني اي مكان اقامة وثوي وقوله انها ساءت مستقرا يحتمل ان يكون من كلامهم فتكون منصوبة المحل بالقول وان يكون من كلام الله تعالي **قوله** والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا قرا الكوفيون بفتح اليا وضم التا من يقتروا وابن كثير وابو عمرو بالفتح والكسر ونافع وابن عامر بالضم والكسر من اقتر وعليه وعلي المقتر قدره وانكر ابو حاتم اقتر وقال لا يناسب هنا فان اقتر بمعني افتقر ومنه وعلي المقتر قدره ورد عليه بان الاصمعي وغيره حكوا اقتر بمعني ضيق وقرا العلا بن سيابة واليزيدي بضم اليا وفتح القاف وكسر التاء مشددة من قتر بمعني ضيق وكلها لغات والقتر والاقتار والتقتير التضييق الذي هو نقيض الاسراف والاسراف مجاوزة الحد في النفقة **فصل** المراد من الاية القصد بين الغلو والتقصير كقوله تعالي ولا تجعل يدك مغلولة الي عنقك ولا تبسطها كل البسط وسال ابن الورد بعض العلما ما البنا الذي لا سرف فيه قال ما سترك عن الشمس واكنك من المطر وقال له ما الطعام الذي لا سرف فيه فقال ما سد الجوعة وقال له في اللباس ما ستر عورتك وادفاك من البرد وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك الاسراف في النفقة في معصية الله تعالي والاقتار منع حق الله تعالي قال مجاهد لو انفق الرجل مثل ابي قبيس ذهبا في طاعة الله لم يكن سرفا وانشدوا ٭ ذهاب المال في حمد واجر ٭ ذهاب لا يقال له ذهاب ٭ وقيل السرف مجاوزة الحد في التنعم والتوسع وان كان من حلال لانه يودي الي الخيلا وكسر قلوب الفقرا **قوله** وكان بين ذلك قواما في اسم كان وجهان اشهرهما انه ضمير يعود علي الانفاق المفهوم من قوله انفقوا اي وكان انفاقهم مستويا قصدا لا اسرافا ولا تقتيرا وفي خبرها وجهان احدهما هو قواما وبين ذلك لغو او محمول له وثانيا لكان عند من يري اعمالها في الظرف واما لمحذوف علي انه حال من قواما ويجوز ان يكون بين ذلك قواما خبرين لكان عند من يري ذلك وهو الجمهور خلافا لابن درستويه والثاني ان الخبر بين ذلك وقواما حال موكدة والثاني من الوجهين الاولين ان يكون اسمها بين ذلك وبني لاضافته الي غير متمكن وقواما خبرها قاله الفرا قال الزمخشري وهو من جهة الاعراب لا باس به ولكنه من جهة المعني ليس بقوي لان ما بين الاسراف والتقتير قوام لا محالة فليس في الخبر الذي هو معتمد الفائدة فائدة قال شهاب الدين وهذه قوله كان سيد الجارية ما كلها قال ثعلب القوام بالفتح العدل والاستقامة وبالكسر ما يدوم عليه الامر ويستقر وقال الزمخشري القوام العدل بين الشيئين لاستقامة الطرفين واعتدالهما وبالكسر ما يقام به الشي لا يفضل عنه ولا ينقص وقرا حسان بن عبد الرحمن قواما بكسر القاف فقيل هما بمعني وقيل بالكسر اسم ما يقام به الشي وقيل بمعني سدادا وملاكا **قوله** والذين لا يدعون الاية قال ابن عباس ان ناسا من اهل الشرك كانوا قد قتلوا واكثروا وزنوا فاكثروا فاتوا محمدا صلي الله عليه وسلم فقالوا ان الذي تقول وتدعو اليه لحسن لو تخبرنا ان لما عملنا كفارة فنزلت هذه الاية ونزل يا عبادي الذين اسرفوا علي انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وروي ان رجلا قال يا رسول الله اي الذنب اكبر عند الله قال ان تدعو لله ندا وهو خلقك قال ثم اي قال ثم ان تقتل ولدك مخافة ان يطعم معك قال ثم اي قال ان تزاني حليلة جارك فانزل الله هذه الاية **فان قيل** انه تعالي ذكر ان من صفات عباد الرحمن الاحتراز عن الشرك والقتل والزنا

فلو كان الترتيب بالعكس كان اولي فالجواب ان الموصوف بتلك الصفات السالفة قد يكون متمسكا بالشرك تدينا ويقتل الموودة تدينا ويزني تدينا فبين تعالي ان المرء لا يصير بتلك الخصال وحدها من عباد الرحمن حتي يجتنب هذه الكبائر واجاب الحسن فقال المقصود من ذلك التنبيه علي الفرق بين سيرة المسلمين وسيرة الكفار كانه قال وعباد الرحمن هم الذين لا يدعون مع الله الها اخر وانتم تدعون ولا يقتلون وانتم تقتلون الموودة ولا يزنون وانتم تزنون **قوله** الا بالحق يجوز ان تتعلق البا بنفس يقتلون اي لا يقتلونها بسبب من الاسباب الا بسبب الحق وان تتعلق بمحذوف علي انها صفة للمصدر اي قتلا ملتبسا بالحق او علي انها حال اي الا ملتبسين بالحق **فان قيل** من حل قتله لا يدخل في النفس المحرمة فكيف يصح هذا الاستثنا فالجواب ان المقتضي لحرمة القتل قائم ابدا وجواز القتل انما ثبت بمعارض فقوله حرم الله اشارة الي المقتضي وقوله الا بالحق اشارة الي المعارض والسبب المبيح للقتل هو الردة والزنا بعد الاحصان وقتل النفس المحرمة **قوله** ومن يفعل ذلك هذه اشارة الي جميع ما تقدم لانه بمعني ما ذكر فلذلك وحد **قوله** يلق قراءة العامة مجزوما علي جزا الشرط بحذف الالف وقرا عبد الله وابو رجا يلقا باثباتها كقوله فلا تنسي علي احد القولين وكقراءة لا تخف دركا ولا تخشي في احد القولين ايضا وذلك بان يقدر علامة الجزم حذف الضمة المقدرة وقرا بعضهم يلقى بضم اليا وفتح اللام وتشديد القاف من لقاه كذا والاثام مفعول علي قراءة الجمهور ومفعول ثان علي قراءة هاولاء والاثام العقوبة قال ٭ جزي الله ابن عروة حيث امسي عقوقا ٭ والعقوق له اثام ٭ اي عقوبة وقيل هو الاثم نفسه اي يلق جزا اثم قال ابو مسلم والاثام والاثم واحد والمراد هاهنا جزا الاثام فاطلق اسم الشي علي جزائه وقال الحسن الاثام اسم من اسما جهنم وقال مجاهد اسم واد في جهنم وقيل بير فيها وقرا ابن مسعود اياما جمع يوم يعني شدايد والعرب تعبر عن ذلك بالايام يقال يوم ذو ايام لليوم العصيب **قوله** يضاعف قرا ابن عامر وابو بكر برفع يضاعف ويخلد علي احد وجهين اما الحال واما علي الاستيناف والباقون بالجزم فيهما بدلا من يلق بدل اشتمال ومثله قوله ٭ متي تاتنا تلمم بنا في ديارنا ٭ تجد حطبا جزلا ونارا تاججا ٭ فابدل من الشرط كما ابدل هنا من الجزا وابن كثير وابن عامر علي ما تقدم لهما في البقرة من القصر والتضعيف في العين ولم يذكر ابو حيان ابن عامر مع ابن كثير وذكره مع الجماعة في قراءتهم وقرا ابو جعفر وشيبة نضعف بالنون مضمومة وتشديد العين العذاب نصبا علي المفعول به وطلحة يضاعف مبنيا للفاعل اي الله العذاب نصبا وطلحة بن سليمان وتخلد بتا الخطاب علي الالتفات وابو حيوة ويخلد مشددا مبنيا للمفعول وروي عن ابي عمرو كذلك الا انه بالتخفيف وقوله مهانا حال وهو اسم مفعول من اهانه بمعني اي اذله واذاقه الهوان **فصل** قال القاضي بين الله تعالي المضاعفة والزيادة ويكون حالها في الزيادة كحال الاصل فقوله ويخلد فيه اي يخلد في ذلك التضعيف وذلك انما حصل بسبب العقاب علي المعاصي فوجب ان يكون عقاب هذه المعاصي في حق الكافر دايما واذا كان كذلك وجب ان يكون في حق المومن كذلك لان حاله فيما يستحق به لا يتغير سوا فعل مع غيره او منفردا والجواب لم لا يجوز ان يكون للاتيان بالشي مع غيره اثر في مزيد القبح الا تري ان الشيين قد يكون كل واحد منهما في نفسه حسنا وان كان الجميع قبيحا وقد يكون كل واحد منهما قبيحا ويكون الجمع بينهما اقبح وسبب تضعيف العذاب ان المشرك اذا ارتكب المعاصي مع الشرك يعذب علي الشرك وعلي المعاصي فيضاعف العقوبة لمضاعفة المعاقب عليه وهذا يدل علي ان الكفار مخاطبون بفروع الاسلام **قوله**

الا من تاب فيه وجهان احدهما وهو الذي لم يعرف الناس غيره انه استثنا متصل لانه من الجنس
والثاني انه منقطع قال ابو حيان ولا يظهر يعني الاتصال لان المستثنى منه محكوم عليه بانه
يضاعف له العذاب فيصير التقدير الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا فلا يضاعف له
العذاب ولا يلزم من انتفا التضعيف انتفا العذاب غير المضعف فالاولى عندي ان يكون
استثنا منقطعا اي لكن من تاب وامن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سياتهم حسنات واذا
كان كذلك فلا يلقى عذابا البتة قال شهاب الدين والظاهر قول الجمهور واما ما قاله فلا يلزم
اذ المقصود الاخبار بان من فعل كذا فانه يحل به ما ذكر الا ان يتوب واما اصابة اصل العذاب
وعدمها فلا تعرض في الاية له واعلم ان البحث الذي ذكره ابو حيان ذكره ايضا ابن الخطيب
فقال دلت الاية على ان التوبة مقبولة والاستثنا لا يدل على ذلك لانه اثبت انه يضاعف له
العذاب ضعفين فيكفي لصحة الاستثنا ان لا يضاعف للتايب العذاب ضعفين وانما
يدل عليه قوله فاولئك يبدل الله سياتهم حسنات **فصل** نقل عن ابن عباس
انه قال توبة القاتل لا تقبل وزعم ان هذه الاية منسوخة بقوله تعالى ومن يقتل مومنا
متعمدا وقالوا نزلت الغليظة بعد اللينة بمدة يسيرة وعن الضحاك ومقاتل بثمان سنين وتقدم
في سورة النسا **فان قيل** العمل الصالح يدخل فيه التوبة والايمان فذكرهما قبل العمل
الصالح حشو **فالجواب** افردهما بالذكر لعلو شانهما ولما كان لا بد معهما من سائر الاعمال لاجرم ذكر
عقيبهما العمل الصالح **قوله** فاولئك يبدل الله سياتهم حسنات قال ابن عباس والحسن وسعيد
ابن جبير والسدي ومجاهد وقتادة التبديل انما يكون في الدنيا فيبدل الله تعالى قبائح اعمالهم في
الشرك بمحاسن الاعمال في الاسلام فيبدلهم بالشرك ايمانا وبقتل المومنين قتل المشركين وبالزنا
احصانا وعفة وقيل يبدل الله سياتهم التي عملوها في الاسلام حسنات قال الزجاج السية بعينها
لا تصير حسنة فالتاويل ان السية تمحى بالتوبة وتكتب الحسنة مع التوبة والكافر يحبط الله عمله
ويثبت عليه السيات **قوله** سياتهم هو المفعول الثاني للتبديل وهو المقيد بحرف الجر وانما
حذف لفهم المعنى وحسنات هو الاول المسرح وهو الماخوذ والمجرور بالباء هو المتروك وقد صرح
بهذا في قوله تعالى وبدلناهم بجنتيهم جنتين وقال

• تضحك مني اخت ذات النحيين • ابدلك الله بلون لونين • سواد وجه وبياض عينين •

وتقدم تحقيق هذا في البقرة عند قوله ومن يبدل نعمة الله **قوله** ومن تاب وعمل صالحا الاية
قال بعض العلما هذا في التوبة عن غير ما سبق ذكره في الاية الاولى من القتل والزنا اي تاب
من الشرك وادى الفرايض ممن لم يقتل ولم يزن فانه يتوب الى الله يعود اليه بعد الموت متابا
حسنا يفضل على غيره ممن قتل وزنا فالتوبة الاولى وهي قوله ومن تاب رجوع عن الشرك والثاني
رجوع الى الله للجزا والمكافاة وقيل هذه التوبة ايضا عن جميع السيات ومعناه من اراد التوبة
وعزم عليها فليتب لوجه الله فقوله يتوب الى الله خبر بمعنى الامر اي يتب الى الله وقيل معناه
فليعلم ان توبته ومصيره الى الله **قوله** والذين لا يشهدون الزور في الزور وجهان
احدهما انه مفعول به اي لا يحضرون الزور وفسر بالصنم واللهو وقال اكثر المفسرين يعني
الشرك والثاني انه مصدر والمراد شهادة الزور فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه
قاله علي بن ابي طالب وقال ابن جريج الكذب وقال مجاهد اعياد المشركين وقيل النوح وقال
قتادة لا يساعدون اهل الباطل على باطلهم وكل هذه الوجوه محتملة واصل الزور تحسين الشي
ووصفه بخلاف صفته فهو تمويه الباطل بما يوهم انه حق **قوله** واذا مروا باللغو اي باهله
قال مقاتل اذا سمعوا من الكفار الشتم والاذى اعرضوا وصفحوا كقوله واذا سمعوا اللغو اعرضوا

عنه

عنه وقال الحسن والكلبي اللغو المعاصي كلها مما يجب ان يلغى ويترك مروا كراما مسرعين معرضين
يقال تكرم فلان عما يشينه اذا تنزه واكرم نفسه عنها **قوله** والذين اذا ذكروا بايات
ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا النفي متسلط على القيد وهو الصمم والعمى اي انهم يخرون عليها
لكن لا على هاتين الصفتين قال الزمخشري فقوله لم يخروا عليها ليس بنفي للخرور وانما هو اثبات له
ونفي للصمم والعمى كما تقول لا يلقاني زيد مسلما وهو نفي للسلام لا للقا والمعنى انهم اذا ذكروا بها اكبوا
عليها حرصا على استماعها واقبلوا على الذكر بها وهم في اكبابهم عليها سامعون باذان واعية
ويبصرون بعيون راعية لا كالذين يذكرون بها فتراهم مكبين عليها مقبلين على من يذكر
بها مظهرين الحرص الشديد على استماعها وهم كالصم والعميان حيث لا يعونها ولا يبصرون ما
فيها ومنه تعريض بالمنافقين **قوله** والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا
يجوز ان يكون من لابتدا الغاية اي هب لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا من طاعة وصلاح وان
يكون للبيان قاله الزمخشري وجعله من التجريد اي هب لنا قرة اعين من ازواجنا كقولك
رايت منك اسدا وقرا ابو عمرو والاخوان وابو بكر ذريتنا بالتوحيد والباقون بالجمع سلامة
وقرا ابو هريرة وابو الدرداء وابن مسعود قرات بالجمع وقال الزمخشري اتى هنا بجمع صيغة
القلة دون عيون صيغة الكثرة ايذانا بان عيون المتقين قليلة بالنسبة الى عيون غيرهم ورده
ابو حيان بان اعينا يطلق على العشرة فما دونها وعيون المتقين كثيرة فوق العشرة وهذا تحامل عليه
لانه انما اراد القلة بالنسبة الى كثرة غيرهم ولم يرد قدرا مخصوصا **فصل** ارادوا
قرة اعين لهم في الدين لا في الدنيا من المال والجمال قال الزجاج يقال اقر الله عينك اي صادف
فوادك ما تحبه وقال المفضل في قرة العين ثلاثة اقوال احدها برد دمعتها وهي التي تكون مع
السرور ودمعة الحزن حارة الثاني فرحها لانه يكون مع ذهاب الحزن والوجع الثالث قاله
الازهري حصول الرضى **قوله** واجعلنا للمتقين اماما في اماما وجهان احدهما انه مفرد
وجاء به مفردا ارادة للجنس وحسنه كونه راس فاصلة قال الفرا قال اماما ولم يقل ايمة كما قال
للاثنين انا رسول رب العالمين وقيل اراد ايمة كقوله فانهم عدو لي والمراد اجعل كل واحد منا
اماما كما قال يخرجكم طفلا واما لاتحادهم واتفاق كلمتهم واما لانه مصدر في الاصل كصيام وقيام
الثاني انه جمع آم كحال وحلال او جمع امامة كقلادة وقلاد قال القفال وعندي ان الامام
اذا ذهب به مذهب الاسم وحد كانه قيل اجعلنا حجة للمتقين ومثله البينة يقال هؤلاء بينة
فلان **فصل** قال الحسن نقتدي بالمتقين ويقتدي بنا المتقون وقال ابن عباس اجعلنا
ايمة هداة كما قال وجعلناهم ايمة يهدون ولا تجعلنا ايمة ضلالة كقوله وجعلناهم ايمة
يدعون الى النار وقيل هذا من المقلوب اي واجعل المتقين لنا اماما واجعلنا مومنين مقتدين
بهم قاله مجاهد **فصل** قيل نزلت الاية في العشرة المبشرين بالجنة قال بعضهم هذه
الاية تدل على وجوب طلب الرياسة في الدين والرغبة فيها قال ابرهيم عليه السلام واجعل لي
لسان صدق في الاخرين واحتج اهل السنة بهذه الاية على ان فعل العبد مخلوق لله تعالى
لان الامامة في الدين لا تكون الا بالعلم والعمل والعلم والعمل انما يكون بجعل الله وخلقه
قال القاضي المراد من هذا السوال الالطاف التي اذا كثرت صادوا مختارين لهذه الاشيا
فيصيرون ايمة والجواب ان تلك الالطاف مفعولة لا محالة فيكون سوالها عبثا واعلم انه
تعالى لما بين صفات المتقين المخلصين بين بعده احسانه اليهم وهو **قوله** اولئك يجزون
الغرفة اي يثابون الغرفة وهي الدرجة العالية والغرفة مفعول ثان ليجزون والغرفة
كل بنا مرتفع عال والجمع غرف **قوله** بما صبروا اي بصبرهم اي بسببه او بسبب الذي

صبروه والاصل صبروا عليه ثم حذف بالتدريج والبا للسببية كما تقدم وقيل للبدل كقوله
فليت لي بهم قوما ولا حاجة الى ذلك وذكر الصبر ولم يذكر المصبور عنه ليعم جميع انواع المشاق
ولا وجه لقول من يقول المراد الصبر على الفقر خاصة **قوله** ويلقون فيها قرا الاخوان
وابو بكر بفتح اليا وسكون اللام من لقي يلقى والباقون بضمها وفتح اللام وتشديد القاف على بنايه
للمفعول كقوله ولقاهم نضرة وسرورا والتحية الدعا بالتعمير اي بقاوا دايما وقيل الملك والسلام
الدعا بالسلامة او يسلم بعضهم على بعض وهذه التحية والسلام يمكن ان يكون من الله كقوله سلام
قولا من رب رحيم ويمكن ان يكون من الملايكة كقوله والملايكة يدخلون عليهم من كل باب سلام
عليكم ويمكن ان يكون من بعضهم على بعض **قوله** خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما وصف
ذلك بالدوام بقوله خالدين فيها وقوله حسنت مستقرا ومقاما اي موضع قرار واقامة وهذا
في مقابلة قوله سات مستقرا ومقاما اي ما اسوا ذلك واحسن هذا **قوله تعالى** قل
ما يعبوا بكم ربي قال مجاهد وابن زيد اي ما يصنع وما يفعل بكم وقال ابو عبيدة يقال
ما عبات به شيا اي لم اعده فوجوده وعدمه سوا وقال الزجاج معناه لا وزن لكم عندي
والعبو في اللغة الثقل وقال ابو عمرو بن العلا ما يبالي بكم ويقال ما عبات بك اي ما اهتممت
ولا اكترثت ويقال عبات الجيش وعبايته اي هياته واعددته **قوله** لولا دعاوكم جوابها
محذوف لدلالة ما تقدم اي لولا دعاوكم ما عبا بكم ولا اكترث **وما** يجوز ان يكون نافية
وهو الظاهر وقيل استفهامية بمعنى النفي ولا حاجة الى التجوز في شي يصح ان يكون حقيقة بنفسه
ودعاوكم يجوز ان يكون مضافا للفاعل اي لولا تضرعكم اليه ويجوز ان يكون مضافا للمفعول
اي لولا دعاوه اياكم الى الهدي **فصل** في معنى هذا الدعا وجوه الاول لولا دعاوكم
اياه في الشدايد كما قال فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين الثاني لولا شكركم
له على احسانه لقوله ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم الثالث لولا عبادتكم الرابع لولا ايمانكم
وقيل المعنى ما خلقتكم وبي اليكم حاجة الا ان تسالوني فاعطيكم وتستغفروني فاغفر لكم وقيل
المعنى قل ما يعبا بخلقكم ربي لولا عبادتكم وطاعتكم اياه يعني انه خلقكم لعبادته كما قال
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون قاله ابن عباس ومجاهد وقيل معناه ما يبالي بمغفرتكم
ربي لولا دعاوكم معه الهة او ما يفعل الله بعذابكم لولا شرككم كما قال ما يفعل الله بعذابكم
ان شكرتم وامنتم **قوله** فقد كذبتم ايها الكافرون يخاطب اهل مكة يعني ان الله دعا
بالرسول الى توحيده وعبادته فقد كذبتم الرسول ولم تجيبوه وقري فقد كذب الكافرون
قوله فسوف يكون لزاما اي فسوف يلزمكم اثر تكذيبكم وهذا عقاب الاخرة ونظيره
ان يقول الملك لمن استعصي عليه ان من عادتي ان احسن الى من يعصيني فقد عصيت فسوف تري
ما احل بك بسبب عصيانك **قوله** لزاما قري بالفتح يعني اللزوم كالثبات والثبوت
قال ابن عباس موتا وقال ابو عبيدة هلاكا وقال ابن زيد قتالا والمعنى يكون التكذيب
لازما لمن كذب فلا يعطي التوبة حتى يجازي بعمله وقال ابن جريج عذابا دايما لازما وهلاكا
مفنيا يلحق بعضكم ببعض قال ابن مسعود وابي بن كعب ومجاهد ومقاتل هو يوم
بدر وانفصل بهم عذاب الاخرة لازما لهم قال عبد الله بن مسعود خمس قد مضين الدخان
والقمر واليوم والبطشة واللزام فسوف يكون لزاما روي الثعلبي عن ابي بن كعب قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الفرقان بعثه الله يوم القيمة وهو يومن ان
الساعة اتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور ودخل الجنة بغير حساب
سورة الشعرا مكية الا قوله والشعرا يتبعهم الغاوون الى اخرها

فانها مدنية وهي مايتان وسبع وعشرون اية والف ومايتان وتسع وتسعون كلمة وخمسة
الاف وخمس مائة واثنان واربعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى**
طسم تلك ايات الكتاب المبين اظهر حمزة نون سين قبل الميم كانه ناوي الوقف والا فادغام
مثله واجب والباقون يدغمون وتقدم اعراب الحروف المقطعة وفي مصحف عبد الله طس م
مقطوعة من بعضها قيل وهي قراة ابي جعفر يعنون انه يقف على كل حرف وقفة يتميز بها كل حرف
والا لم يتصور ان يلفظ بها على صورتها في هذا الرسم وقرا عيسى وتروي عن نافع بكسر الميم هنا
وفي القصص على البنا وامال الطا الاخوان وابو بكر وقد تقدم روي عكرمة عن ابن عباس
قال طسم عجزت العلما عن علم تفسيرها وروي علي بن ابي طلحة الوالبي عن ابن عباس انه قسم وهو من
اسما الله تعالى وقال قتادة اسم من اسما القران وقال مجاهد اسم للسورة وقال محمد بن كعب القرظي
اقسم بطوله وسنايه وملكه تلك ايات اي هذه الايات ايات الكتاب المبين **قوله** لعلك
باخع نفسك قرا قتادة باخع نفسك على الاضافة والمعنى قاتل نفسك الا يكونوا مومنين اي ان لم
يومنوا وذلك حين كذب به اهل مكة فشق عليه ذلك وكان يحرص على ايمانهم فانزل الله هذه الاية
وهذا تسلية للرسول اي لا تبالغ في الحزن والاسف فصبره وعزاه وعرفه ان غمه وحزنه
لا ينفع كما ان وجود الكتاب ووضوحه لا ينفع **قوله** ان نشا ننزل العامة على نون العظمة
فيهما وروي عن ابي عمرو باليا فيهما اي ان يشا الله ينزل وان اصلها ان تدخل على المشكوك او المحقق المبهم
زمانه والاية من هذا الثاني **قوله** فظلت عطف على ننزل فهو في محل جزم ويجوز ان يكون مستانفا
غير معطوف على الجزا ويويد الاول قراة طلحة فتظلل بالمضارع مفكوكا **قوله** خاضعين
فيه وجهان احدهما انه خبر عن اعناقهم واستشكل جمعه جمع سلامة لانه مختص بالعقلا
واجيب عنه باوجه احدها ان المراد بالاعناق الروسا كما قيل لهم وجوه وصدور قال
في محفل من نواصي الخيل مشهود الثاني انه على حذف مضاف اي فظل اصحاب الاعناق ثم
حذف وبقي الخبر على ما كان عليه قبل حذف المخبر عنه مراعاة للمحذوف وتقدم ذلك قريبا
عند قراة وقمرا منيرا الثالث انه لما اضيف الى العقلا اكتسب منهم هذا الحكم كما يكتسب التانيث
بالاضافة لمونث في قوله كما شرقت صدر القناة من الدم الرابع ان الاعناق جمع عنق من
الناس وهم الجماعة فليس المراد الجارحة البتة ومنه قوله ان العراق واهله عنق اليك فهيت هيتا
وهذا قريب من معنى الاول الا ان هذا القايل يطلق الاعناق على جماعة الناس مطلقا روسا كانوا
او غيرهم الخامس قال الزمخشري اصل الكلام فظلوا لها خاضعين فاقحمت الاعناق لبيان موضع
الخضوع وترك الكلام على اصله كقولهم ذهبت اهل اليمامة كان الاهل غير مذكور قال
شهاب الدين وفي التنظير بقوله ذهبت اهل اليمامة نظر لان اهل ليس مقحما البتة لانه المقصود
بالحكم واما التانيث فلاكتسابه التانيث السادس انها عوملت معاملة العقلا لما اسند اليهم
ما يكون فعل العقلا كقوله ساجدين وطايعين في يوسف والسجدة وقيل انما قال خاضعين لموافقة
روس الاي والثاني انه منصوب على الحال من الضمير في اعناقهم قاله الكسايي وضعفه ابو البقا
قال لان خاضعين يكون جاريا على غير فاعل ظلت فيفتقر الى ابراز ضمير الفاعل فكان يجب ان يكون
خاضعين هم قال شهاب الدين ولم يجر خاضعين في اللفظ والمعنى الا على من هو له وهو الضمير في
اعناقهم والمسيلة التي قالها هي ان يجري الوصف على غير من هو له في اللفظ دون المعنى فكيف يلزم
ما الزمه به على انه لو كان كذلك لم يلزم ما قاله لان الكسايي والكوفيين لا يوجبون ابراز الضمير
في هذه المسيلة اذا امن اللبس فهو يلتزم ما الزمه به ولو ضعفه بمجي الحال من المضاف اليه لكان
اقرب على انه لا يضعف لان المضاف جز من المضاف اليه كقوله ما في صدورهم من غل اخوانا

قوله وما يأتيهم من ذكر وعظ وتذكير من الرحمن محدث اي محدث انزاله فهو محدث في التنزيل
قال الكلبي كلما نزل شيء من القران بعد شيء فهو احدث من الاول وقوله الا كانوا جملة حالية وتقدم
تحقيق هذا وما قبله في اول الانبيا ومعنى معرضين اي عن الايمان به قوله فقد كذبوا اي
بلغوا النهاية في رد ايات الله فسيأتيهم اي فسوف يأتيهم انبا اخبار وعواقب ما كانوا به يستهزئون
وذلك اما عند نزول العذاب عليهم في الدنيا او عند المعاينة في الاخرة كقوله تعالى ولتعلمن نباه
بعد حين قوله اولم يروا الى الارض كم انبتنا فيها من كل زوج اي صنف والكريم صفة لكل
ما يرضى ويحمد في بابه يقال وجه كريم اذا كان مرضيا في حسنه وجماله وكتاب كريم اذا كان مرضيا
في فوائده ومعانيه والنبات الكريم هو المرضي في منافعه مما ياكل الناس والانعام يقال نخلة
كريمة اذا طاب حملها وناقة كريمة اذا كثر لبنها قال الشعبي الناس مثل نبات الارض فمن دخل
الجنة فهو كريم ومن دخل النار فهو لئيم قوله كم انبتنا كم للتكثير في خبرية وهي منصوبة بما
بعدها على المفعول به اي كثيرا من الازواج انبتنا ومن كل زوج تمييز وجوز ابو البقا ان يكون
حالا ولا معنى له قال الزمخشري فان قلت ما معنى الجمع بين كم وكل ولو قيل انبتنا فيها من كل زوج قلت
قد دل كل على الاحاطة بازواج النبات على سبيل التفصيل وكم على ان هذا المحيط متكاثر مفرط
في الكثرة قوله ان في ذلك الذي ذكرت لاية دلالة على وجودي وتوحيدي وكمال قدرتي
وقوله للمومنين كقوله هدى للمتقين لانهم المنتفعون بذلك وما كان اكثرهم مومنين مصدقين اي
سبق علمي فيهم ان اكثرهم لا يؤمنون وقال سيبويه كان ههنا صلة مجازه وما اكثرهم مومنين وان ربك
لهو العزيز الرحيم وانما قدم ذكر العزيز على ذكر الرحيم لانه لو لم يتقدمه لكان ربما قيل انه رحيم
لعجزه عن عقوبتهم فازال هذا الوهم بذكر العزيز وهو الغالب القاهر ومع ذلك فانه رحيم
بعباده فان الرحمة اذا كانت عن القدرة الكاملة كانت اعظم وقعا فان قيل
حين ذكر الازواج دل عليها بكلمتي الكثرة والاحاطة وكان لا تحصيها الا عالم الغيب فكيف قال
ان في ذلك لاية وهلا قال لايات فالجواب من وجهين احدهما ان يكون ذلك مشارا به
الى مصدر انبتنا فكانه قال ان في ذلك الانبات لاية والثاني ان يراد ان في كل واحد من تلك
الازواج لاية قوله تعالى واذ نادى ربك موسى الاية العامل في اذ نادى مضمر
فقدره الزجاج اتل وقدره غيره اذكر واختلف في النداء الذي سمعه موسى عليه السلام من
الله تعالى فقيل هو الكلام القديم فكما ان ذاته تعالى لا تشبه ساير الذوات مع ان الدليل دل على انها
معلومة ومرئية فكذا كلامه منزه عن مشابهة الحرف والصوت مع انه مسموع وقيل كان نداء
من جنس الحروف والاصوات وقالت المعتزلة كان ذلك النداء حروفا واصواتا علم به موسى
من قبل الله تعالى فصار معجزا علم به موسى ان الله تعالى يخاطبه فلم يحتج مع ذلك الى واسطة
قوله ان ايت القوم الظالمين يجوز ان تكون ان مفسرة وان تكون مصدرية اي بان قوله
قوم فرعون بدل او عطف بيان للقوم الظالمين وقال ابو البقا انه مفعول تتقون على قراءة من قرا
تتقون بالخطاب وفتح النون كما سياتي ونحو على هذه القراءة ان يكون منادى قوله الا يتقون
العامة على اليا في يتقون وفتح النون والمراد قوم فرعون والمفعول محذوف اي يتقون عقابي
والتقدير يا قوم فرعون وقرا بعضهم يتقون باليا من تحت وكسر النون وفيها تخريجان احدهما
ان يتقون مضارع ومفعوله يا المتكلم اجتزى عنها بالكسرة والثاني جوزه الزمخشري ان يكون يا
للنداء وتقون فعل امر كقوله الا يا اسجدوا اي يا قوم اتقون او يا ناس اتقون وسياتي تحقيق
مثل هذا في السورة تحتها وهذا تخريج بعيد وفي هذه الجملة وجهان احدهما انها مستانفة لا محل
لها من الاعراب وجوز الزمخشري ان يكون حالا من الضمير في الظالمين اي يظلمون غير متقين

الله

الله وعقابه فادخلت همزة الانكار على الحال وخطاه ابو حيان من وجهين احدهما انه
يلزم منه الفصل بين الحال وعاملها باجنبي منهما فانه اعرب قوم فرعون عطف بيان
للقوم الظالمين والثاني انه على تقدير تسليم ذلك لا يجوز ايضا لان ما بعد الهمزة لا يعمل
فيه ما قبلها قال وقولك جيت امسرعا ان جعلت مسرعا معمولا لجيت لم يجز فان اضمرت
عاملا جاز والظاهر ان الا للعرض وقال الزمخشري انها لا النافية دخلت همزة
الانكار وقيل هي للتنبيه فصل نادى ربك موسى حين راى الشجرة والنار ان ايت
القوم الظالمين يعني الذين ظلموا انفسهم بالكفر والمعصية فحكم عليهم بالظلم من وجهين
الاول ظلموا انفسهم بكفرهم والثاني ظلموا بني اسرايل باستعبادهم وسومهم سوء العذاب
قوم فرعون عطف على قوم فرعون على القوم الظالمين معا بدلان لفظا على معنى واحد الا يتقون
اي الا يصرفون عن انفسهم عقوبة الله بطاعته ومن قرا تتقون بالخطاب فعلى الالتفات اليهم
وضرب وجوههم بالانكار والغضب عليهم كمن يشكو من جنايته والجاني حاضر فاذا اندفع
في الشكاية وحمي غضبه قطع بانه مخاطب صاحبه واقبل على الجاني يوبخه ويعنفه
ويقول له الم تتق الله الم تستحي من الناس فان قيل فما الفايدة في هذا الالتفات والخطاب
مع موسى عليه السلام في وقت المناجاة والملتفت اليهم غايبون لا يشعرون قلنا اجرى
ذلك في تكليم الرسل اليهم مجرى اجرايه بحضرتهم والقايه الى مسامعهم لانه مبلغه وله فيه
لطف وحث على زيادة التقوى وكم من اية نزلت في الكافرين وفيها اوفر نصيب للمؤمنين
تدبرا بها واعتبارا بمواردها قوله قال رب اني اخاف ان يكذبون لما امر موسى
عليه السلام بالذهاب الى قوم فرعون طلب موسى عليه السلام ان يبعث معه هرون عليه
السلام ثم ذكر الامور الداعية الى ذلك السوال فقوله ان يكذبون مفعول اخاف اي اخاف
تكذيبهم اياي قوله ويضيق صدري ولا ينطلق الجمهور على الرفع وفيه وجهان احدهما
انه مستانف اخبر بذلك والثاني انه معطوف على خبر ان وقرا زيد بن علي وطلحة وعيسى
والاعمش بالنصب فيهما والاعرج بنصب الاول ورفع الثاني فالنصب عطف على صلة ان
فتكون الافعال الثلاثة يكذبون ويضيق ولا ينطلق داخلة في حيز الخوف قال الزمخشري
والفرق بينهما اي الرفع والنصب ان الرفع فيه يفيد ان فيه ثلاث علل خوف التكذيب وضيق
الصدر وامتناع انطلاق اللسان والنصب على ان خوفه متعلق بهذه الثلاثة فان قلت
في النصب تعليق الخوف بالامور الثلاثة وفي جملتها نفي انطلاق اللسان وحقيقة الخوف انما يلحق
الانسان لامر سيقع وذلك كان واقعا فكيف جاز تعليق الخوف به قلت قد علق الخوف
بتكذيبهم وبما يحصل له من ضيق الصدر والحبسة في اللسان زايدة على ما كان به على ان تلك
الحبسة التي كانت به زالت بدعوته وقيل بقيت منها بقية يسيرة فان قلت اعتذارك
هذا يرده الرفع لان المعنى اني خايف ضيق الصدر غير منطلق اللسان قلت يجوز ان يكون هذا
قبل الدعوة واستجابتها ويجوز ان يريد القدر اليسير الذي بقي قوله فارسل اي فارسل
جبريل والملك فحذف المفعول به اي ليوازرني ويظاهرني على تبليغ الرسالة قيل ان الله
تعالى ارسل موسى قال السدي ان موسى عليه السلام سار باهله الى مصر والتقى بهارون وهو لا يعرفه
فقال انا موسى فتعارفا وامره ان ينطلق معه الى فرعون لاداء الرسالة وقيل ارسل جبريل
اليه كما يرسل الى الانبيا عليهم السلام فلما كان متعينا لهذا الامر حذف ذكر المرسل لكونه معلوما
قوله ولهم علي ذنب اي دعوى ذنب وهو قتله للقبطي اي لهم علي ذنب في زعمهم فاخاف
ان يقتلون اي يقتلونني فقال الله تعالى كلا اي لن يقتلوك قوله فاذهبا عطف على ما

تعالى

دل عليه خوف الردع من الفعل كانه قيل ارتدع عما تظن فاذهب انت واخوك باياتنا انا معكم
مستمعون سامعون ما تقولون قال معكم بلفظ الجمع وهما اثنان اجراهما مجرى الجماعة وقيل اراد
معكما ومع بني اسرايل نسمع ما يجيبكم فرعون فاتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين انما
افرد رسول اما لانه مصدر بمعنى رسالة والمصدر يوحد ومن مجي رسول بمعنى رسالة قوله
• لقد كذب الواشون ما فهت عندهم • بسر ولا ارسلتهم برسول • اي برسالة واما لانهما ذوو شريعة
واحدة نزلا منزلة رسول واما لان المعنى كل واحد منا رسول واما لانه من وضع الواحد موضع
التثنية لتلازمهما فصارا كالشيين المتلازمين كالعينين واليدين وحيث لم يقصد هذه المعاني
طابق في قوله انا رسولا ربك وقال ابو عبيدة يجوز ان يكون الرسول بمعنى الاثنين والجمع تقول
العرب هذا رسولي ووكيلي وهذان رسولي ووكيلي كما قال وهم لكم عدو **قوله** ان ارسل يجوز
ان يكون مفسرة لرسول اذا قيل بانه بمعنى الرسالة شرحا الرسالة بهذا وبينا لها به ويجوز ان
يكون المصدرية اي رسول بكذا والمراد من هذا الارسال التخلية والارسال كقولك ارسل البازي
قوله الم نربك فينا وليدا اعلم ان في الكلام حذفا وهو انهما اتياه وقالا ما امر الله به
فعند ذلك قال فرعون ما قال روي انهما انطلقا الى باب فرعون فلم يوذن لهما سنة حتى
قال البواب ان هنا انسانا يزعم انه رسول رب العالمين فقال ايذن له لعلنا نضحك منه فاديا
اليه الرسالة فعرف موسى فعدد عليه نعمه اولا ثم اساءة موسى اليه اما النعم فهي قوله الم نربك
فينا وليدا والوليد الصبي لقرب عهده من الولادة وقيل الغلام تسمية له بما كان عليه ووليدا
حال من مفعول وهو فعيل بمعنى مفعول **قوله** ولبثت فينا من عمرك سنين قرا ابو عمرو
في رواية بسكون ميم عمرك تخفيفا لفعل ومن عمرك حال من سنين قيل لبث عندهم ثلاثين
سنة وقيل وكز القبطي وهو ابن اثني عشرة سنة **قوله** وفعلت فعلتك قرا الشعبي فعلتك
بالكسر على الهيئة لانها نوع من القتل وهي الوكزة وانت من الكافرين يجوز ان يكون حالا قال
ابن عباس اي وانت من الكافرين لنعمتي او وانت اذ ذاك ممن يكفرهم الساعة وقد افترى عليه او جهل
امره لانه كان يعاشرهم بالتقية فان الكفر غير جايز على الانبيا قبل النبوة وان يكون مستانفا
ومعناه وانت ممن عادته كفران النعم ومن كانت هذه حالته هذه حاله لم يستبعد منه قتل
خواص ولي نعمه وقيل من الكافرين بفرعون والهيته او من الذين يكفرون في دينهم فقد كانت
لهم الهة يعبدونها بدليل قوله ويذرك والهتك **قوله** قال فعلتها اذا وانا من الضالين
اذن هنا حرف جواب فقط قال الزمخشري انها جواب وجزا معه قال فان قلت اذن حرف
جواب وجزا معا والكلام وقع جوابا لفرعون وفعلت فعلتك فيه معنى انك جازيت نعمتي بما
فعلت فقال له موسى نعم فعلتها مجازيا لك تسليما لقوله كان نعمته كانت عنده جديرة
بان تجازي بنحو ذلك الجزا قال ابو حيان وهذا مذهب سيبويه يعني انها للجزا والجواب معا
قال ولكن شراح الكتاب فهموا انه قد تتخلف عن الجزا والجواب معنى لازم لها **فصل**
اعلم ان فرعون عدد عليه نعمه من تربيته وتبليغه مبلغ الرجال ووبخه بما جرى على
يده من قتل اجناده وعظم ذلك بقوله وفعلت فعلتك التي فعلت ولما ذكر فرعون
التربية وذكر القتل وكانت تربيته معلومة ما انكرها موسى عليه السلام وقد تقرر في العقول
ان الرسول الى الغير اذا كان معه معجز وحجة لم يتغير حاله بان يكون المرسل اليه انعم عليه او لم
ينعم فصار قول فرعون غير موثر فالاعراض عنه اولى ولكن اجاب عن القتل بما لا شي ابلغ منه
في الجواب فقال فعلتها اذن وانا من الضالين اي من الجاهلين اي لم ياتني من عند الله شي او من
الجاهلين بان ذلك يودي الى قتله لانه وكزه تاديبا ومثل ذلك ربما حسن وقيل من المخطين

بين

فبين انه فعله على وجه لا يجوز المواخذة به فبعد كافرا للنعمة **قوله** ففررت منكم لما خفتكم العامة
على تشديد ميم لما وهي لما التي هي حرف وجوب عند سيبويه او بمعنى حين عند الفارسي وروي عن
حمزة بكسر اللام وتخفيف الميم اي لتخوفي منكم وما مصدرية وهذه القراة تشبه قراته في ال عمران
لما اتيتكم وقد تقدمت مستوفاه قال الزمخشري انما جمع الضمير في منكم وخفتكم مع افراده
في تمنها وعبدت لان الخوف والفرار لم يكونا منه وحده ولكن منه ومن ملايه المومرين بقتله
لقوله ان الملا ياتمرون بك ليقتلوك واما الامتنان والتعبيد فمنه وحده **فصل**
والمعنى اني فعلت ذلك الفعل وانا ذاهل عن كونه مهلكا وكان مني في حكم السهو فلم استحق التخويف
الذي يوجب الفرار ومع ذلك فررت منكم لما خفتكم عند قولكم ان الملا ياتمرون بك ليقتلوك
فبين بذلك ان لا نعمة له عليه في الفعلة بل بان يكون مسيا فيه اقرب **فصل** وقد ورد
لفظ الفرار على اربعة اوجه الاول بمعنى الهرب كهذه الاية ومثله قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم
من الموت الثاني بمعنى الكراهية قال تعالى قل ان الموت الذي تفرون منه اي تكرهونه الثالث
بمعنى اشتغال المرء بنفسه قال تعالى يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه اي لا يلتفت اليهم لاشتغاله
بنفسه الرابع بمعنى التباعد قال تعالى فلم يزدهم دعاي الا فرارا اي تباعدا ثم بين نعم الله
عليه بعد الفرار فكانه قال اسات ثم واحسن الله الي بان وهب لي حكما قرا عيسى حكما بضم الكاف
اتباعا والمراد بالحكم العلم والفهم قاله مقاتل وقيل النبوة والاول اقرب لان المعطوف غير
المعطوف عليه والنبوة مفهومة من قوله وجعلني من المرسلين **قوله** وتلك نعمة فيه وجهان
احدهما انه خرج على سبيل التهكم اي ان كان ثم نعمة فليست الا انك جعلت قومي عبيدا لك
وقيل حرف استفهام محذوف لفهم المعنى اي او تلك وهذا مذهب الاخفش وجعل منه ذلك
• افرح ان ازرا الكرام • وقد تقدم هذا مشبعا في النسا عند قوله وما اصابك من سيئة فمن نفسك
وفي غيره قال الزمخشري فان قلت تلك اشارة الى ماذا قلت اشارة الى خصلة شنعا مبهمة
لا يدرى ما هي الا بتفسيرها **قوله** ان عبدت فيه اوجه احدها انها في محل رفع عطف بيان
لتلك كقوله وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هولا مقطوع الثاني انها في محل نصب مفعولا
من اجله الثالث انها بدل من نعمة الرابع انها بدل من ها تمنها الخامس انها مجرورة
بباء مقدرة اي بان عبدت السادس انها خبر مبتدا مضمر اي هي ان عبدت السابع انها
منصوبة باضمار اعني والجملة من تمنها صفة لنعمة وتمن يتعدى بالباء فقيل هي محذوفة
اي تمن بها وقيل ضمن تمن معنى تذكر ويقال عبدت الرجل واعبدته وتعبدته
واستعبدته اذا اتخذته عبدا **فصل** اختلفوا في تاويل ان عبدت فحملها بعضهم على
الاقرار وبعضهم على الانكار وعلى كلا القولين فهو جواب لقوله الم نربك فينا وليدا فمن قال
هو اقرار قال عدها موسى نعمة منه عليه حيث رباه ولم يقتله كما قتل سايرغلمان بني اسرايل
ولم يستعبده كما استعبد بني اسرايل اي بلى فتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرايل وتركتني
فلم تستعبدني ومن قال هو انكار قال قوله وتلك نعمة هو على طريق الاستفهام كما تقدم في
اعرابها يعني اوتلك نعمة فحذف الف الاستفهام كقوله فهم الخالدون وقال الشاعر
• تروح من الحي ام تبتكر • وماذا يضرك لو تنتظر • اي اتروح من الحي وقال عمر بن عبد الله بن ابي
ربيعة • لم انس يوم الرحيل وقفتها • وطرفها في دموعها غرق •
• وقولها والركاب واقفة • تتركني هكذا وتنطلق • اي اتتركني يقول تمن علي بتربيتي
وتنسى جنايتك على بني اسرايل بالاستعباد والمعاملة القبيحة او تريد كيف تمن علي بالتربية
وقد استعبدت قومي ومن اهين قومه ذل فتعبدك بني اسرايل قد احبط احسانك الي وقال

الحق انك استعبدت بني اسرايل واخذت اموالهم وانفقت منها علي فلا نعمة لك بالتربية وقيل
ان الذي تولى تربيتي هم الذين استعبدتهم فلا نعمة لك علي لان التربية كانت من قبل امي ومن قومي
ليس لك الا مجرد الاسم وهذا ما بعده انعاما وقيل معناه تمن علي بالتربية وانت لولا استعبادك
بني اسرايل وقتلك اولادهم لما دفعت اليك حتى ربيتني وكفلتني فانه كان لي من اهلي من يربيني
ويكفلني ولم يلقوني في اليم فاي نعمة لك علي وقيل معناه انك تدعي ان بني اسرايل عبيدك ولا منة
للمولى على العبد في تربيته **قوله** وما رب العالمين انما اتى بما دون من لانها يسال بها
عن طلب الماهية كقولك ما العنقا ولما كان جواب هذا السوال لا يمكن عدل موسى عليه السلام
الى جواب ممكن فاجاب بصفاته تعالى وخص تلك الصفات لانه لا يشاركه فيها احد وفيه ابطال
لدعواه انه اله وقيل جهل السوال فاتى بما دون من وليس بشي وقيل انما سال عن الصفات ذكره
ابو البقا وليس بشي لان اهل البيان نصوا على انها يطلب بها الماهيات وقد جا من في قوله فمن ربكما يا موسى
فصل اعلم ان فرعون لم يقل وما رب العالمين الا وقد دعاه موسى الى طاعة
رب العالمين ويدل على ذلك قوله تعالى فاتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين فلا بد من
انهما قالا ذلك حتى دخلا عليه فعند ذلك قال فرعون وما رب العالمين يقول اي شي رب العالمين
الذي تزعم انك رسوله اليّ يستوصف الاله الذي ارسله اليه وهو سوال عن جنس الشي والله
منزه عن الجنسية فاجابه موسى عليه السلام بذكر افعاله التي يعجز الخلق عن الاتيان بمثلها فقال
رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين انه خلقها قال اهل المعاني كما توقنون هذه
الاشيا التي تعاينوها فايقنوا ان اله الخلق هو الله عز وجل **قوله** وما بينهما عاد ضمير
التثنية على جمعين اعتبارا بالجنسين كما فعل ذلك في قوله . بين رماحي مالك ونهشل . ولما
ذكر موسى عليه السلام هذا الجواب الحق تحير فرعون في جواب موسى فقال لمن حوله من اشراف
قومه قال ابن عباس كانوا خمسماية الا تستمعون على سبيل التعجب من جواب موسى يعني انا اطلب
منه الماهية وهو يجيبني بالفاعلية وقيل استبعد جواب موسى وقال الا تستمعون لانهم كانوا
يعتقدون ان الهتهم ملوكهم فزادهم موسى بيانا فقال ربكم ورب ابايكم الاولين فعدل عن
التعريف بخالقية السموات والارض الى التعريف بكونه تعالى خالقا لنا ولابايناو ذلك لانه يمكن
ان يعتقد ان السموات والارضين واجبة لذواتها فهي غنية عن الخالق ولا يمكن ان يعتقد في نفسه
وفي ابيه واجداده كونهم واجبين لذواتهم لان المشاهدة دلت على انهم وجدوا بعد العدم
وعدموا بعد الوجود وما كان كذلك استحال ان يكون واجبا لذاته واستحال وجوده الا بالموثر
فكان التعريف بهذا الاثر اظهر فلهذا عدل موسى عليه السلام اليه فقال فرعون ان رسولكم الذي
ارسل اليكم لمجنون يعني ان المقصود من سوالنا طلب الماهية والحقيقة والتعريف بهذه الاثار الخارجية
لا يفيد البتة تلك الخصوصية فهذا الذي يدعي الرسالة مجنون لا يفهم السوال فضلا عن ان يجيب
عنه فقال موسى عليه السلام رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون فعدل الى طريق ثالث
اوضح من الثاني وذلك انه اراد بالمشرق طلوع الشمس وظهور النهار واراد بالمغرب غروب الشمس
وزوالها والامر ظاهر لان التدبير المستمر على الوجه العجيب لا يتم الا بتدبير مدبر وهذا بعينه
طريقة ابرهيم عليه السلام مع نمرود فانه استدل اولا بالاحيا والاماتة وهو الذي ذكره
موسى عليه السلام بقوله ربكم ورب ابايكم الاولين فاجابه نمرود انا احيي واميت فقال ان الله
ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذي كفر وهو الذي ذكره موسى عليه السلام بقوله
رب المشرق والمغرب واما قوله ان كنتم موقنين فكانه عليه السلام قال ان كنت من العقلاء عرفت
انه لا جواب عن سوالك الا ما ذكرت لانك طلبت مني تعريف حقيقته ولا يمكن تعريف حقيقته

بنفس

بنفس حقيقته ولا باجزا حقيقته فلم يبق الا ان اعرف حقيقته باثار حقيقته وقد عرفت
حقيقته باثار حقيقته فمن كان عاقلا يقطع بانه لا جواب عن سوالك الا ما ذكرته واعلم ان
حقيقته غير معقولة للبشر فيستحيل من موسى عليه السلام ان يذكر ما يعرف الحقيقة الا ان عدم
العلم بتلك الخصوصية لا يقدح في صحة الرسالة فلما انقطع فرعون عن الجواب ولزمته الحجة
تكبر عن الحق وعدل الى التخويف وقال لين اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين المحبوسين
قال الكلبي كان سجنه اشد من القتل لانه كان ياخذ الرجل فيطرحه في مكان وحده فردا
لا يسمع ولا يبصر فيه شيا يهوي به في الارض وقال لاجعلنك من المسجونين ولم يقل لاسجننك
وهو اخصر منه لان فيه مبالغة ليست في ذلك ومعناه لاجعلنك ممن عرفت حاله في سجوني فعند
ذلك ذكر موسى كلاما مجملا ليعلق قلبه به فيعدل عن وعيده فقال اولو جيتك بشي مبين اي
هل يحسن ان تذكر هذا مع اقتداري على ان اتيك بدليلين يدلان على وجود الله وعلى اني رسوله
فعند ذلك قال فات به ان كنت من الصادقين وانما قال موسى ذلك لان من اخلاق الناس السكون
الى الانصاف والاجابة الى الحق بعد البيان فقال فرعون فات به فانا لن نسجنك حينيذ
ان كنت من الصادقين **فان قيل** كيف قطع الكلام بما لا تعلق له بالاول وهو قوله
اولو جيتك بشي مبين اي باية بينة والمعجز لا يدل على الله لدلالة سائر ما تقدم فالجواب
بل يدل على ما اراد ان يظهر من انقلاب العصا حية على الله وعلى توحيده وعلى انه صادق
في ادعا الرسالة فالذي ختم به كلامه اقوى من كل ما تقدم **والواو** في قوله اولو جيتك
واو الحال دخلت عليها همزة الاستفهام والمعنى انفعل ذلك ولو جيتك بشي مبين اي جايبا
بالمعجز وقال الحوفي هي واو العطف وتقدم تحرير هذا عند قوله اولو كان اباوهم في البقرة
وغالب الجمل هنا تقدم اعرابها **قوله** فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده
فاذا هي بيضا للناظرين واعلم ان قوله اولو جيتك بشي مبين يدل على ان الله تعالى عرفه قبل
القا العصا بانها تصير ثعبانا فلذلك قال ما قال فلما القى عصاه صارت ثعبانا فروي
انها لما انقلبت حية ارتفعت في السما قدر ميل ثم انحطت مقبلة الى فرعون تقول يا موسى
مرني بما شيت ويقول فرعون اسالك بالذي ارسلك الا اخذتها فاخذها فعادت عصا
فان قيل كيف قال ثعبان مبين وفي اية اخرى فاذا هي حية تسعى وفي اية ثالثة
كانها جان والجان مايل الى الصغر والثعبان الى الكبر فالجواب ان الحية اسم الجنس ثم لكبرها
صارت ثعبانا وشبهها بالجان لخفتها وسرعتها فصح الكلامان ويحتمل انه شبهها بالشيطان
لقوله تعالى والجان خلقناه من قبل من نار السموم ويحتمل انها كانت صغيرة كالجان ثم
عظمت فصارت ثعبانا ثم ان موسى عليه السلام لما اراه اية العصا قال فرعون هل غيرها
قال نعم فاراه يده ثم ادخلها جيبه ثم اخرجها فاذا هي بيضا يضي الوادي من شدة بياضها من
غير برص لها شعاع كشعاع الشمس فعند هذا اراد فرعون تعمية هذه الحجة على قومه فذكر
امورا احدها قال لهم ان هذا الساحر عليم وكان زمانهم زمان السحر فاوهمهم انه هذا
كبير من السحرة وثانيها قال يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره وهذا موجب للتنفير عنه
لئلا يقبلوا قوله والمعنى يفرق جمعكم بما يلقيه من العداوة بينكم ومفارقة الوطن اصعب
الامور وهذا نهاية ما يفعله المضل المنفر عن الحق وثالثها قوله فماذا تامرون اي ما رايكم
فيه فاظهر لهم من نفسه اني متبع لرايكم ومثل هذا يوجب جذب القلوب وانصرافها عن العدو
قوله حوله حال من الملا ومفعول القول قوله ان هذا الساحر عليم وقيل صلة للملا
فانه بمعنى الذي وقيل الموصول محذوف وهما قولان للكوفيين قال الزمخشري فان قلت قوله

تعالى للملا حوله فما العامل في حوله قلت هو منصوب نصبين نصب في اللفظ ونصب في المحل
فالعامل في النصب اللفظي ما تقدم في الظرف والعامل في النصب المحلي هو النصب على الحال
قوله ارجه واخاه لما قال لهم فرعون تلك الكلمات اتفقوا على جواب واحد وهو قولهم
ارجه قرئ ارجئه وارجه وارجه بالهمز والتخفيف وهما لغتان يقال ارجاته وارجيته اذا اخرته
والمعنى اخره ومناظرته لوقت اجتماع السحرة وقيل احبسه وابعث في المداين حاشرين ياتوك بكل
سحار عليم اشاروا عليه بانفاذ حاشرين يجمعون السحرة ظنا منهم بانهم اذا كثروا غلبوه وكشفوا
حاله وعارضوا قوله ان هذا الساحر عليم بقولهم بكل سحار عليم فجاءوا بكلمة الاحاطة وصيغة
المبالغة ليطيبوا قلبه **قوله** فجمع السحرة لميقات يوم معلوم اليوم المعلوم يوم الزينة قال
ابن عباس وافق ذلك يوم السبت في اول يوم من السنة وهو يوم النيروز وميقاته وقت الضحى
لانه الوقت الذي وقت لهم موسى عليه السلام من يوم الزينة في قوله موعدكم يوم الزينة وان يحشر
الناس ضحى **قوله** وقيل للناس هل انتم مجتمعون والمعنى انهم بعثوا على الحضور ليشاهدوا
ما يكون من الجانبين ولمن تكون الغلبة وكان موسى عليه السلام يطلب ذلك ليظهر حجته عليهم عند
الخلق العظيم **قوله** لعلنا نتبع السحرة اي نرجوا ان تكون الغلبة لهم ان كانوا هم الغالبين لموسى
وقيل انما قالوا ذلك على طريق الاستهزاء وارادوا بالسحرة موسى وهارون وقومهما فلما جاء السحرة قالوا
لفرعون ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم اذا لمن المقربين فابتدوا بطلب الجزاء وهو اما
المال واما الجاه فبذل لهم ذلك واكده بقوله وانكم اذن لمن المقربين لانها نهاية مطلوبهم البذل
ودفع المنزلة **قوله** قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون اعلم انهم لما اجتمعوا كان لابد
من ابتداء موسى او ابتدائهم ثم انهم تواضعوا فقدموه على انفسهم وقالوا له اما ان تلقي واما ان
نكون نحن الملقين فلما تواضعوا له تواضع هو ايضا لهم فقدمهم على نفسه وقال القوا ما انتم ملقون
فان قيل كيف جاز لموسى عليه السلام ان يامر السحرة بالقاء الحبال والعصي وذلك
سحر وتلبيس وكفر والامر بمثله لا يجوز **فالجواب** ليس ذلك بامر لان مراد موسى عليه السلام
منهم ان يؤمنوا به ولا يقدموا على ما يجري مجرى المقابلة واذا ثبت ذلك وجب تاويل صيغة
الامر وفيه وجوه احدها ان ذلك الامر كان مشروطا والتقدير القوا ما انتم ملقون ان كنتم
محقين كقوله فاتوا بسورة من مثله اي ان كنتم قادرين وثانيها لما تعين ذلك طريقا الى كشف
الشبهة صار جائزا وثالثها ان هذا ليس بامر بل هو تهديد اي ان فعلتم ذلك اتينا بما يبطله
كقول القائل لئن رميتني لافعلن ولاصنعن ثم يفوق نحوه السهم فيقول له ارم فيكون ذلك منه
تهديدا ورابعها انهم لما تواضعوا وقدموه على انفسهم قدمهم على نفسه رجاء ان يصير تواضعه
سببا لقبول الحق ولقد حصل ببركة ذلك التواضع ذلك المطلوب **قوله** فالقوا حبالهم
وعصيهم روي عن ابن عباس قال كانت الحبال مطلية بالزيبق والعصي مجوفة مملوة من الزيبق
فلما حميت اشتدت حركتها فصارت كانها حيات تدب من كل جانب من الارض **قوله**
بعزة فرعون يجوز ان يكون قسما وجوابه انا لنحن الغالبون ويجوز ان يتعلق بمحذوف لان ما في حيز
ان اي نغلب بسبب عزته يدل عليه ما بعده ولا يجوز ان يتعلق بالغالبون لان ما في حيز ان لا
يتقدم عليها **قوله** فالقى عصاه فاذا هي تلقف ما يافكون تقدم خلاف القراء في تلقف
وقال ابن عطية هنا وقرا البزي وابن فليح بشد التاء وفتح اللام وشد القاف ويلزم على هذه
القراءة اذا ابتدا ان تجتلب همزة الوصل وهمزة الوصل لا تدخل على الافعال المضارعة كما لا تدخل
على اسماء الفاعلين قال ابو حيان كانه تخيل انه لا يمكن الابتداء بالكلمة الا باجتلاب همزة الوصل
وهذا ليس بلازم كثيرا ما يكون الوصل مخالفا للوقف والوقف مخالفا للوصل ومن له تمرن في القراءات

عرف ذلك قال شهاب الدين يريد قوله فاذا هي تلقف فان البزي يشدد التاء اذ الاصل تتلقف
بتاءين فادغم فاذا وقف على هي وابتدا بتلقف فحقه ان يفك ولا يدغم لئلا يبتدا بساكن وهو غير
ممكن وقول ابن عطية ويلزم على هذه القراءة الى اخره تضعيف للقراءة لما ذكره هو من ان همزة
الوصل لا تدخل على الفعل المضارع ولا يمكن الابتداء بساكن فمن ثم ضعفت وجواب الشيخ بمنع
الملازمة حسن الا انه كان ينبغي ان يبدل لفظة الوقف بالابتداء لانه هو الذي وقع الكلام فيه
اعني الابتداء بكلمة تلقف **قوله** فالقي قال الزمخشري فان قلت فاعل الالقاء ما هو لو صرح به
قلت هو الله عز وجل ثم قال ولك ان لا تقدر فاعلا لان القي بمعنى خروا وسقطوا قال ابو حيان
وهذا ليس بشيء لانه لا يبنى الفعل للمفعول الا وله فاعل ينوب المفعول به عنه اما انه لا يقدر
له فاعل فقوله ذاهب عن الصواب **فصل** تقدم الكلام على نظير هذه الاية
واعلم ان السحرة لما شاهدوا امرا خارجا عن حد السحر لم يتمالكوا ان رموا بانفسهم الى الارض ساجدين
وقالوا امنا برب العالمين **قوله** رب موسى وهارون عطف بيان لرب العالمين لان
فرعون كان يدعي الربوبية فارادوا عزله ومعنى اضافته اليهما في ذلك المقام انه الذي يدعو موسى
وهارون عليهما السلام اليه **قوله** امنتم له قبل ان اذن لكم الايات لما امنوا باجمعهم لم يامن
فرعون ان يقول قومه ان هؤلاء السحرة على كثرتهم وبصيرتهم لم يؤمنوا الا عن معرفة بصحة امر
موسى عليه السلام فيسلكون طريقهم فلبس على القوم وبالغ في التنفير عن موسى من وجوه احدها
قوله قبل ان اذن لكم والمعنى ان مسارعتكم الى الايمان به دالة على ميلكم اليه فتتطرق التهمة اليهم
فلعلهم قصروا في السحر حياله وثانيها قوله انه لكبيركم الذي علمكم السحر وهذا تصريح بما رمز به
اولا وتعريض منه بانهم فعلوا ذلك عن مواطاة بينهم وبين موسى وقصروا في السحر ليظهروا امر موسى
والا ففي قوة السحرة ان يفعلوا مثل ما فعل وهذه شبهة قوية في التنفير من قبل وثالثها قوله
فلسوف تعلمون وهو وعيد وتهديد شديد ورابعها قوله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف
ولاصلبنكم اجمعين وهذا الوعيد المفصل وليس في الاهلاك اقوى منه ثم انهم اجابوا عن هذه
الكلمات من وجهين الاول **قوله** لا ضير انا الى ربنا لمنقلبون الضير والضر واحد وليس
المراد ان ذلك ان وقع وانما عنوا بالاضافة الى ما عرفوه من دار الجزاء والجواب الثاني **قوله**
انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا وهو اشارة منهم الى الكفر والسحر وغيرهما والطمع في هذا الموضع
يحتمل اليقين كقول ابراهيم عليه السلام والذي اطمع ويحتمل الظن لان المرء لا يعلم ما يختاره من
بعد **قوله** ان كنا قرا العامة بفتح ان اي لان كنا بنوا القول بالايمان وقرا ابان بن
تغلب وابو معاذ بكسر الهمزة وفيه وجهان احدهما انها شرطية **والجواب** محذوف لفهم
المعنى او متقدم عند من يجيزه نظير قول القائل ان كنت عملت فوفني حقي بقوله لمن يوخر جعله
والثاني انها المخففة من الثقيلة واستغنى عن اللام الفارقة لارشاد المعنى الى الثبوت دون
النفي كقوله وان مالك كانت كرام المعادن وفي الحديث ان كان رسول الله يحب العسل
اي انه والمعنى على الاول لان كنا اول المؤمنين من الجماعة الذين حضروا ذلك الموقف او يكون
المراد من السحرة خاصة او من رعية فرعون او من اهل زمانهم **قوله** واوحينا الى موسى ان اسر
بعبادي قرئ اسر بقطع الهمزة ووصلها لما ظهر من امر موسى عليه السلام ما شاهدوه امره الله ان
يخرج ببني اسرائيل لما كان في المعلوم من تدبير الله وتخليصه من القوم وتمليكه بلادهم واموالهم ولم
يامن وقد جرت تلك الغلبة الظاهرة ان يقع من فرعون ببني اسرائيل ما يؤدي الى الاستئصال
فلذلك امره الله تعالى ان يسري ببني اسرائيل وهم الذين امنوا وكانوا من قوم موسى عليه السلام وليعلم
ان في الكلام حذفا وهو انه اسرى بهم كما امره الله تعالى ثم ان قوم موسى قالوا لقوم فرعون ان لنا في هذه

الليلة عيدا ثم استعاد وامنهم حليهم بهذا السبب ثم خرجوا بتلك الاموال في الليل الى جانب البحر فلما
سمع فرعون ذلك ارسل في المداين حاشرين يحشرون الناس يعني الشرط ليجمعوا السحرة وقيل ليجمعوا له
الجيش روي انه كان له الف مدينة واثنا عشر الف قرية وحاشرين مفعول ارسل ثم انه قوى نفسه
ونفس قومه بان وصف قوم موسى بالذم ووصف قوم نفسه بالمدح اما وصفه قوم موسى عليه السلام
بالذم فقال ان هؤلاء **لشرذمة** معمول لقول مضمر اي قال ان هؤلاء وهذا القول يجوز ان
يكون حالا اي ارسلهم قايلا ذلك ويجوز ان يكون مفسر الارسل والشرذمة الطايفة من الناس وقيل
كل بقية من شي خسيس يقال لها شرذمة ويقال ثوب شراذم اي اخلاق قال
• جا الشتا وقميصي اخلاق • شراذم يضحك منه الخلاق • وانشد ابو عبيد في شراذم النعال وجمع
الشرذمة شراذم ثم ذكرهم بالاسم الدال على القلة ثم جعلهم قليلا بالوصف ثم جمع القليل فجعل كل حزب منهم
قليلا واختار جمع السلامة الذي هو جمع القلة ويجوز انه يريد بالقلة الذلة لا قلة العدد اي انهم
لقلتهم لا يبالي بهم قال ابن عباس كان الشرذمة الذين قللهم فرعون ستمائة الف مقاتل لا شاب
فيهم دون عشرين سنة ولا شيخ يوفي على الستين سوى الحشم وفرعون يقللهم لكثرة من معه وهذا
الوصف قد استعمل في الكثير عند الاضافة الى ما هو اكثر منه فروي ان فرعون خرج على فرس
ادهم حصان وفي عسكره على لون فرسه ثمان مائة الف **قوله** وانهم لنا لغايظون يقال
غاظه واغاظه وغيظه اذا اغضبه والغيظ الغضب والمعنى انهم يفعلون افعالا تغيظنا وتغضبنا
في تلك الافعال فقيل اخذهم الحلي وغيره وقيل خروجهم عن عبوديته وقيل خروجهم بغير
اذنه وقيل مخالفتهم له في الدين وقيل لانهم لم يتخذوا فرعون الها وما وصف قومه **قوله**
وانا لجميع حذرون قرا الكوفيون وابن ذكوان حاذرون بالالف والباقون حذرون بدونها
فقال ابو عبيدة والزجاج هما بمعنى واحد يقال رجل حذر وحذر وحاذر بمعنى وقيل بل بينهما
فرق فالحذر المتيقظ والحاذر الخايف وقيل الحذر المخلوق مجبولا على الحذر والحاذر ما عرض
له ذلك وقيل الحذر المتسلح الذي له شوكة سلاح وانشد سيبويه في اعمال حذر على انه مثال
مبالغة محول من حاذر قوله • حذر امورا لا تضير وآمن • ما ليس منجيه من الاقدار • وزعم
بعضهم ان سيبويه لما ساله هل تحفظ شيا في اعمال فعل صنع له هذا البيت فنعيب على
سيبويه كيف ياخذ الشواهد الموضوعة وهذا اغلظ فان هذا الشخص قد اقر على نفسه بالكذب
فلا يقدح قوله في سيبويه والذي ادعى انه صنع البيت هو الاخفش وحذر يتعدى بنفسه قال
تعالى يحذر الاخرة وقال العباس بن مرداس • واني حاذر اعني سلاحي الى اوصال ذيال منيع •
وقرا ابن السميفع وابن ابي عمار حادرون بالدال المهملة من قولهم عين حدرة اي عظيمة كقولهم
وعين لها حدرة بدرة والمعنى عظما وقيل الحادر القوي الممتلي وحكي رجل حادر اي ممتلي غيظا
ورجل حادر اي احمق كانه ممتلي من الحمق قال • احب الغلام السوء من اجل امه • وابغضه من بغضها وهو حادر •
ويقال ايضا رجل حدر بزنة يقظ مبالغة في حادر من هذا المعنى فصار يقال حذر وحذر وحاذر
بالذال المعجمة والمهملة والمعنى مختلف واعلم ان الصفة اذا كانت جارية على الفعل وهو اسم الفاعل
واسم المفعول كالضارب والمضروب افادت الحدوث واذا لم يكن كذلك وهي المشبهة ذهب الى
معنى انا قوم من عادتنا الحذر واستعمال الحذر ومن قرا حاذرون ذهب الى المعنى انا قوم ما عهدنا ان
نحذر الا عصرنا هذا ومن قرا حادرون بالدال المهملة فكانه ذهب الى نفي الحذر اصلا لان الحادر
هو السمين فارادوا انا قوم اقويا اشدا او ارادوا انا شاكون في السلاح والغرض من هذه المقالات انه
لا يتوهم اهل المداين انه منكسر من قوم موسى او خايف منهم **قوله** فاخرجناهم اي خلقنا في قلوبهم
داعية الخروج فاستلزمت الداعية الفعل فكان الفعل مضافا الى الله تعالى لا محالة وقوله من

جنات وعيون وكنوز اي اخرجناهم من بساتينهم التي فيها عيون الما وكنوز الذهب والفضة
قال مجاهد سماها كنوزا لانه لم يعط حق الله منها وما لم يعط حق الله منه فهو كنز وان كان ظاهرا
قوله ومقام قرا العامة بفتح الميم وهو مكان القيام وقتادة والاعرج بضمها وهو مكان
الاقامة والمراد بالكريم الحسن قال المفسرون هي مجالس الامرا والروسا التي كانت تحفها الاتباع
وقيل المواضع التي كانوا يتنعمون فيها **قوله** كذلك فيه ثلاثة اوجه قال الزمخشري يحتمل
ثلاثة اوجه النصب على اخرجناهم مثل ذلك الاخراج الذي وصفنا والجر على انه وصف لمقام
اي ومقام كريم مثل ذلك المقام الذي كان لهم والرفع على انه خبر لمبتدا محذوف اي الامر كذلك
قال ابو حيان فالوجه الاول لا يسوغ لانه يؤول الى تشبيه الشي بنفسه وكذلك الوجه الثاني
لان المقام الذي كان لهم هو المقام الكريم فلا يشبه الشي بنفسه قال شهاب الدين وليس في ذلك
تشبيه الشي بنفسه لان المراد في الاول اخرجناهم اخراجا مثل الاخراج المعروف المشهور وكذلك
الثاني **قوله** واورثناها عطف على فاخرجناهم اي واورثناها بهلاكهم بني اسرايل
وذلك ان الله تعالى رد بني اسرايل الى مصر بعدما اغرق فرعون وقومه واعطاهم جميع
ما كان لفرعون وقومه من الاموال والمساكن **قوله** فاتبعوهم قرا العامة بقطع الهمزة
من اتبعه اي الحقه نفسه فحذف الثاني وقيل يقال اتبعه بمعنى اتبعه بوصل الهمزة اي
لحقه وقرا الحسن والحارث الذماري بوصلها وتشديد التاء وهي بمعنى الحاق وقوله مشرقين
اي داخلين في وقت الشروق من شرقت الشمس شروقا اذا طلعت كاصبح وامسى اي دخل
في هذين الوقتين وقيل داخلين نحو المشرق كانجد واتهم ومشرقين منصوب على الحال
والظاهر انه من الفاعل وقيل مشرقين بمعنى مضيين وفي التفسير ان بني اسرايل كانوا في نور
والقبط في ظلمة فعلى هذا يكون مشرقين حالا من المفعول قال شهاب الدين وعندي انه يجوز ان
يكون حالا من الفاعل والمفعول اذا جعلنا مشرقين داخلين في وقت الشروق او في مكان المشرق
لان كلا من القبيلين كان داخلا في ذلك الزمان او في ذلك المكان **قوله** فلما ترا الجمعان
اي تقابلا وراى بعضهم بعضا قرا العامة ترا اي بتحقيق الهمزة وابن وثاب والاعمش من
غير همز بان تكون الهمزة مخففة بين بين لا بالابدال المحض لئلا يجتمع ثلاث الفات الاولى الزايدة
بعد الرا والثانية المبدلة من الهمزة والثالثة لام الكلمة لكن الثالثة لا تثبت وصلا لحذفها
لالتقا الساكنين ثم اختلف القرا في امالة هذا الحرف فنقول هذا الحرف اما ان يوقف
عليه اولا فان وقف عليه فحمزة يميل الالف الاخيرة لانها طرف منقلبة عن يا ومن ضرورة
امالتها امالة فتحة الهمزة المسهلة لانه اذا وقف على مثل هذه سهلها على مقتضى مذهبه
واما الالف الاولى اتباعا لامالة فتحة الهمزة ومن ضرورة امالتها امالة فتحة الرا قبلها
وهذا هو الامالة لاماله وغيره من القرا لا يميل شيا من ذلك وقياس مذهب الكسايي ان يميل
الالف الاخيرة وفتحة الهمزة قبلها وكذا نقله ابن الباذش عنه وعن حمزة وان وصل فان
الالف الاخيرة تذهب لالتقا الساكنين ولذهابها تذهب امالة فتحة الهمزة وتبقى امالة
الالف الزايدة وامالة فتحة الرا قبلها عنده اعتدادا بالالف المحذوفة وعند ذلك يقال
حذف السبب وبقي المسبب لان امالة الالف الاولى انما كان لامالة الالف الاخيرة كما تقدم
تقريره وقد ذهبت الاخيرة فكان ينبغي ان لا تمال الاولى لذهاب المقتضي لذلك ولكنه
راعى المحذوف وجعله في قوة المنطوق ولذلك تجرا عليه ابو حاتم فقال وقراءة هذا الحرف بالامالة
محال وقد تقدم في الانعام عند راى القمر وراى الشمس ما يشبه هذا العمل **قوله** لمدركون
العامة على سكون الدال اسم مفعول من ادرك اي الملحقون وقرا الاعرج وعبيد بن عمير بفتح الدال

منه ودّه وكسر الواو قال الزمخشري المعنى متمنيا يقولون في الملا لنرعي ايذ نهم ومنه بيت الحماسة
اشد نبي اي الذين تتابعوا ° ارجي الحياة ام من الموت اجزع ° يعني انا ادرك على افتعل لانه بمعنى
فني واضمحل يقال ادرك الشي يدرك فهو مدرك اي فني متتابعا ولذلك كرهت القراة
وممن نص على كرهها ابو الفضل الرازي قال وقد يكون ادرك على افتعل بمعنى افعل متعديا فلو
كانت القراة من هذا الوجه فتح الراء ولم يبلغني عنهما يعني عن الاعرج وعبيد الا الكسر **فصل**
المعنى فلما تراأى الجمعان اي راي كل فريق صاحبه وقري فلما ترات الفيتان قال اصحاب موسى انا
لمدركون وقالوا يا موسى اوذينا من قبل ان تاتينا كانوا يذبحون ابناءنا ومن بعد ما جيتنا يدركونا
في هذه الساعة فيقتلوننا ولا طاقة لنا بهم فعند ذلك قال موسى ثقة بوعد الله اياه كلا وذلك
كالمنع مما توهموه اي لن يدركونا ان معي ربي سيهدين يدلني على طريق النجاه **قوله** فاوحينا
الى موسى ان اضرب بعصاك البحر لما قال موسى ان معي ربي سيهدين بين تعالى كيف هداه ونجاه
واهلك اعداه فقال واوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق ولا بد قبله من جملة
محذوفة اي فضرب فانفلق وزعم ابن عصفور ان المحذوف انما هو ضرب وفا انفلق وان الفا الموجودة
هي فا فضرب فابقي من كل فعل ما يدل على المحذوف ابقي الفا من فضرب ليدل على ضرب وابقي انفلق
ليدل على الفا المتصلة به **قوله** فكان كل فرق اختلف القرا في ترقيق را فرق فروي عن
ورش الترقيق لاجل القاف وقري فلق بلام بدل الرا لموافقة فانفلق كالطود الجبل العظيم المنطاد
في السما **فصل** قال ابن جريج لما انتهى موسى الى البحر هاجت الريح والبحر يرمي بموج كالجبال
قال يوشع يا مكلم الله اين امرت فقد غشينا فرعون والبحر امامنا فقال موسى ههنا فخاض
يوشع الما وجاز البحر ما يواري حافر دابته الما وقال الذي يكتم ايمانه يا مكلم الله اين امرت
قال ههنا فكبح فرسه بلجامه حتى طار الزبد من شدقيه ثم اقحمه البحر فارتسب في الما وصنع القوم
مثل ذلك فلم يقدروا وجعل موسى لا يدري كيف يصنع فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك البحر
فضربه فانفلق فاذا الرجل واقف على فرسه لم يبتل سرجه ولا لبده وهذا معجز عظيم من وجوه
احدها ان تفرق ذلك الما معجز وثانيها ان اجتماع ذلك الما فوق كل فرق منه حتى صار كالجبل
معجز ايضا وثالثها انه ثبت في الخبر انه تعالى ارسل على فرعون وقومه من الرياح والظلمة ما حيرهم
فاحتبسوا القدر الذي تكامل معه عدد بني اسرايل وهذا معجز ثالث ورابعها ان جعل الله
في تلك الجدران المائية كوى ينظر بعضهم الى بعض وهذا معجز رابع وخامسها ان بقي الله
تعالى تلك المسالك حتى قرب ال فرعون فطمعوا ان يتخلصوا من البحر كما تخلص موسى عليه السلام فهو معجز
خامس **قوله** وازلفنا اي قربنا من النجاه وثم ظرف مكان بعيد والاخرين هم موسى واصحابه
وقرا الحسن وابو حيوة وزلفنا ثلاثيا قال ابو عبيدة ازلفنا جمعنا ومنه ليلة المزدلفة اي
ليلة الجمع وفي القصة ان جبريل كان بين بني اسرايل وقوم فرعون وكان يسوق بني اسرايل ويقول
ليلحق اخركم باولكم ويستقبل القبط ويقول رويدكم ليلحق اخركم وقرا ابي وابن عباس وعبد
الله بن الحرث بالقاف اي ازللنا والمراد بالاخرين في هذه القراة فرعون وقومه والمعنى جعلنا
طريقهم في البحر زلقا على خلاف ما جعله لبني اسرايل يبسا فزلقهم فيه **قوله** وانجينا موسى ومن
معه اجمعين والمعنى انه تعالى جعل البحر يبسا في حق موسى وقومه حتى خرجوا عنه واغرق فرعون ومن
معه لانه لما تكامل دخولهم البحر انطبق الما عليهم فغرقوا **قوله** ان في ذلك لاية اي ان
الذي حدث في البحر اية عجيبة من الايات العظام الدالة على قدرة الله تعالى لان احدا من البشر
لا يقدر عليه وعلى حكمته ولكون وقوعه مصلحة في الدين والدنيا وعلى صدق موسى لكونه معجزة له
وعلى التحذير عن مخالفة امر الله ورسوله وفيه تسلية للنبي عليه السلام لانه قد يغتم بتكذيب

قومه مع ظهور المعجزات عليه فنبهه الله بهذا الذكر على ان له اسوة بموسى وغيره ثم قال وما
كان اكثرهم مومنين اي من اهل مصر قيل لم يكن امن من اهل مصر الا اسية امراة فرعون وحزقيل المومن
ومريم بنت ناموشا التي دلت على عظام يوسف عليه السلام وان ربك لهو العزيز في الانتقام
من اعدايه الرحيم بعباده لانه تعالى افاض عليهم اصناف نعمه وكان قادرا على ان يهلكهم فدل
على كمال رحمته وسعة جوده وفضله **قوله تعالى** واتل عليهم نبا ابرهيم الايات
اعلم انه تعالى ذكر في اول السورة شدة حزن محمد عليه السلام ثم ذكر قصة موسى ليعرف محمد
ان مثل تلك المحنة كانت حاصلة لموسى ثم ذكر عقيبها قصة ابرهيم ليعرف محمد ان حزن ابرهيم بهذا
السبب كان اشد من حزنه **قوله** اذ قال العامل في اذ نبا او اتل قاله الحوفي ورده الابناني
لا على كون اذ معمولا به وقيل اذ بدل من نبا بدل اشتمال وهو يؤول الى ان العامل فيه اتل
بالتاويل المذكور **قوله** وقومه الهاء تعود على ابرهيم لانه المحدث عنه وقيل تعود على ابيه
لانه اقرب مذكور اي قال لابيه وقوم ابيه ويويده اني اراك وقومك حيث اضاف القوم اليه
قوله ما تعبدون اي شي تعبدون وهو يعلم انهم عبدة الاصنام ولكنه سالهم ليريهم
ان ما يعبدونه لا يستحق العبادة كما تقول للتاجر ما مالك وانت تعلم ان ماله الرقيق ثم تقول
الرقيق جماد وليس بمال **قوله** نعبد اصناما اتوا في الجواب بالتصريح بالفعل ليعطفوا عليه
قولهم فنظل افتخارا بذلك وابتهاجا به والا فكان قولهم اصناما كافيا كقوله تعالى قل العفو
قالوا خيرا **قوله** فنظل لها عاكفين العكوف الاقامة على الشي قال بعض العلما انما قالوا فنظل
لانهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل يقال ظل يفعل كذا اذا فعل بالنهار فقال ابرهيم
عليه السلام منبها على فساد مذهبهم هل يسمعونكم لا بد من محذوف اي يسمعون دعاكم او يسمعونكم
تدعون فعلى الاول هي متعدية لواحد اتفاقا وعلى الثاني هي متعدية لاثنين قامت الجملة المقدرة
مقام الثاني وهو قول الفارسي وعند غيره الجملة المقدرة حال وتقدم تحقيق القولين وقرا قتادة
ويحيى بن يعمر بضم اليا وكسر الميم والمفعول الثاني محذوف اي يسمعونكم الجواب **قوله** اذ
تدعون منصوب بما قبله فما قبله وما بعده ماضيان معنى وان كانا مستقبلين لفظا لعمل
الاول في اذ ولعمل اذ في الثاني وقال بعضهم اذ هنا بمعنى اذا وقال الزمخشري انه على حكاية
الحال الماضية ومعناه استحضروا الاحوال التي كنتم تدعونها فيها هل سمعوكم اذا سمعوا وهو ابلغ
في التبكيت وقد تقدم انه قري بادغام ذال اذ واظهارها في التا وقال ابن عطية ويجوز
فيه قياس مدكر ونحوه ولم يقرا به احد والقياس ان يكون اللفظ به اذ دعون والذي منع من
هذا اللفظ اتصال الدال الاصلية في الفعل فكثرت المماثلات يعني فيكون اللفظ بدال مشددة
مهملة ثم بدال ساكنة مهملة ايضا قال ابو حيان وهذا لا يجوز لان هذا الابدال انما هو في تا
الافتعال بعد الذال والدال والزاي نحو ادهن وادكر وازدجر وبعد جيم شذ وذا نحو اجد
معوا في اجتمعوا او في تا الضمير بعد الدال والزاي نحو فزد في فزت وجلد في جلدت وتا تولج
قالوا فيها دولج وتا المضارعة ليس شيا مما ذكر وقوله والذي منع الى اخره يقتضي جوازه لو لم
يوجد ما ذكر فعلى مقتضى قوله يجوز ان يقول في اتخرج ادخرج ولا يقول ذلك احد بل يقولون
اتخرج فيدغمون الذال في التا **فصل** تقرير هذه الحجة التي ذكرها ابرهيم عليه
السلام ان من عبد غيره لا بد ان يلتجي اليه في المسيلة ليعرف مراده او يسمع دعاه ثم يستجيب له في
بذل منفعة او دفع مضرة فقال لهم اذا كان الذي يعبدونه لا يسمع دعاكم حتى يعرف مقصودكم
ولو عرف ذلك لما صح ان يبذل النفع او يدفع الضر فكيف يعبدون ما هذا صفته فعند
هذه الحجة الباهرة لم يجدوا ما يدفعون به حجته الا التقليد فقالوا وجدنا ابانا كذلك يفعلون

وهذا من اقوى الدلايل على فساد التقليد و وجوب التمسك بالاستدلال اذ لو قلبنا الامر فمدحنا
التقليد وذممنا الاستدلال لكان ذلك مدحا لطريقة الكفار التي ذمها الله وذما لطريقة ابرهيم
التي مدحها الله **قوله** كذلك منصوب بيفعلون اي يفعلون مثل فعلنا و يفعلون في محل نصب
مفعولا ثانيا لوجدنا **قوله** افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباوكم الاقدمون اراد ان
الباطل لا يتغير بان يكون قديما او حديثا ولا بان يكون في فاعليه كثرة او قلة **قوله**
فانهم عدو لي اللغة الغالبة افراد عدو و تذكيره قال تعالى هم العدو وانما فعل به ذلك تشبيها
بالمصادر نحو الولوغ والقبول وقد يقال اعدا وعدوة و قوله عدو لي على اصله من غير تقدير
لمضاف ولا قلب لان العدو والصديق يجيان في معنى الوحدة والكثرة قال الشاعر
و قوم علي ذوي مبرة ۰ اراهم عدوا وكانوا صديقا ۰ وتقدم الكلام في نظيره عند قوله انا رسول
وقيل المعني فانهم عدو لي لو عبدتهم يوم القيمة كقوله سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم
ضدا وقيل الاصنام لا تعادي لانها جماد فالتقدير فان عبادهم عدو لي **فان قيل**
فلو لم يقل ان من يعبد الاصنام عدو لي ليكون الكلام حقيقة **فالجواب** لان الذي تقدم
ذكره هو ما عبدوه دون العابدين وقيل بل في الكلام قلب تقديره فاني عدو لهم وهذا
مرجوحان لاستقامة الكلام بدونهما **فان قيل** لم قال فانهم عدو لي ولم يقل
فانها عدو لكم **فالجواب** انه عليه السلام صور المسيلة في نفسه بمعنى اني فكرت في امري
فرايت عبادتي لها عبادة للعدو فاجتنبتها واراهم انها نصيحة نصح بها نفسه فاذا تفكروا
قالوا ما نصحنا ابرهيم الا بما نصح به نفسه فيكون ذلك ادعى الى القبول **قوله** الا رب
العالمين فيه وجهان احدهما انه منقطع اي لكن رب العالمين ليس بعدو لي وقال الجرجاني
فيه تقديم وتاخير اي افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباوكم الاقدمون الا رب العالمين
فانهم عدو لي والا بمعنى دون وسوي والثاني انه متصل وهو قول الزجاج لانهم كانوا يعبدون
الله والاصنام فقال ابرهيم كل من تعبدون اعدا لي الا رب العالمين وقال الحسن بن الفضل
معناه الا من عبد رب العالمين وقيل معناه فانهم غير معبود لي الا رب العالمين ثم وصف
معبوده وهو **قوله** الذي خلقني يجوز فيه اوجه النصب على النعت لرب العالمين او البدل
او عطف البيان او على اضمار اعني والرفع على خبر مبتدا مضمر اي هو الذي خلقني وعلى الابتدا
وهو يهدين جملة اسمية في محل رفع خبرا له قال الحوفي ودخلت الفا لما تضمنه المبتدا من
معني الشرط وهذا مردود لان الموصول معين ليس عاما ولان الصلة لا يمكن فيها التجدد فلم
يشبه الشرط وتابع ابو البقا الحوفي ولكنه لم يتعرض للفا فان عني ما عناه الحوفي فقد تقدم
ما فيه وان لم يعينه فيكون تابعا للاخفش في تجويزه زيادة الفا في الخبر مطلقا نحو زيد فاضربه
وقد تقدم تجويزه واعلم ان ابرهيم عليه السلام لما استثنى رب العالمين وصفه بما يستحق
العبادة لاجله باوصاف احدها قوله الذي خلقني فهو يهدين وذلك لان الله تعالى اثنى على
نفسه بهذين الامرين في قوله الذي خلق فسوي والذي قدر فهدي وقال خلقني بلفظ
الماضي لان خلق الذات لا يتجدد في الدنيا بل لما وقع بقي الى الامر المعلوم وقال فهو يهدين
بلفظ المستقبل لان الهداية مما يتكرر كل حين واوان سوا كانت تلك الهداية من المنافع
الدنيا وية بتمييز المنافع عن المضار او من المنافع الدينية بتمييز الحق عن الباطل والخير عن الشر
قوله والذي هو يطعمني ويسقين يجوز ان يكون مبتدا وخبره محذوف وكذلك ما بعده
ويجوز ان يكونوا اوصافا للذي خلقني ودخول الواو جايز وقد تقدم تحقيقه في اول البقرة
كقوله ۰ الي الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم ۰ واثبت ابن ابي اسحق ويروي

عن

عن عاصم ايضا يا المتكلم في يسقين ويشفين ويحيين **فصل** المعني يرزقني ويغذوني
بالطعام والشراب و نبه بذكر الطعام والشراب على ما عداهما **قوله** واذا مرضت فهو يشفين
اضاف المرض الي نفسه وان كان المرض والشفا كله من الله استعمالا لحسن الادب كما قال الخضر
فاردت ان اعيبها وقال فاراد ربك ان يبلغا اشدهما واجاب ابن الخطيب باجوبة اخر
منها ان اكثر اسباب المرض تحدث بتفريط الانسان في مطاعمه ومشاربه وغير ذلك ومن ثم
قال الحكما لو قيل لاكثر الموتي ما سبب اجالكم لقالوا التخم ومنها ان الشفا محبوب وهو من
اصول النعم والمرض مكروه وليس من النعم وكان مقصود ابرهيم عليه السلام تعديد النعم
ولما لم يكن المرض من النعم لا جرم لم يضفه الي الله فان نقضته بالاماتة فجوابه ان الموت ليس بضرر
لان شرط كونه ضررا وقوع الاحساس به وحال حصول الموت لا يحصل الاحساس به انما الضرر في
مقدماته وذلك هو عين المرض ولان الارواح اذا كملت في العلوم والاخلاق كان بقاوها
في هذه الاجساد عين الضرر وخلاصها عنها عين السعادة بخلاف المرض **قوله** والذي
يميتني ثم يحيين والمراد منه الاماتة في الدنيا والتخلص عن افاتها والمراد من الاحيا المجازاة
ولذلك ادخل ثم هنا للتراخي اي يميتني في الدنيا ويحيين في الاخرة **قوله** والذي اطمع ان
يغفر لي خطيئتي يوم الدين قرا العامة خطيئتي بالافراد والحسن خطاياي جمع تكسير **فان قيل**
لم قال والذي اطمع والطمع عبارة عن الظن والرجا وهو عليه السلام كان قاطعا بذلك **فالجواب**
هذا الكلام يستقيم على مذهب اهل السنة حيث قالوا لا يجب على الله لاحد شي وانه يحسن
منه كل شي ولا اعتراض لاحد عليه في فعله واجاب الجبائي عنه من وجهين **الاول** ان
قوله والذي اطمع ان يغفر لي اراد به ساير المومنين لانهم الذين يطمعون ولا يقطعون به والثاني
ان المراد من الطمع اليقين وهو المروي عن الحسن واجاب الزمخشري بانه انما ذكره على هذا
الوجه تعليما لامته كيفية الدعا قال ابن الخطيب وهذه وجوه ضعيفة اما الاول
فان الله تعالى حكي الثنا اولا والمدح ثانيا ومن اول المدح الي اخر الدعا كلام ابرهيم عليه السلام
بجعل الشي الواحد وهو كقوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين كلام غيره مما يبطل نظم
الكلام ويفسده واما قوله ان الطمع هو اليقين على خلاف اللغة واما الثالث وهو ان المراد تعليم
الامة فباطل ايضا لان حاصله يرجع الي انه كذب على نفسه لغرض تعليم الامة وانه باطل ايضا
فان قيل لم اسند الي نفسه الخطيئة مع ان الانبيا منزهون عن الخطايا **فالجواب**
من وجوه احدها قال مجاهد هي قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم وقوله لسارة
هذه اختي وزاد الحسن قوله للكوكب هذا ربي قال ابن الخطيب وهذا ضعيف لان نسبة
الكذب اليه غير جايز وثانيها انه ذكره على سبيل التواضع وهضم النفس قال ابن الخطيب
وهذا ضعيف لانه ان كان صادقا في هذا التواضع فقد لزم الاشكال وان كان كاذبا فحينيذ
يرجع حاصل الجواب الي الحاق المعصية به وهو منزه عن المعصية قال وثالثها وهو
الجواب الصحيح ان يحمل ذلك على ترك الاولي وقد يسمي ذلك خطا فان من ملك جوهرة امكنه
ان يبيعها بالف الف دينار فباعها بدينار قيل انه اخطا و ترك الاولي على الانبيا جايز **فان
قيل** ما فايدة قوله يغفر لي **فالجواب** من وجوه الاول ان الاب اذا عفي عن
ولده والسيد عن عبده والزوج عن زوجته فانما يكون ذلك طلبا للثواب او لحسن الثنا والتمدح
او دفعا للالم الحاصل من الرقة الجنسية واذا كان كذلك لم يكن عفوه الا رعاية جانب نفسه
اما لتحصيل ما ينبغي او لدفع ما لا ينبغي واما الاله سبحانه فانه كامل لذاته فيستحيل ان يحدث له
صفات كمال لم تكن او يزول عنه نقصان كان واذا كان كذلك لم يكن عفوه الا رعاية لجانب

المعفو عنه فقوله يغفر لي معناه ان غفرانه لي ولاجلي لا لاجل امر عائد اليه البته وثانيها كانه
قال خلقتني لا لي فانك حين خلقتني لم اكن موجودا فاذا عفوت كان ذلك العفو لاجلي فلما خلقتني اولا
مع اني ما كنت محتاجا الى ذلك الخلق فلان تغفر لي وتعفو عني حال ما اكون في اشد الحاجة الى
العفو والمغفرة كان اولى وثالثها ان ابرهيم عليه السلام كان مع شدة استغراقه في المعرفة
شديد الفرار عن الوسايط ولذلك لما قال له جبريل الك حاجة قال اما اليك فلا فههنا
قال اطمع ان يغفر لي خطيئتي اي محو عبوديتي واحتياجي اليك تغفر لي خطيئتي لا ان تغفرها بواسطة شفاعة
شافع **فان قيل** لم علق غفران الخطيئة بيوم الدين وانما تغفر في الدنيا فالجواب لان
اثرها يظهر يوم الدين وهو الان خفي لا يعلم **قوله تعالى** رب هب لي حكما والحقني
بالصالحين لما حكى عن ابرهيم عليه السلام ثناه على الله تعالى ذكر بعد ذلك دعاه ومسالته
وذلك تنبيه على ان تقديم الثنا على الدعا من المهمات **فان قيل** لم لم يقتصر ابرهيم
على الثنا ولا سيما يروى عنه انه قال حسبي من سوالي علمه بحالي فالجواب انه عليه السلام انما
ذكر ذلك حين اشتغاله بدعوة الخلق الى الحق لانه قال فانهم عدو لي الا رب العالمين ثم ذكر
الثنا ثم ذكر الدعا لما ان الشارع لا بد له من تعليم الشرع فاما حين خلا بنفسه ولم يكن غرضه
تعليم الشرع اقتصر على قوله حسبي من سوالي علمه بحالي واعلم ان قوله رب هب لي حكما والحقني
بالصالحين اجابه الله تعالى بقوله وانه في الاخرة لمن الصالحين والمراد بالحكم ادراك الحق والعلم
لان النبوة كانت حاصلة له وتحصيل الحاصل محال وهذا قول مقاتل وقال ابن عباس معرفة
حدود الله واحكامه وقال الكلبي النبوة والحقني بالصالحين من قبلي من النبيين في المنزلة والدرجة
قوله واجعل لي لسان صدق في الاخرين اي ثناء حسنا وذكرا جميلا وقبولا عاما في الامم
التي تجي بعدي قال ابن عباس اعطاه الله بقوله وتركنا عليه في الاخرين فاهل الاديان يتولونه
ويثنون عليه قال العيسى وضع اللسان موضع القول على الاستعارة لان القول يكون به وقيل
المراد منه ان تجعل في ذريته في اخر الزمان من يكون داعيا الى الله تعالى وذلك هو محمد عليه السلام
فالمراد من قوله واجعل لي لسان صدق في الاخرين بعثة محمد صلى الله عليه وسلم **قوله** واجعلني
من ورثة جنة النعيم من ورثة اما ان يكون مفعولا ثانيا اي مستقرا او كائنا من ورثة واما ان يكون
صفة لمحذوف هو المفعول الثاني اي وارثا من ورثة واعلم انه لما طلب سعادة الدنيا طلب بعدها
سعادة الاخرة وهي جنة النعيم وشبهها بما يورث لانه الذي يغتنم في الدنيا فشبه غنيمة الاخرة
بغنيمة الدنيا **قوله** واغفر لابي انه كان من الضالين لما فرغ من طلب السوالات الدنيوية
والاخروية لنفسه طلبها لاشد الناس التصاقا به وهو الابوه وفيه وجهان الاول ان المغفرة
مشروطة بالاسلام وطلب المشروط متضمن لطلب الشرط فقوله واغفر لابي كانه دعا له بالاسلام
الثاني ان اباه وعده بالاسلام لقوله وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها
اياه فدعا له قبل ان يتبين له انه عدو لله كما سبق في سورة التوبة وقيل ان اباه قال له انه
على دينه باطنا وعلى دين نمرود ظاهرا تقية وخوفا فدعا له لاعتقاده ان الامر كذلك فلما تبين
له خلاف ذلك تبرا منه ولذلك قال في دعايه انه كان من الضالين فلولا اعتقاده فيه انه في
الحال ليس بضال لما قال ذلك **قوله** ولا تخزني يوم يبعثون قال الزمخشري الاخزا من
الخزي وهو الهوان ومن الخزاية وهي الحيا وهذه الاية تدل على انه لا يجب على الله شي كما تقدم في قوله
والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين **فان قيل** لما قال اولا واجعلني من ورثة
جنة النعيم كان كافيا عن قوله ولا تخزني يوم يبعثون وايضا فقد قال الله تعالى ان الخزي
اليوم والسو على الكافرين فما كان نصيب الكفار فقط كيف يخافه المعصوم فالجواب

ان

ان حسنات الابرار سيات المقربين فكذا درجات الابرار خزي المقربين وخزي كل واحد بما
يليق به قال الزمخشري في يبعثون ضمير العباد لانه معلوم او ضمير الضالين **قوله** يوم لا ينفع
مال ولا بنون الاية يوم لا ينفع بدل من يوم قبله وجعل ابن عطية هذا من كلام الله تعالى الى
اخر الايات مع اعرابه يوم لا ينفع بدلا من يوم يبعثون ورد ابو حيان بان العامل في البدل هو
العامل في المبدل منه او اخر مثله مقدر وعلى كلا هذين القولين لا يصح لاختلاف المتكلمين
واعلم ان الله تعالى قد اكرمه بهذا الوصف حيث قال وان من شيعته لابرهيم اذ جاء
ربه بقلب سليم **قوله** الا من اتى فيه اوجه احدها انه منقطع اي لكن من اتى الله بقلب
سليم فانه ينفعه ذلك وقال الزمخشري ولا بد لك مع ذلك من تقدير مضاف وهو الحال
المراد بها السلامة وليست من جنس المال والبنين حتى يؤول المعنى الى ان البنين والمال لا ينفعان
وانما ينفع سلامة القلب ولو لم يقدر المضاف لم يتحصل للاستثنا معنى قال ابو حيان
ولا ضرورة تدعوا الى حذف المضاف كما ذكر قال شهاب الدين انما قدر المضاف ليتوهم دخول
المستثنى في المستثنى منه لانه متى لم يتوهم ذلك لم يقع الاستثنا ولهذا منعوا صهلت الخيل الا الابل
الا بتاويل الثاني انه مفعول به لقوله لا ينفع اي لا ينفع المال والبنون الا هذا الشخص فانه ينفعه
ماله المصروف في وجوه البر وبنوه الصلحا لانه علمهم واحسن اليهم الثالث انه بدل من المفعول
المحذوف او مستثنى منه اذ التقدير لا ينفع مال ولا بنون احدا من الناس الا من كانت هذه
صفته والمستثنى منه يحذف كقوله ولم ينج الا جفن سيف ومئزرا اي ولم ينج بشي الرابع
انه بدل من فاعل ينفع فيكون مرفوعا قال ابو البقا وغلب من يعقل فيكون التقدير الا مال
من او بنو من فانه ينفع نفسه وغيره بالشفاعة قال شهاب الدين وابو البقا خلط وجها
بوجه وذلك انه اذا اردنا ان نجعله بدلا من فاعل قلنا فيه طريقان احدهما طريقة التغليب
اي غلبنا البنين على المال فاستثنى من البنين فكانه قيل لا ينفع البنون الا من اتى من البنين
بقلب سليم فانه ينفع نفسه بصلاحه وغيره بالشفاعة والطريقة الثانية ان يقدر مضافا
محذوفا قبل من اي الا مال من او بنو من فصارت الاوجه خمسة ووجه الزمخشري انتصاب
الاستثنا بوجهين احدهما الا حال من اتى الله بقلب سليم وهو من قوله تحية بينهم ضرب وجيع
وما ثوابه الا السيف ومثاله ان يقال هل لزيد مال وبنون فيقال ماله وبنوه سلامة قلبه
يريد نفي المال والبنين عنه واثبات سلامة قلبه بدلا عن ذلك والثاني قال وان شئت حملت
الكلام على المعنى وجعلت المال والبنين في معنى الغنى كانه قيل يوم لا ينفع غنى الا غنى من اتى الله
لان غنى الرجل في دينه بسلامة قلبه كما ان غناه في دنياه بماله وبنيه **فصل** وفي
السليم ثلاثة اوجه قال ابن الخطيب اصحها ان المراد منه سلامة النفس عن الجهل والاخلاق
الرذيلة وقيل السليم الخالص من الشرك والشك واما الذنوب فليس يسلم منها احد وهذا قول اكثر
المفسرين وقال سعيد بن المسيب القلب السليم هو الصحيح وهو قلب المومن لان قلب الكافر
والمنافق مريض قال الله تعالى في قلوبهم مرض وقيل السليم هو اللديغ من خشية الله وقيل السليم
هو الذي سلم واسلم وسالم واستسلم **قوله** وازلفت الجنة للمتقين اي ان الجنة تكون قريبة
من موقف السعدا ينظرون اليها ويفرحون بانهم المحشورون اليها وبرزت الجحيم للغاوين اي
اظهرت وقرا مالك بن دينار وبرزت بفتح الباء والرا خفيفة مبنيا للفاعل مسندا للجحيم
فلذلك رفع والمراد بالغاوين الكافرون وقيل لهم اين ما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم
يمنعونكم من العذاب بنصرهم او ينفعون انفسهم بانتصارهم **قوله** فكبكبوا اي القوا وقلب
بعضهم على بعض قال الزمخشري الكبكبة تكرير الكب جعل التكرير في اللفظ دليلا على التكرير في

المعنى وقال ابن عطيه نحوا منه قال وهو الصحيح لان تكرير الفعل بين نحو صر وصرصر وهذا هو
مذهب الزجاج وفي مثل هذا البنا ثلاثة مذاهب احدها هذا والثاني وهو مذهب البصريين
ان الحروف كلها اصول والثالث وهو قول الكوفيين ان الثالث مبدل من مثل الثاني فاصل كبكب
كببب بثلاث باآت ومثله لملم وكفكف هذا اذا صح المعنى بسقوط الثالث فاما اذا لم يصح المعنى
بسقوطه كانت كلها اصولا من غير خلاف نحو سمسم وخمخم والواو كبكبوا قيل للاصنام اجراها مجرى
العقلا وقيل لعابديها **فصل** قال ابن عباس جمعوا وقال مجاهد دهوروا وقال
مقاتل قذفوا وقال الزجاج طرح بعضهم على بعض وقال القتيبي القوا على رؤسهم والغاوون
يعني الشياطين قاله قتادة ومقاتل وقال الكلبي كفرة الجن وجنود ابليس اجمعون اتباعه من الجن
والانس وقيل ذريته **قوله** وهم فيها يختصمون جملة حالية معترضة بين القول ومعموله
ومعموله الجملة القسمية **قوله** ان كنا لفي مذهب البصريين ان إن مخففة واللام فارقة
ومذهب الكوفيين ان إن نافيه واللام بمعنى الا **فصل** المعنى قال الغاوون للشياطين
والمعبودين وهم فيها يختصمون مع المعبودين ويجادل بعضهم بعضا تالله إن كنا لفي ضلال مبين
يذكرون ذلك حين يروا صورها على وجه الاعتراف والخطا العظيم على وجه الندامة لا على وجه
المخاطبة لانها جماد لا تخاطب وايضا فلا ذنب لها بان عبدها غيرها ومما يدل على ان ذلك ليس
بخطاب لها في الحقيقة قولهم وما اضلنا الا المجرمون **قوله** اذ نسويكم اذ منصوب اما بمبين
واما بمحذوف اي ضللنا في وقت تسويتنا لكم بالله في العبادة ويجوز على ضعف ان يكون معمولا
لضلال والمعنى عليه الا ان ضعفه صناعي وهو ان المصدر الموصوف لا يعمل بعد وصفه **فصل**
نسويكم نعدلكم برب العالمين نعبدكم وما اضلنا دعانا الى الضلال الا المجرمون قال مقاتل يعني
الشياطين وقال الكلبي الا اولونا الذين اقتدينا بهم **قوله** فما لنا من شافعين اي من
يشفع لنا كما نرى المؤمنين لهم شفعا من الملايكة والنبيين والمؤمنين ولا صديق وهو الصادق
في المودة بشرط الدين قال جابر بن عبد الله سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرجل
ليقول في الجنة ما فعل صديقي فلان وصديقه في الجحيم فيقول الله تعالى اخرجوا له صديقه الى
الجنة فيقول من بقي فما لنا من شافعين ولا صديق حميم قال الحسن استكثروا من الاصدقا
المؤمنين فان لهم شفاعة يوم القيمة **والحميم** القريب من قولهم حامة فلان اي خاصته
وقال الزمخشري الحميم من الاحتمام وهو الاهتمام او من الحامة وهي الخاصة وهو الصديق الخالص
والنفي هنا يحتمل نفي الصديق من اصله او نفي صفته فقط فهو من باب على لاحب لا يهتدى بمناره
والصديق يحتمل ان يكون مفردا وان يكون مستعملا للجمع كما يستعمل العدو له فيقال هم صديق وهم
عدو وقد تقدم وانما جمع الشافعين ووحد الصديق لكثرة الشفعا في العادة وقلة الصديق
قوله فلو ان لنا كرة لو يجوز ان يكون المشربه معنى التمني فلا جواب لها على المشهود ويكون نصب
فنكون جوابا للتمني الذي افهمته لو ويجوز ان يكون على بابها وجوابها محذوف اي لو وجدنا شفعا
واصدقا او لعملنا صالحا وعلى هذا انتصب الفعل بان مضمرة عطفا على كرة اي لو ان لنا كرة كقولها
للبس عباة وتقر عيني **فصل** قال الجبائي قولهم فنكون من المؤمنين ليس بخبر عن
ايمانهم لكنه خبر عن عزمهم لانه لو كان خبرا عن ايمانهم لوجب ان يكون صدقا لان الكذب لا يقع
من اهل الاخرة وقد اخبر الله تعالى بخلاف ذلك في قوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقد
تقدم في سورة الانعام بيان فساد هذا الكلام **قوله** ان في ذلك لاية اي فيما ذكره من قصة
ابرهيم عليه السلام لاية لمن يريد ان يستدل بذلك ثم قال وما كان اكثرهم مؤمنين جملة اكثر
المفسرين على من كذب قومه وان ربك لهو العزيز الرحيم اي انه قادر على تعجيل الانتقام لكنه رحيم

بالاهمال لكي يؤمنوا **قوله تعالى** كذبت قوم نوح المرسلين الايات لما قص على محمد
صلى الله عليه وسلم خبر موسى وابرهيم عليهما السلام تسلية له مما يلقاه من قومه قص عليه ايضا
نبا نوح فقد كان نباه اعظم من نبا غيره لانه دعاهم الف سنة الا خمسين عاما ومع ذلك كذبه
قومه **قوله** كذبت انما انث فعل القوم لانه مؤنث بدليل تصغيرها القوم على قويمة وقيل
لان القوم بمعنى امة ولما كانت احاده عقلا ذكورا وانا ثا عاد الضمير عليه باعتبار تغليب
الذكور فقيل لهم اخوهم وحكى عنهم انهم كذبوا المرسلين لوجهين احدهما انهم وان كذبوا نوحا لكن
تكذيبه في المعنى يتضمن تكذيب غيره لان طريقة معرفة الرسل لا تختلف من حيث المعنى لان كل واحد
من المرسلين جاء بما جاء به الاخر فلذلك حكى عنهم انهم كذبوا المرسلين وثانيهما ان قوم نوح كذبوا
جميع رسل الله اما لانهم كانوا من الزنادقة او من البراهمة **قوله** اخوهم لانه كان منهم
من قول العرب يا اخا بني تميم يريدون يا واحدا منهم فهو اخوهم في النسب لا في الدين الا تتقون
اي عقاب الله فحذف مفعول تتقون اني لكم رسول امين اي على الوحي وكان مشهورا فيهم بالامانة
كمحمد صلى الله عليه وسلم في قريش فكانه قال كنت امينا من قبل فكيف تتهموني اليوم ثم قال
فاتقوا الله بطاعته وعبادته واطيعون فيما امرتكم به من الايمان والتوحيد وما اسالكم عليه من
اجر ان اجري الا على ما انا فيه من ادعا الرسالة لئلا يظن به انه دعاهم رغبة في الدنيا ثم قال فاتقوا الله
واطيعون **فان قيل** فلما ذا كرر الامر بالتقوى فالجواب لانه في الاول اراد
الا تتقوا مخالفتي وانا رسول الله وفي الثاني الا تتقون مخالفتي ولست اخذ منكم اجرا فهو في المعنى
مختلف ولا تكرار فيه وقد يقول الرجل لغيره الا تتقي الله في عقوقي وقد ربيتك صغيرا الا تتقي
الله وقد علمتك كبيرا وانما قدم الامر بتقوى الله على الامر بطاعته لان تقوى الله علة لطاعته
فتقدم العلة على المعلول **قوله** انؤمن لك واتبعك الارذلون واتبعك جملة حالية
من كاف لك قال الزمخشري والواو للحال وحقها ان يضمر بعدها قد وقرا ابن مسعود وابن عباس
وابو حيوة واتباعك مرفوعا جمع تابع كصاحب واصحاب او تبيع كشريف واشراف او تبع كبرم
وابرام وفي رفعه وجهان احدهما انه مبتدا والارذلون خبره والجملة حاليه ايضا والثاني
انه عطف على الضمير المرفوع في نؤمن وحسن ذلك الفصل بالجار والارذلون صفة وقرا اليماني
واتباعك بالجر عطفا على الكاف في لك وهو ضعيف او ممنوع عند البصريين وعلى هذا فيرتفع
الارذلون على خبر ابتدا مضمرا اي هم الارذلون وقد تقدم مادة الارذل في هود **فصل**
الرذالة الخسة والذلة وانما استرذلوهم لاتضاع نسبهم وقلة نصيبهم من الدنيا قيل كانوا من
اهل الصناعات الخسيسة كالحياكة والحجامة وهذه الشبهة في غاية الركاكة لان نوحا عليه
السلام بعث الى الخلق كافة فلا يختلف الحال بسبب الفقر والغنى وشرف المكاسب وخستها فاجابهم
نوح عنه بالجواب الحق وهو قوله وما علمي بما كانوا يعملون اي ما اعلم اعمالهم وصنائعهم وليس
علي من دناءة مكاسبهم واحوالهم شي انما كلفت ان ادعوهم الى الله ولي منهم ظاهر امرهم **قوله**
وما علمي يجوز في ما وجهان اظهرهما انها استفهامية في محل رفع بالابتدا وعلمي خبرها والباء متعلقة
به والثاني انها نافية والبا متعلقة بعلمي ايضا قاله الحوفي وتحتاج الى اضمار خبر ليصير الكلام
به جملة **قوله** ان حسابهم الا على ربي ان نافيه اي ما حسابهم الا على ربي ومعناه لا يعتبر
الا الظاهر من امرهم دون ما يخفى **قوله** لو تشعرون جوابها محذوف ومفعول تشعرون
ايضا والمعنى لو تشعرون تعلمون ذلك ما عبتموهم بصنايعهم قال الزجاج الصناعات لا تضر في
الديانات وقيل معناه اني لم اعلم ان الله يهديهم ويضلكم ويوفقهم ويخذلكم وقرا الاعرج وابو
زرعة لو يشعرون بيا الغيبة وهو التفات ولا احسن عوده على المؤمنين **قوله** وما انا

بطارد المومنين وذلك كالدلالة على ان القوم سالوه ابعادهم فبين ان الذي يمنعه عن طردهم
وقد آمنوا به وبين ان الغرض من تحمل الرسالة كونه نذير فقال ان انا الا نذير مبين اي انما اخوف
من كذبني ولم يقبل مني فمن قبل فهو القريب ومن رد فهو البعيد فلما اجابهم بهذا الجواب
لم يكن منهم الا التهديد فقالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين قال مقاتل والكلبي
من المقتولين بالحجارة وقال الضحاك من المشتومين فعند ذلك حصل اليأس لنوح من فلاحهم
وقال رب ان قومي كذبون وليس الغرض منه اخبار الله تعالى بالتكذيب لعلمه بانه عالم
الغيب والشهادة ولكنه اراد لا ادعوك عليهم لما آذوني وانما ادعوك لاجلك ولاجل دينك
ولانهم كذبوك في وحيك ورسالتك فافتح بيني وبينهم فتحا اي فاحكم بيني وبينهم **فتحا**
يجوز ان يكون مفعولا به بمعنى المفتوح وان يكون مصدرا موكدا والفتاحة الحكومة والفتاح
الحاكم لانه يفتح المستغلق والمراد انزال العقوبة عليهم لقوله عقيبه ونجني ولولا ان المراد انزال
العقوبة لما كان لذكر النجاة بعده معنى **قوله** ونجني المنجي منه محذوف لفهم المعنى اي
مما يحل بقومي ومن المومنين بيان لقوله من معي **قوله** فانجيناه ومن معه في الفلك
المشحون قال الزمخشري الفلك السفينة واحدها فلك قال الله تعالى وترى الفلك فيه
مواخر فالواحد بوزن قفل والجمع بوزن اسد والمشحون المملو الموقر يقال شحنها عليهم خيلا
ورجالا والشحنا العداوة لانها تملا الصدور احنا والفلك هنا مفرد بدليل وصفه بالمفرد
وقد تقدم الكلام عليه في البقرة **فصل** دلت الاية على ان الذين نجا معه كان
فيهم كثرة وان الفلك امتلا بهم وبما صحبهم من الحيوانات ثم انه تعالى بعد ان نجاهم اغرق
الباقين فقال ثم اغرقنا بعد الباقين ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك
لهو العزيز الرحيم **قوله تعالى** كذبت عاد المرسلين الايات الكلام في فاتحة
هذه القصة كالكلام في فاتحة قصة نوح وقوله تعبثون جملة حالية من فاعل تبنون والريع
بكسر الراء وفتحها جمع ريعة وهو في اللغة المكان المرتفع قال ذو الرمة
طراف الخوافي مشرف فوق ريعة ۔ بذي ليلة في ريشه يترقرق ۔ وقال ابو عبيدة
هو الطريق وانشد للمسيب بن علس يصف ظعنا ۔ في الآل يخفضها ويرفعها ۔ ريع يلوح كانه سحل
والريع بالفتح ما يحصل من الخراج **فصل** قال الوالبي عن ابن عباس الريع
كل شرف وقال الضحاك ومقاتل بكل طريق وهو رواية العوفي عن ابن عباس وعن مجاهد
قال هو الفج بين جبلين وعنه ايضا انه المنظر والاية العلم قال ابن عباس كانوا يبنون بكل
ريع علما يعبثون فيه بمن مر في الطريق الى هود عليه السلام وقيل كانوا يبنون الاماكن المرتفعة
ليعرف بذلك غناهم نهوا عنه ونسبوا الى العبث وقال سعيد بن جبير ومجاهد هي بروج الحمام
لانهم كانوا يلعبون بالحمام **قوله** وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون قال مجاهد قصورا
مشيدة وقال الكلبي هي الحصون وقال قتادة مآجل الما يعني الحياض واحدها مصنعة
لعلكم تخلدون العامة على تخفيفه مبنيا للفاعل وقتادة بالتشديد مبنيا للمفعول ومنه
قول امرئ القيس ۔ وهل ينعمن الا سعيد مخلد ۔ قليل الهموم ما يبيت باوجال ۔ ولعل هنا على
بابها وقيل للتعليل ويويده قراة عبد الله كي تخلدون وقيل للاستفهام قاله زيد بن علي وبه قال
الكوفيون وقيل معناها التشبيه اي كانكم تخلدون ويويده ما في حرف ابي كانكم تخلدون بضم
التا مخففا ومشددا وقرئ كانكم خالدون ولم يعلم من نص عليها انها تكون للتشبيه والمعنى كانكم
تبقون فيها خالدين **قوله** واذا بطشتم اي واذا اردتم وانما احتجنا الى تقدير الارادة لئلا
يتحد الشرط والجزا وجبارين حال واعلم ان اتخاذ الابنية العالية يدل على حب الدنيا واتخاذ

المصانع يدل على حب البقا والجبارية يدل على حب التفرد بالعلو وهذه صفات الالهية وهي ممتنعة
الحصول للعبد ولما ذكر هود هذه الاشيا قال فاتقوا الله واطيعون زيادة في دعايهم الى
الاخرة وزجرا لهم عن حب الدنيا والاشتغال بالسرف والتجبر ثم وصل هذا الوعظ بما يوكد القبول
بان نبههم على نعم الله تعالى عليهم فقال واتقوا الذي امدكم بما تعلمون اي اعطاكم من الخير ما
تعلمون ثم فصل ذلك الاعطا فقال امدكم بانعام وبنين وجنات وعيون اي بساتين وانهار
اني اخاف عليكم قال ابن عباس ان عصيتموني عذاب يوم عظيم **قوله** امدكم بانعام فيه
وجهان احدهما ان الجملة الثانية بيان للاولى وتفسير لها والثاني ان بانعام بدل من قوله
بما تعلمون باعادة العامل كقوله اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسالكم قال ابو حيان والاكثرون
لا يجعلون هذا بدلا وانما يجعلونه تكريرا وانما يجعلون بدلا باعادة العامل اذا كان حرف جر
من غير اعادة متعلقه نحو مررت بزيد باخيك ولا يقولون مررت بزيد مررت باخيك على البدل
قوله ام لم تكن من الواعظين معادل لقوله اوعظت وانما اتى بالمعادل كذا دون قوله
ام لم تعظ لتواخي القوافي وابداه الزمخشري معنى فقال وبينهما فرق لان المعنى سوا علينا افعلت
هذا الفعل الذي هو الوعظ ام لم تكن اصلا من اهله ومباشرته فهو ابلغ في قلة اعتدادهم
بوعظه من قولك ام لم تعظ وقرا العامة اوعظت باظهار الظا قبل التا وروي عن ابي عمرو والكسائي
وعاصم وبها قرا الاعمش وابن محيصن بالادغام وهي ضعيفة لان الظا قوي ولا يدغم الا في الاقوى
على انه قد جا من هذا في القران العزيز اشيا متواترة يجب قبولها نحو زحزح عن ولئن بسطت
فصل لما وعظهم ورغبهم وخوفهم اجابوه بقولهم سوا علينا اي مستو عندنا
اوعظت ام لم تكن من الواعظين اظهروا قلة اكتراثهم بكلامه ثم قالوا ان هذا الا خلق الاولين
قرا ابن كثير وابو عمرو والكسائي بفتح الخا وسكون اللام اي اختلاق الاولين وكذبهم كقوله
وتخلقون افكا والباقون بضمتين فقيل معناهما الاختلاق وهو الكذب وكذا قرا ابن مسعود
وقيل عادة الاولين من قبلنا حياة وموت هو خلق الاولين وعادتهم وروى الاصمعي عن
نافع وبها قرا ابو قلابة بضم الخا وسكون اللام وهي تخفيف المضمومة ثم قالوا وما نحن بمعذبين
اظهروا بذلك تقوية نفوسهم فيما تمسكوا به من انكار المعاد فكذبوه فاهلكهم الله تعالى انه
اهلكهم وقد سبق بيان كيفية الهلاك **قوله تعالى** كذبت ثمود المرسلين
تقدم نظيره وقوله اتتركون فيما هاهنا اي اتظنون انكم تتركون في دياركم امنين وتطمعون
في انه لا دار للمجازاة وقوله فيما هاهنا اي في الذي استقر في هذا المكان من النعيم ثم فسره
قوله في جنات بدل من فيما هاهنا باعادة العامل فصل بعد ما اجمل كما في القصة
قبلها وما موصولة وظرف المكان صلتها **قوله** ونخل يجوز ان يكون من باب ذكر الخاص
بعد العام لان الجنات تشمل النخل ويجوز ان يكون تكريرا للشي الواحد بلفظ اخر فانهم يطلقون
الجنة ولا يريدون الا النخل قال زهير ۔ كان عيني في غربي مقتلة ۔ من النواضح تسقي جنة سحقا ۔
وسحقا جمع سحوق ولا يوصف به الا النخل وقيل المراد بالجنات غيرها من الشجر لان
اللفظ يصلح لذلك ثم يعطف عليها النخل **وطلعها** الكفري وهو عنقود التمر قبل
خروجه من الكم وقال الزمخشري الطلع هو الذي يطلع من النخلة كنصل السيف في
جوفه شماريخ القنو والقنو هو اسم للخارج من الجذع كما هو بعرجونه والهضيم قال ابن
عباس هو اللطيف ومنه قولهم كشح هضيم وروى عطية عنه يانع نضيج وقال عكرمة
اللين وقيل المتراكب قال الضحاك ومقاتل قد ركب بعضه بعضا حتى هضم بعضه بعضا
اي كسره وقال اهل المعاني هو المنضم بعضه الى بعض في وعايه قبل ان يظهر قال الازهري

الهضيم هو الداخل بعضه في بعض من النضج والنعامة وقيل هضيم اي هاضم يهضم الطعام وكل
هذا للطافته **قوله** وتنحتون العامة على الخطاب وكسر الحا والحسن وعيسى وابو حيوه بفتحها
وعن الحسن ايضا تنحاتون بالف الاشباع وعنه وعن ابي حيوة ينحتون بالياء من تحت وقد تقدم
كله في الاعراف **قوله** فرهين قرا الكوفيون وابن ذكوان فارهين بالالف كما قراوا
حاذرون بها والباقون فرهين بدون الف كما قرا واحد دون بدونها والفراهة النشاط
والقوة وقيل الحذق يقال دابة فارهة ولا يقال فارهة وقد فره يفره فراهة فارهين
حال من الناحتين **فصل** من قرا فرهين قال ابن عباس اشرين بطرين
وقال عكرمة ناعمين وقال مجاهد شرهين وقال قتادة معجبين بصنعكم وقال
السدي متجبرين وقال الاخفش فرحين والعرب تعاقب بين الحاء والهاء مثل مدحته
ومدهته وقال الضحاك كيسين فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين قال ابن
عباس المشركين وقال مقاتل هم التسعة الذين عقروا الناقة وهم الذين يفسدون في الارض
بالمعاصي ولا يصلحون اي ولا يطيعون الله فيما امرهم به **فان قيل** ما فايدة قوله
ولا يصلحون مع قوله يفسدون في الارض فالجواب ان فسادهم خالص ليس معه شي من
الصلاح كما يكون حال بعض المفسدين مخلوطة ببعض الصلاح ثم ان القوم اجابوه بقولهم انما
انت من المسحرين قال مجاهد وقتادة من المسحورين من المخدوعين اي ممن سحر مرة بعد مرة
وروى ابو صالح عن ابن عباس اي من المخلوقين المعللين بالطعام والشراب قال المورخ المسحر
المخلوق بلغة بجيلة يريد انك تاكل الطعام والشراب اي لست بملك بل انت بشر مثلنا والمعنى
من المسحرين اي ممن له سحر وكل دابة تاكل فهي سحره والسحر اعلا البطن وعن الفرا المسحر من له جوف
ارادوا انك تاكل الطعام والشراب انت الا بشر مثلنا فكيف تكون نبيا فات باية على صحة
ما تقول ان كنت من الصادقين انك رسول الله الينا فقال صالح هذه ناقة الله لها شرب
يجوز ان يكون الوصف وحده الجار والمجرور وهو قوله لها وشرب فاعل به لاعتماده ويجوز ان
يكون لها شرب صفة لناقة وقرا ابن ابي عبلة شرب بالضم فيهما والشرب بالكسر النصيب من الما
كالسقي وبالضم المصدر **فصل** روى انهم قالوا نريد ناقة عشرا تخرج من الصخرة فتلد
سقبا فتفكر صالح فقال له جبريل عليه السلام صل ركعتين وسل ربك الناقة ففعل فخرجت
الناقة وبركت بين ايديهم وحصل لها سقب مثلها في العظم ثم قال لهم هذه ناقة الله لها شرب
حظ ونصيب من الما ولكم شرب يوم معلوم قال قتادة كانت يوم شربها تشرب ماهم كلهم ولهم شربهم
اليوم لا تشرب هي ولا تمسوها بسوء بعقر او ضرب او غيرهما فياخذهم عذاب يوم عظيم روى ان
مسطحا الجاها الى مضيق فرماها بسهم فسقطت ثم ضربها قدار فعقروها فاصبحوا نادمين على عقرها
فان قيل لم اخذهم العذاب وقد ندموا فالجواب ان ندمهم كان عند
معاينة العذاب حين لا ينفع الندم وقيل لم يكن ندمهم ندم الخايف من العقاب العاجل
فاخذهم العذاب ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم **قوله
تعالى** كذبت قوم لوط المرسلين الايات **قوله** من العالمين يحتمل عوده الى الاتي
اي انتم من جملة العالمين مخصوصون بهذه الصفة وهي اتيان الذكران ويحتمل عوده الى الماتي
اي انتم اخترتم الذكران من العالمين لا الاناث منهم **قوله** من ازواجكم يصلح ان يكون تبيينا
وان يكون للتبعيض ويراد بها خلق العضو المباح منهن وكانوا يفعلون ذلك بنسايهم بل انتم قوم
عادون معتدون مجاوزون الحلال الى الحرام والعادي المتعدي في ظلمه والمعنى اتركبون هذه
المعصية على عظمها بل انتم قوم عادون في جميع المعاصي قالوا لين لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين

اي

اي من جملة من اخرجناه من بلدنا ولعلهم كانوا يخرجون من اخرجوه على اسوا الاحوال **قوله**
لعملكم كقوله اني لكما لمن الناصحين وقد تقدم وقيل من القالين صفة لخبر محذوف هذا الجار
متعلق به اي اني لعملكم من القالين المبغضين والقلي البغض كانه بغض يقلي الفواد والكبد وقوله
من القالين ابلغ من ان يقول اني لعملكم قالي كما تقول فلان من العلما ابلغ من قولك فلان عالم
ويجوز ان يراد من الكاملين في قلاكم والقالي المبغض يقال قلاه يقليه قلى ويقلاه وهي شاذة
قال ، ويرمينني بالطرف اي انت مذنب ، ويقلينني لكن اياك لا اقلي ، وقال اخر
، ووالله ما فارقتكم عن قلي لكم ، ولكن ما يقضى فسوف يكون ، واسم المفعول منه مقلي
والاصل مقلوي فادغم كمرمي قال ولست بمقلي الخلال ولا   اي لا يبغضني غيري ولا ابغضه
وغلط بعضهم فجعل ذلك من قولهم قلي اللحم اي شواه فكانه قلي كبده بالبغض ووجه الغلط
ان هذا من ذوات اليا وقيل من ذوات الواو يقال قلي اللحم يقلوه قلوا فهو قال كغاز ومقلو
كما تقدم ثم دعا فقال رب نجني واهلي مما يعملون من العمل الخبيث قال الله تعالى فنجيناه واهله
من عقوبة عملهم الا عجوزا في الغابرين وهي امراة لوط بقيت في الهلاك والعذاب **فان قيل**
في الغابرين صفة لها كانه قيل الا عجوزا غابرة وان لم يكن الغبور صفتها وقت تنجيتهم فالجواب
معناه الا عجوزا مقدرا غبورها قيلا انما هلكت مع من خرج من القرية بما امطر من الحجارة ثم
دمرنا الاخرين اي اهلكناهم وامطرنا عليهم مطرا فسا مطر المنذرين والمخصوص بالذم محذوف
اي مطرهم قال وهب بن منبه الكبريت والنار ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان
ربك لهو العزيز الرحيم **فصل** قال القاضي عبد الجبار في تفسير قوله وتذرون
ما خلق لكم ربكم من ازواجكم دليل على بطلان الجبر من وجوه الاول انه لا يقال تذرون الا مع
القدرة على خلافه ولذلك لا يقال للمرء لم تذر الصعود الى السما كما يقال لم تذر الخروج الثاني
انه قال ما خلق لكم ولو كان الفعل لله تعالى لكان الذي خلقه لهم ما خلقه فيهم واوجبه لا ما لم
يفعلوه الثالث قوله تعالى بل انتم قوم عادون فان كان تعالى خلقهم ما كانوا يعملون فكيف
ينسبون الى انهم تعدوا وهل يقال للاسود انك متعد في لونك واجيب بان حاصل هذه
الوجوه يرجع الى ان العبد لو لم يكن موجدا لافعاله نفسه لما توجه المدح والذم والامر والنهي
عليه وليس لهذه الاية في هذا المعنى خاصية ازيد مما ورد من الامر والنهي والمدح والذم في قصة
ابرهيم وموسى ونوح وساير القصص فكيف خص هذه القصة بهذه الوجوه دون ساير
القصص واذا ثبت ان هذه الوجوه هي ذلك الوجه المشهور فالجواب عنها بما الجواب عن
المشهور ان الاول ان الله تعالى لما علم وقوع هذه الاشيا فعدمها محال لان عدمها يستلزم
انقلاب العلم جهلا وهو محال والمفضي الى المحال محال وان كان عدمها محالا كان التكليف بالترك
تكليفا بالمحال الثاني ان القادر لما كان قادرا على الضدين امتنع ان يرجح احد المقدورين
على الاخر لا لمرجح والمرجح هو الداعي والارادة وذلك المرجح مرجح محدث فله موثر وذلك
الموثر ان كان هو العبد لزم التسلسل وهو محال وان كان هو الله تعالى فذاك الجبر على قولك
فثبت بهذين البرهانين القاطعين سقوط ما قاله **قوله تعالى** كذب اصحاب
الايكة المرسلين قرا نافع وابن كثير وابن عامر ليكة بلام واحدة وفتح التا جعلوه اسما غير معرف
بال مضافا اليه اصحاب هنا وفي ص خاصة والباقون الايكة معرفا بال موافقة لما اجمع عليه
في الحجر وفي ق وقد اضطربت اقوال الناس في القراة الاولى وتجرا بعضهم على قاريها ووجهها
على ما قال ابو عبيد ان ليكة اسم للقرية التي كانوا فيها والايكة اسم للبلد كله قال ابو عبيد
لا احب مفارقة الخط في شي من القران الا ما خرج من كلام العرب وهذا ليس بخارج من كلامها

مع صحة المعنى في هذه الحروف وذلك انا وجدنا في بعض التفاسير الفرق بين ليكة والايكة فقيل
ليكة هو اسم للقرية التي كانوا فيها والايكة البلاد كلها فصار الفرق بينهما شبيهاً بما بين مكة وبكة ورايت
مع هذا في الذي يقال انه الامام مصحف عثمان مفترقان فوجدت التي في الحجر والتي في ق الايكة
ووجدت التي في الشعرا والتي في ص ليكة ثم اجتمعت عليها مصاحف الامصار بعد فلا نعلمها اختلفت
فيها وقرا اهل المدينة على هذا اللفظ الذي قصصنا يعني بغير الف ولام ولا اجراء انتهى ما قاله ابو عبيد
قال ابو شامة بعد نقله كلام ابي عبيد هذه عبارته وليست سديدة فان اللام موجودة في
ليكة وصوابه بغير الف وهمزة قال شهاب الدين بل هي سديدة فانه يعني بغير الف ولام معرفة لا مطلق
لام في الجملة وقد تعقبوا قول ابي عبيد وانكروا عليه فقال ابو جعفر اجمع القرا على خفض التي في الحجر
وق فيجب ان يرد ما اختلف فيه الى ما اتفق عليه اذ كان المعنى واحدا فاما ما حكاه ابو عبيد من
ليكة اسم القرية وان الايكة اسم للبلد كله فشي لا يثبت ولا يعرف من قاله ولو عرف لكان فيه نظر
لان اهل العلم جميعا من المفسرين والعالمين بكلام العرب على خلافه ولا نعلم خلافا بين اهل اللغة ان
الايكة الشجر الملتف فاما احتجاج بعض من احتج لقراءة من قرا في هذين الموضعين بالفتح لانه في السواد ليكة
فلا حجة فيه والقول فيه ان اصله الايكة ثم خففت الهمزة فالقيت حركتها على اللام فسقطت ثم
استغنت عن الف الوصل لان اللام قد تحركت فلا يجوز على هذا الا الخفض كما تقول مررت بالاحمر على تحقيق
الهمزة ثم تخففها فيقول بلحمر فان شيت كتبته في الخط على ما كتبته اولا وان شيت كتبته بالحذف
ولم يجز الا الخفض فلذلك لا يجوز في الايكة الا الخفض قال سيبويه واعلم ان كل ما لم ينصرف اذا دخلته
الالف واللام او اضفته انصرف ولا نعلم احدا خالف سيبويه في هذا وقال المبرد في كتاب الخط
كتبوا في بعض المواضع كذب اصحاب ليكة بغير الف لان الالف تذهب في الوصل ولذلك غلط القارى
بالفتح فتوهم ان ليكة اسم شي وان اللام اصل فقرا اصحاب ليكة وقال الفرا نرى والله اعلم
انها كتبت في هذين الموضعين بترك الهمز فسقطت الالف لتحريك اللام قال مكي تعقب ابن قتيبة
على ابي عبيد فاختار الايكة بالالف والهمز والخفض وقال انما كتبت بغير الف على تخفيف الهمز
قال وقد اجمع الناس على ذلك يعني في الحجر وق فوجب ان يلحق ما في الشعرا وص بما اجمعوا
عليه فما اجمعوا عليه شاهد لما اختلفوا فيه وقال ابو اسحق القراة بجر ليكة وانت تريد الايكة
اجود من ان تجعلها ليكة وتفتحها لانها لا تنصرف لان ليكة لا تعرف وانما هي ايكة للواحد وايك
للجمع مثل اجمة واجم والايك الشجر الملتف فاجود القراة فيها الكسر واسقاط الهمزة لموافقة
المصحف ولا اعلمه الا قد قري به وقال الفارسي قول من قال ليكة بفتح التاء مشكل لانه
فتح مع لحاق اللام الكلمة وهذا في الامتناع كقول من قال مررت بلحمر فيفتح الاخر مع لحاق
لام المعرفة وانما كتبت ليكة على تخفيف الهمز والفتح لا يصح في العربية لانه فتح حرف الاعراب
في موضع الجر مع لام المعرفة فهو على قياس قول من قال مررت بلحمر ويبعد ان يفتح نافع ذلك
مع ما قال عنه ورش يعني ان ورشا نقل عن نافع نقل حركة الهمزة الى الساكن قبلها حيث وجد
بشروط مذكورة ومن جملة ذلك ما في سورة الحجر وق من لفظ الايكة فقرا على قاعدته في السورتين
بنقل الحركة وطرح الهمز وخفض التاء فكذلك ينبغي ان يكون الحكم في هذين الموضعين ايضا وقال
الزمخشري قري اصحاب الايكة بالهمز وتخفيفها وبالجر على الاضافة وهو الوجه ومن قرا
بالنصب وزعم ان ليكة بوزن ليلة اسم بلد فتوهم قاد اليه خط المصحف وانما كتبت على حكم
لفظ اللافظ كما تكتب اصحاب لان ولاولى على هذه الصورة لبيان لفظ المخفف وقد كتبت في
ساير القران على الاصل والقصة واحدة على ان ليكة اسم لا يعرف وروي ان اصحاب الايكة كانوا
اصحاب شجر ملتف وكان شجرهم الدوم وهو شجر المقل يعني ان مادة ل ي ك مفقودة في

لسان

لسان العرب كذا قال الثقات ممن تتبع ذلك قال وهذا كما نصوا على ان الخا والذال المعجمتين
لم تجامعا الجيم في لغة العرب ولذلك لم يذكرها صاحب الصحاح مع ذكره التفرقة المتقدمة عن
ابي عبيد ولو كانت موجودة في اللغة لذكرها مع ذكره التفرقة المتقدمة لشدة الاحتياج اليها
وقال الزجاج ايضا اهل المدينة يفتحون على ما جا في التفسير ان اسم المدينة التي كان فيها شعيب
ليكة قال ابو علي لو صح هذا فلم اجمع القرا على الهمز في قوله وان كان اصحاب الايكة في الحجر
والايكة التي ذكرت هاهنا هي الايكة التي ذكرت هناك وقد قال ابن عباس الايكة الغيضة
ولم يفسرها بالمدينة ولا البلد قال شهاب الدين وهولا كلهم كانهم زعموا ان هولا الايمة الاثبات
انما اخذوا هذه القراة من خط المصاحف دون افواه الرجال وكيف يظن بمثل ابن كثير القرا
واعلاهم اسنادا والاخذ القران عن جملة من الصحابة ابي الدردا وعثمن بن عفان وغيرهما وبمثل
امام مكة شرفها الله تعالى وكيف ينكر على ابي عبيد قوله او يتهم في نقله ومن حفظ حجة على من
لم يحفظ والتواتر قطعي فلا يعارض بالظني واما اختلاف القراة مع اتحاد القصة فلا يضر
ذلك عبر عنها تارة بالقرية خاصة وتارة بالمصر الجامع للقرى كلها الشامل لها ولما حولها واما تفسير
ابن عباس فلا ينافي ذلك لانه عبر عنها بما كثر فيها **فصل** اذ قال لهم شعيب ولم
يقل اخوهم لانه لم يكن من اصحاب الايكة في النسب فلما ذكر مدين قال اخاهم لانه كان منهم
وكان الله تعالى بعثه الى قومه اهل مدين والى اصحاب الايكة وفي الحديث ان شعيبا اخا
مدين ارسل اليهم والى اصحاب الايكة قال ابن كثير ومن زعم من المفسرين كقتادة وغيرهم ان
اصحاب الايكة امة اخرى غير اهل مدين فقوله ضعيف وانما عمدتهم شيان احدهما انه قال
كذب اصحاب الايكة المرسلين اذ قال لهم شعيب ولم يقل اخوهم كما قال والى مدين اخاهم شعيبا
والثاني انه ذكر عذابهم بيوم الظلة وذكر في اوليك الرجفة والصيحة والجواب عن الاول
انه لم يذكر الاخوة بعد قوله اصحاب الايكة لانه وصفهم بعبادة الايكة فلا يناسب ذكر
الاخوة هاهنا ولما نسبهم الى القبيلة ساغ ذكر شعيب بانه اخوهم واما احتجاجهم بيوم الظلة
وان كان دليلا على انهم امة اخرى فليكن تعداد الرجفة والصيحة دليلا على انهما امتان ولا يقوله
احد وايضا فقد ذكر الله عن اهل الايكة من المذمة ما ذكر عن اهل مدين من التطفيف في
المكيال والميزان فدل على انهم امة واحدة اهلكوا بانواع من العذاب وذكر في كل موضع ما يناسب
ذلك الخطاب فاجتمعوا تحت الظلة ورجفت بهم الارض من تحتهم وجاتهم صيحة من السما **قوله**
اوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين الناقصين لحقوق الناس بالكيل والوزن واعلم ان الكيل
على ثلاثة اضرب واف وطفيف وزايد فامر بالواجب الذي هو الايفا بقوله اوفوا الكيل
ونهى عن المحرم الذي هو التطفيف بقوله ولا تكونوا من المخسرين ولم يذكر الزايد لانه ان فعله
فقد احسن وان لم يفعله فلا اثم عليه ثم لما امر بالايفا بين كيف يفعل فقال وزنوا
بالقسطاس المستقيم قري بالقسطاس مضموما ومكسورا وهو الميزان وقيل القرسطون ولا تبخسوا
الناس اشياءهم يقال بخسه حقه اذا نقصه اياه وهذا عام في كل حق ولا تعثوا في الارض مفسدين
وقد تقدم **قوله** والجبلة العامة على كسر الجيم والباء وشد اللام وابو حيوة والاعمش
والحسن بضمهما وشد اللام والسلمي بفتح الجيم او كسرها مع سكون البا وهذه لغات في هذا الحرف
ومعناه الخلق المتحد الغليظ ماخوذ من الجبل قال الشاعر والموت اعظم حادث مما يمر على الجبلة
وقال الهروي الجبل والجبل والجبل لغات والجبل لغات وهو الجمع الكثير من الناس وقيل الجبلة من قولهم
جبل على كذا اي خلق وطبع عليه وسياتي في يس ان شا الله تعالى تمام الكلام على ذلك عند قوله جبلا
كثيرا والمراد بالجبلة الاولين الامم المتقدمين اي انه المتفرد بخلقهم وخلق من تقدمهم **قوله**

الجبلة

قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا جا في قصة هود ما انت بغير واو وهاهنا
بالواو فقال الزمخشري اذا دخلت الواو فقد قصد معنيان كلاهما مخالف للرسالة عندهم التسحير
والبشرية وان الرسول لا يجوز ان يكون مسحرا ولا بشرا واذا تركت الواو فلم يقصد الا معنى واحد وهو
كونه مسحرا ثم قدره بكونه بشرا ثم قالوا وان نظنك لمن الكاذبين ومعناه ظاهر ثم ان شعيبا عليه
السلام كان يتوعدهم بالعذاب ان لم يومنوا فقالوا فاسقط علينا كسفا من السماء وقد تقدم الكلام
في كسفا واشتقاقه في الاسرا وانما طلبوا ذلك لاستبعادهم وقوعه فقال شعيب ربي اعلم بما
تعملون اي من نقصان الكيل والوزن وهو مجازيكم باعمالكم وليس العذاب الي وما علي الا الدعوة
فلم يدع عليهم بل فوض الامر فيه الى الله تعالى **قوله** فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة
وذلك انه اخذهم حر شديد فكانوا يدخلون الاسراب فيجدونها اشد حرا فخرجوا فاظلتهم سحابة
وهي الظلة فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا **فان قيل** لم لا يجوز ان يقال
ان العذاب النازل بعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم ما كان بسبب كفرهم بل بسبب تاثيرات
الكواكب واتصالاتها على ما اتفق عليه المنجمون واذا قام هذا الاحتمال لم تحصل الاعتبار بهذه
القصص لان الاعتبار انما تحصل اذا علمنا ان نزول العذاب كان بسبب كفرهم وايضا يحتمل
ان ينزل العذاب محنة للمكلفين كما قال ونبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين وقد ابتلي
المومنون بالبلا العظيم في مواضع كثيرة واذا كان كذلك لم يدل نزول البلا بهم على كونهم مبطلين
فالجواب هذا السوال باطل لانه يقال ما الاتصالات التي اوجبت لبني اسرايل من البحر
واغرقت فرعون وقومه في ساعة واحدة واما الاتصالات التي اوجبت الطوفان والجراد والقمل
والضفادع والدم على القبط دون بني اسرايل وهم معهم في بلد واحد واما الاتصالات التي نجت
لوط ومن معه واهلكت قومه وهم قريب منهم واما الاتصالات التي اوجبت حمل الطير الابابيل
حجارة من سجيل ورمت بها اصحاب الفيل دون غيرهم واما الاتصالات التي فرقت البحر اثني عشر
فرقا بعدد اسباط بني اسرايل وقلب العصى حية تسعى تلتقف ما صنعته السحرة ونتق الجبل فوق
بني اسرايل كانه ظلة واخرجت الناقة من الحجر والهنات نار ابرهيم وكل ذلك ثابت بالتواتر
لا يمكن انكاره وايضا فان الله تعالى انزل هذه القصص على محمد عليه السلام تسلية له وازالة الحزن
عن قلبه فلما اخبر الله تعالى محمدا انه هو الذي انزل العذاب عليهم جزا على كفرهم علم ان الامر كذلك
وحينئذ حصل له التسلي **قوله تعالى** وانه لتنزيل رب العالمين الها تعود على القران
وان لم يجر له ذكر للعلم به وتنزيل بمعنى منزل او على حذف مضاف اي ذو تنزيل وقوله نزل
قرا نافع وابن كثير وابو عمرو وحفص نزل مخففا والروح الامين مرفوعان على اسناد الفعل
للروح والامين نعته والمراد به جبريل وباقي السبعة بالتشديد مبنيا للفاعل وهو الله تعالى
الروح الامين منصوبان على المفعول به والامين صفته ايضا وقرئ نزل مشددا مبنيا للمفعول
والروح الامين مرفوعان على ما لم يسم فاعله **و به** اما متعلق بنزل او بمحذوف على انه حال
قوله على قلبك لتكون قال ابو حيان الظاهر تعلق على قلبك ولتكون بنزل ولم يذكر ما
ينافي هذا الظاهر واكثر ما يتخيل انه يجوز ان يتعلقا بتنزيل اي وانه لتنزيل رب العالمين
على قلبك لتكون ولكن فيه ضعف من حيث الفصل بين المصدر ومعموله بجملة نزل به الروح وقد
يجاب عنه بوجهين احدهما ان هذه الجملة اعتراضية وفيها تاكيد وتشديد فليست باجنبية
والثاني الاغتفار في الظرف وعديله وعلى هذا فلا يبعد ان يجي في المسئلة باب الاعمال فان كلا
من تنزيل ونزل يطلب هذين الجارين **فصل** لما ذكر قصص الانبيا لمحمد عليه السلام
اتبعه بما يدل على نبوته فقال وانه لتنزيل رب العالمين لانه لفصاحته معجز فيكون من رب العالمين

فاينا

وايضا فلانه اخبار عن الامم الماضيه من غير تعلم البته وذلك لا يكون الا بوحي من الله تعالى وايضا
فقوله وانه لفي زبر الاولين موكد لما ذكرنا لان ذكر هذه القصص على ما هي في زبر الاولين من غير
تفاوت اصلا مع انه لم يشتغل بالتعلم والاستفادة دليل على انه ليس الا من عند الله نزل به الروح
الامين على قلبك يا محمد اي فهمك اياه واثبته في قلبك كي لا تنساه كقوله سنقريك فلا تنسى لتكون
من المنذرين المخوفين وسمي جبريل روحا لانه خلق من الروح وقيل لانه نجاة الخلق في باب الدين
فهو كالروح الذي يستتبع الحياة وقيل لانه روح كله لا كالناس في ابدانهم روح وسماه امينا لانه
موتمن على ما يوديه للانبيا عليهم السلام **فصل** روي ان جبريل عليه السلام نزل على ادم
عليه السلام اثنا عشر مرة وعلى ادريس اربع مرات وعلى نوح خمسين مرة وعلى ابرهيم اثنين واربعين
مرة وعلى موسى اربع مائة مرة وعلى عيسى عشر مرات وعلى محمد اربعة وعشرين الف مرة **فصل**
فان قيل لم قال على قلبك وهو انما انزل عليه **فالجواب** ليوكد ان ذلك المنزل
محفوظ والرسول متمكن من قلبه لا يجوز عليه التغيير ولان القلب هو المخاطب في الحقيقة لانه موضع
التمييز والاختيار واما ساير الاعضا فمسخرة له ويدل على ذلك القران والحديث والمعقول اما القران
فقوله تعالى نزل على قلبك نزل به الروح الامين على قلبك ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب
واستحقاق الجزا ليس الا على ما في القلب قال تعالى لا يواخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يواخذكم بما
كسبت قلوبكم لن ينال الله لحومها ولا دماوها ولكن يناله التقوى منكم والتقوى في القلب لقوله تعالى
اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى وقوله وحصل ما في الصدور وحكى عن اهل النار قولهم لو
كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير والعقل في القلب والسمع منفذ اليه وقال ان السمع
والبصر والفواد كل اولئك كان عنه مسولا والبصر لا يستفاد منهما الا ما يوديانه الى القلب وقال يعلم
خاينة الاعين وما تخفي الصدور ولم تخن الاعين الا بما تضمر القلوب الى غير ذلك من الايات واما
الحديث فقوله عليه السلام الا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت
فسد الجسد كله الا وهي القلب **واما** المعقول فان القلب اذا غشي عليه فاذا قطع ساير الاعضا
لم يحصل به الشعور واذا افاق القلب شعر بجميع ما ينزل بالاعضا من الافات وايضا فاذا فرح
القلب او حزن فانه يتغير حال الاعضا عند ذلك وايضا فان القلب منبع الشهوات الباعثة على
الافعال الصادرة عن ساير الاعضا **قوله** بلسان يجوز ان يتعلق بالمنذرين اي لتكون من
الذين انذروا بهذا اللسان العربي وهم هود وصالح وشعيب واسمعيل ومحمد صلى الله عليه
وسلم ويجوز ان يتعلق بنزل اي نزل باللسان العربي لتنذر به لانه لو نزل بالاعجمي لقالوا لم نزل
علينا ما لا نفهمه وجوز ابو البقا ان يكون بدلا من به باعادة العامل قال اي نزل بلسان عربي اي
برسالة او لغة قال ابن عباس بلسان قريش ليفهموا ما فيه **قوله** وانه لفي زبر الاولين
اي وان القران وقيل وان محمدا ونعته لفي زبر الاولين اي كتب الاولين وقيل المراد هو التخويف
لا ذكر هذه الاشيا باسرها وقد تقدم وفيه التفات اذ لو جرى على ما تقدم لقيل وانك لفي
زبر وقرا الاعمش زبر بسكون البا وهي مخففة من المشهورة **قوله** اولم يكن لهم اية قرا ابن عامر
تكن بالتا من فوق اية بالرفع والباقون يكن بالياء من تحت اية بالنصب وابن عباس تكن بالتا
من فوق اية بالنصب فاما قراة ابن عامر تكون تحتمل ان تكون تامة وان تكون ناقصة فان كانت
تامة جاز ان يكون لهم متعلقا بها واية فاعلا بها وان يعلمه اما بدل من اية واما خبر مبتدا
مضمر اي او لم تحدث لهم علامة علم علما بني اسرايل وان كانت ناقصة جاز فيها اربعة اوجه احدها
ان يكون اسمها مضمرا فيها بمعنى القصة واية ان يعلمه جملة تقدم فيها الخبر واقعة موقع خبر تكن
الثاني ان يكون اسمها ضمير القصة ايضا ولهم خبر مقدم واية مبتدا موخر والجملة خبر تكن وان يعلمه

اما بدل من اية واما خبر مبتدا مضمر اي هي ان يعلمه الثالث ان يكون لهم خبر تكن مقدما على اسمها
واية اسمها وان يعلمه على الوجهين المتقدمين البدلية وخبرا بتدا مضمر الرابع ان يكون آية اسمها
وان يعلمه خبرها وقد اعترض هذا بانه يلزم جعل الاسم نكره والخبر معرفة وقد نص بعضهم على انه
ضرورة كقوله ، ولا تك موقف منك الوداعا ، وقوله يكون مزاجها عسل وما ، وقد اعتذر عن
ذلك بان آية قد تخصصت بقوله لهم فانه حال منها والحال صفة وبان تعريف الخبر ضعيف
لعمومه وهو اعتذار باطل ولا ضرورة تدعوا الى هذا التخريج بل التخريج ما تقدم واما قراة ابن
ثواصحه جدا فاية خبر مقدم وان يعلمه اسمها مؤخر ولهم متعلق باية حالا من اية واما قراة ابن
عباس فكقراة ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا وكقول لبيد ،
، فمضى وقدمها وكانت عادة منه اذا هي عردت اقدامها ، اما لتانيث الاسم لتانيث
واما لانه بمعنى المونث الا ترى ان ان يعلمه في قوة المعرفة والا انا قالوا في قوة مقالتهم واقدامها
با قدامته وقرا الجحدري ان تعلمه بالتا من فوق شبه البنين بجمع التكسير في تغير واحده
صوره فتعامل فعله المسند اليه معاملة فعله في لحاق علامة التانيث وهذا كقوله ،
، قالت بنو عامر خالوا بني اسد يا بوس للجهل ضرارا للاقوام ، وكتبوا في الرسم الكريم علموا
بواو بين الميم والالف قيل هو على لغة من يميل الالف نحو الواو وهذا كما تميل في الصلوة والزكوة
المعنى اولم يكن لهم ولا المنكرين علم بني اسرايل علامة ودلالة على نبوة محمد صلى **فصل**
الله عليه وسلم لان العلما الذين كانوا من بني اسرايل كانوا يخبرون بوجود ذكره في كتبهم كعبد الله بن
سلام وابن يامين وثعلبة واسد واسيد قال ابن عباس بعث اهل مكة الى اليهود بالمدينة
فسالوهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا ان هذا لزمانه وانا نجد في التورية نعته وصفته فكان
ذلك اية على صدقه **قوله** ولو نزلناه على بعض الاعجمين قال صاحب التحرير الاعجمين جمع
اعجمي بالتخفيف ولولا هذا التقدير لم تجز ان تجمع جمع سلامة قال شهاب الدين وكان سبب
منع جمعه انه من باب افعل فعلا كاحمر حمراء والبصريون لا يجيزون جمعه جمع سلامة الا ضرورة
كقوله ، حلايل اسودين واحمرينا ، فلذلك قدره منسوبا مخفف اليا وقد جعله ابن عطيه
جمع اعجم فقال الاعجمون جمع اعجم وهو الذي لا يفصح وان كان عربي النسب يقال له اعجم وذلك
يقال للحيوانات ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم جرح العجما جبار واسند الطبري عن عبد الله
ابن مطيع انه كان واقفا بعرفة وتحته جمل فقال جملي هذا اعجم ولو انه انزل عليه ما كانوا يؤمنوا
والعجمي هو الذي نسبته في العجم وان كان افصح الناس وقال الزمخشري الاعجم الذي لا يفصح وفي لسانه
عجمة او استعجام والاعجمي مثله الا ان فيه زيادة يا النسب توكيدا وتقدم نحو من هذا في سورة
النحل وقد صرح ابو البقا بمنع ان يكون الاعجمين جمع اعجم مخففا من اعجمي كالاشعرون في الاشعري قال
الاعجمين الاعجميين فحذف يا النسب كما قالوا الاشعرون اي الاشعريون وواحده اعجمي ولا يجوز ان يكون
جمع اعجم لان مونثه عجما ومثل هذا لا يجمع جمع التصحيح قال شهاب الدين وفيما قاله ابن عطيه نظر
واما الزمخشري فليس في كلامه انه جمع اعجم مخففا او غير مخفف وان كان ظاهره انه جمع اعجم من غير
تخفيف ولكن الذي قاله ابن عطيه تبع فيه الفرا فانه قال الاعجمين جمع اعجم او اعجمي على حذف يا النسب
كما قالوا الاشعرين وواحدهم اشعري وانشد الكميت ، ولو جهزت قافية شرودا لقد دخلت بيوت الاشعرينا
لكن الفرا لا يضره ذلك فانه من الكوفيين وقد تقدم عنهم انهم يجيزون جمع افعل فعلا وقرا الحسن
وابن مقسم الاعجميين بيا النسب وهي موبدة لتخفيفه منه في قراة العامة **فصل** ولو
نزلنا يعني القران على رجل ليس بعربي اللسان فقراه عليهم بغير لغة العرب ما كانوا به مؤمنين وقالوا
ما نفقه قولك وجعلوه عذرا لجحودهم ونظيره ولو جعلناه قرانا اعجميا لقالوا لولا فصلت اياته وقيل

معناه

معناه ولو نزلناه على رجل ليس من العرب لما امنوا به انفة من اتباعه **قوله** كذلك سلكناه
اي مثل ذلك او الامر كذلك والضمير في سلكناه عايد على القران وهو الظاهر اي سلكناه
في قلوب المجرمين كما سلكناه في قلوب المومنين ومع ذلك لم ينجع فيهم وقال ابن عباس والحسن
ومجاهد ادخلنا الشرك والتكذيب في قلوب المجرمين وهذه الاية تدل على ان الكل
بقضا الله وخلقه قال الزمخشري اراد به انه صار ذلك التكذيب متمكنا في قلوبهم
اشد التمكن فصار ذلك كالشي الجبلي والجواب انه اما ان يكون قد فعل الله تعالى فيهم
ما يقتضي الترجيح ام لا فان كان الاول فقد دللنا في سورة الانعام على ان الترجيح لا يتحقق
ما لم ينتهي الى حد الوجوب وحينيذ يحصل المقصود وان لم يفعل فيهم ما يقتضي الترجيح
البته امتنع قوله كذلك سلكناه **قوله** لا يؤمنون به في الجملة وجهان احدهما الاستيناف
على جهة البيان والايضاح لما قبله والثاني انها حال من الضمير في سلكناه اي سلكناه
غير مومن به ويجوز ان يكون حالا من المجرمين لان المضاف جزء من المضاف اليه حتى يروا
العذاب الاليم يعني عند الموت **قوله** فياتيهم وفيقولوا عطف على يروا وقرا العامة
بالياء من تحت والحسن وعيسى بالتا من فوق وانث ضمير العذاب لانه في معنى العقوبة وقال
الزمخشري انث على ان الفاعل ضمير الساعة قال الزمخشري فان قلت ما معنى التعقيب في
قوله فياتيهم قلت ليس المعنى التعقيب في الوجود بل المعنى ترتيبها في الشدة كانه قيل لا يؤمنون
بالقران حتى تكون رويتهم العذاب اشد منها ومثال ذلك ان تقول ان اسات مقتك الصالحون
فانك لا تقصد ان مقت الله بعد مقت الصالحين وانما قصدك الى ترتيب شدة الامر
على المسي وقرا الحسن بغتة بفتح الغين **فصل** المعنى ياتيهم العذاب بغتة اي فجاة
وهم لا يشعرون به في الدنيا فيقولوا هل نحن منظرون اي لنومن ونصدق يتمنون الرجعة
والنظرة وانما يقولون ذلك استرواحا عند تعذر الخلاص لانهم يعلمون في الاخرة ان لا ملجا
لهم قال مقاتل لما اوعدهم النبي صلى الله عليه وسلم بالعذاب قالوا الى متى توعدنا بالعذاب
ومتى هذا العذاب قال الله تعالى افبعذابنا يستعجلون **قوله** افرايت تقدم تحقيقه
وقد تنازع افرايت وجاهم في قوله ما كانوا يمتعون فان اعملت الثاني وهو جاهم رفعت به
ما كانوا فاعلا به ومفعول ارايت الاول ضميره ولكنه حذف والمفعول الثاني هو الجملة الاستفهامية
في قوله ما اغنى عنهم ولا بد من رابط بين هذه الجملة وبين المفعول الاول المحذوف وهو مقدر
تقديره افرايت ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم تمتعهم حين حل اي الموعود به ودل على ذلك قوة
الكلام وان اعملت الاول نصبت به ما كانوا يوعدون واضمرت في جاهم ضميره فاعلا به
والجملة الاستفهامية مفعول ثان ايضا والعايد مقدر على ما تقدر في الوجه قبله والشرط معترض
وجوابه محذوف وهذا كله مفهوم مما تقدم في سورة الانعام وانما ذكرناه هنا لانه تقدير
عسر يحتاج الى تامل وهذا كله انما يتاتى على قولنا ان ما استفهامية ولا بد من تقديرهم لها بالنفي
فان الاستفهام قد يرد بمعنى النفي واما اذا جعلتها نافية حرفا كما قاله ابو البقا فلا يتاتى ذلك
لان مفعول ارايت الثاني لا يكون الا جملة استفهامية كما تقدم **فصل** افرايت ان متعناهم
سنين كثيرة في الدنيا يعني كفار مكة ولم نهلكهم ثم جاهم ما كانوا يوعدون يعني العذاب ما اغنى
عنهم ما كانوا يمتعون في تلك السنين اي انهم وان طال تمتعهم بنعيم الدنيا فاذا اتاهم العذاب
لم يغن طول التمتع عنهم شيا ويكون كانهم لم يكونوا في نعيم قط **قوله** ما اغنى يجوز ان تكون ما
استفهامية في محل نصب مفعولا مقدما وما كانوا هو الفاعل وما مصدرية بمعنى اي شي اغنى
عنهم كونهم متمتعين وان تكون نافية والمفعول محذوف اي لم يغن عنهم تمتعهم شيا وقرئ يمتعون

باسكان الميم وتخفيف النون من امنع الله زيدا بكذا **قوله** الا لها منذرون يجوز ان تكون الجملة صفة لقرية وان تكون حالا منها وسوغ ذلك سبق النفي وقال الزمخشري فان قلت كيف عزلت الواو عن الجملة بعد الا ولم تعزل عنها في قوله وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم قلت الاصل عزل الواو لان الجملة صفة لقرية واذا زيدت فلتاكيد وصل الصفة بالموصوف كما في قوله سبعة وثامنهم كلبهم قال ابو حيان ولو قدرناها منذرون جملة لم يجز ان تجي صفة بعد الا ومذهب الجمهور انه لا تجي الصفة بعد الا معتمدة على اداة الاستثنا نحو ما جاني احد الا راكب واذا سمع مثل هذا خرجوه على البدل اي الا رجل راكب ويدل على صحة هذا المذهب ان العرب تقول ما مررت باحد الا قايما ولا يحفظ عنهم الا قايم يعني بالجر فلو كانت الجملة صفة بعد الا لسمع الجر في هذا وايضا فلو كانت الجملة صفة للنكرة لجاز ان يقع صفة المعرفة بعد الا يعني نحو ما مررت بزيد الا العاقل قلت نرى انه فان كانت الصفة غير معتمدة على الاداة جاءت الصفة بعد الا نحو ما جاني احد الا زيد خير من عمرو والتقدير ما جاني احد خير من عمرو الا زيد واما كون الواو تزاد لتاكيد وصل الصفة بالموصوف فغير معهود في عبارة النحويين لو قلت جاني رجل وعاقل اي رجل عاقل لم يجز وانما تدخل الواو في الصفات جوازا اذا عطف بعضها على بعض وتغاير مدلولها نحو مررت بزيد الشجاع والشاعر واما وثامنهم كلبهم فتقدم الكلام عليه قال شهاب الدين اما كون الصفة لا تقع بعد الا معتمدة فالزمخشري مختار غير هذا فانها مسيلة خلافية واما كونه لم يقل الا قايما بالنصب دون قايم بالجر فذلك على احد الجايزين وليس فيه دليل على المنع من قسيمه واما قوله فغير معهود في كلام النحويين فممنوع هذا ابن جني نص عليه في بعض كتبه واما الزامه انها لو كانت الجملة صفة بعد الا للنكرة لجاز ان يقع صفة المعرفة بعد الا فغير لازم لان ذلك مخصوص بكون الصفة جملة واذا كانت جملة تعذر كونها صفة للمعرفة وانما اختص ذلك بكون الصفة جملة لانها لتاكيد وصل الصفة والتاكيد لايق بالجمل واما قوله لو قلت جاني رجل وعاقل لم يجز فسلم ولكن انما امتنع ذلك في الصفة المفردة لئلا يلتبس ان الجاي اثنان رجل وآخر عاقل بخلاف كونها جملة فان اللبس منتف وقد تقدم سبعة وثامنهم **قوله** ذكرى يجوز فيها اوجه احدها انها مفعول من اجله واذا كانت مفعولا من اجله ففي العامل فيها وجهان احدهما منذرون على ان المعنى منذرون لاجل الموعظة والتذكرة الثاني اهلكنا قال الزمخشري والمعنى وما اهلكنا من اهل قرية ظالمين الا بعد ما الزمناهم الحجة بارسال المنذرين اليهم لتكون تذكرة وعبرة لغيرهم فلا يعصوا مثل عصيانهم ثم قال وهذا الوجه عليه المعول قال ابو حيان وهذا لا معول عليه فان مذهب الجمهور ان ما قبل الا لا يعمل فيما بعدها الا ان يكون مستثنى او مستثنى منه او تابعا له غير معتمد على الاداة نحو ما مررت باحد الا زيد خير من عمرو والمفعول له ليس واحدا من هذه ويتخرج مذهبه على مذهب الكساي والاخفش وان كانا لم ينصا على المفعول له بخصوصيته قال شهاب الدين والجواب ما تقدم قبل ذلك من انه يختار مذهب الاخفش الثاني من الاوجه الاول انها في محل رفع خبر المبتدا محذوف اي هذه ذكرى وتكون الجملة اعتراضية الثالث انها صفة لمنذرون اما على المبالغة واما على الحذف اي منذرون ذوو ذكرى او على وقوع المصدر وقوع اسم الفاعل اي منذرون مذكرون وتقدم تقريره الرابع انها في محل نصب على الحال اي مذكرين او ذوي ذكرى او جعلوا نفس الذكرى مبالغة الخامس انها منصوبة على المصدر المؤكد وفي العامل فيها حينئذ وجهان احدهما لفظ منذرون لانه من معناها فهو كقعدت جلوسا والثاني انه محذوف من لفظها اي يذكرون ذكرى وذلك المحذوف صفة لمنذرون **قوله** وما كنا ظالمين في تعذيبهم

حيث

حيث قدمنا الحجة عليهم واعذرنا اليهم او وما كنا ظالمين فنهلك قوما غير ظالمين **قوله** وما تنزلت به الشياطين العامة على الياء ورفع النون وهو جمع تكسير وقرا الحسن البصري وابن السميفع والاعمش بالواو مكان الياء والنون مفتوحة اجرا له مجرى جمع السلامة وهذه القراءة قد ردها جمع كثير من النحويين قال الفراء غلط الشيخ ظن انها النون التي على هجاين فقال النضر بن شميل ان جاز ان يحتج بقول العجاج ورؤبة فهلا جاز ان يحتج بقول الحسن وصاحبه يعني محمد بن السميفع مع انا نعلم انهما لم يقرا به الا وقد سمعا فيه وقال النحاس هو غلط عند جميع النحويين وقال المهدوي هو غير جايز في العربية وقال ابو حاتم هي غلط منه او عليه وقد اثبت هذه القراءة جماعة من اهل العلم ودفعوا عنها الغلط فان القاري بها من العلم بمكان مكين واجابوا عنها باجوبة صالحة فقال النضر بن شميل قال يونس بن حبيب سمعت اعرابيا يقول دخلت بساتين من ورائها بساتون فقلت ما اشبه هذا بقراءة الحسن وخرجها بعضهم على انها جمع شياط بالتشديد مثال مبالغة مثل ضراب وقتال على ان يكون مشتقا من شاط يشيط اي احترق ثم جمع جمع سلامة مع تخفيف الياء فوزنه فعالون مخففا من فعالين بتشديد العين ويدل على ذلك انهما وغيرهما قرا بذلك اعني بتشديد الياء وهذا منقول عن مورج السدوسي ووجهها اخرون بان اخره لما كان يشبه يبرين وفلسطين اجري اعرابه تارة على النون وتارة بالحرف كما قالوا هذه يبرين وفلسطين ويبرون وفلسطون وتقدم القول في ذلك في البقرة والهاء في به تعود على القرآن وجات هذه الجمل الثلاثة منفية على احسن ترتيب نفى اولا تنزيل الشياطين به لان المنفي في الغالب يكون في الممكن وان كان الامكان هنا منتفيا ثم نفى ثانيا اي ولو فرض الامكان لم يكونوا اهلا له ثم نفى ثالثا نفي الاستطاعة والقدرة ثم ذكر علة ذلك وهي انعزالهم عن السماع من الملا الاعلى لانهم يرجمون بالشهب لو تسمعوا

فصل لما احتج على صدق محمد عليه السلام بكون القرآن تنزيل رب العالمين لوقوعه في الفصاحة القصوى ولاشتماله على قصص المتقدمين من غير تفاوت مع انه عليه السلام لم يتعلم من احد وكان الكفار يقولون هذا من القاء الجن والشياطين كساير ما نزل به على الكهنة فاجاب الله تعالى بان ذلك لا يتسهل للشياطين لانهم معزولون عن استماع كلام اهل السما يرجمهم بالشهب **فان قيل** العلم بكون الشياطين ممنوعين عن ذلك لا يحصل الا بخبر النبي الصادق فاذا اثبتنا كون محمد عليه السلام صادقا بفصاحة القرآن واخباره عن الغيب ولا يثبت كون الفصاحة والاخبار عن الغيب معجزا الا اذا ثبت كون الشياطين ممنوعين عن ذلك فلزم الدور فالجواب لا نسلم ان العلم بكون الشياطين ممنوعين عن ذلك لا يستفاد الا من قول النبي صلى الله عليه وسلم لانا نعلم بالضرورة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يلعن الشياطين ويامر الناس بلعنهم فلو كان ذلك انما حصل من القا الشياطين لكان الكفار اولى بان يحصل لهم مثل هذا العلم فيجب ان يكون اقتدار الكفار على مثله اولى ولما لم يكن كذلك علمنا ان الشياطين ممنوعون لانهم معزولون عن تعرف الغيوب ثم انه تعالى لما ذكر هذا الجواب خاطب الرسول عليه السلام فقال فلا تدع مع الله الها اخر فتكون من المعذبين قال ابن عباس يحذر به غيره يقول انت اكرم الخلق علي ولو اتخذت الها غيري لعذبتك وقوله فتكون منصوب في جواب النهي **قوله** وانذر عشيرتك الاقربين روى عبد الله بن عباس عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الاية وانذر عشيرتك الاقربين دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا علي ان الله امرني ان انذر عشيرتي الاقربين وضقت بذلك ذرعا وعرفت اني متى اناديهم بهذا الامر اري منهم ما اكره فصمت عليها حتى جاءني جبريل فقال يا محمد الا تفعل ما تومر يعذبك ربك فاصنع لنا صاعا من طعام واجعل عليه رجل شاة واملأ لنا عسا من لبن ثم اجمع لي

بني عبد المطلب حتى ابلغهم ما امرت به ففعلت ما امرني به ثم دعوتهم له وهم يومئذ اربعون رجلا يزيدون
رجلا او ينقصونه فيهم اعمامه ابو طالب وحمزة والعباس وابو لهب فلما اجتمعوا دعاني بالطعام الذي
صنعت فجئت به فلما وضعته تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم جذبة من اللحم فشقها باسنانه
ثم القاها في نواحي الصحفة ثم قال خذوا باسم الله فاكل القوم حتى ما لهم بشيء حاجة وايم الله ان كان
الرجل الواحد لياكل مثل ما قدمت لجميعهم ثم قال اسق القوم فجئتهم بذلك العس فشربوا حتى رووا جميعا
وايم الله ان كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله فلما اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكلمهم بدره
ابو لهب فقال سحركم صاحبكم فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الغد يا علي
ان هذا الرجل قد سبقني الى ما سمعت من القول فتفرق القوم قبل ان اكلمهم فعد لنا من الطعام
مثل ما صنعت ثم اجمعهم ففعلت ثم جمعتهم ثم دعاني بالطعام فقدمته ففعل كما فعل بالامس فاكلوا
وشربوا ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا بني عبد المطلب اني جئتكم بخير الدنيا والاخرة وقد
امرني الله ان ادعوكم اليه فايكم يوازرني على امري ويكون اخي ووصيي وخليفتي فيكم فاحجم القوم
عنه جميعا فقلت وانا احدثهم سنا انا يا نبي الله اكون وزيرك عليه فاخذ برقبتي ثم قال ان هذا
اخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا واطيعوا فقام القوم يضحكون ويقولون لابي طالب قد امرك ان تسمع
لعلي وتطيع وعن ابن عباس قال لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين خرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى صعد الصفا فهتف يا صباحاه فقالوا من هذا فاجتمعوا اليه فقال ارايتم ان اخبرتكم ان
خيلا تخرج من سفح هذا الجبل اكنتم مصدقي قالوا ما جربنا عليك كذبا قال فاني نذير لكم بين
يدي عذاب شديد فقال ابو لهب تبا لك ما جمعتنا الا لهذا ثم قام فنزلت تبت يدا ابي لهب
قوله واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين واعلم ان الطائر اذا اراد ان يحط
كسر جناحه وخفضه واذا اراد ان ينهض للطيران رفع جناحه فجعل خفض الجناح كناية عن
التواضع ولين الجانب **قوله** فان عصوك في هذه الواو وجهان احدهما انها ضمير الكفار اي
فان عصاك الكفار في امرك لهم بالتوحيد والثاني انها ضمير المؤمنين اي فان عصاك المؤمنون
في فروع الاسلام وبعض الاحكام بعد تصديقك والايمان برسالتك وهذا في غاية البعد
فقل اني بريء مما تعملون من الكفر وعبادة غير الله **فصل** قال الجبائي هذه الاية تدل على انه
عليه السلام كان بريئا من معاصيهم وذلك يوجب ان الله تعالى ايضا بريء من عملهم كالرسول والا كان
مخالفا لله كما لو رضي عن شخص فان الله راض عنه واذا كان تعالى بريئا من عملهم فلا يكون فاعلا
له والجواب انه تعالى بريء من المعاصي بمعنى انه ما امر بها بل نهى عنها فاما بمعنى انه لا يريدها
فلا نسلم بدليل انه علم وقوعها وكل ما كان معلوم الوقوع فهو واجب الوقوع والا لانقلب علمه جهلا
وهو محال والمفضي الى المحال محال وعلم ما هو واجب الوقوع لا يريد عدمه وقوعه فثبت قولنا **قوله**
وتوكل قرا نافع وابن عامر بالفاء والباقون بالواو فاما قراءة الفاء فانه جعل فيها ما بعد الفاء كالجزاء
لما قبلها مترتبا عليه وقراءة الواو لمجرد عطف جملة على اخرى والتوكل عبارة عن تفويض الرجل امره
الى من يملك امره ويقدر على نفعه وضره ثم قال على العزيز الرحيم ليكفيك كيد الاعداء بعزته
وينصرك عليهم برحمته **قوله** الذي يراك يجوز ان يكون مرفوع المحل خبرا لمبتدا محذوف او منصوبا
على المدح او مجرورا على النعت او البدل او البيان قال اكثر المفسرين معناه يراك حين تقوم الى
صلاتك وقال مجاهد يراك اينما كنت وقيل حين تقوم لدعائهم **قوله** وتقلبك عطف على
مفعول يراك اي ويرى تقلبك وهذه قراءة العامة وقرا جناح بن حبيش بالياء من تحت مضمومة وكسر
اللام ورفع الباء جعله فعلا مضارعا قلب بالتشديد وعطفه على المضارع قبله وهو يراك اي الذي
يقلبك **فصل** معنا تقلبه اي تقلبك في صلاتك في حال قيامك وركوعك وسجودك

وقعودك

وقعودك قاله عكرمة وعطية عن ابن عباس في الساجدين اي في المصلين وقال مقاتل والكلبي اي
مع المصلين في الجماعة اي يراك حين تقوم وحدك للصلوة ويراك اذا صليت مع المصلين جماعة
وقال مجاهد يرى تقلب بصرك في المصلين فانه كان يبصر من خلفه كما يبصر من امامه قال عليه
السلام والله ما يخفى علي خشوعكم ولا ركوعكم واني لاراكم من وراء ظهري وقال الحسن تقلبك في الساجدين
اي تصرفك وذهابك ومجيئك في اصحابك المؤمنين وقال سعيد بن جبير يعني وتصرفك في احوالك
كما كانت الانبيا من قبلك والساجدون هم الانبيا وقال عطا عن ابن عباس اراد وتقلبك في اصلاب
الانبيا من نبي الى نبي حتى اخرجتك في هذه الامة انه هو السميع العليم السميع لما تقوله العليم بما
تنويه **قوله تعالى** هل انبئكم الاية اعاد الشبهة المتقدمة واجاب عنها من وجهين
الاول قوله تنزل على كل افاك اثيم كما تقدم من ان الكفار يدعون الى طاعة الشيطان ومحمد يدعو
الى لعن الشيطان والبراءة منه والثاني قوله يلقون السمع واكثرهم كاذبون ومعناه انهم كانوا
يقيسون حال النبي صلى الله عليه وسلم على حال الكهنة فكانه قيل ان كان الامر على ما ذكرتم فكما ان
الغالب على ما يخبر الكهنة الكذب فيجب ان يكون حال الرسول كذلك فلما لم يظهر في اخبار الرسول
عن المغيبات الا الصدق علمنا ان حاله بخلاف حال الكهنة **قوله** على من متعلق بتنزل
بعده وانما قدم لان له صدر الكلام وهو معلق لما قبله من فعل التنبيه لانها بمعنى العلم
ويجوز ان يكون هنا متعديا لاثنين فتسد الجملة المشتملة على الاستفهام مسد الثاني لان الاول
ضمير المخاطبين وان يكون متعديا لثلاثة فتسد مسد اثنين وقرا البزي على من تنزل الشياطين
تنزل بتشديد التاء من تنزل في الموضعين والاصل تتنزل بتاءين فادغم والادغام في الثاني سهل
لتحرك ما قبل المدغم وفي الاول صعوبة لسكون ما قبله وهو نون من وتقدم تحقيق هذا في البقرة
عند قوله ولا تيمموا الخبيث **قوله** يلقون يجوز ان يعود الضمير على الشياطين فيجوز ان تكون الجملة
من يلقون حالا وان تكون مستانفة ومعنى القائهم السمع انصاتهم الى الملا الاعلى ليسترقوا شيئا او يلقون
الشيء المسموع الى الكهنة ويجوز ان يعود على كل افاك اثيم من حيث انه جمع في المعنى فتكون الجملة اما
مستانفة واما صفة لكل افاك ومعنى الالقاء ما تقدم وقال ابو حيان حال عود الضمير على الشياطين
وبعد ما ذكر المعنيين المتقدمين في القاء السمع قال فعلى معنى الانصات يكون يلقون استيناف
اخبار وعلى القاء المسموع الى الكهنة يحتمل الاستيناف واحتمل الحال من الشياطين انه تنزل على كل افاك
اثيم ملقين ما سمعوا انتهى وفي تخصيصه الاستيناف بالمعنى الاول وتجويزه الوجهين في المعنى الثاني
نظر لان جواز الوجهين جار في المعنيين يحتاج في ذلك الى دليل **فان قيل** كيف قال
واكثرهم كاذبون بعد ما حكم عليهم ان كل واحد منهم افاك **فالجواب** ان الافاكين هم
الذين يكثرون الكذب لا انهم الذين لا ينطقون الا بالكذب فاراد ان هؤلاء الافاكين قل من
يصدق منهم فيما يحكي عن الجني واكثرهم مفتر عليه **قوله** والشعراء يتبعهم الغاوون قد
تقدم ان نافعا يقرا بتخفيف التاء ساكنة وفتح الباء في سورة الاعراف عند قوله لا يتبعوكم والفرق
بين المخفف والمثقل وسكن الحسن العين ورويت عن ابي عمرو وليست ببعيدة عنه كينصركم وبابه
وروى هرون عن بعضهم نصب العين وهي غلط والقول بان الفتحة للاتباع خطا والعامة على
رفع الشعراء بالابتداء والجملة بعده الخبر وقرا عيسى بالنصب على الاشتغال **فصل** لما قال
الكفار لم لا يجوز ان يقال الشياطين تنزل بالقران على محمد كما انهم ينزلون بالكهانة على الكهنة وعلى الشعراء
بالشعر ثم انه تعالى فرق بين محمد عليه السلام وبين الكهنة ذكر ههنا ما يدل على الفرق بينه
وبين الشعراء بان الشعراء يتبعهم الغاوون وهم الضالون ثم بين ان ذلك لا يمكن القول به لامرين الاول
انهم في كل واد يهيمون والمراد منه الطرق المختلفة كقولك انا في واد وانت في واد وذلك بانهم

يتمدحون الشيء بعد ان ذموه وبالعكس وقد يعظموه بعد ما يحقروه وبالعكس وذلك يدل على انهم لا يطلبون بشعرهم الحق ولا الصدق بخلاف امر محمد عليه السلام فانه من اول امره الى اخره بقي على طريق واحد وهو الدعوة الى الله والترغيب في الاخرة والاعراض عن الدنيا والثاني انهم يقولون ما لا يفعلون وذلك ايضا من علامات الغواية فانهم يرغبون في الجود ويرغبون عنه وينفرون عن البخل ويصيرون اليه ويقدحون في الناس بادنى شيء صدر عنهم وعن واحد من سلافهم ثم انهم لا يرتكبون الا الفواحش وذلك يدل على الغواية والضلالة واما محمد عليه السلام فانه بدا بنفسه ولا تدع مع الله الها اخر فتكون من المعذبين ثم بالاقرب فالاقرب فقال وانذر عشيرتك الاقربين وكل ذلك خلاف طريقة الشعرا فظهر بهذا البيان ان حال محمد عليه السلام لم يشبه حال الشعرا **قوله** يهيمون يجوز ان تكون هذه الجملة خبرا ثانيا وهذا هو الظاهر لانه محط الفائدة وفي كل واد متعلق به ويجوز ان يكون في كل واد هو الخبر ويهيمون حال من الضمير في الخبر والعامل ما تعلق به هذا الجار كما تقدم في نظيره ويجوز ان تكون الجملة خبرا بعد خبر عند من يرى تعدد الخبر مطلقا وهذا من باب الاستعارة البليغة والتمثيل الرائع شبه جولانهم في افانين القول وطرايق المدح والذم والتشبيب وانواع الشعر بهيم الهايم في كل وجه وطريق وقيل اراد بكل واد اي على كل حرف من حروف الهجاء يصوغون القوافي والهايم الذي يخبط في سيره ولا يقصد موضعا معينا هام على وجهه اي ذهب والهايم العاشق ومن ذلك والهيمان العطشان والهيام داء ياخذ الابل من العطش وجمل اهيم وناقة هيما والجمع فيهما هيم قال تعالى شرب الهيم والهيام من الرمل اليابس كانهم تخيلوا فيه معنى العطش **فصل** قال المفسرون اراد شعرا الكفار كانوا يهجون رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر مقاتل اسماهم فقال منهم عبد الله بن الزبعري السهمي وهبيرة بن ابي وهب المخزومي ومسافع بن عبد مناف وابو عزة عمرو بن عبد الله الجمحي وامية بن ابي الصلت الثقفي تكلموا بالكذب والباطل وقالوا نحن نقول كما قال محمد وقالوا الشعر واجتمع اليهم غواة من قومهم ويسمعون اشعارهم حين يهجون رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ويروون عنهم ذلك فذلك قوله يتبعهم الغاوون وهم الرواة الذين يروون هجا المسلمين وقال قتادة هم الشياطين ثم انه تعالى لما وصف شعرا الكفار بهذه الاوصاف استثنى شعرا المسلمين الذين كانوا يجيبون شعرا الجاهلية ويهجون الكفار وينافحون عن النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه منهم حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك فقال الا الذين امنوا وعملوا الصالحات روي عن كعب بن مالك انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله قد انزل في الشعر ما انزل فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان المومن يجاهد بسيفه ولسانه والذي نفسي بيده لكانما ترمونهم نضح النبل وفي رواية قال له اهجهم فوالذي نفسي بيده هو اشد عليهم من النبل وكان يقول لحسان قل فان روح القدس معك واعلم بان الله تعالى وصفهم بامور الاول الايمان وهو قوله الا الذين امنوا وثانيها العمل الصالح وهو قوله وعملوا الصالحات وثالثها ان يكون شعرهم في التوحيد والنبوة ودعوة الخلق وهو قوله وذكروا الله كثيرا ورابعها ان لا يذكروا هجوا الا على سبيل الانتصار ممن يهجوهم وهو قوله وانتصروا من بعد ما ظلموا قال الله تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان من الشعر حكمة وقالت عايشة الشعر كلام فمنه حسن ومنه قبيح فخذ الحسن ودع القبيح وقال الشعبي كان ابو بكر يقول الشعر وكان عمر يقول الشعر وكان علي اشعر الثلاثة وروي عن ابن عباس انه كان ينشد الشعر في المسجد ويستنشده وقوله وذكروا الله كثيرا اي لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله وانتصروا من بعد ما ظلموا اي انتصروا من المشركين لانهم بدأوا بالهجاء ثم اوعد شعرا المشركين فقال وسيعلم الذين ظلموا اشركوا وهجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم اي منقلب ينقلبون اي مرجع يرجعون بعد الموت قال ابن عباس الى جهنم والسعير

قوله اي منقلب منصوب على المصدر والناصب له ينقلبون وقدم لتضمنه معنى الاستفهام وهو معلق لسيعلم سادا مسد مفعوليها وقال ابو البقا اي منقلب صفة لمصدر محذوف اي ينقلبون انقلابا اي منقلب ولا يعمل فيه سيعلم لان الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله وهذا مردود بان ايا الواقعة صفة لا تكون استفهامية وكذلك الاستفهامية لا تكون صفة لشيء بل كل منهما قسم براسه واي تنقسم الى اقسام كثيرة وهي الشرطية والاستفهامية والموصولة والصفة والموصوفة عند الاخفش خاصة والمناداة نحو يا ايها والموصلة لندا ما فيه ال نحو يا ايها الرجل عند غير الاخفش والاخفش يجعلها في الندا موصولة وقرا ابن عباس والحسن اي منفلت ينفلتون بالفا والتا من فوق من الانفلات روي الثعلبي في تفسيره عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اعطيت السورة التي يذكر فيها البقرة من الذكر الاول واعطيت طه والطواسين من الواح موسى واعطيت فواتح القران وخواتيم السورة التي يذكر فيها البقرة من تحت العرش واعطيت المفصل نافلة وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى اعطاني السبع مكان التورية واعطاني الطواسين مكان الزبور وفضلني بالحواميم والمفصل ما قراهن نبي قبلي وعن ابي امامة عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الشعرا كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب بهود وشعيب وصالح وابرهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد صلى الله عليه وسلم

سورة النمل مكية

وهي ثلاث وتسعون اية والف ومائة وتسع واربعون كلمة واربعة الاف وسبع مائة وتسعة وتسعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى طس تلك ايات القران وكتاب مبين تلك اشارة الى ايات السورة اي هذه ايات القران قوله وكتاب العامة على جره عطفا على القران وهل المراد به نفس القران فيكون من عطف بعض الصفات على بعض والمدلول واحد او اللوح المحفوظ او نفس السورة وقيل القران والكتاب علمان للمنزل على نبينا صلى الله عليه وسلم فهما كالعباس وعباس يعني فيكون ال فيهما للمح الصفة وهذا خطا اذ لو كانا علمين لما وصفا بالنكرة وقد وصفا فان انهما في قوله تلك ايات الكتاب وقران مبين في الحجر ووصف بها كتاب كما في هذه الاية الكريمة والذي يقال انه نكرهما هنا لافادة التفخيم كقوله في مقعد صدق وقرا ابن ابي عبلة وكتاب مبين برفعهما عطفا على ايات المخبر بها عن تلك **فان قيل** كيف صح ان يشار لاثنين احدهما مونث والاخر مذكر باسم الاشارة للمونث ولو قلت تلك هند وزيد لم يجز **فالجواب** من ثلاثة اوجه احدها ان المراد بالكتاب هو الايات لان الكتاب عبارة عن ايات مجموعة فلما كانا شيا واحدا صحت الاشارة اليهما باشارة الواحد المونث الثاني انه على حذف مضاف اي وايات كتاب مبين الثالث انه لما ولي المونث ما تصح الاشارة به اكتفي به وحسن ولو اولي المذكر لم يحسن الا تراك تقول جاءتني هند وزيد ولو حذفت هند او اخرتها لم تجز تانيث الفعل **قوله** هدى وبشرى يجوز فيهما اوجه احدها ان يكونا منصوبين على المصدر بفعل مقدر من لفظهما اي يهدي هدى ويبشر بشرى الثاني ان يكونا في موضع الحال من ايات والعامل فيها ما في تلك من معنى الاشارة الثالث ان يكونا في موضع الحال من القران وفيه ضعف من حيث كونه مضافا اليه الرابع ان يكون حالا من كتاب في قراءة من رفعه ويضعف في قراءة من جره لما تقدم من كونه في حكم المضاف اليه لعطفه عليه الخامس انهما حالان من الضمير المستتر في مبين سواء رفعته ام جررته السادس ان يكونا بدلين من ايات السابع ان يكونا خبرا بعد خبر الثامن ان يكونا خبري ابتدا مضمر اي هي هدى وبشرى للمومنين **فصل** المراد بهداه لهم الى الجنة وبشرى لهم كقوله تعالى يبشرهم ربهم برحمة منه وفضل

وبهدية لهم اليه صراطا مستقيما وهذا اخص به المومنين وقيل المراد بالهدي الدلالة انما خصه
بالمومنين لانه ذكر مع الهدي البشري والبشري انما تكون للمومنين اولانهم تمسكوا به كقوله انما انت
منذر من يخشاها اولانه يزيد في هداهم كقوله تعالى ويزيد الله الذين اهتدوا هدي **قوله**
الذين يقيمون الصلاة يجوز ان يكون مجرور المحل نعتا للمومنين او بدلا او بيانا او منصوبة على
المدح او مرفوعة على تقدير مبتدا اي هم الذين والمراد بها الصلوات الخمس وكذا القول في الزكوة
فانها هي الواجبة لان التعريف بالالف واللام يقتضي ذلك واقامة الصلاة ان يوديها بشرايطها
والزكوة بوضعها في مواضعها **قوله** وهم بالاخرة هم يوقنون هم الثاني تكرير للاول على
سبيل التاكيد اللفظي وفهم الزمخشري منه الحصر اي لا يوقن بالاخرة حق الايقان الا هولاء المتصفون
بهذه الصفات ويدل عليه انه عقد جملة ابتدائية وكرر فيها المبتدا الذي هو هم حتى صار
معناها وما يوقن بالاخرة حق الايقان الا هولاء الجامعون بين الايمان والعمل الصالح لان خوف
العاقبة يحملهم على تحمل المشاق وبالاخرة متعلق بيوقنون ولا يضر الفصل بينهما بالتوكيد وهذه
الجملة يحتمل ان تكون معطوفة على الصلة داخلة في حيز الموصول وحينئذ يكون فدعا يربين
الصلتين يعني انه لما كان اقامة الصلوة وايتاء الزكوة مما يتكرر ويتجدد اتى بالصلتين جملة
فعلية فقال يقيمون ويوتون ولما كان الايقان بالاخرة امرا ثابتا مطلوبا دوامه اتى
بالصلة جملة اسمية مكررا فيها المسند اليه مقدما فيها الموقن به الدال على الاختصاص
ليدل على الثبات والاستقرار وجا بخبر المبتدا في هذه الجملة فعلا مضارعا دلالة على ان
ذلك متجدد كل وقت غير منقطع ويحتمل ان يكون مستانفة غير داخلة في حيز الموصول قال
الزمخشري ويحتمل ان تتم الصلة عنده اي عند قوله وهم قال وتكون الجملة اعتراضية يريد
ان الصلة تمت عند الزكوة فتجوز في ذلك والا نكيف يصح اذا اخذنا بظاهر كلامه ان الصلة
تمت عند قوله وهم وتسميته هذا اعتراضا يعني من حيث المعنى وسياق الكلام والا فالاعتراض
في الاصطلاح انما يكون بين متلازمين من مبتدا وخبر وشرط وجزا وقسم وجواب وتابع
ومتبوع وصلة وموصول وليس هنا شي من ذلك **فان قيل** ان المومنين الذين
يقيمون الصلوة ويوتون الزكوة لا بد وان يكونوا متيقنين للاخرة فما وجه ذكره مرة اخرى
فالجواب من وجهين الاول ان الذي يستفاد منه طرق النجاة هو معرفة المبتدا ومعرفة
المعاد والعمل الصالح واشرفه الطاعة بالنفس والطاعة بالمال فقوله للمومنين اي الذين يومنون
بالغيب وهو اشارة الى معرفة المبدا وقوله الذين يقيمون الصلوة ويوتون الزكوة اشارة الى الطاعة
بالنفس والمال وقوله وبالاخرة هم يوقنون اشارة الى علم المعاد فكانه تعالى جعل معرفة المبدا
طرفا اولا ومعرفة المعاد طرفا اخيرا وجعل الطاعة بالنفس والمال متوسطا بينهما الثاني ان
المومنين الذين يقيمون الصلاة ويوتون الزكاة منهم من هو جازم بالحشر والنشر ومنهم من يكون شاكا
فيه الا انه ياتي بهذه الطاعات احتياطا فيقول ان كنت مصيبا فيها فقد فزت بالسعادة وان
كنت مخطيا فيها لم يفتني الا خيرات قليلة في هذه المدة اليسيرة فمن اتى بالصلوة والزكوة على هذا
الوجه لم يكن في الحقيقة مهتديا بالقران واما من كان جازما بالاخرة كان مهتديا به فلهذا ذكر
هذا القيد **قوله** ان الذين لا يومنون بالاخرة الاية لما بين ما للمومنين من البشري اتبعه بما
للكفار من سوء العذاب فقال ان الذين لا يومنون بالاخرة زينا لهم اعمالهم القبيحة حتى راوها حسنة
ثم يعمهون يترددون فيها متحيرين **فان قيل** كيف اسند تزيين اعمالهم الى ذاته
مع انه اسنده الى الشيطان في قوله زين لهم الشيطان اعمالهم فالجواب اما اهل السنة فاجروا
الاية على ظاهرها لان الانسان لا يفعل شيا البتة الا اذا دعاه الداعي الى الفعل والمعلول من

الداعي هو العلم والاعتقاد والظن بكون الفعل مشتملا على منفعة وهذا الداعي لا بد وان يكون من
فعل الله تعالى لوجهين الاول انه لو كان لافتقر الى داع اخر ولزم التسلسل وهو محال الثاني
ان العلم اما ان يكون ضروريا او كسبيا فان كان ضروريا فلا بد من تصورين والتصور يمتنع ان يكون
مكتسبا لان المكتسب ان كان شاعرا به فهو متصور له وتحصيل الحاصل محال وان لم يكن متصورا كان
غافلا عنه والغافل عن الشي يمتنع ان يكون طالبا له فان قيل هو مشعور به من وجه قلنا فالمشعور به
غير ما هو مشعور به فيعود التقدم المتقدم في كل واحد من تلك الوجهين واذا ثبت ان التصور غير
مكتسب البتة والعلم الضروري هو الذي يكون مكتسب فان واحد من تصوريه كافيا في حصول
التصديق والتصورات غير كسبية فهي مستلزمة التصديق فاذن اذا حصلت التصورات البديهية
كان التصديق بها بديهيا وليس كسبيا ثم ان التصديقات البديهية ان كانت مستلزمة التصديقات
النظرية لم يكن التصديقات النظرية كسبية لان لازم الضروري ضروري وان لم تكن مستلزمة لها
لم تكن تلك الاشيا التي فرضناها علوما نظرية لذلك بل هي اعتقادات تقليدية لانه لا معنى
لاعتقاد المقلد الا اعتقاد تحصيني يفعله ابتدا من غير ان يكون له موجب فثبت ان هذه
العلوم باسرها ضرورية وثبت ان مبادي الافعال هي العلوم وافعال العباد باسرها ضرورية
فالانسان مضطر في صورة مختار فثبت ان الله تعالى هو الذي زين لكل عامل عمله والمراد من
التزيين هو الذي يخلق في قلبه العلم بما فيه من المضار والافات فثبت بهذه الدلايل العقلية
القاطعة وجوب اجرا هذه الاية على ظاهرها واما المعتزلة فتاولوها بوجوه احدها ان
المراد بينا لهم امر الدين وما يلزمهم ان يتمسكوا به وزيناه بان بينا حسنه وما لهم فيه من
الثواب لان التزيين من الله للعمل ليس الا وصفه بانه حسن واجب وحميد العاقبة وهو المراد من
قوله وحبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وقوله فهم يعمهون يدل على ذلك اذ المراد فهم بعد لو
يتحيرون عما زينا من اعمالهم وثانيها انه تعالى لما متعهم بطول العمر وسعة الرزق جعلوا
انعام الله عليهم بذلك ذريعة الى اتباع شهواتهم وعدم الانقياد لما يلزمهم من التكاليف فكانه تعالى
زين بذلك اعمالهم ولذلك اشارت الملايكة عليهم السلام بقولهم بل متعت هولاء واباهم حتى نسوا
الذكر وثالثها ان امهال الشيطان وتخليته حتى يزين لهم ملابسة ظاهرة للتزيين فاسند اليه
والجواب عن الاول ان قوله تعالى زينا لهم اعمالهم صيغة عموم فوجب ان يكون الله تعالى قد
زين لهم كل اعمالهم حسنا كان العمل او قبيحا وعن الثاني ان الله تعالى لما متعهم بطول العمر وسعة
الرزق فهل لهذه الامور في ترجيح فاعليه المعصية على تركها اثر او ليس لها اثر فيه فان كان الاول
فقد دللنا على ان الترجيح متى حصل فلا بد وان ينتهي الى حد الوجوب والاستلزام وحينئذ يحصل
الغرض وان لم يكن له فيه اثر صارت هذه الاشيا بالنسبة الى اعمالهم كصرير الباب ونعيق الغراب
بالنسبة الى اعمالهم وذلك يمنع من الاسناد فعلم اليها وهذا بعينه هو الجواب عن التاويل الثالث
قوله اولئك الذين لهم سوء العذاب اي القتل والاسر يوم بدر وقيل المراد
الذي ذكروه مطلق العذاب سوا كان في الدنيا او في الاخرة وسوء العذاب شدته **قوله** الاخسرون في
افعل قولان اظهرهما انها على بابها من التفضيل وذلك بالنسبة الى الكفار من حيث اختلاف الزمان
والمكان يعني انهم اكثر خسرانا في الاخرة منهم في الدنيا اي ان خسرانهم في الاخرة اكثر من خسرانهم في الدنيا
وقال جماعة منهم الكرماني هي هنا للمبالغة لا للشركة لان المومن لا خسران له في الاخرة البتة وقد
تقدم جواب ذلك وهو المنع ان ذا جاز الى شي واحد باعتبار اختلاف زمانه ومكانه وقال ابن عطيه
الاخسرون جمع اخسر لان افعل صفة لا تجمع الا ان تضاف فتقوي رتبته في الاسما وفي هذا نظر قال
ابو حيان ولا نظر في انه تجمع جمع سلامة او جمع تكسير اذا كان بال بل لا يجوز فيه الا ذلك اذا كان

قبله ما يطابقه في الجمعية فيقول الزيدون هم الافضلون والافاضل والهندات هن الفضليات
والفضل واما قوله لا يجمع الا ان يضاف لا يتعين اذ ذاك جمعه بل اذا اضيف الى نكرة
لا يجوز جمعه وان اضيف الى معرفة جاز فيه الجمع والافراد **قوله** وانك لتلقى لقي مخففا
يتعدى لواحد وبالتضعيف يتعدى لاثنين فاقيم اولهما هنا مقام الفاعل والثاني القران
وقول من قال ان اصله تلقن بالنون تفسير معنى فلا يتعلق به متعلق بان النون ابدلت حرف
علة **فصل** المعنى لتؤتاه وتلقنه من عنده اي حكيم واي عليم وهذا معنى مجيئهما
نكرتين وهذه الاية تمهيد لما يريد ان يسوق بعدها من القصص كانه قال على اثر ذلك خذ
من اثار حكمته وعلمه قصة موسى **فان قيل** الحكمة اما ان يكون نفس العلم واما ان
يكون العلم داخلا فيها فبعد ذكر الحكمة لم ذكر العلم **فالجواب** ان الحكمة هي العلم بالامور العلمية
فقط والعلم اعم منه لان العلم قد يكون عمليا وقد يكون نظريا والعلوم النظرية اشرف من العلوم
العملية فذكر الحكمة المشتملة على العلوم العملية ثم ذكر العليم وهو البالغ في كمال العلم وكمال العلم
من جهات ثلاثة وحدتها وعموم تعلقها بكل المعلومات وبقاؤها مصونة عن كل التغيرات
وما حصلت هذه الكمالات الثلاثة الا في علمه سبحانه **قوله تعالى** اذ قال موسى
لاهله الايات يجوز ان يكون اذ منصوبا باضمار اذكر او بعليم مقدرا مدلولا عليه بعليم او بعليم
وفيه ضعف لتقييد الصفة بهذا الظرف **فصل** اذ قال موسى لاهله في
مسيره من مدين الى مصر قيل انه لم يكن مع موسى عليه السلام غير امرأته ابنة شعيب عليه
السلام وقد كنى الله عنها بالاهل فتبع ذلك ورود الخطاب بلفظ الجمع وهو قوله امكثوا
اني انست ابصرت نارا وذلك انهما كانا يسيران ليلا وقد اشتبه الطريق عليهما والوقت
وقت برد وفي مثل هذا الحال تقوى النفس بمشاهدة نار من بعد لما يرجى فيها من زوال
الحيرة في امر الطريق ومن الانتفاع به للاصطلا فلذلك بشرها فقال انست نارا سآتيكم
منها بخبر والخبر ما يخبر به عن حال الطريق لانه كان قد ضله وفي الكلام حذف وهو انه لما ابصر
النار توجه اليها وقال سآتيكم منها بخبر يعرف به الطريق **قوله** او آتيكم بشهاب قبس
قرا الكوفيون بتنوين شهاب على ان قبس بدلا من شهاب او صفة له لانه بمعنى مقبوس كالقبض
والنقض والباقون بالاضافة على البيان لان الشهاب يكون قبسا وغيره والشهاب الشعلة
والقبس القطعة منها تكون في عود وغير عود وعلى بابها من التنويع والطا في تصطلون
بدل من تا الافتعال لانه من صلي بالنار **فان قيل** قال ههنا سآتيكم منها بخبر
وفي موضع اخر لعلي آتيكم منها بخبر وهما كالمتدافعين لان احدهما ترجي والاخر تيقن **فالجواب**
قد يقول الراجي اذا قوي رجاؤه سافعل كذا وسيكون كذا مع تجويزه الخيبة **فان قيل**
كيف جاء بسين التسويف **فالجواب** عدة لاهله انه ياتيهم به وان ابطا وكانت المسافة
بعيدة واو دخل او بين الامرين المقصود بين بني الرجا على انه ان لم يظفر بهذين المقصودين ظفر
باحدهما اما هداية الطريق واما اقتباس النار ثقة منه بعادة الله تعالى لا يكاد يجمع بين
حرمانين على عبده لعلكم تصطلون تستدفئون من البرد **قوله** نودي في القائم مقام الفاعل
ثلاثة اوجه احدها انه ضمير موسى وهو الظاهر وفي ان حينئذ ثلاثة اوجه احدها انها المفسرة
لتقدم ما هو بمعنى القول والثاني انها الناصبة للمضارع ولكن وصلت هنا بالماضي وتقدم
تحقيق ذلك وذلك على اسقاط الخافض اي نودي موسى بان بورك الثالث انها المخففة واسمها ضمير
الشان وبورك خبرها ولم يحتج هنا الى فاصل لانه دعا وقد تقدم نحوه في النور في قوله ان غضب
في قراة نافع لاما ضيا قال الزمخشري فان قلت هل يجوز ان يكون المخففة من الثقيلة والتقدير

بانه

بانه بورك والضمير ضمير الشان والقصة قلت لا لانه لا بد من قد فان قلت فعلى اضمارها
قلت لا يصح لانها علامة ولا تحذف انتهى فمنع ان تكون مخففة لما ذكر وهذا بناه منه على ان بورك
خبر لا دعا اما اذا قلنا انه دعا كما تقدم في النور فلا حاجة الى الفاصل كما تقدم وقد تقدم فيه
استشكال وهو ان الطلب لا يقع خبرا في هذا الباب فكيف وقع هنا خبرا لان المخففة وهو دعا
الثاني من الاوجه الاول ان القائم مقام الفاعل ضمير المصدر اي نودي النداء
اما ناصبة في الاصل واما مخففة **الثالث** انه ضمير المصدر المفهوم من الفعل اي نودي النداء
ثم فسر بما بعده ومثله ثم بدا لهم من بعد ما راوا الايات ليسجننه **قوله** من في النار من قائم
مقام الفاعل لبورك وبارك يتعدى بنفسه ولذلك بني للمفعول يقال باركك الله وبارك عليك
وبارك فيك وبارك لك وقال الشاعر ·
· فبوركت مولودا وبوركت ناشيا · وبوركت عند الشيب اذ انت اشيب · وقال عبد الله بن
الزبير · فبورك في بنيك وفي بنيهم · اذا ذكروا ونحن لك الفداء · وقال اخر ·
· فبورك في الميت الغريب كما بورك نبع الرمان والزيتون · والمراد بمن اي الباري تعالى
وهو على حذف مضاف اي من قدرته وسلطانه في النار وقيل المراد به موسى والملائكة وكذلك
بمن حولها وقيل المراد بمن غير العقلاء وهو النور والامكنة التي حولها فالاول مروي عن ابن عباس
وروي مجاهد عنه انه قال معناه بوركت النار وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس ايضا
قال سمعت ابيا يقرا ان بوركت النار ومن حولها ومن قد تاتي بمعنى ما كقوله ومنهم من يمشي على بطنه
وما قد يكون صلة في الكلام كقوله جند ما هنالك ومعناه بورك من في النار وفيمن حولها وهم
الملائكة وموسى عليهم السلام وقال الزمخشري بورك من في النار بورك من في مكان النار ومن حولها
مكانها هي البقعة التي حصلت فيها وهي البقعة المذكورة في قوله تعالى من شاطئ الوادي الايمن في البقعة
المباركة ويدل عليه قراة ابي تباركت الارض ومن حولها **قوله** وسبحان الله فيه اوجه احدها
انه من تتمة النداء اي نودي بالبركة وتنزيه رب العزة اي نودي بمجموع الامرين الثاني انه
من كلام الله تعالى مخاطبا لنبينا محمد عليه الصلاة والسلام وهو على هذا اعتراض بين ابعاض القصة
الثالث ان معناه وبورك من سبح الله يعني انه حذف من وصلتها وابقى معمول الصلة اذ التقدير
بورك من في النار ومن حولها ومن قال سبحان الله وسبحان في الحقيقة ليس معمولا لقال بل لفعل من
لفظه وذلك الفعل هو المنصوب بالقول **فصل** روي عن ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن
في قوله بورك من في النار يعني قدس من في النار وهو الله عنى به نفسه على معنى انه نادى موسى منها
واسمعه كلامه من جهتها كما روي انه مكتوب في التوراة جاء الله من سينا واشرف من ساعير
واستعلا من جبال فاران فمجيئه من سينا بعثته موسى منها ومن ساعير بعثته المسيح ومن جبال
فاران بعثته المصطفى منها وفاران مكة وهل كان ذلك نوره عز وجل قال سعيد بن جبير
كانت النار بعينها والنار احدى حجب الله تعالى كما جا في الحديث حجابه النار لو كشفها لاحرقت
سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه والسبب الذي لاجله بوركت البقعة وبورك من
فيها وحواليها حدوث هذا الامر العظيم فيها وهو تكليم الله موسى وجعله رسولا واظهار المعجزات
عليه ولهذا جعل الله ارض الشام موسومة بالبركات في قوله ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا
فيها وحقت ان تكون كذلك فهي مبعث الانبياء عليهم السلام ومهبط الوحي وكفاتهم احيا وامواتا
ولما نزه نفسه وهو المنزه من كل سوء وعيب تعرف الى موسى بصفاته في **قوله** يا موسى انه انا الله
العزيز الحكيم في اسم ان وجهان اظهرهما انه ضمير الشان وانا الله مبتدا وخبره والعزيز الحكيم صفتان
لله والثاني انه ضمير راجع الى ما دل عليه ما قبله يعني ان مكلمك انا والله بيان لانا والعزيز الحكيم

صفتان للبيان قاله الزمخشري قال ابو حيان واذا حذف الفاعل وبني الفعل للمفعول فلا يجوز ان
يعود الضمير علي ذلك المحذوف اذ قد غير الفعل عن بنائه له وعزم علي ان لا يكون محدثا عنه
فعود الضمير اليه مما ينافي ذلك اذ يصير معتنى به قال شهاب الدين وفيه نظر لانه قد يلتفت اليه
وقد تقدم ذلك في البقرة عند قوله فمن عفي له ثم قال فاتباع واداء اليه قيل الى الذي عفي وهو ولي الدم
علي ما تقدم تحريره وليس ثم ذلك فالزمخشري لم يقل انه عائد علي ذلك الفاعل انما قال راجع الي
ما دل عليه ما قبله يعني من السياق وقال ابو البقا ويجوز ان يكون ضمير رب اي ان الرب انا الله يكون
انا فصلا او توكيدا او خبرا والله بدل منه وقيل الها في قوله انه عماد وليست بكناية **فان قيل**
هذا الندا قد يجوز ان يكون من عند غير الله فكيف علم موسى انه من الله فالجواب لاهل السنة فيه
طريقان الاول انه سمع الكلام المنزه عن مشابهة كلام المخلوقين فعلم بالضرورة انه صفة الله
الثاني قول ائمة ما ورا النهر وهو انه عليه السلام سمع الصوت من الشجرة فنقول انما عرف ان ذلك
من الله تعالي لامور احدها ان الندا اذا حصل في النار والشجرة علم انه من قبل الله تعالي لان احدا
منا لا يقدر عليه وهذا ضعيف لاحتمال ان الشيطان دخل في النار والشجرة ثم نادي والثاني يجوز
في نفس الندا ان يكون قد بلغ في العظم مبلغا لا يكون الا معجزا وهو ايضا ضعيف لانا لا نعرف مقادير
قوى الملايكة والشياطين فلا قدر الا ويجوز صدوره منهم وثالثها انه قد يقترن به معجز دل
علي ذلك وقيل ان النار كانت مشتعلة في شجرة خضرا لم تحترق فصار ذلك كالمعجز وهذا ايضا
في غاية الضعف والبعد لانه كيف تنادي النار او الشجرة ويقول يا موسى اني انا ربك او اني
انا الله رب العالمين **قوله** والق عطف علي ما قبله من الجملة الاسمية الخبرية
وقد تقدم ان سيبويه لا يشترط تناسب الجمل وانه يجيز جا زيد ومن ابوك وتقدم من ادلته
اول البقرة وقال الزمخشري فان قلت علام عطف قوله والق عصاك قلت علي قوله بورك لان
المعنى نودي ان بورك وقيل له الق عصاك والدليل علي ذلك قوله وان الق عصاك بعد قوله
ان يا موسى اني انا الله علي تكرير حرف التفسير كما تقول كتبت اليه ان حج واعتمر وان شيت ان
حج وان اعتمر قال ابو حيان وقوله انه معطوف علي بورك مناف لتقديره وقيل له الق عصاك
لان هذه جملة معطوفة علي بورك وليس جزوها الذي هو معمول وقيل معطوفا علي بورك وانما
احتاج الي تقدير وقيل له الق ليكون جملة خبرية مناسبة للجملة الخبرية التي عطفت عليها
كانه يرى في العطف تناسب الجمل المتعاطفة والصحيح انه لا يشترط ذلك ثم ذكر مذهب
سيبويه **فصل** فلما راها تهتز تتحرك كانها جان وهي الحية الصغيرة التي يكثر اضطرابها
سميت جانا لانها تستتر عن الناس وقرا الحسن والزهري وعمرو بن عبيد جان بهمزة مكان الالف
وتقدم تقرير هذا عند ولا الضالين في لغة من يهرب من التقا الساكنين فتقول شابة ودابة
ولى مدبرا هرب من الخوف ولم يعقب لم يرجع فلان عقب فلان اذا رجع وكل راجع معقب
وقال قتادة ولم يلتفت فقال الله يا موسى لا تخف اني لا يخاف لدي المرسلون يريد اذا امنتهم
لا يخافون وقيل المراد اني اذا امرتهم باظهار معجز ان لا يخافوا فيما يتعلق باظهار ذلك والا فالمرسل
قد يخاف لا محالة لان الخوف الذي هو شرط الايمان لا يفارقهم قال النبي صلى الله عليه وسلم انا
اخشاكم لله **قوله** تهتز جملة حالية من ها رآها لان الروية بصرية وقوله كانها جان تجوز
ان يكون حالا ثانية وان يكون حالا من ضمير تهتز فتكون حالا متداخلة وقوله ولم يعقب تجوز
ان يكون عطفا علي ولي وان يكون حالا اخرى والمعنى ولم يرجع علي عقبه كقوله
فما عقبوا اذ قيل هل من معقب ولا نزلوا يوم الكريهة منزلا **قوله** الا من ظلم فيه
وجهان احدهما انه استثنا منقطع لان المرسلين معصومون من المعاصي وهذا هو الظاهر

الصحيح

الصحيح والمعنى لكن من ظلم ساير الناس فانه يخاف فان تاب وبدل حسنا بعد سوء فاني غفور
رحيم والثاني انه متصل وللمفسرين فيه عبارات قال الحسن ان موسى ظلم نفسه بقتل
القبطي ثم تاب فقال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي وقال ابن جريج قال الله لموسى اخفتك
لقتلك النفس وقال معنى الاية لا يخيف الله الانبيا الا بذنب يصيبه احدهم فان اصابه
اخافه حتى يتوب وقيل محمول علي ما يصدر من الانبيا من ترك الافضل وقال بعض النحويين الا
ههنا بمعنى ولا يعني لا يخاف لدي المرسلون ولا المذنبون التايبون كقوله تعالي لئلا يكون
للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا يعني ولا الذين ظلموا وعن الفرا انه متصل لكن من جملة محذوفة
تقديره وانما يخاف غيرهم الا من ظلم ورده النحاس بانه لو جاز هذا لجاز لا اضرب القوم الا زيدا
اي وانما اضرب غيرهم الا زيدا وهذا ضد البيان والمجي بما لا يعرف معناه وقدره الزمخشري بلكن
وهي علامة علي انه منقطع وذكر كلاما طويلا تعلي الانقطاع يكون منصوبا فقط علي لغة الحجاز
وعلي لغة تميم يجوز فيه النصب والرفع علي البدل من الفاعل قبله واما علي الاتصال فيجوز
فيه الوجهان علي اللغتين ويكون الاختيار البدل لان الكلام غير موجب وقرا ابو جعفر وزيد
ابن اسلم الا بفتح الهمزة وتخفيف اللام جعلاها حرف تنبيه ومن شرطية وجوابها فاني غفور
والعامة علي تنوين حسنا ومحمد بن عيسى الاصبهاني غير منون جعله فعلى مصدرا كرجعى فمنعها
الصرف لالف التانيث وابن مقسم بضم الحاء والسين منونا ومجاهد وابو حيوة ورويت
عن ابي عمرو بفتحهما وتقدم تحقيق القراات في البقرة **قوله** تخرج الظاهر انه جواب
لقوله ادخل اي ان ادخلها تخرج علي هذه الصفة وقيل في الكلام حذف تقديره وادخل
يدك تدخل واخرجها تخرج فحذف من الثاني ما اثبته في الاول ومن الاول ما اثبته في الثاني
وهذا تقدير ما لا حاجة اليه **قوله** بيضا حال من فاعل تخرج ومن غير سوء يجوز ان يكون
حالا اخرى او من الضمير في بيضا او صفة لبيضا والمراد بالجيب جيب القميص قال المفسرون
كانت عليه مدرعة من صوف لا كم لها ولا ازرار فادخل يده في جيبه واخرجها فاذا هي تبرق
مثل البرق **قوله** في تسع فيه اوجه احدها انه حال ثالثة قاله ابو البقا يعني من فاعل
تخرج اي انه في تسع ايات كذا قدره الثاني انها متعلقة بمحذوف اي اذهب في تسع وقد
تقدم اختيار الزمخشري لذلك عند ذكر البسملة ونظره بقول الاخر
فقلت الي الطعام فقال منهم وقولهم بالرفا والبنين وجعل هذا التقدير اعرب
واحسن الثالث ان يتعلق بقوله والق عصاك وادخل قال الزمخشري ويجوز ان يكون المعنى
والق عصاك وادخل يدك في تسع ايات اي في جملة تسع ايات ولقايل ان يقول كانت الايات
احدى عشرة منها اثنتان اليد والعصا والتسع الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع
والدم والطمسة والجدب في بواديهم والنقصان من مزارعهم انتهى وعلي هذا يكون في
بمعنى مع اي هذه اية مع تسع ايات انت مرسل بهن الي فرعون وقومه لان اليد والعصا
حينيذ خارجتان من التسع وكذا فعل ابن عطية اعني انه جعل في تسع متصلا بالق وادخل
الا انه جعل اليد والعصا من جملة التسع وقال تقديره نمهد لك ذلك ونيسر في تسع وجعل
الزجاج ان في بمعنى من قال كما تقول خذ لي من الابل عشرا فيها فحلان اي منها فحلان **قوله**
الي فرعون هذا متعلق بما تعلق به في تسع اذا لم يجعله حالا فان جعلناه حالا علقناه بمحذوف
تقديره ابو البقا مرسلا الي فرعون وفيه نظر لانه كون مقيد وسبقه الي هذا التقدير الزجاج
وكانما اراد تفسير المعنى دون الاعراب وجوز ابو البقا ايضا ان يكون صفة لايات وقدره
واصلة الي فرعون وفيه ما تقدم **قوله** مبصرة حال ونسب الابصار اليها مجازا لان بها

يبصر وقيل بل هي من ابصر المنقوله بالهمزة من بصر اي انها تبصر غيرها لما فيها من الظهور ولكنه مجاز
اخر غير الاول وقيل هو بمعنى مفعول نحو ماء دافق اي مدفوق وقرا علي بن الحسين وقتادة بفتح الميم
والصاد اي على وزن ارض مسبعة ذات سباع ونصبها على الحال ايضا وجعلها ابو البقا في هذه
القراة مفعولا من اجله وقد تقدم ذلك ومعنى مبصرة بينة واضحة قالوا هذا سحر مبين ظاهر **قوله**
وجحدوا بها اي انكروا الآيات ولم يقروا انها من عند الله **قوله** واستيقنتها انفسهم يجوز ان تكون
تكون هذه الجملة معطوفة على الجملة قبلها ويجوز ان تكون حالا من فاعل جحدوا وهو ابلغ في الذم
واستفعل هنا بمعنى تفعل نحو استعظم واستكبر والمعنى انهم علموا انها من عند الله وفايدة ذكر الانفس
انهم جحدوا بالسنتهم واستيقنوا في قلوبهم وضمايرهم والاستيقان ابلغ من الايقان **قوله**
ظلما وعلوا يجوز ان يكونا في موضع الحال اي ظالمين عالين وان يكونا مفعولا من اجلهما اي الحامل على
ذلك الظلم والعلو وقرا عبد الله وابن وثاب والاعمش وطلحة وعليا بكسر العين واللام وقلب
الواو يا وتقدم تحقيقه في عتيا في مريم وروي عن الاعمش وابن وثاب ضم العين كما في عتيا وقري
وغلوا بالغين معجمة وهو قريب من هذا المعنى واي ظلم افحش من ظلم من استيقن انها آيات بينة من
عند الله ثم كابر بتسميتها سحرا مبينا والعلو الترفع على الايمان والشرك وعدم الايمان بما جاء موسى
كقوله فاستكبروا وكانوا قوما عالين فانظر كيف كان عاقبة المفسدين **قوله** كيف كان
عاقبة كيف خبر مقدم وعاقبة اسمها والجملة في محل نصب على اسقاط الخافض لانها معلقة لانظر
بمعنى تفكر **قوله تعالى** ولقد اتينا داود وسليمان علما الآية والمراد بالعلم اي علم
القضا ونطق الطير والدواب وتسبيح الجبال والمعنى طايفة من العلم او علما سنيا عزيزا
وقالا قال الزمخشري فان قلت اليس هذا موضع الفا دون الواو كقولك اعطيته فشكر ومنعته
فصبر قلت بلى ولكن عطفه بالواو اشعار بان ما قالاه بعض ما احدث فيهما ايتا العلم وشي من مواجبه
فاضمر ذلك ثم عطف عليه التحميد كانه قال ولقد اتيناهما علما فعملا به وعلماه وعرفاه حق معرفته
وقالا الحمد لله انتهى وانما نكر علما تعظيما له اي علما سنيا او دلالة على التبعيض لانه قليل جدا بالنسبة
الى علمه تعالى **فضل** المعنى وقالا الحمد لله الذي فضلنا بالنبوة والكتاب وتسخير الشياطين
والجن والانس على كثير من عباده المؤمنين ولم يفضلوا انفسهم على الكل وذلك يدل على حسن التواضع
قوله وورث سليمان داود قال الحسن المال لان النبوة عطية مبتداة لا تورث وقال غيره
بل النبوة والعلم والملك دون ساير اولاده ولو تامل الحسن لعلم ان المال لا يورث من الانبيا لقوله
عليه السلام نحن معاشر الانبيا لا نورث ما تركنا صدقة وايضا فان المال اذا ورثه الولد فهو
ايضا عطية مبتداة من الله تعالى ولذلك يرثه الولد اذا كان مؤمنا ولا يرث اذا كان كافرا او قاتلا
ولا كذلك النبوة لان النبوة لا تكون سببا لنبوة الولد وكان لداود تسعة عشر ابنا واعطي سليمن ما اعطي
داود من الملك وزيد له تسخير الريح وتسخير الشياطين قال مقاتل كان سليمن اعظم ملكا من داود واقضى
منه وكان داود اشد تعبدا من سليمن وكان سليمن شاكرا لنعم الله وقال يا ايها الناس علمنا منطق
الطير يعني صوته سمي صوت الطير منطقا لحصول الفهم منه كما يفهم من كلام الناس وروي عن كعب
قال صاح ورشان عند سليمن عليه السلام فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول لدوا للموت
وابنوا للخراب وصاحت فاختة فقال اتدرون ما تقول قالوا لا قال فانها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا
وصاح طاوس فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه يقول كما تدين تدان وصاح هدهد
فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه يقول استغفروا الله يا مذنبين وصاحت طيطوى
فقال اتدرون ما تقول قالوا لا قال فانه يقول كل حي ميت وكل جديد بال وصاح خطاف فقال
اتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه يقول قدموا خيرا تجدوه وهدرت حمامة فقال اتدرون ما تقول

قالوا

قالوا لا قال فانها تقول سبحان ربي الاعلى ملء سمايه وارضه وصاح قمري فقال اتدرون ما يقول
قالوا لا قال فانه يقول سبحان ربي الاعلى قال والغراب يدعو على العشار والحداه تقول كل شي هالك
الا وجهه والقطاه تقول من سكت سلم والببغا تقول ويل لمن الدنيا همه والضفدع تقول سبحان
ربي القدوس والبازي يقول سبحان ربي وبحمده وعن مكحول قال صاح دراج عند سليمن فقال
اتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه يقول الرحمن على العرش استوى **قوله** واوتينا من كل شي يوتي
الانبيا والملوك قال ابن عباس من امر الدنيا والاخرة وقال مقاتل يعني النبوة والملك وتسخير
الجن والشياطين والريح ان هذا لهو الفضل المبين والمراد بقوله اوتينا من كل شي كثرة ما اوتي لان
كثرة المشاركة سبب لجواز الاستعارة فلا جرم يطلق لفظ الكل على الكثرة كقوله واوتيت من كل
شي وقوله ان هذا لهو الفضل المبين اي الزيادة الظاهرة على ما اعطي غيرنا وروي ان سليمن اعطي
مشارق الارض ومغاربها فملك سبع ماية وستة اشهر ملك جميع اهل الدنيا من الجن والانس والدواب
والطير والسباع واعطي على ذلك منطق كل شي وفي زمانه صنعت الصنايع العجيبة فقوله ان هذا
لهو الفضل المبين تقرير لقوله الحمد لله الذي فضلنا والمقصود منه الشكر والمحمدة كما قال عليه
السلام انا سيد ولد آدم ولا فخر **فان قيل** كيف قال علمنا واوتينا وهو كلام المتكبر
فالجواب من وجهين الاول ان يريد نفسه واباه والثاني ان هذه النون يقال لها نون
الواحد المطاع وكان ملكا مطاعا **قوله** وحشر لسليمن جنوده من الجن والانس والطير في
مسير له فقوله من الجن وما بعده بيان لجنوده فيتعلق بمحذوف ويجوز ان يكون هذا الجار حالا
فيتعلق بمحذوف ايضا **قوله** فهم يوزعون اي يمنعون ويكفون والوزع الكف والحبس يقال
وزعه يزعه فهو وازع وموزوع وقال عثمن رضي الله عنه ما يزع الشيطان اكثر مما يزع القران
وعن... لابد للناس من وزعة وقال الشاعر
ومن لم يزعه لبه وحياؤه فليس له من شيب فوديه وازع وقوله اوزعني ان اشكر
بمعنى الهمني من هذا الان حقيقته اجعلني بحيث ازع نفسي عن الكفر فقوله فهم يوزعون معناه
يحبسون وهذا لا يكون الا اذا كان في كل قبيل منها وازع يتسلط على من يرده ويكفه قال قتادة
كان على كل صنف من جنوده وزعة ترد اولاها على اخراها لئلا يتقدموا في المسير والوازع الحابس
والنقيب وقال مقاتل يوزعون يساقون وقال السدي يوقفون وقيل يجمعون **قوله**
حتى اذا في المعنى حتى وجهان احدهما هو يوزعون لانه يتضمن معنى فهم يسيرون ممنوعا بعضهم من
مفارقة بعض حتى اذا والثاني انه محذوف اي فسار واحتى وتقدم الكلام في حتى الداخلة على اذا
هل هي حرف ابتدا او حرف جر **قوله** على واد يتعلق باتوا وانما عدي بعلى لان اتوا تع
كذا لانهم كانوا محمولين على الريح فهم مستعلون وقيل هو من قولهم اتيت عليه اي استقصيته الى اخره
والمعنى انهم قطعوا الوادي كله وبلغوا اخره ووقف القرا على كلهم على واد دون يا اتباعا للرسم
ولانها محذوفة لفظا لالتقا الساكنين في الوصل ولانها قد حذفت حيث لم تحذف لالتقا الساكنين
نحو جابوا الصخر بالواد فحذفها وقفا وقد عهد حذفها دون التقا الساكنين اولى الا الكسائي فانه
وقف بالياء لان الموجب للحذف انما هو التقا الساكنين بالوصل وقد زال فعادت اللام واعتذر
عن مخالفة الرسم بقوة الاصل **والنمل** اسم جنس معروف واحده نملة ويقال نملة ونملة
بضم النون وسكون الميم ونملة ونملة بضمهما ونملة بالفتح والضم بوزن سمرة ونمل بوزن
رجل واشتقاقه من التنمل لكثرة حركته ومنه قيل للواشي المنمل يقال انمل بين القوم ينمل اي
وشى ونم لكثرة تردده وحركته في ذلك قال ولست بذي نيرب فيهم ولا منمش منهم منمل
ويقال ايضا نمل ينمل فهو نمل ونمال وتنمل القوم تفرقوا للجمع تفرق النمل وفي المثل اجمع من نملة والنملة

ايضا قرحة تخرج في الجنب تشبيها بها في الهيئة والنملة ايضا شق في الحافر ومنه فرس منمول القوايم
والانملة طرف الاصبع من ذلك لدقتها وسرعة حركتها والجمع انامل **فصل** قال
كعب كان سليمان اذا سار بعسكره حملته الريح تهوي بهم فسار من اصطخر الى اليمن فمر على مدينة
الرسول صلى الله عليه وسلم فقال سليمن هذه دار هجرة نبي الله في اخر الزمان طوبى لمن امن به وطوبى
لمن اتبعه وراى حول البيت اصناما تعبد من دون الله فلما جاوز سليمن البيت بكى البيت فاوحى
الله الى البيت ما يبكيك قال يا رب ابكاني ان هذا نبي من انبيايك وقوم من اوليايك مروا علي
فلم يهبطوا ولم يصلوا عندي والاصنام تعبد حولي من دونك فاوحى الله اليه لا تبك فاني سوف
املاك وجوها سجدا وانزل فيك قرانا جديدا وابعث منك في اخر الزمان احب انبياي الي واجعل
فيك عمارا من خلقي يعبدونني وافرض على عبادي فريضة يزفون اليك زفيف النسور الى وكارها ويحنون
اليك حنين الناقة الى ولدها والحمامة الى بيضها واطهرك من الاوثان وعبدة الشيطان ثم مضى
سليمان حتى مر بوادي السدير من الطايف فاتى على وادي النمل هكذا قال كعب انه واد بالطايف
وقال مقاتل انه واد بالشام كثير النمل وقيل واد كان يسكنه الجن واوليك النمل مراكبهم **قوله**
قالت نملة هذه النملة هنا مونثة حقيقة بدليل لحاق علامة التانيث فعلها لان نملة يطلق على الذكر
وعلى الانثى فاذا اريد تمييز ذلك قيل نملة ذكر ونملة انثى نحو حمامة وشاة وحكى الزمخشري
عن ابي حنيفة رحمه الله انه وقف على قتادة وهو يقول سلوني فامر من ساله عن نملة سليمن هل
كانت ذكرا او انثى فلم تجب فقيل لابي حنيفة في ذلك فقال كانت انثى واستدل بلحاق العلامة قال
الزمخشري وذلك ان النملة مثل الحمامة والشاة في وقوعها على المذكر والمونث فتميز بينهما بعلامة نحو
قولهم حمامة ذكر وحمامة انثى وهو وهي انتهى وقد رد هذا ابو حيان فقال ولحاق التاء في قالت
لا يدل على ان النملة مونثة بل يصح ان يقال في المذكر قالت نملة لان نملة وان كانت بالتاء هو مما
لا يتميز فيه المذكر من المونث وما كان كذلك كاليمامة والقملة مما بينه في الجمع وبين واحده تا التانيث
من الحيوان فانه يخبر عنه اخبار المونث ولا يدل كونه يخبر عنه اخبار المونث على انه ذكر او انثى
لان التاء دخلت فيه للفرق لا للدلالة على التانيث الحقيقي بل دالة على الواحد من هذا الجنس قال
وكان قتادة بصيرا بالعربية وكونه افحم يدل على معرفته باللسان اذ علم ان النملة تخبر عنها
اخبار المونث وان كانت تطلق على الانثى والذكر ولا يتميز فيه احد هذين ولحاق العلامة لا يدل
فلا يعلم التذكير والتانيث الا بوحي من الله قال وانما استنباط تانيثه من كتاب الله بقالت
ولو كانت ذكرا لقيل قال فكلام النحاة على خلافه وانه لا يخبر عنه الا اخبار المونث سواء كان ذكرا
ام انثى قال واما تشبيه الزمخشري النملة بالحمامة والشاة فبينهما قدر مشترك تميز فيهما المذكر
من المونث فيمكن ان يقول حمامة ذكر وحمامة انثى فتميزه بالصفة واما تميزه بهو وهي فانه لا يجوز
لا يقول هو الحمامة ولا هو الشاة واما النملة والقملة فلا يتميز فيه المذكر من المونث ولا يجوز في الاخبار
الا التانيث وحكمه حكم المونث بالتاء من الحيوان نحو المراة او غير العاقل كالدابة الا ان وقع فصل
بين الفعل وبين ما اسند اليه من ذلك فيجوز ان تلحق العلامة وان لا تلحقها على ما تقرر في علم العربية
انتهى قال شهاب الدين اما ما ذكره ففيه نظر من حيث ان التانيث اما لفظي او معنوي واللفظي
لا يعتبر في لحاق العلامة البتة بدليل انه لا يجوز قامت ربعة وانت تعني رجلا ولذلك لا يجوز
قامت طلحة ولا حمزة على مذكر فتعين ان يكون اللحاق انما هو للتانيث المعنوي وانما يعتبر لفظ
التانيث والتذكير في باب العدد على معنى خاص ايضا وهو انا ننظر الى ما عاملت العرب ذلك
اللفظ به من تذكير او تانيث من غير نظر الى مدلوله فهناك له هذا الاعتبار وتحقيقه هنا
يخرجنا عن المقصود وانما نبهتك على القدر المحتاج اليه واما قوله واما النملة والقملة فلا يتميز

يعني لا يتوصل لمعرفة الذكر منهما ولا الانثى بخلاف الحمامة والشاة فان الاطلاع على ذلك ممكن
فهو ايضا ممنوع بل يمكن الاطلاع على ذلك وان الاطلاع على ذكورية الحمامة والشاة اسهل من
الاطلاع على ذكورية النملة والقملة ومنعه ايضا ان يقال هو الشاة وهو الحمامة ممنوع وقرا الحسن
وطلحة ومعمر بن سليمن النمل ونملة بضم الميم وفتح النون بزنة رجل وسمرة وسليمن التيمي بضمتين
فيهما وتقدم ان ذلك لغات في الواحد والجمع **قوله** لا يحطمنكم فيه وجهان احدهما انه نهي
والثاني انه جواب للامر واذا كان نهيا ففيه وجهان احدهما انه نهي مستانف لا تعلق له بما قبله
من حيث الاعراب وانما هو نهي للجنود في اللفظ وفي المعنى للنمل ان لا تكونوا بحيث يحطمونكم كقولهم
لا ارينك ههنا والثاني انه بدل من جملة الامر قبله وهي ادخلوا وقد تعرض الزمخشري لذلك
فقال فان قلت لا يحطمنكم ما هو قلت يحتمل ان يكون جوابا للامر وان يكون نهيا بدلا من الامر
والذي جوز ان يكون نهيا بدلا من الامر لانه في معنى لا تكونوا حيث انتم فيحطمنكم على طريقة لا ارينك
ههنا اراد لا يحطمنكم جنود سليمن فجاء بما هو ابلغ ونحوه • عجبت من نفسي ومن اشفاقها •
قال ابو حيان اما تخريجه على انه جواب الامر فلا يكون ذلك الا على قراءة الاعمش فانه مجزوم
مع انه يحتمل ان يكون استينافا في نهي يعني ان الاعمش قرا لا يحطمكم بجزم الميم دون نون توكيد قال
واما مع وجود نون التوكيد فلا يجوز ذلك الا ان كان في شعر واذا لم يجز ذلك في جواب الشرط
الا في الشعر فاحرى ان لا يجوز في جواب الامر الا في الشعر وكونه جواب الامر متنازع فيه على ما قرر
في علم النحو ومثال مجي النون في جواب الشرط قول الشاعر •
نبتم نبات الخيزراني في الثرى • حديثا متى ما ياتك الخير ينفعا • وقول الاخر
• فمهما تشا منه فزارة يعطكم • ومهما تشا منه فزارة يمنعا • قال سيبويه وهو قليل
في الشعر شبهوه بالنهي حيث كان مجزوما غير واجب قال واما تخريجه على البدل فلا يجوز لان
مدلول لا يحطمنكم مخالف لمدلول ادخلوا واما قوله لانه في معنى لا تكونوا حيث انتم فيحطمنكم فتفسير
معنى لا اعراب والبدل من صفة الالفاظ نعم لو كان اللفظ القراني لا تكونوا بحيث لا يحطمنكم
لتخيل فيه البدل لان الامر بدخول المساكن نهي عن كونهم بظاهر الارض واما قوله انه اراد
لا يحطمنكم جنود سليمن الى اخره فيسوغ زيادة الاسما وهي لا تجوز بل الظاهر اسناد الحكم الى جنوده
وهو على حذف مضاف اي خيل سليمن وجنوده او نحو ذلك مما يصح تقديره انتهى اما منعه
كونه جواب الامر من اجل النون فقد سبقه اليه ابو البقا فقال وهو ضعيف لان جواب
الشرط لا يوكد بالنون في الاختيار واما منعه البدل بما ذكر فلا نسلم تغاير المدلول بالنسبة
لما يوول اليه المعنى واما قوله فيسوغ زيادة الاسما لم يسوغ ذلك وانما فسر المعنى وعلى تقدير
ذلك فقد قيل به شايعا وجا الخطاب في قولها ادخلوا خطاب العقلا لما عوملوا معاملتهم
وقرا ابي ادخلن مساكنكن لا يحطمنكن بالنون الخفيفة جا به على الاصل وقرا شهر بن حوشب
مسكنكم بالافراد وقرا الحسن وقرا ابو رجا وقتادة وعيسى الهمداني بضم اليا وفتح الحا وتشديد
الطا والنون مضارع حطمه بالتشديد وقرا الحسن ايضا قراتان فتح اليا وتشديد الطا مع
سكون الحا وكسرها والاصل لا يحتطمنكم فادغم واسكان الحا مشكل تقدم نظيره في لا يهدي ونحوه
وقرا ابن ابي اسحق ويعقوب وابو عمرو في رواية بسكون نون التوكيد والحطم الكسر يقال حطمته
حطما فحطم ثم استعمل لكل كسر متناه والحطام ما تكسر يبسا وغلب على الاشيا التافهة والحطمة
السايق السريع كانه يحطم الابل قال • قد لفها الليل بسواق حطم • ليس براعي ابل ولا غنم • ولا بجزار على ظهر
والحطمة من دركات النار ورجل حطمة للاكول تشبيها لبطنه بالنار كقوله • كانما في جوفه تنور •
وقوله وهم لا يشعرون جملة حالية **فصل** قال الشعبي كانت تلك النملة ذات جناحين

وضم

فنادت يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم ولم تقل ادخلن لانها لما جعلهم قولا كالادميين خوطبوا بخطاب
الادميين لا يحطمنكم لا يكسرنكم سليمن وجنوده وهم لا يشعرون فسمع سليمن قولها وكان لا يتكلم خلق
الاحملت الريح ذلك فالقته في مسامع سليمن **فان قيل** كيف يتصور الحطم من سليمان
وجنوده وكانت الريح تحمل سليمان وجنوده على بساط بين السما والارض قيل كانت جنوده ركبانا
وفيهم مشاة على الارض تطوى بهم وقيل يحتمل ان يكون هذا قبل تسخير الله الريح لسليمان قال
المفسرون علم النمل ان سليمان نبي ليس فيه جبرية وظلم ومعنى الاية انكم لو لم تدخلوا مساكنكم
وطئوكم ولم يشعروا بكم وروي ان سليمن لما بلغ وادي النمل حبس جنده حتى دخل النمل بيوتهم قال
اهل المعاني في كلام هذه النملة انواع من البلاغة ناديت • ونبهت • وسمت • وامرت •
ونصت • وحذرت • وخصت • وعمت • واشارت واعذرت • ووجهه نادت يا نبهت ها
سمت النمل امرت ادخلوا نصت مساكنكم • حذرت لا يحطمنكم • خصت سليمن عمت وجنوده
اشارت وهم اعذرت لا يشعرون **قوله** ضاحكا قيل هي حال موكدة لانها مفهومة من تبسم
وقيل بل هي حال مقدرة فان التبسم ابتدا الضحك وقيل لما كان التبسم قد يكون للغضب ومنه
تبسم تبسم الغضبان اي تضاحكا مسالة **قال** عنتره •
لما راني قد قصدت اريده ابدى نواجذه لغير تبسم • وتبسم تفعل بمعنى بسم المجرد قال
ويبسم عن المى كان منوره تخلل حر الرمل دعص له ندي • وقال بعض المولدين •
كانما تبسم عن لولو منضد او برد او اقاح • وقرا ابن السميفع ضحكا مقصورا وفيه ثلاثة اوجه
احدها انه مصدر موكد لمعنى تبسم لانه بمعناه والثاني انه في موضع الحال فهو في المعنى
كالذي قبله الثالث انه اسم فاعل كفرح وذلك لان فعله على فعل بكسر العين وهو لازم
فهو كفرح وبطر **قوله** ان اشكر مفعول ثان لاوزعني لان معناه الهمني وقيل معناه
اجعلني ازع شكر نعمتك اي اكفه وامنعه حتى لا ينفلت مني فلا ازال شاكرا وتفسير
الزجاج له بامنعني ان اكفر نعمتك من باب تفسير المعنى باللازم **فصل** قال
الزجاج اكثر ضحك الانبيا التبسم وقوله ضاحكا اي متبسما وقيل كان اوله التبسم واخره
الضحك قال مقاتل كان ضحك سليمان من قول النملة تعجبا لان الانسان اذا راى ما لا عهد
له به تعجب وضحك وانما ضحك لامرين احدهما اعجابه بما دل من قولها على ظهور رحمته ورحمة
جنوده وعلى شهرة حاله وحالهم في التقوى وهو قولها وهم لا يشعرون والثاني سروره بما
اتاه الله ما لم يوت احدا من سمعه كلام النملة واحاطته بمعناه ثم حمد سليمن ربه على ما
انعم عليه فقال رب اوزعني الهمني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل
صالحا ترضاه وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين وهذا يدل على ان دخول الجنة برحمته
وفضله لا باستحقاق العبد والمعنى ادخلني في جملتهم واثبت اسمي في اسمايهم واحشرني في
زمرتهم قال ابن عباس يريد مع ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب ومن بعدهم من النبيين
فان قيل درجات الانبيا افضل من درجات الاوليا والصالحين فما السبب
في ان الانبيا يطلبون جعلهم من الصالحين وقال ابرهيم توفني مسلما والحقني بالصالحين وقال
سليمن وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين فالجواب الصالح الكامل هو الذي لا يعصي الله
ولا يهم بمعصية وهذه درجة عالية **قوله تعالى** وتفقد الطير الاية تفقد الطير
طلبها وبحث عنها والتفقد طلب ما فقد من الطير واختلفوا فيما تفقده لاجله فقيل
لانه اخل بالنوبة التي كان ينوبها وقيل لان هندسة الما كانت اليه وكان يرى الما تحت الارض كما
يرى في الزجاجة وكان يعرف قربه وبعده في عمق الارض قال سعيد بن جبير لما ذكر ابن عباس

هذا قال له نافع بن الازرق يا وصاف انظر ما تقول ان الصبي منا يضع الفخ ويحثوا عليه التراب
فيجي الهدهد ولا يبصر الفخ حتى يقع في عنقه فقال له ابن عباس ويحك اذا نزل القضا والقدر ذهب
اللب وعمي البصر وهذا القول فيه نظر لان الجن اعرف بالارض من الهدهد فانهم سكانها وقيل لانه
كان يظله من الشمس **قوله** مالي لا ارى الهدهد هذا استفهام توقيف ولا حاجة الى ادعا
القلب وان الاصل ما للهدهد لا اراه اذ المعنى قوي دونه والهدهد معروف وتصغيره على
هديهد وهو القياس وزعم بعض النحويين انه يقلب في تصغيره الفا فيقال هداهد وانشد
كهداهد كسر الرماة جناحه يدعو بقارعة الطريق هديلا كما قالوا دوابة وشوابة
في دويبة وشويبة ورده بعضهم بان الهداهد الحمام الكبير ترجيع الصوت تزعم العرب ان جارحا
في زمن الطوفان اختطف فرخ حمامة يسمى الهديل قالوا فكل حمامة تبكي فانما تبكي على الهديل **قوله**
ام كان هذه ام المنقطعة وتقدم الكلام فيها وقال ابن عطيه قوله مالي لا ارى الهدهد مقصد
الكلام الهدهد غاب ولكنه اخذ اللازم عن مغيبه وهو انه لا يراه فاستفهم على جهة التوقف
عن اللازم وهذا ضرب من الايجاز والاستفهام الذي في قوله مالي ناب مناب الالف التي تحتاجها
ام قال ابو حيان فظاهر كلامه ان ام متصلة وان الاستفهام الذي في قوله مالي ناب مناب الف
الاستفهام فمعناه اغاب عني الان فلم اره حال التفقد ام كان ممن غاب قبل ولم اشعر بغيبته
قال شهاب الدين ولا يظن بابي محمد ذلك فانه لا يجهل ان شرط المتصلة تقدم همزة الاستفهام
او التسوية لا مطلق الاستفهام **قوله** عذابا اي تعذيبا فهو اسم مصدر او مصدر على حذف
الزوايد كانبتكم من الارض نباتا قد كتبوا ولا اذبحنه بزيادة الف بين لام الف والذال ولا
يجوز ان يقرا بها وهذا كما تقدم انهم كتبوا ولا وضعوا خلالكم بزيادة الف بين لام الف والواو
قوله او لياتيني قرا ابن كثير بنون التوكيد المشددة بعدها نون الوقاية وهذا هو الاصل
واتبع مع ذلك رسم مصحفه والباقون بنون مشددة فقط والاظهر انها نون التوكيد الشديدة
توصل بكسرها ليا المتكلم وقيل بل هي نون التوكيد الخفيفة ادغمت في نون الوقاية وليس بشي
لمخالفة الفعلين قبله وعيسى بن عمر بنون مشددة مفتوحة لم يصلها بالياء **فصل** قال
المفسرون معنى الاية ما للهدهد لا اراه تقول العرب مالي اراك كيبا فقال مالي لا ارى الهدهد
على تقدير انه مع جنوده وهو لا يراه ثم ادركه الشك في غيبته فقال ام كان من الغايبين يعني
اكان من الغايبين والميم صلة وقيل ام بمعنى بل ثم اوعد على غيبته فقال لاعذبنه عذابا
شديدا فقيل بنتف ريشه ووضعه لهوام الارض وقيل بحبسه في القفص وقيل بان يفرق بينه
وبين الفه وقيل بحبسه مع ضده او لاذبحنه او لياتيني بسلطان مبين بحجة ظاهرة **قوله**
فمكث قرا عاصم بفتح الكاف والباقون بضمها وهما لغتان الا ان الفتح اشهر ولذلك جات الصفة
على ماكث دون مكث واعتذر عنه بان فاعلا قد جا لفعل بالضم نحو حمض فهو حامض وخثر
فهو خاثر وفره فهو فاره **قوله** غير بعيد يجوز ان يكون صفة للمصدر اي مكثا غير بعيد
وللزمان اي زمانا غير بعيد وللمكان اي مكانا غير بعيد والظاهر ان الضمير في مكث للهدهد
وقيل لسليمن عليه السلام فقال احطت بما لم تحط به والاحاطة العلم بالشي من جميع جهاته
يقول علمت ما لم تعلم وبلغت ما لم تبلغه انت ولا جنودك **قوله** من سبا قرا البزي
وابو عمرو بفتح الهمزة جعلاه اسما للقبيلة او البقعة فمنعاه من الصرف للعلمية والتانيث وعليه
قوله • من سبا الحاضرين مارب اذ يبنون من دون سيله العرما • وقرا قنبل بسكون الهمزة
كانه نوى الوقف واجرى الوصل مجراه والباقون بالجر والتنوين جعلوه اسما للحي او المكان وعليه
قوله • الواردون وتيم في ذرى سبا • قد عض اعناقهم جلد الجواميس • وهنا الخلاف جار

بعينه في سورة سبا وفي قوله من سبا بنبا فيه من البديع التجانس وهو تجنيس التصريف وهو عبارة عن انفراد كل كلمة من الكلمتين عن الاخرى بحرف كهذه الاية ومثله تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون وفي الحديث الخيل معقود في نواصيها الخير وقال اخر • لله ما صنعت بنا تلك المعاجر والمحاجر • وقال الزمخشري وقوله من سبا بنبا من جنس الكلام الذي سماه المحدثون البديع وهو من محاسن الكلام الذي يتعلق باللفظ بشرط ان يجي مطبوعا او بصيغة عالم بجوهر الكلام يحفظ معه صحة المعنى وسداده ولقد جا هنا زايدا على الصحة فحسن وبدع لفظا ومعنى الا ترى انه لو وضع مكان بنبا بخبر لكان المعنى صحيحا وهو كما جا اصح لما في النبا من الزيادة التي يطابقها وصف الحال يريد بالزيادة ان النبا اخص من الخبر لانه لا يقال الا لما له شان من الاخبار بخلاف الخبر فانه يطلق على ما له شان من الاخبار بخلاف الخبر فانه يطلق على ما له شان وعلى ما لا شان له فكل نبا خبر من غير عكس وبعضهم يعبر عن نحو من سبا بنبا في علم البديع بالترديد قاله صاحب التحبير وقال غيره ان الترديد عبارة عن رد اعجاز البيوت على صدورها او رد كلمة من النصف الاول الى النصف الثاني فمثال الاول قوله • سريع الى ابن العم يلطم وجهه • وليس الى داعي الخنا بسريع • ومثال الثاني قوله • واللبالي اذا نايتم طوال • والليالي اذا دنوتم قصار • وقرا ابن كثير في رواية من سبا بتصورا منونا وعنه ايضا من سبا بسكون الباء وفتح الهمزة جعله على تخفيف وسبعه من الصرف لما تقدم وعن الاعمش من سبا بهمزة مكسورة غير منونة وفيها اشكال اذ لا وجه للبناء والذي يظهر ان تنوينها لا بد وان ينقلب ميما وصلا فرقة ملاقاته للباء فسمعها الراوي فظن انه كسر من غير تنوين وروي عن ابي عمرو من سبا بالالف صريحة لقولهم تفرقوا ايدي سبا وكذلك قرئ بنبا بالف خالصة وينبغي ان يكونا لقاري واحد وسبا في الاصل اسم رجل من قحطان واسمه عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان وسبا لقب له وانما لقب به لانه اول من سبا **قوله** اني وجدت امراة تملكهم لما قال الهدهد لسليمن وجئتك من سبا بنبا يقين قال سليمن وما ذاك فقال اني وجدت امراة تملكهم وكان اسمها بلقيس بنت شراحيل وكان ابوها ملك ارض اليمن من نسل يعرب بن قحطان وكان ملكا عظيم الشان وكان يقول لملوك الاطراف ليس احد كفوا لي وابا ان يتزوج منهم فزوجوه امراة من الجن يقال لها ريحانة بنت السكن فولدت له بلقيس ولم يكن له ولد غيرها وفي الحديث ان احد ابوي بلقيس كان جنيا وكانت هي وقومها مجوسا يعبدون الشمس والضمير في تملكهم راجع الى سبا فان اريد به القوم فالامر ظاهر وان اريد المدينة فمعناه تملك اهلها قال عليه السلام لما بلغه ان اهل فارس قد ملكوا عليهم بنت كسرى لن يفلح قوم ولوا امرهم امراة **قوله** واوتيت من كل شي يجوز ان يكون معطوفا على تملكهم وجاز عطف الماضي على المضارع لان المضارع بمعناه اي ملكتهم ويجوز ان يكون في محل نصب على الحال من مرفوع تملكهم وقد معها مضمرة عند من يرى ذلك وقوله من كل شي عام مخصوص بالعقل لانها لم تؤت ما اوتيه سليمن **قوله** ولها عرش يجوز ان تكون هذه جملة مستقلة بنفسها سيقت للاخبار بها وان تكون معطوفة على واوتيت وان تكون حالا من مرفوع اوتيت والاحسن ان يجعل الحال الجار وعرش مرفوع به وبعضهم يقف على عرش ويبتدي عظيم قال الزمخشري ومن نوكى القصاص من يقف على قوله ولها عرش ثم يبتدي عظيم وجدتها يريد امر عظيم ان وجدتها فر من استعظام الهدهد عرشها فوقع في عظيمة وهي مسخ كتاب الله قال شهاب الدين النوكى الحمقى جمع انوك وهذا الذي ذكره من امر الوقف نقله الداني عن نافع وقرره ابو بكر بن الانباري ورفعه الى بعض اهل العلم فلا ينبغي ان يقال نوكى القصاص وخرجه الداني

على

على ان يكون عظيم مبتدا ووجدتها الخبر وهذا خطا كيف يبتدا بنكرة من غير مسوغ وتخبر عنها بجملة لا رابط بينها وبينه والاعراب ما قاله الزمخشري من ان عظيما صفة لمحذوف خبر مقدم وما وجدتها مبتدا مؤخر منسبك مع حرف مصدري اي امر عظيم وجداني اياها وقومها غير عابدي الله **قوله** وجدتها هي التي بمعنى لقيت واصبت فيتعدي لواحد فيكون يسجدون حالا من مفعولها وما عطف عليه **فان قيل** كيف استعظم الهدهد عرشها مع ما كان يرى من ملك سليمن وايضا فكيف سوى بين عرش بلقيس وعرش الله في الوصف بالعظم فالجواب عن الاول يجوز ان يستصغر حالها الى حال سليمن فاستعظم لها ذلك العرش ويجوز ان يكون لسليمن مع جلالته مثله كما قد يكون لبعض الامراء شي لا يكون مثله للسلطان وعن الثاني انه وصف بالعظم بالنسبة الى عروش ابنا جنسها من الملوك ووصف عرش الله بالعظم تعظيم له بالنسبة الى ساير ما خلق من السموات والارض قال المفسرون العرش السرير الضخم كان مضروبا من الذهب مكللا بالدر والياقوت الاحمر والزبرجد الاخضر وقوايمه من الياقوت والزبرجد وعليه سبعة ابواب على كل بيت باب مغلق قال ابن عباس كان عرشها ثلاثين ذراعا في ثلاثين ذراعا وطوله في السما ثلاثون ذراعا واعلم ان قوله الله لا اله الا هو رب العرش العظيم ان قلنا انه من كلام الهدهد فالهدهد قد استدرك على نفسه واستقل عرشها بالنسبة الى عظمة عرش الله وان قلنا انه من كلام الله تعالى فالله رد عليه استعظامه لعرشها **فصل** طعنت الملحدة في هذه القصة من وجوه احدها ان هذه الايات اشتملت على ان النملة والهدهد تكلما بكلام لا يصدر ذلك الا من العقلا وذلك يجر الى السفسطة فانا لو جوزنا ذلك لما امنا من النملة التي نشاهدها في زماننا هذا ان يكون اعلم بالهندسة من اقليدس وبالنحو من سيبويه وكذا القول في القملة والصيبان ولجوزنا ان يكون فيهم الانبيا والمعجزات والتكاليف ومعلوم ان من جوز كان الى الجنون اقرب وثانيها ان سليمن عليه السلام كان بالشام فكيف طار الهدهد في تلك اللحظة اللطيفة من الشام الى اليمن ثم رجع اليه وثالثها كيف خفي على سليمن عليه السلام تلك المملكة العظيمة مع ان الجن والانس كانوا في طاعته وانه عليه السلام كان ملك الدنيا كلها وكان تحت طاعة بلقيس على ما يقال اثنا عشر الف تحت يد كل واحد منهم ماية الف مع ما يقال انه لم يكن بين سليمن وبين بلدة بلقيس حال الطيران الهدهد الا مسيرة ثلاثة ايام ورابعها من اين حصل للهدهد انكار سجودهم للشمس واضافته للشيطان وتزيينه والجواب عن الاول ان ذلك الاحتمال قايم في اول العقل وانما يدفع ذلك بالاجماع **فصل** وعن البواقي ان الايمان بافتقار العالم الى القادر المختار يزيل هذه الشكوك قالت المعتزلة قوله يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان اعمالهم يدل على ان فعل العبد من جهته لانه تعالى اضاف ذلك الى الشيطان بعد اضافته اليهم واورده مورد الذم وبين انهم لا يهتدون والجواب من وجوه احدها ان هذا قول الهدهد فلا يكون حجة وثانيها انه متروك الظاهر فانه قال فصدهم عن السبيل وعندكم الشيطان ما صد الكافر عن السبيل اذ لو صده عن السبيل لكان معذورا ممنوعا فيسقط عنه التكليف فلم يبق الا التمسك بالمدح والذم وجوابه قد تقدم **قوله** الا يسجدوا قرا الكسائي بتخفيف الا والباقون بتشديدها فاما قراة الكسائي فالا فيها تنبيه واستفتاح ويا بعدها حرف ندا او تنبيه ايضا على ما سياتي واسجدوا فعل امر وكان حق الخط على هذه القراة ان يكون يا اسجدوا ولكن الصحابة اسقطوا الف يا وهمزة الوصل من اسجدوا خطا لما سقطا لفظا ووصلوا اليا بسين اسجدوا فصارت صورته يسجدوا كما ترى فاتحدت القراتان لفظا وخطا واختلفا تقديرا واختلف النحويون في يا هذه هل هي حرف تنبيه او للندا والمنادي محذوف تقديره يا هولا اسجدوا وقد تقدم ذلك عند قوله في سورة النسا يا ليتني والمرجح ان

يكون للتنبيه لئلا يودي الي حذف كثير من غير بقا ما يدل علي المحذوف الا تري ان جملة الندا حذفت
فلو ادعيت حذف المنادي كثر الحذف ولم يبق معمول يدل علي عامله بخلاف ما اذا جعلتها للتنبيه ولكن
عارضنا هنا ان قبلها حرف تنبيه اخر وهو الا وقد اعتذر عن ذلك بانه جمع بينهما تاكيدا واذا
كانوا قد جمعوا بين حرفين عاملين للتاكيد كقوله • فاصبحن لا يسالنني عن بما به • فغير العاملين
اولي وايضا فقد جمعوا بين حرفين عاملين متحدي اللفظ والمعني كقوله
• فلا والله لا يلفي لما بي ولا للما بهم ابدا دوا • فهذا اولي وقد كثر مباشرة يا لفعل الامر وقبلها الا
التي للاستفتاح كقوله • الا يا اسلمي ثم اسلمي ثمت اسلمي • ثلاث تحيات وان لم تكلم • وقوله
• الا يا اسلمي يا دارمي علي البلي • ولا زال منهلا بجرعائك القطر • وقوله
• الا يا اسلمي ذات الدمالج والعقد • وذات اللثات الحم والفاحم الجعد • وقوله
• الا يا اسلمي يا هند هند بني بكر • وان كان حيانا عدا اخر الدهر • قاله الاخطل يريد الا يا هند
اسلمي وعلي هذا يكون قوله الا كلاما معترضا من غير القصة اما من الهدهد واما من سليمن
قاله ابو عبيدة هو امر من الله مستانف يعني الا يا ايها الناس اسجدوا • وقوله
• الا يا اسقياني قبل خيل ابي بكر • لعل منايانا قربن ولا ندري • وقوله
• الا يا اسقياني قبل غارة سنجال • وقوله فقالت الا يا اسمع اعظك بخطة فقلت سميعا فانطقي واصيبي
وقد جا ذلك وان لم يكن قبلها الا كقوله
• يا دار هند يا اسلمي ثم اسلمي بسمسم او عن يمين سمسم • فعلم ان قراة الكسائي قوية لكثرة
دورها في لغتهم وقد سمع ذلك في النثر بعضهم يقول الا يا ارحموني الا يا تصدقوا علينا واما
قوله يا لعنة الله والاقوام كلهم والصالحين علي سمعان من جار فيحتمل ان يكون يا للندا
والمنادي محذوف وان يكون للتنبيه وهو الارجح لما مر واعلم ان الوقف عند الكسائي
علي يهتدون تام وله ان يقف علي الا ويا ويبتدي اسجدوا بهمزة مضمومة وله ان يقف
علي الا وحدها وعلي يا وحدها لانهما حرفان منفصلان وهذان الوقفان وقفا اختبار
لا اختيار لانهما حرفان لا يتم معناهما الا بما يتصلان به وانما فعله القرا امتحانا وبيانا
فهذا توجيه قراة الكسائي والخطب فيها سهل واما قراة الباقين فتحتاج الي امعان نظر
وفيها اوجه كثيرة احدها ان الا اصلها ان لا فان ناصبة للفعل بعدها ولذلك سقطت
نون الرفع ولا بعدها حرف نفي وان وما بعدها في موضع مفعول يهتدون علي اسقاط
الخافض اي الي ان لا يسجدوا ولا مزيدة كزيادتها في لئلا يعلم اهل الكتاب والمعني فهم لا يهتدون
الي ان يسجدوا الثاني انه بدل من اعمالهم وما بينهما اعتراض تقديره وزين لهم الشيطان
عدم السجود لله الثالث انه بدل من السبيل علي زيادة لا ايضا والتقدير فصدهم عن السجود
لله الرابع ان الا يسجدوا مفعولا له وفي متعلقه وجهان احدهما انه زين اي زين لهم لاجل
الا يسجدوا والثاني انه متعلق بصدهم اي صدهم لاجل ان لا يسجدوا وفي لا حينئذ وجهان
احدهما انها ليست مزيدة بل باقية علي معناها من النفي والثاني انها مزيدة والمعني وزين
لهم لاجل توقعه سجودهم او لاجل خوفه من سجودهم وعدم الزيادة اظهر الخامس انه خبر
مبتدا مضمر وهذا المبتدا اما ان يقدر ضميرا عايدا علي اعمالهم التقدير هي ان لا يسجدوا فيكون
لا علي بابها من النفي واما ان يقدر ضميرا عايدا علي السبيل التقدير هو ان لا يسجدوا فيكون لا
مزيدة علي ما تقدم ليصح المعني وعلي الاوجه الاربعة المتقدمة لا يجوز الوقف علي يهتدون
لان ما بعده اما معمول له او لما قبله من زين وصد او بدل مما قبله ايضا من اعمالهم او من
السبيل علي ما قرر بخلاف الوجه الخامس فانه مبني علي مبتدا مضمر وان كان ذلك الضمير

مغنى

مفسرا بما سبق قبله وقد كتبت الا موصولة غير مفصولة فلم يكتب ان منفصلة من لا فمن
ثم امتنع ان يوقف لها ولا في الابتلا والامتحان علي ان وحدها لاتصالها بلا في الكتابة بل يوقف
لهم علي الا بجملتها كذا قال القرا والنحويون مع ان سا لوا عن مثل ذلك وتعمدوا لاجل البيان علي كل
كلمة علي حدتها لضرورة البيان وكونها كتبت متصلة بلا غير مانع من ذلك ثم قول القرا كتبت
متصلة تسامح لان حقيقة هذا ان يبينوا صورة نون ويصلوها بلا فكتبوها الا ولكن لما
ادغمت فيما بعدها لفظا وذهب لفظها الي لفظ ما بعدها قالوا ذلك تسامحا وقد رتب
ابو اسحق علي القراتين حكما وهو وجوب سجود التلاوة وعدمه فاوجبه مع قراة الكسائي وكانه
لاجل الامر به ولم يوجبه في قراة الباقين لعدم وجود الامر فيها الا ان الزمخشري لم يرتضه
منه فانه قال فان قلت اسجدة التلاوة واجبة في القراتين جميعا او في واحدة منهما قلت
هي واجبة فيهما واحدي القراتين امر بالسجود والاخري ذم للتارك وما ذكره الزجاج من وجوب
السجدة مع التخفيف دون التشديد فغير مرجوع اليه قال شهاب الدين وكان الزجاج
اخذ بظاهر الامر وظاهره الوجوب وهذا لو خلينا والاية لكان السجود واجبا ولكن دلت
السنة علي استحبابه دون وجوبه علي انا نقول هذا مبني علي نظر اخر وهو ان هذا الامر من
كلام الله تعالي او من كلام الهدهد محكيا عنه فان كان من كلام الله تعالي فيقال يقتضي الوجوب
الا ان يجي دليل يصرفه عن ظاهره وان كان من كلام الهدهد وهو الظاهر ففي انتهاضه دليلا
نظر وهذا الذي ذكروه ليس بشي لان المراد بالسجود ههنا عبادة الله لا عبادة الشمس وعبادة
الله واجبة وليس المراد من الاية سجود التلاوة واين كانت التلاوة في زمن سليمن عليه
السلام ولم يكن ثم قران وقرا الاعمش هلا وهلا بقلب الهمزة ها مع تشديد لا وتخفيفها
وكذا هي في مصحف عبد الله وقرا عبد الله تسجدون بتا الخطاب وبنون الرفع وقري كذلك
باليا من تحت فمن اثبت نون الرفع فالا بالتشديد او التخفيف للتحضيض وقد يكون المخففة
للعرض ايضا نحو الا تنزل عندنا فتحدث وفي حرف عبد الله ايضا الا هل تسجدون بالخطاب
قوله الذي يخرج الخب يجوز ان يكون مجرور المحل نعتا لله او بدلا منه او بيانا ومنصوبا
علي المدح ومرفوعة علي خبر ابتدا مضمر **والخب** مصدر خبات الشي اخباه خبا
اي سترته ثم اطلق علي الشي المخبو ونحوه هذا خلق الله قال المفسرون الخب في السموات المطر
وفي الارض النبات والخابيه من هذا الا انهم التزموا فيها ترك الهمزة كالبريه والذريه عند
بعضهم وقيل الخب الغيب اي يعلم غيب السموات والارض وقرا ابي وعيسي الخب بنقل
حركة الهمزة الي البا وحذف الهمزة فيصير نحو رايت الاب وقرا عبد الله وعكرمة ومالك ابن
دينار الخبا بالف صريحة ووجهها انه ابدل الهمزة الفا فلزم تحريك البا وذلك علي لغة من
يقف من العرب بابدال الهمزة حرفا يجانس حركتها فيقول هذا الخبو ورايت الخبا ومررت
بالخبي ثم اجري الوصل مجري الوقف وقيل انه لما نقل حركة الهمزة الي الساكن قبلها لم يحذفها
بل تركها فسكنت بعد فتحة فدبرت بحركة ما قبلها وهي لغة ثابتة يقولون المراة والكماه بالف
مكان الهمزة بهذه الطريقة وقد طعن ابو حاتم علي هذه القراة وقال لا تجوز في العربية لانه
ان حذف الهمزة التي حركتها علي البا فقال الخب وان حركها قال الخبي بسكون البا ويا بعدها
قال المبرد كان ابو حاتم دون اصحابه في النحو لم يلحق بهم الا انه اذا خرج من بلدهم لم يلق اعلم
منه **قوله** في السموات فيه وجهان احدهما انه متعلق بالخب اي المخبو في السموات
والثاني انه متعلق بيخرج علي ان معني في بمعني من اي يخرجه من السموات ومن وفي يتعاقبان
تقول العرب لاستخرجن العلم فيكم اي منكم قاله الفرا وقرا عبد الله يخرج الخب من السموات
قوله

ما يخفون قرأ الكسائي وحفص بالتاء من فوق فيهما والباقون بالياء من تحت فالخطاب ظاهر على قراءة الكسائي لأن ما قبله أمر هو بالسجود وخطابهم به والغيبة على قراءة الباقين غير حفص ظاهره أيضا لتقدم الضمائر الغائبة في قوله لهم وأعمالهم وصدهم وفهم وأما قراءة حفص فتأويلها أنه خرج إلى خطاب الحاضرين بعد أن أتم قصة أهل سبأ ويجوز أن يكون التفاتا على أنه نزل الغائب منزلة الحاضر فخاطبه ملتفتا إليه وقال ابن عطية بياء الغيبة تعطي أن الآية من كلام الهدهد وبتاء الخطاب تعطي أنها من خطاب الله لأمة محمد صلى الله عليه وسلم وقد تقدم أن الظاهر أنه من كلام الهدهد مطلقا وكذلك الخلاف في قوله الله لا إله إلا هو هل هو من كلام الهدهد استدراكا منه لما وصف عرش بلقيس بالعظم أو من كلام الله تعالى ردا عليه في وصفه عرشها بالعظم والعامة على جر العظيم تابعا للجلالة وابن محيصن بالرفع وهو يحتمل وجهين أن يكون نعتا للرب وأن يكون مقطوعا عن تبعية العرش بإضمار مبتدأ **فصل** دل قوله يخرج الخبء في السموات والأرض على كمال القدرة وسمي المخبوء بالمصدر ليتناول جميع الأرزاق والأموال ودل قوله ويعلم ما تخفون وما تعلنون على كمال العلم وإذا كان قادرا على كل المقدورات عالما بكل المعلومات وجب أن يكون إلها والشمس ليست كذلك فلا تكون إلها وإذا لم تكن إلها لم تستحق العبادة **فإن قيل** إن إبراهيم وموسى عليهما السلام قدما دلالة الأنفس على دلالة الآفاق فإن إبراهيم قال ربي الذي يحيي ويميت ثم قال إن الله يأتي بالشمس من المشرق وموسى عليه السلام قال ربكم ورب آبائكم الأولين ثم قال رب المشرق والمغرب وههنا قدم خبء السموات على خبء الأرض فجوابه أن إبراهيم وموسى ناظرا من ادعى الإلهية البشرية فبدءا بإبطال الإلهية البشرية ثم انتقل إلى الإلهية السماوية وههنا الكلام مع من ادعى الإلهية للشمس لقوله رأيتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله فلا جرم ابتدأ بذكر السماويات ثم بالأرضيات **قوله** أصدقت أم كنت الجملة الاستفهامية في محل نصب بننظر لأنها معلقة لها وأم هنا متصلة وقوله أم كنت من الكاذبين أبلغ من قوله أم كذبت وإن كان هو الأصل لأن المعنى من الذين اتصفوا وانخرطوا في سلك الكاذبين وقوله سننظر من النظر الذي هو التأمل **قوله** هذا يجوز أن يكون صفة لكتابي أو بدلا منه أو بيانا له قال المفسرون إن سليمان عليه السلام كتب كتابا فيه من عبد سليمان بن داود إلى بلقيس ملكة سبأ بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى أما بعد أن لا تعلوا علي وأتوني مسلمين قال ابن جريج لم يزد سليمان على ما قصه الله في كتابه ثم ختمه بخاتمه ثم قال للهدهد اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم **قوله** فألقه قرأ أبو عمرو وحمزة وأبو بكر بإسكان الهاء وقالون بكسرها فقط من غير صلة بلا خلاف عنه وهشام عنه وجهان القصر والصلة والباقون بالصلة بلا خلاف وتقدم توجيه ذلك في آل عمران والنساء وغيرهما عند يؤده إليك ونوله ما تولى وقرأ مسلم بن جندب بضم الهاء موصولة بواو فألقهو إليهم وقد تقدم أن الضم الأصل وقال إليهم على لفظ الجمع لأنه قال وجدتها وقومها يسجدون للشمس والمعنى فألقه إلى الذين هذا دينهم **قوله** ثم تول عنهم زعم أبو علي وغيره أن في الكلام تقديما وأن الأصل فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم ولا حاجة إلى هذا لأن المعنى بدونه صحيح أي قف قريبا منهم لتنظر ماذا يكون **قوله** ماذا يرجعون إن جعلنا انظر بمعنى تأمل وتفكر كانت ما استفهامية وفيها حينئذ وجهان أحدهما أن تجعل مع ذا بمنزلة اسم واحد ويكون مفعوله بيرجعون تقديره أي شيء يرجعون والثاني أن تجعل ما مبتدأ وذا بمعنى الذي ويرجعون صلتها وعائدها محذوف تقديره أي شيء الذي يرجعونه وهذا الموصول هو خبر ما الاستفهامية وعلى التقديرين فالجملة الاستفهامية معلقة لانظر فمحلها النصب على إسقاط الخافض أي انظر في كذا وفكر فيه وإن جعلناه بمعنى انتظر من قوله انظرونا

نقتبس

نقتبس من نوركم كانت ذا بمعنى الذي ويرجعون صلة والعائد مقدر كما تقرر وهذا الموصول مفعول به أي انتظر الذي يرجعون وقال أبو حيان وماذا إن كان معنى انظر معنى التأمل بالفكر كان انظر معلقا وماذا إما أن يكون كله استفهاما في موضع نصب وإما أن تكون ما استفهاما وذا موصولة بمعنى الذي فعلى الأول يكون يرجعون خبرا عن ماذا وعلى الثاني يكون ذا هو الخبر ويرجعون صلة انتهى وهذا غلط إما من الكاتب وإما من غيره وذلك أن قوله فعلى الأول يعني به أن ماذا كله استفهام في موضع نصب يمنع قوله يرجعون خبرا عن ماذا كيف يكون خبرا عنه وهو منصوب به كما تقرر وقد صرح هو بأنه منصوب بما بعده ولا يعمل فيه ما قبله وهذا نظير ما تقدم في آخر السورة قبلها في قوله وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون في كون اسم الاستفهام معمولا لما بعده وهو معلق لما قبله فكما حكمت على الجملة من ينقلبون وما اشتملت عليه من اسم الاستفهام المعمول لها بالنصب على سبيل التعليق كذلك تحكم على يرجعون فكيف تقول إنها خبر **قوله** إنه من سليمان وإنه العامة على كسر الهمزتين على الاستئناف جوابا لسؤال قومها كأنهم قالوا ممن الكتاب وما فيه فأجابتهم بالجوابين وقرأ عبد الله وإنه من سليمان بزيادة واو عاطفة أنه من سليمان على قوله إني ألقي إلي وقرأ عكرمة وابن أبي عبلة بفتح الهمزتين صرح بذلك الزمخشري وغيره ولم يذكر أبو البقاء إلا الكسر في أنه من سليمان وكأنه سكت عن الثانية لأنها معطوفة على الأولى وفي تخريج الفتح فيهما أوجه أحدها أنه بدل من كتاب بدل اشتمال أو بدل كل من كل كأنه قيل ألقي إلي أنه من سليمان وأنه كذا وكذا وهذا هو الأصح والثاني أنه مرفوع بكريم ذكره أبو البقاء الثالث أنه على إسقاط حرف العلة قال الزمخشري ويجوز أن يريد لأنه من سليمان ولأنه كأنها عللت بكونه من سليمان وتصديره باسم الله وقال مكي وأجاز الفراء الفتح فيهما في الكلام كأنه لم يطلع عليها قراءة وقرأ أبي أن من سليمان وأن بسم الله بسكون النون فيهما وفيها وجهان أظهرهما أنها أن المفسرة لتقدم ما هو بمعنى القول والثاني أنها المخففة واسمها محذوف وهذا لا يتمشى على أصول البصريين لأن اسمها لا يكون إلا ضمير شأن وضمير الشأن لا يفسر إلا بجملة مصرح بجزئيها **فصل** قال المفسرون أخذ الهدهد الكتاب وأتى به إلى بلقيس وكانت بأرض يقال لها مأرب من صنعاء فرمى بالكتاب إليها فأخذته بلقيس وكانت قارئة ومن ثم اتخذ الناس البطائق فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت لأن ملك سليمان كان في خاتمه وعرفت أن الذي أرسل الكتاب أعظم ملكا منها لطاعة الطير وهيبة الخاتم فقرأت الكتاب وتأخر الهدهد غير بعيد فقعدت على سرير ملكها وجمعت الملأ من قومها وقالت لهم إني ألقي إلي كتاب كريم قال عطاء والضحاك سمته كريما لأنه كان مختوما وروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كرامة الكتاب ختمه وقال مقاتل والزجاج كريما أي حسن ما فيه وروي عن ابن عباس أي شريف لشرف صاحبه وقيل سمته كريما لأنه مصدر ببسم الله الرحمن الرحيم ثم بينت ممن الكتاب فقالت إنه من سليمان وبينت المكتوب فقالت وإنه بسم الله الرحمن الرحيم **فإن قيل** لم قدم سليمان اسمه على قوله بسم الله الرحمن الرحيم فالجواب حاشاه من ذلك بل ابتدأ الكتاب ببسم الله الرحمن الرحيم وإنما كتب اسمه عنوانا بعد ختمه لأن بلقيس إنما عرفت كونه من سليمان بقراءة عنوانه كما هو المعهود ولذلك قالت إنه بسم الله الرحمن الرحيم أي أن الكتاب فالتقديم واقع في حكاية الحال واعلم أن قوله بسم الله الرحمن الرحيم مشتمل على إثبات الصانع سبحانه وإثبات كونه عالما قادرا حيا مريدا حكيما رحيما **فصل** وقد استنبط الشيخ الإمام العالم شرف الدين محمد بن سعيد الشهير بالبوصيري من أسرار البسملة ما أبطل به مذهب النصارى فقال بلغني أن بعض النصارى انتصر لدينه وانتزع من البسملة الشريفة دليلا على تقوية اعتقاده في المسيح وصحة يقينه فقلب حروفها ونكر معروفها وفرق مألوفها وقدم فيها وأخر ونكر وقدر فقال كيف

تقدر تنوعلى وبى تنوا دبروا ستكبرنعال قد انتظم من البسملة المسيح ابن الله المحرر • وظن ان ذلك
سرا في قلب البسملة مضمرا • وعلى جبين الكتاب العزيز مسطرا • فنظرت الى ما عزاه الى البسملة
واستخرجه من حروفها المستعمله والمهملة فاذا هو لا ما المسيح بن الله محرر • فاسقط في يديه ونكص
على عقبيه • وقامت محجته من لسانه عليه • ثم عاد الى دعوله نخبران الذي صح له نظمه • وثبت عنده
منها حكمه • الم المسيح بن الله محرر • فقلت ورسل الله كلهم الهوا وانبيا وه فاي خصوصية لربك
بالبنوة • واي رتبه زدته بها على النبوة • فقال اردت بالالم اثبات ما انكرته من الصلب
ونفيته عنه من الم الطعن والضرب • وقد شهدت به كتب الله المنزلة • وشا فهتك به حروف
البسملة • فقلت وهل شهدت لك الا بالنقيض • ودحت منها باخيب قداح المفيض • وحيث
رضيت البسملة بيننا وبينك حكما • وجوزت منها احكاما عليك وحكما • فلتسمع البسملة الاخيار
منا على الاشرار • ولتفضل اصحاب الجنة على اصحاب النار • وحيث كان مقصودك من ذكر الالم الافصاح
عما اردته من الصلب والطعن والضرب والثلب • وسقيته من الخل الممزوج بالمرار بئس الشراب
فخذ الجواب عنه والله الموفق للصواب • اما دعواك البنوة فقد قالت لك البسملة بلسان حالها
لا ما المسيح بن الله محرر ولحقته بقولها الحلم ربح راس مال حملة الايمان الحلم ربح راس مال الايمان
لبس برا من احل ما حرم الله • المسلم له بنى حرم الراح • المسلم حرم الراح لنبيه سلم بالله من حرم
الراح لله بنى مسلم حرم الراح • المسلم للرحمانية رابح • لا مرحمة لليام ابنا المسيح • رحم حر مسلم
اناب الى الله • انما الله رب للمسيح راحم • وزعمت انه ربك فقالت حرم من لارب له الا المسيح
وقالت ايضا النحر لام لها المسيح رب • وقلت انه حمل الله فقالت اسمي الله ابن المحرر حملا • وقالت
ما اسلم الرب حمله لينحر • وقالت الاحرى الرب حمله من الم • وقلت انه اله فقالت المحير من ربه
حل الالم • وقالت سل حمرنا ان تهم نحل الالم • وقالت حرم حمار ينسب لله الالم • وقلت انه
لعن بالحربة مسمرا فقالت من راي المسيح الم لحربه • وقالت ان ربنا حال للمسمر الحليم • وقالت
احالل ربنا الحليم مسمرا • وقالت احالك الرب الحي من سمر • وقلت انه اله تحلل وتحرم
فقالت ابن سليل رحم لا اله يحرم • وقالت سل ابن مريم احل له الحرام • وقالت احلل لنا
حرمة رب الناس • وان قلت انه رسول صدقتك • وقالت ايل ارسل الرحمة من بلحم
وترجمة ايل اسم من اسما الله تعالى بلسان كتبهم وترجمة بلحم بيت لحم الذي ولد فيه المسيح
وقلت انه ركب الحمار فقالت سلم ان الرب لا تحمله حمار • وقالت للناس رب لم تحمله حمار • م
وباهيتها بسملتك التي لفقتها الفلاسفة للاساقفة فقالت لم نرا جبارا لملة المسيح • وقالت
احبار الملة نحل مرسلين • وقالت ما حرر الا باللمسيح الامانه • وقلت ان النصارى لا تمسهم
النار فقالت حر لهب النار لام المسيح • وكرهت الاسلام فقالت للاسلام نحر ما احلا تمريره
الاسلام نحر حلا لي تمره حلا الاسلام لمحرره بايمان • وقالت من حرم الاسلام لا ربح له • وقالت
ان المسلم لحري بالرحمة • وقالت ما جوح الله راحم المسلمين • وقالت ان ملة الاسلام لحرب رحيب
وقالت لا راحة لمحارب المسلمين • وقالت الاسلام حرم لا راي لمحاربه • وقالت المسلم حرب للنار
الحامية • وقالت حن المسلم الى رحمة الرب • وقالت الاحبار رحمة للمسلمين • وقالت المحراب راحة
للمسلمين • ونقمت قيام الدين بالسيف فقالت • ام الحسام للنبي الرحمة • واثنت البسملة على نفسها
فقالت • البسملة لا رحم الراحمين • وقالت الحرب بالرحمة ما بسمل • فانظر الى البسملة قد لاحت
لك بارقة من انوارها • وحلت لك عقدة من ازرار اسرارها • تخبر ان من وراء رجلها خيولا
وليوثا • ومن دون طلها سيولا وغيوثا • واما بسملتك فلو كانت على اصل ثابت اولم تغرس
من الكفر على اخبث المنابت لهززت اليك بجذعها • واستدللت على طيب اصلها بخبر فرعها

لكني وجدتها شجرة خبيثة • وثمرة لا يبوغها القديمة ولا الحديثة • الفاظها تمج الاسماع وتنبها
تحل عقود الاجماع • والنظر فيها يصدي الافهام والعقول • وتعلم كلاما بما يقول ولذلك
ضربت عن ذكرها صفحا • وعددت الاعراض عنها غنيمة وربحا • لكونها قايمة قواعد والمعترف
بها مثوا ولجاحد • والثلاثة الالهة فيها يوصفون بالواحد • واما بسملة المسلمين فان الله
اودعها من العلوم والحكم ما فضلهم به على ساير الامم • واعلم ان منها الفات اختصرت
وبقي الهجا مواضعها ثابت اوحضرت • وقد استعملت بعضها في بعض المواضع لا بين حكمها واجلي
رسمها • وضعفتها للمثلثين • وضاهت كعبة فضلها للقبلتين • وتارة توافق حروفها في
العدد العادة • وتارة يقتضي على الغات الوصل بالزيادة • وما اخطات بحمد الله واحدة
منها صوابا • ولا عيب جوابا • ولا خرجت عن حدها كتابة ولاحسابا • ولا يحسبني استحسنت
كلمتك البادرة فنبحث على منوالها • وقابلت الواحدة منها بعشر امثالها • وما كان
ذلك الهذيان مما يجاب • لولا بداخلك من التيه والاعجاب • فظننت انك جيت بشي عجاب
او حكمة كلمك الله بها وحيا او من وراء حجاب • وتقول لاخوانك الذين يمدونك في الغي
ويحسبون انك على شي • قد افحمت بسملتي المسلمين • واسكت بكلمتي فضلا المتكلمين • فقدر
قومك في طغيانهم • وتغرهم على غسا وة ايمانهم • ولا انت ممن يجري مجاكاة لعزل قلمي ولا احرك
به لساني • ولا انمزبه فمي • وقد اتيتك بما يغنيك فيهتك • ويتمك ما يصمتك عن الاجابة
ويصمتك على اسلوب رايته في كتب انبيايك • وتفاسير علمايك • تعلم به ان هذه البسملة
مستقر لسابر العلوم والفنون • ومستودع لجوهر سرها المكنون • الا ترى ان البسملة اذا
حصلت جملها كان عدد سبع ماية وستة وثمانين •

ب س م ال ل ه ال ر ح م ن ال ر ح ي م
٢ ٦٠ ٤٠ ١ ٣٠ ٣٠ ٥ ١ ٣٠ ٢٠٠ ٨ ٤٠ ٥٠ ١ ٣٠ ٢٠٠ ٨ ١٠ ٤٠

واذا قلت ان مثل عيسى كادم وافق جملها سبع ماية وستة وثمانين وان باهيتها
بسملتك التي تزعم من كفرها الغرابين • وتجوز بالبهتان ما لا يجوز على الله من التعايير رد
عليه • وقالت ليس لله من شريك • جملتها سبع ماية وستة وثمانين الالف التي بعد لامي الجلالة
وقالت ولا اشرك بربي احدا • سبع ماية وستة وثمانين • وقالت ما لعلوم الفلسفة انوار
هداية • سبع ماية وستة وثمانين • وقالت يهدي الله لنوره من يشا سبع ماية وستة
وثمانين باسقاط الف الجلالة ولو استشهدت بسملتك لشهدت لي بالحق عليك • وشكت الى
الله والى الناس بما نسبت من الافك والبهتان اليك • اذ الفاظها وحاكي الكفر ليس يكافر
تنافي المعقول والمنقول • وتنافر بسم الاب والابن وروح القدس اله واحد • وباطنها تقول
ما سبح الابنوة والاله القدس واحد • وتقول بسملوا بالقران ووحد والله بلا حسد نبي كامن
الظاهر يومنة الباطن كسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ونظرت
في محصلها من العدد فاذا جملته ستماية وستة وتسعون فاذا قلت ان لها بسملة ما نزل الله
بها من سلطان • وافقت المعنى وطابقت العدد وكانت ستماية وستة وتسعون وكذلك
ما عطفت عليها من الكلام وهو • وبيس الاسم الفسوق بعد الايمان • موافق للمعنى مطابق للعدد
ستماية وستة وتسعون • وكذلك قولك • لا بسملة تحق كبسملة المسلمين • ستماية وستة وتسعون
وقد اجابتك البسملة بما لم تحط به خبرا • وجاتك بما لم تستطع عليه صبرا • على الاسلوب الذي
تضمنته كتب شريعتكم فاني رايت في انجيلك وقد سالت بنوا اسرايل المسيح ان يريهم اية ليومنوا
به وهو في بيت المقدس فقال تهدمون هذا الهيكل فانا اقيمه في ثلاثة ايام فقالوا بيت بني

في خمسة واربعين سنة نفيه في ثلاثة ايام وعللة في الانجيل انه اشار الي هيكل نفسه الذي هو هيكل ادم وجملة خمسة واربعون وفي هذا ورد عليهم لليس هذا موضعه ورايت في البشارة بانعبر بعد قوله واكثره وانميه بماذ ماذ ومعناه بجد جد لقائل انما نها الي اسم محمد صلى الله عليه وسلم بطريق الجمل اذ هوا ثنان وتسعون في الموضعين وفي قصة يعقوب اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي فقالوا الله اعلم اسرايل الله احد وطابت نفسه وعلم ان بنيه الاثنا عشر سبطا يعبدون الله وحده لانهم عدلوا عن قولهم الله واحد الي قولهم الله احد اذ جملتها ثلاثة عشر وهي اشارة الي ان الاثنا عشر سبطا يعبدون الله الواحد وفيه ان المصلي اذا دخل في الصلاة يكون على راسه طيلسان يسمي صيصيت وفي طرفه خمس خيوط وثمان عقد ليجتمع له من تحمل صيصيت وهو ستمائة ومن خمس خيوط وثمان عقد ثلاثة عشر لتتمة ما عليهم من الفرايض وهي ستمائة وثلاثة عشر فريضة ليذكروا بها ما كتب الله عليهم من الفرايض والتزموها ولنرجع الي الاعراب والتفسير **قوله** ان لا تعلوا فيه اوجه احدها ان ان مفسرة كما تقدم في احد الاوجه في ان قبلها في قراءة عكرمة ولم يذكر الزمخشري غيره وهو وجه حسن لما في ذلك من المشاكلة وهو عطف الامر عليه وهو قوله واتوني الثاني انها مصدرية في محل رفع بدلا من كتاب كانه قيل القي الي ان لا تعلوا على الثالث انها في موضع رفع على خبر ابتدا مضمر اي هو ان لا تعلوا الرابع انها على اسقاط الخافض اي بان لا تعلوا فيجي في موضعها القولان المشهوران والظاهر ان لا في هذه الاوجه الثلاثة للنهي وقد تقدم ان ان المصدرية توصل بالطلب مطلقا وقال ابو حيان وان في قوله ان لا في موضع رفع على البدل من كتاب وقيل في موضع نصب على بان لا تعلوا وعلى هذين التقديرين تكون ان ناصبة للفعل فظاهر هذا انها نافية اذ لا يتصور ان تكون ناهية بعد ان الناصبة للمضارع ويويد هذا ما حكاه عن الزمخشري فانه قال وقال الزمخشري وان في ان لا تعلوا مفسرة قال فعلي هذا يكون لا في لا تعلوا للنهي وهو حسن لمشاكلة عطف الامر عليه فقوله فعلي هذا الي اخره صريح بانها على غير هذا يعني الوجهين المتقدمين ليست للنهي فيهما ثم القول بانها للنفي لا يظهر اذ يصير المعنى على الاخبار منه عليه السلام بانهم لا يعلون عليه وليس هذا مقصودا وانما المقصود ان ينهاهم عن ذلك وقرا ابن عباس والعقيلي تغلوا بالغين المعجمة من الغلو وهو مجاوزة الحد **فصل** قال ابن عباس لا تتكبروا علي وقيل لا تتعظموا ولا ترتفعوا علي اي لا تمتنعوا من الاجابة فان ترك الاجابة من العلو والتكبر واتوني مسلمين مومنين طايعين قيل هو من الاسلام وقيل من الاستسلام **فان قيل** النهي عن الاستعلا والامر بالانقياد قبل اقامة الدلالة على كونه رسولا حقا يدل على الاكتفا بالتقليد فالجواب معاذ الله ان يكون هناك تقليد وذلك لان رسول سليمن الي بلقيس الهدهد ورسالة الهدهد معجز والمعجز يدل على وجود الصانع وصفاته ويدل على صدق المدعي للرسالة فلما كانت تلك الرسالة دلالة تامة على التوحيد والنبوة لاجرم لم يذكر في الكتاب دليلا اخر **قوله** يا ايها الملا افتوني في امري اشيروا علي فيما عرض لي واجيبوني فيما اشاوركم والفتوى هي الجواب في الحادثة استعيرت على طريق الاستعارة من الفتي في السن اي اجيبوني في الامر الفتي وقصدت بذلك استطلاع ارايهم وتطييب نفوسهم ما كنت قاطعة قاضية وفاصلة امرا حتي تشهدون تحضرون قالوا مجيبين لها نحن اولوا قوة في القتال واولوا باس شديد في الحرب قال مقاتل ارادوا بالقوة كثرة العدد وبالباس الشديد الشجاعة والباس النجدة والبلاء في الحرب وهذا تعريض منهم بالقتال ان امرتهم بذلك ثم قالوا والامر اليك ايتها الملكة في القتال وتركه **قوله** ماذا تامرين ماذا هو المفعول الثاني لتامرين

والاول محذوف تقديره تامريننا والاستفهام معلق للنظر ولا يخفى حكمه مما تقدم قبله والمعنى فانظري من الراي ماذا تامرين نجد بنا لامرك طايعين فقالت مجيبة لهم عن التعريض بالقتال ان الملوك اذا دخلوا قرية بالقهر افسدوها وخربوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة فذكرت لهم عاقبة الحرب وحذرتهم مسير سليمن اليهم ودخوله بلادهم **قوله** وكذلك يفعلون اي مثل ذلك الفعل يفعلون وهل هذه الجملة من كلامها وهو الظاهر فتكون منصوبة بالقول او من كلام الله تعالى فهي استينافية لا محل لها من الاعراب وهي معترضة بين قوليها **قوله** واني مرسلة اليهم بهدية الهدية ما بعث على جهة الاكرام وهي اسم للمهدي فيحتمل ان يكون اسما صريحا ويحتمل ان يكون في الاصل مصدرا اطلق على اسم المفعول وليست مصدرا قياسيا لان الفعل منه اهدي رباعيا فقياس مصدره اهدا **فصل** اعلم ان بلقيس كانت امراة لبيبة قد سيست وساست فقالت للملا من قومها اني مرسلة اليهم بهدية اي لسليمن وقومه بهدية اصانعه بها على ملكي واختبره بها املك ام نبي فان يكن ملكا قبل الهدية وانصرف وان يكن نبيا لم يقبل الهدية ولم يرضه منا الا ان نتبعه على دينه فذلك قولها فناظرة بم يرجع المرسلون وهذا الكلام يدل على انها لم تثق بالقبول وجوزت الرد واردت ان ينكشف لها غرض سليمن **قوله** فناظرة عطف على مرسلة وبم متعلق بيرجع وتقدم الجر في تحملها متعلقة بناظرة وهذا لا يستقيم لان اسم الاستفهام له صدر الكلام وبم يرجع متعلق لناظرة **قوله** فلما جا سليمن اي فلما جا الرسول اضمر لدلالة قولها مرسلة فانه يستلزم رسولا والمراد به الجنس لا حقيقة رسول واحد بدليل خطابه لهم بالجمع في قوله اتمدونني الي اخره ولذلك قرا عبد الله فلما جاوا وقرا فارجعوا اليهم اعتبارا بالاصل المشار اليه **قوله** اتمدونني استفهام انكار وقرا حمزة بادغام نون الرفع في نون الوقاية واما الياء فانه يحذفها وقفا ويثبتها وصلا على قاعدته في الزوايد والباقون بنونين على الاصل واما الياء فان نافعا وابا عمرو وحمزة يثبتونها وصلا ويحذفونها وقفا وابن كثير يثبتها في الحالين والباقون يحذفونها في الحالين وروي عن نافع انه يقرا بنون واحدة فتكملت ثلاث قراات كما في تامروني اعبد قال الزمخشري ما الفرق بين قولك اتمدونني بمال وانا اغني منكم وبين ان يقوله بالفا قلت اذا قلته بالواو فقد جعلت مخاطبي عالما بزيادتي عليه في الغني وهو مع ذلك يمدني بالمال واذا قلته بالفا فقد جعلته ممن خفي عليه حالي وانما اخبره الساعة بما لا احتاج معه الي امداده كاني اقول انكر عليك ما فعلت فاني غني عنه وعليه ورد قوله فما اتاني الله انتهي وفي هذا الفرق نظر اذ لا يفهم ذلك بمجرد الواو والفا ثم انه لم يجب عن السوال الاول وهو انه لم عدل عن قوله وانا اغني منكم الي قوله فما اتاني الله وجوابه انه اسند ايتا الغني الي الله اظهارا للنعمة عليه ولو قال وانا اغني منكم كان فيه افتخار من غير ذكر نعمة الله عليه فاظهر بهذا الكلام قلة الاكتراث بذلك المال **قوله** بل انتم اضراب انتقال قال الزمخشري فان قلت فما وجه الاضراب قلت لما انكر عليهم الامداد وعلل انكاره اضرب عن ذلك الي بيان السبب الذي حملهم عليه وهو انهم لا يعرفون سبب رضي الا ما يهدي اليهم من حظوظ الدنيا التي لا يعرفون غيرها والهدية يجوز اضافتها الي المهدي والي المهدي اليه وهي هنا محتملة للامرين قال ابو حيان وهي هنا مضافة للمهدي اليه وهذا هو الظاهر ويجوز ان تكون مضافة الي المهدي اي بل انتم بهديتكم هذه التي اهديتموها تفرحون فرح افتخار قال شهاب الدين كيف يجعل الاول هو الظاهر ولم ينقل ان سليمن صلى الله عليه وسلم ارسل اليهم هدية في هذه الحالة حتي يضيفها اليهم بل الذي يتعين اضافتها الي المهدي ومعني الاية بل انتم بهديتكم تفرحون

لانكم اهل مفاخرة بالدنيا ومكاثرة بها تفرحون بما يهدي بعضكم لبعض واما انا فلا افرح بها
وليست الدنيا من حاجتي لان الله تعالى قد مكنني فيها واعطاني ما لم يعط احدا ومع ذلك اكرمني
بالدين والنبوة **قوله** ارجع الظاهر ان الضمير يعود على الرسول وتقدمت قراءة عبد الله
ارجعوا وقيل يعود على الهدهد فلنأتينهم بجنود وهذا جواب قسم مقدر وكذا قوله
ولنخرجنهم **قوله** لا قبل صفة لجنود اي لا طاقة وحقيقته لا مقابلة والضمير في بها
عائد على جنود لانه جمع تكسير يجري مجرى المؤنثة الواحدة كقولهم الرجال واعضادها وقرا
عبد الله بهم على الاصل ولنخرجنهم منها اي من بلادهم ونفس سبا اذلة حال والذل ان يذهب
عنهم ما كان عندهم من العز والملك **قوله** وهم صاغرون حال ثانية والظاهر انها
مؤكدة لان اذلة تغني عنها **فان قيل** قوله فلنأتينهم ولنخرجنهم قسم فلا بد
ان يقع فالجواب انه معلق على شرط حذف لفهم المعنى اي ان لم تاتوني مسلمين والصغار ان يقعوا
في اسر واستعباد **فصل** قال ابن عباس لما رجعت رسل بلقيس اليها من عند
سليمن قالت قد عرفت والله ما هذا بملك ولا لنا به من طاقة وبعثت الى سليمن اني قادمة
عليك بملوك قومي حتى انظر ما امرك وما تدعوا اليه من دينك ثم اذنت بالرحيل الى سليمن
فلما قربت منه على فرسخ فراى سليمن رهجا قريبا فقال ما هذا قالوا بلقيس قد نزلت منا بهذا
المكان قال ابن عباس وكان بين الكوفة والحيرة قدر فرسخ فاقبل سليمن حينئذ على جنوده
فقال يا ايها الملا ايكم ياتيني بعرشها قبل ان ياتوني مسلمين قال ابن عباس طائعين واختلفوا
في السبب الذي لاجله امر سليمن باحضار عرشها فقال اكثرهم لان سليمن علم انها ان اسلمت
يحرم عليه مالها فاراد ان ياخذ سريرها قبل ان يحرم عليه اخذه باسلامها وقيل ليريها قدرة
الله تعالى وعظيم سلطانه في معجزة ياتي بها في عرشها وقال قتادة لانه اعجبه صفته لما وصفه
الهدهد فاحب ان يراه وقال ابن زيد اراد ان يامر بتنكيرها وتغييرها فيختبر بذلك
عقلها ويؤيد ذلك قوله تعالى نكروا لها عرشها ننظر اتهتدي **قوله** قال عفريت العامة
على كسر العين وسكون الياء بعدها تاء مجرورة وقرا ابو حيوة بفتح العين وابو رجا وابو السماك
ورويت عن ابي بكر الصديق عفرية بياء مفتوحة بعدها تاء التانيث المنقلبة هاء وقفا
وانشدوا على ذلك قول ذي الرمة كانه كوكب في اثر عفرية مصوب في سواد الليل منقضب
وقرات طائفة عفر بحذف الياء والتاء فهذه اربع قراءات قد قرئ بهن وفيه لغتان اخريان
وبهما قرا عمارة وطي وتميم يقولون عفرى بالف التانيث كذكرى واشتقاقه من العفر
وهو التراب يقال عافر فعفره اي صارعه فصرعه والقاه في العفر وهو التراب وقيل
من العفر وهو القوة والعفريت من الجن المارد الخبيث ويقال عفريت نفريت وهو اتباع
كشيطان ليطان وحسن بسن ويستعار للمارد من الانس ولاشتهار هذه الاستعارة وصف
في الاية بكونه من الجن تمييزا له وقال ابن قتيبة العفرية الموثق الخلق وعفرية الديك والحبارى
للشعر الذي على راسها وعفري للقوي ورجل عفر بتشديد الراء للمبالغة مثل شمر
قيل ان الشياطين اقوى من الجن وان المردة اقوى من الشياطين وان العفريت اقوى
منهما قال بعض المفسرين العفريت من الرجال الخبيث المنكر وقال ابن عباس العفريت الداهية
وقال الربيع الغليظ وقال الفراء القوي الشديد **قوله** انا اتيك به يجوز ان يكون
فعلا مضارعا فوزنه افعل نحو اضرب والاصل ااتيك بهمزتين فابدلت الثانية الفا وان
يكون اسم فاعل ووزنه فاعل والالف زائدة والهمزة اصلية عكس الاول واما لحمزة اتيك
في الموضعين من هذه السورة بخلاف عن خلاد **فصل** قوله قبل ان تقوم من مقامك

اي

اي مجلسك الذي تقضي فيه قال ابن عباس كان له كل غداة مجلس يقضي فيه الى انتصاف النهار
واني عليه على حمله لقوي امين به على ما فيه من الجواهر فقال سليمن اريد اسرع من هذا فقال
الذي عنده علم من الكتاب فقيل هو جبريل عليه السلام وقيل ملك من الملائكة ايد الله به
نبيه سليمن عليه السلام وقال اكثر المفسرين هو اصف بن برخيا وكان وزير سليمان
وكان صديقا يعلم اسم الله الاعظم اذا دعا به اجيب وقيل بل هو سليمن نفسه والمخاطب
هو العفريت الذي كلمه واراد سليمن عليه السلام اظهار معجزة فتحداهم اولا ثم بين للعفريت
انه يتاتى له من سرعة الاتيان بالعرش ما لا يتهيا للعفريت قال محمد بن المنكدر انما هو
سليمن قال له عالم من بني اسرائيل اتاه الله علما وفهما انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك
قال سليمن هات قال انت النبي ابن النبي وليس احد اوجه عند الله منك فان دعوت الله
وطلبت اليه كان عندك قال صدقت ففعل ذلك فجيء بالعرش وضعف السهيلي ذلك بانه لا يصح
من سياق الكلام قال ابن الخطيب وهذا القول اقرب لوجوه الاول ان لفظة الذي
موضوعة في اللغة للاشارة الى شخص معين عند محاولة تعريفه بقصة معلومة والشخص
المعروف بان عنده علم من الكتاب هو سليمن عليه السلام فوجب انصرافه اليه اقصى ما في
الباب ان يقال كان اصف كذلك ايضا لكنا نقول ان سليمن كان اعرف بالكتاب منه لانه هو
النبي فكان صرف اللفظ الى سليمان اولى الثاني ان احضار العرش في تلك الساعة اللطيفة
درجة عالية فلو حصلت لاصف دون سليمن لاقتضى ذلك قصور حال سليمن في اعين الخلق
الثالث ان سليمن قال هذا من فضل ربي ليبلوني ااشكر ام اكفر فظاهره يقتضي ان يكون
ذلك المعجز قد اظهره الله تعالى بدعاء سليمن **فصل** واختلفوا في الكتاب
فقيل هو اللوح المحفوظ والذي عنده علم الكتاب جبريل عليه السلام وقيل كتاب سليمان
او كتاب بعض الانبياء وفي الجملة ان ذلك مدح وان لهذا الوصف تاثيرا في نقل ذلك العرش
ولذلك قيل انه اسم الله الاعظم وان عنده وقعت الاجابة من الله تعالى في اسرع الاوقات
قوله قبل ان يرتد اليك طرفك فيه وجهان احدهما انه للجن عبر به عن سرعة الامر
كما تقول لصاحبك افعل ذلك في لحظة وهذا قول مجاهد وقال الزمخشري هو تحريكك
اجفانك اذا نظرت فوضع موضع النظر الثاني انه بمعنى المطروف اي الشيء الذي تنظره
والاول هو الظاهر لان الطرف قد وصف بالارسال في قوله
وكنت اذا ارسلت طرفك رائدا لقلبك يوما اتعبتك المناظر
رايت الذي لا كله انت قادر عليه ولا عن بعضه انت صابر **فصل**
قال سعيد بن جبير من قبل ان يرتد اي من قبل ان يرجع اليك اقصى من ترى وهو ان
يصل اليك من كان منك على مد بصرك وقال مجاهد يعني ادامة النظر حتى يرتد الطرف
خاسئا وقال وهب تمد عينيك فلا ينتهي طرفك الى مداه حتى امثله بين يديك **فان
قيل** هذا يقتضي اما القول بالطفرة او حصول الجسم الواحد دفعة واحدة
في مكانين فالجواب ان المهندسين قالوا كرة الشمس مثل كرة الارض مائة واربعة وستين
مرة ثم ان زمان طلوعها زمان قصير فاذا قسمنا زمان طلوع تمام القرص على زمان
البعد الذي بين الشام واليمن كانت تلك اللمحة كبيرة فلما ثبت عقلا امكان وجود مثل هذه
الحركة السريعة وثبت انه تعالى قادر على كل الممكنات زال السؤال **قوله** فلما راه
يعني سليمن العرش مستقرا عنده محمولا اليه من مارب الى الشام في قدر ارتداد الطرف فمستقرا
حال لان الرؤية بصرية **وعنده** معمول له لا يقال اذا وقع الظرف حالا وجب

حذف متعلقه فكيف ذكرها هنا لان الاستقرار هنا ليس هو ذلك الحصول المطلق بل المراد هنا
الثابت الذي لا يتقلقل قاله ابو البقا وقد جعله ابن عطية هو العامل في الظرف الذي
كان يجب حذفه فقال وظهر العامل في الظرف من قوله مستقرا وهذا هو المقدر ابدا مع
كل ظرف جا هنا مظهرا وليس في كتاب الله مثله وما قاله ابو البقا احسن على انه قد ظهر
العامل المطلق في قوله فانت الذي بحبوحة الهون كاين وتقدم ذلك محققا في اول
الفاتحة **قوله** ااشكر معلق ليبلوني وام متصلة وكذلك قوله ننظر اتهتدي ام تكون
قوله ومن شكر ومن كفر تحتمل ان تكون من شرطية او موصولة متضمنة معنى الشرط فلذلك
دخلت الفا في الخبر والظاهر انه جواب الشرط الثاني او خبر الموصول قوله فان ربي غني
كريم ولا بد حينئذ من ضمير يعود على من تقديره غني عن شكره وقيل الجواب محذوف
تقديره فانما كفره عليه لدلالة مقابله وهو قوله فانما يشكر لنفسه عليه **فصل**
تقدم معنى الابتلا وقوله ااشكر نعمته ام اكفرها ومن شكر فانما يشكر لنفسه اي يعود نفع شكره
اليه وهو ان يستوجب به تمام النعمة ودوامها لان الشكر قيد النعمة الموجودة وصيد
النعمة المفقودة ومن كفر فان ربي غني عن شكره كريم بالافضال على من يكفر نعمه **قوله**
نكروا لها عرشها اي غيروا لها سريرها الى حال تنكره اذا راته وذلك انه اذا ترك على حاله
عرفته لا محالة واذا غير دلت معرفتها به على فضل عقل **قوله** ننظر العامة على جزمه
جوابا للامر قبله وابو حيوة بالرفع جعله استينافا **فصل** روي انه جعل
اسفله اعلاه وجعل مكان الجوهر الاحمر اخضر ومكان الاخضر احمر ننظر اتهتدي الى عرشها
فتعرفه ام تكون من الجاهلين الذين لا يهتدون اليه وقيل اتعرف به نبوة سليمن ولذلك
قال ام تكون من الذين لا يهتدون وذلك كالذم ولا يليق الا بطريقة الدلالة فكانه عليه
السلام احب ان ينظر اتعرف به نبوته حيث صار منتقلا من المكان البعيد الى هناك
وذلك يدل على كمال قدرة الله تعالى وعلى صدق سليمن عليه السلام ويعرف بذلك
ايضا فضل عقلها لانه روي انه القي اليه نقصان عقلها لكي لا يتزوجها كما ذكر وهب ومحمد
ابن كعب وغيرهما ان الشياطين خافت ان يتزوجها سليمن فتفشي اليه اسرار الجن وذلك ان
امها كانت جنية واذا ولدت له ولدا لا ينفكون من تسخير سليمن وذريته من بعده فاساوا
الثنا عليها ليزهدوه فيها وقالوا ان في عقلها شيا وان رجلها كحافر الحمار وانها شعرا الساقين
فاراد سليمان ان يختبر عقلها بتنكير عرشها وينظر الى قدميها ببنا الصرح **قوله** اهكذا
ثلاث كلمات حرف التنبيه وكاف التشبيه واسم الاشارة فصل بحرف الجر بين حرف التنبيه
واسم الاشارة والاصل اكهذا اي امثل هذا عرشك لئلا يكون تلقينا ولا يجوز ذلك في غير الكاف
لو قلت ابهذا مررت والهذا قلت لم يجز ان تفصل بحرف الجر بين ها وذا فتقول اها بذا
مررت وها لذا فعلت **قوله** قالت كانه هو قال مقاتل عرفته ولكنها شبهت عليهم
كما شبهوا عليها فقال عكرمة كانت حكيمة لم تقل نعم خوفا من ان تكذب ولم تقل لا خوفا من التكذيب
قالت كانه هو فعرف سليمن كمال عقلها حيث توقفت في محل التوقف قيل لها فانه عرشك فما اغنى
عنك اغلاق الابواب عليه وكانت قد اغلقت عليه الابواب واخذت مفاتيحها **قوله**
واوتينا العلم من قبلها فيه وجهان احدهما انه من كلام بلقيس فالضمير في قبلها راجع للمعجزة والحالة
الدال عليهما السياق والمعنى واوتينا العلم بنبوة سليمن من قبل ظهور هذه المعجزة او من قبل
هذه الحالة وذلك لما رات قبل ذلك من امر الهدهد ورد الهدية والرسل من قبلها من قبل
الاية في العرش وكنا مسلمين منقادين طايعين لامر سليمن والثاني انه من كلام سليمن واتباع

فالضمير

فالضمير في قبلها عايد على بلقيس فكان سليمن وقومه قالوا انها قد اصابت في جوابها وهي عاقلة
وقد رزقت الاسلام ثم عطفوا على ذلك قولهم واوتينا نحن العلم بالله وبقدرته على ما يشا من قبل
هذه المراة مثل علمها وغرضهم من ذلك شكر الله تعالى في ان خصهم بمزيد التقدم في الاسلام
قاله مجاهد **قوله** وصدها ما كانت تعبد في فاعل صد ثلاثة اوجه احدها ضمير
الباري والثاني ضمير سليمن اي منعها ما كانت تعبد من دون الله وهو الشمس وعلى هذا فما كانت
تعبد منصوب على اسقاط الخافض اي وصدها الله او سليمن عن ما كانت تعبد من دون الله
قاله الزمخشري مجوزا له وفيه نظر من حيث انه حذف الجار ضرورة كقوله
تمرون الديار فلم تعوجوا كذا قاله ابو حيان وقد تقدم ابيات كثيرة من هذا النوع
الثالث ان الفاعل هو ما كانت اي صدها ما كانت تعبد عن الاسلام اي صدها عبادة الشمس
عن التوحيد والظاهر ان الجملة من قوله وصدها معطوفة على قوله واوتينا وقيل هي حال
من قوله ام تكون من الذين وقد مضمرة وهذا بعيد جدا وقيل هو مستانف اخبار من الله
تعالى بذلك **قوله** انها كانت من قوم كافرين يعبدون الشمس والعامة على كسر انها استينافا
وتعليلا وقرا سعيد بن جبير وابو حيوة بالفتح وفيها وجهان احدهما انها بدل من ما كانت تعبد
اي وصدها انها كانت والثاني انها على اسقاط حرف العلة اي لانها فهي قريبة من قراءة
العامة **قوله** قيل لها ادخلي الصرح تقدم الخلاف في الظرف الواقع بعد دخل هل هو
منصوب على الظرف وشذ ذلك مع دخل خاصة كما قاله سيبويه او مفعول به كهدمت البيت
كما قاله الاخفش **فالصرح** القصر او صحن الدار او بلاط متخذ من زجاج واصله من
التصريح وهو الكشف وكذب صراح اي ظاهر مكشوف ولوم صراح والصريح مقابل الكناية
لظهوره واستتار ضده وقيل الصرح الخالص من قولهم لبن صريح بين الصراحة والصروحة
وقال الراغب الصرح بيت عال مزوق سمي بذلك اعتبارا بكونه صرحا عن البيوت اي خالصا
قوله ساقيها العامة على الف صحيحة وقنبل روى همزها عن ابن كثير وضعفها ابو علي
وكذلك فعل قنبل في جمع ساق في ص وفي الفتح همزوا وه فقرا بالسؤق والاعناق فاستوى
على سؤقه بهمزة مكان الواو وعنه وجه اخر السؤوق وسؤوقه بزيادة واو بعد الهمزة وروي
عنه انه كان يهمز مفردا في قوله يكشف عن ساق فاما همز الواو ففيها اوجه احدها ان الواو
الساكنة المضموم ما قبلها يقلبها بعض العرب همزة وتقدم تحقيق هذا اول البقرة عند يوقنون
وانشد عليه احب المؤقدين الى موسى وكان ابو حيه النميري يهمز كل واو في القران هكذا
ومنها الثاني ان ساقا على فعل كاسد جمع على فعل بضم العين كاسد والواو المضمومة تقلب
همزة نحو وجوه ووقتت ثم بعد الهمز سكنت الثالث ان المفرد سمع همزه كما سياتي تقريره فجا
جمعه عليه واما سؤوق بالواو بعد الهمزة فان ساقا جمع على سووق بواوين فهمزت الاولى
لانضمامها وهذه الرواية غريبة عن قنبل واما ساقا فوجه الهمز احد اوجه اما لغة من
يقلب الالف همزة وعليه لغة العجاج في العالم والخاتم وانشد
وخندف هامة هذا العالم وسياتي لتقريره في منساته ان شا الله تعالى وتقدم
طرف منه في الفاتحة واما على التشبيه براس وكاس كما قالوا حلات السويق حملا على حلات
عن الما اي طردته واما حملا للمفرد والمثنى على جمعها وقد تقرر في جمعها الهمز **فصل**
لما حكى تعالى اقامتها على الكفر مع الدلالة المتقدمة ذكر ان سليمن اظهر امرا اخر دعاها
الى الاسلام فامر الشياطين فبنوا صرحا اي قصرا من زجاج كانه الما بياضا واجرى تحته الما
والقى فيه كل شي من دواب البحر من السمك والضفادع وغيرها ثم وضع سريره في صدره وجلس

عليه وعكفت عليه الطير والجن والانس وقيل اتخذ صحنا من قوارير وجعل تحتها تماثيل
من الحيتان والضفادع فكان الواحد اذا راه ظنه ما فلما جلس على السرير دعا بلقيس فلما جاءت
قيل لها ادخلي الصرح فلما راته حسبته لجة وهي معظم الما وكشفت عن ساقيها لتخوضه الى سليمن
فقيل كان المقصود من بنا الصرح تهويل المجلس وتعظيمه وحصل كشف الساق على سبيل
التبع وقيل ان سليمن اراد ان ينظر الى ساقيها من غير ان يسالها كشفها لما قالت الشياطين
له ان رجلها كحافر الحمار وهي شعراء الساقين فنظر سليمن فاذا هي احسن الناس ساقا وقدما
الا انها كانت شعراء الساقين فلما راى سليمن ذلك صرف بصره عنها وناداها انه صرح ممرد
اي مملس ومنه الامرد لملاسة وجهه من الشعر وبرية مرداء خالية من النبات ورملة
مرداء لا تنبت شيئا والمارد من الشياطين من تعرى من الخير وتجرد منه ومارد حصن
معروف وفي امثال الزباء تمرد مارد وعز الابلق قالتها في حصنين امتنع فتحهما
عليها والقوارير جمع قارورة وهي الزجاج الشفاف ومن قوارير صفة ثانية لصرح **قوله**
قالت رب اني ظلمت نفسي قال مقاتل لما رات السرير والصرح علمت ان ملك سليمن من الله
فقالت رب اني ظلمت نفسي بعبادة غيرك واسلمت مع سليمن لله رب العالمين اخلصت له
التوحيد وقيل انها لما بلغت الصرح وظنته لجة قالت في نفسها ان سليمن يريد ان يغرقني
وكان القتل اهون من هذا فقولها ظلمت نفسي تعني ذلك الظن واختلفوا هل تزوجها سليمن ام لا
وانه تزوجها في هذه الحال او من قبل ان يكشف عن ساقيها والاظهر من كلام الناس انه تزوجها
وروي عن ابن عباس انها لما اسلمت قال لها اختاري من قومك من ازوجك فقالت مثلي لا ينكح
الرجال مع سلطاني فقال النكاح من الاسلام فقالت ان كان كذلك فزوجني لتبع ملك همدان
فزوجها اياه ثم ردها الى اليمن وروي ان الملك وصل الى سليمن وهو ابن ثلاث عشرة سنة
ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة **قوله** مع سليمن متعلق بمحذوف على انه حال ولا يتعلق
باسلمت لان اسلامه سابق اسلامها بزمان وهو وجه لطيف وقال ابن عطية ومع ظرف
بني على الفتح واما اذا اسكنت العين فلا خلاف انه حرف وقد تقدم القول في ذلك وقال
مكي هنا نحوا من قول ابن عطية **قوله تعالى** ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا الاية
قوله ان اعبدوا الله اي وحدوه ويجوز في ان ان تكون مفسرة وان تكون مصدرية اي
بان اعبدوا فيجي في محلها القولان **قوله** فاذا هم فريقان تقدم الكلام في اذا الفجائية
والمراد بالفريقين قوم صالح وانهم انقسموا فريقين مومن وكافر وقد صرح بذلك في الاعراف
في قوله قال الذين استكبروا للذين استضعفوا لمن امن وجعل الزمخشري الفريق الواحد
صالحا وحده والاخر جميع قومه وحمله على ذلك العطف بالفا فانه يوذن انه بمجرد ارساله
صاروا فريقين ولا يصير قومه فريقين الا بعد زمان ولو قليلا ويختصمون صفة لفريقان
على المعنى كقوله هذان خصمان اختصموا وان طايفتان من المومنين اقتتلوا واختير هنا مراعاة
الجمع لكونها فاصلة **قوله** يا قوم لم تستعجلون اي قال لهم صالح يا قوم لم تستعجلون بالسيئة
بالبلاء والعقوبة اي ان الله قد مكنكم من التوصل الى رحمته وثوابه فلماذا تعدلون عنه الى
استعجال عذابه وقيل انهم كانوا يقولون ان العقوبة التي يعدها صالح ان وقعت على زعمه تبنا
حينيذ واستغفرنا فحينيذ يقبل الله توبتنا ويدفع العذاب عنا فخاطبهم صالح على حسب
اعتقادهم فقال هلا تستغفرون الله قبل نزول العذاب فان استعجال الخير اولى من استعجال
الشر ووصف العذاب بانه سيئة مجازا اما لان العقاب من لوازمه او لانه يشبهه في كونه مكروها
فاما وصف الرحمة بانها حسنة فقيل حقيقة وقيل مجاز ثم ان صالحا عليه السلام لما قرر هذا

الكلام

الكلام الحق لحقوه بكلام فاسد فقالوا اطيرنا بك اي تشاءمنا بك لان الذي يصيبنا من شدة
وقحط فهو من شومك وشوم من معك وقري تطيرنا بك وهو الاصل وادغم وتقدم تقريره قال
الزمخشري كان الرجل يخرج مسافرا فيمر بطاير فيزجره فان مر سانحا تيمن وان مر بارحا تشاءم
فلما نسبوا الخير والشر الى الطاير استعير لما كان سببهما من قدر الله وقسمته فاجاب
صالح عليه السلام بقوله طايركم عند الله اي السبب الذي يجي منه خيركم وشركم عند الله
وهو قضاوه وقدره وهو مكتوب عليكم سمي طايرا لسرعة نزوله بالانسان فانه لا شي اسرع
من قضاء محتوم قال ابن عباس الشوم اتاكم من عند الله بكفركم وقيل طايركم عملكم عند الله
سمي طايرا لسرعة صعوده الى السما قيل انما قالوا ذلك لتفرق كلمتهم وقيل لانه امسك عنهم المطر
في ذلك الوقت وقحطوا **قوله** تفتنون جا بالخطاب مراعاة لتقدم الضمير ولو روعي ما
بعده لقيل يفتنون بيا الغيبة وهو جايز ولكنه مرجوح وتقول انت رجل تفعل ويفعل بالتا
واليا ونحن قوم نقرا ويقراون والمراد من هذا الكلام ان صالحا عليه السلام بين بهذا الكلام
جهلهم بقوله بل انتم قوم تفتنون يحتمل ان غيرهم دعاهم الى هذا القول ويحتمل ان المراد ان
الشيطان يفتنكم بوسوسته وقال ابن عباس تختبرون بالخير والشر كقوله ونبلوكم بالشر والخير
فتنة وقال محمد بن كعب تعذبون **قوله** وكان في المدينة تسعة رهط يعني مدينة
ثمود والاكثر ان تمييز العدد بهذا مجرور بمن كقوله اربعة من الطير وفي المسيلة مذاهب
احدها انه لا يجوز الثاني انه يجوز ولكن لا ينقاس الثالث التفصيل بين ان يكون للقلة
كرهط ونفر فيجوز او للكثرة فلا يجوز وللقلة فلا يجوز نحو تسعة قوم ونص سيبويه على
امتناع ثلاثة غنم قال الزمخشري وانما جاز تمييز التسعة بالرهط لانه في معنى الجمع كانه قيل
تسعة انفس قال ابو حيان وتقدير غيره تسعة رجال هو الاولى لانه من حيث اضاف
الى نفس كان ينبغي ان يقول تسع انفس على تانيث النفس اذ الفصيح فيها التانيث الا تراهم عدوا
من الشذوذ قول الشاعر ثلاثة انفس وثلاث ذود قال شهاب الدين وانما اراد
تفسير المعنى وقال ابن الخطيب والاقرب ان يكون المراد تسعة جمع اذ الظاهر من الرهط
الجماعة لا الواحد ثم يحتمل انهم كانوا قبايل ويحتمل انهم دخلوا تحت العدد لاختلاف صفاتهم
واحوالهم لا لاختلاف النسب **قوله** يفسدون يجوز ان يكون نعتا للمعدود او للعدد
فيكون في موضع جر او رفع **قوله** ولا يصلحون قيل موكد للاول وقيل ليس موكدا لان
بعض المفسدين قد يصلح في وقت ما فاخبر عن هولا بانتفا توهم ذلك وهم الذين اتفقوا على
عقر الناقة وهم غواة قوم صالح وراسهم قدار بن سالف وهو عاقر الناقة **قوله** قالوا
تقاسموا يجوز في تقاسموا ان يكون امرا اي قال بعضهم لبعض احلفوا على كذا ويجوز ان يكون
فعلا ماضيا وحينيذ يجوز ان يكون مفسرا لقالوا كانه قيل ما قالوا فقيل تقاسموا ويجوز ان يكون
حالا على اضمار قد اي قالوا ذلك متقاسمين واليه ذهب الزمخشري فانه قال يحتمل ان يكون امرا
وخبرا فلا يصح لان الخبر احد قسمي الكلام لانه ينقسم الى الخبر والانشا وجميع معانيه اذا حققت
راجعة الى هذين القسمين قال شهاب الدين ولا ادري عدم الصحة مماذا لانه جعل
الماضي خبرا لاحتماله الصدق والكذب مقابلا للامر الذي لا يحتملهما اما كون الكلام لا ينقسم
الا الى خبر وانشا وان معانيه اذا حققت ترجع اليهما فاي مدخل لهذا في الرد على الزمخشري
ثم قال ابو حيان والتقييد بالحال ليس الا من باب نسبة التقييد لا من نسبة الكلام التي هي
الاسناد فاذا اطلق عليها الخبر كان ذلك على تقدير انها لو لم تكن حالا لجاز ان يستعمل خبرا
وكذلك قولهم في الجملة الواقعة صلة هي خبرية فهو مجاز والمعنى انها لو لم تكن صلة لجاز ان تستعمل

خبرا وكذلك هذا فيه غموض قال شهاب الدين مسلم ان الجملة ما دامت حالا او صلة لا يقال
لها خبرية لانها سيقت مساق القيد في الحال ومساق جزء كلمة في الصلة وكان ينبغي ان
يذكرا بعضا الجملة الواقعة صفة فان الحكم فيها كذلك ثم قال واما اضمار قد فلا يحتاج
اليه لكثرة وقوع الماضي حالا دون قد تقدم ذكره ينبغي الغبار عليها قال شهاب الدين
الزمخشري مبني مع الجمهور فان مذهبهم انه لا بد من قد ظاهرة او مضمرة لقربه من الحال وقرا
ابن ابي ليلى تقسموا دون الف مع تشديد السين والتقاسم والتقسم كالتظاهر والتظهر
قوله بالله ان جعلت تقاسموا امرا تعلق به الجار قولا واحدا وان جعلته ماضيا احتمل
ان يتعلق به ولا يكون داخلا تحت المقول والمقول هو لنبيتنه الى اخره واحتمل ان يتعلق
بمحذوف هو فعل القسم وجوابه لنبيتنه فعلى هذا يكون مع ما بعده داخلا تحت القول
قوله لنبيتنه قرا الاخوان بتا الخطاب المضمومة وضم التا والبا فوق بنون التكلم وفتح
التا ثم لنقولن قراة الاخوان بتا الخطاب المفتوحة وضم اللام والبا فوق بنون التكلم وفتح
اللام ومجاهد وابن وثاب والاعمش كقراة الاخوين الا انه بيا الغيبة في الفعلين وحميد بن
قيس كهذه القراة في الاول وكقراة غير الاخوين من السبعة في الثاني فاما قراة الاخوين فان
جعلنا تقاسموا فعل امر فالخطاب واضح رجوعا باخر الكلام الى اوله وان جعلناه ماضيا
فالخطاب على حكاية خطاب بعضهم لبعض بذلك واما قراة بقية السبعة فان جعلناه ماضيا
او امرا فالامر فيها واضح وهو حكاية اخبارهم عن انفسهم واما قراة الغيبة فيهما فظاهرة
على ان يكون تقاسموا ماضيا رجوعا باخر الكلام الى اوله في الغيبة وان جعلناه امرا كان
لنبيتنه جوابا لسوال مقدر كانه قيل كيف تقاسموا فقيل لنبيتنه واما غيبة الاول
والتكلم في الثاني فتعليله ماخوذ مما تقدم في تعليل القراتين وقال الزمخشري وقرى لنبيتنه
بالتا والياء والنون فتقاسموا مع التا والنون يصح فيه الوجهان يعني يصح في تقاسموا ان يكون
امرا وان يكون خبرا قال ومع اليا لا يصح الا ان يكون خبرا قال شهاب الدين وليس كذلك
لما تقدم من انه يكون امرا ويكون الغيبة فيما بعده جوابا لسوال مقدر وقد تابع الزمخشري
ابو البقا على ذلك فقال تقاسموا فيه وجهان احدهما هو امر اي امر بعضهم بذلك بعضا
فعلى هذا يجوز في لنبيتنه بالنون تقديره قولوا لنبيتنه والتا على خطاب الامر المامور
ولا يجوز اليا والثاني هو فعل ماض وعلى هذا يجوز الاوجه الثلاثة يعني بالاوجه النون والتا
واليا قال وهو على هذا تفسير اي وتقاسموا على كونه ماضيا مفسر لقالوا وقد سبقهما
الى ذلك مكي رحمه الله وقد تقدم توجيه ما منعوه ولله الحمد وتنزيل هذه الاوجه بعضها على
بعض مما يصعب استخراجه من كلام القوم في مهلك اهله في الكهف **فصل** من جعل
تقاسموا امرا فموضع تقاسموا جزم على الامر اي احلفوا ومن جعله فعلا ماضيا فمحله نصب
اي تحالفوا وتوافقوا لنبيتنه لنقتلنه بياتا اي ليلا واهله اي قومه الذين اسلموا معه
ثم لنقولن لوليه اي لولي دمه ما شهدنا ما حضرنا مهلك اهله اهلاكهم ولا ندري من قتله
ومن فتح الميم فمعناه هلاك اهله وانا لصادقون في قولنا ما شهدنا ذلك **قوله** ومكروا
مكرا غدروا غدرا حين قصدوا تبييت صالح والفتك به ومكرنا مكرا جازيناهم على مكرهم
بتعجيل عقوبتهم وهم لا يشعرون فشبه اهلاكهم من حيث لا يشعرون بمكر الماكر على سبيل الاستعارة
وقيل ان الله تعالى اخبر صالحا بمكرهم فتحرز عنهم فذاك مكر الله في حقهم **قوله** فانظر كيف
كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم قرا الكوفيون بفتح انا والباقون بالكسر فالفتح من اوجه احدها
ان تكون على حذف حرف الجر اي لانا دمرناهم وكان تامة وعاقبة فاعل بها وكيف حال

الثاني ان يكون بدلا من عاقبة اي كيف كان تدميرنا اياهم بمعنى كيف حدث الثالث
ان يكون خبر مبتدا محذوف اي هي انا دمرناهم اي العاقبة تدميرنا اياهم ويجوز مع هذه
الاوجه الثلاثة ان يكون كان ناقصة ويجعل كيف خبرها فتصير الاوجه ستة ثلاثة مع تمام
كان وثلاثة مع نقصانها وتزيد مع الناقصة وجها اخر وهو ان يجعل عاقبة اسمها وانا دمرناهم
خبرها وكيف حال فهذه سبعة اوجه والثامن ان يكون كان زائدة وعاقبة مبتدا
وخبره كيف وانا دمرناهم بدل من عاقبة او خبر مبتدا مضمر وفيه تعسف التاسع انها على حذف
الى رايضا الا انه الباء اي بانا دمرناهم وذكره ابو البقا العاشر انها بدل من كيف وهذا
وهم من قايله لان المبدل من اسم الاستفهام يلزم معه اعادة حرف الاستفهام نحو كم مالك
اعشرون ام ثلاثون وقال مكي ويجوز في الكلام نصب عاقبة ويجعل انا دمرناهم اسم كان
انتهى بل كان هذا هو الارجح كان النصب في قوله فما كان جواب قومه الا ان قالوا ونحوه
ارجح لما تقدم من شبهه بالمضمر لتاويله بالمصدر وتقدم تحقيق هذا وقرا ابي ان دمرناهم
وهي ان المصدرية التي يجوز ان تنصب المضارع والكلام فيها كالكلام على انا دمرناهم واما
قراة الباقين فعلى الاستيناف وهو تفسير للعاقبة وكان يجوز فيها التمام والنقصان والزيادة
وكيف وما في خبرها في محل نصب على اسقاط الخافض لانه معلق للنظر واجمعين تاكيد
للمعطوف والمعطوف عليه **فصل** قال ابن عباس ارسل الله الملائكة تلك الليلة
الى دار صالح يحرسونه فاتى التسعة دار صالح شاهرين سيوفهم فرمتهم الملائكة بالحجارة من
حيث يرون الحجارة ولا يرون الملائكة فقتلتهم وقال مقاتل نزلوا في سفح جبل ينتظر بعضهم
بعضا ليأتوا دار صالح فجثم عليهم الجبل فاهلكهم واهلك الله قومهم بالصيحة **قوله** فتلك
بيوتهم خاوية العامة على نصب خاوية حالا والعامل فيها معنى اسم الاشارة وقرا عيسى خاوية
بالرفع اما على خبر تلك وبيوتهم بدل من تلك واما خبر ثان وبيوتهم خبر اول واما على خبر مبتدا
محذوف اي هي خاوية وهذا الاضمار مستغنى عنه وبما ظلموا متعلق بخاوية اي بسبب ظلمهم وخاوية
اي خالية بما ظلموا بظلمهم وكفرهم ان في ذلك لاية لعبرة لقوم يعلمون قدرتنا وانجينا الذين امنوا
وكانوا يتقون وقيل كان الناجون منهم اربعة الاف **قوله تعالى** ولوطا اذ قال
لقومه الاية لوطا اما منصوب عطفا على صالحا اي وارسلنا لوطا واما عطفا على الذين امنوا
اي وانجينا لوطا واما باذكر مضمرة واذ قال بدل اشتمال من لوطا وتقدم نظيره في مريم وغيرها
اتاتون الفاحشة استفهام على وجه الانكار والتوبيخ بمثل هذا اللفظ ابلغ والفاحشة
الفعلة القبيحة **قوله** وانتم تبصرون جملة حالية من فاعل تاتون او من الفاحشة والعائد
محذوف اي وانتم تبصرونها لستم عميا عنها جاهلين بها وهو اشنع وقيل المعنى يرى بعضكم
بعضا وكانوا لا يستترون عتوا منهم **فان قيل** اذا فسرت تبصرون بالعلم
وبعده بل انتم قوم تجهلون فكيف يكون علما جهلا فالجواب تفعلون فعل الجاهلين
بانها فاحشة مع علمكم بذلك او تجهلون العاقبة او اراد بالجهل السفاهة والمجانة التي كانوا
عليها **قوله** شهوة مفعول من اجله او في موضع الحال وقد تقدم **قوله** فما كان
جواب قومه خبر متقدم والا ان قالوا في موضع الاسم وقرا الحسن وابن ابي اسحق برفعه
اسما والا ان قالوا خبرا وهو ضعيف لما تقدم تقريره وتقدم قراتا قدرنا تشديدا وتخفيفا
والمخصوص بالذم محذوف في قوله فسا مطر المنذرين اي مطرهم **فصل** لما بين
تعالى جهلهم بين انهم اجابوا بما لا يصلح ان يكون جوابا فقال فما كان جواب قومه الا ان
قالوا اخرجوا ال لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون اي يتنزهون عن هذا الصنع الفاحش

وقيل قالوا ذلك على وجه الهزء فانجيناه واهله الا امراته قدرناها قضينا عليها وجعلناها
بتقديرنا من الغابرين اي الباقين في العذاب وامطرنا عليهم مطرا وهو الحجارة فسا مطر
المنذرين **قوله تعالى** قل الحمد لله الاية العامة على كسر لام قل لالتقا الساكنين
وابو السماك بفتحها تخفيفا وكذا في قوله قل الحمد لله سيريكم اياته وسلام مبتدا سوغ الابتدا
به كونه دعا **فصل** المعنى الحمد لله على هلاكهم وهذا خطاب لرسول الله صلى الله
عليه وسلم امره ان يحمد الله على هلاك الامم الخالية وسلام على عباده الذين اصطفى بان يسلم
وتجاهم وقيل هذا كلام مبتدا فانه تعالى لما ذكر احوال الانبيا عليهم السلام وكان محمد عليه
السلام كالمخالف لمن قبله في العذاب لان عذاب الاستيصال مرتفع عن قومه امره الله تعالى
بان يشكر ربه على ما خصه به من هذه النعم وبان يسلم على الانبيا الذين صبروا على مشاق الرسالة
قوله وسلام على عباده الذين اصطفى قال مقاتل هم الانبيا والمرسلون بدليل قوله
تعالى وسلام على المرسلين وقال ابن عباس في رواية ابي مالك هم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
وقال الكلبي هم امة محمد وقيل هم كل المومنين من السابقين واللاحقين **قوله** ام ما ام
هذه متصلة عاطفة لاستكمال شروطها والتقدير ايهما خير وخيرا ما تفضيل على زعم الكفار
والزام الخصم او صفة لا تفضيل فيها وما في ام ما بمعنى الذي وقيل مصدرية وذلك على حذف
مضاف من الاول اي ا توحيد الله خير ام شركهم وقرا ابو عمرو وعاصم ام ما يشركون بالغيبة
حملا على ما قبله من قوله وامطرنا عليهم وما بعده من قوله بل اكثرهم والباقون على الخطاب
وهو التفات للكفار بعد خطاب نبيه عليه السلام وهذا تبكيت للمشركين بحالهم لانهم اثروا
عبادة الاصنام على عبادة الله تعالى ولا يوثر عاقل شيا على شي الا لزيادة خير ومنفعة فقيل
لهم هذا الكلام تنبيها لهم على نهاية ضلالهم وجهلهم وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان اذا قراها قال بل الله خير وابقى واجل واكرم **قوله** ام من خلق ام هذه منقطعة
لعدم تقدم همزة استفهام ولا تسوية ومن خلق مبتدا وخبره محذوف فقدره الزمخشري
خير اما يشركون فقدر ما اثبته في الاستفهام الاول وهو حسن وقدره ابن عطية يكفر بنعمة
ويشرك به ونحو هذا من المعنى وقال ابو الفضل الرازي لا بد من اضمار جملة معادلة وصار
ذلك المضمر كالمنطوق لدلالة الفحوى عليه وتقديره تلك الجملة ام من خلق السموات والارض
كمن لم يخلق وكذلك اخواتها وقد اظهر في غير هذا المواضع ما اضمر فيها كقوله افمن يخلق كمن
لا يخلق قال ابو حيان وتسمية هذا المقدر جملة ان اراد انها جملة من جهة الالفاظ فصحيح
وان اراد ان الجملة المصطلح عليها في النحو فليس بصحيح بل هو مضمر من قبيل المفرد وقرا الاعمش امن
بتخفيف الميم جعلها من الموصولة داخلة عليها همزة الاستفهام وفيها وجهان احدهما ان يكون
مبتداة والخبر محذوف وتقديره ما تقدم من الاوجه قاله ابو حيان والثاني انها بدل
من الله كانه قيل امن خلق السموات والارض خيرا ما يشركون ولم يذكر الزمخشري ويكون قد
فصل بين البدل والمبدل منه بالخبر وبالمعطوف على المبدل منه وهو نظير قولك ازيد خير
ام عمرو اخوك على ان يكون اخوك بدلا من زيد وفي جواز مثل هذا نظر **قوله** فانبتنا
هذا التفات من الغيبة الى التكلم لتاكيد معنى اختصاص الفعل بذاته والايذان بان
انبات الحدايق المختلفة الالوان والطعوم مع سقيها بماء واحد لا يقدر عليه الا هو وحده
ولذلك رشحه بقوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها فان الانسان ربما يقول انا الذي القي
البذر في الارض واسقيها الما واسعى في تشميسها وفاعل السبب فاعل المسبب فاذن انا
المنبت للشجر فلما كان هذا الاحتمال قايما لا جرم ازال الله تعالى هذا الاحتمال فرجع من

لفظ

لفظ الغيبة الى لفظ التكلم **والحدايق** جمع حديقة وهي البستان وقيل القطعة من
الارض ذات الما قال الراغب تسمية بذلك تشبيها بحدقة العين في الهيئة وحصول الما فيه
وقال غيره سميت بذلك لاحداق الجدران بها وليس بشي لانها يطلق عليها ذلك مع عدم
الجدران ووقف القرا على ذات من ذات بهجة بتا مجبوذة والكسايي بها لانها تانيث
وقيل ذات لانه بمعنى جماعة حدايق ذات بهجة بالجمع وفتح ها بهجة **والبهجة**
الحسن لان تحصل لنا ظريبتهج به وقرا ابن ابي عبلة ذوات بهجة بالجمع وفتح ها بهجة **قوله**
ما كان لكم ان تنبتوا ان تنبتوا اسم كان ولكم خبر مقدم والجملة المنفية يجوز ان تكون صفة
لحدايق وان تكون حالا لتخصصها بالصفة **قوله** اله مع الله استفهام بمعنى الانكار هل
معبود سواه اعانه على صنعه بل ليس معه اله وقرى الها مع الله اي يدعون او يشركون بل هم
قوم يعني كفار مكة يعدلون يشركون اي يعدلون بالله سواه وقيل يعدلون عن هذا الحق الظاهر
ونظير هذه الاية اول سورة الانعام **قوله** ام من جعل الارض قرارا قال الزمخشري
ام من وما بعده بدل من ام من خلق وحكمها حكمه ومعنى قرارا لا تميد باهلها فانها لو كانت
متحركة لما استقر احد بالسكنى على الارض **قوله** خلالها يجوز ان يكون ظرفا للجعل بمعنى خلق
المتعدية لواحد وان يكون في محل المفعول الثاني على انها بمعنى صير **وخلالها** وسطها
انهارا واعلم ان المياه المنبعثة في الارض اربعة الاول مياه العيون السيالة قال
ابن الخطيب وهي تنبعث من ابخرة كثيرة المادة قوية الاندفاع تفجر الارض بقوة الثاني
ما العيون الراكدة وهي تحدث من ابخرة بلغت قوتها الى وجه الارض ولم تبلغ من قوتها
وكثرة مادتها ان تطرد الثالث ما القنى والانهار وهي متولدة من ابخرة ناقصة القوة عن ان
تشق الارض فاذا ازيل عن وجهها ثقل التراب صادفت حينيذ تلك الابخرة منفذا تندفع اليه بادني
حركة الرابع مياه الابار وهي منبعثة كمياه الانهار الا انه لم يحصل لها ميل الى موضع تسيل اليه
ونسبة القنى الى الابار نسبة العيون السيالة الى العيون الراكدة **قوله** وجعل لها رواسي وهي
الجبال ثوابت **قوله** بين البحرين حاجزا فيه ما جاء في خلالها والحاجز الفاصل حجز بينهم يحجز
اي منع وفصل والمراد بالبحرين العذب والملح االه مع الله قري االهة بتحقيق الهمزتين وتخفيف
الثانية وادخال الف بينها تخفيفا وتسهيلا وهذا كله معروف من اول هذا الكتاب بل اكثرهم
لا يعلمون توحيد ربهم **قوله** ام من يجيب المضطر اذا دعاه المضطر اسم مفعول ماخوذ
من اضطر ولا يستعمل الا مبنيا للمفعول وانما كرر الجمل هنا ولم يشرك بين المعمولات في عامل واحد
لان كل واحدة من هذه منة مستقلة فابرزها في جملة مستقلة بنفسها قال الزمخشري الضرورة
الحالة المحوجة الى الالتجا والاضطرار افتعال منها فيقال اضطره الى كذا والفاعل والمفعول
مضطران **فان قيل** هذا يعم المضطرين وكم من مضطر يدعو فلا يجاب فالجواب
انه ثبت في اصول الفقه ان المفرد المعرف لا يفيد العموم وانما يفيد الماهية فقط والحكم المثبت
للماهية يكفي في صدقه ثبوته في فرد واحد من افراد الماهية فقط فانه تعالى وعد بالاستجابة
ولم يذكر انه يستجيب في الحال **قوله** ويكشف السوء كالتفسير للاستجابة فانه لا يقدر احد على
كشف ما دفع اليه من فقر الى غنى ومرض الى صحة الا القادر الذي لا يعجز والقاهر الذي لا ينازع
ويجعلكم خلفا الارض اي يورثكم سكناها والتصرف فيها قرنا بعد قرن واراد بالخلافة الملك
والتسلط **قوله** قليلا ما تذكرون قرا ابو عمرو وهشام يذكرون بالغيبة والباقون بالخطاب
وهما واضحتان وابو حيوة تتذكرون بتايين **قوله** ام من يهديكم في ظلمات البر والبحر يعني
بالنجوم في السما والولايات في الارض واسافرتم بالليل في البر والبحر ومن يرسل الرياح نشرا بين

يدي رحمته وهي المطر وتقدم الكلام في نظيره في الاعراف االه مع الله تعالى الله عما يشركون **قوله**
ام من يبدا الخلق ثم يعيده لما عدد نعم الدنيا اتبع ذلك بنعم الاخرة وهي لا تتم الا بالاعادة بعد
الابتدا والابلاغ الي حد التكليف فقد تضمن الكلام كل نعم الدنيا والاخرة وهي لا تتم الا بالارزاق
فلذلك قال ومن يرزقكم من السما والارض من السماء المطر ومن الارض النبات االه مع الله قل هاتوا
برهانكم حجتكم على قولكم ان مع الله الها اخر ان كنتم صادقين ولا برهان لكم فاذن انتم مبطلون
فان قيل كيف قيل لهم ام من يبدا الخلق ثم يعيده وهم ينكرون الاعادة فالجواب
كانوا معترفين بالابتدا ودلالة الابتدا على الاعادة دلالة ظاهرة قوية فلما كان الكلام مقرونا
بالدلالة الظاهرة صاروا كانهم لم يبق لهم عذر في الانكار **قوله تعالى** قل لا يعلم
من في السموات والارض الغيب الا الله لما بين انه المختص بالقدرة بين انه المختص بعلم الغيب واذا
ثبت ذلك ثبت انه الاله المعبود وفي هذا الاستثنا اوجه احدها انه فاعل يعلم ومن مفعوله
والغيب بدل من من في السموات اي لا يعلم غيب من في السموات والارض الا الله اي الاشيا
الغايبة التي تحدث في العالم وهو وجه غريب ذكره ابو حيان الثاني انه مستثنى متصل من من
ولكن لا بد من الجمع بين الحقيقة والمجاز في كلمة واحدة على هذا الوجه وبيانه ان الظرفية المستفادة
من في حقيقة بالنسبة الي غير الله تعالى ومجاز بالنسبة الي الله تعالى بمعنى ان علمه في السموات
والارض فيندرج من في السموات والارض لهذا الاعتبار وهو مجاز وغيره من مخلوقاته
في السموات والارض حقيقة فبذلك الاندراج الموول استثني من من وكان الرفع على
البدل اولي لان الكلام غير موجب قال مكي الرفع في اسم الله عز وجل على البدل من من وقال
الزمخشري هذا انه جمع بين الحقيقة والمجاز واوجب ان يكون منقطعا فقال فان قلت
لم رفع اسم الله والله يتعالى ان يكون ممن في السموات والارض قلت جا على لغة بني تميم حيث
يقولون ما في الدار احد الا حمار يريدون ما فيها الا حمار كان احدا لم يذكر ومنه قوله
عشية ما تغني الرماح مكانها ولا النبل الا المشرفي المصمم ه وقولهم ما اتاني زيد الا عمرو
ولا اعانني اخوانكم الا اخوانه فان قلت ما الداعي الي اختيار المذهب التميمي على الحجازي قلت
دعت اليه نكتة سرية حيث اخرج المستثني مخرج قوله الا اليعافير بعد قوله ليس بها انيس
ليؤول المعنى الي قولك ان كان الله ممن في السموات والارض فهم يعلمون الغيب يعني ان علمهم
الغيب في استحالته كاستحالة ان يكون الله منهم كما ان معنى ما في البيت ان كانت اليعافير
انيسا ففيها انيس بتا للقول بخلوها من الانيس فان قلت هلا زعمت ان الله ممن في السموات
والارض كما يقول المتكلمون ان الله في كل مكان على معنى ان علمه في الاماكن كلها فكان ذاته فيها
حتى لا تحمل على مذهب بني تميم قلت يابى ذلك ان كونه في السموات والارض مجاز وكونهم
فيهن حقيقة وارادة المتكلم بعبارة واحدة حقيقة ومجازا غير صحيح على ان قولك
من في السموات والارض وجمعك بينه وبينهم في اطلاق اسم واحد فيه ايهام تسوية
والايهامات مزالة عنه وعن صفاته الا ترى كيف قال عليه السلام لمن قال ومن يعصهما
فقد غوى بيس خطيب القوم انت فقد رجح الانقطاع واعتذر عن ارتكاب مذهب التميمي
بما ذكر واكثر العلما انه لا يجمع بين الحقيقة والمجاز في كلمة واحدة وقد قال به الشافعي
فصل نزلت هذه الاية في المشركين حيث سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن وقت قيام الساعة وما يشعرون صفة لاهل السما والارض نفي ان يكون لهم علم
بالغيب وذكر في جملة الغيب متي البعث بقوله ايان يبعثون وايان بمعني متي وهي كلمة مركبة
من اي والان وهي الوقت وقري ايان بكسر الهمزة قراها السلمي وهي لغة قومه بني سليم وهي

منصوبه

منصوبه بيبعثون ومعلقة ليشعرون فهي مع ما بعدها في محل نصب باسقاط البا اي ما
يشعرون بكذا **قوله** ادرك قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وادرك كاكرم والباقون من
السبعة ادارك بهمزة وصل وتشديد الدال المفتوحة بعدها الف والاصل تدارك وبه
قرا ابي فاريد ادغام التا في الدال فابدلت دالا وسكنت فتعذر الابتدا بها لسكونها
فاجتلبت همزة الوصل فصار ادارك كما ترى وتقدم تحقيق هذا في قوله فاداراتم فيها
وقراءة ابن كثير قيل يحتمل ان يكون افعل فيها بمعنى تفاعل فتتحد القراءتان وقيل ادرك
بمعنى بلغ وانتهى وقرا سليمن وعطا ابنا يسار بل ادرك بفتح لام بل وتشديد الدال دون الف
بعدها وتخريجها ان الاصل ادرك على وزن افتعل فابدلت تا الافتعال دالا لوقوعها بعد
الدال قال ابو حيان فصار فيه قلب الثاني للاول كقولهم اثرد واصله اثترد من الثرد
انتهى قال شهاب الدين ليس هذا مما قلب فيه الثاني للاول لاجل الادغام كاثرد في اثترد
لان تا الافتعال تبدل دالا بعد احرف منها الدال نحو ادان في افتعل من الدين فالابدال
لاجل كون الدال فالا لا للادغام فليس مثل اثرد في شي فتامله فانه حسن فلما ادغمت الدال
في الدال ادخلت همزة الاستفهام فسقطت همزة الوصل فصار اللفظ ادرك بهمزة قطع مفتوحة
ثم نقلت حركة هذه الهمزة الي لام بل فصار اللفظ بل ادرك وقرا ابو رجا وشيبة والاعمش
والاعرج وابن عباس ويروي عن عاصم كذلك الا انه بكسر لام بل على اصل التقا الساكنين
فانهم لم ياتوا بهمزة استفهام وقرا عبد الله وابن عباس والحسن وابن محيصن اادرك بهمزة ثم الف
بعدها واصلها همزتان ابدلت ثانيتهما الفا تخفيفا وانكرها ابو عمرو وقد تقدم اول
البقرة انه قري انذرتهم بالف صريحة فلهذه بها اسوة وقال ابو حاتم لا يجوز الاستفهام
بعد بل لان بل ايجاب والاستفهام في هذا الموضع انكار بمعني لم يكن كقوله تعالى اشهدوا خلقهم
اي لم يشهدوا فلا يصح وقوعهما معا للتنافي الذي بين الايجاب والانكار قال شهاب الدين
وفي منع هذا نظر لان بل للاضراب الانتقالي فقد اضرب عن الكلام الاول واخذ في استفهام
ثان وكيف ينكر هذا والنحويون يقدرون ام المنقطعة ببل والهمزة وعجبت من الشيخ
يعني ابا حيان كيف قال هنا وقد اجاز بعض المتاخرين الاستفهام بعد بل وشبهه بقول
القايل اخبزا اكلت بل اما شربت على ترك الكلام الاول والاخذ في الثاني انتهى فتخصيصه
بعض المتاخرين يوذن بان المتقدمين وبعض المتاخرين يمنعونه وليس كذلك لما حكيت عنهم
في ام المنقطعة وقرا ابن مسعود بل اادرك بتحقيق الهمزتين وقرا ورش في رواية بل ادرك
بالنقل وقرا ابن عباس ايضا بلي ادرك بحرف الايجاب اخت نعم وبلى اادرك بالف بين همزتين
وقرا ابي ومجاهد ام بدل بل وهي مخالفة للسواد **قوله** في الاخرة فيه وجهان احدهما
ان في على بابها وادرك وان كان ماضيا لفظا فهو مستقبل معنى لانه كاين قطعا كقوله اتى
امر الله وعلى هذا ففي متعلق بادرك والثاني ان في بمعنى البا اي بالاخرة وعلى هذا يتعلق بنفس
علمهم كقولك علمي بزيد كذا واما قراءة من قرا بلى فقال الزمخشري لما جا ببلي بعد قوله وما يشعرون
كان معناه بلى يشعرون ثم فسر الشعور بقوله ادرك علمهم في الاخرة على سبيل التهكم الذي معناه
المبالغة في نفي العلم ثم قال واما قراءة بلى اادرك على الاستفهام فمعناه بلى يشعرون متى
يبعثون ثم انكر علمهم بكونها واذا انكر علمهم بكونها لم يتحصل لهم شعور بوقت كونها لان العلم بوقت
الكاين تابع للعلم بكون الكاين ثم قال فان قلت ما معنى هذه الاضرابات الثلاثة قلت
ما هي الا تنزيل لاحوالهم وصفهم اولا بانهم لا يشعرون وقت البعث ثم بانهم لا يعلمون ان القيمة
كاينة ثم انهم يخبطون في شك وريبة انتهى فان قيل عمي يتعدي بعن تقول عمي فلان عن كذا فلم

عُدّي بمن في قوله منها عمون فالجواب انه جعل الاخرة مبتدا عماهم ومنشاه **فصل** المعنى
على قراءة ابن كثير ادرك اي بلغ ولحق كما تقول ادركه علمي اذا لحقه وبلغه يريد ما جهلوا في الدنيا
وسقط علمه عنهم علموه في الاخرة وقال مجاهد يدرك علمهم في الاخرة ويعلمونها اذا عاينوه حين
لا ينفعهم علمهم وقال مقاتل بل علموا في الاخرة حين عاينوها ما شكوا وعموا عنه في الدنيا كقوله
بل هم في شك منها اي هم اليوم في شك من الساعة وعلى قراءة ادارك اي تتابع علمهم في الاخرة انها كاينة
وهم في شك في وقتهم وقيل استفهام معناه بل تدارك وتتابع بذلك في الاخرة ام لم يتتابع
وضل وغاب علمهم به فلم يبلغوه ولم يدركوه لان في الاستفهام ضربا من الجحد وقال علي بن عيسى بل
ههنا لو ادركوا في الدنيا ما ادركوا في الاخرة بل شكوا بل هم منها عمون جمع عم وهو الاعمى القلب
قوله وقال الذين كفروا يعني مشركي مكة ايذا انتقدم الكلام في الاستفهامين اذا اجتمعا في
سورة الرعد والعامل في اذا محذوف يدل عليه لمخرجون تقديره نبعث ونخرج ولا يجوز ان يعمل
فيها مخرجون لثلاثة موانع الاستفهام وان ولام الابتدا وفي لام الابتدا في خبر ان خلاف وفي كلام الزمخشري
هنا عبارة خلوه تقال لان بين يدي عمل اسم الفاعل فيه عقابا وهي همزة الاستفهام وان ولام الابتدا
وواحدة منها كافية فكيف اذا اجتمعن وقال ايضا فان قلت لم قدم في هذه الاية هذا على نحن
وآباؤنا وفي اية اخرى قدم نحن وآباؤنا على هذا قلت التقديم دليل على ان المقدم هو المعنى
المعتمد بالذكر وان الكلام انما سيق لاجله ففي احدى الايتين دل على اتخاذ البعث هو الذي تعمد
بالكلام وفي الاخرى على اتخاذ المبعوث بذلك الصدد وآباؤنا عطف على اسم كان وقام الفصل
بالخبر مقام الفصل بالتوكيد **فصل** انا لمخرجون من قبورنا احيا لقد وعدنا هذا نحن
وآباؤنا من قبل اي من قبل محمد وليس ذلك بشيء ان هذا الا اساطير الاولين احاديثهم
وكاذيبهم التي كتبوها قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين فان قيل
لم لم يقل كيف كان عاقبة المجرمين فالجواب ان تانيثها غير حقيقي ولان المعنى كيف كان اخر
امرهم فان قيل لم لم يقل عاقبة الكافرين فالجواب ان هذا تحصيل التخويف لكل
العصاة ثم انه تعالى صبر رسوله صلى الله عليه وسلم على ما يناله من الكفار فقال ولا تحزن
عليهم على تكذيبهم اياك ولا تكن في ضيق مما يمكرون نزلت في المستهزئين الذين اقتسموا
عقاب مكة والضيق الحرج يقال ضاق الشيء ضيقا وضيقا بالفتح والكسر ويقولون متى
هذا الوعد ان كنتم صادقين ذكروا ذلك على سبيل السخرية فاجاب الله تعالى بقوله
عسى ان يكون ردف **قوله** ردف لكم فيه اوجه اظهرها ان ردف ضمن معنى فعل
يتعدى باللام اي دنا وقرب وازف وبهذا فسره ابن عباس وبعض الذي فاعل به وقد
عدي بمن ايضا على تضمنه معنى دنا قال فلما ردفنا من عمير وصحبه تولوا سراعا والمنية تعنق
اي دنونا من عمير والثاني ان مفعوله محذوف واللام للعلة اي ردف الخلق لاجلكم ولشومكم
الثالث ان اللام مزيدة في المفعول تاكيدا كزيادتها في قوله ان كنتم للرؤيا تعبرون فارتمينا
وكزيادتها في قوله لربهم يرهبون وكزيادة الباء في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم وعلى
هذه الاوجه الوقف على يستعجلون الرابع ان فاعل ردف ضمير الوعد اي ردف الوعد
اي قرب ودنا مقتضاه ولكم خبر مقدم وبعض مبتدا مؤخر والوقف على هذا على ردف
وهذا فيه تفكيك للكلام والخامس ان الفعل محمول على مصدره اي الرداف لكم وبعض
على تقدير ردافه بعض يعني حتى يتطابق الخبر والمخبر عنه وهذا اضعف مما قبله وقرا
الاعرج ردف بفتح الدال وهي لغة والكسر اشهر بعض الذي تستعجلون من العذاب فحل بهم
ذلك يوم بدر **قوله** ان ربك لذو فضل على الناس قال مقاتل على اهل مكة حيث

لم

لم يعجل عليهم العذاب والفضل الافضال ومعناه انه متفضل وهذه الاية تبطل قول
من قال انه لا نعمة لله على الكفار **قوله** لا يشكرون يجوز ان يكون معموله محذوفا اي
لا يشكرون نعمه ويجوز ان لا يقدر بمعنى لا يعترفون بنعمه فعبر عن انتفاء معرفتهم بانتفاء ما
يترتب على معرفتها وهو الشكر **قوله** وان ربك ليعلم ما تكن العامة على ضم تاء المضارعة
من اكن قال تعالى او اكننتم وابن محيصن وابن السميفع وحميد بفتحها وضم الكاف يقال كننته
واكننته بمعنى اخفيت وسترت **قوله** وما من غائبة في هذه التاء قولان احدهما انها
للمبالغة كراوية وعلامة وقولهم ويل للشاعر من راوية السوء كانه تعالى قال وما من شيء
شديد الغيبوبة والخفاء الا وقد علمه الله والثاني انها كالتاء الداخلة على المصادر نحو العافية
والعاقبة قال الزمخشري ونظيرها الذبيحة والنطيحة والرمية في انها اسماء غير صفات الا في
كتاب مبين اي في اللوح المحفوظ والمبين الظاهر المبين لمن ينظر فيه من الملائكة **قوله** ان
هذا القران الاية لما تم الكلام في اثبات المبدا والمعاد ذكر بعده ما يتعلق بالنبوة ولما كانت
العمدة الكبرى في اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم هي القران لا جرم بين الله تعالى اولا كونه
معجزة من وجوه احدها ان الاقاصيص المذكورة في القران موافقة لما ذكر في التورية والانجيل
مع العلم بانه عليه السلام كان اميا ولم يخالط العلماء ولم يشتغل بالاستفادة والتعلم فاذن لا
يكون ذلك الا من قبل الله تعالى واراد ما اختلفوا فيه وتباينوا وقيل ما حرم على بعضهم وقيل
اخبار الانبياء وثانيها قوله وانه لهدى ورحمة للمؤمنين وذلك لانا تاملنا في القران فوجدنا
فيه من الدلائل العقلية على التوحيد والحشر والنشر والنبوة وشرح صفات الله ما لم نجده
في كتاب من الكتب ووجدناه مبرا عن التناقض والتهافت فكان هدى ورحمة من هذه
الوجوه ووجدنا القوى البشرية قاصرة عن جمع كتاب على هذا الوجه فعلمنا انه ليس الا من عند
الله تعالى فكان القران معجزا من هذه الجهة وثالثها انه لهدى ورحمة للمؤمنين لبلوغه
في الفصاحة الى حيث عجزوا عن معارضته وذلك معجزة **قوله** بحكمه العامة على ضم الحاء
وسكون الكاف وجناح بن حبيش بكسرها وفتح الكاف جمع حكمة اي يقضي بين المختلفين في الدين
يوم القيامة بحكمه الحق وهو العزيز المنيع فلا يرد له امر العليم باحوالهم فلا يخفى عليه شيء **فان
قيل** القضاء والحكم شيء واحد فقوله يقضي بحكمه كقوله يقضي بقضائه ويحكم بحكمه
فالجواب معنى قوله بحكمه اي بما يحكم به وهو عدله لانه لا يقضي الا بالعدل او اراد بحكمه على القراءة
بكسر الحاء **قوله** متوكل على الله انك على الحق المبين اي البين انك لا تسمع الموتى يعني الكفار
وانما حسن جعله سببا للامر بالتوكل لان الانسان ما دام يطمع في اخذ شيء فانه لا يقوى قلبه
على اظهار مخالفته فاذا قطع طمعه عنه قوي قلبه على اظهار مخالفته فالله تعالى قطع طمع محمد عليه
السلام بان بين انهم كالموتى وكالصم والعمي فلا يسمعون ولا يفهمون ولا يبصرون ولا يلتفتون الى
شيء من الدلائل وهذا سبب لقوة قلبه عليه السلام على اظهار الدين كما ينبغي **قوله** فلا
يسمع الصم الدعاء قرا ابن كثير يسمع بالياء مفتوحة وفتح الميم الصم رفع وكذلك في سورة الروم
وقرا الباقون بالتاء وضمها وكسر الميم الصم نصب اذا ولوا مدبرين معرضين **فان قيل**
ما معنى قوله ولوا مدبرين واذا كانوا صما لا يسمعون سواء ولوا او لم يولوا قيل ذكره تاكيدا ومبالغة
وقيل الاصم اذا كان حاضرا قد يسمع برفع الصوت ويفهم بالاشارة فاذا ولى مدبرا لم يسمع ولم
يفهم قال قتادة الاصم اذا ولى مدبرا ثم ناديته لم يسمع كذلك الكافر لا يسمع ما يدعى اليه
من الايمان والمعنى انهم لفرط اعراضهم عما يدعون اليه كالميت الذي لا سبيل الى اسماعه
والاصم الذي لا يسمع **قوله** وما انت بهادي العمي العامة على بهادي مضافا للعمي وحمزة

تهدي

تهدي فعلا مضارعا والعمي نصب علي المفعول به وكذلك التي في الروم ويحيي بن الحرث وابو حيوة
هاد منونا العمي منصوب به وهو الاصل واتفق القرا علي ان يقفوا عليها دي في هذه السورة بالياء
لانها رسمت في المصحف ثابتة واختلفوا في الروم فوقف الاخوان عليها بالياء ايضا لهذه اما
حمزة فلانه يقرؤها تهدي فعلا مضارعا مرفوعا فياؤه ثابتة قال الكسائي من قرا تهدي
لزمه ان يقف بالياء وانما لزمه ذلك لان الفعل لا يدخله تنوين في الوصل تحذف له الياء فيكون
في الوقف كذلك كما يدخل التنوين علي هاد ونحوه فتذهب الياء في الوصل فيجري الوقف علي ذلك
لمن وقف بغير ياء انتهي ويلزم علي ذلك ان يوقف علي يقض الحق ويدع الانسان باثبات الياء
والواو ولكن يلزم حمزة مخالفة الرسم دون القياس واما الكسائي فانه يقرا هادي اسم فاعل
كالجماعة فاثباته للياء بالحمل هادي في هذه السورة وفيه مخالفة الرسم السلفي **قوله** عن
ضلالتهم فيه وجهان احدهما انه متعلق بتهدي وعدي بعن لتضمنه معني تصرفهم والثاني
انه متعلق بالعمي لانك تقول عمي عن كذا ذكره ابو البقا **فصل** المعني ما انت بمرشد
من اعماه الله عن الهدي واعمي قلبه عن الايمان ان تسمع ما تسمع الا من يؤمن باياتنا الا من
يصدق بالقران انه من الله فهم مسلمون مخلصون لله من قراءة من اسلم وجهه لله يعني سالما لله
خالصا لله **قوله** واذا وقع القول عليهم اي مضمون القول او اطلق المصدر علي المفعول
اي المقول ومعني وقع القول عليهم وجب العذاب عليهم وقال قتادة اذا غضب الله عليهم
اخرجنا لهم دابة من الارض **قوله** تكلمهم العامة علي التشديد وفيه وجهان اظهرهما
انه من الكلام والحديث ويؤيده قراة ابي تنبئهم وقراءة يحيي بن سلام تحدثهم وهما تفسيران
لها والثاني تجرحهم ويدل عليه قراة ابن عباس وابن جبير ومجاهد وابي زرعة والجحدري
تكلمهم بفتح التا وسكون الكاف وضم اللام من الكلم وهو الجرح وقد قري تجرحهم وجا في الحديث
انها تسم الكافر **قوله** ان الناس قرا الكوفيون بفتح ان والباقون بالكسر فاما الفتح فعلي
تقدير الياء اي بان الناس ويدل عليه التصريح بها في قراة عبد الله بان الناس ثم هذه الياء
تحتمل ان تكون معدية وان تكون سببية وعلي التقديرين يجوز ان يكون تكلمهم بمعنييه من
الحديث والجرح اي تحدثهم بان الناس او بسبب ان الناس وتجرحهم بان الناس اي تسمهم
بهذا اللفظ او تسمهم بسبب انتفاء الايمان واما الكسر فعلي الاستيناف ثم هو يحتمل لان يكون
من كلام الله تعالي وهو الظاهر وان يكون من كلام الدابة فيعكر عليه باياتنا ويجاب عنه
اما باختصاصها صح اضافة الايات اليها كقول اتباع الملوك دوابنا وخيلنا وهي لملكهم واما
علي حذف مضاف اي بايات ربنا وتكلمهم ان كان من الحديث فيجوز ان يكون اما لاجرا تكلمهم مجري
تقول لهم واما علي اضمار القول اي فتقول كذا وهذا القول تفسير لتكلمهم **فصل** قال
السدي تكلمهم ببطلان الاديان سوي دين الاسلام وقيل تقول للواحد هذا مؤمن وهذا
كافر وقيل كلامها ما قال ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون تخبر الناس ان اهل مكة لم يؤمنوا
بالقران والبعث قال ابن عمر وذلك حين لا يؤمر بمعروف ولا ينهي عن منكر قال رسول الله صلي
الله عليه وسلم بادروا بالاعمال ستا طلوع الشمس من مغربها والدجال والدخان والدابة وخاصة
احدكم وامر العامة وقال عليه السلام ان اول الايات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج
الدابة علي الناس ضحي فايهما ما كانت قبل صاحبتها فالاخري علي اثرها وقال عليه السلام يكون
للدابة ثلاث خرجات من الدهر فتخرج خروجا باقصي اليمن فيفشوا ذكرها بالبادية ولا يدخل
ذكرها القرية يعني مكة ثم تكمن زمانا طويلا ثم تخرج خرجة اخري قريبا من مكة فيفشوا ذكرها
بالبادية ويدخل ذكرها القرية يعني مكة ثم بينا الناس يوما في اعظم المساجد علي الله حرمة

واكرمها علي الله عز وجل يعني المسجد الحرام لم يرعهم الا وهي في ناحية المسجد تدنو وتدنو قال
الراوي ما بين الركن الاسود الي باب بني مخزوم عن يمين الخارج في وسط من ذلك فارفض
الناس عنها وثبتت لها عصابة عرفوا انهم لم يعجزوا والله فخرجت عليهم تنفض راسها من التراب
فمرت بهم فجلت عن وجوههم حتي تركتها كانها الكواكب الدرية ثم ولت في الارض لا يدركها طالب
ولا يعجزها هارب حتي ان الرجل ليقوم فيتعوذ منها بالصلوة فتاتيه من خلفه فتقول يا فلان الان
تصلي فيقبل عليها بوجهه فتسمه في وجهه فيتجاورالناس في ديارهم ويصطحبون في اسفارهم
ويشتركون في الاموال يعرف الكافر من المؤمن فيقال للمؤمن يا مؤمن وللكافر يا كافر وقال
عليه السلام تخرج الدابة ومعها عصي موسي وخاتم سليمن فتجلو وجه المؤمن بالعصا وتحطم انف
الكافر بالخاتم حتي ان اهل الخوان ليجتمعون فيقول هذا يا مؤمن ويقول هذا يا كافر وروي
عن علي قال ليس بدابة لها ذنب ولكن لها لحية كانه يشير الي انه رجل والاكثرون علي انها دابة
لما روي ابن جريج عن ابي الزبير انه وصف الدابة فقال راسها راس الثور وعينها عين الخنزير
واذنها اذن فيل وقرنها قرن ايل وصدرها صدر اسد ولونها لون نمر وخاصرتها خاصرة
هر وذنبها ذنب كبش وقوائمها قوائم بعير بين كل مفصلين اثنا عشر ذراعا معها عصي موسي
وخاتم سليمن وذكر في الحديث وروي حذيفة بن اليمان قال ذكر رسول الله صلي الله عليه
وسلم الدابة قلت يا رسول الله من اين تخرج قال من اعظم المساجد حرمة علي الله بينما عيسي
يطوف بالبيت ومعه المسلمون اذ تضطرب الارض تحتهم وينشق الصفا مما يلي المشعر وتخرج
الدابة من الصفا اول ما يبدو منها راسها ملمعة ذات وبر وريش لن يدركها طالب ولن
يفوتها هارب تسم الناس مؤمنا وكافرا اما المؤمن فتترك وجهه كانه كوكب دري وتكتب
بين عينيه مؤمن واما الكافر فتكتب بين عينيه نكتة سودا وتكتب بين عينيه كافر وروي
عن ابن عباس انه قرع الصفا بعصاه وهو محرم وقال ان الدابة لتسمع قرع عصاي هذه وروي
ابو هريرة عن النبي صلي الله عليه وسلم قال بئس الشعب شعب جياد مرتين او ثلاثا قيل
ولم ذاك يا رسول الله قال تخرج منه الدابة فتصرخ ثلاث صرخات يسمعها من بين الخافقين
وقال وهب وجهها وجه الرجل وساير خلقها خلق الطير فتخبر من راها ان اهل مكة كانوا
بمحمد والقران لا يوقنون **قوله** ويوم نحشر من كل امة فوجا اي من كل قرن جماعة ومن كل
امة يجوز ان يكون متعلقا بالحشر ومن لابتدا الغاية وان تتعلق بمحذوف علي انه حال من فوجا
لانه يجوز ان يكون صفة له في الاصل **والفوج** الجماعة كالقوم وقيد هو الراغب فقال
الجماعة المارة المسرعة وكان هذا هو الاصل ثم اطلق وان لم يكن مرور ولا اسراع والجمع
افواج وفووج وممن يكذب صفة له ومن في من كل تبعيضية وفي ممن يكذب تبيينية **قوله**
فهم يوزعون اي يحبس اولهم علي اخرهم حتي يجتمعوا ثم يساقون الي النار حتي اذا جاوا يوم القيمة
قال لهم الله اكذبتم باياتي ولم تحيطوا بها علما ولم تعرفوها حق معرفتها والواو في ولم تحيطوا
يجوز ان يكون العاطفة وان تكون الحالية وعلما تمييز **قوله** ام ماذا ام هنا منقطعة
وتقدم حكمها وماذا يجوز ان يكون برمته استفهاما منصوبا بتعملون الواقع خبرا عن كنتم وان
يكون ما استفهامية مبتدا وذا موصول خبره والصلة كنتم تعملون وعايده محذوف اي اي شي
الذي كنتم تعملونه وقرا ابو حيوة اما بتخفيف الميم جعل حرف الاستفهام داخلة علي اسمه
تاكيدا كقوله اهل راونا بوادي القف ذي الاكم **فصل** اما ذا كنتم تعملون حين لم
تتفكروا فيها كانه قال مالم تشتغلوا بذلك العمل المهم فاي شي كنتم تعملون بعده لك ثم قال
ووقع القول عليهم اي وجب العذاب الموعود عليهم بما ظلموا اي بسبب ظلمهم وتكذيبهم باياتي

الله وبضعف جمل ما بمعنى الذي فهم لا ينطقون قال قتادة كيف ينطقون ولا حجة لهم ونظيره
قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون وقيل لا ينطقون لان افواههم
مختومة ثم انه تعالى لما خوفهم باحوال القيمة ذكر كلاما يصلح ان يكون دليلا على التوحيد
وعلى الحشر وعلى النبوة مبالغة في الارشاد الى الايمان والمنع من الكفر فقال اولم يروا انا
جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا مضيا يبصر فيه **قوله** لتسكنوا فيه قيل فيه حذف
من الاول ما اثبت نظيره في الثاني ومن الثاني ما اثبت نظيره في الاول اذ التقدير جعلنا الليل
مظلما لتسكنوا فيه والنهار مبصرا لتتصرفوا فيه فحذف مظلما لدلالة مبصرا ولتتصرفوا لدلالة
لتسكنوا وقوله مبصرا كقوله اية النهار مبصرة وتقدم تحقيقه في الاسرا وقال الزمخشري فان
قلت ما للتقابل لم يراع في قوله لتسكنوا ومبصرا حيث كان احدهما علة والاخر حالا قلت هو
مراعي من حيث المعنى وهكذا النظم المطبوع غير المتكلف يريد لم لا قال والنهار لتتصرفوا فيه
واجاب غيره بان السكون في الليل هو المقصود لانه وسيلة الى جلب المنافع الدينية
والدنيوية ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون يصدقون فيعتبرون وخص المؤمنين بالذكر
وان كانت الادلة للكل لان المؤمنين هم المنتفعون كقوله هدى للمتقين **قوله** ويوم
ينفخ في الصور هذه العلامة الثانية لقيام القيمة وهو الصور قرن ينفخ فيه اسرافيل فاذا
سمع الناس ذلك الصوت يصيحون ثم يموتون وهذا قول الاكثرين وقال الحسن الصور هو
الصور وقال بعضهم كلامه ان الارواح تجمع في القرن ثم ينفخ فيه فتذهب الارواح الى
الاجساد فتحيي الاجساد **قوله** ففزع من في السموات ومن في الارض قال ففزع
بلفظ الماضي ولم يقل فيفزع لتحققه كقوله وثبوته وانه كاين لا محالة لان الفعل الماضي يدل
على وجود الفعل كقوله اتى امر الله والمعنى يلقي عليهم الفزع الى ان يموتوا قيل ينفخ اسرافيل
في الصور ثلاث نفخات نفخة الفزع ونفخة الصعق ونفخة القيام لرب العالمين **قوله**
الا من شا الله فالمراد الا من يثبت الله قلبه من الملايكة قالوا وهم جبريل وميكايل
واسرافيل وملك الموت وجا في الحديث انهم الشهدا متقلدون اسيافهم حول العرش
قال سعيد بن جبير وعطا عن ابن عباس هم الشهدا لانهم احيا عند ربهم وعن الضحاك هم
رضوان والحور وخزنة النار وحملة العرش وكل اتوه اي الذين احيوا بعد الموت **قوله**
اتوه قرا حمزة وحفص اتوه فعلا ماضيا ومفعوله الها والباقون اتوه اسم فاعل مضافا
للها وهذا محمل معنى كل وهي مضافة تقديرا اي وكلهم وقرا قتادة اتاه ماضيا مسندا
لضمير كل على اللفظ ثم حمل على معناها فقرا داخرين والحسن والاعرج دخرين بغير الف اي
صاغرين **قوله** وترى الجبال تحسبها جامدة هذه العلامة الثالثة لقيام القيمة
وهو قوله تعالى ويوم نسير الجبال جامدة قايمة واقفة وتحسبها جامدة هذه الجملة
حالية من فاعل ترى او من مفعوله لان الروية بصرية **قوله** وهي تمر الجملة حالية ايضا
وهكذا الاجرام العظيمة تراها واقفة وهي مارة قال النابغة الجعدي يصف جيشا
كثيفا ٭ بارعن مثل الطود تحسب انهم ٭ وقوف لحاج والركاب تهملج ٭ ومر السحاب مصدر
تشبيهي **قوله** صنع الله مصدر موكد لمضمون الجملة السابقة عامله مضمر اي صنع الله
ذلك صنعا ثم اضيف بعد حذف عامله وجعله الزمخشري موكدا للعامل في يوم ينفخ في الصور
وقدره ويوم ينفخ وكان كيت وكيت اثاب الله المحسنين وعاقب المسيين في كلام طويل جريا
على مذهبه وقيل منصوب على الاغرا اي انظروا صنع الله وعليكم به والاتقان الاتيان بالشي
على الكمل حالاته وهو من قولهم تقن ارضه اذا ساق اليها الماء الخاثر بالطين لتصلح للزراعة

وارض تقنة والتقن فعل ذلك بها والتقن ايضا ما رمى به في الغدير من ذلك او الارض
ومعنى اتقن كل شي اي احكمه انه خبير بما يفعلون قرا ابن كثير وابو عمرو وهشام بالغيبة
جريا على قوله وكل اتوه والباقون بالخطاب جريا على قوله وترى لان المراد النبي صلى الله عليه
وسلم وامته **قوله** من جا بالحسنة فله خير منها في خير وجهان احدهما انها للتفضيل
باعتبار زعمهم او على حذف مضاف اي خير من قدرها واستحقاقها فمنها في محل نصب وان لا
يكون للتفضيل فيكون منها في موضع رفع صفة لها **قوله** وهم من فزع يومئذ قرا اهل
الكوفة من فزع بالتنوين يومئذ بفتح الميم وقرا الاخرون بالاضافة لانه اعم فانه يقتضي الامن
من جميع فزع ذلك اليوم وبالتنوين كانه فزع دون فزع وفتح اهل المدينة الميم من يومئذ
وتقدم في هود فتح يوم وجره واضافته للجملة حذفت وعوض عنها التنوين والاحسن ان
يقدر يومئذ جا بالحسنة وقيل يومئذ ترى الجبال وقيل يومئذ ينفخ في الصور والاول اولى
لقرب ما قدر منه **فصل** لما تكلم في علامات القيمة شرح بعد ذلك احوال
المكلفين بعد قيام القيمة والمكلف اما ان يكون مطيعا او عاصيا اما المطيع فهو الذي جا
بالحسنة وهي كلمة الاخلاص قال ابو معشر يحلف ما استثنى ان الحسنة لا اله الا الله وقيل
كل طاعة فله خير منها قال ابن عباس يعني له من تلك الحسنة خير يوم القيمة وهو الامن من العذاب
اما ان يكون له شي خير من الايمان فلا فانه ليس شي خيرا من قول لا اله الا الله وقيل خير منها
يعني رضوان الله قال تعالى ورضوان من الله اكبر وقال محمد بن كعب وعبد الرحمن بن زيد
خير منها يعني الاضعاف اعطاه الله بالواحدة عشرا فصاعدا وهذا احسن لان للاضعاف
خصايص وقيل ان الثواب خير من العمل لان الثواب دايم والعمل منقضي ولان العمل فعل
العبد والثواب فعل الله وهم من فزع يومئذ امنون اي امنون من كل فزع **فان قيل**
اليس قال في اول الاية ففزع من في السموات ومن في الارض فكيف نفى الفزع ههنا فالجواب
ان الفزع الاول هو ما لا يخلو عنه احد عند الاحساس بشدة تقع او هول يفجا وان كان
المحسن يامن وصول ذلك الضرر اليه واما الثاني فهو الخوف من العذاب واما من قرا من فزع
بالتنوين فهو يحتمل معنيين من فزع واحد وهو خوف العذاب واما ما يلحق الانسان من
الرعب عند مشاهدته فلا ينفك منه احد **فان قيل** الحسنة لفظة مفردة معرفة
وقد ثبت انها لا تفيد العموم بل يكفي في تحققها حصول فرد من افرادها واذا كان كذلك
فلنحملها على اكمل الحسنات شانا واعلاها درجة وهو الايمان ولهذا قال ابن عباس
الحسنة كلمة الشهادة وهذا يوجب القطع بانه لا يعاقب اهل الايمان **فالجواب**
ذلك الخبر هو ان لا يكون عقابه مخلدا **وامن** يتعدى بالجار وبنفسه كقوله تعالى
افامنوا مكر الله **قوله** ومن جا بالسيئة يعني الاشراك نكبت وجوههم في النار يجوز
ان يكون ذكر الوجه ابدانا بانهم يكبون على وجوههم فيها منكوسين يقال كببت الرجل
اذا القيته على وجهه فاكب وانكب **قوله** هل تجزون على اضمار قول وهذا القول حال
مما قبله اي كبت وجوههم مقولا لهم ذلك القول **قوله** انما امرت اي قل يا محمد انما
امرت ان اخص الله وحده بالعبادة ثم انه تعالى وصف نفسه بامرين احدهما انه
رب هذه البلدة والمراد مكة وانما خصها من بين ساير البلاد باضافة اسمه اليها لانها
احب بلاده اليه واكرمها عليه واشار اليها اشارة تعظيم لها دالا على انها موطن نبيه ومهبط
وحيه **قوله** الذي حرمها هذه قراة الجمهور صفة للرب وابن مسعود وابن عباس التي حرمها
للبلدة والسياق انما هو للرب فلذلك كانت العامة واصحه والمعنى جعلها الله حرما امنا

لا يسفك فيها دم ولا يظلم فيها احد ولا ينفر صيدها ولا يختلا خلاها وله كل شي خلقا
وملكا وانما ذكر ذلك لان العرب كانوا ممتنين بكون مكة محرمة وعلموا ان تلك الفضيلة ليست
من الاصنام بل من الله فكانه قال لما علمت وعلمتم انه سبحانه هو المتولي لهذه النعم وجب علي
ان اخصه بالعبادة وامرت ان اكون من المسلمين لله **قوله** وان اتلوا القران العامة علي
اثبات الواو وبعد اللام وفيها تا وبالان اظهرهما انه من التلاوة وهي القراة ويما بعده يلايمه
والثاني من تلا تلو وهو الاتباع كقوله واتبع ما يوحي اليك وقرا عبد الله وان اتل امر له عليه
السلام فان يجوز ان يكون المفسرة وان يكون المصدرية وصلت بالامر وتقدم ما فيه **فصل**
المعني وامرت ان اتلوا القران ولقد قام بذلك صلوات الله عليه وسلامه اتم قيام فمن اهتدي
مما تقدم من المسايل وهي التوحيد والحشر والنبوة فانما يهتدي لنفسه اي منفعة اهتدايه
راجعة اليه ومن ضل عن الايمان واخطا طريق الهدي فقل انما انا من المنذرين المخوفين
فليس علي الا البلاغ نسخها اية القتال **قوله** ومن ضل يجوز ان يكون الجواب قوله فقل
انما ولا بد من حذف عايد علي اسم الشرط اي من المنذرين له لما تقدم في البقرة وان يكون الجواب
محذوفا اي فوباله عليه **قوله** وقل الحمد لله علي ما اعطاني من نعمة العلم والحكمة والنبوة
او علي ما وفقني من القيام باداء الرسالة والانذار سيريكم اياته القاهرة فتعرفونها يعني يوم بدر
من القتل والسبي وضرب الملايكة وجوههم وادبارهم نظيره قوله تعالى ساريكم اياتي فلا تستعجلون
وقال مجاهد سيريكم اياته في السما وفي الارض وفي انفسكم كما قال سنريهم اياتنا في الافاق
وفي انفسهم فتعرفونها اي تعرفون الايات والدلالات وما ربك بغافل عما يعملون قري بالتا
واليا وهذا وعيد لهم بالجزا علي اعمالهم روي ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا طس سليمان كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق سليمان وكذب به وهود وشعيب
وصالح وابرهيم عليهم السلام وخرج من قبره وهو ينادي لا اله الا الله • **سورة**
القصص مكية • الا قوله عز وجل الذين اتيناهم الكتاب الي قوله لا نبتغي الجاهلين
وفيها اية نزلت بين مكة والمدينة وهي قوله ان الذي فرض عليك القران لرادك الي معاد • وهي
ثمان وثمانون اية والف واربع ماية واحدي واربعون كلمة وخمسة الاف وثمان ماية حرفا
ولقايل ان يقول لم لا سميت سورة موسي لاشتمالها علي قصة موسي فقط من حين ولد الي ان اهلك الله
فرعون وخسف بقارون كما سميت سورة نوح وسورة يوسف لاشتمالهما علي قصتيهما ولا يقال
سميت بذلك لذكر القصص فيها في قوله فلما جاه وقص عليه القصص لان سورة يوسف فيها ذكر
القصص مرتين الاولي نحن نقص عليك احسن القصص والثانية قوله لقد كان في قصصهم فكانت
سورة يوسف اولي بهذا الاسم وايضا فكانت سورة هود اولي بهذا الاسم يعني بسورة القصص
لانه ذكر فيها قصص سبعة انبيا وهذه ليس فيها الا قصة واحدة فكان ينبغي العكس وان يسمي
سورة هود سورة القصص وهذه سورة موسي بسم الله الرحمن الرحيم • **قوله تعالي**
نتلوا عليك يجوز ان يكون مفعول نتلوا محذوفا دلت عليه صفته وهي من نبا موسي تقديره
نتلوا عليك شيا من نبا موسي ويجوز ان يكون من مزيدة علي راي الاخفش اي نتلوا عليك نبا موسي
قوله بالحق يجوز ان يكون حالا من فاعل نتلوا او من مفعوله اي نتلوا عليك بعض خبرهما
ملتبسين او ملتبسا بالحق او يتعلق بنفس نتلوا بمعني نتلوه بسبب الحق ولقوم يتعلق بفعل
التلاوة اي لاجل هولا وهم يومنون يصدقون وخصهم بالذكر لانهم قبلوا وانتفعوا **قوله** ان فرعون
هذا هو المتلو جي به في جملة مستانفة موكدة وقري فرعون بضم الفا وكسرها والكسر احسن وهو
المتسلط علا في الارض استكبر وتجبر وجعل اهلها شيعا فرقا واصنافا في الخدمة والتسخير

يتبعونه علي ما يريد ويطيعونه **قوله** يستضعف يجوز فيه ثلاثة اوجه احدها انه
مستانف بيان لحال الاهل الذين جعلهم فرقا واصنافا الثاني انه حال من فاعل جعل
اي جعلهم كذا حال كونهم مستضعفا طايفة منهم الثالث انه صفة لطايفة **قوله** يذبح يجوز
فيه الثلاثة الاوجه الاستيناف تفسيرا ليستضعف او الحال من فاعله او صفة ثانية
لطايفة والعامة علي التشديد في يذبح للتكثير وابو حيوة وابن محيصن يذبح مفتوح
اليا والبا مضارع ذبح مخففا **فصل** المراد بالطايفة بنو اسرايل ثم فسر
الاستضعاف فقال يذبح ابناهم ويستحيي نساهم سمي هذا استضعافا لانهم عجزوا وضعفوا
عن دفعه عن انفسهم انه كان من المفسدين وذكروا في سبب ذبح الابنا وجوها قيل ان كاهنا
قال له يولد مولود في بني اسرايل في ليلة كذا يذهب ملكه علي يديه فولد تلك الليلة اثنا عشر غلاما
فقتلهم وبقي هذا العذاب في بني اسرايل سنين كثيرة قال وهب قتل من القبط في طلب موسي
تسعين الفا من بني اسرايل وقال السدي ان فرعون راي في منامه ان نارا اقبلت من بيت
المقدس الي مصر فاحرقت القبط دون بني اسرايل فسال عن رؤياه فقيل له يخرج من هذا البلد
من بني اسرايل رجل يكون هلاك ملك مصر علي يده فامر بقتل الذكور وقيل ان الانبيا الذين
كانوا قبل موسي عليه السلام بشروا بمجيه فسمع فرعون ذلك فامر بذبح ابنا بني اسرايل **قوله**
ونريد ان نمن فيه وجهان اظهرهما انه عطف علي قوله ان فرعون عطف فعلية علي
اسمية لان كلتيهما تفسير للنبا والثاني انها حال من فاعل يستضعف وفيه ضعف من حيث
الصناعة ومن حيث المعني اما الصناعة فلكونه مثبتا فحقه ان يتجرد من الواو واضمار مبتدا
قبله اي ونحن نريد كقوله نجوت وارهنهم مالكا وهذا تكلف لا حاجة اليه والمعني فكيف
يجتمع استضعاف فرعون وارادة المنة من الله لانه متي من الله عليهم تعذر استضعاف فرعون
اياهم وقد اجيب عن ذلك بانه لما كانت المنة بخلاصهم من فرعون سريعة الوقوع جعلت
ارادة وقوعها كانها مقارنة لاستضعافهم **قوله** ونجعلهم ايمة قال مجاهد دعاة
الي الخير وقال قتادة ولاة وملوكا لقوله تعالي وجعلكم ملوكا وقيل يقتدي بهم في الخير
ونجعلهم الوارثين يعني لملك فرعون وقومه يخلفونهم في مساكنهم **قوله** ونمكن العامة علي ذلك
من غير لام علة والاعمش ولنمكن بلام العلة ومتعلقها محذوف اي ولنمكن فعلنا ذلك والمعني
نوطي لهم في ارض مصر والشام ونجعلها لهم مكانا يستقرون فيه وننفذ امرهم ونطلق ايديهم
يقال مكن له اذا جعل له مكانا يقعد عليه ووطاه ومهده **قوله** ونري فرعون
وهامان وجنودهما قرا الاخوان ويري بفتح اليا والرا مضارع راي مسندا الي فرعون
وما عطف عليه فلذلك رفعوا والباقون بضم النون وكسر الرا مضارع اري فلذلك نصب
فرعون وما عطف عليه مفعولا اول وما كانوا هو الثاني ومنهم متعلق بفعل الروية او الارادة لا
بيحذرون لان ما بعد الموصول لا يعمل فيما قبله ولا ضرورة بنا الي ان نقول اتسع فيه والحذر
هو التوقي من الضرر والمعني ما كانوا خايفين منه **قوله** ان ارضعيه يجوز ان المفسرة والمصدرية
وقرا عمر بن عبد العزيز وعمر بن عبد الواحد بكسر النون علي التقا الساكنين كانه حذف همزة
القطع علي غير قياس فالتقي ساكنان فكسر اولهما **فصل** واوحينا الي ام موسي وحي الهام لا وحي
نبوة قال قتادة قذفنا في قلبها واسمها يوحابذ وقيل اباذخا وقيل اباذخت قال ابن كثير
بنت لاوي بن يعقوب ان ارضعيه قيل ارضعته ثمانية اشهر وقيل اربعة اشهر وقيل ثلاثة اشهر
كانت ترضعه في حجرها وهو لا يبكي ولا يتحرك فاذا خفت عليه يعني من الذبح فالقيه في اليم واليم
البحر واراد هنا النيل ولا تخافي ولا تحزني قيل لا تخافي عليه من الغرق وقيل من الضيعة ولا

نخزني عليه فرانه فانا رادوه اليك لتكوني انت المرضعة وجاعلوه من المرسلين الى اهل مصر والشام
قال المفسرون انها لما خافت عليه من الذبح وضعته في تابوت والقته في النيل ليلا قال
ابن كثير وقيل انها ربطت التابوت في حبل وكانت دارها على حافة النيل فكانت ترضعه فاذا
خشيت من احد وضعته في ذلك التابوت وارسلته في البحر وامسكت طرف الحبل عندها فاذا ذهبوا
استرجعته اليها وكان لفرعون قوابل معهم رجال يطوفون على الحوامل فمن وضعت ذكرا ذبحوه
فارسلت ام موسى التابوت يوما وذهلت عن ربطه فذهب مع النيل قال ابن عباس وغيره
وكان لفرعون يومئذ بنت لم يكن له ولد غيرها وكانت من اكرم الناس عليه وكان لها برص شديد
فقال له الاطبا ايها الملك انها لا تبرا الا من قبل البحر يوجد منه الانس فيوخذ من ريقه فيلطخ
به برصها فتبرا من ذلك وذلك يوم كذا وساعة كذا من شهر كذا حين تشرق الشمس فلما كان ذلك
اليوم غدا فرعون في مجلس له كان على شفير النيل ومعه اسية بنت مزاحم بن عبد بن الريان
ابن الوليد الذي كان فرعون مصر في زمن يوسف الصديق وهي امراة فرعون وقيل كانت من
بني اسرايل من سبط موسى وقيل كانت عمته حكاه السهيلي واقبلت بنت فرعون في جواريها
حتى جلست على شاطي النيل اذ اقبل النيل بتابوت تضربه الامواج فتعلق بشجرة فقال فرعون
ايتوني به فابتدروه بالسفن من كل جانب فوضعوه بين يديه فعالجوا فتحه فلم يقدروا
عليه فنظرت اسية فرات نورا في جوف التابوت لم يره غيرها فعالجته ففتحته فاذا هو بصبي
صغير في مهده واذا نور بين عينيه فالقى الله محبته في قلوب القوم وعمدت ابنة فرعون الى
ريقه فلطخت به برصها فبرات فقالت الغواة من قوم فرعون انا نظن ان هذا هو الذي تحذر
منه رمي في البحر فرقا منك فاقتله فهم فرعون بقتله فاستوهبته امراة فرعون فتركه فتبلته
وقوله فالتقطه ال فرعون اي جواريه **قوله** ليكون في اللام الوجهان المشهوران العلية
المجازية بمعنى ان ذلك لما كان نتيجة فعلهم وثمرته شبه بالداعي الذي يفعل الفاعل الفعل
لاجله او الصيرورة وقوله وحزنا قرا العامة بفتح الحاء والزاي وهي لغة قريش والاخوان بضم
وسكون وهما لغتان بمعنى واحد كالعدم والعُدم ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا
خاطين العامة على همز ماخوذ من الخطا ضد الصواب وقرى بيا دون همز فاحتمل ان يكون
كالاول ولكن خفف وان يكون من خطا اي تجاوز الصواب **قوله** قرة عين لي ولك فيه
وجهان اظهرهما انه خبر مبتدا مضمر اي هو قرة عين والثاني وهو بعيد جدا ان يكون مبتدا
والخبر لا تقتلوه وكان هذا القايل حقه ان يذكر فيقول لا تقتلوها الا انه لما كان المراد مذكرا
ساغ ذلك والعامة من القرا والمفسرين واهل العلم يقفون على ولك ونقل ابن الانباري بسنده
الى ابن عباس عنه انه وقف على لا اي هو قرة عين لي فقط ولك لا اي ليس هو لك قرة عين ثم يبتدي
بقوله تقتلوه وهذا لا ينبغي ان يصح عنه وكيف يبقى تقتلوه من غير نون رفع ولا مقتضي لحذفها
ولذلك قال الفرا هو لحن **قوله** عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا وكانت لا تلد فاستوهبت
موسى من فرعون فوهبه لها وقال فرعون اما انا فلا حاجة لي فيه قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لو قال يومئذ هو قرة عين لي كما هو لك لهداه الله كما هداها فقال لاسية سميه قالت سميته
موشى لانا وجدناه في الما والشجر فمو هو الما وشا هو الشجر فذلك قوله فالتقطه ال فرعون والالتقاط
هو وجود الشي من غير طلب **قوله** وهم لا يشعرون جملة حالية وهل هي من كلام الباري
تعالى وهو الظاهر او من كلام امراة فرعون كانها لما رات ملاه اشاروا بقتله قالت له كذا اي افعل
انت ما اقول لك وقومك لا يشعرون انا التقطناه قاله الكلبي وجعل الزمخشري الجملة من قوله وقالت
امراة فرعون معطوفة على فالتقطه والجملة من قوله ان فرعون وهامان الى خاطين معترضا بين ٥

المتعاطفين

المتعاطفين وجعل متعلق الشعور من جنس الجملة المعترضة اي لا يشعرون انهم على خطا في التقاطه
او ان هلاكهم على يديه قال ابو حيان ومتى امكن حمل الكلام على ظاهره من غير فصل كان احسن
قوله واصبح فؤاد ام موسى فارغا قال الحسن فارغا من كل هم الا هم موسى وقال ابو مسلم فراغ
الفؤاد هو الخوف والاشفاق كقوله وافيدتهم هوا وقال الزمخشري فارغا صفرا من العقل والمعنى
انها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون طار عقلها من فرط الجزع والخوف وقال الحسن ومحمد بن
اسحق فارغا من الوحي الذي اوحينا اليها ان القيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك
فجاها الشيطان وقال لها كرهت ان يقتل فرعون ولدك فيكون لك اجره وثوابه وتوليت انت
قتله فالقيته في البحر واغرقتيه ولما اتاها خبر موسى انه وقع في يد فرعون فانساها عظيم البلا
ما كان من عهد الله اليها وقال ابو عبيدة فارغا من الحزن لعلمها بانه لا يقتل اعتمادا على تكفل
الله بمصلحته وقال ابن قتيبة وهذا من العجايب كيف يكون فوادها فارغا من الحزن والله
تعالى يقول لولا ان ربطنا على قلبها وهل يربط الا على قلب الجازع المحزون ويمكن ان يجاب عنه
بانه لا يمتنع انها لشدة ثقتها بوعد الله جاز عندها اظهار عدم الحزن وايقنت انها ان
اظهرت ذلك فانه يسلم لاجل ذلك الوعد الا انه كان في المعلوم ان الاظهار يعتبر بربط الله على
قلبها قال المعربون فارغا خبر اصبح اي فارغا من العقل او من الصبر او من الحزن وهو ابعدها
ويرده قراات تخالفه فقرا فضالة والحسن فزعا بالزاي من الفزع وابن عباس قرعا بالقاف
وكسر الراء وسكونها من قرع راسه اذا انحسر شعره والمعنى خلا من كل شي وانحسر عنه كل شي الا ذكر
موسى وقيل الساكن الراء مصدر قرع يقرع اي اصيب وقرى فرغا بكسر الفا وسكون الرا والغين
معجمة اي هدرا كقوله ٥ فان تك قتلى قد اصيبت نفوسهم ٥ فلن يذهبوا فرغا بقتل حبال ٥
فرغا حال من بقتل وقرا الخليل فُرُغا بضم الفا والراء واعجام الغين من هذا المعنى ومنه قولهم
دماوهم بينهم فرغ اي هدر **قوله** ان كادت لتبدي به ان اما مخففة واما نافية واللام
اما فارقة واما بمعنى الا والها في به مزيدة في المفعول اي لتظهره وقيل ليست زايدة بل سببية
والمفعول محذوف اي لتبدي القول بسبب موسى او بسبب الوحي فالها يجوز ان تكون راجعة
الى موسى اي ان كادت لتبدي به انه ابنها من شدة وجدها وقال عكرمة عن ابن عباس
كادت تقول وا ابناه حين رات الموج يرفع التابوت ويضعه وقال الكلبي كادت تظهر انه
ابنها حين سمعت الناس يقولون انه ابن فرعون وقال السدي لما اخذ من الما كادت تقول
هو ابني فعصمها الله وقال بعضهم الها عايدة على الوحي اي كادت تبدي بالوحي الذي اوحى
الله اليها انه يرده عليها **قوله** لولا ان ربطنا جوابها محذوف اي لابدت كقوله وهم
بها لولا ان راى برهان ربه والمعنى لولا ان ربطنا على قلبها بالعصمة والصبر والتثبت ولتكون
من المومنين متعلق بربطنا والمعنى لتكون من المومنين المصدقين بوعد الله وهو قوله انا
رادوه اليك **قوله** وقالت لاخته قصيه اي قصي اثر موسى تتبعي اثره حتى تعلمي خبره وكانت
اخته لابيه وامه واسمها مريم **قوله** فبصرت به اي ابصرته وقرا قتادة بصرت بفتح
الصاد وعيسى بكسرها قال المبرد ابصرته وبصرت به بمعنى وتقدم معناه في طه وعن جنب
في موضع الحال اما من الفاعل اي بصرت به مستخفية كاينة عن جنب واما من المجرور اي بعيدة
منها وقرا العامة جنب بضمتين وهو صفة لمحذوف اي عن مكان بعيد وقال ابو عمرو بن العلا
اي عن شوق وهي لغة جذام يقولون جنبت اليك اي اشتقت وقرا قتادة والحسن والاعرج وزيد
ابن علي بفتح الجيم وسكون النون وعن قتادة ايضا بفتحهما وعن الحسن جُنب بالضم والسكون وعن سالم
عن جانب وكلها بمعنى واحد ومثله الجناب والجنابة **قوله** وهم لا يشعرون جملة حالية

ومتعلق الشعور محذوف اي انها تقصته او انه سيكون لهم عدوا وحزنا او انها اخته تترقبه
قوله وحرمنا عليه المراضع قيل يجوز ان يكون جمع مرضع وهي المراة وقيل جمع مرضع بفتح
والضاد ثم جوزوا فيه ان يكون مكانا اي مكان الارضاع وهو الثدي وان يكون مصدرا اي
الارضاعات اي انواعها ومن قبل اي من قبل قصها اثره او من قبل مجي اخت موسى ومن قبل
ولادته في حكمنا وقضايانا والمراد من التحريم المنع لان التحريم بالنهي يتعبد وذلك لا يصح فلا بد
من فعل سواه فيحتمل انه تعالى غير طبعه عن لبن ساير النسا فلذلك لم يرتضع او احدث في
لبنهن طعما ينفر عنه طبعه او وضع في لبن امه لذة تعود بها فكان يكره لبن غيرها فصل
قال ابن عباس ان امراة فرعون كان همها من الدنيا ان تجد له مرضعة فكلما اتوه بمرضعة
لم ياخذ ثديها فذلك قوله عز وجل وحرمنا عليه المراضع فلما رات اخت موسى التي ارسلتها
امه في طلبه ذلك قالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه اي يرضعونه لكم ويضمنونه وهي امراة
قد قتل ولدها فاحب شي اليها ان تجد صغيرا ترضعه قوله وهم له ناصحون الظاهر
انه ضمير موسى وقيل لفرعون قال ابن جريج والسدي لما قالت اخت موسى وهم له ناصحون
استنكروا حالها وتفرسوا انها قرابته فقالت انما اردت وهم للملك ناصحون فتخلصت
منهم وهذا يسمى عند اهل البيان الكلام الموجه ومثله لما سئل بعضهم وكان بين قوم بعضهم
يحب عليا دون غيره وبعضهم ابا بكر وبعضهم عمر وبعضهم عثمان فقيل له ايهم احب الى
رسول الله فقال من كانت ابنته تحته وقيل لما تفرسوا انها قرابته قالت انما قلت هذا
رغبة في سرور الملك واتصالنا به وقيل انها لما قالت هل ادلكم على اهل بيت قالوا لها من
قالت امي قالوا ولامك ابن قالت نعم هرون وكان هرون ولد في سنة لا يقتل فيها قالوا
صدقت فاتينا بها فانطلقت الى امه فاخبرتها بحال ابنها وجات بها اليهم فلما وجد الصبي
ريح امه قبل ثديها وجعل يمصه حتى امتلا جنباه ريا والنصح اخلاص العمل من شايب الفساد
قوله فرددناه الى امه كي تقر عينها برد موسى اليها ولا تحزن عطف على تقر ودمعة
الفرح قارة ودمعة الترح حارة قال ابو تمام
فاما عيون العاشقين فاسخنت ، واما عيون الشامتين فقرت ، وتقدم تحقيق هذا في
مريم ولتعلم ان وعد الله حق برده اليها وقد كانت عالمة بذلك ولكن ليس المخبر كالمعاين
فتحققت وجود الموعود ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الله وعدها رده اليها قال الضحاك
لما قبل ثديها قال هامان انك لامه قالت لا قال فما بالك قبل ثديك من بين النسوة قالت
ايها الملك اني امراة طيبة الريح حلوة اللبن فما شم ريحي صبي الا اقبل على ثديي قالوا صدقت
فلم احد من ال فرعون الا اهدى اليها واتحفها بالذهب والجواهر قوله ولما بلغ اشده
تقدم الكلام عليه واستوى اي بلغ اربعين سنة قاله ابن عباس وقيل استوى انتهى شبابه
اتيناه حكما وعلما اي الفقه والعقل والعلم في الدين فعلم موسى وحكم قبل ان يبعث نبيا وكذلك
نجزي المحسنين وهذا يدل على انه ليس المراد بالحكم النبوة لانه جعل ايتاه الحكم والعلم مجازاه
على احسانه والنبوة لا تكون جزا على العمل قوله ودخل المدينة اي ودخل موسى المدينة
قال السدي مدينة منف من ارض مصر وقال مقاتل قرية تدعى حابين على راس فرسخين
من مصر وقيل عين شمس قوله على حين غفلة في موضع الحال اما من الفاعل اي كاينة
على حين غفلة اي مستخفيا واما من المفعول وقرا ابو طالب القارسي على حين بفتح النون وكلف
ابو حيان تخريجها على انه حمل المصدر على الفعل في انه اذا اضيف الظرف اليه جاز بناوه
على الفتح كقوله على حين عاتبت المشيب على الصبا ، ومن اهلها صفة لغفلة اي صادره

من

من اهلها فصل اختلفوا في السبب الذي لاجله دخل موسى على حين غفلة من اهلها
فقال السدي ان موسى كان يسمى ابن فرعون فكان يركب من مراكب فرعون ويلبس مثل ملابسه
فركب فرعون يوما وليس عنده موسى فلما جا موسى قيل له ان فرعون قد ركب فركب في اثره فادركه
بارض منف فدخلها نصف النهار وليس في طرقها احد فذلك على حين غفلة من اهلها وقال
ابن اسحق كان لموسى شيعة من بني اسرايل يسمعون منه ويقتدون به فلما عرف ما هو عليه
من الحق فارق فرعون وقومه وخالفهم في دينهم حتى ذكر ذلك منه وخافوه وخافهم فكان
لا يدخل قرية الا خايفا مستخفيا وقال ابن زيد ان موسى ضرب راس فرعون ونتف لحيته
فاراد فرعون قتله فقالت امراته هو صغير فجي بجمرة فاخذها فطرحها في فيه فبها عقد
لسانه فقال فرعون لا اقتله ولكن اخرجوه عن الدار والبلد فاخرج ولم يدخل عليهم حتى كبر
فدخل على حين غفلة قوله يقتتلان صفة لرجلين وقال ابن عطية حال منهما وسيبويه
وان كان جوزها من النكرة مطلقا الا ان الاكثر يشترطون فيها ما يسوغ الابتدا بها وقرا
نعيم بن ميسرة يقتلان بالادغام نقل فتحة التا الاولى الى القاف وادغم قوله هذا
من شيعته مبتدا وخبر في موضع الصفة لرجلين او الحال من الضمير في يقتتلان وهو بعيد لعدم
انتقالها وقوله هذا وهذا على حكاية الحال الماضية فكانهما حاضران اي اذا نظر الناظر
اليهما قال هذا من شيعته وهذا من عدوه وقال المبرد العرب تشير بهذا الى الغايب
وانشد لجرير ، هذا ابن عمي في دمشق خليفة لو شيت ساقكم الي قطينا ، فصل هذا
من شيعته من بني اسرايل وهذا من عدوه من القبط قال مقاتل كانا كافرين الا ان
احدهما من القبط والاخر من بني اسرايل لقول موسى عليه السلام له انك لغوي مبين والمشهور
ان الاسرايلي كان مسلما قيل انه السامري والقبطي طباخ فرعون قال سعيد بن جبير عن ابن
عباس لما بلغ موسى اشده لم يكن احد من ال فرعون يخلص الى احد من بني اسرايل بظلم حتى
امتنعوا كل الامتناع وكان بنو اسرايل قد عزوا بمكان موسى لانهم كانوا يعلمون انه منهم
قوله فاستغاثه هذه قراة العامة من الغوث اي طلب غوثه ونصره وقرا سيبويه
وابن مقسم والزعفراني بالعين المهملة والنون من الاعانه قال ابن عطية هي تصحيف وقال
ابن جباره صاحب الكامل الاختيار قراة ابن مقسم لان الاعانة اولى في هذا الباب قال
شهاب الدين نسبة التصحيف الى هولاء غير محمودة كما ان ميل الهذلي في اختيار الشاذة
غير محمود قوله فوكزه اي دفعه بجميع كفه والفرق بين الوكز واللكز ان الاول
بجميع الكف والثاني باطراف الاصابع وقيل بالعكس وقيل اللكز في الصدر والوكز في الظهر
والنكز كاللكز قال يا ايها الجاهل ذو التنزي ، لا توعدني حية بالنكز ، وقرا ابن مسعود
فلكزه وفنكزه باللام والنون قوله فقضى اي موسى او الله تعالى او ضمير الفعل
اي الوكز فقضى عليه اي اماته وقتله وفرغ من امره وكل شي فرغت منه فقد قضيته
وقضيت عليه فندم موسى ولم يكن قصده القتل فدفنه في الرمل وقال هذا من عمل
الشيطان انه عدو مضل مبين فقوله هذا اشارة الى القتل الصادر منه ومن عمل الشيطان
اي من وسوسته وتسويله فصل احتج بهذه الاية من طعن في عصمة الانبيا
من وجوه احدها ان ذلك القبطي اما ان يكون مستحق القتل او لم يكن كذلك فان استحق القتل
فلم قال هذا من عمل الشيطان ولم قال ظلمت نفسي فاغفر لي وقال في سورة اخرى فعلتها اذن
وانا من الضالين وان لم يستحق القتل كان قتله معصية وذنبا وثانيها ان قوله وهذا من
عدوه يدل على انه كان كافرا حربيا فكان دمه مباحا فلم استغفر عنه والاستغفار من الفعل

المباح غير جايز لانه يوهم في المباح كونه حراما وثالثها ان الوكز لا يحصل منه القتل ظاهرا فكان ذلك قتل خطا فلم استغفر منه والجواب عن الاول لم لا يجوز ان يقال انه لكفره مباح الدم واما قوله هذا من عمل الشيطان ففيه وجوه الاول ان الله تعالى وان اباح قتل الكفار الا انه كان الاولى تاخير قتلهم الى زمان اخر فلما قتل فقد ترك ذلك المندوب وهو قوله هذا من عمل الشيطان الثاني ان قوله هذا اشارة الى عمل المقتول لا الى عمل نفسه يعني انه من حزب الشيطان وجنده يقال فلان من عمل الشيطان اي من احزابه واما قوله رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فعلى قول ادم عليه السلام ربنا ظلمنا انفسنا والمراد احد وجهين اما على سبيل الانقطاع الى الله والاعتراف بالتقصير عن القيام بحقوقه وان لم يكن هناك ذنب قط او من حيث حرم نفسه الثواب بترك المندوب واما قوله فاغفر لي اي فاغفر لي ترك هذا المندوب وفيه وجه اخر وهو ان يكون المراد رب اني ظلمت نفسي حيث قتلت هذا الملعون فان فرعون لو عرف ذلك لقتلني به فاغفر لي فاستره علي ولا توصل خبره الى فرعون فغفر له اي ستره عن الوصول الى فرعون ويدل على هذا رب بما انعمت علي فلن اكون ظهيرا للمجرمين فلو كانت اعانة المؤمن هنا سببا للمعصية لما قال ذلك واما قوله فعلتها اذا وانا من الضالين فلم يقل اني صرت بذلك ضالا بل اعترف انه كان ضالا اي متحيرا لا يدري ما يجب عليه واما قوله انه كان كافرا حربيا فلم استغفر من قتله قلنا كون الكافر مباح الدم امر يختلف باختلاف الشرايع فلعل قتلهم كان حراما في ذلك الوقت او ان كان مباحا لكن الاولى تركه على ما قررنا واما قوله كان قتل خطا قلنا لا نسلم فلعل الرجل كان ضعيفا وموسى عليه السلام كان في نهاية الشدة فوكزه كان قاتلا قطعا ثم ان سلمنا ولكنه عليه السلام كان يمكنه ان يخلص الاسرائيلي من يده بدون الوكز الذي كان الاولى تركه فلهذا اقدم على الاستغفار على انا وان سلمنا دلالة هذه الاية على صدور المعصية لكنا بينا انه لا دلالة البتة فيه لانه لم يكن رسولا في ذلك الوقت فيكون ذلك قبل النبوة وذلك لا نزاع فيه **فصل** قالت المعتزلة الاية تدل على بطلان قول من نسب المعاصي الى الله لانه عليه السلام قال هذا من عمل الشيطان فلو كانت بخلق الله لكانت من الله لا من الشيطان وهو كقول يوسف عليه السلام بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي وقول فتى موسى وما انسانيه الا الشيطان وقوله تعالى لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة وتقدم الكلام على ذلك **قوله** بما انعمت يجوز في الباء ان تكون قسما والجواب لا توبن مقدرا ويفسره فلن اكون قال القفال كانه اقسم بما انعم الله عليه ان لا يظاهر مجرما اي بنعمتك علي وان تكون متعلقة بمحذوف ومعناها السببية اي اعصمني بسبب ما انعمت به علي ويترتب عليه قوله فلن اكون ظهيرا وما مصدرية او بمعنى الذي والعايد محذوف وقوله فلن نفي على حقيقته وهذا يدل على انه قال لما انعمت علي بهذا الانعام فاني لا اكون معاونا لاحد من المجرمين بل اكون معاونا للمسلمين وهذا يدل على ان ما اقدم عليه من اعانة الاسرائيلي على القبطي كان طاعة لا معصية اذ لو كان معصية لنزل الكلام منزلة قوله انك لما انعمت علي بتوبتي من تلك المعصية وقال الكسائي والفرا انه خبر ومعناه الدعا وان لن واقعة موقع لا كانه قال ولا تجعلني ظهيرا قال الفرا وفي حرف عبد الله ولا تجعلني ظهيرا وقال الشاعر

لن تزالوا كذلكم ثم لا زلت لهم خالدا خلود الجبال

قال شهاب الدين وليس في الاية والبيت دلالة على وقوع لن موقع لا لظهور النفي فيهما من غير تقدير دعاء **فصل** قال ابن عباس بما انعمت علي بالمغفرة فلن اكون ظهيرا عونا للمجرمين اي للكافرين وهذا يدل على ان

الاسرائيلي الذي اعانه موسى كان كافرا وهو قول مقاتل وقال قتادة لن اعين بعدها على خطيئة قال ابن عباس لم يستثن فابتلي به في اليوم الثاني وهذا ضعيف لانه في اليوم الثاني ترك الاعانة وانما خاف منه ذلك العدو فقال اتريد ان تقتلني ... ان تريد الا ان تكون جبارا الا انه لم يقع منه **قوله** فاصبح في المدينة التي قتل فيها القبطي خايفا الظاهر انه خبر اصبح وفي المدينة متعلق به ويجوز ان يكون حالا والخبر في المدينة ويضعف تمام اصبح اي دخل في الصباح **قوله** يترقب يجوز ان يكون خبرا ثانيا وان يكون حالا ثانية وان يكون بدلا من الحال الاولى او الخبر الاول او حالا من الضمير في خايفا فيكون متداخلة ومفعول يترقب محذوف اي يترقب المكروه او الفرج او الخبر هل وصل لفرعون ام لا **قوله** فاذا الذي اذا الفجائية والذي مبتدا وخبره اما اذا فيستصرخه حال واما يستصرخه فاذا فضلة على بابها وبالامس معرب لانه متى دخلت عليه ال او اضيف اعرب ومتى عري منهما فالمعروف في الحجاز بناؤه والتميميون يمنعونه الصرف كقوله. لقد رايت عجبا مذ امسا على انه قد بني مع ال نادرا كقوله. واني حبست اليوم والامس قبله الى الشمس حتى كادت الشمس تغرب. يروى بكسر السين **قوله** قال له موسى الضمير قيل للاسرائيلي لانه كان سببا في الفتنة الاولى وقيل للقبطي وذلك ان موسى لما اصبح خايفا من قتل القبطي يترقب ينتظر سوءا والترقب انتظار المكروه قال الكلبي ينتظر متى يوخذ به فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه يستغيثه ويصيح به من بعد قال ابن عباس اتي فرعون فقيل له ان بني اسرايل قتلوا منا رجلا فخذ لنا بحقنا فقال ابغوني قاتله ومن يشهد عليه فلا سبيل الى ان نقضي بغير بينة فبينما هم يطوفون لا يجدون بينة اذ مر موسى من الغد فراى ذلك الاسرائيلي يقاتل فرعونيا فاستغاثه على الفرعوني فصادف موسى وقد ندم على ما كان منه بالامس من قتل القبطي فقال موسى للاسرائيلي انك لغوي مبين اي ظاهر الغواية قال اهل اللغة الغوي يجوز ان يكون فعيلا بمعنى مفعل اي انك لمغوي فاني وقعت بالامس فيما وقعت فيه بسببك ويجوز ان يكون بمعنى الغاوي فانك قتلت رجلا بالامس فقتلته بسببك وتقاتل اليوم اخر فتستغيثني عليه وقيل انما قال موسى للفرعوني انك لغوي مبين بظلمك والاكثرون على الاول **قوله** فلما ان اراد ان يبطش الظاهر ان الضمير لموسى وقيل للاسرائيلي والعدو هو القبطي والضمير في قال يا موسى للاسرائيلي كانه توهم من موسى مخاشنة من ثم قال ذلك وبهذا اختار جرير وكان مشكوكا في قاتله وان تطرد زيادة ان بعد لما في موضعين احدهما بعد لما كهذه والثاني قبل لو مسبوقة بقسم كقوله. اما والله ان لو كنت حرا. فاقسم ان لو التقينا وانتم لكان لنا يوم من الشر مظلم. والعامة على يبطش بالكسر وضمها ابو جعفر وقيل ان القايل يا موسى هو القبطي وكان قد عرف القصة من الاسرائيلي قال ابن الخطيب وهذا هو الظاهر لقوله فلما ان اراد ان يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى وهذا القول منه لا من غيره وايضا فقوله ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض لا يليق الا بقول الكافر والجبار هو الذي يفعل ما يريده من الضرب والقتل بظلم ولا ينظر في العواقب وقيل المعظم وما تريد ان تكون من المصلحين قال المفسرون فلما سمع القبطي قول الاسرائيلي علم ان موسى هو الذي قتل ذلك الفرعوني فانطلق الى فرعون فاخبره بذلك وامر فرعون بقتل موسى قال ابن عباس ارسل فرعون الذباحين لقتل موسى فاخذوا في الطريق الاعظم **قوله** وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى اي من اخر المدينة اسمه حزقيل مومن ال فرعون وقيل اسمه شمعون وقيل شمعان يسعى قال الزمخشري يسعى يجوز ارتفاعه وصفا لرجل وانتصابه حالا عنه لانه قد تخصص بالوصف بقوله من اقصى المدينة فان جعلت من

انتهى متعلقا بما يسمى صفة لبئر الا وهذا بناه منه على مذهب الجمهور وقد تقدم ان سيبويه
يجيز ذلك من غير شرط وفي ابة بين قدم من اقصى غي رجل لانه لم يكن من اقصاها وانما جاء منه
وهنا وصفه بانه من اقصاها وهما رجلان مختلفان وقضيتان مختلفتان **قوله** يأتمرون
اي يتوامرون بمعنى يتنا ورون كقول النمر بن تولب • ارى الناس قد احدثوا شيمة • وفي كل حادثة يؤتمر •
وعن ابن قتيبة يامر بعضهم بعضا اخذه من قوله تعالى واتمروا بينكم بمعروف **قوله**
فاخرج اي من المدينة اني لك من الناصحين في الامر بالخروج فقوله لك يجوز ان يتعلق بما يدل
الناصحين عليه اي ناصح لك من الناصحين او بنفس الناصحين للاتساع في الظرف او على جهة
البيان اي اعني لك فخرج منها موسى خائفا يترقب هدايته وعون الله اياه قال رب نجني
من القوم الظالمين اي الكافرين وهذا يدل على ان قتله لذلك القبطي لم يكن ذنبا والا لكان هو
الظالم لهم وما كانوا ظالمين له بسبب طلبهم له ليقتلوه قصاصا **قوله** ولما توجه
تلقاء مدين اي قصد نحوها ماضيا اليها يقال داره تلقاء دار فلان اذا كانت محاذيتها واصله
من اللقاء قال الزجاج اي سلك الطريق الذي تلقاء مدين فيها قال ابن عباس خرج وما
قصد مدين ولكنه سلم نفسه الى الله ومشى من غير معرفة فاوصله الله الى مدين وقيل وقع
في نفسه ان بينهم وبينه قرابة لانهم من ولد مدين بن ابرهيم وكان من بني اسرائيل سميت
البلدة باسمه فخرج ولم يكن له علم بالطريق بل اعتمد على فضل الله وقيل جاءه جبريل فعلمه
الطريق قال ابن اسحق خرج من مصر الى مدين حافيا بلا زاد ولا ظهر وبينهما مسيرة ثمانية ايام
ولم يكن له طعام الا ورق الشجر قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل اي قصد الطريق الى
مدين **قوله** ولما ورد ماء مدين وهو الماء الذي يستقون منه وهو بئر وورود مجيئه
والوصول اليه وجد عليه اي على شفيره امة جماعة كثيفة العدد من الناس مختلفين يسقون
منها مواشيهم ووجد من دونهم اي سوى الجماعة وقيل في مكان اسفل من مكانهم **قوله**
امرأتين تذودان فتذودان صفة لامرأتين لا مفعول ثاني لان وجد بمعنى لقي والذود
الطرد والدفع قال • فقام يذود الناس عنها بسيفه • وقيل تحبس ومفعوله محذوف
اي يذودان الناس عن غنمهما او غنمهما عن مزاحمة الناس وقال الزمخشري لم ترك المفعول
غير مذكور في يسقون وتذودان ولا نسقي قلت لان الغرض هو الفعل لا المفعول وكذلك
قولهما لا نسقي حتى يصدر الرعاء المقصود منه السقي لا المسقي **فصل** واختلفوا في
السبب المقتضي لذلك الحبس فقال الزجاج لئلا تختلط اغنامهما باغنامهم وقيل لئلا تختلط
بالرجال وقيل كانتا تذودان عن وجوههما نظر الناظرين لسترهما وقيل يذودان الناس
عن غنمهما وقال الفراء تحبسانها لئلا تتفرق وتسرب وقيل تذودان اي معهما قطيع من
الغنم والقطيع من الغنم يسمى ذودا وكذلك قطيع البقر وقطيع الابل قال عليه السلام ليس فيما
دون خمس ذود صدقة وقال الشاعر • ثلاثة انفس وثلاث ذود لقد جار الزمان على عيالي •
قوله ما خطبكما تقدم في طه وقال الزمخشري هنا وحقيقته ما خطبكما اي ما مطلوبكما
من الزياد سمي المخطوب خطبا كما سمي المشؤون شانا في قولك ما شانك يقال شانت شانه اي
قصدت قصده وقال ابن عطية السوال بالخطب انما هو في مصاب او مضطهد او من يشفق
عليه او يأتي بمنكر من الامر وقرأ شمر خطبكما بالكسر اي ما زوجكما اي لم تسقيان ولم يسق زوجكما
وهي شاذة جدا **قوله** حتى يصدر الرعاء قرأ ابو عمرو وابن عامر وابو جعفر بفتح اليا وضم
الدال من صدر يصدر وهو قاصر اي حتى يرجع الرعاء اي يرجعون بمواشيهم والباقون بضم اليا
وكسر الدال مضارع اصدر معدى بالهمزة والمفعول محذوف اي يصدرون مواشيهم والعامة

علي كسر الرا من الرعا وهو جمع تكسير غير مقيس لان فاعلا الوصف المعتل اللام كقاض قياسه
فعلة نحو قضاة ورماة وقال الزمخشري واما الرعا بالكسر فقياس كصيام وقيام وليس كما ذكر
لما ذكرناه وقرأ ابو عمرو في رواية بفتح الرا قال ابو الفضل هو مصدر اقيم مقام الصفة فلذلك
استوى فيه الواحد والجمع او على حذف مضاف وقرئ بضمها وهو اسم جمع كرجال وثناء وقرأ ابن
مصرف لا نسقي بضم النون من اسقى وتقدم الفرق بين سقى واسقى في النحل والمعنى لا نسقي حتى
يرجع الرعاء عن الما والرعا جمع راع مثل تاجر وتجار اي نحن امرأتان لا نطيق ان نزاحم الرجال
فاذا صدروا سقينا مواشينا ما افضلته مواشيهم في الحوض وابونا شيخ كبير لا يقدر ان يسقي مواشيه
ولذلك احتجنا نحن الى سقي الغنم **فصل** قال مجاهد والضحاك والسدي والحسن ابوهما
شعيب النبي صلى الله عليه وسلم وانه عاش عمرا طويلا بعد هلاك قومه حتى ادركه موسى عليه السلام
وتزوج بابنته وقال وهب وسعيد بن جبير هو يثرون ابن اخي شعيب وكان شعيب قد مات
قبل ذلك بعد ما كف بصره فدفن بين المقام وزمزم وقيل رجل ممن امن بشعيب قالوا فلما سمع
قولهما رحمهما فاقتلع صخرة من راس بير اخرى كانت بقربهما لا يطيق رفعها الا جماعة من الناس
وقال ابن اسحق ان موسى زاحم القوم ونحاهم عن راس البير فسقى غنم المرأتين وروي ان القوم
لما رجعوا باغنامهم غطوا راس البير بحجر لا يرفعه الا عشرة فجاء موسى فرفع الحجر وحده وسقى غنمهما
ويقال انه نزع ذنوبا واحدا ودعا فيه بالبركة فروي منه جميع الغنم **قوله** فسقى لهما
مفعوله محذوف اي غنمهما لاجلهما ثم تولى الى الظل اي الى ظل سمرة فجلس في ظلها من شدة الحر
وهو جائع قال الضحاك لبث سبعة ايام لم يذق طعاما الا بقل الارض **قوله** لما انزلت
متعلق بفقير قال الزمخشري عدى فقير باللام لانه ضمن معنى سائل وطالب ويحتمل اني
فقير من الدنيا لاجل ما انزلت الي من خير الدين وهو النجاة من الظالمين يعني ان افتقر
يتعدى بمن فاما ان يجعله من باب التضمين واما ان متعلقه محذوف وانزلت قيل
ماض على اصله ويعني بالخير ما تقدم من خير الدين وقيل بمعنى المستقبل قال اهل
اللغة اللام بمعنى الى يقال فقير له وفقير اليه **فان قيل** كيف ساغ
لنبي الله شعيب ان يرضى لابنتيه السعي بالماشية **فالجواب** ان الناس اختلفوا فيه
هل هو شعيب او غيره كما تقدم وان سلمنا انه شعيب لكن لا مفسدة فيه لان الدين لا يأباه
واحوال اهل البادية غير احوال اهل الحضر لا سيما اذا كانت الحالة حالة ضرورة **فصل**
قال ابن عباس سأل الله تعالى فلقة خبز يقيم بها صلبه قال الباقر لقد قالها وانه
لمحتاج الى شق تمرة وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس لقد قال موسى رب اني لما انزلت
الي من خير فقير وهو اكرم خلقه عليه ولقد افتقر الى شق تمرة قيل انما قال ذلك في نفسه مع
ربه وهو اللائق بموسى عليه السلام فلما رجعتا الى ابيهما سريعا قبل الناس واغنامهما حفل
بطان قال لهما ما اعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحيما فسقى لنا اغنامنا فقال لاحديهما
اذهبي فادعيه لي **قوله** فجاءته احديهما قرأ ابن محيصن فجاءته حديهما بحذف الهمزة تخفيفا
على غير قياس كقولهم يا فلان وقوله • يا با المغيرة رب امر معضل • فرجته بالمكر مني والدهاء •
وقوله • ويلمه • اي ويل لامه قاله • ويلمها حاله لو انها صدقت • **وتمشي** حال وعلى استحياء
حال اخرى اما من جاءت واما من تمشي **فصل** قال عمر بن الخطاب ليست بسلفع
من النساء خراجة ولاجة ولكن جاءت مستترة وضعت كم درعها على وجهها استحياء قالت
ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا صرحت بهذا لئلا يوهم كلامها ريبة وهذا من
تمام حيائها وصيانتها وقيل ماشية على بعد مائلة عن الرجال وقال عبد العزيز بن ابي حازم

على اجلال له ومنهم من يقف على قوله تمشي ثم يبتدي على استحيا قالت ان ابي يدعوك يعني انها على الاستحيا قالت هذا القول لان الكريم اذا دعاه غيره الى الضيافه يستحي لاسيما المراة قال ابن اسحاق اسم الكبرى صفورا والصغرى لبنا وقيل ليا وقال غيره صفورا وصفيرا وقال الضحاك صافورا قال الاكثرون التي جاءت الى موسى الكبرى وقال الكلبي هي الصغرى قال ابن الخطيب وفي الاية اشكالات احدها كيف ساغ لموسى عليه السلام ان يعمل بقول امراة وان يمشي معها وهي اجنبية فان ذلك يورث التهمة العظيمة وقال صلى الله عليه وسلم اتقوا مواضع التهم وثانيها انه سقى اغنامهما تقربا الى الله تعالى فكيف يليق به اخذ الاجرة عليه وذلك غير جايز في الشريعة وثالثها انه عرف فقرهن وفقر ابيهن وانه عليه السلام كان في نهاية القوة بحيث يمكنه الكسب باقل سعي فكيف يليق بمروة مثله طلب الاجرة على ذلك القدر من الشيخ الفقير والمراة الفقيرة ورابعها كيف يليق بالنبي شعيب عليه السلام ان يبعث ابنته الشابة الى رجل شاب قبل العلم بكون الرجل عفيفا او فاسقا والجواب عن الاول اما العمل بقول امراة فان الخبر يعمل فيه بقول الواحد حرا كان او عبدا ذكرا كان او انثى وهي ما كانت الا مخبرة عن ابيها واما المشي مع المراة فلا باس به مع الاحتياط والتورع وعن الثاني ان المراة لما قالت ذلك فموسى عليه السلام ما ذهب اليهم طلبا للاجرة بل للتبرك بذلك الشيخ لما روي انه لما دخل على شعيب اذا هو بالعشا مهيا فقال اجلس يا شاب فتعش فقال موسى اعوذ بالله فقال شعيب ولم ذلك الست بجايع فقال بلى ولكن اخاف ان يكون هذا عوضا لما سقيت لهما وانا من اهل بيت لا نطلب على عمل من اعمال الاخرة عوضا من الدنيا وفي رواية لا نبيع ديننا بالدنيا ولا ناخذ بالمعروف ثمنا فقال شعيب لا والله يا شاب ولكنها عادتي وعادة ابائي نقري الضيف ونطعم الطعام فجلس موسى فاكل وايضا فليس بمنكر ان الجوع قد بلغ الى حيث ما كان يطيق تحمله فقبل ذلك اضطرارا وهو الجواب عن الثالث فان الضرورات تبيح المحظورات وعن الرابع لعله عليه السلام كان قد علم بالوحي طهارتها وبراءتها فكان يعتمد عليها **فصل** قال عمر بن الخطاب فقام يمشي والجارية امامه فهبت الريح فوصفت ردفها فكره موسى ان يرى ذلك منها فقال موسى عليه السلام ابي من عنصر ابرهيم فكوني خلفي حتى لا ترفع الريح ثيابك فاري ما لا يحل وفي رواية كوني خلفي ودليني على الطريق برمي الحصا لان صوت المراة عورة **فان قيل** اخشي موسى عليه السلام ان يكون ذلك اجرة له عن عمله ولم يكره مع الخضر ذلك حين قال لو شيت لاتخذت عليه اجرا فالجواب ان اخذ الاجرة على الصدقة لا يجوز واما الاستيجار ابتدا فغير مكروه **قوله** فلما جاءه وقص عليه القصص القصص مصدر كالعلل سمي به المقصوص قال الضحاك قال له من انت يا عبد الله قال انا موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي ابن يعقوب وذكر له جميع امره من لدن ولادته وامر القوابل والمراضع والقذف في اليم وقتل القبطي وانهم يطلبونه فيقتلوه فقال شعيب عليه السلام لا تخف نجوت من القوم الظالمين اي لا سلطان له بارضنا **فان قيل** ان المفسرين قالوا ان فرعون يوم ركب خلف موسى ركب في الف الف وستماية الف فالملك الذي هذا شانه كيف يعقل ان لا يكون في ملكه قرية على بعد ثمانية ايام من دار مملكته فالجواب هذا وان كان نادرا الا انه ليس بمحال **قوله** قالت احديهما يا ابة استاجره اتخذه اجيرا ليرعى اغنامنا ان خير من استاجرت القوي الامين اي خير من استعملت من قوي على العمل وادى الامانة وانما جعل خير من استاجرت اسما والقوي الامين خبرا مع ان العكس اولى لان العناية سبب للتقديم

فان قيل القوة والامانة لا يكفيان في حصول المقصود ما لم ينضم اليهما الفطنة والكياسة فلم اهمل امر الكياسة فالجواب انما دخلان في الامانة قال ابن مسعود افرس الناس ثلاثة بنت شعيب وصاحب يوسف وابو بكر وعمر فقال لها ابوها وما علمك بقوته وامانته قالت اما قوته فانه رفع حجرا من راس البير لا يرفعه الا عشرة وقيل الا اربعون واما امانته فانه قال لي امشي خلفي حتى لا تصف الريح بدنك قال شعيب عند ذلك اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين قال اكثر المفسرين انه زوجه الصغرى منهما وهي التي ذهبت لطلب موسى واسمها صفوره **قوله** ان انكحك احدى روي عن ابي عمرو انكحك حدى بحذف همزة احدى وهذه تشبه قراءة ابن محيصن فجاته حديهما وتقدم التشديد في نون هاتين في سورة النسا **قوله** على ان تاجرني في محل نصب اما من الفاعل او من المفعول اي مشروطا علي وعليك ذلك وتاجرني مضارع اجرته كنت له اجيرا ومفعوله الثاني محذوف اي تاجرني نفسك وثماني حجج ظرف له ونقل ابو حيان عن الزمخشري انها هي المفعول الثاني قال شهاب الدين الزمخشري لم يجعلها مفعولا ثانيا على هذا الوجه وانما جعلها مفعولا ثانيا على وجه اخر واما على هذا الوجه فلم يجعلها غير ظرف وهذا نصه ليتبين لك قال تاجرني من اجرته اذا كنت له اجيرا كقولك ابوته اذا كنت له ابا وثماني حجج ظرف او من اجرته اذا اثبته ومنه تعزيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اجركم الله ورحمكم وثماني حجج مفعول به ومعناه رعيه ثماني حجج فنقل الشيخ عنه الوجه الاول من المعنيين المذكورين في تاجرني فقط وحكى عنه انه اعرب ثماني حجج مفعولا به وكيف يستقيم ذلك او يتجه وانظر الى الزمخشري كيف قد رمضافا ليصح المعنى به اي رعي ثماني حجج لان العمل هو الذي يقع به الاثابة لا نفس الزمان فكيف توجه الاجارة على الزمان **قوله** فمن عندك يجوز ان يكون في محل رفع خبرا لمبتدا محذوف تقديره فهي من عندك او نصب اي فقد زدتها او تفضلت بها من عندك **فصل** معنى الاية اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين على ان تكون اجيرا لي ثماني سنين قال الفرا اي تجعل ثوابي من تزوجها ان ترعى غنمي ثماني حجج تقول العرب اجرك الله باجرك اي اثابك والحجج السنون واحدها حجة فان اتممت عشرا اي عشر سنين فمن عندك اي ذلك تفضل منك وتبرع ليس بواجب عليك واعلم ان هذا اللفظ وان كان على الترديد فلا شبهة انه عقد التزويج عين ولا شبهة في ان العقد وقع على اقل الاجلين والزيادة كالتبرع ودلت الاية على ان العمل قد يكون مهرا كالمال وعلى ان الحاق الزيادة بالثمن والمثمن جايز ولكنه شرع من قبلنا ودلت ايضا على انه يجوز ان يشترط للولي وعلى ان عقد النكاح لا يفسده الشروط التي لا يوجبها العقد واستدل بعض الحنفية بهذه الاية على صحة بيع احد هذين العبدين او الثوبين وفيه نظر لانها مراضاة لا معاقدة ودلت الاية ايضا على صحة الاجارة بالطعمة والكسوة كما جرت به العادة ويويده قوله عليه السلام ان موسى اجر نفسه ثماني سنين او عشرة على عفة فرجه وطعام بطنه وهو مذهب الحنابلة قاله ابن زيد **فصل** قال النووي في التحرير الاجارة بكسر الهمزة هو المشهور وحكى الرافعي ان الجار حكي في الشامل ايضا ضم الهمزة قال اهل اللغة واصل الاجر الثواب يقال اجرت فلانا عن عمله كذا اي اثبته والله ياجر العبد اي يثيبه والمستاجر يثيب الماجور عوضا عن بذل المنافع وقال الواحدي قال المبرد يقال اجرت داري ومملوكي غير ممدود واجرت ممدود قال المبرد والاول اكثر **قوله** وما اريد ان اشق عليك اي الزمك تمام العشر وان اشق مفعول اريد وحقيقة قولهم شق عليه

اي شق عليه تضعيف فتارة يقول اطيق وتارة لا اطيق وهو من احسن مجاز **قوله** ستجدني ان شا الله من الصالحين قال عمر اي في حسن الصحبة والوفا ولين الجانب وقيل اراد الصلاح على العموم وانما قال ان شا الله للاتكال على توفيقه ومعونته **فان قيل** كيف ينعقد العقد بهذا الشرط ولو قلت انت طالق ان شا الله لا تطلق **فالجواب** هذا مما يختلف بالشرايع **قوله** ذلك مبتدا والاشارة به الى ما تعاقدا عليه والظرف خبره واضيفت بين لمفرد لتكررها عطفا بالواو ولو قلت المال بين زيد فقط لم يجز فاما قوله ٭ بين الدخول فحومل ٭ فكان الاصمعي يأباها ويروي وحومل بالواو والصحيح بالفا واول البيت على ان الدخول وحومل مكانان كل منهما مشتمل على اماكن نحو قولك داري بين مصر لانه يريد به المكان الجامع والاصل ذلك بيننا ففرق بالعطف **قوله** ايما الاجلين اي شرطية وجوابها فلا عدوان علي وفي ما هذه قولان اشهرهما انها زايدة كزيادتها في اخواتها من ادوات الشرط والثاني انها نكرة والاجلين بدل منها وقرا الحسن وابو عمرو في رواية ايما بتخفيف اليا كقوله ٭ بسطت ثنا والسماكين ايهما ٭ علي من الغيث استهلت مواطره ٭ وقرا عبد الله اي الاجلين ما قضيت بالتمام ما بين الاجلين وقضيت قال الزمخشري فان قلت ما الفرق بين موقعي زيادة ما في القراتين قلت وقعت في المستفيضة مؤكدة لابهام اي زايدة في شياعها وفي الشاذة تاكيدا للقضا كانه قال اي الاجلين صممت على قضايه وجردت عزيمتي له وقرا ابو حيوة وابن قطيب عدوان قال الزمخشري فان قلت تصور العدوان انما هو في احد الاجلين الذي هو اقصرهما وهو المطالبة بتتمة العشر فما معنى تعلق العدوان بهما جميعا قلت معناه كما اني ان طولت بالزيادة على العشر لا اؤاخذ به فكذلك ان طولت بالزيادة على الثماني اراد بذلك تقرير امر الخيار وانه ثابت مستقر وان الاجلين على السوا اما هذا واما هذا ويكون اختيار الاقل والزايد موكولا الى رايه من غير ان يكون لاحدهما عليه اجبار قال وقيل معناه فلا اكون متعديا وهو في نفي العدوان عن نفسه كقولك لا اثم علي ولا تبعة قال ابو حيان وجوابه الاول فيه تكثير قال شهاب الدين كانه اعجبه الثاني والثاني لم يرتضه الزمخشري لانه ليس جوابا في الحقيقة فان السوال باق ايضا ولذلك نقله عن غيره وقال المبرد قد علم انه لا عدوان عليه في تمامها ولكن جمعهما ليجعل الاول كالاتم في الوفاء **فصل** قال المفسرون المعنى اي الاجلين قضيت اتممت وفرغت منه الثماني او العشر فلا عدوان علي لا اظلم علي بان اطالب باكثر والله على ما نقول وكيل قال ابن عباس ومقاتل شهيد فيما بيني وبينك وقيل حفيظ ولما استعمل الوكيل بمعنى الشاهد عدي بعلى قال سعيد ابن جبير سالني يهودي من اهل الحيرة اي الاجلين قضى موسى قلت لا ادري حتى اقدم على حبر العرب فاساله فقدمت فسالت ابن عباس فقال قضى اكثرهما واطيبهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قال فعل وروي عن ابي ذر مرفوعا اذا سيلت اي الاجلين قضى موسى فقل خيرهما وابرهما واذا سيلت اي المراتين تزوج موسى فقل الصغرى منهما وهي التي جات فقالت يا ابت استاجره فتزوج صغراهما وقال وهب انكحه الكبرى ولما تعاقد العقد بينهما امر شعيب ابنته ان تعطي موسى عصا يدفع بها السباع عن غنمه واختلفوا في تلك العصا فقال عكرمة خرج بها ادم من الجنة فاخذها جبريل بعد موت ادم فكانت معه حتى لقي بها موسى ليلا فدفعها اليه وقيل كانت من اس الجنة حملها ادم من الجنة فتوارثها الانبيا وكان لا ياخذها غير نبي الا اكلته فصارت من ادم الى نوح ثم الى ابرهيم حتى وصلت الى شعيب

وكانت

وكانت عصى الانبيا عنده فاعطاها موسى وقال السدي كانت تلك العصا استودعها اياه ملك في صورة رجل فامر ابنته ان تاتيه بعصا فدخلت فاخذت العصا فاتته بها فلما راها شعيب قال لها ردي هذه العصا واتيه بغيرها فدخلت والقتها وارادت ان تاخذ غيرها فلا يقع في يدها الا هي حتى فعلت ذلك ثلاث مرات فاعطاها موسى فاخرجها موسى معه ثم ان الشيخ ندم وقال كانت وديعة فذهب في اثره وطلب ان يرد العصا فابى موسى ان يعطيه وقال هي عصاي فرضيا ان يجعلا بينهما اول رجل يلقاهما فلقيهما ملك في صورة رجل فحكم ان تطرح العصا فمن حملها فهي له فطرح موسى العصا فعالجها الشيخ لياخذها فلم يطقها فاخذها موسى بيده فرفعها فتركها له الشيخ وقيل ان شعيب قال لموسى ادخل ذلك البيت فخذ عصى من تلك العصي فدخل فاخذ عصا هبط بها ادم من الجنة ولم يزل الانبيا يتوارثونها حتى وقعت الى شعيب فمسها وكان مكفوفا فعرفها فقال خذ غيرها فما وقع في يده الا هي سبع مرات فعلم ان له شانا وروي عن ابن عباس قال كان في دار هرون ابن اخي شعيب بيت لا يدخله الا هرون وابنته التي تزوجها موسى عليه السلام وانما كانت تكنسه وتنظفه وكان في ذلك البيت ثلاثة عشر عصا وكان لهرون احد عشر رجلا اولادا كلما ادرك منهم ولدا امره بدخول البيت واخراج عصا من تلك العصي فان اخرج عصا علم انه نبي فدخله موسى واخرج عصا وخرج بها فلما علمت المراة بذلك انطلقت الى ابيها واخبرته بذلك

ثم ان موسى لما اتم الاجل وسلم شعيب ابنته اليه قال مجاهد لما قضى موسى الاجل مكث بعد ذلك عند صهره عشرا اخرى فاقام عنده عشرين سنة ثم استاذنه في العود الى مصر فاذن له فخرج باهله الى جانب الطور انس اي ابصر من جانب الطور نارا وكان في البرية في ليلة مظلمة شديدة البرد واخذ امراته الطلق فقال لاهله امكثوا اني انست نارا لعلي اتيكم منها بخبر عن الطريق لانه كان اخطا الطريق **قوله** او جذوة قرا حمزة بضم الجيم وعاصم بالفتح والباقون بالكسر وهي لغات في العود الذي في راسه نار هذا هو المشهور قال السلمي ٭ حمى حب هذي النار حب خليلتي وحب الغواني فهو دون الحباحب ٭ وبدلت بعد المسك والبان شقوة ٭ دخان الجذا في راس اشمط شاحب ٭ وقيده بعضهم فقال في راسه نار من غير لهب قال ابن مقبل ٭ باتت حواطب ليلي يلتمسن لها ٭ جزل الجذا غير خوار ولا دعر ٭ الخوار الذي يتقصف والدعر الذي فيه لهب وقد ورد ما يقتضي وجود اللهب فيه قال الشاعر ٭ والقى على قبس من النار جذوة ٭ شديدا عليها حميها والتهابها ٭ وقيل الجذوة العود الغليظ سوا كان في راسه نار او لم يكن وليس المراد هنا الا ما في راسه نار **قوله** من النار صفة لجذوة ولا يجوز تعلقها باتيكم كما تعلق به منها لان هذه النار ليست النار المذكورة والعرب اذا تقدمت نكرة وارادت اعادتها اعادتها مضمرا او مظهرة بال العهدية وقد جمع الامران هنا لعلكم تصطلون تستدفيون **قوله** من شاطي من لابتدا الغاية والايمن صفة للشاطي او للوادي والايمن من اليمن وهو البركة او من اليمين المعادل لليسار من العضوين ومعناه على هذا بالنسبة الى موسى اي الذي يلي يمينك دون يسارك والشاطي صفة الوادي والنهر اي حافته وطرفه وكذلك الشط والسيف والساحل كلها بمعنى وجمع الشاطي اشطا قاله الراغب وشاطات فلانا ما شيته على الشاطي **قوله** في البقعة تتعلق بنودي او بمحذوف على انه حال من الشاطي وقرا العامة بضم البا وهي اللغة الغالبة وقرا مسلمة والاشهب العقيلي بفتحها وهي لغة حكاها ابو زيد

قال سمعتهم يقولون هذه نغمة طيبة و وصف البقعة بكونها مباركة لانه حصل فيها ابتدا الرسالة و تكليم الله تعالى اياه **قوله** من الشجرة هذا بدل من شاطي باعادة العامل وهو بدل اشتمال لان الشجرة كانت نابتة على الشاطي كقوله لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة **قوله** ان يا موسى في المفسرة وجوز فيها ان تكون هي المخففة واسمها ضمير الشان وجملة الندا مفسرة له وفيه بعد **قوله** اني انا الله العامة على الكسر على اضمار القول او على تضمين الندا معناه وقري بالفتح وفيه اشكال لانه ان جعلت ان تفسيرية وجب كسر اني للاستينا ف المفسر للندا بما ذا كان وان جعلتها مخففة لزم تقريراني بمصدر والمصدر مفرد وضمير الشان لا يفسر بمفرد والذي ينبغي ان تخرج عليه هذه القراة ان تكون ان تفسيرية واني معمولة لفعل مضمر تقديره ان يا موسى اعلم اني انا الله واعلم انه تعالى قال في سورة النمل نودي ان بورك من في النار ومن حولها وقال ههنا نودي اني انا الله رب العالمين وقال في سورة طه نودي اني انا ربك ولا منافاة بين هذه الاشيا فهو تعالى ذكر الكل الا انه تعالى حكى في كل سورة بعض ما اشتمل عليه بعض ذلك الندا **قوله** وان الق عصاك تقدم الكلام على ذلك وقوله واسلك يدك في جيبك تخرج بيضا من غير سوء تقدم عن هذا المعنى بثلاث عبارات احديها هذه وثانيها واضمم يدك الى جناحك وثالثها وادخل يدك في جيبك **قوله** من الرهب متعلق باحد اربعة اشيا اما بولي واما بمدبرا واما باضمم ونظر هذا الثالث اذا فسرنا الرهب بالكم واما بمحذوف اي ... من الرهب وقرا حفص بفتح الرا واسكان الهاء والاخوان وابن عامر وابو بكر بالضم والاسكان والباقون بفتحتين والحسن وعيسى والجحدري وقتادة بضمتين وكلها لغات بمعنى الخوف وقيل هو بفتحتين الكم بلغة حمير وحنيفة قال الزمخشري هو من بدع التفاسير قال وليت شعري كيف صحة في اللغة وهل سمع من الثقات الاثبات التي مرتضى عربيتهم ام ليت شعري كيف موقعه في الاية وكيف تطبيقه المفصل لساير كلمات التنزيل على ان موسى صلوات الله عليه ليلة المناجاة ما كان عليه الا زرمانقة من صوف لا كمي لها الزرمانقة المدرعة قال ابو حيان هذا امروي عن الاصمعي وهو ثقة سمعتهم يقولون اعطني ما في رهبك اي كمك واما قوله كيف موقعه فقالوا معناه اخرج يدك من كمك قال شهاب الدين كيف يستقيم هذا التفسير يفسرون اضمم بمعنى اخرج وقال الزمخشري فان قلت قد جعل الجناح وهو اليد في احد الموضعين مضموما وفي الاخر مضموما اليه وذلك قوله واضمم اليك جناحك وقوله واضمم يدك الى جناحك فما التوفيق بينهما قلت المراد بالجناح المضموم هو اليد اليمنى وبالجناح المضموم اليه هو اليد اليسرى وكل واحدة من يمنى اليدين ويسراهما جناح **فصل** قال الزمخشري في قوله واضمم اليك جناحك من الرهب معنيان احدهما ان موسى عليه السلام لما قلب الله له العصا حية فزع واضطرب واتقاها بيده كما يفعل الخايف من الشي فقيل له ان اتقاك بيدك فيه غضاضة عند الاعدا فاذا القيتها وقد انقلبت حية فادخل يدك مكان اتقايك بها ثم اخرجها بيضا ليحصل الامران اجتناب ما منه غضاضة عليك واظهار معجزة اخرى والمراد بالجناح اليد لان يد الانسان بمنزلة جناح الطاير واذا ادخل يده اليمنى تحت عضد اليسرى فقد ضم جناحه اليه الثاني ان يريد بضم جناحه تجلده وضبطه نفسه وتشدده عند انقلاب العصا حية حتى لا يضطرب ولا يرهب استعارة من فعل الطاير لانه اذا خاف نشر جناحيه وارخاهما والا فجناحاه مضمومان اليه مستمران ومعنى قوله من الرهب اي من اجل الرهب اذا اصابك الرهب عند روية

الحيه

الحية فاضمم اليك جناحك وقوله اسلك يدك على احد التفسيرين واحد وانما خولف بين العبارتين وكرر المعنى لاختلاف الغرضين وذلك ان الغرض في احدهما خروج اليد بيضا وفي الثاني اخفا الرهب وقال البغوي المعنى اذا هالك امر يدك وما ترى من شعاعها فادخلها في جيبك تعد الى حالها الاولى والجناح اليد كلها وقيل العضد وقال عطا عن ابن عباس امر الله ان يضم يده الى صدره فيذهب عنه ما ناله من الخوف عند معاينة الحية وقال ما من خايف بعد موسى الا اذا وضع يده على صدره زال خوفه وقال مجاهد كل من فزع فضم جناحه اليه ذهب عنه الفزع وقيل المراد من ضم الجناح السكون اي سكن روعك واحفظ عليك جاشك لان من شان الخايف ان يضطرب عليه قلبه وترتعد يديه ومثله قوله واخفض لهما جناح الذل يريد الرفق وقوله واخفض جناحك لمن اتبعك اي ارفق بهم والزجاج بك لهم وقال الفرا اراد بالجناح العصا معناه واضمم اليك عصاك **قوله** فذانك تقدم قراة التخفيف والتثقيل في النسا وقرا ابن مسعود وعيسى وشبل وابو نوفل فذانيك بيا بعد نون مكسورة وهي لغة هذيل وقيل تميم وروى شبل عن ابن كثير بيا بعد نون مفتوحة وهذا على لغة من يفتح نون التثنية كقوله

على احوذيين استقلت عشية فما هي الا لمحة وتغيب

واليا بدل من احدي النونين كقطست وقرا عبد الله بتشديد النون ويا بعدها ونسبت لهذيل قال المهدي بل لغتهم تخفيفها وكانت الكسرة هنا اشباع كقراة هشام افيدة من الناس وذانك اشارة الى العصا واليد وهما مونثتان وانما ذكر ما اشير به اليهما لتذكر خبرهما وهو برهانان كما انه قد يونث لتانيث خبره كقراة ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا فيمن انث ونصب فتنتهم وكذا قوله

وقد خاب من كانت سريرته الغدر

وتقدم ايضاح هذا في الانعام والبرهانان تقدم اشتقاقه وهو الحجة وقال الزمخشري هنا فان قلت لم سميت الحجة برهانا قلت لبياضها وانارتها من قولهم للمراة البيضا برهرهة بتكرير العين واللام والدليل على زيادة النون قولهم ابره الرجل اذا جا بالبرهان ونظيره تسميتهم اياها سلطانا من السليط وهو الزيت لانارته **قوله** الى فرعون متعلق بمحذوف فقدره ابو البقا مرسلا الى فرعون وغيره اذهب الى فرعون وهذا المقدر ينبغي ان يكون حالا من برهانان اي مرسلا بهما الى فرعون والعامل في هذه الحال ما في اسم الاشارة **قوله** قال رب اني قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون اعلم انه تعالى لما قال فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملايه انهم كانوا قوما فاسقين تضمن ذلك ان يذهب موسى بهذين البرهانين الى فرعون وقومه فعند ذلك طلب من يقوي قلبه فقال رب اني قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون واخي هرون هو افصح مني لسانا لانه كان في لسانه حبسه اما في اصل الخلقة واما لانه وضع الجمرة في فيه عندما نتف لحية فرعون **قوله** هو افصح الفصاحة لغة الخلوص ومنه فصح اللبن وافصح فهو مفصح وفصيح اي خلص من الرغوة ومنه قولهم

وتحت الرغوة اللبن الفصيح

ومنه فصح الرجل جادت لغته وافصح تكلم بالعربية وقيل بالعكس وقيل الفصيح الذي ينطق والاعجم الذي لا ينطق ومن هذا استعير افصح الصبح اي بدا ضوءه وافصح النصراني دنا فصحه بكسر الفا وهو عيد لهم واما في اصطلاح اهل البيان فهو خلوص الكلمة من تنافر الحروف كقوله

يرعى الهعخع

ومن الغرابة كقوله

ومرسنا مسرجا

ومن مخالفة القياس اللغوي كقوله

العلي الاجلل

وخلوص الكلام من ضعف التاليف كقوله

جزى ربه عني عدي بن حاتم

ومن تنافر الكلمات

كقوله قبرُ حَرْبٍ بمكانٍ قفرٍ وليسَ قُرْبُ قبرِ حَرْبٍ قبرُ ومن التعقيد وهو ما اخلال
نظم الكلام فلا يدري كيف يتوصل الى معناه كقوله
وما مثله في الناس الا مملكا ابو امه حي ابوه يقاربه • واما عدم انتقال الذهن من
المعنى الاول الى المعنى الثاني الذي هو لازمه والمراد به ظاهرا كقوله
• سأطلبُ بُعْدَ الدار عنكم لتقربوا وتسكبُ عيناي الدموعَ لتجمدا • وخلوص المتكلم من
النطق بجميع ذلك فصارت الفصاحة يوصف بها ثلاثة اشيا الكلمة والكلام والمتكلم بخلاف
البلاغة فانه لا يوصف بها الا الاخيران وهذا ليس موضع ايضاحه وانما ذكرناه تنبيها
على اصله ولسانا تمييز **قوله** ردًا منصوب على الحال والردء العون وهو فعل
بمعنى مفعول كالدفء بمعنى المدفو به وردأته على عدوه اعنته عليه وردأت الحايط
دعمته بخشبة لئلا يسقط وقال النحاس يقال ردأته واردأته وقال سلامة بن جندل
• وردئي كل ابيض مشرفي شحيذ الحد ابيض ذي فلول • وقال **اخر**
• الم تر ان اصرم كان ردئي وخير الناس في قل ومال • وقرا نافع بغير همز ردًا بالنقل
وابو جعفر كذلك الا انه لم ينونه كانه اجرى الوصل مجرى الوقف ونافع ليس من قاعدته
النقل في كلمة الا هنا وقيل ليس فيه نقل وانما هو من ردي على كذا اي زاد **قال**
• واسمر خطان كان كعوبه نوى القسب قد اردي ذراعا على العشر • اي زاد وانشده
الجوهري قد اربى وهو بمعناه **قوله** يصدقني قرا حمزة وعاصم بالرفع على الاستئناف
او الصفة لردءًا او الحال من ها ارسله او من الضمير في ردءًا اي مصدقا والباقون بالجزم
جوابا للامر وزيد بن علي وابي يصدقوني اي فرعون وملاه قال ابو خالويه هذا
شاهد لمن جزم لانه لو كان رفعا لقال يصدقونني يعني بنونين وهذا سهو من ابن خالويه
لانه متى اجتمعت نون الرفع مع نون الوقاية جازت اوجه احدها الحذف فهذا يجوز
ان يكون مرفوعا وحذف نونه فمن رفع القاف فالتقدير ردءًا يصدقني ومن جزم كان على
معنى الجزا يعني ان ارسلته صدقني ونظيره فهب لي من لدنك وليا يرثني وروى السدي
عن بعض شيوخه ردءًا كيما يصدقني والتصديق لهرون في قول الجميع وقال مقاتل لكي
يصدقني فرعون اني اخاف ان يكذبون يعني فرعون وقومه قال ابن الخطيب ليس
الغرض بتصديق هرون ان يقول له صدقت او يقول الناس صدق موسى وانما هو ان
يلخص بلسانه الفصيح وجوه الدلايل ويجيب عن الشبهات ويجادل به الكفار فهذا هو التصديق
المفيد الا ترى الى قوله واخي هرون هو افصح مني لسانا فارسله وفايدة الفصاحة انما
تظهر فيما ذكرناه لا في مجرد قوله صدقت **فصل** قال السدي نبيين اثنين
اقوى من نبي واحد واية واحدة قال القاضي والذي قاله من جهة العادة اقوى فاما
من حيث الدلالة فلا فرق بين معجز ومعجزين **قوله** عضدك العامة على فتح العين
وضم الضاد والحسن وزيد بن علي بضمهما وعن الحسن بضمة وسكون وعيسى بفتحهما وبعضهم
بفتح العين وكسر الضاد وفيه لغة سادسة فتح العين وسكون الضاد وهذا كناية عن
التقوية له باخيه وكان هرون يوميذ بمصر **قوله** ونجعل لكما سلطانا اي حجة
وبرهانا **فان قيل** بين تعالى ان السلطان هو بالايات فكيف لا يصلون اليهما
لاجل الايات اوليس فرعون قد وصل الى صلب السحرة وان كانت هذه الايات ظاهرة
فالجواب ان الاية التي هي قلب العصا حية كما انها معجزة فهي ايضا تمنع من وصول
ضرر فرعون الى موسى وهرون لانهم علموا انه متى القاها صارت حية عظيمة وان ارادها ارسلها

عليهم اهلكتهم فزجرهم ذلك عن الاقدام عليهما فصارت مانعة من الوصول اليهما بالقتل
وغيره فصارت اية ومعجزة فجمعت بين الامرين واما صلب السحرة ففيه خلاف فقيل
انهم ما صلبوا وليس في القران ما يدل على ذلك وان سلم فوصول الضرر لغيرهما لا يقدح في عدم
الوصول اليهما **قوله** باياتنا يجوز فيه اوجه ان يتعلق بنجعل او بيصلون او بمحذوف اي
اذهبا او على البيان فيتعلق بمحذوف ايضا او بالغالبون على ان ال ليست موصولة او
موصولة واتسع فيه ما لا يتسع في غيره او قسم وجوابه متقدم وهو فلا يصلون او من لغو القسم
قاله الزمخشري ورد عليه ابو حيان بان جواب القسم لا تدخله الفا عند الجمهور ويريد
بلغو القسم ان جوابه محذوف اي وحق اياتنا لتغلبن ثم قال انتما ومن اتبعكما
الغالبون اي لكما ولاتباعكما الغلبة **قوله** فلما جاهم موسى باياتنا بينات واضحات
وقد تقدم كيفية اطلاق لفظ الايات وهو جمع على العصا واليد في سورة طه قالوا ما هذا
الا سحر مفترى مختلق ثم ضموا اليه ما يدل على جهلهم وهو قولهم وما سمعنا بهذا في ابائنا
الاولين اي ما حدثنا بهذا الذي تدعونا اليه **قوله** وقال موسى هذه قراة العامة
باثبات واو العطف وابن كثير حذفها وكل وافق مصحفه فانها ثابتة في المصاحف غير
مصحف مكة واثباتها وحذفها واضحان وهو الذي في تسميه اهل البيان الوصل والفصل
ربي اعلم بمن جا بالهدى من عنده بالمحق من المبطل **قوله** ومن تكون قرا العامة
تكون بالتانيث وله خبرها وعاقبة اسمها ضمير القصة والتانيث لاجل ذلك وله
عاقبة الدار جملة في موضع الخبر وقرى بالياء من تحت على ان يكون عاقبة اسمها والتذكير
للفصل ولانه تانيث مجازي ويجوز ان يكون اسمها ضمير الشان والجملة خبر كما تقدم ويجوز
ان تكون تامة وفيها ضمير يرجع الى من والجملة في موضع الحال ويجوز ان تكون ناقصة
واسمها ضمير من والجملة خبرها ومعنى من تكون له عاقبة الدار اي العقبى المحمودة في
الدار الاخرة لقوله تعالى اوليك لهم عقبى الدار جنات عدن والمراد من الدار الدنيا
وعاقبتها وعقباها ان تختم للعبد بالرحمة والرضوان انه لا يفلح الظالمون اي الكافرون
قوله وقال فرعون يا ايها الملا ما علمت لكم من اله غيري فتضمن كلامه نفي الهية غيره
واثبات الهية نفسه فاوقد لي يا هامان على الطين فاطبخ لي الاجر **قيل** انه اول
من اتخذ الاجر وبنا به فاجعل لي صرحا قصرا عاليا وقيل منارة واختلفوا في ذلك
فقيل انه بناه حتى بلغ ما لم يبلغه بنيان احد من الخلق وانه صعد ورمى بسهم
وان السهم عاد اليه ملطخا بدم وبعث الله جبريل عليه السلام فضربه بجناحه فقطعه
ثلاث قطع وقيل انه لم يبلغ الصرح لانه يبعد في العقل انهم بصعود الصرح يقربون من
السما مع علمهم بان من علا اعلى الجبال الشاهقة يرى الجبال السما كما كان يراها وهو في
قرار الارض ومن شك في ذلك خرج عن حد العقل وهكذا القول في انه رمى السهم
الى السما وان حاول ذلك كان من الحاسبين ولا يليق بالعقل فانما قال ذلك على سبيل
التهكم **قوله** لعلي اطلع الى اله موسى انظر اليه والطلوع والاطلاع واحد يقال
طلع الجبل واطلع واحد واني لاظنه يعني موسى من الكاذبين في زعمه ان للارض والخلق
الها غيري وانه رسوله واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق واعلم ان الاستكبار
بالحق انما هو لله تعالى وهو المتكبر في الحقيقة قال عليه السلام فيما حكاه عن ربه الكبريا
ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما القيته في النار وكل مستكبر سواه فاستكباره
بغير الحق **قوله** بغير الحق حال اي استكبروا ملتبسين بغير الحق وظنوا انهم الينا لا يرجعون

قرا نافع والاخوان ويعقوب يرجعون مبنيا للفاعل والباقون للمفعول **قوله** فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وهذا من الكلام المفخم الذي يدل على عظمة شانه وكبريا سلطانه شبههم استحقارا لهم واستقلالا لعددهم وان كانوا الجم الغفير بحصيات اخذهن اخذ في كفه وطرحهن في البحر ونحو ذلك قوله وجعلنا فيها رواسي شامخات وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه وليس الغرض منها الا تصوير ان كل مقدور وان عظم فهو حقير بالنسبة الى قدرته فانظر كيف كان عاقبة الظالمين **قوله** وجعلناهم ايمة وقال الزمخشري دعوناهم كانه فر من نسبة ذلك الى الله تعالى اعني التصيير لانه لا يوافق مذهبه ويدعون صفة لايمة وقال الجبائي وجعلناهم اي بينا ذلك من حالهم وسميناهم به ومنه قوله وجعلوا الملايكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وقال ابو مسلم معنى الامامة التقدم فلما عجل الله لهم العذاب صاروا متقدمين لمن وراءهم من الكافرين ومعنى دعوتهم الى النار دعوتهم الى موجباتها من الكفر والمعاصي فان احدا لا يدعو الى النار البتة وانما جعلهم الله ايمة في هذا الباب لانهم بلغوا في هذا الباب الى اقصى النهايات ومن كان كذلك استحق ان يكون اماما يقتدى به في ذلك الباب **قوله** ويوم القيمة لا ينصرون لا يمنعون من العذاب كما تنصر الايمة الدعاة الى الجنة واتبعوا في هذه الدنيا لعنة خزيا وعذابا **قوله** ويوم القيمة هم فيه اوجه احدها ان يتعلق بالمقبوحين على ان ال ليست موصولة او موصولة واتسع فيه وان يتعلق بمحذوف يفسره المقبوحين كانه قيل وقبحوا يوم القيمة نحو لعملكم من القالين او يعطف على موضع في الدنيا اي واتبعناهم لعنة يوم القيمة او معطوفة على لعنة على حذف مضاف اي ولعنة يوم القيمة والوجه الثاني اظهرها **والمقبوح** المطرود قبحه الله قال

الا قبح الله البراجم كلها ۰ وجدع يربوعا وعفر دارما ۰ وسمي ضد الحسن قبيحا لان العين تنبو عنه فكانها تطرده يقال قبح قباحة وقيل من المقبوحين من الموسومين بعلامة منكرة كزرقة العيون وسواد الوجوه قاله ابن عباس يقال قبحه الله وقبحه اذا جعله قبيحا قال الليث قبحه الله اي نحاه من كل خير والقبيح ايضا عظم الساعد مما يلي النصف منه الى المرفق وقال ابو عبيدة من المقبوحين من المهلكين **قوله** ولقد اتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم والمراد بالكتاب التورية بين تعالى ان الذي يجب التمسك به ما جاء به موسى ووصفه بانه بصاير للناس من حيث يستبصر به في باب الدين **قوله** بصاير يجوز ان يكون مفعولا له وان يكون حالا اما على حذف مضاف او على المبالغة وهدى من حيث يستدل به ومن حيث ان المتمسك به يفوز بطلبه من الثواب ووصفه بانه رحمة لانه من نعم الله على من تعبد به روى ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما اهلك الله قرنا من القرون بعذاب من السما ولا من الارض منذ انزل التورية غير اهل القرية التي مسخها الله قردة وقوله لعلهم يتذكرون بما فيه من المواعظ والبصاير **قوله** وما كنت بجانب الغربي قال قتادة والسدي وما كنت يا محمد بجانب الجبل الغربي فيكون من حذف الموصوف واقامة صفته مقامه وان يكون من اضافة الموصوف لصفته وهو مذهب الكوفيين ومثله بقلة الحمقا ومسجد الجامع **قوله** اذ قضينا الى موسى الامر اي عهدنا اليه واحكمنا الامر معه بالرسالة الى فرعون وقومه والمعنى وما كنت الحاضر المكان الذي

اوحينا فيه الى موسى ولا كنت من جملة الشاهدين للوحي اليه او على الوحي اليه وهم نقباوه الذين اختارهم للميقات **فان قيل** لما قال وما كنت بجانب الغربي ثبت انه لم يك شاهدا لان الشاهد لا بد وان يكون حاضرا فما الفايدة في اعادة قوله وما كنت من الشاهدين **فالجواب** قال ابن عباس التقدير لم تحضر ذلك الموضع ولو حضرت ما شهدت تلك الوقايع فانه يجوز ان يكون هناك ولا يشهد ولا يرى **قوله** ولكنا انشانا قرونا وجه الاستدراك ان المعنى وما كنت شاهدا لموسى وما جرى عليه ولكنا اوحيناه اليك فذكر سبب الوحي الذي هو اطالة الفترة ودل به على المسبب على عادة الله في اختصاراته فاذن هذا الاستدراك هو شبيه بالاستدراكين بعده قاله الزمخشري وهذا تنبيه على المعجز كانه قال ان في اخبارك عن هذه الاشيا من غير حضور ومشاهدة ولا تعلم من اهله دلالة ظاهرة على نبوتك كقوله اولم تاتهم بينة ما في الصحف الاولى **قوله** وما كنت ثاويا اي مقيما يقال ثوى يثوي ثواء وثويا فهو ثاو ومثوي قال ذو الرمة

۰ لقد كان في حول ثواء ثويته تقضي لبانات ويسام سايم ۰ وقال طال الثوا على رسول المنزل

وقال العجاج ۰ فبات حيث يدخله الثوي ۰ يعني الضيف المقيم **قوله** تتلوا يجوز ان يكون حالا من الضمير في ثاويا وان يكون خبرا ثانيا وان يكون هو الخبر وثاويا حال وجعله الفرا منقطعا مما قبله كانه قيل وها انت تتلوا على امتك وفيه بعد **فصل**

ولكنا انشانا قرونا خلقنا امما من بعد موسى فتطاول عليهم العمر اي طالت عليهم المهلة فنسوا عهد الله وتركوا امره وذلك ان الله عهد الى موسى وقومه عهودا في محمد صلى الله عليه وسلم والايمان به فلما طال عليهم العمر وخلفت القرون بعد القرون نسوا تلك العهود وتركوا الوفا بها وما كنت مقيما في اهل مدين كمقام موسى وشعيب فيهم تتلوا عليهم اياتنا تذكرهم بالوعد والوعيد وقال مقاتل يقول لم تشهد اهل مدين فتقرا على اهل مكة خبرهم ولكنا كنا مرسلين في كل زمان رسولا يعني ارسلناك رسولا وانزلنا عليك كتابا فيه هذه الاخبار فتتلوها عليهم ولولا ذلك ما علمتها ولم تخبرهم بها وما كنت بجانب الطور بناحية الجبل الذي كلم الله عليه موسى اذ نادينا اي اذ نادينا موسى خذ الكتاب بقوة وقال ابن عباس اذ نادينا امتك في اصلاب ابايهم يا امة محمد اجبتكم قبل ان تدعوني واعطيتكم قبل ان تسالوني وغفرت لكم قبل ان تستغفروني قال وانما قال ذلك حين اختار موسى سبعين رجلا لميقات ربه وقال وهب لما ذكر الله لموسى فضل امة محمد قال موسى يا رب ارنيهم قال انك لن تصل الى ذلك وان شيت ناديت امته واسمعتك صوتهم قال بلى يا رب قال الله تعالى يا امة محمد فاجابوه من اصلاب ابايهم **قوله** ولكن رحمة من ربك اي ارسلناك رحمة واعلمناك بذلك رحمة او ولكن رحمناك رحمة بارسالك والوحي اليك واطلاعك على الاخبار الغايبة عنك وقرا عيسى بن عمر وابو حيوة رحمة بالرفع اي انت رحمة **قوله** ما اتاهم من نذير في موضع الصفة لقوما والمعنى لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك يعني اهل مكة لعلهم يتذكرون **قوله** ولولا ان تصيبهم هي الامتناعية وان وما في خبرها في موضع رفع بالابتدا اي ولولا اصابتهم المصيبة وجوابها محذوف فقدره الزجاج ما ارسلنا اليهم رسلا يعني ان الحامل على ارسال الرسل ازاحة عللهم بهذا القول فهو كقوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وقدره ابن عطية لعاجلناهم ولا معنى لهذا فيقولوا عطف على تصيبهم ولولا الثانية تحضيضية وتبع جوابه فلذلك نصب باضمار ان قال الزمخشري فان قلت كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة هي السبب لا القول لدخول حرف الامتناع عليه دونه قلت القول هو المقصود بان

يكون سببا للارسال ولكن العقوبة لما كانت هي السبب للقول وكان وجوده بوجودها جعلت
العقوبة سبب للارسال بواسطة القول فادخلت عليها لولا وجي بالقول معطوفا عليها بالفا
المعطية معنى السببية ويؤول معناه الى قولك ولولا قولهم هذا اذا اصابتهم مصيبة لما ارسلنا
ولكن اختيرت هذه الطريقة لنكتة وهي انهم لو لم يعاقبوا مثلا على كفرهم وقد عاينوا ما الجوا به
الى العلم اليقين ببطلان دينهم لم يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا بل انما يقولون اذا نالهم العقاب
وانما السبب في قولهم هذا هو العقاب لا غير لا التاسف على ما فاتهم من الايمان بخالقهم وهو
كقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه **قوله** فلما جاءهم يعني محمدا بالحق من عندنا قالوا
يعني كفار مكة لولا هلا اوتي محمد مثل ما اوتي موسى من الايات كاليد البيضا والعصا وفلق
البحر وتظليل الغمام وانفجار الحجر بالما والمن والسلوى وكلام الله وغيرها وقيل مثل ما اوتي موسى
كتابا بجملة واحدة قال الله عز وجل اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل واختلفوا في
الضمير في قوله اولم يكفروا فقيل ان اليهود امروا ان يسالوا محمدا مثل ما اوتي موسى عليه
السلام فقال تعالى اولم يكفروا هولاء اليهود بما اوتي موسى مع تلك الايات الباهرة
وقيل ان الذين اقترحوا هذا هم كفار مكة والذين كفروا بموسى هم الذين كانوا في زمن موسى
الا انه تعالى جعله كالشي الواحد لانهم في الكفر والتعنت كالشي الواحد وقال الكلبي ان مشركي
مكة بعثوا رهطا الى يهود المدينة يسالونهم عن محمد وشانه فقالوا انا نجده في التورية بنعته
وصفته فلما رجع الرهط واخبرهم بقول اليهود قالوا انه كان ساحرا كما ان محمدا ساحر
فقال تعالى في حقهم اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل وقال الحسن كان للعرب اصل في ايام
موسى عليه السلام فمعناه على هذا اولم يكفر اباوهم وقالوا موسى وهرون ساحران وقال
قتادة اولم يكفر اليهود في عصر محمد بما اوتي موسى من قبل من البشارة بعيسى ومحمد فقالوا
ساحران وقيل ان كفار قريش كانوا منكرين لجميع النبوات ثم انهم لما طلبوا من الرسول
معجزات موسى عليه السلام قال الله تعالى اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل بل بما اوتي جميع
الانبيا من قبل اي لا غرض لهم من هذا الاقتراح الا التعنت ثم حكى كيفية كفرهم وهو قولهم
ساحران تظاهرا **قوله** من قبل اما ان يتعلق بيكفروا او باوتي اي من قبل ظهورك
قوله ساحران قرا الكوفيون سحران اي هما اي القران والتورية او موسى وهرون وذلك
على المبالغة جعلوهما نفس السحر او على حذف مضاف اي ذوا سحرين ولو صح هذا لكان ينبغي
ان يفرد سحر ولكنه ثني تنبيها على التنويع وقيل المراد موسى ومحمد عليهما السلام او التورية
والانجيل والباقون ساحران اي موسى وهرون او موسى ومحمد كما تقدم **قوله** تظاهرا
العامة على تخفيف الظا فعلا ماضيا صفة لسحران او ساحران اي تعاونا وقرا الحسن
ويحيى بن الحرث الذماري وابو حيوة واليزيدي بتشديدها وقد لحنهم الناس قال ابن خالويه
تشديده لحن لانه فعل ماض وانما يشدد في المضارع وقال الهذلي لا معنى له وقال
ابو الفضل لا اعرف وجهه وهذا عجيب من هولاء وقد حذفت نون الرفع في مواضع
حتى في الفصيح كقوله عليه السلام لا تدخلوا الجنة حتى تومنوا ولا تومنوا حتى تحابوا ولا فرق بين
كونها بعد واو والف او يا فهذا اصله يتظاهران فادغم وحذفت نونه تخفيفا وقرا
الاعمش وطلحة وكذا في مصحف عبد الله اظاهرا بهمزة وصل وشد الظا واصلها تظاهرا
كقراة العامة فلما اريد الادغام سكن الاول فاجتلبت همزة الوصل واختار ابو عبيدة
القراة بالالف لان المظاهرة بالناس وافعالهم اشبه منها بان المراد الكتابين لكن لما كان
كل واحد من الكتابين يقوي الاخر لم يبعد ان يقال على سبيل المجاز تعاونا كما يقال تظاهرت

الاخبار **قوله** وقالوا انا بكل كافرون اي بما انزل على محمد وموسى وساير الانبيا وهذا
الكلام لا يليق الا بالمشركين لا باليهود ثم قال قل لهم يا محمد فاتوا بكتاب من عند الله هو اهدى
منهما يعني من التورية والقران وهذا مويد لقراة سحران او من كتابيهما على حذف مضاف
وهو مويد لقراة ساحران اتبعه وهذا تنبيه على عجزهم عن الاتيان بمثله **قوله**
اتبعه جواب للامر وهو فاتوا وقرا زيد بن علي اتبعه بالرفع استينافا اي فانا اتبعه
قوله فان لم يستجيبوا لك استجاب بمعنى اجاب قال ابن عباس يريد فان لم يومنوا
بما جيت به من الحجج وقال مقاتل فان لم يمكنهم ان ياتوا بكتاب افضل منهما وهذا اشبه
بالاية وقال الزمخشري فان قلت ما الفرق بين فعل الاستجابة في الاية وبينه في قوله
فلم يستجبه عند ذاك مجيب * حيث عدي بغير لام قلت هذا الفعل يتعدى الى الدعا
بنفسه والى الداعي باللام ويحذف الدعا اذا عدي الى الداعي في الغالب فيقال استجاب
الله دعاه او استجاب له ولا يكاد يقال استجاب له دعاه واما البيت فمعناه فلم يستجب
دعاه على حذف المضاف وقد تقدم تقرير هذا في البقرة وان استجاب بمعنى اجاب والبيت
الذي اشار اليه هو * وداع دعا يا من يجيب الى الندا فلم يستجبه عند ذاك مجيب * والناس
ينشدونه على تعديه بنفسه **فان قيل** الاستجابة تقتضي دعا فاين الدعا ههنا
قيل فاتوا بكتاب امر والامر دعا الى الفعل ثم قال فاعلم انما يتبعون اهواءهم اي
صاروا ملزمين طريقة ولم يبق شي الا اتباع الهوى ثم زيف طريقتهم بقوله ومن اضل ممن
اتبع هواه بغير هدى وهذا من اعظم الدلايل على فساد التقليد وانه لا بد من الحجة
والاستدلال ان الله لا يهدي القوم الظالمين **قوله** ولقد وصلنا لهم القول
العامة على تشديد وصلنا اما من الوصل ضد القطع اي تابعنا بعضه ببعض قال الفرا
انزلنا ايات القران يتبع بعضها بعضا واصله من وصل الحبل قال
فقل لبني مروان ما بال ذمتي بحبل ضعيف لا يزال يوصل * واما جعلناه اوصالا
اي انواعا من المعاني قاله مجاهد وقرا الحسن بتخفيف الصاد وهو قريب مما تقدم قال
ابن عباس ومقاتل وصلنا بينا لكفار مكة بما في القران من اخبار الامم الخالية كيف عذبوا
بتكذيبهم وقال ابن زيد وصلنا لهم القول خبر الدنيا بخبر الاخرة حتى كانهم عاينوا
الاخرة في الدنيا لعلهم يتذكرون ثم لما اقام الدلالة على النبوة اكد ذلك بقوله الذين
اتيناهم الكتاب **قوله** الذين اتيناهم مبتدا وهم مبتدا ثان ويومنون خبره والجملة
خبر الاول وبه متعلق بيومنون وقد يعكر على الزمخشري وغيره من اهل البيان حيث قالوا
التقديم يفيد الاختصاص وهنا لا يتاتى ذلك لانهم لو خصوا ايمانهم بهذا الكتاب فقط
لزم كفرهم بما عداه وهو عكس المراد وقد ابدى اهل البيان هذا في قوله امنا به وعليه
توكلنا فقالوا لو قدم به لاوهم الاختصاص بالايمان بالله وحده دون ملايكته وكتبه
ورسله واليوم الاخر وهذا بعينه جار هنا والجواب ان الايمان بغيره معلوم فانصب
الغرض الى الايمان بهذا **فصل** الذين اتيناهم الكتاب من قبله اي من قبل
محمد صلى الله عليه وسلم وقيل من قبل القران هم به يومنون قال قتادة نزلت في مومني
اهل الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه وقال مقاتل هم اصحاب السفينة الذين قدموا
من الحبشة اربعين رجلا من اهل الانجيل وامنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قال سعيد
ابن جبير قدم مع جعفر من الحبشة على النبي صلى الله عليه وسلم فلما راوا ما بالمسلمين من الخصاصة
قالوا يا نبي الله ان لنا اموالا فان اذنت لنا انصرفنا فجينا باموالنا فواسينا المسلمين بها فاذن

لهم فانصرفوا فاتوا باموالهم فواسوا بها المسلمين فنزل فيهم الذين اتيناهم الكتاب الى قوله ومما رزقناهم ينفقون وعن ابن عباس قال نزلت في ثمانين من اهل الكتاب اربعون من نجران واثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من الشام وقال رفاعة نزلت في عشرة انا احدهم وصفهم الله فقال واذا يتلى عليهم يعني القران عليهم قالوا امنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان مكتوبا عندهم في التورية والانجيل اي كنا من قبل القران مسلمين مخلصين لله التوحيد مومنين بمحمد صلى الله عليه وسلم انه نبي حق **قوله** اولئك يوتون اجرهم مرتين منصوب على المصدر وبما صبروا ما مصدرية والبا تتعلق بيوتون او بنفس الاجر ومعنى مرتين اي بايمانهم بمحمد قبل بعثته وبعد بعثته وقيل يوتون اجرهم مرتين لايمانهم بالكتاب الاول وبالكتاب الاخر وقيل لايمانهم بالانبيا الذين كانوا قبل محمد عليه السلام ومرة بايمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقال مقاتل لما امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم شتمهم المشركون نصفحوا عنهم فلهم اجران اجر على الصفح واجر على الايمان وقوله بما صبروا اي على دينهم قال مجاهد نزلت في قوم من اهل الكتاب اسلموا فاوذوا **قوله** ويدرون بالحسنة السيئة اي بالطاعة المعصية المتقدمة قال ابن عباس يدفعون بشهادة ان لا اله الا الله الشرك وقال مقاتل يدفعون ما سمعوا من الاذى والشتم من المشركين بالصفح والعفو ومما رزقناهم ينفقون في الطاعة **قوله** واذا سمعوا اللغو وهو القبيح من القول اعرضوا عنه وذلك ان المشركين كانوا يسبون مومني اهل الكتاب ويقولون تبا لكم تركتم دينكم فيعرضون عنهم ولا يردون عليهم وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم لنا ديننا ولكم دينكم سلام عليكم ليس المراد سلام التحية ولكنه سلام المتارك ومعناه سلمتم منا لا نعارضكم بالشتم والقبيح ونظيره واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ثم اكد تعالى ذلك بقوله حاكيا عنهم لا نبتغي الجاهلين اي دين الجاهلين اي لا نحب دينكم الذي انتم عليه وقيل لا نريد ان نكون من اهل الجهل والسفه وقيل نسخ ذلك بالامر بالقتال وهو بعيد لان ترك المسافهة مندوب وان كان القتال واجبا والله اعلم **قوله تعالى** انك لا تهدي من احببت اي احببت هدايته وقيل احببته لقرابته قال المفسرون نزلت في ابي طالب قال له النبي صلى الله عليه وسلم قل لا اله الا الله اشهد لك بها يوم القيمة قال لولا ان تعيرني قريش تقول انما حمله على ذلك الجزع لاقررت بها عينك فانزل الله هذه الاية **فصل** قال في هذه الاية انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشا وقال في اية اخرى وانك لتهدي الى صراط مستقيم ولا تنافي بينهما فان الذي اثبته واضافه اليه الدعوة والذي نفى عنه هداية التوفيق وشرح الصدر وهو نور يقذف في القلب فيحيى به القلب كما قال سبحانه اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس **فصل** احتج اهل السنة بهذه الاية في مسيلة الهدى والضلال فقالوا قوله انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشا يقتضي ان تكون الهداية في الموضعين بمعنى واحد لانه لو كان المراد من الهداية في قوله انك لا تهدي شيا وفي قوله ولكن الله يهدي من يشا شيا اخر لاختل النظم ثم اما ان يكون المراد من الهداية بيان الادلة والدعوة الى الجنة او تعريف طريق الجنة او خلق المعرفة على سبيل الالجا او خلق المعرفة في القلوب لا على سبيل الالجا لا جايز ان يكون المراد منه الهداية التي نفى الله عمومها وكذا القول في الهداية بمعنى الدعوة الى الجنة واما الهداية بمعنى تعريف طريق الجنة فهي ايضا غير مراده لانه

تعالى علق هذه الهداية على المشية فمن وجب عليه اداء عشرة دنانير لا يقول اعطي عشرة دنانير ان شيت واما الهداية بمعنى الالجا والقسر فغير جايز لان ذلك عندهم قبيح من الله تعالى في حق المكلف وفعل القبيح مستلزم للجهل او الحاجة وهما محالان ومستلزم المحال محال فذلك محال من الله والمحال لا يجوز تعليقه على المشية ولما بطلت الاقسام لم يبق الا ان المراد انه تعالى يخص البعض بخلق الهداية والمعرفة ويمنع البعض منها لا يسال عما يفعل واذا اورد الكلام على هذا الوجه سقط ما اورده القاضي عذرا عن ذلك **قوله** وهو اعلم بالمهتدين اي انه المختص بعلم الغيب فيعلم من يهتدي ومن لا يهتدي ثم انه تعالى حكى عنهم شبهة اخرى متعلقة باحوال الدنيا وهي قولهم ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا قال المبرد والخطف الانتزاع بسرعة نزلت في الحارث بن نوفل بن عبد مناف قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا لنعلم ان الذي تقوله حق ولكنا ان اتبعناك على دينك خفنا ان تخرجنا العرب من ارضنا مكة فاجاب الله عنه من وجوه الاول قوله اولم نمكن لهم حرما امنا اي اعطاكم مسكنا لا خوف لكم فيه اما لان العرب كانوا يحترمون الحرم ولم يتعرضوا لسكانه فانه يروى ان العرب خارج الحرم كانوا لا يتعرضون لسكان الحرم **قوله** تتخطف العامة على الجزم جوابا للشرط والمنقري بالرفع على حذف الفا كقوله

من يفعل الحسنات الله يشكرها · وكقراة يدركم بالرفع او على التقديم وهو مذهب سيبويه

قوله اولم نمكن لهم حرما قال ابو البقا عداه بنفسه لانه بمعنى جعل وقد صرح به في قوله اولم يروا انا جعلنا حرما ومكن متعد بنفسه من غير ان يضمن معنى جعل كقوله مكناهم وتقدم تحقيقه في الانعام **وامنا** قيل بمعنى مومن اي يومن من دخله وقيل هو على حذف مضاف اي امنا اهله وقيل فاعل بمعنى النسب اي ذا امن **قوله** تجبى قرا نافع بتا التانيث مراعاة للفظ ثمرات والباقون باليا للفصل ولان تانيثه مجازي والجملة صفة لحرما ايضا وقرا العامة ثمرات بفتحتين وابان بضمتين جمع ثمر بضمتين وبعضهم بفتح وسكون **قوله** رزقا ان جعلته مصدرا جاز انتصابه على المصدر الموكد لان المعنى يجبى اليه رزقهم وان ينتصب على المفعول له والعامل محذوف اي يسوقه اليه رزقا وان يكون في موضع الحال من ثمرات لتخصيصها بالاضافة كما ينتصب عن النكرة المخصصة وان جعلته اسما للمرزوق انتصب على الحال من ثمرات ومعنى تجبى اي تجلب وتجمع يقال جبيت الما في الحوض اي جمعته قال مقاتل تحمل الى الحرم ثمرات كل شي رزقا من لدنا ولكن اكثرهم لا يعلمون اي ان ما نقوله حق **قوله** وكم اهلكنا من قرية اي من اهل قرية بطرت معيشتها قال الزمخشري البطر سو احتمال الغنى وهو ان لا يحفظ حق الله تعالى فيه وانتصب معيشتها اما بحذف الجار واتصال الفعل كقوله واختار موسى قومه او بتقدير حذف ظرف الزمان اصله بطرت ايام معيشتها واما بتضمين بطرت معنى كفرت او خسرت او على التمييز او على التشبيه بالمفعول به وهو قريب من سفه نفسه قال عطا عاشوا في البطر فاكلوا رزق الله وعبدوا غيره **قوله** فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا قال ابن عباس لم يسكنها الا المسافرون ومار الطريق يوما او ساعة معناه لم تسكن من بعدهم الا سكونا يسيرا قليلا وقيل لم يعمر منها الا اقلها واكثرها خراب فقوله لم تسكن جملة حالية والعامل فيها معنى تلك ويجوز ان يكون خبرا ثانيا والا قليلا اي الا سكنى قليلا او الا زمنا قليلا او الا مكانا قليلا وكنا نحن الوارثين كقوله انا نحن نرث الارض ومن عليها **قوله** وما كان ربك مهلك القرى بظلم يعني القرى الكافر اهلها حتى يبعث في امها رسولا اي في اكثرها واعظمها رسولا ينذرهم

وحضر الاعظم ببعثة الرسول فيها لان الرسول يبعث الى الاشراف والاشراف يسكنون المداين
والمواضع التي هي ام ما حولها وهذا بيان لقطع عذرهم لان عدم البعثة يجري مجرى العذر للقوم
فوجب ان لا يجوز اهلاكهم الا بعد البعثة وقوله يتلوا عليهم اياتنا اي يودي ويبلغ قال
مقاتل يخبرهم الرسول ان العذاب نازل بهم ان لم يومنوا وما كنا مهلكي القرى الا واهلها
ظالمون مشركون اي اهلكهم بظلمهم واهل مكة ليسوا كذلك فان بعضهم قد امن وبعضهم قد علم
الله منهم انهم وان لم يومنوا لكنه يخرج من نسلهم من يومن **قوله** وما اوتيتم من شي
فمتاع الحياة الدنيا اي فهو متاع وقرى فمتاعا الحيوة بنصب متاعا على المصدر اي يتمتعون
متاعا والحياة نصب على الظرف والمعنى تتمتعون بها ايام حياتكم ثم هي الى فناء وانقضاء وما
عند الله خير وابقى وهذا جواب عن شبهتهم فانهم ان قالوا تركنا الدين لئلا تفوتنا الدنيا
فبين تعالى ان ذلك خطا عظيم لان ما عند الله خير وابقى من وجهين الاول ان المنافع هناك
اعظم والثاني انها خالصة عن الشوايب ومنافع الدنيا مشوبة بالمضار بل المضار فيها اكثر
واما انها ابقى فلانها دايمة غير منقطعة ومتى قوبل المتناهي بغير المتناهي كان عدما
فظهر بهذا ان منافع الدنيا لا نسبة لها الى منافع الاخرة فلاجرم نبه على ذلك فقال
افلا تعقلون ان الباقي خير من الفاني يعني ان من لا يرجح منافع الاخرة على منافع الدنيا كانه
يكون خارجا عن حد العقل ورحم الله الشافعي حيث قال من اوصى بثلث ماله لاعقل الناس
صرف ذلك الثلث الى المشتغلين بطاعة الله تعالى لان اعقل الناس من اعطى القليل واخذ
واخذ الكثير وما هم الا المشتغلين بالطاعة فكانه رحمه الله انما اخذه من هذه الاية وقرا
ابو عمرو فلا يعقلون بالياء من تحت التفاتا والباقون بالخطاب جريا على ما تقدم **قوله**
افمن وعدناه وقرا طلحة امن وعدناه بغير فا وعدا حسنا يعني الجنة فهو لاقيه مصيبه ومدركه
وصاير اليه كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا وتزول عن قريب ثم هو يوم القيمة من المحضرين
النار وقرا الكساي وقالون ثم هو بسكون الها اجراء لها مجرى الواو والفا والباقون بالضم على الاصل
وتخصيص لفظ المحضرين بالذين احضروا للعذاب امر عرف من القران قال تعالى لكنت من
المحضرين فانهم لمحضرون وفي اللفظ اشعار به لان الاحضار يشعر بالتكليف والالزام وذلك
لا يليق بمجالس اللذة وانما يليق بمجالس الضرر والمكاره **قوله** ويوم يناديهم فيقول اين
شركاي الذين كنتم تزعمون في الدنيا انهم شركاي وتزعمون انها تشفع فتخلصكم من هذا
الذي نزل بكم وتزعمون مفعولاه محذوفان اي تزعمونهم شركاء قال الذين حق عليهم القول
اي وجب عليهم العذاب وهم رؤس الضلالة وقيل الشياطين **قوله** هولاء الذين اغوينا
فيه وجهان احدهما ان هولاء مبتدا والذين اغوينا صفته والعايد محذوف اي اغويناهم
والخبر اغويناهم وكما غوينا نعت لمصدر محذوف ذلك المصدر مطاوع لهذا الفعل اي فغووا
غيا كما غوينا قال الزمخشري وهذا الوجه منعه ابو علي قال لانه ليس في الخبر زيادة فايدة
على ما في صفته قال فان قلت قد وصل بقوله كما غوينا وفيه زيادة قلت الزيادة في
الظرف لا تصيره اصلا في الجملة لان الظروف صلات ثم اعرب هو هولاء مبتدا والذين اغويناهم
خبره واغويناهم مستانف واجاب ابو البقا وغيره عن الاول بان الظرف قد يلزم كقولك
زيد عمرو في داره **فصل** المعنى هولاء الذين دعوناهم الى الغي وهم الاتباع اغويناهم
كما غوينا اضللناهم كما ضللنا تبرانا اليك منهم **قوله** ما كانوا ايانا يعبدون ايانا مفعول
يعبدون قدم لاجل الفاصلة وفي ما وجهان احدهما هي نافية اي تبرا الذين اتبعوا من الذين
اتبعوا والثانية مصدرية ولا بد من تقدير حرف جر اي تبرانا من ما كانوا اي من عبادتهم

ايانا

ايانا وفيه بعد **قوله** وقيل ادعوا شركاكم اي وقيل للكافرين ادعوا شركاكم اي
الاصنام لتخلصكم من العذاب فدعوهم فلم يستجيبوا لهم لم يجيبوهم والاقرب ان هذا على سبيل
التقريع لانهم يعلمون انه لا فايدة في دعايهم لهم **قوله** لو انهم كانوا يهتدون جوابها محذوف اي
لما راوا العذاب او لدنوه قال الضحاك ومقاتل يعني المتبوع والتابع يرون العذاب
ولو انهم كانوا يهتدون في الدنيا ما ابصروه في الاخرة وقيل لو انهم كانوا مهتدين في الدنيا
لعلموا ان العذاب حق وقيل لو كانوا يهتدون لوجه من وجوه الحيل لدفعوا به العذاب وقيل
قد اتى لهم ان يهتدوا لو انهم كانوا يهتدون اذا راوا العذاب ويوكد ذلك قوله لا يومنون
به حتى يروا العذاب الاليم قال ابن الخطيب وعندي ان الجواب غير محذوف وفي تقديره
وجوه احدها ان الله تعالى لما خاطبهم بقوله ادعوا شركاكم ههنا يشتد الخوف عليهم ويصيرون
بحيث لا يبصرون شيا فقال تعالى وراوا العذاب لو انهم كانوا يهتدون شيا ولما صاروا
من شدة الخوف لا يبصرون شيا لاجرم ما راوا العذاب وثانيها انه تعالى لما ذكر عن
الشركا وهم الاصنام الذين لا يجيبون الذين دعوهم قال في حقهم وراوا العذاب لو انهم كانوا
مشاهدين العذاب وكانوا من الاحيا لاهتدوا ولكنها ليست كذلك فلاجرم ما رات العذاب
فان قيل قوله وراوا العذاب لا يليق الا بالعقلا فكيف يصح عوده للاصنام قلنا
هذا كقوله فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وانما ورد ذلك على حسب اعتقاد القوم فكذا ههنا
وثالثها ان يكون المراد من الروية روية القلب اي والكفار علموا حقية هذا العذاب
في الدنيا لو كانوا يهتدون قال وهذه الوجوه عندي خير من الوجوه المبنية على ان الجواب
لو محذوف فان ذلك يقتضي تفكيك نظم الاية **قوله** ويوم يناديهم اي ينادي الله
الله الكفار ماذا اجبتم المرسلين فعميت العامة على تخفيفها وقرا الاعمش وجناح بن حبيش
بضم العين وتشديد الميم وتقدمت القراتان للسبعة في هود والمعنى خفيت واشتبهت
عليهم الانبا وهي الاخبار والاعذار وقال مجاهد الحجج يومئذ فلا يكون لهم عذر ولا حجة
فهم لا يتساءلون لا يجيبون وقال قتادة لا يحتجون وقيل يسكتون لا يسال بعضهم بعضا
وقرا طلحة لا يساءلون بتشديد السين على ادغام التاء في السين كقراءة تساءلون به والارحام
فصل قال القاضي هذه الاية تدل على بطلان قول الجبرية لان فعلهم لو كان
خلقا من الله وجب وقوعه بالقدرة والارادة لما عميت عليهم الانبا ولقالوا انما كذبنا
الرسل من جهة خلقك فينا تكذيبهم والقدرة الموجبة لذلك فكانت حجتهم على الله تعالى
ظاهرة وكذلك القول فيما تقدم لان الشيطان كان له ان يقول انما اغويت لخلقك في
الغواية والجواب ان علم الله بعدم الايمان مع وجود الايمان متنافيان لذاتيهما
فمع العلم بعدم الايمان اذا امرنا بادخال الايمان في الوجود فقد امرنا بالجمع بين الضدين
واعلم ان القاضي لا يترك اية من الايات المشتملة على المدح والذم والعقاب الا ويعيد
استدلاله بها فكما ان وجه استدلاله في الكل هذا الحرف فكذا وجه جوابنا حرف واحد
وهو ما ذكرنا **قوله** فاما من تاب وامن وعمل صالحا فعسى ان يكون من المفلحين لما
بين حال المعذبين اتبعه بذكر من يتوب منهم في الدنيا ترغيبا في التوبة وزجرا عن الثبات
على الكفر وفي عسى وجوه احدها انه من الكرام تحقيق والله اكرم الاكرمين وثانيها
انها للترجي للتايب وطمعه كانه قال فليطمع في الفلاح وثالثها عسى ان يكونوا كذلك ان
داموا على التوبة والايمان لجواز ان لا يدوموا **قوله** وربك يخلق ما يشاء ويختار نزلت
هذه الاية جوابا للمشركين حين قالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم يعني

الوليد بن المغيرة او عروة بن مسعود الثقفي اخبر الله تعالى انه لا يبعث الرسل باختيارهم
قوله ما كان لهم الخيرة فيه اوجه احدها ان ما نافية فالوقف على تختار والثاني ما
مصدرية اي تختار اختيارهم والمصدر واقع موقع المفعول به اي مختارهم الثالث ان يكون
بمعنى الذي والعائد محذوف اي ما كان لهم الخيرة فيه كقوله ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن
عزم الامور اي منه وجوز ابن عطية ان يكون كان تامة ولهم الخيرة جملة مستانفة قال وتتجه
عندي ان يكون ما مفعوله اذا قدرنا كان التامة اي ان الله يختار كل كائن ولهم الخيرة
مستانفة معناه تعديد النعم عليهم في اختيار الله لهم لو قبلوا وجعل بعضهم في كان ضمير
الشان وانشد ابن سمية ⁌ دمع العين تذريف لو كان ذا منك قبل اليوم معروف ⁌ ولو كان
ذا اسمها لقال معروفا وابن عطية منع ذلك في الاية قال لان تفسير الامر والشان لا يكون
بجملة فيها محذوف كانه يريد ان الجار متعلق بمحذوف وضمير الشان لا يفسر الا بجملة مصرح
بجزئيها الا ان في هذا نظر ان اراده لان هذا الجار قائم مقام الخبر ولا اظن احدا يمنع هو
السلطان في البلد وهي هند في الدار والخيرة من التخير كالطيرة من التطير فيستعملان استعمال
المصدر وقال الزمخشري ما كان لهم الخيرة بيان لقوله تختار لان معناه وتختار ما يشاء
ولهذا لم يدخل العاطف والمعنى ان الخيرة لله في افعاله وهو اعلم بوجوه الحكمة فيها ليس لاحد
من خلقه ان يختار عليه قال شهاب الدين لم يزل الناس يقولون ان الوقف على يختار
والابتداء بما على انها نافية هو مذهب اهل السنة ونقل ذلك عن جماعة كابي جعفر
وغيره وان كونها موصولة متصلة بيختار غير موقوف عليه مذهب المعتزلة وهذا الزمخشري
قد قرر كونها نافية وحصل غرضه في كلامه وهو موافق لكلام اهل السنة ظاهرا وان كان
لا يريد وهذا الطبري من كبار اهل السنة منع ان يكون نافية قال لئلا يكون المعنى
انه لم يكن لهم الخيرة فيما مضى وهي لهم فيما يستقبل وايضا فلم يتقدم نفي وهذا الذي قاله ابن
جرير مروي عن ابن عباس وقال بعضهم ويختار لهم ما يشاؤه من الرسل فما على هذا واقعة
على العقلاء **فصل** ان قيل ما للاثبات فمعناه ويختار الله ما كان لهم الخيرة اي
يختار ما هو الاصلح والخير وان قيل ما للنفي اي ليس اليهم الاختيار وليس لهم ان يختاروا على
الله كقوله وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان تكون لهم الخيرة من
امرهم ثم قال منزها نفسه سبحان الله وتعالى عما يشركون اي ان الخلق والاختيار والاعزاز
والاذلال مفوض اليه ليس لاحد فيه شركة ومنازعة ثم اكد ذلك بانه يعلم ما تكن صدورهم
من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يعلنون من مطاعنهم فيه وقولهم هلا اختير
غيره في النبوة ولما بين علمه بما هم عليه من الغل والحسد والسفاهة قال وهو الله لا اله الا
هو له الحمد في الاولى والاخرة وهذا تنبيه على كونه قادرا على كل الممكنات عالما بكل المعلومات
منزه عن النقائص والافات له الحمد في الاولى والاخرة وهذا ظاهر على مذهب اهل السنة
لان الثواب غير واجب عليه بل يعطيه فضلا واحسانا فله الحمد في الاولى والاخرة ويؤكده
قول اهل الجنة الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده واخر دعواهم
ان الحمد لله رب العالمين وله الحكم فصل القضاء بين الخلق قال ابن عباس حكم لاهل طاعته
بالمغفرة ولاهل المعصية بالشقاء واليه ترجعون اي الى حكمه وقضائه **قوله
تعالى** قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الاية لما بين بقوله وهو الله لا اله الا هو
له الحمد في الاولى والاخرة وله الحكم واليه ترجعون فصل عقيب ذلك ببعض ما يجب ان يحمد
عليه مما لا يقدر عليه سواه فقال قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا نبه بذلك على كون

الليل والنهار نعمتان متعاقبتان على الزمان ووجهه ان المرء في الدنيا مضطر الى ان يتعب
لتحصيل ما يحتاج اليه ولا يتم ذلك الا براحة وسكون بالليل ولا بد منهما والحالة هذه
فاما في الجنة فلا نصب ولا تعب ولا حاجة بهم الى الليل ولذلك يدوم لهم الضيا
واللذات فبين بذلك ان القادر على ذلك ليس الا الله فقال قل ارايتم اخبروني يا
اهل مكة ان جعل الله عليكم الليل سرمدا دائما الى يوم القيمة لا نهار معه من اله
غير الله ياتيكم بضيا بنهار تطلبون فيه المعيشة افلا تسمعون سماع فهم وقبول
قوله ارايتم وجعل تنازعا في الليل واعمل الثاني ومفعول ارايتم هي جملة الاستفهام
بعده والعائد منها على الليل محذوف تقديره بضيا بعده وجواب الشرط محذوف
وتقدم تحريره في الانعام وسرمدا مفعول ثان ان كان الجعل تصييرا او حال ان كان
خلقا وانشا والسرمد الدائم الذي لا ينقطع قال طرفه ⁌
⁌ لعمرك ما امري علي بغمة نهاري ولا ليلي علي بسرمد ⁌ والظاهر ان ميمه اصلية ووزنه
فعلل كجعفر وقيل هي زايدة واشتقاقه من السرد وهو تتابع الشي على الشي ومنه
قولهم في الاشهر الحرم ثلاثة سرد وواحد فرد الا ان زيادة الميم وسطا واخرا لا ينقاس
نحو دلامص وزرقم من الدلاص والزرقة **قوله** الى يوم متعلق بجعل وبسرمدا
او بمحذوف على انه صفة لسرمدا وانما قال افلا تسمعون افلا تبصرون لان الغرض من
ذلك الانتفاع بما تسمعون وتبصرون من جهة التدبر فلما لم ينتفعوا انزلوا منزلة من لا يسمع
ولا يبصر قال المفسرون افلا تسمعون سماع فهم افلا تبصرون ما انتم عليه من الخطا والضلال
قال الزمخشري فان قيل هلا قيل بنهار تتصرفون فيه كما قيل بليل تسكنون فيه
قلنا ذكر الضيا وهو ضوء الشمس لان المنافع التي تتعلق بها متكاثرة ليس التصرف في المعاش وحده
والظلام ليس بتلك المنزلة وانما قرن بالضيا افلا تسمعون لان السمع تدرك ما لا يدركه
البصر من ذكر منافعه ووصف فوايده وقرن بالليل افلا تبصرون لان غيرك يدرك
من منفعة الظلام ما تبصره انت من السكون ونحوه **قوله** لتسكنوا فيه اي في الليل
ولتبتغوا من فضله اي في النهار وهذا من باب اللف والنشر ومنه ⁌
⁌ كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي ⁌ وقوله لعلكم
تشكرون اي نعم الله وقيل اراد الشكر على المنفعتين واعلم انه وان كان السكون في
النهار ممكنا الا ان الاليق بكل واحد منهما ما ذكر الله تعالى فلهذا خصه به وقوله ويوم
يناديهم كرر ذلك النداء للمشركين لزيادة التقريع والتوبيخ **قوله** ونزعنا اخرجنا
من كل امة شهيدا يعني رسولهم الذي ارسل اليهم كما قال فكيف اذا جينا من كل امة بشهيد
اي يشهد عليهم بانهم بلغوا القوم الدلايل واوضحوها لهم ليعلم ان التقصير منهم فيزيد
ذلك في غمهم وقيل المراد الشهدا الذين يشهدون على الناس ويدخل في جملتهم الانبيا
فقلنا هاتوا برهانكم حجتكم بان معي شريكا فعلموا حينيذ ان الحق التوحيد لله وضل عنهم غاب
عنهم ما كانوا يفترون من الباطل والكذب **قوله تعالى** ان قارون كان
من قوم موسى الاية قال المفسرون كان ابن عمه لان قارون بن يصهر بن قاهث بن
لاوي بن يعقوب وموسى بن عمران بن قاهث وقال ابن اسحق كان قارون عم موسى
كان اخا عمران وهما ابنا يصهر ولم يكن في بني اسرايل اقرا للتورية من قارون ولكنه
نافق كما نافق السامري وكان يسمى النور لحسن صورته وعن ابن عباس انه كان ابن خالته
فبغى عليهم قيل كان عاملا لفرعون على بني اسرايل وكان يبغي عليهم ويظلمهم وقال

قتادة بغى عليهم بكثرة المال ولم يرع لهم حق الايمان بل استخف بالفقراء وقال الضحاك
بغى عليهم بالشرك وقال القفال طلب الفضل عليهم وان يكونوا تحت يده وقال ابن عباس
تكبر عليهم وتجبر وقال الكلبي حسد هارون على الحبورة روي ان موسى عليه السلام لما
قطع الله له البحر واغرق فرعون جعل الحبورة لهرون فحصلت له النبوة والحبورة وكان
له القربان والمذبح وكان لموسى الرسالة فوجد قارون لذلك في نفسه وقال يا موسى
لك الرسالة ولهرون الحبورة ولست في شيء لا اصبر انا على هذا فقال موسى والله ما صنعت
ذلك لهرون بل جعله الله له فقال قارون له فوالله لا اصدقك ابدا حتى تاتيني باية
يعرف بها ان جعل ذلك لهرون قال فامر موسى رؤسا بني اسرايل ان يجي كل واحد منهم
بعصاه فجاوا بها فالقاها موسى عليه السلام في قبة له وكان ذلك بامر الله ودعا موسى ربه
ان يريهم بيان ذلك فباتوا يحرسون عصيهم فاصبحت عصى هرون تهتز لهرون وكانت
من شجر اللوز فقال موسى لقارون الا ترى ما صنع الله لهرون فقال والله ما هذا باعجب
ما تصنع من السحر فاعتزل قارون ومعه ناس كثير وولي هرون الحبورة والمذبح والقربان
وكانت بنوا اسرايل ياتون بهداياهم الى هرون فيضعها في المذبح وتنزل نار من السماء
فتاكلها واعتزل قارون باتباعه وكان كثير المال والتبع من بني اسرايل فما كان ياتي موسى
ولا يجالسه وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان قارون كان من السبعين المختارة الذين
سمعوا كلام الله **قوله** وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه ما موصولة بمعنى الذي صلتها
ان وما في خبرها ولهذا كسرت ونقل الاخفش الصغير عن الكوفيين منع الوصل بان وكان
يستقبح ذلك عنهم يعني لوجوده في القران والمفاتح جمع مفتح وهو الذي يفتح به الباب قاله
قتادة ومجاهد وجماعة وقيل مفاتحه خزاينه كقوله وعنده مفاتح الغيب اي خزاينه
قوله لتنوء بالعصبة فيه وجهان احدهما ان البا للتعديه كالهمزة ولا قلب في الكلام
والمعنى لتنيء المفاتح العصبة الاقويا كما يقول اجاته وجيت به واذهبته وذهبت به
ومعنى ناء بكذا نهض به بثقل قال • تنوء باخراها فلاياً قيامها • وتمشي عن قرب فتبهر
وقال ابو زيد نوءت بالحمل اي نهضت به قال •
• اذا وجدنا خلفاً بيس الخلف • عبدا اذا ما ناء بالحمل وقف • وفسره الزمخشري بالاثقال
قال يقال ناء به الحمل حتى اثقله واماله وعليه ينطبق المعنى اي لتثقل المفاتح العصبة
والثاني قال ابو عبيدة ان في الكلام قلبا والاصل لتنوء العصبة بالمفاتح اي لتنهض بها
كقولهم عرضت الناقة على الحوض وتقدم الكلام في القلب وان فيه ثلاثة مذاهب وقرا
بديل بن ميسرة لينوء بالياء من تحت والتذكير لانه راعى المضاف المحذوف اذ التقدير حملها
او ثقلها وقيل الضمير في مفاتحه لقارون فاكتسب المضاف من المضاف اليه التذكير
كقولهم ذهبت اهل اليمامة قاله الزمخشري يعني كما اكتسب اهل التانيث اكتسب هذا
التذكير **والعصبة** الجماعة الكثيرة والعصابة مثلها قال مجاهد ما بين العشرة
الى الاربعين كقول اخوة يوسف ونحن عصبة وكانوا عشرة لان يوسف واخاه لم يكونا معهم
وقيل اربعون رجلا وقيل سبعون روي عن ابن عباس كان يحمل مفاتحه اربعون رجلا اقوى
ما يكون من الرجال وروى جرير عن منصور عن خيثمة قال وجدت في الانجيل ان مفاتح
خزاين قارون وقر ستين بغلا ما يزيد مفتاح منها على اصبع لكل مفتاح منها كنز وطعن
بعضهم في هذا القول من وجهين الاول ان مال الرجل الواحد لا يبلغ هذا المبلغ ولو انا
قدرنا ان بلدة مملوة من الذهب والجواهر لكان لها اعداد قليل من المفاتح فاي حاجة الى

تكثير

تكثير هذه المفاتيح الثاني ان الكنوز هي الاموال المدخرة في الارض فلا يجوز ان يكون لها مفاتح
واجيب عن الاول ان المال اذا كان من جنس النقد جاز ان يبلغ في الكثرة الى هذا الحد
وايضا ان قولهم تلك المفاتح بلغت ستين حملا ليس مذكورا في القران فلا تقبل هذه
الرواية وعن الثاني ان الكنز وان كان من جهة العرف ما قالوا فقد يقع على المال المجموع
في المواضع التي عليها اغلاق وحمل ابن عباس والحسن المفاتح على نفس المال وهذا ابين
قال ابن عباس كانت خزاينه يحملها اربعون رجلا اقويا وقال ابو مسلم المراد من المفاتح
العلم والاحاطة كقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو والمراد اتيناه من
الكنوز لكثرتها واختلاف اصنافها ما يتعب الحافظين ان يحفظوها **قوله** اذ قال
فيه اوجه ان يكون معمولا لتنوء قاله الزمخشري او لبغى قاله ابن عطيه وردهما ابو حيان بان
المعنى ليس على التقييد بهذا الوقت او لاتيناه قاله ابو البقا ورده ابو حيان بان الايتا
لم يكن ذلك الوقت او لمحذوف فقدره ابو البقا بغى عليهم وهذا ينبغي ان يرد بما رد به قول
ابن عطية وقدره الطبري اذكر وقدره ابو حيان اظهر الفرح وهو مناسب واعلم انه كان
في قومه من وعظه بامور احدها قوله لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين وقري الفارحين
حكاها عيسى الحجازي والمراد لا يلحقه من البطر والتمسك بالدنيا ما يلهيه عن امر الاخرة قال
بعضهم انه لا يفرح بالدنيا الا من رضي بها واطمان اليها فاما من يعلم انه سيفارق الدنيا عن
قريب لم يفرح وما احسن قول المتنبي • اشد الغم عندي في سرور • تيقن عنه صاحبه انتقالا •
وقال لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم قال ابن عباس كان فرحه ذلك شركا
لانه ما كان يخاف معه عقوبة الله تعالى وثانيها **قوله** وابتغ فيما اتاك الله
يجوز ان يتعلق فيما اتاك بابتغ وان يتعلق بمحذوف على انه حال اي متقلبا فيما اتاك وما مصدرية
او بمعنى الذي والمراد ان يصرف المال الى ما يوديه الى الجنة والظاهر انه كان مقرا بالاخرة
وثالثها قوله ولا تنس نصيبك من الدنيا قال مجاهد وابن زيد لا تترك ان تعمل في الدنيا
للاخرة وقال السدي بالصدقة وصلة الرحم وقال علي لا تنس صحتك وقوة شبابك
وغناك ان تطلب بها الاخرة قال عليه السلام لرجل وهو يعظه اغتنم خمسا قبل خمس
شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك
قبل موتك **قوله** واحسن كما احسن الله اليك اي احسانا كاحسانه اليك اي احسن بطاعة
الله كما احسن اليك بنعمته وقيل احسن الى الناس كما احسن الله اليك واعلم انه لما امره
بالاحسان بالمال امره بالاحسان مطلقا ويدخل فيه الاعانة بالمال والجاه وطلاقة الوجه
وحسن اللقا **قوله** ولا تبغ الفساد في الارض ولا تطلب الفساد في الارض وكل من عصى
الله فقد طلب الفساد في الارض وقيل المراد ما كان عليه من الظلم والبغي وفي الارض
يجوز ان يتعلق بتبغ او بالفساد او بمحذوف على انه حال وهو بعيد ثم قال ان الله
لا يحب المفسدين قيل ان هذا القايل هو موسى عليه السلام وقيل بل مومنوا قومه **قوله**
على علم حال من مرفوع اوتيته وقوله عندي اما ظرف لاوتيته واما صفة للعلم
فصل قال قارون انما اوتيته على علم عندي اي على فضل وخير علمه الله
عندي فرآني اهلا لذلك ففضلني بهذا المال عليكم كما فضلني بغيره وقال سعيد بن
المسيب والضحاك كان موسى عليه السلام يعلم علم الكيميا انزل عليه علمه من السما فعلم يوشع
ابن نون ثلث ذلك العلم وعلم كالب بن يوقنا ثلثه وعلم قارون ثلثه فخدعهما قارون
حتى اضاف علمهما الى علمه وكان ذلك سبب امواله وقيل على علم عندي بالتصرف في التجارات

دا لزراعات وانواع المكاسب ثم اجاب الله عن كلامه بقوله اولم يعلم ان الله قد اهلك
من قبله من القرون الكافرة من هو اشد منه قوة واكثر جمعا للاموال واكثر جماعة وعددا
فقوله اولم يعلم يجوز ان يكون هذا اثباتا لعلمه بان الله قد اهلك قبله من القرون من هو
اقوى منه واغنى لانه قرا ذلك في التوراة واخبره به موسى وسمعه من حفاظ التواريخ كانه قيل
اولم يعلم في جملة ما عنده من العلم هذا حتى لا يغتر بكثرة ماله وقوته ويجوز ان يكون نفيا
لعلمه بذلك لانه لما قال اوتيته على علم عندي تنصلف بالعلم وتعظم به قيل اعنده مثل
ذلك العلم الذي ادعاه وراى نفسه به مستوجبه لكل نعمة ولم يعلم هذا العلم النافع حتى
يقي به نفسه والمعنى انه تعالى اذا اراد اهلاكه لم ينفعه ذلك ولا ما يزيد عليه اضعافا
قوله من هو اشد من موصولة او نكرة موصوفة وهو في موضع المفعول باهلك ومن قبله
متعلق به ومن القرون يجوز فيه ذلك ويجوز ان يكون حالا من من هو اشد **قوله** ولا
يسال هذه قراها العامة على البنا للمفعول وبالياء من تحت ورفع الفعل وقرا ابو جعفر
ولا تسال بالتاء من فوق والجزم وابن سيرين وابو العاليه كذلك الا انه مبني للفاعل
وهو المخاطب قال ابن ابي اسحق لا يجوز ذلك حتى ينصب المجرمين قال صاحب اللوامح هذا هو
الظاهر الا انه لم يبلغني فيه شيء فان تركاه مرفوعا فيحتمل وجهين احدهما ان يكون المجرمين
خبر مبتدا محذوف اي هم المجرمون والثاني ان يكون بدلا من اصل الهاء والميم في ذنوبهم لانهما
مرفوعان المحل يعني ان ذنوبا مصدر مضاف لفاعله فالمجرمون على الاصل كما تقدم
في قراءة مثلا ما بعوضة بجر بعوضة وكان قد خرجها على ان الاصل يضرب مثل بعوضة
وهذا تعسف كثير ولا ينبغي ان يقرا ابن سيرين وابو العاليه الا المجرمين بالياء فقط وانما
ترك نقلها لظهوره **فصل** ولا يسال عن ذنوبهم المجرمون قال قتادة يدخلون
النار بغير حساب ولا سوال وقال مجاهد يعني لا تسال الملايكة عنهم لانهم يعرفونهم بسيماهم
وقال الحسن لا يسالون سوال استعلام وانما يسالون سوال تقريع وتوبيخ وقيل المراد ان الله
تعالى اذا عاقب المجرمين فلا حاجة به الى ان يسالهم عن كيفية ذنوبهم وكميتها لانه تعالى
عالم بكل المعلومات فلا حاجة الى السوال **فان قيل** كيف الجمع بينه وبين قوله
فوربك لنسالنهم اجمعين عما كانوا يعملون فالجواب يحمل ذلك على وقتين كما قررناه وقال
ابو مسلم السوال قد يكون للمحاسبة وقد يكون للتقريع والتوبيخ وقد يكون للاستعتاب
واليق الوجوه بهذه الاية الاستعتاب لقوله ثم لا يوذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون هذا
يوم لا ينطقون ولا يوذن لهم فيعتذرون **قوله** في زينته اما متعلق بخرج واما
بمحذوف على انه حال من فاعل خرج **فصل** دلت الاية على انه خرج باظهر زينته
واكملها وليس في القران الا هذا القدر والناس ذكروا وجوها مختلفة والاولى ترك هذه
التقديرات لانها متعارضة ثم ان الناس لما راوه على تلك الزينة قال من كان منهم يرغب
في الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ عظيم من المال وهولاء الراغبون
يحتمل ان يكونوا من الكفار وان يكونوا من المسلمين الذين يحبون الدنيا واما الذين اوتوا العلم
وهم اهل الدين قال ابن عباس يعني الاحبار من بني اسرايل وقال مقاتل اوتوا العلم بما
وعد الله في الاخرة فقالوا للذين تمنوا ويلكم ثواب الله خير من هذه النعم لما عند الله من
الجزا والثواب خير لمن امن وصدق بتوحيد الله وعمل صالحا لان الثواب منافع عظيمة خالصة
عن شوايب المضار دايمة وهذه النعم على الضد في هذه الصفات **فصل** ويلكم
منصوب بمحذوف اي الزمكم الله ويلكم قال الزمخشري ويلك اصله الدعا بالهلاك ثم

استعمل في الزجر والردع والبعث على ترك ما يضر **قوله** ولا يلقاها اي هذه الخصلة
وهي الزهد في الدنيا والرغبة فيما عند الله وقيل الضمير يعود الى ما دل عليه قوله امن
وعمل صالحا يعني هذه الاعمال لا يوتاها الا الصابرون وقال الزجاج ولا يلقى هذه
الكلمة وهي قولهم ثواب الله خير الا الصابرون على اداء الطاعات والاحتراز عن المحرمات
وعلى الرضا بقضاء الله في كل ما قسم من المنافع والمضار **قوله** فخسفنا به وبداره الارض
المشهور كسر هاء الكناية في به وبداره لاجل كسر ما قبلها وقرى بضمها وقد تقدم انها الاصل
وهي لغة الحجاز **فصل** قيل لما اشر وبطر وعتا خسف الله به وبداره الارض
جزاء على عتوه وبطره والفاء تدل على ذلك لان الفاء تشعر بالعلية وقيل ان قارون كان
يوذي نبي الله موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه للقرابة التي بينهما حتى نزلت الزكوة
فصالحه عن كل الف دينار على دينار وعن كل الف درهم على درهم وعن كل الف شاة على
شاة فحسبه فاستكثره فشحت به نفسه فجمع بني اسرايل وقال ان موسى يريد ان ياخذ
اموالكم فقالوا انت كبيرنا فمرنا بما شيت فقال ايتوني بفلانة البغي فتجعل لها جعلا
حتى تقذف موسى بنفسها فاذا فعلت ذلك خرج عليه بنو اسرايل ورفضوه فدعوها
فجعل لها قارون طستا من ذهب مملوا ذهبا وقال لها اني امولك واخلطك بنسايي على ان
تقذفي موسى بنفسك غدا اذا حضر بنو اسرايل فلما كان من الغد جمع قارون بني اسرايل
ثم اتى موسى فقال ان بني اسرايل ينتظرون خروجك فتامرهم وتنهاهم فخرج اليهم موسى
وهم في براح من الارض فقام فيهم فقال يا بني اسرايل من سرق قطعنا يده ومن افترى
جلدناه ثمانين جلدة ومن زنا وليست له امراة جلدناه ماية ومن زنا وله امراة رجمناه
حتى يموت فقال له قارون وان كنت انت قال وان كنت انا قال فان بني اسرايل يزعمون
انك فجرت بفلانة قال ادعوها فان قالت فهو كما قالت فلما جاءت قال لها موسى يا فلانه
انا فعلت بك ما يقول هولاء وناشدها بالذي فلق البحر وانزل التورية ان تصدق
فتداركها الله فقالت في نفسها احدث اليوم توبة افضل من ان اوذي رسول الله
فقالت لا كذبوا بل جعل لي قارون جعلا على ان اقذفك بنفسي فخر موسى ساجدا يبكي وقال
يا رب ان كنت رسولك فاغضب لي فاوحى الله اليه ان مر الارض بما شيت فانها مطيعة
لك قال يا بني اسرايل ان الله بعثني الى قارون كما بعثني الى فرعون فمن كان معه فليلزم
مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا جميعا ولم يبق مع قارون الا رجلان ثم قال
يا ارض خذيهم فاخذتهم الى الاوساط ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاعناق وقارون
واصحابه يتضرعون الى موسى ويناشدونه بالله والرحم وهو لا يلتفت اليهم لشدة غضبه
ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم فاوحى الله الى موسى ما افظك استغاثوا بك مرارا فلم
ترحمهم اما وعزتي لو دعوني مرة واحدة لوجدوني قريبا مجيبا فاصبحت بنو اسرايل
يتناجون بينهم انما دعا موسى على قارون ليستبد بداره وكنوزه فدعا الله حتى خسف بداره
وامواله ثم ان قارون يخسف به كل يوم قامة قال القاضي اذا اهلك بالخسف فسوا نزل
عن ظاهر الارض الى الارض السابعة او دون ذلك وان كان لا يمتنع على وجه المبالغة
في الزجر واما قولهم انه تعالى قال لو استغاثوا بي لاغثتهم فان صح حمل على استغاثة مقرونة
بالتوبة فاما وهو ثابت على ما هو عليه مع انه تعالى هو الذي حكم بذلك الخسف لان موسى
ما فعله الا عن اذن فبعيد وقولهم انهم يتجلجلون في الارض فبعيد لانه لا بد له من
نهاية وكذا القول فيما ذكر من عدد القامات والذي عنده في امثال هذه الحكايات

انها قليلة الفايدة لانها من باب اخبار الاحاد فلا يفيد اليقين وليست المسيلة عملية حتى يكون فيها الظن ثم انها في اكثر الامر متعادة منه مضطربة فالاولى طرحها والاكتفا بما دل عليه نص القران ونفوض سائر التفاصيل الى عالم الغيب **قوله** من فية يجوز ان يكون اسم كان اذا كانت ناقصة وله الخبر او ينصرونه وان يكون فاعلة ان كانت تامة وينصرونه صفة لفية فيحكم على موضعها بالجر لفظا وبالرفع معنى لان من مزيدة فيها ثم قال وما كان من المنتصرين اي الممتنعين مما نزل به من الخسف يقال نصره من عدوه فانتصر اي منعه فامتنع **قوله** واصبح الذين تمنوا مكانه بالامس اي صار اوليك الذين تمنوا ما رزق من المال والزينة يتندمون على ذلك التمني والعرب تعبر عن الصيرورة باصبح وامسى واضحى تقول اصبح فلان عالما واضحى معدما وامسى حزينا والمعنى صار ذلك زاجرا لهم عن حب الدنيا ومخالفة موسى وداعيا الى الرضا بقضا الله وقسمته **قوله** وي كان الله وويكانه فيه مذاهب منها اي وي كلمة براسها وهي اسم فعل معناه اعجب اي انا والكاف للتعليل وان وما في خبرها مجرورة بها اي اعجب لانه لا يفلح الكافرون وسمع كانه لا يعلم غفر الله له وقياس هذا القول ان يوقف على وي وحدها وقد فعل ذلك الكساي الا انه ينقل عنه ان يعتقد في الكلمة ان اصلها ويلك كما سياتي وهذا بنا في وقفه وانشد سيبويه • وي كان من يكن له نشب • يحبب ومن يفتقر يعش عيش ضر • الثاني قال بعضهم كان هنا للتشبيه الا انه ذهب منها معناه وصارت للخبر واليقين وانشد • كانني حين امسي لا يكلمني • متيم يشتهي ما ليس موجودا • وهذا ايضا يناسبه الوقف على وي الثالث ان ويك كلمة براسها والكاف حرف خطاب وان معموله لمحذوف اي اعلم انه لا يفلح قاله الاخفش وعليه قوله • الا ويك المسرة لا تدوم • ولا يبقى على البوس النعيم • وقال عنترة • ولقد شفى نفسي وابرا سقمها • قول الفوارس ويك عنتر اقدم • وحقه ان يقف على ويك وقد فعله ابو عمرو بن العلا الرابع ان اصلها ويلك فحذف واليه ذهب الكساي ويونس وابو حاتم فحذف اللام وانما جاز هذا الحذف لكثرتها في الكلام وجعل ان مفتوحة بفعل مضارع مضمر كانه قال ويلك اعلم وحقهم ان يقفوا على الكاف كما فعل ابو عمرو ومن قال بهذا استشهد بالبيتين المتقدمين فانه يحتمل ان يكون الاصل فيهما ويلك فحذف ولم يرسم في القران الا ويكان ويكانه متصلة في الموضعين فعامة القرا اتبعوا الرسم والكساي وقف على وي وابو عمرو على ويك وهذا كله في وقف الاختبار كنظاير تقدمت الخامس ان ويكان كلها كلمة مستقلة بسيطة ومعناها الم تر وربما نقل ذلك عن ابن عباس ونقل الكساي والفرا انها بمعنى اما ترى الى صنع الله قال الفرا هي كلمة تقدير وذكر انه اخبره من سمع اعرابية تقول لزوجها اين ابنك قال ويك انه ورا البيت يعني اما ترينه ورا البيت وحكى ابن قتيبة انها بمعنى رحمة لك في لغة حمير **قوله** لولا ان من الله قرا الاعمش لولا من بحذف ان وهي مرادة لان لولا هذه لا يليها الا المبتدا وعنه من برفع النون وجر الجلالة وهي واضحة **قوله** لخسف قرا حفص لخسف مبنيا للفاعل اي الله تعالى والباقون بنايه للمفعول وبنا هو القايم مقام الفاعل وعبد الله وطلحة لانخسف بنا اي المكان وقيل بنا هو القايم مقام الفاعل كقولك انقطع بنا وهي عبارة رديه وقيل الفاعل ضمير المصدر اي لانخسف الانخساف وهي عن ابيضا وعبد الله لتخسف بتا من فوق وتشديد السين مبنيا للمفعول وبنا قايم مقامه **فصل** وويكان كلمة مستعملة عند التنبه للخطا واظهار التندم فلما قالوا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون ثم شاهدوا الخسف تنبهوا لخطايهم ثم قالوا كانه يبسط الرزق لمن يشا من عباده بحسب مشيته وحكمته لا لكرامته عليه ويضيق على من يشا لا لهوانه

من يضيق عليه بل لحكمته وقضايه ابتلا وفتنة قال سيبويه سالت الخليل عن هذا الحرف فقال وي مفصولة من كان وان القوم تنبهوا وقالوا متندمين على ما سلف منهم **قوله تعالى** تلك الدار مبتدا وصفته ونجعلها هو الخبر ويجوز ان يكون الدار هو الخبر ونجعلها خبرا اخر او حال والاول احسن وهذا تعظيم لها وتفخيم لشانها يعني تلك التي سمعت بذكرها وبلغك وصفها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا كرر لا ليفيد ان كلا منهما مستقل في بابه لا مجموعهما والعاقبة للمتقين **قوله** من جا بالحسنة فله خير منها لما بين ان الدار الاخرة ليست الا للمتقين بين بعد ذلك ما يحصل لهم فقال من جا بالحسنة فله خير منها والمعنى انهم يزادون على ثوابهم وقوله ومن جا بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون وظاهره انهم لا يزادون على ما يستحقون فقوله فلا يجزى الذين من اقامة الظاهر مقام المضمر تشنيعا عليهم وقوله الا ما كانوا اي مثل ما كانوا قال الزمخشري انما كرر ذكر السيات لان في اسناد عمل السيئة اليهم مكررا فضل تهجين لحالهم وزيادة تبغيض للسيئة الى قلوب السامعين وهذا من فضله العظيم انه لا يجزي بالسيئة الا مثلها ويجزي بالحسنة بعشر امثالها **فان قيل** قال تعالى ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها كرر ذكر الاحسان واكتفى في ذكر الاساة بمرة واحدة وفي هذه الاية كرر ذكر الاساة واكتفى في ذكر الاحسان بمرة واحدة فما السبب **فالجواب** ان هذا المقام مقام ترغيب في الدار الاخرة فكانت المبالغة في النهي في ذكر محاسنها اولى **فان قيل** كيف قال لا يجزى بالسيئة الا مثلها مع ان المتكلم بكلمة الكفر اذا مات في الحال عذب ابد الاباد **فالجواب** لانه كان على عزم انه لو عاش ابدا لقال ذلك فعومل بمقتضى عزمه **قوله** ان الذي فرض عليك القران قال ابو علي فرض عليك احكامه وفرايضه لرادك بعد الموت الى معاد وتنكير المعاد لتعظيمه كانه قال معاد واي معاد اي ليس لغيرك من البشر مثله وقيل المراد به مكة وترداده اليها يوم الفتح ووجه تنكيره انها كانت في ذلك اليوم معاد له شان عظيم لاستيلا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها وقهره لاهلها واظهار عز الاسلام واذلال حزب الكفرة والسورة مكية فكان الله تعالى وعده وهو بمكة حين اوذي وهو في غلبة من اهلها انه يهاجر منها ويعيده اليها ظاهرا ظافرا وقال مقاتل انه صلى الله عليه وسلم خرج من الغار وسار في غير الطريق مخافة الطلب فلما رجع الى الطريق نزل بالجحفة بين مكة والمدينة وعرف الطريق الى مكة واشتاق اليها وذكر مولده ومولد ابيه فنزل جبريل فقال اتشتاق الى بلدك ومولدك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم فقال جبريل ان الله يقول ان الذي فرض عليك القران لرادك الى معاد يعني مكة ظاهرا عليهم قال المحققون وهذا احد ما يدل على نبوته لانه اخبر عن الغيب ووقع ما اخبر به فيكون معجزا **قوله** من جا بالهدى منصوب بمضمر اي يعلم او باعلم ان جعلناها بمعنى عالم واعملناها اعماله ووجه تعلقه بما قبله ان الله تعالى لما وعد رسوله صلى الله عليه وسلم الرد الى معاد قال قل للمشركين ربي اعلم من جا بالهدى يعني نفسه وما يستحقه من الثواب في المعاد والاعزاز بالاعادة الى مكة ومن هو في ضلال مبين يعنيهم وما يستحقونه من العذاب في معادهم **قوله** وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب اي يوحى اليك القران الا رحمة من ربك قال الفرا هذا استثنا منقطع اي لكن رحمة من ربك فاعطاك القران وقيل متصل قال الزمخشري هذا كلام محمول على المعنى كانه قيل وما القي اليك الكتاب الا رحمة فيكون استثنا من الاحوال او من المفعول له

فلا تكونن ظهيرا للكافرين اي معينا لهم على دينهم قال مقاتل وذلك حين دعي الى دين
ابايه فذكره الله نعمه ونهاه عن مظاهرتهم على ما هو عليه **قوله** ولا يصدنك عن
ايات الله قرا العامة بفتح اليا وضم الصاد من صده يصده وقري بضم اليا وكسر الصاد
من اصده بمعنى صده حكاها ابو زيد عن كلب قال
اناس اصدوا الناس بالسيف عنهم صدود السواقي عن انوف الحوايم واصل يصدنك
يصدوننك فنعل فيه ما فعل في ليقولن ما تحبسه والمعنى لا تلتفت الى هولاء ولا تركن
الى قولهم فيصدوك عن اتباع ايات الله يعني القران بعد اذ انزلت اليك وادع الى ربك
اي الى دين ربك والى معرفته وتوحيده ولا تكونن من المشركين قال ابن عباس الخطاب في الظاهر
للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به اهل دينه اي لا تظاهروا الكفار ولا توافقوهم ولا تدع
مع الله الها اخر وهذا وان كان واجبا على الكل الا انه تعالى خاطبه به خصوصا لاجل
التعليم **فان قيل** الرسول كان معلوما منه انه لا يفعل شيا من ذلك
البته فما فايدة ذلك النهي فالجواب ان الخطاب وان كان معه لكن المراد غيره ويجوز ان
يكون المعنى لا تعتمد على غير الله ولا تتخذ غيره وكيلا في امورك فان من وثق بغير الله
فكانه لم يكمل طريقه في التوحيد ثم بين انه لا اله الا هو اي لا نافع ولا ضار ولا معطي ولا مانع
الا هو كقوله رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا فلا يجوز اتخاذ اله سواه
قوله كل شي هالك الا وجهه من جعل شيا ينطلق على الباري تعالى وهو الصحيح قال
هذا استثنا متصل والمراد بالوجه الذات وانما جرى على عادة العرب في التعبير بالاشرف
عن الجملة ومن لم يطلقه عليه جعله متصلا ايضا وجعل الوجه ما عمل لاجله او الجاه
الذي بين الناس او يجعله منقطعا اي لكن هو تعالى لم يهلك **فصل** استدلت
المعتزلة على ان الجنة والنار غير مخلوقتين بان هذه الاية تقتضي فنا الكل فلو كانتا
مخلوقتين لكان هذا يناقض قوله تعالى في صفة الجنة اعدت للمتقين وفي صفة النار
وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين ثم اما ان يحمل قوله كل شي هالك على الاكثر
كقوله واوتيت من كل شي او يحمل على الفنا القليل كقوله اكلها دايم على ان فناهما لما كان
قليلا بالنسبة الى زمان بقايهما لا جرم اطلق لفظ الدوام عليهما **قوله** واليه ترجعون
اي في الاخرة والعامة على بنايه للمفعول وعيسى على بنايه للفاعل روى الثعلبي في تفسيره
عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا طسم القصص لم يبق
ملك في السموات والارض الا شهد له يوم القيمة انه كان مصدقا ان كل شي هالك الا وجهه
له الحكم واليه ترجعون **سورة العنكبوت مكية** الا عشر ايات من
اولها الى قوله تعالى وليعلمن الله الذين امنوا وليعلمن المنافقين قال الشعبي انها مدنية
وهي تسع وستون اية والف وتسعماية واحدى وثمانون كلمة واربعة الاف وماية وخمسة
وتسعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** الم احسب الناس ان يتركوا
الاية نزلت في منكري الحشر يقولون لا فايدة في التكاليف فانها مشاق في الحال ولا فايدة
لها في المال اذ لا مال ولا مرجع بعد الهلاك والزوال فلما بين الله تعالى انهم اليه يرجعون
في اخر السورة قبلها بين ان الامر ليس على ما حسبوه بل حسن التكليف لانه يهذب الشكور ويعذب
الكفور فقال احسب الناس ان يتركوا غير مكلفين من غير عمل يرجعون به الى دار مقرهم
فصل في حكمة افتتاح هذه السورة بحروف التهجي ولنذكر كلاما كليا في افتتاح
السور بالحروف اعلم ان الحكيم اذا خاطب من يكون مخاطبا او يكون مشغول البال بشغل

يشغله

بل من اول السورة

يشغله يقدم على الكلام المقصود شيا غيره ليلتفت المخاطب بسببه ويقبل بقلبه عليه
ثم يشرع في المقصود واعلم ان ذلك المتقدم على المقصود قد يكون كلاما له معنى مفهوما كقول
القايل زيد ويا زيد والا زيد وقد يكون المقدم صوتا غير مفهوم كمن يصفر خلف انسان
ليلتفت اليه وقد يكون ذلك الصوت بغير الفم كتصفيق الانسان بيديه ليقبل السامع
عليه ثم ان توقع الغفلة كلما كان اتم كان المتقدم على الكلام المقصود
اكثر ولهذا ينادي القريب بالهمزة فيقال ازيد والبعيد بيا فيقال يا زيد والغافل
ينبه اولا فيقال الا يا زيد واذا تم ذلك فنقول النبي صلى الله عليه وسلم وان كان يقظان الجنان
لكنه انسان يشغله شان عن شان فحسن من الحكيم ان يقدم على الكلام المقصود حروفا
هي كالمنبهات وتلك الحروف اذا لم يفهم معناها تكون اتم في افادة المقصود الذي هو التنبيه
من تقديم الحروف المفهومة المعنى لان الحروف اذا كانت مفهومة المعنى وذكرت لاقبال
السامع على المتكلم لكي يسمع ما بعد ذلك فربما يظن السامع انه كل المقصود ولا كلام له بعد
ذلك فيقطع اما اذا سمع صوتا بلا معنى فانه يقبل عليه ولا يقطع نظره عنه
ما لم يسمع غيره لجزمه بان ما سمعه ليس هو المقصود فاذن تقديم الحروف التي لا يفهم معناها
على الكلام المقصود فيه حكمة بالغة **فان قيل** فما الحكمة في اختصاص بعض
السور بهذه الحروف فالجواب قال ابن الخطيب عقل البشر يعجز عن ادراك الاشيا الكلية
على تفاصيلها لكن نذكر ما يوفقنا الله له فنقول كل سورة في
اوايلها ذكر الكتاب او التنزيل او القران كقوله تعالى الم ذلك الكتاب الم الله لا اله الا هو
الحي القيوم نزل عليك الكتاب المص كتاب انزل يس والقران ص والقران ق والقران الم تنزيل
الكتاب حم الم احسب الناس الم غلبت الروم والحكمة في افتتاح السور
التي فيها القران والتنزيل والكتاب بالحروف هي ان القران عظيم والانزال له ثقل
كما قال انا سنلقي عليك قولا ثقيلا فلذلك قدم عليها تنبيه يوجب ثبات المخاطب
لاستماعه لا يقال كل السور قران واستماعها استماع القران سوا كان فيها ذكر
الكتاب او التنزيل او القران او لم يكن فيجب ان يكون في اول كل سورة منبه وايضا
فقد ورد سور فيها ذكر الانزال والكتاب وليس فيها حروف كقوله تعالى الحمد لله الذي
انزل على عبده الكتاب سورة انزلناها تبارك الذي نزل الفرقان انا انزلناه في ليلة
القدر لانا نقول جوابا عن الاول لا ريب في ان كل سورة من القران لكن السورة التي فيها
ذكر القران والكتاب مع انها من القران فيها تنبيه على كل القران فان قوله تعالى طه ما
انزلنا عليك القران لتشقى مع انها بعض القران فيها ذكر جميع القران فيصير مثاله مثال
كتاب يرد من ملك على مملوكه فيه شغل ما وكتاب اخر يرد منه عليه فيه انا كتبنا
اليك كتابا فيه امرنا فامتثله فلا شك ان هذا الكتاب الاخر اكثر ثقلا من الاول وعن الثاني
ان قوله الحمد لله وتبارك الذي تسبيحات مقصوده وتسبيح الله لا يغفل عنه العبد فلا احتاج
الى منبه بخلاف الاوامر والنواهي واما ذكر الكتاب فيها فلبيان وصف عظمة من له التسبيح
وسورة انزلناها قد بينا انها بعض من القران فيها ذكر انزالها وفي السورة التي ذكرناها
ذكر جميع القران فهو اعظم واثقل واما قوله انا انزلناه فهذا ليس وارد على مشغول القلب
بشي غيره بدليل انه ذكر الكتاب فيها وهي ترجع الى مذكور سابق او معلوم عند النبي صلى
الله عليه وسلم فكان متنبها له فلم ينبه واعلم ان التنبيه قد حصل في القران بغير الحروف
التي لا يفهم معناها كقوله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شي عظيم وقوله

يا ايها النبي اتق الله يا ايها النبي لم تحرم لانها اشيا هايلة عظيمة فان تقوى الله حق تقاته
امر عظيم فقدم عليها النداء الذي يكون للبعيد الغافل عنه واما هذه السورة افتتحت
بالحروف وليس فيها الابتدا بالكتاب والقران وذلك لان ثقل القران هو ما فيه من التكاليف
والمعاد وهذه السورة فيها ذكر جميع التكاليف حيث قال احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا
امنا يعني لا يتركون بمجرد ذلك بل لا بد وان يؤمنوا بانواع التكاليف ففيها المعنى الذي في السور
التي فيها ذكر القران المشتمل على الاوامر والنواهي **فان قيل** فهذا المعنى ورد
في سورة التوبة وهو قوله ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتقدم عليه
حروف التهجي فالجواب ان هذا ابتدا كلام ولهذا وقع الاستفهام بالهمزة ثم قال احسب
وذلك وسط كلام بدليل وقوع الاستفهام تاما والتنبيه يكون في اول الكلام لا في اثنائه
واما الم غلبت الروم فيجي في موضعه ان شاء الله تعالى **قوله** ان يتركوا سد مسد مفعولي
حسب عند الجمهور وسد احدهما عند الاخفش **قوله** ان يقولوا فيه اوجه احدها
انه بدل من ان يتركوا او بدل مصدر منه ولا من مثله الثاني انها على اسقاط الخافض وهو الباء
او اللام اي بان يقولوا او لان يقولوا قال ابن عطيه وابو البقا واذا قدرت الباء كان حالا قال
ابن عطيه والمعنى في الباء واللام مختلف وذلك انه في الباء كما تقول تركت زيدا بحاله وهي في
اللام بمعنى من اجل اي احسبوا ان ايمانهم علة للترك انتهى وهذا تفسير معنى ولو فسر الاعراب
لقال احسبوا تركهم لاجل تلفظهم بالايمان وقال الزمخشري فان قلت فاين الكلام الدال على
المضمون الذي يقتضيه الحسبان قلت هو في قوله ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون وذلك
ان تقديره احسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم امنا فالترك اول مفعولي حسب ولقولهم امنا
هو الخبر واما غير مفتونين فتتمة الترك لانه من الترك الذي هو بمعنى التصيير كقوله
تركته جزر السباع ينشنه الا ترى انك قبل المجي بالحسبان تقدر ان تقول غير مفتونين
لقولهم امنا على تقدير حاصل ومستقر قبل اللام فان قلت ان يقولوا هو علة تركهم غير مفتونين
فكيف يصح ان يقع خبر مبتدا قلت كما تقول خروجه لمخافة الشر وضربه للتاديب وقد كان
التاديب والمخافة في قولك خرجت للشر وضربته تاديبا تعليلين وتقول ايضا حسبت خروجه
لمخافة الشر وظننت ضربه للتاديب فتجعلهما مفعولين كما جعلتهما مبتدا وخبرا قال ابو حيان
وهذا كلام فيه اضطراب ذكر اولا ان تقديره غير مفتونين تتمة يعني انه حال لانه سبك
ذلك من قوله وهم لا يفتنون وهي جملة حالية ثم ذكر ان يتركوا هنا من الترك الذي هو تصيير
ولا يصح لان مفعول صير الثاني لا يستقيم ان يكون لقولهم اذ يصير التقدير ان يصيروا لقولهم
وهم لا يفتنون وهذا كلام لا يصح واما ما مثله به من البيت فانه يصح ان يكون جزر السباع
مفعولا ثانيا لترك بمعنى صير بخلاف ما قدر في الاية واما تقديره تركهم غير مفتونين
لقولهم على تقدير حاصل ومستقر قبل اللام فلا يصح اذا كان تركهم بمعنى تصييرهم وكان غير
مفتونين حالا اذ لا ينعقد من تركهم بمعنى تصييرهم ولقولهم مبتدا وخبر لاحتياج تركهم بمعنى
تصييرهم الى مفعول ثان لان غير مفتونين عنده حال لا مفعول ثان واما قوله فان قلت
ان يقولوا الى اخره فيحتاج الى فضل وذلك ان قوله ان يقولوا هو علة تركهم فليس كذلك لانه لو كان
علة له لكان به متعلقا كما يتعلق بالفعل ولكنه علة للخبر المحذوف الذي هو مستقر او كاين والخبر
غير المبتدا ولو كان لقولهم علة للترك لكان من تمامه فكان يحتاج الى خبر واما قوله كما تقول خروجه
لمخافة الشر فلمخافة ليس علة للخروج بل للخبر المحذوف الذي هو مستقر او كاين انتهى قال شهاب الدين
ويجاب الشيخ بان الزمخشري انما نظر الى جانب المعنى وكلامه عليه صحيح واما قوله ليس علة

للخروج

للخروج ونحو ذلك يعني في اللفظ واما في المعنى فهو علة له قطعا ولولا خوف الخروج فات المقصود
فصل معنى الاية احسب الناس ان يتركوا بغير اختبار ولا ابتلاء ان يقولوا امنا وهم
لا يفتنون وهم لا يبتلون في اموالهم وانفسهم كلا لنختبرنهم لنبين المخلص من المنافق والصادق
من الكاذب واختلفوا في سبب نزول هذه الاية قال الشعبي نزلت في ناس كانوا بمكة قد
اقروا بالاسلام فكتب اليهم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لا يقبل منكم اقرار بالاسلام حتى
تهاجروا فخرجوا عامدين الى المدينة فاتبعهم المشركون فقاتلوهم فقتل بعضهم ونجا بعضهم
فانزل الله هاتين الايتين وقال ابن عباس نزلت في الذين امنوا بمكة وكانوا يعذبون سلمة
ابن هشام وعياش بن ابي ربيعة والوليد بن الوليد وعمار بن ياسر وغيرهم وقال مقاتل نزلت
في مهجع بن عبد الله مولى عمر كان اول قتيل من المسلمين يوم بدر فقال النبي صلى الله عليه وسلم سيد
الشهدا مهجع وهو اول من يدعا الى باب الجنة من هذه الامة فجزع ابواه وامراته فانزل الله
فيه هذه الاية وقيل وهم لا يفتنون بالاوامر والنواهي وذلك ان الله تعالى امرهم في الابتدا
بمجرد الايمان ثم فرض عليهم الصلاة والزكوة وساير الشرايع فشق على بعض فانزل الله هذه الاية
ثم عزاهم فقال ولقد فتنا الذين من قبلهم يعني الانبيا والمومنين فمنهم من نشر بالمنشار
ومنهم من قتل وابتلي بنوا اسرايل بفرعون فكان يسومهم سو العذاب **قوله** فليعلمن
الله الذين صدقوا العامة على فتح اليا مضارع علم المتعدية لواحد كذا قالوا وفيه اشكال تقدم
وهو انها اذا تعدت لمفعول كانت بمعنى عرف وهذا المعنى لا يجوز اسناده الى الباري تعالى
لانه يستدعي سبق جهل ولانه يتعلق بالذات فقط دون ما هي عليه من الاحوال وقرا علي وجعفر
ابن محمد بضم اليا مضارع اعلم ويحتمل ان يكون من علم بمعنى عرف فلما جي بهمزة النقل اكتسب
مفعولا اخر فحذف ثم هذا المفعول يحتمل ان يكون هو الاول اي ليعلمن الله الناس الصادقين
وليعلمنهم الكاذبين اي بشهرة يعرف هولا وهولا من هولا وان يكون الثاني اي ليعلمن هولا منازلهم وهولا
منازلهم في الاخرة ويحتمل ان يكون من العلامة وهي السيما فلا يتعدى الا لواحد اي ليجعلن لهم
علامة يعرفون بها وقرا الزهري الاولى كالمشهورة والثانية كالشاذة **فصل** المعنى
فليعلمن الله الذين صدقوا في قولهم امنا وليعلمن الكاذبين قال المفسرون ظاهر الاية يدل على
تجدد العلم الله تعالى عالم بهم قبل الاختبار ومعنى الاية فليظهرن الله الصادقين من الكاذبين
حتى يوجد معلومه وقال مقاتل فليرين الله وقيل ليميز الله كقوله ليميز الله الخبيث
من الطيب وقال ابن الخطيب الاية محمولة على ظاهرها وذلك ان علم الله صفة يظهر فيها
كلما هو واقع فقبل التكليف كان الله تعالى يعلم ان زيدا مثلا سيطيع وعمرا سيعصي ثم وقت
التكليف والاتيان يعلم انه مطيع والاخر عاص وبعد الاتيان يعلم انه اطاع والاخر عصى
ولا يتغير علمه في شي من الاحوال وانما المتغير المعلوم ومثال ذلك في الحسيات ان المراة الصافية
الصقيلة اذا علقت في موضع وقوبل بوجهها جهة ثم عبر عليها زيد لابسا ثوبا ابيض يظهر
فيها زيد في ثوب ابيض واذا عبر عليها عمرو في ثوب اصفر يظهر فيها كذلك فهل يقع في ذهن احد
ان المراة في كونها حديدا تغيرت او يقع له انها في تدويرها تبدلت او انها في صفائها
اختلفت او يخطر بباله انها عن مكانها انتقلت لا يقع لاحد شي من هذه الاشيا ويقطع بان
المتغير انما هو الخارجات فنعلم الله من هذا المثال بل اعلا من هذا المثال فان المراة ممكنة التغير
وعلم الله غير ممكن التغير فقوله فليعلمن الله الذين صدقوا يعني يعلم من علم الله انه يا تي بالطاعة
فيعلم انه مطيع بذلك العلم وليعلمن الكاذبين يعني من قال انا مومن وكان كاذبا بفرض من
العبادات عليه يظهر منه ذلك ويعلم وفي قوله الذين صدقوا بصيغة الفعل وفي قوله

الكاذبين فايدة مع ان الاختلاف في اللفظ ادل على الفصاحة وهي ان اسم الفاعل يدل في
كثير من المواضع على ثبوت المصدر في الفاعل ورسوخه فيه والفعل الماضي لا يدل عليه كما يقال
فلان شرب الخمر وفلان شارب الخمر وفلان نفذ امره وفلان نافذ امره وفلان نافذ الامر
لا يفهم من صيغة الفعل التكرار والرسوخ ويفهم من اسم الفاعل ذلك اذا ثبت هذا فنقول
وقت نزول الاية كانت الحكاية عن قوم قريبي العهد بالاسلام في اوايل ايجاب التكاليف وعن
قوم قد تمادى الكفر مستمرين فيه فقال في حق المؤمنين الذين صدقوا بصيغة الفعل اي وجد
منهم الصدق وقال في حق الذين كفروا الكاذبين بالصيغة المنبهة للثبات والدوام ولهذا
قال يوم ينفع الصادقين صدقهم بلفظ اسم الفاعل لان في اليوم المذكور الصدق قد
رسخ في المومن وهو اليوم الاخر **قوله تعالى** ام حسب الذين يعملون
السيات ام هذه منقطعة فتتقدر ببل والهمزة عند الجمهور والاضراب انتقال لا ابطال
وقال ابن عطية ام معادلة للالف في قوله احسب وكانه عز وجل قرر الفريقين قرر المومنين
على انهم لا يفتنون وقرر الكافرين انهم يسبقون نقمات الله قال ابو حيان ليست
معادلة اذ لو كانت كذلك لكانت متصلة ولا جايز ان تكون متصلة لفقد شرطين احدهما
ان ما بعدها ليس مفردا ولا ما في قوته والثاني انه لم يكن هنا ما يجاب به من احد شيين
او اشيا وجوز الزمخشري في حسب هذه ان يتعدى لاثنين وجعل ان وما في حيزها سادة
مسدهما كقوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة وان يتعدى لواحد على انها مضمنة تقدير الا ان
التضمين لا ينقاس **قوله** سا ما يحكمون يجوز ان يكون سا بمعنى بيس فيكون ما اما موصولة
بمعنى الذي ويحكمون صلتها وهي فاعل سا والمخصوص بالذم محذوف اي حكمهم ويجوز ان يكون
ما تمييزا ويحكمون صفتها والفاعل مضمر يفسره ما والمخصوص ايضا محذوف ويجوز ان يكون
ما مصدرية وهو قول ابن كيسان فعلى هذا يكون التمييز محذوفا والمصدر المول مخصوص
بالذم اي سا حكما حكمهم وقد تقدم حكم ما اذا اتصلت ببيس مشبعا في البقرة ويجوز ان يكون
سا بمعنى قبح فيجوز في ما ان يكون مصدرية وبمعنى الذي ونكرة موصوفة وحيث يحكمون دون
حكموا اما للتنبيه على ان هذا دابهم واما لوقوعه موقع الماضي لاجل الفاصلة **فصل**
لما بين حسن التكليف بقوله احسب الناس ان يتركوا بين ان من كلف بشي ولم يات به يعذب
وان لم يعذب في الحال فيعذب في الاستقبال ولا يفوت الله شي في الحال ولا في المال
فقوله ام حسب الذين يعملون السيات يعني الشرك ان يسبقونا يعجزونا ويفوتونا فلا نقدر
على الانتقام منهم سا ما يحكمون بيس ما حكموا حين ظنوا ذلك **قوله** من كان يرجو يجوز
ان يكون من شرطية وان تكون موصولة ودخلت الفا لشبهها بالشرطية **فان قيل**
المعلق بالشرط يعدم عند عدم الشرط فمن لا يرجو لقا الله لا يكون اجل الله اتيا له وهذا باطل
لان اجل الله ات لا محالة من غير تقييد بشرط فالجواب ان قوله فان اجل الله لات ليس بجواب
بل الجواب محذوف اي فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا كما قد صرح به وقال
ابن الخطيب المراد من ذكر اتيان الاجل وعد المطيع بما بعده من الثواب اي من كان يرجو
لقا الله فان اجل الله لات بثواب الله اي يثاب على طاعته ومن لا يرجو لقا الله لا يكون اجل
الله اتيا له على وجه الثواب **فصل** قال ابن عباس ومقاتل من كان يخشى البعث
والحساب والرجا بمعنى الخوف وقال سعيد بن جبير من كان يطمع في ثواب الله فان اجل الله
يعني ما وعد الله من الثواب والعقاب وقال مقاتل يعني ان يوم القيامة لكاين والمعنى
ان من يخشى الله ويامله فليستعد له وليعمل لذلك اليوم كقوله فمن كان يرجو لقا ربه الاية

كما تقدم وهو السميع العليم ولم يذكر صفة غيرهما لانه سبق القول في قوله احسب الناس ان
يتركوا ان يقولوا امنا وسبق الفعل بقوله وهم لا يفتنون وبقوله فليعلمن الله الذين صدقوا
وقوله ام حسب الذين يعملون السيات ولا شك ان القول يدرك بالسمع والعمل منه ما يدرك
بالبصر ومنه ما لا يدرك به والعلم يشملهما فقال وهو السميع العليم اي يسمع ما قالوه ويعلم من
صدق فيما قال ومن كذب وعليم بما يعمل فيثيب ويعاقب **قوله** ومن جاهد فانما
يجاهد لنفسه اي له ثوابه والجهاد هو الصبر على الشدة ويكون ذلك في الحرب وقد يكون
على مخالفة النفس **فان قيل** هذه الاية تدل على ان الجزا على العمل واجب فان
قوله فانما يجاهد لنفسه يفهم منه ان من جاهد ربح بجهاده ما لولاه لما ربح فالجواب
هو كذلك ولكن بحكم الوعد لا بالاستحقاق **فان قيل** قوله فانما يقتضي الحصر فيكون
جهاد المرء لنفسه فقط ولا ينتفع به غيره وليس كذلك فان من جاهد ينتفع به هو ومن
يريد نفعه حتى ان الوالد والولد ببركة المجاهد وجهاده ينتفعون به فالجواب ان ذلك
نفع له فان انتفاع الولد انتفاع للاب والحصر هنا معناه ان جهاده لا يصل الى الله منه
نفع ويدل عليه قوله ان الله لغني عن العالمين اي عن اعمالهم وعباداتهم **قوله** والذين
امنوا يجوز ان يكون مرفوعا بالابتدا والخبر جملة القسم المحذوفة وجوابها اي والله لنكفرن
ويجوز ان يكون منصوبا بفعل مضمر على الاشتغال اي ولنخلص الذين امنوا من سياتهم
والتكفير اذهاب السية بالحسنة والمعنى لنذهبن سياتهم حتى تصير بمنزلة من لم يعمل **فان
قيل** قوله فلنكفرن عنهم سياتهم يستدعي وجود السيات حتى تكفر والذين امنوا
وعملوا الصالحات باسرها من اين يكون لهم سية فالجواب ما من مكلف الا وله سية
اما غير الانبيا فظاهر واما الانبيا فلان ترك الافضل منهم كالسية من غيرهم ولهذا قال
تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم **قوله** احسن الذي كانوا قيل على حذف مضاف اي
ثواب احسن والمراد باحسن هنا مجرد الوصف قيل لئلا يلزم ان يكون جزاوهم بالحسن مسكوتا
عنه وهذا ليس بشي لانه من باب الاولى اذا جازاهم بالاحسن جازاهم بما دونه فهو من
التنبيه على الادنى بالاعلى قال المفسرون معناه نجزيهم باحسن اعمالهم وهو الطاعة وقيل
نعطيهم اكثر مما عملوا واحسن كما قال من جا بالحسنة فله عشر امثالها **قوله تعالى**
ووصينا الانسان بوالديه حسنا الاية لما بين حسن التكاليف وبين ثواب المطيع وحرمان
المكلف على الطاعة ذكر ما يمنع المكلف من اتباعه فقال ان الانسان ان انقاد لاحد ينبغي
ان ينقاد لابويه ومع هذا لو امراه بالمعصية لا يجوز اتباعهم فضلا عن غيرهم فلا يمنعن
احدكم شي عن طاعة الله ولا يتبعن احد من يامر بمعصية الله **قوله** حسنا فيه اوجه
احدها انه نعت مصدر محذوف اي ايصا حسنا اما على المبالغة جعل نفس الحسن واما
على حذف مضاف اي ذا حسن الثاني انه مفعول به قال ابن عطية وفي ذلك تجوز والاصل
ووصينا الانسان بالحسن في فعله مع والديه ونظير هذا قول الشاعر
° عجبت من دهما اذ يشكونا ° ومن ابي دهما اذ يوصينا ° خيرا بنا كانا حاقونا ° ومثله
قول الحطيئة ° وصيت من برة قلبا حرا ° بالكلب خيرا والحماة شرا ° وعلى هذا يكون الاصل
ووصيناه بخير والديه ثم جر الوالدين بالبا فانتصب حسنا وكذلك البيتان والبا في
الاية والبيتين في هذه الحالة للظرفية الثالث ان بوالديه هو المفعول الثاني فينتصب
حسنا باضمار فعل اي يحسن حسنا فيكون مصدرا موكدا كذا قيل وفيه نظر لان عامل المؤكد
لا يحذف الرابع انه مفعول به على التضمين اي الزمناه حسنا الخامس انه على اسقاط الخافض

اي يحسن وعبر صاحب التجريد عن ذلك بالقطع السادس ان بعض الكوفيين قدره ووصينا
الانسان ان يفعل بوالديه حسنا وفيه حذف ان وصلتها وابقا معمولها ولا يجوز عند
البصريين السابع ان التقدير ووصيناه بايتا والديه حسنا وفيه حذف المصدر وابقا
معموله ولا يجوز الثامن انه منصوب انتصاب زيدا في قولك لمن رايته متهيا للضرب زيدا اي
اضرب زيدا والتقدير هنا اولهما حسنا او افعل بهما حسنا قالها الزمخشري وقرا عيسى والجحدري
حسنا بفتحتين وهما لغتان كالبخل والبخل وقد تقدم ذلك في اوايل البقرة وقرى احسانا
من قوله تعالى وبالوالدين احسانا **فصل** معنى حسنا اي برا بهما وعطفا عليهما
والمعنى ووصينا الانسان ان يفعل بوالديه ما يحسن نزلت هذه الاية والتي في سورة لقمن
والاحقاف في سعد بن ابي وقاص وهو سعد بن مالك ابو اسحق الزهري وامه حمنة بنت ابي
سفين بن امية بن عبد شمس لما اسلم وكان من السابقين الاولين وكان بارا بامه قالت امه
ما هذا الدين الذي احدثت والله لا اكل ولا اشرب حتى ترجع الى ما كنت عليه او اموت فتعير
بذلك ابد الدهر ويقال يا قاتل امه ثم انها مكثت يوما وليلة لم تاكل ولم تشرب ولم تستظل
فاصبحت قد جهدت ثم مكثت يوما اخر لم تاكل ولم تشرب فجاء سعد اليها وقال يا اماه لو كان
ماية نفس فخرجت نفسا نفسا ما تركت ديني فكلي وان شيت فلا تاكلي فلما ايست منه اكلت
وشربت فانزل الله هذه الاية وامر بالبر بوالديه والاحسان اليهما واعلم انه انما امر بالاحسان
للوالدين لانهما سبب وجود الولد بالولادة وسبب بقايه بالتربية المعتادة والله تعالى
سبب له في الحقيقة بالارادة وسبب بقايه بالاعادة للسعادة فهو اولى بان يحسن العبد
حاله معه **قوله** وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما قال عليه السلام
لا طاعة لمخلوق في معصية الله ثم اوعد بالمصير اليه فقال الي مرجعكم فانبيكم بما كنتم تعملون
اخبركم بصالح اعمالكم وسيها فاجازيكم عليها كانه تعالى يقول لا تظنوا اني غايب عنكم واباوكم
حاضرون فتوافقون الحاضرين في الحال اعتمادا على غيبتي وعدم علمي بمخالفتكم اياي فاني حاضر
معكم اعلم ما تفعلون ولا انسى فانبيكم بجميعه **قوله** والذين امنوا يجوز فيه الرفع على
الابتدا والنصب على الاشتغال وقوله لندخلنهم في الصالحين اي نجعلهم منهم وندخلهم في عدادهم
كما يقال الفقيه داخل في العلما والمعنى نجعلهم من جملة الصالحين وهم الانبيا والاوليا وقيل
في مدخل الصالحين وهو الجنة **فان قيل** ما الفايدة في اعادة الذين امنوا وعملوا
الصالحات فالجواب انه ذكر الذين امنوا وعملوا الصالحات اولا لبيان حال المهتدي وثانيا
لبيان حال الهادي لانه قال اولا لنكفرن عنهم سياتهم وقال ثانيا لندخلنهم في الصالحين
والصالحون هم الهداة لانها مرتبة الانبيا ولهذا قال ابرهيم عليه السلام الحقني بالصالحين
قوله ومن الناس من يقول امنا بالله المكلفون ثلاثة اقسام مومن ظاهر بحسن اعتقاده
وكافر مجاهر بكفره وعناده ومذبذب بينهما يظهر الايمان بلسانه ويضمر الكفر بالله
تعالى لما بين القسمين الاولين بقوله فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين وبين احوالهما
بقوله ام حسب الذين يعملون السيات الى قوله والذين امنوا وعملوا الصالحات بين القسم الثالث
وهو المنافق فقال ومن الناس من يقول امنا بالله فاذا اوذي في الله اصابه بلا من الناس
افتتن وجعل فتنة الناس كعذاب الله اي جعل اذى الناس وعذابهم كعذاب الله في الاخرة
اي جزع من اذى الناس ولم يصبر عليه فاطاع الناس كما يطيع الله من يخاف عذابه قال
السدي وابن زيد هذا في المنافق اذا اوذي في الله رجع عن الدين وكفر واعلم انه قال فتنة
الناس ولم يقل عذاب الناس لان فعل العبد ابتلا من الله وفتنة سلط بعض الناس على من

اظهر كلمة الايمان ليوذى به فبين منزلته كما جعل التكاليف ابتلا وامتحانا وهذا اشارة الى
ان الصبر على البلية الصادرة من الانسان كالصبر على العبادات **فان قيل** هذا
يقتضي منع المومن من اظهار كلمة الكفر بالاكراه لان من اظهر كلمة الكفر بالاكراه احترازا عن
التعذيب العاجل يكون قد جعل فتنة الناس كعذاب الله فالجواب ليس كذلك لان
من اكره على الكفر وقلبه مطمين بالايمان لم يجعل فتنة الناس كعذاب الله لان عذاب الله
يوجب ترك ما يعذب عليه ظاهرا وباطنا بل بقي باطنه بالايمان **قوله** ولين جا نصر من
ربك اي فتح ودولة للمومنين ليقولن يعني هولا المنافقين للمومنين انا كنا معكم على عدوكم
وقال ولين جا نصر من ربك ولم يقل ولين جاكم ولين جاك والنصر لولا جاهم ما كانوا يقولون
انا كنا معكم وهذا يقتضي ان يكونوا قايلين انا معكم اذا جا النصر لكن النصر لا يجي الا للمومنين
كما قال تعالى وكان حقا علينا نصر المومنين ولان غلبة الكافر على المسلم ليس بنصر لان النصر
ما يكون عاقبته سليمة بدليل ان احد الجيشين اذا انهزم في الحال ثم كر المهزوم مرة اخرى
وهزموا الغالبين لا يطلقوا اسم النصر الا على من كان له العاقبة فكذلك المسلم وان كسر في الحال
فالعاقبة للمتقين والنصر هم في الحقيقة **فان قيل** قال ولين جا نصر من ربك
ولم يقل من الله مع ان ما تقدم كله بذكر الله كقوله اوذي في الله وقوله كعذاب
الله فما الحكمة في ذلك فالجواب لان الرب اسم مدلوله الخاص به الشفقة والرحمة والله
اسم مدلوله الهيبة والعظمة فعند النصر ذكر الاسم الدال على الرحمة والشفقة وعند العذاب
ذكر اللفظ الدال على العظمة **قوله** ليقولن العامة على ضم اللام اسند الفعل لضمير جماعة
حملا على معنى من بعد ان حمل على لفظها ونقل ابو معاذ النحوي انه قرى ليقولن بالفتح جريا
على مراعاة لفظها ايضا وقراة العامة احسن لقوله انا كنا **فصل** المعنى ان المنافقين
لما قالوا انا كنا معكم اي على عدوكم وكنا مسلمين وانما اكرهنا حتى قلنا ما قلنا فكذبهم الله
وقال اوليس الله باعلم بما في صدور العالمين من الايمان والنفاق ولما بين انه اعلم بما في
قلوب العالمين بين انه يعلم المومن المحق وان لم يتكلم والمنافق وان لم يتكلم فقال وليعلمن الله
الذين امنوا صدقوا فثبتوا على الاسلام عند البلا وليعلمن المنافقين بترك الاسلام عند البلا
وتقدم الكلام على نظير ذلك قال عكرمة عن ابن عباس نزلت في الذين اخرجهم المشركون
معهم الى بدر وهم الذين نزلت فيهم ان الذين توفاهم الملايكة ظالمي انفسهم وقال مجاهد
نزلت في اناس كانوا يومنون بالسنتهم فاذا اصابهم بلا من الناس او مصيبة في انفسهم
افتتنوا وقال قتادة نزلت في القوم الذين ردهم المشركون الى مكة **قوله تعالى**
وقال الذين كفروا للذين امنوا اتبعوا سبيلنا قال مجاهد هذا قول كفار مكة لمن امن منهم
وذلك ان الكافر يقول للمومن تصبر في الذل وعلى الايذا لاي شي ولم لا تدفع عن نفسك الذل
والعذاب بموافقتنا فيجيبه المومن بان يقول خوفا من عذاب الله على خطيه مذهبكم فقالوا
لا خطية فيه وان كان فيه خطية فعلينا **قوله** ولنحمل امر في معنى الخبر قال الزمخشري
هو في معنى قول من يريد اجتماع امرين في الوجود فيقول ليكن منك العطا وليكن مني الدعا
فقوله ولنحمل اي ليكن منا الحمل وليس هو في الحقيقة امر طلب وايجاب وقرا الحسن وعيسى بكسر
لام الامر وهو لغة الحجاز قال الزمخشري وهذا قول صناديد قريش كانوا يقولون لمن امن
منهم لا نبعث نحن ولا انتم فان عسى كان ذلك فانا نحمل قال ابو حيان وهذا تركيب عجمي من
جهة ادخال حرف الشرط وهي جامدة واستعمالها من غير اسم ولا خبر وايلايها كان وقرا
العامة خطاياكم جمع تكسير وداود بن ابي هند من خطيا تهم جمع سلامة وعنه ايضا خطيتهم

اتبعوا

بالتوحيد والمراد الجنس وهذا اشبه بقرآني واحاطت به خطيئته وخطيا نه وعنه ايضا خطيهم
بفتح الطا وكسر اليا يعني بكسر الهمزة القريبة من اليا لاجل تسهلها بين بين ومن شيء هو منصوب
بحاملين ومن خطاياهم حال منه لما تقدم عليه انتصب حالا **فصل** معنى الاية
اتبعوا سبيلنا اي ديننا وملة ابائنا ونحن الكفلا بكل تبعة من الله تصيبكم وهو قولهم ولنحمل
خطاياكم نظير هذه الصيغة فليلقه اليم بالساحل ثم اكذبهم الله تعالى فقال وما هم
بحاملين من خطاياهم من شيء انهم لكاذبون بما قالوا **فان قيل** قال وما هم
بحاملين من خطاياهم من شيء وقال بعده وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم فنفى الحمل
اولا واثبت الحمل ثانيا فكيف الجمع بينهما فالجواب ان قول القايل حمل فلان عن فلان يريد
ان حمل فلان خف فاذا لم يخف حمله فلا يكون قد حمل عنه شيا فقوله وما هم بحاملين من
خطاياهم يعني لا يرفعون عنهم خطيئة بل يحملون اوزار انفسهم واوزارا بسبب اضلالهم
لهم كقوله عليه السلام من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من غير ان
ينقص من وزره شيء والمعنى ليحملن اوزار اعمالهم التي عملوها بانفسهم واثقالا مع اثقالهم
اي اوزارا مثل اوزار من اضلوا مع اوزارهم كقوله ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة
ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم وليسئلن يوم القيمة عما كانوا يفترون سوال توبيخ وتقريع
وذلك الافترا يحتمل ثلاثة اوجه احدها قولهم ولنحمل خطاياكم كان لاعتقادهم ان لا خطيئة
في الكفر ثم يوم القيمة يظهر لهم خلاف ذلك فيسالون عن ذلك الافترا وثانيها ان قولهم
ولنحمل خطاياكم كان لاعتقادهم ان لا حشر فاذا جا يوم القيمة ظهر خلاف ذلك فيسالون
ويقال لهم اما قلتم ان لا حشر وثالثها انهم لما قالوا ولنحمل خطاياكم يوم القيمة يقال لهم
فاحملوا خطاياهم فلا يحملون ويسالون فيقال لهم فلم افتريتم **قوله تعالى**
ولقد ارسلنا نوحا الى قومه الاية لما بين التكليف وذكر اقسام المكلفين ووعد المؤمن
الصادق بالثواب العظيم واوعد الكافر والمنافق بالعذاب الاليم فكانه قال هذا
التكليف ليس مختصا بالنبي واصحابه وامته حتى صعب عليهم بل قبله كان كذلك كما قال
تعالى ولقد فتنا الذين من قبلهم فذكر من الذين كلفوا قبله نوح عليه السلام
وقومه وابرهيم عليه السلام وغيرهما **قوله** الف سنة منصوب على الظرف الا خمسين
عاما منصوب على الاستثنا وفي وقوع الاستثنا من اسما العدد خلاف وللمانعين عنه جواب
عن هذه الاية وقد وقعت هنا نكتة لطيفة وهو ان غاير بين تمييزي العددين
فقال في الاول سنة وفي الثاني عاما لئلا يثقل اللفظ ثم انه خص لفظ العام بالخمسين
ايذانا بان نبي الله صلى الله عليه وسلم لما استراح منهم بقي في زمن حسن والعرب تعبر
عن الخصب بالعام وعن الجدب بالسنة **فصل** قال بعضهم ان الاستثنا في
العدد تكلم بالباقي فاذا قال القايل لفلان على عشرة الا ثلاثة فكانه قال على سبعة اذا
علم هذا فقوله الف سنة الا خمسين عاما كقوله تسع مائة وخمسين سنة فما الفايدة في
العدول عن هذه العبارة الى غيرها فقال الزمخشري فيه فايدتان احدهما ان الاستثنا
يدل على التحقيق وتركه قد يظن به التقريب فان من قال عاش فلان الف سنة يمكن
ان يتوهم انه يقول الف سنة تقريبا لا تحقيقا فاذا قال الا شهرا او الا سنة يزول ذلك
التوهم ويفهم منه التحقيق الفايدة الثانية هي انه ذكر لبث نوح عليه السلام في قومه كان
لبيان انه صبر كثيرا فالنبي عليه السلام اولى بالصبر مع قصر مدة **قوله** فاخذهم
الطوفان فغرقوا وهم ظالمون قال ابن عباس مشركون وفيه اشارة الى ان الله لا يعذب

على

على مجرد وجود الظلم ولا يعذب من ظلم وتاب بان الظلم وجد منه وانما يعذب على الاصرار
على الظلم فقوله وهم ظالمون يعني اهلكهم وهم متلبسون بالظلم **قوله** فانجيناه
واصحاب السفينة يعني من الغرق وجعلناها يعني السفينة اية اي عبرة للعالمين
وفي كونها اية وجوه احدها كانت باقية على الجودي مدة مديدة وثانيها ان نوحا
امر باخذ قومه معه ورفع قدر من الزاد والبحر العظيم لا يتوقع احد نضوبه ثم
ان الما غيض قبل نفاد الزاد ولولا ذلك لما حصل النجاة فهو بفضل الله لا بمجرد السفينة
وثالثها ان الله سلم السفينة من الرياح المزعجة والحيوانات المؤذية ولولا ذلك لما حصلت
النجاة وقيل الها في جعلناها راجعة الى الواقعة او الى النجاة او العقوبة بالغرق **فصل**
قال ابن عباس بعث نوح لاربعين سنة وبقي في قومه يدعوهم الف سنة الا خمسين عاما
وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس وفشوا وكان عمره الفا وخمسين سنة وروي
عن ابن عباس انه بعث وهو ابن اربع مائة وثمانين سنة وعاش بعد الطوفان ثلثمائة وخمسين سنة
فان كان هذا محفوظا عن ابن عباس فيضاف الى لبثه في قومه وهو تسع مائة وخمسون سنة فيكون قد
عاش الف سنة وتسع مائة وثمانون سنة واما قبره عليه السلام فروى ابن جرير والازرقي حديثا
مرسلا ان قبر نوح عليه السلام بالمسجد الحرام وقيل ببلدة بالبقاع يعرف اليوم بكرك نوح وهناك
جامع قد بني بسبب ذلك والاول اقوى واثبت **قوله** وابرهيم اي وارسلنا ابرهيم والعامة
على نصبه عطفا على نوحا او باضمار اذكر او عطفا على ها انجيناه والنخعي وابو جعفر وابو حنيفة
وابرهيم رفعا على الابتدا والخبر مقدر اي ومن المرسلين ابرهيم وقوله اذ قال بدل من ابرهيم
بدل اشتمال فان قلنا هو ظرف ارسلنا اي ارسلنا ابرهيم اذ قال لقومه ففيه اشكال لان قوله
لقومه اعبدوا الله دعوة والارسال يكون قبل الدعوة فكيف يفهم من قوله وارسلنا ابرهيم
حين قال لقومه مع انه يكون مرسلا قبل ذلك فالجواب هذا كقول القايل وقفت للامير
اذ خرج من الدار وقد يكون الوقوف قبل الخروج لكن لما كان الوقوف ممتدا الى ذلك الوقت صح
ذلك **فصل** معنى اعبدوا الله واتقوه اطيعوا الله وخافوه وقيل اعبدوا الله
اشارة الى الاتيان بالواجبات واتقوه اشارة الى الامتناع عن المحرمات ذلكم خير لكم ان كنتم
تعلمون اي عبادة الله وتقواه خير لان خلاف عبادة الله تعطيل وخلاف تقواه شرك وكلاهما
شر انما تعبدون من دون الله اوثانا اصناما فلا يستحق العبادة لكونها اصناما منحوتة لا
شرف لها **قوله** وتخلقون افكا العامة على فتح التا وسكون الخا ورفع اللام مضارع خلق
وافكا بكسر الهمزة وسكون الفا اي وتختلقون كذبا او تنحتون اصناما وعلي بن ابي طالب وزيد
ابن علي والسلمي وقتادة بفتح الخا واللام مشددة وهو مضارع تخلق والاصل تتخلقون بتاءين
فحذفت احديهما كتنزل ونحوه وروي عن زيد بن علي ايضا تخلقون بضم التا وتشديد اللام مكسورة
مضارع خلق مضعفا وقرا ابن الزبير وفضيل بن زرقان افكا بفتح الهمزة وكسر الفا وهو
مصدر كالكذب معنى ووزنا وجوز الزمخشري في الافك بالكسر والسكون وجهين احدهما ان يكون
مخففا من الافك بالفتح والكسر كالكذب واللعب واصلها الكذب واللعب وان يكون صفة على
فعل اي خلقا افكا اي ذا افك قال شهاب الدين وتقديره مضافا قبل افك مع جعله له
صفة غير محتاج اليه وانما كان يحتاج اليه لو جعله مصدرا **قوله** ان الذين تعبدون
من دون الله لا يملكون لكم رزقا لا يقدرون ان يرزقوكم وهذا اشارة الى عدم المنفعة في الحال
والمآل **قوله** رزقا يجوز ان يكون منصوبا على المصدر وناصبه لا يملكون لانه في معناه
وعلى اصول الكوفيين يجوز ان يكون الاصل لا يملكون ان يرزقوكم رزقا فان يرزقوكم هو مفعول

يملكون وتجوز ان يكون بمعني المرزوق فينتصب مفعولا به فابتغوا فاطلبوا عند الله الرزق وهذا
اشارة الي استحقاقه لعبوديته لذاته **فان قيل** قال لا يملكون لكم رزقا نكر الرزق
وقال فابتغوا عند الله الرزق معرفة فما الفايدة قال الزمخشري نكر في معرض النفي
اي لا رزق عندهم اصلا وعرفه عند الاثبات عند الله تعالي اي كل الرزق عنده فاطلبوه
منه وفيه وجه اخر وهو ان الرزق من الله معروف بقوله وما من دابة في الارض الا علي الله
رزقها والرزق من الاوثان غير معلوم فقال لا يملكون رزقا لعدم حصول العلم به وقال
فابتغوا عند الله الرزق اي الموعود به ثم قال فاعبدوه واشكروا له اعبدوه لكونه مستحقا
للعبادة لذاته واشكروا له لكونه سابق النعم الي الخلق واليه ترجعون اي اعبدوه لكونه
مرجعا منه يتوقع الخير لا من غيره **قوله** وان تكذبوا فقد كذب امم من قبلكم في المخاطب
بهذه الاية وجهان الاول انه قوم ابرهيم لان القصة لابرهيم فكان ابرهيم قال
لقومه وان تكذبوا فقد كذب امم من قبلكم وانا اتيت بما علي من التبليغ فان الرسول
ليس عليه الا البلاغ والبيان **فان قيل** ان ابرهيم لم يسبقه الا قوم نوح وهم
امة واحدة **فالجواب** ان قبل نوح ايضا كان اقوام كقوم ادريس وقوم شيث وادم وايضا
فان نوحا عاش اكثر من الف سنة وكان القرن يموت ويجي اولاده والابا يوصون الابنا
بالامتناع عن الاتباع فكفي بقوم نوح امما الثاني ان الاية خطاب مع قوم محمد صلي الله
عليه وسلم لان هذه القصص اكثرها المقصود منه تذكير قومه بحال من مضي حتي يمتنعوا من
التكذيب ويرتدعوا خوفا من التعذيب فقال في اثنا حكايتهم يا قوم ان تكذبون فقد
كذب قبلكم اقوام هلكوا فان كذبتم فاني اخاف عليكم ان يقع بكم ما وقع بغيركم وهذه
الاية تدل علي انه لا يجوز تاخير البيان عن وقت الحاجة لان الرسول اذا بلغ شيا ولم
يبينه فلم يات بالبلاغ المبين **قوله** اولم يروا كيف قرا الاخوان وابو بكر بالخطاب علي
خطاب ابرهيم لقومه بذلك والباقون بالغيبة ردا علي الامم المكذبة **قوله** كيف يبدئ
العامة علي ضم اليا من ابدا والزبيري وعيسي وابو عمرو بخلاف عنه يبدا مضارع بدا
وقد صرح بماضيه هنا حيث قال كيف بدا الخلق وقرا الزهري كيف بدا بالف صريحة
وهو تخفيف علي غير قياس وقياسه بين بين وهو في الشذوذ كقوله فارعي فزارة لا هناك المرتع
فصل
المعني اولم يروا كيف يخلقهم الله ابتدا نطفة ثم علقة ثم مضغة **فان
قيل** متي راي الانسان بدا الخلق حتي يقال اولم يروا كيف يبدي الله الخلق
فالجواب ان المراد بالروية العلم الواضح الذي كالروية والعاقل يعلم ان البدا من الله لان
الخلق الاول لا يكون من مخلوق والا لما كان الخلق الاول خلقا اول فهو من الله هذا ان قلنا
ان المراد اثبات نفس الخلق وان قلنا ان المراد بالبدا خلق الادمي اولا وبالاعادة خلقه ثانيا
فنقول العاقل لا يخفي عليه ان خالق نفسه ليس الا قادر حكيم يصور الاولاد في الارحام والخلقة
من نطفة في غاية الاتقان والاحكام فذاك الذي خلقنا ولا معلوم ظاهر فاطلق علي ذلك
العلم لفظ الروية وقال اولم يروا اي اولم يعلموا علما ظاهرا واضحا كيف يبدي الله الخلق
وهو من عندنا هو من ما وتراب يجمعه فكذلك يجمع اجزاه من التراب وينفخ فيه روحه بل هو
اسهل بالنسبة اليكم فان من نحت حجارة حتي صارت اصناما ثم كسرها وفرقها فان وضعه
شيا بجنب شي في هذه النوبة اسهل لان الحجارة منحوته معلومة مواضعها **فان قيل**
علق الروية بالكيفية لا بالخلق ولم يقل اولم يروا ان الله خلق او بدا الخلق والكيفية غير
معلومة **فالجواب** هذا القدر من الكيفية معلوم وهو انه خلقه ولم يك شيا مذكورا وانه

خلقه

خلقه من نطفة هي من غذا هو من ما وتراب وهذا القدر كاف في حصول العلم بامكان
الاعادة **فان قيل** قال ثم يعيده ان ذلك علي الله يسير ابرز اسمه مرة اخري
ولم يقل ان ذلك عليه يسير كما قال ثم يعيده من غير ابراز **فالجواب** انه مع اقامة البرهان
علي انه يسير اكده باظهار اسمه فانه يوجب المعرفة ايضا بكون ذلك يسيرا فان الانسان
اذا سمع لفظ الله وفهم معناه انه الحي القادر بقدرة كاملة لا يعجز عن شي محيط بذرات
كل جسم نافذ الارادة يقطع بجواز الاعادة **قوله** قل سيروا في الارض فانظروا كيف
بدا الخلق اي انظروا الي ديارهم واثارهم كيف بدا خلقهم **فان قيل** ابرز اسم
الله في الاية الاولي عند البدء فقال كيف يبدي الله واضمر عند الاعادة وههنا اضمر عند
البدء وابرزه عند الاعادة فقال ثم الله ينشي **فالجواب** انه في الاية الاولي لم يسبق ذكر
الله بفعل حتي يسند اليه البدء فقال كيف يبدي الله الخلق ثم يعيده كقولك ضرب زيد
عمرا ثم ضرب بكرا ولا تحتاج الي اظهار اسم زيد اكتفا بالاول وفي الثانية كان ذكر البدا
مسندا الي الله فاكتفي به ولم يبرزه واما اظهاره عند الانشا ثانيا فقال ثم الله ينشي مع انه
كان يكفي ان يقول ثم ينشي النشاة الاخرة لحكمة بالغة وهي ان مع اقامة البرهان علي امكان الاعادة
اظهر اسمه حتي يفهم المسمي به صفات كماله ونعوت جلاله فيقطع بجواز الاعادة فقال ثم الله مظهرا
ليقع في ذهن الانسان من اسمه كمال قدرته وشمول علمه ونفوذ ارادته فيعترف بوقوع بدائه
وجواز اعادته **فان قيل** فلم لم يقل ثم الله يعيده يعني ما ذكرت من الحكمة فنقول
لوجهين احدهما ان الله كان مظهرا مبرزا بقرب منه في قوله يبدا الله الخلق لم يكن بينهما الا لفظ
الخلق واما هنا فلم يذكر غير البدء فاظهر وثانيهما ان الدليل هنا تم علي جواز الاعادة لان
الدليل منحصر في الافاق وفي الانفس كما قال تعالي سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم ففي الاية
الاولي اشار الي الدليل الحاصل للانسان من نفسه وفي الثانية اشار الي الدليل الحاصل من
الافاق بقوله سيروا في الارض وعندما تم الدليلان فاكده باظهار اسمه واما الدليل الاول
فاكده بالدليل الثاني فلم يقل ثم الله يعيده **فان قيل** قال في الاولي اولم
يروا كيف يبدا الله الخلق بلفظ المستقبل وههنا قال فانظروا كيف بدا بلفظ الماضي
فما الحكمة **فالجواب** ان الدليل الاول هو الدليل النفسي الموجب للعلم وهو يوجب العلم
ببدء الخلق واما الدليل الثاني فمعناه ان كان ليس لكم علم بان الله يبدا الخلق فانظروا الي
الاشيا المخلوقة يحصل لكم العلم بان الله بدا خلقا ويحصل من هذا القدر بانه ينشي **فان
قيل** قال في هذه الاية ان الله علي كل شي قدير وقال في الاولي ان ذلك علي الله يسير
فما فايدته **فالجواب** فيه فايدتان احدهما ان الدليل النفسي وهو وان كان موجبا للعلم
التام ولكن عند انضمام الدليل الافاقي اليه يحصل العلم التام لانه بالنظر في نفسه علم حاجته
الي غيره ووجوده منه فتم علمه بان كل شي من الله تعالي عند تمام الدليل ان الله علي كل شي قدير
وقال عند الدليل الواحد ان ذلك وهو الاعادة علي الله يسير الفايدة الثانية ان العلم
الاول اتم وان كان الثاني اعم وكون الامر يسيرا علي الفاعل اتم من كونه مقدورا له بدليل
قولك لمن يحمل مائة من انه قادر عليه ولا يقول انه يسهل عليه فاذا سئلت عن حمله عشرة امنا تقول
ذلك سهل يسير فقول كان التقدير ان لم يحصل لكم العلم التام بان هذه الامور عند الله سهل
يسير فسيروا في الارض لتعلموا انه مقدور ونفس كونه مقدورا كاف في امكان الاعادة **قوله**
ثم الله ينشي النشاة قرا ابن كثير وابو عمرو النشاة بالمد هنا والنجم والواقعة والباقون بالقصر
مع سكون الشين وهما لغتان كالرافة والراافة وانتصابهما علي المصدر المحذوف الزوايد

الاول هو الدليل

والاصل الانشاة على حذف الهاء اي ينشئ فينشئون النشاة وهي مرسومة بالالف وهو يتقوى قراءة المد والمعنى ثم الله الذي خلقها ينشئها نشاة ثانية بعد الموت فكما لم يتعذر عليه احداثها مبتدأ لا يتعذر عليه انشاؤها معيدا وقوله ثم يعيده مستانفتان من اخبار الله تعالى فليس الاول داخلا في حيز الروية ولا الثاني في حيز النظر ان الله على كل شيء قدير **قوله** يعذب من يشاء ويرحم من يشاء قدم التعذيب في الذكر على الرحمة مع ان رحمته سابقة كما قال عليه السلام عنه تعالى سبقت رحمتي غضبي لان السابق ذكر الكفار فذكر العذاب لسبق ذكر مستحقه بحكم الايعاد وعقبه بالرحمة فذكر الرحمة وقع تبعا لئلا يكون العذاب مذكورا وحده وهذا يحقق قوله عليه السلام عنه سبقت رحمتي غضبي وذلك ان الله تعالى حيث كان المقصود ذكر العذاب لم يخصه بالذكر بل ذكر الرحمة معه **فان قيل** ان كان ذكر هذه الاية لتخويف العاصي وتفريح المؤمن فلو قال يعذب الكافر ويرحم المؤمن لكان ادخل في تحصيل المقصود وقوله يعذب من يشاء لا يرهب الكافر لجواز ان يقول لعلي لا اكون ممن يشاء الله عذابي **فالجواب** هذا ابلغ في التخويف لان الله اثبت بهذا نفاذ مشيته وانه اذا اراد تعذيب شخص فلا يمنعه منه مانع ثم كان من المعلوم للعباد بحكم الوعد والايعاد انه شاء تعذيب الكافر فلزم منه الخوف التام بخلاف ما لو قال يعذب العاصي فانه لا يدل على كمال مشيته لانه لا يبعد انه لو شاء عذاب المؤمن لعذبه واذا لم يبعد هذا فنقول الكافر اذا لم يحصل مراده في تلك الصورة يمكن ان لا يحصل في صورة اخرى ومثاله اذا قيل ان الملك يقدر على ضرب كل من في بلاده وقال ان من خالفني اضربه يحصل الخوف التام لمن خالفه واذا قيل انه قادر على ضرب المخالفين ولا يقدر على ضرب المطيع فاذا قال من خالفني اضربه يقع في وهم المخالف انه لا يقدر على ضرب المطيع فلا يقدر ايضا علي لكوني مثله وفيه فايدة اخرى وهو الخوف العام والرجاء العام لان الامن الكلي من الله يوجب الجراة ويفضي الى صيرورة المطيع عاصيا **قوله** واليه تقلبون اي تردون وما انتم بمعجزين في الارض ولا في السماء والخطاب مع الادميين وهم ليسوا في السماء قال الفراء معناه ولا من في السماء بمعجز الله عصى كقول حسان بن ثابت فمن يهجوا رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء اراد ومن يمدحه وينصره فاضمر من يريد لا يعجزه اهل الارض في الارض ولا اهل السماء في السماء يعني ان من في السموات عطف على انتم بتقدير ان يعني قال الفراء وهذا من غوامض العربية قال شهاب الدين وهذا على اصله حيث يجوز حذف الموصول الاسمي ويبقى صلته قال قطرب ما انتم بمعجزين في الارض ولا في السماء لو كنتم فيها كقول القايل ما يفوتني فلان ها هنا ولا في البصرة لو كان بها كقوله تعالى ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات اي على تقدير ان تكونوا فيها وابعد من ذلك من قدر موصولين محذوفين اي وما انتم بمعجزين من في الارض من الجن والانس ولا من في السماء من الملائكة فكيف تعجزون خالقها وعلى قول الجمهور يكون المفعول محذوفا اي وما انتم بمعجزين اي فايتين ما يريد الله بكم **فصل** اعلم ان اعجاز المعذب عن التعذيب اما بالهرب منه او بالثبات ومدافعته فذكر الله تعالى القسمين فقال وما انتم بمعجزين في الارض ولا في السماء يعني بالهرب لو صعدتم الى السماء او هربتم الى تخوم الارضين تخرجوا من قبضة قدرة الله عز وجل فلا مطمع في الاعجاز بالهرب واما بالثبات فكذلك لان الاعجاز بالثبات اما ان يكون بالاستناد الى ركن شديد يشفع ولا يمكن المعذب مخالفته فيفوته المعذب ويعجز عنه او بالانتصار بقوي يدفعه وكلاهما محال فلهذا قال وما لكم من دون الله من ولي يشفع ولا نصير يدفع **فان قيل** ما الحكمة في قوله ما انتم بمعجزين ولم يقل لا تعجزون بصيغة الفعل **فالجواب** لان نفي الفعل لا يدل على نفي الصلاحية فان من قال ان فلانا لا يخيط لا يدل

علي

على ما يدل عليه انه ليس بخايط وقدم الارض على السماء والولي على النصير لان هربهم الممكن في الارض فان كان يقع منهم هرب فانه لا يكون في الارض ثم ان فرضنا لهم قدرة غير ذلك فيصعدون في السماء واما الدفع فان العاقل متى امكنه الدفع فاجمل الطرق فيه الشفاعة لان ما من احد في الشاهد الا ويكون له شفيع يتكلم في حقه عند ملك وليس الكل احد ناصر ينادي الملك فلذلك قدم الارض على السماء والولي على النصير **قوله تعالى** والذين كفروا بايات الله ولقايه اي بالقران وبالبعث اولئك يئسوا من رحمتي جنتي واولئك لهم عذاب اليم يوم القيمة **فان قيل** هل لا اكتفى بقوله اولئك مرة واحدة **فالجواب** ان ذلك لفايدة وهي انه لو قال اولئك يئسوا ولهم عذاب اليم ذهب واهب الى ان هذا المجموع مخصص بهم فلا يوجد المجموع الا فيهم واضاف الرحمة الى نفسه في قوله تعالى يئسوا من رحمتي واضاف الياس اليهم بقوله يئسوا اعلاما لعباده بعموم رحمته ولزومها له **قوله تعالى** فما كان جواب قومه العامة على نصبه والحسن وسالم الافطس برفعه وتقدم تحقيق هذا هذه الايات في تذكير اهل مكة وتحذيرهم وهي معترضة في قصة ابرهيم صلوات الله عليه ثم عاد الى قصة ابرهيم فقال تعالى فما كان جواب قومه الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه لما اقام ابرهيم صلوات الله عليه البرهان على الاصول الثلاثة لم يجيبوه الا بقولهم اقتلوه او حرقوه **فان قيل** كيف سمى قولهم اقتلوه جوابا مع انه ليس بجواب فالجواب عنه من وجهين احدهما انه خرج مخرج كلام المتكبر كما يقول الملك لرسول خصمه جوابكم السيف مع ان السيف ليس بجواب وانما معناه لا اقابل بالجواب وانما اقابل بالسيف وثانيهما ان الله تعالى اراد بيان ضلالتهم وانهم ذكروا ما ليس بجواب في معرض الجواب فبين انهم لم يكن لهم جواب اصلا وذلك ان من لا يجيب غيره وسكت لا يعلم انه قد يقدر على الجواب ام لا لجواز ان يكون سكوته لعدم الالتفات واما اذا اجاب بجواب فاسد علم انه قصد الجواب وما قدر عليه **فصل** او تذكر الامرين الثاني منهما لا ينفك عن الاول كما يقال زوج او فرد ويقال هذا انسان او حيوان يعني ان لم يكن انسانا فهو حيوان ولا يصح ان يقال هذا حيوان او انسان اذ يفهم منه ان يقول هذا حيوان فان لم يكن حيوانا فهو انسان وهذا فاسد والحال كان كذلك فالتحريق مشتمل على القتل فقوله اقتلوه او حرقوه كقولك هذا حيوان او انسان فالجواب عن هذا من وجهين احدهما ان الاستعمال على حذف ما ذكر شايع كقولك اعطه دينارا او دينارين قال الله تعالى قم الليل الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه فكذا ها هنا قال اقتلوه او زيدوا على القتل لان التحريق قتل وزيادة الثاني سلمنا ما ذكرتم والامر هنا كذلك لان التحريق فعل مفض الى القتل وقد يتخلف عنه القتل فان من التقى في النار حتى احترق جلده باسره واخرج منها حيا يصح ان يقال احترق فلان واحرق وما مات فكذلك ها هنا قال اقتلوه ولا تعجلوا قتله وعذبوه بالنار فان ترك مقالته فخلوا سبيله وان اصر فاتركوه في النار **قوله تعالى** فانجاه الله من النار قيل بردت النار وقيل خلق في ابرهيم صلوات الله عليه كيفية استبرد معها النار وقيل ترك ابرهيم ما كان عليه والنار ما كان عليه ومنع اذى النار عنه والكل ممكن والله قادر عليه **قوله تعالى** ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون بصدقون **فان قيل** ما الحكمة في قوله هناك اية للعالمين في انجاء نوح صلوات الله عليه واصحاب السفينة جعلناها اية وقال ها هنا الايات بالجمع

فما الحكمة فالجواب ان انجاء السفينة شيء يتسع له العقول فلم يكن فيه من الاية الا اعلام الله تعالى اياه بالانجاء وقت الحاجة بسبب ان الله تعالى صان السفينة عن المهلكات كالرياح واما الانجاء من النار فعجيب فقال فيه لايات **فان قيل** ما الحكمة في قوله تعالى هناك اية للعالمين وقال هنا لقوم يؤمنون فخص الايات بالمؤمنين فالجواب ان السفينة بقيت اعواما حتى مر عليها الناس وراوها فحصل العلم بها لكل احد واما تبريد النار فلم يبق فلم يظهر لمن بعده الا بطريق الايمان والتصديق وفيه لطيفة وهو ان الله تعالى لما برد النار على ابرهيم بسبب اهتدائه في نفسه وهدايته لابناء جنسه وقد قال الله تعالى للمؤمنين بان لهم اسوة في ابرهيم تحصل للمؤمنين بشارة بان الله تبارك وتعالى يبرد عنه النار يوم القيمة فقال ان في ذلك التبريد لايات لقوم يؤمنون **فان قيل** لم قال هناك جعلناها وما قال هنا جعلناه فالجواب لان السفينة ما صارت اية في نفسها ولولا خلق الله الطوفان لبقي فعل سفها فالله تعالى جعل السفينة بعد وجودها اية واما تبريد النار فهو في نفسه اية اذا وجدت لا تحتاج الى شيء اخر كخلق الطوفان حتى يصير اية **قوله** انما اتخذتم في ما هذه ثلاثة اوجه احدها انها موصولة بمعنى الذي والعائد محذوف وهو المفعول الاول واوثانا مفعول ثان والخبر مودة في قراءة من رفع كما سياتي والتقدير ان الذي اتخذتموه اوثانا اي ذو مودة او جعل نفس المودة ومحذوف على قراءة من نصب مودة اي الذي اتخذتموه اوثانا لاجل المودة لا ينفعكم او يكون عليكم لدلالة قوله ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض والثاني ان تجعل ما كافة واوثانا مفعول به والاتخاذ هنا متعد لواحد او لاثنين والثاني هو من دون الله فمن رفع مودة كانت خبر مبتدا مضمر اي هي مودة او جعلت نفس المودة مبالغة والجملة حينئذ صفة لاوثانا او مستانفة ومن نصب كانت مفعولا له او باضمار اعني الثالث ان تجعل ما مصدرية وحينئذ يجوز ان يقدر مضافا من الاول اي ان سبب اتخاذكم اوثانا مودة فيمن رفع مودة ويجوز ان لا يقدر بل تجعل نفس الاتخاذ هو المودة مبالغة وفي قراءة من نصب يكون الخبر محذوفا على ما مر في الوجه الاول وقرا ابن كثير وابو عمرو والكسائي برفع مودة غير منونة وجر بينكم ونافع وابن عامر وابو بكر بنصب مودة منونة ونصب بينكم وحمزة وحفص بنصب مودة غير منونة وجر بينكم فالرفع قد تقدم والنصب ايضا تقدم فيه وجهان ويجوز وجه ثالث وهو ان يجعل مفعولا ثانيا على المبالغة والاضافة للاتساع في الظرف كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار ومن نصبه فعلى اصله ونقل عن عاصم انه رفع مودة غير منونة ونصب بينكم وخرجت على اضافة مودة للظرف وانما بني لاضافته الى غير متمكن كقراءة لقد تقطع بينكم بالفتح اذا جعلنا بينكم فاعلا واما في الحياة ففيه اوجه احدها انه هو وبينكم متعلقان بمودة اذا نونت وجاز تعلقهما بعامل واحد لاختلافهما الثاني ان يتعلقا بمحذوف على انهما صفتان لمودة الثالث ان يتعلق بينكم بمودة وفي الحيوة صفة لمودة ولا يجوز العكس لئلا يلزم اعمال المصدر الموصوف والفرق بينه وبين الاول ان الاول عمل فيه المصدر قبل ان يوصف وهذا عمل فيه بعد ان وصف على ان ابن عطية جوز ذلك هو وغيره وكانهم اتسعوا في الظرف فهذا وجه رابع الخامس ان يتعلق في الحيوة بنفس بينكم لانه بمعنى الفعل اذ التقدير اجتماعكم ووصلكم السادس ان يكون حالا من نفس بينكم السابع ان يكون بينكم صفة لمودة وفي الحيوة حال من الضمير المستكن فيه الثامن ان يتعلق في الحيوة باتخذتم على ان يكون ما كافة ومودة منصوبة قال ابو البقا لئلا يؤدي الى الفصل بين الموصول وما في الصلة بالخبر **فصل** وقال

يعني

يعني ابرهيم انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم فعلى قراءة رفع مودة وخفض بينكم بالاضافة يكون المعنى اتخذتم من دون الله اوثانا وهي مودة بينكم في الحيوة الدنيا ثم تنقطع ولا تنفع في الاخرة ومن خفض مودة من غير تنوين على الاضافة بوقوع الاتخاذ عليها ومن نصب مودة ونونها ونصب بينكم فالمعنى انكم انما اتخذتم هذه الاوثان مودة بينكم في الحيوة الدنيا تتوادون على عبادتها وتتواصلون عليها في الدنيا ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا تتبرا الاوثان من عابديها وتتبرا القادة من الاتباع ويلعن الاتباع القادة وماواكم النار جميعا العابدون والمعبودون وما لكم من ناصرين **فان قيل** قال قبل هذا وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير على لفظ الواحد وقال هنا وما لكم من ناصرين على لفظ الجمع فما الحكمة فيه فالجواب انهم لما ارادوا احراق ابرهيم عليه السلام قالوا نحن ننصر الهتنا كما قال تعالى عنهم حرقوه وانصروا الهتكم فقال انتم ادعيتم ان لها ولاء ناصرين فما لكم كلكم اي الاوثان وعبدتها من ناصرين واما هناك فلم يسبق منهم دعوى النصر فنفى الجنس بقوله ولا نصير **قوله** فامن له لوط اي صدقه وهو اول من صدق ابرهيم وكان ابن اخيه وقال ابرهيم اني مهاجر الى ربي الى حيث امرني ربي بالتوجه اليه من كوثى وهو من سواد الكوفة الى حران ثم الى الشام ومعه لوط وامراته سارة وهو اول من هاجر قال مقاتل هاجر ابرهيم عليه السلام وهو ابن خمس وسبعين سنة ثم قال انه هو العزيز الحكيم عزيز يمنع اعدائي عن ايذائي بعونه وحكيم لا يامرني الا بما يوافق الحكمة **فان قيل** قوله فامن له لوط اي بعدما راى منه المعجز القاهر ودرجة لوط كانت عالية وبقاؤه الى هذا الوقت مما ينقص من الدرجة الا ترى ان ابا بكر رضي الله عنه لما قبل دين محمد صلى الله عليه وسلم كان قبوله قبل الكل من غير سماع تكلم الحصا ولا رؤية انشقاق القمر فالجواب ان لوطا لما راى معجزته امن برسالته واما بالوحدانية فامن حيث سمع مقالته ولهذا قال فامن له لوط ولم يقل فامن لوط **فان قيل** ما وجه تعلق قوله وقال اني مهاجر الى ربي بما تقدم فنقول لما بالغ ابرهيم في الارشاد ولم يهتد قومه وحصل الياس الكلي حيث راى القوم الاية الكبرى ولم يؤمنوا وجبت المهاجرة لان الهادي اذا هدى قومه ولم ينتفعوا فبقاؤه فيهم مفسدة لانه ان دام على الارشاد كان اشتغالا بما لا ينفع في علمه فيصير كمن يقول للجماد صدق وهو عبث والسكوت دليل الرضا فيقال انه صار منا ورضي بافعالنا واذا لم يبق للاقامة وجه وجبت المهاجرة **فان قيل** ما الحكمة في قوله اني مهاجر الى ربي ولم يقل مهاجر الى حيث امرني ربي مع ان المهاجرة الى الرب توهم الجهة فالجواب ان قوله مهاجر الى حيث امرني ربي ليس في الاخلاص كقوله الى ربي لان الملك اذا صدر منه امر برواح الاجناد الى موضع ثم ان واحدا منهم سار الى ذلك الموضع لغرض نفسه فقد هاجر الى حيث امر الملك ولكن لا مخلصا لوجهه فقال مهاجر الى ربي يعني توجهي الى الجهة المامور بالهجرة اليها ليس طلبا للجهة انما هو طلب لله **قوله** ووهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب قيل ان الله لم يبعث نبيا بعد ابرهيم الا من نسله واتيناه اجره في الدنيا وهو الثناء الحسن فكل اهل الاديان يتولونه وقال السدي هو الولد الصالح وقيل انه راى مكانه في الجنة وانه في الاخرة لمن الصالحين اي في زمرة الصالحين قال ابن عباس مثل ادم ونوح وفي هذه الاية لطيفة وهي ان الله تعالى بدل جميع احوال ابرهيم في الدنيا باضدادها لما عذبه قومه بالنار وكان وحيدا فريدا فبدل الله وحدته بالكثرة حتى ملا الدنيا من ذريته ولما كانت

اقاربه القريبة ضالين مضلين من جملتهم آزر فبدل الله اقاربه باقارب مهتدين هادين
وهو ذريته الذين جعل فيهم النبوة والكتاب وكان اولا لا جاه له ولا مال وهما غاية اللذة في
الدنيا اتاه الله اجره من المال والجاه وكثر ماله حتى كان له من المواشي ما علم الله عدده حتى
قيل انه كان له اثنا عشر الف كلب حارس باطواق ذهب واما الجاه فصار يقرن الصلاة عليه
بالصلاة على سائر الانبيا الى يوم القيامة وصار معروفا وشيخ المرسلين بعد ان كان خاملا
حتى قال قايلهم سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابرهيم وهذا الكلام لا يقال الا في مجهول من الناس
فان قيل ان اسمعيل كان من اولاده الصالحين وكان قد اسلم لامر الله بالذبح وانقاد
لحكم الله ولم يذكر فالجواب هو مذكور في قوله وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب ولكن لم يصرح
باسمه لانه كان بين فضله مع هبة الاولاد والاحفاد فذكر من الاولاد واحدا وهو الاكبر
ومن الاحفاد واحدا كما يقول القايل ان السلطان في خدمته الملوك والامرا الملك الفلاني
والامير الفلاني ولا يعدد الكل لانه ذكر ذلك الواحد ببيان الجنس لا لخصوصه ولو لا ذكر غيره
لفهم منه التعديد واستيعاب الكل بالذكر فيظن انه ليس معه غير المذكور **فان قيل**
ان الله تعالى جعل في ذريته النبوة اجابة لدعايه والوالد يجب ان يسوي بين ولده فكيف صارت
النبوة في ولد اسحق اكثر من النبوة في اولاد اسمعيل فالجواب ان الله تعالى قسم الزمان
من وقت ابرهيم الى القيمة قسمين والناس اجمعين فالقسم الاول من الزمان بعث الله تعالى
فيه انبيا فيهم فضايل جمة وجاءوا تترى واحد بعد واحد ومجتمعين في عصر واحد كلهم من ذرية
اسحق عليه السلام ثم في القسم الثاني من الزمان اخرج من ذريته ولده اسمعيل واحدا
اجتمع فيه ما كان فيهم وارسله الى كافة الخلق وهو محمد عليه السلام وجعله خاتم النبيين وقد
دام الخلق على دين اسمعيل اكثر من اربعة الاف سنة ولا يبعد ان يبقى الخلق على دين ذرية
اسمعيل مثل ذلك المقدار **قوله** ولوطا اعرابه كاعراب ابرهيم اذ قال لقومه اينكم
قرا ابو عمرو وحمزة والكساي وابو بكر اينكم بالاستفهام وقرا الباقون بلا استفهام واتفقوا
على استفهام الثانية لتاتون الفاحشة وهو اتيان الرجال ما سبقكم يجوز ان يكون استينافية
جوابا لمن سال عن ذلك وان يكون حالية اي مبتدعين لها **فان قيل** قال ابرهيم لقومه
اعبدوا الله وقال لوط لقومه ههنا اينكم لتاتون الفاحشة ولم يامرهم بالتوحيد فما الحكمة
فالجواب انه لما ذكر الله لوطا عند ذكر ابرهيم كان لوط في زمن ابرهيم فلم يذكر عن لوط انه امر
قومه بالتوحيد مع ان الرسول لا بد من ان يقول ذلك وحكاية لوط وغيرها ههنا ذكرها الله
على سبيل الاختصار فاقتصر على ما اختص به لوط وهو المنع من الفاحشة ولم يذكر عنه الامر
بالتوحيد وان كان قاله في موضع اخر حيث قال اعبدوا الله ما لكم من اله غيره لان ذلك قد
اتى به ابرهيم وسبقه فصار كالمختص به واما المنع من عمل قوم لوط فكان مختصا بلوط فذكر
كل واحد بما اختص به وسبق به غيره **فصل** دلت الاية على وجوب الحد في اللواطة لانه
سماها فاحشة وقد ثبت ان اتيان الفاحشة يوجب الحد وايضا ان الله تعالى جعل عذاب
من اتى بها امطار الحجارة عليه عاجلا وهو الرجم وتقدم الكلام على قوله ما سبقكم بها من احد
قوله اينكم لتاتون الرجال وتقطعون السبيل قيل كانوا يفعلون الفاحشة بمن يمر بهم
من المسافرين فترك الناس الممر بهم وقيل تقطعون سبيل النسل باتيان الرجال كقوله اتاتون
الرجال شهوة من دون النسا وتاتون في ناديكم المنكر قال ابو العباس المقري وورد النادي
في القران باز معنيين الاول النادي مجلس القوم للجلوس فيه كهذه الاية والثاني بمعنى الناصر
كقوله تعالى فليدع ناديه اي ناصره يعني باجهل واعلم النادي والندي والمنتدى مجلس القوم

بحيث

لعله اسحق

وتحدثهم

ومتحدثهم روى ابو صالح مولى ام هاني بنت ابي طالب قالت سالت رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن قوله وتاتون في ناديكم المنكر قلت ما المنكر الذي كانوا ياتون قال كانوا يخذفون اهل
الطرق ويسخرون منهم وروي انهم كانوا يجلسون في مجالسهم وعند كل رجل منهم قصعة فيها حصى
فاذا مر بهم عابر سبيل حذفوه فايهم اصابه كان اولى به وقيل انه كان ياخذ ما معه وينكحه
ويغرمه ثلاثة دراهم ولهم قاضي بذلك وقال القسم بن محمد كانوا يتضارطون في مجالسهم وقال
مجاهد كان يجامع بعضهم بعضا في مجالسهم وعن عبد الله بن سلام يبزق بعضهم على بعض وعن مكحول قال
من اخلاق قوم لوط مضغ العلك وتطريف الاصابع بالحنا وحل الازرار والصفير والحذف
واللوطية **قوله** فما كان جواب قومه لما انكر عليهم لوط ما كانوا ياتونه من القبايح الا ان قالوا
له استهزا ايتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين ان العذاب نازل بنا فعند ذلك قال
لوط رب انصرني على القوم المفسدين بتحقيق قولي في العذاب **فان قيل** قال قوم
ابرهيم اقتلوه او حرقوه وقال قوم لوط ايتنا بعذاب الله وما هددوه مع ان ابرهيم كان
اعظم من لوط فان لوطا كان من قومه فالجواب ان ابرهيم كان يقدح في دينهم ويشتم
الهتهم ويعدد صفات نقصهم بقوله لا يبصر ولا يسمع ولا ينفع ولا يغني والقدح في الدين صعب
فجعلوا جزاءه القتل والتحريق ولوط كان ينكر عليهم فعلهم وينسبهم الى ارتكاب المحرم وهم ما
كانوا يقولون ان هذا واجب من الدين فلم يصعب عليهم مثل ما صعب على قوم ابرهيم كلام
ابرهيم فقالوا انك تقول ان هذا حرام والله يعذب عليه ونحن نقول لا يعذب فان كنت صادقا
فائتنا بالعذاب **فان قيل** ان الله قال في موضع اخر فما كان جواب قومه الا ان
قالوا اخرجوا ال لوط من قريتكم وقال ههنا فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا فكيف الجمع
فالجواب ان لوطا كان ثابتا على الارشاد مكررا على النهي والوعيد فقالوا اولا ايتنا ثم لما كثر
منه ذلك ولم يسكت عنهم قالوا اخرجوا ثم ان لوطا لما يئس منهم طلب النصرة من الله وذكرهم بما لا
يحب الله فقال رب انصرني على القوم المفسدين حتى ينجز النصر واعلم ان كل نبي من الانبيا ما طلب
هلاك قومه الا اذا علم ان عدمهم خير من وجودهم كما قال نوح انك ان تذرهم يضلوا عبادك
ولا يلدوا الا فاجرا يعني ان المصلحة اما ان تكون فيهم حالا او بسببهم مالا ولا مصلحة فيهما فانهم
ضالون في الحال وفي المال فانهم يوصون اولادهم من صغرهم بالامتناع من الاتباع وكذلك لوط
لما راى انهم يفسدون في الحال واشتغلوا بما لا يرجى منهم ولد صالح يعبد الله فطلب المصلحة
حالا وما لا فقد بهم وصار رجيا فطلب العذاب **قوله** ولما جاءت رسلنا ابرهيم بالبشرى
من الله باسحق ويعقوب قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية يعني قوم لوط ان اهلها كانوا ظالمين
قال ابرهيم ان فيها لوطا قالت الملايكة ان فيها لوطا نحن اعلم بمن فيها ويأتي بقية الكلام على
ذلك **قوله** ولما ان جاءت تقدم نظيرها الا ان هنا زيدت ان وهو مطرد تاكيدا اعلم
انه لما دعى لوط على قومه بقوله رب انصرني استجاب الله دعاه وامر ملايكته باهلاكهم وارسلهم
مبشرين ومنذرين وبشروه بذرية طيبة وقالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية يعني اهل سدوم
وفي الاية لطيفتان احدهما ان الله جعلهم مبشرين ومنذرين لكن البشارة اثر الرحمة والانذار
بالاهلاك اثر الغضب ورحمته سبقت غضبه فقدم البشارة على الانذار وقال جاءت رسلنا
ابرهيم بالبشرى ثم قال قالوا انا مهلكوا الثانية حين ذكروا البشرى ما عللوا وقالوا انا نبشرك
لانك رسول او لانك مومن او لانك عادل وحين ذكروا الاهلاك عللوا وقالوا ان اهلها كانوا ظالمين
لان ذا الفضل لا يكون فضله بعوض والعادل لا يكون عذابه الا على جرم **فان قيل** قال في
قوم نوح فاخذهم الطوفان وهم ظالمون وقيل ان ذلك اشارة الى انهم كانوا على ظلمهم حين اخذهم

بجامع

لجماعة ابراهيم

ولم يقل فاخذهم وكانوا ظالمين وههنا قال ان اهلها كانوا ظالمين ولم يقل وهم ظالمون فالجواب
لا فرق في الموضعين في كونهما مهلكين وهم مصرون على الظلم لكن هناك الاخبار من الله عن الماضي
حيث قال فاخذهم وهم عند الوقوع في العذاب ظالمون وههنا الاخبار من الملائكة عن المستقبل
حيث قالوا انا مهلكوا والملائكة ذكروا ما يحتاجون اليه في ابانة حسن الامر من الله بالاهلاك
فقالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية لان الله امرنا وحال ما امرنا كانوا ظالمين فحسن امر الله عند
كل احد واما نحن فلا نخبر بما لا حاجة لنا اليه فان الكلام عن الملك بغير اذنه سوء ادب فنحن
ما احتجنا الا الى هذا القدر وهو انهم كانوا ظالمين في وقتنا هذا او كونهم يبقون كذلك فلا حاجة
لنا اليه ثم ان ابرهيم لما سمع كلامهم قال ان فيها لوطا اشفاقا عليه ليعلم حاله قالت
الملائكة نحن اعلم بمن فيها لننجينه قرا حمزة والكسائي ويعقوب لننجينه بالتخفيف وقرا الاخرون
بالتشديد واهله الا امراته كانت من الغابرين اي الباقين في العذاب وفي استعمال
الغابرين في المهلك وجهان لان الغابر لفظ مشترك في الماضي وفي الباقي يقال فيما غبر من الزمان
اي فيما مضى وقال عليه السلام لما سئل عن الما وما ينوبه من السباع فقال ولنا ما غبر طهور
اي ما بقي فعلى الاول ان ذكر الظالمين سبق في قولهم انا مهلكوا اهل هذه القرية ان اهلها كانوا
ظالمين ثم جرى ذكر لوط وقول الملائكة انها من الغابرين اي الماضين ذكرهم لا من الذين
نجي منهم او نقول المهلك يفنى ويمضي زمانه والناجي هو الباقي فقالوا انها من الغابرين
اي من الرائحين الماضين لا من الباقين المستمرين واما على الثاني لما قضى الله على القوم بالهلاك
كان الكل في الهلاك الا من نجى منهم فقالوا انا ننجي لوطا واهله واما امراته فهي من الباقين
في الهلاك **قوله** ولما ان جاءت رسلنا لوطا اي انهم من عند ابرهيم جاوا الى لوط على صورة البشر
فظنهم بشرا فخاف عليهم من قومه لانهم كانوا في احسن صورة والقوم كما عرف حالهم سيء بهم
اي جاه ما ساه وخاف ثم عجز عن تدبيرهم فحزن وضاق بهم ذرعا كناية عن العجز في تدبيرهم
قال الزمخشري يقال طال ذرعه وذراعه للقادر وضاق للعاجز وذلك لان من طال
ذراعه يصل الى ما لا يصل اليه قصير الذراع والاستعمال يحتمل وجها اخر معقولا وهو ان الخوف
والحزن يوجبان انقباض الروح ويتبعه اشتمال القلب عليه فينقبض هو ايضا والقلب
هو المعتبر من الانسان فكان الانسان انقبض واجتمع وما يكون كذلك يقل ذرعه ومساحته
ويضيق فيقال في الحزين ضاق ذرعه والغضب والفرح يوجبان انبساط الروح فينبسط
مكانه وهو القلب ويتسع فيقال طال ذرعه ثم ان الملائكة لما راوا خوفه في اول الامر وحزنه
بسبب تدبيرهم في ثاني الامر قالوا لا تخف من قومك علينا ولا تحزن بانا ملائكة انا انا
منجوك واهلك وانا منزلون عليهم العذاب حتى يتبين له انهم ملائكة فيطول ذرعه ويزول
روعه **قوله** انا منجوك في الكاف وما اشبهها مذهبان مذهب سيبويه انها في محل جر
فعلى هذا في نصب واهلك وجهان اضمار فعل والعطف على المحل ومذهب الاخفش وهشام
انها في محل نصب وحذف التنوين والنون لشدة اتصال الضمير وقد تقدمت قراءتا
التخفيف والتثقيل في لننجينه ومنجوك في الحجر **قوله** انا منزلون قرا ابن عامر بالتشديد
والاخرون بالتخفيف وقرا ابن محيصن رجزا بضم الرا والاعمش وابو حيوة يفسقون بالكسر
فان قيل قال ههنا انا منجوك وقال لابرهيم لننجينه بصيغة الفعل فما الحكمة
فيه **فالجواب** ما من حرف ولا حركة في القران الا وفيه فائدة ثم ان العقول البشرية تدرك
بعضها ولا تصل الى اكثرها وما اوتي البشر من العلم الا قليل والذي يظهر ههنا ان هناك لما
قال لهم ابرهيم ان فيها لوطا وعدوه بالتنجية ووعد الكريم حتم وههنا لما قالوا للوط وكان

ذلك

جاءت

ذلك بعد سبق الوعد منهم قالوا انا منجوك اي ذلك واقع منا كقوله تعالى انك ميت لضرورة
وقوعه **فان قيل** ما مناسبة قوله انا منجوك لقوله لا تخف ولا تحزن فان خوفه ما كان
على نفسه **فالجواب** ان لوطا لما خاف عليهم وحزن لاجلهم قالوا له لا تخف علينا ولا تحزن
لاجلنا فانا ملائكة ثم قالوا له يا لوط خفت علينا وحزنت لاجلنا ففي مقابلة خوفك وقت
الخوف نزيل خوفك وننجيك وفي مقابلة حزنك نزيل حزنك ولا نتركك تتحزن في اهلك فقالوا
انا منجوك واهلك **فان قيل** القوم عذبوا بسبب ما صدر منهم من الفاحشة
وامراته لم يصدر منها ذلك فكيف كانت من الغابرين معهم **فالجواب** ان الدال على الشر
كفاعل الشر كما ان الدال على الخير كفاعله وهي كانت تدل القوم على ضيوف لوط حتى كانوا يقصدونهم
فبالدلالة صارت كاحدهم ثم انهم بعد بشارة لوط بالتنجية ذكروا انهم منزلون على اهل
هذه القرية العذاب واختلفوا في ذلك فقيل حجارة وقيل نار وقيل خسف وعلى هذا
يكون قولهم رجزا من السما يعني ان الامر بالخسف من السما يعني ان الامر بالخسف من السما
والقضا به من السما واعلم ان كلام الملائكة مع لوط جرى على نمط كلامهم مع ابرهيم فقدموا
البشارة على انزال العذاب فقالوا انا منجوك ثم قالوا انا منزلون ولم يعللوا التنجية فلم يقولوا
انا منجوك لانك نبي او عابد وعللوا الاهلاك فقالوا بما كانوا يفسقون كقولهم هناك ان اهلها
كانوا ظالمين **قوله** ولقد تركنا منها اية بينة فيه وجهان احدهما ان بعضها باق وهو اية باقية
الى اليوم والمعنى تركنا من قريات لوط اية بينة عبرة ظاهرة والثاني ان من مزيدة
واليه نحا الفراء اي تركناها اية كقوله اخرجت منها ضحاها ومرعاها اي اخرجها وهذا
يجي على راي الاخفش ولقد تركنا القرية والقرية معلومة وفيها الما الاسود وهي بين القدس
والكرك **فان قيل** كيف جعل الاية في نوح وابرهيم بالنجاة فقال فانجيناه
واصحاب السفينة وجعلناها اية وقال فانجاه الله من النار ان في ذلك لايات وجعل
ههنا الهلاك اية **فالجواب** ان الاية في ابرهيم كانت في النجاة لان في ذلك الوقت لم
يكن اهلاك واما في نوح فلان الانجا من الطوفان الذي علا على الجبال باسرها امر عجيب الهي
وما به النجاة وهو السفينة كان باقيا والغرق لم يبق له بعده اثر فجعل الباقي اية واما
ههنا فنجاة لوط لم يكن بامر يبقى اثره للحس والهلاك اثره محسوس في البلاد وهناك السفينة
وههنا لطيفة وهي ان الله تعالى اية قدرته موجودة في الانجا والاهلاك وذكر من كل باب اية
وقدم ايات الانجا لانها اثر الرحمة واخر ايات الاهلاك لانها اثر الغضب ورحمته سابقة
فان قيل ما الحكمة في قوله في السفينة جعلناها اية ولم يقل بينة وقال ههنا اية بينة
فالجواب ان الانجا بالسفينة امر يسع له كل عقل وقد يقع في ذهن جاهل ان الانجا
بالسفينة لا يفتقر الى امر اخر واما الاية ههنا الخسف وجعل ديارهم المعمورة عاليها سافلها وهو
ليس معتادا وانما ذلك بارادة قادر يخصصه بمكان دون مكان وفي زمان دون زمان فهي
بينة لا يمكن لجاهل ان يقول هذا امر يكون كذلك وكان له ان يقول في السفينة امرها يكون
كذلك فيقال له فلو دام الما حتى نفد زادهم كيف كان يحصل لهم النجاة ولو سلط الله عليهم الريح
العاصفة كيف يكون احوالهم **فان قيل** ما الحكمة في قوله هناك للعالمين وقوله
ههنا لقوم يعقلون **فالجواب** ان السفينة موجودة معلومة في جميع اقطار العالم فعند
كل قوم مثال السفينة يتذكرون بها حالة نوح واذا ركبوها يطلبون من الله النجاة ولا يثق احد
بمجرد السفينة بل يكون دائما مرتجف القلب متضرعا الى الله تعالى طالبا للنجاة واما اثر الهلاك
في بلاد لوط ففي موضع مخصوص لا يطلع عليها الا من مر بها ويصل اليها ويكون له عقل يعلم ان ذلك

فجعل الاية الامر الباقي ههنا البلاد وهناك

من الله وارادته بسبب اختصاصه بمكان دون مكان ووجوده في زمان دون زمان قال
ابن عباس الآية البينة آثار منازلهم الخربة وقال قتادة هي الحجارة التي اهلكوا بها ابقاها الله
حتى ادركها اوائل هذه الامة وقال مجاهد هو ظهور الماء الاسود على وجه الارض **قوله
تعالى** والى مدين اي وارسلنا او بعثنا الى مدين اخاهم شعيبا بدلا او بيانا او باضمار
اعني قيل مدين اسم رجل في الاصل وحصل له ذرية فاشتهر في القبيلة كتميم وقيس وغيرهما
وقيل اسم ماء نسب القوم اليه فاشتهر في القوم والاول اظهر لان الله اضاف الى مدين بقوله
ولما ورد ماء مدين ولو كان اسم الماء لكانت الاضافة غير صحيحة او غير حقيقية والاصل في الاضافة
التغاير حقيقة وقوله اخاهم قيل لان شعيبا كان منهم نسبا **فان قيل** قال الله في
نوح ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقدم نوحا في الذكر وعرف القوم بالاضافة اليه وكذلك في
ابرهيم ولوط وههنا ذكر القوم اولا واضاف اليهم اخاهم شعيبا فما الحكمة **فالجواب** ان الاصل
في الجميع ان يذكر القوم ثم يذكر رسولهم لان الرسل لا تبعث الى غير معينين وانما تبعث الرسل الى
قوم محتاجين الى الرسل فيرسل اليهم من يختاره غير ان قوم نوح وابرهيم ولوط لم يكن لهم اسم خاص
ولا نسبة مخصوصة يعرفون بها فعرفوا بالنبي فقيل قوم نوح وقوم لوط فاما قوم شعيب وهود
وصالح فكان لهم نسب معلوم اشتهروا به عند الناس فجرى الكلام على اصله وقال الله والى مدين
اخاهم شعيبا والى عاد اخاهم هودا **فان قيل** لم يذكر عن لوط انه امر قومه بالعبادة
والتوحيد وذكر عن شعيب ذلك **فالجواب** قد تقدم وهو ان لوطا كان من قوم ابرهيم
وفي زمانه وكان ابرهيم سبقه بذلك واجتهد فيه حتى اشتهر الامر بالتوحيد عند الخلق من ابرهيم
فلم يحتج لوط الى ذكره وانما ذكر ما اختص به من المنع من الفاحشة وغيرها وان كان هو ايضا
يامر بالتوحيد اذ ما من رسول الا ويكون اكثر كلامه في التوحيد واما شعيب فكان بعد انقراض
ذلك الزمان وذلك القوم فكان هو اصلا في التوحيد فبدا به وقال اعبدوا الله **قوله**
وارجوا اليوم الآخر قال الزمخشري معناه افعلوا فعل من يرجو اليوم الآخر اذ يقول القايل لغيره
كن عاقلا ويكون معناه افعل فعل من يكون عاقلا فقوله وارجوا اليوم الآخر بعد قوله اعبدوا الله يدل
على التفضل لا على الوجوب **قوله** ولا تعثوا في الارض مفسدين تقدم الكلام عليه ونصب
مفسدين على المصدر كقول القايل اجلس قعودا **قوله** فكذبوه فاخذتهم الرجفة **فان
قيل** ما حكاه الله عن شعيب امر ونهي والامر لا يكذب ولا يصدق فان من قال لغيره
اعبد الله لا يقال له كذبت **فالجواب** كان شعيب يقول الله واحد فاعبدوه والحشر كاين
فارجوه والفساد محرم فلا تقربوه وهذه فيها اخبارات فكذبوه فيما اخبر به **فان قيل**
قال ههنا وفي الاعراف فاخذتهم الرجفة وقال في هود واخذتهم الصيحة والحكاية واحدة
فالجواب لا تعارض بينهما فان الصيحة كانت سببا للرجفة قيل ان جبريل صاح فتزلزلت
الارض من صيحته فرجفت قلوبهم والاضافة الى السبب لا تنافي الاضافة الى سبب السبب **فان
قيل** ما الحكمة في انه حيث قال فاخذتهم الصيحة قال في ديارهم وحيث قال فاخذتهم
الرجفة قال في دارهم **فالجواب** ان المراد من الدار هو الديار والاضافة الى الجمع يجوز
ان تكون بلفظ الجمع وان تكون بلفظ الواحد اذا امن الالتباس وانما اختلف اللفظ للطيفة
وهي ان الرجفة هايلة في نفسها فلم يحتج الى مهول لها واما الصيحة فغير هايلة في نفسها لكن تلك
الصيحة لما كانت عظيمة حتى احدثت الزلزلة في الارض ذكر الديار بلفظ الجمع حتى تعلم هيبتها والرجفة
بمعنى الزلزلة عظيمة عند كل احد فلم يحتج الى معظم لامرها وقيل ان الصيحة كانت اعظم حيث
عمت الارض والجو والزلزلة لم تكن الا في الارض فذكر الديار هناك وهذا ضعيف لان الدار

والديار موضع الجثوم لا موضع الصيحة والرجفة فهم ما اصبحوا جاثمين الا في ديارهم او دارهم
قوله وعادا وثمودا نصب باهلكنا مقدرا او عطف على منصوب فاخذتهم او على مفعول
فتنا اول السورة وهو قول الكسائي وفيه بعد كبير وتقدم تنوين ثمود وعدمه في هود وقرا
ابن وثاب وعاد وثمود بالخفض عطفا على مدين عطف لمجرد الدلالة والا يلزم ان يكون شعيبا
مرسلا اليهما وليس كذلك **قوله** وقد تبين لكم من مساكنهم اي ما حل بهم وقرا الاعمش مساكنهم
بالرفع على الفاعلية بحذف من ثم بين سبب ما جرى عليهم فقال وزين لهم الشيطان
اعمالهم فصدهم عن السبيل اي عن سبيل الحق وهو عبادة الله وكانوا مستبصرين قال مقاتل
والكلبي وقتادة كانوا معجبين في دينهم وضلالتهم يحسبون انهم على هدى وهم على الباطل
والمعنى انهم كانوا عند انفسهم مستبصرين وقال الفرا كانوا عقلا ذوي بصاير وقيل كانوا
مستبصرين بواسطة الرسل يعني لم يكن لهم في ذلك عذر لان الرسل اوضحوا السبل **قوله**
وقارون وفرعون وهامان عطف على عادا وثمودا او على منصوب فصدهم او باضمار اذكر
ولقد جاءهم موسى بالبينات بالدلالات كما قال في عاد وثمود وكانوا مستبصرين اي بالرسل
فاستكبروا في الارض اي عن عبادة الله فقوله في الارض اشارة الى قلة عقلهم في استكبارهم
لان من في الارض اضعف اقسام المكلفين ومن في السما اقواهم ثم ان من في السما لا يستكبرون
على الله بالعبادة فكيف من في الارض وما كانوا سابقين اي فائتين من عقابنا **قوله**
نكالا منصوب باخذنا وبذنبه اي بسبب او مصاحبا لذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا وهم
قوم لوط والحاصب الريح التي تحمل الحصبا وهي الحصا الصغار وقيل كانت بحجارة محماة يقع على واحد
منهم وتنفذ من الجانب الآخر ومنهم من اخذته الصيحة يعني ثمود ومنهم من خسفنا به الارض
وهم قارون واصحابه ومنهم من اغرقنا يعني قوم نوح وفرعون وقومه وقوله من اغرقنا
عايده محذوف لاجل شبه الفاصلة ثم قال وما كان الله ليظلمهم يعني يظلمهم بالهلاك وانما ظلموا
انفسهم بالاشراك **قوله تعالى** مثل الذين اتخذوا من دون الله اوليا يعني الاصنام
يرجون نصرها ونفعها كمثل العنكبوت اتخذت لنفسها بيتا تاوي اليه وان بيتها في غاية الضعف
والوهن ولا يدفع عنها حرا ولا بردا كذلك الاوثان لا تملك لعابدها نفعا ولا ضرا وان اوهن البيوت
لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون واعلم انه تعالى مثل اتخاذهم الاوثان اوليا باتخاذ العنكبوت
نسجه بيتا ولم يمثله بنسجه لان نسجه له فيه فايدة لولاه لما حصل وهو اصطيادها الذباب به
من غير ان يفوته ما هو اعظم منه واتخاذهم الاوثان يفيدهم ما هو اقل من الذباب من متاع
الدنيا ولكن يفوتهم ما هو اعظم منه وهو الدار الآخرة التي هي خير وابقى فليس اتخاذهم كنسج العنكبوت
وقوله وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون اشارة الى ما بينا ان كل بيت ففيه
اما فايدة الاستظلال او غير ذلك وبيته يضعف عن افادة ذلك لانه يخرب بادنى شي ولا
يبقى منه عين ولا اثر فكذلك عملهم لو كانوا يعلمون **والعنكبوت** معروف
ونونه اصلية والواو والتاء مزيدتان بدليل جمعه على عناكب وتصغيره عنيكب ويذكر ويؤنث
فمن التانيث قوله اتخذت ومن التذكير قوله على هطالهم منهم بيوت كان العنكبوت هو بناها
وهذا مطرد في اسما الاجناس يذكر ويؤنث **قوله** لو كانوا يعلمون جوابه محذوف اي لما اتخذوا
من يضرب له بهذه الامثال لحقارته ومتعلق يعلمون لا يجوز ان يكون من جنس قوله وان اوهن
البيوت لان كل احد يعلم ذلك وانما متعلقه مقدر من جنس ما يدل عليه السياق اي لو كانوا يعلمون
ان هذا مثلهم **قوله** ان الله يعلم ما يدعون قرا ابو عمرو وعاصم يدعون بيا الغيبة
والباقون بالخطاب وما يجوز فيها ان تكون موصولة منصوبة بيعلم اي يعلم الذين يدعونهم ويعلم

احوالهم ومن شيء مصدر وان يكون استفهامية وحينئذ يجوز فيها وجهان ان يكون هي وما عملت
فيها معترضا بين قوله يعلم وبين قوله وهو العزيز الحكيم كانه قيل اي شيء يدعون من دونه والثاني
ان يكون معلقة ليعلم فيكون في موضع نصب بها واليه ذهب الفارسي وان يكون نافية ومن في
من شيء مزيدة في المفعول به كانه قيل ما يدعون من دونه ما يستحق ان يطلق عليه شيء قال الزمخشري
هذا زيادة توكيد على التمثيل حيث انهم لا يدعون من دونه من شيء يعني ما يدعون ليس بشيء وهو عزيز
حكيم فكيف يجوز للعاقل ان يترك القادر الحكيم ويشتغل بعبادة ما ليس بشيء اصلا وهذا يفهم
منه انه جعل ما نافية والوجه فيها حينئذ ان تكون الجملة معترضة كالاول من وجهي الاستفهامية
وان يكون مصدرية قال ابو البقا وشيء مصدر وفي هذا نظر اذ يصير التقدير يعلم دعاكم
من شيء من الدعا **قوله** وتلك الامثال نضربها يجوز ان يكون نضربها خبر تلك والامثال نعت
او بدل او عطف بيان وان يكون الامثال خبرا ونضربها حال وان يكون خبرا ثانيا **فصل**
وتلك الامثال الاشباه والمثل كلام سائر يتضمن تشبيه الاخر بالاول يريد امثال القران
الذي شبه بها احوال كفار هذه الامة باحوال كفار الامم المتقدمة نضربها نبينها للناس قال
مقاتل لكفار مكة وما يعقلها الا العالمون اي ما يعقل الامثال الا العلما الذين يعقلون عن الله
روى جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم تلا هذه الاية وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا
العالمون قال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه **فصل** روي ان
الكفار قالوا كيف يضرب خالق الارض والسموات الامثال بالهوام والحشرات كالبعوض والذباب
والعنكبوت فقيل الامثال تضرب للناس ان لم تكونوا كالانعام يحصل لكم منه ادراك ما يوجب
نفرتكم مما انتم فيه لان التشبيه يوثر في النفس تاثيرا مثل ما يوثر الدليل فاذا قال الحكيم لمن يغتاب
بالغيبة كانك تاكل لحم ميت لانك وقعت في هذا الرجل وهو غايب لا يفهم ما تقول ولا يسمع حتى
يجيبك كمن يقع في ميت باكل منه كما ينفر اذا قال له انه يوجب العتاب ويورث العتاب
قوله خلق الله السموات والارض بالحق للحق واظهارا للحق ان في ذلك في خلقها لاية لدلالة
للمؤمنين على قدرته وتوحيده **فإن قيل** كيف خص الاية في خلق السموات والارض
بالمؤمنين مع ان في خلقهما اية لكل عاقل كما قال تعالى ولئن سالتهم من خلق السموات والارض
ليقولن الله وقال تعالى ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لقوم يعقلون
فالجواب خلق السموات والارض اية لكل عاقل وخلقهما بالحق اية للمؤمنين حسب ويدل عليه
النقل والعقل اما النقل فقوله تعالى ما خلقناهما الا بالحق ولكن اكثرهم لا يعلمون اخرج اكثر الناس
عن العلم بكونه خلقهما بالحق مع انه اثبت علم الكل بانه خلقهما بقوله ولئن سالتهم من خلق السموات
والارض ليقولن الله واما العقل فهو ان العاقل اول ما ينظر الى خلق السموات والارض يعلم ان لها خالقا
وهو الله ثم من هداه الله لا ينقطع النظر عنهما عند مجرد ذلك بل يقول انه خلقهما متقنا محكما
وهو المراد من قوله بالحق لان ما لا يكون محكما يفسد ويبطل فيكون باطلا واذا علم ان خالقهما
متقنا يقول انه قادر كامل حيث خلق فاحكم وعالم علمه شامل حيث اتقن فيقول لا يعزب
عن علمه اجزاء الموجودات في الارض ولا في السموات ولا يعجز عن جمعها كما جمع اجزاء الكاينات
والمبدعات فيجوز بعث من في القبور وبعثة الرسل وهما بالحق موجودان فيحصل له الايمان
بتمامه من خلق ما خلقه على احسن نظامه **قوله** اتل ما اوحي اليك من الكتاب يعني
القران ليعلم ان نوحا ولوطا وغيرهما كانوا على ما انت عليه بلغوا الرسالة وبالغوا في اقامة
الدلالة ولم ينقذوا قومهم من الضلالة وهذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم **قوله**
واقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشا والمنكر الفحشا ما قبح من الاعمال والمنكر ما لا يعرف في الشرع

قال

قال ابن مسعود وابن عباس في الصلاة منتهى ومزدجر عن معاصي الله فمن لم تامره صلاته
بالمعروف ولم تنهه عن المنكر لم يزدد بصلاته من الله الا بعدا وقال الحسن وقتادة من لم تنهه
صلاته عن الفحشا والمنكر فصلوته وبال عليه وروى انس بن مالك قال كان فتى من الانصار
يصلي الصلوات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لا يدع شيئا من الفواحش الا ركبه فوصف
لرسول الله صلى الله عليه وسلم حاله فقال ان صلاته تنهاه يوما فلم يلبث ان تاب وحسن حاله
وقال ابن عون معنى الاية ان الصلوة تنهى صاحبها عن الفحشا والمنكر ما دام فيها وقيل
المراد بالصلوة القران كما قال ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها اي بقراتك واراد انه يقرا
القران في الصلاة فالقران ينهاه عن الفحشا والمنكر **قوله** ولذكر الله اكبر اي ذكر الله افضل
الطاعات قال عليه السلام الا انبيكم بخير اعمالكم وازكاها عند مليككم وارفعها في درجاتكم
وخير من اعطا الذهب والفضة وان تلقوا عدوكم فتضربوا اعناقهم ويضربوا اعناقكم قالوا
ما ذاك يا رسول الله قال ذكر الله وسيل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي العبادة افضل
درجة عند الله يوم القيمة قال الذاكرون الله كثيرا قالوا يا رسول الله ومن الغازي في سبيل
الله فقال لو ضرب بسيفه الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دما لكان الذاكرون الله كثيرا
افضل منه وروى ابو هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في طريق مكة فمر
على جبل يقال له جمدان فقال سيروا هذا جمدان سبق المفردون قالوا وما المفردون
يا رسول الله قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات وقيل معنى قوله ولذكر الله اكبر اي ذكر
الله اياكم افضل من ذكركم اياه روي ذلك عن عبد الله وهو قول مجاهد وعكرمة وسعيد
ابن جبير ويروى مرفوعا عن موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال عطا في قوله ان الصلوة تنهى عن الفحشا والمنكر ولذكر الله اكبر من ان يبقى معه
معصية والله يعلم ما تصنعون قال عطا لا يخفى عليه شيء **قوله** ولا تجادلوا اهل
الكتاب الا بالتي هي احسن اي لا تخاصموهم الا بالتي هي احسن اي بالقران والدعا الى الله باياته
والتنبيه على حججه واراد من قبل الجزية منهم لما بين طريقة ارشاد المشركين بين طريقة ارشاد
اهل الكتاب **قوله** الا الذين ظلموا استثنا متصل وفيه معنيان احدهما الا الظلمة
فلا تجادلوهم البتة بل جادلوهم بالسيف اي ان ابوا ان يعطوا الجزية ونصبوا الحرب فجادلوهم
بالسيف حتى يسلموا او يعطوا الجزية ومجاز الاية الا الذين ظلموكم لان جميعهم ظالم بالكفر والثاني
جادلوهم بغير التي هي احسن اي اغلظوا لهم كما اغلظوا عليكم قال سعيد بن جبير هم اهل
الحرب ومن لا عهد له وقال قتادة ومقاتل نسخت بقوله قاتلوا الذين لا يومنون بالله
وقرا ابن عباس الا حرف تنبيه اي فجادلوهم **قوله** وقولوا امنا بالذي انزل الينا
وانزل اليكم وهذا تبيين لمجادلتهم بالتي هي احسن يريد اذا اخبركم واحد منهم ممن قبل الجزية
بشيء مما في كتبهم فلا تجادلوهم عليه ولا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا امنا بالذي انزل الينا
وانزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون روى ابو هريرة قال كان اهل الكتاب
يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لاهل الاسلام فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا امنا بالله وما انزل الينا الاية وروى
معمر عن الزهري ان ابا نملة الانصاري اخبره انه بينا هو جالس عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم جاءه رجل من اليهود ومر بجنازة فقال يا محمد هل تتكلم هذه الجنازة فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اعلم فقال اليهودي انها تتكلم فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما حدثكم اهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا امنا بالله وكتبه ورسله

فإن كان باطلا لم تصدقوه وإن كان حقا لم تكذبوه **قوله** وكذلك أنزلنا أي كما أنزلنا
إليهم الكتاب أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون يعني مؤمني أهل الكتاب
عبد الله بن سلام وأصحابه ومن هؤلاء يعني أهل مكة من يؤمن به وهم مؤمنوا أهل مكة وما يجحد
بآياتنا إلا الكافرون وذلك أن اليهود عرفوا أن محمدا نبي والقرآن حق فجحدوا وقال قتادة
الجحود إنما يكون بعد المعرفة وهذا تنفير لهم عما هم عليه يعني أنكم آمنتم بكل شيء وامتزتم على
المشركين بكل فضيلة إلا هذه المسألة الواحدة وبإنكارها تلتحقون بهم وتبطلون مزاياكم
فإن الجاحد بآية يكون كافرا **قوله** وما كنت تتلوا من قبله أي من قبل ما أنزلنا إليك
الكتاب وقوله من كتاب مفعول تتلوا ومن زائدة ومن قبله حال من كتاب أو متعلق بنفس
تتلوا ولا تخطه بيمينك أي ولا تكتبه أي لم تكن تقرأ ولا تكتب قبل الوحي **قوله** إذا لارتاب
جواب وجزاء أي لو تلوت كتابا قبل القرآن أو كنت ممن يكتب لارتاب المبطلون أي لشك المشركون
من أهل مكة وقالوا إنه يقرؤه من كتب الأولين وينسخه منها وقال قتادة ومقاتل المبطلون
هم اليهود والمعنى لشكوا فيك واتهموك وقالوا إن الذي نجد نعته في التورية أمي لا يقرأ ولا يكتب
وليس هذا على ذلك النعت **قوله** بل هو آيات بينات قرأ قتادة آية بالتوحيد قال
الحسن يعني القرآن آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم يعني المؤمنين الذين حملوا القرآن
وقال ابن عباس وقتادة بل هو يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ذو آيات بينات في صدور الذين
أوتوا العلم من أهل الكتاب لأنهم يجدونه بنعته وصفته في كتبهم وما يجحد بآياتنا إلا
الظالمون **فإن قيل** ما الحكمة في قوله ههنا الظالمون ومن قبل قال الكافرون
فالجواب أنهم قبل بيان المعجزة قيل لهم إن لكم المزايا فلا تبطلوها بإنكار محمد فتكونوا كافرين
فلفظ الكافر هناك أبلغ لمنعهم عن ذلك لاستنكافهم عن الكفر ثم بعد بيان المعجزة قال لهم
إن جحدتم هذه الآيات لزمكم إنكار إرسال الرسل فتلتحقون في أول الأمر بالمشركين حكما
وتلتحقون عند جحد هذه الآيات بالمشركين حقيقة فتكونوا ظالمين أي مشركين كما قال إن الشرك
لظلم عظيم فهذا اللفظ ههنا أبلغ **قوله** وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه كما أنزل على
الأنبياء من قبل قرأ الأخوان وابن كثير وأبو بكر آية بالإفراد لأن غالب ما جاء في القرآن
كذلك والباقون آيات بالجمع لأن بعده قل إنما الآيات بالجمع إجماعا والرسم محتمل له **فصل**
اعلم أنهم قالوا إنك تقول إنه أنزل إليك كتاب كما أنزل إلى موسى وعيسى وليس كذلك لأنه لا يوحى
أو أوتي آيات بينات نعلم بها كون الكتاب من عند الله وأنت ما أوتيت شيئا منها ثم إنه تعالى
أرشد نبيه إلى أجوبة هذه الشبهة منها قوله قل إنما الآيات عند الله وهو القادر على إرسالها
إذا شاء أرسلها وإنما أنا نذير مبين أنذر أهل المعصية بالنار وليس إنزال الآيات بيدي
قوله أولم يكفهم هذا جواب لقولهم لولا أنزل عليه آيات من ربه قل أولم يكفهم أنا أنزلنا
عليك الكتاب يتلى عليهم فما على يكفهم هو قوله أنا أنزلنا والمعنى إن كان إنزال الآيات شرطا في
صحة الرسالة فلا يشترط إلا إنزال آية وقد أنزل القرآن وهو آية معجزة ظاهرة كافية فقوله
أولم يكفهم عبارة تنبئ عن كون القرآن آية فوق الكفاية وبيانه أن القرآن أتم من كل معجزة
لوجوه أحدها أن تلك المعجزات وجدت وما دامت فإن قلب العصا ثعبانا وإحياء
الميت لم يبق لنا منه أثر فلو أنكره واحد لم يمكن إثباته معه بدون الكتاب وأما القرآن
فهو باق لو أنكره واحد فيقال له فأت بآية من مثله الثاني أن قلب العصا ثعبانا
كان في آن واحد ولم يره من لم يكن في ذلك المكان وأما القرآن فقد وصل إلى المشرق والمغرب
وسمعه كل أحد وههنا لطيفة وهي أن آيات النبي صلى الله عليه وسلم كانت أشياء لا تختص بمكان

دون مكان لأن من جملتها انشقاق القمر وهو يعم الأرض لأن الخسوف إذا وقع عم
وذلك لأن نبوته كانت عامة لا تختص بقطر دون قطر وغاض بحر ساوة في قطر
وسقط إيوان كسرى في قطر وانهدمت الكنيسة بالروم في قطر آخر إعلاما بأنه يكون أمرا
عاما الثالث أن غير هذه المعجزة يقول الكافر المعاند هذا سحر وعمل يد والقرآن لا يمكن
هذا القول فيه ثم قال تعالى إن في ذلك لرحمة أي في إنزال القرآن لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون
أي تذكيرا وعظة لمن آمن وعمل به **قوله** قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا أي رسوله وهذا
القرآن كتابه وهذا كما يقول الصادق إذا كذب وأتى بكل ما يدل على صدقه ولم يصدقه
محكم
المعاند الله يعلم صدقي وتكذيبك أيها المعاند وهو على ما أقول شهيد بيني وبينك كل ذلك
إنذار وتهديد ثم بين كونه كافيا بكونه عالما بجميع الأشياء فقال يعلم ما في السموات والأرض
فإن قيل ما الحكمة في أنه أخر شهادة أهل الكتاب في آخر الرعد في قوله ويقول
الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب وههنا قدم
شهادة أهل الكتاب فقال فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به أي من
أهل الكتاب فالجواب أن الكلام هناك مع المشركين فاستدل عليهم بشهادة غيرهم ثم إن شهادة
الله أقوى في إلزامهم من شهادة غير الله وههنا الكلام مع أهل الكتاب وشهادة المرء على نفسه
ارشاد
هو إقراره وهو أقوى الحجج عليه فقدم ما هو ألزم عليهم ثم إنه تعالى لما بين الطريقين في الفريقين
المشركين وأهل الكتاب عاد إلى الكلام الشامل لهما وللإنكار العام فقال والذين آمنوا بالباطل
قال ابن عباس بغير الله وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون **فإن قيل** قوله أولئك
هم الخاسرون يقتضي الحصر أي من أتى بالإيمان بالباطل والكفر بالله فهو الخاسر فمن يأتي بأحدهما
دون الآخر ينبغي أن لا يكون خاسرا فالجواب أنه يستحيل أن يكون الآتي بأحدهما لا يكون آتيا
بالآخر لأن المؤمن بما سوى الله مشرك لأنه جعل غير الله مثله وغير الله عاجز ممكن باطل
فيكون الله كذلك ومن كفر بالله وأنكره فيكون قائلا بأن العالم ليس له إله موجود فوجود العالم
من نفسه فيكون قائلا بأن العالم واجب الوجود والواجب إله فيكون قائلا بأن غير الله إله
لغير الله
فيكون إثباتا وإيمانا به **فإن قيل** إذا كان الإيمان بما سواه كفرا به فيكون كل من
آمن بالباطل فقد كفر بالله فهل لهذا العطف فائدة غير التأكيد الذي في قول القائل
قم ولا تقعد واقترب مني ولا تبعد فالجواب فيه فائدة غيرها وهو أنه ذكر الثاني لبيان
قبح الأول كقول القائل أتقول بالباطل وتترك الحق لبيان أن القول بالباطل قبيح **قوله**
ويستعجلونك بالعذاب نزلت في النضر بن الحرث حين قال فأمطر علينا حجارة من السماء ولولا
أجل مسمى قال ابن عباس ما وعدتك أني لا أعذب قومك ولا أستأصلهم وأخر عذابهم
إلى يوم القيمة كما قال بل الساعة موعدهم وقيل يوم بدر ولولا ذلك الأجل المسمى الذي اقتضته
حكمته لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة يعني العذاب وقيل الأجل بغتة وهم لا يشعرون
بإتيانه وقوله وهم لا يشعرون يحتمل وجهين أحدهما تأكيد معنى قوله بغتة كما يقول القائل
أتيته على غفلة منه بحيث لم يدر فقوله بحيث لم يدر أكد معنى الغفلة والثاني أنه يفيد
فائدة مستقلة وهي أن العذاب يأتيهم بغتة وهم لا يشعرون هذا الأمر ويظنون أن العذاب
لا يأتيهم أصلا **قوله** يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين ذكر هذا للتعجب
لأن من توعد بأمر فيه ضرر يسير كلطمة أو لكمة فيرى من نفسه الجلد ويقول بسم الله هات وأما
من توعد بإغراق أو إحراق ويقطع بأن الموعد قادر لا يخلف الميعاد لا يخطر بباله أن يقول
له هات ما توعدني به فقال ههنا يستعجلونك بالعذاب والعذاب بنار جهنم المحيطة بهم فقوله

يستعجلونك اولا اخبارا عنهم وثانيا تعجبا منهم وقيل اعاده تاكيدا ثم ذكر كيفية احاطة جهنم
فقال يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم **فان قيل** لم خص الجانبين
ولم يذكر اليمين والشمال وخلف وقدام فالجواب ان المقصود ذكر ما تميز به نار جهنم عن نار
الدنيا ونار الدنيا تحيط بالجوانب الاربعة فان من دخلها يكون الشعلة قدامه وخلفه ويمينه
ويساره واما النار من فوق لا تنزل وانما تصعد من اسفل في العادة وتحت الاقدام لا تبقى
الشعلة بل تنطفي الشعلة التي تحت القدم ونار جهنم تنزل من فوق ولا تنطفي بالدوس موضع
القدم **فان قيل** ما الحكمة في قوله من فوقهم ومن تحت ارجلهم ولم يقل من فوق
روسهم ولا قال من فوقهم ومن تحتهم بل ذكر المضاف اليه عند ذكر تحت ولم يذكره عند ذكر فوق
فالجواب ان نزول النار من فوق سواء كان من سمت الراس او من موضع اخر عجيب لان طبع النار
الصعود الى فوق فلهذا لم تخصه بالروس واما بقا النار تحت القدم فهو عجيب والا فمن جوانب
القدم في الدنيا يكون الشعلة فذكر العجيب وهو ما تحت الارجل حيث لم ينطفي بالدوس واما
فوق فعلى الاطلاق **قوله** ويقول ذوقوا قرا نافع واهل الكوفة ويقول بيا الغيبة اي
الله تعالى او الملك الموكل بعذابهم وباقي السبعة بالنون اي جماعة الملايكة او نون العظمة لله
تعالى وابو البرهسم بالتا من فوق اي جهنم كقوله وتقول هل من مزيد وعبد الله وابن ابي عبلة
ويقال مبنيا للمفعول وقوله ما كنتم تعملون اي جزا ما كنتم تعملون لما بين عذاب اجسامهم بين عذاب
ارواحهم وهو ان يقال لهم على سبيل التنكيل والاهانة ذوقوا ما كنتم تعملون جعل ذلك عين ما
كانوا يعملون مبالغة بطريق اطلاق اسم المسبب على السبب فان عملهم كان سببا لعذابهم وهذا
كثير في الاستعمال **قوله** يا عبادي الذين امنوا ان ارضي واسعة لما ذكر حال المشركين
على حدة وحال اهل الكتاب على حدة وجمعهما في الانذار وجعلهما من اهل النار اشتد عنادهم
وزاد فسادهم وسعوا في ايذا المؤمنين ومنعهم من العبادة قال مقاتل والكلبي نزلت في ضعفا
مسلمي مكة يقول ان كنتم في ضيق بمكة من اظهار الايمان فاخرجوا منها ان ارضي المدينة واسعة
امنة قال مجاهد ان ارضي واسعة فهاجروا وجاهدوا فيها وقال سعيد بن جبير اذا عمل في
ارض بالمعاصي فاخرجوا منها فان ارضي واسعة وقال عطا اذا امرتم بالمعاصي فاهربوا فان
ارضي واسعة وكذلك يجب على كل من كان في بلد يعمل فيها بالمعاصي ولا يمكنه تغيير ذلك
ان يهاجر الى حيث يتهيا له العبادة وقيل نزلت في قوم تخلفوا عن الهجرة بمكة وقالوا نخشى ان
هاجرنا من الجوع وضيق المعيشة فانزل الله هذه الاية ولم يعذرهم بترك الخروج وقال
مطرف بن عبد الله ارضي واسعة رزقي لكم واسع فاخرجوا **فصل** قوله يا عبادي لا
يدخل فيه الكافر لوجوه احدها قوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان والكافر تحت سلطنة
الشيطان فلا يدخل في قوله يا عبادي وثانيها قوله تعالى يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم
لا تقنطوا من رحمة الله وثالثها ان العباد ماخوذ من العبادة والكافر لا يعبد الله فلا يدخل
في قوله عبادي وانما يختص بالمؤمنين الذين يعبدونه ورابعها الاضافة بين الله والعبد بقول
العبد الهي ويقول الله عبدي **فان قيل** اذا كان عباده لا يتناول المؤمنين فما الفايدة
في قوله الذين امنوا مع ان الوصف انما يذكر لتمييز الموصوف كما يقال يا ايها المكلفون المؤمنون يا ايها
الرجال العقلا تمييزا بين الكافر والجاهل فالجواب ان الوصف يذكر لا لتمييز بل لمجرد بيان ان فيه
الوصف كما يقال الانبيا المكرمون والملايكة المطهرون مع ان كل نبي مكرم وكل ملك مطهر وانما
يقال لبيان ان فيهم الاكرام والطهارة ومثله قولنا الله العظيم فها هنا ذكر لبيان انهم مؤمنون
فان قيل قوله يا عبادي يفهم منه كونهم عابدين فما الفايدة بالامر بالعبادة بقوله

فاعبدون

علی المقتضی

فاعبدون فالجواب فيه فايدتان احدهما المداومة اي يا من عبد تموني في الماضي اعبدوني
في المستقبل والثانية الاخلاص اي يا من يعبدني اخلص العمل لي ولا تعبد غيري **فان
قيل** الفا في قوله فاياي تدل على انه جواب لشرط فما ذاك فالجواب قوله ان ارضي
واسعة اشارة الى عدم المانع من عبادته فكانه قال اذا كان لا مانع من عبادتي فاياي
فاعبدون فهو لترتيب المقتضي كما يقال هذا عالم فاكرموه فكذلك هاهنا لما اعلم نفسه بقوله
فاياي وهو لنفسه مستحق العبادة فقال فاعبدون قال الزمخشري هذا جواب شرط محذوف
وجعل تقديم المفعول عوضا من حذفه مع افادته للاختصاص ونقل تقدم منازعة ابي
حيان له في نظيره **قوله** كل نفس ذايقة الموت ثم الينا ترجعون قراه بالغيبة ابو بكر
وكذا في الروم في قوله ثم اليه يرجعون وافقه ابو عمرو في الروم فقط والباقون بالخطاب
فيهما وقرئ ترجعون مبنيا للفاعل **فصل** لما امر الله تعالى المؤمنين بالمهاجرة
صعب عليهم ترك الاوطان ومفارقة الاخوان لخوفهم بالموت ليهون عليهم الهجرة اي كل احد
ميت اينما كان فلا تقيموا بدار الشرك خوفا من الموت فان كل نفس ذايقة الموت فالاولى ان يكون
ذلك في سبيل الله فيجازيكم عليه فان الى الله مرجعكم فيجزيكم باعمالكم وفيه وجه اخر دقيق
وهو ان قوله كل نفس ذايقة الموت اي اذا كانت متعلقة بغيرها فهو للموت ثم الى الله ترجع
فلا تموت كما قال تعالى لا يذوقون فيها الموت واذا كان كذلك فمن يريد ان لا يذوق الموت
لا يبقى مع نفسه فان النفس ذايقته بل يتعلق بغيره وذلك الغير ان كان غير الله فهو ذايق
الموت كقوله كل نفس ذايقة الموت وكل شي هالك الا وجهه فاذن التعلق بالله فقال تعالى
اياي فاعبدون اي تعلقوا بي ولا تتبعوا النفس فانها ذايقة الموت ثم الينا ترجعون اي اذا
تعلقتم بي فموتكم رجوع الي وليس بموت كقوله ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احيا
وقال عليه السلام المومنون لا يموتون بل ينقلون من دار الى دار **قوله** والذين امنوا وعملوا
الصالحات يجوز في الذين الوجهان المشهوران الابتدا والاشتغال وقوله لنبوينهم قرا الاخوان
بثا مثلثة ساكنة بعد النون ويا مفتوحة بعد الواو من الثوا وهو الاقامة يقال ثوى الرجل
اذا اقام واثويته اذا انزلته منزلا يقيم فيه والباقون بباء موحدة مفتوحة بعد النون
وهمزة مفتوحة بعد الواو من المباءة وهي الانزال اي لننزلنهم من الجنة غرفا علالي **قوله**
غرفا على القراة الاولى اما مفعول به على تضمين ابوي انزل فيتعدي لاثنين لان بوي كاصله
واكتسبه الهمزة التعدي لواحد واما على تشبيه الظرف المختص بالمبهم كقوله لاقعدن
لهم صراطك واما على اسقاط الخافض اتساعا اي في غرف واما في القراة الثانية فمفعول
ثان لان بوي يتعدى لاثنين قال تعالى تبوي المومنين مقاعد للقتال ويتعدى
باللام قال تعالى واذ بوانا لابرهيم وقرئ لنبوينهم بالتشديد مع الثا المثلثة عدي
بالتضعيف كما عدي بالهمزة **وتجري** صفة لغرفا خالدين فيها نعم اجر
العاملين وهذا في مقابلة قوله للكفار ذوقوا ما كنتم تعملون **قوله** الذين صبروا
لا يجوز فيه الجر والنصب والرفع كنظايره تقدمت والمعنى الذين صبروا على الشدايد ولم
يتركوا دينهم لشدة لحقتهم وعلى ربهم يتوكلون يعتمدون **قوله** وكاي من دابة لا تحمل رزقها
جوز ابو البقا في كاي وجهين احدهما انها مبتدا ولا تحمل صفتها والله يرزقها خبره ومن دابة
تبيين والثاني ان يكون في موضع نصب باضمار فعل يفسره يرزقها ويقدر بعد كاي
يعني لان لها صدر الكلام وفي الثاني نظر لان من شرط المفسر العمل وهذا المفسر لا يعمل لانه
لو عمل لحل محل المفعول لكنه لا يحل محله لان الخبر متى كان فعلا رافعا لضمير مفرد امتنع تقديمه

على المبتدا واذا اردت معرفة هذه القاعدة فعليك بسورة هود عند قوله الا يوم ياتيهم ليس مصروفا **فصل** لما ذكر الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون ذكر ما يعين على التوكل وهو بيان حال الدواب التي لا تدخر شيئا لغد وياتيها رزقها كل يوم واعلم ان في كاين اربع لغات غير هذه كائن على وزن راع وكائي على وزن رعي وكي على وزن ريع وكاء على وزن دع ولم يقرا الا كاين وكائن قراة ابن كثير **فصل** كاين كلمة مركبة من كاف التشبيه واي التي تستعمل استعمال من وما وكثيرا وجعل المركب بمعنى كم ثم لم يكتب الا بالنون ليفصل بين المركب وغير المركب لان كاي يستعمل غير مركب كما يقول القايل رايت رجلا لا كاي رجل يكون وحينيذ لا يكون كاي مركبا واذا كان كاي ههنا مركبا كتبت بالنون للتمييز كما يكتب ثمه بالتا موصولا للفرق بالتا بينها وبين ثمه **فصل** روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للمومنين الذين كانوا بمكة واذاهم المشركون هاجروا الى المدينة فقالوا كيف نخرج الى المدينة وليس لنا بها دار ولا مال فمن يطعمنا بها ويسقينا فانزل الله تعالى وكاين من دابة اي وكم من دابة ذات حاجة الى الغذا لا تحمل رزقها اي لا ترفع رزقها معها ولا تدخر شيا لغد مثل البهايم والطير وقيل لا تحمل رزقها لضعفها كالنمل والبرغوث والدود الله يرزقها واياكم حيث ما كنتم وهو السميع لاقوالكم لا نجد ما ننفق بالمدينة العليم بما في قلوبكم قال سفين ليس شي مما خلق الله يخبا الا الانسان والفارة والنملة روى ابن عمر قال دخلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حايطا من حوايط الانصار فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتقط الرطب بيده ويا كل فقال كل يا ابن عمر قلت لا اشتهيها يا رسول الله قال لكني اشتهيه وهذه صبح رابعة لم اطعم طعاما ولم اجده فقلت انا لله الله المستعان قال يا ابن عمر لو سالت ربي لاعطاني مثل ملك كسرى وقيصر اضعافا مضاعفة ولكني اجوع يوما واشبع يوما فكيف بك يا ابن عمر اذا عمرت وبقيت في حثالة من الناس يخبون رزق سنة ويضعف اليقين فنزلت وكاين من دابة لا تحمل رزقها الاية وقال عليه السلام لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا **قوله** ولين سالتهم يعني كفار مكة من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فانى يوفكون اي هم يعتقدون هذا فكيف يصدفون عن عبادة الله مع ان من علم عظمته وجب خدمته ولا عظمة فوق السموات والارض ولا حقارة فوق حقارة الجماد لان الجماد دون الحيوان والحيوان دون الانسان والانسان دون مكان السموات فكيف يتركون عبادة اعظم الموجودات ويشتغلون بعبادة احس الموجودات **فصل** لما بين امر المشرك مخاطبا معه ولم ينتفع به واعرض عنه وخاطب المومن بقوله يا عبادي واتم الكلام معه ذكر معه ما يكون ارشادا للمشرك بحيث يسمعه وهذا طريق في غاية الحسن فان السيد اذا كان له عبدان او الوالد اذا كان له ولدان واحدهما رشيد والاخر مفسد ينصح ولا المفسد فان لم يسمع يلتفت الى الرشيد ويعرض عن المفسد ويقول ان هذا لا يستحق الخطاب فاسمع انت ولا تكن مثل هذا المفسد فيتضمن هذا الكلام نصيحة الرشيد وزجر المفسد فان قوله هذا لا يستحق الخطاب يوجب نكاية في قلبه ثم اذا ذكر مع المصلح في اثنا الكلام والمفسد يسمعه ان هذا اخاك العجب منه انه يعلم قبح فعله ويعرف الفساد من الصلاح وسبل الرشاد والفلاح ويشتغل بضده يكون هذا الكلام ايضا داعيا الى الرشاد مانعا له من الفساد فكذلك قال الله تعالى للمومن العجب منهم انهم ان سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ثم لا يومنون **فصل** ذكر في السموات والارض الخلق وفي الشمس والقمر التسخير لان مجرد خلق الشمس والقمر ليس حكمة فان

الشمس لو كانت مخلوقة بحيث تكون في موضع واحد لا تتحرك ما حصل الليل ولا النهار ولا الصيف والشتا فاذن الحكمة في تحريكهما وتسخيرهما واعلم ان في لفظ التسخير دون التحريك فايدة وهي ان التحريك يدل على مجرد الحركة وليس بمجرد الحركة كما نبه لانها لو كانت تتحرك مثل حركتنا لما كانت تقطع الفلك في الوف من السنين فالحكمة في تسخيرهما تحريكهما في قدر ما يتنفس الانسان الا قاس من الفراغ ثم لم يجعل لهما حركة واحدة بل حركات احدها حركتها من المشرق الى المغرب في كل يوم وليلة مرة والاخرى حركتها من المغرب الى المشرق ويدل عليها ان الهلال يرى في جانب المغرب على بعد مخصوص من الشمس ثم يبعد عنها الى جانب المشرق حتى يرى القمر في نصف الشهر في مقابلة الشمس والشمس على افق المغرب والقمر على افق المشرق وايضا حركة الاوج وحركة المايل والند ويرى في القمر ولولا الحركة التي من المغرب الى المشرق لما حصلت الفصول واعلم ان اصحاب الهيئة قالوا الشمس مركوزة في الفلك والفلك يديرها بدورانه وانكره المفسرون الظاهريون واعلم انه لا بعد في ذلك ان لم يقولوا بالطبيعة لان الله تعالى فاعل مختار ان اراد ان يحركهما في الفلك والفلك ساكن يجوز وان اراد ان يحركهما بحركة الفلك وهما ساكنان يجوز ولم يرد فيه نص قاطع او ظاهر واعلم انه تعالى ذكر ايجاد الذوات بقوله خلق السموات والارض وذكر ايجاد الصفات بقوله وسخر الشمس والقمر ثم قال الله يبسط الرزق لمن يشا من عباده لما ذكر الخلق ذكر الرزق لان كمال الخلق ببقايه وبقا الانسان بالرزق فقال المعبود اما ان يعبد لاستحقاقه العبادة والاصنام ليست كذلك والله مستحقها واما لكونه عظيم الشان والله الذي خلق السموات عظيم الشان جلي البرهان فله العبادة واما لكونه ولي الاحسان والله يرزق الخلق فله الفضل والاحسان والامتنان فله العبادة ان الله بكل شي عليم يعلم مقادير الحاجات والارزاق ولما قال الله يبسط الرزق ذكر اعترافهم بذلك فقال ولين سالتهم من نزل من السما ما فاحيى به الارض من بعد موتها ليقولن الله يعني هذا سبب الرزق وموجد السبب موجد المسبب فالرزق من الله **قوله** قل الحمد لله على اقرارهم ولزوم الحجة عليهم بل اكثرهم لا يعقلون ينكرون التوحيد مع اقرارهم بانه خالق هذه الاشيا فقل الحمد لله على ظهور تناقضهم واكثرهم لا يعقلون هذا التناقض وقيل هذا كلام معترض في اثنا كلام كانه قال فاحيا به الارض من بعد موتها بل اكثرهم لا يعلمون فذكر في اثنا هذا الكلام الحمد لله ذكر النعمه كقوله • ان الثمانين وبلغتها • قد احوجت سمعي الى ترجمان • **قوله** وما هذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب اللهو هو الاستمتاع بلذات الدنيا واللعب العبث سميت بهما لانها فانية وقيل اللهو الاعراض عن الحق واللعب الاقبال على الباطل **فان قيل** قال في الانعام وما الحيوة الدنيا ولم يقل وما هذه الحيوة وقال ههنا وما هذه الحيوة فما فايدته فالجواب ان المذكور من قبل ههنا امر الدنيا حيث قال فاحيا به الارض من بعد موتها فقال هذه والمذكور فيها هناك الاخرة حيث قال يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم فلم تكن الدنيا في ذلك الوقت في خاطرهم فقال وما الحيوة الدنيا **فان قيل** ما الحكمة في تقديمه هناك اللعب على اللهو وههنا اخر اللعب عن اللهو فالجواب لما كان المذكور من قبل هناك الاخرة واظهارهم الحسرة ففي ذلك الوقت يبعد الاستغراق في الدنيا بل نفس الاشتغال بها فاخذ الابعد وههنا لما كان المذكور من قبل الدنيا وهي خداعة تدعوا النفوس الى الاقبال عليها والاستغراق فيها اللهم الا لمانع يمنع من الاستغراق فيشتغل بها من غير استغراق فيها ولعاصم يعصمه فلا يشتغل بها اصلا فكان الاستغراق اقرب من عدمه فقدم اللهو **فان قيل** ما

الحكمة في قوله هناك والدار الاخرة خير وقال ههنا وان الدار الاخرة لهي الحيوان فالجواب لما كان
الحال هناك حال اظهار الحسرة ما كان المكلف يحتاج الى وازع قوي فقال الاخرة خير ولما كان الحال
هنا حال الاشتغال بالدنيا احتاج الى وازع قوي فقال لا حياة الا حياة الاخرة **قوله** وان
الدار الاخرة لهي الحيوان قدر ابو البقا وغيره قبل المبتدا مضافا اي وان حياة الدار الاخرة وانما
قدروا ذلك ليتطابق المبتدا والخبر والمبالغة احسن وواو الحيوان عن يا عند سيبويه والتابعه
وانما ابدلت واوا شذوذا وكذا في حيوه علما وقال ابو البقا لئلا يلتبس بالتثنية يعني لو قيل
حييان قال ولم تقلب الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها لئلا تحذف احدى الالفين وغير سيبويه
حمل ذلك على ظاهره فالحياة عنده لامها واو ولا دليل لسيبويه في حي لان الواو متى انكسر ما قبلها
قلبت يا نحو عري ودعي ورضي ومعنى الاية وان الدار الاخرة لهي الحيوان اي الحياة الدائمة
الباقية والحيوان بمعنى الحياة اي فيها الحياة الدائمة لو كانوا يعلمون اي لو كانوا يعلمون انها
الحيوان لما اثروا عليها الدنيا **فان قيل** ما الحكمة في قوله في الانعام افلا يعقلون
وقال ههنا لو كانوا يعلمون **فالجواب** ان المثبت هناك كون الاخرة خيرا وانه ظاهر لا يتوقف
الا على العقل والمثبت هنا ان لا حياة الا حياة الاخرة وهذا دقيق لا يعرف الا بالعلم نافع **قوله**
فاذا ركبوا قال الزمخشري فان قلت بم اتصل قوله فاذا ركبوا في الفلك قلت بمحذوف دل
عليه ما وصفهم به وشرح من امرهم معناه هم على ما وصفوا به من الشرك والعناد فاذا ركبوا **قوله**
دعوا الله معناه فاذا خافوا الغرق دعوا الله مخلصين له الدين وتركوا الاصنام
وهذه اشارة الى تحقيق ان المانع من التوحيد هو الحياة الدنيا لانهم اذا انقطع رجاهم عن الدنيا
رجعوا الى الفطرة الشاهدة بالتوحيد ووحدوا واخلصوا واذا نجاهم وارجاهم عادوا الى ما
كانوا عليه من حب الدنيا واشركوا لقوله فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون وهذا اخبار عنهم
بانهم عند الشدائد يقرون ان القادر على كشفها هو الله عز وجل وحده واذا زالت عادوا
الى كفرهم وقال عكرمة كان اهل الجاهلية اذا ركبوا البحر حملوا معهم الاصنام فاذا اشتدت
عليهم الريح القوها في البحر وقالوا يارب يارب **قوله** ليكفروا فيه وجهان اظهرهما ان
اللام لام كي اي يشركوا ليكون اشراكهم كفرا بنعمة الانجا وليتمتعوا بسبب الشرك فسوف يعلمون
وبال عملهم والثاني ان يكون لام الامر ومعناه التهديد والتوعيد كقوله اعملوا ما شئتم
اي ليجحدوا نعمة الله في انجائه اياهم فسيعلمون فسادما يعملون **قوله** وليتمتعوا قرا
ابو عمرو وابن عامر وعاصم وورش بكسرها وهي محتملة للامرين المتقدمين والباقون بسكونها
وهي ظاهرة في الامر فان كانت اللام الاولى للامر فقد عطف امرا على مثله وان كانت للعلة
فيكون قد عطف كلاما على كلام فيكون المعنى لا فايدة لهم في الاشراك الا الكفر والتمتع بما
يستمتعون به في العاجلة من غير نصيب في الاخرة وقرا عبد الله فتمتعوا فسوف تعلمون وابو
العالية فيمتعوا بالياء من تحت مبنيا للمفعول **قوله** اولم يروا انا جعلنا حرما امنا وجه تعلقه
بما قبله ان الانسان يكون في البحر على اخوف ما يكون وفي بيته يكون على امن ما يكون لا سيما
اذا كان بيته في بلد حصين فلما ذكر الله حال المشركين عند الخوف الشديد ورأوا انفسهم في
تلك الحالة راجعة الى الله ذكرهم حالهم عند الامن العظيم وهي كونهم في مكة فانها مدينتهم
وبلدهم وفيها سكناهم ومولدهم وهي حصين يحفظها الله حيث كل من دخلها يمتنع من قتال
من حصل فيها والحصول فيها يدفع الشرور عن النفوس يعني انكم في اخوف ما انتم دعوتم الله وفي امن
ما حصلتم عليه كفرتم بالله وهذا تناقض لان دعاءكم في ذلك الوقت على سبيل الاخلاص ما
كان الا لقطعكم بان النعمة من الله لا غير وهذه النعمة العظيمة التي حصلت وقد اعترفتم

باها

بانها لا تكون الا من الله فكيف تكفرون بها والاصنام التي قلتم في حال الخوف ان لا امن لها كيف
امنتم بها في حال الامن ثم قال افبالباطل يؤمنون قرا العامة يؤمنون ويكفرون بيا الغيبة
والحسن والسلمي بتا الخطاب فيهما والمعنى افبالاصنام والشياطين يؤمنون وبنعمة الله محمد والاسلام
يكفرون **قوله** ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا فزعم ان له شريكا والظلم وضع الشي في غير
موضعه فاذا وضعه في موضع لا يمكن ان يكون ذلك موضعه يكون اظلم لان عدم الامكان اقوى
من عدم الحصول **قوله** او كذب بالحق لما جاءه اي بمحمد والقران لما جاءه اليس في جهنم وهذا
استفهام تقرير كقوله الستم خير من ركب المطايا وانديى العالمين بطون راح والمعنى
اما لهذا الكافر المكذب ماوى في جهنم **قوله** والذين جاهدوا ويجوز فيه ما جاز في قوله
والذين امنوا اول السورة وفيه رد على ثعلب حيث زعم ان جملة القسم لا تقع خبرا للمبتدا والمعنى
والذين جاهدوا المشركين لنصرة ديننا لنهدينهم سبلنا لنثبتنهم على ما قاتلوا عليه وقيل
لنزيدنهم هدى كما قال ويزيد الله الذين اهتدوا هدى وقيل لنهدينهم لاصابة الطريق
المستقيمة والطريق المستقيمة هي التي توصل الى رضى الله عز وجل قال سفيان بن عيينة اذا
اختلف الناس فانظروا ما عليه اهل الثغور فان الله قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا
وقيل المجاهدة هي الصبر على الطاعات قال الحسن افضل الجهاد مخالفة الهوى وقال الفضيل بن
عياض والذين جاهدوا في طلب العلم لنهدينهم سبل العمل به وقال سهل بن عبد الله والذين
جاهدوا في اقامة السنة لنهدينهم سبيل الجنة **قوله** لمع المحسنين من اقامة الظاهر
مقام المضمر اظهارا لشرفهم والمعنى لمع المحسنين بالنصر والمعونة في دنياهم وبالثواب
والمغفرة في عقباهم روى ابو امامة عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة العنكبوت كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المؤمنين والمنافقين

سورة الروم مكية

وهي ستون اية وثمان مائة وتسع عشرة كلمة
وثلاثة الاف وخمسمائة واربعة وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى**
الم غلبت الروم وجه تعلق هذه السورة بما قبلها ان الله تعالى لما قال
ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن وكان يجادل المشركين بنسبتهم الى عدم العقل
كما في قوله صم بكم عمي فهم لا يعقلون وكان اهل الكتاب يوافقون النبي في الاله كما قال والهنا
والهكم واحد وكانوا يؤمنون بكثير مما يقوله بل كثير منهم كانوا مؤمنين به كما قال والذين
اتيناهم الكتاب يؤمنون به ابغض المشركون اهل الكتاب وتركوا مراجعتهم وكانوا من
قبل يراجعونهم في الامور وكان بين فارس والروم قتال والمشركون يودون ان تغلب
فارس الروم لان اهل فارس كانوا مجوسا اميين والمسلمون يودون غلبة الروم على فارس
لكونهم اهل كتاب فبعث كسرى جيشا الى الروم واستعمل عليهم رجلا يقال له شهريار وبعث
قيصر جيشا واستعمل عليهم رجلا يدعى يحنس فالتقيا باذرعات وبصرى وقال عكرمة هي اذرعات
وكسكر وقال مجاهد ارض الجزيرة وقال مقاتل الاردن وفلسطين وهي ادنى الشام الى
ارض العرب والعجم فغلبت فارس الروم فبلغ ذلك المسلمين بمكة فشق ذلك عليهم وفرح به كفار
مكة وقالوا للمسلمين انكم اهل كتاب والنصارى اهل كتاب ونحن اميون وقد ظهر اخواننا
من اهل فارس على اخوانكم من الروم وانكم ان قاتلتمونا لنظهرن عليكم فانزل الله تعالى هذه
الايات لبيان ان الغلبة لا تدل على الحق بل الله يريد به زيادة ثواب المؤمن فيبتليه ويسلط عليه
الاعادي وقد يختار تعجيل العذاب الادنى دون العذاب الاكبر قبل يوم الميعاد **فصل**
قد تقدم ان كل سورة افتتحت بحروف التهجي فان في اولها ذكر الكتاب او التنزيل او القران كقوله

الم ذلك الكتاب المص كتاب طه ما انزلنا عليك القران الم تنزيل الكتاب حم تنزيل من الرحمن
الرحيم يس والقران ق والقران الا هذه السورة وسورتين ذكرناهما في العنكبوت وذكرنا اخريين
الحكمة فيهما هناك واما ما يتعلق بهذه السورة فنقول ان السورة التي بدا وايلها التنزيل
والكتاب والقران في اوايلها ذكر ما هو معجزة فقدمت عليها الحروف على ما تقدم بيانه في العنكبوت
وهذه في اوايلها ذكر ما هو معجزة وهو الاخبار عن الغيب فقدمت الحروف التي لا يعلم معناها
لينتبه السامع فيقبل بقلبه على الاستماع ثم يرد عليه المعجزة ويفرغ للاستماع **قوله**
في ادنى الارض زعم بعضهم ان الدعوى من الضمير وان الاصل في ادنى ارضهم وهو قول كوفي
وهذا على قول ان الحرب كان من جهة بلادهم واما من يقول انه من جهة بلاد العرب فلا بنا في
ذلك وقرا العامة غلبت مبنيا للمفعول وعلي بن ابي طالب وابو سعيد الخدري وابن عمر واهل
الشام ببنايه للفاعل **قوله** وهم من بعد غلبهم اي الروم من بعد غلب فارس اياهم
والغلب والغلبة لغتان فعلى القراة الشهيرة يكون المصدر مضافا لمفعوله ثم هذا المفعول اما
ان يكون مرفوع المحل على ان المصدر المضاف اليه ماخوذ من مبني للمفعول على خلاف في ذلك
واما منصوب المحل على ان المصدر من مبني للفاعل والفاعل محذوف تقديره من بعد ان غلبهم
عدوهم وهم فارس واما على القراة الثانية فهو مضاف لفاعله **قوله** سيغلبون خبر
المبتدا ومن بعد غلبهم متعلق به والعامة بل نقل بعضهم الاجماع على سيغلبون مبنيا للفاعل
فعلى الشهيرة واضح اي من بعد ان غلبتهم فارس سيغلبون فارس واما على القراة الثانية فاخبر
انهم سيغلبون ثانيا بعد ان غلبوا اولا وروي عن ابن عمر انه قرا ببنايه للمفعول وهذا مخالف
لما ورد في سبب الاية وما ورد في الاحاديث وقد يلايم هذا بعض ملايمة من قرا غلبت
مبنيا للفاعل وقد تقدم ان ابن عمر ممن قرا بذلك وقد خرج النحاس قراة عبد الله بن عمر
على تخريج حسن وهو ان المعنى وفارس من بعد غلبهم للروم سيغلبون الا ان فيه اضمار ما لم يذكر
ولا جرى سبب ذكره **قوله** في بضع يتعلق بما قبله وتقدم تفسير البضع واشتقاقه
في يوسف وقال الفرا الاصل في غلبهم غلبتهم بتا التانيث فحذفت للاضافة كاقام الصلاة
وغلطه النحاس بان اقام الصلوة قد يقال فيها ذلك لاعتلالها واما هنا فلا ضرورة تدعو اليه
وقرا ابن السميفع وابو حيوة غلبهم بسكون اللام فيحتمل ان يكون تخفيفا شاذا وان يكون لغة
في المفتوح كالظعن والظعن **فصل** قوله في ادنى الارض اي ارض العرب لان الالف
واللام للعهد والمعهود عندهم ارضهم **فان قيل** اي فايدة في ذكر قوله من
بعد غلبهم سيغلبون بعد قوله غلبت الروم لا يكون الا من بعد الغلبة فالجواب فايدته
اظهار القدرة وبيان ان ذلك بامر الله لان من غلب بعد غلبه لا يكون الا ضعيفا فلو كان
غلبتهم بشوكتهم لكان الواجب ان يغلبوا قبل غلبهم فاذا غلبوا بعد ما غلبوا دل على ان ذلك بامر الله
تعالى من بعد غلبهم ليتفكروا في ضعفهم ويتذكروا انه ليس بقوتهم وانما ذلك بامر هو من الله
وقوله في ادنى الارض لبيان شدة ضعفهم اي انتهى ضعفهم الى ان وصل عدوهم الى طرف الحجاز
وكسروهم وهم في بلادهم ثم غلبوا حتى وصلوا الى المداين وبنوا هناك الرومية لبيان ان هذه
الغلبة العظيمة بعد ذلك الضعف العظيم باذن الله تعالى **فصل** قال في بضع سنين
وهو ما بين الثلاثة والعشرة ابهم الوقت مع ان المعجزة في تعيين الوقت اتم لان السنة والشهر واليوم
والساعة كلها معلومة عند الله وبينها لنبيه وما اذن له في اظهاره لان الكفار كانوا معاندين
والامور التي تقع في البلاد النايية تكون معلومة الوقوع بحيث لا يمكن انكارها لكن وقتها يمكن
الاختلاف فيه فالمعاند كان يتمكن من ان يرجف بوقوع الواقعة قبل الوقوع ليحصل الخلاف في

كلامه

كلامه ولما نزلت الاية خرج ابو بكر رضي الله عنه الى الكفار فقال فرحتم بظهور اخوانكم فلا تفرحوا
فوالله لتظهرن الروم على فارس اخبرنا بذلك نبينا صلى الله عليه وسلم فقام اليه ابي بن خلف
الجمحي فقال كذبت فقال انت اكذب يا عدو الله فقال اجعل بيننا اجلا اناحبك عليه
والمناحبة المراهنة على عشر قلايص مني وعشر قلايص منك فان ظهرت الروم على فارس غرمت
وان ظهرت فارس غرمت وجعلوا الاجل ثلاث سنين فجا ابو بكر الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره
بذلك وذلك قبل تحريم القمار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هكذا ذكرت انما البضع
ما بين الثلاث الى التسع فزايده في الخطر ومادّه في الاجل فجعلها ماية قلوص وماية قلوص
الى تسع سنين وقيل الى سبع سنين قال قد فعلت وهذا يدل على علم النبي صلى الله عليه وسلم
بوقت الغلبة ثم ان ابي بن خلف خشي ان يخرج ابو بكر من مكة فاتاه فلزمه وقال اني اخاف
ان تخرج من مكة فاقم لي كفيلا فكفل له ابنه عبد الله بن ابي بكر فلما اراد ابي بن خلف ان يخرج
الى احد اتاه عبد الله بن ابي بكر فلزمه وقال والله لا ادعك حتى تعطيني كفيلا فاعطاه كفيلا
ثم خرج الى احد ثم رجع ابي بن خلف فمات بمكة من جراحته التي جرحه رسول الله صلى الله عليه
وسلم حين بارزه وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك عند راس سبع سنين من مناحبتهم
وقيل كان يوم بدر قال الشعبي لم تمض تلك المدة التي عقد والمناحبة بينهم اهل مكة وصاحب
قمارهم ابي بن خلف والمسلمون وصاحب قمارهم ابو بكر الصديق وذلك قبل تحريم القمار حتى
غلبت الروم فارس وربطوا خيولهم بالمداين وبنوا الرومية فقمر ابو بكر ابيا واخذ مال
الخطر من ورثته وجا به يحمله الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم تصدق
به **قوله** من قبل ومن بعد على بنايهما ضما لقطعهما عن الاضافة واراد بهما اي من قبل العامة
الغلب ومن بعده او من قبل كل امر ومن بعده وانما بني على الضم لما قطعت عن الاضافة
لان غير الضمة من الفتحة والكسرة تشتبه بما يدخل عليهما وهو النصب والجر اما النصب ففي
قولك جيت قبله او بعده واما الجر ففي قولك من قبله ومن بعده فبني على الضم لعدم دخول
شلها عليه في الاعراب وهو الرفع وحكى الفرا كسرهما من غير تنوين وغلطه النحاس وقال انما
يجوز من قبل ومن بعد يعني مكسورا منونا قال شهاب الدين وقد قرئ بذلك ووجهه
انه لم ينو اضافتهما فاعربهما كقوله ٭ فساغ لي الشراب وكنت قبلا ٭ اكاد اغص بالما القراح ٭
وقوله ٭ ونحن قتلنا الاسد اسد خفية ٭ فما شربوا بعدا على لذة خمرا ٭ وحكي من قبل
بالتنوين والجر ومن بعد بالبنا على الضم وقد خرج بعضهم ما حكاه الفرا على انه قدر المضاف ان
اليه موجودا فترك الاول بحاله وانشد ٭ بين دراعي وجبهة الاسد ٭ والفرق لايح فان اللفظ
مثل المحذوف على خلاف في تقدير البيت ايضا **فصل** وعلى قراة عبد الله بن عمر وابي سعيد
الخدري والحسن وعيسى بن عمر غلبت الروم بفتح الغين واللام سيغلبون بضم اليا وفتح اللام قالوا
نزلت حين اخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن غلبة الروم فارسا والمعنى الم غلبت الروم فارسا في ادنى
الارض اليكم وهم من بعد غلبهم سيغلبون المسلمين في بضع سنين وعند انقضا هذه المدة اخذ
المسلمون في جهاد الروم والاول قول اكثر المفسرين وهو الاصح لله الامر من قبل ومن بعد اي من
قبل دولة الروم على فارس ومن بعدها فاي الفريقين كان لهم الغلبة فهو بامر الله وقضايه
وقدره **قوله** ويومئذ اي اذ يغلب الروم فارسا والناصب ليوم يفرح وقوله بنصر
الله ينصر من يشا وقد تقدم اخر الكهف وقوله بنصر الله الظاهر تعلقه بيفرح وجوز
ابو البقا ان يتعلق بينصر وهذا فيه تفكيك للنظم **فصل** المعنى ويومئذ يفرح المومنون
بنصر الله الروم على فارس قال السدي فرح النبي صلى الله عليه وسلم والمومنون بظهورهم على المشركين

يوم بدر وظهور اهل الكتاب على اهل الشرك ينصر من يشا وهو العزيز الرحيم بالمومنين **قوله** وعد الله مصدر موكد ناصبه مضمر اي وعدهم الله ذلك وعدا بظهور الروم على فارس لا يخلف الله وعده وهذا مقرر لمعنى هذا المصدر ويجوز ان يكون قوله لا يخلف الله وعده حالا من المصدر فيكون كالمصدر الموصوف فهو مبين للنوع كانه قيل وعد الله وعدا غير مخلف ولكن اكثر الناس لا يعلمون **قوله** يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا يعني امر معايشهم كيف يكتسبون ويتجرون ومتى يغرسون ويزرعون ويحصدون وكيف يبنون ويعرشون قال الحسن ان احدهم لينقر الدرهم بطرف ظفره فيذكر وزنه ولا يخطي وهو لا يحسن يصلي والمعنى ان علمهم منحصر في الدنيا بل لا يعلمون الدنيا كما هي وانما يعلمون ظاهرها وهو ملاذها وملاعبها ولا يعلمون باطنها وهو مضارها ومتاعبها ولا يعلمون فناها وهم عن الاخرة هم غافلون ساهون جاهلون بها لا يتفكرون فيها وذكرهم الثانية ليفيد ان الغفلة منهم والا فاسباب التذكر حاصلة **قوله** اولم يتفكروا في انفسهم قوله في انفسهم ظرف للتفكر وليس معمولا للتفكر اذ متعلقه خلق السموات والارض والمعنى ان اسباب التفكر حاصلة وهي انفسهم لو تفكروا فيها لعلموا وحدانية الله وصدقوا بالحشر اما الوحدانية فلان الله تعالى خلقهم في احسن تقويم ومن تفكر في تشريح بدن الانسان وحواسه راى في ذلك حكما كل واحدة منها كافية في معرفة كون الله فاعلا مختارا قادرا كاملا عالما ومن يكون كذلك يكون واحدا والا لكان عاجزا عند اراده شريكه ضد ما اراده واما دلالة الانسان على الحشر فلانه اذا تفكر في نفسه يرى قواه صايرة الى الزوال واجزاه مايلة الى الانحلال وله فناء ضروري فلو لم يكن له حياة اخرى لكان خلقه على هذا الوجه عبثا واليه الاشارة بقوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا وهذا ظاهر لان من يفعل شيا للعب فلو بالغ في احكامه لضحك منه فاذن خلقه لذلك للبقا ولا بقا دون اللقا بالاخرة فاذن لا بد من البعث ثم انه تعالى ذكر بعد دليل الانفس دليل الافاق فقال ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق واجل مسمى فقوله الا بالحق اشارة الى وجه دلالتها على الوحدانية وقد بينا ذلك في قوله خلق الله السموات والارض بالحق ان في ذلك لاية للمومنين **قوله** ما خلق ما نافيه وفي هذه الجملة وجهان احدهما انها مستانفة لا تعلق لها بما قبلها والثاني انها معلقة للتفكر فتكون في محل نصب على اسقاط الخافض ويضعف ان تكون استفهامية بمعنى النفي وفيها الوجهان المذكوران والباء في بالحق اما سببية واما حالية قيل الا لاقامة الحق وقوله واجل مسمى تذكير بالاصل الاخر الذي انكروه اي لوقت معلوم اذا انتهت اليه فنيت وهو يوم القيمة وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون لا يعلمون انه لا بد بعد هذه الحيوة من لقاء وبقاء قوله بلقا متعلق بالكافرون واللام لا تمنع من ذلك لكونها في خبر ان **فان قيل** ما الحكمة في تقديمه ههنا دلايل الانفس على دلايل الافاق وقدم دلايل الافاق على دلايل الانفس في قوله سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم فالجواب ان المفيد اذا افاد فايدة يذكرها على وجه جيد يختاره فان فهمه السامع المستفيد فذاك والا يذكرها على وجه ابين منه وينزل درجة فدرجة واما المستفيد فانه يفهم اولا الابين ثم يرتقي الى فهم ذلك الاخفى الذي لم يكن فهمه فيفهمه بعد فهم الابين المذكور اخرا فالمذكور من المفيد اخرا مفهوم عند السامع اولا اذا علم هذا فنقول ههنا الفعل كان منسوبا الى السامع حيث قال اولم يتفكروا تعالى في انفسهم يعني بما فهموه اولا ولم يرتقوا الى ما فهموه ثانيا واما في قوله سنريهم الامر منسوبا الى المفيد المسمع فذكر اولا

الآفاق

الافاق فان لم يفهموه فالانفس لان دلايل الانفس لا ذهول للانسان عنها واما دلايل الافاق فيمكن الذهول عنها وهذا الترتيب مراعا في قوله تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم اي يعلمون الله بدلايل الانفس في ساير الاحوال ويتفكرون في خلق السموات والارض بدلايل الافاق **فصل** وجه دلالة الخلق بالحق على الوحدانية ظاهر واما وجه دلالته على الحشر فلان تخريب السموات وعدمها لا يعلم بالعقل الا امكانه واما وقوعه فلا يعلم الا بالسمع لان الله قادر على ابقا الحوادث ابدا كما انه يبقي الجنة والنار بعد احداثهما ابدا والخلق دليل امكان العدم لان المخلوق لم يجب له القدم فجاز عليه العدم فاذا اخبر الصادق عن امر ممكن وجب على العاقل التصديق والاذعان لان العالم لما كان خلقه بالحق ينبغي ان يكون بعد هذه الحيوة حيوة اخرى لان هذه الحيوة ليست لعبا ولهوا كما بين بقوله وما هذه الحيوة الدنيا الا لعب ولهو وخلق السموات والارض للهو واللعب عبث والعبث ليس بحق فخلق السموات والارض بالحق يدل على انه لا بد بعد هذه الحيوة الدنيا من حيوة **فان قيل** ما الفايدة في قوله ههنا كثيرا من الناس وقال من قبل ولكن اكثر الناس فالجواب فايدته انه من قبل لم يذكر دليلا على الاصلين وههنا قد ذكر الدلايل الواضحة والبراهين اللايحة ولا شك ان الايمان بعد الدليل اكثر من الايمان قبل الدليل فبعد الدليل لا بد ان يومن من ذلك الاكثر جمع فلا يبقى الاكثر كما هو فقال بعد اقامة الدليل وان كثيرا وقال قبله ولكن اكثر الناس لانه بعد الدليل لا يمكن الذهول عنه وهو السموات والارض لا يمكن البعيد ان يذهل الانسان عن السما التي فوقه والارض التي تحته فلهذا ذكر ما يقع الذهول عنه وهو امر امثالهم وحكاية اشكالهم فقال اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وقال في الدليل المتقدم مبين اولم يروا ولم يتفكروا اذ لا حاجة هناك الى السفر لحضور النفس والسما والارض وقال ههنا اولم يسيروا فينظروا واذكرهم بحال امثالهم ومآل اشكالهم ثم ذكر انهم اولى بالهلاك لان من تقدم من عاد وثمود كانوا اشد منهم قوة ولم ينفعهم قواهم وكانوا اكثر مالا وعمارة ولم ينفعهم من الهلاك اموالهم وحصونهم **قوله** واثاروا الارض حرثوها وقلبوها للزراعة ومنه البقرة تثير الارض وقيل منه سمي ثورا واثم لاجرانه لكم وعمروها اكثر مما عمروها اهل مكة قيل قال ذلك لانه لم يكن لاهل مكة حرث وقوله اكثر مما نعت مصدر محذوف اي عمارة اكثر من عمارتهم وقري واثاروا بالف بعد الهمزة وهي اشباع لفتحة الهمزة وقوله وجاتهم رسلهم بالبينات فلم يومنوا فاهلكهم الله فما كان الله ليظلمهم بنقص حقوقهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون ببخس حقوقهم **قوله** عاقبة الذين قرا نافع وابن كثير وابو عمرو بالرفع والباقون بالنصب فالرفع على انها اسم كان وذكر الفعل لان التانيث مجازي وفي الخبر حينيذ وجهان احدهما السواي اي الفعلة السوي او الخصلة السوي والثاني ان كذبوا اي كان اخر امرهم التكذيب فعلى الاول يكون في ان كذبوا وجهان احدهما انه على اسقاط الخافض اما لام العلة اي لان كذبوا واما با السببية اي بان كذبوا فلما حذف الحرف جرى القولان المشهوران بين الخليل وسيبويه في محل ان والثاني انه بدل من السوي اي ثم كان عاقبتهم التكذيب وعلى الثاني يكون السوي مصدر الاسا او يكون نعتا لمفعول محذوف اي اساوا الفعلة السوي والسوي تانيث للاسوا وجوز بعضهم ان يكون خبر كان محذوفا للابهام والسوي اما مصدر واما مفعول كما تقدم اي اقترفوا الخطيئة السوي اي كان عاقبتهم الدمار واما النصب فعلى خبر كان وفي الاسم وجهان احدهما السوي اي كانت الفعلة السوي عاقبة المسيين وان كذبوا على ما تقدم والثاني ان الاسم ان كذبوا والسوي على ما تقدم **فصل**

باقيه

الذي

المعنى ثم كان عاقبة الذين اساوا السوى يعني الخلة التي تسوءهم وهي النار وقيل السوى اسم لجهنم كما ان الحسنى اسم للجنة ان كذبوا اي لان كذبوا وقيل تفسير السوى ما بعده وهو قوله ان كذبوا يعني ثم كان عاقبة المسيئين التكذيب حملهم تلك السيات على ان كذبوا بايات الله وكانوا بها يستهزءون

قوله الله يبدا الخلق ثم يعيده اي يخلقهم ابتدا ثم يعيدهم بعد الموت احيا ولم يقل يعيدهم رده الى الخلق ثم اليه يرجعون فيجزيهم باعمالهم قرا ابو بكر وابو عمرو يرجعون باليا والاخرون بالتا

قوله ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون قرا العامة يبلس مبنيا للفاعل وهو المعروف يقال ابلس الرجل اي انقطعت حجته فسكت فهو قاصر لا يتعدى قال العجاج • يا صاح هل تعرف رسما مكرسا • قال نعم اعرفه وابلسا • وقرا السلمي يبلس مبنيا للمفعول وفيه بعد لان ابلس لا يتعدى وقد خرجت هذه القراة على ان القايم مقام الفاعل مصدر الفعل ثم حذف واقيم المضاف اليه مقامه اذ الاصل يبلس ابلاس المجرمين ويبلس هو الناصب ليوم يقوم ويومئذ مضاف لجملة تقديرها يومئذ يقوم وهذا كانه تاكيد لفظي اذ يصير التقدير يبلس المجرمون يوم تقوم الساعة يوم تقوم الساعة

فصل قال قتادة والكلبي المعنى ييئس المشركون من كل خير وقال الفرا ينقطع كلامهم وحججهم وقال مجاهد يفتضحون ولم يكن لهم من شركايهم اصنامهم التي عبدوها ليشفعوا لهم شفعا وكانوا بشركايهم كافرين متبرئين يتبراون منها وتتبرا منهم

قوله ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون اي يتميز اهل الجنة من اهل النار قال مقاتل يتفرقون بعد الحساب الى الجنة والنار فلا يجتمعون ابدا كما قال تعالى فريق في الجنة وفريق في السعير

قوله فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة وهي البستان الذي في غاية النضارة وقوله يحبرون قال ابن عباس يكرمون وقال قتادة ومجاهد ينعمون وقال مجاهد وابو عبيدة يسرون والحبر والحبور السرور وقيل الحبرة في اللغة كل نعمة حسنة والتحبير التحسين يقال هو حسن الحبر والسبر بكسر الحا والسين وفتحهما وفي الحديث حبرته لك تحبيرا اي حسنت صوتي لك بالقران تحسينا وجا في الحديث يخرج من النار رجل ذهب حبره وسبره فالمفتوح مصدر والمكسور اسم

والروضة الجنة قيل ولا يكون روضة الا وفيها نبت وقيل الا وفيها ما وقيل ما كانت منخفضة والمرتفعة يقال لها نزعة وقيل لا يقال لها روضة الا وهي في مكان غليظ مرتفع قال الاعشى • ما روضة من رياض الحزن معشبة • خضرا جاد عليها مسبل هطل • واصل رياض رواض فقلبت الواو يا على حد حوض وحياض ونكر الروضة للتعظيم وقال هاهنا يحبرون بصيغة الفعل ولم يقل محبورون وقال في الاخرى محضرون بصيغة الاسم ولم يقل يحضرون لان الفعل يدل على التجدد والاسم لا يدل عليه فقوله يحبرون يعني كل ساعة ياتيهم ما يسرون به وقوله محضرون اي الكفار في العذاب يبقون فيه محضرون

قوله فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون اي سبحوا الله ومعناه صلوا لله حين تمسون تدخلون في المسا وهو صلاة المغرب والعشا وحين تصبحون اي تدخلون في الصباح وهو صلاة الصبح وله الحمد في السموات والارض قال ابن عباس يحمده اهل السموات والارض ويصلون وعشيا اي صلوا لله عشيا يعني صلاة العصر وحين تظهرون تدخلون في الظهيرة وهي صلاة الظهر قال نافع الازرق لابن عباس هل تجد الصلوات الخمس في القران قال نعم وقرا هاتين الايتين وقال جمعت الاية الصلوات الخمس ومواقيتها وروى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر وقال عليه السلام من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة

لم يات احد يوم القيمة بافضل مما جا به الا احد قال مثل ما قال او زاد عليه وقال عليه السلام كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم

قوله تمسون وتصبحون تامان اي تدخلون في المسا والصباح كقولهم اذا سمعت ببرى العير فاعلم بانه مصبح اي مقيم في الصباح والعامة على اضافة الظرف الى الفعل بعده وقرا عكرمة حينا بالتنوين والجملة بعده صفة له والعايد حينئذ محذوف اي تمسون فيه كقوله واتقوا يوما لا تجزي والة والناصب لهذا الظرف سبحان لانه نايب عن عامله

قوله وعشيا عطف على حين وما بينهما اعتراض وفي السموات يجوز ان يتعلق بنفس الحمد اي الحمد يكون في هذين الظرفين قد تقدم خلاف القرا في تخفيف الميت وتثقيله وكذا قوله تخرجون في سورة الاعراف وكذلك نعت مصدر محذوف اي ومثل ذلك الاخراج العجيب تخرجون واعلم ان وجه تعلق اخراج الحي من الميت والميت من الحي بما قبله هو ان عند الاصباح يخرج الانسان من سنة الموت وهو النوم الى سنة الوجود وهي اليقظة وعند العشا يخرج الانسان من اليقظة الى النوم واختلف المفسرون في قوله يخرج الحي من الميت فقال اكثرهم يخرج الدجاجة من البيضة والبيضة من الدجاجة وكذلك الحيوان من النطفة والنطفة من الحيوان وقيل يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن ثم قال ويحيي الارض بعد موتها وفي هذا معنى لطيف وهو ان الانسان بالموت تبطل حواسه واما نفسه الناطقة فتفارقه وتبقى بعده كما قال ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا لكن الحيوان نايم متحرك حساس لكن النايم لا يتحرك ولا يحس والارض الميتة لا نكون بها نماء ثم النايم بالانتباه يتحرك ويحس والارض الميتة بعد موتها ينمو نباتها فكما ان تحريك ذلك الساكن وانما هذا الواقف سهل على الله كذلك احيا الميت سهل على الله والى هذا اشار بقوله وكذلك تخرجون

قوله ومن اياته ان خلقكم مبتدا وخبر اي ومن جملة علامات توحيده وانه يبعثكم خلقكم واختراعكم ومن لابتدا الغاية وقوله من تراب اي خلق اصلنا وهو ادم من تراب او انه خلقنا من نطفة والنطفة من الغذا والغذا انما يتولد من الما والتراب على ما تقدم شرحه ثم اذا انتم بشر تنتشرون في الارض والترتيب والمهلة هنا ظاهران فانهم انما يصيرون بشرا بعد اطوار كثيرة وتنتشرون حال واذا هي الفجائية الا ان الفجائية اكثر ما تقع بعد الفا لانها تقتضي التعقيب ووجه وقوعها مع ثم بالنسبة الى ما يليق بالحالة الخاصة اي بعد تلك الاطوار التي قصها علينا في موضع اخر من كوننا نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما مجردا ثم عظاما مكسوا لحما فاجا البشرية

قوله ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا من انفسكم يعني من بني ادم وقيل خلق حوى من ضلع ادم لتسكنوا اليها والصحيح ان المراد من جنسكم كما قال لقد جاكم رسول من انفسكم ويدل عليه قوله لتسكنوا اليها يعني ان الجنسين المختلفين لا يسكن احدهما الى الاخر اي لا تثبت نفسه معه ولا يميل قلبه اليه وجعل بينكم مودة ورحمة قيل مودة بالمجامعة ورحمة للولد تمسكا بقوله تعالى ذكر رحمة ربك عبده زكريا وقيل جعل بين الزوجين المودة والرحمة فهما يتوادان ويتراحمان وما شي احب الى احد من الاخر من غير رحم بينهما ان في ذلك يحتمل ان يكون المراد منه ان في خلق الازواج لايات ويحتمل ان يقال ان في جعل المودة والرحمة بينهم ايات لقوم يتفكرون في عظمة الله وقدرته

قوله ومن اياته خلق السموات والارض لما بين دلايل الانفس ذكر دلايل الافاق واظهرها خلق السموات والارض ثم لما اشار الى دلايل الانفس والافاق ذكر ما هو من صفات الانفس وهو قوله واختلاف السنتكم اي لغاتكم من عرب وعجم مع تنوع كل من الجيلين الى انواع شتى لا سيما العجم فان لغاتهم مختلفة وليس المراد بالالسنة الجوارح وقيل المراد بالالسن اختلاف الاصوات واما اختلاف الالوان

فالمراد ابيض واسود واحمر وانتم ولد رجل واحد وامراة واحدة وقيل المراد باختلاف الالوان
الذي بين الوان الانسان فان واحدا منهم مع كثرة عددهم وصغر حجم قدوده لا يشتبه بغيره
والسموات مع كبرها وقلة عددها مشتبهات في الصورة ان في ذلك لايات للعالمين قرا حفص
بكسر اللام جملة جمع عالم ضد الجاهل ونحوه وما يعقلها الا العالمون والباقون بفتحها لانها ايات
لجميع الناس وان كان بعضهم يغفل عنها وقد تقدم اول الفاتحة الكلام في العالمين هل هو جمع
او اسم جمع **قوله** ومن اياته منامكم بالليل والنهار لما ذكر الاعراض اللازمة وهي الاختلاف
ذكر الاعراض المفارقة ومن جملتها النوم بالليل والحركة بالنهار طلبا للرزق وقيل في الاية
تقديم وتاخير ليكون كل واحد مع ما يلايمه والتقدير ومن اياته منامكم بالليل وابتغاوكم
من فضله بالنهار فحذف حرف الجر لاتصاله بالليل وعطفه عليه لان حرف العطف قد
يقوم مقام الجار والاحسن ان يجعل على حاله والنوم بالنهار مما كانت العرب تعده نعمة من الله
ولا سيما في اوقات القيلولة في البلاد الحارة وقوله وابتغاوكم من فضله اي فيهما فان كثيرا
مما يكتسب الانسان بالليل ويدل على الاول قوله تعالى وجعلنا اية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا
من ربكم وقوله تعالى جعلنا الليل لباسا والنهار معاشا ثم قال ان في ذلك لايات لقوم
يسمعون سماع تدبر واعتبار وقال ههنا لقوم يسمعون ومن قبل لقوم يتفكرون وقال
للعالمين لان المنام بالليل والابتغا يظن الجاهل او الغافل انهما مما يقتضيه طبع الحيوان فلا
يظهر لكل احد كونهما من نعم الله فلم يقل ايات للعالمين ولان الامرين الاولين وهو اختلاف
الالسنة والالوان من اللوازم والمنام والابتغا من الامور المفارقة فالنظر اليهما لا يدوم لزوالهما
في بعض الاوقات ولا كذلك اختلاف الالسنة والالوان فانهما يدومان بدوام الانسان
فجعلهما ايات عامة واما قوله لقوم يتفكرون فان من الاشيا ما يعلم من غير تفكر ومنها ما يكفي
فيه مجرد الفكرة ومنها ما يحتاج الى موقف يوقف عليه ومرشد يرشد اليه فيفهمه اذا سمعه
من ذلك المرشد ومنها ما يحتاج بعض الناس في تفهمه الى امثلة حسية كالاشكال الهندسية
لان خلق الازواج لا يقع لاحد انه بالطبع الا اذا كان جامد الفكر فاذا تفكر علم كون ذلك
الخلق اية واما المنام والابتغا فقد يقع لكثير انهما من افعال العباد وقد يحتاج الى مرشد
بغير تفكر فقال لقوم يسمعون ويجعلون بالهم من كلام المرشد **قوله** ومن اياته يريكم
البرق خوفا وطمعا لما ذكر العرضيات اللازمة للانفس والمفارقة ذكر العرضيات التي للافاق
قوله يريكم البرق فيه اوجه اظهرها الموافق للاخوات ان يكون جملة من مبتدا وخبر
الا انه حذف الحرف المصدري ولما حذف بطل عمله والاصل ومن اياته ان يريكم البرق
كقوله ٭ الا ايها ذا الزاجري احضر الوغى ٭ الثاني ان من اياته متعلق بيريكم او بمحذوف على انه
حال من البرق والتقدير ويريكم البرق من اياته فيكون قد عطف جملة فعلية على جملة
اسمية والثالث ان يريكم صفة لموصوف محذوف اي ومن اياته اية يريكم بها او فيها البرق
فحذف الموصوف والعايد عليه ومثله ٭ وما الدهر الا تارتان فمنهما اموت ٭ اي فمنهما تارة اموت
فيها الرابع ان التقدير ومن اياته سحاب او شي يريكم فيريكم صفة لذلك المقدر وفاعل
يريكم ضمير يعود عليه بخلاف الوجه قبله فان الفاعل ضمير الباري تعالى **فصل**
المعنى يريكم البرق خوفا للمسافر من الصواعق وطمعا للمقيم في المطر وينزل من السما ما فيحيي
به الارض بعد موتها ان في ذلك لايات لقوم يعقلون **فصل** قدم لوازم الانفس على
العوارض المفارقة حيث ذكر اولا اختلاف الالسنة والالوان ثم المنام والابتغا وقدم في الافاق
العوارض المفارقة على اللوازم حيث قال يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل عليكم وذلك لان الانسا[ن]

متغير الحال فالعوارض له غير بعيد واما اللوازم فغريبة واما السموات والارض فقليلة التغير
فالعوارض فيها اغرب من اللوازم فقدم ما هو عجيب لكونه ادخل في كونه اية وايضا فان الانسان
يتغير حاله بالكبر والصغر والصحة والسقم وله صوت يعرف به لا يتغير وله لون يتميز به عن غيره
وهو يتغير بذلك في الاحوال وذلك لا يتغير وهو اية عجيبة والسما والارض ثابتتان لا تتغيران
ثم ترى في بعض الاحوال امطارا هاطلة والسما كما كانت والارض كما كانت وذلك اية بدل
على فاعل مختار يديم امرا مع تغير المحل ويزيل امرا مع ثبات المحل **فصل** كما قدم
السما على الارض قدم ما هو من السما وهو البرق والمطر على ما هو من الارض وهو الانبات والاحيا
وكما ان في انزال المطر وانبات الشجر منافع كذلك في تقديم الرعد والبرق على المطر منفعة وهي
ان البرق اذا لاح فالذي تحت كن يخاف الابتلال فيستعد له والذي له صهريج او مصنع يحتاج
الى الما او زرع يسوي مجاري الما وايضا اهل البوادي لا يعلمون البلاد المعشبة ان لم يكونوا قد
راوا البروق اللايحة من جانب دون جانب واعلم ان دلايل البرق وفوايده وان لم يظهر
للمقيمين في البلاد فهي ظاهرة للبادين فلهذا جعل تقديم البرق على تنزيل الما من السما نعمة
واية **فصل** اما كونه اية فلان الذي في السحاب ليس الا ما وهوا وخروج النار منهما بحيث
تحرق الجبال في غاية البعد فلا بد له من خالق هو الله قالت الفلاسفة السحاب فيه كثافة
ولطافة بالنسبة الى الهوا والما فالهوى الطف منه والما اكثف فاذا هبت ريح قوية تحرك
السحاب بعنف فيحدث صوت الرعد ويخرج منه النار كما ان النار تخرج من وقع الحجر على الحديد
فان قيل الحديد والحجر جسمان صلبان والسحاب والريح جسمان لينان فنقول
لكن حركة يد الانسان ضعيفة وحركة الريح قوية تقلع الاشجار فنقول لهم الرعد والبرق امران
حادثان لا بد لهما من سبب وقد علم بالبرهان كون كل حادث من الله فهما من الله ثم نقول هب
ان الامر كما يقولون فهبوب تلك الريح القوية من الامور الحادثة العجيبة فلا بد لها من سبب
وينتهي الى واجب الوجود فهو اية للعاقل على قدرة الله كيف ما فرضتم **فان قيل**
ما الحكمة في قوله ههنا ايات لقوم يعقلون وقوله فيما تقدم لقوم يتفكرون فالجواب
لما كان حدوث الولد من الوالد امرا عاديا مطردا قليل الاختلاف كان يتطرق الى الاوهام
العامية ان ذلك بالطبيعة لان المطرد اقرب الى الطبيعة من المختلف والبرق والمطر ليس امرا
مطردا غير مختلف بل يختلف اذ يقع ببلدة دون بلدة وفي وقت دون وقت وتارة يكون
قويا وتارة يكون ضعيفا فهو اظهر في العقل دلالة على الفاعل المختار فقال هو اية لمن له عقل
وان لم يتفكر تفكرا تاما **قوله** ومن اياته ان تقوم السما والارض بامره قال ابن مسعود
قامتا على غير عمد بامره واعلم انه ذكر من لوازم السما والارض قيامهما فان الارض لثقلها
يتعجب الانسان من وقوفها وعدم نزولها وكون السما في علوها يتعجب من علوها وثباتها
من غير عمد وهذا من اللوازم فان الارض لا تخرج عن مكانها الذي هي فيه **فان قيل**
بانها تتحرك في مكانها كالرحا ولكن اتفق العقلا على انها في مكانها لا تخرج عنه وهذا اية
ظاهرة ولان كونهما في الموضع الذي هما فيه وعلى الموضع الذي هما عليه من الامور الممكنة
وكونهما في غير ذلك الموضع جايز فكان يمكن ان يخرجا منه فلما لم يخرجا كان ذلك ترجيحا للجايز
على غيره وذلك لا يكون الا بفاعل مختار وقالت الفلاسفة كون الارض في المكان الذي هي فيه
طبيعي لها لانها اثقل الاشيا والثقيل يطلب المركز والخفيف يطلب المحيط وكون السما في
مكانها ان كانت ذات مكان فلذاتها فقيامهما فيه لطبعهما واجيبوا بانكم وافقتمونا بان ما
جاز على احد المثلين جاز على المثل الاخر لكن مقعر الفلك لا يخالف محدبه في الطبع فيجوز حصول

وبروقاها ابلة

لا يكونه

مقعره في موضع محدبه وذلك بالخروج والزوال فاذن تطرق الزوال اليه عن المكان ممكن لا
سيما على السما الدنيا فانها ليست محددة للجهات على مذهبكم ايضا والارض كانت تجوز عليها
الحركة الدورية كما يقولون على السما فعدمها وسكونها ليس الا بفاعل مختار **فصل**
ذكر الله تعالى من كل باب امرين اما من الانفس فقوله خلقكم وخلق لكم واستدل بخلق الزوجين
ومن الافاق السما والارض فقال خلق السموات والارض ومن لوازم الانسان اختلاف
اللسان واختلاف الالوان ومن عوارض الافاق البرق والامطار ومن لوازمهما قيام
السما والارض لان الواحد يكفي للاقرار بالحق والثاني يفيد الاستقرار ومن هذا اعتبر شهادة
شاهدين فان قول احدهما يفيد الظن وقول الاخر يفيد تاكيده ولهذا قال ابرهيم عليه
السلام بلى ولكن ليطمئن قلبي **فصل** قوله بامره اي بقوله قوما او بارادة قيامهما لان
الامر عند المعتزلة موافق للارادة وعندنا ليس كذلك ولكن النزاع في امر التكليف لا في امر التكوين
فانا لا ننازعهم في ان قوله كن وكوني وكونوا موافق للارادة **فان قيل** ما الفائدة
في قوله ههنا ومن اياته ان تقوم وقال قبله ومن اياته يريكم ولم يقل ان يريكم ليصير
كالمصدر فالجواب ان القيام لما كان غير متغير اخرج الفعل بان عن الفعل المستقبل
ولم يذكر معه الحروف المصدرية **فان قيل** ما الحكمة في انه ذكر ست دلايل وذكر
في اربعة منها ان في ذلك لايات ولم يذكر في الاول وهو قوله ومن اياته ان خلقكم من
تراب ولا في الاخر وهو قوله ومن اياته ان تقوم السما والارض فالجواب اما الاول فلان
قوله بعده ومن اياته ان خلق لكم ايضا دليل الانفس فخلق الانفس وخلق الازواج من باب واحد
على ما تقدم من انه تعالى ذكر من كل باب امرين التقرير والتوكيد فلما قال في الثانية ان في
ذلك لايات كان عايدا اليهما واما في قيام السما والارض فلانه ذكر في الايات السماوية انها
ايات للعالمين ولقوم يعقلون وذلك لظهورها فلما كان في اول الامر ظاهرا ففي اخر الامر
بعد سرد الادلة يكون اظهر فلم يميزا احدا في ذلك عن الاخر ثم انه تعالى لما ذكر الدليل
على القدرة والتوحيد ذكر مدلوله وهو قدرته على الاعادة فقال ثم اذا دعاكم دعوة
من الارض اذا انتم تخرجون وجه العطف بثم وبم تعلق فمعناه انه تعالى اذا بين لكم كمال
قدرته بهذه الايات بعد ذلك يخبركم ويعلمكم انه اذا قال للعظام الرميمة اخرجوا
من الاجداث تخرجون احيا **قوله** من الارض فيه اوجه اظهرها انه متعلق بدعاكم
الثاني انه متعلق بمحذوف صفة لدعوة الثالث انه متعلق بمحذوف يدل عليه تخرجون
اي خرجتم من الارض ولا يجوز ان يتعلق بتخرجون اذ لا يعمل فيما قبلها **فصل** قول
القايل دعا فلان فلانا من الجبل يحتمل ان يكون الدعا من الجبل كما يقول القايل يا فلان
اصعد الى الجبل فيقال دعاه من الجبل ويحتمل ان يكون المدعو يدعى من الجبل كما يقول
القايل يا فلان انزل من الجبل فيقال دعاه من الجبل ولا يخفى على العاقل ان الدعا لا يكون
من الارض اذا كان الداعي هو الله والمدعو يدعى من الارض يعني انكم في الارض فيدعوكم
منها فتخرجون واذا هي المفاجاة قال اكثر العلما معنى الاية ثم اذا دعاكم دعوة اذا انتم تخرجون
من الارض **فصل** قال ههنا اذا انتم تخرجون وقال في خلق الانسان اولا ثم اذا
انتم بشر تنتشرون لان هناك يكون خلق وتقدير وتدريج حتى يصير التراب قابلا للحياة
فينفخ فيه روحه فاذا هو بشر واما في الاعادة فلا يكون تدريج وتراخي بل يكون ندا وخروج
فلم يقل ههنا ثم **قوله** وله من في السموات والارض كل له قانتون قال ابن عباس كل له
مطيعون في الحياة والفنا والموت والبعث وان عصوا في العبادة وقال الكلبي هذا خاص

لا زما بعد

لمن

لمن كان منهم مطيعا ولما ذكر الايات التي تدل على القدرة على الحشر الذي هو الاصل الاخر
والوحدانية التي هي الاصل الاول اشار اليها بقوله وله من في السموات والارض ونفس السموات
والارضين له وملكه فكل له منقادون قانتون والشريك يكون منازعا فلا شريك له
اصلا ثم ذكر المدلول الاخر فقال وهو الذي يبدا الخلق ثم يعيده يخلقهم اولا ثم يعيدهم بعد
الموت للبعث **قوله** وهو اهون عليه في اهون قولان احدهما انها للتفضيل على بابها وعلى
هذا يقال كيف تصورنا التفضيل والاعادة والبداة بالنسبة الى الله تعالى على حد سوا وفي
ذلك اجوبة احدها ان ذلك بالنسبة الى اعتقاد البشر باعتبار المشاهدة من ان اعادة الشي
اهون من اختراعه لاحتياج الابتدا الى اعمال فكر غالبا وان كان هذا منتفيا عن الباري تعالى
فخوطبوا بحسب ما الفوه الثاني ان الضمير في عليه ليس عايدا على الله تعالى انما يعود على الخلق
والعود اهون على الخلق اي اسرع لان البداة فيها تدريج من طور الى طور الى ان صارت انسانا
والاعادة لا تحتاج الى هذه التدريجات فكانه قيل وهو اقصر عليه وايسر واقل انتقالا وهو رواية
العوفي وقد يجي افعل بمعنى الفاعل كقول الفرزدق ه ان الذي سمك السما بنى لنا بيتا دعايمه اعز
اي عزيزه طويله والمعنى يقومون بصيحة واحدة فيكون اهون عليهم من ان يكونوا نطفا
ثم علقا ثم مضغا الى ان يصيروا رجالا ونسا وهي رواية الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس
الثالث ان الضمير في عليه يعود على المخلوق بمعنى والاعادة اهون على المخلوق اي اعادته شيا
بعد ما انشاه هذا في عرف المخلوقين فكيف ينكرون ذلك في جانب الله تعالى والثاني ان اهون
ليست للتفضيل بل هي صفة بمعنى هين كقولهم الله اكبر اي الكبير وهي رواية العوفي عن ابن عباس
وقد يجي افعل بمعنى الفاعل كقول الفرزدق ه ان الذي سمك السما بنى لنا بيتا دعايمه اعز واطول
اي عزيزه طويله والظاهر عود الضمير في عليه على الباري تعالى ليوافق الضمير في قوله وله
المثل قال الزمخشري فان قلت لم اخرت الصله في قوله وهو اهون عليه وقدمت في قوله
هو علي هين قلت هنالك قصد الاختصاص وهو محزه فقيل هو علي هين وان كان مستصعبا
عندكم ان يولد بين هم وعاقر فذلك مبني على غيري واما هنا فلا معنى للاختصاص كيف
والامر مبني على ما يعقلون من ان الاعادة اسهل من الابتدا فلو قدمت الصلة لتغير المعنى
قال ابو حيان ومبني كلامه على ان التقديم يفيد الاختصاص وقد تقدم منعه قال شهاب
الدين الصحيح انه يفيده وتقدم جميع ذلك **قوله** وله المثل الاعلى يجوز ان يكون مرتبطا
بما قبله وهو قوله وهو اهون عليه اي قد ضربه لكم مثلا فيما يسهل ويصعب واليه نحا
الزجاج او بما بعده من قوله ضرب لكم مثلا من انفسكم وقيل المثل الوصف اي الصفة العليا
قال ابن عباس هي انه ليس كمثله شي وقال قتادة هي انه لا اله الا هو **قوله** في السموات
يجوز ان يتعلق بالاعلى اي انه على في هاتين الجهتين ويجوز ان يتعلق بمحذوف على انه حال من
الاعلى او من المثل او من الضمير في الاعلى فانه يعود على المثل وهو العزيز في ملكه الحكيم في
خلقه **قوله** ضرب لكم مثلا من انفسكم اي بين لكم شبها بحالكم ذلك المثل من انفسكم ومن
لابتدا الغاية في موضع الصفة لمثلا اي اخذ مثلا وانتزعه من اقرب شي منكم وهو انفسكم
ثم بين المثل فقال هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركا فيما رزقناكم من المال والمعنى ان من يكون له
مملوك لا يكون شريكا له في ماله فكيف يجوز ان يكون عباد الله شركا له وكيف يجوز ان يكونوا هم
عظمة الله تعالى حتى يعبدوا **قوله** من شركا مبتدا ومن مزيدة لوجود شرط الزيادة
وفي خبره وجهان احدهما الجار الاول وهو لكم ومما ملكت يجوز ان يتعلق بمحذوف على انه حال
من شركا لانه في الاصل نعت نكرة قدم عليها والعامل فيه العامل في هذا الجار الواقع خبرا

والحول ه

على

فيه

والخبر مقدر بعد المبتدأ وفيما رزقناكم متعلق بشركاء وما في بما بمعنى النوع تقديره ذلك كله
هل شركاء فيما رزقناكم كائنون من النوع الذي ملكته أيمانكم مستقرون لكم فكائنون هو الوصف
المتعلق به مما ملكت ولما تقدم صار حالا ومستقرون هو الخبر الذي تعلق به لكم والثاني أن
الخبر مما ملكت ولكم متعلق بما تعلق به الخبر أو محذوف على أنه حال من شركاء أو بنفس شركاء
كقولك لك في الدنيا محب فلك متعلق بمحب وفي الدنيا هو الخبر **قوله** فأنتم فيه سواء هذه
الجملة جواب للاستفهام الذي بمعنى النفي وفيه متعلق بسواء **قوله** تخافونهم فيه وجهان أحدهما
أنها خبر ثان لأنتم تقديره فأنتم مستوون معهم فيما رزقناكم خائفون لهم كخوف بعضكم بعضا أيها
السادة والمراد نفي الأشياء الثلاثة أعني الشركة والاستواء مع العبيد وخوفهم إياهم وليس المراد
ثبوت الشركة ونفي الاستواء والخوف كما هو أحد الوجهين في قولك ما تأتينا فتحدثنا بمعنى ما تأتينا
محدثا بل تأتينا ولا تحدثنا بل المراد نفي الجميع كما تقدم وقال أبو البقاء فأنتم فيه سواء الجملة
في موضع نصب على جواب الاستفهام أي هل لكم فتستووا انتهى وفيه نظر كيف يجعل جملة اسمية
حاله محل جملة فعلية وتحكم على موضع الاسمية بالنصب بإضمار ناصب هذا ما لا يجوز ولو أنه
فسر المعنى وقال لأن الفعل لو حل بعد الفاء لكان منصوبا بإضمار لكان صحيحا ولا بد أن يبين أيضا
أن النصب على المعنى الذي قدمته من نفي الأشياء الثلاثة والوجه الثاني أن تخافونهم في محل
نصب على الحال من ضمير الفاعل في سواء أي فتساووا خائفا بعضكم من بعض مشاركته له في
المال أي إذا لم ترضوا أن يشارككم عبيدكم في المال فكيف تشركون بالله من هو مصنوع له قاله
أبو البقاء وقال ابن الخطيب معنى حسنا وهو أن بين المثل والممثل به مشابهة ومخالفة فالمشابهة
معلومة والمخالفة من وجوه أحدها قوله من أنفسكم أي من نسلكم مع حقارة الأنفس ونقصها
وعجزها وقاس نفسه عليكم مع جلالتها وعظمتها وقدرتها وكمالها وثانيها قوله مما ملكت
أيمانكم أي عبيدكم لكم عليهم ملك اليمين والملك طارئ قابل للنقل والزوال أما النقل فبالبيع
وغيره وأما الزوال فبالعتق ومملوكه تعالى لا خروج له عن الملك فإذا لم يجز أن يكون مملوك
يمينكم شريكا لكم مع أنه يجوز أن يصير مثلكم من جميع الوجوه بل هو في الحال مثلكم في الآدمية حالة
الرق حتى إنكم ليس لكم تصرف في روحه وآدميته بقطع وقتل وليس لكم منعهم من العبادة
وقضاء الحاجة فكيف يجوز أن يكون مملوك الله الذي هو مملوكه من جميع الوجوه وهو مباين له
بالكلية شريكا له وثالثها قوله مما رزقناكم يعني الذي لكم هو في الحقيقة ليس لكم بل هو لله
ومن رزقه حقيقة فإذا لم يجز أن يكون لكم شريك فيما هو لكم من حيث الاسم فكيف يجوز أن يكون له شريك
فيما هو له من حيث الحقيقة ورابعها قوله فأنتم فيه سواء أي هل أنتم ومماليككم في شيء مما تملكون
أنتم سواء ليس كذلك فلا يكون لله شريك في شيء لأن كل شيء فهو لله وما تدعون الآلهة لا يملكون شيئا
أصلا ولا مثقال ذرة من خردل فلا يعبد لعظمته ولا لمنفعة تصل إليكم منه وأيضا فأنتم
ومماليككم سواء ليس كذلك لأن المملوك ليس له عندكم حرمة الأحرار وإذا لم يكن للمملوك مع مساواته
إياكم في الحقيقة والصفة عندكم حرمة فكيف يكون حال المماليك الذين لا مساواة بينهم وبين
المالك بوجه من الوجوه وإلى هذا أشار بقوله تخافونهم كخيفتكم انتهى وإنما ذكرت هذا المعنى
مبسوطا لأنه مبين لما ذكرته من وجوه الإعراب **قوله** كخيفتكم أي خيفة مثل خيفتكم
والعامة على نصب أنفسكم لأن المصدر مضاف لفاعله وقرأ ابن أبي عبلة بالرفع على إضافة
المصدر لمفعوله واستقبح بعضهم هذا إذا وجد الفاعل وقال بعضهم ليس بقبيح بل يجوز إضافته
إلى كل منهما إذا وجدا وأنشد ٭ أفنى تلادي وما جمعت من نشب ٭ قرع القواقيز أفواه الأباريق ٭
بنصب الأفواه ورفعها **قوله** كذلك نفصل أي مثل ذلك التفصيل المبين نفصل وقرأ أبو عمرو

في رواية يفصل بياء الغيبة ردا على قوله ضرب لكم والباقون بالتكلم ردا على قوله رزقناكم
والمعنى نبين بالآيات والدلائل والبراهين القطعية والأمثلة لقوم يعقلون ينظرون إلى
هذه الدلائل بعقولهم والأمر لا يخفى بعد ذلك إلا على من لا يكون له عقل **قوله** بل اتبع
الذين ظلموا أهواءهم أي لا يجوز أن يشرك مالك مملوكه ولكن الذين ظلموا أي أشركوا اتبعوا أهواءهم
في الشرك بغير علم أي بغير دليل جهلا بما يجب عليهم ثم بين أن ذلك بإرادة الله بقوله
فمن يهدي من أضل الله أي هؤلاء أضلهم الله فلا هادي لهم فلا يحزنك قولهم ثم قال وما لهم
من ناصرين مانعين يمنعونهم من عذاب الله عز وجل **قوله تعالى** فأقم وجهك
للدين حنيفا أي أخلص دينك لله قال سعيد بن جبير وإقامة الوجه إقامة الدين وقال
غيره سدد عملك والوجه ما يتوجه إليه وقيل أقبل بكلك على الدين عبر عن الذات بالوجه
كقوله تعالى كل شيء هالك إلا وجهه أي ذاته بصفاته **قوله** حنيفا حال من فاعل أقم أو من
مفعوله أو من الدين ومعنى حنيفا أي مائلا إليه مستقيما عليه ومائلا عن كل شيء لا يكون في قلبك شيء
آخر وهذا قريب من معنى قوله ولا تكونن من المشركين **قوله** فطرة الله فيه وجهان أحدهما
أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة كقوله صبغة الله وصنع الله والثاني أنه منصوب بإضمار فعل
قاله الزمخشري أي الزموا فطرة الله وإنما أضمرته على خطاب الجماعة لقوله منيبين إليه وهو
حال من الضمير في الزموا وقوله واتقوه وأقيموا ولا تكونوا معطوف على هذا المضمر ثم قال أو عليكم
فطرة الله ورده أبو حيان بأن كلمة الإغراء لا تضمر إذ هي عوض عن الفعل فلو حذفها لزم حذف
العوض والمعوض عنه وهو إجحاف قال شهاب الدين هذا رأي البصريين وأما الكسائي وأتباعه
فيجيزون ذلك **فصل** ومعنى فطرة الله دين الله وهو التوحيد فإن الله فطر الناس
عليه حيث أخرجهم من ظهر آدم وسألهم ألست بربكم قالوا بلى وقال عليه السلام ما من مولود
إلا وهو يولد على الفطرة وإنما أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه فقوله على الفطرة يعني
على العهد الذي أخذ عليهم بقوله ألست بربكم قالوا بلى وكل مولود في العالم على ذلك الإقرار
وهي الحنيفية التي وقعت الخلقة عليها وإن عبد غيره قال الله تعالى ولئن سألتهم من خلقهم
ليقولن الله وقالوا ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله ولكن لا عبرة بالإيمان الفطري في أحكام الدنيا
وإنما يعتبر الإيمان الشرعي المأمور به وهذا قول ابن عباس وجماعة من المفسرين وقيل الآية
مخصوصة بالمؤمنين وهم الذين فطرهم الله على الإسلام روي عن عبد الله بن المبارك قال معنى
الحديث أن كل مولود يولد على فطرته أي على خلقته التي جبل عليها في علم الله تعالى من السعادة
والشقاوة فكل منهم صائر في العاقبة إلى ما فطر عليها وعامل في الدنيا بالعمل المشاكل لها
فمن أمارات الشقاء أن يولد بين يهوديين أو نصرانيين فيحملانه لشقائه على اعتقاد دينهما وقيل
معنى الحديث أن كل مولود يولد على الفطرة أي على الجبلة السليمة والطبع المتهيئ لقبول الدين
فلو ترك عليها لاستمر على لزومها لأن هذا الدين موجود حسنه في العقول وإنما يعدل عنه
من يعدل إلى غيره لآفة من النشوء والتقليد فمن يسلم من تلك الآفات لم يعتقد غيره ذكر
هذه المعاني أبو سليمان الخطابي في كتابه **قوله** لا تبديل لخلق الله فمن حمل الفطرة
على الدين قال معناه لا تبديل لدين الله فهو خبر بمعنى النهي أي لا تبدلوا دين الله
قاله مجاهد وإبراهيم والمعنى الزموا فطرة الله أي دين الله واتبعوه ولا تبدلوا التوحيد
بالشرك وقيل هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم عن الحزن حيث لم يؤمن قومه فقال
هم خلقوا للشقاوة ومن كتب شقيا لا يسعد وقال عكرمة ومجاهد معناه تحريم إخصاء
البهائم ثم قال ذلك الدين القيم المستقيم الذي لا عوج فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن

ذلك هو الدين المستقيم **قوله** منيبين حال من فاعل الزموا المضمر كما تقدم او من فاعل اقم
على المعنى لانه ليس يراد به واحد بعينه وانما المراد الجميع وقيل حال من الناس اذا اريد بهم
المومنون وقال الزجاج بعد قوله وجهك معطوف على محذوف تقديره فاقم وجهك وامتك
والحال من الجميع وجاز حذف المعطوف لدلالة منيبين عليه كما جاز حذفه في قوله يا ايها النبي
اي والناس لدلالة اذا طلقتم عليه كذا زعم الزجاج في يا ايها النبي وقيل على خبر كان اي كونوا
منيبين لدلالة قوله ولا تكونوا **فصل** معنى منيبين اليه اي متقبلين عليه بالتوبة
والطاعة واتقوه اي اذا اقبلتم عليه وتركتم الدنيا فلا تامنوا فتتركوا عبادته بل خافوه
وداوموا على العبادة واقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين اي لا تشركوا بعد الايمان اي لا
تقصدوا بذلك غير الله **قوله** من الذين بدل من من المشركين باعادة العامل وتقدم
فرقوا في قراءة تفسير الشيخ ايضا **قوله** فرحون الظاهر انه خبر كل حزب وجوز الزمخشري
ان يرتفع صفة لكل قال ويجوز ان يكون من الذين منقطعا مما قبله ومعناه من المفارقين
دينهم كل حزب فرحين بما لديهم ولكنه رفع فرحين وصفا لكل كقوله
• وكل خليل غير هاضم نفسه • قال ابو حيان قدر ولا فرحين مجرورا صفة لرجل
وهو الاكثر كقوله • جادت عليه كل عين ثرة فتركن كل حديقة كالدرهم • وجاز الرفع نعتا
لكل كقوله • ولهت عليه كل معصفة هوجا ليس للبها زبر • برفع هوجا صفة لكل انتهى وهو
تقرير حسن **قوله** واذا مس الناس ضر قحط وشدة دعوا ربهم منيبين اليه متقبلين عليه
بالدعا لما بين التوحيد بالدليل وبالمثل بين ان لهم حالة يعترفون به وان كانوا ينكرونه
في وقت وهي حالة الشدة ثم اذا اذاقهم منه رحمة خصبا ونعمة يعني اذا خلصناهم من
تلك الشدة اذا فريق منهم بربهم يشركون وقوله منه اي من الضر لان الرحمة غير مطلقة
لهم انما هي عن ذلك الضر وحده واما الضر الموخر فلا يذوقون منه رحمة ويحتمل ان يكون
الضمير في منه عايدا الى الله تعالى والتقدير ثم اذا اذاقهم الله من فضله رحمة خلصهم
بها من ذلك الضر **قوله** اذا فريق هذه اذا الفجائية ووقعت جواب الشرط لانها كالفاء في
انها للتعقيب ولا يبتدا اول كلام وقد يجامعها الفاء زايدة **فان قيل** ما الحكمة
في قوله هاهنا اذا فريق منهم وقال في موضع فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون ولم يقل
فريق فالجواب ان المذكور هناك غير معين وهو ما يكون من هول البحر والمتخلص منه بالنسبة
الى الخلق قليل والذي لا يشرك منهم بعد الخلاص فرقة منهم فهم في غاية القلة فلم يجعل
المشركين فريقا لقلة من خرج من الشرك واما المذكور هاهنا الضر مطلقا فيتناول ضر
البحر والامراض والاهوال والمتخلص من انواع الضر خلق كثير بل جميع الناس يكونون قد
وقعوا في ضر ما فتخلصوا منه والذي لا يبقى بعد الخلاص مشركا من جميع الانواع اذن جمع
فهو خلق عظيم وهم جميع المسلمين فانهم تخلصوا من ضر ولم يبقوا مشركين واما المسلمون فلم
يتخلصوا من ضر البحر باجمعهم فلما كان الناجي من الضر المومن جمعا كثيرا سمي الباقي فريقا **قوله**
ليكفروا يجوز ان يكون لام كي وان يكون لام الامر ومعناه التهديد كقوله اعملوا ما شئتم ثم
خاطب هولاء الذين فعلوا هذا تهديدا فقال فتمتعوا قرا العامة بالخطاب فيه وفي تعلمون
وابو العالية بالياء فيهما والاول مبني للمفعول وعنه ايضا فيتمتعوا بياء قبل التاء وعن عبد الله
فليتمتعوا بلام الامر والمعنى فسوف تعلمون حالكم في الاخرة **قوله** ام انزلنا عليهم سلطانا اي برهانا
وحجة فان جعلناه حقيقة كان يتكلم مجازا وان جعلناه على حذف مضاف اي ذا سلطان كان
يتكلم حقيقة وقال ابو البقا هنا وقيل هو جمع سليط كرغيف ورغفان انتهى قال الشهاب

الدين وهذا لا يجوز لانه كان ينبغي ان يقال فهم يتكلمون وقيل فهو يتكلم جواب الاستفهام الذي تضمنته
ام المنقطعة وهذا استفهام بمعنى الانكار اي ما انزلنا بما يقولون سلطانا قال ابن عباس حجة
وعذرا وقال قتادة كتابا يتكلم بما كانوا به يشركون اي ينطق بشركهم **قوله** واذا اذقنا الناس
رحمة اي الخصب وكثرة المطر فرحوا بها يعني فرح البطر لما بين حال المشرك الظاهر شركه بين حال
المشرك الذي دونه وهو من يكون عبادته للدنيا فاذا اعطاه رضي واذا منعه سخط وقنط
ولا ينبغي ان يكون العبد كذلك بل ينبغي ان يعبد الله في الشدة والرخا **فان قيل**
الفرح بالرحمة مامور به قال تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا وهاهنا ذمهم
على الفرح بالرحمة فالجواب هناك قال افرحوا برحمة الله من حيث انها مضافة الى
الله وهاهنا فرحوا بنفس الرحمة حتى لو كان المطر من غير الله لكان فرحهم به مثل فرحهم اذا كان
من الله **قوله** وان تصبهم سيئة اي الجدب وقلة المطر وقيل الخوف والبلا بما قدمت
ايديهم من السيئات اذا هم يقنطون ييأسون من رحمة الله وهذا خلاف وصف المومنين
فانهم يشكرون عند النعمة ويرجونه عند الشدة **قوله** اولم يروا ان الله يبسط الرزق
لمن يشا ويقدر اي الم يعلموا ان الكل من الله فالمحق ينبغي ان لا يكون نظره الى ما يوجد بل الى
من يوجد وهو الله فلا يكون له تبدل حال وانما يكون عنده الفرح الدايم ولذلك قال
ان في ذلك لايات لقوم يومنون **قوله** فات ذا القربى حقه من البر والصلة والمسكين
بان تتصدق عليه وابن السبيل يعني المسافر وقيل الضيف وخص هذه الاصناف الثلاثة
بالذكر دون بقية الاصناف الثمانية المذكورة في الصدقات لانه اراد هاهنا بيان من يجب
الاحسان اليه على كل من له مال سوا كان زكويا او لم يكن وسوا كان قبل الحول او بعده لان
المقصود هنا الشفقة العامة وهولاء الثلاثة يجب الاحسان اليهم وان لم يكن للانسان مال
زايد اما القريب فتجب نفقته عليه اذا كان له مال وان لم يحل عليه الحول والمسكين
كذلك فان من لا شي له اذا وقع في الحاجة حتى بلغ الشدة تجب على القادر دفع حاجته وان
لم يكن عليه زكوة والفقير داخل في المسكين لان من اوصى للمساكين بشي يصرف الى الفقرا ايضا
واذا نظرت الى الباقين من الاصناف رايتهم لا يجب صرف المال اليهم الا على الذين وجبت
الزكوة عليهم وقدم القريب لان دفع حاجته واجب سوا كان في مخمصة او لم يكن فلذلك
قدم على من لا يجب دفع حاجته من غير مال الزكوة الا اذا كان في شدة واما المسكين فحاجته
ليست مختصة بموضع فقدم على من حاجته مختصة بموضع دون موضع **قوله** ذلك
خير يحتمل ان يراد خير من غيره وان يكون ذلك خير في نفسه للذين يريدون وجه الله
اي يطلبون ثواب الله بما يعملون واولئك هم المفلحون **فان قيل** كيف قال
واولئك هم المفلحون مع ان للافلاح شرايط اخرى مذكورة في قوله قد افلح المومنون
فالجواب كل وصف مذكور هناك يفيد الافلاح وكذا الذي اتى المال لوجه الله يفيد
الافلاح اللهم الا اذا وجد مانع من ارتكاب محظور او ترك واجب **فان قيل** لم
لم يذكر غيره من الافعال كالصلوة وغيره فالجواب الصلاة مذكورة من قبل وكذا غيرها
في قوله فاقم وجهك للدين حنيفا وقوله منيبين اليه واتقوه واقيموا الصلاة ولا تكونوا من
المشركين **فان قيل** قوله في البقرة واولئك هم المفلحون اشارة الى ان من اقام
الصلاة واتى الزكوة وامن بما انزل على الرسول وبما انزل من قبل وبالاخرة فهو المفلح واذا
كان المفلح منحصرا في اولئك فهذا خارج عنهم فكيف يكون مفلحا فالجواب هذا هو ذاك لان
قوله فاقم وجهك للدين امر بذلك فاذا اتى بالصلاة واتى المال واراد وجه الله ثبت

انه من مقيمي الصلاة ومؤدي الزكوة ومعترف بالاخرة **قوله** وما اتيتم من ربا قرا ابن كثير اتيتم مقصورا وقرا الاخرون بالمد اي اعطيتم ومن قصر فمعناه جئتم من ربا ومجيئهم ذلك على وجه الاعطا كما تقول انيت خطأ واتيت صوابا وهو يؤول في المعنى الى قول من مد **قوله** ليربوا العامة على اليا من تحت مفتوحة اسند الفعل لضمير الربا اي ليزداد ونافع ويعقوب بتا من فوق مضمومة خطابا للجماعة فالواو على الاول لام الكلمة وعلى الثاني كلمة ضمير للغايبين **فصل** ذكر هذا تحريضا يعني انكم اذا طلب منكم واحد باثنين ترغبون فيه وتؤثرونه وذلك لا يربوا عند الله في اختطاف اموال الناس والزكوة تنموا عند الله كما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان الصدقة تقع في يد الرحمن فتربوا حتى تصير مثل الجبل فينبغي ان يكون اقدامكم على الزكوة اكثر واختلفوا في معنى الاية فقال سعيد بن جبير ومجاهد وطاوس وقتادة والضحاك واكثر المفسرين هو الرجل يعطي عبده العطية ليثيب اكثر منها فهذا جائز حلالا ولكن لا يثاب عليه في القيمة فهو معنى قوله تعالى فلا يربوا عند الله وكان هذا حراما على النبي صلى الله عليه وسلم خاصة لقوله تعالى ولا تمنن تستكثر اي لا تعط وتطلب اكثر مما اعطيت وقال النخعي هو الرجل يعطي صديقه او قريبه ليكثر ماله ولا يريد به وجه الله وقال الشعبي هو الرجل يلتزق بالرجل فيخدمه ويسافر معه فيحصل له ربح ماله التماس عونه لا لوجه الله فلا يربوا عند الله لانه لم يرد به وجه الله وما اتيتم من زكوة اعطيتم من صدقة تريدون وجه الله **قوله** فاولئك هم المضعفون اى اصحاب الاضعاف قال الفرا نحو مسمن ومعطش اي ذي ابل سمان وابل عطاش وتقول العرب القوم مهزلون ومسمنون اذا هزلت وسمنت ابلهم فالمضعف ذو الاضعاف من الحسنات وقرا ابي بفتح العين جعله اسم مفعول وقوله فاولئك هم قال الزمخشري التفات حسن كانه قال لملائكته فاولئك الذين يريدون وجه الله بصدقاتهم هم المضعفون والمعنى هم المضعفون به لانه لا بد من ضمير يرجع الى ما اتيتم يعني ان اسم الشرط متى كان غير ظرف وجب عود ضمير من الجواب عليه وتقدم ذلك في البقرة عند قل من كان عدوا لجبريل ثم قال ووجه اخر وهو ان يكون تقديره مؤتوه فاولئك هم المضعفون والحذف لما في الكلام من الدليل عليه وهذا اسهل ماخذا والاول املا بالفايدة **قوله** الله الذي خلقكم يجوز في خبر الجلالة وجهان اظهرهما انه الموصول بعدها والثاني انه الجملة من قوله هل من شركايكم من يفعل والموصول صفة للجلالة وقدر الزمخشري الرابط بين المبتدا والجملة الواقعة خبرا فقال وقوله من ذلكم هو الذي ربط الجملة بالمبتدا لان معناه من افعاله قال ابو حيان والذي ذكره النحويون ان اسم الاشارة يكون رابطا اذا اشير به الى المبتدا واما ذلكم هنا فليس باشارة الى المبتدا لكنه شبيه بما اجازه الفرا من الربط بالمعنى وخالفه الناس وذلك في قوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن قال التقدير يتربص ازواجهم فقدر الرابط مضافا الى ضمير الذين فحصل به الربط لذلك قدر الزمخشري من ذلكم من افعاله مضافا الى الضمير العايد الى المبتدا **فصل** الله الذي خلقكم اوجدكم ورزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركايكم من يفعل جمع في هذه الاية بين الحشر والتوحيد اما الحشر فقوله يحييكم واما الدليل فقدرته على الخلق ابتدا واما التوحيد فقوله هل من شركايكم من يفعل من ذلكم من شيء ثم قال سبحانه وتعالى عما يشركون اي سبحوه تسبيحا نزهوه ولا تصفوه بالاشراك وقوله **تعالى** اي لا يجوز ذلك عليه **قوله** من شركايكم خبر مقدم ومن للتبعيض ومن يفعل هو المبتدا ومن ذلكم متعلق بمحذوف لانه حال من شيء بعده فانه في الاصل صفة له ومن الثالثة مزيده

في

في المفعول به لانه في حيز النفي المستفاد من الاستفهام والتقدير ما الذي يفعل شيا من ذلكم من شركايكم وقال الزمخشري ومن الاولى والثانية كل واحدة مستقلة تاكيد لتعجيز شركايهم وتجهيل عبدتهم قال ابو حيان ولا ادري ما اراد بهذا الكلام وقرا الاعمش تشركون بالخطاب **قوله** ظهر الفساد في البر والبحر وجه تعلق الاية بما قبلها ان الشرك سبب الفساد كما قال تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا واذا كان الشرك سببه جعل الله اظهارهم الشرك مورثا لظهور الفساد ولو فعل بهم ما يقتضيه قولهم لفسدت السموات والارض كما قال تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا ولهذا اشار بقوله ليذيقهم بعض الذي عملوا واختلفوا في قوله في البر والبحر فقيل المراد خوف الطوفان في البر والبحر وقيل عدم انبات بعض الارض وملوحة مياه البحار وقيل المراد قحط المطر وقلة النبات واراد بالبر البوادي والمفاوز وبالبحر المداين والقرى التي على المياه الجارية قال عكرمة العرب تسمي المصر بحرا تقول اجدب البر وانقطعت مادة البحر **قوله** بما كسبت اي بسبب كسبهم والبا متعلقة بظهر او بنفس الفساد وفيه بعد والمعنى بشوم ذنوبهم وقال عطية البر ظهر الارض الامصار وغيرها والبحر هو البحر المعروف والفساد قلة المطر يوثر في البر والبحر اما تاثيره في البر فهو القحط واما تاثيره في البحر فتخلوا اجواف الاصداف لان الصدف اذا جا المطر يرتفع الى وجه البحر ويفتح فاه فما يقع فيه من المطر صار لولوا وقال ابن عباس وعكرمة ومجاهد الفساد في البر قتل احد ابني ادم اخاه وفي البحر غصب الملك الجاير السفينة وقال الضحاك كانت الارض خضرة مونقة لا ياتي ابن ادم شجرة الا وجد عليها ثمرة وكان ما البحر عذبا وكان لا يقصد الاسد البقر والغنم فلما قتل قابيل هابيل اقشعرت الارض وشاكت الاشجار وصار ما البحر ملحا زعاقا وقصد الحيوان بعضه بعضا وقال قتادة هذا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم امتلات الارض ظلما وضلالة فلما بعث الله محمدا عليه السلام رجع راجعون من الناس بما كسبت ايدي الناس من المعاصي يعني كفار مكة **قوله** ليذيقهم اللام للعلة متعلقة بظهر وقيل بمحذوف اي عاقبهم بذلك ليذيقهم وقيل اللام للصيرورة وقرا قنبل لنذيقهم بنون العظمة والباقون بيا الغيبة والمعنى ليذيقهم عقوبة بعض الذي عملوا من الذنوب لعلهم يرجعون عن الكفر واعمالهم الخبيثة **قوله** قل سيروا في الارض لما بين حالهم بظهور الفساد في احوالهم بسبب فساد اقوالهم بين لهم ضلال امثالهم واشكالهم الذين كانت افعالهم كافعالهم فقال قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل اي قوم نوح وعاد وثمود لترو منازلهم ومساكنهم خاوية كان اكثرهم مشركين اي كانوا مشركين فاهلكوا بكفرهم **قوله** فاقم وجهك للدين القيم لما نهى الكافر عما هو عليه امر المومنين بما هم عليه وخاطب النبي عليه السلام ليعلم المومن فضيلة ما هو مكلف به فانه امر به اشرف الانبيا والدين القيم اي المستقيم وهو دين الاسلام **قوله** من قبل ان ياتي يوم لا مرد له المرد مصدر رد ومن الله يجوز ان يتعلق بياتي او بمحذوف يدل عليه المصدر اي لا يرده من الله احد ولا يجوز ان يعمل فيه مرد لانه كان ينبغي ان ينون اذ هو من قبيل المطولات والمراد يوم القيمة لا يقدر احد على رده من الله وغيره عاجز عن رده فلا بد من وقوعه يوميذ يصدعون اي يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير ثم اشار الى التفرق بقوله من كفر فعليه كفره اي وبال كفره ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون اي يوطيون المضاجع ويسوونها في القبور **قوله** فعليه كفره وفلانفسهم يمهدون تقديم الجارين يفيد الاختصاص يعني ان ضرر كفرهم هذا ومنفعة عمل هذا لا يتعداه **قوله** ليجزي فيه متعلقه اوجه احدها

يمهدون والثاني يصدعون والثالث محذوف قال ابن عطية تقديره ذلك ليجزي وتكون
الاشارة الى ما تقرر من قوله من كفر وحد الكناية في قوله فعليه وجمعها في قوله فلانفسهم
اشارة الى ان الرحمة اعم من الغضب فتشمله واهله وذريته واما الغضب فمسبوق بالرحمة
لازم لمن اساء وقال فعليه كفره ولم يبين وقال في المؤمن فلانفسهم يمهدون تحقيقا لكمال
الرحمة فانه عند الخيرين بشارة وعند غيره اشار اليه اشارة **قوله** ليجزي في متعلقه
اوجه احدها يمهدون والثاني يصدعون والثالث محذوف قال ابن عطية تقديره
ذلك ليجزي ويكون الاشارة الى ما تقرر من قوله من كفر ومن عمل وجعل ابو حيان قسيم
قوله الذين امنوا وعملوا الصالحات محذوفا لدلالة قوله انه لا يحب الكافرين عليه هذا
اذا علقت اللام بيصدعون وبذلك المحذوف قال تقديره ليجزي الذين امنوا وعملوا
الصالحات من فضله والكافرين بعدله **فصل** قال ابن عباس ليجزي الذين
امنوا ليثيبهم الله اكثر من ثواب اعمالهم انه لا يحب الكافرين **قوله** ومن اياته
ان يرسل الرياح مبشرات لما ذكر ظهور الهلاك والفساد بسبب الشرك ذكر ظهور الصلاح
ولم يذكر انه بسبب العمل الصالح لان الكريم لا يذكر لاحسانه عوضا ويذكر لاضراره سببا
لئلا يتوهم به الظلم فقال يرسل الرياح مبشرات قبل المطر كما قال تعالى بشرا بين يدي رحمته
اي قبل المطر وقيل مبشرات بصلاح الاهوية والاحوال فان الرياح لو لم تهب لظهر الوبا
والفساد وقرا العامة الرياح جمعا لاجل مبشرات والاعمش بالافراد واراد الجنس لاجل
مبشرات **قوله** وليذيقكم اما عطف على معنى مبشرات لان الحال والصفة يفهمان
العلة فكان التقدير ليبشر وليذيقكم واما ان يتعلق بمحذوف اي وليذيقكم ارسلها واما
ان يكون الواو مزيدة على راي فيتعلق اللام بان يرسل **فصل** وليذيقكم من
رحمته نعمته بالمطر والخصب ولتجري الفلك لما اسند الفعل الى الفلك عقبه بقوله بامره
اي الفعل ظاهر عليه ولكنه بامر الله والمعنى ولتجري الفلك في البحر بهذه الرياح بامره
وكذلك لما قال ولتبتغوا اسند الى العباد ذكر بعده من فضله اي لا استقلال لغيره
بشيء والمعنى لتطلبوا من رزقه بالتجارة في البحر ولعلكم تشكرون **فصل** قال
تعالى ليظهر الفساد ليذيقهم بعض الذي عملوا وقال هنا ليذيقكم من رحمته فخاطبهم هنا
تشريفا ولان رحمته قريب من المحسنين والمحسن قريب فيخاطب والمسيء بعيد فلم يخاطب وقال
هناك بعض الذي عملوا فاضاف ما اصابهم الى انفسهم واضاف ما اصاب المؤمن الى رحمته
فقال من رحمته لان الكريم لا يذكر لرحمته واحسانه عوضا فلا يقول اعطيتك لانك
فعلت كذا بل يقول هذا لك مني واما ما فعلت من الحسنة فجزاؤه بعد عندي وايضا فلو
قال ارسلت بسبب فعلكم لا يكون بشارة عظيمة واما اذا قال من رحمته كان غاية البشارة
وايضا فلو قال بما فعلتم لكان ذلك موهما لنقصان ثوابهم في الاخرة واما في حق الكفار فاذا
قال بما فعلتم انبا عن نقصان عقابهم وهو كذلك وقال هناك لعلهم يرجعون وقال
هنا ولعلكم تشكرون فالواو اشارة الى توفيقهم للشكر في النعم فعطف على النعم **قوله**
ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات لما بين الاصلين بالبراهين ذكر
الاصل الثالث وهو النبوة فقال ولقد ارسلنا من قبلك رسلا اي ارسلناهم دليل رسالتك
فانهم لم يكن لهم شغل غير شغلك ولم يظهر عليهم غير ما اظهر عليك ومن امن بهم كان لهم الانفاد
ومن كذبهم اصابهم البوار وفي تعلق الاية وجه اخر وهو ان الله لما بين بالبراهين ولم
ينتفع بها الكفار سلى قلب النبي عليه السلام وقال حالك كحال من تقدمك كان كذلك

وجاؤا

هذه النعم

وجاؤا ايضا بالبينات اي بالدلالات الواضحات على صدقهم وكان في قومهم كافر ومؤمن
كما في قومك فانتقمنا من الذين اجرموا عذبنا الذين كذبوهم ونصرنا المؤمنين **قوله**
وكان حقا وقف بعضهم على حقا وابتدا بما بعده فجعل اسم كان مضمرا فيها وحقا خبرها
اي وكان الانتقام حقا قال ابن عطية وهذا ضعيف لانه لم يدر قدر ما عرضه في نظم
الاية يعني الوقف على حقا وجعل بعضهم حقا منصوبا على المصدر واسم كان ضمير الامر والشان
وعلينا خبر مقدم ونصر اسم مؤخر وجعل بعضهم حقا منصوبا على المصدر ايضا وعلينا خبر
مقدم ونصر اسم مؤخر والصحيح ان نصر اسمها وحقا خبرها وعلينا متعلق بحقا او بمحذوف
صفة له فعلى الاول يكون بشارة للمؤمنين الذين امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم اي علينا نصركم
ايها المؤمنون ونصرهم انجاؤهم من العذاب وعلى الثاني معناه وكان حقا علينا ان ينصر
المؤمنين كان حقا علينا **قوله** الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا اي تنشره وتبسطه
في السما كيف يشا مسيرة يوم او يومين واكثر على ما يشا ويجعله كسفا قطعا متفرقة
فترى الودق المطر يخرج من خلاله وسطه فاذا اصاب به بالودق من يشا من عباده
اذا هم يستبشرون يفرحون بالمطر **قوله** وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم وقيل
وما كانوا الا مبلسين اي ايسين **قوله** من قبله فيه وجهان احدهما انه تكرير لمن
قبل الاولى على سبيل التوكيد والثاني ان يكون غير مكرر وذلك ان يجعل الضمير في قبله
للسحاب وجاز ذلك لانه اسم جنس يجوز تذكيره وتانيثه او للزرع فيتعلق من الثانية بينزل
وقيل يجوز عود الضمير على كسفا كذا اطلق ابو البقا وابو حيان وهذه قراءة من سكن
السين وقد تقدمت قراات كسفا في سبحان وقال بدي الزمخشري وابن عطية فايدة
التاكيد المذكور فقال ابن عطيه افاد الاعلام بسرعة تقلب قلوب البشر من الابلاس الى الاستبشار
وذلك ان قوله من قبل ان ينزل عليهم يحتمل الفسحة في الزمان اي من قبل ان ينزل بكثير
كالايام ونحوه فجا قوله من قبله بمعنى ان ذلك متصل بالمطر فهو تاكيد مفيد وقال
الزمخشري ومعنى التوكيد فيه الدلالة على ان عهدهم بالمطر قد بعد فاستحكم باسهم وتمادى
ابلاسهم فكان استبشارهم على قدر اغتمامهم بذلك وهو كلام حسن الا ان ابا حيان لم
يرتضه منهما فقال ما ذكراه من فايدة التاكيد غير ظاهر وانما هو لمجرد التوكيد ويفيد
رفع المجاز فقط انتهى قال شهاب الدين ولا ادري عدم الظهور لماذا وقال قطرب
وان كانوا من قبل التنزيل من قبل المطر وقيل التقدير من قبل انزال المطر من قبل ان
يزرعوا ودل المطر على الزرع لانه يخرج بسبب المطر ودل على ذلك قوله فراوه مصفرا يعني
الزرع قال ابو حيان وهذا لا يستقيم لان من قبل ان ينزل متعلق بمبلسين ولا يمكن
من قبل الزرع ان يتعلق بمبلسين لان حرفي جر لا يتعلقان بعامل واحد الا بواسطة
حرف العطف او البدل وليس هنا عطف والبدل لا يجوز اذ انزال الغيث ليس هو الزرع
ولا الزرع بعضه وقد يتخيل فيه بدل الاشتمال بتكلف اما لاشتمال الانزال على الزرع
بمعنى ان الزرع يكون ناشيا عن الانزال فكان الانزال مشتمل عليه وهذا على مذهب من
يقول الاول مشتمل على الثاني وقال المبرد الثاني السحاب لانهم لما راوا السحاب كانوا راجين
المطر انتهى يريد من قبل روية السحاب ويحتاج ايضا الى حرف عطف ليصح تعلق الحرفين
بمبلسين وقال الرماني من قبل الارسال وقال الكرماني من قبل الاستبشار لانه قرنه
بالابلاس ولانه من عليهم بالاستبشار ويحتاج قولها الى حرف العطف لما تقدم وادعا حرف
العطف ليس بالسهل فان فيه خلافا بعضهم يقيسه وبعضهم لا يقيسه وهذا كله في المفردات اما

او وقد كانوا من قبل ان ينزل عليهم

اذا كان في الجمل فلا خلاف في اقتياسه و في حرف عبد الله بن مسعود وان كانوا من قبل ان ينزل
عليهم لمبلسين غير مكرر **قوله** فانظر الى اثر قرا ابن عامر والاخوان وحفص بالجمع والباقون
بالافراد وسلام بكسر الهمزة وسكون الثا وهي لغة فيه وقرا العامة كيف يحيي بيا الغيبة
اي اثر الرحمة فمن قرا بالافراد فالفعل مسند لله تعالى وهو محتمل في الافراد ايضا والجحدري
وابو حيوه وابن السميفع تحيي بتا التانيث وفيها تخريجان اظهرهما ان الفاعل عائد على
الرحمة والثاني قاله ابو الفضل عائد على اثر وانث اثر لاكتسابه بالاضافة التانيث كنظائر
له تقدمت و رد عليه بان شرط ذلك كون المضاف بمعنى المضاف اليه او من سببه لا اجنبيا
وهذا اجنبي وكيف يحيي معلق لانظر فهو في محل نصب على اسقاط الخافض وقال ابو البقا
الجملة من كيف يحيي في موضع نصب على الحال حملا على المعنى انتهى وكيف تقع جملة الطلب حالا لا
واراد برحمة الله هنا المطر اي انظر الى حسن تاثيره في الارض كيف يحيي الارض بعد موتها **قوله**
ان ذلك لمحيي الموتى يعني ان ذلك الذي يحيي الارض لمحيي الموتى فاتى باللام المؤكدة لاسم الفاعل
قوله ولئن ارسلنا ريحا فراوه مصفرا المعنى انهم عند توقف الخير يكونون مبلسين آيسين
وعند ظهوره يكونون مستبشرين بل ان تلك الحالة ايضا لا يدومون عليها بل لو اصاب زرعهم
ريح مفسد لكفروا فهم متقلبون غير ثابتين لنظرهم الى الحال لا الى المآل **فصل**
سمى النافعة رياحا والضارة ريحا لوجوه احدها ان النافعة كثيرة الانواع كثيرة الافراد
فجمعها لان في كل يوم وليلة تهب نفحات من الرياح النافعة ولا تهب الريح الضارة في اعوام
بل الضارة في الدهور الثاني ان النافعة لا تكون الا رياحا واما الضارة فنفخة واحدة
تقتل كريح صرصر الثالث جا في الحديث ان ريحا هبت فقال عليه السلام اللهم اجعلها
رياحا ولا تجعلها ريحا اشارة الى قوله تعالى يرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته وقوله يرسل
الرياح مبشرات واما الريح فقوله تعالى فارسلنا عليهم الريح العقيم وقوله ريحا صرصرا تنزع
الناس **فصل** يعني الاية ولئن ارسلنا ريحا اي مضرة افسدت الزرع فراوه مصفرا
بعد الخضرة لظلوا لصاروا من بعد اصفرار الزرع يكفرون يجحدون ما سلف من النعمة
يعني انهم يفزعون عند الخصب ولو ارسلت عذابا على زرعهم جحدوا سالف نعمتي **قوله**
فراوه اي فراوا النبات لدلالة السياق عليه او على الاثر لان الرحمة هي الغيث واثرها
هو النبات وهذا ظاهر على قراءة الافراد واما على قراءة الجمع فيعود على المعنى وقيل الضمير للسحاب
وقيل للريح وقرا ابن جبير مصفارا بالف ولظلوا جواب القسم الموطا له بلئن وهو مما ناب
لفظا مستقبل معنى كقوله ما تبعوا قبلتك والضمير في من بعده يعود على الاصفرار المدلول عليه
بالصفة كقوله اذا نهي السفيه جرى اليه اي السفه لدلالة السفيه عليه **قوله** انك لا تسمع
الموتى لما علم رسوله وجوه الادلة ووعد واوعد ولم يزدهم دعاؤه الا فرارا وكفرا واصرارا
قال انك لا تسمع الموتى وقد تقدم الكلام على نحو فانك لا تسمع الى آخره في الانبيا وفي النمل واعلم
ان ارشاد الميت محال والمحال ابعد من الممكن ثم ارشاد الاصم صعب فانه لا يسمع الكلام وانما
يفهم بالاشارة والافهام بالاشارة صعب ثم ارشاد الاعمى ايضا صعب فانك اذا قلت له الطريق
على يمينك يدور الى يمينه لكنه لا يبقى عليه بل يحيد عن قريب وارشاد الاصم اصعب ولهذا
تكون المعاشرة مع الاعمى اسهل من المعاشرة مع الاصم الذي لا يسمع لان غاية الافهام بالكلام وليس
كلما يفهم بالكلام يفهم بالاشارة فان المعدوم والغائب لا اشارة اليه فقال انك لا تسمع الموتى
ثم قال ولا الاصم ولا تهدي العمي وقال في الاصم اذا ولوا مدبرين ليكون ادخل في الامتناع وان
كان يفهم فانما يفهم بالاشارة فاذا ولى لا يكون نظره الى المشير فانتنع افهامه بالاشارة ايضا

ثم

ثم قال وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا لما نفى اسماع الميت
والاصم واثبت اسماع المؤمن بآياته لزم ان يكون المؤمن حيا سميعا وهو كذلك لان المؤمن ينظر
في البراهين ويسمع زواجر الوعظ فتظهر منه الافعال الحسنة ويفعل ما يجب عليه فهم مسلمون مطيعون
كما قال تعالى عنهم قالوا سمعنا واطعنا **قوله** الله الذي خلقكم من ضعف لما اعاد دليل
الآفاق بقوله الله الذي يرسل الرياح اعاد دليلا من دلائل الانفس ايضا وهو خلق الآدمي وذكر
احواله فقال خلقكم من ضعف اي مما ذي ضعف كقوله الم نخلقكم من ماء مهين وقرئ ضعف
بضم الضاد وفتحها فالضم لغة قريش والفتح لغة تميم من ضعف اي من نطفة وتقدم الكلام
في القراتين والفرق بينهما في الانفال ثم جعل من بعد ضعف قوة اي من بعد ضعف الطفولية
شبابا وهو وقت القوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا هرما وشيبة والشيبة هي تمام الضعف
يخلق ما يشا من الضعف والقوة والشباب والشيبة وهو العليم بتدبير خلقه القدير على ما
يشا **فان قيل** ما الحكمة في قوله ههنا وهو العليم القدير فقدم العلم على القدرة
وقوله من قبل وهو العزيز الحكيم والعزة اشارة الى كمال القدرة والحكمة اشارة الى كمال
العلم فقدم القدرة هناك على العلم فالجواب ان المذكور هناك الاعادة بقوله وهو اهون عليه
وله المثل الاعلى في السموات والارض وهو العزيز الحكيم لان الاعادة بقوله كن فيكون فالقدرة
هناك اظهر وههنا المذكور الابدا وهو اطوار واحوال والعلم بكل حال حاصل فالعلم ههنا اظهر
ثم ان قوله تعالى وهو العليم القدير فيه تبشير وانذار لانه اذا كان عالما باحوال الخلق يكون
عالما باحوال المخلوق فان عملوا خيرا علمه وان عملوا شرا علمه ثم اذا كان قادرا وعلم الخير اثاب
واذا علم الشر عاقب ولما كان العلم بالاحوال قبل الاثابة والعقاب اللذين هما بالقدرة
والعلم قدم العلم واما الاية الاخرى فالعلم بتلك الاحوال قبل العقاب فقال وهو العزيز الحكيم
قوله ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون يحلف المشركون ما لبثوا في الدنيا غير ساعة
اي الا ساعة لما ذكر الابدا والاعادة ذكره بذكر احوالها ووقتها **قوله** ما لبثوا جواب
قوله يقسم وهو على المعنى اذ لو حكى قولهم بعينه لقيل ما لبثنا والمعنى انهم استقلوا اجل
الدنيا لما عاينوا الآخرة وقال مقاتل والكلبي ما لبثوا في قبورهم غير ساعة كما قال
كانهم يوم يرونها وقوله يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار **قوله** كذلك
اي مثل ذلك الافك كانوا يؤفكون اي يصرفون عن الحق في الدنيا قال الكلبي ومقاتل كذبوا
في قولهم غير ساعة كما كذبوا في الدنيا ان لا بعث والمعنى ان الله تعالى اراد ان يفضحهم فحلفوا
على شي تبين لاهل الجمع انهم كاذبون ثم ذكر انكار المؤمنين عليهم فقال وقال الذين اوتوا
العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله اي فيما كتب الله لكم في سابق علمه من اللبث في
القبور وقيل في كتاب الله اي في حكم الله اي فيما وعد به في كتابه من الحشر والبعث فيكون
في كتاب الله متعلقا بلبثتم وقال مقاتل وقتادة فيه تقديم وتاخير معناه وقال
الذين اوتوا العلم بكتاب الله والايمان لقد لبثتم الى يوم البعث وفي ترد بمعنى البا والعامة
على سكون عين البعث والحسن بفتحها وقرئ بكسرها فالمكسور اسم والمفتوح مصدر **قوله**
فهذا يوم البعث في الفا قولان اظهرهما انها عاطفة هذه الجملة على لقد لبثتم وقال
الزمخشري هي جواب شرط مقدر كقوله فقد جئنا خراسانا كانه قيل ان صح ما قلتم ان
خراسان اقصى ما يراد بكم وآن لنا ان نخلص وكذلك ان كنتم منكرين للبعث
فهذا يوم البعث ويشير الى البيت المشهور قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا ثم القفول فقد جينا
قوله لا يعلمون اي البعث اي ما يراد بكم او لا يقدر له مفعول اي لم يكونوا من اولي العلم

خراسانا

وهو ابلغ **فصل** اعلم ان الموعود بوعد اذا ضرب له اجل يستقل المدة ويريد تاخرها
فالمجرم اذا حشر وعلم ان مصيره الى النار يستقل مدة اللبث ويختار تاخير الحشر والابقاء في
القبر والمؤمن اذا حشر علم ان مصيره الى الجنة فيستكثر المدة ولا يريد تاخرها فيختلف الفريقان
ويقول احدهما ان مدة لبثنا قليل واليه الاشارة بقوله وقال الذين اوتوا العلم والايمان
لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث ونحن صرنا الى يوم البعث وهذا يوم البعث ولكنكم
كنتم لا تعلمون وقوعه في الدنيا يعني ان طلبكم التاخير لانكم كنتم لا تعلمون البعث ولا تعترفون
به فصار مصيركم الى النار فتطلبون التاخير ولا ينفعكم العلم به الآن **قوله** فيومئذ
اي اذ يقع ذلك ويقول الذين اوتوا العلم تلك المقالة لا ينفع هو الناصب ليومئذ قبله وقرا
الكوفيون هنا وفي غافر باليا من تحت والباقون بالتاء على ما في غافر لان التانيث مجازي ولانه
قد فصل ايضا والباقون بالتانيث فيهما مراعاة للفظ **قوله** ولا هم يستعتبون قال
الزمخشري من قولك استعتبني فلان فاعتبته اي استرضاني فارضيته وذلك اذا كان جانيا
عليه وحقيقة اعتبته ازلت عتبه الا ترى الى قوله ٭
٭ غضبت تميم ان تقتل عامر ٭ يوم النسار فاعتبوا بالصيلم ٭ كيف جعلهم غضابا ثم قال
فاعتبوا اي ازيل غضبهم والغضب في معنى العتب والمعنى لا يقال لهم ارضوا ربكم بتوبة
وطاعة ومثله قوله تعالى فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون فان قلت كيف جعلوا
غير مستعتبين في بعض الايات وغير معتبين في بعضها وهو قوله وان يستعتبوا فما هم من
المعتبين قلت اما كونهم غير مستعتبين فهذا معناه واما كونهم غير معتبين فمعناه انهم
غير راضين بما هم فيه فشبهت حالهم بحال قوم جني عليهم فهم عاتبون على الجاني غير راضين
منه فان يستعتبوا الله اي يسالوه ازالة ما هم فيه فما هم من المجابين انتهى وقال ابن عطية
ويستعتبون بمعنى يعتبون كما تقول يملك ويستملك والباب في استفعل طلب الشيء وليس هذا
منه لان المعنى كان يفسد اذ كان المفهوم منه ولا يطلب منهم عتبى قال شهاب الدين وليس بفاسد
لما تقدم من كلام الزمخشري **قوله** ولقد ضربنا للناس في هذا القران من كل مثل وهذا
اشارة الى ازالة الاعذار والاتيان بما فوق الكفاية من الانذار وانه لم يبق من جانب
الرسول تقصير فان طلبوا شيئا اخر فذاك عناد محض لان من كذب دليلا لا يصعب عليه
تكذيب الدلائل بل لا يجوز للمستدل ان يشرع في دليل اخر بعد ذكره دليلا جيدا مستقيما
ظاهرا لا اشكال عليه وعاند الخصم لانه اما ان يعترف بورود سؤال الخصم عليه او لا يعترف
فان اعترف يكون انقطاعا وهو يقدح في الدليل او المستدل اما ان يكون الدليل فاسدا
واما ان المستدل جاهل بوجه الدلالة والاستدلال وكلاهما لا يجوز الاعتراف به من العالم
فكيف من النبي عليه السلام وان لم يعترف يكون الشروع في غيره يوهم ان الخصم معاند فيخرج عن
العناد في الثاني اكثر **فان قيل** فالانبياء عليهم السلام ذكروا انواعا من الدلائل
فنقول سردوها سردا ثم قرروا افرادا كمن يقول الدليل عليه من وجوه الاول كذا والثاني
كذا او في مثل هذا الواجب عدم الالتفات الى عناد المعاند لانه يريد تضييع الوقت كيلا يتمكن
المستدل من الاتيان بجميع ما وعد من الدليل فتنحط درجته والى هذا اشار بقوله ولئن
جئتهم باية ليقولن الذين كفروا ان انتم الا مبطلون اي ما انتم الا على باطل ووحد في قوله
جئتهم وجمع في قوله ان انتم لنكتة وهي انه تعالى اخبر في موضع اخر فقال ولئن جئتهم بكل اية
اي جاءت بها الرسل فقال الكفار ما انتم ايها المدعون الرسالة كلكم الا كذا **قوله** كذلك
يطبع اي مثل ذلك الطبع يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون توحيد الله **فان قيل**

والثالث كذا

من

من لا يعلم شيئا اي فائدة في الاخبار عن الطبع على قلبه فالجواب معناه ان من لا يعلم الآن
فقد طبع الله على قلبه من قبل ثم انه تعالى سلى نبيه عليه السلام فقال فاصبر ان وعد
الله حق في نصرتك واظهارك على عدوك وتبيين صدقك **قوله** ولا يستخفنك العامة
من الاستخفاف بالخاء معجمة والفاء ويعقوب وابن ابي اسحاق بالحاء مهملة والقاف من الاستحقاق
وابن ابي عبلة ويعقوب بتخفيف نون التوكيد والنهي من باب لا ارينك ههنا **فصل**
المعنى ولا يستجهلنك اي لا يحملنك الذين لا يوقنون على الجهل واتباعهم في الغي وقيل لا يستخفن
رايك وحلمك الذين لا يؤمنون بالبعث والحساب وهذا اشارة الى وجوب مداومة
النبي عليه السلام على الدعاء الى الايمان فانه لو سكت لقال الكافرون انه متقلب الرأي
لا ثبات له روى ابو امامة عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا
سورة الروم كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل ملك يسبح الله بين السماء والارض وادرك
ما ضيع في يومه وليلته رواه الثعلبي في تفسيره والله اعلم **سورة لقمان**
مكية وهي اربع وثلاثون اية وخمسمائة وثمان واربعون كلمة والفان ومائة
وعشرة احرف بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** الم تلك ايات الكتاب
الحكيم تلك اشارة الى الغائب والمعنى ايات القران ايات الكتاب الحكيم والحكيم فعيل
بمعنى مفعل وهذا قليل قالوا اعقدت اللبن فهو عقيد اي معقد او بمعنى
فاعل او بمعنى ذي الحكمة او اصله الحكيم قائله ثم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
وهو الضمير المجرور فانقلب مرفوعا فاستتر في الصفة قاله الزمخشري وهو حسن الصناعة
قوله هدى ورحمة العامة على نصب الحال من ايات والعامل ما في اسم الاشارة
من معنى الفعل والمدح وحمزة بالرفع على خبر مبتدا مضمر وجوز بعضهم ان يكون هدى
منصوبا على الحال حال رفع رحمة قال ويكون رفعها على خبر ابتدا مضمر اي وهو رحمة وفيه
بعد **فصل** قال في البقرة ذلك الكتاب ولم يقل الحكيم وههنا قال الحكيم لانه
لما زاد ذكر وصف في الكتاب زاد ذكر احواله فقال هدى ورحمة وقال هناك
هدى للمتقين فقوله هدى في مقابلة قوله الكتاب وقوله هدى في مقابلة قوله الحكيم
ووصف الكتاب بالحكيم على معنى ذو الحكمة كقوله تعالى في عيشة راضية اي ذات رضى
وقال هناك للمتقين وقال هنا للمحسنين لانه لما ذكر انه هدى ولم يذكر شيئا اخر قال
للمتقين اي يهدي به من يتقي الشرك والعناد وههنا زاد قوله ورحمة فقال للمحسنين لان
رحمة الله قريب من المحسنين وقال تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة فناسبت زيادة
قوله ورحمة ولان المحسن متق وزيادة **قوله** الذين يقيمون صفة او بدل او بيان
لما قبله او منصوب او مرفوع على القطع وعلى كل تقدير فهو تفسير للاحسان وسئل الاصمعي
عن الالمعي فانشد ٭ الالمعي الذي يظن بك الظن كان قد راى وقد سمعا ٭ يعني ان الالمعي هو
الذي اذا ظن شيئا كان كمن راه وسمعه كذلك المحسنون هم الذين يعملون هذه الطاعات
ومثله وسئل بعضهم عن الهلوع فلم يزد ان تلا اذا مسه الخير منوعا واذا مسه الشر جزوعا
فصل قال في البقرة الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة ولم يقل هنا
الذين يؤمنون بالغيب لان المتقي هو التارك للكفر ويلزمه ان يكون مؤمنا والمحسن هو
الآتي بحقيقة الايمان ويلزمه ان لا يكون كافرا فلما كان المتقي دالا على المؤمن بالالتزام صرح
بالايمان هنا ولما كان المحسن دالا على الايمان بالتضمن لم يصرح بالايمان وتقدم الكلام على
نظير قوله يقيمون الصلاة ويؤتون الزكوة الى قوله المفلحون **قوله** ومن الناس من يشتري

لهو الحديث لما بين ان القران كتاب حكيم يشتمل على ايات حكيمة بين حال الكفار انهم يتركون ذلك
ويشتغلون بغيره قال الكلبي ومقاتل نزلت في النضر بن الحرث بن كلده كان يتجر فياتي الحيرة
ويشتري اخبار العجم ويحدث بها قريشا ويقول ان محمدا يحدثكم بحديث عاد وثمود وانا احدثكم
بحديث رستم واسفنديار واخبار الاكاسره فيستملحون حديثه ويتركون استماع القران
فانزل الله هذه الاية وقال مجاهد يعني شرا القيان والمغنيين ووجه الكلام على هذا التاويل
من يشتري ذات او ذا لهو الحديث قال عليه السلام لا يحل تعليم المغنيات ولا بيعهن
واثمانهن حرام وفي مثل هذا نزلت الاية ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل
الله وما من رجل يرفع صوته بالغناء الا بعث الله عليه شيطانين احدهما على هذا المنكب
والاخر على هذا المنكب فلا يزالان يضربانه بارجلهما حتى يكون هو الذي يسكت قال النحويون
قوله لهو الحديث من باب الاضافة بمعنى من لان اللهو يكون حديثا وغيره فهو كباب خز
وهذا ابلغ من حذف المضاف **قوله** ليضل قرا ابن كثير وابو عمرو ليضل بفتح لان من
اضل حرف المضارعة والباقون بضمه من اضل غيره فمفعوله محذوف وهو مستلزم للضلال
لان من اضل فقد ضل من غير عكس وقد تقدم ذلك في ابرهيم قال الزمخشري هنا فان قلت
القراءة بالرفع بينة لان النضر كان غرضه باشترا اللهو ان يصد الناس عن الدخول في الاسلام
واستماع القران ويضلهم عنه فما معنى القراءة بالفتح قلت معنيان احدهما ليثبت على ضلاله
الذي كان عليه ولا يصدف عنه ويزيد فيه ويمده فان المخذول كان شديد الشكيمة في
عداوة الدين وصد الناس عنه والثاني ان يوضع ليضل موضع ليضل من قبل ان من اضل
كان ضالا لا محالة فدل بالرديف على المردوف **فصل** روي عن عبد الله بن مسعود
وابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير قالوا لهو الحديث هو الغنا والاية نزلت فيه ومعنى
قوله يشتري لهو الحديث اي يستبدل ويختار الغنا والمزامير والمعازف على القران وقال
ابن جريج هو الطبل وقال الضحاك هو الشرك وقال قتادة حسب المرء من الضلالة
ان يختار حديث الباطل على حديث الحق **قوله** بغير علم حال اي يشتري بغير علم باحوال
التجارة حيث اشترى ما يخسر فيه الدارين **قوله** ويتخذها قرا الاخوان وحفص بالنصب
اي بنصب الذال عطفا على ليضل فهو علة كالذي قبله والباقون بالرفع عطفا على يشتري
فهو صلة وقيل الرفع على الاستيناف من غير عطف على الصلة والضمير المنصوب يعود على
الايات المتقدمة او السبيل لانه يونث او الاحاديث الدال عليها الحديث لانه اسم جنس
قوله اولئك لهم حمل اولا على لفظ من فافرد ثم على معناها فجمع ثم على لفظها فافرد في قوله
واذا تتلى عليه وله نظاير تقدم التنبيه عليها في المايدة عند قوله من لعنه الله وغضب
قال ابو حيان ولا نعلم جا في القران ما حمل على اللفظ ثم على المعنى ثم على اللفظ غير هاتين
الايتين قال شهاب الدين وجد غيرهما كما تقدم التنبيه عليه في المايدة وقوله عذاب
مهين اي دايم **قوله** واذا تتلى عليه اياتنا ولى مستكبرا اي يشتري الحديث الباطل
ويابي الحق الصراح مجانا فيعرض عنه **قوله** كان لم يسمعها حال من فاعل ولى او من ضمير
مستكبرا وقوله كان في اذنيه وقرا حال ثالثة او بدل مما قبلها او حال من فاعل يسمعها او تبيين
لما قبلها وجوز الزمخشري ان يكون جملة التنبيه استينافيتين **فصل** معنى كان لم يسمعها
شغل المتكبر الذي لا يلتفت الى الكلام ويجعل نفسه كانها غافلة وقوله كان في اذنيه
وقرا ادخل في الاعراض فبشره بعذاب اليم اي مولم ووصفه اولا بانه مهين وهو اشارة
الى الدوام فكانه قال مولم دايم **قوله** ان الذين امنوا وعملوا الصالحات الاية لما بين حال

المعرض

للمعرض عن سماع الايات بين حال من يقبل على تلك الايات بان له جنات النعيم ولذلك عذاب
مهين ووحد العذاب وجمع الجنات اشارة الى ان الرحمة واسعة اكثر من الغضب ونكر
العذاب وعرف الجنات اشارة الى ان الرحمة تبين النعمة وتعرفها ولم تبين النقمة وانما نبه
عليها تنبيها **قوله** خالدين حال وخبر ان الجملة من قوله لهم جنات والاحسن ان يجعل
لهم هو الخبر وحده وجنات فاعل به وقرا زيد بن علي خالدون بالواو فجوزوا ان يكون هو الخبر
والجملة او الجار وحده حال ويجوز ان يكون خالدون خبرا ثانيا **قوله** وعد الله
مصدر موكد لنفسه لان قوله لهم جنات في معنى وعدهم الله ذلك وحقا مصدر موكد
لغيره اي لمضمون تلك الجملة الاولى وعاملهما مختلف فتقدير الاولى وعد الله ذلك
وعدا وتقدير الثاني احق ذلك حقا واعلم انه لم يوكد العذاب المهين واكد نعيم الجنات
بقوله وعد الله حقا وهو العزيز الحكيم العزيز في اقتداره الحكيم في افعاله **قوله**
خلق السموات بغير عمد وهذا تبيين لعزته وحكمته وقد تقدم الكلام على نظيرها في الرعد
واعلم ان اكثر المفسرين قال ان السموات مبسوطة كصحف مستوية لقوله تعالى يوم نطوي
السما كطي السجل للكتاب وقال بعضهم انها مستديرة وهو قول جميع المهندسين والغزالي
رحمه الله قال ونحن نوافقهم في ذلك فان لهم عليها دليلا من المحسوسات ومخالفة
الحس لا تجوز وان كان في الباب خبر تؤول بما يحتمله فضلا من ان ليس في القران والخبر ما
يدل على ذلك صريحا بل فيه ما يدل على الاستدارة كقوله تعالى كل في فلك يسبحون والفلك
اسم لشي مستدير بل الواجب ان يقال ان السما سوا كانت مستديرة او صحيفة مستقيمة هو
مخلوق بقدرة الله لا بايجاب وطبع وتقدم الكلام على نظير الاية الى قوله كريم والكريم
الحسن او ذي كرم لانه ياتي كثيرا من غير حساب او مكرم مثل نقيض للمتقين **قوله**
هذا خلق الله يعني هذا الذي ذكرت مما تعاينون خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من
دونه من الهتكم التي تعبدونها وتقدم تحقيق هذا الاستفهام في قوله ماذا في البقرة بل
الظالمون في ضلال مبين اي بين او مبين للعاقل انه ضلال والمراد بالظالمين المشركين الواضعين
العبادة في غير موضعها **قوله تعالى** ولقد اتينا لقمن الحكمة لقمن قيل اعجمي
وهو الظاهر فمنعه للتعريف والعجمة الشخصية وقيل عربي مشتق من اللقم وهو حينئذ مرتجل
لانه لم يسبق له وضع في النكرات ومنعه حينئذ للتعريف وزيادة الالف والنون والعامل
في اذ مضمر قال ابن اسحق لقمن هو ناعور بن ناحور بن تارخ وهو ازر وقال وهب كان ابن
اخت ايوب وقال مقاتل ذكر انه كان ابن خالة ايوب وقال الواقدي كان قاضيا
في بني اسرايل واتفق العلما على انه كان حكيما ولم يكن نبيا الا عكرمة فانه قال كان نبيا
وتفرد بهذا القول وقال بعضهم خير لقمن بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة وروي انه
كان نايما نصف النهار فنودي يا لقمن هل لك ان يجعلك الله خليفة في الارض فتحكم بين الناس
بالحق فاجاب الصوت وقال ان خيرني ربي قبلت العافية ولم اقبل البلا وان عزم علي
فسمعا وطاعة فاني اعلم ان فعل بي ذلك اعانني وعصمني فقالت الملايكة بصوت لا يراهم
لم يا لقمن قال لان الحاكم باشد المنازل واكدرها يغشاه الظلم من كل مكان ان يعن فبالحري
ان ينجوا وان اخطا اخطا طريق الجنة ومن يكن في الدنيا ذليلا خير من ان يكون شريفا ومن
يختر الدنيا على الاخرة تفته الدنيا ولا يصيب الاخرة فتعجبت الملايكة من حسن منطقه فنام
نومة فاعطي الحكمة فانتبه وهو يتكلم بها ثم نودي داود بعده فقبلها ولم يشترط ما اشترط
لقمن فهوي في الخطية غير مرة كل ذلك يعفو الله عنه وكان لقمن يوازره لحكمته قال خالد

الربعي كان لقمن عبدا حبشيا نجارا وقال سعيد بن المسيب كان خياطا وقيل كان راعي غنم
فروي انه لقيه رجل وهو يتكلم بالحكمة فقال الست فلانا الراعي فبم بلغت ما بلغت قال بصدق
الحديث واداء الامانة وترك ما لا يعنيني وقال مجاهد كان عبدا اسود عظيم الشفتين مشقق
القدمين وقال الحسن اعتزل لقمن الناس فنزل ما بين الرملة وبيت المقدس لا يخالطهم وقال
ابو جعفر كان لقمن الحبشي عبد الرجل فجا به الى السوق ليبيعه فكان كلما جا انسان يشتريه قال
له لقمن ما تصنع بي فيقول اصنع بك كذا وكذا فيقول حاجتي اليك ان لا تشتريني حتى جا
رجل فقال له ما تصنع بي قال اصيرك بوابا على بابي فقال انت اشتريني فاشتراه وجا
به الى داره قال وكان لمولاه ثلاث بنات يبغين في القرية واراد ان يخرج الى ضيعة له فقال
له اني ادخلت اليهن طعامهن وما يحتجن اليه فاذا خرجت فاغلق الباب واقعد من ورايه
ولا تفتحه حتى احضر قال نفعل فخرج اليه كما كن تخرجن فقلن له افتح الباب فابا عليهن فشججنه
فغسل الدم وجلس فلما قدم مولاه لم يخبره ثم عاد مولاه بعد ذلك يخرج وقال اني قد ادخلت
اليهن ما يحتجن اليه فلا تفتح الباب فاغلق الباب فجين اليه فقلن له افتح الباب فشججنه وجعن
فغسل الدم وجلس فلما جا مولاه لم يخبره قال فقالت الكبري ما بال هذا العبد الحبشي اولى بطاعة
الله عز وجل مني والله لاتوبن فتابت فقالت الصغري ما بال هذا العبد الحبشي وهذه الكبري
اولى بطاعة الله عز وجل مني والله لاتوبن فتابت فقالت الوسطى ما بال هاتين وهذا العبد
الحبشي اولى بطاعة الله مني والله لاتوبن فتابت فتبن الى الله تعالى وكن عوابد القرية فقال
عواة القرية ما بال هذا العبد الحبشي وبنات فلان اولى بطاعة الله عز وجل منا فتابوا ومن
المحقول ان لقمن كان عبدا حبشيا لرجل من بني اسرايل وكان مولاه يلعب بالنرد ويخاطر عليه
وكان على بابه نهر جار فلعب يوما بالنرد على ان من قمر صاحبه شرب الما الذي في النهر كله
او افتدى منه فقمر سيد لقمن فقال له القامر اشرب ما في النهر كله والا فافتد منه فقال
سلني الفدا فقال عينيك افقاهما او جميع ما تملك قال امهلني يوما قال لك ذلك فامسى كيبيا
حزينا فكلمه لقمن فاعرض عنه فاعاد عليه القول فاعرض عنه فقال اخبرني فلعل لك عندي
فرجا فاخبره فقال اذا قال لك الرجل اشرب ما في النهر فقل له اشرب ما بين جنبتي النهر او المد
فانه يقول لك ما بين جنبتي النهر فقل له احبس عني المد حتى اشرب ما بين الجنبتين فانه لا يستطيع وتكون
قد خرجت مما ضمنته له فعرف الرجل انه قد صدق فطابت نفسه فلما اصبح الرجل جا فقال
اوف لي شرطي فقال له نعم اشرب ما بين الصفتين او المد فقال ما بين الصفتين قال فاحبس عني
المد قال كيف استطيع فخصمه قال فاعتقه مولاه فاكرمه الله تعالى وكان يختلف الى داود عليه
السلام يقتبس منه فاختلف اليه سنة وداود يسرد درعا لا يسأله ما هذا ولم يخبره داود
حتى فرغ منها ولبسها على نفسه فقال نعم داك الصمت حكمه **فصل** لما بين الله تعالى
فساد اعتقاد المشركين في عبادة من لا يخلق شيا بقوله هذا خلق الله فاروني ماذا خلق الذين
من دونه وبين ان المشرك ظالم ضال ذكر ما يدل على ان ضلالهم وظلمهم نقيض الحكمة ان لم يكن
هناك نبوة وذكر حكاية لقمن فقال ولقد اتينا لقمن الحكمة والحكمة عبارة عن توفيق العمل بالعلم
فان اريد تحديدها بما يدخل فيه حكمة الله فيقول حصول العلم على وفق المعلوم **قوله**
ان اشكر هذه ان المفسرة فسر الله ايتا الحكمة بقوله ان اشكر لله ثم بين ان الشكر لا ينتفع الا الشاكر
بقوله ومن يشكر فانما يشكر لنفسه وبين ان من كفر لا يتضرر غير الكافر فقال ومن كفر فان الله
غني حميد اي غير محتاج الى شكر وقدم الشكر على الكفر ان ههنا وقال في الروم من كفر فعليه
كفره ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون لان الذكر في الروم كان للترهيب ولذلك قال يا بني

يوم

يوم لا مولود له فقدم التخويف وههنا الذكر للترغيب لان وعظ الاب للابن يكون بطريق اللطف
والوعد **قوله** واذ قال لقمن لابنه وهو يعظه هذا عطف على ما تقدم والتقدير اتينا لقمن
الحكمة حين جعلناه شاكرا في نفسه وحين جعلناه واعظا لغيره **قوله** يا بني قرا ابن كثير باسكان
اليا وفتحها حفص والباقون بالكسر لا تشرك بالله بدا في الوعظ بالاهم وهو المنع من الاشراك
وقال ان الشرك لظلم عظيم اما انه ظلم فلانه وضع النفس الشريفة المكرمة في عبادة الخسيس ووضع
العبادة في غير موضعها **قوله** ووصينا الانسان بوالديه لما منعه من العبادة لغير الله
والخدمة قريب منها في الصورة بين انها غير ممتنعة بل هي واجبة لغير الله في بعض الصور كخدمة
الابوين ثم بين السبب فقال حملته امه يعني لله على العبد نعمة الابتدا بالخلق ونعمة الابقا
بالرزق اي صارت بقدرة الله سبب وجوده فانها حملته وبرضاعه حصل التربية والبقا
قوله وهنا على وهن يجوز ان ينتصب على الحال من امه اي ضعفا على ضعف او من مفعول
حملته اي علقة ثم نطفة ثم مضغة قال الضحاك ضعفا على ضعف وقال ابن عباس شدة بعد
شدة وقال مجاهد مشقة بعد مشقة وقال الزجاج المراة اذا حملت توالي عليها الضعف والمشقة
وقيل الحمل ضعف والوضع ضعف وقيل منصوب على اسقاط الخافض اي في وهن قاله ابو البقا
وعلى وهن صفة لوهنا وقرا الثقفي وابو عمرو في رواية وهنا بفتح الهايهما فاحتمل ان يكونا لغتين
كالشعر والشعر واحتمل ان يكون المفتوح مصدر وهن بالكسر توهن وهنا **قوله** وفصاله
قرا الجحدري وقتادة وابو رجا والحسن وفصله دون الف اي وفطامه في عامين **فان
قيل** وصى الله بالوالدين وذكر السبب في حق الام مع ان الاب وجد منه اكثر من
الام لانه حمله في صلبه سنين ورباه بكسبه سنين فهو ابلغ فالجواب ان المشقة الحاصلة
للام اعظم فان الاب حمله خفا لكونه من جملة جسده والام حملته ثقلا ادميا مودع فيها
وبعد وضعه وتربيته ليلا ونهارا وبينهما ما لا يخفى من المشقة **قوله** ان اشكر لي فان
وجهان احدها انها مفسرة والثاني انها مصدرية في محل نصب بوصينا قاله الزجاج
لما كان الوالدان سبب وجود الولد والموجد في الحقيقة للولد والوالدين هو الله امر
بان يشكرهما ثم بين الفرق فقال الى المصير اي المرجع قال سفين بن عيينة في هذه الاية
من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله ومن دعا للوالدين في ادبار الصلوات الخمس فقد
شكر الوالدين **قوله** وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم يعني ان خدمتهما
واجبة وطاعتهما لازمة ما لم يكن فيها ترك طاعة الله فان افضي اليه فلا تطعهما وتقدم
تفسير الاية في العنكبوت وقوله معروفا صفة لمصدر محذوف اي صحابا معروفا وقيل
الاصل بمعروف **قوله** واتبع سبيل من اناب الي اي دين من اقبل الى طاعتي وهو
النبي صلى الله عليه وسلم قال عطا عن ابن عباس يريد ابا بكر وذلك انه حين اسلم اتاه
عثمان وطلحة والزبير وسعد بن ابي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وقالوا له قد صدقت
هذا الرجل وامنت به قال نعم هو صادق فامنوا به ثم حملهم الى النبي صلى الله عليه وسلم
حتى اسلموا فهولاهم سابقة الاسلام اسلموا بارشاد ابي بكر قال الله تعالى واتبع سبيل
من اناب الي يعني ابا بكر **قوله** الي متعلق باناب ثم الي متعلق بمحذوف لانه خبر مرجعكم
فانبيكم بما كنتم تعملون قيل نزلت هاتان الايتان في سعد بن ابي وقاص وامه وقيل الاية
عامة **قوله** يا بني انها هذا الضمير يرجع الى الخطيئة وذلك ان ابن لقمن قال لابيه يا ابت
ان عملت الخطيئة حيث لا يراني احد كيف يعلمها الله فقال يا بني انها ان تك مثقال حبة من
خردل **قوله** ان تك ضمير القصة والجملة الشرطية مفسرة للضمير وتقدم ان نافعا يقرا

مثقال بالرفع على ان كان تامة وهو فاعلها وعلى هذا فيقال لم الحقت فعله تا التانيث قيل
لاضافته الى مونث ولانه بمعنى زنة حبة وجوز الزمخشري في ضميرانها ان يكون للحبة من السيات
والاحسان في قراة من نصب مثقال وقيل الضمير يعود على ما يفهم من سياق الكلام اي ان التي
سالت عنها ان تك قال المفسرون انه سال اباه ارايت الحبة تقع في مقل البحر ايعلمها الله ف
قوله فتكن الفا لافادة الاجتماع يعني ان كانت صغيرة ومع صغرها تكون خفية في موضع
حريز كالصخرة لا تخفى على الله لان الفا للاتصال بالتعقيب وقرا عبد الكريم الجحدري فتكن
بكسر الكاف وتشديد النون مفتوحة اي فتستقر وقرا محمد بن ابي محمد البعلبكي فتكن
كذلك الا انه مبني للمفعول وقتادة فتكن بكسر الكاف وتخفيف النون مضارع وكن اي
استقر في وكنه ووكره **فصل** الصخرة لابد وان تكون في السموات او في الارض
فما الفايدة في ذكرها قال بعض المفسرين المراد بالصخرة صخرة عليها الثور وهي لا في
الارض ولا في السما وقال الزمخشري فيه اضمار تقديره ان تكن في صخرة او في موضع
اخر في السموات او في الارض وقيل هذا من تقديم الخاص وتاخير العام وهو جائز في مثل
هذا التقسيم وقيل خفا الشي يكون بطرق منها ان يكون في غاية الصغر ومنها ان يكون بعيدا
ومنها ان يكون في ظلمة ومنها ان يكون وراء حجاب فان اجتمعت هذه الامور فلا يخفى في العادة
فاثبت الله الروية والعلم مع انتفا الشرايط بقوله ان تك مثقال حبة من خردل اشارة
الى الصغر وقوله فتكن في صخرة اشارة الى الحجاب وقوله او في السموات اشارة الى البعد
فانها ابعد الابعاد وقوله او في الارض اشارة الى الظلمات فان جوف الارض اظلم الاماكن
وقوله يات بها الله ابلغ من قول القايل يعلمه الله لان من يظهر له شي ولا يقدر على اظهاره
لغيره يكون حاله في العلم دون حال من يظهر له الشي ويظهره لغيره فقوله يات بها الله
اي يظهرها للاشهاد ان الله لطيف نافذ القدرة خبير عالم ببواطن الامور وروي في بعض
الكتب ان هذه اخر كلمة تكلم بها فانشقت مرارته من هيبتها فمات قال الحسن معنى الاية لقمان
هو الاحاطة بالاشيا صغيرها وكبيرها **قوله** يا بني اقم الصلاة لما منعه من الشرك
وخوفه بعلم الله وقدرته امره بما يلزمه من التوحيد وهو الصلاة وهي العبادة لوجه
الله مخلصا وبهذا يعلم ان الصلاة كانت في سائر الملل غير ان هياتها اختلفت وقوله
وامر بالمعروف وانه عن المنكر اي اذا كملت انت في نفسك بعبادة الله فكمل غيرك فان
شغل الانبيا وورثتهم من العلما هو ان يكملوا في انفسهم ويكملوا غيرهم واصبر على ما اصابك
يعني من الاذى لان من يامر بالمعروف وينهى عن المنكر يوذى فامره بالصبر عليه **فان
قيل** كيف قدم في وصيته لابنه الامر بالمعروف على النهي عن المنكر وحين امر
ابنه قدم النهي عن المنكر على الامر بالمعروف فقال لا تشرك بالله ثم قال اقم الصلاة فالجواب
انه كان يعلم ان ابنه معترف بوجود الاله فما امره بهذا المعروف بل نهاه عن المنكر
الذي يترتب على هذا المعروف واما ابنه فامره امرا مطلقا والمعروف يتقدم على المنكر
قوله من عزم الامور يجوز ان يكون عزم بمعنى مفعول اي من معزومات الامور او بمعنى
عازم كقوله فاذا عزم الامر وهو مجاز بليغ وزعم المبرد ان العين تبدل حا فيقال حزم
وعزم والصحيح انهما مادتان مختلفتان اتفقتا في المعنى والمراد من الاية ان الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر والصبر على الاذى فيهما من الامور الواجبة التي امر الله تعالى بها ويعزم عليها
لوجوبها **قوله** ولا تصعر قرا ابن كثير وابن عامر وعاصم تصاعر بالالف وتخفيف العين
والباقون بلا الف وتشديد العين والرسم يحتملهما فانه رسم بغير الف وهما لغتان لغة

الحجاز

المجاز التخفيف وتميم التشقيل فمن التثقيل قوله وكنا اذا الجبار صعر خده اقمنا له من ميله فتقوم
ويقال ايضا تصعر قال اقمنا له من خده المتصعر وهو من الميل وذلك ان المتكبر
يميل بخده تكبرا كقوله ثاني عطفه قال ابو عبيدة اصله من الصعر داء ياخذ الابل في
اعناقها فتميل وتلتوي فيقال صعر وجهه وصاعر اذا مال واعرض تكبرا ورجل اصعر اي
مايل العنق وتفسير اليزيدي له بانه التشدق في الكلام لا يوافق الاية كما قال ابن عباس
يقول لا تتكبر فتحتقر الناس وتعرض عنهم بوجهك اذا كلموك وقال مجاهد هو الرجل يكون
بينك وبينه احنة فتلقاه فيعرض عنك بوجهه وقال عكرمة هو الذي اذا سلم عليه لوى
عنقه تكبرا وقال الربيع بن انس وقتادة ولا تحتقر الفقرا ليكون الغني والفقير عندك
سوا واعلم انه لما امره بان يكون كاملا في نفسه مكملا لغيره فكان يخشى بعدهما من امرين
احدهما التكبر على الغير لكونه مكملا له والثاني التبختر في المشي لكونه كاملا في نفسه فقال
ولا تصعر خدك تكبرا ولا تمش في الارض مرحا اي خيلا ان الله لا يحب كل مختال في مشيه
فخور على الناس بنفسه **قوله** واقصد هذا قاصر بمعنى اقتصد واسلك الطريقة الوسطى
بين ذلك قواما اي ليكن مشيك قصدا لا تخيلا ولا اسراعا وقال عطا امش بالوقار
والسكينة لقوله يمشون على الارض هونا واقصد بمعنى وقطع من اقصد اذا اشد سهمه للرمية
قوله واغضض من صوتك من تبعيضية وعند الاخفش يجوز ان تكون مزيدة ويويده
قوله يغضون اصواتهم وقيل من صوتك صفة لموصوف محذوف اي شيا من صوتك
وكانت الجاهلية يتمدحون برفع الصوت قال جهير الكلام جهير العطاس جهير الرواء جهير
النغم والمعنى انقص من صوتك وقال مقاتل اخفض من صوتك **فان قيل**
لم ذكر المانع من رفع الصوت ولم يذكر المانع من سرعة المشي فالجواب ان رفع الصوت
يوذي السامع ويقرع الصماخ بقوته وربما يخرق الغشا الذي داخل الاذن واما سرعة
المشي فلا يوذي وان اذت فلا يوذي غير من في طريقه والصوت يبلغ من على اليمين
وعلى اليسار ولان اللمس يوذي الة اللمس والصوت يوذي الة السمع والة السمع على باب
القلب فان الكلام ينتقل من السمع الى القلب ولا كذلك اللمس وايضا فلان قبح القول
اقبح من قبح الفعل وحسنه احسن لان اللسان ترجمان القلب **قوله** ان انكر قيل
انكر مبني من مبني للمفعول نحو اشغل من ذات النحيين وهو مختلف فيه ووحد صوت لانه
يراد به الجنس ولاضافته الجمع وقيل يحتمل ان يكون انكر من باب اطوع له من بنانه وسما
اشد طاعة فان افعل لا يجي في مفعل ولا في مفعول ولا في باب العيوب الا ما شذ كقولهم
اطوع من كذا للتفضيل في المطيع واشغل من ذات النحيين واحمق من فلان من باب العيوب
وعلى هذا فهو من باب افعل كاشغل في باب مفعول فيكون للتفضيل على المنكر او يقول
هو من باب اشغل ماخوذ من نكر الشي فهو منكور وهذا انكر منه وعلى هذا فله معنى
لطيف وهو ان كل حيوان قد يفهم من صوته بانه يصيح من ثقل وتعب كالبعير ولغير
ذلك والحمار لو مات تحت الحمل لا يصيح ولو قتل لا يصيح وفي بعض اوقات عدم الحاجة يصيح
وينهق بصوت منكر فيمكن ان يقال هو من نكير كاحد من حديد **فان قيل** كيف
يفهم كونه انكر الاصوات مع ان جر المنشار بالمبرد ودق النحاس بالحديد اشد صوتا
فالجواب من وجهين الاول ان المراد انكر اصوات الحيوانات صوت الحمير فلا يرد السوال
الثاني ان الامر لمصلحة وعبادة لا ينكر صوته بخلاف صوت الحمير **فصل** قال
مقاتل المعنى اخفض من صوتك ان انكر الاصوات اقبح الاصوات لصوت الحمير اوله زفير

واخره شهيق وهما صوت اهل النار قال موسى بن اعين سمعت سفين الثوري يقول في قوله تعالى
ان انكر الاصوات لصوت الحمير قال صياح كل شي تسبيح الله تعالى الا الحمار وقال جعفر
الصادق في قوله تعالى ان انكر الاصوات لصوت الحمير قال هي العطسة القبيحة المنكرة قال
وهب تكلم لقمن باثني عشر الف كلمة من الحكمة ادخلها الناس في كلامهم ومن حكمه قال خالد
الربعي كان لقمن عبدا حبشيا فدفع مولاه اليه شاة فقال اذبحها وائتني باطيب مضغتين
منها فاتاه باللسان والقلب فسأله مولاه فقال ليس شي اطيب منهما اذا طابا ولا اخبث
منهما اذا خبثا **قوله تعالى** الم تروا ان الله سخر لكم الاية اي سخر لاجلكم ما في السموات
والقمر والنجوم مسخرات بامر الله وفيها فوايد لعباده وسخر ما في الارض لاجل عباده **قوله**
واسبغ عليكم نعمه قرا نافع وابو عمرو وحفص نعمه جمع نعمة مضافا الى الضمير فظاهرة حال
منها والباقون نعمة بسكون العين وتنوين تا التانيث اسم جنس كقوله وان تعدوا نعمة
الله لا تحصوها فظاهرة نعت لها وقرا ابن عباس ويحيى بن عمارة واصبغ بابدال السين
صادا وهي لغة كلب يفعلون ذلك مع العين والخا والقاف وتقدم نظير هذه الجمل كلها
في البقرة **فصل** قال عكرمة عن ابن عباس النعمة الظاهرة الاسلام والقران والباطنة
ما ستر عليك من الذنوب ولم يعجل عليك بالنقمة وقال الضحاك الظاهرة حسن الصورة وتسوية
الاعضا والباطنة المعرفة وقال مقاتل الظاهرة تسوية الخلق والرزق والاسلام والباطنة
ما ستر عليك من الذنوب وقال الربيع الظاهرة الجوارح والباطنة القلب وقيل الظاهرة
تمام الرزق والباطنة حسن الخلق وقال عطا الظاهرة تخفيف الشرايع والباطنة الشفاعة
وقال مجاهد الظاهرة ظهور الاسلام والنصر على الاعدا والباطنة الامداد بالملايكة
وقيل الظاهرة الامداد بالملايكة والباطنة القا الرعب في قلوب الكفار وقال سهل
ابن عبد الله الظاهرة اتباع الرسول والباطنة محبته **قوله** ومن الناس من يجادل
في الله بغير علم نزلت في النضر بن الحرث وابي بن خلف واشباههم كانوا يجادلون النبي صلى
الله عليه وسلم في الله وفي صفاته بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير اي بغير هدى
ارسلناه اليه وحيا ولا كتاب يتلى عليه وعظا واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل
نتبع ما وجدنا عليه اباءنا بين ان مجادلتهم مع كونها من غير علم فهي في غاية القبح فان النبي
عليه السلام كان يدعوهم الى كلام الله وهم ياخذون بكلام اباءهم وبين كلام الله وكلام
العلما بون عظيم فكيف ما بين كلام الله وكلام الجهال ثم قال اولو كان الشيطان يدعوهم
الى عذاب السعير جواب لو محذوف ومجازه يدعوهم فيتبعونه اي يتبعون الشيطان وان
كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير والمعنى ان الله يدعوهم الى الثواب والشيطان يدعوهم
الى العذاب وهم مع هذا يتبعون الشيطان وقد تقدم الكلام على او لو ونحوه **قوله**
ومن يسلم وجهه الى الله قرا علي والسلمي يسلم بالتشديد لما بين حال المشرك والمجادل في الله
بين حال المسلم المستسلم لامر الله وقوله وهو محسن اي لله يعني يخلص دينه لله ويفوض امره
اليه وهو محسن في عمله فقد استمسك بالعروة الوثقى اي اعتصم بالعهد الاوثق الذي لا
تخاف انقطاعه لان اوثق العرى جانب الله فان كل ما عداه هالك منقطع وهو باق لا انقطاع
له والى الله عاقبة الامور يعني فقد استمسك بالعروة التي توصله الى الله لان عاقبة كل شي
اليه **فان قيل** كيف قال ههنا ومن يسلم وجهه الى الله فعداه بالى وقال
في البقرة بلى من اسلم وجهه لله فعداه باللام فقال الزمخشري اسلم لله اي الى الله يعني ان اسلم
يتعدى تارة باللام وتارة بالى كما يتعدى ارسل تارة باللام وتارة بالى قال تعالى وارسلناك

للناس

للناس وقال كما ارسلنا الى فرعون رسولا ثم قال ومن كفر فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم فننبيهم
بما عملوا لما بين حال المسلم رجع الى بيان حال الكافر وقال من كفر فلا يحزنك اي لا تحزن اذا كفر
كافر فان من يكذب وهو مقطوع بان صدقه يبين عن قرب لا يحزن بل قد ينوب المكذب عن
تكذيبه واما اذا كان لا يرجو ظهور صدقه فانه يتالم من التكذيب فقال لا يحزنك كفره فان
المرجع الى فانبيهم بما عملوا فيخجلون ثم قال ان الله عليم بذات الصدور اي لا يخفى عليه
سرهم وعلانيتهم فينبيهم بما اسرته صدورهم **قوله** نمتعهم قليلا اي نمهلهم ليتمتعوا
بنعيم الدنيا قليلا الى انقضاء اجالهم ثم نضطرهم نلجيهم ونردهم في الاخرة الى عذاب غليظ
وهو عذاب النار **قوله** ولين سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله الاية
لما استدل بخلق السموات بغير عمد وبنعمه الظاهرة والباطنة بين انهم يعترفون بذلك
ولا ينكرونه وهذا يقتضي ان الحمد كله لله لان خالق السموات والارض يحتاج اليه كل من في
السموات والارض وكون الحمد كله لله يقتضي ان لا يعبد غيره لكنهم لا يعلمون هذا ووجه اخر
وهو ان الله تعالى لما سلى قلب النبي عليه السلام بقوله فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم فننبيهم
بما عملوا اي لا تحزن على تكذيبهم فان صدقك وكذبهم يتبين عن قرب وهو رجوعهم
الينا بل لا يتاخر الى ذلك اليوم بل يتبين قبل يوم القيمة بانهم يعترفون بان خالق السموات
والارض هو الله ثم قال في دعوى الوحدانية وتبيين كذبهم في الاشراك قل الحمد لله على ظهور
صدقك وكذبهم بل اكثرهم لا يعلمون اي ليس لهم علم يمنعهم من تكذيبك مع اعترافهم بما
يوجب تصديقك وعلى هذا يكون لا يعلمون استعمال للفعل مع القطع عن المفعول بالكلية
كما يقال فلان يعطي ويمنع ولا يكون في ضميره ما يعطي بل يريد ان له عطا ومنعا فكذلك
ههنا قال لا يعلمون اي ليس لهم علم وعلى الاول يكون لا يعلمون له مفعول مفهوم وهو انهم لا
يعلمون ان الحمد كله لله وعلى الثاني هو كقول القايل فلان لا علم له بكذا دون قوله لا علم له
وكذا قوله فلان لا ينفع زيدا ولا يضره دون قوله فلان لا يضر ولا ينفع **قوله** لله ما
في السموات والارض ذكر ما يلزم منه وهو ان يكون له ما فيهما ان الله هو الغني الحميد اي الكل
لله وهو غير محتاج اليه غير منتفع به وخلق منافعها لكم فهو غني لعدم حاجته حميد مشكور
لدفعه حوايجكم بها **قوله** ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام الاية لما قال لله ما في
السموات والارض وهم بمتناهي ملكه لانحصار ما في السموات والارض فيهما وحكم العقل الصريح
بتناهيهما بين ان في قدرته وعلمه عجايب لا نهاية لها فقال ولو ان ما في الارض من شجرة
اقلام يكتب بها والابحر مداد لا يفنى عجايب صنع الله قال المفسرون نزل بمكة قوله تعالى
ويسالونك عن الروح الى قوله وما اوتيتم من العلم الا قليلا فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه
وسلم اتاه احبار اليهود فقالوا يا محمد بلغنا انك تقول وما اوتيتم من العلم الا قليلا افعنيتنا
ام قومك فقال عليه السلام كلا قد عنيت . قالوا الست تتلو فيما جاءك انا اوتينا
التورية وفيها علم كل شي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي في علم الله قليل وقد اتاكم ما
ان علمتم به انتفعتم قالوا يا محمد كيف تزعم هذا وانت تقول ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا
كثيرا فكيف يجتمع هذا علم قليل وخير كثير فانزل الله هذه الاية قال قتادة ان المشركين
قالوا ان القران وما ياتي به محمد يوشك ان ينفد فينقطع فنزلت ولو ان ما في الارض من شجرة
اقلام ووحد الشجرة وجمع الاقلام ولم يقل ما في الارض من الاشجار اقلام ولم يقل من شجرة قلم
اشارة الى التكثير يعني لو ان بعدد كل شجرة اقلام قال الزمخشري فان قلت لم قيل من شجرة
بالتوحيد قلت اريد تفصيل الشجر وتقصيها شجرة شجرة حتى لا يبقى من جنس الشجر واحدة الا قد

بوبت اقلاما قال ابو حيان وهو من وقوع المفرد موقع الجمع والنكرة موقع المعرفة كقوله ما ننسخ
من اية قال شهاب الدين وهذا يذهب بالمعنى الذي ابداه الزمخشري **قوله** والبحر قرا
ابو عمرو بالنصب والباقون بالرفع فالنصب من وجهين احدهما العطف على اسم ان اي ولو ان البحر
ويمده الخبر والثاني النصب بفعل مضمر يفسره يمده والواو حينئذ للحال والجملة حالية ولم
يحتج الى ضمير رابط بين الحال وصاحبها للاستغنا عنه بالواو والتقدير ولو ان الذي في الارض
حال كون البحر ممدودا بكذا واما الرفع فمن وجهين احدهما العطف على ان وما في حيزها وقد
تقدم في ان الواقعة بعد لو مذهبان مذهب سيبويه الرفع على الابتدا ومذهب المبرد
على الفاعلية بفعل مقدر وهما عايدان هنا فعلى مذهب سيبويه يكون تقدير العطف
ولو ان البحر الا ان ابا حيان قال انه لا يلي لو المبتدا اسما صريحا الا في ضرورة كقوله
لو بغير الما حلقي شرق وهذا القول يؤدي الى ذلك ثم اجاب بانه يغتفر في المعطوف ما لا
يغتفر في المعطوف عليه كقولهم رب رجل واخيه يقولان ذلك وعلى مذهب المبرد يكون
تقديره ولو ثبت البحر وعلى التقدير ين يكون يمده جملة حالية من البحر والثاني ان البحر
مبتدا ويمده الخبر والجملة حالية كما تقدم في جملة الاشتغال والرابط الواو وقد جعله
الزمخشري سوالا وجوابا وانشد وقد اغتدي والطير في وكناتها ومن شجرة حال اما من
الموصول او من الضمير المستتر في الجار الواقع صلة واقلام خبر ان قال ابو حيان وفيه دليل
على من يقول كالزمخشري ومن تعصب له من العجم على ان خبر ان الواقعة بعد لو لا يكون اسما البتة
لا جامدا ولا مشتقا بل يتعين ان يكون فعلا قال وهو باطل وانشد
ولو انها عصفورة لحسبتها مسومة تدعو عبيدا وازنما وقال
ما اطيب العيش لو ان الفتى حجر تنبو الحوادث عنه وهو ملموم وقال
ولو ان حيا فايت الموت فاته اخو الحرب فوق القارح العدوان قال وهو كثير في كلامهم
قال شهاب الدين وقد تقدم ان هذه الاية ونحوها يبطل ظاهر قول المتقدمين في لو انها
حرف امتناع لامتناع اذ يلزم منه وعظيم وهو ان ما بعدها اذا كان منفيا لفظا فهو
مثبت معنى وبالعكس وقوله ما نفدت منفي لفظا فلو كان مثبتا معنى فسد المعنى فعليك
بالالتفات الى اول البقرة وقرا عبد الله وبحر بالتنكير وفيه وجهان معروفان وسوغ الابتدا
بالنكرة وتوقعها بعد واو الحال وهو معدود من مسوغات الابتدا بالنكرة وانشدوا
سرينا ونجم قد اضا فمذ بدا محياك اخفى ضوءه كل شارق وبهذا يظهر فساد قول من
قال ان في هذه القراءة يتعين القول بالعطف على ان كانه يوهم انه ليس ثم مسوغ وقرا عبد
الله وابي تمده بالتاء من فوق لاجل سبعة والحسن وابن هرمز وابن مصرف يمده بالياء من تحت
مضمومة وكسر الميم من امده وقد تقدم اللغتان في اخر الاعراف واوايل البقرة والالف واللام
في البحر لاستغراق الجنس اي وكل بحر مداد **فصل** المعنى والبحر يمده اي يزيده وينصب
فيه من بعده اي من بعد خلقه سبعة ابحر وهذا اشارة الى بحار غير موجودة يعني لو مدت
البحار الموجودة سبعة ابحر اخرى وقوله سبعة ليس لانحصارها في سبعة وانما الاشارة الى المدد
والكثرة ولو بالف بحر وانما خصصت السبعة بالذكر من بين الاعداد لانها عدد كثير
يحصر المعدودات في العادة ويدل على ذلك وجوه الاول ان المعلوم عند كل احد لحاجته اليه
هو الزمان والمكان فالزمان منحصر في سبعة ايام والمكان منحصر في سبعة اقاليم ولان الكواكب
السيارة سبعة والمنجمون ينسبون اليها امورا فصارت السبعة كالعدد الحاصر للكثرات الواقعة في
العادة فاستعملت في كل كثير الثاني ان في السبعة معنى يخصها ولذلك كانت السموات سبعا

والارضين

والارضين سبعا وابواب جهنم سبعا وابواب الجنة ثمانية لانها الحسنى وزيادة فالزيادة هي
الثامن لان العرب عند الثامن يزيدون واوا يقول الفراهاوا والثمانية وليس ذلك الا
للاستيناف لان العدد تم بالسبعة واعلم ان في الكلام اختصارا تقديره ولو ان ما في الارض
من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر يكتب بها كلام الله ما نفدت كلمات
الله **قوله** كلمات الله قال الزمخشري فان قلت الكلمات جمع قلة والموضع موضع تكثير
فهلا قيل كلم قلت معناه ان كلماته لا تفي بكتبها البحار فكيف بكلمه يعني انه من باب
التنبيه بطريق الاولى ورده ابو حيان بان جمع السلامة متى عرف بال غير العهدية
او اضيف عم قال شهاب الدين للناس خلاف في ال هل تعم او لا وقد يكون الزمخشري ممن
لا يرى العموم ولم يزل الناس يشكون في بيت حسان رضي الله عنه
لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى ويقولون كيف اتى بجمع القلة في مقام المدح ولم يقل
الجفان وهو نظير لما قاله الزمخشري واعتراف بان ال لا تؤثر في جمع القلة تكثيرا ثم
قال تعالى ان الله عزيز اي كامل القدرة لا نهاية لمقدوراته حكيم كامل العلم لا نهاية
لمعلوماته وهذه الاية على قول عطا بن يسار مدنية وعلى قول غيره مكية **قوله** ما خلقكم
ولا بعثكم الا كنفس واحدة لما بين كمال قدرته وعلمه ذكر ما يبطل استبعادهم للحشر فقال خلقكم
وبعثكم كنفس واحدة فقوله الا كنفس خبر ما خلقكم والتقدير الا كخلق نفس واحده وبعثها
لا يتعذر عليه شي ان الله سميع بصير سميع لما يقولون بصير بما يعملون فاذا كان قادرا على البعث
ومحيطا بالاقوال والافعال وجب الاحتراز الكامل **قوله** الم تر ان الله يولج الليل في النهار
ويولج النهار في الليل في النظم وجهان الاول ان الله تعالى لما قال الم تروا ان الله سخر لكم
ما في السموات وما في الارض على وجه العموم ذكر منها بعض ما فيها على الوجه المخصوص بقوله
يولج الليل في النهار وقوله وسخر الشمس والقمر اشارة الى ما في السموات وقوله بعد هذا
الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله اشارة الى ما في الارض الثاني ان الله تعالى لما ذكر البحر
البعث فكان من الناس من يقول وما يهلكنا الا الدهر والدهر هو الليالي والايام فقال
الله تعالى هذه الليالي والايام التي تنسبون اليها الموت والحيوة هي بقدرة الله فقال الم
تر ان الله يولج الليل في النهار ثم قال ان ذلك باختلاف سير الشمس فتارة يكون القوس التي هي
فوق الارض اكبر من التي تحت الارض فيكون الليل اقصر والنهار اطول وتارة يكون بالعكس فيكون
بالعكس وتارة يتساويا فقال تعالى وسخر الشمس يعني ان كنتم لا تعترفون بان هذه
الاشيا كلها من الله فلا بد من الاعتراف بانها باسرها عايدة الى الله فالاجال ان كانت بالمدد
والمدد بسير الكواكب فسير الكواكب ليس الا بالله وبقدرته **فصل** قال يولج بصيغة
المستقبل وقال في الشمس والقمر وسخر بصيغة الماضي لان ايلاج الليل في النهار امر يتجدد
كل يوم وتسخير الشمس والقمر امر مستمر كما قال تعالى حتى عاد كالعرجون القديم وقال هاهنا الى
اجل وفي الزمر لاجل لان المعنيين لايقان بالحرفين فلا عليك في ايهما وقع قال الاكثرون هذا
خطاب للنبي عليه السلام والمؤمنين وقيل عام ثم قال وان الله بما تعملون خبير اي لما كان الليل
والنهار محل الافعال بين ان ما يقع في هذين الزمانين اللذين هما بتصرف الله لا يخفى على الله وقرا
ابو عمرو في رواية وان الله بما يعملون بيا الغيبة والباقون بتا الخطاب **قوله** ذلك بان
الله هو الحق اي ذلك الذي ذكرت لتعلموا ان الله هو الحق وان ما يدعون من دونه الباطل
اي الزايل يقال بطل ظله اذا زال وان الله هو العلي الكبير اي في ذاته **قوله** الم تر ان
الفلك تجري في البحر بنعمة الله لما قال الم تر ان الله يولج الليل في النهار وسخر الشمس والقمر ذكر

آية سماوية واشار الي السبب والمسبب ذكر بعده اية ارضية واشار الي السبب والمسبب بقوله
الم تر ان الفلك تجري في البحر وقوله بنعمة الله اي الريح التي بامر الله ليريكم من اياته يعني يريكم
باحوالها بنعمة الله بعض اياته عجايبه ان في ذلك لايات لكل صبار على امر الله شكور لنعمه
قوله واذا غشيهم موج كالظلل لما قال ان في ذلك لايات ذكر ان الكل معترفون به غير ان البصير
يدركه اولا ومن في بصيرته ضعف لا يدركه اولا فاذا غشيه موج ووقع في شدة اعترف بان
الكل من الله ودعاه مخلصا وقوله كالظلل قال مقاتل كالجبال وقال الكلبي كالسحاب والظلل
جمع الظلة شبه بها الموج في كثرتها وارتفاعها وجعل الموج وهو واحد كالظلل وهو جمع لان
الموج ياتي منه شي بعد شي وقوله دعوا الله مخلصين له الدين اي يتركون كل من دعوهم
فلما نجاهم الي البر اي نجاهم من تلك الشدة فمنهم من يبقي على تلك الحالة وهو المراد بقوله فمنهم
مقتصد اي عدل موف في البر بما عاهد الله عليه في البحر من التوحيد له يعني ثبت على ايمانه
قيل نزلت في عكرمة بن ابي جهل هرب عام الفتح الي البحر فجاءهم ريح عاصف فقال عكرمة لين
انجاني الله من هذا الامر لارجعن الي محمد ولاضعن يدي في يده فسكنت الريح فرجع عكرمة
الي مكة فاسلم وحسن اسلامه وقال مجاهد مقتصد في القول اي من الكفار لان بعضهم
كان اشد قولا واعلا في الافترا من بعض **فان قيل** ما الحكمة في قوله في العنكبوت
فلما نجاهم الي البر اذا هم يشركون وقال ههنا فلما نجاهم الي البر فمنهم مقتصد فالجواب لما ذكر
ههنا امرا عظيما وهو الموج الذي كالجبال بقي اثر ذلك في قلوبهم فخرج منهم مقتصد اي في الكفر
وهو الذي انزجر بعض الانزجار ومقتصد في الاخلاص فبقي معه شي منه ولم يبق على ما كان
عليه من الاخلاص وهناك لم يذكر مع ركوب البحر معاينة مثل ذلك الامر فذكر اشراكهم
حيث لم يبق عندهم اثر **قوله** وما يجحد باياتنا في مقابلة قوله تعالى ان في ذلك
لايات يعني يعترف بها الصبار والشكور ويجحدها الختار الكفور فالصبار في موازنة الختار
لفظا ومعني والكفور في موازنة الشكور اما لفظا فظاهر واما معني فلان الختار هو الغدار
الكثير الغدر او شديد الغدر مثال مبالغة من الختر وهو اشد الغدر قال الاعشي
• بالابلق الفرد من تيما منزلة • حصن حصين وجار غير ختار •
وقال عمرو بن معدي كرب
• فانك لو رايت ابا عمير • ملات يديك من غدر وختر •
وقالوا ان مددت لنا يدا بغدر • مددنا لك باعا من ختر •
والغدر لا يكون الا من قلة الصبر لان الصبور ان لم يعهد مع احد
لا يعهد منه الاضرار فانه يصبر ويفوض الامر الي الله واما الغدار فيعاهد ولا يصبر
على العهد فينقضه واما الكفور في مقابلة الشكور معني فظاهر **قوله تعالى** يا ايها
الناس اتقوا ربكم لما ذكر الدلايل من اول السورة الي اخرها وعظ بالتقوي فقال يا ايها الناس
اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي لا يقضي ولا يغني والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده
شيا قال ابن عباس كل امري تهمه نفسه واعلم انه تعالي ذكر شخصين في غاية الشفقة
والحنو وهو الوالد والولد واستدل بالادني على الاعلا فذكر الوالد والولد جميعا لان من
الامور ما يبادر الاب الي تحمله عن الولد كدفع المال وتحمل الالام والولد لا يبادر الي تحمله عن
الوالد مثل ما يبادر الوالد الي تحمله عن الولد ومنها ما يبادر الولد اليه كالاهانة فان من
يريد احضار والده الي حاكم وايذاه وقام من يهون على الابن ان يدفع الاهانة عن والده ويحضر
هو بدله واذا انتهي الامر الي الالام يهون على الاب ان يدفع الالم عن ابنه ويتحمله هو بنفسه
فقوله لا يجزي والد عن ولده في دفع الالام ولا مولود هو جاز عن والده شيا في دفع الاهانة
ثم قال ان وعد الله حق اي ان هذا اليوم الذي هذا شانه هو كاين لان الله وعد به

ووعده حق وقيل وعد الله حق بانه لا يجزي والد عن ولده لانه وعد بان لا تزر وازرة
وزر اخري ووعد الله حق فلا تغرنكم الحيوة الدنيا اي لا تغتروا بالدنيا فانها زايلة لوقوع اليوم
المذكور بالوعد الحق ولا يغرنكم بالله الغرور يعني الشيطان يزين في عينه الدنيا ويؤمله ويقول
انك تحصل بها الاخرة او يلتذ بها ثم تتوب فيجتمع لك الدنيا والاخرة فنهاهم عن الامرين **قوله**
ولا مولود جوزوا فيه وجهين احدهما انه مبتدا وما بعده الخبر والثاني انه معطوف على
والد وتكون الجملة صفة له وفيه اشكال وهو انه نفي عنه ان يجزي ثم وصفه بانه جاز وقد
يجاب عنه بانه وان كان جازيا عنه في الدنيا فليس جازيا عنه يوم القيمة فالحالان باعتبار
زمنين وقد منع المهدوي ان يكون مبتدا قال لان الجملة بعده صفة له فيبقي بلا خبر
ولا مسوغ غير الوصف وهو وهم لان النكرة متي اعتمدت على نفي ساغ الابتدا بها وهذا من
اشهر مسوغاته وقال الزمخشري فان قلت قوله ولا مولود هو جاز عن والده شيا هو وارد
على طريق من التوكيد لم يرد عليه ما هو معطوف عليه قلت الامر كذلك لان الجملة الاسمية
اكد من الفعلية وقد انضم الي ذلك قوله هو وقوله مولود قال ومعني التوكيد في لفظ
المولود ان الواحد منهم لو شفع للوالد الادني الذي ولد منه لم يقبل منه فضلا ان يشفع لمن
فوقه من اجداده لان الولد يقع على الولد وولد الولد بخلاف المولود فانه للذي ولد منك
قال والسبب في مجيه على هذا السنن ان الخطاب للمومنين وعليتهم قبض اباوهم على الكفر فاريد
حسم اطماعهم واطماع الناس فيهم والجملة من قوله لا يجزي صفة ليوم والعايد محذوف اي
فيه فحذف برمته او على التدريج وقرا عكرمة لا يجزي مبنيا للمفعول وابو السماك وابو
السوار لا يجزي بالهمز من اجزا عنه اي اغني **قوله** شيا منصوب على المصدر ويجوز
الاعمال لان يجزي وجاز يطلبانه والعامل جاز على ما هو المختار للحذف من الاول **قوله**
فلا تغرنكم العامة على تشديد النون وابن ابي اسحق وابن ابي عبلة ويعقوب بالخفيفة
وسماك بن حرب الغرور بالضم وهو مصدر والعامة بالفتح صفة مبالغة كشكور ودثور
بالشيطان على انه يجوز ان يكون المضموم مصدرا واقعا وصفا للشيطان **قوله**
تعالى ان الله عنده علم الساعة الاية نزلت في الوارث بن حارثة بن محارب بن
خصفة اتي النبي صلى الله عليه وسلم من البادية فساله عن الساعة ووقتها وقال
ان ارضنا اجدبت فمتي ينزل الغيث وتركت امراتي حبلي فمتي تلد وقد علمت اين ولدت
فباي ارض اموت فانزل الله هذه الاية روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال مفاتيح
الغيب خمس ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس
ماذا تكسب غدا وما تدري نفس باي ارض تموت ان الله عليم خبير قال ابن الخطيب
قال بعض المفسرين ان الله تعالي نفي علم امور خمسة عن غيره بهذه الاية وهو كذلك لكن
المقصود ليس ذلك لان الله يعلم الجوهر الفرد والطوفان وتقلب الريح من الشرق الي الغرب
كم مرة ويعلم اين هو ولا يعلمه غيره ويعلم انه ذرة في بريه لا يسلكها احد ولا
يعلمه غيره فلا وجه لاختصاص هذه الاشيا بالذكر وان الحق فيه ان يقول لما قال اخشوا يوما
لا يجزي والد عن ولده وذكر انه كاين ان وعد الله حق كان قايلا قال فمتي يكون هذا
اليوم فاجيب بان هذا العلم مما لم يحصل لغير الله ولكن هو كاين **قوله** ماذا تكسب
يجوز ان يكون ما استفهامية فتعلق الدراية وان تكون موصولة فينتصب بها وقد تقدم
حكم ماذا اول الكتاب وتكرر في غضونه **قوله** باي ارض متعلق بتموت وهو معلق
للدراية فهو في محل نصب وقرا ابي بن كعب وموسي الاهوازي باية ارض على تانيثها وهي لغة

ضعيفة كتابنت كل حيث قالوا كلهن والمشهور باي ارض لان الارض ليس فيها من علامات
التابنت شي وقيل اراد بالارض المكان نقلة البغوي والناظر فيه معنيه اي في ارض نحو زيد
بمكة اي بينهم ثم قال ان الله عليم خبير لما خصص ولا علمه بالاشيا المذكورة بقوله ان الله عنده
علم الساعة ذكر ان علمه غير مختص به بل هو عليم مطلقا بكل شي وليس علمه على ظاهر الاشيا
فقط بل هو خبير بظواهر الاشيا وبواطنها روي الثعلبي عن ابي بن كعب قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة لقمن كان له لقمن رفيقا يوم القيمة واعطي من الحسنات
عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهي عن المنكر **سورة السجدة مكية** وهي ثلثون
اية وستماية وثمانون كلمة والف وخمسماية وثمانية عشر حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه في تنزيل خمسة اوجه احدها انه خبر
الم لان الم يراد به السورة وبعض القران وتنزيل بمعنى منزل والجملة من قوله لا ريب فيه
حال من الكتاب والعامل فيها تنزيل لانه مصدر ومن رب متعلق به ايضا ويجوز ان يكون
حالا من الضمير في فيه لوقوعه خبرا والعامل فيه الظرف او الاستقرار الثاني ان يكون تنزيل
مبتدا ولا ريب فيه خبره ومن رب العالمين حال من الضمير في فيه ولا يجوز حينئذ ان يتعلق
بتنزيل لان المصدر قد اخبر عنه فلا يعمل ومن يتسع في الجار لا يبالي بذلك الثالث ان يكون
تنزيل مبتدا ايضا ومن رب خبره ولا ريب حالا ومعترض الرابع ان يكون لا ريب ومن رب
العالمين خبران لتنزيل الخامس ان يكون تنزيل خبر مبتدا مضمر وكذلك لا ريب وكذلك
من رب فيكون كل جملة مستقلة براسها ويجوز ان يكونا حالين من تنزيل وان يكون من
رب هو الحال ولا ريب معترض واول البقرة مرشد لهذا وجوز ابن عطية ان يكون من رب
العالمين متعلقا بتنزيل قال على التقديم والتاخير ورده ابو حيان بانا اذا قلنا لا ريب
فيه اعتراض لم يكن تقديما وتاخيرا بل لو تاخر لم يكن اعتراضا وجوز ايضا ان يكون متعلقا
بلا ريب اي لا ريب فيه من جهة رب العالمين وان وقع شك الكفرة فذلك لا يراعى قال
مقاتل لا شك فيه انه تنزيل من رب العالمين **قوله** ام يقولون هي المنقطعة والاضراب
للانتقال لا للابطال وقيل الميم صلة اي اتقولون افتراه وقيل فيه اضمار مجازه فهل يومنون
ام يقولون افتراه وقوله بل هو الحق اضراب ثان ولو قيل بانه اضراب ابطال لنفس افتراه
وحده لكان صوابا وعلى هذا يقال كل ما في القران اضراب فهو انتقال الا هذا فانه يجوز ان
يكون ابطالا لانه ابطال كقولهم اي ليس هو كما قالوا مفتري بل هو الحق وفي كلام الزمخشري ما يرشد
الى هذا فانه قال والضمير في فيه راجع الى مضمون الجملة كانه قيل لا ريب في ذلك اي في
كونه من رب العالمين ويشهد لوجاهته ام يقولون افتراه لان قولهم هذا مفتري انكار
لان يكون من رب العالمين وكذلك قوله بل هو الحق من ربك وما فيه من تقرير انه
من عند الله وهذا اسلوب صحيح محكم **قوله** من ربك حال من الحق والعامل فيه
محذوف على القاعدة وهو العامل في لتنذر ايضا ويجوز ان يكون العامل في لتنذر غيره
اي انزله لتنذر **قوله** قوما ما اتاهم الظاهر ان المفعول الثاني للانذار محذوف
وقوما هو الاول اذ التقدير لتنذر قوما العقاب وما اتاهم جملة منفية في محل نصب
صفة لقوما يريد الذين في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام وجعله الزمخشري كقوله
لتنذر قوما ما انذر اباوهم فعلى هذا يكون من نذير هو فاعل اتاهم ومن مزيدة فيه
ومن قبلك صفة لنذير ويجوز ان يتعلق من قبلك باتاهم وجوز ابو حيان ان تكون ما موصولة
في الموضعين والتقدير لتنذر قوما العقاب الذي اتاهم من نذير من قبلك ومن نذير

متعلق باتاهم اي اتاهم على لسان نذير من قبلك وكذلك لتنذر قوما ما انذر اباوهم
اي العقاب الذي انذره اباوهم فما مفعوله في الموضعين وانذر يتعدى الى اثنين قال
تعالى فقل انذرتكم صاعقة وهذا القول جار على ظواهر القران قال تعالى وان من امة
الا خلا فيها نذير ان تقولوا ما جانا من بشير ولا نذير فقد جاكم بشير ونذير وهذا الذي
قاله ظاهر ويظهر ان في الاية الاخرى وجه اخر وهو ان تكون ما مصدرية تقديره
لتنذر قوما انذارا مثل انذار ابايهم لان الرسل كلهم متفقون على كلمة الحق **فصل**
المعنى بل هو يعني القران الحق من ربك لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك قال
قتادة كانوا امة امية لم ياتهم نذير قبل محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس ومقاتل
ذلك في الفترة التي كانت بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم لعلهم يهتدون **قوله** الله
الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام لما ذكر الرسالة وبين ما على الرسول
من الدعا الى التوحيد واقامة الدليل فقال خلق السموات والارض والله مبتدا وخبره الذي
خلق يعني الله الذي خلق السموات ولم يخلقها الا واحد فلا اله الا واحد وقد تقدم الكلام
معنى قوله ستة ايام **قوله** ثم استوى على العرش اختلف العلما في هذه الاية ونظايرها
على قولين احدهما ترك التعرض الى بيان المراد والثاني التعرض اليه والاول اسلم لان صفة
الاستوى مما لا يجب العلم بها فمن لم يتعرض اليه لم يترك واجبا ومن تعرض اليه فقد يخطي
فيعتقد خلاف ما هو عليه فالاول غاية ما يلزم انه لا يعلم والثاني يكاد يقع في ان يكون
جاهلا وعدم العلم والجهل المركب كالسكوت والكذب ولا شك ان السكوت خير من الكذب
وايضا فانه اقرب الى الحكمة لان من يطالع كتابا صنفه انسان وكتب له شرحا والشارح دون
المصنف فالظاهر انه لا ياتي على جميع ما اتى عليه المصنف ولهذا كثيرا ما نرى ان الانسان
يورد الاشكالات على المصنف المتقدم ثم يجي من ينصر كلام المصنف ويقول لم يرد المصنف
هذا وانما اراد كذا وكذا واذا كان حال الكتب الحادثة التي تكتب عن علم قاصر هكذا فما
ظنك بالكتاب العظيم الذي فيه كل حكمة كيف يجوز ان يدعي جاهل اني علمت كل سر في هذا
الكتاب فلو ادعى عالم اني علمت كل سر وكل فايدة يشتمل عليها الكتاب الفلاني يستقبح منه
ذلك فكيف من يدعي انه علم كل ما في كتاب الله وليس لقايل ان يقول بان الله بين كلما انزله
لان تاخير البيان الى وقت الحاجة جايز ولعل في القران ما لا يحتاج اليه احد غير نبيه
فبين له لا لغيره واذا ثبت هذا علم ان في القران ما لا يعلم وهذا اقرب الى ذلك الذي
لا يعلم للتشابه البالغ الذي فيه **قوله** ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع افلا تتذكرون
لما ذكر ان الله خالق السموات والارض قال بعضهم نحن معترفون بان الله خالق السموات
والارض واحد هو اله السموات والارض وهذه الاصنام صور كواكب منها نصرتنا وقوتنا
وقال اخرون هذه صور ملايكة شفعا لنا عند الله فقال تعالى لا اله غير الله ولا نصرة
من غير الله ولا شفاعة الا باذن الله فعبادتكم لهذه الاصنام باطلة ضايعة ثم قال
افلا تتذكرون ما علمتموه من انه خالق السموات والارض وخالق هذه الاجسام العظام لا يقدر
على مثل هذه الاصنام حتى تنصركم وتكون لها شفاعة **قوله** يدبر الامر من السما الى الارض
لما بين الخلق بين الامر كما قال تعالى الا له الخلق والامر يحكم الامر وينزل القضا والقدر
من السما الى الارض وقيل ينزل الوحي مع جبريل عليه السلام بالامر **قوله** ثم يعرج اليه
العامة على بنايه للفاعل وابن ابي عبلة على بنايه للمفعول والاصل يعرج به ثم حذف الجار
فارتفع الضمير واستتر وهو شاذ يصلح لتوجيه مثلها والمعنى ان امره ينزل من السما على عباده

ويعرج إليه أعمالهم الصالحة الصادرة على موافقة ذلك الأمر **قوله** في يوم كان مقداره
ألف سنة أي في يوم واحد يعني نزول الأمر وعروج العمل في مسافة ألف سنة مما تعدون
وهو ما بين السماء والأرض فإن مسافته خمسمائة سنة فينزل في مسيرة خمسمائة سنة ويعرج في
خمسمائة سنة فهو مقدار ألف سنة يقول لو سار واحد من بني آدم لم يقطعه إلا في ألف سنة
والملائكة يقطعونه في يوم واحد هذا في وصف عروج الملك من الأرض إلى السماء وأما
قوله تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة أراد مدة المسافة
من الأرض إلى سدرة المنتهى التي هي مقام جبريل عليه السلام يسير جبريل والملائكة الذين معه
من أهل مقامه مسيرة خمسين ألف سنة في يوم واحد من أيام الدنيا قاله مجاهد والضحاك
وقيل إن ذلك إشارة إلى امتداد نفاذ الأمر وذلك لأن من نفذ أمره غاية النفاذ
في يوم أو يومين وانقطع لا يكون مثل من ينفذ أمره في سنين متطاولة فقوله في يوم كان
مقداره ألف سنة يعني يدبر الأمر في زمان يوم منه ألف سنة فكم يكون شهر منه وكم
يكون سنة منه وكم يكون دهر منه وعلى هذا فلا فرق بين هذا وبين قوله مقداره خمسين
ألف سنة لأن ذلك إذا كان إشارة إلى دوام نفاذ الأمر فسواء يعبر بالألف سنة أو بخمسين
ألف سنة لا يتفاوت إلا أن المبالغة بالخمسين أكثر وسيأتي بيان فائدته في موضعها إن
شاء الله تعالى وقيل ألف وخمسون ألف سنة كلها في القيمة يكون على بعضهم أطول وعلى بعضهم
سنة
أقصر معناه يدبر الأمر من السماء إلى الأرض الدنيا ثم يعرج أي يرجع الأمر والتدبير
إليه بعد فناء الدنيا وانقطاع أمر الأمراء وحكم الحكام في يوم مقداره ألف سنة وهو يوم
القيمة فأما قوله خمسين ألف سنة فإنه أراد على الكافر يجعل الله ذلك اليوم عليه مقدار
خمسين ألف سنة وعلى المؤمن دون ذلك حتى جاء في الحديث أنه يكون على المؤمن كصلاة
مكتوبة صلاها في الدنيا وقال إبرهيم التيمي لا يكون على المؤمن إلا كما بين الظهر والعصر
ويجوز أن يكون هذا إخبارا عن شدته ومشقته وهوله وقال ابن أبي مليكة دخلت أنا
وعبد الله بن فيروز على ابن عباس فسألناه عن هذه الآية وعن قوله خمسين ألف سنة فقال
ابن عباس أيام سماها الله لا أدري ما هي أكره أن أقول في كتاب الله ما لا أعلم **قوله**
مما تعدون العامة على الخطاب والحسن والسلمي وابن وثاب والأعمش بالغيبة وهذا الجار صفة
لألف أو لسنة **قوله** ذلك عالم العامة على رفع عالم والعزيز والرحيم على أن يكون ذلك
مبتدأ وعالم خبره والعزيز والرحيم خبران أو نعتان أو العزيز الرحيم مبتدأ وصفته
والذي أحسن خبره أو العزيز الرحيم خبر مبتدأ مضمر وقرأ زيد بن علي بجر الثلاثة وتخريجها
على إشكالها أن يكون ذلك إشارة إلى الأمر المدبر ويكون فاعلا ليعرج والأوصاف الثلاثة
بدل من الضمير في إليه كأنه قيل ثم يعرج الأمر المدبر إليه عالم الغيب أي إلى عالم الغيب
وأبو زيد برفع عالم وخفض العزيز الرحيم على أن يكون ذلك عالم مبتدأ وخبرا والعزيز
الرحيم بدلان من الهاء في إليه أيضا وتكون الجملة بينهما اعتراضا **قوله** الذي أحسن يجوز
أن يكون تابعا لما قبله في قراءتي الرفع والخفض وأن يكون خبرا آخر وأن يكون خبر مبتدأ
مضمر وأن يكون منصوبا على المدح **قوله** خلقه قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بسكون
اللام والباقون بفتحها فأما الأولى ففيها أوجه أحدها أن يكون خلقه بدلا من كل شيء بدل
اشتمال من كل شيء والضمير عائد على كل شيء وهذا هو المشهور الثاني أنه بدل كل من كل والضمير
على هذا عائد على الباري تعالى ومعنى أحسن حسن لأنه ما من شيء خلقه إلا وهو مرتب على ما
تقتضيه الحكمة فالمخلوقات كلها حسنة الثالث أن يكون كل شيء مفعولا أول وخلقه مفعولا

ثانيا

ثانيا على أن يضمن أحسن معنى أعطى وألهم قال مجاهد أعطى كل جنس شكله والمعنى خلق كل شيء
على شكله الذي خصه به الرابع أن يكون كل شيء مفعولا ثانيا قدم وخلقه مفعولا أول على
أن يضمن أحسن معنى ألهم وعرف قال الفراء ألهم كل شيء خلقه فيما يحتاجون إليه فيكون أعلمهم
ذلك وأبو البقاء ضمن أحسن معنى عرف وأعرب على نحو ما تقدم إلا أنه لا بد أن يجعل
الضمير لله تعالى ويجعل الخلق بمعنى المخلوق أي عرف مخلوقاته كل شيء يحتاجون إليه فيؤول
المعنى إلى معنى قوله أعطى كل شيء خلقه ثم هدى الخامس أن تعود الهاء على الله تعالى وأن يكون
خلقه منصوبا على المصدر المؤكد لمضمون الجملة كقوله صنع الله وهو مذهب سيبويه أي خلقه
خلقا ورجح على بدل الاشتمال بأن فيه إضافة المصدر إلى فاعله وهو أكثر من إضافته إلى
المفعول وبأنه أبلغ في الامتنان لأنه إذا قال أحسن كل شيء كان أبلغ من أحسن كل شيء لأنه قد
يحسن الخلق وهو المحاولة ولا يكون الشيء في نفسه حسنا وإذا قال أحسن كل شيء اقتضى أن كل شيء خلقه خلق
حسن بمعنى أنه وضع كل شيء في موضعه وأما القراءة الثانية فخلق فيها فعل ماض والجملة صفة
للمضاف أو المضاف إليه فيكون منصوبة المحل أو مجرورته **قوله** وبدأ العامة على الهمز
وقرأ الزهري بدا بالألف خالصة وهو خارج عن قياس تخفيفها إذ قياسه بين بين على أن الأخفش
حكى قريت وجوز أبو حيان أن يكون من لغة الأنصار يقولون في بدأ بدي يكسرون الدال
وبعدها ياء كقول عبد الله بن رواحة الأنصاري
باسم الإله وبه بدينا ولو عبدنا غيره شقينا قال وطي يقول في بقي بقا قال
فاحتمل أن يكون قراءة الزهري من هذه اللغة أصله بدي ثم صار بدا قال شهاب الدين
فتكون القراءة مركبة من لغتين **فصل** ذلك عالم الغيب والشهادة يعني ذلك الذي
صنع ما ذكر من خلق السموات والأرض عالم ما غاب عن الخلق وما حضر العزيز الرحيم لما بين
أنه عالم ذكر أنه عزيز قادر على الانتقام من الكفرة رحيم واسع الرحمة على البررة الذي
أحسن كل شيء خلقه أي أحسن خلق كل شيء قال ابن عباس أتقنه وأحكمه وقال مقاتل علم كيف
يخلق كل شيء من قولك فلان يحسن كذا إذا كان يعلمه وقيل خلق كل حيوان على صورة لم يخلق البعض
على صورة البعض فكل حيوان كامل في خلقه حسن وكل عضو من أعضائه مقدر بما يصلح معاشه
واعلم أنه تعالى لما ذكر الدليل على الوحدانية من الآفاق بقوله خلق السموات والأرض وما بينهما
أتبعه بذكر الدليل الدال عليها من الأنفس فقال الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان
من طين يعني آدم ويمكن أن يقال الطين ماء وتراب مجتمعان والآدمي أصله مني والمني أصله
غذاء والأغذية إما حيوانية وإما نباتية والحيوانية ترجع إلى نباتية والنبات وجوده بالماء
والتراب الذي هو الطين ثم جعل نسله من سلالة أي جعل ذريته من نطفة سميت سلالة
لأنها تسل من الإنسان هذا على التفسير الأول لأن آدم كان من طين ونسله من سلالة
من ماء مهين هو النطفة وعلى التفسير الثاني هو أن أصله من طين ثم يوجد من ذلك الأصل
سلالة هي ماء مهين أي ضعيف وهو نطفة الرجل ثم سواه سوى خلقه ونفخ فيه من روحه
يعني آدم لأن كلمة ثم للتراخي فيكون التسوية بعد جعل النسل من سلالة وذلك بعد خلق آدم
ثم عاد إلى ذريته فقال وجعل لكم السمع والأبصار أي جعل لكم بعد أن كنتم نطفا السمع والأبصار
والأفئدة قليلا ما تشكرون يعني لا تشكرون رب هذه النعم فتوحدونه فقوله وجعل لكم هذا
التفات من ضمير غائب مفرد في قوله نسله إلى آخره إلى خطاب جماعة وفي هذا الخطاب
لطيفة وهي أن الخطاب يكون مع الحي فلما قال ونفخ فيه من روحه خاطبه من بعد وقال
وجعل لكم فإن قبل الخطاب وأنتم قبل ذلك كما في قوله تعالى ومن آياته أن خلقكم من تراب

فالجواب هنا انه لم يذكر الامور المرتبة وهي كون الانسان طينا ثم ماء مهينا ثم خلقا مستويا بانواع القوى لخاطبه في بعض المراتب دون بعض **فان قيل** ما الحكمة في ذكره المصدر في السمع وفي البصر والفؤاد الاسم ولهذا اجمع الابصار والافئدة ولم يجمع السمع لان المصدر لا يجمع فالجواب ان السمع قوة واحدة ولها محل واحد وهو الاذن ولا اختيار لها فيه فان الصوت من اي جانب كان يصل اليه ولا قدرة للاذن على تخصيص السمع بادراك البعض دون البعض واما الابصار فمحله العين ولها فيها اختيار فانها تتحرك الى جانب المرئي دون غيره وكذلك الفؤاد محل الادراك وله نوع اختيار يلتفت الى ما يريد دون غيره واذا كان كذلك فلم يكن للمحل في السمع تاثير والقوة مستبدة فذكر القوة في العين والفؤاد لان للمحل نوع اختيار فذكر المحل لان الفعل يسند الى المختار الا ترى انك تقول سمع زيد وراى عمرو ولا تقول سمع اذن زيد ولا راى عين عمرو الا نادرا لان المختار هو الاصل وغيره آلة فالسمع اصل دون محله لعدم الاختيار له والعين كالاصل وقوة الابصار آلتها والفؤاد كذلك وقوة الفهم آلته فذكر في السمع المصدر الذي هو القوة وفي الابصار والافئدة الاسم الذي هو محل القوة ولان السمع قوة واحدة لها محل واحد ولهذا لا يسمع الانسان في زمان واحد كلامين على وجه يضبطهما ويرى في زمان واحد صورتين واكثر ويتقنهما **قوله تعالى** ايذا ضللنا تقدم خلاف القراء في الاستفهامين والواو للعطف على ما سبق منهم فانهم قالوا محمد ليس برسول والله ليس بواحد وقالوا الحشر ليس بممكن والعامل في اذا محذوف تقديره نبعث او نخرج لدلالة خلق جديد عليه ولا يعمل فيه خلق جديد لان ما بعد ان والاستفهام لا يعمل فيما قبلهما وجواب اذا محذوف اذا جعلتها شرطية وقرا العامة ضللنا بضاد معجمة ولام مفتوحة بمعنى ذهبنا وضعنا من قولهم ضل اللبن في الماء وقيل غبنا قال النابغة ۝ فآب مضلوه بعين جلية ۝ وغودر بالجولان حزم ونائل ۝ والمضارع من هذا يضل بكسر العين وهو كثير وقرا يحيى بن يعمر وابن محيصن وابو رجاء بكسر اللام وهي لغة العالية والمضارع من هذا يضل بالفتح على وابو حيوة ضللنا بضم الضاد وكسر اللام المشددة من ضلله بالتشديد وقرا علي ايضا وابن عباس والحسن والاعمش وابان بن سعيد صللنا بصاد مهملة ولام مفتوحة وعن الحسن ايضا صللنا بكسر اللام وهما لغتان يقال صل اللحم يصل ويصل بفتح الصاد وكسرها لمجيء الماضي مفتوح العين ومكسورها ومعنى صل اللحم انتن وتغيرت رائحته ويقال ايضا اصل بالالف قال ۝ تلجلج مضغة فيها انيض ۝ اصلت فهي تحت الكشح داء ۝ وقال النحاس لا نعرف في اللغة صللنا ولكن يقال صل اللحم واصل وخم واخم وقد عرفها ابو جعفر **فصل** قال في تكذيبهم بالرسالة ام يقولون بلفظ المستقبل وقال في تكذيبهم بالحشر وقالوا بلفظ الماضي لان تكذيبهم بالرسالة لم يكن قبل وجوده وانما كان حال وجوده فقال يقولون يعني هم فيه واما انكار الحشر فكان سابقا صادرا منهم ومن آبائهم فقال وقالوا وصرح بقولهم في الرسالة فقال ام يقولون وفي الحشر فقال وقالوا ايذا ضللنا ولم يصرح بقولهم في الوحدانية لانهم كانوا مصرين في جميع الاحوال على انكار الحشر والرسالة واما الوحدانية فكانوا يعترفون بها في بعض الاحوال في قوله ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فلم يقل قالوا ان الله ليس بواحد وان كانوا قالوه في الظاهر **فان قيل** انه ذكر الرسالة من قبل وذكر دليلها وهو التنزيل الذي لا ريب فيه وذكر الوحدانية وذكر دليلها وهو خلق السموات والارض وخلق الانسان من طين ولما ذكر انكارهم الحشر لم يذكر الدليل فالجواب انه ذكر دليله ايضا وهو ان خلقه الانسان ابتداء دليل على قدرته على الاعادة ولهذا استدل تعالى على امكان الحشر بالخلق الاول كما قال ثم يعيده

وهو اهون عليه وقوله قل يحييها الذي انشاها اول مرة وايضا خلق السموات والارض كما قال اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى **قوله** انا لفي خلق جديد استفهام انكار اي انا كائنون في خلق جديد او واقعون فيه بل هم بلقاء ربهم كافرون اضرب عن الاول يعني ليس انكارهم لمجرد الخلق ثانيا بل يكفرون بجميع احوال الآخرة حتى لو صدقوا بالخلق الثاني لما اعترفوا بالعذاب والثواب او يكون المعنى لم ينكروا البعث لنفسه بل لكفرهم بلقاء الله فانهم كرهوه فانكروا المفضي اليه ثم بين لهم ما يكون من الموت الى العذاب فقال قل يتوفاكم يقبض ارواحكم ملك الموت الذي وكل بكم اي وكل بقبض ارواحكم وهو عزرائيل والتوفي استيفاء العدد ومعناه انه يقبض ارواحهم حتى لا يبقى احد من العدد الذي كتب عليه الموت **فصل** روي ان ملك الموت جعلت له الدنيا مثل راحة اليد ياخذ منها صاحبها ما احب من غير مشقة فهو يقبض انفس الخلق من مشارق الارض ومغاربها وله اعوان من ملائكة الرحمة واعوان من ملائكة العذاب وقال ابن عباس خطوة ملك الموت ما بين المشرق والمغرب وقال مجاهد جعلت الارض مثل طست يتناول منها حيث شاء **قوله** ثم الى ربكم ترجعون اي تصيرون اليه احياء فيجزيكم باعمالكم وقرا العامة ترجعون مبنيا به للمفعول وزيد بن علي مبنيا به للفاعل **قوله** ولو ترى في هذه وجهان احدهما انها لما كان سيقع لوقوع غيره وعبر عنها الزمخشري بامتناع لامتناع وناقشه ابو حيان في ذلك وقد تقدم تحقيقه في اول البقرة وعلى هذا جوابها محذوف اي لرايت امرا فظيعا والثاني انها للتمني قال الزمخشري كانه قيل وليتك ترى وفيها اذا كانت للتمني خلاف هل يقتضي جوابا ام لا والظاهر تقدير الزمخشري هنا انه لا جواب لها قال ابو حيان والصحيح ان لها جوابا وانشد ۝ فلو نبش المقابر عن كليب ۝ فيخبر بالذنائب اي زير ۝
۝ بيوم الشعثمين لقر عينا ۝ وكيف لقاء من تحت القبور ۝
قال الزمخشري ولو تجيء في معنى التمني كقولك لو تاتيني فتحدثني كما تقول ليتك تاتيني فتحدثني قال ابن مالك ان اراد به الحذف اي وددت لو تاتيني فتحدثني فصحيح وان اراد انها موضوعة له فليس بصحيح اذ لو كانت موضوعة له لم تجمع بينها وبينه كما لم تجمع بين ليت واتمنى ولا لعل واترجى ولا الا واستثني ويجوز ان تجمع بين لو واتمنى تقول تمنيت لو فعلت كذا والمخاطب يحتمل ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم تشفيا لصدره فانهم كانوا يؤذونه بالتكذيب ويحتمل ان يكون عاما واذ على بابها من المضي لان لو تصرف المضارع للمضي وانما جيء هنا ماضيا لتحقق وقوعه نحو اتى امر الله وجعله ابو البقاء مما وقع فيه اذ موقع اذا ولا حاجة اليه والمراد بالمجرمين المشركون **قوله** ناكسوا العامة على انه اسم فاعل مضاف لمفعوله تخفيفا وزيد بن علي نكسوا فعلا ماضيا رؤوسهم مفعول به والمعنى مطاطئوا رؤوسهم **قوله** ربنا على اضمار القول وهو حال اي قائلين ذلك وقدره الزمخشري يستغيثون بقولهم واضمار القول اكثر **قوله** ابصرنا وسمعنا يجوز ان يكون المفعول مقدرا اي ابصرنا ما كنا نكذب وسمعنا ما كنا ننكر ويجوز ان لا يقدر اي صرنا بصراء سميعين فارجعنا الى الدنيا نعمل صالحا ويجوز ان يكون صالحا مفعولا به وان يكون نعت مصدر وقولهم انا موقنون اي انا آمنا في الحال ويحتمل ان يكون المراد منه انهم ينكرون الشرك كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين **قوله** ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها رشدها وتوفيقها للايمان وهذا جواب عن قولهم ربنا ابصرنا وسمعنا وذلك ان الله تعالى قال اني لو رجعتكم الى الايمان لهديتكم في الدنيا ولما لم اهدكم تبين اني ما اردت وما شئت ايمانكم فلا

ارفكم وهذا صريح في الدلالة على صحة مذهب اهل السنة حيث قالوا ان الله تعالى ما اراد الايمان
من الكافر وما شانه الا الكفر **قوله** ولكن حق القول مني وجب القول مني وهو قوله تعالى
لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين فذوقوا بما نسيتم قال مقاتل اذا دخلوا النار
قالت لهم الخزنة فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا اي تركتم الايمان به في الدنيا **قوله**
لقاء يومكم يجوز فيه اوجه احدها انها من التنازع لان ذوقوا يطلب لقاء يومكم ونسيتم
يطلبه ايضا اي ذوقوا عذاب لقاء يومكم هذا بما نسيتم عذاب لقاء يومكم هذا ويكون من
اعمال الثاني عند البصريين ومن اعمال الاول عند الكوفيين والاول اصح للحذف من الاول اذ لو
اعمل الاول لاضمر في الثاني الثاني ان مفعول ذوقوا محذوف اي ذوقوا العذاب بسبب
نسيانكم لقاء يومكم **وهذا** على مذهب الاعرابين صفة ليومكم الثالث ان يكون مفعول
ذوقوا هذا والاشارة به الى العذاب والبا سببية ايضا اي ذوقوا هذا العذاب بسبب
نسيانكم لقاء يومكم وهذا ابعد عن الظاهر قال ابن الخطيب هذا احتمل ثلاثة اوجه ان
يكون اشارة الى اللقاء وان يكون اشارة الى اليوم وان يكون اشارة الى العذاب ثم قال انا نسيناكم
تركناكم غير ملتفت اليكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون من الكفر والتكذيب **قوله**
انما يومن باياتنا الذين اذا ذكروا بها وعظوا بها خروا سجدا سقطوا على وجوههم ساجدين
وسبحوا بحمد ربهم قيل صلوا بامر ربهم وقيل قالوا سبحان الله وبحمده وهم لا يستكبرون عن الايمان
به والسجود له **قوله** تتجافى جنوبهم عن المضاجع يجوز في تتجافى ان يكون مستانفا وان
يكون حالا وكذلك يدعون واذا جعل يدعون حالا احتمل ان يكون حالا ثانية وان يكون حالا
من الضمير في جنوبهم لان المضاف جزء والتجافي الارتفاع وعبر به عن ترك النوم قال ابن رواحة
يبيت يجافي جنبه عن فراشه اذا استثقلت بالمشركين المضاجع والمعنى ترتفع وتنبو جنوبهم
عن المضاجع جمع المضجع وهو الموضع الذي يضطجع عليه يعني الفراش وهم المتهجدون بالليل الذين
يقيمون الصلاة قال انس نزلت فينا معاشر الانصار كنا نصلي المغرب فلا نرجع الى رحالنا
حتى نصلي العشا مع النبي صلى الله عليه وسلم وعن انس ايضا قال نزلت في اناس من اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم كانوا يصلون من صلاة المغرب الى صلاة العشا وهو قول ابي حازم ومحمد
ابن المنكدر وقال هي صلاة الاوابين وهو مروي عن ابن عباس وقال عطا هم الذين لا ينامون
حتى يصلوا العشا الاخرة والفجر في جماعة وقال عليه السلام من صلى العشا في جماعة كان كقيام
ليلة والمشهور ان المراد منه صلاة الليل وهو قول الحسن ومجاهد ومالك والاوزاعي وجماعة
لقوله عليه السلام افضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم وافضل الصلاة بعد
الفريضة صلاة الليل وقال عليه السلام ان في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها
من ظاهرها اعدها الله لمن الان الكلام واطعم الطعام وتابع الصيام وصلى بالليل والناس
نيام **قوله** خوفا وطمعا اما مفعول من اجله واما حالان واما مصدران لعامل مقدر
قال ابن عباس خوفا من النار وطمعا في الجنة ومما رزقناهم ينفقون قيل اراد به الصدقة
المفروضة وقيل عام في الواجب والتطوع **قوله** فلا تعلم نفس ما اخفي لهم قرا حمزة
اخفي فعلا مضارعا مسندا لضمير المتكلم فلذلك سكنت ياؤه لانه مرفوع ويؤيدها قراءة
ابن مسعود ما نخفي بنون العظمة والباقون اخفي ماضيا مبنيا للمفعول فمن ثم فتحت ياؤه
وقرا محمد بن كعب اخفى ماضيا مبنيا للفاعل وهو الله تعالى ويؤيدها قراءة الاعمش ما
اخفيت مسندا للمتكلم **وما** يجوز ان تكون موصولة اي لا تعلم الذي اخفاه الله وفي
الحديث ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وان يكون استفهامية معلقة

لتعلم

قوله لتعلم فان كانت متعدية لاثنين سدت مسدهما او لواحد سدت مسده
من قرة اعين قرا عبد الله وابو الدرداء وابو هريرة من قرات اعين جمعا بالالف والتاء
وجزاء مفعول له او مصدر موكد لمعنى الجملة قبله واذا كانت ما استفهامية فعلى قراءة
من قرا ما بعدها فعلا ماضيا يكون في محل رفع بالابتداء والفعل بعدها الخبر وعلى قراءة
من قرا مضارعا يكون مفعولا مقدما ومن قرة حال من ما والمعنى ما يقر الله به اعينهم جزاء
بما كانوا يعملون قال ابن عباس هذا مما لا تفسير له قال بعضهم اخفوا اعمالهم فاخفى الله ثوابهم
قوله افمن كان مومنا كمن كان فاسقا نزلت في علي بن ابي طالب والوليد بن عقبة بن ابي
معيط اخي عثمان لامه وذلك انه كان بينهما تنازع فقال الوليد بن عقبة لعلي اسكت فانك
صبي وانا والله ابسط منك لسانا وانجح جنانا واملا منك حشوا في الكتيبة فقال علي اسكت
فانك فاسق فانزل الله عز وجل افمن كان مومنا كمن كان فاسقا لا يستوون ولم يقل لا يستويان
لانه لم يرد مومنا واحدا ولا فاسقا واحدا بل اراد جميع المومنين وجميع الفاسقين وقوله
لا يستوون مستانف روي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعمد الوقف على قوله فاسقا ثم
يبتدي لا يستوون **قوله** اما الذين امنوا وعملوا الصالحات لما ذكر ان المومن والفاسق
لا يستويان بطريق الاجمال بين عدم استوائهما على سبيل التفصيل فقال اما الذين امنوا وعملوا
الصالحات فلهم جنات الماوى قرا طلحة جنة الماوى بالافراد والعامة بالجمع اي التي ياوي
اليها المومنون وقرا ابو حيوة نزلا بضم وسكون وتقدم تحقيقه اخر ال عمران واما الذين
فسقوا فماواهم النار كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب
النار وهذا اشارة الى حال الكافر واعلم ان العمل الصالح له مع الايمان تاثير فلذلك قال
امنوا وعملوا الصالحات واما الكفر فلا التفات مع الاعمال معه فلهذا لم يقل واما الذين
فسقوا وعملوا السيئات لان المراد من فسقوا كفروا ولو جعل العذاب في مقابلة الكفر والعمل
لظن ان مجرد الكفر لا عقاب عليه **قوله** الذي كنتم به صفة لعذاب وجوز ابو البقا
ان يكون صفة للنار وذكر على معنى الجحيم والحريق **قوله** ولنذيقنهم من العذاب
الادنى دون العذاب الاكبر قال ابي بن كعب والضحاك والحسن وابراهيم العذاب
الادنى مصائب الدنيا واسقامها وهو رواية الوالبي عن ابن عباس وقال عكرمة عنه الحدود
وقال مقاتل الجوع سبع سنين بمكة حتى اكلوا الجيف والعظام والكلاب وقال ابن مسعود
هو القتل بالسيف يوم بدر وهو قول قتادة والسدي واما العذاب الاكبر فهو عذاب
الاخرة فان عذاب الدنيا لا نسبة له الى عذاب الاخرة **فان قيل** ما الحكمة
في مقابلته الادنى بالاكبر والادنى انما هو في مقابلة الاقصى والاكبر انما هو في مقابلة
الاصغر فالجواب انه حصل في عذاب الدنيا امران احدهما انه قريب والاخر انه قليل
صغير وحصل في عذاب الاخرة ايضا امران احدهما انه بعيد والاخر انه عظيم كبير لكن
العرف في عذاب الدنيا هو انه الذي يصلح للتخويف فان العذاب العاجل وان كان قليلا
قد لا يحترز به بعض الناس ويستبعد الثواب العظيم الاجل واما في عذاب الاخرة فالذي
يصلح للتخويف به هو العظيم والكبير لا البعيد لما بينا فقال في عذاب الدنيا العذاب الادنى
ليحترز العاقل عنه ولو قال ولنذيقنهم من العذاب الاصغر ما كان يحترز عنه لصغره وعدم
فهم كونه عاجلا وقال في عذاب الاخرة الاكبر لذلك المعنى ولو قال من العذاب الابعد
الاقصى لما حصل التخويف به مثل ما يحصل بوصفه بالكبر **قوله** لعلهم يرجعون الى الايمان
يعني من بقي منهم بعد بدر **فإن قيل** ما الحكمة في هذا الترجي وهو على الله محال

اكثر مما يحترز من العذاب الشديد اذا كان
اجلا وكذا الثواب العاجل قد يرغب فيه بعض
الناس

فالجواب فيه وجهان احدهما معناه لنذيقنهم اذاقة الراجين كقوله انا نسيناكم يعني تركناكم
كما يترك الناسي حيث لا يلتفت اليهم اصلاً كذلك ههنا والثاني نذيقنهم العذاب اذاقة
يقول القايل لعلهم يرجعون بسببه **قوله** ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه اي من ذكر بايات
الله من النعم اولاً والنقم ثانياً ولم يؤمنوا فلا اظلم منهم احد **قوله** ثم اعرض هذه لتبعد
ما بين الرتبتين معنى ونبهها الزمخشري بقوله
و وما يكشف الغما الا ابن حرة يرى غمرات الموت ثم يزورها و قال استبعد ان يزور غمرات
الموت بعد ان راها وعرفها واطلع على شدتها **قوله** انا من المجرمين يعني المشركين منتقمون
قوله ولقد اتينا موسى الكتاب لما قرر الاصول الثلاثة عاد الى الاصل الذي بدا به وهو
الرسالة المذكورة في قوله لتنذر قوما ما اتاهم من نذير و قال انك لست بدعا من
الرسل بل كان قبلك رسل مثلك وذكر موسى لقربه من النبي صلى الله عليه وسلم و وجود من
كان على دينه الزاما لهم وانما لم يختر عيسى عليه السلام للذكر والاستدلال لان اليهود ما
كانوا يوافقون على نبوته واما النصارى فكانوا يعترفون بنبوة موسى عليه السلام فتمسك بالمجمع
عليه **قوله** فلا تكن في مرية قرا الحسن بالضم وهي لغة وقوله من لقايه فيه اقوال
احدها انها عايدة على موسى والمصدر مضاف لمفعوله اي من لقايك موسى ليلة الاسرا
وامتحن المبرد الزجاج في هذه المسيلة فاجاب بما ذكر قال ابن عباس وغيره المعنى
فلا تكن في شك من لقا موسى فانك تراه وتلقاه روى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال رايت ليلة اسري بي موسى رجلا ادم طوالا جعدا كانه من رجال شنوة
ورايت عيسى رجلا مربوعا الى الحمرة والبياض سبط الراس ورايت مالكا خازن
النار والدجال في ايات اراهن الله اياه الثاني ان الضمير يعود على الكتاب وحينيذ
يجوز ان يكون الاضافة للفاعل اي من لقا الكتاب لموسى لان اللقا يصح نسبته الى كل
منهما لان من لقيك فقد لقيته قال السدي المعنى فلا تكن في مرية من لقايه اي تلقي
موسى كتاب الله بالرضا والقبول الثالث انه يعود على الكتاب على حذف مضاف اي من
لقاء مثل كتاب موسى الرابع انه عايد على ملك الموت لتقدم ذكره الخامس عوده
على الرجوع المفهوم من قوله الى ربكم ترجعون اي لا تك في مرية من لقا الرجوع السادس
انه يعود على ما يفهم من سياق الكلام مما ابتلي به موسى من البلا والامتحان قاله الحسن
اي لا بد ان تلقى ما لقي موسى من قومه فاختار موسى عليه السلام لحكمة وهي ان احدا من الانبيا
لم يؤذه من قومه الا الذين لم يؤمنوا واما الذين امنوا به فلم يخالفوه غير قوم موسى عليه
السلام فان من لا امن به اذاه كفرعون وغيره ومن امن به من بني اسرايل ايضا اذاه
بالمخالفة وطلب اشيا مثل روية الله جهرة وكقولهم اذهب انت وربك فقاتلا واظهر
هذه الاقوال ان الضمير اما لموسى واما للكتاب ثم بين ان له هداية غير عارية عن المنفعة
كما انه لم يخل هداية موسى حيث جعل الله كتاب موسى هدى وجعل منهم ايمة يهدون
كذلك يجعل كتابك هدى ويجعل من امتك صحابة يهدون كما قال النبي صلى الله عليه وسلم
اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم ثم بين ان ذلك يحصل بالصبر فقال لما صبروا وكانوا
باياتنا يوقنون **قوله** لما صبروا قرا الاخوان بكسر اللام وتخفيف الميم على ان اللام الجر
وما مصدرية والجار متعلق بالجعل اي جعلناهم كذلك لصبرهم ولايقانهم والباقون بفتحها
وتشديد الميم وهي لما التي تقتضي جوابا وتقدم فيها قولا سيبويه والفارسي والمعنى حين
صبروا على دينهم وعلى البلا من عدوهم بمصر **قوله** ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيمة فيما

او الضمير للقا موسى الكتاب

كانوا فيه يختلفون هذا يصلح ان يكون جوابا لسوال وهو انه تعالى لما قال وجعلنا منهم ايمة
يهدون فكان لقايل ان يقول كيف كانوا يهدون وهم اختلفوا وصاروا فرقا والحق واحد
فقال الله يبين المبتدع من المتبع كما يبين المومن من الكافر يوم القيمة **قوله** اولم يهد لهم
يتبين لهم كم اهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم لما اعاد ذكر الرسالة اعاد ذكر
التوحيد وقال اولم يهد لهم كم اهلكنا من قبلهم وقوله يمشون في مساكنهم اي مساكن المهلكين
دلالة على حالهم وانتم تمشون فيها وتبصرونها ان في ذلك لايات افلا يسمعون ايات الله
وعظاته واعتبر السمع لانهم ما كان لهم قوة الادراك بانفسهم والاستنباط بعقولهم فقال
افلا يسمعون يعني ليس لكم درجة المتعلم الذي يسمع الشي ويفهمه **قوله** اولم يروا انا نسوق
الما الى الارض الجرز قري الجرز بسكون وتقدم اول الكهف وهي الارض اليابسة الغليظة
التي لا نبات فيها قال ابن عباس هي ارض باليمن وقال مجاهد هي ارض بابين والجرز هو القطع
فكانها المقطوع عنها الما والنبات لما بين الاهلاك وهو الاماتة بين الاحيا ليكون اشارة
الى ان الضر والنفع بيد الله ثم قال فنخرج به زرعا تاكل منه انعامهم من العشب والتبن
وانفسهم من الحبوب والاقوات وتقدم الانعام على الانفس في الاكل لوجوه الاول ان
الزرع اول ما ينبت يصلح للدواب ولا يصلح للانسان الثاني ان الزرع غذا للدواب
لا بد منه واما غذا الانسان فقد يصلح للحيوان فكان الحيوان ياكل الزرع ثم الانسان ياكل
من الحيوان **قوله** افلا يبصرون قرا العامة بالغيبة وابن مسعود بالخطاب التفاتا
وقال يبصرون لان الامر مرئي بخلاف حال الماضي فانها كانت مسموعة ثم لما بين الرسالة
والتوحيد بين الحشر فقال ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين قيل اراد بيوم الفتح
يوم القيمة الذي فيه الحكم بين العباد قال قتادة قال اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
للكفار ان لنا يوما ننعم فيه ونستريح فيحكم الله بيننا وبينكم فقالوا استهزاء متى هذا الفتح
اي القضا والحكم وقال الكلبي يعني فتح مكة وقال السدي يوم بدر لان اصحاب النبي صلى
الله عليه وسلم كانوا يقولون لهم ان الله ناصرنا ومظهرنا عليكم فيقولون متى هذا الفتح
قوله يوم الفتح منصوب بلا ينفع ولا غير ما نفيه من ذلك وقد تقدم فيها مذاهب
والمعنى يوم الفتح يوم القيمة لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ومن حمل الفتح على فتح مكة والقتل
يوم بدر قال معناه لا ينفع الذين كفروا ايمانهم اذا جاءهم العذاب وقتلوا ولا هم ينظرون
اي لا يمهلون بالاعادة الى الدنيا ليومنوا ثم لما بين ان الدلايل لم تنفعهم قال فاعرض عنهم
قال ابن عباس نسختها اية القتال **قوله** وانتظر انهم منتظرون العامة على كسر الظا من منتظرون
اسم فاعل والمفعول من انتظر ومن منتظرون محذوف اي انتظر ما يحل بهم انهم منتظرون على
زعمهم ما يحل بك وقرا اليماني منتظرون اسم مفعول **فصل** قيل المعنى انتظر موعدي
لك بالنصر انهم منتظرون بك حوادث الزمان وقيل انتظر عذابنا فيهم انهم منتظرون ذلك
وعلى هذا فلا فرق بين الانتظارين وقيل انتظر عذابهم بيقينك انهم منتظرونه بلفظهم
استهزاء كما قالوا فاتنا بما تعدنا **فصل** روى ابو هريرة قال كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقرا في الفجر يوم الجمعة الم تنزيل وهل اتى على الانسان وعن جابر قال كان النبي
صلى الله عليه وسلم لا ينام حتى يقرا تبارك والم تنزيل ويقول هما يفضلان على كل سورة في القران
بسبعين حسنة ومن قراهما كتبت له سبعون حسنة ومحي عنه سبعون سيية ورفع له سبعون
درجة وروى الثعلبي عن ابن عباس عن ابي بن كعب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرا
سورة الم تنزيل اعطي من الاجر كمن احيى ليلة القدر والله اعلم

سورة الاحزاب

مدنية وهي ثلاث وسبعون اية ومايتان وثمانون كلمة وخمسة الاف وسبع مائة وتسعون حرفا. بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى يا ايها النبي اتق الله اعلم ان الفرق بين ندا المنادي بقوله يا رجل ويا ايها الرجل ان قوله يا رجل يدل على الندا وقوله يا ايها الرجل يدل على ذلك وينبي عن خطر خطب المنادى له او غفلة المنادي فقوله يا ايها لا يجوز حمله على غفلة النبي صلى الله عليه وسلم لان قوله النبي ينافي الغفلة لان النبي عليه السلام خبير فلا يكون غافلا فيجب حمله على خطر الخطب فان قيل الامر بالشي لا يكون الا عند عدم اشتغال المامور بالمامور به اذ لا يصلح ان يقال للجالس اجلس ولا للساكت اسكت والنبي عليه السلام كان متقيا فما الوجه في قوله اتق الله فالجواب انه امر بالمداومة فانه يصح ان يقال للجالس اجلس ههنا الى ان اتيك ويقال للساكت قد اصبت فاسكت تسلم اي دم على ما انت عليه وايضا من جهة العقل ان الملك يتقي منه عباده على ثلاثة اوجه بعضهم يخاف من عقابه وبعضهم يخاف من قطع ثوابه وثالث يخاف من احتجابه فالنبي عليه السلام لم يومر بالتقوى بالاول ولا بالثاني واما الثالث فالمخلص لا يامنه ما دام في الدنيا فكيف والامور البدنية شاغلة فالادمي في الدنيا تارة مع الله والاخرى مقبل على ما لا بد منه وان كان معه الله والى هذا اشار بقوله انما انا بشر مثلكم يوحى الي يعني يرتفع الحجاب عني وقت الوحي ثم اعود اليكم كاني منكم فامر بتقوى يوجب استدامة الحضور وقال المفسرون نزلت في ابي سفين وعكرمة بن ابي جهل وابي الاعور عمرو بن سفين السلمي وذلك انهم قدموا المدينة فنزلوا على عبد الله بن ابي راس المنافقين بعد قتال احد وقد اعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم الامان على ان يكلموه فقام معهم عبد الله بن سعد ابن ابي سرح وطعمة بن ابيرق فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم وعنده عمر بن الخطاب رضي الله عنه ارفض ذكر الهتنا اللات والعزى ومناة وقل ان لها شفاعة لمن عبدها وندعك وربك فشق على النبي صلى الله عليه وسلم قولهم فقال عمر يا رسول الله ايذن لي في قتلهم فقال اني قد اعطيتهم الامان فقال عمر اخرجوا في لعنة الله وغضبه وامر النبي صلى الله عليه وسلم عمر ان يخرجهم من المدينة فانزل الله يا ايها النبي اتق الله اي دم على التقوى كما يقول الرجل لغيره وهو قائم قم ها هنا اي اثبت قائما وقيل الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد به الامة وقال الضحاك معناه اتق الله ولا تنقض العهد الذي بينك وبينهم قوله ولا تطع الكافرين اي من اهل مكة يعني ابا سفين وعكرمة وابا الاعور والمنافقين من اهل المدينة عبد الله بن ابي وطعمة ان الله كان عليما بخلقه قبل ان يخلقهم حكيما فيما دبره لهم فان قيل لم خص الكافرين والمنافقين بالذكر مع ان النبي صلى الله عليه وسلم ينبغي ان لا يطيع احدا غير الله فالجواب من وجهين الاول ان ذكر الغير لا حاجة اليه لان غيرهما لا يطلب من النبي عليه السلام الاتباع ولا يتوقع ان يصير النبي صلى الله عليه وسلم مطيعا له بل يقصد اتباعه ولا يكون عنده الا مطاعا الثاني انه تعالى لما قال لا تطع الكافرين والمنافقين منعه من طاعة الكل لان كل من طلب من النبي صلى الله عليه وسلم طاعة فهو كافر ومنافق لان من يامر النبي صلى الله عليه وسلم بامر ايجاب معتقدا انه لو لم يفعله يعاقبه يكون كافرا قوله واتبع ما يوحى اليك من ربك وهذا يقرر ما ذكره اولا من انه عليم حكيم فاتباعه واجب قوله بما تعملون خبيرا وبعده بتقليل بما تعملون بصيرا قراهما ابو عمرو بيا الغيبة والباقون بتا الخطاب اما الغيبة في الاول فلقوله الكافرين والمنافقين واما الخطاب فلقوله يا ايها

البني

النبي لان المراد هو وامته او خوطب بالجمع تعظيما كقوله فان شيت حرمت النسا سواكم وجوز ابو حيان ان يكون التفاتا يعني عن الغايبين الكافرين والمنافقين وهو بعيد واما الغيبة في الثاني فلقوله اذ جاتكم جنود واما الخطاب فلقوله يا ايها الذين امنوا قوله وتوكل على الله اي ثق بالله يعني ان توهمت من احد فتوكل على الله فانه كافيك وكفى بالله وكيلا اي حافظا لك وقيل كفيلا برزقك قوله ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه نزلت في ابي معمر جميل بن معمر الفهري وكان رجلا لبيبا حافظا لما يسمع فقالت قريش ما حفظ ابو معمر هذه الاشيا الا وله قلبان وكان يقول لي قلبان اعقل بكل واحد منهما افضل من عقل محمد فلما هزم الله المشركين يوم بدر انهزم ابو معمر فلقيه ابو سفين واحدى نعليه بيده والاخرى في رجله فقال له يا ابا معمر ما حال الناس قال انهزموا قال فما لك احدى نعليك في يدك والاخرى في رجلك قال ابو معمر ما شعرت الا انهما في رجلي فعلموا يومئذ انه لو كان له قلبان لما نسي نعله في يده وقال الزهري ومقاتل هذا مثل ضربه الله للظاهر من امراته والمتبني ولد غيره تقول فكما لا يكون لرجل قلبان فكذلك لا يكون امراة المظاهر امه حتى يكون لها ابنان ولا ولد واحد ابن رجلين قال الزهري قوله وما جعل ازواجكم اللاي تظهرون منهن امهاتكم اي ما جعل الله لرجل قلبين كما لم يجعل لرجل امين ولا لابن ابوين قوله وما جعل ازواجكم اللاي قرا الكوفيون وابن عامر اللائي ههنا وفي سورة الطلاق بيا ساكنة بعد همزة مكسورة وهذا هو الاصل في هذه اللفظة لانه جمع التي معنى وابو عمرو والبزي اللاي بيا ساكنة وصلا بعد الف محضة في احد وجهيهما ولهما وجه اخر سياتي ووجه هذه القراة انهما حذفا الياء بعد الهمزة تخفيفا ثم ابدلا الهمزة يا وسكناها لتصير وزنها يا مكسورا ما قبلها كيا القاضي والغازي الا ان هذا ليس بقياس وانما القياس جعل الهمزة بين بين قال ابو علي لا يقدم على مثل هذا البدل الا ان يسمع قال شهاب الدين قال ابو عمرو بن العلا انها لغة قريش التي امر الناس ان يقروا بها وقال بعضهم لم يبدلوا وانما كتبوا فعبر عنهم القرا بالابدال وليس بشي وقال ابو علي وغيره اظهار ابي عمرو اللاي يئسن يدل على انه يسهل ولم يبدل وهذا غير لازم لان البدل عارض فلذلك لم يدغم وقرا الباقون ايضا وورش بهمزة مسهلة بين بين وهذا الذي زعم بعضهم انه لم يصح عنهم غيره وهو تخفيف قياسي واذا وقفوا سكنوا الهمزة ومتى سكنوها استحال تسهيلها بين بين لزوال حركتها فتنقلب يا لوقوعها ساكنة بعد كسر وليس من مذهبهم تخفيفها فتقع همزة وقرا قنبل وورش بهمزة مكسورة دون يا حذفا الياء واجتزاءها بالكسرة وهذا الخلاف بعينه جار في المجادلة والطلاق قوله تظاهرون قرا عاصم تظاهرون بضم التا وكسر الها بعد الف مضارع ظاهر وابن عامر تظاهرون بفتح التا والها وتشديد الظا مضارع تظاهر والاصل تتظاهرون بتايين فادغم والاخوان كذلك الا انهما خففا الظا والاصل ايضا بتايين الا انهما حذفا احديهما طريقان في تخفيف هذا النحو اما الادغام واما الحذف وقد تقدم تحقيقه في نحو تذكرون وتذكرون مخففا ومثقلا وتقدم نحوه في البقرة ايضا والباقون تظهرون بفتح التا والها وتشديد الظا والها دون الف والاصل تتظهرون بتايين فادغم نحو تذكرون وقرا الجميع في المجادلة كقراتهم هنا في قوله الذين يظهرون من نسايهم الا الاخوين فانهما خالفا اصلهما هنا فقرا في المجادلة بتشديد الظا كقراة ابن عامر والظهار مشتق من الظهر واصله ان يقول الرجل لامراته انت علي كظهر امي وانما لم يقرا الاخوان بالتخفيف

ولا يكون ولد

المجادلة لعدم المسوغ له وهو الحذف لان الحذف انما كان لاجتماع مثلين وهما التاءان وفي
المجادلة يا من تحت وتا من فوق فلم يجتمع مثلان فلا حذف فاضطروا الى الادغام هذا ما
قرئ به متواترا وقرا ابو ثابت تظهرون بضم التا وسكون الظا وكسر الها مضارع اظهر ابن
وعنه ايضا تظهرون بفتح التا والظا مخففة وتشديد الها والاصل تتظهرون مضارع
تظهر مشددا فحذف احدى التاءين وقرا الحسن تظهرون بضم التا وفتح الظا مخففة
وتشديد الها مكسورة مضارع ظهر مشددا وعن ابي عمرو تظهرون بفتح التا والهاء
وسكون الظا مضارع ظهر مخففا وقرا ابي وهي في مصحفه كذلك تتظهرون بتاءين فهذه
تسع قراآت اربع متواترة وخمس شاذة واخذ هذه الافعال من لفظ الظهر كاخذ لبى
من التلبية واف من اف وانما عدي بمن لانه ضمن معنى التباعد كانه قيل يتباعدون
من نسائهم بسبب الظهار كما تقدم في تعدية الايلاء بمن في البقرة **فصل**
الظهار ان يقول الرجل لامراته انت علي كظهر امي فقال الله تعالى ما جعل الله نساكم
اللاي تقولون لهن هذا في التحريم كامهاتكم ولكنه منكر وزور وفيه كفارة يأتي ذكرها
ان شاء الله تعالى في سورة المجادلة **قوله** وما جعل ادعياكم ابناكم يعني ما جعل
من تتبنونهم ابناكم فنسخ التبني وذلك ان الرجل في الجاهلية كان يتبنى الرجل فيجعله
كالابن يدعوه الناس اليه ويرث ميراثه وكان النبي صلى الله عليه وسلم اعتق زيد بن حارثة
ابن شراحيل الكلبي وتبناه قبل الوحي واخى بينه وبين حمزة بن عبد المطلب فلما تزوج رسول
الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش وكانت تحت زيد بن حارثة قال المنافقون
تزوج محمد امراة ابنه وهو ينهى الناس عن ذلك فانزل الله هذه الاية ونسخ التبني واعلم
ان الظهار كان في الجاهلية طلاقا حتى كان للزوج ان يتزوج بها من جديد **قوله**
ذلكم قولكم مبتدا وخبر اي دعاوكم الادعيا ابنا مجرد قول لسان من غير حقيقة والادعيا
جمع دعي بمعنى مدعو فعيل بمعنى مفعول واصله دعيو فادغم ولكن جمعه على ادعيا
غير مقيس لان افعلا انما يكون جمعا لفعيل المعتل اللام اذا كان بمعنى فاعل نحو تقي واتقيا
وغني واغنيا وهذا وان كان فعيلا معتل اللام الا انه بمعنى مفعول فكان قياس جمعه على
فعلى كقتيل وقتلى وجريح وجرحى ونظير هذا في الشذوذ قولهم اسير واسرا والقياس
اسرى وقد سمع فيه الاصل واعلم ان الله تعالى قال ههنا ذلكم قولكم بافواهكم وقال
في قوله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم يعني نسبة الشخص الى غير الاب
قول لا حقيقة له ولا يخرج من قلب ولا يدخل ايضا في قلب فهو قول بالفم مثل اصوات
البهايم **قوله** والله يقول الحق اي قوله الحق وهو يهدي السبيل اي يرشد الى سبيل
الحق وهذا اشارة الى انه ينبغي للعاقل ان يكون قوله اما عن عقل او شرع فاذا قال
فلان ابن فلان ينبغي ان يكون عن حقيقة او عن شرع بان يكون ابنه شرعا وان لم تعلم الحقيقة
كمن تزوج بامراة فولدت لستة اشهر ولدا وكانت الزوجة من قبل زوجة شخص اخر
يحتمل ان يكون الولد منه فانا نلحقه بالزوج الثاني لقيام الفراش ونقول انه ابنه شرعا وفي
الدعي لم يوجد الحقيقة ولا ورد الشرع به لانه لا يقول الا الحق وهذا خلاف الحق لان اباه
مشهور ظاهر واشار فيه من وجه اخر الى ان قولهم هذه زوجة الابن فتحرم فقال الله هي لك
حلال فقولهم لا اعتبار له فانه بافواههم كاصوات البهايم وقوله الحق فيجب اتباعه وهو يهدي
السبيل فيجب اتباعه لكونه حقا ولكونه هاديا **قوله** ادعوهم لابائهم اي الذين ولدوهم
هو اقسط عند الله اي اعدل قال عبد الله بن عمر ان زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله

عليه

عليه وسلم ما كنا ندعوه الا زيد بن محمد حتى نزل القران ادعوهم لابائهم هو اقسط عند الله
واعلم ان قوله هو اقسط اي دعاوهم لابائهم فهو مصدر قاصر لدلالة فعله عليه كقوله
اعدلوا هو اقرب قال ابن الخطيب وهو يحتمل وجهين احدهما ان يكون ترك الاضافة للعموم
اي اعدل كل كلام كقولك الله اكبر الثاني ان يكون ما تقدم منويا كانه قال ذلك اقسط
من قولكم هو ابن فلان ثم تمم الارشاد فقال فان لم تعلموا اباهم فاخوانكم في الدين اي قولوا لهم
اخوانا فان كانوا محررين فقولوا موالي فلان ثم قال وليس عليكم جناح فيما اخطاتم به اي
قبل النهي فنسبتموه الى غير ابيه **قوله** ولكن ما تعمدت قلوبكم يجوز فيها وجهان احدهما
ان تكون مجرورة المحل عطفا على ما المجرورة قبلها بفي والتقدير ولكن الجناح في ما تعمدت
والثاني انها مرفوعة المحل بالابتدا والخبر محذوف تقديره تواخذون به او عليكم فيه
الجناح ونحوه **قوله** وكان الله غفورا رحيما المغفرة هي ان يستر القادر القبيح من تحت
قدرته حتى ان العبد اذا ستر عيب سيده مخافة عقابه لا يقال غفر له والرحمة هي ان
يميل بالاحسان الى المرحوم لعجز المرحوم لا لعوض فان من مال الى انسان قادر كالسلطان لا
يقال رحمه وكذا من احسن الى غيره رجا في خيره او عوضا عما صدر منه انما من الاحسان
لا يقال رحمه اذا علم هذا فالمغفرة اذا ذكرت قبل الرحمة يكون معناها انه ستر عيبه
ثم راه مفلسا عاجزا فرحمه واعطاه ما كفاه واذا ذكرت المغفرة بعد الرحمة وهو قليل
يكون معناها انه مال اليه لعجزه فترك عقابه ولم يقتصر عليه بل ستر ذنوبه **قوله**
النبي اولى بالمومنين من انفسهم اي من بعضهم ببعض في نفوذ حكمه ووجوب طاعته عليهم
وقال ابن عباس وعطا يعني اذا دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم ودعتهم انفسهم الى شي كانت
طاعة النبي صلى الله عليه وسلم اولى بهم من طاعة انفسهم وقال ابن زيد النبي اولى بالمومنين
من انفسهم فيما قضى بينهم كما انت اولى بعبدك فيما قضيت عليه وقيل اولى بهم في الحمل
على الجهاد وبذل النفس دونه وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يخرج الى الجهاد فيقول
قوم نذهب فنستاذن من ابائنا وامهاتنا فنزلت الاية وروى ابو هريرة ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال ما من مومن الا انا اولى به في الدنيا والاخرة اقراوا ان شيتم النبي
اولى بالمومنين من انفسهم فايما مومن مات وترك مالا فليرثه عصبته من كانوا ومن
ترك دينا او ضياعا فلياتني فانا مولاه **قوله** وازواجه امهاتهم اي مثل امهاتهم
في الحكم ويجوز ان يتساوى التشبيه ويجعلون امهاتهم مبالغة وفي حرف ابي وازواجه
امهاتهم وهو اب لهم وهن امهات المومنين في تعظيم حقهن وتحريم نكاحهن على التابيد
لا في النظر اليهن والخلوة بهن فانه حرام في حقهن كما في حق الاجانب قال الله تعالى واذا
سالتموهن متاعا فاسالوهن من وراء حجاب ولا يقال لبناتهن هن اخوات للمومنين ولا لاخوانهن
واخواتهن اخوال المومنين وخالاتهم وقال الشافعي تزوج الزبير اسما بنت ابي بكر رضي
الله عنه وهي اخت ام المومنين واختلفوا في انهن هل كن امهات النسا المومنات قيل كن
امهات المومنين جميعا وقيل كن امهات المومنين دون النسا روى الشعبي عن مسروق ان
امراة قالت لعايشة يا امه فقالت لست لك بام انما انا ام رجالكم فدل هذا على ان معنى
هذه الامومة تحريم نكاحهن **فصل** قال ابن الخطيب هذا تقرير اخر وذلك لان
زوجة النبي عليه السلام ما جعلها الله في حكم الام الا لقطع نظر الامة عما تعلق به غرض النبي عليه
السلام فاذا تعلق خاطره بامراة شاركت زوجاته في التعلق فحرمت مثل ما حرمت زوجاته
على غيره **فان قيل** كيف قال وازواجه امهاتهم وقال من قبل وما جعل

ازواجكم اللاي تظهرون منهن امهاتكم فاشار الى ان غير من ولدت لا تصير اما بوجه ولذلك
قال في موضع اخران امهاتهم الا اللاي ولدنهم فالجواب ان قوله تعالى في الاية المتقدمة
والله يقول الحق وهو يهدي السبيل جواب عن هذا والمعنى ان الشرع مثل في الحقيقة ولهذا
يرجع العاقل عند تعذر اعتبار الحقيقة الى الشريعة كما ان امراتين اذا ادعت كل واحدة
ولدا بعينه ولم يكن لهما بينة وحلفت احديهما دون الاخرى حكم لها بالولد فعلم ان عند عدم
الوصول الى الحقيقة يرجع الى الشرع بل في بعض المواضع على المندوب تغلب الشريعة على الحقيقة
فان الزاني لا يجعل ابا لولد الزنا وان كان ولده في الحقيقة واذا كان كذلك فالشارع له
الحكم فقول القايل لهذه امي قول بفم لا عن حقيقة ولا يترتب عليه حقيقة واما قول
الشارع فهو حق فله ان يتصرف في الحقايق كيف شا الا ترى ان الام ما صارت اما الا بخلق
الله الولد في رحمها ولو خلقه في جوف غيرها لكانت الام غيرها فاذا كان الذي يجعل الام
الحقيقية اما فله ان يسمي امراة اما ويعطيها حكم الامومة واما من جهة المعقول في جعل
ازواجه امهاتنا هو ان الله تعالى جعل زوجة الاب محرمة على الابن لان الزوجية محل
الغيرة فان تزوج الابن عمن كانت تحت الاب يفضي الى قطع الرحم والعقوق ولكن النبي
عليه السلام اشرف واعلى درجة من الاب واولى بالارضا فان الاب يربي في الدنيا
حسب والنبي عليه السلام يربي في الدنيا والاخرة فوجب ان يكون زوجاته مثل زوجات
الاباء **فان قيل** ثم لم يقل ان النبي ابوكم ويحصل هذا المعنى او لم لم يقل
ازواج ابيكم فالجواب ان الحكمة فيه هو ان النبي لما بينا انه اذا اراد زوجة واحد من
الامة وجب عليه تركها ليتزوج بها النبي عليه السلام فلو قال انه ابوهم لحرم عليه زوجات
المومنين على التابيد ولانه لما جعل اولى بهم من انفسهم والنفس مقدمة على الاب لقوله ابدا
بنفسك ثم بمن تعول ولذلك فان المحتاج الى القوت لا يجب عليه صرفه الى الاب ويجب عليه
صرفه الى النبي صلى الله عليه وسلم ثم ان ازواجه لهم حكم ازواج الاب حتى لا تحرم اولادهن
على المومنين ولا اخواتهن ولا امهاتهن وان كان الكل يحرمن في الام الحقيقية والرضاعة
قوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله يعني في الميراث قال قتادة كان
المسلمون يتوارثون بالهجرة قال الكلبي اخا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الناس كان
يواخي بين رجلين فاذا مات احدهما ورثه الاخر دون عصبته حتى نزلت هذه الاية واولوا
الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله من المومنين الذين اخا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بينهم والمهاجرين يعني ذوي القرابات بعضهم اولى بميراث بعض من ان يرثوا بالايمان
والهجرة فنسخت هذه الاية الموارثة بالمواخاة والهجرة فصارت بالقرابة **قوله** بعضهم
يجوز فيه وجهان احدهما ان يكون بدلا من اولوا والثاني انه مبتدا وما بعده خبره
والجملة خبر الاول **قوله** في كتاب الله يجوز ان يتعلق باولوا لان افعل التفضيل
يعمل في الظرف ويجوز ان يتعلق بمحذوف على انه حال من الضمير في اولوا والعامل فيها اولوا
لانها شبيهة بالظرف ولا جايز ان يكون حالا من اولوا للفصل بالخبر ولانه لا عامل فيها **قوله**
من المومنين يجوز فيه وجهان احدهما انها من الجارة للمفضول كهي في زيد افضل من عمرو
والمعنى واولوا الارحام اولى بالارث من المومنين والمهاجرين الاجانب والثاني انها للبيان
جي بها بيانا لاولي الارحام فيتعلق بمحذوف اي اعني والمعنى واولوا الارحام من المومنين اولى
بالارث من الاجانب **قوله** الا ان تفعلوا هذا استثنا من غير الجنس وهو مستثنى من
معنى الكلام وفحواه اذ التقدير اولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في الارث وغيره لكن اذا

فعلتم

فعلتم مع غيرهم من اوليايكم خيرا كان لكم ذلك وعدى تفعلوا بالى لتضمنه معنى تدخلوا
واراد بالمعروف الوصية للذين يتولونه من المعاقدين يعني ان اوصيتم فغير الوارثين
اولى وان لم توصوا فالوارثون اولى بميراثكم وذلك ان الله لما نسخ التوارث بالحلف
والهجرة اباح ان يوصي لمن يتولاه بما احب من ثلثه قال مجاهد اراد بالمعروف النصرة
وحفظ الحرمة بحق الايمان والهجرة يعني واولوا الارحام من المومنين والمهاجرين بعضهم
اولى ببعض اي لا توارث بين المسلم والكافر ولا بين المهاجر وغير المهاجر الا ان تفعلوا الى
اوليايكم معروفا اي الا ان توصوا لذوي قراباتكم بشي وان كانوا من غير اهل الايمان
والهجرة وهذا قول عطا وقتادة وعكرمة **فان قيل** اي تعلق للميراث والوصية
بما تقدم فالجواب قال ابن الخطيب وجوابه من وجهين احدهما ان غير النبي في حال
حيوته لا يصير له مال الغير وبعد وفاته لا يصير ما له لغير ورثته والنبي عليه السلام في حال
حيوته كان يصير له مال الغير اذا اراده ولا يصير ما له لورثته بعد وفاته فكان الله
تعالى عوض النبي عن قطع ميراثه بعده بان له تملك مال الغير وعوض المومنين بان ما
تركه النبي يرجع اليهم حتى لا يكون حرج على المومنين في ان النبي عليه السلام اذا اراد شيا
يصير له ثم يموت ويبقى لورثته فيفوت عليهم ولا يرجع اليهم فقال الله تعالى واولوا
الارحام بعضهم اولى ببعض يعني ان التوارث بينكم فيصير مال احدكم لغيره بالارث
والنبي لا توارث بينه وبين اقاربه فينبغي ان يكون له بدل هذا وهو انه اولى في حياته
بما في ايديكم الثاني ان الله تعالى ذكر دليلا على ان النبي عليه السلام اولى بالمومنين
وهو ان اولي الارحام بعضهم اولى ببعض ثم ان اراد احد برصديقه فيوصي له بشي فيصير
اولى من قريبه فكانه بالوصية قطع الارث وقال هذا امالي لا ينتقل عني الا الى من اريده
فكذلك جعل الله تعالى لصديقه من الدنيا ما اراده ثم ما يفضل منه يكون لغيره ثم قال
كان ذلك في الكتاب مسطورا مكتوبا قال القرطبي اراد بالكتاب التورية وقيل القران
وهو اية المواريث والوصية وقيل اللوح المحفوظ **قوله** واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم
الاية وجه تعلق هذه الاية بما قبلها هو ان الله تعالى لما امر النبي عليه السلام بالاتقا وقال
يا ايها النبي اتق الله واكده بالحكاية التي خشي فيها الناس لكي لا يخشى احدا غيره وبين انه لم يرتكب
امرا يوجب الخشية بقوله النبي اولى بالمومنين من انفسهم واكده بوجه اخر فقال واذ
اخذنا كانه قال اتق الله ولا تخف احدا واذكر ان الله اخذ ميثاق النبيين في انهم يبلغون
رسالات الله ولا يمنعهم من ذلك خوف ولا طمع والمراد من الميثاق الماخوذ من النبيين
ارسالهم وامرهم بالتبليغ وان يصدق بعضهم بعضا قال مقاتل اخذنا ميثاقهم على ان
يعبدوا الله ويدعوا الى عبادته ويصدق بعضهم بعضا وينصحوا لقومهم **قوله** واذ
يجوز فيه وجهان احدهما ان يكون منصوبا باذكر اي واذكر اذ اخذنا والثاني ان يكون
معطوفا على محل في الكتاب فيعمل فيه مسطورا اي كان هذا الحكم مسطورا في الكتاب ووقت
اخذنا **قوله** ومنك ومن نوح وابرهيم وموسى وعيسى بن مريم خص هولاء الخمسة بالذكر
من بين النبيين لانهم اصحاب الكتب والشرايع واولوا العزم من الرسل وقدم النبي صلى الله عليه
وسلم لقوله عليه السلام كنت اول النبيين في الخلق واخرهم في البعث قال قتادة وذلك
قول الله عز وجل واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح فبدا به صلى الله عليه وسلم
قال ابن الخطيب وخص بالذكر اربعة من الانبيا وهم نوح وابرهيم وموسى وعيسى لان موسى
وعيسى كان لهم في زمان نبينا قوم وامة فذكرهما احتجاجا على قومهما وابرهيم كانت العرب

يقولون بفضله وكانوا يتبعونه في الشعاير ونوحا لانه كان اصلا ثانيا للناس حيث وجد الخلق منه بعد الطوفان وعلى هذا لو قال قابيل قال آدم كان اولى بالذكر من نوح فنقول خلق آدم كان للعمارة ونبوته كانت مثل الارشاد للاولاد ولهذا لم يكن في زمانه اهلاك قوم ولا تعذيب واما نوح فكان مخلوقا للنبوة وارسل للانذار ولهذا اهلك قومه واغرقوا واما ذكر عيسى بقوله عيسى ابن مريم والمسيح بن مريم فهو اشارة الى انه لا اب له اذ لو كان لوقع التعريف به **قوله** ميثاقا غليظا هو الاول وانما كرر لزيادة صفته وايذانا بتوكيده قال المفسرون عهدا شديدا على الوفا بما حملوا **قوله** ليسال فيها وجهان احدهما انها لام كي اي اخذنا ميثاقهم ليسال المومنين عن صدقهم والكافرين عن تكذيبهم فاستغنى عن الثاني بذكر مسببه وهو قوله واعد ومفعول صدقهم محذوف اي صدقهم عهدهم ويجوز ان يكون صدقهم في معنى تصديقهم ومفعوله محذوف ايضا اي عن تصديقهم الانبيا **قوله** واعد يجوز فيه وجهان احدهما ان يكون معطوفا على ما دل عليه ليسال الصادقين اذ التقدير فاثاب الصادقين واعد للكافرين والثاني انه معطوف على اخذنا لان المعنى ان الله اكد على الانبيا الدعوة الى دينه لاثابة المومنين واعد للكافرين وقيل انه قد حذف من الثاني ما اثبت مقابله في الاول ومن الاول ما اثبت مقابله في الثاني والتقدير ليسال الصادقين عن صدقهم فاثابهم ويسال الكافرين عما اجابوا به رسلهم واعد للكافرين عذابا اليما **فصل** قال المفسرون المعنى اخذنا ميثاقهم لكي يسال الصادقين عن صدقهم يعني النبيين عن تبليغهم الرسالة والحكمة في سوالهم مع علمه انهم صادقون تبكيت من ارسلوا اليهم وقيل ليسال الصادقين عن علمهم لله عز وجل وقيل ليسال الصادقين بافواههم عن صدقهم بقلوبهم **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم الاية وهذا تحقيق لما سبق من الامر بتقوى الله بحيث لا يبقى معه خوف من احد وذلك حين حوصر المسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ايام الخندق واجتمع الاحزاب واشتد الامر على الاصحاب حيث اجتمع المشركون باسرهم واليهود باجمعهم ونزلوا على المدينة وعمل النبي صلى الله عليه وسلم الخندق وكان الامر في غاية الشدة والخوف بالغا الى الغاية والله دفع القوم عنهم من غير قتال وآمنهم من الخوف فينبغي ان لا يخاف العبد غير ربه فانه القادر على كل الممكنات فكان قادرا على ان يقهر المسلمين بالكفار مع انهم ضعفا كما قهر الكافرين بالمومنين مع قوتهم وشوكتهم **قوله** اذ جاءتكم يجوز ان يكون منصوبا بنعمة اي النعمة الواقعة في ذلك الوقت ويجوز ان يكون منصوبا باذكروا على ان يكون بدلا من نعمة بدل اشتمال والمراد بالجنود الاحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير فارسلنا عليهم ريحا وهي الصبا قال عكرمة قالت الجنوب للشمال ليلة الاحزاب انطلقي ننصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الشمال ان الحرة لا تسري بالليل فكانت الريح التي ارسلت عليهم الصبا وروى مجاهد عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور **قوله** وجنودا لم تروها قرا الحسن وجنودا بفتح الجيم والعامة بضمها وجنودا عطف على ريحا ولم تروها صفة لهم وروي عن ابي عمرو وابي بكر لم يروها بالياء وهم الملائكة ولم تقاتل الملائكة يومئذ فبعث الله عليهم تلك الليلة ريحا باردة فقلعت الاوتاد وقلعت اطناب الفساطيط واطفات النيران واكفات القدور وجالت الخيل بعضها في بعض وكثر تكبير الملائكة في جوانب عسكرهم حتى كان سيد كل حي يقول يا بني فلان هلم الي فاذا اجتمعوا عنده قال النجا النجا اتيتم لما بعث الله عليهم من الرعب

فانهزموا

فانهزموا من غير قتال وكان الله بما يعملون بصيرا وهذا اشارة الى ان الله علم التجاءكم اليه ورجاءكم فضله فنصركم على الاعدا عند الاستعداد والقصة مشهورة **قوله** اذ جاءوكم بدل من اذ الاولى **والحناجر** جمع حنجرة وهي راس الغلصمة والغلصمة منتهى الحلقوم والحلقوم مجرى الطعام والشراب وقيل الحلقوم مجرى النفس والمري مجرى الطعام والشراب وهو تحت الحلقوم وقال الراغب راس الغلصمة من خارج **قوله** الظنونا قرا نافع وابن عامر وابو بكر باثبات الف بعد نون الظنون ولام الرسول في قوله واطعنا الرسولا ولام السبيل في قوله فاضلونا السبيلا وصلا ووقفا موافقة للرسم لانهن رسمن في المصحف كذلك وايضا فان هذه الالف تشبه هاء السكت لبيان الحركة وهاء السكت تثبت وقفا للحاجة اليها وقد تثبت وصلا اجرا للوصل مجرى الوقف كما تقدم في البقرة والانعام فكذلك هذه الالف وقرا ابو عمرو وحمزة بحذفها في الحالين لانها لا اصل لها وقولهم اجريت الفواصل مجرى القوافي غير معتد به لان القوافي يستلزم الوقف عليها غالبا والفواصل لا يلزم ذلك فيها فلا تشبه بها والباقون باثباتها وقفا وحذفها وصلا اجرا للفواصل مجرى القوافي في ثبوت الف الاطلاق كقوله ◦ استاثر الله بالوفاء وبالعدل وولى الملامة الرجلا ◦ وقوله ◦ اقلي اللوم عاذل والعتابا ◦ وقولي ان اصبت لقد اصابا ◦ ولانها كهاء السكت وهي تثبت وقفا وتحذف وصلا قال ابن ذهاب الذين كذا يقولون تشبيها للفواصل بالقوافي لا احب هذه العبارة فانها منكرة لفظا ولا خلاف في قوله وهو يهدي السبيل انه بغير الف في الحالين **فصل** المعنى اذ جاءوكم من فوقكم اي من فوق الوادي من قبل المشرق وهم اسد وغطفان ومنهم طليحة بن خويلد الاسدي في بني اسد وحيي بن اخطب في بني قريظة ومن اسفل منكم اي من بطن الوادي من قبل المغرب وهم قريش وكنانة عليهم ابو سفيان بن حرب ومن معه وابو الاعور بن سفيان السلمي من قبل الخندق وكان الذي جر غزوة الخندق فيما قيل اجلاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بني النضير من ديارهم واذ زاغت الابصار مالت وشخصت من الرعب وقيل مالت عن كل شي فلم تنظر الا الى عدوها وبلغت القلوب الحناجر زالت عن اماكنها حتى بلغت الحلوق من الفزع وهذا على التمثيل عبر به عن شدة الخوف قال الفرا معناه انهم جبنوا وسبيل الجبان اذا اشتد خوفه ان تنتفخ رئته فاذا انتفخت الرية رفعت القلب الى الحنجرة ولهذا يقال للجبان انتفخ سحره لان القلب عند الغضب يندفع وعند الخوف يجتمع فيتقلص بالحنجرة وقد يفضي الى ان يسد مخرج النفس فلا يقدر المرء يتنفس ويموت من الخوف وتظنون بالله الظنونا هو اختلاف الظنون فظن المنافقون استيصال محمد واصحابه وظن المومنون النصر والظفر لهم **فان قيل** المصدر لا يجمع فما الفائدة في جمع الظنون فالجواب لا شك انه منصوب على المصدر ولكن الاسم قد يجعل مصدرا كما يقال ضربته سياطا واديته مرارا فكانه قال ظننتم ظنا بعد ظن اي ما ثبتم على ظن وفايدته ان الله تعالى لو قال تظنون ظنا جاز ان يكونوا مصيبين فاذا قال ظنونا بين ان فيهم من كان ظنه كاذبا لان الظنون قد تكذب كلها وقد يكذب بعضها اذا كانت في امر واحد كما اذا راى جمع جسما من بعيد وظنه بعضهم انه زيد واخرون انه عمرو واخرون انه بكر ثم ظهر لهم الحق وقد يكونوا كلهم مخطئين والمرئي حجرا وشجر وقد يكون احدهم مصيبا ولا يمكن ان يكونوا كلهم مصيبين في ظنونهم فقوله الظنون افادنا ان فيهم من اخطا الظن ولو قال تظنون بالله ظنا ما كان يفيد هذا والالف واللام في الظنون يمكن ان يكون للاستغراق مبالغة بمعنى تظنون كل ظن لان عند الامر العظيم كل احد يظن شيئا ويمكن ان يكون

الالف واللام للعهد اي ظنونهم المعهودة لان المعهود من المومن ظن الخير بالله كما قال النبي عليه
السلام ظنوا بالله خيرا ومن الكافر ظن السوء كقوله تعالى ذلك ظن الذين كفروا وقوله ان يتبعون
الا الظن **قوله** هنالك منصوب بابتلي وقيل بتظنون واستضعفه ابن عطية وفيه وجهان
اظهرهما انه ظرف مكان بعيد اي في ذلك المكان الدحض وهو الخندق والثاني انه ظرف زمان
وانشد بعضهم على ذلك ٭ واذا الامور تعاظمت وتشاكلت فهناك يعترفون اين المفزع ٭
قوله وزلزلوا قرا العامة بضم الزاي الاولى وكسر الثانية على اصل ما لم يسم فاعله وروى
غير واحد عن ابي عمرو كسر الاولى وروى الزمخشري عنه اشمامها كسرا ووجه هذه القراءة ان يكون
اتبع الزاي الاولى للثانية في الكسر ولم يعتد بالساكن لكونه غير حصين كقولهم منتن بكسر
الميم والاصل ضمها **قوله** زلزالا مصدر مبين للنوع بالوصف والعامة على كسر الزاي وعيسى
والجحدري فتحاها وهما لغتان في مصدر الفعل المضعف اذا جاء على فعلال نحو زلزال وقلقال
وصلصال وقد يراد بالمفتوح اسم الفاعل نحو صلصال بمعنى مصلصل وزلزال بمعنى مزلزل
فصل قال المفسرون معنى ابتلي المومنون اختبر المومنون بالحصر والقتال ليتبين
المخلص من المنافق والابتلاء من الله ليس لانه الامر له بل لحكمة اخرى وهو ان الله تعالى عالم بما
هم عليه لكنه اراد اظهار الامر لغيره من الملايكة والانبيا كما ان السيد اذا علم من عبده المخالفة
وعزم على معاقبته على مخالفته وعنده غيره من العبيد او غيرهم فيامره بامر عالما
بانه يخالف لكي يتبين الامر عند الغير فتقع المعاقبة على احسن الوجوه حيث لا يتوهم احد انه
يظلم وقوله وزلزلوا زلزالا شديدا اي ازعجوا وحركوا حركة شديدة فمن ثبت منهم
كان من الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ثم قال واذ يقول المنافقون معتب بن
قشير وقيل عبد الله بن ابي واصحابه والذين في قلوبهم مرض شك وضعف اعتقاد
ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وهذا تفسير للظنون وبيان لها فظن المنافقون
ان ما قال الله ورسوله كان زورا ووعدهما كان غرورا حيث ظنوا بان الغلبة واقعة
لهم بعد ما جاء محمد فتح قصور الشام وفارس واحدنا لا يستطيع ان يتجاوز رحله هذا والله
الغرور **قوله** واذ قالت طايفة منهم اي من المنافقين وهم اوس بن قيظي واصحابه
يا اهل يثرب يعني المدينة قال ابو عبيد يثرب اسم ارض ومدينة الرسول صلى الله
عليه وسلم في ناحية منها وفي بعض الاخبار ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى ان تسمى المدينة
يثرب وقال هي طابة كانه كره هذه اللفظة وقال اهل اللغة يثرب اسم المدينة وقيل
اسم البقعة التي فيها المدينة وامتناع صرفها اما للعلمية والوزن او للعلمية والتانيث
واما يترب بالتاء المثناه وفتح الرا فموضع اخر باليمن قال الشاعر ٭
٭ وعدت وكان الخلف منك سجية ٭ مواعيد عرقوب اخاه بيترب ٭ وقال
٭ وقد وعدتك موعد الوقت ٭ مواعد عرقوب اخا بيترب ٭ **قوله** لا مقام لكم قرا حفص
وابو عبد الرحمن السلمي بضم الميم ونافع وابن عامر بضم ميمه ايضا في الدخان في قوله ان المتقين
في مقام ولم يختلف في الاول انه بالفتح ومقام كريم والباقون بفتح الميم في الموضعين والضم
والفتح مفهومان من سورة مريم عند قوله خير مقاما فمعنى الفتح لا مكان لكم تنزلون وتقيمون
فيه ومعنى الضم لا اقامة لكم فارجعوا الى منازلكم عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وقيل عن القتال
الى منازلكم ويستاذن فريق منهم النبي وهم بنو حارثة وبنو سلمة يقولون ان بيوتنا عورة اي خالية
ضايعة وهي مما يلي العدو ونخشى عليها السراق **قوله** عورة اي ذات عورة وقيل منكشفة
اي قصيرة الجدران للسارق قال الشاعر ٭ له الشدة الاولى اذا القرن اعورا ٭ وقرا ابن

عباس وابن يعمر وقتادة وابو رجا وابو حيوة واخرون عورة بكسر الواو وكذلك وما هي بعورة
وهي اسم فاعل يقال عور المنزل يعور عورا وعورة فهو عور وبيوت عورة قال ابن جني تصحيح
الواو شاذ يعني حيث تحركت وانفتح ما قبلها ولم تقلب الفا وفيه نظر لان شرط ذلك في الاسم
الجاري على الفعل ان يعتل فعله نحو مقام ومقال واما هذا ففعله صحيح نحو عور وايضا صح
الفعل وان كان فيه مقتضي الاعلال لمدرك اخر وهو انه في معنى ما لا يعل وهو اعور ولذلك
لم يتعجب من عور ونابه واعور المنزل بدت عورته واعور الفارس بدا منه خلل للضرب
قال الشاعر ٭ متى تلقهم لم تلق في البيت معورا ٭ ولا الضيف مفجوعا ولا الجار مرسلا ٭
ثم كذبهم الله تعالى فقال وما هي بعورة ان يريدون ما يريدون الا فرارا **قوله**
ولو دخلت عليهم من اقطارها اي ولو دخل عليهم المدينة او البيوت يعني هولا الجيوش الذين
يريدون قتالهم وهم الاحزاب من اقطارها جوانبها ونواحيها والاقطار جمع قطر بضم القاف
وهو الناحية وفيه لغة قتر واقتار بالتا والقطر الجانب ايضا ومنه قطرته اي القيته
على قطره فتقطر اي وقع عليه قال ٭ قد علمت سلمى وجاراتها ما قطر الفارس الا انا ٭
وفي المثل الانفاض تقطر الجلب تفسيره ان القوم اذا انفضوا اي فني زادهم احتاجوا
الى جلب الابل فسمي القطر قطرا لسقوطه **قوله** ثم سيلوا قرا مجاهد سويلوا بواو ساكنة
ثم يا مكسورة كقوتلوا حكى ابو زيد هما يتساولان بالواو والحسن سولوا بواو ساكنة فقط فاحتملت
وجهين احدهما ان يكون اصلها سيلوا كالعامة ثم خففت الكسرة فسكنت كقولهم في ضرب
بالكسر ضرب بالسكون فسكنت الهمزة بعد ضمة فقلبت واوا نحو بوس في بؤس والثاني ان يكون
من لغة الواو ونقل عن ابي عمرو انه قرا سيلوا بيا ساكنة بعد كسرة نحو قيلوا **قوله** لاتوها قرا
نافع وابن كثير بالقصر بمعنى لجاوها وغشوها والباقون بالمد بمعنى لاعطوها ومفعوله
الثاني محذوف تقديره لاتوها السايلين والمعنى ولو دخلت البيوت او المدينه من جميع
نواحيها ثم سيل اهلها الفتنة لم يمتنعوا من اعطايها وقراة المد تستلزم قراة القصر من غير
عكس هذا المعنى الخاص **قوله** الا يسيرا اي الا لبثا او الا زمانا يسيرا وكذلك قوله
الا قليلا اي الا تمتعا او الا زمانا قليلا **فصل** دلت الاية على ان ذلك الفرار
والرجوع ليس لحفظ البيوت لان من يفعل فعلا لغرض فاذا فاته الغرض لا يفعله فقال
تعالى عنهم قالوا بان رجوعنا عنك لحفظ بيوتنا ولو دخلها الاحزاب واخذوها منهم لرجعوا
ايضا فليس رجوعهم عنك الا بسبب كفرهم وحبهم الفتنة وهي الشرك وما تلبثوا بها اي ما لبثوا
بالمدينة او البيوت الا يسيرا وان المومنين يخرجونهم قاله الحسن وقيل ما تلبثوا اي ما
احتبسوا عن الفتنة وهي الشرك الا يسيرا ولا سرعوا الاجابة الى الشرك طيبة به انفسهم وهذا قول
اكثر المفسرين **قوله** ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل اي من قبل غزوة الخندق لا يولون
الادبار عدوهم اي لا ينهزمون قال يزيد بن رومان هم بنو حارثة هموا يوم الخندق ان
يفشلوا مع بني سلمة فلما نزل فيهم ما نزل عاهدوا الله ان لا يعودوا لمثلها وقال قتادة هم
ناس كانوا قد غابوا عن وقعة بدر وراوا ما اعطى الله اهل بدر من الكرامة والفضيلة وقالوا
لين اشهدنا الله قتالا لنقاتلن فساق الله اليهم ذلك وقال مقاتل والكلبي هم سبعون رجلا
جاوا بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وقالوا اشترط لنفسك ولربك ما شيت
فقال النبي صلى الله عليه وسلم اشترط لربي ان تعبدوه ولا تشركوا به شيا واشترط لنفسي ان تمنعوني
مما تمنعون منه انفسكم وازواجكم واولادكم قالوا واذا فعلنا ذلك فما لنا يا رسول الله قال لكم
النصر في الدنيا والجنة في الاخرة قالوا قد فعلنا فذلك عهدهم وهذا القول ليس بمرضي لان الذين

بايعوا ليلة العقبة كانوا سبعين لم يكن فيهم شاك ولا من يقول مثل هذا القول وانما الاية في
قوم عاهدوا الله ان يقاتلوا ولا يفروا فنقضوا العهد وهذا بيان لفساد سريرتهم وقبح سيرتهم
لنقضهم العهود فانهم قبل ذلك تخلفوا واظهروا اعذارا وندموا ثم عاهدوا بقوله وكان عهد الله
مسؤلا اي مسؤلا عنه **قوله** لا يولون جواب لقوله عاهدوا لانه في معنى اقسموا وجا على حكاية
اللفظ فجا بلفظ الغيبة ولو جا على حكاية المعنى لقيل لا نولي والمفعول الاول محذوف اي لا يولون
العدو الادبار وقال ابو البقا ويقرا بتشديد النون وحذف الواو وعلى تاكيد جواب القسم
قال شهاب الدين ولا اظن هذا الا غلطا منه وذلك انه اما ان يقرا مع ذلك بلا النافية
او بلا الناهية والاول لا يجوز لان المضارع المنفي بلا لا يوكد بالنون الا ما ندر مما لا يقاس عليه
والثاني فاسد المعنى **قوله** ان فررتم جوابه محذوف لدلالة النفي قبله عليه عند من يرى
ذلك **قوله** واذن لا تمتعون اذن جواب وجزا ولما وقعت بعد عاطف جاءت على الاكثر
وهو عدم اعمالها ولم يشذ هنا ما شذ في الاسرا فلم يقرا بالنصب والعامة على الخطاب في تمتعون
وقرئ بالغيبة **فصل** المعنى قل لهم لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل
الذي كتب عليكم لان من حضر اجله مات او قتل واذن لا تمتعون الا قليلا اي لا تمتعون بعد
الفرار الا مدة اجالكم وهي قليل وهذا اشارة الى ان الامور مقدرة لا يمكن الفرار مما قدره
الله لانه كاين لا محالة فلو فررتم لما دمتم بل لا تمتعون الا قليلا وهو ما بقي من اجالكم فالعاقل
لا يرغب في شي قليل يفوت عليه شيا كثيرا **قوله** من ذا الذي تقدم في البقرة قال
الزمخشري فان قلت كيف جعلت الرحمة قرينة السو في العصمة ولا عصمة الا من السو قلت
معناه او يصيبكم بسو ان اراد بكم رحمة فاختصر الكلام واجري مجرى قوله ٭
٭ متقلدا سيفا ورمحا ٭ او حمل الثاني على الاول لما في العصمة من معنى المنع قال ابو حيان
واما الوجه الاول ففيه حذف جملة لا ضرورة تدعو الى حذفها والثاني هو الوجه لا سيما
اذا قدر مضاف محذوف اي يمنعكم من مراد الله قال شهاب الدين واين الثاني من الاول
ولكان معه حذف جمل **فصل** المعنى من ذا الذي يمنعكم من الله ان اراد بكم سوا
هزيمة او اراد بكم رحمة نصرة وهذا بيان لما تقدم من قوله لن ينفعكم الفرار وقوله
ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا تقرير لقوله من ذا الذي يعصمكم اي ليس لكم
ولي شفيع اي قريب ينفعكم ولا نصير ينصركم ويدفع عنكم السوا ذا اتاكم **قوله** قد
يعلم الله المعوقين منكم المثبطين الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والقايلين لاخوانهم
هلم الينا ارجعوا الينا ودعوا محمدا فلا تشهدوا معه الحرب فانا نخاف عليكم الهلاك قال
قتادة هم ناس من المنافقين كانوا يثبطون انصار النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا يقولون
لاخوانهم ان محمدا واصحابه لو كانوا لحما لالتهمهم اي ابتلعهم ابو سفيان واصحابه دعوا الرجل
فانه هالك وقال مقاتل نزلت في المنافقين وذلك ان اليهود ارسلوا الى المنافقين قالوا
ما الذي يحملكم على قتل انفسكم بيد ابي سفيان ومن معه فانهم ان قدروا عليكم في هذه المرة
لم يستبقوا منكم احدا وانا نشفق عليكم انتم اخواننا وجيراننا هلم الينا فاقبل عبد الله بن ابي
واصحابه على المؤمنين يعوقونهم ويخوفونهم بابي سفيان ومن معه قالوا لئن قدروا عليكم لم يستبقوا
منكم احدا ما ترجون من محمد ما عنده خير ما هو الا ان يقتلنا ههنا انطلقوا بنا الى اخواننا
يعني اليهود فلم يزدد المؤمنون بقول المنافقين الا ايمانا واحتسابا **قوله** هلم تقدم
الكلام فيه اخر الانعام وهو هنا لازم وهناك متعد لنصبه مفعوله وهو شهداكم بمعنى احضروهم
وههنا بمعنى احضروا وتعالوا وكلام الزمخشري هنا موذن بانه متعد ايضا وحذف مفعوله

فانه

فانه لو قال وهلموا الينا اي قربوا انفسكم الينا قال وهي صوت سمي به فعل متعد مثل احضر
وقرب وفي تسميته اياه صوتا نظر اذ اسما الاصوات محصورة ليس هذا منها ولا يجمع في لغة
الحجاز ويجمع في غيرها فيقال للجماعة هلموا وللنسا هلممن **قوله** ولا ياتون الباس الحرب
الا قليلا ريا وسمعة اي لا يقاتلون معكم ويتعللون عن الاشتغال بالقتال وقت الحضور
معكم ولو كان ذلك القليل لله لكان كثيرا **قوله** اشحة العامة على نصبه وفيه وجهان
احدهما انه منصوب على الشتم والثاني على الحال وفي العامل فيه اوجه احدها ولا ياتون قاله
الزجاج الثاني هلم الينا قاله الطبري الثالث يعوقون مضمرا قاله الفرا الرابع المعوقين
الخامس القايلين ورد هذان الوجهان الاخيران بان فيهما الفصل بين ابعاض الصلة باجنبي
وفي الرد نظر لان الفاصل بين ابعاض الصلة من متعلقاتها وانما يظهر الرد على الوجه
الرابع لانه قد عطف على الموصول قبل تمام صلته فتامله فانه حسن واما ولا ياتون فمعترض
والمعترض لا يمنع من ذلك وقرا ابن ابي عبلة اشحة بالرفع على خبر ابتدا مضمر اي هم اشحة
واشحة جمع شحيح وهو جمع لا ينقاس اذ قياس فعيل الوصف الذي عينه ولامه من واد
واحد ان يجمع على افعلا نحو خليل واخلا وظنين واظنا وضنين واضنا وقد سمع اشحا وهو
القياس والشح البخل وتقدم في ال عمران **فصل** المعنى اشحة عليكم بخلا بالنفقة في
سبيل الله والنصرة وقال قتادة بخلا عند الغنيمة وصفهم الله بالبخل والجبن فقال فاذا
جا الخوف رايتهم ينظرون اليك تدور اعينهم في الروس من الخوف والجبن كالذي يغشى عليه من
الموت اي كدوران عين الذي يغشى عليه من الموت وذلك ان من قرب من الموت وغشيته
اسبابه يذهب عقله ويشخص بصره فلا يطرف واعلم ان البخل سبب الجبن فلما ذكر البخل
بين سببه وهو الجبن لان الجبان يبخل بماله ولا ينفقه في سبيل الله لانه لا يتوقع الظفر فلا
يرجو الغنيمة فيقول هذا انفاق لا بدل له فيتوقف فيه واما الشجاع فيتيقن الظفر والاغتنام
فيهون عليه اخراج المال في القتال طمعا فيما هو اضعاف ذلك **قوله** ينظرون في محل حال
من مفعول رايتهم لان الروية بصرية **قوله** تدور اما حال ثانية واما حال من ينظرون
قوله كالذي يغشى يجوز فيه ثلاثة اوجه احدها ان يكون حالا من اعينهم اي تدور اعينهم
حال كونها مشبهة عين الذي يغشى عليه من الموت الثاني انه نعت مصدر مقدر لقوله
ينظرون تقديره ينظرون اليك نظرا مثل نظر الذي يغشى عليه من الموت ويويده الاية
الاخرى ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت الثالث انه نعت لمصدر مقدر ثانيا لتدور
اي دورانا مثل دوران عين الذي وهو على الوجهين مصدر تشبيهي **قوله** فاذا ذهب
الخوف سلقوكم اي اذوكم ورموكم في حالة الامن بالسنة حداد ذربة جمع حديد يقال
للخطيب الفصيح الذرب اللسان مسلق ومصلق وسلاق وصلاق قال الشاعر ٭
٭ فصلقنا في مراد صلقة وصدا الحقتهم بالثلل ٭ وقال ابن عباس سلقوكم اي عضهوكم
وتناولوكم بالنقص والغيبة وقال قتادة بسطوا السنتهم فيكم وقت قسمة الغنيمة
ويقولون اعطونا فانا شهدنا معكم القتال ولستم باحق بالغنيمة منا فهم عند الغنيمة
اشح قوم وعند الباس اجبن قوم **فصل** يقال سلقه اي اجترا عليه في خطابه
وخاطبه مخاطبة بليغة واصله البسط ومنه سلق امراته اي بسطها وجامعها قال
مسيلمة لسجاح لعنهما الله تعالى ٭ الا هبي الى المخدع فان شيت سلقناك وان شيت على اربع ٭
والسليقة الطبيعة البائنة والسليق المطمئن من الارض **واشحة** نصب على الحال
من فاعل سلقوكم وابن ابي عبلة بالرفع على ما تقدم في اخته وقوله على الخير قيل الخير المال

اي عند الغنيمة يشاحون المؤمنين ويمكن ان يقال معناه انهم قليلو الخير في الحالين كثيرو
الشر في اليومين في الاول بخلون وفي الاخر كذلك **قوله** اولئك لم يؤمنوا فاحبط الله اعمالهم
اي لم يؤمنوا حقيقة وان اظهروا الايمان لفظا فاحبط الله اعمالهم التي كانوا ياتوا بها مع
المسلمين وقال مقاتل ابطل الله جهادهم وكان ذلك على الله يسيرا وهذا اشارة الى ما يكون
في نظر الناظر كقوله تعالى وهو اهون عليه **قوله** يحسبون يجوز ان يكون مستانفا اي هم من
الخوف بحيث انهم لا يصدقون ان الاحزاب قد ذهبوا عنهم ويجوز ان يكون حالا من احد الضماير
المتقدمة اذا صح المعنى بذلك ولو بعد العامل قاله ابو البقا **فصل** المعنى يحسبون
الاحزاب يعني قريشا وغطفان واليهود لم يذهبوا لم ينصرفوا عن قتالهم من غاية الجبن عند
ذهابهم كانهم غايبون حيث لا يقاتلون كقوله تعالى ولو كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلا
وان يات الاحزاب اي يرجعون اليهم للقتال بعد الذهاب يودوا لو انهم بادون في الاعراب
اي يتمنوا لو كانوا في بادية مع الاعراب من الخوف والجبن **قوله** بادون هذه قراة العامة
جمع باد وهو المقيم بالبادية يقال بدا يبدو بداوة اذا خرج الى البادية وقرا عبد الله
وابن عباس وطلحة وابن يعمر بدى بضم البا وتشديد الدال مقصورا كغاز وغزى وسار
وسرى وليس بقياس وانما قياسه في التكسير بداة كقاض وقضاة ولكن حمل على الصحيح كقولهم
ضرب وروي عن ابن عباس انه قراة ثانية بدي بزنة عدي وثالثة بدوا فعلا ماضيا **قوله**
يسالون يجوز ان يكون مستانفا وان يكون حالا من فاعل يحسبون والعامة على سكون
السين بعدها همزة ونقل ابن عطية عن ابي عمرو وعاصم بنقل حركة الهمزة الى السين كقوله
سل بني اسرايل وهذه ليست بالمشهورة عنهما ولعلها نقلت عنهما شاذة وانما هي معروفة
بالحسن والاعمش وقرا زيد بن علي والجحدري وقتادة والحسن يساءلون بتشديد السين والاصل
يتساءلون فادغم اي يسال بعضهم بعضا **فصل** يسالون عن انبايكم اخباركم وما
آل اليه امركم ولو كانوا يعني هولا المنافقين فيكم ما قاتلوا الا قليلا اي يقاتلون قليلا
يقيمون به عذرهم فيقولون قد قاتلنا قال الكلبي الا قليلا اي رميا بالحجارة وقال
مقاتل الا رياء وسمعة من غير احتساب **قوله تعالى** لقد كان لكم في رسول الله
اسوة حسنة قرا عاصم اسوة بضم الهمزة حيث وقعت هذه اللفظة والباقون بكسرها وهما
لغتان كالعدوة والعدوة والقدوة والقدوة والاسوة بمعنى الاقتدا اي قدوة
صالحة وهي اسم وضع موضع المصدر وهو الايتسا فالاسوة من الايتسا كالقدوة من الاقتدا
وايتسى فلان بفلان اي اقتدى به واسوة اسم كان وفي الخبر وجهان احدهما هو لكم فيجوز في الجار
الاخر وجوه التعلق بما يتعلق به الخبر او بمحذوف على انه حال من اسوة اذ لو تاخر لكان صفة
او بكان على مذهب من يراه الثاني ان الخبر هو في رسول الله ولكم على ما تقدم في في رسول الله
او يتعلق بمحذوف على التبيين اعني لكم **قوله** لمن كان يرجوا فيه اوجه احدها انه بدل من
الكاف في لكم قاله الزمخشري ومنعه ابو البقا وتابعه ابو حيان قال ابو البقا وقيل
هو بدل من ضمير المخاطب باعادة الجار ومنع منه الاكثرون لان ضمير المخاطب لا يبدل منه
وقال ابو حيان قال الزمخشري بدل من لكم كقوله للذين استضعفوا لمن امن منهم قال
ولا يجوز على مذهب جمهور البصريين ان يبدل من ضمير المتكلم ولا من ضمير المخاطب بدل
شي من شي وهما لعين واحدة واجاز ذلك الكوفيون والاخفش وانشد
بكم قريش كفينا كل معضلة ... وام نهج الهدى من كان ضليلا
قال شهاب الدين
لا نسلم ان هذا بدل شي من شي وهما لعين واحدة بل بدل بعض من كل باعتبار الواقع لان

الخطاب

الخطاب في قوله لكم اعم من من كان يرجوا الله وغيره ثم خصص ذلك العموم لان المتاسي به عليه السلام في الواقع انما هم المؤمنون
ويدل على ما قلته ظاهر تشبيه الزمخشري هذه الاية باية الاعراف واية الاعراف البدل فيها بدل كل من كل ويجاب
بانه انما قصد التشبيه في مجرد اعادة العامل والثاني ان يتعلق بمحذوف على انه صفة لحسنة الثالث ان يتعلق
بنفس حسنة قالهما ابو البقا ومنع ان يتعلق باسوة قال لانها قد وصفت وكثيرا اي ذكرا كثيرا **فصل**
لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة اي قدوة صالحة ان ينصروا دين الله ويوازروا الرسول ولا يتخلفوا
عنه ويصبروا على ما يصيبهم كما فعل هو اذ كسرت رباعيته وجرح وجهه وقتل عمه واوذي بضروب من
الاذى فواساكم مع ذلك بنفسه فافعلوا انتم كذلك ايضا واستنوا بسنته لمن كان يرجوا الله واليوم
الاخر وهذا تخصيص بعد التعميم للمؤمنين يعني ان الاسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم لمن كان
يرجوا الله واليوم الاخر قال ابن عباس يرجوا ثواب الله وقال مقاتل يخشى الله واليوم الاخر اي يخشى
يوم البعث الذي فيه جزا الاعمال وذكر الله كثيرا في جميع المواطن على السرا والضرا ثم وصف حال
المؤمنين عند لقا الاحزاب فقال ولما راى المؤمنون الاحزاب لما بين حال المنافقين ذكر حال المؤمنين
وهو انهم لما راوا الاحزاب قالوا تسليما لامر الله وتصديقا بوعده وهو قولهم هذا ما وعدنا الله ورسوله
اي من الابتلاء ثم قالوا وصدق الله ورسوله في مقابلة قولهم وما وعدنا الله ورسوله الا غرورا
قولهم وصدق الله ليس اشارة الى ما وقع فانهم كانوا يعرفون صدق الله قبل الوقوع وانما هو اشارة
الى بشارة وهو انهم قالوا هذا ما وعدنا الله وقد وقع وصدق الله في جميع ما وعد فيقع الكل مثل فتح مكة وفتح
الروم وفارس وما زادهم الا ايمانا وتسليما عند وجوده ووعد الله اياهم ما ذكر في سورة البقرة ام حسبتم
ان تدخلوا الجنة الى قوله الا ان نصر الله قريب فالاية تتضمن ان المؤمنين يلحقهم مثل ذلك البلا فلما راوا
الاحزاب وما اصابهم من الشدة قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا
ايمانا وتسليما اي تصديقا لله وتسليما لامر الله **قوله** وصدق الله ورسوله من تكرير الظاهر تعظيما
كقوله اري الموت لا يسبق الموت شي ولانه لو اعادهما مضمرين لجمع بين اسم الباري تعالى واسم رسوله في
لفظة واحدة فكان يقال وصدقا والنبي صلى الله عليه وسلم قد كره ذلك ورد على من قاله حيث قال من يطع الله
ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال له بئس خطيب القوم انت قل ومن يعص الله ورسوله
قصدا الى تعظيم الله وقيل انما رد عليه لانه وقف على يعصهما وعلى الاول استشكل بعضهم قوله حتى يكون
الله ورسوله احب اليه مما سواهما فقد جمع بينهما في ضمير واحد واجيب بان النبي صلى الله عليه وسلم اعرف
بقدر الله منا فليس لنا ان نقول كما يقول **قوله** وما زادهم فاعل زادهم ضمير الوعد اي وما زادهم
وعد الله او الصدق وقال مكي ضمير النظر لان قوله لما راى بمعنى لما نظر وقال ايضا وقيل ضمير الرؤية
وانما ذكر لان تانيثها غير حقيقي ولم يذكر غيرهما وهذا عجيب منه حيث جعل اسما مع الغنية عنه
وقرا ابن ابي عبلة وما زادوهم بضمير الجمع ويعود للاحزاب لان النبي صلى الله عليه وسلم اخبرهم
ان الاحزاب تاتيهم بعد عشر او تسع **قوله** من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وفوا به
صدق واصدق يتعدى لاثنين لثانيهما بحرف الجر ويجوز حذفه ومنه المثل صدقني سن بكره اي في
سن والاية يجوز ان يكون من هذا والاول محذوف اي صدقوا الله فيما عاهدوا الله عليه ويجوز
ان يتعدى لواحد كقولك صدقني زيد وكذبني عمرو اي قال لي الصدق وقال لي الكذب
ويكون المعاهد عليه مصدوقا مجازا كانهم قالوا للشي المعاهد عليه لنوفين بك وقد فعلوا وما بمعنى الذي
ولذلك عاد عليها الضمير في عليه وقال مكي ما في موضع نصب بصدقوا وهي والفعل مصدر تقديره صدقوا
العهد اي وفوا به وهذا يرده عود الضمير الا ان الاخفش وابن السراج يذهبان الى اسمية المصدرية **قوله**
قضى نحبه النحب ما التزم الانسان واعتقد الوفا به قال عشية من الحارثيون بعد ما قضى نحبه
في ملتقى القوم هوبر وقال بطخفة جالدنا الملوك وخيلنا عشية بسطام جرين على نحب اي على

امر عظيم ولهذا يقال نحب فلان اى نذر نذرا التزمه ويعبر به عن الموت كقولهم قضى اجله لما كان الموت
لابد منه جعل كالشى الملتزم والنحيب البكا مع صوت والنحاب السعال فصل قال المفسرون معنى صدقوا
ما عاهدوا الله عليه اى وفوا بعهدهم الذى عاهدوا الله فمنهم من قضى نحبه اى فرغ من نذره ووفا بعهده
فصبر على الجهاد وقاتل حتى قتل والنحب النذر قال مقاتل قضى نحبه اجله فقيل على الوفاء يعنى حمزة واصحابه
وقيل قضى نحبه اى بذل جهده فى الوفا بالعهد من قول العرب نحب فلان فى سيره يومه وليلته اجمع اذا مد فلم ينزل
ومنهم من ينتظر الشهادة يعنى من بقى من المومنين ينتظرون احد امرين اما الشهادة او النصر وما بدلوا تبديلا
بخلاف المنافقين فانهم قالوا لا نولى الادبار وبدلوا فى قولهم وولوا ادبارهم قوله ليجزى الله فيها
وجهان احدهما انها لام العلة والثانى انها لام الصيرورة فيما يتعلق به اوجه اما بصدقوا واما بزادهم
واما بما بدلوا وعلى هذا قال الزمخشرى جعل المنافقون كانهم قصدوا عاقبة السوء وارادوها
بتبديلهم كما قصد الصادقون عاقبة الصدق بوفائهم لان كلى الفريقين مسوق الى عاقبة
من الثواب والعقاب فكانهما استويا فى طلبهما والسعى لتحصيلهما والمعنى ليجزى الله الصادقين بصدقهم
اى جزا صدقهم وهو الوفا بالعهد ويعذب المنافقين ان شا اى الذين كذبوا واخلفوا وقوله ان شا ذلك
فيمنعهم من الايمان او يتوب عليهم ان ارادوا وجواب ان شا مقدر وكذلك مفعول شا اى ان شا تعذيبهم عذبهم
فان قيل عذابهم متحتم فكيف يصح تعليقه على المشية وهو قد شا تعذيبهم اذا ماتوا على النفاق فاجاب
ابن عطية بان تعذيب المنافقين ثمرة ادامتهم الاقامة على النفاق الى موتهم والتوبة موازنة لتلك الاقامة
وثمرة التوبة تركهم دون عذاب فهما درجتان اقامة على نفاق او توبة منه وعنهما ثمرتان تعذيب او رحمة
فذكر تعالى على جهة الايجاز واحدة من هاتين وواحدة من هاتين ودل ما ذكر على ما ترك ذكره ويدل على ان
معنى قوله ليعذب ليديم على النفاق قوله ان شا ومعادلته بالتوبة وحرف او وقال ابو حيان وكان ما ذكر
يوول الى ان التقدير ليقيموا على النفاق فيموتوا عليه ان شا فيعذبهم او يتوب عليهم فيرحمهم فحذف سبب
التعذيب واثبت المسبب وهو التعذيب واثبت سبب الرحمة والغفران وحذف المسبب وهو الرحمة والغفران
وقال ابن الخطيب انما قال ذلك حيث لم يكن قد حصل ما بين النبى صلى الله عليه وسلم عن ايمانهم
وآمن بعد ذلك منهم ناس فكان الله غفورا حيث ستر ذنبهم ورحيما حيث رحمهم ورزقهم الايمان فيكون
هذا فيمن امن وبعد او نقول ويعذب المنافقين مع انه كان غفورا رحيما لكثرة ذنوبهم وقوة
جرمهم ولو كان دون ذلك لغفر لهم ثم بين بعض ما جزاهم الله على صدقهم فقال ورد الله الذين كفروا
بغيظهم وهم قريش وغطفان بغيظهم لم تشف صدورهم بنيل ما ارادوا لم ينالوا خيرا ظفرا وكفى الله
المومنين القتال بالملائكة والريح اى لم يحوجهم الى القتال وكان الله قويا فى ملكه غير محتاج الى قتالهم عزيزا
فى انتقامه قادرا على استيصال الكفار قوله بغيظهم يجوز ان تكون البا سببية وهو الذى عبر عنه ابو
البقا بالمفعول اى انها معدية والثانى ان تكون للمصاحبة فتكون حالا اى مغيظين قوله لم ينالوا خيرا حال
ثانية او حال من الحال الاولى فهى متداخلة ويجوز ان يكون حالا من الضمير المجرور بالاضافة وجوز الزمخشرى فيها
ان يكون بيانا للحال الاولى او مستانفة ولا يظهر البيان الا على البدل والاستيناف بعيد قوله وانزل
الذين اى وانزل الله الذين ظاهروهم اى عاونوا الاحزاب من قريش وغطفان على رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمسلمين وهم بنو قريظة قوله من اهل الكتاب بيان للموصول فيتعلق بمحذوف ويجوز ان يكون حالا وقوله من صياصيهم
متعلق بانزل ومن لابتدا الغاية والصياصى جمع صيصية وهى الحصون والقلاع والمعاقل ويقال لكل ما يمتنع
به ويتحصن صيصية ومنه قيل لقرن الثور والظبية الديك صيصيه والصياصى ايضا شوكة الحاكة ويتخذ
من حديد قال دريد بن الصمة كوقع الصياصى فى النسيج الممدد قوله وقذف فى قلوبهم الرعب حتى
سلموا انفسهم للقتل واولادهم ونساهم للسبى قوله فريقا تقتلون فريقا منصوب بما بعده وكذلك
فريقا منصوب بما قبله والجملة مبينة ومقررة لقذف الله الرعب فى قلوبهم والعامة على الخطاب فى الفعلين وابن

ذكوان فى رواية بالغيبة فيهما والثانى بالغيبة فى الاول فقط وابو حيوة تاسرون بضم السين فان قيل ما فايدة
تقديم المفعول فى الاول حيث قال فريقا تقتلون وتاخيره حيث قال وتاسرون فريقا فالجواب قال ابن الخطيب
ان يقال يبدا بالاهم فالاهم والاقرب فالاقرب والرجال كانوا مشهورين وكان القتل واردا عليهم والاسرا
كانوا هم النسا والذرارى ولم يكونوا مشهورين والسبى والاسر اظهر من القتل لانه يبقى فيظهر لكل احد
انه اسير فقدم من المحلين ما هو اشهر على الفعل القايم به ومن الفعلين ما هو اشهر على المحل الخفى ووجه اخر وهو
ان قوله فريقا تقتلون فعل ومفعول والاصل فى الجمل الفعلية تقديم الفعل على المفعول والفاعل لما ان الجملة
فعلية فالاسم لو كانت اسمية لكان الواجب فى فريق الرفع كانه يقول فريق منهم يقتلونهم فلما انتصب كان ذلك بفعل
مضمر يفسره الظاهر تقديره وتقتلون فريقا تقتلون والحاصل على مثل هذا الكلام شدة الاهتمام ببيان المفعول
وههنا كذلك لانه تعالى لما ذكر حال الذين ظاهروهم وانه قذف فى قلوبهم الرعب فلو قال تقتلون اوهم لمن يسمع
السامع مفعول تقتلون يكون زمان وقد يمنعه مانع فيفوته فلا يعلم انهم هم المقتولون فاما اذا قال فريقا سبق
فى قلوبهم الرعب الى سمعهم فيستمع الى تمام الكلام واذا كان الاول فعلا ومفعولا قدم المفعول لفايدة عطف
الجملة الثانية عليها على الاصل بتقديم الفعل الزوال الموجب للتقديم اذا عرف حالهم وما يجى بعده يكون مصروفا
اليهم فلو قال بعد الفعل ههنا اولى وكذا الكلام فى قوله ذلك وفريقا تاسرون فمن سمع فريقا ربما يظن انه
يقال فيهم يطلقونا ولا يقدرون عليهم فكان تقديم الفعل ههنا اولى وكذا الكلام فى قوله وانزل الذين وقوله
وقذف فان قذف الرعب قبل الانزال لان الرعب صار سبب الانزال ولكن لما كان المفرح فى انزالهم اكثر قدم
الانزال على قذف الرعب والله اعلم فصل فريقا يقتلون هم الرجال قيل كانوا ستمائة وتاسرون فريقا
وهم النساء والذرارى قيل كانوا سبع مائة وخمسين وقيل تسع مائة واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم
وارضا لم تطوها بعد قال ابن زيد ومقاتل يعنى خيبر وقال قتادة كنا نحدث انها مكة وقال الحسن فارس والروم
وقيل القلاع وقال عكرمة كل ارض تفتح الى يوم القيمة قوله لم تطوها الجملة صفة لارضا والعامة على همزة
مضمومة ثم واو ساكنة مضارع وطى وزيد بن على تطوها بواو بعد طا مفتوحة ووجهها انه ابدل الهمزة الفا
غير قياس كقوله ان الاسود لهدى خمر ابضها فلما اسند للواو التقى ساكنان فحذفت ولها نحو لم تروها وهنا
احسن من ان يقول ثم اجرى الالف المبدلة من الهمزة مجرى الالف المتاصلة فحذفها جزما لان الاحسن هناك
ان لا يحذف اعتدادا باصلها واستشهد بعضهم على الحذف بقول زهير جرى متى يظلم يعاقب بظلمه سريعا
والا يبد بالظلم يظلم قوله وكان الله على كل شى قديرا هذا يوكد قول من قال ان المراد من قوله وارضا
لم تطوها ما سيوجد بعد بنى قريظة لان الله تعالى لما ملككم تلك البلاد ووعدكم بغيرها دفع استبعاد من لا
يكون قوى الاتكال على الله تعالى وقال اليس الله ملككم هذه فهو على كل شى قدير يملككم غيرها روى ابو هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول لا اله الا الله وحده اعز جنده ونصر عبده وغلب الاحزاب وحده
فلا شى بعده قوله تعالى يا ايها النبى قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا الاية وجه التعلق هو
ان مكارم الاخلاق منحصرة فى شيين التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله والى هذا اشار عليه السلام بقوله
الصلوة وما ملكت ايمانكم فالله تعالى لما ارشد نبيه الى ما يتعلق بجانب التعظيم لله بقوله يا ايها النبى اتق الله ذكر ما يتعلق
بجانب الشفقة وبدا بالزوجات فانهن اولى الناس بالشفقة ولهذا قدمهن فى النفقة فصل قال المفسرون سبب نزول
هذه الاية ان نسا النبى صلى الله عليه وسلم سالنه من عرض الدنيا شيا وطلبن منه زيادة فى النفقة واذينه بغيرة
بعضهن على بعض فهجرهن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآلى ان لا يقربهن شهرا ولا يخرج الى اصحابه فقالوا ما شانه
وكانوا يقولون طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساه فقال عمر لاعلمن لكم شانه قال فدخلت على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقلت يا رسول الله اطلقتهن قال لا فقلت يا رسول الله انى دخلت المسجد والمسلمون يقولون طلق رسول الله
صلى الله عليه وسلم نساه ونزلت هذه الاية واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به ولو ردوه الى الرسول
والى اولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم فكنت انا استنبطت ذلك الامر وانزل الله اية التخيير وكانت

تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوميذ تسع نسوة خمس من قريش عايشة بنت ابي بكر وحفصة بنت عمر وام حبيب بنت ابي سفين وام سلمة بنت ابي امية وسودة بنت زمعة وغير القرشيات زينب بنت جحش اسدية وميمونة بنت الحارث الهلالية وصفية بنت حيي بن احطب الخيبرية وجويرية بنت الحارث المصطلقية فلما نزلت آية التخيير بدا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعايشة وكانت احبهن اليه فخيرها فقرا عليها القران فاختارت الله ورسوله والدار الاخرة وروي الفرح في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتابعها على ذلك قال قتادة فلما اخترن الله ورسوله شكرهن الله على ذلك وقصره هن عليهن فقال لا يحل لك النساء من بعد وعن جابر بن عبد الله قال دخل ابو بكر يستاذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد الناس جلوسا ببابه لم يوذن لاحد منهم قال فاذن لابي بكر فدخل ثم اقبل عمر فاستاذن فاذن له فوجد النبي صلى الله عليه وسلم جالسا حوله نساوه واجما ساكتا قال فقال لاقولن شيئا اضحك النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لو رايت بنت خارجة سالتني النفقة فقمت اليها فوجات عنقها فضحك النبي صلى الله عليه وسلم هن حولي كما ترى يسالنني النفقة فقام ابو بكر الى عايشة يجا عنقها وقام عمر الى حفصة يجا عنقها كلاهما يقول تسالن رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ابدا ليس عنده ثم اعتزلهن شهرا او تسعا وعشرين يوما ثم نزلت هذه الاية يا ايها النبي قل لازواجك حتى بلغ للمحسنات منكن اجرا عظيما قال فبدا بعايشة فقال يا عايشة اني اعرض عليك امرا لا احب ان تعجلي فيه حتى تستشيري ابويك قالت وما هو يا رسول الله فتلا عليها الاية فقالت افيك يا رسول الله استشير ابوي بل اختار الله ورسوله والدار الاخرة واسالك ان لا تخبر امراة من نسايك بالذي قلت قال لا تسالني امراة منهن الا اخبرتها ان الله لم يبعثني معنتا ولا متعنتا ولكن بعثني معلما ميسرا وروى الزهري ان النبي صلى الله عليه وسلم اقسم ان لا يدخل على ازواجه شهرا قال الزهري فاخبرني عروة عن عايشة قالت مضت تسع وعشرون اعدهن دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت بدا بي فقلت يا رسول الله انك اقسمت ان لا تدخل علينا شهرا وانك دخلت من تسع وعشرين اعدهن فقال ان الشهر تسع وعشرون **فصل** اختلف العلما في هذا الخيار هل كان ذلك تفويض الطلاق وانما خيرهن على انهن اذا اخترن الدنيا فارقهن لقوله تعالى فتعالين امتعكن واسرحكن ويدل عليه انه لم يكن جوابهن على الفور فانه قال لعايشة لا تعجلي حتى تستشيري ابويك وفي تفويض الطلاق يكون الجواب على الفور وذهب اخرون الى انه كان تفويض طلاق ولو اخترن انفسهن كان طلاقا واختلف العلما في حكم التخيير فقال عمر وابن مسعود وابن عباس اذا خير الرجل امراته فاختارت زوجها لا يقع شي ولو اختارت نفسها وقع طلقة واحدة وهو قول عمر بن عبد العزيز وابن ابي ليلى وسفين والشافعي واصحاب الراي الا ان عند اصحاب الراي يقع طلقة باينة اذا اختارت نفسها وعند الاخرين رجعية وقال زيد بن ثابت اذا اختارت الزوج يقع طلقة واحدة واذا اختارت نفسها فثلاث وهو قول الحسن ورواية عن مالك وروي عن علي ايضا انها اذا اختارت زوجها نقع طلقة واحدة وان اختارت نفسها فطلقة ثانية واكثر العلماء على انها اذا اختارت زوجها لا يقع شي لما روت عايشة قالت خير نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترنا الله ورسوله فلم نعد ذلك شيئا **قوله** امتعكن واسرحكن العامة على جزمهما وفيه وجهان احدهما انه مجزوم على جواب الشرط وما بين الشرط وجزائه معترض ولا يضر دخول الفاء على جملة الاعتراض ومثله في دخول الفاء قوله واعلم فعلم المرء ينفعه ان سوف ياتي كل ما قدرا يريد واعلم ان سوف ياتي والثاني قوله فتعالين وامتعكن جواب لهذا الامر وقرا زيد بن علي امتعكن بتخفيف التاء من امتعه وقرا حميد الخزار امتعكن واسرحكن بالرفع فيهما على الاستيناف وسراحا قايم مقام التسريح **فصل** قال ابن الخطيب وههنا

الطلاق الى حتى يقع بنفس الاختيار ام لا فذهب الحسن وقتادة واكثر اهل العلم الى انه لم يكن تفويض

مسايل منها هل كان ذلك التخيير واجبا على النبي صلى الله عليه وسلم ام لا والجواب ان التخيير كان قولا واجبا من غير شك لانه ابلاغ للرسالة لان الله تعالى لما قال له قل لهم صار من الرسالة واما التخيير معنى فمبني على ان الامر للوجوب ام لا والظاهر انه للوجوب ومنها ان واحدة منهن لو اختارت الفراق هل كان يصير اختيارها فراقا والظاهر انه لا يصير فراقا وانما تبين المختارة نفسها فانه من جهة النبي عليه السلام لقوله فتعالين امتعكن واسرحكن سراحا جميلا ومنها ان واحدة منهن لو اختارت نفسها وقلنا انها لا تبين الا بابانة النبي صلى الله عليه وسلم فهل كان يجب على النبي عليه السلام الطلاق ام لا الظاهر نظرا الى منصب النبي عليه السلام انه كان يجب لان الخلف في الوعد من النبي غير جايز بخلاف احدنا فانه لا يلزمه شرعا الوفا بما يعد ومنها ان المختارة بعد البينونة هل كانت تحرم على غيره ام لا والظاهر انها لا تحرم والا لم يكن التخيير ممكنا لها من التمتع بزينة الدنيا ومنها ان من اختارت الله ورسوله هل تحرم على النبي صلى الله عليه وسلم طلاقها ام لا الظاهر الحرمة نظرا الى منصب الرسول عليه السلام على معنى ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يباشره اصلا لا بمعنى انه لو اتى به لعوقب وعوتب **قوله** اعد للمحسنات منكن من عمل صالحا منكن كقوله تعالى ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن والاجر العظيم الكثير الزايد في الطول وفي العرض وفي العمق حتى لو كان زايدا في الطول يقال له طويل ولو كان زايدا في العرض يقال له عريض وكذلك العميق فاذا وجدت الامور الثلاثة قيل عظيم فيقال جبل عظيم اذا كان عاليا ممتدا في الجهات وان كان مرتفعا حسب يقال له جبل عال اذا عرف هذا الدنيا ودابة قليل وفي صفاته غير خال عن جهة قبح لما في ماكوله ومشروبه من الضرر وغيره وايضا فهو غير دايم واجر الاخرة كثير خال عن جهات القبح دايم فهو عظيم **قوله** تعالى يا نساء النبي من يات منكن الاية العامة على يات لان من اداة تقوم مقام الاسم يعبر به عن الواحد والجمع والمذكر والمونث وزيد بن علي والجحدري ويعقوب بالتاء من فوق حملا على معناها لانه رشح بقوله منكن ومنكن حال من فاعل يات وتقدم القراة في مبينة بالنسبة لكسر اليا وفتحها في النساء **قوله** يضاعف قرا ابو عمرو يضعف باليا من تحت وتشديد العين مفتوحة على البنا للمفعول العذاب بالرفع لقيامه مقام الفاعل وقرا ابن كثير وابن عامر نضعف بنون العظمة وتشديد العين مكسورة على البناء للفاعل العذاب بالنصب على المفعول به وقرا الباقون يضاعف من المفاعلة مبنيا للمفعول العذاب بالرفع لقيامه مقام الفاعل وقد تقدم توجيه التضعيف والمضاعفة في سورة البقرة **فصل** قال ابن عباس المراد هنا بالفاحشة النشوز وسوء الخلق وقيل كقوله تعالى لين اشركت ليحبطن عملك واعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم لما خير نساءه واخترن الله ورسوله ادبهن الله وهددهن بالتوقي عما يسوء النبي ويقبح بهن من الفاحشة التي هي اصعب على الزوج من كل ما تاتي به زوجته واوعدهن بتضعيف العذاب وفيه حكمتان احدهما ان زوجة الغير تعذب على الزنا بسبب ما في الزنا من المفاسد وزوجة النبي تعذب ان اتت به لذلك وللايذاء بقلبه والازراء بمنصبه وعلى هذا بنات النبي عليه السلام كذلك ولان امراة لو كانت تحت النبي عليه السلام واتت بفاحشة تكون قد اختارت غير النبي ويكون ذلك الغير خيرا عندها من النبي واولى والنبي اولى من النفس التي هي اولى من الغير فقد نزلت مرتبتين فتعذب من العذاب ضعفين وثانيهما ان هذا اشارة الى شرفهن لان الحرة عذابها ضعف عذاب الامة اظهارا لشرفها ونسبة النبي الى غيره من الرجال نسبة السادات الى العبيد لكونه اولى بهم من انفسهم فكذلك زوجاته اللاتي هن امهات المومنين وام الشخص امرة حاكمة عليه واجبة الطاعة وزوجته مامورة محكومة وتحت طاعته فصارت زوجة الغير بالنسبة الى زوجة النبي عليه السلام كالامة الى الحرة واعلم ان قول القايل من يفعل ذلك فحفوه قوله لين اشركت ليحبطن عملك من حيث ان ذلك ممكن الوقوع في اول النظر ولا يقع في بعض الصور جزما وفي بعض يقع جزما وفي البعض يتردد السامع في الامرين فقوله تعالى من يات منكن بفاحشة

من القبيل الاول فان الانبياء صان الله زوجاتهم عن الفاحشة ثم قال وكان ذلك على الله يسيرا اي ليس كونكن تحت النبي عليه السلام وكونكن شريفات جليلات مما يدفع العذاب عنكم وليس امر الله كامر الخلق حيث يتعذر عليهم تعذيب الاعزة بسبب كثرة اوليائهم واعوانهم او شفعائهم واخوانهم **قوله** ومن يقنت منكن اي يطع الله ورسوله وهذا بيان لزيادة ثوابهن كما بين زيادة عقابهن نؤتها اجرها مرتين في مقابلة قوله يضعف لها العذاب ضعفين وفيه لطيفة وهي ان في ايتاء الاجر ذكر المؤتي وهو الله وعند العذاب لم يصرح بالمعذب فقال يضاعف وهذا اشارة الى كمال الرحمة والكرم **قوله** وتعمل صالحا نؤتها قرا الاخوان ويعمل ويؤت بالياء من تحت فيهما والباقون وتعمل بالتاء من فوق ونؤتها بالنون فاما الياء في ويعمل فلاجل الحمل على لفظ من وهو الاصل والتاء من فوق على معناها اذ المراد بها مونث ورشح هذا تقدم لفظ المونث وهو منكن ومثله قوله وان من النسوان من هي روضة لما تقدم قوله من النسوان رجح المعنى فحمل عليه واما يؤتها بالياء من تحت فالضمير لله تعالى لتقدمه في لله ورسوله وبالنون فهي نون العظمة وفيه انتقال من الغيبة الى التكلم وقرا الجحدري ويعقوب وابن عامر في رواية وابو جعفر وشيبة تقنت بالتاء من فوق حملا على المعنى وكذلك وتعمل وقال ابو البقا ان بعضهم قرا ومن تقنت بالتانيث حملا على المعنى ويعمل بالتذكير حملا على اللفظ قال فقال بعض النحويين هذا ضعيف لان التذكير اصل فلا يجعل تبعا للتانيث وما عللوه به قد جاء مثله في القران قال تعالى خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا **فصل** معنى اجرها مرتين اي مثلي اجر غيرها قال مقاتل مكان كل حسنة عشرين حسنة واعتدنا لها رزقا كريما يعني الجنة ووصف رزق الاخرة بكونه كريما مع ان الكريم لا يكون وصفا الا للرزاق وذلك اشارة الى ان الرزق في الدنيا مقدر على ايدي الناس التاجر يسترزق من السوقة والعاملين والصناع من المستعملين والملوك من الرعية والرعية منهم فالرزق في الدنيا لا ياتي بنفسه وانما هو مسخر للغير يمسكه ويرسله الى الاغيار واما في الاخرة فلا يكون له مرسل وممسك في الظاهر فهو الذي ياتي بنفسه فلاجل هذا لا يوصف في الدنيا بالكريم الا الرزاق وفي الاخرة يوصف بالكريم نفس الرزق **قوله** يا نساء النبي لستن كاحد من النساء قال الزمخشري احد في الاصل بمعنى وحد وهو الواحد ثم وضع في النفي العام مستويا فيه المذكر والمونث والواحد وما وراءه والمعنى لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء اي اذا تقصيت جماعة النساء واحدة واحدة لم يوجد منهن جماعة واحدة تساويكن في الفضل والسابقة ومنه قوله عز وجل والذين امنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم يريد بين جماعة واحدة منهم تسوية بين جميعهم في انهم على الحق المبين قال ابو حيان اما قوله احد في الاصل بمعنى وحد وهو الواحد فصحيح واما قوله وضع المقول وما وراءه فليس بصحيح لان الذي يستعمل في النفي العام مدلوله غير مدلول واحد لان واحدا ينطلق على كل شيء اتصف بالوحدة واحد المستعمل في النفي العام مختص بمن يعقل وذكر النحويون ان مادته همزة وحاء ودال فقد اختلفا مادة ومدلولا واما قوله لستن كجماعة واحدة فقد قلنا ان معناه ليس كل واحد منكن فهو حكم على كل واحد لا على المجموع من حيث هو مجموع واما لم يفرقوا بين احد منهم فيحتمل ان يكون الذي يستعمل في النفي العام ولذلك جاء في سياق النفي فعم وصلحت البينية للعموم ويحتمل ان يكون احد بمعنى واحد وحذف معطوف اي بين احد واحد كما قال فما كان بين الخير لو جاء سالما ابو حجر الا ليال قلائل اي بين الخير وبيني انتهى قال شهاب الدين اما قوله فانهما مختلفان مدلولا ومادة فمسلم ولكن الزمخشري لم يجعل احد الذي اصله واحد بمعنى احد المختص بالنفي ولا يمنع ان احدا الذي اصله واحد ان يقع في سياق النفي وانما الفارق بينهما ان الذي همزته اصل لا يستعمل الا في النفي كاخواته من عريب وكتيع ووابر وتامر والذي اصله واحد يجوز ان يستعمل اثباتا ونفيا والفرق ايضا بينهما ان المختص بالنفي جامد وهذا وصف وايضا المختص بالنفي مختص بالعقلاء وهذا لا يختص واما معنى النفي فانه ظاهر على ما قاله الزمخشري من الحكم على المجموع ولكن المعنى على ما قاله ابو حيان اوضح وان كان خلاف الظاهر **قوله** ان اتقيتن فجوابه وجهان احدهما انه

محذوف لدلالة ما تقدم عليه اي ان اتقيتن الله فلستن كاحد فالشرط قيد في نفي ان يشبههن احد من النساء والثاني ان جوابه قوله فلا تخضعن والتقوى على بابها وجوز ابو حيان على هذا ان يكون اتقى بمعنى استقبل اي استقبلتن احدا فلا تلن له القول واتقى بمعنى استقبل معروف في اللغة وانشد سقط النصيف ولم ترد اسقاطه فتناولته واتقتنا باليد اي استقبلتنا باليد قال ويكون على هذا المعنى ابلغ من مدحهن اذ لم يعلق فضيلتهن على التقوى ولا علق نهيه عن الخضوع بها اذ هن متقيات لله في انفسهن والتعليق يقتضي ظاهره انهن لسن متحليات بالتقوى قال شهاب الدين هذا خروج عن الظاهر من غير ضرورة واما البيت فالاتقاء ايضا على بابه اي صانت وجهها بيدها عنا **قوله** فيطمع العامة على نصبه جوابا للنهي والاعرج بالجزم فكسر العين لالتقاء الساكنين وروي عنه وعن ابي السمال وعيسى ابن عمر ابن محيصن بفتح الياء وكسر الميم وهذا شاذ حيث يوافق الماضي والمضارع في حركة وروي عن الاعرج ايضا انه قرا بضم الياء وكسر الميم من اطمع وهي تحتمل وجهين احدهما ان يكون الفاعل ضميرا مستترا عائدا على الخضوع المفهوم من الفعل والذي مفعول اي لا تخضعن فيطمع الخضوع المريض القلب ويحتمل ان يكون الذي فاعلا ومفعوله محذوف اي فيطمع المريض نفسه **فصل** قال ابن عباس معنى لستن كاحد من النساء يريد ليس قدركن عندي مثل قدر غيركن من النساء الصالحات انتن اكرم علي وثوابكن اعظم لدي ولم يقل كواحدة لان الاحد عام يصلح للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمونث قال تعالى لا نفرق بين احد من رسله وقال فما منكم من احد عنه حاجزين وقوله ان اتقيتن الله فاطعتنه ولما منعهن من الفعل القبيح منعهن من مقدماته وهي المحادثة مع الرجال فقال فلا تخضعن بالقول اي لا تلن القول للرجال ولا ترققن الكلام فيطمع الذي في قلبه مرض اي فسق وفجور وشهوة وقيل نفاق اي لا تقولن قولا يجد منافق او فاجر به سبيلا الى المطامع فيكن والمراة مندوبة الى الغلظة في المقالة اذا خاطبت الاجانب لقطع الاطماع وقلن قولا معروفا اي ذكر الله وما يحتجن اليه الى الكلام مما يوجب الدين والاسلام بتصريح وبيان من غير خضوع **قوله** وقرن في بيوتكن قرا نافع وعاصم بفتح القاف والباقون بكسرها فاما الفتح فمن وجهين احدهما انه امر من قررت بكسر الراء الاولى في المكان اقر به بالفتح فاجتمع راءان في اقررن فحذفت الثانية تخفيفا ونقلت حركة الراء الاولى الى القاف فحذفت همزة الوصل استغناء عنها فصار قرن ووزنه على هذا فعن فان المحذوف هو اللام لانه حصل به الثقل وقيل المحذوف الراء الاولى لانه لما نقلت حركتها بقيت ساكنة وبعدها اخرى ساكنة فحذفت الاولى لالتقاء الساكنين ووزنه على هذا فلن فان المحذوف هو العين وقال ابو علي ابدلت الراء الاولى ياء ونقلت حركتها الى القاف فالتقى ساكنان فحذفت الياء لالتقائهما فهذه ثلاثة اوجه في توجيه انها امر من قررت بالمكان والوجه الثاني انها امر من قار يقار كخاف يخاف اذا اجتمع ومنه القارة لاجتماعها فحذفت العين لالتقاء الساكنين فقيل قرن كخفن ووزنه على هذا ايضا فلن الا ان بعضهم تكلم في هذه القراءة من وجهين احدهما قال ابو حاتم يقال قررت بالمكان بالفتح اقر به بالكسر وقررت عينه بالكسر تقر بالفتح فكيف تقرا وقرن بالفتح والجواب عن هذا انه قد سمع في كل منهما الفتح والكسر حكاه ابو عبيد وتقدم ذلك في سورة مريم الثاني سلمنا انه يقال قررت بالمكان بالكسر اقر به بالفتح وان الامر منه اقررن الا انه لا مسوغ للحذف لان الفتحة خفيفة ولا يجوز قياسه على قولهم ظلت في ظللت وقال تعالى فظلتم تفكهون وظلت عليه عاكفا وبابه لان هناك شيئين ثقيلين التضعيف والكسرة فحسن الحذف واما هنا فالتضعيف فقط والجواب ان المقتضي للحذف انما هو التكرار ويؤيد هذا انهم لم يحذفوا مع التكرار ووجود الضمة وان كان اثقل نحو اغضضن ابصاركن وكان اولى بالحذف فيقال غضن لكن السماع خلافه قال تعالى وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن على ان ابن مالك قال انه يحذف في هذا بطريق الاولى او يقول ان هذه القراءة انما هي من قار يقار بمعنى اجتمع وهو وجه حسن بري من التكلف فيندفع اعتراض

الثاني ومعناها مطابق لما يراد بهما من الثبوت والاستقرار الوجه الثاني انهما امر من وقر يقر اي ثبت واستقر ومنه الوقار واصله اوقرن فحذفت الفا وهي الواو واستغني عن همزة الوصل فبقي قرن ونهذا كالامر من وعد سواء ووزنه على هذا علن قال البغوي الاصح انه امر من الوقار كقولك من الوعد عدنا ومن الوصل صلنا وهذه الاوجه المذكورة انما يهتدي اليها من هو من الوقار كهو في علم التعريف والاضافة بها اذ دعا **قوله** تبرج الجاهلية مصدر تشبيهي اي مثل تبرج والتبرج الظهور من البرج لظهوره وقد تقدم وقرا البزي ولا تبرجن بادغام التاء الثاني التاء والباقون بحذف احديهما وتقدم تحقيقه في البقرة في ولا تيمموا **فصل** قال المفسرون وقرن اي الزمن بيوتكن من قولهم قررت بالمكان اقر قرارا يقال قررت اقر وقررت اقر وهما لغتان وان كان من الوقار اي كن اهل وقار وسكون من قولهم وقر فلان يقر وقورا اذا سكن واطمان ولا تبرجن قال مجاهد وقتادة التبرج هو التكسر والتغنج وقال ابن ابي نجيح هو التبختر وقيل هو اظهار الزينة وابراز المحاسن للرجال تبرج الجاهلية الاولى قال الشعبي هي ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وقال ابو العالية هي زمن داود وسليمان عليهما السلام وكانت المراة تلبس قميصا من الدر غير مخيط الجانبين فيرى خلعها فيه وقال الكلبي كان ذلك في زمن نمرود وكانت المراة تتخذ الدرع من اللؤلؤ فتلبسه وتمشي وسط الطريق ليس عليها شيء غيره وتعرض نفسها على الرجال وروى عكرمة عن ابن عباس وان بطنين من ولد ادم كان احدهما يسكن السهل والاخر يسكن الجبل وكان الجبل صباحا وفي النساء دمامة وكان نساء السهل صباحا وفي الرجال دمامة وان ابليس اتى رجلا من اهل السهل واجر نفسه منه فكان يخدمه واتخذ شيئا مثل الذي يزمر به الرعاء فجاء بصوت لم يسمع الناس مثله فبلغ ذلك من حولهم فانتابوهم يستمعون اليه واتخذوه عيدا يجتمعون اليه في السنة فتبرج النساء للرجال وتزين الرجال لهن وان رجلا من اهل الجبل هجم عليهم في عيدهم فراى النساء وصباحتهن فاتى اصحابه فاخبرهم بذلك فتزلوا معهم فظهرت الفاحشة فيهم فذلك قوله ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى وقيل الجاهلية الاولى ما ذكرنا والجاهلية الاخرى قوم يفعلون مثل فعلهم في اخر الزمان وقيل قد تذكر الاولى وان لم يكن لها اخرى كقوله تعالى وانه اهلك عادا الاولى ولم يكن لها اخرى **قوله** واقمن الصلاة وآتين الزكوة واطعن الله ورسوله يعني ليس التكليف في النهي وحده حتى يحصل بقوله لا تخضعن ولا تبرجن بل في النهي وفي الاوامر فاقمن الصلاة وآتين الزكاة واطعن الله ورسوله فيما امر به ونهى عنه انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس قال مقاتل الرجس الاثم الذي نهى الله النساء عنه وقال ابن عباس يعني عمل الشيطان وما ليس لله فيه رضى وقال قتادة يعني السوء وقال مجاهد الرجس الشك **قوله** اهل البيت فيه اوجه النداء والاختصاص الا انه في المخاطب اقل منه في المتكلم وسمع بك الله نرجوا الفضل والاكثر انما هو في المتكلم كقولها نحن بنات طارق نمشي على النمارق ونحن بني ضبة اصحاب الجمل الموت احلى عندنا من العسل نحن العرب اقرى الناس للضيف نحن معاشر الانبياء لا نورث او على المدح اي امدح اهل البيت واختلف الناس في اهل البيت فروى سعيد بن جبير عن ابن عباس انهم نساء النبي صلى الله عليه وسلم لانهن في بيته وتلا قوله واذكرن ما يتلى في بيوتكن من ايات الله وهو قول عكرمة ومقاتل وذهب ابو سعيد الخدري وجماعة من التابعين منهم مجاهد وقتادة وغيرهم الى انهم علي وفاطمة والحسن والحسين لما روت عايشة قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة وعليه مرط مرجل من شعر اسود فجلس فاتت فاطمة فادخلها فيه ثم جاء علي فادخله فيه ثم جاء حسن فادخله فيه ثم جاء حسين فادخله فيه ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا وروت ام سلمة قالت في بيتي انزل انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت قالت فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى فاطمة وعلي والحسن والحسين فقال هولاء اهل بيتي فقلت يا رسول الله اما انا من اهل البيت قال بلى ان شاء الله وقال زيد بن ارقم اهل بيته من حرم الصدقة بعده آل علي وآل عقيل وآل جعفر

وآل عباس وقال ابن الخطيب والاولى ان يقال هم اولاده وازواجه والحسن والحسين وعلي منهم لانه كان من اهل بيته لمعاشرته بنت النبي عليه السلام وملازمته له واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله يعني القران والحكمة قال قتادة يعني السنة وقال مقاتل احكام القران ومواعظه ومن آيات الله بيان للموصول فيتعلق باعني ويجوز ان يكون حالا اما من الموصول واما من عايده المقدر فيتعلق بمحذوف ايضا ان الله كان لطيفا باوليائه خبيرا بجميع خلقه **قوله** ان المسلمين والمسلمات قال مقاتل قالت ام سلمة بنت ابي امية ونسيبة بنت كعب الانصارية للنبي صلى الله عليه وسلم ما بال ربنا يذكر الرجال ولا يذكر النساء في شيء من كتابه نخشى ان لا يكون فيهن خير فنزلت هذه الاية وروي ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم قلن يا رسول الله ذكر الرجال في القران ولم يذكر النساء بخير فما فينا خير نذكر به انا نخاف ان لا تقبل منا طاعة فانزل الله هذه الاية وروي ان اسماء بنت عميس رجعت من الحبشة مع زوجها جعفر بن ابي طالب فدخلت على نساء النبي صلى الله عليه وسلم فقالت هل نزل فينا شيء من القران قلن لا فاتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان النساء لفي خيبة وخسار قال ومم ذلك قالت لانهن لا يذكرن بخير كما تذكر الرجال فانزل الله عز وجل ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين المطيعين والقانتات والصادقين في ايمانهم وفيما سرهم وساءهم والصادقات والصابرين على ما امر الله به والصابرات والخاشعين المتواضعين والخاشعات وقيل اراد به الخشوع في الصلاة ومن الخشوع ان لا يلتفت والمتصدقين مما رزقهم الله والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم عما لا يحل والحافظات لتقدم ما يدل عليه والتقدير والحافظاتها وكذلك والذاكرات وحسن الحذف رؤس الفواصل والذاكرين الله كثيرا والذاكرات قال مجاهد لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيرا حتى يذكر الله قائما وقاعدا ومضطجعا وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال سبق المفردون قالوا وما المفردون قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات قال عطاء بن ابي رباح من فوض امره الى الله عز وجل فهو داخل في قوله ان المسلمين والمسلمات ومن اقر بان الله ربه ومحمدا رسوله ولم يخالف قلبه لسانه فهو داخل في قوله والمؤمنين والمؤمنات ومن اطاع الله في الفرض والرسول في السنة فهو داخل في قوله والقانتين والقانتات ومن صان قوله عن الكذب فهو داخل في قوله والصادقين والصادقات ومن صبر على الطاعة وعن المعصية وعلى الرزية فهو داخل في قوله والصابرين والصابرات ومن صلى ولم يعرف من عن يمينه وعن يساره فهو داخل في قوله والخاشعين والخاشعات ومن تصدق في كل اسبوع بدرهم فهو داخل في قوله والمتصدقين ومن صام في كل شهر ايام البيض الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر فهو داخل في قوله والصائمين والصائمات ومن حفظ فرجه فهو داخل في قوله والحافظين فروجهم والحافظات ومن صلى الصلوة الخمس بحقوقها فهو داخل في قوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما وغلب المذكر على المؤنث في لهم ولم يقل ولهن **قوله** وما كان لمؤمن ولا مؤمنة نزلت الاية في زينب بنت جحش الاسدية واخيها عبد الله بن جحش وامهما امية بنت عبد المطلب عمة النبي صلى الله عليه وسلم خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب على مولاه زيد بن حارثة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشترى زيدا في الجاهلية بعكاظ فاعتقه وتبناه فلما خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب رضيت وظنت انه يخطبها لنفسه فلما علمت انه يخطبها لزيد ابت وقالت انا ابنة عمتك يا رسول الله فلا ارضاه لنفسي وكانت بيضاء جميلة فيها حدة وكذلك كره اخوها ذلك فانزل الله عز وجل وما كان لمؤمن يعني عبد الله بن جحش ولا مؤمنة يعني اخته زينب اذا قضى الله ورسوله امرا اي اراد الله ورسوله امرا وهو نكاح زيد لزينب ان يكون لهم الخيرة الاختيار اي يريد غير ما اراد الله ويمتنع مما امر الله ورسوله **قوله** ان يكون هو اسم كان والخبر الجار متقدم وقوله اذا قضى الله يجوز ان يكون محض

ظرف معمولة الاستقرار الذي تعلق به الخبر اي وما كان مستقر المؤمن ولا مومنة وقت قضا الله
كون خبره وان يكون شرطية ويكون جوابها مقدرا مدلولا عليه بالنفي المتقدم وقرا الكوفيون وهشام
يكون باليا من اسفل لان الخيرة مجازي التانيث وللفصل ايضا والباقون بالتاء من فوق مراعاة
للفظها وقد تقدم ان الخيرة مصدر تخير كالطيرة من تطير ونقل عيسى بن سليمن انه قرئ
الخيرة بسكون اليا ومن امرهم حال من الخيرة وقيل من بمعنى في وجمع الضمير في
امرهم وما بعده لان المراد بالمؤمن والمؤمنة الجنس وغلب المذكر على المؤنث وقال
الزمخشري كان من حق الضمير ان يوحد كما يقول ما جاني من رجل ولا امراة الا كان
من شانه كذا قال ابو حيان وليس بصحيح لان العطف بالواو فلا يجوز ذلك الا بتاويل
الحذف قوله ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا اخطا خطا ظاهرا
فلما سمعا ذلك رضيا بذلك وسلما وجعلت امرها بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكذلك اخوها فانكحها رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا فدخل بها وساق رسول
الله صلى الله عليه وسلم اليها عشرة دنانير وستين درهما وخمارا ودرعا وازا
را وملحفة وخمسين مدا من الطعام وثلاثين صاعا من تمر قوله واذ تقول
للذي انعم الله عليه وهو زيد انعم الله عليه بالاسلام وانعمت عليه بالتحرير
والاعتاق قوله فاذ تقول امسك عليك نص بعض النحويين على ان على
في مثل هذا التركيب اسم قال لئلا يتعدى فعل المضمر المتصل الى ضميره المتصل
في غير باب ظن وفي لفظتي فقد وعدم وجعل من ذلك هون عليك فان الامور
بكف الاله مقاديرها ولذلك حكم على عن في قوله دع عنك نهبا صيح في
حجراته وقد تقدم ذلك مشبعا في النحو في قوله ولهم ما يشتهون وفي
قوله وهزي اليك بجذع واضمم اليك جناحك قوله وتخفي فيه اوجه
احدهما انه معطوف على تقول اي واذ تجمع بين قولك كذا واخفا كذا وخشية الناس
قاله الزمخشري الثاني انها واو الحال اي تقول كذا في هذه الحالة قاله الزمخشري
ايضا وفيه نظر من حيث انه مضارع مثبت فكيف باشره الواو وتخريجه كتخريج قمت
واصك عينه اعني على اضمار مبتدا الثالث انه مستانف قاله الحوفي وقوله والله
احق ان تخشاه تقدم مثله في براءة فصل قال المفسرون ان الاية نزلت
في زينب بنت جحش وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما زوج زينب
من زيد مكثت عنده حينا ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى زيدا ذات
يوم لحاجة فابصر زينب قايمة في درع وخمار وكانت بيضاء جميلة ذات خلق
من اتم نساء قريش فوقعت في نفسه واعجبه حسنها فقال سبحان الله مقلب القلوب
وانصرف فلما جاء زيد ذكرت ذلك له ففطن زيد فالقي في نفس زيد كراهتها
في الوقت فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني اريد ان افارق صاحبتي
قال مالك ارابك منها شي قال لا والله يا رسول الله ما رايت منها الا خيرا
ولكنها تتعظم علي لشرفها وتوذيني بلسانها فقال له النبي صلى الله عليه و
سلم امسك عليك زوجك يعني زينب بنت جحش واتق الله في امرها ثم
طلقها زيد فذلك قوله عز وجل واذ تقول للذي انعم الله عليه بالاسلام
وانعمت عليه بالاعتاق وهو زيد بن حارثة امسك عليك زوجك
واتق الله فيها ولا تفارقها وتخفي في نفسك ما الله مبديه اي تسر في نفسك

يا الله اي كان في قلبه لو فارقها تزوجها قال ابن عباس حبها وقال قتادة وده
لو طلقها وتخشى الناس قال ابن عباس والحسن تستحييهم وقيل لائمة الناس
ان يقولوا امر رجلا بطلاق امراته ثم نكحها والله احق ان تخشاه قال عمر وابن
مسعود وعايشة ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم اية هي اشد عليه
من هذه وروي عن مسروق قال قالت عايشة لو كتم النبي صلى الله
عليه وسلم شيئا مما اوحي اليه لكتم هذه الآية وتخفي في نفسك ما الله مبديه وروي
سفين بن عيينة عن علي بن جدعان قال سالني علي بن الحسين زين العابدين ما يقول
الحسن في قوله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه
قال قلت يقول لما جاء زيد الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له يا نبي الله
اني اريد ان اطلق زينب فاعجبه ذلك قال امسك عليك زوجك واتق الله فقال
علي بن الحسين ليس كذلك كان الله قد اعلمه انها ستكون من ازواجه وان زيدا
سيطلقها فلما جاء زيد قال اريد ان اطلقها قال له امسك عليك زوجك فعاتبه
الله وقال لم قلت امسك عليك زوجك وقد اعلمتك انها ستكون من ازواجك
وهذا هو الاولى والاليق بحال الانبياء وهو مطابق للتلاوة لان الله تعالى اعلم انه يبدي
ويظهر ما اخفاه ولم يظهر غير تزويجها منه فقال زوجناكها فلو كان الذي اضمر رسول
الله صلى الله عليه وسلم محبتها او ارادة طلاقها لكان يظهر ذلك لانه لا يجوز ان يخبر
انه يظهره ثم يكتمه فلا يظهره فدل على انه انما عوتب على اخفاء ما اعلمه الله انها ستكون زوجته
لو انما اخفاه استحياء ان يقول لزيد ان التي تحتك في نكاحك ستكون امراتي وهذا قول
حسن وان كان الاخر وهو انه اخفى محبتها او نكاحها لو طلقها لا يقدح في حال الانبياء
لان العبد غير ملوم على ما يقع في قلبه من مثل هذه الاشياء ما لم يقصد
فيه الماثم لان الود وميل النفس من طبع البشر وقوله امسك عليك
زوجك واتق الله امر بالمعروف وهو خشية الاثم فيه وقوله والله احق ان
تخشاه لم يرد به انه لم يكن يخشى الله فيما سبق فانه عليه السلام
قد قال انا اخشاكم لله واتقاكم له ولكن المعنى الله احق ان تخشاه وحده
ولا تخشى احدا معه وانت تخشاه وتخشى الناس ايضا فلما ذكر الخشية
من الناس ذكر ان الله احق بالخشية في عموم الاحوال وفي جميع الاشياء
قوله فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها وطرا مفعول قضى والوطر الشهوة
والمحبة قاله المبرد وانشد وكيف ثواي بالمدينة بعد ما قضى وطرا منها
جميل بن معمر وقال ابو عبيدة الوطر الارب والحاجة وانشد المصنع للعزاري
ودعنا قبل ان نودعه لما قضى من شبابنا وطرا وقرا العامة زوجناكها
وقرئ علي وابناه الحسنان رضي الله عنهم وارضاهم زوجتكها بتاء المتكلم وكيلا
متعلق بزوجناكها وهي هنا ناصبة فقط لدخول الجار عليها واتصل الضمير
ان بالفعل لاختلافهما رتبة فصل المعنى فلما قضى زيد منها
حاجة من نكاحها زوجناكها وذكر قضاء الوطر ليعلم ان زوجة
المتبنى تحل بعد الدخول بها اذا طلقت وانقضت عدتها لان الزوجة
ما دامت في نكاح الزوج فهي تدفع حاجته وهو محتاج اليها فلم يقض منها
الوطر بالكلية ولم يستغن عنها وكذلك اذا كانت في العدة

علا
آستغني عنها صح

له بها تعلق لاجل شغل الرحم فلم يقض منها بعد وطرا وقيل ذا طلقت فانقضت عدتها ولم يبق له فيها تعلق فقضى منها الوطر قال انس كانت زينب تفتخر على ازواج النبي صلى الله عليه وسلم تقول زوجكن اهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سموات وقال الشعبي كانت زينب تقول للنبي صلى الله عليه وسلم اني لادل عليك بثلاث ما من نسائك امراة تدل بهن جدي وجدك واحد واني انكحنيك الله في السما وان السفير لجبريل قوله لكيلا يكون على المؤمنين حرج اثم في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا فالادعيا جمع الدعي وهو المتبني اي زوجناك زينب وهي امراة زيد الذي تبنيته ليعلم ان زوجة المتبني حلال للمتبني وان كان قد دخل بها المتبني بخلاف امراة ابن الصلب لا تحل للاب وكان امر الله مفعولا اي قضا الله ماضيا وحكمه نافذا وقد قضى في زينب ان يتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له اي فيما احل الله له قوله سنة الله منصوب على المصدر كصنع الله ووعد الله واسم وضع موضع المصدر او منصوب بجعل او بالاغرا اي فعليه سنة الله قاله ابن عطية ورده ابو حيان بان عامل الاغرا لا يحذف وبان فيه اغرا الغايب وما ورد منه مول على ندوره نحو عليه رجلا ليسني قال شهاب الدين وقد ورد قوله عليه السلام والا فعليه بالصوم فقيل هو اغرا وقيل ليس به وانما هو مبتدا وخبر والبا زايدة في المبتدا وهو تخريج فاسد المعنى لان الصوم ليس واجبا على ذلك وقال البغوي نصب بنزع الخافض اي كسنة الله فصل المراد بسنة الله في الذين خلوا من قبل اي في الانبيا الماضين ان لا يواخذهم بما احل لهم قال الكلبي ومقاتل اراد داود حين جمع بينه وبين المراة التي هويها فكذلك جمع بين محمد وبين زينب وقيل اراد بالسنة النكاح فانه من سنة الانبياء عليهم السلام وكان امر الله قدرا مقدورا مقضيا كاينا ماضيا واعلم ان في قوله تعالى ولا وكان امر الله مفعولا وقوله ثانيا وكان امر الله قدرا مقدورا لطيفة وهي ان الله تعالى لما قال زوجناكها قال وكان امر الله مفعولا اي تزويجنا زينب اياك كان مقصودا شرعنا مقضيا مراعا ولما قال سنة الله في الذين خلوا اشار الى قصة داود حيث افتتن بامراة اوريا قال وكان امر الله قدرا مقدورا اي كان ذلك حكما تبعيا قوله الذين يبلغون يجوز ان يكون تابعا للذين خلوا فان يكون مقطوعا عنه رفعا ونصبا على اضمارهم او اعني او امدح فصل المعنى ان الذين يبلغون رسالات الله كانوا ايضا رسلا مثلك ثم ذكرهم بانهم جردوا الخشية ووحدوها فيخشون الله ولا يخشون احدا سواه فصار كقوله فبهداهم اقتده ولا تخش قالة الناس فانهم ليسوا بمنعهم فيما احل الله لهم وفرض عليهم وكفى بالله حسيبا حافظا لاعمال خلقه ومحاسبتهم فلا تخشى غيره قوله ما كان محمد ابا احد من رجالكم لما تزوج النبي صلى الله عليه وسلم زينب قال الناس ان محمدا تزوج امراة ابنه فانزل الله عز وجل ما كان محمد ابا احد من رجالكم يعني زيد بن حارثة اي ليس ابا احد من رجالكم الذين لم يلده فيحرم عليه نكاح زوجته بعد فراقه اياها فان قيل اليس انه كان له ابنا القسم والطهر وابرهيم والطيب وكذلك الحسن والحسين قال عليه السلام للحسن ان ابني هذا سيد فالجواب هولاء كانوا صغارا ولم يكونوا رجالا والصحيح انه اراد ابا احد من رجالكم الذين لم يلد قوله ولكن رسول الله

العامة على تخفيف لكن ونصب رسول ونصبه اما على اضمار كان لدلالة كان السابقة عليها اي ولكن كان واما بالعطف على ابا احد والاول اليق لان لكن ليست عاطفة لاجل الواو فالاليق بها ان تدخل على الجمل كبل التي ليست عاطفة وقرا ابو عمرو في رواية بتشديدها على ان رسول الله اسمها وخبرها محذوف للدلالة اي ولكن رسول الله هو اي محمد وحذف خبرها سايغ وانشد فلو كنت ضبيا عرفت قرابتي ولكن زنجيا عظيم المشافر اي انت وهذا البيت يروونه ايضا ولكن زنجي بالرفع بنا هذا على حذف اسمها اي ولكنك وقرا زيد بن علي وابن ابي عبلة بتخفيفها ورفع رسول على الابتدا والخبر مقدر اي هو او بالعكس اي ولكن هو رسوله كقوله ولست الشاعر السفساف فيهم ولكن مدرة الحرب العوان اي ولكن انا مدرة قوله وخاتم النبيين قرا عاصم بفتح التا والباقون بكسرها فالفتح اسم للالة التي يختم بها كالطابع والقالب لما يطبع به ويقلب فيه هذا هو المشهور وذكر ابو البقا فيه اوجها اخر منها انه في معنى المصدر قال كذا ذكر في بعض الاعاريب قال شهاب الدين وهو غلط محض كيف وهو يحوج الى تجوز او اضمار ولو حكي هذا في خاتم بالكسر لكان اقرب لانه قد يجي المصدر على فاعل وفاعلة وسياتي ذلك قريبا ومنها انه اسم ومعنى اخر ومنها انه فعل ماض مثل قاتل فيكون النبيين مفعولا به قال شهاب الدين ويويد هذا قراة عبد الله ختم النبيين والكسر على انه اسم فاعل ويؤيده قراة عبد الله المتقدمة وقال بعضهم هو بمعنى المفتوح يعني بمعنى اخرهم لانه ختم النبيين فهم خاتمهم ٥ فصل قال ابن عباس يريد لو لم اختم به النبيين لجعلت له ابنا يكون من بعده نبيا وروى عطا عن ابن عباس ان الله تعالى لما حكم انه لا نبي بعده لم يعطه ولدا ذكرا يصير رجلا وقيل من لا نبي بعده يكون اشفق على امته واهدى لهم اذ هو كالوالد لولد ليس له غيره وكان الله بكل شي عليما اي علمه بكل شي دخل فيه ان لا نبي بعده فعلم ان من الحكمة اكمال شرع محمد عليه السلام زوجه بزوجة دعيه تكميلا للشرع وذلك من حيث ان قول النبي عليه السلام يفيد شرعا لكن اذا امتنع هو عنه يفيد في بعض النفوس نفرة الا ترى انه ذكر بقوله ما فهم منه حل الكل الضب ثم لما لم ياكله بقي في النفوس شي ولما اكل لحم الجمل طاب اكله مع انه في بعض الملل لا يوكل وكذلك الارنب روى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مثلي ومثل الانبيا كمثل قصر احكم بنيانه ترك منه موضع لبنة فطاف به النظار يتعجبون من حسن بنايه الا موضع تلك اللبنة لا يعيبون سواها فكنت انا سددت موضع فكيف انا موضع تلك اللبنة ختم بي البنيان وختم بي الرسل وقال عليه السلام ان لي اسما انا محمد وانا احمد وانا الماحي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الله الناس على قدمي وانا العاقب والعاقب الذي ليس بعده شي قوله يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا قال ابن عباس لم يفرض الله على عباده فريضة الا جعل لها حدا معلوما ثم عذر اهلها في حال العذر غير الذكر فانه لم يجعل له حدا ينتهي اليه ولم يعذر اهله في تركه الا مغلوبا على عقله وامرهم به في الاحوال كلها فقال فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم وقال اذكروا الله ذكرا كثيرا

اعيا لليل والنهار والبر والبحر والصحة والسقم في السر والعلانية وقال مجاهد الذكر
الكثير ان لاينساه ابدا وسبحوه بكرة واصيلا اي صلوا له بكرة يعني صلاة الصبح
واصيلا يعني صلاة العصر وقال الكلبي واصيلا صلاة الظهر والعصر والعشاين وقال مجاهد
معناه قولوا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله فعبر
بالتسبيح عن اخوانه وقيل المراد من قوله ذكرا كثيرا هذه الكلمات بقولها الطاهر
والجنب والمحدث قوله هو الذي يصلي عليكم وملايكته الصلاة من الله الرحمة
ومن الملايكة الاستغفار للمؤمنين فذكر صلوته تحريضا للمؤمنين على الذكر والتسبيح قال السدي
قالت بنوا اسرائيل لموسى ايصلي ربنا فكبر هذا الكلام على موسى فاوحى الله اليه قل لهم اني
اصلي وان صلاتي رحمتي كل شي وقيل الصلاة من الله هي اشاعة الذكر الجميل له في
عباده وقيل الثناء عليه قال انس لما نزلت ان الله وملايكته يصلون على النبي قال
ابو بكر ما خصك الله يا رسول الله بشرف الا وقد اشركنا فيه فانزل الله عز وجل
هذه الاية قوله وملايكته اما عطف على فاعل يصلي واغنى الفصل بالجار عن التاكيد
بالضمير وهذا عند من يرى الاشتراك او القدر المشترك او المجاز لان صلاة
الله غير صلاتهم واما مبتدا وخبره محذوف اي وملايكته يصلون وهذا عند من
يرى شيئا مما تقدم جايزا الا ان فيه بحثا وهو انهم نصوا على انه اذا اختلف مدلولا
الخبرين فلا يجوز حذف احدهما لدلالة الاخر عليه وان كانا بلفظ واحد فلا
يقول زيد ضارب وعمرو يعني وعمرو ضارب في الارض اي مسافر فصل
الصلاة من الله رحمته ومن الملايكة استغفار فقيل ان اللفظ المشترك يجوز
استعماله في معنييه معا وكذلك الجمع بين الحقيقة والمجاز في لفظ جايز قال ابن الخطيب
وينسب هذا القول للشافعي رحمه الله وهو غير بعيد وذلك لان الرحمة والاستغفار
مشتركان في العناية بحال المرحوم والمستغفر له والمراد هو القدر المشترك فيكون
الدلالة تضمنية ثم قال ليخرجكم من الظلمات الى النور اي من ظلمة الكفر الى نور الايمان
يعني انه برحمته وهدايته ودعا الملايكة لكم اخرجكم من ظلمة الكفر الى نور الايمان
وكان بالمؤمنين رحيما وهذا البشارة لجميع المؤمنين واشار بقوله يصلي عليكم
ان هذا غير مختص بالسامعين وقت الخطاب قوله تحيتهم يجوز ان يكون مصدرا
مضافا للمفعول وان يكون مضافا للفاعل ومفعوله على معنى ان بعضهم يحيي بعضا فيصح
ان يكون الضمير للفاعل والمفعول باعتبارين لا انه يكون فاعلا ومفعولا من وجه
واحد وهو كقول من قال وكنا لحكمهم شاهدين انه مضاف للفاعل والمفعول
فصل المعنى تحية المؤمنين يوم يلقونه اي يوم يرون الله سلام اي يسلم
الله عليهم ويسلمهم من جميع الافات وروي عن البراء بن عازب قال تحيتهم يوم يلقونه
سلام يعني يلقون ملك الموت بها يقبض روح كل مؤمن الا سلم عليه وعن ابن
مسعود قال اذا جاء ملك الموت لقبض روح المؤمن قال ربك يقرئك السلام وقيل
تسلم عليهم الملايكة تبشرهم حين يخرجون من قبورهم ثم قال واعد لهم اجرا
كريما يعني الجنة وتقدم ذكر الكريم في الرزق فان قيل الاعداد انما يكون ممن لا يقدر
عند الحاجة الى الشي عليه واما الله تعالى فغير محتاج ولا عاجز حيث يلقاه يوتيه
ما يرضى وزيادة فما معنى الاعداد من قبل فالجواب ان الاعداد للاكرام لا للحاجة
قوله يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا اي شاهدا للرسل بالتبليغ ومبشرا لمن

٧
وقدوسعت م

امن بالجنة ونذيرا لمن كذب بالنار فشاهدا حال مقدرة او مقارنة لقرب الزمان
وداعيا الى الله الى توحيده وطاعته وقوله باذنه حال اي ملتبسا بتسهيله
ولا يريد حقيقة الاذن لانه مستفاد من ارسلناك قوله وسراجا يجوز
ان يكون عطفا على ما تقدم اما على التشبيه واما على حذف مضاف اي ذا سراج و
جوز الفراء ان يكون الاصل وتاليا سراجا ويعني بالسراج القران وعلى هذا فيكون
من عطف الصفات وهي لذات واحدة لان التالي هو المرسل وجوز الزمخشري ان
يعطف على مفعول ارسلناك وفيه نظر لان السراج هو القران ولا يوصف بالارسال
بل بالانزال الا ان يقال انه حمل على المعنى كقوله فعلفتها تبنا وماء باردا وايضا فيغتفر
في الثواني ما لا يغتفر في الاوايل وقوله منيرا لانه يهتدى به كالسراج يستضاء به
في الظلمة واعلم ان في قوله وسراجا ولم يقل انه شمس مع ان الشمس اشد اضاءة من
السراج فايدة وهي ان نور الشمس لا يوخذ منه شي والسراج يوخذ منه انوار
كثيرة فاذا انطفى الاول يبقى الذي اخذ منه ولذلك ان غاب النبي عليه السلام
كان كل صحابي كذلك سراجا يوخذ منه نور الهداية كما قال عليه السلام اصحابي
كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وفي هذا الخبر لطيفة وهي ان النبي عليه السلام
لم يجعل اصحابه كالسرج وجعلهم كالنجوم لان النجم لا يوخذ منه نور بل له
في نفسه نور اذا غرب لا يبقى نور مستفاد منه فكذلك الصحابي اذا مات فالتابعي
يستنير بنور النبي عليه السلام ولا ياخذ الا قول النبي عليه السلام وفعله فانوار
المجتهدين كلهم من النبي صلى الله عليه وسلم ولو جعلهم كالسرج والنبي عليه
السلام كان سراجا كان للمجتهد ان يستنير بمن اراد منهم وياخذ النور ممن اختار
وليس كذلك فان مع نص النبي صلى الله عليه وسلم لا يعمل بقول الصحابي بل
يوخذ النور من النبي ولا يوخذ من الصحابي فلم يجعله سراجا قوله وبشر المؤمنين
عطف على مفهوم تقديره انا ارسلناك شاهدا ومبشرا فاشهد وبشر ولم يذكر
فاشهد للاستغناء عنه واما البشارة فذكرت اشارة للكرم ولانها غير واجبة
لولا الامر وقوله بان لهم من الله فضلا كبيرا كقوله تعالى اعد لهم اجرا عظيما
والعظيم والكبير متقاربان قوله ولا تطع الكافرين والمنافقين تقدم تفسيره
اول السورة وهو اشارة الى الانذار يعني خالفهم ورد عليهم قوله ودع
اذاهم يجوز ان يكون اذاهم مضافا لمفعوله اي اترك اذاك لهم اي عقابك
اياهم قال الزجاج لا تجازهم عليه وهذا منسوخ باية السيف ويجوز
ان يكون مضافا لفاعله اي اترك ما اوذيت به فلا تواخذهم حتى تومر اي
دعه الى الله فانه يعذبهم بايديكم وبالنار وبين هذا قوله تعالى
وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا اي حافظا قوله تعالى يا ايها الذين
امنوا اذا نكحتم المؤمنات الاية وجه تعلق الاية بما قبلها هو ان الله تعالى
ذكر في هذه السورة مكارم الاخلاق وادب نبيه على ما تقدم والله تعالى
امر عباده المؤمنين بما امر به نبيه فكلما ذكر في هذه السورة مكارم الاخلاق
وادب نبيه على ما تقدم والله تعالى امر عباده المؤمنين بما امر به نبيه فكلما
ذكر لنبيه مكرمة وعلمه ادبا ذكر للمؤمنين ما يناسبه ولما بدا الله تعالى في
تاديب النبي عليه السلام بذكر ما يتعلق بجانب الله بقوله يا ايها النبي اتق الله

وثنى بما يتعلق بجانب من هو تحت يده من ازواجه بقوله بعد يا ايها النبي قل لازواجك
وثلث بما يتعلق بجانب العامة بقوله يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا كذلك
بدا في ارشاد المؤمنين بما يتعلق بجانب الله فقال يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا
كثيرا ثم ثنى بما يتعلق بجانب من تحت ايديهم بقوله يا ايها الذين آمنوا اذا نكحتم
المؤمنات ثم كما ثلث في تاديب النبي بجانب الامة ثلث في حق المؤمنين بما
يتعلق بهم فقال بعد هذا يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي وبقوله
يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه فان قيل اذا كان هذا ارشادا الى ما يتعلق
بجانب من هو من خواص المرء فلم خص المطلقات اللاتي طلقن قبل المسيس فالجواب
هذا ارشاد الى اعلى درجات المكرمات ليعلم منها ما دونها وبيانه ان المراة اذا
طلقت قبل المسيس لم يحصل بينهما تاكد العهد ولهذا قال تعالى في حق الممسوسة
وكيف تاخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض واخذن منكم ميثاقا غليظا فاذا
امر الله تعالى بالتمتيع والاحسان مع من لا مودة بينه وبينها فما ظنك بمن حصلت
المودة بالنسبة اليها بالافضا او حصل تاكدها بحصول الولد بينهما وهذا كقوله
تعالى ولا تقل لهما اف لو قال لا تضربهما ولا تشتمهما ظن انه حرام لمعنى يختص
بالضرب او الشتم فاما اذ قال لا تقل لهما اف علم منه معان كثيرة فكذلك هاهنا
لما امر بالاحسان مع من لا مودة معها علم منه الاحسان مع الممسوسة ومن لم تطلق
بعد ومن ولدت عنده منه **قوله** ثم طلقتموهن ان قيل ما الفائدة بالاتيان
بثم وحكم من طلقت على الفور بعد العقد كذلك فالجواب انه جرى على الغالب
وقال الزمخشري نفي التوهم عمن عسى يتوهم تفاوت الحكم بين ان يطلقها قريبة
العهد بالنكاح وبين ان بعد عهدها بالنكاح وتراخى بها المدة في حبالة الزوج
ثم طلقها قال ابو حيان واستعمل عسى صلة لمن وهو لا يجوز قال شهاب الدين
يخرج قوله على ما خرج عليه قول الآخر واني لرام نظرة قبل التي لعلي وان شطت
نواها ازورها وهو اضمار القول وفي هذه الآية دليل على ان تعليق الطلاق
قبل النكاح لا يصح لان الله تعالى رتب الطلاق على النكاح بكلمة ثم وهي للتراخي
حتى لو قال لاجنبية اذا نكحتك فانت طالق او كل امراة اتزوجها فهي طالق فنكح
لا يقع الطلاق وهو قول علي وابن مسعود وجابر ومعاذ وعايشة وبه قال سعيد بن
المسيب وعروة وشريح وسعيد بن جبير والقسم وطاوس والحسن وعكرمة وعطا
بن يسار والشعبي وقتاده واكثر اهل العلم وبه قال الشافعي واحمد وروي عن ابن
مسعود انه قال يقع الطلاق وهو قول ابراهيم النخعي واصحاب الراي وقال ربيعة
ومالك والاوزاعي ان عين امراة يقع وان عم فلا يقع وروى عكرمة عن ابن عباس قال كذبوا
على ابن مسعود لئن كان قالها فزلة من عالم في الرجل يقول ان تزوجت فلانة فهي
طالق يقول الله تعالى اذا نكحتم المومنات ثم طلقتموهن ولم يقل اذا طلقتموهن
ثم نكحتموهن وروى عطا عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا طلاق
قبل النكاح **قوله** من قبل ان تمسوهن تجامعوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها
اي تحصونها وتستوفونها بالاقراء والاشهر فتعتدونها صفة لعدة وتعتدونها
تفتعلونها اما من العدد واما من الاعتداد اي تحسبونها وتستوفون عددها
من قولك عد الدراهم فاعتدها اي استوفى عددها نحو كلته فاكتاله ووزنته

فاتزنه وقرا ابن كثير في رواية واهل مكة بتخفيف الدال وفيها وجهان
احدهما انها من الاعتداد وانما كرهوا تضعيفه فخففوه قاله ولو كان
من الاعتدا الذي هو الظلم لضعف لان الاعتداء يتعدى بعلى قيل
ويجوز ان يكون من الاعتدا وحذف الجار اي تعتدون عليها اي على
العدة مجازا ثم تعتدونها كقوله تحن فتبدي ما بها من صبابة
واخفي الذي لولا الاسى لقضاني اي لقضى علي وقال الزمخشري وقرئ
تعتدونها مخففا اي تعتدون فيها كقوله ويوم شهدناه والمراد
بالاعتداء ما في قوله ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا يعني انه حذف
حرف الجر كما حذف في قوله ويوم شهدناه سليما وعامرا قليل
سوى الطعن الدراك نوافله وقيل معنى تعتدونها اي تعتدون
عليهن فيها وقد انكر ابن عطية القراءة على ابن كثير وقال غلط
ابن ابي بزة عنه وليس كما قال والثاني انها من العدوان والاعتدا
وقد تقدم شرحه واعتراض ابي الفضل عليه بانه كان ينبغي
ان يتعدى بعلى وتقدم جوابه وقرا الحسن تعدونها بسكون العين
وتشديد الدال وهو جمع بين ساكنين على غير حديهما **فصل**
دلت هذه الآية على ان العدة حق الزوج فيها غالب وان كان
لا يسقط باسقاطه لما فيه من حق الله تعالى ثم قال فمتعوهن
اي اعطوهن ما يستمتعن به قال ابن عباس هذا اذا لم يكن سمى لها
صداقا فلها المتعة وان كان قد فرض لها صداقا فلها نصف
الصداق ولا متعة لها وقال قتاده هذه الآية منسوخة بقوله
فنصف ما فرضتم وقيل انه عام وعلى هذا فهل هو امر وجوب او امر
استحباب فقيل للموجود فتجب المتعة مع نصف المهر وقيل للاستحباب
فيستحب ان يمتعها مع الصداق بشيء ثم قال وسرحوهن سراحا
جميلا اي خلوا سبيلهن بالمعروف من غير ضرار وقيل السراح الجميل
ان لا يطالبها بما آتاها **قوله** يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك
اللاتي آتيت اجورهن اي مهورهن وما ملكت يمينك وقوله مما
افاء الله عليك رد عليك من الكفار بان تسبي فتملك وهذا بيان
لما ملكت وليس هذا قيدا بل لو ملكت يمينه بالشراء كان
الحكم كذا وانما خرج مخرج الغالب واعلم ذكر للنبي عليه السلام
ما هو اولى فان الزوجة التي اوتيت مهرها اطيب قلبا من التي لم تؤت
والمملوكة التي سباها الرجل بنفسه اطهر من التي اشتراها
الرجل لانه لا يدري كيف حالها ومن هاجرت من اقارب النبي عليه
السلام معه اشرف ممن لم تهاجر وقال بعضهم ان النبي عليه السلام
كان يجب عليه اعطا المهر اولا لان المراة لها الامتناع الى ان تاخذ
مهرها والنبي عليه السلام ما كان يستوفي ما لا يجب له والوطي
قبل ايتا الصداق غير مستحق وان كان حلالا لنا وكيف والنبي
عليه السلام اذا طلب شيا حرم الامتناع على المطلوب والظاهر ان الطالب

فى المراة الاولى انما هو الرجل الحباء المراة فلوطلب النبى عليه السلام
من المراة التمكين قبل المهر للزم ان يجب وان لا يجب وهو محال
ولا كذلك احدنا ويوكد هذا قوله تعالى وامراة مومنة
ان وهبت نفسها للنبى يعنى حينئذ لا يبقى لها صداق فتصير
كالمستوفية مهرها واعلم ان اللاتى ملكت يمينه مثل
صفية وجويرية ومارية وبنات عمك وبنات عماتك يعنى نسا
قريش وبنات خالك وبنات خالاتك يعنى نساء بنى زهرة
اللاتى هاجرن معك الى المدينة فمن لم يهاجر معه منهن لم يجز
له نكاحها روى ابو صالح عن ام هانى ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم لما فتح مكة خطبنى فانزل الله هذه الاية
فلم احل له لانى لم اكن من المهاجرات وكنت من الطلقاء
ثم نسخ شرط الهجرة فى التحليل قوله وامراة العامة على النصب
وفيه وجهان احدهما انها عطف على مفعول احللنا
لك امراة موصوفة بهذين الشرطين وقال ابو البقا وقد
رد هذا قوم وقالوا احللنا ماض وان وهبت وهو صفة
المراة مستقبل فاحللنا فى موضع جوابه الشرط لا يكون
ماضيا فى المعنى قال وهذا ليس بصحيح لان معنى الاحلال
ههنا الاعلام بالحل اذا وقع الفعل عن ذلك كما
تقول ابحت لك ان تكلم فلانا ان سلم عليك والثانى
انه ينتصب بمقدر تقديره ونحل لك قوله ان
وهبت ان اراد هذا من اعتراض الشرط على الشرط والثانى
هو قيد فى الاول ولذلك نعربه حالا لان الحال قيد ولهذا
اشترط الفقهاء ان يتقدم الثانى على الاول فى الوجود فلو
قال ان اكلت ان ركبت فانت طالق فلا بد ان
ان يتقدم الركوب على الاكل وهذا لتحقق الحالية
والتقييد كما ذكرنا اذ لو لم يتقدم لخلا جزء من الاكل
غير مقيد بركوب فلهذا اشترطنا تقدم الثانى وقد
تحقيق هذا وانه يشترط ان لا يكون ثم قرينة تمنع من
تقدم الثانى على الاول كقوله ان تزوجتك ان طلقتك
فعبدى حر لا يتصور هنا تقدم الطلاق على التزوج قال
شهاب الدين وقد عرض لى اشكال على ما قاله الفقها بهذه
الاية وذلك ان الشرط الثانى هنا لا يمكن تقدمه فى
الوجود بالنسبة الى الحكم الخاص بالنبى صلى الله عليه وسلم
لا انه لا يمكن عقلا وذلك ان المفسرين فسروا قوله تعالى
ان اراد بمعنى قبل الهبة لان بالقبول منه عليه السلام يتم
نكاحه وهذا لا يتصور تقدمه على الهبة اذ القبول متاخر
ايضا فان القصة كانت على ما ذكر به من تاخر ارادته عن

هبتها وهو مذكور فى التفسير وابو حيان لما جاء الى ها هنا
جعل الشرط الثانى متقدما على الاول على القاعدة العامة ولم
يستشكل شيا مما ذكرته وقد عرضت هذا الاشكال
على جماعة من اعيان زماننا فاعترفوا به ولم يظهر عنه جواب
الا ما قدمته من انه ثم قرينة مانعة من ذلك كالمثلة انفا
وقرا ابو حيوه وامراة بالرفع على الابتداء والخبر مقدر اى احللنا
ها لك ايضا وفى قوله ان اراد النبى التفات من الخطاب الى
الغيبة بلفظ الظاهر تنبيها على ان سبب ذلك النبوة ثم رجع
الى الخطاب فقال خالصة لك وقرا ابى والحسن وعيسى ان بالفتح
وفيه وجهان احدهما انه بدل من امراة بدل اشتمال قاله ابو
البقا كانه قال واحللنا لك هبة المراة نفسها لك والثانى
انه على حذف لام العلة اى لان وهبت وزيد بن على اذ وهبت وفيه
معنى العلية قوله خالصة العامة على النصب وفيه اوجه احدها
انه منصوب على الحال من فاعل وهبت اى حال كونها خالصة
لك دون غيرك الثانى انها حال من امراة لانها وصفت فتخصصت
وهو بمعنى الاول واليه ذهب الزجاج الثالث انها نعت مصدر مقدر
اى هبة خالصة فنصبها بوهبت الرابع انها مصدر موكد كوعد الله
قال الزمخشرى والفاعل والفاعلة فى المصادر غير عزيز كالخارج
والقاعد والكاذبة والعافية يريد بالخارج ما فى قول الفرزدق ولا
خارجا من فى زور كلام وبالقاعد فى قولهم اقاعدا وقد سار الركب
وبالكاذبة ما فى قوله تعالى ليس لوقعتها كاذبة وقد انكر ابو حيان عليه
قوله غير عزيز وقال بل هما عزيزان وما ورد متاول وقرئ خالصة
بالرفع فان كانت خالصة حالا قدر المبتدا هى اى المراة الواهبة وان
كانت مصدرا قدر تلك الحال خالصة ولك على البيان اى اعنى لك نحو سقيا
لك فصل المعنى احللنا لك امراة مومنة وهبت نفسها لك بغير صداق
فاما غير المومنة فلا يحل له اذا وهبت نفسها منه واختلفوا فى انه هل كان
يحل للنبى صلى الله عليه وسلم نكاح اليهود والنصرانية فذهب اكثرهم الى انه
كان لا يحل له ذلك لقوله وامراة مومنة واول بعضهم الهجرة فى قوله هاجرن معك
يعنى على الاسلام اى اسلمن معك فيدل ذلك على انه لا يحل له نكاح غير المسلمة
وكان النكاح ينعقد فى حقه بمعنى الهبة من غير ولى ولا شهود ولا مهر وكان ذلك
من خصايصه عليه السلام لقوله تعالى خالصة لك من دون المومنين كالزيادة
على الاربع ووجوب تخيير النساء من خصايصه لا مشاركة لاحد معه
واختلفوا فى انعقاد النكاح بلفظ الهبة فى حق الامة فقال سعيد بن المسيب
والزهرى ومجاهد وعطا لا ينعقد الا بلفظ الانكاح او التزويج وبه
قال ربيعة ومالك والشافعى ومعنى الاية ان اباحة الوطى بالهبة وحصول
التزويج بلفظها من خواصه عليه السلام وقال النخعى وابو حنيفة واهل الكوفة
ينعقد بلفظ الهبة والتمليك وان معنى الاية ان تلك المراة صارت خالصة
لك زوجة من امهات المومنين لا يحل لغيرك ابدا بالتزويج واجيب بان

بان هذا التخصيص بالواهبة لا فايدة فيه فان ازاجه كلهن خالصات
له وما ذكرناه فللتخصيص فايدة **فصل** اختلفوا في التي وهبت نفسها الرسول
النبي صلى الله عليه وسلم هل كانت عنده امراة منهن فقال عبد الله بن
عباس ومجاهد لم يكن عند النبي صلى الله عليه وسلم امراة وهبت نفسها
منه ولم يكن عنده امراة الا بعقد نكاح او ملك يمين وقوله وهبت
نفسها على طريق الشرط والجزا وقيل بل كانت موهوبة واختلفوا فيها
فقال الشعبي هي زينب بنت خزيمة الهلالية يقال لها ام المساكين وقال
قتاده هي ميمونة بنت الحرث وقال علي بن الحسين والضحاك ومقاتل هي ام
شريك بنت جابر من بني اسد وقال عروة بن الزبير هي خولة بنت حكيم
من بني سليم **قوله** قد علمنا ما فرضنا اوجبنا على المومنين في ازواجهم
من الاحكام ان لا يتزوجوا اكثر من اربع ولا يتزوجوا الا بولي وشهود ومهر
وما ملكت ايمانهم اي ما اوجبنا من الاحكام في ملك اليمين وانما ذكرهنا
ليلا يحمل واحد من المؤمنين نفسه على ما كان النبي عليه السلام فان
له في النكاح خصايص ليست لغيره وكذلك في السراري **قوله** لكيلا
متعلق بخالصة وما بينهما اعتراض وموزد ونه متعلق بخالصة كما يقول خلص
من كذا **فصل** قال المفسرون هذا يرجع الى اول الاية اي احللنا لك ازواجك
وما ملكت يمينك والموهوبة لكيلا يكون عليك حرج ضيق وكان الله غفورا
رحيما يغفر الذنوب جميعا ويرحم العبيد **قوله** ترجي اي توخر من تشا
منهن وتؤدي اليك من تشا واختلف المفسرون في معنى الاية فاشهر الاقاويل
انه في القسم بينهن وذلك ان التسوية بينهن في القسم كان واجبا
عليه فلما نزلت هذه الاية سقط عنه فصار الاختيار اليه فيهن قال
ابو رزين وابن زيد نزلت هذه الاية حين غار بعض امهات المؤمنين
على النبي صلى الله عليه وسلم وطلب بعضهن زيادة النفقة فهجرهن
النبي صلى الله عليه وسلم شهرا حتى نزلت اية التخيير فامره الله عز و
جل ان يخيرهن بين الدنيا والاخرة فان يخلي سبيل من اختارت الدنيا
ويمسك من اختارت الله ورسوله على انهن امهات المؤمنين فلا
ينكحن ابدا وعلى انه يووي اليه من يشاء منهن ويرجي من يشاء
فيرضين به قسم لهن او لم يقسم او قسم لبعض دون بعض او فضل
بعضهن في النفقة والقسمة فيكون الامر في ذلك اليه يفعل كيف
يشاء وكان ذلك من خصايصه فرضين بذلك واخترنه على هذا
الشرط وذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم بالنسبة الى امته نسبة
السيد المطاع والرجل وان لم يكن نبيا فالزوجة في ملك نكاحه
والنكاح عليها رق فكيف جاروت النبي عليه السلام بالنسبة
اليه فاذن هن كالمملوكات له ولا يجب القسم بين المملوكات
والارجا التاخير والايوا الضم واختلفوا في انه هل اخرج احدا منهن
عن القسم فقيل لم يخرج احدا بل كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم مع ما جعل الله له من ذلك يسوي منهن في القسم الا سودة
فانها رضيت بتركه

اى تضم صح

حقها من القسم وجعلت نوبتها لعايشة وقيل اخرج بعضهن روى جرير عن منصور عن ابي رزين
قال لما نزلت اية التخيير اشفقن ان يطلقهن فقلن يا رسول الله اجعل لنا من مالك ونفسك
ما شيت ودعنا على حالنا فنزلت هذه الاية فارجا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضهن
واوى اليه بعضهن فكان ممن اوى عايشة وحفصة وزينب وام سلمة وكان يقسم بينهن
سواوا وارجا منهن خمسا ام حبيبة وميمونة وسودة وصفية وجويرية فكان يقسم لهن ما شا
وقال مجاهد ترجي من تشا منهن يعني تعزل من تشا منهن بغير طلاق وتؤوي اليك من تشا
بعد العزل بلا تجديد عقد وقال ابن عباس تطلق من تشا منهن وتمسك من تشا
وقال الحسن تترك نكاح من شيت وتنكح من شيت من نسا امتك قال وكان النبي صلى الله
عليه وسلم اذا خطب امراة لم يكن لغيره خطبتها حتى يتركها رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقيل تقبل من تشا من المومنات اللاتي يهبن انفسهن لك فتؤويها اليك وتترك من
تشا فلا تقبلها روى هشام عن ابيه قال كانت خولة بنت حكيم من اللاتي وهبن انفسهن
للنبي صلى الله عليه وسلم فقالت عايشة اما تستحي المراة ان تهب نفسها للرجل فلما نزلت ترجي
من تشا منهن قلت يا رسول الله ما ارى ربك الا يسارع في هواك **قوله** ومن ابتغيت
يجوز في من وجهان احدهما انها شرطية في محل نصب بما بعدها وقوله فلا جناح عليك
جوابها والمعنى من طلبتها من النسوة اللاتي عزلتهن فليس عليك في ذلك جناح والثاني
ان تكون مبتداة والعايد محذوف وعلى هذا فيجوز في من ان تكون موصولة وان تكون
شرطية وفلا جناح خبرا وجواب اي والتي ابتغيتها ولا بد حينيذ من ضمير راجع الى اسم
الشرط من الجواب اي في ابتغايها وطلبها وقيل في الكلام حذف معطوف تقديره ومن
ابتغيت ممن عزلت ومن لم تعزل سوا لا جناح عليك كما تقول من لقيك ممن لم يلقك جميعهم
لك شاكر يريد من لقيك ومن لم يلقك وهذا فيه الغاز **قوله** ذلك اي التفويض
الى مشيتك ادنى ان تقر اعينهن اي اقرب الى قرة اعينهن والعامة تقر مبنيا للفاعل
مسند الاعينهن وابن محيصن تقر من اقرها عينا وفاعله ضمير المخاطب اعينهن نصب على
المفعول به وقرى تقر مبنيا للمفعول اعينهن رفع لقيامه مقام الفاعل وتقدم معنى
قرة العين في مريم **قوله** كلهن العامة على رفعه توكيدا للفاعل يرضين وابو اياس
بالنصب توكيدا للمفعول اتيتهن **فصل** قال المفسرون لا جناح عليك لا اثم عليك
اباح له ترك القسم لهن حتى انه ليوخر من يشا منهن في نوبتها ويطا من يشا منهن في غير نوبتها ويرد الى
فراشه من عزلها تفضيلا له على ساير الرجال ذلك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن اي ذلك
التخيير الذي خيرتك في صحبتهن اقرب الى رضاهن واطيب لانفسهن واقل لحزنهن اذا
علمن ان ذلك من الله عز وجل ويرضين بما اتيتهن اعطيتهن من تقريب وارجا وعزل
وايوا والله يعلم ما في قلوبكم من امر النسا والميل الى بعضهن وكان الله عليما حليما اي
ان اضمرن خلاف ما اظهرن فالله يعلم ضماير القلوب فانه عليم وان لم يعاقبهن في
الحال ولا يغترون فانه حليم لا يعجل **قوله** لا تحل لك النسا قرا ابو عمرو لا تحل بالتانيث
اعتبارا باللفظ والباقون بالياء لانه جنس وللفصل ايضا وقوله من بعد اي من بعد اللاتي
نصصنا لك على احلالهن كما تقدم وقيل من بعد اباحة النسا المسلمات دون الكتابيات
فصل قال المفسرون من بعد اي من بعدهن قال ابن الخطيب والاولى ان يقال
لا تحل لك النسا من بعد اختيارهن الله ورسوله ورضاهن بما تؤتيهن من الوصل والهجران
وقال ابن عباس وقتادة من بعدها ولا التسع خيرتهن فاخترنك وذلك ان النبي صلى

عليك

من يشاء

الله عليه وسلم لما خيرهن فاخترن الله ورسوله شكر الله لهن وحرم عليه النسا سواه ونهاه
عن تطليقهن وعن الاستبدال بهن واختلفوا في انه هل ابيح له النسا من بعد قالت عايشة
ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احل له النسا وقال انس مات على التحريم وقال
عكرمة معنى الاية لا تحل لك النسا الا اللاتي احللنا لك ازواجك الاية ثم قال لا تحل لك
النسا من بعد اللاتي احللنا لك بالصفة التي تقدم ذكرها وقيل لابي بن كعب لو مات
نسا النبي صلى الله عليه وسلم اكان تحل له ان يتزوج قال وما يمنعه من ذلك قيل قوله
عز وجل لا تحل لك النسا من بعد قال انما احل الله ضربا من النسا فقال يا ايها النبي انا
احللنا لك ازواجك ثم قال لا تحل لك النسا من بعد قال ابو صالح امران لا يتزوج اعرابية
ولا عربية ويتزوج من نسا قومه من بنات العم والعمة والخال والخالة ان شا ثلاث مائة
وقال مجاهد معناه لا تحل لك اليهوديات ولا النصرانيات بعد المسلمات ولا ان تبدل
بالمسلمات غيرهن من اليهود والنصارى يقول لا تكون ام المومنين يهودية ولا نصرانية الا ما
ملكت يمينك احل له ما ملكت يمينه من الكتابيات ان يتسرى بهن وروي عن الضحاك معنى
ولا ان تبدل بهن اي ولا ان تبدل بازواجك اللاتي هن في حبالك ازواجا غيرهن بان
تطلق فتنكح غيرهن تحرم عليه طلاق النسا اللواتي كن عنده اذ جعلهن امهات المومنين وحرمهن
على غيره حين اخترنه فاما نكاح غيرهن فلم يمنع عنه وقال ابن زيد في قوله ولا ان
تبدل بهن من ازواج كانت العرب في الجاهلية يتبادلون بازواجهم يقول الرجل للرجل
بادلني بامراتك وابادلك بامراتي تنزل لي عن امراتك وانزل لك عن امراتي فانزل الله عز
وجل ولا ان تبدل بهن من ازواج يعني تبادل بازواجك غيرك بان تعطيه زوجتك
وتاخذ زوجته الا ما ملكت يمينك لا باس ان تبادل بجاريتك ما شيت فاما الحراير فلا
روي عطا بن يسار عن ابي هريرة قال دخل عيينة بن حصن على النبي صلى الله عليه وسلم بغير
اذن وعنده عايشة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا عيينة اين الاستيذان قال
يا رسول الله ما استاذنت على رجل من مضر منذ ادركت ثم قال من هذه الحميرا الى
جنبك فقال هذه عايشة ام المومنين فقال عيينة افلا انزل لك عن احسن الخلق فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد حرم ذلك فلما خرج قالت عايشة من هذا يا
رسول الله قال هذا الاحمق مطاع وانه على ما ترين لسيد قومه **قوله** ولو اعجبك
كقوله اعطوا السايل ولو على فرس اي في كل حال ولو على هذه الحال المنافية قال الزمخشري
قوله ولو اعجبك حسنهن في معنى الحال **فصل** معنى ولو اعجبك حسنهن اي ليس لك
ان تطلق احدا من نسايك وتنكح بدلها اخرى ولو اعجبك جمالها قال ابن عباس يعني
اسما بنت عميس الخثعمية امراة جعفر بن ابي طالب فلما استشهد جعفر اراد رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان يخطبها فنهي عن ذلك قال بعض المفسرين ظاهر هذا انا سخ لما كان قد
ثبت له عليه السلام من انه اذا راى واحدة فوقعت في قلبه موقعا كانت تحرم على الزوج
ويجب عليه طلاقها وهذه مسيلة حكمية وهي ان النبي عليه السلام وساير الانبيا في اول النبوة
تشتد عليهم برحا الوحي ثم يستانسون به فينزل عليهم وهم يتحدثون مع اصحابهم لا يمنعهم من
ذلك ما نع ففي اول الامر احل الله من وقع في قلبه تفريغا للقلب وتوسعا للصدر ليلا يكون
مشغول القلب بغير الله ثم لما استانس بالوحي نسخ ذلك اما لقوته عليه السلام للجمع بين الامرين
واما لانه بدوام الانزال لم يبق له ما لوف من امور الدنيا فلم يبق له التفات الى غير الله فلم يبق
له حاجة الى احلال التزوج بمن وقع بصره عليها **قوله** الا ما ملكت فيه اوجه احدها

انه

انه مستثنى من النسا فيجوز فيه وجهان النصب على اصل الاستثنا والرفع على البدل وهو المختار
والثالث انه مستثنى من ازواج قاله ابو البقا فيجوز ان يكون في موضع نصب على اصل الاستثنا
وان يكون في موضع جر بدلا منهن على اللفظ وان يكون في موضع نصب بدلا منهن على المحل
وقال ابن عطية ان كانت ما مصدرية فهي في موضع نصب لانه من غير الجنس وليس
بجيد لانه قال بعد ذلك والتقدير الا ملك اليمين وملك بمعنى مملوك انتهى واذا كان
بمعنى مملوك صار من الجنس واذا صار من الجنس لم يكن منقطعا على انه على تقدير انقطاعه لا يتحتم
نصبه بل يجوز عند تميم الرفع بدلا والنصب على الاصل كالمتصل بشرط صحة توجه العامل اليه
كما تقدم تحقيقه وهذا يمكن توجه العامل اليه ولكن اللغة المشهورة لغة الحجاز وهو لزوم
النصب في المنقطع مطلقا كما ذكره ابو محمد انفا **فصل** قال ابن عباس تملك بعد
ها ولا ما ربه وكان الله على كل شي رقيبا حافظا عالما بكل شي قادرا عليه وفي الاية دليل
على جواز النظر الى من يريد نكاحها من النسا روي عن جابر قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا خطب احدكم المراة فان استطاع ان ينظر الى ما يدعوه الى نكاحها
فليفعل **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الاية قال اكثر
المفسرين نزلت هذه الاية في شان وليمة زينب حين بنى بها رسول الله صلى الله
عليه وسلم لما روى ابن شهاب قال اخبرني انس بن مالك انه كان ابن عشر سنين
مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قال فكانت امهاتي يواظبنني على خدمة
النبي صلى الله عليه وسلم فخدمته عشر سنين وتوفي وانا ابن عشرين سنة فكنت انا اعلم
الناس بشان الحجاب حين انزل وكان اول ما انزل في مبتنى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بزينب بنت جحش اصبح النبي صلى الله عليه وسلم بها عروسا فدعا القوم فاصابوا من
الطعام ثم خرجوا وبقي رهط منهم عند النبي صلى الله عليه وسلم فاطالوا المكث فقام النبي صلى الله
عليه وسلم وخرج وخرجت معه لكي يخرجوا فمشى النبي صلى الله عليه وسلم فمشيت حتى
جا عتبة حجرة عايشة ثم ظن انهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه حتى اذا دخل على زينب
فاذا هم جلوس لم يخرجوا فرجع النبي صلى الله عليه وسلم ورجعت معه حتى اذا بلغ عتبة حجرة
عايشة وظن انهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه فاذا هم قد خرجوا فضرب النبي صلى الله
عليه وسلم بيني وبينه بالستر وانزل الله الحجاب وقال ابو عثمان واسمه الجعد عن انس
قال فدخل يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت وارخى الستر واني لفي الحجرة وهو
يقول يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يوذن لكم الى قوله والله لا يستحيي من الحق
وروي عن ابن عباس انها نزلت في ناس من المسلمين كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى
الله عليه وسلم فيدخلون عليه قبل الطعام الى ان يدرك ثم ياكلون ولا يخرجون وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يتاذى بهم فنزلت الاية يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي
الاية وروى ابن شهاب عن عروة عن عايشة ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم كن يخرجن
بالليل اذا تبرزن الى المناصع وهو صعيد افيح فكان عمر يقول للنبي صلى الله عليه وسلم احجب
نساك فلم يكن رسول الله يفعل فخرجت سودة بنت زمعة زوج النبي صلى الله عليه وسلم
ليلة من الليالي عشا وكانت امراة طويلة فناداها عمر قد عرفناك يا سودة حرصا على ان تنزل
اية الحجاب فانزل الله اية الحجاب وعن انس قال قال عمر وافقني ربي في ثلاث قلت يا رسول
الله لو اتخذت من مقام ابرهيم مصلى فانزل الله واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وقلت
يا رسول الله انه يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت امهات المومنين بالحجاب فانزل الله

اية الحجاب قال وبلغني ما اوذين رسول الله صلى الله عليه وسلم نساؤه قال فدخلت عليهن فجعلت
استقريهن واحدة واحدة قلت والله لتنتهين او ليبدلنه الله ازواجا خيرا منكن حتى اتيت
على زينب فقالت يا عمر اما كان في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يعظ نساءه حتى تعظهن انت
قال فخرجت فانزل الله عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن الاية **قوله**
الا ان يؤذن لكم فيه اوجه احدها انها في موضع نصب على الحال تقديره الا مصحوبين
بالاذن الثاني انها على اسقاط باء السبب تقديره الا بسبب الاذن لكم كقوله فاخرج به اي
بسببه الثالث انه منصوب على الظرف قال الزمخشري الا ان يؤذن في معنى الظرف تقديره
الا وقت ان يؤذن لكم **وغير** ناظرين حال من لا تدخلوا وقع الاستثناء على الحال والوقت
معا كانه قيل لا تدخلوا بيوت النبي الا وقت الاذن ولا تدخلوا الا غير ناظرين اناه ورد ابو حيان
الاول بان النحاة نصوا على ان المصدرية لا تقع موقع الظرف لا تجوز اتيك ان يصيح الديك وان جاز
ذلك في المصدر الصريح نحو اتيك صياح الديك ورد الثاني بانه لا يقع بعد الا في الاستثنا
الا المستثنى او المستثنى منه او صفته ولا يجوز فيما عدا هذا عند الجمهور واجاز ذلك الكسائي
والاخفش اجازا ما قام القوم الا يوم الجمعة ضاحكين **قوله الى** طعام متعلق بيؤذن لانه
بمعنى الا ان تدعوا الى الطعام وقرا العامة غير ناظرين بالنصب على الحال كما تقدم فعند
الزمخشري ومن تابعه العامل فيه يؤذن وعند غيرهم العامل فيه مقدر تقديره ادخلوا غير
ناظرين وقرا ابن ابي عبلة غير بالجر صفة لطعام واستضعفها الناس من اجل عدم بروز الضمير
لجريانه على غير من هو له فكان من حقه ان يقال غير ناظرين اناه انتم وهذا راي البصريين
والكوفيون يجيزون ذلك اذا لم يلبس كهذه الاية وقد تقدمت هذه المسالة وفروعها فيما
قبل فيه وهل ذلك مختص بالاسم او يجري في الفعل خلاف مشهور نقل من يضبطه **قوله**
اناه قرا العامة اناه مفردا اي نضجه يقال انى الطعام يانى انى مثل قلى يقلي اي غير منتظرين
ادراكه ووقت نضجه ويقال انى الحميم اذا انتهى حره وانى ان يفعل كذا اي حان انى بكسر
الهمزة مقصورا وقرا الاعمش اناه جمعا على اناء فابدلت الهمزة الثانية الفا والياء همزة
نظر فيما بعد الف زائدة فصار في اللفظ كاناء من قوله ومن اناء الليل وان كان المعنى
مختلفا قال البغوي اذا فتحت الهمزة مددت قلت الانا وفيه لغتان انى يانى وان يئين مثل
حان يحين **قوله** ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم الكلم فانتشروا اي تفرقوا واخرجوا
من منزله **فصل** قال ابن الخطيب الا ان يؤذن لكم الى طعام اما ان يكون فيه تقديم
وتاخير تقديره ولا تدخلوا الى طعام الا ان يؤذن لكم فلا يكون منعا من الدخول
في غير وقت الطعام بغير الاذن واما ان لا يكون فيه تقديم وتاخير فيكون معناه ولا
تدخلوا الا ان يؤذن لكم الى طعام فيكون الاذن مشروطا بكونه الى طعام فان لم يؤذن الى طعام
فلا يجوز الدخول فلو اذن لواحد في الدخول لاستماع كلامه لا لاكل طعام لا يجوز فنقول المراد
هو الثاني ليعم النهي عن الدخول واما كونه لا يجوز الا باذن الى طعام فلما تقدم في سبب النزول
ان الخطاب مع قوم كانوا يتحينون حين الطعام ويدخلون من غير اذن فمنعوا من الدخول في وقته
بغير اذن والاولى ان يقال المراد هو الثاني لان التقديم والتاخير خلاف الاصل وقوله الى طعام
من باب التخصيص بالذكر فلا يدل على نفي ما عداه لا سيما اذا علم ان غيره مثله فان من جاز
دخول بيته باذنه الى طعامه جاز دخوله الى غير طعامه فان غير الطعام يمكن وجوده مع الطعام
فان من الجائز ان تكلم معه وقت ما يدعوه الى الطعام ويستقضيه في حوائجه ويعلمه مما عنده
من الطعام مع زيادة الطعام فان رضي بالكل فرضاه بالبعض اقرب الى العقل فيصير من

باب

باب ولا يثقل عليهم وقوله غير ناظرين اناه اي لا منتظرين وقت الطعام فانه ربما لا يتهيا
فصل لا يشترط في الاذن التصريح به بل اذا حصل العلم بالرضا جاز الدخول
ولهذا قال الا ان يؤذن لكم من غير بيان فاعل فالاذن ان كان من الله او النبي او العقل المؤيد
بالدليل جاز والنقل دال عليه حيث قال او صديقكم فلو جاء الرجل وعلم ان لا مانع في
البيت من تكشف او حضور غير محرم او علم خلو الدار من الاهل وهي محتاجة الى اطفاء حريق
فيها او غير ذلك جاز الدخول وفي معنى البيت موضع مباح لحاجة يختص لصاحبه دون اشتغاله
بشغل فياتيه احد ويطيل المكث عنده **قوله** ولا مستانسين يجوز ان يكون منصوبا
عطفا على غير اي لا تدخلوها غير ناظرين ولا مستانسين وقيل معطوف على حال مقدرة اي لا
تدخلوها هاجمين ولا مستانسين وان يكون مجرورا عطفا على ناظرين اي غير ناظرين وغير
مستانسين والمعنى ولا طالبين الانس لحديث وكانوا يجلسون بعد الطعام يتحدثون طويلا
فنهوا عن ذلك **قوله** لحديث يحتمل ان يكون لام العلة اي مستانسين لاجل ان يحدث
بعضكم بعضا وان يكون المقوية للعامل لانه فرع اي ولا مستانسين حديث اهل البيت
او غيرهم **قوله** ان ذلكم اي ان انتظاركم واستيناسكم فاشير اليهما اشارة الواحد
كقوله عوان بين ذلك اي ان المذكور **قوله** فيستحيي منكم بيائين واحدة والاخرى يحذفونه
واختلف فيها هل هي الاولى او الثانية وتقدم ذلك في البقرة وانها رواية عن ابن كثير
وهي لغة تميم يقولون استحى يستحي مثل استقى يستقي **قوله** والله لا يستحيي من الحق
اي لا يترك تاديبكم وهذا اشارة الى ان ذلك حق والادب ثم ذكر ادبا اخر فقال واذا
سالتموهن متاعا فاسالوهن من وراء حجاب اي من وراء ستر فبعد اية الحجاب لم يكن لاحد ان
ينظر الى امراة من نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم متنقبة كانت او غير متنقبة ذلكم اطهر
لقلوبكم وقلوبهن من الريبة لان العين روزنة القلب فاذا لم تر العين لا يشتهي القلب فاما ان
رات العين فقد يشتهي القلب وقد لا يشتهي فالقلب عند عدم الرؤية اطهر وعدم
الفتنة حينئذ اظهر **قوله** ان تؤذوا هو اسم كان ولكم الخبر ولا ان تنكحوا عطف على اسم
كان وابدا ظرف واعلم انه تعالى لما بين للمؤمنين الادب اكده بما يحملهم على محافظته
فقال وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله وكل ما منعتم عنه مؤذ فامتنعوا عنه وليس لكم اذاه
في شيء من الاشياء **قوله** ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا نزلت في رجل من اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم قال لئن قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم لانكحن عائشة قال
مقاتل بن سليمان هو طلحة بن عبيد الله فاخبر الله عز وجل ان ذلك محرم وقال ان ذلكم
كان عند الله عظيما وروى معمر عن الزهري ان العالية بنت ظبيان التي طلق النبي صلى الله عليه
وسلم تزوجت رجلا وولدت له وذلك قبل تحريم ازواج النبي صلى الله عليه وسلم على الناس
قوله ان تبدوا شيئا او تخفوه الاية نزلت فيمن اضمر نكاح عائشة بعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقيل قال رجل من الصحابة ما بالنا نمنع من الدخول على بنات اعمامنا
فنزلت هذه الاية ولما نزلت اية الحجاب قال الاباء والابناء والاقارب ونحن ايضا نكلمهن من
وراء حجاب فانزل الله عز وجل لا جناح عليهن في ابائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء
اخوانهن ولا ابناء اخواتهن اي لا اثم عليهن في ترك الاحتجاب عن هؤلاء ولا نسائهن قيل
اراد به النساء المسلمات حتى لا يجوز للكتابيات الدخول عليهن وقيل هو عام في المسلمات
والكتابيات وانما قال ولا نسائهن لانهن من اجناسهن وقدم الاباء لان اطلاعهم على
بناتهم اكثر وكيف وهم قد راوا جميع بدن البنات في حال صغرهن ثم الابناء ثم الاخوة وذلك

ظاهرا نما الكلام في بني الاخوة حيث قدمهم الله علي بني الاخوات لان بني الاخوات اباهم ليسوا
بمحارم خالات ابنايهم وبني الاخوة اباوهم محارم ايضا ففي بني الاخوات مفسدة ما وهي ان الابن
ربما يحكي خالته عند ابيه وهو ليس بمحرم ولا كذلك في بني الاخوة **فان قيل** لم
يذكر الله من المحارم الاعمام والاخوال فلم يقل ولا اعمامهن ولا اخوالهن فالجواب من وجهين
احدهما ان ذلك معلوم من بني الاخوة وبني الاخوات لان من علم ان بني الاخ للعمات محارم
علم ان بنات الاخ للاعمام محارم وكذلك الحال في امر الخال وثانيهما ان الاعمام ربما
يذكرون بنات الاخ عند ابنايهم وهم غير محارم وكذلك الحال في ابن الخال **قوله** ولا ما
ملكت ايمانهن ذكر هذا بعد الكل فان المفسدة في التكشف لهم ظاهرة واختلفوا في عبد
المراة هل يكون محرما لها فقيل يكون محرما لها لقوله ولا ما ملكت ايمانهن وقيل المراد
من كان دون البلوغ **قوله** واتقين عطف علي محذوف اي امتثلن ما امرتن به واتقين
الله ان يراكن غير هولاء وقوله ان الله كان علي كل شي شهيدا في غاية الحسن في هذا الموضع
لان ما سبق اشارة الي جواز الخلوة بهم والتكشف لهم فقال ان الله شاهد عند اختلا بعضكم
ببعض فخلوتكم مثل ملاكم بشهادة الله فاتقوه فانه شهيد علي اعمال العباد **قوله** ان الله
وملايكته يصلون علي النبي العامة علي نصب الملايكة نسقا علي اسم ان ويصلون هل هو
خبر عن الله وملايكته او عن الملايكة فقط وخبر الجلالة محذوف لتغاير الصلاتين خلاف
تقدم قريبا وقرا ابن عباس وروت عن ابي عمرو وملايكته رفعا فيحتمل ان يكون عطفا علي محل
اسم ان عند بعضهم وان يكون مبتدا والخبر محذوف وهو مذهب البصريين وقد تقدم فيه
بحث نحو زيد ضارب وعمرو اي ضارب في الارض **فصل** لما امر الله بالاستيذان
وعدم النظر الي نسايه احتراما له كمل بيان حرمته وذلك ان حالاته منحصرة في حالتين حالة
خلوة فذكر ما يدل علي احترامه في تلك الحالة بقوله لا تدخلوا بيوت النبي وحالة يكون في
ملاء والملا اما الملا الاعلي واما الملا الادني اما احترامه في الملا الاعلي فان الله وملايكته
يصلون عليه واما احترامه في الملا الادني فقوله يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما
فصل قال ابن عباس اراد ان الله يرحم النبي والملايكة يدعون له وعن ابن عباس
ايضا يصلون يبركون وقيل الصلاة من الله الرحمة ومن الملايكة الاستغفار وقال
ابو العالية صلاة الله ثناؤه عليه عند الملايكة وصلاة الملايكة الدعا روي عبد الرحمن
ابن ابي ليلي قال لقيني كعب بن عجرة فقال الا اهدي لك هدية سمعتها من رسول الله صلي
الله عليه وسلم فقلت بلي فاهدها لي قال قلنا يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف
نصلي عليك قال قولوا اللهم صل علي محمد وعلي ال محمد كما صليت علي ابرهيم وعلي ال ابرهيم انك
حميد مجيد وروي ابو حميد الساعدي انهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك فقال
رسول الله صلي الله عليه وسلم قولوا اللهم صل علي محمد وازواجه وذريته كما صليت علي
ابرهيم وبارك علي محمد وازواجه وذريته كما باركت علي ابرهيم انك حميد مجيد وروي ابن
مسعود قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ان اولي الناس بي يوم القيامة اكثرهم علي
صلاة وروي ابو هريرة ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال من صلي علي واحدة صلي الله
عليه عشرا وروي عبد الله بن ابي طلحة عن ابيه عن رسول الله صلي الله عليه وسلم انه جا ذات يوم
والبشر في وجهه فقال انه جاني جبريل فقال اما يرضيك يا محمد ان لا يصلي عليك احد من
امتك الا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك احد من امتك الا سلمت عليه عشرا وروي عامر بن
ربيعة انه سمع النبي صلي الله عليه وسلم يقول من صلي علي صلاة صلت عليه الملايكة ما صلي علي

فليتل

فليتل العبد من ذلك او ليكثر وروي عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم
ان لله ملايكة سياحين في الارض يبلغوني عن امتي السلام **فصل** دلت الاية علي وجوب
الصلاة علي النبي صلي الله عليه وسلم لان الامر للوجوب ولا تجب في غير التشهد فتجب في التشهد
وكذلك قوله وسلموا تسليما امر فيجب السلام ولم يجب في غير الصلاة فيجب فيها وهو قولنا
في التشهد سلام عليك ايها النبي وذكر في السلام المصدر للتاكيد ولم يوكد الصلاة لانها كانت
موكدة بقوله ان الله وملايكته يصلون علي النبي **فان قيل** اذا صلي الله وملايكته
عليه فاي حاجة به الي صلاتنا فالجواب ان الصلاة عليه ليس لحاجة اليها والا فلا حاجة
الي صلاة الملايكة مع صلاة الله عليه وانما هو لاظهار تعظيمه كما ان الله تعالي اوجب علينا
ذكر نفسه ولا حاجة له اليه وانما هو لاظهار تعظيمه منا شفقة علينا ليثيبنا عليه ولهذا قال
عليه السلام من صلي علي واحدة صلي الله عليه عشرا **قوله تعالي** ان الذين يوذون الله
فيه اوجه اي يقولون فيه ما صورته اذي وان كان تعالي لا يلحقه ضرر ذلك حيث وصفوه
بما لا يليق بجلاله من اتخاذ الانداد ونسبة الولد والزوجة اليه قال ابن عباس هم اليهود والنصاري
والمشركون قال عليه السلام يقول الله تعالي شتمني عبدي يقول اتخذ الله ولدا وانا الاحد الصمد
لم الد ولم اولد ولم يكن لي كفوا احد وقال عليه السلام قال الله تعالي يوذيني ابن ادم يسب
الدهر وانا الدهر بيدي الامر اقلب الليل والنهار وقيل يوذون الله يلحدون في اسمايه
وصفاته وقال عكرمة هم اصحاب التصاوير روي ابو هريرة قال سمعت النبي صلي الله عليه
وسلم يقول قال الله تعالي ومن اظلم ممن يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة او ليخلقوا حبة او شعيرة ويحتمل
ان يكون علي حذف مضاف اي اولياء الله كقوله واسيل القرية اي اهل القرية قال عليه السلام
قال الله تعالي من عادي لي وليا فقد اذنته بالحرب وقال من اهان لي وليا فقد بارزني
بالمحاربة ومعني الاذي هو مخالفة امر الله وارتكاب معاصيه ذكره علي ما يتعارفه الناس
بينهم والله عز وجل منزه عن ان يلحقه اذي من احد وقال بعضهم اي بالجلالة تعظيما والمراد
يوذون رسولي كقوله انما يبايعون الله واما اية الرسول فقال ابن عباس هو انه شج في وجهه
وكسرت رباعيته وقيل ساحر شاعر معلم مجنون ثم قال لعنهم الله في الدنيا والاخرة واللعن
الطرد وهذا اشارة الي بعد لا رجا للقرب معه لان البعيد في الدنيا يرجوا القرب في الاخرة فاذا
خاب في الاخرة فقد خاب وخسر ثم انه تعالي لم يحصر جزاه في الابعاد بل اوعده بالعذاب
المهين فقال واعد لهم وهذا يفيد التاكيد لان السيد اذا عذب عبده حالة الغضب
من غير اعداد يكون دون ما اعد له قيدا وغلا **قوله** والذين يوذون المومنين
والمومنات بغير ما اكتسبوا اي من غير ما عملوا ما اوجب اذاهم وقال مجاهد يقعون
فيهم ويرمونهم بغير جرم وقيل ان من جلد ماية علي شرب الخمر او حد اربعين علي لعب
النرد فقد اوذي بغير ما اكتسب **قوله** فقد احتملوا اجر والذين ودخلت الفا
لشبه الموصول بالشرط وقوله بهتانا واثما مبينا قال مقاتل نزلت في علي بن ابي طالب رضي
الله عنه كانوا يوذونه ويشتمونه وقيل نزلت في شان عايشة وقال الضحاك والكلبي نزلت
في الزناة الذين كانوا يمشون في طرق المدينة يتبعون النسا اذا برزن بالليل لقضا حوايجهن
فيغمزون المراة فان سكتت اتبعوها وان زجرتهم انتهوا عنها ولم يكونوا يطلبون الا الاما
ولكن كانوا لا يعرفون الحرة من الامة لان زي الكل كان واحدا تخرج في درع وخمار الحرة
والامة فشكوا ذلك الي ازواجهن فذكروا ذلك لرسول الله صلي الله عليه وسلم فنزلت هذه
الاية والذين يوذون المومنين والمومنات الاية ثم نهي الحراير ان يتشبهن بالاما فقال

عز وجل يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن **قوله** البهتان هو الزور وهو لا يكون إلا في القول والإيذاء قد يكون بغير القول لمن آذى مؤمنا بالضرب أو أخذ ماله لا يكون قد احتمل بهتانا فالجواب أن المراد والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بالقول لأن الله تعالى أراد إظهار شرف المؤمنين لأنه لما ذكر أن من آذى الله ورسوله لعن وإيذاء الله أن ينكر وجوده أو يشرك به من لا يبصر ولا يسمع وذلك قول فذكر إيذاء المؤمنين بالقول وعلى هذا خص إيذاء القول بالذكر لأنه أعم لأن الإنسان لا يقدر أن يؤذي الله بما يؤلمه من ضرب أو أخذ مال ويؤذيه بالقول وكذا الغائب لا يمكن إيذاؤه بالفعل ويمكن إيذاؤه بالقول بأن يقول فيه ما يصل إليه فيتأذى ووجه آخر في الجواب بأن يقال قوله بعد ذلك وإثما مبينا كأنه استدرك فكأن قوله احتمل بهتانا إن كان بالقول وإثما مبينا كيف ما كان الإيذاء **قوله** يدنين كقوله قل لعبادي يقيموا ومن للتبعيض والجلابيب جمع الجلباب وهو الملاءة التي تشتمل بها المرأة فوق الدرع والخمار قال ابن عباس وعبيدة أمر نساء المؤمنين أن يغطين رؤوسهن ووجوههن بالجلابيب إلا عينا واحدة ليعلم أنهن حرائر **قوله** ذلك أدنى أي أدنى الجلابيب أقرب إلى عرفانهن أي أدنى أن يعرفن أنهن حرائر فلا يؤذين لا يتعرض لهن ويمكن أن يقال المراد يعرفن أنهن لا يزنين لأن من تستر وجهها مع أنه ليس بعورة لا يطمع فيها أنها تكشف عورتها فيعرفن أنهن مستورات لا يمكن طلب الزنا منهن وكان الله غفورا رحيما قال أنس مرت بعمر بن الخطاب جارية مقنعة فعلاها بالدرة وقال يا لكاع أتتشبهين بالحرائر ألقي القناع **قوله** لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض لما ذكر حال المشرك الذي يؤذي الله ورسوله والمجاهر الذي يؤذي المؤمنين ذكر حال المسر الذي يظهر الحق ويضمر الباطل وهو المنافق ولما كان المذكور من قبل أقواما ثلاثة نظرا إلى أمور ثلاثة وهم المؤذون لله والمؤذون للرسول والمؤذون للمؤمنين ذكر للمسرين ثلاثة نظرا إلى اعتبارات أمور ثلاثة أحدها المنافق الذي يؤذي الله سرا والثاني الذي في قلبه مرض وهو الذي يؤذي المؤمن باتباع نسائه والثالث المرجف الذي يؤذي النبي عليه السلام بالإرجاف بقوله غلب محمد وسيخرج من المدينة وسيؤخذ وهؤلاء وإن كانوا قوما واحدا إلا أن لهم ثلاث اعتبارات وهذا كقوله تعالى إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات حيث ذكر أصنافا عشرة وكلهم يوجد في واحد بالشخص لكنه كثير بالاعتبار فقال لئن لم ينته المنافقون أي عن نفاقهم والذين في قلوبهم مرض يعني الزناة والمرجفون في المدينة بالكذب وذلك أن ناسا منهم كانوا إذا خرجت سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوقعون في الناس أنهم قتلوا وهزموا ويقولون قد أتاكم العدو ونحوه وقال الكلبي كانوا يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ويفشوا الأخبار **قوله** لنغرينك بهم أي لنحرشنك بهم ولنسلطنك عليهم لتخرجهم من المدينة ثم لا يجاورونك فيها لا يساكنونك فيها أي في المدينة إلا قليلا حتى تخرجهم وقيل لنسلطنك عليهم بقتلهم وتخلي منهم المدينة إلا قليلا إلا زمانا قليلا أو إلا جوارا قليلا وقيل قليلا نصب على الحال من فاعل يجاورونك أي إلا أقلاء أذلاء بمعنى قليلين وقيل قليلا منصوب على الاستثناء أي لا يجاورك إلا القليل منهم على أذل حال وأقله **قوله** ملعونين حال من فاعل يجاورونك قاله ابن عطية والزمخشري وأبو البقاء قال ابن عطية لأنه بمعنى ينتفون منها ملعونين وقال الزمخشري دخل حرف الاستثناء على الحال والظرف معا كما مر في قوله إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير وتقدم بحث أبي حيان معه وهو عائد هنا وجوز الزمخشري أن ينتصب على الشتم

وجوز

وجوز ابن عطية أن يكون بدلا من قليلا على أنه حال كما تقدم تقريره ويجوز أن يكون ملعونين نعتا لقليلا على أنه منصوب على الاستثناء من واو يجاورونك كما تقدم تقريره أي لا يجاورك منهم أحد إلا قليلا ملعونا ويجوز أن يكون منصوبا بأخذوا الذي هو جواب الشرط وهذا عند الكسائي والفراء فإنهما يجيزان تقدم معمول الجواب على أداة الشرط نحو خيرا إن تأتني تصب وقد منع الزمخشري من ذلك فقال ولا يصح أن ينتصب بأخذوا لأن ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها وهذا منه مشي على الجادة وقوله ما بعد كلمة الشرط يشتمل على فعل الشرط والجواب فأما الجواب فتقدم حكمه وأما الشرط فأجاز الكسائي أيضا تقدم معموله على الأداة نحو زيدا إن تضرب أهنك فتلخص في المسألة ثلاثة مذاهب المنع مطلقا الجواز مطلقا التفصيل يجوز تقديم معمول الجواب ولا يجوز تقديم معمول الشرط وهو رأي الفراء **قوله** وقتلوا العامة على التشديد وقرئ بالتخفيف وهذه يردها مجيء المصدر على التفعيل إلا أن يقال جاء على غير صدره **فصل** وقوله سنة الله تقدم نظيرها ملعونين مطرودين من باب الله وبابك وإذا خرجوا لا ينفكون عن الذلة ولا يجدون ملجأ بل أينما يكونون يطلبون ويؤخذون ويقتلون وهذا ليس بدعا بل هو سنة جارية وعادة مستمرة يفعل بالمكذبين ولن تجد لسنة الله تبديلا أي ليست هذه السنة مثل الحكم الذي يتبدل وينسخ فإن النسخ يكون في الأقوال أما الأفعال إذا وقعت والأخبار لا تنسخ **قوله** يسألك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله لما بين حالهم في الدنيا أنهم يلعنون ويهانون ويقتلون أراد أن يبين حالهم في الآخرة فذكرهم بالقيامة وما يكون لهم فيها فقال يسألك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله أي إن وقت القيامة علمه عند الله لا يتبين لهم فإن الله أخفاها لحكمة وهي امتناع المكلف عن الاجتراء وخوفهم منها في كل وقت **قوله** وما يدريك لعل الساعة الظاهر أن لعل تعلق كما تعلق التمني وقريبا خبر كان على حذف موصوف أي شيئا قريبا وقيل التقدير قيام الساعة فروعيت الساعة في تأنيث تكون وروعي المضاف المحذوف في تذكير قريبا وقيل قريبا كثر استعماله استعمال الظروف فهو هنا في موضع الخبر وقال ابن الخطيب فعيل يستوي فيه المذكر والمؤنث قال الله تعالى إن رحمة الله قريب من المحسنين أي لعل الساعة تكون قريبة **فصل** المعنى أي شيء يعلمك أمر الساعة ومتى تكون قيامها أي أنت لا تعرفه لعل الساعة تكون قريبا وهذا إشارة إلى التخويف ثم قال إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا أي كما أنهم ملعونون في الدنيا عندكم فكذلك هم يلعنون عند الله وأعد لهم سعيرا كما قال لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا خالدين فيها أبدا ماكثين فيها مستمرين وقوله فيها أي في السعير لأنها مؤنثة أو لأنه في معنى جهنم ولا يجدون حال ثانية أو من خالدين لا يجدون وليا ولا نصيرا أي لا صديق ينفعهم ولا ناصر يدفع عنهم **قوله** يوم معمول لخالدين أو لمحذوف أو لنصيرا أو لا ذكرا ولـيقولون بعده وقرأ العامة تقلب مبنيا للمفعول وجوههم رفع على ما لم يسم فاعله وقرأ الحسن وعيسى والرواسي بفتح التاء أي تتقلب وجوههم فاعل به وأبو حيوة نقلب بالنون أي نحن وجوههم بالنصب وعيسى تقلب بضم التاء وكسر اللام أي تقلب السعير أو الملائكة وجوههم بالنصب على المفعول به يقولون حال ويا ليتنا محكي **فصل** تقلب وجوههم في النار ظهرا لبطن كانوا يسحبون عليها يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول في الدنيا **قوله** سادتنا قرأ ابن عامر في آخرين بالجمع بالألف والتاء قال البغوي على جمع الجمع والباقون سادتنا على أنه جمع تكسير غير مجموع بالألف والتاء ثم سادة يجوز أن يكون جمعا لسيد ولكن لا ينقاس لأن فيعلا لا يجمع على فعلة وسادة فعلة إذ الأصل سودة ويجوز أن يكون جمعا

ظرف

لسائر نحو فاجر وفجور وكافر وكفرة وهو اقرب الى القياس مما قبله وابن عامر جمع هذا ثانيا
بالالف والتاء وهو غير منقيس ايضا نحو بيوتات وجمالات **فصل** لما بين انه لا تشفع
لهم يدفع عنهم العذاب بين ان بعض اعضايهم ايضا لا يدفع العذاب عن البعض بخلاف عذاب
الدنيا فان الانسان يدفع عن وجهه الضربة اتقاء بيده فان من يقصد راسه ووجهه يجعل
يده جنة لوجهه ووقاية له يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول في الدنيا فيندمون
حيث لا ينفعهم الندامة ثم يقولون ربنا انا اطعنا سادتنا اي اطعنا السادة بدل طاعة
الله وطاعة الرسول فاضلونا السبيل ربنا اتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا
قرا عاصم كبيرا بالباء الموحدة والباقون بالمثلثة وتقدم معناهما في البقرة والمراد بضعفين
من العذاب اي ضعفي عذاب غيرهم **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين
اذوا موسى الاية لما بين ان من يوذي الله ورسوله يلعن ويعذب وكان ذلك اشارة الى ان
الايذا الكفر ارشد المومنين الى الامتناع من الايذا الذي هو دونه وهو لا يورث كفرا وهو من لم يرض
بقسمة النبي عليه السلام وحكمه فقال لا تكونوا كالذين اذوا موسى قال بعضهم ايذاوهم لموسى
بنسبة عيب في بدنه وقيل ان قارون قال لامراة قولي ان موسى قد وقع في فاحشة والايذا
المذكور في القران كاف وهو قولهم اذهب انت وربك فقاتلا وقولهم لن نصبر على طعام واحد
الى غير ذلك فقال للمومنين لا تكونوا امثالهم اذا طلبكم الرسول للقتال لا تقولوا اذهب انت
وربك فقاتلا واذا امركم الرسول بشي فاتوا منه ما استطعتم وقوله فبراه الله مما قالوا على
الاول ظاهر لانه ابرزه لقومه فراوه وعلموا فساد اعتقادهم ونطقت المراة بالحق وامر
ملايكته حتى عبروا بهارون عليهم فراوه غير مجروح فعلموا براة موسى عليه السلام عما رموه
به وعلى الثاني فبراه الله مما قالوا اي اخرجه عن عهدة ما طلبوا باعطايه البعض اياهم
واظهار عدم جواز البعض وقطع حججهم ثم ضرب عليهم الذلة والمسكنة وغضب عليهم **قوله**
عند الله العامة على عند الظرفية المجازية وابن مسعود والاعمش وابو حيوة عبد ابن العبودية
لله جار ومجرور وهي حسنة قال ابن خالويه صليت خلف ابن شنبوذ في رمضان فسمعته
يقرا بقراة ابن مسعود هذه قال شهاب الدين وكان مولعا بنقل الشاذة **وما** في مما
قالوا اما مصدرية واما بمعنى الذي ووجيها كريما ذا جاه يقال وجه الرجل يوجه وجاهة
فهو وجيه اذا كان ذا جاه وقدر قال ابن عباس كان حظيا عند الله لا يسال شيا الا اعطاه
وقال الحسن كان مستجاب الدعوة وقيل كان محبا مقبولا واختلفوا فيما اوذي به موسى فروى
ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان موسى كان رجلا حييا ستيرا لا يرى من
جلده شي استحياء منه فاذاه من اذاه من بني اسرايل فقال ما يستتر هذا التستر الا من
عيب بجلده اما برص واما ادرة واما افة وان الله اراد ان يبريه مما قالوا فخلا يوما
وحده فخلع فوضع ثيابه على حجر ثم اغتسل فلما فرغ اقبل الى ثيابه ليأخذها وان الحجر
عدا بثوبه فاخذ موسى عصاه وطلب الحجر فجعل يقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى انتهى الى ملا من
بني اسرايل فراوه عريانا احسن ما خلق الله وابراه مما يقولون وقام الحجر فاخذ ثوبه واستتر
وطفق بالحجر يضربه بعصاه فوالله ان بالحجر لندبا من اثر ضربه ثلاثا او اربعا او خمسا وقيل
لما مات هارون في التيه ادعوا على موسى انه قتله فامر الله الملايكة حتى مروا به على بني
اسرايل فعرفوا انه لم يقتله ولم يروا ببدنه جرحا وقال ابو العالية ان قارون استاجر
امراة لتقذف موسى بنفسها على راس الملا فعصمها الله وبرا موسى واهلك قارون وروى ابو وايل
قال سمعت عبد الله قال قسم النبي صلى الله عليه وسلم قسما فقال رجل ان هذه لقسمة ما اريد

٤٠

بها وجه الله فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته فغضب حتى رايت الغضب في وجهه
ثم قال يرحم الله موسى لقد اوذي باكثر من هذا فصبر **قوله** يا ايها الذين امنوا اتقوا الله
وقولوا قولا سديدا قال ابن عباس صوابا وقال قتادة عدلا وقال الحسن صدقا وقيل
مستقيما وقال عكرمة هو قول لا اله الا الله يصلح لكم اعمالكم قال ابن عباس يتقبل حسناتكم
وقال مقاتل يزكي اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما
لان النجاة من العذاب تعظم بتعظم العذاب فان من اراد ان يضرب عبده سوطا ثم نجا
منه لا يقال فاز فوزا عظيما وتحتمل انه اراد بالفوز العظيم الثواب الكبير الدايم الابدي
قوله انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال وهذا اما حقيقة واما تمثيل
وتخييل والمراد بالامانة الطاعة والفرايض التي فرضها الله على عباده عرضها على السموات
والارض والجبال على انهم ان ادوها اثابهم وان ضيعوها عذبهم قاله ابن عباس وقال ابن مسعود
الامانة اداء الصلوات وايتاء الزكوات وصوم رمضان وحج البيت وصدق الحديث وقضاء
الدين والعدل في المكيال والميزان واشد من هذا كله الودايع وقال مجاهد الامانة الفرايض
وحدود الدين وقال ابو العالية ما امروا به ونهوا عنه وقال زيد بن اسلم هي الصوم والغسل
من الجنابة وما يخفى من الشرايع وقال عبد الله بن عمرو بن العاص اول ما خلق الله من الانسان
فرجه وقال هذه امانة استودعتكها فالفرج امانة والاذن امانة والعين امانة واليد
امانة والرجل امانة ولا ايمان لمن لا امانة له وقيل هي امانات الناس والوفا بالعهود فحق
على كل مومن ان لا يغش مومنا ولا معاهدا في شي قليل ولا كثير وهذه رواية الضحاك عن ابن
عباس وجماعة من التابعين واكثر السلف ان الله عرض هذه الامانة على السموات والارض
والجبال فقال لهن اتحملن هذه الامانة بما فيها قلن وما فيها فقال ان احسنتن جوزيتن وان
عصيتن عوقبتن فقلن لا يا رب نحن مسخرات لامرك لا نريد ثوابا ولا عقابا وقلن ذلك خوفا
وخشية وتعظيما لله خوفا ان لا يقوموا بها لا معصية ومخالفة وكان العرض عليهن تخييرا
لا الزاما ولو الزمهن لم يمتنعن من حملها والجمادات كلها خاشعة لله عز وجل مطيعة ساجدة
له كما قال تعالى للسموات والارض ايتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طايعين وقال في الحجارة
وان منها لما يهبط من خشية الله وقال الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس
والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب الاية وقال بعضهم ركب الله فيهن العقل والفهم
حين عرض الامانة عليهن حتى عقلن الخطاب واجبن بما اجبن وقيل المراد من العرض على
السموات والارض هو العرض على اهل السموات عرضها على من فيها من الملايكة وقيل المراد
المقابلة اي قابلنا الامانة مع السموات فرجحت الامانة وهي الدين والاول اصح وهو قول اكثر
العلما **قوله** فابين ان يحملنها ضمير هذه كضمير الاناث لان جمع التكسير غير العاقل يجوز فيه
ذلك وان كان مذكرا وانما ذكرنا ذلك لياتي توهم انه قد غلب المونث وهو السموات على المذكر
وهو الجبال واعلم انه لم يكن اباوهن كاباء ابليس في قوله تعالى ابى ان يكون مع الساجدين
لان السجود هناك كان فرضا وههنا الامانة كانت عرضا والاباء هناك كان استكبارا وههنا
استصغارا لقوله تعالى واشفقن منها اي خفن من الامانة ان لا يودينها فيلحقهن العقاب
وحملها الانسان يعني ادم عليه السلام فقال لادم اني عرضت الامانة على السموات والارض
والجبال فلم تطقها فهل انت اخذها بما فيها فقال يا رب وما فيها قال ان احسنت جوزيت
وان اسات عوقبت فتحملها ادم عليه السلام وقال بين اذني وعاتقي فقال الله تعالى اما اذ تحملت
فساعينك اجعل لبصرك حجابا فاذا خشيت ان تنظر الى ما لا يحل لك فارخ عليه حجابه واجعل للسانك

لجبن وغلقا فاذا احتشت فاغلق واجمل لفرجك سترا فاذا احتشيت فلا تكشفه على ما حومت
عليك قال مجاهد فما كان بين ان تحملها وبين ان اخرج من الجنة الا مقدار ما بين الظهر الى العصر
انه كان ظلوما جهولا قال ابن عباس ظلوما لنفسه جهولا بامر الله وما احتمل من الامانة وقال
الكلبي ظلوما حين عصى ربه جهولا لا يدري ما العقاب في ترك الامانة وقال مقاتل ظلوما
لنفسه جهولا بعقابه بما تحمل وذكر الزجاج وغيره من اهل المعاني في قوله وحملها الانسان قولا
فقالوا ان الله ايتمن ادم واولاده على شيء وايتمن اهل السموات والارض والجبال على شيء فالامانة
في حق بني ادم ما ذكرنا من الطاعة والقيام بالفرايض والامانة في حق السموات والارض
والجبال هي الخضوع والطاعة لما خلقهن له فابين ان تحملها اي ادين الامانة يقال فلان لم يحمل
الامانة اي لم يخن بها وحملها الانسان اي خان فيها ويقال فلان حمل الامانة اي اثم فيها
بالخيانة قال تعالى وليحملن اثقالهم انه كان ظلوما جهولا حكي عن الحسن على هذا التاويل انه
قال وحملها الانسان يعني الكافر والمنافق حمل الامانة اي خان فيها والاول قول السلف **قوله**
ليعذب متعلق بقوله وحملها فقيل هي لام الصيرورة لانه لم يحملها لذلك وقيل لام العلة على المجاز
لما كانت نتيجة حمله ذلك جعلت كالعلة الباعثة **فصل** قال مقاتل ليعذب
المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات بما خانوا الامانة ونقضوا الميثاق ثم قال ويتوب
الله على المومنين والمومنات قرا الاعمش برفع ويتوب على الاستيناف اي يهديهم ويرحمهم
بما ادوا من الامانة وقال ابن قتيبة عرضنا الامانة ليظهر نفاق المنافق وشرك المشرك فيعذبهم
الله ويظهر ايمان المومن فيتوب الله عليه اي يعود عليه بالرحمة والمغفرة ان حصل منه تقصير
في الطاعات وعطف المشرك على المنافق ولم يعد اسمه تعالى فلم يقل ويعذب الله المشركين
وعند التوبة اعاد اسمه وقال ويتوب الله على المومنين والمومنات ولو قال ويتوب على
المومنين والمومنات كان المعنى حاصلا ولكنه اراد تفضيل المومن على المنافق فجعله كالكلام
المستانف فيجب هناك ذكر الفاعل تعالى ويتوب الله ثم قال وكان الله غفورا رحيما لما ذكر
في الانسان وصفين الظلوم والجهول ذكر من اوصافه وصفين تعالى وكان الله غفورا رحيما
اي كان غفورا للظلم رحيما على الجهول وروى الثعلبي عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قرا سورة الاحزاب وعلمها اهله وما ملكت يمينه اعطي الامان من عذاب
القبر

سورة سبا مكية

وهي خمس وخمسون اية وثمانماية وثلاث
وثمانون كلمة واربعة الاف وخمسماية واثنا عشر حرفا بسم الله الرحمن الرحيم **قوله**
تعالى الحمد لله الذي له ما في السموات اعلم ان السور المفتتحة بالحمد خمس سورتان منها
في النصف الاول وهما الانعام والكهف وسورتان في النصف الاخير وهما هذه وسورة الملائكة
والخامسة هي فاتحة الكتاب تقرا مع النصف الاول ومع النصف الاخير والحكمة فيها ان نعم
الله مع كثرتها وعدم قدرتنا على احصايها منحصرة في قسمين نعمة الايجاد ونعمة الابقا
فان الله خلقنا اولا برحمته وخلق لنا ما نقوم به وهذه النعمة توجد مرة اخرى بالاعادة
فانه يخلقنا مرة اخرى ويخلق لنا ما ندوم به فلنا حالتان الابدا والاعادة وفي كل حالة
له تعالى علينا نعمتان نعمة الايجاد ونعمة الابقا فقال في النصف الاول الحمد لله الذي خلق
السموات والارض وجعل الظلمات والنور اشارة الى الشكر على نعمة الايجاد ويدل عليه قوله
تعالى الذي خلقكم من طين فاشار الى الايجاد الاول وقال في السورة الثانية الحمد لله الذي انزل
على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر فاشار الى الشكر على نعمة الابقا فان الشرايع بها
البقا ولولا شرع نتقاد له لاتبع كل واحد هواه ووقعت المنازعات وادت الى التقاتل

والتفاني وقال ههنا الحمد لله الذي له ما في السموات اشارة الى نعمة الايجاد الثاني بدليل
قوله وله الحمد في الاخرة وقال في الملائكة الحمد لله فاطر السموات والارض اشارة الى نعمة
الابقا بدليل قوله تعالى جاعل الملائكة رسلا اي يوم القيمة يرسلهم الله مسلمين على المسلمين
كما قال تعالى وتتلقاهم الملائكة وقال تعالى عنهم سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وفاتحة
الكتاب لما اشتملت على ذكر نعمتين اشار بقوله الحمد لله رب العالمين الى النعمة العاجلة واشار
بقوله مالك يوم الدين الى النعمة الاجلة فرتب الافتتاح والاختتام عليهما **فان قيل**
قد ذكرتم ان الحمد ههنا اشارة الى النعم التي في الاخرة فلما ذا ذكر الله السموات والارض فالجواب
ان نعم الاخرة غير مرئية فذكر الله النعم المرئية وهي ما في السموات وما في الارض ثم قال وله
الحمد في الاخرة ليقاس نعم الاخرة بنعم الدنيا ويعلم فضلها بدوامها **قوله** الذي له
يجوز فيه ان يكون تابعا وان يكون مقطوعا نصبا او رفعا على المدح فيهما وما في السموات
يجوز ان يكون فاعلا له وهو الاحسن وان يكون مبتدا **قوله** في الاخرة يجوز ان يتعلق
بنفس الحمد وان يتعلق بما تعلق به خبره **وهو الحكيم** يجوز ان يكون ممتزجا اذا
اعربنا يعلم حالا موكدة من ضمير البارئ تعالى ويجوز ان يكون يعلم مستانفا وان يكون
حالا من الضمير في الخبير **فصل** له ما في السموات وما في الارض ملكا وخلقا
وله الحمد في الاخرة كما هو له في الدنيا لان النعم في الدارين كلها منه وقيل الحمد في الاخرة
هو حمد اهل الجنة كما قال تعالى وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن والحمد لله الذي
صدقنا وعده وهو الحكيم الخبير فالحكمة هي العلم الذي يتصل به العمل فان من يعلم امرا
ولا ياتي بما يناسب علمه لا يقال له حكيم والفاعل الذي يفعله على وفق العلم هو الحكيم
والخبير هو الذي يعلم عواقب الامور وبواطنها فقوله حكيم اي في ابتدا الخلق كما ينبغي وخبير
اي بالانتها يعلم ما يصدر من المخلوق وما لا يصدر فهو حكيم في الابتدا خبير في الانتها
ثم بين كمال خبرته بقوله يعلم ما يلج في الارض اي يدخل فيها من الماء والاموات وما يخرج منها
من النبات والاموات اذا حشروا **قوله** وما ينزل العامة على ينزل مفتوح اليا مخفف
الزاي مسند الى ضمير ما وعلي رضي الله عنه والسلمي بضمها وتشديد الزاي اي الله تعالى والمراد
الامطار والملائكة والقران وما يعرج فيها من الكلام الطيب لقوله اليه يصعد الكلم
الطيب والملائكة والاعمال الصالحة لقوله والعمل الصالح يرفعه وقدم ما يلج في الارض
على ما ينزل من السماء لان الحبة تبذر اولا ثم تسقى ثانيا وقال ما يعرج فيها ولم يقل ما يعرج
اليها اشارة الى قبول الاعمال الصالحة لان كلمة الى للغاية فلو قال وما يعرج اليها لفهم الوقوف
عند السموات فقال وما يعرج فيها ليفهم نفوذها فيها وصعودها منها ولهذا قال في الكلم
الطيب اليه يصعد الكلم الطيب لان الله هو المنتهى ولا مرتبة فوق الوصول اليه ثم قال
وهو الرحيم الغفور رحيم بالانزال حيث ينزل الرزق من السما غفور عند ما يعرج اليه الارواح
والاعمال ثم بين ان هذه النعمة الذي يستحق الله بها الحمد وهي نعمة الاخرة انكرها قوم فقال
وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعة **قوله** بلى جواب لقولهم لا تاتينا وما بعدها قسم
على ذلك وقرا العامة لتاتينكم بالتانيث وقرا طلق بالتا تحتها اي البعث وقيل على معنى الساعة
اي اليوم قال الزمخشري ورده ابو حيان بانه ضرورة كقوله ولا ارض ابقل ابقالها وليس
مثله وقيل اي الله بمعنى امره ويجوز على قياس هذا الوجه ان يكون عالم فاعلا لتاتينكم في قراءة
من رفعه **قوله** عالم قرا الاخوان علام على صيغة المبالغة وصفه نعتا للربي او بدلا
منه وهو قليل لكونه مشتقا ونافع وابن عامر عالم بالرفع على هو عالم او على انه مبتدا وخبره

لا يعزب او على ان خبره مضمر اي هو ذكره الحوفي وفيه بعد والباقون عالم بالخفض على ما تقدم
واذا جعل نعتا فلا بد من تقدير تعريفه وقد تقدم ان كل صفة يجوز ان تتعرف بالاضافة
الا الصفة المشبهة وتقدمت قراتا يعزب في يونس **فصل** اعلم ان الله تعالى
رد على منكري الساعة فقال قل بلى وربي لتاتينكم فاخبر باتيانها واكدها باليمين فان قيل
انهم يقولون لا رب او انه كانوا يقولون به لكن المسئلة الاصولية لا تثبت باليمين فاجاب عن
هذا بانه لم يقتصر على اليمين بل ذكر الدليل وهو قوله ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات وبيان
كونه دليلا ان المسي قد يبقى في الدنيا مدة مديدة في اللذات العاجلة ويموت عليها والمحسن
قد يدوم في الدنيا في الالام الشديدة ويموت فيها فلولا دار يكون الجزا لكان الامر على خلاف
الحكمة **قوله** لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض فيه لطيفة وهي ان
الانسان له جسم وروح فالاجسام اجزاوها في الارض والارواح في السما فقوله لا يعزب عنه مثقال
ذرة في السماوات اشارة الى علمه بالارواح وقوله ولا في الارض اشارة الى علمه بالاجسام فاذا
علم الروح والاجسام قدر على جمعهما فلا استبعاد له في الاعادة **قوله** ولا اصغر العامة على
رفع اصغر واكبر وفيه وجهان احدهما الابتدا والخبر قوله الا في كتاب والثاني النسق على مثقال
وعلى هذا فيكون الا في كتاب تاكيدا للنفي في لا يعزب كانه قال لكنه في كتاب مبين وقرا قتادة
والاعمش ورويت عن ابي عمرو ونافع ايضا بفتح الرايين وفيها وجهان احدهما انها لا التي
بني اسمها معها والخبر قوله الا في كتاب والثاني النسق على ذرة وتقدم في يونس ان حمزة
قرا بفتح را اصغر واكبر وهنا وافق على الرفع وتقدم البحث هناك قال الزمخشري فان قلت
هلا جاز عطف ولا اصغر على مثقال وعطف ولا اكبر على ذرة قلت يابى ذلك حرف
الاستثنا الا اذا جعلت الضمير في عنه للغيب وجعلت الغيب اسما للخفيات قبل ان تكتب
في اللوح لان اثباتها في اللوح نوع من البروز عن الحجاب على معنى انه لا ينفصل عن الغيب شي
ولا يزل عنه الا مسطورا في اللوح قال ابو حيان ولا يحتاج الى هذا التاويل اذا جعلنا الكتاب
ليس اللوح المحفوظ وقرا زيد بن علي بخفض را اصغر واكبر وهي مشكلة جدا وخرجت على
انهما في نية الاضافة اذ الاصل ولا اصغره ولا اكبره وما لا ينصرف اذا اضيف انجر في موضع
الجر ثم حذف المضاف اليه ونوي معناه فترك المضاف بحاله وله نظاير كقولهم
• بين ذراعي وجبهة الاسد • ويا تيم تيم عدي • على خلاف وقد يفرق بان هناك ما يدل على
المحذوف لفظا بخلاف هنا وقد رد بعضهم هذا التخريج لوجود من لان افعل متى اضيف لم
يجامع من واجيب عن ذلك بوجهين احدهما ان من ليست متعلقة بافعل بل بمحذوف
على سبيل البيان لانه لما حذف المضاف اليه ابهم المضاف فبين بمن ومجرورها اي اعني
من ذلك والثاني انه مع تقديره للمضاف اليه نوى طرحه فلذلك اتى بمن ويدل على ذلك
انه قد ورد التصريح بالاضافة مع وجود من قال الشاعر •
• نحن بغرس الودي اعلمنا منا بركض الجياد في السدف • وخرج على هذين الوجهين اما
التعلق بمحذوف واما نية اطراح المضاف اليه وهذا كما احتاجوا الى تاويل الجمع بين ال
ومن في افعل كقوله • ولست بالاكثر منهم حصى • وهذه توجيهات شذوذ يكفي فيها مثل ذلك
فصل قوله ولا اصغر من ذلك اشارة الى ان مثقال لم يذكر للتحديد بل الاصغر
منه لا يعزب **فان قيل** فاي حاجة الى ذكر الاكبر وان من علم الاصغر من الذرة
لا بد وان يعلم الاكبر فالجواب لما كان الله تعالى اراد بيان اثبات الامور في الكتاب فلو
اقتصر على الاصغر لتوهم متوهم انه يثبت الصغاير لكونها محل النسيان واما الاكبر فلا ينسى

فلا حاجة الى اثباته فقال الاثبات في الكتاب ليس كذلك فان الاكبر ايضا فيه مكتوب
ثم لما بين علمه بالصغاير والكباير وذكر ان جميع ذلك واثباته للجزا فقال ليجزي الذين
امنوا وعملوا الصالحات **قوله** ليجزي فيه اوجه احدها انه متعلق بلا يعزب وقال
ابو البقا بمعنى لا يعزب اي يحصي ذلك ليجزي وهو حسن او بقوله لياتينكم او بالعامل في
قوله الا في كتاب اي الا استقر ذلك في كتاب مبين ليجزي **فصل** اعلم انه
تعالى ذكر فيهم امرين الايمان والعمل الصالح وذكر لهما امرين المغفرة والرزق الكريم
فالمغفرة جزا الايمان فكل مومن مغفور له لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر
ما دون ذلك لمن يشا وقوله عليه السلام تخرج من النار من قال لا اله الا الله ومن في قلبه
وزن ذرة من ايمان والرزق الكريم على العمل الصالح وهذا مناسب فان من عمل لسيد
كريم عملا فعند فراغه من العمل لا بد وان ينعم عليه وتقدم وصف الرزق بالكريم انه
بمعنى الكريم او مكرم او لانه ياتي من غير طلب بخلاف رزق الدنيا فانه ان لم يطلب ويتسبب
اليه لا ياتي **فان قيل** فما الحكمة في تمييز الرزق بوصفه بانه كريم ولم يصف
المغفرة **فالجواب** لان المغفرة واحدة وهي للمومنين واما الرزق فمنه شجرة الزقوم
والحميم ومنه الفواكه والشراب الطهور فميز الرزق لحصول الانقسام فيه ولم يميز المغفرة
لعدم الانقسام فيها **فصل** قوله اوليك لهم مغفرة ورزق كريم يحتمل وجهين
احدهما ان يكون ذلك لهم جزا فوصله اليهم كقوله ليجزي الذين امنوا وثانيهما ان يكون
ذلك لهم والله يجزيهم بشي اخر لان قوله اوليك لهم جملة تامة اسمية وقوله تعالى
ليجزي الذين امنوا جملة تعليلية مستقلة وهذا ابلغ في البشارة من قول القايل ليجزي
الذين امنوا وعملوا الصالحات رزقا **فصل** اللام في ليجزي للتعليل ومعناه
الاخرة للجزا فان **قيل** فما وجه المناسبة فالجواب ان الله تعالى اراد ان لا ينقطع
ثوابه فجعل للمكلف دارا باقية يكون ثوابه واصلا اليه فيها دايما ابدا وجعل قبلها
دارا فيها الالام والاسقام وفيها الموت ليعلم المكلف مقدار ما يكون فيه في الاخرة
اذا نسبه الى ما قبله **قوله** والذين سعوا يجوز فيه وجهان اظهرهما انه مبتدا
واوليك وما بعده خبره والثاني انه عطف على الذين قبله اي ويجزي الذين سعوا
ويكون اوليك الذي بعده مستانفا واوليك الذي قبله وما في حيزه معترضا
بين المتعاطفين **فصل** والذين سعوا في اياتنا معجزين اي في ابطال ادلتنا
معجزين يحسبون انهم يفوتوننا وقد تقدم في الحج قراتا معجزين واعلم
انه تعالى لما بين حال المومنين يوم القيمة بين حال الكافرين والمراد بهم الذين كذبوا باياتنا
وقوله معجزين اي سعوا في ابطالها لان المكذب اتى باخفا ايات بينات فيحتاج الى
السعي العظيم والجد البليغ ليروج كذبه لعله يعجز المتمسك به **قوله** اوليك لهم عذاب
من رجز اليم قرا ابن كثير وحفص هنا وفي الجاثية اليم بالرفع والباقون بالخفض فالرفع
على انه نعت لعذاب والخفض على انه نعت لرجز الا ان مكيا ضعف قراة الرفع
واستبعدها قال لان الرجز هو العذاب فيصير التقدير عذاب اليم من عذاب
وهذا المعنى غير ممكن قال والاختيار خفض اليم لانه اصح في التقدير والمعنى اذ تقديره
لهم عذاب من عذاب اليم اي هذا الصنف من اصناف العذاب لان العذاب بعضه
الم من بعض واجيب بان الرجز مطلق العذاب فكانه قيل لهم هذا الصنف من العذاب
من جنس العذاب وكان ابا البقا لحظ هذا حيث قال وبالرفع صفة لعذاب والرجز

مطلق العذاب **فصل** قال قتادة الرجز سوء العذاب فيكون من بيان الجنس كقولك
خاتم من فضة قال ابن الخطيب قال هنا لهم رزق كريم ولم يقل بمن التبعيضية فلم
يقل لهم نصيب من رزق ولا رزق من جنس كريم وقال ههنا لهم عذاب من رجز اليم بلفظة
صالحة للتبعيض وذلك اشارة الى سعة الرحمة وقلة الغضب وقال هناك لهم مغفرة
ثم قال ورزق كريم وههنا لم يقل الا لهم عذاب فاوعدهم هناك بالرزق الكريم وههنا
لم يزدهم على العذاب وفيما قاله نظر لقوله تعالى في موضع اخر زدناهم عذابا فوق
العذاب **قوله** ويرى الذين اوتوا العلم فيه وجهان احدهما انه عطف على ليجزي قال
الزمخشري اي وليعلم الذين اوتوا العلم عند مجي الساعة وانما قيده بقوله عند مجي الساعة لانه
علق ليجزي بقوله لتاتينكم فبنى هذا عليه وهو من احسن ترتيب والثاني انه مستانف اخبر
عنهم بذلك **والذي** انزل هو المفعول الاول **وهو** فصل والحق مفعول ثان لان
الروية علمية وقرا ابن ابي عبلة الحق بالرفع على انه خبر هو والجملة في موضع المفعول الثاني
وهي لغة تميم يجعلون ما هو فصل مبتدا وخبره ومن ربك حال في القران **فصل**
لما بين حال من سعى في التكذيب في الاخرة بين حالته في الدنيا وهو ان سعيه باطل فان من
اوتي علما لا يعتبر تكذيبه وهو يعلم ان ما انزل الى محمد عليه السلام حق وصدق فقوله
هو الحق يفيد الحصر اي ليس الحق الا ذلك واما قول المكذب فباطل بخلاف ما اذا تنازع خصمان
والنزاع لفظي فيكون قول كل واحد حقا في المعنى قال المفسرون ويرى الذين اوتوا العلم
يعني مومني اهل الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه الذي انزل اليك من ربك هو
الحق يعني القران هو الحق يعني انه من عند الله **قوله** ويهدي فيه اوجه احدها انه
مستانف وفي فاعله احتمالان اظهرهما انه ضمير الذي انزل وهو القران والثاني ضمير
اسم الله تعالى ويتعلق هذا بقوله الى صراط العزيز الحميد اذ لو كان كذلك لقيل الى صراطه
ويجاب بانه من الالتفات ومن ابراز المضمر ظاهرا تنبيها على وصفه بهاتين الصفتين
الوجه الثاني انه معطوف على موضع الحق وان معه مضمرة تقديره هو الحق والهداية
الثالث انه عطف على الحق عطف فعل على اسم لانه في تاويله كقوله تعالى صافات ويقبضن
اي وقابضات كما عطف الاسم على الفعل لان الفعل بمعناه كقوله
• فالفيته يوما يبير عدوه • ومجر عطاء يستخف المعابرا • كانه قيل وليروه الحق وهاديا
الرابع ان ويهدي حال من الذي انزل ولا بد من اضمار مبتدا اي وهو يهدي كقوله
• نجوت وارهنهم مالكا • وهو قليل جدا ثم قال الى صراط العزيز الحميد وهاتان الصفتان
يفيدان الرهبة والرغبة فالعزيز يفيد التخويف والانتقام من المكذب والحميد يفيد
الترغيب في الرحمة للمصدق **قوله** وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل لما بين حال
المكذب بالساعة ورد عليه بقوله قل بلى وربي لتاتينكم ثم بين ما يكون بعد اتيانها من
جزا المومن على عمله الصالح وجزا الساعي في تكذيب الايات بالتعذيب على السيات وبين
حال الكافر والمومن بعد قوله عليه السلام بلى وربي لتاتينكم فقال المومن الذي انزل اليك
من ربك الحق وهو يهدي وقال الكافر المنكر للبعث متعجبا هل ندلكم على رجل ينبئكم يخبركم
يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم وهذا كقول القايل في الاستبعاد جا رجل يقول ان الشمس تطلع
من المغرب الى غير ذلك من المحالات **قوله** اذا مزقتم اذا منصوب بمقدر اي تبعثون وتحشرون
وقت تمزيقكم لدلالة انكم لفي خلق جديد عليه ولا يجوز ان يكون العامل ينبئكم لان التنبئة لم
تقع ذلك الوقت ولا خلق جديد لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها ومن توسع في الظرف اجازه هذا

اذا جعلنا اذا ظرفا محضا فان جعلناه شرطا كان جوابها مقدرا اي تبعثون وهو العامل في
اذا عند جمهور النحاة وجوز الزجاج والنحاس ان يكون معمولة لمزقتم وجعله ابن عطية خطا وافسادا
للمعنى قال ابو حيان وليس بخطا ولا افساد وقد اختلف في العامل في اذا الشرطية والصحيح ان
العامل فيها فعل الشرط كاخواتها من اسما الشرط قال شهاب الدين والجمهور على خلافه ثم قال
ابو حيان والجملة الشرطية يحتمل ان تكون معمولة لينبئكم لانه في معنى يقول لكم اذا مزقتم تبعثون
ثم اكد ذلك بقوله انكم لفي خلق جديد ويحتمل ان يكون انكم لفي خلق معلقا لينبئكم سادا
مسد المفعولين ولولا اللام لفتحت ان وعلى هذا فجملة الشرط اعتراض وقد منع قوم التعليق
في اعلم وبابها والصحيح جوازه قال حذار فقد نبيت انك للذي ستجزى بما تسعى فتسعد او تشقى
وقرا زيد بن علي بابدال الهمزة يا وادغمه ينبيكم مثل اتاكم كرم **ممزق** فيه وجهان
احدهما انه اسم مصدر وهو قياس كل ما زاد على الثلاث ان يجي مصدره وزمانه ومكانه على
زنة اسم مفعوله اي كل تمزيق والثاني انه ظرف مكان قاله الزمخشري اي كل مكان تمزيق من
القبور وبطون الوحش والطير ومن مجي مفعل بمعنى التمزيق قوله •
• الم تعلم مسرحي القوافي • فلا عيا بهن ولا اجتلابا • اي تسريحي والتمزيق التخريق والتقطيع
يقال ثوب ممزق وممزوق ويقال مزقه فهو مازق ومزق ايضا قال •
• اتاني انهم مزقون عرضي • وقال الممزق العبدي وبه سمي الممزق •
• فان كنت ماكولا فكن خير اكل • والا فادركني ولما امزق • اي ولما ابل وافنى وجديد
عند البصريين بمعنى فاعل يقال جد الشي فهو جاد وجديد وعند الكوفيين بمعنى مفعول
من جدده اي قطعه **فصل** المعنى ان الكفار قالوا لقومهم متعجبين ان محمدا يعد(كم)
اذا متم ومزقتم وتقطعتم كل تقطيع وفرقتم كل تفريق وصرتم ترابا انكم لفي خلق جديد
اي تخلقون خلقا جديدا **قوله** افترى هذه همزة استفهام وحذفت لاجلها همزة
الوصل فلذلك ثبتت هذه الهمزة وصلا وابتدا قال البغوي هذه الف استفهام دخلت
على الف الوصل فلذلك نصبت على الله كذبا وبهذه الاية استدل الجاحظ على ان الكلام
ثلاثة اقسام صدق وكذب ولا صدق ولا كذب ووجه الدلالة منه على القسم الثالث ان
قولهم ام به جنة لا جائز ان يكون كذبا لانه قسيم الكذب وقسيم الشي غيره ولا جائز ان يكون صدقا
لانهم لم يعتقدوه فثبت قسم ثالث واجيب عنه بان المعنى ام لم يفتر ولكن عبر عن هذا بقولهم
ام به جنة لان المجنون لا افترا له والظاهر في ام هذه انها متصلة لانها تتقدر باي
الشيين وتجاب باحدهما كانه قيل اي الشيين واقع افترا الكذب ام كونه مجنونا
ولا يضر كونها بعدها جملة لان الجملة بتاويل المفرد كقوله •
• لا ابالي انب بالحزن تيس • ام جفاني بظهر غيب لييم • ومثله قول الاخر
• لعمرك ما ادري وان كنت داريا • شعيث بن سهم ام شعيث بن منقر • لان منقر خبر
لا نعت كذا انشده بعضهم مستشهدا على انها جملة وفيه حذف التنوين من ما قبل ابن وليس
بصفة وهذا اشارة الى البحث المتقدم في سورة التوبة **فصل** قوله افترى على الله
كذبا يحتمل ان يكون من تمام قول الكافرين اولا اي من كلام القايلين هل ندلكم ويحتمل ان
يكون من كلام السامع المجيب للقايل هل ندلكم كان السامع لما قيل له هل ندلكم على رجل
قال له هو يفتري على الله كذبا ان كان يعتقد خلافه او به جنة مجنون ان كان لا يعتقد
خلافه وفي هذا لطيفة وهي ان الكافر لا يرضى بان يظهر كذبه ولهذا قسم ولم يجزم بانه
مفتر بل قال مفتر او مجنون احترازا من ان يقول قايل كيف يقول بانه مفتر مع انه جاز(م)

ان يظن ان الحق ذلك وظن الصدق عنع تسمية القايل مفتريا وكاذبا في بعض المواضع الا
ترى ان من يقول جاء زيد فاذا تبين انه لم يجي وقيل له لم كذبت يقول ما كذبت وانما سمعت
من فلان فظننت انه صادق فقد نفى الكذب عن نفسه بالظن ثم احترزوا عن تعيين
كذبهم فكل عاقل ينبغي ان يحترز عن ظهور كذبه عند الناس ولا يكون العاقل الا يخرجه
من الكاذبين ثم انه تعالى اجابهم عن الحرى ردا عليهم بقوله بل الذين كفروا في العذاب
في مقابلة قولهم افترى على الله كذبا وقوله في الضلال البعيد عن الحق في الدنيا وهذا في
مقابلة قولهم به جنة وكلاهما مناسبا اما العذاب فلان نسبة المكذب الى الصادق موذ
لانه شهادة عليه بانه يستحق العذاب فجعل العذاب عليهم حيث نسبوا العذاب الى البري
واما الجنون فلان نسبة الجنون الى العاقل دونه في الايذا فانه لا يشهد عليه بانه يعذب
وانما ينسبه الى عدم الهداية فبين انهم هم الضالون ثم وصف ضلالهم بالبعد لانا من يسمي المهتدي
ضالا لا يكون اضل والنبي عليه السلام كان هادي كل مهتد **قوله** افلم يروا الى ما بين
المشهور ان تقدير الزمخشري اعموا فلم يروا وغيره يدعي ان الهمزة مقدمة على حرف العطف
قوله من السما بيان للموصول فيتعلق بمحذوف ويجوز ان يكون حالا فيتعلق به ايضا
قيل وثم حال محذوفة تقديره افلم يروا الى كذا مستقرا تحت قدرتنا او محيطا بهم فيعلموا
انهم حيث كانوا فان ارضي وسماي محيطة بهم لا يخرجون من اقطارها وانا القادر عليهم
قوله ان نشا قرا الاخوان ان يشا يخسف يسقط بالياء في الثلاثة والباقون بنون العظمة
فيهما وبما واصحابنا وادغم الكسائي الفا في البا واستضعفها الناس من حيث ادغم الاقوى
في الاضعف قال الفارسي وذلك لا يجوز لان البا اضعف في الصوت من الفا فلا يدغم فيها
وان كانت البا تدغم فيها نحو اضرب فلانا كما تدغم البا في الميم كقولك اضرب مالكا وان كانت
الميم لا تدغم في البا نحو اضمم بكرا لان البا انحطت عن الميم بفقد الغنة وقال الزمخشري
وليست بالقوية وهذه الا ينبغي لا انها قد تواترت **فصل** لما ذكر الدليل بكونه عالم الغيب
وكونه جازيا على السيئات والحسنات ذكر دليلا اخر فيه التهديد والتوحيد فاما دليل التوحيد
فكون السما والارض فانهما يدلان على الوحدانية كما تقدم مرارا ويدلان على الحشر والاعادة
لانهما يدلان على كمال القدرة لقوله تعالى اوليس الذي خلق السموات والارض قادر على ان
يخلق مثلهم واما التهديد فقوله ان نشا نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السما او نجعل
عين ما نعمهم ضارتهم بالخسف والكسف ثم قال ان في ذلك لاية اي فيما يرون من السماء
والارض اية تدل على قدرتنا على البعث لكل عبد منيب تايب راجع الى الله بقلبه ثم
انه تعالى لما ذكر من ينيب من عباده ذكر منهم من اناب واصاب ومن جملتهم داود كما قال
تعالى عنه فاستغفر ربه وخر راكعا واناب **قوله تعالى** ولقد اتينا داود منا
فضلا فقوله منا اشارة الى بيان فضل داود لان قوله ولقد اتينا داود فضلا مستقل
بالمفهوم وتام كما تقول القايل الى الملك زيد خلعة فاذا قال القايل اتاه منه خلعة يفيد
انه كان من خاص ما يكون له فكذلك اتينا الله الفضل عام لكن النبوة من عنده خاص بالبعض
ونظيره قوله تعالى يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان فان رحمة الله واسعة تصل
الى كل احد لكن رحمته في الاخرة على المومنين رحمة من عنده لخواصه والمراد بالفضل النبوة
والكتاب وقيل الملك وقيل جميع ما اوتي من حسن الصوت وتليين الحديد وغير ذلك مما
خص به **قوله** يا جبال محكي بقول مضمر ثم ان شيت قدرته مصدرا ويكون بدلا من
فضلا على جهة تفسيره به كانه قيل اتيناه فضلا قولنا يا جبال وان شيت قدرته فعلا

وجنيد

وجنيذ ذلك وجهان وان شيت جعلته بدلا من اتينا معناه اتينا قلنا يا جبال وان شيت
جعلته مستانفا **قوله** اوبي العامة على فتح الهمزة وتشديد الواو امرا من التاويب وهو
الترجيع وقيل التسبيح بلغة الحبشة وقال القتيبي اصله من التاويب في السير وهو ان يسير
النهار كله وينزل ليلا كانه قال ادأبي النهار كله بالتسبيح معه وقال وهب نوحي معه وقيل
سيري معه والتضعيف يحتمل ان يكون للتكثير واختار ابو حيان ان يكون للتعدي قال لانهم
فسروه برجعي معه التسبيح ولا دليل فيه لانه تفسير معنى وقرا ابن عباس والحسن وقتادة وابن ابي اسحاق
أُوبي بضم الهمزة أمرا من آب يؤوب اي ارجعي معه بالتسبيح **قوله** والطير العامة
على نصبه وفيه اوجه احدها انه عطف على محل جبال لانه منصوب تقديرا الثاني انه
مفعول معه قاله الزجاج ورد عليه بان قبله لفظ معه ولا يقتضي العامل اكثر من مفعول
معه واحد الا بالبدل او العطف لا يقال جاء زيد مع بكر مع عمرو وقال شهاب الدين وخلافهم
في تقضيه جالين يقتضي تجيه هنا الثالث انه عطف على فضلا قاله الكسائي ولا بد من حذف
مضاف تقديره اتيناه فضلا وتسبيح الطير الرابع انه منصوب باضمار فعل اي وسخرنا
له الطير قاله ابو عمرو وقرا السلمي والاعرج ويعقوب وابو نوفل وابو يحيى وعاصم في رواية
والطير بالرفع وفيه اوجه النسق على لفظ جبال وانشد
الا يا زيد والضحاك سيرا فقد جاوزتما خمر الطريق بالوجهين وفي عطف المعرف بال
على المنادى المضموم ثلاثة مذاهب الثاني عطفه على الضمير المستكن في اوبي وجاز ذلك
للفصل بالظرف والثالث الرفع على الابتدا والخبر مضمر اي والطير كذلك اي تؤوب **فصل**
لم يكن الموافقين له في التاويب منحصرا في الطير والجبال ولكن ذكر الجبال لان الصخور للجمود والطير
للنفور وكلاهما يستبعد منه الموافقة فاذا وافقته هذه الاشيا فغيرها اولى ثم من الناس
من لم يوافقه وهم القاسية قلوبهم التي هي اشد قسوة قال المفسرون كان داود اذا نادى
بالنياحة اجابته الجبال بصداها وعكفت الطير عليه من فوقه فصدى الجبال الذي يسمعه
الناس اليوم من ذلك وقيل كان داود اذا تخلل الجبال فسبح الله جعلت الجبال تجاوبه
بالتسبيح نحو ما يسبح وقيل كان داود اذا لحقه فتور اسمعه الله تسبيح الجبال تنشيطا
له **قوله** والنا عطف على اتينا وهو من جملة الفضل قال ابن الخطيب ويحتمل ان يعطف
على قلنا في قوله يا جبال اوبي والنا **فصل** الان الله تعالى له الحديد حتى كان
في يده كالشمع والعجين يعمل منه ما يشا من غير نار ولا ضرب مطرقة وذلك في قدرة الله
يسير روي انه طلب من الله ان يغنيه عن اكل مال بيت المال فالان له الحديد وعلمه
صنعة اللبوس وهو الدرع وانه اول من اتخذها وانما اختار الله له ذلك لانه وقاية للروح
التي هي من امره وتحفظ الادمي المكرم عند الله من القتل فالزراد خير من القواس والسيا
وغيرهما لان القوس والسيف وغيرهما من السلاح ربما يستعمل في قتل النفس المحرمة بخلاف
الدرع قال عليه السلام كان داود لا ياكل الا من عمل يده **قوله** ان اعمل فيها وجهان اظهرهما
انها مصدرية على حذف حرف الجر اي لان والثاني قاله الحوفي وغيره انها مفسرة لقوله والنا
اي النا له الحديد ليعمل سابغات ورد هذا بان شرطها تقدم ما هو بمعنى القول ولم يتقدم
الا النا واعتذر بعضهم عن هذا بان قدر ما هو معنى القول اي وامرناه ان اعمل ولا ضرورة تدعوا
الى ذلك وقرى صابغات لاجل الغين وتقدم تقريره في لقمان عند واسبغ عليكم نعمه **فصل**
معنى سابغات اي كوامل واسعات طوالا تسحب في الارض وذكر الصفة ويعلم منها الموصوف
قوله وقدر في السرد والسرد نسج الدروع يقال لصانعه السراد والزراد والمعنى

قدر المسامير في حلق الدروع اي لا تجعل المسامير غلاظا فتكسر الحلق ولا دقاقا فتتقلقل
فيها ويقال السرد المسمار في الحلقة يقال درع مسرودة اي مسمورة الحلق وقدر في السرد
اي اجعله على القصد وقدر الحاجة ويحتمل ان يقال السرد هو عمل الزرد وقوله وقدر
في السرد اي انك غير مامور به امر ايجاب انما هو اكتساب والكسب يكون بقدر الحاجة
وباقي الايام والليالي للعبادة فقدر في ذلك العمل ولا تشغل جميع اوقاتك بالكسب بل حصل
به القوت فحسب ويدل عليه قوله تعالى واعملوا صالحا اي لستم مخلوقين الا للعمل الصالح فاعملوا
ذلك واكثروا منه والكسب قدروا فيه ثم اكد طلب العمل الصالح بقوله اني بما تعملون بصير
يريد بهذا داود واله ثم لما ذكر المنيب الواحد ذكر منيبا اخر وهو سليمان لقوله تعالى
والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب ثم ذكر ما استفاد من الانابة وهو **قوله تعالى**
ولسليمان الريح العامة على النصب باضمار فعل اي وسخرنا لسليمان وابو بكر بالرفع على الابتدا
والخبر في الجار قبله او محذوف وجوز ابو البقا ان يكون فاعلا يعني بالجار وليس بقوي لعدم
اعتماده وكان قد وافقه في الانبيا غيره وقرا العامة الريح بالافراد والحسن وابو حيوة وخالد
ابن الياس الرياح جمعا وتقدم في الانبيا ان الحسن يقرا مع ذلك بالنصب وهنا لم ينقل
له ذلك **فان قيل** الواو في قوله ولسليمن للعطف فعلى قراءة الرفع يصير
عطفا الجملة الاسمية على فعليه وهو لا يجوز او لا يحسن فالجواب انه لما بين حال داود
فكانه قال ماذكرنا لداود ولسليمن الريح واما على النصب فعلى قوله والنا له الحديد
كانه قال والنا لداود الحديد وسخرنا لسليمن الريح **قوله** غدوها شهر مبتدا وخبر
ولا بد من حذف مضاف اي غدوها مسيرة شهر او مقدار غدوها شهر ولو نصب
لجاز الا انه لم يقرا به فيما علمنا وقرا ابن ابي عبلة غدوتها وروحتها على المرة والجملة
اما مستانفة واما في محل الحال **فصل** المعنى غدو تلك الريح المسخرة له مسيرة
شهر وسيرها رواحها شهر فكانت تسير به في يوم واحد مسيرة شهرين قال الحسن كان
يغدو من دمشق فيقيل باصطخر وبينهما مسيرة شهر ثم يروح من اصطخر فيبيت
بكابل وبينهما مسيرة شهر للراكب المسرع وقيل كان يتغدى بالري ويتعشى بسمرقند
فان قيل ما الحكمة في قوله في الجبال مع داود وفي الانبيا وفي هذه السورة
فقال ياجبال اوبي معه وقال في الريح هناك وههنا لسليمن باللام فالجواب ان الجبال
لما سبحت شرفت بذكر الله فلم يضفها الى داود بلام الملك بل جعلها معه كالمصاحب والريح
لم يذكر تسبيحها فجعلها كالمملوكة له **قوله** واسلنا له عين القطر اي اذبنا له عين
النحاس ثلاثة ايام بلياليهن والقطر النحاس قال المفسرون اجريت له عين النحاس ثلاثة ايام
بلياليهن تجري الما وكان بارض اليمن وانما ينتفع الناس اليوم بما اخرج الله لسليمن **قوله**
من يعمل يجوز ان يكون مرفوعا بالابتدا وخبره في الجار قبله اي من الجن من يعمل وان يكون في
موضع نصب بفعل مقدر اي وسخرنا له من يعمل ومن الجن يتعلق بهذا المقدر او بمحذوف
على انه حال او بيان **وباذن** حال اي ميسرا باذن ربه والاذن مصدر مضاف
لفاعله وقرى ومن يزغ بضم اليا من ازاغ ومفعوله محذوف اي يزغ نفسه اي يميلها ومن
عذاب لابتدا الغاية او للتبعيض **فصل** قال ابن عباس سخر الله الجن لسليمن
وامرهم بطاعته فيما يامرهم به ومن يزغ يعدل منهم من الجن عن امرنا الذي امرنا به من طاعة
سليمن نذقه من عذاب السعير في الاخرة وقيل في الدنيا وذلك ان الله وكل بهم ملكا بيده
سوط من نار فمن زاغ منهم عن امر سليمن ضربه ضربة احرقته **قوله** يعملون له ما يشاء

مفسر

مفسر لقوله من يعمل ومن محاريب بيان لما يشا والمراد بالمحاريب المساجد والابنية المرتفعة
وكان مما عملوا له بيت المقدس ابتداه داود ورفعه قامة رجل فاوحى الله اليه اني لم اقض
ذلك على يدك ولكن ابن لك اسمه سليمن اقضي تمامه على يده فلما توفاه الله استخلف سليمن
فاحب اتمام بنا بيت المقدس فجمع الجن والشياطين وقسم عليهم الاعمال فخص كل طايفة منهم بعمل
يستصلحه له فارسل الجن والشياطين في تحصيل الرخام والمها الابيض من معادنه وامر ببنا
المدينة بالرخام والصفاح وجعلها اثني عشر ربضا وانزل على كل ربض منها سبطا من الاسباط
وكانوا اثني عشر سبطا فلما فرغ من بنا المدينة ابتدا في بنا المسجد فوجه الشياطين فرقا
يستخرجون الذهب والفضة والياقوت من معادنها والدر الصافي من البحر وفرقا يقلعون
الجواهر من الحجارة من اماكنها وفرقا ياتونه بالمسك والعنبر وسائر الطيب من اماكنها فاتي من
ذلك بشي لا يحصيه الا الله عز وجل ثم احضر الصناع وامرهم بنحت تلك الحجارة المرتفعة
وتصييرها الواحا واصلاح تلك الجواهر وثقب الياقوت واللالي فبنى المسجد بالرخام
الابيض والاصفر والاخضر وعمده باساطين المها الصافي وسقفه بالواح الجواهر الثمينة وفصص
سقوفه وحيطانه باللالي واليواقيت وساير الجواهر وبسط ارضه بالواح الفيروزج فلم
يكن يومئذ في الارض بيت ابهى ولا انور من ذلك المسجد كان يضي في الظلمة كالقمر
ليلة البدر فلما فرغ منه جمع احبار بني اسرايل واعلمهم انه بناه لله وان كل شي فيه خالص لله
واتخذ ذلك اليوم الذي فرغ منه عيدا وروى عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال فلما فرغ سليمن من بنا بيت المقدس سال ربه ثلاثا فاعطاه اثنتين
وانا ارجو ان يكون اعطاه الثالثة سال حكما يصادف حكمه فاعطاه اياه وساله ملكا لا ينبغي
لاحد من بعده فاعطاه وساله ان لا ياتي هذا البيت احد يصلي ركعتين الا خرج من ذنوبه
كيوم ولدته امه وانا ارجو ان يكون قد اعطاه ذلك قالوا فلم يزل بيت المقدس على ما بناه
سليمن حتى غزاه بخت نصر فخرب المدينة وهدمها ونقض المسجد واخذ ما كان في سقوفه وحيطانه
من الذهب والفضة والدر والياقوت وساير الجواهر الى دار مملكته من ارض العراق وبنا
الشياطين لسليمن باليمن حصونا كثيرة عجيبة من الصخر **قوله** وتماثيل وهي النقوش التي تكون
في الابنية وقيل صورا من نحاس وصفر وشبه وزجاج ورخام قيل كانوا يصورون السباع
والطيور وقيل كانوا يتخذون صور الملايكة والانبيا والصالحين في المساجد ليراها الناس
فيزدادوا عبادة ولعلها كانت مباحة في شريعتهم كما ان عيسى كان يتخذ صورا من طين فينفخ
فيها فتكون طيرا **قوله** وجفان كالجوابي كالقصاع وقرا ابن كثير باثبات يا الجوابي وصلا
ووقفا وابو عمرو وورش باثباتها في الوصل وحذفها في الوقف والباقون بحذفها في الحالين وكالجواب صفة لجفان والجفان جمع جفنة والجوابي
جمع جابية كضاربة وضوارب والجابية الحوض العظيم سميت بذلك لانه تجبى اليها الما اي تجمع
واسناد الفعل اليها مجاز لانه تجبى فيها كما قيل خابية لما تخبأ فيها قال الشاعر

• بجفان تعتري نادينا من سديف حين هاج الصنبر •

• كالجوابي لا تني مترعة لقرى الاضياف او للمحتضر • وقال الاعشى •

• نفى الذم عن ال المحلق جفنة كجابية الشيخ العراقي تفهق • وقال الافوه •

• وقدور كالربا راسية • وجفان كالجوابي مترعة • قيل كان يقعد على الجفنة الواحدة الف
رجل ياكلون منها **قوله** وقدور راسيات ثابتات لها قوايم لا يحركن عن اماكنها ولا
يبدلن ولا ينزلن وكان يصعد عليها بالسلالم وكانت باليمن **قوله** اعملوا ال داود
شكرا يجوز في شكرا اوجه احدها انه مفعول به اي اعملوا الطاعة سميت الصلاة ونحوها شكرا

الجفان

لشدها مسده الثاني انه مصدر من معنى اعملوا كانه قيل اشكروا شكرا بعملكم او اعملوا اعمل شكر
الثالث انه مفعول من اجله اي لاجل الشكر كقولك جئتك طمعا وعبدت الله رجاء غفرانه الرابع
انه مصدر واقع موقع الحال اي شاكرين الخامس انه منصوب بفعل مقدر من لفظه تقديره
واشكروا شكرا السادس انه صفة لمصدر اعملوا تقديره اعملوا عملا شكرا اي ذا شكر قال
المفسرون معناه اعملوا يا ال داود بطاعة الله شكرا له على نعمه واعلم انه كما قال عقيب قوله
تعالى ان اعمل سابغات اي اعملوا صالحا قال عقيب ما تعمله الجن له اعملوا ال داود شكرا اشارة الى
ما تقدم من انه لا ينبغي ان يجعل الانسان نفسه مستغرقة في هذه الاشيا وانما يجب الاكثار
من العمل الصالح الذي يكون شكرا **قوله** وقليل خبر مقدم ومن عبادي صفة له والشكور
مبتدا والمعنى ان العامل بطاعتي شكرا لنعمتي قليل قيل المراد من آل داود هو داود نفسه وقيل
داود وسليمن واهل بيته **فصل** قال جعفر بن سليمن سمعت ثابتا يقول كان داود
نبي الله صلى الله عليه وسلم قد جزا ساعات الليل والنهار على اهله فلم تكن تاتي ساعة من
ساعات الليل والنهار الا وانسان من ال داود قايم يصلي **قوله** فلما قضينا عليه
الموت اي على سليمن قال اهل العلم كان سليمن عليه السلام يتحرر في بيت المقدس السنة والسنتين
والشهر والشهرين واقل من ذلك واكثر يدخل فيه طعامه وشرابه فادخله في المرة التي مات
بها وكان بدو ذلك انه كان لا يصبح يوما الا نبتت في محرابه ببيت المقدس شجرة فيسالها
ما اسمك فتقول اسمي كذا فيقول لاي شي انت فتقول لكذا وكذا فيامر بها فتقطع فان كانت
نبتت لغرس غرسها وان كانت لدوا كتبه حتى نبتت الخروبة فقال لها ما انت قالت الخروبة
قال لاي شي نبت قالت لخراب مسجدك فقال سليمن ما كان الله ليخربه وانا حي انت الذي
على وجهك هلاكي وخراب بيت المقدس فنزعها وغرسها في حايط له ثم قال اللهم عم على
الجن موتي حتى تعلم الانس ان الجن لا يعلمون الغيب وكانت الجن تخبر الانس انهم يعلمون من الغيب
اشيا ويعلمون ما في غد ثم دخل المحراب فقام يصلي متكيا على عصاه فمات قايما وكان للمحراب
كوى بين يديه وخلفه فكانت الجن تعمل تلك الاعمال الشاقة التي كانوا يعملونها في حياته
وينظرون الى سليمن فيرونه قايما متكيا على عصاه فيحسبونه حيا فلا ينكرون خروجه
الى الناس لطول صلاته فمكثوا يدابون له حولا كاملا حتى اكلت الارضة عصى سليمن فخر
ميتا فعلموا بموته قال ابن عباس فشكرت الجن الارضة فهم ياتونها بالما والطين في جوف
الخشب فذلك قوله ما دلهم على موته الا دابة الارض تاكل منساته اي عصاه **قوله**
تاكل ما حال او مستانفة وقرا ابن ذكوان منساته بهمزة ساكنة ونافع وابو عمرو بالف
محضة والباقون بهمزة مفتوحة والمنساة العصا اسم آلة من نساه اي اخره كالمكنسة
والمكنسة من نسات الغنم اي زجرتها وسقتها ومنه نسا الله في اجله اي اخره وتبنها
الهمزة وهو لغة تميم وانشد • امن اجل حبل لا اباك ضربته • بمنساة قد جر حبلك احبلا • وانشد
وبالالف وهو لغة الحجاز • اذا دببت على المنساة من كبر • فقد تباعد عنك اللهو والغزل •
فاما الهمزة المفتوحة فهي الاصل لان الاشتقاق يدل عليه ويشهد له والفتح لاجل بنا مفعلة كمكنسة
واما سكونها ففيه وجهان احدهما انه ابدل الهمزة الفا كما ابدلها نافع وابو عمرو وسياتي ثم
ابدل هذه الالف همزة على لغة من يقول العألم والخأتم وقوله • وخندف هامة هذا العألم •
ذكره ابن مالك قال شهاب الدين وهذا لا ادري ما حمله عليه كيف يعتقد انه هرب
من شي ثم يعود اليه وايضا فانهم نصوا على انه اذا ابدل من الالف همزة فان كان لتلك الالف
اصل حركت هذه الهمزة بحركة اصل الالف وانشد ابن عصفور على ذلك • ولي نعام بني صفوان

ذو زأة

ذو زأة قال الاصل ذو زاة واصل هذا ذو زوة فلما ابدل من الالف همزة حركها بحركة
الواو اذا عرف هذا فكان ينبغي ان يبدل همزة الالف همزة مفتوحة لانها عن اصل متحرك وهو
الهمزة المفتوحة فيعود الى الاول وهذا الايقال الثاني انه سكن الفتحة تخفيفا والفتحة قد
سكنت في مواضع تقدم التنبيه عليها وشواهدها وتحسنه هنا ان الهمزة تشبه حروف العلة
وحرف العلة تستثقل عليه الحركة من حيث الجملة وان كان لا يستثقل الفتحة لخفتها وانشدوا
على تسكين همزتها • صريع خمر قام من وكاته • كقومة الشيخ الى منساته • وقد طعن قوم على هذه
القراة ونسبوا راويها الى الغلط قالوا لان قياس تخفيفها انما هو تسهيلها بين بين وبه قرا
ابن عامر وصاحباه فظن الراوي انهم سكنوا وضعفها ايضا بعضهم بانه يلزم سكون ما قبل
تا التانيث وما قبلها واجب الفتح الا الالف واما قراة الابدال فقيل هي غير قياسية يعنون
انها ليست على قياس تخفيفها الا ان هذا مردود بانها لغة الحجاز ثابتة فلا يلتفت لمن طعن
وقد قال ابو عمرو وكفى به انا لا اهمزها لاني لا اعرف لها اشتقاقا فان كانت مما لا يهمز فقد
احتطت وان كانت تهمز فقد يجوز لي ترك الهمز فيما يهمز وهذا الذي ذكره ابو عمرو احسن ما
يقال في هذا ونظيره وقرى منساته بفتح الميم مع تحقيق الهمزة وابدالها الفا وحذفها
تخفيفا وقرى منسايه بزنة مفعالة كقولهم ميضاة وميضاه وكلها لغات وقرا ابن
جبير من ساته فصل من وجعلها حرف جر وجعل ساته مجرورة بها والساة والسية هنا
العصا واصلها يد القوس العليا والسفلى يقال ساة القوس مثل شاة وسيتها فسميت العصا
بذلك على وجه الاستعارة والمعنى تاكل من طرف عصاه ووجه ذلك كما جا في التفسير
انه اتكا على عصى خضرا من خروب والعصا الخضرا متى اتكي عليها تصير كالقوس في الاعوجاج
غالبا وساة فعلة وسية فعلة نحو قحة وقحة والمحذوف لامها وقال ابن جني سمي العصا
ساة لانها تسو وهي فلة والعين محذوفة قال شهاب الدين وهذا يقتضي ان تكون القراة
بهمزة ساكنة والمنقول ان هذه القراة بالف صريحة ولابي الفتح ان يقول اصلها الهمزة
ولكن ابدلت **قوله** دابة الارض فيه وجهان اظهرهما ان الارض هذه المعروفة
والمراد بدابة الارض الارضة دويبة تاكل الخشب والثاني ان الارض مصدر لقولك
ارضت الدابة الخشبة تارضها ارضا اي اكلتها فكانه قيل دابة الاكل يقال ارضت الدابة
الخشبة تارضها ارضا فارضت بالكسر تارض هي بالفتح ارضا بالفتح ايضا نحو اكلت القوا فج
الاسنان تاكلها اكلا فاكلت هي بالكسر تاكل اكلا بالفتح ونحوه ايضا جدعت انفه جدعا
فجدع هو جدعا بفتح عين المصدر وقرا ابن عباس والعباس بن الفضل بفتح الرا وهي تقوية
المصدرية في القراة المشهورة وقيل الارضة بالفتح ليس مصدرا بل هو جمع ارضة وعلى هذا
يكون من باب اضافة العام الى الخاص لان الدابة اعم من الارضة وغيرها من الدواب **قوله**
فلما خر اي سقط الظاهر ان فاعله ضمير سليمن عليه السلام وقيل عايد على الباب لان الدابة
اكلته فوقع وقيل بل اكلت عتبة الباب وهي الخارجة وينبغي ان لا يصح اذ يكون التركيب خرت بتا
التانيث وانما يقبل اذا كانت ضميره لرجل دونا وبها تعني العود اند رسه **قوله** تبينت
العامة على بنايه للفاعل مسندا للجن وفيه ثلاث احدها انه على حذف مضاف تقديره
تبين امر الجن اي ظهر وبان وتبين ياتي بمعنى بان لازما كقوله •
• تبين لي ان القماة ذلة • وان اعزا الرجال طيالها • فلما حذف المضاف واقيم
المضاف اليه مقامه وكان مما يجوز تانيث فعله الحقت علامة التانيث وقوله ان لو كانوا
بتا وبل المصدر مرفوعا بدلا من الجن والمعنى ظهر كونهم لو علموا الغيب لما لبثوا في العذاب اي

ظهر جهلهم الثاني ان تبين بمعنى بان وظهر ايضا والجن فاعل ولا حاجة الى حذف مضاف
وان لو كانوا بدل كما تقدم والمعنى ظهر الجن جهلهم للناس لانهم كانوا يوهمون الناس بذلك كقولك
بان زيد جهله الثالث ان تبين هنا متعد بمعنى ادرك وعلم وحينئذ يكون المراد بالجن ضعفتهم
وبالضمير في كانوا كبارهم ومردتهم وان لو كانوا مفعول به وذلك ان المردة والرؤسا من الجن
كانوا يوهمون ضعفاءهم انهم يعلمون الغيب فلما خر سليمن ميتا ومكثوا بعده عاما في العمل تبينت
السفلة من الجن ان الرؤسا منهم لو كانوا يعلمون الغيب كما ادعوا ما مكثوا في العذاب ومن مجي تبين
متعديا بمعنى ادرك قوله ٭ افاطم اني ميت فتبيني ٭ ولا تجزعي كل الانام يموت ٭ اي تبيني
ذلك وفي كتاب ابي جعفر ما يقتضي ان بعضهم قرا الجن بالنصب وهي واضحة اي تبينت الانس
الجن وان لو كانوا بدلا ايضا من الجن قال البغوي قرا ابن مسعود وابن عباس تبينت الانس ان لو
كان الجن يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين اي علمت الانس وايقنت ذلك وقرا ابن عباس
ويعقوب تبينت الجن على البنا للمفعول وهي مؤيدة لما نقله النحاس وفي الاية قراآت كثيرة اضربت
عنها لمخالفتها السواد وان في ان لو الظاهر انها مصدرية مخففة من الثقيلة واسمها ضمير
الشان ولو فاصلة بينها وبين خبرها الفعل وتقدم تحقيق ذلك كقوله وان لو استقاموا ان لو نشا
اصبناهم وقال ابن عطية وذهب سيبويه الى ان ان لا موضع لها من الاعراب انما هي موذنة بجواب
ما ينزل منزلة القسم من الفعل الذي في معناه التحقيق واليقين لان هذه الافعال التي هي تحققت
وتيقنت وعلمت ونحوها تحل محل القسم فما لبثوا جواب القسم لا جواب لو وعلى الاقوال الاول
يكون جوابها قال شهاب الدين وظاهر هذا انها زايدة لانهم نصوا على اطراد زيادتها قبل
لو في حيز القسم وللناس خلاف هل الجواب للو او للقسم والذي يقتضيه القياس ان يجاب اسبقهما
كما في اجتماعه مع الشرط الصريح ما لم يتقدمهما ذو خبر كما تقدم بيانه وتقدم الكلام والقراآت
في سبا في سورة النمل **فصل** المعنى ان سليمن لما سقط ميتا تبينت الجن ان لو
كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين اي في التعب والشقا مسخرين لسليمن وهو
ميت يظنونه حيا واراد الله بذلك ان يعلم الجن انهم لا يعلمون الغيب لانهم كانوا يظنون انهم
يعلمون الغيب لغلبة الجهل وذكر الزهري ان معنى تبينت الجن اي ظهرت وانكشفت الجن للانس
اي ظهر لهم امرهم انهم لا يعلمون الغيب لانهم كانوا قد شبهوا على الانس ذلك ويؤيده هذا قراءة
ابن مسعود وابن عباس المتقدمة وقوله ما لبثوا في العذاب المهين يدل على ان المؤمنين من
الجن لم يكونوا في التسخير لان المؤمن لا يكون في زمان النبي في العذاب المهين **فصل**
روي ان سليمان كان عمره ثلاثا وخمسين سنة ومدة ملكه اربعون سنة وملك يوم ملك وهو
ابن ثلاث عشرة سنة وابتدا في بنا بيت المقدس لاربع سنين مضين من ملكه **قوله تعالى**
لقد كان لسبا في مساكنهم اية قرا حمزة وحفص مسكنهم بفتح الكاف مفردا والكسائي كذلك الا انه
كسر الكاف والباقون مساكنهم جمعا فاما الافراد فلعدم اللبس لان المراد الجمع كقوله ٭
٭ كلوا في بعض بطنكم تعفوا ٭ والفتح هو القياس لان الفعل متى ضمت عين مضارعه او فتحت جاء
المفعل منه زمانا ومكانا ومصدرا بالفتح والكسر مسموع على غير قياس وقال ابو الحسن كسر الكاف
لغة فاشية وهي لغة الناس اليوم والكسر لغة الحجاز وهي قليلة وقال الفرا هي لغة يمانية
فصيحة ومسكنهم يحتمل ان يراد به المكان وان يراد منه المصدر اي السكنى ورجح بعضهم الثاني
قال لان المصدر يشمل الكل فليس فيه وضع مفرد موضع جمع بخلاف الاول فان فيه وضع المفرد
موضع الجمع كما تقرر لكن سيبويه يا باه الا ضرورة كقوله ٭ قد عض اعناقهم جلد الجواميس ٭ اي جلود
واما الجمع فهو الظاهر لان كل واحد مسكن ورسم في المصاحف دون الف بعد الكاف فلذلك

احتمل

تعفوا ح

اهل

احتمل القراآت المذكورة **فصل** لما بين الله حال الشاكرين لنعمه بذكر داود وسليمن
بين حال الكافرين لانعمه بحكاية سبا وقرئ سبا بالفتح على انه اسم بقعة وبالجر مع التنوين على انه
اسم قبيلة وهو الاظهر لان الله جعل الاية لسبا والظاهر هو العاقل لا المكان فلا يحتاج الى
اضمار الاهل وقوله اية اي من فضل ربهم دلالة على وحدانيتنا وقدرتنا وكانت مساكنهم
بمارب من اليمن واسم سبا عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان وسمي سبا قيل لانه اول من
سبا في العرب قال السهيلي ويقال انه اول من تتوج وذكر بعضهم انه كان مسلما وكان
له شعر بشر فيه بوجود رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يعني سليمان عليه السلام
٭ سيملك بعدنا ملكا عظيما ٭ نبي لا يرخص في الحرام ٭ ويملك بعده منهم ملوك ٭ يدينون العباد بغير ذام
٭ ويملك بعدهم منا ملوك ٭ يصير الملك فينا باقتسام ٭ ويملك بعد قحطان نبي ٭ تقي جبينه خير الانام
٭ يسمى احمدا يا ليت اني ٭ اعمر بعد مبعثه بعام ٭ فاعضده واحبوه بنصري ٭ بكل مدجج وبكل رامي
٭ متى يظهر فكونوا ناصريه ٭ ومن يلقاه يبلغه سلامي ٭ روى ابن عباس قال سال فروة بن مسيك
القطيفي النبي صلى الله عليه وسلم عن سبا ما هو اكان رجلا او امراة او ارضا قال بل هو رجل من
العرب ولد عشرة من الولد فسكن اليمن منهم ستة وبالشام منهم اربعة فاما الذين تيامنوا فمذحج
وكنده ٭ والازد ٭ والاشعريون ٭ وانمار ٭ وحمير ٭ فقال رجل وما انمار قال الذين منهم خثعم
وبجيله ٭ واما الذين تشاموا فلخم ٭ وجذام ٭ وعاملة ٭ وغسان ٭ ولما هلكت اموالهم وخربت
بلادهم تفرقوا في غور البلاد ونجدها ايدي سبا شذر مذر فلذلك قيل للمتفرقين بعد
اجتماع تفرقوا ايادي سبا فنزلت طوايف منهم الحجاز فمنهم خزاعة نزلوا ظاهر مكة ومنهم
الاوس والخزرج ٭ نزلوا يثرب فكانوا اول من سكنها ثم نزلت عندهم ثلاث قبايل من اليهود
بنو قينقاع ٭ وبنو قريظة والنضير فحالفوا الاوس والخزرج واقاموا عندهم ونزلت طوايف
اخر منهم الشام وهم الذين تنصروا فيما بعد وهم غسان وعامله وبهرا ٭ ولخم وجذام وتنوخ
وتغلب وغيرهم وسبا تجمع هذه القبايل كلها والجمهور على ان جميع العرب ينقسمون الى قسمين
قحطانيه وعدنانيه فالقحطانيه شعبان سبا وحضرموت والعدنانية شعبان ربيعة
ومضر واما قضاعة فمختلف فيها فبعضهم نسبها الى قحطان وبعضهم الى عدنان قيل
ان قحطان اول من قيل له انعم صباحا وابيت اللعن قال بعضهم ان جميع العرب
ينتسبون الى اسمعيل بن ابرهيم عليهما السلام وليس بصحيح فان اسمعيل نشا بين جرهم
بمكة وكانوا عربا والصحيح ان العرب العاربة كانوا قبل اسمعيل منهم عاد وثمود وطسم
وجديس واميم وجرهم والعماليق يقال ان اميم كان ملكا يقال انه اول من سقف البيوت
بالخشب المنشور وكانت الفرس تسميه ادم الاصغر وبنوه قبيلة يقال لها وبار هلكوا بالرمل
انثال عليهم فاهلكهم وطم مناهلهم وفي ذلك يقول بعض الشعرا ٭
٭ وكر دهر على وبار ٭ فهلكت عنوة وبار ٭ **قوله** جنتان فيه ثلاثة اوجه
الرفع على البدل من اية وابدل مثنى من مفرد لان هذا المفرد يصدق على هذا المثنى وتقدم
في قوله وجعلنا ابن مريم وامه اية الثاني انه خبر مبتدا مضمر وضعف ابن عطيه
الاول ولم يبينه ولا يظهر ضعفه بل قوته وكانه توهم انهما مختلفان افرادا وتثنية فلذلك
ضعف البدل عنده والله اعلم الثالث واليه نحا ابن عطيه ان يكون جنتان مبتدا
وخبره عن يمين وشمال ورده ابو حيان بانه ابتدا بنكرة من غير مسوغ واعتذر عنه بانه
قد يعتقد حذف صفة اي جنتان لهم او جنتان عظيمتان فيصح ما ذهب اليه وقرا ابن ابي
عبلة جنتين بالياء نصبا على خبر كان واسمها اية **فان قيل** اسم كان كالمبتدا

ولا مسوغ للابتدا به حتى يجعل اسم كان والجواب انه تخصص بالحال المقدمة عليه وهي صفته في الاصل الا ترى انه لو تاخر لسبا لكان صفة لاية في هذه القراة **قوله** عن يمين اما صفة لجنتان او خبر مبتدا مضمر اي هما عن يمين قال المفسرون اي عن يمين الوادي وشماله وقيل عن يمين من اتاها وشماله وكان لهم وادي قد احاط الجنتان بذلك الوادي قال الزمخشري اية اية في جنتين مع ان بعض القرى فيها الف من الجنان واجاب بان المراد لكل واحد جنتين او عن يمين ايديهم وشمالهم جماعات من الجنان ولاتصال بعضها ببعض جعلها جنة واحدة **قوله** كلوا على اضمار القول اي قال الله او الملك كلوا من رزق ربكم وهذا اشارة الى تكميل النعمة عليهم واشكروا له على ما رزقكم من النعمة فان الشكر لا يطلب الا على النعمة المعتبرة اي اعملوا له بطاعته **قوله** بلدة اي بلدتكم بلدة ورب غفور والمعنى ان ارض سبا بلدة طيبة ليست بسبخة قال ابن زيد لم يرى في بلدتهم بعوضة ولا ذباب ولا برغوث ولا حية ولا عقرب ولا وبا ولا وخم وكان الرجل يمر ببلدهم وفي ثيابه القمل فيموت القمل كلها من طيب الهوا فذلك قوله بلدة طيبة اي طيبة الهوا ورب غفور قال مقاتل وربكم ان شكرتم فيما رزقكم رب غفور للذنوب وقيل ورب غفور اي لا عقاب عليه ولا عذاب في الاخرة وقرا رويس بنصب بلدة ورب على المدح او اسكنوا واعبدوا وجعله ابو البقا مفعولا به والعامل فيه اشكروا وفيه نظر اذ يصير التقدير اشكروا لربكم ربا غفورا ثم انه تعالى لما بين ما كان من جانبه ذكر ما كان من جانبهم فقال فاعرضوا من كمال ظلمهم الاعراض بعد ابانة الاية كقوله تعالى ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه ثم اعرض عنها قال وهب ارسل الله الى سبا ثلاثة عشر نبيا فدعوهم الى الله وذكروهم نعم الله عليهم وانذروهم عقابه فكذبوهم وقالوا ما نعرف لله عز وجل علينا نعمة فقولوا لربكم فليحبس هذه النعمة عنا ان استطاع فذلك قوله عز وجل فاعرضوا ثم ذكر كيفية الانتقام منهم كما قال انا من المجرمين منتقمون وكيفيته انه تعالى ارسل عليهم سيلا اغرق اموالهم وخرب دورهم **قوله** سيل العرم فيه اوجه احدها انه من باب اضافة الموصوف لصفته في الاصل اذ الاصل السيل العرم والعرم الشديد واصله من العرامة وهي الشراسة والصعوبة وعرم فلان فهو عارم وعرم وعرامة الجيش منه الثاني انه من باب حذف الموصوف واقامة صفته مقامه تقديره فارسلنا عليهم سيل المطر العرم اي الشديد الكثير الثالث ان العرم اسم للبنا الذي يجعل سدا وانشد من سبا الحاضرين اذ يبنون من دون سيله العرما اي البنا القوي قال البغوي العرم والعرم جمع عرمة وهي السكر الذي يحبس الما الرابع ان العرم اسم للوادي الذي كان فيه الما نفسه وقال ابن الاعرابي العرم السيل الذي لا يطاق وقيل كان ما احمر ارسله الله عليهم من حيث شا الخامس انه اسم للجرد وهو الفار وقيل هو الخلد وانما اضيف اليه لانه تسبب عنه اذ يروى في التفسير انه قرض الى ان انفتح عليهم ففرقوا به وعلى هذه الاقوال الثلاثة تكون الاضافة اضافة صحيحة معرفة نحو غلام زيد اي سيل البنا او سيل الوادي الفلاني او سيل الجرد وهولاهم الذين ضربت بهم العرب المثل للفرقة فقال تفرقوا ايدي سبا وقد تقدم **فصل** قال ابن عباس ووهب وغيرهما كان ذلك السد بنته بلقيس وذلك انهم كانوا يقتتلون على ما واديهم فامرت بواديهم فسد بالعرم وهو المسناة بلغة حمير فسدت ما بين الجبلين بالصخر وجعلت له ابوابا ثلاثة بعضها فوق بعض وبنت من دونه بركة ضخمة وجعلت فيها اثني عشر مخرجا على عدة انهارهم يفتحونها اذا احتاجوا الى الما واذا استغنوا سدوها فاذا جا المطر اجتمع اليه ما اودية اليمن

بلاده

ن

السكر

فاحتبس

فاحتبس السيل من وراء السد فامرت بالباب الاعلا ففتح فجرى ماوه في البركة فكانوا يسقون من الباب الاعلا ثم من الثاني ثم من الثالث الاسفل فلا ينفد الما حتى يثوب الما من السنة المقبلة فكانت تقسمه بينهم على ذلك فبقوا على ذلك بعدها مدة فلما طغوا وكفروا سلط الله عليهم جرذا يسمى الخلد فنقب السد من اسفله فغرق الما جنانهم وخرب ارضهم **قوله** بجنتيهم جنتين قد تقدم في البقرة ان المجرور بالبا هو الخارج والمنصوب هو الداخل وهذا غلط من قال من الفقها فلو ابدل ضادا بظا بطلت صلاته بل الصواب ان تقول ظا بضاد **قوله** اكل خمط قرا ابو عمرو باضافة اكل الى خمط والباقون بتنوينه غير مضاف وقد تقدم في البقرة ان ابن عامر وابو عمرو والكوفيين يضمون كاف اكل غير المضاف لضمير المونث وان نافعا وابن كثير يسكنونه بتفصيل هناك تقدم تحريره فتكون القراءات على ثلاث مراتب الاولى لابي عمرو اكل خمط بضم كاف اكل مضافا لخمط الثانية لنافع وابن كثير تسكين كافه وتنوينه الثالثة للباقين ضم كافه وتنوينه فمن اضاف جعل الاكل بمعنى الجنى والثمر والخمط قيل شجر الاراك وثمره يقال له البرير هذا قول اكثر المفسرين وقيل كل شجر ذي شوك وقال المبرد والزجاج كل نبت اخذ طعما من مرارة حتى لا يمكن اكله فهو خمط وقال ابن الاعرابي الخمط ثمرة شجرة يقال لها فسوة الضبع على صورة الخشخاش لا ينتفع به قال البغوي فمن جعل الخمط اسما للماكول فالتنوين في اكل حسن ومن جعله اصلا وجعل الاكل ثمرة فالاضافة فيه ظاهرة والتنوين سائغ تقول العرب في بستان فلان اعناب كرم واعناب كرم يترجم الاعناب بالكرم لانها منه **قوله** واثل وشي من سدر معطوفان على اكل لا على خمط لان الخمط لا اكل له وقال مكي لما لم يجز ان يكون الخمط نعتا للاكل لان الخمط اسم شجر بعينه ولا بدلا لانه ليس الاول ولا بعضه وكان الجنى والثمر من الشجر اضيف على تقدير من كقولك هذا ثوب خز ومن نون فيحتمل اوجها الاول انه جعل خمطا وما بعده اما صفة لاكل قال الزمخشري او وصف الاكل بالخمط كانه قيل ذوات اكل بشع قال ابو حيان والوصف بالاسما لا يطرد وان كان قد جاء منه شي نحو قولهم مررت بقاع عرفج كله الثاني البدل من اكل قال ابو البقا وجعل خمطا اكلا لمجاورته اياه وكونه سببا له الا ان الفارسي رد كونه بدلا قال لان الخمط ليس بالاكل نفسه وقد تقدم جواب ابي البقا واجاب بعضهم عنه وهو منتزع من كلام الزمخشري انه على حذف مضاف تقديره ذواتي اكل اكل خمط قال والمحذوف هو الاول في الحقيقة الثالث انه عطف بيان وجعله ابو علي احسن ما في الباب قال كانه بين ان الاكل هذه الشجرة الا ان عطف البيان لا يجيزه البصريون في النكرات انما يخصونه بالمعارف **والاثل** هو الطرفا وقيل شجر يشبه الطرفا وقيل نوع من الطرفا ولا يكون عليه ثمرة الا في بعض الاوقات يكون عليه شي كالعفص اصغر منه في طعمه وطبعه والسدر شجر معروف وهو شجر النبق ينتفع بورقه لغسل اليد ويغرس في البساتين ولم يكن هذا من ذلك بل كان سدرا بريا لا ينتفع به ولا يصلح ورقه لشي وقال بعضهم السدر سدران سدر له ثمرة عفصة لا يوكل ولا ينتفع بورقه في الاغتسال وهو الضال وسدر له ثمر يوكل وهو النبق ويغتسل بورقه والمراد بالاية الاول وقال قتادة كان شجرهم خير الشجر فصيره الله من شر الشجر باعمالهم **قوله** قليل نعت لسدر وقيل نعت لاكل وقال ابو البقا ويجوز ان يكون نعتا لخمط واثل وسدر وقرئ واثلا وشيا بنصبهما عطفا على جنتين ثم بين الله تعالى ان ذلك كان مجازاة لهم على كفرانهم فقال

ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي بذلك الجزا الا الكفور **قوله** وهل نجازي قرا الاخوان
وحفص نجازي بنون العظمة وكسر الزاي اي وهل نجازي مثل هذا الجزا لقوله جزيناهم اي نحن
الا الكفور منصوب به والباقون بضم اليا وفتح الزاي مبنيا للمفعول الا الكفور رفع على ما لم يسم
فاعله اي وهل يجازي مثل هذا الجزا ومسلم بن جندب تجزي مبنيا للمفعول الا الكفور رفعا
على ما تقدم وقرى تجزي مبنيا للفاعل وهو الله تعالى الكفور نصبا على المفعول به **فصل**
قال مجاهد يجازي اي يعاقب ويقال في العقوبة يجازي وفي المثوبة يجزي قال الفرا المؤمن
يجزي ولا يجازي اي يجزي الثواب بعمله ولا يكافي بسيئاته وقال بعضهم المجازاة يقال في النعمة
والجزا في النقمة لكن قوله تعالى ذلك جزيناهم يدل على ان يجزي في النقمة ولعل من قال ذلك
اخذه من ان المجازاة مفاعلة وهي في اكثر الامر تكون ما بين اثنين يوخذ من كل واحد جزا
في حق الاخر وفي النعمة لا تكون مجازاة لان الله يبتدي بالنعم **قوله** وجعلنا بينهم وبين
القرى التي باركنا فيها بالما والشجر وهي قرى الشام قرى ظاهرة متواصلة اي يظهر بعضها
لبعضها يرى سواد القرية من القرية الاخرى لتقاربها فكان تجرهم من اليمن الى الشام فكانوا
يبيتون بقرية ويقيلون باخرى وكانوا لا يحتاجون الى حمل زاد من سبا الى الشام **فان
قيل** هذا من النعم والله تعالى اراد بيان تبديل نعمهم بقوله وبدلناهم بجنتيهم
جنتين فكيف عاد مرة اخرى الى بيان النعمة بعد النقمة **فالجواب** انه ذكر حال خارج
بلدهم وذكر عمارتها بكثرة القرى ثم ذكر تبديله ذلك بالمفاوز والبراري والبوادي بقوله
باعد بين اسفارنا وقد فعل ذلك ويدل عليه قراءة من قرا ربنا بعد بين اسفارنا على
المبتدا والخبر **قوله** وقدرنا فيها السير اي قدرنا سيرهم من هذه القرى وكان سيرهم
في الغدو والرواح على قدر نصف يوم فاذا ساروا نصف يوم وصلوا الى قرية ذات مياه
واشجار وقال قتادة كانت المراة تخرج ومعها مغزلها وعلى راسها مكتلها فتمتهن بمغزلها
فلا تاتي بيتها حتى يمتلي مكتلها من الثمار وكان ما بين اليمن الى الشام كذلك **قوله** سيروا
اي وقلنا لهم سيروا وقيل هو امر بمعنى الخبر اي مكناهم من السير فكانوا يسيرون فيها ليالي
واياما اي بالليالي والايام اي وقت شيتم امنين لا تخافون عدوا ولا جوعا ولا عطشا وقيل
معنى قوله ليالي واياما انكم تسيرون فيه ان شيتم ليالي وان شيتم اياما لعدم الخوف
بخلاف المواضع المخوفة فان بعضها يسلك ليلا لئلا يعلم العدو بسيرهم وبعضها يسلك
نهارا لئلا يقصدهم العدو اذا كان العدو غير مجاهر بالقصد والعداوة فبطروا وطغوا
ولم يصبروا على العافية وقالوا لو كان جنى جناتنا ابعد مما هي كان اجدر ان نشتهيه فقالوا ربنا
بعد بين اسفارنا فاجعل بيننا وبين الشام فلوات ومفاوز لنركب فيها الرواحل ونتزود
فيها الازواد وقال مجاهد بطروا النعمة وسيموا الراحة كما طلبت اليهود الثوم والبصل
ويحتمل ان يكون ذلك لفسا داعتقادهم وشدة اعتمادهم على ان ذلك لا يعدم كما يقول
القايل لغيره اضربني اشارة الى انه لا يقدر عليه ويحتمل ان يكون قولهم ربنا باعد بلسان
الحال اي لما كفروا فقد طلبوا ان يبعد بين اسفارهم ويخرب المعمور من ديارهم وقوله وظلموا
اي يكون بيانا لذلك **قوله** ربنا العامة بالنصب على النداء وابن كثير وابو عمرو وهشام
بعد بتشديد العين فعل طلب والباقون باعد طلبا ايضا من المفاعلة بمعنى الثلاثي وقرا
ابن الحنفية وسفيان بن حسين وابن السميفع بعد بضم العين فعلا ماضيا والفاعل المسير
اي بعد المسير وابن ظرف وسعيد بن ابي الحسن كذلك الا انه ضم نون بين جعله فاعلا بعد
فاخرجه عن الظرفية كقراءة تقطع بينكم رفعا فالمعنى على القراءة المتضمنة للطلب انهم اشروا

وبطروا

وبطروا فلذلك طلبوا بعد الاسفار وعلى القراءة المتضمنة للخبر الماضي يكون شكوى من بعد
الاسفار التي طلبوها اولا وقرا جماعة كثيرة منهم ابن عباس وابن الحنفية ويعقوب وعمرو بن فايد
ربنا رفعا على الابتدا بعد بتشديد العين فعلا ماضيا خبره وابو رجا والحسن ويعقوب كذلك
الا انه باعد بالالف والمعنى على هذه القراءة شكوى بعد اسفارهم على قربها ودنوها تعنتا
منهم وقرى بوعد مبنيا للمفعول واذا نصبت بين بعد فعل متعد من هذه المادة في احدى
هذه القراءات سواء كان امرا ام ماضيا فجعله ابو حيان منصوبا على المفعول به لا ظرفا قال
الا ترى الى قراءة من رفع كيف جعله اسما وقال شهاب الدين اقراره على ظرفيته اولى ويكون
المفعول محذوفا تقديره بعد المسير بين اسفارنا ويدل على ذلك قراءة بعد بضم العين
بين بالنصب فكما يضمر هنا الفاعل وهو ضمير السير كذلك يبقى هنا بين على بابه ويضوي السير
وكان هذا اولى لان حذف المفعول كثير جدا لا نزاع فيه واخراج الظرف غير المتصرف عن ظرفيته
فيه نزاع كثير وتقدم تحقيق هذا والاعتذار عن رفع بينكم في الانعام وقرا العامة اسفارنا
جمعا وابن يعمر سفرنا مفردا **قوله** فجعلناهم احاديث عبرة لمن بعدهم يتحدثون بامرهم
وشانهم ومزقناهم كل ممزق وفرقناهم في كل وجه من البلاد كل التفريق وهذا بيان لجعلهم
احاديث قال الشعبي لما غرقت قراهم تفرقوا في البلاد اما غسان فلحقوا بالشام ومر الازد على
عمان وخزاعة الى تهامة ومر ال جذيمة الى العراق والاوس والخزرج الى يثرب وكان الذي
قدم منهم المدينة عمرو بن عامر وهو جد الاوس والخزرج **قوله** ان في ذلك لايات اي فيما
ذكرنا من حال الشاكرين ووبال الكافرين لعبرا ودلالات لكل صبار عن معاصي الله شكور
لنعمه قال مقاتل يعني المؤمن من هذه الامة صبور على البلا شكور للنعماء قال مطرف
هو المؤمن اذا اعطي شكر واذا ابتلي صبر **قوله** ولقد صدق عليهم ابليس ظنه قرا
الكوفيون صدق بتشديد الدال والباقون بتخفيفها فاما الاولى فظنه مفعول به
والمعنى ظن ابليس ذهب الى شي موافق فصدق هو ظنه على المجاز والاتساع ومثله كذبت
ظني ونفسي وصدقتهما وصدقاني وكذباني وهو مجاز شايع سايغ اي ظن شيا فوقع واصله
من قوله فلاغوينهم ولاضلنهم وقوله فبعزتك لاغوينهم اجمعين ولا تجد اكثرهم شاكرين
فصدق ظنه وحققه بفعله ذلك بهم واتباعهم اياه واما الثانية فانتصب ظنه
على ما تقدم من المفعول به كقولهم اصبت ظني واخطات ظني او على المصدر بفعل
مقدر اي يظن ظنه او على اسقاط الخافض اي في ظنه وزيد بن علي والزهري بنصب ابليس
ورفع ظنه كقول الشاعر . فان يك ظني صادقا فهو صادقي . جعل ظنه صادقه فيما
ظنه مجازا واتساعا وروي عن ابي عمرو رفعهما وهي واضحة جعل ظنه بدل اشتمال من
ابليس والظاهر ان الضمير في عليهم عايد على اهل سبا والا فريقا استثنا من فاعل تبعوه
ومن المومنين صفة فريقا ومن للبيان لا للتبعيض لئلا يفسد المعنى اذ يلزم ان يكون
بعض من امن اتبع ابليس **فصل** قال المفسرون صدق عليهم اي على اهل سبا
وقال مجاهد على الناس كلهم الا من اطاع الله فاتبعوه الا فريقا من المومنين قال السدي
عن ابن عباس يعني المومنين كلهم لان المومنين لم يتبعوه في اصل الدين وقد قال تعالى
ان عبادي ليس لك عليهم سلطان يعني المومنين وقيل هو خاص في المومنين الذين يطيعون
الله ولا يعصونه قال ابن قتيبة ان ابليس سال النظرة فانظره الله قال لاغوينهم ولاضلنهم
لم يكن مستيقنا وقت هذه المقالة ان ما قاله فيهم يتم وانما قاله ظنا فلما اتبعوه واطاعوه
صدق عليهم ما ظنه فيهم **قوله** وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم هذا استثنا

مفرغ من العلل العامة تقديره وما كان له عليهم استيلا لشي من الاشيا الا لهذا وهو تمييز
المحق من الشاك **قوله** منها متعلق بمحذوف على معنى البيان اي اعني منها وبسببها وقيل من
بمعنى في وقيل هو حال من شك في قوله من يومن يجوز في من وجهان احدهما انها استفهامية
فتسد مسد مفعولي العلم كذا ذكر ابو البقا وليس بظاهر لان المعنى الا لنميز ونظهر للناس من
يومن ممن لا يومن فعبر عن مقابله بقوله ممن هو منها في شك لانه من نتايجه ولوازمه
والثاني انها موصولة وهذا هو الظاهر على ما تقدم تفسيره **فصل** قال ابن الخطيب
ان علم الله من الازل الى الابد محيط بكل معلوم وعلمه لا يتغير وهو في كونه عالما لا يتغير ولكن
يتغير تعلق علمه فان العلم صفة كاشفة يظهر فيها كل ما في نفس الامر فعلم الله في الازل
ان العالم سيوجد فاذا وجد علمه موجودا بذلك العلم واذا عدم علمه معدوما كذلك
المرآة المصقولة الصافية يظهر فيها صورة زيد ان قابلها ثم اذا قابلها عمرو يظهر فيها
صورته والمرآة لم تتغير في ذاتها ولا تبدلت في صفاتها وانما التغير في الخارجات فكذلك
هاهنا قوله الا لنعلم اي ليقع في العلم صدور الكفر من الكافر والايمان من المومن وكان
علمه فيه ان سيكفر زيد ويومن عمرو وقال البغوي المعنى الا لنميز المومن من الكافر
واراد علم الوقوع والظهور وقد كان معلوما عنده بالغيب وقوله وربك على كل شي
حفيظ يحقق ذلك اي الله تعالى قادر على منع ابليس منهم عالم بما سيقع فالحفظ يدخل
في مفهومه العلم والقدرة اذ الجاهل بالشي لا يمكنه حفظه ولا العاجز **قوله** قل
ادعوا الذين زعمتم مفعول زعمتم الاول محذوف هو عايد الموصول والثاني ايضا محذوف
قامت صفته مقامه اي زعمتموهم شركا من دون الله ولا يجوز ان يكون من دون هو
المفعول الثاني اذ لا ينعقد منه مع ما قبله كلام لو قلت هم من دون الله اي من غير
نية موصوف لم يجز ولولا قيام الوصف مقامه ايضا لم يحذف لان حذفه اختصارا
قليل على ان بعضهم منعه **فصل** لما بين الله تعالى حال الشاكرين وحال الكافرين
وذكرهم بمن مضى عاد الى خطابهم فقال لرسوله عليه السلام قل للمشركين ادعوا الذين زعمتم
من دون الله وفي الكلام حذف اي ادعوهم ليكشفوا الضر الذي نزل بكم في سني الجوع
ثم وصفها فقال لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض من خير وشر ونفع وضر
وما لهم اي الالهة فيهما اي في السموات والارض من شرك اي شركة وما له اي وما لله
منهم من ظهير عون **قوله** ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له اللام في لمن فيها
اوجه احدها ان اللام متعلقة بنفس الشفاعة قال ابو البقا كما تقول شفعت له الثاني
ان تتعلق بتنفع قاله ابو البقا وفيه نظر وهو انه يلزم احد امرين اما زيادة اللام في المفعول
في غير موضعها واما حذف مفعول تنفع وكلاهما خلاف الاصل الثالث انه استثنا مفرغ
من مفعول الشفاعة المقدر اي لا تنفع الشفاعة لاحد الا لمن اذن له ثم المستثنى منه
المقدر يجوز ان يكون هو المشفوع له وهو الظاهر والشافع ليس مذكورا انما دل عليه الفحوى
والتقدير لا تنفع الشفاعة لاحد من المشفوع لهم الا لمن اذن تعالى للشافعين ان يشفعوا
فيه ويجوز ان يكون هو الشافع والمشفوع له ليس مذكورا تقديره لا تنفع الشفاعة الا
لشافع اذن له ان يشفع وعلى هذا فاللام في له لام التبليغ لا لام العلة الرابع انه استثنا
مفرغ ايضا لكن من الاحوال العامة تقديره لا تنفع الشفاعة الا كاينة لمن اذن له
وقرره الزمخشري فقال تقول الشفاعة لزيد على معنى انه الشافع كما تقول الكرم لزيد وعلى معنى
انه المشفوع له كما تقول القيام لزيد فاحتمل قوله ولا تنفع الشفاعة الا لمن اذن له ان يكون

علي

علي احد هذين الوجهين اي لا تنفع الشفاعة الا كاينة لمن اذن له من الشافعين ومطلقة
له اولا تنفع الشفاعة الا كاينة لمن اذن له اي لشفيعه او هي اللام الثانية في قولك اذن
لزيد لعمرو اي لاجله فكانه قيل الا لمن وقع الاذن للشفيع لاجله وهذا وجه لطيف وهو
الوجه انتهى فقوله الكرم لزيد يعني انها ليست لام العلة بل لام الاختصاص وقوله القيام
لزيد يعني انها لام العلة كما هي في القيام لزيد وقوله اذن لزيد لعمرو يعني ان الاولى للتبليغ
والثانية لام العلة وقرا الاخوان وابو عمرو اذن مبنيا للمفعول والقايم مقام الفاعل
الجار والمجرور والباقون مبنيا للفاعل اي اذن الله وهو المراد في القراة الاخرى وقد صرح
به في قوله الا من بعد ان ياذن الله الا من اذن له الرحمن **فصل** ومعنى الاية
الا لمن اذن له الله في الشفاعة قاله تكذيبا لهم حيث قالوا هاولاء شفعاونا عند الله
ويجوز ان يكون المعنى الا لمن اذن الله في ان يشفع له **قوله** حتى اذا هذه غاية لا بد لها
من مغيا وفيه اوجه احدها انه قوله فاتبعوه على ان يكون الضمير في عليهم من قوله صدق
عليهم وفي قلوبهم عايدا على جميع الكفار ويكون التفزيع حالة مفارقة الحياة او يجعل اتباعهم
اياه مستصحبا لهم الى يوم القيمة مجازا والجملة من قوله قل ادعوا الى اخرها معترضة بين
الغاية والمغيا ذكره ابو حيان وهو حسن والثاني انه محذوف قاله ابن عطية كانه قيل
ولا هم شفعا كما تحبون انتم بل هم عبدة او مسلمون اي منقادون حتى اذا فزع عن قلوبهم
انتهى وجعل الضمير في قلوبهم عايدا على الملايكة وقرر ذلك وضعف قول من جعله عايدا على الكفار
او جميع العالم وقوله قالوا ماذا هو جواب اذا وقوله قالوا الحق اي القول الحق الا ان ابا حيان
رد هذا فقال وما قدره ابن عطية لا يصح لان ما بعد الغاية مخالف لما قبلها هم منقادون
عنده دايما لا ينفكون عن ذلك لا اذا فزع عن قلوبهم ولا اذا لم يفزع الثالث انه قوله زعمتم
اي زعمتم الكفر الى غاية التفزيع ثم تركتم ما زعمتم وقلتم قال الحق وعلى هذا يكون في الكلام
التفات من خطاب في قوله زعمتم الى الغيبة في قوله قلوبهم الرابع انه ما فهم من سياق
الكلام قال الزمخشري فان قلت باي شي اتصل قوله حتى اذا فزع ولاي شي وقعت حتى غاية
قلت بما فهم من هذا الكلام من ان ثم انتظارا للاذن وتوقفا وتمهلا وفزعا من الراجين للشفاعة
والشفعا هل يوذن لهم او لا يوذن وانه لا يطلق الاذن الا بعد ملي من الزمان وطول من
التربص ودل على هذه الحال قوله عز من قايل رب السموات والارض الى قوله الا من اذن له
الرحمن وقال صوابا فكانه قيل يتربصون ويتوقفون مليا فزعين وهلين حتى اذا فزع عن قلوبهم
اي كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة في اطلاق الاذن
تباشروا بذلك وسال بعضهم بعضا ماذا قال ربكم قالوا الحق اي القول الحق وهو الاذن بالشفاعة لمن
ارتضى وقرا ابن عامر فزع مبنيا للفاعل فان كان الضمير في قلوبهم للملايكة فالفاعل في
فزع ضمير اسم الله تعالى لتقدم ذكره وان كان للكفار فالفاعل ضمير مغويهم كذا قال ابو حيان
والظاهر انه يعود على الله مطلقا وقرا الباقون مبنيا للمفعول والقايم مقام الفاعل الجار بعده
وفعل بالتشديد معناه السلب هنا نحو قردت البعير اي ازلت قراده كذا هنا اي ازال الفزع
عنها اي كشف الفزع واخرج عن قلوبهم فالتفزيع لازالة الفزع كالتمريض والتقريد وقرا
الحسن فزع مبنيا للمفعول مخففا كقولك ذهب بزيد والحسن ايضا وقتادة ومجاهد فرغ مشددا
مبنيا للفاعل من الفراغ وعن الحسن ايضا تخفيف الراء وعنه ايضا وعن ابي عمرو وقتادة مشددة
الراء مبنيا للمفعول والفراغ الفنا والمعنى حتى اذا افنى الله الوجل وانتفى الوجل والخوف عن قلوبهم
فلما بني للمفعول قام الجار مقامه وقرا ابن مسعود وابن عمر افرنقع من الافرنقاع وهو التفرق

جواب لقوله ماذا قال ربكم والحق منصوب بقال مضمرا اي قالوا قال ربنا الحق السابق

بعضا

بنفسه او نفي

قال الزمخشري والكلمة مركبة من حروف المغادفة مع زيادة العين كما ركب اقمطر من حروف القمط مع زيادة الرا قال ابو حيان فان عني ان العين من حروف الزيادة وكذا الرا فهو ظاهر كلامه فليس بصحيح لان العين والرا ليسا من حروف الزيادة وان عني ان الكلمة فيها حروف ما ذكر وزاد الي ذلك العين والرا والمادة فرقع وقمطر فهو صحيح انتهى وهذه قراة مخالفة للسواد ومع ذلك هي لفظة غريبة ثقيلة اللفظ نص اهل البيان عليها ومثلوا بها وحكوا عن عيسي بن عمر انه غشي عليه ذات يوم فاجتمع عليه النظارة فلما افاق قال ما لكم تكاكاتم علي تكاكاكم علي ذي جنة افرنقعوا عني اي اجتمعتم علي اجتماعكم علي المجنون ثم تفرقوا عني فعابها الناس عليه حيث استعمل مثل هذه الالفاظ الثقيلة المستغربة وقرا ابن ابي عبلة الحق بالرفع علي انه خبر مبتدا مضمر اي قالوا قوله الحق **فصل** اختلفوا في الموصوفين بهذه الصفة فقيل هم الملايكة ثم اختلفوا في ذلك السبب فقال بعضهم انما يفزع عن قلوبهم من غشية تصيبهم عند سماع كلام الله عز وجل لما روي ابو هريرة ان نبي الله صلي الله عليه وسلم قال اذا قضي الله الامر في السما ضربت الملايكة باجنحتها خضعانا لقوله كانه سلسلة علي صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير وقال عليه السلام اذا اراد الله ان يوحي بالامر تكلم بالوحي اخذت السموات منه رجفة او قال رعدة شديدة خوفا من الله تعالي فاذا سمع بذلك اهل السموات صعقوا وخروا لله سجدا فيكون اول من يرفع راسه جبريل فيكلمه من وحيه بما اراد ثم يمر جبريل علي الملايكة كلما مر بسما سالته ملايكتها ماذا قال ربنا يا جبريل فيقول جبريل الحق وهو العلي الكبير قال فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل فينتهي جبريل بالوحي حيث امره الله وقيل انما يفزعون حذرا من قيام الساعة قال مقاتل والسدي كانت الفترة بين عيسي ومحمد عليهما السلام خمس مائة وخمسين سنة وقيل ستماية سنة لم تسمع الملايكة فيها وحيا فلما بعث الله محمدا صلي الله عليه وسلم كلم جبريل عليه السلام بالرسالة الي محمد صلي الله عليه وسلم فلما سمعت الملايكة ظنوا انها الساعة لان محمدا صلي الله عليه وسلم عند اهل السموات من اشراط الساعة فصعقوا مما سمعوا خوفا من قيام الساعة فلما انحدر جبريل جعل يمر باهل كل سما فيكشف عنهم فيرفعون روسهم ويقول بعضهم لبعض ماذا قال ربكم قالوا قال الحق يعني الوحي وهو العلي الكبير وقيل الموصوف بذلك المشركون قال الحسن وابن زيد حتي اذا كشف الفزع عن قلوب المشركين عند نزول الموت اقامة للحجة عليهم قالت لهم الملايكة ماذا قال ربكم في الدنيا قالوا الحق فاقروا به حين لم ينفعهم الاقرار **قوله** وهو العلي الكبير فقوله الحق اشارة الي انه كامل وقوله وهو العلي الكبير اشارة الي انه فوق الكاملين في ذاته وصفاته **قوله** قل من يرزقكم من السموات المطر ومن الارض النبات قل الله يعني ان لم تقولوا رازقنا الله فقل انت ان رازقكم الله **قوله** او اياكم عطف علي اسم ان وفي الخبر اوجه احدها ان الملفوظ به الاول وحذف خبر الثاني للدلالة عليه اي وانا لعلي هدي او في ضلال مبين او انكم لعلي هدي او في ضلال والثاني العكس اي حذف الاول والملفوظ به خبر الثاني وهو خلاف مشهور تقدم تحقيقه عند قوله فالله ورسوله احق ان يرضوه وهذان الوجهان لا ينبغي ان يحملا علي ظاهرهما قطعا لان النبي صلي الله عليه وسلم لم يشك انه علي هدي ويقين وان الكفار علي ضلال وانما هذا الكلام جار علي ما يتخاطب به العرب من استعمال الانصاف في محاوراتهم علي سبيل الفرض والتقدير ويسميه اهل البيان الاستدراج وهو ان يذكر لمخاطبه امرا يسلمه وان كان بخلاف ما يذكر حتي يصغي الي ما يلقيه اليه اذ لو بداه بما يكره لم يصغ ونظيره قولهم اخزي الله الكاذب مني ومنك ومثله قول الاخر ٭ فايي ما وايك كان شرا ٭ فقيد الي المقامة لا يراها ٭

وقول

وقول حسان رضي الله عنه ٭ اتهجوه ولست له بكفو ٭ فشركما لخيركما الفدا ٭ مع العلم لكل احد انه صلي الله عليه وسلم خير خلق الله كلهم الثالث انه من باب اللف والنشر والتقدير وانا لعلي هدي وانكم لفي ضلال مبين ولكن لف الكلامين واخرجهما كذلك لعدم اللبس وهذا لا يتاتي الا ان يكون او بمعني الواو وهي مسيلة خلاف ومن مجي او بمعني الواو قوله ٭ قوم اذا سمعوا الصريخ رايتهم ٭ ما بين ملجم مهره او سافع ٭ وتقدم تقرير هذا وهذا الذي ذكرناه منقول عن ابي عبيدة الرابع قال ابو حيان او هنا علي موضوعها لكونها لاحد الشيين وخبر انا او اياكم هو لعلي هدي او في ضلال مبين ولا يحتاج الي تقدير حذف اذ المعني ان احدنا لفي احد هذين كقولك زيد او عمرو في القصر او في المسجد لا يحتاج الي تقدير حذف اذ معناه احد هذين في احد هذين وقيل الخبر محذوف ثم ذكر ما تقدم الي اخره وهذا الذي ذكره تفسير معني لا تفسير اعراب والناس نظروا الي تفسير الاعراب فاحتاجوا الي ما ذكرناه وذكر في الهدي بكلمة علي وفي الضلال كلمة في لان المهتدي كانه مرتفع مطلع فذكره بكلمة التعالي والضال منغمس في الظلمة غريق فيها فذكره بكلمة في **قوله** قل لا تسالون عما اجرمنا اضاف الاجرام الي النفس وقال في حقهم ولا نسال عما تعملون ذكر بلفظ العمل ليلا يحصل الاغضاب المانع من الفهم **قوله** قل يجمع بيننا ربنا يعني يوم القيامة ثم يفتح يقضي بيننا بالحق وهو الفتاح العليم وهاتان صفتا مبالغة وقرا عيسي بن عمر الفاتح اسم فاعل **قوله** اروني فيها وجهان احدهما انها علمية متعدية قبل النقل الي اثنين فلما جي بهمزة النقل تعدت لثلاثة اولها يا المتكلم ثانيها الموصول ثالثها شركا وعايد الموصول محذوف اي الحقتموهم والثاني انها بصرية متعدية قبل النقل لواحد وبعده لاثنين اولهما يا المتكلم ثانيهما الموصول وشركا نصب علي الحال من عايد الموصول اي بصروني الملحقين به حال كونهم شركا له قال ابن عطية في هذا الثاني ولا غنا لهذا لا منفعة فيه يعني ان معناه ضعيف قال ابو حيان وقوله لا غنا له ليس بجيد بل في ذلك تبكيت لهم وتوبيخ ولا يريد حقيقة الامر بل المعني الذين هم شركا لله علي زعمكم هم ممن ان اريتموهم افتضحتم لانهم خشب وحجر وغير ذلك **فصل** الضمير في به اي بالله اي اروني الذين الحقتم بالله شركا في العبادة معه هل يخلقون وهل يرزقون كلا لا يخلقون ولا يرزقون **قوله** بل هو الله في هذا الضمير قولان احدهما انه ضمير عايد علي الله تعالي اي ذلك الذي الحقتم به شركا هو الله والعزيز الحكيم صفتان والثاني انه ضمير الامر والشان والله مبتدا والعزيز الحكيم خبران والجملة خبر هو الغالب علي امره الحكيم في تدبيره لخلقه فاني يكون له شريك في ملكه **قوله** كافة فيه اوجه احدها انه حال من كاف ارسلناك والمعني الا جامعا للناس في الابلاغ والكافة بمعني الجامع والها فيه للمبالغة كهي في علامة وراوية قاله الزجاج وهذا بناء منه علي انه اسم فاعل من كف يكف قال ابو حيان اما قول الزجاج ان كافة بمعني جامعا والها فيه للمبالغة فان اللغة لا تساعد علي ذلك لان كف ليس معناه محفوظا بمعني جمع يعني ان المحفوظ معناه منع يقال كف يكف اي منع والمعني الا مانعا لهم من الكفر وان شذوا ومنه الكف لانها تمنع خروج ما فيه الثاني ان كافة مصدر جا علي الفاعلة كالعافية والعاقبة وعلي هذا فوقوعها حالا اما علي المبالغة واما علي حذف مضاف اي ذا كافة للناس الثالث ان كافة صفة لمصدر محذوف تقديره الا ارسالة كافة قال الزمخشري الا ارسالة عامة لهم محيطة بهم لانها اذا شملتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم قال ابو حيان اما كافة بمعني عامة فالمنقول عن النحويين انها لا تكون الا حالا ولم يتصرف فيها بغير ذلك فجعلها صفة لمصدر

والعزيز هو

محذوف خروج عما نقلوا ولا يحفظ ايضا استعمالها صفة لموصوف محذوف الرابع ان كافة
حال من الناس اي للناس كافة الا ان هذا قدره الزمخشري فقال ومن جعله حالا من المجرور
متقدما عليه فقد اخطا لان تقدم حال المجرور عليه في الاحالة بمنزلة تقدم المجرور على
الجار وكم ترى ممن يرتكب مثل هذا الخطا ثم لا يقنع به حتى يضم اليه ان يجعل اللام بمعنى الى لانه
لا يستوي له الخطا الاول الا بالخطا الثاني فيرتكب الخطاين معا قال ابو حيان اما قوله كذا
فهو مختلف فيه ذهب الجمهور الى انه لا يجوز وذهب ابو علي وابن كيسان وابن برهان وابن
ملكون الى جوازه قال وهو الصحيح قال ومن امثلة ابي علي زيد خيرا ما تكون خير منك التقدير
زيد خير منك خيرا ما تكون فجعل خيرا ما تكون حالا من الكاف في منك وقدمها عليها وانشد
• اذا المرء اعيته المروءة ناشئا • فمطلبها كهلا عليه شديد • اي فمطلبها عليه كهلا وانشد
ايضا • تسليت طرا عنكم بعد بينكم • بذكراكم حتى كانكم عندي • اي عنكم طرا وقد جاء تقديم
الحال على صاحبها المجرور وعلى ما يتعلق به قال الشاعر • مشغوفة بك قد شغفت وانما
• حتم الفراق فما اليك سبيل • اي قد شغفت بك مشغوفة وقال الاخر
• غافلا يعرض المنية للمرء • فيدعى ولات حين اباء • اي تعرض المنية للمرء غافلا قال واذا
جاز تقديمها على صاحبها وحده اجوز قال وممن حمله على الحال ابن عطية فانه قال قدمت (وعلى الحال فيه فتقديمها على صاحبها وحده)
للاهتمام والمنقول عن ابن عباس قوله الى العرب والعجم وسائر الامم وتقديره الى الناس كافة
قال وقول الزمخشري لا يستوي له الخطا الاول الى اخره تشنيع لان القائل بذلك لا يحتاج الى جعل
اللام بمعنى الى لان ارسل يتعدى باللام قال تعالى وارسلناك للناس رسولا وارسل مما يتعدى
باللام وبالى ايضا فقد جاءت اللام بمعنى الى والى بمعناها قال شهاب الدين اما ارسلناك
للناس فلا دلالة فيه لاحتمال ان يكون اللام لام العلة المجازية واما كونها بمعنى الى فالعكس
فالبصريون لا يتجوزون في الحروف وبشيرا ونذيرا حالان ايضا **فصل** لما بين مسئلة
التوحيد شرع في الرسالة فقال تعالى وما ارسلناك الا كافة اي الرسالة كافة اي تكف
الناس انت من الكفر وتمنعهم عن الخروج عن الانقياد لها او تكف الناس انت عن الكفر
والهاء للمبالغة على ما تقدم وللناس اي عامة احمرهم واسودهم بشيرا ونذيرا اي مبشرا
ومنذرا تحثهم بالوعد وتزجرهم بالوعيد ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك لا لخفائه ولكن
لغفلتهم قال عليه السلام كان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة
قوله ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين يعني يوم القيمة لما ذكر الرسالة
بين الحشر **قوله** لكم ميعاد مبتدا وخبر والميعاد يجوز فيه اوجه احدها انه مصدر
مضاف لظرفه والميعاد يطلق على الوعد والوعيد وقد تقدم ان الوعد في الخير والوعيد
في الشر غالبا الثاني انه اسم اقيم مقام المصدر والظاهر الاول قال ابو عبيدة الوعد
والوعيد والميعاد بمعنى الثالث انه هنا ظرف زمان قال الزمخشري الميعاد ظرف الوعد
من مكان او زمان وهو هنا ظرف زمان والدليل عليه قراءة من قرا ميعاد يوم يعني
برفعهما منونين فابدل منه اليوم واما الاضافة فاضافة تبيين كقولك سحق ثوب وبعير
سانية قال ابو حيان ولا يتعين ما قال لاحتمال ان يكون التقدير لكم ميعاد ميعاد يوم
فلما حذف المضاف اعرب المضاف اليه باعرابه قال شهاب الدين والزمخشري لو فعل مثل
ذلك لشنع به وجوز الزمخشري في الرفع وجها اخر وهو الرفع على التعظيم يعني على اضمار مبتدا وهو
الذي يسمى القطع وسياتي هذا قريبا وقرا ابن ابي عبلة واليزيدي ميعاد يوما بتنوين الاول
ونصب يوما منونا وفيه وجهان احدهما انه منصوب على الظرف والعامل فيه مضاف

مقدر

مقدر تقديره لكم انجاز وعدي في يوم صفته كيت وكيت الثاني ان ينتصب باضمار فعل
قال الزمخشري واما نصب اليوم فعلى التعظيم باضمار فعل تقديره اعني يوما ويجوز ان يكون
الرفع على هذا اعني التعظيم وقرا عيسى بتنوين الاول ونصب يوم مضافا للجملة بعده وفيه
الوجهان المتقدمان النصب على التعظيم او الظرف **قوله** لا تستاخرون عنه يجوز في هذه
الجملة ان تكون صفة لميعاد ان عاد الضمير في عنه عليه او ليوم ان عاد الضمير في عنه عليه فيجوز
ان يحكم على موضعها بالرفع او الجر واما على قراءة عيسى فينبغي ان يعود الضمير في عنه على ميعاد
ليس الا لانهم نصوا على ان الظرف اذا اضيف الى جملة لم يعد منها اليه ضمير الا في ضرورة كقوله
• مضت سنة لعام ولدت فيه وعشر بعد ذاك وحجتان • **فصل** تقدم الكلام
في سورة الاعراف ان قوله لا يستاخرون يوجب الانذار لان معناه عدم المهلة عن الاجل
وكذا الاستقدام ما وجهه وقد تقدم ونذكر ههنا انهم لما طلبوا الاستعجال بين انه لا استعجال
فيه كما لا امهال وهذا يفيد عظم الامر وخطر الخطب لان الامر الحقير اذا طلبه طالب من غيره
لا يؤخره ولا يوقفه على وقت بخلاف الامر الخطير والمراد باليوم يوم القيامة وقال
الضحاك يوم الموت لا يتاخرون عنه ولا يتقدمون بان يزاد في اجلكم او ينقص منه **قوله**
وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القران لما بين التوحيد والرسالة والحشر وكانوا بالكل
كافرين بين كفرهم العام بقوله وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القران وذلك لان
القران مشتمل على الكل وقوله ولا بالذي بين يديه يعني التوراة والانجيل وعلى هذا فالمراد
بالذين كفروا هم المشركون المنكرون للثواب والحشر ويحتمل ان يكون المراد بالذين كفروا
العموم ويكون المراد بقوله القران ولا بالذي بين يديه ان لا يؤمن بالقران انه منزل من الله
ولا بالذي بين يديه اي ولا بما فيه من الاخبارات والايات والدلايل وذلك لان اهل
الكتاب لم يؤمنوا بالقران انه من الله ولا بالذي فيه من الرسالة وتفاصيل الحشر فان
قيل اليس هم مؤمنين بالوحدانية والحشر فالجواب اذا لم يصدق واحدا في
كتاب من الامور المختصة به يقال فيه انه لم يؤمن بشيء منه وان امن ببعض ما فيه لكونه
في غيره فيكون ايمانه لا بما فيه كمن يكذب رجلا فيما يقوله فاذا اخبره بان النار حارة لا
يكذبه فيه ولكن لا يقال بانه صدقه لانه انما صدق نفسه فانه كان عالما به من قبل
وعلى هذا فقوله بين يديه الذي هو مشتمل عليه من حيث انه وارد فيه **قوله** ولو ترى
مفعول ترى وجواب لو محذوفان للفهم اي لو ترى حال الظالمين وقت وقوفهم راجعا بعضهم
الى بعض القول لرايت حالا فظيعة وامرا منكرا ويرجع حال من ضمير موقوفون والقول
منصوب بيرجع لانه يتعدى قال تعالى فان رجعك الله وقوله يقول الذين استضعفوا الى
اخره تفسير لقوله يرجع فلا محل له **قوله** انتم بعد لولا مبتدا على اصح المذاهب وهذا
هو الافصح اعني وقوع ضمير الرفع بعد لولا خلافا للمبرد حيث جعل خلاف هذا لحنا وانه
لم يرد الا في قول زياد • وكم موطن لولاي • وقد تقدم تحقيقه والاخفش جعل انه ضمير
نصب او جر قام مقام ضمير الرفع وسيبويه جعله ضمير جر **فصل** لما وقع الياس
من ايمانهم في هذه الدار بقولهم لن نؤمن فانه لتابيد النفي وعد النبي عليه السلام بانه
يراهم على اذل حال موقوفين للسؤال يرجع بعضهم الى بعض القول في الجدال كما يكون عليه حالة
جماعة اخطؤا في امر يقول بعضهم لبعض يقول الذين استضعفوا استحقروا وهم الاتباع للذين
استكبروا وهم القادة والاشراف لولا انتم لكنا مؤمنين اي انتم منعتمونا عن الايمان بالله ورسوله
وهذه الاشارة الى ان كفرهم لما كان لمانع لان بعد المقتضي لا يمكنهم ان يقولوا ما جاءنا رسول ولا انه

يتولوا تقر الرسول لان الرسول لو اهمل شيا لما كانوا يقولون لولا المستكبرون ثم اجابهم المستكبرون
وهم المتبوعون في الكفر للذين استضعفوا ردا لما قالوا ان كفرنا كان لمانع انحن صددناكم عن
الهدي بعد اذ جاكم يعني المانع ينبغي ان يكون راجحا على المقتضي حتى يعمل عمله والذي جابه هو الهدى
والذي صدر من المستكبرين لم يكن شيا يوجب الامتناع من قبول ما جابه فلم يصح تعليلكم
بالمانع بل كنتم مجرمين بترك الايمان فبين ان كفرهم كان اختيارا من حيث ان المعدوم لا يكون
معذورا الا لعدم المقتضي او لقيام المانع ولم يوجد شي منهما ثم قال وقال الذين استضعفوا
للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اذ تامروننا ان نكفر بالله لما قال المستكبرون انا ما
صددناكم وما صدر منا ما يصلح مانعا وصارفا اعترف المستضعفون به وقالوا بل مكر
الليل والنهار اي مكركم بنا في الليل والنهار **واعلم** انه يجوز رفع مكر من ثلاثة
اوجه احدها الفاعلية تقديره بل صدنا مكركم في هذين الوقتين الثاني ان يكون مبتدا
خبره محذوف اي مكر الليل صدنا الثالث العكس اي سبب كفرنا مكركم وهو المتقدم في
التفسير واضافة المكر الى الليل والنهار اما على الاسناد المجازي كقولهم ليل ماكر والعرب تضيف
الفعل الى الليل والنهار وعلى توسع الكلام كقول الشاعر، ونمت وما ليل المطي بنايم، فيكون
مصدرا مضافا لمرفوعه واما على الاتساع في الظرف فجعل كالمفعول به فيكون مضافا لمنصوبه
وهذا احسن من قول من قال ان الاضافة بمعنى في اي في الليل لان ذلك لم يثبت في محل
النزاع وقيل مكر الليل والنهار طول السلامة وطول الامل فيهما كقوله تعالى فطال عليهم
الامد فقست قلوبهم وقرا العامة مكر خفيف الراء ساكن الكاف مضافا لما بعده وابن
يعمر وقتادة بتنوين مكر وانتصاب الليل والنهار ظرفين وقرا ايضا وسعيد بن جبير
وابو رزين بفتح الكاف وتشديد الراء مضافا لما بعده اي كرور الليل والنهار واختلافهما
من كر يكر اذا جا وذهب وقرا ابن جبير ايضا وطلحة وراشد القاري وهو الذي كان يصحح المصاحف
ايام الحجاج بامره كذلك الا انه بنصب الراء وفيها اوجه اظهرها ما قاله الزمخشري وهو الانتصاب
على المصدر قال بل يكرون الاغواء مكرا دائما لا يفترون عنه الثاني النصب على الظرف
باضمار فعل اي بل صددتمونا مكر الليل والنهار اي دائما الثالث انه منصوب بتامروننا
قاله ابو الفضل الرازي وهو غلط لان ما بعد المضاف لا يعمل فيما قبله الا في مسئلة واحدة
وهي غير اذا كانت بمعنى لا كقوله، ان امرا خصني عمدا مودته على التناي لعندي غير مكفور،
وتقدم تقريرها اخر الفاتحة وجا قوله قال الذين استكبروا بغير عاطف لانه جواب
لقول الضعفة فاستونف بخلاف قوله وقال الذين استضعفوا فانه لما لم يكن جوابا عطف
والضمير في واسروا الندامة للجميع للاتباع والمتبوعين **فصل** لما اعترف المستضعفون
وقالوا بل مكر الليل والنهار صدنا ثم قالوا لهم انكم وان كنتم ما اتيتم بالصارف القطعي والمانع
القوي ولكن انضم امركم ايانا بالكفر الى طول الامد وامتداد المدد فكفرنا فكان قولكم جزء
السبب وقولهم اذ تامروننا ان نكفر بالله اي ننكره ونجعل له اندادا وهذا يبين ان المشرك
بالله مع انه في الصورة مثبت لكنه في الحقيقة منكر لوجود الله لان من يساويه بالمخلوق المنحوت
لا يكون مومنا به **فصل** قوله ولا يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا
بلفظ المستقبل وقوله في الايتين الاخريين وقال الذين استكبروا وقال الذين استضعفوا
بلفظ الماضي مع ان السوال والمراجعة في القول لم تقع اشارة الى ان ذلك لا بد من وقوعه
فان الامر الواجب الوقوع كانه وقع كقوله تعالى انك ميت وانهم ميتون واما الاستقبال فعلى
الاصل **قوله** واسروا الندامة لما راوا العذاب اي انهم يتراجعون القول ثم اذا جاءهم

العذاب الشاغل يرون ذلك التراجع الدال على الندامة وقيل معنى الاسرار الاظهار وهو من
الاضداد اي اظهروا الندامة ويحتمل ان يقال بانهم لما تراجعوا في القول رجعوا الى الله بقولهم
ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا واجيبوا بان لا امرد لكم فاسروا ذلك القول وقوله وجعلنا
الاغلال في اعناق الذين كفروا اي الاتباع والمتبوعون جميعا في النار وهذه اشارة الى كيفية
عذابهم هل تجزون الا ما كانوا يعملون من الكفر والمعاصي في الدنيا **قوله** وما ارسلنا
في قرية من نذير الا قال مترفوها اغنياؤها ورؤساؤها وقوله الا قال مترفوها جملة
حالية من قرية وان كانت نكرة لانها في سياق النفي **قوله** بما ارسلتم متعلق بخبر
ان وبه متعلق بارسلتم والتقدير انا كافرون بالذي ارسلتم به وانما قدم للاهتمام وحسنه
تواخي الفواصل وهذه تسلية لقلب النبي عليه السلام بان ايذا الكفار للانبيا ليس بدعا بل
ذلك عادة جرت من قبل وانما نسب القول الى المترفين مع ان غيرهم ايضا قالوا ذلك القول
لان المترفين هم الاصل في ذلك القول كقول المستضعفين للذين استكبروا لولا انتم لكنا مومنين
ثم استدلوا على كونهم مصيبين في ذلك بكثرة الاموال والاولاد فقالوا نحن اكثر اموالا واولادا
اي بسبب لزومنا لدينا ولو لم يكن الله راضيا بما نحن عليه من الدين والعمل لم يخولنا الاموال
والاولاد وما نحن بمعذبين اي ان الله احسن الينا في الدنيا بالمال فلا يعذبنا ثم ان الله تعالى
بين خطاهم بقوله قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشا ويقدر يعني ان الرزق في الدنيا لا
يدل سعته وضيقه على حال المحق والمبطل فكم من موسر شقي ومعسر تقي فقوله ويقدر اي
يضيق بدليل مقابلته لبسط وهذا هو الطباق البديعي وقرا الاعمش ويقدر بالتشديد
في الموضعين ثم قال ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان قلة الرزق وضنك العيش وكثرة المال
وحفظ العيش بالمشية من غير اختصاص بالفاسق والصالح ثم بين فساد استدلالهم بقوله
وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى يعني ان قولكم نحن اكثر اموالا واولادا
نحن احسن حالا عند الله ليس استدلالا صحيحا فان المال لا يقرب الى الله وانما المقرب
العمل الصالح بعد الايمان وذلك ان المال والولد يشغل عن الله فيبعد عنه فكيف
يقرب منه والعمل الصالح اقبال على الله واشتغال بالله ومن توجه الى الله وصل ومن
طلب من الله شيا حصل **قوله** بالتي تقربكم صفة للاموال والاولاد لان جمع التكسير
غير العاقل يعامل معاملة المونثة الواحدة وقال الفرا والزجاج انه حذف من الاول
لدلالة الثاني عليه قالا والتقدير وما اموالكم بالتي تقربكم عندنا ولا اولادكم بالتي
تقربكم وهذا لا حاجة اليه ايضا وتقل عن الفرا ما تقدم من ان التي صفة للاموال
والاولاد معا وهو الصحيح وجعل الزمخشري التي صفة لموصوف محذوف قال ويجوز ان
يكون هي التقوى وهي المقربة عند الله زلفى وحدها اي ليست اموالكم واولادكم بتلك
الموصوفة عند الله بالتقريب قال ابو حيان ولا حاجة الى هذا الموصوف قال شهاب الدين
والحاجة اليه بالنسبة الى المعنى الذي ذكره داعية **فزلفى** مصدر من معنى الاول اذ
التقدير تقربكم قربى وقرا الضحاك زلفا بفتح اللام وتنوين الكلمة على انها جمع زلفة نحو
قربة وقرب جمع المصدر لاختلاف انواعه وقال الاخفش زلفى اسم مصدر كانه قال
بالتي تقربكم عندنا تقريبا **قوله** الا من امن فيه اوجه احدها انه استثنا منقطع
فهو منصوب المحل والمعنى لكن من امن وعمل صالحا قال ابن عباس يريد ايمانه وعمله يقربه
مني الثاني انه في محل جر بدلا من الضمير في اموالكم قاله الزجاج وغلطه النحاس بانه بدل
من ضمير المخاطب قال ولو جاز هذا لجاز رايتك زيدا وقول ابي اسحاق هذا هو قول الفرا

انتهى قال ابو حيان ومذهب الاخفش والكوفيين انه يجوز البدل من ضمير المخاطب والمتكلم
الا ان البدل في الاية لا يصح الا ترى انه لا يصح تفريغ الفعل الواقع صلة لما بعد الا لو قلت
ما زيد بالذي يضرب الا خالدا لم يجز وتخيل الزجاج ان الصلة وان كانت من حيث المعنى
منفية انه يجوز البدل وليس بجائز الا ان يصح التفريغ له قال شهاب الدين ومنعه قولك
ما زيد بالذي يضرب الا خالدا فيه نظر لان النفي اذا كان منصبا على الجملة اعطي حكم ما لو
باشر ذلك الشيء الا ترى ان النفي في قولك ما ظننت احدا يفعل ذلك الا زيد سوغ البدل
في زيد من ضمير يفعل وان لم يكن النفي متسلطا عليه قالوا ولكنه لما كان في حيز النفي صح فيه
ذلك فهذا مثله والزمخشري ايضا تبع الزجاج والملهم في ذلك من حيث المعنى الا انه لم
يجعله بدلا بل منصوبا على اصل الاستثنا فقال الا من استثنا من كم في تقربكم
والمعنى ان الاموال لا تقرب احدا الا المومن الذي ينفقها في سبيل الله والاولاد لا تقرب احدا
الا من علمهم الخير وفقههم في الدين ورشحهم للصلاح ورد عليه ابو حيان بنحو ما تقدم فقال
لا يجوز ما زيد بالذي يخرج الا اخوه ولا ما زيد بالذي يضرب الا عمرا والجواب عنه ما تقدم
وايضا فالزمخشري لم يجعله بدلا بل استثنا صريحا ولا يشترط في الاستثنا التفريغ اللفظي
بل الاسناد المعنوي الا ترى انك تقول قام القوم الا زيدا ولو فرغته لفظا لامتنع لانه
مثبت وهذا الذي ذكره الزمخشري هو الوجه الثالث في المسيلة والرابع ان من امن في محل
رفع على الابتدا والخبر قوله فاولئك لهم جزا الضعف قال الفرا هو في موضع رفع تقديره
ما هو المقرب الا من امن وهذا ليس بجيد ويجب ان المراكيب **قوله** فاولئك لهم
جزا الضعف العامة على جزا الضعف مضافا على انه مصدر مضاف لمفعوله اي ان
يجازيهم الضعف وقدره الزمخشري مبنيا للمفعول اي يجزون الضعف ورده ابو حيان
بان الصحيح منعه وقرا قتادة برفعهما على ابدال الضعف من جزا وعنه ايضا وعن يعقوب
بنصب جزا على الحال منونا والعامل فيها الاستقرار وهذه كقوله فله جزا الحسنى فيمن
قرا بنصب جزا في الكهف **قوله** وهم في الغرفات امنون قرا حمزة الغرفة بالتوحيد
على ارادة الجنس ولعدم اللبس لانه معلوم ان لكل احد غرفة تخصه وقد اجمع على التوحيد
في قوله يجزون الغرفة ولان لفظ الواحد اخف فوضع موضع الجمع مع امن اللبس
والباقون الغرفات جمع سلامة وقد اجمع على الجمع في قوله لنبوينهم من الجنة غرفا والرسم
محتمل للقرائتين بضم را غرفات على الاتباع وبعضهم بفتحها وتقدم تحقيق ذلك اول البقرة
وقرا ابن وثاب الغرفة بضم الرا والتوحيد **فصل** والمعنى يضعف الله حسناتهم
فيجزي بالحسنة الواحدة عشرا الى سبع مائة لان الضعف لا يكون الا في الحسنة وفي السيئة
لا يكون الا المثل ثم زاد وقال وهم في الغرفات امنون اشارة الى دوام النعم وتابيدها
ثم بين حال المسي فقال والذين يسعون في اياتنا معجزين اي يسعون في ابطال حججنا معجز
معاندين يحسبون انهم يعجزوننا ويفوتوننا وقد تقدم تفسيره اولئك في العذاب محضرون
وهذا اشارة الى الدوام ايضا كقوله وما هم عنها بغايبين ثم قال مرة اخرى قل ان ربي
يبسط الرزق لمن يشا من عباده ويقدر له اشارة الى ان نعيم الاخرة لا ينافي نعمة الدنيا
بل الصالحون قد تحصل لهم في الدنيا النعم مع القطع بحصول النعم في العقبى بنا على الوعد
قطعا لقول من يقول اذا كانت العاجلة لنا والاجلة لهم فالنقد اولى فقال هذا النقد
غير مختص بكم فان كثيرا من الانبيا ممنوعون ولهذا المعنى ذكر هذا الكلام مرتين مرة
لبيان ان كثرة اموالهم واولادهم غير دالة على حسن احوالهم ومرة لبيان انه غير مختص بهم

كانه

كانه قال وجود الترف لا يدل على الشرف ثم ان سلمنا انه كذلك لكن المومنون سيحصل لهم ذلك
فان الله يملكهم دياركم واموالكم ويدل على ذلك ان الله تعالى لم يذكر ولالمن يشا من عباده
بل قال لمن يشا وقال ثانيا لمن يشا من عباده فالكافر ترفه متطوع وماله الى الزوال وماله
الى الوبال واما المومن فما ينفقه يخلفه الله **قوله** وما انفقتم يجوز ان يكون ما موصولة
في محل رفع بالابتدا والخبر قوله فهو يخلفه ودخلت الفا لشبهه بالشرط ومن شي بيان
كذا قيل وفيه نظر لابهام شي فاي شي تبين به ويجوز ان يكون ما شرطية فيكون في محل نصب
مفعولا مقدما وفهو يخلفه جواب الشرط **فصل** المعنى وما انفقتم من شي فهو يخلفه
اي يعطي خلفه قال سعيد بن جبير ما كان في غير اسراف ولا تقتير فهو يخلفه وقال الكلبي
ما تصدقتم من صدقة وانفقتم في الخير من نفقة فهو يخلفه على المنفق اما ان يعجل له في
الدنيا واما ان يوخره له في الاخرة وهو خير الرازقين خير من يعطي ويرزق روى ابو هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قال انفق انفق عليك وقال عليه
السلام ما من يوم يصبح العباد فيه الا ينزل فيه ملكان فيقول احدهما اللهم اعط منفقا
خلفا ويقول الاخر اللهم اعط ممسكا تلفا وانما جمع الرازقين من حيث الصورة لان الانسان
يرزق عياله من رزق الله والرازق للكل في الحقيقة انما هو الله واعلم ان خير الرازقين
يكون لامور ان لا يوخر في وقت الحاجة وان لا ينقص عن قدر الحاجة وان لا ينكده بالمن
وان لا يكون بطلب الثواب والله تعالى كذلك **فان قيل** قوله خير الرازقين
ينبي عن كثرة الرازقين ولا رازق الا الله فالجواب ان يقال الله خير الرازقين الذين
تظنونهم رازقين وكذا في قوله تعالى احسن الخالقين وايضا فان الصفات منها ما هو لله
وللعبد حقيقة كالعلم بان الله واحد فان الله يعلم انه واحد والعبد يعلم انه واحد حقيقة
ومنها ما يقال لله حقيقة وللعبد مجازا مثل الرازق والخالق فان العبد اذا اعطى غيره
شيا فالله هو المعطي في الحقيقة ولكن لما وجدت صورة العطا من العبد سمي معطيا وهذا
منه **قوله** ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول قد تقدم انه يقرا بالنون والياء في الانعام **قوله**
اهولا اياكم كانوا يعبدون اياكم منصوب بخبر كان قدم لاجل الفواصل والاهتمام واستدل
به على جواز تقدم خبر كان عليها اذا كان خبرها جملة فان فيه خلافا اجوزه ابن السراج
ومنعه غيره وكذلك اختلفوا في توسطه اذا كان جملة قال ابن السراج القياس جوازه
ولكن لم يسمع قال شهاب الدين قد تقدم في قوله ما كان يصنع فرعون ونحوه انه يجوز ان
يكون من تقدم الخبر وان لا يكون ووجه الدلالة هنا ان تقدم المعمول يوذن بتقدم
العامل وتقدم تحقيق هذا في هود في قوله تعالى الا يوم ياتيهم ليس مصروفا ومنع هذه
القاعدة **فصل** لما بين ان حال النبي عليه السلام كحال من تقدمه من الانبيا وحال
قومه كحال من تقدم من الكفار وبين بطلان استدلالهم بكثرة اموالهم واولادهم
بين ما يكون عاقبة حالهم فقال ويوم نحشرهم جميعا يعني المكذبين بك وعن تقدمك ثم نقول
للملايكة الذين يدعون انهم يعبدونهم فان غاية ما يرتقي اليه منزلتهم انهم يقولون نحن نعبد
الملايكة والكواكب قال قتادة هذا استفهام تقرير كقوله تعالى اانت قلت للناس اتخذوني
وامي الهين فيقول اهولا اياكم كانوا يعبدون فتتبرا منهم الملايكة فيقولون سبحانك تنزيها
لك انت ولينا من دونهم اي نحن نتولاك ولا نتولاهم يعني كونك ولينا بالمعبودية اولى
واحب الينا من كونهم اولياءنا بالعبادة لنا فقالوا بل كانوا يعبدون الجن اي الشياطين فهم
في الحقيقة كانوا يعبدون الجن ونحن كنا كالقبلة لهم **فان قيل** فهم كانوا يعبدون

لعيسى

الملايكة فما وجه قولهم يعبدون الجن قيل اراد ان الشياطين زينوا لهم عبادة الملايكة فهم
كانوا يطيعون الشياطين في عبادة الملايكة فقوله يعبدون اي يطيعون الجن والعبادة هي
الطاعة اكثرهم بهم مؤمنون اي مصدقون الشياطين **فان قيل** جميعهم كانوا تابعين
للشياطين فما وجه قولهم اكثرهم بهم فانه يدل على ان بعضهم لم يؤمن بهم ولم يطعهم فالجواب
من وجهين احدهما ان الملايكة احترزوا عن دعوى الاحاطة بهم فقالوا اكثرهم لان الذين راوهم
واطلعوا على احوالهم كانوا يعبدون الجن ويؤمنون بهم ولعل في الوجود من لم يطلع الله الملايكة
عليه من الكفار الثاني هو ان العبادة عمل ظاهر والايمان عمل باطن فقالوا بل كانوا يعبدون
الجن لاطلاعهم على اعمالهم وقالوا اكثرهم بهم مؤمنون عند عمل القلب يلا يكونوا مدعين اطلاعهم
على ما في القلوب فان القلب لا يطلع على ما فيه الا الله كما قال انه عليم بذات الصدور ثم
بين ان ما كانوا يعبدونه لا ينفعهم فقال فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا وهذا
الخطاب يحتمل ان يكون مع الملايكة لسبق قوله اهولاء اياكم كانوا يعبدون وعلى هذا يكون
تنكيلا للكافرين حيث بين لهم ان معبودهم لا ينفع ولا يضر ويصحح هذا قوله تعالى لا يملكون
الشفاعة الا لمن ارتضى ولقوله بعده ونقول للذين ظلموا ذوقوا ولو كان المخاطب هم الكفار
لقال تذوقوا ويحتمل ان يكون الكفار داخلين في الخطاب حتى يصح معنى قوله بعضكم لبعض
اي الملايكة للكفار الحاضرين ويحتمل ان يكون معهم الجن اي لا يملك بعضكم لبعض ايها الملايكة
والجن واذا لم تملكوها لانفسكم فلا تملكوها لغيركم ويحتمل ان يكون المخاطب هم الكفار لان ذكر
اليوم يدل على حضورهم وعلى هذا فقوله ونقول للذين ظلموا انما ذكره تاكيد البيان حالهم
في الظلم **فان قيل** قوله نفعا مفيد للحسرة فما فايدة ذكر الضر مع انهم لو كانوا يملكون
الضر لما نفع الكافرين ذلك فالجواب لما كانت العبادة تقع لدفع ضر المعبود كما يعبد
الجبار ويخدم مخافة شره بين انهم ليس فيهم ذلك الوجه الذي يحسن لاجله عبادتهم **فان
قيل** قوله ههنا التي كنتم بها صفة للنار وفي السجدة وصف العذاب فجعل المكذب
هنا النار وجعل المكذب في السجدة العذاب وهم كانوا يكذبون بالكل فما فايدته فالجواب
قيل لانهم هناك كانوا ملتبسين بالعذاب مترددين فيه بدليل قوله كلما ارادوا ان يخرجوا
منها اعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار التي كنتم به تكذبون فوصف لهم ما لابسوه
وهنا لم يلابسوه بعد لانه عقيب حشرهم وسؤالهم فهو اول ما راوا النار فقيل لهم هذه
النار التي كنتم بها تكذبون **قوله** واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قالوا ما هذا يعنون
محمدا صلى الله عليه وسلم الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد اباوكم فعارضوا البرهان
بالتقليد وقالوا ما هذا الا افك مفترى يعنون القران وقيل القول بالوحدانية افك
مفترى كقوله تعالى في حقهم ايفكا الهة دون الله تريدون وكقولهم للرسول اجيتنا
لتافكنا عن الهتنا وعلى هذا يكون قوله وقال الذين كفروا بدلا وقالوا الحق لما جاءهم هذا
انكار للتوحيد وكان مختصا بالمشركين واما انكار القران والمعجزة فكان متفقا عليه بين المشركين
واهل الكتاب فقال تعالى وقال الذين كفروا للحق على العموم **قوله** وما اتيناهم يعني هولاء
المشركين من كتب يدرسونها العامة على التخفيف مضارع درس مخففا اي حفظ وابو حيوة
يدرسونها بفتح الدال مشددة وكسر الراء والاصل يدترسونها من الادراس على الافتعال
فادغم وعنه ايضا بضم اليا وفتح الدال وتشديد الراء من التدريس والمعنى يقرءونها وقوله وما
ارسلنا اليهم قبلك اي الى هولاء المعاصرين لك لم نرسل اليهم اي لم يات العرب قبلك نبي ولا
نزل عليهم كتاب ولا اتاهم نذير ينبئهم بالنذارة غيرك فلا تعارض بينه وبين قوله

وان

وان مزاحمة الاخلا فيها نذير اد المراد هناك اثار النذير ولا شك ان هذا كان موجودا
بذهب النبي وتبقى شريعته ثم بين لهم كالذين من قبلهم كذبوا مثل عاد وثمود وغيرهم **قوله**
وما بلغوا الظاهر ان الضمير في بلغوا وفي اتيناهم للذين من قبلهم ليناسق قوله
فكذبوا رسلي يعني انهم لم يبلغوا في شكر النعمة وجزا المنة معشار ما اتيناهم من النعم والاحسان
اليهم وقيل بل ضمير الرفع لقريش والنصب للذين من قبلهم وهو قول ابن عباس على معنى
انهم كانوا اكثر اموالا وقيل بالعكس على معنى انا اعطينا قريشا من الايات والبراهين ما لم
نعط من قبلهم واختلف في المعشار فقيل هو بمعنى العشر بني مفعال من لفظ العشر كالمرباع ولا
ثالث لهما من الفاظ العدد لا يقال مسداس ولا مخماس وقيل هو عشر العشر الا ان ابن عطية
انكره وقال ليس بشي وقال الماوردي المعشار هنا عشر العشير والعشير هو عشر العشر
فيكون جزا من الف قال وهو الاظهر لان المراد به المبالغة في التقليل **فصل** المعنى
ان هولاء المشركين ما بلغوا معشار ما اعطينا الامم الخالية من القوة والنعمة وطول العمر فكذبوا
رسلي فكيف كان نكير اي انكاري وتغييري عليهم تحذر كفار هذه الامة عذاب الامم الماضية
وقيل المراد وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما اتيناهم اي الذين من قبلهم ما بلغوا
معشار ما اتيناهم اي الذين من قبلهم ما بلغوا معشار ما اتينا قوم محمد من البيان والبرهان
وذلك لان كتاب محمد عليه السلام اكمل من ساير الكتب واوضح ومحمد عليه السلام افضل
من جميع الرسل وافصح وبرهانه اوفى وبيانه اشفى ثم ان المتقدمين لما كذبوا بما جاءهم
من الكتب ومن اتاهم من الرسل انكر عليهم فكيف لا ينكر عليهم وقد كذبوا بافصح الرسل واوضح
السبل ويويد هذا قوله تعالى وما اتيناهم من كتب يدرسونها يعني غير القران ما اتيناهم
كتابا وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير فلما كان المؤتى في الاية الاولى هو الكتاب فحمل الاية
الثانية على ايتاء الكتاب اولى **قوله** فكذبوا فيه وجهان احدهما انه معطوف على كذب
الذين من قبلهم والثاني انه معطوف على وما بلغوا واوضحهما الزمخشري فقال فان قلت
ما معنى فكذبوا رسلي وهو مستغنى عنه بقوله وكذب الذين من قبلهم قلت لما كان معنى قوله
وكذب الذين من قبلهم وفعل الذين من قبلهم التكذيب واقدموا عليه جعل تكذيب
الرسل مسببا عنه ونظيره ان يقول القايل اقدم فلان على الكفر فكفر بمحمد صلى الله عليه
وسلم ويجوز ان يعطف على قوله وما بلغوا كقولك ما بلغ زيد معشار فضل عمرو فيفضل
عليه **فكيف كان نكير** مصدر مضاف لفاعله اي انكاري وتقدم حذف يايه واثباتها
قوله قل انما اعظكم بواحدة اي امركم واوصيكم بواحدة اي بخصلة واحدة ثم بين
تلك الخصلة فقال ان تقوموا لله اي لاجل الله **قوله** ان تقوموا فيه اوجه احدها
انها مجرورة المحل بدلا من واحدة على سبيل البيان قاله الفارسي الثاني انها عطف بيان
لواحدة قاله الزمخشري وهو مردود لتخالفهما تعريفا وتنكيرا وقد تقدم هذا عند قوله
فيه ايات بينات مقام ابرهيم الثالث انها منصوبة باضمار اعني الرابع انها مرفوعة
على خبر ابتدا مضمر اي هي ان تقوموا ومثنى وفرادى حال وتقدم تحقيق القول في مثنى وبابه في
سورة النسا ومضى القول في فرادى في الانعام ومعنى مثنى اي اثنين اثنين وفرادى واحدا
واحدا **قوله** ثم تتفكروا عطف على ان تقوموا اي قيامكم ثم تفكركم والوقف عند ابي
حاتم على هذه الاية ثم يبتدي ما بصاحبكم وقال مقاتل تم الكلام عند قوله ثم تتفكروا
اي في خلق السموات والارض فتعلمون ان خالقها واحد لا شريك له ثم قال ما بصاحبكم من
جنة وفي ما هذه قولان احدهما انها نافية والثاني انها استفهامية لكن لا يراد به حقيقة

الاستفهام فيعود الى المنفي واذا كانت نافية فهل هي معلقة او مستانفة او جواب القسم
الذي تضمنه معنى تتفكروا لانه فعل تحقيق كتبين وبابه ثلاثة اوجه نقل الثالث ابن
عطيه وربما نسبه لسيبويه واذا كانت استفهامية جاز فيها الوجهان الاولان دون الثالث
ومن جنة يجوز ان يكون فاعلا بالجار لاعتماده وان يكون مبتدا ويجوز في ما اذا كانت
نافية ان تكون الحجازية والتميمية **فصل** قوله مثنى وفرادى اشاره الى جميع
الاحوال فان الانسان اما ان يكون مع غيره فيدخل في قوله مثنى وان كان وحده دخل
في قوله فرادى فكانه قال تقوموا لله مجتمعين ومنفردين لا تمنعكم الجمعية من ذكر الله ولا
يحوجكم الانفراد الى معين يعينكم على ذكر الله ثم تتفكروا في حال محمد صلى الله عليه وسلم فتعلموا
ما بصاحبكم من جنة جنون وليس المراد من القيام القيام الذي هو ضد الجلوس وانما هو
القيام بالامر الذي هو طلب الحق كقوله وان تقوموا لليتامى بالقسط قال ابن الخطيب وقوله
ما بصاحبكم من جنة يفيد كونه رسولا وان كان لا يلزم في كل من لا يكون به جنة ان يكون
رسولا لان النبي عليه السلام كان يظهر منه اشيا لا تكون مقدوره للبشر وغير البشر من يظهر منه
العجايب اما الجن واما الملك فاذا لم يكن الصادر من النبي عليه السلام بواسطة الجن يكون بفعل
الله من غير واسطة وعلى التقديرين فهو رسول وهذا من احسن الطرق وهو ان تثبت
الصفة التي هي اشرف الصفات في البشر بنفي اخس الصفات فانه لو قال اولا هو رسول كانوا
يقولون فيه النزاع فاذا قال ما هو مجنون لم يسعهم انكار ذلك لعلمهم بعلو شانه وحاله
في قوة لسانه فاذا ساعدوا على ذلك لزمتهم المسئلة ولهذا قال بعده ان هو الا نذير لكم
يعني اما هو به جنة او هو رسول لكن تبين انه ليس به جنة فهو نذير وقوله بين يدي عذاب
شديد اشارة الى قرب العذاب كانه قال ينذركم بعذاب حاضر يمسكم عن قريب **قوله**
قل ما سالتكم من اجر في ما وجهان احدهما انها شرطية فيكون مفعولا مقدما وقوله فهو
لكم جوابها والثاني انها موصولة في محل رفع بالابتدا والعايد محذوف اي سالتكموه والخبر
فهو لكم ودخلت الفا لشبه الموصول بالشرط والمعنى يحتمل انه لم يسالهم اجرا البتة كقولك
ان اعطيتني شيا فخذه مع علمك انه لم يعطك شيا وقول القايل ما لي من هذا فقد وهبته لك
يريد ليس لي فيه شي ويويده ان اجري الا على الله ويحتمل انه سالهم شيا نفعه عايد عليهم
وهو المراد بقوله الا المودة في القربى ان اجري ما ثوابي الا على الله وهو على كل شي شهيد
قوله قل ان ربي يقذف بالحق يجوز ان يكون يقذف بالحق مفعوله محذوفا لان
القذف في الاصل الرمي وعبر به هنا عن الالقا اي يلقي الوحي الى انبيايه بالحق اي بسبب
الحق او ملتبسا بالحق ويجوز ان يكون التقدير يقذف الباطل بالحق اي يدفعه ويطرحه
به كقوله بل نقذف بالحق على الباطل ويجوز ان تكون البا زايدة اي يلقي الحق كقوله ولا تلقوا
بايديكم او يتضمن يقذف معنى يقضي ويحكم والقذف الرمي بالسهم او بالحصاة او الكلام قال
المفسرون معناه ياتي بالحق بالوحي ينزله من السما فيقذفه الى الانبيا **قوله** علام الغيوب
العامة على رفعه وفيه اوجه اظهرها انه خبر ثان لان او خبر مبتدا مضمر او بدل من الضمير
في يقذف او نعت له على راي الكسايي لانه يجيز نعت الضمير الغايب وقد صرح به هنا
وقال الزمخشري رفع على محل ان واسمها او على المستكن في يقذف يعني بقوله محمول على محل
ان واسمها يعني به النعت الا ان ذلك ليس مذهب البصريين لانهم لم يعتبروا المحل الا في العطف
بالحرف بشروط عند بعضهم ويريد بالحمل على الضمير في يقذف انه بدل منه لا انه نعت له
لان ذلك انفرد به الكسايي وقرا زيد بن علي وعيسى بن عمر وابن ابي اسحق بالنصب نعتا لاسم

ان

انّ او بدلا منه على قلة الابدال بالمشتق ومنصوب على المدح وقرئ الغيوب بالحركات
الثلاث في الغين فالضم والكسر تقدم ما في بيوت وبابه واما الفتح فصيغة مبالغة كالشكور
والصبور وهو الشي الغايب الخفي **فصل** قال ابن الخطيب في يقذف وجهان
احدهما يقذف بالحق في قلوب المحقين وعلى هذا تعلق الاية بما قبلها من حيث ان الله تعالى
لما بين رسالة النبي عليه السلام بقوله ان هو الا نذير واكده بقوله قل ما سالتكم من اجر
فهو لكم وكان من عادة المشركين استبعاد تخصيص واحد من بينهم بانزال الذكر عليه كما حكى
عنهم قولهم ا انزل عليه الذكر من بيننا ذكر ما يصلح جوابا لهم فقال قل ان ربي يقذف
بالحق في القلوب اشارة الى ان الامر بيده يفعل ما يريد ويعطي ما يشا لمن يشا ثم
قال علام الغيوب اشارة الى جواب سوال فاسد يذكر عليه وهو ان من يفعل شيا كما يريد
من غير اختصاص محل الفعل بشي لا يوجد في غيره لا يكون عالما واما ذلك فعل تعالى كما
يصيب السهم موضعا دون غيره مع تسوية المواضع في المحاذاة فقال يقذف بالحق كيف شا
وهو عالم بما يفعله وعالم بعواقب ما يفعله اذ هو علام الغيوب فهو يفعل ما يريد لا كما
يفعل الهاجم الغافل عن العواقب الوجه الثاني ان المراد منه انه يقذف بالحق على الباطل
كقوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه وعلى هذا تعلق الاية بما قبلها من حيث
ان براهين التوحيد لما ظهرت وشبههم داحضة قال ان ربي يقذف بالحق اي على باطلكم
وعلى هذا الوجه فقوله علام الغيوب هو ان البرهان الباهر المعقول لم يتم الا على التوحيد
والرسالة واما الحشر فلا برهان على وقوعه الا اخبار الله تعالى عنه وعن احواله واهواله
ولولا بيان الله بالقول لما بان لاحد بخلاف التوحيد والرسالة فلما قال يقذف بالحق اي
على الباطل اشار به الى ظهور البراهين على التوحيد والنبوة ثم قال علام الغيوب اي ما
يخبره عن الغيب وهو قيام الساعة واحوالها فهو لا خلف فيه فان الله علام الغيوب ويحتمل
الاية وجها اخر وهو ان يقال ربي يقذف بالحق اي ما يقذفه يقذفه بالحق لا بالباطل
والبا على الوجهين الاولين متعلق بالمفعول به والحق مقذوف على الوجهين الاولين وعلى
هذا البا في قوله بالحق كالبا في قوله تعالى فاحكم بين الناس بالحق والمعنى على هذا الوجه هو
ان الله تعالى قذف ما قذف في قلب الرسل وهو علام الغيوب يعلم ما في قلوبهم
وما في قلوبكم **قوله** قل جا الحق يعني القران وقيل التوحيد والحشر وكلما ظهر على لسان
النبي عليه السلام وقيل المعجزات الدالة على نبوة محمد عليه السلام وقيل المراد من جا الحق اي ظهر
الحق لان كلما جا فقد ظهر **قوله** وما يبدي يجوز في ما ان تكون نفيا وان تكون استفهاما
ويكون يؤول معناه الى النفي ولا مفعول ليبدي ولا ليعيد اذ المراد لا يوقع هذين الفعلين
كقوله ا قفر من اهله عبيد اصبح لا يبدي ولا يعيد وقيل مفعوله محذوف اي ما يبدي
لاهله خيرا ولا يعيده وهو تقدير الحسن والمعنى ذهب الباطل وزهق فلم يبق منه
بقية يبدي شيا او يعيده كقوله بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه قال قتادة
الباطل هو ابليس اي ما يخلق ابليس احدا ابتدا ولا يبعثه وهو قول مقاتل والكلبي وقيل
الباطل الاصنام **قوله** ان ضللت العامة على فتح لامه في الماضي وكسرها في المضارع ولكن
ينقل الى الساكن قبلها والحسن وابن وثاب بالعكس وهي لغة تميم وتقدم ذلك **فصل** قال
المفسرون ان كفار مكة كانوا يقولون انك ضللت حين تركت دين ابايك فقال الله تعالى قل
ان ضللت فانما اضل على نفسي اي اثم ضلالي على نفسي وان اهتديت فبما يوحي الي ربي من
القران والحكمة انه سميع قريب **قوله** فبما يوحي يجوز ان تكون ما مصدرية اي بسبب

انجاد بي لي وان تكون موصولة اي بسبب الذي توجيه فعايده محذوف وقوله سميع اي يسمع
اذا نادبته واستعنت به عليكم قريب ياتيكم من غير تاخير ليس كمن يسمع من بعيد ولا يلحق الداعي
قوله ولو ترى اذ فزعوا قال قتادة عند البعث حين يخرجون من قبورهم فلا فوت
اي فلا تفوتونني كقوله ولات حين مناص وقيل اذ فزعوا عند الموت فلا فوت فلا نجاة ولو
ترى جوابه محذوف اي ترى عجبا **قوله** فلا فوت العامة على بنائه على الفتح واخذوا فعلا
ماضيا مبنيا للمفعول معطوفا على فزعوا وقيل على معنى فلا فوت اي فلم يفوتوا واخذوا وقرا
عبد الرحمن مولى بني هاشم وطلحة فلا فوتٌ واخذٌ مرفوعين منونين وابي بفتح فوت ورفع
اخذ فرفع فوت على الابتدا او على اسم لا الليسية ومن رفع واخذ رفعه بالابتدا والخبر محذوف
اي واخذ هناك او على خبر ابتدا مضمر اي وحالهم اخذ ويكون من عطف الجمل منبه على سعيه
فصل واخذوا من مكان قريب قال الكلبي من تحت اقدامهم وقيل اخذوا من
بطن الارض الى ظهرها وحيث ما كانوا فهم من الله قريب لا يفوتونه وقيل من مكان قريب
يعني عذاب الدنيا قال الضحاك هو يوم بدر وقال ابن ابزى خسف بالبيداء وجواب
لو ترى محذوف اي لرايت امرا تعتبر به **قوله** وقالوا امنا به اي عند الياس والضمير
في به لله او للرسول او للقران او للعذاب او للبعث وانى لهم اي من اين لهم اي كيف يقدرون
على الظفر بالمطلوب وذلك لا يكون الا في الدنيا وهم في الاخرة والدنيا من الاخرة بعيدة فان
قيل كيف قال في كثير من المواضع ان الاخرة من الدنيا قريبة وسمى الله الساعة
قريبة فقال اقتربت الساعة اقترب للناس حسابهم لعل الساعة قريب **فالجواب** ان
الماضي كالامس الدابر وهو ابعد ما يكون اذ لا وصول اليه والمستقبل وان كان بينه وبين
الحاضر سنين فانه آت فيوم القيامة الدنيا بعيدة منه لمضيها ويوم القيمة في الدنيا قريب
لاتيانه **قوله** التناوش مبتدأ وانى خبره اي كيف لهم التناوش **ولهم** حال ويجوز
ان يكون لهم رافعا للتناوش لاعتماده على الاستفهام تقديره كيف استقر لهم التناوش وفيه
بعد والتناوش يهمز في قراة الاخوين وابي عمرو وابي بكر وبالواو في قراة غيرهم فيحتمل
ان يكونا مادتين مستقلتين مع اتحاد معناهما وقيل الهمزة عن الواو لانضمامها كوجوه واجوه
ووقتت واقتت واليه ذهب جماعة كثيرة كالزجاج والزمخشري وابن عطيه والحوفي
وابي البقا قال الزجاج كل واو مضمومة للائمة فانت فيها بالخيار وتابعه الباقون فيها
من عبارته ورده ابو حيان هذا الاطلاق وقيده بانه لا بد ان يكون الواو غير مدغم
فيها تحرزا من التحرز من التعوذ وان تكون غير مصححة في الفعل فانها متى صحت في الفعل
لم تبدل همزة نحو ترهوك ترهوكا وتعاون تعاونا وبهذا القيد الاخير بطل قولهم لانها
صحت في تناوش ومتى سلم له هذان القيدان او الاخير منهما ثبت رده **والتناوش**
الرجوع قال • تمنى ان يؤوب الى مي • وليس الى تناوشها سبيل • اي الى رجوعها وقيل هو
التناول يقال ناش كذا اي تناوله ومنه تناوش القوم بالسلاح كقوله •
• ظلت سيوف بني ابيه تنوشه لله ارحام هناك تشقق • وقال اخر •
• فهي تنوش الحوض نوشا من علا • نوشا به تقطع اجواز الفلا • وفرق بعضهم بين المهموز وغيره
فجعل المهموز بمعنى التاخير قال الفرا من نأشت اي تاخرت وانشد •
• تمنى نئيشا ان تكون مطاعنا وقد حدثت بعد الامور امور • وقال اخر
• تعدت ذمانا عن طلابك للعلا • وجئت نئيشا بعد ما فاتك الخبر • وقال الفرا
ايضا هما متقاربان يعني الهمز وتركه مثل ذمت الرجل وذامته اي عبته وانتاش

انتباشا

انتباشا كتناوش تناوشا قال • كانت تنوش العنق انتياشا • وهذا مصدر على
غير الصدر ومن مكان متعلق بالتناوش **فصل** المعنى كيف لهم تناول ما بعد
عنهم وهو الايمان والتوبة وقد كان قريبا في الدنيا فضيعوه وهذا على قراة من لم يهمز
واما من همز فقيل معناه هذا ايضا وقيل التناوش بالهمز من النئيش وهي حركة في ابطاء
يقال جا نئيشا اي مبطئا متاخرا والمعنى من اين لهم الحركة فيما لا حيلة لهم فيه قال
ابن عباس يسالون الرد فيقال وانى لهم الرد الى الدنيا من مكان بعيد اي من الاخرة
الى الدنيا **قوله** وقد كفروا به جملة حالية وقوله به اي بالقران وقيل بالله او بمحمد
عليه السلام وقيل بالعذاب او البعث ومن قبل اي من قبل نزول العذاب وقيل من
قبل ان عاينوا اهوال القيمة ويجوز ان تكون الجملة مستانفة والاول اظهر **قوله** ويقذفون
يجوز فيها الاستيناف والحال وفيه بعد عكس الاول لدخول الواو على مضارع مثبت
وقرا ابو حيوة ومجاهد ومحبوب عن ابي عمرو ويقذفون مبنيا للمفعول اي يرجمون
بما يسوءهم من جزاء اعمالهم من حيث لا يحتسبون **فصل** ويقذفون قال
مجاهد يرمون محمدا بالظن لا باليقين وهو قولهم ساحر وشاعر وكاهن ومعنى الغيب
هو الظن لانه غاب علمه عنهم والمكان البعيد بعدهم عن علم ما يقولون والمعنى يرمون
محمدا بما لا يعلمون من حيث لا يعلمون وقال قتادة اي يرجمون بالظن يقولون لا بعث
ولا جنة ولا نار **قوله** وحيل تقدم فيه الاشمام والكسر اول البقرة والقايم مقام
الفاعل ضمير المصدر اي وحيل هو اي الحول ولا يقدر مصدرا مؤكدا بل مختصا حتى يصح
قيامه وجعل الحوفي القايم مقام الفاعل بينهم واعترض عليه بانه كان ينبغي ان يرفع
واجيب عنه بانه انما بني على الفتح لاضافته الى غير متمكن ورده ابو حيان بانه لا يبنى
المضاف الى غير متمكن مطلقا فلا يجوز قام غلامك ولا مررت بغلامك بالفتح قال
شهاب الدين وقد تقدم في قوله لقد تقطع بينكم ما يغني عن اعادته ثم قال
ابو حيان وما يقول قايل ذلك في قول الشاعر • وقد حيل بين العير والنزوان •
فانه نصب بين مضافة الى معرف وخرج ايضا على ذلك قول الاخر •
• وقالت متى يبخل عليك ويعتلل يسؤك وان يكشف غرامك تدرب • اي يعتلل
هو اي الاعتلال **فصل** وحيل بينهم وما يشتهون يعني الايمان والتوبة والرجوع
الى الدنيا وقيل نعيم الدنيا وزهرتها كما فعل باشياعهم بنظرائهم ومن كان على مثل
حالهم من الكفار من قبل لم يقبل منهم الايمان في وقت الياس انهم كانوا في شك من
البعث ونزول العذاب بهم ومن قبل متعلق بفعل او باشياعهم اي الذين شايعوهم
قبل ذلك الحين **قوله** مريب قد تقدم انه اسم فاعل من اراب اي اتى بالريب
او دخل فيه واربته اوقعته في الريب ونسبة الارابة الى الشك مجاز وقال
الزمخشري هنا الا ان ههنا فرقا وهو ان المريب من المتعدي منقول ممن يصح ان يكون
مريبا من الاعيان الى المعنى ومن اللازم منقول من صاحب الشك الى الشك كما تقول
شعر شاعر وهي عبارة حسنة مفيدة وابن هذا من قول بعضهم ويجوز ان يكون اردفه على
الشك لتناسق اخر الاية بالتي قبلها من مكان قريب وقول ابن عطية الشك المريب اقوى
ما يكون من الشك واشده وتقدم تحقيق الريب اول البقرة وتشنيع الراغب على من يفسره
بالشك والله اعلم • روى ابو امامة عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قرا سورة سبا لم يبق نبي ولا رسول الا كان له رفيقا ومصافحا •

عطف

ضمه

يتناوش

سورة الملائكة عليهم السلام مكية

وهي ست واربعون اية وسبع مائة وسبعة وتسعون كلمة وثلاثة الاف وماية وثلاثون حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى الحمد لله فاطر السموات والارض قد
تقدم ان الحمد يكون على النعمة في اكثر الامر ونعم الله قسمان عاجلة واجلة والعاجلة وجود
وبقا والاجلة كذلك ايجاد مرة اخرى وابقا قوله فاطر ان جعلت اضافته محضة كان
نعتا لله وان جعلتها غير محضة كان بدلا وهو قليل من حيث انه مشتق وهذه قراة العامة
فاطر اسم فاعل والزهري والضحاك فطر فعلا ماضيا وفيه ثلاثة اوجه احدها انه صلة
لموصول محذوف اي الذي فطر كذا قدره ابو الفضل ولا يليق بمذهب البصريين لان حذف
الموصول الاسمي لا يجوز وقد تقدم هذا الخلاف مستوفى في البقرة الثاني انه حال على اضمار
قد قاله ابو الفضل ايضا الثالث انه خبر مبتدا مضمر اي هو فطر وقد حكى الزمخشري قراة تؤيد
ما ذهب اليه الرازي فقال وقرئ الذي فطر وجعل فصرح بالموصول فصل معنى
فاطر السموات والارض اي خالقها ومبدعها على غير مثال سبق قاله ابن عباس وقيل فاطر
السموات والارض اي شاقهما لنزول الارواح من السما وخروج الاجساد من الارض ويدل
عليه قوله تعالى جاعل الملائكة رسلا فان في ذلك اليوم تكون الملائكة رسلا قوله جاعل
العامة ايضا على جره نعتا او بدلا والحسن بالرفع والاضافة وروي عن ابي عمرو كذلك الا انه
لم ينون ونصب الملائكة وذلك على حذف التنوين لالتقا الساكنين كقوله
ولا ذاكر الله الا قليلا وابن يعمر وخليد بن نشيط جعل فعلا ماضيا بعد قراة فاطر بالجر
وهذه كقراة فالق الاصباح وجعل الليل والحسن وحميد رسلا بسكون السين وهي لغة
تميم وجاعل يجوز ان يكون بمعنى مصيرا وبمعنى خالق فعلى الاول يجري الخلاف هل نصب
الثاني باسم الفاعل او باضمار فعل هذا ان اعتقد ان جاعلا غير ماض اما اذا كان ماضيا
تعين ان ينتصب باضمار فعل وتقدم تحقيق ذلك في الانعام وعلى الثاني ينتصب على
الحال ومثنى وثلاث ورباع صفة لاجنحة واولي صفة لرسلا وتقدم تحقيق الكلام
في مثنى واخواتها في سورة النسا قال ابو حيان وقيل اولي اجنحة معترض ومثنى حال
والعامل فعل محذوف يدل عليه رسلا اي يرسلون مثنى وثلاث ورباع وهذا لا يسمى
اعتراضا لوجهين احدهما ان اولي صفة لرسلا والصفة لا يقال فيها معترضة والثاني
انها ليست حالا من رسلا بل من محذوف فكيف يكون ما قبله معترضا ولو جعله حالا من
الضمير في رسلا لانه مشتق لسهل ذلك بعض شي ويكون الاعتراض بالصفة مجازا من حيث انه
فاصل في الصورة قوله يزيد مستانف وما يشا هو المفعول الثاني للزيادة والاول لم
يقصد فهو محذوف اقتصارا لان قوله في الخلق يغني عنه فصل قال قتادة ومقاتل
اولي اجنحة بعضهم له جناحان وبعضهم له ثلاثة اجنحة وبعضهم له اجنحة يزيد فيها ما
يشا وهو قوله يزيد في الخلق ما يشا قال عبد الله بن مسعود في قوله عز وجل لقد راى من
ايات ربه الكبرى قال راى جبريل في صورته له ستماية جناح وقال ابن شهاب في قوله يزيد
في الخلق ما يشا قال حسن الصوت وعن قتادة هو الملاحة في العينين وقيل هو العقل والتمييز
ان الله على كل شي قدير قوله ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها لما بين كمال
القدرة ذكر بيان نفوذ المشية ونفاذ الامر فقال ما يفتح الله يعني ان رحم الله فلا مانع
له وان لم يرحم فلا باعث له عليها وفي الاية دليل على سبق رحمته غضبه من وجوه احدها
التقديم حيث قدم بيان فتح ابواب الرحمة في الذكر وثانيها انه انث الكناية فقال فلا ممسك

لها

لها فيجوز من حيث العربية ان يقال له عودا الى ما ولكن قال الله تعالى ذلك ليعلم ان المفتوح
ابواب الرحمة فهي واصلة الى من رحمه وقال عند الامساك وما يمسك فلا مرسل له بالتذكير
ولم يقل لها فلم يصرح بانه لا مرسل للرحمة بل ذكره بلفظ يحتمل ان يكون الذي يرسل هو غير
الرحمة فان قوله تعالى وما يمسك عام من غير بيان وتخصيص وثالثها قوله من بعده
اي من بعد الله فاستثنى ههنا وقال لا مرسل له الا الله وعند الامساك قال فلا ممسك لها
ولم يقل غير الله لان الرحمة اذا جاءت لا ترتفع فان من رحمه الله في الاخرة لا يعذبه بعدها
هو ولا غيره ومن يعذبه الله قد يرحمه الله بعد العذاب كالفساق من اهل الايمان
قوله من رحمة تبيين او حال من اسم الشرط ولا يكون صفة لما لان اسم الشرط لا يوصف
قال الزمخشري وتنكير الرحمة للاشاعة والابهام كانه قيل اي رحمة كانت سماوية او ارضية
قال ابو حيان والعموم مفهوم من اسم الشرط ومن رحمة بيان لذلك العام من اي صنف
هو وهو مما اجتزي فيه بالنكرة المفردة عن الجمع المعرف المطابق في العموم لاسم الشرط وتقديره
من الرحمات ومن في موضع الحال انتهى قوله وما يمسك يجوز ان يكون على عمومه اي اي شي
امسكه من رحمة او غيرها فعلى هذا التذكير في قوله له ظاهر لانه عايد على ما يمسك ويجوز
ان يكون قد حذف المبين من الثاني لدلالة الاول عليه تقديره وما يمسك من رحمة
فعلى هذا التذكير في قوله له على لفظ ما وفي قوله اولا فلا ممسك لها التانيث فيه حمل على
معنى ما لان المراد بها الرحمة فحمل اولا على المعنى وفي الثاني على اللفظ والفتح والامساك
استعارة حسنة وهو العزيز فيما امسك اي كامل القدرة الحكيم فيما ارسل اي كامل العلم قال
عليه السلام اللهم لا مانع لما اعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد قوله
يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم لما بين ان الحمد لله وبين بعض وجوه النعمة التي تستوجب
الحمد على سبيل التفصيل بين النعمة على سبيل الاجمال فقال اذكروا نعمة الله عليكم وهي مع كثرتها
منحصرة في قسمين نعمة الايجاد ونعمة الابقا فقال هل من خالق غير الله اشارة الى نعمة الايجاد
في الابتدا وقال يرزقكم اشارة الى نعمة الابقا بالرزق الى الانتها قوله من خالق غير الله
قرا الاخوان غير بالجر نعتا لخالق على اللفظ ومن خالق مبتدا مزاد فيه من وفي خبره قولان احدهما
هو الجملة من قوله يرزقكم والثاني انه محذوف تقديره لكم ونحوه وفي يرزقكم على هذا
وجهان احدهما انه صفة ايضا لخالق فيجوز ان يحكم على موضعه بالجر اعتبارا باللفظ وبالرفع
اعتبارا بالموضع والثاني انه مستانف وقرا الباقون بالرفع وفيه ثلاثة اوجه احدها انه
خبر المبتدا والثاني انه صفة لخالق على الموضع والخبر اما محذوف واما يرزقكم والثالث
انه مرفوع باسم الفاعل على جهة الفاعلية لان اسم الفاعل قد اعتمد على اداة الاستفهام
الا ان ابا حيان توقف في مثل هذا من حيث ان اسم الفاعل وان اعتمد الا انه لم يحفظ
فيه زيادة من قال فيحتاج مثله الى سماع ولا يظهر التوقف فان شروط الزيادة والعمل
موجودة وعلى هذا الوجه فيرزقكم اما صفة او مستانف وجعل ابو حيان استينافه
اولى قال لانتفا صدق خالق على غير الله بخلاف كونه صفة فان الصفة تقيد فيكون
ثم خالق غير الله لكنه ليس برازق وقرا الفضل بن ابرهيم النحوي غير بالنصب على
الاستثنا والخبر يرزقكم او محذوف ويرزقكم مستانف او صفة فصل قال
المفسرون هذا استفهام على طريق التقرير كانه قال لا خالق غير الله يرزقكم من السما
والارض اي من السما المطر ومن الارض النبات لا اله الا هو مستانف فانى تؤفكون اي
فانى تصرفون عن هذا الظاهر فكيف تشركون المنحوت بمنزلة الملكوت ثم لما بين الاصل

الاول وهو التوحيد ذكر الاصل الثاني وهو الرسالة فقال وان يكذبوك فقد كذبت رسل
من قبلك يسلي نبيه صلى الله عليه وسلم ثم بين من حيث الاجمال ان المكذب في العذاب وان
المكذب له الثواب بقوله والى الله ترجع الامور ثم بين الاصل الثالث وهو الحشر فقال يا ايها
الناس ان وعد الله حق يعني وعد القيمة فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور اي الشيطان
وقرا العامة بفتح الغين الغرور وهو صفة مبالغة كالصبور والشكور وابو السماك وابو حيوة
بضمها اما جمع غار كقاعد وقعود واما مصدر كالجلوس قوله ان الشيطان لكم عدو
لما قال تعالى ولا يغرنكم بالله الغرور ذكر ما يمنع العاقل من الاغترار وقال ان الشيطان لكم
عدو فاتخذوه عدوا ولا تسمعوا قوله وقوله فاتخذوه عدوا اي اعملوا ما يسوءه وهو العمل
الصالح ثم قال انما يدعوا حزبه اي اشياعه ليكونوا من اصحاب السعير وفي الاية اشارة
الى معنى لطيف وهو ان من يكون له عدو فاما ان يعاديه مجازاة له واما ان يرضيه فلما قال
تعالى ان الشيطان لكم عدو امرهم بالعداوة واشار الى ان الطريق ليس الا هذا واما الارضا
فلا فايدة فيه لانكم ان ارضيتموه واتبعتموه فهو لا يوديكم الا الى السعير واعلم ان من علم انه
عدو والامهرب له منه وجزم بذلك فانه يقف له ويصبر معه على قتاله الى ان يظفر به
ولذلك الشيطان لا يقدر الانسان ان يهرب منه فانه يقف معه ولا يزال ثابتا على الجادة
والاتكال على العبادة ثم بين تعالى ما حال حزبه وحال حزب الله وهو قوله الذين كفروا يجوز
رفعه ونصبه وجره فرفعه من وجهين اظهرهما ان يكون مبتدا والجملة بعده خبره
والاحسن ان يكون لهم هو الخبر وعذاب فاعله والثاني انه بدل من واو ليكونوا ونصبه من
اوجه البدل من حزبه او النعت له او اضمار فعل اذم ونحوه وجره من وجهين النعت
او البدلية من اصحاب واحسن الوجوه الاول لمطابقة التقسيم واللام في ليكونوا اما للعلة على
المجاز من اقامة المسبب مقام السبب واما للصيرورة ثم قال لهم عذاب شديد وهذا
حال حزب الشيطان والذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر كبير فالايمان في مقابلة
المغفرة فلا يؤبد مؤمن في النار والعمل الصالح في مقابلة الاجر الكبير قوله افمن
زين له سوء عمله من موصولة مبتدا وما بعده صلته والخبر محذوف فقدره الكسائي
تذهب نفسك عليهم حسرات لدلالة فلا تذهب عليه وقدره الزجاج واضله الله كمن
هداه وقدره غيرهما كمن لم يزين له وهو احسن لموافقته لفظا ومعنى ونظيره افمن كان
على بينة من ربه كمن هو اعمى افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى والعامة
على زين مبنيا للمفعول سوء رفع وعبيد بن عمير زين مبنيا للفاعل وهو الله سوء
نصب به وعنه اسوا بصيغة التفضيل منصوبا وطلحة امن بغير فاء قال ابو الفضل
الهمزة للاستخبار بمعنى العامة للتقرير ويجوز ان يكون بمعنى حرف الندا فحذف التمام كما حذف
من المشهور والجواب يعني انه يجوز في هذه القراة ان تكون الهمزة للندا وحذف التمام اي
ما نودي لاجله كانه قيل يا من زين له سوء عمله ارجع الى الله وتب اليه وقوله كما حذف
الجواب يعني به خبر المبتدا الذي تقدم تقديره فصل قال ابن عباس نزلت
في ابي جهل ومشركي مكة وقال سعيد بن جبير نزلت في اصحاب الاهوا والبدع قال قتادة
منهم الخوارج الذين يستحلون دما المسلمين واموالهم فاما اهل الكباير فليسوا منهم لانهم لا يستحلون
الكباير ومعنى زين له سوء عمله شبه له وموه عليه وحسن له سوء عمله اي قبيح عمله فراه حسنا
زين له الشيطان ذلك بالوسواس وفي الاية حذف مجازه افمن زين له سوء عمله فراى الباطل
حقا كمن هداه الله فراى الحق حقا والباطل باطلا فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء

وذلك

وذلك لان اشخاص الناس متساوية في الحقيقة والاساة والاحسان والسية والحسنة يمتاز
بعضها عن بعض فاذا اعرفها البعض دون البعض لا يكون ذلك باستقلال منهم فلا بد من
الاسناد الى ارادة الله تعالى ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث حزن على اصرارهم
بعد اتيانه بكل اية ظاهرة وحجة قاهرة فقال فلا تذهب نفسك عليهم حسرات كقوله
تعالى فلعلك باخع نفسك على اثارهم اي لا تغتم بكفرهم وهلاكهم ان لم يؤمنوا قوله
فلا تذهب العامة على فتح التا والها مسندا لنفسك من باب لا اريتك ههنا اي لا تتعاط
اسباب ذلك وقرا ابو جعفر وقتادة والاشهب بضم التا وكسر الها مسندا لضمير المخاطب
نفسك مفعول به قوله حسرات فيه وجهان احدهما انه مفعول من اجله اي لاجل الحسرات
والثاني انه في موضع الحال على المبالغة كان كلها صارت حسرات لفرط التحسر كما قال
مشوا الهواجر لحمهن مع السرى حتى ذهبن كلاكلا وصدورا يريد رجعن كلاكلا وصدورا
وكون كلاكل وصدور حال قول سيبويه وجعلهما المبرد تمييزين منقولين من الفاعلية
والحسرة شدة الحزن على ما فات من الامر ثم قال ان الله عليم بما يصنعون اي الله عالم
بفعلهم يجازيهم على ما يصنعونه ثم عاد الى البيان وقال الله الذي ارسل الرياح وهبوب
الرياح دليل ظاهر على الفاعل المختار لان الهوى قد يسكن وقد يتحرك وعند حركته قد
يتحرك الى اليمين وقد يتحرك الى الشمال وفي حركاته المختلفة قد ينشي السحاب وقد لا ينشي فهذه
الاختلافات دليل على مسخر مدبر مؤثر مقدر قوله فتثير عطف على ارسل لان اراد
بمعنى المستقبل فلذلك عطف عليه واتى بارسل لتحقق وقوعه وبتثير لتصور الحال
واستحضار الصورة البديعة كقوله انزل من السما ما فتصبح الارض مخضرة وكقول تابط
شرا ٭ الا من مبلغ فتيان فهم ٭ بما لاقيت عند رحا بطان ٭ باني قد رايت الغول تهوي
٭ بسهب كالصحيفة صحصحان ٭ فقلت لها كلانا نضو ارض ٭ اخو سفر فخلي لي مكاني ٭
٭ فشدت شدة نحوي فاهوت ٭ لها كفي بمصقول يماني ٭
٭ فاضربها بلا دهش فخرت ٭ صريعا لليدين وللجران ٭ حيث قال فاضربها ليصور لقومه
حاله وشجاعته وجراته وقوله فسقناه واحيينا معدولا بهما عن لفظ الغيبة الى ما هو
ادخل في الاختصاص وادل عليه فصل قال ارسل بلفظ الماضي وقال
فتثير سحابا بلفظ المستقبل لانه لما اسند فعل الارسال الى الله وما يفعله الله يكون
بقوله كن فلا يبقى في العدم لا زمانا ولا جزءا من الزمان فلم يقل بلفظ المستقبل لوجوب
وقوعه وسرعة كونه كانه كان ولانه فرغ عن كل شي فهو قدر الارسال في الاوقات
المعلومة والى المواضع المعينة ولما اسند فعل الاثارة الى الريح وهي تولف في زمان
فقال تثير اي على هيئتها وقال فسقناه اسند الفعل الى المتكلم وكذلك في قوله فاحيينا لانه
في الاول عرف نفسه بفعل من الافعال وهو الارسال ثم لما عرف قال انا الذي بعثت السحاب
واحييت الارض ففي الاول كان تعريفا بالفعل العجيب وفي الثاني كان تذكيرا بالنعمة
فان كمال نعمة الرياح والسحاب بالسوق والاحيا وقوله فسقناه واحيينا بصيغة الماضي يويد
ما ذكرنا من الفرق بين قوله ارسل وبين قوله تثير ثم قال كذلك النشور اي من القبور
ووجه التشبيه من وجوه احدها ان الارض الميتة لما قبلت الحياة اللايقة بها كذلك الاعضا
تقبل الحياة وثانيها كما ان الريح يجمع القطع السحابية كذلك يجمع اجزا الاعضا وابعاض الاشيا
وثالثها كما انا نسوق الريح والسحاب الى البلد الميت كذلك نسوق الروح الى الجسد الميت
فان قيل ما الحكمة في اختيار هذه الاية من بين الايات مع ان الله تعالى له

في كل شيء آية تدل على أنه واحد فالجواب أنه تعالى لما ذكر كونه فاطر السموات والأرض وذكر من الأمور السماوية الأرواح وإرسالها بقوله جاعل الملائكة رسلا ذكر من الأمور الأرضية الرياح **قوله** من كان يريد شرط جوابه مقدر ويختلف تقديره باختلاف التفسير في قوله من كان يريد العزة فقال مجاهد معناه من كان يريد العزة بعبادة الأوثان فيكون تقديره فليطلبها وقال قتادة من كان يريد العزة وطريقه القويم ويحب نيلها على وجهها فيكون تقديره على هذا فليطلبها وقال الفراء من كان يريد علم العزة فيكون التقدير فلينسب ذلك إلى الله وقيل من كان يريد العزة التي لا يعقبها ذلة فيكون التقدير فهو لا ينالها ودل على هذه الأجوبة قوله فلله العزة وإنما قيل إن الجواب محذوف وليس هو هذه الجملة لوجهين أحدهما أن العزة لله مطلقا من غير ترتبها على شرط إرادة أحد والثاني أنه لا بد في الجواب من ضمير يعود على اسم الشرط إذا كان غير ظرف ولم يوجد هنا ضمير وجميعا حال والعامل فيها الاستقرار **فصل** قال قتادة من كان يريد العزة فليتعزز بطاعة الله عز وجل ومعناه الدعاء إلى طاعة من له العزة أي فليطلب العزة من عند الله بطاعته كما يقال من كان يريد المال فالمال لفلان أي فليطلبه من عنده وذلك أن الكفار عبدوا الأصنام وطلبوا بها التعزز كما قال الله تعالى واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا وقال الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا **قوله** إليه يصعد العامة على بنائه للفاعل من صعد ثلاثيا الكلم الطيب برفعهما فاعلا ونعتا وعلي وابن مسعود يصعد من أصعد الكلم الطيب منصوبا على المفعول والنعت وقرئ يصعد مبنيا للمفعول وقال ابن عطية قرأ الضحاك يصعد بضم الياء لكنه لم يبين كونه مبنيا للفاعل أو المفعول **فصل** قال المفسرون الكلم الطيب قول لا إله إلا الله وقيل هو قول الرجل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وعن ابن مسعود قال إذا حدثتكم حديثا أنبأتكم بمصداقه من كتاب الله عز وجل ما من عبد مسلم يقول خمس كلمات سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وتبارك الله إلا أخذهن ملك فجعلهن تحت جناحه ثم صعد بهن فلا يمر بهن على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن حتى يحيي بهن وجه رب العالمين ومصداقه من كتاب الله عز وجل قوله إليه يصعد الكلم الطيب وقيل الكلم الطيب ذكر الله وعن قتادة إليه يصعد الكلم الطيب أي يقبل الله الكلم الطيب **قوله** والعمل الصالح العامة على الرفع وفيه وجهان أحدهما أنه معطوف على الكلم الطيب فيكون صاعدا أيضا ويرفعه على هذا استئناف إخبار من الله بأنه يرفعهما وإنما وحد الضمير وإن كان المراد الكلم والعمل ذهابا بالضمير مذهب اسم الإشارة كقوله عوان بين ذلك وقيل لاشتراكهما في صفة واحدة وهي الصعود والثاني أنه مبتدأ ويرفعه الخبر ولكن اختلفوا في فاعل يرفع على ثلاثة أوجه أحدها أنه ضمير الله تعالى أي والعمل الصالح يرفعه الله تعالى إليه والثاني أنه ضمير العمل الصالح وضمير النصب على هذا فيه وجهان أحدهما أنه يعود على صاحب العمل أي يرفع صاحبه والثاني أنه ضمير الكلم الطيب أي العمل الصالح يرفع الكلم الطيب ونقل هذا عن ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن وعكرمة وأكثر المفسرين إلا أن ابن عطية منع هذا عن ابن عباس وقال لا يصح لأن مذهب أهل السنة أن الكلم الطيب مقبول وإن كان صاحبه عاصيا والثالث أن ضمير الرفع للكلم والنصب للعمل أي الكلم يرفع العمل وقرأ ابن أبي عبلة وعيسى بنصب العمل الصالح على الاشتغال والضمير المرفوع للكلم أو لله والمنصوب للعمل **فصل** قال الحسن وقتادة الكلم الطيب ذكر الله والعمل

الصالح أداء فرائضه فمن ذكر الله ولم يؤد فرائضه رد كلامه على عمله وليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي ولكن ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال فمن قال حسنا وعمل غير صالح رد الله عليه قوله ومن قال حسنا وعمل صالحا رفعه العمل لقوله تعالى إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وقال عليه السلام لا يقبل الله قولا إلا بعمل ولا قولا وعملا إلا بنية ومن قال الهاء في قوله يرفعه راجعة إلى العمل الصالح أي الكلم الطيب يرفع العمل الصالح فلا يقبل عمل إلا أن يكون صادرا عن التوحيد وهذا معنى قول الكلبي ومقاتل وقال سفيان بن عيينة العمل الصالح هو الخالص يعني أن الإخلاص سبب قبول الخيرات من الأقوال والأفعال كقوله تعالى فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا فجعل نقيض الصالح الشرك والرياء **قوله** والذين يمكرون السيئات يمكرون أصله قاصر فعلى هذا ينتصب السيئات على نعت مصدر محذوف أي المكرات السيئات أو نعت لمضاف إلى المصدر أي أصناف المكرات السيئات ويجوز أن يكون يمكرون مضمنا معنى يكسبون فينتصب السيئات مفعولا به قال الزمخشري ويحتمل أن يقال استعمل المكر استعمال العمل فعداه تعديته كما قال الذين يعملون السيئات فعلى هذا يحتمل أن يكون السيئات وصفا لمصدر تقديره الذين يعملون العملات السيئات وعلى هذا يكون هذا في مقابلة قوله والعمل الصالح يرفعه وقال الكلبي معناه يعملون السيئات قال مقاتل يعني الشرك وقال أبو العالية يعني الذين مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم في دار الندوة كما قال تعالى وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك **قوله** ومكر أولئك هو يبور هو مبتدأ ويبور خبره والجملة خبر قوله ومكر أولئك وجوز الحوفي وأبو البقاء أن يكون هو فصلا بين المبتدأ وخبره وهذا مردود بأن الفصل لا يقع قبل الخبر إذا كان فعلا إلا أن الجرجاني جوز ذلك وجوز أبو البقاء أيضا أن يكون هو تأكيدا وهذا مردود بأن المضمر لا يؤكد الظاهر ومعنى يبور يهلك ويبطل في الآخرة **قوله تعالى** والله خلقكم من تراب الآية قد تقدم أن الدلائل مع كثرتها منحصرة في قسمين دلائل الآفاق ودلائل الأنفس كما قال تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم فلما ذكر دلائل الآفاق من السموات وما يرسل منها من الرياح شرع في دلائل الأنفس وتقدم ذكره مرارا وتقدم أن قوله من تراب إشارة إلى خلق آدم ثم من نطفة إشارة إلى خلق أولاده وتقدم أن الكلام غير محتاج إلى هذا التأويل بل خلقكم خطاب مع الناس وهم أولاد آدم وكلهم من تراب ومن نطفة لأن كلهم من نطفة والنطفة من غذاء والغذا ينتهي بالآخرة إلى الماء والتراب فهو من تراب صار نطفة ثم خلقكم أزواجا ذكرانا وإناثا **قوله** من أنثى من مزيدة في أنثى وكذلك في من معمر إلا أن الأول فاعل وهذا مفعول قام مقامه وإلا بعلمه حال أي إلا ملتبسة بعلمه **قوله** من عمره في هذا الضمير قولان أحدهما أنه يعود على معمر آخر لأن المراد بقوله من معمر الجنس فهو يعود عليه لفظا لا معنى لأنه بعد أن فرض كونه معمرا استحال أن ينقص من عمره نفسه كقوله

وكل أناس قاربوا قيد فحلهم ... ونحن خلعنا قيده فهو سارب

ومنه عندي درهم ونصفه أي ونصف درهم آخر والثاني أنه يعود على معمر لفظا ومعنى والمعنى أنه إذا مضى من عمره حول أحصي وكتب ثم حول آخر كذلك فهذا هو النقص وإليه ذهب ابن عباس وابن جبير وأبو مالك ومنه قول الشاعر

حياتك أنفاس تعد فكلما ... مضى نفس منك انتقصت به جزءا

وقرأ يعقوب وسلام ويروى عن أبي عمرو ولا ينقص مبنيا للفاعل وقرأ الحسن من عمره بسكون الميم **فصل**

معني وما يعمر من معمر لا يطول عمره ولا ينقص من عمره اي من عمر اخر كما يقال لفلان عندي درهم
ونصفه اي نصف درهم اخر الا في كتاب وقيل قوله ولا ينقص من عمره ينصرف الى الاول قال
سعيد بن جبير مكتوب في ام الكتاب عمر فلان كذا وكذا سنة ثم يكتب اسفل من ذلك ذهب
يوم ذهب يومان ذهب ثلاثة ايام حتى ينقطع عمره وقال كعب الاحبار حين حضر عمر الوفاة
والله لو دعا عمر ربه ان يوخر اجله لاخر فقيل له ان الله عز وجل يقول فاذا جا اجلهم لا يستاخرون
ساعة ولا يستقدمون فقال هذا اذا حضر الاجل فاما قبل ذلك فيجوز ان يزاد وينقص
وقرا هذه الاية **فصل** قوله وما تحمل من انثى ولا تضع اشارة الى كمال قدرته
فان ما في الارحام قبل التخليق بل بعده ما دام في البطن لا يعلم حاله احد كيف والامرة
الحاملة لا تعلم منه شيا فلما ذكر بقوله خلقكم من تراب كمال قدرته بين بقوله وما تحمل
من انثى ولا تضع الا بعلمه كمال علمه ثم بين نفوذ ارادته بقوله وما يعمر من معمر ولا ينقص
من عمره الا في كتاب فبين انه هو القادر العليم المريد والاصنام لا قدرة لها ولا علم ولا
ارادة فكيف يستحق شي منها العبادة ثم قال ان ذلك على الله يسير اي الخلق من التراب
ويحتمل ان يكون المراد ان التعمير والنقصان على الله يسير ويحتمل ان يكون المراد ان العلم
بما تحمله الانثى يسير والكل على الله يسير والاول اشبه لان استعمال اليسير في الفعل
اليق **قوله** وما يستوي البحران يعني العذب والملح ثم ذكرهما فقال هذا عذب
فرات طيب سايغ شرابه جايز في الحلق هني وهذا ملح اجاج شديد الملوحة وقال
الضحاك هو المر **قوله** سايغ شرابه يجوز ان يكونا مبتدا وخبرا والجملة خبر ثان وان
يكون سايغ خبرا وشرابه فاعلا به لانه اعتمد وقرا عيسى ويروى عن ابي عمرو وعاصم
سيغ مثل سيد وميت وعن عيسى بتخفيف يايه كما تخفف هين وميت وقرا طلحة
وابو نهيك ملح بفتح الميم وكسر اللام فقيل هو مقصور من مالح ومالح لغية شاذة وقيل
ملح بالفتح والكسر لغة في ملح بالكسر والسكون **فصل** قال اكثر المفسرين ان المراد
من الاية ضرب المثل في حق الكفر والايمان او الكافر والمومن فالايمان لا يشتبه
بالكفر كما لا يشبه البحر العذب الفرات بالبحر الملح الاجاج ثم على هذا فقوله ومن كل
تاكلون لحما طريا فالبيان ان حال الكافر والمومن او الكفر والايمان دون حال البحرين
لان الاجاج يشارك الفرات في خير ونفع اذ اللحم الطري يوجد فيهما والحلية توخذ منهما
والفلك تجري فيهما ولا نفع في الكفر والكافر وعلى هذا انسق قوله تعالى اولئك كالانعام
بل هم اضل وقوله كالحجارة او اشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما
يشقق فيخرج منه الما قال ابن الخطيب والاظهر ان المراد منه ذكر دليل اخر على قدرة الله
تعالى وذلك من حيث ان البحرين يستويان في الصورة ويختلفان في الما فان احدهما
فرات والاخر ملح اجاج ولولا ذلك بايجاب موجب لما اختلف المتساويان ثم انهما بعد
اختلافهما يوخذ منهما امور متشابهة فان اللحم الطري يوخذ منهما والحلية توخذ منهما ومن
يوجد في المتساويين اختلافا ومن المختلفين اشتباها لا يكون الا قادرا مختارا فقوله وما
يستوي البحران اشارة الى ان عدم استوايهما دليل على كمال قدرته ونفوذ ارادته **فصل**
قال اهل اللغة لا يقال في ما البحر اذا كان فيه ملوحة مالح وانما يقال له ملح وقد يذكر في
بعض كتب الفقه يصير به ما البحر مالحا ويواخذ قايله به وهو اصح مما يذهب اليه القوم
وذلك لان الما العذب اذا القي فيه ملح حتى ملح لا يقال له الا مالح وما ملح للما الذي صار
من اصل خلقته كذلك لان المالح شي فيه ملح ظاهر في الذوق والما الملح ليس ما ومالحا بخلاف

الطعام

الطعام المالح فالما العذب الملقى فيه الملح ما فيه ملح ظاهر في الذوق بخلاف ما هو من
اصل خلقته كذلك قال الفقيه الملح اجزا ارضية سبخة يصير بها ما البحر مالحا راعى فيه
الاصل فانه جعله ما جاوره ملح واهل اللغة حيث قالوا في ما البحر ملح جعلوه كذلك
من اصل الخلقة والاجاج المر كما تقدم **قوله** ومن كل تاكلون لحما طريا من الطيور والسمك
من العذب والملح جميعا وتستخرجون حلية يعني من الملح دون العذب تلبسونها من اللولو
والمرجان وقيل نسب اللولو اليهما لانه قد يكون في البحر الاجاج عيون عذبة تمتزج
بالملح فيكون اللولو من ذلك وترى الفلك فيه مواخر اي ماخرات تمخر البحر بالجريان اي
تشق جواري مقبلة ومدبرة بريح واحدة لتبتغوا من فضله بالتجارة ولعلكم تشكرون
الله على نعمه وهذا يدل على ان المراد من الاية الاستدلال بالبحرين وما فيهما على وجود الله
ووحدانيته وكمال قدرته **قوله** يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهذا
استدلال اخر باختلاف الازمنة وقوله وسخر الشمس والقمر جواب لسوال يذكره المشركون
وهو انهم قالوا اختلاف الليل والنهار بسبب اختلاف القسي الواقعة فوق الارض وتحتها
فان في الصيف تكون الشمس على سمت الروس في بعض البلاد المايلة الافاق وحركة الشمس
هناك حمايلية فيقع تحت الارض اقل من نصف دايرة فيقل زمان مكثها تحت الارض
فيقصر الليل وفي الشتا بالضد فيقصر النهار فقال الله تعالى وسخر الشمس والقمر يعني
سبب الاختلاف وان كان ما ذكرتم لكن سير الشمس والقمر بارادة الله وقدرته فهو الذي
فعل ذلك كل تجري لاجل مسمى **قوله** ذلكم الله ربكم ذلكم مبتدا والله خبره وربكم خبر
ثان او نعت لله وقال الزمخشري ويجوز في حكم الاعراب ايقاع اسم الله صفة لاسم
الاشارة او عطف بيان وربكم خبر لولا ان المعنى يا باه ورده ابو حيان بان الله علم لا
جنس فلا يوصف به ورد قوله ان المعنى يا باه قال لانه يكون قد اخبر عن المشار اليه
بتلك الصفات والافعال انه مالككم ومصلحكم **فصل** المعنى ذلك الذي فعل
هذه الاشيا من فطر السموات والارض وارسال الارواح والرياح وخلق الانسان من
التراب وغير ذلك له الملك كله فلا معبود الا هو واذا كان له الملك كله فله العبادة
كلها ثم بين ما ينافي صفة الالهية فقال والذين تدعون من دونه يعني الاصنام ما
يملكون من قطمير **قوله** والذين تدعون العامة على الخطاب في تدعون لقوله ربكم
وعيسى وسلام ويعقوب ويروى عن ابي عمرو بيا الغيبة اما على الالتفات واما على
الانتقال الى الاخبار والفرق بينهما انه يكون في الالتفات المراد بالضميرين واحدا
بخلاف الثاني فانهما غيران وما يملكون هو خبر الموصول ومن قطمير مفعول به ومن فيه
مزيدة والقطمير المشهور فيه انه لفافة النواة وهو مثل في القلة كقوله
وابوك يخصف نعله متوركا ما يملك المسكين من قطمير وقيل هو القمع وقيل
ما بين القمع والنواة وقد تقدم ان في النواة اربعة اشيا يضرب بها المثل في القلة الفتيل
وهو ما في شق النواة والقطمير وهو اللفافة والنقير وهو ما في ظهرها والثفروق وهو ما
بين القمع والنواة **قوله** ان تدعوهم لا يسمعوا دعاكم يعني الاصنام ولو سمعوا ما استجابوا
لكم وهذا ابطال لما كانوا يقولون ان في عبادة الاصنام عزة من حيث القرب منها والنظر
اليها وعرض الحوايج عليها والله لا يرى ولا يصل اليه احد فقال الحجب لهم ان هيا ولا لا يسمعوا
دعاكم والله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب فيسمع ويقبل ثم تنازل معهم وقال هب انهم
يسمعون كما تظنون فانهم كانوا يقولون بان الاصنام تسمع وتعلم ولكن لا يمكنهم انهم يقولون

بايها نجيب لان ذلك انكار للمحسوس فقال ولو سمعوا كما تظنون ما استجابوا لكم **قوله** ويوم
القيمة يكفرون بشرككم اي يتبراون منكم ومن عبادتكم اياها ويقولون ما كنتم ايانا تعبدون
واعلم انه لما بين عدم النفع بهم في الدنيا بين عدم النفع منهم في الاخرة ووجود الضرر منهم في
القيمة بقوله ويوم القيامة يكفرون بشرككم اي باشراككم بالله عز وجل وهذا المصدر مضاف
لفاعله ثم قال ولا ينبئك مثل خبير يعني نفسه اي لا يخبرك احد مثلي خبير عالم بالاشيا
وهذا الخطاب يحتمل وجهين احدهما ان يكون خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم ووجهه ان الله
تعالى لما اخبر بان الخشب والحجر يوم القيمة ينطق ويكذب عابده وذلك ما لا يعلم بالعقل
المجرد لولا اخبار الله تعالى عنه بقوله انهم يكفرون بهم يوم القيمة فهذا القول مع كون المخبر
عنه امرا عجيبا قال ان المخبر عنه خبير والثاني ان ذلك الخطاب غير مختص باحد اي هذا
الذي ذكر هو كما ذكر ولا ينبئك ايها السامع كاينا من كنت مثل خبير **قوله** يا ايها
الناس انتم الفقرا الى الله اي الى فضل الله والفقير هو المحتاج والله هو الغني عن خلقه الحميد
اي المحمود في احسانه اليهم واعلم انه لما كثر الدعا من النبي عليه السلام والاصرار من
الكفار وقالوا ان الله لعله محتاج الى عبادتنا حتى يامرنا بها امرا بالغا ويهددنا على
تركها مبالغا فقال الله انتم الفقرا الى الله والله الغني فلا يامركم بالعبادة لاحتياجه اليكم
وانما هو لاشفاقه عليكم **فصل** التعريف في الخبر قليل والاكثر ان يكون الخبر
نكرة والمبتدا معرفة لان المخبر لا يخبر في الاكثر الا بامر لا يعلمه المخبر وفي ظن المتكلم ان السامع
لا علم له به ثم ان المبتدا لا بد وان يكون معلوما عند السامع حتى يقول له ايها السامع
الامر الذي تعرفه انت فيه المعنى الفلاني كقول القايل زيد قايم او قام اي زيد الذي تعرفه
ثبت له قيام لا علم عندك به فان كان الخبر معلوما عند السامع والمبتدا كذلك ويقع الخبر
تنبيها لا تفهيما فانه يحسن تعريف الخبر كقول القايل الله ربنا ومحمد نبينا حيث عرف
كون الله ربنا وكون محمد نبينا وههنا لما كان كون الناس فقرا امرا ظاهرا لا يخفى على
احد قال انتم الفقرا وقوله الى الله اعلام بان لا افتقار الا اليه ولا اتكال الا عليه وهذا
يوجب عبادته لكونه مفتقرا اليه وعدم عبادة غيره لعدم الافتقار الى غيره ثم قال
والله هو الغني اي هو مع استغنايه يدعوكم كل الدعا وانتم مع احتياجكم لا تجيبونه **قوله**
ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد وهذا بيان لغناه وفيه بلاغة كاملة لان قوله
تعالى ان يشا يذهبكم اي ليس اذهابكم موقوفا الا على مشيته بخلاف الشي المحتاج اليه
فان المحتاج الى الشي لا يقال فيه ان شا فلان هدم داره وانما يقال لولا حاجة السكنى
الى الدار لبعته ثم انه تعالى زاد على بيان الاستغنا بقوله ويات بخلق جديد يعني ان كان
يتوهم متوهم ان هذا الملك كمال وعظمة فلو اذهبه لزال ملكه وعظمته فهو قادر بان
يخلق خلقا جديدا احسن من هذا واجمل وما ذلك على الله بعزيز اي الاذهاب والاتيان
واعلم ان لفظة العزيز استعمله الله تارة في القايم بنفسه فقال في حق نفسه وكان الله
قويا عزيزا وقال في هذه السورة عزيز غفور واستعمله تارة في القايم بغيره فقال
وما ذلك على الله بعزيز وقال عزيز عليه ما عنتم فهل هما بمعنى واحد او بمعنيين
فنقول العزيز في اللغة هو الغالب والفعل اذا كان لا يطيقه شخص يقال هو مغلوب
بالنسبة الى ذلك الفعل فقوله وما ذلك على الله بعزيز اي ذلك الفعل لا يغلبه بل
هو هين على الله وقوله عزيز عليه ما عنتم اي يحزنه ويوذيه كالشغل الغالب **قوله**
ولا تزر وازرة اي نفس وازرة فحذف الموصوف للعلم ومعنى تزر تحمل اي لا تحمل نفس

حاملة حمل نفس اخرى **قوله** وان تدع مثقلة اي نفس مثقلة بالذنوب نفسا الى حملها
فحذف المفعول به للعلم به والعامة لا تحمل مبنيا للمفعول وشي قايم مقام الفاعل وابو
السماك وطلحة ويروى عن الكسائي بفتح التا من فوق وكسر الميم اسند الفعل الى ضمير
النفس المحذوفة التي هي مفعوله لتدع اي لا تحمل تلك النفس المدعوة شيا مفعول بلا تحمل
قوله ولو كان ذا قربى اي ولو كان المدعو ذا قربى وقيل التقدير ولو كان الداعي ذا
قربى والمعنيان حسنان وقرى ذو بالرفع على انها التامة اي ولو حضر ذو قربى نحو قد كان
من مطر وان كان ذو عسرة قال الزمخشري ونظم الكلام احسن ملايمة للناقصة لان
المعنى على ان المثقلة اذا دعت احدا الى حملها لا يحمل منه ولو كان مدعوها ذا قربى
وهو ملتيم ولو قلت ولو وجد ذو قربى لخرج عن التيامه قال ابو حيان وهو ملتيم
على المعنى الذي ذكرناه قال شهاب الدين والذي قاله هو اي ولو حضر اذ ذاك ذو قربى
ثم قال وتفسيره كان وهو مبني للفاعل بوجد وهو مبني للمفعول تفسير معنى والذي يفسر
النحوي به كان التامة نحو حدث وحضر ووقع **فصل** المعنى وان تدع مثقلة بذنوب
غيرها الى حملها اي يحمل ما عليه من الذنوب لا يحمل منه شي ولو كان المدعو ذا قرابة له ابنه
او اباه او امه او اخاه قال ابن عباس يلقى الاب او الام فيقول يا بني احمل عني بعض
ذنوبي فيقول لا استطيع حسبي ما علي **قوله** انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب
ولم يروه قال الاخفش تاويله انذارك انما ينفع الذين يخشون ربهم بالغيب **قوله**
بالغيب حال من الفاعل اي يخشونه غايبين عنه او من المفعول اي غايبا عنهم وقوله
يخشون ربهم بالغيب واقاموا الصلاة كقوله الذين امنوا وعملوا الصالحات وكقوله
الذين يومنون بالغيب ويقيمون الصلاة في المعنى **قوله** ومن تزكى قرا العامة
تزكى تفعل فانما يتزكى يتفعل وعن ابي عمرو ومن يزكى فانما يزكى والاصل فانما يتزكى
فادغمت التا في الزاي كما ادغمت في الذال نحو يذكرون في يتذكرون وابن مسعود
وطلحة ومن ازكى والاصل يتزكى فادغم واجتلبت همزة الوصل فانما يزكى امثله
يتزكى فادغم كابي عمرو في غير المشهور عنه **فصل** معنى ومن تزكى صلح وعمل خيرا
فانما يتزكى لنفسه لها ثوابه والى الله المصير اي التزكي ان لم تظهر فايدته عاجلا
فالمصير الى الله يظهر عنده في يوم القيامة في دار البقا والا فان لم تظهر نفعه
وذره في الدنيا فهي تظهر في الاخرة اذ المصير الى الله ثم لما بين الهدى والضلالة
ولم يهتدي الكافر وهدى الله المومن ضرب لهما مثلا بالبصير والاعمى فالمومن بصير
حيث ابصر الطريق الواضح والكافر اعمى **قوله** وما يستوي الاعمى والبصير استوى
من الافعال التي لا يكتفى فيها بواحد لو قلت استوى زيد لم يصح فمن ثم لزم العطف على
الفاعل او تعدده ولا في قوله ولا الظلمات الى اخره مكررة لتاكيد النفي وقال
ابن عطية دخول لا انما هو على نية التكرار كانه قال ولا الظلمات والنور فاستغنى بذكر
الاوايل ولا النور والظلمات فاستغنى بذكر الاوايل عن الثواني ودل مذكور الكلام على
متروكه قال ابو حيان وهذا غير محتاج اليه لانه اذا نفي استواهما اولا فاي فايدة
في نفي استوايهما ثانيا وهو كلام حسن الا ان ابا حيان هنا قال تدخول لا في النفي لتاكيد
معناه كقوله ولا تستوي الحسنة ولا السيئة وللناس في هذه الاية قولان احدهما ما ذكر
والثاني انها غير موكدة اذ يراد بالحسنة الجنس وكذلك السيئة فكل واحد منهما متفاوت
في جنسه لان الحسنات درجات متفاوتة وكذلك السيئات وسياتي تحقيق هذا ان شا

الله تعالى نعلى هذا امكن ان يقال بهذا هنا وهو ان المراد نفي استوا الظلمات ونفي استوا جنس النور الا ان هذا غير مراد هنا في الظاهر اذ المراد مقابلة هذه الاجناس بعضها ببعض لا مقابلة بعض افراد كل جنس على حدته ويرجح هذا الظاهر المترجح بهذا في قوله اولا وما يستوي الاعمى والبصير حيث لم يكررها وهذا من المواضع الحسنة المفيدة والحرور شدة حر الشمس وقال الزمخشري الحرور السموم الا ان السموم بالنهار والحرور فيه وفي الليل قال شهاب الدين وهذا مذهب الفرا وغيره وقيل السموم بالنهار والحرور بالليل خاصة نقله ابن عطية عن رؤبة وقال ليس بصحيح بل الصحيح ما قاله الفرا وهذا عجيب منه كيف يرد على اصحاب اللسان بقول من ياخذ علمهم وقرا الكسائي في رواية زاذان عنه وما تستوي الاحيا بالتانيث على معنى الجماعة وهذه الاشياء جي بها على سبيل الاستعارة والتمثيل فالاعمى والبصير الكافر والمومن والظلمات والنور الكفر والايمان والظل والحرور الحق والباطل والاحيا والاموات لمن دخل في الاسلام ولمن لم يدخل فيه وجا ترتيب هذه المنفيات على احسن الوجوه فانه تعالى لما ضرب الاعمى والبصير مثلين للكافر والمومن عقبه بما كل منهما فيه فالكافر في ظلمة والمومن في نور لان البصير وان كان حديد النظر لا بد له من ضوء يبصر فيه وقدم الاعمى لان البصير فاصلة فحسن تاخيره ولما تقدم الاعمى في الذكر ناسب تقديم ما هو فيه فلذلك قدمت الظلمة على النور ولان النور فاصلة ثم ذكر ما لكل منهما فللمومن الظل وللكافر الحرور واخر الحرور لاجل الفاصلة كما تقدم وقولنا لاجل الفاصلة هنا وفي غيره من الاماكن احسن من قول بعضهم لاجل السجع لان القران ينزه عن ذلك وقد منع الجمهور ان يقال في القران سجع وانما كرر الفعل في قوله وما يستوي الاحيا مبالغة في ذلك لان المنافاة بين الحياة والموت اتم من المنافاة المتقدمة وقدم الاحيا لشرف الحياة ولم يعد لا تاكيدا في قوله الاعمى والبصير وكررها في غيره لان منافاة ما بعده اتم فان الشخص الواحد قد يكون بصيرا ثم يصير اعمى فلا منافاة الا من حيث الوصف بخلاف الظل والحرور والظلمات والنور فانها متنافية ابدا لا يجتمع اثنان منها في محل فالمنافاة بين الظل والحرور وبين الظلمة والنور دائمة **فان قيل** الحياة والموت بمنزلة العمى والبصر فان الجسم قد يكون متصفا بالحياة ثم يتصف بالموت فالجواب ان المنافاة بينهما اتم من المنافاة بين الاعمى والبصير لان الاعمى والبصير يشتركان في ادراكات كثيرة ولا كذلك الحي والميت فالمنافاة بينهما اتم وافرد الاعمى والبصير لانه قابل الجنس بالجنس اذ قد يوجد في افراد العميان ما يساوي بعض افراد المبصرين كاعمى ذكي له بصيرة يساوي بصيرا بليدا فالتفاوت بين الجنسين مقطوع به لا بين الافراد وجمع الظلمات لانها عبارة عن الكفر والضلال وطرقهما كثيرة متشعبة ووحد النور لانه عبارة عن التوحيد وهو واحد فالتفاوت بين كل فرد من افراد الظلمة وبين هذا الفرد الواحد والمعنى الظلمات كلها لا تجد فيها ما يساوي هذا الواحد قال شهاب الدين كذا قيل وعندي انه ينبغي ان يقال ان هذا الجمع لا يساوي هذا الواحد فيعلم انتفا مساواة فرد منه لهذا الواحد بطريق اولى وانما جمع الاحيا والاموات لان التفاوت بينهما اكثر اذ ما من ميت يساوي في الادراك حيا فذكر ان الاحيا لا يساوون الاموات سوا قابلت الجنس بالجنس ام الفرد بالفرد

فصل قال ابن الخطيب قدم الاشرف في المثلين وهو الظل والحي واخره في مثلين وهو البصير والنور وفي مثل هذا يقول المفسرون انه لتواخي اواخر الايات وهذا ضعيف لان تواخي الاواخر راجع الى السجع ومعجز القران في المعنى لا في مجرد اللفظ فالشاعر يقدم ويؤخر للسجع فيكون اللفظ حاملا له على تغيير المعنى واما القران فحكمه بالعكس فالمعنى فيه صحيح واللفظ يصح فلا يقدم ويؤخر اللفظ بلا معنى فيقول الكفار قبل النبي عليه السلام كانوا في ضلالة فكانوا كالعمي وطريقتهم كالظلمة ثم لما جا النبي عليه السلام وبين الحق واهتدى به منهم قوم فصاروا بصيرين وطريقتهم كالنور فقال لا يستوي من كان قبل البعث على الكفر ومن اهتدى بعده الى الايمان فلما كان الامر قبل الايمان في زمان محمد عليه السلام والكافر قبل المومن قدم المتقدم ثم لما ذكر المال والمرجع قدم ما يتعلق بالرحمة على ما يتعلق بالغضب لقوله عليه السلام في الالهيات سبقت رحمتي غضبي ثم ان الكافر المعاند بعد البعث صار اضل من الاعمى وشابه الاموات في عدم ادراك الحق من جميع الوجوه فقال وما يستوي الاحيا اي المومنين الذين امنوا بما انزل الله والاموات الذين تليت عليهم الايات المبينات ولم ينتفعوا بها وهؤلاء كانوا بعد الايمان من امن واخرهم عن المومنين لوجود حياة المومنين قبل ممات الكافرين المعاندين وقدم الاعمى على البصير لوجود الكفار الضالين قبل البعثة على المومنين المهتدين بعدها

فصل قال المفسرون وما يستوي الاعمى والبصير يعني الجاهل والعالم وقيل الاعمى عن الهدى والبصير بالهدى اي المومن والمشرك ولا الظلمات ولا النور يعني الكفر والايمان ولا الظل ولا الحرور يعني الجنة والنار وما يستوي الاحيا ولا الاموات يعني المومنين والكفار وقيل العلما والجهال ان الله يسمع من يشا حتى يتعظ ويجيب وما انت بمسمع من في القبور يعني الكفار شبههم بالاموات في القبور حين لم يجيبوا ان انت الا نذير ما انت الا منذر تخوفهم بالنار

قوله انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا لما قال ان انت الا نذير بين انه ليس نذيرا من تلقا نفسه انما هو نذير باذن الله وارساله

قوله بالحق يجوز فيه اوجه احدها انه حال من الفاعل اي ارسلناك محقين او من المفعول محقا او نعت لمصدر محذوف اي ارسالا ملتبسا بالحق او متعلق ببشيرا ونذيرا قال الزمخشري على بشيرا بالوعد الحق قال ابو حيان ولا يمكن ان يتعلق بالحق هذا ببشيرا ونذيرا معا بل ينبغي ان يتاول كلامه على انه اراد ان ثم محذوفا والتقدير بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق قال شهاب الدين وقد صرح الرجل بهذا

قوله وان من امة وما من امة فيما مضى وقوله الا خلا فيها نذير خبر من امة ومعنى خلا اي سلف فيها نذير نبي منذر وحذف من هذا ما اثبته في الاول اذ التقدير الا خلا فيها نذير وبشير

قوله وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير الواضح وكرر ذكر الكتاب بعد ذكر الزبر على طريق التاكيد وقيل البينات المعجزات والزبر هي الكتب التي فيها مواعظ وتنبيهات لا تحتمل النسخ والمراد بالكتاب المنير الزبر والاحكام الموافقة للحكمة الالهية وهي المحتملة للنسخ وهذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم حيث يعلم ان غيره كان مثله محتملا لاذى القوم وان غيره ايضا اتاهم عشيرته فكذبوه واذوه وصبروا على تكذيبهم ثم اخذت الذين كفروا فكيف كان نكير وهذا سؤال تقرير فانهم علموا شدة انكار الله عليهم واستيصالهم

قوله الم تر ان الله انزل من السما ما قيل الخطاب للنبي عليه السلام وفيه حكمة وهي ان الله تعالى لما ذكر الدلايل ولم ينتفعوا قطع الكلام معهم والتفت الى غيرهم كما ان السيد اذا نصح بعض عبيده ولم ينزجر يقول لغيره اسمع ولا تكن مثل هذا ويكرر معه ما ذكره للاول ويكون فيه اشعار بان الاول فيه نقيصة لا يصلح للخطاب فيتنبه له ويدفع عن نفسه تلك النقيصة وايضا فلا يخرج الى كلام اجنبي عن الاول بل ياتي بما يقاربه لئلا يسمع الاول كلاما اخر فيترك التفكر فيما كان من النصيحة

قوله فاخرجنا هذا التفات من الغيبة الى التكلم وانما كان ذلك لان المنة بالاخراج ابلغ من انزال الما ومختلفا نعت لثمرات والوانها

فاعل به ولولا ذلك لانث مختلفا ولكنه لما اسند الى جمع تكسير غير عاقل جاز تذكيره ولو انث
بقيل مختلفة كما يقول اختلفت الوانها لجاز وبه قرا زيد بن علي **قوله** ومن الجبال جدد العامة
على ضم الجيم وفتح الدال جمع جدة وهي الطريقة قال ابن بحر قطع من قولك جددت الشيء قطعته
وقال ابو الفضل هي ما تخالف من الطرايق لون ما يليها ومنه جدة الحمار للخط الذي في ظهره وقرا
الزهري جدد بضم الجيم والدال جمع جديدة يقال جديدة وجدد وجدايد قال ابو ذويب
جون السراة له جدايد اربع . نحو سفينة وسفن وسفاين وقال ابو الفضل جمع جديد
بمعنى اثار جديدة واضحة الالوان وعنه ايضا جدد بفتحهما وقد ردها ابو حاتم هذه القراة من
حيث الاثر والمعنى وقد صححها غيره وقال الجدد الطريق الواضح البين الا انه وضع المفرد
موضع الجمع اذ المراد الطرايق والخطوط **قوله** مختلف الوانها مختلف صفة لجدد ايضا
والوانها فاعل به كما تقدم في نظيره ولا جايز ان يكون مختلف خبرا مقدما والوانها مبتدا مؤخر
والجملة صفة اذ كان يجب ان يقال مختلفة ليحملها ضمير المبتدا وقوله الوانها تحتمل معنيين
احدهما ان البياض والحمرة يتفاوتان بالشدة والضعف فرب ابيض اشد من ابيض واحمر
اشد من احمر فنفس البياض مختلف وكذلك الحمرة فلذلك جمع الوانها فيكون من باب المشكك والثاني
ان الجدد كلها على لونين بياض وحمرة فالبياض والحمرة وان كانا لونين الا انهما جمعا باعتبار
محالهما **قوله** وغرابيب سود فيه ثلاثة اوجه احدها انه معطوف على حمر عطف ذي
لون على ذي لون الثاني انه معطوف على بيض الثالث انه معطوف على جدد قال
الزمخشري معطوف على بيض او على جدد كانه قيل ومن الجبال مخطط ذو جدد ومنها ما هو على
لون واحد ثم قال ولا بد من تقدير حذف مضاف في قوله ومن الجبال جدد بمعنى ومن
الجبال ذو جدد بيض وحمر وسود حتى يؤول الى قولك ومن الجبال مختلف الوانها كما قال
ثمرات مختلفا الوانها ولم يذكر بعد غرابيب سود مختلف الوانها كما ذكر ذلك بعد بيض
وحمر لان الغربيب هو المبالغ في السواد فصار لونا واحدا غير متفاوت بخلاف ما تقدم
وغرابيب جمع غربيب وهو الاسود المتناهي في السواد فهو تابع للاسود كقاني وناصع وناصر
ويقق فمن ثم زعم بعضهم انه في نية التاخير ومن مذهب هولاء يجوز تقديم الصفة على
موصوفها وانشدوا . والمومن العايذات الطير يمسحها . يريد والمومن الطير العايذات
وقول الاخر . وبالطويل العمر عمرا حيدرا . يريد وبالعمر الطويل والبصريون لا يرون ذلك
ويخرجون هذا وامثاله على ان الثاني بدل من الاول فسود والطير والعمر ابدال مما قبلها وخرج
الزمخشري وغيره على انه حذف الموصوف وقامت صفته مقامه وان المذكور بعد الوصف
دال على الموصوف قال الزمخشري الغربيب تاكيد للاسود ومن حق التوكيد ان يتبع المؤكد
كقولك اصفر فاقع وابيض يقق ووجهه ان يضمر المؤكد قبله فيكون الذي بعده تفسيرا
لما اضمر كقوله . والمومن العايذات الطير . وانما يفعل ذلك لزيادة التوكيد حيث
يدل على المعنى الواحد من طريقي الاظهار والاضمار يعني فيكون الاصل وسود غرابيب سود
والمومن الطير العايذات الطير قال ابو حيان وهذا لا يصح الا على مذهب من يجوز
حذف المؤكد ومن النحويين من منعه وهو اختيار ابن مالك قال شهاب الدين ليس هذا
هو التوكيد المختلف في حذف مؤكده لان هذا من باب الصفة والموصوف ومعنى تسمية
الزمخشري لها تاكيدا من حيث انها لا تفيد معنى زايدا انما تفيد المبالغة والتوكيد في ذلك
اللون والنحويون قد سموا الوصف اذا لم يفد غير الاول تاكيدا فقالوا وقد يجي لمجرد التوكيد نحو
نفخة واحدة والاهين اثنين والتوكيد المختلف في حذف مؤكده انما هو في باب التوكيد

الصناعي ومذهب سيبويه جوازه اجازة مررت باخوتك انفسهما بالنصب والرفع على تقدير
اعنيهما انفسهما او هما انفسهما فابن هشام من ذاك الا انه يشكل على الزمخشري هذا المذكور بعد
غرابيب ونحوه بالنسبة الى انه جعله مفسرا لذلك المحذوف وهذا انما عهد في الجمل لا في المفرد
الا في باب البدل وعطف البيان نحو بسمه والاولى فيه ان يسمى توكيدا لفظيا اذ الاصل سود
غرابيب سود **قوله** مختلف الوانه مختلف نعت لمنعوت محذوف هو مبتدا والجار
قبله خبره اي من الناس صنف او نوع مختلف ولذلك عمل اسم الفاعل كقوله .
كناطح صخرة يوما ليفلقها . وقرا ابن السميفع الوانها وهو ظاهر وقرا الزهري والدواب
خفيفة الباء هربا من التقا الساكنين كما حرك اولهما في الضالين وجان **فصل**
قال ابن الخطيب في هذه الاية لطايف الاولى قوله انزل وقال اخرجنا وفايدته
ان قوله تعالى الم تر ان الله انزل من السما ما فان كان جاهلا يقول نزول الما بالطبع لثقله
فيقال له فالاخراج لا يمكنك ان تقول فيه انه بالطبع فهو بارادة الله فلما كان ذلك اظهر
اسنده الى المتكلم وايضا فان الله تعالى لما قال ان الله انزل علم الله بالدليل وقرب
التفكر فيه الى الله فصار من الحاضرين فقال اخرجنا الثانية وايضا فالاخراج اتم نعمة
من الانزال لان الانزال لفايدة الاخراج فاسند الاتم الى نفسه بصيغة المتكلم وما دونه
بصيغة الغايب الثانية قال تعالى ومن الجبال جدد بيض وحمر كان قايلا قال
اختلاف الثمرات لاختلاف البقاع الا ترى ان بعض النباتات لا تنبت ببعض البلاد
كالزعفران فقال تعالى اختلاف البقاع ليس الا بارادة الله والا فلم صار بعض الجبال
فيه مواضع حمر ومواضع بيض **فان قيل** الواو في ومن الجبال ما تقديرها
تقول هي تحتمل وجهين احدهما ان يكون للاستيناف كانه تعالى قال اخرجنا بالما ثمرات
مختلفة الالوان وفي الجبال جدد بيض دالة على القدرة الرادة على من ينكر الارادة
في اختلاف الوان الثمار ثانيهما ان يكون للعطف والتقدير وخلق من الجبال جدد
قال الزمخشري اراد ذو جدد الثالثة ذكر الجبال ولم يذكر الاية في الارض كما قال
في موضع اخر وفي الارض قطع متجاورات مع ان هذا الدليل مثل ذلك وذلك لان الله
تعالى لما ذكر في الاول اخرجنا به ثمرات كان نفس اخراج الثمار دليلا على القدرة ثم زاد عليه
بيانا وقال مختلفا كذلك في الجبال في نفسها دليل القدرة والارادة لكن كون الجبال في بعض
نواحي الارض دون بعضها وكون بعضها اخفض وبعضها ارفع دليل القدرة والاختيار
ثم زاد بيانا وقال جدد بيض اي دلالتها بنفسها هي دالة باختلاف الوانها كما ان اخراج
الثمرات في نفسها دلايل واختلاف الوانها دليل الرابعة قوله مختلفا الوانها الظاهر ان
الاختلاف راجع الى كل لون اي بيض مختلف الوانها وحمر مختلف الوانها لان الابيض قد يكون
على لون الجص وقد يكون على لون التراب الابيض وبالجملة فالابيض تتفاوت درجاته في
البياض ولذلك الاحمر تتفاوت درجاته في الحمرة ولو كان المراد البيض والحمر مختلف الالوان
لكان لمجرد التاكيد والاول اولى وعلى هذا ذكر مختلفا الوانها في البيض والحمر واخر السود
الغرابيب لان الاسود لما ذكره مع المؤكد وهو الغربيب يكون بالغا غاية السواد فلا يكون
فيه اختلاف **قوله** ومن الناس والدواب والانعام استدلال اخر على قدرة الله
وارادته فكانه تعالى قسم دلايل الخلق في هذا العالم وهو عالم المركبات قسمين حيوان
وغير حيوان وهو اما نبات واما معدن والنبات اشرف فاشار اليه بقوله فاخرجنا به
ثمرات ثم ذكر المعدن بقوله ومن الجبال ثم ذكر الحيوان وبدا بالاشرف منها وهو الانسان

البيان

تعالى ومن الناس تم ذكر الدواب لان منافعها في حياتها والانعام منفعتها في الاكل منها
اولان الدابة في العرف تطلق على الفرس وهو بعد الانسان اشرف من غيره وقوله مختلف الوانه
القول فيه كما تقدم كما انها في انفسها دلايل كذلك باختلافها دلايل وقوله مختلف الوانه
مذكرا لكون الانسان من جملة المذكورين فكان التذكير اولى **قوله** كذلك فيه وجهان
اظهرهما انه متعلق بما قبله اي مختلف اختلافا مثل الاختلاف في الثمرات والجدد والوقف على
كذلك والثاني انه متعلق بما بعده والمعنى مثل ذلك المطر والاعتبار في مخلوقات الله ص
واختلاف الوانها يخشى الله العلما والى هذا نحا ابن عطيه وهو فاسد من حيث ان ما بعد انما
مانع من العمل فيما قبلها وقد نص ابو عمرو الداني على ان الوقف على كذلك تام ولم يحك فيه خلافا
قوله انما يخشى الله العامة على نصب الجلالة ورفع العلما وهي واضحة وقرا عمر بن عبد
العزيز وابو حنيفة فيما نقله الزمخشري وابو حيوة فيما نقله الهذلي في كامله بالعكس وتؤولت على
معنى التعظيم اي انما يعظم الله من عباده العلما وهذه القراة شبيهة بقراة واذ ابتلى ابرهيم
ربه برفع ابرهيم ونصب ربه **فصل** قال ابن عباس يريد انما يخافني من خلقي
من علم جبروتي وعزتي وسلطاني واعلم ان الخشية بقدر معرفة المخشي والعالم يعرف الله فيخافه
ويرجوه وهذا دليل على ان العالم اعلا درجة من العابد لقوله تعالى ان اكرمكم عند الله
اتقاكم بين ان الكرامة بقدر التقوى والتقوى بقدر العلم لا بقدر العمل قال عليه السلام والله اني والتقوى
لاعلمكم بالله واشدكم له خشية وقال عليه السلام لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم
كثيرا وقال مسروق كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار بالله جهلا ثم قال ان الله عزيز غفور
اي عزيز في ملكه غفور لذنوب عباده فذكر ما يوجب الخوف والرجا فكونه عزيزا ذا انتقام
يوجب الخوف وكونه غفورا لما دون ذلك يوجب الرجا البالغ وقراة من قرا بنصب العلما التام
ورفع الجلالة تقدم معناه **قوله** ان الذين يتلون في خبر ان وجهان احدهما الجملة
من قوله يرجون اي ان التالين يرجون ولن تبور صفة تجارة وليوفيهم متعلق بيرجون او بتبور
او بمحذوف اي فعلوا ذلك ليوفيهم وعلى الوجهين الاولين يجوز ان يكون لام العاقبة والثاني
ان الخبر انه غفور شكور جوزه الزمخشري على حذف العايد اي غفور لهم وعلى هذا فيرجون
حال من انفقوا اي انفقوا ذلك راجين **فصل** المراد بالذين يتلون كتاب
الله اي قرا القران لما بين العلما بالله وخشيتهم وكرامتهم بسبب خشيتهم وكرامتهم ذكر العالمين
بكتاب الله العاملين بما فيه فقوله يتلون كتاب الله اشارة الى الذكر وقوله واقاموا الصلاة
اشارة الى العمل البدني وقوله وانفقوا مما رزقناهم اشارة الى العمل المالي وفي الاية حكمة بالغة
وهي قوله انما يخشى الله اشارة الى عمل القلب وقوله الذين يتلون اشارة الى عمل اللسان وقوله
واقاموا الصلاة اشارة الى عمل الجوارح ثم ان هذه الاشيا الثلاثة متعلقة بجانب تعظيم
الله وقوله وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يعني الشفقة على خلقه وقوله سرا وعلانية
حث على الانفاق كيف ما تهيا فان تهيا سرا فذاك والا فعلانية ولا يمنعه ظنه ان يكون
ريا فان ترك الخير مخافة ذلك هو عين الريا ويمكن ان يكون المراد بالسر الصدقة المطلقة وبالعلا
الزكوة فان الاعلان بالزكوة كالاعلان بالفرض وهو مستحب يرجون تجارة وهي ما وعد الله
من الثواب لن تبور لن تفسد ولن تهلك ليوفيهم اجورهم جزا اعمالهم بالثواب ويزيدهم من فضله
قال ابن عباس يعني سوى الثواب مالم ترعين ولم تسمع اذن ويحتمل ان يزيدهم النظر اليه كما
جا في تفسير الزيادة انه غفور شكور قال ابن عباس يغفر الذنب العظيم من ذنوبهم ويشكر
اليسير من اعمالهم وقيل غفور عند اعطا الاجر شكور عند اعطا الزيادة **قوله**

والذي

والذي اوحينا اليك من الكتاب يعني القران وقيل اللوح المحفوظ لما بين الاصل الاول وهو وجود
الله الواحد بالدلايل في قوله الله الذي يرسل الرياح وقوله الله خلقكم وقوله الم تر ان الله
انزل من السما ماء ذكر الاصل الثاني وهو الرسالة وقال والذي اوحينا اليك من الكتاب هو الحق
قوله من الكتاب يجوز ان يكون للبيان كما يقال ارسل الي فلان من الثياب جملة وان يكون
للجنس وان يكون لابتدا الغاية كما يقال جاني كتاب من الامير وعلى هذا اذا الكتاب يمكن ان يراد
به اللوح المحفوظ يعني الذي اوحينا من اللوح المحفوظ اليك حق ويمكن ان يكون المراد به القران
يعني الارشاد والتبيين الذي اوحينا اليك من القران ويمكن ان يكون للتبعيض والذي اوحينا
اليك من القران ويمكن ان يكون للتبعيض وهو فصل او مبتدا ومصدقا حال مؤكدة **فصل**
هو الحق اكد من قول القايل الذي اوحينا حق اليك من وجهين احدهما ان التعريف للخبر يدل على ان
الامر في غاية الظهور لا ترا الاكذب يكون نكرة الثاني ان الاخبار في الغالب يكون اعلاما بثبوت
امر لا يعرفه السامع كقولنا زيد قام فان السامع ينبغي ان يكون عارفا بزيد ولا يعلم قيامه
فتخبره به فاذا كان الخبر معلوما فيكون الاخبار للتنبيه فيعرفان باللام كقولنا ان زيدا
العالم في هذه المدينة اذا كان علمه مشهورا وقوله مصدقا لما بين يديه من الكتب وهذا
تقرير لكونه وحيا لان النبي عليه السلام لما لم يكن قاريا كاتبا واتى ببيان ما في كتاب الله
لا يكون ذلك الا بوحي من الله تعالى او يقال ان هذا الوحي مصدق لما تقدم لان الوحي لو لم
يكن موجودا لكذب موسى وعيسى عليهما السلام في انزال التورية والانجيل فاذا وجد الوحي ونزل
على محمد عليه السلام علم جوازه وصدق ما تقدم وفي هذا لطيفة وهي انه تعالى جعل القران
مصدقا لما مضى لان ما مضى ايضا مصدق له لان الوحي اذا نزل على واحد جاز ان ينزل على غيره
وهو محمد عليه السلام ولم يجعل ما تقدم مصدقا للقران لان القران كونه معجزا يكفي في
تصديقه بانه وحي واما ما تقدم فلابد فيه من معجز تصديقه ثم قال ان الله بعباده
لخبير بصير خبير بالبواطن بصير بالظواهر فلا يكون الوحي من الله باطلا لا في الباطن ولا في الظاهر
ويمكن ان يكون جوابا لقولهم ان القران لم ينزل على رجل من القريتين عظيم فقال ان الله
بعباده خبير يعلم بواطنهم وبصير يرى ظواهرهم فاختار محمدا ولم يختر غيره كقوله الله اعلم
حيث يجعل رسالاته **قوله** ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا الكتاب الذين اصطفينا
مفعولا اورثنا والكتاب هو الثاني قدم لشرفه اذ لا لبس واكثر المفسرين على ان المراد بالكتاب
القران وقيل المراد جنس الكتاب ينتهي الى الذين اصطفينا من عبادنا ويجوز ان يكون ثم بمعنى
الواو اي واورثنا كقوله ثم كان من الذين امنوا اي وكان من الذين امنوا ومعنى اورثنا
اعطينا لان الميراث عطا قاله مجاهد وقيل اورثنا اخرنا ومنه الميراث لانه اخر عن
الميت ومعناه اخرنا القران من الامم السالفة واعطيناكموه واهلناكم له **قوله** من عبادنا
يجوز ان يكون للبيان على معنى ان المصطفين هم عبادنا وان يكون للتبعيض اي ان المصطفين
بعض عبادنا لا كلهم وقرا ابو عمران الجوني ويعقوب وابو عمرو في رواية سباق مثال المبالغة
فصل قال ابن عباس يريد بالعباد امة محمد صلى الله عليه وسلم ثم قسمهم ورتبهم
فقال فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات وروي اسامة بن زيد في
هذه الاية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم من هذه الامة وروي ابو عثمان
النهدي قال سمعت عمر بن الخطاب قرا على المنبر ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا
الاية فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور
له وروي ابو الدردا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا هذه الاية ثم اورثنا

الكتاب الاية وقال اما السابق بالخيرات فيدخل الجنة بغير حساب واما المقتصد فيحاسب
حسابا يسيرا واما الظالم لنفسه فيحبس في المقام حتى يدخله الهم ثم يدخل الجنة ثم قرا الحمد لله الذي
اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور وقال عقبة بن صهبان سالت عايشة عن قول الله
عز وجل ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا الاية فقالت يا بني كلهم في الجنة اما السابق بالخيرات
فمن مضى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة
واما المقتصد فمن اتبع اثره من اصحابه حتى لحق به واما الظالم فمثلي ومثلكم فجعلت نفسها معنا
وقال مجاهد والحسن وقتادة فمنهم ظالم لنفسه هم اصحاب المشامة ومنهم مقتصد هم اصحاب
الميمنة ومنهم سابق بالخيرات السابقون المقربون من الناس كلهم وعن ابن عباس قال
السابق المومن المخلص والمقتصد المرائي والظالم الكافر نعمة الله غير الجاحد لها لانه حكم
للثلاثة بدخول الجنة وقيل الظالم هو الراجح السيات والمقتصد هو الذي تساوت سياته
وحسناته والسابق هو الذي رجحت حسناته وقيل الظالم هو الذي ظاهره خير من باطنه والمقتصد
من تساوي ظاهره وباطنه والسابق من باطنه خير من ظاهره وقيل الظالم هو الموحد بلسانه الذي
تخالفه جوارحه والمقتصد هو الموحد الذي يمنع جوارحه من المخالفة بالتكليف والسابق هو
الموحد ينسيه التوحيد غير التوحيد وقيل الظالم صاحب الكبيرة والمقتصد صاحب الصغيرة
والسابق المعصوم وقيل الظالم التالي القران غير العالم به والعامل به والمقتصد التالي
العالم والسابق التالي العالم العامل وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم
وقال جعفر الصادق بدا بالظالم اخبارا انه لا يتقرب اليه الا بكرمه وان الظلم لا يوثر في الاصطفا
ثم ثنى بالمقتصد لانه بين الخوف والرجا ثم ختم بالسابق لئلا يامن احد مكره وكلهم في الجنة
وقال ابو بكر الوراق رتبهم على مقامات الناس لان احوال العبد ثلاثة معصية وغفلة ثم
توبة ثم قربة فاذا عصى دخل في حيز الظالمين واذا تاب دخل في جملة المقتصدين فاذا صحت
له التوبة وكثرت العبادة دخل في عداد السابقين وقيل غير ذلك **واما** من
قال المراد بالكتاب جنس الكتاب كقوله جاتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير فالمعنى
انا اعطينا الكتاب الذين اصطفينا وهم الانبيا لان لفظ المصطفى انما يطلق في الاكثر على
الانبيا لا على غيرهم ولان قوله من عبادنا يدل على ان العباد كلهم مكرمون لانه اضافهم اليه
ثم المصطفين منهم اشرف ولا يليق بمن يكون اشرف من الشرفا ان يكون ظالما مع ان لفظ الظالم
اطلقه الله في كثير من المواضع على الكافر وسمى الشرك ظلما **فان قيل** كيف قال
في حق من ذكر في حقه انه من عباده وانه مصطفى ظالم مع ان الظالم يطلق على الكافر
في كثير من المواضع **فالجواب** ان المومن عند المعصية يضع نفسه في غير موضعها فهو ظالم
لنفسه حال المعصية **قال** عليه السلام لا يزني الزاني حين يزني وهو مومن الحديث
وقال ادم عليه السلام مع كونه مصطفى ربنا ظلمنا انفسنا واما الكافر فيضع قلبه الذي
به اعتقاد الجنسه في غير موضعه فهو ظالم على الاطلاق واما قلب المومن فمطمئن بالايمان
لا يضعه في غير التفكر في آلاء الله ووجه اخر وهو ان قوله منهم غير راجع الى الانبيا المصطفين
بل المعنى ان الذي اوحينا اليك هو الحق وانت المصطفى كما اصطفينا رسلنا واتيناهم كتبا
ومنهم اي من قومك ظالم كفر بك وبما انزل اليك ومقتصد امن به ولم يات بجميع ما امر به فيهم
وسابق امن وعمل صالحا وقال الكلبي المراد بالظالم لنفسه هو الكافر وقيل المراد منه
المنافق وعلى هذا لا يدخل الظالم في قوله جنات عدن يدخلونها وحمل هذا القايل الاصطفا
في الخلقة وارسال الرسول اليهم وانزال الكتاب والذي عليه عامة اهل العلم ان المراد من جميعهم

الذي

والجاهرة

المومنون **فصل** معنى سابق بالخيرات اي سابق الى الجنة والى رحمة الله بالخيرات
اي بالاعمال الصالحة باذن الله اي بامر الله وارادته ذلك هو الفضل الكبير يعني ايرائهم
الكتاب ثم اخبر بثوابهم فقال جنات عدن يدخلونها يعني الاصناف الثلاثة **قوله**
جنات عدن يجوز ان يكون مبتدا والجملة بعدها الخبر وان يكون بدلا من الفضل قاله
الزمخشري وابن عطية الا ان الزمخشري اعترض واجاب فقال فان قلت فكيف جعلت جنات
عدن بدلا من الفضل الذي هو السبق بالخيرات المشار اليه بذلك قلت لما كان السبب في نيل
الثواب نزل منزلة المسبب كانه هو الثواب فابدل عنه جنات عدن وقرا زر والزهري
جنة مفردا والجحدري جنات بالنصب على الاشتغال وهي تويد رفعها بالابتدا وجوز ابو
البقا ان يكون جنات بالرفع خبرا ثانيا لاسم الاشارة وان يكون خبر مبتدا محذوف وتقدمت
قراة يدخلونها مبنيا للفاعل او المفعول وباقي الاية في الحج **فصل** قيل المراد
بالداخلين الاقسام الثلاثة وهذا على قولنا بانهم اقسام المومنين وقيل الذين يتلون كتاب
الله وقيل هم السابقون وهو اقوى لقربه ذكرهم ولانه ذكر اكرامهم بقوله يحلون والمكرم
هو السابق **فان قيل** تقديم الفاعل على الفعل وتاخير المفعول عنه موافق
لترتيب المعنى اذا كان المفعول حقيقيا كقولنا الله الذي خلق السموات وقول القايل زيد
بنا الجدار فان الله موجود قبل كل شي ثم له فعل هو الخلق ثم حصل به المفعول وهو السموات
وكذا زيد ثم البنا ثم الجدار من البنا واذا لم يكن المفعول حقيقيا كقولنا دخل الداخل الدار
وضرب عمرا فان الدار في الحقيقة ليس مفعولا للداخل وانما فعله متحقق بالنسبة الى الدار
وكذلك عمرو ونفعل زيد تعلق به فسمي مفعولا ولكن الاصل تقدم الفعل على المفعول ولهذا
يعاد الفعل المقدم بالضمير تقول عمرا ضربه زيد فتوقعه بعد الفعل بالهاء العايدة
اليه وحينيذ يطول الكلام فلاختاره الحكيم الا لفايدة في تقدم الجنات على الفعل الذي
هو الدخول واعادة ذكرها بالهاء في يدخلونها واما الفرق بين هذا وبين قول القايل
يدخلون جنات عدن **فالجواب** ان السامع اذا علم له مدخلا من المداخل وله دخول
ولم يعلم عين المدخل فاذا قيل له انت تدخل مال الى ان يسمع الدار والسوق فيبقى
متعلق القلب بانه في اي المداخل يكون فاذا قيل له الدار تدخلها فيذكر الدار
يعلم مدخله وبما عنده من العلم السابق بان له دخولا يعلم الدخول فلا يبقى متعلق
القلب ولا سيما الجنة والنار فان بين المدخلين بونا بعيدا **قوله** يحلون فيها
اشارة الى سرعة الدخول فان التحلية لو وقعت خارجا لكان فيه تاخير المدخول فقال
يدخلونها وفيها تقع تحليتهم وقوله من اساور يحتمل الجمع فانه جمع اسورة وهي جمع سوار
من ذهب ولولو وقوله ولباسهم اي لبس كذلك لان الاكثار من اللباس يدل على
حاجة من دفع برد او غيره والاكثار من الزينة لا يدل على الغنى وذكر الاساور من
بين ساير الحلي في مواضع كثيرة كقوله تعالى وحلوا اساور من فضة وذلك لان التحلي
لمعنيين احدهما اظهار كون المتحلي غير مبتذل في الاشغال اذ المتحلي لا يكون حاله الطبخ والغسل
وثانيهما اظهار الاستغنا عن الاشيا واظهار القدرة على الاشيا لان التحلي اما باللالي
والجواهر واما بالذهب والفضة والتحلي بالجواهر واللالي يدل على ان المتحلي لا يعجز عن
الوصول الى الاشيا الكثيرة عند الحاجة حيث لم يعجز عن الوصول الى الاشيا العزيزة الوجود
لا لحاجة والتحلي بالذهب والفضة يدل على انه غير محتاج حاجة اصلية والا لصرف
الذهب والفضة الى دفع حاجته اذا عرف هذا فنقول الاساور محلها الايدي واكثرها

في الغاية

لان التحلي

الاعمال باليد فان احليت بالاسا ورغلم الفراغ من الاعمال **قوله** وقالوا الحمد لله الذي
اذهب عنا الحزن قرا العامة الحزن بفتحتين وجناح بن حبيش بضم الحا وسكون الزاي
وتقدم معني ذلك اول القصص والمعني يقولون اذا دخلوا الجنة الحمد لله الذي اذهب عنا
الحزن والحزن والحزن واحد كالبخل والبخل قال ابن عباس حزن النار وقال قتادة حزن
الموت وقال مقاتل لانهم كانوا لا يدرون ما يصنع بهم وقال عكرمة حزن السيات والذنوب
وخوف رد الطاعات وقال القاسم حزن زوال النعم وخوف العاقبة وقيل حزن اهوال يوم
القيمة وقال الكلبي ما كان يحزنهم في الدنيا من امر يوم القيمة وقال سعيد بن جبير هم
الخبز في الدنيا وقيل هم المعيشة وقال الزجاج اذهب الله عن اهل الجنة كل الاحزان ما كان
منها لمعاش او معاد قال عليه السلام ليس علي اهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم ولا في
منشورهم وكاني باهل لا اله الا الله ينفضون التراب عن روسهم ويقولون الحمد لله الذي اذهب
عنا الحزن ثم قالوا ان ربنا لغفور شكور ذكر الله عنهم امورا كلها تفيد الكرامة الاول انه
الحمد لله فان الحامد مثاب الثاني قولهم ربنا فان الله تعالي اذا نودي بهذا اللفظ استجاب
للمنادي اللهم الا ان يكون المنادي يطلب ما لا يجوز الثالث قولهم غفور شكور والغفور
اشارة الي ما غفر لهم في الاخرة بحمدهم في الدنيا والشكور اشارة الي ما يعطيهم الله ويزيدهم
بسبب حمدهم في الاخرة **قوله** الذي احلنا اي انزلنا دار المقامة مفعول ثان
لاحلنا ولا يكون ظرفا لانه مختص فلو كان ظرفا لتعدي اليه الفعل بفي والمقامة الاقامة
والمفعول قد يجي بالمصدر بناء له مفعول اي عقل قال تعالي مدخل صدق ومزقناهم
كل ممزق وكذلك المستخرج للاخراج لان المصدر هو المفعول في الحقيقة فانه هو الذي فعل
فصل في قوله دار المقامة اشارة الي ان الدنيا منزلة ينزلها المكلف ويرتحل
عنها الي منزلة القبور ومن القبور الي منزلة العرصة التي فيها الجمع ومنها التفريق وقد
يكون النار لبعضهم منزلة اخري والجنة دار البقا وكذا النار لاهلها **قوله** من
فضله متعلق باحلنا ومن اما للعلة واما لابتدا الغاية ومعني فضله اي بحكم وعد
لا بايجاب من عنده **قوله** لا يمسنا حال من مفعول احلنا الاول او الثاني لان الجملة
مشتملة علي ضمير كل منهما وان كان الحال من الاول اظهر **والنصب** التعب
والمشقة واللغوب الفتور الناشي عنه وعلي هذا فيقال اذا انتفي السبب نفي المسبب فاذا
قيل لم اكل فيعلم انتفا الشبع فلا حاجة الي قوله ثانيا لم اشبع بخلاف العكس الا تري انه
يجوز لم اشبع ولم اكل والاية الكريمة علي ما تفهم من نفي السبب ثم نفي المسبب فما فايدته
وقد اجاب ابن الخطيب بانه بين مخالفة الجنة لدار الدنيا فان اماكنها علي قسمين موضع
يمس فيه المشاق كالبراري وموضع يمس فيه الاعيا كالبيوت والمنازل التي في الاسفار
فقيل لا يمسنا فيها نصب لانها ليست مظان المتاعب كدار الدنيا ولا يمسنا فيها لغوب
اي ولا نخرج منها الي مواضع نتعب ونرجع اليها فيمسنا فيها الاعيا وهذا الجواب
لبس بذاك والذي يقال ان النصب هو تعب البدن واللغوب تعب النفس وقيل
اللغوب الوجع وعلي هذين فالسوال زايل وقرا علي والسلمي بفتح لام لغوب وفيه اوجه
احدها انه مصدر علي فعول كالقبول والثاني انه اسم لما يلغب به كالفطور والسحور
قاله الفرا والثالث انه صفة لمصدر مقدر اي لا يمسنا لغوب لغوب نحو شعر شاعر
وموت مايت وقيل صفة لشي غير مقدر اي امر لغوب **قوله** والذين كفروا لهم نار
جهنم عطف علي قوله ان الذين يتلون كتاب الله وما بينهما كلام يتعلق بالذين يتلون كتاب

الله

الله علي ما تقدم **قوله** فيموتوا العامة علي نصبه بحذف النون جوابا للنفي وهو علي احد
معنيي نصب ما تاتينا فتحدثنا اي ما يكون منك اتيان ولا حديث انتفي السبب وهو
الاتيان فانتفي مسببه وهو الحديث والمعني الثاني اثبات الاتيان ونفي الحديث اي ما
تاتينا محدثا بل تاتينا غير محدث وهذا لا يجوز في الاية البتة وقرا عيسي والحسن فيموتون
باثبات النون قال ابن عطية هي ضعيفة قال شهاب الدين وقد وجهها المازني علي العطف
علي لا يقضي اي لا يقضي عليهم فلا يموتون وهو احد الوجهين في معني الرفع في قولك ما تاتينا
فتحدثنا انما تنتفي الاتيان كقوله ولا يوذن لهم فيعتذرون اي فلا يعتذرون وعليهم
قائم مقام الفاعل وكذلك عنهم بعد يخفف يجوز ان يكون القائم من عذابها وعنهم منصوب
المحل ويجوز ان يكون من مزيدة عند الاخفش فيتعين قيامه مقام الفاعل لانه هو المفعول
به وقرا ابو عمرو في رواية ولا يخفف بسكون الفاء تشبيها المنفصل بالمتصل كقوله
فاليوم اشرب غير مستحقب **فصل** لا يقضي عليهم فيموتوا كقوله اي لا يهلكون
فيستريحوا كقوله فوكزه موسي فقضي عليه اي قتله لا يقضي عليهم الموت فيموتوا كقوله ونادوا
يا مالك ليقض علينا ربك اي الموت فنستريح بل العذاب دائم ولا يخفف عنهم من عذابها
اي من عذاب النار وفي الاية لطايف الاولي ان العذاب في الدنيا ان دام قتل وان لم
يقتل بعتاده البدن ويصير مزاجا فاسدا لا يحس به المعذب فقال عذاب نار الاخرة
ليس كعذاب الدنيا اما ان يفني واما ان يالفه البدن بل هو في كل زمان شديد والمعذب
فيه دايما الثانية وصف العذاب بانه لا يفتر ولا ينقطع ولا باقوي الاسباب وهو الموت
حتي يتمنوه ولا يجابون كما قال تعالي ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك اي الموت الثالثة
ذكر المعذبين الاشقيا بانه لا ينقص عذابهم ولم يقل يزيد هم عذابا وفي المثابين قال
يزيدهم من فضله **قوله** كذلك اما مرفوع المحل اي الامر كذلك واما منصوب به
اي مثل ذلك الجزا نجزي وقرا ابو عمرو يجزي مبنيا للمفعول كل رفع به والباقون نجزي بنون
العظمة مبنيا للفاعل كل مفعول به والكفور الكافر **قوله** وهم يصطرخون يستغيثون
ويصيحون فيها وهو يفتعلون من الصراخ وهو الصياح فابدلت التا طا والوقوعها قبل
الطا يقولون ربنا اخرجنا منها من النار فقوله ربنا علي اضمار القول وذلك القول ان
شيت قدرته فعلا مفسرا ليصطرخون اي يقولون في صراخهم كما تقدم وان شيت قدرته
حالا من فاعل يصطرخون اي قايلين ربنا **قوله** صالحا غير الذي كنا نعمل يجوز ان
يكونا نعتي مصدر محذوف اي عملا صالحا غير الذي كنا نعمل وان يكونا نعتي مفعول به
محذوف اي نعمل شيا صالحا غير الذي كنا نعمل وان يكون صالحا نعتا لمصدر وغير الذي كنا
نعمل هو المفعول به وقال الزمخشري فان قلت فهلا اكتفي بصالحا كما اكتفي به في قوله فارجعنا
نعمل صالحا وما فايدة زيادة غير الذي كنا نعمل علي انه يوهم انهم يعملون صالحا اخر غير الصالح
الذي عملوه قلت فايدته زيادة التحسر علي ما عملوه من غير الصالح مع الاعتراف به واما الوهم
فزايل بظهور حالهم في الكفر وظهور المعاصي ولانهم كانوا يحسبون انهم كانوا علي سيرة صالحة
كما قال تعالي وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا فقالوا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا
نحسبه صالحا فنعمله **قوله** اولم نعمركم اي فيقول لهم توبيخا اولم نعمركم اي عمرا نا كم
متعددا او يمكن التذكر فيه **قوله** ما يتذكر جوزوا في ما هذه وجهين احدهما ولم
يحك ابو حيان غيره انها مصدرية ظرفية وهذا غلط لان الضمير في فيه يمنع من ذلك لعوده
علي ما ولم يقل باسمية ما المصدرية الا الاخفش وابن السراج والثاني انها نكرة موصوفة

اي نعمرا يتذكر فيه او زمانا يتذكر فيه وقرا الاعمش ما يذكر بالادغام من اذكر قال ابو حيان
بالادغام واجتلاب همزة الوصل ملفوظا بها في الذرح وهذا غريب حيث اثبت همزة الوصل
مع الاستغنا عنها الان يكون حافظ على سكون من وبيان ما بعدها **فصل** معنى
قوله اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر قيل هو البلوغ وقال عطا وقتادة والكلبي ثماني عشرة
سنة وقال الحسن اربعون سنة وقال ابن عباس ستون سنة وروي ذلك عن علي وهو العمر الذي
اعذر الله الي ابن ادم قال عليه السلام اعذر الله الي امرء اخر اجله حتي بلغ ستين سنة وقال
عليه السلام اعمار امتي ما بين الستين الي السبعين واقلهم من يجوز ذلك **قوله** وجاكم عطف علي
اولم نعمركم لانه في معني قد عمرناكم كقوله اولم نربك ثم قال ولبثت الم نشرح لك ثم قال ووضعنا
اذ هما في معني ربيناك وشرحنا والمراد بالنذير محمد صلي الله عليه وسلم في قول اكثر المفسرين
وقيل القران وقال عكرمة وسفين بن عيينة ووكيع هو الشيب والمعني اولم نعمركم حتي شبتم
ويقال الشيب نذير الموت وفي الاثر ما من شعرة تبيض الا قالت لاختها استعدي فقد قرب
الموت وقرى النذر جمعا **قوله** فذوقوا اي فذوقوا اهانة فما للظالمين الذين وضعوا اعمالهم
واقوالهم في غير موضعها من نصير يقوت الحاجة ينصرهم **ومن نصير** يجوز ان
يكون فاعلا بالجار لاعتماده وان يكون مبتدا مخبرا عنه بالجار قبله **قوله** ان الله
عالم غيب السموات والارض قرا العامة عالم غيب علي الاضافة تخفيفا وجناح بن
جبيش بتنوين عالم ونصب غيب انه عليم بذات الصدور وهذا تقرير لدوامهم في العذاب
وذلك من حيث ان الله تعالي لما قال ان جزا سيئة سيئة مثلها ولا يزاد عليها فلو قال
قايل الكافر ما كفر بالله الا اياما معدودة فكان ينبغي ان لا يعذب الا مثل تلك الايام
فقال ان الله لا يخفي عليه غيب السموات والارض ولا يخفي عليه ما في الصدور وكان يعلم
من الكافر ان في قلبه تمكن الكفر لو دام الي الابد لما اطاع الله **قوله** هو الذي جعلكم
خلايف في الارض اي يخلف بعضكم بعضا وقيل جعلكم امة واحدة خلفت من قبلها ورات
في من قبلها ما ينبغي ان يعتبر به جعلكم خلايف في الارض اي خليفة بعد خليفة تعلمون
حال الماضين وتومنون بحالهم فمن كفر بعد هذا كله فعليه كفره اي وبال كفره ولا يزيد
الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا اي غضبا لان الكافر السابق كان ممقوتا ولا يزيد
الكافرين كفرهم الا خسارا اي الكفر لا ينفع عند الله حيث لا يزيد الا المقت ولا ينفعهم في
انفسهم حيث لا يفيدهم الا الخسار لان العمر كراس مال من اشتري به رضي الله ربح ومن
اشتري به سخط الله خسر **قوله** ارايتم فيها وجهان احدهما انها الف استفهام علي
بابها ولم تتضمن هذه الكلمة معني اخبروني بل هو استفهام حقيقي وقوله اروني امر تعجيز والثاني
ان الاستفهام غير مراد وانها ضمنت معني اخبروني فعلي هذا تتعدي لاثنين احدهما شركاكم
والثاني الجملة الاستفهامية من قوله ماذا خلقوا واروني يحتمل ان يكون جملة اعتراضية
والثاني ان تكون المسيلة من باب الاعمال فان ارايتم يطلب ماذا خلقوا مفعولا ثانيا واروني
ايضا يطلبه معلقا له وتكون المسيلة من باب اعمال الثاني علي مختار البصريين واروني هنا
بصرية تعدت للثاني بهمزة النقل والبصرية قبل النقل تعلق بالاستفهام كقولهم اما تري
اي برق ههنا وقد تقدم الكلام علي ارايتم في الانعام وقال ابن عطية هنا ارايتم ينزل عند
سيبويه منزلة اخبروني ولذلك لا تحتاج الي مفعولين وهو غلط بل تحتاج الي كما تقدم تقريره
وجعل الزمخشري الجملة من قوله اروني بدلا من قوله ارايتم قال لان معني ارايتم اخبروني ورده
ابو حيان بان البدل اذا دخلت عليه اداة الاستفهام يلزم اعادتها في المبدل ولم تعد هنا

وايضا

وايضا فابدال الجملة من جملة لم يعهد في لسانهم قال شهاب الدين والجواب عن الاول
ان الاستفهام فيه غير مراد قطعا فلم تعد اداته لعدم ارادته واما قوله لم يوجد في لسانهم
فقد وجد ومنه متي تاتنا تلمم بنا . ان علي الله ان تبايعا . توخذ كرها وتجي طايعا
وقد نص النحويون علي انه متي كانت الجملة في معني الاول ومبينة لها ابدلت منها
فصل هذه الاية تقرير للتوحيد وابطال للاشراك والمعني جعلتموهم شركاي
بزعمكم يعني الاصنام اروني اخبروني ماذا خلقوا من الارض فقوله شركاكم فاضافهم اليهم من
حيث ان الاصنام في الحقيقة لم تكن شركا الله وانما هم الذين جعلوها شركا فقال شركاكم
اي الشركا بجعلكم ويحتمل ان يقال معني شركاكم اي انكم وما تعبدون من دون الله حصب
جهنم ويحتمل ان يكون معني ارايتم اي اعلمتم هذه الاصنام التي تدعونها هل لها قدرة ام لا فان
كنتم تعلمونها عاجزة فكيف تعبدونها وان كنتم تعلمون ان لها قدرة فاروني قدرتها
في اي شي هي في الارض كما قال بعضهم ان الله اله السما وهولا الهة الارض وهم الذين
قالوا امور الارض من الكواكب والاصنام صورها ام هي في السموات كما قال بعضهم ان
السموات خلقت باستعانة بالملايكة فالملايكة شركا في خلق السموات وهذه الاصنام
صورها ام قدرتها في الشفاعة لكم كما قال بعضهم انما نعبدهم ليقربونا الي الله زلفي
فهل معهم كتاب من الله قال مقاتل هل اعطينا كفار مكة كتابا بانهم علي بينة منه **قوله**
اتيناهم فهم الاحسن في هذا الضمير ان يعود علي الشركا لتتناسق الضماير وقيل يعود علي المشركين
كقول مقاتل فيكون التفاتا من خطاب الي غيبة وقرا ابو عمرو وحمزة وابن كثير وحفص
بينة بالافراد والباقون بينات بالجمع اي دلايل واضحة منه مما في ذلك الكتاب من
ضروب البيان **قوله** بل ان يعد ان نافية والمعني ما يعد الظالمون بعضهم بعضا
الا غرورا اغرهم الشيطان وزين لهم عبادة الاصنام والغرور ما يغر الانسان مما لا اصل
له قال مقاتل يعني ما يعد الشيطان كفار بني ادم من شفاعة الالهة لهم في الاخرة
غرور وباطل **قوله تعالي** ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا لما بين
انه لا خلق للاصنام ولا قدرة لها بين ان الله قادر بقوله ان الله يمسك السموات والارض
ويحتمل ان يقال لما بين شركهم قال مقتضي شركهم زوال السموات والارض كقوله تعالي
تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا ويويد
هذا قوله تعالي في اخر الاية ان الله كان حليما غفورا حليما ما ترك تعذيبهم الا حلما منه والا
كانوا يستحقون اسقاط السما وانطباق الارض عليهم وانما اخر ازالة السموات لقيام
الساعة حلما ويحتمل ان يقال ان ذلك من باب التسليم واثبات المطلوب كانه تعالي
قال شركاكم ما خلقوا من الارض شيا ولا من السما جزءا ولا قدرة لهم علي الشفاعة فلا
عبادة لهم وهب انهم فعلوا شيا من الاشيا فهل يقدرون علي امساك السموات والارض
ولا يمكنهم القول بانهم يقدرون لانهم ما كانوا يقولون ذلك كما قال تعالي عنهم ولين سالتهم
من خلق السموات والارض ليقولن الله ويويد هذا قوله ولين زالتا ان امسكهما من احد من
بعده فاذن تبين ان لا معبود الا الله من حيث ان غيره لم يخلق شيا من الاشيا وان قال
كافر بان غيره خلق فما خلق مثل ما خلق فلا شريك له **قوله** ان تزولا يجوز ان يكون
مفعولا من اجله اي كراهة ان تزولا وقيل لئلا تزولا ويجوز ان يكون مفعولا ثانيا علي اسقاط
الخافض اي يمنعهما من ان تزولا لذا قدره ابو اسحاق ويجوز ان يكون بدل اشتمال اي يمنع
زوالهما **قوله** ان امسكهما جواب القسم الموطا له بلام القسم وجواب الشرط محذوف بدل

عليه جواب القسم ولذلك كان فعل الشرط ماضيا وقول الزمخشري انه سد مسد الجوابين
يعني انه دال على جواب الشرط قال ابو حيان وان اخذ كلامه على ظاهره لم يصح لانه لو سد
مسدهما لكان له موضع من الاعراب من حيث انه سد مسد جواب الشرط ولا موضع له من حيث
انه سد مسد جواب القسم والشيء الواحد لا يكون معمولا غير معمول **ومن احد** من مزيدة
لتاكيد الاستغراق ومن بعده من لابتداء الغاية والمعنى احد سواه انه كان حليما غفورا
حليما حيث لم يعجل في اهلاكهم بعد اصرارهم على اشراكهم غفورا لمن تاب ويرحمه وان استحق
العقاب **فان قيل** ما معنى ذكر الحليم ههنا قيل لان السموات والارض همت بما
همت من عقوبة الكفار فامسكها الله عز وجل عن الزوال لحلمه وغفرانه ان يعاجلهم بالعقوبة
قوله واقسموا بالله يعني كفار مكة لما بلغهم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا لعن الله
اليهود والنصارى اتتهم الرسل فكذبوهم واقسموا بالله وقالوا لو اتانا رسول لنكونن اهدى
دينا منهم وذلك قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فلما بعث محمد كذبوه فانزل الله
عز وجل واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم يعني اليهود
والنصارى وقيل المعنى اهدى مما نحن عليه وعلى هذا فقوله من احدى الامم للتبيين كما يقال
زيد من المسلمين ويؤيده قوله تعالى فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا اي تباعدا واضلل
مما كانوا يقولون نكون اهدى وقيل المراد احدى من احدى الامم كقولك زيدا ولي من عمرو
وقيل المراد باحدى الامم العموم اي اي احدى الامم يفرض واعلم انه لما بين انكارهم للتوحيد
بين تكذيبهم للرسول ومبالغتهم فيه حيث كانوا يقسمون على انهم لا يكذبون الرسل اذا تبين
لهم كونهم رسلا وقالوا انما نكذب محمدا عليه السلام لكونه كاذبا ولو تبين لنا كونه رسولا
لامنا كما قال تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم اية ليؤمنن بها وهذا مبالغة
منهم في التكذيب **قوله** ليكونن جواب للقسم المقدر والكلام فيه كما تقدم وقوله
لئن جاءهم حكاية لمعنى كلامهم لا للفظه اذ لو كان كذلك لكان التركيب لئن جاءنا لنكونن
قوله من احدى الامم اي من الامة التي يقال فيها هي احدى الامم تفضيلا لها
كقولهم هو احد الاحدين قال: حتى استثاروا بي احدى الاحد ليثا هزبرا ذا سلاح
قوله ما زادهم جواب لما وفيه دليل على انها حرف لا ظرف اذ لا يعمل ما بعد
ما النافية فيما قبلها وتقدمت له نظاير واسناد الزيادة للنذير مجاز لانه
سبب في ذلك كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم **فصل** معنى فلما جاءهم
اي صح لهم مجيئه بالمعجزة وهو محمد صلى الله عليه وسلم ما زادهم الا نفورا اي ما زادهم
مجيئه الا تباعدا عن الهدى **قوله** استكبارا يجوز ان يكون مفعولا له اي لاجل الاستكبار
وان يكون بدلا من نفورا وان يكون حالا اي حال كونهم مستكبرين قاله الاخفش **قوله**
ومكر السيء فيه وجهان اظهرهما انه عطف على استكبارا والثاني انه عطف على نفورا
وهذا من اضافة الموصوف الى صفته في الاصل اذ الاصل والمكر السيء والبصريون يؤولونه
على حذف موصوف اي العمل السيء وقرا العامة بخفض همزة السيء وحمزة والاعمش بسكونها
وصلا وقد تجرا النحاة وغيرهم على هذه القراءة ونسبوها للحن ونزهوا الاعمش عن ان يكون
قرا بها قالوا وانما وقف مسكنا فظن انه واصل فغلط عليه وقد احتج لها قوم بانه اجرى
الوصل مجرى الوقف او اجرى المنفصل مجرى المتصل وحسنه كون الكسرة على حرف ثقيل
بعد ياء مشددة مكسورة وقد تقدم ان ابا عمرو قرا الى بارئكم عند بارئكم بسكون الهمزة
فهذا اولى لزيادة الثقل هنا وقد تقدم هناك امثلة وشواهد وروي عن ابن كثير

ومكر

ومكر السأي بهمزة ساكنة بعد السين ثم ياء مكسورة وخرجت على انها مقلوبة من السيء
والسيء مخفف من السيء كالميت من الميت قال الحماسي:
ولا يجزون من حسن بسيء ولا يجزون من غلظ بلين وقد كثر في قراءة الثعلب نحو منسأة
وتايئسوا ولا ياس كما تقدم تحقيقه وقرا عبد الله ومكرا سيئا بالتنكير وهو موافق لما
قبله وقرئ ولا يحيق بضم الياء المكر السيء بالنصب على ان الفاعل ضمير الله تعالى
اي لا يحيط الله المكر السيء الا باهله **فصل** المراد بالمكر السيء اي القبيح
اضيف المكر الى صفته قال الكلبي هو اجتماعهم على الشرك وقتل النبي صلى الله عليه وسلم
وقال ابن الخطيب هذا من اضافة الجنس الى نوعه كما يقال علم الفقه وحرفة الحدادة
ومعناه ومكروا مكرا سيئا ثم عرف لظهور مكرهم ثم ترك التعريف باللام واضيف الى
السيء لكون السيء فيه ابين الامور ويحتمل ان يقال بان المكر استعمل استعمال العمل كما ذكرنا
في قوله تعالى والذين يمكرون السيئات اي يعملون السيئات وقوله ولا يحيق المكر السيء
اي لا يحل ولا يحيط وقوله يحيق ينبئ عن الاحاطة التي هي فوق اللحوق **فان قيل**
كثيرا ما نرى الماكر يمكر ويفيده المكر ويغلب الخصم بالمكر والاية تدل على عدم ذلك
فالجواب من وجوه احدها ان يكون المكر المذكور في الاية هو المكر الذي مكروه مع
النبي صلى الله عليه وسلم من العزم على القتل والاخراج ولم يحق الا بهم حيث قتلوا يوم بدر
وغيره وثانيها ان نقول المكر السيء عام وهو الاصح فان النبي عليه السلام نهى عن المكر
واخبر بقوله لا تمكروا ولا تعينوا ماكرا فان الله يقول ولا يحيق المكر السيء الا باهله
وعلى هذا فذلك الرجل الماكر يكون اهلا فلا يرد نقضا وثالثها ان الاعمال بعواقبها
ومن مكر غيره ونفذ فيه المكر عاجلا في الظاهر فهو في الحقيقة هو الفائز والماكر
هو الهالك لكن مثل راحة الكافر ومشقة المسلم في الدنيا ويؤيد هذا المعنى قوله
تعالى فهل ينظرون الا سنة الاولين يعني ان كان لمكرهم في الحال رواج فالعاقبة
للتقوى والامور بخواتيمها **قوله** سنة الاولين مصدر مضاف لمفعوله وسنة الله
مضاف لفاعله لانه سنها بهم فصحت اضافتها الى الفاعل والمفعول وهذا جواب عن
سؤال وهو ان الاهلاك ليس سنة الاولين انما هو سنة الله في الاولين والجواب عن
هذا السؤال من وجهين احدهما ان المصدر الذي هو المفعول المطلق يضاف الى الفاعل
والمفعول لتعلقه بهما من وجه دون وجه فيقال فيما اذا ضرب زيد عمرا عجبت من ضرب
عمرو وكيف ضرب مع ما له من العلم والقوة وعجبت من ضرب عمرو وكيف ضرب مع ما له من
العلم والحكم فكذلك سنة الله بهم اضافها اليهم لانها سنة سنت بهم واضافها الى نفسه
بعدها بقوله ولن تجد لسنة الله لانها سنة من الله فعلى هذا نقول اضافها في الاول
اليهم حيث قال سنة الاولين لان سنة الله الاهلاك بالاشراك والاكرام على الاسلام
فلا تعلم انهم ينتظرون ايهما فاذا قال سنة الاولين تميزت وفي الثاني اضافها الى الله
لانها لما علمت فالاضافة الى الله تعظيما وتبين انها امر واقع ليس لها من دافع وثانيها
ان المراد من سنة الاولين استمرارهم على الانكار واستكبارهم عن الاقرار وسنة الله
استيصالهم باصرارهم فكانه قال انتم تريدون الاتيان بسنة الاولين والله ياتي بسنة
لا تبديل لها ولا تحويل عن مستحقها **فان قيل** ما الحكمة في تكرار التبديل والتحويل
فالجواب ان بقوله فلن تجد لسنة الله تبديلا حصل العلم بان العذاب لا يبدل بغيره
وبقوله ولن تجد لسنة الله تحويلا حصل العلم بان العذاب مع انه لا يتبدل بالثواب

لا يتحول عن منفعته الى غيره فيتم تهديد المسيء **فصل** المعنى فهل ينتظرون
الان نزول العذاب بهم كما نزل عمن مضى من الكفار والمخاطب بقوله فلن تجد عام كانه قال لن
تجد ايها السامع وقيل الخطاب مع محمد عليه السلام **قوله** اولم يسيروا في الارض فينظروا
كيف كان عاقبة الذين من قبلهم لما ذكر الاولين وسنته في اهلاكهم نبههم بتذكير حال الاولين
فانهم كانوا يمرون على ديارهم ويرون اثارهم واملهم كان فوق املهم وعملهم كان دون
عملهم وكانوا اطول اعمارا منهم واشد اقتدارا ومع هذا لم يكونوا مثل محمد وانتم يا اهل مكة
كذبتم محمدا ومن تقدمه **قوله** وكانوا اشد جملة في موضع نصب على الحال ونظيرها
في الروم كانوا بلاوا وعلى انها مستانفة فالمعنيان مختلفان وذاك ان الخطيب الفرق
بينهما ان قول القائل اما رايت زيدا كيف اكرمني هو اعظم منك يفيد ان القائل يخبره بان
زيدا اعظم واذا قال ما رايته كيف اكرمني فهو اعظم منك يفيد انه يخبر ان المعنيين
حاصلان عند السامع كانه راه اكرمه وراه اكرم منه ولا شك في ان هذه العبارة
الاخيرة تفيد كون الامر الثاني في الظهور مثل الاول بحيث لا يحتاج الى علام من المتكلم
ولا اخبار واذا علم هذا فنقول المذكور ههنا كونهم اشد منهم قوة لا غير ولعل ذلك كان ظاهرا
عندهم فقال بالواو اي نظرتم كما يقع على عاقبة امرهم يقع على قوتهم وما هناك فالمذكور
اشيا كثيرة فانه قال كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض وعمروها اكثر وفي موضع اخر قال
افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم واشد
قوة واثارا في الارض ولعل علمهم لم يحصل باثارهم في الارض او بكثرتهم ولكن نفس القوة
ورجحانهم كان معلوما عندهم فان كل طايفة تعتقد فيمن تقدمه انه اقوى منه ولا ينازع
فيه **قوله** وما كان الله ليعجزه من شيء اي ليفوت عنه وهذا يحتمل شيئين احدهما
ان يكون المراد بيان ان الاولين مع شدة قوتهم ما عجزوا الله وما فاتوه فهم اولى بان لا
يعجزوه والثاني ان يكون قطعا لاعتقاد الجهال فان قايلا لو قال هب ان الاولين كانوا
اشد قوة واطول اعمارا لكنا نستخرج بذكانا ما يزيد على قواهم ونستعين بامور ارضية
لها خواص وكواكب سماوية لها اثار فقال تعالى وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات
ولا في الارض وكان الله عالما بافعالهم واقوالهم قديرا على اهلاكهم واستيصالهم **قوله**
ولو يواخذ الله الناس بما كسبوا من الجرايم ما ترك على ظهرها من دابة يعني على ظهر الارض
كناية عن غير مذكور وتقدم نظيرها في النحل الا ان هناك لم يجر للارض ذكر بل عاد الضمير
على ما فهم من السياق وههنا قد صرح بها في قوله في السموات ولا في الارض فيعود الضمير اليها
لانها اقرب وايضا فلقوله من دابة والدب انما يكون على ظهر الارض وهنا قال على ظهرها
استعارة من ظهر الدابة دلالة على التمكن والتغلب عليها والمقام هنا يناسب ذلك لانه
حث على السير للنظر والاعتبار **قوله** من دابة اي كما كان في زمن نوح عليه السلام
اهلك الله ما على ظهر الارض الا من كان في السفينة مع نوح **فان قيل** اذا كان
الله يواخذ الناس بما كسبوا فما بال الدواب يهلكوا فالجواب من وجوه احدها ان خلق
الدواب نعمة فاذا كفر الناس نزيل الله النعم والدواب اقرب النعم لان المفرد ولا نعم المركب
والمركب اما ان يكون معدنا واما ان يكون ناميا والنامي اما ان يكون حيوانا او نباتا والحيوان
اما انسان او غير انسان فالدواب اعلا درجات المخلوقات في عالم العناصر للانسان الثاني
ان ذلك بيان لشدة العذاب وعمومه فان بقاه بالانسان كما يقال الانسان بالاشيا لان الانسان
يدبر الاشيا ويصلحها فتبقى الاشيا ثم ينتفع بها الانسان فاذا كان الهلاك عاما لا يبقى من الانسان

من

من يعمر فلا تبقى الابنية والزروع فما تبقى الخيرات الالهية فان بقاها بحفظ الانسان
اياها عن التلف والهلاك بالسقي والتقلب الثالث ان انزال المطر انعام من الله في حق العباد
فاذا لم يستحقوا الانعام قطعت الامطار عنهم فيظهر الجفاف على وجه الارض فيموت جميع
الحيوانات **فان قيل** كيف يقال لما عليه الخلق من الارض وجه الارض وظهر الارض
مع ان الظهر مقابله الوجه فهو كالتضاد فيقال من حيث ان الارض كالدابة الحاملة
للاثقال والحمل يكون على الظهر واما وجه الارض فلان الظاهر من باب والبطن والباطن
من باب فوجه الارض ظهر لانه هو الظاهر وغيره منها باطن وبطن **قوله** ولكن يؤخرهم
الى اجل مسمى قيل هو يوم القيامة وقيل يوم لا يوجد في الخلق مؤمن وقيل لكل امة اجل
ولكل اجل كتاب واجل قوم محمد عليه السلام ايام القتل والاسر كيوم بدر وغيره **قوله**
فاذا جا اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا تسليه للمومنين لانه تعالى ما ترك على ظهرها
من دابة وقال لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة فقال فاذا جا الهلاك فان الله بالعباد
بصير قال ابن عباس يريد اهل طاعته واهل معصيته روى ابو امامة عن ابي بن كعب
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الملائكة دعته يوم القيمة ثمانية
ابواب الجنة ان ادخل من اي الابواب شيت

سورة يس مكية

وهي ثلاثة وثلاثون اية وسبعمائة وتسع وعشرون كلمة وثلاثة الاف حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** يس قرا العامة يس بسكون النون وادغم
النون في الواو بعدها ابن كثير وابو عمرو وحمزة وحفص وقالون وورش بخلاف عنه
وكذلك النون من نون والقلم واظهرهما الباقون فمن ادغم فللخفة ولانه لما وصل والتقى
متقاربان من كلمتين واولهما ساكن وجب الادغام كالمثلين ومن اظهر فللمبالغة في تفكيك
هذه الحروف بعضها من بعض لانه بنية الوقف وهذا اجرى على القياس في الحروف المقطعة
وكذلك التقى فيها الساكنان وصلا ونقل اليها حركة همزة الوصل على راي نحو الم الله كما
تقدم تقريره واماله الياء من بين الاخوان وابو بكر لانها اسم من الاسماء كما تقدم تقريره اول
البقرة قال الفارسي واذا اماله يا وهي حرف نداء فلان يا من يس اجدر وقرا عيسى وابن
ابي اسحق بفتح النون اما على البناء على الفتح تخفيفا كاين وكيف واما على انه مفعول باتل واما
على انه مجرور بحرف القسم وهو على الوجهين غير منصرف للعلمية والتانيث ويجوز ان يكون
منصوبا على اسقاط حرف القسم كقوله امانة الله لاثريد وقرا الكلبي بضم النون فقيل
على انها خبر مبتدا مضمر اي هذه يس ومنعت من الصرف لما تقدم وقيل بل هي حركة
بناء كحيث فيجوز ان خبرا كما تقدم وان يكون مقسما به نحو عهد الله لافعلن وقيل لانها
منادى فبنيت على الضم ولهذا فسرها الكلبي القارى لها بيا انسان قال وهي لغة طي
قال الزمخشري ان صح معناه فوجهه ان يكون اصله يا انيسين فكثر النداء به على السنتهم حتى
اقتصروا على شطره كما قالوا في القسم م الله في ايمن الله قال ابو حيان والذي نقل عن العرب
في تصغير انسان انيسيان بيا بعدها الف فدل على ان اصله انسيان لان التصغير يرد
الاشيا الى اصولها ولا نعلم انهم قالوا في تصغيره انيسين وعلى تقدير انه يصغر كذلك فلا يجوز
ذلك الا ان يبنى على الضم لانه منادى مقبل عليه ومع ذلك فلا يجوز لانه تحقير ويمتنع ذلك في
حق النبوة قال شهاب الدين اما الاعتراض الاخير فصحيح نصوا على ان التصغير لا يدخل
في الاسما المعظمة شرعا ولذلك تحكى ان ابن قتيبة لما قال في المهيمن انه مصغر من مومن والاصل
مؤيمن فابدلت الهمزة ها قيل له هذا يقرب من الكفر فليتق الله قايله وقد تقدمت

هذه الحكاية في المايدة وما قيل فيها وقد تقدم للزمخشري في طه ما يقرب من هذا البحث وتقدم كلام الشيخ معه وقرا ابن ابي اسحاق ايضا وابو السمال يس بكسر النون وذلك على اصل التقا الساكنين ولا يجوز ان يكون حركة اعراب **والقرآن** اما قسم مستانف اي لم يجعل ما تقدم قسما واما عطف على ما قبله ان كان مقسما به وقد تقدم كلام على الخليل في ذلك اول البقرة فاعتبره هنا فانه حسن جدا **فصل** قد تقدم في سورة العنكبوت ذكر حروف التهجي وان كل سورة بدا الله فيها بحروف التهجي كان في اوايلها الذكر او الكتاب او القرآن ولنذكر ههنا انه في ذكر هذه الحروف اوايل السور امور تدل على انها غير خالية عن الحكمة لكن علم الانسان لا يصل اليها والذي يدل على ان فيها حكمة من حيث الجملة هو ان الله تعالى ذكر من الحروف نصفها وهي اربعة عشر حرفا وهي نصف ثمانية وعشرين حرفا هي جميع الحروف التي في لسان العرب على قولنا الهمزة الف متحركة ثم انه تعالى قسم الحروف ثلاثة اقسام تسعة احرف من الالف الى الذال والتسعة الاخيرة من الفاء الى الياء وعشرة في الوسط من الراء الى الغين وذكر من القسم الاول حرفين الالف والحا وترك سبعة وترك من القسم الاخير حرفين هما الالف واللام وذكر سبعة ولم يترك من القسم الاول من حروف الحلق والصدر الا واحدا لم يذكره وهو الخا ولم يذكر من القسم الاخير من حروف الشفة الا واحدا لم يتركه وهو الميم والعشر الاوسط ذكر منه حرفا وترك حرفا فترك الزاي وذكر الرا وذكر السين وترك الشين وذكر الصاد وترك الضاد وذكر الطا وترك الظا وذكر العين وترك الغين وليس هذا امر يقع اتفاقا بل هو ترتيب مقصود فهو لحكمة لكنها غير معلومة هب ان واحدا يدعي فيه شيا ماذا يقول في كون بعض السور مفتتحة بحرف كسورة ن وق وص وبعضها بحرفين كسورة حم ويس وطس وطه وبعضها بثلاثة احرف كسورة الم وطسم والر وبعضها باربعة احرف كسورة المر والمص وبعضها بخمسة كسورة حمعسق وكهيعص وهب ان قايلا يقول ان هذا اشارة بان الكلام اما حرف واما فعل واما اسم والحرف كثيرا ما جا على حرف كواو العطف وفاء التعقيب وهمزة الاستفهام وكاف التشبيه وبا الالصاق وغيرها وجا على حرفين كمن للتبعيض وا وللتخيير وام للاستفهام المتوسط وان للشرط وغيرها والفعل والاسم والحرف جا على ثلاثة احرف كالى وعلى في الحرف والى وعلا في الاسم والا والوا وعلا يعلوا في الفعل والاسم والفعل جا على اربعة احرف والاسم خاصة جا على ثلاثة احرف واربعة وخمسة كعجل وسبحل وجحمرش فما جا في القرآن اشارة الى ان تركيب العربية من هذه الحروف على هذه الوجوه فما ذا يقول هذا القايل في تخصيص بعض السور بالحرف الواحد والبعض باكثر فلا يعلم ما السر الا الله ومن اعلمه الله به واذا علم هذا فالعبادة منها قلبية ومنها لسانية ومنها خارجية وكل واحد منها قسمان قسم عقل معناه وحقيقته وقسم لم يعلم اما القلبية فمع انها ابعد عن الشك والجهل ففيها ما لم يعلم دليله عقلا وانما وجب الايمان به والاعتقاد سمعا كالصراط الذي هو ادق من الشعر واحد من السيف ويمر عليه المومن كالبرق الخاطف والميزان الذي توزن به الاعمال الذي لا ثقل لها في نظر الناظر وكيفية الجنة والنار فان هذه الاشيا وجودها لم يعلم بدليل عقلي وانما المعلوم بالعقل امكانها ووقوعها معلوم مقطوع به بالسمع ومنها ما علم كالتوحيد والنبوة وقدرة الله وصدق الرسول وكذلك في العبادات الخارجة ما علم معناه ومالم يعلم كمقادير النصب وعدد الركعات والحكمة في ذلك ان العبد اذا اتى بما امر به من غير ان يعلم ما فيه من الفايدة لا يكون الاتيان الا لمحض العبادة بخلاف ما لو علم الفايدة فربما يأتي للفايدة وان لم يومر كما لو قال السيد لعبده انقل هذه الحجارة من ههنا ولم يعلمه

بما

بما في النقل فنقلها ولو قال انقلها فان تحتها كنزا هو لك فانه ينقلها وان لم يومر واذا علم هذا فكذلك في العبادات اللسانية الذكرية ان يكون ما لم يفهم معناه اذا تكلم به العبد علم انه لا يقصد غير الانقياد لامر المعبود الالهي فاذا قال حم يس طس علم انه لا يذكر ذلك لمعنى يفهمه بل يتلفظ به امتثالا لما امر به **فصل** قال ابن عباس يس قسم وروي عنه ان معناه يا انسان بلغة طي قيل لان تصغير انسان انيسين كما تقدم عن الزمخشري فكانه حذف الصدر منه واخذ العجز وقال يس اي يا انيسين قال اكثر المفسرين يعني محمدا صلى الله عليه وسلم قاله الحسن وسعيد بن جبير وجماعة وقال ابو العالية يا رجل وقال ابو بكر الوراق يا سيد البشر وقوله والقرآن الحكيم اي ذي الحكمة كعيشة راضية اي ذات رضى او انه ناطق بالحكمة فهو كالحي المتكلم **قوله** انك جواب القسم وعلى صراط يجوز ان يكون متعلقا بالمرسلين تقول ارسلت عليه كذا قال تعالى وارسل عليهم طيرا وان يكون متعلقا بمحذوف على انه حال من الضمير المستكن في لمن المرسلين لوقوعه خبرا وان يكون حالا من المرسلين وان يكون خبرا ثانيا لانك **فصل** اقسم بالقرآن على انه من المرسلين وهو رد على الكفار حيث قالوا لست مرسلا **فان قيل** المطلب ثبت بالدليل لا بالقسم فما الحكمة بالاقسام فالجواب من وجوه الاول ان العرب كانوا يتقون الايمان الفاجرة وكانوا يقولون بان الايمان الفاجرة توجب خراب العالم وصحح النبي عليه السلام ذلك بقوله اليمين الكاذبة تدع الديار بلاقع ثم انهم كانوا يقولون ان النبي عليه السلام يصيبه عذاب من الهتهم وهي الكواكب والنبي عليه السلام يحلف بامر الله وانزال كلامه عليه باشيا مختلفة وما كان يصيبه عذاب بل كان كل يوم ارفع شانا وامنع مكانا فكان ذلك يوجب اعتقاد انه ليس بكاذب الثاني ان المتناظرين اذا وقع بينهما كلام وغلب احدهما الاخر بتمشية دليله واسكته يقول المغلوب انك قررت هذا بقوة جدالك وانت تخبر في نفسك بضعف مقالتك وتعلم ان الامر ليس كما تقول وان اقمت عليه الدليل صورة وعجزت انا عن القدح فيه وهذا كثير الوقوع بين المتناظرين فعند هذا لا يجوز ان ياتي هو بدليل اخر لان الساكت المنقطع يقول في الدليل الاخر ما قاله في الاول فلا يجد امرا الا اليمين فيقول والله اني لست مكابرا وان الامر على ما ذكرت ولو علمت خلافه لرجعت اليه فهاهنا يتعين اليمين فكذلك النبي عليه السلام اقام البراهين وقالت الكفرة ما هذا الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد اباوكم وقالوا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين فالتمسك بالايمان لعدم فايدة الدليل الثالث ان هذا ليس بمجرد الحلف بل دليل خرج في صورة اليمين لان القرآن معجز ودليل كونه مرسلا هو المعجزة والقرآن كذلك **فان قيل** لم يذكره في صورة الدليل وما الحكمة في ذكر الدليل في صورة اليمين فالجواب ان الدليل اذا ذكر لا في صورة اليمين قد لا يعتقد عليه السامع فلا يستفيد فايدة فاذا ابتدا به على صورة اليمين واليمين لا تقع ولا سيما من العظيم الاعلى امر عظيم والامر العظيم تتوفر الدواعي على الاصغا اليه فلصورة اليمين يتقبل عليه الاسماع لكونه دليلا شافيا يتشربه الفواد فيقع في السمع وفي القلب **قوله** على صراط مستقيم اي انك على صراط مستقيم والمستقيم اقرب الطرق الموصلة الى المقصد والدين كذلك فانه يوصل الى الله وهو المقصد **قوله** تنزيل العزيز الرحيم قرا نافع وابن كثير وابو عمرو وابو بكر برفع تنزيل على انه خبر مبتدا مضمر اي هو تنزيل ويجوز ان يكون خبر المبتدا اذا جعلت يس اسما للسورة اي هذه السورة المسماة بيس تنزيل او هذه الاحرف المقطعة تنزيل والجملة

للتنبيه على هذا الاعتراض والباقون بالنصب على المصدر كانه قال نزل تنزيل العزيز الرحيم
لتنذر او على انه مفعول بفعل منوي كانه قال والقران الحكيم اعني تنزيل العزيز الرحيم انك
لمن المرسلين لتنذر وهذا اختيار الزمخشري وهو المراد بقوله او على المدح وهو في المعنى كالرفع
على خبر ابتدا مضمر وتنزيل مصدر مضاف لفاعله وقيل هو بمعنى منزل وقرا ابو حيوه واليزيد
وابو جعفر يزيد بن القعقاع وشيبه تنزيل بالجر على النعت للقران او البدل منه كانه قال
والقران الحكيم تنزيل العزيز الرحيم انك لمن المرسلين وقوله العزيز الرحيم اشارة الى ان
الملك اذا ارسل رسولا فالمرسل اليهم اما ان يخالفوا المرسل ويهينوا المرسل وحينيذ لا يقدر
الملك على الانتقام منهم الا اذا كان عزيزا او يخافون المرسل ويكرموا المرسل وحينيذ يرحم
الملك او يقال المرسل يكون معه في رسالته منع عن اشيا واطلاق لاشيا والمنع يوكده
العزة والاطلاق يدل على الرحمة **قوله** لتنذر ويجوز ان يتعلق بتنزيل وبمعنى
المرسلين يعني بامضار فعل يدل عليه هذا اللفظ اي ارسلناك لتنذر **قوله** ما
انذر اباوهم يجوز ان يكون ما هذه بمعنى الذي وان تكون نكرة موصوفة والعايد على
الوجهين مقدر اي ما انذره اباوهم فتكون ما ومعلتها في محل نصب مفعولا ثانيا لقوله
لتنذر كقوله انا انذرناكم عذابا والتقدير لتنذر قوما الذي انذره اباوهم من العذاب
او لتنذر قوما عذابا انذره اباوهم ويجوز ان تكون مصدرية اي انذارا بابهم اي مثله
ويجوز ان تكون نافية وتكون الجملة المنفية صفة لقوما اي قوما غير منذر اباوهم ويجوز ان
تكون زايدة اي قوما انذر اباوهم والجملة المثبتة ايضا صفة لقوما قاله ابو البقا وهو
مناف للوجه الذي قبله لتنافي قولنا ما نافية فالمعنى ما انذر اباوهم الادنون وان قلنا
ما للاثبات فالمعنى لتنذر دوا بما انذر به اباوهم الاولون وقوله فهم غافلون اي عن
الايمان والرشد **قوله** لقد حق القول وجب العذاب على اكثرهم فهم لا يومنون
وهذا كقوله ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين وفي الاية وجوه اشهرها ان المراد من
القول هو قوله تعالى لقد حق القول مني لاملان جهنم منك وممن تبعك والثاني معنا
لقد سبق في علمه ان هذا يومن وهذا لا يومن فحق القول اي وجد وثبت بحيث لا تبدل
بغيره لا يبدل القول لدي الثالث المراد لقد حق القول الذي قاله الله على لسان الرسل
من التوحيد وغيره وبان برهانه فانهم لما لم يومنوا عند ما حق القول واستمروا فانكانوا
يريدون شيا اوضح من البرهان فهو العناد ومع العناد لا يفيد الايمان وقوله على
اكثرهم على هذا الوجه معناه ان من لم تبلغه الدعوة والبرهان قليلون فحق القول على
اكثرهم وهم لم يوجد منه الايمان وعلى الاول والثاني ظاهر لان اكثر الكفار ماتوا
على الكفر **قوله** انا جعلنا في اعناقهم اغلالا نزلت في ابي جهل وصاحبه وذلك ان
ابا جهل كان قد حلف لين راى محمدا يصلي ليرضخن راسه فاتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه
به فلما رفعه انثنت يده الى عنقه ولزق الحجر بيده فلما رجع الى اصحابه واخبرهم بما
راى سقط الحجر فقال رجل من بني مخزوم انا اقتله بهذا الحجر فاتاه وهو يصلي ليرميه
بالحجر فاعمى الله بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه فرجع الى اصحابه فلم يرهم حتى نادوه فقالوا
له ما صنعت فقال ما رايته ولقد سمعت كلامه وحال بيني وبينه كهيئة الفحل يخطر بذنبه
ولو دنوت منه لاكلني فانزل الله انا جعلنا في اعناقهم اغلالا ووجه المناسبة لما تقدم
انه لما قال لقد حق القول على اكثرهم وتقدم ان المراد به البرهان قال بعد ذلك بل عاينوا
وابصروا ما يقرب من الضرورة حيث التزقت يده بعنقه ومنع من ارسال الحجر وهو مضطر

اووصفتها

الي الايمان ولم يومن علم انه لا يومن اصلا وقال الفرا معناه حبسناهم عن الانفاق في سبيل
الله كقوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك معناه لا تمسكها عن النفقة الثالث
قال ابن الخطيب وهو الاقوى واشد مناسبة لما تقدم ان ذلك كناية عن منع الله اياهم
عن الاهتدي واما مناسبة قول الفرا لما تقدم ان قوله تعالى فهم لا يومنون يدخل فيه
انهم لا يصلون كقوله تعالى ليضيع ايمانكم اي صلاتكم عند بعض المفسرين والزكوة مناسبة
للصلاة فكانه قال لا يصلون ولا يزكون **قوله** فهي الى الاذقان في هذا الضمير
وجهان اشهرهما انه عايد على الاغلال لانها هي المحدث عنها ومعنى هذا الترتيب بالفاء ان
الغل لغلظه وعرضه يصل الى الذقن لانه يلبس العنق جميعه قال الزمخشري والمعنى انا
جعلنا في اعناقهم اغلالا ثقالا غلاظا بحيث تبلغ الى الاذقان فلم يتمكن المغلول معها من ان
يطاطي راسه الثاني ان الضمير يعود على الايدي لان الغل لا يكون الا في العنق واليدين
ولذلك سمي جامعة ودل على الايدي وان لم تذكر الملازمة المفهومة من هذه الالة اعني
الغل واليه ذهب الطبري الا ان الزمخشري قال جعل الاقماح نتيجة قوله فهي الى الاذقان
ولو كان للايدي لم يكن معنى التسبب في الاقماح ظاهرا على ان هذا الاضمار فيه ضرب من
التعسف وترك للظاهر في هذا الكلام قولان احدهما ان جعل الاغلال حقيقة والثاني انه
استعارة وعلى كل من القولين جماعة من الصحابة والتابعين وقال الزمخشري مثل تصميمهم على
الكفر وانه لا سبيل الى ارعوايهم بان جعلهم كالمغلولين المقمحين في انهم لا يلتفتون الى الحق ولا
يعطفون اعناقهم نحوه ولا يطاطيون روسهم له وكالحاصلين بين سدين لا يبصرون ما قدامهم
وما خلفهم في ان لا تامل لهم ولا تبصر وانهم متعامون عن ايات الله وقال غيره هذا استعارة
لمنع الله اياهم من الايمان وحوله بينهم وبينه قال ابن عطية وهذا ارجح الاقوال لانه تعالى
لما ذكر انهم لا يومنون لما سبق لهم في الازل عقب ذلك بان جعل لهم من المنع واحاطة الشقاق
ما حالهم معه حال المغلولين وتقدم تفسير الاذقان وقال ابن الخطيب المانع اما ان يكون
في النفس وهو الغل واما من الخارج فالسد فلا يقع نظرهم على انفسهم فيرون الايات التي في انفسهم
كما قال تعالى سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم وذلك لان المقمح لا يرى نفسه ولا يقع بصره على
بدنه ولا يقع نظرهم على الافاق فلا تتبين لهم الايات التي في الافاق وعلى هذا فقوله انا جعلنا
في اعناقهم وجعلنا من بين ايديهم اشارة الى عدم هدايتهم لايات الله في الانفس والافاق
قوله فهم مقمحون هذه الفا احسن ترتيب لانه لما وصلت الاغلال الى الاذقان لعرضها
لزم عن ذلك ارتفاع روسهم الى فوق او لما جمعت الايدي الى الاذقان وصارت تحتها لزم من
ذلك رفعها الى فوق فترتفع روسهم **والاقماح** رفع الراس الى فوق كالاقناع وهو من
قمح البعير راسه اذا رفعها بعد الشرب اما لبرودة الما واما لكراهة طعمه قموحا وقماحا بكسر
القاف وضمها واقمحته انا اقماحا والجمع قماح وانشد
ونحن على جوانبها قعود نغض الطرف كالابل القماح يصف نفسه وجماعة كانوا في سفينة
فاصابهم الميد قال الزجاج قيل للكانونين شهرا قماح لان الابل اذا وردت الما رفعت روسها
لشدة البرد وانشد ابو زيد للهذلي فتى ما ابن الاغر اذا شتونا وحب الزاد في شهري قماح
كذا رواه بضم القاف وابن السكيت بكسرها وهما لغتان في المصدر كما تقدم وقال الليث
القموح رفع البعير راسه اذا شرب الما الكريه ثم يعود وقال ابو عبيدة اذا رفع راسه عن
الحوض ولم يشرب والمشهور انه رفع الراس الى السما كما تقدم تحريره وقال الحسن القامح الطامح
ببصره الى موضع قدمه وهذا ينبو عنه اللفظ والمعنى وراد بعضهم مع رفع الراس غض البصر

مسند لا بالبيت المتقدم بغض الطرف كالابل القماح، وزاد مجاهد مع ذلك وضع اليد على الفم
وسال الناس امير المومنين كرم الله وجهه عن هذه الاية فجعل يديه تحت لحيته ورفع راسه
وهذه الكيفية ترجح قول الطبري في غود يديه الى الايدي **قوله** وجعلنا من بين ايديهم
سدا ومن خلفهم سدا تقدم خلاف القراء في فتح السين وضمها والفرق بينهما مستوفي في اخر الكهف
والحمد لله واما فايدة السد من بين الايدي فانهم في الدنيا سالكون فينبغي ان يسلكوا الطريقة
المستقيمة وبين ايديهم سدا فلا يقدرون على السلوك واما فايدة السد من خلفهم فهو ان
الانسان له فطرية والكافر ما ادركها فكانه تعالى يقول جعلنا من بين ايديهم سدا فلا يسلكون
طريق الاهتدا التي هي فطرية وجعلنا من خلفهم سدا فلا يرجعون الى الهداية والجبلة التي هي
فطرية وايضا فان الانسان مبداه من الله ومصيره اليه فعمي الكافر لا يبصر ما بين يديه
من المصير الى الله وما خلفه من الدخول في الوجود بخلق الله وايضا فان السالك اذا لم
يكن له بد من سلوك طريق فان انسد الطريق الذي قدامه يفوته المقصد ولكنه يرجع
واذا انسد الطريق من خلفه ومن قدامه والموضع الذي هو فيه لا يكون موضع اقامة يهلك
فقوله وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا اشارة الى هلاكهم فصار بمنزلة
من يبني عليه الحايط وهو واقف **قوله** فاغشيناهم العامة على الغين المعجمة اي
غطينا ابصارهم فهو على حذف مضاف وابن عباس وعمر بن عبد العزيز والحسن وابن يعمر وابو
رجا في اخرين بالعين المهملة وهو ضعف البصر يقال عشي بصره واعشيته انا وهذا يحتمل
الحقيقة والاستعارة **فصل** قوله فاغشيناهم بحرف الفا يقتضي ان يكون
الاغشا مرتبا على جعل السد فما وجهه فيقال من وجهين احدهما ان ذلك بيان لامور
مرتبة ليس بعضها سببا في البعض فكانه تعالى قال انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فلا يبصرون
انفسهم لاقماحهم وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فلا يبصرون ما في الافاق
وحينيذ يمكن ان يروا السما وما على يمينهم وشمالهم فقال بعد هذا كله جعلنا على ابصارهم
غشاوة فلا يبصرون شيا اصلا والثاني ان ذلك بيان لكون السد قريبا منهم بحيث يصير
ذلك كالغشاوة على ابصارهم فان من جعل من خلفه وقدامه سدين ملتزقين به بحيث يبقى
بينهما ملتزقا بهما تبقى عينه على سطح السد فلا يبصر شيا الا ترى ان المري ان لا يكون قريبا من
العين جدا **فان قيل** ذكر السد من بين الايدي ومن خلف ولم يذكر من
اليمين والشمال فما الحكمة فيه فالجواب ان قلنا انه اشارة الى الهداية الفطرية والنظرية
فظاهر واما على غير ذلك فيقال انه حصل العموم بما ذكر والمنع من انتهاج المناهج المستقيمة
لانهم اذا قصدوا السلوك الى جانب اليمين او جانب الشمال صاروا متوجهين الى شي ومولين عن
شي فصار ما اليه توجههم ما بين ايديهم فيجعل الله السد هناك فيمنعه من السلوك فكيف ما
توجه الكافر يجعل الله بين يديه سدا وايضا فانا لما بينا ان جعل السد سببا لاستغراق بصره
فكان السد ملتزقا به وهو ملتزق بالسدين فلا قدرة له على الحركة يمنة ولا يسرة فلا حاجة الى
السد عن اليمين وعن الشمال وقوله فاغشيناهم فهم لا يبصرون اي لا يبصرون شيا او لا يبصرون
سبيل الحق لان الكافر مصدود عن سبيل الهدى **قوله** وسوا عليهم اانذرتهم ام لم تنذرهم
تقدم الكلام عليه اول البقرة بين ان الانذار لا ينفعهم مع ما فعل الله بهم من الغل والسد والاغشا
والاعما بقوله اانذرتهم ام لم تنذرهم لا يومنون اي الانذار وعدمه سيان بالنسبة اليهم
قوله انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب قال من قبل لتنذر قوما وذلك يقتضي
الانذار العام وقال انما تنذر وهو يقتضي التخصيص فكيف الجمع بينهما وطريقه من وجوه الاول

ان قوله لتنذر اي كيف ما كان سوا كان مفيدا او لم يكن وقوله انما تنذر اي الانذار المفيد
لا يكون الا بالنسبة لمن يتبع الذكر ويخشى الثاني ان الله تعالى لما بين ان الارسال او الانذار
للانذار وذكر ان الانذار وعدمه سيان بالنسبة الى اهل العناد قال لنبيه ليس انذارك
غير مفيد من جميع الوجوه فانذر على سبيل العموم وانما ينذر بذلك الانذار العام من يتبع
الذكر كانه يقول يا محمد انذر بانذارك ويتبع بذكرك الثالث ان يقول لتنذر اولا فاذا
انذرت وبالغت واشتهر البعض وتولى واستكبر فبعد ذلك انما تنذر الذين اتبعوك والمراد
بالذكر القران لتعريف الذكر بالالف واللام وقد تقدم ذكر القران في قوله تعالى والقران
الحكيم وقيل ما في القران من الايات لقوله والقران ذي الذكر فجعل القران نفس الذكر والمعنى
انما تنذر العلما الذين يخشون ربهم بالغيب وقوله وخشي الرحمن اي عمل صالحا لقوله فبشره
بمغفرة واجر كريم وهذا جزا العمل كقوله والذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق
كريم والمراد بالغيب ما غاب وهو احوال القيمة وقيل الوحدانية وقوله فبشره اشارة الى
الرسالة فان النبي بشير ونذير وقوله بمغفرة على التنكير اي بمغفرة واسعة تستر من
جميع الجوانب واجر كريم اي ذا كرم كقوله ورزق كريم والمراد به الجنة **قوله** انا
نحن نحيي الموتى عند البعث لما بين الرسالة وهو اصل من الاصول الثلاثة التي بها يصير المكلف
مومنا مسلما ذكر اصلا اخر وهو الحشر ووجه اخر وهو ان الله تعالى لما ذكر الانذار والبشارة
بقوله فبشره بمغفرة ولم يظهر ذلك بكماله في الدنيا قال ان لم ير في الدنيا فالله يحيي
الموتى ويجزي المنذرون والمبشرون ووجه اخر وهو انه تعالى لما ذكر خشية الرحمن بالغيب
ذكر ما يوكده وهو احيا الموتى **فصل** انا نحن يحتمل وجهين احدهما ان يكون
مبتدا وخبرا كقوله انا ابو النجم وشعري شعري ومثل هذا يقال عند الشهرة العظيمة وذلك
لان من لا يعرف يقال له من انت فيقول انا ابن فلان فيعرف ومن يكون مشهورا اذا قيل
له من انت يقول انا ولا معرفة لي اظهر من نفسي فقال انا نحن معروفون باوصاف الكمال
واذا عرفنا بانفسنا فلا تنكر قدرتنا على احيا الموتى والثاني ان الخبر نحيي كانه قال
انا نحيي الموتى ونحن يكون تاكيدا وفي قوله انا نحن نحيي اشارة الى التوحيد لان الاشراك
يوجب التمييز فان زيدا اذا شاركه غيره في الاسم فلو قال انا زيد لا يحصل التعريف
التام وللسامع ان يقول ايما زيد فيقول ابن عمرو فلما قال الله انا نحن اي ليس غيرنا
احد شاركنا حتى نقول انا كذا فيمتاز وحينيذ تصير الاصول الثلاثة مذكورة الرسالة
والتوحيد والحشر **قوله** ونكتب العامة على بنايه للفاعل فيكون ما قدموا مفعولا
به واثارهم عطف عليه وزر وسروق قرا مبنيا للمفعول واثارهم بالرفع عطفا على
ما قدموا لقيامه مقام الفاعل **فصل** المعنى ما قدموا واخروا فاكتفى باحدهما
لدلالته على الاخر كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر اي والبرد وقيل المعنى ما اسلفوا من
الاعمال صالحة كانت او فاسدة كقوله تعالى بما قدمت ايديهم اي بما قدمت في الوجود
واوجدته وقيل نكتب نياتهم فانها قبل الاعمال واثارهم اي اعمالهم وفي اثارهم وجوه احدها
ما سنوا من سنة حسنة وسيية فالحسنة كالكتب المصنفة والقناطر المبنية والسيية كالظلامة
المستمرة التي وضعها ظالم والكتب المضلة قال عليه السلام من سن في الاسلام سنة حسنة
فعمل بها من بعده كان له اجرها ومثل اجر من عمل بها من غير ان ينقص من اجورهم شيا ومن سن
في الاسلام سنة سيية فعمل بها من بعده كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من غير ان ينقص
من اوزارهم شيا وقيل نكتب اثارهم اي خطاهم الى المسجد لما روى ابو سعيد الخدري قال

سكت بنو سلمة بعد ما ذهبوا من المسجد فانزل الله ونكتب ما قدموا واثارهم فقال عليه السلام
ان الله يكتب خطواتكم ويثيبكم عليه وقال عليه السلام اعظم الناس اجرا في الصلاة ابعدهم
ممشى والذي ينتظر الصلاة حتى يصليها مع الامام اعظم اجرا من الذي يصلي ثم ينام **فان قيل**
الكتابة قبل الاحيا فكيف اخره في الذكر حيث قال نحيي ونكتب ولم يقل نكتب ما قدموا
ونحييهم **فالجواب** ان الكتابة معظمة لامر الاحيا لان الاحيا ان لم يكن للحساب لا يعظم
والكتابة في نفسها ان لم تكن احيا واعادة لا يبقى لها اثر اصلا والاحيا هو المعتبر والكتابة
مؤكدة معظمة لامره فلهذا قدم الاحيا ولانه تعالى قال انا نحن وذلك يفيد العظمة والجبروت
والاحيا العظيم تختص بالله والكتابة دونه فتقديم التنبيه الامر العظيم وذلك مما يعظم
ذلك الامر العظيم **قوله** وكل شي احصيناه العامة على نصب كل على الاشتغال وابو
السمال قراه مرفوعا بالابتدا والارجح قراة العامة لعطف جملة الاشتغال على جملة فعلية
فصل احصيناه حفظناه وثبتناه في امام مبين فقوله احصيناه ابلغ من
كتبناه لان من كتب شيا مفرقا يحتاج الى جمع عدده فقال نحصيه والامام جا جمعا في
قوله يوم ندعوا كل اناس بامامهم اي بايمتهم وحينئذ فامام اذا كان فردا فهو ككتاب
وحجاب واذا كان جمعا فهو كجبال والمبين هو المظهر للامور لكونه مظهرا للملائكة ما يفعلون
وللناس ما يفعل بهم وهو الفارق بين احوال الخلق فيجعل فريقا في الجنة وفريقا في السعير وسمي
الكتاب اماما لان الملائكة ياتمون به ويتبعونه وهو اللوح المحفوظ وهذا بيان لكون ما
قدموا واثارهم امرا مكتوبا عليهم لا يبدل فان القلم جف بما هو كاين فلما قال نكتب
ما قدموا بين ان قبل ذلك كتابة اخرى فان الله تعالى كتب عليهم انهم سيفعلون كذا وكذا
ثم اذا فعلوا كتب عليهم انهم فعلوه وقيل ان ذلك موكد لمعنى قوله ونكتب لان من يكتب
شيا في اوراق ويرميها قد لا يجدها فكانه لم يكتب فقال نكتب ونحفظ ذلك في امام
مبين وهو كقوله تعالى علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى وقيل ان ذلك تعميم بعد
تخصيص كانه تعالى يكتب ما قدموا واثارهم وليست الكتابة مقتصرة عليه بل كل شي محصى
في امام مبين وهذا يفيد ان شيا من الافعال والاقوال لا يعزب عن علم الله ولا يفوته
وهو كقوله تعالى وكل شي فعلوه في الزبر وكل صغير وكبير يعني ليس ما في الزبر منحصرا
فيما فعلوه بل كل شي مكتوب **قوله تعالى** واضرب لهم مثلا اصحاب القرية
تقدم الكلام على نظيره في البقرة والنحل والمعنى واضرب لاجلهم مثلا او واضرب لاجل نفسك
اصحاب القرية مثلا اي مثلهم عند نفسك باصحاب القرية فعلى الاول لما قال تعالى انك
لمن المرسلين وقال لتنذر قوما قال قل لهم ما انا بدعا من الرسل بل قبلي بقليل جا اصحاب
القرية مرسلون فانذروهم بما انذرتكم وذكروا التوحيد وخوفوا بالقيامة وبشروا
بنعيم دار الاقامة وعلى الثاني لما قال تعالى ان الانذار لا ينفع من اضله الله وكتب عليه انه
لا يومن قال للنبي عليه السلام فلا تاس واضرب لنفسك ولقومك مثلا اي مثل لهم عند نفسك
مثلا باصحاب القرية حيث جاءهم ثلاثة رسل ولم يومنوا وصبر الرسل على القتل والايذاء
وانت جيتهم واحدا وقومك اكثر من قوم الثلاثة فانهم جاوا قرية وانت بعثت الى العالم
قوله اصحاب القرية اي اضرب لهم مثلا مثل اصحاب القرية فترك المثل واقيم الاصحاب
مقامه في الاعراب كقوله واسال القرية قاله الزمخشري وقيل لا حاجة الى الاضمار بل المعنى اجعل
اصحاب القرية لهم مثلا او مثل اصحاب القرية بهم قال المفسرون المراد بالقرية انطاكية
قوله اذ جاها بدل اشتمال قال الزمخشري اذ منصوبة لانها بدل من اصحاب القرية

كانه

كانه تعالى قال واضرب لهم وقت مجيء المرسلين ومثل ذلك الوقت بوقت محمد وقيل منصوب بقوله
اجعل الضرب كانه حين مجيئهم وواقع فيه والمرسلون من قوم عيسى وهم اقرب مرسل ارسل الى
قوم الى زمان محمد عليه السلام ويتم **قوله** اذ ارسلنا بدل من اذ الاولى كانه قال اضرب
لهم مثلا اذ ارسلنا الى اصحاب القرية اثنين قال ابن الخطيب والاصح الاوضح ان يكون اذ ظرفا
والفعل الواقع فيه جاها اي جاها المرسلون حين ارسلناهم اليهم واتاهم وهو حيث امروا
وهذا فيه لطيفة وهي ان في القصة ان الرسل كانوا مبعوثين من جهة عيسى عليه السلام
ارسلهم الى انطاكيه فقال تعالى ارسال عيسى عليه السلام هو ارسالنا ورسول رسول الله باذن
الله رسول الله فلا يختلج لك يا محمد ان اولئك كانوا رسل الرسل وانهم رسل الله فان تكذيبهم
كتكذيبك فتتم التسلية بقوله اذ ارسلنا ويؤيد هذه مسيلة فقهية وهي ان وكيل الوكيل
باذن الموكل وكيل الموكل لا وكيل الوكيل حتى لا ينعزل بعزل الوكيل اياه وينعزل اذا عزله الاول
وهذا على قولنا واضرب لهم مثلا ضرب المثل لاجل محمد عليه السلام ظاهر وقوله اذ ارسلنا
اليهم اثنين في بعثه الاثنين حكمة بالغة وهي انهما كانا مبعوثين من جهة عيسى عليه السلام باذن
الله فكان عليهما ان ينهيا الامر الى عيسى عليه السلام والاتيان بما امر الله والله عالم بكل شي لا يحتاج
الى شاهد يشهد عنده واما عيسى عليه السلام فهو بشر فامره الله بارسال اثنين ليكون قولهما على
قومهما عند عيسى حجة تامة **فصل** قال ابن كثير روى ابن اسحاق عن ابن عباس
وكعب الاحبار ووهب بن منبه وروي عن بريده بن الخصيب وعكرمة وقتادة والزهري
ان هذه القرية انطاكية وكان اسم ملكها انطيخس بن انطيخس بن انطيخس وكان يعبد الاصنام
فبعث الله اليه ثلاثة من الرسل وهم صادق وصدوق وشلوم فكذبهم وهذا الظاهر انهم
رسل الله عز وجل وزعم قتادة انهم كانوا رسلا من عند المسيح وكان اسم الرسولين الاولين
شمعون ويوحنا واسم الثالث بولس والقرية انطاكيه وهذا القول ضعيف جدا لان اهل
انطاكيه لما بعث اليهم المسيح ثلاثة من الحواريين كانوا اول مدينة امنت بالمسيح في ذلك
الوقت ولهذا كانت احدى الاربع التي يكون فيها بتاركة النصارى وهي انطاكية والقدس
واسكندرية ورومية ثم بعدها قسطنطينية ولم يهلكوا واهل هذه القرية المذكورة في
القران اهلكوا لقول الله تعالى ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون لكن ان كانت
الرسل الثلاثة المذكورون في القران بعثوا الى اهل انطاكية قديما فكذبوهم فاهلكهم الله
ثم عمرت بعد ذلك فلما كان في زمن المسيح امنوا برسله اليهم فيجوز والله اعلم **قوله** فعززنا
قرا ابو بكر بتخفيف الزاي بمعنى غلبنا ومنه وعزني في الخطاب ومنه قولهم من عز بز
اي صار بز والباقون بالتشديد بمعنى قوينا يقال عزز المطر الارض اي قواها ولبدها
ويقال لتلك الارض العزاز وكذا كل ارض صلبة وتعزز لحم الناقة اي صلب وقوي وعلى كلتا
القراتين المفعول محذوف اي قويناهما بثالث اي غلبناهما بثالث لان المقصود من البعثة
نصرة الحق لا نصرهما والكل كانوا مقوين للدين بالبرهان وقرا عبد الله بالثالث بالف ولام
قوله انا اليكم مرسلون جردوا خبران هذه من لام التوكيد وادخلها في خبر الثانية لانهم
في الاولى استعملوا بمجرد الانكار فقابلهم الرسل بتوكيد واحد وهو الاتيان بان وفي الثانية
بالغوا في الانكار فقابلهم بزيادة التاكيد فاتوا بان وباللام قال اهل البيان الاخبار ثلاثة
اقسام ابتدايي وطلبي لمن هو متردد في ذلك طالب له منكر له وانكاري فالاول يقال لمن لم
يتردد في نسبة احد الطرفين الى الاخر نحو زيد عارف والثاني لمن هو متردد في ذلك طالب له
منكر له بعض انكار فيقال له ان زيدا عارف والثالث لمن لم يبالغ في انكاره فيقال له

ان زیدا لعارف ومن احسن ما یحکی ان رجلا جا الی ابی العباس الکندي فقال یا ابا العباس انی اجد فی کلام العرب حشوا قال وما ذاك قال زید قایم وان زیدا قایم وان زیدا لقایم فقال کلا بل المعانی مختلفة فعبد الله قایم اخبار بقیامه وان عبد الله قایم جواب لسوال سایل وان عبد الله لقایم جواب عن انکار منکر وهذا هو الکندي الذي سیل ان یعارض القران ففتح المصحف فرای سورة المایدة ونفته من حکایته فی اول المایدة وقال ابو حیان وجا اولا مرسلون بغیر لام لانه ابتدا اخبار فلا یحتاج الی توکید وبعد المحاورة لمرسلون بلام التوکید لانه جواب عن انکار وقال شهاب الدین وهذا قصور عن فهم ما قاله اهل البیان فانه جعل المقام الثانی وهو الطلبی مکان المقام الاول وهو الابتدائي

قوله ما انتم الا بشر مثلنا وما انزل الرحمن من شي جعلوا کونهم بشرا مثلهم دلیلا علی عدم الارسال وهذا عام فی المشرکین قالوا فی حق محمد علیه السلام اانزل علیه الذکر من بیننا وانما ظنوه دلیلا بنا علی انهم لم یعتقدوه ان فی الله الاختیار وانما قالوا انه موجب بالذات وقد استوینا فی البشریة فلا یمکن الرجحان فرد الله تعالی علیهم بقوله الله اعلم حیث یجعل رسالاته وبقوله الله یجتبی الیه من یشا الی غیر ذلك ثم قالوا وما انزل الرحمن من شي وهذا یحتمل وجهین احدهما ان یکون متمما لما ذکروه فیکون الکل شبهة واحدة والمعنی وما انزل الله الیکم احدا فکیف صرتم رسلا والثانی ان یکون هذا شبهة اخری مستقلة وهی انهم لما قالوا انتم بشر مثلنا فلا یجوز رجحانکم علینا ذکروا الشبهة من جهة النظر الی المرسلین ثم قالوا شبهة اخری من جهة المرسل وهو انه تعالی لیس بمنزل شیا فی هذا العالم فان تصرفه فی العالم العلوی فالله لم ینزل شیا من الاشیا فی الدنیا فکیف انزل الیکم وقوله تعالی الرحمن اشارة الی الرد علیهم لان الله تعالی لما کان رحمان الدنیا والارسال رحمة فکیف لا ینزل رحمته وهو رحمن ثم قال ان انتم الا تکذبون ای ما انتم الا کاذبین فیما تزعمون قوله ما انتم الا کاذبین فیه نظر لما لم یکن سبق قلم لانه واجب الرفع لتفرغ ما قبل الا للعمل فیما بعدها ولا یجوز ان تکون ما حجازیة لان شرطها الا ینتقض خبرها بنفی بالا واما قوله وما الدهر الا منجنونا باهله فشاذ لا یقاس علیه والله المستعان

فصل اذ ارسلنا الیهم اثنین قال وهب اسمهما یوحنا وبولس فکذبوهما فعززنا برسول ثالث وهو شمعون وقال کعب الرسولان صادق وصدوق والثالث سلوم وانما اضاف الله الارسال الیه لان عیسی علیه السلام انما بعثهم باذنه عز وجل

قوله قالوا ربنا یعلم انا الیکم لمرسلون وهذه اشارة الی انهم بمجرد التکذیب لم ییاسوا ولم یترکوا بل اعادوا ذلك لهم وکرروا القول علیهم واکدوه بالیمین وقالوا ربنا یعلم انا الیکم لمرسلون واکدوه باللام لان علم الله یجری مجری القسم کقوله الله اعلم حیث یجعل رسالاته ای هو عالم بالامور وما علینا الا البلاغ المبین وذلك تسلیة لانفسهم ای نحن خرجنا عن عهدة ما علینا وهو البلاغ وقوله المبین ای البین للحق عن الباطل وهو الفارق بالمعجزة والبرهان او البلاغ المظهر لما ارسلنا الی الکل ای لا یکفی ان یبلغ الرسالة الی شخص او شخصین او المظهر للحق بکل ما یمکن فان لم تقبلوا الحق فهنالك الهلاك فما کان جوابهم بعد هذا الا قولهم انا تطیرنا بکم ای تشاءمنا بکم وذلك ان المطر حبس عنهم فقالوا اصابنا هذا بشومکم لین لم تنتهوا لنرجمنکم لنقتلنکم قال قتادة بالحجارة وقیل لنشتمنکم ولیمسنکم منا عذاب الیم فان فسرنا الرجم بالحجارة فیکون قولهم ولیمسنکم منا عذاب الیم کانهم قالوا لانکتفی برجمکم بحجر او حجرین بل ندیم ذلك علیکم الی الموت وهو العذاب الالیم او یکون المراد ولیمسنکم بسبب الرجم منا عذاب الیم ای مولم وان قلنا الرجم الشتم فکانهم قالوا ولا نکتفي بالشتم بل بشتم یودي الی الضرب والایلام الحسي واذا فسرنا الیم بمعنی مولم فالتفعیل بمعنی مفعل قلیل ویحتمل ان یقال هو من باب قوله عیشة راضیة ای ذات رضی ای عذاب ذو

الم

الم فیکون فعیلا بمعنی فاعل وهو کثیر ثم اجابهم المرسلون فقالوا طائرکم ای شومکم معکم ای بکفرکم

قوله طائرکم اسمیة علی ان طائر اسم فاعل ای ما طار لکم من الخیر والشر فیه ای عن الحظ والنصیب وقرا الحسن فیما روی عنه الزمخشري اطیرکم مصدر واطیر اصله تطیر فلما اراد ادغامه ابدلت التاء طاء وسکنت واجتلبت همزة الوصل فصار اطیر ولم یذکرها ابو حیان هذا لم یرد علیه وکان هو فی تعقبه ربما یرد علی ابن مالك فی شرح التسهیل فی باب المصادر ان مصدر تطیر وتدارا اذا ادغما [illegible] بل علی اصلهما فیقال اطیر تطیرا [illegible] لکن هذه القراءة [illegible] طیرکم بیا ساکنة [illegible] علی الراوی فحسبها مصدرا وظن ان الف قالوا همزة وصل

قوله این ذکرتم قرا السبعة بهمزتین استفهام بعدها ان الشرطیة وهم علی اصولهم من التسهیل والتحقیق وادخال الف بین الهمزتین وعدمه فی سورة البقرة واختلف سیبویه ویونس اذا اجتمع استفهام وشرط ایهما یجاب فذهب سیبویه الی اجابة الاستفهام ویونس الی اجابة الشرط فالتقدیر عند سیبویه این ذکرتم تتطیرون وعند یونس تطیروا واجزموا فالجواب الشرط علی القولین محذوف وقد تقدم هذا فی سورة الانبیا وقرا ابو جعفر وطلحة وزر بن حبیش بهمزتین مفتوحتین الا ان الثانیة بین بین کقوله [illegible] کذلك الا انهما فصلا بالمد بین الهمزتین وقرا الماجشون همزة واحدة مفتوحة وهذه القراءات الثلاث علی حذف لام العلة ای الان ذکرتم تطیرتم [illegible] والاستفهام منسحب علیهما فی قراءة الاستفهام وفی غیرها یکون اخبارا بذلك وقرا الحسن بهمزة واحدة مکسورة وهی شرط من غیر استفهام وجوابه محذوف [illegible] وقرا الاعمش والهمداني این بصیغة الظرف وهی این الشرطیة وجوابها محذوف [illegible] طائرکم معکم [illegible] ومن یجوز تقدم الجواب لا یحتاج الی حذف وقرا الحسن وابو جعفر وابو رجاء والاصمعي عن نافع ذکرتم بتخفیف الکاف

فصل قوله این ذکرتم جواب عن قولهم لنرجمنکم ای اتفعلون بنا ذلك وان ذکرتم ای وعظتم بالله وبین لکم الامور بالحجة والبرهان بل انتم قوم مسرفون مشرکون مجاوزون الحد حیث تجعلون ما تتبرکون به تشاوما به وتقصدون ایلام من یجب اکرامه او مسرفون حیث تکفرون ثم تصرون بعد ظهور الحق بالمعجزة والبرهان

فان قیل بل للاضراب فما الامر المضروب عنه فالجواب یحتمل ان یقال قوله این ذکرتم وارد علی تکذیبهم فانهم قالوا انکم کاذبون وان جینا بالبرهان لا بل انتم قوم مسرفون ویحتمل ان یقال نحن مشوومون وان جینا ببیان صحة ما نحن علیه لا بل انتم قوم مسرفون ویحتمل ان یقال نحن مستحقون الرجم والایلام وان بینا صحة ما اتینا به لا بل انتم قوم مسرفون

فصل ذکر المفسرون ان عیسی علیه السلام بعث رجلین الی اهل انطاکیة یدعوان الی توحید الله واظهرا المعجزة من ابرا الاکمه والابرص واحیا المیت فحبسهم الملك فارسل بعدهما شمعون فاتی الملك ولم یدع الرسالة وقرب نفسه من الملك بحسن التدبیر ثم قال انی اسمع ان فی الحبس رجلین یدعیان امرا بدیعا افلا یحضران نسمع کلامهما فقال الملك بلی فاحضرا وذکرا مقالتهما الحقة فقال شمعون وهل لکما بینة قالا نعم فابرا الاکمه والابرص واحیا الموتی فقال شمعون یا ایها الملك انت لا یخفی علیك انها لا تسمع ولا تبصر ان شئت ان تعلمهم فقل للالهة التی تعبدونها تفعل شیا من ذلك فقال له الملك انت لا

کم

مفتوحه

تخفي عليك انها لا تسمع ولا تبصر ولا تعلم فقال تسمعون فادن ظهر الحق من جانبهم فآمن الملك
وقوم وكفر اخرون وكانت الغلبة للمكذبين **قوله** وجا من اقصى المدينة رجل يسعى في
تعلقه بما قبله وجهان احدها انه بيان لكونهم اتوا بالبلاغ المبين حيث آمن بهم الرجل
الساعي وعلى هذا فقوله من اقصى المدينة فيه بلاغة باهرة لانه لما جا من اقصى المدينة
رجل فهو قد آمن وله بطال ان انذارهم وابلاغهم بلغ الى اقصى المدينة والثاني ان ضرب
المثل لما كان لتسلية قلب محمد عليه السلام ذكر بعد الفراغ من ذكر الرسل سعي المومنين في
تصديق انبيائهم وصبرهم على ما اوذوا ووصول الجزا الاوفى اليهم ليكون ذلك تسلية لقلب اصحاب
محمد عليه السلام **قوله** رجل يسعى في تنكير الرجل مع انه كان معروفا معلوما عند الله فايدتان
الاولى ان يكون تعظيما لشانه اي رجل كامل في الرجولية الثاني ان يكون مفيدا ليظهر من
جانب المرسلين امر رجل من الرجال لا معرفة لهم به فلا يقال انهم تواطوا والرجل هو حبيب
النجار كان ينحت الاصنام وقال السدي كان قصارا وقال وهب كان يعمل الحرير وكان
سقيما قد اسرع فيه الجذام وكان منزله عند اقصى باب في المدينة وكان مؤمنا وآمن بمحمد
عليه السلام قبل وجوده حين صار من العلما بكتاب الله ورأى فيه وقت محمد وبعثته وقوله
يسعى تبصير للمسلمين وهداية لهم ليجتهدوا في النصح **قوله** قال يا قوم اتبعوا المرسلين
تقدم الكلام في فايدة قوله يا قوم عند قول موسى يا قوم انكم ظلمتم انفسكم **فان قيل**
هذا مثل مؤمن آل فرعون وقال اتبعوني وهذا قال اتبعوا المرسلين فما الفرق فالجواب
هذا الرجل جاءهم وفي اول مجيئه نصحهم ولم يعلموا سيرته فقال اتبعوا هؤلاء الذين اظهروا لكم
الدليل واوضحوا لكم السبيل واما مؤمن آل فرعون فكان فيهم ونصحهم مرارا فقال اتبعوني في
الايمان بموسى وهرون عليهما السلام واعلموا انه لو لم يكن خيرا لما اخترته لنفسي وانتم تعلمون
اني اخترته ولم يكن للرجل الذي جاء من اقصى المدينة ان يقول انتم تعلمون اتباعي لهم واعلم
انه جمع بين اظهار النصيحة واظهار ايمانه فقوله اتبعوا نصيحة وقوله المرسلين اظهار
ايمانه وقدم اظهار النصيحة على اظهار الايمان لانه كان ساعيا في النصيحة واما الايمان
فكان قد آمن من قبل وقوله يسعى يدل على ارادته للنصح **قوله** من لا يسألكم اجرا بدل
من المرسلين باعادة العامل الا ان اباحيان قال النحاة لا يقولون ذلك الا اذا كان العامل
حرف جر الا فلا يسمونه به لا بل تابعا وكانه يريد التوكيد اللفظي بالنسبة الى التابع
فصل هذا الكلام في غاية الحسن لانه لما قال اتبعوا المرسلين كانهم منعوا كونهم
مرسلين فنزل درجة وقال لا شك ان الخلق في الدنيا سالكون طريقة الاستقامة ن
والطريق اذا كان فيه دليل وجب اتباعه والاستماع من الدليل لا يحسن الا عند احد
امرين اما لطلب الدليل الاجرة واما لعدم الاعتماد على هدايته ومعرفة الطريق لكن هولاء
لا يطلبون اجرة وهم مهتدون عالمون بالطريق المستقيم الموصلة الى الحق فهب انهم ليسوا
بمرسلين هادين اليسوا بمهتدين فاتبعوهم **قوله** وما لي لا اعبد الذي فطرني
اصل الكلام وما لكم لا تعبدون ولكنه صرف الكلام عنهم ليكون الكلام اسرع قبولا ولذلك
جا قوله واليه ترجعون دون واليه ارجع وقوله أأتخذ مبني على كلامه الاول وهذه النظرة
احسن من دعا الالتفات واعلم ان في قوله وما لي اي ما لي مانع وقرا حمزة ويعقوب ما لي
باسكان اليا والاخرون بفتحها واعلم ان في قوله وما لي اي اي مانع من جانبي وهذا
اشارة الى ان الامر من جهة المعبود ظاهر لا خفا به فمن يمتنع من عبادته يكون من جانبه
مانع ولا مانع من جانبي فلا جرم عبدته وفي العدول من مخاصمة القوم الى حال نفسه حكمة

اخرى وهي

اخرى وهي انه لو قال ما لكم لا تعبدون الذي فطركم لم يكن في البيان مثل قوله ما لي لانه
لما قال ما لي واحد لا يخفى عليه حال نفسه علم كل احد انه لا يطلب العلة وبيانها من احد
لانه اعلم بحال نفسه فهو يبين عدم المانع واما لو قال ما لكم جاز ان يفهم منه انه يطلب بيان
العلة لكون غيره اعلم بحال نفسه وقوله الذي فطرني اشارة الى وجود المقتضي فان قوله
ما لي اشارة الى عدم المانع وعند عدم المانع لا يوجد الفعل ما لم يوجد المقتضي فقوله
الذي فطرني دليل المقتضي فان الخالق ابتدا مالك والمالك يجب على المملوك اكرامه وتعظيمه
ومنعم بالايجاد والمنعم يجب على المنعم عليه شكر نعمته وقدم بيان عدم المانع على بيان وجود
المقتضي مع ان المستحسن تقديم المقتضي لان المقتضي لظهوره كان مستغنيا عن البيان فلا
اقل من تقديم ما هو اولى بالبيان للحاجة اليه واختار من الآيات فطرة نفسه لان خالق
عمرو يجب على زيد عبادته لان من خلق عمرا لا يكون الا كامل القدرة واجب الوجود فهو مستحق
العبادة بالنسبة الى كل مكلف لكن العبادة على زيد بخلق زيد اظهر ايجابا **فصل**
اضاف الفطرة الى نفسه والرجوع اليهم لان الفطرة اثر النعمة وكان عليه اظهر وفي الرجوع
معنى الزجر وكان بهم اليق روي انه لما قال اتبعوا المرسلين اخذوه ورفعوه الى الملك
فقال له انا انت تتبعهم فقال وما لي لا اعبد الذي فطرني اي اي شي يمنعني ان اعبد
خالقي واليه ترجعون تردون عند البعث فيجزيكم باعمالكم ومعنى فطرني خلقني اختراعا
ابتدا وقيل جعلني على الفطرة كما قال تعالى فطرة الله التي فطر الناس عليها **قوله** أأتخذ
استفهام بمعنى الانكار اي لا اتخذ من دونه آلهة ومن دونه يجوز ان يتعلق باتخذ على انها
متعدية لواحد وهو آلهة ويجوز ان يتعلق بمحذوف على انه حال من آلهة وان يكون مفعولا ثانيا
قدم على انها المتعدية لاثنين **فصل** في قوله من دونه آلهة لطيفة وهي انه لما
بين انه يعبد الذي فطره بين ان من دونه لا يجوز عبادته لان الكل محتاج مفتقر حادث
وقوله أأتخذ اشارة الى ان غيره ليس باله لان المتخذ لا يكون الها **قوله** ان يردن شرط
جوابه لا تغن عني والجملة الشرطية في محل نصب صفة لآلهة وفتح طلحة السماني وقبل طلحة
ابن مصرف يا المتكلم وقال الزمخشري وقري ان يردني الرحمن بضر بمعنى ان يوردني ضرا
اي يجعلني موردا للضر قال ابو حيان وهذا والله اعلم راي في كتب القراات بفتح اليا
فتوهم انها يا المضارعة فجعل الفعل متعديا باليا المعدية كالهمزة فلذلك ادخل همزة
التعدية فنصب به اثنين والذي في كتب القراات الشواذ انها بالاضافة المحذوفة خطا
ونطقا لالتقا الساكنين قال شهاب الدين وهذا رجل ثقة قد نقل هذه القراة فيقبل
منه **فان قيل** ما الحكمة في قوله ان يردني الرحمن بضر ولم يقل ان يرد الرحمن
بي ضرا وكذلك قوله تعالى ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره ولم يقل ان اراد
الله بي ضرا **فالجواب** ان الفعل اذا كان متعديا الى مفعول واحد تعدى الى المفعولين
بالحرف كالامر يتعدى بحرف في قولهم ذهب به وخرج به ثم ان المتكلم البليغ يجعل المفعول
بغير حرف اولى بوقوع الفعل عليه ويجعل الآخر مفعولا بحرف فاذا قال القائل مثلا كيف حال
فلان يقول اختصه الملك بالكرامة والنعمة فاذا قال الملك تقول اختصها بزيد فيكون
المسول مفعولا بغير حرف لانه هو المقصود واذا تقرر هذا فالمقصود فيما نحن فيه بيان كون
العبد تحت تصرف الله يقلبه كيف يشا في البوس والرجا وليس الضر مقصودا بيانه كيف
والقايل مومن يرجو الرحمة والنعمة بنا على ايمانه بحكم وعد الله ويؤيد هذا قوله من قبل
الذي فطرني حيث جعل نفسه مفعول الفطرة فكذلك جعلها مفعول الارادة ووقع الضر

كيف كرامة الملك

تبعا وكذا القول في قوله ان اردني الله بضر المقصود بيان انه يكون كما يريد الله وليس الضر لخصوصيته
مقصودا بالذكر ويؤيده ما تقدم حيث قال الله تعالى اليس الله بكاف عبده يعني محمدا بل هو تحت
ارادته **فان قيل** ما الحكمة في قوله ههنا ان يردني الرحمن بصيغة المضارع
وقال في الزمر ان ارادني الله بصيغة الماضي وذكر المريد هنا باسم الرحمن وذكر المريد
هناك باسم الله **فالجواب** ان الماضي والمستقبل مع الشرط يصير الماضي مستقبلا لان المذكور
ههنا من قبل بصيغة الاستقبال في قوله اتخذ وقوله ومالي لا اعبد والمذكور هناك من
قبل بصيغة الماضي في قوله افرايتم **قوله** لا تغن عني شفاعتهم شيئا اي ان يمسني الله
بضر اي بسوء ومكروه لا تغن عني شفاعتهم شيئا اي لا شفاعة لها فتغني ولا ينقذون من
ذلك المكروه او لا ينقذون من العذاب لو عذبني الله ان فعلت ذلك **قوله** اني اذا لفي
ضلال مبين اي خطا ظاهر ان فعلت ذلك فانا في ضلال بينا والمبين مفعل بمعنى فعيل
وعكسه فعيل بمعنى مفعول في قوله اليم بمعنى مولم **قوله** اني امنت بربكم فيه وجوه احدها
انه خاطب المرسلين قال المفسرون اقبل القوم عليه يريدون قتله فاقبل هو على المرسلين
وقال اني امنت بربكم فاسمعوا قولي واشهدوا لي الثاني هم الكفار لما نصحهم وما نفعهم
قال امنت فاسمعون الثالث بربكم ايها السامعون فاسمعون على العموم كقول الواعظ يا مسكين
ما اكثر املك يريد كل سامع يسمعه وفي قوله فاسمعون فوايد منها انه كلام متفكر حيث قال
اسمعوا فان المتكلم اذا كان يعلم ان لكلامه جماعة سامعين يتفكر ومنها ان ينبه القوم
ويقولوا في اخر نكم بما فعلت حتى لا يقولوا لم اخفيت عنا امرك ولو اظهرته لامنا معك **فان
قيل** قال من قبل مالي لا اعبد الذي فطرني وقال ههنا امنت بربكم ولم يقل
امنت بربي **فالجواب** ان قلنا الخطاب مع الرسل فالامر ظاهر لانه لما قال امنت بربكم ظهر
عند الرسل انه قبل قولهم وامن بالرب الذي دعوه اليه وقال بربكم وان قلنا الخطاب مع
الكفار ففيه بيان للتوحيد لانه لما قال اعبد الذي فطرني ثم قال امنت بربكم فهم انه يقول
ربي وربكم واحد وهو الذي فطرني وهو بعينه ربكم بخلاف ما لو قال امنت بربي فيقول
الكافر وانا ايضا امنت بربي **قوله** فاسمعون العامة على كسر النون وهي نون الوقاية
حذفت بعدها يا الاضافة تجتزا عنها بكسرة النون وهي اللغة الغالبة وقرا عصمة عن
عاصم بفتحها وليست هذه الا غلطا على عاصم اذ لا وجه له وقد وقع لابن عطية وهم فاحش
في ذلك فقال وقرا الجمهور فاسمعون بفتح النون قال ابو حاتم هذا خطا فلا يجوز لانه امر
فاما حذف النون واما كسرها على جهة الياء يعني يا المتكلم وقد يكون قوله الجمهور سبق قلم
منه او من النساخ وكان الاصل وقرا غير الجمهور فسقط لفظة غير وقال ابن عطية حذف
من الكلام ما تواترت الاخبار والروايات به وهو انهم قتلوه فقيل له عند موته ادخل الجنة
بعد القتل وقيل قوله قيل ادخل الجنة عطف على قوله امنت بربكم فعلى الاول يكون قوله
يا ليت قومي يعلمون بعد موته والله اخبر بقوله وعلى الثاني قال ذلك في حيوته وكانه سمع
الرسل يقولون انه من الداخلين الجنة وصدقهم وقطع به **قوله** قال يا ليت قومي يعلمون
كما علمت فيؤمنون كما امنت وقال الحسن حرقوا حرقا في حلقه وعلقوه في سور المدينة وقبره
بانطاكية فادخله الله الجنة وهو حي فيها يرزق فذلك قوله عز وجل قيل ادخل الجنة فلما افضى
الى الجنة قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي اي بغفران ربي لي وجعلني من المكرمين ٥
قوله بما غفر لي يجوز في ما هذه ثلاثة اوجه احدها المصدرية كما تقدم والثاني انها
بمعنى الذي والعايد محذوف اي بالذي غفره لي ربي واستضعف هذا من حيث انه يبقى

معناه انه تمنى ان يعلم قومه بذنوبه المغفورة وليس المعنى على ذلك انما المعنى على تمني علمهم بغفران
ربه ذنوبه والثالث انها استفهامية واليه ذهب الفرا وهو والكساي بانه كان ينبغي حذف
الفها لكونها مجرورة وهو رد صحيح وقال الزمخشري الاجود طرح الالف والمشهور من مذهب
البصريين وجوب حذف الفها كقوله ٭ علام تقول الرمح يثقل عاتقي ٭ اذا انا لم اطعن اذا الخيل كرت ٭
الا في ضرورة كقوله ٭ على ما قام يشتمني لئيم ٭ كخنزير تمرغ في رماد ٭ وقرئ من المكرمين
بتشديد الرا **قوله** وما انزلنا على قومه من بعده من جند من السما لما تمنى ان يعلم
قومه ان الله غفر له واكرمه ليرغبوا في دين الرسل فلما قتل حبيب غضب الله له وعجل
لهم النقمة وامر جبريل عليه السلام فصاح بهم صيحة واحدة فماتوا عن اخرهم فذلك قوله
وما انزلنا على قومه من بعده من جند من السماء يعني الملايكة **قوله** وما كنا منزلين
في ما هذه ثلاثة اوجه احدها انها نافية كالتي قبلها فتكون الجملة الثانية جارية
مجرى التاكيد للاولى والثاني انها مزيدة قال ابو البقا اي وقد كنا منزلين وهذا لا يجوز
البتة لفساده لفظا ومعنى الثالث انها اسم معطوف على جند قال ابن عطية اي من جند
من الذي كنا منزلين ورده ابو حيان بان من مزيدة وهذا التقدير يودي الى زيادتها
في الموجب جارة لمعرفة ومذهب البصريين غير الاخفش ان يكون الكلام غير موجب وان
يكون المجرور نكرة قال شهاب الدين فالذي ينبغي عند من يقول بذلك ان يقدرها بنكرة
اي ومن عذاب كنا منزليه والجملة بعدها صفة لها واما قوله ان هذا التقدير يودي
الى زيادتها في الموجب فليس بصحيح البتة وتعجبت كيف يلزم ذلك **فصل** قال
ههنا وما انزلنا باسناد الفعل الى النفس وقال في بيان حال المومن وقيل ادخل الجنة
باسناد القول الى غير مذكور لان العذاب من باب الهيبة فقال بلفظ التعظيم واما الدخال
الجنة فقال قيل ليكون كالمهنا بقول الملايكة ويقول كل صالح يراه ادخل الجنة خالدا فيها كالتهنية
له وكثيرا ما ورد في القران قوله تعالى وقيل ادخلوا اشارة الى ان الدخول يكون دخولا
باكرام **فان قيل** لم اضاف القوم اليه مع ان الرسل اولى بكون الجميع قوما لهم
لان الرسول لكونه مرسلا يكون جميع الخلق او جميع من ارسل اليهم قوما لهم **فالجواب** ليتبين
الفرق بينه وبينهم لانهما من قبيلة واحدة اكرم احدهما غاية الاكرام بسبب الايمان واهين
الاخر غاية الاهانة بسبب الكفر ونسبهما من قبيلة واحدة وايضا فالعذاب كان مختصا
بهم وهم اقاربه لان غيرهم من قوم الرسل امنوا بهم فلم يصبهم العذاب **فان قيل**
لم خص عدم الانزال بما بعده والله تعالى لم ينزل عليهم جندا قبله ايضا فما فايدة
التخصيص **فالجواب** ان استحقاقهم العذاب كان بعده حيث اصروا واستكبروا فبين
حال الاهلاك **فان قيل** قال من السما وهو تعالى لم ينزل عليهم ولا ارسل اليهم
جندا من الارض فما فايدة التقييد **فالجواب** من وجهين احدهما ان يكون المراد ما
انزلنا عليهم جندا بامر من السما فيكون للعموم الثاني ان العذاب نزل عليهم من السما فبين
ان النازل لم يكن جندا وانما كان بصيحة اخمدتهم وخربت ديارهم **فان قيل**
اي فايدة في قوله وما كنا منزلين مع قوله وما انزلنا وهو يستلزم ان لا يكون من المنزلين
فالجواب ان قوله وما كنا اي ما كان ينبغي ان ننزل لان الامر كان يتم بدون ذلك والمعنى
وما انزلنا وما كنا محتاجين الى الانزال او وما انزلنا وما كنا منزلين في مثل تلك
الواقعة جندا في غير تلك الواقعة اي وما انزلنا على قومه من بعده اي على قوم حبيب
من بعد قتله من جند وما كنا منزلين ما نزله على الامم اذا اهلكناهم كالطوفان والصاعقة

والزجر **فإن قيل** فكيف أنزل الله جنوداً في يوم بدر وفي غير ذلك حيث قال
تعالى فأنزل الله ريحا وجنودا لم تروها فالجواب أن ذلك تعظيما لمحمد عليه السلام وإلا كان
تحريك ريشة من جناح ملك كافيا في استيصالهم ولم تكن رسل عيسى عليه السلام في درجة
محمد عليه السلام ثم بين الله تعالى عقوبتهم فقال إن كانت إلا صيحة واحدة **قوله**
إن كانت إلا صيحة العامة على النصب على أن كان ناقصة واسمها ضمير الأخذة لدلالة
السياق عليها وصيحة خبرها وقرأ أبو جعفر وشيبة ومعاذ القاري برفعها على أنها التامة
أي إن وقع وحدث وكان ينبغي أن لا يلحق تاء التأنيث للفصل بإلا بل الواجب في غير
ندور واضطرار حذف التاء نحو ما قام إلا هند وتقدم الحسن وجماعة فترى إلا مساكنهم
كما سيأتي إن شاء الله تعالى وقوله ٥ وما بقيت إلا الضلوع الجراشع ٥ وقوله ٥
٥ ما برئت من ريبة وذم ٥ في حربنا إلا بنات العم ٥ قال الزمخشري أصله إن كان شيء إلا
صيحة فكان الأصل أن يذكر لكنه تعالى أنث لما بعده من المفسر وهو الصيحة وقوله
واحدة تأكيد لكون الأمر هينا عنده وقوله فإذا هم خامدون إشارة إلى سرعة الهلاك
فإن خمودهم كان مع الصيحة في وقتها لم يتأخر ووصفهم بالخمود في غاية الحسن لأن الحي فيه
الحرارة الغريزية وكلما كانت الحرارة أوفر كانت القوة الغضبية والشهوانية أتم وهم كانوا
كذلك أما الغضب فلأنهم قتلوا مؤمنا كان ينصحهم وأما الشهوة فلأنهم احتملوا العذاب
الدائم بسبب استيفاء اللذات الحالية فإذن كانوا كالنار الموقدة لأنهم كانوا جبارين
ومستكبرين كالنار ومن خلق منها فقال فإذا هم خامدون قال المفسرون أخذ جبريل
بعضادتي باب المدينة ثم صاح بهم صيحة واحدة فإذا هم خامدون ميتون **قوله**
يا حسرة العامة على نصبها وفيه وجهان أحدهما أنها منصوبة على المصدر والمنادى
محذوف تقديره يا هؤلاء تحسروا حسرة والثاني أنها منونة لأنها منادى منكر فنصبت
على أصلها كقوله ٥ فيا راكبا إما عرضت فبلغن ٥ نداماي من نجران أن لا تلاقيا ٥ ومعنى
النداء هنا على المجاز كأنه قيل هذا أوانك فاحضري وقرأ قتادة وأبي في أحد وجهيه
يا حسرة بالضم جعلها مقبلا عليها وأبي أيضا وابن عباس وعلي بن الحسين يا حسرة العباد
بالإضافة فيجوز أن يكون الحسرة مصدرا مضافا للفاعل أي يتحسرون على غيرهم لما يرون
من عذابهم وأن يكون مضافا للمفعول أي يتحسر عليهم غيرهم وقرأ أبو الزناد وابن هرمز
وابن جندب يا حسره بالهاء المبدلة من تاء التأنيث وصلا وكأنهم أجروا الوصل مجرى
الوقف وله نظائر مرت وقال صاحب اللوامح وقفوا بالهاء مبالغة في التحسر لما في الهاء
من التأهه بمعنى التأوه ثم وصلوا على تلك الحال وقرأ ابن عباس أيضا يا حسرة بفتح التاء
من غير تنوين ووجهها أن الأصل يا حسرتا فاجتزي بالفتحة عن الألف كما اجتزي بالكسرة
عن الياء ومنه ٥ ولست براجع ما فات مني بلهف ولا بليت ولا لو أني ٥ أي بلهفا بمعنى
لهفي وقرئ يا حسرتا بالألف كالتي في الزمر وهي شاهدة لقراءة ابن عباس وكون التأسف لله تعالى
وذلك على سبيل المجاز دلالة على فرط هذه الحسرة وإلا فالله تعالى لا يوصف بذلك **قوله**
ما يأتيهم هذه الجملة لا محل لها لأنها مفسرة لسبب الحسرة عليهم وقيل المراد بالعباد الرسل
الثلاثة كان الكافرين يقولون عند ظهور البأس يا حسرة عليهم يا ليتهم كانوا حاضرين لنؤمن بهم
ثانيا وهم قوم حبيب وهذا الضمير يجوز أن يكون ما بدا إلى قوم حبيب أي ما يأتيهم من رسول
من الرسل الثلاثة ويجوز أن يعود إلى الكفار المصرين وقوله إلا كانوا جملة حالية من مفعول يأتيهم
فصل الألف واللام في العباد قيل للعهد وهم الذين أخذتهم الصيحة فيا حسرة

علي

على أولئك وقيل للتعريف الجنسي أي جنس الكفار المكذبين وقيل المراد بالعباد الرسل الثلاثة
كان الكافرين يقولون عند ظهور البأس يا حسرة عليهم يا ليتهم كانوا حاضرين لنؤمن بهم ثانيا
وهم قوم حبيب وفي المتحسر وجوه الأول لا متحسر أصلا في الحقيقة إذ المقصود بيان أن ذلك
وقت طلب الحسرة حيث تحققت الندامة عند تحقق العذاب وهاهنا بحث لغوي وهو أن
المفعول قد يرفض كثيرا إذا كان الغرض غير متعلق به يقال فلان يعطي ويمنع ولا يكون
هناك شيء معطى ولا شخص معطى إذ المقصود أن له المنع والإعطاء ورفض المفعول كثير وما
نحن فيه رفض الفاعل وهو قليل والوجه فيه أن ذكر المتحسر غير مقصود وإنما المقصود أن الحسرة
متحققة في ذلك الوقت الثاني أن القائل يا حسرة هو الله على الاستعارة تعظيما للأمر وتهويلا
له وحينئذ يكون كالألفاظ التي وردت في حق الله كالضحك والنسيان والسخرية والتعجب
والتمني ويقال ليس معنى قوله يا حسرة أو يا ندامة أن القائل متحسر أو نادم بل المعنى أنه
مخبر عن وقوع الندامة ولا يحتاج إلى التجوز في كونه تعالى قال يا حسرة بل يخرجه على حقيقته
إلا في النداء فإن النداء مجاز والمراد الإخبار الثالث أن المتلهفين من المسلمين والملائكة لما
حكي عن حبيب أنه حين القتل كان يقول اللهم اهد قومي وبعد ما قتلوه وأدخل الجنة قال
يا ليت قومي يعلمون فيجوز أن يتحسر المسلم للكافر ويتندم له وعليه وقوله ما يأتيهم من رسول
إلا كانوا به يستهزئون هذا سبب الندامة **فصل** قال الزهري الحسرة لا تدعا
ودعاؤها تنبيه للمخاطبين وقيل العرب تقول يا حسرتا ويا عجبا على طريق المبالغة والنداء عندهم
بمعنى التنبيه فكأنه يقول أيها العجب هذا وقتك وأيتها الحسرة هذا أوانك وحقيقة المعنى
أن هذا زمان الحسرة والتعجب **قوله** ألم يروا كم أهلكنا لما بين حال الأولين قال
للحاضرين ألم يروا الباقون ما جرى على من تقدم بهم **قوله** كم أهلكنا كم هنا خبرية
فهي معمول بأهلكنا تقديره كثيرا من القرون أهلكنا وهي معلقة ليروا ذهابا بالخبرية
مذهب الاستفهامية وقيل بل يروا عليه وكم استفهامية كما سيأتي بيانه **وأنهم إليهم**
لا يرجعون فيه أوجه أحدها أنه بدل من كم قال ابن عطية وكم هنا خبرية وأنهم بدل
منها والرؤية بصرية قال أبو حيان وهذا لا يصح لأنها إذا كانت خبرية كانت في موضع
نصب بأهلكنا ولا يسوغ فيها إلا ذلك وإذا كانت كذلك امتنع أن يكون أنهم بدل منها
لأن البدل على نية تكرار العامل ولو سلطت أهلكنا على أنهم لم يصح ألا ترى أنك لو قلت أهلكنا
انتفاء رجوعهم أو أهلكنا كونهم لا يرجعون لم يكن كلاما لكن ابن عطية توهم أن يروا مفعوله
كم فتوهم أن قوله أنهم إليهم لا يرجعون بدل منه لأنه يسوغ أن يسلط عليه فيقول ألم يروا أنهم
إليهم لا يرجعون وهذا وأمثاله دليل على ضعفه في علم العربية قال شهاب الدين وهذا
لا تحامل عليه لأنه لقائل أن يقول كم قد جعلها خبرية والخبرية يجوز أن يكون معمولة
لما قبلها عند قوم فيقولون ملكت كم عبد فلم يلزم الصدر فيجوز أن يكون بنى هذا التوجيه
على هذه اللغة وجعل كم منصوبة بيروا وأنهم بدل منها وليس هو ضعيفا في العربية حينئذ
الثاني أن أنهم بدل من الجملة قبله قال الزجاج هو بدل من الجملة والمعنى ألم يروا أن
القرون التي أهلكناها إليهم لا يرجعون لأن عدم الرجوع والهلاك بمعنى قال أبو حيان وليس
بشيء لأنه ليس بدلا صناعيا وإنما فسر المعنى ولم يلحظ صناعة النحو قال شهاب الدين بل هو بدل
صناعي لأن الجملة في قوة المفرد إذ هي سادة مسد مفعولي يروا فإنها معلقة لها كما تقدم الثالث
قال الزمخشري ألم يروا ألم يعلموا وهو معلق عن العمل في كم لأن كم لا يعمل فيها عامل قبلها توقا

كانت للاستفهام او للخبر لان اصلها الاستفهام الا ان معناها نافذ في الجملة كما نفذ في قولك
الم يروا ان زيدا لمنطلق وان لم يعمل في لفظه وانهم اليهم لا يرجعون بدل من كم اهلكنا على المعنى لا على
اللفظ تقديره الم يروا كثرة اهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم قال ابو حيان
قوله لان كم لا يعمل فيها ما قبلها كانت للاستفهام او للخبر ليس على اطلاقه لان العامل اذا كان حرف
جر او اسما مضافا جاز ان يعمل فيها نحو على كم جذع بيتك وابن كم رجل صحبت وعلى كم فقير تصدقت
ارجو الثواب وابن كم شهيد في سبيل الله احسنت اليه وقوله والخبرية فيها لغتان الفصيحة
كما ذكر لا يتقدمها عامل الا ما ذكرنا من الجار واللغة الاخرى حكاها الاخفش يقولون ملكت كم
غلام اي ملكت كثيرا من الغلمان فكما يجوز ان يتقدم العامل على كثير كذلك تجوز على كم لانها بمعناها
وقوله لانها اصلها الاستفهام والخبرية ليس اصلها الاستفهام بل كل واحدة اصل بنفسها ولكنهما
لفظان مشتركان بين الاستفهام والخبر وقوله لان معناها نافذ في الجملة يعني معنى يروا نافذ
في الجملة لانه جعلها معلقة وشرح يروا بيعلموا وقوله كما نفذ في قولك الم يروا ان زيدا
لمنطلق يعني انه لو كان معمولا من حيث اللفظ لامتنع دخول اللام وصحت ان فان ان
التي في خبرها اللام من الادوات المعلقة لافعال القلوب وقوله انهم اليهم الى اخر كلامه
لا يصح ان يكون بدلا لا على اللفظ ولا على المعنى اما على اللفظ فانه زعم ان يروا معلقة فتكون
كم استفهامية فهي معمولة لاهلكنا واهلكنا لا يتسلط على انهم اليهم لا يرجعون كما تقدم واما
على المعنى فلا يصح ايضا لانه قال تقديره اي على المعنى الم يروا كثرة اهلاكنا القرون من
قبلهم كونهم غير راجعين اليهم فكونهم غير كذا ليس كثرة الاهلاك فلا يكون بدل كل من كل
وليس بعض الاهلاك فلا يكون بدل بعض من كل ولا يكون بدل اشتمال لان بدل الاشتمال
يصح ان يضاف الى ما ابدل منه وكذلك بدل بعض من كل وهذا لا يصح هنا لا تقول الم
يروا انتفا رجوع كثرة اهلاكنا القرون من قبلهم وفي بدل الاشتمال نحو اعجبتني الجارية
ملاحتها وسرق زيد ثوبه يصح اعجبتني ملاحة الجارية وسرق ثوب زيد الرابع ان يكون
انهم بدلا من موضع كم اهلكنا والتقدير الم يروا انهم اليهم قاله ابو البقا ورده ابو حيان
بان كم اهلكنا ليس بمعمول ليروا قال شهاب الدين وقد تقدم انها معمولة لها على معنى
انها معلقة لها الخامس وهو قول الفرا ان يكون يروا عاملا في الجملتين من غير ابدال ولكنه
يبين كيفية العمل وقوله الجملتين تجوز لان انهم ليس بجملة لتاويله بالمفرد الا انه مشتمل على مسند
ومسند اليه السادس ان انهم معمول لفعل محذوف دل عليه السياق والمعنى تقديره قضينا
وحكمنا انهم اليهم لا يرجعون ويدل على صحة هذا قراة ابن عباس والحسن انهم بكسر الهمزة على
الاستيناف والاستيناف قطع لهذه الجملة عما قبلها فهو مقو لان يكون معمولة لفعل محذوف يقتضي
انقطاعها عما قبلها والضمير في انهم عايد على معنى كم وفي اليهم عايد على ما عاد عليه واو يروا وقيل
بل الاول عايد على ما عاد عليه واو يروا والثاني عايد على المهلكين فصل المعنى الم
تخبروا اهل مكة كم اهلكنا قبلهم من القرون والقرن اهل كل عصر سموا بذلك لاقترانهم في الوجود
انهم اليهم لا يرجعون اي لا يعودون الى الدنيا افلا يعتبرون وقيل لا يرجعون اي الباقون لا يرجعون
الى المهلكين بسبب ولا ولادة اي اهلكناهم وقطعنا نسلهم ولا شك ان الاهلاك الذي يكون
مع قطع النسل اتم واعم والاول اشهر نقلا والثاني اظهر عقلا قوله وان كل لما جميع تقدم
في هود تشديد لما وتخفيفها والكلام في ذلك وقال ابن الخطيب في مناسبة وقوع لما المشددة
موقع الا ان لما كانها حرفا نفي جمعا وهما لم وما لتاكيد النفي والا كانها حرفا نفي ان ولا فاستعمل

احدهما

احدهما مكان الاخر انتهى وهذا يجوز ان يكون اخذ من قول الفرا في الا في الاستثناء انها مركبة
من ان ولا الا ان الفرا جعل ان مخففة من الثقيلة وجعلها نافية وهو قول ركيك رده عليه
النحويون وقال الفرا ايضا ان لما هذه اصلها لمما فخفف بالحذف وتقدم هذا كله موضحا وكل
مبتدا وجميع خبره ومحضرون خبر ثان لا يختلف ذلك بقراءة من شدد لما او خففها لا يقال ان جميعا
تاكيد لاجل لان جميعا هنا فعيل بمعنى مفعول اي مجموعون فكل يدل على الاحاطة والشمول وجميع يدل
على الاجتماع فمعناها مختلف على لفظها كما في قوله جميع منتصر وتقدم جميع في الموضعين لاجل الفواصل
ولدينا متعلق بمحضرون فمن شدد فلما بمعنى الا وان نافية كما تقدم والتقدير وما كل الا جميع
ومن خفف فان مخففة واللام فارقة وما مزيدة هذا قول البصريين والكوفيون يقولون ان
نافية واللام بمعنى الا كما تقدم مرارا فصل لما بين الاهلاك بين ان من اهلكه ليس
بتاركه بل بعده جمع وحساب وحبس وعقاب ولو ان من اهلك ترك لكان الموت راحة
ونعم ما قال القايل . ولو انا اذا متنا تركنا . لكان الموت راحة كل حي .
ولكنا اذا متنا بعثنا . ونسال بعدها عن كل شي . قال الزمخشري ان قلت قايل كل
وجميع بمعنى واحد فكيف جعل جميعا خبرا لكل حيث ادخل اللام عليه اذ التقدير وان كل لجميع
قلت معنى جميع مجموع ومعنى كل اي كل فرد مجموع مع الاخر مضموم اليه ويمكن ان يقال محضرون
يعني عما ذكره وذلك لانه لو قال وان جميع لجميع محضرون لكان كلاما صحيحا قال ابن الخطيب
ولم توجد ما ذكره من الجواب بل الصحيح ان محضرون كالصفة لجميع فكانه قال جميع جميع
محضرون كما يقول الرجل رجل عالم والنبي نبي مرسل والواو في وان كل لعطف على الحكاية كانه
يقول بينت لك ما ذكرت وابين ان كلا لدينا محضرون قوله واية خبر مقدم ولهم
صفتها او متعلقة باية لانها بمعنى علامة والارض مبتدا وتقدم تخفيف الميتة وتشديدها
في ال عمران ومنع ابو حيان ان يكون لهم صفة لاية ولم يبين وجهه ولا وجه له واعرب
ابو البقا اية مبتدا ولهم الخبر والارض الميتة مبتدا وصفته واحييناها خبره والجملة مفسرة
لاية وبهذا بدا ثم قال وقيل فذكر الوجه الاول وكذلك حكي مكي اعني ان يكون اية ابتدا
ولهم الخبر وجوز مكي ايضا ان يكون اية مبتدا والارض خبره وهذا ينبغي ان لا يجوز لانه لا يترك
المعرفة من الابتدا بها ويبتدا بالنكرة الا في مواضع للضرورة قوله احييناها
تقدم انه يجوز ان يكون خبر الارض ويجوز ايضا ان يكون حالا من الارض اذا جعلنا اية
مبتدا واية خبر مقدم وجوز الزمخشري في احييناها وفي نسلخ ان يكون صفتين للارض والليل
وان كانا معرفين بال لانه تعريف بال الجنسية فهما في قوة النكرة قال كقوله
. ولقد امر على اللئيم يسبني . لانه لم يقصد لئيما بعينه ورده ابو حيان بان فيه هدما
للقواعد من انه لا تنعت المعرفة بالنكرة قال وقد تبعه ابن مالك ثم خرج ابو حيان الجمل
على الحال اي الارض محياة والليل منسلخا منه النهار واللئيم شاتما لي قال شهاب الدين وقد
اعتبر النحاة ذلك في مواضع فاعتبروا معنى المعرف بال الجنسية دون لفظه فوصفوه بالنكرة
الصريحة نحو ما الرجل خير منك على احد الاوجه وقوله الا الذين بعد ان الانسان وقوله او الطفل
الذين لم يظهروا واهلك الناس الدينار الحمر والدرهم البيض كل هذا ما روعي فيه المعنى دون
اللفظ وان اختلف نوع المراعاة ويجوز ان يكون احييناها استينافا بين به كونها اية
فصل وجه التعلق بما قبله من وجهين احدهما انه لما قال وان كل لما جميع كان
ذلك اشارة الى الحشر فذكر ما يدل على امكانه قطعا لانكارهم واستبعادهم واصرارهم وعنادهم
فقال واية لهم الارض الميتة احييناها كذلك نحيي الموتى وثانيهما انه لما ذكر حال المرسلين

واهلاك المكذبين وكان تنفعهم التوحيد ذكر ما يدل عليه وبدا بالارض لكونها مكانهم لا انفكاك
لهم منها عند الحركة والسكون **فان قيل** الارض اية مطلقا فلم خصها بهم حيث
قال واية لهم فالجواب الاية تتعدد وتتجدد لمن لم يعرف الشي بابلغ الوجوه اما من عرف
الشي بطريق الرؤية لا يذكر له دليل فالنبي عليه السلام وعباد الله المخلصين عرفوا الله قبل
الارض والسما فليست الارض معرفة لهم وهذا كما قال الله تعالى سنريهم اياتنا في الافاق
وفي انفسهم حتى يتبين لهم وقال اولم يكف بربك انه على كل شي شهيد يعني انت كفاك الله مرشدا
به عرفت كل شي فهو شهيد لك على كل شي واما هولا فتبين لهم الحق بالافاق والنفس وكذلك
ههنا الارض الميتة اية لهم **فان قيل** اذا قلنا ان الاية مذكورة للاستدلال
على جواز احيا الموتى فيكفي قوله احييناها ولا حاجة الى قوله واخرجنا منها حبا وغير ذلك
وان قلنا انه للاستدلال على وجود الاله ووحدانيته فلا فايدة في قوله الارض الميتة
فقوله الميتة احييناها كاف في التوحيد فما فايدة قوله واخرجنا منها حبا فالجواب هي
مذكورة للاستدلال عليهما ولكل ما ذكره الله تعالى فايدة اما فايدة قوله واخرجنا منها
حبا فهو بالنسبة الى بيان احيا الموتى لانه لما احيا الارض واخرج منها حبا كان ذلك احيا
تاما لان الارض المخضرة التي لا تنبت الزرع ولا تخرج الحب دون ما تنبته في الحياة فكانه
تعالى قال الذي احيا الارض احيا كاملا منبتا للزرع يحيي الموتى احيا كاملا بحيث يدرك
الامور واما بالنسبة الى التوحيد فلان فيه تعديد النعم كانه يقول اية لهم الارض فانها
مكانهم ومهدهم الذي فيه تحريكهم واسكانهم والامر الضروري الذي عنده وجودهم وامكانهم
وسوا كانت ميتة او لم تكن فهي مكان لهم لا بد لهم منها فهي نعمة ثم احياوها نعمة ثانية فانها
تصير احسن وانزه ثم اخراج الحب منها نعمة ثالثة فان قوتهم يصير في مكانهم وكان يمكن ان
يجعل رزقهم في السما او في الهوا فلا يحصل لهم الوثوق ثم جعل الحياة منها نعمة رابعة لان
الارض تنبت الحب في كل سنة والاشجار بحيث يوجد منها الثمار فيكون بعد الحب وجودا
ثم فجرنا فيها العيون ليحصل لهم الاعتماد بالحصول ولو كان ماوها من السما لحصل ولكن لم يعلم
انها اين تغرس واين يقع المطر **فصل** المعنى احييناها بالمطر واخرجنا منها حبا
يعني الحنطة والشعير وما اشبههما فمنه ياكلون اي من الحب وجعلنا فيها جنات بساتين
من نخيل واعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره الحاصل بالما **قوله** وفجرنا
العامة على التشديد تكثيرا لانها مخففة متعد وقرا جناح بن حبيش بالتخفيف والمفعول
محذوف على كلتي القراتين اي ينبوعا كما في اية سبحان **قوله** من ثمره قيل الضمير عايد
على النخيل لانه اقرب مذكور وكان من حق الضمير ان يثنى على هذا لتقدم شيين وهما الاعناب
والنخيل الا انه اكتفى بذكر احدهما وقيل يعود على جنات وعاد بلفظ المفرد ذهابا بالضمير
مذهب اسم الاشارة كقول رؤبة فيها خطوط من سواد وبلق كانه في الجلد توليع البهق
فقيل له فقال اردت كان ذاك وذلك وقيل عايد على الما المدلول عليه بعيون وقيل عايد
عليه لانه متقدم اي من العيون وتجوزان يعود على العيون ويعتذر عن افراده بما تقدم
في عوده على جنات وتجوز ان يعود على الاعناب والنخيل معا ويعتذر عنه بما تقدم ايضا
وقال الزمخشري واصله من ثمرنا لقوله وفجرنا وايدينا فنقل الكلام من التكلم الى الغيبة
على طريق الالتفات والمعنى ليأكلوا مما خلقه الله من الثمر فعلى هذا يكون الضمير عايدا على الله
تعالى ولذلك فسر معناه بما ذكر وتقدمت القراات في هذه اللفظة في سورة الانعام **قوله**
وما عملته ايديهم في ما هذه اربعة اوجه احدها انها موصولة اي ومن الذي عملته ايديهم

من

من الغرس والمعالجة وفيه تجوز على هذا والثاني انها نافية اي لم يعملوه هم بل الفاعل له
هو الله تعالى اي وجدوها معمولة ولا صنع لهم فيها وهو قول الضحاك ومقاتل وقيل اراد
العيون والانهار التي لم تعملها يد خلق مثل الدجلة والفرات والنيل ونحوها وقرا الاخوان
وابو بكر بحذف الها والباقون وما عملته باثباتها فان كانت ما موصولة فعلى قراة الاخوين
وابي بكر حذف العايد كما حذف في قوله اهذا الذي بعث الله رسولا بالاجماع وعلى قراة
غيرهم جي به على الاصل وان كانت نافية فعلى قراة الاخوين وابي بكر لا ضمير ويكون
المفعول محذوفا اي ما عملت ايديهم شيا من ذلك وعلى قراة غيرهم الضمير يعود على ثمره
وهي مرسومة بالهاء في غير مصاحف الكوفة وبحذفها فيها فقد وافق كل مصحفه الاخوان وابو بكر
وافقوا مصاحفهم والباقون غير حفص وافقوها ايضا وحفص خالف مصحفه وهذا يدل
على ان القراة متلقاة من افواه الرجال فيكون عاصم قد اقراها لابي بكر بالها ولحفص بحذفها
الثالث انها نكرة موصوفة والكلام فيها كالكلام في الموصولة والرابع انها مصدرية اي ومن
عمل ايديهم والمصدر واقع موقع المفعول به فيعود المعنى الى معنى الموصولة والموصوفة
فصل اذا قلنا ما موصولة يحتمل ان يكون المعنى وما عملته ايديهم بالتجارة كانه
ذكر نوعي ما ياكل الانسان وهما الزراعة والتجارة او من النبات ما يوكل من غير عمل الايدي
كالعنب والتمر وغيرهما ومنه ما يعمل فيه عمل فيوكل كالاشيا التي لا توكل الا مطبوخة او كالزيت
الذي لا يوكل الا بعد اصلاح ثم لما عدد النعم اشار الى الشكر بقوله افلا يشكرون وذكر
بصيغة الاستفهام لما تقدم في فوايد الاستفهام **قوله** سبحان الذي خلق الازواج
كلها اي الاصناف وسبحان علم دال على التسبيح تقديره سبح تسبيح الذي خلق الازواج
ومعنى سبح نزه ووجه تعلق الاية بما قبلها هو انه تعالى لما قال افلا يشكرون وشكر الله
بالعبادة وهم تركوها وعبدوا غيره واشركوا فقال سبحان الذي خلق الازواج كلها وغيره
لم يخلق شيا او يقال لما بين انهم انكروا الايات ولم يشكروا وبين ما ينبغي ان يكون عليه
العاقل فقال سبحان الذي خلق نزه عن ان يكون له شريك او يكون عاجزا عن احيا الموتى
قوله مما تنبت الارض من الثمار والحبوب والمعادن ونحوها ومن انفسهم يعني الذكور
والاناث والدلايل النفسية ومما لا يعلمون يدخل فيه ما في اقطار السموات وتخوم الارضين
قوله واية لهم الليل كقوله واية لهم الارض ونسلخ استعارة بديعة شبه انكشاف
ظلمة الليل بكشط الجلد عن الشاة لما استدل تعالى باحوال الارض وهو المكان الكلي استدل
بالليل والنهار وهو الزمان الكلي فان دلالة الزمان والمكان متناسبة لان المكان لا يستغني
عنه الجواهر والزمان لا يستغني عنه الاعراض لان كل عرض فهو في زمان **فان قيل**
اذا كان المراد منه الاستدلال بالزمان فلم خص الليل فالجواب انه لما استدل
بالمكان المظلم وهو الارض استدل بالزمان المظلم وهو الليل ووجه اخر وهو ان الليل
فيه سكون الناس وهدو الاصوات وفيه النوم وهو الموت الاصغر فيكون بعده طلوع الفجر
كالنفخ في الصور فيتحرك الناس فذكر الموت كما قال في الارض واية لهم الارض الميتة وذكر
من الزمان اشبههما بالموت كما ذكر من المكان اشبههما بالموت **فان قيل** الليل نفسه
اية فاي حاجة الى قوله نسلخ منه النهار فالجواب ان الشي تتبين بضده منافعه ومحاسنه
ولهذا لم يجعل الله الليل وحده اية في موضع من المواضع الا وذكر اية النهار معها **قوله**
فاذا هم مظلمون اي داخلون في الظلام كقوله مصبحين واذا للمفاجاة اي ليس لهم بعد
ذلك امر ولا بد لهم من الدخول فيه **قوله** والشمس تجري لمستقر لها تحتمل ان يكون الواو

للعطف على الليل تقديره وآية لهم الليل نسلخ والشمس تجري والقمر قدرناه فهي كلها آية
وقوله والشمس تجري اشارة الى سبب سلخ النهار فانها تجري لمستقر لها بامر الله فتغرب الشمس
سالخ النهار فبذكر السبب تبين صحة الدعوى ويحتمل ان يقال بان قوله والشمس تجري لمستقر
لها الى تتمة النهار بعد الليل كانه تعالى لما قال وآية لهم الليل نسلخ منه النهار ذكر ان
الشمس تجري تتطلع عند انقضا الليل فيعود النهار وعنا فيه قال المفسرون ان الاصل
هي الظلمة والنهار داخل عليها فاذا غربت الشمس سلخ النهار من الليل فتظهر الظلمة **قوله**
لمستقر قيل في الكلام حذف مضاف تقديره تجري لجري مستقرها وعلى هذا فاللام للعلة
اي لاجل جري مستقرها والصحيح انه لا حذف وان اللام بمعنى الى ويدل على ذلك قراة بعضهم
الى مستقر وقرا عبد الله وابن عباس وعكرمة وزين العابدين وابنه الباقر والصادق
ابن الباقر لا مستقر بلا النافية للجنس وبنا مستقر على الفتح ولها الخبر وابن ابي عبلة لا مستقر
بلا العاملة عمل ليس فمستقر اسمها ولها في محل نصب خبرها كقوله
تعزّ فلا شيء على الارض باقيا ولا وزر مما قضى الله واقيا والمراد بذلك انها لا تستقر
في الدنيا بل هي دائمة الجريان وذلك اشارة الى جريها المذكور **فصل** قيل المراد
بالمستقر يوم القيامة فعنده تستقر ولا يبقى لها حركة وقيل تسير حتى تنتهي الى ابعد
مغاربها فلا تتجاوزه ثم ترجع وقيل الليل وقيل نهاية ارتفاعها في الصيف ونهاية هبوطها
في الشتاء وروى ابو ذر قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا ذر حين غربت
الشمس تدري اين تذهب قلت الله ورسوله اعلم قال فانها تذهب حتى تسجد تحت العرش
فتستاذن فيؤذن لها ويوشك ان تسجد فلا يقبل منها وتستاذن فلا يؤذن لها يقال
لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قوله والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير
العزيز العليم وروى عمرو بن دينار عن ابن عباس والشمس تجري لا مستقر لها اي لا قرار
لها ولا وقوف وهي جارية ابدا **قوله** ذلك اشارة الى جري الشمس اي ذلك الجري تقدير
الله ويحتمل ان يكون اشارة الى المستقر تقدير الله والعزيز الغالب والعليم الكامل العلم
اي قادر على اجرايها على الوجه الانفع وذلك من وجوه الاول ان الشمس كل يوم تمر على
مسامتة شي لم تمر به تسامتها عليه في ستة اشهر الا مرة فلو قدر الله مرورها كل
يوم على مسامتة واحدة لاحترقت الارض التي تسامتها لمرورها عليها كل يوم وبقي الجمود مستوليا
على الاماكن الاخر فقدر الله لها بعد لتجتمع الرطوبات في باطن الارض والاسحاب في زمن
الشتا ثم قدر لها بتدريج لتخرج النبات والثمار من الارض والشجر وتنضج وتجف
الثاني قدرها في كل يوم طلوعا وفي كل ليلة غروبا لئلا تكل القوى والابصار بالسهر والتعب
ولئلا تخرب العالم بترك العمارة بسبب الظلمة الدايمة الثالث جعل سيرها ابطا من سير
القمر واسرع من سير زحل لانها كاملة النور فلو كانت بطيئة السير لدامت زمانا كثيرا
في مسامتة شي واحد فتحرقه ولو كانت سريعة السير لما حصل لها لبث بقدر ما تنضج
الثمار في بقعة واحدة **قوله** والقمر قدرناه قرا نافع وابن كثير وابو عمرو برفع القمر والباقون
بنصبه فالرفع على الابتدا والنصب باضمار فعل على الاشتغال والوجهان مستويان لتقدم
جملة ذات وجهين وهي قوله والشمس تجري فان راعيت صدرها رفعت لتعطف جملة
اسمية على مثلها وان راعيت عجزها نصبت لتعطف فعلية على مثلها وبهذه الآية يبطل
قول الاخفش انه لا يجوز النصب في الاسم الا اذا كان في جملة الاشتغال ضمير يعود على الاسم
الذي تضمنته جملة ذات وجهين قال لان المعطوف على الخبر خبر ولا بد من ضمير يعود على المبتدا

فيجوز

أي لذلك المستقر

فيجوز زيد قام وعمرا اكرمته في داره ولو لم يقل في داره لم يجز ووجه الرد من هذه الآية ان
اربعة من السبعة نصبوا وليس في جملة الاشتغال ضمير يعود على الشمس وقد اجمع على النصب
في قوله تعالى والسماء رفعها بعد قوله والنجم والشجر يسجدان **قوله** منازل فيه اوجه
احدها انه مفعول ثان لان قدرنا بمعنى صيرنا الثاني انه حال ولا بد من حذف مضاف قبل
منازل تقديره ذا منازل قال الزمخشري لا بد من تقدير لفظ يتم به معنى الكلام لان القمر
لم يجعل نفسه منازل الثالث انه ظرف اي قدرنا سيره في منازل وتقدم نحوه اول يونس
قوله حتى عاد كالعرجون العامة على ضم العين والجيم وفي وزنه وجهان احدهما انه فعلول
فنونه اصلية وهذا هو المرجح والثاني وهو قول الزجاج ان نونه مزيدة ووزنه فعلون
مشتقا من الانعراج وهو الانعطاف وقرا سليمان التيمي بكسر العين وفتح الجيم وهما لغتان كالبزيون
والبزيون والعرجون عود العذق ما بين الشماريخ الى منبته من النخلة وهو تشبيه
بديع شبه به القمر في ثلاثة اشيا دقته واستقواسه واصفراره لان العذق الذي عليه
الشماريخ اذا قدم وعتق دق وتقوس واصفر والقديم ما تقادم عهده بحكم العادة ولا
يشترط في جواز اطلاق لفظ القديم عليه مدة بعينها بل انما يعتبر العادة حتى لا يقال
لمدينة بنيت من سنة او سنتين لبنائها قديم او هي مدينة قديمة ويقال لبعض الاشيا
انه قديم وان لم يكن له سنة ولهذا جاز ان يقال بيت قديم وبنا قديم ولم يجز ان يقال
في العالم انه قديم لان القدم في البيت والبنا يثبت بحكم تقادم العهد ومرور السنين
عليه والطلاق القديم على العالم بتمادي الازمنة عند من لا يعتقد انه لا اول له ولا
سابق عليه **قوله** لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر اي لا يدخل النهار على الليل قبل
انقضايه ولا يدخل الليل على النهار قبل انقضايه وهو معنى قوله ولا الليل سابق النهار اي
بينهما قيام بحساب معلوم لا يجي احدهما قبل وقته وقيل لا يدخل احدهما في سلطان الآخر
لا تطلع الشمس بالليل ولا يطلع القمر بالنهار وله ضوء فاذا اجتمعا وادرك كل واحد منهما
صاحبه قامت القيامة وقيل لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر لا تجتمع معه في فلك واحد
ولا الليل سابق النهار اي لا يتصل ليل بليل ولا يكون بينهما نهار فاصل **فان قيل**
ما الفايدة في قوله تعالى لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر بصيغة الفعل وقوله ولا الليل
سابق بصيغة اسم الفاعل ولم يقل ولا الليل يسبق ولا قال لا الشمس مدركة للقمر فالجواب
انه حركة الشمس التي لا تدرك بها القمر مختصة بالشمس فجعلها كالصادرة منها فذكر بصيغة
الفعل لان صيغة الفعل لا يطلق على من لا يصدر منه الفعل فلا يقال يخيط ولا يكون
يصدر منه الخياطة واما حركة القمر فليست مختصة بكوكب من الكواكب بل الكل فيها
مشترك بسبب حركة فلك لا تختص بكوكب فالحركة ليست كالصادرة منه فاطلق عليه
اسم الفاعل لانه لا يستلزم صدور الفعل يقال فلان خياط وان لم يكن يخيط **فان قيل**
قوله يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا يدل على ان الليل سابق فالجواب ان المراد من
الليل ههنا سلطان الليل وهو القمر ولا يسبق الشمس بالحركة اليومية السريعة والمراد
من الليل هناك نفس الليل وكل واحد لما كان في عقب الآخر فكانه طالبه **فان
قيل** لم ذكر ههنا سابق النهار وقال هناك يطلبه ولم يقل طالبه فالجواب
لما بينا من ان المراد في هذه السورة من الليل كواكب الليل وهي كانها لحركة الفلك فكانها
لا حركة لها فلا سبق ولا من شانها انها سابقة والمراد هناك نفس الليل والنهار وهما زمانان
والزمان لا قرار له فهو يطلب حثيثا لصدور التقضي منه **فان قيل** ما الحكمة

في لحاق الليل وارادة سلطانه وهو القمر وماذا يكون لو قال ولا القمر سابق الشمس فالجواب
لو قال ولا القمر سابق الشمس ما كان يفهم ان الاشارة الى الحركة اليومية فكان يتوهم المنافي بان
الشمس اذا كانت لا تدرك القمر فالقمر اسرع ظاهرا واذا قال ولا القمر سابق يظن ان القمر لا يسبق
فليس له سرعة فقال الليل والنهار ليعلم ان الاشارة الى الحركة التي بها تتم الدورة في يوم
وليلة مرة وان جميع الكواكب لها طلوع وغروب في الليل والنهار **قوله** ولا الليل
سابق النهار قرأ عمارة بنصب النهار حذف التنوين لالتقاء الساكنين قال المبرد سمعته يقرؤها
فقلت ما هذا فقال اردت سابق يعني بالتنوين فخففت **قوله** وكل في فلك يسبحون اي
يجرون وهذا يحقق ان لكل طلوع في يوم وليلة لا يسبق بعضها بعضا بالنسبة الى هذه الحركة
والتنوين في قوله كل عوض عن الاضافة والمعنى كل واحد واسقاط التنوين للاضافة حتى لا يجتمع
التعريف والتنكير في شي واحد فلما اسقط المضاف اليه لفظا رد التنوين عليه لفظا وفي
المعنى معرف بالاضافة **فان قيل** فهل يختلف الامر عند الاضافة لفظا وتركها
فالجواب نعم لان قول القايل كل واحد من الناس كذا لا يذهب الفهم الى غيرهم فيفيد
اقتصار الفهم عليه فاذا قال كل كذا يدخل في الفهم عموم اكثر من العموم عند الاضافة وهذا
كما قيل وبعد اذا قلت افعل قبل كذا فاذا حذفت المضاف وقلت افعل قبل افاد فهم الفعل
قبل كل شي **فان قيل** فهل بين قولنا كلهم وبين كلهم وبين كل فرق فالجواب
نعم تقول كلهم يثبت الامر للاقتصار عليهم وقولك كل منهم تثبت الامر ولا للعموم ثم
استدركت بالتخصيص فقلت منهم وقولك كل تثبت الامر على العموم وتركت عليه **فان
قيل** اذا كان كل معناه كل واحد منهم والمذكور الشمس والقمر فكيف قال يسبحون
فالجواب ان قوله كل للعموم فكانه اخبر عن كل كوكب في السماء سيار وايضا فلفظ كل يجوز ان
يوحد نظرا الى كون لفظه موحدا غير مثنى ولا مجموع ويجوز ان يجمع لكون معناه جمعا واما
التثنية فلا يدل عليه اللفظ ولا المعنى وعلى هذا يحسن ان يقال زيد وعمرو كل جا وكل جاوا ولا يقال
كل جا آ بالتثنية وجواب اخر ان قوله ولا الليل سابق فالمراد من الليل الكواكب فقال
يسبحون **فصل** الفلك هو الجسم المستدير والسطح المستدير والدايرة لان اهل
اللغة اتفقوا على ان فلكة المغزل سميت فلكة لاستدارتها وفلكة الخيمة هي الخشبة المسطحة
المستديرة التي توضع على راس العمود لئلا يمزق العمود الخيمة وهي صفحة مستديرة فان قيل
فعلى هذا تكون السما مستديرة وقد اتفق اكثر المفسرين على ان السما مبسوطة لها اطراف على
جبال وهي كالسقف المستوي ويدل عليه قوله تعالى والسقف المرفوع **قال** ابن الخطيب
ليس في النصوص ما يدل دلالة قاطعة على كون السما مبسوطة غير مستديرة بل دل الدليل
الحسي على كونها مستديرة فوجب المصير اليه والسقف المقبب لا يخرج عن كونه سقفا وكذلك
كونها على جبال واما الدليل الحسي فوجوه **الاول** ان من امعن في النظر في جانب الجنوب تظهر له
كواكب مثل سهيل وغيره ظهورا ابديا ولو كان السما سطحا مستويا لبان الكل للكل بخلاف
ما اذا كان مستديرا فان بعضه حينئذ يستتر باطراف الارض فلا يرى **الثاني** ان الشمس
اذا كانت مقارنة للحمل مثلا فاذا غربت ظهر لك كواكب في منطقة البروج من الحمل الى الميزان
ثم في كل قليل يستتر الكوكب الذي يكون طلوعه بعد طلوع الشمس وبالعكس وهذا دليل
ظاهر وان بحث فيه بصير قطعيا **الثالث** ان الشمس قبل طلوعها وبعد غروبها يظهر ضوءها
ويستنير الجو بعض الاستنارة ثم تطلع ولولا ان بعض السما مستتر بالارض فهو محل الشمس فلا يرى
جرمها وينتشر نورها والا لما كان كذا بل كان عندما عادتها الى السما يظهر لكل احد جرمها

ونورها

ونورها معا لكون السما مستوية حينئذ مكشوفة كلها للكل **الرابع** لو كانت السما مستوية
لكان القمر عند ما يكون فوق رؤوسنا على المسامتة اقرب ما يكون الينا وعند ما يكون على الافق
ابعد منا لان العمود اصغر من المنحرف ولو كان كذلك لكان في الشمس والكواكب وكان يجب ان يرى
اكبر لان القريب يرى اكبر وليس كذلك **الخامس** لو كانت السما مستوية لكان ارتفاع اول
النهار ووسطه واخره مستويا وليس كذلك والوجوه كثيرة وفي هذا كفاية **فصل**
قال المنجمون قوله تعالى يسبحون يدل على انها احيا لان ذلك لا يطلق الا على العاقل قال
ابن الخطيب ان ارادوا القدر الذي يكون منه التسبيح فنقول به لان كل شي يسبح بحمده
وان ارادوا شيا اخر فلم يثبت ذلك والاستعمال لا يدل كما في قوله تعالى في حق الاصنام ما لكم
لا تنطقون وقوله الا تاكلون **قوله** واية لهم انا حملنا ذريتهم لما من باحيا الارض وهي
مكان الحيوانات بين انه لم يقتصر عليه بل بين للانسان طريقا يتخذ من البحر ويسير فيها كما يسير
في البر وهو كقوله تعالى وحملناهم في البر والبحر ويؤيد هذا قوله تعالى وخلقنا لهم من مثله
ما يركبون اذا فسر بان المراد منه الابل فانها سفن البر ووجه اخر وهو ان الله تعالى
لما بين سباحة الكواكب في الافلاك ذكر ما هو مثله وهو سباحة الفلك في البحار ووجه
اخر وهو ان الامور التي انعم الله تعالى بها على عباده منها ضرورية ومنها نافعة فالاول
للحاجة والثاني للزينة فخلق الله الارض واحياوها من القبيل الاول فانها المكان الذي
لولاه لما وجد الانسان ولولا احياوها لما عاش الانسان والليل والنهار في قوله واية لهم
الليل ايضا من القبيل الاول لانه الزمان الذي لولاه لما حدث الانس والشمس والقمر وحركتهما
لو لم يكن لما عاش الانسان ثم انه تعالى لما ذكر من القبيل الاول ايتين ذكر من القبيل الثاني
وهو الزينة ايتين احدهما الفلك التي تجري في البحر فيستخرج من البحر ما يتزين به كما قال
تعالى ومن كل تاكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر وثانيهما
الدواب التي هي في البر كالفلك في البحر في قوله وخلقنا لهم من مثله ما يركبون فان الدواب
زينة كما قال تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة **قوله** انا حملنا مبتدا
واية خبر مقدم وجوز ابو البقا ان يكون انا حملنا خبر مبتدا محذوف بيانا له على ان اية
لهم مبتدا وخبر كلام مستقل بنفسه كما تقدم في نظيره والظاهر ان الضمير في لهم وذريتهم
لشي واحد ويراد بالذرية ابا وهم المحمولين في سفينة نوح عليه السلام او يكون الضميران مختلفين
اي ذرية القرون الماضية ووجه الامتنان عليهم انهم في ذلك مثل الذرية من حيث
انهم ينتفعون بها كانتفاع اوليك وقوله ما يركبون هذا يحتمل ان يكون من جنس الفلك
ان اريد بالفلك سفينة نوح عليه السلام خاصة وان يكون من جنس اخر كالابل ونحوها ولهذا
سمتها العرب سفن البر وقوله من مثله اي من مثل الفلك او من مثل ما ذكر من خلق الازواج
في قوله واخر من شكله ازواج والضمير في لهم يحتمل ان يكون عايدا الى الذرية اي حملنا
ذريتهم وخلقنا للمحمولين ما يركبون ويحتمل ان يعود الى الابا الذين عاد اليهم قوله واية لهم
وهو الظاهر لعود الضماير الى شي واحد ويحتمل ان يكون صلة اي خلقنا لهم مثله وان يكون
للبيان لان المخلوق كان اشيا فقال من مثل الفلك للبيان وتقدم اشتقاق الذرية في البقرة
واختلاف القراء فيها في الاعراف **فصل** قال المفسرون المراد بالذرية الابا والاجداد
واسم الذرية يقع على الابا كما يقع على الاولاد اي حملنا اباكم في الفلك والالف واللام للتعريف
اي فلك نوح وهو مذكور في قوله واصنع الفلك وهو معلوم عند العرب وقال الاكثرون الذرية
لا تطلق الا على الولد وعلى هذا فالمراد اما ان يكون الفلك المعين الذي كان لنوح واما ان يكون

المراد الجنس كقوله تعالى وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون وقوله وترى الفلك فيه مواخر وقوله فاذا ركبوا في الفلك الى غير ذلك من استعمال لام التعريف في الفلك لبيان الجنس فان كان المراد سفينة نوح ففيه وجوه الاول ان المراد حملنا اولادهم الى يوم القيامة في ذلك الفلك ولولا ذلك لما بقي للاب نسل ولا عقب وعلى هذا فقوله حملنا ذريتهم اشارة الى كمال النعمة اي لم تكن النعمة مقتصرة عليكم بل متعدية الى اعقابكم الى يوم القيامة وهذا قول الزمخشري ويحتمل ان يقال انه تعالى انما خص الذريات بالذكر لان الموجودين كانوا كفارا لا فائدة في وجودهم فقال حملنا ذريتهم اي لم يكن الحمل حملا لهم وانما كان حملا لما في اصلابهم من المؤمنين كمن حمل صندوقا لا قيمة له وفيه جواهر فيقال انه لم يحمل الصندوق وانما حمل ما فيه الثاني ان المراد بالذرية الجنس اي حملنا اجناسهم لان ذلك الحيوان من جنسه ونوعه والذرية تطلق على الجنس ولذلك تطلق على النساء كنهي النبي عليه السلام عن قتل الذراري اي النساء لان المراة وان كانت صنفا غير صنف الرجل لكنها من جنسه ونوعه يقال ذرارينا اي امثالنا الثالث ان الضمير في قوله وآية لهم عائد على العباد حيث قال يا حسرة على العباد وقال بعد ذلك وآية لهم الارض وقال وآية لهم الليل وقال وآية لهم انا حملنا ذريتهم واذا علم هذا فكانه تعالى قال وآية للعباد انا حملنا ذريات العباد ولا يلزم ان يكون المراد بالضميرين في الموضعين اشخاصا معينين كقوله ولا تقتلوا انفسكم ويقتل بعضكم بعضا ولذلك اذا تقاتل قوم وماتت الكل في القتال يقال هولاء القوم هم قتلوا انفسهم فالضمير في الموضعين يكون عائدا الى القوم ولا يكون المراد اشخاصا معينين بل المراد ان بعضهم قتل بعضهم فكذلك قوله تعالى آية لهم اي آية لكل بعض منهم انا حملنا ذرية كل بعض منهم او ذرية بعض منهم وان قلنا المراد جنس الفلك وهو الاظهر لان سفينة نوح لم تكن بحضرتهم ولم يعلموا من حمل فيها فاما جنس الفلك فانه ظاهر لكل احد وقوله تعالى في سفينة نوح وجعلناها آية للعالمين اي بوجود جنسها ومثلها ويؤيده قوله تعالى الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله ليريكم من آياته ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور وان قيل المراد سفينة نوح فوجه المناسبة ان ذكرهم بحال قوم نوح وان المكذبين هلكوا والمؤمنين فازوا فكذلكم ان آمنوا يفوزوا وان كذبوا يهلكوا والاول الاظهر وهو ان المراد بالفلك الموجود في زمانهم ويؤيده قوله تعالى وان نشا نغرقهم **فان قيل** لم قال حملنا ذريتهم ولم يقل حملناهم ليكون اعم كما قال وآية لهم الارض الميتة احييناها واخرجنا منها حبا فمنه ياكلون ولم يقل ياكل ذريتهم فالجواب قوله تعالى حملنا ذريتهم اي ذريات العباد ولم يقل حملناهم لان سكنى الارض عام لكل احد يسكنها فقال وآية لهم الارض الميتة الى ان قال فمنه ياكلون لان الاكل عام واما الحمل في السفينة فمن الناس من لا يركبها في عمره ولا يحمل فيها ولكن ذرية العباد لا بد لهم من ذلك فان فيهم من يحتاج اليها فيحمل فيها **فان قيل** ما الحكمة في كونه جمع الفلك في قوله وترى الفلك فيه مواخر وافرده في قوله في الفلك المشحون فالجواب ان فيه تدقيق مليح من علم اللغة وهو ان الفلك قد يكون حركته مثل حركة تلك الكلمة في الصورة والحركتان مختلفتان في المعنى مثاله قولك سجد يسجد سجودا للمصدر وهم قوم سجود في جمع ساجد تظن انها كلمة واحدة لمعنيين وليس كذلك بل السجود عند كونه مصدرا حركته اصلية اذا قلنا ان الفعل مشتق من المصدر وحركة السجود عند كونه للجمع حركة معتبرة من حيث ان الجمع يشتق من الواحد وينبغي ان يلحق المشتق تغيير في حرف او حركة او في مجموعهما فساجد لما اردنا ان نشتق منه لفظ جمع غيرناه وجئنا بلفظ السجود فاذن السجود للمصدر وللجمع ليس من قبيل الالفاظ المشتركة

التي وضعت بحركة واحدة لمعنيين واذا عرف هذا فنقول الفلك عند كونه واحدا مثل قفل وبرد وعند كونها جمعا مثل خشب او برد او غيرهما **فان قيل** فاذا جعلته جمعا فاذن ما يكون واحدها فالجواب نقول جاز ان يكون واحدها فلكة او غيرها ألم يستعمل كواحد النساء حيث لم يستعمل وكذا القول في امام مبين امام كزمام وكتاب عند قوله تعالى كل اناس بامامهم اي بائمتهم امام كرمام وجفان وهذا من دقيق التصريف واما من جهة المعنى ففيه سؤالات السؤال الاول قال ههنا حملنا ذريتهم من عليهم بحمل ذرياتهم وقال تعالى انا لما طغى الما حملناكم في الجارية من عليهم هناك بحمل انفسهم فالجواب ان من ينفع المتعلق بالغير يكون قد نفع ذلك الغير ومن يدفع الضر عن المتعلق بالغير لا يكون قد دفع الضر عن ذلك الغير بل يكون قد نفعه كمن احسن الى ولد انسان وفرحه فرح بفرحه ابوه واذا دفع الالم عن ولد انسان يكون قد فرح اباه ولا يكون في الحقيقة ازال الالم عن ابيه فعند طغيان الما كان الضرر يلحقهم فقال دفعت عنكم الضرر ولو قال دفعت عن اولادكم الضرر لما حصل بيان دفع الضرر عنهم وههنا اراد بيان المنافع فقال حملنا ذرياتهم لان النفع حاصل بنفع الذرية ويدل على هذا قوله في الفلك المشحون فان امتلا الفلك من الاموال يحصل بذكره بيان المنفعة واذا دفع المضرة فلا لان الفلك كلما كان اثقل كان الخلاص به ابطا وهناك السلامة فاختار هناك ما يدل على الخلاص من الضرر وهو الجري وههنا ما يدل على كمال المنفعة وهو الشحن **فان قيل** قال تعالى وحملناكم في البر والبحر ولم يقل وحملنا ذريتكم مع ان المقصود في الموضعين بيان النعمة لا دفع النقمة نقول لما قال في البر والبحر عم الخلق لان ما من احد الا وحمل في البر او البحر واما الحمل في البحر فلم يعم فقال ان كنا ما حملناكم بانفسكم فقد حملنا من يهمكم امره من الاولاد والاقارب والاخوان والاصدقا

فصل وفي قوله المشحون فائدة اخرى وهي ان الآدمي يرسب في الما ويغرق فحمله في الفلك واقع بقدرته لكن من الطبيعيين من يقول الخفيف لا يرسب في الما لانه يطلب جهة فوق فقال الفلك المشحون اثقل من الثقال التي ترسب ومع هذا حمل الله الانسان فيه مع ثقله **فان قيل** ما الحكمة في قوله وآية لهم الارض وآية لهم الليل ولم يقل وآية لهم الفلك جعلناها بحيث تحملهم فالجواب ان حملهم في الفلك هو العجيب اما نفس الفلك فانه ليس بعجيب لانه كبيت مبني من خشب واما نفس الارض فعجيب ونفس الليل عجيب لا قدرة لاحد عليهما الا الله **قوله** وان نشا نغرقهم قر الحين بتشديد الرا وهذه الاية تدل على ان المراد بقوله من مثله الفلك الموجودة في زمانهم وليس المراد الابل كما قاله بعض المفسرين بان المراد الابل لانها سفن البر لان ذلك يودي الى ان يكون قوله وجعلنا لهم من مثله ما يركبون فاصلا بين متصلين ويحتمل ان يقال الضمير في مثله يعود الى معلوم غير مذكور وتقريره ان يقال وخلقنا لهم من مثل ما ذكر من المخلوقات كما في قوله تعالى ليأكلوا من ثمره ان الهاء عائدة الى ما ذكرنا اي من ثمر ما

فصل في قوله وان نشا نغرقهم فائدتان احدهما ان في حال النعمة ينبغي ان لا يومن عذاب الله والثانية ان ذلك جواب عن سوال مقدر وهو ان الطبيعي يقول السفينة تحمل بمقتضى الطبيعة والمجوف لا يرسب فقال ليس كذلك بل لو شاء الله اغرقهم وليس ذلك بمقتضى الطبيعة ولو صح كلامه الفاسد لكان لقائل ان يقول الست توافق ان من السفن ما ينقلب وينكسر ومنها ما ينقبه ناقب فيرسب وكل ذلك بمشية الله فان شا الله اغرقهم اغرقهم من غير شي من هذه الاسباب كما هو مذهب اهل السنة او بشي من تلك الاسباب

التي سلمتها انت **قوله** فلا صريخ لهم فعيل بمعنى فاعل اي لا مغيث لهم وقيل فلا استغاثة
وقال الزمخشري فلا اغاثة جملة مصيرا من اصرخ قال ابو حيان ويحتاج الى نقل ان
صريخا تكون مصدرا بمعنى اصراخ والعامة على فتح صريخ وحكى ابو البقاء انه قرئ بالرفع والتنوين
قال ووجهه على ما في قوله فلا خوف عليهم **فصل** معناه لا مغيث لهم يمنع عنهم
الغرق ولا هم ينقذون اذا ادركهم الغرق لان الخلاص من العذاب اما ان يكون بدفع العذاب
من اصله او برفعه بعد وقوعه فقال لا صريخ لهم يدفع ولا هم ينقذون بعد الوقوع فيه
وهو كقوله تعالى لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون وفيه فائدة اخرى غير الحصر وهي انه
تعالى قال لا صريخ لهم ولم يقل ولا منقذ لهم لان من لا يكون من شانه ان ينصر لا يشرع في النصرة مخافة
ان يغلب ويذهب ماء وجهه وانما ينصر ويغيث من كان من شانه ان يغيث فقال لا صريخ لهم
واما من لا يكون من شانه ان يغيث فقال لا صريخ لهم واما من لا يكون من شانه ان ينقذ اذا
راى من يعز عليه في ضر يشرع في الانقاذ وان لم يثق من نفسه في الانقاذ ولا يغلب ظنه وانما
يبذل المجهود فقال ولا هم ينقذون ولم يقل ولا منقذ لهم ثم استثنى فقال الا رحمة
منا ومتاعا الى حين وهو يفيد امرين احدهما انقسام الانقاذ الى قسمين الرحمة والمتاع
اي فمن علم انه يؤمن فينقذه الله رحمة ومن علم انه لا يؤمن فليتمتع زمانا ويزداد اثما
وثانيهما انه بيان لكون الانقاذ غير مفيد للدوام بل الزوال في الدنيا لا بد منه فينقذه
الله رحمة ويمتعه الى حين ثم يميته فاذن الزوال لازم ان يقع قال ابن عباس المراد
بالحين انقضاء اجالهم يعني الا ان نرحمهم ونمتعهم الى حين اجالهم **قوله** الا رحمة منصوب
على المفعول له وهو استثناء مفرغ او قيل استثناء منقطع وقيل على المصدر بفعل مقدر وعلى
اسقاط الخافض اي الا برحمة والفاء في قوله فلا صريخ رابطة هذه الجملة بما قبلها فالضمير
في لهم عائد على المغرقين وجوز ابن عطية هذا ووجها اخر وجعله احسن منه وهو ان
يكون استينافا اخبارا عن المسافرين في البحر ناجين كانوا او مغرقين فهم بهذه الحالة لا نجاة
لهم الا برحمة الله وليس قوله فلا صريخ لهم مربوطا بالمغرقين انتهى وليس جعله هذا الاحسن
بالحسن لئلا يخرج الفاء عن موضوعها والكلام عن التيامه **قوله** واذا قيل لهم اتقوا جوابها
محذوف اي اعرضوا يدل عليه قوله بعد الا كانوا عنها معرضين وهل هذا الا تلفظ كلام زائد
قال ابن عباس ما بين ايديكم يعني الاخرة فاعملوا لها وما خلفكم يعني الدنيا فاحذروها ولا
تغتروا بها وقيل ما بين ايديكم وقائع الله فيمن كان قبلكم من الامم وما خلفكم عذاب الاخرة
قاله قتادة ومقاتل لعلكم ترحمون **قوله** وما تاتيهم من اية من ايات ربهم اي دلالة
على صدق محمد صلى الله عليه وسلم الا كانوا عنها معرضين وهذا الاستثناء في محل حال كما تقدم
في نظائره وهذه الاية متعلقة بقوله تعالى يا حسرة على العباد ما ياتيهم من رسول الا كانوا به
يستهزئون اي اذا جاءتهم الرسل كذبوا واذا اتوا بالايات اعرضوا **قوله** واذا قيل لهم اتقوا
لما عدد الايات بقوله واية لهم الارض واية لهم الليل واية لهم انا حملنا وكانت الايات
تفيد اليقين والقطع ولم تفدهم اليقين قال فلا اقل من ان يجوزوا وقوع العذاب فان
من جوز وقوع العذاب يتقيه احتياطا وان لم يقطع بصدق المخبر فقال تعالى واذا ذكرتهم
الدليل القاطع لا يعترفون به واذا قيل لهم اتقوا لا يتقون فهم في غاية الجهل ونهاية الغفلة لا مثل
العلماء الذين يبنون الامر على الاحوط ويدل على ذلك قوله تعالى لعلكم ترحمون بحرف التمني اي
ان من تحقق عليه البرهان لا يترك الاحتراز والاحتياط **قوله** واذا قيل لهم انفقوا مما
رزقكم الله اي اعطاكم الله وهذا اشارة الى انهم تخلوا بجميع التكاليف لان المكلف يجب عليه

التعظيم

التعظيم لجانب الله والشفقة على خلق الله وهم تركوا التعظيم حيث قيل لهم اتقوا فلم يتقوا وتركوا
الشفقة على خلق الله حيث قيل لهم انفقوا فلم ينفقوا **فان قيل** ما الحكمة في حذفه
الجواب في قوله واذا قيل لهم اتقوا وههنا اجاب واتى باكثر من الجواب ولو قال واذا قيل
لهم انفقوا قالوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه لكان كافيا فما الفائدة في قوله تعالى قال الذين كفروا
للذين امنوا فالجواب ان الكفار كانوا يقولون بان الاطعام من الصفات الحميدة وكانوا
يفتخرون بطعمة الاضياف فاوردوا ذلك على المؤمنين معتقدين بان انتم الناس ما لولا
اطعامنا لما اندفعت حاجة الضعيف وانتم تقولون ان الحكم يرزق من يشاء فلم تقولوا لنا
انفقوا فلما كان غرضهم الرد على المؤمنين لا الامتناع من الاطعام قال تعالى عنهم قال الذين
كفروا للذين امنوا اشارة الى الرد واما قوله اتقوا ما بين ايديكم فلم يكن لهم رد على المؤمنين فاعرضوا
فاعرض عن ذكر اعراضهم لحصول العلم به **فصل** قال المفسرون ان المؤمنين
قالوا لكفار مكة انفقوا على المساكين مما زعمتم انه لله من اموالكم فهو ما جعلوا لله من حروثهم
وانعامهم قالوا انطعم ارزاق من لو يشاء الله رزقه ثم لم يرزقه مع قدرته عليه فنحن
نوافق مشيئة الله فلا نطعم من لم يطعمه الله وهذا مما يتمسك به البخلاء يقولون لا نعطي من
حرمه الله وهذا الذي يزعمون باطل لان الله تعالى اغنى بعض الخلق وافقر بعضهم ابتلاء
فمنع الدنيا من الفقير لا بخلا وامر الغني بالانفاق لا حاجة الى ماله ولكن ليبلو الغني
بالفقير فيما فرض له من مال الغني ولا اعتراض لاحد على مشيئة الله وحكمه في خلقه **فان
قيل** ما الفائدة في تغيير اللفظ في جوابهم حيث لم يقولوا انطعم من لو يشاء الله رزقه
وذلك انهم امروا بالانفاق في قوله واذا قيل لهم انفقوا فكان جوابهم ان يقولوا انتفق فلم قالوا
انطعم فالجواب ان في هذا بيان غاية مخالفتهم لانهم اذا امروا بالانفاق والانفاق يدخل
فيه الاطعام فالجواب اتوا في هذا بيان وغيره فلم ياتوا بالانفاق ولا بما قل منه وهو الاطعام
وهذا كقول القائل لغيره اعط زيدا دينارا فيقول لا اعطيه درهما مع ان المطابق هو ان
يقول لا اعطيه دينارا ولكن المبالغة في هذا الوجه اتم فكذلك ههنا **فان قيل**
قولهم من لو يشاء الله اطعمه كلام حق فلماذا ذكر في معرض الذم فالجواب لان مرادهم كان الانكار
لقدرة الله ولعدم جواز الامر بالانفاق مع قدرة الله وكلاهما فاسد بين الله ذلك بقوله
مما رزقكم الله فانه يدل على قدرته ويصحح امره بالاعطاء لان من كان له في يد الغير مال
وله في خزائنه مال فهو مخير ان اراد اعطى مما في خزائنه وان اراد امر من عنده المال بالاعطاء
ولا يجوز ان يقول من في يده ماله في خزائنك اكثر مما في يدي اعطه منه **قوله** من لو
يشاء الله اطعمه مفعول انطعم واطعمه جواب لو وجاء على احد الجائزين وهو تجرده من اللام
والافصح ان يكون باللام نحو لو نشاء لجعلناه حطاما **قوله** ان انتم الا في ضلال مبين يقول
الكفار للمؤمنين ما انتم الا في خطاء بين في اتباعكم محمدا وترك ما نحن عليه وهذا اشارة الى
انهم قطعوا المؤمنين بهذا الكلام وان امرهم بالانفاق مع قولهم بقدرة الله ظاهر
الفساد واعتقادهم هو الفاسد **فصل** اعلم ان ان وردت للنفي بمعنى ما وكان
الاصل في ان ان يكون للشرط والاصل في ما ان يكون للنفي لكنهما اشتركا في بعض الوجوه فتعارضا
واستعمل ما في الشرط واستعمل ان في النفي اما وجه اشتراكهما فهو ان كل واحد منهما حرف مركب
من حرفين متقاربين فان الهمزة تقرب من الالف والميم من النون ولا بد من ان يكون المعنى الذي
يدخل عليه ما ان لا يكون ثابتا اما في ما فظاهر واما في ان فلانك اذا قلت ان جاء زيد اكرمه
ينبغي ان لا يكون له في الحال مجيء فاستعمل ان مكان ما وقيل ان زيد قائم اي ما زيد بقائم واستعمل

ما في الشرط تقول ما تصنع اصنع والذي يدل على ما ذكرنا ان ما النافية تستعمل حيث لا يستعمل
إن لانك تقول ما إن جلس زيد فتجعل إن صلة ولا تقول إن ما جلس زيد بمعنى النفي وفي معنى الشرط
تقول اما ترين فتجعل ان اصلا وما صلة فدلنا هذا على ان ان في الشرط اصل وما دخيل فيه
وما في النفي بالعكس **فصل** قوله ان انتم الا في ضلال مبين قوله ان انتم في ضلال لان
الاول يفيد الحصر وانه ليس لهم امر غير الضلال او وصف الضلال بالمبين اي انه لظهوره مبين نفسه
انه ضلال اي في ضلال لا يخفى على احد انه ضلال وقوله في ضلال يفيد كونهم مغمورين فيه
غائصين فاما قوله في موضع آخر على بينة وعلى هدى فهو اشارة الى كونهم راكبين متن الطريق
المستقيم قادرين عليه **فصل** انما وصفوا المؤمنين بانهم في ضلال مبين لظنهم ان كلام
المؤمنين متناقض ومن يتناقض كلامه يكون في غاية الضلال قال ابن الخطيب ووجه
ذلك انهم قالوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه وهذا اشارة الى ان الله ان شاء ان يطعمهم فهو يطعمهم
فكان الامر باطعامهم امرا بتحصيل الحاصل وان لم يشأ اطعامهم لا يقدر احد على اطعامهم لامتناع
وقوع ما لم يشأ الله فلا قدرة لنا على الاطعام فكيف تامروننا بالاطعام ووجه آخر وهو
انهم قالوا ان اراد الله تجويعهم فلو اطعمناهم يكون ذلك سعيا في ابطال فعل الله وانه لا يجوز
وانتم تقولون اطعموهم فهو ضلال واعلم انه لم يكن في الضلال الا هم حيث نظروا الى المراد ولم
ينظروا الى الطلب والامر وذلك لان العبد اذا امره السيد بامر لا ينبغي له الاطلاع على المقصود
الذي لاجله امره به فاذا اراد الملك الركوب للهجوم على عدوه بحيث لا يطلع عليه احد
وقال للعبد احضر المركوب فلو تطلع واستكشف المقصود الذي لاجله الركوب لنسب الى انه
يريد ان يطلع عدوه على الخدمة وكشف سره فالادب في الطاعة هو امتثال الامر لا تتبع
المراد فالله تعالى اذا قال انفقوا مما رزقكم الله لا يجوز ان يقال لم لم يطعمهم الله مما في خزائنه
قوله ويقولون متى هذا الوعد اي القيامة والبعث ان كنتم صادقين وهذا اشارة الى ما
اعتقدوا ان التقوى المامور بها في قوله واذا قيل لهم اتقوا والانفاق المذكور في قوله واذا
قيل لهم انفقوا لا فائدة فيه لان الوعد لا حقيقة له وقولهم متى هذا الوعد اي متى يقع الموعود
به **فصل** ان للشرط وهي تستدعي جزاء ومتى للاستفهام لا يصلح جوابا فما الجواب
قيل هو في صورة الاستفهام وهو في المعنى انكار كانهم قالوا ان كنتم صادقين في وقوع الحشر فقولوا
متى يكون **فصل** الظاهر ان هذا الخطاب مع الانبياء لانهم لما انكروا الرسالة قالوا ان
كنتم ايها المدعون للرسالة صادقين فاخبرونا متى يكون ما تعدوننا به **فان قيل**
ليس في هذا الموضع وعد فالاشارة بقوله هذا الوعد الى اي وعد فالجواب هو ما في قوله
تعالى واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم من قيام الساعة او يقول هو معلوم وان لم يكن
مذكورا لكون الانبياء مقيمين على تذكيرهم بالساعة والحساب والثواب والعقاب **قوله**
ما ينظرون الا صيحة واحدة قال ابن عباس ما ينتظرون الا الصيحة المعلومة يريد النفخة
الاولى والتنكير للتكثير **فان قيل** هم ما كانوا ينتظرون بل كانوا يجزمون بعدمه
فالجواب المراد بالانتظار فعلهم لانهم كانوا يعملون ما يستحق به فاعله البوار وتعجيل العذاب
وتقريب الساعة لولا حكم الله وعلمه بانهم لا يفوتونه او يقال لما لم يكن قولهم متى استفهاما حقيقيا
قال ينظرون انتظارا غير حقيقي لان القائل يعني يفهم منه الانتظار نظرا الى قوله **فصل**
ذكر في الصيحة امورا تدل على عظمها احدها التنكير وثانيها قوله واحدة اي لا تحتاج معها الى
ثانية وثالثها تاخذهم اي تعمهم بالاخذ وتصل الى من في الارض مشارقها ومغاربها **قوله**
وهم يخصمون قرا حمزة بسكون الخاء وتخفيف الصاد من خصم يخصم والمعنى يخصم بعضهم بعضا

فالمفعول

فالمفعول محذوف وابو عمرو وقالون باخفاء فتحة الخاء وتشديد الصاد ونافع وابن كثير
وهشام كذلك الا انهم باخلاص فتحة الخاء والباقون بكسر الخاء وتشديد الصاد والاصل
في القراءات الثلاث يختصمون فادغمت التاء في الصاد فنافع وابن كثير وهشام نقلوا فتحها
الى الساكن قبلها نقلا كاملا وابو عمرو وقالون اختلسا حركتها تنبيها على ان الخاء اصلها السكون
والباقون حذفوا حركتها فالتقى ساكنان كذلك فكسروا اولهما فهذه اربع قراءات قرئ بها في
المشهور وروي عن ابي عمرو وقالون سكون الخاء وتشديد الصاد والنحاة يستشكلونها للجمع
بين ساكنين على غير حدهما وقرا جماعة يخصمون بكسر الياء والخاء وتشديد الصاد وكسر
الياء اتباعا وقرا ابي يختصمون على الاصل وقال ابو حيان وروي عنهما اي عن ابي عمرو وقالون
سكون الخاء وتخفيف الصاد من خصم قال شهاب الدين هذه هي قراءة حمزة ولم يحكها هو
عنه وهذا يشبه قوله يخطف ابصارهم في البقرة ولا يهدي في يونس وقرا ابن محيصن
يرجعون مبنيا للمفعول **فصل** قال عليه السلام لتقومن الساعة وقد نشر
الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومن الساعة وقد رفع الرجل اكلته
الى فيه فلا يطعمها **قوله** فلا يستطيعون توصية اي لا يقدرون على الايصاء
قال مقاتل اي اعجلوا عن الوصية فماتوا ولا الى اهلهم يرجعون ينقلبون اي ان الساعة
لا تمهلهم لشيء واعلم ان قول القائل فلان في هذه الحالة لا يوصي دون قوله لا يستطيع
التوصية لان من لا يوصي قد يستطيعها والتوصية بالقول والقول يوجد اسرع مما يوجد
الفعل فقال لا يستطيعون كلمة فكيف الذي يحتاج الى زمن طويل من اداء الواجبات
ورد المظالم واعتبار الوصية من بين سائر الكلمات يدل على انه لا قدرة له على اهم الكلمات
فان وقت الموت الحاجة الى التوصية امس والتنكير في التوصية للتعميم اي لا يقدرون على
توصية ما ولو كانت بكلمة يسيرة ولان الوصية قد تحصل بالاشارة فالعاجز عنها عاجز
عن غيرها وقوله ولا الى اهلهم يرجعون بيان لشدة الحاجة الى التوصية ثم بين ما
بعد الصيحة الاولى فقال ونفخ في الصور اي نفخ فيه اخرى كقوله تعالى ونفخ فيه
اخرى فاذا هم قيام ينظرون وقرا الاعرج ونفخ في الصور بفتح الواو وهذه هي نفخة
البعث وبين النفختين اربعون سنة **قوله** فاذا هم من الاجداث وهي القبور واحدها
جدث وقرئ من الاجداف بالفاء وهي لغة في الاجداث يقال جدث وجدف كثم وفم
وثوم وفوم **فان قيل** اين يكون ذلك الوقت اجداث وقد زلزلت الصيحة
الجبال فالجواب ان الله يجمع اجزاء كل ميت في الموضع الذي قبر فيه فيخرج من ذلك الموضع
وهو جدثه **قوله** الى ربهم ينسلون اي يخرجون من القبور احياء وقرا ابن ابي اسحاق
وابو عمرو في رواية ينسلون بضم السين يقال نسل الثعلب ينسل وينسل اي اسرع في عدوه
ومنه قيل للولد نسل لخروجه من ظهر ابيه وبطن امه **فان قيل** المشي اذا توجه
الى من احسن اليه يتقدم رجلا ويؤخر اخرى والنسلان سرعة المشي فكيف يوجد منهم
ذلك فالجواب ينسلون من غير اختيارهم والمعنى انه اراد ان يبين كمال قدرته ونفوذ ارادته
حيث ينفخ في الصور فيكون في وقته جمع واحياء وقيام وعدو في زمان واحد فقوله اذا هم
ينسلون اي في زمان واحد ينتهون الى هذه الدرجة وهي النسلان الذي لا يكون الا بعد
مراتب **فان قيل** قال في آية فاذا هم قيام ينظرون وقال ههنا فاذا هم من
الاجداث الى ربهم ينسلون والقيام غير النسلان وقوله في الموضعين اذا هم يقتضي ان يكونا معا
فالجواب من وجهين الاول ان القيام لا ينافي المشي السريع لان الماشي قائم ولا ينافي النظر

الثاني ان لسرعة الامور كان الكل في زمان واحد كقول القايل مكر مفر مقبل مدبر معا
واعلم ان النفختين يورثان تزلزلا وانقلابا للاجرام فعند اجتماع الاجرام تفرقها وهو
المراد بالنفخة الاولى وعند تفرق الاجرام تجمعها وهو النفخة الثانية **قوله** يا ويلنا العامة
على الاضافة الى ضمير المتكلمين دون تانيث وهو ويل مضاف لما بعده ونقل ابو البقا عن
الكوفيين ان وي كلمة براسها ولنا جار ومجرور انتهى قال شهاب الدين ولا حاجة لهذا الاتيان بل
بعيد وهو ان يكون يا عجب لنا لان وي تفسر بمعنى اعجب منادها وابن ابي ليلى يا ويلتنا بتا
التانيث وعنه ايضا يا ويلتي بابدال الالف الفا وما ويل هنا ان كل واحد منهم يقول يا ويلتي
قوله من بعثنا العامة على فتح ميم من وبعثنا فعلا ماضيا خبرا لمن الاستفهامية قبله
وابن عباس والضحاك وابو نهيك بكسر الميم على انها حرف جر وبعثنا مصدر مجرور وعن ابن الاولى
تتعلق بالويل والثانية تتعلق بالبعث والمرقد يجوز ان يكون مصدرا اي من رقادنا وان
يكون مكانا وهو مفرد اقيم مقام الجمع والاول احسن اذ المصدر يفرد مطلقا **فصل**
قال ابي بن كعب وابن عباس وقتادة انما يقولون هذا لان الله يرفع عنهم العذاب بين النفختين
فيرقدون فاذا بعثوا بعد النفخة الاخيرة وعاينوا القيمة دعوا بالويل وقال اهل المعاني
ان الكفار اذا عاينوا جهنم وانواع عذابها صار عذاب القبر في جنبها كالنوم فقالوا من بعثنا
من مرقدنا **فان قيل** لو قيل فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون يقولون يا
ويلنا كان اليق قال ابن الخطيب نقول معاذ الله وذلك لان قوله اذا هم من الاجداث
ينسلون اشارة الى انه تعالى في اسرع زمان يجمع اجزاءهم ويولفها ويحييها ويحركها بحيث يقع
نسلانهم في وقت النفخ مع ان ذلك لا بد له من الجمع والتاليف فلو قال يقولون لكان ذلك
مثل الحال لينسلون اي ينسلون قايلين يا ويلنا وليس كذلك فان قولهم يا ويلنا قبل ان ينسلوا
وانما ذكر النسلان لما ذكرنا من الفايدة **فان قيل** ما وجه تعلق من بعثنا من
مرقدنا بقولهم يا ويلنا فالجواب لما بعثوا تذكروا لما كانوا يسمعون من الرسل فقالوا يا
ويلنا ابعثنا الله البعث الموعود به ام كنا نياما فنبهنا كما اذا كان انسان موعودا بان
ياتيه عدو لا يطيقه ثم يرى رجلا هايلا يقبل عليه فيرجف في نفسه ويقول اهذا ذاك
ام لا ويدل على هذا قولهم من مرقدنا حيث جعلوا القبور موضع الرقاد اشارة الى انهم شكوا
في انهم كانوا نياما فنبهوا او كانوا موتى فبعثوا وكان الغالب على ظنهم هو البعث فجمعوا بين
الامرين وقالوا من بعثنا اشارة الى ظنهم انه بعثهم الموعود به وقالوا من مرقدنا اشارة الى
توهمهم احتمال الانتباه **قوله** هذا ما وعد الرحمن في هذا وجهان اظهرهما انه مبتدا
وما بعده خبره ويكون الوقف تاما على قوله من مرقدنا وهذه الجملة حينيذ فيها وجهان
احدهما انها مستانفة اما من قول الله تعالى او من قول الملايكة او من قول المومنين للكفار
الثاني انها من كلام الكفار فتكون في محل نصب بالقول الثاني من الوجهين الاولين هذا
صفة لمرقدنا وما وعد منقطع عما قبله ثم في ما وجهان احدهما انها في محل رفع بالابتدا
والخبر مقدر اي الذي وعد الرحمن وصدق فيه المرسلون حق عليكم واليه ذهب الزجاج
والزمخشري والثاني انه خبر مبتدا مضمر اي هذا وعد الرحمن وقد تقدم في اول الكهف ان حفصا
يقف على مرقدنا وقفة لطيفة دون قطع نفس لييلا يتوهم ان اسم الاشارة تابع لمرقدنا
وهذان الوجهان يقويان ذلك المعنى المذكور الذي تعمد الوقف لاجله **وما** يجوز ان تكون
موصولة اسمية او حرفية كما تقدم ومفعولا الوعد والصدق محذوفان اي وعدناه الرحمن
وصدقناه المرسلون والاصل صدقنا فيه فيجوز حذف الخافض وقد تقدم ذلك نحو صدقني

سن

سن بكره اي في سنه **قوله** ان كانت الا صيحة واحدة تقدم من قرا صيحة واحدة نصبا
ورفعا اي ما كانت النفخة الا صيحة واحدة ويدل على النفخة قوله ونفخ في الصور ويحتمل
ان يقال ان كانت الواقعة وقريت الصيحة مرفوعة على ان كان هي التامة بمعنى ما وقعت الا
صيحة قال الزمخشري لو كان كذلك لكان الاحسن ان يقال ان كان لان المعنى حينيذ ما وقع شي
الا صيحة لكن التانيث جايز اذا كان على الظاهر وحكي ان يقول الغري قوما الا فيها فان قيل ولو بعث
الواقعة تانيث تهويل ومبالغة بدليل قوله تعالى ليس لوقعتها كاذبة في قوله الحاقة فكذلك
ههنا قال ان كانت الامور الاولى تانيث تهويل الزلزلة الحادثة يوم الحشر كلها مونثة كالقيامة
والقارعة والحاقة والطامة والصاخة الى غيرها والزمخشري يقول كاذبة بمعنى ليس لوقعتها
نفس كاذبة وتانيث اسما الحشر كون الحشر بالقيامة دليل على ان كونهم ينسلون
اجباري لا اختياري ثم بين ما يكون في ذلك اليوم فقال فاليوم لا تظلم نفس شيا فاليوم منصوب
بلا تظلم وشيا اما مفعول ثان واما مصدر وقوله لا تظلم نفس ليامن المومن ولا تجزون الا ما
كنتم تعملون ليياس المجرم الكافر **فان قيل** ما الفايدة في الخطاب عند الاشارة
الى بأس المجرم وترك الخطاب في الاشارة الى امان المومن فالجواب ان قوله لا تظلم نفس شيا
يفيد العموم وهو كذلك فانه لا يظلم احدا واما لا تجزون فيختص بالكافر لان الله يجزي المومن وان
لم يفعل فان الله فضلا يختص بالمومن وعدلا عاما وفيه بشارة ثم بين حال المحسن فقال
ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون قوله في شغل يجوز ان يكون خبرا لان وفاكهون خبرا ثانيا
وان يكون فاكهون هو الخبر وفي شغل متعلق به وان يكون حالا وقرا الكوفيون وابن عامر شغل
بضمتين والباقون بضم وسكون وهما لغتان للحجازيين قاله الفرا ومجاهد وابو السمال بفتحتين
ويزيد النحوي وابن هبيرة بفتحة وسكون وهما لغتان ايضا والعامة على رفع فاكهون على
ما تقدم والاعمش وطلحة فاكهين نصبا على الحال والجار الخبر والعامة ايضا على فاكهين
بالالف بمعنى اصحاب فاكهة كلابن وتامر ولاحم والحسن وابو جعفر وابو حيوة وابو رجا
وشيبة وقتادة ومجاهد فكهون بغير الف بمعنى طربون فرحون من الفكاهة بالضم
وقيل الفاكه والفكه بمعنى المتلذذ المتنعم لان كلا من الفاكهة والفكاهة مما يتلذذ
به ويتنعم كحاذر وحذر وقرئ فكهين بالقصر طالبا على ما تقدم وفكهون بالضم وضم
الكاف يقال رجل فكه وفكه كرجل نجس ونجس وحذر وحذر **فصل**
اختلفوا في الشغل فقال ابن عباس في افتضاض الابكار وقال وكيع بن الجراح في السماع
وقال الكلبي في شغل عن اهل النار وما هم فيه لا يهمهم امرهم ولا يذكرونهم وقال ابن
كيسان في زيارة بعضهم بعضا وقيل في ضيافة الله فاكهون وقيل في شغل عن هول اليوم باخذ
ما اتاهم الله من الثواب فما عنده خبر من عذاب ولا حساب وقوله فاكهون متمم للبيان
لسلامتهم فانه لو قال في شغل جاز ان يقال انهم في شغل اعظم من التفكر في اليوم واهواله فان
من يصيبه فتنة عظيمة ثم يعرض عليه امر من اموره او يحضر نحلان وقع في ماله يقول
انا مشغول عن هذا بما هو اهم منه فقال فاكهون اي شغلوا عنه باللذة والسرور لا بالويل والثبور
وقال ابن عباس فاكهون فرحون **قوله** هم وازواجهم يجوز في هم ان يكون مؤكدا للضمير
المستكن في فاكهون وازواجهم عطف على المستكن ويجوز ان يكون تاكيدا للضمير المستكن في
في شغل اذا جعلناه خبرا وازواجهم عطف عليه ايضا قاله ابو حيان وفيه نظر من حيث
الفصل بين المؤكد والمؤكد بخبر ان ونظيره ان يقول ان زيدا في الدار قايم هو وعمرو على ان
يجعل هو تاكيدا للضمير في قولك في الدار وعلى هذين الوجهين يكون قوله متكيون خبرا اخر لان

وفي ظلال متعلق به او حال وعلى الارائك متعلق به ويجوز ان يكون هم مبتدأ ومتكئون خبره
والجاران على ما تقدم ويجوز ابو البقا ان يكون في ظلال هو الخبر قال وعلى الارائك مستانف
وهي عبارة موهمة غير الصواب وهو يريد بذلك ان متكئون خبر مبتدأ مضمر وعلى الارائك متعلق
به فهذا وجه استيناف لا انه خبر لما تقدم وتكون متكئون خبرا ثانيا لا معنى له وقرا عبد الله متكئين
نصبا على الحال وقرا الاخوان في ظلل بضم الظا والقصر وهو جمع ظلة نحو غرفة وغرف وحلة وحلل
وهي عبارة عن الفرش والستور والباقون بكسر الظا والالف جمع ظلة ايضا كحلة وحلال وبرمة
وبرام او جمع ظل بالكسر اذ يقال ظله وظلاله بالضم والكسر فهو كلقحة ولقاح الا ان فعالا
فيما لا اينقاس فيه او جمع فعل نحو ذيب وذياب وريح ورياح **فصل** الارائك
هي السرر في الحجال واحدها اريكه قال ثعلب لا تكون اريكه حتى يكون عليها حجلة فتكون دونها
انتكا وهو اشارة الى الفراغ وقوله هم وازواجهم اشارة الى عدم الوحشة لهم فيها فاكهة ولهم
ما يدعون اشارة الى دفع جميع حوائجهم وقوله لهم فيها فاكهة اشارة الى انه لا جوع هنا اذ لا الفاكهة
لا يكون لدفع الم الجوع **قوله** ولهم ما يدعون في ما هذه ثلاثة اوجه موصوله اسميه نكرة
موصوفة والعائد على هذين محذوف مصدريه **يدعون** مضارع ادعى افتعل
من دعا يدعو واشرب معنى التمني قال ابو عبيدة العرب تقول ادع علي ما شئت اي تمن
وفلان في خير ما يدعي اي ما يتمنى وقال الزجاج هو من الدعا اي ما يدعونه اهل الجنة
ياتيهم من دعوت غلامي وقيل افتعل بمعنى تفاعل فيكون الافتعال بمعنى التفاعل كالاجمال
بمعنى التجمل والارتحال بمعنى الترحل وقيل افتعل بمعنى تفاعل اي ما يتداعونه كقولهم ارتموا وتراموا
بمعنى وما مبتداء وفي خبرها وجهان اظهرهما انه الجار قبلها والثاني انه سلام اي مسلم
خالص او ذو سلامة **قوله** سلام العامة على رفعه وفيه اوجه احدها ما تقدم من
كونه خبر ما يدعون الثاني انه بدل منها قاله الزمخشري قال ابو حيان واذا كان بدلا
كان ما يدعون خصوصا والظاهر انه عموم في كل ما يدعونه واذا كان عموما لم يكن بدلا منه
الثالث انه صفة لما فهذا اذا جعلتها نكرة موصوفة اما اذا جعلتها بمعنى الذي او مصدرية
تعذر ذلك لتخالفهما تعريفا وتنكيرا الرابع انه خبر مبتدأ مضمر اي هو سلام الخامس انه
مبتدأ خبره الناصب لقولا اي سلام يقال لهم قولا وقيل تقديره سلام عليكم السادس
انه مبتدأ وخبره من رب وقولا مصدر مؤكد لمضمون الجملة وهو مع عامله معترض بين المبتدأ
والخبر وقرا ابي وعبد الله وعيسى سلاما بالنصب وفيه وجهان احدهما انه حال قال
الزمخشري اي لهم مرادهم خالصا والثاني انه مصدر يسلمون سلاما اما من التحية واما من
السلامة **قوله** قولا اما مصدر مؤكد واما منصوب على الاختصاص قال الزمخشري وهو الاوجه
ومن رب اما صفة لقولا واما خبر سلام كما تقدم وقرا القرظي سلم بالكسر والسكون
وتقدم الفرق بينهما في البقرة **فصل** اذا قيل بان سلام بدل من ما يدعون
فكانه تعالى قال لهم ما يدعون ثم ابدله فقال لهم سلام فيكون مبتدأ وخبره الجار
والمجرور كما يقال في الدار رجل ولزيد مال وان كان في المعنى ليس كذلك بل هو بدل وبدل النكرة
ويحتمل على هذا ان يقال ما في قوله تعالى ما يدعون لا موصوفة ولا موصولة بل هي نكرة تقديره
لهم شي يدعون ثم بين بالبدل فقال سلام والاول اصح وان قيل سلام خبر ما ولهم لبيان الجهة
فتقديره ما يدعون سلام لهم اي خالص لهم والسلام بمعنى السالم والسليم يقال عبد سلام
اي سليم من العيوب كما يقال لزيد الشرف متوفر فالجار والمجرور يكون لبيان من له ذلك
والشرف هو المبتدأ ومتوفر خبره وان قيل سلام منقطع عما قبله وهو مبتدأ وخبره محذوف

فتقديره

تقديره سلام عليهم ويكون ذلك اخبارا من الله تعالى في يومنا هذا كانه تعالى قال ان
اصحاب الجنة في شغل ثم لما بين كمال حالهم قال سلام عليهم كقوله تعالى سلام على نوح وسلام على
المرسلين فيكون الله تعالى احسن الى عباده المؤمنين كما احسن الى عباده المرسلين او يقال
تقديره سلام عليكم ويكون التفاتا حيث قال لهم كذا وكذا ثم قال سلام عليكم **فصل**
اذا قيل ان قولا منصوب على المصدر فتقديره على قولنا ان المراد لهم سلام هو ان يقال لهم
سلام يقوله الله قولا او يقوله الملائكة قولا وعلى قولنا ما يدعون سلام لهم فتقديره قال
الله ذلك قولا ووعدهم ان لهم ما يدعون سلام وعدا وعلى قولنا سلام عليهم فتقديره اقوله
قولا وقوله من رب رحيم يكون لبيان ان السلام منه اي سلام عليهم من رب رحيم اقوله قولا
ويحتمل ان يقال على هذا انه تمييز لان السلام قد يكون قولا وقد يكون فعلا فان من يدخل
على الملك فيطاطي راسه يقال سلم على الملك فهو حينئذ كقول القائل هو حسنا وجها **فصل**
روى جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا اهل الجنة في نعيمهم
اذ سطع لهم نور فرفعوا رؤسهم فاذا الرب عز وجل قد اشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم
يا اهل الجنة فذلك قوله عز وجل سلام قولا من رب رحيم فينظر اليهم وينظرون اليه فلا
يلتفتون الى شي من النعيم ما داموا ينظرون اليه حتى يحتجب عنهم فيبقى نوره وبركته عليهم في
ديارهم وقيل تسلم عليهم الملائكة من ربهم لقوله والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم
اي يقولون سلام عليكم يا اهل الجنة من ربكم الرحيم وقيل يعطيهم السلامة **قوله** وامتازوا
على اضمار قول مقابل لما قيل للمؤمنين اي ويقال للمجرمين امتازوا اي انعزلوا من مازه
يميزه قال المفسرون ان المجرم يرى منزلة المؤمن ورفعته ويرى لنفسه [illegible] يتحسر فيقال
لهم امتازوا اليوم وقيل المعنى ادخلوا مساكنكم من النار وقال ابو العالية تميزوا وقال
السدي كونوا على حدة وقال الزجاج انفردوا عن المؤمنين والمجرم هو الذي ياتي بالجريمة
وقيل ان قوله وامتازوا امر تكوين بحيث يقول امتازوا اليوم فيمتازون بسيماهم ويظهر على
جباههم او في وجوههم سواد كما قال تعالى يعرف المجرمون بسيماهم **قوله** الم اعهد
العامة على فتح الهمزة على الاصل في حرف المضارعة وطلحة والهذيل بن شرحبيل الكوفي
بكسرها وتقدم ان ذلك لغة في حرف المضارعة بشروط ذكرت في الفاتحة وقرا ابن وثاب
احهد بحا مشددة قال الزمخشري وهي لغة تميم ومنه دحا محا اي دعها معها قلبت
الها حا ثم العين حا حين اريد الادغام والاحسن ان يقال ان العين ابدلت حا وهي لغة
هذيل فلما ادغم قلب الثاني للاول وهو عكس باب الادغام وقد مضى تحقيقه اخر ال عمران
وقال ابن خالويه وابن وثاب والهذيل الم اعهد بكسر الميم والهمزة وفتح الها وهي على لغة من
كسر اول المضارع سوى اليا وروي عن ابن وثاب اعهد بكسر الها يقال عهد وعهد انتهى يعني
بكسر الميم والهمزة ان الاصل في هذه القراة ان يكون كسر حرف المضارعة ثم نقل حركته الى
الميم فكسرت لا ان الكسر موجود في الميم وفي الهمزة لفظا اذ يلزم من ذلك قطع همزة الوصل
وتحريك الميم من غير سبب واما كسر الها فلما ذكر من انه سمع في الماضي عهد بفتحها وقوله سوى
اليا وكذا قال الزمخشري هو المشهور وقد نقل عن بعض كلب انهم يكسرون اليا فيقولون يعلم
وقال الزمخشري فيه وقد جوز الزجاج ان يكون من باب نعم ينعم وضرب يضرب يعني ان
تخرجه على احد وجهين اما الشذوذ فيما اتحد فيه فعل يفعل بالكسر فيهما كنعم ينعم وحسب
يحسب وبئس يبئس وهي الفاظ معدودة في البقرة واما انه سمع في ماضيه الفتح كضرب كما حكاه
ابن خالويه وقرى الزمخشري انه قرئ احهد بابدال العين حا وقد تقدم انها لغة هذيل

وهذه تقوي ان اصل اخذ احمد فادغم كما تقدم **قوله** ان لا تعبدوا وان اعبدوني يجوز في
ان ان يكون مفسرة فسرت العهد بنهي وامر وان تكون مصدرية اي الم اعهد اليكم في عدم عبادة
الشيطان وفي عبادتي **فصل** في معنى هذا العهد وجوه اقواها الم اوصكم واختلفوا
في هذا العهد فقيل هو العهد الذي كان مع ادم في قوله ولقد عهدنا الى ادم وقيل هو الذي كان
مع ذرية ادم حين اخرجهم وقال الست بربكم قالوا بلى وقيل مع كل قوم على لسان رسولهم وهو الاظهر
وقوله لا تعبدوا الشيطان اي لا تطيعوا الشيطان والطاعة قد تطلق على العبادة ثم قال انه
لكم عدو مبين اي ظاهر العداوة ووجه عداوته انه لما اكرم الله ادم عليه السلام عاداه ابليس
فان قيل اذا كان الشيطان عدوا للانسان فما بال الانسان يميل الى ما يرضيه
من الزنا والشرب ويكره ما يسخطه من المجاهدة والعبادة فالجواب استعانة الشيطان باعوان
من عند الانسان وترك استعانة الانسان بالله فيستعين بشهوته التي خلقها الله فيه لمصالح
بقائه وبقاء نوعه ويجعلها سببا لفساد حاله ويدعوه بها الى مسالك المهالك وكذلك
يستعين بغضبه الذي خلقه الله فيه لدفع المفاسد عنه فيجعلها سببا لوباله وفساد احواله
وميل الانسان الى المعاصي كميل المريض الى المضار وذلك حيث ينحرف المزاج عن الاعتدال
فترى المحموم يريد الماء البارد وهو يزيد في مرضه ومن معدته فاسدة لا تهضم القليل من
الغذاء يميل الى الاكل الكثير ولا يشبع بشيء وهو يزيد فساد معدته ومصحح المزاج لا يشتهي الا ما
ينفعه **قوله** وان اعبدوني هذا صراط مستقيم لما منع من عبادة
الشيطان حمل على عبادة الرحمن ثم ذكر ما ينبه لعداوة الشيطان بقوله ولقد اضل منكم
جبلا كثيرا اي خلقا كثيرا **قوله** جبلا قرا نافع وعاصم بكسر الجيم والباء وتشديد اللام
وابو عمرو وابن عامر بضمة وسكون والباقون بضمتين واللام مخففة في كلتيهما وابن ابي
اسحاق والزهري وابن هرمز بضمتين وتشديد اللام والاعمش بكسرتين وتخفيف اللام
والاشهب العقيلي واليماني وحماد بن سلمة بكسرة وسكون وهذه لغات في هذه اللفظة وتقدم
معناها اخر الشعرا وقرى جبلا بكسر الجيم وفتح الباء جمع جبلة كفطرة وفطر وقرا علي بن
ابي طالب جيلا بالياء من اسفل بنقطتين وهي واضحة قال ابن الخطيب الجيم والباء واللام
لا تخلوا عن معنى الاجتماع فالجبل فيه اجتماع الاجسام الكثيرة وجبل الطين فيه اجتماع اجزاء
الماء والتراب وشاة جبلاء اذا كانت مجتمعة اللبن الكثير ولا يقال البلجة تنقض لما ذكرتم
فانها تنبئ عن التفرق فان الابلج خلاف المقرون لانا نقول هي للاجتماع الاماكن الخالية التي
تسع الممكنات فان البلجة والبلدة بمعنى والبلد سمي بلدا للاجتماع لا للتفرق فالجمع العظيم حتى
قيل ان دون العشرة الاف لا يكون جبلا فان لم يكن صحيحا **قوله** افلم تكونوا تعقلون قرا العامة بالخطاب
لبني ادم وطلحة وعيسى بياء الغيبة والضمير للجبل ومن حقهما ان يقرا التي كانوا يوعدون لولا ان
يعتذروا بالالتفات **فصل** في كيفية هذا الاضلال وجهان الاول توليه عن المقصد
وحده بعينه فالشيطان يامر البعض بترك عبادة الله وبعبادة غيره فهو توليه فان لم
يقدر يحبه بامر غير ذلك من رياسة وجاه وغيرهما وهو يفضي الى التولية لان مقصوده لو
حصل لترك الله واقبل على ذلك الغير فيحصل التولية ثم قال افلم تكونوا تعقلون ما اتاكم من
هلاك الامم الخالية بطاعة ابليس ويقال لهم لما دنوا من النار هذه جهنم التي كنتم توعدون
بها في الدنيا اصلوها اليوم اي ادخلوها اليوم بما كنتم تكفرون وفي هذا الكلام ما يوجب
شدة ندامتهم وحزنهم من ثلاثة اوجه احدها قوله تعالى اصلوها امر تنكيل واهانة كقوله
ذق انك انت العزيز الكريم الثاني قوله اليوم يعني العذاب حاضر ولذاتك قد مضت

ودني

ودني اليوم العذاب الثالث قوله تعالى بما كنتم تكفرون فان الكفر والكفران ينبئ عن نعمة كانت
فكفر بها وحياء الكفور من المنعم من اشد الالام كما قيل اليس بكاف لذي همة حياء المسيء من المحسن
قوله اليوم نختم اليوم ظرف لما بعده وقرى نختم مبنيا للمفعول والجار بعده قائم
مقام فاعله وقرى وتتكلم بتاءين فوق وقرى ولتتكلم ولتشهد بلام الامر وقرا طلحة ولتكلمنا
ولتشهد بلام كي ناصبة للفعل ومتعلقها محذوف اي للتكلم وللشهادة ختمنا وبما كانوا اي
بالذي كانوا او بكونهم كاسبين **فصل** في الترتيب وجهان الاول انهم حين
يسمعون قوله تعالى بما كنتم تكفرون يريد يكون كفرهم كما قال عنهم ما اشركنا وقالوا امنا به
فيختم الله على افواههم ولا يقدرون على الانكار وينطق الله جوارحهم غير لسانهم فيعترفون
بذنوبهم الثاني انه لما قال تعالى لهم الم اعهد اليكم لم يكن لهم جواب فسكتوا وخرسوا وتكلمت
اعضاؤهم غير اللسان وفي الختم على الافواه وجوه اقواها ان الله تعالى يسكت السنتهم وتنطق
جوارحهم فيشهدون عليهم وانه في قدرة الله يسير واما الاسكات فلا خفاء فيه واما الانطاق
فلان اللسان عضو متحرك بحركة مخصوصة كما جاز تحرك غيره بمثلها والله قادر على كل الممكنات
والوجه الاخر انهم لا يتكلمون بشيء لانقطاع اعذارهم وانهتاك استارهم فيقفون ناكسوا
الرؤوس لا يجدون عذرا فيعتذرون ولا مجال توبة فيستغفرون وتكلم الايدي بظهور الامور
بحيث لا يسع معه الانكار كقول القائل الحيطان تبكي على صاحب الدار اشارة الى ظهور
الحزن والصحيح الاول لما ثبت في الصحيح ان الله تعالى يقول للعبد كفى بنفسك اليوم عليك
شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودا قال فيختم على فيه فيقال لاركانه انطقي قال فينطق باعماله
ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل وقال عليه السلام اول
ما يتكلم من احدكم فخذه وكفه **فان قيل** ما الحكمة في اسناده الختم الى نفسه
وقال نختم واسند الكلام والشهادة الى الارجل والايدي فالجواب انه لو قال نختم
على افواههم وتنطق ايديهم لاحتمل ان يكون ذلك جبرا منهم وقهرا والاقرار بالاجبار غير
مقبول فقال تكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم اي باختيارها بعد ما يقدرها الله تعالى على
الكلام ليكون ادل على صدور الذنب منهم **فان قيل** ما الحكمة في جعل الكلام
للايدي وجعل الشهادة للارجل فالجواب ان الافعال تسند الى الايدي قال تعالى
وما عملته ايديهم اي ما عملوه وقال ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة اي لا تلقوا بانفسكم فاذن
الايدي كالعاملة والشاهد على العامل ينبغي ان يكون غيره فجعل الارجل والجلود من الشهود
لبعد اضافة الافعال اليهم **فان قيل** اليوم القيمة من تقبل شهادته من المقربين
والصديقين كلهم اعداء للمجرمين وشهادة العدو على العدو غير مقبولة وان كان عدلا
وغير الصديقين من الكفار والفساق لا تقبل شهادتهم والايدي والارجل صدرت الذنوب
منها فهي فسقة فينبغي ان لا تقبل شهادتها فالجواب ان الايدي والارجل ليسوا من اهل
التكليف ولا ينسب اليها عدالة ولا فسق انما المنسوب من ذلك الى العبد المكلف لا الى اعضائه
ولا يقال ان العين تزني وان الفرج ليزني وان اليد كذلك لان معناه ان المكلف يزني بها لا انها
هي تزني وايضا فانا نقول في ردّ شهادتها قبول شهادتها لانها ان كذبت في مثل ذلك اليوم
مع ظهور الامور لا بد ان يكون مذنبا في الدنيا وان صدقت في ذلك اليوم صدر منها الذنب في
الدنيا وهذا كمن قال لفاسق ان كذبت في نهار هذا اليوم فعبدي حر فقال الفاسق كذبت
في نهار هذا اليوم عتق العبد لانه ان صدق في قوله كذبت في نهار هذا اليوم فقد وجد الشرط
ونزل الجزاء وان كذب في قوله كذبت فقد كذب في نهار ذلك اليوم فوجد الشرط ايضا بخلاف

اي لو قال في اليوم الثاني كذبت في نهار اليوم الذي علقت عتق عبدك على كذبي فيه **قوله** ولو
نشاء لطمسنا على اعينهم اي اذهبنا اعينهم الظاهرة بحيث لا يبدو لها جفن ولا شق وهو معنى الطمس كقوله
تعالى ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم يقول اذا اعمينا قلوبهم لو شئنا اعمينا ابصارهم
الظاهرة **قوله** فاستبقوا عطف على لطمسنا وهذا على سبيل الفرض والتقدير وقرا عيسى
فاستبقوا امرا وهو على اضمار القول اي فيقال لهم استبقوا والصراط ظرف مكان مختص عند
الجمهور فلذلك تاولوا وصول الفعل اليه اما بانه مفعول به مجازا جعله مسبوقا لا مسبوقا اليه
ويضمن استبقوا معنى بادروا واما على حذف الجار اي الى الصراط وقال الزمخشري منصوب
على الظرف وهو ماش على قول ابن الطراوة فان الصراط والطريق ونحوهما ليست عنده مختصة
الا ان سيبويه على ان قوله لدن بهز الكف يعسل متنه فيه كما عسل الطريق الثعلب
ضرورة لنصبه الطريق وقرا ابو بكر مكاناتهم جمعا وتقدم في الانعام والعامة على مضيا
بضم الميم وهو مصدر على فعول اصله مضوي فادغم وكسر ما قبل اليا ليصح نحو لقيا وقرا
ابو حيوة ورويت عن الكسائي بكسر الميم اتباعا لحركة العين نحو عتيا وصليا وقرئ بفتحها
وهو من المصادر التي وردت على فعيل كالرسيم والذميل **فصل** المعنى اذا اعمينا
قلوبهم لو شئنا اعمينا ابصارهم الظاهرة فاستبقوا الصراط فبادروا الى الطريق فانى يبصرون
كيف يبصرون وقد اعمينا اعينهم يعني لو نشا لاضللناهم عن الهدى وتركناهم عميا يترددون
فكيف يبصرون الطريق حينئذ هذا قول الحسن والسدي وقال ابن عباس ومقاتل وعطا
وقتادة معناه لو نشا لفقانا اعين ضلالتهم فاعميناهم عن غيهم وحولنا ابصارهم من
الضلالة الى الهدى فابصروا رشدهم فانى يبصرون ولم افعل ذلك بهم ولو نشا لمسخناهم
على مكانتهم اي لو نشا جعلناهم قردة وخنازير في منازلهم وقيل لو نشاء
لجعلناهم حجارة وهم قعود في منازلهم لا ارواح لهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون
الى ما كانوا عليه وقيل لا يقدرون على ذهاب ولا رجوع **قوله** ومن نعمره ننكسه
في الخلق قرا عاصم وحمزة بضم النون الاولى وفتح الثانية وكسر الكاف مشددة من
نكسه مبالغة والباقون بفتح الاولى وتسكين الثانية وضم الكاف مخففة من نكسه وهي
محتملة للمبالغة وعدمها وقد تقدم في الانعام ان نافعا وابن ذكوان قرآ تعقلون والباقون
بالغيبة **فصل** معنى ننكسه نرده الى ارذل العمر شبه الصبي في اول الخلق وقيل
ننكسه في الخلق اي ضعف جوارحه بعد قوتها ونقصانها بعد زيادتها افلا يعقلون
فيعتبرون ويعلمون ان الذي قدر على تصريف احوال الانسان يقدر على البعث بعد الموت
قوله وما علمناه الشعر وما ينبغي له قال الكلبي ان كفار مكة قالوا ان محمدا شاعر
وما يقوله شعر فانزل الله تكذيبا لهم وما علمناه الشعر وما ينبغي له اي ما يتسهل له ذلك
وما كان يتزن له بيت شعر حتى اذا تمثل ببيت شعر جرى على لسانه منكسرا روى الحسن
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتمثل بهذا البيت كفى بالاسلام والشيب للمرء ناهيا فقال
ابو بكر يا نبي الله انما قال الشاعر كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا فقال عمر اشهد انك رسول
الله يقول الله عز وجل وما علمناه الشعر وما ينبغي له وعن ابن شريح قال قلت لعايشة
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثل شيا من الشعر قالت كان يتمثل من شعر عبد الله
ابن رواحة قالت وربما قال ويأتيك بالاخبار من لم تزود وفي رواية قالت كان الشعر
ابغض الحديث اليه قالت ولم يتمثل بشي من الشعر الا ببيت اخي بني قيس طرفة
ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا ويأتيك بالاخبار من لم تزود فجعل يقول ويأتيك

من

من لم تزود بالاخبار فقال ابو بكر ليس هكذا يا رسول الله فقال اني لست بشاعر ولا ينبغي
لي وقيل معناه ما كان يتاتى له قال ابن الخطيب وفيه اوجه احسن من ذلك وهو ان
نحمل ما ينبغي له على مفهومه الظاهر وهو ان الشعر ما كان يليق به ولا يصلح له لان الشعر
يدعو الى تغيير المعنى لمراعاة اللفظ والوزن والشارع يكون اللفظ منه تبعا للمعنى والشاعر
يكون المعنى منه تبعا للفظ لانه يقصد لفظا به يصح وزن الشعر وقافيته فيحتاج الى التحيل
لمعنى ياتي به لاجل ذلك اللفظ وعلى هذا فنقول الشعر هو الكلام الموزون الذي قصد الى
وزنه قصدا اوليا واما من يقصد المعنى فيصدر موزونا لا يكون شاعرا الا ترى ان
قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ليس بشعر والشاعر اذا صدر منه هذا
الكلام فيه متحركات وساكنات بعدد ما في الاية تقطيعه فاعلات فاعلات فاعلات
فاعلات ويكون شعرا لانه قصد الاتيان بالفاظ حروفها متحركة وساكنة كذلك
والمعنى تبعه والحكيم قصد المعنى فجا على تلك الالفاظ وعلى هذا تحصل الجواب عن قول
من يقول ان النبي ذكر بيت شعر وهو قوله انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب او بيتين
لانا نقول ذلك ليس بشعر لعدم قصده الى الوزن والقافية وعلى هذا لو صدر من النبي عليه
السلام كلام كثير موزون مقفى لا يكون شعرا لعدم قصده اللفظ قصدا اوليا ويؤيد
ما ذكرنا انك اذا تتبعت كلام الناس في الاسواق تجد فيه ما يكون موزونا واقعا في بحر
من بحور الشعر ولا يسمى المتكلم به شاعرا ولا الكلام شعرا لفقد القصد الى اللفظ اولا **فصل**
وجه الترتيب ما تقدم من انه تعالى لما ذكر ... ذكر اصلين من الاصول
الثلاثة وهي الوحدانية والرسالة والحشر ذكر الاصل الثالث منها وههنا ذكر اصلين الوحدانية
والحشر اما الوحدانية ففي قوله تعالى الم اعهد اليكم يا بني ادم ان لا تعبدوا الشيطان وفي قوله
وان اعبدوني هذا صراط مستقيم واما الحشر ففي قوله تعالى اصلوها اليوم وبقوله اليوم
نختم الى غير ذلك فلما ذكرهما وبينهما ذكر الاصل الثالث وهو الرسالة فقال وما علمناه
الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقران مبين فقوله وما علمناه الشعر اشارة الى انه
معلم من عند الله تعلمه ما اراد ولم يعلمه ما لم يرد **فان قيل** ما الحكمة في تخصيص الشعر بنفي
التعليم مع ان الكفار كانوا ينسبون الى النبي صلى الله عليه وسلم اشياء من جملتها السحر
والكهانة ولم يقل وما علمناه السحر وما علمناه الكهانة **فالجواب** اما الكهانة فكانوا ينسبون
النبي عليه السلام اليها عندما كان يخبر عن الغيوب ويكون كما يقول واما السحر فكانوا ينسبونه
اليه عندما كان يفعل ما لا يقدر عليه الغير كشق القمر وتكلم الحجر والجذع وغير ذلك واما
الشعر فكانوا ينسبونه اليه عندما كان يتلو القران عليهم لكنه عليه السلام ما كان يتحدى الا
بالقران كما قال تعالى ان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله الى غير ذلك ولم
يقل ان كنتم في شك من رسالتي فاقطعوا الجذوع او اشبعوا الخلق العظيم او اخبروا بالغيوب
فلما كان تحديه عليه السلام بالكلام وكانوا ينسبونه الى الشعر عند الكلام خص الشعر بنفي التعليم
قوله ان هو اي ان القران دل عليه السياق او ان المعلم الا ذكر يدل عليه وما علمناه والضمير
في له للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل للقران **قوله** الا ذكر موعظة وقران مبين فيه الفرايض
والحدود والاحكام **قوله** لينذر قرا نافع وابن عامر هنا وفي الاحقاف لتنذر خطابا
والباقون بالغيبة بخلاف عن البزي في الاحقاف فالغيبة تحتمل ان يكون الضمير فيها للنبي
صلى الله عليه وسلم وان يكون للقران وقرا الجحدري واليماني لينذر مبنيا للمفعول وابو السمال
واليماني ايضا لينذر بفتح اليا والذال من نذر بكسر الذال اي علم فيكون من فاعلا **فصل**

المعنى لينذر القرآن من كان حيا يعني مؤمنا حي القلب لان الكافر كالميت في انه لا يتدبر ولا
يتفكر قال تعالى او من كان ميتا فاحييناه وقيل من كان حيا اي عاقلا ذكره الزمخشري في ربيع
الابرار ويحق القول وتجب العذاب على الكافرين ثم انه تعالى اعاد الوحدانية والدلائل الدالة
عليها فقال قوله اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا الخ من جملة ما عملت ايدينا اي مما
عملناه من غير معين ولا ظهير بل عملناه بقدرتنا وارادتنا انعاما فهم لها مالكون ضابطون
قاهرون اي لم نخلق الانعام وحشية نافرة من بني ادم لا يقدرون على ضبطها بل هي مسخرة
لهم لقوله وذللناها لهم فمنها ركوبهم اي ما يركبون وهي الابل ومنها ياكلون من
لحمانها **قوله** ركوبهم اي مركوبهم كالحلوب والحصول بمعنى المفعول وهو لا ينقاس وقرأ
ابي وعايشة ركوبتهم بالتاء وهي قراءة بعضهم قول الشاعر هذه الرقية شاذة اوجبها الزمخشري
في قول بعضهم جمعا يعني اسم جمع والا فلم يرد في ابنية التكسير هذه الزنة وقد عد ابن مالك
ابنية اسما الجموع فلم يذكر فيها فعولة وقرأ الحسن وابو البرهشم والاعمش ركوبهم بضم
الرا ولا بد من حذف مضاف اما من الاول اي فمن منافعها ركوبهم واما من الثاني اي ذو
ركوبهم قال ابن خالويه العرب تقول ناقة ركوب حلوب وركوبة حلوبة وركباة حلباة وركبوت
حلبوت وركبى حلبى وركبوتا حلبوتا وركبانة حلبانة وانشد
وركبانة حلبانة ذروف تخلط الطيب وبرو ولموقا **فصل** لما بين الركوب والاكل
ذكر غير ذلك فقال ولكم فيها منافع ومشارب والمراد بالمنافع اصوافها واوبارها واشعارها
ونسلها وبالمشارب البانها **والمشارب** جمع مشرب بالفتح مصدرا ومكانا ثم قال
افلا يشكرون رب هذه النعم واتخذوا من دون الله الهة اشارة الى بيان زيادة ضلالهم
لانه كان الواجب عليهم عبادة الله شكرا لانعمه فتركوها واقبلوا على عبادة من لا ينصر ولا ينفع
لعلهم ينصرون اي لتمنعهم من عذاب الله ولا يكون ذلك والضمير في قوله لا يستطيعون اما
للالهة واما للعابدين لها وكذلك الضمير بعده قال ابن عباس لا تقدر الاصنام على نصرهم
ومنعهم من العذاب وهم لهم جند محضرون اي الكفار جند الاصنام يغضبون لها ويحضرونها
في الدنيا وهي لا تسوق لهم خيرا ولا تستطيع لهم نصرا وقيل هذا في الاخرة يؤتى بكل معبود من
دون الله ومعه اتباعه الذين عبدوه كانهم جند محضرون في النار وهذا اشارة الى الحشر
بعد تقرير التوحيد وهذا كقوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وقوله
احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم
قوله فلا يحزنك قد تقدم قراءة يحزن ويحزن قولهم يعني قول الكفار في تكذيبك
وهذا اشارة الى الرسالة لان الخطاب معه بما يوجب تسلية قلبه انا نعلم ما يسرون وما
يعلنون ما يسرون في ضمائرهم وما يعلنون من عبادة الاصنام او ما يعلنون بالسنتهم من
الاذى **قوله** اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة لما ذكر دليلا من الافاق على وجوب
عبادته بقوله اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما ذكر دليلا من الانفس فقال
اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة قيل المراد بالانسان ابي بن خلف الجمحي خاصم النبي صلى الله
عليه وسلم في انكار البعث واتاه بعظم قد بلي ففتته بيده وقال اترى يحيي الله هذا العظم بعد
ما رم فقال النبي صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك ويدخلك النار فانزل الله هذه الايات
قال ابن الخطيب وقد ثبت في اصول الفقه ان الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب
الا ترى قوله تعالى قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها نزلت في واحدة واراد الحكم في الكل كذلك
كل انسان ينكر الله والحشر هذه الاية رد عليه وقوله فاذا هو خصيم مبين اي جدل بالباطل

مبين بين الخصومة يعني انه مخلوق من نطفة فكيف يخاصم وكيف لا يتفكر في بدء خلقه حتى
يدع الخصومة وفي الاية لطيفة وهي ان اختلاف صور اعضائه مع تشابه اجزاء النطفة اية ظاهرة
ومع ذلك فهناك ما هو اظهر وهو نطفة وخصيمه لان النطفة جسم فهب ان جاهلا يقول انه
استحال جسما اخر لكن القوة الناطقة والقوة العاقلة من اين تقتضيها النطفة فابداع
النطق والفهم اعجب واغرب من ابداع الخلق والجسم وهو الى ادراك القوة والاختيار منه اقرب
فقوله خصيم اي ناطق وانما ذكر الخصيم مكان الناطق لانه اعلا احوال الناطق فان الناطق
مع نفسه لا يتبين كلامه مثل ما يبينه وهو يتكلم مع غيره والمتكلم مع غيره اذا لم يكن خصما
لا يبين ولا يجتهد مثل ما يجتهد اذا كان كلامه مع خصمه **قوله** وضرب لنا مثلا ونسي
خلقه قرا زيد بن علي ونسي خالقه بزنة اسم الفاعل **فصل** المعنى ونسي خلقه اي بدء
امره قال من يحيي العظام وهي رميم قيل فعيل بمعنى فاعل وقيل بمعنى مفعول نحو الاول
عدم التاء في مغير وقال الزمخشري الرميم اسم لما بلي من العظام غير صفة كالرمة والرفات
فلا يقال لم لم يؤنث وقد وقع خبرا لمؤنث ولا هو فعيل بمعنى فاعل او مفعول وقال
البغوي ولم يقل رميمة لانه معدول من فاعلة فكل ما كان معدولا عن وجهه ووزنه كان
مصروفا عن اعرابه كقوله وما كانت امك بغيا اسقط الها لانها مصروفة عن باغية **فصل**
هذه الاية وما بعدها اشارة الى بيان الحشر واعلم ان المنكرين للحشر منهم من لم يذكر فيه
دليلا ولا شبهة بل اكتفى بمجرد الاستبعاد وهم الاكثرون كقولهم وقالوا ائذا ضللنا في الارض
ائنا لفي خلق جديد ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون قال من يحيي العظام وهي رميم
على طريق الاستبعاد فابطل استبعادهم بقوله ونسي خلقه اي نسي انا خلقناه من تراب ومن
نطفة متشابهة الاجزاء ثم جعلنا لهم من النواصي الى الاقدام اعضاء مختلفة الصور وما
اكتفينا بذلك حتى اودعناهم ما ليس من قبيل هذه الاجرام وهو النطق والعقل الذي بهما استحقوا
الاكرام فان كانوا يقنعون بمجرد الاستبعاد فهلا يستبعدون خلق الناطق العاقل من نطفة
قذرة لم تكن محلا للحيوة اصلا ويستبعدون اعادة النطق والعقل الى محل كانا فيه واختاروا
العظم بالذكر لانه ابعد عن الحيوة لعدم الاحساس فيه ووصفوه بما يقوي جانب
الاستبعاد من البلى والتفتت والله تعالى دفع استبعادهم من جهة ما في المعيد
من القدرة والعلم فقال ضرب لنا مثلا اي جعل قدرتنا كقدرتهم ونسي خلقه العجيب
وبداه الغريب ومنهم من ذكر شبهة وان كان في اخرها يعود الى مجرد الاستبعاد
وهي على وجهين الاول انه بعد العدم لم يبق شيئا فكيف يصح على العدم الحكم بالوجود
فاجاب الله تعالى عن هذه الشبهة بقوله تعالى الذي انشاها اول مرة يعني كما خلق
الانسان ولم يكن شيئا مذكورا كذلك يعيده وان لم يبق شيئا مذكورا الثاني ان من
تفرقت اجزاؤه في مشارق العالم ومغاربه وصار بعضه في ابدان السباع وبعضه في
حواصل الطيور وبعضها في جدران الرباع كيف يجتمع وابعد من هذا لو اكل انسان
انسانا وصارت اجزاء الماكول في اجزاء الاكل فان اعيدت اجزاء الاكل فلا يبقى للماكول اجزاء
تخلق منها اعضاؤه وان اعيدت الى بدن الماكول فلا يبقى للاكل اجزاء فابطل الله تعالى
هذه الشبهة بقوله وهو بكل خلق عليم ووجهه ان في الاكل اجزاء اصلية واجزاء فضلية وفي
الماكول كذلك فاذا اكل انسان انسانا صار الاصلي من اجزاء الماكول فضليا من اجزاء الاكل والاجزاء الاصلية للاكل
هي ما كان قبل الاكل والله بكل خلق عليم يعلم الاصل من الفضل فيجمع الاجزاء الاصلية للاكل
ويجمع الاجزاء الاصلية للماكول وينفخ فيه روحه وكذلك يجمع اجزاءه المتفرقة في البقاع المتبددة

بحكمته وقدرته ثم انه تعالى عاد الى تقرير ما تقدم من دفع استبعادهم وابطال انكارهم
فقال الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا هذه قراءة العامة وقرئ الخضراء اعتبارا بالمعنى
وقد تقدم انه يجوز تذكير اسم الجنس وتانيثه قال تعالى نخل منقعر ونخل خاوية وتقدم
ان بني تميم ونجد يذكرونه والحجاز يؤنثونه الا الفاظا استثنيت **فصل** قال ابن
عباس هما شجرتان يقال لاحداهما المرخ وللاخرى العفار فمن اراد منهما النار قطع منهما
غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الما فيسحق المرخ على العفار فيخرج منهما النار
باذن الله تعالى وتقول العرب في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار وقال الحكما في كل شجر
نار الا العناب فاذا انتم منه توقدون اي تقدحون وتوقدون النار من ذلك الشجر
ثم ذكر ما هو اعظم من خلق الانسان فقال اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على
ان يخلق مثلهم هذه قراءة العامة ودخلت البا زايدة على اسم الفاعل والجحدري وابن ابي اسحق
والاعرج يقدر فعلا مضارعا والضمير في مثلهم قيل عايد على الناس لانهم هم المخاطبون وقيل
على السموات والارض لتضمنهم من يعقل ثم قال بلى اي هو قادر على ذلك وهو الخلاق
العليم يخلق خلقا بعد خلق العليم بجميع ما خلق وبلى جواب للنفي وان دخل عليها الاستفهام
المصير لما ايجابا والعامة على الخلاق صيغة مبالغة والجحدري والحسن ومالك بن دينار
الخالق اسم فاعل **قوله** انما امره اذا اراد شيا ان يقول له كن فيكون تقدم الخلاف في
فيكون نصبا ورفعا وتوجيه ذلك في البقرة **قوله** فسبحان الذي بيده ملكوت كل شي قرا
طلحة والاعمش ملكة بزنة شجرة وهي مملكة بزنة مفعلة وقرئ مملكة والملكوت ابلغ الجميع
والعامة على ترجعون مبنيا للمفعول وزيد بن علي مبني للفاعل وتقدم الكلام على قوله
سبحان والتسبيح التنزيه والملكوت مبالغة في الملك كالرحمن والرهبوت فعلوت او فعلوت
فيه كلام قال عليه السلام اقروا على موتاكم يس وقال عليه السلام لكل شي قلب وان قلب
القران سورة يس ومن قرا يس كتب الله له بقراتها قراة القران عشر مرات وعن عايشة قالت
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في القران سورة يشفع قاريها ويغفر لمستمعها الا وهي
سورة يس وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يس تدعى المعمة قيل يا رسول الله وما المعمة قال تعم صاحبها خير الدنيا والاخرة وتدعى
الدافعة القاضية تدفع عنه كل سو وتقضي له كل حاجة ومن قراها عدلت له عشرين
حجة ومن سمعها كان له الف دينار في سبيل الله ومن كتبها وشربها ادخلت جوفه الف دوا
والف يقين والف رافة ونزع منه كل دا وغل وعن ابي امامة عن ابي بن كعب قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا يس يريد بها وجه الله عز وجل غفر الله له واعطي
من الاجر كانما قرا القران اثني عشرة مرة وايما مريض قرئ عنده سورة يس نزل عليه بعدد
كل حرف عشرة املاك يقومون بين يديه صفوفا فيصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون
قبضه وغسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وايما مريض قرا سورة يس
وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيه رضوان خازن الجنان بشربة من
الجنة فيشربها وهو على فراشه فيموت وهو ريان ويبعث وهو ريان ويحاسب وهو ريان ولا يحتاج
الى حوض من حياض الانبيا حتى يدخل الجنة وهو ريان وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قرا سورة يس في ليلة اصبح مغفورا له وعن انس بن مالك قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من دخل المقابر فقرا سورة يس خفف عنهم يوميذ وكان له بعدد من
فيها حسنات وعن يحيى بن ابي كثير قال بلغنا انه من قرا يس حين يصبح لم يزل في فرح حتى يمسي

ومن قراها حين يمسي لم يزل في فرح حتى يصبح

سورة والصافات مكية

وهي مائة واثنتان وثمانون اية وثمان مائة وستون كلمة وثلاثة الاف وثمان مائة وستة
وعشرون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** والصافات صفا قرا ابو عمرو
وحمزة بادغام التا من الصافات والزاجرات والتاليات في صاد صفا وزاي زجرا وذال
ذكرا وكذلك فعلا في الذاريات ذروا وفي الملقيات ذكرا وفي العاديات ضبحا بخلاف عن
خلاد في الاخيرين وابو عمرو جار على اصله في ادغام المتقاربين كما هو المعروف من اصله وحمزة
خارج عن اصله والفرق بين مذهبيهما ان ابا عمرو يجيز الروم وحمزة لا يجيزه وهذا كما اتفقا
في ادغام بيت طايفة في سورة النسا وان كان ليس من اصل حمزة ادغام مثله وقرا الباقون
باظهار جميع ذلك قال الواحدي ادغام التا في الصاد حسن لمقاربة الحرفين الا ترى انهما من
طرف اللسان واصول الثنايا يجتمعان في الهمس والمدغم فيه يزيد على المدغم بالاطباق والصفير
وادغام الانقص في الازيد حسن ولا يجوز ان يدغم الازيد صوتا في الانقص وايضا ادغام التا
في الزاي في قوله فالزاجرات زجرا حسن لان التا مهموسة والزاي مجهورة وفيها زيادة صفير
كما كان في الصاد وايضا حسن ادغام التا في الذال في قوله فالتاليات ذكرا لاتفاقهما في انهما
من طرف اللسان واصول الثنايا واما من قرا باظهار فلاختلاف المخارج ومفعول الصافات
والزاجرات غير مراد اذ المعنى انها فاعلات لذلك واعرب ابو البقا صفا مفعولا به على انه قد
يقع على المصفوف وهذا ضعيف وقيل هو مراد والمعنى والصافات انفسها وهم الملايكة المجاهدون
او المصلون او الصافات اجنحتها وهي الطير كقوله والطير صافات والزاجرات السحاب
او العصاة ان اريد بهم العلما والزجر الدفع بقوة وهو قوة التصويت وانشد
زجر ابي عروة السباع اذا اشفق ان يختلطن بالغنم وزجرت الابل والغنم اذا فزعت
من صوتك واما والتاليات فيجوز ان يكون ذكرا مفعوله والمراد بالذكر القران وغيره من
تسبيح وتحميد ويجوز ان يكون ذكرا مصدرا ايضا من معنى التاليات وهذا اوفق لما قبله قال
الزمخشري الفا في فالزاجرات فالتاليات اما ان تدل على ترتب معانيها في الوجود كقوله
يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالايب اي الذي صبح فغنم فاب واما على
ترتبها في التفاوت من بعض الوجوه كقولك خذ الافضل فالاكمل واعمل الاحسن فالاجمل
واما على ترتب موصوفاتها في ذلك كقولك رحم الله المحلقين فالمقصرين فاما هنا فان وحدت
الموصوف كانت للدلالة على ترتب الصفات في التفاضل فاذا كان الموحد الملايكة فيكون
الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة وعلى العكس وان ثنيت الموصوف فترتب في الفضل فتكون
الصافات ذوات فضل والزاجرات افضل والتاليات ابهر فضلا او على العكس يعني بالعكس
في الموضعين انك ترتقي من افضل الى فاضل الى مفضول او تبتدي بالادنى ثم بالفاضل ثم
بالافضل والواو في هذه للقسم والجواب قوله ان الهكم لواحد وقد ذكرنا الكلام في الواو الثانية
والثالثة هل هي للقسم او للعطف **فصل** قال ابن عباس والحسن وقتادة والصافات
صفا هم الملايكة في السما يصفون كصفوف الخلق في الدنيا للصلوة وقال عليه السلام
الا تصفون كما تصف الملايكة عند ربهم قلنا وكيف تصف الملايكة عند ربهم قال يتمون الصفوف
المقدمة ويتراصون في الصف وقيل هم الملايكة تصف اجنحتها في الهوا واقفة حتى يامرها الله
بما يريد وقيل هي الطير لقوله تعالى والطير صافات فالزاجرات زجرا يعني الملايكة تزجر
السحاب وتسوقه وقال قتادة هي زواجر القران تنهى وتزجر عن القبيح فالتاليات ذكرا هم
الملايكة يتلون ذكر الله وقيل هم جماعة قرا القران وهذا كله قسم وقيل فيه اضمار اي ورب

الصافات والزاجرات والتاليات **فصل** قال ابو مسلم الاصفهاني لا يجوز حمل هذه الالفاظ على الملائكة لانها مشعرة بالتانيث والملائكة مبرؤون عن هذه الصفة واجيب بوجهين الاول ان الصافات جمع الجمع فانه يقال جماعة صافة ثم يجمع على صافات والثاني انهم مبرؤون عن التانيث المعنوي واما التانيث اللفظي فلا وكيف وهم يسمون بالملائكة مع ان علامة التانيث حاصلة **فصل** اختلف الناس ههنا في المقسم به على قولين احدهما ان المقسم به خالق هذه الاشيا لنهيه صلى الله عليه وسلم عن الحلف بغير الله تعالى ولان الحلف في مثل هذا الموضع تعظيم للمحلوف به ومثل هذا التعظيم لا يليق الا بالله تعالى ومما يوكد هذا انه تعالى صرح به في قوله والسما وما بناها والارض وما طحاها ونفس وما سواها الثاني ان المقسم به هو هذه الاشيا لظاهر اللفظ فالعدول عنه خلاف الدليل واما قوله تعالى والسما وما بناها فانه علق لفظ القسم بالسما ثم عطف عليه القسم بالباني للسماء ولو كان المراد من القسم بالسما القسم بمن بنا السما لزم التكرار في موضع واحد وانه لا يجوز وايضا لا يبعد ان تكون الحكمة في قسم الله تعالى بهذه الاشيا التنبيه على شرف ذواتها **فان قيل** ذكر الحلف في هذا الموضع غير لايق وبيانه من وجوه الاول ان المقصود من هذا القسم اما اثبات هذا المطلوب عند المومن او عند الكافر والاول باطل لان المومن مقر به من غير حلف والثاني باطل لان الكافر لا يقر به سوا حصل الحلف او لم تحصل فهذا الحلف عديم الفايدة على كل تقدير الثاني انه تعالى اقسم في اول هذه السورة على ان الاله واحد واقسم في اول سورة الذاريات على ان القيمة حق فقال والذاريات ذروا الى قوله انما توعدون لصادق وان الدين لواقع واثبات هذه المطالب العالية الشريفة على المخالفين من الدهرية وامثالهم بالحلف لا يليق بالعقلا فالجواب من وجوه الاول انه تعالى قرر التوحيد وصحة البعث والقيمة في ساير السور بالدلايل اليقينية فلما تقدم ذكر تلك الدلايل لم يبعد تقريرها بذكر القسم تاكيدا لما تقدم لا سيما والقران انزل بلغة العرب واثبات المطالب بالحلف واليمين طريقة مالوفة عند العرب الثاني انه تعالى لما اقسم بهذه الاشيا على صحة قوله تعالى ان الهكم لواحد ذكر عقيبه ما هو الدليل اليقيني في كون الاله واحدا وهو قوله تعالى رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق وذلك لانه تعالى بين في قوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا ان انتظام احوال السموات والارض يدل على ان الاله واحد فههنا لما قال ان الهكم لواحد اردفه بقوله رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق كانه قيل بينا ان النظر في انتظام هذا العالم يدل على كون الاله واحدا فتاملوا ليحصل لكم العلم بالتوحيد الثالث ان المقصود من هذا الكلام الرد على عبدة الاصنام في قولهم بانها الهة فكانه قيل ان هذا المذهب قد بلغ في السقوط والركاكة الى حيث يكفي في ابطاله مثل هذه الحجة **قوله** رب السموات يجوز ان يكون خبرا ثانيا وان يكون بدلا من لواحد وان يكون خبر مبتدا مضمر وجمع المشارق والمغارب باعتبار جميع السنة فان للشمس ثلثماية وستين مشرقا وثلثماية وستين مغربا واما قوله المشرقين والمغربين فباعتبار الصيف والشتا وقيل المراد بالمشارق مشارق الكواكب لان لكل كوكب مشرقا ومغربا اراد المشارق والمغارب كما قال في موضع اخر فلا اقسم برب المشارق والمغارب **فان قيل** لم اكتفى بذكر المشارق فالجواب من وجهين الاول انه اكتفى بذكر المشارق كقوله تقيكم الحر والثاني ان الشروق اقوى حالا من الغروب واكثر نفعا من الغروب فذكر

المشرق

المشرق تنبيها على كثرة احسان الله تعالى على عباده ولهذه الدقيقة استدل ابرهيم عليه السلام بالمشرق فقال ان الله ياتي بالشمس من المشرق **فصل** دل قوله تعالى رب السموات والارض وما بينهما على كونه تعالى خالقا لاعمال العباد لان اعمال العباد موجودة فيما بين السموات والارض وهذه الاية دلت على ان كل ما حصل بين السموات والارض فالله ربه ومالكه وهذا يدل على ان فعل العبد حصل بخلق الله فان قيل الاعراض لا يصح وصفها بانها حصلت بين السموات والارض لان هذا الوصف انما يكون حاصلا في حيز وجهة والاعراض ليست كذلك قلنا انها لما كانت حاصلة في الاجسام الحاصلة بين السما والارض فهي ايضا حاصلة بين السموات والارض **قوله** انا زينا السما الدنيا بزينة الكواكب قرا عاصم برواية ابي بكر بزينة منونة ونصب الكواكب وفيه وجهان احدهما ان تكون الزينة مصدرا وفاعله محذوف تقديره بان زين الله الكواكب في كونها مضيية حسنة في نفسها والثاني ان الزينة اسم لما يزان به كالليقة اسم لما يلاق به الدواة فتكون الكواكب على هذا منصوبة باضمار اعني ويكون بدلا من سما الدنيا بدل اشتمال اي كواكبها او من محل بزينة وحمزة وحفص كذلك الا انهما خفضا الكواكب على ان يراد بزينة ما يزان به والكواكب بدلا او بيانا للزينة وهي قراة مسروق بن الاجدع قال الفرا رد معرفة على نكرة كقوله بالناصية ناصية فرد نكرة على معرفة وقال الزجاج الكواكب بدل من الزينة لانها هي كقولك مررت بابي عبد الله زيد والباقون باضافة زينة الى الكواكب وهي تحتمل ثلاثة اوجه احدها ان تكون اضافة اعم الى اخص فيكون للبيان نحو ثوب خز الثاني انها مصدر مضاف لفاعله اي بان زينت الكواكب السما بضوها والثالث انه مضاف لمفعوله اي بان زينها الله بان جعلها مشرقة مضيية في نفسها وقرا ابن عباس وابن مسعود بتنوينها ورفع الكواكب فان جعلتها مصدرا ارتفع الكواكب به وان جعلتها اسما لما يزان به فعلى هذا يرتفع الكواكب باضمار مبتدا اي هي الكواكب وهي في قوة البدل ومنع الفرا اعمال المصدر المنون وزعم انه لم يسمع وهو غلط لقوله تعالى واطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ان شا الله تعالى **قوله** وحفظا منصوب على المصدر باضمار فعل اي حفظناها حفظا واما على المفعول من اجله على زيادة الواو والعامل فيه زينا او على ان يكون العامل مقدرا اي لحفظها زيناها او على الحمل على المعنى المتقدم اي انا خلقنا السما الدنيا زينة وحفظا ومن كل متعلق بحفظا ان لم يكن مصدرا موكدا او بالمحذوف ان جعل مصدرا موكدا ويجوز ان يكون صفة لحفظا قال المبرد اذا ذكرت فعلا ثم عطفت عليه مصدر فعل اخر نصبت المصدر لانه قد دل على فعل كقولك افعل وكرامة لما قال افعل علم ان الاسما لا تعطف على الافعال فكان المعنى افعل ذاك واكرمك كرامة **فصل** قال ابن عباس زينا السما الدنيا بضوء الكواكب وحفظناها من كل شيطان مارد اي متمرد يرمون بها وتقدم الكلام على المارد عند قوله مردوا على النفاق واعلم انه تعالى بين انه زين السما لمنفعتين احديهما تحصيل الزينة والثانية الحفظ من الشيطان المارد **فان قيل** انه ثبت في علم الهيئة ان هذه الكواكب الثوابت مركوزة في الكرة الثامنة وان السيارات مركوزة في الكرات الستة المحيطة بسما الدنيا فكيف يصح قوله انا زينا السما الدنيا بزينة الكواكب فالجواب ان الناس الساكنين على سطح كرة الارض اذا نظروا الى السما فانهم يشاهدونها مزينة بهذه الكواكب فصح قوله تعالى انا زينا السما الدنيا بزينة الكواكب وايضا تكون هذه الكواكب مركوزة في الفلك الثامن لم يتم دليل الفلاسفة عليه **فان قيل** هذه الشهب التي يرمى بها هل هي من الكواكب التي

زين الله السماء بها ام لا والاول باطل لان هذه الشهب تبطل وتضمحل فلو كانت هذه الشهب
تلك الكواكب الحقيقية لوجب ان يظهر نقصان كثير في اعداد كواكب السماء ولم يوجد ذلك فان
اعداد كواكب السماء باقية لم تتغير البتة وايضا فجعلها رجوما للشياطين مما يوجب وقوع النقصان
في زينة السماء فكان الجمع بين هذين المقصودين كالمتناقض وان كانت هذه الشهب جنسا اخر
غير الكواكب المركوزة في الفلك فهو ايضا مشكل لانه تعالى قال في سورة الملك ولقد زينا
السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فالضمير في قوله وجعلناها عائد
الى المصابيح فوجب ان يكون تلك المصابيح هي الرجوم باعيانها فالجواب ان هذه الشهب
غير تلك الكواكب الثابتة واما قوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها
رجوما للشياطين فنقول كل نير يحصل في الجو العالي فهو مصباح لاهل الارض الا ان تلك
المصابيح منها باقية على وجه الدهر امنة من التغير والفساد ومنها ما لا يكون كذلك وهي
هذه الشهب التي يحدثها الله تعالى ويجعلها رجوما للشياطين الى حيث يعلمون وبهذا
يزول الاشكال **فان قيل** كيف يجوز ان يذهب الشياطين حيث يعلمون ان الشهب
تحرقهم ولا يصلون الى مقصودهم البتة وهل يمكن ان يصدر مثل هذا الفعل عن عاقل
فكيف من الشياطين الذين لهم مزية في معرفة الحيل الدقيقة فالجواب ان حصول
هذه الحالة ليس له موضع معين والا لم يذهبوا اليه وانما يمنعون من المصير الى مواضع
الملائكة ومواضعها مختلفة فربما صاروا الى موضع تصيبهم الشهب وربما صاروا الى
غيره ولا صادفوا الملائكة ولا تصيبهم الشهب فلما هلكوا في بعض الاوقات وسلموا في بعض
الاوقات جاز ان يصيروا الى مواضع يغلب ظنونهم انهم لا تصيبهم الشهب فيها كما يجوز فيمن
سلك البحر ان يسلكه في موضع يغلب على ظنه حصول النجاة هذا ما ذكره ابو علي الجبائي
في الجواب عن هذا السؤال في تفسيره وفي هذا الجواب نظر فان السموات ليس فيها موضع خال
من الملائكة لقوله عليه السلام اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع قدم الا وفيه ملك قائم
او راكع او ساجد قال ابن الخطيب ولقائل ان يقول انهم اذا صعدوا فاما ان يصلوا الى
مواضع الملائكة او الى غير تلك المواضع فان وصلوا الى مواضع الملائكة احترقوا وان وصلوا
الى غير مواضع الملائكة لم يفوزوا بمقصودهم اصلا وعلى كلا التقديرين فالمقصود غير حاصل
واذا كان الفوز بالمقصود محالا وجب ان يمتنعوا عن هذا الفعل وان لا يقدموا عليه اصلا
بخلاف حال المسافر في البحر فان الغالب عليهم السلامة والفوز بالمقصود واما هاهنا فالشيطان
الذي يسلم من الاحراق انما يسلم اذا لم يصل الى مواضع الملائكة واذا لم يصل الى ذلك الموضع
لم يفز بالمقصود فوجب ان لا يعودوا الى هذا العمل البتة والاقرب في الجواب ان يقال هذه
الواقعة انما تتفق في الندرة فلعلها لا تشتهر بسبب ندرتها فيما بين الشياطين والله اعلم
فان قيل دلت التواريخ المتواترة على ان حدوث الشهب كان حاصلا
قبل مجيء النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك فان الحكماء الذين كانوا موجودين قبل مجيء النبي صلى الله
عليه وسلم بزمان طويل ذكروا ذلك وتكلموا في سبب حدوثه واذا ثبت ان ذلك كان
موجودا قبل مجيء النبي صلى الله عليه وسلم امتنع حمله على مجيء النبي صلى الله عليه وسلم اجاب
القاضي بان الاقرب ان هذه الحالة كانت موجودة قبل النبي صلى الله عليه وسلم لكنها
كثرت في زمان النبي صلى الله عليه وسلم فصارت بسبب الكثرة معجزة **فان قيل**
الشيطان مخلوق من النار كما حكى عن قول ابليس خلقتني من نار وقال والجان خلقناه من قبل
من نار السموم ولهذا السبب يقدر على الصعود الى السموات واذا كان كذلك فكيف يعقل

احراق

احراق النار بالنار فالجواب يحتمل ان الشياطين وان كانوا من النيران الا انها نيران ضعيفة
ونيران الشهب اقوى حالا منهم لا جرم صار الاقوى مبطلا للاضعف الا ترى ان السراج
الضعيف اذا وضع في النار القوية فانه ينطفي فكذلك هاهنا **قوله** لا يسمعون
قرا الاخوان وحفص بتشديد السين والميم والاصل يتسمعون فادغم والباقون بالتخفيف
فيهما واختار ابو عبيد الاولى وقال لو كان مخففا لم يتعد بالى واجيب عنه بان
معنى الكلام لا يسمعون الى الملا وقال مكي لانه جرى مجرى مطاوعه وهو يتسمعون فكما
كان يتسمع يتعدى بالى تعدى سمع بالى وفعلت وافتعلت في التعدي سوا فتسمع مطاوع
سمع واستمع ايضا مطاوع سمع فتعدى سمع تعدي مطاوعه وهذه الجملة منقطعة
عما قبلها ولا يجوز فيها ان تكون صفة لشيطان على المعنى اذ يصير التقدير من كل شيطان
مارد غير سامع او مستمع وهو فاسد ولا يجوز ايضا ان يكون جوابا لسوال سائل لم يحفظ
من الشياطين اذ يفسد معنى ذلك وقال بعضهم اصل الكلام لئلا يسمعوا فحذفت اللام
فارتفع الفعل وفيه تعسف وقد وهم ابو البقا فجوز ان يكون صفة وان يكون حالا وان
يكون مستانفة فالاولان ظاهرا الفساد والثالث ان عنى به الاستيناف البياني فهو
فاسد ايضا وان اراد الانقطاع على ما تقدم فهو صحيح **فصل** واحتجوا لقراءة
التخفيف بقوله تعالى انهم عن السمع لمعزولون وروى مجاهد عن ابن عباس ان الشياطين
يسمعون الملا الاعلى ثم يسمعون ولا يسمعون والاولى ان يجيبوا فيقولوا التنصيص
على كونهم ممنوعين عن السمع لا يمنع من كونهم ممنوعين ايضا عن التسمع بدلالة هذه
الاية بل هذا اقوى في ردع الشياطين ومنعهم من استماع اخبار السماء فان الذي منع من
الاستماع بان يكون ممنوعا عن السمع اولى واعلم ان الفرق بين قولك سمعت حديث
فلان وبين قولك سمعت الى حديثه ان قولك سمعت حديثه يفيد الادراك وسمعت
الى حديثه يفيد الاصغاء مع الادراك وفي قوله لا يسمعون الى الملا الاعلى قولان اشهرهما
ان تقديره لئلا يسمعوا فلما حذف الناصب صار كقوله يبين الله لكم ان تضلوا
وقوله رواسي ان تميد بكم قال الزمخشري حذف اللام وان كل منهما جائز بانفراده
اما اجتماعهما فمن المنكرات التي يجب صون القران عنها قال الزمخشري انه كلام
منقطع عما قبله وهو حكاية المسترقين السمع وانهم لا يقدرون ان يسمعوا الى كلام الملائكة
ويتسمعوا وهم مقذوفون بالشهب مدحورون عن المقصود والملا الاعلى هم الملائكة
الكتبة سكان السموات ومعنى يقذفون يرمون من كل جانب من افاق السماء **قوله**
دحورا العامة على ضم الدال وفيه اوجه احدها المفعول له اي لاجل الطرد
الثاني مصدر لتقيف قوله اي يدحرون دحورا او يقذفون قذفا فالتجوز اما في الاول
واما في الثاني الثالث انه مصدر لمقدر اي يدحرون دحورا الرابع انه في موضع
الحال اي ذوي دحور او مدحورين وقيل هو جمع داحر نحو قاعد وقعود فيكون حالا
بنفسه من غير تاويل قال مجاهد دحورا مطرودين وروي عن ابي عمرو انه قرا ويقذفون
مبنيا للفاعل وقرا علي والسلمي وابن ابي عبلة دحورا بفتح الدال وفيها وجهان احدهما
انه صفة لمصدر مقدر اي قذفا دحورا وهو كالصبور والشكور والثاني انه مصدر
كالقبول والولوع وقد تقدم انه محصور في الفاظ والدحور قال المبرد اشد الصغار
والذل وقال ابن قتيبة دحرته دحرا ودحورا اي دفعته وطردته وتقدم في سورة
الاعراف عند قوله مذموما مدحورا **قوله** ولهم عذاب واصب قال مقاتل

دائم الى النفخة الاولى وتقدم في سورة النحل في قوله وله الدين واصبا **قوله** الا من
خطف فيه وجهان احدهما انه مرفوع المحل بدلا من ضمير لا يسمعون وهو احسن لانه غير
موجب والثاني انه منصوب على اصل الاستثناء والمعنى ان الشياطين لا يسمعون الملائكة
الا من خطف فاتبعه شهاب ثاقب ويجوز ان يكون من شرطية وجوابها فاتبعه او موصولة
وخبرها فاتبعه وهو استثناء منقطع وقد نصوا على ان مثل هذه الجملة يكون استثناء
منقطعا كقوله لست عليهم بمسيطر الا من تولى والخطفة مصدر معرف بال الجنسية او العهدية
وقرا العامة خطف بفتح الخاء وكسر الطاء مخففة وقتادة والحسن بكسرهما وتشديد الطاء وهي
لغة تميم بن مر وبكر بن وائل وعنهما ايضا وعن عيسى بفتح الخاء وكسر الطاء مشددة وعن الحسن
ايضا خطف كالعامة واصل القراءتين اختطف فلما اريد الادغام سكنت التاء وقبلها
الخاء ساكنة فكسرت الخاء لالتقاء الساكنين ثم كسرت الطاء اتباعا لحركة الخاء وهذه واضحة واما
الثانية فمشكلة جدا لان كسر الطاء انما كان لكسر الخاء وهو مفقود وقد وجه على التوهم
وذلك انهم لما ارادوا الادغام نقلوا حركة التاء الى الخاء ففتحت وهم يتوهمون انها مكسورة
لالتقاء الساكنين كما تقدم تقريره فاتبعوا الطاء لحركة الخاء المتوهمة واذا كانوا قد فعلوا
ذلك في مقتضيات الاعراب فلان يفعلوه في غيره اولى وبالجملة فهو تعليل شذوذ وقرا
ابن عباس خطف بكسر الخاء والطاء خفيفة وهو اتباع كقولهم نعم بكسر النون والعين وقرئ
فاتبعه بالتشديد **فصل** ومعنى الخطف اي اختلس الكلمة من كلام الملائكة
مسارقة فاتبعه اي لحقه شهاب ثاقب كوكب مضيء قوي لا يخطئه يقتله او يحرقه او يخبله وقيل
سمي ثاقبا لانه يثقب بنوره الهواء قال ابن عباس في تفسير قوله والنجم الثاقب قال انه زحل
سمي بذلك لانه يثقب بنوره سبع سموات وقال عطاء سمي النجم الذي يرمى به الشياطين ثاقبا
لانه يثقبهم وانما يعودون الى استراق السمع مع علمهم بانهم لا يصلون اليه طمعا في السلامة
ونيل المراد كراكب البحر **قوله** فاستفتهم يعني كفار مكة اي سلهم اهم اشد خلقا
ام من خلقنا يعني السموات والارض والجبال وهو استفهام بمعنى التقرير اي هذه الاشياء اشد
خلقا كقوله لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وقوله ءانتم اشد خلقا ام السماء
بناها وقيل معنى من خلقنا يعني من الامم الخالية لان من يذكر لمن يعقل والمعنى انهم ليسوا
باحكم خلقا من غيرهم من الامم وقد اهلكناهم بذنوبهم فما الذي يؤمن هؤلاء من
العذاب **قوله** ام من خلقنا العامة على تشديد الميم والاصل ام من فهي ام المتصلة
عطفت من على هم وقرا الاعمش بتخفيفها وهو استفهام ثان فالهمزة للاستفهام ايضا ومن مبتدا
وخبره محذوف اي الذي خلقنا اشد فهما جملتان مستقلتان وغلب من يعقل على غيره
فلذلك اتى بمن **قوله** انا خلقناهم من طين لازب اي جيد حر لاصق يعلق باليد واللازب
واللازم بمعنى وقد قرئ لازم لانه يلزم اليد وقيل اللازب اللزج وقال مجاهد والضحاك
منتن واكثر اهل اللغة على ان الباء في اللازب بدل من الميم **فصل** وجه النظم
انه قد تقرر ان المقصود الاعظم من القران اثبات الاصول الاربعة وهي الالهيات والمعاد
والنبوة واثبات القضاء والقدر فافتتح تعالى هذه السورة باثبات ما يدل على وجود الصانع
وعلى علمه وقدرته وحكمته ووحدانيته وهو خالق السموات والارض وما بينهما ورب المشارق
والمغارب ثم فرع عليها اثبات الحشر والنشر والقيامة وهو ان من قدر على ما هو اصعب واشق
وجب ان يقدر على ما هو دونه وهو قوله فاستفتهم اهم اشد خلقا ام من خلقنا فمن قدر على ما هو
اشد واصعب فبان يكون قادرا على اعادة الحيوة في هذه الاجساد كان اولى وايضا فقوله

خلقناهم من طين لازب يعني ان هذه الاجساد قابلة للحيوة اذ لو لم تكن قابلة للحيوة لما صارت
حية في المرة الاولى والمراد بقوله انا خلقناهم من طين لازب يعني اصلهم وهو ادم عليه السلام
روي ان القوم قالوا كيف يعقل تولد الانسان لا من ابوين ولا من نطفة فكانه تعالى قال
لهم انكم لما اقررتم بحدوث العالم واعترفتم بان السموات والارض وما بينهما انما حصل بخلق
الله تعالى وتكوينه وايجاده وان تعترفوا بان الانسان الاول انما حدث لا من الابوين فاذا
اعترفتم به فقد سقط قولكم ان الانسان كيف يحدث من غير نطفة ومن غير الابوين وايضا
فقد اشتهر عند الجمهور ان ادم مخلوق من طين لازب ومن قدر على خلق الحياة من الطين اللازب
كيف يعجز عن اعادة الحياة الى هذه الذوات ويمكن ان يكون المراد بقوله انا خلقناهم من طين
لازب اي كل الناس ووجهه ان الحيوان انما يتولد من المني ودم الطمث والمني انما يتولد من الدم
فالحيوان انما يتولد من الدم والدم انما يتولد من الغذاء والغذاء اما حيواني واما نباتي اما تولد
الحيوان الذي صار غذاء فالكلام في كيفية تولده كالكلام في تولد الانسان فثبت ان الاصل في الغذاء
هو النبات والنبات انما يتولد من امتزاج الارض بالماء وهو الطين اللازب فظهر ان كل الخلق
متولدون من الطين اللازب وهو قابل للحيوة والله تعالى قادر عليها وهذه القابلية والقادرية
واجبة البقاء فوجب بقاء هذه الصحة في كل الاوقات وهذا بيان ظاهر **قوله** بل
عجبت قرا الاخوان بضم التاء والباقون بفتحها فالفتح ظاهر وهو ضمير الرسول او كل من يصح منه
ذلك واما الضم فعلى صرفه للمخاطب اي قل يا محمد بل عجبت انا او على اسناده للباري تعالى
على ما يليق به وقد تقدم تحرير هذا في البقرة وما فهمه في الكتاب والسنة وعن شريح
انه انكرها وقال ان الله لا يعجب فبلغت ابراهيم النخعي فقال ان شريحا كان معجبا برايه قراها
من هو اعلم منه يعني عبد الله بن مسعود وابن عباس والعجب من الله ليس كالتعجب من الادميين
كما قال فيسخرون منهم سخر الله منهم وقال نسوا الله فنسيهم فالعجب من الادميين انكاره وتعظيمه
والعجب من الله تعالى قد يكون بمعنى الانكار والذم وقد يكون بمعنى الاستحسان والرضى كما جاء
في الحديث عجب ربكم من شاب ليست له صبوة وقوله عجب ربكم من الكم وقنوطكم وسرعة اجابته
اياكم وسئل جنيد عن هذه الاية فقال ان الله لا يعجب من شيء ولكن الله وافق رسوله لما عجب
رسوله وقال ان تعجب فعجب قولهم اي هو كما يقوله **قوله** ويسخرون يجوز ان يكون استئنافا
وهو الاظهر وان يكون حالا والمعنى اي عجبت من تكذيبهم اياك وهم يسخرون من تعجبك وقال
قتادة عجب نبي الله صلى الله عليه وسلم من هذا القران حين انزل وضلال بني ادم وذلك ان
النبي صلى الله عليه وسلم كان يظن ان كل من يستمع القران يؤمن به فلما سمع المشركون القران
سخروا منه ولم يؤمنوا فعجب النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك فقال الله تعالى بل عجبت ويسخرون
واذا ذكروا لا يذكرون اي اذا وعظوا بالقران لا يتعظون وقرا جناح بن حبيش ذكروا مخففا واذا
راوا اية قال ابن عباس ومقاتل يعني انشقاق القمر يستسخرون يسخرون ويستهزئون وقيل
يستدعي بعضهم من بعض السخرية وقرئ يستسحرون بالحاء المهملة وقالوا ان هذا الا سحر مبين اي
سحر بين يعني اذا راوا اية ومعجزة سحروا منها لاعتقادهم ان ذلك من باب السحر **فصل** قال
ابن الخطيب والذي عندي في هذا الباب ان يقال القوم كانوا يستبعدون الحشر والقيامة ويقولون
من مات وصار ترابا وتفرقت اجزاؤه في العالم كيف يعقل عوده بعينه وبلغوا في هذا الاستبعاد
الى حيث كانوا يسخرون ممن يذهب الى هذا المذهب واذا كان كذلك فلا طريق الى ازالة هذا
الاستبعاد عنهم الا من وجهين احدهما ان يذكر لهم الدليل على صحة الحشر والنشر مثل ان يقال لهم هل
تعلمون ان القادر على الاصعب الاشق يجب ان يكون قادرا على الاسهل فهذا الدليل وان كان

جليا قويا الا ان اوليك المنكرين اذا عرض على قلوبهم هذه المقدمات لا يفهمونها ولا يقفون عليها
واذا ذكروا لم يتذكروها لشدة بلادتهم وجهلهم فلاجرم لم ينتفعوا بهذا الدليل والطريق الثاني
ان نثبت الرسول صلى الله عليه وسلم صحة رسالته بالمعجزات ثم تقول لما ثبت بالمعجزة كونه رسولا
صادقا من عند الله فانا اخبركم بان البعث والقيمة حق ثم ان اوليك المنكرين لا ينتفعون بهذا
الطريق ايضا لانهم اذا راوا معجزة قاهرة وآية باهرة حملوها على انها سحر وسخروا منها واستهزوا بها وهذا
هو المراد من قوله تعالى واذا راوا اية يستسخرون وقالوا ان هذا الا سحر مبين **قوله** اذا
متنا وكنا ترابا وعظاما انا لمبعوثون ثم ذكر ان السبب الذي حملهم على الانكار جميع المعجزات
هو اعتقادهم ان من مات وتفرقت اجزاوه في العالم فاختلط منها الارضي اختلاط بتراب الارض
وما فيه من المائية بالهوائية اختلط ابخارات العالم فعودة الانسان بعينه يعقل عوده بعينه
حيا ثانيا ثم انه تعالى لما حكى عنهم هذه الشبهة قال قل يا محمد نعم وانتم داخرون اي نعم
تبعثون وانتم صاغرون والدخور اشد الصغار وانما اكتفى تعالى بهذا القدر من الجواب لانه
ذكر في الاية المتقدمة البرهان القطعي على انه امر ممكن فاذا ثبت الجواز القطعي فلا سبيل الى
القطع بالوقوع الا باخبار المخبر الصادق فلما قامت المعجزات على صدقه عليه السلام كان
واجب الصدق فكان مجرد قوله نعم دليلا قاطعا على الوقوع **قوله** اوآباؤنا قرا ابن عامر
وقالون بسكون الواو على انها او العاطفة المقتضية للشك والباقون بفتحها على انها همزة استفهام
دخلت على واو العطف وهذا الخلاف جار ايضا في الواقعة وتقدم مثل هذا في الاعراف في
قوله اوامن اهل القرى في فتح الواو وجاز في اباونا وجهان احدهما ان يكون معطوفا على محل ان
واسمها والثاني ان يكون معطوفا على الضمير المستتر في لمبعوثون واستغنى بالفصل بهمزة الاستفهام
ومن سكنها تعين فيه الاول دون الثاني على قول الجمهور لعدم الفاصل وقد اوضح هذا الزمخشري
حيث قال اوآباؤنا معطوف على محل ان واسمها او على الضمير في لمبعوثون والذي جوز العطف
عليه الفصل بهمزة الاستفهام قال ابو حيان اما قوله معطوف على محل ان واسمها فمذهب سيبويه
خلافه فان قولك ان زيدا قايم وعمرو فيه مرفوع بالابتدا وخبره محذوف واما قوله او
على الضمير في لمبعوثون الى اخره فلا يجوز ايضا لان همزة الاستفهام لا تدخل الا على الجمل لا على المفرد
لانه اذا عطف على المفرد كان العمل عاملا في المفرد بواسطة حرف العطف وهمزة الاستفهام
لا يعمل ما قبلها فيما بعدها فقوله اوآباؤنا مبتدا خبره محذوف تقديره او اباونا يبعثون
يدل عليه ما قبله فاذا قلت اقام زيد اوعمرو فعمرو مبتدا محذوف الخبر لما ذكرنا قال
شهاب الدين اما الرد الاول فلا يلزم لانه لا يلزم من مذهب سيبويه واما الثاني فان الهمزة
موكدة للاولى فهي داخلة في الحقيقة على الجملة الا انه فصل بين الهمزتين بان واسمها وخبرها
ويدل على هذا ما قاله هو في سورة الواقعة فانه قال فصل بهمزة الاستفهام على حرف العطف
فان قلت كيف حسن العطف على المضمر في لمبعوثون من غير تاكيد بنحن قلت حسن الفاصل
الذي هو الهمزة كما حسن في قوله ما اشركنا ولا اباونا لفصل الموكدة بالنفي انتهى فلم يذكرها هنا
غير هذا الوجه وتشبيهه بقوله الفصل الموكدة المنفي لان لا موكدة للنفي المتقدم ثم بما الان هذا
مشكل بان الحرف اذا كرر للتوكيد لم يعد في الامر العام الا باعادة ما اتصل به اولا او بضمير
وقد مضى القول فيه ويحصل في رفع اباونا ثلاثة اوجه العطف على محل ان واسمها والعطف
على الضمير المستكن في لمبعوثون والرفع على الابتدا والخبر مضمر والعامل في اذا محذوف اي انبعث
اذا متنا هذا اذا جعلتها ظرفا غير متضمن لمعنى الشرط فان جعلتها شرطية كان جوابها عاملا
فيها اي اذا متنا بعثنا وحشرنا وقرئ اذا دون استفهام وقد مضى القول فيه في

الرعد **قوله** وانتم داخرون جملة حاليه العامل فيها الجملة القائمة مقامها نعم اي تبعثون
وانتم صاغرون اذلاء قال ابو حيان وقرا ابن وثاب نعم بكسر العين وتقدم ان الكسائي
قراها كذلك حيث وقعت وكلامه هنا موهم ان ابن وثاب منفرد بها **قوله** فانما هي
قال الزمخشري فانما هي جواب شرط مقدر تقديره اذا كان ذلك فما هي الا زجرة واحدة قال
ابو حيان وكثيرا ما تضمر جملة الشرط قبل فيما اذا ساغ تقديره ولا ضرورة تدعوا الى ذلك ولا
يحذف الشرط ويبقى جوابه الا اذا انجزم الفعل في الذي يطلق عليه انه جواب للامر والنهي وما
ذكر معهما اما ابتدا فلا يجوز حذفه **قوله** هي ضمير البعثة المدلول عليها بالسياق لما كانت
بعثتهم ناشية عن الزجرة جعلت اياها مجازا وقال الزمخشري هي مبهمة يوضحها خبرها قال
ابو حيان وكثيرا ما يقول هو وابن مالك ان الضمير يفسره خبره ووقف ابو حاتم على ويلنا وجعل
ما بعده من قول الباري تعالى وبعضهم جعل هذا يوم الدين من كلام الكفرة فيقف عليه
وقوله هذا يوم الفصل من قول الباري تعالى وقيل الجميع من كلامهم وعلى هذا فيكون قوله
تكذبون اما التفاتا من التكلم الى الخطاب واما مخاطبة بعضهم لبعض **فصل** لما بين في
الاية المتقدمة ما يدل على انكار البعث والقيمة واردفه بما يدل على وقوع القيمة ذكر في
هذه الايات بعض تفاصيل احوال القيمة فمنها قوله فانما هي زجرة واحدة اي قصة البعث
والقيمة زجرة واحدة اي صيحة واحدة وهي نفخة البعث فاذا هم ينظرون اي احياء ينظر
بعضهم الى بعض وقيل ينتظرون ما يحدث لهم اي ينظرون الى البعث الذي كذبوا به والزجرة
هي الصيحة التي يزجر بها كالزجرة بالنعم والابل عند الحث ثم كثر استعمالها حتى صارت بمعنى
الصيحة قال ابن الخطيب ولا يبعد ان يقال بهذه الصيحة انما سميت زجرة لانها تزجر الموتى
عن الرقود في القبور وتحثهم على القيام من القبور الى الحضور في موقف القيمة **فان قيل**
ما الفايدة في هذه الصيحة للاموات وهذه النفخة جارية مجرى السبب لحياتهم فتكون
متقدمة على حياتهم فيلزم ان هذه الصيحة انما تكون حال كونهم امواتا فتكون الصيحة عديمة
الفايدة فهي عبث والعبث لا يجوز في فعل الله فالجواب عن قول اهل السنة يفعل الله ما
يشا واما المعتزلة فقال القاضي فيه وجهان الاول ان تعتبر بها الملايكة والثاني ان يكون
فايدتها التخويف والارهاب **فصل** وهذه الصيحة لا تاثير لها في الحيوة بدليل
ان الصيحة الاولى استعقبها الموت والثانية الحيوة وذلك يدل على ان الصيحة لا اثر
لها في الموت ولا في الحيوة بل خالق الموت والحيوة هو الله تعالى كما قال الذي خلق الموت والحيوة وروي
ان الله تعالى يامر اسرافيل فينادي ايتها العظام النخرة والجلود البالية والاجزا المتفرقة
اجتمعوا باذن الله تعالى الحالة الثانية من تفاصيل احوال القيمة قولهم بعد القيام من
القبور يا ويلنا هذا يوم الدين اي يوم الحساب ويوم الجزا قال الزجاج الويل كلمة يقولها
القايل وقت الهلكة ويحتمل ان يكون المراد بقولهم هذا يوم الدين اي اليوم المذكور في قوله
مالك يوم الدين اي لا مالك في ذلك اليوم الا الله تعالى واما قوله هذا يوم الفصل الذي
كنتم به تكذبون تقدم الكلام على قايله هل هو من كلام الله تعالى او من كلام الملايكة
او من كلام المومنين او من كلام الكفار **قوله** احشروا الذين ظلموا وهذا من كلام الملايكة
والمراد اجمعوا الذين اشركوا الى الموقف للحساب والجزاء **فان قيل** ما معنى احشروا
مع انهم قد حشروا من قبل وحضروا محفل القيمة وقالوا هذا يوم الدين وقالت الملايكة لهم
بل هذا يوم الفصل اجاب القاضي عنه وقال المراد احشروهم الى دار الجزا وهي النار ولذلك
قال بعده فاهدوهم الى صراط الجحيم اي دلوهم على ذلك الطريق ثم سال نفسه وقال كيف يصح

ذلك وقد قال بعده وقفوهم انهم مسئولون ومعلوم ان حشرهم الى الجحيم انما يكون بعد
المسالة فاجاب بانه ليس في العطف بحرف الواو ترتيب ولا يمتنع ان يقال احشروهم وقفوهم
مع انا بعقولنا نعلم ان الوقوف كان قبل الحشر الى النار قال ابن الخطيب وعندي فيه وجه اخر
وهو انه يقال انهم اذا قاموا من قبورهم لم يبعد ان يقفوا هناك لحيرة تلحقهم لما يرونه من اهوال
القيمة ثم ان الله تعالى يقول للملائكة احشروا الذين ظلموا فاهدوهم الى صراط الجحيم اي سوقوهم
الى طريق جهنم وقفوهم هناك ويحصل السوال هناك ثم من هناك يساقون الى النار **قوله**
وازواجهم العامة على نصبه وفيه وجهان احدهما العطف على الموصول والثاني انه
مفعول معه قال ابو البقا وهو في المعنى اقوى وانما قال في المغنى لانه في الصناعة ضعيف
لانه امكن العطف فلا يعدل عنه وقرا عيسى بن سليمان الحجازي بالرفع عطفا على ضمير ظلموا
وهو ضعيف لعدم الفاصل وقوله وما كانوا يعبدون لا يجوز فيه هذه الاية لا يحسب اليهم
ظلم انه لم يرد بهم الشياطين ولذا ديه بعم ذلك جاز فيه الرفع ايضا على ما تقدم **قوله**
انهم مسئولون العامة على الكسر على الاستيناف المفيد للعلة وقرى بفتحها على حذف
لام العلة اي قفوهم لاجل سوال الله اياهم **فصل** المراد بالازواج اشباههم
وامثالهم واتباعهم قال قتادة والكلبي كل من عمل مثل عملهم فاهل الخمر مع اهل الخمر واهل
الزنا مع اهل الزنا واليهودي مع اليهودي والنصراني مع النصراني لقوله تعالى وكنتم ازواجا
ثلاثة اي اشكالا واشباها ويقول عندي من هذا الازواج اي امثال ونقول زوجان من
الخف لان كل واحد منهما نظير الاخر ولذلك الرجل والمراة يسميان زوجين لكونهما متشابهين
وكذلك العدد الزوج وقال الضحاك ومقاتل قرناؤهم من الشياطين كل كافر مع
شيطانه في سلسلة وقال الحسن ازواجهم المشركات وما كانوا يعبدون من دون الله في
الدنيا يعني الاوثان والطواغيت وقال مقاتل يعني ابليس وجنوده لقوله الا تعبدوا الشيطا
فاهدوهم الى صراط الجحيم قال ابن عباس دلوهم الى طريق النار وقال ابن كيسان
والاصم قدموهم والعرب تسمي السابق هاديا قال الواحدي وهذا وهم لانه يقال هدى اذا
تقدم ومنه الهادية والهوادي وهاديات الوحش ولا يقال هدى بمعنى قدم وقفوهم احبسوهم
يقال وقفت الدابة اقفها وقفا فوقفت هي وقوفا قال المفسرون لما سيقوا الى النار عند
الصراط لان السوال عند الصراط فقال قفوهم انهم مسئولون قال ابن عباس عن اقوالهم واعمالهم
وقيل تسالهم الخزنة الم ياتكم نذير رسل منكم بالبينات قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب
على الكافرين ويجوز ان يكون هذا السوال هو **قوله** بعد ذلك ما لكم لا تناصرون قال
ابن عباس اي يسالون توبيخا يقال ما لكم لا تناصرون قال ابن عباس لا ينصر بعضكم بعضا كما
كنتم في الدنيا وذلك ان ابا جهل قال يوم بدر نحن جميع منتصر فقيل لهم يوم القيمة ما لكم
لا تناصرون وقيل يقال للكفار ما لشركائكم لا يمنعونكم من العذاب **قوله** ما لكم يجوز ان يكون
منقطعا عما قبله والمسئول عنه غير مذكور ولذلك تقدره بعضهم عن اعمالهم ويجوز ان يكون هو
المسئول عنه في المعنى فيكون معلقا للسوال ولا تناصرون جملة حالية العامل فيها الاستقرار
في لكم وقيل بل هي على حذف حرف الجر وان الناصبة فلما حذفت ان ارتفع الفعل والاصل
في ان لا وتقدمت قراة البزي لا تناصرون بتشديد التا وقرى تتناصرون على الاصل **قوله**
بل هم اليوم مستسلمون قال ابن عباس خاضعون وقال الحسن منقادون يقال استسلم للشي
اذا انقاد له وخضع والمعنى هم اليوم اذلا منقادون لا حيلة لهم في دفع تلك المضار **قوله**
واقبل بعضهم على بعض يتساءلون قيل الروسا والاتباع يتساءلون يتخاصمون وقيل هم والشياطين

يقولون انكم كنتم تاتوننا عن اليمين اي من قبل الدين فتضلوننا عنه قاله الضحاك وقال مجاهد
عن الصراط الحق واليمين عبارة عن الدين والحق كما اخبر الله عن ابليس ثم لاتينهم من بين ايديهم
ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم فمن اتاه الشيطان من قبل اليمين اتاه من قبل الدين
فلبس عليه الحق واليمين ههنا استعارة عن الخيرات والسعادات لان الجانب الايمن افضل
من الجانب الايسر اجماعا ولانه باشر الاعمال الشريفة بالايمن ويتفاءلون بالجانب الايمن
ويسمونه البارح وكان عليه السلام يحب التيامن في شانه كله وكاتب الحسنات من الملائكة
على اليمين ووعد الله المحسن ان يعطيه الكتاب باليمين وقيل ان الروسا كانوا يحلفون للمستضعفين
ان ما تدعونهم اليه هو الحق فوثقوا بايمانهم وقيل عن اليمين اي عن القوة والقدرة كقوله لاخذنا
منه باليمين **قوله** عن اليمين حال من فاعل تاتوننا واليمين اما الجارحة عبر بها عن القوة واما الحلف
لان المتعاقدين بالحلف يمسح كل منهما يمين الاخر فالتقدير على الاول تاتوننا اقوياء وعلى الثاني مقسمين
حالفين **قوله** بل لم تكونوا مؤمنين وهذا جواب الروسا للاتباع اي ما كنتم موصوفين بالايمان
حتى يقال انا ازللناكم عنه واعلم ان الكفر من قبلكم وما كان لنا عليكم من سلطان من قوة وقدرة
حتى نقهركم ونجبركم بل كنتم قوما طاغين ضالين فحق علينا وجب علينا جميعا قول ربنا يعني
كلمة العذاب وهو قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين **قوله** انا لذائقون الظاهر
انه من اخبار الكفرة المتبوعين لاولئك بانهم ذائقون العذاب ولا عدول في هذا الكلام وقال
الزمخشري ولزمنا قول ربنا انا لذائقون يعني وعيد الله بانا لذائقون لعذابه لا محالة ولو حكى الوعيد
كما هو لقال انكم لذائقون ولكنه عدل به الى لفظ المتكلم لانهم متكلمون بذلك عن انفسهم ونحوه قول
القايل لقد زعمت هوازن قل مالي ولو حكى قولها لقال قل مالك ومنه قول المحلف للحالف
احلف لاخرجن ولتخرجن الهمزة لحكاية الحالف والتا لاقبال المحلف على المحلف **قوله** فاغويناكم
انا كنا غاوين اي انما اقدمنا على اغوائكم لانا كنا موصوفين في انفسنا بالغواية وفيه
دقيقة اخرى كانهم قالوا ان اعتقدتم ان غوايتكم بسبب اغوائنا فغوايتنا ان كانت بسبب
اغواء لزم التسلسل وذلك محال فعلمنا ان حصول الغواية والرشاد ليس من قبلنا بل من قبل
غيرنا وذلك الغير هو الذي ذكره فيما قبل وهو قوله حق علينا قول ربنا ثم قال تعالى
بعده فانهم يومئذ في العذاب مشتركون يعني الروسا والاتباع يومئذ يسالون ويراجعون
الكلام فيما بينهم ثم قال انا كذلك نفعل بالمجرمين اي الكفار قال ابن عباس الذين جعلوا لله
شركا ثم وصفهم بانهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون يتكبرون عن كلمة التوحيد ويمتنعون
منها ويقولون اينا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون يعني النبي صلى الله عليه وسلم وقرا ابن كثير ابنا لتاركوا
بهمزتين بينهما ويسهل الثانية والمعنى كذلك بلا مد وقرا نافع في رواية قالون وابو عمرو كذلك
وبمد ان والباقون بهمزتين بلا مد ثم انه تعالى كذبهم في ذلك الكلام بقوله بل جاء بالحق اي جاء
بالدين الحق **قوله** وصدق المرسلين اي صدقهم محمد عليه السلام يعني صدقهم في مجيئهم بالتوحيد
وقرا عبد الله صدق بتخفيف الدال المرسلون فاعلا به اي صدقوا فيما جاؤا به ثم التفت من الغيبة
الى الحضور فقال انكم لذائقوا العذاب الاليم **قوله** لذائقوا العذاب العامة على حذف النون
والجر وقرا بعضهم باثباتها والنصب وهو الاصل وقرا ابان بن تغلب عن عاصم وابو السماك بحذف
النون والنصب اجرى النون مجرى التنوين في حذفها لالتقاء الساكنين كقوله احد
الله الصمد ولا ذاكر الله الا قليلا وقال ابو البقا وقرى شاذا بالنصب وهو سهو من قاريه
لان اسم الفاعل تحذف منه النون وينصب اذا كان فيه الالف واللام قال شهاب الدين ليس
بسهو لما تقدم وقرا ابو السماك ايضا لذائق بالافراد والتنوين العذاب نصبا وتخريجه على حذف

اسم جمع هذه صفته اي انكم لذائقون او الجمع ذائقون ليتطابق الاسم والخبر في الجمعية ثم كانه قيل فكيف
يليق بالرحيم الكريم المتعالي من النفع والضرر ان يعذب عباده فاجاب بقوله وما تجزون الا
ما كنتم تعملون اي الاجزاء ما كنتم تعملون **قوله** الا عباد الله استثناء منقطع اي لكن عباد
الله المخلصين الموحدين ذكر قوله اولئك لهم بيان لحالهم وقد تقدم في فتح اللام وكسرها من
المخلصين قراءتان فمن قرا بالفتح فالمعنى ان الله تعالى اخلصهم واصطفاهم بفضله والكسر انهم
اخلصوا الطاعة لله تعالى والرزق المعلوم قيل بكرة وعشيا لقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا فيكون المراد
منه معلوم الوقت وهو مقدار غدوة او عشوة وان لم يكن ثم بكرة ولا عشية وقيل فذلك الرزق معلوم
الصفة اي مخصوص بصفات من طيب طعم ولذة وحسن منظر وقيل معناه انهم يتيقنون دوامه لا
كرزق الدنيا الذي لا يعلم متى يحصل ومتى ينقطع وقيل معلوم القدر والذي يستحقونه باعمالهم
من ثواب الله وقد بين انه تعالى يعطيهم غير ذلك تفضلا **قوله** فواكه يجوز ان يكون بدلا
من رزق وان يكون خبر مبتدا مضمر اي ذلك الرزق فواكه وفي الفواكه قولان احدهما انها عبارة
عما يوكل للتلذذ لا للحاجة وارزاق اهل الجنة كلها فواكه لانهم مستغنون عن حفظ الصحة بالاقوات
فان اجسامهم محكمة مخلوقة للابد فكل ما ياكلونه فهو على سبيل التلذذ والثاني ان المقصود
بذكر الفاكهة التنبيه بالادنى على الاعلى يعني لما كانت الفاكهة حاضرة ابدا كان الماكول
للغذاء اولى بالحضور **قوله** وهم مكرمون قرا العامة مكرمون بتخفيف الراء وابو مقسم
بتشديدها والمعنى وهم مكرمون بثواب الله في جنات النعيم لما ذكر ماكولهم ذكر مسكنهم
وقوله في جنات يجوز ان يتعلق بمكرمون وان يكون خبرا ثانيا وان يكون حالا **قوله** على سرر
العامة على ضم الراء وابو السمال بفتحها وهي لغة بعض كلب وتميم يفتحون عين فعل جمعا
اذا كان اسما مضاعفا واما الصفة نحو ذلك ففيها خلاف والصحيح انه لا يجوز لان السماع
ورد في الجوامد دون الصفات وعلى سرر متقابلين حال ويجوز ان يتعلق على سرر بمتقابلين
ويطاف صفة لمكرمون او حال من الضمير في متقابلين او من الضمير في احد الجارين اذا جعلناه
حالا ومعنى متقابلين لا يرى بعضهم قفا بعض ولما ذكر الماكل والمسكن ذكر بعده صفة المشرب
فقال يطاف عليهم بكاس من معين والكاس من الزجاج ما دام فيه شراب والا فهو قدح
وقد يطلق الكاس على الخمر نفسها وهو مجاز سائغ وانشد
• وكاس شربت على لذة • واخرى تداويت منها بها • ومن معين صفة لكاس والمعين صفة
الخمر الجارية في الانهار اي ظاهرة تراها العيون وتقدم الكلام في معين وعن الاخفش كل كاس
في القران فهي الخمر وقوله من معين اي شراب معين او من نهر معين ماخوذ من عين الماء اي يخرج
من العيون كما يخرج الماء سمي معينا لظهوره يقال عان الماء اذا ظهر جاريا يعني فهو مفعول من
العين نحو مبيع ومكيل وقيل سمي معينا لانه يجري ظاهرا للعين كما تقدم ويجوز ان يكون
فعيلا من المعن وهو الماء الشديد الجري ومنه امعن في السير اذا اشتد فيه **قوله** بيضاء
صفة لكاس وقال ابو حيان صفة لكاس وللخمر قال شهاب الدين لم يذكر الخمر اللهم الا ان
يعني بالمعين الخمر وهو بعيد جدا ويمكن ان يجاب بان الكاس انما سميت كاسا اذا كان فيها الخمر
وقرا عبد الله صفراء وهي مخالفة للسواد الا انه قد جاء وصفها بهذا اللون وانشد لبعض المولدين
• صفراء لا تنزل الاحزان ساحتها • لو مسها حجر مسته سراء • **ولذة** صفة ايضا ووصفت
بالمصدر مبالغة كانها نفس اللذة وعينها كما يقال فلان جود وكرم اذا ارادوا المبالغة وقال
الزجاج او على حذف المضاف اي ذات لذة او على تانيث لذ بمعنى لذيذ فيكون وصفا على
فعل كصعب يقال لذ الشيء يلذ لذا فهو لذيذ ولذ وانشد •

بحديثها

• بحديثها اللذ الذي لو كلمت • اسد الفلاة به اتين سراعا • وقال اخر
• ولذ كطعم الصرخدي تركته • بارض العدى من خشية الحدثان • واللذيذ كل شيء
يستطاب وانشد • تلذ لطعمه وتخال فيه • اذا نبهتها بعد المنام • وللشاربين
صفة للذة وقال الليث اللذة واللذيذة يجريان مجرى واحد في النعت يقال شراب
لذ ولذيذ قال تعالى بيضاء لذة للشاربين وقال تعالى من خمر لذة للشاربين وعلى
هذا اللذة بمعنى لذيذة **قوله** لا فيها غول صفة ايضا وبطل عمل لا وتكررت لتقدم خبرها
وتقدم اول البقرة فائدة تقديم مثل هذا الخبر والبحث مع ابي حيان فيه قال الفراء العرب
تقول ليس فيها غيلة وغائلة وغول سوا وقال ابو عبيدة الغول ان يغتال عقولهم وانشد
قول مطيع بن اياس • وما زالت الكاس تغتالهم • وتذهب بالاول فالاول • وقال
الليث الغول الصداع والمعنى ليس فيها صداع كما في خمر الدنيا وقال الواحدي الغول حقيقته
الاهلاك يقال غاله غولا واغتاله اي اهلكه والغول والغائل المهلك وسمي الموضع غولا لانه
يودي الى الهلاك والغول كما اغتالك اي اهلكك ومنه الغول بالضم شيء توهمته العرب
ولها فيه اشعار كالعنقا يقال غالتني كذا وسمة الغيلة في القتل قال •
• مضى اولونا ناعمين بعيشهم • جميعا وغالتني بمكة غول • فالغول اسم لجميع الاذى وقال الكلبي
لا فيها اثم وقال قتادة وجع البطن وقال اهل المعاني الغول فساد يلحق امرا في خفية وخمر
الدنيا تحصل فيها انواع من الفساد منها السكر وذهاب العقل ووجع البطن والصداع
والقي والبول ولا يوجد شيء من ذلك في خمر الجنة **قوله** ولا هم عنها ينزفون قرا الاخوان
ينزفون هنا وفي الواقعة بضم اليا وكسر الزاي ووافقهما عاصم على ما في الواقعة فقط والباقون
بضم اليا وفتح الزاي وابن ابي اسحاق بالفتح والكسر وطلحة بالفتح والضم فالقراءة الاولى من انزف
الرجل اذا ذهب عقله من السكر فهو نزيف ومنزوف وكان قياسه منزف كمكرم ونزف
الرجل الخمر فانزف هو ثلاثية متعد ورباعية بالهمزة قاصر وهو نحو كببته فاكب وقشعت
الريح السحاب فاقشع اي دخلا في الكب والقشع وقال الاسود •
لعمري لئن انزفتم او صحوتم • لبئس الندامى كنتم ال ابجرا • ويقال انزف ايضا اي
نفد شرابه واما الثانية فمن نزف الرجل ثلاثيا مبنيا للمفعول بمعنى سكر وذهب عقله
ايضا ويجوز ان يكون هذه القراءة من انزف ايضا بالمعنى المتقدم وقيل هو من قولهم نزفت
الركية اي نزحت ماءها والمعنى انهم لا تذهب خمورهم بل هي باقية ابدا وضمن ينزفون معنى
يصدون عنها بسبب النزيف واما القراءتان الاخيرتان فيقال نزف الرجل ونزف بالكسر
والضم بمعنى ذهب عقله بالسكر ولما ذكر تعالى صفة مشربهم ذكر عقيبه صفة منكوحهم فقال
وعندهم قاصرات الطرف عين فقوله قاصرات الطرف يجوز ان يكون من باب الصفة
المشبهة اي قاصرات اطرافهن كمنطلق اللسان وان يكون من باب اسم الفاعل على اصله
فعلى الاول المضاف اليه مرفوع المحل وعلى الثاني منصوبه اي قصرت اطرافهن على ازواجهن
وهو مدح عظيم قال امرؤ القيس من القاصرات الطرف لو دب محول من الذر فوق الاتب منها لاثرا
ومعنى القصر في اللغة الحبس ومنه قوله تعالى مقصورات في الخيام والمعنى انهن يحبسن نظرهن ولا
ينظرن الى غير ازواجهن **والعين** جمع عيناء وهي الواسعة العين والذكر اعين قال
الزجاج كبار الاعين حسانها يقال رجل اعين وامراة عيناء ورجال ونساء عين **قوله** كانهن
بيض مكنون والبيض جمع بيضة وهو معروف والمراد به هنا بيض النعام والمكنون المصون المستور
من كننته اي جعلته في كن والعرب تشبه المراة بها في لونها وهو بياض مشوب ببعض صفرة والعرب

تحته قال امرؤ القيس ۞ وبيضة خدر لا يرام خباؤها ۞ تمتعت من لهو بها غير معجل
۞ كبكر مقانات البياض بصفرة ۞ غذاها نمير الماء غير المحلل ۞ وقال ذو الرمة
۞ بيضا في برح صفراء في غنج كانها فضة قد مسها ذهب ۞ وقال بعضهم انما شبهت المراة بها
في اجزائها فان البيضة من اي جهة اتيتها كانت في راي العين مشبهة للاخرى وهو في غاية المدح
وقد لحظ هذا بعض الشعرا حيث قال ۞ تناسبت الاعضا فيها فلا ترى ۞ بهن اختلافا بل اتين على قدر ۞
ويجمع البيض على بيوض قال ۞ بنيهاء قفر والمطي كانها ۞ قطا الحزن قد كانت فراخا بيوضها ۞ قال
الحسن شبههن ببيض النعام تكنها بالريش من الريح والغبار فلونها ابيض في صفرة يقال هذا
احسن الوان النسا تكون المراة بيضا مشربة صفرة وانما ذكر المكنون والبيض جمع مونث لانه رده الى
اللفظ **قوله** فاقبل بعضهم على بعض وهذا عطف على قوله يطاف عليهم والمعنى يشربون فيتحادثون
على الشراب قال ۞ وما بقيت من اللذات الا محادثة الكرام على المدام ۞ واتى بقوله فاقبل
ماضيا لتحقق وقوعه كقوله ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار وقوله يتساءلون حال من
فاعل اقبل والمعنى ان اصحاب الجنة يسال بعضهم بعضا عن حاله في الدنيا **قوله** قال
قايل منهم اني كان لي قرين اي في الدنيا ينكر البعث ويقول انك لمن المصدقين اي كان يوبخني
على التصديق بالبعث والقيمة ويقول تعجبا ايذا متنا وكنا ترابا وعظاما اانا لمدينون
اي لمحاسبون ومجازون والمعنى ان ذلك القرين كان يقول هذه الكلمات على سبيل الاستنكار
واعلم انه تعالى لما ذكر ان اهل الجنة يتساءلون عند اجتماعهم على الشراب ويتحدثون كانت من
جملة كلماتهم انهم يتذكرون ما كان قد حصل لهم في الدنيا مما يوجب الوقوع في عذاب الله
ثم انهم تخلصوا عنه وفازوا بالسعادة الابدية قال مجاهد كان ذلك القرين شيطانا
وقيل كان من الانس وقال مقاتل كانا اخوين وقيل كانا شريكين فحصل لهما ثمانية الاف دينار
فتقاسماها واشترى احدهما دارا بالف دينار واراها صاحبه وقال كيف ترى حسنها فقال
ما احسنها ثم خرج فتصدق بالف دينار وقال اللهم ان صاحبي قد ابتاع هذه الدار بالف
دينار واني اسالك دارا من دور الجنة ثم ان صاحبه تزوج امراة حسنا بالف دينار فتصدق
صاحبه بالف دينار لاجل ان يزوجه الله من الحور العين ثم ان صاحبه اشترى بساتين بالفي دينار
فتصدق هذا بالفي دينار ثم ان الله تعالى اعطاه ما طلب في الجنة وقيل كان احدهما كافرا اسمه
نطروس والاخر مومنا اسمه يهوذا وهما اللذان قص الله خبرهما في سورة الكهف واضرب لهم
مثلا رجلين **قوله** لمن المصدقين العامة على تخفيف الصاد من التصديق اي لمن
المصدقين بلقا الله وقرئ بتشديدها من التصدق واختلف القرا في هذه الاستفهامات
الثلاثة وهي قوله اانك لمن المصدقين ايذا متنا وكنا ترابا وعظاما اينا لمدينون فقرا نافع الاولى
والثانية بالاستفهام بهمزة غير ممدودة والثالثة بكسر الالف من غير استفهام ووافقه الكسائي
الا انه يستفهم الثانية بهمزتين وابن عامر الاولى والثالثة بالاستفهام بهمزتين والثانية بكسر
الالف من غير استفهام والباقون بالاستفهام في جميعها ثم اختلفوا فابن كثير يستفهم بهمزة واحدة
غير مطولة وبعدها ياء ساكنة خفيفة وابو عمرو مطولة وعاصم وحمزة بهمزتين **فصل**
ثم ان ذلك الرجل يقول لجلسايه يدعوهم الى كمال السرور بالاطلاع على النار لمشاهدة ذلك القرين
ومخاطبته هل انتم مطلعون الى النار فيقول اهل الجنة انت اعرف به منا فاطلع انت قال ابن
عباس ان في الجنة كوى ينظر اهلها منها الى النار **قوله** مطلعون قرا العامة بتشديد الطاء
مفتوحة وبفتح النون فاطلع ماضيا مبنيا للفاعل افتعل من الطلوع وقرا ابن عباس في اخرين
وبروي عن ابي عمرو بسكون الطاء وفتح النون فاطلع بقطع همزة مضمومة وكسر اللام ماضيا

مبنيا

اهل

مبنيا للمفعول ومطلعون على هذه القراة يحتمل ان يكون قاصرا اي مقبلون من قولك اطلع
علينا فلان اي اقبل وان يكون متعديا ومفعوله محذوف اي اصحابكم وقرا ابو البرهسم
وحماد بن ابي عمار مطلعون خفيفة الطا مكسورة النون فاطلع مبنيا للمفعول ورد ابو حاتم
وغيره هذه القراة من حيث الجمع بين النون وضمير المتكلم اذ كان قياسها مطلعي والاصل مطلعوي
فابدل فادغم نحو جا مسلمي العاقلون وقوله عليه السلام او مخرجي هم ووجهها ابن جني
على انها اجرى فيها اسم الفاعل مجرى المضارع يعني في اثبات النون فيه مع الضمير وانشد
الطبري على ذلك ۞ وما ادري وظني كل ظن ۞ امسلمني الى قومي شراحي ۞ واليه نحا الزمخشري
قال او شبه اسم الفاعل في ذلك بالمضارع لتاخيهما كانه قال يطلعون وهو ضعيف
لا يقع الا في شعر وذكر فيه توجيها اخر فقال اراد مطلعون اياي فوضع المتصل موضع
المنفصل كقوله ۞ هم الفاعلون الخير والامرونه ۞ ورده ابو حيان بان هذا ليس من
مواضع المنفصل حتى يدعى ان المتصل وقع موقعه لا يجوز هند زيد ضارب اياها ولا زيد
ضارب اياي قال ثم قال السمين انما الزمخشري ما ذكر لانه اذا قدر على المتصل لم يعدل الى
المنفصل ولقايل ان يقول لا اسلم انه يقدر على المتصل حالة ثبوت النون والتنوين قبل
الضمير بل يصير الموضع موضع الضمير المنفصل فيصح ما قاله الزمخشري وللنحاة في اسم الفاعل
المنون قبل يا المتكلم نحو البيت المتقدم وقول الاخر
۞ فهل فتى من سراة القوم يحملني وليس حاملني الا ابن حمال ۞ وقول الاخر
۞ وليس بمعييني وفي الناس ممتع صديق اذا اعيى على صديق ۞ قولان احدهما انه تنوين
وانه شذ ثبوته مع الضمير وان قلنا ان الضمير بعده في محل نصب والثاني انه ليس تنوينا
وانما هو نون وقاية واستدل ابن مالك على هذا بقوله وليس بمعييني وبقوله ايضا
۞ وليس الموافيني ليرفد خائبا فان له اضعاف ما كان املا ۞ ووجه الدلالة من الاول
انه لو كان تنوينا لكان ينبغي ان تحذف الياء قبله لانه منقوص منون والمنقوص المنون تحذف
ياوه رفعا وجرا لالتقا الساكنين ووجهها من الثاني ان الالف واللام لا تجامع التنوين
والذي يرجح القول الاول ثبوت النون في قوله والامرونه ۞ وفي قول الاخر
۞ ولم يرتفق والناس محتضرونه جميعا وايدي المعتفين رواهقه ۞ فان النون قايمة
مقام التنوين تثنية وجمعا على حدهما وقال ابو البقا وتقرا بكسر النون وهو بعيد جدا
لان النون ان كانت للوقاية فلا تلحق الاسما وان كانت نون الجمع فلا تثبت في الاضافة
وهذا الترديد صحيح لولا ما تقدم من الجواب عنه مع تكلف فيه وخروج عن القواعد
وقرئ مطلعون بالتشديد كالعامة فاطلع مضارعا منصوبا باضمار ان على جواب الاستفهام
وقرئ مطلعون بالتخفيف فاطلع مخففا ماضيا ومخففا مضارعا منصوبا على ما تقدم
يقال طلع علينا فلان واطلع كاكرم بالتشديد بمعنى واحد واما قراة من بنى الفعل للمفعول
ففي القايم مقام الفاعل ثلاثة اوجه احدها انه مصدره المفعل اي الطلع الاطلاع
الثاني الجار المقدر الثالث وهو الصحيح انه ضمير القايل لاصحابه ما قاله لانه يقال طلع
زيد واطلعه غيره فالهمزة فيه للتعدية واما الوجهان الاولان فذهب اليهما ابو الفضل
الرازي في لوامحه فقال طلع واطلع اذا بدا وظهر واطلع اطلاعا اذا جاء واقبل ومعنى ذلك هل
انتم مقبلون فاقبل وانما اتيم المصدر فيه مقام الفاعل بتقدير فاطلع الاطلاع او بتقدير
حرف الجر المحذوف اي اطلع به لان اطلع لازم كما ان اقبل كذلك ورد عليه ابو حيان هذين
الوجهين فقال قد ذكرنا ان اطلع بالهمزة معدي بها من طلع اللازم واما قوله او حرف الجر

كان

المحذوف اي اطلع به فهذا لا يجوز لان مفعول ما لم يسم فاعله لا يجوز حذفه لانه نايب عن الفاعل فكما ان الفاعل لا يجوز حذفه فكذلك ما ناب عنه وكذلك هذا لو قلت زيد ممرور او مغضوب تريد به او عليه لم يجز قال شهاب الدين ابو العباس لا يدعي ان النايب عن الفاعل محذوف وانما قال بتقدير حرف الجر المحذوف ومعنى ذلك انه لما حذف حرف الجر اتساعا انقلب الضمير مرفوعا فاستتر في الفعل كما يدعي ذلك في حذف عايد الموصول المجرور عند عدم شروط الحذف وبني الحذف على التدريج **قوله** فرآه عطف على فاطلع وسواء الجحيم وسطها واحسن ما قيل فيه ما قاله ابن عباس يعني بذلك لان سواء الشي ثم منه الى الجوانب وعن عيسى بن عمر انه قال لابي عبيدة كنت اكتب حتى ينقطع سواي **قوله** تالله قسم فيه تعجب وان مخففة او نافية واللام في لتردين فارقة او بمعنى الا وعلى التقديرين فهي جواب القسم اعني ان وما في حيزها

فصل قال المفسرون انه توجه الى اطراف الجنة فاطلع عند فقال الى النار فرآه في سواء الجحيم اي في وسط الجحيم فقال له موبخا تالله ان كدت لتردين اي والله لقد كدت ان تهلكني وقال مقاتل والله لقد كدت ان تغويني ومن اغوى انسانا فقد اهلكه والتردي الهلاك اي لتهلكني بدعائك اياي الى انكار البعث والقيامة ولولا نعمة ربي اي رحمة ربي والهامه علي بالاسلام لكنت من المحضرين معك في النار ولما تمم الكلام مع قرينه الذي هو في النار عاد الى مخاطبة جلسائه من اهل الجنة قال افما نحن بميتين قال بعضهم ان اهل الجنة لا يعلمون اول دخولهم الجنة انهم لا يموتون فاذا جي بالموت على صورة كبش املح وذبح يقول اهل الجنة للملايكة افما نحن بميتين فيقول الملايكة لا فعند ذلك يعلمون انهم لا يموتون وعلى هذا فالكلام حصل قبل ذبح الموت وقيل ان الذي تكلم به سبحانه اذا عظم التحدث به يقول ذلك والمعنى اهذا لي على جهة الحديث بنعمة الله عليه وقيل يقوله المؤمن لقرينه توبيخا له بما كان ينكر **قوله** بميتين قرأ زيد بن علي بمايتين وهو مثل ضيق وضايق كما تقدم وقوله الا فيه الخلاف المشهور فقدره الزمخشري انحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين فعبر بعض اهل منعد فيه على الفا **قوله** الا موتتنا منصوب على المصدر والعامل فيه الوصف قبله ويكون استثناء مفرغا وقيل هو استثناء منقطع اي لكن الموتة الاولى كانت لنا في الدنيا وهذا قريب في المعنى من قوله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى ويقوله هنا لمن يحث في جميع **قوله** ان هذا لهو الفوز العظيم وهذا قول اهل الجنة عند فراغهم من هذه المحاورات وقوله لمثل هذا فليعمل العاملون قيل انه من بقية كلامهم وقيل انه ابتداء كلام من الله تعالى اي لمثل هذا النعيم الذي ذكرناه **قوله** اذلك خير نزلا اي اذلك الذي ذكرناه لاهل الجنة خير نزلا ام شجرة الزقوم فنزلا تمييز الخير والخيرية بالنسبة الى ما اختاره الكفار على غيره والزقوم شجرة مسمومة يخرج لها لبن متى مس جسم احد تورم فمات والتزقم البلع بشدة وجهد للاشيا الكريهة وقول ابي جهل وابن الزبعرى لا نعرف الزقوم الا التمر بالزبد من العناد والكذب المحض

فصل لما ذكر ثواب اهل الجنة ووصفها وذكر ماكل اهل الجنة ومشاربهم وقال لمثل هذا فليعمل العاملون اتبعه بقوله اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم ليعطف عليه ذكر اهل الكفر وذكر ماكل اهل النار ومشاربهم ليعرف النزل الفضل والريع في الطعام ثم استعمل في كثير النزل واستعير للحاصل من الشي فمعنى الاية ان الرزق المعلوم لاهل الجنة اللذة والسرور وهو خير ام شجرة الزقوم الالم والغم ومعلوم انه لا نسبة لاحدهما الى الاخر في الخيرية الا انه جاء هذا الكلام اما على سبيل السخرية بهم او لاجل ان المؤمنين لما اختاروا ما اوصلهم الى الرزق الكريم والكافرين

اتخاذوا

اتخذوا ما اوصلهم الى العذاب الاليم قيل لهم ذلك توبيخا لهم على اختيارهم قال الكلبي لما نزلت هذه الاية قال ابن الزبعرى اكثر الله في بيوتكم الزقوم فان اهل اليمن يسمون التمر والزبد بالزقوم فقال ابو جهل لجاريته زقمينا فاتته بزبد وتمر وقال تزقموا قال الواحدي ومعلوم ان الله تعالى لم يرد بالزقوم هاهنا التمر والزبد قال ابن دريد لم يكن للزقوم اشتقاق من التزقم وهو الافراط في اكل الشي حتى يكره ذلك يقال بات فلان يتزقم وظاهر لفظ القران يدل على انها شجرة كريهة الطعم منتنة الرايحة شديدة الخشونة موصوفة بصفات ردية يكره اهل النار على اكلها **قوله** انا جعلناها فتنة للظالمين اي الكافرين وذلك ان الكفار لما سمعوا هذه الاية قالوا كيف يكون في النار شجرة والنار تحرق الشجر فاجيبوا بان خالق النار قادر على ان يمنع النار من احراق الشجر لانه اذا جاز ان يكون في النار زبانية والله تعالى يمنع النار عن احراقهم فلم لا يجوز مثله في هذه الشجرة فمعنى كون شجرة الزقوم فتنة للظالمين هو انهم لما سمعوا هذه الاية وبقيت تلك الشبهة في قلوبهم وصارت سببا لتماديهم في الكفر فهو المراد من كونها فتنة لهم او يكون المراد صيرورة هذه الشجرة فتنة لهم في النار لانهم اذا كلفوا تناولها وشق ذلك عليهم فحينئذ يصير ذلك فتنة في حقهم او يكون المراد من الفتنة الامتحان والاختبار فان هذا شي بعيد عن العرف والعادة واذا ورد على سمع المؤمن فوض علمه الى الله واذا ورد على الزنديق توسل به الى الطعن في القران والنبوة ثم انه تعالى وصف هذه الشجرة بصفات الاولى **قوله** انها شجرة تخرج في اصل الجحيم قال الحسن اصلها في قعر جهنم واغصانها ترتفع الى دركاتها الصفة الثانية **قوله** طلعها اي ثمرها سمي طلعا لطلوعه قال الزمخشري الطلع للنخلة فاستعير لما طلع من شجرة الزقوم من حملها اما استعارة لفظية او معنوية قال ابن قتيبة سمي طلعا لطلوعه كل سنة فلذلك قيل طلع النخل لاول ما يخرج من ثمره **قوله** رءوس الشياطين فيه وجهان احدهما انه حقيقة وان رءوس الشياطين شجرة معينة بناحية اليمن وتسمى الاستن قال النابغة

تحيد من استن سود اسافله ۝ مشي الاماء الغوادي تحمل الحزما

وهو شجر منكر الصورة مرة سمته العرب بذلك تشبيها برءوس الشياطين في القبح ثم صار اصلا يشبه به وقيل الشياطين صنف من الحيات ولهن اعراف قال

عجيز تحلف حين احلف ۝ كمثل شيطان الحماط اعرف

وقيل شجر يقال له الصوم ومنه قول ساعدة بن جوية

موكل بشدوف الصوم يرقبها ۝ من المعارف مخطوف الحشا زرم

فعلى هذا قد خوطبت العرب بما تعرفه وهذه الشجرة موجودة فالكلام حقيقة والثاني انه من باب التخييل والتمثيل وذلك انه كل ما يستنكر ويستقبح في الطباع والصورة يشبه بما يتخيله الوهم وان لم يره والشياطين وان كانوا موجودين غير مرئيين للعرب الا انه خاطبهم بما الفوه من الاستعارات التخييلية كقول امرئ القيس

ايقتلني والمشرفي مضاجعي ۝ ومسنونة زرق كانياب اغوال

ولم يرانيابها بل ليست موجودة البتة قال ابن الخطيب وهذا هو الصحيح وذلك ان الناس لما اعتقدوا في الملايكة كمال الفضل في الصورة والسيرة واعتقدوا في الشياطين نهاية القبح في الصورة والسيرة فكما حسن التشبيه بالملك عند ارادة الكمال والفضيلة في قول النسا ان هذا الا ملك كريم فكذلك حسن التشبيه برءوس الشياطين بالقبح وتشويه الخلقة ويؤكد هذا ان العقلاء اذا راوا شيئا شديد الاضطراب منكر الصورة قبيح الخلقة قالوا انه شيطان واذا راوا شيئا حسنا قالوا انه ملك من الملايكة قال ابن عباس هم الشياطين باعيانهم شبه بها لقبحه **قوله** فانهم لاكلون منها فمالئون منها البطون والملو حشو الوعاء بما لا يحتمل الزيادة عليه **فان قيل** كيف ياكلونها مع نهاية خشونتها ونتنها ومرارة طعمها فالجواب ان المضطر ربما استروح من

الضرر بما يعاقبه في الضرر فاذا اجوعهم الله الجوع الشديد فزعوا الى ازالة ذلك الجوع بتناول هذا
الشي اويقال ان الزبانية يكرهونهم على الاكل من تلك الشجرة تكميلا لعذابهم **قوله** ثم ان لهم
عليها لشوبا من حميم قرا العامة بفتح الشين وهو مصدر على اصله وقيل يراد به اسم المفعول
ويدل له قراة شيبان النحوي لشوبا بالضم قال الزجاج المفتوح مصدر والمضموم اسم بمعنى
المشوب كالنقض بمعنى المنقوض وعطف بثم لاحد معنيين اما لانه يؤخر ما يظنونه يروونهم
من عطشهم زيادة في عذابهم فلذلك اتى بثم المقتضية للتراخي واما لان العادة تقتضي تراخي
الشرب عن الاكل فعمل على ذلك المنوال واما ملو البطن فيعقب الاكل فلذلك عطف على ما قبله
بالفا قال الزجاج الشوب اسم عام في كل ما خلط بغيره والشوب الخلط والمزج ومنه شاب اللبن
يشوبه اي خلطه ومزجه والحميم الما الحار المتناهي في الحرارة ومن حميم صفة لشوبا واعلم ان الله تعالى
وصف شرابهم في القران باشيا منها غساقا وشنها وسقوا ما حميما فقطع امعاهم ومنها المذكور
في هذه الاية ولما ذكر الطعام بتلك الشناعة والكراهية وصف الشراب بما هو اشنع منه وسماه
شوبا اي خلطا ومزجا من حميم من ما حار فاذا اكلوا الزقوم وشربوا عليه الحميم فيشوب الحميم
في بطونهم الزقوم فيصير شوبا له **قوله** ثم ان مرجعهم لالى الجحيم قال مقاتل اي بعد اكل
الزقوم وشرب الحميم لم يكونوا في الجحيم وذلك بان يكون الحميم في موضع خارج عن الجحيم فهم
يوردون الحميم لاجل الشرب كما تورد الابل الى الما ثم يردون الى الجحيم ويدل عليه قوله تعالى يطوفون
بينها وبين حميم آن وقرا ابن مسعود ثم ان منقلبهم لالى الجحيم انهم الفوا وجدوا اباهم ضالين
فهم على آثارهم يهرعون قال الفرا الاهراع الاسراع يقال هرع واهرع اذا استحث والمعنى
انهم يتبعون اباهم اتباعا في سرعة كانهم يزعجون الى اتباع ابائهم وقال الكلبي يعملون مثل
عملهم ثم انه تعالى ذكر لرسوله ما يسليه في كفرهم وتكذيبهم فقال ولقد ضل قبلهم اكثر
الاولين من الامم الخالية ولقد ارسلنا فيهم منذرين فبين تعالى ان ارساله الرسل قد تقدم
والتكذيب لهم قد سلف فوجب ان يكون له صلى الله عليه وسلم اسوة بهم حتى يصبر كما صبروا
ويستمر على الدعا الى الله وان تمردوا فليس عليه الا البلاغ ثم قال فانظر كيف كان عاقبة
المنذرين الكافرين اي كان عاقبتهم العذاب وهذا الخطاب وان كان ظاهره مع الرسول
عليه السلام الا ان المقصود منه خطاب الكفار لانهم سمعوا بالاخبار بما جرى على قوم نوح وعاد
وثمود وغيرهم من انواع العذاب فان لم يعلموا ذلك فلا اقل من ظن وخوف يحتمل ان يكون زاجرا
لهم عن كفرهم **قوله** الا عباد الله استثنا من المنذرين استثنا منقطعا لانه وعيد وهم
لم يدخلوا في هذا الوعيد وقيل استثنا من قوله ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين والمراد بالمخلصين
الموحدين نجوا من العذاب وتقدم الكلام على الاخلاص في سورة الحجر عند قوله تعالى الا عبادك
منهم المخلصين **قوله تعالى** ولقد نادانا نوح الاية لما قال ولقد ضل قبلهم اكثر
الاولين وقال فانظر كيف كان عاقبة المنذرين اتبعه بشرح وقايع الانبيا عليهم السلام
فالقصة الاولى حكاية حال نوح عليه السلام فقال ولقد نادانا نوح اي نادى ربه ان ينجيه
مع من نجا من الغرق وقيل نادى ربه اي استنصر على كفار قومه فاجاب الله دعاه **قوله**
فلنعم المجيبون جواب لقسم مقدر اي فوالله ومثله لعمري لنعم السيد انت وجد تما والمخصوص
بالمدح محذوف اي نحن اجبنا دعاه واهلكنا قومه ونجيناه واهله من الكرب العظيم واعلم ان
هذه الاجابة كانت من النعم العظيمة وذلك من وجوه احدها انه تعالى عبر عن ذاته بصيغة
الجمع فقال ولقد نادانا نوح والقادر العظيم لا يليق به الا الاحسان العظيم وثانيها انه اعاد
صيغة الجمع في قوله فلنعم المجيبون وذلك ايضا يدل على تعظيم تلك النعمة لا سيما وقد وصف

تلك

تلك الاجابة بانها نعمت الاجابة وثالثها ان الفا في قوله فلنعم المجيبون يدل على ان حصول هذه
الاجابة مرتب على ذلك الندا والحكم المرتب على الوصف المناسب يقتضي كونه معللا به وهذا
يدل على ان الندا بالاخلاص سبب لحصول الاجابة ثم انه تعالى لما بين انه نعم المجيب بين ان
الانعام حصل في تلك الاجابة بقوله ونجيناه واهله من الكرب العظيم والكرب هو الخوف الحاصل
من الغرق والكرب الحاصل من اذى قومه وجعلنا ذريته هم الباقين وذلك يفيد الحصر وذلك
يدل على ان كل من سواه وسوى ذريته فقد فنوا قال ابن عباس ذريته بنوه الثلاثة سام وحام
ويافث فسام ابو العرب وفارس وحام ابو السودان ويافث ابو الترك والخزر وياجوج
وماجوج قال ابن عباس لما خرج نوح من السفينة مات من كان معه من الرجال والنسا الا ولده
ونساهم **قوله** وتركنا عليه في الاخرين اي ابقينا له ثنا حسنا
وذكرا جميلا فيمن بعده من الانبيا والامم الى يوم القيمة **قوله** سلام على نوح مبتدا وخبر وفيه
اوجه احدها انه مفسر لتركنا والثاني انه مفسر لمفعوله اي تركنا عليه ثنا وهو هذا الكلام
وقيل ثم قول مقدر اي فقلنا سلام وقيل ضمن تركنا معنى قلنا وقيل سلط تركنا على ما
بعده قال الزمخشري وتركنا عليه في الاخرين هذه الكلمة وهي سلام على نوح يعني يسلمون
عليه تسليما ويدعون له وهو من الكلام المحكي كقولك قرات سورة انزلناها وهذا
الذي قاله قول الكوفيين جعلوا الجملة في محل نصب مفعولا بتركنا لا انه ضمن معنى القول
بل هو على معناه بخلاف الوجه قبله وهو ايضا من اقوالهم وقرا عبد الله سلاما وهو مفعول
به بتركنا **وكذلك** نعت مصدر او حال من ضميره كما تقدم تحريره
فصل المعنى سلام عليه منا في العالمين وقيل تركنا عليه في الاخرين ان يصلى
عليه الى يوم القيمة انا كذلك نجزي المحسنين اي انما خصصنا نوحا عليه السلام بهذه
التشريفات الرفيعة من جعل الدنيا مملوة من ذريته ومن تبقية ذكره الحسن في السنة
العالمين لاجل كونه محسنا ثم علل كونه محسنا بانه كان عبدا مؤمنا القصة الثانية قصة
ابرهيم عليه السلام **قوله تعالى** وان من شيعته اي من اهل دينه وسنته
وفي الضمير وجهان اظهرهما انه يعود على نوح اي ممن كان يشايعه اي يتابعه على دينه
والتصلب في امر الله والثاني انه يعود على محمد صلى الله عليه وسلم وهو قول الكلبي والشيعة قد
تطلق على المتقدم كقوله وما لي الا آل احمد شيعة وما لي الا مشعب الحق مشعب فجعل
آل احمد وهم متقدمون عليه وهو تابع لهم شيعة له قال الفرا والمعروف ان الشيعة تكون في
المتاخر قالوا كان بين نوح وابرهيم نبيان هود وصالح وروى الزمخشري انه كان بين نوح
وابرهيم الفان وستماية واربعون سنة **قوله** اذ جا في العامل فيه وجهان احدهما
اذكر مقدرا وهو المتعارف والثاني قال الزمخشري ما في الشيعة من معنى المشايعة يعني
وان ممن شايعه على دينه وتقواه حين جا ربه قال ابو حيان لا يجوز لان فيه الفصل بين العامل
والمعمول باجنبي وهو لابرهيم لانه اجنبي من شيعته ومن اذ وزاد المنع ان قدره ممن شايعه
حين جا لابرهيم لانه قدر ممن شايعه فجعل العامل قبله صلة لموصول وفصل بينه وبين
اذ باجنبي وهو لابرهيم وايضا فلام الابتدا تمنع ان يعمل ما قبلها فيما بعدها لو قلت ان
ضاربا لقادم علينا زيدا تقديره ان ضاربا زيدا قادم علينا لم يجز **فصل** قال
مقاتل والكلبي المعنى انه سليم من الشرك الا انه انكر على قومه الشرك لقوله اذ قال لابيه وقومه ما
ذا تعبدون وقال الاصوليون معناه انه عاش ومات على طهارة القلب من كل معصية **قوله**
اذ قال بدل من الاولى او ظرف لسليم اي سلم عليه في وقت قوله كيت وكيت او ظرف لجا ذكره

عباس

ابو البقاء وقوله ماذا تعبدون استفهام توبيخ وتهجين لتلك الطريقة وتقبيحها **قوله** ايفكا
فيه اوجه احدها انه مفعول من اجله اي اتريدون الهة دون الله افكا فالهة مفعول به ودون
ظرف لتريدون وقدمت معمولات الفعل اهتماما بها وحسنه كون العامل راس فاصلة وقدم
المفعول من اجله على المفعول به اهتماما به لانه مكافحهم بانهم على افك وباطل وبهذا الوجه بدا
الزمخشري الثاني ان يكون مفعولا به بتريدون ويكون الهة بدلا منه جعلها نفس الافك مبالغة
فابدلها عنه وفسره بها ولم يذكر ابن عطية غير الثالث انه حال من فاعل تريدون اي تريدون
الهة افكين او ذوي افك واليه نحا الزمخشري قال ابو حيان وجعل المصدر حالا لا يطرد الا مع
اما نحو اما علما فعالم والافك اسوا الكذب **قوله** فما ظنكم برب العالمين اي اتظنون برب
العالمين انه جوز جعل هذه الجمادات مشاركة له في المعبودية او اتظنون برب العالمين انه
من جنس هذه الاجسام حتى جعلتموها مساوية له في المعبودية فنبههم بذلك على انه ليس كمثله شيء
او فما ظنكم برب العالمين اذا لقيتموه وقد عبدتم غيره انه يصنع بكم **قوله** فنظر نظرة
في النجوم فقال اني سقيم قال ابن عباس كان قومه يتعاطون علم النجوم فعاملهم على مقتضى عادتهم
وذلك انه اراد ان يكايدهم في اصنامهم ليلزمهم الحجة في انها غير معبودة وكان لهم من الغد يوم
عيد يخرجون اليه فاراد ان يتخلف عنهم ليبقى خاليا في بيت الاصنام فيقدر على كسرها **فان**
قيل النظر في علم النجوم غير جائز فكيف اقدم ابرهيم عليه وايضا لم يكن سقيما فكيف
اخبرهم بخلاف حاله فالجواب من وجوه الاول ان نظره في النجوم اي في اوقات الليل والنهار
وكانت تاتيه الحمى في بعض ساعات الليل والنهار فنظر ليعرف هل هي تلك الساعة فقال اني سقيم
فجعله عذرا في تخلفه عن العيد الذي لهم وكان صادقا فيما قال لان السقم كان ياتيه في ذلك الوقت
الثاني انهم كانوا اصحاب النجوم يعظمونها ويقضون بها على امورهم فلذلك نظر ابرهيم في النجوم
اي في علم النجوم كما تقول نظر فلان في الفقه اي في علم الفقه فاراد ابرهيم ان يوهمهم انه نظر في علمهم
وعرف منه ما يعرفونه حتى اذا قال اني سقيم سكنوا الى قوله واما قوله اني سقيم فمعناه ساسقم
كقوله انك ميت اي ستموت الثالث ان نظره في النجوم هو قوله تعالى فلما جن عليه الليل راى
كوكبا الى اخر الايات فكان نظره ليتعرف احوال هذه الكواكب هل هي قديمة او محدثة وقوله
اني سقيم اي سقيم القلب اي غير عارف بربي وكان ذلك قبل البلوغ الرابع قال ابن زيد كان له نجم
مخصوص وكلما طلع على صفة مخصوصة مرض ابرهيم فهذا الاستقرا لما راه في تلك الحالة المخصوصة
قال اني سقيم اي هذا السقم واقع لا محالة الخامس ان قوله اني سقيم اي مريض القلب بسبب
اطباق ذلك الجمع العظيم على الكفر والشرك كقوله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم فلعلك باخع نفسك
السادس انا لا نسلم ان النظر في علم النجوم والاستدلال به حرام لان من اعتقد ان الله تعالى
خص كل واحد من هذه الكواكب بطبع وخاصية لاجلها يظهر منه اثر مخصوص فهذا العلم على
هذا الوجه ليس بباطل واما الكذب فغير لازم لان قوله اني سقيم على سبيل التعريض بمعنى ان الانسان
لا ينفك في اكثر حاله عن حصول حالة مكروهة اما في بدنه واما في قلبه وكل ذلك سقم السابع قال
ابن الخطيب قال بعضهم ذلك القول عن ابرهيم عليه السلام كذبة ورووا فيه حديثا عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال ما كذب ابرهيم الا ثلاث كذبات قلت لبعضهم هذا الحديث لا ينبغي
ان يقبل لان فيه نسبة الكذب الى ابرهيم فقال لي ذلك الرجل فكيف نحكم بكذب الراوي العدل
فقلت لما وقع التعارض بين نسبة الكذب الى الراوي وبين نسبته الى الخليل عليه السلام كان
من المعلوم بالضرورة ان نسبته الى الراوي اولى ثم نقول لم لا يجوز ان يكون المراد من قوله فنظر
نظرة في النجوم اي في نجوم كلامهم ومتفرقات اقوالهم فان الاشيا التي تحدث قطعة قطعة يقال

انها منجمة اي متفرقة ومنه نجوم الكتابة والمعنى انه لما سمع كلماتهم المتفرقة نظر فيها حتى يستخرج
منها حيلة يقدر بها على اقامة عذر لنفسه في التخلف عنهم فلم يجد عذرا احسن من قوله اني
سقيم والمراد انه لا بد من ان اصير سقيما كما تقول لمن رايته يتجهز للسفر انك مسافر ولما قال
اني سقيم تولوا عنه مدبرين وتركوه وعذروه في عدم الخروج الى عيدهم **قوله** فراغ
اي مال في خفية واصله من روغان الثعلب وهو تردده وعدم ثبوته بمكان ولا يقال
راغ حتى يكون صاحبه مخفيا لذهابه ومجيئه فقال استهزاء بها الا تاكلون يعني الطعام الذي كان
بين ايديها فلما لم يجبن قال ما لكم لا تنطقون قال لها ايضا استهزاء فراغ عليهم مال عليهم مستخفيا **قوله**
ضربا مصدر واقع موقع الحال اي فراغ عليهم ضاربا او مصدر لفعل ذلك الفعل حال
تقديره فراغ يضرب ضربا او ضمن راغ معنى يضرب وهو بعيد وباليمين متعلق بضربا ان لم
تجعله مؤكدا والا فبعامله واليمين يجوز ان يراد بها احدى اليدين وهو الظاهر وان يراد بها
القوة فالباء على هذا للحال اي ملتبسا بالقوة وان يراد بها الحلف وفاء بقوله وتالله لاكيدن
والباء على هذا للسبب وعدي راغ الثاني بعلى لما كان مع الضرب المستولي عليهم من فوقهم الى
استعلائهم بخلاف الاول فانه مع توبيخ لهم واتى بضمير العقلاء في قوله عليهم جريا على ظن عبدتها
انها كالعقلاء **قوله** يزفون حال من فاعل اقبلوا واليه يجوز تعلقه بما قبله او بما
بعده وقرا حمزة يزفون بضم الياء من ازف وله معنيان احدهما انه من ازف يزف اي دخل
في الزفيف وهو الاسراع او زفاف العروس وهو المشي على هينة لان القوم كانوا في طمانينة من
امرهم كذا قيل وهذا الثاني ليس بشيء اذ المعنى انهم لما سمعوا بذلك بادروا مسرعين فالهمزة
على هذا ليست للتعدية والثاني انه من ازف غيره اي حمله على الزفيف وهو الاسراع او
على الزفاف وقد تقدم لما فيه وباقي السبعة بفتح الياء من زف الظليم يزف اي عدا بسرعة
واصل الزفيف للنعام وقرا مجاهد وعبد الله ابن يزيد والضحاك وابن ابي عبلة يزفون
من وزف يزف اي اسرع الا ان الكسائي والفرا قالا لا نعرفها بمعنى زف وقد عرفها غيرهما
قال مجاهد هو بمعنى من قراها الوزيف النسلان وقرئ يزفون مبنيا للمفعول ويزفون
كيرمون من زفاه بمعنى حداه كان بعضهم يزفو بعضا لتسارعهم اليه وبين قوله فاقبلوا وقوله
فراغ عليهم جمل محذوفة يدل عليها الفحوى اي فبلغهم الخبر فرجعوا من عيدهم ونحوه قال
ابن عرفة من قرا بالنصب فهو من زف يزف ومن قرا بالضم فهو من ازف يزف قال الزجاج
يزفون يسرعون واصله من زفيف النعامة وهو ابتداء عدوها **قوله** اتعبدون ما
تنحتون لما عاتبوا ابرهيم على كسر الاصنام ذكر لهم الدليل الدال على فساد عبادتها فقال
اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون ووجه الاستدلال ان الخشب والحجر قبل النحت
والاصلاح ما كان معبودا البتة فاذا نحته وشكله على الوجه المخصوص لم يحدث فيه الا اثار
تصرفه فلو صار معبودا عند ذلك لكان معناه ان الشيء الذي لم يكن معبودا اذا حصلت اثار
تصرفاتي فيه صار معبودا لي وفساد ذلك معلوم ببديهة العقل **قوله** وما تعملون
في ما هذه اربعة اوجه اجودها انها بمعنى الذي اي وخلق الذي تصنعونه فالعمل هنا التصوير
والنحت نحو عمل الصائغ السوار اي صاغه ويرجح كونها بمعنى الذي تقدم ما قبلها فانها
بمعنى الذي اي اتعبدون الذي تنحتون والله خلقكم وخلق ذلك الذي تعملونه بالنحت
والثاني انها مصدرية اي خلقكم واعمالكم وجعلها الاشعرية دليلا على خلق افعال العباد لله
تعالى وهو الحق الا ان دليل ذلك من هنا غير قوي لما تقدم من ظهور كونها بمعنى الذي قال
مكي يجب ان يكون ما والفعل مصدرا جيء به ليفيد ان الله خالق الاشيا كلها وقال ايضا

وهذا اليق لقوله من شر ما خلق اجمع القرا على الاضافة فدل على انه خالق الشر وقد فارق عمرو بن
عبيد الناس فقرا من شر بالتنوين ليثبت مع الله خالقين وشنع الزمخشري على القايل هاهنا بكونها
مصدرية والثالث انها استفهامية وهو استفهام توبيخ اي واي شي تعملون الرابع انها
نافية اي ان العمل في الحقيقة ليس لكم فانتم لا تعملون شيا والجملة من قوله والله خلقكم حال
ومعناها حين اي اتعبدون الاصنام على حالة تنافي ذلك وهي ان الله خالقكم وخالقهم جميعا وتجوز
ان تكون مستانفة **فصل** دلت الاية على ان فعل العبد مخلوق لله تعالى لان النحويين
اتفقوا على ان لفظ ما مع ما بعده في تقدير المصدر فقوله وما تعملون معناه وعملكم وعلى
هذا فيصير معنى الاية والله خلقكم وخلق عملكم **فان قيل** هذه الاية حجة عليكم من
وجوه الاول انه تعالى قال اتعبدون ما تنحتون اضاف العبادة والنحت اليهم اضافة الفعل
الى الفاعل ولو كان ذلك واقعا بتخليق الله لاستحال كونه فعلا للعبد الثاني انه تعالى انما
ذكر هذه الاية توبيخا لهم على عبادة الاصنام لانه تعالى لما ذكر هذه الاية بين انه خالقهم وخالق
لتلك الاصنام والخالق هو المستحق للعبادة دون المخلوق فلما تركوا عبادته سبحانه وتعالى وهو
خالقهم وعبدوا الاصنام لا جرم انه سبحانه وبخهم على هذا الخطا العظيم فقال اتعبدون ما
تنحتون والله خلقكم وما تعملون ولو لم يكونوا فاعلين لافعالهم لما جاز توبيخهم عليها سلمنا ان هذه
الاية ليست حجة عليكم ولكن لا نسلم انها حجة لكم فقولكم لفظ ما مع ما بعدها في تقدير المصدر
قلنا ممنوع لان سيبويه والاخفش اختلفا هل يجوز الحبني مما قمت اي قيامك فجوزه سيبويه ومنعه ابن عقال
الاخفش وزعم ان هذا لا يجوز الا في الفعل المتعدي وذلك يدل على ان ما مع ما بعده في تقدير
المفعول عند الاخفش سلمنا ان ذلك قد يكون بمعنى المصدر لكنه ايضا قد يكون بمعنى المفعول
ويدل عليه وجوه الاول قوله اتعبدون ما تنحتون المراد بقوله ما تنحتون المنحوت لا النحت
لانهم ما عبدوا النحت وانما عبدوا المنحوت فوجب ان يكون المراد بقوله وما تعملون المعمول لا
العمل حتى يكون كل واحد من هذين اللفظين مطابقا لما قبله الاخر الثاني انه تعالى قال فاذا هي
تلقف ما يافكون ليس المراد انها تلقفت نفس الافك بل اراد العصي والحبال التي هي متعلقات
ذلك الافك فكذا هاهنا الثالث ان العرب تسمي محل العمل عملا يقال في الباب والخاتم هذا عمل
فلان والمراد محل عمله فثبت بهذه الوجوه ان لفظ ما مع ما بعده كما يجي بمعنى المصدر قد يجي أن
ايضا بمعنى المفعول فكان حمله هاهنا على المفعول اولى لان المقصود في الاية تزييف مذهبهم
في عبادة الاصنام لا بيان انهم لا يوجدون افعال انفسهم لان الذي جرى ذكره من اول الاية
الى هذا الموضع هو مسالة عبادة الاصنام لا خلق الاعمال قال ابن الخطيب وهذه سؤالات قوية
فالاولى ترك الاستدلال بهذه الاية **قوله** قالوا ابنوا له بنيانا لما اورد عليهم الحجة
القوية ولم يقدروا على الجواب عدلوا الى طريقة الايذا فقالوا ابنوا له بنيانا قال ابن عباس بنوا
حايطا من حجر طوله في السما ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا وملووه نارا وطرحوه فيها
وذلك هو قوله فالقوه في الجحيم وهي النار العظيمة قال الزجاج كل نار بعضها فوق بعض فهي جحيم
والالف واللام في الجحيم تدل على الكناية والمعنى في جحيمه اي في تلك النار المخصوصة فغلبه لله وعنده ما
القوه في النار وصرف الله عنه ضرر النار فصار هو الغالب عليهم واردوا به كيدا اي شرا وهو ان
يحرقوه فجعلناهم الاسفلين المقهورين حيث سلم الله ابرهيم ورد كيدهم ولما انقضت هذه
الواقعة قال ابرهيم اني ذاهب الى ربي سيهدين ونظيره قوله تعالى وقال اني مهاجر الى ربي
والمعنى اهجر دار الكفر اي اذهب الى مواضع دين ربي وقال الكلبي ذاهبا الى حيث امرني ربي
وقوله سيهدين اي الى حيث امرني بالمصير اليه وهو الشام وهذا يدل على ان الهداية لا تحصل

الا من الله تعالى ولا يمكن حمله على وضع الادلة وازاحة الاعذار لان ذلك كان حاصلا في الزمان
الماضي قال مقاتل فلما قدم الارض المقدسة سال ربه الولد فقال رب هب لي من الصالحين
اي هب لي ولدا صالحا لان لفظ الهبة غلب في الولد وان كان قد جا في الاخ في قوله تعالى ووهبنا
له من رحمتنا اخاه هارون نبيا فبشرناه بغلام حليم قيل غلام في صغره حليم في كبره ففيه
بشارة انه ابن وانه يعيش وينتهي الى سن يوصف بالحلم واي حلم اعظم مما نحن فيه عليه ابوه الذبح
قال ستجدني ان شا الله من الصابرين **قوله** فلما بلغ معه السعي متعلق بمحذوف على
سبيل البيان كانه قايل قال مع من بلغ السعي فقيل مع ابيه ولا يجوز تعلقه ببلغ لانه يقتضي
بلوغهما معا حد السعي ولا يجوز تعلقه بالسعي لان صلة المصدر لا تتقدم عليه فتعين ما تقدم
قال معناه الزمخشري ومن يتسع في الظرف يجوز تعلقه بالسعي **فصل** قال ابن عباس
وقتادة معنى بلغ معه السعي اي المشي معه الى الجبل قال مجاهد عن ابن عباس لما شب حتى بلغ سعيه
سعي ابرهيم والمعنى بلغ ان يتصرف معه ويعينه في عمله قال الكلبي يعني العمل لله وهو قول
الحسن ومقاتل بن حيان وابن زيد قالوا هو العبادة لله واختلفوا في سنه فقيل كان ابن ثلاث
عشرة سنة وقيل ابن سبع سنين **قوله** اني ارى في المنام اني اذبحك قال المفسرون لما بشر
ابرهيم عليه السلام بالولد قبل ان يولد له قال هو اذن لله ذبيح فقيل لابرهيم قد نذرت نذرا
فاوف بنذرك فلما اصبح قال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك وقيل راى في ليلة التروية
في منامه كان قايلا يقول له ان الله يامرك بذبح ابنك فلما اصبح تروى في ذلك من الصباح الى
الرواح امن الله ام من الشيطان فمن ثم سمي يوم التروية فلما راى ايضا مثل ذلك عرف انه من الله
تعالى فمن ثم سمي يوم عرفة ثم راى مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره فسمي يوم النحر وهذا قول اكثر المفسرين
وهو يدل على انه راى في المنام ما يوجب ان يذبح ابنه في اليقظة وعلى هذا فتقدير اللفظ
اري في المنام ما يوجب اني اذبحك **فصل** اختلفوا في الذبيح فقيل اسحق وهو
قول عمر وعلي وابن مسعود والعباس بن عبد المطلب وكعب الاحبار وقتادة وسعيد بن جبير ومسروق
وعكرمة والزهري والسدي ومقاتل وهي رواية عكرمة وسعيد بن جبير عن ابن عباس وقالوا
كانت هذه القصة بالشام وقيل انه اسمعيل وهو قول ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب
والحسن والشعبي ومجاهد والكلبي والربيع بن انس ومحمد بن كعب القرظي وهي رواية عطا بن ابي
رباح ويوسف بن ماهك عن ابن عباس وكلا القولين يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
واحتج القايلون بانه اسمعيل بقوله عليه السلام انا ابن الذبيحين وقال له اعرابي يا ابن الذبيحين
فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم فسيل عن ذلك فقال ان عبد المطلب لما حفر بير زمزم نذر ان
سهل الله له امرها ليذبحن احد ولده فخرج السهم على عبد الله فمنعه اخواله وقالوا له افد ابنك
بماية من الابل والذبيح الثاني اسمعيل ونقل الاصمعي انه قال سالت ابا عمرو بن العلا عن الذبيح
فقال يا اصمعي اين عقلك ومتى كان اسحق بمكة وانما كان اسمعيل بمكة وهو الذي بنى البيت مع
ابيه والمنحر بمكة وقد وصف الله اسمعيل بالصبر دون اسحق في قوله واسمعيل واليسع
وذا الكفل كل من الصابرين وهو صبره على الذبح ووصفه ايضا بصدق الوعد فقال انه
كان صادق الوعد لانه وعد اباه من نفسه الصبر على الذبح فقال ستجدني ان شا الله
من الصابرين وقال تعالى فبشرناها باسحق ومن ورا اسحق يعقوب فكيف تقع البشارة باسحق
وانه سيولد له يعقوب ثم يومر بذبح اسحق وهو صغير قبل ان يولد له هذا ينافي البشارة
المتقدمة وقال الامام احمد الصحيح ان الذبيح اسمعيل وعليه جمهور العلما من السلف والخلف
قال ابن عباس وزعمت اليهود انه اسحق وكذبت اليهود وروى ابن عباس انه هبط عليه الكبش

من ثبير فذبحه وهو الكبش الذي قربه ابن ادم فتقبل منه فذبحه بمنى وقيل بالمقام وروي انه
كان وعلا وقيل تيسا من الاروى قال سعيد لم يزل قرنا الكبش في البيت حتى احترق البيت فاحترقا
وروي عن ابن عباس ان راس الكبش لم يزل معلقا عند ميزاب الكعبة حتى يبس وارسل رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى عثمان بن طلحة فقالت امراة عثمان لم دعاك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
قال اني رايت قرني الكبش حين دخلت البيت فنسيت ان امرك ان تخمرهما فانه لا ينبغي ان يكون
في البيت شي يشغل المصلي وهذا يدل على ان الذبيح كان اسمعيل لانه الذي كان مقيما بمكة
واسحق لا نعلم انه كان قدمها في صغره وهذا الظاهر القران لانه ذكر قصة الذبيح ثم قال بعده
وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين قال ابن كثير ومن قال انه اسحق فانما اخذه والله اعلم من
كعب الاحبار او من صحف اهل الكتاب وليس في ذلك حديث صحيح عن المعصوم حتى نترك لاجله
ظاهر الكتاب العزيز **قوله** ماذا ترى تجوز ان يكون ماذا مركبة فتغلب فيها الاستفهام
فتكون منصوبة بترى وهي وما بعدها في محل نصب بانظر لانها معلقة له وان تكون ما
استفهامية وذا موصولة فتكون مبتدا وخبرا والجملة معلقة ايضا وان يكون ماذا بمعنى
الذي فيكون معمولا لانظر وقرا الاخوان ترى بالضم والكسر والمفعولان محذوفان اي ترينيه
اياه من صبرك واحتمالك وباقي السبعة ترى بفتحتين من الراي وقرا الاعمش والضحاك تُرى
بالضم والفتح بمعنى ما يخيل اليك ويسنح لخاطرك **قوله** ما تؤمر يجوز ان يكون ما بمعنى الذي
والعايد مقدر اي تؤمره والاصل تؤمر به ولكن حذف الجار مطرد فلم يحذف العايد
الا وهو منصوب المحل فليس حذفه هنا كحذفه في قولك جا الذي مررت وان يكون مصدرية
قال الزمخشري او امرك على اضافة المصدر للمفعول وتسمية المامور به امرا يعني بقوله المفعول
اي الذي لم يسم فاعله الا ان في تقدير المصدر بفعل مبني للمفعول خلافا مشهورا **قوله**
ستجدني ان شا الله من الصابرين لما نوشرا علق المشية الله تعالى على سبيل التبرك
والتيمن فانه لا حول عن معصية الله الا بعصمة الله ولا قوة على طاعة الله الا بتوفيق الله **فصل**
اختلف الناس في ان ابرهيم عليه السلام كان ماموراً بهذا وهذا الاختلاف يتفرع عليه
مسئلة اصولية وهي انه هل يجوز نسخ الحكم قبل حضور وقت الامتثال فقال بعضهم انه
يجوز وقالت المعتزلة وبعض الشافعية والحنفية انه لا يجوز فعلى الاول ان الله تعالى امره
بالذبح ثم ان الله تعالى نسخ هذا التكليف قبل حضور وقته وعلى الثاني انه تعالى ما امره
بالذبح وانما امره بمقدمات الذبح واحتج الاولون بقصة ابرهيم عليه السلام وقول الولد
لابيه افعل ما تؤمر وقالت المعتزلة لا نسلم انه امر بذبح ولده بل انما امر بمقدمات
الذبح وهي اضجاعه ووضع السكين على حلقه والعزم الصحيح على الاتيان بذلك الفعل
ثم ان الله تعالى اخبر عنه بانه اتى بما امر به لقوله يا ابرهيم قد صدقت الرويا فدل على انه
تعالى انما امره بمقدمات الذبح لا بنفس الذبح وايضا فان الذبح عبارة عن قطع الحلقوم فلعل
ابرهيم عليه السلام قطع الحلقوم الا انه كلما قطع جزءا اعاد الله تاليفه فلهذا السبب لم
تحصل الموت وايضا فانه تعالى لو امر شخصا معينا بايقاع فعل معين في وقت معين فهذا
يدل على ان ايقاع ذلك الفعل في ذلك الوقت حسن فلو حصل النهي عقيب ذلك الامر لزم احد
امرين اما ان يكون عالما بحال ذلك الفعل فيلزم انه تعالى امر بالقبيح ونهى عن الحسن وان
لم يكن عالما به لزم جهل الله وانه محال والجواب عن الاول انه تعالى انما امره بالذبح لظاهر الاية
واما قوله كلما قطع ابرهيم عليه السلام جزءا اعاد الله تاليفه فهذا باطل لان ابرهيم عليه السلام
لو اتى بكل ما امر به لما احتاج الى الفدا وحيث احتاج اليه علمنا انه لم يات بكل ما امر به واما

توهمهم

توهمهم يلزم اما الامر بالقبيح واما الجهل فنقول هذا بنا على ان الله لا يامر الا بما يكون حسنا
في ذاته ولا ينهى الا عن ما يكون قبيحا في ذاته فذلك مبني على تحسين العقل وتقبيحه وهو باطل
وان سلمنا ذلك فلم لا يجوز ان يكون الامر بالشي تارة حسنا لكون المامور به حسنا في ذلك
الوقت لمصلحة من المصالح وان لم يكن المامور به حسنا كما اذا اراد السيد اختبار طاعة العبد
فيقول له افعل الفعل الفلاني في يوم الجمعة ويكون ذلك الفعل شاقا ويكون مقصود السيد
ليس ان يأتي العبد بذلك الفعل بل ان يوطن العبد نفسه على الانقياد والطاعة ثم ان السيد اذا
علم منه توطين نفسه على الطاعة فيزيل عنه ذلك التكليف فكذا ههنا **فصل** احتجوا
بهذه الاية على انه تعالى قد يامر بما لا يريد وقوعه لانه تعالى لو اراد وقوعه لوقع الذبح
لا محالة **فصل** في الحكمة في ورود هذا التكليف في النوم لا في اليقظة وذلك من
وجوه الاول ان هذا التكليف في نهاية المشقة على الذابح والمذبوح فورد اولا في النوم
حتى يصير ذلك كالمنبه لورود هذا التكليف الشاق ثم يتاكد ذلك بأحوال اليقظة لكيلا يهجم
هذا التكليف الشاق على النفس دفعة واحدة بل على التدريج الثاني ان الله تعالى جعل
رويا الانبيا عليهم السلام حقا قال تعالى لقد صدق الله رسوله الرويا بالحق وقال عن
يوسف اني رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين وقول ابرهيم اني ارى
في المنام اني اذبحك والمقصود من ذلك تقوية الدلالة على كونهم صادقين فاذا تظاهرت
الحالتان على الصدق دل ذلك على نهاية كونهم محقين صادقين في كل الاحوال **فصل**
والحكمة في مشاورة الابن في هذا الامر ليظهر له صبره في طاعة الله فيكون فيه قرة عين
لابرهيم حيث يراه قد بلغ في الحكمة الى هذا الحد العظيم في الصبر على اشد المكاره الى هذه
الدرجة العالية ويحصل للابن الثواب العظيم في الاخرة والثنا الحسن في الدنيا **قوله**
فلما اسلما في جوابها ثلاثة اوجه اظهرها انه محذوف اي ناديناه الملايكة او ظهر صبرهما او اجزلنا
لهما اجرهما او قدره بعضهم بعد الرويا اي كان ما كان مما ينطق به الحال والوصف مما لا يدرك
كنهه ونقل ابن عطية ان التقدير فلما اسلما اسلما وتله كقوله
فلما اجزنا ساحة الحي وانتحى بنا بطن حقف ذي ركام عقنقل
اي فلما اجزنا اجزنا
وانتحى ويعزى هذا لسيبويه وشيخه الخليل وفيه نظر من حيث اتحاد الفعلين الجاريين
مجرى الشرط والجواب الا ان يقال جعل التغاير في الاية بالعطف على الفعل وفي البيت
بعمل الثاني في ساحة وبالمعطوف عليه ايضا والظاهر انه لا يستعمل هذا الا بتكلف في التقادير
الثاني انه وتله للجبين والواو زايدة وهو قول الكوفيين والاخفش والثالث انه وناديناه
والواو زايدة ايضا كقوله واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب واوحينا اليه وهو مروي عن الخليل
ان يا ابرهيم قد صدقت الرويا تم الكلام ههنا ثم ابتدى انا كذلك وقرا علي وعبد الله وابن
عباس سلما وقرى استسلما وتله اي صرعه واضجعه على شقه وقيل هو الرمي بقوة واصله
من رماه به على التل وهو المكان المرتفع او من التليل وهو العنق اي رماه على عنقه ثم قيل
لكل اسقاط وان لم يكن على تل ولا على عنق والمتل الرمح الذي يتل به والجبين ما انكشف من
الجبهة ومن هنا وشد جبهته وصدغان **فصل** المعنى سلم لامر الله واسلم واستسلم
بمعنى واحد اي انقاد وخضع والمعنى اخلص نفسه لله وجعلها سالمة له خالصة وكذلك استسلم
اخلص نفسه لله وعن قتادة في اسلم هذا ابنه وهذا نفسه وقوله وتله للجبين اي صرعه على شقه
فوقع احد جنبيه على الارض وللوجه جبينان والجبهة بينهما قال ابن الاعرابي التليل والمتلول

المصروع والتل الذي يتل به اي يصرع والمعنى انه صرعه على جبينه وقال مقاتل كبه على جبهته
وهذا خطأ لان الجبين غير الجبهة قوله وناديناه أن يا ابرهيم قد صدقت الرويا قال المفسرون
لما اضجعه للذبح نودي من الجبل يا ابرهيم قد صدقت الرويا **فان قيل** لم قال
قد صدقت الرويا وكان قد راى الذبح ولم يذبح قيل جعله مصدقا لانه قد اتى بما امكنه
والمطلوب استسلامهما لامر الله وقد فعلا وقيل كان قد راى في النوم معالجة الذبح ولم ير اراقة
الدم وقد فعل في اليقظة ما راى في النوم ولذلك قال قد صدقت الرويا قال المحققون
السبب في هذا التكليف كمال طاعة ابرهيم لتكاليف الله فلما كلفه الله بهذا التكليف الشاق
الشديد وظهر منه كمال الطاعة وظهر من ولده كمال الطاعة والانقياد لاجرم قال الله تعالى
قد صدقت الرويا قوله انا كذلك نجزي المحسنين ابتدا اخبار من الله والمعنى انا كما عفونا عن ذبح الرؤيا
ولده كذلك نجزي من احسن في طاعتنا قال مقاتل جزاه الله باحسانه في طاعته العفو عن
ذبح ولده ان هذا لهو البلاء المبين اي الاختبار الظاهر الذي يتميز فيه المخلصون من غيرهم
والمحنة البينة الصعوبة التي لا محنة اصعب منها وقال مقاتل البلا ههنا النعمة وهي ان فدى
ابنه بالكبش قوله وفديناه بذبح عظيم الذبح مصدر ذبحت والذبح ايضا ما يذبح وهو
المراد في هذه الاية وسمي عظيما لعظمه وسمنه وقال سعيد بن جبير حق له ان يكون عظيما
قدره حيث تقبله الله تعالى قربانا ولد ابرهيم وتقدم الكلام على بقية القصة **قوله**
وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين نبيا نصب على الحال وهي حال مقدرة قال ابو حيان
ان كان الذبيح اسحق فيظهر كونها حالا مقدرة وان كان اسمعيل هو الذبيح وكانت هذه البشارة
بشارة بولادة اسحق فقد جعل الزمخشري ذلك محل سوال فقال فان قلت فرق بين هذا وبين
قوله فادخلوها خالدين وذلك ان المدخول موجود مع وجود الدخول والخلود غير موجود معهما
فقدرت مقدرين الخلود فكان مستقيما وليس كذلك المبشر به فانه معدوم وقت وجود
البشارة وعدم المبشر به اوجب عدم حاله لان الحال حلية لا تقوم الا بالمحلى وهذا المبشر به
الذي هو اسحق حين وجد لم توجد النبوة ايضا بوجوده بل تراخت عنه مدة طويلة فكيف
يجعل نبيا حالا مقدرة والحال صفة للفاعل والمفعول عند وجود الفعل منه او به فالخلود
وان لم يكن صفتهم عند دخول الجنة فتقديرها صفتهم لان المعنى مقدرين الخلود وليس كذلك
النبوة فانه لا سبيل الى ان تكون موجودة او مقدرة وقت وجود البشارة باسحق لعدم اسحق
قلت هذا سوال دقيق السلك ضيق المسلك والذي يحل الاشكال انه لا بد من تقدير مضاف
محذوف وذلك قوله وبشرناه بوجود اسحق نبيا اي بان يوجد مقدرة نبوته فالعامل في
الحال الوجود لا فعل البشارة وبذلك يرجع نظير قوله تعالى فادخلوها خالدين انتهى وهو
كلام حسن **قوله** من الصالحين يجوز ان يكون صفة لنبيا وان يكون حالا من الضمير
في نبيا فيكون حالا متداخلة ويجوز ان يكون حالا ثانية قال الزمخشري وورودها على سبيل
الثناء والتقريظ لان كل نبي لا بد ان يكون من الصالحين **قوله** وباركنا عليه يعني على
ابرهيم في اولاده وعلى اسحق بان اخرج جميع انبيا بني اسرايل من صلبه وقيل هو الثنا الحسن
على ابرهيم واسحق الى يوم القيمة ومن ذريتهما محسن اي مومن وظالم لنفسه اي كافر مبين
ظاهر وفي ذلك تنبيه على انه لا يلزم من كثرة فضايل الاب فضيلة الابن لئلا تصير
هذه الشبهة سببا لمفاخرة اليهود ودخل تحت قوله محسن الانبيا والمومنون وتحت قوله
وظالم الكافر والفاسق **قوله تعالى** ولقد مننا على موسى وهرون انعمنا عليهما بالنبوة ونجيناهما

وقومهما

وقومهما من الكرب العظيم اي الغم العظيم الذي كانوا فيه من استعباد فرعون اياهم وقيل من الغرق
قوله ونصرناهم الضمير يعود على موسى وهرون وقومهما وقيل عايد على الاثنين بلفظ الجمع
تعظيما كقوله فان شيت حرمت النسا سواكم يا ايها النبي اذا طلقتم **قوله** فكانوا هم
فيه ان يكون تاكيدا وان يكون بدلا وان يكون فصلا وهو الاظهر **فصل** المعنى فكانوا
هم الغالبين على القبط او في كل الاحوال اما في اول الامر فبظهور الحجة واما في اخر الامر فبالدولة
والرفعة واتيناهما الكتاب المستبين اي المستنير المشتمل على جميع العلوم المحتاج اليها في مصالح
الدين والدنيا كما قال تعالى انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور وهديناهما الصراط المستقيم
اي دللناهما على طريق الحق عقلا وسمعا وتركنا عليهما في الاخرين تقدم الكلام عليه الى اخر القصة
قوله تعالى وان الياس لمن المرسلين قرا العامة الياس بهمزة مكسورة همزة قطع وابن
ذكوان بوصلها ولم ينقلها عنه ابو حيان بل نقلها عن جماعة غيره ووجه القراتين انه اسم عجمي تلاعبت
به العرب فقطعت همزته تارة ووصلتها اخرى وقالوا فيه الياسين كجبراين وقيل تحتمل قراة
الوصل ان يكون اسمه ياسين ثم دخلت عليه ال المعرفة كما دخلت على يسع وقد تقدم والياس
هذا قيل هو ابن الياسين المذكور بعده من ولد هرون اخي موسى وقال ابن عباس هو ابن عم اليسع
قال ابن اسحق هو الياس بن يشين بن فنحاص بن العيزار بن هرون بن عمران وروي عن عبد الله بن مسعود
قال الياس هو ادريس وفي مصحفه وان ادريس لمن المرسلين وبها قرا عبد الله والاعمش وابن وثاب
وهذا قول عكرمة وقرئ ادرايل كابرهيم وابراهام وفي مصحف ابي وقراءته وان ايليس بهمزة
مكسورة ثم يا ساكنة بنقطتين من تحت ثم لام مكسورة ثم يا بنقطتين من تحت ساكنة ثم سين
مهملة مفتوحة **قوله** اذ قال ظرف لقوله لمن المرسلين والتقدير واذكر يا محمد لقومك
اذ قال لقومه الا تتقون اي الا تخافون الله ولما خوفهم على سبيل الاجمال ذكر ما هو السبب لذلك
التخويف فقال اتدعون بعلا وتذرون احسن الخالقين **قوله** بعلا القرا على تنوينه
منصوبا وهو الرب بلغة اليمن سمع ابن عباس رجلا منهم ينشد ضالة فقال اخر انا بعلها فقال
الله اكبر وتلا الاية ويقال من بعل هذه الدار اي من ربها وسمي الزوج بعلا لهذا المعنى قال
تعالى وبعولتهن احق بردهن وقال وهذا بعلي شيخا فعلى هذا التقدير المعنى اتعبدون بعض
البعول وتتركون عبادة الله تعالى وقيل هو علم لصنم بعينه وقيل هو علم لامراة بعينها اتتهم
بضلال فاتبعوها ويويده قراة من قرا بعلاء بزنة حمراء **قوله** وتذرون يجوز ان
يكون حالا على اضمار مبتدا وان يكون عطفا على تدعون فيكون داخلا في حيز الانكار **قوله**
الله ربكم ورب قرا الاخوان وحفص بنصب الثلاثة من ثلاثة اوجه النصب على المدح او
البدل او البيان ان قلنا ان اضافة افعل اضافة محضة والباقون بالرفع اما على اضمار مبتدا
مضمر اي هو الله او على ان الجلالة مبتدا وما بعده الخبر وروي عن حمزة انه كان اذا وصل نصب
واذا وقف رفع وهو حسن جدا وفيه جمع بين الروايتين **فصل** قال المفسرون لما
قبض الله حزقيل عليه السلام عظمت الاحداث في بني اسرايل وظهر فيهم الفساد والشرك وعبدوا
الاوثان من دون الله عز وجل فبعث الله اليهم الياس نبيا وكانت الانبيا من بني اسرايل يبعثون
من بعد موسى بتجديد ما نسوا من التورية وبنوا اسرايل كانوا متفرقين في ارض الشام وسبب
ذلك ان يوشع بن نون لما فتح الشام بواها بني اسرايل وقسمها بينهم فاحل سبطا منهم ببعلبك
ونواحيها وهم السبط الذين كان منهم الياس فبعثه الله اليهم نبيا وعليهم يومئذ ملك يقال
له احب قد اضل قومه واجبرهم على عبادة الاصنام وكان يعبد هو وقومه صنما يقال له بعل
وكان طوله عشرين ذراعا وله اربعة اوجه فجعل الياس يدعوهم الى الله عز وجل وهم لا يسمعون

منه الا ما كان من الملك فانه صدقه وامن به ثم ذكروا قصة طويلة وذكروا في اخرها ان الياس رفع الى السما وكساه الله الريش وقطع عنه لذة المطعم والمشرب فكان انسيا ملكيا ارضيا سماويا قال ابن ابي رواد ان الخضر والياس يصومان شهر رمضان ببيت المقدس ويوافيان الموسم في كل عام وقيل ان الياس موكل بالفيافي والخضر موكل بالبحار ثم قال تعالى فكذبوه فانهم لمحضرون اي لمحضرون النار غدا الا عباد الله المخلصين من قومه اي الذين اخلصوا بالتوحيد الخالص فانهم لا يحضرون وتركنا عليه في الاخرين **قوله** الا عباد الله استثنا متصل من فاعل فكذبوه وفيه دلالة على ان في قومه من لم يكذبه فلذلك استثنوا ولا يجوز ان يكونوا مستثنين من ضمير لمحضرون لانه يلزم ان يكونوا مندرجين فيمن كذب لكنهم لم يحضروا لكونهم عباد الله المخلصين وهو بين الفساد ولا يقال هو مستثنى منه استثنا منقطعا لانه يصير المعنى لكن عباد الله المخلصين من غيرهم ولا لم يحضروا ولا حاجة الى هذا بوجه اذ به يفسد نظم الكلام **قوله** على الياسين قرا نافع وابن عامر على ال ياسين باضافة ال بمعنى اهل الى ياسين والباقون بكسر الهمزة وسكون اللام موصولة بياسين كانه جمع الياس جمع سلامة فاما الاولى فانه اراد بالال الياس ولد ياسين كما تقدم واصحابه وقيل المراد بياسين هذا الياس المتقدم فيكون له اسمان مثل اسمعيل واسمعين وميكائيل وميكائين وآله رهطه وقومه المومنون وقيل المراد بياسين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بياسين اسم القران كانه قيل سلام على من امن بكتاب الله الذي هو يس واما القراة الثانية فقيل هو جمع الياس المتقدم وجمع باعتبار اصحابه كالمهالبة والاشاعثة في المهلب وبنيه والاشعث وقومه وهو في الاصل جمع المنسوب الى الياس والاصل الياسي كالاشعري ثم استثقل تضعيفها فحذفت احدى يائي النسب فلما جمع جمع سلامة التقى ساكنان احدى اليائين ويا الجمع فحذفت اولاهما لالتقا الساكنين فصار الياسين كما ترى ومثله الاشعرون والخبيبون قال قدني من نصر الخبيبين قدي وقد تقدم طرف من هذا اخر الشعرا عند قوله الاعجمين الا ان الزمخشري قد رد هذا بانه لو كان على ما ذكر لوجب تعريفه بال فكان يقال على الالياسين قال شهاب الدين لانه متى جمع العلم جمع سلامة او ثني لزمته الالف واللام لانه تزول علميته فيقال الزيدان الزيدون الزينبات ولا يلتفت الى قولهم جماديان وعمايتان على شهرين وجبلين لندورهما وقرا الحسن وابو رجا على الياسين بوصل الهمزة على انه جمع الياس وقومه المنسوبين اليه بالطريقة المذكورة وهذه واضحة لوجود ال المعرفة فيه كالزيدين وقرا عبد الله على ادراسين لانه قرا في الاول وان ادريس وقرا ابي على ايليسين لانه قرا في الاول وان ايليس كما تقدم عنه وهاتان تدلان على ان الياسين جمع الياس وتقدم الكلام على نظيرها في القصة **قوله تعالى** وان لوطا لمن المرسلين تقدم الكلام على نظيره وقوله مصبحين حال وهو من اصبح التامة بمعنى داخلين في الصباح ومنه * اذا سمعت بسرى القين فاعلم بانه مصبح * اي مقيم في الصباح وتقدم ذلك في سورة الروم وبالليل عطف على الحال قبلها اي وملتبسين بالليل والمعنى ان اولئك القوم كانوا يسافرون الى الشام والمسافر في اكثر الامر انما يمشي في الليل او في اول النهار فلهذا السبب عين تعالى هذين الوقتين ثم قال افلا تعقلون اي اليس فيكم عقول تعتبرون بها **قوله تعالى** وان يونس لمن المرسلين قرئ يونس بضم النون وكسرها قاله الزمخشري قال ابن الخطيب واعلم ان هذه القصة اخر القصص لانه لما لم يصبر على اذى قومه وابق الى الفلك وقع في تلك الشدائد فصار هذا سببا لصبر النبي صلى الله عليه وسلم على اذى قومه قال المفسرون بعث الله يونس عليه السلام الى اهل نينوى من ارض الموصل فدعاهم الى الله عز وجل فكذبوه وتمادوا على كفرهم فلما طال ذلك عليه خرج من بين اظهرهم ووعدهم حلول العذاب بهم

بعد

بعد كما سياتي **قوله** اذ ابق ظرف للمرسلين اي هو من المرسلين حتى في هذه الحالة وابق اي هرب يقال ابق العبد يابق اباقا فهو ابق والجمع اباق كضراب وفيه لغة ثانية ابق بالكسر يابق بالفتح وابق الرجل تشبيه به في الاستتار وقول الشاعر * قد احكمت حكمات القد والابقا * قيل هو القنب **قوله** فساهم اي فقارعهم في المساهمة وهي الاقتراع واصله ان يخرج السهم على من غلب فكان من المدحضين اي المغلوبين يقال ادحض الله حجته فدحضت اي ازالها فزالت واصل الكلمة من الدحض وهو الزلق يقال دحضت رجل البعير اذا زلقت **فصل** قال ابن عباس ووهب كان يونس وعد قومه العذاب فلما تاخر عنهم خرج كالمستور منهم فقصد البحر فركب السفينة فاحتبست السفينة فقال الملاحون ههنا عبد ابق من سيده فاقترعوا فوقعت القرعة على يونس فاقترعوا ثلاثا فوقعت على يونس فقال يونس انا الابق وزج نفسه في الما **قوله** فالتقمه الحوت وهو مليم المليم الذي اتى بما يلام عليه قال * وكم من مليم لم يصب بملامة * ومتبع بالذنب ليس له ذنب * يقال الام فلان اي فعل ما يلام عليه وقوله وهو مليم حال وقرئ مليم بفتح الميم من لام يلوم وهي شاذة جدا اذ كان قياسها ملوم لانها من ذوات الوا وكمقول ومصون قيل ولكن اخذت من ليم على كذا مبنيا للمفعول ومثله في ذلك شيب الشي فهو مشيب ودعي فهو مدعي والقياس مشوب ومدعو لانهما من يشوب ويدعو **فصل** روي ابن عباس ان يونس عليه السلام كان يسكن مع قومه فلسطين فغزاهم ملك وسبى منهم تسعة اسباط ونصف وبقي سبطان ونصف وكان قد اوحى الى بني اسرائيل اذا اسركم عدوكم واصابتكم مصيبة فادعوني استجب لكم فلما نسوا ذلك واسروا اوحى الله تعالى بعد حين الى نبي من انبيائهم ان اذهب الى ملك هولاء الاقوام وقل له يبعث الى بني اسرائيل نبيا فاختار يونس عليه السلام لقوته وامانته قال يونس الله امرك بهذا قال لا ولكن امرت ان ابعث قويا امينا وانت كذلك فقال يونس وفي بني اسرائيل من هو اقوى مني فلم لا تبعثه فالح الملك عليه فغضب يونس منه وخرج حتى اتى بحر الروم فوجد سفينة مشحونة فحملوه فيها فلما اشرف على لجة البحر اشرفوا على الغرق فقال الملاحون ان فيكم عاصيا والا لم يحصل في السفينة ما نراه وقال التجار قد جربنا مثل هذا فاذا رايناه نقترع فمن خرج عليه نغرقه فلان يغرق واحد خير من غرق الكل فخرج من بينهم يونس فقال يا هولاء انا العاصي وتلفف في كسائه ورمى نفسه فالتقمه الحوت واوحى الله تعالى الى الحوت لا تكسر منه عظما ولا تقطع منه وصلا ثم ان السمكة خرجت الى نيل مصر ثم الى بحر فارس ثم الى البطايح ثم دجلة وصعدت به ورمته في ارض نصيبين بالعرا وهو كالفرخ المنتوف لا شعر ولا لحم فانبت الله عليه شجرة من يقطين فكان يستظل بها وياكل من ثمرها حتى اشتد فلما ان الارضة اكلتها فحزن يونس لذلك حزنا شديدا فقال يارب كنت استظل تحت هذه الشجرة من الشمس والريح وامص من ثمرها وقد سقطت فقيل يا يونس تحزن على شجرة انبتت في ساعة ويبست في ساعة ولا تحزن على مائة الف او يزيدون تركتهم فانطلق اليهم فانطلق اليهم **قوله** فلولا انه كان من المسبحين من الذاكرين الله قبل ذلك وكان كثير الذكر وقال ابن عباس من المصلين وقال وهب من العابدين وقال الحسن ما كانت صلوة في بطن الحوت ولكنه قدم عملا صالحا وقال سعيد بن جبير هو قوله في بطن الحوت لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين **قوله** في بطنه الظاهر انه متعلق بلبث وقيل حال اي مستقرا وكان بطنه قبرا له الى يوم البعث قال الحسن لم يلبث الا قليلا ثم اخرج من بطن الحوت وقال بعضهم التقمه بكرة ولفظه عشية وقال مقاتل بن حيان ثلاثة ايام وعن عطا سبعة ايام وعن الضحاك عشرين يوما وقيل شهرا وقيل اربعين يوما قال ابن الخطيب ولا ادري باي دليل عينوا هذه المقادير وروى ابو بردة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سبح يونس في بطن الحوت

فسمعت الملايكة تسبيحه فقالوا ربنا انا نسمع صوتا ضعيفا بارض غريبة فقال ذاك عبدي يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت في البحر قالوا العبد الصالح الذي كان يصعد اليك منه في كل يوم وليلة عمل صالح قال نعم فشفعوا له فامر الحوت فقذفه بالساحل وروي ان يونس لما ابتلعه الحوت ابتلع الحوت حوت اخر اكبر منه فلما استقر في جوف الحوت حسب انه قد مات فحرك جوارحه فتحركت فاذا هو حي فخر لله ساجدا وقال يا رب اتخذت لك مسجدا لم يعبدك احد في مثله **قوله** فنبذناه اضاف النبذ الى نفسه مع ان ذلك النبذ انما حصل بفعل الحوت وهذا يدل على ان فعل العبد مخلوق لله قوله بالعرا اي في العرا نحو زيد بمكة والعرا الارض الواسعة التي لا نبات بها ولا معلم اشتقاقا من العري وهو عدم الستر وسميت الارض الجرداء بذلك لعدم استتارها بشيء والعرا بالقصر الناحية ومنه اعتراه اي قصد عراه واما الممدود فهو كما تقدم الارض الفيحا قال ورفعت رجلا لا اخاف عثارها ونبذت بالمتن العراء ثيابي

قوله وانبتنا عليه اي له وقيل عنده شجرة من يقطين اليقطين يفعيل من قطن بالمكان اذا اقام فيه لا يبرح قال المبرد والزجاج اليقطين كل ما لم يكن له ساق من عود كالقثا والقرع والبطيخ والحنظل وهو قول الحسن ومقاتل قال البغوي المراد هنا القرع على قول جميع المفسرين وروي الفرا انه قيل عند ابن عباس هو ورق القرع فقال ومن جعل القرع من بين الشجر يقطينا كل ورقة اتسعت وشرت فهي يقطين واعلم ان في قوله شجرة ما يرد قول بعضهم ان الشجرة في كلامهم ما كان لها ساق من عود بل الصحيح انها اعم ولذلك بينت بقوله من يقطين واما قوله والنجم والشجر فلا دليل فيه لانه استعمال اللفظ العام في احد مدلولاته وقيل بل انبت الله اليقطين الخاص بلا ساق معجزة له جاعلا مثله قال الواحدي الاية تقتضي شيئين لم يذكرهما المفسرون احدهما ان هذا اليقطين لم يكن فانبته الله لاجله والاخر ان اليقطين معروش ليحصل له ظلال ولو كان منبسطا على الارض لم يكن ان يستظل به قال مقاتل ابن حيان كان يونس يستظل بالشجرة وكانت وعلة تختلف اليه فيشرب من لبنها بكرة وعشيا حتى اشتد لحمه ونبت شعره

فان قيل قال ههنا فنبذناه بالعرا وقال في موضع اخر لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهذا يدل على انه لم ينبذ فالجواب لولا هنا كان يرجع الى الذم معناه لولا نعمة من ربه لنبذناه بالعراء وهو مذموم ولكنه تداركه النعمة فنبذ وهو غير مذموم **فصل** قال شهاب الدين ولو نبتت من الوعة مثل تبطين لقلت نوعية لا يقال تحذف الوا ولو وقع بين يا وكسرة كيعد مضارع وعد لان شرط تلك الياء ان تكون للمضارعة وهذه مما تخص بها اهل التعريف بعضهم بعضا **قوله** وارسلناه الى ماية الف او يزيدون تحتمل ان يكون المراد وارسلناه قبل ملتقمه وعلى هذا فالارسال وان ذكر بعد الالتقام فالمراد به التقديم والوا ومعناها الجمع ويحتمل ان يكون المراد الارسال بعد الالتقام قال ابن عباس كان ارسال يونس بعد ما نبذه الحوت وعلى هذا التقدير يجوز انه ارسل الى قوم اخرين سوى القوم الاول ويجوز ان يكون ارسل الى الاولين ثانيا بشريعة فامنوا بها **قوله** او يزيدون في او هذه سبعة اوجه تقدم تحقيقها اول البقرة عند قوله تعالى او كصيب فالشك بالنسبة الى المخاطبين اي ان الراي يشك عند رويتهم والابهام بالنسبة الى ان الله تعالى ابهم امرهم والاباحة اي ان الناظر اليهم يباح له ان يحزرهم بهذا القدر وكذلك التخيير اي هو مخير بين ان يحزرهم كذا او كذا والاضراب ومعنى الوا واضحان **قوله** فامنوا فمتعناهم الى حين قال قتادة ارسل الى اهل نينوى من ارض الموصل قبل الالتقام كما تقدم وقيل بعد الالتقام وقيل الى قوم اخرين وتقدم الكلام على قال ابن عباس انها بمعنى الوا وقال مقاتل والكلبي بمعنى بل وقال الزجاج على الاصل بالنسبة الى

الخاطبين

المخاطبين واختلفوا في مبلغ الزيادة قال ابن عباس ومقاتل كانوا عشرين الفا ورواه ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الحسن بضعا وثلاثين الفا وقال سعيد بن جبير سبعين الفا فامنوا يعني الذين ارسل اليهم يونس بعد معاينة العذاب فامنوا فمتعناهم الى حين انقضاء اجالهم **قوله** فاستفتهم قال الزمخشري معطوف على مثله في اول السورة وان تباعدت قال ابو حيان واذا كانوا قد عدوا الفصل بجملة نحو كل لحما واضرب زيدا وخبزا من اقبح التركيب فكيف بجمل كثيرة وقصص متباينة قال شهاب الدين ولقايل ان يقول ان الفصل وان كثر بين الجمل المتعاطفة مغتفر واما المثال الذي ذكره من قبيل المفردات الا ترى كيف عطف خبزا على لحما فصل الاول انه تعالى لما ذكر اقاصيص الانبيا عليهم السلام عاد الى شرح مذاهب المشركين وبيان قبحها ومن جملة اقوالهم الباطلة انهم اثبتوا الاولاد لله تعالى ثم زعموا انها من جنس الاناث لا من جنس الذكور فقال فاستفتهم امر استخلفا وذلك انه تعالى امر رسول الله صلى الله عليه وسلم باستفتا قريش عن وجه انكار البعث اولا ثم ساق الكلام موصولا بعضه ببعض الى ان امره بان يستفتيهم في انهم لم يثبتوا لله سبحانه البنات ولانفسهم البنين ونقل الواحدي عن المفسرين انهم قالوا ان قريشا واجناسا من العرب جهينة وبني سلمة وخزاعة وبني مليح قالوا الملايكة بنات الله وهذا الكلام يشتمل على امرين احدهما اثبات البنات لله وذلك باطل لان العرب كانوا يستنكفون عن البنت والشي الذي يستنكف منه المخلوق كيف يمكن اثباته للخالق والثاني اثبات ان الملايكة اناث وهذا ايضا باطل لان طريق العلم اما الحس واما الخبر واما النظر اما الحس فمفقود لانهم لم يشاهدوا كيف خلق الله الملايكة وهو المراد من قوله ام خلقنا الملايكة اناثا وهم شاهدون واما الخبر فمفقود ايضا لان الخبر انما يفيد العلم اذا علم كونه صدقا قطعا وهولاء الذين يخبرون عن هذا الحكم كذابون افاكون لم يدل على صدقهم دليل وهذا هو المراد من قوله الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون واما النظر فمفقود من وجهين الاول ان دليل العقل يقتضي فساد هذا المذهب لانه تعالى اكمل الموجودات والاكمل لا يليق به اصطفا البنات على البنين يعني اسناد الانقص الى الافضل اقرب الى العقل من اسناد الاخس الى الافضل فان كان حكم العقل معتبرا في هذا الباب كان قولكم باطلا الثاني ان تمسك بالاستدلال على فساد مذهبهم بل نطالبهم باثبات الدليل الدال على صحة مذهبهم فاذا لم يجدوا دليلا ظهر بطلان مذهبهم وهذا هو المراد بقوله ام لكم سلطان مبين فاتوا بكتابكم ان كنتم صادقين فقوله فاستفتهم قيل يا محمد اهل مكة وهو سوال توبيخ الربك البنات ولهم البنون ام خلقنا الملايكة اناثا وهم شاهدون حاضرون وهذه جملة حالية من الملايكة والرابط الواو وهي هنا واجبة لعدم رابط غيرها قاله شهاب الدين ويحتمل ان يكون جملة حالية من المسولين **قوله** الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله العامة على ولد فعلا ماضيا مسندا للجلالة اي اتى بالولد تعالى عما يقولون علوا كبيرا وقرئ ولد الله باضافة الولد اليه اي يقولون الملايكة ولده فحذف المبتدا للعلم به وابقى خبره والولد فعل بمعنى مفعول كالقبض فلذلك يقع خبرا عن المفرد والمثنى والمجموع تذكيرا وتانيثا تقول هذي ولدي وهم ولدي **قوله** اصطفى العامة على فتح الهمزة على انها همزة استفهام بمعنى الانكار والتقريع وقد حذف معها همزة الوصل استغنا عنها وقرا نافع في رواية وابو جعفر وشيبة والاعمش بهمزة وصل تثبت ابتدا وتسقط درجا وفيه وجهان احدها انه على نية الاستفهام وانما حذف للعلم به ومنه قول عمر بن ابي ربيعة ثم قالوا تحبها قلت بهرا عدد الرمل والحصى والتراب اي اتحبها والثاني ان هذه الجملة بدل من الجملة المحكية بالقول وهي ولد الله اي يقولون كذا ويقولون اصطفى هذا الجنس على هذا الجنس قال الزمخشري وقد قراها حمزة والاعمش وهذه القراة وان كان هذا محلها فهي ضعيفة

والذي اضعفها ان هذه الجملة قد اكتنفها الانكار من جانبيها وذلك قوله وانهم لكاذبون ما لكم
كيف تحكمون فجعلها للاثبات نعتا او نعتها دخيلة بين نفيين قال ابو حيان وليست دخيلة
بين نفيين لان لها مناسبة ظاهرة مع قولهم ولد الله واما قوله وانهم لكاذبون فهي جملة اعتراض
بين مقالتي الكفرة جاءت للتشديد والتاكيد في كون مقالتهم تلك هي من افكهم ونقل ابو البقا انه
قرئ آصطفى بالمد قال وهو بعيد جدا قوله ما لكم كيف تحكمون جملتان استفهاميتان ليس
لاحداهما تعلق بالاخرى من حيث الاعراب استفهم اولا عما استقر لهم وثبت استفهام انكار
وثانيا استفهام تعجب من حكمهم بهذا الحكم الجائر وهو انهم نسبوا اخس الجنسين وما يتطيرون منه
ويتوارى احدهم من قومه عند بشارته به الى ربهم واخس الجنسين اليهم والمعنى ما لكم كيف تحكمون
لله بالبنات ولكم بالبنين افلا تذكرون اي تتعظون ام لكم سلطان مبين برهان بين على ان لله
ولدا فاتوا بكتابكم الذي لكم فيه حجة ان كنتم صادقين في قولكم قوله وجعلوا بينه وبين الجنة
نسبا قال مجاهد وقتادة اراد بالجنة الملائكة سموا جنة لاجتنانهم عن الابصار قال ابن
عباس حي من الملائكة يقال لهم الجن منهم ابليس وقيل هم خزان الجنة قال ابن الخطيب وهذا
القول عندي مشكل لانه تعالى ابطل قولهم الملائكة بنات الله ثم عطف عليه قوله وجعلوا بينه
وبين الجنة نسبا والعطف يقتضي كون المعطوف مغايرا للمعطوف عليه فوجب ان يكون المراد
من الاية غير ما تقدم وقال مجاهد قالت كفار قريش الملائكة بنات الله فقال لهم ابو بكر
الصديق فمن امهاتهم قالوا سروات الجن وهذا ايضا بعيد لان المصاهرة لا تسمى نسبا قال
ابن الخطيب وقد روينا في تفسير قوله تعالى وجعلوا لله شركاء الجن ان قوما من الزنادقة
يقولون ان الله وابليس اخوان فالله هو الحر الكريم وابليس هو الاخ الشرير فقوله تعالى
وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا المراد منه هذا المذهب وهذا القول عندي هو اقرب الاقاويل
وهو مذهب المجوس القائلين بيزدان واهرمن قوله ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون
اي علمت الجنة ان الذين قالوا هذا القول محضرون النار ويعذبون وقيل المراد ولقد علمت
الجنة انهم لمحضرون للحساب فعلى الاول الضمير عائد الى القائل وعلى الثاني عائد الى نفس الجنة
ثم انه تعالى نزه نفسه عما قالوا من الكذب فقال سبحان الله عما يصفون قوله الا عباد الله
في هذا الاستثنا وجوه احدها انه مستثنى منقطع والمستثنى منه اما فاعل جعلوا اي جعلوا بينه
وبين الجنة نسبا الا عباد الله الثاني انه فاعل يصفون اي لكن عباد الله يصفونه بما يليق
به تعالى الثالث انه ضمير محضرون اي لكن عباد الله ناجون فعلى هذا يكون جملة التسبيح
معترضة وظاهر كلام ابي البقا انه يجوز ان يكون استثنا متصلا لانه قال مستثنى من جعلوا
او محضرون ويجوز ان يكون منفصلا وظاهر هذه العبارة ان الوجهين الاولين هو فيهما متصل
لا منفصل وليس ببعيد كانه قيل وجعل الناس ثم استثنى منهم هؤلاء وكل من لم يجعل بين
الله وبين الجنة نسبا فهو عند الله مخلص من الشرك قوله فانكم وما تعبدون في المعطوف
وجهان احدهما انه معطوف على اسم ان وما نافية وانتم اسمها او مبتدا وانتم فيه تغليب
المخاطب على الغائب اذ الاصل فانكم ومعبودكم ما انتم وهو فتغلب الخطاب وعليه متعلق بقوله
بفاتنين والضمير عائد على ما تعبدون بتقدير حذف مضاف وضمن فاتنين معنى حاملين
بالفتنة والتقدير فانكم والهتكم ما انتم وهم حاملين على عبادته الا الذي سبق في علم الله انه
من اهل صلي الجحيم فمن مفعول بفاتنين والاستثنا مفرغ الثاني انه مفعول معه وعلى
هذا فيحسن السكوت على تعبدون كما يحسن في قولك ان كل رجل وضيعته وحكى الكسائي ان كل
ثوب لو ثمنه والمعنى انكم مع معبودكم مقترنون كما تقدر ذلك في كل رجل وضيعته فيقتران

وقوله

وقوله ما انتم عليه بفاتنين مستانف اي ما انتم على ما تعبدون بفاتنين اي بحاملين على
الفتنة الا من هو صال منكم قالها الزمخشري الا ان ابا البقا ضعف الثاني وتابعه ابو حيان
في تضعيفه بعدم تبادره الى الفهم قال شهاب الدين الظاهر انه معطوف واستيناف
ما انتم عليه بفاتنين غير واضح والظاهر ان يتنبه وجوز الزمخشري عود الضمير في عليه
على الله تعالى قال فان قلت كيف يفتنونهم على الله قلت يفسدونهم عليه باغوائهم من قولك
فتن فلان على فلان امراته كما تقول افسدها عليه وخببها عليه ومن يجوز ان تكون موصولة
او موصوفة وقرا العامة صال الجحيم بكسر اللام لانه منقوص مضاف حذفت لامه لالتقاء
الساكنين وحمل على لفظ من فافرد كما افرد هو وقرا الحسن وابن ابي عبلة بضم اللام مع واو بعدها
فيما نقله الهذلي عنهما وابن عطية عن الحسن وقرا بضمها مع عدم واو فيما نقل ابن خالويه عنهما وعن
الحسن فقط فيما نقله الزمخشري وابو الفضل فاما مع الواو فانه جمع سلامة بالواو والنون
ويكون قد حمل على لفظ من اولا فافرد في قوله هو وعلى معناها ثانيا فجمع في قوله صالو وحذفت
النون للاضافة ومما حمل فيه على اللفظ والمعنى في جملة واحدة وهي صلة للموصول قوله تعالى
الا من كان هودا او نصارى فافرد في كان وجمع في هودا ومثله قول الاخر وايقظ من كان منكم نياما
واما مع عدم الواو فيحتمل ان يكون جمعا ايضا وانما حذفت الواو خطا كما حذفت لفظا وكثيرا
ما يفعلون هذا يسقطون في الخط ما يسقط في اللفظ ومنه يدع الانسان في قراءة من قرا
بالمناداة المحجة ويوم يدع الداع وكذلك واخشون اليوم ويحتمل ان يكون مفردا وحقه على هذا
كسر اللام فقط لانه عين المنقوص وعين المنقوص مكسورة ابدا وحذفت اللام وهي الياء لالتقاء
الساكنين نحو هذا قاض البلد فذكروا فيه توجيهين احدهما انه مقلوب اذ الاصل صائل ثم
صايل قدموا اللام الى موضع العين فوقع الاعراب على العين ثم حذفت لام الكلمة بعد القلب فصار
اللفظ كما ترى ووزنه على هذا فاع فيقال على هذا جاء صال ورايت صالا ومررت بصال فيصير
في اللفظ كقولك هذا باب ورايت بابا ومررت بباب ونظيره في مجرد القلب شاك ولاث في
شائك ولائث ولكن شاك ولاث قبل القلب صحيحان فصارا بعد القلب منقوصين بخلاف صال
فانه قبل القلب معتل منقوص فصار بعده صحيحا والثاني ان اللام حذفت استثقالا من غير
قلب وهذا اسهل مما قبله لانهم يتناسون اللام المحذوفة ويجعلون الاعراب على العين وقد قرئ
وله الجوار برفع الراء وجنى الجنتين دان برفع النون تشبيها بجناح وجان وقالوا ما باليت به
بالة والاصل بالية كعافية وقد تقدم طرف من هذا عند قوله ومن فوقهم غواش فيمن قراه
برفع الشين فصل قال المعنى وان المعنى فانكم يقول لاهل مكة وما تعبدون من
الاصنام ما انتم عليه على ما تعبدون بفاتنين بمضلين احدا الا من هو صال الجحيم اي الا من
قدر الله انه سيدخل النار اي من سبق له في علم الله الشقاوة واعلم انه لما ذكر الدلائل
الدالة على فساد مذاهب الكفار اتبعه بما ينبه به على ان هؤلا الكفار لا يقدرون على اضلال
احد الا اذا كان قد سبق حكم الله في حقه بالعذاب والوقوع في النار واحتج اهل السنة بهذه
الاية على انه لا تاثير لايقاع الشيطان ووسوسته وانما المؤثر قضا الله وتقديره قوله وما
منا الا له مقام فيه وجهان احدهما ان منا صفة لموصوف محذوف هو مبتدا والخبر الجملة
من قوله الا له مقام معلوم تقديره ما احد منا الا له مقام وحذف المبتدا مع من جيد
فصيح والثاني ان المبتدا محذوف ايضا والا له مقام صفته حذف موصوفها والخبر على هذا هو
الجار المتقدم والتقدير وما منا احد الا له مقام قال الزمخشري حذف الموصوف واقام الصفة
مقامه كقوله * انا ابن جلا وطلاع الثنايا * بكفي كان من ارمى البشر * ورده ابو حيان

فقال ليس هذا من حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه لان المحذوف مبتدأ والا له مقام خبره
ولانه لا ينعقد كلام من قوله وما منا احد وقوله الا له مقام معلوم في موضع الصفة فقد
نصوا على ان الا لا يكون صفة الا حذف موصوفها وانها فارقت غيرا اذا كانت صفة في ذلك لتمكن
غير في الوصف وعدم تمكن الا فيه وجعل ذلك كقوله انا ابن جلا اي انا ابن رجل جلا ويكنى
كان اي رجل كان فقد جعل النحويون من اقبح الضرائر حيث حذف الموصوف والصفة جملة
لم تتقدمها من بخلاف قوله منا ظعن ومنا اقام يريد ومنا فريق ظعن ومنا فريق اقام
وقد تقدم حكم هذا في الشاعر عند قوله وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به وهذا الكلام وما
بعده ظاهره انه من كلام الملائكة وقيل من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم **فصل**
قال المفسرون يقول جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم وما منا معشر الملائكة الا له مقام معلوم
اي ما منا ملك الا له مقام معلوم في السموات يعبد الله فيه قال ابن عباس ما في السموات
موضع شبر الا وعليه ملك يصلي او يسبح وقال عليه السلام اطت السماء وحق لها ان تئط والذي
نفسي بيده ما فيها موضع اربعة اصابع الا وفيها ملك واضع جبهته ساجد لله وقال السدي
الا له مقام معلوم في القربة والمشاهدة **فصل** وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون يقول
الصافون والمسبحون يجوز ان يكون مرادا اي الصافون اقدامنا او اجنحتنا والمسبحون الله تعالى
وان لا يراد البتة اي نحن من اهل هذا الفعل فعلى الاول يفيد الحصر ومعناه انهم هم الصافون
في مواقف العبودية لا غيرهم وذلك يدل على ان طاعات البشر بالنسبة الى طاعات الملائكة
كالعدم حتى يصح هذا الحصر قال ابن الخطيب وكيف يجوز مع هذا الحصر ان يقال البشر اقرب
درجة من الملك فضلا عن ان يقال هو افضل منه ام لا فالله اعلم قوله وانا لنحن الصافون
هم الملائكة صفوا اقدامهم وقال الكلبي صفوف الملائكة في السماء كصفوف الناس في الارض
وانا لنحن المسبحون اي المصلون المنزهون الله عن السوء يخبر جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه
وسلم انهم يعبدون الله بالصلاة والتسبيح وانهم ليسوا معبودين كما زعمت الكفار ثم اعاد
الكلام الى الاخبار عن المشركين فقال وان كانوا اي وقد كانوا يعني اهل مكة ليقولون لام
التاكيد لو ان عندنا ذكرا من الاولين اي كتابا مثل كتاب الاولين لكنا عباد الله المخلصين
اي لاخلصنا العبادة لله ولما كذبوا فجاءهم الذكر الذي هو سيد الاذكار وهو القرآن
فكفروا به فسوف يعلمون عاقبة هذا الكفر وهذا تهديد عظيم **قوله** ولقد سبقت
سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين وهي قوله كتب الله لاغلبن انا ورسلي لما هدد الكفار بقوله
فسوف يعلمون اردفه بما يقوي قلب الرسول فقال ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين
انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون والنصرة والغلبة قد تكون بالحجة وقد تكون
بالدولة والاستيلاء وقد تكون بالدوام والثبات فالمؤمن وان صار مغلوبا في بعض الاوقات
بسبب ضعف احوال الدنيا فهو الغالب ولا يلزم على هذه الاية ان يقال قد قتل بعض الانبيا
وهزم كثير من المؤمنين **قوله** انهم لهم المنصورون تفسير للكلمة فيجوز ان لا يكون لها محل
من الاعراب ويجوز ان يكون خبر مبتدأ مضمر او منصوبة باضمار فعل اي هي انهم لهم المنصورون
او اعني بالكلمة هذا اللفظ ويكون ذلك على سبيل الحكاية لانك لو صرحت بالفعل قبلها حاكيا للجملة
بعده كان صحيحا كانك قلت عنيت هذا اللفظ كما تقول كتبت زيد قائم وان زيدا قائم
وقرأ الضحاك كلماتنا جمعا **قوله** فتول عنهم اي اعرض عنهم حتى حين قال ابن عباس يعني
الموت وقال مجاهد يوم بدر وقال السدي حتى يامرك الله بالقتال وقيل الى ان يأتيهم
عذاب الله وقيل الى فتح مكة قال مقاتل بن حيان نسختها اية القتال وابصرهم اذا نزل بهم العذاب

من

من القتل والاسر في الدنيا والعذاب في الاخرة فسوف يبصرون ذلك لك من النصرة والتاييد
في الدنيا والثواب العظيم في الاخرة فقالوا متى هذا العذاب فقال تعالى افبعذابنا يستعجلون
اي ان ذلك الاستعجال جهل لان لكل شيء من افعال الله تعالى وقتا معينا لا يتقدم ولا يتاخر
قوله فاذا نزل بساحتهم العامة على نزل مبنيا للفاعل وعبد الله بنيابه للمفعول والجار
قائم مقام فاعله والساحة الفناء الخالي من الابنية وجمعها سوح فالفها عن واو فيصغر على سويحة
قال الشاعر فكان سيان ان لا يسرحوا نعما او يسرحوه بها واغبرت السوح فبهذا يتبين
ضعف قول الراغب انها من ذوات الياء حيث عدها في مادة سيح ثم قال الساحة المكان
الواسع ومنه ساحة الدار والسائح الماء الجاري في الساحة وساح فلان في الارض مر مر
السائح ورجل سائح وسياح انتهى ويحتمل ان يكون لها مادتان لكن كان ينبغي ان يذكر ما هي الاشهر
او يذكرهما معا **فصل** فاذا نزل يعني العذاب بساحتهم قال مقاتل بحضرتهم وقيل بفنائهم
قال الفراء العرب تكتفي بذكر الساحة عن القوم فساء صباح المنذرين فبئس صباح الكافرين
الذين انذروا بالعذاب لما خرج عليه السلام الى خيبر اتاها ليلا وكان اذا جاء قوما بليل لم يغز
حتى يصبح فلما اصبح خرجت يهود بمساحيها ومكاتلها فلما راوه قالوا محمد والله محمد والخميس فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين
قوله فتول عنهم حتى حين وابصر فسوف يبصرون قيل المراد من هذه والكلمة فيما تقدم احوال
الدنيا وفي هذه الكلمة احوال القيامة وعلى هذا التقدير فالتكرير زائل وقيل المراد من التكرير
المبالغة في التهديد والتهويل **فان قيل** ما الحكمة في قوله اولا وابصرهم وههنا
قال وابصر بغير ضمير فالجواب انه حذف مفعول ابصر الثاني اما اختصارا لدلالة الاول
عليه واما اقتصارا تفننا في البلاغة ثم انه تعالى ختم السورة بتنزيه نفسه عن كل ما لا يليق بصفات
الالهية فقال سبحان ربك رب العزة اي الغلبة والقوة اضاف الرب الى العزة لاختصاصه
بها كانه قيل ذو العزة كما تقول صاحب صدق لاختصاصه به وقيل المراد العزة المخلوقة الكائنة
بين خلقه ويترتب على القولين مسئلة اليمين فعلى الاول تنعقد بها اليمين لانها صفة من صفاته
بخلاف الثاني فانه لا ينعقد بها اليمين **فصل** قوله رب العزة الربوبية اشارة
الى كمال الحكمة والرحمة والعزة اشارة الى كمال القدرة فقوله رب العزة يدل على انه القادر على جميع
الحوادث لان الالف واللام في قوله العزة يفيد الاستغراق واذا كان الكل ملكا له لم يبق لغيره
شيء فثبت ان قوله سبحان ربك رب العزة عما يصفون كلمة تحتوي على اقصى الدرجات واكمل
النهايات وسلام على المرسلين الذين بلغوا عن الله التوحيد بالشرائع والحمد لله رب العالمين على
هلاك الاعداء ونصرة الانبيا عليهم السلام روى عن علي رضي الله عنه قال من احب ان يكتال بالمكيال
الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن اخر كلامه من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون
وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين روى ابو امامة عن ابي بن كعب قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرا والصافات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل جني وشيطان
وتباعدت منه مردة الشياطين وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيمة انه كان مؤمنا
سورة ص مكية وهي خمس وثمانون اية وسبعمائة واثنتان وثمانون كلمة
وثلاثة الاف وتسعة وتسعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** ص قرا
العامة بسكون الدال كسائر حروف الهجي في اوايل السور وتقدم ما فيه وقرا ابي والحسن وابن ابي
اسحق وابن ابي عبلة وابو السماك بكسر الدال من غير تنوين وفيها وجهان احدهما انه كسر لالتقاء الساكنين
وهذا اقرب والثاني انه امر من المصاداة وهي المعارضة ومنه صوت الصدى لمعارضته لصوتك

وذلك في الاماكن الصلبة الخالية والمعنى عارض القران بعملك فاعمل باوامره وانته عن نواهيه
قاله الحسن وعنه ايضا انه من صاديت اي حادثت والمعنى حادث الناس بالقران وقرا ابن ابي اسحق
كذلك الا انه نونه وذلك على انه مجرور بحرف قسم مقدر حذف وبقي عمله كقولهم الله لافعلن
بالجر الا ان الجر يقل في غير الجلالة وانما صرفه ذهابا به الى معنى الكتاب والتنزيل وعن الحسن ايضا
وابن السميفع وهرون الاعور صاد بالضم من غير تنوين على انه اسم للسورة وهو خبر مبتدا
مضمر اي هذه صاد ومنع من الصرف للعلمية والتانيث وكذلك قرا ابن السميفع وهرون قاف
ونون بالضم على ما تقدم وقرا عيسى وابو عمرو في رواية محبوب صاد بالفتح من غير تنوين وهي
تحتمل ثلاثة اوجه البنا على الفتح تخفيفا كاين وكيف والجر بحرف القسم المقدر وانما منع من الصرف
للعلمية والتانيث كما تقدم والنصب باضمار فعل او على حذف حرف القسم نحو قوله
فذاك امانة الله الثريد واختنعت من الصرف لما تقدم وكذلك قرا قاف ونون بالفتح
فيهما وجها كما تقدم ولم تحفظ التنوين مع الفتح والضم فصل فيل هذا قسم وقيل
اسم للسورة كما ذكر في الحروف المقطعة في اوايل السور وقال محمد بن كعب القرظي ص مفتاح اسم
الصمد وصادق الوعد وقال الضحاك معناه صدق الله وروي عن ابن عباس صدق محمد صلى
الله عليه وسلم وقيل معناه ان القران مركب من هذه الحروف وانتم قادرون عليها ولستم
قادرين على معارضته فان قيل قوله والقران ذي الذكر قسم فاين المقسم عليه
فالجواب من وجوه احدها قال الزجاج والكوفيون غير الفرا هو قوله ان ذلك لحق قال الفرا لا
نجده مستقيما لتاخيره جدا عن قوله والقران قال ثعلب والفرا هو قوله كم اهلكنا والاصل لكم
اهلكنا فحذف اللام كما حذفها في قوله قد افلح من زكاها بعد قوله والشمس لما طال الكلام الثالث
قال الاخفش هو قوله ان كل الا كذب الرسل كقوله تالله ان كنا وقوله والسما والطارق ان كل
الرابع قوله ان هذا لرزقنا الخامس هو قوله ص لان المعنى والقران لقد صدق محمد قاله الفرا وثعلب
ايضا وهذا ابتنا منهما على جواز تقدم جواب القسم وان هذا الحرف مقتطع من جملة دال هو عليها
وكلاهما ضعيف السادس انه محذوف واختلفوا في تقديره فقال الحوفي تقديره لقد جاءكم
الحق ونحوه وقدره ابن عطية ما الامر كما يزعم الكفار ودل على هذا المحذوف قوله بل الذين كفروا
والزمخشري انه لمعجز وابو حيان انك لمن المرسلين قال لانه نظير يس والقران الحكيم انك لمن
المرسلين وللزمخشري هنا عبارة بشعة جدا قال فان قلت قوله ص والقران ذي الذكر بل الذين
كفروا في عزة وشقاق كلام ظاهره متنافر غير منتظم فما وجه انتظامه قلت فيه وجهان احدهما
ان يكون قد ذكر اسم هذا الحرف من حروف المعجم على سبيل التحدي والتنبيه على الاعجاز كما مر في
اول الكتاب ثم اتبعه القسم محذوف الجواب لدلالة التحدي عليه كانه قال والقران ذي الذكر انه
لكلام معجز والثاني ان يكون صاد خبر مبتدا محذوف على انها اسم للسورة كانه قال هذه صاد
يعني هذه السورة التي اعجزت العرب والقران ذي الذكر كما تقول هذا حاتم والله تريد هو المشهور
بالسخاء والله وكذلك اذا اقسم بها كانه قال اقسمت بصاد والقران ذي الذكر انه لمعجز ثم قال
بل الذين كفروا في عزة واستكبار عن الاذعان لذلك والاعتراف بالحق وشقاق لله ورسوله واذا جعلتها
مقسما بها وعطفت عليها والقران ذي الذكر جاز لك ان تريد بالقران التنزيل كله وان تريد
السورة بعينها ومعناه اقسم بالسورة الشريفة والقران ذي الذكر كما تقول مررت بالرجل الكريم
وبالنسمة المباركة ولا تريد بالنسمة غير الرجل وقيل فيه تقديم وتاخير تقديره بل الذين كفروا
في عزة وشقاق والقران ذي الذكر والمراد بكون القران ذي الذكر اي الذكرى ذي الشرف قال تعالى
وانه لذكر لك ولقومك وقال لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم كما تقول لفلان ذكر في الناس

ويحتمل

ويحتمل ان يكون معناه ذو النبا اي فيه اخبار الاولين والاخرين وبيان العلوم الاصلية والفرعية
قوله بل الذين كفروا في عزة وشقاق اضراب انتقال من قصة الى اخرى وقرا الكسائي في رواية سورة وحماد بن
الزبرقان وابو جعفر والجحدري في غرة بالغين المعجمة والراء وقد نقل ان حماد الراوية قراها
كذلك تصحيفا فلما نبه عليه قال ما ظننت ان الكافرين في عزة وهو منه لان العزة
المشار اليها حمية الجاهلية والتكبر فصل في عزة وشقاق دلالة على ان ما دخلت عليه
قالت المعتزلة دل قوله ذي الذكر على انه محدث ويؤيده قوله وانه لذكر لك ولقومك وهذا
ذكر مبارك انزلناه وقوله ما ياتيهم من ذكر والجواب انا نصرف دليلكم الى ما نقر به نحن وتلفظ به
فصل قال القشيري بل للتدارك كلام متقي اخر وجاء في الاية ان الله اقسم بصاد والقران
ذي الذكر ان الذين كفروا من اهل مكة في عزة حمية جاهلية وتكبر عن الحق وشقاق خلاف وعداوة
لمحمد صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد في عزة معازين قوله كم اهلكنا كم مفعول اهلكنا
ومن قرن تمييز ومن قبلهم لابتدا الغاية والمعنى كم اهلكنا من قبلهم من قرن يعني من الامم الخالية
فنادوا استغاثوا عند نزول العذاب وحلول النقمة وقيل نادوا بالايمان والتوبة عند
معاينة العذاب قوله ولات حين مناص هذه الجملة في محل نصب على الحال من فاعل نادوا اي استغاثوا
والحال انه لا مهرب ولا منجا وقرا العامة لات بفتح التا وحين بالنصب وفيها اوجه احدها وهو
مذهب سيبويه ان لا نافية عطفت عليها تا التانيث كما زيدت على رب وثم كقولهم ربت وثمت
واصلها ها وصلت بلا فقالوا لاه كما قالوا ولا تعمل الا في الازمان خاصة نحو لات حين ولات
اوان كقوله طلبوا صلحنا ولات اوان فاجبنا ان ليس حين بقاء وقول الاخر
ندم البغاة ولات ساعة مندم والبغي مرتع مبتغيه وخيم والاكثر حينيذ حذف
مرفوعها تقديره ولات الحين حين مناص وقد يحذف المنصوب ويبقى المرفوع وقد قرا
هنا بذلك بعضهم كقوله من صد عن نيرانها فانا ابن قيس لا براح اي لا براح لي ولا تعمل في
غير الاحيان على المشهور وقد تمسك باعمالها في غير الاحيان في قوله
حنت نوار ولات هنا حنت وبدا الذي كانت نوار اجنت فان هنا من ظروف الامكنة
وفيه شذوذ من ثلاثة اوجه احدها عملها في اسم الاشارة وهو معرفة ولا تعمل الا في النكرات
الثاني كونه لا يتصرف الثالث كونه غير زمان وقد رد بعضهم هذا بان هنا قد تجوز بها عن
الكائنة واستعملت في الزمان كقوله تعالى هنالك ابتلي المومنون وقوله
فهناك يعترفون اين المفر كما تقدم في سورة الاحزاب الا ان الشذوذ في الاخرين باق
وتاول بعضهم البيت ايضا بتاويل اخر وهو ان لات هنا جملة لا عمل لها وهنا ظرف خبر مقدم
وحنت مبتدا بتاويل حذف ان المصدرية تقديره ان حنت نحو تسمع بالمعيدي خير من
ان تراه وفي هذا تكلف وتبعد الا ان فيه الاستراحة من الشذوذات المذكورات
او الشذوذين وفي الوقف عليها مذهبان اشهرهما عند العرب وجماهير القرا السبعة بالتا
المجرورة اتباعا لرسوم الخط والكسائي وحده من السبعة بالها والاول مذهب الخليل وسيبويه
والزجاج والفرا وابن كيسان والثاني مذهب المبرد واغرب ابو عبيد فقال الوقف على
لا والتا متصلة بحين فيقولون قمت تحين قمت وتحين كان كذا فعلت كذا وقال رايتها في
الامام كذا ولا تحين متصلة وانشد على ذلك ايضا قول ابي وجزة السعدي
العاطفون تحين ما من عاطف والمطعمون زمان لا من مطعم ومنه حديث ابن عمر وسال
رجل عن عثمان فذكر مناقبه ثم قال اذهب تلان الى اصحابك يريد الان والمصاحف انما هي
لات حين وحمل العامة ما رواه على انه مما شذ عن قياس الخط كنظاير له مرت واما البيت

فقيل فيه انه شاذ لا يلتفت اليه وقيل انما اذا حذف لحين المضاف الى الجملة التي فيها لات جاز
ان تحذف لا وحدها ويستغنى عنها بالتاء والاصل لما طغوا حين لات حين لا من عاطف فحذف
حين الاول ولا وحدها كما انه قد صرح باضافة حين اليها في قول الآخر
۰ وذلك حين لات اوان حلم ۰ وذكر هذا الوجه ابن مالك وهو متعسف جدا وقد تقدر اضافة
حين اليها من غير حذف لها كقوله ۰ تذكر حب ليلى لات حينا ۰ اي حين لات حين وايضا فكيف
يصنع ابو عبيد بقوله ۰ ولات ساعة مندم ۰ ولات اوان فانه لم يوجد التاء متصلة بحين
الوجه الثاني من الاوجه السابقة انها عاملة عمل ليس يعني انها نافية للجنس فيكون حين مناص
اسمها وخبرها مقدر وتقديره ولات حين مناص لهم كقولك لا غلام سفر لك واسمها معرب
لكونه مضافا الثالث ان بعدها فعلا مقدرا ناصبا لحين مناص بعدها اي لات ارى
حين مناص لهم بمعنى لست ارى ذلك ومثله لا مرحبا بهم ولا اهلا ولا سهلا اي لا اتوا مرحبا
ولا وطئوا سهلا ولا لقوا اهلا وهذان الوجهان ذهب اليهما الاخفش وهما ضعيفان وليس اضمار
الفعل هنا نظير اضماره في قوله ۰ الا رجلا جزاه الله خيرا ۰ لضرورة ان اسمها المفرد النكرة مبني
على الفتح فلما رايناه هنا منصوبا تعين ان يكون فعلا خلافا للزجاج فانه يجوز تنوينه في الضرورة ويدعي
ان فتحه للاعراب وانما حذف التنوين للتخفيف ويستدل بالبيت المذكور وقد تقدم
تحقيق هذا السابع ان لات هذه ليست هي لا وانما هي لات التانيث وانما هي ليس فابدلت
السين تاء وقد ابدلت منها في مواضع قالوا النات يريدون الناس ومنه ستة واصله
سدس وقال ۰ يا قاتل الله بني السعلات ۰ عمرو بن يربوع شرار النات ۰ ليسوا اخيارا ولا اكيات
وقرى شاذا قل اعوذ برب النات الى اخره يريد شرار الناس ولا اكياس فابدل السين تاء
تخاف من التباسها بحرف التمني فقلب التا الفا فبقيت لات وهو من الاكتفا بحرف العلة لان
حرف العلة لا يبدل الفا الا بشروطها الا ان تحرك وان ينفتح ما قبلها فيكون حين مناص
خبرها والاسم محذوف على ما تقدم والعمل هنا بحق الاصالة لا الفرعية وقرا عيسى بن عمر ولات
حين مناص بكسر التا وجر حين وهي قراءة مشكلة جدا نعم الفرا ان لات تجر بها وانشد
۰ ولتندمن ولات ساعة مندم ۰ والشكل غرر ۰ طلبوا صلحنا ولات اوان ۰ البيت وقال
الزمخشري ومثله قول ابي زبيد الطائي ۰ طلبوا صلحنا البيت قال فان قلت ما وجه الجر في
اوان قلت شبه باذ في قوله ۰ وانت اذ صحيح ۰ في انه زمان قطع منه المضاف اليه وعوض منه
التنوين لان الاصل ولات اوان صلح فان قلت فما تقول في حين مناص والمضاف اليه قايم
قلت نزل قطع المضاف اليه من مناص لان اصله حين مناصهم منزلة قطعه من حين لاتحاد
المضاف والمضاف اليه وجعل تنوينه عوضا من المضاف المحذوف ثم بني الحين لكونه مضافا الى
غير متمكن انتهى وخرجه ابو حيان على اضمار من والاصل ولات من حين مناص فحذفت من وبقي
عملها نحو قولهم على كم جذع بنيت بيتك اي من جذع في اصح القولين وفيه قول اخر انه مجرور بالاضافة
ومثله ۰ الا رجل جزاه الله خيرا ۰ انشدوه بجر رجل اي الا من رجل وقد يتايد بظهورها في
قوله ۰ فقال الا من سبيل الى هند ۰ قال ويكون موضع من حين مناص رفعا على انه اسم لات
بمعنى ليس كما تقول ليس من رجل قايما والخبر محذوف وهذا على قول سيبويه وعلى انه مبتدا والخبر
محذوف على قول الاخفش وخرج الاخفش ولات اوان على حذف مضاف يعني انه حذف المضاف
وبقي المضاف اليه مجرورا على ما كان والاصل ولات حين اوان وقد رد هذا الوجه مكي بانه كان
ينبغي ان يقوم المضاف اليه مقامه في الاعراب فيرفع قال شهاب الدين قد جاء بقاء المضاف اليه على
جره وهو قسمان قليل وكثير فالكثير ان يكون في اللفظ مثل المضاف نحو قوله ۰ اكل امرى تحسبين امرا ۰

ونار

۰ ونار توقد بالليل نارا ۰ اي وكل نار والقليل ان لا يكون كقراءة من قرا والله يريد الاخرة
من قرا والله يريد الاخرة بجر الاخرة فليكن هذا منه على ان المبرد رواه بالرفع على اقامته
مقام المضاف وقال الزجاج الاصل ولات اوانا فحذف المضاف اليه فوجب ان لا يعرب
وكسره لالتقاء الساكنين قال ابو حيان وهذا هو الوجه الذي قرره الزمخشري اخذه من ابي اسحق
يعني الوجه الاول وهو قوله ولات اوان صلح هذا ما يتعلق بجر حين واما كسر تا لات فعلى اصل
التقا الساكنين كجير الا انه لا يعرف تا تانيث الا مفتوحة وقرا عيسى ايضا بكسر التا فقط ونصب
حين كالعامة وقرا ايضا ولات حين بالرفع مناص بالفتح وهذه قراءة مشكلة جدا لا تبعد عن
الغلط من راويها عن عيسى فانه بمكانه من العلم المانع لمثل هذه القراءة وقد خرجها ابو
الفضل الرازي في لوامحه على التقديم والتاخير وان حين اجري مجرى قبل وبعد في بنايه على
الضم عند قطعه عن الاضافة بجامع ما بينه وبينهما من الظرفية الزمانية ومناص اسمها
مبني على الفتح فصل بينه وبينها بحين المقطوع عن الاضافة والاصل ولات مناص حين كنا ثم
حذف المضاف اليه حين وبني على الضم وقدم فاصلا بين لات واسمها قال وقد يجوز ان يكون لذلك
معنى لا اعرفه قوله فنادوا والاصل مفعول له لان القصد فعلوا النداء من غير قصد منادى

وقد روي عن ... لات الفتح والكسر والضم

وقال الكلبي كانوا اذا قاتلوا فاضطربوا نادى بعضهم لبعض مناص اي عليكم بالفرار فلما اتاهم
العذاب قالوا مناص فقال الله لهم ولات حين مناص قال القشيري فعلى هذا يكون التقدير
فنادوا مناص فحذف لدلالة ما بعده عليه قال شهاب الدين فيكون قد حذف المنادى وهو
بعضا وما ينادون به وهو مناص اي نادوا بعضهم بهذا اللفظ وقال الجرجاني اي فنادوا حين
لا مناص اي ساعة لا منجا ولا فوت فلما قدم لا واخر حين اقتضى ذلك الواو كما يقتضي الحال
اذا جعل ابتدا وخبرا مثل ما تقول جا زيد راكبا ثم تقول جا وهو راكب فحين ظرف لقوله فنادوا
قال ابو حيان وكون اصل هذه الجملة فنادوا حين لا مناص وان حين ظرف لقوله فنادوا
دعوى اعجمية في نظم القران والمعنى على نظمه في غاية الوضوح قال شهاب الدين الجرجاني لا يعني
ان حين ظرف لنادوا في التركيب الذي عليه القران الان انما يعني بذلك في اصل المعنى والتركيب
كما شبه ذلك بقولك جا زيد راكبا ثم جا زيد وهو راكب فراكبا في التركيب الاول حال وفي الثاني
خبر مبتدا كذلك حين كان في الاصل ظرفا للندا ثم صار خبرا للات او اسمها على حسب الخلاف
المتقدم والمناص مفعل من ناص ينوص اي هرب فهو مصدر يقال ناصه
ينوصه اذا فاته فهذا متعد وناص ينوص اي تاخر ومنه ناص عن قرنه اي تاخر عنه
جبنا قاله الفرا وانشد امرؤ القيس ۰ امن ذكر سلمى ان نات تنوص ۰ فيقصر عنها خطوة وتبوص ۰
وقال ابو جعفر النحاس ناص ينوص اي تقدم فيكون من الاضداد واستناص طلب المناص
قال حارثة بن بدر ۰ غمر الجراء ۰ اذا قصرت عنانه ۰ بيدي استناص ورام جري المسحل ۰
ويقال ناص الى كذا ينوص نوصا اذا التجا اليه قال بعضهم المناص المنجا والغوث يقال
ناصه ينوصه اذا اغاثه قال ابن عباس كان كفار مكة اذا قاتلوا فاضطروا في الحرب قال
بعضهم لبعض مناص اي اهربوا وخذوا حذركم فلما نزل بهم العذاب ببدر قالوا مناص فانزل
الله تعالى ولات حين مناص اي ليس حين هذا القول قوله وعجبوا ان جاءهم اي من ان جاءهم
الخلاف المشهور وقال الكافرون من باب وضع الظاهر موضع المضمر شهادة عليهم بهذا الوصف
القبيح فصل لما حكى عن الكفار كونهم في عزة وشقاق اتبعه بشرح كلماتهم الفاسدة
فقال وعجبوا ان جاءهم منذر منهم وفي قولهم منهم وجهان الاول انهم قالوا ان محمدا مساوي لنا
في الخلقة الظاهرة والاخلاق الباطنة والنسب والشكل والصورة فكيف يعقل ان يختص من بيننا

لهذا المنصب العالي والثاني ان الغرض من هذه الكلمة التنبيه علي كمال جهلهم لانهم جاءهم رجل يدعوهم
الي التوحيد والترغيب في الاخرة ثم ان هذا الرجل من اقاربهم يعلمون انه كان بعيدا عن الكذب والتهمة
وكل ذلك مما يوجب الاعتراف بتصديقه ثم انهم لحماقتهم يتعجبون له من قولهم ونظيره قوله ام لم يعرفوا
رسولهم فهم له منكرون وقال الكافرون هذا ساحر كذاب اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشي
عجاب مبالغة في عجيب كقولهم رجل طوال وامر سراع وهما ابلغ من طويل وسريع وقرا علي والسلمي
وعيسي وابن مقسم عجّاب بتشديد الجيم وهي ابلغ مما قبلها في مثل رجل كريم وكرام بالتخفيف قال
مقاتل وعجاب يعني بالتخفيف لغة ازد شنوءة وهذه القراءة اعني بالتشديد كقوله ومكروا مكرا
كبارا هو ابلغ من كبار وكبار ابلغ من كبير وقوله اجعل اي اصيرها الها واحدا في قوله وزعمه
قوله وانطلق الملا منهم الملا هم القوم الذين اذا حضروا في مجلس امتلات العيون والقلوب من
مهابتهم وقوله منهم اي من قريش انطلقوا عن مجلس ابي طالب بعد ما بكتهم رسول الله صلي الله عليه
وسلم بالجواب العتيد قائلين بعضهم لبعض ان امشوا واصبروا علي الهتكم وذلك ان عمر بن الخطاب اسلم
فشق ذلك علي قريش وفرح به المومنون فقال الوليد بن المغيرة للملا من قريش وهم الصناديد والاشراف
وكانوا خمسة وعشرين رجلا اكبرهم سنا الوليد بن المغيرة قال لهم امشوا الي ابي طالب فاتوا ابا طالب
وقالوا له انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هولاء السفهاء وانا قد اتيناك لتقضي بيننا وبين
ابن اخيك فارسل ابو طالب الي النبي صلي الله عليه وسلم فدعاه فقال يا ابن اخي هولاء قومك
يسالونك السواء فلا تمل كل الميل علي قومك فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم ماذا تسالون فقالوا
ارفض ذكر الهتنا وندعك والهك فقال النبي صلي الله عليه وسلم اتعطوني كلمة واحدة تملكون بها
العرب وتدين لكم بها العجم فقال ابو جهل لله ابوك لنعطيكها وعشر امثالها فقال رسول الله صلي الله
عليه وسلم قولوا لا اله الا الله فنفروا من ذلك وقالوا اجعل الالهة الها واحدا كيف يسع الخلق كلهم
اله واحد ان هذا لشي عجاب اي عجيب **قوله** ان امشوا يجوز ان تكون ان مصدرية اي انطلقوا بقولهم
ان امشوا وان تكون مفسرة اما لانطلق لانه ضمن معني القول قال الزمخشري لان المنطلقين عن مجلس
التقاول لا بد لهم ان يتكلموا ويتفاوضوا فيما جري لهم انتهي وقيل بل هي مفسرة لجملة محذوفة في محل
حال تقديره وانطلقوا يتحاورون ان امشوا ويجوز ان يكون مصدرية معمولة لهذا المقدر وقيل
الانطلاق هنا الاندفاع في القول والكلام نحو انطلق لسانه فان مفسرة له من غير تضمين ولا حذف
والمشي الظاهر انه هو المتعارف وقيل بل هو دعا بكثرة الماشية وهذا فاسد لفظا ومعني اما
اللفظ فلانه انما يقال من هذا المعني امشي الرجل اذا كثرت ماشيته بالالف اي صار ذا ماشية
فكان ينبغي علي هذا ان يقرا امشوا بقطع الهمزة مفتوحة واما المعني فليس مرادا البتة واي معني علي
ذلك الا ان الزمخشري ذكر وجها صحيحا من حيث الصناعة واقرب معنيهما تقدم فقال ويجوز انهم
قالوا امشوا اي اكثروا واجتمعوا من مشت المراة اذا كثرت ولادتها ومنه الماشية للتفاول انتهي واذا
وقف علي ان وابتدي بما بعدهما فليبتدا بكسر الهمزة لا بضمها لان الثالث مكسور تقديرا اذ الاصل
امشيوا ثم اعل بالحذف وهذا كما يبتدا بضم الهمزة في قولك اغزي يا امراة وان كانت الزاي مكسورة
لانها مضمومة في الاصل اذ الاصل اغزوي كاخرجي فاعل بالحذف **فصل** لما اسلم عمر وحصل
للمسلمين قوة بمكانه قال المشركون ان هذا الذي نراه من زيادة اصحاب محمد صلي الله عليه وسلم
لشي يراد بنا وقيل يراد باهل الارض وقيل يريد محمد ان يملك علينا وقيل ان دينكم لشي يراد اي
يطلب ليوخذ منكم **قوله** ما سمعنا بهذا في الملة الذي يقوله محمد من التوحيد في الملة الاخرة
قال ابن عباس والكلبي ومقاتل يعنون في النصرانية لانها اخر الملل وهم لا يوحدون بل يقولون ثالث
ثلاثة وقال مجاهد وقتادة يعنون ملة قريش دينهم الذي هم عليه **قوله** في الملة فيه

أي ما سمعنا بهذا التو

وجهان

وجهان احدهما انه متعلق بسمعنا اي لم نسمع في الملة الاخرة بهذا الذي جئت به والثاني انه
متعلق بمحذوف علي انه حال من هذا اي ما سمعنا بهذا كاينا في الملة الاخرة اي لم نسمع من الكهان
ولا من اهل الكتب انه يحدث توحيد الله في الملة الاخرة وهذا من فرط كذبهم **قوله** ان هذا
الا اختلاق اي افتعال وكذب االنزل عليه الذكر قد تقدم حكم هاتين الهمزتين في اوايل ال
عمران وان الوارد منه في القران ثلاثة اماكن والاضرابات في هذه الاية واضحة وام منقطعة
فصل المعني انزل عليه الذكر اي القران من بيننا وليس باكبرنا ولا اشرفنا وهذا
استفهام علي سبيل الانكار فاجابهم الله تعالي بقوله بل هم في شك من ذكري اي وحيي وما انزلت
وقيل بل هم في شك من ذكري اي من الدلايل التي لو نظروا فيها لزال هذا الشك عنهم بل لما يذوقوا
عذاب ولو ذاقوه لما قالوا هذا القول وقيل معني بل هم في شك من ذكري هو ان النبي صلي الله عليه
وسلم كان خوفهم من عذاب الله لو اصروا علي الكفر ثم انهم اصروا علي الكفر ولم ينزل عليهم العذاب فصار
ذلك سببا لشكهم في صدقه وقالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء
قوله ام عندهم خزاين رحمة ربك يعني مفاتيح نعمة ربك وهي النبوة يعطونها من شاوا ونظيره
اهم يقسمون رحمة ربك اي نبوة ربك العزيز في ملكه الكامل القدرة الوهاب اي وهب النبوة
لمحمد صلي الله عليه وسلم **قوله** ام لهم ملك السموات والارض لما قال ام عندهم خزاين رحمة
ربك لخزاين الله تعالي غير متناهية كما قال وان من شي الا عندنا خزاينه ومن جملة تلك الخزاين
السموات والارض فلما ذكر الخزاين اولا علي العموم اردفها بذكر السموات والارض وما بينهما يعني ان هذه
الاشيا احد انواع خزاين الله فاذا كانوا عاجزين عن هذا القسم فبان يكونوا عاجزين عن كل خزاين
الله اولي **قوله** فليرتقوا قال ابو البقا هذا كلام محمول علي المعني اي ان زعموا ذلك فليرتقوا
فجعلها جواب الشرط مقدر وكثيرا ما يفعل الزمخشري ذلك ومعني الكلام ان ادعوا شيا من ذلك
فليصعدوا في الاسباب التي توصلهم الي السما فليا توا منها بالوحي الي من يختارون قال مجاهد اراد
بالاسباب ابواب السما وطرقها من سما الي سما وكل ما يوصلك الي شي من باب وطريق فهو سببه وهذا
امر توبيخ وتعجيز واستدل حكما الاسلام بقوله فليرتقوا في الاسباب علي ان الاجرام الفلكية وما اودع
الله فيها من القوي والخواص اسباب لحوادث العالم السفلي لان الله تعالي سمي الفلكيات اسبابا وذلك
يدل علي ما ذكرنا **قوله** جند يجوز فيه وجهان اظهرهما انه خبر مبتدا مضمر اي هم جند
وما فيها وجهان احدهما انها مزيدة والثاني انها صفة لجند علي سبيل التعظيم للهزو بهم او للتحقير
فان ما الصفة يستعمل لهذين المعنيين ومثله قول امرو القيس ◦ وحديث ما علي قصره ◦ وقد
تقدم هذا في اوايل البقرة وهنالك يجوز فيه ثلاثة اوجه احدها ان يكون خبر الجند وما مزيده
ومهزوم نعت لجند ذكره مكي الثاني ان يكون صفة لجند الثالث ان يكون منصوبا بمهزوم وتهزوم
يجوز فيه ايضا وجهان احدهما انه خبر ثان لذلك المبتدا المقدر والثاني انه صفة لجند
الا ان الاحسن علي هذا الوجه ان لا يجعل هنالك صفة بل متعلقا به لئلا يلزم تقدم الوصف
الغير الصريح علي الصريح وهنالك مشار به الي موضع التقاول والمحاورة بالكلمات السابقة
وهو مكة اي سيهزمون بمكة وهو اخبار بالغيب وقيل مشار به الي نصرة الاصنام وقيل الي
حفر الخندق يعني الي مكان ذلك الثاني من الوجهين الاولين ان يكون جند مبتدا وما مزيده
وهنالك نعت ومهزوم خبره قاله ابو البقا قال ابو حيان وفيه بعد لتفلته عن الكلام
الذي قبله قال شهاب الدين وهذا الوجه المنقول عن ابي البقا سبقه اليه مكي **قوله**
من الاحزاب يجوز ان يكون صفة لجند وان يكون صفة لمهزوم وجوز ابو البقا ان يكون متعلقا

وما بينهما

به دنيه بعد لان المراد بالاحزاب هم المهزومون **فصل** المعنى ان الذين يقولون هذا
القول جند هنالك وما صلة مهزوم مغلوب من الاحزاب اي من جملة الاجناد يعني قريشا قال
قتادة اخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم وهو بمكة انه سيهزم جند المشركين فقال
سيهزم الجمع ويولون الدبر فجا تاويلها يوم بدر وهنالك اشارة الى بدر ومصارعهم وقيل
يوم الخندق قال ابن الخطيب والاصح عندي حمله على يوم فتح مكة لان المعنى انهم جند سيصيرون
منهزمين في الموضع الذي ذكروا فيه هذه الكلمات وذلك الموضع هو مكة فوجب ان يكون المراد
انهم سيصيرون منهزمين في مكة وما ذاك الا يوم الفتح وقوله من الاحزاب اي من جملة الاحزاب
اي هم من القرون الماضية الذين تحزبوا وتجمعوا على الانبيا بالتكذيب فقهروا واهلكوا
ثم قال لنبيه صلى الله عليه وسلم معزيا له كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد
قال ابن عباس ومحمد بن كعب ذو البنا المحكم وقيل اراد ذو الملك الشديد الثابت وقال
القتيبي تقول العرب هم في عز ثابت الاوتاد يريدون انه دايم شديد وقال الضحاك
ذو القوة والبطش وقال ابن عطية ذو الجنود والجموع الكثيرة وسميت الاجناد اوتادا لكثرة المضارب
التي كانوا يضربونها ويوتدونها في اسفارهم وهي رواية عطية العوفي عن ابن عباس يعني انهم كانوا يقوون
امره ويشدون ملكه كما يقوي الوتد الشي وهذه استعارة بليغة حيث شبه الملك ببيت الشعر
وبيت الشعر لا يثبت الا بالاوتاد والاطناب كما قال الافوه الاودي
والبيت لا يبتنى الا على عمد ولا عماد اذا لم ترس اوتاد فاستعير لثبات العز والملك
واستقرار الامر كقول الاسود بن يعفر ولقد غنوا فيها بانعم عيشة في ظل ملك ثابت الاوتاد
والاوتاد جمع وتد وفيه لغات وتد بفتح الواو وكسر التا وهي الفصحى وود بفتحتين وود
بادغام التا في الدال قال تخرج الود اذا ما اشجذت وتواريه اذا ما تشتكر وودت
بابدال الدال تا ثم ادغام الثانية وهذا شاذ لان الاصل ابدال الاول للثاني لا العكس
وقد تقدم نحو من هذا في الحج عند قوله تعالى فمن زحزح عن النار ويقال وتد واتد اي قوي
ثابت وهو مثل مجاز كقولهم شغل شاغل انشد الاصمعي لاقت على الماء جذيلا واتدا ولم يكن يخلفها المواعدا
وقيل الاوتاد هنا حقيقة لا استعارة قال الكلبي ومقاتل الاوتاد جمع الوتد وكان له اوتاد
يعذب الناس عليها فكان اذا غضب على احد مده مستلقيا بين اربعة اوتاد تشد كل يد
وكل رجل منه الى سارية ويتركه كذلك في الهوى بين السماء والارض حتى يموت وقال مجاهد
ومقاتل بن حيان كان يمد الرجل مستلقيا على الارض ثم يشد يديه ورجليه وراسه على الارض
بالاوتاد وقال السدي كان يمد الرجل ويشده بالاوتاد ويرسل عليه العقارب والحيات
وقال قتادة وعطا كانت له اوتاد وارسان وملاعب يلعب عليها بين يديه ثم
قال وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة تقدم الخلاف في الايكة في سورة الشعرا **قوله**
اولئك الاحزاب يجوز ان تكون مستانفة لا محل لها وان تكون خبرا والمبتدا قال ابو البقا وان يكون من قوله
من قوله وعاد وان تكون من ثمود وقوم لوط قال شهاب الدين الظاهر عطف عاد وما بعده
على قوم نوح واستيناف الجملة بعده وكان يسوغ على ما قاله ابو البقا ان يكون المبتدا وحده
واصحاب الايكة **فصل** المعنى ان هولا الذين ذكرناهم من الامم الذين تحزبوا على
انبيائهم فاهلكناهم وكذلك قومك هم من جنس الاحزاب المتقدمين وقيل المعنى اولئك
الاحزاب مبالغة في وصفهم بالقوة كما يقال فلان هو الرجل اي اولئك الاحزاب مع كمال قوتهم
لما كان عاقبتهم هي الهلاك والبوار فكيف حال هولا الضعفا المساكين **قوله** ان كل الا

كذب

كذب الرسل ان نافية ولا عمل لها هنا لانتقاض النفي بالا ولو عملت لجاز في قراءة ابي وان هو متوليا على احد وعلى
قراءة ان الذين يدعون من دون الله عبادا لا لانتقاض النفي بالا فان انتقاضه مع الاعمال وهي
حال بطل فكيف يتفرعها وقد تقدم انه يجوز ان يكون جوابا للقسم **فصل** المعنى كل هذه
الطوايف لما كذبوا انبياهم في الترغيب والترهيب لاجرام نزل العقاب عليهم وان كان ذلك
بعد حين والمقصود منه تخويف السامعين ثم بين تعالى ان هولا المكذبين وان تاخر هلاكهم
فكانه واقع بهم فقال وما ينظر هولا اي وما ينتظر هولا يعني كفار مكة الا صيحة واحدة
وهي نفخة الصور الاولى كقوله ما ينظرون الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون
توصية ولا الى اهلهم يرجعون والمعنى انهم وان لم يذوقوا عذابي في الدنيا فهو معد لهم يوم القيمة
فجعلهم منتظرين لها على معنى قربها منهم كالرجل الذي ينتظر الشي فهو ماد الطرف اليه يطمع كل ساعة
في حضوره وقيل المراد بالصيحة عذاب يفجاهم ويجيهم دفعة واحدة كما يقال صاح الزمان بهم
اذا هلكوا قال صاح الزمان بال برمك صيحة خروا لشدتها على الاذقان ونظيره قوله
تعالى فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين
قوله ما لها من فواق يجوز ان يكون لها رافعا لفواق بالفاعلية لاعتماده على النفي وان يكون
جملة من مبتدا وخبر وعلى التقديرين فالجملة المنفية في محل نصب صفة لصيحة ومن مزيدة
وقرا الاخوان فواق بضم الفاء والباقون بفتحها فقال الكسائي والفرا وابو عبيدة هما لغتان بمعنى
واحد وهما الزمان الذي بين حلبتي الحالب ورضعتي الراضع والمعنى ما لها من توقف قدر فواق
ناقة وفي الحديث العيادة قدر فواق ناقة وهذا في المعنى كقوله فاذا جا اجلهم لا يستاخرون
ساعة وقال ابن عباس ما لها من رجوع من افاق المريض اذا رجع الى صحته وافاقة الناقة ساعة
يرجع اللبن الى ضرعها يقال افاقت الناقة تفيق افاقة رجعت واجتمعت الفيقة في ضرعها والفيقة
اللبن الذي يجتمع بين الحلبتين ويجمع على افواق واما افاويق فجمع الجمع ويقال ناقة مفيق ومفيقة
وقال الفرا وابو عبيدة ومورج السدوسي الفواق بالفتح الافاقة والاستراحة كالجواب من الاجابة
وهو قول ابن زيد والسدي واما المضموم فاسم لا مصدر اي اسم لما بين الحلبتين والمشهور انهما بمعنى
واحد كقصاص الشعر وقصاصه وجمام المكوك وجمامه فالفتح لغة قريش والضم لغة تميم قال
الواحدي الفواق والفواق اسمان من الافاقة والافاقة معناها الرجوع والسكون كافاقة
المريض الا ان الفواق بالفتح يجوز ان يقام مقام المصدر والفواق بالضم اسم لذلك الزمان الذي
يعود فيه اللبن وروى الواحدي في البسيط عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
في هذه الاية يامر الله تعالى اسرافيل فينفخ نفخة الفزع قال فيمدها ويطولها وهي التي يقول
ما لها من فواق ثم قال الواحدي وهذا يحتمل معنيين احدهما ما لها من سكون والثاني ما لها
رجوع والمعنى ما تسكن تلك الصيحة ولا ترجع الى السكون ويقال لكل من بقي على حالة واحدة انه
لا يفيق منه ولا يستفيق **قوله** قطنا اي نصيبنا وحظنا ومنه قط الشي اي قطعه والمعنى قطعة مما
وعدتنا به ولهذا يطلق على الصحيفة والصك قط لانهما قطعتان يقطعان ويقال للجائزة ايضا
قط لانها قطعة من العطية قال الاعشى ولا الملك النعمان يوم لقيته بغبطته يعطي القطوط ويافق
واكثر استعماله في الكتاب قال امية بن ابي الصلت
قوم لهم ساحة ارض العراق وما يجبى اليهم بها والقط والقلم ويجمع على قطوط كما تقدم
وعلى قططة نحو قرد وقرود وقردة وفي القلة على اقطه واقطاط كقدح واقدحة واقداح
الا ان افعلة في فعل شاذ **فصل** قال سعيد بن جبير عن ابن عباس يعني كتابنا والقط
الصحيفة التي احصت كل شي قال الكلبي لما نزل قوله في الحاقة فاما من اوتي كتابه بيمينه فاما

واصله من قطه الشي اي قطعه ومنه

من اوتي كتابه بشماله فقالوا استهزاء عجل لنا كتابنا في الدنيا قبل يوم الحساب وقال سعيد بن جبير
يعنون حظنا ونصيبنا من الجنة التي تقول وقال الحسن وقتادة ومجاهد والسدي يعني عقوبتنا
ونصيبنا من العذاب قال عطا قاله النضر بن الحرث وهو قوله اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك
فامطر علينا حجارة من السما وعن مجاهد قطنا حسابنا ويقال لكتاب الحساب قط وقال ابو عبيدة
والكسائي القط الكتاب بالجوائز وقيل ان القوم تعجبوا من امور ثلاثة اولها من امر النبوات واثباتها
فقال وعجبوا ان جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب وثانيها تعجبهم من الالهيات
فقالوا اجعل الالهة الها واحدا وثالثها تعجبهم من المعاد والحشر والنشر فقالوا ربنا عجل لنا قطنا
قبل يوم الحساب قالوا ذلك استهزاء فامر الله تعالى بالصبر على سفاهتهم فقال اصبر على ما
يقولون **فان قيل** اي تعلق بين قوله اصبر على ما يقولون وبين قوله اذكر عبدنا داود
فالجواب هذا التعلق من وجوه الاول كانه قيل ان كنت شاهدت من هولاء الجهال جراتهم على الله
وانكارهم الحشر والنشر فاذكر قصة داود حتى تعرف شدة خوفه من الله تعالى ومن يوم الحشر فان
بقدر ما يزداد الانسان خوفا يزداد اعتقادا الثاني كانه قيل لمحمد صلى الله عليه
وسلم لا يحزنك قولهم كما لم يحزن ذلك داود لا كانوا من الانبيا
والعفو كان للناس في قصة داود قولان منهم من قال انها تدل على ذنبه ومنهم من
قال انها لا تدل عليه فمن قال بالاول كان وجه المناسبة فيه كانه قيل لمحمد عليه السلام ان حزنك
ليس الا لاجل تكذيبهم واما حزن داود فكان بسبب وقوع ذلك الذنب ولا شك ان حزنه
اشد فتامل في قصة داود وما كان فيه من الحزن ومن قال بالثاني قال الخصمان اللذان
دخلا على داود كانا من البشر وانما دخلا عليه لقصد قتله فخاف منهما داود ومع ذلك فلم
يتعرض لايذائهما ولا دعا عليهما بشي بل استغفر لهما فانت اولى بهذه الطريقة فلاجرم امر الله تعالى
محمدا صلى الله عليه وسلم بان يقتدي به في حسن الخلق الخامس ان قريشا انما كذبوا محمدا صلى الله
عليه وسلم واستخفوا به لقولهم انه يتيم فقير فقص الله تعالى فضل على محمد صلى الله عليه وسلم ما كان
في مملكة داود ثم بين بعد ذلك انه ما سلم من الاحزان والغموم ليعلم ان الخلاص من الحزن لا سبيل
اليه في الدنيا السادس ان قوله تعالى اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ولم يقتصر على قصة
داود بل ذكر عقيب قصة داود قصص انبيا كثيرة فكانه تعالى قال فاصبر على ما يقولون
واعتبر بحال سائر الانبيا ليعلم ان كل واحد منهم كان مشغولا بهم خاص وحزن خاص فيعلم
حينئذ ان الدنيا لا تنفك عن الهموم والاحزان وان استحقاق الدرجات العالية عند الله لا يحصل
الا بتحمل المشاق والمتاعب في الدنيا قال ابن الخطيب وههنا وجه اخر اقوى واحسن من كل هذه
الوجوه وسياتي ذكره ان شا الله تعالى عند الانتهاء الى تفسير قوله كتاب انزلناه اليك مبارك
الاية **قوله** داود بدل او عطف بيان او منصوب باضمار اعني ذا الايد نعت له والايد
القوة يقال رجل ايد وايد قال ابن عباس اي القوة في العبادة وقيل القوة في الملك واعلم
ان قوله عبدنا داود وصفه بكونه عبدا له وعبر عن نفسه بصيغة الجمع الدالة على نهاية
التعظيم وذلك يدل على غاية التشريف الا ترى انه تعالى لما اراد ان يشرف محمدا صلى الله عليه
وسلم ليلة المعراج قال سبحان الذي اسرى بعبده وايضا فان وصف الانبيا بالعبودية مشعر
بانهم قد حصلوا معنى العبودية بسبب الاجتهاد في الطاعة والمراد بالايد القوة في الطاعة والاحتراز
عن المعاصي لان مدحه بالقوة يوجب ان تكون تلك القوة موجبة للمدح العظيم وليست الا القوة
على فعل ما امر الله به وترك ما نهى عنه والايد المذكورة هنا كالقوة المذكورة في قوله يا يحيى خذ
الكتاب بقوة وقوله وكتبنا له في الالواح من كل شي موعظة وتفصيلا لكل شي فخذها بقوة اي

باجتهاد

باجتهاد وتشدد في القيام بالدعوة وترك اظهار الوهن والضعف والايد والقوة سوا ومنه قوله
هو الذي ايدك بنصره وقوله وايدناه بروح القدس والسما بنيناها بايد وقال عليه
السلام احب الصيام الى الله صيام داود واحب الصلاة الى الله عز وجل صلوة داود كان
يصوم يوما ويفطر يوما وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه **قوله** انه
اواب اي رجاع الى الله عز وجل بالتوبة عن كل ما يكره والاواب فعال من آب يؤوب اذا رجع قال
تعالى ان الينا ايابهم وهذا بناء مبالغة كما يقال قتال وضراب وهو ابلغ من قاتل وضارب وقال
ابن عباس مطيع وقال سعيد بن جبير مسبح بلغة الحبشة **قوله** انا سخرنا الجبال معه يسبحن
فقوله يسبحن جملة حالية من الجبال واتى بها فعلا مضارعا دون اسم فاعل فلم يقل مسبحات دلالة
على التجدد والحدوث شيا بعد شي كقول الاعشى لعمري لقد لاحت عيون كثيرة الى ضوء نار في يفاع
اي تحرق شيا فشيا ولو قال محرقة لم تدل على هذا المعنى **فصل** المعنى يسبحن بتسبيحه وفي
كيفية تسبيح الجبال وجوه الاول ان الله تعالى يخلق في جسم الجبل حياة وعقلا وقدرة ونطقا
وحينئذ يصير الجبل مسبحا لله تعالى الثاني قال القفال ان داود عليه السلام اوتي من شدة
الصوت وحسنه ما كان له في الجبال دوي حسن وما يصغي الطير اليه لحسنه فكان دوي الجبال
وتصويت الطير معه واصغاؤها اليه تسبيحا وروى محمد بن اسحق ان الله تعالى لم يعط احدا من
خلقه مثل صوت داود حتى انه كان اذا قرا الزبور دنت منه الوحوش حتى توخذ باعناقها الثالث
ان الله تعالى سخر الجبال حتى انها كانت تسير الى حيث يريد داود فجعل ذلك السير تسبيحا لانه
يدل على كمال قدرة الله وحكمته **قوله** بالعشي والاشراق قال الكلبي غدوة وعشيا والاشراق
هو ان تشرق الشمس ويتناهى ضوؤها قال الزجاج يقال شرقت الشمس اذا طلعت واشرقت اذا
اضاءت وقيل هما بمعنى والاول اكثر تقول العرب شرقت الشمس ولما تشرق وفسره ابن عباس بصلاة
الضحى قال ابن عباس كنت امر بهذه الاية لا ادري ما هي حتى حدثتني ام هانئ بنت ابي طالب
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها فدعا بوضوء ثم صلى الضحى وقال يا ام هانئ
هذه صلاة الاشراق وروى طاوس عن ابن عباس قال هل تجدون ذكر صلاة الضحى في
القران قالوا لا فقرا انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق قال وكانت صلاة
يصليها داود عليه السلام لم يزل في نفسي من صلاة الضحى شي حتى طلبتها فوجدتها في قوله
تعالى يسبحن بالعشي والاشراق **قوله** والطير محشورة العامة على نصبهما عطفا مفعولا
على مفعول وحالا على حال كقولك ضربت زيدا مكتوفا وعمرا مطلقا واتى بالحال اسما لانه لم
يقصد ان الفعل وقع شيا فشيا لان حشرها دفعة واحدة ادل على القدرة والحاشر
الله تعالى وقرا ابن ابي عبلة والجحدري برفعهما جعلاها جملة مستقلة من مبتدا وخبر
والمعنى وسخرنا الطير محشورة قال ابن عباس كان داود اذا سبح جاوبته الجبال واجتمعت
اليه الطير فسبحت معه واجتماعها اليه هو حشرها فيكون على هذا التقدير حاشرها هو الله
تعالى **فان قيل** كيف يتصور تسبيح الله عن الطير مع انه لا عقل لها فالجواب
انه لا يبعد ان يخلق الله تعالى لها عقولا حتى تعرف الله فتسبحه حينئذ فيكون ذلك معجزة
لداود قال الزمخشري قوله محشورة في مقابلة يسبحن الا انه لما لم يكن في الحشر مثل ما كان في
التسبيح من ارادة الدلالة على الحدوث شيا بعد شي فلا جرم جي به اسما لا فعلا وذلك
انه لو قيل وسخرنا الطير يحشرن على تقدير ان الحشر يوجد من حاشرها شيا بعد شي والحاشر
هو الله عز وجل لكان خلفا لانه تعالى حشرهم جملة واحدة **قوله** كل له اواب اي كل من
الجبال والطير لداود اي لاجل تسبيحه مسبح فوضع اواب موضع مسبح وقيل الضمير في له

للباري تعالى والمراد كل من داود والجبال والطير مسبح ورجاع لله تعالى **قوله** وشددنا ملكه
العامة على تخفيف شددنا اي قوينا كقوله سنشد عضدك باخيك وابن ابي عبلة والحسن
شددنا بالتشديد وهي مبالغة لقراءة العامة ومعنى الكلام قويناه بالحرس والجنود قال
ابن عباس كان اشد ملوك الارض سلطانا كان يحرس محرابه كل ليلة ستة وثلاثون الف رجل
قوله وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب اما الحكمة فهي النبوة وقيل العلم والعمل قال تعالى
ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا واما فصل الخطاب فقال بعض المفسرين ان داود اول
من قال في كلامه اما بعد وقيل المراد معرفة الامور التي بها يفصل بين الخصوم وهو طلب
البينة واليمين قال ابن الخطيب وهذا بعيد لان فصل الخطاب عبارة عن كونه قادرا على
التعبير عن كل ما يخطر بالبال ويحضر في الخيال بحيث لا يختلط شيء بشيء وبحيث ينفصل كل مقام
عن ما يخالفه وهذا المعنى عام يتناول فصل الخصومات ويتناول الدعوة الى الدين الحق ويتناول
جميع الاقسام والله اعلم وروى ابن عباس ان رجلا من بني اسرائيل استعدى على رجل من عظمائهم
عند داود ان هذا غصبني بقرا فسأله فجحد فقال للاخر البينة فلم يكن له بينة فقال لهما داود
قوما حتى انظر في امركما فاوحى الله الى داود في منامه ان يقتل الذي استعدي عليه فقال هذه
رؤيا ولست اعجل حتى اتثبت فاوحى الله اليه مرة ثانية فلم يفعل فاوحى الله اليه الثالثة ان يقتله
او تأتيه العقوبة فارسل داود اليه فقال ان الله اوحى الي ان اقتلك فقال تقتلني بغير بينة
فقال داود نعم والله لا نفذن امر الله فيك فلما عرف الرجل انه قاتله قال لا تعجل حتى اخبرك
اني والله ما اخذت بهذا الذنب ولكني كنت اغتلت والد هذا فقتلته فلذلك اخذت فامر
به داود فقتل فاشتدت هيبة داود عند ذلك في قلوب بني اسرائيل واشتد به ملكه فذلك
قوله وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة يعني النبوة والاصابة في الامور وفصل الخطاب قال
ابن عباس بيان الكلام وقال ابن مسعود والحسن والكلبي ومقاتل علم الحكم والبصر بالقضاء وقال
علي بن ابي طالب هو ان البينة على المدعي واليمين على من انكر لان كلام الخصوم ينقطع وينفصل به
ويروى ذلك عن ابي بن كعب قال فصل الخطاب الشهود والايمان وقال مجاهد وعطا
ابن ابي رباح ويروى عن الشعبي فصل الخطاب هو قول الانسان بعد حمد الله والثناء عليه اما
بعد اذا اراد الشروع في كلام آخر **قوله تعالى** وهل اتاك نبأ الخصم قد تقدم
ان الخصم في الاصل مصدر فلذلك يصلح للمفرد والمذكر وضديهما فقد يطابق ومنه لا تخف
خصمان هذان خصمان والمراد بالخصم هنا جمع بدليل قوله اذ تسوروا وقوله اذ دخلوا قال
الزمخشري وهو يقع للواحد والجمع كالضيف قال تعالى حديث ضيف ابراهيم المكرمين لانه
مصدر في اصله يقال خصمه يخصمه خصما كما تقول ضافه ضيفا فان قلت هذا جمع وقوله
خصمان تثنية فكيف استقام ذلك قلت معنى خصمان فريقان خصمان والدليل عليه قراءة من
قرأ بغى بعضهم على بعض ونحوه قوله تعالى هذان خصمان اختصموا فان قلت فما تصنع بقوله
ان هذا اخي وهو دليل على الاثنين قلت هذا قول البعض المراد به بعضنا على بعض فان قلت
فقد جاء في الرواية انه بعث اليه ملكان قلت معناه ان التحاكم بين ملكين لا يمنع ذلك
ان يصحبهما آخرون فان قلت كيف سماهم جميعا خصما في قوله نبأ الخصم وخصمان قلت لما كان
صحب كل واحد من المتحاكمين في صورة الخصم صحت التسمية به **قوله** اذ تسوروا في العامل
في اذ اوجه احدها انه معمول للنبأ اذا لم يرد به القصة واليه ذهب ابن عطية وابو البقاء
ومكي اي هل اتاك الخبر الواقع في وقت تسورهم المحراب وقد رد بعضهم هذا بان النبأ الواقع
في ذلك الوقت لا يصح اتيانه رسول الله صلى الله عليه وسلم وان اريد بالنبأ القصة لم يكن

ناصبا قاله ابو حيان الثاني ان العامل فيه اتاك ورد بما رد به الاول وقد صرح الزمخشري
بالرد على هذين الوجهين فقال فان قلت بم انتصب اذ قلت لا يخلو اما ان ينتصب باتاك
او بالنبأ او بمحذوف فلا يسوغ انتصابه باتاك لان اتيان النبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يقع الا في عهده لا في عهد داود ولا بالنبأ لان النبأ واقع في عهد داود فلا يصح اتيانه رسول
الله صلى الله عليه وسلم وان اردت بالنبأ القصة في نفسها لم يكن ناصبا فبقي ان يكون منصوبا
بمحذوف وتقديره وهل اتاك نبأ تحاكم الخصم اذ فاختار ان يكون معمولا لمحذوف الرابع ان
ينتصب بالخصم لما فيه من معنى الفعل **قوله** اذ دخلوا فيه وجهان احدهما انه بدل من
اذ الاولى الثاني انه منصوب بتسوروا ومعنى تسوروا علوا اعلى السور وهو الحائط غير مهموز
كقولك تسنم البعير اي بلغ سنامه والضمير في تسوروا ودخلوا راجع على الخصم لانه جمع في المعنى
على ما تقدم او على انه مثنى والمثنى جمع في المعنى وتقدم تحقيقه **قوله** خصمان خبر مبتدا
مضمر اي نحن خصمان ولذلك جاء بقوله بعضنا ومن قرأ بعضهم بالغيبة يجوز ان يقدرهم خصمان
يتطارقون وعن الكسائي خصمان بكسر الخاء وقد تقدم انه قرأ بها كذلك في الحج **قوله** بغى
بعضنا جملة يجوز ان تكون مفسرة لحالهم وان تكون خبرا ثانيا **فان قيل** كيف قالا
بغى بعضنا على بعض وهما ملكان على قول بعضهم والملكان لا يبغيان قيل معناه ارأيت خصمين
بغى احدهما على الآخر وهذا من معاريض الكلام لا على تحقيق البغي من احدهما **قوله** فاحكم
بيننا بالحق ولا تشطط العامة على ضم التاء وسكون الشين وضم الطاء الاولى من اشطط يشطط
اشطاطا اذا تجاوز الحق قال ابو عبيدة شططت في الحكم واشططت فيه اذا جرت فهو مما اتفق فيه
فعل وافعل وانما فكه على احد الجائزين كقوله من يرتدد وتقدم تحقيقه وقرأ الحسن وابو رجاء
وابن ابي عبلة تشطط بفتح التاء وضم الطاء من شط بمعنى اشط كما تقدم وقرأ قتادة تشط من اشط
رباعيا الا انه ادغم وهو احد الجائزين كقراءة من قرأ من يرتد منكم وعنه ايضا تشطط بفتح الشين
وكسر الطاء مشددة من شطط يشطط والتثقيل فيه للتكثير وقرأ زر بن حبيش تشاطط من
المفاعلة واصل الكلمة من شطت الدار واشطت اذا بعدت واهدنا الى سواء الصراط اي ارشدنا الى
طريق الصواب فقال لهما داود تكلما فقال احدهما ان هذا اخي اي على ديني وطريقتي له تسع وتسعون
نعجة يعني امرأة ولي نعجة واحدة اي امرأة واحدة **قوله** تسع وتسعون العامة على كسر التاء وهي
اللغة الفاشية وزيد بن علي والحسن بفتحها فيهما وهي لغية وقرأ العامة نعجة بفتح النون والحسن
وابن هرمز بكسرها قيل وهي لغة لبعض تميم وكثر في كلامهم الكناية بها عن المرأة قال ابن عون
انا ابوهن ثلاث هنه ٭ رابعة في البيت صغراهنه ٭ ونعجتي خمسا توفيهنه ٭ وقال
هما نعجتان من نعاج تبالة ٭ لدى جؤذرين او كبعض دمى هكر ٭ قال الحسين بن الفضل هذا
تعريض للتنبيه والتفهيم لانه لم يكن هناك نعاج ولا بغي وهو كقولهم ضرب زيد عمرا واشترى بكر
دارا ولا ضرب هناك ولا شرا قال الزمخشري اخي بدل من هذا وقرأ عبد الله تسع وتسعون نعجة
انثى وهذا تأكيد كقوله وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين قال الليث النعجة الانثى من الضأن والبقر
الوحشي والشاة والجمع النعاج **قوله** فقال اكفلنيها قال ابن عباس اعطنيها وقال مجاهد
انزل لي عنها وحقيقته ضمها الي واجعلني كافلها وهو الذي يعولها وينفق عليها والمعنى طلقها
لاتزوجها **قوله** وعزني اي غلبني قال ٭ قطاة عزها شرك فباتت تجاذبه وقد علق
يقال عزه يعزه بضم العين وتقدم تحقيقه في يس عند قوله تعالى فعززنا بثالث وقرأ طلحة وابو
حيوة وعزني بالتخفيف قال ابن جني حذف الزاي الواحدة تخفيفا كما قال الشاعر
٭ احسن به فهن اليه شوس ٭ يريد احسسن فحذف ويؤدي هذه قراءة عن عاصم وقرأ عبد

يقدره كنتم كالكم كمن نحو راعى لفظ خصمان ويجوز ان يقدره

الجناح ٭

الله والحسن وابو وايل ومسروق والضحاك وعازني بالف مع تشديد الزاي اي غالبني **قوله**
بسوال نعجتك مصدر مضاف لمفعوله والفاعل محذوف اي بان سالك نعجتك وضمن السوال معنى
الاضافة والانضمام اي باضافة نعجتك على سبيل السوال ولذلك عدي بالي **فصل**
قال ابن الخطيب للناس في هذه القصة ثلاثة اقوال احدها ان هذه القصة دلت على صدور الكبيرة
عنه وثانيها دلالتها على الصغيرة وثالثها لا تدل على كبيرة ولا على صغيرة اما القول الاول فقالوا
ان داود احب امراة اوريا فاحتال في قتل زوجها ثم تزوج بها ثم ارسل الله تعالى ملكين في صورة
المتخاصمين في واقعة تشبه واقعته وعرضا تلك الواقعة عليه فحكم داود بحكم لزم منه اعترافه
بكونه مذنبا ثم تنبه لذلك فاشتغل بالتوبة قال ابن الخطيب والذي ادين به واذهب اليه ان
ذلك باطل لوجوه الاول ان هذه الحكاية لا تناسب داود لانها لو نسبت الى افسق الناس واشدهم
فجورا لاستنكف منها والذي نقل هذه القصة لو نسب الى مثل هذا العمل لبالغ في تنزيه نفسه وربما لعن
من نسبه اليها فكيف يليق بالعاقل نسبة المعصية اليه الثاني ان حاصل القصة يرجع الى امرين الى
السعي في قتل رجل مسلم بغير حق والى الطمع في زوجته اما الاول فامر منكر قال عليه السلام من سعى
في دم مسلم ولو بشطر كلمة جا مكتوب عليه بين عينيه آيس من رحمة الله واما الثاني فمنكر عظيم قال
عليه السلام المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده وان اوريا لم يسلم من داود لا في روحه ولا في
منكوحه الثالث ان الله تعالى وصف داود عليه السلام بصفات تنافي كونه عليه السلام موصوفا
بهذا الفعل المنكر فالصفة الاولى ان الله تعالى امر محمدا صلى الله عليه وسلم في ان يقتدي بداود
في المصابرة مع المكاره فلو قلنا ان داود لم يصبر على مخالفة النفس بل سعى في اراقة دم مسلم لغرض
شهوته فكيف يليق باحكم الحاكمين ان يامر محمدا افضل الرسل بان يقتدي بداود في الصبر على طاعة
الله واما الصفة الثانية فانه وصفه بكونه عبدا له وقد بينا ان المقصود من هذا الوصف بيان
كون ذلك الموصوف كاملا في وصف العبودية اما في القيام باداء الطاعات والاحتراز عن المحظورات
فلو قلنا ان داود اشتغل بتلك الاعمال الباطلة فحينئذ ما كان داود كاملا الا في طاعة الهوى
والشهوة واما الصفة الثالثة وهي قوله ذا الايد اي ذا القوة ولا شك ان المراد منه القوة في الدين
لان القوة في غير الدين كانت موجودة في ملوك الكفار ولا معنى للقوة في الدين الا القوة الكاملة
في اداء الواجبات والاجتناب عن المحظورات واي قوة لمن لم يملك نفسه عن القتل والرغبة في زوجة
المسلم الصفة الرابعة كونه اوابا كثير الرجوع الى الله تعالى فكيف يليق هذا بمن قلبه مشغوفا
بالقتل والفجور الصفة الخامسة قوله تعالى انا سخرنا الجبال معه يسبحن افترى انه سخرت له
الجبال ليتخذها سبيله الى القتل والفجور الصفة السادسة قوله تعالى والطير محشورة قيل انه كان
محرما عليه صيد شيء من الطير فكيف يعقل ان يكون الطير امنا منه ولا يجوز امن الرجل المسلم
عن زوجته ومنكوحته الصفة السابعة قوله تعالى وشددنا ملكه ومحال ان يكون المراد
انه تعالى شد ملكه باسباب الدنيا بل المراد بانا ملكناه ما تقوي الدين واسباب سعادة الاخرة
او المراد تشديد ملكه في الدين والدنيا ومن لا يملك نفسه عن القتل والفجور كيف يليق به ذلك
الصفة الثامنة قوله تعالى واتيناه الحكمة وفصل الخطاب والحكمة اسم جامع لكل ما ينبغي علما
وعملا فكيف يجوز ان يقال انا اتيناه الحكمة وفصل الخطاب مع اصراره على ما يستنكف عنه الشيطان
من مزاحمة اخص اصحابه في الروح والمنكوح فهذه الصفات التي وصفه بها قبل شرح القصة
واما الصفات المذكورة بعد ذكر القصة فاولها قوله تعالى وان له عندنا لزلفى وحسن ماب
وهذا الكلام انما يناسب لو دلت القصة المتقدمة على قوته في طاعة الله اما لو كانت القصة المتقدمة
دالة على سعيه في القتل والفجور لم يكن قوله وان له عندنا لزلفى وحسن ماب لايقا وثانيها قوله

تعالى

تعالى يا داود انا جعلناك خليفة في الارض وهذا يدل على كذب تلك القصة من وجوه الاول
ان الملك الكبير اذا حكى عن عبده انه قصد دما الناس واموالهم وازواجهم فعند فراغه من شرح
قصته على الناس يبعد منه ان يقول عقيبه ايها العبد اني فوضت اليك خلافتي ونبوتي لان ذكر
تلك القبائح والافعال المنكرة يناسب الزجر والحجر فاما جعله نائبا وخليفة لنفسه فذلك
مما لا يليق البتة الثاني انه ثبت في اصول الفقه ان ذكر الحكم عقيب الوصف المناسب يدل
على كون ذلك الحكم معللا بذلك الوصف فلما حكى الله تعالى عنه تلك الواقعة القبيحة ثم قال
بعده انا جعلناك خليفة في الارض اشعر هذا بان الموجب لتفويض هذه الخلافة هو اتيانه
بتلك الافعال المنكرة ومعلوم ان هذا فاسد اما لو ذكرنا ان تلك القصة كانت على وجه يدل
على براة ساحته عن المعاصي والذنوب وعلى شدة مصابرته في طاعة الله تعالى فحينئذ يناسب
ان يذكر عقيبه انا جعلناك خليفة في الارض فثبت ان الذي نختاره اولى الثالث انه
لما كان مقدمة الاية دالة على مدح داود عليه السلام وتعظيمه ومؤخرها ايضا دالة
على ذلك فلو كانت الواسطة دالة على القبايح والمعايب لجرى مجرى ان يقال فلان عظيم الدرجة
عالي المرتبة في طاعة الله تعالى يقتل ويزني ويسرق وقد جعله الله خليفة له في ارضه
وصوب احكامه فكما ان هذا الكلام مما لا يليق بالعاقل فكذا ههنا ومن المعلوم ان ذكر العشق
والسعي في القتل من اعظم ابواب العيوب ورابعها ان بعض القايلين ذكر في هذه الاية ان
داود عليه السلام تمنى ان يحصل له في الدين كما حصل للانبيا المتقدمين من المنازل العالية
مثل ما حصل للخليل من الالقا في النار وحصل للذبيح من الذبح وحصل ليعقوب من الشدايد
الموجبة لكثرة الثواب فاوحى الله اليه انما وجدوا تلك الدرجات لانهم لما ابتلوا صبروا فعند
ذلك سال داود عليه السلام الابتلا فاوحى الله تعالى اليه انك مبتلى في يوم كذا فبالغ في الاحتراز
ثم وقعت الواقعة فنقول ان حكايتهم تدل على ان الله تعالى يبتليه بالبلا الذي يزيد في منقبته
ويكمل مراتب اخلاصه فالسعي في قتل النفس بغير الحق والافراط في العشق كيف يليق بهذه الحالة فثبت
ان الحكاية التي ذكروها تناقض اولها اخرها وخامسها ان داود عليه السلام قال وان كثيرا من
الخلطا ليبغي بعضهم على بعض الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم استثنى الذين امنوا من
البغي فلو قلنا انه كان موصوفا بالبغي لزم ان يقال انه حكم بعدم الايمان على نفسه وذلك باطل
وسادسها حضرت في مجلس وفيه بعض اكابر السلاطين وكان يريد ان يتعصب لتقرير ذلك القول
الفاسد والقصة الخبيثة لسبب اقتضى ذلك فقلت له لا شك ان داود عليه السلام كان من اكابر
الانبيا والرسل وقال الله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالاته ومن مدحه الله تعالى بمثل هذا
المدح العظيم لم يجز لنا ان نبالغ في الطعن فيه وايضا فبتقدير انه ما كان نبيا فلا شك انه كان
مسلما وقال صلى الله عليه وسلم لا تذكروا موتاكم الا بخير ثم على تقدير انا لا نلتفت الى شيء من
هذه الدلايل الا انا نقول ان من المعلوم بالضرورة ان بتقدير ان تكون القصة التي ذكرتموها
في حقه صحيحة فان روايتها وذكرها لا يوجب شيا من الثواب لان اشاعة الفاحشة ان لم
توجب العقاب فلا اقل من ان لا يوجب الثواب واما بتقدير ان تكون هذه القصة باطلة فاسدة
فان ذاكرها يستحق به اعظم العقاب والواقعة التي هذا شانها وصفتها فان صريح العقل يوجب السكوت
عنها فثبت ان الحق ما ذهبنا اليه وان شرح تلك القصة محرم محظور فلما سمع ذلك الملك المسند به
هذا الكلام سكت ولم يذكر شيا السابع ان ذكر هذه القصة وذكر قصة يوسف عليه السلام يقتضي
اشاعة الفاحشة في الذين امنوا الثامن لو سعى داود في قتل ذلك الرجل لدخل تحت قوله من
سعى في دم امرء مسلم ولو بشطر كلمة جا يوم القيمة مكتوب بين عينيه ايس من رحمة الله وايضا لو نقل

ذلك لكان ظالما وكان يدخل تحت قوله الا لعنة الله على الظالمين التاسع عن سعيد بن المسيب
ان علي بن ابي طالب قال من حدثكم بحديث داود على ما ترويه القصاص فاجلده مائة وستين
وهو حد الفرية على الانبيا ومما يقوي هذا انهم قالوا ان المغيرة بن شعبة زنا وشهد ثلاثة من
عدول الصحابة بذلك واما الرابع فانه لم يقل اني رايت ذلك بعيني فان عمر بن الخطاب كذب
اوليك الثلاثة وجلد كل واحد منهم ثمانين جلدة لاجل انهم قذفوا فاذا كان الحال في واحد من احاد
الصحابة كذلك فكيف الحال مع داود عليه السلام مع انه كان من اكابر الانبيا عليهم السلام
العاشر روي ان بعضهم ذكر هذه القصة على ما في كتاب الله فلا ينبغي ان يزاد عليها وان كانت
الواقعة على ما ذكرت ثم انه تعالى لم يذكرها لستر تلك الواقعة على داود عليه السلام فلا يجوز لك
ان يسعى في هتك ستر ستره الله الف سنة او اقل او اكثر فقال عمر سماعي هذا الكلام احب الي مما
طلعت عليه الشمس فثبت بهذه الوجوه التي ذكرناها ان القصة التي ذكروها باطلة فاسدة فان
قيل قال ان كثيرا من اكابر المحدثين المفسرين ذكروا هذه القصة فكيف الحال فيها فالجواب
الحقيقي انه لما وقع التعارض بين الدلايل القاطعة وبين خبر واحد من اخبار الاحاد كان الرجوع
الى الدلايل القاطعة اولى وايضا فالاصل براة الذمة وايضا فلما تعارض دليل التحريم والتحليل
كان جانب التحريم اولى وايضا طريقة الاحتياط توجب ترجيح قولنا وايضا فنحن نعلم بالضرورة انه
بتقدير وقوع هذه الواقعة لا يقول لنا الله يوم القيمة لم لم تسعوا في تشهير هذه الواقعة
اما بتقدير كونها باطلة فانه يوجب ان لا يجوز الشهادة هنا وايضا كل المفسرين لم يتفقوا
على هذا القول بل الاكثرون والمحققون يردونه ويحكمون عليه بالكذب واذا تعارضت
اقوال المفسرين والمحدثين تساقطت وبقي الرجوع فيه الى الدلايل التي ذكرناها الاحتمال
الثاني ان تحمل هذه القصة على حصول الصغيرة لا على حصول الكبيرة وذلك من وجوه الاول
ان هذه المراة خطبها اوريا فاجابوه ثم خطبها داود فاثره اهلها فكان ذنبه ان خطب على
خطبة اخيه المومن مع كثرة نسايه الثاني قالوا انه وقع بصره عليها فمال قلبه اليها وليس له في
هذا ذنب البتة اما وقوع بصره عليها من غير قصد فليس بذنب واما حصول الميل عقيب النظر
فليس ايضا ذنبا لان الميل ليس في وسعه فلا يكون مكلفا به بل لما اتفق ان قتل زوجها
لاجل انه طمع ان يتزوج تلك المراة فحصلت . بسبب هذا المعنى وهو انه لم يشق عليه قتل ذلك
الرجل الثالث انه كان اهل زمان داود عليه السلام يسال بعضهم بعضا ان يطلق زوجته حتى
يتزوجها وكانت عادتهم مالوفة معهودة في هذا المعنى فاتفق ان عين داود عليه السلام وقعت
على تلك المراة فاحبها فساله النزول فاستحيا ان يرده ففعل وهي ام سليمان فقيل له هذا وان
كان جايزا في ظاهر الشريعة الا انه لا يليق بك فان حسنات الابرار سيات المقربين فهذه وجوه
ثلاثة لو حملنا هذه القصة على واحد منها لم يلزم في حق داود عليه السلام الا ترك الافضل والاولى
الاحتمال الثالث ان نحمل هذه القصة على وجه لا يلزم منه اثبات كبيرة ولا صغيرة لداود عليه
السلام بل يوجب الحاق اعظم انواع المدح والثنا به وهو ان نقول روي ان جماعة من الاعدا
طمعوا في ان يقتلوا نبي الله داود عليه السلام وكان له يوم يخلو فيه بنفسه ويشتغل بطاعة ربه
فانتهزوا الفرصة في ذلك اليوم وتسوروا المحراب فلما دخلوا عليه وجدوا عنده اقواما يمنعونه منهم
فخافوا ووضعوا كذبا وقالوا خصمان بغى بعضنا على بعض الى اخر القصة وليس في لفظ القران ما يمكن
ان يحتج به في الحاق الذنب بداود عليه السلام الا الفاظ اربعة احدها قوله وظن داود انما فتناه
وثانيها قوله فاستغفر ربه وثالثها قوله واناب ورابعها قوله فغفرنا له ذلك ثم نقول هذه
الالفاظ لا يدل شي منها على ما ذكروه من وجوه الاول انهم لما دخلوا عليه لطلب قتله بهذا الطريق

فعلم

فعلم داود عليه السلام دعاه الغضب الى ان يشتغل بالانتقام منهم الا انه مال الى الصفح والتجاوز عنهم
طلبا لمرضاة الله تعالى فكانت هي الفتنة لانها جارية مجرى الابتلا والامتحان ثم انه استغفر ربه مما
هم به من الانتقام منهم وتاب عن ذلك الهم واناب فغفر له ذلك القدر من الهم والعزم الثاني انه
وان غلب على ظنه انهم دخلوا عليه ليقتلوه الا انه ندم على ذلك الظن وقال لما لم تقم دلالة ولا امارة
على ان الامر كذلك فبيس ما عملت حيث ظننت بهم هذا الظن الردي فكان هذا هو المراد من
قوله وظن داود انما فتناه ثم استغفر ربه واناب منه فغفر الله له ذلك الثالث دخولهم عليه كان
فتنة لداود عليه السلام الا انه عليه السلام استغفر لذلك العازم على قتله كقوله في حق محمد صلى
الله عليه وسلم واستغفر لذنبك وللمومنين والمومنات فداود عليه السلام استغفر لهم واناب اي رجع
الى الله تعالى في طلب المغفرة لذلك الرجل الداخل القاصد القتل وقوله فغفرنا له ذلك اي غفرنا
ذلك الذنب لاجل احترام داود ولتعظيمه كما قال بعض المفسرين في قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك وما تاخر ان معناه ان الله يغفر لك ولاجلك ما تقدم من ذنب امتك الرابع هب
انه عاتب داود عليه السلام عن زلة صدرت منه لكن لا نسلم ان تلك الزلة وقعت بسبب المراة
ولم لا يجوز ان يقال ان تلك الزلة انما حصلت لانه قضى لاحد الخصمين قبل ان يسمع كلام الخصم الثاني
لانه لما قال لقد ظلمك بسوال نعجتك حكم عليه بكونه ظالما بمجرد دعوى الخصم بلا بينة لكون هذا الحكم
مخالفا للصواب فعند هذا اشتغل بالاستغفار والتوبة الا ان هذا من باب ترك الافضل والاولى
فثبت بهذه البيانات انا اذا حملنا هذه الايات على هذا الوجه فانه لا يلزم اسناد شي من
الذنوب الى داود عليه السلام بل ذلك يوجب اسناد اعظم الطاعات اليه ثم نقول
وحمل الاية عليه اولى لوجوه الاول ان الاصل في حال المسلم البعد عن المناهي لا سيما وهو رجل
من اكابر الانبيا والرسل الثاني انه احوط الثالث انه تعالى قال في اول الاية لمحمد صلى
الله عليه وسلم اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود فان قوم محمد صلى الله عليه وسلم لما
اظهروا السفاهة حيث قالوا انه ساحر كذاب واستهزوا به حيث قالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل
يوم الحساب فقال تعالى في اول الاية اصبر على ما يقولون يا محمد وعلى سفاهتهم وتحمل ولا تظهر
الغضب واذكر عبدنا داود فهذا الذكر انما يحسن اذا كان داود عليه السلام قد صبر
على اذاهم وتحمل سفاهتهم وحلم ولم يظهر الطيش والغضب وهذا المعنى انما يحصل اذا حملنا
الاية على ما ذكرناه واما اذا حملناها على ما ذكروه صار الكلام متناقضا الرابع ان تلك
الرواية انما تمشي اذا قلنا ان الخصمين كانا ملكين واذا كانا ملكين ولم يكن بينهما مخاصمة ولم
يبغ احدهما على الاخر كان قولهما خصمان بغى بعضنا على بعض كذبا فهذه الرواية لا تتم الا بشيين
احدهما اسناد الكذب الى الملايكة والثاني اسناد افحش القبايح الى رجل كبير من اكابر الانبيا
واما اذا حملنا الاية على ما ذكرناه استغنينا عن اسناد الكذب الى الملايكة وعن اسناد القبيح الى
الانبيا فكان قولنا اولى **فصل** قال المفسرون قوله وعزني اي قهرني وغلبني في الخطاب
اي في القول قال الضحاك يقول ان تكلم كان افصح مني وان حارب كان ابطش مني وحقيقة المعنى
ان الغلبة كانت له لضعفي في يده وان كان الحق معي فقال داود لقد ظلمك بسوال نعجتك
الى نعاجه اي بسوال نعجتك ليضمها الى نعاجه **فان قيل** كيف قال لقد ظلمك ولم
يكن سمع قول صاحبه فالجواب قيل ان معناه ان كان الامر كما تقول فقد ظلمك قال ابن الخي لما
فرغ الخصم الاول من كلامه نظر داود الى الخصم الذي لم يتكلم وقال لئن صدق لقد ظلمه وقال
ابن الانباري لما ادعى احد الخصمين اعترف الثاني فحكم داود عليه ولم يذكر الله ذلك الاعتراف
لدلالة الكلام عليه وقيل التقدير ان الخصم الذي هذا شانه قد ظلمك ثم قال وان كثيرا من

الخلطا ليبغي بعضهم على بعض قال الليث خليط الرجل مخالطه وقال الزجاج الخلطا الشركا فان
قيل لم خص الخلطا ببغي بعضهم على بعض مع ان غير الخلطا يفعلون ذلك فالجواب ان المخالطة
توجب كثرة المنازعة والمخاصمة لانهما اذا اختلطا اطلع كل واحد منهما على احوال الاخر فكل ما يملكه
من الاشيا النفيسة اذا اطلع عليه عظمت رغبته فيه فيفضي ذلك الى زيادة المخاصمة والمنازعة
فلهذا خص داود عليه السلام الخلطا بزيادة البغي والعدوان ثم استثنى عن هذا الحكم الذين امنوا
وعملوا الصالحات لان مخالطتهم لا تكون لاجل الدين وهذا استثنا متصل من قوله بعضهم
قوله وقليل ما هم خبر مقدم وما مزيدة للتعظيم وهم مبتدا قال الزمخشري وما في قوله وقليل
ما هم للابهام وفيه تعجب من قلتهم قال فان اردت ان تحقق فائدتها وموقعها فاطرحها من قول
امري القيس وحديث ما على قصره وانظر هل بقي لها معنى قط **قوله** وظن داود انما فتناه
اي امتحناه قرا العامة فتناه بالتخفيف واسناده الى ضمير المتكلم المعظم نفسه وعمر بن الخطاب
والحسن وابو رجا فتّناه بتشديد التا وهي مبالغة وقرا الضحاك افتناه يقال فتنه وافتنه اي
حمله على الفتنة ومنه قوله لقد فتنتني حتى بالاسى افتنت وقرا قتادة وابو عمرو في رواية فتناه
بالتخفيف وفتّناه بالتشديد والالف ضمير الخصمين وهاكما حال مقدرة قاله ابو البقا وفيه
نظر لظهور المقارنة **فصل** قال المفسرون ان الظن ههنا بمعنى العلم لان داود عليه
السلام لما قضى بينهما نظر احدهما الى صاحبه فضحك ثم صعدا الى السما حيال وجهه فعلم داود ان الله
ابتلاه بذلك فثبت ان داود علم ذلك وانما جاز حمل لفظ الظن على العلم لان العلم الاستدلالي
يشبه الظن مشابهة عظيمة والمشابهة علة لجواز المجاز قال ابن الخطيب هذا الكلام انما يلزم
اذا قلنا الخصمان كانا ملكين اما اذا لم نقل ذلك لا يلزمنا حمل الظن على العلم بل لقايل ان يقول
انه لما غلب على ظنه حصول الابتلا من الله تعالى اشتغل بالاستغفار والانابة **قوله** فاستغفر
ربه اي سال الغفران من ربه ثم ههنا وجهان ان قلنا انه صدرت منه زلة حمل هذا الاستغفار
عليها وان لم نقل به قلنا فيه وجوه الاول ان القوم لما دخلوا عليه قاصدين قتله وانه كان
سلطانا شديد القهر عظيم القوة مع انه مع القدرة الشديدة على الانتقام ومع حصول الفزع
في قلبه عفى عنهم ولم يفعل لهم شيا قرب الامر من ان يدخل قلبه شي من العجب فاستغفر ربه من
تلك الحالة واناب الى الله واعترف بان اقدامه على ترك الجزم ما كان الا بتوفيق الله فغفر له وتجاوز
عنه بسبب طريان ذلك الخاطر الثاني لعله هم بايذا القوم ثم قال انه لم يدل دليل قاطع
على ان هولا قصدوا الشر فعفى عنهم ثم استغفر من ذلك الهم الثالث لعل القوم تابوا الى الله تعالى
وطلبوا منه ان يستغفر الله لهم ولاجل ان يقبل توبتهم فاستغفر وتضرع الى الله فغفر له بسببهم
بسبب شفاعته ودعايه وهذه كلها وجوه محتملة ظاهرة والقران مملو من امثال هذه الوجوه
واذا كان اللفظ محتملا لما ذكرناه ولم يقم دليل قطعي ولا ظني على التزام ما ذكروه من المنكرات
فما الذي دل على التزامه والقول به ومما يويد ما ذكرنا انه تعالى ختم هذه القصة بقوله وان له عندنا
لزلفى وحسن ماب ومثل هذه الخاتمة انما تحصل في حق من صدر عنه امتثال الاوامر في الخدمة
والطاعة وتحمل انواع من الشدايد في الموافقة والانقياد **قوله** وخر راكعا واناب يدل على حصول
الركوع واما السجود فقد ثبت بالاخبار وكذلك البكا الشديد في مدة اربعين يوما ثبت في
الاخبار واستدل ابو حنيفة بهذه الاية على شرعية سجود التلاوة وعلى ان الركوع يقوم مقام
السجود **قوله** ذلك الظاهر انه مفعول غفرنا وجوز ابو البقا فيه ان يكون خبر مبتدا مضمر اي الامر
ذلك ولا حاجة الى هذا والمشهور ان الاستغفار انما كان بسبب قصة النعجة والنعاج وقيل بسبب
انه حكم لاحد الخصمين قبل ان يسمع كلام الثاني وذلك غير جايز **قوله** يا داود انا جعلناك

خليفه

خليفة في الارض اي تدبر امور العباد بامرنا واعلم انه لما تم الكلام في شرح القصة اردفها
ببيان ان الله تعالى فوض الى داود خلافة الارض وهذا من اقوى الدلايل على فساد القول المشهور
في القصة لانه من البعيد جدا ان يوصف الرجل بكونه ساعيا في سفك دما المسلمين رغبة في
انتزاع ازواجهم منهم ثم يذكر عقيبه ان الله تعالى فوض خلافة الارض اليه ثم في تفسير كونه خليفة
وجهان الاول جعلناك تخلف من تقدمك من الانبيا في الدعا الى الله تعالى وفي سياسة الناس
لان خليفة الرجل من يخلفه وذلك انما يعقل في حق من يصح عليه الغيبة وذلك على الله محال الثاني
انا جعلناك مكنا في الناس نافذ الحكم فيهم فبهذا التاويل سمي خليفة ومنه يقال خليفة الله في ارضه
وحاصله ان خليفة الرجل يكون نافذ الحكم في رعيته وحقيقة الخلافة ممتنعة في حق الله تعالى
فلما امتنعت الحقيقة جعلت اللفظة للزوم نفاذ الحكم في تلك الحقيقة **قوله** فاحكم بين الناس
بالحق اي بالعدل لان الاحكام اذا كانت مطابقة للشريعة الحقة الالهية انتظمت مصالح العالم
وانفتحت ابواب الخيرات واذا كانت الاحكام على وفق الاهويه وتحصيل مقاصد الانفس افضى الى
تخريب العالم ووقوع الهرج فيه والمرج في الخلق وذلك يفضي الى هلاك ذلك الحاكم ولهذا قال
ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله لان متابعة الهوى توجب الضلال عن سبيل الله والضلال
عن سبيل الله يوجب سو العذاب **قوله** فيضلك فيه وجهان اظهرهما انه منصوب في جواب
النهي الثاني انه عطف على لا تتبع فهو مجزوم وانما فتحت اللام لالتقا الساكنين وهو نهي عن كل
واحد على حدته والاول فيه النهي عن الجمع بينهما وقد يترجح الثاني لهذا المعنى وقد تقدم تقرير
ذلك في البقرة في قوله وتكتموا الحق وفاعل فيضلك يجوز ان يكون الهوى ويجوز ان يكون ضمير المصدر
المفهوم من الفعل اي فيضلك اتباع الهوى **قوله** ان الذين يضلون قرا العامة بفتح الياء يضلون
وقرا ابن عباس والحسن وابو حيوة بضمها اي يضلون الناس وهي مستلزمة للقراة الاولى فانه لا
يضل غيره الا من ضل بخلاف العكس **قوله** بما نسوا ما مصدرية والجار يتعلق بالاستقرار
الذي تضمنه لهم ولهم عذاب يجوز ان يكون جملة خبر ان ويجوز ان يكون الخبر وحده الجار
وعذاب فاعل به وهو الاحسن لقربه من المفرد **فصل** قيل معناه بما تركوا الايمان
بيوم الحساب وقال الزجاج بتركهم العمل لذلك اليوم وقال عكرمة والسدي في الاية تقديم
وتاخير تقديره لهم عذاب شديد يوم الحساب بما نسوا اي تركوا القضا بالعدل **قوله
تعالى** وما خلقنا السما والارض وما بينهما باطلا قال ابن عباس اي لا لثواب ولا لعقاب
احتج الجبائي بهذه الاية على انه تعالى لا يجوز ان يكون خالقا لاعمال العباد قال لانها مشتملة
على الكفر والفسق وكلها باطل فلما بين تعالى انه ما خلق السما والارض وما بينهما باطلا وعند
المجبرة انه خلق الكافر دل هذا على انه لم يخلق اعمال العباد وايضا قوله تعالى ما خلقنا السما
والارض وما بينهما باطلا وعند المجبرة انه خلق الكافر لاجل ان يكفر والكفر باطل فقد خلق
الباطل ثم اكد تعالى ذلك بان قال ذلك ظن الذين كفروا اي كل من قال بهذا القول فهو كافر
فهذا تصريح بان مذهب المجبرة من الكفر واحتج اهل السنة بان هذه الاية تدل على انه تعالى
خلق اعمال العباد لان الاية دلت على انه تعالى خلق كل ما بين السما والارض واعمال العباد
مما بين السما والارض فوجب ان يكون تعالى خالقا لها **فصل** دلت الاية على صحة القول
بالحشر والنشر لانه تعالى ما خلق الخلق في هذا العالم فاما ان يكون خلقهم للاضرار او للانتفاع او لا
لشي والاول باطل لان ذلك لا يليق الا بالرحيم الكريم والثالث ايضا باطل لان هذه الحالة حاصلة
حين كانوا معدومين فلم يبق الا ان يقال خلقهم للانتفاع فذلك الانتفاع اما ان يكون في حياة الدنيا
او في حياة الاخرة والاول باطل لان منافع الدنيا قليلة ومضارها كثيرة وتحمل الضرر الكثير لوجدان

المنفعة القليلة لا يليق بالحكمة ولما بطل هذا القول ثبت القول بوجود حياة اخرى بعد هذه الحياة الدنيا وذلك هو القول بالحشر والنشر والقيمة **قوله** باطلا يجوز ان يكون نعتا لمصدر محذوف او حالا من ضميره اي خلقا باطلا ويجوز ان يكون حالا من فاعل خلقنا اي مبطلين او ذوي باطل ويجوز ان يكون مفعولا من اجله اي للباطل وهو العبث **قوله** ذلك ظن الذين كفروا يعني اهل مكة هم الذين ظنوا انما خلقنا لغير شيء وانه لا بعث ولا حساب فويل للذين كفروا من النار لان من انكر الحشر والنشر كان شاكا في حكمة الله تعالى في خلق السما والارض وهذا هو المراد من قوله ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار **قوله** ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام في الموضعين منقطعة وقد تقدم ما فيها قال مقاتل قال كفار قريش للمؤمنين انا نعطى في الاخرة من الخير ما تعطون فنزلت هذه الاية ام نجعل المتقين كالفجار اي المؤمنين كالكفار وقيل اراد بالمتقين اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم **قوله** كتاب انزلناه يجوز ان يكون كتاب خبر مبتدا مضمر اي هذا كتاب وانزلناه صفة ومبارك خبر مبتدا مضمر او خبر ثان ولا يجوز ان يكون نعتا ثانيا لانه لا يتقدم عند الجمهور غير الصريح على الصريح ومن يرى ذلك استدل بظاهرها وقد تقدم تحرير هذا في المائدة **قوله** ليدبروا متعلق بانزلناه ونرى مباركا على الحال اللازمة لان البركة لا تفارقه وقرا علي رضي الله عنه ليتدبروا وهي اصل قراءة العامة فادغمت التا في الدال وابو جعفر وهي رويت عن عاصم والكسائي لتدبروا بتا الخطاب وتخفيف الدال واصلها لتتدبروا بتائين فحذفت احديهما وفيها الخلاف المشهور هل هي الاولى او الثانية قال الحسن تدبر اياته اتباعه وليتذكر وليتعظ اولوا الالباب اي العقول **قوله** ووهبنا لداود سليمان نعم العبد المخصوص بالمدح محذوف اي نعم العبد سليمان وقيل داود ولان وصفه بهذا المعنى قد تقدم حيث قال داود ذا الايد انه اواب والاول اظهر لانه هو المسوق للحديث عنه وقرى بكسر العين وهي الاصل كقوله • نعم الساعون في اليوم الشطر • **فصل** انه اواب يدل على انه انما كان نعم العبد لانه كان اوابا اي كثير الرجوع الى الله تعالى في اكثر اوقاته وبمهماته **قوله** اذ عرض في ناصبه اوجه احدها نعم وهو ضعيف لانه لا يتقيد مدحه بوقت ولعدم تصرف نعم قال ابن الخطيب التقدير نعم العبد هو اذ كان من اعماله انه فعل كذا الثاني اواب وفيه تقييد وصفه بذلك هذا الوقت الثالث اذكر مقدرا وهو اسلمها والعشي من العصر الى اخر النهار **والصافنات** جمع صافن وفيه خلاف بين اهل اللغة فقال الزجاج هو الذي يقف على احدى يديه ويقف على طرف سنبكه وقد يفعل ذلك باحدى رجليه قال وهي علامة الفراهة فيه وانشد • الف الصفوف فلا يزال كانه • مما يقوم على الثلاث كسيرا • وقيل هو الذي يجمع يديه ويسويهما واما الذي يقف على سنبكه فاسمه المتخيم قاله ابو عبيدة وقيل هو القايم مطلقا اي سوا كان من الخيل ام من غيرها قاله القتيبي واستدل بقوله عليه السلام من سره ان يقوم الناس له صفونا فليتبوا مقعده من النار اي يديمون له القيام وحكاه قطرب ايضا وجا في الحديث قمنا صفونا اي صافين اقدامنا وقيل هو القيام مطلقا سوا وقفت على طرف سنبكه ام لا قال الفرا على هذا رايت اشعار العرب وقال النابغة • لنا قبة مضروبة بفنائها • عتاق المهاري والجياد الصوافن • **والجياد** اما من الجودة يقال جاد الفرس يجود جودة وجودة بالفتح والضم فهو جواد للذكر والانثى والجمع جياد واجواد واجاويد وقيل جمع لجود بالفتح كثوب وثياب وقيل جمع جيد واما من الجيد وهو العنق والمعنى طويلة الاجياد وهو دال على فراهتها **قوله** حب الخير فيه اوجه احدها انه مفعول احببت لانه

معنى

معنى اثرت وعن هنا بمعنى على اي على ذكر ربي لانه روي انه عرض الخيل حتى شغلته عن صلاة العصر اول الوقت حتى غربت الشمس قاله ابو حيان وكانه يشير الى قول الفراء انه فيه احببت معنى اثرت حتى يصح تضمين حب الخير مفعولا به وفيه نظر لانه يتعدى بنفسه وانما يحتاج الى التضمين اذا لم يكن متعديا الثاني انه منصوب على المصدر على حذف الزوائد والناصب لاحببت الثالث انه مصدر تشبيهي اي حبا مثل حب الخير الرابع انه ضمن معنى انبت فلذلك تعدى بعن الخامس ان احببت بمعنى لزمت قال ابن الخطيب ان الانسان قد يحب شيا ولكنه يحب ان لا يحبه كالمريض الذي يشتهي ما يضره فاما من احب شيا واحب ان يحبه فذلك غاية المحبة فقوله احببت حب الخير اي احببت حبي للخير والمراد ان احببت من احب المحبة اذا سقط وبرك من الاعيا والمعنى انه مع ذكر ربي اي كان حب الخير هذا منقولا لا من اجله والمراد بقوله عن ذكر ربي قيل هو صلاة العصر وقيل عن كتاب ربي وهو التورية لان ارتباط الخيل كما انه في القران ممدوح فكذلك في التورية ممدوح وقوله عن ذكر ربي يجوز ان يكون مضافا للمفعول اي عن ان اذكر ربي وان يكون مضافا للفاعل اي عن ذكر ربي والمراد بالخير الخيل والعرب تعاقب بين الرا واللام لانها تخالف الرجل وحقيقته اي خفتها وسميت الخيل لانه معقود بنواصيها الخير الاجر والمغنم **قوله** حتى توارت في فاعلها وجهان احدهما هو الصافنات والمعنى حتى دخلت اصطبلاتها فتوارت وغابت والثاني انه الشمس اضمرت لدلالة السياق عليها وقيل لدلالة العشي عليها لانها تشعر بها وقيل يدل عليها الاشراق في قصة داود وما بعده **قوله** ردوها هذا الصافنات وقيل الشمس وهو غريب جدا قال ابن الخطيب وهذا بعيد لوجوه منها ان الصافنات مذكورة بالتصريح والشمس غير مذكورة وعود الضمير الى المذكور اولى من عوده الى المقدر ومنها انه لو اشتغل بالخيل حتى غربت الشمس وفاتته صلاة العصر كان ذلك ذنبا عظيما لا يليق بالانبياء والمبالغة في اظهار التوبة ثم ان يقول على سبيل السلطنة رب العالمين مثل هذه الكلمة العارية عن كل جهات الادب عقيب ذلك الجرم العظيم لا يصدر عن ابعد الناس عن الخير فكيف يجوز اسناده للرسول المطهر المكرم ومنها ان القادر على تحريك الافلاك والكواكب هو الله تعالى فكان يجب ان يقول ردها علي ولا يقول ردوها لان هذا اللفظ مشعر باعظم انواع الاهانة فكيف يليق بهذا اللفظ رعاية التعظيم ومنها ان الشمس لو رجعت بعد الغروب لصار ذلك مشاهدا لكل اهل الدنيا ولو كان كذلك لتوفرت الدواعي على نقله وحيث لم ينقل علمنا فساده **قوله** فطفق مسحا نصب مسحا بفعل مقدر وهو خبر طفق اي فطفق يمسح مسحا لان خبر هذه الافعال لا يكون الا مضارعا في الاسم العام وقال ابو البقا وهو مصدر في موضع الحال وهذا الذي لان طفق لابد لها من خبر وقرا زيد بن علي مساحا بزنة قتال والبا في بالسوق مزيدة مثلها في قوله فامسحوا برؤسكم وحكى سيبويه مسحت راسه وبراسه بمعنى واحد ويجوز ان يكون للالصاق كما تقدم وتقدم همز السوق وعدمه في النمل وجعل الباء دون الهمز ضعيفا وليس كما قال لما تقدم من الادلة وقرا زيد بن علي بالساق مفردا اكتفا بالواحد لعدم اللبس كقوله • واما جلدها فصليب • وقوله • كلوا في بعض بطنكم تعفوا • وقوله • في حلقكم عظم وقد شجينا • وقال الزمخشري فان قلت بم اتصل قوله ردوها علي قلت بمحذوف تقديره قال ردوها فاضمر واضمر ما هو جواب له كان قايلا قال فماذا قال سليمان لانه موضع مقتض للسؤال اقتضا ظاهرا قال ابو حيان وهذا لا احتياج اليه لان هذه الجملة مندرجة تحت حكاية القول وهو قال اني احببت **فصل** قال المفسرون انه عليه السلام لما فاتته صلوة العصر لاشتغاله

بالنظر الى تلك الخيل استردها وعقر سوقها واعناقها تقربا الى الله تعالى وبقي منها مائة فالخيل
التي في ايدي الناس اليوم من نسل تلك المائة قال الحسن فلما عقر الخيل ابدله الله عز وجل خيرا منها
واسرع وهي الريح تجري بامره كيف شا قال ابن الخطيب وهذا عندي بعيد لوجوه الاول
انه لو كان مسح السوق والاعناق قطعها لكان معنى فامسحوا برؤسكم اي اقطعوها وهذا لا يقوله
عاقل بل لو قيل مسح راسه بالسيف فربما فهم منه ضرب العنق اما اذا لم يذكر لفظ السيف لم يفهم
منه البتة من المسح العقر والذبح الثاني ان القايلين بهذا القول جمعوا على سليمن عليه السلام انواعا
من الافعال المذمومة فاولها ترك الصلوة وثانيها انه استولى عليه الاشتغال بحب الدنيا حيث
نسي الصلاة وقال عليه السلام حب الدنيا راس كل خطيئة وثالثها انه بعد الاتيان بهذا
الذنب العظيم لم يشتغل بالتوبة والانابة البتة ورابعها انه خاطب رب العالمين بقوله ردوها
علي وهذه كلمة لا يقولها الرجل الحصيف الا مع الخادم الحقير وخامسها انه اتبع هذه المعاصي بعقر
الخيل في سوقها واعناقها وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذبح الحيوان الا لماكله وهذه انواع من
الكبائر نسبوها الى سليمن عليه السلام مع ان لفظ القران لم يدل على شي منها وسادسها ان هذه
القصص انما ذكرها الله تعالى عقيب قوله وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب وان الكفار لما
بلغوا في السفاهة الى هذا الحد قال الله عز وجل لمحمد عليه السلام اصبر يا محمد على سفاهتهم واذكر عبدنا داود
ثم ذكر عقيبه قصة سليمن فكان التقدير انه تعالى قال لمحمد يا محمد اصبر على ما يقولون واذكر
عبدنا سليمن وهذا الكلام انما يليق اذا قلنا ان سليمن عليه السلام اتى في هذه القصة بالاعمال
الفاضلة والاخلاق الحميدة وصبر على طاعة الله تعالى واعرض عن الشهوات واللذات فلو كان
المقصود من قصة سليمن عليه السلام في هذا الموضع انه اقدم على الكبائر العظيمة والذنوب
لم يكن ذكر هذه القصة لايقا والصواب ان نقول ان رباط الخيل كان مندوبا اليه في دينهم
كما هو في دين محمد عليه السلام ثم ان سليمن عليه السلام احتاج الى الغزو فجلس وامر باحضار الخيل
وامر باجرائها وذكر اني لا احبها لاجل الدنيا وانما احبها لامر الله وطلب تقوية
دينه وهو المراد من قوله عن ذكر ربي ثم انه عليه السلام امر باجرائها وتسييرها حتى توارت بالحجاب
اي غابت عن بصره ثم امر الرايضين بان يردوها عليه فلما عادت اليه طفق
يمسح سوقها واعناقها والغرض من ذلك المسح امور الاول تشريفا لها وابانة لعزتها لكونها من اعظم
الاعوان في دفع العدو والثاني انه اراد ان يظهر انه في ضبط السياسة والملك يتضع الى حيث
يباشر اكثر الامور بنفسه الثالث انه كان اعلم باحوال الخيل وامراضها وعيوبها فكان يمتحنها
ويمسح سوقها واعناقها حتى يعلم هل فيها ما يدل على المرض فهذا التفسير هو الذي ينطبق عليه لفظ
القران ولا يلزمنا نسبة شي من تلك المنكرات الى سليمن عليه السلام والعجب منهم كيف قبلوا هذه
الوجوه السخيفة مع ان العقل والنقل يرد عليها وليس لهم في اثباتها شبهة فضلا عن حجة **فان قيل**
فالجمهور فسروا الاية بتلك الوجوه فما جوابه الجواب ان نقول ان لفظ الاية لا يدل على شي من تلك الوجوه
التي ذكروها لما ذكرنا وايضا فان الدلايل الكثيرة قامت على عصمة الانبيا عليهم السلام ولم يدل
على صحة هذه الحكايات دليل قطعي ولا ظني والامثال لا يصح معارضة الدلايل القوية بحكايات
عن اقوام لا يلتفت الى اقوالهم والذي خطر لنا في قول الزهري وابن كيسان **قوله تعالى**
ولقد فتنا سليمن قال بعض المفسرين ان سليمن عليه السلام بلغه خبر مدينة في بعض جزاير البحر
يقال لها صيدون فخرج اليها بجنوده فاخذها وقتل ملكها واخذ بنتا له اسمها جرادة من احسن
الناس وجها فاصطفاها لنفسه واسلمت فاحبها فكانت تبكي على ابيها فامر سليمن الشيطان فمثل لها
صورة ابيها فكستها مثل كسوته وكانت تذهب الى تلك الصورة بكرة وعشيا مع جواريها يسجدن لها

فاخبر

فاخبر آصف سليمن بذلك فكسر الصورة وعاقب المراة وخرج وحده الى فلاة وفرش الرماد
وجلس عليه تايبا الى الله تعالى وكانت له ام ولد يقال لها الامينة اذا دخل للطهارة او لاصابة امراة
وضع خاتمه عندها وكان ملكه فيه فوضعه عندها يوما فاتاها الشيطان صاحب البحر
واسمه صخر على صورة سليمن وقال لها يا امينة خاتمي فناولته الخاتم فختم به وجلس على كرسي سليمن
فعكفت عليه الطير والجن والانس وتغيرت هيئة سليمن فاتى الامينة لطلب الخاتم فانكرته فعرف
ان الخطيئة قد ادركته فكان يدور على البيوت يتكفف واذا قال انا سليمن حثوا عليه التراب
وسبوه فاخذ ينقل السمك للسماكين فيعطونه كل يوم سمكتين فمكث على هذه الحالة اربعين يوما
عدد ما عبد الوثن في بيته فانكر آصف وعظما بني اسرايل حكم الشيطان وسال آصف نسا سليمن
فقلن ما يدع امراة في دمها ولا يغتسل من جنابة وقيل نفذ حكمه في كل شي الا فيهن ثم طار الشيطان
وقذف الخاتم في البحر فابتلعته سمكة ووقعت السمكة في يد سليمن فبقر بطنها فاذا هو بالخاتم فتختم
به ووقع ساجدا لله تعالى ورجع اليه ملكه واخذ ذلك الشيطان فحبسه في صخرة والقاها في البحر
وقيل ان تلك المراة لما اقدمت على عبادة تلك الصورة افتتن سليمن فكان يسقط الخاتم من يده
ولا يتماسك فيها فقال له آصف انك لمفتون بذنبك فتب الى الله تعالى وقيل ان سليمن قال
لبعض الشياطين كيف تفتنون الناس فقال ارني خاتمك اخبرك فلما اعطاه اياه نبذه في البحر فذهب
ملكه وقعد هذا الشيطان على كرسيه ثم ذكر الحكاية الى اخرها فقالوا المراد من قوله ولقد فتنا
سليمن ان الله تعالى ابتلاه وقوله والقينا على كرسيه جسدا هو جلوس ذلك الشيطان على كرسيه
عقوبة له قال ابن الخطيب واستبعد اهل التحقيق هذا الكلام من وجوه الاول ان
الشيطان لو قدر على ان يتشبه في الصورة والخلقة بالانبيا فحينئذ لا يبقى اعتماد على شي من ذلك
فلعل هولا الذين راهم الناس على صورة محمد وعيسى وموسى عليهم السلام ما كانوا اولئك بل كانوا شياطين
تشبهوا بهم في الصورة لاجل الاغوا والاضلال وذلك يبطل الدين بالكلية الثاني ان الشيطان
لو قدر ان يعامل نبي الله سليمن بمثل هذه المعاملة لوجب ان يقدر على مثلها مع جميع العلما
والزهاد وحينئذ يجب ان يقتلهم ويمزق تصانيفهم ويخرب ديارهم ولما بطل ذلك في حق
احاد العلما فلان يبطل في حق اكابر الانبيا اولى الثالث كيف يليق بحكمة الله واحسانه ان
يسلط الشيطان على ازواج سليمن ولا شك انه قبيح الرابع لو قلنا ان سليمن اذن لتلك المراة
في عبادة تلك الصورة فهذا كفر منه وان لم ياذن فيه البتة فالذنب على تلك المراة فكيف يواخذ
الله سليمن بفعل لم يصدر منه واما اهل التحقيق فذكروا وجوها الاول ان فتنة سليمن
ان ولد له ابن فقالت الشياطين ان عاش صار مسلطا مثل ابيه فسبيلنا ان نقتله فعلم سليمن
ذلك فكان يربيه في السحاب فبينما هو مشتغل بمهماته اذ القي ذلك الولد ميتا على كرسيه فتنبه
على خطايه في انه لم يتق ويتوكل على الله فاستغفر ربه وتاب الثاني روي عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال قال سليمن لاطوفن الليلة على سبعين امراة كل امراة تاتي بفارس يجاهد في سبيل
الله ولم يقل ان شا الله تعالى فطاف عليهن فلم تحمل الا امراة واحدة جات بشق رجل والذي نفسي
بيده لو قال ان شا الله تعالى لجاهدوا في سبيل الله فرسانا اجمعين فذلك قوله ولقد فتنا سليمن
والقينا على كرسيه جسدا وذلك لشدة المرض والعرب تقول في الضعيف انه لحم على وضم وجسم
بلا روح ثم اناب اي رجع الى حال الصحة فاللفظ يحتمل هذه الوجوه ولا حاجة الى حمله على تلك الوجوه
الركيكة الثالث لا يبعد ايضا ان يقال انه ابتلاه الله تعالى بتسليط خوف او توقع بلا
من بعض الجهات حتى صار بسبب قوة ذلك الخوف كالجسد الضعيف الملقى على ذلك الكرسي
ثم ان الله تعالى ازال عنه ذلك الخوف واعاده الى ما كان عليه من القوة وطيب القلب **قوله**

جسدا فيه وجهان اظهرهما انه مفعول به لالقينا والثاني انه حال اما سليمن لانه يروي انه مرض حتي صار كالجسد الذي لا روح فيه واما ولده قالهما ابو البقا ولكن جسد جامد فلا بد من تاويله بمشتق اي ضعيفا او فارغا **قوله** قال رب اغفر لي تمسك به من حمل الكلام المتقدم علي صدور الزلة لانه لولا تقدم الذنب لما طلب المغفرة ويمكن ان يجاب بان الانسان لا ينفك عن ترك الافضل والاولي وحينئذ يحتاج الي طلب المغفرة لان حسنات الابرار سيات المقربين ولانه ابدا في مقام هضم النفس واظهار الذلة والخضوع كما قال عليه السلام اني لاستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة مع انه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فلا يبعد ان يكون المراد من هذه الكلمة هذا المعني **قوله** وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي دلت هذه الاية علي انه يجب تقديم مهم الدين علي مهم الدنيا لان سليمان طلب المغفرة اولا ثم طلب المملكة بعده ودلت الاية ايضا علي ان طلب المغفرة من الله تعالي سبب لانفتاح ابواب الخيرات في الدنيا لان سليمن طلب المغفرة اولا ثم توسل به الي طلب المملكة ونوح عليه السلام قال فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السما عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين وقال لمحمد عليه السلام وامر اهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسالك رزقا نحن نرزقك **فان قيل** قول سليمن عليه السلام هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي مشعر بالحسد فالجواب ان القايلين بان الشيطان استولي علي مملكته قالوا معناه هو ان يعطيه الله ملكا لا يقدر الشيطان علي ان يقوم فيه مقامه البتة واما المنكرون فاجابوا بوجوه الاول ان الملك هو القدرة فكان المراد اقدرني علي اشيا لا يقدر عليها غيري البتة ليصير اقتداري عليها معجزة تدل علي صحة نبوتي ورسالتي ويدل علي صحة هذا قوله تعالي عقيبه فسخرنا له الريح تجري بامره رخا حيث اصاب فكون الريح جارية بامره قدرة عجيبة وملك عجيب دال علي صحة نبوته لا يقدر احد علي معارضته الثاني انه عليه السلام لما مرض ثم عاد الي الصحة عرف ان خيرات الدنيا صايرة الي التغيرات فسال ربه ملكا لا يمكن ان ينتقل عني الي غيري الثالث عن طيبات الدنيا مع القدرة عليها اشق من الاحتراز عنها حال عدم القدرة فكانه قال يا الهي اعطني مملكة فايقة علي ممالك البشر بالكلية حتي احترز عنها مع القدرة عليها ليصير ثوابي اكمل وافضل الرابع سال ذلك ليكون علما علي قبول توبته حيث اجاب الله دعاه ورد عليه ملكه وزاده فيه **قوله** فسخرنا له الريح تجري بامره رخا لينة اي رخوة لينة وهي من الرخاوة والريح اذا كانت لينة لا تزعزع **فان قيل** قد قال في اية اخري ولسليمن الريح عاصفة تجري بامره فالجواب من وجهين الاول لا منافاة بين الايتين فان المراد ان تلك الريح كانت في قوة الرياح العاصفة الا انها لما مرت بامره كانت لذيذة طيبة وكانت رخا الثاني ان تلك الريح كانت لينة مرة وعاصفة اخري فلا منافاة بين الايتين **قوله** حيث ظرف لتجري او لسخرنا واصاب اراد بلغة حمير وقيل بلغة هجر وحكي الاصمعي عن العرب انهم يقولون اصاب الصواب فاخطا الجواب وروي ان رجلين خرجا يقصدان روبة يسالاه عن هذا الحرف فقال لهما اين تصيبان فعرفاها وقالا هذه بغيتنا وانشد الثعلبي علي ذلك ٭ اصاب الجواب فلم يستطع ٭ فاخطا الجواب لدي المفصل ٭ اي اراد الجواب ويقال اصاب الله بك خيرا اي اراده بك وقيل الهمزة في اصاب للتعدية من صاب يصوب اي نزل قال ٭ تنزل من جو السما يصوب ٭ والمفعول محذوف اي اصاب جنوده اي حيث وجههم وجعلهم يصوبون صوب المطر والشياطين نسق علي الريح وكل بناء بدل من الشياطين كانوا يبنون له ما شا من الابنية روي ان سليمن عليه السلام امر الجان فبنت له اصطخر وكان فيها قرار مملكة الترك قديما وبنت له الجان ايضا تدمر وبيت المقدس وباب جيرون وباب البريد اللذين بدمشق علي احد الاقوال وبنوا له ثلاث قصور باليمن غمدان وسالحين وبينون ومدينة صنعا

وقوله وغواص نسق علي بنا اي يغوصون له فيستخرجون اللولو واتي بصيغة المبالغة لانه في معرض الامتنان **قوله** واخرين عطف علي كل فهو داخل في حكم البدل وتقدم شرح مقرنين في الاصفاد اخر سورة ابرهيم **فصل** قال ابن الخطيب دلت هذه الايات علي ان الشياطين لها قوة عظيمة قدروا بها علي بنا تلك الابنية العظيمة التي لا يقدر عليها البشر وقدروا علي الغوص في البحار واستخراج اللالي وقيدهم سليمن عليه السلام ولقايل ان يقول هذه الشياطين اما ان تكون اجسادهم كثيفة او لطيفة فان كانت كثيفة وجب ان يراهم من كان صحيح الحاسة اذ لو جاز ان لا يراهم مع كثافة اجسادهم فليجز ان تكون بحضرتنا جبال عالية واصوات هايلة ولا نراها ولا نسمعها وذلك دخول في السفسطة وان كانت اجسادهم لطيفة فمثل هذا يمتنع ان يكون موصوفا بالقوة الشديدة ويلزم ايضا ان تتفرق اجسادهم وان تتمزق بالرياح العاصفة القوية وان يموتوا في الحال فذلك يمنع وصفهم بالقوة وايضا فالجن والشياطين ان كانوا موصوفين بهذه القوة والشدة فلم لا يقتلون العلما والزهاد في زماننا هذا ولم لا يخربون ديار الناس مع ان المسلمين يبالغون في اظهار لعنهم وعداوتهم وحيث لم يحس بشي من ذلك علمنا ان القول باثبات الجن ضعيف قال ابن الخطيب واعلم ان اصحابنا يجوزون ان تكون اجسادهم كثيفة مع انا لا نراهم وايضا لا يبعد ان تكون اجسادهم لطيفة بمعني عدم اللون ولكنها صلبة بمعني انها لا تقبل التفرق واما الجباي فقد سلم انها كانت كثيفة الاجسام وزعم ان الناس كانوا يشاهدونهم في زمن سليمن عليه السلام ثم انه لما توفي سليمن عليه السلام امات الله اوليك الجن والشياطين وخلق انواعا اخر من الجن والشياطين تكون اجسامهم في غاية الرقة ولا يكون لهم شي من القوة والموجود في زماننا من الجن والشياطين ليس الا من هذا الجنس والله اعلم **قوله** هذا عطاونا اي قلنا له هذا عطاونا فامنن او امسك قال ابن عباس اعط من شيت وامنع من شيت **قوله** بغير حساب فيه ثلاثة اوجه احدها انه متعلق بعطاونا اي اعطيناك بغير حساب ولا تقدير وهو دلالة علي كثرة الاعطا الثاني انه حال من عطاونا اي في حال كونه غير محاسب عليه لانه جم كثير يعسر علي الحساب ضبطه الثالث انه متعلق بامنن او امسك ويجوز ان يكون حالا من فاعلهما اي غير محاسب عليه **فصل** قال المفسرون معناه لا حرج عليك فيما اعطيت وفيما امسكت قال الحسن ما انعم الله علي احد نعمة الا عليه تبعة الا سليمن فانه ان اعطي اجر وان لم يعط لم يكن عليه تبعة وقال مقاتل هذا في امر الشياطين يعني خل من شيت منهم وامسك من شيت في وثاقك لا تبعة عليك فيما تتعاطاه **قوله** وان له عندنا لزلفي وحسن ماب تقدم تفسيره والعامة علي نصب وحسن ماب نسقا علي اسم ان وهو لزلفي وقرا الحسن وابن ابي عبلة برفعه علي الابتدا وخبره مضمر لدلالة ما تقدم عليه ويقفان علي لزلفي ويبتديان بحسن ماب اي وحسن ماب له ايضا **قوله تعالي** واذكر عبدنا ايوب كقوله عبدنا داود وفيه الثلاثة الاوجه واذ نادي بدل منه بدل اشتمال اي بانه وقوله اني جا به علي حكاية كلامه الذي ناداه بسببه ولو لم يحكه لقال انه مسه لانه غايب وقرا العامة بفتح الهمزة علي انه هو المنادي بهذا اللفظ وعيسي بن عمر بكسرها علي اضمار القول او علي اجرا الندا مجراه **قوله** بنصب قرا العامة بالضم والسكون فقيل هو جمع نصب بفتحتين نحو وثن ووثن واسد واسد وقيل هو لغة في النصب نحو رشد ورشد وحزن وحزن وعدم وعدم وابو جعفر وشيبة وحفص ونافع في رواية بضمتين وهو تثقيل نصب بضمة وسكون قاله الزمخشري وفيه بعد لما تقرر ان مقتضي اللغة تخفيف فعل كعنق لا تثقيل فعل كقفل وفيه خلاف وقد تقدم في العسر واليسر في البقرة وقرا ابو حيوة ويعقوب وحفص في رواية بفتح وسكون وكلها بمعني واحد وهو التعب والمشقة

فصل الضب المشقة والضر قال قتادة ومقاتل النصب في الجسد والعذاب في المال
واعلم ان داود وسليمن عليهما السلام كانا ممن افاض الله عليه اصناف الآلاء والنعما وايوب كان ممن
خصه الله تعالى بانواع البلاء والمقصود من جميع هذه القصص الاعتبار كان الله تعالى قال يا محمد اصبر
على سفاهة قومك فانه ما كان في الدنيا اكثر نعمة ومالا وجاها اكثر من داود وسليمن وما كان
اكثر بلاء ولا محنة من ايوب فتأمل في احوالهم لتعرف ان احوال الدنيا لا تنتظم لاحد وان العاقل
لا بد له من الصبر على المكاره فصل قال بعض العلماء ان الآلام والاسقام الحاصلة في جسمه
انما حصلت بفعل الشيطان وقيل انما حصلت بفعل الله تعالى والعذاب المضاف في هذه الاية
الى الشيطان هو عذاب الوسوسة والقاء الخواطر الفاسدة اما تقرير القول الاول فهو ما روي ان
ابليس سال ربه فقال هل في عبيدك من لو سلطتني عليه يمتنع مني فقال الله تعالى نعم عبدي ايوب
فجعل ياتيه بوساوسه وهو يرى ابليس عيانا ولا يلتفت اليه فقال رب انه قد امتنع علي فسلطني
على ماله فكان يجيه ويقول له هلك من مالك كذا وكذا فيقول الله اعطى والله اخذ ثم نحمد الله
تعالى فقال يا رب ان ايوب لا يبالي بماله فسلطني على ولده فجاء واخبره به فلم يلتفت اليه فقال
يا رب انه لا يبالي بماله وولده فسلطني على جسده فاذن فيه فنفخ في جلد ايوب فحدث اسقام
عظيمة وآلام شديدة فيه فمكث في ذلك البلاء سنين حتى استقذره اهل بلده فخرج الى الصحرا
وما كان يقرب منه احد فجا الشيطان الى امرأته وقال ان زوجك ان استغاث بي خلصته من
هذا البلا فذكرت المرأة ذلك لزوجها فحلف بالله لئن عافاه الله ليجلدها مائة جلدة وعند
هذه الواقعة قال اني مسني الشيطان بنصب وعذاب فاجاب الله دعاه واوحى اليه ان اركض
برجلك واظهر الله تعالى من تحت رجله عينا باردة طيبة فاغتسل منها فاذهب الله عنه
كل داء في ظاهره وباطنه ورد عليه اهله وماله واما القول الثاني ان الشيطان لا قدرة له
البتة على ايقاع الناس في الامراض والاسقام ويدل عليه وجوه الاول انا لو جوزنا حصول
الموت والحياة والصحة والمرض من الشيطان فلعل الواحد منا انما وجد الحيوة بفعل الشيطان ولعل
ما عندنا من الخيرات والسعادات قد حصل بفعل الشيطان وحينئذ لا سبيل لنا الى معرفة معطي
الحيوة والموت والصحة والسقم هو الله تعالى ام الشيطان الثاني ان الشيطان لو قدر على ذلك
فلم لا يسعى في قتل الانبيا والاوليا ولم لا يخرب دورهم ولم لا يقتل اولادهم الثالث ان الله
تعالى حكى عن الشيطان انه قال وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فصرح
بانه لا قدرة له في حق البشر الا القا الوساوس والخواطر الفاسدة فدل ذلك على فساد القول بان
الشيطان هو الذي القاه في تلك الامراض فان قيل لم لا يجوز ان يقال ان الفاعل لهذه
الاحوال هو الله لكن على وفق التماس الشيطان قلنا فاذا كان لا بد من الاعتراف بان خالق تلك الآلام
والاسقام هو الله تعالى فاي فائدة في جعل الشيطان واسطة في ذلك بل الحق ان المراد من قوله
اني مسني الشيطان بنصب وعذاب انه بسبب القاء الوساوس الفاسدة كان يلقيه في انواع
العذاب والقائلون بهذا القول اختلفوا في ان تلك الوساوس كيف كانت وذكروا وجوها الاول
ان علته كانت شديدة الالم ثم طالت تلك العلة واستقذره الناس ونفروا عن مجاورته ولم يبق له
مال البتة وامرأته كانت تخدم الناس وتحصل قدر القوت ثم بلغت نفرة الناس عنه الى ان منعوا امرأته
من الدخول عليهم ومن خدمتهم والشيطان كان يذكره النعم التي كانت والآفات التي حصلت وكان يحتال
في دفع تلك الوساوس فلما قويت تلك الوساوس في قلبه خاف وتضرع الى الله تعالى وقال مسني
الشيطان بنصب وعذاب لانه كلما كثرت تلك الخواطر كان تألم قلبه منها اشد الثاني انه لما طال
مدة المرض جا الشيطان فكان يقنطه مدة ويزلزله ان يجزع فخاف من خاطر القنوط في قلبه

فتضرع

فتضرع الى الله تعالى وقال اني مسني الشيطان الثالث روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال بقي
ايوب في البلاء ثماني عشرة سنة حتى رفضه القريب والبعيد الا رجلان ثم قال احدهما لصاحبه لقد
اذنب ايوب ذنبا ما اتى به احد من العالمين ولولاه لما وقع في مثل هذا البلا فذكروا ذلك لايوب
فقال لا ادري ما يقولان غير اني كنت امر على الرجلين يتنازعان فيذكران الله تعالى فارجع الى
بيتي فاكفر عنهما كراهية ان يذكر الله الا في حق الرابع قيل ان امرأته كانت تخدم الناس وتاخذ
منهم قدر القوت وتجي به الى ايوب فاتفق انهم لما استخدموها طلب بعض النسا منها قطع احدى
ذوابتيها على ان تعطيها قدر القوت ففعلت ثم في اليوم الثاني فعلت مثل ذلك فلم يبق لها ذوابة
وكان ايوب اذا اراد ان يتحرك على فراشه تعلق بتلك الذوابة فلما لم يجد الذوابة وقعت الخواطر
الردية في قلبه فعند ذلك قال مسني الشيطان بنصب وعذاب الخامس روي انه عليه السلام
قال في بعض الايام يا رب لقد علمت اني ما اجتمع على امران الا اثرت طاعتك ولما اعطيتني المال
كنت للارامل قيما ولابن السبيل معينا ولليتامى ابا فنودي يا ايوب ممن كان ذلك التوفيق فاخذ
ايوب التراب ووضعه على راسه وقال منك يا رب ثم خاف من الخاطر الاول فقال مسني الشيطان
بنصب وعذاب وذكروا اقوالا اخر والله اعلم قوله اركض برجلك معناه لما اشتكى مس
الشيطان فكانه سال ربه ان يزيل عنه تلك البلية فاجابه الله اليه بان قال اركض برجلك والركض
هو الدفع القوي بالرجل ومنه ركض الفرس والتقدير قلنا له اركض برجلك قيل انه ضرب برجله
تلك الارض فنبعت عين فقيل هذا مغتسل بارد وشراب اي هذا ما تغتسل به فيبرا ظاهرك
وتشرب منه فيبرا باطنك وظاهر اللفظ يدل على انه نبعت له عين واحدة من الما فاغتسل منه
وشرب منه والمفسرون قالوا انبعت له عينان فاغتسل من احديهما فشرب من الاخرى فذهب
الدا من ظاهره ومن باطنه باذن الله تعالى وقيل ضرب برجله اليمنى فنبعت عين حارة فاغتسل
منها ثم باليسرى فنبعت عين باردة فشرب منها قوله ووهبنا له اهله ومثلهم معهم قيل
ثم عن اهله وديارهم ومثلهم وقيل غيرهم مثلهم والاول اولى لانه الظاهر فلا يجوز العدول
عنه من غير ضرورة ثم اختلفوا فقيل ازلنا عنهم السقم فاعيدوا الاصحا وقيل بل حضروا وعندي بعيد
ان غابوا عنه واجتمعوا بعد ان تفرقوا وقيل بل تمكن منهم وتمكنوا منه بما يتصل بالعشرة والخدمة
قوله ومثلهم معهم الاقرب انه تعالى متعه بماله وولده حتى كثر نسله وصار اهله ضعف
ما كانوا واضعاف ذلك وقال الحسن المراد بهبة الاهل انه تعالى احياهم بعد ان هلكوا قوله
رحمة وذكرى مفعول من اجله اي وهبناهم له لاجل رحمتنا اياه وليتذكر بحاله اولوا الالباب
يعني سلطنا البلا عليه اولا فصبر ثم ازلنا عنه البلا واوصلنا اليه الآلا والنعما تنبيها لاولي الالباب
على ان من صبر ظفر وهو تسلية لمحمد عليه السلام كما تقدم قالت المعتزلة وهذا يدل على ان افعال
الله تعالى معللة بالاغراض والمقاصد والمصالح لقوله رحمة منا وذكرى لاولي الالباب
قوله وخذ بيدك ضغثا معطوف على اركض والضغث الحزمة الصغيرة من الحشيش والقضبان
وقيل الحزمة الكبيرة من القضبان وفي المثل ضغث على ابالة والابالة الحزمة من الحطب قال
الشاعر واسفل مني نهدة قد ربطتها والقيت ضغثا من خلى متطيب واصل المادة يدل
على جمع المختلطات وقد تقدم هذا في يوسف في قوله اضغاث احلام قوله فاضرب به
ولا تحنث الحنث الاثم ويطلق على فعل ما حلف على تركه او ترك ما حلف على فعله لانهما سببان
فيه غالبا فصل هذا الكلام يدل على تقدم يمين منه وقد روي انه حلف على اهله
واختلفوا في سبب حلفه عليها ويبعد ما قيل انها رغبته في طاعة الشيطان ويبعد ايضا ما روي
انها قطعت ذوابتيها لان المضطر باح له ذلك بل الاقرب انها خالفته في بعض المهمات وذلك

انها ذهبت في بعض المهمات فابطات تخلف في مرضه ليضربنها مائة اذا برا ولما كانت حسنة
الخدمة لا جرم حلل الله يمينه باهون شي عليه وعليها وهذه الرخصة باقية لما روي ان النبي
صلى الله عليه وسلم اتي برجل ضعيف زنا بامة فقال خذوا عثكالا فيه مائة شمراخ فاضربوه بها ضربة
واحدة قوله انا وجدناه صابرا فان قيل كيف وجده صابرا وقد شكا اليه
فالجواب من وجوه الاول انه شكى من الشيطان اليه وما شكى اليه والثاني ان الالام
حين كانت على الجسد لم يذكر شيا فلما عظمت الوساوس خاف على القلب والدين فتضرع الثالث ان
الشيطان عدو والشكاية من العدو الى الحبيب لا تقدح في الصبر قوله نعم العبد انه اواب
يدل على ان التشريف بقوله نعم العبد انما حصل لكونه اوابا روي انه لما نزل قوله تعالى نعم العبد
في حق سليمن تارة وفي حق ايوب اخرى عظم في قلوب امة محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا ان قوله
نعم العبد تشريف عظيم فان احتجنا الى تحمل بلاء مثل ايوب لم نقدر عليه فكيف السبيل الى تحصيله
فانزل الله تعالى قوله نعم المولى ونعم النصير والمراد انك ان لم تكن نعم العبد فانا نعم المولى
فان كان منك الفضل فمني الفضل وان كان منك التقصير فمني الرحمة والتيسير قوله
تعالى واذكر عبادنا ابرهيم واسحق ويعقوب قرا ابن كثير عبدنا بالتوحيد والباقون عبادنا
بالجمع والرسم يحتملهما فاما قراءة ابن كثير فابرهيم بدل او بيان او باضمار اعني وما بعده عطف
على نفس عبدنا لا على ابرهيم اذ يلزم ابدال الجمع من مفرد وللقايل ان يقول لما كان المراد
بعبدنا الجنس جاز ابدال الجمع منه كقراءة ابن عباس واله ابيك ابرهيم في البقرة في احد القولين
وقد تقدم واما قراءة الجماعة فواضحة لانها موافقة للاولى في الجمع قال ابن الخطيب لان
غير ابرهيم من الانبيا قد اجري عليه هذا الوصف فجا في حق عيسى ان هو الا عبد انعمنا عليه
وفي ايوب نعم العبد وفي نوح انه كان عبدا شكورا والنبي اصبر يا محمد على ما يقولون واذكر
صبر ايوب على البلا واذكر صبر ابرهيم حين القي في النار وصبر اسحق حين عرض على الذبح وصبر
يعقوب حين فقد ولده وذهب بصره قوله اولي الايدي العامة على ثبوت اليا وهو
جمع يد وهي اما الجارحة وكني بذلك عن الاعمال لان اكثر الاعمال انما تزاول باليد وقيل المراد
بالايدي جمع يد المراد بها النعمة وقرا عبد الله والاعمش والحسن وعيسى الايد بغير يا فقيل هي
الاولى وانما حذفت اليا اجتزاء عنها بالكسرة ولان ال تعاقب التنوين واليا تحذف مع التنوين
فاجريت مع ال اجراوها معه وهذا ضعيف جدا وقيل الايد القوة الا ان الزمخشري قال
وتفسيره بالايد من التاييد قلق غير متمكن انتهى وكانه انما قلق عنده لعطف الابصار عليه
فهو مناسب للايدي لا للايد من التاييد وقد يقال انه لا يراد حقيقة الجوارح اذ كل احد
كذلك انما المراد الكناية عن العمل الصالح والتفكر ببصيرته فلم يتمشى حينئذ اذ لم يرد حقيقة
الابصار وكانه قيل اولي القوة والتفكر بالبصيرة وقد نحا الزمخشري الى شي من هذا قبل ذلك
قال ابن عباس اولي القوة في طاعة الله والابصار في المعرفة بالله اي البصاير في الدين وقال
قتادة ومجاهد اعطوا قوة في العبادة وبصرا في الدين قوله انا اخلصناهم بخالصة ذكرى
الدار وقرا نافع وهشام بخالصة ذكرى بالاضافة وفيها اوجه احدها ان يكون اضافة خالصة
الى ذكرى للبيان لان الخالصة تكون ذكرى كما في قوله شهاب قبس لان الشهاب يكون قبسا وغيره
الثاني ان خالصة مصدر بمعنى اخلاص فيكون مصدرا مضافا لمفعوله والفاعل محذوف اي بان
اخلصوا ذكرى الدار وتناسوا عندها ذكرى الدنيا وقد جاء المصدر على فاعلة كالعافية او يكون
المعنى بان اخلصنا نحن لهم ذكرى الدار الثالث انها مصدر ايضا بمعنى الخلوص فيكون مضافا لفاعله
اي بان خلصت لهم ذكرى الدار وقرا الباقون بالتنوين وعدم الاضافة وفيها اوجه احدها

انها

انها مصدر بمعنى الاخلاص فيكون ذكرى منصوبا به وان يكون بمعنى الخلوص فيكون ذكرى مرفوعا
به كما تقدم والمصدر يعمل منونا كما يعمل مضافا او يكون خالصة اسم فاعل على بابه وذكرى
بدل او بيان لها او منصوب باضمار اعني او مرفوع على اضمار مبتدا والدار يجوز ان يكون مفعولا
به بذكرى وان يكون ظرفا اما على الاتساع واما على اسقاط الخافض ذكرهما ابو البقا وخالصة
اذا كانت صفة فهي صفة لمحذوف اي بسبب خصلة خالصة فصل من قرا بالاضافة
فمعناه اخلصناهم بذكرى الدار الاخرة انهم لم يعملوا لها والذكرى بمعنى الذكر قال مالك بن دينار
نزعنا من قلوبهم حب الدنيا وذكرها واخلصناهم بحب الاخرة وذكرها وقال قتادة
كانوا يدعون الى الاخرة والى الله عز وجل وقال السدي اخلصوا بخوف الاخرة وقيل اخلصناهم
بافضل ما في الاخرة قاله ابن زيد ومن قرا بالتنوين فمعناه بخلة خالصة وهي ذكرى الدار
فيكون ذكرى الدار بدلا عن الخالصة او جعلناهم مخلصين بما اخبرنا من ذكر الاخرة والمراد
بذكرى الدار الذكر الجميل او يبقى لهم في الاخرة وقيل انه ابقينا لهم الذكر الجميل في الدنيا وقيل
هو دعاؤهم [illegible] لسان صدق في الاخرين قوله وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار
اي المختارين من ابناء جنسهم والاخيار جمع خير او خير بالتثقيل والتخفيف كاموات في جمع ميت
او ميت واحتج العلما بهذه الاية على اثبات عصمة الانبيا لانه تعالى حكم عليهم بكونهم اخيار
على الاطلاق وهذا يعم حصول الخيرية في جميع الافعال والصفات بدليل صحة الاستثناء منه
قوله تعالى واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل وكل من الاخيار وهم قوم اخرون من الانبيا
تحملوا الشدايد في دين الله وقد تقدم شرح احوال هذه الاسما في سورة الانعام قوله هذا
ذكر جملة جي بها ايذانا بان القصة قد تمت واخذ في اخرى وهذا كما فعل الجاحظ في
كتبه تقول فهذا باب ثم يشرع في اخر ويدل على ذلك انه لما اراد ان يعقب بذكر اهل النار
ذكر اهل الجنة ثم قال هذا وان للطاغين وقيل المراد هذا شرف وذكر جميل لهولاء الانبيا
يذكرون به ابدا والصحيح الاول قوله وان للمتقين لحسن مآب المآب المرجع لما حكى سفاهة
قريش على النبي صلى الله عليه وسلم بقولهم ساحر كذاب وقولهم له استهزاء عجل لنا قطنا امره
بالصبر على سفاهتهم واقتدايه بالانبيا المذكورين في صبرهم على المكاره واكثر ايدين ههنا
ان من اطاع الله كان له من الثواب كذا وكذا وكل من خالفه كان له من العقاب كذا وكذا وذلك
يوجب الصبر على تكاليف الله تعالى وهذا نظم حسن وترتيب لطيف قوله جنات
عدن العامة على نصب جنات بدلا من حسن مآب سوا كانت جنات عدن معرفة ام نكرة
لان المعرفة تبدل من النكرة وبالعكس ويجوز ان يكون عطف بيان ان كانت نكرة ولا يجوز ذلك
فيها ان كانت معرفة وقد جوز الزمخشري ذلك بعد حكمه بانها علم لاضافة عدن اليه وهذا لما
تقدم له في مواضع يجوز عطف البيان وان تخالفا تعريفا وتنكيرا وقد تقدم هذا في قوله
تعالى فيه ايات بينات مقام ابرهيم ويجوز ان ينتصب جنات عدن باضمار فعل ومفتحة
حال من جنات عدن او نعت لها ان كانت نكرة وقال الزمخشري حال والعامل فيها ما في للمتقين
من معنى الفعل انتهى وقد علل ابو البقا بعلة في متكين تقتضي منع مفتحة ان تكون حالا وان كانت
العلة غير صحيحة فقال ولا يجوز ان يكون معنى متكين حالا من للمتقين لانه قد اخبر عنهم قبل الحال
وهذه العلة موجودة في جعل مفتحة حالا من للمتقين كما ذكره الزمخشري الا ان هذه العلة ليست
صحيحة وهو نظير قولك ان لهند مالا قايمة وايضا في عبارته تجوز فان للمتقين لم يخبر عنهم صناعة
انما اخبر عنهم معنى والا فقد اخبر عن حسن مآب بانه لهم وجعل الحوفي العامل مقدرا اي يدخلونها
مفتحة قوله الابواب في ارتفاعها وجهان اشهرهما عند الناس انها مرتفعة باسم المفعول كقوله

وفتحت ابوابها واعترض على هذا بان مفتحة اما حال واما نعت لجنات وعلى التقديرين فلا
رابط واجيب بوجهين احدهما قول البصريين وهو ان ثم ضميرا مقدرا تقديره الابواب منها
والثاني ان ال قامت مقام الضمير اذ الاصل ابوابها وهو قول الكوفيين وتقدم تحقيق هذا
والوجهان جاريان في قوله فان الجنة هي الماوى الثاني انها مرتفعة على البدل من الضمير في مفتحة
العائد على جنات وهو قول الفارسي لما راى خلوها من الرابط لفظا ادعى ذلك واعترض على هذا
بان هذا من بدل البعض والاشتمال وكلاهما لا بد فيهما من ضمير فيضطر الى تقديره كما تقدم ورجح
بعضهم الاول بان فيه اضمارا واحدا وفي هذا اضماران ونقل الزمخشري فقال والابواب بدل
من الضمير في مفتحة اي مفتحة هي الابواب كقولك ضرب زيد اليد والرجل وهو من بدل الاشتمال
انما يعني به الابواب لان الابواب قد يقال انها ليست بعض الجنات واما ضرب زيد اليد
والرجل فهو بعض من كل ليس الا وقرا زيد بن علي وابو حيوة جنات عدن مفتحة برفعهما اما على
انهما جملة من مبتدا وخبر واما على ان كل واحد خبر مبتدا مضمر اي هي جنات هي مفتحة **قوله**
متكئين حال من هم العامل فيها مفتحة وقيل العامل يدعون تاخر عنها وقد تقدم منع ابي
البقا انها حال من المتقين وما بعده ويدعون يجوز ان يكون مستانفا وان يكون حالا اما من ضمير
واما حالا ثانية **فصل** اعلم انه تعالى وصف احوال اهل الجنة في هذه الاية باشيا
اولها احوال مساكنهم جنات عدن وذلك يدل على امرين احدهما كونها بساتين والثاني كونها
دائمة ليست منقضية وقوله مفتحة لهم الابواب قيل المراد ان الملائكة يفتحون لهم ابواب الجنة
ويحيونهم بالسلام كما قال تعالى حتى اذا جاءوها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم
فادخلوها خالدين وقيل المعنى انهم كلما ارادوا انفتاح الابواب انفتحت لهم وكلما ارادوا
انغلاقها انغلقت لهم وقيل المراد من هذا الفتح وصف تلك المساكن بالسعة وقرة العيون
فيها وقوله متكئين قد ذكر في ايات اخر كيفية ذلك الاتكاء فقال في اية على الارائك متكئون
وقال في اخرى متكئين على رفرف خضر وقوله يدعون في الجنات بالوان الفاكهة والوان الشراب
والتقدير بفاكهة كثيرة وشراب كثير ولما بين المسكن والماكول والمشروب ذكر امر المنكوح
فقال وعندهم قاصرات الطرف اي عن غيرهم وقوله اتراب اي على سن واحد قيل بنات ثلاث
وثلاثين سنة واحدها ترب وعن مجاهد متواخيات لا يتباغضن ولا يتغايرن وقيل اترابا للازواج
قال القفال والسبب في اعتبار هذه الصفة انهن لما تشابهن في الصفة والسن والجبلة كان
الميل اليهن على السوية وذلك يقتضي عدم الغيرة **قوله** هذا ما توعدون قرا ابن كثير
وابو عمرو وهنا يوعدون بالغيبة وفي ق ابن كثير وحده والباقون بالخطاب فيهما ووجه الغيبة
هنا وفي ق تقدم ذكر المتقين ووجه الخطاب الالتفات اليهم والاقبال عليهم اي قل للمتقين
هذا ما توعدون ليوم الحساب اي في يوم الحساب ان هذا لرزقنا ما له من نفاد اي فناء
وانقطاع وهذا اخبار عن دوام هذا الثواب **قوله** من نفاد اما مبتدا واما فاعل ومن زائدة
والجملة في محل نصب على الحال من رزقنا اي غير فان ويجوز ان يكون خبرا ثانيا **قوله** هذا
وان للطاغين يجوز ان يكون هذا مبتدا والخبر مقدر فقدره الزمخشري هذا كما ذكر وقدره ابو علي
هذا للمؤمنين ويجوز ان يكون خبر مبتدا مضمر اي الامر هذا **فصل** لما وصف ثواب المؤمنين
وصف بعده عقاب الظالمين ليكون الوعيد مذكورا عقيب الوعد والترهيب عقيب الترغيب
فقال هذا وان للطاغين لشر ماب اي مرجع وهذا في مقابلة قوله وان للمتقين لحسن ماب والمراد
بالطاغين الكفار وقال الجبائي هم اصحاب الكبائر سواء كانوا كفارا ام لا واحتج الاولون بقوله
اتخذناهم سخريا ولان هذا ذم مطلق فلا يحمل الا على الكامل في الطغيان وهو الكافر واحتج الجبائي

بقوله ان الانسان ليطغى ان راه استغنى فدل على ان الوصف بالطغيان قد يحصل لصاحب الكبيرة
لان من تجاوز حد تكاليف الله وتعداها فقد طغى **قوله** جهنم يجوز ان يكون بدلا من شر
ماب او منصوبة باضمار فعل وقياس قول الزمخشري في جنات عدن ان يكون عطف بيان وان
يكون منصوبا بفعل يفسره على الاشتغال اي يصلون جهنم يصلونها والمخصوص بالذم محذوف اي
هي **قوله** فبئس المهاد هو مثل قوله لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش شبه الله تعالى
ما تحتهم من النار بالمهاد الذي يفرشه النائم **قوله** هذا فليذوقوه في هذا اوجه احدها
ان يكون مبتدا وخبره حميم وغساق وقد تقدم ان اسم الاشارة يكتفى بواحده في المثنى كقوله
عوان بين ذلك او يكون المعنى هذا جامع بين الوصفين ويكون قوله فليذوقوه جملة اعتراضية الثاني
ان يكون هذا منصوبا بمقدر على الاشتغال اي ليذوقوا هذا وشبهه الزمخشري بقوله تعالى
واياي فارهبون يعني على الاشتغال والكلام على مثل هذه الفا قد تقدم وحميم على هذا خبر
مبتدا مضمر او مبتدا وخبره مضمر اي منه حميم ومنه غساق كقوله

حتى اذا ما اضا البرق في غلس • وغودر البقل ملوي ومحصود • اي منه ملوي ومنه محصود

الثالث ان يكون هذا مبتدا والخبر محذوف اي هذا كما ذكر وهذا للطاغين الرابع انه خبر
مبتدا مضمر اي الامر هذا ثم استانف امرا فقال فليذوقوه الخامس ان يكون مبتدا خبره فليذوقوه
وهو راي الاخفش ومنه • وقائلة خولان فانكح فتاتهم • وتقدم تحقيق هذا عند قوله والسارق
والسارقة وقرا الاخوان وحفص غساق بتشديد السين هنا وفي عم يتساءلون وخففه الباقون فاما
المثقل فهو صفة كالجبار والضراب مثال مبالغة وذلك ان فعالا في الصفات اغلب منه
في الاسما ومن وروده في الاسما الكلا والجبان والفياد لذكر البوم والعقار والخطار واما
المخفف فهو اسم لا صفة لان فعالا بالتخفيف في الاسما كالعذاب والنكال اغلب منه في الصفات
على ان منهم من جعله صفة بمعنى ذو كذا اي ذو غسق وقال ابو البقا او يكون فعال بمعنى فاعل
قال انها بالعين وهذا غير معروف **فصل** قيل هذا على التقديم والتاخير والتقدير
هذا حميم وغساق فليذوقوه وقيل التقدير جهنم يصلونها فبئس المهاد هذا فليذوقوه ثم
يبتدي فيقول حميم وغساق اي منه حميم ومنه غساق **والغسق** السيلان يقال غسقت
عينه اي سالت قال المفسرون انه ما يسيل من صديدهم وقيل غسق اي امتلا ومنه غسقت
عينه اي امتلات بالدمع ومنه الغاسق للقمر لامتلائه وكماله وقيل الغساق ما قتل ببرده ومنه
قيل لليل غاسق لانه ابرد من النهار وقال ابن عباس هو الزمهرير يحرقهم ببرده كما تحرقهم النار
بحرها وقال مجاهد وقتادة هو الذي انتهى برده وقيل الغسق شدة الظلمة ومنه قيل
لليل غاسق ويقال للقمر غاسق اذا كسف لاسوداده والقولان منقولان في تفسير قوله تعالى
ومن شر غاسق وقيل الغساق المنتن بلغة الترك حكى الزجاج لو قطرت منه قطرة بالمغرب
لانتنت اهل المشرق وقال ابن عمر هو القيح الذي يسيل منهم يجتمع فيسقونه قال قتادة هو ما
يغسق اي يسيل من القيح والصديد من جلود اهل النار ولحومهم وفروج الزناة من قولهم غسقت
عينه اذا انصبت والغسقان الانصباب وقال كعب الغساق عين في جهنم يسيل اليها كل
ذوب حية وعقرب **قوله** واخر قرا ابو عمرو بضم الهمزة على انه جمع وارتفاعه من اوجه
احدها انه مبتدا ومن شكله خبره وازواج فاعل به الثاني ان يكون مبتدا ايضا ومن شكله
خبر مقدم وازواج مبتدا والجملة خبره وعلى هذين فيقال كيف يصح من غير ضمير يعود على اخر
فان الضمير في شكله يعود على ما تقدم اي من شكل المذوق والجواب ان الضمير عائد على
المبتدا وانما افرد وذكر لان المعنى من شكل ما ذكرنا وذكر هذا التاويل ابو البقا وقد منع مكي

ذلك لاجل الخلو من الضمير وجوابه ما ذكرنا الثالث ان يكون من شكله نعتا لاخر وازواج خبر
المبتدا اي واخر من شكل المذوق ازواج الرابع ان يكون من شكله نعتا ايضا وازواج فاعل به
والضمير عايد على اخر بالتاويل المتقدم وعلى هذا فيرتفع اخر بالابتدا والخبر مقدر اي ولهم
انواع اخر استقر من شكلها ازواج الخامس ان يكون الخبر مقدرا كما تقدم اي ولهم اخر ومن شكله
وازواج صفتان لاخر وقرا العامة من شكله بفتح الشين وقرا مجاهد بكسرها وهما لغتان بمعنى
المثل والضرب تقول هذا على شكله اي مثله وضربه واما الشكل بمعنى الغنج فبالكسر لا غير قاله
الزمخشري وقرا الباقون واخر بفتح الهمزة وبعدها الف بصيغة افعل التفضيل والاعراب فيه
كما تقدم والضمير في احد الاوجه يعود عليه من غير تاويل لانه مفرد الا ان في احد الاوجه يلزم
الاخبار عن المفرد بالجمع او وصف المفرد بالجمع لان من جملة الاوجه المتقدمة ان يكون ازواج
خبرا عن اخر او نعتا كما تقدم وعنه جوابان احدهما ان التقدير وعذاب اخر او مذوق اخر وهو
ضروب ودرجات فكان في قوة الجمع وتجعل كل جزء منه كالاخر مثل الكل وسماه باسمه وهو
شايع كثير نحو غليظ الحواجب وشابت مفارقه على ان لقايل ان يقول ان ازواجا صفة
لثلاثة الاشيا المتقدمة اعني الحميم والغساق واخر من شكله فيلغي السوال **قوله** هذا فوج
مقتحم معكم مفعول مقتحم محذوف اي مقتحم النار والاقتحام الدخول في الشي بشدة والقحمة الشدة
وقال الراغب الاقتحام توسط شدة مخيفة ومنه قحم الفرس فارسه اي توغل به ما يخاف
منه والمقاحيم الذين يتقحمون في الامر اي يتجنب **قوله** معكم يجوز ان يكون نعتا ثانيا لفوج
وان يكون حالا منه لانه قد وصف وان يكون حالا من الضمير المستتر في مقتحم قال ابو البقا ولا يجوز
ان يكون ظرفا لفساد المعنى قال شهاب الدين ولم ادر من اي وجه يفسد والحالية والصفة في
المعنى كالظرفية وقوله هذا فوج الى النار يجوز ان يكون من كلام الروسا بعضهم لبعض بدليل قول
الاتباع لا مرحبا بكم انتم قدمتموه لنا وان يكون من كلام الخزنة ويجوز ان يكون هذا فوج من
كلام الملايكة والباقي من كلام الروسا وكان القياس على هذا ان يقال بل انتم لا مرحبا لهم
لانهم لا يقولون للملايكة ذلك الا انهم عدلوا عن خطاب الملايكة الى خطاب اعدايهم تشفيا منهم
والمعنى هذا جمع كثيف قد اقتحم معكم النار كما كانوا قد اقتحموا معكم في الجهل والضلال والفوج
القطيع من الناس وجمعه افواج **قوله** لا مرحبا في مرحبا وجهان اظهرهما انه مفعول بفعل
مقدر اي لا اتيتم مرحبا او لا سمعتم مرحبا والثاني انه منصوب على المصدر قاله ابو البقا اي لا
رحبتكم داركم مرحبا بل ضيقا ثم في الجملة المنفية وجهان احدهما انها مستانفة سيقت للدعا
عليهم وقوله بهم بيان للمدعو عليهم والثاني انها حالية وقد يعترض عليه بانه دعا والدعا
طلب والطلب لا يقع حالا والجواب انه على اضمار القول اي مقولا لهم لا مرحبا قال المفسرون
قوله تعالى لا مرحبا بهم دعا منهم على اتباعهم يقول الرجل لمن يدعو له مرحبا اي اتيت رحبا
من البلاد لا ضيقا او رحبت بلادك رحبا ثم تدخل عليه كلمة لا في دعا النفي **قوله** انهم
صالوا النار تعليل لاستحابة الدعا عليهم ونظير هذه الاية قوله كلما دخلت امة لعنت
اختها قالوا اي الاتباع بل انتم لا مرحبا بكم يريدون ان الدعا الذي دعوتم به علينا ايها الروسا
انتم احق به وعللوا ذلك بقولهم انتم قدمتموه لنا والضمير للعذاب او الضلال **فان قيل**
ما معنى تقديمهم العذاب لهم فالجواب الذي اوجب التقديم هو عمل السو كقوله تعالى ذوقوا
عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم الا ان الروسا لما كانوا هم السبب فيه باغوايهم وكان العذاب
جزاوهم عليه قيل انتم قدمتموه وقوله فبيس القرار اي بيس المستقر والمسكن جهنم **قوله** من قدم
يجوز ان تكون من شرطية وفزده جوابها وان تكون استفهامية وقدم خبرها اي اي شخص

قدم لنا هذا ثم ابتدوا دعا بقولهم فزده وان يكون موصولة بمعنى الذي وحينيذ يجوز فيها
وجهان الرفع بالابتدا والخبر فزده والفا زايدة تشبيها له بالشرط والثاني انها منصوبة
بفعل مقدر على الاشتغال والكلام في مثل هذه قد تقدم وهذا الوجه يجوز عند بعضهم حال
كونها شرطية او استفهامية اعني الاشتغال الا انه لا يفسر العامل الا بعدها لان لها صدر الكلام
وضعفا نعت لعذاب اي مضاعفا **قوله** في النار يجوز ان يكون ظرفا لفزده او نعتا لعذاب
او حالا منه لتخصيصه او حالا من مفعول زده **فصل** قالوا يعني الاتباع ربنا من
قدم لنا هذا اي شرعه وسنه لنا فزده عذابا ضعفا اي مضاعفا في النار ونظيره قوله تعالى
ربنا هولا اضلونا فاتهم عذابا ضعفا في النار وقولهم انا اطعنا سادتنا وكبرانا فاضلونا السبيلا
ربنا اتهم ضعفين من العذاب **فان قيل** كل مقدار يفرض من العذاب فان كان بقدر
بقدر الاستحقاق لم يكن مضاعفا وان كان زايدا عليه كان ظلما وانه لا يجوز فالجواب المراد
منه قوله صلى الله عليه وسلم من سن سنة سيية فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة
والمعنى انه يكون احد القسمين عذاب الضلال والثاني عذاب الاضلال والله اعلم وهذا
اخر شرح احوال الكفار مع الذين كانوا احبابا لهم في الدنيا واما شرح احوالهم مع الذين
كانوا اعدا لهم في الدنيا فهو **قوله** وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار
اي ان صناديد قريش قالوا وهم في النار ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار في الدنيا
يعنون فقرا المومنين عمارا وخبابا وصهيبا وبلالا وسلمان وسموهم اشرارا اما بمعنى الاراذل
الذين لا خير فيهم ولا جدوى او لانهم كانوا على خلاف دينهم فكانوا عندهم اشرارا **قوله**
اتخذناهم سخريا قرا الاخوان فرا الاخوان وابو عمرو بوصل الهمزة وهي تحتمل وجهين احدهما ان يكون
خبرا محضا وتكون الجملة في محل نصب صفة ثانية لرجالا كما وقع كنا نعدهم صفة وان يكون
المراد الاستفهام وحذفت اداته لدلالة ام عليها كقوله
بروح من الحي ام تبتكر وماذا عليك بان تنتظر ، فام متصلة على هذا وعلى الاول منقطعة
بمعنى بل فالهمزة لانها لم يتقدمها همزة استفهام ولا تسوية والباقون بهمزة استفهام سقطت
لاجلها همزة الوصل والظاهر انه لا محل للجملة حينيذ لانها طلبية وجوز بعضهم فيها ان تكون صفة
لكن على اضمار القول اي رجالا مقولا فيهم اتخذناهم كقوله جاوا بمذق هل رايت الذيب قط
الا ان الصفة في الحقيقة ذلك القول المضمر وقد تقدم الخلاف في سخريا في قد افلح المومنون
والمشهور ان المكسور من الهزء كقوله اني اتاني لسان لا اسر بها من علو لا كذب فيها ولا سخر
وتقدم معنى لحاق الشدة في ذلك وام مع الخبر منقطعة فقط كما تقدم ومع الاستفهام
يجوز ان تكون متصلة وان تكون منقطعة كقولك ازيد عندك ام عندك عمرو ويجوز ان تكون ام
زاغت متصلا بقوله ما لنا لانه استفهام الا انه يتعين انقطاعها لعدم الهمزة ويكون ما بينهما
معترضا على قراءة اتخذناهم بالاستفهام اي الجملة صفة على اضمار القول كما تقدم قال اهل
المعاني قراة الاخوين اولى لانهم علموا انهم اتخذوهم سخريا كقوله تعالى فاتخذتموهم سخريا حتى انسوكم
ذكري فلا يستقيم الاستفهام وتكون ام على هذه القراة بمعنى بل واجاب الفرا عن هذا بان قال
هذا من الاستفهام الذي معناه التعجب والتوبيخ ومثل هذا الاستفهام جايز عن الشي المعلوم ومن
فتح الالف قال هو على اللفظ لا على المعنى ليعادل ام في قوله ام زاغت **فان قيل**
فما الجملة المعادلة بقوله ام زاغت على القراة الاولى فالجواب انها محذوفة والتقدير
ام زاغت عنهم الابصار وقرا نافع سخريا بضم السين والباقون بكسرها فقيل هما بمعنى وقيل
الكسر بمعنى الهزء وبالضم التذليل والتسخير واما نظم الاية على قراة الاخبار فالتقدير ما لنا

لا نراهم حاضرين لاجل انهم لحقارتهم تركوا لاجل انهم زاغت عنهم الابصار ووقع التعبير عن حقارتهم بقولهم اتخذناهم سخريا واما على قراءة الاستفهام فالتقدير لاجل انا قد اتخذناهم سخريا وانهم كانوا كذلك فلم يدخلوا لاجل انه زاغت عنهم الابصار **فصل** معنى الاية ما لنا لا نرى هؤلاء الذين اتخذناهم سخريا لم يدخلوا معنا النار ام دخلوها فزاغت اي مالت عنهم ابصارنا فلم نرهم حين دخلوا وقيل ام هم في النار ولكن احتجبوا عن ابصارنا وقال ابن كيسان ام كانوا خيرا منا ونحن لا نعلم فكان ابصارنا تزيغ عنهم في الدنيا فلا نعدهم شيئا **قوله** ان ذلك لحق اي الذي ذكرت لحق اي لا بد ان يتكلموا به ثم بين ذلك الذي حكاه عنهم فقال تخاصم اهل النار العامة على رفع تخاصم مضافا لاهل وفيه اوجه احدها انه بدل من لحق الثاني انه عطف بيان الثالث انه بدل من ذلك على الموضع حكاه مكي وهذا يوافق بعض الكوفيين الرابع انه خبر ثان لان الخامس انه خبر مبتدا مضمر اي هو تخاصم السادس انه مرفوع بقوله لحق الا ان ابا البقاء قال ولو قيل هو مرفوع بحق لكان بعيدا لانه يصير جملة ولا ضمير فيها يعود على اسم ان وهذا او صحيح وقد تجاب عنه بان الضمير مقدر اي لحق تخاصم اهل النار كقوله ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور اي منه وقرا ابن محيصن بتنوين تخاصم ورفع اهل فرفع تخاصم على ما تقدم واما رفع اهل فعلى الفاعلية بالمصدر المنون كقولك يعجبني تخاصم الزيدون اي ان تخاصموا وهذا قول الكوفيين وبعض البصريين خلافا للفراء وقرا ابن ابي عبلة تخاصم بالنصب مضافا لاهل وفيه اوجه احدها انه صفة لذلك على اللفظ قال الزمخشري لان اسما الاشارة توصف باسما الاجناس وهذا فيه نظر لانهم نصوا على ان اسما الاشارة لا توصف الا بما فيه ال نحو هذا الرجل ولا يجوز بهذا غلام الرجل فهذا ابعد ولان الصحيح ان الواقع بعد اسم الاشارة المقارن لال ان كان مشتقا كان صفة والا كان بدلا وتخاصم ليس مشتقا الثاني انه بدل من ذلك الثالث انه عطف بيان الرابع على اضمار اعني قال ابو الفضل ولو نصب تخاصم على انه بدل من ذلك لجاز انتهى كانه لم يطلع عليها قراءة وقرا ابن السميفع تخاصم فعلا ماضيا اهل فاعل به وهي جملة استئنافية واعلم انه تعالى سمى تلك الكلمات تخاصما لان قول الرؤسا لا مرحبا بهم وقول الاتباع بل انتم لا مرحبا بكم من باب الخصومة **قوله تعالى** قل انما انا منذر لما شرح نعيم اهل الثواب وعقاب اهل العقاب عاد الى تقرير التوحيد والنبوة والبعث المذكورين اول السورة فقال قل يا محمد انما انا منذر مخوف ولا بد من الاقرار بانه ما من اله الا الله الواحد القهار وكونه واحدا يدل على عدم الشريك وكونه قهارا مشعر بالترهيب والتخويف ولما ذكر ذلك اردفه بما يدل على الرجا والترغيب فقال رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار فكونه ربا يشعر بالتربية والاحسان والكرم والجود وكونه غفارا يشعر بان العبد لو اقدم على المعاصي والذنوب فانه يغفر برحمته وهذا الموصوف هو الذي تجب عبادته لانه هو الذي يخشى عقابه ويرجى ثوابه ويجوز ان يكون رب السموات خبر مبتدا مضمر وفيه معنى المدح **قوله** هو نبا عظيم هو يعود على القران وما فيه من القصص والاخبار وقيل على تخاصم اهل النار وقيل على ما تقدم من اخباره صلى الله عليه وسلم بانه نذير مبين وبان الله اله واحد متصف بتلك الصفات الحسنى وانتم عنه معرضون صفة لنبا ومستانفة قال ابن عباس ومجاهد وقتادة المراد بالنبا العظيم القران وقيل القيمة لقوله عم يتساءلون عن النبا العظيم قال ابن الخطيب هذا النبا العظيم يحتمل وجوها يمكن ان يكون المراد به القول بان الاله واحد وان يكون المراد القول باثبات الحشر والقيمة نبا عظيم ويمكن ان يكون المراد كون القران معجزا المتقدم ذكره في قوله كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا اياته وهذا ولا الاقوام اعرضوا عنه **قوله** ما كان لي من علم بالملا الاعلى يعني الملائكة فقوله بالملا متعلق بقوله

لي من علم وضمن معنى الاحاطة فلذلك تعدى بالبا وتقدم تحقيقه **قوله** اذ يختصمون فيه وجهان احدهما انه منصوب بالمصدر ايضا والثاني منصوب بمقدر اي بكلام الملا الاعلى اذ قاله الزمخشري والضمير في يختصمون للملا الاعلى هذا هو الظاهر وقيل لقريش اذ يختصمون في الملا الاعلى فبعضهم يقول بنات الله وبعضهم يقول غير ذلك فالتقدير اذ يختصمون فيهم يعني في شان ادم حين قال الله تعالى اني جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها **قال** الملائكة لا نعلم منه ما اعلمنا تعالى اختصموا بسبب قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فان التخاصم مع الله كفر فالجواب لا شك انه جرى هناك سوال وجواب وذلك يشبه المخاصمة والمناظرة والمشابهة علة لجواز المجاز فلهذا السبب حسن اطلاق لفظ المخاصمة عليه ولما امر الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم ان يذكر هذا الكلام على سبيل الرمز امره ان يقول ان يوحى الي الا انما انا نذير مبين يعني انا ما عرفت هذه المخاصمة الا بالوحي **قوله** الا انما انا العامة على فتح الهمزة انما وفيها وجهان احدهما انها مع ما في حيزها في محل رفع لقيامها مقام الفاعل اي ما يوحى الي الا الانذار والاكون نذيرا مبينا والثاني في محل نصب او جر بعد اسقاط لام العلة والقايم مقام الفاعل على هذا الجار والمجرور اي ما يوحى الي الا للانذار او لكوني نذيرا فيجوز ان يكون القايم مقام الفاعل على هذا ضميرا يدل عليه السياق اي ما يوحى الي ذلك الشي الا للانذار وقرا ابو جعفر بكسرها لان الوحي قول قال البغوي وهي القايمة مقام الفاعل على سبيل الحكاية كانه قيل ما يوحى الي الا هذه الجملة المتضمنة لهذا الاخبار وقال الزمخشري على الحكاية اي الا هذا القول وهو ان اقول لكم انما انا نذير مبين ولا ادعي شيا اخر قال ابو حيان وفي تخريجه تعارض لانه قال الا هذا القول فظاهره الجملة التي هي انما انا نذير مبين ثم قال وهو ان اقول لكم اني نذير فالمقام مقام الفاعل هو ان اقول لكم واني وما بعده في موضع نصب وعلى قوله الا هذا القول يكون في موضع رفع فتعارضا قال شهاب الدين ولا تعارض البتة لانه تفسير معنى في التقدير الثاني وفي الاول تفسير اعراب فلا تعارض **قوله** اذ قال يجوز ان يكون بدلا من اذ الاولى وان يكون منصوبا باذكر مقدرا قاله الاول الزمخشري والطبري والثاني ابو البقا والحوفي وفصل ابو حيان فقال بدل من اذ يختصمون هذا اذا كانت الخصومة في شان من يستخلف في الارض وعلى غيره من الاقوال يكون منصوبا باذكر انتهى قال شهاب الدين وتلك الاقوال ان التخاصم اما بين الملا الاعلى او بين قريش وفيما اذا كان المخاصمة خلاف **قوله** من طين يجوز ان يتعلق بمحذوف صفة لبشر وان يتعلق بنفس خالق **فصل** اعلم ان المقصود من ذكر هذه القصة المنع من الحسد والكبر لان ابليس انما وقع فيما وقع فيه بسبب الحسد والكبر والكفار انما نازعوا محمدا صلى الله عليه وسلم بسبب الحسد والكبر فذكر الله تعالى هذه القصة هاهنا ليصير سماعها زاجرا لهم عن هاتين الخصلتين المذمومتين والمراد بالبشر هاهنا ادم عليه السلام **قوله** فاذا سويته اتممت خلقته ونفخت فيه من روحي فاضاف الروح الى نفسه وذلك يدل على انه جوهر شريف علوي قدسي والفا في قوله فقعوا له ساجدين يدل على انه كما تم نفخ الروح في الجسد توجه امر الله عليهم بالسجود وقد تقدم الكلام في الملائكة المامورين بالسجود هل هم ملائكة الارض او يدخل فيه ملائكة السموات مثل جبريل وميكائيل والروح الاعظم المذكور في قوله يوم يقوم الروح والملائكة صفا وقال بعض الصوفية الملائكة الذين امروا بالسجود لادم هم القوى النامية والحيوانية الحسية والحركية فانها في بدن الانسان خول لدم النفس الناطقة وابليس الذي لم يسجد هو القوى الوهمية التي هي المنازعة لجوهر العقل **قوله** كلهم اجمعون تاكيدان وقال الزمخشري كل للاحاطة

واجمعون للاجماع فانا دامعنا انهم سجدوا واعن اخرهم ما بقي منهم ملك الا سجد وانهم سجدوا جميعا
في وقت واحد غير متفرقين وقد تقدم الكلام معه في ذلك في سورة الحجر **قوله** ان تسجد قد
يستدل به من يرى ان لا في ان لا تسجد في السورة الاخرى زائدة حيث سقطت هنا والقضية
واحدة وقوله لما خلقت قد يستدل به من يرى جواز وقوع ما على العاقل لان المراد به ادم وقيل
لا دليل فيه لانه كان فخارا غير حساس فاشير اليه في تلك الحالة وعن البعض يشير لان هذا الخطاب
انما كان بعد نفخ الروح فيه لقوله فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فلما
امتنع من السجود قال ما منعك ان لا تسجد لما خلقت وقيل ما مصدرية والمصدر بمعنى المراد فيكون
واقعا موقع المفعول به اي لمخلوقي وقرا الجحدري لما بالتشديد بفتح اللام وهي لما الظرفية عند
الفارسي وحرف وجوب لوجوب عند سيبويه والسجود لمتعلقه هنا محذوف اي ما منعك من السجود
لما خلقت اي حين خلقت لمن امرتك بالسجود له وقرى بيدي بكسر الياء كقراءة حمزة بمصرخي وتقدم
ما فيها وقرى بيدي بالافراد **قوله** استكبرت قرا العامة بهمزة الاستفهام وهو استفهام
توبيخ وانكار وام متصلة هنا هذا قول جمهور النحويين ونقل ابن عطية عن بعض النحويين انها لا
تكون معادلة للالف مع اختلاف الفعلين انما تكون معادلة اذا دخلتا على فعل واحد كقولك
اقام زيد ام عمرو وازيد قام ام عمرو واذا اختلف الفعلان كهذه الاية فليست معادلة وهذا
الذي حكاه عن بعض النحاة مذهب فاسد بل جمهور النحاة على خلافه قال سيبويه وتقول اضربت
زيدا ام قتلته فالبدء هنا بالفعل احسن لانك انما تسال عن احدهما لا تدري ايهما كان ولا تسال عن موضع
احدهما كانك قلت اي ذلك كان انتهى فعادل بالالف مع اختلاف الفعلين وقرا جماعة منهم ابن
كثير وليست مشهورة عنه استكبرت بالف الوصل فاحتملت وجهين احدهما ان يكون الاستفهام
مرادا ويدل عليه ام كقوله: بسبع رمين الجمر ام بثمان :. وقوله: تروح من الحي ام تبتكر: فتتفق
القراءتان في المعنى ويحتمل ان يكون خبرا محضا وعلى هذا فام منقطعة لعدم شرطها **فصل**
المعنى استكبرت الآن ام كنت من المتكبرين ابدا اي من القوم الذين يتكبرون فتكبرت عن السجود
لكونك منهم فاجاب ابليس بقوله انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين فبين كونه خيرا
منه بان اصله من النار واصل ادم من الطين والنار اشرف من الطين والدليل على ان النار افضل
من الطين ان الاجرام الفلكية افضل من الاجرام العنصرية والنار اقرب العناصر من الفلك والارض
ابعدها عنه فوجب كون النار افضل من الارض وايضا فالنار خليفة الشمس والقمر في اضاءة
العالم عند غيبتهما والشمس والقمر اشرف من الارض فخليفتهما في الاضاءة افضل من الارض وايضا
فالكيفية الفاعلة الاصلية اما الحرارة او البرودة والحرارة افضل من البرودة لان الحرارة
تناسب الحياة والبرودة تناسب الموت وايضا فالنار لطيفة والارض كثيفة واللطافة اشرف
من الكثافة وايضا فالنار مشرقة والارض مظلمة والنور خير من الظلمة وايضا فالنار خفيفة تشبه
الروح والارض ثقيلة تشبه الجسد والروح افضل من الجسد فالنار افضل من الارض وذهب
اخرون الى تفضيل الارض على النار وقالوا الارض امين مصلح فاذا اودعته حبة ردها اليك شجرة
مثمرة والنار خائن مفسد لكل ما سلمته اليه وايضا فالنار بمنزلة الخادم لما في الارض فاذا احتيج اليها
استدعيت استدعاء الخادم وان استغني عنها طردت وايضا فالارض مستولية على النار فانها
تطفي النار وايضا فان الاستدلال ابليس بكون اصله خيرا من اصله فهو استدلال فاسد لان اصل
الرماد النار واصل البساتين المزهرة والاشجار المثمرة هو الطين ومعلوم بالضرورة ان الاشجار
المثمرة خير من الرماد وايضا هب ان اعتبار هذه الجهة يوجب الفضيلة الا ان هذا يمكن ان يعارض
بجهة اخرى يوجب الرجحان مثل انسان نسيب عاري عن كل الفضايل فان نسبه يوجب رجحانه الا

ان

ان الذي لا يكون نسيبا قد يكون كثير العلم والزهد فيكون افضل من النسيب بدرجات لا تحد
لها تكذبت مقدمة ابليس **فان قيل** هب ان ابليس اخطا في هذا القياس لكن كيف لزمه
الكفر في تلك المخالفة وتقرير هذا السؤال من وجوه الاول ان قوله اسجدوا امر والامر لا يقتضي
الوجوب بل الندب ومخالفة الندب لا تقتضي العصيان فضلا عن الكفر وايضا فالذين يقولون
ان الامر للوجوب فهم لا ينكرون كونه محتملا للندب احتمالا ظاهرا ومع قيام هذا الاحتمال
الظاهر كيف يلزم العصيان فضلا عن الكفر الثاني هب انها للوجوب الا ان ابليس ما كان
من الملائكة فامر الملائكة بالسجود لادم لا يدخل فيه ابليس الثالث هب انه تناوله الا ان
تخصيص العام بالقياس جائز فجاز ان يخصص نفسه من عموم ذلك الامر بالقياس الرابع هب
انه لم يسجد مع علمه بانه كان مامورا به الا ان هذا القدر يوجب العصيان ولا يوجب الكفر
فكيف لزمه الكفر فالجواب هب ان صيغة الامر لا تدل على الوجوب ولكن جاز ان ينضم اليها
من القراين ما يدل على الوجوب وههنا حصلت تلك القراين وهي قوله تعالى استكبرت ام كنت
من العالين فلما اتى ابليس بقياسه الفاسد دل ذلك على انه انما ذكر القياس ليتوسل به الى القدح
في امر الله وتكليفه وذلك يوجب الكفر والذي يقرر هذا فنقول ان ابليس لما ذكر هذا القياس
الفاسد قال تعالى اخرج منها فانك رجيم وقد تقرر في اصول الفقه ان ذكر الحكم عقيب
الوصف المناسب يدل على كون ذلك الحكم معللا بذلك الوصف وههنا الحكم بكونه رجيما ورد
عقيب ما حكي عنه انه خصص النص بالقياس فهذا يدل على ان تخصيص النص بالقياس يوجب
هذا الحكم **قوله** منها اي من الجنة او من الخلقة لانه كان حسنا فرجع قبيحا وكان نورانيا
فعاد مظلما وقيل من السموات وقال هنا لعنتي وفي غيرها اللعنة وهما وان كانا في اللفظ عاما
وخاصا الا انهما من حيث المعنى عامان بطريق اللازم لان من كانت عليه لعنة الله كانت عليه
لعنة كل احد لا محالة وقال تعالى اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين وباقي الجمل
تقدم نظيرها **فصل** الرجيم المرجوم والرجم ههنا عبارة عن الطرد لان الظاهر ان من طرد
فقد يرمى بالحجارة وهو الرجم فلما كان الرجم من لوازم الطرد جعل الرجم كناية عن الطرد **فان
قيل** الطرد هو اللعن فلو حملنا قوله رجيم على الطرد لكان قوله بعده وان عليك
لعنتي تكرارا فالجواب من وجهين الاول ان يحمل الرجم على الطرد من الجنة ومن السموات ويحمل
اللعن على الطرد من رحمة الله الثاني ان يحمل الرجم على الطرد ويحمل قوله عليك لعنتي الى يوم
الدين على ان الطرد الى يوم القيامة فيكون هذا غاية ولا يكون تكرارا وقيل المراد بالرجم
كون الشياطين مرجومين بالشهب **فان قيل** كلمة الى لانتهاء الغاية بقوله الى يوم الدين
يقتضي انقطاع تلك اللعنة عند مجي يوم الدين واجاب الزمخشري بان اللعنة باقية عليه في الدنيا
فاذا جاء يوم القيامة حصل مع اللعنة انواع من العذاب تصير اللعنة مع حصرها منسية واعلم
ان ابليس لما صار ملعونا قال رب فانظرني الى يوم يبعثون قيل انما طلب الانظار الى يوم
البعث لاجل ان يتخلص من الموت لانه اذا انظر الى يوم البعث وعند مجي البعث لا يموت فحينئذ
يتخلص من الموت فقال تعالى انك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم اي انك من المنظرين الى
يوم يعلمه الله ولا يعلمه احد سواه فقال ابليس فبعزتك وهو قسم بعزة الله وسلطانه لاغوينهم
اجمعين فههنا اضاف الاغواء الى نفسه على مذهب القدر وقال مرة اخرى رب بما اغويتني
فاضاف الاغواء الى الله على ما هو مذهب الجبر ثم قال الا عبادك منهم المخلصين قيل ان غرض
ابليس من هذا الاستثناء ان لا يقع في كلامه الكذب لانه لو لم يذكر هذا الاستثناء وادعى انه يغوي
الكل لظهر كذبه حين يعجز عن اغواء عباد الله المخلصين وعند هذا يقال ان الكذب شي يستنكف

منه ابليس فكيف يليق بالمسلم وهذا يدل على ان ابليس لا يغوي عباد الله المخلصين وقد قال تعالى
في صفة يوسف عليه السلام انه من عبادنا المخلصين فتحصل من مجموع الايتين ان ابليس ما اغوى يوسف
عليه السلام فدل على كذب الحشوية فيما نسبوه الى يوسف عليه السلام من القبائح **قوله** فالحق
والحق قرا ما العامة منصوبين وفي نصب الاول اوجه احدها انه مقسم به حذف منه حرف
القسم فانتصب كقوله فذاك امانة الله الثريد وقوله لاملان جواب القسم قال ابو البقا
الا ان سيبويه يدفعه لانه لا يجوز حذف حرف القسم الا مع اسم الله ويكون قوله والحق اقول
معترضا بين القسم وجوابه قال الزمخشري كانه قيل ولا اقول الا الحق يعني ان تقدم المفعول افاد
الحصر والمراد بالحق اما الباري تعالى كقوله ويعلمون ان الله هو الحق المبين واما نقيض الباطل
والثاني انه منصوب على الاغراء اي الزموا الحق والثالث انه مصدر موكد لمضمون قوله لاملان
قال الفرا هو على معنى قولك حقا لا شك ووجود الالف واللام وطرحهما سواء اي لاملان جهنم حقا
انتهى وهذا لا يجيء على قول البصريين فان شرط نصب المصدر المؤكد لمضمون الجملة ان يكون بعد
جملة ابتدائية جزآها معرفتان جامدان جمودا محضا وجوز ابن العلج ان يكون الخبر نكرة وايضا
فان المصدر المؤكد لا يجوز تقديمه على الجملة المؤكد هو لمضمونها وهذا قد تقدم واما الثاني
فمنصوب باقول بعده والجملة معترضة كما تقدم وجوز الزمخشري ان يكون منصوبا على التكرير بمعنى
ان الاول والثاني كليهما منصوبان باقول وسياتي ايضاح ذلك في عبارته وقرا عاصم وحمزة
برفع الاول ونصب الثاني فرفع الاول من اوجه احدها انه مبتدا وخبره مضمر تقديره
فالحق مني او فالحق انا الثاني انه مبتدا خبره لاملان قاله ابن عطية قال لان المعنى ان املا قال
ابو حيان وهذا ليس بشيء لان لاملان جواب قسم ويجب ان يكون جملة فلا يتقدر بمفرد وايضا
ليس مصدرا مقدرا بحرف مصدري والفعل حتى ينحل اليهما ولكنه لما صح له اسناد ما قدر والى
المبتدا حكم انه خبر عنه قال شهاب الدين وتاويل ابن عطية صحيح من حيث المعنى لا من حيث
الصناعة الثالث انه مبتدا خبره مضمر تقديره فالحق قسمي ولاملان جواب القسم كقوله لعمرك
انهم لفي سكرتهم يعمهون ولكن حذف الخبر هنا ليس بواجب لانه ليس نصا في اليمين بخلاف لعمرك
ومثله قول امرئ القيس فقلت يمين الله ابرح قاعدا ولو قطعوا راسي لديك واوصالي واما
نصب الثاني فبالفعل بعده اي وانا اقول الحق وقرا ابن عباس ومجاهد والاعمش برفعهما فرفع الاول
على ما تقدم ورفع الثاني بالابتدا وخبره الجملة بعده والعائد محذوف كقوله تعالى في قراة
ابن عامر وكل وعد الله الحسنى وقول ابي النجم قد اصبحت ام الخيار تدعي علي ذنبا كله لم اصنع
ويجوز ان يرتفع على التكرير عند الزمخشري وسياتي وقرا الحسن وعيسى بجرهما وتخريجها على ان الاول
مجرور بواو القسم مقدرة اي فوالحق والحق عطف عليه كقولك والله والله لاقومن وافقوله اعتراض
بين القسم وجوابه ويجوز ان يكون مجرورا على الحكاية وهو منصوب المحل بالقول بعده قال الزمخشري
ومجرورين اي وقريا مجرورين على ان الاول مقسم به قد اضمر حرف قسمه كقولك الله لافعلن
والحق اقول اي ولا اقول الا الحق على حكاية لفظ المقسم به ومعناه التوكيد والتشديد وهذا الوجه
جائز في المرفوع والمنصوب ايضا وهو وجه حسن دقيق انتهى يعني انه اعمل القول في قوله والحق على
سبيل الحكاية فيكون منصوبا باقول سوا نصب او رفع او جر كانه قيل واقول هذا اللفظ المتقدم
مقيدا بما لفظ به اولا **فصل** معنى لاملان جهنم منك اي من جنسك وهم الشياطين وممن
تبعك منهم من ذرية ادم **قوله** اجمعين فيه وجهان اظهرهما انه توكيد للضمير في منك ولمن
عطف عليه في قوله وممن تبعك والمعنى لاملان جهنم من المتبوعين والتابعين لا اترك منهم احدا واكد
باجمعين دون كل وقد تقدم ان الاكثر خلافه وجوز الزمخشري ان يكون تاكيدا للضمير في منهم

خاصة

خاصة فتقدير لاملان جهنم من الشياطين وممن تبعهم من جميع الناس لا تفاوت في ذلك بين ناس
وناس **قوله** قل ما اسالكم عليه اي على تبليغ الرسالة من اجر جعل فقوله عليه متعلق باسالكم
لا بالاجر لانه مصدر وجوزوا ان يكون حالا منه والضمير اما للقران واما للوحي واما للدعا الى الله
قوله وما انا من المتكلفين المتقولين القران من تلقا نفسي وكل من قال شيا من تلقا نفسه
فقد تكلف له وقيل معناه ان هذا الدين الذي ادعوكم اليه ليس يحتاج في معرفة صحته الى التكليفات
الكثيرة بل هو دين يشهد صريح العقل بصحته **قوله** ان هو ما هو يعني القران الا ذكر موعظة
للعالمين اي للخلق اجمعين ولتعلمن جواب قسم مقدر ومعناه لتعرفن نباه انتم يا كفار نباه خبر
صدقه بعد حين قال ابن عباس وقتادة بعد الموت وقال عكرمة يعني يوم القيامة وقال
الكلبي من بقي علم ذلك اذا ظهر امره وعلا ومن مات علمه بعد الموت قال الحسن ابن ادم عند الموت
ياتيك الخبر اليقين روى الثعلبي في تفسيره ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة ص اعطي
من الاجر بعدد كل جبل سخره الله لداود عليه السلام عشر حسنات وعصمه ان يصر على ذنب صغير
او كبير وقال ابو امامة عصمه الله من كل ذنب صغيرا او كبيرا والله اعلم

سورة الزمر مكية

الا قوله يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الاية وهي خمس وسبعون اية والف
ومائة واثنتان وتسعون كلمة واربعة الاف وسبع مائة وثمانية احرف بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم في تنزيل وجهان احدهما انه خبر مبتدا
مضمر تقديره هذا تنزيل وقال ابو حيان واقول انه خبر والمبتدا هو ليعود على قوله ان هو الا
ذكر للعالمين كانه قيل وهذا الذكر ما هو فقيل هو تنزيل الكتاب الثاني انه مبتدا والجار بعده خبره
اي تنزيل الكتاب كاين من الله واليه ذهب الزجاج والفرا قال بعضهم هذا اولى من الاول لان الاضمار
خلاف الاصل فلا يصار اليه الا لضرورة وايضا فانا اذا قلنا تنزيل الكتاب من الله جملة تامة من المبتدا
والخبر افادت فائدة شريفة وهي تنزيل الكتاب يكون من الله لا من غيره وهذا الحصر معنى معتبر واذا
اضمرنا المبتدا لم يحصل هذه الفائدة وايضا فانا اذا اضمرنا المبتدا صار التقدير هذا تنزيل الكتاب
وحينئذ يلزم مجاز اخر لان هذا اشارة الى السورة وهي ليست نفس التنزيل بل السورة منزلة وحينئذ
يحتاج الى ان تقول المراد منه المفعول وهو مجاز تحملناه لا لضرورة **قوله** من الله يجوز فيه اوجه
احدها انه مرفوع المحل خبر التنزيل كما تقدم الثاني انه خبر بعد خبر اذا جعلنا تنزيل خبر مبتدا
مضمر كقولك هذا زيد من اهل العراق الثالث انه خبر مبتدا مضمر اي هذا تنزيل هذا من الله الرابع
انه متعلق بنفس تنزيل اذا جعلناه خبر مبتدا مضمر الخامس انه متعلق بمحذوف على انه حال من
تنزيل عمل فيه اسم الاشارة المقدر قاله الزمخشري قال ابو حيان ولا يجوز ان يكون حالا عمل فيه معنى
الاشارة لان معاني الافعال لا تعمل الا اذا كان ما هي فيه محذوفا ولذلك ردوا على ابي العباس
قوله في بيت الفرزدق واذ ما مثلهم بشر ان مثلهم منصوب بالخبر المحذوف وهو مقدر واذ ما في
الوجود في حال مماثلتهم بشر الساد من انه حال من الكتاب قاله ابو البقا وجاز مجي الحال من المضاف اليه
لكونه مفعولا للمضاف فان المضاف مصدر لمفعوله والعامة على رفع تنزيل على ما تقدم وقرا زيد
ابن علي وعيسى وابن ابي عبلة بنصبه باضمار فعل تقديره الزم او اقرا ونحوهما **فصل**
احتج القايلون بخلق القران بان الله تعالى وصف القران بكونه تنزيلا ومنزلا وهذا الوصف لا يليق
الا بالمحدث المخلوق قال ابن الخطيب والجواب انا نحمل هذه اللفظة على الصيغ والحروف **قوله**
العزيز الحكيم فالعزيز هو القادر الذي لا يغلب والحكيم هو الذي يفعل لداعية الحكمة وهذا انما يتم
اذا كان عالما بجميع المعلومات غنيا عن جميع الحاجات **قوله** انا انزلنا اليك الكتاب بالحق اعلم
ان لفظ تنزيل يشعر بانه تعالى انزله نجما نجما على سبيل التدريج ولفظ الانزال يشعر بانه تعالى انزله

مضاف

دفعة واحدة وطريق الجمع ان يقال انا حكمنا حكما كليا بان نوصل اليك هذا الكتاب وهذا هو
الانزال ثم اوصلناه اليك نجما نجما على وفق المصالح **قوله** بالحق يجوز ان يتعلق بالانزال اي بسبب
الحق وان يتعلق بمحذوف على انه حال من الفاعل او المفعول وهو الكتاب اي ملتبسين بالحق او ملتبسا
بالحق والصدق والصواب والمعنى كل ما فيه من اثبات التوحيد والنبوة والمعاد وانواع التكاليف
فهو حق يجب العمل به وفي قوله انا انزلنا اليك الكتاب تكرير لتعظيم بسبب ابرازه في جملة اخرى
مضمنا فا انزاله الى المعظم نفسه **قوله** فاعبد الله مخلصا لما بين ان هذا الكتاب مشتمل على الحق
والصدق اردفه ببيان بعض ما فيه من الحق والصدق وهو ان يشتغل الانسان بعبادة الله
على سبيل الاخلاص فقال فاعبد الله مخلصا له الدين فقوله مخلصا حال من فاعل اعبد
والدين منصوب باسم الفاعل والفاء في فاعبد للربط كقولك احسن اليك فلان فاشكره
والعامة على نصب الدين وقرا ابن ابي عبلة برفعه وفيه وجهان احدهما انه مرفوع بالفاعلية
رافعه مخلصا وعلى هذا فلا بد من تجوز واضمار واما التجوز فاسناد الاخلاص للدين وهو لصاحبه
في الحقيقة ونظيره قولهم شعر شاعر واما الاضمار فهو اضمار عايد على ذي الحال اي مخلصا له الدين
منك هذا راي البصريين في مثل هذا واما الكوفيون فيجوزون ان يكون عندهم العوض من الضمير
اي مخلصا دينك قال الزمخشري وحق لمن رفعه ان يقرا مخلصا بفتح اللام لقوله تعالى
واخلصوا دينهم لله حتى يطابق قوله الا لله الدين الخالص والخالص والمخلص واحد الا ان يصف
الدين بصفة صاحبه على الاسناد المجازي كقولهم شعر شاعر والثاني ان يتم الكلام على مخلصا
وهو حال من فاعل فاعبد ولله الدين مبتدا وخبر وهذا قول الفراء وقد رده الزمخشري وقال فقد
جاء باعراب رجع به الكلام الى قولك لله الدين الا لله الدين الخالص قال شهاب الدين وهذا
ذكره الزمخشري لا يظهر فيه رد على هذا الاعراب **فصل** المراد باخلاص الدين الطاعة
الا لله الدين الخالص قال قتادة شهادة ان لا اله الا الله واعلم ان العبادة فعل او قول
او ترك فعل وترك قول يؤتى به لمجرد اعتقاد ان الامر به عظيم يجب الانقياد له واما الاخلاص
فهو ان يكون الداعي الى الاتيان بذلك الفعل او الترك مجرد الانقياد والامتثال واحتج قتادة
بما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا اله الا الله حصني ومن دخل حصني امن عذابي وهذا
قول من يقول لا تضر المعصية مع الايمان كما لا ينفع بالطاعة مع الكفر وقال الاكثرون الاية
متناولة لكل ما كلف الله به من الاوامر والنواهي لان قوله فاعبد الله عام وروي ان امراة
الفرزدق لما قربت وفاتها اوصت ان يصلي الحسن البصري عليها فلما دفنت قال الحسن للفرزدق
يا ابا فراس ما الذي اعددت لهذا الامر قال شهادة ان لا اله الا الله قال الحسن
هذا العمود فاين الطنب فبين بهذا اللفظ الوجيز ان عمود الخيمة لا ينتفع به الا مع الطنب
حتى يمكن الانتفاع بالخيمة قال القاضي فاما ما يروى انه صلى الله عليه وسلم قال
لمعاذ وابي الدرداء وان زنا وان سرق على رغم انف ابي الدرداء فان صح فانه يجب ان
يحمل عليه بشرط التوبة والا لم يجز قبول هذا الخبر لانه مخالف للقران ولانه يوجب ان لا يكون
الانسان مزجورا عن الزنا والسرقة ويكون اغراء بفعل القبيح وذلك ينافي حكمة الله وهذا
يدل على ان اعتقاد فعل القبيح لا يضر مع التمسك بالشهادتين هذا تمام قول القاضي قال
ابن الخطيب فيقال له اما قولك ان القول بالمغفرة مخالف للقران فليس كذلك بل القران يدل
عليه قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال وان ربك
لذو مغفرة للناس على ظلمهم كما يقال رايت الامير على اكله وشربه اي حين كونه آكلا وشاربا
وقال يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا واما

قوله

قوله ان ذلك يوجب الاغراء بالقبيح فيقال له ان كان الامر كذلك وجب ان يقبح غفرانه عقلا
وهذا مذهب البغدادي من المعتزلة وانت لا تقول به لان مذهب البصريين غفران الذنب
جائز عقلا وايضا فيلزم عليه ان لا يحصل الغفران بالتوبة لانه اذا علم انه اذا اذنب ثم تاب غفر
الله له لم ينزجر واما الفرق الذي ذكره القاضي فبعيد لانه اذا عزم على انه يتوب عنه في الحال
علم انه لا يضره ذلك الذنب البتة ثم نقول مذهبنا انه يقطع بحصول العفو عن الكباير في الجملة الا
انه تعالى لم يقطع بحصول هذا الغفران في حق كل احد بل في حق من يشاء واذا كان الامر كذلك كان
الخوف حاصلا والله اعلم **قوله** والذين اتخذوا يجوز فيه اوجه احدها ان يكون الذين مبتدا
وخبره قول مضمر حذف وبقي معموله وهو قوله ما نعبدهم والتقدير يقولون ما نعبدهم
الثاني ان يكون الخبر قوله ان الله يحكم ويكون ذلك القول المضمر في محل نصب على الحال اي
والذين اتخذوا قائلين كذا ان الله يحكم بينهم الثالث ان يكون القول المضمر بدلا من الصلة التي هي
اتخذوا والتقدير والذين اتخذوا قالوا ما نعبدهم والخبر ايضا ان الله يحكم بينهم والذين في
هذه الاقوال عبارة عن المشركين المتخذين غيرهم اولياء الرابع ان يكون الذين عبارة عن الملائكة
وما عبد من دون الله كعزير واللات والعزى ويكون فاعل اتخذ عايدا على المشركين ومفعول
الاتخاذ الاول محذوف هو عايد الموصول والمفعول الثاني هو اولياء والتقدير والذين اتخذهم
المشركون اولياء ثم لك في خبر هذا المبتدا وجهان احدهما القول المضمر والتقدير والذين اتخذهم
المشركون اولياء يقول فيهم المشركون ما نعبدهم الا والثاني ان الخبر هو الجملة من قوله ان الله يحكم بينهم
وقرئ ما نعبدهم بضم النون اتباعا للباء ولا يعتد بالساكن **قوله** زلفى مصدر مؤكد
على غير الصدر ولكنه ملاق لعامله في المعنى والتقدير ليزلفونا زلفى او ليقربونا قربى وجوز
ابو البقاء ان يكون حالا مؤكدة **فصل** والذين اتخذوا من دونه اي من دون الله
اولياء يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله وهذا الضمير عايد الى الاشياء التي عبدت وهذا
الكلام في نعبدهم ضمير العقلاء فيحمل على المسيح وعزير والملائكة لكي يشفعوا لهم عند الله ويمكن
ان يحمل على الاصنام وايضا لان العاقل لا يعبد الصنم من حيث انه خشب او حجر وانما يعبده
لاعتقادهم انها تماثيل الكواكب او تماثيل الارواح السماوية او تماثيل الملائكة او تماثيل
الصالحين الذين مضوا ويكون مقصودهم من عبادتها توجيه تلك العبادات الى اصحاب تلك
الصور ولما حكى الله تعالى مذاهبهم اجاب عنها من وجوه الاول انه اقتصر في الجواب على مجرد
القول فقال ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون واعلم ان المبطل اذا ذكر مذهبا باطلا
واصر عليه فعلاجه ان يحتال بحيلة توجب زوال الاصرار عن قلبه فاذا زال الاصرار عن قلبه
فبعد ذلك لا بد ذكر له الدليل الدال على بطلانه فيكون هذا الطريق افضى الى المقصود كما تقول
الاطباء لا بد من تقديم المنضج على سقي المسهل فان تناول المنضج يصير المواد الفاسدة رخوة قابلة
للزوال فاذا سقي المسهل بعد ذلك حصل النقاء التام فكذلك ههنا اسماع التهديد والتخويف
اولا يجري مجرى سقي المنضج اولا واسماع الدليل ثانيا يجري مجرى سقي المسهل ثانيا فهذا هو الفائدة
في تقديم هذا التهديد ثم قال تعالى ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار اي من اصر على الكذب
والكفر بقي محروما من الهداية والمراد بهذا الكذب وصفهم للاصنام بانها آلهة مستحقة للعبادة
مع علمهم بانها جمادات خسيسة ويحتمل ان يكون المراد بالكفار كفران النعمة لان العبادة نهاية
التعظيم وذلك لا يليق الا بمن يصدر عنه غاية الانعام وهو الله تعالى والاوثان لا مدخل لها في الانعام
فعبادتها توجب كفران نعمة المنعم الحق **قوله** كاذب كفار قرا الحسن والاعرج وتروى عن انس كذاب
كفار وزيد بن علي كذوب كفور **قوله** لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء

يعني الملائكة كما قال لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ثم نزه نفسه فقال سبحانه تنزيها له عن
ذلك وعما لا يليق بطهارته هو الله الواحد القهار والمراد من هذا الكلام اقامة الدلايل القاهرة
على كونه منزها عن الولد **قوله تعالى** خلق السموات والارض بالحق لما بين في الاية المتقدمة
كونه منزها عن الولد بكونه الها واحدا قهارا اي كامل القدرة ذكر عقيبها ما يدل على الاستغنا وايضا
لما ابطل الهية الاصنام ذكر عقيبها الصفات التي باعتبارها تحصل الالهية وقد تقدم ان الدلايل
التي يذكرها الله تعالى في اثبات الالهية اما ان تكون فلكية او ارضية اما الفلكية فاقسام احدها
خلق السموات والارض وقد تقدم شرحها في تفسير قوله تعالى الحمد لله الذي خلق السموات والارض
وثانيها اختلاف احوال الليل والنهار وهو المراد هاهنا من **قوله** يكور الليل على النهار في هذه
الجملة وجهان اظهرهما انها مستانفة اخبر تعالى بذلك والثاني انها حال قاله ابو البقا وفيه
ضعف من حيث ان تكوير احدهما على الاخر انما كان بعد خلق السموات والارض الا ان يقال هي
حال مقدرة وهو خلاف الاصل **والتكوير** اللف واللي يقال كار العمامة على راسه
وكورها ومعنى تكوير الليل على النهار وتكوير النهار على الليل على هذا المعنى ان الليل والنهار خلفة
يذهب هذا ويغشى مكانه هذا واذا غشي مكانه فكانما البس عليه والبسه كما يلف اللباس على
اللابس او ان كل واحد منهما يغيب الاخر اذا طرا عليه فشبه في تغييبه اياه بشي ظاهر
لف عليه ما غيبه عن مطامح الابصار او ان هذا يكر على هذا كرورا متتابعا فشبه ذلك
بتتابع اكوار العمامة بعضها على بعض قاله الزمخشري وهو اوفق للاشتقاق من اشيا قد
ذكرت وقال الراغب كور الشي ادارته وضم بعضه الى بعض ككور العمامة وقوله يكور
الليل على النهار اشارة الى جريان الشمس في مطالعها وانتقاص الليل والنهار وازديادهما وكوره
اذا القاه مجتمعا واكتار الفرس اذا ادار ذنبه في عدوه واكواره النحل جماعته والكور الرحل وقيل
لكل مصر كوره وهي البقعة التي يجتمع فيها قرى ومحال قال ابن الخطيب ان النور والظلمة عسكران
عظيمان وفي كل يوم يغلب هذا ذاك وذاك هذا وذلك يدل على ان كل واحد منهما مغلوبا
مقهورا ولا بد من غالب قاهر لهما يكونان تحت تدبيره وقهره وهو الله تعالى والمراد من هذا
التكوير انه يزيد في كل واحد منهما بقدر ما ينقص من الاخر والمراد من تكوير الليل والنهار
ما ورد في الحديث نعوذ بالله من الحور بعد الكور اي من النقصان بعد الزيادة وقيل من
الادبار بعد الاقبال **قوله** وسخر الشمس والقمر فان الشمس سلطان النهار والقمر سلطان
الليل واكثر مصالح هذا العالم مربوطة بهما كل يجري لاجل مسمى اي الى يوم القيمة لا يزالان يجريان
الى هذا اليوم فاذا كان يوم القيمة ذهبا والمراد من هذا التسخير ان هذه الافلاك تدور
كدوران المنجنون على حد واحد ثم قال الا هو العزيز الغفار ومعناه ان خلق هذه الاجرام
العظيمة وان دل على كونه عزيزا اي كامل القدرة الا انه غفار عظيم الرحمة والفضل والاحسان
فانه لما كان الاخبار عن كونه عظيم القدرة يوجب الخوف والرهبة فكونه غفارا كثير الرحمة يوجب
الرجا والرغبة ثم انه تعالى لما ذكر الدلايل الفلكية اتبعها بذكر الدلايل السفلية فبدا بذكر
الانسان فقال خلقكم من نفس واحدة يعني ادم **قوله** ثم جعل منها في ثم هذه اوجه احدها
انها على بابها من الترتيب بمهلة وذلك انه يروى انه تعالى اخرجنا من ظهر ادم كالذر ثم خلق
حوى بعد ذلك بزمان الثاني انها على بابها ايضا ولكن لمدرك اخر وهو ان يعطف بها ما بعدها
على ما فهم من الصفة في قوله واحدة اذ التقدير من نفس وحدت اي انفردت ثم جعل منها زوجها
الثالث انها للترتيب في الاخبار لا في الزمان الوجودي كانه قيل كان من امرها قبل ذلك
ان جعل منها زوجها الرابع انها للترتيب في الاحوال والرتب قال الزمخشري فان قلت ما

وجه قوله ثم جعل منها زوجها وما تعطيه من التراخي قلت هما ايتان من جملة الايات التي عددها
دالا على وحدانيته وقدرته بتشعيب هذا الخلق الفايت للحصر من نفس ادم عليه السلام وخلق
حوى من قصيراه الا ان احديهما جعلها الله عادة مستمرة والاخرى لم تجر بها العادة ولم يخلق انثى
غير حوى من قصيرى رجل فكانت ادخل في كونها اية واجلب لعجب السامع فعطفها بثم على الاية
الاولى للدلالة على مباينتها فضلا ومزية وتراخيها عنها فيما يرجع الى زيادة كونها اية فهي من التراخي
في الحال والمنزلة لا من التراخي في الوجود قال ابن الخطيب ان كلمة ثم كما تجي لبيان كون احدى
الواقعتين متاخرة عن الثانية فكذلك تجي لبيان تاخر احد الكلامين عن الاخر كقول القايل
بلغني ما صنعت اليوم ثم ما صنعت امس اعجب واعطيتك اليوم شيا ثم الذي اعطيتك امس اكثر
قوله وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج عطف على خلقكم والانزال يحتمل الحقيقة يروى انه
خلقها في الجنة ثم انزلها ويحتمل المجاز وله وجهان احدهما ان الانعام لما لم تعش الا بالنبات والنبات
انما يعيش بالما والما ينزل من السحاب اطلق الانزال عليها وهو في الحقيقة مطلق على سبب السبب
كقوله اسنمة الابال في ربابه وقوله صار الثريد في رووس العيدان وقوله
اذا نزل السما بارض قوم رعيناه وان كانوا غضابا والثاني ان قضاياه واحكامه منزلة
من السما من حيث كتبها في اللوح المحفوظ وهو ايضا سبب في ايجادها وقال البغوي معنى
الانزال هاهنا الاحداث والانشا كقوله انزلنا عليكم لباسا وقيل معناه انزل لكم من الانعام
جعلها نزلا لكم ورزقا ومعنى ثمانية ازواج اي ثمانية اصناف وهي الابل والبقر والضان والمعز
وتقدم تفسيرها في سورة الانعام **قوله** يخلقكم هذه الجملة استينافية ولا حاجة الى جعلها
خبر مبتدا مضمر بل استونفت للاخبار بجملة فعلية وقد تقدم خلاف القرا في كسر الهمزة وفتحها
وكذا الميم في امهاتكم **قوله** خلقا مصدر يخلق وقوله من بعد خلق صفة له فهو لبيان النوع
من حيث انه لما وصف زاد معناه على معنى عامله ويجوز ان يتعلق من بعد خلق بالفعل قبله
ولا يجوز تعلقه بخلقا المنصوب لانه مصدر موكد وان كان ابو البقا جوزه ثم منعه بما ذكرت
فانه قال وفي تتعلق به اي بخلقا او بيخلق الثاني لان الاول موكد فلا يعمل ولا يجوز تعلقه
بالفعل قبله لانه قد تعلق به حرف مثله ولا يتعلق حرفان متحدان لفظا ومعنى الا بالبدلية
او العطف فان جعلت في ظلمات بدلا من في بطون امهاتكم بدل الاشتمال لان البطون مشتملة عليها
ويكون بدلا باعادة العامل جاز ذلك اعني تعلق الجارين بيخلقكم ولا يضر الفصل بين البدل
والمبدل منه بالمصدر لانه من تتمة العامل فليس باجنبي **فصل** هذه الحالة مشتركة
بين الانسان وبين الانعام وهي كونها مخلوقة في بطون الامهات وقوله خلقا من بعد خلق معناه
ما ذكره الله تعالى في قوله ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار
مكين الايات وقوله في ظلمات ثلاث قال ابن عباس ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة وقيل
الصلب والرحم والبطن ووجه الاستدلال بهذه الايات مذكور في قوله هو الذي يصوركم
في الارحام كيف يشا **قوله** ذلكم الله ربكم يجوز ان يكون الله خبرا لذلكم وربكم نعت لله او بيان
له او بدل منه ويجوز ان يكون الله بدلا من ذلكم وربكم خبره والمعنى ذلكم الله الذي خلق هذه الاشيا
ربكم **قوله** له الملك يجوز ان يكون مستانفا ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر وان يكون الله بدلا
من ذلكم وربكم نعت لله او بدل منه والخبر الجملة من له الملك ويجوز ان يكون الخبر نفس الجار والمجرور
وحده والملك فاعل به فهو من باب الاخبار بالمفرد **قوله** لا اله الا هو يجوز ان يكون مستانفا
وان يكون خبرا بعد خبر **فصل** قوله له الملك يفيد الحصر اي له الملك لا لغيره فلما ثبت
انه لا ملك الا له وجب القول بانه لا اله الا هو ولما بين بهذه الدلايل كمال قدرته وحكمته ورحمته

زيف طريق المشركين وقال فاني تصرفون عن طريق الحق بعد هذا البيان وهذه الاية تدل على انهم لم يصرفوا بانفسهم عن هذه البيانات بل صرفهم عنها غيرهم وما ذلك الغير الا الله ولانه قد ثبت ان العقل يقوي ذلك لان كل احد يريد لنفسه تحصيل الحق والصواب فلما لم يحصل ذلك وانما حصل الجهل والضلال علمنا انه من غيره لامنه واستدل المعتزلة بهذه الاية ايضا لان قوله تعالى فاني تصرفون تعجب من هذا الانصراف ولو كان الفاعل لذلك الصرف هو الله تعالى لم يبق لهذا التعجب معنى **قوله** ان تكفروا فان الله غني عنكم اي انه تعالى ما كلف المكلفين ليجر الى نفسه منفعة او ليدفع عن نفسه مضرة لانه تعالى غني على الاطلاق فيمتنع في حقه جر المنفعة ودفع المضرة لانه واجب الوجود لذاته وواجب الوجود لذاته في جميع صفاته يكون غنيا على الاطلاق وايضا فالقادر على خلق السموات والارض والشمس والقمر والنجوم والعرش والكرسي والعناصر الاربعة والمواليد الثلاثة يمتنع ان ينتفع بصلوة زيد وصيام عمرو وان يستضر بعدم صلوة هذا او عدم صيام ذاك ثم قال ولا يرضى لعباده الكفر اي وان كان لا ينفعه ايمانهم ولا يضره كفرهم الا انه لا يرضى الكفر قال ابن عباس والسدي ولا يرضى لعباده المؤمنين الكفر وهم الذين قال الله تعالى فيهم ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فيكون عاما في اللفظ خاصا في المعنى كقوله عينا يشرب بها عباد الله وقال قتادة لا يرضى لاحد من عباده الكفر اي لا يرضى لعباده ان يكفروا به وهو قول السلف قالوا كفر الكافر غير مرضي لله وان كان بارادته واحتج الجبائي بهذه الاية من وجهين الاول ان المجبرة يقولون ان الله تعالى خلق العباد وايضا الكفر والفجور وكل ما خلقه حق وصواب واذا كان كذلك كان قد رضي الكفر من الوجه الذي خلقه وذلك ضد الاية الثاني لو كان الكفر بقضاء الله تعالى لوجب علينا ان نرضى به لان الرضا بقضاء الله واجب وحيث اجتمعت الامة على ان الرضا بالكفر كفر ثبت انه ليس بقضاء الله وليس ايضا برضا الله تعالى واجيب بوجوه احدها ان عادة القران جارية بتخصيص لفظ العباد بالمؤمنين كما نقلناه عن ابن عباس وثانيها قول السلف المتقدم وانشد ابن دريد رضيت قسرا وعلى القسر رضى من كان ذا سخط على صرف القضا اثبت الرضا مع القسر وثالثها ان الرضا هو الارادة لان قوله ولا يرضى لعباده الكفر عام فيختص بالايات الدالة على انه تعالى لا يريد الكفر كقوله تعالى وما تشاؤن الا ان يشاء الله **قوله** وان تشكروا اي تؤمنوا بربكم وتطيعوه يرضه لكم فيثيبكم عليه قرأ ابن كثير والكسائي وابن ذكوان يرضهو بالصلة وهي الاصل من غير خلاف وهي قراءة واضحة قال الواحدي بل اشبع الهاء حتى الحقها واوا لان ما قبلها متحرك فصار بمنزلة ضربه وقرأ يرضه بضم الهاء من غير صلة بلا خلاف نافع وعاصم وحمزة وقرأ يرضه باسكانها وصلا من غير خلاف السوسي عن ابي عمرو وقرأ بالوجهين اعني الاسكان والصلة الدوري عن ابي عمرو وقرأ بالاسكان والتحريك من غير صلة هشام عن ابن عامر فهذه خمس مراتب القراء وقد تقدم توجيه الاسكان والقصر والاشباع اول الكتاب وما انشد عليه ولا يلتفت الى ابي حاتم في تغليطه راوي السكون فانه لغة ثابتة عن بني عقيل وبني كلاب **قوله** ولا تزر وازرة وزر اخرى قال الجبائي هذا يدل على انه لا يجوز ان يقال انه تعالى يأخذ الاولاد بذنوب الاباء واحتج به ايضا من انكر وجوب ضرب الدية على العاقلة ثم قال ثم الى ربكم مرجعكم وهذا يدل على اثبات البعث والقيمة فينبئكم بما كنتم تعملون وهذا تهديد للعاصي وبشارة للمطيع وقوله انه عليم بذات الصدور كالعلة لما سبق اي انما ينبئكم باعمالكم لانه عالم بجميع المعلومات فيعلم ما في قلوبكم من الدواعي والصوارف قال صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى اموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم **قوله تعالى** واذا مس الانسان ضر دعا ربه لما بين فساد القول بالشرك وبين انه تعالى هو الذي يجب ان يعبد بين ههنا ان طريقة الكفار

يريد بعض العباد

متناقضة

متناقضة لانهم اذا مسهم الضر طلبوا دفعه من الله واذا زال ذلك الضر عنهم رجعوا الى عبادة الاصنام فكان الواجب عليهم ان يعترفوا بالله تعالى في جميع الاحوال لانه القادر على ايصال الخير ودفع الشر فظهر تناقض طريقتهم والمراد بالانسان الكافر وقيل المراد اقوام معينين كعتبة بن ربيعة وغيره والمراد بالضر جميع المكاره سواء كان في جسمه او ماله او في اهله وولده لان اللفظ مطلق فلا معنى لتقييده **قوله** منيبا حال من فاعل دعا واليه متعلق بمنيبا اي راجعا اليه في ازالة ذلك الضر لان الانابة الرجوع **قوله** ثم اذا خوله اعطاه نعمة منه اي اعطاها اياه ابتداء من غير مقتض ولا يستعمل في الجزاء بل في ابتداء العطية قال زهير هنالك ان يستخولوا المال يخولوا وان يسألوا يعطوا وان ييسروا يغلوا وقال ابو النجم اعطى فلم يبخل ولم يبخل كوم الذرى من خول المخول وحقيقة خول من احد معنيين اما من قولهم هو خائل مال اذا كان متعهدا له حسن القيام عليه واما من خال يخول اذا اختال وافتخر ومنه قول العرب ان الغني طويل الذيل مياس وقد تقدم اشتقاق هذه المادة مستوفى في الانعام **قوله** منه يجوز ان يكون متعلقا بخول وان يكون متعلقا بمحذوف على انه صفة لنعمة **قوله** نسي اي ترك ما كان يدعوا يجوز في ما هذه اربعة اوجه احدها ان تكون موصولة بمعنى الذي مرادا بها الضر اي نسي الضر الذي يدعوا الى كشفه اي ترك دعاءه كانه لم يتضرع الى ربه الثاني انها بمعنى الذي مرادا بها الباري تعالى اي نسي الله الذي كان يتضرع اليه وهذا عند من يجيز وقوع ما على اولي العلم وقال ابن الخطيب وما بمعنى من كقوله وما خلق الذكر والانثى ولا انتم عابدون ما اعبد فانكحوا ما طاب لكم الثالث ان تكون ما مصدرية اي نسي كونه داعيا الرابع ان تكون ما نافية وعلى هذا فالكلام تام على قوله نسي ثم استانف اخبارا بجملة منفية والتقدير ما كان هذا الكافر يدعو الله تعالى من قبل هذه النعمة بل كان يعبد غيره وقوله من قبل اي من قبل الضر على القول الاخير واما على الاقوال قبله فالتقدير من قبل تخويل النعمة **قوله** وجعل لله اندادا يعني الاوثان ليضل عن سبيله قرأ ابن كثير وابو عمرو ليضل بفتح الياء اي ليضل الضلال بنفسه والباقون بضمها اي لم يقتنع بضلاله في نفسه حتى يحمل غيره عليه فمفعوله محذوف وله نظاير تقدمت واللام يجوز ان تكون للعلة وان تكون لام العاقبة كقوله فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا ثم قال قل يا محمد لهذا الكافر تمتع بكفرك قليلا في الدنيا اي الى انقضاء اجلك وليس المراد منه الامر بل المراد منه الزجر وانه يعرفه قلة تمتعه في الدنيا ثم مصيره الى النار وقيل نزلت في عتبة بن ربيعة وقال مقاتل نزلت في حذيفة بن المغيرة المخزومي وقيل عام في كل كافر **قوله تعالى** امن هو قانت لما شرح الله تعالى صفات المشركين وتمسكهم بغير الله اردفه بشرح احوال المحقين قرأ الحرميان نافع وابن كثير بتخفيف الميم والباقون بتشديدها فاما الاولى ففيها وجهان احدهما انها همزة استفهام دخلت على من بمعنى الذي والاستفهام للتقرير ومقابله محذوف تقديره امن هو قانت كمن جعل لله اندادا او امن هو قانت كغيره او التقدير اهذا القانت خير ام الكافر المخاطب بقوله قل تمتع بكفرك قليلا ويدل عليه قوله قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون فحذف خبر المبتدا ومما يعادل المستفهم عنه والتقديران الاولان اولى لقلة الحذف ومن حذف المعادل للدلالة قول الشاعر دعاني اليها القلب اني لامرها سميع فما ادري ارشد طلابها يريد ام غي الثاني ان تكون الهمزة للنداء ومن منادى ويكون المنادى هو النبي صلى الله عليه وسلم وهو المامور بقوله قل هل يستوي الذين يعلمون كانه قال يا من هو قانت قل كيت وكيت كقول الاخر ابني لبينى لستم بيد الا يدا ليست لها عضد اراد ابا ذر وقال ان كنت ثائرا ونبه بعضهم ولم يقع في القران نداء بغير يا حتى يحمل هذا عليه وضعف ابو حيان هذا الوجه بانه اجنبي مما قبله ومما بعده قال شهاب الدين قد تقدم انه ليس اجنبيا مما بعده اذ المنادى هو المامور بالقول وضعفه الفارسي ايضا بتعرض

من هذا وتجرا على قاري هذه القراة ابو حاتم والاخفش واما القراة الثانية فهي ام داخلة على من الموصولة
ايضا فادغمت الميم في الميم وفي ام حينيذ قولان احدهما انها متصلة ومعادلها محذوف تقديره
الكافر خير ام الذي هو قانت وهذا معنى قول الاخفش قال ابو حيان ويحتاج حذف المعادل
اذا كان اولا الى سماع وقيل تقديره امن هو عاص بمعصيته ممن هو مطيع يستويان وحذف الخبر لدلالة
قوله قل هل يستوي الذين يعلمون والثاني انها منقطعة فتتقدر ببل والهمزة اي بل امن هو
قانت كغيره او كالكافر المقول له تمتع بكفرك وقال ابو جعفر هي بمعنى بل ومن بمعنى الذي تقديره
بل الذي هو قانت افضل ممن ذكر قبله واعتمد عليه ابن الفقيه ومن حيث ان من تقدم
ليس له فضيلة البتة حتى يكون هذا افضل منه والذي ينبغي ان يقدر بل الذي هو قانت من اصحاب
الجنة لدلالة ما لقسيمه عليه من قوله انك من اصحاب النار وقال البغوي من شدد فله وجهان
احدهما ان يكون الميم في ام صلة فيكون معنى الكلام استفهاما وجوابه محذوف ومجازه امن هو قانت
كمن هو غير قانت كقوله افمن شرح الله صدره للاسلام يعني كمن لم يشرح صدره والثاني انه عطف
على الاستفهام مجازه الذي جعل لله اندادا **فصل** الثالث هو المقيم على ما يجب عليه من
الطاعة ومنه قوله عليه السلام افضل الصلوة صلوة القنوت وهو القيام فيها ومنه القنوت لانه
يدعو قايما وعن ابن عمر انه قال لا اعلم القنوت الا قراة القران وطول القيام وتلا امن هو قانت
وعن ابن عباس القنوت الطاعة كقوله كل له قانتون اي مطيعون **قوله** اناء الليل اناء منصوب
على الظرف وتقدم اشتقاقه والكلام في مفرده والمعنى ساعات الليل وفي هذه الاية دلالة على
ان قيام الليل افضل من قيام النهار وقال ابن عباس في رواية عطا نزلت في ابي بكر الصديق
وقال الضحاك نزلت في ابي بكر وعمر وعن ابن عمر انها نزلت في عثمان وعن الكلبي انها نزلت في ابن
مسعود وعمار وسلمان **قوله** ساجدا حال وقايما حال ايضا وفي صاحبهما وجهان اظهرهما
انه الضمير المستتر في قانت والثاني انه الضمير المرفوع بيحذر قدمتا على عاملهما والعامة على
نصبهما وقرا الضحاك برفعهما على احد وجهين اما النعت لقانت واما انهما خبر بعد خبر **قوله**
يحذر يجوز ان يكون حالا من الضمير في قانت وان يكون حالا من الضمير في ساجدا وقايما وان
يكون مستانفا جوابا لسوال مقدر كانه قيل ما شانه يقنت اناء الليل ويتعب نفسه ويكدها
فقيل يحذر الاخرة ويرجو رحمة ربه اي عذاب الاخرة وفي الكلام حذف والتقدير كمن لا
يفعل شيا من ذلك وانما حسن هذا الحذف لدلالة ذكر الكافر قبل هذه الاية وذكر بعدها
قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون والتقدير قل هل يستوي الذين يعلمون وهم
الذين صفتهم انهم يقنتون اناء الليل ساجدا وقايما والذين لا يعلمون وهم الذين صفتهم
عند البلا والخوف يوحدون وعند الراحة والفراغ يشركون وانما وصف الله الكفار بانهم
لا يعلمون لانه تعالى وان اتاهم الة العلم الا انهم اعرضوا عن تحصيل العلم فلهذا جعلهم الله كانهم
ليسوا اولي الالباب من حيث انهم لم ينتفعوا بعقولهم وقلوبهم **قوله** قل هل يستوي الذين
يعلمون والذين لا يعلمون قيل الذين يعلمون عمار والذين لا يعلمون ابو حذيفة المخزومي وفي هذا
الكلام تنبيه على فضيلة العلم قيل لبعض العلما انكم تقولون العلم افضل من المال ثم نرى العلما
عند ابواب الملوك فاجاب بان هذا ايضا يدل على فضيلة العلم لان العلما علموا ما في المال من
المال فطلبوه والجهال لم يعرفوا ما في العلم من المنافع فلا جرم تركوه **قوله** انما يتذكر اولوا الالباب
قرى انما يذكر بادغام التا في الذال **قوله** قل يا عبادي الذين امنوا اتقوا ربكم لما نفى المساواة
بين من يعلم وبين من لا يعلم امر رسوله بان يخاطب المومنين فقال قل يا عبادي الذين امنوا اتقوا
ربكم اي بطاعته واجتناب معاصيه قال القاضي امرهم بالتقوى لكي لا يحبطوا اعمالهم

باعالم

باعمالهم لان عند الاتقا من الكباير يسلم لهم الثواب والاقدام عليها يحبط فيقال له هذا بان
يدل على ضد قولك اولى لان امر المومنين بالتقوى فدل ذلك على انه يبقى مومنا مع عدم التقوى
وذلك يدل على ان الفسق لا يزيل الايمان واعلم انه تعالى لما امر المومنين بالاتقا بين لهم ما في
هذا الاتقا من الفوايد فقال للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة **قوله** في هذه
الدنيا يجوز ان يتعلق بالفعل قبله وحذفت صفة حسنة اذ المعنى حسنة عظيمة لانه لا يوعد
من عمل حسنة مطلقا بل مقيدة بالعظم وان يتعلق بمحذوف على انه حال من حسنة كانت صفة
لها فلما تقدمت بقيت حالا **فصل** قوله في هذه الدنيا يحتمل ان يكون صلة لقوله — في الدنيا حسنة
للذين احسنوا اي امنوا واحسنوا العمل في الدنيا حسنة في الاخرة وهي دخول الجنة والتنكير في حسنة
للتعظيم اي حسنة لا يصل العقل الى كنه كمالها قاله مقاتل ويحتمل ان يكون صلة لقوله حسنة
وعلى هذا قال السدي معناه في هذه الدنيا حسنة يريد الصحة والعافية قال ابن الخطيب
الاولى ان يحمل على الثلاثة المذكورة في قوله صلى الله عليه وسلم ثلاثة ليس لها نهاية الامن والصحة
والكفاية وقال بعضهم الاول اولى لوجوه احدها ان التنكير يفيد النهاية في التعظيم
والرفعة وذلك لا يليق باحوال الدنيا لانها خسيسة منقطعة وانما يليق باحوال الاخرة وثانيها
ان الثواب للتوحيد والاعمال الصالحة انما يحصل في الاخرة واما الامن والصحة والكفاية
فحاصل للكفار اكثر من حصولها للمومنين كما قال عليه السلام الدنيا سجن المومن وجنة الكافر
وقال تعالى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة وثالثها قوله للذين احسنوا في هذه
الدنيا حسنة يفيد الحصر ومعناه ان حسنة هذه الدنيا لا تحصل الا للذين احسنوا وهذا باطل
اما لو حملنا هذه الحسنة على حسنة الاخرة صح هذا الحصر فكان حمله على حسنة الاخرة اولى **قوله**
وارض الله واسعة قال ابن عباس يعني ارتحلوا من مكة وفيه حث على الهجرة من البلد الذي
تظهر فيه المعاصي ونظيره قوله تعالى قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا
الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها وقيل نزلت في مهاجري الحبشة وقال سعيد بن جبير
من امر بالمعاصي فليهرب وقال ابو مسلم لا يمتنع ان يكون المراد من الارض ارض الجنة لانه تعالى
امر المومنين بالتقوى وهي حسنة الله ثم بين انه من اتقى فله في الاخرة الحسنة وهي الخلود في الجنة
ثم بين ان ارض الله اي جنته واسعة كقوله تعالى نتبوا من الجنة حيث نشا وقوله تعالى جنة عرضها
السموات والارض اعدت للمتقين قال ابن الخطيب والاول عندي اولى لان قوله انما يوفى الصابرون
اجرهم بغير حساب لا يليق الا بالاول **قوله** انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب اي الذين
صبروا على دينهم فلم يتركوه للاذى وقيل نزلت في جعفر بن ابي طالب واصحابه حيث لم يتركوا دينهم
لما اشتد بهم البلا وصبروا وهاجروا وقوله بغير حساب اي بغير نهاية لان كل شي دخل تحت
الحساب فهو متناهي فما لا نهاية له كان خارجا عن الحساب قال علي رضي الله عنه كل مطيع يكال له كيلا
او يوزن له وزنا الا الصابرون فانه يحثى لهم حثيا ويروى انه يوتى باهل البلاء فلا ينصب لهم
ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصب عليهم الاجر صبا قال الله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم
بغير حساب حتى يتمنى اهل العافية في الدنيا ان اجسادهم تقرض بالمقاريض مما ذهب به اهل
البلا من الفضل **قوله** قل انما امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين اي مخلصا له التوحيد
لا اشرك به شيا وهذا هو النوع الثاني من البيانات التي امر الله رسوله ان يذكرها **قوله**
وامرت لان اكون في هذه اللام وجهان احدهما انها للتعليل تقديره وامرت بما امرت به لان
اكون قال الزمخشري فان قلت كيف عطف امرت على امرت وهما واحد قلت ليسا بواحد لاختلاف
جهتيهما وذلك ان الامر بالاخلاص وتكليفه شي والامر به ليحرز به قصب السبق في الدين شي اخر واذا

اختلف وجها الشي وصفناه بنزل بذلك منزلة شيئين مختلفين الثاني ان يكون اللام مزيدة في ان قال
الزمخشري ولك ان تجعل اللام مزيدة مثلها في قولك امرت ان تجعل اللام مزيدة مثلها اردت لان تفعل
ولا تزاد الا مع ان خاصة دون الاسم الصريح كانها زيدت عوضا من ترك الاصل الي ما يقوم مقامه
كما عوض السين في اسطاع عوضا من ترك الاصل الذي هو اطوع والدليل علي هذا الوجه مجيئه بغير لام
في قوله وامرت ان اكون من المسلمين وامرت ان اكون من المومنين امرت ان اكون اول من اسلم
انتهي قوله ولا تزاد الا مع ان فيه نظر من حيث انها تزاد باطراد اذا كان المعمول متقدما وكانت
العامل فرعا وبغير اطراد في غير الموضعين ولم يذكر احد من النحويين هذا التفصيل وقوله كما عوض
السين في اسطاع هذا علي احد القولين والقول الاخر انه استطاع فحذفت تا الافتعال وقوله
والدليل عليه مجيئه بغير لام قد يقال ان اصله باللام وانما حذفت لان حرف الجر يطرد حذفه مع ان
وان ويكون المامور به محذوفا تقديره وامرت ان اعبد لان اكون **فصل** المراد من الكلام
ان اكون اول من تمسك بالعبادات التي ارسلت بها واعلم ان العبادة لها ركنان عمل القلب وعمل
الجوارح وعمل القلب اشرف من عمل الجوارح فقدم ذكر الاشرف وهو قوله مخلصا له الدين ثم ذكر عقيبه
الادون وهو عمل الجوارح وهو الاسلام فقال وامرت لان اكون اول المسلمين اي من هذه الامة **قوله**
قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم وهذا حين دعي الي دين اباته والمقصود
منه المبالغة في زجر الغير عن المعاصي ودلت هذه الاية علي ان الامر للوجوب لقوله في اول الاية اني
امرت ان اعبد الله ثم قال بعده قل اني اخاف ان عصيت ربي فيكون معني هذا العصيان ترك
الامر الذي تقدم ذكره ودلت الاية ايضا علي ان المرتب علي المعصية ليس حصول العقاب بل الخوف
من العقاب **قوله** قل الله اعبد قدمت الجلالة عند قوم لافادة الاختصاص قال
الزمخشري ولدلالته علي ذلك قدم المعبود علي فعل العبادة هنا واخره في الاول فالكلام اولا واقع
في الفعل نفسه وايجاده وثانيا فيمن يفعل الفعل من اجله فلذلك رتب عليه قوله فاعبدوا ما شئتم
من دونه قال ابن الخطيب فان قيل ما معني التكرير في قوله قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له
الدين وقوله قل الله اعبد مخلصا له ديني قلنا هذا ليس بتكرير لان الاول اخبار بانه مامور من
جهة الله بالايمان بالعبادة والثاني اخبار بانه امر ان لا يعبد احدا غير الله وذلك لان قوله
امرت ان اعبد الله لا يفيد الحصر وقوله تعالي قل الله اعبد يفيد الحصر اي الله اعبد ولا اعبد
احدا سواه ويدل عليه انه لما قال قل الله اعبد قال بعده فاعبدوا ما شئتم من دونه وهذا
امر توبيخ وتهديد والمراد منه الزجر كقوله اعملوا ما شئتم ثم بين كمال الزجر بقوله قل ان الخاسرين
الذين خسروا انفسهم اوقعوها في هلاك لا يعقل هلاك اعظم منه وخسروا اهليهم ايضا لانهم ان كانوا
من اهل النار فقد خسروهم كما خسروا انفسهم وان كانوا من اهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا
رجوع بعده ابدا وقيل خسران النفس بدخول النار وخسران الاهل ان يفرق بينه وبين اهله ولما
شرح الله تعالي خسرانهم وصف ذلك الخسران بالفظاعة فقال الا ذلك هو الخسران المبين وهذا
يدل علي غاية المبالغة من وجوه احدها انه وصفهم بالخسران ثم اعاد ذلك بقوله الا ذلك هو الخسران
المبين وهذا التكرير لاجل التاكيد وثانيها ذكره حرف الا وهو للتنبيه وذكر التنبيه يدل
علي التعظيم كانه قيل بلغ في العظم الي حيث لا تصل عقولهم اليه فتنبهوا له وثالثها قوله هو الخسران
ولفظة هو يفيد الحصر كانه قيل كل خسران يصير في مقابلته كلا خسران ورابعها وصفه بكونه
خسرانا مبينا وذلك يدل علي التهويل **قوله** لهم من فوقهم ظلل يجوز ان يكون الخبر احد الجارين
المتقدمين وان كان الظاهر جعل الاول هو الخبر ويكون من فوقهم اما حالا من ظلل فيتعلق بمحذوف
واما متعلقا بما تعلق به الخبر ومن النار صفة لظلل وقوله ومن تحتهم ظلل كما تقدم وسماها

ظللا

ظللا بالنسبة لمن تحتهم ونظيره قوله لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وقوله يوم يغشاهم العذاب
من فوقهم ومن تحت ارجلهم والمعني ان النار محيطة بهم من جميع الجوانب **فان قيل** الظلة
ما علا الانسان فكيف سمي ما تحته بالظلة فالجواب من وجوه **الاول** انه من باب اطلاق
اسم احد الضدين علي الاخر كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها **الثاني** ان الذي تحته يكون ظلة لغيره لان
النار دركات كما ان الجنة درجات **الثالث** ان الظلة التحتانية اذا كانت مشابهة للظلة الفوقانية
في الحرارة والاحراق والايذاء اطلق اسم احدهما علي الاخر لاجل المماثلة والمشابهة **قوله** ذلك
مبتدا وقوله الذي يخوف الله به خبر والتقدير ذلك العذاب المعد للكفار هو الذي يخوف الله به عباده
اي المومنين لان لفظ العباد في القران مختص باهل الايمان وقيل تخويف للكفار والضلال والاول
اقرب لقوله بعده يا عباد فاتقون والظاهر ان المراد منه المومنون **قوله تعالي** والذين
اجتنبوا الطاغوت الذين مبتدا والجملة من لهم البشري الخبر وقيل لهم هو الخبر بنفسه والبشري فاعل به
وهذا اولي لانه من باب الاخبار بالمفردات والطاغوت قال الزمخشري فعلوت من الطغيان
كالملكوت والرهبوت الا ان فيها قلبا بتقديم اللام علي العين لما ذكر وعيد عبدة الاصنام ذكر
وعد من اجتنب عبادتها واحترز عن الشرك ليكون الوعد مقرونا بالوعيد ابدا فيحصل كمال
الترغيب والترهيب قيل المراد بالطاغوت هنا الشيطان **فان قيل** انما عبدوا الصنم
فالجواب ان الداعي الي عبادة الصنم هو الشيطان فلما كان الشيطان هو الداعي كانت عبادة الصنم
عبادة للشيطان وقيل المراد بالطاغوت الصنم وسميت طواغيت علي سبيل المجاز لانه لا فعل لها
والطغاة هم الذين يعبدونها الا انه لما حصل الطغيان بسبب عبادتها والقرب منها وصفت
بذلك اطلاقا لاسم السبب علي المسبب بحسب الظاهر وقيل الطاغوت من يعبد ويطاع دون
الله نقل في التواريخ ان الاصل في عبادة الاصنام ان القوم مشبهة واعتقدوا في الاله انه نور عظيم
وان الملائكة انوار مختلفة في الصغر والكبر فوضعوا تماثيل صورها علي وفق تلك الخيالات فكانوا يعبدون
تلك التماثيل علي اعتقاد انهم يعبدون الله والملائكة **قوله** ان يعبدوها الضمير يعود علي
الطاغوت لانها تونث وقد تقدم الكلام عليها مستوفي في البقرة وان يعبدوها في محل نصب علي
البدل من الطاغوت بدل اشتمال كانه قيل اجتنبوا عبادة الطاغوت **قوله** فبشر عبادي من ايقاع
الظاهر موقع المضمر اي فبشرهم اي اولئك المجتنبين وانما فعل ذلك تصريحا بالوصف المذكور **فصل**
الذين اجتنبوا الطاغوت اي اعرضوا عن عبودية ما سوي الله وانابوا اي رجعوا بالكلية الي الله واقبلوا
بالكلية علي عبادة الله ثم انه تعالي ذكر وعدها ولاربابها اشيا احدها قوله لهم البشري وهذه البشري تحصل
عند القرب من الموت وعند الوضع في القبر وعند الخروج من القبر وعند الوقوف في عرصة القيمة
وعند ما يصير فريق في الجنة وفريق في السعير ففي كل موضع من هذه المواضع تحصل البشارة بنوع
من الخير وهذا المبشر يحتمل ان يكون هم الملائكة عند الموت كقوله الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون
سلام عليكم او بعد دخول الجنة لقوله والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم
عقبي الدار ويحتمل ان يكون هو الله تعالي كقوله تحيتهم يوم يلقونه سلام ثم قال فبشر عبادي الذين يستمعون
القول يعني القران فيتبعون احسنه وهم الذين اجتنبوا وانابوا لا غيرهم وهذه الاية تدل علي وجوب النظر
والاستدلال لانه مدح الانسان الذي اذا سمع اشيا كثيرة يختار منها ما هو الاحسن الاصوب وتمييز
الاحسن الاصوب عما سواه لا يتاتي بالسماع وانما يتاتي بحجة العقل واختلفوا في المراد باتباع الاحسن
فقيل هو مثل ان يسمع القصاص والعفو فيعفو لان العفو مندوب اليه لقوله وان تعفوا اقرب للتقوي
وقيل يسمع العزايم والرخص فيتبع الاحسن وهو العزايم وقيل يستمعون القران وغير القران فيتبعون
القران وروي عطا عن ابن عباس امن ابو بكر بالنبي صلي الله عليه وسلم فجاءه عثمان وعبد الرحمن بن عوف

ري

وطلحة والزبير وسعد بن ابي وقاص وسعيد بن زيد فسالوه فاخبرهم بايمانه فامنوا فنزل فيهم فبشر عباد
الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وقال ابن الخطيب انا قبل البحث عن الدلايل وتقريرها
والشبهات وتزييفها نحو من تلك المذاهب واضدادها على عقولنا فكل ما حكم به اول العقل بانه افضل
واكمل كان اولى بالقبول مثاله ان صريح العقل شاهد بان الاقرار بان اله العالم حي عالم قادر
حكيم رحيم اولى من انكار ذلك فكان ذلك المذهب اولى والاقرار بان الله لا يجري في ملكه وسلطانه الا
ما كان على وفق مشيته من القول بان اكثر ما يجري في سلطان الله على خلاف ارادته والاقرار بان الله
تعالى فرد احد صمد منزه عن التركيب والاعضا اولى من القول بكونه متبعضا مولفا وايضا القول
باستغنايه عن المكان والزمان اولى من القول بانه لا يستغني عنه البته فكل هذه الابواب داخلة تحت
قوله الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه هذا في ابواب الاعتقادات واما ابواب التكاليف فهي
قسمان عبادات ومعاملات فاما العبادات فكقولنا الصلوة التي يذكر في تحريمها الله اكبر وهي بنية
ويقرا فيها بالفاتحة ويوتي فيها بالطمانينة في المواقف الخمسة ويتشهد فيها ويخرج منها بالسلام فلا
شك انها احسن من الصلاة التي لا يراعى فيها شي من هذه الاحوال فوجب على العاقل ان يختار هذه
الصلاة دون غيرها وكذا القول في جميع ابواب العبادات واما المعاملات فكما تقدم في القصاص
والعفو عنه وروي عن ابن عباس ان المراد منه ان الرجل يجلس مع القوم فيسمع الحديث فيه محاسن ومساو
فيحدث باحسن ما سمع ويترك ما سواه **قوله** الذين يستمعون الظاهر انه نعت لعبادي او بدل
منه او بيان له وقيل يجوز ان يكون مبتدا وقوله اوليك الذين الى اخره خبره وعلى هذا فالوقف
على قوله عبادي والابتدا بما بعده **قوله** اوليك الذين هداهم الله واوليك هم اولوا الالباب
قال ابن زيد نزلت والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها الايتان في ثلاثة نفر كانوا في الجاهلية
يقولون لا اله الا الله زيد بن عمرو وابو ذر الغفاري وسلمان الفارسي والاحسن قول لا اله الا الله وفي
هذه الاية لطيفة وهي ان حصول الهداية في العقل والروح حادث فلا بد له من فاعل وقابل اما
الفاعل فهو الله تعالى وهو المراد من قوله اوليك الذين هداهم الله واما القابل فاليه الاشارة بقوله
واوليك هم اولوا الالباب فان الانسان ما لم يكن عاقلا كامل الفهم امتنع حصول هذه المعارف الحقيقية
في قلبه **قوله** افمن حق عليه في هذه وجهان اظهرهما انها موصولة في محل رفع بالابتدا وخبره
محذوف فقدره ابو البقا كمن نجا وقدره الزمخشري فانت تخلصه قال حذف لدلالة افانت تنقذ عليه
وقدره غيره تتاسف عليه وقدره اخرون تتخلص منه اي من العذاب وقدر الزمخشري على عادته
جملة بين الهمزة والفا تقديره اانت مالك امرهم فمن حق عليه كلمة العذاب واما غيره فيدعي ان الاصل
تقديم الفا وانما اخرت لما تستحقه الهمزة من التصدير وقد تقدم تحقيق هذين القولين الثاني
ان يكون من شرطية وجوابها افانت فالفا فا الجواب دخلت على جملة الجزا واعيدت الهمزة لتوكيد
معنى الانكار ووقع الظاهر وهو من في النار موقع المضمر اذ كان الاصل فانت تنقذه وانما وقع موقعه
شهادة عليه بذلك والى هذا نحا الحوفي والزمخشري قال الحوفي وجي بالف الاستفهام لما طال الكلام توكيدا
ولولا طوله لم يجز الاتيان بها لانه لا يصلح في العربية ان ياتي بالف الاستفهام في الاسم والف اخرى
في الجزا ومعنى الكلام افانت تنقذ وعلى القول بكونها شرطية يترتب على قول الزمخشري وقول الجمهور
مسيلة وهي انه على قول الجمهور يكون قد اجتمع شرط واستفهام وفيه حينيذ خلاف بين سيبويه ويونس
هل الجملة الاخيرة في جواب الاستفهام وهو قول يونس او جواب للشرط وهو قول سيبويه واما على قول
الزمخشري فلم يجتمع شرط واستفهام اذ اداة الاستفهام عنده داخلة على جملة محذوفة عطفت عليها
جملة الشرط ولم تدخل على جملة الشرط وقوله افانت تنقذ استفهام توقيف وقدم فيها الضمير اشعارا
بانك لست قادرا على انقاذه انما القادر عليه الله وحده **فصل** قال ابن عباس معنى الاية

من

من سبق في علم الله انه في النار وقيل كلمة العذاب قوله تعالى لاملان جهنم وقيل هي قوله هولاء للنار
ولا ابالي وقوله افانت تنقذ من في النار اي لا تقدر عليه قال ابن عباس يريد ابا لهب وولده
فصل احتج اهل السنة بهذه الاية في مسيلة الهدى والضلال بقوله افمن حق عليه كلمة العذاب
فاذا حقت كلمة العذاب عليه امتنع منه فعل الايمان والطاعة والا لزم انقلاب خبر الله الصدق كذبا
وانقلاب علمه جهلا وهو محال وايضا فانه تعالى حكم بان حقية كلمة العذاب توجب الاستكبار التام
من صدور الايمان والطاعة منه ولولا ذلك ممكنا ولم يكن حقية كلمة العذاب مانعة منه لم يبق
لهذا الاستنكار والاستبعاد معنى **فصل** احتج القاضي بهذه الاية على ان النبي صلى الله
عليه وسلم لا يشفع لاهل الكباير لانه حق عليهم العذاب فتلك الشفاعة تكون جارية مجرى انقاذهم
من النار وان الله تعالى حكم عليهم بالانكار والاستبعاد واجيب بانا لا نسلم ان اهل الكباير
قد حق عليهم العذاب وكيف يحق عليهم العذاب مع ان الله تعالى قال ان الله لا يغفر ان يشرك به
ويغفر ما دون ذلك لمن يشا وقال ان الله يغفر الذنوب جميعا **قوله** لكن الذين اتقوا
استدراك بين شيين نقيضين او ضدين وهما المومنون والكافرون وقوله لهم غرف من فوقها
غرف وهذا كالمقابل لما ذكر في وصف الكفار لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل والمعنى
لهم منازل في الجنة رفيعة وفوقها منازل ارفع منها **فان قيل** ما معنى قوله
مبنية فجوابه ان المنزل اذا بني على منزل اخر كان الفوقاني اضعف بنيانا من التحتاني فقوله مبنية
معناه انه وان كان فوق غيره لكنه في القوة والشدة مساو للمنزل الاسفل ثم قال تجري من
تحتها الانهار وذلك معلوم **قوله** وعد الله مصدر موكد لمضمون الجملة فهو منصوب بواجب
الاضمار لان قوله لهم غرف في معنى وعدهم الله ذلك وفي الاية دقيقة لطيفة وهي انه تعالى في كثير
من ايات الوعد يصرح بانه وعد الله وانه لا يخلف وعده ولم يذكر في ايات الوعيد البتة
مثل هذا التاكيد والتقوية وذلك يدل على ان جانب الوعد ارجح من جانب الوعيد بخلاف قول
المعتزلة انه قال في جانب الوعيد ما يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد واجيبوا بان قوله
ما يبدل القول لدي ليس نصا بجانب الوعيد بل هو عام يتناول القسمين الوعد والوعيد فثبت
ان الترجيح الذي ذكرناه حق والله اعلم **قوله تعالى** الم تر ان الله انزل من السما
ما الاية لما وصف الاخرة بوصف يوجب الرغبة العظيمة فيها ووصف الدنيا بصفة توجب
اشتداد النفرة عنها وذلك انه انزل من السما ماء وهو المطر وقيل كل ما في الارض فهو من السما نزل ثم انه
تعالى ينزله الى بعض المواضع ثم يقسمه فسلكه ينابيع في الارض اي عيونا ومسالك وركايا في الارض
ومجاري كالعروق في الاجساد ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه من خضرة وحمرة وصفرة وبياض
وغير ذلك مختلفا اصنافه من بر وشعير وسمسم ثم يهيج اي ييبس فتراه مصفرا لانه اذا تم
جفافه جاز له ان ينفصل عن منابته وان لم تتفرق اجزاوه فتلك الاجزا كانها هاجت لان تتفرق
ثم يجعله حطاما فتاتا متكسرا ان في ذلك لذكرى لاولي الالباب يعني ان من شاهد هذه الاحوال
في النبات علم ان احوال الحيوان والانسان كذلك وانه وان طال عمره فلا بد من الانتها الى ان يصير
مصفر اللون متحطم الاعضا والاجزا ثم يكون عاقبته الموت فاذا كانت مشاهدة هذه الاحوال
في النبات مذكرة حصول مثل هذه الاحوال في نفسه وفي حياته فحينيذ تعظم نفرته عن الدنيا
ولذاتها **قوله** ثم يجعله العامة على رفع الفعل نسقا على ما قبله وقرا ابو بشر ثم يجعله منصوبا
قال ابو حيان قال صاحب الكامل يعني الهذلي وهو ضعيف ولم يبين هو ولا صاحب الكامل وجه
ضعفه ولا تخريجه فاما ضعفه فواضح حيث لم يتقدم ما يقتضي نصبه في الظاهر واما تخريجه
فذكر ابو البقا فيه وجهين احدهما ان ينتصب باضمار ان ويكون معطوفا على قوله ان الله انزل من السما

مالي اول الاية والتقدير الم تر ان الله انزل ثم جعله والثاني ان يكون بتقدير ترى اي ثم ترى جعله حطاما
يعني انه ينتصب بان مضمرة ويكون ان وما في حيزها مفعولا به بفعل مقدر وهو ترى لدلالة الم تر عليه
قوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام الاية لما بين الدلايل الدالة على وجوب
الاقبال على طاعة الله ووجوب الاعراض عن الدنيا ذكر ان الانتفاع بهذه البيانات لا يكمل الا اذا
شرح الصدر ونور القلب والكلام في قوله افمن شرح الله وقوله افمن يتقي كالكلام في افمن حق والتقدير
افمن شرح الله صدره للاسلام كمن قسا قلبه او كالقاسي المعرض لدلالة فويل للقاسية قلوبهم عليه وكذا
التقدير في افمن يتقي اي كمن امن العذاب وهو تقدير الزمخشري او كالمتنعمين في الجنة وهو تقدير ابن
عطية **فصل** معنى شرح الله صدره للاسلام اي وسعه لقبول الحق فهو على نور من ربه كمن
اقسى الله قلبه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اولئك في ضلال مبين قال مالك بن دينار ما ضرب
عبد بعقوبة اعظم من قسوة القلب وما غضب الله على قوم الا نزع منهم الرحمة **فان قيل**
ان ذكر الله هو اجل سبب لحصول النور والهداية وزيادة الاطمينان قال تعالى الا بذكر الله تطمين
القلوب فكيف جعله في هذه الاية سببا لحصول القسوة في القلب فالجواب ان النفس اذا كانت خبيثة
الجوهر كدرة العنصر بعيدة عن مناسبة الروحانيات شديدة الميل الى الطبايع البهيمية والاخلاق
الذميمة فان سماعها لذكر الله يزيدها قسوة وكدورة مثاله ان الفاعل الواحد تختلف افعاله بحسب
اختلاف القوابل كنور الشمس يسود وجه القصار ويبيض ثوبه وحرارة الشمس تلين الشمع وتعقد الملح
وقد نرى انسانا واحدا يذكر كلاما واحدا في مجلس واحد يستطيبه واحد ويستكرهه غيره وما
ذاك الا بسبب اختلاف جواهر النفوس ولما نزل قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين
وعمر بن الخطاب حاضر فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قوله تعالى ثم انشاناه خلقا
اخر قال كل واحد منهما فتبارك الله احسن الخالقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب كذا نزلت
فازداد عمر ايمانا على ايمان وازداد ذلك الانسان واذا عرفت ذلك لم يبعد ان يكون ذكر الله عز وجل
يوجب النور والهداية والاطمينان في النفوس الطاهرة الروحانية ويوجب القسوة والبعد عن
الحق في النفوس الخبيثة الشيطانية **قوله** الله نزل احسن الحديث احتج القايلون بحدوث
القران بهذه الاية من وجوه الاول انه تعالى وصفه بكونه حديثا في هذه الاية وفي قوله قل
فاتوا بحديث مثله وفي قوله افبهذا الحديث انتم مدهنون والحديث لا بد وان يكون حادثا بل
الحديث اقوى في الدلالة على الحدوث من الحادث لانه يصح ان يقال هذا حديث وليس بعتيق وهذا
عتيق وليس بحديث ولا يصح ان يقال هذا عتيق وليس بحادث فثبت ان الحديث هو الذي يكون قريب
العهد بالحدوث وسمي الحديث حديثا لانه مؤلف من الحروف والكلمات وتلك الحروف والكلمات تحدث
حالا فحالا وساعة فساعة الثاني قالوا انه تعالى وصفه بانه انزله والمنزل يكون في محل تصرف
الغير وما كان كذلك فهو محدث وحادث الثالث قالوا ان قوله احسن الحديث يقتضي ان يكون هو من
جنس سائر الاحاديث كما ان قوله زيد افضل الاخوة يقتضي ان يكون زيد مشاركا لاولئك الاقوام في صفة
الاخوة ويكون من جنسهم فثبت ان القران من جنس سائر الاحاديث ولما كان سائر الاحاديث حادثة
وجب ايضا ان يكون القران حادثا الرابع قالوا انه تعالى وصفه بكونه كتابا والكتاب مشتق من
الكتبة وهي الاجتماع وهذا يدل على انه مجموع جامع ومحل تصرف ومتصرف فيه وذلك يدل على كونه حادثا
قال ابن الخطيب والجواب ان نحمل هذا الدليل على الكلام المؤلف من الحروف والالفاظ والعبارات
وذلك الكلام عندنا محدث مخلوق **فصل** كون القران احسن الحديث اما ان يكون بحسب اللفظ
وذلك من وجهين الاول ان يكون ذلك الحسن لاجل الفصاحة والجزالة الثاني ان يكون بحسب النظم في
الاسلوب وذلك لان القران ليس من جنس الشعر ولا من جنس الخطب ولا من جنس الرسالة بل هو نوع يخالف

الكل

الكل مع ان كل طبع سليم يستلذه ويستطيبه واما ان يكون احسن الحديث لاجل المعنى وهو من وجوه الاول
انه كتاب منزه عن التناقض قال تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ومثل هذا
الكتاب اذا خلا عن التناقض كان من المعجزات الثاني اشتماله على الغيوب الكثيرة في الماضي والمستقبل
الثالث ان العلوم الموجودة فيه كثيرة جدا وقد شرح ابن الخطيب منها اقساما كثيرة **قوله**
كتابا فيه وجهان اظهرهما انه بدل من احسن الحديث والثاني انه حال منه قال ابو حيان لما نقله
عن الزمخشري وكانه بناء على ان احسن الحديث معرفة لاضافته الى معرفة وافعل التفضيل اذا اضيف الى
معرفة فيه خلاف فقيل اضافته محضة وقيل غير محضة قال شهاب الدين ويؤيد كونه نكرة
يحسن ايضا ان يكون حالا الا ان النكرة متى اضيفت بالغ في الحال منها بالاطلاق والصحيح ان اضافة
افعل محضة وقوله متشابها نعت الكتاب وهو المسوغ لمجي الجامد حالا او لانه في قوة مكتوب او تمييزا
منقولا من الفاعل اي متشابها مثانيه والى هذا ذهب الزمخشري **قوله** مثاني قرا العامة
مثاني بفتح اليا صفة ثانية او حالا اخرى وقرا هشام عن ابن عامر وابو بشر بسكونها وفيها وجهان
احدهما انه من تسكين حرف العلة استثقالا للحركة عليه كقراءة تطعمون اهاليكم كان ايديهن ونحوها
والثاني انه خبر مبتدا محذوف اي هو مثاني كذا ذكره ابو حيان وفيه نظر من حيث انه كان ينبغي
ان ينون ويحذف ياوه لالتقاء الساكنين فيقال مثان كما يقال هولاء جوار وقد يقال انه وقف
عليه ثم اجرى الوصل مجرى الوقف لكن يعترض عليه بان الوقف على المنقوص المنون بحذف اليا
نحو هذا قاض ورام افصح واثباتها لغة قليلة ويمكن الجواب عنه بانه قد قرئ بذلك في المتواتر والي وباقي
وهادي في قراءة ابن كثير **فصل** تقدم تفسير الكتاب عند قوله ذلك الكتاب وقوله
متشابها اي يشبه بعضه بعضا في الحسن ويصدق بعضه بعضا ليس فيه تناقض ولا اختلاف قاله
ابن عباس وقوله مثاني جمع مثنى اي يثنى فيه ذكر الوعد والوعيد والامر والنهي والاخبار والاحكام
او جمع مثنى مفعل من التثنية بمعنى التكرير وانما وصف كتاب وهو مفرد بمثاني وهو جمع لان الكتاب
مشتمل على سور وايات وهو من باب برمة اعشار وثوب اخلاق قاله الزمخشري وقيل ثم موصوف
محذوف اي فصولا مثاني حذف لدلالة عليه وقال ابن الخطيب ان اكثر الاشيا المذكورة زوجين
زوجين مثل الامر والنهي والعام والخاص والمجمل والمفصل واحوال السموات والارض والجنة والنار والضوء
والظلمة واللوح والقلم والملايكة والشياطين والعرش والكرسي والوعد والوعيد والرجا والخوف
والمقصود منه ان بيان كل ما سوى الحق زوج يدل على ان كل شي مبتلى بضده ونقيضه وان الفرد
الاحد الحق هو الله تعالى **قوله** تقشعر هذه الجملة يجوز ان تكون صفة لكتاب وان يكون حالا منه
لاختصاصه بالصفة وان يكون مستانفة **واقشعر** جلده اذا تقبض وتجمع من الخوف ووقف
شعره والمصدر الاقشعرار والقشعريرة ايضا ووزن اقشعر افعلل ووزن القشعريرة فعليلة
فصل قال المفسرون تقشعر تضطرب وتشمئز منه جلود الذين يخشون ربهم والاقشعرار
تغير في جلد الانسان عند الوجل والخوف وقيل المراد من الجلود القلوب اي قلوب الذين يخشون
ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله اي لذكر الله وقيل اذا ذكرت ايات العذاب اقشعرت
جلود الخائفين لله واذا ذكرت ايات الرحمة لانت وسكنت قلوبهم كما قال الا بذكر الله تطمين
القلوب وحقيقة المعنى ان قلوبهم تقشعر عند الخوف وتلين عند الرجا قال عليه السلام اذا اقشعر
جلد العبد من خشية الله تحاتت عنه ذنوبه كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها وقال اذا
اقشعر جلد العبد من خشية الله حرمه الله على النار وقال قتادة هذا نعت اولياء الله نعتهم بان
تقشعر جلودهم وتطمين قلوبهم ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم انما ذلك في اهل
البدع وهو من الشيطان وعن عروة بن الزبير قال قلت لجدتي اسما بنت ابي بكر كيف كان اصحاب

رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعلون اذا قرئ عليهم القرآن قالت كانوا كما نعتهم الله عز وجل تدمع
اعينهم وتقشعر جلودهم قال فقلت لها ان ناسا اليوم اذا قرئ عليهم القرآن خر احدهم مغشيا عليه
فقالت اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وعن ابن عمر انه مر برجل من اهل العراق ساقط فقال
ما بال هذا قالوا انه اذا قرئ عليه القرآن او سمع ذكر الله سقط فقال ابن عمر انا لنخشى الله وما نسقط فقال
ابن عمر ان الشيطان ليدخل في جوف احدهم ما كان هذا صنع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فصل قال الزمخشري تركيب لفظ القشعريرة من حروف القشع وهو الاديم اليابس مضموما
اليه حرف رابع وهو الراء ليكون رباعيا دالا على معنى زائد يقال اقشعر جلده من الخوف اذا وقف
شعره وهو مثل في شدة الخوف **فان قيل** كيف قال تلين الى ذكر الله فعداه بحرف الى الجواب
التقدير تلين جلودهم وقلوبهم حال وصولها الى حضرته وهو لا يحسب الادراك **فان قيل**
كيف قال الى ذكر الله ولم يقل الى ذكر رحمة الله فالجواب ان من احب الله لاجل رحمته فهو ما احب
الله وانما احب شيئا غيره لا الشيء سواه فهو المحب الحق وهي الدرجة العالية فلهذا لم يقل ثم
تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر رحمة الله وانما قال الى ذكر الله وقد بين الله تعالى هذا بقوله
الا بذكر الله تطمئن القلوب **فان قيل** لم ذكر في جانب الخوف قشعريرة الجلود فقط
وفي جانب الرجا لين الجلود والقلوب فالجواب لان المكاشفة في مقام الرجا اكمل منها في مقام
الخوف لان الخير مطلوب بالذات والشر مطلوب بالعرض ومحل المكاشفات هي القلوب والارواح
والله اعلم ثم انه تعالى لما وصف القرآن بهذه الصفات قال ذلك هدى الله يهدي به من
يشا فقوله ذلك اشارة الى الكتاب وهو هدى الله وهو الذي شرح صدره اولا لقبول الهداية
ومن يضلل الله اي جعل قلبه قاسيا مظلما فما له من هاد واعلم ان سؤالات المعتزلة وجوابها عن
مثل هذه الاية قد تقدم في قوله فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ونظايرها
قوله افمن يتقي بوجهه سوء العذاب الاية لما حكم على القاسية قلوبهم بحكم في الدنيا وهو
الضلال التام حكم عليهم في الاخرة بحكم اخر وهو العذاب الشديد فقال افمن يتقي بوجهه سوء العذاب
يوم القيامة وتقريره ان اشرف الاعضا الظاهرة هو الوجه لانه محل الصباحة ومنبع الحواس
والسعادة والشقاوة لا تظهر الا فيه قال تعالى وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة
ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة اولئك هم الكفرة الفجرة ويقال لمقدم القوم يا وجه
العرب ويقال للطريق الدال على حال الشيء انه وجه كذا هو كذا فثبت بما ذكرنا ان اشرف الاعضا
الظاهرة هو الوجه واذا وقع الانسان في نوع من انواع العقاب فانه يجعل يده وقاية لوجهه
واذا عرف هذا فنقول اذا كان القادر على الاتقا يجعل كل ما سوى الوجه وقاية للوجه لاجرم حسن جعل
الاتقاء بالوجه كناية عن الاتقاء ونظيره قول النابغة
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب اي لا عيب فيهم الا هذا وهو ليس
بعيب فلا عيب فيهم اذن بوجه من الوجوه فكذا ههنا لا يقدرون على الاتقا بوجه من الوجوه الا
بالوجه وهذا ليس باتقا فلا قدرة لهم على الاتقا البتة وقيل انه يلقى في النار مغلولة يده الى
عنقه فلا يتهيا له ان يتقي النار الا بوجهه وتقدير الكلام على الاعراب وسوء العذاب اشد قال
مجاهد يخر على وجهه في النار وقال عطاء يرمى به في النار منكوسا فاول شيء تمس النار منه وجهه
قوله وقيل للظالمين اي تقول الخزنة للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون اي وباله ولما بين كيفية
عقاب القاسية قلوبهم في الاخرة بين كيفية وقوعهم في العذاب فقال كذب الذين من قبلهم
اي من قبل كفار مكة كذبوا الرسل فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون يعني وهم امنون غافلون
عن العذاب اي من الجهة التي لا يخشون ولا يخطر ببالهم ان الشر ياتيهم منها فاذاقهم الله الخزي في الحيوة

الدنيا

الدنيا وهو الذل والصغار والهوان ثم قال ولعذاب الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون يعني ان اولئك
وان نزل بهم العذاب والخزي في الدنيا فالعذاب المدخر لهم يوم القيمة اكبر واعظم من ذلك الذي
وقع بهم في الدنيا ولما ذكر الله تعالى هذه الفوايد الكثيرة في هذه المطالب بين ان هذه البيانات
بلغت حد الكمال والتمام فقال ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون يتعظون
قالت المعتزلة دلت الاية على ان افعال الله تعالى واحكامه معللة ودلت ايضا على انه تعالى يريد الايمان
والمعرفة من الكل لان قوله ولقد ضربنا للناس مشعر بالتعليل وقوله في اخر الاية لعلهم يتذكرون
مشعر بالتعليل ايضا ومشعر بانه المراد من ضرب هذه الامثال حصول التذكر والعلم **قوله**
قرانا عربيا فيه ثلاثة اوجه احدها ان يكون منصوبا على المدح لانه لما كان نكرة امتنع اتباعه للقرآن
الثاني انه ينتصب بيتذكرون اي يتذكرون قرآنا الثالث انه ينتصب على الحال من القرآن على
انها حال مؤكدة وتسمى حالا موطئة لان الحال في الحقيقة عربيا وقرآنا توطئة له نحو جاء زيد رجلا
صالحا وقوله غير ذي عوج نعت لقرآنا او حال اخرى قال الزمخشري فان قلت فهلا قيل
مستقيما او غير معوج قلت فيه فايدتان احدهما نفي ان يكون فيه عوج قط كما قال ولم يجعل
له عوجا والثاني ان لفظ العوج مختص بالمعاني دون الاعيان وقيل المراد بالعوج الشك واللبس
وانشد وقد اتاك يقين غير ذي عوج من الاله وقول غير مكذوب **فصل** اعلم
انه تعالى وصف القرآن بصفات ثلاثة اولها كونه قرآنا والمراد كونه متلوا في المحاريب الى
قيام الساعة وثانيها كونه عربيا اي انه اعجز الفصحاء والبلغاء عن معارضته كما قال قل لئن اجتمعت
الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله وثالثها كونه غير ذي عوج والمراد براءته
من التناقض قال ابن عباس غير مختلف وقال مجاهد غير ذي لبس وقال السدي غير مخلوق
ويروى ذلك عن مالك بن انس وحكي سفيان بن عيينة عن سبعين من التابعين ان القرآن ليس بخالق
ولا مخلوق **قوله** لعلهم يتقون الكفر والتكذيب به وتمسك المعتزلة به في تعليل احكام الله تعالى
وقوله في الاية الاولى لعلهم يتذكرون وههنا لعلهم يتقون لان التذكر متقدم على الاتقا والاحتراز
والله اعلم **قوله تعالى** ضرب الله مثلا رجلا قال الكسائي نصب رجلا لانه
تفسير للمثل واعلم انه تعالى لما شرح وعيد الكفار مثل بما يدل على فساد مذهبهم وقبح طريقتهم
فقال ضرب الله مثلا **قوله** فيه شركاء يجوز ان يكون هذا جملة من مبتدأ وخبر في محل نصب صفة
لرجل ويجوز ان يكون الوصف الجار وحده وشركاء فاعل به وهو اولى لقربه من المفرد **قوله متشاكسون**
صفة لشركاء والتشاكس التخالف واصله سوء الخلق وعسره وهو سبب التخالف والتشاجر ويقال
التشاكس والتشاخس بالخاء موضع الكاف وقد تقدم الكلام على نصب المثل وما بعده والوقفين
بعد ضرب وقال انتصب رجلا على اسقاط الجار اي لرجل او في رجل والمتشاكسون المختلفون
العسرون يقال شكس يشكس شكوسا وشكسا اذا عسر فهو رجل شكس اي عسر وتشاكس اذا تعاسر
قال الليث التشاكس التضايق والاختلاف ويقال الليل والنهار يتشاكسان اي يتضادان اذا
جا احدهما ذهب الاخر وقوله فيه صلة شركاء كما تقول اشتركوا فيه اي في ذمته قال شهاب الدين
وقال ابو البقا كلاما لا يشبه ان يصدر من مثله بل ولا اقل منه قال وفيه شركاء الجملة
صفة لرجل وفي متعلق بمتشاكسون وفيه دلالة على جواز تقديم خبر المبتدأ عليه انتهى اما هذا
فلا شك انه سهو لانه من حيث جعله جملة كيف يقول بعد ذلك ان فيه يتعلق بمتشاكسون
وقد يقال اراد من حيث المعنى وهو بعيد جدا ثم قوله وفيه دلالة الى اخره يناقضه ايضا وليست
المسألة عربية حتى يقول وفيه دلالة وكانه اراد وفيه دلالة على تقديم معمول الخبر على المبتدأ بناء
منه على ان فيه يتعلق بمتشاكسون ولكنه فاسد والفاسد لا يرام صلاحه **قوله** سالما لرجل

قرا ابن كثير وابو عمرو سالما بالالف وكسر اللام والباقون سَلَما بفتح السين واللام وابن جبير بكسر
السين وسكون اللام قال ابن الخطيب ويقال ايضا بفتح السين وسكون اللام فالقراة الاولى
اسم فاعل من سلم له كذا فهو سالم والقراتان الاخيرتان سَلَما وسِلما فهما مصدران وصف بهما على
سبيل المبالغة او على حذف مضاف او على وقوعهما موقع اسم الفاعل فيعود كالقراة الاولى وقرى
ورجل سالم برفعهما وفيه وجهان احدهما ان يكون مبتدا والخبر محذوف تقديره وهناك رجل
سالم لرجل كذا قدره الزمخشري الثاني انه مبتدا وسالم خبره وجاز الابتدا بالنكرة لانه موضع
تفصيل كقول امرء القيس ، اذا ما بكى من خلفها انصرفت له بشق وشق عندنا لم يحول ، وقولهم
الناس رجلان رجل اكرمت ورجل اهنت **قوله** مثلا منصوب على التمييز لانه منبهم عليه
اولا في قوله ضرب الله مثلا وقرى مثلين فطابق حالي الرجلين وقال الزمخشري فيمن قرا مثلين ان
الضمير في يستويان للمثلين لان التقدير مثل رجل ومثل رجل والمعنى هل يستويان فيما يرجع الى
الوصفية كما تقول كفى بهما رجلين قال ابو حيان والظاهر انه يعود الضمير في يستويان على رجلين
واما اذا جعلته عائدا الى المثلين اللذين ذكر ان التقدير مثل رجل ومثل رجل فان التمييز يكون
اذ ذاك قد فهم من المميز الذي هو الضمير اذ يصير التقدير هل يستوي المثلان مثلين قال
شهاب الدين وهذا لا يضر انه التقدير هل يستوي المثلان مثلين في الوصفية فالمثلان الاولان
معهودان والثانيان جنسان مبهمان كما تقول كفى بهما رجلين فان الضمير في بهما عايد على ما يراد
بالرجلين فلا فرق بين المسيلتين فما كان جوابا عن كفى بهما رجلين يكون جوابا له **فصل**
تقدير الكلام اضرب لقومك مثلا وقل ما تقولون في رجل مملوك لشركا بينهم اختلاف وتنازع فيه
وكل واحد يدعي انه عبده فهم يتجاذبونه في حوائجهم وهو متحير في امره وكلما ارضى احدهم غضب
الباقون واذا احتاج اليهم فكل واحد منهم يرده الى الاخر فبقي متحيرا لا يعرف ايهم اولى بان يطلب
رضاه وايهم يعينه في حاجاته فهو لهذا السبب في عذاب دائم وآخر له مخدوم واحد يخدمه
على سبيل الاخلاص وذلك المخدوم يعينه على مهماته فاي هذين العبدين احسن حالا والمراد
ان من اثبت الهة اخرى فان اولئك الالهة تكون متنازعة متغالبة كما قال تعالى لو كان فيهما
الهة الا الله لفسدتا وقال ولعلا بعضهم على بعض فيبقى ذلك المشرك متحيرا ضالا لا يدري ايّ هولا
الالهة يعبد وعلى ربوبية ايهم يعتمد وممن يطلب رزقه فهمه شعاع وقلبه اوزاع اما من لم يثبت
الا الها واحدا فهو قائم بما كلفه عارف بما يرضيه وما يسخطه فكان حال هذا اقرب الى الصلاح
من حال الاول وهذا المثال في غاية الحسن في تقبيح الشرك وتحسين التوحيد **فان قيل**
هذا المثال لا ينطبق على عبادة الاصنام لانها جمادات فليس بينها منازعة ولا تشاكس فالجواب
ان عبدة الاصنام مختلفون منهم من يقول هذه الاصنام تماثيل الكواكب السبعة فهم في الحقيقة
انما يعبدون الكواكب السبعة وهم يثبتون بينها منازعة ومشاكسة الا ترى انهم
يقولون زحل هو النحس الاعظم والمشتري هو السعد الاعظم ومنهم من يقول هذه الاصنام تماثيل
الارواح الفلكية والقايلون بهذا القول زعموا ان كل نوع من انواع حوادث هذا العالم يتعلق
بروح من الارواح السماوية وحينئذ يحصل بين تلك الارواح منازعة ومشاكسة وحينئذ يكون
المثال مطابقا ومنهم من يقول هذه الاصنام تماثيل لاشخاص من العلما والزهاد مضوا فهم يعبدون
هذه التماثيل لتصير اولئك الاشخاص من العلما والزهاد شفعا لهم عند الله والقايلون بهذا القول
يزعم كل طايفة منهم ان المحق هو ذلك الرجل الذي على دينه وان من سواه مبطل وعلى هذا التقدير ايضا
ينطبق المثال **قوله** قل الحمد لله يعني انه لما بطل القول باثبات الشركا والانداد وثبت انه لا اله
الا الواحد الاحد الحق ثبت ان الحمد له لا لغيره ثم قال بل اكثرهم لا يعلمون ان الحمد له لا لغيره وان

المستحق

المستحق للعبادة هو الله وقيل لا يعلمون ما يصيرون اليه وقيل المراد انه لما سبقت هذه الدلايل
الظاهرة قال الحمد لله على حصول هذه البيانات وظهور هذه البينات وان كان اكثر الخلق لا يعرفونها
قال البغوي والمراد بالاكثر الكل **قوله** انك ميت اي ستموت والقوم ميتون اي سيموتون قال
الفرا والكسائي الميت بالتشديد من لم يمت وسيموت والميْت بالتخفيف من فارقه الروح ولذلك
لم يخفف هنا واما ما في قوله ميتون فيشدد وقرا ابن محيصن وابن ابي عبلة واليماني مايت ومايتون
وهي صفة مشعرة بحدوثها دون ميّت وقد تقدم انه الاخلاف بين القرا في تثقيل مثل هذا
فصل والمراد انكم فنا وانه لا قوام لكم بالنفوس الى هذه الدلايل القاهرة لاجل الحسد
فلا تبال بالحسد فانك ستموت وهم ايضا سيموتون ثم انكم تحشرون يوم القيمة وتختصمون عند
الله تعالى والعادل الحق يحكم بينكم فيوصل الى كل احد حقه وحينئذ يتميز المحق من المبطل ثم انه تعالى
بين نوعا اخر من قبايح افعالهم وهو انهم يكذبون ويضيفون اليه ما ثم يكذبون القايل المحق اما كذبهم
فهو انهم اثبتوا لله ولدا وشركا واما تكذيبهم الصادق فلانهم يكذبون محمدا صلى الله عليه وسلم بعد
قيام الدلايل القاطعة على كونه صادقا في ادعا النبوة ثم اردفه بالوعيد فقال اليس في جهنم
مثوى للكافرين اي منزل ومقام الكافرين وهذا استفهام بمعنى التقرير ولما ذكر من افترى على الله
الكذب او كذب بالحق ذكر مقابله وهو الذي جا بالصدق وصدق به **قوله** والذي جا بالصدق
لفظه مفرد ومعناه جمع لانه اريد به الجنس وقيل لانه قصد به الجزا وما كان كذلك كثر فيه وقوع
الذي موقع الذين ولذلك روعي معناه فجمع في قوله اولئك هم المتقون كما روعي معنى من في قوله
للكافرين فان الكافرين ظاهر واقع موقع المضمر اذ الاصل مثوى لهم وقيل بل الاصل والذين جاوا
بالصدق فحذفت النون تخفيفا كقوله والذي خاضوا فهذا اذ لو قصد ذلك لجا بعده
ضمير الجمع فكان يقال والذي جاوا كقوله كالذي خاضوا ويدل عليه ان نون التثنية اذا حذفت عاد
الضمير مثنى كقوله ، ابني كليب ان عمي اللذا ، قتلا الملوك وفككا الاغلالا ، وجا بالقول
ان الذي حانت بفلج دماؤهم ، هم القوم كل القوم يا ام خالد ، وقرا عبد الله والذي جاوا بالصدق
وصدقوا به وقد تقدم تحقيق نظير هذه الاية في اوايل البقرة وغيرها وقيل الذي صفة لموصوف
محذوف بمعنى الجمع تقديره والفريق او الفوج ولذلك قال اوليك هم المتقون وقيل المراد بالذي
واحد بعينه وهو محمد صلى الله عليه وسلم ولكن لما كان المراد هو واتباعه اعتبر ذلك فجمع فقال
اولئك هم كقوله ولقد اتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون قاله الزمخشري وعبارته هو رسول الله
صلى الله عليه وسلم اراد به اياه ومن تبعه كما اراد بموسى اياه وقومه وناقشه ابو حيان في ايقاع
الضمير المنفصل موقع المتصل قال واصلاحه ان يقول واراد به كما اراده بموسى وقومه قال
شهاب الدين ولا مناقشة لانه مع تقدم به وبموسى لغرض من الاغراض استقل اتصال الضمير
وهذا كالبحث المتقدم في قوله تعالى ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم وقوله
يخرجون الرسول واياكم وهو ان بعض الناس زعم انه يجوز الانفصال مع القدرة على الاتصال
وتقدم الجواب بقريب مما ذكر هاهنا وتقدم بيان حكمه المتقدم ثمة وقول الزمخشري ان الضمير في
لعلهم يهتدون لموسى وقومه فيه نظر بل الظاهر خصوص الضمير بقومه دونه لانهم هم المطلوب
منهم الهداية واما موسى عليه السلام فمهتد ثابت على الهداية وقال الزمخشري ايضا ويجوز ان يريد
والفوج او الفريق الذي جا بالصدق وصدق به وهم الرسول الذي جا بالصدق وصحابته الذين
صدقوا به قال ابو حيان وفيه توزيع للصلة والفوج هو الموصول فهو كقوله جا الفريق الذي شرف
وشرف والاظهر عدم التوزيع بل المعطوف على الصلة صلة لمن له الصلة الاولى وقرا ابو صالح
وعكرمة بن سليمان ومحمد بن جحادة مخففا بمعنى صدق فيه فلم يغيره بل اداه من غير تحريف

فيه

دقري وصدق به مشهد واجبنيا للمفعول **فصل** المعني فمن اظلم ممن كذب علي الله فزعم ان له ولدا وشريكا وصدق بالصدق بالقرآن او محمد اذ جاءه ثم قال والذي جا بالصدق وصدق به قال ابن عباس والذي جا بالصدق يعني رسول الله صلي الله عليه وسلم بلا اله الا الله وصدق به الرسول ايضا بلغه الي الخلق وقال السدي والذي جا بالصدق جبريل جا بالقرآن وصدق به محمد صلي الله عليه وسلم تلقاه بالقبول وقال ابو العالية والكلبي والذي جا بالصدق رسول الله صلي الله عليه وسلم وصدق به ابو بكر رضي الله عنه وقال قتادة ومقاتل والذي جا بالصدق رسول الله صلي الله عليه وسلم وصدق به هم المومنون لقوله اولئك هم المتقون وقال عطا والذي جا بالصدق الانبيا وصدق به الاتباع وحينئذ يكون الذي بمعني الذين كقوله مثلهم كمثل الذي استوقد نارا ثم قال ذهب الله بنورهم وقال الحسن هم المومنون صدقوا به في الدنيا وجاوا به في الاخرة اولئك هم المتقون لهم ما يشاوون عند ربهم وهذا لا يقتضي العندية بمعني الجهة والمكان بل بمعني الاخلاص كقوله عند مليك مقتدر ثم قال ذلك جزا المحسنين قالت المعتزلة وهذا يدل علي ان هذا الاجر مستحق لهم علي احسانهم في العبادة **قوله** ليكفر الله في تعلق الجار وجهان احدهما انها متعلقة بمحذوف اي يسر لهم ذلك ليكفر والثاني انه يتعلق بنفس المحسنين كانه قيل الذين احسنوا ليكفر اي لاجل التكفير **قوله** اسوا الذي الظاهر انه افعل تفضيل وبه قرا العامة وقيل ليست للتفضيل بل بمعني سيي الذي عملوا كقولهم الاشج والناقص اعدلا بني مروان اي عادلاهم ويدل علي هذا قراة ابن كثير في رواية اسوا بالف بين الواو والجزم بوزن اجمال جمع سو وكذا قرا في حم السجدة **فصل** قوله لهم ما يشاوون عند ربهم يدل علي حصول الثواب علي اكمل الوجوه وقوله تعالي ليكفر الله عنهم يدل علي سقوط العقاب عنهم علي اكمل الوجوه ومعني تكفيرها اي يسترها عليهم بالمغفرة ويجزيهم اجرهم باحسن الذي كانوا يعملون وقال مقاتل يجزيهم بالمحاسن من اعمالهم ولا يجزيهم بالمساوي قال ابن الخطيب واعلم ان مقاتل كان شيخ المرجيه وهم الذين يقولون لا يضر شي من المعاصي مع الايمان كما لا ينفع شي من الطاعات مع الكفر واحتج بهذه الاية فقال انها تدل علي ان من صدق الانبيا والرسل فانه تعالي يكفر عنهم اسوا الذي عملوا ولا يجوز حمل هذا الاسوا علي الكفر السابق لان ظاهر الاية ان التكفير انما حصل في حال وصفهم بالتبري من الشرك واذا كان كذلك وجب ان يكون المراد منه الكباير التي ياتي بها بعد الايمان فتكون هذه الاية تنصيصا علي انه تعالي يكفر عنهم بعد ايمانهم ما اتوا به وذلك هو الكباير **قوله** اليس الله بكاف عبده العامة علي توحيد عبده والاخوان عباده جمعا وهم الانبيا واتباعهم وقرى بكافي عباده بالاضافه وبكافي مصادع كافي عباده نصب علي المفعول بعد اسم الفاعلة هنا يحتمل ان يكون بمعني فعل نحو تجازي بمعني تجزي وبني علي لفظه المفاعلة لما تقدم من ان بنا المفاعلة يشعر بالمبالغة لانه للمغالبة ويحتمل ان يكون اصله يكافي بالهمز من المكافاة بمعني يجزيهم فخففت الهمزة وهذا استفهام تقرير **قوله** ويخوفونك يجوز ان يكون حالا اذ المعني اليس كافيك حال تخويفهم اياك بكذا كان المعني انه كافيه في كل حال حتي في هذه الحال ويجوز ان يكون مستانفة **فصل** من قرا بكاف عبده يعني محمدا صلي الله عليه وسلم ومن قرا عباده يعني الانبيا عليهم السلام قصدهم قومهم بالسوء كما قال تعالي وهمت كل امة برسولهم لياخذوه وكفاهم الله شر من عاداهم وقيل المراد ان الله تعالي كفي نوحا عليه السلام الغرق وابرهيم النار ويونس ما دفع اليه فهو سبحانه وتعالي كافيك يا محمد كما كفي هولا الرسل قبلك وقوله تعالي ويخوفونك بالذين من دونه وذلك ان قريشا خوفوا النبي صلي الله عليه وسلم معاداة الاوثان وقالوا لتكفن عن شتم الهتنا او ليصيبنك منهم خبل او جنون فانزل الله

هذه

هذه الاية ولما شرح الوعد والوعيد والترغيب والترهيب ختم الكلام بخاتمة هي الفصل الحق فقال ومن يضلل الله فما له من هاد ومن يهد الله فما له من مضل اي هذه الدلايل والبينات لا ينتفع الا اذا خص الله العبد بالهداية والتوفيق ثم قال اليس الله بعزيز ذي انتقام وهذا تهديد للكفار **فصل** احتج اهل السنة بهذه الاية علي مسيلة خلق الاعمال لان قوله ومن يضلل الله فما له من هاد ومن يهد الله فما له من مضل صريح في ذلك وتمسك المعتزلة بقوله اليس الله بعزيز ذي انتقام ولو كان الخالق للكفر فيهم هو الله تعالي لكان الانتقام والتهديد غير لايق والله اعلم **قوله تعالي** ولين سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله الاية لما بين وعيد المشركين ووعد الموحدين عاد الي اقامة الدليل علي تزييف عبدة الاوثان فهذا التزييف مبني علي اصلين الاصل الاول ان هولا المشركين مقرون بوجود الاله القادر العالم الحكيم الرحيم وهو المراد من قوله ولين سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قال بعض اهل العلم العلم بوجود الاله القادر الحكيم الرحيم علم متفق عليه بين جمهور الخلايق لا نزاع بينهم فيه وفطرة العقل شاهدة بصحة هذا العلم فان من تامل في عجايب بدن الانسان وما فيه من انواع الحكم الغريبة والمصالح العجيبة علم انه لا بد من الاعتراف بالاله القادر الحكيم الرحيم والاصل الثاني ان هذه الاصنام لا قدرة لها علي الخير والشر وهو المراد من قوله قل افرايتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته فثبت انه لا بد من الاقرار بوجود الاله القادر الحكيم الرحيم وثبت ان هذه الاصنام لا قدرة لها علي الخير والشر واذا كان كذلك كانت عبادة الله كافية والاعتماد عليه كافيا وهو المراد من قوله قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون **قوله** افرايتم ما تدعون هي المتعدية لاثنين اولهما ما تدعون وثانيهما الجملة الاستفهامية والعايد علي المفعول منها قوله هن وانما انث تحقيرا لما تدعون من دونه ولانهم كانوا يسمونها باسما الاناث اللات والعزي ومناة وتقدم تحقيق هذا **قوله** هل هن كاشفات قرا ابو عمرو كاشفات ضره وممسكات رحمته بالتنوين ونصب ضره ورحمته وهو الاصل في اسم الفاعل والباقون بالاضافة وهو تخفيف **فصل** قال مقاتل لما نزلت هذه الاية سالهم النبي صلي الله عليه وسلم عن ذلك فسكتوا فقال الله لرسوله صلي الله عليه وسلم قل حسبي الله ثقتي بالله واعتمادي عليه يتوكل المتوكلون يثق الواثقون **قوله** قل يا قوم اعملوا علي مكانتكم وهذا امر تهديد اي انكم تعتقدون في انفسكم انكم في نهاية القوة والشدة فاجتهدوا في انواع مكركم وكيدكم فاني عامل في تقرير ديني فسوف تعلمون ان العذاب والخزي يصيبني او يصيبكم **قوله تعالي** انا انزلنا عليك الكتاب للناس بالحق الاية اعلم ان النبي صلي الله عليه وسلم كان يعظم عليه اصرارهم علي الكفر كما قال تعالي فلعلك باخع نفسك علي اثارهم وقال فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وقال لعلك باخع نفسك الا يكونوا مومنين فلما بين الله تعالي في هذه الايات فساد مذاهب المشركين تارة بالدلايل والبينات وتارة بضرب الامثال وتارة بذكر الوعد والوعيد اردفه بكلام يزيل ذلك الخوف العظيم عن قلب الرسول صلي الله عليه وسلم فقال انا انزلنا عليك الكتاب الكامل الشريف لنفع الناس وهدايتهم وجعلنا انزاله مقرونا بالحق وهو المعجز الذي يدل علي انه من عند الله فمن اهتدي فنفعه يعود اليه ومن ضل فضرر ضلالته يعود اليه وما انت عليهم بوكيل اي لست مامورا بان تحملهم علي الايمان علي سبيل القهر بل القبول وعدم القبول مفوض اليهم وذلك تسلية للرسول عليه السلام ثم بين تعالي ان الهداية والضلال لا تحصل الا من الله تعالي لان الهداية تشبه الحياة واليقظة والضلال يشبه الموت والنوم فكما ان الحياة واليقظة لا تحصلان الا بتخليق الله كذلك الهداية لا تحصل الا بتوفيق الله تعالي وكما ان الموت والنوم لا يحصلان الا بتخليق الله تعالي كذلك الضلال لا يحصل الا بامر الله تعالي ومن عرف هذه الدقيقة فقد عرف سر الله في القدر ومن عرف سر الله تعالي في القدر هانت عليه

المصايب فيصير التنبيه على هذه الدقيقة سببا لزوال ذلك الحزن عن قلب الرسول صلى الله عليه
وسلم فهذا وجه النظم وفيه وجه اخر وهو ان الله تعالى ذكر حجة اخرى في اثبات انه الاله العالم ليدل
على انه بالعبادة احق من هذه الاصنام **قوله** الله يتوفى الانفس حين موتها اي الارواح حين
موتها فيقبضها عند انقضاء اجلها وقوله حين موتها يريد موت اجسادها والتي لم تمت يريد يتوفى
الانفس التي لم تمت في منامها فالتي تتوفى عند النوم هي النفس التي يكون بها العقل والتمييز ولكل انسان
نفسان احدهما نفس الحياة وهي التي تفارقه عند الموت وتزول بزوالها النفس والاخرى هي النفس
التي تفارقه اذا نام وهو بعد النوم يتنفس فيمسك التي قضى عليها الموت فلا يردها الى الجسد ويرسل
الاخرى اي يردها الى الجسد وهي التي لم يقض عليها الموت الى اجل مسمى وهو وقت موته **قوله** والتي لم
تمت عطف على الانفس اي يتوفى الانفس حين تموت ويتوفى ايضا الانفس التي لم تمت في منامها ففي منامها
ظرف ليتوفى وقرأ الاخوان قضي مبنيا للمفعول الموت رفعا لقيامه مقام الفاعل **فصل**
قيل ان للانسان نفس وروح فعند النوم تخرج النفس وتبقى الروح وعن علي قال تخرج الروح عند
النوم ويبقى شعاعه في الجسد فبذلك يرى الرؤيا فاذا انتبه من النوم عاد الروح الى جسده باسرع
من لحظة ويقال ان ارواح الاحيا والاموات تلتقي في المنام فيتعارف ما شاء الله فاذا اراد الرجوع
الى اجسادها امسك الله ارواح الاموات عنده وارسل ارواح الاحياء حتى ترجع الى اجسادها الى
انقضاء مدة حياتها ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون لدلالات على قدرته حيث لم يغلط في امساك
ما يمسك من الارواح وارسال ما يرسل منها وقال مقاتل لعلامات لقوم يتفكرون في امر البعث
يعني ان توفي نفس النايم وارسالها بعد التوفي دليل على البعث **فان قيل** قوله الله
يتوفى الانفس يدل على ان المتوفي هو الله تعالى فقط ويؤكده قوله تعالى الذي خلق الموت والحياة
وبقوله ربي الذي يحيي ويميت وقال في اية اخرى قل يتوفاكم ملك الموت وقال في اية اخرى اذا
جاء احدكم الموت توفته رسلنا فكيف الجمع فالجواب ان المتوفي في الحقيقة هو الله تعالى
الا انه تعالى فوض كل نوع الى ملك من الملائكة ففوض قبض الارواح الى ملك الموت وهو الرئيس
وتحته اتباع وخدم فاضيف التوفي في اية الى الله تعالى وهي الاضافة الحقيقية وفي اية الى
ملك الموت لانه الرئيس في هذا العمل وفي اية الى اتباعه والله اعلم **قوله** ام اتخذوا ام
منقطعة بمعنى بل والهمزة واعلم ان الكفار اوردوا على هذا الكلام سؤالا وقالوا نحن لا نعبد
هذه الاصنام لاعتقاد انها تضر وتنفع وانما نعبدها لاجل انها تماثيل لاشخاص كانوا عند
الله من المقربين فنحن نعبدها لتشفع لنا اولئك المقربون عند الله فاجاب الله تعالى عنه
بقوله ام اتخذوا من دون الله شفعاء **قوله** قل اولو كانوا تقدم الكلام على اولو وكيف
هذا التركيب والمعنى قل يا محمد اولو كانوا اي وان كانوا يعني الالهة لا يملكون شيئا من الشفاعة
ولا يعقلون انكم تعبدونهم وجواب هذا محذوف تقديره وان كانوا بهذه الصفة تتخذونهم قل
لله الشفاعة جميعا قال مجاهد لا يشفع احد الا باذنه له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون
قوله واذا ذكر الله وحده اشمأزت نفرت قال ابن عباس ومجاهد ومقاتل اي انقبضت
عن التوحيد وقال قتادة استكبرت واصل الاشمئزاز النفور والاستكبار قلوب الذين لا يؤمنون
بالاخرة وهذا نوع اخر من اعمال المشركين القبيحة واذا ذكر الذين من دونه يعني الاصنام اذا هم
يستبشرون يعني يفرحون قال مجاهد ومقاتل وذلك حين قرأ النبي صلى الله عليه وسلم سورة
النجم فالقى الشيطان في امنيته تلك الغرانيق العلى ففرح به الكفار **قوله** واذا ذكر الذين
قال الزمخشري فان قلت ما العامل في اذا ذكر قلت العامل في اذا الفجائية تقديره وقت ذكر
الذين من دونه فاجاؤا وقت الاستبشار قال ابو حيان اما قول الزمخشري فلا اعلم من قول

من

من ينتمي الى النحو وهو ان الظرفين معمولان لفاجاؤا ثم اذا الاولى تنتصب على الظرفية والثانية
على المفعول به وقال الحوفي اذا هم يستبشرون اذا مضافة الى الابتدا والخبر واذا مكررة للتوكيد
وحذف ما يضاف اليه والتقدير اذا كان ذلك هم يستبشرون فيكون هم يستبشرون هو العامل
في اذا المعنى اذا كان كذلك استبشروا قال ابو حيان هذا بعيد جدا عن الصواب اذ جعل اذا
مضافة الى الابتدا والخبر ثم قال واذا مكررة للتوكيد وحذف ما يضاف اليه الى اخر كلامه
فاذا كانت اذا حذف ما يضاف اليه فكيف تكون مضافة الى الابتدا والخبر الذي هو هم يستبشرون
وهذا كله توجيه عدم الاتقان لعلم النحو والتحذق فيه انتهى قال شهاب الدين وفي هذه العبارة
تحامل على اهل العلم المرجوع اليهم فيه واختار ابو حيان ان يكون العامل في اذا الشرطية الفعل
بعدها لا جوابها وانها ليست مضافة لما بعدها وان كان قول الاكثرين وجعل اذا الفجائية
معمولة لما بعدها سواء كانت زمانا ام مكانا اما اذا قيل انها حرف فلا تحتاج الى عامل وهي رابطة
لجملة الجزاء بالشرط كالفاء والاشمئزاز النفور والتقبض قال ابو زيد هو الذعر اشمأز فلان اي ذعر
ووزنه افعلل كاقشعر قال الشاعر اذا عض الثقاف بها اشمأزت وولته عشوزنة زبونا
قال الزمخشري ولقد تقابل الاستبشار والاشمئزاز اذ كل واحد منهما غاية في بابه لان الاستبشار
ان يمتلي قلبه سرورا حتى يظهر ذلك السرور في اسرة وجهه ويتهلل والاشمئزاز ان يمتلي غيظا وغما
فينقبض الروح الى داخل القلب فيبقى في اديم الوجه اثر الغبرة والظلمة اللازمة ولما حكى عنهم هذا
الامر العجيب الذي تشهد فطرة العقل بفساده اردفه بذكر الدعاء العظيم فقال قل اللهم فاطر
السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون روى ابو سلمة
قال سالت عائشة بم كان يفتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته بالليل قالت كان يقول اللهم
رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك
فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم
ولما حكى عنهم هذا المذهب الباطل ذكر في وعيدهم اشياء اولها ان هؤلاء الكفار لو ملكوا كل ما في
الارض من الاموال وملكوا مثله معه جعلوا الكل فدية لانفسهم من العذاب الشديد وثانيها قوله
وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون اي ظهرت لهم انواع من العذاب لم يكن في حسابهم وهذا كقوله
عليه السلام في صفة الثواب في الجنة فيها ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فكذلك
حصل في العقاب مثله وهو قوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وقال مقاتل ظهر
لهم حين بعثوا ما لم يحتسبوا في الدنيا انه نازل بهم في الاخرة وقال السدي ظنوا ان اعمالهم حسنات
فبدت لهم سيئات والمعنى انهم كانوا يتقربون الى الله بعبادة الاصنام فلما عوقبوا عليها بدا لهم من الله
ما لم يكونوا يحتسبون وثالثها قوله تعالى وبدا لهم سيئات ما كسبوا اي مساوي اعمالهم من الشرك
وظلم اولياء الله وحاق بهم اي احاط بهم من جميع الجوانب ما كانوا به يستهزءون فنبه تعالى بهذه
الوجوه على عظم عقابهم **قوله** سيئات ما كسبوا يجوز ان يكون ما مصدرية اي سيئات كسبهم او بمعنى
الذي اي سيئات اعمالهم التي اكتسبوها **قوله تعالى** فاذا مس الانسان ضر دعانا الاية
وهذه حكاية طريقة اخرى من طرايقهم الفاسدة وهي انهم عند الوقوع في الضر الذي هو الفقر والمرض
يفزعون الى الله تعالى ويرون ان دفع ذلك البلاء لا يكون الا منه ثم انه تعالى اذا خولهم اعطاه نعمة
يقول انما اوتيته على علم اي على علم من الله اني له اهل وقيل ان كان ذلك سعادة في المال او عافية
في النفس يقول انما حصل له ذلك بجده واجتهاده وان كان مالا يقول انما حصل بكسبي وان كان صحة
قال انما حصل بسبب العلاج الفلاني وهذا تناقض عظيم لانه لما كان عاجزا محتاجا اضاف الكل
الى الله وفي حال السلامة والصحة قطعه من الله واسنده الى كسب نفسه وهذا تناقض قبيح **قوله**

انما اوتيته يجوز ان تكون ما مهيئة زايدة على ان نحو انما قام زيد وان تكون موصولة والضمير عايد
عليها من اوتيته اي ان الذي اوتيته على علم مني او على علم من الله بي اني استحق ذلك **قوله** بل هي
الضمير للنعمة ذكرها اولا في قوله انما اوتيته لانها بمعنى الانعام وقيل تقديره شيا من النعمة وانث
هنا اعتبارا بلفظها وقيل بل الحالة او الاصابة وانما عطفت هذه الجملة وهي قوله فاذا مس الانسان
بالفا والتي في اول السورة بالواو لان هذه مسببة عن قوله واذا ذكر اي يشمئزون من ذكر الله ويستبشرون
بذكر الهتهم فاذا مسهم ضر بخلاف الاولى حيث لا سبب فيها فجي بالواو التي لمطلق العطف وعلى هذا فما
السبب والمسبب جمل اعتراضية قال معناه الزمخشري واستبعده ابو حيان من حيث ان ابا علي
يمنع الاعتراض بجملتين فكيف بهذه الجمل الكثيرة ثم قال والذي يظهر في الربط انه لما قال ولو ان
للذين ظلموا الاية كان ذلك اشعارا بما ينال الظالمين من شدة العذاب وانه سيظهر لهم يوم القيمة
من العذاب اتبع ذلك بما يدل على ظلمه وبغيه اذ كان اذا مسه ضر دعا الله فاذا احسن اليه لم ينسب
ذلك اليه وقال ابن الخطيب ان السبب في عطف هذه الاية بالفا انه تعالى حكى عنهم قبل هذه الاية
انهم يشمئزون من سماع التوحيد ويستبشرون من سماع ذكر الشركا ثم ذكر بفا التعقيب انهم اذا وقعوا
في الضر والبلا التجوا الى الله وحده فكان الفعل الاول مناقضا للفعل الثاني فذكر بفا التعقيب ليدل
به على انهم واقعون في المناقضة الصريحة في الحال وانه ليس بين الاول والثاني فاصلة مع ان كل واحد
منهما مناقض للثاني فهذا انما يوجب ذكر فا التعقيب ههنا واما الاية الاولى فليس المقصود منها بيان
وقوعهم في التناقض في الحال فلاجرم ذكره تعالى بحرف الواو لا بحرف الفا ومعنى قوله فتنة اي استدراج
من الله تعالى وامتحان وبلية وقيل بل الكلمة التي قالها فتنة ولكن اكثرهم لا يعلمون انه استدراج وامتحان
قوله قد قالها اي قال القولة المذكورة وهي قوله انما اوتيته على علم لانها كلمة او جملة من
القول وقرئ قد قاله اي هذا القول او الكلام والمراد بالذين من قبلهم قارون وقومه حيث
قال انما اوتيته على علم عندي وقومه راضون به فكانهم قالوها ويجوز ان يكون في الامم الماضية
من قالها **قوله** فما اغنى يجوز ان تكون هذه نافية او استفهامية مؤولة بالنفي واذا احتجنا الى
تاويلها بالنفي فلنجعلها نافية استراحة من المجاز ومعنى الاية فما اغنى عنهم الكفر من العذاب شيا **قوله**
فاصابهم سيات ما كسبوا اي جزاوها يعني العذاب ثم اوعد كفار مكة فقال والذين ظلموا من هولاء
سيصيبهم سيات ما كسبوا ثم قال وما هم بمعجزين اي بفايتين لان مرجعهم الى الله عز وجل **قوله**
اولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشا ويقدر يعني اولم يعلموا ان الله هو الذي يبسط الرزق تارة ويقبض
اخرى ويدل على ذلك انا نرى الناس مختلفين في سعة الرزق وضيقه فلا بد لذلك من سبب وذلك
السبب ليس هو عقل الرجل وجهله لانا نرى العاقل القادر في اشد الضيق ونرى الجاهل الضعيف
في اعظم السعة وليس ذلك ايضا لاجل الطبايع ولا النجم والافلاك لان في الساعة التي ولد فيها ذلك
الملك الكريم والسلطان القاهر قد ولد فيها ايضا عالم من الناس وعالم من الحيوانات غير الانسان
ويولد ايضا في تلك الساعة عالم من النبات فلما شاهدنا حدوث هذه الاشيا الكثيرة في تلك
الساعة الواحدة مع كونها مختلفة في السعادة والشقاوة علمنا ان الفاعل لذلك هو الله تعالى فصح بهذا
البرهان العقلي القاطع صحة قوله تعالى الله يبسط الرزق لمن يشا ويقدر قال الشاعر
فلا السعد يقضي به المشتري ولا النحس يقضي علينا زحل ولكنه حكم رب السما وقاضي القضاة تعالى وجل
قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا الاية لما ذكر الوعيد اردفه بشرح كمال رحمته قيل؟
وفضله في هذه الاية انواع من المعاني والبيان حسنة منها اقباله عليهم ونداوهم ومنها اضافتهم
اليه اضافة تشريف ومنها الالتفات من التكلم الى الغيبة في قوله من رحمة الله ومنها اضافة الرحمة
لاجل اسمايه الحسنى ومنها اعادة الظاهر بلفظه في قوله ان الله ومنها ابراز الجملة من قوله انه هو الغفور

الرحيم

الرحيم مؤكده بان وبالفصل وباعادة الصفتين اللتين تضمنتهما الاية السابقة **فصل**
روى سعيد بن جبير عن ابن عباس ان ناسا من اهل الشرك كانوا قتلوا واكثروا وزنوا واكثروا فاتوا النبي
صلى الله عليه وسلم وقالوا ان الذي تدعو اليه لحسن لو تخبرنا ان لما عملنا كفارة فنزلت هذه الاية وروى عطا
ابن ابي رباح عن ابن عباس انها نزلت في وحشي قاتل حمزة حين بعث اليه النبي صلى الله عليه وسلم يدعوه
الى الاسلام فارسل اليه كيف تدعوني الى دينك وانت تزعم ان من قتل او اشرك او زنا يلق اثاما يضاعف
له العذاب يوم القيمة وانا قد فعلت ذلك كله فانزل الله الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا فقال
وحشي هذا شرط شديد لعلي لا اقدر عليه فهل غير ذلك فانزل الله عز وجل ان الله لا يغفر ان يشرك به
ويغفر ما دون ذلك لمن يشا فقال وحشي اراني بعد في شبهة فلا ادري ايغفر لي ام لا فانزل الله تعالى
قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله قال وحشي نعم هذا فجا واسلم فقال المسلمون
هذا له خاصة ام للمسلمين عامة قال بل للمسلمين عامة وروي عن ابن عمر قال نزلت هذه الاية في عياش
ابن ابي ربيعة والوليد بن الوليد ونفر من المسلمين كانوا قد اسلموا ثم فتنوا وعذبوا فافتتنوا وكنا نقول
لا يقبل الله منهم صرفا ولا عدلا ابدا قوم اسلموا ثم تركوا دينهم لعذاب عذبوا فيه فانزل الله هذه
الايات فكتبها عمر بن الخطاب بيده ثم بعث بها الى عياش بن ابي ربيعة والوليد بن الوليد والى اوليك
النفر فاسلموا وهاجروا واعلم ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب **فصل** دلت هذه
الاية على انه تعالى يعفو عن الكباير لان عرف القران جار بتخصيص اسم العباد بالمومنين قال تعالى
وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا وقال عينا يشرب بها عباد الله واذا كان لفظ العباد
مذكورا في معرض التعظيم وجب ان لا يقع الا على المومنين واذا ثبت هذا ظهر ان قوله يا عبادي
مختص بالمومنين ولان المومن هو الذي يعترف بكونه عبدا لله واما المشركون فانهم يسمون انفسهم
بعبد اللات وعبد العزى وعبد المسيح واذا ثبت ذلك فقوله تعالى يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم
عام في جميع المسرفين ثم قال ان الله يغفر الذنوب جميعا وهذا يقتضي كونه غافرا لجميع الذنوب
الصادرة عن المومنين وهو المطلوب **فان قيل** هذه الاية لا يمكن اجراوها على
ظاهرها والا لزم القطع بكون الذنوب مغفورة قطعا وانتم لا تقولون به فسقط الاستدلال
وايضا فانه تعالى قال عقيب هذه الاية وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان ياتيكم العذاب
الاية ولو كان المراد من الاية انه تعالى يغفر الذنوب جميعا قطعا لما امر عقيبه بالتوبة ولما
خوفهم بنزول العذاب عليهم من حيث لا يشعرون وايضا قال ان تقول نفس يا حسرتا على ما
فرطت في جنب الله الاية وايضا فلو كان المراد ما دل عليه ظاهر الاية لكان ذلك اغرا بالمعاصي
واطلاقا في الاقدام عليها وذلك لا يليق بحكمة الله تعالى واذا ثبت هذا وجب ان يحمل على ان
المراد منه التنبيه على انه لا يجوز ان يظن العاصي انه لا مخلص له من العذاب البتة فان اعتقد ذلك
فهو قانط من رحمة الله اذ لا احد من العصاة المذنبين الا ومتى تاب زال عقابه وصار من اهل
المغفرة والرحمة فمعنى قوله ان الله يغفر الذنوب جميعا اي بالتوبة والانابة فالجواب **قوله**
ان الاية تقتضي كون كل الذنوب مغفورة قطعا وانتم لا تقولون به قلنا بلى نحن نقول به لان صيغة
يغفر للمضارع وهي للاستقبال وعندنا ان الله تعالى يخرج من النار من قال لا اله الا الله محمد رسول
الله وعلى هذا التقدير فصاحب الكبيرة مغفور له قطعا اما قبل دخول النار واما بعد دخولها
فثبت ان دلالة ظاهر الاية على مذهبنا واما قوله لو صارت الذنوب باسرها مغفورة لما امر
بالتوبة فالجواب ان عندنا التوبة واجبة وخوف العقاب قايم فاذن لا ينقطع بازالة العقاب
بالكلية بل نقول لعله يعفو مطلقا ولعله يعذب بالنار مدة ثم يعفو بعد ذلك وبهذا يخرج الجواب
عن بقية الاسولة والله اعلم وروى مقاتل بن حيان عن نافع عن ابن عمر قال كنا معشر اصحاب رسول

الله صلى الله عليه وسلم نرى او نقول ليس شيء من حسناتنا الا وهي مقبولة حتى نزلت اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم فلما نزلت هذه الاية قلنا ما هذا الذي يبطل اعمالنا فقلنا الكباير والفواحش وكنا اذا راينا من اصاب منها قلنا قد هلك فانزل الله هذه الاية فكففنا عن القول في ذلك فكنا اذا راينا احدا اصاب منها شيا خفنا عليه وان لم يصب منها شيا رجونا له واراد بالاسراف ارتكاب الكباير وروي ان ابن مسعود انه دخل المسجد فاذا قاص يقص وهو يذكر النار والاغلال فقام على راسه فقال يا مذكر لم تقنط الناس ثم قرا قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وعن اسما بنت يزيد قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا ولا يبالي وروى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال رجل لم يعمل خيرا قط لاهله اذا مات فحرقوه ثم ذروا نصفه في البر ونصفه في البحر فوالله لين قدر الله عليه ليعذبنه عذابا لا يعذبه احدا من العالمين فلما مات فعلوا ما امرهم فامر الله البحر فجمع ما فيه وامر البر فجمع ما فيه ثم قال لم فعلت هذا قال من خشيتك يا رب وانت اعلم فغفر له وعن ضمضم بن جوش قال دخلت مسجد المدينة فناداني شيخ فقال يا اعرابي تعال وما اعرفه فقال لا تقولن لرجل والله لا يغفر الله لك ابدا ولا يدخلك الجنة قلت ومن انت يرحمك الله قال ابو هريرة قال فقلت ان هذه الكلمة يقولها احدنا لبعض اهله اذا غضب او لزوجه او لخادمه قال فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان رجلين كانا في بني اسرايل متحابين احدهما مجتهد في العبادة والاخر كانه يقول مذنب فجعل يقول اقصر اقصر عما انت فيه قال فيقول خلني وربي قال حتى وجده يوما على ذنب استعظمه فقال اقصر فقال خلني وربي ابعثت علي رقيبا فقال والله لا يغفر لك الله ابدا ولا يدخلك الجنة ابدا قال فبعث الله اليهما ملكا فقبض ارواحهما فاجتمعا عنده فقال للمذنب ادخل الجنة برحمتي وقال للاخر اتستطيع ان تحظر على عبدي رحمتي فقال لا يا رب فقال اذهبوا به الى النار قال ابو هريرة والذي نفسي بيده لتكلم بكلمة اوبقت دنياه واخرته قوله عز وجل ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم **قوله** يا عبادي قرا نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم يا عبادي بفتح اليا والباقون بسكونها وعاصم في بعض الروايات بغير فتح وكلهم يقفون عليها باثبات اليا لانها ثابتة في المصحف الا في بعض رواية ابي بكر عن عاصم انه يقف بغير يا **قوله** لا تقنطوا قرا ابو عمرو والكسائي بكسر النون والباقون بفتحها وهما لغتان قال الزمخشري وفي قراة ابن عباس وابن مسعود يغفر الذنوب جميعا لمن يشا **قوله** وانيبوا الى ربكم قال الزمخشري اي توبوا اليه واسلموا له اي واخلصوا لله العمل من قبل ان ياتيكم العذاب ثم لا تنصرون واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم يعني القران والقران كله حسن ومعنى الاية ما قال الحسن الزموا طاعته واجتنبوا معصيته فان في القران ذكر القبيح لتجتنبه وذكر الادون لئلا ترغب فيه وذكر الاحسن لتوثره وقيل الاحسن الناسخ دون المنسوخ لقوله تعالى ما ننسخ من اية او ننسها نات بخير منها او مثلها ثم قال من قبل ان ياتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون وهذا تهديد وتخويف والمعنى يفاجيكم العذاب وانتم غافلون عنه واعلم انه تعالى لما خوفهم بالعذاب بين انهم بتقدير نزول العذاب عليهم ماذا يقولون فحكى تعالى عليهم ثلاثة انواع من الكلام فالاول **قوله** ان تقول مفعول من اجله فقدره الزمخشري كراهة ان تقول وابن عطية ابو البقا والحوفي انذرناكم مخافة ان تقول ولا حاجة الى اضمار هذا العامل مع وجود انيبوا وانما نكر نفسا لانه اراد التكثير كقول الاعشى

ورب بقيع لو هتفت بجوه اتاني كريم ينفض الراس مغضبا

يريد افاني كرام كثيرون لا كريم فذلنا فانه المعنى المقصود ويجوز ان يريد نفسا متميزة من بين الانفس باللجاج الشديد في الكفر او بالعذاب العظيم **قوله** يا حسرتا العامة على الالف بدلا من يا الاضافة وعن ابن كثير يا حسرتاه

بها السكت ووقفا وابو جعفر يا حسرتي على الاصل وعنه ايضا يا حسرتاي بالالف واليا وفيها وجهان احدهما الجمع بين العوض والمعوض منه والثاني انه تثنية حسرة مضافة ليا المتكلم واعترض على هذا بانه كان ينبغي ان يقال يا حسرتي بادغام يا النصب في يا الاضافة واجيب بانه يجوز ان يكون راعى لغة الحرث بن كعب وغيرهم نحو رايت الزيدان وقيل الالف بدل من اليا واليا بعدها مزيدة وقيل الالف مزيدة بين المتضايفين وكلاهما ضعيف **قوله** على ما فرطت ما مصدرية اي على تفريطي وثم مضاف اي في جنب طاعة الله وقيل في جنب الله المراد به الامر والجهة يقال هو في جنب فلان وجانبه اي جهته وناحيته قال

الناس جنب والامير جنب

وقال اخر

اني جنب بكى قطعتني ملامة سليمى لقد كانت ملامتها ثنا

ثم اتسع فيه فقيل فرط في جنبه اي في حقه قال

اما تتقين الله في جنب عاشق له كبد حرا عليك تقطع

فصل المعنى ان تقول نفس يا حسرتا يعني لان تقول نفس كقوله والقى في الارض رواسي ان تميد بكم اي لئلا تميد بكم قال المبرد اي بادروا واحذروا ان تقول نفس قال الزجاج خوفا ان تصيروا الى حال تقولون يا حسرتا يا ندامتا والتحسر الاغتمام على ما فات واراد يا حسرتي على الاضافة لكن العرب تحول يا الكناية الفا في الاستغاثة فتقول يا ويلتا ويا ندامتا وربما الحقوا بها اليا بعد الالف ليدل على الاضافة كقراة ابي جعفر المتقدمة وقيل معنى قوله يا حسرتا اي يا ايتها الحسرة هذا وقتك على ما فرطت في جنب الله قال الحسن قصرت في طاعة الله وقال مجاهد في امر الله وقال سعيد بن جبير في حق الله وقيل قصرت في الجانب الذي يودي الى رضى الله والعرب تسمي الجنب جانبا ثم قال وان كنت لمن الساخرين المستهزين بدين الله قال قتادة لم يكفه ان ضيع طاعة الله حتى جعل يسخر باهل طاعته ومحل وان كنت النصب على الحال كانه قال فرطت وانا ساخر اي فرطت في حال سخريتي النوع الثاني من الكلمات التي حكاها الله تعالى عنهم بعد نزول العذاب عليهم **قوله** او تقول لو ان الله هداني لكنت من المتقين النوع الثالث او تقول حين ترى العذاب عيانا لو ان لي كرة رجعة الى الدنيا فاكون من المحسنين الموحدين فحصروا اولا على التفريط في طاعة الله وثانيا على فقد الهداية وثالثا تمنوا الرجعة **قوله** فاكون في نصبه وجهان احدهما عطفه على كرة فانها مصدر فعطف مصدر مول على مصدر مصرح به كقولها

للبس عباءة وتقر عيني احب الي من لبس الشفوف

وقول الاخر

فمالك منها غير ذكرى وحسرة وتسال عن ركبانها اين يمموا

والثاني انه منصوب على جواب التمني المفهوم من قوله لو ان لي كرة والفرق بين الوجهين ان الاول يكون فيه الكون متمنى ويجوز ان يضمر ان وان يظهر والثاني يكون فيه الكون مترتبا على حصول المتمني ويجب ان يضمر ان **قوله** بلى حرف جواب وفيما دخلت جوابا له وجهان احدهما هو نفي مقدر قال ابن عطية وحق بلى ان تجي بعد نفي عليه تقرير كان النفس قالت لم يتسع لي النظر ولم يتبين لي الامر قال ابو حيان ليس حقها النفي المقرر بل حقها النفي ثم حمل التقرير عليه ولذلك اجاب بعض العرب النفي المقرر بنعم دون بلى وكذا وقع في عبارة سيبويه نفسه والثاني ان التمني المذكور وجوابه متضمنان لنفي الهداية كانه قال لم اهتد فرد الله عليه ذلك قال الزجاج بلى جواب النفي وليس في الكلام لفظ النفي الا انه حصل فيه معنى النفي لان قوله لو ان الله هداني انه ما هداني فلا جرم حسن ذكر بلى بعده قال الزمخشري فان قلت هلا قرن الجواب بما هو جواب له وهو قوله لو ان الله هداني ولم يفصل بينهما قلت لانه لا يخلو اما ان يقدم على احدى القراين الثلاث فيفرق بينهن واما ان يوخر القرينة الوسطى فلا يحسن الاول لما فيه من تبتير النظم بالجمع بين القراين واما الثاني فلما فيه من نقض الترتيب وهو التحسر على التفريط في الطاعة ثم التعلل بفقد الهداية ثم تمني الرجعة فكان الصواب ما جا عليه وهو انه حكى اقوال النفس على ترتيبها ثم اقتضى الجواب **قوله** جاتك قرا العامة بفتح الكاف فكذبت

واستكبرت وكنت بفتح التا خطابا للكافر دون النفس وقرا الجحدري وابو حيوة وابن يعمر والشافعي
عن ابن كثير ورويتها ام سلمة عنه عليه السلام وبها قرا ابو بكر وابنته عايشة رضي الله عنهما بكسر
الكاف والتا خطابا للنفس والحسن والاعرج والاعمش جاتك بوزن جئتك بهمز دون الف فيحتمل ان
يكون قصر كقراة قنبل ان راه استغنى وان يكون في الكلمة قلب بان قدمت اللام على العين فالتقى
ساكنان فحذفت الالف لالتقايهما نحو رمت وغزت ومعنى الاية يقال لهذا القايل بلى قد جاتك
اياتي يعني القران فكذبت بها وقلت ليست من الله واستكبرت اي تكبرت عن الايمان بها وكنت من
الكافرين **قوله تعالى** ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة الكا
على رفع وجوههم مسودة وهي جملة من مبتدا وخبر وفي محلها وجهان احدهما النصب على الحال من
الموصول لان الروية بصرية وكذا اعربها الزمخشري ومن مذهبه انه لا يجوز اسقاط الواو من مثلها
الا شاذا تابعا في ذلك الفرا فقد رجع منه عن ذلك والثاني انها في محل نصب مفعولا ثانيا
لان الروية قلبية وهو بعيد لان تعلق الروية البصرية بالاجسام والوانها اظهر من تعلق القلبية
بها وقرى وجوههم مسودة بنصبهما على ان وجوههم بدل بعض من كل ومسودة على ما تقدم من
النصب على الحال او على المفعول الثاني وقال ابو البقا ولو قرى وجوههم بالنصب لكان بدل
الاشتمال قال شهاب الدين قد قرى به والحمد لله ولكن ليس كما قال على بدل الاشتمال بل على بدل البعض
وكانه سبق لسان او طغيان قلم وقرا ابي اجوههم بقلب الواو همزة وهو فصيح نحو اقتت وبابه
وقوله اليس في جهنم مثوى للمتكبرين عن الايمان **قوله** وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم قرا الاخوان
وابو بكر بمفازاتهم جمعا لما اختلفت انواع المصدر جمع كقوله تعالى وتظنون بالله الظنونا ولان
لكل متقي نوعا اخر من المفازة والباقون بالافراد على الاصل وقيل ثم مضاف محذوف اي بدواعي
مفازتهم وباسبابها والمفازة النجاة وقيل لا حاجة لذلك لان المراد بالمفازة الفلاح قال
البغوي لان المفازة بمعنى الفوز اي ينجيهم بفوزهم من النار باعمالهم الحسنة وقال المبرد المفازة
مفعلة من الفوز والجمع حسن كالسعادة والسعادات **قوله** لا يمسهم السوء يجوز ان يكون
هذه الجملة مفسرة لمفازتهم كانه قيل وما مفازتهم فقيل لا يمسهم السوء فلا محل لها ويجوز ان تكون في محل
نصب على الحال من الذين اتقوا ومعنى الكلام لا يصيبهم مكروه ولا هم يحزنون **قوله تعالى**
الله خالق كل شي الاية تقدم الكلام على هذه الاية في الانعام واعلم انها تدل على ان اعمال العباد
مخلوقة لله تعالى وقال الكعبي هنا ان الله تعالى مدح نفسه بقوله الله خالق كل شي وليس من
المدح ان يخلق الكفر والقبايح فلا يصح احتجاج المخالف به وايضا فلفظة كل قد لا توجب العموم
لقوله تعالى واوتيت من كل شي يريد كل شي تحتاج الملك اليه وايضا لو كانت اعمال العباد من خلق
الله لما اضافها اليهم بقوله كفارا حسدا من عند انفسهم ولما صح قوله تعالى ويقولون هو من عند
الله وما هو من عند الله وقال الجبايي الله خالق كل شي سوى افعال خلقه التي صح فيها الامر والنهي
واستحقوا بها الثواب والعقاب ولو كانت افعالهم خلقا لله لما جاز ذلك فيه كما لا يجوز في الوانهم
وصورهم وقال ابو مسلم الخلق هو التقدير لا الايجاد فاذا اخبر الله انهم يفعلون الفعل الفلاني فقد
قدر ذلك الفعل فصح ان يقال انه تعالى خلقه وان لم يكن موجدا له والجواب عن هذه الوجوه تقدم
في سورة الانعام واما قوله وهو على كل شي وكيل اي الاشيا كلها موكوله اليه فهو القايم بحفظها
وتدبيرها من غير مشارك وهذا ايضا يدل على ان فعل العبد مخلوق لله تعالى لان فعل العبد لو وقع
بخلق العبد لكان ذلك الفعل غير موكول الى الله تعالى فلم يكن الله وكيلا عليه وذلك ينافي عموم الاية **قوله**
له مقاليد السموات والارض له مقاليد جملة مستانفة والمقاليد جمع مقلاد او مقليد ولا واحد له
من لفظه كاساطير واخواته ويقال ايضا اقليد واقاليد وهي المفاتيح والكلمة فارسية معربة وفي

هذا

هذا الكلام استعارة بديعة نحو قولك بيد فلان مفتاح هذا الامر وليس ثم مفتاح وانما هو عبارة
عن شدة تمكنه من ذلك الشي قال الزمخشري قيل سال عثمان رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير
قوله له مقاليد السموات والارض فقال يا عثمان ما سالني عنها احد قبلك تفسيرها لا اله الا الله
والله اكبر وسبحان الله وبحمده واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول والاخر والظاهر
والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شي قدير وقال قتادة ومقاليد السموات والارض
بالرزق والرحمة وقال الكلبي خزاين المطر والنبات **قوله** والذين كفروا بايات الله اوليك
هم الخاسرون وهذا يقتضي انه لا خاسر الا الكافر وان من لم يكن كافرا فانه لا بد وان يحصل له حظ
من رحمة الله قال الزمخشري فان قلت بم اتصل قوله والذين كفروا بايات الله بقوله له مقاليد
السموات والارض قلت انه اتصل بقوله وينجي الله الذين اتقوا اي ينجي الله المتقين بمفازتهم والذين
كفروا هم الخاسرون واعترض ما بينهما انه خالق الاشيا كلها وان له مقاليدها السموات والارض قال
ابن الخطيب وهذا عندي ضعيف من وجهين الاول ان وقوع الفاصل الكثير بين المعطوف
والمعطوف عليه بعيد الثاني ان قوله وينجي الله الذين اتقوا جملة فعلية وقوله والذين كفروا بايات
الله اوليك هم الخاسرون جملة اسمية وعطف الجملة الاسمية على الجملة الفعلية لا يجوز قال
شهاب الدين وهذا الاعتراض معترض اذ لا مانع من ذلك ثم قال ابن الخطيب بل الاقرب عندي
ان يقال انه لما وصف الله تعالى بصفات الالهية والجلالة وهو كونه خالقا للاشيا كلها وكونه مالكا
لمقاليد السموات والارض باسرها قال بعده والذين كفروا بهذه الايات الظاهرة الباهرة هم
الخاسرون **قوله** قل افغير الله تامروني اعبد فيه ثلاثة اوجه اظهرها ان غير منصوب
باعبد واعبد معمول لتامروني على اضمار ان المصدرية فلما حذفت بطل عملها وهو احد الوجهين
والاصل افتامروني بان اعبد غير الله ثم قدم مفعول اعبد على تامروني العامل في عامله وقد
ضعف بعضهم هذا بانه يلزم منه تقديم معمول الصلة على الموصول لان غير منصوب باعبد واعبد
صلة لان وهو لا يجوز وهذا الرد ليس بشي لان الموصول لما حذف لم يراع حكمه فيما ذكر بل انما يراعى معنا
لتصحيح الكلام قال ابو البقا لو حكمنا بذلك لافضى الى حذف الموصول وابقا صلته وذلك لا يجوز
الا في ضرورة شعر وهذا الذي ذكره فيه نظر من حيث ان هذا مختص بان دون سائر الموصولات
وهو انها تحذف ويبقى صلتها وهو منقاس عند البصريين في مواضع تحذف ويبقى عملها الا في ضرورة
او قليل وينشد بالوجهين الا ايهاذا الزاجري احضر الوغى وان اشهد اللذات هل انت مخلدي
ويدل على ارادة ان في الاصل قراة بعضهم اعبد بنصب الفعل عند اولا بان الثاني ان غير منصوب
بتامروني واعبد بدل منه بدل اشتمال وان مضمرة معه ايضا والتقدير افغير الله تامروني عبادة
والمعنى افتامروني بعبادة غير الله الثالث انها منصوبة بفعل مقدر تقديره افتلزموني
غير الله اي عبادة غير الله وقدره الزمخشري تعبدونني وتقولون لي اعبده والاصل تامرونني ان اعبد
فحذف ان ورفع الفعل الا ترى انك تقول افغير الله تقولون لي اعبد وافغير الله تقولون لي اعبد
فكذلك افغير الله تقولون لي ان اعبد وافغير الله تامروني ان اعبد والدليل على صحة هذا الوجه
قراة من قرا اعبد بالنصب واما اعبد ففيه ثلاثة اوجه احدها انه في محل نصب مع المضمر في محل نصب
على البدل من غير وقد تقدم الثاني انه في محل نصب على الحال الثالث انه لا محل له البتة
قوله تامروني قرا الجمهور تامروني بادغام نون الرفع في نون الوقاية وفتح اليا ابن كثير
وارسلها الباقون وقرا نافع تامروني بنون خفيفة وفتح اليا وابن عامر تامرونني بالفك وسكون
اليا وقد تقدم في سورة الانعام والحجر وغيرهما انه متى اجتمع نون الرفع مع نون الوقاية جاز
ثلاثة اوجه وتقدم تحقيق الخلاف في ايهما المحذوفة قال مقاتل وذلك حين قال له المشركون

دع دينك واتبع دينا بابائك ونؤمن بالهك ونظيرهذه الاية قل اغير الله اتخذ وليا وقد تقدم في
تلك الاية وجه الحكمة في تقدم المفعول ووصفهم بالجهل لانه تقدم وصف الاله بكونه خالقا
للاشيا كلها وبكون له مقاليد السموات والارض وكون هذه الاصنام جمادات لا تضر ولا تنفع فمن
اعرض عن عبادة الاله الموصوف بتلك الصفات المقدسة الشريفة واشتغل بعبادة هذه الاصنام
الخسيسة فقد بلغ في الجهل مبلغا لا مزيد عليه فلهذا قال ايها الجاهلون **قوله** ولقد اوحي
اليك والي الذين من قبلك لين اشركت ليحبطن عملك الذي عملت قبل الشرك واعلم ان الظاهر
ان قوله لين اشركت هذه الجملة هي القايمة مقام الفاعل لانها هي الموحاة واصول البصريين تابي
ذلك ويقدرون ان القايم مقامه ضمير المصدر لان الجملة لا تكون فاعلا عندهم والقايم هنا
مقام الفاعل الجار والمجرور وهو اليك وقري ليحبطن بضم اليا وكسر البا اي الله وليحبطن بنون العظمة
وليحبطن على البنا للمفعول وعملك مفعول به على القراتين الاولتين ومرفوع على الثالثة لقيامه
مقام الفاعل قال ابن الخطيب واللام الاولي موطية للقسم المحذوف والثانية لام الجواب **فان
قيل** كيف اوحي اليه والي من قبله حال شركه علي التعيين فالجواب تقدير الاية اوحي اليك
لين اشركت ليحبطن عملك والي الذين من قبلك مثله اي اوحي اليك والي كل واحد منهم لين اشركت كما
تقول كسانا حلة اي كل واحد منا **فان قيل** كيف صح هذا الكلام مع علم الله تعالى
ان رسله لا يشركون ولا يحبط اعمالهم فالجواب ان قوله لين اشركت ليحبطن عملك قضية شرطية
والقضية الشرطية لا يلزم من صدقها صدق جزييها الاتري ان قولك لو كانت الخمسة زوجا لكانت
منقسمة بمتساويين قضية صادقة مع ان كل واحد من جزييها غير صادق قال تعالى لو كان فيهما
الهة الا الله لفسدتا ولم يلزم من هذا صدق بان فيهما الهة وانهما قد فسدتا قال المفسرون
هذا الخطاب مع الرسول صلى الله عليه وسلم والمراد منه غيره وقيل هذا ادب من الله لنبيه
وتهديد لغيره لان الله عز وجل عصمه من الشرك وقوله ولتكونن من الخاسرين قال ابن
الخطيب كما ان طاعات الانبيا والرسل افضل من طاعات غيرهم فكذلك القبايح التي تصدر عنهم
فانها تتضاعف وبكونها اقبح لقوله تعالى اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات
فكان المعنى ان الشرك الحاصل منه بتقدير حصوله منه يكون تاثيره في غضب الله تعالى اقوي
واعظم **قوله** بل الله فاعبد الجلالة منصوب باعبد وتقدم الكلام في مثل هذه الفا
في البقرة وجعله الزمخشري جواب شرط مقدر اي ان كنت عاقلا فاعبد الله فحذف الشرط
وجعل تقديم المفعول عوضا منه ورده ابو حيان عليه بانه يجوز ان تجي زيد فعمرا اضرب فلو كان
التقديم عوضا لم يجمع بين العوض والمعوض منه وقرا عيسي بل الله رفعا على الابتدا والعايد محذوف
اي فاعبده **فصل** لما قال تعالى قل افغير الله تامروني اعبد ذكر ما يعيد انهم امروه
بعبادة غير الله فقال الله تعالى له لا تعبد الا الله فان قوله بل الله فاعبد يفيد الحصر وكن
من الشاكرين لانعامه عليك بالهداية **قوله** وما قدروا الله حق قدره قرا الحسن وابو حيوة
وعيسى قدّروا بتشديد الدال حق قدَره بفتح الدال وافقهم الاعمش على فتح الدال من قدره والمعنى
وما عظموه حق عظمته حين اشركوا به غيره **قوله** والارض جميعا قبضته مبتدا وخبر في محل نصب
على الحال اي ما عظموه حق تعظيمه والحال انه موصوف بهذه القدرة الباهرة كقوله كيف تكفرون
بالله وكنتم امواتا فاحياكم اي كيف تكفرون بمن هذا وصفه وحال ملكه كذا وجميعا حال وهي دالة
على ان المراد بالارض الارضون فان هذا التاكيد لا يحسن ادخاله الا على الجمع قال ابن الخطيب ونظيره
قوله تعالى كل الطعام وقوله او الطفل الذين لم يظهروا وقوله ان الانسان لفي خسر لان الموضع موضع
تفخيم فلعطف الجمع عليها والعامل في هذه الحال ما دل عليه قبضته ولا يجوز ان يعمل فيها قبضته

سوا جعلته مصدرا لان المصدر لا يتقدم عليه معموله ام مرادا به المقدار قال الزمخشري ومع القصد
الي الجمع يعني في الارض وانه اريد به الجمع وتاكيده بالجمع اتبع الجمع موكدة قبل مجي الخبر ليعلم اول
الامر ان الخبر الذي يرد لا يقع عن ارض واحدة ولكن عن الارضين كلها وقال ابو البقا وجميعا
حال من الارض والتقدير اذا كانت مجتمعة قبضته اي مقبوضته فالعامل في اذا المصدر لانه
بمعنى المفعول وقال ابو علي في الحجة التقدير ذات قبضته وقد رد عليه ذلك بان المضاف اليه
لا يعمل فيما قبله وهذا لا يتبع لانه الان غير مضاف وبعد حذف المضاف لا يبقي حكمه انتهي وهو كلام
فيه اشكال اذ لا حاجة الي تقدير العامل في اذا التي لم يلفظ بها وقوله قبضته اي قد رانا فيها كما
كما قال الفارسي اي ذات قبضته لم يكن فيه وقوع المصدر موقع مفعول وان لم يقدر ذلك
احتمل ان يكون المصدر واقعا موقعه وحينيذ يقال كيف انث المصدر الواقع موقع مفعول
وهو غير جايز لا يقال حلة نسج اليمن بل نسج اليمن اي منسوجة والجواب ان الممتنع دخول التا الدالة
علي التحديد وهذه لمجرد التانيث كذا اجيب وليس بذاك فان المعنى على التحديد لانه ابلغ في
التقدير واحتمل ان يكون اريد بالمصدر مقدار ذلك **والقبضة** بالفتح المرة وبالضم
اسم المقبوض كالغرفة والغرفة قال تعالى فقبضت قبضة من اثر الرسول والعامة على رفع
قبضته والحسن نصبها وخرجها ابن خالويه وجماعة على النصب على الظرفية اي في قبضته ورد هذا
بانه ظرف مختص فلا بد من وجود في وهذا هو راي البصريين واما الكوفيون فهو جايز عندهم اذ
يجيزون زيد دارك بالنصب اي في دارك وقال الزمخشري جعلها ظرفا تشبيها للموقت بالمبهم
فوافق الكوفيين **قوله** والسموات مطويات العامة على رفع مطويات خبرا وبيمينه فيه
اوجه احدها انه متعلق بمطويات الثاني انه حال من الضمير في مطويات الثالث انه خبر
ثان وعيسى والجحدري نصباها حالا واستدل بها الاخفش على جواز تقديم الحال اذا كان العامل
فيها حرف جر نحو زيد قايما في الدار وهذه لا حجة فيها لامكان تخريجها على وجهين اظهرهما ان
يكون السموات نسقا على الارض ويكون قبضته خبرا عن الارضين والسموات بان الجميع قبضته ويكون
مطويات حالا من السموات كما كان جميعا حالا من الارض وبيمينه متعلق بمطويات والثاني
ان يكون مطويات منصوبا بفعل مقدر وبيمينه الخبر ومطويات وعامله جملة معترضة
وهو ضعيف **فصل** لما حكي عن المشركين انهم امروا الرسول بعبادة الاصنام ثم انه
تعالى اقام الدلايل على فساد قولهم وامر الرسول بان يعبد الله ولا يعبد سواه بين انهم
لو عرفوا الله حق معرفته لما جعلوا هذه الاشيا الخسيسة مشاركة له في العبودية فقال وما
قدروا الله حق قدره اي ما عظموا الله حق عظمته ولما بين انهم ما عظموه تعظيما لايقا به اردفه
بما يدل على كمال عظمته فقال والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه
روي البخاري ان حبرا من الاحبار اتي النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد انا نجد ان الله يجعل
السموات على اصبع والارضين على اصبع والشجر على اصبع والما والثري على اصبع وسائر الخلق
على اصبع ويقول انا الملك فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر
ثم قرا وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة وروي مسلم قال والجبال
والشجر على اصبع وقال ثم يهزهن فيقول انا الملك انا الله وروي مسلم عن ابن ابي شيبة باسناده
عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوي الله السموات يوم القيمة ثم ياخذهن
بيده اليمنى ثم يقول انا الملك اين الجبارون اين المتكبرون ولما بين سبحانه وتعالى عظمته قال
سبحانه وتعالى عما يشركون **فصل** قال ابن الخطيب وههنا سوالات الاول ان العرش
اعظم من السموات السبع والارضين السبع ثم انه تعالى قال في صفة العرش ويحمل عرش ربك

فوقهم يومئذ ثمانية فاذا وصف الملائكة بكونهم حاملين للعرش العظيم فكيف يجوز تقرير عظمة الله عز وجل بكونه حاملا للسموات والارض السؤال الثاني قوله تعالى والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه شرح حال لا تحصل الا في القيمة والقوم ما شاهدوا ذلك فان كان هذا الخطاب مع المصدقين للانبيا فهم معترفون بانه لا يجوز القول بجعل الاصنام شركاء لله فلا فايدة في ايراد هذه الحجة عليهم وان كان الخطاب مع المكذبين بالنبوة فهم ينكرون قوله والارض جميعا قبضته يوم القيمة فكيف يمكن الاستدلال به على ابطال القول بالشرك السؤال الثالث حاصل القول بالقبضة واليمين هو القدرة الكاملة الوافية بحفظ هذه الاجسام العظيمة فكما ان حفظها وامساكها يوم القيمة ليس الا بقدرة الله تعالى فكذلك الآن فما الفايدة في تخصيص هذه الاحوال بيوم القيمة والجواب عن الاول ان مراتب التعظيم كثيرة فاولها تقرير عظمة الله بكونه قادرا على حفظ هذه الاجسام العظيمة كما ان حفظها وامساكها يوم القيامة عظيم ثم بعده تقرير عظمته بكونه قادرا على امساك اوليك الملائكة الذين يحملون العرش والجواب عن الثاني ان المقصود منه ان المتولي لابقا السموات والارضين من وجوه العمارة في هذا الوقت هو المتولي لتخريبها وافنائها يوم القيمة وذلك يدل على حصول قدرة تامة على الايجاد والاعدام ويدل ايضا على كونه قادرا غنيا على الاطلاق فانه يدل على انه اذا حاول تخريب الارض فكانه يقبض قبضة صغيرة وذلك يدل على كمال الاستغنا والجواب عن الثالث انما خصص تلك الحالة بيوم القيمة ليدل على انه كما ظهر كمال قدرته في الايجاد عند عمارة الدنيا يظهر كمال قدرته في الاعدام عند خراب الدنيا والله اعلم **قوله** ونفخ في الصور العامة على سكون الواو وقرا زيد بن علي وقتادة بفتحها جمع صورة وهذه ترد قول ابن عطية ان الصور هنا يتعين ان يكون القرن ولا يجوز ان يكون جمع صورة وقرئ فصعق مبنيا للمفعول وهذا ماخوذ من قولهم صعقتهم الصاعقة يقال صعقه الله فصعق **قوله** الا من شاء الله متصل والمستثنى اما جبريل وميكائيل واسرافيل واما رضوان والحور والزبانية واما الباري تعالى قاله الحسن وفيه نظر من حيث قوله من في السموات ومن في الارض فانه لا يتحيز فعلى هذا يتعين ان يكون منقطعا **قوله** ثم نفخ فيه اخرى يجوز ان يكون اخرى هي القائمة مقام الفاعل وهي في الاصل صفة لمصدر محذوف اي نفخ فيه نفخة اخرى ويويده التصريح بذلك في قوله فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة فصرح باقامة المصدر ويجوز ان يكون القائم مقامه الجار واخرى منصوبة على ما تقدم **قوله** فاذا هم قيام العامة على رفع قيام خبرا وزيد ابن علي نصبه حالا وفيه حينئذ اوجه احدها ان الخبر ينظرون وهو العامل في هذه الحال اي فاذا هم ينظرون قياما والثاني ان العامل في الحال ما عمل في اذا الفجائية اذا كانت ظرفا فان كانت مكانية كما قال سيبويه فالتقدير فبالحضرة هم قياما وان كانت زمانية كقول الرماني فتقديره ففي ذلك الزمان هم قياما اي وجودهم وانما احتيج الى تقدير مضاف في هذا الوجه لانه لا يخبر بالزمان عن الجثث الثالث ان الخبر محذوف هو العامل في الحال اي فاذا هم مبعوثون او مجموعون قياما واذا جعلنا الفجائية حرفا كقول بعضهم فالعامل في الحال اما ينظرون واما الخبر المقدر كما تقدم تحقيقهما **فصل** لما ذكر كمال قدرته وعظمته بما سبق ذكره اردفه بذكر طريق اخر يدل ايضا على كمال عظمته وهو شرح مقدمات يوم القيمة لان نفخ الصور يكون قبل ذلك اليوم فقال ونفخ في الصور الاية اختلفوا في الصعقة فقيل انها غير الموت لقوله تعالى في موسى عليه السلام وخر موسى صعقا وهو لم يمت فهذه النفخة تورث الفزع الشديد وعلى هذا فالمراد من نفخ الصعقة ومن نفخ الفزع واحد وهو المذكور في سورة النمل في قوله تعالى ونفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله وعلى هذا القول فنفخ الصور ليس الا مرتين وقيل الصعقة عبارة عن الموت

والقايلون

والقايلون بهذا قالوا المراد بالفزع اي كادوا يموتون من الفزع وشدة الصوت وعلى هذا التقدير فالنفخة تحصل ثلاث مرات اولها نفخة الفزع وهي المذكورة في سورة النمل والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة القيام وهما مذكورتان في هذه السورة وقوله الا من شاء الله قال ابن عباس نفخة الصعق يموت من في السموات ومن في الارض الا جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت ثم يميت الله تعالى ميكائيل واسرافيل ويبقى جبريل وملك الموت ثم يميت جبريل ثم يميت ملك الموت وقيل المستثنى هم الشهدا لقوله تعالى بل احيا عند ربهم يرزقون وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال هم الشهدا متقلدون اسيافهم حول العرش وقال جابر هو موسى صلى الله عليه وسلم لانه صعق ولا يصعق ثانيا وقيل هم الحور العين وسكان العرش والكرسي وقال قتادة الله اعلم بهم وليس في القران والاخبار ما يدل على انهم من هم ثم قال ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون وهذا يدل على ان هذه النفخة متاخرة عن النفخة الاولى لان لفظة ثم للتراخي وروى ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين النفختين اربعون قالوا اربعون يوما قال ابيت قالوا اربعون شهرا قال ابيت قالوا اربعون سنة قال ابيت قال ثم ينزل الله من السما ما فينبتون كما ينبت البقل ليس من الانسان شي الا يبلى الا عظم واحد وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيمة وقوله فاذا هم قيام ينظرون يعني ان قيامهم من القبور يحصل عقيب هذه النفخة الاخيرة في الحال من غير تراخ لان الفا في قوله فاذا هم يدل على التعقيب وقوله ينظرون يقلبون ابصارهم ويجوز ان يكون القيام بمعنى الوقوف والجمود في مكانهم لاجل استيلاء الحيرة والدهشة عليهم **قوله** واشرقت الارض العامة على بنائه للفاعل وابن عباس وابو الجوزا وعبيد بن عمير على بنائه للمفعول وهو منقول بالهمزة من شرقت اذا طلعت وليس من اشرقت بمعنى اضاءت لان ذاك لازم وجعله ابن عطية مثل رجع ورجعته ووقف ووقفته يعني فيكون اشرق لازما ومتعديا **فصل** هذه الارض عرصة القيمة وليست بالارض الاولى لقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض وقوله بنور ربها اي خالقها حين يتجلى الرب لفصل القضا بين خلقه وقال الحسن والسدي بنور ربها اي بعدل ربها قال عليه السلام انكم سترون ربكم [illegible] كما لا تضارون في الشمس في اليوم الصحو وقوله ووضع الكتاب اي كتاب الاعمال لقوله وكل انسان الزمناه طايره في عنقه ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا وقوله مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ وقوله وجي بالنبيين والشهدا قال ابن عباس يعني الذين يشهدون للرسل بتبليغ الرسالة وهم امة محمد صلى الله عليه وسلم وقال عطا ومقاتل يعني الحفظة لقوله تعالى وجاءت كل نفس معها سايق وشهيد وقيل اراد بالشهدا المستشهدون في سبيل الله قال وقضي بينهم بالحق اي بالعدل وهم لا يظلمون اي لا يزادون في سياتهم ولا ينقص من حسناتهم ووفيت كل نفس ما عملت اي ثواب ما عملت واعلم انه تعالى لما بين انه يوصل الى كل واحد حقه عبر عن هذا المعنى باربع عبارات اولها قوله تعالى وقضي بينهم بالحق وثانيها قوله تعالى وهم لا يظلمون وثالثها قوله تعالى ووفيت كل نفس ما عملت اي جزاء ما عملت ورابعها قوله تعالى وهو اعلم بما يفعلون يعني انه ان لم يكن عالما بكيفيات احوالهم فلعله لا يقضي بالحق لاجل عدم العلم اما اذا كان عالما بمقادير افعالهم وبكيفياتها امتنع دخول الخطا عليه والمقصود من الاية المبالغة في تقرير ان كل مكلف فانه يصل الى حقه قال عطا يريد اني عالم بافعالهم لا احتاج الى كاتب ولا شاهد **قوله** وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا لما شرح احوال يوم القيمة على سبيل الاجمال قال ووفيت كل

نفس ما عملت بين بعده كيفية احوال العقاب ثم كيفية احوال الثواب فاما شرح احوال العقاب
فهو هذه الاية لو هذا السوق يكون بالعنف والدفع بدليل قوله تعالى يوم يدعون الى نار جهنم
دعا اي يدفعون دفعا في قوله ونسوق المجرمين الى جهنم وردا قوله زمرا حال وزمر جمع
زمرة وهي الجماعات في تفرقة بعضها في اثر بعض وتعرفوا جماعات حتى حوالى زمرة بعد زمرة
هذا قول ابي عبيدة والاخفش وقال الراغب الزمرة الجماعة القليلة ومنه شاة زمرة اي
قليلة الشعر ورجل زمر اي قليل المروة وزمرت النعامة تزمر زمارا وصوتها اشتق
الزمر والمزمار كناية عن الفاجرة قوله حتى اذا تقدم الكلام في حتى الداخلة على اذا
مرارا وجوابها قوله فتحت وتقدم خلاف القراء في التشديد والتخفيف في سورة الانعام
قوله وقال لهم خزنتها الم ياتكم قرا ابن هرمز الم تاتكم بتا التانيث لتانيث الجمع ومنكم
صفة لرسل او متعلق بالاتيان ويتلون صفة اخرى وخالدين في المومنين حال مقدرة
فصل بين تعالى انهم يساقون الى جهنم فاذا جاوها فتحت ابوابها وهذا يدل على
ان ابواب جهنم تكون مغلقة قبل ذلك انما تفتح عند وصول الكفار اليها فاذا دخلوا جهنم
قالوا لهم خزنة جهنم الم ياتكم رسل منكم اي من جنسكم يتلون عليكم ايات ربكم وينذرونكم
لقاء يومكم هذا فان قيل لم اضيف اليوم اليهم فالجواب اراد لقاء وقتكم هذا
وهو وقت دخولهم النار لا يوم القيمة واستعمال لفظ اليوم والايام في اوقات الشدة مستفيض
فعند هذا تقول الكفار بلى قد اتونا وتلوا علينا ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين اي
وجبت كلمة العذاب وهي قوله عز وجل لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وهذا صريح
في ان السعيد لا ينقلب شقيا والشقي لا ينقلب سعيدا ودلت الاية على انه لا وجوب قبل مجي
الشرع لان الملائكة بينوا انه ما بقي لهم عذر ولا علة بعد مجي الانبيا عليهم السلام ولو لم يكن
مجي الانبيا شرطا في استحقاق العذاب لما بقي في هذا الكلام فايدة ثم ان الملائكة لما سمعوا
منهم هذا الكلام قالوا لهم ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبيس مثوى المتكبرين قالت
المعتزلة لو كان دخولهم النار لاجل انه حقت عليهم كلمة العذاب لم يبق لقول الملائكة فبيس
مثوى المتكبرين فايدة واجيبوا بان هذا الكلام انما يبقى مفيدا اذا قلنا انهم انما دخلوا النار
لانهم تكبروا على الانبيا ولم يقبلوا قولهم ولم يلتفتوا الى ... بدل على صحة قولنا
والله اعلم قوله وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا فان قيل السوق
في اهل النار معقول لانهم لما امروا بالذهاب الى موضع العذاب لا بد وان يساقوا اليه واما
اهل الثواب فاذا امروا بالذهاب الى موضع السعادة والراحة فاي حاجة فيه الى السوق
فالجواب من وجوه الاول ان المحبة والصداقة باقية بين المتقين يوم القيامة كما قال تعالى الاخلا
يوميذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين فاذا قيل لواحد منهم اذهب الى الجنة فيقول لا ادخلها
الا مع احبابي واصدقائي فيتاخرون لهذا السبب فحينيذ يحتاجون الى السوق الى الجنة
والثاني ان المتقين قد عبدوا الله لا للجنة ولا للنار فيصير شدة استغراقهم في مشاهدة
مواقف الجلال مانعا لهم من الرغبة في الجنة فلا جرم يحتاجون الى ان يساقوا الى الجنة والثالث
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اكثر اهل الجنة البله وعليون للابرار فلهذا السبب يساقون
الى الجنة الرابع ان اهل النار واهل الجنة يساقون الا ان المراد بسوق اهل النار طردهم اليها
بالهوان والعنف كما يفعل بالاسير الذي يساق الى الحبس والقتل والمراد بسوق اهل الجنة
سوق مراكبهم لانه لا يذهب بهم الا راكبين والمراد بذلك السوق اسراعهم الى دار الكرامة
والرضوان كما يفعل بمن يكرم من الوافدين الى الملوك فشتان بين الفريقين قوله وفتحت

في جواب اذا ثلاثة اوجه احدها قوله وفتحت والواو زايدة وهو راي الكوفيين والاخفش وانما جي
هنا بالواو دون التي قبلها لان ابواب السجون مغلقة الى ان يجيها صاحب الجريمة فتفتح له ثم تغلق
عليه فناسب ذلك عدم الواو فيها بخلاف ابواب السرور والفرح فانها تفتح انتظارا لمن يدخلها ...
هنا ابواب جهنم تكون مغلقة لا تفتح الا عند دخول اهلها فيها فاما ابواب الجنة ففتحها يكون متقدما
على دخولهم اليها كما قال تعالى جنات عدن مفتحة لهم الابواب فلذلك جي بالواو فكانه قيل حتى اذا جاوها
وقد فتحت ابوابها والثاني ان الجواب قوله وقال لهم خزنتها على زيادة الواو ايضا اي حتى اذا جاوها
قال لهم خزنتها الثالث ان الجواب محذوف قال الزمخشري وحقه ان يقدر بعد خالدين انتهى
يعني لانه يجي بعد متعلقات الشرط وما عطف عليه والتقدير اطمانوا وقدره المبرد سعدوا
وعلى هذين الوجهين فتكون الجملة من قوله وفتحت في محل نصب على الحال قال البغوي وقال
الزجاج القول عندي ان الجواب محذوف تقديره حتى اذا جاوها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها
سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ادخلوها فحذف ادخلوها لدلالة الكلام عليه ويسمي بعضهم
الواو في قوله وفتحت واو الثمانية قال لان ابواب الجنة ثمانية وكذا قالوا في قوله وثامنهم
كلبهم وقيل تقديره حتى اذا جاوها وفتحت ابوابها يعني ان الجواب بلفظ الشرط ولكنه بزيادة
تقييده بالحال فلذلك صح قوله وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين
يريد ان خزنة الجنة يسلمون عليهم ويقولون طبتم قال ابن عباس طاب لكم المقام وقال قتادة
انهم اذا قطعوا النار حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقول لهم رضوان واصحابه سلام عليكم طبتم
فادخلوها خالدين وروي عن علي قال سيقوا الى الجنة فاذا انتهوا اليها وجدوا عند بابها شجرة يخرج
من تحت ساقها عينان فيغتسل المومن من احديهما فيطهر ظاهره ويشرب من الاخرى فيطهر
باطنه وتتلقاهم الملائكة على ابواب الجنة يقولون سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين فعند
ذلك يقول المتلقون الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض اي ارض الجنة وهو قوله تعالى
ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون قوله نتبوأ جملة
حالية وحيث مفعول به ويجوز ان يكون ظرفا على بابها وهو الظاهر قال ابن الخطيب انما عبر
عن ارض الجنة بالارض لوجوه الاول ان الجنة كانت في اول الامر لادم عليه السلام لانه تعالى
قال وكلا منها رغدا حيث شئتما فلما عادت الجنة الى اولاد ادم كان ذلك سببا للارث الثاني
ان هذا اللفظ ماخوذ من قول القايل هذا اورثني كذا وهذا العمل اورثني كذا فلما كانت
طاعاتهم قد افادتهم الجنة لا جرم قالوا واورثنا الارض والمعنى ان الله تعالى اورثنا الجنة بان
وفقنا للاتيان باعمال اورثتنا الجنة الثالث ان الوارث يتصرف فيما يرثه كيف شاء من غير
منازع فكذلك المومنون المتقون يتصرفون في الجنة حيث شاوا فان قيل هل
يتبوأ احدهم مكان غيره فالجواب يكون لكل واحد منهم جنة لا يحتاج معها الى جنة غيره ثم قال
تعالى فنعم اجر العاملين اي ثواب المطيعين قال مقاتل هذا ليس من كلام اهل الجنة بل الله تعالى
لما حكى ما جرى بين الملائكة وبين المتقين من صفة ثواب اهل الجنة قال بعده فنعم اجر العاملين
قوله وترى الملائكة حافين من حول العرش حافين جمع حاف وهو المحدق بالشي من حففت
بالشي اذا احطت به قال ... تحفه جانبا نيق ويتبعه مثل الزجاجة لم يكحل من الرمد
وهو ماخوذ من الحفاف وهو الجانب قال الشاعر
له لحظات عن حفافي سريره اذا كرها فيها عقاب ونايل وقال الفرا وتبعه الزمخشري
لا واحد لحافين وكانهما رايا ان الواحد لا يكون حافا اذ الحفوف هو الاحداق بالشي والاحاطة به
وهذا لا يتحقق الا في جمع فصل لما ذكر سبحانه ثواب البشر ذكر عقيبه ثواب الملائكة

فكان دار ثواب المتقين هو الجنة فكذلك دار ثواب الملائكة جوانب العرش فقال حافين من حول العرش اي محدقين محيطين بالعرش يحفا فذا اي بجوانبه قال الليث حف القوم بسيدهم يحفون حفا اذا طافوا به **قوله** من حول فيه وجهان احدهما وهو قول الاخفش انها حرف جر زايدة والثاني انها للابتدا وقوله يسبحون بحمد ربهم حال من الضمير قيل هذا التسبيح تلذذ لا تسبيح تعبد لان التكليف يزول في ذلك اليوم وهذا اشعار بان ثوابهم هو عين ذلك التسبيح **قوله** وقضي بينهم هذا الضمير اما للملائكة واما للعباد وقيل قضي بين اهل الجنة والنار بالعدل وقيل الحمد لله رب العالمين على قضائه بيننا بالحق روى ابو امامة عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الزمر لم يقطع الله رجاه واعطاه ثواب الخائفين وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا كل ليلة بني اسرائيل والزمر رواهما الثعلبي في تفسيره والله اعلم

سورة المؤمن مكية

وتسمى سورة الطول وسورة غافر وهي ثمانون اية والف وماية وتسع وتسعون كلمة واربعة الاف وتسع ماية وستون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى حم كقوله الم وبابه وقرا الاخوان وابو بكر وابن ذكوان باماله الحا في السور السبع اماله محضة وورش وابو عمرو باماله بين بين والباقون بالفتح والعامة على سكون الميم كسائر الحروف المتقطعة وقرا الزهري برفع الميم على انها خبر مبتدا مضمر او مبتدا والخبر ما بعدها وابن ابي اسحق وعيسى بفتحها وهي تحتمل وجهين احدهما انها منصوبة بفعل مقدر اي اقرا حم وانما منع من الصرف للعلمية والتانيث او العلمية وشبه العجمة وذلك انه ليس في الاوزان العربية وزن فاعيل بخلاف الاعجمية نحو قابيل وهابيل والثاني انها حركة بناء تخفيفا كاين وكيف وفي احتمال هذين الوجهين قول الكميت

وجدنا لكم في ال حم اية ... تاولها منا تقي ومعرب

وقول شريح بن اوفى

يذكرني حم والرمح شاجر ... فهلا تلا حم قبل التقدم

وقرا ابو السماك بكسرها وهل يجوز ان يجمع حم على حواميم نقل ابن الجوزي عن شيخه الجواليقي انه خطا وليس بصواب بل الصواب ان تقول قرات ال حم وفي الحديث عن ابن مسعود عنه عليه السلام اذا وقعت في ال حم وقعت في روضات اتانق فيهن وقال سعيد بن ابراهيم كن ال حم يسمين العرايس وقال الكميت وجدنا لكم في ال حم البيت ومنهم من جوزه وروي في ذلك احاديث منها قوله عليه السلام الحواميم ديباج القران وقوله عليه السلام الحواميم سبع وابواب جهنم سبع جهنم والحطمة ولظى والسعير وسقر والهاوية والجحيم فتجي كل حم منهن يوم القيامة على باب من هذه الابواب فتقول لا يدخل النار من كان يؤمن بي ويقراني وقوله عليه السلام لكل شي ثمرة وثمرة القران ذوات حم هن روضات حسان مخصبات متجاورات فمن احب ان يرتع في رياض الجنة فليقرا الحواميم وقوله عليه السلام مثل الحواميم في القران مثل الحبرات في الثياب وقال ابن عباس لكل شي لباب ولباب القران الحواميم فان صحت هذه الاحاديث فهي الفيصل في ذلك **قوله** تنزيل اما خبر لحم ان كانت مبتدا واما خبر لمبتدا مضمر واما مبتدا وخبره الجار بعده قال ابن الخطيب تنزيل والمراد منه المنزل

فصل

روى التميمي عن ابن عباس قال حم اسم الله الاعظم وروى عكرمة عنه قال الر وحم ون حروف الرحمن مقطعة وقال سعيد بن جبير وعطا الخراساني الحا افتتاح اسمايه حكيم حميد حي حليم حنان والميم افتتاح اسمايه ملك مجيد وقال الضحاك والكسايي معناه قضي ما هو كاين كانهما اشارا الى ان معناه حم بضم الحا وتشديد الميم وقوله من الله لما ذكر ان حم تنزيل الكتاب وجب بيان ان المنزل من هو فقال من الله ثم بين ان الله تعالى موصوف بصفات الجلال فقال العزيز العليم فبين انه بعزته وعلمه انزل القران الذي يتضمن المصالح والاعجاز ولولا كونه عزيزا عالما

لما صح ذلك **قوله** غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب في هذه الاوصاف ثلاثة اوجه احدها انها كلها صفات للجلالة كالعزيز العليم وانما جاز وصف المعرفة بهذه وان كانت اضافتها لفظية لانه يجوز ان يجعل اضافتها معنوية فتتعرف بالاضافة نص سيبويه على ان كل ما اضافته غير محضة جاز ان تجعل محضة ويوصف به المعارف الا الصفة المشبهة ولم يستثن غيرها شيا وهم الكوفيون يقولون في حسن الوجه انه يجوز ان تصير اضافته محضة وعلى هذا فقوله شديد العقاب من باب الصفة المشبهة فكيف يجوز جعله صفة للمعرفة وهو لا يتعرف الا بالاضافة والجواب اما بالتزام مذهب الكوفيين وهو ان الصفة المشبهة يجوز ان يتمحض اضافتها ايضا فتكون معرفة واما بان شديد بمعنى مشدد كاذين بمعنى موذن فتتمحض اضافته الثاني ان يكون الكل ابدالا لان اضافتها غير محضة قاله الزمخشري الا ان ابدال المشتق قليل جدا الا ان يعرفها جانب الوصفية الثالث ان يكون غافر وقابل نعتين وشديد بدلا لما تقدم من ان الصفة المشبهة لا تتعرف بالاضافة قاله الزجاج الا ان الزمخشري قال جعل الزجاج شديد العقاب وحده بدلا من الصفات فيه نبو ظاهر والوجه ان يقال لما صودف بين هذه المعارف هذه النكرة الواحدة فقد اذنت بان كلها ابدال غير اوصاف ومثال ذلك قصيدة جاءت تفاعيلها كلها على مستفعلن فهي محكوم عليها انها من الرجز فان وقع فيها جزء واحد على متفاعلن كانت من الكامل وناقشه ابو حيان فقال ولا نبو في ذلك لان الجري على القواعد التي قد استقرت وصحت هو الاصل وقوله فقد اذنت بان كلها ابدال تركيب غير عربي لانه جعل فقد اذنت جواب لما وليس من كلامهم لما قام زيد فقد قام عمرو وقوله بان كلها ابدال فيه تكرير للابدال اما بدل البدل عند من اثبته فقد تكررت فيه الابدال واما بدل كل من كل وبدل بعض من كل وبدل اشتمال فلا نص عن احد من النحويين اعرفه في جواز التكرار فيها ومنعه الا ان في كلام بعض اصحابنا ما يدل على ان البدل لا يكرر وذلك في قول الشاعر [illegible]

فالى ابن ام اياس ارحل ناقتي ... عمرو فتبلغ حاجتي او تزحف

ملك اذا نزل الوفود ببابه ... عرفوا موارد مزبد لا ينزف

قال فملك بدل من عمرو بدل نكرة من معرفة قال فان قلت لم لا يكون بدلا من ابن ام اياس قلت لانه قد ابدل منه عمرو فلا يجوز ان يبدل منه مرة اخرى لانه قد طرح انتهى قال ابو حيان فدل هذا على ان البدل لا يتكرر ويتحد المبدل منه ودل على ان البدل من البدل جائز قال شهاب الدين وهذا البحث قد تقدم في قوله غير المغضوب عليهم فليلتفت اليه قال وقوله تفاعيلها هو جمع تفعال او تفعول او تفعيل وليس شي منها ههنا ومن اجزا العروض ولان الاجزاء منحصرة ليس فيها شي من هذه الاوزان فصوابه ان يقول جاءت اجزاوها كلها على مستفعلن وقال الزمخشري ايضا ولقايل ان يقول هي صفات وانما حذفت الالف واللام من شديد ليزاوج ما قبله وما بعده لفظا فقد غيروا كثيرا من كلامهم عن قوانينه لاجل الازدواج فقالوا ما نعرف سحادليه من عنادليه فثنوا ما هو وتر لاجل ما هو شفع على ان الخليل قال في قولهم ما يحسن بالرجل مثلك ان يفعل ذلك وما يحسن بالرجل خير منك انه على نية الالف واللام كما كان الجما الغفير على نية طرح الالف واللام ومما سهل ذلك الامن من اللبس وجهالة الموصوف قال ابو حيان ولا ضرورة الى حذف ال من شديد العقاب وتشبيهه بنادر مغير وهو تثنية الوتر لاجل الشفع فينزه كتاب الله عن ذلك قال شهاب الدين اما الازدواج فهو من محاسن الكلام من حيث هو واقع في القران وقد مضى منه مواضع وقال الزمخشري ايضا ويجوز ان يقال قد تعمد تنكيره وابهامه للدلالة على فرط الشدة وعلى ما هو ادهى منه وامر لزيادة الانذار ويجوز ان يقال هذه النكتة هي الداعية الى اختيار البدل على الوصف اذا سلكت

طريق الابدال انتهى وقال مكي يجوز في غافر وقابل البدل على انهما نكرتان لاستقبالهما والوصف على انهما
معرفتان لمضيهما وقال ابن الخطيب لا نزاع في جعل غافر وقابل صفة وانما كان كذلك لانهما يفيدان
معنى الدوام والاستمرار فكذلك شديد العقاب يفيد ذلك لان صفاته منزهة عن الحدوث والتجدد
فمعناه كونه بحيث شديد عقابه وهذا المعنى حاصل ابدا لا يوصف بانه حصل بعد ان لم يكن
قال ابو حيان وهذا كلام لم يتفقه على علم النحو ولا تطرقه ويلزمه ان يكون حكيم عليم وخليك
معتقدين مصارف لتنزيه صفاته عن الحدوث والتجدد ولانها صفات لم تحصل بعد ان لم تكن ويكون
تعريف صفاته بال وتنكيرها سوا وهذا لا يقوله مبتدي في علم النحو بله ان يصنف فيه ويتقدم
على تفسير كتاب الله تعالى انتهى وقد سرد هذه الصفات كلها من غير عطف الا قابل التوب قال
بعضهم وانما عطف لاجتماعهما وتلازمهما وعدم انفكاك احدهما عن الاخر وقطع شديد عنهما فلم
يعطف لانفراده قال ابو حيان وفيه نزغة اعتزالية ومذهب اهل السنة جواز الغفران للعاصي
وان لم يتب الا الشرك قال شهاب الدين وما ابعده عن نزغة الاعتزال ثم اقول التلازم لازم
من جهة انه تعالى متى قبل التوبة فقد غفر الذنب وهو كاف في التلازم قال الزمخشري فان
قلت ما بال الواو في قوله وقابل التوب قلت فيها نكتة جليلة وهي افادة الجمع للمذنب التائب
بين رحمتين بين ان يقبل توبته فيكتبها له طاعة من الطاعات وان يجعلها محاءة للذنوب كأن لم يذنب
كانه قال جامع المغفرة والقبول انتهى وبعد هذا الكلام الانيق وابراز هذه المعاني الحسنة
قال ابو حيان وما اكثر تبجح هذا الرجل وتشقيقه والذي افاد ان الواو للجمع وهذا معروف
من ظاهر علم النحو قال شهاب الدين وقد انشدني بعضهم [illegible]
وكم من عايب قولا صحيحا وآفته من الفهم السقيم ۞ وقد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ۞
وينكر الفم طعم الماء من سقم ۞ **والتوب** يحتمل ان يكون اسما مفردا مرادا به الجنس
كالذنب وان يكون جمعا للتوبة كتمر وتمرة وذي الطول نعتا او بدلا كما تقدم والطول سعة
الفضل ولا اله الا هو يجوز ان يكون مستانفا وان يكون حالا وهي حال لازمة وقال ابو البقا يجوز
ان يكون صفة وهذا على رأيه فاسد لان الجملة لا تكون صفة للمعارف ويمكن ان يريد انه
صفة لشديد العقاب لانه لم يتعرف عنده بالاضافة والقول في اليه المصير كالقول في الجملة
قبله ويجوز ان يكون حالا من الجملة قبله **فصل** قال المفسرون غافر الذنب ساتر
الذنب وقابل التوب اي التوبة مصدر تاب يتوب توبا وقيل التوب جمع توبة مثل دومة ودوم
وعومة وعوم قال ابن عباس غافر الذنب لمن قال لا اله الا الله وقابل التوب ممن قال لا اله
الا الله شديد العقاب لمن لا يقول لا اله الا الله ذي الطول اي الغني عمن لا يقول لا اله الا الله
قال مجاهد ذي الطول اي السعة والغنى وقال الحسن ذي الفضل وقال قتادة ذو النعم
وقيل ذو القدرة واصل الطول الانعام الذي يطول مدته على صاحبه لا اله الا هو اليه المصير
والمعنى انه لما وصف نفسه بصفات الرحمة والفضل فلو حصل بجنبه الداخرين ما ذكر في صفة
الرحمة والفضل لما كانت الحاجة الى عبوديته شاذية فكانا الترغيب والترهيب الكاملين
حاصلين بسبب هذا التوجيه وقوله اليه المصير مما يقوي الرغبة في الاقرار بالعبودية **قوله**
ما يجادل في ايات الله الا الذين كفروا لما قرر ان القران كتاب انزله ليهتدي به في الدين ذكر
احوال من يجادل لغرض ابطاله فقال ما يجادل في ايات الله اي في دفع ايات الله بالتكذيب
والانكار الا الذين كفروا واعلم ان الجدال نوعان جدال في تقرير الحق وجدال في تقرير الباطل
اما الجدال في تقرير الحق فهو حرفة الانبيا عليهم السلام قال تعالى لمحمد عليه السلام وجادلهم بالتي
هي احسن وحكى عن قوم نوح قولهم يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا واما الجدال في تقرير

الباطل

الباطل فهو مذموم وهو المراد بهذه الاية وقال عليه السلام ان جدالا في القران كفر وروى عمرو
ابن شعيب عن ابيه عن جده قال سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما يتمارون فقال انما هلك من
كان قبلكم بهذا ضربوا كتاب الله عز وجل بعضه ببعض وانما نزل كتاب الله يصدق بعضه بعضا
فلا تكذبوا بعضه ببعض فما علمتم منه فقولوه وما جهلتم فكلوه الى عالمه وقال ما ضربوه لك الا جدلا
بل هم قوم خصمون وقال وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق **قوله** فلا يغررك العامة بالفك وهي
لغة الحجاز وزيد بن علي وعبيد بن عمير فلا يغرك بالادغام مفتوح الراء وهي لغة تميم **فصل**
جدالهم في ايات الله هو قولهم مرة سحر ومرة هو شعر ومرة انه قول الكهنة ومرة اساطير الاولين ومرة
انما يعلمه بشر وقولهم ما انتم الا بشر مثلنا لولا انزل علينا الملائكة واشباه هذا ثم قال فلا يغررك تقلبهم في
البلاد اي لا تغتر بامهالهم وتركهم سالمين فانهم بعدما عمروا هم يتقلبون في البلاد اي يتصرفون
فيها للتجارات وطلب المعاش فاني وان امهلتهم فاني ساخذهم وانتقم منهم كما فعلت بالامم الماضية ثم كشف
عن هذا المعنى فقال كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم وهم الكفار الذين تحزبوا على انبيائهم
بالتكذيب من بعد قوم نوح وهمت كل امة برسولهم ليأخذوه وقال ابن عباس ليقتلوه ويهلكوه وقيل
ليأسروه وقرا عبد الله برسولها اعاد الضمير على لفظ امة والجمهور على معناها وفي قوله ليأخذوه
عبارة عن المسبب بالسبب وذلك ان القتل مسبب عن الاخذ ومنه قيل للاسير اخيذ قال
فاما تاخذوني فاقتلوني فكم من اخذ يهوي لخلودي وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق الذي جات
به الرسل فاخذتهم فكيف كان عقاب اجتزا بالكسرة عن يا المتكلم وصلا ووقفا لانها رأس فاصلة والمعنى
فانزلت بهم من الهلاك ما هموا بانزاله بالرسل وارادوا ان ياخذوهم فاخذتهم انا فكيف كان عقابي
اياهم اليس كان مهلكا مستاصلا فعلت بهم ما فعلت بهؤلاء الذين اصروا على الكفر والجدال في ايات الله
قوله وكذلك حقت يحتمل الكاف ان تكون مرفوعة المحل على خبر مبتدا مضمر اي والامر كذلك ثم اخبر
بانه حقت كلمة الله عليهم بالعذاب وان يكون نعتا لمصدر محذوف اي مثل ذلك الوجوب من عقابهم
وجب على الكفرة والمعنى كما حقت كلمة العذاب على الامم المكذبة حقت ايضا على الذين كفروا من
قومك **قوله** انهم اصحاب النار يجوز ان يكون على حذف حرف الجر اي لانهم وحينئذ يجري في محلها
القولان قال الاخفش لانهم او بانهم اصحاب النار ويجوز ان يكون في محل رفع بدلا من كلمة وتقدم
خلافهم في افراد كلمة وجمعها وان نافعا وابن عامر قرآ الكلمات على الجمع والباقون بالافراد **قوله**
الذين يحملون مبتدا ويسبحون خبره والعامة على فتح عين العرش وابن عباس في اخرين بضمها فقيل يحتمل
ان يكون جمعا لعرش كسقف في سقف وقوله ومن حوله يحتمل ان يكون مرفوع المحل عطفا على الذين يحملون
الخبر عن الفريقين بانهم يسبحون وهذا هو الظاهر وان يكون منصوب المحل عطفا على العرش يحملون الخبر
عن الفريقين بانهم يحملون العرش يعني انهم يحملون ايضا الملائكة الحافين بالعرش وليس بظاهر **فصل**
لما بين ان الكفار يبالغون في اظهار العداوة مع المؤمنين بين ان اشرف طبقات المخلوقات هم الملائكة
الذين يحملون العرش والحافون حول العرش يبالغون في اظهار المحبة والنصرة للمؤمنين فكانه تعالى يقول
ان كان هؤلاء الاراذل يبالغون في العداوة فلا تلتفت اليهم ولا تقم لهم وزنا فان حملة العرش معك
والحافون من حول العرش ينصرونك ونحوهم الكروبيون قال ابن عباس حملة العرش ما بين كعب احدهم الى
اسفل قدميه مسيرة خمسمائة عام وروى جعفر بن محمد عن ابيه عن جده انه قال بين القايمة من
قوايم العرش والقايمة الثانية خفقان الطير المسرع ثلاثين الف عام وقال مجاهد بين السماء السابعة
وبين العرش سبعون الف حجاب من نور وحجاب من ظلمة وقال وهب بن منبه ان حول العرش سبعون الف
صف من الملائكة صف خلف صف يطوفون بالعرش **قوله** يسبحون بحمد ربهم قال شهر بن حوشب
حملة العرش ثمانية فاربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك واربعة منهم يقولون

سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك **قوله** فان قيل وكانهم يومنون بذنوب بني ادم د
ويومنون به فيه سوال وهو ان يقال ما الفايدة في قوله ويومنون به مع ان الاشتغال بالتسبيح والتحميد
لا يمكن الا بعد سبق الايمان بالله واجاب الزمخشري بان المقصود منه التنبيه على ان الله تعالى لو كان
حاضرا لكان حملة العرش والحافون بالعرش يشاهدونه ويعاينونه ولو كان كذلك لكان ايمانهم بوجود
الله موجبا للمدح والثنا لان الاقرار بوجود شي مشاهد معاين لا يوجب المدح والثنا الا ترى ان الاقرار
بوجود الشمس وبكونها مضية لا يوجب المدح والثنا فلما ذكر الله سبحانه وتعالى ايمانهم بالله على سبيل المدح
والثنا والتعظيم دل على انهم انما امنوا به مع انهم ما شاهدوه كما امنا **قوله** ويستغفرون
للذين امنوا اعلم ان كمال السعادة بامرين احدهما التعظيم لامر الله والثاني الشفقة على خلق الله ويجب ان
يكون التعظيم لامر الله يتقدم على الشفقة على خلق الله فقوله تعالى يسبحون بحمد ربهم ويومنون به مشعر
بالتعظيم لامر الله وقوله ويستغفرون للذين امنوا مشعر بالشفقة على خلق الله واحتج كثير من العلما بهذه الاية
على ان الملك افضل من البشر لانها دلت على ان الملايكة لما فرغوا من ذكر الله تعالى بالثنا والتقديس
اشتغلوا بالاستغفار لغيرهم وهم المومنون وهذا يدل على انهم مستغنون لانفسهم اذ لو كانوا محتاجين الى
الاستغفار لاستغفروا لانفسهم اولا لقوله صلى الله عليه وسلم ابدا بنفسك ولقوله تعالى لمحمد عليه السلام
واستغفر لذنبك وللمومنين والمومنات وحكي عن نوح عليه السلام قوله رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل
بيتي مومنا وللمومنين والمومنات وهذا يدل على ان كل من كان محتاجا الى الاستغفار فانه يقدم الاستغفار
لنفسه على الاستغفار لغيره والملايكة لو كانوا محتاجين الى الاستغفار لاستغفروا لانفسهم اولا ثم استغفروا
لغيرهم ولما لم يذكر الله تعالى استغفارهم لانفسهم علمنا انهم لم يكونوا محتاجين الى الاستغفار واما الانبيا
عليهم السلام فهم محتاجون الى الاستغفار لقوله تعالى لمحمد عليه السلام واستغفر لذنبك فظهر ان الملك
افضل من البشر والله اعلم **قوله** ربنا معمول لقول مضمر تقديره يقولون ربنا والقول المضمر في محل
نصب على الحال من فاعل يستغفرون وقوله رحمة وعلما تمييز واعلم ان الدعا في اكثر الامر مذكور
بلفظ الرب لان الملايكة قالوا في هذه الاية ربنا وقال ادم عليه السلام ربنا ظلمنا انفسنا وقال نوح
عليه السلام رب اني دعوت قومي وقال رب اغفر لي ولوالدي وقال ابرهيم عليه السلام رب ارني
كيف تحيي الموتى وقال ربنا واجعلنا مسلمين لك وقال يوسف عليه السلام رب قد اتيتني من الملك وقال
موسى عليه السلام رب ارني انظر اليك وقال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي وحكي عن داود عليه السلام انه
استغفر ربه وخر راكعا واناب وقال سليمن عليه السلام رب هب لي ملكا وحكي عن زكريا عليه السلام
انه نادى ربه نداء خفيا وقال عيسى عليه السلام ربنا انزل علينا مايدة وقال تعالى لمحمد عليه السلام وقل
رب اعوذ بك من همزات الشياطين وحكي عن المومنين انهم قالوا ربنا ما خلقت هذا باطلا الايات **فان**
قيل لفظ الله اعظم من لفظ الرب فلم خص لفظ الرب بالدعا فالجواب كان العبد يقول كنت
في العدم المحض والنفي الصرف فاخرجتني الى الوجود وربيتني فاجعل تربيتك واحسانك لاجابة دعايي
فان قيل قوله ربنا وسعت كل شي رحمة وعلما فيه سوال لان العلم وسع كل شي واما الرحمة
فما وصلت الى كل شي لان المضر ورجال وقوعه في الضرر لا يكون ذلك في حقه رحمة وهذا السوال ايضا مذكور
في قوله ورحمتي وسعت كل شي فالجواب كل موجود فقد نال من رحمة الله نصيبا لان الموجود اما واجب
واما ممكن اما الواجب فليس الا الله سبحانه وتعالى واما الممكن فوجوده من الله تعالى وبايجاده وذلك
رحمة فثبت انه لا موجود غير الله الا وقد حصل له نصيب من الرحمة فلهذا قال ربنا وسعت كل شي
رحمة وعلما وهذه الاية دلت على انه تعالى عالم بجميع المعلومات التي لا نهاية لها من الكليات والجزييات
قوله فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم **فان قيل** لا معنى
للغفران الا اسقاط العذاب وعلى هذا فلا فرق بين قوله فاغفر لهم وبين قولهم وقهم عذاب الجحيم

فالجواب

فالجواب قولهم فاغفر لهم رمز واشارة الى اسقاط العذاب فلهذا الكلام اردفوه بذكره على سبيل التصريح تاكيدا
ومبالغة فاعلم ان محصل الدعوات من الله اما التي فيها العذاب جميعها او بطلب ايصال الثواب اليهم فقالوا
ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم **فان قيل** انتم تزعمون ان الشفاعة المخصلة
للمذنبين وهذه الاية تبطل ذلك لانه تعالى انما وعد المغفرة للذين تابوا الا بعد جنات عدن **والجواب**
لا نسلم انه ما وعدهم بذلك لان الدلايل الكثيرة دلت على انه لا يخلد اهل لا اله الا الله محمد رسول
الله في النار واذا اخرجهم من النار وجب ان يدخلهم الجنة فكان هذا وعدا من الله بان يدخلهم جنات
عدن اما من غير دخول النار واما بعده ان يدخلهم النار **قوله** ومن صلح في محل نصب اما عطفا
على مفعول ادخلهم او على مفعول وعدتهم وقرا الزجاج نصبه من مكانين ان شيت على
الضمير في ادخلهم وان شيت على الضمير في وعدتهم والعامة على فتح لام صلح يقال صلح فهو صالح وابن
ابي عبلة بضمها يقال صلح فهو صليح والعامة على اباتهم جمعا وعيسى وذريتهم افرادا والمراد بقوله
ومن صلح من اهل الايمان ثم قال انك انت العزيز الحكيم وانما ذكروا في دعايهم هذين الوصفين
لانه لو لم يكن عزيزا بل كان بحيث يغلب ويمنع لما صح وقوع المطلوب منه ولو لم يكن حكيما لما حصل هذا
المطلوب على وفق الحكمة والمصلحة ثم قالوا وقهم السيات قال بعض المفسرين المراد منه عذاب
السيات **فان قيل** فعلى هذا التقدير لا فرق بين قوله وقهم السيات وبين قولهم وقهم عذاب
الجحيم وحينيذ يلزم التكرار الخالي عن الفايدة وهو لا يجوز فالجواب ان التفاوت حاصل من وجهين
الاول ان يكون قوله وقهم عذاب الجحيم دعا مذكورا للاصول لقوله وقهم السيات دعا مذكورا
للفروع وهم الابا والازواج والذريات الثاني ان يكون قوله وقهم عذاب الجحيم مقصورا على ازالة
عذاب الجحيم وقوله وقهم السيات متناولا لعذاب الجحيم ولعذاب موقف القيمة والحساب والسوال
وقال بعض المفسرين المراد بقوله وقهم السيات هو ان الملايكة طلبوا ازالة عذاب النار بقولهم وقهم عذاب
الجحيم وطلبوا ايصال الثواب اليهم بقولهم وادخلهم جنات عدن ثم طلبوا بعد ذلك ان يصونهم
الله تعالى في الدنيا عن العقايد الفاسدة بقولهم وقهم السيات ثم قالوا ومن تق السيات يوميذ
فقد رحمته يعني من تق السيات في الدنيا فقد رحمته في يوم القيمة ثم قالوا وذلك هو الفوز العظيم
حيث وجدوا باعمال منقطعة نعيما لا ينقطع وبافعال حقيرة ملكا لا تصل العقول الى كنه جلالته والله اعلم
قوله يوميذ التنوين عوض من جملة محذوفة ولكن ليس في الكلام جملة مصرح بها عوض عنها هذا
التنوين بخلاف قوله تعالى وانتم حينيذ تنظرون اي حين اذ بلغت الحلقوم لتقدمها في اللفظ فلا
بد من تقدير جملة يكون هذا عوضا منها تقديره يوم اذ يوخذ بها **فصل** قال مطرف
انصح عباد الله للمومنين الملايكة واغش الخلق للمومنين هم الشياطين قال سعيد بن جبير في تفسير قوله
تعالى ومن صلح من اباءهم يدخل المومن الجنة فيقول ابن ابي ابن ولدي ابن زوجتي فيقال انهم لم يعملوا
مثل عملك فيقول اني كنت اعمل لي ولهم فيقال ادخلوهم الجنة **قوله تعالى** ان الذين كفروا
ينادون اي يوم القيمة وهم في النار وقد مقتوا انفسهم حين عرضت عليهم سياتهم وعاينوا العذاب
فيقال لهم لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون اي لمقت الله اياكم في الدنيا
اذ تدعون الى الايمان فتكفرون اكبر من مقتكم اليوم انفسكم عند حلول العذاب قاله البغوي واعلم
انه تعالى عاد الى شرح احوال الكافرين المجادلين في ايات الله وهم المذكورون في قوله ما يجادل في ايات
الله الا الذين كفروا وبين انهم في القيمة يعترفون بذنوبهم واستحقاقهم العذاب ويسالون الرجوع الى
الدنيا ليتلافوا ما فرط منهم **قوله** اذ تدعون منصوب بمقدر يدل عليه هذا الظاهر تقديره
مقتكم اذ تدعون وقدره بعضهم اذكروا اذ تدعون وجوز الزمخشري ان يكون منصوبا بالمقت الاول
ورد عليه ابو حيان بانه يلزم منه الفصل بين المصدر ومعموله باجنبي وهو الخبر وقال هذا من ظواهر علم

النحو الذي لا يكاد يخفى على المبتدي فضلا عمن يدعي من النحو انه شيخ العرب والعجم قال شهاب الدين ومثل هذا لا يخفى على ابي القاسم وانما اراد انه دال على ناصبه وعلى تقدير او ذلك قوله لكم المعنى في تلك ... ولان الظرف المتسع فيه ما لا يتسع في غيره اي عمر من هذا المعنى عليه هذه الاخبار والله القائل حسبه والمعنى انه لم يتأول ما يحييه فالقوم انه لا يعمل فيه الضمير الخبر فلا وجه له كما ذكره انه وهذا الوجه قد سبقه اليه ابو البقاء فقال ولا يجوز ان يعمل فيه مقت الله لانه مصدر وقد اخبر عنه وهو قوله اكبر فلو عمل فيه لزم الفصل بين المصدر ومعموله بالخبر ولا يجوز ان ينتصب بالمقت الثاني لانهم لم يمقتوا انفسهم وقت دعائهم الى الايمان وانما مقتوها يوم القيامة والظاهر ان مقت الله واقع في الدنيا كما تقدم في تفسير الاية وجوز الحسن ان يكون في الاخرة وضعفه ابو حيان بانه يبقى اذ تدعون معمولا من الكلام لكونه ليس له عامل متقدم وما لا يعمل فيه ... فاذا كان المقت في الدنيا امكن ان يعمل له عامل تقديره مقتكم اذ ... قال شهاب الدين وهذا التخريج على اختلافهم ... تجويزه على الزمخشري ونحوه واللام في لمقت لام الابتداء ... معمولة لخبر ... اي لمقت الله اياكم او انفسكم فهو مصدر مضاف ... لانه كالثاني ولا يجوز ان يكون المسألة من باب التنازع في تنازعهما بين المقتين ليلا يلزم الفصل بالخبر بين المقت الاول ومعموله ... في مسئلة وهي التنازع في فعلي التعجب ... منع العمل ... لا بين المنفصلين فعلي التعجب ومعموله ومن جوز قال يلزم اعمال الثاني حتى لا يلزم الفصل فيكون هذه المسئلة ... خلاف قاعدة التنازع

فصل ذكروا في تفسير مقتهم انفسهم وجوها الاول ان الكفار اذا شاهدوا القيمة والجنة والنار مقتوا انفسهم على اصرارهم على التكذيب لهذه الاشياء في الدنيا الثاني ان الاتباع يشتد مقتهم للرؤساء الذين دعوهم الى الكفر في الدنيا والرؤساء ايضا يشتد مقتهم للاتباع فعبر عن مقت بعضهم بعضا بانهم مقتوا انفسهم كقوله تعالى فاقتلوا انفسكم اي المراد قتل بعضهم بعضا الثالث قال محمد بن كعب اذا خطبهم ابليس وهم في النار بقوله فما كان لي عليكم من سلطان الى قوله ولوموا انفسكم ففي هذه الحالة مقتوا انفسهم واما الذين ينادون ان الكفار فهذا الكلام ...

فصل المقت اشد البغض وذلك في حق الله تعالى محال فالمراد منه ابلغ الانكار والزجر قوله ينادون لمقت الله ... ينادون ان مقت الله ... ان زيدا قائم ... قالوا ربنا ... بين ... الكفار اذا خوطبوا بهذا الخطاب قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين الاية اثنتين نعت لمصدر محذوف تقديره اماتتين اثنتين واحياءتين اثنتين قال ابن عباس وقتادة والضحاك كانوا امواتا في اصلاب ابائهم فاحياهم الله في الدنيا ثم اماتهم الموتة التي لا بد منها ثم احياهم للبعث يوم القيمة فهما موتتان وحياتان وهي كقوله كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم وقال السدي اميتوا في الدنيا ثم احيوا في قبورهم للسؤال ثم اميتوا في قبورهم ثم احيوا في الاخرة وقوله فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل اي من خروج من النار الى الدنيا فنصلح اعمالنا ونعمل بطاعتك ونظيره هل الى مرد من سبيل والمعنى انهم لما عرفوا ان الذي كانوا عليه في الدنيا كان فاسدا باطلا تمنوا الرجوع الى الدنيا ليشتغلوا بالاعمال الصالحة **فان قيل** الفا في قوله فاعترفنا يقتضي ان تكون الاماتة مرتين والاحيا مرتين سببا لهذا الاعتراف فما وجه هذه السببية فالجواب لانهم كانوا منكرين البعث فلما شاهدوا هذا الاحيا بعد الاماتة مرتين لم يبق لهم عذر في الاقرار بالبعث فلا جرم وقع هذا الاقرار كالمسبب عن تلك الاماتة والاحيا واعلم انهم لما قالوا فهل الى خروج من سبيل فالجواب الصريح عنه ان يقال لا او نعم وهو قوله تعالى لم يذكر ذلك بل ذكر ما يدل على انه لا سبيل لهم الى الخروج وهو قوله ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم اي ذلكم الذي

انتم

انتم فيه من العذاب والخلود في النار بسبب انه لا سبيل لكم الى خروج قط انما ذلك بسبب كفركم بتوحيد الله اي اذا قيل لا اله الا الله كفرتم وقلتم اجعل الالهة الها واحدا وان يشرك به غيره تؤمنوا اي تصدقوا ذلك الشرك **قوله** وحده فيه وجهان احدهما انه مصدر في موضع الحال وجاز كونه معرفة لفظا لكونه في قوة النكرة كانه قيل منفردا والثاني وهو قول يونس انه منصوب على الظرف والتقدير يدعى على حياله وهو مصدر محذوف الزوائد والاصل اوحدته ايحادا **قوله** فالحكم لله حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد وقوله العلي الكبير يدل على الكبريا والعظمة الذي لا اعلا منه ولا اكبر **قوله** هو الذي يريكم اياته ليدل على كمال قدرته وحكمته وانه لا يجوز جعل هذه الاحجار المنحوتة والخشب المصورة شركا لله تعالى في المعبودية ثم قال وينزل لكم من السماء رزقا يعني المطر الذي هو سبب الارزاق وقرا ابن كثير وابو عمرو وينزل بالتخفيف والباقون بالتشديد واعلم ان اهم المهمات رعاية مصالح الاديان ومصالح الابدان فالله تعالى راعى مصالح اديان العباد باظهار البينات والايات وراعى مصالح ابدانهم بانزال الرزق من السماء فموقع الايات من الاديان كموقع الارزاق من الابدان وعند حصولهما يحصل الانعام الكامل ثم قال وما يتذكر الا من ينيب اي ما يتعظ بهذه الايات الا من يرجع الى الله في جميع اموره فيعرض عن غير الله ويقبل بالكلية على الله تعالى ولهذا قال فادعوه مخلصين له الدين من الشرك ولو كره الكافرون **قوله** رفيع فيه وجهان احدهما ان يكون مبتدا والخبر ذو العرش ويلقي الروح يجوز ان يكون خبرا ثانيا وان يكون حالا ويجوز ان يكون الثلاثة اخبارا لمبتدا محذوف وهو دال ان يكون الثلاثة اخبارا لقوله هو الذي يريكم اياته قال الزمخشري ثلاثة اخبار يجوز ان يكون مترتبة على قوله هو الذي يريكم اياته او اخبار مبتدا محذوف وهي مختلفة تعريفا وتنكيرا قال شهاب الدين اما الاول ففيه طول الفصل وتعدد الاخبار وليست في معنى خبر واحد واما الثاني ففيه تعدد الاخبار وليست في معنى واحد وهي مسئلة خلاف ولا يجوز ان يكون ذو العرش صفة لرفيع الدرجات ان جعلناه صفة مشبهة اما اذا جعلناه مثال مبالغة اي يرفع درجات المؤمنين فيجوز ذلك على ان تجعل اضافته محضة وكذلك عند من يجوز تمحض اضافة الصفة المشبهة ايضا وقد تقدم وقرئ رفيع بالنصب على المدح

فصل لما ذكر من صفات كبريائه كونه مظهرا للايات منزلا للارزاق ذكر في هذه الاية ثلاثة اخرى من صفات الجلال والعظمة وهو قوله رفيع الدرجات وهذا يحتمل ان يكون المراد منه المرتفع فان حملناه على الاول ففيه وجوه الاول انه تعالى يرفع درجات الانبيا والاوليا في الجنة والثاني يرفع درجات الخلق في العلوم والاخلاق الفاضلة فجعل لكل احد من الملايكة درجة معينة كما قال وما منا الا له مقام معلوم وجعل لكل واحد من العلما درجة معينة فقال يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وعين لكل جسم درجة معينة فجعل بعضها سفلية كدرية وبعضها فلكية كوكبية وبعضها من جواهر العرش والكرسي وايضا جعل لكل واحد رتبة معينة في الخلق والخلق والرزق والاجل فقال هو الذي جعلكم خلايف في الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات وجعل لكل احد من السعدا والاشقيا في الدنيا درجة معينة من موجبات السعادة وموجبات الشقاوة وفي الاخرة يظهر تلك الاثار وان حملنا الرفيع على المرتفع فهو سبحانه ارفع الموجودات في جميع صفات الكمال والجلال وقوله ذو العرش اي خالقه ومالكه **قوله** يلقي الروح اي ينزل الوحي سماه روحا لانه تحيى به القلوب كما تحيى الابدان بالارواح وقوله من امره متعلق بيلقي ومن لابتدا الغاية ويجوز ان يكون متعلقا بمحذوف على انه حال من الروح

فصل قال ابن عباس يعني من امره اي من قضايه وقيل من قوله وقال مقاتل بامره على من يشا من عباده **قوله** لينذر العامة على بنايه للفاعل ونصب اليوم والفاعل هو الله تعالى

او الروح او من يشاء او الرسول ونصب اليوم اما على الظرف والمفعول به محذوف تقديره لينذر العذاب
يوم التلاق واما على المفعول به اتساعا في الظرف عند ذكر ابي البقاء لا محالة ... دفع اليوم على الفاعلية
مجازا اي لينذر الناس العذاب يوم التلاق وقرا الحسن واليماني لتنذر بالتاء من فوق وفيه وجهان
احدهما ان الفاعل ضمير المخاطب وهو الرسول صلى الله عليه وسلم والثاني ان الفاعل ضمير الروح فانها
مؤنثة على راي وقرا اليماني ايضا لينذر مبنيا للمفعول يوم بالرفع وهو القايم مقام الفاعل وقرا الجمهور
على المفعول به التلاق باثبات الياء وصلا ووقفا ابن كثير واثبتها في الوقف دون الوصل
من غير خلاف ورش وحذفها الباقون وصلا ووقفا الا قالون فانه روي عنه وجهان وجه كورش
ووجه كالباقين وكذلك هذا الخلاف بعينه جار في التناد وقد تقدم توجيه هذين
الوجهين في الرعد في قوله الكبير المتعال. **قوله** يوم هم بارزون في يوم اربعة اوجه احدها
انه بدل من يوم التلاق بدل كل من كل الثاني انه منتصب بالتلاق اي يقع التلاقي في يوم بروزهم
الثالث ان ينتصب بقوله لا يخفى على الله ذكره ابن عطية وهذا على احد الاقوال الثلاثة في لا هل
يعمل ما بعدها فيما قبلها ثالثها التفصيل بين ان يقع جواب قسم فيمتنع او لا فيجوز وهذا على قول بين
هذه الاقوال ... الظرف مستقبل كاذا وسيبويه لا يرى اضافة
الظرف المستقبل الى الجمل الاسمية والاخفش يراه ولذلك قدر سيبويه في قوله اذا السماء انشقت ونحوه
فعلا قبل الاسم والاخفش لم يقدره ... ظاهر الاية مع الاخفش وتجاب عن سيبويه بان هم
ليس مبتدا بل مرفوع بفعل محذوف يفسره اسم الفاعل اي يوم برزوا ويكون بارزون خبر مبتدا
مضمر فلما حذف الفعل انفصل الضمير ... وهذا كما قالوا في قوله
لو بغير الماء حلقي شرق ... كنت كالغصان بالماء اعتصاري ... في ان حلقي مرفوع بفعل مقدر يفسره شرق
لان لو لا يليها الا الافعال وكذا قوله ... فهلا نفس ليلى شفيعها ... لان هلا لا يليها الا الافعال
فالمعنى في هذه المواضع ... من حيث التفسير وحركة يوم هم
حركة اعراب على المشهور ومنهم من جوز بناء الظرف وان اضيف الى جملة اسمية ...
الكوفيون وقد وهم بعضهم فحتم بناء الظرف المضاف للجمل الاسمية ... لا يبنى عند البصريين
الا ما اضيف الى فعل مبني كقوله على حين عاتبت ... في اخر المائدة وكتبوا
يوم هم هنا ... منفصلا ... **قوله** لا يخفى يجوز ان يكون مستانفا وان
يكون حالا من ضمير بارزون وان يكون خبرا ثانيا. **فصل** قال بعض المفسرين يوم
التلاق هو يوم يلتقي اهل السماء واهل الارض وقال قتادة ومقاتل يلتقي الخلق والخالق وقال
ابن زيد يتلاقى العباد وقال ميمون بن مهران يلتقي الظالم والمظلوم وقيل يلتقي العابدون
والمعبودون وقيل يلتقي فيه المرء مع عمله وقيل تلتقي الارواح بالاجساد بعد مفارقتها اياها
يوم هم بارزون خارجون من قبورهم وقيل ظاهرون لا يسترهم شيء من جبل او اكمة وقيل
بارزون كناية عن ظهور اعمالهم وانكشاف اسرارهم كما قال تعالى يوم تبلى السراير لا يخفى على الله منهم
شيء اي من اعمالهم واحوالهم شيء ويقول الله في ذلك اليوم بعد فناء الخلق لمن الملك اليوم فلا يجيبه
احد فيجيب نفسه فيقول لله الواحد القهار الذي قهر الخلق بالموت. **فان قيل**
الله تعالى لا يخفى عليه منهم شيء في جميع الايام فما معنى تقييد هذا العلم بذلك اليوم فالجواب انهم كانوا
يتوهمون في الدنيا اذا استتروا بالحيطان والحجب ان الله لا يراهم وتخفى عليه اعمالهم فهم في ذلك
اليوم صايرون من البروز والانكشاف الى حال لا يتوهمون فيها مثل ما يتوهمونه في الدنيا كما قال
تعالى ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وقال تعالى يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله
وهو معهم وهو معنى قوله وبرزوا لله الواحد القهار. **فصل** قال المفسرون اذا هلك

كل

كل من في السموات ومن في الارض فيقول الرب تعالى لمن الملك اليوم يعني يوم القيمة فلا يجيبه احد فهو تعالى
يجيب نفسه فيقول لله الواحد القهار قال ابن الخطيب قال اهل الاصول هذا القول ضعيف من وجوه
الاول انه تعالى بين ان هذا النداء انما يحصل يوم التلاق يوم هم بارزون واليوم تجزى كل نفس ما كسبت
والناس في ذلك الوقت احيا فبطل قولهم ان الله تعالى انما ينادي بهذا النداء حين هلك كل من في
السموات ومن في الارض الثاني ان الكلام لا بد فيه من فايدة لان الكلام اما ان يذكر حال حضور الغير
او حال ما لا يحضر الغير والاول باطل هاهنا لان القوم قالوا انه تعالى انما يذكر هذا الكلام عند فنا
الكل والثاني ايضا باطل لان الرجل انما يحسن تكلمه حال كونه وحده اما لان يحفظ به شيا كتكرير على
الدرس وذلك محال على الله تعالى او لاجل انه يحصل سرور بما يذكره وذلك ايضا على الله تعالى
محال فثبت ان قول من قال ان الله تعالى يذكر هذا النداء حال هلاك جميع المخلوقات باطل وقال بعض
المفسرين انه في يوم التلاق اذا حضر الاولون والاخرون وبرزوا لله نادى مناد لمن الملك اليوم فيقول
كل الحاضرين في محفل القيامة لله الواحد القهار فالمؤمنون يقولونه تلذذا بهذا الكلام حيث نالوا
بهذا الذكر المنزلة الرفيعة والكفار يقولونه غصصا وحسرة وندامة على تفويتهم هذا الذكر في
الدنيا وقال القايلون بهذا القول انه صح القول الاول عن ابن عباس وغيره ان هذا النداء بعد
هلاك البشر فلا يمتنع ان يكون هناك ملايكة يسمعون ذلك النداء ويجيبون بقولهم لله الواحد القهار
قال ابن الخطيب وايضا على هذا القول لا يبعد ان يكون السايل والمجيب هو الله سبحانه وتعالى
ولا يبعد ايضا ان يكون السايل جمعا من الملايكة والمجيب جمعا اخرين وليس على التعيين دليل. **قوله**
اليوم تجزى كل نفس بما كسبت يجزى المحسن باحسانه والمسي باساته لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب
قوله تعالى وانذرهم يوم الازفة الاية والمقصود هنا وصف يوم القيامة
ويوم الازفة يجوز ان يكون مفعولا به اتساعا وان يكون ظرفا والمفعول محذوف والازفة فاعلة
من ازف الامر اذا دنا وحضر كقوله في صفة القيامة ازفت الازفة اي قربت قال النابغة
ازف الترحل غير ان ركابنا ... لما تزل برحالنا وكان قد. وقال كعب بن زهير
بان الشباب وهذا الشيب قد ازفا ... ولا ارى لشباب بائن خلفا. وقال الراغب
ازف وازف يتقاربان لكن ازف يقال اعتبارا بضيق وقتها ويقال ازف الشخوص والازف
ضيق الوقت ... والازفة صفة لمحذوف
فيجوز ان يكون التقدير الساعة الازفة او الطامة الازفة ونحو ذلك ... بدل من يوم الازفة
او من هم في ... **فصل** المقصود من الاية التنبيه على ان يوم
القيمة قريب ونظيره قوله تعالى اقتربت الساعة قال الزجاج انما قيل لها ازفة لانها قريبة وان
استبعد الناس مداها وكل ما هو ات قريب واعلم ان الازفة نعت لمحذوف مؤنث فقيل يوم القيمة
الازفة او يوم المجازاة الازفة قال القفال واسما القيامة تجري على التانيث كالطامة والحاقة ونحوهما
كانها ترجع بمعناها الى الداهية وقيل المراد بيوم الازفة مشارفتهم دخول النار فانه عند ذلك
ترتفع قلوبهم عن مقارها من شدة الخوف وقال ابو مسلم يوم الازفة يوم حضور الاجل لانه تعالى
وصف يوم القيمة بانه يوم التلاق ويوم هم بارزون ثم قال بعده وانذرهم يوم الازفة فوجب
ان يكون هذا اليوم غير ذلك اليوم وايضا فهذه الصفة مخصوصة في سائر الايات بيوم الموت
قال تعالى فلولا اذا بلغت الحلقوم وقال كلا اذا بلغت التراقي وايضا فوصف يوم الموت
بالقرب اولى من وصف يوم القيمة بالقرب وايضا فالصفات المذكورة بعد قوله يوم الازفة لايقة
بيوم حضور المنية لان الرجل عند معاينة ملايكة العذاب يعظم فزعه فكان قلوبهم تبلغ حناجرهم
من شدة الخوف ويبقوا كاظمين ساكتين عن ذكر ما في قلوبهم من شدة الخوف ولا يكون لهم من حميم ولا

متشيع بعد فتح ما بعد من انواع الخوف والقلق **قوله** كاظمين نصب على الحال واختلفوا في صاحبها والعامل
فيها فقال الحوفي القلوب لدى الحناجر وكاظمين حال من الضمير المستكن فيه قال شهاب الدين
ولا بد من جواب عن جمع القلوب جمع من يعقل فقال كاظمين وهو انه لما اسند اليهم ما يسند
للعقلاء جمعت جمعه كقوله رايتهم لي ساجدين وفظلت اعناقهم لها خاضعين وفي بعضه قراءة من
قرا كاظمون الثاني انها حال من القلوب وفيه السؤال والجواب المتقدم قالت والمعنى ان القلوب كاظمة
عن كرب وغم مع بلوغها الحناجر الثالث انه حال من اصحاب القلوب قال الزمخشري هو حال عن اصحاب
القلوب على المعنى اذ المعنى اذ قلوبهم لدى الحناجر كاظمين عليها قال شهاب الدين فكانه في قوة ان جعل
ال عوضا من الضمير اي حناجرهم الرابع انه يكون حالا من هم في انذرهم ويكون حالا مقدرة لانهم
وقت الانذار غير كاظمين وقال ابن عطية كاظمين حال مما ابدل منه اذ القلوب لما يضاف الى
القلوب اذ المراد اذ قلوب الناس لدى حناجرهم وهذا كقوله فظلت اعناقهم لها خاضعين اراد
تخضع عينها بجماعتهم قال شهاب الدين ظاهر قوله انه حال مما ابدل منه قوله اذ القلوب مشكل
لانه ابدل من قوله يوم الازفة وهذا لا يصح البتة وانما يريد بذلك على الوجه الثاني وهو ان
يكون بدلا من هم في انذرهم بدل اشتمال وتحقيقه تبع وقد تقدم الكلام على الكظم والحناجر في
آل عمران والاحزاب **فصل** قيل المراد بقوله اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين شدة
الخوف والفزع ونظيره قوله وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا وقال فلولا اذا بلغت
الحلقوم وانتم حينئذ تنظرون وقال الحسن القلوب تنتزع من الصدور لشدة الخوف وبلغت
القلوب الحناجر فلا هي تخرج فيموتوا ولا ترجع الى مواضعها فيتنفسوا ويتروحوا وقوله كاظمين اي
مكروبين والكاظم الساكت حال امتلائه غما وغيظا والمعنى انهم لا يمكنهم ان ينطقوا وان يشرحوا ما
عندهم من الحزن والخوف وذلك يوجب مزيد القلق والاضطراب **قوله** ما للظالمين من
حميم قريب ينفعهم ولا شفيع يطاع يشفع لهم وقوله يطاع يجوز ان يحكم على موضعه بالجر نعتا
على اللفظ وبالرفع نعتا على المحل لانه معطوف على المجرور بمن المزيدة وقوله ولا شفيع يطاع من
باب لا احب لا يهتدي بمناره اي لا شفيع فلا طاعة او ثم شفيع ولكن لا يطاع **فصل**
احتجت المعتزلة بهذه الاية على نفي الشفاعة عن المذنبين فقالوا نفى حصول شفيع لهم يطاع
فوجب ان لا يحصل لهم هذا الشفيع واجيبوا بوجوه الاول انه تعالى نفى ان يحصل لهم شفيع يطاع
وهذا لا يدل على نفي الشفيع كقولك ما عندي كتاب يباع فيقتضي نفي كتاب يباع ولا يقتضي
نفي الكتاب قال الشاعر ولا ترى الضب بها ينجحر ولفظ الطاعة يقتضي حصول المرتبة
فهذا يدل على انه ليس لهم يوم القيامة شفيع يطيعه الله لانه ليس في الوجود احد اعلا حالا من الله
تعالى حتى يقال ان الله تعالى يطيعه الثاني ان المراد بالظالمين هاهنا الكفار لان هذه الاية
وردت في زجر الكفار وقال تعالى ان الشرك لظلم عظيم الثالث ان لفظ الظالمين اما ان يفيد
الاستغراق او لا يفيد الاستغراق فان كان المراد بالظالمين مجموعهم فيدخل في هذا المجموع الكفار
وعندنا انه ليس لهذا المجموع شفيع لان بعض هذا المجموع هم الكفار وليس لهم شفيع فحينئذ لا يكون
لهذا المجموع شفيع وان لم يفد الاستغراق كان المراد من الظالمين بعض الموصوفين بهذه الصفة
وعندنا ان بعض الموصوفين بهذه الصفة ليس لهم شفيع وهم الكفار واجاب المعتزلة عن الاول
فقالوا يجب حمل كلام الله تعالى على محمل مفيد وكل احد يعلم انه ليس في الوجود احد يطيعه الله لان المطيع
ادون حالا من المطاع وليس في الوجود احد اعلا درجة من الله حتى يقال ان الله يطيعه واذا كان هذا
المعنى معلوما بالضرورة كان حمل الاية عليه اخراجا لها عن الفائدة فوجب حمل الطاعة على الاجابة
ويدل على ان لفظ الطاعة بمعنى الاجابة قول الشاعر رب من انضجت غيظا صدره قد تمنى لي موتا لم يطع

ومن

والثاني ان لفظ الظالمين صيغة جمع دخل عليها حرف التعريف فيفيد العموم اقصى ما في الباب ان
هذه الاية وردت في زجر الكفار الا ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وعلى هذا التقدير فقوله
ما للظالمين من حميم يفيد ان كل واحد من الظالمين محكوم عليه بانه ليس له حميم ولا شفيع يطاع والجواب
عن الاول ان القوم كانوا يقولون في الاصنام انها شفعاؤهم عند الله وكانوا يقولون انها
تشفع لهم عند الله من غير حاجة الى اذن الله ولهذا السبب رد الله عليهم فكذبهم بقوله من ذا الذي يشفع
عنده الا باذنه فهذا ابطال لقولهم فهذه الاية محمولة على نفي تلك الشفاعة التي اعتقدها الكفار للاصنام
في الشفاعة وهذا النوع من الطاعة قد نفاه الله تعالى بقوله ما للظالمين من حميم ولا شفيع
يطاع وعن الثاني انهم قالوا الاصل في حرف التعريف ان ينصرف الى المعهود السابق فاذا دخل
حرف التعريف على صيغة الجمع وكان هناك معهود سابق انصرف اليه وقد حصل في هذه الاية معهود
سابق وهم الكفار الذين يجادلون في ايات الله فوجب ان ينصرف اليهم وعن الثالث بان قوله
ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع يحتمل عموم السلب ويحتمل سلب العموم اما الاول فمعناه
ان يكون المعنى ان كل واحد من الظالمين محكوم عليه بانه ليس له حميم ولا شفيع واما الثاني فمعناه
تقدير ان يكون مجموع الظالمين ليس له حميم ولا شفيع ولا يلزم من نفي الحكم عن المجموع نفيه عن كل
واحد من افراد ذلك المجموع ويؤيده ما ذكرناه قوله تعالى ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم ام لم
تنذرهم لا يؤمنون وقوله ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون فان حملناه على ان كل واحد
منهم محكوم عليه بانه لا يؤمن لزم وقوع الخلف في كلام الله تعالى لان كثيرا منهم قد آمن بعد ذلك
اما لو حملناه على مجموع الذين كفروا لا يؤمنون فان بعضهم اذا لم يؤمن صدق ونخلص عن الخلف
فلا جرم حملنا هذه الاية على سلب العموم لا على عموم السلب وحينئذ يسقط استدلال المعتزلة
بهذه الاية **قوله** يعلم خائنة الاعين فيه اوجه اظهرها انه خبر آخر عن هو في قوله هو الذي يريكم
اياته قال الزمخشري فان قلت بم اتصل قوله يعلم خائنة الاعين قلت هو خبر من اخبار هو في
قوله هو الذي يريكم مثل يلقي الروح ولكن يلقي الروح قد علل بقوله لينذر يوم التلاق ثم استطرد ذكر احوال يوم
التلاق الى قوله ولا شفيع يطاع فبعد لذلك عن اخواته الثاني انه متصل بقوله [illegible]
[illegible] الانذار يوم الازفة لما يعرض فيه من شدة الغم والكرب وان الظالم لا يجد من يحميه
ولا شفيع له ذكر اطلاعه على جميع ما يصدر من الخلق سرا وجهرا والمعنى انه تعالى عالم لا يخفى عليه
مثقال ذرة في السموات والارض والحاكم اذا بلغ في العلم الى هذا الحد [illegible]
جدا وعلى هذا فهذه الجملة لا محل لها لانها في قوة التعليل للامر بالانذار الثالث انها متصلة
بقوله سريع الحساب الرابع انها متصلة بقوله لا يخفى على الله منهم شيء [illegible] يحتمل ان يكون
جارية مجرى العلة وان تكون في محل نصب على الحال **قوله** خائنة الاعين فيه وجهان احدهما
انها مصدر بمعنى الخيانة كالعافية بمعنى المعافاة والمعنى يعلم خيانة الاعين اي استراق
النظر الى ما لا يحل كما يفعل اهل الريب والثاني انها صفة على بابها وهو من باب اضافة الصفة للموصوف
والاصل الاعين الخائنة كقوله وان سقيت كرام الناس فاسقينا وقد رده الزمخشري وقال
لا يحسن ان يراد الخائنة من الاعين لان قوله وما تخفي الصدور لا يساعد عليه يعني انه لا يناسب
ان يقابل المعنى الا بالمعنى [illegible]
حتى يلزم ما ذكر بل يجوز ان يكون بمعنى الذي وهو عبارة عن نفس ذلك الشيء الخفي فيكون قد قابل
الاسم [illegible] والمراد بقوله وما تخفي الصدور اي تضمر القلوب واعلم ان الافعال قسمان
افعال الجوارح وافعال القلوب اما افعال الجوارح فاخفاها خائنة الاعين والله عالم بها فكيف
الحال في سائر الاعمال واما افعال القلوب فهي معلومة لله تعالى لقوله وما تخفي الصدور وقد دل

هذا على كونها عاطفة بجميع ما قبله الخبر **قوله** والله يقضي بالحق وهذه الجملة [illegible] الحاكم
اذا كان عالما بجميع الاحوال [illegible] الا [illegible] كل ما [illegible] كان يخاف المعتبر [illegible]
في الغاية التقوى **قوله** والذين يدعون من دونه [illegible] بالعقاب المشركين [illegible] الباقون
بالغيبة [illegible] ان الكفار [illegible] دفع العقاب عن [illegible]
هذه الاصنام [illegible] الله [illegible] فيها الا بشبه [illegible] والذين يدعون من دونه لا يقضون
بشيء [illegible] ان الله هو السميع البصير اي [illegible] الاصنام [illegible] يسمع [illegible]
[illegible] الاصنام [illegible]
بالاحوال [illegible] الاخرة [illegible] الدنيا [illegible] ينظروا [illegible] الا [illegible]
فينظروا كيف كان عاقبة الذين [illegible] العقول [illegible]
الكفار [illegible] كانوا [illegible] من الكفار [illegible] في الارض [illegible]
وعساكرهم [illegible] فاخذهم الله [illegible] الكفار [illegible] ذلك
[illegible] الله [illegible] وما كان لهم من الله من واق اي [illegible] العذاب
[illegible] **قوله** [illegible] في جواب الاستفهام وان
يكون مجزوما [illegible] **قوله**
[illegible] قوة قرا ابن عامر [illegible] الابنيات [illegible]
[illegible] **قوله** واثارا عطف على قوة وهو في قوة قوله
ويتخذون [illegible] بيوتا [illegible] الزمخشري [illegible]
[illegible] **قوله** ذلك [illegible] اي ذلك
العذاب الذي نزل بهم [illegible] بالبينات فكفروا فاخذهم الله انه قوي
شديد العقاب [illegible] **قوله تعالى** ولقد ارسلنا
موسى بآياتنا [illegible] الكفار الذين كذبوا الانبياء قبله [illegible] اثارهم [illegible]
ايضا بذكر قصة موسى عليه السلام [illegible] الى فرعون وهامان وقارون
فكذبوه فقالوا ساحر كذاب فلما جاءهم بالحق من عندنا اي [illegible] الايات [illegible] والسلطان المبين
[illegible] المعجزات القاهرة [illegible] فرعون [illegible] اقتلوا ابناء الذين امنوا معه قال قتادة هذا غير
القتل الاول لان فرعون كان [illegible] قتل [illegible] بعث موسى اعاد القتل عليهم [illegible]
[illegible] القتل [illegible] على [illegible] واستحيوا نساءهم [illegible] البنات
[illegible] القتل الابناء [illegible] موسى [illegible]
وما كيد الكافرين الا في ضلال [illegible] فرعون وقومه [illegible] الذين امنوا معه قال قتادة [illegible]
القتل [illegible] الا في ضلال اي [illegible] الله عز وجل
قوله وقال فرعون ذروني اقتل موسى اي [illegible]
[illegible] الباقون [illegible] قال فرعون ذلك لانه كان في خاصة قوم فرعون من [illegible] قتل موسى
وفي [illegible] احتمالان الاول انهم [illegible] من قتله [illegible] كان [illegible]
[illegible] موسى [illegible] قال [illegible] قالوا انه لا
تقتله فانما هو ساحر [illegible] ان [illegible] على الناس [illegible]
انه كان [illegible] في [illegible] قتله [illegible] ان [illegible]
فرعون مشغول القلب [illegible] الاقوام لان [illegible] الامر [illegible] قبل
ملكهم بخصم خارجي [illegible] والتعيين من قلب ذلك الملك الاحتمال الثاني ان احدا ما منع فرعون

من قتل موسى وانه كان يريد قتله الا انه كان خايفا من انه لو حاول قتله لظهر معجزات
ظاهرات تمنعه من قتله فيفتضح الا انه قال ذروني اقتل موسى [illegible] اخاف خوفه
قوله وليدع ربه [illegible] ربه التي يزعم انه ارسله اليكم [illegible] ذكر ذلك
استهزاء **قوله** اني اخاف ان يبدل دينكم او ان يظهر في الارض الفساد قرا الكوفيون ويعقوب
[illegible] باو التي للابهام ومعناه انه لا بد من وقوع احد الامرين والباقون بواو [illegible] تسلط
الخوف على التبديل [illegible] بالفساد [illegible] نافع [illegible] وابو عمرو والباقون [illegible] وقرا
نافع وابو عمرو وحفص يظهر [illegible] الفساد [illegible] موسى عليه السلام
الفساد نصبا على المفعول به والباقون بفتح الياء والهاء [illegible] الفساد رفعا بالفاعلية
[illegible] الفساد [illegible] مقام الفاعل [illegible]
[illegible] بتشديد الهاء فادغم التاء في الظاء [illegible] على الفاعل
فصل [illegible] السبب الموجب لقتله [illegible] الموجب لقتله [illegible]
او فساد الدنيا اما فساد الدين فلان القوم اعتقدوا ان الدين الصحيح هو دينهم الذي كانوا
عليه فلما كان موسى ساعيا في افساده [illegible] في [illegible] الدين [illegible] واما فساد
الدنيا [illegible] يجتمع عليه قوم [illegible] الخصومات واثارة الفتن
ولما كان [illegible] الناس [illegible] فقال اني اخاف
ان يبدل دينكم [illegible] ان يظهر في الارض الفساد **قوله** وقال
موسى [illegible] وابو عمرو [illegible] والكسائي [illegible] الذال [illegible] والباقون بالاظهار وقوله
لا يؤمن [illegible] **فصل** [illegible] القتل [illegible]
[illegible] بالله [illegible] فضل الله [illegible]
على [illegible] الانسان [illegible] التكبر [illegible] البعث والقيمة
لان المتكبر [illegible] بالبعث والحساب
[illegible] البعث
والقيمة [illegible] والحساب [illegible] فلا جرم
[illegible] **قوله** وقال رجل مؤمن من ال فرعون [illegible] في هذا المؤمن قال
[illegible] فرعون [illegible] الله [illegible]
[illegible] النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] حبيب النجار مؤمن ال
ياسين [illegible] ال فرعون [illegible] اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله [illegible] ابو بكر الصديق
[illegible] ابو بكر [illegible] ال فرعون [illegible] يكتم ايمانه
وقال ابو بكر [illegible] اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله [illegible] عروة بن
الزبير قال قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص اخبرني باشد ما صنعه المشركون برسول الله صلى
الله عليه وسلم قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي [illegible] اذ اقبل عقبة بن ابي
معيط [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديدا
واقبل ابو بكر [illegible] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اتقتلون رجلا ان يقول
ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم قال ابن عباس [illegible] اسم الرجل [illegible] وقال
ابن اسحاق [illegible] **قوله** رجل مؤمن [illegible] بضم الجيم وقرئ رجل
بكسر الجيم [illegible] وقرا الاعمش وعبد الله [illegible] لغة تميم ونجد
والاولى هي الفصحى **قوله** من ال فرعون [illegible] يكتم [illegible] اي يكتم ايمانه من ال فرعون

قيل هذا الاحتمال غير جائز لانه لا يقال كتمت من فلان كذا انما يقال كتمته كذا قاله تعالى ولا يكتمون
الله حديثا بل الظاهر يتعلق بمحذوف صفة لرجل قال ابن الخطيب يجوز ان يكون متعلقا بقوله
مؤمن واي كان ذلك المؤمن مخلصا من ال فرعون قال شهاب الدين يحتاجه على احسن ترتيب
حيث قدم المفرد ثم ما يقرب منه وهو حرف الجر ثم الجملة وقد تقدم ايضاح هذه المسئلة
في المائدة وغيرها وترتب على الوجهين هل كان هذا الرجل من قرابة فرعون فعلى الاول لا دليل
فيه وعلى الثاني فيه دليل وقد رد بعضهم الاول بما تقدم وانه لا يقال كتمت من فلان كذا انما
يقال كتمت فلانا كذا فيتعدى لاثنين بنفسه قال تعالى ولا يكتمون الله حديثا وقال الشاعر
كتمتك ليلا بالجمومين ساهرا وهمين هما مستكنا وظاهرا
احاديث نفس تشتكي ما يريبها وورد هموم لن يجدن مصادرا اي كتمتك احاديث النفس وهمين فيه
المعطوف على المعطوف عليه فصل الشعر **قوله** ان يقول ربي الله اي كراهة ان يقول او لان يقول
وقال الزمخشري ولك ان تقدر مضافا محذوفا اي وقت ان يقول والمعنى اتقتلونه ساعة
سمعتم منه هذا القول من غير روية ولا فكر وهذا الذي اجازه رده ابو حيان بان تقدير هذا
الوقت لا يجوز الا مع المصدر المصرح به نحو جئتك صياح الديك اي وقت صياحه ولو قلت
اجيئك ان صاح الديك لم يجز نص عليه النحويون **قوله** وقد جاءكم جملة حالية يجوز
ان يكون من المفعول فان قيل هو نكرة فالجواب انه في حيز الاستفهام وكل ما سوغ الابتداء بالنكرة
سوغ انتصاب الحال عنها ويجوز ان يكون حالا من الفاعل **فصل** لما حكى الله تعالى عن
موسى عليه السلام انه ما زاد في دفع مكر فرعون وشره على الاستعاذة بالله بين انه تعالى
قيض له انسانا اجنبيا حتى ذب عنه باحسن الوجوه وبالغ في تسكين تلك الفتنة فقال
اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وهذا استفهام على سبيل الانكار وذكر في هذا الكلام ما يدل
على حسن ذلك الانكار وذلك لانه ما زاد على ان قال ربي الله وجاء بالبينات وذلك لا يوجب
القتل البتة فقوله وقد جاءكم بالبينات من ربكم يحتمل وجهين الاول ان قوله ربي الله اشارة
الى التوحيد وقوله وقد جاءكم بالبينات من ربكم اشارة الى تقرير النبوة باظهار المعجزة الثاني
ان قوله ربي الله اشارة الى التوحيد وقوله وقد جاءكم بالبينات من ربكم اشارة الى الدلائل
الدالة على التوحيد ثم ذكر ذلك المؤمن حجة ثانية على ان الاقدام على قتله غير جائز وهي حجة
مذكورة على طريق التقسيم فقال ان كان هذا الرجل كاذبا كان وبال كذبه عائدا عليه فاتركوه
وان كان صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم فثبت على التقديرين ان الاولى ابقاؤه حيا **فان قيل**
الاشكال على هذا الدليل من وجهين الاول ان قوله فان يك كاذبا فعليه كذبه معناه ان ضرر
كذبه مقصور عليه ولا يتعداه وهذا الكلام فاسد لوجوه اولها انا لا نسلم ان بتقدير كونه كاذبا
يكون ضرر كذبه مقصورا عليه لانه يدعو الناس الى ذلك الدين الباطل فيغتر به جماعة ويقعون
في المذهب الباطل والاعتقاد الفاسد ثم يقع بينهم وبين غيرهم الخصومات الكثيرة فثبت ان
بتقدير كونه كاذبا لم يكن ضرر كذبه مقصورا عليه بل يكون متعديا الى الكل ولهذا اجمع العلماء على
ان الزنديق الذي يدعو الناس الى زندقته يجب قتله وثانيها انه لو كان هذا الكلام حجة
لم يجز قتل كذاب الا ويمكنه ان يتمسك بهذه الطريقة فيلزم تمكين جميع الزنادقة والمبطلة من ادعاء مذاهبهم
الباطلة وثالثها ان الكفار الذين انكروا نبوة موسى عليه السلام يجب ان لا يجوز الانكار عليهم
لانه يقال ان كان ذلك المنكر كاذبا في ذلك الانكار فعليه كذبه وان يك صادقا فانتفعتم
بصدقه فثبت ان هذه الطريق يوجب صدقه وما افضى ثبوته الى عدم صدقه كان فاسدا
الوجه الثاني كان من الواجب ان يقال وان يك صادقا يصبكم كل الذي يعدكم لان الذي

يصيب

يصيبه بعض الذي يعده دون البعض هم الكهان والمنجمون اما الرسول الصادق الذي لا يتكلم الا
بالوحي فانه يجب ان يكون صادقا في كل ما يقول فكان قوله يصبكم بعض الذي يعدكم غير لائق بهذا المقام
والجواب عن الاول من الاسولة الثلاثة بان تقدير الكلام ان يقال انه لا حاجة بكم في دفع شره الى قتله بل يكفيكم
ان تمنعوه من اظهار هذه المقالة ثم تتركوا قتله فان كان كاذبا فحينئذ لا يعود ضرره الا اليه وان كان
صادقا فانتفعتم به والمقصود من ذلك التقسيم انه لا حاجة بكم الى قتله بل يكفيكم ان تعرضوا
عنه وان تمنعوه من اظهار دينه واما الجواب عن الوجه الثاني وهو قوله كان الاولى ان يقال
يصبكم كل الذي يعدكم فمن وجوه الاول انه في مقام الاستدلال على اظهار الانصاف
وترك اللجاج لان المقصود منه ان كان كاذبا كان ضرر كذبه مقصورا عليه وان كان صادقا
فلا اقل من ان يصيبكم بعض ما يعدكم وان كان المقصود من الكلام هذا ونظيره قوله وانا
او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين الثاني انه عليه السلام كان يتوعدهم بعذاب الدنيا
وبعذاب الاخرة فاذا وصل اليهم في الدنيا عذاب الدنيا فقد اصابهم بعض الذي وعدهم
به الثالث قال الزمخشري بعض على بابها وانما قال ذلك ليهضمه بعض حقه في ظاهر الكلام
ليريهم انه ليس بكلام من اعطاه حقه وافيا فضلا عن ان يتعصب له وهو الحسن من قوله
ابي عبيدة وغيره ان بعض بمعنى كل وانشدوا قول لبيد
تراك امكنة اذا لم ارضها او يرتبط بعض النفوس حمامها وانشدوا ايضا قول عمرو
ابن شيم قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل وقول الاخر
ان الامور اذا الاحداث دبرها دون الشيوخ ترى في بعضها خللا قالوا يعني بالبعض
ولا ادري كيف فهموا الكل من البيتين الاخيرين واما الاول فبعض على بابها لان الموت
يأتي على الكل قال ابن الخطيب والجمهور على ان هذا القول خطأ قالوا واراد لبيد ببعض النفوس
نفسه ومعنى البيت انه وصف نفسه بانه نزال امكنة اي كثير النزول في اماكن لا يرضاها الا ان
يرتبط نفسه الحمام وهو الموت وقال الليث بعض ههنا صلة يريد يصبكم الذي يعدكم ولما حكى
الزمخشري قول ابي عبيدة ان بعض بمعنى كل وانشد بيت لبيد قال ان صحت الرواية عنه
فقد حق فيه قول المازني في مسألة العلقى كان اجفى من ان يفقه ما اقول له قال شهاب الدين
ومسألة المازني في هذا مع ابي عبيدة قال المازني قلت لابي عبيدة اكذب النحويين يقولون هاء التانيث
لا تدخل على الف التانيث وان الالف في علقى ملحقة قال فقلت له وما انكرت من ذلك قال
سمعت رؤبة ينشد يخط في علقى وفي مكور فلم ينونها فقلت ما واحد علقى قال علقاة قال المازني
فاسفت ولم افسر له لانه قد اغلظ من ان يفهم مثل هذا قال شهاب الدين وانما استغلظه
المازني لان الالف التي للالحاق تدخل عليها تاء التانيث دالة على الوحدة فيقال ارطى
وارطاة وانما الممتنع دخولها على الف التانيث نحو دعوى وصرعى واما عدم تنوين علقى فلانه
سمى به شيئا بعينه والف الالحاق المقصورة حال العلمية تجري مجرى تاء التانيث فيمتنع الاسم
الذي هي فيه كما يمتنع فاطمة وينصرف قائمة **قوله** ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب
وفيه احتمالات الاول ان هذا اشارة الى الرمز والتعريض بعلو شان موسى عليه السلام والمعنى
ان الله تعالى هدى موسى الى الاتيان بالمعجزات الباهرة ومن هداه الله الى الاتيان بالمعجزات
لا يكون مسرفا كذابا فدل على ان موسى ليس من الكذابين الاحتمال الثاني ان يكون المراد ان فرعون
مسرف في عزمه على قتل موسى كذاب في ادعائه الالهية والله لا يهدي من هذا شانه وصفته
بل يبطله ويهدم امره **قوله** يا قوم لكم الملك اليوم اعلم ان مؤمن ال فرعون لما استدل
على انه لا يجوز قتل موسى خوف فرعون وقومه ذلك العذاب الذي توعدهم به في قوله يصبكم

بعض الذي يعدكم فقال يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض اي ادمن بهم يعني عند علوم الناس
وقهرتموهم فلا تفسدوا امركم ولا تتعرضوا لعذاب الله فانه لا قبل لكم به وقتل النبي فانه لا مانع
من عذاب الله ان حل بكم وانما قال ينصرنا وجانا لانه كان يظهر انه منهم وان الذي ينصحهم به
هو مشارك لهم فيه قوله ظاهرين حال من الضمير في لكم والعامل فيه وفي اليوم ما تعلق
به لكم ولما قال المؤمن هذا الكلام قال فرعون ما اريكم الا ما ارى يعني من رويته الا ما اعتقد
لعقولين ما اليهما الا ما ارى اي لنفسي وقال الضحاك ما اعلمكم الا ما اعلم قوله
وما اهديكم الا سبيل الرشاد العامة على تخفيف الشين مصدر رشد يرشد وقرا معاذ بن
جبل بتشديدها وخرجها ابو الفتح وغيره على انها صفة مبالغة نحو ضراب وقتال قال النحاس
هو لحن وتوهمه من الرباعي يعني ارشد ورد على النحاس قوله بانه يحتمل ان يكون من رشد الثلاثي
وهو الظاهر وقد جا فعال ايضا من افعل وان كان لا ينقاس قالوا ادرك فهو دراك واجبر فهو
جبار واقصر فهو قصار واسار فهو سار ويدل على انه صفة مبالغة ان معاذا كان يفسرها
بسبيل الله قال ابن عطية ويبعد عندي على معاذ رضي الله عنه وهل كان فرعون يدعي الا الالهية
ويعلق بنا اللحظ في هذا التركيب قال شهاب الدين يعني ابن عطية انه كيف يقول فرعون
ذلك فيقر بان ثم من يهدي الى الرشاد غيره مع انه يدعي انه اله وهذا الذي جزم به ابن عطية
والزمخشري وابن جبارة صاحب الكامل ان معاذ بن جبل من القراءة المذكورة ليس هو في الرشاد
الذي هو في كلام فرعون كما توهموا وانما هو في الرشاد الثاني الذي هو من قول المؤمن بعد
ذلك ويدل على ذلك ما قال ابو الفضل الرازي في كتاب اللوامح معاذ بن جبل سبيل الرشاد
الحرف الثاني بالتشديد وكذلك الحسن وهو سبيل الله تعالى الذي اوضحه لعباده كذلك فسره
معاذ وهو منقول من مرشد كدراك من مدرك وجبار من مجبر وقصار من مقصر عن الامر
ولها نظاير معدودة فاما قصار الثوب فهو من قصرت الثوب قصارة انتهى وهذا يزول اشكال
ابن عطية المتقدم ويتضح القراءة والتفسير وقال ابو البقا وهو الذي يكثر منه الارشاد او
الرشد يعني انه يحتمل ان يكون من ارشد الرباعي او رشد الثلاثي والاولى ان يكون من الثلاثي
لما عرفت انه ينقاس دون الاول قوله يا قوم اني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب اعلم انه
تعالى حكى عن ذلك المؤمن انه كان يكتم ايمانه الى الان يكتم ايمانه لكن كيف يمكنه ان يذكر هذه الكلمات
مع فرعون فلهذا السبب حصل ههنا قولان الاول ان فرعون لما قال ذروني اقتل موسى
لم يصرح ذلك المؤمن بانه على دين موسى بل اوهم انه على دين فرعون الا انه زعم ان المصلحة تقتضي
ترك قتل موسى لانه لم يصدر عنه الا الدعوة الى الله والاتيان بالمعجزات الباهرة وهذا لا يوجب
القتل فالاقدام على قتله يوجب الوقوع في السنة الناس بقبيح الكلام بل الاولى تاخير قتله ومنعه
من اظهار دينه لانه ان كان كاذبا فوبال كذبه عليه وان كان صادقا حصل الانتفاع به من
بعض الوجوه ثم اكد ذلك بقوله ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب يعني انه ان صدق فيما يدعيه
من اثبات الاله القادر الحكيم فهو لا يهدي المسرف الكذاب فاوهم بقوله ان الله لا يهدي من هو مسرف
كذاب انه يريد به موسى وانما كان يقصد به فرعون لان المسرف الكذاب هو فرعون والقول
الثاني ان مومن آل فرعون كان يكتم ايمانه اولا فلما قال فرعون ذروني اقتل موسى ازال الكتمان واظهر
انه على دين موسى وشافه فرعون بالحق وقال يا قوم اني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب اي مثل ايام
الاحزاب وفسرهم بقوم نوح وعاد وثمود وكان لكل حزب يوم في العذاب اقتصر من الجمع على ذكر الواحد
لعدم الالتباس قوله مثل داب يجوز ان يكون مثل بدلا وان يكون عطف بيان والمعنى مثل
داب هم في عملهم من الكفر والتكذيب وساير المعاصي دايما لا يفترون عنه ولا بد من حذف

مضاف

مضاف يريد مثل جزاء دابهم والحاصل انه خوفهم الهلاك في الدنيا ثم خوفهم هلاك الاخرة
فقال وما الله يريد ظلما للعباد اي لا يهلكهم قبل اقامة الحجة عليهم والمقصود التنبيه على عذاب
الاخرة يعني ان تدمير اولئك الاحزاب كان عدلا لانهم استوجبوا بتكذيبهم الانبياء وتلك العلة
قايمة هنا فيجب حصول الحكم هنا قالت المعتزلة قوله وما الله يريد ظلما للعباد يدل على انه لا يريد
ان يظلم العباد ولا يريد الظلم من احد من العباد البتة ولو خلق الكفر فيهم ثم عذبهم على ذلك
الكفر لكان ظالما واذا ثبت انه لا يريد الظلم البتة ثبت انه غير خالق لافعال العباد ولانه لو
خلقها لارادها وثبت ايضا انه قادر على الظلم اذ لو لم يقدر عليه لما حصل التمدح بترك الظلم
وهذا الاستدلال قد تقدم مرارا مع الجواب قوله ويا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد التنادي
تفاعل من الندا يقال تنادى القوم اي نادى بعضهم بعضا والاصل الياء وقد تقدم الخلاف في يا
كيف تحذف وتثبت وموضعه تنادي نحو تقاتل تقاتلا والاصل تناديا بضم الدال ولكنهم
كسروها لتصح اليا وقرات طايفة بسكون الدال اجرا للوصل مجرى الوقف وتنادى القوم اي نادى
بعضهم بعضا قال تنادوا فقالوا اردت الخيل فارسا فقلنا عبيد الله ذلكم الردي
وقال آخر تنادوا بالرحيل غدا وفي ترحالهم نفسي وقرا ابن عباس والضحاك والكلبي وابو صالح
وابن مقسم والزعفراني في آخرين بتشديد الدال مصدر تناد من ند البعير اذا هرب ونفر وهو
في معنى قوله تعالى يوم يفر المرء من اخيه الاية ويدل على صحة هذه القراءة قوله تعالى بعد
ذلك يوم تولون مدبرين قال ابو علي التناد مخففا من التنادي مثل قولهم ند فلان اذا هرب
وفي الحديث ان للناس جولة يندون يظنون انهم يجدون مهربا وقال امية بن ابي الصلت
وبث الخلق فيها اذ دحاها فهم سكانها حتى التنادي قوله يوم تولون يجوز ان يكون
بدلا من يوم التناد وان يكون منصوبا باضمار اعني ولا يجوز ان يكون عطف بيان لانه نكرة وما
قبله معرفة وقد تقدم في قوله فيه آيات بينات مقام ابراهيم ان الزمخشري جعله بيانا
مع تخالفهما تعريفا وتنكيرا فهو عكس هذا لان الذي جعله الثاني نكرة والاول معرفة قوله
ما لكم من الله من عاصم يجوز في من عاصم ان يكون فاعلا بالجار لاعتماده على النفي وان يكون مبتدا
ومن مزيدة على كلا التقديرين ومن الله متعلق بعاصم فصل اجمع المفسرون على ان
يوم التنادي يوم القيامة وفي تسميته بهذا الاسم وجوه قيل لان اهل النار ينادون اصحاب الجنة
واصحاب الجنة ينادون اصحاب النار كما حكى الله عنهم وقال الزجاج هو قوله تعالى يوم
ندعوا كل اناس بامامهم وقيل ينادي بعض الظالمين بعضا بالويل والثبور فيقولون يا ويلنا
وقيل ينادون الى المحشر وقيل ينادي المؤمن هاؤم اقرؤا كتابيه والكافر يا ليتني لم اوت كتابيه
وقيل ينادي باللعنة على الظالمين وقيل يجا بالموت على صورة كبش املح ثم يذبح بين الجنة والنار
ثم ينادي يا اهل الجنة خلود بلا موت ويا اهل النار خلود بلا موت وقيل ينادي بالسعادة
والشقاوة الا ان فلان بن فلان سعد سعادة لا يشقى بعدها ابدا وفلان بن فلان شقي
شقاوة لا يسعد بعدها ابدا وقوله يوم تولون مدبرين قال الضحاك اذا سمعوا زفير النار
ندوا هربا فلا ياتون قطرا من الاقطار الا وجدوا الملايكة صفوفا فيرجعون الى مكانهم فذلك
قوله والملك على ارجايها وقوله يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات
والارض فانفذوا وقال مجاهد فارين عن النار غير معجزين ثم اكد التهديد فقال ما لكم من
الله من عاصم يعصمكم من عذابه ثم نبه على قوة ضلالهم وشدة جهالتهم فقال ومن يضلل الله
فما له من هاد قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات يعني يوسف بن يعقوب من قبل
موسى بالبينات ونقل الزمخشري انه قيل يوسف بن ابراهيم بن يوسف بن يعقوب اقام فيهم نبيا عشرين سنة

وقيل ان فرعون موسى هو فرعون يوسف بقي حيا الى زمانه وقيل هو فرعون اخر والمقصود من الكل شي
واحد وهو ان يوسف جاء قومه بالبينات وهي قوله أأرباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار
والاولى ان يراد بها المعجزات واعلم ان مومن آل فرعون لما قال لهم ومن يضلل الله فما له من هاد
ذكر هذا المثال وهو ان يوسف جاءهم بالبينات الباهرة فاصروا على التكذيب ولم ينتفعوا بتلك
الدلايل وهذا يدل على ان من اضله الله فما له من هاد ثم قال فما زلتم في شك مما جاءكم به قال
ابن عباس من عبادة الله وحده لا شريك له فلم تتبعوا الفتنة بتلك البينات **قوله** حتى اذا غاية
لقوله فما زلتم في شك فلما هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا اي اقمتم على كفركم وظننتم ان الله
لا يجدد عليكم الحجة وتوهموا ان لن يبعث الله باد خال همزة التقرير يعني يحثهم بعضا بعضا **قوله** كذلك
اي الامر كذلك او مثل هذا الضلال يضل الله كل مسرف كذاب في عصيانه مرتاب في دينه فقوله
يضل الله مستانف او نعت مصدر اي مثل ضلال الله اياكم حين لم تقبلوا من يوسف يضل الله من
هو مسرف ثم بين ضلالهما لاجله تقوا في ذلك الشك والاسراف فقال الذين يجادلون في آيات الله بغير
سلطان اتاهم اي بغير حجة بل اما بالتقليد واما بشبهات خسيسة **قوله** الذين يجادلون
يجوز فيه عشرة اوجه احدها انه بدل من قوله من هو مسرف وانما جمع اعتبارا لمعنى من الثاني
ان يكون بيانا له الثالث ان يكون صفة له وجمع على معنى من ايضا الرابع ان ينتصب باضمار
اعني الخامس ان يرتفع خبر مبتدا مضمر اي هم الذين السادس ان يرتفع مبتدا خبره يطبع الله
وكذلك خبر مبتدا مضمر ايضا اي الامر كذلك والعايد من الجملة على المبتدا محذوف
اي على كل قلب متكبر منهم السابع ان يكون مبتدا والخبر كبر مقتا ولكن لا بد من حذف مضاف
ليعود الضمير من كبر عليه والتقدير حال الذين يجادلون كبر مقتا ويكون مقتا تمييزا وهو منقول
من الفاعل اذ التقدير كبر مقت حالهم اي حال المجادلين الثامن ان يكون الذين مبتدا
ايضا ولكن لا يقدر حذف مضاف ويكون فاعل كبر ضميرا عايدا على جدالهم المفهوم من قوله
يجادل والتقدير كبر جدالهم مقتا ومقتا على ما تقدم اي كبر مقتا جدالهم التاسع
ان يكون الذين مبتدا ايضا والخبر بغير سلطان اتاهم قاله الزمخشري ورده ابو حيان بان
فيه تفكيك الكلام بعضه من بعض لان الظاهر تعلق بغير سلطان بيجادلون ولا يتعقل جعله
خبرا للذين لانه جار ومجرور فيصير التقدير الذين يجادلون كاينون او مستقرون بغير سلطان
اي في غير سلطان لان الباء اذ ذاك ظرفية خبر عن الجثث العاشر انه مبتدا وخبره محذوف
اي معاندون ونحوه قاله ابو البقا **قوله** كبر مقتا يحتمل ان يراد به التعجب والاستعظام
وان يراد به الذم فيكون كذلك انه يجوز ان يبنى فعل بضم العين مما يجوز التعجب منه وتجري مجرى
نعم وبيس في جميع الاحكام وفي فاعله ستة اوجه الاول انه ضمير عايد على حال المضاف الى الذين
كما تقدم تقريره الثاني انه ضمير يعود على جدالهم المفهوم من يجادلون كما تقدم تقريره ايضا
الثالث انه الكاف في كذلك قال الزمخشري وفاعل كبر قوله كذلك اي كبر مقتا مثل ذلك
الجدال ويطبع الله كلام مستانف ورده ابو حيان بان فيه تفكيكا للكلام وارتكاب مذهب
ليس بصحيح اما التفكيك فلان ما جا في القران من كذلك نطبع او يطبع انما جا مربوطا بعضه
ببعض فكذلك هذا واما ارتكاب مذهب غير صحيح فانه جعل الكاف اسما ولا تكون اسما الا
في ضرورة خلافا للاخفش الرابع ان الفاعل محذوف نقله الزمخشري قال ومن قال كبر مقتا عند الله
جدالهم فقد حذف الفاعل والفاعل لا يصح حذفه قال شهاب الدين القايل بذلك هو الحوفي ولكنه
لا يريد بذلك تفسير الاعراب وانما يريد به تفسير المعنى وهو معنى ما تقدم من ان الفاعل ضمير يعود
على جدالهم المفهوم من فعله فصرح الحوفي بالاصل وهو الاسم الظاهر ومراده ضمير يعود عليه الخامس

ان الفاعل ضمير يعود على ما بعده وهو التمييز نحو نعم رجلا زيد وبيس غلاما عمرو السادس انه ضمير
يعود على من في قوله من هو مسرف واعاد الضمير من كبر مفردا اعتبارا بلفظها وحينيذ يكون قد
راعى لفظ من اولا في قوله من هو مسرف ثم معناها ثانيا في قوله الذين يجادلون الى اخره ثم
لفظها ثالثا في قوله كبر وهذا الكلام انما اعربت الذين تابعا لمن هو مسرف نعتا او بيانا او بدلا
وقد تقدم ان الجملة من قوله كبر مقتا فيها وجهان احدهما الرفع اذا جعلناها خبر المبتدا والثاني
انها لا محل لها اذا لم نجعلها خبرا بل هي جملة استينافية وقوله عند الله متعلق بكبر وكذلك قد
تقدم انه يجوز ان يكون خبر المبتدا محذوفا وان يكون فاعلا وهما ضعيفان والثالث وهو
الصحيح انه معمول ليطبع اي مثل ذلك الطبع يطبع الله ويطبع الله فيه وجهان الظاهر منهما انه مستانف
والثاني انه خبر الموصول كما تقدم **قوله** قلب متكبر قرا ابو عمرو وابن ذكوان بتنوين قلب
وصفا القلب بالتكبر والجبروت لانهما ناشيان منه وان كان المراد الجملة كما وصف بالاثم في قوله
فانه اثم قلبه وصح قوله انه في صدره وهم الاكثر قال ابن الخطيب وايضا قال قوم الانسان
الحقيقي جزء في القلب والباقون بالاضافة قلب الى ما بعده اي على كل قلب شخص متكبر قال
ابو عبيد الاختيار الاضافة لوجوه الاول ان عبد الله قرا على قلب كل متكبر وهو شاهد لهذه
القراءة الثاني ان وصف الانسان بالتكبر والجبروت اولى من وصف القلب بها وقد قدر
الزمخشري مضافا في القراة الاولى اي على كل ذي قلب فجعل الصفة لصاحب القلب قال
ابو حيان ولا ضرورة تدعو الى اعتقاد الحذف قال شهاب الدين بل ثم ضرورة الى ذلك وهو
توافق القراتين فانه يصير الموصوف في القراتين واحدا وهو صاحب القلب بخلاف عدم التقدير
فانه يصير الموصوف في احديهما القلب وفي الاخرى صاحبه **فصل** قال الزجاج قوله
الذين يجادلون تفسير المسرف المرتاب يعني هم الذين يجادلون في ايات الله اي في ابطالها
بالتكذيب بغير سلطان حجة اتاهم كبر مقتا اي كبر ذلك الجدال مقتا عند الله وعند الذين
امنوا ودلت الاية على انه يجوز وصف الله تعالى بانه قد يمقت بعض عباده الا انها صفة
واجبة التاويل في حق الله كالغضب والحيا والعجب ثم بين ان هذا المقت كما حصل عند الله
فكذلك عند الذين امنوا قال القاضي مقت الله اياهم يدل على ان فعلهم ليس بخلق الله لان كونه
فاعلا للفعل ومقتا له محال **فصل** قد تقدم الكلام في الطبع والرين والقسوة
قال اهل السنة قوله كذلك يطبع الله يدل على ان الكل من عند الله وقالت المعتزلة الاية
تدل على ان هذا الطبع انما حصل لانه كان في نفسه متكبرا جبارا قال ابن الخطيب وعندي ان هذه
تصير الاية حجة لكل واحد من الفريقين من وجه وعليه من وجه اخر والقول الثاني تخرج
عليه رجحان مذهبنا وهو انه تعالى يخلق دواعي الكبر والرياسة في القلب فتصير تلك الدواعي
مانعة عن حصول ما يدعو الى الطاعة والانقياد لامر الله فيكون القول بالقضاء والقدر حقا
ويكون تعليل الطبع بكونه متكبرا جبارا باقيا فثبت ان القول بالقضاء والقدر هو الذي يطبق
عليه لفظ القران من اوله الى اخره **فصل** قال مقاتل الفرق بين المتكبر والجبار ان
المتكبر عن قبول التوحيد والجبار في غير حق قال ابن الخطيب كمال السعادة في امرين التعظيم
لامر الله والشفقة على خلق الله فعلى قول مقاتل المتكبر كالمضاد للتعظيم لامر الله والجبروت كالمضاد
للشفقة على خلق الله **قوله تعالى** وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا الاية قال
المفسرون ان فرعون قال لوزيره هامان ابن لي صرحا والصرح البنا الظاهر الذي لا يخفى على الناظر
وان بعد واصله من التصريح وهو الاظهار لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات طرقها **فان**
قيل ما فايدة هذا التكرير ولو قيل لعلي ابلغ اسباب السموات كان كافيا فاجاب

الزمخشري يعنه تعالى اليه الى الارض المبني يتم لو صح كان تعذيبا لان ابعد الى الرد وتحكم اسباب السموات ابهمها ثم اوضحها **فصل** للمشايخ الناس في ان فرعون هل قصد بناء الصرح ليصعد منه الى السموات ام لا فقال ابن الخطيب اما الظاهرون من المفسرين فقد قطعوا بذلك وذكروا حكاية طويلة في كيفية بناء الصرح والذي عندي انه بعيد والدليل عليه ان فرعون لا يخلوا اما ان يقال انه كان مجنونا او عاقلا فان كان مجنونا لم يجز من الله تعالى ان يذكر حكاية كلامه في القرآن وان كان عاقلا فنقول ان كل عاقل يعلم ببديهة عقله انه يتعذر في قدرة البشر وضع ما يكون ارفع من الجبل العالي ويعلم ايضا ببديهة عقله انه لا يتفاوت في البصر حال السماء بين ان ينظر اليها من اسفل الجبال وبين ان ينظر اليها من اعلى الجبال واذا كان هذان العلمان بديهيين امتنع ان يقصد العاقل وضع بناء يصعد منه الى السماء واذا كان فساد هذا معلوما بالضرورة امتنع اسناده الى فرعون والذي عندي في تفسير هذه الآية ان فرعون كان من الدهرية وكان غرضه من هذا الكلام ايراد شبهة في نفي الصانع وتقريره انه قال انا لا نرى شيئا نحكم عليه بانه اله العالم فانه لو كان لوجد لكان في السماء ونحن لا سبيل لنا الى الصعود الى السموات فكيف يمكننا ان نراه ثم انه لاجل المبالغة في بيان انه لا يمكن الصعود الى السما قال يا هامان ابن لي صرحا لعلي ابلغ الاسباب والمقصود انه لما عرف كل احد ان هذا الطريق ممتنع كان الوصول الى معرفة وجود الله بطريق الحس ممتنعا ونظيره قوله تعالى فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء فتاتيهم باية وليس المراد منه انه امر محمدا صلى الله عليه وسلم طلب نفقا في الارض او وضع سلما الى السماء بل المعنى انك تعلم ان هذا المعنى ممتنع فكذلك عرفت انه لا سبيل لك الى تحصيل ذلك المقصود كذا ههنا غرض فرعون من قوله يا هامان ابن لي صرحا يعني ان الاطلاع الى اله موسى لما كان لا سبيل اليه الا بهذا الطريق وكان هذا الطريق ممتنعا فحينئذ يظهر منه انه لا سبيل الى معرفة الاله الذي اثبته موسى واعلم ان هذه الشبهة فاسدة لان طرق العلم ثلاثة الحس والخبر والنظر ولا يلزم من انتفاء طريق واحد في معرفة الله تعالى وهو الحس انتفاء المطلوب وذلك ان موسى عليه السلام قد بين لفرعون ان الطريق في معرفة الله تعالى انما هو الحجة والدليل كما قال ربكم ورب آبائكم الاولين رب المشرق والمغرب الا ان فرعون بخبثه ومكره تغافل عن ذكر الدليل والقى الى الجهال انه لما كان لا طريق الى الاحساس بهذا الاله وجب نفيه **قوله** اسباب السموات فيه وجهان احدهما انه تابع للاسباب قبله بدلا او عطف بيان والثاني انه منصوب باضمار اعني والاول اولى اذ الاصل عدم الاضمار **قوله** فاطلع العامة على رفعه عطفا على ابلغ فهو داخل في حيز الترجي وقرا حفص في آخرين بنصبه وفيه ثلاثة اوجه احدها انه جواب الامر في قوله ابن لي فنصبه بان مضمرة بعد الفا في جوابه على قاعدة البصريين كقوله يا ناق سيري عنقا فسيحا الى سليمان فنستريحا وهذا اولى لمذهب البصريين الثاني انه منصوب قال ابو حيان عطفا على التوهم لان خبر لعل كثيرا جاء مقرونا بان كثيرا في النظم وقليلا في النثر فمن نصب توهم ان الفعل المرفوع الواقع خبرا منصوب بان والعطف على التوهم كثير وان كان لا ينقاس انتهى الثالث انه منصوب على جواب الترجي في لعل وهو مذهب كوفي استشهد اصحابه بهذه القراءة وبقراءة نافع وما يدريك لعله يزكى او يذكر فتنفعه بنصب فتنفعه جوابا لقوله لعله والى هذا نحا الزمخشري قال تشبيها للترجي بالتمني والبصريون يابون ذلك ويخرجون القراءتين على ما تقدم وفي سورة عبس يجوز ان يكون جوابا للاستفهام في قوله وما يدريك فانه مترتب عليه معنى وقال ابن عطية وابن جبارة الهذلي على جواب التمني وفيه نظر اذ ليس في اللفظ تمن انما فيه ترج وقد فرق النحاس بين التمني والترجي

بان

بان الترجي لا يكون الا في الممكن بخلاف التمني فانه يكون فيه وفي المستحيل كقوله ليت الشباب هو الرجيع على الفتى والشيب كان هو البديء الاول **قوله** وكذلك زين لفرعون قرئ زين مبنيا للفاعل وهو الشيطان وتقدم الخلاف في وصده عن السبيل في الرعد فمن بناه للفاعل حذف المفعول اي صد قومه عن السبيل وهو الايمان قالوا ومن صده قوله لاقطعن ايديكم وارجلكم الآية ويدل على ذلك قوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وقوله هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام وابن وثاب وصد بكسر الصاد كانه نقل حركة الدال الاولى الى فاء الكلمة بعد توهم سلب حركتها وقد تقدم ذلك في نحو رد وانه يجوز فيه ثلاث لغات الجائزتين في قيل وبيع وابن ابي اسحاق وعبد الرحمن بن ابي بكرة وصد بفتح الصاد ورفع الدال منونة جعله مصدرا معطوفا على سوء عمله اي زين له الشيطان سوء العمل والصد ثم قال وما كيد فرعون الا في تباب اي وما كيده في ابطال ما جاء به موسى الا في خسار وهلاك والتباب الخسار وقد تقدم في قوله غير تتبيب **قوله تعالى** وقال الذي آمن يا قوم اتبعوني اهدكم سبيل الرشاد اي طريق الهدى يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع اي متعة تنتفعون بها مدة ثم تنقطع وان الآخرة هي دار القرار التي لا تزول ثم قال من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب تقدم الخلاف في قوله يدخلون الجنة في سورة النساء قال مقاتل لا تبعة عليهم فيما يعطون من الجنة من الخير واختلفوا في تفسير قوله بغير حساب فقيل لما كان لا نهاية لذلك الثواب قيل بغير حساب وقيل لانه تعالى يعطيهم ثواب اعمالهم ويضم الى ذلك الثواب من الفضل ما يخرج عن الحساب وقوله بغير حساب واقع في مقابلة الا مثلها يعني ان جزاء السيئة له حساب وتقدير لئلا يزيد على الاستحقاق فاما جزاء العمل الصالح بغير تقدير بل بغير حساب فهذا يدل على ان جانب الرحمة والفضل راجح على جانب العقاب فاذا عارضنا عمومات الوعيد بعمومات الوعد وجب ان يكون الترجيح لجانب عمومات الوعد وذلك يهدم قواعد المعتزلة **فصل** احتج اهل السنة بهذه الآية لقوله ومن عمل صالحا نكرة في معرض الشرط في جانب الاثبات يجري مجرى ان يقال من ذكر كلمة او خطا خطوة كذا او كذا فانه يدخل فيه من اتى بتلك الكلمة وتلك الخطوة مرة واحدة لكنه ههنا وجب ان يقال كل من عمل صالحا واحدا من الصالحات فانه يدخل الجنة ويرزق فيها بغير حساب والآتي بالايمان والمواظب على التوحيد والتنزيه والتقديس مدة ثمانين سنة اتى باعظم الطاعات وباحسن الطاعات فوجب ان يدخل الجنة والخصم يقول انه يخلد في النار ابد الآباد وذلك مخالف لهذا النص الصريح قالت المعتزلة انه تعالى شرط فيه كونه مؤمنا ومرتكب الكبيرة عندنا ليس بمؤمن فلا يدخل في هذا الوعد والجواب ما تقدم في قوله تعالى يؤمنون بالغيب فان صاحب الكبيرة مؤمن فسقط كلامهم **فصل** دلت هذه الآية على اعتبار المماثلة في الشريعة وان الزائد على المثل غير مشروع وليس في الآية بيان ان تلك المماثلة معتبرة في اي الامور فلو حملناها على رعاية المماثلة في جميع الامور صارت الآية عامة خاصة وقد ثبت في اصول الفقه ان التعارض اذا وقع بين الاجمال والتخصيص كان الاول اولى فوجب ان تحمل هذه الآية على رعاية المماثلة من كل الوجوه الا ما خصه الدليل واذا ثبت ذلك بني عليه احكام كثيرة من الجنايات على النفوس والاعضاء والاموال لانه تعالى بين ان جزاء السيئة مقصور على المثل وبين ان جزاء الحسنة ليس مقصورا على المثل بل هو خارج عن الحساب **قوله** ويا قوم قال الزمخشري فان قلت لم جاء بالواو في النداء الثالث دون الثاني قلت لان الثاني داخل على كلام هو بيان للمجمل وتفسير له فاعطي الداخل عليه حكمه في امتناع دخول

الواو واما الثالث فداخل على كلام ليس بتلك المثابة اي كلام مباين للاول فحسن ايراد الواو العاطفة فيه وكرر النداء لان فيه زيادة تنبيه لهم وايقاظ عن سنة الغفلة واظهار ان لهم بهذا المهم مزيد اهتمام وعلى اوليك الاقوام فرط شفقة قوله فولولا تدعونني الى النار هذه الجملة مستانفة اخبر عنهم بذلك بعدما انتهيا مانعا عن لحقا النفيه وتجوز ان يكون انتقد يروحا لكم تدعونني الى النار وهو الظاهر ويضعف ان يكون الجملة حالا اي ما لكم ادعوكم الى النجاة حال كونكم تدعونني اياي الى النار قوله تدعونني لاكفر بالله هذه الجملة بدل من تدعونني الاولى على جهة البيان لها واتى في قوله تدعونني بجملة فعلية ليدل على ان دعوتهم باطلة لا ثبوت لها وفي قوله وانا ادعوكم بجملة اسمية ليدل على ثبوت دعوته وتقويتها فصل المعنى قوله ما لكم كقولك مالي اراك حزينا اي ما لك يقول اخبروني عنكم كيف هذه الحال ادعوكم الى النجاة من النار بالايمان بالله وتدعونني الى النار والى الشرك الذي يوجب النار ثم فسرها فقال تدعونني لاكفر بالله واشرك به ما ليس لي به علم والمراد بنفي العلم نفي الالٰه كانه قال واشرك به ما ليس باله وما ليس باله كيف يعقل جعله شريكا لله لانه اذا علم انه يدعونه الى الكفر بين انه يدعوهم الى الايمان بالعزيز الغفار العزيز في انتقامه ممن كفر الغفار لذنوب اهل التوحيد فقوله العزيز اشارة الى كونه كامل القدرة وما يدعون هو في غاية العجز فكيف يكون الٰها واما الاصنام فانها احجار منحوتة فكيف يعقل كونها الهة وقوله الغفار اشارة الى انه لا يجب ان لا ييأسوا من رحمة الله بسبب اصرارهم على الكفر مدة مديدة فان الٰه العالم وان كان عزيزا لا يغلب قادرا لا يمانع لكنه غفار يغفر كفر سبعين سنة بايمان ساعة واحدة قوله لا جرم لعدم الخلاف في لا جرم في سورة هود في قوله لا جرم انهم في الاخرة وقال الزمخشري هنا وروي عن بعض العرب لا جرم انه يفعل كذا بضم الجيم وسكون الراء بمعنى لابد وفعل وفعل اخوان كرشد ورشد وعدم وعدم وشانه على مذهب البصريين ان تجعل ردا لما دعاه اليه قومه وجرم فعل بمعنى حق وان مع ما في حيزها فاعله اي حق ووجب بطلان دعوته او بمعنى كسب من قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا اي بسبب ذلك الدعا اليه بطلان دعوته على انه ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان دعوته ويجوز ان يقال ان لا جرم نظير لابد فعل من الجرم وهو القطع كما ان بدا فعل من التبدية وهو التفريق فكما ان معنى لابد انك تفعل كذا بمعنى انه لابد لك من فعله فكذلك لا جرم ان لهم النار اي لا قطع لذلك بمعنى انهم ابدا يستحقون النار لا انقطاع لاستحقاقهم ولا قطع لبطلان دعوة الاصنام اي لا تزال باطلة لا تنقطع ذلك فينقلب حقا فصل قال البغوي لا جرم حقا ان ما تدعونني اليه ليس له اي للذين دعوة في الاخرة قال السدي لا يستجيب لاحد في الدنيا ولا في الاخرة يعني ليست له استجابة دعوة فسمى استجابة الدعوة دعوة اطلاقا لاسم احد المتضايفين على الاخر كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها وقيل ليست له دعوة الى عبادة في الدنيا لان الاوثان لا تدعي الربوبية ولا تدعو الى عبادتها وفي الاخرة تتبرا من عابديها ثم قال وان مردنا الى الله اي مرجعنا الى الله فيجازي كلا بما يستحقه وان المسرفين اي المشركين هم اصحاب النار قاله قتادة وقال مجاهد السفاكين الدما بغير حلها ثم انه لما بالغ مؤمن آل فرعون في هذا البيان ختم كلامه بخاتمة لطيفة فقال فستذكرون ما اقول لكم وهذا كلام مبهم يوجب التخويف ويحتمل ان يكون المراد منه ان هذا الذكر يحصل في الدنيا اي عند الموت وان يكون في القيمة عند مشاهدة العذاب حين لا ينفعكم الذكر قوله وافوض هذه مستانفة وجوز ابو البقا ان يكون حالا من فاعل اقول وفتح نافع وابو عمرو اليا من امري والباقون بالاسكان فصل لما خوفهم بقوله فستذكرون ما اقول لكم توعدوه وخوفوه بالقتل فعول في دفع تخويفهم وكيدهم ومكرهم على الله

تعالى بقوله وافوض امري الى الله فهو انما تعلم هذه الطريقة من موسى عليه السلام حين خوفه فرعون بالقتل فرجع موسى في دفع ذلك الشر الى الله فقال اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب ثم قال ان الله بصير بالعباد اي عالم باحوالهم يعلم المحق من المبطل قوله فوقاه الله سيئات ما مكروا قال مقاتل لما قال هذه الكلمات قصدوا قتله فهرب منهم الى الجبل فطلبوه فلم يقدروا عليه وقيل المراد بقوله فوقاه الله سيئات ما مكروا انهم قصدوا ادخاله في الكفر فصرفه عن الاسلام فوقاه الله من ذلك والاول اولى لان قوله بعد ذلك وحاق بال فرعون سوء العذاب لا يليق الا بالوجه الاول وقرا حمزة وحاق بكسر الحا وكذلك في كل القران والباقون بالفتح قال قتادة نجا مع موسى وكان قبطيا وحاق نزل بال فرعون سوء العذاب الغرق في الدنيا والنار في الاخرة قوله النار الجمهور على رفعها وفيه ثلاثة اوجه احدها انها بدل من سوء العذاب قاله الزجاج الثاني انها خبر مبتدا محذوف اي هو اي سوء العذاب النار لانه جواب لسوال مقدر ويعرضون على هذين الوجهين يجوز ان يكون حالا من النار ويجوز ان يكون حالا من آل فرعون الثالث انه مبتدا وخبره يعرضون وقرئ النار منصوبا وفيه وجهان احدهما انه منصوب بفعل مضمر يفسره يعرضون من حيث المعنى اي يصلون النار يعرضون عليها كقوله والظالمين اعد لهم والثاني ان ينتصب على الاختصاص قاله الزمخشري وعلى الاول لا محل ليعرضون لكونه مفسرا وعلى الثاني هو حال كما تقدم فصل دلت هذه الاية على اثبات عذاب القبر لان الاية تقتضي عرض النار عليهم غدوا وعشيا وليس المراد منه يوم القيمة لقوله بعده ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب وليس المراد منه ايضا الدنيا لان عرض النار عليهم غدوا وعشيا ما كان حاصلا في الدنيا فثبت ان هذا العرض انما حصل بعد الموت وقبل القيمة وذلك يدل على اثبات عذاب القبر في حق هؤلا واذا ثبت في حقهم ثبت في حق غيرهم لانه لا قائل بالفرق فان قيل لم لا يجوز ان يكون المراد من عرض النار عليهم غدوا وعشيا عرض النصائح عليهم في الدنيا لان اهل الدين اذا ذكروا لهم الترغيب والترهيب وخوفوهم بعذاب الله فقد عرضوا عليهم النار ثم في الاية ما يمنع حمله على عذاب القبر وبيانه من وجهين احدهما ان ذلك العذاب يجب ان يكون دايما غير منقطع وقوله يعرضون عليها غدوا وعشيا يقتضي ان لا يحصل ذلك العذاب الا في هذين الوقتين فثبت ان هذا لا يمكن حمله على عذاب القبر والثاني ان الغداة والعشية انما يحصلان في الدنيا اما في القيمة فلا وجود لهما فثبت انه لا يمكن حمل هذه الاية على عذاب القبر والجواب عن الاول انه في الدنيا اذا عرض عليهم الكلمات التي تذكرهم امر النار لم يعرض عليهم نفس النار وهذا ترك لظاهر الاية وارتكاب للمجاز واما قولهم الاية تدل على حصول العذاب في هذين الوقتين وذلك لا يجوز فالجواب لم لا يجوز ان يكتفي في القبر بايصال العذاب اليه في هذين الوقتين ثم عند قيام القيمة يلقى في النار فيدوم عذابه حينئذ وايضا لا يمتنع ان يكون ذكر الغدوة والعشية كناية عن الدوام كقوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا واما قولهم انه ليس في القبر والقيمة غدوة وعشية قلنا لم لا يجوز ان يقال ان عند حصول هذين الوقتين لاهل الدنيا يعرض عليهم العذاب فصل قال ابن مسعود ارواح آل فرعون في اجواف طير سود يعرضون على النار كل يوم مرتين تغدو وتروح الى النار ويقال يا آل فرعون هذه منازلكم وقال قتادة والسدي والكلبي تعرض روح كل كافر بكرة وعشيا ما دامت الدنيا وروى ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان احدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ان كان من اهل الجنة فمن اهل الجنة وان كان من اهل النار فمن اهل النار فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله اليه يوم القيمة قوله ويوم تقوم فيه ثلاثة اوجه اظهرها انه معمول لقول مضمر وذلك القول المضمر محكي به الجملة الامرية من قوله

ادخلوا والتقدير ويقال لهم يوم تقوم الساعة ادخلوا الثاني انه منصوب بادخلوا اي ادخلوا يوم تقوم
وعلى هذين الوجهين فالوقف تام على قوله وعشيا الثالث انه معطوف على الظرفين قبله فيكون معمولا
ليعرضون والوقف على هذا على قوله الساعة وادخلوا معمول لقول مضمر اي يقال لهم ادخلوا وقرا الكسائي
وحمزة ونافع وحفص أدخلوا بقطع الهمزة وكسر الخاء اي يقال للملائكة ادخلوا امرا من ادخل فال
آل فرعون مفعول اول واشد العذاب مفعول ثان والباقون ادخلوا بهمزة وصل من دخل ثلاثيا فال
آل فرعون منادى حذف حرف النداء منه واشد منصوب به اما ظرفا واما مفعولا به اي ادخلوا
يا آل فرعون في اشد العذاب قال ابن عباس يريد الوان العذاب غير العذاب الذي كانوا يعذبون
به منذ اغرقوا **قوله** واذ يتحاجون في العامل فيه ثلاثة اوجه احدها انه معطوف على
غدوا فيكون معمولا ليعرضون اي يعرضون على النار في هذه الاوقات كلها قاله ابو البقا والثاني
انه معطوف على قوله اذ القلوب لدى الحناجر قاله الطبري وفيه نظر لبعد ما بينهما والاول الظاهر
عود الضمير في يتحاجون على آل فرعون الثالث انه منصوب باضمار اذكر **قوله** تبعا فيه ثلاثة
اوجه احدها انه اسم جمع لتابع ونحوه خادم وخدم وغايب وغيب وآدم وادم قال البغوي
والتبع يكون واحدا وجمعا في قول اهل البصرة واحده تابع وقال الكوفيون هو جمع لا واحد له وجمعه
اتباع والثاني انه مصدر واقع موقع اسم الفاعل اي تابعين والثالث انه مصدر ايضا ولكن
على حذف مضاف اي ذوي تبع **قوله** نصيبا فيه ثلاثة اوجه احدها ان ينتصب
بفعل مقدر يدل عليه قوله مغنون تقديره هل انتم دافعون عنا نصيبا الثاني ان يضمن
مغنون معنى حاملين الثالث ان ينتصب على المصدر قال ابو البقا كما كان شي كذلك الا ترى الى
قوله لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيا فشيا في موضع غنا ومن النار صفة لنصيبا
قوله انا كل العامة على رفع كل ورفعه على الابتدا وفيها الخبر والجملة خبر ان وهذا كقوله
في آل عمران قل ان الامر كله لله في قراءة ابي عمرو وقرا ابن السميفع وعيسى بن عمر بالنصب وفيه ثلاثة
اوجه احدها ان يكون تاكيدا لاسم ان قال الزمخشري توكيد لاسم ان وهو معرفة والتنوين عوض
من المضاف اليه يريد انا كلنا فيها انتهى يعني فيكون فيها هو الخبر والى كونه تاكيدا ذهب ابن عطية
ايضا وعزى ابن مالك هذا المذهب فقال في تسهيله ولا يستغنى بنية اضافته خلافا للزمخشري
قال شهاب الدين ولم يعزه لمذهبا للزمخشري وحده بل هو مذهب الكوفيين ايضا الثاني ان يكون
منصوبا على الحال قال ابن مالك والقول المرضي عندي ان كلا في القراءة المذكورة منصوبة على الحال
من الضمير المرفوع في فيها وفيها هو العامل وقد تقدمت عليه مع عدم تصرفه كما تقدمت في قراءة
من قرا والسموات مطويات بيمينه وفي قول النابغة

رهط ابن كوز محقبي ادراعهم ... فيهم ورهط ربيعة بن حذار ... وقول بعض الطائيين

دعا فاجبنا وهو بادي ذلة ... لديكم وكان النصر غير قريب ... يعني بنصب بادي وهذا هو مذهب
الاخفش الا ان الزمخشري منع من ذلك فقال رحمه الله تعالى فان قلت هل يجوز ان يكون كلا حالا
قد عمل فيها فيها قلت لا لان الظرف لا يعمل في الحال متقدمة كما يعمل في الظرف متقدما تقول كل يوم
لك ثوب ولا تقول قائما في الدار زيد قال ابو حيان وهذا الذي منعه اجازه الاخفش اذا توسطت
الحال نحو زيد قائما في الدار وزيد قائما عندك والمثال الذي ذكره ليس مطابقا لما في الاية لان الاية
تقدم فيها المسند اليه الحكم وهو اسم ان وتوسطت الحال اذا قلنا انها حال وتاخر العامل فيها واما
تمثيله بقوله ولا تقول قائما في الدار زيد فقد تاخر فيه المسند والمسند اليه وقد ذكر بعضهم ان
المنع في ذلك اجماع من النحاة قال شهاب الدين الزمخشري منعه صحيح لانه ماش على مذهب الجمهور
واما تمثيله بما ذكر فلا يضر لانه في محل المنع فعدم تجويزه صحيح الثالث ان كلا بدل من نا في انا

لان

لان كلا قد وليت العوامل فكانه قيل ان كلا فيها واذا كانوا قد تاولوا قوله حولا اكتعا ويوما اجمعا
على البدل مع عدم تصرف اكتع واجمع فلان يجوز ذلك في كل اولى واحرى وايضا فان المشهور تعريف
كل حال قطعها عن الاضافة [illegible] مررت بكل قايما [illegible] وتنكيرها [illegible]
حالا [illegible] **فان قيل** [illegible] بدل الكل من الكل
في ضمير الحاضر [illegible] الكوفيين والاخفش [illegible] وانشدوا قوله
انا سيف العشيرة فاعرفوني ... حميدا قد تذريت السناما ... [illegible] وفي [illegible] وقوله
[illegible] على نصبه على الاختصاص [illegible] الذي [illegible] لانه ليس بالبدل
الاحاطة والشمول [illegible] قالوا انه متى كان البدل [illegible] وانشدوا
[illegible] ومثله قوله تعالى لنا عيدا لاولنا
وآخرنا قال [illegible] لانها على الاحاطة [illegible] لاولنا وآخرنا بدل من
[illegible] لانه يجوز ذلك في كل التي هي اصل في الشمول والاحاطة بطريق الاولى هذا كلام ابي حيان
في الوجه الثالث وفيه نظر [illegible] لا يجيء [illegible]
انه لا خلاف في البدل والحال [illegible] لان [illegible] لا بد ان [illegible]
[illegible] الكسائي [illegible] فقال هو نعت لاسم ان [illegible] الكوفيين [illegible] اسم النعت
على التاكيد [illegible] رحمه الله [illegible] الكسائي
[illegible] **فصل** [illegible]
[illegible] يقولون [illegible] انا كنا لكم
تبعا [illegible] من النار [illegible]
[illegible] في [illegible]
[illegible] فيقولون [illegible]
[illegible] العذاب عنكم
[illegible] ان الله قد حكم بين العباد [illegible]
العذاب [illegible] فيقولون [illegible]
[illegible] من العذاب **فان قيل** [illegible] فقال الذين في النار
لخزنة جهنم **فالجواب** من وجهين [illegible] والتعظيم [illegible]
[illegible] القران [illegible]
[illegible] عند الله [illegible]
قوله [illegible] اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات
يوما من العذاب [illegible] يخفف
[illegible] من العذاب [illegible] فيكون العذاب هو المفعول
[illegible] يخفف عنا [illegible] يخفف
[illegible] يوم [illegible]
[illegible] من العذاب [illegible] المفعول [illegible] ما لو ان يخفف عنهم
[illegible] **فصل** [illegible]
[illegible] بالبينات [illegible] للذين [illegible]
[illegible] الملائكة [illegible]
[illegible] احدها ان يكون [illegible] الثاني

حصول الاجتناب السلطان عندهم ولم يجد شي من هذين الشرطين لكن ادعوا انهم وليس في قولهم فادعوا [illegible]
ولكن البدل لانه تعالى الخبير وذلك ان الملك المتعجب اذا [illegible] فكيف يجمع [illegible] الكافر [illegible] بانه
لا [illegible] الكافرين [illegible] ولا [illegible] قوله تعالى
انه تعالى [illegible] عليه [illegible] في الجحيم [illegible] واذا كان [illegible]
جهة الانتقام [illegible] في رحمته [illegible] هذه الاضافة [illegible]
الكفار واهل [illegible] جميع [illegible] بالرحيم لكن [illegible]
الابد لا [illegible]
الى نصرتهم و[illegible]
كرحمه [illegible] الى [illegible]
يليق به هذه الاضرار فالجواب [illegible] الله لا [illegible] الايات [illegible]
الحكم الحق به في الكتاب الحق وجب الاقرار به والله اعلم **قوله تعالى** انا لننصر رسلنا
الاية في كيفية النظم وجوه الاول انه تعالى لما ذكر [illegible] وقاه الله سيئات ما مكروا [illegible]
المؤمن من [illegible] في هذه الاية بانه ينصر رسله والذين امنوا [illegible]
قبل [illegible] عند الفزع [illegible] يقولون [illegible] بالبينات
اتبع ذلك بذكر الرسل وانه ينصرهم في الدنيا والاخرة الثالث قال ابن الخطيب وهو الاقرب
عندي ان الكلام في اول السورة انما وقع من قوله تعالى ما يجادل في ايات الله الا الذين كفروا فلا يغررك
تقلبهم في البلاد [illegible] الكلام في الرد على [illegible]
المبطلين وكل ذلك انما ذكره الله تعالى تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم [illegible]
الاذى [illegible] الكلام [illegible] المطلوب [illegible] وعد تعالى [illegible]
رسله على اعدائه فقال انا لننصر رسلنا [illegible] في الحياة الدنيا قال ابن عباس [illegible]
وقال الضحاك بالحجة وفي الاخرة بالانتقام من الاعداء [illegible] الثواب
وكل ذلك قد كان للانبياء والمؤمنين [illegible] بالحجة [illegible]
قوله فقتلوا الانتقام من اعدائهم كما [illegible] يحيى بن زكريا [illegible]
ويوم يقوم الاشهاد [illegible]
و[illegible]
و[illegible]
و[illegible] قوله تعالى
ويوم يقوم الاشهاد [illegible] بالاكرام
العظيم [illegible] بالاشهاد [illegible]
[illegible] الملائكة [illegible] الكرام الكاتبون [illegible]
للرسل بالتبليغ [illegible] الانبياء [illegible] فكيف اذا جئنا من كل امة
بشهيد [illegible] وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا
شهداء على الناس **قوله تعالى** يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم [illegible]
[illegible] بقوله لا ينفع الظالمين [illegible]
ولهم اللعنة [illegible] الرحمة [illegible]
[illegible] **فان قيل** [illegible] لا ينفع الظالمين معذرتهم [illegible]
[illegible] يذكرون الاعذار [illegible] الاعذار [illegible]

فيعتذرون

فيعتذرون فالجواب قوله لا ينفع الظالمين معذرتهم لا يدل على انهم ذكروا الاعذار بل ليس فيه
الا انه ليس عندهم عذر مقبول وهذا لا يدل على انهم ذكروه ام لا وايضا فيوم القيمة يوم طويل
فيعتذرون في وقت ولا يعتذرون في وقت اخر **قوله تعالى** ولقد اتينا موسى
الهدى واورثنا بني اسرائيل الكتاب الاية لما بين انه تعالى ينصر الانبياء والمؤمنين في الدنيا والاخرة
ذكر نوعا من انواع تلك النصرة في الدنيا فقال ولقد اتينا موسى الهدى قال مقاتل هدى من
الضلالة يعني التورية ويجوز ان يكون المراد الدلائل القاهرة التي اوردها على فرعون واتباعه
وكادهم بها ويجوز ان يكون المراد بالهدى النبوة التي هي اعظم المناصب الانسانية واورثنا
بني اسرائيل الكتاب وهو التورية هدى وذكرى لاولي الالباب يعني انه تعالى لما انزل التورية على
موسى بقي ذلك العلم فيهم وتوارثوه خلفا عن خلف وقيل المراد سائر الكتب التي انزلها الله عليهم
وهي كتب انبياء بني اسرائيل كالتورية والانجيل والزبور **قوله** هدى وذكرى فيهما وجهان
احدهما انهما مفعول من اجلهما اي لاجل الهدى والذكر والثاني انهما مصدران في موضع الحال
والفرق بين الهدى والذكرى ان الهدى ما يكون دليلا على الشي وليس من شرطه ان يذكر شيئا اخر كان
معلوما ثم صار منسيا واما الذكرى فهو الذي يكون كذلك فكتب انبياء الله تعالى مشتملة على
هذين القسمين بعضها دلائل في انفسها وبعضها مذكرات لما ورد في الكتب الالهية المتقدمة
ولما بين تعالى انه ينصر رسله وينصر المؤمنين في الدنيا والاخرة وضرب المثال في ذلك بحال موسى
خاطب بعد ذلك محمدا صلى الله عليه وسلم فقال فاصبر ان وعد الله حق اي فاصبر يا محمد على
اذاهم ان وعد الله حق في اظهار دينك واهلاك اعدائك قال الكلبي نسخت اية القتال اية الصبر
قوله واستغفر لذنبك قيل المصدر مضاف للمفعول اي لذنب امتك في حقك والظاهر
ان الله يفعل ما اراد وان لم يجز لنا نحن ان نضيف اليه عليه السلام ذنبا قال المفسرون هذا تعبد
من الله ليزيده به درجة وليصير سنة لمن بعده **قوله** وسبح بحمد ربك مثل شكر ربك
بالعشي والابكار قال الحسن يعني صلوة العصر وصلوة الفجر وقال ابن عباس الصلوات الخمس
قوله ان الذين يجادلون في ايات الله بغير سلطان اتاهم الاية لما ابتدا بالرد على الذين
يجادلون في ايات الله واتصل الكلام بعضه ببعض على الترتيب المتقدم الى هيهنا نبه تعالى
على الداعية التي تحمل اولئك الكفار على تلك المجادلة فقال ان الذين يجادلون في ايات الله
بغير سلطان اتاهم ان في صدورهم اي ما يحملهم على هذا العمل الباطل الا الكبر الذي في صدورهم
قال ابن عباس والمراد ما في قلوبهم والصدر موضع القلب فكني به عن القلب لمجاورته **قوله**
ما هم ببالغيه قال مجاهد ما هم ببالغي مقتضى ذلك الكبر لان الله عز وجل مذلهم قال
ابن قتيبة ان في صدورهم الا تكبر على محمد وطمع ان يغلبوه وما هم ببالغي ذلك وقوله فاستعذ
بالله قال المفسرون نزلت في اليهود وذلك انهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان صاحبنا المسيح
ابن داود يعنون الدجال يخرج في اخر الزمان فيبلغ سلطانه البر والبحر ويرد الملك الينا قال
الله تعالى فاستعذ بالله من فتنة الدجال انه هو السميع البصير وقال ابن الخطيب معنى
قوله ما هم ببالغيه يعني انهم يريدون اذاك ولا يصلون الى هذا المراد بل لا بد وان يصير والحق امرك
ويعليك ثم قال تعالى فاستعذ بالله اي فالتجئ اليه من كيد من يحسدك انه هو السميع بما يقولون
وتقول البصير بما يعملون وتعمل فهو يجعلك نافذ الحكم عليهم ويصونك من مكرهم وكيدهم **قوله**
لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس المصدران مضافان لمفعولهما والفاعل محذوف وهو الله
تعالى ويجوز ان يكون الثاني مضافا للفاعل اي اكبر مما يخلقه الناس اي يصنعونه ويجوز ان يكونا
مصدرين واقعين موقع المخلوق اي مخلوقهما اكبر من مخلوقهم اي جرمهما اكبر من جرمهم **فصل**

اعلم انه تعالى لما وصف جدالهم في الايات بانه بغير سلطان ولا حجة ذكر لهذا مثالا فقال لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس والقادر على الاكبر قادر على الاقل لا محالة وتقرير هذا الكلام ان الاستدلال بالشي على غيره ينقسم ثلاثة اقسام احدها ان يقال لما قدر على الاضعف وجب ان يقدر على الاقوى وهذا ابن السدوي وثانيها ان يقال لما قدر على الشي قدر على مثله فهذا استدلال صحيح لما ثبت في الاصول ان حكم الشي حكم مثله وثالثها ان يقال لما قدر على الاقوى الاكمل يقدر على الاقل الارذل اولى وهذا الاستدلال في غاية الصحة والقوة ولا يرتاب فيه عاقل البتة ثم ان هولاء القوم يسلمون ان خالق السموات والارض هو الله سبحانه ويعلمون بالضرورة ان خلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وكان من حقهم ان يقروا بان القادر على خلق السموات والارض يكون قادرا على اعادة الانسان الذي خلقه اولا فهذا برهان كافي في افادة هذا المطلوب ثم ان هذا البرهان على قوته صار بحيث لا يعرفه اكثر الناس والمراد منه الذين ينكرون الحشر والنشر فظهر بهذا المثال ان هولاء الكفار يجادلون في ايات الله بغير سلطان ولا حجة بل بمجرد الحسد والكبر والغضب ثم انه تعالى لما بين ان الجدال المقرون بالكبر والحسد والجهل كيف يكون وان الجدال بالحجة والبرهان كيف يكون نبه تعالى على الفرق بين البابين بذكر مثال فقال وما يستوي الاعمى والبصير يعني وما يستوي المستدل والجاهل المقلد ثم قال تعالى والذين امنوا وعملوا الصالحات ولا المسي قليلا ما يتذكرون فالمراد بالاول التفاوت بين العالم والجاهل والمراد بالثاني التفاوت بين الاتي بالاعمال الصالحة وبين الاتي بالاعمال السيئة الباطلة ثم قال قليلا ما يتذكرون يعني انهم وان كانوا يعلمون ان العلم خير من الجهل وان العمل الصالح خير من العمل الفاسد الا انه قليلا ما يتذكرون مبين في النوع الاول المعني من الاعتقاد انه علم او جهل وفي النوع الثاني المعني من العمل انه عمل صالح او فاسد

فصل قوله والبصير اعلم ان التقابل يجي على ثلاث طرق احدها ان يجاور المناسب ما يناسبه كهذه الاية والثانية ان يتاخر المتقابلان كقوله تعالى مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع والثالثة ان يتقدم مقابل الاول ويوخر مقابل الاخر كقوله تعالى وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور وكل ذلك تفنن في البلاغة وقدم الاعمى في نفي التساوي لمجيئه بعد صفة الذم في قوله ولكن اكثر الناس لا يعلمون **قوله** ولا المسي لا زائدة للتوكيد لانه لما طال الكلام بالصلة بعد نفي المؤمنين فاعاد منه لا توكيدا وانما قدم المؤمنين لمجاورتهم **قوله** تتذكرون قراة الكوفيون بتا الخطاب والباقون بيا الغيبة فالخطاب على الالتفات المذكورين بعد الاخبار عنهم والغيبة نظرا لقوله ان الذين يجادلون وهم الذين التفت اليهم في قراة الخطاب **قوله** ان الساعة يعني القيمة لاتية لا ريب فيها ولكن اكثر الناس لا يومنون والمراد باكثر الناس الكفار الذين ينكرون البعث والقيمة لما قرر الدليل على امكان وجود يوم القيمة اردفه بالاخبار عن وقوعها **قوله تعالى** وقال ربكم ادعوني استجب لكم الاية لما بين ان القول بالقيمة حق وكان من المعلوم بالضرورة ان الانسان لا ينتفع في يوم القيمة الا بطاعة الله تعالى والتضرع اليه لا جرم كان الاشتغال بالطاعة من اهم المهمات ولما كان اشرف انواع الطاعات الدعا والتضرع لا جرم امر الله تعالى به فقال وقال ربكم ادعوني استجب لكم واختلفوا في المراد بقوله ادعوني فقيل المراد منه الامر بالدعا وقيل الامر بالعبادة بدليل قوله بعده ان الذين يستكبرون عن عبادتي وايضا الدعا بمعنى العبادة كثير في القران كقوله ان يدعون من دونه الا اناثا واجاب الاولون بان هذا ترك للظاهر فلا يصار اليه الا بدليل **فان قيل** كيف ادعوني استجب لكم وقد يدعى كثيرا فلا يستجاب واجاب الكعبي بان الدعا انما ينفع بشرط ومن دعا كذلك

استجيب له وذلك الشرط هو ان يكون المطلوب بالدعا مصلحة وحكمة ثم سال نفسه فقال ان الله تعالى يفعل ما هو الاصلح بغير دعا فما الفايدة في الدعا واجاب عنه بوجهين الاول ان فيه الفزع والانقطاع الى الله تعالى والثاني ان هذا ايضا وارد على الكل لانه ان علم انه يفعله فلا بد وان يفعله فلا فايدة في الدعا وان علم انه لا يفعله فانه البتة لا يفعله فلا فايدة ايضا في الدعا فكل ما يقولونه ههنا فهو جوابنا قال ابن الخطيب وعندي وجه اخر وهو انه قال ادعوني استجب لكم فكل من دعا الله تعالى وفي قلبه ذرة من الاعتماد على ماله وجاهه واصدقائه واجتهاده فهو في الحقيقة ما دعا الله الا باللسان واما القلب فانه يعول في تحصيل ذلك المطلوب على غير الله فهذا الانسان ما دعا ربه في وقت الا في وقت لا يكون القلب فيه ملتفتا الى غير الله فالظاهر انه يستجاب له **قوله** ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وهذا احسان عظيم من الله تعالى حيث ذكر الوعيد الشديد على ترك الدعا روي ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يدع الله غضب الله عليه **فان قيل** انه صلى الله عليه وسلم قال حكاية عن ربه عز وجل من شغله ذكري عن مسالتي اعطيته افضل ما اعطي السايلين فهذا يقتضي ان ترك الدعا افضل وهذه الاية تدل على ان ترك الدعا يوجب الوعيد فكيف الجمع بينهما فالجواب لا شك ان العقل اذا كان مستغرقا في الثنا كان ذلك افضل من الدعا لان الدعا طلب الجنة والاستغراق في معرفة جلال الله افضل من طلب الجنة اما اذا لم يحصل الاستغراق كان الاشتغال بالدعا اولى لان الدعا يشتمل على معرفة عز الربوبية وذل العبودية **قوله** سيدخلون قرا ابن كثير وابو بكر سيدخلون بضم اليا وفتح الخا وقرا الاخرون بفتح اليا وضم الخا داخرين صاغرين ذليلين **قوله** الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه اعلم ان تعلقه بما قبله من وجهين الاول كانه تعالى قال اني انعمت عليك قبل طلبك هذه النعم العظيمة ومن انعم عليك قبل السوال بهذه النعم العالية فكيف لا ينعم بالاشيا القليلة بعد السوال والثاني انه تعالى لما امر بالدعا فكانه قيل الاشتغال بالدعا لا بد وان يكون مسبوقا بحصول المعرفة فما الدليل على وجود الاله القادر فذكر تعالى هذه الدلايل العشرة على وجوده وقدرته وحكمته وقد تقدم ذكر الدلايل الدالة على وجود الله وقدرته وهي اما فلكية واما عنصرية وان الفلكيات اقسام كثيرة احدها الليل والنهار فان اكثر مصالح العالم مربوطة بهما فذكرهما الله تعالى ههنا وبين ان الحكمة في خلق الليل حصول الراحة بالنوم والسكون والحكمة في خلق النهار ابصار الاشيا ليمكن التصرف فيها على الوجه الانفع **فان قيل** هلا قيل بحسب رعاية النظم هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار لتبصروا فيه او يقال جعل لكم الليل ساكنا والنهار مبصرا ولكنه لم يقل ذلك فما الفايدة فيه وما الحكمة في تقديم ذكر الليل فالجواب عن الاول هو ان الليل والنوم في الحقيقة طبيعة عدمية فهو غير مقصود بالذات واما اليقظة فامور وجودية فهي مقصودة بالذات وقد بين الشيخ عبد القاهر النحوي في دلايل الاعجاز ان دلالة صيغة الاسم على الكمال والتمام اقوى من دلالة صيغة الفعل عليها فهذا هو السبب في الفرق واما الجواب عن الثاني فهو ان الظلمة طبيعة عدمية والنور طبيعة وجودية والعدم في المحدثات متقدم على الوجود فلهذا السبب قال في اول سورة الانعام وجعل الظلمات والنور ثم قال تعالى ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون والمعنى ان فضل الله تعالى على الخلق كثير جدا ولكنهم لا يشكرونه واعلم ان ترك الشكر لوجوه الاول ان يعتقد الرجل ان هذه النعم ليست من الله مثل ان يعتقد ان هذه الافلاك واجبة الوجود لذواتها واجبة الدوران لذواتها فيعتقد ان هذه النعم منها الثاني ان يعتقد ان كل هذا العالم حصل

بخلق الله وتكوينه الا ان نعمة تعاقب الليل والنهار لما دامت واستمرت نسيها الانسان فاذا
ابتلي الانسان بفقده أي شي منها عرف قدرها مثل ان يحبس في بير عميق مظلمة مدة مديدة فحينئذ
يعرف ذلك الانسان قدر نعمة الهواء الصافي وقدر نعمة الضوء وقد حكي ان بعض الملوك كان يعذب
بعض خدمه بان امر اقواما يمنعونه عن النوم وعن الاستناد الى الجدار فعظم ذلك على ذلك الانسان وان
كان عارفا بهذه النعم الا انه يكون حريصا على الدنيا محبا للمال والجاه فاذا فاته المال الكثير
والجاه العريض وقع في كفران هذه النعم العظيمة ولما كان اكثر الخلق واقعين في احدى هذه الانواع
الثلاثة لاجرم قال تعالى ولكن اكثر الناس لا يشكرون ونظيره قوله تعالى وقليل من عبادي
الشكور وقول ابليس ولا تجد اكثرهم شاكرين ولما بين الله تعالى بتلك الدلايل المذكورة وجود الاله
القادر قال ذلكم الله ربكم خالق كل شي لا اله الا هو قال الزمخشري ذلكم المعلوم المتميز بالافعال
الخاصة التي لا يشاركه فيها احد هو الله ربكم خالق كل شي لا اله الا هو اخبار مترادفة اي هو الجامع
لهذه الاوصاف من الالهية والربوبية وخلق كل شي والوحدانية لا ثاني له فانى تؤفكون اي فانى
تصرفون ولم تعدلون عن هذه الدلايل وتكذبون بها **قوله** خالق كل شي العامة على الرفع
وزيد بن علي بالنصب قال الزمخشري على الاختصاص وفي الاطلاق يؤفكون بالياء التحتية وقوله
كذلك يؤفك اي مثل ذلك الافك يعني كما افكتم عن الحق مع قيام الادلة كذلك يؤفك الذين
كانوا بايات الله يجحدون يعني كل من جحد بايات الله ولم يتأملها ولم يكن فيهم عزم طلب الحق وخوف
العاقبة افك كما افكوا **قوله تعالى** الله الذي جعل لكم الارض قرارا الاية لما
تقدم ان دلايل وجود الله تعالى وقدرته اما ان يكون من دلايل الافاق وهي غير الانسان وهي
اقسام وذكرها ههنا احوال الليل والنهار كما تقدم ذكرها ومنها ههنا الارض والسماء فقال الله
الذي جعل لكم الارض قرارا قال ابن عباس قرارا اي منزلا في حال الحيوة وبعد الممات والسماء
بناء اي قايما ثابتا والا وقعت علينا وقيل سقفا كالقبة ثم ذكر دلايل النفس وهي دلالة احوال
بدن الانسان على وجود الصانع القادر الحكيم وهو قوله وصوركم فاحسن صوركم **قوله**
فاحسن صوركم قرأ ابن رزين والاعمش صوركم بكسر الصاد فرارا من الضمة قبل الواو وقرأت فرقة
بضم الصاد وسكون الواو وجاء اسم جمع لصورة كبسر وبسرة **فصل** قال مقاتل خلقكم
فاحسن خلقكم قال ابن عباس خلق ابن ادم قايما معتدلا ياكل ويتناول بيده وغير ابن ادم يتناول
بفيه ورزقكم من الطيبات قيل من غير رزق الدواب ثم قال ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب
العالمين ومعنى تبارك اما الدوام والثبات واما كثرة الخيرات ثم قال هو الحي وهذا يفيد الحصر
وان لا حي الا هو ثم نبه على الوحدانية فقال لا اله الا هو ثم امر العباد بالاخلاص في الدعاء فقال
فادعوه مخلصين له الدين ثم قال الحمد لله رب العالمين والمراد انه لما كان موصوفا بصفات الجلال
والعزة استحق لذاته ان يقال له الحمد لله رب العالمين وقال الفراء هو خبر وفيه اضمار الامر
ومجازه فادعوه واحمدوه وروى مجاهد عن ابن عباس من قال لا اله الا الله فليقل على اثرها الحمد لله
رب العالمين فذلك قوله فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين **قوله** قل اني نهيت
ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما اورد على المشركين تلك الادلة الدالة على اثبات اله العالم
امر بهذا القول ليصرفهم عن عبادة الاوثان وبين وجه النهي فذكر لما جاءني البينات
وهو ما تقدم من الدلايل الدالة على ان اله العالم قد ثبت كونه موصوفا بصفات الجلال والعظمة
على ما تقدم وصريح العقل يشهد بان العبادة لا تليق الا به وان الاحجار المنحوتة والاخشاب المصورة
لا يصلح ان تكون شركاء له فقال وامرت ان اسلم لرب العالمين وذلك حين دعي الى الكفر **قوله تعالى**
هو الذي خلقكم من تراب الاية لما استدل على اثبات الالهية بدلايل الافاق

وذكر

وذكر منها الليل والنهار والارض والسماء ثم ذكر الدليل على اثبات الاله القادر بخلق الانفس وهو نوعان
احدهما حسن الصورة ورزق الطيبات ذكر النوع الثاني وهو كيفية تكوين البدن من ابتداء كونه نطفة
وجنينا الى اخر الشيخوخة والموت فقال هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة قيل المراد ادم
قال ابن الخطيب وعندي لا حاجة الى ذلك لان كل انسان فهو مخلوق من المني ومن دم الطمث والمني
مخلوق من دم فالانسان مخلوق من الدم والدم انما يتولد من الاغذية والاغذية اما حيوانية واما نباتية
والحال في تكون ذلك الحيوان كالحال في تكون الانسان فكانت الاغذية كلها منتهية الى النبات والنبات
انما يكون من التراب والماء فثبت ان كل انسان متكون من التراب ثم ان ذلك التراب يصير نطفة
ثم علقة ثم بعد كونه علقة مراتب الى ان ينفصل من بطن الام والله تعالى ترك ذكرها ههنا لانه
ذكرها في ايات اخر ثم قال ثم يخرجكم طفلا اي اطفالا ثم لتبلغوا اشدكم قال الزمخشري
قوله لتبلغوا اشدكم متعلق بفعل محذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا اشدكم ثم لتكونوا شيوخا
ومنكم من يتوفى من قبل اي من قبل ان يصير شيخا او من قبل هذه الاحوال اذا خرج سقطا ثم قال
ولتبلغوا اجلا مسمى اي ولتبلغوا جميعا اجلا مسمى وقتا محدودا لا تتجاوزونه وهو وقت الموت
وقيل يوم القيمة ولعلكم تعقلون لكي تعقلوا توحيد ربكم وقدرته وتستدلوا بهذه الاحوال
العجيبة على وحدانية الله تعالى ثم قال هو الذي يحيي ويميت فاذا قضى امرا فانما يقول له
كن فيكون والمعنى انه تعالى لما ذكر انتقال الاجسام من كونها ترابا الى ان بلغت الشيخوخة
واستدل بهذه التغييرات على وجود الاله القادر قال بعده هو الذي يحيي ويميت اي كما ان
الانتقال من صفة الى صفة اخرى من الصفات المتقدمة يدل على الاله القادر فكذلك الانتقال
من الحيوة الى الموت وبالعكس يدل على الاله القادر وقوله فاذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون
فيه وجوه الاول معناه انه لم ينقل هذه الاجسام من صفة الى صفة اخرى بآلة تعبية انما يقول
له كن فيكون الثاني انه عبر عن الاحياء والاماتة بقوله كن فيكون فكانه قيل الانتقال من كونه
ترابا الى كونه نطفة ثم الى كونه علقة انتقالات تحصل على التدريج قليلا قليلا واما صيرورته حيا
فهي انما تحصل بتعلق جوهر الروح به وذلك يحدث دفعة واحدة فلهذا اعبر عنه بقوله كن فيكون
الثالث ان من الناس من يقول ان الانسان انما يتكون من المني والدم في الرحم في مدة معينة
بحسب الانتقالات من حال الى حال فكانه قيل انه يمتنع ان يكون كل انسان عن انسان اخر لان
التسلسل محال ووقوع الحادث في الازل محال فلا بد من الاعتراف بانسان هو اول الناس
وحينئذ يكون حدوث ذلك الانسان لا بواسطة المني والدم بل بايجاد الله تعالى ابتداء فعبر
الله تعالى عن هذا المعنى بقوله كن فيكون **قوله تعالى** الم تر الى الذين يجادلون في ايات
الله الاية اعلم انه تعالى عاد الى ذم الذين يجادلون في ايات الله ابتغاء انكار ايات الله
ودفعها والتكذيب بها فتعجب تعالى منهم بقوله انى يصرفون اي كيف صرفوا عن دين الحق وهذا كما يقول
الرجل لمن لا يسمع نصحه الى اين يذهب بك تعجبا من غفلته **قوله** الذين كذبوا يجوز فيه
اوجه ان يكون بدلا من الموصول قبله او بيانا له او نعتا او خبر مبتدا محذوف او منصوبا
على الذم وعلى هذه الاوجه فقوله فسوف يعلمون جملة مستانفة سيقت للتهديد ويجوز
ان يكون مبتدا والخبر الجملة من قوله فسوف يعلمون ودخول الفاء فيه واضح **فصل**
المعنى هم الذين كذبوا بالكتاب اي بالقران وبما ارسلنا به رسلنا من ساير الكتب قيل هم
المشركون وعن محمد بن سيرين وجماعة انها نزلت في القدرية **قوله** اذ الاغلال في اعناقهم فيه سؤال
وهو ان سوف للاستقبال واذ للماضي فقوله فسوف يعلمون اذ الاغلال في اعناقهم مثل قولك
سوف اصوم امس والجواب جوزوا في اذ هنا ان تكون بمعنى اذا لان العامل فيها محقق

اذا

الاستقبال وهو فسوف يعلمون قالوا وكما يتجوز باذا عن الماضي في قوله تعالى واذا راوا تجارة او لهوا
انفضوا اليها كذلك يتجوز باذ فيها وقد مضى تحرير هذا في البقرة عند قوله ولو يرى الذين ظلموا
اذ يرون العذاب قالوا والذي جرأهم هذا التيقن ووقوع الفعل فاخرج في صورة الماضي قال
شهاب الدين ولا حاجة الى اخراج اذ عن موضوعها بل هي باقية على دلالتها على المضي ويكون منصوبا
بقوله فسوف يعلمون نصب المفعول به اي فسوف يعلمون يوم القيامة وقت الاغلال في اعناقهم
وهي المعاصي التي كانوا يعملونها في الدنيا كانه قيل سيعرفون وقت معاصيهم التي تجعل
الاغلال في اعناقهم وهو وجه واضح غاية ما فيه التصرف في اذ بجعلها مفعولا بها ولا يضر ذلك
فان المعربين غالب اوقاتهم يقولون منصوب باذكر مقدرا ولا يكون حينئذ الا مفعولا به لاستحالة
عمل المستقبل في الزمن الماضي وجوزوا ان يكون منصوبا باذكر مقدرا اي اذكر لهم وقت الاغلال
ليخافوا وينزجروا فهذه ثلاثة اوجه خيرها اوسطها قوله والسلاسل العامة على
رفعها وفيه ثلاثة اوجه احدها انه معطوف على الاغلال والخبر في الوجهين بالجار فالجار
في نية التاخير والتقدير اذ الاغلال والسلاسل في اعناقهم الثاني انه مبتدا وخبره محذوف
لدلالة خبر الاول عليه الثالث انه مبتدا ايضا وخبره الجملة من قوله يسحبون ولا بد من
ضمير يعود عليه منها والتقدير والسلاسل يسحبون بها حذف لقوة الدلالة عليه فيسحبون مرفوع
المحل على هذا الوجه واما في الوجهين المتقدمين فيجوز فيه النصب على الحال من الضمير المنوي
في الجار ويجوز ان يكون مستانفا وقرا ابن مسعود وابن عباس وزيد بن علي وابن وثاب
والمسيبي في اختياره والسلاسل نصبا يسحبون بفتح الياء مبنيا للفاعل فيكون السلاسل
مفعولا مقدما ويكون قد عطف جملة فعلية على جملة اسمية قال ابن عباس في معنى هذه القراءة
اذا كانوا يجرونها فهو اشد عليهم يكلفون ذلك ولا يطيقونه وقرا ابن عباس وجماعة
والسلاسل بالجر يسحبون مبنيا للمفعول وفيها ثلاث تاويلات احدها الحمل على المعنى تقديره
اذ اعناقهم في الاغلال والسلاسل فلما كان معنى الكلام ذلك حمل عليه في العطف قال
الزمخشري ووجهه انه لو قيل اذ اعناقهم في الاغلال مكان قوله اذ الاغلال في اعناقهم لكان
صحيحا مستقيما فلما كانتا عبارتين معتقبتين حمل قوله والسلاسل على العبارة الاخرى ونظيره
مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب الا ببين غرابها كانه قيل بمصلحين وقرئ بالسلاسل
وقال ابن عطية تقديره اذ اعناقهم في الاغلال والسلاسل فعطف على المراد من الكلام
لا على ترتيب اللفظ اذ ترتيبه فيه قلب وهو على حد قول العرب ادخلت القلنسوة في راسي
وفي مصحف ابي وفي السلاسل يسحبون قال ابو حيان بعد قول ابن عطية والزمخشري المتقدم
ويسمى هذا العطف على التوهم الا ان توهم ادخال حرف الجر على مصلحين اقرب من تغيير تركيب
الجملة باسرها والقراءة من تغيير تركيب الجملة السابقة باسرها ونظير ذلك قوله
اجدك لن ترى بثعيلبات ولا بيدان ناجية ذمولا ولا متدارك والليل طفل ببعض نواشغ الوادي حمولا
التقدير لست براء ولا متدارك وهذا الذي قالاه سبقهما اليه الفراء فانه قال من جر السلاسل
حمله على المعنى اذ المعنى اعناقهم في الاغلال والسلاسل الوجه الثاني انه عطف على الحميم
فقدم على المعطوف عليه وسياتي تقريره الثالث ان الجر على تقدير اظهار الخافض ويؤيده
قراءة ابي وفي السلاسل وقراءة غيره وبالسلاسل وقد اجاز هذا الزجاج الا ان ابن الانباري رده وقال
لو قلت زيد في الدار لم يحسن ان تضمر في فتقول زيد الدار ثم ذكر تاويل الفراء وخرج القراءة عليه
ثم قال كما تقول خاصم عبد الله زيد العاقلين بنصب العاقلين ورفعه لان احدهما اذا خاصم
صاحبه فقد خاصمه الاخر وهذه المسالة ليست جارية على اصول البصريين ونصوا على منعها

وانما

وانما قال بها من الكوفيين ابن سعدان وقال مكي وقد قرئ والسلاسل بالخفض على العطف
على الاعناق وهو غلط لانه يصير الاغلال في الاعناق وفي السلاسل ولا معنى للاغلال في
السلاسل قال شهاب الدين وقوله على العطف على الاعناق ممنوع بل خفضه على ما تقدم وقال
ايضا وقيل هو معطوف على الحميم وهو ايضا لا يجوز لان المعطوف المخفوض لا يتقدم على المعطوف عليه
لو قلت مررت وزيد بعمرو لم يجز وفي المرفوع يجوز نحو قام وزيد عمرو ويبعد في المنصوب لا
يحسن رايت وزيدا عمرا ولم يجزه في المخفوض احد قال شهاب الدين وظاهر كلامه انه يجوز في
المرفوع منه وقد نصوا على انه لا يجوز الا ضرورة بثلاثة شروط ان لا يقع حرف العطف صدرا
وان يكون العامل متصرفا وان لا يكون المعطوف عليه مجرورا وانشدوا عليك ورحمة الله السلام
الى غير ذلك من الشواهد مع تنصيصهم على انه مختص بالضرورة والسلسلة معروفة
قال الراغب وتسلسل الشيء اضطرب كانه تصور منه تسلسل متردد فتردد لفظه تنبيه
على تردد معناه وماء سلسل متردد في مقره والسحب الجر بعنف ومنه السحاب
من ذلك لان الريح تجره او لانه يجر الماء ويسجرون التنور اي ملاه نارا وهيجها ومنه البحر
المسجور اي المملوء وقيل المضطرم نارا قال الشاعر
اذا شاء طالع مسجورة ترى حولها النبع والشوحطا فمعنى قوله تعالى هنا ثم في النار يسجرون
اي يوقدون لقوله تعالى وقودها الناس والحجارة والسجير الخليل الذي يسجر في مودة خليله
كقولهم فلان محرق في مودة فلان فصل هذه كيفية عقابهم والمعنى انه يكون في
اعناقهم اغلال وسلاسل ثم يسحبون بتلك السلاسل في الماء الحميم بنار جهنم ثم توقد بهم
النار ثم قيل لهم اينما كنتم تشركون من دون الله يعني الاصنام قالوا ضلوا عنا اي فقدناهم
وغابوا عن عيوننا فلا نراهم ثم قالوا بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا انكروا كفرهم في سورة الانعام
والله ربنا ما كنا مشركين وقيل معناه لم نكن نعبد من قبل شيئا يضر وينفع وقال الحسين
ابن الفضل اي لم نكن نصنع من قبل شيئا اي ضاعت عبادتنا لها كما تقول من ضاع عمله ما كنت
اعمل شيئا ثم قال تعالى كذلك يضل الله الكافرين قال القاضي معناه انه يضلهم عن
طريق الجنة ولا يجوز ان يقال يضلهم عن الحجة وقد هداهم في الدنيا اليها وقيل يضل الله الكافرين
مثل ضلال الهتهم عنهم يضلهم عن الهتهم حتى انهم لو طلبوا الالهة او طلبتهم الالهة لم يجد احدهما
الاخر قوله ذلكم بما كنتم تفرحون اي ذلكم العذاب الذي نزل بكم بما كنتم تفرحون
تبطرون وتاشرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون تفرحون وتمرحون قوله تفرحون
وتمرحون من باب التجنيس المحرف وهو ان يقع الفرق بين اللفظين بحرف قوله ادخلوا ابواب
جهنم اي السبعة المقسومة لكم خالدين فيها وقوله فبئس مثوى المتكبرين المخصوص بالذم محذوف
اي جهنم او مثواكم ولم يقل فبئس مدخل لان الدخول لا يدوم وانما يدوم الثوا فلذلك خصه
بالذم وان كان الدخول ايضا مذموما قوله تعالى فاصبر ان وعد الله حق لما زيف
طريقة المجادلين في ايات الله امر في هذه الاية رسوله بان يصبر على اذاهم بسبب جدالهم
ثم قال ان وعد الله حق والمراد ما وعد الرسول من نصرته ومن انزال العذاب على اعدائه
قوله فاما نرينك قال الزمخشري اصله فان نرك وما مزيدة لتاكيد معنى الشرط
ولذلك الحقت النون بالفعل الا تراك لا تقول ان تكرمني اكرمك ولكن اما تكرمني اكرمك قال
ابو حيان وما ذكره من تلازم النون وما الزائدة ليس مذهب سيبويه انما هو مذهب المبرد
والزجاج ونص سيبويه على التخيير وقد تقدمت هذه القواعد مستوفاة قوله فالينا
يرجعون ليس جوابا للشرط الاول بل جوابا لما عطف عليه وجواب الاول محذوف قال الزمخشري

فالينا يرجعون متعلق بقوله نتوفينك وجواب نتوفينك محذوف تقديره فاما نرينك بعض الذي
نعدهم من العذاب وهو القتل يوم بدر فذاك وان نتوفينك قبل يوم بدر فالينا يرجعون فننتقم
منهم اشد الانتقام وقد تقدم مثل هذا في سورة يونس وبحث ابي حيان معه وقال ابو حيان
ههنا وقال بعضهم جواب اما نرينك محذوف لدلالة المعنى عليه اي فتقر عينك ولا يصح ان يكون
فالينا يرجعون جوابا للمعطوف عليه والمعطوف لان تركيب فاما نرينك بعض الذي نعدهم في حياتك
فالينا يرجعون ليس بظاهر وهو يصح ان يكون جواب او نتوفينك اي فالينا يرجعون فننتقم منهم
ونعذبهم لكونهم لم يتبعوك ونظير هذه الاية قوله تعالى فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون
او نرينك الذي وعدناهم فانا عليهم مقتدرون الا انه هنا صرح بجواب الشرط قال شهاب الدين
وهذا بعينه هو قول الزمخشري وقرا السلمي ويعقوب يرجعون بفتح يا الغيبة مبنيا للفاعل وابن مصرف
ويعقوب ايضا بفتح تا الخطاب **قوله** منهم من قصصنا يجوز ان يكون منهم صفة لرسلا
فيكون من قصصنا فاعلا به لاعتماده ويجوز ان يكون خبرا مقدما ومن مبتدا مؤخر ثم في الجملة
وجهان احدهما الوصف لرسلا وهو الظاهر والثاني الاستيناف **فصل** معنى الاية
انه قال لمحمد انت كالرسل من قبلك وقد ذكرنا حال بعضهم لك ولم نذكر حال الباقين وليس فيهم
احد اعطاه الله ايات ومعجزات الا وقد جادله قومه فيها وكذبوه فصبروا وكانوا ابدا
يقترحون على الانبيا اظهار المعجزات الزايدة على الحاجة عنادا وعبثا وما كان لرسول ان ياتي
باية الا باذن الله والله تعالى علم الصلاح في اظهار ما اظهره ولم يقدح ذلك في نبوتهم
فكذلك الحال في اقتراح قومك عليك المعجزات الزايدة لما لم يكن اظهارها صلاحا لاجرم ما اظهرناها
ثم قال فاذا جا امر الله قضي بالحق اي فاذا جا قضا الله بين الانبيا والامم قضي بالحق وخسر
هنالك المبطلون وهم المعاندون الذين يجادلون في ايات الله فيقترحون المعجزات الزايدة
على قدر الحاجة تعنتا وعبثا **قوله** الله الذي جعل لكم الانعام الاية لما ذكر الوعيد عاد
الى ذكر ما يدل على ذكر الاله القادر الحكيم والى ذكر ما يصلح ان يعد انعاما على العباد قال
الزجاج الانعام الابل خاصة وقال القاضي هي الازواج الثمانية **قوله** منها ومنها من
الاولى يجوز ان تكون للتبعيض اذ ليس كلها تركب ويجوز ان يكون لابتدا الغاية اذ المراد بالانعام شي
خاص وهي الابل قال الزجاج لانه لم يعهد للركوب غيرها واما الثانية فكالاولى وقال ابن
عطية هي لبيان الجنس قال لان الخيل منها ولا توكل **فان قيل** ما السبب في ادخال
لام العوض على قوله لتركبوا وعلى قوله لتبلغوا ولم تدخل في البواقي **فالجواب** قال الزمخشري
الركوب في الحج والغزو اما ان يكون واجبا او مندوبا وايضا ركوبها لاجل حاجتهم وهي الانتقال من
بلد الى بلد اخر لطلب علم واقامة دين يكون اما واجبا او مندوبا و[illegible] اشنع اغراض
الدينية فلاجرم ادخل عليها حرف التعليل نظيره قوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها
وزينة فادخل حرف التعليل على التعليل ولم يدخله على الزينة **قوله** لتركبوا منها اي بعضها
ومنها تاكلون ولكم فيها منافع اي في اصوافها واوبارها واشعارها والبانها ولتبلغوا عليها حاجة
في صدوركم لحمل اثقالكم من بلد الى بلد **قوله** وعليها وعلى الفلك تحملون اي على الابل في البر
وعلى السفن في البحر **فان قيل** لم لم يقل وفي الفلك كما قال قلنا احمل فيها من
كل زوجين اثنين **فالجواب** كلمة على للاستعلا فالشي الذي يوضع على الفلك كما صح ان يقال
وضع فيه صح ان يقال وضع عليه ولما صح الوجهان كانت لفظة على اولى حتى يتم المزاوجة في قوله
وعليها وعلى الفلك تحملون وقال بعضهم ان لفظة في هناك اليق لان سفينة نوح على ما قيل كانت
مطبقة عليهم وهي محيطة بهم كالوعا واما غيرها فالاستعلا فيه واضح لان الناس على ظهرها **قوله**

ويريكم اياته دلايل قدرته **قوله** فاي ايات الله منصوب بتنكرون وقدم وجوبا لان له صدر
الكلام قال مكي ولو كان مع الضمير لكان الاختيار الرفع فرقا في خلاف الف الاستفهام تدخل
على الاسم وبعدها فعل والرفع على ضمير الاسم فالاختيار النصب نحو قولك ازيدا ضربته هذا مذهب
سيبويه فرق بين الالف وبين اي يعني انك اذا قلت ايهم ضربت كان الاختيار الرفع لانه لا يحتاج الى
اضمار مع ان الاستفهام موجود وفي ازيدا ضربته يختار النصب لاجل الاستفهام فكان مقتضاه
اختيار النصب ايضا فيما اذا كان الاستفهام بنفس الاسم والفرق عسر وقال الزمخشري فاي
ايات جات على اللغة المستفيضة وقولك فاية ايات الله قليل لان التفرقة بين المذكر والمونث
في الاسما غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب وهي في اي اغرب لابهامه قال ابو حيان ومن قلة
تانيث اي قوله بأي كتاب ام بأية سنة ترى حبهم عارا علي وتحسب وقوله وهو في اي اغرب
ان عني اياه على الاطلاق فليس بصحيح لان المستفيض في الندا ان يونث في ندا المونث كقوله تعالى
يا ايتها النفس المطمينة ولا نعلم احدا ذكر تذكيرها فيه فيقول يا ايها المراة الا صاحب البديع في
النحو وان عنى غير المنادى فكلامه صحيح يقل تانيثها في الاستفهام وموصولة وشرطية قال شهاب الدين
واما اذا وقعت صفة لنكرة او حالا لمعرفة فالذي ينبغي ان يجوز الوجهان كالموصولة ويكون التانيث
اقل نحو مررت بامراة اية امراة وجات هند اية امراة وكان ينبغي لابي حيان ان ينبه على هذين
الوجهين **فصل** معنى قوله فاي ايات الله تنكرون ان هذه الايات التي عددناها
كلها ظاهرة باهرة ليس في شي منها ما يمكنكم انكاره **قوله تعالى** افلم يسيروا في الارض
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم الاية معناه ان هولا الكفار الذين يجادلون في
ايات الله وحصل الكبر العظيم في صدورهم انما كان السبب في ذلك طلب الرياسة والتقديم
على الغير في المال والجاه ومن ترك الانقياد الى الحق طلبا لهذه الاشيا فقد باع الاخرة بالدنيا
وهذه طريقة فاسدة لان الدنيا فانية ذاهبة واحتج بقوله تعالى افلم يسيروا في الارض الاية
يعني لو ساروا في اطراف الارض لعرفوا ان عاقبة المتكبرين والمتمردين ليس الا الهلاك والبوار
مع انهم كانوا اكثر عددا وعددا واشد قوة واثارا من هولا المتاخرين فلما لم تفدهم تلك المكنة
العظيمة الا الخيبة والخسار فكيف حال هولا الفقرا المساكين **قوله** فما اغنى عنهم يجوز في ما
ان تكون نافية واستفهامية بمعنى النفي ولا حاجة اليه وقوله ما كانوا يجوز ان تكون ما مصدرية
ومحلها الرفع اي مكسوبهم او كسبهم ويجوز ان يكون بمعنى الذي فالعايد على الاول وعلى الثاني هو
محذوف اي يكسبونه وهي فاعل باغنى على التقديرين **قوله** بما عندهم من العلم فيه
اوجه احدها انه تهكم بهم والمعنى ليس عندهم علم الثاني ان ذلك جا على زعمهم ان عندهم
علما ينتفعون به الثالث ان من بمعنى بدل اي بما عندهم من الدنيا بدل العلم وعلى هذه الاوجه
فالضمير في للكفار الرابع ان يكون الضمير للرسل اي فرح الرسل بما عندهم من العلم
الخامس ان الاول للكفار والثاني للرسل ومعناه فرح الكفار فرح ضحك واستهزا بما عند
الرسل من العلم لعلمهم باخذه وبقبوله وتمثلوا اوامر الوحي ونواهيه وقال الزمخشري ومنها اي
من الوجوه ان يوضع قوله فرحوا بما عندهم من العلم مبالغة في نفي فرحهم بالوحي الموجب
لاقصى الفرح والمسرة مع تهكم بفرط خلوهم من العلم وجهلهم قال ابو حيان ولا يعبر بالجملة
الظاهر كونها مثبتة عن الجملة المنفية الا في قليل من الكلام نحو شر اهر ذا ناب على خلاف فيه ولما
آل الامر الى الاثبات المحصور جاز واما في الاية فينبغي ان لا يحمل على القليل لان في ذلك تخليطا
لمعاني الجمل المتباينة **فصل** قال المفسرون الضمير في قوله فرحوا احتمل ان يكون عايدا
الى الكفار وان يكون عايدا الى الرسل فان كان عايدا الى الكفار فذلك العلم الذي فرحوا به فيه

منوا الاشيا التي كانوا يعتقدونها على نوع الشبهات الحكية عنهم في القران لقولهم ما يهلكنا الا الدهر
وقولهم لو شا الله ما اشركنا ولا اباونا وقولهم من يحيي العظام وهي رميم ولين رددت الى ربي لاجدن
خيرا منها منقلبا فكانوا يفرحون بذلك ويدفعون به علوم الانبيا كما قال كل حزب بما لديهم
فرحون وقيل المراد علوم الفلاسفة فانهم كانوا اذا سمعوا بوحي الله دفعوه وصغروا علوم الانبيا
عن علومهم كما روي عن سقراط انه سمع بمجي بعض الانبيا عليهم السلام فقيل له لو هاجرت
اليه فقال نحن قوم مهتدون فلا حاجة بنا الى من يهدينا وقيل المراد علمهم بامور الدنيا ومعرفتهم
بتدبيرها كقوله تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون ذلك مبلغهم
من العلم فلما جاتهم الرسل بعلوم الديانات وهي معرفة الله تعالى ومعرفة المعاد وتطهير النفس عن
الرذايل لم يلتفتوا اليها واستهزوا بها واعتقدوا انه لا علم انفع واجلب للفوايد من علمهم ففرحوا
به وقيل عاد الضمير الى الانبيا فيه والمعنى الاول ان فرح الانبيا الرسل لما راوا من قومهم
جهلا كاملا واعراضا عن الحق وعلموا سو عاقبتهم وما يلحقهم من العقوبة على جهلهم واعراضهم فرحوا بما اوتوا
من العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزا جهلهم واستهزايهم الكفايي ان المراد ان الرسل لما
فرحوا بما عندهم من العلم فرح ضحك واستهزا به **قوله** فلما راوا باسنا اي عذابنا قالوا امنا
بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين اي تبرانا مما كنا نعدل بالله والباس شدة العذاب
ومنه قوله تعالى بعذاب بيس **قوله** فلم يك ينفعهم ايمانهم يجوز رفع ايمانهم اسما لكان
وينفعهم جملة خبر مقدما ويجوز ان يرتفع بانه فاعل ينفعهم وفي كان ضمير الشان وقد
تقدم هذا محققا في قوله ما كان يصنع فرعون واخل ليس من باب التنازع ودخل حرف النفي
على الكون لا على النفي لانه بمعنى لا يصح ولا ينبغي كقوله ما كان لله ان يتخذ من ولد واعلم ان المراد
بالوقت الذي لا ينفع الايمان فيه هو وقت معاينة نزول ملايكة الرحمة وملايكة العذاب
لان في ذلك الوقت يصير المرء ملجا الى الايمان فذلك الايمان لا ينفع **قوله** سنة الله
يجوز انتصابها على المصدر المؤكد لمضمون الجملة يعني ان الذي فعل الله بهم سنة سابقة من الله
ويجوز انتصابها على التحذير اي احذروا سنة الله في المكذبين التي قد خلت في عباده وتلك
السنة انهم اذا عاينوا العذاب امنوا ولا ينفعهم ايمانهم وخسر هنالك الكافرون هنالك في الاصل
مكان فقيل استعير هنا للزمان ولا حاجة له فالمكانية فيه ظاهرة اي وخسر هنالك الكافرون
بذهاب الدارين قال الزجاج الكافر خاسر في كل وقت ولكنه يتبين لهم خسرانهم اذا راوا العذاب
فصل قال ابن سيرين راي رجل في المنام سبع جوار حسان في مكان واحد لم
ير احسن منهن فقال لهن لمن انتن فقلن لمن قرا ال حم

سورة حم السجدة مكية

وهي اربع وخمسون اية وسبعماية وتسعة وتسعون كلمة وثلاثة الاف وثلثماية وخمسون
حرفا بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** حم تنزيل من الرحمن الرحيم يجوز
ان يكون تنزيل خبر حم على القول بانه اسم للسورة ويجوز ان يكون تنزيل خبر ابتدا مضمر اي هذا
تنزيل وقال الاخفش تنزيل رفع بالابتدا وكتاب خبره **قوله** كتاب قد تقدم انه يجوز
ان يكون خبر التنزيل ويجوز ان يكون خبرا ثانيا وان يكون بدلا من تنزيل وان يكون فاعلا
بالمصدر وهو تنزيل اي نزل كتاب قاله ابو البقا وفصلت اياته صفة لكتاب **قوله** قرانا
في نصبه ستة اوجه احدها هو حال بنفسه وعربيا صفته او هو حال موطية والحال في الحقيقة
عربيا وهي حال غير منتقلة وصاحب الحال اما كتاب لوصفه بفصلت واما اياته او منصوب
على المصدر اي يقرؤه قرانا او على الاختصاص والمدح او مفعول ثان لفصلت او منصوب بتقدير
فعل او فصلناه قرانا **قوله** لقوم فيه ثلاثة اوجه احدها انه يتعلق بفصلت اي فصلت

لهولا وبينت لهولا لانهم هم المنتفعون بها وان كانت مفصلة في نفسها لجميع الناس الثاني ان يتعلق
بمحذوف صفة لقرانا اي كاينا لهولا خاصة لما تقدم من المعنى الثالث ان يتعلق بتنزيل
وهذا اذا لم تجعل من الرحمن صفة له لانك اذا جعلت من الرحمن صفة له فقد اعملت المصدر
الموصوف واذا لم يكن كتاب خبرا عنه ولا بدلا منه لئلا يلزم الاخبار عن الموصول او البدل منه قبل
تمام صلته ومن يتسع في الظرف وعديله لم يبال بشي من ذلك واما اذا جعلت من الرحمن متعلقا به
وكتاب فاعلا به فلا يضر ذلك لانه من تمامه وليس باجنبي **فصل** اعلم انه تعالى
حكم على هذه السورة باشيا اولها كونها تنزيلا والمراد المنزل والتعبير عن المفعول بالمصدر مجاز
مشهور كقوله هذا الامير اي مضروبه وهذا الدرهم ضرب السلطان اي مضروبه ومعنى كونها
منزلا ان الله تعالى كتبها في اللوح المحفوظ وامر جبريل عليه السلام ان يحفظ الكلمات ثم ينزل بها
على محمد صلى الله عليه وسلم ويوديها اليه فلما حصل تفهيم هذه الكلمات بواسطة نزول جبريل
عليه السلام سمي بذلك تنزيلا وثانيها كون ذلك التنزيل من الرحمن الرحيم وذلك يدل على ان ذلك
التنزيل نعمة عظيمة من الله تعالى لان الفعل المقرون بالصفة لا بد وان يكون مناسبا لتلك الصفة
فكونه تعالى رحمانا رحيما صفتان دالتان على كمال الرحمة فالتنزيل المضاف اليها من الصفتين
لا بد وان يكون دالا على اعظم وجوه الرحمة والنعمة والامر كذلك لان الخلق في هذا العالم كالمرضى
والمحتاجين والقران مشتمل على كل ما يحتاج اليه المرضى من الادوية وعلى ما يحتاج اليه الاصحا من
الاغذية فكان اعظم النعم من الله تعالى على اهل هذا العالم انزال القران عليهم وثالثها كونه
كتابا وقد تقدم ان هذا الاسم مشتق من الكتب وهو الجمع فسمي كتابا لانه جمع فيه علم الاولين والاخرين
ورابعها قوله فصلت اياته اي ميزت وجعلت تفاصيل في معان مختلفة فبعضها في وصف
ذات الله تعالى وصفات التنزيه والتقديس وشرح كمال علمه وقدرته ورحمته وحكمته وعجايب
احوال خلقه من السموات والكواكب وتعاقب الليل والنهار وعجايب احوال النبات والحيوان
والانسان وبعضها في المواعظ والنصايح وبعضها في تهذيب الاخلاق ورياضة النفس
وبعضها في قصص الانبيا وتواريخ الماضين وبالجملة فمن انصف علم انه ليس في يد الخلق كتاب
اجتمع فيه من العلوم المختلفة مثل ما في القران وخامسها قوله قرانا وقد سبق توجيه
هذا الاسم وسادسها قوله عربيا اي انما نزل بلغة العرب ويوكده قوله تعالى وما
ارسلنا من رسول الا بلسان قومه وسابعها قوله لقوم يعلمون اي جعلناه قرانا لاجل انا
انزلناه على قوم عرب بلغتهم ليفهموا منه المراد وثامنها وتاسعها **قوله** بشيرا
ونذيرا يجوز ان يكونا نعتين لقرانا وان يكونا حالين اما من كتاب واما من اياته واما من
الضمير المنوي في قرانا وقرا زيد بن علي برفعهما على النعت لكتاب او على خبر ابتدا مضمر اي هو بشير
ونذير ومعناه بشير للمطيعين بالثواب ونذير للمجرمين بالعقاب قال ابن الخطيب والحق ان
القران بشارة ونذارة الا انه اطلق اسم الفاعل عليه للتنبيه على كونه كاملا في هذه الصفة كما
يقال شعر شاعر وكلام قايل وعاشرها كونهم معرضين عنه فلا يسمعونه ولا يلتفتون اليه
فهذه الصفات العشرة التي وصف الله تعالى القران بها **فصل** احتج القايلون بخلق
القران بهذه الاية من وجوه الاول انه وصف القران بكونه منزلا وتنزيلا والمنزل
والتنزيل مشعر بالتغير من حال الى حال فوجب ان يكون مخلوقا الثاني ان التنزيل مصدر
والمصدر هو المفعول المطلق باتفاق النحويين الثالث المراد بالكتاب اما الكتابة وهي
المصدر الذي هو المفعول المطلق واما المكتوب الذي هو المفعول الرابع ان قوله فصلت
اياته يدل على ان متصرفا يتصرف فيه بالتفصيل وذلك لا يليق بالقديم الخامس انه سمي قرانا

لانه قرن بعض اجزائه ببعض وذلك يدل على كونه معلوف فاعل ومجعول جاعل الشادس وصفه
بكونه عربيا وانما صحت هذه النسبة لان هذه الالفاظ انما دلت على هذه المعاني بحسب وضع
العرب واصطلاحاتهم وما حصل بجعل جاعل وفعل فاعل فلا بد وان يكون محدثا ومخلوقا والجواب
ان كل هذه الوجوه المذكورة عايدة الى اللغات والى الحروف والكلمات وهي حادثة **فصل**
ذهب قوم الى انه في القران من ساير اللغات كالاستبرق والسجيل فانهما فارسيان والمشكاة فانها
حبشية والقسطاس فانه من لغة الروم وهذا فاسد لقوله تعالى قرانا عربيا وقوله وما ارسلنا
من رسول الا بلسان قومه **فصل** قالت المعتزلة الايمان والكفارة والصلوة والزكوة
والصوم والحج الفاظ شرعية لا لغوية بمعنى ان الشرع نقل هذه الالفاظ عن مسمياتها اللغوية
الاصلية الى مسميات اخرى وهذا باطل وليس للشرع تصرف في هذه الالفاظ الا من وجه واحد وهو
انه خصص هذه الاسما بنوع معين من انواع مسمياتها كما ان الايمان عبارة عن التصديق والصلوة
عبارة عن الدعا فخصصه الشرع بنوع معين من الدعا وكذا القول في البواقي ويدل على هذا قوله
تعالى قرانا عربيا وقوله وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه **فصل** تمسك
المعتزلون بان افعال الله تعالى معللة بالمصالح والحكمة بهذه الاية فقالوا انها تدل على انه
انما جعله قرانا عربيا لاجل ان يعقلوا المراد منه فدل ذلك على ان تعليل افعال الله واحكامه جائز
فصل قال قوم القران كله معلوم لقوله تعالى قرانا عربيا لقوم يعلمون يعني انما
جعلناه عربيا ليصير معلوما والقول بانه غير معلوم يقدح فيه **قوله** فاعرض اكثرهم
فهم لا يسمعون لا يصغون تكبرا وهذه الاية تدل على انه لا يهتدي الا من هداه الله ولا يضل
الا من اضله الله ولما وصف الله تعالى القران بانهم اعرضوا عنه ولم يلتفتوا اليه بين انهم
صرحوا بهذه النفرة وذكروا ثلاثة اشيا احدها **قوله** في اكنة قال الزمخشري فان قلت
هلا قيل على قلوبنا اكنة كما قيل وفي اذاننا وقر ليكون الكلام على نمط واحد لانه لا فرق في المعنى
بين قولك قلوبنا في اكنة وعلى قلوبنا اكنة والدليل عليه قوله تعالى وجعلنا على قلوبهم اكنة
ولو قيل جعلنا قلوبهم في اكنة لم تختلف المعنى وترى المطابيع منهم لا يرون الطباق والملاحة
الا في المعاني قال ابو حيان وفي هذا ابلغ من على لانهم قصدوا الافراط في عدم القبول
لحصول قلوبهم في اكنة احتوت عليها احتوا الظرف على المظروف فلا يمكن ان يصل اليها شي كما
تقول المال في الكيس بخلاف قولك المال على الكيس فانه لا يدل على الحصر وعدم الوصول دلالة الوعا
واما وجعلنا فهو من اخبار الله تعالى فلا يحتاج الى مبالغة ولتقدم تفسير الاكنة والوقر وقرا
طلحة بن مصرف وقر بكسر الواو وتقدم الفرق بينهما **قوله** مما تدعونا من في مما وفي
ومن بيننا لابتدا الغاية والمعنى ان الحجاب ابتدا منا وابتدا منك فالمسافة المتوسطة
لجهتنا وجهتك مستوعبة بالحجاب لا فراغ فيها فلو لم تات من لكان المعنى ان حجابا حاصل وسط
الجهتين والمقصود المبالغة بالتباين المفرط فلذلك جي بمن قاله الزمخشري وقال ابو البقا
هو محمول على المعنى لان المعنى في اكنة محجوبة عن سماع ما تدعونا اليه ولا يجوز ان يكون نعتا
لاكنة لان الاكنة الاغشية وليست الاغشية مما يدعون اليه **فصل** وقالوا يعني
مشركي مكة قلوبنا في اكنة اغطية والاكنة جمع كنان كاغطية جمع غطاء والكنان هو الذي
يجعل فيه السهام والمعنى لا نفقه ما تقول وفي اذاننا وقر اي صمم فلا نسمع ما تقول والمعنى
انا في ترك القبول عنك بمنزلة من لا يفهم ولا يسمع ومن بيننا وبينك حجاب خلاف في الدين
فلا نوافقك على ما تقول فاعمل انت على دينك انا عاملون على ديننا **قوله** قل انما انا
انا بشر قرا ابن وثاب والاعمش قال فعلا ماضيا خبرا عن الرسول والرسم يحتملها وقد تقدم

مثل هذا في الانبيا واخر المومنين وقرا الاعمش والنخعي يوحي بكسر الحاء اي الله تعالى والمعنى انما انا
بشر مثلكم اي كواحد منكم ولولا الوحي ما دعوتكم انما الهكم اله واحد قال الحسن علمه التواضع **قوله**
فاستقيموا اليه عدي بالى لتضمنه معنى توجهوا والمعنى وجهوا استقامتكم اليه بالطاعة ولا تميلوا
عن سبيله واستغفروه من ذنوبكم **قوله** وويل للمشركين الذين لا يوتون الزكوة قال ابن
عباس الذين لا يقولون لا اله الا الله يعني زكوة الانفس والمعنى لا يطهرون انفسهم من الشرك بالتوحيد
وهو ماخوذ من قوله ونفس وما سواها قد افلح من زكاها قال الحسن وقتادة لا يقرون بالزكوة ولا يرون ايتاها
واجبا وكان يقال الزكوة قنطرة الاسلام فمن قطعها نجا ومن تخلف عنها هلك وقال الضحاك
ومقاتل لا ينفقون في الطاعة ولا يتصدقون وقال مجاهد لا يزكون اعمالهم وهم بالاخرة هم
كافرون **فصل** احتج من قال ان الكفار مخاطبون بفروع الاسلام بهذه الاية فقالوا
انه تعالى توعدهم بامرين احدهما كونهم مشركين والثاني انهم لا يوتون الزكوة فوجب ان يكون لكل
واحد من هذين تاثير عظيم في حصول الوعيد وذلك يدل على ان لعدم ايتا الزكوة من المشرك
تاثير عظيم في زيادة الوعيد وهو المطلوب **فصل** احتج بعضهم على ان مانع الزكوة كافر
بهذه الاية فقال ان الله لما ذكر صفة المشركين ذكر قبلها ما يوجب الكفر وهو قوله وويل للمشركين
وذكر بعدها ما يوجب الكفر وهو قوله وهم بالاخرة هم كافرون فلو لم يكن منع الزكوة كفرا لكان
ذكره فيما بين الوصفين الموجبين للكفر قبيحا لان الكلام انما يكون فصيحا اذا كانت المناسبة مرعية
بين اجزايه ثم اكدوا ذلك بان ابا بكر الصديق رضي الله عنه حكم بكفر مانعي الزكوة قال ابن الخطيب
والجواب انه ثبت بالدليل ان الايمان عبارة عن التصديق بالقلب والاقرار باللسان وهما
حاصلان فعند عدم ايتا الزكوة لم يحصل الكفر بسبب عدم ايتا الزكوة والله اعلم **قوله**
ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون قال ابن عباس غير مقطوع
من قولك مننت الحبل اي قطعته ومنه قولهم ضعف المنة اي قطعه وانشد قول
فضل الجواد على الخيل البطا فلا يعطي بذلك ممنونا ولا نزقا وقال مقاتل غير منقوص ومنه
المنون لانه ينقص منه الانسان قوته وقوته وانشد قول الذي لا اصبح الدهر ولا قال الرنقا ابن ابي ربيعة
اني لعمرك ما بابي بذي غلق على الصديق ولا خيري بممنون وقيل غير ممنون به عليهم
لان عطا الله لا يمن به انما يمن المخلوق وقال مجاهد غير محسوب قال السدي نزلت هذه
الاية في المرضى والزمنى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة يكتب لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون فيه
روي عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا كان على طريقة
حسنة من العبادة ثم مرض قيل للملك الموكل به اكتب له مثل عمله اذا كان طليقا حتى اطلقه
او اكفته الي **قوله تعالى** قل اينكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين
الاية قرا ابن كثير بهمزتين تكفرون بهمزتين الاولى بهمزة خفيفة ثانيهما بلا مد والباقون بمد و
مشدد النون وهو استفهام بمعنى الانكار اي كيف تكفرون بالله وكيف يجوز جعل هذه
الانداد له شريكه انما والله ذكر الله تعالى خلق الارض في يومين وهما يوم الاحد ويوم الاثنين
وتم بقية مصالحها في يومين اخرين وخلق السموات بما فيها في يومين اخرين فيتم به دليل على
خلق هذه الاشيا العظيمة كيف يعقل الكفر به والاتيان بمثله على الحجر والخشب **فان قيل**
من استدل بشي على اثبات شي فذلك الشي المستدل به يجب ان يكون مسلما عند الخصم حتى يصح
الاستدلال به وكونه تعالى خالقا للارض في يومين امر لا يمكن اثباته بالعقل المحض انما يمكن
اثباته بالسمع ووحي الانبيا والكفار كانوا منازعين في الوحي والنبوة فلا يعقل تقرير هذه المقدمة
عليهم واذا امتنع تقريرها عليهم امتنع الاستدلال بها على فساد مذاهبهم فالجواب ان اثبات كون

السموات والارض مخلوق لديها المتخيل محكوم وان الممكن ذلك كما حكي الاستدلال لا بد له من علة وجود الاله القادر
القاهر العظيم ... فكيف يليق التسوية بين الاله الموصوف بهذه القدرة التامة
وبين الصنم الذي هو جماد لا يبصر ولا ينفع في العبودية والالهية بل في انتقال الجنسية لا يليق في الاستدلال
نحو بيننا في مخالفة الاعتبار باليومين ... ابن الخطيب بل تنبيه في هذا الباب ... ان
النبوة ... على صحة المعنى ... في غاية القبح ... الكتاب ... كانوا يعتقدون
في اهل الكتاب ... العلوم ... الكتاب ... والمعنى في
واعتقد ... كان الامر كذلك ... الاله الموصوف بالقدرة على خلق هذه
الاشيا العظيمة ... الموصوف ... الخشب والحجر المنحوت
ليس بكا له في العبودية والالهية ... الاستدلال **قوله** وتجعلون عطف على
لتكفرون ... الاستفهام ... ذلك رب العالمين اي ذلك الموجود المتصف بما ذكر من
صفته ... خلق الارض في يومين ... ثلاثة انواع ... والعجيب والعقل
المجيب ... **قوله** وجعل فيها رواسي ... ولا يجوز عطفه
على صلة الموصول المفصل بينهما بالاجنبي ... وتجعلون ... على تكفرون ... والمراد
بالرواسي الجبال **فان قيل** ... في قوله ... وجعل فيها
رواسي ... في الارض رواسي في قوله
وجعل فيها رواسي ... فالجواب ... ذلك ان تلك الاساطين
الخفاية ... الارض الثقيلة ... خلقت ... الجبال
الثقال لوقت الارض ... الارض والجبال ...
... الى النوع الثاني **قوله** وبارك
فيها اي ... من البحار والانهار والاشجار والثمار وقال ابن عباس ...
شق الانهار وخلق الجبال وخلق الاشجار والثمار وخلق اصناف الحيوانات وكلما يحتاج اليه من
الخيرات النوع الثالث **قوله** وقدر فيها اقواتها ... وقدر فيها اقوات اهلها
... وقال محمد بن كعب ... الاقوات ... الابدان ... وقال
مجاهد وقدر فيها اقواتها من المطر ... الاقوات ... والمعنى ان الله عز
وجل ... من المطر ... الى الارض كونها متولدة في
تلك الارض ... في بعض ... قد ...
فالعلة ... الاقوات التي تختص ...
... المطلوب ... اهل هذه البلدة يحتاجون
الى الاشيا المتولدة في تلك البلدة ... التجارات والاكتساب
الاموال **قوله** في اربعة ايام ... في تمام اربعة ايام باليومين المتقدمين قال
الزجاج في تتمة اربعة ايام ... وقال الزمخشري في اربعة ايام فذلك لمدة
خلق الارض وما فيها ... في اربعة ايام كاملة مستوية بلا زيادة ولا نقصان قال
... بنيت ... في يوم ... في يومين ... وقال ابو البقا اي في تمام
اربعة ايام ولولا ... الايام ... الاول ... خلق الارض في يومين
ويومان في الاخير ... سبع سموات في يومين واربعة في الوسط وهو قوله في اربعة
ايام **فان قيل** انه تعالى لما ذكر خلق الارض في يومين ... خلق هذه الانواع
الثلاثة الباقية في يومين اخرين كان ابعد ... فلم ترك التصريح بذكر الكلام

الجبال فالجواب ان قوله في اربعة ايام ... على ما اذا قال خلقت هذه الثلاثة
في يومين لانه لو قال خلقت هذه الاشياء في يومين لم يفد هذا الكلام كون اليومين مستغرقين
بتلك الاعمال لانه قد يقال عمل هذا العمل في يومين مع ان اليومين ما كانا مستغرقين بذلك العمل
اما لما ذكر خلق الارض وخلق هذه الاشيا ثم قال في اربعة ايام ... على ان هذه الايام الاربعة
صارت مستغرقة في تلك الاعمال من غير زيادة ولا نقصان **قوله** سوا العامة على النصب وفيه
اوجه احدها انه منصوب على المصدر بفعل مقدر اي استوت استوا قاله مكي وابو البقا
والثاني انه حال من ها في اقواتها او من ها في فيها العائد على الارض او من الارض قاله ابو
البقا وفيه نظر لان المعنى انما هو وصف الايام بانها سوا لا وصف الارض بذلك ... هذا جا
التفسير ويدل على ذلك قراءة سوا بالجر صفة للمضاف والمضاف اليه وقال السدي وقتادة
سوا معناه لمن سال عن الامر واستفهم عن حقيقته ... فانه يجده كما قال
تعالى الا ان ابن زيد وجماعة قالوا ... المعنى الذي ذكره ابو البقا فانهم قالوا معناه
مستويا امر هذه المخلوقات ... من البشر ... عن الطالبين
وقرا زيد بن علي والحسن وابن ابي اسحق وعيسى ويعقوب وعمرو بن عبيد سوا بالخفض على ما تقدم
وابو جعفر بالرفع وفيه وجهان احدهما انه على خبر ابتدا مضمر اي هي سوا لا يزيد ولا ينقص وقال مكي
هو مرفوع بالابتدا وخبره للسائلين وفيه نظر من حيث الابتدا بنكرة من غير مسوغ ثم قال بمعنى مستويا
لمن سال فقال في كم خلقت ... لجميع الخلق لانهم ... الرزق وغيره من عند الله تعالى
قوله للسائلين فيه ثلاثة اوجه احدها انه متعلق بسوا بمعنى مستويات للسائلين الثاني
انه متعلق بقدر اي قدر فيها اقواتها لاجل الطالبين لها المحتاجين المقتاتين الثالث انه يتعلق
بمحذوف كانه قيل هذا الحصر لاجل من سال في كم خلقت الارض وما فيها **قوله** ثم استوى
الى السما وهي دخان اي عمد الى خلق السما قال ابن الخطيب من قولهم استوى الى مكان كذا اذا توجه
اليه توجها لا يلتفت معه الى عمل آخر وهو من الاستوا الذي هو ضد الاعوجاج ونظيره قولهم استقام
اليه واستد اليه قال تعالى فاستقيموا اليه ... الى خلق السموات بعد خلق
الارض وما فيها ... **والدخان** ... الذي يرتفع من النار ويستعار
لما يرى من بخار الارض ... في الكثرة ... دخاخين
... على سبيل الاستعارة
المجازي ... لان صورتها صورة
الدخان في راي العين **فصل** قال المفسرون هذا الدخان بخار الما وذلك ان عرش
الرحمن كان على الما قبل خلق السموات والارض كما قال تعالى وكان عرشه على الما ثم ان الله تعالى احدث
في ذلك الما اضطرابا ... فخرج منه دخان ... على وجه الما فخلق منه اليبوسة واحدث
منه الارض واما الدخان فارتفع وعلا فخلق منه السموات **فان قيل** قوله تعالى
ثم استوى الى السما وهي دخان يشعر بان تخليق السماء حصل بعد تخليق الارض وقوله تعالى والارض
بعد ذلك دحاها يقتضي بان تخليق الارض حصل بعد تخليق السماء وذلك يوجب التناقض فالجواب
المشهور ان يقال انه تعالى خلق الارض اولا ثم خلق بعده السماء ثم بعد خلق السما دحا الارض
وبهذا الطريق يزول التناقض قال ابن الخطيب وهذا الجواب عندي مشكل من وجوه الاول
انه تعالى خلق الارض في يومين ثم انه في اليوم الثالث جعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر
فيها اقواتها وهذه الاحوال لا يمكن ادخالها في الوجود الا بعد ان صارت الارض منبسطة وقوله
تعالى وبارك فيها محمول على خلق الاشجار والنبات والحيوان فيها وذلك لا يمكن الا بعد صيرورتها منبسطة

فاما الزبده

تورابه تعالى قال بعد ذلك ثم استوى الى السماء وهي دخان فهذا يقتضي ان يكون تعالى خلق السماء بعد خلق الارضين
وبعد ان جعلها مدحوة وحينئذ يعود السؤال الثاني انه قد ثبت بالدلايل الهندسية دلت على ان
الارض كرة فهي في اول حدوثها ان قلنا انها كرة والان بقيت كرة ايضا فهي منذ خلقت كانت مدحوة
وان قلنا انها غير كرة ثم جعلت كرة فيلزم ان يقال انها كانت مدحوة قبل ذلك ثم ازيلت عنها هذه
الصفة وذلك باطل الثالث ان الارض جسم في غاية العظم والجسم الذي يكون كذلك فانه من اول
دخوله في الوجود يكون مدحوا فالقول بانها كانت غير مدحوة ثم صارت مدحوة قول باطل والذي
جاء في كتب التواريخ ان الارض خلقت في موضع الكعبة بيت المقدس فهو كلام مشكل الا انه لو كان المراد
انها على عظمها خلقت من ذلك الموضع ثم خلق بقية اجزايها واضيفت الى تلك الاجزاء التي خلقت
اولا فهذا يكون اعترافا بان تخليق الارض وقع متاخرا عن تخليق السماء الرابع انه لما حصل تخليق ان
الارض في يومين وتخليق سائر الاشياء الموجودة في الارض في يومين وتخليق السموات في يومين اخرين
كان مجموع ذلك ستة ايام فاذا حصل دحو الارض بعد ذلك فقد حصل هذا الدحو في زمان اخر بعد
الايام الستة فحينئذ يقع تخليق السموات والارض في اكثر من ستة ايام وذلك باطل الخامس انه
لا نزاع في ان قوله تعالى بعد هذه الاية ثم قال لها وللارض ايتيا طوعا او كرها كناية عن ايجاد السماء
والارض فلو تقدم ايجاد الارض على ايجاد السماء لكان قوله تعالى ايتيا طوعا او كرها يقتضي ايجاد
الموجودات وانه محال باطل هذا تمام البحث عن الجواب ونقل الواحدي في البسيط عن مقاتل
انه قال خلق السماء قبل الارض وتاول قوله ثم استوى الى السماء ثم كان قد استوى الى السماء وهي دخان قبل
ان يخلق الارض فاضمر فيه كان كما قال تعالى قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل معناه
ان يكن سرق وقال تعالى وكم من قرية اهلكناها فجاءها باسنا والمعنى فكان قد جاءها هذا ما
نقله الواحدي قال ابن الخطيب وهذا عندي ضعيف لان تقدير الكلام ثم كان قد
استوى الى السماء وهذا الجمع بين الضدين لان كلمة ثم تقتضي التاخير وكلمة كان تقتضي التقديم
والجمع بينهما يفيد التناقض ونظيره انا نجوز تاويل كلام الله بما لا يودي الى وقوع التناقض والركاكة
فيه والمختار عندي ان يقال خلق السماء مقدم على خلق الارض وتاويل الاية ان نقول الخلق ليس
عبارة عن التكوين والايجاد والدليل عليه قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب
ثم قال له كن فيكون فلو كان الخلق عبارة عن الايجاد والتكوين لصار تقدير الاية اوجده من تراب
ثم قال له كن فيكون وهذا محال فثبت ان الخلق ليس عبارة عن الايجاد والتكوين بل هو عبارة عن
التقدير والتقدير في حق الله تعالى هو حكمه بان سيوجد ما اذا ثبت هذا فنقول قوله خلق
الارض في يومين معناه انه قضى بحدوثه في يومين وقضاء الله انه سيحدث كذا في مدة كذا
لا يقتضي حدوث ذلك الشيء في الحال فقضاء الله بحدوث الارض في يومين قد تقدم على احداث السماء
وحينئذ يزول السؤال **قوله** ثم قال لها وللارض ايتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طايعين
قرا العامة ايتيا امرا من الاتيان قالتا اتينا منه ايضا وقرا ابن عباس وابن جبير ومجاهد آتيا
قالتا آتينا بالمد فيهما وفيه وجهان احدهما انه من المواتاة وهي الموافقة اي لتوافق كل منكما
الاخرى لما يليق بها واليه ذهب الرازي والزمخشري فوزن آتيا فاعلا وآتينا فاعلنا وزنه
فاعلنا كقاتلنا والثاني انه من الايتاء بمعنى الاعطاء فوزن آتيا افعلا كاكرما ووزن آتينا
افعلنا كاكرمنا فعلى الاول يكون قد حذف مفعولا وعلى الثاني يكون قد حذف مفعوليه التقدير
اعطيا الطاعة من انفسكما من امركما قالتا اعطيناه الطاعة وقد منع ابو الفضل الرازي الوجه
الثاني فقال آتينا بالمد على فاعلنا من المواتاة بمعنى سارعنا على حذف المفعول به ولا يكون
من الايتاء الذي هو الاعطاء لبعد حذف مفعوليه قال شهاب الدين وهذا هو الذي منع الزمخشري

ان

ان يجعله من الايتاء **قوله** طوعا او كرها مصدران في موضع الحال اي طايعتين او مكرهتين وقراءة
الاعمش كرها بالضم وقد تقدم الكلام على ذلك في النساء **قوله** قالتا اي قالت السماء والارض وقال
ابن عطيه اراد الفرقتين المذكورتين جعل السموات سماء والارضين ارضا كقوله
الم يحزنك ان حبال قومي وقومك قد تباينتا انقطاعا ... تباينتا قال ابو حيان
وليس كما ذكر لانه لم يتقدم الا ذكر الارض مفردة والسماء مفردة فلذلك حسن التعبير بالتثنية
واما البيت فكانه قال حبلي قومي وقومك وانث في تباينتا على المعنى لانه عنى بالحبال المودة **قوله**
طايعين في مجيئه مجيء جمع المذكرين العقلاء وجهان احدهما ان المراد باتينا من فيهما من العقلاء
وغيرهم فلذلك غلب العقلاء على غيرهم وهو راي الكسائي والثاني انه لما عاملهما معاملة العقلاء
في الاخبار عنهما والامر لهما جمعهما جمعهم كقوله رايتهم لي ساجدين وهل هذه المحاورة حقيقة
او مجاز واذا كانت مجازا فهل هو تمثيل او تخييل خلاف **فصل** ظاهر هذا الكلام يقتضي ان
الله تعالى امر السماء والارض بالاتيان فاطاعوا وهذا ليس مستبعد لان الله تعالى انطق الجبال
مع داود عليه السلام فقال يا جبال اوبي معه والطير وانطق الايدي والارجل فقال اليوم تشهد
عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون وقوله وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا
انطقنا الله الذي انطق كل شيء واذا كان كذلك فكيف يستبعد ان يخلق الله تعالى في ذات السموات
والارض حياة وعقلا ثم يوجه الامر والتكليف عليهما ويؤكد هذا بوجوه الاول ان الاصل حمل
اللفظ على ظاهره الا ان يمنع منه مانع وههنا لا مانع الثاني انه تعالى جمعهما جمع العقلاء
فقال قالتا اتينا طايعين الثالث قوله انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين
ان يحملنها واشفقن منها وهذا يدل على كونها عارفة بالله عالمة بتوجه تكليف الله عليها واجاب
ابن الخطيب عن هذا القول بان المراد من قوله ايتيا طوعا او كرها الاتيان الى الوجود والحدوث
والحصول فعلى هذا التقدير فحال توجه هذا الامر كانت السموات والارض معدومة اذ لو كانت
موجودة لكان ذلك لا يجوز فيستحيل ان يكون توجه هذا الامر عليهما كانت معدومة واذا كانت
معدومة فلم تكن فاهمة ولا عاقلة للخطاب فلم يجز توجه الامر عليهما **فان قيل**
روى مجاهد وطاوس عن ابن عباس انه قال قال الله للسموات اخرجا ما فيكما من الشمس ... لمصالح
العباد اما انت يا سماء فاطلعي شمسك وقمرك ونجومك وانت يا ارض فشققي انهارك واخرجي
ثمارك ونباتك وقال لهما افعلا ما امرتكما طوعا والا الجاتكما الى ذلك حتى تفعلاه فعلى هذا
التقدير يكون المراد من قوله اتينا طايعين حدوث ما في ... المراد من هذا الامر اظهار
ما كان مودعا فيهما وهذا باطل لانه تعالى قال فقضاهن سبع سموات في يومين وذلك يدل
على ان حدوث السماء انما حصل بعد قوله ايتيا طوعا او كرها **فصل** اعلم ان المقصود
من هذا الكلام اظهار كمال القدرة والتقدير ايتيا شئتما ذلك او ابيتما كما يقول الجبار لمن تحت
يده لتفعلن هذا شئت او ابيت ولتفعلنه طوعا او كرها وقيل انه تعالى ذكر السماء والارض ثم ذكر
الطوع والكره فوجب ان ينصرف الطوع الى السماء والكره الى الارض فتختص السماء بالطوع لوجوه
احدها ان السماء دائم حركتها على نهج واحد لا تختلف فشبه حيوانا مطيعا لله عز وجل بخلاف
الارض فانها مختلفة الاحوال تارة تكون ساكنة وتارة تضطرب وتزلزل والقول الذي تجده في السماء
ليس الا الطاعة قال تعالى يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون واما اهل الارض فليس
كذلك وثالثها ان السماء موصوفة بكمال الحال لانها افضل الالوان وشكلها افضل الاشكال وهو
المستدير ومكانها افضل الامكنة وهو العلو وسكانها افضل الاجرام وهي الكواكب بخلاف الارض
فانها مكان الظلمة والكثافة واختلاف الاحوال وتغير الذات والصفات فلا جرم عبر عن تكوين

السماء بالطلوع وعن تكوين الارض بالمكوع قوله فقضاهن سبع سموات في نصب سبع اربعة اوجه احدها انه مفعول ثان لقضاهن لانه ضمن معنى صيرهن بقضائه سبع سموات والثاني انه منصوب على الحال من مفعول فقضاهن اي فقضاهن معدودة وقضى بمعنى صنع لقول ابي ذويب

وعليهما مسرودتان قضاهما داود او صنع السوابغ تبع

الثالث انه تمييز قال الزمخشري ويجوز ان يكون ضميرا مبهما مفسرا بسبع سموات على التمييز يعني بقوله مبهما انه لا يعود على السماء لا من حيث اللفظ ولا من حيث المعنى بخلاف كونه حالا او مفعولا ثانيا والرابع انه بدل من هن في فقضاهن قاله مكي وقال ايضا السماء تذكر وتؤنث فجاء التانيث في القرآن ولو جاء على التذكير لقيل سبعة سموات وتقدم تحقيق تذكيرها وتانيثها في اوائل البقرة فصل قال اهل الاثر ان الله تعالى خلق الارض يوم الاحد والاثنين وخلق سائر ما في الارض يوم الثلاثاء والاربعاء وخلق السموات وما فيها في يوم الخميس والجمعة وفرغ في اخر ساعة يوم الجمعة فخلق فيها ادم وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة فان قيل اليوم عبارة عن النهار والليل وذلك انما يحصل بطلوع الشمس وغروبها وقبل حدوث السموات والشمس والقمر كيف يعقل حصول اليوم فالجواب معناه انه مضى من المدة ما لو حصل هناك فلك وشمس لكان المقدار مقدار يوم وقضاء الشيء اتمامه والفراغ منه قوله واوحى في كل سماء امرها قال عطاء عن ابن عباس خلق في كل سماء خلقها من الملائكة وما فيها من البحار وجبال البرد وما لا يعلمه الا الله وقال قتادة والسدي يعني خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها وقال مقاتل واوحى الى كل سماء ما اراد من الامر والنهي وذلك يوم الخميس والجمعة قال السدي ولله في كل سماء بيت تحج اليه وتطوف به الملائكة كل واحد منها مقابل الكعبة بحيث لو وقعت منه حصاة لوقعت على الكعبة قوله وزينا السماء الدنيا بمصابيح وهي الكواكب التي خلقها في السموات وخص كل واحد بضوء مخصوص وسير مخصوص وطبيعة معينة لا يعرفها الا الله تعالى قوله وحفظا في نصبه وجهان احدهما انه منصوب على المصدر بفعل مقدر اي وحفظناها بالثواقب من الكواكب حفظا والثاني انه مفعول من اجله على المعنى فان التقدير خلقنا الكواكب زينة وحفظا قاله ابو البقاء فصل المعنى وحفظناها من الشياطين الذين يسترقون السمع ثم قال ذلك اي الذي ذكر من صنعه تقدير العزيز في ملكه العليم بخلقه فالعزيز اشارة الى كمال القدرة والعليم اشارة الى كمال العلم قوله تعالى فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة الاية معنا التفات من خطابهم بقوله قل ائنكم الى الغيبة لتعليم الاعراض اعرض عن خطابهم وهو تنبيه حسن والمعنى ان الحجة قد تمت على اكمل الوجوه فان بقوا مصرين على الجهل لم يبق حينئذ علاج في حقهم الا انزال العذاب عليهم فلهذا قال فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود اي هلاكا مثل هلاكهم والانذار التخويف قال المبرد والصاعقة المرة المهلكة لاي شيء كان وقرا الجمهور صاعقة مثل صاعقة بالالف فيهما وابن الزبير والنخعي والسلمي وابن محيصن صعقة مثل صعقة بحذف الالف وسكون العين وتقدم الكلام في ذلك في اوائل البقرة يقال صعقت الصاعقة تصعق وهذا مما جاء فيه فعلته بالفتح ففعل بالكسر ومثله جدعته فجدع قال الزمخشري والصعقة المرة من الصعق قوله اذ جاءتهم فيه اوجه احدها انه ظرف لانذرتكم نحو لقيتك اذ كان كذا الثاني انه منصوب بصاعقة لانها بمعنى العذاب اي انذرتكم العذاب الواقع في وقت مجيء رسلهم الثالث انه صفة لصاعقة الاولى الرابع انه حال من صاعقة الثانية قالهما ابو البقاء وفيهما نظر لان الظاهر ان الصاعقة جثة وهي قطعة نار تنزل من السماء فتحرق كما تقدم تفسيرها فلا يقع الزمان صفة لها ولا حالا عنها وتاويلها بمعنى العذاب اخراج لها عن مدلولها من غير ضرورة واما جعله وصفا للاولى لانها نكرة وحالا من الثانية لانها معرفة لاضافتها

الي

الى علم ولو جعلها حالا من الاولى لانها تخصصت بالاضافة لجاز فتعود الاوجه خمسة قوله من بين ايديهم ومن خلفهم الظاهر ان الضميرين عائدان على عاد وثمود وقيل الضمير في خلفهم يعود على الرسل واستبعد هذا من حيث المعنى اذ يصير التقدير جاءتهم الرسل من خلف الرسل اي من خلف انفسهم وقد يجاب عنه بانه من باب درهم ونصفه اي ومن خلف رسل اخرين قوله ان لا تعبدوا يجوز في ان ثلاثة اوجه احدها ان تكون المخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان محذوف والجملة النهيية بعدها خبر كذا اعربه ابو حيان وفيه نظر من وجهين احدهما ان المخففة لا يقع بعدها فعل الا من افعال اليقين والثاني ان الخبر في باب ان واخواتها لا يكون طلبا فان ورد منه شيء اول وكذلك ما ورد اذ الذين قتلتم امس سيدهم لا تحسبوا ليلهم عن ليلكم ناما وقوله ولو اصابت لقالت وهي صادقة ان الرياضة لا تنصب للشيب على اضمار القول الثاني انها الناصبة للمضارع والجملة النهيية بعدها صلتها ووصلت بالنهي كما توصل بالامر في كتبت اليه بان قم وتقدم في وصلها بالامر اشكال ياتي مثله في النهي الثالث انها تكون مفسرة لمجيئهم لانه يتضمن قولا ولا في هذه الاوجه كلها ناهية ويجوز ان تكون نافية على الوجه الثاني ويكون الفعل منصوبا بان بعد لا النافية فان لا النافية لا تمنع العامل ان يعمل فيما بعدها نحو جئت بلا زيد ولم يذكر الحوفي غيره قوله لو شاء قدر الزمخشري مفعول شاء لو شاء ربنا ارسال الرسل لانزل ملائكة قال ابو حيان تتبعت ما في القرآن وكلام العرب فلم اجد حذف مفعول شاء الواقع بعد لو الا من جنس جوابها نحو ولو شاء الله لجمعهم على الهدى اي لو شاء جمعهم على الهدى لجمعهم عليه لو نشاء لجعلناه حطاما لو نشاء جعلناه اجاجا ولو شاء ربك لامن ولو شاء ربك ما فعلوه لو شاء الله ما عبدنا من دونه وقال الشاعر فلو شاء ربي كنت قيس بن خالد ولو شاء ربي كنت عمرو بن مرثد وقال الاخر والذي لو شاء لكنت صخرا او جبلا اشم مشمخرا قال فعلى ما تقدم لا يكون المحذوف ما قدره الزمخشري وانما التقدير لو شاء ربنا انزال ملائكة بالرسالة منه الى الانس لانزلهم بها اليهم وهذا ابلغ في الامتناع من ارسال البشر اذ علقوا ذلك بانزال الملائكة وهو لم يشا ذلك فكيف يشاء ذلك في البشر قال شهاب الدين وتقدير ابي القاسم اوقع معنى واخلص من ايقاع الظاهر موقع المضمر اذ يصير التقدير لو شاء انزال ملائكة لانزل ملائكة قوله فانا بما ارسلتم به هذا خطاب لهود وصالح وغيرهم من الانبياء عليهم السلام فغلب المخاطب على الغائب نحو انت وزيد تقومان وما يجوز ان تكون موصولة بمعنى الذي وعائدها به وان تكون مصدرية اي بارسالكم فعلى هذا يكون به يعود على ذلك المصدر المؤول ويكون من باب التاكيد كانه قيل كافرون بارسالكم به فصل معنى جاءتهم الرسل من بين ايديهم ومن خلفهم اي ان الرسل المبعوثين اليهم اتوهم من كل جانب واتوا بجميع وجوه الدلالات فلم يروا منهم الا العتو والاعراض كما حكى الله تعالى عن الشيطان قوله لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم اي من كل جهة وقيل المعنى ان الرسل جاءتهم من قبلهم اي ارسلوا الى ابائهم ومن خلفهم يعني الذين ارسلوا اليهم فان قيل كيف يمكن وصفهم بانهم جاؤهم فالجواب قد جاءهم هود وصالح داعيين الى الايمان بهما وبجميع الرسل وبهذا التقدير فكان جميع الرسل قد جاؤهم وامروهم بالتوحيد ونفي الشرك فقالوا لو شاء ربنا لانزل ملائكة وجعلوا عدم انزال الملائكة دليلا على تكذيب الرسل والمعنى انه تعالى لو شاء ارسال الرسل الى البشر لجعل رسله ملائكة لان الملائكة اقضى الى المقصود من بعثة البشر ثم قالوا فانا بما ارسلتم به كافرون وتقدم الجواب عن هذه الشبهة في سورة الانعام واعلم ان قولهم ارسلتم به ليس اقرارا بان هؤلاء اولئك الانبياء رسل وانما ذكروه حكاية لكلام الرسل او على سبيل الاستهزاء كما قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون فصل روي ان ابا جهل قال في ملا من قريش التبس علينا

أمر محمد فلو التمستم لنا رجلا عالما بالشعر والسحر والكهانة وكلمه ثم اتانا ببيان من امره فقال
عيينة بن حصين والله لقد علمت الشعر والسحر والكهانة وعلمت من ذلك علما وما يخفى علي فاتاه
فقال له يا محمد انت خير ام هاشم انت خير ام عبد المطلب انت خير ام عبد الله فلم تشتم الهتنا وتضلل
اباءنا فان كنت تريد الرياسة عقدنا لك اللواء فكنت رئيسنا وان اردت الباءة زوجناك عشر
نسوة تختارهن من اي بنات قريش شئت وان كنت تريد المال جمعنا لك ما تستغني به على ذلك
ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت فلما فرغ قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم افرغت
قال نعم قال فاسمع ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم تعوذ ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن
الرحيم كتاب فصلت اياته الى ان بلغ قوله فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل
صاعقة عاد وثمود فامسك عيينة على فيه وناشده بالرحم الا ما سكت ثم رجع الى اهله ولم يخرج
الى قريش فلما احتبس عنهم قالوا ما نرى عيينة الا قد صبا فانطلقوا اليه وقالوا يا عيينة ما حبسك
عنا الا انك قد صبأت الى محمد واعجبك طعامه فان كانت بك حاجة جمعنا لك من اموالنا ما يغنيك
عن طعام محمد فغضب واقسم لا يكلم محمدا ابدا ثم قال والله لقد علمتم اني من اكثر قريش مالا ولكني اتيته
وقصصت عليه القصة فاجابني بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر وقرأ السورة الى ان بلغ صاعقة
مثل صاعقة عاد وثمود فامسكت بفيه وناشدته بالرحم حتى سكت ولقد علمتم ان محمدا اذا قال شيئا لم
يكذب فخفت ان ينزل العذاب **قوله** فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق قيل هو
الاستكبار اظهار العجب والتيه وعدم الالتفات الى الغير وقيل الاستعلاء على الناس واستخدامهم
ثم ذكر تعالى سبب ذلك الاستكبار وهو قولهم من اشد منا قوة وكانوا ذوي اجسام طوال وقوة
شديدة ثم انه تعالى ذكر ما يدل على انهم لا يجوز لهم ان يغتروا بشدة قوتهم فقال اولم يروا
ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة فان كانت الزيادة في القوة توجب كون الناقص في طاعة
الكامل فيجب عليهم الانقياد لله تعالى والخضوع لاوامره ونواهيه **فان قيل**
افعل التفضيل انما يجري بين شيئين لاحدهما نسبة الى الاخر وقدرة العبد متناهية وقدرة
الله لا نهاية لها والمتناهي لا نسبة له الى غير المتناهي فما معنى قوله ان الله اشد منهم قوة فالجواب
هذا ورد على قانون قولنا الله اكبر ثم قال وكانوا باياتنا يجحدون والمعنى انهم كانوا يعرفون انها حق
ولكنهم يجحدونها كما يجحد المودع الوديعة واعلم ان نظم الكلام ان يقال فاما عاد فاستكبروا في
الارض بغير الحق وكانوا باياتنا يجحدون واما قولهم وقالوا من اشد منا قوة اولم يروا ان الله الذي
خلقهم هو اشد منهم قوة فاعتراض وقع في البين للتنبيه على السبب الداعي لهم الى الاستكبار **قوله**
فارسلنا عليهم ريحا صرصرا الصرصر الريح الشديدة التي تصرصر اي تصوت وقيل هي الباردة من الصر وهو البرد
وقيل هي الشديدة السموم وقيل في الصرصر من صر الباب اي صوت صريرا والصرة الصيحة ومنه
فاقبلت امراته في صرة قال ابن قتيبة صرصر يجوز ان يكون من الصر وهو البرد وان يكون
من صر الباب وان يكون من الصرة وهي الصيحة ومنه فاقبلت امراته في صرة وقال الراغب
صرصر لفظه من الصر وذلك يرجع الى الشدة لما في البرودة من التعقيد **قوله** في ايام
نحسات قرأ الكوفيون وابن عامر بكسر الحاء والباقون بسكونها فاما الكسر فهو صفة على فعل وفعله
فعل بكسر العين ايضا كفعله يقال نحس فهو نحس كفرح فهو فرح واشر فهو اشر ومعناه نكدات
مشومات دائمة نحوسها لما ان الليث عن الكسائي النحس لاجل المعرة ولكنه غير مشهور عنه حتى
نسبه الداجني للوهم واما قراءة الاسكان فتحتمل ثلاثة اوجه احدها ان يكون مخففا من فعل في القراءة
المتقدمة وفيه توافق القراءتين الثاني انه مصدر وصف به كرجل عدل الا ان هذا يضعفه
الجمع فان الفصيح في المصدر الموصوف ان يوحد وكان المسوغ للجمع اختلاف انواعه في الاصل

الثالث

الثالث انه صفة مستقلة على فعل بسكون العين ولكن اهل التصريف لم يذكروا في الصفة الجامدة من
فعل بكسر العين الا ابوابا محصورة ليس فيها فعل بالسكون فذكروا افعل نحو فرح وحر ونحو اجود وشبع
فهو شبعان وسلم فهو سالم وبلي فهو بال وفي معنى نحسات قولان احدهما انها من الشوم قال السدي
اي مشائيم من النحس المعروف والثاني انها من شدة برد الريح ينحسونها على الاول يقول
الشاعر يومين يوم نعيم ويوم نحس وفي المعنى الثاني
كان سلافة عرضت لنحس تحلل بشقيقها النبات الا الالا ومنه
فتبا عتيدي قبل طلوع النحس المسهدة في ايام قليل النحس وقيل يريد بها في هذا البيت
الغبار اي قليل الغبار يريد انه قيد بالاكف في الابتداء فاطلت عنان ونحسات نعت للايام والجمع
بالالف والتاء مطرد في صفة ما لا يعقل كايام معدودات كما تقدم تحقيقه في البقرة
فصل الصرصر العاصفة التي تصرصر في هبوبها روي عن عبد الله بن عباس انه قال
الرياح ثمان اربع منها عذاب وهي العاصف والصرصر والعقيم والقاصف واربع منها
رحمة وهي الناشرات والمبشرات والمرسلات والذاريات وعن ابن عباس ان الله تعالى ما
ارسل على عباده من الريح الا قدر خاتم قال الضحاك امسك الله عنهم المطر ثلاث سنين
وتوالت عليهم الرياح من غير مطر **فصل** استدل الاحكاميون من المنجمين بهذه الآية
على ان بعض الايام قد يكون نحسا وبعضها سعدا واجاب المتكلمون بان المراد بهذه النحسات
اي ذات غبار وتراب ثائر لا يكاد يبصر فيه وقالوا ايضا معنى كون هذه الايام
نحسات ان الله اهلكهم فيها واجاب الاحكاميون بان النحسات في وضع اللغة هي المشؤومات
لان النحس يقابله السعد والكدر يقابله الصافي وايضا فانه تعالى اخبر عن ايقاع ذلك
العذاب في تلك الايام النحسات فوجب ان يكون تلك الايام نحسة مغايرة لذلك العذاب
الذي وقع فيها **قوله** لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا اي عذاب الهوان والذل
مقابلة لذلك الاستكبار ولعذاب الاخرة اخزى اي اشد اهانة وهم لا ينصرون اي لا
يكون لهم ناصر يدفع عنهم ذلك الخزي **قوله** واما ثمود الجمهور على رفعه ممنوع الصرف
والاعمش وابن وثاب مصروفا وكذلك كل ما في القرآن الا قوله واتينا ثمود الناقة فانهم لم ينونوه
ثمود بغير تنوين وقرأ ابن عباس وابن ابي اسحاق والاعمش في رواية وعاصم في رواية ثمود منصوبا
مصروفا والحسن وابن هرمز وعاصم ايضا منصوبا غير مصروف فاما الصرف وعدمه فقد
تقدم توجيههما في هود واما الرفع فعلى الابتداء والجملة بعده الخبر وهو الفصيح عند الجمهور لان
اما لا يليها الا المبتدأ فلا يجوز فيما بعدها الا الاشتغال الا في قليل كهذه القراءة فانه رب
المنصوب فتقدره بعد الاسم المنصوب اي واما ثمود هدينا هم فهديناهم لان اما لا يليها
الافعال **فصل** فهديناهم قال الزمخشري وقرئ بضم الثاء قال مجاهد هديناهم دعوناهم
وقال ابن عباس بينا لهم سبيل الهدى وقيل دللناهم على طريق الخير والشر كقوله هديناه
السبيل فاستحبوا العمى على الهدى اي فاختاروا الكفر على الايمان وذكر الزمخشري في تفسير
الهدى في قوله تعالى هدى للمتقين ان الهدى عبارة عن الدلالة الموصلة الى البغية وهذه
الآية تبطل قوله لانها تدل على ان الهدى قد حصل مع ان الافضاء الى البغية لم يحصل **فصل**
قالت المعتزلة دلت هذه الآية على ان الله تعالى قد نصب الدلائل ومكن الاهتداء الا ان الايمان
انما يحصل من العبد لان قوله فهديناهم يدل على انه تعالى نصب لهم الدلائل وقوله
فاستحبوا العمى على الهدى يدل على انهم من عند انفسهم اتوا بذلك العمى وهذا يدل على ان الكفر والايمان
يحصلان من العبد والجواب من وجهين الاول انه انما صدر عنهم ذلك العمى لانهم احبوا تحصيله

فلما وقع في قلوبهم هذه الحيرة دون نحية منه لا ان حصل هذا الترجيح الا المرجح فهو باطل وان كان
لمرجح فان كان المرجح هو الحيرة عاد الطلب فيه وان كان المرجح هو الله تعالى حصل المطلوب ايضا لانه تعالى
قال فاستحبوا العمي على الهدى وهو المعلوم بالضرورة ان احدا لا يحب العمي والجهل مع العلم بكونه عمى
وجهلا بل ما لم يظن في ذلك العمي والجهل كونه تبصرة وعلما فانه لا يرغب فيه فاقدامه على اختياره على ذلك
الجهل الثاني ان كان باختياره لزم التسلسل وهو محال فلا بد من انتهاء تلك الجهالات الى جهل يحصل
فيه لا باختياره وهو المطلوب **قوله** فاخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون
وصاعقة العذاب اي المهلكة والعذاب الهون اي ذي الهون اي الهوان وهو الذي يهينهم بما
كانوا يكسبون من شركهم وتكذيبهم صالحا ثم قال ونجينا الذين امنوا وكانوا يتقون يعني يتقون
الاعمال التي كانوا ياتون بها عاد وثمود **فان قيل** كيف يجوز للرسول صلى الله عليه وسلم
ان ينذرهم بمثل صاعقة عاد وثمود مع العلم بان ذلك لا يقع في امة محمد صلى الله عليه وسلم
وقد صرح الله تعالى بذلك في قوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وجاء في الحديث الصحيح
ان الله تعالى رفع عن هذه الامة هذه الانواع في الجواب انهم لما عرفوا كونهم مشاركين لعاد
وثمود في استحقاق مثل تلك الصاعقة وان السبب الموجب للعذاب واحد وربما يكون العذاب
النازل بهم من جنس ذلك العذاب وان كان اقل درجة وهذا القدر يكفي في التخويف **قوله تعالى**
ويوم يحشر اعداء الله الى النار الاية لما بين كيفية عقوبة اولئك الكفار في الدنيا
اردفه ببيان كيفية عقوبتهم في الاخرة ليحصل تمام الاعتبار في الزجر والتحذير فقال ويوم
يحشر والعامل في هذا الظرف وجهان احدهما محذوف دل عليه ما بعده من قوله فهم يوزعون
تقديره يساق الناس يوم يحشر والثاني اذكر ابو البقاء فيقول يوم يحشر العامل فيه انه منصوب باذكر
اي اذكر يوم وقرا نافع نحشر بنون العظمة وضم الشين اعداء نصبا اي نحشر نحن والباقون بيا
الغيبة مضمومة والشين المفتوحة على ما لم يسم فاعله اعداء رفعا لقيامه مقام الفاعل ووجه
الاول انه معطوف على ونجينا فيحسن ان يكون على وفقه في اللفظ ويقويه يوم نحشر المتقين ونحشر المجرمين
وحجة الثانية انه يقتضيه نحو ... قوله ويوم يحشر ابتدا كلام اخر وايضا الحاشرون لهم هم المامورون
بقوله احشروا الذين ظلموا وهم الملائكة وايضا موافقته لقوله فهم يوزعون وايضا تقدم في القراة الاولى
ان الله تعالى قال ويوم نحشر اعداء الله فكان الاولى على هذا التقدير ان يقال ويوم نحشر
اعداءنا الى النار وكسر الاعرج شين نحشرهم ثم قال فهم يوزعون اي يساقون ويدفعون الى النار وقال
قتادة والسدي يحبس اولهم على اخرهم ليتلاحقوا اي يوقف سوابقهم حتى يصل اليهم توالبهم **قوله**
حتى اذا ما جاءوها اخبر في غاية الحضور والمعنى حتى اذا جاءوا النار فما صلة وقيل فيها فايدة زايدة
وهي التاكيد ان وقت مجيهم لابد وان يحصل هذه الشهادة كقوله اثم اذا ما وقع امنتم به اي لابد
لوقت وقوعه من ان يكون وقت ايمانهم به **فصل** في كيفية الشهادة ثلاثة اقوال
الاول ان الله تعالى يخلق الفهم والقدرة والنطق فيها فتشهد كما يشهد الرجل على ما يعرفه والثاني
انه تعالى يخلق في تلك الاعضاء الاصوات والحروف الدالة على تلك المعاني الثالث ان يظهر في تلك
الاعضاء احوال تدل على صدور تلك الاعمال من ذلك الانسان وتلك الامارات تسمى شهادات
كما يقال يشهد هذا العالم بتغيرات احواله على حدوثه **فصل** قال ابن الخطيب والسبب
في تخصيص هذه الاعضاء الثلاثة بالذكر ان الحواس خمسة وهي السمع والبصر والشم والذوق واللمس
واللمس هو الجلد فان الله تعالى ذكر هاهنا ثلاثة انواع من الحواس وهي السمع والبصر واللمس واهمل ذكر
نوعين وهما الذوق والشم فالذوق داخل في اللمس من بعض الوجوه لان ادراك الذوق انما يتاتى
بان يصير جلدة اللسان مماسة لجرم الطعام وكذلك الشم لا يتاتى حتى تصير جلدة الحنك مماسه

لجرم

لجرم المشموم فكانا داخلين في حس اللمس واذا عرف هذا فنقول نقل عن ابن عباس انه قال المراد من شهادة
الجلود شهادة الفروج وهذا من باب الكنايات كما قال لا تواعدوهن سرا واراد النكاح وقال
او جاء احد منكم من الغايط والمراد قضاء الحاجة وقال عليه السلام اول ما يتكلم من الادمي فخذه وكفه
وعلى هذا التقدير فتكون هذه الاية وعيدا شديدا في اتيان الزنا لان مقدمة الزنا انما تحصل بالفخذ
وقال مقاتل تنطق جوارحهم بما كتمته الالسن من عملهم **قوله** وقالوا يعني الكفار الذين يحشرون
الى النار لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون
هذا من جواب الجلود ومعناه ان القادر على خلقكم وانطاقكم في المرة الاولى حال كونكم في الدنيا
ثم على خلقكم وانطاقكم في المرة الثانية وهي حال القيامة والبعث كيف يستبعد منه انطاق الجوارح والاعضاء
قوله وما كنتم تستترون اي تستخفون عند الاقدام على الاعمال القبيحة وقال مجاهد تتقون
وقال قتادة تظنون **قوله** ان يشهد يجوز فيه اوجه احدها من ان يشهد الثاني خيفة ان
يشهد الثالث لاجل ان يشهد وكلاهما بمعنى المفعول له الرابع عن ان يشهد اي ما كنتم تمتنعون
ولا يمكنكم الاختفاء عن اعضايكم والاستتار منها الخامس انه ضمن معنى الظن وفيه بعد **فصل**
معنى الكلام انهم كانوا يستترون عند الاقدام على الاعمال القبيحة لان استتارهم ما كان لاجل خوفهم
من ان يشهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم لانهم كانوا منكرين للبعث والقيامة ولكن ذلك الاستتار
لاجل انهم كانوا يظنون ان الله لا يعلم الاعمال التي يخفونها روي عن ابن مسعود قال كنت مستترا باستار
الكعبة فدخل ثلاثة نفر ثقفيان وقرشي او قرشيان وثقفي كثير شحم بطونهم قليل فقه قلوبهم فقال
احدهم اترون ان الله يسمع ما نقول قال الاخر يسمع ان جهرنا ولا يسمع ان اخفينا وقال الاخر ان كان
يسمع اذا جهرنا سمع اذا اخفينا فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله وما كنتم تستترون
الاية قيل الثقفي عبد ياليل وختناه القرشيان ربيعة وصفوان بن امية **قوله** وذلكم ظنكم فيه
اوجه احدها ان ذلكم رفع بالابتداء وظنكم خبره والذي ظننتم نعته وارداكم حال وقد معه مقدرة
على راي الجمهور خلافا للاخفش ومنع مكي الحالية للخلو من قد وهو ممنوع لما تقدم الثاني ان يكون
ظنكم بدلا والموصول خبره وارداكم حال ايضا الثالث ان يكون الموصول خبرا ثانيا الرابع ان يكون
ظنكم بدلا او بيانا والموصول هو الخبر وارداكم خبرا ثانيا الخامس ان يكون ظنكم والموصول والجملة من
ارداكم اخبارا الا ان ابا حيان رد على الزمخشري قوله وظنكم وارداكم خبران قال لان قوله وذلكم
اشارة الى ظنهم السابق فيصير التقدير وظنكم بربكم انه لا يعلم ظنكم بربكم فاستفيد من الخبر ما
استفيد من المبتدا وهو لا يجوز وهذا نظير ما منعه النحاة من قولك سيد الجارية مالكها وقد منع ابن
عطية كون ارداكم حالا لعدم وجود قد وتقدم الخلاف في ذلك **فصل** قال
المفسرون وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم اي ظنكم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون ارداكم اهلككم
قال ابن عباس طرحكم في النار فاصبحتم من الخاسرين وهذا نص صريح في ان من ظن انه يخرج شيء
من المعلومات عن علم الله فانه يكون من الهالكين الخاسرين قال المحققون الظن قسمان احدهما
حسن والاخر فاسد فالحسن ان يظن بالله عز وجل الرحمة والفضل والاحسان قال عليه السلام حكاية
عن الله تعالى انا عند ظن عبدي بي وقال عليه السلام لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله والظن
القبيح ان يظن انه تعالى يعزب عن علمه بعض هذه الاحوال وقال قتادة والظن نوعان منجي
ومردي فالمنجي قوله اني ظننت اني ملاق حسابيه وقوله الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم والمردي
هو قوله وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم **قوله** فان يصبروا فالنار مثوى لهم اي مسكن لهم
يعني ان امسكوا عن الاستغاثة لفرج ينتظرونه لم يجدوا ذلك وتكون النار مثوى لهم اي مقاما
لهم **قوله** وان يستعتبوا فما هم من المعتبين العامة على فتح الياء من يستعتبوا وكسر التاء الثانية

مستعتبا للمفاعيل فما هم من المعتبين بكسر التاء اسم فاعل ومعناه وان طلبوا العتبى وهي الرضا فما هم ممن يعطاها
والمعتب الذي قبل عتابه واجيب الى ما سال يقال اعتبني فلان اي ارضاني بعد اسخاطه اياي
واستعتبته طلبت منه ان يعتب اي يرضى وقيل المعنى وان طلبوا زوال ما يعتبون فيه فما هم من
المجابين الى ازالة العتب واصل العتب المكان النابي بنازله ومنه قيل لاسكفة الباب والمرقاة
عتبة ويعبر بالعتب عن الغلظة التي يجدها الانسان في صدره على صاحبه وعتبت فلانا ابرزت
له الغلظة وعتبته ازلت عتباه كاشكيته وقيل حملة على العتب وقرا الحسن وعمرو بن عبيد
وان يستعتبوا مبنيا للمفعول فما هم من المعتبين اسم فاعل اي ان يطلب منهم ان يرضوا فما هم فاعلون
ذلك لانهم فارقوا دار التكليف وقيل معناه ان يطلبوا ما لا يعتبون عليه فما هم ممن يزيل العتبى وقال
ابو ذويب * امن المنون وريبها تتوجع * والدهر ليس بمعتب من يجزع * قوله وقيضنا لهم
بعثنا ووكلنا وقال مقاتل هيانا وقال الزجاج سببنا لهم واصل التقييض التيسير والتهيئة
قيضته للداء هياته له ويسرته وهذان ثوبان قيضان اي كل منهما مكافئ للاخر في الثمن والمقايضة
المعارضة وقوله نقيض له شيطانا اي نسهل ليستولي عليه استيلاء القيض على البيض والقيض في
الاصل قشر البيض الاعلى قال الجوهري يقال قايضت الرجل مقايضة اي عارضته بمتاع وهما
قيضان كما يقال بيعان وقيض الله فلانا لفلان اي جاءه به ومنه قوله تعالى وقيضنا لهم قرناء
والمراد بالقرناء النظراء من الشياطين حتى اضلوهم فزينوا لهم ما بين ايديهم من امر الدنيا حتى اثروه على
الاخرة وما خلفهم من امر الاخرة فدعوهم الى التكذيب وانكار البعث وقال الزجاج زينوا لهم ما
بين ايديهم من امر الاخرة انه لا بعث ولا جنة ولا نار وما خلفهم من امر الدنيا وان الدنيا قديمة ولا
صانع الا الطبائع والافلاك وقيل ما بين ايديهم اعمالهم التي يعملون وما خلفهم ما يعزمون ان
يعملوه وقال ابن زيد ما بين ايديهم ما مضى من اعمالهم الخبيثة فصل دلت هذه
الاية على انه تعالى يريد الكفر من الكافر لانه تعالى قيض لهم قرناء فزينوا لهم الباطل وهذا
يدل على انه تعالى اراد منهم الكفر واجاب الجبائي بان قال لو اراد المعاصي لكانوا بفعلها
مطيعين لان الفاعل لما يريد منه غيره يجب ان يكون مطيعا له واجاب ابن الخطيب
بانه لو كان من فعل ما اراده غيره مطيعا له لوجب ان يكون الله مطيعا لعباده اذا فعل ما
ارادوه فهذا الزام للشيء على نفسه وان اردت غيره فلا بد من بيانه حتى ينظر فيه هل يصح ام لا
قوله في امم نصب على الحال من الضمير في عليهم والمعنى كائنين في جملة امم وهذا كقوله
* ان تك عن احسن الصنيعة مافو * كا ففي اخرين قد افكوا * اي في جملة قوم اخرين وقيل في بمعنى
مع فصل احتج اهل السنة بانه تعالى اخبر انه حق عليهم القول فلو لم يكونوا كفارا
لانقلب هذا الخبر الحق باطلا وهذا العلم جهلا وهذا الخبر الصدق كذبا وكل ذلك محال ومستلزم
المحال محال فثبت ان صدور الايمان منهم وعدم صدور الكفر عنهم محال قوله تعالى
وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه الاية اعلم ان الكلام ابتدا من قوله تعالى
وقالوا قلوبنا في اكنة الى قوله انا عاملون واجاب الله تعالى عن تلك الشبهة واتصل الكلام الى هذا
الموضع ثم انه تعالى حكى عنهم شبهة اخرى فقال وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه
العامة على فتح الغين وهي تحتمل وجهين احدهما ان يكون من لغي بالكسر يلغى وفيه معنيان احدهما
من لغي اذا تكلم باللغو وهو ما لا فائدة فيه والثاني انه من لغي بكذا اي رمي به فيكون في بمعنى الباء
اي ارموا به وانبذوه والثاني من الوجهين الاولين ان يكون من لغا بالفتح يلغا بالفتح ايضا حكاه
الاخفش وكان قياسه الضم كغزا يغزو ولكنه فتح لاجل حرف الحلق وقرا قتادة وابو حيوة وابو السمال
والزعفراني وابن ابي اسحق وعيسى بضم الغين من لغا بالفتح يلغو كدعا يدعو وفي الحديث فقد

لغوت وهذه موافقة لقراءة غير الجمهور فصل قال ابن عباس يعني الغطوا فيه كان بعضهم
يوصي بعضا اذا رايتم محمدا يقرا فعارضوه بالرجز والشعر واللغو قال مجاهد والغوا فيه بالمكاء
والتصفيق والتصدية وقال الضحاك اكثروا الكلام فيختلط عليه ما يقول وقال ابو العالية قعوا فيه وعيبوه لعلكم
تغلبون على قراءته وهذا جهل منهم لانهم في الحال اقروا بانهم مشتغلون باللغو الباطل من العمل والله تعالى
ينصر محمدا بفضله ولما ذكر الله تعالى ذلك هددهم بالعذاب الشديد فقال فلنذيقن الذين كفروا
عذابا شديدا وهذا تهديد شديد لان لفظ الذوق انما يذكر في القدر القليل الذي يؤتى
به لاجل التجربة ثم انه تعالى ذكر ان ذلك الذوق عذاب شديد فاذا كان القليل منه عذابا
شديدا فكيف يكون حال الكثير منه ثم قال ولنجزينهم اسوأ الذي كانوا يعملون قال اكثر العلماء
المراد بالاسوأ اي اقبح اعمالهم وهو الشرك وقال الحسن المراد منه انه لا يجازيهم على محاسن اعمالهم لانهم
احبطوها بالكفر فضاعت اعمالهم الحسنة ولم يبق معهم الا الاعمال القبيحة فلا جرم لم يحصل الا جزاء
السيئات قوله ذلك فيه وجهان احدهما انه مبتدا وجزاء خبره والثاني انه خبر مبتدا محذوف
اي الامر ذلك وجزاء اعداء الله النار جملة مستقلة مبينة للجملة قبلها قوله النار فيه ثلاثة
اوجه احدها انها بدل من جزاء وفيه نظر اذ البدل يحل محل المبدل منه فيصير التقدير ذلك النار
الثاني انها خبر مبتدا مضمر الثالث انها مبتدا ولهم فيها دار الخلد الخبر ودار [illegible]
بالفاعلية او الابتداء وقوله فيها دار الخلد يقتضي ان يكون دار الخلد غير النار وليس الامر كذلك بل
النار هي نفس دار الخلد واجيب عن ذلك بانه قد يجعل الشيء ظرفا لنفسه باعتبار متعلقه على سبيل
المبالغة كان ذلك المتعلق صار مستقرا له وهو ابلغ من نسبة المتعلق اليه على سبيل الاخبار به
عنه ومثله قول الاخر * وفي الله ان لم تنصفوا حكم عدل * وقوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله
اسوة حسنة فالرسول هو نفس الاسوة كذا اجابوا وفيه نظر اذ الظاهر وهو معنى صحيح منقول ان في
النار دارا تسمى دار الخلد والنار محيطة بها قوله جزاء في نصبه ثلاثة اوجه احدها انه منصوب
بفعل مقدر وهو مصدر مؤكد اي تجزون جزاء الثاني ان يكون منصوبا بالمصدر الذي قبله
وهو جزاء اعداء الله والمصدر ينصب بمثله كقوله فان جهنم جزاؤكم جزاء الثالث ان ينتصب
على انه مصدر واقع موقع الحال وبما متعلق بجزاء الثاني ان لم يكن مؤكدا وبالاول ان كان وبآياتنا
يتعلق بيجحدون فصل لما قال ولنجزينهم اسوأ الذي كانوا يعملون بين ان ذلك الاسوأ الذي
جعل جزاء اعداء الله هو النار ثم قال لهم فيها دار الخلد اي لهم في جملة النار دار معينة وهي
دار العذاب المخلد جزاء بما كانوا باياتنا يجحدون اي يلغون في القراءة وسماه جحودا لانهم لما علموا ان
القرآن بالغ الى حد الاعجاز خافوا من انه لو سمعه الناس لآمنوا به فاستخرجوا تلك الطريقة الفاسدة
وذلك يدل على انهم علموا كونه معجزا وانهم جحدوا حسدا قال الزمخشري اي بما كانوا يلغون فيذكر
الجحود لانه سبب اللغو يعني انه من باب اقامة السبب مقام المسبب وهو مجاز قوله
وقال الذين كفروا ربنا ارنا اللذين اضلانا الاية تقدم الخلاف في ارنا وفي نون اللذين وقال
الخليل اذا قلت ارني ثوبك بالكسر فمعناه بصرنيه وبالسكون اعطنيه فصل لما بين
ان الذي حملهم على الكفر الموجب للعقاب الشديد مجالسة قرناء السوء بين ان الكفار في النار يقولون
ربنا ارنا اللذين اضلانا من الجن والانس ومعناه ان الشيطان على نوعين جني وانسي قال تعالى
وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن وقال الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة
والناس وقيل هما ابليس وقابيل ابن ادم الذي قتل اخاه لان الكفر سنه ابليس والقتل بغير حق
سنه قابيل فهما سنا المعصية نجعلهما تحت اقدامنا في النار ليكونا من الاسفلين قال مقاتل
ليكونا اسفل منا في النار وقال الزجاج ليكونا في الدرك الاسفل وقال بعض الحكماء المراد باللذين

يعني لان الشهوة والغضب والمراد بجعلهما تحت اقدامهم كونهما مسخرين للنفس مطيعين لها وان لا
يكونا مستولين عليها قاهرين لها **قوله تعالى** ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا الاية
لما ذكر الوعيد اردفه بذكر الوعد كما هو الغالب واعلم ان ثم للتراخي في الرتبة في الفضيلة سئل
ابو بكر الصديق رضي الله عنه عن الاستقامة فقال ان لا تشرك بالله شيئا وقال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه الاستقامة ان تستقيم على الامر والنهي ولا تروغ روغان الثعلب وقال عثمان رضي الله
عنه اخلصوا العمل لله وقال علي رضي الله عنه ادوا الفرائض وقال ابن عباس استقاموا على
اداء الفرائض وقال الحسن استقاموا على امر الله بطاعته واجتنبوا معصيته وقال مجاهد وعكرمة
استقاموا على شهادة ان لا اله الا الله حتى لحقوا بالله وقال قتادة كان الحسن اذا تلا هذه الاية
قال اللهم ربنا فارزقنا الاستقامة **قوله** تتنزل عليهم الملائكة قال ابن عباس عند الموت
وقال قتادة ومقاتل اذا قاموا من قبورهم وقال وكيع بن الجراح البشرى تكون في ثلاثة مواطن
عند الموت وفي القبر وعند البعث **قوله** ان لا تخافوا يجوز في ان ان تكون المخففة او المفسرة
او الناصبة ولا ناهية على الوجهين الاولين ونافية على الثالث وقد تقدم ما في ذلك من الاشكال
والتقدير بان لا تخافوا اي بانتفاء الخوف وقال ابو البقاء التقدير بان لا تخافوا او قائلين ان لا تخافوا
فعلى الاول هو حال اي نزلوا بقولهم لا تخافوا وعلى الثاني الحال محذوفة وقال شهاب الدين يعني ان الباء
المقدرة حالية فالحال غير محذوفة وعلى الثاني الحال هو القول المقدر وفيه تسامح والا فالحال محذوفة
في الموضعين وكما قام المقول مقام الحال لكن قام الجار مقامها وقرا عبد الله لا تخافوا باسقاط ان
وذلك على اضمار القول اي يقولون لا تخافوا **فصل** الا تخافوا من الموت قال مجاهد لا تخافون
على ما تقدمون عليه من امر الاخرة ولا تحزنوا على ما خلفتم من اهل وولد فانا نخلفكم في ذلك كله
وقال عطا بن ابي رباح لا تخافوا ولا تحزنوا على ذنوبكم فانا نغفرها لكم **قوله** وابشروا بالجنة
التي كنتم توعدون **فان قيل** البشارة عبارة عن الخبر الاول بحصول المنافع فاما
اذا اخبر الرجل بحصول المنفعة ثم اخبر ثانيا بحصولها كان الاخبار الثاني اخبارا ولا يكون
بشارة والمؤمن قد يسمع بشارات الخير فاذا سمع المؤمن هذا الخبر من الملائكة وجب ان يكون
هذا اخبارا ولا يكون بشارة فما السبب في تسمية هذا الخبر بشارة فالجواب ان المؤمن قد
يسمع بشارات الخير بان له الجنة اما [illegible] البتة انه من اهل الجنة فاذا سمع هذا الكلام من
الملائكة كان اخبارا بنفع عظيم مع انه هو الخبر الاول فكان ذلك بشارة واعلم ان هذا الكلام يدل
على ان المؤمن عند الموت وفي القبر وعند البعث يكون فارغا من الاهوال والفزع الشديد **قوله**
نحن اولياؤكم في الحيوة الدنيا وفي الاخرة وهذا في مقابلة ما ذكره في وعيد الكفار حيث قال
وقيضنا لهم قرناء قال السدي تقول الملائكة نحن الحفظة الذين كنا معكم في الدنيا ونحن اولياؤكم
في الاخرة اي لا نفارقكم حتى تدخلوا الجنة ولكم فيها ما تشتهي انفسكم من الكرامات واللذات ولكم
فيها ما تدعون اي ما تتمنون **فان قيل** على هذا التفسير لا فرق بين قوله ولكم
فيها ما تشتهي انفسكم وبين قوله ولكم فيها ما تدعون قال ابن الخطيب والاقرب عندي ان قوله
ولكم فيها ما تشتهي انفسكم اشارة الى الجنة الروحانية المذكورة في قوله دعواهم فيها سبحانك اللهم
الاية **قوله** نزلا فيه اوجه احدها انه منصوب على الحال من الموصول او من عائده والمراد بالنزل
الرزق المعد للنازل كانه قيل ولكم فيها الذي تدعونه حال كونه معدا الثاني انه حال من فاعل
تدعون او من الضمير في لكم على انه يكون نزلا جمع نازل كصابر وصبر وشارف وشرف الثالث انه
مصدر مؤكد وفيه نظر لان مصدر نزل النزول لا النزل وقيل هو مصدر انزل **قوله** من
غفور يجوز تعلقه بمحذوف على انه صفة لنزلا وان يتعلق بتدعون اي تطلبونه من جهة غفور

رحيم

رحيم وان يتعلق بما تعلق به الظرف في لكم من الاستقرار اي استقر لكم من جهة غفور رحيم قال ابو البقاء
فيكون حالا من ما قال شهاب الدين لا بد هذا البيان منه ليس بواضح بل هو متعلق بالاستقرار فهو فضلة
كسائر الفضلات وليس بحال الا من ما [illegible] **قوله تعالى** ومن احسن قولا ممن دعا الى الله الاية
قال ابن سيرين والسدي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الناس الى شهادة ان لا اله الا الله وقال
الحسن هو المؤمن الذي اجاب الله في دعوته ودعا الناس الى ما اجاب اليه وعمل صالحا في اجابته وقال
انني من المسلمين وقالت عائشة اظن هذه الاية نزلت في المؤذنين وقال عكرمة هو المؤذن وقال ابو
امامة الباهلي وعمل صالحا ركعتين بين الاذان والاقامة وقال قيس بن ابي حازم هو الصلوة بين الاذان
والاقامة **قوله** وقال انني العامة على انني بنونين وابن ابي عبلة وابن نوح بنون واحدة
قوله ولا السيئة في لا هذه وجهان احدهما انها زائدة للتوكيد كقوله ولا الظل ولا الحرور وكقوله
ولا المسيء لان استوى لا يكتفي بواحد والثاني انها مؤسسة غير مؤكدة اذ المراد بالحسنة والسيئة
الجنس اي لا تستوي الحسنات في انفسها فانها متفاوتة ولا تستوي السيئات ايضا فرب واحدة اعظم من
اخرى وهو ماخوذ من كلام الزمخشري وقال ابو حيان فان اخذت الحسنة والسيئة جنسا لم يكن
زيادتها كزيادتها في الوجه الذي قبل هذا قال شهاب الدين فقد جعلها في المعنى الثاني زايدة
وفيه نظر لما تقدم **فصل** قال المفسرون المراد بالحسنة الصبر وبالسيئة الغضب
وقيل الحلم والجهل وقيل العفو والاساءة قال ابن الخطيب لما حكى الله تعالى عنهم قولهم قلوبنا
في اكنة وامر [illegible] على دينه وبعدم التاثر بذلك [illegible] محمد صلى الله عليه وسلم الطيب في
الجواب عن شبهاتهم ثم رغب محمدا صلى الله عليه وسلم في ان لا يترك الدعوة الى الله بقوله ان الذين
قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلهم الثواب العظيم ثم ترقى من تلك الدرجة الى درجة اخرى وهي ان
الدعوة الى الله اعظم الدرجات ثم كان سائلا قال ان الدعوة الى الله وان كانت طاعة عظيمة الا ان
الصبر على سفاهة الكفار شديد فذكر الله تعالى ما يصلح لان يكون دافعا لهذا الاشكال فقال
ولا تستوي الحسنة ولا السيئة والمراد بالحسنة دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم الى الدين الحق والصبر
على جهالة الكفار وترك الانتقام وترك الالتفات اليهم والمراد بالسيئة ما اظهروه من خلافه
من قولهم قلوبنا في اكنة وقولهم لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه فكانه قال يا محمد فعلك حسنة
وفعلهم سيئة ولا تستوي الحسنة ولا السيئة انت اذا اتيت بهذه الحسنة استوجبت التعظيم في
الدنيا والثواب في الاخرة وهم بالضد من ذلك فلا ينبغي ان يكون اقدامهم على تلك السيئة مانعا
لك من الاشتغال بهذه الحسنة ثم قال ادفع بالتي هي احسن يعني ادفع سفاهتهم وجهالتهم بالطريق التي
هي احسن الطرق قال ابن عباس امر بالصبر عند الغضب وبالحلم عند الجهل وبالعفو عند الاساءة
والمعنى انك اذا صبرت على سوء اخلاقهم مرة بعد اخرى ولم تقابل سفاهتهم بالغضب استحيوا من
تلك الاخلاق المذمومة وتركوا افعالهم القبيحة وانقلبوا من العداوة الى المحبة ومن البغضاء
الى المودة فقال فاذا الذي بينك وبينه عداوة يعني اذا فعلت ذلك خضع لك عدوك فصار
الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم اي كالصديق القريب قال مقاتل بن حيان نزلت
في ابي سفيان بن حرب وذلك لانه لان للمسلمين بعد شدة عداوته بالمصاهرة التي حصلت بينه
وبين النبي صلى الله عليه وسلم ثم اسلم فصار وليا بالاسلام وحميما بالقرابة **قوله** كانه ولي في
هذه الجملة التشبيهية وجهان احدهما انها في محل نصب على الحال والموصول مبتدا واذا التي للمفاجاة
خبره والعامل في هذا الظرف من الاستقرار هو العامل في هذه الحال ومحط الفائدة في هذا
الكلام هي الحال والتقدير فبالحضرة المعادي مشبها القريب الشفوق والثاني ان الموصول مبتدا
ايضا والجملة بعده خبره واذا معمولة لمعنى التشبيه والظرف يتقدم على عامله المعنوي هذا ان [illegible]

الفاطري ولا يقبل انها حرف قال لانها من **قوله** وما يلقاها الضمير عائد على بلقاها من الثلاثة ولا يركيد في موضع دليل يخرجها عن الملاقاة والضمير للخصلة او الكلمة او الجنة او شهادة التوحيد **فصل** المعنى ما يلقى هذه الخصلة الى الطريق النافع في الدين والدنيا قال وما يلقاها الا الذين صبروا وقال الزجاج وما يلقى هذه الفعلة الا الذين صبروا على تحمل المكاره وتجرع الشدائد وكظم الغيظ وترك الانتقام وما يلقاها الا ذو حظ عظيم من الفضائل النفسانية وقال قتادة الحظ العظيم الجنة اي وما يلقاها الا من وجبت له الجنة **قوله** واما ينزغنك من الشيطان نزغ الاية تقدم تفسيرها في اخر سورة الاعراف قال الزمخشري النزغ والنسغ بمعنى واحد وهو شبه النخس والشيطان ينزغ الانسان كانه ينخسه يبعثه على ما لا ينبغي والمعنى وان صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتي هي احسن فاستعذ بالله من شره انه هو السميع لاستعاذتك العليم بافعالك واحوالك **قوله تعالى** ومن اياته الليل والنهار الاية لما بين تعالى في الاية المتقدمة ان احسن الاعمال والاقوال هو الدعوة الى الله وهي عبارة عن تقرير الدلائل الدالة على ذات الله وصفاته ومن جملتها العالم بجميع اجزائه فبدا ههنا بذكر الفلكيات وهي الليل والنهار والشمس والقمر وقدم ذكر الليل على ذكر النهار تنبيها على ان الظلمة عدم والنور وجود والعدم سابق على الوجود وهذا كالتنبيه على وجود الصانع وتقدم شرحه مرارا وتقدم ايضا ان الشمس والقمر محدثان وهما دليلان على وجود الاله القادر فقال لا تسجدوا للشمس ولا للقمر يعني انهما عبدان ودليلان على وجود الاله والسجود عبارة عن نهاية التعظيم وهو لا يليق الا بمن كان اشرف الموجودات فقال لا تسجدوا للشمس ولا للقمر لانهما عبدان مخلوقان واسجدوا لله الخالق القادر الحكيم **قوله** خلقهن في هذا الضمير ثلاثة اوجه احدها انه يعود على الليل والنهار والشمس والقمر وجيء الضمير كضمير الاناث كما قال الزمخشري ان جمع ما لا يعقل حكمه حكم الانثى والاناث نحو الاقلام بريتها او بريتهن ذكره ابو حيان بان جمع ما لا يعقل يفرق بين جمع القلة والكثرة في ذلك لان الافصح في جمع القلة ان يعامل معاملة الاناث وفي جمع الكثرة ان يعامل معاملة الانثى فالافصح ان يقال كسرتهن والجذوع كسرتها والذي تقدم في هذه الاية ليس بجمع قلة اعني بلفظ واحد ولكنه ذكر اربعة متعاطفة فتنزلت منزلة الجمع المعبر عنها بلفظ واحد قال شهاب الدين والزمخشري ليس في مقام بيان الفصيح والافصح بل في مقام كيفية مجيء الضمير ضمير اناث بعد تقدم ثلاثة اشياء مذكرات وواحد مؤنث فالقاعدة تغليب المذكر على المؤنث او لما قال ومن اياته كن في معنى الايات فقيل خلقهن ذكره الزمخشري ايضا انه يعود على لفظ الايات وهذا هو الوجه الثاني الثالث انه يعود على الشمس والقمر لان الاثنين جمع والجمع مؤنث لقولهم شموس واقمار وقال البغوي انما قال خلقهن بالتانيث لانه اجراها على طريق جمع التكسير ولم يجر على طريق التغليب للمذكر على المؤنث **قوله** ان كنتم اياه تعبدون قيل كان ناس يسجدون للشمس والقمر كالصابئين في عبادتهم الكواكب ويزعمون انهم يقصدون بالسجود لهما السجود لله فنهوا عن هذه الواسطة وامروا ان لا يسجدوا الا لله الذي خلق هذه الاشياء **قوله** فان استكبروا اي عن السجود فالذين عند ربك يعني الملائكة يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسامون لا يملون **فان قيل** ان الذين يسجدون للشمس والقمر يقولون نحن اقل واذل من ان يحصل لنا اهلية لعبادة الله تعالى ولكنا عبيد للشمس والقمر وهما عبدان لله تعالى واذا كان قولهم هكذا فكيف يليق بهم انهم استكبروا عن السجود لله تعالى **فالجواب** ليس المراد من الاستكبار ههنا ما ذكرتم بل المراد استكبارهم عن قبول قولك يا محمد بالنهي عن السجود للشمس والقمر **فصل** قال ابن الخطيب ليس المراد بهذه العندية قرب المكان بل يقال عند الملك من الجند كذا وكذا ويدل عليه قوله انا عند ظن عبدي بي وانا عند

المنكسرة قلوبهم من اجلي وفي مقعد صدق عند مليك مقتدر ويقال عند الشافعي ان المسلم لا يقتل بالذمي **فصل** دلت هذه الاية على ان الملك افضل من البشر لانه تعالى استدل بذلك على ان الاعلى لا يليق به الاستكبار فلما قال الا ان الذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار **فان قيل** وصف الملائكة بانهم يسبحون له بالليل والنهار وهذا يدل على مواظبتهم على التسبيح لا يفترون عنه لحظة واحدة كما قال يسبحون الليل والنهار لا يفترون واشتغالهم بهذا العمل على سبيل الدوام يمنعهم من الاشتغال بسائر الاعمال لكنهم ينزلون الى الارض كما قال تعالى نزل به الروح الامين على قلبك وقال ينزل الملائكة بالروح وقال في ضيف ابراهيم وقال في الملائكة الذين قاتلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين فالجواب ان الذين ذكرهم الله ههنا بكونهم مواظبين على التسبيح اقوام معينون من الملائكة **فصل** اختلفوا في مكان السجدة فقال الشافعي رضي الله عنه عند قوله تعالى اياه تعبدون وقال ابو حنيفة هو عند قوله تعالى وهم لا يسامون **قوله** ومن اياته انك ترى الارض خاشعة اي يابسة غبراء لا نبات فيها فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت اي تحركت بالنبات تنتفخ ثم تتصدع عن النبات واعلم انه تعالى لما ذكر الدلائل الاربعة الفلكية اتبعها بذكر الدلائل الارضية وهي هذه الاية ثم قال ان الذي احياها لمحيي الموتى يعني ان القادر على احياء الارض بعد موتها هو القادر على احياء هذه الاجساد بعد موتها ثم قال انه على كل شيء قدير وهذا هو الدليل الاصلي **قوله تعالى** ان الذين يلحدون في اياتنا الاية لما بين ان الدعوة الى دين الله تعالى اعظم المناصب واشرف المراتب ثم بين ان الدعوة انما تحصل بذكر دلائل التوحيد والعدل وصحة البعث والقيامة عاد الى تهديد من ينازع في تلك الايات ويجادل بالباطل فيها فقال ان الذين يلحدون في اياتنا لا يخفون علينا يقال الحد الحافر ولحد اذا مال عن الاستقامة بحفر في شق فالملحد هو المنحرف ثم اختص في العرف بالمنحرف عن الحق الى الباطل قال مجاهد يلحدون في اياتنا بالمكاء والتصدية واللغو واللغط وقال قتادة يكذبون في اياتنا وقال السدي يعاندون ويشاقون لا يخفون علينا وهذا تهديد كقول الملك المهيب ان الذين ينازعون في ملكي اعرفهم فان ذلك يكون تهديدا ثم قال افمن يلقى في النار خير ام من ياتي امنا يوم القيامة وهذا استفهام بمعنى التقرير والغرض منه التنبيه على ان الملحدين في الايات يلقون في النار وان المؤمنين بالايات ياتون امنين يوم القيامة قيل هو ابو جهل وقيل عثمان وقيل عمار بن ياسر ثم قال اعملوا ما شئتم وهذا امر تهديد وفيه ايضا انه بما تعملون بصير اي عالم باعمالكم فيجازيكم **قوله** ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم في خبرها ستة اوجه احدها انه مذكور وهو قوله اولئك ينادون من مكان بعيد وسئل بلال بن ابي بردة عن ذلك في مجلسه فقال لم اجد لها نفاذا فقال له ابو عمرو بن العلاء انه منك لقريب اولئك ينادون فقد استبعد هذا من وجهين احدهما كثرة الفواصل والثاني تقدم من تصح الاشارة اليه بقوله اولئك وهو قوله والذين لا يؤمنون واسم الاشارة يعود على اقرب مذكور الثاني انه محذوف لفهم المعنى فقدره معذبون او مهلكون او معاندون وقال الكسائي سد مسده ما تقدم من الكلام قبل ان وهو قوله افمن يلقى في النار يعني في الدلالة عليه والتقدير يخلدون في النار وقال البغوي مجازون بكفرهم وقيل خبره وانه لكتاب عزيز ... فقال الحوفي في التفسير ... كفروا بالذكر لما جاءهم كفروا به وقيل ... حيث انحاط الخبر ... عنه في المعنى ... الجارية ما لكتاب الثالث ان الخبر الجملة الثانية ... الذين الاولى والمحكوم به على الذين المحكوم به على الجملة ... فيلزم ان يكون الخبر ... منتزع من كلام الزمخشري الرابع ان الخبر قوله لا ياتيه الباطل والعائد محذوف تقديره لا ياتيه

المبالغة في التهديد ... أي ... أو يكون الخبر منها من المضمر ... أي الحكم ...
أي الباقي ... لما جاءهم بالذكر الآية ... قوله: ما يقال لك وأنها بدل محذوف أيضاً
تقديره ... الذين كفروا بالذكر ... ما قد قيل للرسل من قبلك وهذا ...
... قوله وإنه لكتاب عزيز ... [illegible]
قوله وإنه لكتاب عزيز جملة حالية ... لا يأتيه الباطل ... الكتاب ... [illegible]
... أو صفة ... الآية ... [illegible]
من ... على الصحيح ... تنزيل من حكيم حميد ... الباطل
... فاعل ... قيل ... كالعافية والعاقبة **فصل** ... البالغ في ... الملحدين ... آيات
القرآن ... ببيان تعظيم القرآن ... وإنه لكتاب عزيز ... الكلبي عن ابن عباس ... كريم على
الله ... قتادة ... أعزه الله ... لا يأتيه الباطل ... قتادة والسدي الباطل هو الشيطان
لا يستطيع أن يغيره أو يزيد فيه أو ينقص منه ... الزجاج ... أنه محفوظ من أن ينقص منه
فيأتيه الباطل من بين يديه أو يزاد فيه فيأتيه الباطل من خلفه ... الباطل هو الزيادة
والنقصان ... لا يأتيه التكذيب من الكتب التي قبله ولا يجيء بعده كتاب يبطله
وقال الزمخشري ... المقصود أن الباطل لا يتطرق إليه ولا يجد إليه سبيلاً من جهة من الجهات
حتى يصل إليه **فصل** ... على أنه لم يوجد
النسخ فيه لأن النسخ إبطال ... الباطل من خلفه وهذا ... الآية ثم
قوله تنزيل من حكيم حميد أي حكيم في جميع أفعاله حميد ... بسبب كثرة نعمه
ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك ... آيات الله ... آيات
الله ... كتاب الله ... بأن يصبر على أذى قومه ... بسبب
ما حكاه عنهم في أول السورة وهو قولهم قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه ... فقال
ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك ... ساحر وكذبوهم كما كذبت وقيل
المراد ... **قوله** ... الأقوام
إن ربك لذو مغفرة ... لذو ... ومعناه
لذو مغفرة ... وذو عقاب أليم ... على التكذيب **قوله** ولو جعلناه أي جعلنا
هذا الكتاب الذي تقرؤه على الناس قرآناً أعجمياً بغير لغة العرب لقالوا لولا فصلت آياته أي هلا
بينت آياته بالعربية حتى نفهمها **قوله** أأعجمي ... وتحقيق الهمزة ...
الأولى والباقون ... الكتاب ...
الكتاب ... الكتاب أعجمي ... عربي ...
... أعجمي ... عربي ... استفهام ... ففيه
...
... ويكون
هلا فصلت آياته ... العرب ... والأعجمي من لا يفصح وإن
كان من العرب ... الوصف ...
فيه ... الزمخشري ...
... رجل أعجمي ... رجل أعجم وأعجمي ...
... أعجمي ... وإن كان فصيحاً
... أحدها أنه مبتدأ والخبر

محذوف تقديره ... أعجمي وعربي ... والثاني أنه خبر مبتدأ محذوف أي هو القرآن أعجمي والمرسل به
عربي الثالث أنه فاعل فعل مضمر أي أيستوي أعجمي وعربي وهذا ضعيف ... لا يحذف الفعل إلا في مواضع
تقدم بيانها **فصل** قال المفسرون هذا استفهام على وجه الإنكار أي أكان يقولون
المنزل عليه عربي والمنزل أعجمي ... أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدخل على يسار غلام عامر
ابن الحضرمي وكان يهودياً أعجمياً يكنى أبا فكيهة فقال المشركون إنما يعلمه يسار فضربه سيده وقال إنك
تعلم محمداً فقال يسار هو يعلمني فأنزل الله تعالى هذه الآية **قال** ابن الخطيب نقلوا في نزول
هذه الآية أن الكفار لأجل التعنت قالوا لولا نزل القرآن بلغة العجم فنزلت هذه الآية وعندي
أن أمثال هذه الكلمات فيها حيف عظيم على القرآن لأنه يقتضي ورود آيات لا تعلق للبعض فيها
بالبعض وأنه يوجب أعظم أنواع الطعن فكيف يتم مع التزام مثل هذا الطعن ادعاء كونه كتاباً منتظماً
فضلاً عن ادعاء كونه معجزاً بل الحق عندي أن هذه السورة من أولها إلى آخرها كلام واحد على ما حكى
الله عنهم من قولهم قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر فهذا الكلام متعلق به وجواب
له والتقدير أنا لو أنزلنا هذا القرآن بلغة العجم لكان لهم أن يقولوا كيف أرسلت الكلام العجمي
إلى القوم العرب ويصح لهم أن يقولوا قلوبنا في أكنة من هذا الكلام وفي آذاننا وقر منه لأنا لا نفهمه
ولا نحيط بمعناه أما لما أنزلنا هذا الكتاب بلغة العرب وبألفاظهم وأنتم من أهل هذه اللغة فكيف
يمكنكم ادعاء أن قلوبكم في أكنة منها وفي آذانكم وقر منها فظهر أنا إذا جعلنا هذا الكلام جواباً
عن ذلك الكلام بقيت السورة من أولها إلى آخرها على أحسن وجوه النظم وأما على الوجه الذي يذكره
الناس فهو عجيب جداً **قوله** قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء أي قل يا محمد هو يعني القرآن للذين
آمنوا هدى وشفاء هدى من الضلالة وشفاء لما في القلوب وقيل شفاء من الأوجاع **قال** ابن
الخطيب هذا متعلق بقولهم وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه الآية كأنه تعالى يقول إن هذا
الكلام أرسلته إليكم بلغتكم لا بلغة أجنبية عنكم فلا يمكنكم أن تقولوا قلوبنا في أكنة منه بسبب جهلنا
هذه اللغة فكل من أعطاه الله طبعاً مائلاً إلى الحق وقلباً داعياً إلى الصدق وهمة تدعوه إلى بذل الجهد
في طلب الدين فإن هذا القرآن يكون في حقه هدى وشفاء أما كونه هدى فإنه إذا أعطاه الاهتداء فقد
حصل الهدى وذلك شفاء له من مرض الكفر والجهل وأما من غرق في بحر الخذلان وتمسك بمتابعة الشيطان
فكان هذا القرآن عليهم عمى كما قال ومن بيننا وبينك حجاب أولئك ينادون من مكان بعيد بسبب
ذلك الحجاب الحائل بينه وبين الانتفاع ببيان القرآن وكل من أنصف ولم يتعسف علم أن التفسير
على هذا الوجه الذي ذكرناه أولى مما ذكروه لأن السورة تصير من أولها إلى آخرها كلاماً واحداً
منتظماً مسوقاً نحو غرض واحد **قوله** والذين لا يؤمنون فيه ثلاثة أوجه أحدها أن يكون
مبتدأ و في آذانهم خبره و وقر فاعل أو في آذانهم خبر مقدم و وقر مبتدأ مؤخر والجملة خبر الأول الثاني
أن وقر خبر مبتدأ مضمر والجملة خبر الأول والتقدير والذين لا يؤمنون هو وقر في آذانهم لما أخبر
عنه بأنه هدى لأوليك أخبر عنه أنه وقر في آذان هؤلاء وعمى عليهم قال معناه الزمخشري إلا أنه قال
إلى الإضمار مع تمام الكلام بدونه الثالث أن يكون الذين لا يؤمنون عطفاً على الذين آمنوا ووقر
عطف على هدى وهذا من باب العطف على معمولي عاملين وفيه مذاهب تقدم تحريرها **قوله**
عمى العامة على فتح الميم المنونة وهو مصدر لعمي يعمى عمى نحو صدي يصدى صدى وهوي يهوى هوى
وقرأ ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وجماعة عم بكسرها منونة اسماً منقوصاً وصف بذلك مجازاً
وقرأ عمرو بن دينار ورويت عن ابن عباس عمي بكسر الميم وفتح الياء فعلاً ماضياً وفي الضمير وجهان أظهرهما
أنه للقرآن والثاني أنه للوقر والمعنى يأباه وفي آذانهم إن لم تجعله خبراً تعلق بمحذوف على أنه حال
منه لأنه صفة في الأصل ولا يتعلق به لأنه مصدر فلا يتقدم معموله عليه وقوله وهو عليهم عمى كذلك

بقراءة العامة وأما في القراءتين المتقدمتين فيتعلق بعلي بما بعده إذ ليس عمه ر قال أبو عبيد
ولا يجيء النحو لقوله هدى يقتضي لكنك يقرن بشبهتها ولو كان المذكور له ما بدونها
لكان الكلام عن وجهه فيكون نصا لها **فصل** قال قتادة عموا عن القرآن وصموا عنه لا يتقي
به أو فيكفيه ينادون من مكان بعيد قال ابن عباس يريد مثل البهيمة التي لا تفهم إلا دعاء ونداء وقيل
من يتبعه من مكان بعيد لم يسمع وإن سمع لم يفهم هكذا حال هؤلاء لوجهها اشغل لقلة انتفاعهم بما يوعظون
به **قوله تعالى** ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه وجه تعلقه بما قبله كأنه قيل
إنا لما آتينا موسى الكتاب فتقبله بعضهم ورده آخرون كذلك آتيناك هذا الكتاب فتقبله بعضهم
وهم أصحابك ورده آخرون وهم الذين يقولون قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه ثم قال سبحانه ولولا كلمة
سبقت من ربك يعني في تأخير العذاب عنهم إلى أجل مسمى وهو يوم القيامة لقضي بينهم يعني المصدق والمكذب
بالعذاب الواقع أي لفرغ من عذابهم وعجل إهلاكهم وإنهم لفي شك منه أي من صدقك وكتابك مريب موقع
لهم الريبة فلا ينبغي أن يعظم استيحاشك من قولهم قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه ثم قال من عمل صالحا
فلنفسه ومن أساء فعليها يعني خفف على نفسك إعراضهم فإنهم إن آمنوا فنفع إيمانهم يعود عليهم
وإن كفروا فضرر كفرهم يعود عليهم والله سبحانه يوصل إلى كل أحد ما يليق بعمله من الجزاء وما ربك بظلام
للعبيد **قوله** فلنفسه يجوز أن يتعلق بفعل مقدر أي فلنفسه عمله وأن يكون خبرا مبتدأ مضمر
أي فالعمل الصالح لنفسه وقوله فعليها مثله ثم قال وما ربك بظلام للعبيد والكلام على نظيره
قد تقدم في سورة آل عمران عند قوله وأن الله ليس بظلام للعبيد **قوله** إليه يرد علم الساعة لما هدد
الكفار بقوله من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ومعناه أن جزاء كل أحد يصل إليه يوم القيامة فكان
سائلا قال ومتى يكون ذلك اليوم فقال تعالى إنه لا سبيل للخلق إلى معرفة وقت ذلك اليوم ولا يعلمه إلا
الله فقال إليه يرد علم الساعة وهذه الكلمة تفيد الحصر أي لا يعلم وقت الساعة بعينه إلا الله
وكذلك العلم بحدوث الحوادث المستقبلة في أوقاتها المعينة ليس إلا عند الله ثم ذكر من أمثلة هذا الباب
مثالين أحدهما قوله وما تخرج من ثمرة من أكمامها والثاني قوله وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه
قوله وما تخرج من ثمرة ما هذه يجوز أن تكون نافية وهو الظاهر وأن تكون موصولة جوز ذلك
أبو البقاء ولم يبين وجهه وبيانه أنها تكون مجرورة المحل عطفا على الساعة أي علم الساعة وعلم التي تخرج
ومن ثمرة على هذا حال أو يكون من قبيل وصف الثانية لأنها الغاية وأما ما الثانية فنافية فقط
قال أبو البقاء لأنه عطف ولا تضع ثم نقض النفي بإلا ولو كانت بمعنى الذي معطوفة على الساعة لم
يجز ذلك وقرأ نافع وابن عامر ثمرات وتقويها أنها رسمت بالتاء المطولة والباقون ثمرة بالإفراد
والمراد بها الجنس فإن كانت ما نافية كانت من مزيدة في الفاعل وإن كانت موصولة كانت للبيان
كما تقدم **من أكمامها** جمع كم بكسر الكاف كذا ضبطه الزمخشري وهو ما يغطي الثمرة كجف الطلع
وقال الراغب الكم ما يغطي اليد من القميص وما يغطي الثمرة والجمع أكمام وهذا يدل على أنه مضموم الكاف إذ جعله مشتركا بين كم القميص وكم الثمرة ولا خلاف في كم القميص أنه
بالضم فيجوز أن يكون في وعاء الثمرة لغتان دون كم القميص جمعا بين قوليهما وأما أكمة فواحدها كمام
كأزمة وزمام قال أبو عبيدة أكمامها أوعيتها وهي ما كانت فيه الثمرة واحدها كم وكمة قال
ابن عباس يعني الكفرى قبل أن تنشق وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه أي إليه يرد علم الساعة
كما يرد إليه علم الثمار والنتاج **قوله** ويوم يناديهم أين شركائي أي يحتسب زعمكم واعتقادكم
فتح ابن كثير ياء شركاي قالوا آذناك قال ابن عباس أسمعناك كقوله وأذنت لربها يعني سمعت وقال
الكلبي أعلمناك قال ابن الخطيب وهذا بعيد لأن أهل القيامة يعلمون أن الله تعالى يعلم الأشياء علما
واجبا فالإعلام في حقه محال **قوله** ما منا من شهيد هذه الجملة المنفية معلقة لآذناك

لأنها بمعنى أعلمناك قال أذنتنا ببينها أسماء رب ثاو يمل منه الثواء وتقدم الخلاف في تعليق
أعلم ومن الغاية والصحيح وقوعه سماعا من العرب وجوز أبو حاتم أن يوقف على آذناك وعلى ظنوا ويبتدأ بالنفي
بعدهما على سبيل الاستئناف ومنا خبر مقدم ومن شهيد مبتدأ ويجوز أن يكون من شهيد فاعلا بالجار
قبله لاعتماده على النفي **فصل** في معنى الآية وجوه قيل أحد منا يشهد بأن لك شريكا لما عاينوا العذاب
تبرؤوا من الأصنام وقيل معناه ما منا أحد يشاهدهم لأنهم ضلوا عنهم وضلت عنهم آلهتهم
فلا يبصرون في ساعة التوبيخ وقيل هذا كلام الأصنام كأن الله تعالى يحييها ثم إنها تقول ما منا
أحد يشهد بصحة ما أضافوا إلينا من الشركة وعلى هذا التقدير فمعنى ضلالهم عنهم أنهم لا ينفعونهم
فكأنهم ضلوا عنهم وهو معنى قوله وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل **قوله** وظنوا ما لهم من محيص
كقوله ما منا من شهيد ومعناه أنهم أيقنوا أنهم لا محيص لهم عن النار أي مهرب وهذا ابتداء
كلام من الله تعالى **قوله تعالى** لا يسأم الإنسان من دعاء الخير الآية لما بين تعالى من حال هؤلاء
أنهم بعد أن كانوا مصرين على القول بإثبات الشركاء والأضداد لله تعالى في الدنيا تبرؤوا عن تلك
الشركاء في الآخرة بين أن الإنسان في جميع الأوقات متغير الأحوال فإن أحس بخير وقدرة تعاظم
وإن أحس ببلاء ومحنة ذل والمعنى أن الإنسان في حال الإقبال لا ينتهي إلى درجة إلا ويطلب الزيادة
عليها وفي حال الإدبار والحرمان يصير آيسا قانطا وفي قوله يؤوس قنوط مبالغة من وجهين أحدهما
من طريق فعول والثاني من طريق التكرير واليأس من صفة القلب والقنوط أن يظهر آثار اليأس
في الوجه والأحوال الظاهرة ثم بين تعالى أن الذي صار آيسا قانطا لو عادت له النعمة والدولة وهو
قوله ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته فإنه يأتي بثلاثة أنواع من الأقاويل الفاسدة
الموجبة للكفر والبعد عن الله فالأول **قوله** ليقولن هذا لي وهو جواب القسم لسبقه الشرط وجواب
الشرط محذوف كما تقدم تقريره وقال أبو البقاء ليقولن جواب الشرط محذوف والفاء
محذوفة قال شهاب الدين وهذا لا يجوز إلا في شعر كقوله من يفعل الحسنات الله يشكرها حتى
أن المبرد يمنعه في الشعر ويروي البيت من يفعل الخير فالرحمن يشكره **فصل** معنى قوله هذا لي أي
هذا حقي وصل إلي لأني استوجبته بحلمي وعلمي ولا يعلم المسكين أن أحدا لا يستحق على الله شيئا لأنه
إن كان عاريا من الفضائل فكلامه ظاهر الفساد وإن كان موصوفا بشيء من الفضائل والصفات
الحميدة فهي إنما حصلت بفضل الله وإحسانه فثبت بهذا فساد قوله إنما حصلت هذه الخيرات
بسبب استحقاقي النوع الثاني من كلامه الفاسد **قوله** وما أظن الساعة قائمة والمعنى
أنه يكون شديد الرغبة في الدنيا عظيم النفرة عن الآخرة فإذا آل الأمر إلى أحوال الدنيا يقول إنها لي
وإذا آل الأمر إلى الآخرة يقول وما أظن الساعة قائمة النوع الثالث من كلامه الفاسد
قوله ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى أي إن هذا الكافر يقول لست على يقين من البعث
وإن كان الأمر على ذلك ورددت إلى ربي إن لي عنده للحسنى أي الجنة كما أعطاني في الدنيا سيعطيني
في الآخرة ولما حكى الله تعالى عنهم هذه الأقوال الثلاثة الفاسدة قال فلننبئن الذين
كفروا بما عملوا قال ابن عباس لنقفنهم على مساوي أعمالهم ولنذيقنهم من عذاب غليظ
وهذا في مقابلة قولهم إن لي عنده للحسنى ولما حكى الله أقوال الذي أنعم عليه بعد وقوعه في الآفات
حكى أفعاله أيضا فقال وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه أي أعرض عن التعظيم لأمر الله
والشفقة على خلق الله ونأى بجانبه أي تعاظم ثم إن مسه الضر والفقر أقبل على دوام الدعاء وأخذ
في الابتهال والتضرع ومعنى عريض كثير والعرب تستعمل الطول والعرض في الكثرة يقال أطال فلان
الكلام والدعاء وأعرض أي أكثر **قوله** قل أرأيتم تقدم الكلام عليها ومفعولها الأول هنا
محذوف تقديره أرأيتم أنفسكم والثاني هو الجملة الاستفهامية **فصل** ومعنى الآية أنكم لما سمعتم

هذا القران اعرضتم عنه وما تاملتم وبالغتم فى النفرة عنه حتى قلتم قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه وفى
اذاننا وقر ومن المعلوم بالضرورة انه ليس العلم بكون هذا القران باطلا وليس القول بالتوحيد و
النبوة علما بديهيا فقبل الدليل يحتمل ان يكون صحيحا وان يكون فاسدا فبتقدير ان يكون صحيحا كان
اصراركم على دفعه من اعظم موجبات القلوب فيجب عليكم ان تتركوا هذه النفرة وان ترجعوا الى النظر
والاستدلال فان دل الدليل على صحته قبلتموه وان دل على فساده تركتموه وقبل الدليل فالاصرار على
الدفع والاعراض بعيد عن العقل فقوله ممن هو فى شقاق بعيد موضوع موضع بيان حالهم وصفتهم
ولما ذكر هذه الوجوه الكثيرة فى تقرير التوحيد والنبوة اجاب عن شبهات المشركين فقال سنريهم
اياتنا فى الافاق وفى انفسهم الافاق جمع افق وهو الناحية نقل النووى فى التهذيب قال اهل اللغة الافاق
النواحى الواحد افق بضم الهمزة والفاء وافق باسكان الفاء قال الشاعر لو نال حى من الدنيا بمنزلة
افق السماء لنالت كفه الافقاء وهو كاعناق فى عنق ابدلت همزته الفا ونقل الراغب انه يقال افق
بفتح الهمزة والفا فيكون كجبل واجبال وافق فلان اى ذهب فى الافاق والافق الذى بلغ نهاية الكرم
تشبيها فى ذلك بالذاهب فى الافاق والنسب الى الافق افقى بفتحهما ويحتمل انه نسبة الى المفتوح
واستغنوا بذلك عن النسبة الى المضموم وله نظائر قال النووى قالوا والنسبة به اليه افقى بضم الهمزة
والفاء وبفتحهما لغتان مشهورتان **فصل** قال ابن عباس معنى قوله سنريهم اياتنا فى الافاق اى منازل الامم
الخالية وفى انفسهم بالبلاء والامراض وقال قتادة يعنى وقايع الله فى الامم الخالية وفى انفسهم يوم بدر و
قال مجاهد والحسن والسدى فى الافق ما يفتح الله من القرى على يد محمد عليه السلام والمسلمين وفى
انفسهم فتح مكة **فان قيل** حمل الاية على هذا الوجه بعيد لان اقصى ما فى الباب ان محمدا صلى الله عليه وسلم
استولى على البلاد المحيطة بمكة ثم استولى على مكة لان الاستيلاء على بعض البلاد لا يدل على كون المستولى
محقا فانا نرى بعض الكفار قد استولى على بلاد المسلمين وعلى ملوكهم وذلك لا يدل على كونهم محقين
فالجواب انا لا نستدل بمجرد استيلاء محمد صلى الله عليه وسلم على تلك البلاد على كونه محقا فى ادعاء
النبوة بل نستدل به من حيث انه صلى الله عليه وسلم اخبر عن انه سيستولى عليها ويقهر اهلها وهذا
اخبار عن الغيب وقد وقع مخبره مطابقا لخبره فيكون هذا اخبارا صدقا عن الغيب فيكون معجزا فبهذا
الطريق يستدل بحصول هذا الاستيلاء على كون هذا الدين حقا وقال عطاء وابن زيد فى الافاق يعنى اقطار
السموات والارض من الشمس والقمر والنجوم وايات الليل والنهار والاضواء والظلال والظلمات والنبات
والاشجار والانهار وفى انفسهم من لطيف الصنعة وبديع الحكمة فى كيفية تكوين الاجنة فى ظلمات الارحام
وحدوث الاعضاء العجيبة والتركيبات الغريبة كقوله وفى انفسكم افلا تبصرون يعنى نريهم هذه الدلائل
حتى يتبين لهم انه الحق من عند الله يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم وانه مرسل من عند الله **فان قيل** هذا الوجه
ضعيف لان قوله تعالى سنريهم اياتنا يقتضى انه تعالى ما اطلعهم على تلك الايات الى الان وسيطلعهم
عليها بعد ذلك والايات الموجودة فى العالم الاعلى والاسفل قد اطلعهم عليها قبل ذلك فيتعذر
حمل هذا اللفظ على الوجه **فالجواب** ان القوم وان كانوا قد راوا هذه الاشيا الا ان العجايب التى اودعها
الله تعالى فى هذه الاشياء مما لا نهاية لها فهو تعالى يطلعهم على تلك العجايب زمانا فزمانا الان كل واحد
واى نبيه الانسان وساهدها الا ان العجايب التى ابدعها الله تعالى فى تركيب هذا البدن كثيرة
واكثر الناس لا يعرفونها والذى وقف على شئ منها كلما ازداد وقوفا على تلك العجايب ازداد يقينا وتعظيما
وكذلك التركيبات الفلكية ايضا والاولى ان يقال ان كان المراد بقوله حتى يتبين لهم انه الحق هو الرسول
فقول مجاهد اولى وان كان المراد به التوحيد والدين فهذا اولى **قوله** اولم يكف بربك فيه وجهان
احدهما ان الباء مزيدة فى الفاعل وهذا هو الراجح والمفعول محذوف اى اولم يكف ربك وفى قوله انه
على كل شئ شهيد وجهان احدهما انه بدل من ربك فيكون مرفوع مجرور اللفظ كمتبوعه والثانى الف الوصل

بانه ثم حذف الجار فجرى الخلاف الثانى من الوجهين الاولين ان يكون بربك هو المفعول وانه وما
بعده هو الفاعل اى اولم يكف بربك شهادته وقرئ انه على كل بالكسر وهو على اضمار القول او على الاستيناف
فصل اعلم ان قوله بربك فى موضع الرفع على انه فاعل كفى كما تقدم ومعناه اولم يكفهم ان ربك على كل
شئ شهيد على الاشياء لانه خلق الدلايل الدالة عليها وقال مقاتل اولم يكف بربك شاهدا ان القران
من الله عز وجل قال الزجاج معنى الكفاية ها هنا ان الله عز وجل قد بين من الدلايل ما فيه كفاية **قوله**
الا انهم فى مرية من لقاء ربهم اى فى شك من البعث والقيمة وقرأ ابو عبد الرحمن والحسن فى مرية بضم
الميم وقد تقدم انها لغة فى المكسورة الميم ثم قال انه بكل شئ محيط اى عالم بكل المعلومات التى لا نهاية
له فيعلم بواطن الكفار وظواهرهم ويجازى كل واحد على فعله **فان قيل** الاحاطة مشعرة بالنهاية فهذا
يقتضى ان يكون معلومة متناهيا **فالجواب** لا كون مجموعها متناهيا والله اعلم روى الثعلبى فى تفسيره
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ حم السجدة اعطاه الله من الاجر بكل حرف منها عشر حسنات

سورة الشورى خمسون اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** حم عسق تقدم الكلام فى امثال هذه الفواتح وسيل
الحسين بن الفضل لم قطع حم عسق ولم يقطع كهيعص فقال لانها سور اوايلها حم فجرى مجرى نظايرها
فكان حم مبتدا وعسق خبره ولانهما عدا ايتين واخواتها مثل كهيعص والمص والمر عدت اية واحدة
وقيل لان اهل التاويل لم يختلفوا فى كهيعص واخواتها انها حروف التهجى واختلفوا فى حم فاخرجها بعضهم
من حيز الحروف وجعلها فعلا وقيل معناها اى قضى ما هو كاين روى عكرمة عن ابن عباس انه قال ح حلمه
م مجده ع علمه س سناؤه ق قدرته اقسم الله بها وقال شهر بن حوشب وعطا بن ابى رباح ح حرب
يعز فيها الذليل ويذل فيها العزيز فى قريش م ملك يتحول من قوم الى قوم ع عدو لقريش يقصدهم س
سبى يكون فيهم ق قدرة الله النافذة فى خلقه وروى عن ابن عباس انه قال ليس من نبى صاحب كتاب
الا وقد اوحيت اليه حم عسق فلذلك قال يوحى اليك والى الذين من قبلك وعلى هذا فقوله الله العزيز
الحكيم تبيين للفاعل كانه قال من يوحى فقيل الله العزيز الحكيم كما سيأتى وقراءة ابن عباس وابن مسعود
حم سق **قوله** كذلك يوحى القراء على يوحى بالياء من اسفل مبنيا للفاعل وهو الله تعالى والعزيز الحكيم
نعتان والكاف منصوبة المحل اما نعتا لمصدر او حالا من ضميره اى يوحى بفتح الحاء مبنيا للمفعول
وفى القايم مقام الفاعل ثلاثة اوجه احدها ضمير مستتر يعود على كذلك لانه مبتدا والتقدير مثل
ذلك الايحا يوحى هو اليك فمثل ذلك مبتدا ويوحى هو اليك خبره الثانى ان القايم مقام الفاعل
اليك والكاف منصوبة المحل على الوجهين المتقدمين الثالث ان القايم مقام الجملة من قوله الله العزيز
الحكيم اى يوحى اليك هذا اللفظ واصول البصريين لا تساعد عليه لان الجملة لا تكون فاعلة ولا قايمة
مقامه وقرأ ابو حيوة والاعمش وابان نوحى بالنون وهى موافقة للعامة ويحتمل ان يكون الجملة من قوله الله
العزيز منصوبة المحل مفعولة بنوحى اى نوحى اليك هذا اللفظ الا ان فيه حكاية الجمل بغير القول الصريح
ونوحى على اختلاف قراأته يجوز ان يكون على بابه من الحال والاستقبال فيتعلق قوله والى الذين من قبلك
بمحذوف لتعذر ذلك تقديره واوحى الى الذين وان يكون بمعنى الماضى وجئ به على صورة المضارع لغرض
وهو تصوير الحال **قوله** الله العزيز يجوز ان يرتفع بالفاعلية فى قراءة العامة وان يرتفع بفعل مضمر
فى قراءة ابن كثير كانه قيل من يوحيه فقيل الله كيسبح له فيها بالغدو والاصال رجال وقوله ليبك
يزيد ضارع لخصومة وقدر وان يرتفع بالابتداء وما بعده خبره والجملة قايمة مقام الفاعل
على ما مر وان يكون العزيز الحكيم خبرين او نعتين والجملة من قوله له ما فى السموات خبر اول او ثان على
حسب ما تقدم فى العزيز الحكيم وجوز ابو البقا ان يكون العزيز مبتدا والحكيم خبره او نعته وله ما فى السموات
خبره وفيه نظر اذ الظاهر تبعيتهما للجلالة وانت اذا قلت جاء زيد العاقل الفاضل لا تجعل العاقل

مرفوعا على الابتداء فصل الكاف فى كذلك معناه المثل وذا للاشارة اى شئ سبق ذكره فيكون
مثل حم عسق يوحى اليك والى الذين من قبلك وعند هذا حصل قولان احدهما ما نقل عن ابن عباس انه
قال لا نبى صاحب كتاب الا وقد اوحى اليه حم عسق كما تقدم قال ابن الخطيب وهذا عندى بعيد والثانى
ان يكون مثل الكتاب المسمى بحم عسق يوحى الله اليك والى الذين من قبلك وهذه المماثلة المراد منها فى
الدعوة الى التوحيد والنبوة والمعاد وتقبيح احوال الدنيا والترغيب فى امور الاخرة قال الزمخشرى
لم يقل اوحى اليك ولكن قال يوحى اليك على لفظ المضارع ليدل على ان ايحا مثله عادته وكونه عزيزا يدل
على كونه قادرا على ما لا نهاية له وكونه حكيما يدل على كونه عالما بجميع المعلومات غنيا عن جميع الحاجات
كما تقدم بيانه فى اول سورة حم المؤمن وقوله ما فى السموات وما فى الارض يدل على كونه موصوفا بالقدرة
الكاملة النافذة فى جميع اجزاء السموات والارض على عظمها وسعتها بالايجاد والاعدام وان ما فى
السموات وما فى الارض ملكه وملكه وهو العلى اى المتعالى عن مشابهة الممكنات العظيم بالقدرة
والقهر والاستعلاء قوله تكاد السموات يتفطرن تقدم الكلام فيه مشبعا فى مريم الا
ان الزمخشرى زاد هنا وروى يونس عن ابى عمرو قراءة غريبة تتفطرن بتاءين مع النون ونظيرها حرف
نادر روى فى نوادر ابن الاعرابى الابل تتشمن قال ابو حيان والظاهر ان هذا وهم منه لان ابن خالويه
قال فى شاذ القران ما نصه تتفطرن بالتاء والنون يونس عن ابى عمرو وقال ابن خالويه وهذا
حرف نادر لان العرب لا تجمع بين علامتى التانيث لا يقال النساء تقمن ولكن يقمن والوالدات يرضعن
ولا يقال ترضعن وقد كان ابو عمرو الزاهد روى فى نوادر ابن الاعرابى الابل تتشمن فانكرناه فقد قواه
الان هذا قال ابو حيان فان كانت نسخ الزمخشرى متفقة على قوله بتاءين مع النون فهو وهم وان كان
فى بعضها بتاء مع النون كان موافقا لقول ابن خالويه وكان بتاءين تحريفا من النساخ وكذلك كتبهم
تتفطرن وتتشمن بتاءين انتهى قال شهاب الدين كيف يستقيم ان يكون كتبهم تتشمن بتاءين وهما
وذلك لان ابن خالويه اورده فى معرض الندرة والانكار حتى يقول عندى بهذه القراءة وانما يكون
نادرا منكرا بتاءين فانه يكون حينئذ مضارعا مسندا لضمير الابل فكان من حقه ان يكون حرف
ياء منقوطة من اسفل نحو النساء يقمن فكان ينبغى ان يقال الابل يتشمن بالياء من تحت ثم بالياء من
فوق فلما جاء بتاءين كلاهما من فوق ظهر ندوره وانكاره ولو كان على ما قال ابو حيان ان كتبهم بتاء
وهما بل كان ينبغى كتبه بتاء واحدة لما كان فيه شذوذ ولا انكار لانه نظير النسوة تدحرجن فانه ماض
مسند لضمير الاناث وكذا لو كتب بياء من تحت وتاء من فوق لم يكن فيه شذوذ ولا انكار وانما يجئ الشذوذ
والانكار اذا كان بتاءين منقوطتين من فوق ثم انه سواء قرى تتفطرن بتاء او بتاء ونون فانه نادر لما
لما ذكر ابن خالويه وهذه القراءة لم يقرأ بها فى نظيرتها فى سورة مريم قوله من فوقهن فى هذا الضمير
ثلاثة اوجه احدها انه عايد على السموات اى كل واحدة منها تتفطر فوق التى تليها من قول المشركين
اتخذ الله ولدا كما فى سورة مريم اى يبتدى انفطارهن من هذه الجهة فمن لابتداء الغاية متعلقة بما
بما قبلها الثانى انه يعود على الارضين لتقدم ذكر الارض الثالث انه يعود على فرق الكفار والجماعات
الملحدين قاله الاخفش وانكره مكى وقال لا يجوز ذلك فى الذكور من بنى ادم وهذا يلزم الاخفش فانه
قال على الفرق والجماعات فراعى ذلك المعنى فصل قال الزمخشرى كلمة الكفر انما جاءت من الذين تحت
السموات فكان القياس ان يقال ينفطرن من تحتهن اى من الجهة التى تحت جاءت الكلمة ولكن بولغ فى ذلك
فجعلت مؤثرة فى جهة الفوق فكانه قيل يكدن ينفطرن من الجهة التى فوقهن دع الجهة التى تحتهن ونظيره
فى المبالغة قوله تعالى يصب من فوق رؤسهم الحميم يصهر به ما فى بطونهم والجلود فجعل مؤثرا فى اجزائهم
الباطنة وقال ابن الخطيب معنى من فوقهن اى من فوق الجهة التى حصلت هذه السموات فيها وتلك
الجهة هى فوق فقوله من فوقهن اى عن الجهة الفوقانية التى هن فيها قوله والملائكة يسبحون بحمد ربهم

فالتسبيح

فالتسبيح عبارة عن تنزيه الله تعالى عما لا ينبغى والتحميد عبارة عن وصفه بكونه مفيضا لكل الخيرات
قوله ويستغفرون لمن فى الارض اى من المؤمنين كما حكى عنهم فى سورة المؤمن فقال ويستغفرون
لمن فى الارض فان قيل قوله ويستغفرون لمن عام فيدخل فيهم الكفار وقد لعنهم الله فقال اولئك
عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين فكيف يكونون لاعنين لهم ومستغفرين لهم قال
ابن الخطيب والجواب من وجوه الاول انه عام مخصوص بانه المؤمن كما تقدم الثانى ان قوله لمن فى
فى الارض لا يفيد العموم لانه يصح ان يقال انهم استغفروا لكل من فى الارض وان يقال انهم استغفروا
لبعض من فى الارض دون البعض ولو كان صريحا فى العموم لما صح ذلك الثالث يجوز ان يكون المراد من الاستغفار
ان لا يعاجلهم بالعقاب كما فى قوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا الى ان قال انه كان حليما
غفورا الرابع يجوز ان يقال انهم يستغفرون لكل من فى الارض اما فى حق الكفار فبطلب الايمان لهم واما
فى حق المؤمنين فبالتجاوز عن سيئاتهم فانا نقول اللهم اهد الكفار وزين قلوبهم بنور الايمان وازل عن
خواطرهم وحشة الكفر وهذا استغفار لهم فى الحقيقة فصل قال ابن الخطيب ويستغفرون لمن فى الارض
يدل على انهم لا يستغفرون لانفسهم ولو وجد منهم معصية لاستغفروا لانفسهم قبل استغفار
هم لمن فى الارض فحيث لم يذكر الله عز وجل استغفارهم لانفسهم علمنا انهم مبرؤن عن كل الذنوب والا
والانبياء عليهم السلام لهم ذنوب والذين لا ذنب لهم افضل ممن له ذنب وايضا فقوله ويستغفرون
لمن فى الارض يدل على انهم يستغفرون للانبياء عليهم السلام لانهم من جملة من فى الارض واذا كانوا
مستغفرين للانبياء عليهم السلام كان الظاهر انهم افضل منهم ثم قال تعالى الا ان الله هو الغفور
الرحيم وهذا تنبيه على ان الملائكة وان كانوا يستغفرون للبشر الا ان المغفرة المطلقة لله تعالى وهذا
يدل على انه تعالى يعطى المغفرة التى طلبوها ويضم اليها الرحمة قوله والذين اتخذوا من دونه اولياء
اى جعلوا له شركاء وانداد الله حفيظ عليهم اى رقيب عليهم يحفظ اعمالهم واقوالهم ويحصيها
ليجازيهم بها وما انت يا محمد عليهم بوكيل لم توكل بهم ولا امرهم اليك انما انت منذر قوله
وكذلك اوحينا اليك قرانا عربيا فى قرانا وجهان اظهرهما انه مفعول اوحينا والكاف للمصدر نعتا
او حالا الثانى انه حال من الكاف والكاف هى المفعول لاوحينا اى اوحينا مثل ذلك الايحاء وهو قران
عربى واليه نحا الزمخشرى وكون الكلام اسما فى السعة مذهب الاخفش فصل قال ابن الخطيب قوله
وكذلك اوحينا اليك قرانا عربيا يقتضى تشبيه وحى الله بالقرآن بشئ سبق ذكره وليس ههنا شئ
سبق ذكره يمكن تشبيه وحى الله بالقرآن به الا قوله والذين اتخذوا من دونه اولياء الله حفيظ
عليهم وما انت عليهم بوكيل يعنى كما اوحينا انك لست حفيظا عليهم ولست وكيلا عليهم كذلك
اوحينا اليك قرانا عربيا لتكون نذيرا لهم قوله لتنذر ام القرى اى اهل ام القرى لان البلد لا
لا تعقل وقوله ومن حولها عطف على اهل المقدر قبل ام القرى والمفعول الثانى محذوف اى العذاب
وقرى لينذر بالياء من تحت اى القرآن وام القرى اصل القرى يعنى مكة وسميت بهذا الاسم اجلالا
لان فيها البيت ومقام ابراهيم والعرب تسمى اصل كل شئ امه حتى يقال هذه القصيدة من امهات
قصائد فلان ومعنى ومن حولها اى قرى الارض كلها من اهل البدو والحضر واهل المدر والوبر والانذار
والتخويف قوله وتنذر يوم الجمع اى تنذرهم بيوم الجمع اى يوم القيمة يجمع الله فيه الاولين والاخرين
واهل السموات والارض وقيل المراد يجمع الارواح بالاجساد وقيل يجمع بين العالم وعمله وقيل يجمع بين
الظالم والمظلوم قوله لا ريب فيه اخبار فهو مستانف فيكون صفة ليوم الجمع ويجوز ان يكون
حالا من يوم الجمع وجعله الزمخشرى اعتراضا وهو غير ظاهر ضاعة اذ لم يقع بين متلازمين
قوله فريق العامة على رفعه باحد وجهين اما بالابتدا وخبره الجار بعده وساغ هذا فى النكرة
لانه مقام تفصيل كقوله فثوب لبست وثوب اجر ويجوز ان يكون الخبر مقدرا تقديره منهم

فريق وساغ الابتداء بالنكرة لشيئين تقديم خبرها جارا ومجرورا ووصفها بالجار بعدها والثالث
انه خبر ابتداء مضمر اى هم اى المجموعون دل على ذلك قوله يوم الجمع وقراء زيد بن على فريقا وفريقا نصب
على الحال من جملة محذوفة اى افترقوا اى المجموعون وقال مكى واجاز الكسائى والفراء النصب فى الكلام
فى فريقا على معنى تنذر فريقا فى الجنة وفريقا فى السعير يوم الجمع فكانه لم يطلع على انها قرأة وظاهر
نقله عن هذين الامامين انهما لم يطلعا عليها وجعل فريقا مفعول اول لتنذر ويوم الجمع مفعولا
ثانيا وفى ظاهره اشكال وهو ان الانذار لا يقع الفريقين وهما فى الجنة وفى السعير انما يكون الانذار
قبل استقرارهما فيهما ويمكن ان يجاب عنه بان المراد من هو من اهل الجنة ومن اهل السعير وان لم يكن
حاصلا فيهما وقت الانذار وفى الجنة صفة لفريقا او متعلقا بذلك المحذوف **فان قيل** يوم الجمع يقتضى
كون القوم مجتمعين والجمع بين الصنفين محال **فالجواب** انهم يجتمعون اولا ثم يصيرون فريقين
قوله ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة قال ابن عباس على دين واحد وقال مقاتل على ملة الا
الاسلام كقوله ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ولكن يدخل من يشاء فى رحمته اى فى دين الاسلام
والظالمون الكافرون ما لهم من ولى يدفع عنهم العذاب ولا نصير يمنعهم من النار لقوله الله حفيظ
عليهم وما انت عليهم بوكيل اى انت لا تقدر ان تحملهم على الايمان فلو شاء الله لفعله لانه اقدر منك
لكنه جعل البعض مؤمنا والبعض كافرا **قوله** ام اتخذوا من دونه اولياء هذه ام المنقطعة فتقدر
ببل التى للانتقال وبهمزة الانكار او بالهمزة فقط او ببل فقط واعلم انه تعالى لما حكى عنهم اولا
انهم اتخذوا من دونه اولياء ثم قال بعده لمحمد صلى الله عليه وسلم لست عليهم بوكيل اى لا يجب
عليك ان تحملهم على الايمان فان الله تعالى لو شاء لفعله اعاد ذلك الكلام على سبيل الاستنكار
ثم قال فالله هو الولى قال ابن عباس وليك يا محمد وولى من اتبعك والفاء جواب شرط مقدر
كانه قال ان ارادوا اولياء بحق الله فالله هو الولى لا ولى سواه لانه يحيى الموتى وهو على كل شئ قدير فهو
الحقيق بان يتخذ وليا دون من لا يقدر على شئ قاله الزمخشرى وقيل الفاء عاطفة ما بعدها على
ما قبلها **قوله** وما اختلفتم فيه من شئ فحكمه الى الله وجه النظم انه تعالى كما منع الرسول صلى الله عليه
وسلم ان يحمل الكفار على الايمان قهرا فكذلك منع المؤمنين ان يشرعوا معهم فى الخصومات والمنازعات
فقال وما اختلفتم فيه من امر الدين فحكمه الى الله يقضى فيه ويحكم يوم القيمة بالفصل الذى يزيل الريب
وقيل وما اختلفتم فيه من شئ وتنازعتم فتحاكموا فيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تؤثروا حكومة
غيره على حكومته وقيل ما وقع بينكم فيه خلاف من الامور التى لا يتصل بتكليفكم ولا طريق لكم الى علمه فقولوا
الله اعلم كما قال تعالى ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربى **فصل** قوله فحكمه الى الله اما ان
يكون المراد فحكمه مستفاد من نص الله عليه والمراد فحكمه مستفاد من القياس على ما نص الله عليه
والثانى باطل لانه يقتضى كون كل الاحكام مثبتة بالقياس وانه باطل فتعين الاول فوجب كون
كل الاحكام مثبتة بالنص وذلك ينفى العمل بالقياس **فان قيل** لم لا يجوز ان يكون المراد فحكمه معروف
من بيان الله تعالى سواء كان ذلك البيان بالنص او القياس **فالجواب** ان المقصود من
التحاكم الى الله قطع الاختلاف والرجوع الى القياس يقوى حكم الاختلاف ولا يوضحه فوجب ان
يكون الواجب هو الرجوع الى نص الله تعالى **قوله** ذلكم الله اى الذى يحكم بين المختلفين هو ربى عليه
توكلت فى دفع كيد الاعداء وفى طلب كل خير واليه انيب اى ارجع اليه فى كل المهمات وهذا يفيد
الحصر اى لا اتوكل الا عليه **قوله** فاطر العامة على رفعه خبرا لذلكم او نعتا لربى على محض اضافته
وعليه توكلت معترض على هذا او مبتدأ وخبره جعل لكم او خبر مبتدأ مضمر اى هو وقرأ زيد بن على فاطر
بالجر نعتا للجلالة فى قوله الى الله وما بينهما اعتراض او بدلا من الهاء فى عليه او اليه وقال مكى
واجاز الكسائى النصب على النداء وقال غيره على المدح ويجوز فى الكلام الخفض على البدل من الهاء فى

عليه او اليه وقال مكى واجاز الكسائى النصب على المدح ويجوز فى الكلام الخفض على البدل
من الهاء فى عليه كانه لم يطلع على انها قراءة زيد بن على **قوله** جعل لكم من انفسكم ازواجا ومن الانعام
ازواجا قيل معناه جعل لكم من انفسكم ازواجا ومن الانعام ازواجا اى خلق لكم ازواجا اى
حلايل وقيل معنى من انفسكم انه خلق حوى من ضلع ادم ومن الانعام ازواجا اى اصنافا ذكورا واناثا
قوله يذرؤكم اى يكثركم وقوله فيه يجوز ان تكون فى على بابها والمعنى يكثركم فى هذه التدبير وهو
ان جعل للناس والانعام ازواجا حتى كان بين ذكورهم واناثهم التوالد والضمير فى يذرؤكم للمخاطبين
والانعام الا انه غلب فيه العقلاء من وجهين احدهما انه غلب فيه جانب العقلاء على غير العقلاء
والثانى انه غلب جانب المخاطبين على الغائبين قال الزمخشرى وهى من الاحكام ذات العلتين قال
ابو حيان وهو اصطلاح غريب يعنى ان الخطاب يغلب على الغيبة اذا اجتمعا قال الزمخشرى فان قلت ما معنى
يذرؤكم فى هذا التدبير وهلا قيل يذرؤكم به قلت جعل التدبير كالمعدن والمنبع للبث والتكثير الا تراك
تقول للحيوان فى خلق الازواج تكثير كما قال تعالى ولكم فى القصاص حيوة وقيل انها للسببية كالباء
اى يكثركم بسببه والضمير يعود للخلق او المخلوق وقيل يذرؤكم فيه اى يخلقكم فى الرحم وقيل فى البطن
قوله ليس كمثله شئ الاية فيها اوجه اشهرها ان الكاف زائدة فى خبر ليس وشئ اسمها والتقدير ليس شئ
مثله قالوا ولولا ادعاء زيادتها للزم ان يكون مثل وهو محال اذ يصير التقدير على اصالة الكاف ليس
مثل مثله شئ فنفى المماثلة عن مثله فثبت ان له مثلا لا مثل لذلك المثل وهو محال تعالى الله عن ذلك وقال
ابو البقا ولو لم تكن زائدة لافضى ذلك الى المحال اذ كان يكون المعنى ان له مثلا وليس لمثله مثل وفى ذلك
تناقض لانه اذا كان لمثله مثل وهو هو مع ان اثبات المثل لله تعالى محال وهذه طريقة حسنة فى اثبات
زيادة الكاف وفيها حسن صناعة الثانى ان مثل هى الزائدة كزيادتها فى قوله تعالى بمثل ما امنتم به
قال الطبرى كما زيدت الكاف فى قوله وساليات ككما يؤثفين وقوله فصيروا مثل كعصف ماكول وهذا
ليس بجيد لان زيادة الاسماء ليست بجائزة وايضا يصير التقدير ليس كهو شئ ودخول الكاف على الضماير
لا يجوز الا فى شعر الثالث ان العرب تقول مثلك لا يفعل كذا يعنون المخاطب نفسه لانهم يريدون
المبالغة فى نفى الوصف عن المخاطب فينفونها فى اللفظ عن مثله فثبت انتفاؤها عنه بدليلها ومنه
قول الشاعر على مثل ليلى يقتل المرء نفسه وان بات من ليلى على الناس طاويا وقال اوس بن حجر ليس
كمثله الفتى زهير خلق يوازيه فى الفضائل وقال اخر وقتيل كمثل جذوع النخل يغشاهم سيل سهم وقال
اخر سعد بن زيد اذا ابصرت فضلهم فما كمثلهم فى الناس من احد قال ابن قتيبة العرب تقيم المثل مقام
النفس فيقولون مثلى لا يقال له هذا اى انا لا يقال لى قيل ولنسبة المثل الى من لا مثل له قولك فلان يده
مبسوطة يريد انه جواد ولا نظر فى الحقيقة الى اليد حتى قيل ذلك لمن لا يد له كقوله بل يداه مبسوطتان
الرابع ان يراد بالمثل الصفة وذلك ان المثل بمعنى المثل والمثل الصفة كقوله مثل الجنة فيكون المعنى ليس
مثل صفته تعالى شئ من الصفات التى لغيره **فصل** قال ابن عباس معناه ليس له نظير وهو السميع البصير
اى سامعا للمسموعات بصيرا للمرئيات **فان قيل** قوله وهو السميع البصير يفيد الحصر فما معنى هذا الحصر
مع ان العباد ايضا موصوفون بكونهم سميعين بصيرين **فالجواب** السميع البصير لفظان مشعران
بحصول هاتين الصفتين على سبيل الكمال والكمال فى كل الصفات ليس الا لله فهذا هو المراد من هذا
الحصر **قوله** له مقاليد السموات والارض اى مفاتيح الرزق فى السموات والارض قال المفسرون
مقاليد السموات الامطار ومقاليد الارض النبات وتقدم الكلام على مقاليد فى الزمر يبسط
الرزق لمن يشاء ويقدر لانه مفاتيح الارزاق بيده انه بكل شئ من البسط والتقدير **قوله** شرع لكم
من الدين الاية لما عظم وحيه الى محمد صلى الله عليه وسلم بقوله كذلك يوحى اليك والى الذين من
قبلك الله العزيز الحكيم ذكر فى هذه الاية تفصيل ذلك وقال شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا اى تبين

لكم من الدين يا اصحاب محمد ما وصى به نوحا وهو اول انبياء الشريعة قال مجاهد اوصيناه واياك يا محمد دينا واحدا والذى اوحينا اليك من القران وشرايع الاسلام وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى وانما خص هولاء الانبياء الخمسة بالذكر لانهم اكابر الانبياء واصحاب الشريعة العظيمة والاتباع الكثيرة واختلفوا فى الموصى به فقال قتادة تحليل الحلال وتحريم الحرام وقال الحكم تحريم الامهات والبنات والاخوات وقال مجاهد لم يبعث الله نبيا الا وصاه باقام الصلوة وايتاء الزكوة والاقرار لله بالطاعة فذلك دينه الذى شرع لهم وقيل هو التوحيد والبراءة من الشرك وقيل هو ما ذكر من بعد ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه بعث الانبياء كلهم باقامة الدين والالفة والجماعة وترك الفرقة والمخالفة

فصل قال ابن الخطيب فى لفظ الاية اشكالات احدها قال فى اول الاية ما وصى به نوحا وفى اخرها وما وصينا به ابراهيم وفى الوسط والذى اوحينا اليك فما فائدة هذا التفاوت وثانيها ذكر نوحا على سبيل الغيبة فقال ما وصى به نوحا وقال وما وصينا به ابراهيم وثالثها تقدير الاية شرع الله لكم من الدين الذى اوحينا اليك وهذا يقتضى الجمع بين خطاب الغيبة وخطاب الحضور فى الكلام الواحد وهو مشكل وهذه مضايق يجب البحث عنها والقوم ما داروا حولها بالجملة واعلم ان المقصود من الاية ان يقال شرع لكم من الدين دينا تطابقت الانبياء على صحته فيجب ان يكون المراد من هذا الدين شيئا مغايرا للتكاليف والاحكام لانها مختلفة متفاوتة قال تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا فوجب ان يكون المراد منه الامور التى لا تختلف باختلاف الشرايع وهو الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر واصول الدين

فصل استدل بقوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا على ان النبى صلى الله عليه وسلم كان فى اول الامر متعبدا بشريعة نوح عليه السلام واجيب بانه عطف على ساير الانبياء فدل ذلك على ان المراد هو الاخذ بالشريعة المتفق عليها بين الكل قوله ان اقيموا الدين يجوز فيه اوجه احدها ان تكون مصدرية فى محل رفع على خبر ابتدا مضمر كانه قيل وما ذلك المشروع فقيل هو اقامة الدين المشروع توحيد الله الثانى انها فى محل نصب بدلا من الموصول كانه قيل شرع لكم ما وصى به نوحا توحيد الله الثالث انها فى محل خبر بدلا من الدين الرابع انها فى محل جر بدلا من الهاء الخامس ان تكون مفسرة لانه قد تقدمها ما هو بمعنى القول قوله كبر على المشركين ما تدعوهم اليه من التوحيد ورفض الاوثان قوله الله يجتبى اى يصطفى اليه من يشاء ويهدى اليه من يشاء يصطفى لدينه من عباده من يشاء ويهدى اليه من ينيب يقبل الى طاعته والاجتبا يدل على الضم ومنه جبى الخراج واجتبى الماء فى الحوض فقوله الله يجتبى اى يضم اليه ويقربه منه تقريب الاكرام والرحمة

فصل احتج نفاة القياس بهذه الاية فقالوا انه تعالى اخبر بان اكابر الانبياء اطبقوا على انه يجب اقامة الدين بحيث لا يفضى الى الاختلاف والنزاع والله تعالى ذكر فى معرض المنة على عباده انه ارشدهم الى الدين الخالى عن التفرق والمخالفة ومعلوم ان فتح باب القياس يفضى الى اعظم انواع التفرق والمنازعة فان الحس شاهد بان هولاء الذين بنوا دينهم على القياس تفرقوا تفرقا لا رجاء فى حصول الاتفاق بينهم الى قيام القيمة فوجب ان يكون ذلك محرما

فصل اعلم انه تعالى لما بين انه امر كل الانبياء والامم بالاخذ بالدين المتفق عليه كان لقايل ان يقول فلما ذا نجدهم متفرقين فاجاب بقوله وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم يعنى انهم ما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم اى الا من بعد ان علموا ان الفرقة ضلالة ولكنهم فعلوا ذلك للبغى وطلب الرياسة فصار ذلك سببا لوقوع الاختلاف ثم اخبر تعالى انهم استحقوا العذاب بسبب هذا الفعل الا انه تعالى اخر عنهم ذلك العذاب لان لكل عذاب عنده اجلا مسمى اى وقتا معلوما وهذا معنى قوله ولولا كلمة سبقت من ربك الى اجل مسمى لقضى بينهم والاجل المسمى قد يكون فى الدنيا وقد يكون فى الاخرة واختلفوا فى الذين اريدوا بهذه الصفة فقال ابن عباس والاكثرون انهم اليهود والنصارى لقوله تعالى فى آل عمران وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم وقوله فى سورة لم يكن

وما

وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة وقيل هم العرب وهذا باطل لما تقدم ولان قوله تعالى بعد هذه الاية وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم المراد بهم اهل الكتاب الذين كانوا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله من بعدهم اى من بعد انبيائهم وقيل من بعد الامم الخالية لفى شك منه اى من كتابهم وقيل من محمد صلى الله عليه وسلم مريب صفة لشك اى لا يؤمنون به حق الايمان قوله اورثوا قرا زيد بن على ورثوا بالتشديد مبنيا للمفعول قوله فلذلك فادع فى اللام وجهان احدهما ان تكون بمعنى الى اى فالى ذلك الدين فادع واستقم وهو الاتفاق على الملة الحنيفية واستقم عليها اى اثبت على الدين الذى امرت به كما امرك الله ولا تتبع اهواءهم المختلفة الباطلة والثانى انها للعلة اى لاجل التفرق والاختلاف ادع للدين القيم وقل امنت بما انزل الله من كتاب اى باى كتاب صح ان الله انزله يعنى الايمان بجميع الكتب المنزلة قوله وامرت لاعدل يجوز ان يكون التقدير وامرت بذلك لاعدل بينكم فى الحكم وقيل وامرت ان اعدل واللام مزيدة وفيه نظر لانك بعد زيادة اللام تحتاج الى تقدير حرف جر اى بان اعدل

فصل قال القفال معناه ان ربى امرنى ان لا افرق بين نفسى ونفسكم بان امركم بما لا اعمله او اخالفكم الى ما انهاكم عنه لكنى اسوى بينكم وبين نفسى وكذلك اسوى بين اكابركم واصاغركم فى الحكم وقيل معناه لا احيف عليكم باكثر مما افترض الله عليكم من الاحكام قوله الله ربنا وربكم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم يعنى الهنا واحد وان اختلفت اعمالنا فكل يجازى بعمله لا حجة لا خصومة بيننا وبينكم نسختها اية القتال واذا لم يؤمر بالقتال وامر بالدعوة لم يكن بينه وبين من لا يجيب خصومة قال ابن الخطيب معنى الاية ان الاله واحد وكل واحد مخصوص بعمل نفسه فوجب ان يشتغل كل واحد فى الدنيا بنفسه فان الله يجمع بين الكل يوم القيمة ويجازيه على عمله فان قيل كيف يليق بهذه المشاركة ما فعل بهم من القتل وتخريب البيوت وقطع النخيل والاجلاء فالجواب هذه المشاركة كانت مشروطة بشرط ان يقبلوا الدين المتفق على صحته بين كل الانبياء ودخل فيه التوحيد وترك عبادة الاصنام والاقرار بنبوة الانبياء وبصحة البعث والقيمة فلما لم يقبلوا هذا الدين فحينئذ فات الشرط فيفوت المشروط واعلم ان قوله تعالى لا حجة بيننا وبينكم يجرى مجرى محاجتهم بدليل ان هذا الكلام مذكور فى معرض المحاجة فلو كان المراد من هذه الاية تحريم المحاجة لزم كونها محرمة لنفسها وهو متناقض وايضا لولا الادلة لما توجه التكليف وايضا ان الدليل يفيد العلم وذلك لا يمكن تحريمه بل المراد ان القوم عرفوا بالحجة صدق محمد صلى الله عليه وسلم وانما تركوا تصديقه عنادا فبين تعالى انه حصل الاستغناء عن محاجتهم لانهم عرفوا صدقه فلا حاجة معهم الى المحاجة البتة ومما يقوى عدم تحريم المحاجة قوله وجادلهم بالتى هى احسن وقوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وقوله ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتى هى احسن وقوله يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا وقوله وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم على قومه قوله والذين يحاجون مبتدا وحجتهم مبتدا ثان وداحضة خبر الثانى والثانى وخبره خبر الاول واعرب مكى حجتهم بدلا من الموصول بدل اشتمال والهاء فى له يعود على الله او على الرسول صلى الله عليه وسلم اى من بعد ما استجاب الناس لله او من بعد ما استجاب الناس لذلك الدين

فصل المعنى والذين يخاصمون فى دين الله نبيه قال قتادة هم اليهود الذين قالوا كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم فنحن خير منكم فهذه خصومتهم من بعد ما استجاب له الناس فاسلموا ودخلوا فى دينه لظهور معجزته حجتهم داحضة خصومتهم باطلة عند ربهم قال ابن الخطيب تلك المخاصمة هى ان اليهود قالوا ألستم تقولون ان الاخذ بالمتفق عليه اولى بالاخذ من المختلف فيه فنبوة موسى عليه السلام وحقيقة التوراة معلومة بالاتفاق ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم ليست متفق عليها فوجب الاخذ باليهودية فبين تعالى فساد هذه الحجة وذلك لان اليهود اجمعوا على انه انما وجب الايمان بموسى عليه السلام لاجل ظهور المعجزات على قوله وهاهنا ظهرت المعجزات

على وفق قول محمد صلى الله عليه وسلم واليهود شاهدوا تلك المعجزات فكان ظهور المعجزة يدل على الصدق
فهاهنا يجب الاعتراف بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وان كان لا يدل على الصدق وجب في حق موسى ان
لا يقروا بنبوته بظهور المعجزات لانه يكون تناقضا ولما قرر تعالى هذه الدلايل خوف المنكرين بعذاب الله
يوم القيمة فقال وعليهم غضب ولهم عذاب شديد اى في الاخرة **قوله تعالى الله الذى انزل الكتاب**
بالحق والميزان قال قتادة ومجاهد ومقاتل سمى العدل ميزانا لان الميزان اله الانصاف والتسوية
قال ابن عباس امر الله تعالى بالوفاء ونهى عن البخس ومعنى الاية انه تعالى انزل الكتاب المشتمل على
الدلايل والبينات وانزل الميزان وهو الفصل الذى هو القسطاط المستقيم وهم لا يعلمون ان
القيمة متى تفاجيهم ومتى كان الامر كذلك وجب على العاقل ان يجتهد في النظر والاستدلال ويترك
طريقة اهل الجهل والتقليد ولما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يهددهم بيوم القيمة ولم يروا لذلك
اثرا قالوا على سبيل السخرية متى تقوم الساعة وليتها قامت حتى يظهر لنا الحق اهو الذى نحن عليه ام الذى
عليه محمد واصحابه **قولـه** لعل الساعة قريب انما ذكر قريب وان كان صفة لمؤنث لان الساعة
في معنى الوقت او البعث او على معنى النسب اى ذات قرب او على حذف مضاف اى مجئ الساعة وقيل
للفرق بينها وبين قراة النسب وقيل لان تانيثها مجازى نقله مكى وليس بشئ اذ لا يجوز الشمس طالع
ولا القدر فاتر وجملة الترجى والاشفاق معلقة للدراية وتقدم مثله اخر الانبياء **فصل** قال مقاتل
ذكر النبى صلى الله عليه وسلم الساعة وعنده قوم من المشركين فقالوا مستهزئين متى تكون الساعة
فانزل الله هذه الاية يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها ظنا منهم انها غير اتية والذين امنوا مشفقون
خائفون منها ويعلمون انها الحق اى انها اتية لا ريب فيها **ثم قال** الا ان الذين يمارون يخاصمون
وقيل تدخلهم المرية والشك في وقوع الساعة لفي ضلال بعيد لان استيفاء حق المظلوم من الظالم
واجب في العدل فلو لم تحصل القيمة لزم اسناد الظلم الى الله عز وجل وهذا من امحل المحالات فلا جرم
كان انكار القيمة ضلالا بعيدا **قوله تعالى الله لطيف بعباده** قال ابن عباس حفى بهم وقال ابن عكرمة
بار بهم وقال السدى رفيق بهم وقال مقاتل لطيف بالبر والفاجر حيث لم يهلكهم جوعا بمعاصيهم
بدليل قوله يرزق من يشاء فكل من رزقه الله من مؤمن وكافر وذو روح فهو ممن يشاء الله ان يرزقه
قال جعفر الصادق اللطيف في الرزق من وجهين احدهما انه جعل رزقك من الطيبات والثانى
انه لم يدفعه اليك مرة واحدة وهو القوى القادر على كل ما يشاء العزيز الذى لا يغالب **فصل**
انما حسن ذكر هذا الكلام هاهنا لانه انزل عليهم الكتاب المشتمل على هذه الدلايل اللطيفة فكان ذلك
من لطف الله بعباده وايضا فالمتفرقون استوجبوا العذاب الشديد ثم انه تعالى اخر عنهم ذلك
العذاب فكان ذلك ايضا من لطف الله تعالى فلما سبق ذكر ايصال اعظم المنافع اليهم ودفع اعظم
المضار عنهم لاجرم حسن ذكره هاهنا **قوله تعالى من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه الاية**
الحرث في اللغة الكسب اى من كان يريد بعمله الاخرة نزد له في حرثه بالتضعيف بالواحدة عشرة الى
ما شاء الله من الزيادة قاله مقاتل وقيل معناه انا نزيد في توفيقه واعانته وتسهيل سبيل الخيرات
والطاعات عليه وقال الزمخشرى انه تعالى سمى ما يعمله العامل مما يطلب به الفائدة حرثا على سبيل
المجاز واعلم انه قد تقدم ان كون الشرط ماضيا والجزاء مضارعا لا يختص مجيئه بكان خلافا لابى الحكم
مصنف كتاب الاعراب فانه قال لا يجوز ذلك الا مع كان الا في ضرورة شعر واطلق النحويون جواز ذلك
وانشدوا بيت الفرزدق   دست رسولا بان القوم ان قدروا   عليك يشفوا صدورا ذات توغير
وقوله ايضا تعش فان عاهدتنى لا تخوننى   نكن مثل من يا ذيب يصطحبان   وقرا ابن مقسم والزعفرانى يزده
بالياء من تحت اى الله تعالى وقراه سلام نوته بضم هاء الكناية وهو الاصل وهو لغة الحجاز وتقدم
خلاف القراء في ذلك **فصل** قال قتادة معنى قوله ومن كان يريد حرث الدنيا اى يريد بعمله حرث الدنيا

نوته منها اى نوته بقدر ما قسم له كما قال عجلنا له فيها ما نشاء وما له في الاخرة من نصيب لانه
لم يعمل للاخرة وقال عليه السلام بشر هذه الامة بالسناء والرفعة والنصر والتمكين في الارض
فمن عمل منهم عمل الاخرة للدنيا لم يكن له في الاخرة نصيب واعلم انه تعالى قال في طلب الاخرة انه
يزد له في حرثه ولم يذكر انه يعطيه الدنيا ام لا بل سكت عنه نفيا واثباتا واما طالب الدنيا
فبين له لا يعطه شيئا من نصيب الاخرة على التنصيص وهذا يدل على التفاوت العظيم كانه يقول
الاخرة اصل والدنيا تبع فواجد الاصل يكون واجدا للتبع بقدر الحاجة الا انه لم يذكر ذلك تنبيها
على ان الدنيا احسن من ان يقرن ذكرها بذكر الاخرة وايضا بين ان طالب الاخرة يزاد في مطلوبه
وطالب الدنيا يعطى بعض مطلوبه ولا يحصل له في الاخرة من نصيب البتة فبين ان طالب الاخرة
يكون حاله ابدا في الزايد وان طالب الدنيا يكون حاله ابدا في النقصان والبطلان في الاخرة وذلك
يدل على تفضيل طلب الاخرة ايضا فانه تعالى بين ان منافع الاخرة ومنافع الدنيا ليست حاضرة ناجزة
بل لا بد فيهما من الحرث والحرث لا يتاتى الا بتحمل المشاق في البذر ثم السقية والتنمية ثم التنقية فلما
سمى الله تعالى كلا القسمين حرثا علمنا ان كل واحد منهما لا يحصل الا بتحمل المشاق والمتاعب ثم بين تعالى
ان مصير الاخرة الى الزيادة والكمال وان مصير الدنيا الى النقصان والفناء فكانه قيل اذا كان لا بد في القسمين
من متاعب الحراثة من السقى والتنمية والحصد والتنقية فصرف هذه المتاعب الى ما يكون في الزايد الباقى
اولى من صرفها الى ما يكون في الناقص والانقضاء **فصل** قال ابن الخطيب فان قيل ظاهر اللفظ يدل على ان
من صلى لاجل طلب الثواب او لاجل دفع العقاب فانه تصح صلوته واجمعوا على انها لا تصح فالجواب انه تعالى
قال من كان يريد حرث الاخرة والا   لا يتاتى الا بالقا البذر الصحيح في الارض والبذر الصحيح الجامع للخيرات
والسعادات ليس الا عبودية الله سبحانه وتعالى **فصل** اذا توضا بغير نية لم يصح لانه لم يرد حرث الاخرة
وذلك لا يحصل الا بالوضوء المقارن للنية **قوله تعالى ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم ياذن**
به الله الاية لما بين القانون الاعظم في اعمال الاخرة والدنيا اردفه ببيان ما هو الاصل في باب الضلالة
والشقاوة فقال ام لهم شركاء شرعوا لهم ومعنى الهمزة في ام للتقرير والتقريع والضمير في شرعوا يجوز ان
يكون عايدا على الشركاء والضمير في لهم على الكفار ويجوز العكس لانهم جعلوا لهم انصباء والمعنى شركاؤهم
اى شياطينهم الذين زينوا لهم الشرك وانكار البعث والعمل للدنيا وقيل شركاؤهم اوثانهم وانما اضيفت اليهم
لانهم هم الذين اتخذوها شركاء لله ولما كانت سببا لضلالتهم جعلت شارعة لدين ضلالتهم لهم كما قال
ابراهيم عليه السلام رب انهن اضللن كثيرا من الناس قال المفسرون يعنى كفار مكة يعنى لهم الهة سنوا لهم
من الدين ما لم ياذن به الله قال ابن عباس شرعوا لهم دينا غير دين الاسلام **قولـه** ولولا كلمة
الفصل اى لولا القضاء السابق بتاخير الجزاء او ولولا الوعد بان الفصل يكون بينهم يوم القيمة لقضى بينهم اى
بين الكافر والمؤمنين او بين المشركين وشركائهم **قولـه** فان الظالمين العامة ان على الاستيناف وسلم
ابن جوب والاعرج بفتحها عطفا على كلمة الفصل وفصل بين المتعاطفين بجواب لولا تقديره ولولا كلمة واستقرار
الظالمين في العذاب لقضى بينهم في الدنيا وهو نظير قوله ولولا كلمة سبقت لكان لزاما واجل مسمى ثم انه تعالى
ذكر احوال اهل العقاب واحوال اهل الثواب اما الاول فهو قوله ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا اى ترى
المشركين يوم القيمة خائفين وجلين مما كسبوا من السيئات وهو واقع بهم اى جزاء كسبهم واقع بهم
سواء اشفقوا او لم يشفقوا واما الثانى فهو احوال اهل الثواب فهو قوله والذين امنوا وعملوا الصالحات في
روضات الجنات قال ابو حيان اللغة الكثيرة تسكين واو روضات ولغة هذيل فتح الواو واجراءها
مجرى الصحيح نحو جفنات ولم يقرا احد فيما علمناه بلغتهم قال شهاب الدين ان عنى انه لم يقرا في روضات
بخصوصها فقريب لكن ليس هو ظاهر عبارته **فصل** اعلم ان روضة الجنة اطيب بقعة فيها وفيه تنبيه
على ان اهل الفساق من اهل الصلوة كلهم من اهل الجنة لانه خص الذين امنوا وعملوا الصالحات بانهم في روضات

الجنات وهى البقاع الشريفة من الارض كالبقاع التى دون تلك الروضات لابد وان يكون مخصوصة
بمن كانوا دون الذين امنوا وعملوا الصالحات ثم قال لهم ما يشاؤن عند ربهم وهذا يدل
على ان تلك الاشياء حاضرة عنده مهياة والعند يدل وعند ربهم يجوز ان يكون ظرفا ليشاؤن قاله
الحوفى او للاستقرار العامل فى لهم قاله الزمخشرى ثم قال ذلك هو الفضل الكبير وهذا يدل على
ان الجزاء المرتب على العمل انما حصل بطريق الفضل من الله تعالى لا بطريق الوجوب والاستحقاق قوله
ذلك الذى يبشر الله عباده كقوله كالذى خاضوا وقد تقدم تحقيقه وتقدمت القرات فى يبشر وقرا مجاهد
وحميد بن قيس يبشر بضم الياء وسكون الباء وكسر الشين من ابشر منقولا من بشر بالكسر لا من بشر بالفتح لانه
متعد والتشديد فى بشر للتكثير لا للتعدية لانه متعد بدونهما ونقل ابو حيان قرأة يبشر بفتح الياء وضم
الشين عن حمزة والكسائى من السبعة ولم يذكر غيرهما من السبعة وقد وافقهما على ذلك ابن كثير وابو عمرو
وذلك مبتدا والموصول بعده خبر وعايده محذوف على التدريج المذكور فى قوله كالذى خاضوا اى يبشر به ثم
يبشره على الاتساع واما على راى يونس فلا يحتاج الى عايد لانها عنده مصدرية وهو قول الفرا ايضا
اى ذلك تبشير الله عباده وذلك اشارة الى ما اعد الله لهم من الكرامة وقال الزمخشرى او ذلك التبشير
الذى يبشر الله عباده قال ابو حيان وليس بظاهر اذ لم يتقدم فى هذه السورة لفظ البشرى ولا ما يدل عليها
من بشر او شبهه فصل هذه الايات دالة على تعظيم حال الثواب من وجوه الاول ان الملك الذى هو
اعظم الموجودات واكرمهم اذا رتب على اعمال شاقة جزاء دل ذلك على ان ذلك الجزاء قد بلغ الى حيث لا
يعلم كنهه الا الله تعالى الثانى ان قوله تعالى لهم ما يشاؤن يدخل فى باب غير المتناهى لا درجة الا والانسان
يريد ما هو اعلا منها الثالث انه تعالى قال ذلك هو الفضل الكبير والذى يحكم بكبره من له الكبرياء والعظمة
على الاطلاق يكون فى غاية الكبر واعلم انه تعالى لما اوحى الى محمد صلى الله عليه وسلم هذا الكتاب
الشريف واودع فيه اعظم اقسام الدلايل والتكاليف ورتبه على الطاعة والثواب وامره بتبليغه الى
الامة امره بان يقول انى لا اطلب منكم بسبب هذا التبليغ نفعا حاضرا فقال قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة
فى القربى فى هذه الاستثناء قولان احدهما انه منقطع اذ ليست المودة من جنس الاجر والثانى انه متصل اى لا اسالكم
عليه اجرا الا هذا وهو ان تودوا اهل قرابتى ولم يكن هذا اجرا فى الحقيقة لان قرابته قرابتهم فكانت صلتهم
لازمة لهم فى المودة قاله الزمخشرى وقال ايضا فان قلت هلا قيل الا مودة القربى وليست فى صلة للمودة
كاللام اذا قلت الا المودة للقربى انما هى متعلقة بمحذوف تعلق الظرف به كقولك المال فى الكيس وتقديره الا
المودة ثابتة فى القربى ومستمكنة فيها وقال ابو البقاء وقيل متصل اى لا اسالكم شيئا الا المودة قال
شهاب الدين وفى تاويله متصلا بما ذكر نظر لمجيئه بشئ الذى هو عام وما من استثناء منقطع الا ويمكن تاويله
بما ذكر الا ترى الى قولك ما جاء فى احد الا حمار ان يصح ما جاء فى شئ الا الحمار وقرء زيد بن على مودة دون الف
ولام فصل فى الاية ثلاثة اقوال الاول قال الشعبى اكثر الناس علينا فى هذه الاية فكتبنا الى ابن عباس نسأله
عن ذلك فكتب ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وسط النسب من قريش ليس بطن من بطونهم
الا قد ولده وكان له فيهم قرابة فقال الله عز وجل قل لا اسالكم عليه اجرا على ما ادعوكم اليه الا ان تودونى
لقرابتى اى تصلوا ما بينى وبينكم من القرابة والمعنى انكم قومى واحق باجابتى واطاعتى فاذا قد ابيتم ذلك
فاحفظوا حق القربى وصلوا رحمى ولا تؤذونى والى هذا ذهب مجاهد وقتادة وعكرمة ومقاتل والسدى والضحاك
الثانى روى الكلبى عن ابن عباس قال ان النبى صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة كانت تنوبه نوايب و
حقوق وليس فى يده سعة فقالت الانصار ان هذا الرجل هداكم وهو ابن اخيكم وجاركم فى بلدكم فاجمعوا
له طائفة من اموالكم نفعلوا ثم اتوه بها فردها عليهم ونزل قوله تعالى قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة
فى القربى اى على الايمان الا ان لا تؤذوا قرابتى وعترتى وتحفظونى فيهم قاله سعيد بن جبير وعمرو بن شعيب
الثالث قال الحسن معناه الا ان تودوا الله وتتقربوا اليه بالطاعة والعمل الصالح ورواه ابن ابى نجيح عن مجاهد

فالقربى على القول الاول القرابة التى بمعنى الرحم وعلى الثانى بمعنى الاقارب وعلى الثالث فعلى من القرب و
التقرب فان قيل طلب الاجر على تبليغ الوحى لا يجوز لوجوه احدها انه تعالى حكى عن اكثر الانبياء التصريح
بنفى طلب الاجرة فقال فى قصة نوح عليه السلام وما اسالكم عليه من اجر الاية وكذا فى قصة هود
وصالح ولوط وشعيب عليهم الصلوة والسلام ورسولنا افضل الانبياء فبان لا يطلب الاجر على النبوة
والرسالة اولى وثانيها انه عليه الصلوة والسلام صرح بنفى طلب الاجر فقال قل ما اسالكم عليه
من اجر وما انا من المتكلفين وقال قل ما سالتكم من اجر فهو لكم وثالثها ان التبليغ كان واجبا عليه قال
تعالى بلغ ما انزل اليك من ربك الاية وطلب الاجر على اداء الواجبات لا يليق باقل الناس وفضلا عن
اعلم العلماء ورابعها ان النبوة افضل من الحكمة قال تعالى ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا و
وصف الدنيا بانها متاع قليل فقال تعالى قل متاع الدنيا قليل فكيف يحسن بالعقل مقابلة اشرف
الانبياء باخس الاشياء وخامسها ان طلب الاجر يوجب التهمة وذلك ينافى القطع بصحة النبوة فثبت
بهذه الوجوه انه لا يجوز من النبى صلى الله عليه وسلم ان يطلب اجرا البتة على التبليغ والرسالة و
ها هنا قد ذكر ما يجرى مجرى طلب الاجر وهو المودة فى القربى فالجواب انه لا نزاع فى انه لا يجوز طلب
الاجر على التبليغ واما قوله الا المودة فى القربى فالجواب عنه من جهتين الاول ان هذا من باب قوله ولا
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتايب يعنى انا لا اطلب منكم الا هذا وهذا فى الحقيقة
ليس اجرا لان حصول المودة بين المسلمين امر واجب قال تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض
وقال عليه السلام المؤمنون كالبنيان يشد بعضه بعضا والايات والاخبار فى هذا كثيرة واذا كان
حصول المودة بين المسلمين واجب فحصولها فى حق اشرف المسلمين اولى فقوله الا المودة فى القربى اى اذكركم
قرابتى منكم فكانه فى اللفظ اجر وليس باجر فصل اختلفوا فى قرابته فقيل هم فاطمة وعلى وابناهما وفيهم نزل
انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا وروى زيد بن ارقم عن النبى صلى الله عليه وسلم
قال انى تارك فيكم الثقلين كتاب الله واهل بيتى اذكركم الله فى اهل بيتى قيل لزيد بن ارقم من اهل بيته فقال
هم ال على وال عقيل وال جعفر وال عباس وروى ابن عمر عن ابى بكر رضى الله عنه قال ارقبوا محمدا فى اهل بيته
وقيل هم الذين حرم عليهم الصدقة من اقاربه ويقسم فيهم الخمس وهم بنو هاشم وبنو المطلب الذين لم يتفرقوا
فى الجاهلية ولا الاسلام وقيل هذه الاية منسوخة واليه ذهب الضحاك بن مزاحم والحسين بن الفضل قال
البغوى وهذا قول غير مرضى لان مودة النبى صلى الله عليه وسلم وكف الاذى عنه ومودة اقاربه والتقرب
الى الله تعالى بالطاعة والعمل الصالح من فرائض الدين قوله ومن يقترف حسنة اى من يكتسب طاعة
نزد له فيها حسنا العامة على نزد بالنون وزيد بن على وعبد الرحمن بن ابى عمرو يزد بالياء من تحت اى
يزد الله والعامة على حسنا بالتنوين مصدرا على فعل نحو شكر وهو مفعول به وعبد الوارث عن ابى عمرو
حسنى بالف التانيث على وزن بشرى ورجعى وهو مفعول به ايضا ويجوز ان يكون صفة كفضلى فيكون
وصفا لمحذوف اى خصلة حسنى قيل نزلت هذه الاية فى ابى بكر الصديق رضى الله عنه والظاهر العموم فى اى
حسنة كانت لانها لما ذكرت عقيب ذكر المودة فى القربى دل ذلك على ان المقصود التاكيد فى تلك المودة
ثم قال ان الله غفور شكور غفور للذنوب شكور للقليل حتى يضاعفها والشكور فى حق الله تعالى مجاز
والمعنى انه تعالى يحسن الى المطيعين فى ايصال الثواب اليهم وفى ان يزيد عليه انواعا كثيرة من التفضيل
قوله تعالى ام يقولون افترى على الله كذبا اعلم ان الكلام ابتداه من اول هذه السورة فى تقرير ان
هذا الكتاب انما حصل بوحى الله تعالى فقال كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم واتصل
الكلام فى تقرير هذا المعنى وتعلق بعضه ببعض الى ها هنا ثم حكى ها هنا شبهة القوم وهى قولهم ان هذا
ليس وحيا من الله تعالى فقال ام يقولون افتراه قال الزمخشرى ام منقطعة ومعنى الهمزة فيه للتوبيخ
والمعنى ايقع فى قلوبهم ويجرى فى السنتهم ان ينسبوا مثله الى الافتراء على الله الذى هو اقبح الانواع وافحشها

ثم اجاب عنه بان قال فان يشاء الله يختم على قلبك بالصبر حتى لا يشق عليك اذاهم وقولهم انه مفتر
كذاب وقال قتادة يعنى نطبع على قلبك فتنسيك القران وما اتاك فاخبرهم انه لو افترى
على الله كذبا لفعل به ما اخبر فى هذه الاية اى انه لا يجترى على افتراء الكذب الا من كان فى هذه الحالة و
والمقصود من هذا الكلام المبالغة فى تقرير الاستبعاد ومثاله ان ينسب رجل بعض الامناء الى الخيانة
فيقول الاخر لعل الله خذلنى لعل الله اعمى قلبى وهو لا يريد اثبات الخذلان وعمى القلب لنفسه وانما يريد
استبعاد صدور الخيانة عنه **قوله** ويمح الله الباطل هذا مستانف غير داخل فى جزاء الشرط لانه
تعالى يمحوا الباطل مطلقا وسقطت منه الواو لفظا لالتقاء الساكنين فى الدرج وخطا حملا للخط على اللفظ
كما كتبوا سندع الزبانية عليه ولكن ينبغى ان لا يجوز الوقف على هذا لانه ان وقف عليه بالاصل وهو الواو
خالفنا خط المصحف وان وقفنا بغيرها موافقة للرسم خالفنا الاصل وتقدم بحث مثل هذا وقد منع مكى
الوقف على نحو ومن تق السيئات وقال الكسائى فيه تقديم وتاخير مجازه والله يمح الباطل وهو فى محل
رفع ولكنه حذفت منه الواو فى المصحف على اللفظ كما حذفت من قوله ويدع الانسان وسندع الزبانية
فصل اخبر تعالى ان ما يقولونه باطل يمحوه الله ويحق الحق اى الاسلام بكلماته اى بما انزل من كتاب
وقد فعل الله ذلك فمحى باطلهم واعلى كلمة الاسلام انه عليم بما فى صدورك وصدورهم قال ابن عباس
لما نزلت قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة فى القربى وقع فى قلوب المؤمنين منها شئ وقالوا يريد ان يحثنا
على اقاربه من بعده فنزل جبريل فاخبره انهم اتهموه فانزل الله هذه الاية فقال القوم يا رسول الله فانا نشهد
انك صادق فنزل وهو الذى يقبل التوبة عن عباده قال ابن عباس يريد اولياءه واهل طاعته قال
الزمخشرى يقال قبلت منه الشئ وقبلته عنه فمعنى قبلته منه اخذته منه وجعلته مبدا القبول ومنشاءه
ومعنى قبلته عنه عزلته عنه **فصل** قيل التوبة ترك المعاصى نية وفعلا والاقبال على الطاعة نية وفعلا
وقال سهل بن عبد الله التوبة الانتقال من الاحوال المذمومة الى الاحوال المحمودة وقيل الندم على المعاصى
والترك فى الحال والعزم على ان لا يعود اليه فى المستقبل **روى** جابر ان اعرابيا دخل مسجد النبى صلى الله
عليه وسلم فقال اللهم انى استغفرك واتوب اليك وكبر فلما فرغ من صلوته قال له على رضى الله عنه
يا هذا ان سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين فقال يا امير المؤمنين ما التوبة قال اسم يقع على
ستة اشياء على الماضى من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الاعادة ورد المظالم واذابة النفس
فى الطاعة كما ربيتها فى المعصية واذاقة النفس مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعصية والبكاء
بدل كل ضحك ضحكته قالت المعتزلة يجب على الله تعالى عقلا قبول التوبة وقال اهل السنة لا يجب على الله
شئ وكلما يفعله فهو كرم وفضل فاحتجوا بهذه الاية فقالوا انه تعالى تمدح بقبول التوبة ولو كان ذلك
القبول واجبا لما حصل ذلك التمدح العظيم الا ترى ان من مدح نفسه بان لا يضرب الناس ظلما كان
ذلك مدحا **قوله** ويعفوا عن السيئات اما ان يكون المراد منه ان يعفوا عن الصغائر او المراد
ان يعفوا عن الكبائر قبل التوبة والاول باطل والا لصار قوله ويعفوا عن السيئات عين قوله وهو الذى
يقبل التوبة عن عباده والتكرار خلاف الاصل والثانى ايضا باطل لان ذلك واجب واداء الواجب لا يمدح
به فبقى القسم الثالث فيكون المعنى انه تارة يعفوا بواسطة قبول التوبة وتارة يعفوا ابتداء من غير
توبة **فصل** روى الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله اشد فرحا بتوبة عبده
حين يتوب اليه من احدكم كان هو وراحلته بارض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فايس
منها فاتى شجرة فاضطجع فى ظلها قد ايس من راحلته فبينا هو كذلك اذ هو بها قائمة عنده فاخذ
بخطامها ثم قال من شدة الفرح اللهم انت عبدى وانا ربك اخطاء من شدة الفرح **قوله**
ويعلم ما تفعلون قرا الاخوان وحفص يفعلون بالياء من تحت نظرا الى قوله عن عباده وقال بعده
ويزيدهم من فضله والباقون بالخطاب اقبالا على الناس عامة وهو خطاب للمشركين **قوله** ويستجيب الذين

امنوا يجوز ان يكون الموصول فاعلا اى يجيبون ربهم اذا دعاهم لقوله استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم
واستجاب كاجاب ومنه وداع دعا يا من يجيب الى الندا فلم يستجبه عند ذاك مجيب ويجوز ان يكون السين
للطلب على بابها بمعنى ويستدعى المؤمنون الاجابة من ربهم بالاعمال الصالحة ويجوز ان يكون الموصول مفعولا
به والفاعل مضمر يعود على الله بمعنى ويجيب الله الذين امنوا اى دعاءهم وقيل ثم لام مقدرة اى ويستجيب
الله للذين امنوا فحذفها للعلم بها كقوله واذا كالوهم قال عطاء عن ابن عباس معناه ويثيب الله الذين
امنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله سوى ثواب اعمالهم تفضلا منه وروى ابو صالح
عنه يشفعهم ويزيدهم من فضله قال فى اخوان اخوانهم والكافرون لهم عذاب شديد **قوله تعالى**
ولو بسط الله الرزق لعباده الاية قال خباب بن الارت فينا نزلت هذه الاية وذلك انا نظرنا الى
اموال بنى قريظة وبنى قينقاع وتمنيناها فانزل الله عز وجل ولو بسط ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا
لطغوا فى الارض قال ابن عباس بغيهم طلبهم منزلة بعد منزلة ومركبا بعد مركب وملبسا بعد ملبس
ولكن ينزل ارزاقهم بقدر ما يشاء كما يشاء نظرا منه لعباده قرا ابن كثير وابو عمرو ينزل مشددة
والباقون مخففة انه بعباده خبير بصير روى انس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن
الله عز وجل فى حديث طويل وفيه قال يقول الله عز وجل ما ترددت فى شئ انا فاعله ترددى فى قبض
روح عبدى المؤمن يكره الموت واكره مساءته ولا بد له منه وان من عبادى المؤمنين لمن يسالنى الباب
عن العبادة فاكفه عنه لا يدخله العجب ويفسده ذلك وان من عبادى المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا الغنى
ولو افقرته لافسده ذلك وان من عبادى المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا الصحة ولو اسقمته لافسده ذلك
وان من عبادى المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا السقم ولو اصححته لافسده ذلك لانى ادبر امر عبادى لعلمى
بقلوبهم انى عليم خبير **فصل** وجه التعلق انه تعالى لما قال تعالى فى الاية الاولى انه يجيب دعاء
المؤمن ورد عليه سؤال وهو ان المؤمن قد يكون فى شدة وبلية وفقر ثم يدعوا فلا يظهر اثر الاجابة
فكيف الجمع بينه وبين قوله ويستجيب الذين امنوا فاجاب تعالى عنه بقوله ولو بسط الله الرزق لعباده
لبغوا فى الارض ولاقدموا على المعاصى ولذلك وجب ان لا يعطيهم ما طلبوه ويؤيده الحديث المتقدم
فصل قال الجبائى هذه الاية تدل على فساد قول المجبرة من وجهين الاول انه تعالى لو بسط الرزق لعباده
لبغوا فى الارض والبغى فى الارض غير مراد فعلمنا انه تعالى لا يريد البغى فى الارض وذلك يوجب فساد قول
المجبرة الثانى انه تعالى انما لم يرد بسط الرزق لانه يفضى الى المفسدة فلما بين انه لا يريد ما يفضى الى المفسدة
اولى واجيب بان الميل الى البغى والقهر والقسوة صفة حدثت بعد ان لم تكن فلا بد لها من فاعل وفاعل
هذه الاحوال اما العبد واما الله والاول باطل لانه انما يفعل هذه الاشياء لو مال طبعه اليها وعاد السؤال
فى انه من المحدث لذلك الميل الثانى ويلزم التسلسل وايضا فالميل للظلم والقسوة عيوب ونقصانات والعاقل
لا يرضى بتحصيل موجبات النقصان لنفسه ولما بطل هذا ثبت ان محدث هذا الميل والرغبة هو الله ثم اورد
الجبائى على نفسه سؤالا فقال قال فان قيل اليس قد بسط الله الرزق لبعض عباده مع انه يبغى واجاب عنه
بانه الذى يبسط له الرزق اذا بغى كان المعلوم من حاله انه يبغى على كل حال سواء اعطى ذلك الرزق او لم يعط قال
ابن الخطيب هذا الجواب فاسد ويدل عليه القران والعقل اما القران فقوله تعالى كلا ان الانسان ليطغى
ان راه استغنى حكم مطابق لكون حصول الغنى سبب لحصول الطغيا واما العقل فهو ان النفس اذا كانت مائلة
الى الشر فمع حصول الغنى يميل الى الشر اكثر فثبت ان وجدان المال يوجب الطغيان **فصل** فى كون بسط الرزق
موجبا للطغيان وجوه الاول ان الله تعالى لو سوى فى الرزق بين الكل لامتنع كون البعض محتاجا الى البعض
وذلك يوجب خراب العالم وتعطيل المصالح الثانى ان هذه الاية مختصة بالعرب فانه كلما اتسع رزقهم و
وجدوا من ماء المطر ما يرويهم ومن الكلاء والعشب ما يشبعهم اقدموا على النهب والغارة الثالث
ان الانسان متكبر بالطبع فاذا وجد الغنى والقدرة عاد الى مقتضى خلقته الاصلية وهو التكبر واذا وقع فى شدة

وبليه ومكروه انكسر وعاد الى التواضع والطاعة قوله وهو الذى ينزل الغيث اى المطر من بعد ما
ما قنطوا من بعد ما يئس الناس منه وانزال الغيث بعد القنوط ادعى الى التشكر لان الفرح لحصول النعمة
بعد البلية ثم قال الزمخشرى قرى قنطوا بفتح النون وكسرها فاما فتح النون فهى قرأة العامة واما كسرها
فقرأه يحيى بن وثاب والاعمش وهى لغة وعليها قرى يقنط لا تقنطوا بفتح النون فى المتواتر ولم يقرا بالكسر
فى الماضى الا شاذا وما مصدرية اى من بعد قنوطهم قال مقاتل حبس الله المطر عن اهل مكة سبع
سنين حتى قنطوا ثم انزل الله المطر فذكرهم نعمه قوله وينشر رحمته يبسط مطره كما قال وهو الذى
يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته وهو الولى الحميد الولى الذى يتولى عباده باحسانه الحميد المحمود على
ما يوصل الى الخلق من الرحمة وقيل الولى لاهل طاعته الحميد عند خلقه قوله تعالى ومن اياته خلق السموات
والارض الاية قد تقدم على دلالة خلق السموات والارض والحيوانات على وجود الاله الحكيم فان قيل
كيف يجوز اطلاق لفظ الدابة على الملائكة فالجواب فيه وجوه الاول انه قد يضاف الفعل الى جماعة وان كان
فاعله واحدا منهم كما يقال بنو فلان فعلوا كذا وانما فعله واحد منهم ومنه قوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان
الثانى ان الدابة عبارة عما فيه الروح والحركة والملائكة لهم الروح والحركة الثالث لا يبعد ان يقال
الله تعالى خلق فى السموات انواعا من الحيوان يمشون مشى الاناس على الارض وروى العباس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال فوق السماء السابعة بحر بين اسفله واعلاه كما بين السماء والارض ثم فوق
ذلك ثمانية اوعال بين ركبتهن واظلافهن كما بين السماء والارض ثم فوق ذلك العرش الحديث قوله
وما بث يجوز ان يكون مجرورة المحل عطفا على السموات او مرفوعة عطفا على خلق على حذف مضاف اى
وخلق ما بث قاله ابو حيان وفيه نظر لانه يؤول الى جره بالاضافة لخلق المقدر فلا يعدل عنه قوله
اذا يشاء اذا منصوبة بجمعهم لا بقديرة قال ابو البقاء لان ذلك يؤدى الى ان يصير المعنى وهو على جمعهم قدير
اذا يشاء فتعلق القدرة بالمشية وهو محال قال شهاب الدين ولا ادرى ما وجه كونه محالا على مذهب
اهل السنة فان كان يقول بقول المعتزلة وهو ان القدرة تتعلق بما لم يشاء الله مشى كلامه
ولكنه مذهب ردى لا يجوز اعتقاده ونقول يجوز تعلق الظرف به ايضا قال الزمخشرى اذا تدخل على
المضارع كما تدخل على الماضى قال تعالى والليل اذا يغشى ومنه اذا يشاء قدير والمقصود انه تعالى
خلقها لا لعجز ولكن لمصلحة ولهذا قال وهو على جمعهم اذا يشاء قدير يعنى الجمع والحشر والمحاسبة
فصل احتج الجبائى بقوله اذا يشاء قدير على ان مشيته تعالى محدثة قال لان كلمة اذا ظرف لما يستقبل
من الزمان وكلمة يشاء صيغة المستقبل فلو كانت مشيته تعالى قديمة لم يكن لتخصيصها بذلك
الوقت المستقبل فائدة ولما دل قوله اذا يشاء على التخصيص علمنا ان مشيته تعالى محدثة واجيب
بان هاتين الكلمتين كما دخلتا على المشية فقد دخلتا ايضا على لفظ القدير فلزم على هذا ان تكون
قدرته صفة محدثة ولما كان هذا باطلا فكذا القول فى المشية قوله وما اصابكم من مصيبة
فبما كسبت ايديكم قرا نافع وابن عامر بما كسبت بغير فاء والباقون بالفاء فما فى القرأة الاولى
الظاهر انها موصولة بمعنى الذى والخبر الجار من قوله بما كسبت وقال قوم منهم ابو البقاء
انها شرطية حذفت منها الفاء قال ابو البقاء كقوله تعالى فان اطعتموهم انكم لمشركون وقول الاخر
من يفعل الحسنات الله يشكرها وهذا ليس مذهب الجمهور انما قال به الاخفش وبعض البغداديين
واما قوله انكم لمشركون فليس جوابا للشرط انما هو جواب لقسم مقدر حذفت لامه الموطئة قبل اداة
الشرط واما القرأة الثانية فالظاهر انها فيها شرطية وقال ابو البقاء انه ضعيف ولم يلتفت الى
ذلك ويجوز ان تكون الموصولة والفاء داخلة فى الخبر تشبيها للموصول بالشرط بشروط مذكورة
فى هذا الكتاب وقد وافق نافع وابن عامر مصاحفهما فان الفاء ساقطة من مصاحف المدينة
والشام وكذلك الباقون فانها ثابتة فى مصاحف مكة والعراق فصل اختلفوا فيما يحصل من الدنيا

من الالام والاسقام والقحط والغرق والمصائب هل هى عقوبات على ذنوب سلفت ام لا فمنهم
من انكر ذلك لوجوه الاول قوله تعالى اليوم تجزى كل نفس بما كسبت بين تعالى ان ذلك انما يحصل
يوم القيمة وقال تعالى مالك يوم القيمة اى يوم الجزاء واجمعوا على ان المراد منه يوم القيمة الثانى
مصائب الدنيا يشترك فيها الصديق والزنديق فيمتنع ان تكون عقوبة على الذنوب بل حصول
المصائب للصالحين والمتقين اكثر منه للمذنبين ولهذا قال عليه الصلوة والسلام خص
البلاء بالانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل الثالث ان الدنيا دار تكليف فلو حصل الجزاء فيها
لكانت دار تكليف ودار جزاء معا وهو محال وقال اخرون هذه المصائب قد تكون زاجرة على ذنوب
متقدمة لهذه الاية ولما روى الحسن قال لما نزلت هذه الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
والذى نفسى بيده ما من خدش عود ولا عثرة قدم ولا اختلاج عرق الا بذنب وما يعفوا الله عنه
اكثر وقال على بن ابى طالب الا اخبركم بافضل اية فى كتاب الله حدثنا بها رسول الله صلى الله عليه
وسلم وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير قال وسافسرها لك يا على ما اصابكم
من مرض او عقوبة او بلوى فى الدنيا فبما كسبت ايديكم والله عز وجل اكرم من ان يثنى عليكم العقوبة
فى الاخرى وما عفى الله عنه فى الدنيا فالله احلم من ان يعود بعد حلمه وتمسكوا ايضا بقوله تعالى
بعد هذه الاية او يوبقهن بما كسبوا وذلك تصريح بان ذلك الاهلاك بسبب كسبهم واجاب الاولون
بان حصول هذه المصائب تكون من باب الامتحان بالتكليف لا من باب العقوبة كما فى حق الانبياء و
والاولياء ويحمل قوله فبما كسبت ايديكم على ان الاصلح عند اتيانكم بذلك الكسب انزال هذه المصائب
عليكم فصل هذه الاية تقتضى اضافة الكسب الى اليد والكسب لا يكون باليد بل بالقدرة القائمة با
باليد فوجب ان يكون المراد من لفظ اليد هاهنا القدرة واذا كان هذا المجاز مشهورا مستعملا وكان
لفظ اليد الوارد فى حق الله تعالى يجب حمله على القدرة تنزيها لله تعالى عن الاعضاء قوله ويعفو
عن كثير اى قد يترك الكثير بفضله ورحمته قال الواحدى بعد ان روى حديث على المتقدم وهذه
ارجى اية فى كتاب الله لان الله تعالى جعل قلوب المؤمنين صنفين صنف كفر عنهم بالمصائب وصنف
عفى عنه فى الدنيا وهو كريم لا يرجع فى عفوه فهذه سنة الله مع المؤمنين واما الكافر فانه لا يعجل له
عقوبة ذنبه حتى يوافى به يوم القيمة ثم قال وما انتم بمعجزين اى بفائتين فى الارض
هربا اى لا تعجزوننى حيث ما كنتم ولا تسبقوننى وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير والمراد به
من يعبد الاصنام بين انه لا فائدة له فيها البتة بل النصير هو الله تعالى فلا جرم هو الذى يحسن عبادته
قوله تعالى ومن اياته الجوارى الاية قرا نافع وابو عمرو الجوارى بياء فى الاصل واما الوقف
فاثباتها على الاصل وحذفها للتخفيف وهى السفن واحدتها جارية وهى السائرة فى البحر فان قيل
الصفة متى لم تكن خاصة لموصوفها امتنع حذف الموصوف لا تقول مررت بماش لان المشى عام وتقول
مررت بمهندس وكاتب والجرى ليس من الصفات الخاصة فما وجه ذلك فالجواب ان قوله فى البحر قرينة
دالة على الموصوف ويجوز ان تكون هذه الصفة غالبة كالابطح والابرق فوليت العوامل دون موصوفها
وفى البحر متعلق بالجوارى اذا لم يجر مجرى الجوامد فان جرى مجراه كان حالا منه وكذا قوله كالاعلام وهى
الجبال قالت الخنساء وان صخرا لتاتم الهداة به كانه علم فى رأسه نار روى ان النبى صلى الله عليه
وسلم استنشد قصيدتها هذه فلما وصل الراوى هذا البيت قال قاتلها الله ما رضيت تشبيهه بالجبل
حتى جعلت فى راسه نارا وقال مجاهد الاعلام القصور واحدها علم وقال الخليل بن احمد كل شئ مرتفع
عند العرب فهو علم وسمع هذه الجوار وركبت الجوار وفى الجوار بالاعراب على الراء تناسيا للمحذوف وتقدم
هذا فى قوله ومن فوقهم غواش فى الاعراف فصل اعلم ان المقصود من ذكر هذه الاية امران احدهما
ان يستدل به على وجود الاله القادر الحكيم الثانى ان ما يعرف ما فيه من النعم العظيمة لله تعالى

على العباد اما وجه الاول فان هذه السفن العظيمة التى كالجبال تجرى على وجه البحر عند هبوب الرياح
على اسرع الوجوه وعند سكون الرياح تقف وقد تقدم فى سورة النحل ان محرك الرياح ومسكنها هو الله
تعالى اذ لا يقدر احد من البشر على تحريكها ولا على تسكينها وذلك يدل على وجود الاله القادر مع ان تلك ۝
السفينة فى غاية الثقل ومع ثقلها بقيت على وجه الماء ايضا واما دلالتها على النعم العظيمة وهو ما فيها ۝
من المنافع فانه تعالى خص كل جانب من الارض بنوع من الامتعة فاذا نقل متاع هذا الجانب الى الجانب الاخر
فى السفن وبالعكس حصلت المنافع العظيمة بالتجارة فلهذه الاسباب ذكر الله تعالى حال هذه السفن
قوله ان يشأ يسكن الريح التى تجرى بها فيظللن رواكد قرأ ابو عمرو والجمهور بهمز ان يشأ لان سكون
الهمز علامة الجزم وورش عن نافع بلا همزة وقرأ نافع يسكن الرياح على الجمع والباقون الريح على التوحيد
قوله فيظللن العامة على فتح اللام التى هى عين الكلمة وهو القياس لان الماضى بكسرها يقول ظللت قائما
وقرأ قتادة بكسرها وهو شاذ نحو حسب يحسب واخواته وقد تقدم اخر البقرة وقال الزمخشرى
قرئ بفتح اللام وكسرها من ظل يظل ويظل وضل يضل ويضل قال ابو حيان وليس كما ذكر لان يضل بفتح
العين من ضللت بكسرها فى الماضى ويضل بالكسر من ضللت بالفتح وكلاهما مقيس يعنى ان كلا منهما له اصل
يرجع اليه بخلاف ظل فان ماضيه مكسور العين فقط والنون اسمها ورواكد خبرها والجواز ان يكون ظل هنا
بمعنى صار لان المعنى ليس على وقت الظلول وهو النهار فقط وهو نظير ابن ثابت بل من هذه الحيثية والركود
الثبوت والاستقرار قال وقد ركدت نحو السماء نجومها ركود نوادى الربرب المتفرق والمعنى فيظللن
رواكد اى ثوابت على ظهر البحر لا تجرى ان فى ذلك لايات لكل صبار شكور صبور على بلاء الله شكور
على نعمائه قوله او يوبقهن عطف على يسكن قال الزمخشرى لان المعنى ان يشأ يسكن فيركدن او يعصفها
فيغرقن بعصفها قال ابو حيان ولا يتعين ان يكون التقدير يعصفها فيغرقن لان اهلاك السفن ۝
لا يتعين ان يكون بعصف الريح بل قد يهلكها بقلع لوح او خسف قال شهاب الدين والزمخشرى لم يذكر
ان ذلك متعين وانما ذكر شيئا مناسبا لان قوله يسكن الريح يقابله بعصفها فهو فى غاية الحسن و
الطباق فصل معنى يوبقهن اى يهلكهن ويغرقهن بما كسبوا اى بما كسب ركابها من الذنوب ويعف عن
كثير من ذنوبهم فلا يعاقب عليها يقال او بقه اى اهلكه كما يقال للمجرم اوبقته ذنوبه اى اهلكته ۝
فان قيل ما معنى ادخال العفو فى حكم الايباق حيث جعل مجزوما مثله فالجواب معناه ان يشأ يهلك ناسا
وينج ناسا على طريق العفو عنهم واما من قرأ ويعفوا فقد استأنف الكلام والعامة على الجزم عطفا
على جواب الشرط واستشكله القشيرى وقال لان المعنى ان يشأ يسكن الريح فيبقى تلك السفن رواكد
او يهلكها بذنوب اهلها فلا يحسن عطف ويعف على هذا لان المعنى يصير ان يشأ يعف وليس المعنى على
ذلك بل المعنى الاخبار عن العفو من غير شرط المشيئة فهو عطف على المجزوم من حيث اللفظ لا من حيث المعنى
قال ابو حيان وما قاله ليس بجيد اذ لم يفهم مدلول التركيب والمعنى الا انه تعالى ان يشأ اهلك ناسا
وانجى ناسا على طريق العفو عنهم وقرأ الاعمش ويعفوا بالواو وهى تحتمل ان تكون كالمجزوم وثبت الواو فى
الجزم كثبوت الياء فى من يتق ويصبر ويحتمل ان يكون الفعل مرفوعا اخبر تعالى انه يعفو عن كثير من السيئات
وقرأ بعض اهل المدينة بالنصب باضمار ان بعد الواو وقوله كنصبه فى قول النابغة فان يهلك ابو قابوس يهلك
ربيع الناس والبلد الحرام ونأخذ بعده بذناب عيش اجب الظهر ليس له سنام بنصب ونأخذ ورفعه
وجزمه وهذا كما ترى بالاوجه الثلاثة بعد الفاء فى قوله تعالى فيغفر لمن يشاء كما تقدم اخر البقرة ويكون
قد عطف هذا المصدر المؤول من ان المضمرة والفعل على مصدر متوهم وفى ذلك عطف فعل على مثله قوله
ويعلم الذين يجادلون قرأ نافع وابن عامر برفعه والباقون بنصبه وقرئ بجزمه ايضا فاما الرفع فواضح جدا
وهو يحتمل وجهين احدهما الاستئناف بجملة اسمية فتقدر قبل الفعل مبتدأ اى وهو يعلم الذين فالذين
على الاول فاعل وعلى الثانى مفعول واما قراءة النصب ففيها اوجه احدها قال الزجاج على الصرف قال ومعنى

الصرف صرف العطف على اللفظ الى العطف على المعنى قال وذلك انه لما لم يحسن عطف ويعلم مجزوما على
ما قبله اذ يكون المعنى ان يشأ يعلم عدل الى العطف على مصدر الفعل الذى قبله ولا يتأتى ذلك الا باضمار
ان ليكون مع الفعل فى تأويل اسم وقال البغوى قرئ بالنصب على الصرف والجزم اذا صرف عنه معطوفه نصب
كقوله ويعلم الصابرين نقل من حال الجزم الى النصب استخفافا وكراهية توالى الجزم الثانى قول الكوفيين انه
منصوب بواو الصرف يعنون ان الواو نفسها هى الناصبة لا باضمار ان وتقدم معنى الصرف الثالث قال
الفارسى ونقله الزمخشرى عن الزجاج ان النصب على اضمار ان لان قبلها جزاء تقول ما تصنع اصنع واكرمك
وان شئت واكرمك على وانا اكرمك وان شئت واكرمك جزما قال الزجاج وفيه نظر
لما اورده سيبويه فى كتابه قال واعلم ان النصب بالواو والفاء فى قوله ان تأتنى اتك واعطيك ضعيف و
هو نحو من قوله ولحق بالحجاز فاستريحا فهذا لا يجوز لانه ليس بحد الكلام ولا وجهه الا انه فى الجزاء ۝
صار اقوى قليلا لانه ليس بواجب انه يفعل الا ان يكون من الاول فعل فلما صار الذى لا يوجبه كالاستفهام
ونحوه اجازوا فيه هكذا على ضعفه قال الزمخشرى ولا يجوز ان تحمل القراءة المستفيضة على وجه ليس بحد الكلام
ولا وجهه ولو كانت من هذا الباب لما اخلى سيبويه منها كتابه وقد ذكر نظائرها من الايات المشكلة ۝
الرابع ان ينتصب عطفا على تعليل محذوف تقديره لينتقم منهم ويعلم الذين ونحوه فى العطف على التعليل
المحذوف غير عزيز فى القرآن ومنه ولنجعله آية للناس وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى قاله
الزمخشرى قال ابو حيان ويبعد تقديره لينتقم منهم واما الاتيان فيمكن ان تكون اللام متعلقة بفعل
محذوف تقديره ولنجعله اية للناس فعلنا ذلك ولتجزى كل نفس فعلنا ذلك وهو كثيرا ما يقدر هذا
الفعل مع هذه اللام اذا لم يكن فعل يتعلق به قال شهاب الدين بل يحسن تقدير لينتقم لانه يعود فى
المعنى على اهلاك قوم المترتب على الشرط واما الجزم فقال الزمخشرى فان قلت كيف يصح المعنى على جزم و
يعلم قلت كانه قيل وان يشأ يجمع بين ثلاثة امور اهلاك قوم وانجاء قوم وتحذير اخرين واذا قرئ
بالجزم فيكسر الميم لالتقاء الساكنين وقوله ما لهم من محيص فى محل نصب لسدها مسد مفعولى العلم
فصل المعنى وليعلم الذين يجادلون اى يكذبون بالقرآن اذا صاروا الى الله عز وجل بعد البعث لا مهرب
لهم من عذاب الله كما انه لا مخلص لهم اذا وقفت السفن واذا عصفت الرياح ويكون ذلك سببا ۝
لاعترافهم بان الاله النافع الضار ليس الا الله قوله تعالى وما اوتيتم من شئ فمتاع الحيوة الدنيا
الاية لما ذكر دلائل التوحيد اردفها بالتنفير عن الدنيا وتحقير شأنها لان المانع من قبول الدليل هو
الرغبة فى الدنيا فقال وما اوتيتم ما شرطية وهى فى محل نصب مفعولا ثانيا لاوتيتم والاول هو ضمير المخاطبين
قام مقام الفاعل وانما قدم الثانى لان له صدر الكلام وقوله من شئ بيان لما الشرطية لما فيها من الابهام
وقوله فمتاع الفاء جواب الشرط ومتاع خبر مبتدأ مضمر اى فهو متاع وقوله وما عند الله ما موصولة ۝
مبتدأ وخير خبرها وللذين متعلق بابقى فصل المعنى وما اوتيتم من شئ من رياش الدنيا فمتاع الحيوة الدنيا
ليس من زاد المعاد وسماه متاعا تنبيها على قلته وحقارته وجعله من متاع الدنيا تنبيها على انقراضه
واما الاخرة فانها خير وابقى والباقى خير من الخسيس الفانى ثم بين ان هذه الحيوة انما تحصل لمن كان موصوفا
بصفات منها ان يكون من المؤمنين فقال الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون وهذا يرد على من زعم ان الطاعة
توجب الثواب لانه متكل على عمل نفسه لا على الله فلا يدخل تحت الاية الصفة الثانية قوله والذين
يجتنبون نسق على الذين الاولى وقال ابو البقاء الذين يجتنبون فى موضع جر بدلا من للذين امنوا
ويجوز ان يكون فى موضع نصب باضمار اعنى او فى موضع رفع على تقدير هم وهذا وهم منه فى التلاوة كانه
اعتقد ان القرآن وعلى ربهم يتوكلون الذين يجتنبون فبنى عليه الثلاثة الاوجه وهو بناء فاسد
قوله كبائر الاثم قرأ الاخوان هنا وفى النجم كبير الاثم بالافراد والباقون كبائر بالجمع فى السورتين والمفرد
هنا فى معنى الجمع والرسم الكريم يحتمل القراءتين فصل تقدم معنى كبائر الاثم فى سورة النساء قال ابن الخطيب

نقل الزمخشري عن ابن عباس ان كبير الاثم هو الشرك وهو عندي ضعيف لان الشرط الايمان ه
مذكور وهو نفي عن عدم الشرك وقيل كبائر الاثم ما يتعلق بالبدع واستخراج الشبهات واما الفواحش فقال
السدي يعني الزنا وقال مقاتل الحد قوله واذا ما غضبوا اذا منصوب به يغفرون ويغفرون خبر لهم
والجملة بأسرها عطف على الصلة وهي يجتنبون والتقدير والذين يجتنبون وهم يغفرون عطف اسمية
على فعلية ويجوز ان يكون هم توكيدا للفاعل في قوله غضبوا وعلى هذا فيغفرون جواب الشرط وقال
ابو البقاء هم مبتدا ويغفرون الخبر والجملة جواب اذا قال شهاب الدين وهذا غير صحيح لانه لو كان جوابا
لاذا لاقترن بالفاء تقول اذا جاء زيد فعمرو منطلق وقيل هم مرفوع بالفعل مقدر يفسره يغفرون
بعده ولما حذف الفعل انفصل الضمير ولم يستبعده ابو حيان وكان ينبغي ان يجوز ذلك في مذهب سيبويه لانه
اجازه في الاداة الجازمة تقول ان ينطلق زيد ينطلق تقديره ينطلق زيد ينطلق فينطلق واقع جوابا ومع ذلك
فسر الفعل وكذلك هذا وايضا فذلك جائز في فعل الشرط بعدها نحو اذا السماء انشقت فليجز في جوابها
ايضا قوله واذا ما غضبوا هم يغفرون يحلمون ويكظمون الغيظ وخص الغضب بلفظ الغفران لان الغضب
على طبع النار واستيلاؤه شديد ومقاومته صعبه فلهذا خصه الله بهذا اللفظ قوله والذين استجابوا
لربهم اي اجابوه الى ما دعاهم اليه من طاعته وقال ابن الخطيب المراد منه تمام الانقياد ه
فان قيل اليس انه لما حصل الايمان فيه شرطا فقد دخل في الايمان اجابة الله قال ابن الخطيب
والجواب ان يحمل هذا على الرضا بقضاء الله من صميم القلب وان لا يكون في قلبه منازعة ثم قال
واقاموا الصلوة اي الواجبة لان هذا هو الشرط في حصول الثواب قوله وامرهم شورى بينهم اي
يتشاورون فيما يبدو لهم ولا يعجلون والشورى مصدر كالفتيا بمعنى التشاور ومما رزقناهم ينفقون
قوله والذين اذا اصابهم البغي اي الظلم والعدوان هم ينتصرون اي ينتقمون من ظالمهم من غير
ان يعتدوا قال ابن زيد جعل الله المؤمنين صنفين صنف يعفوا عن ظالمهم فبدأ بذكرهم وهو
قوله واذا ما غضبوا هم يغفرون وصنف ينتصرون من ظالمهم وهم المذكورون في هذه الآية كانوا
يكرهون ان يستعبدوا فاذا قدروا عفوا وقال عطاء هم الذين اخرجهم الكفار من مكة وبغوا عليهم
ثم مكنهم الله في الارض حتى انتصروا ممن ظلمهم وعن النخعي انه كان اذا قرأها قال كانوا يكرهون ان يذلوا
انفسهم فيجتري عليهم السفهاء فان قيل هذه الاية مشكلة من وجهين الاول انه لما ذكر قبله واذا
ما غضبوا هم يغفرون كيف يليق ان يذكر معه ما يجري مجرى الضد له وهو الذين اذا اصابهم البغي هم
ينتصرون الثاني ان جميع الايات دالة على ان العفو احسن مذمومة قال تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى ه
وقال تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما وقال خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين وقال
وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين فالجواب ان العفو على ضربين احدهما
ان يصير العفو سببا لتسكين الفتنة ورجوع الجاني عن جنايته والثاني ان يصير العفو سببا لمزيد جراءة
وقوة غيظه وغضبه فايات العفو محمولة على القسم الاول وهذه الاية محمولة على القسم الثاني وحينئذ
يزول التناقض روي ان زينب اقبلت على عائشة تشتمها فنهاها النبي صلى الله عليه وسلم عنها فلم تنته
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة سبيها وايضا فانه تعالى لم يرغب في الانتصار بل بين انه مشروع
فقط ثم بين ان مشروعيته مشروطة برعاية المماثلة فقال وجزاء سيئة سيئة مثلها ثم بين ان العفو
اولى بقوله فمن عفا واصلح فاجره على الله فزال السؤال قوله هم ينتصرون اعرابه كاعراب واذا ما غضبوا هم
يغفرون ففيه ما تقدم الا انه يزيد هنا يجوز ان يكون توكيدا للضمير المنصوب في اصابهم اكد
بالضمير المرفوع وليس فيه الا الفصل بين المؤكد والمؤكد بالفاعل والظاهر انه غير ممنوع قوله تعالى
سيئة سيئة مثلها الاية لما قال والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون بين بعده ان ذلك
الانتصار يجب ان يكون مقيدا بالمثل فان العدل هو المساواة وسمي الجزاء سيئة وان كان مشروعا

مأذونا فيه قال الزمخشري كلتا الفعلتين الاولى وجزاؤها سيئة لانها تسوء من تنزل به قال
تعالى وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك يريد ما يسوءهم من المصائب والبلايا واجاب
غيره بانه لما جعل في مقابلة الاخرى اطلق اسم احدهما على الاخر مجازا والاول اظهر وقال اخرون
انما سمي الجزاء سيئة وان لم تكن سيئة لتشابههما في الصورة فصل قال مقاتل يعني القصاص
في الجراحات والديات وقال مجاهد والسدي هو جواب القبيح اذا قال اخزاك الله تقول
اخزاك الله واذا شتمك فاشتمه بمثلها من غير ان تعتدي قال سفيان بن عيينة قلت لسفيان الثوري
ما قوله عز وجل وجزاء سيئة سيئة مثلها قال ان تشتمك رجل فتشتمه او يفعل بك فتفعل به فلم اجد عنده
شيئا فسألت هشام بن حجير عن هذه الاية فقال الجارح اذا جرح يقتص منه وليس هو ان يشتمك فتشتمه
فصل دلت هذه الاية على ان المسلم لا يقتل بالذمي وان الحر لا يقتل بالعبد لان المماثلة شرط لجريان
القصاص وهي مفقودة في المسألتين وايضا فان الحر اذا قتل العبد يكون قد اتلف على مالك العبد شيئا
يساوي عشرة دنانير مثلا فوجب ان يلزمه اداء عشرة دنانير لهذه الاية واذا وجب الضمان وجب
ان لا يجب القصاص لانه لا قائل بالفرق فوجب ان لا يجري القصاص بينهما والدليل على ان المماثلة شرط
لوجوب القصاص هذه الاية وقوله من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها وقوله وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم
به وقوله تعالى والجروح قصاص وقوله تعالى كتب عليكم القصاص في القتلى والقصاص عبارة عن المساواة
والمماثلة فهذه النصوص تقتضي مقابلة الشيء بمثله ودلت الاية ايضا على ان الايدي تقطع باليد الواحدة
لان كل القطع او بعضه صدر عن كل اولئك القاطعين او بعضهم فوجب ان يشرع في حق اولئك القا
القاطعين مثله بهذه النصوص فان قيل يلزم استيفاء الزيادة من الجاني وهو ممنوع فالجواب
انه لما وقع التعارض بين جانب الجاني وبين جانب المجني عليه فكان جانب المجني عليه بالرعاية اولى
ودلت الاية ايضا على مشروعية القصاص في حق شريك الاب لانه صدر عنه الجرح فوجب ان يقابل
بمثله ودلت الاية ايضا على ان من حرق حرقناه ومن غرق غرقناه وعلى ان شهود القصاص اذا رجعوا وقالوا
تعمدنا الكذب يلزمهم القصاص لانهم بتلك الشهادة اهدروا دمه فوجب ان يهدر دمهم ودلت ايضا
على ان المكره يجب عليه القود لانه صدر منه القتل ظلما فوجب مثله اما صدور القتل فالحس يدل عليه واما
انه قتل ظلما فلاجماع المسلمين على انه مكلف ان لا يقتل فوجب ان يقابل بمثله ودلت ايضا على ان منافع ه
الغصب مضمونة لان الغاصب فوت على المالك منافع تقابل في العرف بدينار مثلا فوجب ان يفوت على
الغاصب مثله من المال قوله فمن عفا واصلح بالعفو بينه وبين ظالمه فاجره على الله قال الحسن اذا كان يوم
القيمة نادى مناد من كان له عند الله اجر فليقم فلا يقوم الا من عفا ثم قرأ هذه الاية انه لا يحب الظالمين
قال ابن عباس الذين يبدون بالظلم وفيه تنبيه على ان المجني عليه لا يجوز له الزيادة والتعدي في
الاستيفاء خصوصا في حال الحرد والتهاب الحمية فربما صار المظلوم عند الاستيفاء ظالما وفيه ايضا
دقيقة وهو انه تعالى لما حث على العفو عن الظالم واخبر انه لا يحب الظالم واذا كان لا يحبه فندب
غيره الى العفو عنه فالمؤمن الذي يحبه الله بسبب ايمانه اولى ان يعفوا الله عنه قوله ولمن انتصر هذه
لام الابتداء وجعلها الحوفي وابن عطية للقسم وليس بجيد لاجلنا من شرطية كما سيأتي لانه كان
ينبغي ان يجاب السابق هنا لم يجب الا الشرط ومن يجوز ان تكون شرطية وهو الظاهر والفاء
في فاولئك جواب الشرط وان تكون موصولة ودخلت الفاء لشبه الموصول بالشرط وظلمه مصدر
مضاف للمفعول وايدها الزمخشري بقراءة من قرأ بعد ما ظلم مبنيا للمفعول فصل معنى الاية ولمن انتصر
بعد ظلمه الظالم اياه فاولئك المنتصرين ما عليهم من سبيل من عقوبة ومؤاخذة لانهم فعلوا ما ابيح
لهم من الانتصار واحتجوا بهذه الاية على ان سراية القود مهدرة لانه فعل مأذون فيه مطلقا فيدخل
فيه تحت هذه الاية قوله انما السبيل على الذين يظلمون الناس اي يبدون بالظلم ويبغون في الارض

بغير الحق يعملون فيها بالمعاصي اولئك لهم عذاب اليم قوله ولمن صبر الكلام في اللام كما تقدم وجعلها شرطية فان جعلنا القسم المقدر وحذف جواب الشرط للدلالة عليه وان كانت موصولة كان قوله ان ذلك هو الخبر وجوز الحوفي وغيره ان يكون من شرطية وان ذلك جوابها على حذف الفاء على حد حذفها في قوله من يفعل الحسنات وفي الرابط قولان احدهما هو اسم الاشارة اذا اريد به المبتدا ويكون حينئذ على حذف مضاف تقديره ان ذلك لمن ذوي عزم الامور والثاني ضمير محذوف تقديره لمن عزم الامور منه اوله وقوله ولمن صبر عطف على قوله ولمن انتصر والجملة من قوله انما السبيل فصل المعنى ولمن صبر وغفر فلم ينتصف وتجاوز ان ذلك الصبر والتجاوز من عزم الامور حقها وحزمها قال مقاتل من الامور التي امر الله بها وقال الزجاج الصابر يوتى بصبره الثواب والرغبة في الثواب اتم عزما قوله ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده اي فليس له ناصر يتولاه من بعد اضلال الله اياه وليس له من يمنعه من عذاب الله وهذا صريح في جواز ان الاضلال من الله وان الهداية ليست في مقدور احد سوى الله قال القاضي المراد ومن يضلل الله عن الجنة لجنايته فما له من ولي بعده ينصره واجيب بان تقييد الاضلال بهذه الصورة المعينة خلاف الدليل وايضا فالله تعالى ما اضله عن الجنة في قولكم بل هو اضل نفسه عن الجنة قوله وترى الظالمين لما راوا العذاب يوم القيمة يقولون هل الى مرد من سبيل اي يطلبون الرجوع الى الدنيا لعظم ما شاهدوا من العذاب ثم ذكر حالهم عند عرض النار قوله يعرضون حال لان الروية بصرية وخاشعين حال والضمير في عليها يعود على النار لدلالة العذاب عليها وقرا طلحة من الذل بكسر الذال وتقدم الفرق بين الذل والذل ومن الذل يتعلق بخاشعين اي من اجل وقيل هو متعلق بينظرون وقوله من طرف يجوز في من ان تكون لابتداء الغاية وان تكون تبعيضية وان تكون بمعنى الباء والطرف قيل يراد به المصدر يقال طرفت عينه بطرف طرفا اي ينظرون نظرا خفيا فصل اعلم انه ذكر حالهم عند عرضهم على النار فقال خاشعين اي خاضعين حقيرين بسبب ما لحقهم من الذل ينظرون من طرف خفي النظر لما عليهم من الذل يسارقون النظر الى النار خوفا منها وذلة في انفسهم كما ينظر المقتول الى السيف فلا يقدر ان يملا عينيه منها ولا يفتح عينه انما ينظر ببعضها واذا كانت من بمعنى الباء اي بطرف خفي ضعيف من الذل فان قيل انه قال في صفة الكفار انهم يحشرون عميا فكيف قال ههنا انهم ينظرون من طرف خفي فالجواب لعلهم في الابتدا يكون هكذا ثم يصيرون عميا او لعل هذا في قوم وذاك في قوم اخرين وقيل معنى ينظرون من طرف خفي اي ينظرون الى النار بقلوبهم لانهم يحشرون عميا والنظر بالقلب خفي ولما وصف الله تعالى حال الكفار حكى ما يقوله المؤمنون فيهم فقال وقال الذين امنوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيمة قيل خسروا انفسهم بان صاروا الى النار واهليهم بان صاروا لغيرهم في الجنة وهذا القول يحتمل ان يكون واقعا في الدنيا واما ان يقولوا يوم القيمة اذا راوهم على تلك الصفة ثم قال الا ان الظالمين في عذاب مقيم اي دائم قال القاضي هذا يدل على ان الكافر والفاسق يدوم عذابهما والجواب ان لفظ الظالم المطلق في القران مخصوص بالكافر قال تعالى والكافرون هم الظالمون والذي يؤكد هذا قوله تعالى بعد هذا وما كان لهم من اولياء ينصرونهم من دون الله والمعنى ان الاصنام التي كانوا يعبدونها لتشفع لهم عند الله ما كانوا يملكون الشفاعة وهذا لا يليق الا بالكافر قوله ينصرونهم صفة لاولياء فيجوز ان يحكم على موضعها بالجر اعتبارا بلفظ موصوفها وبالرفع اعتبارا بمحله فانه اسم لكان وقوله من سبيل اما فاعل واما مبتدا والمعنى فما له من سبيل الى الحق في الدنيا والجنة في العقبى وقد انسد عليهم طريق الخير قوله وقال الذين امنوا يجوز ان يكون ماضيا على حقيقته ويكون يوم القيمة معمولا لخسروا ويجوز ان يكون بمعنى يقول فيكون يوم القيمة معمولا له قوله استجيبوا لربكم الاية لما ذكر الوعد والوعيد ذكر بعده ما هو المقصود فقال استجيبوا لربكم اي اجيبوا داعي ربكم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله اي لا يقدر احد على دفعه وهو يوم القيمة

قوله

قوله من الله يجوز تعلقه بياتي اي ان ياتي من الله يوم لا مرد له وان يتعلق بمحذوف يدل عليه لا مرد له اي لا مرد لذلك مما حكم الله به فيه وجوز الزمخشري ان يتعلق بلا مرد ورده ابو حيان بانه يكون مطولا فكان ينبغي ان يعرب فينصب منونا واختلفوا في المراد بذلك اليوم فقيل هو ورود الموت وقيل يوم القيمة قال ابن الخطيب ويحتمل ان يكون معنى قوله لا مرد له اي لا يقبل التقديم ولا التاخير وان يكون معناه انه لا مرد فيه الى حال التكليف حتى يقبل فيه التلافي ثم وصف ذلك اليوم فقال فيه ما لكم من ملجا تلجئون اليه تقع به التخلص من العذاب وما لكم من نكير تغير ما بكم ويجوز ان يكون المراد من النكير الانكار اي لا تقدرون ان تنكروا شيئا مما اقترفتموه من الاعمال قوله فان اعرضوا عن الاستجابة ولم يقبلوا هذا الامر فما ارسلناك عليهم حفيظا بان تحفظ اعمالهم وتحصيها ان عليك الا البلاغ اي ما عليك الا البلاغ وذلك تسلية من الله تعالى ثم بين السبب في اصرارهم على الكفر فقال وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة قال ابن عباس يعني الغناء والصحة فرح بها واعلم ان نعم الله وان كانت عظيمة في الدنيا الا انها بالنسبة الى سعادات الاخرة كالقطرة بالنسبة الى البحر فلذلك سميت ذوقا فبين الله تعالى ان الانسان اذا حصل له هذا القدر الحقير في الدنيا فرح به وعظم غروره ووقع في العجب والكبرياء وظن انه فاز بكل المنى ووصل الى اقصى السعادات وهذه طريقة من ضعف اعتقاده في سعادات الاخرة ثم انه تعالى بين انه متى اصابتهم سيئة اي شيء يسوءهم في الحال كالمرض والفقر والقحط وغيرها فانه يظهر الكفران وهو قوله فان الانسان كفور والكفور هو المبالغ في الكفران والمراد بقوله كفور اي لما تقدم من نعمة الله عليه ينسى ويجحد باول شدة جميع ما سلف من النعم وقوله فان الانسان من وقوع الظاهر موقع المضمر اي فانه كفور وقدر ابو البقاء ضميرا محذوفا فقال فان الانسان منهم ولما ذكر اذاقة الانسان الرحمة واصابته بضدها اتبع ذلك بقوله لله ملك السموات له التصرف فيما يريد والمقصود منه ان لا يغتر الانسان بما ملكه من المال والجاه بل اذا علم ان الكل ملك لله وملكه وانما حصل له ذلك القدر انعاما من الله عليه به فيصير ذلك حاملا له على مزيد الطاعة ثم ذكر من اقسام تصرف الله تعالى في العالم انه يخص البعض بالاولاد الاناث والبعض بالذكور والبعض بينهما والبعض بان يجعله محروما من الكل وهو المراد بقوله ويجعل من يشاء عقيما قوله ذكرانا واناثا وهي حال لازمة وسوغ مجيئها كذلك انها بعدها يجوز ان يكون الامر على خلافه لان معنى يزوجهم يقرنهم قال الزمخشري فان قلت لم قدم الاناث على الذكور مع تقدمهم عليهن ثم رجع فقدمهم ولم عرف الذكور بعد ما نكر الاناث قلت لانه ذكر البلاء في اخر الاية الاولى وكفران الانسان بنسيانه الرحمة السابقة ثم ذكره بذكر ملكه ومشيئته وذكر عدم قسمة الاولاد فقدم الاناث لان سياق الكلام انه فاعل ما يشاء لا ما يشاء الانسان فكان ذكر الاناث التي من جملة ما لا يشاؤه الانسان اهم والاهم واجب التقديم وليلي الجنس الذي كانت العرب تعده بلاء البلاء واخر الذكور فلما اخرهم تدارك تاخيرهم وهم احقاء بذلك التعريف لان تعريفهم فيه تنويه وتشهير كانه قال ويهب لمن يشاء الفرسان الاعلام المذكورين الذين لا يخفون عليكم ثم اعطى بعد ذلك كلي الجنسين حقه من التقديم والتاخير وعرفان تقديمهن لم يكن لتقدمهن ولكن لمقتضى اخر فقال ذكرانا واناثا كما قال انا خلقناكم من ذكر وانثى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى فصل قال ابن الخطيب وفي الاية سؤالات الاول انه قدم الاناث في الذكر على الذكور اولا ثم قدم الذكور على الاناث ثانيا فما السبب في هذا التقديم والتاخير الثاني انه نكر الاناث وعرف الذكور وقال في الصنفين معا او يزوجهم ذكرانا واناثا الثالث لما كان حصول الولد هبة من الله فيكفي في عدم حصوله ان لا يهب فاي حاجة في عدم حصوله الى قوله ويجعل من يشاء عقيما الرابع هل المراد بهذا الحكم جمع معينون او الحكم على الانسان المطلق والجواب عن الاول ان الكريم يسعى في ان يقع الختم على الخير والراحة فاذا وهب الانثى اولا ثم اعطى الذكر بعده فكانه نقله من الغم الى الفرج وهذا غاية الكرم اما

اذا اعطى الذكر اولا ثم اعطى الانثى ثانيا فكانه نقله من الفرج الى الغم فذكر الله تعالى هبة الانثى
ثم ثنى بهبة الذكر حتى يكون قد نقله من الغم الى الفرج فيكون اليق بالكرم قيل من شرف المرأة تبكيرها
بالانثى قبل الذكر لان الله تعالى بدأ بالاناث واما تقديم ذكر الذكور على ذكر الاناث ثانيا لان الذكر
افضل واكمل من الانثى والافضل مقدم على المفضول **واما الجواب** عن تنكير الاناث وتعريف الذكور
فهو ان المقصود منه التنبيه على ان الذكر افضل من الانثى واما قوله او يزوجهم ذكرانا واناثا وهو ان
كل شيئين يقرن احدهما بالاخر فهما زوجان وكل واحد منهما يقال له زوج والكناية في يزوجهم عايدة
على الاناث والذكور والمعنى يجعل الذكور والاناث ازواجا اى يجمع له بينهما فيولد له الذكور والاناث
واما الجواب عن قوله عقيما فالعقيم هو الذى لا يلد ولا يولد له يقال رجل عقيم وامرأة عقيم واصل
العقم القطع ومنه قيل الملك عقيم لانه يقطع فيه الارحام بالقتل والعقوق **واما الجواب** عن الرابع
فقال ابن عباس يهب لمن يشاء اناثا يريد لوطا وشعيبا لم يكن لهما الا البنات ويهب لمن يشاء
الذكور يريد ابراهيم لم يكن له الا الذكور او يزوجهم ذكرانا واناثا يريد محمدا صلى الله عليه وسلم كان له من
البنين ثلاثة على الاصح القاسم وعبد الله وابراهيم ومن البنات اربعة زينب ورقية وام كلثوم وفاطمة ٥
ويجعل من يشاء عقيما يريد يحيى وعيسى عليهما السلام وقال اكثر المفسرين هذا على وجه التمثيل
وانما الحكم عام فى كل الناس لان المقصود بيان نفاذ قدرة الله تعالى فى تكوين الاشياء كيف شاء فلا معنى
للتخصيص ثم انه تعالى ختم الاية بقوله انه عليم قدير قال ابن عباس عليم بما خلق قدير على ما يشاء ان يخلقه **قوله
تعالى وماكان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا الاية** لما بين حال قدرته وعلمه وحكمته اتبعه ببيان انه
كيف يخص انبياءه بوحيه وكلامه **قوله** ان يكلمه الله ان ومنصوبها اسم كان وليس حرفا وقال ابو البقاء
ان والفعل فى موضع رفع على الابتداء وما قبله الخبر او فاعل بالجار لاعتماده على حرف النفى وكانه وهم فى
التلاوة فزعم ان القرآن وماكان للبشر ان يكلمه مع انه يمكن الجواب عنه بتكليف والا وحيا يجوز ان يكون
مصدرا اى الا كلام وحى وقال ابو البقاء استثناء منقطع لان الوحى ليس من جنس الكلام وفيه نظر لان
ظاهره انه مفرغ والمفرغ لا يوصف بذلك ويجوز ان يكون مصدرا فى موضع الحال **قوله او يرسل** قراءة
نافع يرسل برفع اللام وكذلك فيوحى فسكنت ياؤه والباقون بنصبهما فاما القراءة الاولى ففيها ثلاثة
اوجه احدها انه رفع على اضمار مبتدا اى او هو يرسل الثانى انه عطف على وحيا على انه حال لان وحيا
فى تقدير الحال ايضا فكانه قال الا موحيا او مرسلا ورد عليه ابو حيان بان وقوع المصدر موقع الحال
غير منقاس وانما قاس منه المبرد ماكان نوعا للفعل فيجيز اتيته ركضا ويمنع اتيته بكاء اى باكيا وبان
ان يرسل لا يقع حالا لنص سيبويه على ان ان والفعل لا يقع حالا وان كان المصدر الصريح يقع حالا تقول
جاء زيد ضحكا ولا يجوز جاء ان يضحك الثالث انه عطف على معنى وحيا فانه مصدر مقدر بان والفعل
والتقدير الا بان يوحى اليه او بان يرسل ذكره مكى وابو البقاء **قوله او من وراء حجاب** العامة على الافراد
وابن ابى عبلة حجب جمعا وهذا الجار يتعلق بمحذوف تقديره او يكلمه من وراء حجاب وقد تقدم ان هذا
الفعل معطوف على معنى وحيا اى الا ان يوحى او يكلمه قال ابو البقاء ولا يجوز ان يتعلق من بيكلمه الموجودة
فى اللفظ لان ما قبل الاستثناء لا يعمل فيما بعد الا اسم قال وقيل من متعلقة بيكلمه لانه ظرف والظرف
يتسع فيه **فصل** ذكر المفسرون ان اليهود قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم الا تكلم الله وتنظر اليه ان كنت
نبيا كما كلمه موسى ونظر اليه فقال لم ينظر موسى الى الله عز وجل فانزل الله وماكان لبشر ان يكلمه الله
الا وحيا اى يوحى اليه فى المنام او بالالهام او من وراء حجاب يسمعه كلامه ولا يراه او يرسل رسولا اما
جبريل او غيره من الملائكة فيوحى باذنه ما يشاء ان يوحى ذلك الرسول الى المرسل اليه باذن الله ما يشاء
وهذه الاية تدل على ان الحسن لا يحسن لوجه عايد اليه وان القبيح لا يقبح لوجه عائد اليه بل الله ان يأمر
بما يشاء من غير تخصيص اذ لو لم يكن الامر كذلك لما صح قوله ما يشاء **ثم قال انه حكيم عليم** اى عليم

بصفات المخلوقين حكيم يجرى افعاله على الحكمة فيتكلم تارة بغير واسطة على سبيل الالهام واخرى
بسماع الكلام وثالثا بواسطة الملائكة الكرام ولما بين الله تعالى كيفية اقسام الوحى الى الانبياء
عليهم السلام قال وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا قال ابن عباس نبوة وقال الحسن رحمة
وقال السدى ومقاتل وحيا وقال الكلبى كتابا وقال الربيع جبريل عليه السلام وقال مالك بن
دينار يعنى القرآن **قوله ماكنت تدرى ما الكتاب** ما الاولى نافية والثانية استفهامية والجملة ٥
الاستفهامية معلقة للدراية فهى فى محل نصب لسدها مسد مفعولين والجملة المنفية باسرها فى
محل نصب على الحال من الكاف فى اليك **فصل** المعنى ماكنت تدرى قبل الوحى ما الكتاب ولا الايمان
يعنى شرايع الايمان ومعالمه وقال محمد بن اسحاق بن خزيمة الايمان هنا الصلوة لقوله تعالى وماكان
الله ليضيع ايمانكم اى صلاتكم وقيل هذا على حذف مضاف اى ماكنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان حين
كنت طفلا فى المهد وقيل الايمان عبارة عن الاقرار بجميع ما كلف الله تعالى به وانه قبل النبوة ماكان
عارفا بجميع تكاليف الله تعالى بل كان عارفا بالله تعالى وقال بعضهم صفات الله تعالى على ضربين منها
ما يمكن معرفته بمحض دلايل العقول ومنها ما لا يمكن معرفته الا بالدلايل السمعية فهذا القسم لم تكن معرفته
حاصلة قبل النبوة واعلم ان اهل الاصول على ان الانبياء عليهم السلام كانوا مؤمنين من قبل الوحى و
كان النبى صلى الله عليه وسلم يعبد الله قبل الوحى على دين ابراهيم عليه السلام ولم يتبين له شرايع فيه
قوله جعلناه الضمير يعود اما الروح واما للكتاب واما لهما لانهما مقصد واحد فهو كقوله والله ورسوله
احق ان يرضوه **فصل** قال ابن عباس يعنى الايمان وقال السدى يعنى القرآن نهدى به نرشد من نشاء
من عبادنا ونهدى يجوز ان يكون مستانفا وان يكون مفعولا مكررا للجعل وان يكون صفة لنورا **قوله
وانك لتهدى** قرأ ابن حوشب لتهدى مبنيا للمفعول وابن السميقع لتهدى بضم التاء وكسر الدال من اهدى
والمراد بالصراط المستقيم الاسلام **قوله** صراط بدل من صراط قبله بدل كل من كل معرفة من نكرة **فصل**
نبه بهذه الاية على ان الذى تجوز عبادته هو الذى يملك السموات والارض **ثم قال** الا الى الله تصير
الامور اى امور الخلايق وهذا كالوعيد والزجر اى ترجع الامور كلها الى الله حيث لا حاكم سواه فيجازى
كلا منهم بما يستحقه من ثواب وعقاب روى ابو امامة بن كعب قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة حم عسق كان ممن تصلى عليه الملائكة ويستغفرون له ويسترحمون له ٥

سورة الزخرف تسعون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى حم والكتاب المبين** ان جعلت حم قسما كانت الواو
عاطفة وان لم كانت الواو للقسم وقوله انا جعلناه جواب القسم وهذا عندهم من البلاغة وهو كون
القسم والمقسم عليه من واد واحد كقول ابى تمام وثناياك انها اغريض ان اريد بالكتاب القرآن
وان اريد به جنس الكتب المنزلة غير القرآن لم يكن من ذلك والضمير فى جعلناه على الاول يعود على الكتاب
وعلى الثانى للقرآن وان لم يصرح بذكره والجعل هنا تصيير ولا يلتفت لخطأ الزمخشرى فى تجويزه ان يكون
بمعنى خلقناه **فصل** ذكر المفسرون فى هذه الاية وجهين الاول ان يكون التقدير هذه حم والكتاب
المبين فيكون القسم واقعا على ان هذه السورة هى سورة حم الثانى ان يكون القسم واقعا على قوله انا جعلناه
قرآنا عربيا وفى المراد بالكتاب قولان احدهما انه القرآن فيكون قد اقسم بالقرآن انه جعله عربيا
الثانى المراد بالكتاب لكثرة ما فيه من المنافع ووصف الكتاب بانه مبين اى ابان طريق الهدى من
طريق الضلالة وابان ما يحتاج اليه الامة من الشريعة وتسميته مبينا مجاز لان المبين هو الله تعالى
وانما سمى القرآن بذلك توسعا من حيث انه حصل البيان عنده وقوله جعلناه اى صيرنا قراءة هذا الكتاب
عربيا وقيل بيناه وقيل سميناه وقيل وصفناه يقال جعل فلان زيدا عالما اى وصفه هذا كقوله وجعلوا الملائكة
الذين هم عباد الرحمن اناثا وجعلوا القرآن عضين اجعلتم سقاية الحاج كلها بمعنى الوصف والتسمية **فصل**

احتج القائلون بحدوث القران بهذه الاية من وجوه الاول انه لوكان المراد من الجعل التسمية لزم
ان سماه عجميا ان يصير عجميا وان كان بلغة العرب وهذا باطل الثاني لو صرف الجعل الى التسمية لزم كون
التسمية مجعولة والتسمية ايضا كلام الله وهو انما سمى قرانا لانه جعل بعضه مقرونا بالبعض وما كان
كذلك كان مصنوعا الثالث وصفه بكونه عربيا وانما يكون عربيا لان العرب اختصت بوضع الفاظه
واصطلاحهم وذلك يدل على انه مجعول والتقدير ورب الكتاب المبين ويوكد هذا بقوله عليه
السلام يا رب طه ويس ويا رب القرآن العظيم واجاب ابن الخطيب بان الذى ذكرتموه حق لانكم
استدللتم بهذه الوجوه على كون الحروف المتواليات والكلمات المتعاقبة محدثة وذلك معلوم بالضرورة
ومن الذى ينازعكم فيه قوله لعلكم تعقلون كلمة لعل للتمنى والترجى وهى لا تليق بمن كان عالما بعواقب
الامور فكان المراد هاهنا انزلناه قرانا عربيا لاجل ان تحيطوا بمعناه قوله وانه فى ام الكتاب لدينا
يتعلقان بما بعدهما ولا تمنع اللام من ذلك ويجوز ان يكونا حالين مما بعدهما لانهما كانا وصفين له
فى الاصل فيتعلقان بمحذوف ويجوز ان يكون لدينا متعلقا بما تعلق به الجار قبله اذا جعلناه حالا من لعلى
وان يكون الضمير المستتر فيه وكذا يجوز فى الجار ان يتعلق بما تعلق به الظرف وان يكون حالا من الضمير
المستتر فيه عند من يجوز تقديمها على العامل المعنوى ويجوز ان يكون الظرف بدلا من الجار قبله وان يكونا
حالين من الكتاب او من ام ذكر هذه الاوجه الثلاثة ابو البقاء قال ولا يجوز ان يكون واحد من الظرفين
خبرا لان الخبر يلزم ان يكون من اجل اللام قال شهاب الدين وهذا يمنع ان يقال ان زيدا كاتب لشاعر لانه
منع ان يكون غير المقترن بها خبرا وقرا حمزة والكسائى ام الكتاب بكسر الالف والباقون بالضم والضمير
فى قوله وانه عائد الى الكتاب المتقدم ذكره فصل قيل ام الكتاب هو اللوح المحفوظ قال قتادة ام الكتاب
اصل الكتاب وام كل شئ اصله قال ابن عباس اول ما خلق الله القلم فامره ان يكتب بما يريد ان يخلق فالكتاب
عنده ثم قرا وانه فى ام الكتاب لدينا فالكتاب مثبت عنده فى اللوح المحفوظ كما قال بل هو قرآن مجيد فى
لوح محفوظ وقوله لعلى حكيم قال قتادة يخبر عن منزلته وشرفه اى ان كذبتم بالقرآن يا اهل مكة فانه عندنا
لعلى رفيع شريف حكيم اى محكما فى ابواب البلاغة والفصاحة او ذو حكمة بالغة قيل المراد بام الكتاب
الايات المحكمة لقوله تعالى هو الذى انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب والمعنى ان سورة
حم واقعة فى الايات المحكمة التى هى الاصل والام فان قيل ما الحكمة فى خلق هذا اللوح المحفوظ مع انه علام
الغيوب يستحيل عليه السهو والنسيان فالجواب انه تعالى اثبت ذلك فى احكام حوادث المخلوقات
ثم ان الملائكة اذا شاهدوا ان جميع الحوادث انما تحدث على موافقة ذلك المكتوب استدلوا بذلك على
كمال حكمته وعلمه قوله افنضرب عنكم الذكر صفحا فى نصب صفحا خمسة اوجه احدها انه مصدر فى معنى
نضرب لانه يقال ضرب عن كذا واضرب عنه بمعنى اعرض عنه وصرف وجهه عنه قال اضرب عنك الهموم
طارقها ضربك بالسيف قونس الفرس والتقدير افنصفح عنكم الذكر اى افنزيل القرآن عنكم ازالة ينكر
عليكم ذلك الثانى انه منصوب على الحال من الفاعل اى صافحين الثالث ان ينتصب على المصدر المؤكد
لمضمون الجملة فيكون عامله محذوفا نحو صنع الله قاله ابن عطية الرابع ان يكون مفعولا من اجله الخامس ان
ان يكون منصوبا على الظرف قاله الزمخشرى وصفحا على وجهين اما مصدر من صفح عنه اذا اعرض عنه
منتصب على انه مفعول له على معنى افنعزل عنكم انزال القرآن والزام الحجة به اعراضا عنكم واما بمعنى
الجانب من قولهم نظر اليه بصفح وجهه بمعنى افننحيه عنكم جانبا فينتصب على الظرف نحو ضعه جانبا وامش جانبا
ويعضده قراءة صفحا بالضم يشير الى قراءة حسان بن عبد الرحمن الضبعى وسميط بن عمرو وشبيل بن عزرة قرؤا
صفحا بضم الصاد وفيها احتمالان احدهما ما ذكره من كونه لغة فى المفتوح ويكون ظرفا وظاهر عبارة ابى
ابى البقاء انه يجوز فيه جميع ما جاز فى المفتوح لانه جعله لغة فيه كالسد والسد والثانى انه جمع صفوح نحو
صبور وصبر فينتصب حالا من فاعل نضرب وقدره الزمخشرى على عادته فعلا بين الهمزة والفاء اى انهملكم

فضرب وقد تقدم ما فيه قوله ان كنتم قرأ نافع والاخوان بالكسر على انها شرطية واسر فهو كان
محققا وان انما تدخل على المتحقق او المتحقق المبهم الزمان واجاب الزمخشرى انه من الشرط الذى يصدر
عن المدلى بصحة الامر والمتحقق لثبوته كقول الاجير ان كنت عملت لك عملا فوفنى حقى وهو عالم بذلك
ولكنه يخيل فى كلامه ان تفريطك فى ايصالى حقى فعل من له شك فى استحقاقه اياه تجهيلا له وقيل
المعنى على المجازاة والمعنى افنضرب عنكم الذكر صفحا متى اسرفتم اى انكم غير متروكين من الانذار متى كنتم قوما
مسرفين وهذا اراد ابو البقا بقوله وقرئ ان بكسرها على الشرط وما تقدم يدل على الجواب والباقون
بالفتح على العلة اى لان كنتم كقوله اتجزع ان بان الخليط المودع ومثله قوله اتجزع ان اذنا قتيبة حزتا
يروى بالكسر والفتح وقد تقدم نحو من هذا اول المائدة وقرأ زيد بن على اذ بذال عوض النون وفيها معنى
العلة كقوله وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين فصل قال الفرا والزجاج يقال ضربت عنه واضربت
عنه اى تركته وامسكت عنه وقوله صفحا اى اعراضا والاصل فيه انك توليه صفحة عنقك والمراد بالذكر
عذاب الله وقيل افنرد عنكم النصايح والمواعظ والاعذار لسبب كونكم مسرفين وقيل افنرد عنكم القرآن
وهذا استفهام على سبيل الانكار والمعنى افنترك عنكم الوحى ونمسك عن انزال القران فلا نامركم ولا
ولا ننهاكم من اجل انكم اسرفتم فى كفركم وتركتم الايمان وهذا قول قتادة وجماعة قال قتادة والله لوكان
هذا القرآن رفع حين رده اوائل هذه الامة لهلكوا ولكن الله برحمته كرره عليهم ودعاهم اليه عشرين
سنة او ما شاء الله وقيل معناه افنضرب عنكم بذكرنا اياكم صافحين معرضين وقال الكسائى افنطوى
عنكم الذكر طيا فلا تدعون ولا توعظون وقال الكلبى افنترككم سدى لا نامركم ولا ننهاكم وقال مجاهد و
والسدى افنعرض عنكم فنترككم فلا نعاقبكم على كفركم قوله وكم ارسلنا خبريه مفعول مقدم ومن نبى
وفى الاولين يتعلق بالارسال او بمحذوف على انه صفة لنبى والمعنى ان عادة الامم الانبياء الذين يدعونهم
الى الدين الحق هو التكذيب والاستهزاء فلا ينبغى ان يتألم بسبب تكذيبهم واستهزائهم لان المصيبة
اذا عمت خفت ثم قال فاهلكنا اشد منهم بطشا اى اولئك المتقدمين الذين ارسل الله اليهم الرسل
كانوا اشد بطشا من قريش واكثر عددا وجلدا قوله بطشا فيه وجهان احدهما انه تمييز لاشد والثانى
انه حال من الفاعل اى اهلكناهم باطشين قوله ومضى مثل الاولين والمعنى ان كفار مكة سلكوا فى الكفر
والتكذيب مسلك من كان قبلهم فليحذروا ان ينزل بهم الخزى مثل ما نزل بالاولين اى صفتهم وسيرتهم
وعقوبتهم فعقوبة هولاء كذلك فى الاهلاك قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض
الاية والمعنى ولئن سألت قومك من خلق السموات والارض وقيل الضمير فى سألتهم يحتمل رجوعه الى
الانبياء والاقرب الاول اى انهم مع كفرهم مقرين بعزته وعلمه ثم عبدوا غيره وانكروا قدرته على البعث
لفرط جهلهم قوله خلقهن العزيز كرر الفعل للتوكيد يدا ذ لو جاء العزيز بغير خلقهن لكان كافيا كقولك
من قام فيقال زيد وفيها دليل على ان الجلالة الكريمة من قوله ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله مرفوعة
بالفاعلية لا بالابتداء للتصريح بالفعل فى نظيرتها وهذا الجواب مطابق للسؤال من حيث المعنى اذ لو جاء
على اللفظ لجئ بجملة ابتدائية كالسؤال قوله الذى جعل لكم الارض مهادا اعلم انه قد تم الاخبار عنهم ثم
قال ابتداء دالا على نفسه بذكر مصنوعاته فقال الذى جعل لكم الارض مهادا ولو كان هذا من جملة كلام
الكفار لقالوا الذى جعل لنا الارض مهادا الا ان قوله فى اثناء الكلام فانشرنا به بلدة ميتا لا يليق الا بكلام الله
ونظيره من كلام الناس ان يسمع الرجل رجلا يقول الذى بنى هذا المسجد فلان العالم فيقول السامع لهذا
الكلام الزاهد الكريم كان ذلك السامع يقول انا اعرفه بصفات حميدة فوق ما تعرفه وازيد فى صفته
فيكون النعتان جميعا من رجلين لرجل واحد ومعنى كون الارض مهادا الانتفاع بها فى الزراعة والابنية
وستر عيوب الاحيا والاموات ولان المهد موضع راحة الصبى فكانت الارض مهادا لكثرة ما فيها من الراحات
وجعل لكم فيها سبلا وذلك ان انتفاع الناس بها انما يكمل اذا سعوا فى اقطار الارض فهيا تعالى تلك السبل

ووضع عليها علامات ليحصل بها الانتفاع ثم قال لعلكم تهتدون الى مقاصدكم فى اسفاركم او لتهتدوا
الى الحق فى الدين قوله والذى نزل من السماء ماء بقدر اى بقدر حاجتكم اليه من غير زيادة ولا نقصان
لا كما انزل على قوم نوح بغير قدر حتى اغرقهم قوله فانشرنا به بلدة ميتا قرا العامة مخففا وعيسى وابو جعفر
مثقلا وتقدم الكلام فيه فى آل عمران وتقدم فى الاعراف الخلاف فى تخرجون ويخرجون اى كما احيينا
هذه البلدة بالمطر ومعنى الميتة الخالية من النبات كذلك تخرجون من قبوركم احياء والمعنى ان هذا الدليل
كما دل على قدرة الله وحكمته وكذلك يدل على قدرته على البعث والقيمة ووجه التشبيه انه جعلهم احياء
بعد الاماتة كهذه الارض التى انتشرت بعد ما كانت ميتة وقيل بل وجه التشبيه انه يعيدهم ويخرجهم
من الارض بماء كالمنى كما نبت الارض بماء المطر وهذا ضعيف لان ظاهر اللفظ الانشار والاعادة فقط
دون هذه الزيادة قوله والذى خلق الازواج كلها قال ابن عباس الازواج الضروب والانواع كالحلو
والحامض والابيض والاسود والذكر والانثى وقال بعض المحققين كل ما سوى الله فهو زوج كالفوق والتحت
واليمين واليسار والقدام والخلف والماضى والمستقبل والذوات والصفات والصيف والشتاء و
الربيع والخريف وكونها ازواجا يدل على انها ممكنة الوجود فى ذواتها محدثة مسبوقة بالعدم فاما
الحق تعالى فهو الفرد المنزه عن الضد والند والمقابل والمقاصد ولهذا قال تعالى وهو الذى خلق الازواج
اى كل ما هو زوج فهو مخلوق فدل هذا على ان خالقها فرد مطلق منزه عن الزوجية قال ابن الخطيب وايضا
علماء الحساب بينوا ان الفرد افضل من الزوج من وجوه الاول ان الاثنين لا يوجد الا عند حصول وحدتين
فالزوج يحتاج الى الفرد والفرد هو الوحدة وهى غنية عن الزوج والغنى افضل من المحتاج والثانى ان الزوج
يقبل القسمة بقسمين متساويين والفرد لا يقبل القسمة وقبول القسمة انفعال وتأثر وعدم قبولها قوة
وشدة فكان الفرد افضل من الزوج واذا كان كذلك ثبت ان الازواج ممكنات ومحدثات ومخلوقات وان
الفرد هو القائم بذاته المستقبل بنفسه والغنى عما سواه قوله وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون
ما موصولة وعائدها محذوف اى ما تركبونه وركب بالنسبة الى الفلك يتعدى بحرف الجر فاذا ركبوا فى
الفلك وفى غيره بنفسه قال لتركبوها قلت هنا المقدم المتعدى بنفسه على المتعدى بواسطة فلذلك حذف
العائد فصل السفر اما ان يكون فى البحر واما فى البر فاما سفر البحر فعلى السفينة واما سفر البر فعلى الانعام
فان قيل لم لم يقل فى ظهورها من فالجواب من وجوه الاول قال ابو عبيدة التذكير لقوله ما تركبون والتقدير
ما تركبونه فالضمير يعود على لفظ ما فلذلك افرده الثانى قال الفراء اضاف الظهر الى واحد فيه معنى الجمع
بمنزلة الجنس فلذلك ذكره وجمع الظهور باعتبار معناها الثالث ان التأنيث فيها ليس حقيقيا فجاز ان يختلف
اللفظ فيه كما يقال عندى من النساء من يوافقك قوله لتستووا يجوز ان يكون هذه لام العلة وهو الظاهر
وان يكون للصيرورة فتعلق فى كلتيهما وجوز ابن عطية ان تكون للامر وفيه بعد لقلة دخولها على امر المخاطب
قرى شاذا فلتفرحوا وفى الحديث لتأخذوا مصافكم وقال لتقم انت يا ابن خير قريش فلتقض حوائج
المسلمينا نص النحويون على قلتها ما عدا ابا القاسم الزجاجى فانه جعلها لغة جيدة قوله ثم تذكروا نعمة ربكم
اذا استويتم عليه اى تذكروها فى قلوبكم وذلك الذكر هو ان تعرف ان الله تعالى خلق البحر وخلق الرياح
وخلق جرم السفينة على وجه يمكن الانسان من تصريف هذه السفينة الى اى جانب شاء فاذا تذكر ان خلق البحر
وخلق الرياح وخلق السفينة على هذه الوجوه القابلة لتصرف الانسان ولتحريكاته انما هو من تدبير الحكيم
العليم القدير عرف ان ذلك نعمة من الله تعالى فيحمله ذلك على الانقياد لطاعة الله تعالى وعلى الاشتغال
بالشكر لنعم الله التى لا نهاية لها قوله وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين مطيقين وقيل
ضابطين واعلم انه تعالى عد ذكرا لركوب السفينة والدابة وهو قوله تعالى سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا
له مقرنين وذكرا عند دخول المنازل قوله تعالى رب انزلنى منزلا مباركا وانت خير المنزلين وتحقيقه ان
ان الدابة المركوبة لا بد وان تكون اكثر قوة من الانسان بكثير وليس لها عقل يهديها الى طاعة الانسان

ولكنه

ولكنه تعالى خلق تلك البهيمة على وجوه مخصوصة فى خلقها الظاهر وخلقها الباطن فحصل منهما هذه
الانتفاع اما خلقها الظاهر فلانها تمشى على اربع فكان ظهرها يحسن لاستقرار الانسان عليه واما
خلقها الباطن فلانها مع قوتها الشديدة قد صيرها الله تعالى منقادة للانسان ومسخرة له فاذا تامل
الانسان فى هذه العجائب عظم تعجبه من تلك القدرة والحكمة التى لا نهاية لها فلا بد وان يقول سبحان الذى
سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين قوله له مقرنين له متعلق بمقرنين وقدم للفواصل والمقرن المطيق للشىء الضابط
له من اقرنه اى اطاقه قال الواحدى كان اشتقاقه من قولك صرت له قرنا ومعنى قرن فلان اى مثله فى الشدة
وقال ابو عبيده قرن اى ضابط له والقرن الحبل وقال ابن هرمه ولقد علم القبائل ما عقيل لنا فى النائبات
بمقرنينا وحقيقته اقرنه وجده قرينه لان القوى لا يكون قرينه الضعيف قال وابن اللبون اذا ما لز
فى قرن لم يستطع صولة البزل القناعيس وقرى مقترنين بالتاء قبل الراء فصل ومعنى الاية ليس عندنا
من القوة والطاقة ان نقرن هذه الدابة والفلك وان نضبطها فسبحان من سخر لنا هذا بقدرته وحكمته
روى الزمخشرى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان اذا وضع رجله فى الركاب قال بسم الله فاذا استوى
على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون وروى
عن على ايضا مثله وزاد ثم حمد ثلاثا ثم كبر ثلاثا ثم قال لا اله الا الله ظلمت نفسى فاغفر لى انه لا يغفر الذنوب
الا انت ثم ضحك فقيل ثم تضحك يا امير المؤمنين قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل مثل ما فعلت
فقلنا لما تضحك يا رسول الله قال العبد اذا قال لا اله الا الله فاغفر لى انه لا يغفر الذنوب الا انت يعلم انه
لا يغفر الذنوب الا هو فصل دلت هذه الاية على خلاف قول المجبرة من وجوه الاول انه تعالى قال لتستووا
على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم فذكره بلام كى وهذا يدل على انه اراد منا هذا الفعل وهذا يدل على بطلان قولهم
انه تعالى اراد الكفر منه الثانى قوله لتستووا يدل على ان فعله معلل بالاغراض الثالث انه تعالى بين انه خلق
هذه الاشياء الحيوانية على هذه الطبايع انما كان لغرض ان يصدر الشكر عن العبد ولو كان فعل العبد فعلا
لله تعالى لكان معنى الاية انى خلقت هذه الحيوانات على هذه الطبايع لاجل ان اخلق سبحان فى لسان العبد
هذا باطل لانه سبحانه وتعالى قادر على ان يخلق هذا اللفظ فى لسانه بدون هذه الوسايط قال ابن الخطيب والكلام
على هذه الوجوه معلوم مما تقدم فلا فائدة فى الاعادة وانا الى ربنا لمنقلبون اى لمصيرون فى المعاد ووجه
اتصال الكلام بما قبله ان راكب السفينة فى خطر الهلاك وراكب الدابة كذلك ايضا لان الدابة
قد يحصل لها ما يوجب هلاك الراكب وكذا السفينة قد تنكسر وفى ركوبهما تعريض النفس للهلاك فوجب
على الراكب ان يتذكر امر الموت ويقطع انه هالك وانه منقلب الى الله وغير منقلب من قضائه وقدره فاذا
فاذا اتفق له ذلك كان قد وطن نفسه على الموت قوله وجعلوا له من عباده جزءا المراد به التنبيه على قلة
عقولهم قوله جزءا قرا عاصم فى رواية ابى بكر جزء بضم الزاى والهمزة فى كل القران والباقون باسكان
الزاى فى كل القرآن وهما لغتان واما حمزة فاذا سموا واعتقدوا واغرب ما قيل هنا ان الجزء الانثى وانشدوا
ان اجزات حرة يوما فلا عجب قد تجزى الحرة المذكار احيانا وقول الاخر زوجته من بنات الارض مجزية
للعوسج اللدن فى ابياتها غزل قال الزمخشرى اثر الصنعة فيهما ظاهر وقال الزجاج والازهرى هذه اللغة
فاسدة وهذه الابيات مصنوعة فصل المشهور ان المراد من هذا الجعل انهم اثبتوا لله ولدا بمعنى
حكموا به كما يقول زيدا افضل الناس اى وصفته وحكمت به وذلك هو قولهم الملائكة بنات الله لان
ولد الرجل جزء منه قال عليه الصلوة والسلام فاطمة بضعة منى والمعقول من الولد ان ينفصل من الولد
جزء من اجزائه ثم يتربى ذلك الجزء ويتولد منه شخص مثل ذلك الاصل واذا كان كذلك فولد الرجل جزء منه
وقيل المراد من الجزء اثبات الشركاء لله وذلك انهم لما اثبتوا الشركاء فقد زعموا ان كل العبادة ليست
لله بل بعضها لله وبعضها لغير الله فهم ما جعلوا لله من عباده كلهم بل جعلوا له من بعضهم جزءا منهم قالوا
وهذا القول اولى لانا اذا حملنا هذه الاية على انكار الشريك لله وحملنا الاية التى بعدها على انكار الولد لله

كانت الاية جامعة للرد على جميع المبطلين قوله ان الانسان لكفور جحود لنعم الله ظاهر الكفر مبين قوله
ام اتخذ مما يخلق بنات هذا استفهام توبيخ وانكار يقول اتخذ ربكم لنفسه البنات واصطفاكم اخلصكم
بالبنين يقال اصطفيت فلانا اى اثرته ايثارا حصل له على سبيل الصفا من غيران يكون له فيه مشارك
كقوله افاصفاكم ربكم بالبنين فقوله واصفاكم يجوزان يكون داخلا فى حيز الانكار معطوفا على اتخذ ويجوزان
يكون حالا اى ام اتخذ فى هذه الحالة وقد مقدرة عند الجمهور فصل اعلم ان الله تعالى رتب هذه المناظرة
على الوجوه وذلك لانه بين ان اثبات الولد لله محال وبتقدير ان يثبت الولد فجعله بنتا محال ايضا اما بيان
ان اثبات الولد لله محال فلان الولد لابد وان يكون جزء من الولد وماكان له جزء كان مركبا وكل مركب
وايضا ماكان كذلك فانه يقبل الاتصال والانفصال والاجتماع والافتراق وماكان كذلك فهو محدث عبد
فلا يكون الها قديما ازليا فصل وهو ان يكون لله ولد فانه يمتنع ان يكون بنتا لان الابن افضل من البنت فلو
تلو اتخذ لنفسه البنات واعطى البنين لعباده لزم ان يكون حال العبد اكمل وافضل من حال الله وذلك
مدفوع ببديهة العقل قوله واذا بشر احدهم تقدم نظيره قال الزمخشرى وقرئ هنا وجهه مسودا ومسود
بالرفع على انها جملة فى موضع خبر ظل واسم ظل ضمير الشان فصل والمعنى بما ضرب للرحمن اى جعل لله شبها
لان ولد كل شئ يشبهه ظل وجهه مسودا وهو كظيم من الحزن والغيظ او المعنى ان الذى يبلغ حاله فى النقص
الى هذا الحد كيف يجوز للعاقل اثباته لله روى ان بعض العرب هجر بيته حين وضعت امراته بنتا فقالت
المراة مالابى حمزة لاياتينا يظل فى البيت الذى يلينا ليس لنا من القضاء ماشينا وانما ناخذ ما اعطينا
قوله اومن ينشا فى الحلية يجوز فى من وجهان احدهما ان يكون فى محل نصب مفعولا بفعل مقدر اى اويجعلون
من ينشا فى الحلية والثانى انه مبتدا وخبره محذوف تقديره اومن ينشا جزا وولدا وجعلوا لله جزا وقال
البغوى يجوزان يكون من فى محل خفض ردا على قوله مما خلق وقوله بما ضرب وقرأ العامة ينشا فى الحلية بفتح
الياء وسكون النون من نشا فى كذا ينشا فيه والاخوان وحفص بضم الياء وفتح النون وتشديد الشين مبنيا
للمفعول والمفاعلة ياتى بمعنى الافعال كالمعالاه بمعنى الاعلاء فصل المراد من هذا الكلام التنبيه على
نقصانها والمعنى ان الذى يتربى فى الحلية والزينة يكون ناقص الذات لانه لولا نقصانها فى ذاتها لما
لما احتاجت الى تزيين نفسها بالحلية ثم بين نقصان حالها بطريق اخر وهو قوله وهو فى الخصام غير مبين
الجملة حال وفى الخصام يجوزان يتعلق بمحذوف يدل عليه ما بعده تقديره وهو لا يبين فى الخصام اى الحجة
ويجوزان يتعلق بمبين وجاز للمضاف اليه ان يعمل فيما قبل المضاف لان غير بمعنى لا كما تقدم تحقيقه اخر الفاتحة
فصل المعنى وهو فى المخاصمة غير مبين للحجة من ضعفهن وسفههن قال قتادة فى هذه الاية قل ما تكلم
امراة فتريدان تتكلم بحجتها الا تكلمت بالحجة عليها قوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا جعلوا
حكموا به وقرأ نافع وابن كثير وعامر بن عبد الرحمن ظرفا يؤيده قوله ان الذين عند ربك والباقون عباد جمع
عبد والرسم يحتملهما وقراء الاعمش كذلك الا انه نصب عبادا على اضمار فعل اى الذين هم خلقوا عبادا ونحوه
وقرأ عبد الله وكذلك هى فى مصحفه الملائكة عباد الرحمن وابى بن عبد الرحمن بالافراد واناثا هو المفعول الثانى
للجعل بمعنى الاعتقاد التصيير القولى وقرأ زيد بن على اناثا جمع الجمع قوله اشهدوا قرأ نافع بهمزة مفتوحة ثم
باخرى مضمومة مسهلة بينها وبين الراء وسكون الشين على ما لم يسم فاعله اى احضروا اخلقهم حين خلقوا
كقوله ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون وهذا استفهام على سبيل الانكار وقراءة لون ذلك بالمد
يعنى بادخال الف بين الهمزتين والقصر بعدم الالف والباقون بفتح الشين بعد همزة واحدة فنافع ادخل
همزة التوبيخ على اشهدوا فعلا رباعيا مبنيا للمفعول فسهل همزته الثانية وادخل همزة بينهما
كراهة لاجتماعهما تارة لم يدخلها اكتفاء بتسهيل الثانية وهى اوجه والباقون ادخلوا همزة الانكار على شهد
ثلاثيا والشهادة هنا الحضور ولم ينقل ابو حيان عن نافع تسهيل الثانية بل نقله عن على بن ابى طالب وقرأ
الزهرى اشهدوا رباعيا مبنيا للمفعول وفيه وجهان احدهما ان يكون حذف الهمزة لدلالة القراءة الاخرى

كما تقدم فى قراءة الجحدرى والثانى ان تكون الجملة خبرية وقعت صفة لاناثا اى اجعلوهم اناثا شهودا خلقهم
لذلك قوله ستكتب شهادتهم قرا العامة ستكتب بالتاء من فوق مبنيا للمفعول شهادتهم بالرفع لقيامه
مقام الفاعل وقرا الحسن مثلها وانهم بالجمع والزهرى سيكتب بالياء من تحت وهو فى الباقى كالعامة وابن
عباس وزيد بن على وابو جعفر وابو حيوة ستكتب بنون العظمة شهادتهم بالنصب مفعولا به فصل
المعنى ستكتب شهادتهم على الملائكة انهم بنات الله ويسألون عنها قال الكلبى ومقاتل لما قالوا هذا
القول سألهم النبى صلى الله عليه وسلم فقال ما يدريكم انهم اناث قالوا سمعنا من ابائنا
ونحن نشهد انهم لم يكذبوا فقال الله تعالى ستكتب شهادتهم ويسألون عنها فى الاخرة وهذا يدل على
ان القول بغير دليل منكر وان التقليد حرام يوجب الذم العظيم والعقاب الشديد قال المحققون هؤلاء
الكفار كفروا فى هذا القول من ثلاثة اوجه اولها اثبات الولد وثانيها ان ذلك الولد بنت وثالثها
الحكم على الملائكة بالانوثة فصل احتج من قال بتفضيل الملائكة على البشر بهذه القراآت اما قراءة عند
بالنون فهذه العندية لاشك انها عندية الفضل والقرب من الله تعالى بسبب الطاعة ولفظة هم توجب
الحصر والمعنى انهم هم الموصوفون بهذه العندية لا غيرهم فوجب كونهم افضل من غيرهم رعاية للفظ الدال
على الحصر واما قراءة عباد الرحمن فيفيد حصر العبودية فيهم فان كان اللفظ الدال على العبودية دالا على حصر
الفضل والقرب والشرف فيهم وجب كونهم افضل قوله تعالى وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم الاية
يعنى الملائكة قاله قتادة ومقاتل والكلبى وقال مجاهد يعنى الاوثان وانما لم يعجل عقوبتنا على عبادتنا اياهم
لرضاه منا بعبادتها وهذا نوع اخر من كفرهم وشبهاتهم فصل قالت المعتزلة هذه الاية تدل على فساد
القول بالجبر فى ان كفر الكافر يقع بارادة الله من جهتين الاول انه تعالى حكى عنهم انهم قالوا لو شاء الرحمن
ما عبدناهم وهذا تصريح بقول المجبرة ثم انه تعالى ابطله بقوله ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون
فثبت بطلان هذا المذهب ونظيره قوله تعالى فى سورة الانعام سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا
الى قوله هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون الثانى انه تعالى حكى
عنهم قبل هذه الاية انواع كفرهم فاولها قوله تعالى من عباده جزا وثانيها قوله وجعلوا الملائكة الذين
هم عباد الرحمن اناثا وثالثها قوله تعالى وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم فلما حكى هذه الاقاويل بعضها
على اثر بعض وثبت ان القولين الاولين كفر محض فكذلك هذا القول الثالث يجب ان يكون كفرا واجاب
الواحدى فى البسيط بوجهين الاول ما ذكره الزجاج وهو ان قوله تعالى ما لهم به من علم عائد الى قولهم الملائكة
بنات الله والثانى انهم ارادوا بقولهم لو شاء الرحمن ما عبدناهم انه امرنا بذلك ورضى بذلك فقررنا
عليه فانكر عليهم ذلك قال ابن الخطيب وهذان الوجهان عندى ضعيفان اما الاول فلانه تعالى حكى عن
القوم قولين باطلين وبين وجه بطلانهما ثم حكى بعده وجها ثالثا فى مسالة اجنبية عن المسالتين ثم حكى
البطلان والوعيد فصرف هذا الابطال الذى ذكره عنه الى كلام اجنبى عنه تقدم فى غاية البعد واما الوجه
الثانى فهو ايضا ضعيف لان قوله لو شاء الرحمن ما عبدناهم ليس فيه بيان متعلق تلك المشية والاجمال
خلاف الدليل فوجب ان يكون التقدير لو شاء الله ان لا نعبدهم ما عبدناهم وكلمة لو تفيد انتفاء الشئ
لانتفاء غيره فهذا يدل على انه لم توجد مشيته لعدم عبادتهم وهذا غير مذهب المجبرة والابطال والافساد
يرجع الى فساد هذا المعنى ومن الناس من اجاب عن هذا الاستدلال بان قال انهم لما ذكروا ذلك الكلام
على سبيل الاستهزاء والسخرية فلهذا السبب استوجبوا الطعن والذم واجاب الزمخشرى عنه بوجهين
الا انه ليس فى اللفظ ما يدل على انهم قالوه مستهزئين وادعاء ما لا دليل عليه باطل الثانى انه تعالى حكى عنهم
ثلاثة اشياء وهى انهم جعلوا لله من عباده جزا وانهم جعلوا الملائكة اناثا وانهم قالوا لو شاء الرحمن ما
عبدناهم فلو قلنا بانه انما جاء الذم على القول الثالث لانهم قالوه على طريق الهزء لا على سبيل الجد
وجب ان يكون الحال فى الحكاية على القولين كذلك فيلزمهم انهم لو نطقوا بتلك الاشياء على سبيل الجد ان

ان يكونوا محقين ومعلوم انه كفر واما القول بان الظن في القولين الاولين انما يوجد على بعض ذلك ٥
القول وبعض القول الثالث لا على نفسه بل على ايراده على الاستهزاء فهذا يوجب تشويش النظم وانه
لا يجوز في كلام الله تعالى قال ابن الخطيب والجواب الحق عندي عن هذا الكلام هو ما ذكرنا في سورة الانعام و
هو ان القوم لما ذكروا هذا الكلام استدلوا بمشية الله تعالى للكفر على انه لا يجوز ورود الامر بالايمان
فاعتقدوا ان الامر والارادة يجب كونهما متطابقين وعندنا ان هذا باطل فالقوم لم يستحقوا الذم لمجرد
قولهم ان الله يريد الكفر من الكافر بل لاجل انهم قالوا لما اراد الكفر من الكافر وجب ان يقبح امر الكافر بالايمان
فاذا اصرفنا الذم الى هذا المقام سقط استدلال المعتزلة بهذه الاية وتمام التقرير مذكور في سورة الانعام
قوله ما لهم بذلك من علم فيما يقولون ان هم الا يخرصون ما هم الا كاذبون في قولهم ان الله رضي عنا بعبادتها
وقيل ان هم الا يخرصون في قولهم الملائكة اناث وهم بنات الله قوله ام اتيناهم كتابا من قبله اي من ٥
قبل القران او الرسول بان يعبد غير الله فهم به مستمسكون يعني ان القول الباطل الذي حكاه الله عنهم عرفوا
صحته بالعقل او بالنقل اما اثباته بالعقل فهو باطل لقوله تعالى ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون
واما اثباته بالنقل فهو ايضا باطل لقوله تعالى ام اتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون والمعنى انهم
وجدوا ذلك الباطل في كتاب منزل قبل القران حتى جاز لهم ان يتمسكوا به فذكر هذا في معرض الانكار قوله
بل قالوا انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مهتدون والمقصود انه تعالى لما بين انه لا دليل على صحة
قولهم البتة لا من العقل ولا من النقل بين انه ليس لهم حامل يحملهم عليه الا التقليد المحض ثم بين ان
ان تمسك الجهال بالتقليد امر كان من قديم الزمان فقال وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير
الا قال مترفوها انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون قوله امة العامة على ضم الهمزة
بمعنى الطريقة والدين قال قيس بن الحطيم كنا على امة اباءنا ونقتدي بالاول الاخر اي على طريقتهم و
قال الاخر وهل يستوي ذو امة وكفور اي ذو دين وقرأ مجاهد وقتادة وعمر بن عبد العزيز ٥
بالكسر قال الجوهري هي الطريقة الحسنة لغة في امة بالضم قال الزمخشري كلتاهما من الضم لام وهو
القصد والامة الطريق التي تؤم كالرحلة للمرحول اليه والامة الحالة تكون عليها الام وهو القاصد وقرأ
ابن عباس بالفتح وهو المرة من الام والمراد بها القصد والحال فصل المراد بالمترفين الاغنيا والروسا
فالمترف الذي اترفته النعمة فلا يحب الا الشهوات والملاهي ويبغض المساق في طلب الحق واذا عرف ذلك
علمنا ان راس جميع الافات حب الدنيا واللذات الجسمانية وراس جميع الخيرات هو حب الله تعالى والدار
الاخرة ولهذا قال عليه السلام حب الدنيا رأس كل خطيئة قوله قل اولو جئتكم قرأ ابن عامر وحفص
قال ماضيا مكان قل امرا اي قال النذير او الرسول وهو النبي صلى الله عليه وسلم والامر في قل يجوز ان
ان يكون للنذير او الرسول وهو الظاهر وقرأ ابو جعفر وشيبة جئناكم بنون المتكلمين باهدى اي اصوب
مما وجدتم عليه اباءكم اي وان جئتكم باهدى منه فعند هذا حكى الله عنهم انهم قالوا انا لا ننفك عن دين
اباءنا وان جئتنا بما هو اهدى فانا بما ارسلتم به كافرون وان كان اهدى مما كنا عليه فعند هذا لم يبق لهم
عذر فلهذا قال تعالى فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين وهذا تهديد للكفار قوله تعالى
واذ قال ابراهيم لابيه وقومه انني براء مما تعبدون لما بين في الاية المتقدمة انه ليس لاولئك الكفار حجة
الا تقليد الاباء ثم بين انه طريق باطل وان الرجوع الى الدليل اولى من التقليد اردفه بهذه الاية وهو
وجه اخر يدل على فساد التقليد من وجهين الاول انه تعالى حكى عن ابراهيم عليه السلام انه تبرأ
من دين ابائه بناء على الدليل وذلك لان تقليد الاباء في الاديان اما ان يكون محرما او جائزا فان كان
محرما فقد بطل القول بالتقليد وان كان جائزا فمعلوم ان اشرف اباء العرب هو ابراهيم عليه السلام
لانهم لا يتشرفوا ولا يفتخروا الا بكونهم من اولاده واذا كان كذلك فتقليد هذا الاب الذي هو اشرف الاباء
اولى من تقليد سائر الاباء واذا ثبت ان تقليده اولى من تقليد غيره فنقول انه ترك دين الاباء وحكم بان

اتباع

اتباع الدليل اولى من متابعة الاباء فوجب تقليده في ترجيح الدليل على التقليد الوجه الثاني انه تعالى
بين ان ابراهيم عليه السلام لما عدل عن طريقة ابيه الى متابعة الدليل لا جرم جعل الله دينه ومذهبه ٥
باقيا في عقبه الى يوم القيمة واما اديان ابائه فقد اندرست وبطلت فثبت ان الرجوع الى متابعة الدليل
يبقى محمودا الاثر الى قيام الساعة ان التقليد ينقطع اثره قوله براء العامة على فتح الباء والف وهمزة بعد
الراء وهو مصدر في الاصل وقع موقع الصفة وهي براء بها قرأ الاعمش ولا يثنى براء ولا يجمع ولا يؤنث كالمصادر
في الاصل قال الزمخشري والفراء والمبرد لا يقولون البراءان ولا البراءون لان المعنى ذو البراءة وذو البراء فان
قلت منك ثنيت وجمعت وقرأ الزعفراني وابن المبارك عن نافع بضم الباء بزنة طوال وكرام يقال طويل و
طوال وبري وبراء وقرأ الاعمش اني بنون واحدة قوله الا الذي فطرني فيه اربعة اوجه احدها انه استثناء
منقطع لانهم كانوا اعبدوا اصناما فقط الثاني انه متصل لانه روي انهم كانوا يشركون مع الباري غيره
الثالث ان يكون مجرورا بدلا من ما الموصولة في قوله مما تعبدون قاله الزمخشري ورده ابو حيان بانه لا يجوز
الا في نفي او شبهه قال وغيره بر الا بمعنى النفي ولا ينفعه ذلك لانه موجب قال شهاب الدين قد تأول النحاة
ذلك في مواضع من القران كقوله ويأبى الله الا ان يتم نوره وانها لكبيرة الا على الخاشعين والاستثناء
المفرغ لا يكون في ايجاب ولكن لما كان يأبى بمعنى لا يفعل وانها لكبيرة بمعنى لا تسهل ولا تخف ساغ ذلك فهذا
مثله الرابع ان يكون الا صفة بمعنى غير على ان تكون نكرة موصوفة قاله الزمخشري قال ابو حيان وانما اخرجها
في هذا الوجه عن كونها موصولة لانه يرى ان الا بمعنى غير لا يوصف بها الا النكرة وفيها خلاف فعلى هذا
يجوز ان تكون ما موصولة والا بمعنى غير صفة لها قوله الا الذي فطرني اي خلقني فانه سيهدين اي يرشدني
لدينه ويوفقني لطاعته قوله وجعلها الضمير المرفوع لابراهيم وهو الظاهر او لله والضمير المنصوب للكلمة
التوحيد المفهومة من قوله انني براء الى اخره او لانها بمنزلة الكلمة فعاد الضمير على ذلك اللفظ لاجل المعنى
به وقرأ حميد بن قيس كلمة بكسر الكاف وسكون اللام وقرئ في عقبه اي في ذريته قال قتادة لا يزال
في ذريته من يعبد الله ويوحده قال القرطبي يعني وجعل وصية ابراهيم التي وصى بها بنيه باقية في ذريته
وهو قوله عز وجل ووصى بها ابراهيم بنيه وقال ابن زيد يعني قوله اسلمت لرب العالمين وقرأ هو سماكم المسلمين
لعلهم يرجعون لعل اهل مكة يتبعون هذا الدين ويرجعون عما هم عليه الى دين ابراهيم وقال السدي لعلهم
يتوبون ويرجعون الى طاعة الله عز وجل قوله بل متعت قرأ الجمهور متعت بتاء المتكلم وقتادة والاعمش بفتحها
للمخاطب خاطب ابراهيم او محمد ربه بذلك وبها قرأ نافع في رواية يعقوب والاعمش ايضا بل متعنا بنون
العظمة هؤلاء واباءهم يعني اهل مكة وهم عقب ابراهيم يريد مشركي مكة ولم اعاجلهم بالعقوبة
على الكفر حتى جاءهم الحق وهو القرآن وقال الضحاك يعني الاسلام ورسول مبين برسالته واضحة تبين
لهم الاحكام وهو محمد صلى الله عليه وسلم فلم يطيعوه وعصوا وكذبوه وسموه ساحرا ووجه النظم انهم
لما عولوا على تقليد الاباء ولم يتفكروا في الحجة اغتروا بطول الامهال وامتاع الله اياهم بنعيم الدنيا فاعرضوا
عن الحق وقال الزمخشري ان قيل ما وجه من قرأ متعت بفتح التاء قلنا كان الله سبحانه وتعالى اعترض على
ذاته في قوله وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون فقال بل متعتهم بما متعتهم به من طول العمر والسعة
والرزق حتى منعهم ذلك عن كلمة التوحيد واراد بذلك المبالغة في تعييرهم لانه اذا متعهم بزيادة النعم
وجب عليهم ان يجعلوا ذلك سببا في زيادة الشكر والثبات على التوحيد لا ان يشركوا به ويجعلون له اندادا
ومثاله ان يشكو الرجل اساءة من احسن اليه ثم يقبل على نفسه فيقول انت السبب في ذلك بمعروفك واحسانك
اليه ويريد بهذا الكلام توبيخ المسيء لا تقبيح فعل نفسه قوله ولما جاءهم الحق وهو القرآن قالوا هذا سحر وانا
به كافرون قوله لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم هذا نوع اخر من كفرانهم وهو انهم
قالوا منصب الرسالة منصب شريف فلا يليق الا برجل شريف وصدقوا في ذلك الا انهم ضموا اليه مقدمة
فاسدة وهي ان الرجل الشريف عندهم هو الذي يكون كثير المال يعنون الوليد بن المغيرة بمكة وعروة بن

سعود الثقفي بالطائف قاله قتادة وقال مجاهد عتبة بن ربيعة من مكة وعبد يا ليل الثقفي من الطائف
وعن ابن عباس هو الوليد بن المغيرة من مكة ومن الطائف حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي ومن القريتين
فيه حذف مضاف فقدره بعضهم من رجلي القريتين وقيل من احدى القريتين وقيل المراد عروة بن
مسعود الثقفي كان بالطائف وكان يتردد بين القريتين فنسب الى كلتيهما وقرئ رجل بسكون الجيم
وهي تميمية قوله اهم يقسمون رحمة ربك يعني النبوة والهمزة للانكار وهذا ابطال لشبهتهم وتقريره
من وجوه الاول انا اذا اوقعنا التفاوت في مناصب الدنيا ولم يقدر احد من الخلق على التغيير فالتفاوت
الذي اوقعناه في مناصب الدين والنبوة بان لا يقدروا على التصرف فيه اولى الثاني ان اختصاص ذلك
المعنى بذلك الرجل انما كان لاجل حكمنا وفضلنا واحساننا فكيف يليق بالعقل ان يجعل احساننا اليه بكثرة
المال حجة علينا في ان نحسن اليه ايضا بالنبوة الثالث انا لما اوقعنا التفاوت في الاحسان بمنافع الدنيا
لا بسبب سابق فلم لا يجوز ايضا ان يوقع التفاوت في الاحسان لمناصب الدين والنبوة لا بسبب سابق ثم
قال نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا فجعلنا هذا غنيا وهذا فقيرا وهذا مالكا وهذا مملوكا كما فضلنا
بعضهم على بعض في الرزق كما شئنا كذلك اصطفينا بالرسالة من شئنا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات
في القوة والضعف والعلم والجهل والغنى والفقر لانا لو سويناهم في كل هذه الاحوال لم يخدم احد احدا ولم
ولم يصر احد منهم مسخرا لغيره وحينئذ يخرب العالم ويفسد نظام الدنيا قوله ليتخذ بعضهم بعضا سخريا
اي ليستخدم بعضهم بعضا فيسخر الاغنياء باموالهم الاجراء الفقراء للعمل فيكون بعضهم لبعض سبب المعاش
هذا بماله وهذا باعماله فليتم قوام العالم وتقدم الكلام في سخريا في المؤمنين وقرأ بالكسر هنا عمرو بن ميمون
وابن محيصن وابن ابي رجاء وابن ابي ليلى والوليد بن مسلم وخلاد بن يحيى المشهورة وهو الاستخدام وقول بعضهم
انه استهزاء الغني بالفقير ثم قال ورحمة ربك الجنة خير للمؤمنين مما يجمع الاموال من الكفار قوله تعالى
ولولا ان يكون الناس امة واحدة الآية اعلم انه تعالى اجاب بوجه ثالث ها هنا عن شبهتهم بتفضيل الغني
على الفقير وهو انه تعالى بين ان منافع الدنيا وطيباتها حقيرة خسيسة عند الله وبين حقارتها
بقوله ولولا ان يكون الناس امة واحدة والمعنى لولا ان يرغب الناس في الكفر اذا راوا الكفار في سعة
من الخير والرزق لاعطيتهم اكثر الاسباب المفيدة للنعم واحدها ان يكون سقفهم من فضة وثانيها
معارج عليها يظهرون وثالثها ان يجعل لبيوتهم ابوابا وسررا ايضا من فضة عليها يتكؤن قوله
لبيوتهم بدل اشتمال باعادة العامل واللامان للاختصاص وقال ابن عطية الاولى للملك والثانية
للاختصاص ورده ابو حيان بان الثاني بدل فيشترط ان يكون الحرف متحد المعنى لا مختلفه وقال الزمخشري
ويجوز ان يكونا بمنزلة اللامين في قولك وهبت له ثوبا لقميصه قال ابو حيان ولا ادري ما اراد بقوله
قال شهاب الدين اراد بذلك ان اللامين للعلة اي كانت الهبة لاجلك لاجل قميصك فلقميصك بدل
اشتمال العامل بعينه وقد نقل ان قوله وهنا لاسحاق انما للعلة سقفا قرأ ابن كثير وابو عمرو بفتح
السين وسكون القاف بالافراد على ارادة الجنس والباقون بضمتين على الجمع كرهن في جمع رهن وفي رهن
تاويل لا يمكن هنا وهو ان يكون جمع رهان جمع رهن لانه لم يسمع سقاف جمع سقف وعن الفراء انه جمع سقيفة
كصحيفة وصحف وقرئ سقفا بفتحتين لغة في سقف وسقوف بزنة فلس وفلوس وابو رجاء بضمة وسكون
ومن فضة يجوز ان يتعلق بالجعل وان يتعلق بمحذوف صفة لسقف قوله ومعارج قرأ العامة معارج جمع
معرج وهو السلم وطلحة معاريج جمع معراج وهذا كمفاتح لمفتح ومفاتيح لمفتاح قوله وسررا جمع سرير و
العامة على ضم الراء وقرئ بفتحها وهي لغة بعض تميم وكلب وتقدم ان فعيلا المضعف يفتح عينه اذا كان
اسما او صفة نحو ثوب جديد وثياب جدد وفيه كلام للنحاة وهل قوله من فضة شامل للمعارج والابواب
والسرر فقال الزمخشري نعم كانه يرى تشريك المعطوف مع المعطوف عليه في قيوده وعليها يتكؤن
وعليها يظهرون صفتان لما قبلهما وزخرفا يجوز ان يكون منصوبا بالجعل اي وجعلنا لهم زخرفا وجوز الزمخشري

ان ينتصب عطفا على محل من فضة كانه قيل سقفا من فضة وذهب فلما حذف الخافض انتصب اي بعضها
كذا وبعضها كذا والزخرف قيل هو الذهب لقوله او يكون لك بيت من زخرف فيكون المعنى ونجعل لهم مع ذلك
ذهبا بكثرة وقيل الزخرف الزينة لقوله حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت فيكون المعنى نعطيهم زينة
عظيمة في كل باب قوله وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا قرأ حمزة وعاصم لما بالتشديد على معنى وما
وما كل ذلك الا متاع الحيوة الدنيا فكان لما بمعنى الا حكى سيبويه انشدتك بالله لما فعلت كذا بمعنى الا
ويؤيد هذه القراءة قراءة من قرأ وما ذلك الا متاع الحيوة الدنيا وخففه الاخرون على معنى وكل ذلك
متاع الحيوة الدنيا فيكون اللام للابتداء وما صلة يريد ان هذا كله متاع الحيوة الدنيا وسماه متاعا لان
الانسان يستمتع به قليلا ثم يزول ويذهب وتقدم الخلاف في لما تخفيفا وتشديدا في سورة هود وقال
ابو الحسن الوجه التخفيف لان لما بمعنى الا لا يعرف وحكى الكسائي انه قال لا اعرف وجه التثقيل وقرأ
ابو رجاء وابو حيوة لما بكسر اللام على انها لام العلة دخلت على ما الموصولة وصرف عائدها وان لم يطل
الصلة والاصل للذي هو متاع كقولك تماما على الذي احسن برفع النون وان هي المخففة من الثقيلة وكل
مبتدأ والجار بعده خبره اي وان كل ما تقدم ذكره كائن للذي هو متاع وكان الوجه ان تدخل اللام الفارقة
لعدم اعمالها الا انها لما دل الدليل على الاثبات جاز حذفها كما حذفها الاخر في قوله انا ابن اباة الضيم من
ال مالك وان مالك كانت كرام المعادن قوله والاخرة عند ربك للمتقين خاصة يعني الجنة للمتقين عن حب
الدنيا قال عليه السلام لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها قطرة ماء وروى
المستورد بن شداد قال كنت في الركب الذين وقفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على السخلة الميتة
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اترى هذه هانت على اهلها حين القوها قالوا من هوانها القوها
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فالدنيا اهون على الله من هذه على اهلها فان قيل لما بين الله تعالى
انه لو فتح على الكافر ابواب النعم لصار ذلك سببا لاجتماع الناس على الكفر فلو لم يفعل ذلك بالمسلمين
حتى يصير ذلك سببا لاجتماع الناس على الاسلام فالجواب لان الناس على هذا التقدير كانوا يجتمعون
على الاسلام لطلب الدنيا وهذا الايمان ايمان المنافقين فكان الاصوب ان يضيق الامر على المسلمين
حتى ان كل من دخل في الاسلام فانما يدخل لمتابعة الدليل وطلب رضوان الله تعالى فحينئذ يعظم ثوابه
لهذا السبب قوله ومن يعش العامة على ضم الشين من عشى يعشو اي يتعامى ويتجاهل وعن ابن عباس
وقتادة ويحيى بن سلام بفتح الشين بمعنى يعم يقال عشي يعشى عشيا اذا عمي وامرأة عشواء وزيد بن علي
يعشو باثبات الواو وقال الزمخشري على ان من موصولة وحق هذا ان يقرأ نقيض بالرفع قال ابو حيان ولا
ولا يتعين موصوليتها بل يخرج على وجهين اما تقدير حذف حركة حرف العلة وقد حكاها الاخفش لغة
وتقدم منه في سورة يوسف شواهد واما على انه جزم بمن الموصولة تشبيها لها بمن الشرطية قال واذا كانوا
قد جزموا بالذي وليس بشرط قط فاولى ان يجزموا بما استعمل شرطا وغير شرط وانشد لا تحقرن بئرا تريد اخا بها
فانك من دونه انت فيها تقع كذاك الذي يبغي على الناس ظالما يصبه على رغم عواقب ما صنع قال
وهو مذهب الكوفيين وله وجه من القياس وهو ان الذي اشبهت اسم الشرط في دخول الفاء في خبرها
فلتشبه اسم الشرط في الجزم ايضا الا ان دخول الفاء منقاس بشرطه وهذا لا ينقاس وقال عشي يعشو
وعشي يعشى فبعضهم جعلهما بمعنى وبعضهم فرق بان عشي يعشى اذا حصلت الافة في بصره واصله الواو
وانما قلبت ياء لانكسار ما قبلها كرضي يرضى وعشى يعشو اي تفاعل ذلك ونظر نظر العشي ولا آفة ببصره
كما قالوا اعرج لمن به افة العرج وعرج لمن تعارج ومشى مشية العرجان قال اعشوا اذا ما جارتي برزت
حتى يواري جارتي الجدر اي انظر نظر العشي وقال اخر متى تاته تعشو الى ضوء ناره تجد خير نار عندها
خير موقد اي ينظر نظر العشي لضعف بصره من كثرة الوقود وفرق بعضهم بان عشوت الى النار اي استدللت
عليها ببصر ضعيف وقال الفراء عشي يعشو يعرض وعشي يعشى عمي الا ان ابن قتيبة قال لم ار احدا حكى

عشوت عن الشيء اعرضت عنه وانما يقال تعاشيت عن كذا اذا تغافلت عنه وتعاميت قوله نقيض قرأ
العامة بنون العظمة وعلي بن ابي طالب والاعمش ويعقوب والسلمي وابو عمرو وعاصم في رواية
عنهما يقيض بالياء من تحت اى يقيض الرحمن والشيطان نصب في القراءتين وابن عباس نقيض مبنيا للمفعول
شيطان بالرفع قائم مقام الفاعل قوله ومن يعش عن ذكر الرحمن اى يعرض عن القران وقيل يعرض عن الله
فلم يخف عقابه ولم يرج ثوابه يقال عشوت الى النار اعشو اعشوا اذا قصدتها معتديا بها وعشوت عنها
اذا اعرضت عنها كما يقال عدلت الى فلان وعدلت عنه اى ملت اليه وملت عنه قال القرطبي تولية ظهره
كقوله صم بكم عمي قال الخليل اصل العشو النظر ببصر ضعيف واما القراءة بالضم فمعناه يتعام عن ذكره
اى يعرف انه الحق ويتعامى لقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا نقيض له شيطانا
اى نضمه فمعناه يتعام عن ذكره اى يعرف انه الحق اليه ونسلطه عليه فهو له قرين لا يفارقه يزين له
العمى ويخيل اليه انه الهدى وانهم يعني الشياطين ليصدونهم عن السبيل اى يمنعونهم عن الهدى
وذكر الانسان والشيطان بلفظ الجمع لان قوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا يفيد الجمع وان كان
اللفظ على الواحد قال ابو حيان الظاهر ان ضميري النصب في وانهم ليصدونهم عائدان على من من حيث
معناها راعى لفظها اولا فافرد في له وله ثم راعى معناها فجمع في قوله وانهم ليصدونهم والضمير المرفوع
على الشيطان لان المراد به الجنس ولان كل كافر معه قرين وقال ابن عطية ان الضمير الاول للشياطين
والثاني للكفار والتقدير وان الشياطين ليصدون الكفار العاشين ويحسبون انهم مهتدون اى ويحسب
كفار بني آدم انهم على الهدى قوله حتى اذا جاءنا قرأ ابو عمرو والاخوان وحفص جاءنا باسناد الفعل
الى ضمير مفرد يعود على لفظ من وهو العاشي وحينئذ يكون هذا مما حمل فيه على اللفظ فانه حمل اولا على
لفظها في قوله نقيض له شيطانا فهو له قرين ثم جمع معناها في قوله وانهم ليصدونهم ويحسبون انهم
ثم رجع الى لفظها في قوله جاءنا والباقون جاءانا مسندا الى ضمير تثنية وهما العاشي وقرينه جعلا في
سلسلة واحدة فحينئذ يقول الكافر لقرينه يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين اى بعد ما بين المشرق
والمغرب فغلب احدهما على الاخر كالعمرين والقمرين قال الفرزدق   لنا قمراها والنجوم الطوالع
يريد الشمس والقمر ويقولون للكوفة والبصرة الكوفتان والبصرتان وللغداة والعصر العصران ولا
لابي بكر وعمر العمران وللماء والتمر الاسودان وقيل اراد بالمشرقين مشرق الصيف ومشرق الشتاء
والاول اصح وقيل بعد المشرقين من المغربين وقال ابن الخطيب ان اهل النجوم يقولون ان الحركة التي تكون
من المشرق الى المغرب هي حركة الفلك الاعظم والحركة التي من المغرب الى المشرق هي حركة الكواكب
الثابتة والافلاك الممثلة الى السيارات سوى القمر واذا كان كذلك فالمشرق والمغرب كل واحد
منهما مشرق بالنسبة الى شيء ومغرب بالنسبة الى شيء اخر فثبت ان اطلاق لفظ المشرق على كل واحد
من الجهتين حقيقة ثم ذكر وجها اخر وهو ان الحس يدل على ان الحركة اليومية انما تحصل بطلوع الشمس
من المشرق الى المغرب واما من المغرب فانه يظهر في اول الشهر في جانب الغرب ثم لا يزال يتقدم الى
جانب المشرق وذلك يدل على ان حركة القمر من المغرب واذا ثبت هذا فالجانب المسمى بالمشرق فانه
مشرق الشمس ولكنه مغرب القمر واما الجانب المسمى بالمغرب فانه مشرق القمر ولكنه مغرب
الشمس وبهذا التقدير يصح تسمية المشرق والمغرب بالمشرقين قال ولعل هذا الوجه اقرب الى مطابقة
اللفظ من سائر الوجوه وهذا ليس بشيء فان ظهور القمر من المغرب ما كان لكونه اشرق من المغرب
انما كان ظهوره لغيبوبة شعاع الشمس عنه وانما كان اشراقه وظهوره من المشرق الحقيقي ولكنه كان
مختفيا لشعاع الشمس قوله فبئس القرين والمخصوص بالذم محذوف اى انت قال ابو سعيد الخدري اذا
اذا بعث الكافر زوج بقرينه من الشياطين فلا يفارقه حتى يصير الى النار قوله ولن ينفعكم في فاعله
وجهان احدهما انه ملفوظ به وهو انكم وما في حيزها التقدير ولن ينفعكم اشتراككم في العذاب بالتاسي

كما ينفعكم الاشتراك في مصائب الدنيا فيتاسى المصاب بمثله ومثل قول الخنساء   ولولا كثرة الباكين
حولي   على موتاهم لقتلت نفسي   وما يبكون مثل اخي ولكن   اعزي النفس عنهم بالتاسي   والثاني
انه مضمر فقدره بعضهم ضمير التمني المدلول عليه بقوله يا ليت بيني اى لن ينفعكم تمنيكم البعد وبعضهم
لن ينفعكم اجتماعكم وبعضهم ظلمكم وجحدكم وعبارة من عبر بان الفاعل محذوف مقصوده الاضمار المذكور
لا الحذف اذ الفاعل لا يحذف لا في مواضع ليس هذا منها وعلى هذا الوجه يكون قوله انكم تعليل اى لانكم
فحذف الخافض فجرى في محلها الخلاف اهو نصب ام جر ويؤيد اضمار الفاعل لا انه هو انكم قراءة انكم
بالكسر فانه استئناف فانه مفيد للتعليل قوله اذ ظلمتم قد استشكل المعربون هذه الاية ووجهه
هو ان قوله اليوم ظرف حالي واذ ظرف ماض وينفعكم مستقبل لاقترانه بلن التي لنفي المستقبل والظاهر
انه عامل في الظرفين وكيف يعمل الحدث المستقبل الذي لم يقع بعد في ظرف حاضر او ماض هذا مما لا يجوز
واجيب عن اعماله في الظرف الحالي على سبيل قربه منه لان الحال قريب من الاستقبال فيجوز في ذلك قال
تعالى فمن يستمع الآن وقال الشاعر   ساسعى الآن اذ بلغت اناها   وهو اقناعي والا فالمستقبل
يستحيل وقوعه عقلا واما قوله اذ ففيها للناس اوجه كثيرة قال ابن جني راجعت ابا علي فيها مرارا فاخر
ما حصلت منه ان الدنيا والاخرة متصلتان في حكم الله تعالى وعلمه فاذ بدل من اليوم وحمل الزمخشري
على معنى اذ تبين وصح ظلمكم ولم يبق لاحد ولا لكم شبهة في انكم كنتم ظالمين ونظيره   اذا ما انتسبنا لم تلدني
لئيمة   اى تبين اني ولد كريمة قال ابو حيان ولا يجوز البدل ما دامت اذ على موضوعها من المعنى فان جعلت
لمطلق الزمان بل هي موضوعة لزمان خاص بالماضي كامس الثاني ان في الكلام حذف مضاف تقديره بعد
اذ ظلمتم الثالث انها للتعليل وحينئذ تكون حرفا للتعليل كاللام ان العامل في اذ هو ذلك الفاعل المقدر
لا ضميره والتقدير ولن ينفعكم ظلمكم او جحدكم اذ ظلمتم الخامس ان العامل في اذ ما دل عليه المعنى كانه قال
ولكن لن ينفعكم اجتماعكم اذ ظلمتم قاله الحوفي ثم قال   وفاعل لن ينفعكم الاشتراك انتهى فظاهر هذا
تناقض لانه جعل الفاعل اولا اجتماعكم ثم جعله اخرا الاشتراك ومنع ان يكون اذ بدلا من اليوم
لتغايرهما في الدلالة وفي كتاب ابي البقاء وقيل اذ بمعنى ان بفتح او الكسر ولكن قال ابو حيان وقيل اذ للتعليل
حرفا بمعنى ان يعني بالفتح وكانه اراد ما ذكره ابو البقاء الا ان تسميته ان للتعليل مجاز فانما على حذف حرف
العلة اى لان فلما صاحبتها والاستغناء بها عنها سماها باسمها ولا ينبغي ان تعتقد انها في كتاب ابي
البقاء بالكسر على الشرطية لان معناه بعيد وفي كتاب مجاهد ان ابن عامر قرأ انكم بالكسر على الاستئناف
المفيد للعلة وحينئذ يكون الفاعل مضمرا على احد التقادير المذكورة فصل المعنى ولن ينفعكم اليوم في
الاخرة اذ ظلمتم ما اشركتم في الدنيا انكم في العذاب مشتركون اى لا ينفعكم الاشتراك في العذاب ولا يخفف
الاشتراك عنكم لان لكل واحد من الكفار والشياطين الحظ الاوفر من العذاب وقال مقاتل لن ينفعكم
الاعتذار والندم اليوم وانتم وقرناؤكم اليوم مشتركون في العذاب كما كنتم تشتركون في الدنيا واعلم انه
تعالى بين ان الشركة في العذاب لا يفيد التخفيف كما كان يفيده في الدنيا والسبب فيه وجوه الاول
ان ذلك العذاب الشديد عظيم واشتغال كل واحد بنفسه يذهله عن حال الاخر فلا جرم لم تفد الشركة
خفة الثاني اذا اشترك الاقوام في العذاب اعان كل واحد منهم صاحبه بما قدر عليه فيحصل بسببه
بعض التخفيف وهذا المعنى متعذر في القيامة الثالث ان جلوس الانسان مع قرينه يفيد انواعا كثيرة
من السلوة فبين تعالى ان الشيطان وان كان قرينا الا ان مجالسته في القيامة لا توجب السلوة وخفة
العقوبة قوله تعالى افانت تسمع الصم او تهدي العمي الاية لما وصفهم في الاية المتقدمة بالعشا
وصفهم في هذه الاية بالصمم والعمى وما احسن هذا الترتيب وذلك ان الانسان في اول اشتغاله
بطلب الدنيا يكون كمن حصل بعينه رمد ثم كلما كان اشتغاله بتلك الاعمال اكثر كان ميله الى الجسمانيات
اشد واعراضه عن الروحانيات اكمل لان كثرة المواظبة على الشيء توجب حصول الملكة الراسخة فينتقل

الانسان من الرمد الى ان يصير اعشى فاذا واظب على تلك الحالة انتقل من كونه اعشى الى كونه اعمى روى انه عليه السلام كان يجتهد فى دعاء قومه وهم لا يزيدون الا تصميما على الكفر وعنادا على الغى قال الله تعالى افانت تسمع الصم او تهدى العمى يعنى انهم فى النفرة عنك وعن دينك بحيث اذا اسمعتهم القران كانوا كالصم واذا اريتهم المعجزات كانوا كالعمى **قوله** فاما نذهبن بك بان نميتك قبل ان نعذبهم فانا منهم منتقمون بالقتل بعد او نرينك فى حيوتك الذى وعدناهم من العذاب فانا عليهم مقتدرون قادرون متى شئنا عذبناهم واراد به مشركى مكة انتقم منهم يوم بدر هذا قول اكثر المفسرين وقال الحسن وقتادة عنى به اهل الاسلام من امة محمد صلى الله عليه وسلم وقد كان بعد النبى صلى الله عليه وسلم نقمة شديدة فى امته فاكرم الله نبيه وذهب به ولم يره فى امته الا الذى تقر عينه وابقى النقمة بعده وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم ارى ما يصيب امته بعده فما رئى ضاحكا منبسطا حتى قبضه الله وقرئ نرينك بالنون الخفيفة **قوله فاستمسك بالذى اوحى اليك** العامة على اوحى مبنيا للمفعول مفتوح الياء وبعض قراء الشام سكنها تخفيفا والضحاك اوحى مبنيا للفاعل وهو الله تعالى

فصل لما بين له ما يوجب التسلية امره بان يتمسك بما امره الله تعالى به فقال تعالى فاستمسك بالذى اوحى اليك بان تعتقد انه حق وبان تعمل بموجبه فانه الصراط المستقيم الذى لا يميل عنه الا ضال فى الدين ولما بين تاثير التمسك بهذا الدين فى منافع الدين بين ايضا تاثيره فى منافع الدنيا فقال وانه لذكر لك ولقومك اى انه يعنى القران لذكر لشرف لك ولقومك من قريش نظيره لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم وشرفكم وانه يوجب الشرف العظيم لك ولقومك حيث يقال ان هذا الكتاب العظيم انزله الله عز وجل لقوم من هؤلاء وهذه الاية تدل على ان الانسان لا بد وان يكون عظيم الرغبة فى الثناء والذكر الجميل ولو لم يكن الذكر الجميل امرا مرغوبا فيه لما من الله تعالى به على محمد صلى الله عليه وسلم فقال انه لذكر لك ولقومك ولما طلبه ابراهيم عليه السلام حيث قال واجعل لى لسان صدق فى الاخرين ولان الذكر الجميل قائم مقام الحيوة الشريفة بل الذكر افضل من الحيوة لان اثر الحيوة لا يحصل الا فى مسكن ذلك الحى واما اثر الذكر الجميل فانه يحصل فى كل زمان وفى كل مكان ثم قال الله تعالى وسوف تسألون هل اديتم شكر ما انعمنا عليكم بهذا الذكر الجميل وقال مقاتل يقال لمن كذب به لم كذبت فيسال سوال توبيخ وقيل يسالون هل علمتم بما دل عليه القران من التكاليف وروى الضحاك عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا سئل لمن هذا الامر بعدك لم يخبر بشئ حتى نزلت هذه الاية فكان بعد ذلك اذا سئل لمن هذا الامر بعدك قال لقريش وروى ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال هذا الامر فى قريش ما بقى اثنان وروى معاوية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان هذا الامر فى قريش لا يعاديهم احد الا اكبه الله على وجهه ما اقاموا الدين وقال مجاهد القوم هم العرب فالقران لهم شرف اذ نزل بلغتهم ثم يختص ذلك الشرف الاخص فالاخص من العرب حتى يكون الاكثر لقريش ولبنى هاشم وقيل ذكر لك بما اعطاك من الحكمة ولقومك من المؤمنين بما هداهم الله به وسوف تسألون عن القران وعما يلزمكم من القيام بحقه **قوله** واسأل من ارسلنا فيه ثلاثة اوجه اظهرها ان من موصولة وهى مفعولة للسؤال كانه قيل واسئل الذى ارسلناه من قبلك عما ارسلوا به فانهم لم يرسلوا الا بالتوحيد الثانى انه على حذف حرف الجر على انه المسؤول عنه والمسؤول الذى هو المفعول الاول محذوف تقديره واسالنا عمن ارسلناه الثالث ان من استفهامية مرفوعة بالابتداء وارسلنا خبره والجملة معلقة للسؤال فيكون فى محل نصب على اسقاط الخافض وهذا ليس بظاهر بل الظاهر ان المعلق للسؤال انما هو الجملة الاستفهامية من قوله اجعلنا **فصل** اختلفوا فى هؤلاء المسؤلين فقال عطاء عن ابن عباس قال لما اسرى بالنبى صلى الله عليه وسلم الى المسجد الاقصى بعث له آدم وولده من المرسلين فاذن جبريل عليه السلام ثم اقام وقال يا محمد تقدم فصل بهم فلما فرغ من الصلوة قال له جبريل سل يا محمد من ارسلنا من قبلك من رسلنا الاية فقال النبى صلى الله عليه وسلم

لا اسال

لا اسال قد كفيت ولست شاكا فيه وهذا قول الزهرى وسعيد بن جبير وابن زيد قالوا جمع له الرسل ليلة اسرى به وامران يسالهم فلم يسال ولم يشك وقال اكثر المفسرين سال موسى اهل الكتاب الذين ارسلت اليهم الانبياء هل جاءتهم الرسل الا بالتوحيد وهو قول ابن عباس فى ساير الروايات ومجاهد وقتادة والضحاك والسدى والحسن ويدل عليه قراءة عبد الله وابى واسال الذين ارسلنا اليهم قبلك من رسلنا ومعنى الامر بالسؤال التقرير لمشركى قريش انه لم يات رسول بعبادة غير الله عز وجل وقال عطا سؤال الانبياء الذين كانوا قبله ممتنع فكان المراد منه انظر فى هذه المسالة بعقلك وتدبرها بفهمك **قوله تعالى** ولقد ارسلنا موسى باياتنا الاية لما طعن كفار قريش فى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بكونه فقيرا عديم المال والجاه بين الله تعالى ان موسى عليه السلام بعد ان اورد المعجزات القاهرة التى لا يشك فى صحتها عاقل اورد عليه فرعون هذه الشبهة التى ذكرها كفار قريش فقال انه غنى كثير المال والجاه الا ترون انى حصل لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى واما موسى فانه فقير مهين وليس له بيان ولسان والرجل الفقير كيف يكون رسولا من عند الله الملك الكبير فثبت ان هذه الشبهة التى ذكرها كفار قريش بمكة وهى قولهم لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم قد اوردها بعينها فرعون على موسى ثم انتقمنا منهم فاغرقناهم فيكون الامر فى حق اعدائك هكذا فثبت انه ليس المقصود من اعادة هؤلاء هذه القصة عينها بل المقصود تقرير الجواب عن الشبهة المذكورة **قوله اذا هم منها يضحكون** قال الزمخشرى فان قلت كيف ان يجاب لما باذا الفجائية قلت لان فعل المفاجاة معها مقدر وهو عامل النصب فى محلها كانه قيل فلما جاءهم باياتنا فاجاوا وقت ضحكهم قال ابو حيان ولا نعلم نحويا ذهب الى ما ذهب اليه من ان اذا الفجائية تكون منصوبة بفعل مقدر تقديره فاجاء بل المذاهب ثلاثة اما حرف فلا يحتاج الى عامل او ظرف زمان فان ذكر بعدها الاسم الواقع بعدها خبر كانت منصوبة على الظرف والعامل فيها ذلك الخبر نحو خرجت فاذا زيد قائم تقديره خرجت ففى الزمان الذى خرجت منه زيد قائم او فى الوقت الذى خرجت زيد قائم وان لم يذكر بعد الاسم خبر او ذكر اسم منصوب على الحال فان كان الاسم جثة وقلنا انها ظرف مكان كان الامر واضحا اذا قلنا انها ظرف مكان نحو خرجت فاذا الاسد اى فبالحضرة الاسد او فاذا الاسد رابضا وان قلنا انها ظرف زمان كان على حذف مضاف لئلا يخبر بالزمان عن الجثة نحو خرجت فاذا الاسد اى ففى الزمان حضور الاسد وان كان الاسم حدثا جاز ان يكون مكانا او زمانا ولا حاجة الى تقدير مضاف نحو خرجت فاذا القتال ان شئت قدرت فبالحضرة القتال او ففى الزمان القتال **قوله** الا هى اكبر من اختها جملة واقعة صفة لقوله من اية فيحكم على موضعها بالجر اعتبارا باللفظ وبالنصب اعتبارا بالمحل وفى معنى قوله اكبر من اختها اوجه احدها قال ابن عطية هو انهم يستعظمون الاية التى تاتى لجدة امرها وحدوثه لانهم انسوا بتلك الاية السابقة فيعظم امر الثانية وكثر وهذا كقول الشاعر على انها تعفو الكلوم وانما توكل بالادنى وان جل ما مضى الثانى قيل ان المعنى الا هى اكبر من اختها السابقة فحذف الصفة للعلم بها الثالث قال الزمخشرى فان قلت هو كلام متناقض لان معناه ما من اية من التسع الا وهى اكبر من كل واحدة منها فاضلة ومفضولة فى حالة واحدة قلت الغرض من هذا الكلام وصفهن بالكبر لا يكدن يتفاوتن فيه وكذلك العادة فى الاشياء التى تتفاوت فى الفضل التفاوت اليسير تختلف اراء الناس فى تفضيلها فبعضهم يفضل هذا وبعضهم يفضل هذا وربما اختلف اراء الواحد فيها كقول الحماسى من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التى يهدى بها السارى وقالت الانمارية فى الجملة من ابنائها ثكلتهم ان كنت اعلم ايهم افضل هم كالحلقة المفرغة لا يدرى اين طرفاها انتهى كلامه واوله قطيع جدا كان العبادات ضاقت عليه حتى قال ما قال وان كان جوابه حسنا فسؤاله فظيع

فصل ذكر تعالى انه ارسل موسى باياته وهى المعجزات التى كانت مع موسى الى فرعون وملائه اى قومه فقال موسى انى رسول رب العالمين فلما جاءهم بتلك الايات اذا هم منها يضحكون استهزاء قيل لما القى عصاه صار ثعبانا ثم اخذه صار عصى كما كان ضحكوا ولما اعرض عليهم اليد البيضاء ثم عادت كما كانت ضحكوا ثم قال

ومانريهم من اية الا هي اكبر من اختها اى قريبتها وصاحبتها التى كانت قبلها واخذناهم بالعذاب اى
بالسنين والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس فكانت هذه دلالات لموسى وعذابا
وكانت كل واحدة اكبر من التى قبلها لعلهم يرجعون عن الكفر الى الايمان قالت المعتزلة هذا يدل على انه تعالى
يريد الايمان من الكل وانه انما اظهر تلك المعجزات القاهرة لارادة ان يرجعوا عن الكفر الى الايمان **قوله**
وقالوا يا ايها الساحر تقدم الكلام فيه فى النور والمعنى انهم لما عاينوا العذاب قالوا لموسى يا ايها الساحر
اى يا ايها العالم الكامل الحاذق وانما قالوا هذا توقيرا وتعظيما لان السحر عندهم كان علما عظيما وصفة
محمودة وقيل معناه يا ايها الذى غلبنا بسحره وقال الزجاج خاطبوه به لما تقدم له عندهم من التسمية
بالساحر **فان قيل** كيف سموه بالساحر مع قولهم اننا لمهتدون **فالجواب** من وجوه الاول انهم كانوا يسمون
العالم الماهر ساحرا لانهم يستعظمون السحرة وكما يقال فى زماننا فى العمل العجيب الكامل انه اتى بالسحر
والثانى ايها الساحر فى زعم الناس ومتعارف قوم فرعون كقوله وقالوا يا ايها الذى نزل عليه الذكر انك
لمجنون اى نزل عليه الذكر فى اعتقاده وزعمه الثالث ان قولهم اننا لمهتدون وعد كانوا عازمين
على خلافه الا ترى الى قوله فلما كشفنا عنهم العذاب فسأله يكشف عنا اننا لمهتدون به مؤمنون فدعى
موسى فكشف عنهم فلم يؤمنوا فذلك قوله عز وجل فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون اى ينكثوا ذلك
العهد يعنى ينقضون عهدهم ويصرون على كفرهم **قوله** ونادى فرعون فى قومه لما ذكر معاملة قوم فرعون
مع موسى ذكر ايضا معاملة فرعون معه فقال ونادى فرعون فى قومه اى اظهر هذا القول وقال يا قوم
اليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى اى انهار النيل ومعظمها نهر الملك ونهر طولون ونهر
دمياط ونهر تنيس قيل كانت تجرى تحت قصره وحاصل الامر انه احتج بكثرة امواله وقوة جاهه على فضيلة
نفسه ثم قال افلا تبصرون من تحت قصورى وقال قتادة تجرى من بين يدى فى جناتى وبساتينى وقال
الحسن بامرى افلا تبصرون عظمتى وشدة ملكى قيل من ملك القبط يسمى فرعون ومن ملك اليهود يسمى قيطون
والمعروف مالخ ومن ملك الصابئة يسمى نمرود ومن ملك البربر يسمى جالوت ومن ملك الهند يسمى بهمن
وقيل بعفور ومن ملك فرغانة يسمى الاخشيد ومن ملك العرب من قبل العجم يسمى النعمان **قوله** وهذه الا
الانهار يجوز فى وهذه وجهان احدهما ان يكون مبتداة والواو للحال والانهار صفة لاسم الاشارة
او عطف بيان وتجرى الخبر والجملة حال من تحتى والثانى ان هذه معطوفة على ملك مصر وتجرى على هذا
حال اى اليس لى ملك مصر وهذه الانهار جارية اى الشيئان **قوله** تبصرون العامة على الخطاب
لمن ناداهم وقرأ عيسى بكسر النون اى تبصروننى وفى قراءة العامة المفعول محذوف اى تبصرون ملكى
وعظمتى وقرأ فهد بن الصقر يبصرون بياء الغيبة اما على الالتفات من الخطاب الى الغيبة واما ردا على
قوم موسى **قوله** ام انا خير فى ام هذه اقوال احدها انها منقطعة فتقدر ببل التى للاضراب الانتقالى وبالهمزة
التى للانكار والثانى انها بمعنى بل فقط كقوله بدت مثل قرن الشمس فى رونق الضحى وصورتها ام انت
فى العين املح اى بل انت الثالث انها منقطعة لفظا متصلة معادلة اذ المعنى انا خير منه ام لا وانا خير منه
وهذه عبارة غريبة ان تكون منقطعة لفظا متصلة معنى وذلك انهما معنيان مختلفان فان الانقطاع
يقتضى اضرابا اما ابطالا واما انتقالا الرابع انها متصلة والمعادل محذوف تقديره ام تبصرون وهذا لا يجوز
الا اذا كانت لا بعدها نحو اتقوم ام لا اى ام لا تقوم وازيد عندك ام لا اى ام لا هو عندك اما حذفه دون
لا فلا يجوز وقد جاء حذف ام مع المعادل وهو قليل جدا قال الشاعر دعانى اليها القلب انى لامرها
سميع فما ادرى ارشد طلابها ام غى ونقل ابو حيان عن سيبويه ان هذه هى ام المعادلة اى ام تبصرون
الامر الذى هو حقيق ان يبصر عنده وهو انه خير من موسى قال وهذا القول بدى به الزمخشرى فقال ام هذه
متصلة لان المعنى افلا تبصرون ام تبصرون لانهم اذا قالوا انت خير فهو عنده بصراء وهذا من انزال السبب
منزلة المسبب قال ابو حيان وهذا متكلف اذ المعادل انما يكون مقابلا للسابق فان كان المعادل جملة

فعلية كان السابق جملة فعلية او جملة اسمية يتقدر منها فعلية كقوله ادعوتموهم ام انتم صامتون لان
معناه ام صمتم وهنا لا يتقدر منها جملة فعلية لان قوله ام انا خير ليس مقابلا لقوله افلا تبصرون واذا كان
السابق اسما كان المعادل اسما او جملة فعلية يتقدر منها اسم نحو قوله امخرج الدين ام انت فانت معادل
للاسم والتقدير ام سما قال شهاب الدين وهذا الذى رده على الزمخشرى رد على سيبويه لانه هو السابق به
وكذا قوله ايضا انه لا يحذف المعادل بعد ام الا ولعدها لا فيه نظر من حيث تجويز سيبويه حذف العامل
دون لا فهو رد على سيبويه ايضا **قوله** ولا يكاد يبين هذه الجملة يجوز ان تكون معطوفة على الصلة وان
تكون مستأنفة وان تكون حالا والعامة على يبين من ابان والباقون يبين بفتح الياء من بان اى ظهر
فصل قال اكثر المفسرين ام هنا بمعنى بل وليس بحرف عطف قال الفراء الوقف على قوله ام وفيه اضمار
مجاز افلا تبصرون ام تبصرون لكنه اكتفى بلفظ ام كما تقول لغيرك اتأكل ام اى اتأكل ام لا تأكل لكنك تقتصر
على كلمة ام اقتصارا قال ابو عبيدة معناها بل انا خير وعلى هذا فقد تم الكلام عند قوله افلا تبصرون
ثم ابتدأ فقال انا خير يعنى بل انا خير وقال الباقون ام هذه متصلة لان المعنى افلا تبصرون ام تبصرون الا انه
وضع قوله انا خير موضع تبصرون لانهم اذا قالوا له انت خير فهم عنده بصراء **قوله** من هذا الذى هو مهين
اى ضعيف حقير يعنى موسى ولا يكاد يبين اى يفصح لسانه لرتة كانت فى لسانه **فان قيل** اليس ان موسى
عليه السلام سأل الله ان يزيل الرتة عن لسانه بقوله واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى فاعطاه
الله ذلك بقوله قد اوتيت سؤلك يا موسى فكيف عابه فرعون بتلك الرتة **فالجواب** من وجهين الاول
ان فرعون اراد بقوله ولا يكاد يبين حجته التى تدل على صدقه ولم يرد انه لا قدرة على الكلام والثانى انه
عابه بما كان عليه اولا وذلك ان موسى عليه السلام مكث عند فرعون زمانا طويلا وكان فى لسانه
حبسة فنسبه فرعون الى ما عهده عليه من الرتة لانه لم يعلم ان الله تعالى ازال ذلك العيب عنه **قوله**
فلولا القى عليه اساورة قرأ حفص اسورة كاحمرة والباقون اساورة فاسورة جمعها سوار كحمار واحمرة
وهو جمع قلة واساورة جمع اسوار بمعنى سوار يقال سوار المرأة واسوارها والاصل اساوير بالياء فعوض
من حرف المد تاء التأنيث كزنديق وزنادقة وبطريق وبطارقة وقيل بل هى جمع اسورة فهو جمع الجمع وقرأ
ابى والاعمش وتروى عن ابى عمرو اساور دون تاء وروى عن ابى ايضا وعبد الله اساوير وقرأ الضحاك
القى مبنيا للفاعل اى الله واساورة نصبا على المفعولية ومن ذهب صفة لاساورة ويجوز ان تكون من الداخلة
على التمييز **فصل** ومعنى الكلام ان عادتهم جرت بانهم اذا جعلوا واحدا منهم رئيسا لهم سوروه بسوار
من ذهب وطوقوه بطوق من ذهب فطلب فرعون من موسى عليه السلام مثل عادتهم وحاصل الكلام
ان فرعون كان يقول انا اكثر منه مالا وجاها فوجب ان اكون افضل منه فيمتنع كونه رسولا من عند الله
لان منصب النبوة يقتضى المخدومية والاخس لا يكون مخدوما للاشرف ثم قال او جاء معه الملائكة
مقترنين متتابعين يقرن بعضهم بعضا يشهدون له بصدقه ويعينونه على امره ويجوز ان يكون المراد
مقترنين به من قولك قرنته به **قوله** فاستخف قومه فاطاعوه اى وجدهم جهالا فحملهم على الخفة والجهل
يقال استخفه عن رأيه اذا حمله على الجهل وازاله عن الصواب فاطاعوه على تكذيب موسى انهم كانوا
قوما فاسقين حيث اطاعوا ذلك الفاسق الجاهل **قوله** فلما آسفونا انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين واعلم
ان ذكر لفظ الاسف فى حق الله تعالى وذكر لفظ الانتقام كل واحد منهما من المتشابهات التى يجب تأويلها
فمعنى الغضب فى حق الله تعالى ارادة العقاب كما مر سابق واسفونا منقول بهمزة التعدية من اسف
على غضب والمعنى اغضبونا بخلافهم امرنا وقال بعض المفسرين معناها احزنوا اولياءنا **قوله** فجعلناهم
سلفا قرأ الاخوان سلفا بضمتين والباقون بفتحتين فاما الاولى فتحتمل ثلاثة اوجه احدها انها جمع سليف
كرغيف ورغف وسمع القاضى بن معن من العرب مضى سليف من الناس والسليف من الناس كالفريق منهم
والثانى انها جمع سالف كصابر وصبر والثالث انها جمع سلف كاسد واسد والثانية تحتمل وجهين احدهما

ان يكون جمعا لسالف كحارس وحرس وخادم وخدم وهذا فى الحقيقة اسم جمع لاجمع تكسير اذليس فى
ابنية التكسير صيغة فعل والثانى انه مصدر يطلق على الجماعة تقول سلف الرجل يسلف سلفا اى تقدم
والسلف كل شئ قدمه من عمل صالح اوقرض فهو سلف وسلف الرجل اباوه المتقدمون والجمع اسلاف
وسلاف وقال طفيل مضوا سلفا قصد السبيل عليهم صروف المنايا بالرجال تقلب وقرأ على رضى الله
عنه ومجاهد سلفا بضم السين وفتح اللام وفيها وجهان اشهرهما انه جمع سلفة كغرفة وغرف
وسلفة الامة وقيل الاصل سلفا بضمتين وانما ابدل من الضمة فتحة وقوله مثلا اما مفعول ثان ان
كانت بمعنى صير والاحالا قال الفرا والزجاج المعنى جعلناهم متقدمين ليتعظ بهم الاخرون وهم كفار امة محمد
صلى الله عليه وسلم والمعنى ومثلا للآخرين اى عظة لمن بقى بعدهم وغيره قال ابو على الفارسى المثل واحد يراد
به الجمع ومن ثم عطف على سلف والدليل وقوعه اكثر من واحد قوله تعالى ضرب الله عبدا مملوكا لا يقدر
على شئ ومن رزقناه فادخل تحت المثل شيئين وقيل المعنى سلفا لكفار هذه الامة الى النار ومثلا لمن يجئ
بعدهم قوله تعالى ولما ضرب ابن مريم مثلا الآية اعلم انه تعالى ذكرا نواعا كثيرة من كفرياتهم فاولها
قوله وجعلوا له من عباده جزءا وثانيها قوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وثالثها قوله وقالوا
لو شاء الرحمن ما عبدناهم ورابعها قوله وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وخامسها هذه
الآية وليس فى لفظها ما يدل على ان ذلك المثل اى شئ كان والمفسرون ذكروا فيه وجوها اشهرها قال ابن
عباس واكثر المفسرين نزلت الآية فى مجادلة عبد الله بن الزبعرى مع النبى صلى الله عليه وسلم فى شان
عيسى عليه السلام لما نزل قوله عز وجل انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم كما تقدم فى سورة
الانبياء والمعنى ولما ضرب عبد الله بن الزبعرى عيسى بن مريم مثلا وجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعبادة النصارى اياه اذا قومك من قريش منه من اى من هذا المثل يصدون اى يرتفع لهم ضجيج وقيل ان
النبى صلى الله عليه وسلم فرحا بسبب ما راوا من سكوت النبى صلى الله عليه وسلم فانه قد جرت العادة
بان احد الخصمين اذا انقطع اظهر الخصم الثانى الفرح والضجيج وقيل ان النبى صلى الله عليه وسلم لما حكى ان
النصارى عبدوا المسيح وجعلوه الها لانفسهم قالت كفار قريش ان محمدا يريد ان نجعل نفسه لنا الها كما
جعل النصارى المسيح الها لانفسهم فلهذا قالوا الهتنا خير ام هو فعند ذلك قالوا ان محمدا يدعونا الى عبادة
نفسه واباؤنا زعموا انه تجب عبادة هذه الاصنام واذا كان لا بد من عبادة احد هذين فعبادة الاصنام
اولى لان اباؤنا واسلافنا اجمعوا على ذلك واما محمد فانه متهم فى امرنا بعبادته ثم انه تعالى لم يقل ان
عبادة المسيح طريق حسن بل هو كلام باطل وان عيسى ليس الا عبدا انعمنا فزالت شبهتهم فى قولهم ان محمدا يريد
ان يامرنا بعبادة نفسه وقيل ان الكفار لما راوا النصارى يعبدون عيسى قالوا الهتنا خير من عيسى وعبدوا
الملائكة قوله يصدون قرأ نافع وابن عامر والكسائى يصدون بضم الصاد والباقون بكسرها فقيل
هما بمعنى واحد وهو الصحيح واللفظ صد يصد ويصد كعكف يعكف ويعكف ويعرش ويعرش قال
ابن عباس يضجون وقال سعيد بن المسيب يصيحون وقال الضحاك يعجون وقال قتادة يجزعون وقال
يجزعون وقيل الضم من الصدود وهو الاعراض وقد انكر ابن عباس الضم وقد روى له عن على رضى الله عنه
وهذا والله اعلم قبل بلوغه تواتره قوله وقالوا الهتنا خير قرأ اهل الكوفة بتحقيق الهمزة الثانية والباقون
بتسهيلها بين بين ولم يدخل احد من القراء الذين من قاعدتهم الفصل بين الهمزتين بالالف الفا كراهة
لتوالى اربع متشابهات وابدل الجميع الهمزة الثانية الفا ولا بد من زيادة بيان ذلك ان الهة جمع اله
كعماد واعمدة فالاصل الهة بهمزتين الاولى زائدة والثانية فاء الكلمة وقعت الثانية ساكنة بعد مفتوحة
فوجب قلبها الفا كآمن وبابه ثم دخلت همزة الاستفهام على الكلمة فالتقى همزتان فى اللفظ الاولى
للاستفهام والثانية همزة افعلة فالكوفيون لم يعتدوا باجتماعهما فابقوهما على حالهما وغيرهم استثقل
فخفف الثانية بالتسهيل بين بين والثالثة بالف محضة لم تغير البتة واكثر اهل العصر يقرؤون هذه الحروف

بهمزة

بهمزة واحدة بعدها الف على لفظ الخبر ولم يقرا به احد من السبعة فيما علمنا الا انه قد روى ان ورشا
قرأ كذلك فى رواية ابى الازهر وهى تحتمل الاستفهام كالعامة وانما حذف اداة الاستفهام لدلالة ام
عليها وهى كثيرة وتحتمل انه قراه خبرا محضا وحينئذ تكون ام منقطعة فتقدر ببل والهمزة واما الجماعة فهى
عندهم متصلة فقوله ام عندهم هو على قراءة العامة عطف على الهتنا وهو من عطف المفردات والتقدير
الهتنا ام هو خير اى ايهما خير وعلى قراءة ورش يكون هو مبتدأ وخبره محذوف تقديره بل اهو خير و
ليست ام حينئذ عاطفة فصل قال قتادة معنى قوله ام هو يعنون محمدا فنعبده ونترك الهتنا وقال
السدى وابن زيد ام هو يعنى عيسى قالوا يزعم محمد ان كل ما عبد من دون الله فى النار فنحن نرضى ان تكون
الهتنا مع عيسى وعزير والملائكة فى النار قال الله تعالى ما ضربوه يعنى هذا المثل لك الا جدلا اى خصومة
بالباطل وقد علموا ان المراد من قوله وما تعبدون من دون الله حصب جهنم هؤلاء الاصنام بل هم قوم
خصمون مبالغون فى الخصومة روى انه عليه الصلوة والسلام قال ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه
الا اوتوا الجدل ثم قرأ ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون قوله جدلا مفعول من اجله اى لاجل الجدل
والمراء لا لاظهار الحق وقيل هو مصدر فى موضع الحال اى الا مجادلين وقرأ ابن مقسم جدالا والوجهان
جاريان فيه والظاهر ان الضمير فى هو لعيسى كغيره من الضماير وقيل هو للنبى صلى الله عليه وسلم وبكل
قال به المفسرون كما تقدم فصل تمسك القائلون بذم الجدل بهذه الآية والآيات الكثيرة دالة
على مدح الجدل اى الجدل الذى يفيد تقرير الحق ويصرف هذه الآية الى الجدل الذى يوجب تقرير الباطل
قوله ان هو الا عبد اى ما هو يعنى عيسى الا عبد كساير العبيد انعمنا عليه حيث جعلناه اية بان خلقناه من
غير ذكر كما خلقنا ادم وشرفناه بالنبوة وجعلناه مثلا اى اية وعبرة لبنى اسرائيل يعرفون به قدرة الله على
ما يشاء حيث خلقه من غير اب ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة فى الارض يخلفون اى يكونون خلفا منكم
يعمرون الارض ويعبدوننى ويطيعوننى وقيل يخلف بعضهم بعضا قوله لجعلنا منكم ملائكة فى من هذه
اقوال احدها انه بمعنى بدل اى لجعلنا بدلكم كما تقدم فى التفسير ومثله ايضا ارضيتم بالحيوة الدنيا من الاخرة
اى بدلها وانشد اخذوا المخاض من الفصيل غلبة ظلما ويكتب للامير افالا وقال اخر جارية لم تاكل المرققا
ولم تذق من البقول الفستقا والثانى وهو المشهور انها تبعيضية وتاويل الآية لو لدنا منكم يا رجال ملائكة
فى الارض يخلفونكم كما يخلفكم اولادكم كما ولدنا عيسى من انثى دون ذكر ذكره الزمخشرى والثالث انها تبعيضية
قال ابو البقاء وقيل المعنى لحولنا بعضكم ملائكة قوله وانه لعلم المشهور ان الضمير لعيسى يعنى نزوله اخر الزمان
وقيل الضمير للقران اى فيه علم الساعة واهوالها او هو علامة على قربها ومنه اقترب للناس حسابهم
اقترب الساعة ومنه بعثت انا والساعة كهاتين والعامة على علم مصدرا جعل علما مبالغة لما كان به يحصل
العلم او لما كان شرطا يعلم به ذلك اطلق عليه علم وابن عباس وابو هريرة وابو مالك الغفارى وزيد بن على
على لعلم بفتح الفاء والعين اى لشرط وعلامة وقرأ ابو نضرة وعكرمة كذلك الا انهما عرفا باللام فقرا للعلم
اى للعلامة المعروفة فصل معنى الآية ان نزول عيسى من اشراط الساعة يعلم به قربها قال عليه السلام
ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما عادلا يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويهلك فى زمانه
الملل كلها الا الاسلام ويروى انه ينزل على ثنية بالارض المقدسة يقال لها افيق وبيده حربة وعليها
ممصرتان وشعر رأسه دهين يقتل الدجال ويأتى بيت المقدس والناس فى صلوة العصر ويروى فى صلوة
فى صلوة الصبح فيتاخر الامام فيتقدمه عيسى عليه السلام ويصلى خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه
وسلم ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنايس ويقتل النصارى الا من آمن به قوله فلا تمترن
بها من المرية وهى الشك اى لا تشكن فيها قال ابن عباس لا تكذبوا بها واتبعونى على التوحيد هذا الذى انا
عليه صراط مستقيم ولا يصدنكم لا يصرفنكم الشيطان عن دين الله انه لكم عدو مبين قد بانت عداوته
لكم لاجل انه اخرج ابويكم من الجنة وينزع عنهما لباس النور قوله ولما جاء عيسى بالبينات اى بالمعجزات وبالشرايع

البينات الواضحات قال قد جئتكم بالحكمة وهي النبوة وقيل معرفة ذات الله وصفاته وافعاله ولابين لكم
بعض الذي تختلفون فيه من احكام التوراة قال قتادة يعني اختلاف الفرق الذين تحزبوا في امر عيسى قال الزجاج
الذي جاء به عيسى في الانجيل انما هو بعض الذي اختلفوا فيه فبين لهم في غير الانجيل ما احتاجوا اليه وقيل
كانوا قد اختلفوا في اشياء من احكام التكاليف واتفقوا على اشياء فجاء عيسى ليبين لهم الحق في تلك المسائل
الخلافية قال ابن الخطيب وبالجملة فالحكمة اصول الدين وبعض الذي تختلفون فيه معناه فروع الدين فان قيل
لم لم يبين لهم كل الذي يختلفون فيه فالجواب لان الناس قد اختلفوا في اشياء لا حاجة لهم الى معرفتها فلا يجب
على الرسول بيانها ولما بين لهم الاصول والفروع قال فاتقوا الله من الكفر به والاعراض عن دينه واطيعون
فيما ابلغه اليكم من التكاليف ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف الاحزاب اي
الفرق المتحزبة بعد عيسى وهم الملكانية واليعقوبية والنسطورية وقيل اليهود والنصارى فويل للذين
ظلموا من عذاب يوم اليم وهو وعيد يوم الاحزاب فان قيل الضمير في قوله بينهم الى من يرجع فالجواب
الى الذين خاطبهم عيسى في قوله قد جئتكم بالحكمة وهم قومه قوله هل ينظرون الا الساعة ان تاتيهم اي
انها تاتيهم لا محالة فكانهم ينظرونها فقوله ان تاتيهم بدل من الساعة وقوله بغتة فجاة فان قيل قوله
بغتة يفيد ما يفيده قوله وهم لا يشعرون فما فائدته فالجواب يجوز ان تاتيهم بغتة وهم يعرفونه ٥
لسبب انهم يشاهدونه قوله الاخلاء يومئذ مبتدا وخبره عدو والتنوين في يومئذ عوض عن جملة ٥
تقديره يومئذ تاتيهم الساعة والعامل يومئذ لفظ عدو اي عداوتهم في ذلك اليوم فصل معنى الاية
الاخلاء على المعصية في الدنيا يومئذ اي يوم القيمة بعضهم لبعض عدو الا المتقين يعني المتحابين في الله على طاعة
الله وهم الموحدون الذين يخال بعضهم بعضا على الايمان والتقوى فان خلتهم لا تصير عداوة روى
ابو ثور عن معمر عن قتادة عن ابي اسحاق ان عليا قال في الاية خليلان مؤمنان وخليلان كافران
فمات احد المؤمنين فقال يا رب ان فلانا كان يامرني بطاعتك وطاعة رسولك ويامرني بالخير وينهاني
عن الشر ويخبرني اني ملاقيك يا رب فلا تضله بعدي واهده كما هديتني واكرمه كما اكرمتني فاذا مات
خليله المؤمن جمع بينهما فيقول ليثن احدكما على صاحبه فيقول نعم الاخ ونعم الخليل ونعم الصاحب قال ويموت
احد الكافرين فيقول يا رب ان فلانا كان ينهاني عن طاعتك وطاعة رسولك ويامرني بالشر وينهاني عن
الخير ويخبرني اني غير ملاقيك فيقول بئس الاخ وبئس الخليل وبئس الصاحب قوله يا عبادي قرا ابو بكر
عن عاصم يا عبادي لا خوف بفتح الياء والاخوان وابن كثير وحفص بحذفها وصلا ووقفا والباقون باثباتها
ساكنة وقرا العامة لا خوف بالرفع والتنوين اما مبتدا واما اسم لها وهو قليل وابن محيصن دون تنوين
على حذف مضاف وانتظاره اي لا خوف شيء والحسن وابن ابي اسحاق بالفتح على لا التبرئة وهي عندهم ابلغ
فصل قد تقدم ان عادة القرآن جارية بتخصيص لفظ العباد بالمؤمنين المتقين المطيعين وفيه انواع
كثيرة توجب الفرح اولها ان الحق سبحانه وتعالى خاطبهم بنفسه من غير واسطة ثانيها انه تعالى وصفهم
بالعبودية من غير واسطة وهذا تشريف عظيم بدليل انه تعالى لما اراد تشريف محمد صلى الله عليه وسلم
ليلة المعراج قال سبحان الذي اسرى بعبده ليلا وثالثها قوله لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون فنفى
عنهم الحزن بسبب فوت الدنيا الماضية قوله الذين امنوا يجوز ان يكون نعتا لعبادي او بدلا منه او عطف
بيان له او مقطوعا منصوبا بفعل اي اعني الذين امنوا او مرفوعا بالابتداء وخبره مضمر تقديره يقال
لهم ادخلوا الجنة فصل قال مقاتل اذا وقع الخوف يوم القيمة نادى مناد يا عبادي لا خوف عليكم
فاذا سمعوا النداء رفع الخلائق رؤسهم فيقال الذين امنوا باياتنا وكانوا مسلمين فينكس اهل الاديان ٥
الباطلة رؤسهم ثم حاسبهم على احسن الوجوه ثم يقال لهم ادخلوا الجنة انتم وازواجكم تحبرون تسرون
وتنعمون والحبرة المبالغة في الاكرام على احسن الوجوه وتقدم تفسيره في سورة الروم قوله يطاف عليهم
قبله محذوف اي يدخلون يطاف والصحاف جمع صحفة كجفان وجفنة قال الجوهري الصحفة كالقصعة وقال

الكسائي اعظم القصاع الجفنة ثم القصعة تسع العشرة ثم الصحفة تسع الخمسة ثم المكيلة تسع الرجلين
والثلاثة والصحيفة الكتاب والجمع صحف وصحائف واما لها الكسائي في رواية بصحاف من ذهب واكواب
جمع كوب وهو اناء مستدير مدور الراس لا عراه له وقيل هو كالابريق الا انه لا عروة له وقيل انه لا خرطوم له وقيل
انه لا عروة له ولا خرطوم معا قال الجواليقي ليتمكن الشارب من اين شاء فان العروة تمنع من ذلك وقال
عدي متكئا تصفق ابوابه يطوف عليه العبد بالكواكب والتقدير واكواب من ذهب فقوله يطاف
عليهم بصحاف من ذهب اشارة الى المطعوم وقوله واكواب اشارة الى المشروب ثم انه تعالى لما ذكر التفصيل
ذكر بيانا كليا فقال وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين اي في الجنة قوله ما تشتهي الانفس قرا نافع وابن
عامر وحفص تشتهيه باثبات العائد على الموصول كقوله الذي يتخبطه الشيطان والباقون بحذفه كقوله
اهذا الذي بعث الله وهذه القراءة شبيهة بقوله وما عملته ايديهم وقد تقدم في يس وهذه الهاء في هذه
السورة رسمت في مصاحف المدينة والشام وحذفت من غيرها وقد وقع لابي عبد الله الفاسي ٥
شارح القصيدة وهم فنبه فكتب والهاء منه محذوفة في مصاحف المدينة والشام ثابتة في غيرهما
اراد ان يكتب ثابتة في مصاحف المدينة والشام محذوفة من غيرهما فعكس وفي مصحف عبد الله تشتهيه
الانفس وتلذه الاعين فصل روى ان رجلا قال يا رسول الله في الجنة خيل فاني احب الخيل قال
ان يدخلك الله الجنة فلو شئت ان تركب فرسا من ياقوتة حمراء فتطير بك في الجنة حيث شئت فعلت فقال
اعرابي يا رسول الله اني في الجنة ابل فاني احب الابل فقال يا اعرابي ان يدخلك الله الجنة اصبت فيها ما اشتهت
نفسك ولذت عينك قوله وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون قد تقدم الكلام في معنى وراثة ٥
الجنة عند قوله اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس ولما ذكر الطعام والشراب ذكر الفاكهة فقال
لكم فيها فاكهة كثيرة منها تاكلون جاء في الحديث المرفوع لا ينزع رجل من الجنة من ثمرة الا نبت مكانها
مثلاها واعلم انه تعالى لما بعث محمدا صلى الله عليه وسلم اولا الى العرب ثم الى العالمين وكانت العرب
في ضيق شديد بسبب الماكول والمشروب والفاكهة فلهذا ذكر الله هذه المعاني مرة بعد اخرى تكميلا لرغبتهم
وتقوية لدواعيهم وفي قوله منها تاكلون تبعيضية او ابتدائية وقدم الجار لاجل الفاصلة قوله ان المجرمين
اي المشركين في عذاب جهنم خالدون لما ذكر الوعد اردفه بالوعيد على الترتيب المستمر واحتج القاضي على القطع
بوعيد الفساق بهذه الاية فقال لفظ المجرم يتناول الكافر والفاسق فوجب كون الكل في عذاب جهنم ٥
وقوله لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون وخالدون يدل على الخلود والجواب ان ما قبل الاية قوله يا عبادي
لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون الذين امنوا باياتنا وكانوا مسلمين وهذا يدل على ان كل من امن بايات الله
وكان مسلما فانه يدخل تحت ذلك الوعد وان يخرج من هذا الوعيد واما بعد الاية فقوله لقد جئناكم بالحق
ولكن اكثركم للحق كارهون والمراد بالحق ههنا اما الاسلام واما القرآن والرجل المسلم لا يكره الاسلام
ولا القرآن فثبت ان ما قبل الاية وما بعدها يدل على ان المراد من المجرمين الكفار قوله لا يفتر عنهم جملة
حالية وكذلك وهم فيه مبلسون وقرا عبد الله وهم فيها اي في النار لدلالة العذاب عليها واعلم انه قد تقدم
ان الخلود عبارة عن طول المكث ولا يفيد الدوام وقوله لا يفتر عنهم اي لا يخفف ولا ينقص من قولهم فترت عنه
الحمى اذا سكنت ونقص حرها وقوله فيه مبلسون والمبلس هو اليائس وهو الساكت سكوت يائس من فرج عن الضحاك
يجعل المجرم في تابوت من نار ثم يقفل عليه فيبقى خالدا لا يرى ولا يرى قوله وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين
العامة على الياء لكان وهم اما فصل واما توكيد وقرا عبد الله وابو زيد النحويان الظالمون على ان هؤلاء مبتدا و
والظالمون خبره والجملة خبر كان وهي لغة بني تميم قال ابو زيد سمعتهم يقرؤن تجدوه عند الله هو خير واعظم
اجرا بالرفع وقال قيس بن ذريح تحن الى ليلى وانت تركتها وكنت عليها بالملا انت اقدر برفع اقدر وانت فصل
او توكيد قال سيبويه بلغنا ان رؤبة كان يقول اظن زيدا هو خير منك يعني بالرفع فصل احتج القاضي بقوله وما
ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين فقال ان كان خلق فيهم الكفر ليدخلهم النار فما الذي نفاه بقوله وما ظلمناهم

وما الذى لسنبه اليهم مما نفاه عن نفسه اوليس لو اثبتناه لهم كان لا يزيد عما يقوله القوم فان قالوا لو ان ذلك
الفعل لم يقع بقدرة الله عز وجل بل انما وقع بقدرة الله مع قدرة العبد معا فلم يكن ذلك ظلما من الله
تعالى قلنا عندكم القدرة على الظلم موجبة للظلم وخالق تلك القدرة هو الله تعالى فكانه تعالى
لما فعل مع خلق الكفر قدرة على الكفر خرج من ان يكون ظالما لهم وذلك محال لان من يكون ظالما فى فعله
اذا فعل معه ما يوجب ذلك الفعل يكون ذلك احق فيقال للقاضى قدرة العبد هل هى صالحة للطرفين او هل
هى متعينة لاحد الطرفين فان كانت صالحة لكل الطرفين فالترجيح ان وقع لا لمرجح لزم نفى الصانع وان افتقر
الى مرجح عاد التقسيم الاول فيه ولابد وان ينتهى الى داعية مرجحة يخلقها الله تعالى فى العبد وحينئذ
يلزمك ما الزمته علينا وان كانت تلك القدرة متعينة لاحد الطرفين فحينئذ يلزمك ما اوردته علينا
قال ابن الخطيب وليس الرجل من يروى وجه استدلال فيذكره انما الرجل من ينظر فيما قبل الكلام وفيما
بعده فان راه واردا على مذهبه بعينه لم يذكره قوله ونادوا يا مالك العامة من غير ترخيم وعلى بن ابى
طالب وعبد الله بن وثاب والاعمش يا مال مرخما على لغة من ينتظر المحذوف قيل لابن عباس ان ابن مسعود
قرأ ونادوا يا مال فقال ما اشغل اهل النار عن الترخيم واجيب عنه بانه انما حسن الترخيم لانهم بلغوا من
الضعف والفاقة الى حيث لا يمكن ان يذكروا من الكلمة الا بعضها وقرأ ابو السرار الغنوى يا مال مبنيا
على الضم على لغة من لا ينوى فصل روى ابن عباس ان اهل النار يدعون مالكا خازن النار فيقولون
ليقض علينا ربك ليميتنا ربك فنستريح فيجيبهم مالك بعد الف سنة انكم ماكثون مقيمون فى العذاب وعن
عبد الله بن عمرو بن العاص يجيبهم بعد اربعين سنة وعن غيره مائة سنة فصل اختلفوا فى ان قولهم
يا مالك ليقض علينا ربك على اى وجه طلبوه فقال بعضهم على التمنى وقال آخرون على وجه الاستغاثة
والا فهم عالمون بانهم لا خلاص لهم من ذلك العقاب وقيل لا يبعد ان يقال انهم لشدة ما هم فيه نسوا
تلك المسألة فذكروه على وجه الصحة للطلب ثم انه تعالى بين ان مالكا يقول لهم انكم ماكثون وليس فى القرآن
متى اجابهم هل اجابهم فى الحال او بعد ذلك بمدة ثم انه تعالى ذكر بعد ذلك ما هو كالعلة لذلك الجواب
فقال لقد جئناكم بالحق ولكن اكثركم للحق كارهون والمراد نفرتهم عن محمد صلى الله عليه وسلم وعن القرآن
وشدة بغضهم لقبول الدين الحق فان قيل كيف قال ونادوا يا مالك بعد ما وصفهم بالابلاس فالجواب
انها ازمنة متطاولة واحقاب ممتدة فتختلف بهم الاحوال فيسكتون اوقاتا لغلبة اليأس عليهم ويستغيثون
اوقات الشدة ما بهم روى انه يلقى على اهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيقولون ادعوا
مالكا فيدعون يا مالك ليقض علينا ربك ولما ذكر الله تعالى كيفية عذابهم فى الآخرة ذكر بعده كيفية
مكرهم وفساد باطنهم فى الدنيا فقال ام ابرموا امرا اى احكموا امرا فى المكر برسول الله صلى الله عليه وسلم
يعنى مشركى مكة فانا مبرمون محكمون امرا فى مجازاتهم اى مبرمون كيدنا كما ابرموا كيدهم لقوله تعالى ام يريدون
كيدا فالذين كفروا هم المكيدون قال مقاتل نزلت فى تدبيرهم فى المكر فى دار الندوة وقد تقدم فى قوله
واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك الآية قوله ام ابرموا امر منقطعة والابرام الاتقان واصله فى الفتل
يقال ابرم الحبل اى اتقن فتله وهو الفتل الثانى والاول يقال له سحيل قال زهير لعمرى لنعم السيدان
وجدتما على كل حال من سحيل ومبرم قوله ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم السر ما حدث الرجل به نفسه
او غيره فى مكان والنجوى ما تكلموا به فيما بينهم بل نسمع ذلك ونعلم ورسلنا يعنى الحفظة لديهم يكتبون اى
يكتبون عليهم جميع احوالهم قوله ان كان قيل هى شرطية على بابها واختلف فى تأويله فقيل ان صح ذلك فانا
اول من يعبده لكنه لم يصح البتة بالدليل القاطع وذلك انه علق العبادة بكينونة الولد وهى محال فى نفسها
فكان المعلق بها محالا مثلها فهو فى صورة اثبات الكينونة والعبادة وفى معنى نفيهما على ابلغ الوجوه واقواها
ذكره الزمخشرى وقيل ان كان له ولد فى زعمكم فانا اول العابدين اى الموحدين لله المكذبين لهذا القول
واعلم ان هذا التاويل فيه نظر لانهم سواء اثبتوا لله ولدا او لم يثبتوه فالرسول منكر لذلك الولد فلم يكن لزعمهم

تأثير فى كون الرسول منكرا لذلك الولد فلم يصح جعل زعمهم اثبات الولد مؤثرا فى كون الرسول منكرا للولد
وهذا التاويل قاله الواحدى وقيل العابدين بمعنى الانفين من عبد يعبد اذا اشتد انفه فهو عبد وعابد
ويؤيده قراءة السلمى واليمانى العبدين دون الف وحكى الخليل قراءة غريبة وهى العبدين بسكون الباء وهى
تخفيف قراءة السلمى فاصلها الكسرة قال ابن عرفة يقال عبد بالكسر يعبد بالفتح فهو عبد وقل ما يقال عابد
والقرآن لا يجى على القليل ولا الشاذ يعنى فتخريج من قال ان العابدين بمعنى الانفين لا يصح ثم قال كقول مجاهد
وقال الفرزدق اولئك اباؤى جئنى بمثلهم واعبد ان اهجو كليبا بدارم اى آنف وقال آخر متى ما يشأ ذو
الود يصرم خليله ويعبد عليه لا محالة ظالما قال ابن الخطيب وهذا التعليق ايضا فاسد لان هذه الانفة
حاصلة سواء حصل ذلك الزعم والاعتقاد او لم يحصل وقال ابو عبيدة معناه الجاحدين يقال عبدنى حقى
اى جحدنيه وقال ابو حاتم العبد بكسر الباء الشديد الغضب وهو معنى حسن ان كان له ولد على زعمكم
فانا اول من يغضب لذلك وقيل ان نافية اى ما كان ثم اخبر بقوله فانا اول العابدين ويكون الفاء
سببية ومنع مكى ان تكون نافية قال لانه يوهم انك انما نفيت عن الله الولد فيما مضى دون ما هو آت وهذا
محال ورد عليه بان كان قد تدل على الدوام كقوله وكان الله غفورا رحيما الى ما لا يحصى والصحيح من مذاهب
النحاة انها لا تدل على الانقطاع والقائل بذلك يقول ما لم تكن قرينة كالآيات المذكورة وروى عن
ابن عباس ان المعنى ما كان للرحمن ولد فانا اول العابدين الشاهدين له بذلك جعل ان بمعنى الجحد وقال
السدى معناه ولو كان للرحمن ولد فانا اولى من عبده بذلك ولكن لا ولد له وتقدم الخلاف فى قراءة
ان ولد وولد فى مريم ثم انه تعالى نزه نفسه فقال سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون
اى عما يقولون من الكذب وذلك ان اله العالم يجب ان يكون واجب الوجود لذاته وكل ما كان كذلك
فهو لا يقبل التجزى بوجه من الوجوه والولد عبارة عن ان ينفصل عن الشئ جزء فيتولد من ذلك الجزء
شخص مثله وهذا انما يعقل فيما يكون ذاته قابلة للتجزى والتبعيض واذا كان ذلك محالا فى حق اله العالم
امتنع اثبات الولد ولما ذكر هذا البرهان القاطع قال فذرهم يخوضوا ويلعبوا اى يخوضوا فى باطلهم ويلعبوا
فى دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون يعنى يوم القيمة والمقصود منه التهديد يعنى قد ذكرت الحجة القاطعة
على فساد ما ذكروا فلم يلتفتوا اليها لاجل استغراقهم فى طلب المال والجاه والرياسة فاتركهم فى ذلك
الباطل واللعب حتى يصلوا الى ذلك اليوم الموعود قوله يلاقوا قرأ العامة من الملاقاة وابن محيصن ويروى
عن ابى عمرو يلقوا من لقى قوله وهو الذى فى السماء اله فى السماء متعلق باله لانه بمعنى معبود اى معبود
فى السماء ومعبود فى الارض وحينئذ فيقال الصلة لا تكون الا جملة او ما فى تقديرها وهو الظرف وعديله
ولا شئ منهما هنا والجواب ان المبتدأ حذف لدلالة المعنى عليه وذلك المحذوف هو العائد تقديره وهو
الذى فى السماء اله وهو فى الارض اله وانما حذف لطول الصلة بالمعمول فان الجار متعلق باله ومثله ما انا
بالذى قائل لك سوءا وقال ابو حيان وحسنه طوله بالعطف عليه كما حسن فى قولهم قالوا شيئا طوله بالمعمول
قال شهاب الدين حصوله فى الآية وفيما حكاه سواء فان الصلة طالت بالمعمول فى كليهما والعطف امر زائد
على ذلك فهو زيادة فى تحسين الحذف ولا يجوز ان يكون الجار خبرا مقدما والله مبتدأ مؤخرا لئلا تعرى الجملة من
رابط اذ يصير نظيره جاء الذى فى الدار زيد فان جعلت الجار صلة وفيه ضمير عائد على الموصول وجعلت الله
بدلا منه وقال ابو البقاء جاز على ضعف لان الغرض الكلى اثبات الالهية لا كونه فى السموات والارض
فكان يفسد ايضا من وجه آخر وهو قوله وفى الارض اله لانه معطوف على ما قبلها لم يتقدم ما ذكرنا صار
منقطعا عنه فكان المعنى فى الارض اله انتهى وقال ابو على نظرت فيما يرتفع به الله فوجدت ارتفاعه يصح
بان يكون خبر مبتدأ محذوف والتقدير هو الذى فى السماء هو اله وقال ابو حيان ويجوز ان تكون الصلة الجار
والمجرور والمعنى انه فيهما بالالهية والربوبية اذ يستحيل حمله على الاستقرار وقرأ عمر وعلى وعبد الله
فى جماعة وهو الذى فى السماء الله ضمن العلم ايضا معنى المشتق فيتعلق به الجار ومثله حاتم فى طى اى

الجوادفيهم ومثله فرعون العذاب **فصل** قال ابن الخطيب وهذه الاية من ادل الدلايل على انه تعالى
غير مستقر في السماء لانه بين في هذه الاية نسبته بالالهية الى السماء كنسبته الى الارض فلما كان الها
للارض مع انه غير مستقر فيها فكذلك وجب ان يكون الها للسماء مع انه لا يكون مستقرا فيها
فان قيل اي تعلق لهذا الكلام بنفي الولد عن الله عز وجل **فالجواب** تعلقه به انه تعالى خلق عيسى بمحض كن
فيكون من غير واسطة النطفة والاب فكانه قيل ان كان هذا القدر لا يوجب كون عيسى ولدا لله عز وجل
لان هذا المعنى حاصل في تخليق السموات والارض مع انتفاء حصول الولد به هناك **ثم قال** وهو الحكيم
العليم الحكيم في تدبير خلقه العليم بمصالحهم وقد تقدم في سورة الانعام ان كونه تعالى حكيما عليما
ينافي حصول الولد له **قوله** وتبارك الذي له ما في السموات وما في الارض وما بينهما فقوله تبارك
اما ان يكون مشتقا من وجوب البقاء والدوام لانه حدث بعد ان لم يكن ثم عند النصارى انه قتل
ومات ومن كان كذلك لم يكن بينه وبين الباقي الازلي الدائم مجانسة ومشابهة فامتنع كونه ولدا لله
وان كان المراد بالبركة كثرة الخير مثل كونه خالقا للسموات والارض وما بينهما فعيسى لم يكن خالقا لهما
مع ان اليهود عندهم اخذوه وقتلوه وصلبوه والذي هذا صفته كيف يكون ولدا لمن كان خالقا للسموات
والارض وما بينهما **ثم قال** وعنده علم الساعة والمقصود منه التنبيه على ان كل من كان كاملا في الذات
والعلم والقدرة على الوصف المشروح فانه يمتنع ان يكون ولده في العجز وعدم القدرة عن احوال هذا
العالم بالحد الذي وصفه النصارى به **قوله** واليه ترجعون قرا الاخوان وابن كثير بالياء من تحت
والباقون بالتاء من فوق وهو في كليهما مبني للمفعول وقرى بالخطاب مبنيا للفاعل **قوله** ولا يملك الذين
يدعون قرا العامة يدعون بياء الغيبة والضمير للموصول والسلمي وابن وثاب بتاء الخطاب والاسود بن يزيد
بتشديد الدال ونقل مع ذلك عنه القراءة بالياء والتاء **قوله** الا من شهد بالحق فيه قولان احدهما انه متصل
والمعنى الا من شهد بالحق كعزير والملائكة فانهم يملكون الشفاعة بتمليك الله اياهم لها وقيل هو منقطع بمعنى
ان هولاء لا يشفعون الا من شهد بالحق يشفع فيه هولاء كذا قدره وهذا التقدير يرجح ان يكون فيه الاستثنا
متصلا على حذف المفعول تقديره ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة في احد الا فيمن شهد
فصل ذكر المفسرون قولين في الاية احدهما ان الذين يدعون من دونه الملائكة وعيسى وعزير لا يشفعون
الا من شهد بالحق الثاني روي ان النضر بن الحارث ونفرا معه قالوا ان كان ما يقوله محمد حقا فنحن نتولى الملائكة
احق بالشفاعة من محمد فانزل الله تعالى هذه الاية والمعنى لا يقدر هولاء ان يشفعوا لاحد ثم استثنى
فقال الا من شهد بالحق اي الملائكة وعيسى وعزير فانهم يشفعون فعلى الاول يكون من في محل جر وعلى
الثاني يكون في محل رفع والمراد بشهادة الحق قول لا اله الا الله كلمة التوحيد وهم يعلمون بقلوبهم ما
ما تشهد به السنتهم **قوله تعالى** ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله الاية ظن قوم ان هذه الاية وامثالها
في القرآن يدل على ان القوم مضطرون الى الاعتراف بوجود الاله قال الجبائي وهذا لا يصح لان قوم فرعون
قالوا لا اله لهم غيره وقوم ابراهيم قالوا انا لفي شك مما تدعونا اليه **واجيب** بانا لا نسلم بان قوم فرعون
كانوا منكرين لوجود الاله بدليل قوله وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وقال موسى عليه
السلام لقد علمت ما انزل هولاء الا رب السموات والارض بصائر على قراءة من قرا بفتح التاء من علمت و
وهذا يدل على ان فرعون كان عارفا بالله واما قول قوم ابراهيم وانا لفي شك مما تدعونا اليه فهو مصروف
الى اثبات القيمة واثبات التكليف واثبات النبوة **قوله** تعالى يوفكون اي لم يكذبون على الله فيقولون
ان الله امرنا بعبادة الاصنام **قوله** وقيله قرا حمزة وعاصم بالجر والباقون بالنصب فاما الجر فعلى وجهين
احدهما انه عطف على الساعة اي عنده علم قيله اي قول محمد او عيسى والقول والقال والقيل بمعنى
واحد جاءت المصادر على هذه الاوزان والثاني ان الواو للقسم والجواب اما محذوف تقديره لننصرن او
ولا نخلين بهم ما اريد واما مذكور وهو قوله ان هولاء قوم لا يؤمنون ذكره الزمخشري واما قراءة النصب

ففيها ثمانية اوجه احدها انه منصوب على محل الساعة كانه قيل انه يعلم الساعة ويعلم قيله كذا الثاني
انه معطوف على سرهم ونجواهم اي لا يعلم سرهم ونجواهم ولا يعلم قيله الثالث عطف على مفعول يكتبون المحذوف
اي يكتبون ذلك ويكتبون قيله كذا ايضا الرابع انه معطوف على مفعول يعلمون المحذوف اي يعلمون ذلك
ويعلمون قيله الخامس انه مصدر اي قال قيله السادس ان ينتصب باضمار فعل اي الله يعلم قيل رسوله
وهو محمد صلى الله عليه وسلم السابع ان ينتصب على محل بالحق اي شهد بالحق وبقيله الثامن ان ينتصب
على حذف حرف القسم كقوله فذلك امانة الله لازيد وقرا الاعرج وابو قلابة ومجاهد والحسن بالرفع
وفيه اوجه الرفع عطفا على علم الساعة بتقدير مضاف اي وعنده علم قيله ثم حذف واقيم هذا مقامه
الثاني انه مرفوع بالابتداء والجملة من قوله يا رب الى اخره هو الخبر الثالث انه مبتدا وخبره محذوف
تقديره وقيله كيت وكيت مسموع او متقبل الرابع انه مبتدا واصله القسم كقولهم ايمن الله ولعمر الله
فيكون خبره محذوفا والجواب كما تقدم ذكره الزمخشري ايضا واختار القراءة بالنصب جماعة قال
النحاس القراءة البينة بالنصب من جهتين احداهما ان التفرقة بين المنصوب وما عطف عليه مغتفرة
بخلاف المخفوض وما عطف عليه والثانية تفسير اهل التاويل بمعنى النصب كانه يريد ما قال ابو عبيدة قال
انما هي في التفسير ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم ولا نسمع قيله ولم يرتض الزمخشري بوجه من الاوجه
المتقدمة شيئا وانما اختار ان يكون قسما في القراءات الثلاث وتقدم تحقيقها وقرا ابو قلابة يا رب
بفتح الباء على قلب الياء الفا ثم حذفها مجتزيا عنها بالفتحة كقوله بلهف ولا ملت والاخفش يطردها
قال ابن الخطيب بعد ان حكى قول الزمخشري والقول الذي ذكره الزمخشري متكلف ايضا وها هنا اضمار
امتلا القرآن منه وهو اضمار اذكر والتقدير في قراءة النصب واذكر قيله يا رب وفي قراءة الجر واذكر
وقت قيله يا رب واذا وجب التزام اضمار ما جرت العادة في القرآن بالتزامه فالتزام اضمار اولى
من غيره وعن ابن عباس انه قال في تفسير قوله وقيله يا رب المراد وقيل يا رب والهاء زائدة **فصل**
القيل مصدر كالقول ومنه الحديث انه نهى عن قيل وقال وحكى الليث عن العرب تقول اكثر فيه القيل
وروي يحيى عن ابن زيد يقال ما احسن قيلك وقولك ومقالك ومقالتك والضمير في وقيله لرسول الله
صلى الله عليه وسلم والمعنى يعلم قول محمد صلى الله عليه وسلم شاكيا الى ربه يا رب ان هولاء قوم
لا يؤمنون لما عرف اصرارهم وهذا قريب مما حكى الله عن نوح عليه السلام انه قال يا رب انهم عصوني
واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا **ثم قال** فاصفح عنهم اي اعرض عنهم وقل سلام قال سيبويه
معناه المتاركة كقوله سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين **ثم قال** فسوف يعلمون والمراد به التهديد **قوله**
فسوف يعلمون قرا نافع وابن عامر بتاء الخطاب التفاتا والباقون بياء الغيبة نظرا لما تقدم **فصل**
قال ابن عباس قوله فاصفح عنهم وقل سلام منسوخ بالسيف قال ابن الخطيب وعندي التزام النسخ في مثل
هذه المواضع مشكل لان الامر لا يفيد الفعل الا مرة واحدة فسقطت دلالة اللفظ فاي حاجة الى التزام
النسخ وايضا فاللفظ المطلق قد يتقيد بحسب العرف واذا كان كذلك فلا حاجة فيه الى التزام النسخ **روى**
ابو امامة عن ابي بن كعب قال قال رسول الله عليه السلام من قرا سورة كان ممن يقال له يوم القيمة
يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون ادخلوا الجنة بغير حساب

سورة الدخان خمسون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** حم والكتاب المبين الاية فيه احتمالان الاول ان يكون
التقدير هذه حم والكتاب المبين كقولك هذا زيد والله الثاني ان يكون التقدير حم والكتاب المبين انا
انزلناه فيكون في ذلك تقدير قسمين على شيء واحد **قوله** انا انزلناه يجوز ان يكون جواب القسم وان يكون
اعتراضا والجواب قوله انا كنا منذرين واختاره ابن عطية وقيل انا كنا مستانف او جواب ثان من غير عاطف
قوله فيها يفرق يجوز ان يكون مستانفا وان يكون صفة الليلة وما بينهما اعتراض قال الزمخشري فان قلت

انا كنا منذرين فيها يفرق ما موقع هاتين الجملتين قلت هما جملتان مستانفتان ملفوفتان فسر بهما جواب القسم
الذى هو انا انزلناه كانه قيل انزلناه لان من شاننا الانذار والتحذير فكان انزلنا اياه فى هذه الليلة ٥
خصوصا لان انزال القران من الامور الحكيمة وهذه الليلة يفرق فيها كل امر حكيم وقرا الحسن والاعرج والاعمش
يفرق بفتح الياء وضم الراء كل بالنصب اى يفرق الله كل امر وزيد بن على نفرق بنون العظمة كل بالنصب كذا
ذكره الزمخشرى ونقل عن الاهوازى يفرق بفتح الياء وكسر الراء كل بالنصب حكيم بالرفع على انه فاعل يفرق وعن
الحسن والاعمش ايضا يفرق كالعامة الا انه بالتشديد فصل استدلوا بهذه الاية على حدوث القرآن
من وجوه الاول حم تقديره هذه حم يعنى هذا شئ مؤلف من هذه الحروف والمؤلف من الحروف المتعاقبة محدث
الثانى انه ثبت ان الحلف لا يصح بهذه الاشياء بل بالله هذه الاشياء فيكون التقدير ورب حم ورب الكتاب
المبين وكل ما كان مربوبا فهو محدث الثالث انه وصفه بكونه كتابا والكتاب مشتق من الكتب وهو الجمع فمعناه
انه مجموع والمجموع محل تصرف الغير وما كان كذلك فهو محدث الرابع قوله انا انزلناه والمنزل محل تصرف الغير
وما كان كذلك فهو محدث قال ابن الخطيب وقد ذكرنا ان جميع هذه الدلايل يدل على ان الشئ المركب من
الحروف المتعاقبة والاصوات المتواليه محدث والعلم بذلك ضرورى بديهى لا نزاع فيه انما القديم شئ اخر سوى
ما تركب من الحروف والاصوات فصل يجوز ان يكون المراد بالكتاب هاهنا الكتب المتقدمة المنزلة على الانبياء
كما قال لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ويجوز ان يكون المراد به اللوح قال الله تعالى
يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب وقال وانه فى ام الكتاب لدينا لعلى حكيم ويجوز ان يكون المراد به القرآن
وبهذا التقدير فقد يقول الرجل اذا اراد تعظيم رجل له اليه حاجة استشفع بك اليك واقسم بحقك عليك وجاء فى
الحديث اعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من عقوبتك وبك منك لا احصى ثناء عليك قوله المبين هو المشتمل على
بيان ما بالناس من حاجة اليه فى دينهم ودنياهم فوصفه بكونه مبينا واذا كانت حقيقة الا بانة لله تعالى لان
الابانة حصلت به لقوله تعالى ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل وقوله نحن نقص عليك احسن القصص وقوله
ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون فوصفه بالتكلم اذا كان غاية فى الابانة فكانه ذو لسان
ينطق مبالغة فى وصفه فصل قال قتادة وابن زيد واكثر المفسرين المراد بقوله انا انزلناه فى ليلة مباركة
هى ليلة القدر وقال عكرمة وطائفة انها ليلة البراءة وهى ليلة النصف من شعبان واحتج الاولون بوجوه الاول
قوله تعالى انا انزلناه فى ليلة مباركة يجب ان تكون هى الليلة المسماة بليلة القدر لئلا يلزم التناقض الثانى قوله
تعالى شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن وقوله هاهنا انا انزلناه فى ليلة مباركة فيجب ان تكون هذه الليلة المباركة
فى رمضان فثبت انها ليلة القدر الثالث قوله تعالى فى صفة ليلة القدر تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم
من كل امر وقال هاهنا يفرق كل امر حكيم وقال هاهنا رحمة من ربك وقال فى ليلة القدر سلام هى واذا تقاربت
الاوصاف وجب القول بان احدى الليلتين هى الاخرى الرابع نقل محمد بن جرير الطبرى فى تفسيره عن قتادة انه
قال نزلت صحف ابرهيم فى اول ليلة من رمضان والتوراة لست ليال منه والزبور لثنتى عشرة ليلة مضت
منه والانجيل لثمانى عشرة ليلة مضت منه والقران لاربع وعشرين مضت من رمضان والليلة المباركة هى
ليلة القدر الخامس ان ليلة القدر انما سميت بهذا الاسم لان قدرها وشرفها عند الله عظيم ومعلوم انه ليس
قدرها وشرفها لسبب نفس الزمان لان الزمان شئ واحد فى الذوات والصفات فيمتنع كون بعضه اشرف من بعض
لذاته فثبت ان شرفه وقدره بسبب انه حصل فيه امور شريفة لها قدر عظيم ومن المعلوم ان منصب الدين
اعظم من مناصب الدنيا واعظم الاشياء واشرفها منصبا فى الدين هو القران لانه ثبت به نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم وبه ظهر الفرق بين الحق والباطل كما قال فى صفته ومهيمنا عليه وبه ظهرت روحانية ٥
ارباب السعادات ودركات ارباب الشقاوات فعلى هذا لا شئ الا والقران اعظم قدرا واعلا ذكرا واعظم ٥
منصبا منه وحيث اطبقوا على ان ليلة القدر هى التى وقعت فى رمضان علمنا ان القرآن انما انزل فى تلك الليلة
واحتج الآخرون على انها ليلة النصف من شعبان بان لها اربعة اسماء الليلة المباركة وليلة البرآءة وليلة

الصك وليلة الرحمة ولانها مختصة بخمس خصال الاولى قال تعالى فيها يفرق كل امر حكيم والثانية فضيلة
العبادة فيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى فى هذه الليلة ارسل الله تعالى اليه مائة ملك
ثلاثون يبشرونه بالجنة وثلاثون يؤمنونه من عذاب النار وثلاثون يدفعون عنه افات الدنيا وعشرة
يدفعون عنه مكايد الشيطان الثالثة نزول الرحمة قال عليه السلام ان الله يرحم امتى فى هذه الليلة
بعدد شعر اغنام بنى كلب الرابعة حصول المغفرة قال عليه السلام ان الله يغفر لجميع المسلمين فى تلك
الليلة الا الكاهن والساحر ومدمن الخمر وعاق والديه والمصر على الزنا الخامسة انه تعالى اعطى ٥
رسوله صلى الله عليه وسلم فى هذه الليلة تمام الشفاعة وذلك انه سأل فى الليلة الثالثة عشر
الشفاعة فى امته فاعطى الثلث منها ثم سأل الليلة الرابعة عشر فاعطى الثلثين ثم سأل ليلة الخامسة
عشر فاعطى جميع الشفاعة الا من شرد عن دين الله شراد البعير نقله الزمخشرى فصل روى ان عطية
الحرورى سأل ابن عباس عن قوله انا انزلناه فى ليلة مباركة وقوله انا انزلناه فى ليلة القدر كيف يصح ٥
ذلك مع ان الله انزل القرآن فى جميع الشهور فقال ابن عباس يا ابن الاسود لو هلكت انا ووقع فى نفسك
هذا ولم تجد جوابه لهلكت نزل القرآن جملة واحدة الى اللوح المحفوظ الى البيت المعمور فى سماء الدنيا ثم نزل
بعد ذلك فى انواع الوقايع حالا فحالا قال قتادة وابن زيد انزل الله القرآن فى ليلة القدر من ام الكتاب
الى السماء الدنيا ثم نزل به جبريل على النبى صلى الله عليه وسلم نجوما فى عشرين سنة قوله انا كنا منذرين
ان الحكمة فى انزال القرآن ان انذار الخلق لا يتم الا به قوله فيها اى فى الليلة المباركة يفرق اى يفصل كل امر
حكيم محكم ومعناه ذو الحكمة وذلك لان تخصيص الله كل واحد بحالة معينة من الاجل والرزق والسعادة و
الشقاوة يدل على حكمة بالغة لله عز وجل فلما دلت تلك الاقضية على حكمة فاعلها وصفت بكونها حكمة وهذا
اسناد مجازى لان الحكيم صاحب الامر حقيقة ووصف الامر به مجاز قال ابن عباس يكتب من ام الكتاب فى ليلة
القدر ما هو كائن فى السنة من الخير والشر والارزاق والاجال حتى الحجاج يقال يحج فلان ويحج فلان وقال
الحسن ومجاهد وقتادة يبرم فى ليلة القدر فى شهر رمضان كل اجل وعمل وخلق ورزق وما يكون فى تلك
السنة وقال عكرمة هى ليلة النصف من شعبان يبرم فيها امر السنة وينسخ الاحياء من الاموات فلا يزاد
فيهم ولا ينقص منهم احد قال عليه السلام تقطع الاجال من شعبان الى شعبان حتى ان الرجل لينكح
ويولد له ولقد خرج اسمه مع الموتى وعن ابن عباس ان الله يقضى الاقضية فى ليلة النصف من شعبان
ويسلمها الى اربابها فى ليلة القدر وروى ان الله تعالى انزل كل القران من اللوح المحفوظ فى ليلة البراءة
ووقع الفراغ فى ليلة القدر فوقع نسخة الارزاق الى ميكائيل ونسخة الحروب الى جبرائيل وكذلك الزلازل
والصواعق والخسف ونسخة الاعمال الى اسرافيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصائب الى
ملك الموت قوله امرا فيه الى اثنى عشر وجها احدها انه ينتصب حالا من فاعل انزلناه الثانى انه حال
من مفعوله اى انزلناه امرين او مامورا به الثالث ان يكون مفعولا له وناصبه اما انزلناه واما منذرين
واما يفرق الرابع انه مصدر من معنى يفرق اى فرقا الخامس انه مصدر لامرنا محذوفا السادس ان
يكون يفرق بمعنى يامر والفرق بين هذا وما تقدم انك رددت فى هذا بالعامل الى المصدر وفيما تقدم ٥
بالعكس السابع انه حال من كل حكى ابو على الفارسى عن الحسن انه حمل قوله امرا على الحال وذو الحال كل امر
حكيم الثامن انه حال من امر وجاز ذلك لانه وصف الا ان فيه شيئا من مجئ الحال من غير المضاف اليه
فى غير المواضع المذكورة والثانى انها مؤكدة التاسع انه مصدر لانزل اى انزلناه انزالا قاله الاخفش العاشر
انه مصدر لكن بتاويل العامل فيه الى معناه اى امرنا به امرا بسبب الانزال كما قالوا ذلك فى وجهى فيها ٥
يفرق فيها فرقا او تنزل انزالا الحادى عشر انه منصوب على الاختصاص قاله الزمخشرى ولا يعنى بذلك
الاختصاص الاصطلاحى فانه لا يكون نكرة الثانى عشر ان يكون حالا من الضمير فى حكيم الثالث عشر ان
ينتصب مفعولا له بمنذرين كقوله لينذر باسا شديدا ويكون المفعول الاول محذوفا اى منذرين الناس امرا

والحاصل ان انتصابه يرجع الى اربعة اشياء المفعول به والمفعول له والمصدر والحال وانما التنكير
لحسب المحال وقرا زيد بن علي امرنا بالرفع قال الزمخشري وهو يقوي النصب على الاختصاص قوله من عندنا
يجوز ان يتعلق بيفرق اي من جهتنا وهي لابتداء الغاية مجازا ويجوز ان يكون صفة لامرا قوله انا كنا
مرسلين جواب لامر ثالث او مستانف او بدل من قوله انا كنا منذرين قال ابن الخطيب اي انا فعلنا ذلك
الانذار لاجل انا كنا مرسلين يعني الانبياء قوله رحمة فيها خمسة اوجه المفعول له والعامل فيه اما
انزلناه واما امرا واما يفرق واما منذرين الثاني مصدر بفعل مقدر اي رحمنا رحمة الثالث مفعول
بمرسلين الرابع حال من ضمير مرسلين اي ذوي رحمة الخامس انها بدل من امرا فيجي بها ما تقدم فيه
ويكثر الاوجه ومن ربك متعلق برحمة او بمحذوف على انها صفة وفي من ربك التفاوت من التكلم الى الغيبة
ولو جرى على منوال ما تقدم لقال رحمة منا فصل قال ابن عباس معنى رحمة من ربك اي رافة مني
بخلقي ونعمة عليهم بما بعثنا اليهم من الرسل وقال الزجاج انزلناه في ليلة مباركة انه هو السميع
العليم اي ان تلك الرحمة كانت رحمة في الحقيقة لان المحتاجين اما ان يذكروا حاجاتهم بالسنتهم
او لم يذكروها فان ذكروها فهو سميع وان لم يذكرها فهو تعالى عالم بها قوله رب السموات والارض
قرا الكوفيون بخفض رب والباقون برفعه فالجر على البدل او البيان او النعت والرفع على اضمار مبتدا
خبره لا اله الا هو فصل المقصود من هذه الاية ان المنزل اذا كان موصوفا بهذه الجلالة والكبرياء كان
المنزل الذي هو القران في غاية الشرف والرفعة قوله ان كنتم موقنين قال ابو مسلم معناه ان كنتم تطلبون
وتريدونه فاعرفوا ان الامر كما قلنا كقولهم فلان منجد متهم اي يريد منجدا يهامه وقال الزمخشري كانوا
يقرون بان رب السموات والارض ربا خالقا فقيل لهم ان ارسالنا الرسل وانزالنا الكتب رحمة من الرب
ثم قال ان هذا الرب هو السميع العليم الذي انتم مقرون به ومعترفون بانه رب السموات والارض وما
وما بينهما ان كنتم ان كان اقراركم عن علم ويقين كما تقول هذا انعام زيد الذي تسامع الناس بكرمه
اي بلغك حديثه وسمعت بصيته والمعنى ان كنتم موقنين بقوله بل هم في شك يلعبون وان اقرارهم غير
صادر عن علم ويقين ولا عن جد وحقيقة بل قول مخلوط بهزء ولعب قوله ربكم ورب ابائكم العامة
على الرفع بدلا او بيانا او نعتا لرب السموات فيمن رفعه او على انه مبتدا والخبر لا اله الا هو او خبر بعد خبر
لقوله انه هو السميع او خبر مبتدا مضمر عند الجميع اعني قرا بالجر والرفع او فاعل لقوله ويميت هو فاوقع
الظاهر موقع المضمر ويجوز ان يكون يحيي ويميت من التنازع ويجوز ان ينسب الرفع الى الاول والثاني
نحو يقوم ويقعد زيد وهذا عنى ابو البقاء بقوله او على شريطة التفسير وقرا ابن محيصن وابن ابي اسحاق
وابن حياة والحسن بالجر على البدل او البيان او النعت لرب السموات وهذا يوجب ان يكون يقرون رب
بالجر والانطاكي بالنصب على المدح قوله تعالى فارتقب يوم ياتي السماء يوم منصوب بارتقب على الظرف
ومفعول الارتقاب محذوف لدلالة ما بعده عليه وهو قوله هذا عذاب اليم اي ارتقب وعد الله في ذلك
اليوم ويجوز ان يكون يوم هو المفعول المرتقب فصل اختلفوا في هذا الدخان فروى الضحاك عن مسروق
قال بينما رجل يحدث في كندة فقال يجي دخان يوم القيمة فياخذ باسماع المنافقين وابصارهم وياخذ المؤمن
كهيئة الزكام ففزعنا فاتينا ابن مسعود وكان متكئا فغضب فجلس وقال من علم فليقل ومن لم يعلم فليقل الله
اعلم فان من العلم ان يقول لما لا يعلم لا اعلم فان الله تعالى قال لنبيه قل لا اسالكم عليه اجرا وما انا من
المتكلفين وان قريشا ابطوا عن الاسلام فدعا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم بسبع كسبع يوسف
فاخذتهم سنة حتى اكلوا فيها الميتة والعظام ويرى الرجل ما بين السماء والارض كهيئة الدخان فجاء
ابو سفيان فقال يا محمد جئت تامر بصلة الرحم وان قومك قد هلكوا فادع الله فقرا فارتقب يوم تاتي السماء
بدخان مبين الى قوله عائدون وهذا قول ابن عباس ومقاتل ومجاهد واختيار الفراء والزجاج وهو قول
ابن مسعود وكان ينكر ان يكون الدخان الا هذا الذي اصابهم من شدة الجوع كالظلمة في ابصارهم حتى

كانوا كانهم يرون دخانا وذكر ابن قتيبة في تفسير الدخان في هذه الحالة وجهين احدهما ان في سنة
القحط لعظم يبس الارض بسبب انقطاع المطر يرتفع الغبار الكثير ويظلم الهواء وذلك يشبه الدخان و
يقولون كان بيننا امر ارتفع له دخان ولهذا يقال للسنة المجدبة الغبراء الثاني ان العرب يسمون الغالب
بالدخان والسبب فيه ان الانسان اذا اشتد خوفه او ضعفه اظلمت عيناه ويرى الدنيا كالمملوءة من الدخان
وفيه انه دخان يظهر في العالم وهو احدى علامات القيمة وهذا منقول عن علي بن ابي طالب وعن ابن
عباس في المشهور عنه لما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اول الايات الدخان ونزول
عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس الى المحشر قال حذيفة يا رسول الله وما الدخان فتلا
رسول الله صلى الله عليه وسلم الاية وقال يملا ما بين المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما وليلة
اما المؤمن فيصيبه كالزكمة واما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه واذنيه ودبره وتكون الارض
كلها كبيت اوقد فيه النار وقال عليه السلام باكروا بالاعمال ستا وذكر منها طلوع الشمس من مغربها
والدخان والدابة رواه الحسن واحتج الاولون بانه تعالى حكى عنهم انهم يقولون ربنا اكشف عنا
العذاب انا مؤمنون فاذا حملناه على القحط الذي وقع بمكة استقام فانه نقل ان الامر لما اشتد على اهل
مكة مشى اليه ابو سفيان فناشده الله والرحم وواعده ان دعى لهم وازال الله عنهم تلك البلية ان
يؤمنوا به فلما ازال الله عنهم رجعوا الى شركهم اما اذا حملناه على ان المراد منه ظهور علامة القيمة
من علامات القيمة لم يصح ذلك لان عند ظهور علامات القيمة لا يمكنهم ان يقولوا ربنا اكشف عنا العذاب
انا مؤمنون ولم يصح ايضا ان يقال لهم انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون فصل ظاهر الحال انه دخان
يغشى الناس اي يشملهم وهو في محل خبر صفة ثانية اي دخان مبين غاش وقوله هذا عذاب اليم في محل
نصب بالقول وذلك القول حال اي قائلين ذلك ويجوز ان لا يكون معمولا لقول البتة بل هو بمجرد اخبار
قال الجرجاني صاحب النظم هذا اشارة اليه واخبار عن دنوه واقترابه كما يقال هذا العدو فاستقبله
والغرض منه التنبيه على القرب قوله ربنا اكشف عنا العذاب ان اضمرنا القول هناك اضمرناه هاهنا
والعذاب على الثاني الدخان المهلك انا مؤمنون فالتقدير يقولون هذا عذاب اليم ربنا اكشف عنا العذاب
وان لم نضمر القول هناك اضمرناه هاهنا والعذاب على الثاني الدخان المهلك انا مؤمنون اي بمحمد وبالقران
والمراد منه الوعد بالايمان ان كشف عنهم العذاب قوله انى لهم الذكرى يجوز ان يكون انى خبر الذكرى
ولهم تبيين ويجوز ان يكون انى منصوبا على الظرف بالاستقرار في لهم فان لهم وقع خبرا الذكرى قوله
وقد جاءهم حال من لهم والمعنى كيف يتعظون اي من اين لهم التذكرة والاتعاظ وقد جاءهم ما هو
اعظم وادخل في وجوب الطاعة وهو رسول مبين ظاهر الصدق يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وما
ظهر عليه من المعجزات ثم تولوا عنه اعرضوا عنه ولم يلتفتوا اليه وقالوا معلم مجنون وذلك ان كفار مكة
منهم من كان يقول ان محمدا يتعلم هذه الكلمات من بعض الناس لقولهم انما يعلمه بشر وقوله واعانه عليه
قوم اخرون ومنهم من كان يقول انه مجنون والجن يلقون عليه هذه الكلمات حال ما يعرض له الغشي وقرا
زيد بن علي معلم بكسر اللام قوله انا كاشفوا العذاب قليلا اي عذاب الجوع نعت لزمان او لمصدر محذوف
اي كشفنا قليلا او زمانا قليلا يعني يسيرا انكم عائدون اي كما نكشف العذاب عنكم تعودون في الحال
الى ما كنتم عليه من الشرك قوله يوم نبطش قيل هو بدل من يوم ياتي وقيل منصوب باضمار اذكر وقيل
بمنتقمون وقيل بما دل عليه منتقمون وهو ننتقم ورد هذا بان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها وبانه لا يفسر
الا ما يصح ان يعمل وقرا العامة بفتح النون نبطش وكسر الطاء اي نبطش بهم وقرا الحسن وابو جعفر بضم
الطاء وهي لغة في مضارع بطش والحسن ايضا وابو رجاء وطلحة بضم النون وكسر الطاء وهو منقول
من بطش اي نبطش بهم الملائكة والبطشة على هذا يجوز ان تكون منصوبة بنبطش على حذف الزائد
نحو انبتكم من الارض نباتا وان تنتصب بفعل مقدر اي نبطش بهم الملائكة فيبطشون البطشة والبطش

الاخذ بالشدة واكثر ما يكون بوقع الضرب المتتابع ثم صار حيث يستعمل في اتصال الالام المتتابعة والله اعلم
فصل في المراد بهذا اليوم قولان الاول انه يوم بدر وهو قول ابن مسعود وابن عباس ومجاهد ومقاتل وابو
وابو العالية ان كفار مكة لما ازال الله تعالى عنهم القحط والجوع عادوا الى التكذيب فانتقم الله تعالى منهم
يوم بدر الثاني انه يوم القيمة روى عكرمة عن ابن عباس انه قال ابن مسعود البطشة الكبرى يوم القيمة قال
ابن الخطيب وهذا القول اصح لان يوم بدر لا يبلغ هذا المبلغ الذي توصف بهذا الوصف العظيم ولان الانتقام
التام انما يحصل يوم القيمة لقوله تعالى اليوم تجزى كل نفس بما كسبت قوله تعالى ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون
الاية لما بين ان كفار مكة مصرون على كفرهم بين ان كثيرا من المتقدمين ايضا كانوا كذلك وبين حصول هذه الصفة
في اكثر قوم فرعون قوله ولقد فتنا قرئ فتنا بالتشديد على المبالغة او التكثير لكثرة متعلقه وجاءهم رسول
يحتمل الاستيناف والحال فصل قال ابن عباس ابتلينا وقال الزجاج بلونا والمعنى عاملناهم معاملة
المختبر ببعث الرسول اليهم وجاءهم رسول كريم اي موسى بن عمران قال الكلبي كريم على ربه بمعنى انه استحق
على ربه انواعا كثيرة من الاكرام وقال مقاتل حسن الخلق وقال الفراء يقال فلان كريم قومه قيل ما بعث رسول
الا من اشراف قومه واكرمهم قوله ان ادوا الى عباد الله يجوز ان تكون المفسرة لتقدم ما هو بمعنى القول وان
تكون المخففة ومعناه وجاءهم بان الشان والحديث ادوا الى عباد الله وان تكون الناصبة للمضارع وهي
توصل بالامر وفي جعلها مخففة اشكال تقدم وهو ان الخبر في هذا الباب لا يقع طلبا وعلى جعلها مصدرية
يكون على حذف حرف الجر اي جاءهم بان ادوا وعباد الله يحتمل ان يكون مفعولا به وذلك انه طلب منهم ان يؤدوا
اليه بني اسرائيل بدليل قوله فارسل معي بني اسرائيل وان يكون منادى والمفعول محذوف اي اعطوني الطاعة
يا عباد الله وعلل بانه رسول امين قد ائتمنه على وحيه ورسالته قوله وان لا تعلوا عطف على ان الاولى والمعنى
لا تتكبروا على الله باهانة وحيه ورسوله فاني اتيكم بسلطان مبين بحجة بينة يعترف بصحتها كل عاقل والعامة
على كسر الهمزة من قوله اني اتيكم على الاستيناف وقرئ بالفتح على تقدير اللام اي وان لا تعلوا لاني اتيكم
قوله واني عذت بربي وربكم ان ترجمون اي من ان ترجمون وقوله اني عذت مستانف وادغم التاء في الدال
ابو عمرو والاخوان وتقدم توجيهه في طه فنبذتها فصل قيل انه لما قال وان لا تعلوا على الله الاية
توعدوه بالقتل فقال واني عذت بربي وربكم ان ترجمون اي تقتلوني وقال ابن عباس ان ترجمون بالقول
والشتم وتقولوا هو ساحر وقال قتادة ترجموني بالحجارة وان لم تؤمنوا لي اي تصدقوني وان لم تؤمنوا بالله
لاجل ما اتيتكم به من الحجة اللام في لي لام الاجل فاعتزلون اي اتركوني لا معي ولا علي وقال ابن عباس فاعتزلوا
اذاي باليد واللسان قوله فدعا ربه الفاء في فدعا تدل على انه متصل بمحذوف قبله وتاويله انهم كفروا
ولم يؤمنوا فدعا موسى ربه بان هؤلاء قوم مجرمون فان قيل الكفر اعظم حالا من الجرم فما السبب في ان جعل الكفار
مجرمين حال ما اراد المبالغة في ذمهم فالجواب ان الكافر قد يكون عدلا في دينه وقد يكون فاسقا في دينه
والفاسق في دينه اخس الناس قوله ان هؤلاء العامة على الفتح باضمار حرف الجر اي دعاه بان هؤلاء وابن ابي
اسحاق وعيسى والحسن بالكسر على اضمار القول عند البصريين وعلى اجراء دعا مجرى القول عند الكوفيين قوله
فاسر بعبادي قد تقدم قراءتا الوصل والقطع وقال الزمخشري فيه وجهان اضمار القول بعد الفاء اي فقال
اسر بعبادي وجواب شرط مقدر كانه قال ان كان الامر كما تقول فاسر بعبادي قال ابو حيان وكثيرا
ما يدعى حذف الشرط ولا يجوز الا لدليل واضح كان يتقدمه الامر وما اشبهه قوله فاسر يقال سرى
واسرى لغتان لما قال موسى ان هؤلاء قوم مجرمون اجاب الله دعاءه وامره ان يسري قال فاسر بعبادي
اي بني اسرائيل ليلا انكم متبعون يتبعكم فرعون وقومه وذلك سبب هلاكهم قوله واترك البحر رهوا
يجوز ان يكون رهوا مفعولا ثانيا على ان ترك بمعنى صير وان يكون حالا على انها ليست بمعناها والرهو قيل
السكون فالمعنى اتركه ساكنا يقال رها يرهو رهوا ومنه جاءت الخيل رهوا قال النابغة والخيل تمزع
رهوا في اعنتها كالطير ينجو من الشؤبوب ذي البرد ورهي يرهو في سيره اذا رفق قال القطامي يمشين رهوا

فلا الاعجاز خاذلة ولا الصدور على الاعجاز تتكل وعن ابي عبيدة رهوا اي اتركه منفتحا فرجا على ما تركته
روي انه لما انفلق البحر لموسى وطلع منه خاف ان يتبعه فرعون فاراد ان يضربه ليعود حتى لا يلحقوه فامر ان يتركه
فرجا واصله من قولهم رهى الرجل يرهو رهوا فتح ما بين رجليه قال مقاتل اترك البحر رهوا اي راهيا يعني
ساكنا واصل الرهو السكون فسمي بالمصدر اي ذا رهو وقال كعب اترك طريقا يابسا والرهو
والرهوة المكان المرتفع او المنخفض يجمع فيه الماء فهو من الاضداد والرهوة المرأة الواسعة الهن والرهو
طائر يقال هو الكركي وقد تقدم الكلام في الشعراء على نظير كم تركوا من جنات قوله ومقام العامة
على فتح الميم وهو اسم مكان القيام وابن هرمز وقتادة وابن السميفع ونافع في رواية خارجة بضمها اسم مكان
الاقامة والنعمة بالفتح نضارة العيش ولذاذته قال الزمخشري النعمة بالفتح والنعمة بالكسر الانعام وقيل
النعمة بالفتح هي المال او الزينة كهذه الاية ومثله وذرني والمكذبين اولي النعمة وقوله ولئن اذقناه نعماء
بعد ضراء مسته اي مالا بعد ضر والجمهور على جرها ونصبها ابو رجاء عطفا على كم اي تركوا كثيرا من كذا
وتركوا نعمة قوله فاكهين العامة على الالف اي طيبين الانفس او اصحاب فاكهة كلابن وتامر وقيل فاكهين
لاهين وقرا الحسن وابو رجاء فكهين اي مستخفين مستهزئين بنعمة الله قال الجوهري يقال فكه
الرجل بالكسر فهو فكه اذا كان مزاحا والفكه ايضا الاشر البطر قوله كذلك يجوز ان تكون الكاف مرفوعة
المحل خبر المبتدا مضمر اي الامر كذلك واليه نحا الزجاج ويجوز ان تكون منصوبة المحل فقدرها الحوفي اهلكنا
اهلاكا وانتقمنا انتقاما كذلك وقال الكلبي كذلك افعل بمن عصاني وقيل تقديره نفعل فعلا كذلك وقال
ابو البقاء تركا كذلك فجعله نعتا للترك المحذوف وعلى هذه الاوجه كلها يوقف على كذلك ويبتدا واورثناها
وقال الزمخشري الكاف منصوبة على معنى مثل ذلك الاخراج اخرجناهم منها واورثناها قوما اخرين ليسوا منهم
يعني بني اسرائيل فعلى هذا يكون واورثناها معطوفا على تلك الجملة الناصبة للكاف فلا يجوز الوقف على كذلك
حينئذ قوله فما بكت عليهم السماء يجوز ان يكون استعارة كقول الفرزدق الشمس طالعة ليست بكاسفة
تبكي عليك نجوم الليل والقمرا وقال جرير لما اتى خبر الزبير تواضعت سور المدينة والجبال الخشع وقال
النابغة بكى حارث الجولان من فقد ربه وحوران منه خاشع متضائل فصل روى انس بن مالك عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال ما من عبد الا وله في السماء بابان باب يخرج منه رزقه وباب يدخل منه عمله فاذا
مات وفقداه بكيا عليه وتلا هذه الاية وذلك لانهم لم يكونوا يعملون على الارض عملا صالحا ولم يكن يصعد
لهم الى السماء كلام طيب ولا عمل صالح فتبكي عليهم وقيل التقدير فما بكت عليهم اهل السماء والارض فحذف
المضاف والمعنى فما بكت عليهم الملائكة ولا المؤمنون بل كانوا بهلاكهم مسرورين وقيل ان العادة جرت
ان يقولوا في هلاك الرجل العظيم الشان انه اظلمت له الدنيا وكسفت الشمس والقمر لاجله وبكت الريح
والسماء والارض يريدون المبالغة في تعظيم امر تلك المصيبة لا نفس الكذب وقال الزمخشري ذكر هذا
على سبيل السخرية بهم يعني انهم كانوا يستعظمون انفسهم ويعتقدون انهم لو ماتوا لبكيت عليهم السماء
والارض ولم يكونوا بهذا الحد بل كانوا دون ذلك فذكر هذا تهكما بهم وقال عطاء بكاء السماء حمرة
اطرافها وقال السدي لما قتل الحسين بن علي بكت عليه السماء وبكاؤها حمرتها وما كانوا منظرين اي لما جاء
وقت اهلاكهم لم ينظروا الى وقت اخر لتوبة وتدارك تقصير قوله تعالى ولقد نجينا بني اسرائيل من
العذاب المهين وهو قتل الابناء واستحياء النساء والتعب في العمل واعلم ان دفع الضرر مقدم على ايصال
النفع فبدا تعالى ببيان دفع الضرر عنهم فقال ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين قوله من فرعون
فيه وجهان احدهما انه بدل من العذاب اما على حذف مضاف اي من عذاب فرعون واما على المبالغة
جعله نفس العذاب فابدله منه والثاني انه حال من العذاب تقديره صادرا من فرعون وقرا عبد الله
من عذاب المهين وهي من اضافة الموصوف لصفته اذ الاصل العذاب المهين كالقراءة المشهورة وقرا ابن
عباس من فرعون بفتح ميم ورفع فرعون على الابتداء والخبر وهو استفهام تحقير كقولك من انت وزيد ثم

بيّن حاله بالجملة بعد في قوله انه كان عاليا من المسرفين والتقدير هل تعرفون من هو في عتوه وشيطنته
ثم عرف حاله بقوله انه كان عاليا من المسرفين اى كان عالى الدرجة في طبقة المسرفين ويجوز ان يكون المراد
انه كان عاليا كقوله ان فرعون علا في الارض وكان ايضا مسرفا ومن اسرافه انه كان ايضا على حقارته
وخسته ادعى الالهية ولما بيّن الله تعالى انه كيف دفع عن بني اسرائيل الضرر بيّن انه كيف اوصل اليهم الخيرات
فقال ولقد اخترناهم على علم على العالمين والمراد اخترنا مؤمنوا بني اسرائيل على عالمي زمانهم قوله على علم
متعلقة بمحذوف لانها حال من الفاعل في اخترناهم وعلى العالمين متعلقة باخترناهم وفي عبارة ابي حيان
انه لما اختلف مدلولهما جاز تعلقهما باخترنا وانشد على ذلك ويوما على ظهر الكثيب تعذرت علىّ وآلت
حلفة لم تحلل ثم قال فعلى علم حال اما من الفاعل او من المفعول وعلى ظهر حال من الفاعل في تعذرت والعامل
في الحال هو العامل في صاحبها وفي هذا نظر لان قوله اولا ولذلك تعلقا بمحذوف بفعل واحد لما اختلف
المدلول بنا في جعل الاولى حالا لانها لم تتعلق به وقوله والعامل في الحال هو العامل في صاحبها لا ينفع في ذلك
فصل قيل هذه الآية تدل على كونهم افضل من كل العالمين واجيب بان المراد على عالمي زمانهم وقيل هذا عام
دخله التخصيص كقوله كنتم خير امة اخرجت للناس قوله وآتيناهم من الآيات مثل فلق البحر وتظليل الغمام
وانزال المن والسلوى والنعم التي انعمها عليهم وقال ابن زيد ابتلاهم بالرخاء والشدة وقرئ ونبلوكم بالشر والخير فتنة لانه تعالى كما ابتلاهم بالمحنة فقد ابتلاهم ايضا بالنعمة ليتميز به الصديق عن الزنديق وههنا
انجز الكلام على قصة موسى عليه السلام قوله ان هؤلاء ليقولون يعني مشركي مكة ليقولون ان هي الا موتتنا
الاولى وما نحن بمنشرين بمبعوثين بعد موتتنا واعلم انه رجع الى ذكر كفار مكة لان الكلام كان فيهم حيث قال
بل هم في شك يلعبون اى بل هم في شك من البعث والقيمة ثم بين كيفية اصرارهم على كفرهم ثم بين ان قوم فرعون
كانوا في الاصرار على الكفر مثلهم وبين كيف اهلكهم وكيف انعم على بني اسرائيل ثم رجع الى كفار مكة وانكارهم
للبعث فقال ان هؤلاء ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى فان قيل القوم كانوا ينكرون الحيوة الثانية فكان
من حقهم ان يقولوا ان هي الا حياتنا الاولى وما نحن بمنشرين فالجواب قال الزمخشري انهم قيل لهم انكم
تموتون موتة يعقبها حيوة كما انكم حال كونكم نطفا كنتم امواتا وقد تعقبها حيوة كقوله كنتم امواتا فاحياكم
ثم يميتكم ثم يحييكم فقالوا ان هي الا موتتنا الاولى يريدون ما الموتة التي من شانها ان يعقبها حيوة الا
الموتة الاولى خاصة ولا فرق اذن بين هذا الكلام وبين قوله ان هي الا حياتنا الاولى قال ابن الخطيب ويمكن
وجه آخر وهو ان قوله ان هي الا موتتنا الاولى يعني انه لا يأتينا من الاحوال الشديدة الا الموتة الاولى وهذا
الكلام لا يدل على انهم لا تأتيهم الحيوة الثانية ثم صرحوا بهذا المرموز فقالوا وما نحن بمنشرين ولا حاجة
الى التكليف الذي ذكره الزمخشري ثم ان الكفار احتجوا على نفي النشر والحشر بان قالوا ان كان البعث و
النشر ممكنا معقولا فاجعلوا لنا احياء من مات من آبائنا ان كنتم صادقين في دعوى النبوة والبعث في القيمة
قيل طلبوا من الرسول صلى الله عليه وسلم ان يدعوا الله حتى ينشر قصي بن كلاب ليشاوروه في صحة نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم وفي صحة البعث ولما حكى الله عنهم ذلك قال اهم خير ام قوم تبع والذين من قبلهم
اهلكناهم انهم كانوا مجرمين وهذا استفهام على سبيل الانكار قال ابو عبيدة ملوك اليمن كل واحد منهم
يسمى تبعا لان اهل الدنيا كانوا يتبعونه وموضع تبع في الجاهلية موضع الخليفة في الاسلام وهم الاعاظم
من ملوك العرب قالت عائشة رضي الله عنها كان تبع رجلا صالحا وقالت ذم الله قومه ولم يذمه وقال
الكلبي هو ابو كرب ابو سعد وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا تبعا فانه كان قد اسلم وعنه صلى الله
عليه وسلم ما ادري اكان تبع نبيا ام غير نبي وقال قتادة هو تبع الحميري وكان سار بالجيوش حتى حير الحيرة
وبنى سمرقند وكان من ملوك اليمن سمي تبعا لكثرة اتباعه كل واحد منهم يسمى تبعا لانه يتبع صاحبه وكان
هذا يعبد النار فاسلم ودعى قومه الى الاسلام وهم حمير فكذبوه قال ابو اسحاق وكان اسمه تبان اسعد
ابو كرب وقصته مشهورة وانه كان يعبد الاوثان وانه اسلم على يد حبرين عالمين وانه اتى البيت الحرام فطاف

به ونحر عنده وحلق رأسه واقام بمكة ستة ايام ينحر بها للناس ويطعم اهلها ويسقيهم العسل وارى في المنام
ان يكسوا البيت فكساه الخصف وامرهم بتطهيره ثم ارى ان يكسوه احسن من ذلك فكساه المعافري ثم ارى
ان يكسوه احسن من ذلك فكساه الملاء والوصائل وكان تبع اول من كسى البيت واوصى به ولاته من خزاعة
وامرهم بتطهيره وان لا يقربوه دما ولا ميتة ولا ميلاثا وهي المحائض وجعل له بابا ومفتاحا وقصة مع الحبرين
مشهورة ايضا وانه رجع الى اليمن وتبع الحبرين على دينهما ولذلك كان اصل دين اليهود باليمن فان قيل
ما معنى قوله اهم خير ام قوم تبع مع انه لا خير في الفريقين فالجواب اهم خير في القوة والشوكة كقوله
اكفاركم خير من اولئكم بعد ذكر آل فرعون قوله والذين من قبلهم تجوز فيه ثلاثة اوجه احدها ان يكون
معطوفا على قوم تبع الثاني ان يكون مبتدأ وخبره ما بعده من اهلكناهم واما على الاول فاهلكناهم اما مستأنف
واما حال من الضمير المستكن في الصلة الثالث ان يكون منصوبا بفعل مقدر يفسره اهلكناهم ولا محل لاهلكناهم
حينئذ قوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما انكر على كفار مكة قولهم وزجرهم
بانهم كانوا اضعف ممن قبلهم ذكر الدليل القاطع على صحة القول بالبعث والقيمة فقال وما خلقنا السماء
والارض وما بينهما لاعبين اى لو لم يحصل البعث لكان هذا الخلق لعبا وعبثا وقد تقدم تقرير هذا الدليل في اول
سورة يونس وفي آخر المؤمنين عند قوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا وفي ص عند قوله وما خلقنا السماء و
الارض وما بينهما باطلا وتقدم الاستدلال للمعتزلة بنظير هذه الآية على انه تعالى لا يخلق الكفر والفسوق
ولا يريدهما وتقدم جوابه قوله لاعبين حال وقرأ عمرو بن عبيد وما بينهن لان السموات والارض جمع والعامة
بينهما باعتبار النوعين قوله الا بالحق حال اما من الفاعل وهو الظاهر او من المفعول اى الا محقين او ملتبسين
بالحق ثم قال ولكن اكثرهم لا يعلمون يعني اهل مكة قوله ان يوم الفصل ميقاتهم العامة على رفع ميقاتهم خبرا
لان وقرئ بنصبه على انه اسم ان ويوم الفصل خبره واجمعين تاكيد الضمير المجرور فصل لما ذكر الدليل
على اثبات البعث والقيمة ذكر عقيبه يوم الفصل قال الحسن سمي بذلك لان الله تعالى يفصل فيه بين اهل الجنة
واهل النار وقيل ان الله تعالى يفصل فيه بين العباد في الحكم والقضاء وقيل يفصل بين المؤمن وبين ما يكرهه
ويفصل بين الكافر وبين ما يريده وقيل يظهر حال كل احد كما هو فلا يبقى الا الحقائق والبينات ثم وصف
ذلك اليوم فقال يوم لا يغني يجوز ان يكون بدلا من يوم الفصل او بيانا عند من لا يشترط المطابقة تعريفا
وتنكيرا وان يكون منصوبا باضمار اعني وان يكون صفة لميقاتهم ولكنه بني قاله ابو البقاء وهذا لا يتأتى
عند البصريين لاضافته الى معرب وقد تقدم آخر المائدة وان ينتصب بفعل يدل عليه يوم الفصل اى يفصل
بينهم يوم لا يغني ولا يجوز ان ينتصب بالفصل لانه قد فصل بينهما باجنبي وهو ميقاتهم والفصل مصدر لا يجوز فيه ذلك وقال ابو البقاء لانه قد اخبر عنه وفيه نظر
فان الاخبار عما اضيف الى الفصل لا الى الفصل قوله مولى عن مولى شيئا لا ينفع قريب قريبه ولا يدفع عنه و
لا هم ينصرون اى ليس لهم ناصر يمنعهم من عذاب الله واعلم ان القريب اما في الدين واما في النسب او المعتق
وكل هؤلاء يسمون بالمولى فلما لم تحصل النصرة منهم فبان لا تحصل ممن سواهم اولى ونظير هذه الآية قوله تعالى
واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا الى قوله وهم لا ينصرون قال الواحدي المراد بقوله مولى عن مولى
الكفار لانه ذكر بعده المؤمن فقال الا من رحم الله قال ابن عباس يريد المؤمن فانه يشفع له الانبياء والملائكة
قوله ولا هم جمع الضمير عائدا به على مولى وان كان مفردا لانه قصد معناه فجمع وهو نكرة في سياق النفي ثم قوله
الا من رحم الله تجوز فيه اربعة اوجه احدها وهو قول الكسائي انه منقطع الثاني انه متصل تقديره لا يغني
قريب عن قريب الا المؤمنين فانهم يؤذن لهم في الشفاعة فيشفعون في بعضهم كما تقدم عن ابن عباس
الثالث ان يكون مرفوعا على البدلية من مولى الاول ويكون يغني بمعنى ينفع قاله الحوفي الرابع انه مرفوع المحل
ايضا على البدل من واو ينصرون اى لا يمنع من العذاب الا من رحمه الله قوله تعالى ان شجرة الزقوم طعام
الاثيم لما وصف اليوم ذكر بعده وعيد الكفار قال الزمخشري في شجرة ثلاث لغات كسر الشين وضمها وفتحها
وتقدم لفظ اشتقاق الزقوم في سورة الصافات والاثيم صفة مبالغة ويقال الاثوم كالصبور والشكور والاثيم

اى ذى الاثم قال المفسرون هو ابوجهل قال المعتزلة هذه الاية تدل على حصول هذا الوعيد للاثيم وهو الذى
صدر عنه الاثم فيكون حاصلا للفساق والجواب ان اللفظ المفرد اذا دخل عليه حرف التعريف الاصل فيه
ان ينصرف الى المذكور السابق ولا يفيد العموم والمذكور السابق هنا هو الكفار فينصرف اليه فصل مذهب
ابى حنيفة ان قراءة القرآن بالمعنى جائز واحتج عليه بانه نقل عن ابن مسعود انه كان يقرئ رجلا هذه الاية
فكان يقول طعام الاثيم فقال طعام الفاجر وهذا الدليل فى غاية الضعف على ما بين فى الفقه قوله كالمهل
يجوز ان يكون خبرا ثانيا وان يكون خبر مبتدا مضمر اى هو كالمهل ولا يجوز ان يكون حالا من طعام الاثيم قاله
ابو البقاء لانه لا عامل للظرف اذن وفيه نظر لانه يجوز ان يكون حالا والعامل فيه معنى التشبيه وكقولك
زيد اخوك شجاعا والمهل قيل دردى الزيت وقيل عكر القطران وقيل ما اذيب من ذهب او فضة وقيل ما اذيب
منهما ومن كل ما فى شبههما من المنطبعات كالحديد والنحاس والرصاص والمهل بالفتح التؤدة والرفق ومنه
فمهل الكافرين وقرأ الحسن كالمهل بفتح الميم فقط وهى لغة فى المهل بالضم تقدم تفسيره فى الكهف قوله تغلى
قرأ ابن كثير وحفص بالياء من تحت والفاعل ضمير يعود على طعام وجوز ابو البقاء ان يعود على الزقوم وقيل
يعود على المهل نفسه وتغلى حال من الضمير المستتر فى الجار اى مشبها المهل غاليا ويجوز ان يكون حالا من المهل
نفسه وجوز ابو البقاء ان يكون خبر مبتدا محذوف اى هو يغلى اى الزقوم او الطعام والباقون بالتاء من
فوق على ان الفاعل ضمير الشجرة والجملة خبر ثان او حال على راى او خبر مبتدا مضمر اى هى تغلى واختار ابو عبيد
الياء لان الاسم المذكر الذى هو المهل هو الذى يلى الفعل الصادر فصار التذكير به اولى قوله كغلى الحميم
نعت المصدر محذوف او حال من ضميره اى تغلى غليا مثل غلى الحميم او تغلية مشبها غلى الحميم قال ابن الخطيب
واعلم انه لا يجوز ان يحمل الغلى على المهل لان المهل مشبه به وانما يغلى ما يشبه به كغلى الحميم وهو الماء اذا
اشتدت حرارته قوله خذوه فاعتلوه قرأ نافع وابن كثير وابن عامر بضم العين عتلوه والباقون بكسرها وهما
لغتان فى مضارع عتله اى ساقه بجفاء وغلظة كعرش يعرش والعتل الجافى الغليظ قال الليث العتل ان يأخذ
بلبيب الرجل فتعتله اى تجره اليك وتذهب به الى حبس ومحنة واخذ فلان بزمام الناقة فعتلها وذلك
اذا قبض على اصل الزمام عند الراس وقادها قودا عنيفا وقال ابن السكيت عتلته الى السجن وعتنته اذا
دفعته دفعا شديدا قوله الى سواء الجحيم الى وسط الجحيم ومعنى الاية ان يقال للزبانية خذوه اى الاثيم فاعتلوه
اى سوقوه بعنف الى وسط الجحيم ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم كقوله تعالى يصب من فوق رؤسهم الحميم
الا ان هذه الاستعارة اكمل فى المبالغة كانه يقول صبوا عليه عذاب ذلك الحميم ونظيره قوله تعالى ربنا افرغ
علينا صبرا قوله ذق انك انت العزيز قرأ الكسائى بفتح همزة انك على معنى العلة اى لانك وقيل تقديره ذق عذاب
الجحيم انك انت العزيز والباقون بالكسر على الاستيناف المفيد العلة فتتحد القرآتان معنى وهذا الكلام على سبيل
التهكم وهو اغيظ للمستهزء به ومثله قول جرير لشاعر سمى نفسه زهرة اليمن الم يكن فى رسوم قد رسمت بها
من كان موعظة يا زهرة اليمن وكان هذا الشاعر قد قال ابلغ كليبا وابلغ عنك شاعرها انى الاعز وانى
زهرة اليمن ومعنى الاية انك بالضد منه روى ان ابا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين
جبليها اعز ولا اكرم منى فوالله ما تستطيع انت ولا ربك ان يفعلا بى شيئا روى ان خزنة جهنم تقول
للكفار هذا الكلام استخفافا بهم وتوبيخا ان هذا ما كنتم به تمترون اى تشكون فيه ولا تؤمنون به ٥
قوله تعالى ان المتقين فى مقام امين لما ذكر وعيد الكفار اردفه بايات الوعد فقال ان المتقين قال اهل
السنة كل من اتقى الشرك صدق عليه انه متق فوجب ان يدخل العصاة فى هذا الوعد فقال فى مقام امين
قرأ اهل المدينة والشام بضم ميم مقام على المصدر اى فى اقامة وقرأ الباقون بفتح الميم اى فى مجلس امين
امنوا فيه من الغير قال الزمخشرى المقام بفتح الميم هو موضع القيام والمراد المكان وهو من الخاص الذى جعل
مستعملا فى المعنى العام وبالضم هو موضع الاقامة والامين من قولك امن الرجل امانة فهو امين وهو ضد
الخائن فوصف به المكان استعارة لان المكان المخيف كانه يخوز صاحبه قوله فى جنات يجوز ان يكون بدلا

من قوله

من قوله فى مقام بتكرار العامل ويجوز ان يكون خبرا ثانيا وقوله يلبسون يجوز ان يكون حالا من الضمير ٥
المستكن فى الجار وان يكون خبرا الان فيتعلق الجار به وان يكون مستانفا قوله متقابلين حال من فاعل يلبسون
وتقدم تفسير السندس والاستبرق والمقام قوله كذلك فى هذه الكاف وجهان احدهما النصب نعتا
لمصدر اى يفعل بالمتقين فعلا كذلك اى مثل ذلك الفعل والثانى الرفع على انه خبر مبتدا مضمر اى الامر ٥
كذلك وقدر ابو البقاء قبله جملة فقال تقديره فعلنا ذلك والامر كذلك ولا حاجة اليه والوقف على
كذلك والابتداء بقوله زوجناهم الى عين وعز عين وتقدم تفسير الحور العين فان قيل المراد بجلوسهم
متقابلين استيناس بعضهم ببعض والجلوس على هذه الصفة موحش لانه يكون كل واحد منهم مطلعا
على ما يفعل الاخر وايضا فالقليل الثواب اذا اطلع على من يكثر ثوابه تنغص عيشه فالجواب ان الاحوال الاخروية
خلاف احوال الدنيا فصل قال ابو عبيدة معنى وزوجناهم اى جعلناهم ازواجا كما يزوج النعل بالنعل
اى جعلناهم اثنين اثنين واختلفوا فى هذا اللفظ هل يدل على حصول عقد التزويج ام لا والعرب لا تقول
تزوجت بها وانما تقول تزوجتها قال الواحدى رحمه الله والتنزيل نزل على ما قال يونس وذلك قوله فلما
قضى زيد منها وطرا زوجناكها ولو كان المراد زوجناك بها لقال زوجناك بها فصل قال الواحدى واصل
الحور البياض والتحوير التبييض وقد تقدم فى تفسير الحواريين وعين حوراء اذا اشتد بياض بياضها و
واشتد سوادها ولا تسمى المرأة حوراء حتى تكون بها حور عينيها بيضا فى لون الجسد واما العين فجمع
عيناء وهى التى تكون عظيمة العينين من النساء واسعتهما قوله يدعون فيها حال من مفعول زوجناهم ومفعوله
محذوف اى يدعون الخدم بكل فاكهة وقوله آمنين يجوز ان يكون حالا ثانية وان يكون حالا من فاعل يدعون
فيكون حالا متداخلة ومعنى امنين اى من نفادها ومن مضرتها وقال قتادة امنين من الموت والاوصاب
والشيطان قوله لا يذوقون يجوز ان يكون حالا من الضمير فى آمنين وان يكون حالا ثالثة وثانية من مفعول
زوجناهم وامنين حال من فاعل يدعون كما تقدم وصفة لامنين او مستانفة وقرأ عمرو بن عبيد لا يذاقون
مبنيا للمفعول قوله الا الموتة الاولى فيه اوجه احدها انه استثناء منقطع اى لكن الموتة الاولى قد ذاقوها
الثانى انه متصل وتاوله الطبرى وضعفه قال ابن عطية وليس تضعيفه ذلك بان المومن عند موته
فى الدنيا بمنزلته فى الجنة لمعاينته ما يعطاه منها او لما يتيقنه من نعيمها الثالث ان الا بمعنى سوى نقله الطبرى
وضعفه قال ابن عطيه وليس تضعيفه بصحيح بل هو كونها بمعنى سوى مستقيم متسق الرابع ان الا بمعنى بعد واختاره
الطبرى واباه الجمهور لان الا بمعنى بعد لم يثبت وقال الزمخشرى فان قلت كيف استثنيت الموتة الاولى المذوقة
قبل دخول الجنة من الموت المنفى ذوقه فيها قلت اريد ان يقال لا يذوقون فيها الموت البتة فوضع قوله الا الموتة
الاولى موضع ذلك لان الموتة الماضية محال ذوقها فى المستقبل فهو من باب التعليق بالمحال كانه قيل ان كانت
الموتة الاولى يستقيم ذوقها فى المستقبل فانهم يذوقونها فى الجنة قال شهاب الدين وهذا عند علماء البيان
يسمى نفى الشئ بدليله ومثله قول النابغة ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب يعنى
ان كان احد يعد فلول السيوف من قراع الكتائب عيبا فهذا عيبهم ولكن عده من العيوب محال فانتفى عنهم العيب
بدليل تعليق الامر على المحال قال ابن عطية بعد ما حكاه عن الطبرى فتبين انه نفى عنهم ذوق الموت وانه لا ينالهم
من ذلك غير ما تقدم فى الدنيا يعنى انه كلام محمول على معناه وقال ابن الخطيب ان من جرب شيئا ووقف عليه
صح ان يقال انه ذاقه واذا صح ان يسمى ذلك العلم بالذوق صح ان يسمى تذكره ايضا بالذوق فقوله لا يذوقون
فيها الموت الا الموتة الاولى يعنى الا الذوق الحاصل بسبب تذكر الموتة الاولى فان قيل اليس المراد ان اهل النار
لا يذوقون الموت فلم بشر اهل الجنة بهذا مع ان اهل النار يشاركونهم فيه فالجواب ان البشارة ما وقعت بدوام
الحيوة بل بدوام الحيوة مع سابقه حصول تلك الخيرات والسعادات فافترقا قوله ووقاهم الجمهور على التخفيف
وقرأ ابو حيوة ووقاهم بالتشديد على المبالغة ولا يكون للتعدية فانه متعد الى اثنين قبل ذلك قوله فضلا
مفعول من اجله وهو مراد مكى بقوله مصدر عمل فيه يدعون وقيل العامل فيه ووقاهم وقيل آمنين فهذا انما

للطهد على كونه مفعولا من اجله على انه يجوز ان يكون مصدرا لان يدعون وما بعده من باب التفضيل
فهو مصدر ملاق لعامله في المعنى وجعله ابو البقاء منصوبا بمقدر اى تفضلنا بذلك تفضلا اى ٥
تفضلا **فصل** احتج اهل السنة بهذه الاية على ان الثواب يحصل بفضل الله تعالى تفضلا واحسانا
وان كل ما وصل اليه العبد من الخلاص عن النار والفوز بالجنة فانما يحصل بفضل الله تعالى **ثم قال**
ذلك هو الفوز العظيم وهذا يدل على ان الفضل اعلا درجات الثواب المستحق لانه وصفه بكونه فوزا
عظيما وايضا فان الملك العظيم اذا اعطى الاجير اجرته ثم خلع على انسان اخر فان تلك الخلعة اعلا حالا
ممن اعطى تلك الاجرة ولما بين الله تعالى الدلايل وشرح الوعد والوعيد قال فانما يسرناه اى سهلنا القران
كناية عن غير مذكور بلسانك اى بلغتك والباء للمصاحبة لعلهم يتذكرون يتعظون قال القاضي وهذا يدل
على انه اراد من الكل الايمان ولم يرد من احد الكفر واجيب بان الضمير في قوله لعلهم يتذكرون عائدا الى اقوام
مخصوصين فيحمل ذلك على المومنين **قوله** فارتقب اى فانتظر ما يحل بهم انهم مرتقبون لما يحل فمفعولا الارتقاب
محذوفان اى فارتقب النصر من ربك انهم مرتقبون بك ما يتمنونه من الدوائر والغوائل ولن يضرك ذلك ٥
روى ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا حم الدخان في ليلة اصبح يستغفر له سبعون
الف ملك رواه البغوي في تفسيره وروى الثعلبي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا حم التي يذكر فيها الدخان في ليلة الجمعة اصبح مغفورا له وقال ابو امامة سمعت رسول الله عليه السلام
يقول من قرا حم الدخان ليلة الجمعة او يوم الجمعة بنى الله تعالى له بيتا في الجنة صدق رسول الله

سورة الجاثية ثلثون وست آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم قد تقدم مثله اول غافر وقال
ابو عبد الله الرازي العزيز الحكيم ان كانا صفة لله كان حقيقة وان كان صفة للكتاب كان مجازا ورد عليه
ابو حيان جعله اياهما صفة للكتاب قال اذ لو كان كذلك لوليت الصفة موصوفها فكان يقال تنزيل الكتاب
العزيز الحكيم من الله قال لان من الله ان تعلق بتنزيل وتنزيل خبر لحم او لمبتدا محذوف لزم الفصل به بين الصفة
والموصوف ولا يجوز كما لا يجوز اعجبني ضرب زيد بسوط الفاضل او في موضع الخبر وتنزيل مبتدا فلا يجوز
الفصل به ايضا لا يجوز ضرب زيد شديد الفاضل **قوله** ان في السموات والارض لايات للمومنين
ان كان قوله حم قسما فتنزيل الكتاب نعت له وجواب القسم ان في السموات والارض ظاهر دال على وجود
الله تعالى وقدرته مثل مقاديرها وكيفياتها وحركاتها وايضا الشمس والقمر والنجوم والجبال والبحار
وقد تقدم الكلام في كيفية دلالتها على وجود الاله القادر الفاعل المختار وقوله لايات للمومنين تقتضي
كون هذه مختصة بالمومنين وقالت المعتزلة انها ايات للمومنين والكافر الا انه لما انتفع بها المومن
دون اضيف كونها ايات للمومنين ونظيره قوله تعالى هدى للمتقين فانه هدى لكل الناس كما قال تعالى
هدى للناس الا انما انتفع به المومن خاصة قيل هدى للمتقين **قوله** وفي خلقكم وما يبث من دابة فيه
وجهان اظهرهما ان قوله وما يبث معطوف على خلقكم المجرور بفي والتقدير وفيما يبث الثاني انه معطوف
على الضمير المخفوض بالخلق وذلك على مذهب من يرى العطف على الضمير المجرور دون اعادة الجار واستقبحه
الزمخشري وان اكدت نحو مررت بك انت وزيد يشير بذلك الى مذهب الجرمي فانه يقول ان اكد جاز والا
فلا فقوله مذهب ثالث **قوله** ايات لقوم يوقنون وايات لقوم يعقلون قرا آيات بالكسر في الموضعين
الاخوان والباقون برفعهما ولا خلاف في كسر الاولى لانها اسم ان فاما ايات لقوم يوقنون بالكسر فيجوز
فيه وجهان احدهما انها معطوفة على اسم ان والخبر قوله وفي خلقكم كانه قيل وان في خلقكم وما يبث من دابة
ايات والثاني ان يكون كررت لايات الاولى ويكون في خلقكم معطوفا على في السموات كرر معه حرف الجر توكيدا
ونظيره ان تقول ان في بيتك زيدا وفي السوق زيدا فزيد الثاني تاكيدا للاول كانك قلت ان زيدا زيدا في
بيتك وفي السوق وليس في هذه عطف على معمولي عاملين البتة وقد وهم ابو البقاء فجعلها من ذلك فقال

ايات لقوم يوقنون يقرا بكسر التاء وفيه وجهان احدهما ان مضمرة حذفت لدلالة ان الاولى عليها و
ليست ايات معطوفة على ايات الاولى لما فيه من العطف على معمولي عاملين والثاني ان يكون كررت للتاكيد
لانها من لفظ ايات الاولى واعرابها كاعرابها كقولك ان بثوبك دما وبثوب زيد دما فدم الثاني مكرر لانه
مستغن عن ذكره انتهى فقوله وليست معطوفة على ايات الاولى لما فيه من العطف على معمولي عاملين وهم اين
معمول العامل الاخر وكانه توهم ان في ساقطة من قوله وفي خلقكم واختلطت عليه ايات لقوم يعقلون
بهذه لان تلك فيها ما يوهم العطف على عاملين وقد ذكره هو ايضا واما الرفع ففي وجهين ايضا احدهما
ان يكون في خلقكم خبرا مقدما وايات مبتدا موخر وهي جملة معطوفة على جملة موكدة بان والثاني ان يكون
معطوفة على ايات الاولى باعتبار المحل عند من يجيز ذلك بعد الخبر باجماع واما قوله واختلاف الليل و
النهار الاية فقد تقدم ان الاخوين يقرآن ايات بالكسر وهي تحتاج الى ايضاح فان الناس تكلموا فيها
كثيرا وخرجوها على اوجه مختلفة وبها استدل على جواز العطف على عاملين قال شهاب الدين والعطف على
عاملين لا يختص بقراءة الاخوين بل يجوز ان يستدل عليه ايضا بقراءة الباقين كما ستقف عليه ان شاء
الله فاما قراءة الاخوين ففيها اوجه احدها ان يكون اختلاف الليل مجرورا بفي مضمرة وانما حذف لتقدم
ذكرها مرتين وحرف الجر اذا دل عليه دليل جاز حذفه وابقاء عمله وانشد سيبويه الان قربت تهجونا وتشتمنا
فاذهب فما بك والايام من عجب تقديره وبالايام لتقدم الباء في بك ولا يجوز عطفه على الكاف لانه ليس
من مذهبه العطف على ضمير المجرور دون اعادة الجار فالتقدير في هذه الاية وفي اختلاف ايات فايات
على ما تقدم من وجهين في ايات قبلها العطف او التاكيد قالوا ويدل على ذلك قراءة عبد الله وفي اختلاف
تصريحا بفي فهذان وجهان الثالث ان يعطف اختلاف على المجرور بفي وايات على المنصوب بان وهذا هو
العطف على عاملين وذلك انك عطفت اختلاف على خلق وهو مجرور بفي وهو معمول عامل وعطفت ايات
على اسم ان وهو معمول عامل اخر فقد عطفت بحرف واحد وهو الواو معمولين وهما اختلاف وايات على معمولين
قبلهما وهما خلق وايات وبظاهرها استدل من جوز ذلك كالاخفش وفي المسالة اربعة مذاهب المنع
مطلقا وهو مذهب سيبويه وجمهور البصريين قالوا لانه يودي الى اقامة حرف العطف مقام
عاملين وهو لا يجوز لانه لو جاز في عاملين لجاز في ثلاثة ولا قائل به ولان حرف العطف ضعيف فلا يقوى
ان ينوب عن عاملين ولان القائل بجواز ذلك يستضعفه والاحسن عنده ان لا يجوز فلا ينبغي ان يحمل
عليه كتاب الله ولانه بمنزلة التعدي بمتعد واحد وهو غير جائز قال ابن السراج العطف على عاملين
خطأ في القياس غير مسموع من العرب ثم حمل ما في هذه الاية من التكرار للتاكيد قال الرماني هو كقولك
ان في الدار زيدا والبيت زيدا فهذا جائز باجماع وهذا الوجه الذي ذكره ابن السراج حسن جدا لا يجوز
ان يحمل كتاب الله الا عليه وقد ثبت القراءة بالكسر ولا عيب فيها في القران على وجه والعطف على عاملين
عيب عند من اجازه ومن لم يجزه فقد تناهى في العيب فلا يجوز حمل هذه الاية الا على ما ذكره ابن السراج
دون ما ذهب اليه غيره قال شهاب الدين وهذا الحصر منه غير مسلم فان في الاية تخريجات اخر غير ما ذكره
ابن السراج يجوز الحمل عليها وقال الزجاج ومثله في الشعر اكل امرء تحسبين امرا ونار توقد بالليل
نارا وانشد الفارسي للفرزدق وباشر راعيها الصلا بلبانه وجبينه حر النار ما يتحرق وقول
الاخر اوصيت من بره قلبا حرا بالكلب خيرا والحماة شرا فاما البيت الاول فظاهره انه عطف
ونار على امرء المخفوض بكل ونارا الثانية على امرا الثاني التقدير وتحسبين كل نار نارا فقد عطف
على معمولي عاملين والبيت الثاني عطف جبينه بكنايه وعطف حر النار على الصلا والتقدير وباشر
بجبينه حر النار والبيت الثالث عطف فيه الحماة على الكلب وشرا على خيرا والتقدير واوصيت بالحماة
شرا وسيبويه في جميع ذلك يرى الجر بخافض مقدر لكنه عورض بان اعمال حرف الجر مضمرا ضعيف
جدا الا ترى انه لا يجوز مررت زيد بخفض زيد الا في ضرورة كقوله اذا قيل اي الناس شر قبيلة اشارت

كليب بالاكف والاصابع يريد الى كليب وقول الاخر حتى تبدح فارتق الاعلام اى الى الاعلام فقد
فر من شئ فوقع فى اضعف منه واجيب عن ذلك بانه لما تقدم ذكر الحروف فى اللفظ قويت الدلالة عليه
فكانه ملفوظ به بخلاف ما اورد نحوه فى المثال والشعر والمذهب الثانى التفصيل وهو مذهب
الاخفش وذلك انه يجوز بشرطين احدهما ان يكون احد العاملين جارا والثانى ان يتصل المعطوف
بالعاطف او يفصل بلا مثال الاول الاية الكريمة والابيات المتقدمة ولذلك استصوب المبرد
استشهاده بالاية ومثال الفصل بلا قولك ما فى الدار زيد ولا الحجرة عمرو فلو فقد الشرطان نحو ان
زيدا يتيم بشرا والله خالدا هندا ونفقد احدهما نحو ان زيدا ضرب بكرا وخالدا بشرا فقد نقل مالك
الامتناع عند الاجماع وفيه نظر لما سياتى من الخلاف الثالث انه يجوز بشرط ان يكون احد العاملين
جارا وان يكون متقدما نحو الاية الكريمة فلو لم يتقدم نحو ان زيدا فى الدار وعمرا السوق لم يجز و
كذا لو لم يكن حرف جر كما تقدم تمثيله الرابع الجواز مطلقا ويعزى للفراء الوجه الرابع من اوجه تخريج
القراءة المذكورة ان تنتصب ايات على الاختصاص قاله الزمخشرى كما سياتى واما قراءة الرفع ففيها اوجه
احدها ان يكون الاول والثانى ما تقدم فى ايات لقوم يوقنون الثالث ان يكون تاكيدا لايات التى
قبلها كما كانت كذلك فى قراءة النصب الرابع ان يكون المسالة من باب العطف على عاملين وذلك ان اختلاف عطف
على خلقكم وهو معمول لفى وايات معطوفة على ايات قبلها وهى معمولة للابتداء فقد عطف على معمولى عاملين فى هذه
القراءة ايضا قال الزمخشرى قرئ ايات لقوم يوقنون بالرفع والنصب على قولك ان زيدا فى الدار وعمرو
فى السوق قال واما قوله ايات لقوم يعقلون فمن العطف على عاملين سواء نصبت ام رفعت فالعاملان فى النصب
ان وفى اقيمت الواو مقامهما فعملت الجر فى اختلاف الليل والنهار والنصب فى ايات واذا رفعت فالعاملان
الابتداء وفى عملت الرفع فى ايات والجر فى اختلاف ثم قال فى توجيه النصب والثانى ان ينتصب على الاختصاص
بعد انقضاء المجرور الوجه الخامس ان يرتفع ايات على ابتداء خبر مضمر اى هى ايات وناقشه ابو حيان
فقال ونسبة الجر والرفع والجر والنصب للواو ليس بصحيح لان الصحيح من المذاهب ان حرف العطف لا يعمل و
ايضا فناقشه ابو شامة فقال ومنهم من يقول هو على هذه القراءة ايضا يعنى قراءة الرفع عطف على عاملين وهما
عطف حرف فى والابتداء المقتضى للرفع ومنهم من لا يطلق على هذه العبارة هذه القراءة لان الابتداء ليس بعامل
لفظى وقرئ واختلاف بالرفع اية بالرفع والتوحيد على الابتداء والخبر وكذلك قرئ وما يبث من دابة اية بالتوحيد
وقرأ زيد بن على وطلحة وعيسى وتصريف الريح كذا قال ابو حيان قال شهاب الدين وقد قرأ بعض القراء
حمزة والكسائى ايضا وقد قرأ بهذه لتقدم ذلك فى سورة البقرة قوله اختلاف الليل والنهار فيه وجوه
الاول تبديل النهار بالليل وبالعكس الثانى زيادة طول النهار على طول الليل وبالعكس الثالث اختلاف
مطالع الشمس فى ايام السنة قوله وما انزل الله من السماء من رزق يعنى الغيث الذى هو سبب ارزاق العباد
فاحيى به الارض بعد موتها وهذا يدل على وجوب القول بوجود الفاعل المختار من وجوه احدها
انشاء السحاب وانزال المطر منه وثانيها تولد النبات من تلك الحبة الواقعة فى الارض وثالثها تولد
الانواع المختلفة وهى ساق الشجرة واغصانها واوراقها وثمارها ثم تلك الثمرة منها ما يكون القشر
محيطا باللب كالجوز واللوز ومنها ما يكون اللب محيطا بالقشر كالمشمش والخوخ ومنها ما يكون خاليا عن
القشر كالتين فتولد اقسام النبات على كثرة اقسامه وتباينها يدل على وجوب القول بوجود الفاعل
المختار الحكيم الرحيم قوله وتصريف الرياح وهى اقسام كثيرة منها الشرقية والغربية والشمالية والجنوبية
ومنها الحارة والباردة ايات لقوم يعقلون واعلم انه تعالى جمع هذه الدلايل فى سورة البقرة فقال ان
فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر الى قوله لايات لقوم يعقلون
فذكر الله تعالى هذه الاقسام الثمانية من الدلايل والتفاوت بين الموضعين من وجوه الاول انه تعالى
قال فى سورة البقرة ان فى خلق السموات والارض وقال هاهنا ان فى السموات والصحيح عند اهل السنة

ان الخلق غير المخلوق فذكر لفظ الخلق فى سورة البقرة ولم يذكره هاهنا تنبيها على انه لا تفاوت بين ان يقال
السموات او خلق السموات فيكون هذا دليلا على ان الخلق غير المخلوق الثانى انه ذكر هناك ثمانية انواع من الدلايل
وذكر هنا سبعة انواع من الدلايل واهمل منها الفلك والسحاب والسبب فيه ان مدار حركة الفلك والسحاب
على الرياح المختلفة فذكر الرياح التى هى كالسبب تغنى عن ذكرهما الثالث لانه جمع الكل وذكرها مقطعا واحدا
وهاهنا رتبها على ثلاثة انواع والغرض منه التنبيه على انه لا بد من افراد كل واحد منها بنظر تام سابق الرابع
انه تعالى ذكر فى هذه المواضع ثلاثة مقاطع احدها للمؤمنين وثانيها يوقنون وثالثها يعقلون قال ابن
الخطيب واظن ان سبب هذا الترتيب ان قوله ان كنتم من المؤمنين فافهموا هذه الدلايل وان كنتم لستم
من المؤمنين ولا من الموقنين فلا اقل ان تكونوا من زمرة العقلاء فاجتهدوا فى معرفة هذه الدلايل قوله
تلك ايات الله نتلوها يجوز ان يكون نتلوها خبر التلك وايات الله بدلا او عطف بيان ويجوز ان يكون تلك
ايات مبتدا وخبرا ونتلوها حالا قال الزمخشرى والعامل ما دل عليه تلك من معنى الاشارة ونحوه وهذا
بعلى شيخا قال ابو حيان وليس نحوه لان فى وهذا بعلى حرف التنبيه فقيل العامل فى الحال ما دل عليه حرف
التنبيه اى تنبه واما تلك فليس فيها حرف تنبيه فاذا كان حرف التنبيه عاملا بما فيه من معنى التنبيه
لان الحرف قد يعمل فى الحال فالمعنى تنبه لزيد فى حال شيخه او فى حال قيامه وقيل العامل فى مثل هذا التركيب
فعل محذوف يدل عليه المعنى اى انظر اليه فى حال شيخه فلا يكون اسم الاشارة ولا حرف التنبيه اذا كان
هناك قال شهاب الدين بل الاية نحو هذا بعلى شيخا من حيث نسبة العمل لاسم الاشارة غاية ما ثم
ان فى الاية الاخرى ما يصلح ان يكون عاملا ولا يقدح فى التنظير اذا قصدت جهة مشتركة واما اضمار الفعل
فهو مشترك فى الموضعين عند من يرى ذلك قال ابن عطية وفى نتلوها حذف مضاف اى نتلو شانها وشرح
العبرة فيها ويحتمل ان يريد بايات الله القرآن المنزل فى هذا المعنى فلا يكون فيها حذف مضاف وقرأ بعضهم يتلوها
بياء الغيبة عائدا على البارى تعالى قوله بالحق حال من الفاعل اى ملتبسين بالحق او من المفعول اى ملتبسة
بالحق ويجوز ان تكون للسببية فتتعلق بنفس نتلوها قوله فباى حديث بعد الله واياته قال الزمخشرى اى بعد
ايات الله فهو كقولك اعجبنى زيد وكرمه يريد كرم زيد ورد عليه ابو حيان بانه ليس مرادا بل المراد اعجابان
وبان فيه اقحام الاسماء من غير ضرورة قال وهذا قلب لحقائق النحو وقرأ الحرميان وابو عمرو وعاصم فى رواية
يؤمنون بياء الغيبة والباقون بتاء الخطاب فباى متعلق به قدم لان له صدر الكلام واختار ابو عبيد
الياء لان قبله غيبة وهو قوله لقوم يوقنون ولقوم يعقلون فان قيل فى اول الكلام خطاب وهو قوله وفى خلقكم
قلنا الغيبة اقرب الى الحرف المختلف فيه فكان اولى فصل ومعنى الاية ان من لم ينتفع بهذه الايات فلا
شئ بعده يجوز ان ينتفع به وهذه الاية تبطل القول بالتقليد ويجب على المكلف التامل فى دلايل دين الله قوله
تعالى ويل لكل افاك اثيم الاية لما بين الايات للكفار وبين انهم اذ لم يؤمنوا بها مع ظهورها فباى حديث بعدها
يؤمنون اتبعها بوعيد عظيم لهم فقال ويل لكل افاك اثيم والافاك الكذاب والاثيم المبالغ فى اقتراف الاثم
وهو ان يبقى مصرا على الانكار والاستكبار قال المفسرون يعنى النضر بن الحارث والاية عامة فى من كان موصوفا بهذه
الصفة قوله يسمع يجوز ان يكون مستانفا اى هو يسمع او دون اضمار هو وان يكون حالا من الضمير فى اثيم وان
يكون صفة قوله تتلى عليه حال من ايات الله ولا يجئ فيه الخلاف وهو انه يجوز ان يكون فى محل نصب مفعولا ثانيا
لان شرط ذلك ان يقع بعدها ما لا يسمع نحو سمعت زيدا يقرأ اما اذا وقع بعدها ما يسمع نحو سمعت قراءة زيد يترنم بها
فهى متعدية لواحد فقط والايات مما تسمع قوله ثم يصر قال الزمخشرى فان قلت ما معنى ثم فى قوله ثم يصر مستكبرا
قلت كمعناه فى قول القائل يرى غمرات الموت ثم يزورها وذلك ان غمرات الموت حقيقة بان ينجو رائيها بنفسه
ويطلب الفرار منها واما زورانها والاقدام على مزاولتها فامر مستبعد فمعنى ثم الايذان بان فعل المقدم عليها
بعد ما راها وعاينها شئ يستبعد فى العادات والطباع وكذلك ايات الله الواضحة الناطقة بالحق
من تليت عليه وسمعها كان مستبعدا فى العقول اصراره على الضلالة عندها واستكباره عن الايمان بها قوله كان لم يسمعها

هذه الجملة يجوز ان تكون مستأنفة وان تكون حالا والاصل كانه لم يسمعها والضمير ضمير الشان ومحل الجملة النصب على الحال اى يصير مثل غير السامع فبشره بعذاب اليم قوله واذا علم من اياتنا شيئا العامة على فتح العين وكسر اللام خفيفة مبنيا للفاعل وقتادة ومطر الوراق علم مبنيا للمفعول مشددا قوله اتخذها هزوا الضمير المؤنث فيه وجهان اظهرهما انه عايد على اياتنا يعنى القرآن والثانى انه يعود على شئ وان كان مذكرا لانه بمعنى الاية كقول ابى العتاهية نفسى بشئ من الدنيا معلقة الله والقائم المهدى يكفيها لانه اراد بشئ جارية يقال لها عتبة فصل المعنى اتخذ ذلك الشئ هزوا الا انه تعالى قال اتخذها للاشعار بان هذا الرجل اذا احس بشئ من الكلام انه من جملة الايات المنزلة على محمد صلى الله عليه وسلم خاض فى الاستهزاء بجميع الايات ولم يقتصر على الاستهزاء بذلك الواحد قوله اولئك اشارة الى معنى كل افاك اثيم ليدخل فيه جميع الافاكين حمل اولا على لفظها فافرد ثم على معناها فجمع كقوله كل حزب بما لديهم فرحون قوله من ورائهم جهنم لما قال اولئك لهم عذاب مهين وصف كيفية ذلك العذاب فقال من ورائهم جهنم اى امامهم جهنم لانهم فى الدنيا قال الزمخشرى هى اسم للجهة التى يواجه بها الشخص من خلفه او من امامه ثم بين ان ما ملكوه فى الدنيا لا ينفعهم فقال ولا يغنى عنهم ما كسبوا شيئا اى من الاموال قوله ولا ما اتخذوا عطفا على ما كسبوا وما فيهما اما مصدرية او بمعنى الذى اى لا يغنى كسبهم ولا اتخاذهم او الذى كسبوه ولا الذى اتخذوه فان قيل انه قال قبل هذه الاية ولهم عذاب مهين ثم قال هاهنا ولهم عذاب عظيم فما الفرق بينهما فالجواب كون العذاب مهينا يدل على حصول الاهانة مع العذاب وكونه عظيما يدل على كونه بالغا الى اقصى الغايات فى الضرر قوله هذا هدى يعنى هذا القرآن هدى اى كامل فى كونه هدى بيانا من الضلالة والذين كفروا بايات ربهم لهم عذاب من رجز اليم وقد تقدم الكلام على الرجز الاليم فى سبأ والرجز اشد العذاب لقوله تعالى رجزا من السماء وقوله لئن كشفت عنا وقرئ اليم بالجر والرفع اما الرفع فتقديره لهم عذاب ويكون من الرجز الرجس الذى هو النجاسة ومعنى فيه قوله ويسقى من ماء صديد وكان المعنى لهم عذاب من تجرع رجس او شرب رجس فيكون تبيينا للعذاب واما الجر فتقديره لهم عذاب من عذاب اليم واذا كان عذابهم من عذاب اليم كان عذابهم اليما قوله تعالى الله الذى سخر البحر لتجرى الفلك فيه بامره الاية لما ذكر تعالى الاستدلال بكيفية جريان الفلك على وجه البحر وذلك لا يحصل الا بتسخير ثلاثة اشياء احدها الرياح التى توافق المراد وثانيها خلق وجه الماء على الملاسة التى تجرى عليها الفلك وثالثها خلق الخشبة على وجه تبقى طافية على وجه الماء ولا تغرق وهذه الاحوال لا يقدر عليها احد من البشر فلا بد من موجود قادر عليها وهو الله سبحانه وتعالى وقوله ولتبتغوا من فضله اما بالتجارة او بالغوص على اللؤلؤ والمرجان او لاستخراج اللحم الطرى قوله وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض اى خلقها مسخرة لنا اى لنفعنا قوله جميعا منه جميعا حال من ما فى السموات وما فى الارض وتوكيد وقد عدها ابن مالك فى الفاظه ويجوز ان يتعلق بمحذوف صفة لجميعا وان يتعلق بسخر اى هو صادر من جهته ومن عنده وجوز الزمخشرى فى منه ان يكون خبر مبتدا مضمر اى هى جميعا منه وان يكون وما فى الارض مبتدا ومنه خبره قال ابو حيان وهذا لا يجوز الا على راى الاخفش من حيث ان الحال تقدمت يعنى جميعا فتقدمت على عاملها المعنوى يعنى الجار فهى نظير زيد قائما فى الدار والعامة على منه جارا ومجرورا وابن عباس بكسر الميم وتشديد النون ونصب التاء جعله مصدرا من من يمن فانتصابه منه على المصدر المؤكد اما بعامل مضمر واما بسخر لانه بمعناه قال ابو حاتم سند هذه القراءة الى ابن عباس مظلم قال شهاب الدين قد رويت ايضا عن جماعة جلة غير ابن عباس نقلها ابو خالويه عنه وعن عبيد بن عمير ونقلها صاحب اللوامح وابن جنى عن ابن عباس وعبد الله بن عمر والجحدرى وعبد الله بن عبيد بن عمير وقرأ مسلمة بن محارب كذلك الا انه رفع التاء جعلها خبر مبتدأ مضمر اى هى منة وقرأ ايضا فى رواية اخرى بفتح الميم وتشديد النون وهاء الكناية مضمومة جعله مصدرا مضافا لضمير الله تعالى ورفعه من وجهين احدهما بالفاعلية لسخر اى سخر لكم هذه الاشياء

منه عليكم ان فى ذلك لايات لقوم يتفكرون قوله قل للذين آمنوا تقدم نظيره فى سورة ابراهيم قال ابن عباس المراد بالذين امنوا هنا عمر بن الخطاب يغفروا للذين لا يرجون ايام الله يعنى عبد الله بن ابى وذلك انهم لما نزلوا فى غزاة بنى المصطلق على بئر يقال له المريسيع فارسل عبد الله غلامه ليستقى الماء فابطا عليه فلما اتاه قال له ما حبسك قال غلام عمر قعد على طرف البئر فما ترك احدا يستقى حتى ملأ قرب النبى صلى الله عليه وسلم وقرب ابى بكر فقال عبد الله بن ابى ما مثلنا ومثل هؤلاء الا كما قيل سمن كلبك يأكلك فبلغ ذلك عمر فاشتمل سيفه يريد التوجه له فانزل الله تعالى هذه الاية وقال مقاتل ان رجلا من غفار شتم عمر بن الخطاب بمكة فهم عمر ان يبطش به فانزل الله تعالى هذه الاية وامره بالعفو والتجاوز وروى ميمون ابن مهران ان فنحاص اليهودى قال لما نزل قوله تعالى من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا قال احتاج رب محمد فسمع ذلك عمر فاشتمل على سيفه وخرج فى طلبه فبعث النبى صلى الله عليه وسلم فرده قال القرطبى والسدى نزلت فى ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل مكة كانوا فى اذى كثير من المشركين قبل ان يؤمروا بالقتال فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية ثم نسختها اية القتال قال ابن الخطيب وانما قالوا بالنسخ لانه يدخل تحت الغفران ان لا يقتلوا ولا يقاتلوا فلما امر الله بالمقاتلة كان نسخا والاقرب ان يقال انه محمول على ترك المنازعة وعلى التجاوز عما يصدر عنهم من الكلمات المؤذية و قوله لا يرجون ايام الله قال ابن عباس لا يرجون ثواب الله ولا يخافون عقابه ولا يخشون مثل عذاب الامم الخالية وتقدم تفسير ايام الله عند قوله وذكرهم بايام الله قوله ليجزى قوما قرأ ابن عامر والاخوان لنجزى بنون العظمة اى لنجزى نحن وباقى السبعة ليجزى بالياء من تحت مبنيا للفاعل اى ليجزى الله وابو جعفر بخلاف عنه وشيبة وعاصم فى رواية كذلك الا انه مبنيا للمفعول هذا مع نصب قوما وفى القائم مقام الفاعل ثلاثة اوجه احدها ضمير المفعول الثانى عاد الضمير عليه لدلالة السياق تقديره ليجزى هو اى الخير قوما والمفعول الثانى من باب اعطى يقوم مقام الفاعل بلا خلاف ونظيره الدرهم اعطى زيدا الثانى ان القائم مقامه ضمير المصدر المدلول عليه بالفعل اى ليجزى الجزاء وفيه نظر لانه لا يترك المفعول به ويقام المصدر لا سيما مع عدم التصريح به الثالث ان القائم مقامه الجار والمجرور وفيه حجة للاخفش والكوفيين حيث يجيزون نيابة غير المفعول به مع وجوده وانشدوا لسب بذلك الجرو الكلابا لم يعن بالعلياء الا سيدا والبصريون لا يجيزونه فصل المعنى لكى يجازى بالمغفرة قوما يعملون الخير فان قيل ما الفائدة فى تنكير قوما مع ان المراد بهم المؤمنون المذكورون فى قوله قل للذين امنوا فالجواب ان التنكير يدل على تعظيم شانهم كانه قيل ليجزى قوما واى قوم قوما من شانهم الصفح عن السيئات والتجاوز عن المؤذيات وتجرع المكروه كانه قيل لا تكافؤهم انتم حتى نكافؤهم نحن ثم ذكر الحكم العام فقال من عمل صالحا فلنفسه وهو مثل ضربه الله للذين يغفرون ومن اساء فعليها مثل ضربه الله للكفار الذين كانوا يؤذون الرسول والمؤمنين ثم الى ربكم ترجعون قوله تعالى ولقد اتينا بنى اسرائيل الكتاب يعنى التورية والحكم والنبوة والمراد بهذه الاية انه تعالى بين انه انعم نعما كثيرة على بنى اسرائيل مع انه حصل بينهم الاختلاف على سبيل البغى والحسد والمقصود منه انه بين ان طريقتهم قومه كطريقة من تقدم واعلم ان المراد بالكتاب التوراة واما الحكم فقيل المراد العلم والحكم وقيل المراد العلم بفصل الحكومات وقيل معرفة احكام الله وهو علم الفقه واما النبوة فمعلومة ورزقناهم من الطيبات الحلالات يعنى المن والسلوى وفضلناهم على العالمين قال المفسرون على عالمى زمانهم قال ابن عباس لم يكن احد من العالمين اكرم على الله ولا احب اليه منهم ثم قال واتيناهم بينات من الامر قال ابن عباس يعنى العلم بمبعث النبى محمد صلى الله عليه وسلم وما بين لهم من امره وانه يهاجر من تهامة الى يثرب ويكون من انصاره اهل يثرب و قيل المراد بالبينات المعجزات القاهرة على صحة نبوتهم والمراد معجزات موسى عليه السلام ثم قال تعالى فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم وتقدم تفسير هذا فى سورة حم عسق والمراد من ذكر هذا الكلام التعجب من هذه الحالة لان حصول العلم يوجب ارتفاع الخلاف وهاهنا صار مجئ العلم سببا لحصول الاختلاف

وذلك لانهم لم يكن مقصودهم من العلم نفس العلم وانما مقصودهم طلب الرياسة والتقدم فيجوز انهم
علموا ثم عاندوا ويجوز ان يريد بالعلم الادلة التي توصل الى العلم والمعنى انه تعالى وضع الدلايل والبينات التي
لو تاملوا فيها لعرفوا الحق لكنهم اختلفوا واظهروا النزاع على وجه الحسد ثم قال ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة
فيما كانوا فيه يختلفون والمعنى انه لا ينبغي للمبطل بنعم الدنيا فانها وان ساوت نعم المحق او زادت عليها فانه سيرى
في الاخرة ما يسوده وذلك كالزجر لهم ولما بين تعالى انهم اعرضوا عن الحق بغيا وحسدا امر رسوله بان يعدل عن
تلك الطريقة وان يتمسك بالحق وان لا يكون له غرض سوى اظهار الحق فقال ثم جعلناك على شريعة من الامر
اي ثم جعلناك يا محمد على سنة وطريقة بعد موسى من الامر من الدين فاتبعها ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون
يعني مراد الكافرين واديانهم الخبيثة قال الكلبي ان رؤساء قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم وهو بمكة
ارجع الى دين ابائك فهم كانوا افضل منك واسن فانزل الله تعالى هذه الاية قوله على شريعة هو المفعول
الثاني لجعلناك والشريعة في الاصل ما يرده الناس من المياه من الانهار فيقال لذلك الموضع شريعة
والجمع شرايع قال وفي الشرايع من جيلان مقتنص رث الثياب خفي الشخص منسرب فاستعير ذلك للدين لان
العباد يردون ما يحيي به نفوسهم قوله انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا اي ان اتبعت اهواءهم وان الظالمين بعضهم
اولياء بعض والمعنى انك لو ملت الى اديانهم الباطلة لصرت مستحقا العذاب وهم لا يقدرون على دفع ذلك عنك
وان الظالمين ليتولى بعضهم بعضا في الدنيا واما في الاخرة فلا ولي لهم ينفعهم في ايصال الثواب وازالة العقاب
واما المتقون المهتدون فالله وليهم وناصرهم قوله هذا بصائر اي هذا القرآن جمع خبره باعتبار ما فيه وقرئ
هذه رجوعا الى الايات ولان القرآن بمعناها كقوله سائل بني اسد ما هذه الصوت لانه بمعنى الصيحة
والمعنى بصائر في الحدود والاحكام يبصرون بها وتقدم تفسيره في سورة الاعراف وهدى ورحمة
لقوم يوقنون هدى من الضلالة ورحمة من العذاب لمن امن قوله ام حسب ام منقطعة فتقدر
ببل والهمزة او ببل وحده او بالهمزة وحدها وتقدم تحقيق هذا قوله كالذين امنوا هو المفعول الثاني لنجعل
اي نجعلهم كائنين كالذين امنوا اي لا يجعلون ذلك وقد تقدم في سورة الحج ان الاخوين وحفصا قرؤا هنا
سواء بالنصب والباقون بالرفع وتقدم الوعد عليه بالكلام هنا فنقول اما قراءة النصب ففيها ثلاثة اوجه
احدها ان ينتصب على الحال من الضمير المستتر في الجار والمجرور وهما كالذين امنوا ويكون المفعول الثاني لنجعل
وكالذين في محل نصب على الحال اي ان نجعلهم حال كونهم مستوين سواء وليس معناه بذاك الثالث ان يكون سواء
مفعولا ثانيا لحسب وهذا الوجه نحا اليه ابو البقاء قال شهاب الدين واظنه غلطا لما سيظهر لك فانه قال
ويقرأ بالنصب وفيه وجهان احدهما هو حال من الضمير في الكاف ان نجعلهم مثل الذين امنوا في هذه الحال الثاني
ان يكون مفعولا ثانيا لحسب والكاف حال وقد دخل استواء محياهم ومماتهم في الحسنات وعلى هذا الوجه
محياهم ومماتهم مرفوعان بسواء لانه قد قوي باعتماده انتهى فقد صرح بانه مفعول ثان للحسبان وهذا لا يصح
البتة لان حسب واخواتها اذا وقع بعدها ان المشددة او ان المخففة او الناصبة سدت مسد المفعولين وهنا
قد وقع بعد الحسبان ان الناصبة فهي سادة مسد المفعولين فمن اين يكون سواء مفعولا ثانيا لحسب فان قلت هذا الذي
قلته راي الجمهور وسيبويه واما غيرهم كالاخفش فيدعي انها تسد مسد واحد اذا تقرر هذا فقد يجوز ان
ابى البقاء ذهب هذا المذهب فاعرب ان نجعلهم مفعولا اولا وسواء مفعولا ثانيا فالجواب ان الاخفش صرح بان
المفعول الثاني حينئذ يكون محذوفا ولئن سلمنا انه لا يحذف امتنع من جهة اخرى وهو انه قد رفع به محياهم ومماتهم
لانه بمعنى مستو كما تقدم ولا ضمير يرجع من مرفوعه الى المفعول الاول بل وقع اجنبيا من المفعول الاول وهو نظير
حسبت قيامك مستويا ذهابك وعدمه ومن قرأ بالرفع ففي قراءته وجهان احدهما ان يكون سواء خبرا مقدما ومحياهم
مبتدا مؤخرا او يكون سواء مبتدا ومحياهم خبره كذا اعربوه وفيه نظر تقدم في سورة الحج وهو انه نكرة لا مسوغ
فيها وانه متى اجتمع معرفة ونكرة جعلت النكرة خبرا لا مبتدا ثم في هذه الجملة ثلاثة اوجه احدها انها استينافية
والثاني انها بدل من الكاف الواقعة مفعولا ثانيا قال الزمخشري لان الجملة تقع مفعولا ثانيا فكانت في حكم المفرد

الاترك

الاترك لو قلت ان نجعلهم سواء محياهم ومماتهم كان سديدا كما تقول ظننت زيدا ابوه منطلق قال
ابو حيان وهذا اعني ابدال الجملة من المفرد اجازه ابن جني وابن مالك ومنعه ابن العلج ثم ذكر عنه كلاما
كثيرا في تقرير ذلك ثم قال والذي يظهر انه لا يجوز يعني ما جوزه الزمخشري قال لانها بمعنى التصيير
ولا يجوز صيرت زيدا ابوه قائم لان التصيير انتقال من ذات او من وصف في الذات الى وصف فيها وتلك
الجملة الواقعة بعد مفعول صيرت المقدر مفعولا ثانيا ليس فيها انتقال مما ذكرنا فلا يجوز قال شهاب الدين
ولقائل ان يقول بل فيها انتقال من وصف في الذات الى وصف فيها لان النحاة نصوا على جواز وقوع الجملة
صفة وحالا نحو مررت برجل ابوه قائم وجاء زيد ابوه قائم فالذين حكموا عليه بالوصفية والحالية يجوز
ان يقع في حيز التصيير اذ لا فرق بين صفة وصفة من هذه الحيثية الثالث ان تكون الجملة حالا والتقدير
ام حسب الكفار ان نصيرهم مثل المومنين في حال استواء محياهم ومماتهم وليسوا كذلك بل هم مفترقون
وهذا هو الظاهر عند ابي حيان وعلى الوجهين الاخيرين تكون الجملة داخلة في حيز الحسبان والى ذلك
نحا ابن عطية فانه قال مقتضى هذا الكلام ان لفظ الاية خبر ويظهر ان قوله سواء محياهم و
مماتهم داخل في المحسبة المنكرة السيئة وهذا احتمال حسن والاول جيد انتهى ولم يبين كيفية دخوله
في الحسبان وكيفية الوجهين الاخيرين اما البدل او الحالية كما عرفته وقرأ الاعمش سواء نصبا محياهم
ومماتهم بالنصب ايضا فاما سواء فمفعول ثان او حال كما تقدم واما نصب محياهم ومماتهم ففيه
وجهان احدهما ان يكونا ظرفي وانتصبا على البدل من مفعول نجعلهم بدل اشتمال ويكون سواء على هذا
هو المفعول الثاني والتقدير ان نجعل محياهم ومماتهم سواء والثاني ان ينتصبا على ظرف الزمان والعامل
اما نجعل او سواء والتقدير ان نجعلهم في هذين الوقتين سواء او نجعلهم مستوين في هذين الوقتين
قال الزمخشري مقررا لهذا الوجه ومن قرأ بالنصب جعل محياهم ومماتهم ظرفين كمقدم الحاج و
خفوق النجم قال ابو حيان وتمثيله بخفوق النجم ليس بجيد لان خفوق مصدر ليس على مفعل بل هو في الحقيقة
على حذف مضاف اي وقت خفوق خلاف محيى ومماة ومقدم فانها موضوعة على الاشتراك بين ثلاثة
معان المصدرية والزمانية والمكانية واذا استعملت مصدرا كان ذلك بطريق الوضع لا على حذف
مضاف كخفوق فانه لا بد من حذف مضاف لكونه موضوعا للمصدرية وهذا امر قريب لانه انما اراد انه
وقع هذا اللفظ مرادا به الزمان اما كونه بطريق الاصالة او الفرعية فلا يضر ذلك والضمير في محياهم و
مماتهم سواء في الاهانة عنده تلف الكلام اتكالا على ذهن السامع وفهمه ويجوز ان يعود على المجترحين
فقط اخبر ان حالهم في الزمانين سواء وقال ابو البقاء ويقرأ مماتهم بالنصب والعامل نجعل
او سواء وقيل هو ظرف قال شهاب الدين هو القول الاول بعينه فصل لما بين الله تعالى الفرق بين
الظالمين وبين المتقين من الوجه المتقدم بين الفرق بينهما من وجه اخر فقال ام حسب الذين اجترحوا
السيئات ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات ام كلمة وضعت للاستفهام عن شيء حال كونه
معطوفا على شيء اخر كان ذلك المعطوف مذكورا او مضمرا والتقدير هنا افيعلم المشركون هذا ام يحسبون
انا نتولاهم كما نتولى المتقين والاجتراح الاكتساب اي اكتسبوا المعاصي والكفر ومنه الجوارح وفلان جارحة
اهله اي كاسبهم قال تعالى ويعلم ما جرحتم بالنهار قال الكلبي نزلت هذه الاية في علي وحمزة
وابي عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم وفي ثلاثة نفر من المشركين عتبة وشيبة والوليد بن عتبة قالوا
للمؤمنين والله ما انتم على شيء ولو كان ما تقولونه حقا لكان حالنا افضل من حالكم في الاخرة كما كنا افضل
حالا منكم في الدنيا فانكر الله عليهم هذا الكلام وبين انه لا يمكن ان يكون حال المومن المطيع مساويا لحال
الكافر العاصي في درجات الثواب ومنازل السعادة ثم قال سواء محياهم ومماتهم قال مجاهد
عن ابن عباس معناه احسبوا ان حياتهم ومماتهم كحيوة المومنين كلا فانهم يعيشون كافرين ويموتون
كافرين والمومنون يعيشون مومنين ويموتون مومنين فالمومن ما دام حيا في الدنيا فان وليه هو الله

وانصاره المؤمن وحجة الله معه والكافر بالضد كما ذكره الله تعالى في قوله وان الظالمين بعضهم اولياء
بعض والله ولي المتقين والمؤمنون تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون
واما الكفار فتتوفاهم الملائكة ظالمي انفسهم واما في القيمة فقال تعالى وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة
مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة اولئك هم الكفرة الفجرة وقيل معنى الاية انهم لا يستوون
في الممات كما استووا في الحيوة لان المؤمن والكافر قد يستوون في الحيوة في الصحة والرزق والكفاية بل قد يكون
الكافر ارجح حالا من المؤمن وانما يظهر الفرق بينهما في الممات وقيل ان قوله سواء محياهم ومماتهم مستأنف
والمعنى ان محيا المؤمنين ومماتهم سواء وكذلك محيى الكفار ومماتهم سواء اي كل يموت على حسب ما عاش
عليه ثم انه تعالى صرح بانكار التسوية فقال الا ساء ما يحكمون اي بئس ما يقضون قال مسروق قال لي
رجل من اهل مكة هذا مقام اخيك تميم الداري لقد رايته ذات ليلة حتى اصبح او قرب ان يصبح يقرأ
اية من كتاب الله يركع بها ويسجد ام حسب الذين اجترحوا السيئات الاية قوله تعالى وخلق الله
السموات والارض بالحق لما بين ان المؤمن لا يساوي الكافر في درجات السعادة اتبعه بالدلائل
الظاهرة على صحة هذه الفتوى فقال وخلق الله السموات والارض بالحق اي لو لم يوجد البعث لما كان
ذلك بالحق بل كان بالباطل لانه تعالى لما خلق الظالم وسلطه على المظلوم الضعيف ولا ينتقم للمظلوم من
الظالم كان ظالما ولو كان ظالما لبطل انه ما خلق السموات والارض الا بالحق وتقدم تقريره في سورة يونس
قوله بالحق فيه ثلاثة اوجه اما حال من الفاعل او من المفعول او الباء للسببية قوله ولتجزى فيه ثلاثة اوجه
احدها ان تكون عطفا على الحق في المعنى لان كلا منهما سبب فيعطف العلة على مثلها الثاني انها معطوفة على
معلل محذوف والتقدير خلق الله السموات والارض ليدل بهما على قدرته ولتجزى كل نفس والمعنى ان
المقصود من خلق هذا العالم اظهار الحق والعدل والرحمة وذلك لا يتم الا اذا حصل البعث والقيمة وحصل
التفاوت بين الدركات والدرجات بين المحقين والمبطلين الثالث ان تكون لام الصيرورة اي وصار
الامر فيها من حيث اهتدى بها قوم وضل عنها اخرون قوله افرايت بمعنى اخبرني وتقدم حكمها مشروحا
والمفعول الاول اتخذ والثاني محذوف تقديره بعد غشاوة ايهتدي ودل عليه قوله فمن يهديه وانما قدرت
بعد غشاوة لاجل صلات الموصول واعلم انه تعالى عاد الى شرح احوال الكفار وقبائح طرايقهم فقال افرايت
من اتخذ الهه هواه قال ابن عباس والحسن وقتادة وذلك الكافر اتخذ دينه ما يهواه فلا يهوى شيئا الا و
ركبه لانه لا يؤمن بالله ولا يخافه وقرئ الهة بهواه لانه كلما مال طبعه الى شئ اتبعه والمعنى اتخذ معبوده هواه
فيعبد ما تهواه نفسه قال سعيد بن جبير كانت العرب يعبدون الحجارة والذهب والفضة فاذا وجدوا
شيئا احسن من الاول رموه وكسروه وعبدوا الاخر قال الشعبي انما سمي الهوى لانه لا يهوى بصاحبه في النار
قوله على علم حال من الجلالة اي كائنا على علم منه بعاقبة امره انه اهل لذلك وقيل انه حال من المفعول اي
اضله وهو عالم وهذا اشنع له وقرأ الاعرج الهة على الجمع وعنه كذلك مضافة لضمير الهته هواه قوله وختم
على سمعه وقلبه فلم يسمع الهدى وقلبه لم يعقل الهدى وهو المراد من قوله ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى
ابصارهم غشاوة قرأ الاخوان غشوة بفتح الغين وسكون الشين والاعمش وابن مصرف كذلك الا انهما
كسرا الغين وباقي السبعة غشاوة بكسر الغين وابن مسعود والاعمش ايضا بفتحها وهي لغة
ربيعة والحسن وعكرمة وعبد الله ايضا بضمها وهي لغة عكلية وتقدم الكلام في ذلك اول البقرة
وانه قرئ هناك بالعين المهملة قوله فمن يهديه من بعد الله اي من بعد اضلال الله اياه قال
الواحدي ليس يبقى للقدرية مع هذه الاية عذر ولا حيلة لان الله تعالى صرح بمنعه اياهم عن الهدى بعد
ان اخبر انه ختم على سمع هذا الكافر وقلبه وبصره ثم قال افلا تذكرون والعامة بالتشديد والجحدري
بتخفيفها والاعمش تتذكرون بتائين قوله وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا تقدم نظيره وقرأ زيد بن علي
نحيى بضم النون فان قيل الحيوة مقدمة على الموت في الدنيا فمنكروا القيمة كان يجب ان يقولوا نحيى و

ويموت

ويموت فما السبب في تقديم الموت على الحيوة فالجواب من وجوه الاول المراد بقوله نموت حال كونهم نطفا
في اصلاب الاباء وارحام الامهات وبقوله نحيى ما حصل بعد ذلك في الدنيا الثاني نموت نحن ونحيى بسبب بقاء
اولادنا الثالث قال الزجاج الواو للاجتماع والمعنى يموت بعض ونحيى بعض الرابع قال ابن الخطيب انه تعالى
قدم ذكر الحيوة فقال ان هي الا حيوتنا الدنيا ثم قال بعده نموت ونحيى يعني ان تلك الحيوة منها ما يطرء
عليها الموت وذلك في حق الذين ونحيى فيها ما لم يطرأ عليه الموت بعد ذلك وهو في حق الاحياء الذين لم يموتوا بعد
قوله وما يهلكنا الا الدهر وما يفنينا الا مر الزمان وطول العمر واختلاف الليل والنهار وما لهم بذلك
الذي قالوا من علم اي لم يقولوه عن علم علموه ان هم الا يظنون روى ابو هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى لا تقل ابن ادم يا خيبة الدهر فاني انا الدهر ارسل الليل والنهار فاذا
شئت قبضتهما وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسب احدكم الدهر فان الدهر
هو الله ولا يقولن للعنب الكرم فان الكرم هو الرجل المسلم ومعنى الحديث ان العرب كان من شانها ذم الدهر و
سبه عند النوازل لانهم كانوا ينسبون اليه ما يصيبهم من المصائب والمكاره فيقولون اصابتهم قوارع
الدهر وابادهم الدهر كما اخبر الله عنهم وما يهلكنا الا الدهر فاذا اضافوا الى الدهر ما نالهم من الشدائد
سبوا فاعلها فكان يرجع سبهم الى الله تعالى اذ هو الفاعل في الحقيقة للامور التي يضيفونها الى الدهر
فنهوا عن سب الدهر قوله واذا تتلى عليهم اياتنا بينات ما كان حجتهم الا ان قالوا ائتوا بابائنا ان كنتم صادقين
قرأ العامة بنصب حجتهم وزيد بن علي وعمرو بن عبد وعبيد بن عمر بالرفع وتقدم تأويل ذلك وما كان جواب
اذا الشرطية وجعله ابو حيان دليلا على عدم اعمال جواب اذا فيها لان ما لا يعمل ما بعدها فيما قبلها قال
وبما خالفت غيرها من ادوات الشرط حيث لم يقترن الفاء بجوابها اذا نفي بما فصل سمى قولهم حجة لوجوه
الاول لزعمهم انه حجة الثاني ان من كانت هذه حجته فليس له حجة البتة كقوله تحيتهم بينهم ضرب
وجيع الثالث انهم ذكروها في معرض الاحتجاج بها واعلم انهم احتجوا على انكار البعث بهذه الشبهة وهي
شبهة ضعيفة جدا لانه ليس كل ما لا يحصل في الحال يجب ان يمتنع حصوله فان حصول كل واحد منا كان
معدوما من الازل الى الوقت الذي خلقنا فيه ولو كان عدم الحصول في وقت معين يدل على امتناع الحصول
لكان عدم حصولنا في الازل الى وقت خلقنا يدل على امتناع حصولنا وذلك باطل قوله قل الله يحييكم ثم
يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيمة فان قيل هذا الكلام مذكور لاجل جواب من يقول ان هي الا حياتنا الدنيا
نموت ونحيى وما يهلكنا الا الدهر وهذا القائل ينكر وجود الاله ووجود القيمة فكيف يجوز ابطاله بقوله
قل الله يحييكم وهل هذا الا اثبات الشئ بنفسه وهو باطل فالجواب انه تعالى ذكر الاستدلال بحدوث
الحيوان والانسان على وجود الفاعل الحكيم مرارا فقوله هنا قل الله يحييكم اشارة الى تلك الدلائل التي بينها
واوضحها مرارا وليس المقصود من ذكر هذا الكلام اثبات الاله بل المقصود منه التنبيه على ما هو الدليل
الحق القاطع في نفس الامر ولما ثبت ان الاحياء من الله وثبت ان الاعادة مثل الاحياء الاول وثبت ان القادر
على الشئ قادر على مثله ثبت ان الله تعالى قادر على الاعادة وثبت ان الاعادة ممكنة في نفسها وثبت ان
القادر الحكيم اخبر عن وقت وقوعها وجب القطع بكونها حقا وقوله تعالى ثم يجمعكم الى يوم القيمة لا ريب
فيه اشارة الى ما تقدم في الاية المتقدمة وهو ان كونه تعالى عادلا خالقا بالحق منزها عن الجور والظلم
يقتضي صحة البعث والقيمة ثم قال ولكن اكثر الناس لا يعلمون دلالة حدوث الحيوان والانسان
والنبات على وجود الاله القادر الحكيم ولا يعلمون ايضا انه تعالى لما كان قادرا على الايجاد ابتداء وجب
ان يكون قادرا على الاعادة ثانيا قوله تعالى ولله ملك السموات والارض الاية لما احتج بكونه قادرا على الاحياء
في المرة الثانية في الايات المتقدمة عمم الدليل فقال ولله ملك السموات والارض اي ولله القدرة على جميع
الكائنات سواء كانت في السموات او في الارض واذا ثبت كونه تعالى قادرا على كل الممكنات وثبت ان حصول الحيوة
في هذه الدار ممكن اذ لو لم يكن ممكنا لما حصل في المرة الاولى فيلزم من هاتين المقدمتين كونه تعالى قادرا على الاحياء

فى المرة الثانية ولما بين تعالى امكان القول بالحشر والنشر بهذين الطريقين ذكر تفاصيل احوال القيمة
فاولها قوله ويوم تقوم الساعة فى عامله وجهان احدهما يخسر ويومئذ بدل من يوم تقوم والتنوين
على هذا تنوين عوض عن جملة مقدرة ولم يتقدم من الجمل الا تقوم الساعة فيصير التقدير ويوم تقوم
الساعة يومئذ تقوم الساعة وهذا الذى قدروه ليس فيه مزيد فائدة فيكون بدلا توكيدا والثانى
ان العامل فيه مقدرا قالوا لان يوم القيمة حالة ثالثة ليست بالسماء ولا بالارض لانهما تبدلان
فكانه قيل ولله ملك السموات والارض والملك يوم تقوم ويكون قوله يومئذ معمولا ليخسر والجملة
مستأنفة من حيث اللفظ وان كان لها تعلق مما قبلها من حيث المعنى فصل اعلم ان الحيوة والعقل
والصحة كانها رأس مال والتصرف فيها بطلب السعادة الاخروية يجرى مجرى تصرف التاجر فى ماله
لطلب الربح والكفار قد اتعبوا انفسهم فى تصرفاتهم بالكفر والاباطيل فلم يجدوا فى ذلك اليوم الا الحرمان
والخذلان ودخول النار وذلك فى الحقيقة نهاية الخسران وثانيها قوله وترى كل امة جاثية الظاهر
ان الرؤية البصرية فيكون جاثية حال قال الليث الجثو الجلوس على الركب كالجثى بين يدى الحاكم وذلك
لانها خائفة والمذنب مستوفز وقيل مجتمعة ومنه الجثوة للقبر لاجتماع الاحجار عليه قال

ترى جثوتين من تراب عليهما … صفائح صم من صفيح منضد

قال ابن عباس جاثية مجتمعة مرتقبة
لما يعمل بها قال الزمخشرى وقرئ جاذية بالذال المعجمة قال والجذو اشد استيفازا من الجثو لان
الجاذى هو الذى يجلس على اطراف اصابعه وهو اشد استيفازا من الجاثى قوله كل امة العامة
على الرفع بالابتداء وتدعى خبرها ويعقوب بالنصب على البدل من كل امة الاولى بدل نكرة موصوفة
من مثلها قوله الى كتابها اى الى صحائف اعمالها فاكتفى باسم الجنس كقوله تعالى ووضع الكتاب فترى
المجرمين مشفقين مما فيه والظاهر انه يدخل فيه المؤمنون والكافرون لقوله تعالى بعد ذلك فاما الذين
امنوا قال سلمان الفارسى ان فى القيمة ساعة هى عشر سنين يخر الناس فيها جثاة على ركبهم
حتى ابراهيم ينادى ربه لا املك الا نفسى قوله اليوم تجزون هذه الجملة معمولة لقول مضمر التقدير
يقال لهم اليوم تجزون واليوم معمول لما بعده وما كنتم هو المفعول الثانى فان قيل الجثو على الركب انما
يليق بالخائف والمؤمنون لا خوف عليهم يوم القيمة فالجواب ان الجاثى الآمن قد يشارك المبطل فى مثل هذه
الحالة الى ان يظهر كونه محقا فان قيل كيف اضيف الكتاب اليهم والى الله تعالى فالجواب لا منافاة بين
الامرين لانه كتابهم بمعنى انه الكتاب المشتمل على اعمالهم وكتاب الله بمعنى انه هو الذى امر الملائكة يكتبوه قوله
ينطق عليكم بالحق اى يشهد عليكم باعمالكم من غير زيادة ولا نقصان وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ
وينطق يجوز ان يكون خبرا ثانيا وان يكون كتابنا بدلا وينطق خبره وحده وبالحق حال قوله انا كنا نستنسخ
ما كنتم تعملون اى نامر الملائكة بنسخ اعمالكم اى بكتبها واثباتها عليكم وقيل نستنسخ اى ناخذ نسخة وذلك
ان الملكين يرفعان عمل الانسان فيثبت الله ما كان له ثواب او عقاب ويطرح منه اللغو نحو قوله هلم واذهب
والاستنساخ من اللوح المحفوظ تنسخ الملائكة كل عام ما يكون من اعمال بنى ادم والاستنساخ لا يكون
الا من اصل كما ينسخ كتاب من كتاب وقال الضحاك نستنسخ اى نثبت وقال السدى نكتب وقال الحسن
نحفظ ثم بين احوال المطيعين فقال فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم فى رحمته ذلك
هو الفوز المبين فوصفهم بالعمل الصالح بعد وصفهم بالايمان يدل على ان العمل الصالح مغاير للايمان
زائد عليه فصل قالت المعتزلة علق الدخول فى رحمة الله على كونه اتيا بالايمان والعمل الصالح والمعلق
على مجموع امرين يكون عدما عند عدم احدهما فعند عدم الاعمال الصالحة يجب ان لا يحصل الفوز بالجنة
واجيب بان تعليق الحكم على الوصف لا يدل على عدم الحكم عند عدم الوصف فصل سمى الثواب
رحمة والرحمة انما يصح تسميتها بهذا الاسم اذا لم تكن واجبة فوجب ان لا يكون الثواب واجبا على الله
تعالى قوله واما الذين كفروا افلم تكن هذا على اضمار القول ايضا وقدر الزمخشرى عليها جملة

بين الهمزة والفاء اى الم تاتكم رسلى فلم تكن اياتى فصل ذكر الله المؤمنين والكافرين ولم يذكر
قسما ثالثا وهذا يدل على فساد مذهب المعتزلة فى اثبات منزلة بين المنزلتين باطل وفى الاية دليل على
ان استحقاق العقوبة لا يحصل الا بعد مجئ الشرع وعلى ان الواجبات لا تجب الا بالشرع خلافا للمعتزلة
فى قولهم ان بعض الواجبات قد يجب بالعقل قوله اذ وعد الله حق العامة على كسر الهمزة لانها محكية
بالقول والاعرج وعمرو بن فايد بفتحها وذلك مخرج على لغة سليم يجرون القول مجرى الظن مطلقا
ومنه قوله اذا قلت انى اهل ببلدة قوله والساعة قرأ حمزة بنصبها عطفا على وعد الله والباقون برفعها
وفيه ثلاثة اوجه الابتداء وما بعدها من الجملة المنفية خبرها الثانى العطف على محل اسم ان لان قبل
دخولها مرفوع بالابتداء الثالث انه عطف على محل ان واسمها معا لان بعضهم كالفارسى والزمخشرى
يرون ان لان واسمها موضعا وهو الرفع بالابتداء قوله الا ظنا هذه الاية لا بد فيها من تأويل وذلك
انه يجوز تفريغ العامل لما بعده من جميع معمولاته تقدم مرفوعا كان او غير مرفوع الا المفعول المطلق فانه
لا يفرغ له لا يجوز ما ضربت الا ضربا لا انه لا فائدة فيه وذلك انه بمنزلة تكرير الفعل فكانه
فى قوة ما ضربت الا ضربت قاله مكى وابو البقاء وقال الزمخشرى فان قلت ما معنى ان نظن الا
ظنا ومعناه اثبات الظن حسب وادخل حرف النفى والاستثناء ليفاد اثبات الظن ونفى ما سواه
وزيد نفى ما سوى الظن توكيدا بقوله وما نحن بمستيقنين فظاهر كلامه انه لا يناول الاية بل حملها
على ظاهرها قال ابو حيان وهذا كلام من لا شعور له بالقاعدة النحوية من ان التفريغ يكون فى جميع
المعمولات من فاعل ومفعول وغيرهما الا المصدر المؤكد فانه لا يكون فيه وقد اختلف الناس فى تاويلها
على اوجه احدها ما قاله المبرد وهو ان الاصل ان نحن الا نظن ظنا قال ونظيره ما حكاه ابو عمرو ليس
الطيب الا المسك تقديره الا الطيب المسك قال شهاب الدين يعنى ان اسم ليس ضمير الشان
مستتر فيها والا الطيب المسك فى محل نصب خبرها وكانه خفى عليه ان لغة تميم ابطال عمل ليس
اذا انتقض نفيها بالا قياسا على ما الحجازية والمسألة طويلة مذكورة فى كتب النحو وعليها حكاية جرت
بين ابى عمرو وعيسى بن عمر والثانى ان ظنا له صفة محذوفة تقديره الا ظنا بينا فهو مختص لا مؤكد
الثالث ان يضمن نظن معنى نعتقد فينتصب ظنا مفعولا به لا مصدرا الرابع ان الاصل ان نظن الا انكم
تظنون ظنا فحذف هذا كله وهو معزو للمبرد وقد ردوه عليه من حيث انه حذف ان واسمها وخبرها
وابقى خبرها المصدر وهذا لا يجوز الخامس ان الظن يكون بمعنى العلم والشك فاستثنى الشك كانه
قيل ما لنا اعتقاد الا الشك ومثل الاية قول الاعشى وحل به الشيب اثقاله وما اغتره الشيب
الا اغترارا يريد اغترارا بينا فصل قال ابن الخطيب القوم كانوا فى هذه المسألة على قولين
منهم من كان قاطعا بنفى البعث والقيمة وهم المذكورون فى قوله تعالى وقالوا ما هى الا حياتنا
الدنيا ومنهم من كان شاكا متحيرا فيه لانهم لكثرة ما سمعوه من الرسول عليه السلام ولكثرة
ما سمعوه من دلائل القول بصحته صاروا شاكين فيه وهم المذكورون فى هذه الاية ويدل على ذلك
انه تعالى حكى مذهب اولئك القاطعين ثم اتبعه بحكاية قول هؤلاء فوجب كون هؤلاء مغايرين
للفريق الاول قوله وبدا لهم من الله اى فى الاخرة سيئات ما عملوا اى جزاؤها وحاق بهم
ما كانوا به يستهزؤن وهذا كالدليل على ان هذه الفرقة قالوا ان نظن الا ظنا انما ذكروه استهزاء
وسخرية وعلى هذا الوجه فصار ذلك اول خسرانهم فهذا الفريق اشر من الفريق الاول لان الاولين
كانوا منكرين وما كانوا مستهزئين وهؤلاء ضموا الى الاصرار على الانكار الاستهزاء قوله وقيل اليوم
ننساكم اى نترككم فى العذاب كما تركتم الايمان والعمل ولقاء هذا اليوم وقيل نجعلكم بمنزلة
الشئ المنسى غير المبالى به كما لم تبالوا انتم بلقاء يومكم هذا ولم تلتفتوا اليه قوله لقاء يومكم
هذا من التوسع فى الظرف حيث اضاف اليه ما هو واقع فيه كقوله بل مكر الليل والنهار قوله ومأواكم

النار وما لكم من ناصرين جمع الله عليهم من وجوه العذاب ثلاثة اشياء قطع الرحمة عنهم وصير
ماواهم النار وعدم الانصار ثم بين تعالى ان يقال لهم انما صرتم مستحقين لهذه الوجوه الثلاثة
من العذاب لانكم اتيتم ثلاثة انواع من الاعمال القبيحة وهي الاصرار على انكار الدين الحق والاستهزاء به
والسخرية والاستغراق في حب الدنيا وهو المراد بقوله تعالى ذلكم بانكم اتخذتم ايات الله هزوا وغرتكم
الحيوة الدنيا قوله فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون تقدم الخلاف في قوله لا يخرجون منها في اول
الاعراف وان حمزة والكسائي قرا بفتح الياء وضم الراء ولا هم يستعتبون لا يطلب منهم ان يرجعوا
الى طاعة الله لانه لا يقبل ذلك اليوم عذر ولا توبة قوله فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب
العلمين قرا العامة رب في الثلاثة بالجر تبعا للجلالة بيانا او بدلا او نعتا وابن محيصن برفع الثلاث
على المدح باضمار هو قوله وله الكبرياء في السموات يجوز ان يكون في السموات متعلقا بمحذوف حالا من
الكبرياء وان يتعلق بما تعلق به الظرف الاول لوقوعه خبرا ويجوز ان يتعلق بنفس الكبرياء لانها مصدر
وقال ابو البقاء وان يكون معنى في السموات ظرفا والعامل فيه الظرف الاول والكبرياء لانها بمعنى العظمة
قال شهاب الدين ولا حاجة الى تأويل الكبرياء بمعنى العظمة فانها ثابتة المصدرية فصل لما تم الكلام
في المباحث الروحانية ختم السورة بتحميد الله تعالى فقال فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين
اي فاحمدوا الله الذي هو خالق السموات والارضين بل خالق كل العالمين من الاجسام والارواح والذوات
والصفات فان هذه الربوبية توجب الحمد والثناء على كل من المخلوقين والمربوبين ثم قال وله الكبرياء
في السموات والارض وهو العزيز الحكيم يعني بكمال قدرته يقدر على خلق اي شيء اراد بكمال قدرته تحصر
كل نوع من مخلوقاته باثار الحكمة والرحمة وقوله وهو العزيز الحكيم يفيد الحصر ويفيد ان الكامل في القدرة
وفي الحكمة وفي الرحمة ليس الا هو روى ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز
وجل الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما ادخلته النار وروى ابي بن كعب قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته عند الحساب صدق الله وصدق رسوله

سورة الاحقاف ثلثون واربع ايات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض
وما بينهما الا بالحق واجل مسمى تقدم الكلام على نظير ذلك والمراد هاهنا بالاجل المسمى يوم القيمة وهو
الاجل الذي ينتهي اليه السموات والارض وهو اشارة الى فنائهما قوله والذين كفروا عما انذروا يجوز ان
ما مصدرية اي عن انذارهم او بمعنى الذي اي عن الذي انذروه وعن متعلقة بالاعراض ومعرضون خبر
الموصول قوله قل ارايتم تقدم حكم ارايتم ووقع بعد هذا اروني فاحتملت وجهين احدهما ان تكون توكيدا لها
لانهما بمعنى اخبروني وعلى هذا يكون المفعول الثاني لارايتم قوله ماذا خلقوا لانه استفهام والمفعول الاول هو قوله ما تدعون
الوجه الثاني ان لا تكون موكدة لها وعلى هذا تكون المسالة من باب التنازع لان ارايتم يطلب ثانيا واروني كذلك
وقوله ماذا خلقوا هو المتنازع فيه وتكون المسالة من اعمال الثاني والحذف من الاول وجوز ابن عطية في ارايتم
ان لا يتعدى وجعل ما تدعون استفهاما معناه تعبدون وهذا راي الاخفش وقد قال بذلك في قوله قال ارايت اذ اوينا الى
الصخرة وقد تقدم قوله من الارض هذا بيان للابهام الذي في قوله ماذا خلقوا قوله ام لهم ام هذه المنقطعة
والشرك المشاركة وقوله من قبل هذا صفة لكتاب اي بكتاب منزل من قبل هذا كذا قدره ابو البقاء والاحسن ان يقدر
كون مطلق اي كائن من قبل هذا قوله او اثارة العامة على اثارة وهي مصدر على فعالة كالسماحة والغواية والضلالة ومعناها
البقية من قولهم سمنت الناقة على اثارة من لحم اذا كانت سمينة ثم هزلت وبقيت بقية من شحمها ثم سمنت والاثارة غلب استعمالها
في بقية الشرف يقال لفلان اثارة اي بقية اشراف وتستعمل في غير ذلك قال الراعي وذات اثارة اكلت عليها نباتا في اكمته فقارا
وقيل اشتقاقها من اثر كذا اي اسنده ومنه قول عمر ما حلفت به ذاكرا ولا اثرا اي مسندا له عن غيري وقال الاعشى ان الذي فيه تماريتما
بين للسامع والاثر وقيل فيها غير ذلك وقرا علي وابن عباس وزيد بن علي وعكرمة في آخرين اثرة دون الف وهي الواحدة وتجمع على اثر كقترة وقتر

وقرا الكسائي أثرة وإثرة بضم الهمزة وكسرها مع سكون الثاء وقتادة والسلمي بالفتح والسكون
والمعنى بما يؤثر ويروى اي ائتوني بخبر واحد يشهد بصحة قولكم وهذا على سبيل التنزل للعلم
بكذب المدعي ومن علم صفة لاثارة فصل قال ابو عبيدة والفراء والزجاج اثارة
من علم اي بقية قال المبرد اثارة ما يؤثر من علم كقولك هذا الحديث يؤثر عن فلان ومن
هذا المعنى سميت الاخبار والاثار يقال جاء في الاثر كذا وكذا قال الواحدي وكلام اهل اللغة في
هذا الحرف يدور على ثلاثة اقوال الاول الاثارة واشتقاقها من اثرت الشيء اثيره اثارة كانها
بقية تستخرج فتثار والثاني من الاثر الذي هو الرواية الثالث من الاثر بمعنى العلامة قال
الكلبي في تفسير الاثارة اي بقية من علم يؤثر عن الاولين اي يسنده اليهم وقال مجاهد
وعكرمة ومقاتل رواية عن الانبياء وقال قتادة خاصة من علم قال ابن الخطيب وهاهنا
قول اخر في تفسير قوله تعالى او اثارة من علم هو علم الخط الذي يخط في الرمل والعرب كانوا يخطونه
وهو علم مشهور وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كان نبي من الانبياء يخط فمن وافق خطه
خطه علم علمه فعلى هذا الوجه معنى الاية ائتوني بعلم من قبل هذا الخط الذي تخطونه في الرمل
يدل على صحة مذهبكم في عبادة الاصنام فان صح تفسير الاية بهذا الوجه كان ذلك من
باب التهكم بهم واقوالهم ودلايلهم قوله ومن اضل مبتدا وخبر وقوله من لا يستجيب
من نكرة موصوفة او موصولة وهي مفعول بقوله يدعوا قوله وهم عن دعائهم يجوز ان يكون
الضميران عائدين على من في قوله من لا يستجيب له وهم الاصنام واوقع عليهم من لمعاملتهم
اياها معاملة العقلاء او لانه اراد جميع من عبد من دون الله وغلب العقلاء ويكون قد
راعى معنى من فلذلك جمع في قوله وهم بعد ما راعى لفظها فافرد في قوله يستجيب وقيل يعود
على من في قوله ومن اضل وحمل اولا على لفظها فافرد في قوله يدعوا وثانيا على معناها فجمع في
قوله وهم عن دعائهم غافلون فصل ومن اضل استفهام على سبيل الانكار والمعنى
انه لا احد ابعد عن الحق واقرب الى الجهل ممن يدعوا من دون الله الاصنام فيتخذها الهة
ويعبدها وهي اذا دعيت لا تسمع ولا تجيب لا في الحال ولا في المال الى يوم القيمة وانما جعل
ذلك غاية لان يوم القيمة قد قيل انه تعالى يحييها وتخاطب من يعبدها فلذلك جعله الله
تعالى حدا واذا قامت القيمة وحشر الناس فهذه الاصنام تعادي هولاء العابدين واختلفوا
فيه فالاكثرون على انه تعالى يحيي هذه الاصنام يوم القيمة فتتبرا من عبادتهم وقيل المراد
عبدة الملائكة وعيسى فانهم في يوم القيامة يظهرون عداوة هولاء العابدين وهو المراد بقوله
واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين اي جاحدين كقولهم تبرانا اليك ما
كانوا ايانا يعبدون قوله واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين كفروا للحق هنا اقام
الظاهرين مقام مضمرين اذ الاصل قالوا لها اي للايات ولكنه ابرزهما ظاهرين لاجل الوصفين
المذكورين واللام في للحق للعلة فصل لما تكلم في تقرير التوحيد ونفي الاضداد
والانداد تكلم في النبوة وبين ان محمدا صلى الله عليه وسلم كلما عرض عليهم نوعا من انواع المعجزات
قالوا هذا سحر اي يسمون القران سحرا قوله ام يقولون افتراه ام للانكار والتعجب كانه
قيل دع هذا واسمع القول المنكر العجيب ثم بين بطلان شبهتهم فقال قل ان افتريته
على سبيل الفرض فان الله يعاملني بعقوبة بطلان ذلك الافتراء وانتم لا تقدرون على دفعه
فكيف اقدم على هذه الفرية بعقابه وهو المراد بقوله فلا تملكون لي من الله شيئا اي لا تقدرون
ان تردوا عني عذابه ان عذبني الله على افترائي فكيف افتري على الله من اجلكم ونظيره فمن
يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح بن مريم وامه ومن يرد الله فتنته فلن تملك..

له من الله شيا ثم قال هو اعلم بما تفيضون فيه اي الله اعلم بما تخوضون فيه من التكذيب
بالقران والقول فيه بانه سحر كفى به شهيدا بيني وبينكم ان القران جا من عندي فيشهد لي بالصدق
ويشهد لكم بالكذب وهو الغفور الرحيم لمن رجع عن الكفر وتاب قال الزجاج هذا دعا الى
التوبة ومعناه غفور لمن تاب منكم رحيم به **قوله تعالى** قل ما كنت بدعا من الرسل
الاية لما حكى طعنهم في كون القران معجزا بقولهم انه يختلقه من عند نفسه ثم ينسبه الى انه
كلام الله على سبيل الفرية حكى عنهم شبهة اخرى وهو انهم كانوا يقترحون عليه معجزات عجيبة
ويطالبونه بان يخبرهم عن المغيبات فاجاب الله تعالى عن ذلك بقوله قل ما كنت بدعا من
الرسل **قوله** بدعا فيه وجهان احدهما انه على حذف مضاف تقديره ذا بدع قاله
ابو البقا وهذا على ان يكون البدع مصدرا والثاني ان البدع بنفسه صفة على فعل بمعنى
بديع كالخف والخفيف والبدع والبديع ما لم ير له مثل وهو من الابتداع وهو الاختراع
انشد قطرب • فما انا بدع من حوادث تعتري • رجالا عرت من بعد موسى واسعد •
قال البغوي البدع مثل نصف ونصيف وجمع البدع ابداع وقرا عكرمة وابو حيوة وابن
ابي عبلة بدعا بفتح الدال جمع بدعة اي ما كنت ذا بدع وجوز الزمخشري ان يكون صفة على
فعل كقولهم دين قيم ولحم زيم قال ابو حيان ولم يثبت سيبويه صفة على فعل الا قوما عدى
وقد استدرك عليه لحم زيم اي متفرق وهو صحيح واما قيم فمقصور من قيام ولولا ذلك لصحت
عينه كما صحت في حول وعوض واما قول العرب مكان سوى وماء روى ورجل رضى وماء
مرى وسبي طيبة فمتاوله عند التصريفيين قال شهاب الدين تاويلها اما بالمصدرية
او القصر كقيم في قيام وقرا ابو حيوة ايضا ومجاهد بدعا بفتح البا وكسر الدال وهو وصف كحذر
فصل البدع والبديع من كل شي المبدا والبدعة ما اخترع مما لم يكن موجودا قبله
قال المفسرون معناه اني لست باول مرسل قد بعث قبلي كثير من الانبيا فكيف تنكرون
نبوتي وكيف تنكرون اخباري باني رسول الله وقيل انهم طلبوا منه معجزة عظيمة واخبارا
عن الغيوب فقال قل ما كنت بدعا من الرسل والمعنى ان الاتيان بهذه المعجزات القاهرة
والاخبار عن الغيوب ليس في وسع البشر واما جنس الرسل فانا واحد منهم فاذا لم يقدروا على ما
تقترحونه فكيف اقدر عليه وقيل انهم كانوا يعيبونه بانه ياكل الطعام ويمشي في الاسواق
وبانه فقير وان اتباعه فقرا فقال قل ما كنت بدعا من الرسل وكلهم كانوا على هذه الصفة
فهذه الاشيا لا تقدح في نبوتي كما لا تقدح في نبوتهم **قوله** وما ادري ما يفعل بي العامة
على بنائه للمفعول وابن ابي عبلة وزيد بن علي مبنيا للفاعل اي الله تعالى والظاهر ان ما في
قوله ما يفعل استفهامية مرفوعة بالابتدا وما بعدها الخبر وهي معلقة لادري عن العمل
فتكون سادة مسد مفعوليها وجوز الزمخشري ان تكون موصولة منصوبة يعني انها متعدية
لواحد اي لا اعرف الذي يفعله الله **فصل** في تفسير الاية وجهان احدهما ان يحمل
ذلك على احوال الدنيا والثاني ان يحمل ذلك على احوال الاخرة اما الاول ففيه وجوه الاول
معناه لا ادري ما يصير اليه امري وامركم ومن الغالب منا ومن المغلوب الثاني قال
ابن عباس في رواية الكلبي لما اشتد البلا باصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بمكة راى في المنام
انه يهاجر الى ارض ذات نخل وشجر وما فقصها على الصحابة فاستبشروا بذلك وراوا ان ذلك
فرج مما هم فيه من اذى المشركين ثم انهم مكثوا برهة من الدهر لا يرون اثر ذلك فقالوا يا رسول
الله ما راينا الذي قلت متى نهاجر الى الارض التي رايتها في المنام فسكت النبي صلى الله عليه
وسلم فانزل الله تعالى قل ما كنت بدعا من الرسل وما ادري ما يفعل بي ولا بكم وهو شي

رايته في المنام وانا لا اتبع الا ما يوحيه الله الي الثالث قال الضحاك لا ادري ما تؤمرون
به ولا ما اؤمر به من التكاليف والشرائع ولا من الابتلا والامتحان وانما انذركم بما اعلمني الله به
من احوال الاخرة من الثواب والعقاب ثم اخبر تعالى انه يظهر دينه على الاديان فقال هو
الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وقال في امته وما كان الله
ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاخبر الله ما يصنع به وبامته
قاله السدي الرابع كانه يقول ما ادري ما يفعل بي في الدنيا اموت او اقتل كما قتل الانبيا
قبلي ولا ادري ما يفعل بكم ايها المكذبون اترمون بالحجارة من السما او تخسف بكم او يفعل بكم
ما يفعل بسائر الامم وانما حمل الاية على احوال الاخرة فروي عن ابن عباس انه قال لما
نزلت هذه الاية فرح المشركون واليهود والمنافقون وقالوا كيف نتبع نبيا لا يدري
ما يفعل به ولا بنا فانزل الله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من
ذنبك وما تاخر الى قوله وكان ذلك عند الله فوزا عظيما فقالت الصحابة هنيا لك
يا نبي الله قد علمنا ما يفعل بك فما يفعل بنا فانزل الله عز وجل ليدخل المومنين والمومنات
جنات تجري من تحتها الانهار الاية وانزل وبشر المومنين بان لهم من الله فضلا كبيرا فبين الله
ما يفعل به وبهم وهذا قول انس وقتادة والحسن وعكرمة وقالوا انما قال هذا قبل ان
يخبر بغفران ذنبه وانما اخبر بغفران ذنبه عام الحديبية فنسخ ذلك قال ابن الخطيب
واكثر المحققين استبعدوا هذا القول لوجهين الاول ان النبي لا بد وان يعلم من نفسه كونه
نبيا ومتى علم كونه نبيا علم انه لا تصدر عنه الكبائر وانه مغفور له واذا كان كذلك امتنع
كونه شاكا انه هل يعود مغفورا له ام لا الثاني ان الانبيا ارفع حالا من الاوليا وقد قال
في حقهم ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون فكيف يعقل
ان يبقى الرسول الذي هو رئيس الاتقيا وقدوة الاوليا شاكا في انه هل هو من المغفورين
ثبت ضعف هذا القول **قوله** ان اتبع الا ما يوحى الي العامة على بنا يوحي للمفعول
وقرا ابن عمير بكسر الحا على البنا للفاعل وهو الله تعالى والمعنى اني لا اقول قولا ولا اعلم علما الا بالوحي
واحتج نفاة القياس بهذه الاية فقالوا النبي صلى الله عليه وسلم ما قال قولا ولا عمل عملا
الا بالنص الذي اوحاه الله اليه فوجب ان يكون حالنا كذلك ثم قال تعالى وما انا الا
نذير مبين لانهم كانوا يطالبونه بالمعجزات العجيبة وبالاخبار عن الغيوب فقال قل ما انا الا
نذير مبين والقادر على تلك الاعمال الخارجة عن قدرة البشر والعالم بتلك الغيوب ليس الا
الله تعالى **قوله** قل ارايتم ان كان من عند الله وكفرتم به الاية مفعولا ارايتم محذوفان تقديره ارايتم
حالكم ان كان كذا الستم ظالمين وجواب الشرط ايضا محذوف تقديره فقد ظلمتم ولهذا اتى
بفعل الشرط ماضيا وقدره الزمخشري الستم ظالمين ورد عليه ابو حيان بانه لو كان كذلك
لوجبت الفا لان الجملة الاستفهامية متى وقعت جوابا للشرط لزمت الفا ثم ان كانت اداة
الاستفهام همزة تقدمت على الفا نحو ان تزرنا افما نكرمك وان كانت غيرها تقدمت عليها
نحو ان تزرنا فهل ترى الا خيرا قال شهاب الدين والزمخشري ذكر انه تقدير يفسر به المعنى لا
الاعراب وقال ابن عطية وارايتم يحتمل ان تكون منبهة فهي لفظ موضوع للسوال لا يقتضي
مفعولا ويحتمل ان تكون الجملة كان وما عملت فيه سادة مسد مفعوليها قال ابو حيان وهذا خلاف
ما قرره النحاة وقد تقدم تحقيق ما قرروه وقيل جواب الشرط هو قوله فامن واستكبرتم وقيل
هو محذوف تقديره فمن المحق منا والمبطل وقيل فمن اضل قال ابن الخطيب جواب الشرط محذوف
والتقدير ان يقال ان كان هذا الكتاب من عند الله ثم كفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل

على صحته ثم استكبرتم لكنتم من الخاسرين ثم حذف هذا الجواب ونظيره قوله ان احسنت اليك
واسأت الي واقبلت اليك واعرضت عني فقد ظلمتني وكذا هاهنا التقدير اخبروني ان ثبت
ان هذا القران من عند الله بسبب عجز الخلق عن معارضته ثم كفرتم به وحصل ايضا شهادة أعلم
بني اسرايل بكونه معجزا من عند الله فلو استكبرتم وكفرتم الستم اضل الناس واظلمهم واعلم ان جواب
الشرط قد تحذف في بعض الايات كما في هذه الاية وكما في قوله ولو ان قرانا سيرت به الجبال او قطعت
به الارض او كلم به الموتى وقد يذكر كما في قوله تعالى قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من اضل
وقوله قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيمة من اله غير الله **فصل**
معنى الاية اخبروني ماذا تقولون ان كان يعني القران من عند الله وكفرتم به ايها المشركون وشهد
شاهد من بني اسرايل على مثله اي المذكور صلة تعني عليه اي على انه من عند الله فامن يعني الشاهد
واستكبرتم عن الايمان به واختلفوا في هذا الشاهد فقال قتادة والضحاك واكثر المفسرين هو
عبد الله بن سلام شهد بنبوة المصطفى صلى الله عليه وسلم وامن به واستكبر اليهود فلم يومنوا
به كما روى انس قال سمع عبد الله بن سلام بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتاه وهو يخترف
في ارض فنظر الى وجهه فعلم انه ليس بوجه كذاب وتامله فتحقق انه النبي المنتظر فقال له اني
سايلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي ما اول اشراط الساعة وما اول طعام اهل الجنة وما ينزع
الولد الى ابيه او الى امه فقال صلى الله عليه وسلم اخبرني بهن جبريل انفا قال جبريل قال
نعم قال ذاك عدو اليهود من الملايكة فقرا هذه الاية من كان عدوا لجبريل فانه نزله على
قلبك باذن الله اما اشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق الى المغرب واما اول الطعام
ياكله اهل الجنة فزيادة كبد حوت واما الولد فاذا سبق ماء الرجل نزعه وان سبق ماء المراة نزعته
فقال اشهد انك رسول الله حقا ثم قال يا رسول الله ان اليهود قوم بهت وان علموا باسلامي قبل
ان تسالهم عني بهتوني عندك فجاءت اليهود فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اي رجل عبد الله فيكم
فقالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا واعلمنا وابن اعلمنا قال افرايتم ان اسلم عبد الله
ابن سلام فقالوا اعاذه الله من ذلك فخرج اليهم عبد الله فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد
ان محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه فقال هذا ما كنت اخاف منه يا رسول الله
فقال سعد بن ابي وقاص ما كنا نقول وفي رواية ما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لاحد
يمشي على الارض انه من اهل الجنة الا لعبد الله بن سلام وفيه نزلت هذه الاية وشهد شاهد
من بني اسرايل وقيل الشاهد هو موسى بن عمران عليه السلام قال الشعبي قال مسروق في هذه الاية
والله ما نزلت في عبد الله بن سلام لان آل حم نزلت بمكة وانما اسلم عبد الله بن سلام بالمدينة
قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعامين فكيف يمكن حمل هذه الاية المكية على واقعة
حدثت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وانما نزلت الاية في محاجة كانت من
رسول الله صلى الله عليه وسلم لقومه واجاب الكلبي بان السورة مكية الا هذه فانها مدنية
وكانت الاية تنزل فيامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يضعها في سورة كذا وكذا وهذه الاية
نزلت بالمدينة وان الله تعالى امر رسوله بان يضعها في هذه السورة المكية في هذا الموضع المعين
قال ابن الخطيب ولقايل ان يقول ان الحديث الذي رويتم عن عبد الله بن سلام مشكل لان
ظاهر الحديث يشعر بانه لما سال النبي صلى الله عليه وسلم عن المسايل الثلاث فلما اجاب النبي صلى الله
عليه وسلم بتلك الجواب امن عبد الله بن سلام لاجل ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر تلك الجوابات
وهذا بعيد من وجهين الاول ان الاخبار عن اول اشراط الساعة وعن اول طعام ياكله اهل
الجنة اخبار عن وقوع شي من الممكنات وما هذا سبيله فانه لا يعرف كون ذلك الخبر صدقا

الا اذا عرف اولا كون المخبر صادقا فلو عرفنا صدق الخبر بكون ذلك المخبر صادقا لزم الدور
وهو محال الثاني انا نعلم بالضرورة ان الجوابات المذكورة عن هذه المسايل لا يبلغ العلم بها الى
حد الاعجاز البتة بل نقول الجوابات الباهرة عن المسايل الصعبة لما لم تبلغ الى حد الاعجاز فالجواب
يحتمل انه جاء في بعض كتب الانبيا المتقدمين ان رسول اخر الزمان يسال عن هذه المسايل وهو
يجيب عنها بهذه الجوابات وكان عبد الله بن سلام عالما بهذا المعنى فلما سال النبي صلى الله عليه
وسلم واجاب بتلك الاجوبة فلا حاجة بنا الى ان نقول العلم بهذه الجوابات معجز والله اعلم
وقيل المراد بالشاهد التورية ومثل القران هو التورية فشهد موسى على التورية ومحمد على القران
فكل واحد يصدق الاخر لان التورية مشتملة على البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران مصدق
للتورية ثم قال فامن واستكبرتم فلم تومنوا ان الله لا يهدي القوم الظالمين وهذا تهديد
وهو قايم مقام الجواب المحذوف والتقدير قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به فانكم لا
تكونوا مهتدين بل تكونوا ضالين **قوله تعالى** وقال الذين كفروا للذين امنوا لو كان
خيرا ما سبقونا اليه الاية في سبب النزول وجوه الاول ان كفار مكة قالوا ان عامة من يتبع
محمدا الفقرا والاراذل مثل عمار وصهيب وابن مسعود ولو كان هذا الدين خيرا ما سبقونا
اليه هولاء الثاني قيل لما اسلمت جهينة ومزينة واسلم وغفار قالت بنو عامر وغطفان
واسد واشجع لو كان هذا خيرا ما سبقنا اليه رعاء البهم الثالث قيل ان امة لعمر اسلمت وكان
عمر يضربها ويقول لولا اني فترت لزدتك ضربا فكان كفار قريش يقولون لو كان ما يدعونا
اليه محمد خيرا ما سبقتنا اليه الرابع قيل كان اليهود يقولون هذا الكلام حين اسلم عبد الله بن
سلام واصحابه **قوله** للذين امنوا يجوز ان تكون لام العلة اي لاجلهم يعني ان الكفار قالوا
لاجل ايمان الذين امنوا وان يكون للتبليغ ولو جرى على مقتضى الخطاب لقالوا ما سبقتمونا ولكنهم
التفتوا فقالوا ما سبقونا والضمير في كان واليه عايدان على القران او ما جاء به الرسول او الرسول
قوله واذ لم يهتدوا والعامل في اذ مقدر اي ظهر عنادهم وتسبب عنه قوله فسيقولون
فصل ولا يعمل في اذ فسيقولون لتضاد الزمانين اعني المضي والاستقبال ولاجل الفاء ايضا
المعنى واذ لم يهتدوا بالقران كما اهتدى به اهل الايمان فسيقولون هذا افك قديم كما قالوا
اساطير الاولين **قوله** ومن قبله كتاب موسى العامة على كسر ميم من حرف جر وهي مع مجرورها
خبر مقدم والجملة حالية او خبر مستانف وقرا الكلبي بنصب الكتاب تقديره وانزل من
قبله كتاب موسى وقرى ومن بفتح الميم كتاب موسى بالنصب على ان من موصولة وهي مفعول
اول لاتينا مقدرا وكتاب موسى مفعوله الثاني اي واتينا الذي قبله كتاب موسى **قوله**
اماما ورحمة حالان من كتاب موسى وقيل منصوبان بمقدر اي انزلناه اماما ولا حاجة
اليه وعلى كونهما حالين هما منصوبان بما نصب به من قبله من الاستقرار وقال ابو عبيدة
فيه اضمار اي جعلناه اماما ورحمة من الله لمن امن به ومعنى الاية ومن قبل القران كتاب
موسى يعني التورية اماما يقتدى به ورحمة من الله لمن امن به وفي الكلام محذوف تقديره
وتقدمه كتاب موسى اماما ورحمة ولم يهتدوا به كما قال في الاية الاولى واذ لم يهتدوا به
قوله وهذا كتاب مصدق اي القران يصدق الكتب التي قبله في ان محمدا رسول من عند
الله **قوله** لسانا حال من الضمير في مصدق ويجوز ان يكون حالا من كتاب والعامل
التنبيه او معنى الاشارة وعربيا صفة للسانا وهو المسوغ لوقوع هذا الجامد حالا وجوز ابو البقا
ان يكون مفعولا به ناصبه مصدق وعلى هذا تكون الاشارة الى غير القران لان المراد باللسان
العربي القران وهو خلاف الظاهر وقيل هو على حذف مضاف اي مصدق ذا لسان عربي وهو النبي

صلى الله عليه وسلم وقيل هو على اسقاط حرف الجر اي بلسان وهو ضعيف **قوله** لينذر متعلق
بمصدق وبشرى عطف على محله تقديره للانذار وللبشرى ولما اختلف العلة والمعلول وصل
العامل اليه باللام وهذا فيمن قرا بتا الخطاب فاما من قرا بيا الغيبة وقد تقدم ذلك في يس
فانهما متحدان وقيل بشرى عطف على لفظ لينذر اي فيكون مجرورا فقط وقيل هي مرفوعة على خبر
ابتدا مضمر تقديره هي بشرى وقيل بل هي عطف على مصدق وقيل هي منصوبة بفعل مقدر اي ويبشر
بشرى ونقل ابو حيان وجه النصب عطفا على محل لينذر عن الزمخشري وابي البقا ثم قال وهذا
لا يصح على الصحيح من مذاهب النحويين لانهم يشترطون في الحمل على المحل ان يكون بحق الاصالة
وان يكون للموضع محرز وهنا المحل ليس بحق الاصالة اذ الاصل في المفعول له الجر والنصب ناشئ
عنه لكن لما كثر بالشروط المذكورة وصل اليه الفعل فنصبه انتهى قوله الاصل في المفعول له الجر
بالحرف ممنوع بدليل قول النحويين انه ينصب بشروط ذكروها ثم يقولون ويجوز جره باللام فقولهم
ويجوز ظاهر في انه فرع لا اصل قال الزجاج الاجود ان يكون وبشرى في موضع رفع اي
وهو بشرى قال ولا يجوز ان يكون في موضع نصب على معنى لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين
وقوله للمحسنين متعلق ببشرى او بمحذوف على انه صفة لها **فصل** المراد بالذين ظلموا
مشركي مكة والحاصل ان المقصود من انزال هذا الكتاب انذار المعرضين وبشارة المطيعين
قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا الاية لما قرر دلايل التوحيد
والنبوة وذكر شبهات المنكرين واجاب عنها ذكر بعد ذلك طريقة المحققين فقال ان الذين
قالوا ربنا الله ثم استقاموا وقد تقدم تفسيره في سورة السجدة والفرق بين الموضعين ان
في سورة السجدة ذكر ان الملايكة ينزلون ويقولون لا تخافوا ولا تحزنوا وههنا رفع الواسطة
وذكر انه لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فاذا جمعنا بين الايتين حصل من مجموعهما ان الملايكة
يبلغونهم بالبشارة من غير واسطة **قوله** فلا خوف الفا زايدة في خبر الموصول لما فيه من
معنى الشرط ولم يمتنع ان من ذلك لبقا معنى الابتدا بخلاف ليت ولعل وكان **قوله**
اوليك اصحاب الجنة الاية قالت المعتزلة هذه الاية تدل على مسايل اولها ان قوله اوليك
اصحاب الجنة خالدين فيها يفيد الحصر وان اصحاب الجنة ليسوا الا الذين قالوا ربنا الله ثم
استقاموا وهذا يدل على ان صاحب الكبيرة قبل التوبة لا يدخل الجنة وثانيها قوله
جزاء بما كانوا يعملون يدل على اثبات العمل للعبد ورابعها يدل على ان العبد يستحق على الله
تعالى جزاء عمله وتقدم جواب ذلك **قوله** خالدين منصوب على الحالية وجزا منصوب على
المصدر بعامل مضمر اي يجزون جزاء او بما تقدم لان معنى اوليك اصحاب الجنة معنى جازيناهم
بذلك **قوله** ووصينا الانسان بوالديه حسنا تقدم نظيره قرا الكوفيون احسانا
وباقي السبعة حسنا بضم الحا وسكون السين فالقراة الاولى تكون احسانا فيها منصوبا بفعل
مقدر اي وصيناه ان يحسن اليهما احسانا وقيل بل هو مفعول به على تضمين وصينا معنى الزمنا
فيكون مفعولا ثانيا وقيل بل هو منصوب على المفعول له اي وصيناه بهما احسانا منا اليهما وقيل
هو منصوب على المصدر لان معنى وصينا احسنا فهو مصدر صريح والمفعول الثاني هو المجرور بالبا
وقال ابن عطية انها تتعلق اما بوصينا واما باحسانا ورده ابو حيان بان هذا الثاني ممتنع لانه
مصدر منحل فلا يتقدم معموله عليه ولان احسن لا يتعدى بالبا وانما يتعدى باللام لا يقال
احسن بزيد على معنى وصول الاحسان اليه ورده بعضهم هذا بقوله وقد احسن بي اذ اخرجني
وقيل هو على تضمين هذا المعنى وقدر بعضهم ووصينا الانسان بوالديه ذا احسان يعني فيكون حالا
واما حسنا فقيل فيه ما تقدم في احسان وقرا عيسى والسلمي حسنا بفتحهما وقد تقدم معنى

القرآنين في البقرة وفي لقمن **قال** ابن الخطيب حجة من قرا احسانا قوله تعالى في سورة بني اسرايل
وبالوالدين احسانا ومعناه امرناه بان يوصل اليهما احسانا وحجة القراة الاخرى قوله تعالى
في سورة العنكبوت ووصينا الانسان بوالديه حسنا ولم يختلفوا فيه والمراد انا امرناه بان
يوصل اليهما فعلا حسنا كما يقال هذا الرجل علم وكرم **قوله** حملته امه كرها ووضعته كرها
قرا اهل الحجاز وابو عمرو بفتح الكاف والباقون بضمها وقيل هما لغتان بمعنى واحد مثل الضعف
والضعف والفقر والفقر ومن غير المصادر الدف والدف والشهد والشهد وقال الواحدي
الكره مصدر من كرهت الشي اكرهه والكره الاسم كانه الشي المكروه قال تعالى كتب عليكم
القتال وهو كره لكم فهذا بالضم وقال ان ترثوا النسا كرها فهذا في موضع الحال ولما كان مصدرا في
موضع الحال فالفتح فيه احسن وقال ابو حاتم القراءة الكره بالفتح لا يحسن لانه بالفتح الغضب والغلبة ولا
يلتفت لما قاله لتواتر هذه القراة وانتصابهما اما على الحال من الفاعل اي ذات كره واما على
النعت لمصدر مقدر اي حملا كرها **فصل** قال المفسرون حملته امه على مشقة ووضعته
بمشقة وليس المراد ابتدا الحمل فان ذلك لا يكون مشقة لقوله تعالى فلما تغشاها حملت حملا
خفيفا فمرت به فلما اثقلت يعني حملته كرها ووضعته كرها يريد شدة الطلق **فصل**
دلت الاية على ان حق الام اعظم لانه تعالى قال ووصينا الانسان بوالديه حسنا فذكرهما معا
ثم خص الام بالذكر فقال حملته امه كرها ووضعته كرها وذلك يدل على ان حقها اعظم وان
وصول المشاق اليها بسبب الولد كثيرة والاخبار كثيرة في هذا الباب **قوله** وحمله وفصاله
اي مدة حمله وقرا العامة وفصاله مصدر فاصل كان الام فاصلته وهو فاصلها والجحدري
والحسن وقتادة وفصله قيل والفصال بمعنى كالفطم والفطام والقطف والقطاف والفصال
الفطام ولو نصب ثلاثين على الظرف الواقع موقع الخبر جاز وهو الاصل هذا اذا لم يقدر مضافا فاما
ان قدرنا اي مدة حمله لم يجز ذلك وتعين الرفع لتصادق الخبر والمخبر عنه **فصل**
دلت الاية على ان اقل مدة الحمل ستة اشهر لانه لما كان مجموع مدة الحمل والرضاع ثلاثين شهرا
وقال تعالى والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين فاذا اسقطنا الحولين الكاملين وهي
اربعة وعشرون شهرا من ثلاثين بقي مدة الحمل ستة اشهر روي عكرمة عن ابن عباس قال اذا
حملت المراة تسعة اشهر ارضعت احدى وعشرين شهرا واذا حملت ستة اشهر ارضعت اربعة
وعشرين شهرا وروي عن ابن عباس رضي الله عنه ان امراة رفعت الى عمر وقد ولدت لستة اشهر فامر
برجمها فقال علي لا رجم عليها وذكر الطريق المتقدمة وعن عثمان نحوه وانه هم بذلك فقرا ابن عباس
عليه الاية واما اكثر الحمل فليس في القران ما يدل عليه **قوله** حتى اذا بلغ اشده ولا بد من
جملة محذوفة تكون حتى غاية لها اي عاش واستمرت حياته حتى اذا بلغ اشده قال ابن عباس في رواية
عطا الاشد ثمانية عشر سنة وقيل غاية قوته وغاية شبابه واستوايه وهو ما بين ثماني عشرة سنة
الى اربعين سنة فذلك قوله وبلغ اربعين سنة وقال السدي والضحاك نزلت في سعد بن ابي وقاص
وقد مضت القصة وقيل نزلت في ابي بكر الصديق وابيه ابي قحافة عثمان بن عمرو وامه ام الخير
بنت صخر بن عمرو وقال علي بن ابي طالب الاية في ابي بكر الصديق اسلم ابواه جميعا ولم يجتمع لاحد من
المهاجرين ابواه غيره اوصاه الله بهما ولزم ذلك من بعده وكان ابو بكر صحب النبي صلى الله عليه
وسلم وهو ابن ثماني عشرة سنة والنبي صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة في تجارته الى الشام فلما بلغ اربعين
سنة ونبي النبي صلى الله عليه وسلم امن به ودعا ربه فقال رب اوزعني الهمني ان اشكر نعمتك التي
انعمت علي وعلى والدي بالهداية والايمان واكثر المفسرين على ان الاشد ثلاث وثلاثون سنة
فصل قال ابن الخطيب مراتب سن الحيوان ثلاثة لان بدن الحيوان لا يتكون الا برطوبة

غريزية وحرارة غريزية والرطوبة الغريزية زايدة في اول العمر وناقصة في اخر العمر والانتقال
من الزيادة الى النقصان لا يعقل حصوله الا اذا حصل الاستوا في وسطها بين المدتين فثبت
ان مدة العمر منقسمة الى ثلاثة اقسام اولها ان تكون الرطوبة الغريزية زايدة على الحرارة
الغريزية وحينيذ تكون الاعضا عظيمة التمدد في ذواتها وزيادتها في الطول والعرض والعمق
وهذا هو سن النشو والنما والثانية وهي المرتبة المتوسطة ان تكون الرطوبة الغريزية وافية
بحفظ الحرارة الغريزية من غير زيادة ولا نقصان وهذا هو سن الوقوف وهو سن الشباب
والمرتبة الثالثة ان تكون الرطوبة الغريزية ناقصة عن الوفا بحفظ الحرارة الغريزية ثم
هذا النقصان على قسمين فالاول هو النقصان الخفي وهو سن الكهولة والثاني هو النقصان
الظاهر وهو سن الشيخوخة **قوله** اربعين اي تمامها فاربعين مفعول به قال المفسرون
لم يبعث نبي قط الا بعد اربعين سنة قال ابن الخطيب وهذا يشكل بعيسى عليه السلام فانه
تعالى جعله نبيا من اول العمر الا انه يجب ان يقال الاغلب انه ما جا الوحي الا بعد الاربعين وهكذا
كان الامر في حق نبينا صلى الله عليه وسلم **قوله** اوزعني قال ابن عباس معناه الهمني قال
الجوهري اوزعته اغريته به فهو موزع به اي مغري به واستوزعت الله فاوزعني
اي استلهمته فالهمني **قوله** وان اعمل صالحا ترضاه قال ابن عباس اجاب الله عز وجل
دعا ابي بكر فاعتق تسعة من المومنين يعذبون في الله منهم بلال وعامر بن فهيرة ولم يرد شيا
من الخير الا اعانه الله عليه ودعا ايضا فقال واصلح لي في ذريتي فاجابه الله تعالى فلم يكن
له ولد الا امنوا جميعا فاجتمع له اسلام ابويه واولاده جميعا فادرك ابو قحافة النبي صلى الله
عليه وسلم وابنه ابو بكر وابنه عبد الرحمن بن ابي بكر وابن عبد الرحمن ابو عتيق كلهم ادركوا النبي
صلى الله عليه وسلم ولم يكن ذلك لاحد من الصحابة **قوله** واصلح لي في ذريتي اصلح يتعدى
بنفسه لقوله واصلحنا له زوجه وانما يتعدى بفي لتضمنه معنى الطف بي في ذريتي او لانه جعل
الذرية ظرفا للاصلاح كقوله يجرح في عراقيبها نصلي والمعنى هب لي الصلاح في ذريتي واوقعه
فيهم **قوله** اني تبت اليك واني من المسلمين والمراد ان الدعا لا يصح الا مع التوبة ومع
كونه من المسلمين **قوله** اوليك الذين يتقبل عنهم قرا الاخوان وحفص نتقبل بفتح النون
مبنيا للفاعل ونصب احسن على المفعول به وكذلك نتجاوز والباقون مبنيا بهما للمفعول ورفع
احسن لقيامه مقام الفاعل ومكان النون يا مضمومة في الفعلين والحسن والاعمش وعيسى باليا
من تحت في الفاعل الله تعالى **فصل** ومعنى اوليك اي اهل هذا القول الذي تقدم
ذكرهم ممن يدعو بهذا الدعا يتقبل عنهم والتقبل من الله هو ايجاب الثواب له على عمله وقوله
احسن ما عملوا يعني اعمالهم الصالحة التي عملوها في الدنيا وكلها حسن **فان قيل**
كيف قال احسن ما عملوا والله يتقبل الاحسن وما دونه فالجواب من وجهين الاول ان
المراد بالاحسن الحسن كقوله تعالى واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم وكقولهم الناقص والاشج
اعدلا بني مروان اي عادلا بني مروان الثاني ان الحسن من الاعمال هو المباح الذي لا يتعلق
به ثواب ولا عقاب والاحسن ما يغاير ذلك وهو المندوب او الواجب وقوله ونتجاوز عن
سياتهم فلا يعاقبهم عليها **قوله** في اصحاب الجنة فيه اوجه اظهرها انه في محل الحال
اي كاينين في جملة اصحاب الجنة كقولك اكرمني الامير في اصحابه اي في جملتهم والثاني ان في
بمعنى مع الثالث انها خبر مبتدا مضمر اي هم في اصحاب الجنة **قوله** وعد الصدق مصدر
موكد لمضمون الجملة السابقة لان قوله اوليك الذين يتقبل عنهم في معنى الوعد فيكون قوله يتقبل
ونتجاوز وعدا من الله لهم بالتقبل والتجاوز والمعنى يعامل من صفته ما قدمنا بهذا الجزاء

وذلك وعد من الله فبين انه صدق لا شك فيه **قوله تعالى** والذي قال لوالديه
اف لكما الاية لما وصف الولد البار بوالديه وصف الولد العاق لوالديه ههنا واعلم انه
قد تقدم الكلام على اف **ولكما** بيان اي التافيف لكما خصوصا لك وهي كلمة كراهية اتعدانني
ان اخرج من قبري حيا وقد خلت القرون من قبلي ولم يبعث منهم احد قال ابن عباس
والسدي ومجاهد نزلت في عبد الله وقيل في عبد الرحمن بن ابي بكر قبل اسلامه كان ابواه يدعوانه
الى الاسلام وهو يابى وهو قوله اف لكما احيوا لي عبد الله بن جدعان وعامر بن كعب ومشايخ
قريش حتى اسالهم عما يقولون واحتجوا لهذا القول بانه لما كتب معوية الى ابن مروان بان
يبايع الناس ليزيد قال عبد الرحمن بن ابي بكر لقد جيتم شيا نكرا اتبايعون ابناكم فقال مروان
يا ايها الناس هو الذي قال الله فيه والذي قال لوالديه اف لكما والصحيح انها نزلت في كل كافر
عاق لوالديه قاله الحسن وقتادة وقال الزجاج قول من قال انها نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر
قبل اسلامه يبطله قوله اوليك الذين حق عليهم القول في امم فاعلم الله تعالى ان هولا
قد حقت عليهم كلمة العذاب وعبد الرحمن مومن من افاضل المومنين فلا يكون ممن حقت عليه
كلمة العذاب قال ابن الخطيب وهذا القول هو الصحيح فان قالوا روي انه لما دعاه ابواه
الى الاسلام واخبراه بالبعث بعد الموت قال اتعدانني ان اخرج من القبر يعني ابعث بعد
الموت وقد خلت القرون من قبلي يعني الامم الخالية فلم يرجعوا منهم عبد الله بن جدعان وفلان
وفلان فنقول **قوله** اوليك الذين حق عليهم القول المراد هولا الذين ذكرهم عبد الرحمن
من المشركين الذين ماتوا قبله ثم الذين حق عليهم القول فالضمير عايد الى المشار اليهم بقوله
وقد خلت القرون من قبلي لا الى المشار اليه بقوله والذي قال لوالديه اف لكما هذا جواب
الكلبي في دفع ذلك الدليل وهو حسن وايضا روي ان مروان لما خاطب عبد الرحمن بن ابي
بكر بذلك الكلام سمعت عايشة رضي الله عنها ذلك فغضبت وقالت والله ما هو به ولكن الله
لعن اباك وانت في صلبه واذا ثبت ذلك كان المراد كل ولد اتصف بالصفات المذكورة فلا
حاجة الى تخصيص اللفظ المطلق بشخص معين **قوله** اتعدانني العامة على نونين
مكسورتين الاولى للرفع والثانية للوقاية وهشام بالادغام ونافع في رواية بنون واحدة
وهذه شبيهة بقوله تامروني اعبد وقرا الحسن وشيبة وابو جعفر وعبد الوارث عن
ابي عمرو بفتح النون الاولى كانهم فروا من توالي مثلين مكسورين بعدهما يا وقال ابو البقا
وهي لغة شاذة في فتح نون الاثنين قال شهاب الدين ان عنى نون الاثنين في الاسما نحو قوله
على احوذيين استقلت فليس هذا منه وان عنى في الفعل فلم يثبت ذلك لغة وانما الفتح
هنا لما ذكرت **قوله** ان اخرج هو الموعود به فيجوز ان تقدر الباقبل ان وان لا يقدر بها
قوله وقد خلت جملة حالية وكذلك وهما يستغيثان الله اي يقولان الله واستغاث
يتعدى بنفسه تارة وبالبا اخرى وان كان ابن مالك زعم انه متعد بنفسه فقط وعاب قول
النحاة مستغاث به قال شهاب الدين لكنه لم يرد في القران الا متعديا بنفسه اذ تستغيثون
ربكم فاستغاثه الذي وان يستغيثوا يغاثوا قال ابن الخطيب معناه يستغيثان بالله من
كفره وانكاره فلما حذف الجار وصل الفعل ويجوز ان يقال حذف البا لانه اريد بالاستغاثة
الدعا فحذف الجار لان الدعا لا يقتضيه **قوله** ويلك منصوب على المصدر بفعل ملاق
له في المعنى دون الاشتقاق ومثله ويحه وويسه وويبه واما على المفعول به بتقدير الزمك
الله ويلك وعلى كلا التقديرين الجملة معمولة لقول مقدر اي يقولان ويلك امن والقول في محل
نصب على الحال اي يستغيثان الله قايلين ذلك والمعنى يقولان له ويلك امن وصدق بالبعث

وهو دعا عليه بالثبور والمراد الحث والتحريض على الايمان لا حقيقة الهلاك **قوله** ان وعد
الله حق قرا العامة بكسر ان استينافا او تعليلا وقرا ابو عمرو بن فايد والاعرج بفتحها على انها
معمولة لآمن على حذف الباء اي آمن بان وعد الله بالبعث حق فيقول لهما ما هذا الا اساطير الاولين
قوله اولئك الذين حق عليهم القول اي وجب عليهم العذاب في امم اي مع امم وقد تقدم
قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين **قوله** ولكل درجات مما عملوا قال
ابن عباس يريد من سبق الى الاسلام فهو افضل ممن تخلف عنه ولو ساعة وقال مقاتل ولكل
من الفريقين يعني البار بوالديه والعاق لهما درجات في الايمان والكفر والطاعة والمعصية
فان قيل كيف يجوز اطلاق لفظ الدرجات في اهل النار وقد روي الجنة
درجات والنار دركات فالجواب من وجوه احدها ان ذلك على جهة التغليب وثانيها
قال ابن زيد درج اهل الجنة تذهب علوا ودرج اهل النار تذهب هبوطا الثالث المراد بالدرج
المراتب المتزايدة فدرجات اهل الجنة في الخيرات والطاعات ودرجات اهل النار في المعاصي
والسيئات **قوله** وليوفيهم معلله محذوف تقديره جازاهم بذلك وقرا ابن كثير وابو عمرو
وعاصم وهشام بالياء من تحت وباقي السبعة بالنون والسلمي بالتاء من فوق اسند التوفية للدرجات
مجازا **قوله** وهم لا يظلمون اما استينافا واما حال موكدة **قوله** ويوم يعرض
اليوم منصوب بقول مقدر اي يقال لهم اذهبتم في يوم عرضهم وجعل الزمخشري هذا مثل
قولهم عرضت الناقة على الحوض فيكون قلبا ورده ابو حيان بانه ضرورة وايضا العرض امر
نسبي فيصح نسبته الى الناقة والى الحوض وقد تقدم الكلام في القلب وان فيه ثلاثة
مذاهب **قوله** اذهبتم قرا ابن كثير ااذهبتم بهمزتين الاولى محققة والثانية مسهلة
بين بين ولم يدخل بينهما الفا وهذا على قاعدته في ءانذرتهم ونحوه وابن عامر قرا ايضا بهمزتين
لكن اختلف راوياه عنه فهشام يسهل الثانية وحققها وادخل الفا في الوجهين وليس
على اصله فانه من اهل التحقيق وابن ذكوان بالتحقيق فقط دون ادخال الف والباقون بهمزة
واحدة فيكون اخبارا واما استفهاما سقطت اداته للدلالة عليها والاستفهام معناه التقريع
وكلا القراتين فصيحتان لان العرب تستفهم وتترك الاستفهام فتقول اذهبت ففعلت كذا و
ذهبت ففعلت كذا **قوله** في حياتكم يجوز تعلقه بمحذوف على انه حال من طيباتكم
فصل قيل المعنى يعرض الذين كفروا على ان يدخلون النار وقيل تعرض عليهم النار
ليروا اهوالها ويقال لهم اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها والمعنى ان ما قدر لكم
من الطيبات واللذات فقد استوفيتموه في الدنيا فلم يبق لكم بعد استيفا حظكم شي منها
وعن عمر رضي الله عنه لو شيت لكنت اطيبكم طعاما واحسنكم لباسا ولكني استبقي طيباتي قال
الواحدي ان الصالحين يوثرون التقشف والزهد في الدنيا رجاء ان يكون ثوابهم في الاخرة
اكمل لان هذه الاية لا تدل على المنع من التمتع لان هذه الاية وردت في حق الكافرين وانما وبخ الله
الكافر لانه تمتع بالدنيا ولم يود شكر المنعم بطاعته والايمان به واما المومن فانه يودي
بايمانه شكر المنعم فلا يوبخ بتمتعه ويدل على ذلك قوله تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج
لعباده والطيبات من الرزق نعم لا ينكر ان الاحتراز عن التنعم اولى لان النفس اذا اعتادت التنعم
صعب عليها الاحتراز والانقياد وحينيذ ربما حمل الميل الى تلك الطيبات على فعل ما لا ينبغي
روي عن عمر قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو على رمال حصير قد اثر الرمال
بجنبه فقلت يا رسول الله ادع الله ان يوسع على امتك فان فارسا والروم قد وسع عليهم وهم لا يعبدون
الله فقال اولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا وروت عايشة قالت ما شبع آل

محمد

محمد صلى الله عليه وسلم من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعنها قالت لقد كان ياتي علينا الشهر ما نوقد فيه نارا ما هو الا الما والتمر وعن ابن عباس قال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت الليالي المتتابعة طاويا واهله لا يجدون عشا وكان
اكثر خبزهم خبز الشعير والاحاديث فيه كثيرة **قوله** فاليوم تجزون عذاب الهون اي العذاب
الذي فيه ذل وخزي وقرى عذاب الهوان بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم
تفسقون فعلل تعالى ذلك العذاب بامرين احدهما الاستكبار والترفع وهو ذنب القلب والثاني
الفسق وهو ذنب الجوارح وقدم الاول على الثاني لان احوال القلب اعظم وقعا من اعمال
الجوارح ويمكن ان يكون المراد من الاستكبار انهم يتكبرون عن قبول الدين الحق ويستكبرون عن
الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والمراد بالفسق المعاصي **فصل** دلت الاية على ان
الكفار مخاطبون بفروع الاسلام لان الله تعالى علل عذابهم بامرين اولهما الكفر وثانيهما الفسق
وهذا الفسق لا بد وان يكون مغايرا لذلك الكفر لان العطف يوجب المغايرة فثبت ان فسق
الكافر يوجب العقاب في حقهم ولا معنى للفسق الا ترك المامورات وفعل المنهيات **قوله**
تعالى واذكر اخا عاد اذ انذر قومه بالاحقاف الاية لما ذكر دلايل النبوة والتوحيد
وكان اهل مكة بسبب استغراقهم في لذات الدنيا اعرضوا عنها ولم يلتفتوا اليها فلهذا
السبب قال تعالى في حقهم ويوم يعرض الذين كفروا على النار اذهبتم طيباتكم في حياتكم
الدنيا فلما كان الامر كما ذكر بين ان قوم عاد كانوا اكثر اموالا وقوة وجاها منهم ثم ان الله
تعالى سلط عليهم العذاب بكفرهم فذكر قصتهم ليعتبر بها اهل مكة فيتركوا الاغترار بما
وجدوه في الدنيا ويقبلوا على طلب الدين الحق فقال واذكر يا محمد لقومك اخا عاد وهو هود
عليه السلام **قوله** اذ انذر بدل من اخا بدل اشتمال وتقدم تحقيقه وقوله بالاحقاف
هي جمع حقف وهو الرمل المستطيل المعوج ومنه احقوقف الهلال قال امرؤ القيس
فلما اجزنا ساحة الحي وانتحى ... بنا بطن حقف ذي قفاف عقنقل . قال ابن عباس واد
بين عمان ومهرة وقال مقاتل كانت منازل عاد باليمن في حضرموت بموضع يقال له مهرة واليها
تنسب الابل المهرية وكانوا اهل عمد سيارة في الربيع فاذا هاج العود رجعوا الى منازلهم وكانوا
من قبيلة ارم قال قتادة ذكر لنا ان عادا كانوا احيا من اليمن كانوا اهل رمل مشرفين على البحر
بارض يقال لها الشحر **قوله** وقد خلت يجوز ان يكون حالا من الفاعل او من المفعول والرابط
الواو والنذر جمع نذير ويجوز ان تكون معترضة بين انذر وبين الا تعبدوا [illegible]
وقوله من بين يديه ومن خلفه اي مضت الرسل من قبل هود ومن خلفه اي بعده والمعنى اعلم
ان الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو انذاره **فصل**
قال المفسرون ان هودا عليه السلام كان ينذر قومه وقال لا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم
العذاب قالوا اجيتنا لتافكنا اي لتصرفنا عن الهتنا اي عن عبادتها والافك الصرف يقال افكه عن رايه
اذا صرفه عنه وقيل المراد لتلفتنا بالكذب عن الهتنا فاتنا بما تعدنا من معاجلة العذاب على
الكفر ان كنت من الصادقين في وعدك ان العذاب نازل بنا قال هود انما العلم عند الله وهو يعلم
متى ياتيكم العذاب وابلغكم ما ارسلت به من الوحي والتحذير من العذاب فاما العلم بوقته فلم
اوحاه الي ولكني اراكم قوما تجهلون وهذا يحتمل ان المراد انكم لا تعلمون ان الرسل لم يبعثوا مقترحين
ولا سايلين غير ما اذن لهم فيه وانما بعثوا مبلغين ويحتمل ان يكون المراد قوما تجهلون من حيث
انكم بقيتم مصرين على كفركم وجهلكم فيغلب على ظني انه قرب الوقت الذي ينزل عليكم بسبب هذا
الجهل المفرط والوقاحة التامة ويحتمل ان يكون المراد قوما تجهلون حيث تصرون على طلب العذاب

وهب انه لم يظهر لكم كوني صادقا ولكن لم يظهر لكم ايضا كوني كاذبا فالاقدام على الطلب الشديد
للعذاب جهل عظيم **قوله** فلما راوه عارضا في هاء راوه قولان احدهما انه عايد على ما
في قوله ما تعدنا والثاني انه ضمير مبهم يفسره عارضا اما تمييزا وحالا قالهما الزمخشري ورده
ابو حيان بان التمييز المفسر للضمير محصور في باب رب وفي نعم وبيس وبان الحال لم يعهد فيها
ان توضح الضمير قبلها وان النحويين لا يعرفون ذلك وذكر المبرد في الضمير ههنا قولين الاول ما
تقدم والثاني انه يعود الى غير مذكور وبينه قوله عارضا كقوله ما ترك على ظهرها من دابة
ولم يذكر الارض لكونها معلومة فكذا ههنا الضمير عايد الى السحاب كانه قيل فلما راوا السحاب
عارضا وهذا اختيار الزجاج ويكون من باب الاضمار لا على شريطة التفسير والعارض السحاب التي
ترى في ناحية السما ثم تطبق السما قال اهل اللغة العارض المعترض من السحاب في الجو قال
يا من راى عارضا ارقت له بين ذراعي وجبهة الاسد **قوله** مستقبل اوديتهم صفة لعارضا
واضافته غير محضة فمن ثم ساغ ان يكون نعتا للنكرة وكذلك ممطرنا وقع نعتا لعارض ومثله
يا رب هاطنا لو كان يطلبكم لاقى مباعدة منكم وحرمانا وقد تقدم ان اودية جمع واد وانه
افعلة وبه تجمعا فاعل في الفاظ كواد واودية وناد واندية وجائز واجوزة **فصل**
قال المفسرون كانت حبست عنهم المطر ايام فساق الله اليهم سحابة سودا فخرجت عليهم من واد لهم
يقال له المغيث فلما راوها استبشروا وقالوا هذا عارض ممطرنا فقال الله تعالى بل هو ما استعجلتم
به من العذاب ثم بين ماهيته ريح فيها عذاب اليم ثم وصف تلك الريح فقال تدمر كل شي بامر
ربها اي تهلك كل شي من الحيوان والناس باموربها ومعناه ان هذا ليس من باب تاثيرات الكواكب
والقرانات بل هو امر حدث ابتدا بقدرة الله تعالى لاجل تعذيبكم **قوله** بل هو ما استعجلتم
به قرى ما استعجلتم مبنيا للمفعول وقوله ريح يجوز ان يكون خبر مبتدا مضمر اي هو ريح ويجوز ان يكون
بدلا من هي وفيها عذاب صفة لريح وكذلك تدمر وقرى يدمر كل شي بالياء من تحت مفتوحة وسكون
الدال وضم الميم كل بالرفع على الفاعلية اي تهلك كل شي وزيد بن علي كذلك الا انه بالتاء من
فوقه ونصب كل والفاعل ضمير الريح وعلى هذا فيكون تدمر الثلاثي لازما ومتعديا **قوله**
فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم قرا حمزة وعاصم لا يرى بضم اليا من تحت مبنيا للمفعول مساكنهم
بالرفع لقيامه مقام الفاعل والباقون من السبعة بفتح تا الخطاب مساكنهم بالنصب مفعولا به
والجحدري والاعمش وابن ابي اسحاق والسلمي وابو رجا بضم التا من فوق مبنيا للمفعول مساكنهم
بالرفع لقيامه مقام الفاعل الا ان هذا عند الجمهور لا يجوز اعني اذا كان الا فانه تمنع لحاق
علامة التانيث في الفعل الا في ضرورة كقوله وما بقيت الا الضلوع الجراشع
وقوله كانه جمل هم وما بقيت الا النحيزة والالواح والعصب وعيسى الهمداني لا يرى باليا
من تحت مبنيا للمفعول مسكنهم بالتوحيد ونصر بن عاصم بتا الخطاب مسكنهم بالتوحيد ايضا
منصوبا واجتزى بالواحد عن الجمع **فصل** روي ان الريح كانت تحمل الفسطاط فترفعها
في الجو وتحمل الظعينة حتى ترى كانها جرادة وقيل ان اول من ابصر العذاب امراة منهم قالت
رايت فيها كشهب النار وروي ان اول ما عرفوا به انه عذاب اليم انهم راوا ما كان في الصحرا
من رجالهم ومواشيهم تطير بهم الريح بين السما والارض فدخلوا بيوتهم وغلقوا ابوابهم فقلعت
الريح الابواب وصرعتهم وامال الله عليهم الاحقاف فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية ايام لهم انين
ثم امر الله الريح فكشفت عنهم الرمال واحتملتهم فرمت بهم في البحر وروي ان هودا لما احس بالريح
خط على نفسه وعلى المومنين خطا الى جنب عين تنبع وكانت الريح التي تصيبهم ريحا طيبة هادية
والريح التي تصيب قوم عاد ترفعهم من الارض وتطير بهم الى السما وتضربهم على الارض واثر المعجزة

انما

انما ظهر في تلك الريح من هذا الوجه قال عليه السلام ما امر الله خازن الرياح ان يرسل على عاد
الا مثل مقدار الخاتم وذلك القدر اهلكهم كليتهم وذلك اظهار قدرة الله تعالى وعن النبي صلى الله
عليه وسلم انه كان اذا راى الريح فزع وقال اللهم اني اسالك خيرها وخير ما ارسلت به واعوذ
بك من شرها وشر ما ارسلت به ثم قال تعالى كذلك نجزي القوم المجرمين والمقصود منه
تخويف كفار مكة **فان قيل** لما قال تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم فكيف
تحصل التخويف فالجواب ان ذلك كان قبل نزول الاية **قوله** ولقد مكناهم فيما ان مكناكم
فيه ما موصولة او موصوفة وفي ان ثلاثة اوجه احدها شرطية وجوابها محذوف والجملة الشرطية
صلة ما والتقدير في الذي ان مكناكم فيه طغيتم والثاني انها مزيدة تشبيها للموصولة بما
النافية والتوقيتية وهو كقوله يرجي المرء ما ان لا يراه ويعرض دون ادناه الخطوب
والثالث وهو الصحيح انها نافية بمعنى مكناهم في الذي ما مكناكم فيه من القوة والبسطة وسعة
الارزاق ويدل له قوله في مواضع كانوا اشد منهم قوة واثارا وانما عدل عن لفظ ما النافية
الى ان كراهية لاجتماع متماثلين لفظا قال الزمخشري وقد اغث ابو الطيب في قوله
لعمرك ما ما بان منك بضارب وما ضره لو اقتدى بعذوبة لفظ التنزيل فقال ما ان بان
منك **فصل** معنى الاية مكناهم فيما لم نمكنكم فيه من قوة الابدان وطول العمر وكثرة
المال ثم انهم مع زيادة القوة ما نجوا من عذاب الله تعالى فكيف يكون حالكم ثم قال وجعلنا
لهم سمعا وابصارا وافيدة اي فتحنا عليهم ابواب النعم واعطيناهم سمعا فما استعملوه في سماع الدلايل
واعطيناهم ابصارا فما استعملوها في دلايل ملكوت السموات والارض واعطيناهم افيدة فما
استعملوها في طلب معرفة الله تعالى بل صرفوا كل هذه القوى الى طلب الدنيا ولذاتها فلاجرم ما اغنى
عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افيدتهم من عذاب الله تعالى **قوله** فما اغنى يجوز ان تكون نافية
وهو الظاهر وان تكون استفهامية للتقرير واستبعده ابو حيان لاجل قوله من شي قال اذ يصير
التقدير اي شي اغنى عنهم من شي فزاد من في الواجب وهو لا يجوز على الصحيح قال شهاب الدين
قالوا يجوز زيادتها في غير الموجب بالنفي والنهي والاستفهام وهذا استفهام **قوله** اذ كانوا
معمول لاغنى وهي مشربة معنى التعليل اي لانهم كانوا يجحدون فهو كقوله ضربته اذ اساء اي ضربته لانه
اسا وفي هذه الاية تخويف لاهل مكة ثم قال وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون يعني انهم كانوا
يطلبون نزول العذاب على سبيل الاستهزا **قوله تعالى** ولقد اهلكنا ما حولكم من
القرى يا كفار مكة كحجر ثمود وعاد باليمن وارض سدوم ونحوها بالشام وصرفنا الايات لعلهم
بينا لهم لعل اهل القرى يرجعون قال الجبائي قوله لعلهم يرجعون معناه لكي يرجعوا
عن كفرهم وذلك يدل على انه تعالى اراد رجوعهم ولم يرد اصرارهم واجيب بانه فعل ما لو
فعله غيره لكان ذلك لاجل الارادة المذكورة وانما ذهبنا الى هذا التاويل للدلايل الدالة على انه
تعالى مريد لجميع الكاينات **قوله تعالى** فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا
الهة القربان ما تقرب به الى الله اي اتخذوهم شفعا وقالوا هولا شفعاونا عند الله
وقالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى **قوله** قربانا الهة فيه اربعة اوجه اظهرها
ان المفعول الاول لاتخذوا محذوف هو عايد الموصول وقربانا نصب على الحال والهة هو المفعول
الثاني للاتخاذ والتقدير فلولا نصرهم الذين اتخذوهم متقربا بهم الهة الثاني ان المفعول
الاول محذوف كما تقدم وقربانا مفعولا ثانيا والهة بدل منه واليه نحا ابن عطية والحوفي
وابو البقا الا ان الزمخشري منع هذا الوجه قال لفساد المعنى ولم يبين جهة الفساد قال
ابو حيان ويظهر ان المعنى صحيح على ذلك الاعراب قال شهاب الدين ووجه الفساد والله اعلم

ان القربان اسم لما يتقرب به الى الاله فلو جعلناه مفعولا ثانيا وآلهة بدلا منه لزم ان يكون الشيء المتقرب به آلهة والزمن انه غير الالهة بل هو شيء يتقرب به اليها فهو غيرها فكيف تكون الالهة بدلا منه هذا ما لا يجوز الثالث ان قربانا مفعول من اجله وعزاه ابو حيان للحوفي واليه ذهب ابو البقا ايضا وعلى هذا فآلهة مفعول ثان والاول محذوف كما تقدم الرابع ان يكون مصدرا نقله مكي ولولا انه ذكر وجها ثانيا وهو المفعول من اجله لكان كلامه مؤولا بانه اراد بالمصدر المفعول من اجله لبعد معنى المصدر **قوله** بل ضلوا عنهم قال مقاتل بل ضلت الالهة عنهم فلم ينفعهم عند نزول العذاب بهم **قوله** وذلك افكهم العامة على كسر الهمزة وسكون الفاء مصدر افك يافك افكا اي كذبهم وابن عباس بالفتح وهو مصدر له ايضا وابن عباس ايضا وعكرمة والصباح بن العلا أفكهم بثلاث فتحات فعلا ماضيا اي صرفهم وابو عياض وعكرمة ايضا كذلك الا انه بتشديد الفاء للتكثير وابن الزبير وابن عباس ايضا آفكهم بالمد فعلا ماضيا ايضا وهو يحتمل ان يكون بزنة فاعل فالهمزة اصلية وان يكون بزنة افعل فالهمزة زايدة والثانية بدل من همزة واذا قلنا انه افعل فهمزته تحتمل ان تكون للتعدية وان تكون افعل بمعنى المجرد وابن عباس ايضا آفكهم بالمد وكسر الفا ورفع الكاف جعله اسم فاعل بمعنى صارفهم وقرى أفَكهم بفتحتين ورفع الكاف على انه مصدر لافك ايضا فيكون له ثلاثة مصادر الأفك والإفك بفتح الهمزة وكسرها مع سكون الفا وفتح الهمزة والفاء وزاد ابو البقا انه قرى آفكهم بالمد وفتح الفاء ورفع الكاف قال بمعنى كذبهم فجعله افعل تفضيل **قوله** وما كانوا يفترون يجوز ان يكون ما مصدرية وهو الاحسن ليتعطف على مثله وان يكون بمعنى الذي والعايد محذوف اي يفترونه والمصدر من قوله افكهم يجوز ان يكون مضافا الى الفاعل بمعنى كذبهم والى المفعول بمعنى صرفهم والمعنى وذلك افكهم اي كذبهم الذي كانوا يقولون انها تقربهم الى الله وتشفع لهم وما كانوا يفترون يكذبون انها آلهة **قوله تعالى** واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الاية لما بين ان في الانس من آمن ومنهم من كفر بين ايضا ان في الجن من آمن ومنهم من كفر وان مؤمنهم معرض للثواب وان كافرهم معرض للعقاب **قوله** واذ صرفنا منصوب باذكر مقدرا وقرى صرّفنا بالتشديد للتكثير من الجن صفة لنفرا ويجوز ان يتعلق بصرفنا ومن لابتدا الغاية **قوله** يستمعون صفة ايضا لنفرا او حال لتخصصه بالصفة ان قلنا ان من الجن صفة له وراعى معنى النفر فاعاد عليه الضمير جمعا ولو راعى لفظه فقال يستمع لجاز **قوله** فلما حضروه يجوز ان يكون الهاء للقرآن وهو الظاهر وان يكون للرسول عليه السلام وحينئذ يكون في الكلام التفات من قوله اليك الى الغيبة في قوله حضروه **قوله** فلما قضي العامة على بنائه للمفعول اي فرغ قراة القرآن وهو يويد عود هاء حضروه على القرآن وابو مجلز وحبيب بن عبد الله قضى مبنيا للفاعل اي اتم الرسول قراته وهي تويد عودها على الرسول عليه السلام **فصل** ذكروا في كيفية هذه الواقعة قولين الاول قال سعيد بن جبير كانت الجن تستمع فلما رجموا قالوا هذا الذي حدث في السما انما حدث لشي في الارض فذهبوا يطلبون السبب وكان قد اتفق ان النبي صلى الله عليه وسلم لما ايس من اهل مكة ان يجيبوه خرج الى الطايف ليدعوهم الى الاسلام فلما انصرف الى مكة وكان ببطن مكة نخله قام يقرا القرآن فمر به نفر من اشراف جن نصيبين كان ابليس بعثهم ليعرف السبب الذي اوجب حراسة السما بالرجم فسمعوا القرآن فعرفوا ان ذلك هو السبب والقول الثاني ان الله امر رسوله بان ينذر الجن ويدعوهم الى الله تعالى ويقرا عليهم القرآن فصرف الله اليه نفرا من الجن يستمعوا منه القرآن وينذروا قومهم

فصل نقل القاضي في تفسيره ان الجن كانوا يهودا لان في الجن مللا كما في الانس من اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الاوثان واطبق المحققون على ان الجن مكلفون سيل ابن عباس هل للجن ثواب قال نعم لهم ثواب وعليهم عقاب يلتقون في ابواب الجنة ويزدحمون على ابوابها **فصل** قال الزمخشري النفر دون العشرة ويجمع على انفار روى الطبري عن ابن عباس ان اوليك الجن كانوا سبعة نفر من اهل نصيبين فجعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلا الى قومهم وعن زر بن حبيش كانوا تسعة احدهم زوبعة وعن قتادة ذكر لنا انهم صرفوا اليه من نينوى واختلفت الروايات في انه هل كان عبد الله بن مسعود مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن **فصل** روى القاضي في تفسيره عن انس قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وهو بظاهر المدينة اذ اقبل شيخ يتوكا على عكازه فقال النبي صلى الله عليه وسلم انها لمشية جني ثم اتى فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم انها لنغمة جني فقال الشيخ اجل يا رسول الله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم من اي الجن انت قال يا رسول الله انا هام بن هيم بن لاقيس بن ابليس فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا ارى بينك وبين ابليس الا ابوين قال اجل يا رسول الله قال كم اتى عليك من العمر قال اكلت عمر الدنيا الا القليل كنت حين قتل قابيل هابيل غلاما ابن اعوام فكنت اتشوف على الاكام واصطاد الهام واورش بين الانام فقال النبي صلى الله عليه وسلم بيس العمل قال يا رسول الله دعني من العتب فاني ممن آمن مع نوح عليه السلام وعاتبته في دعوته فبكا وابكاني وقال اني والله لمن النادمين واعوذ بالله ان اكون من الجاهلين ولقيت هودا فعاتبته في دعوته فبكا وابكاني وقال والله اني لمن النادمين واعوذ بالله ان اكون من الجاهلين ولقيت ابرهيم وآمنت به وكنت بينه وبين الارض اذ رمي به في المنجنيق وكنت معه في النار اذ القي فيها وكنت مع يوسف اذ القي في الجب فسبقته الى قعره ولقيت موسى بن عمران بالمكان الاثير وكنت مع عيسى بن مريم فقال لي ان لقيت محمدا فاقرا عليه السلام قال انس فقال النبي صلى الله عليه وسلم وعليه السلام وعليك يا هام ما حاجتك قال ان موسى عليه السلام علمني التورية وان عيسى علمني الانجيل فعلمني القرآن قال انس فعلمه النبي صلى الله عليه وسلم عشر سور وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينعه الينا قال عمر بن الخطاب ولا اراه الا حيا وروي انه علمه سورة الواقعة وعم يتساءلون واذا الشمس كورت وقل يا ايها الكافرون وسورة الاخلاص والمعوذتين **فصل** اختلفوا في عدد النفر فقال ابن عباس كانوا سبعة وقد تقدم وقيل كانوا تسعة وروى عاصم عن زر بن حبيش قال زوبعة من التسعة الذين استمعوا القرآن فلما حضروه قالوا انصتوا اي قال بعضهم لبعض انصتوا اي اسكتوا مستمعين يقال انصت لكذا واستنصت له وروي في الحديث ان الجنة ثلاثة اصناف صنف لهم اجنحة يطيرون في الهواء وصنف حيات وكلاب وصنف يحلون ويظعنون ثم انهم لما استمعوا القرآن حتى فرغ من تلاوته ولوا الى قومهم انصرفوا اليهم منذرين مخوفين داعين بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك لا يكون الا بعد ايمانهم لانهم لا يدعون غيرهم الى سماع القرآن والتصديق به الا وقد آمنوا فعند ذلك قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه اي لكتب الانبيا وذلك ان كتب سائر الانبيا كانت مشتملة على الدعوة الى التوحيد والدعوة الى النبوة والمعاد وتطهير الاخلاق وكذلك هذا الكتاب مشتمل على هذه المعاني وهو معنى قوله يهدي الى الحق والى طريق مستقيم **فإن قيل** كيف قالوا من بعد موسى ولم يقولوا من بعد عيسى فالجواب انه

روي عن عطا والحسن انه كان دينهم اليهودية فلذلك قالوا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى
وعن ابن عباس ان الجن ما سمعت امر عيسى فلذلك قالوا من بعد موسى ثم ان الجن لما وصفوا القران
بهذه الصفات الفاضلة قالوا يا قومنا اجيبوا داعي الله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم **فصل**
دلت الاية على انه صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا الى الجن كما كان مبعوثا الى الانس قال مقاتل
لم يبعث الله نبيا الى الانس والجن قبله **فان قيل** قوله اجيبوا داعي الله امر باجابته
في كل ما امر به فيدخل فيه الامر بالايمان فكيف قال وامنوا به فالجواب انما اعاد ذكر
الايمان على التعيين لانه اهم الاقسام واشرفها وقد جرت عادة القران بانه يذكر
اللفظ العام ثم يعطف عليه اشرف انواعه كقوله وملايكته ورسله وجبريل وميكال
وقوله واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح ولما امر بالايمان به ذكر
فايدة ذلك الايمان فقال يغفر لكم من ذنوبكم قال بعضهم كلمة من زايدة والتقدير
يغفر لكم ذنوبكم وقيل فايدته ان كلمة من لابتدا الغاية والمعنى انه يقع ابتدا الغفران بالذنوب
ثم ينتهي الى غفران ما صدر عنكم من ترك الاولى والاكمل ويجوز ان تكون تبعيضية **قوله**
ويجركم من عذاب اليم قال ابن عباس فاستجاب لهم من قومهم نحو سبعين رجلا من الجن
فرجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوافقوه في البطحا فقرا عليهم القران وامرهم
ونهاهم **فصل** اختلفوا في ان الجن هل لهم ثواب ام لا فقيل لا ثواب لهم الا النجاة
من النار ثم يقال لهم كونوا ترابا مثل البهايم واحتجوا على ذلك بقوله ويجركم من عذاب اليم
وهو قول ابي حنيفة والصحيح ان حكمهم حكم بني ادم يستحقون الثواب على الطاعة والعقاب
على المعصية وهو قول ابن ابي ليلى ومالك وتقدم عن ابن عباس ايضا نحو ذلك قال الضحاك
يدخلون الجنة وياكلون ويشربون لان كل دليل دل على ان البشر يستحقون الثواب على الطاعة
فهو بعينه قايم في حق الجن والفرق بينهما بعيد جدا وذكر النقاش في تفسيره حديثا انهم
يدخلون الجنة فقيل هل يصيبون من نعيمها قال يلهمهم الله تسبيحه وذكره فيصيبهم من لذته
ما يصيب بنو ادم من نعيم الجنة وقال ارطاة بن المنذر سالت ضمرة بن حبيب هل للجن
ثواب قال نعم وتلا لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان وقال عمر بن عبد العزيز ان مومني الجن حول
الجنة في ربض ورحاب وليسوا فيها **قوله** ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض اي
لا يعجز الله فيفوته وليس له من دونه اوليا انصار يمنعونه منه اولئك في ضلال مبين
قوله تعالى اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض الاية اعلم انه تعالى ذكر
من اول السورة الى هنا امر التوحيد والنبوة ثم ذكر هاهنا تقرير المعاد ومن تامل ذلك
علم ان المقصود من القران كله تقرير هذه الاصول الثلاثة واعلم ان المقصود من هذه
الاية الدلالة على كونه تعالى قادرا على البعث لانه تعالى اقام الدليل على خلق السموات والارض
وخلقهما اعظم من اعادة هذا الشخص حيا بعد ان كان ميتا والقادر على الاكمل لا بد وان يكون
قادرا على ما دونه **قوله** ولم يعي بخلقهن العامة على سكون العين وفتح اليا مضارع عيي
بالكسر يعيى بالفتح والجازم حذف الالف وقرا الحسن يعي بكسر العين وسكون اليا قالوا
واصلها عيي بالكسر فجعل الكسرة فتحة على لغة طي فصار عيا كما قالوا في بقي بقا
… نقل الفتحة … فصار … الماضي …
اليا الثانية فصار … حذف …
… وقد تقدم ان في عيي … لغتان الفك والادغام … في الانفال وعيي
نكقوله عيوا بامرهم كما عيت ببيضها الحمامة والعي عدم الاهتدا الى جهة ومنه

العي

العي في الكلام وعيي بالامر اذا لم يهتد لوجهه **قوله** بقادر الباء زايدة وحسن زيادتها كون
الكلام في قوة اليس الله بقادر قال ابو عبيدة والاخفش الباء زايدة للتوكيد كقوله تنبت
بالدهن وقاس الزجاج ما ظننت ان احدا بقايم عليها والصحيح التوقف وقال الكسائي
والفرا العرب تدخل الباء في الاستفهام مع الجحد فتقول ما اظنك بقايم وقرا عيسى وزيد بن علي
والجحدري يقدر بالياء مضارع قدر والرسم يحتمله واختار ابو عبيد قراءة العامة لانها
في قراءة عبد الله قادر بغير باء **قوله** بلى اجاب لما تضمنه الكلام من النفي في قوله اولم
يروا **قوله** ويوم يعرض الذين كفروا على النار فيقال لهم اليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا
فقوله اليس هذا معمول لقول مضمر هو حال كما تقدم في نظيره والمقصود من هذا الاستفهام
التهكم والتوبيخ على استهزايهم بوعد الله تعالى ووعيده فيقال لهم فذوقوا العذاب بما
كنتم تكفرون **قوله تعالى** فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل الفا في قوله فاصبر
عاطفة هذه الجملة على ما تقدم والسببية فيها ظاهرة واعلم انه تعالى لما قرر المطالب
الثلاثة وهي التوحيد والنبوة والمعاد واجاب عن الشبهات اردفه بما يجري مجرى الوعظ
والنصيحة للرسول صلى الله عليه وسلم وذلك لان الكفار كانوا يوذونه ويوحشون صدره
فقال تعالى فاصبر كما صبروا اولوا العزم اي اولو الجد والصبر والثبات وقال ابن عباس
اولو الحزم **قوله** من الرسل يجوز ان تكون من تبعيضية وعلى هذا فالرسل اولو عزم وغير
اولي عزم ويجوز ان تكون للبيان فكلهم على هذا اولو العزم قال ابن زيد كل الرسل كانوا اولي عزم
لم يبعث الله نبيا الا كان ذا عزم وحزم وراي وكمال عقل وانما دخلت من للتجنيس لا للتبعيض
كما يقال اشتريت من الخز واردية من البز وقيل الانبيا كلهم اولو العزم الا يونس لعجلة كانت
منه الا ترى انه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم ولا تكن كصاحب الحوت وقيل هم نجبا الرسل
وهم المذكورون في سورة الانعام وهم ثمانية عشر لقوله بعد ذكرهم اولئك الذين هدى الله
فبهداهم اقتده وقال الكلبي هم الذين امروا بالجهاد واظهروا المكاشفة مع اعدا الدين
وقيل هم ستة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى وهم المذكورون على النسق في سورة الاعراف
والشعرا وقال مقاتل هم ستة نوح صبر على اذى قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وابرهيم
صبر على النار وذبح الولد واسحق صبر على الذبح ويعقوب صبر على فقد ولده وذهاب بصره
ويوسف صبر في الجب والسجن وايوب صبر على الضر وقال ابن عباس وقتادة هم نوح وابرهيم
وموسى وعيسى اصحاب الشرايع فهم مع محمد خمسة قال البغوي ذكرهم الله على التخصيص في قوله واذ
اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابرهيم وموسى وعيسى ابن مريم وفي قوله شرع
لكم من الدين ما وصى به نوحا الاية روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعايشة يا عايشة ان الله
لم يرض لاولي العزم الا بالصبر على مكروهها والصبر على محبوبها لم يرض الا ان كلفني ما كلفهم قال
فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل واني والله لا بد لي من طاعته والله لاصبرن كما صبروا واجهد
ولا قوة الا بالله **قوله** ولا تستعجل لهم العذاب فانه نازل بهم قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم
ضجر من قومه بعض الضجر واحب ان ينزل الله العذاب بمن ابى من قومه فامر بالصبر وترك الاستعجال
ثم اخبر ان ذلك العذاب اذا نزل بهم يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا حتى يحسبونها ساعة من نهار
فقال كانهم يوم يرون ما يوعدون من العذاب لم يلبثوا الا ساعة من نهار اذا عاينوا العذاب
صار طول لبثهم في الدنيا والبرزخ كانه ساعة من النهار او كان لم يكن لهول ما عاينوا لان ما
مضى وان كان طويلا صار كانه لم يكن قال الشاعر كان شيا لم يكن اذا مضى كان شيا لم يكن اذا اتى
واعلم انه تم الكلام هاهنا **قوله** بلاغ العامة على رفعه وفيه وجهان احدهما انه خبر

مبتدا محذوف فقدره بعضهم تلك الساعة بلاغ لدلالة قوله الا ساعة من نهار وقيل تقديره
هذا اي القران والشرع بلاغ من الله الكريم والثاني انه مبتدا والخبر قوله لهم الواقع بعد قوله
ولا تستعجل اي لهم بلاغ فيوقف على فلا تستعجل وهو ضعيف جدا للفصل بالجملة التشبيهية ولان
الظاهر تعلق لهم بالاستعجال فهو تشبيه المهمه والقطع وقرا زيد بن علي والحسن وعيسى بلاغا نصبا
على المصدر اي بلغ بلاغا ويؤيده قراة ابي مجلز بلغ امرا وقرا ايضا بلغ فعلا امرا ماضيا
و يوخذ من كلام مكي انه يجوز نصبه نعتا لساعة فانه قال ولو قرئ بلاغا بالنصب على المصدر
او على النعت لساعة جاز وكانه لم يطلع على ذلك قراة وقرا الحسن ايضا بلاغ بالجر وتخرج على
الوصف لنهار على حذف مضاف اي من نهار ذي بلاغ او وصف الزمان بالبلاغ مبالغة والبلاغ
بمعنى التبليغ **قوله** فهل يهلك العامة على بنائه للمفعول وابن محيصن يهلك بفتح اليا
وكسر اللام مبنيا للفاعل وعنه ايضا فتح اللام وهي لغة والماضي هلك بالكسر قال ابن جني
كل مرغوب عنها وزيد بن ثابت بضم اليا وكسر اللام والفاعل هو الله تعالى القوم الفاسقين
نصبا على المفعول به وقرئ نهلك بالنون وكسر اللام ونصب القوم **فصل** المعنى لم
يهلك بالعذاب اذا نزل الا القوم الفاسقون الخارجون عن امر الله قال الزجاج تاويله
لا يهلك مع رحمة الله وفضله الا القوم الفاسقون ولهذا قال قوم ما في الرجي لرحمة الله
اقوى من هذه الاية روي ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة
الاحقاف اعطي من الاجر بعدد كل رمل في الدنيا عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع
له عشر درجات

سورة محمد صلى الله عليه وسلم مدنية

وهي ثمان وثلاثون اية وخمس مائة وتسع وثلاثون كلمة والفان وثلاث مائة وتسعة
واربعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** الذين كفروا وصدوا عن سبيل
الله الاية اول هذه السورة مناسب لاخر السورة المتقدمة والمراد بالذين كفروا قيل هم الذين
كانوا يطعمون الجيش يوم بدر منهم ابو جهل والحرث ابنا هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وغيرهم
وقيل كفار قريش وقيل اهل الكتاب وقيل كل كافر ومعنى صدهم عن سبيل الله قيل صدوا انفسهم
عن السبيل ومنعوا عقولهم من اتباع الدليل وقيل صدوا غيرهم ومنعوهم **قوله** الذين كفروا
يجوز فيه الرفع على الابتدا والخبر الجملة من قوله اضل اعمالهم ويجوز نصبه على الاشتغال بفعل
مقدر يفسره اضل من حيث المعنى اي خيب الذين كفروا **قوله** اضل اعمالهم اي ابطلها فلم
يقبلها واراد بالاعمال ما فعلوا من اطعام الطعام وصلة الارحام قال الضحاك ابطل كيدهم ومكرهم
بالنبي صلى الله عليه وسلم وجعل الدايرة عليهم **قوله** والذين كفروا يجوز فيه الوجهان المتقدمان
وتفسير الفعل نحو الذين امنوا **قوله** وامنوا بما نزل على محمد العامة على نزل للمفعول
مشددا وزيد بن علي وابن مقسم نزل مبنيا للفاعل وهو الله والاعمش انزل بهمزة التعدية مبنيا
للمفعول وقرئ نزل ثلاثيا مبنيا للفاعل قال سفين الثوري لم تخالفوه في شي قال ابن عباس الذين
كفروا وصدوا واشركوا اهل مكة والذين امنوا وعملوا الصالحات الانصار **قوله** وهو الحق جملة معترضة
بين المبتدا والخبر او بين المفسر والمفسر **قوله** كفر عنهم سياتهم واصلح بالهم حالهم وتقدم
تفسير البال في طه قال ابن عباس يعني اصلح اي عصمهم ايام حياتهم يعني ان هذا الاصلاح يعود الى
صلاح اعمالهم حتى لا يعصوا **فصل** قالت المعتزلة تكفير السيات مرتب على الايمان والعمل
الصالح فمن امن ولم يعمل صالحا يبقى في العذاب خالدا والجواب لو كان كما ذكرتم لكان الاضلال
مرتبا على الكفر والصد فمن يكفر لا ينبغي ان تضل اعماله او نقول ان الله تعالى رتب امرين على امرين
فمن امن كفر سياته ومن عمل صالحا اصلح باله او نقول اي مومن يتصور غير ات بالصالحات بحيث

لا يصدر عنه صلوة ولا صيام ولا صدقة ولا اطعام وعلى هذا فقوله وعملوا عطف المسبب على السبب
كقول القايل اكلت كثيرا وشبعت **فإن قيل** ما الحكمة في قوله وامنوا بما نزل على محمد
مع ان قوله امنوا وعملوا الصالحات افاد هذا المعنى فالجواب من وجوه الاول قوله والذين امنوا
اي بالله ورسوله واليوم الاخر وقوله امنوا بما نزل اي بجميع الاشيا الواردة في كلام الله ورسوله
تعميما بعد امور خاصة كقولنا خلق الله السموات والارض وكل شي اما على معنى وكل شي غير ما
ذكرنا واما على العموم بعد ذكر المخصوص الثاني ان يكون المعنى امنوا وامنوا من قبل بما نزل على محمد
وهو الحق المعجز الفارق بين الكاذب والصادق يعني امنوا اولا بالمعجز وايقنوا ان القران لا ياتي به غير
الله فامنوا وعملوا الصالحات والواو للجمع المطلق يجوز ان يكون المتاخر ذكرا متقدما وقوعا وهذا
كقول القايل امن به وكان الايمان به واجبا ويكون بيانا لايمانهم كانه قال امنوا وامنوا بما
نزل على محمد اي امنوا وامنوا بالحق كقول القايل خرجت وخرجت مصيبا اي وكان خروجي جيدا
حيث نجوت من كذا او ربحت كذا لما قال امنوا بين ان ايمانهم كان بما امر الله وانزل الله لا ايمانهم
كان بالملاهي عند غير الله **قوله** ذلك فيه وجهان اظهرهما انه مبتدا والخبر الجار بعده والثاني
قاله الزمخشري انه خبر مبتدا مضمر اي الامر ذلك بسبب كذا فالجار في محل نصب قال ابو حيان ولا
حاجة اليه **قوله** بان الذين كفروا اتبعوا الباطل اي الشيطان وقيل قول كبرايهم ودين
ابايهم وان الذين امنوا اتبعوا الحق من ربهم يعني القران وقيل الحق هو الله تعالى وعلى هذا فلا يكون
قوله من ربهم متعلقا بالحق وانما يتعلق بقوله تعالى اتبعوا اي اتبعوا من ربهم اي من فضل
الله او هداية ربهم اتبعوا الحق وهو الله تعالى ويحتمل ان يقال قوله من ربهم عايد الى الفريقين
جميعا اي من ربهم اتبع هولاء الباطل وهولاء الحق اي من حكم ربهم ومن عند ربهم **قوله**
كذلك يضرب خرجه الزمخشري على مثل ذلك الضرب يضرب الله للناس امثالهم والضرب راجع الى
الفريقين او الى الناس على معنى انه يضرب امثالهم لاجل الناس ليعتبروا **فصل** قال
الزجاج معناه كذلك يبين الله امثال حسنات المومنين واضلال اعمال الكافرين والمراد بالامثال
الاشكال وقيل يبين كون الكافر متبعا للباطل وكون المومن متبعا للحق والضمير في قوله امثالهم
فيه وجهان احدهما انه يعود الى الناس كانه تعالى قال يضرب الله للناس امثالا بعينهم الثاني
يعود الى الفريقين السابقين والمعنى يضرب الله للناس امثال الفريقين السابقين **قوله** فاذا
لقيتم العامل في هذا الظرف فعل مقدر هو العامل في ضرب الرقاب تقديره فاضربوا
الرقاب وقت ملاقاتكم العدو ومنع ابو البقا ان يكون المصدر نفسه عاملا قال لانه موكد وفيه
احد القولين في المصدر النايب عن الفعل نحو ضربا زيدا هل العمل منسوب اليه ام الى عامله ومنه
على حين الهي الناس جل امورهم ⁕ فندلا زريق المال ندل الثعالب ⁕ فالمال منصوب اما بندل
او بندلا والمصدر ههنا اضيف الى معموله وبه استدل على ان العمل للمصدر لاضافته الى
ما بعده ولو لم يكن عاملا لما اضيف الى ما بعده **فصل** قال ابن الخطيب الفا في
قوله فاذا لقيتم يستدعي متعلقا تتعلق به وتترتب عليه وفيه وجوه الاول لما بين ان الذين كفروا
اضل اعمالهم وان اعتبار الانسان بالعمل ومن لا عمل له فهو همج اعدامه خير من وجوده فاذا لقيتم
الذين كفروا فاقطعوا رؤوسهم لانه لا حرمة لهم بعد ابطال عملهم فاضربوا اعناقهم قال البغوي فضرب
الرقاب نصب على الاغرا الثاني اذا تبين تباين الفريقين وتباعد الطريقين بان احدهما
يتبع الباطل وهو حزب الشيطان والاخر يتبع الحق وهو حزب الرحمن حق القتال فاذا لقيتموهم
فاقتلوهم الثالث ان من الناس من يقول لضعف قلبه وقصور نظره ايلام الحيوان من الظلم
والطغيان ولاسيما القتل الذي هو تخريب بنيان فيقال ردا عليهم لما كان اعتبار الاعمال باتباع

الحق والباطل فمن يقتل في سبيل الله لتعظيم الله وبامره له من الاجر ما للمصلي والصايم فاذا لقيتم الذين
كفروا فاقتلوهم ولا تاخذكم بهما رافة فان ذلك اتباع الحق والاعتبار به لا بصورة الفعل **فصل**
والحكمة في اختيار ضرب الرقبة دون غيرها من الاعضاء لان المؤمن هنا ليس بدافع انما هو رافع وذلك
لان من يدفع الصايل لا ينبغي ان يقصده اولا ويقتله بل يتدرج ويضرب غير المقتل فان اندفع فذاك
ولا يرتقي الى درجة الاهلاك فاخبر تعالى انه ليس المقصود دفعهم عنكم بل المقصود دفعهم عن وجه
الارض بالكلية وتطهير الارض منهم وكيف لا والارض لكم مسجد والمشركون نجس والمسجد يطهر عن
النجاسة فاذن ينبغي ان يكون قصدكم اولا الى قتلهم بخلاف دفع الصايل والرقبة اظهر المقاتل
لان قطع الحلقوم والاوداج مستلزم للموت لكن في الحرب لا يتهيا ذلك والرقبة ظاهرة في الحرب
ففي ضربها حز العنق وهو مستلزم للموت بخلاف ساير المواضع ولا سيما في الحرب وفي قوله
لقيتم ما ينبي عن مخالفتهم الصايل لان قوله لقيتم يدل على ان القصد من جانبهم بخلاف قولنا
لقيتكم ولذلك قال في غير هذا الموضع فاقتلوهم حيث ثقفتموهم **فان قيل** ما
الفايدة في قوله هاهنا فضرب الرقاب باضمار الفعل واظهار المصدر وقال في الانفال فاضربوا
فوق الاعناق باظهار الفعل وترك المصدر فالجواب مبني على تقديم مقدمة وهي ان المقصود
في بعض الصور قد يكون صدور الفعل من فاعل ويتبعه المصدر ضمنا اذ لا يمكن ان يفعل
فاعل الا ويقع منه المصدر ويدخل في الوجود وقد يكون المقصود اولا المصدر ولكنه لا يوجد الا
من فاعل فيطلب منه ان يفعل مثاله من قال ان حلفت ان اخرج من المدينة فيقال له فاخرج
صار المقصود صدور الفعل منه والخروج في نفسه غير مقصود الا تبعا ولو امكن ان تخرج من غير
تحقق الخروج منه لما كان عليه ان لا تخرج لكن من ضرورة الخروج ان تخرج واذا قال قايل ضاق
صاق بي المكان بسبب الاعدا فيقال له مثلا الخروج يعني الخروج فاخرج فان الخروج هو المطلوب
حتى لو امكن الخروج من غير فعل منه لحصل الغرض لكنه محال فيتبعه الفعل واذا عرف هذا فيقال
في الانفال الحكاية عن الحرب الكاينة وهم كانوا فيها والملايكة انزلوا للنصرة ومن حضر في صف القتال
فصدور الفعل منه مطلوب وهاهنا الامر وارد وليس في وقت القتال بدليل قوله تعالى
فاذا لقيتم والمقصود بيان كون المصدر مطلوبا لتقدم المامور على الفعل قال فضرب الرقاب وفي
ذلك بيان فايدة اخرى وهي ان الله تعالى قال هناك واضربوا منهم كل بنان وذلك لان الوقت وقت
القتال فارشدهم الى المقتل وغيره ان لم يصيبوا المقتل وهاهنا ليس وقت القتال فبين ان المقصود
القتل وعرض المسلم ذلك **قوله** حتى اذا اثخنتموهم هذه غاية للامر بضرب الرقاب لا لبيان
غاية القتل وقوله فشدوا الوثاق قرا السلمي فشدوا بكسر الشين وهي ضعيفة جدا والوثاق بالفتح
وفيه الكسر اسم ما يوثق به والمعنى حتى اذا اثخنتموهم اي بالغتم في القتل وقهرتموهم فشدوا
الوثاق يعني في الاسر حتى لا يتفلتوا والاسر يكون بعد المبالغة في القتل كقوله تعالى ما كان
لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في القتل **قوله** فاما منا بعد واما فدا فيهما وجهان
اشهرهما انهما منصوبان على المصدر بفعل لا يجوز اظهاره لان المصدر متى سيق تفصيلا لعاقبة جملة
وجب نصبه باضمار فعل لا يجوز اظهاره والتقدير فاما ان تمنوا منا واما ان تفادوا فداء
ومثله لاجهدن فاما درك واما هلكة تجتني واما بلوغ السول والامل والثاني قاله ابو البقا
انهما مفعولان بهما العامل مقدر تقديره اولوهم منا واقبلوا منهم فدا قال ابو حيان وليس
باعراب نحوي وقرا ابن كثير فدى بالقصر قال ابو حاتم لا يجوز لانه مصدر فاديته ولا يلتفت
اليه لان الفراء حكي فيه اربع لغات المشهورة المد والاعراب فداك وفدا بالمد ايضا والبنا على الكسر
والتنوين وهو غريب جدا وهذا يشبه قول بعضهم هولاء بالتنوين وفدى بالكسر مع القصر

وفدى بالفتح مع القصر ايضا **والاوزار** هنا الاثقال وهو مجاز وقيل هو من مجاز
الحذف اي اهل الحرب والاوزار عبارة عن الات الحرب قال
واعددت للحرب اوزارها رماحا طوالا وخيلا ذكورا وحتى الاولى غاية لضرب
الرقاب والثانية لشدوا ويجوز ان يكونا غايتين لضرب الرقاب على ان الثانية توكيد او بدل
قال ابن الخطيب وفي تعلق حتى وجهان احدهما تعلقها بالقتل اي اقتلوهم حتى تضع وثانيهما
بالمن والفدا ويحتمل ان يقال متعلقه بقوله فشدوا الوثاق ويتعلقها بالقتل اظهر **فصل**
قدم المن على الفدا لان حرمة النفس راجحة على طلب المال والفدا يجوز ان
يكون مالا ويجوز ان يكون غيره من الاسرا وشرط يشترط عليهم او عليه وحده **فصل** قال
ابن الخطيب الوزر الاثم والسلاح والاثم انما هو على المحارب وكذلك السلاح ومعناه تضع
الحرب الاوزار التي على المحاربين والسلاح التي عليهم كقوله تعالى حتى يسيل الدم فكانه قال حتى تضع
امة الحرب او فرقة الحرب اوزارها والمراد انقضا الحرب بالكلية بحيث لا يبقى في الدنيا
حزب من احزاب الكفر ولا حزب من احزاب الاسلام هذا اذا معنى النظر في المعنى ولو
قلنا حتى تضع امة الحرب جاز ان يضعوا الاسلحة ويتركوا الحرب وهي باقية كقول القايل خصومتي
ما انفصلت ولكني تركتها في هذه الايام واذا اسندنا الوضع الى الحرب يكون معناه ان الحرب
لم يبق واختلفوا في وقت وضع الاوزار على اقوال يرجع حاصلها الى الوقت الذي لا يبقى فيه
حزب من احزاب الاسلام ولا حزب من احزاب الكفر وقيل ذلك عند قتال الدجال ونزول
عيسى عليه السلام **فصل** اختلف العلما في حكم هذه الاية فقال قوم هي منسوخة بقوله
فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم وبقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم واليه
ذهب قتادة والضحاك والسدي وابن جريج وهو قول الاوزاعي واصحاب الراي وقالوا لا
يجوز المن على من وقع في الاسر من الكفار ولا الفدا وذهب اخرون الى ان الاية محكمة والامام
بالخيار في الرجال العاقلين من الكفار اذا وقعوا في الاسر بين ان يقتلهم او يسترقهم او يمن
عليهم فيطلقهم بلا عوض او يفاديهم بالمال او باسارى المسلمين واليه ذهب ابن عمر وبه قال
الحسن وعطا واكثر الصحابة والعلما وهو قول الثوري والشافعي واحمد واسحق قال ابن عباس
لما كثر المسلمون واشتد سلطانهم انزل الله في الاسارى فاما منا بعد واما فدا وهذا هو الاصح
والاختيار لانه عمل به رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفا بعده روى البخاري عن ابي هريرة
قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم خيلا قبل نجد فجات برجل من بني حنيفة يقال له
ثمامة بن اثال فربطوه في سارية من سواري المسجد فخرج اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ما عندك يا ثمامة فقال عندي خير يا محمد ان تقتلني تقتل ذا دم وان تنعم تنعم على
شاكر وان كنت تريد المال فسل ما شيت حتى كان الغد فقال له ما عندك يا ثمامة قال
له عندي ما قلت لك ان تنعم تنعم على شاكر فتركه حتى اذا كان بعد الغد قال ما عندك يا
ثمامة قال عندي ما قلت لك قال اطلقوا ثمامة فانطلق الى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم
دخل المسجد فقال اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله والله ما كان على وجه الارض ابغض
الي من وجهك فقد اصبح وجهك احب الوجوه الي والله ما كان من دين ابغض الي من دينك
فاصبح دينك احب الدين الي والله ما كان من بلد ابغض الي من بلدك فقد اصبح بلدك احب
البلاد الي وان خيلك اخذتني وانا اريد العمرة فما ترى فبشره رسول الله صلى الله عليه وسلم
وامره ان يعتمر فلما قدم مكة قال له قايل صبوت قال لا ولكن اسلمت مع محمد صلى الله عليه
وسلم ولا والله لا ياتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى ياذن فيها النبي صلى الله عليه وسلم وعن عمران

ابن حصين قال أسر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من عقيل فأوثقوه وكانت
ثقيف قد أسرت رجلين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ففداه رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالرجلين اللذين أسرتهما ثقيف **قوله** ذلك يجوز أن يكون خبر مبتدأ مضمر أي الأمر ذلك
وأن ينتصب بإضمار افعلوا قال ابن الخطيب ويحتمل أن يقال ذلك واجب أو مقدم كما
يقول القائل إن فعلت فذاك أي فذاك مقصود ومطلوب **فصل** قال المفسرون
معناه ذلك الذي ذكرت وبينت من حكم الكفار ولو يشاء الله لانتصر منهم فأهلكهم وكفاكم
أمرهم بغير قتال ولكن أمركم بالقتال ليبلو بعضكم ببعض فيصير من قتل من المؤمنين
إلى الثواب ومن قتل من الكافرين إلى العذاب **فإن قيل** ما التحقيق في قولنا
التكليف ابتلاء وامتحان والله يعلم السر وأخفى فالجواب من وجوه الأول أن المراد منه
يفعل ذلك فعل المبتلين كما يقول المبتلي المختبر الثاني أن الله تعالى يبتلي ليظهر الأمر لغيره
إما للملائكة أو للناس والتحقيق هو أن الابتلاء والامتحان والاختبار فعل يظهر بسببه
أمر ظاهر **فإن قيل** فائدة الابتلاء حصول العلم عند المبتلي فإذا كان الله عالما
فأي فائدة فيه فالجواب أن هذا السؤال كقول القائل لم عاقب الكافر وهو مستغن
ولم خلق النار محرقة وهو قادر على أن يخلقها بحيث تنفع ولا تضر وجوابه لا يسأل عما يفعل
قوله والذين قتلوا في سبيل الله قرأ العامة قاتلوا وأبو عمرو وحفص قُتلوا مبنيا للمفعول
على معنى أنهم قتلوا وماتوا أصاب القتل بعضهم كقوله قتل معه ربيون وقرأ الجحدري
قَتَلوا بفتح القاف والتاء خفيفة ومفعوله محذوف وزيد بن ثابت والحسن وعيسى قُتِّلوا
بتشديد التاء مبنيا للمفعول **قوله** فلن يضل أعمالهم قرأ علي رضي الله عنه يُضَلَّ أعمالهم
مبنيا للمفعول أعمالهم بالرفع لقيامه مقام الفاعل وقرئ تَضِلَّ بفتح التاء وأعمالهم بالرفع فاعلا
والفاء في قوله فلن يضل جزائية لأن قوله تعالى والذين قتلوا فيه معنى الشرط قال قتادة
ذكر لنا أن هذه الآية نزلت يوم أحد وقد فشت في المسلمين الجراحات والقتل **قوله**
سيهديهم أيام حياتهم في الدنيا إلى أرشد الأمور وفي الآخرة إلى الدرجات ويصلح بالهم يرضي
خصماءهم ويقبل أعمالهم وقد تقدم تفسيره في قوله تعالى أصلح بالهم والماضي والمستقبل راجع
إلى أن هناك وعدهم ما وعدهم بسبب الإيمان والعمل الصالح وكان قد وقع منهم فأخبر عن
الجزاء أيضا بصيغة الوقوع وههنا وعدهم بسبب القتل والقتال وكان في اللفظ ما يدل على
الاستقبال لأن قوله تعالى فإذا لقيتم يدل على الاستقبال فقال يصلح بالهم ويدخلهم الجنة
قوله عرفها يجوز فيها وجهان أحدهما أن يكون مستأنفة والثاني أن تكون حالا
فيجوز أن تضمر قد وأن لا تضمر وعرفها من التعريف الذي هو ضد الجهل والمعنى أن كل أحد يعرف
منزله في الجنة وقيل الملك الموكل بأعماله يهديه وعن ابن عباس أنه من العَرْف وهو الطيب
أي طيبها لهم وقال الزمخشري يحتمل أن يقال عرفها لهم حددها من عَرَّف الدار وأَرَّفها
أي حددها وتحديدها في قوله تعالى وجنة عرضها السموات والأرض ويحتمل أن يقال
المراد من قوله تعالى عرفها لهم وتلك الجنة التي أورثتموها يشير إليها معرفا لهم بأنها هي تلك وقيل
عرفها لهم وقت القتل فإن الشهيد وقت وفاته يعرض عليه منزله في الجنة فيشتاق إليه وقرأ
أبو عمرو في رواية ويدخلهم بسكون اللام وكذا يطعمهم ويعلمهم ويجمعكم كأنه يستثقل الحركة
وقد تقدم له قراءة بذلك في يشعركم وينصركم وبابه **قوله** يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا
الله ينصركم أي إن تنصروا دينه ورسوله ينصركم على عدوكم وقيل إن تنصروا حزب الله وفريقه
قوله ويثبت أقدامكم قرأ العامة ويثبت مشددا أقدامكم عند القتال **قوله**

والذين

والذين كفروا يجوز أن يكون مبتدأ والخبر محذوف تقديره فتعسوا وأتعسوا بدليل فتعسا لهم
وقوله فتعسا منصوب بالخبر ودخلت الفاء تشبيها للمبتدأ بالشرط وقدر الزمخشري الفعل
الناصب لتعسا فقال لأن المعنى يقال تعسا أي فقضى تعسا لهم قال أبو حيان وإضمار ما هو من
لفظ المصدر أولى والثاني أنه منصوب بفعل مقدر يفسره فتعسا لهم كما تقول زيدا جدعا له
كذا قال أبو حيان تابعا للزمخشري وهذا لا يجوز لأن لهم لا يتعلق بتعسا إنما هو متعلق بمحذوف
لأنه بيان أي أعني لهم وتقدم تحقيق هذا وأن عنيا إضمارا من حيث مطلق الدلالة لا من جهة
الاشتغال فلم تكن بابه عبارتهما وهي قولها منصوب بفعل مضمر يفسره فتعسا لهم وأضل
عطف على ذلك الفعل المقدر أي أتعسهم وأضل أعمالهم **والتعس** ضد السعد يقال
تعس الرجل بالفتح تعسا وأتعسه الله قال مجمع تقول وقد أفردتها عن خليلها تعست كما أتعستني يا مجمع
وقيل تعس بالكسر عن أبي الهيثم وشمر وغيرهما وعن أبي عبيدة تعسه وأتعسه متعديان فهما
مما اتفق فيه فعل وأفعل وقيل التعس ضد الانتعاش قال الزمخشري وتعسا له نقيض لعا له
يعني أن كلمة لعا بمعنى انتعش قال الأعشى بذات لوث عفرناة إذا عثرت فالتعس أدنى لها من أن أقول لعا
وقيل التعس الهلاك وقيل التعس الجر على الوجه والنكس الجر على الرأس **فصل** قال
ابن عباس فتعسا لهم أي بعدا لهم وقال أبو العالية سقوطا لهم وقال ابن زيد شقاء لهم وقال
الفراء هو نصب على المصدر على سبيل الدعاء وقيل في الدنيا العثرة وفي الآخرة التردي في النار
ويقال للعاثر تعسا إذا لم يريدوا قيامه وضده لعا إذا أرادوا إقامته وأضل أعمالهم لأنها كانت
في طاعة الشيطان وهذا زيادة في تقوية قلوبهم لأنه تعالى قال لكم الثبات ولهم الزوال
والتعثر **قوله** ذلك بأنهم يجوز أن يكون ذلك مبتدأ والخبر الجار بعده أو خبر مبتدأ مضمر
أي الأمر ذلك بسبب أنهم كرهوا أو منصوب بإضمار فعل أي فعل بهم ذلك بسبب أنهم كرهوا
فالجار في الوجهين الأخيرين منصوب المحل والمعنى ذلك التعس والإضلال بأنهم كرهوا ما أنزل
الله فأحبط أعمالهم والمراد أنهم كرهوا القرآن أو كرهوا ما أنزل الله من بيان التوحيد فلم يعرفوا
العمل الصالح بل أشركوا والشرك يحبط العمل قال تعالى لئن أشركت ليحبطن عملك وقيل كرهوا ما
أنزل الله من بيان أمر الآخرة فلم يعملوا لها والدنيا وما فيها وما لها باطل فأحبط الله أعمالهم
ثم خوف الكفار فقال أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله
عليهم أي أهلكهم **قوله** دمر الله عليهم يجوز أن يكون حذف مفعوله أي أهلك الله بيوتهم
وخربها عليهم أو يضمن دمر معنى سخط الله عليهم بالتدمير وقوله أفلم يسيروا في الأرض
مناسب للوجه الأخير يعني فينظروا إلى حالهم ويعلموا أن الدنيا فانية **قوله** وللكافرين
أمثالها أي أمثال العاقبة المتقدمة وقيل أمثال العقوبة وقيل التدمير وقيل الهلكة والأول
أولى لتقدم ما يعود عليه الضمير مع صحة معناه **فإن قيل** إذا عاد الضمير
إلى العاقبة فكيف يكون لها أمثال فالجواب أن المراد هو العذاب الذي هو مدلول العاقبة
والألم الذي كانت العاقبة عليه **فصل** في المراد بقوله وللكافرين أمثالها وجهان
أحدهما أن المراد الكافرون بمحمد عليه السلام والثاني أن المراد لهم أمثالها في الآخرة فيكون
المراد من الكافرين من تقدم كأنه يقول دمر الله عليهم في الدنيا ولهم في الآخرة أمثالها **فإن
قيل** إذا كان المراد الكافرين بمحمد عليه السلام فهم أمثال ما كان لمن تقدمهم من
العاقبة فالأولون أهلكوا بأمور شديدة كالزلازل والنيران والرياح والطوفان ولا كذلك
قوم محمد عليه السلام **فالجواب** يجوز أن يكون عذابهم أشد من عذاب الأولين لكون دين محمد
أظهر بسبب تقدم الأنبياء عليهم السلام عليه وإخبارهم عنه وإنذارهم على أنهم قتلوا وأسروا

بايدي من كانوا يستخفونهم ويستضعفونهم والقتل بيد المثل آلم من الهلاك بسبب عام **قوله**
ذلك بان الله مولى الذين امنوا تقدم الكلام على نظيره وان الكافرين لا مولى لهم والمراد بالمولى
هنا الناصر ثم ذكر ما للفريقين فقال ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات
تجري من تحتها الانهار لما بين حال المومنين والكافرين في الدنيا بين حالهم في الاخرة وقال انه
يدخل المومن الجنة والكافر النار قد تقدم ان من في قوله من تحتها تحتمل ان تكون صلة معناه
تجري تحتها وتحتمل ان يكون المراد ان ماءها منها لا تجري اليها من موضع اخر يقال هذا النهر
منبعه من اين يقال من عين كذا **قوله** والذين كفروا يتمتعون وياكلون كما تاكل الانعام
اي ليس لهم همة الا بطونهم وفروجهم وهم لاهون عما في غد قيل المومن في الدنيا يتزود والمنافق
يتزين والكافر يتمتع **قوله** كما تاكل الانعام حال من ضمير المصدر اي ياكلوا الاكل مشبها
اكل الانعام واما نعت لمصدر اي اكلا مثل اكل الانعام **قوله** والنار مثوى لهم يجوز ان تكون
هذه الجملة استينافا ويجوز ان تكون حالا ولكنها مقدرة اي ياكلون مقدرا ثويهم في النار
وقال في حق المومن ان الله يدخل بصيغة الوعد وقال في حق الكافر النار مثوى لهم بصيغة
تنبي عن الاستحقاق لان الاحسان لا يستدعي استحقاقا فان المحسن الى من لم يوجد منه ما يوجب
الاحسان كريم والمعذب من غير استحقاق ظالم **قوله** وكاين من قرية يريد اهل ولذلك
راعى هذا المقدر في قوله اهلكناهم فلا ناصر لهم بعد ما راعى المضاف في قوله هي اشد
والجملة من هي اشد صفة لقرية وقال ابن عطيه نسب الاخراج الى القرية حملا على اللفظ
وقال اهلكناهم حملا على المعنى قال ابو حيان وظاهر هذا الكلام لا يصح لان الضمير في اهلكناهم
ليس عايدا على المضاف الى القرية التي اسند اليها الاخراج بل على اهل القرية في قوله وكاين من
قرية فان كان اراد بقوله حملا على المعنى اي معنى القرية في قوله وكاين من قريه فهو صحيح لكن ظاهر
قوله حملا على اللفظ وحملا على المعنى ان يكون في مدلول واحد وكان على هذا ينبغي كاين معلنا
عن محدث عنه بشي الان تحيل ان هي اشد خبر عنه والظاهر انه صفة لقرية قال شهاب الدين
وابن عطية انما اراد لفظ القرية من حيث الجملة لا من حيث التعيين **فصل** المعنى
الله لهم مثلا بقوله افلم يسيروا في الارض ولم ينفعهم مع ما تقدم من الدلايل ضرب للنبي عليه
السلام مثلا تسلية له فقال وكاين من قرية هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك اي اخرجك
اهلها قال ابن عباس كم من رجال هم اشد من اهل مكة يدل عليه قوله اهلكناهم ولم يقل اهلكناها
فلا ناصر لهم كذلك نفعل بهم فاصبر كما صبر رسلهم قال الزمخشري قوله فلا ناصر لهم اي الاهلاك
ما مضى وقوله فلا ناصر لهم الحال والاستقبال مجموعا على الحكاية والحكاية كالحال الحاضر ويحتمل
ان يقال قوله فلا ناصر عايد الى اهل قرية محمد عليه السلام كانه قال اهلكنا من تقدم اهل قريتك
ولا ناصر لاهل قريتك ينصرهم ويخلصهم من مثل ما جرى على الاولين **فصل** قال ابن عباس
لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى الغار التفت الى مكة وقال انت احب بلاد
الله الى الله واحب بلاد الله الي ولو ان المشركين لم يخرجوني لم اخرج منك فانزل الله هذه
الايه **قوله** افمن كان على بينة من ربه افمن كان مبتدا والخبر كمن زين وحمل على لفظ من
فافرد في قوله له سوء عمله وعلى المعنى فجمع في قوله واتبعوا اهواءهم والجملة من اتبعوا عطف على
زين فهو صلة **فصل** معنى قوله افمن كان على بينة من ربه اي يقين من دينه يريد
محمدا والمومنين كمن زين له سوء عمله واتبعوا اهواءهم يعني عبدة الاوثان يريد ابا جهل والمشركين
قوله مثل الجنة التي وعد المتقون لما بين الفرق بين الفريقين في الاهتدي والاضلال بين
الفرق بينهما في مرجعهما وماالهما **قوله** مثل الجنة فيه اوجه احدها انه مبتدا وخبره

مقدر

مقدر تقديره النضر بن شميل مثل الجنة ما تسمعون فما تسمعون خبره وفيها انهار مفسر له وقدره
سيبويه فيما يتلى عليكم مثل الجنة والجملة بعدها ايضا مفسرة للمثل قال سيبويه المثل هو الوصف
ومعناه وصف الجنة وذلك لا يقتضي مشابهة الثاني اي مثلي واين تقديره الجنة التي وعد
المتقون فيها انهار ونظير زيادة مثل هنا زيادة اسم في قوله الى الحول ثم اسم السلام عليكما
الثالث ان مثل الجنة مبتدا والخبر قوله فيها انهار وهذا ينبغي ان يمتنع اذ لا عايد من الجملة
الى المبتدا ولا ينفع كون الضمير عايدا على ما اضيف اليه المبتدا الرابع ان مثل الجنة مبتدا
خبره كمن هو خالد في النار فقدره ابن عطية امثل اهل الجنة كمن هو خالد فقدره حرف
الانكار ومضافا فاصح وقدره الزمخشري امثل الجنة كمثل جزا من هو خالد والجملة من قوله
فيها انهار وعلى هذا فيها ثلاثة اوجه احدها هي حال من الجنة ... فيها انهار الثاني
انها خبر لمبتدا مضمر اي هي فيها انهار كان قايلا قال ما مثلها فقيل فيها انهار الثالث ان
تكون تكريرا للصلة لانها في حكمها الا ترى انه يصح قولك التي فيها انهار وانما عرى قوله
مثل الجنة تصويرا لمكابرة من يسوي بين المتمسك بالبينة وبين التابع هواه كمن يسوي بين
الجنة التي صفتها كيت وكيت وبين النار التي صفتها ان يسقوا اهلها الحميم ونظيره قول القايل
افرح ان ارزا الكرام وان اورث ذودا شصايصا نبلا هو كلام منكر للفرح برزية
الكرام ووراثة الذود مع تعريه من حرف الانكار ذكر ذلك جله الزمخشري وقرا علي بن ابي
طالب مثال الجنة وعنه ايضا وعن ابن عباس وابن مسعود امثال بالجمع **قوله** من ماء غير
اسن قرا ابن كثير اسن بزنة حذر وهو اسم فاعل من اسن بالكسر ياسن فهو اسن كحذر
يحذر فهو حذر والباقون آسن بزنة ضارب من اسن بالفتح يقال اسن الماء بالفتح
ياسن وياسن بالكسر والضم اسونا كذا ذكره ثعلب في فصيحه فهما لغتان يقال اسن الماء
ياسن اسنا واجن ياجن وياسن وياجن اسونا واجونا اذا تغير وقال
اليزيدي يقال اسن بالكسر ياسن بالفتح اسنا اي تغير طعمه واما اسن الرجل اذا دخل
بيرا فاصابه من ريحها ما جعل في راسه دوارا فاسن بالكسر فقط قال الشاعر
قد اترك القرن مصفرا انامله يميد في الرمح ميد المايح الاسن وقرى يسن بالياء
بدل الهمزة قال ابو علي هو تخفيف اسن وهو تخفيف غريب **قوله** لم يتغير طعمه صفة
للبن **قوله** لذة يجوز ان يكون تانيث لذ ولذ بمعنى لذيذ ولا تاويل على هذا ويجوز ان
يكون مصدرا وصف به نفيه اللتاويلات المشهورة قال ابن الخطيب تحتمل ان يقال سماها
نعت لذة يقال طعام لذ ولذيذ واطعمه لذة ولذيذة وتحتمل ان يكون ذلك وصفا بنفس
المعنى لا بالمشتق منه كما يقال للحكيم هو حكيم كله وللعاقل عقل كله والعامة على جر لذة صفة
لخمر وقرى بالنصب على المفعول له وهي تويد المصدرية في قراة العامة وبالرفع صفة لانهار
ولم تجمع لانها مصدر او انه قيل به وان لا تلاها صفة لجمع غير عاقل وهو يعامل معاملة
المونثة الواحدة **قوله** من عسل مصفى ... في غسل ... كير قال الناس وجا القران على التذكير
في قوله مصفى والعسلان العدو واكثر استعماله في الذيب يقال عسل الذيب والثعلب
واصله من عسلان الرمح وهو اهتزازه فكان العادي يهز اعضاه ويحركها قال
الشاعر لدن بهز الكف يعسل متنه فيه كما عسل الطريق الثعلب وكني بالعسيلة عن
الجماع لما بينهما قال عليه السلام لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك **فصل**
روى ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيحان وجيحان والفرات والنيل
كل من انهار الجنة قال كعب الاحبار نهر دجلة نهر ماء اهل الجنة ونهر الفرات نهر لبنهم

ونهر مصر نهر جريم ونهر سيحان وجيحان نهر عسقلم وهذه الانهار الاربعة تخرج من نهر
الكوثر **فصل** قال ابن الخطيب اختار هذه الانهار من الاجناس الاربعة لان
المشروب اما ان يشرب لطعمه او لغير طعمه فان كان للطعم فالطعوم تسعة المر والمالح والحريف
والحامض والعفص والقابض والتفه والحلو والدسم والذها الحلو والدسم لكن احلا
الاشيا العسل فذكره واما ادسم الاشيا فالدهن لكن الدسومة اذا تمحضت لا تطيب للاكل
ولا للشرب فان الدهن لا يوكل ولا يشرب في الغالب واما اللبن ففيه الدسم الكائن في غيره وهو
طيب للاكل وبه تغذية الحيوان اولا فذكره الله تعالى واما ما يشرب لغير الطعم فالما والخمر
فان الخمر كريهة الطعم لحصول النشاط او نحو ذلك وانما تشرب لامر اخر غير الطعم واما الما فلان به
بقا الحيوان فذكره **فان قيل** ما الحكمة في قوله في الخمر لذة للشاربين ولم يقل
في اللبن لم يتغير طعمه للطاعمين ولا قال في العسل مصفى للناظرين فالجواب قال ابن
الخطيب لان اللذة تختلف باختلاف الاشخاص فرب طعام يلتذ به شخص ويعافه الاخر فقال
لذة للشاربين باسرهم ولان الخمر كريهة الطعم في الدنيا فقال لذة اي لا يكون في خمر الاخرة كراهة
طعم واما الطعم واللون فلا تختلف باختلاف الناس فان الحلو والحامض وغيرهما يدركه كل
احد لكنه قد يعافه بعض الناس ويلتذ به البعض مع اتفاقهم على ان له طعما واحدا وكذلك
اللون فلم يكن للتصريح بالتعميم حاجة **قوله** من كل الثمرات فيه وجهان احدهما ان هذا
الجار صفة لمقدر اي من كل الثمرات زوجان وجر الجار قبله وهو لهم فيها متعلق بما تعلق به والتقدير
ولهم فيها زوجان من الثمرات كانه انتزعه من قوله تعالى فيهما من كل فاكهة زوجان وقدر
بعضهم صنف والاول اليق والثاني ان من مزيدة في المبتدا **قوله** ومغفرة فيه وجهان
احدهما انه عطف على ذلك المقدر لا بقيد كونه في الجنة اي ولهم مغفرة لان المغفرة تكون قبل
دخول الجنة او بقيد ذلك ولا بد من حذف مضاف حينئذ اي وتنعيم مغفرة لانه ناشئ عن
المغفرة وهو في الجنة والثاني ان يجعل خبرها مقدرا اي ولهم مغفرة والجملة مستانفة
والفرق بين الوجهين ان الوجه الذي قبل هذا فيه الاخبار بلهم الملفوظ به عن شيئين ذلك
المحذوف ومغفرة وفي الوجه الاخر الخبر جار اخر حذف للدلالة عليه **قوله** كمن هو قد
تقدم انه يجوز ان يكون خبرا عن مثل الجنة بالتاويل المذكور عن ابن عطية والزمخشري واما
اذا لم يجعله خبرا عن مثل ففيه اربعة اوجه احدها انه خبر مبتدا محذوف تقديره احال
هولاء المتقين كحال من هو خالد وهذا تاويل صحيح وذكر فيه ابو البقا الاوجه الباقية فقال
وهو في موضع رفع اي حالهم كحال من هو خالد في النار وقيل هو استهزا بهم وقيل هو على معنى الاستفهام
اي اكمن هو خالد وقيل في موضع نصب اي يشبهون حال من هو خالد في النار انتهى معنى قوله وقيل
هو استهزا اي ان الاخبار بقولك حالهم كحال من على سبيل الاستهزا والتهكم قال البغوي معناه
من كان في هذا النعيم كمن هو خالد في النار **قوله** وسقوا عطف على الصلة عطف فعلية على
اسمية لكنه راعى في الاول لفظ من فافرد وفي الثانية معناها فجمع **والامعا** جمع معي
بالقصر وهو المصران التي في البطن وقد وصف بالجمع في قوله ومعي جياع على ارادة الجنس والفه
عن يا بدليل قولهم معيان **فصل** الحميم هو الشديد الحر تسعر عليه النار منذ
خلقت اذا ادني منهم شوي وجوههم ووقعت فروة روسهم فاذا شربوه قطع امعاهم فخرجت
من ادبارهم والامعا جميع ما في البطن من الحوايا واحدها معي **قوله** ومنهم من يستمع اليك
يعني الكفار منهم من يستمع اليك وهم المنافقون يستمعون قولك فلا يعونه ولا يفهمونه تهاونا والضمير
في قوله ومنهم يحتمل ان يعود الى الناس كما قال تعالى في سورة البقرة ومن الناس من يقول امنا بالله

بعد

بعد ذكر الكفار ويحتمل ان يعود الى اهل مكة لان ذكرهم سبق في قوله تعالى هي اشد قوة من
قريتك التي اخرجتك ويحتمل ان يرجع الى معنى قوله هو خالد في النار وسقوا ماء حميما يعني ومن
الخالدين في النار قوم يستمعون اليك **قوله** حتى اذا خرجوا من عندك قال المفسرون حتى للعطف
قالوا والعطف بحتى لا يحسن الا اذا كان المعطوف جزءا من المعطوف عليه اما اعلاه واما ادونه
كقولك اكرمني الناس حتى الملك وجا الحاج حتى المشاة وفي الجملة ينبغي ان يكون المعطوف متعلقا
بالمعطوف عليه من حيث المعنى ولا يشترط في العطف بالواو ذلك فوجه التعلق ههنا هو ان
قوله حتى اذا خرجوا من عندك يفيد معنى زايدا في الاستماع كانه يقول يستمعون استماعا بالغا
جيدا لانهم يستمعون واذا خرجوا يستعيدون من العلما كما يفعله المجتهد في التعلم الطالب للتفهم
يفعلون ذلك استهزا كما قال تعالى عنهم واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزءون
ويحتمل ان يكون فعلهم ذلك لعدم فهمهم يؤيده قوله تعالى كذلك يطبع الله على قلوب المجرمين
وقوله بعد ذلك اولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا اهواءهم اي تركوا اتباع الحق اما
لعدم الفهم او لعدم الاستفادة **قوله** انفا فيه وجهان احدهما انه منصوب على الحال
فقدره ابو البقا ماذا قال مؤتنفا وقدره غيره مبتديا اي ما القول الذي ائتنفه الان قبل
انفصاله عنه والثاني انه منصوب على الظرف اي ما قال الساعة قاله الزمخشري وانكره
ابو حيان قال لانا لم نعلم احدا عده من الظروف واختلفت عباراتهم في معناه فظاهر عبارة
الزمخشري انه ظرف حالي كالان وذلك فسره بالساعة وقال ابن عطية والمفسرون يقولون
انفا معناه الساعة الماضية القريبة منا وهذا تفسير بالمعنى وقرا البزي بخلاف عنه انفا
بالقصر والباقون بالمد وهما لغتان بمعنى واحد وهما اسما فاعل كحاذر وحذر واسن واسن
الا انه لم يستعمل لهما فعل مجرد بل المستعمل ايتنف وايتنف يستانف والايتناف
والاستيناف الابتدا قال الزجاج هو من استانفت الشي اذا ابتداته اي ما ذا قال في اول
وقت يقرب منا **فصل** روى مقاتل ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب ويعيب
المنافقين فاذا خرجوا من المسجد سالوا عبد الله بن مسعود استهزا ما ذا قال محمد صلى الله عليه
وسلم انفا ثم قال تعالى اولئك الذين طبع الله على قلوبهم فلم يومنوا واتبعوا اهواءهم في الكفر
والنفاق **قوله** والذين اهتدوا يجوز فيه الرفع بالابتدا والنصب على الاشتغال وتقواهم
مصدر مضاف لفاعله والضمير في واتاهم يعود على الله او على قول المنافقين لان قولهم
ذلك مما يزيد المومنين تقوى او على الرسول والمعنى زادهم قول الرسول هدى واتاهم تقواهم
اي وفقهم للعمل بما امر به او زادهم الله هدى واتاهم الله تقواهم او زادهم استهزا
المنافقين هدى واتاهم قول المنافقين تقواهم اي ثواب تقواهم يوم القيامة **قوله** فهل
ينظرون الا الساعة ان تاتيهم بغتة يعني الكافرين والمنافقين قال عليه السلام ما ينتظر
احدكم الا غنا مطغيا او فقرا منسيا او مرضا مفسدا او هرما مفندا او موتا مجهزا او
الدجال والدجال شر غايب ينتظر او الساعة والساعة ادهى وامر وسميت القيامة بالساعة
لسرعة الامور الواقعة فيها من البعث والحشر والحساب **قوله** ان تاتيهم بدل من الساعة
بدل اشتمال وقرا ابو جعفر الرواسي ان تاتهم بان الشرطية وجزم ما بعدها وفي جوابها وجهان
احدهما انه قوله فانى لهم قاله الزمخشري ثم قال فان قلت بم يتصل قوله فقد جا اشراطها
على القراتين قلت باتيان الساعة اتصال العلة بالمعلول كقولك ان اكرمني زيد فانا حقيق
بالاكرام والثاني ان الجواب قوله فقد جا اشراطها واتيان الساعة وان كان متحققا الا انهم
عوملوا معاملة الشاك وحالهم كانت كذا **قوله** فقد جا اشراطها الاشراط جمع شرط

بسكون الرا وفتحها قال ابو الاسود • فان كنت قد ازمعت بالصوم بيننا • فقد جعلت اشراطه اوله تبدوا
والاشراط العلامات ومنه اشراط الساعة واشرط الرجل نفسه اي الزمها امورا قال اوس
• فاشرط فيها نفسه وهو معصم • والقى باسباب له وتوكلا • والشرط القطع ايضا مصدر
شرط الجلد يشرطه شرطا **فصل** قال سهل بن سعد رايت النبي صلى الله عليه وسلم
قال باصبعه هكذا بالوسطى والتي تلي الابهام بعثت والساعة كهاتين وقال عليه السلام ان من
اشراط الساعة ان يرفع العلم ويكثر الجهل ويكثر الزنا ويكثر شرب الخمر ويقل الرجال ويكثر النسا
حتى يكون لخمسين امراة القيم الواحد وقال عليه السلام اذا ضيعت الامانة فانتظر الساعة فقيل
كيف اضاعتها قال اذا وسد الامر الى غير اهله فانتظر الساعة واعلم ان قوله تعالى
فقد جا اشراطها يحتمل وجهين احدهما ان يكون بيانا لغاية عنادهم ويحتمل ان يكون تسلية
لقلب المومن كانه تعالى لما قال فهل ينتظرون الا الساعة فهم منه تعذيبهم قال المفسرون
اشراط الساعة مثل انشقاق القمر ورسالة محمد عليه السلام **قوله** فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم خبر
مقدم وذكراهم مبتدا موخر اي انى لهم التذكير واذا وما بعدها معترض وجوابها محذوف
اي كيف لهم التذكير اذا جاءتهم الساعة فكيف يتذكرون ويجوز ان يكون المبتدا محذوفا
اي انى لهم الخلاص ويكون ذكراهم فاعلا بجاءتهم وقرا ابو عمرو في رواية بغتة بفتح الغين
وتشديد التا وهي صفة نصبها على الحال ولا نظير لها في الصفات ولا في المصادر وانما هي في
الاسماء نحو الجربة للجماعة والشربة للمكان قال الزمخشري ما اخوفني ان يكون غلطة من الراوي
عن ابي عمرو وان يكون الصواب بغتة بالفتح دون تشديد **فصل** معنى الاية فمن اين
لهم التذكر والاتعاظ والتوبة اذا جاءتهم ذكراهم اي الساعة نظيره يومئذ يتذكر الانسان
وانى له الذكرى **قوله** فاعلم انه لا اله الا الله وجه مناسبته لما قبله هو انه تعالى
لما قال فاعلم انه لا اله الا الله اي ياتي بالساعة كما قال ازفت الازفة ليس لها من دون الله
كاشفة وقيل فاعلم انه لا اله الا الله ينفعك قيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد
غيره وقيل معناه فاثبت عليه وقال الحسين بن الفضل فازدد علما الى علمك وقال ابو العالية
وابن عيينه معناه اذا جاءتهم الساعة فاعلم انه لا ملجا ولا مفزع عند قيامها الا الله ثم
قال واستغفر لذنبك امر بالاستغفار مع انه مغفور له لتستن به امته وقيل معنى قوله
لذنبك اي لذنب اهل بيتك وللمومنين والمومنات الذين ليسوا منك باهل بيت وقيل
المراد النبي والذنب هو ترك الافضل الذي هو بالنسبة اليه ذنب وحسنات لنا دون ذلك قال
عليه السلام انه ليغان على قلبي واني لاستغفر الله في كل يوم مائة مرة **قوله** وللمومنين
والمومنات هذا اكرام من الله لهذه الامة حيث امر نبيهم صلى الله عليه وسلم ان يستغفر
لذنوبهم والله يعلم متقلبكم ومثواكم قال ابن عباس والضحاك متقلبكم منصرفكم ومنتشركم في اعمالكم
في الدنيا ومثواكم مصيركم في الاخرة الى الجنة او الى النار وقال مقاتل وابن جرير متقلبكم
منصرفكم لاشتغالكم بالنهار ومثواكم ماواكم الى مضاجعكم بالليل وقال عكرمة متقلبكم في اصلاب ب
الاباء الى ارحام الامهات ومثواكم ومقامكم في الارض وقال ابن كيسان متقلبكم من ظهر الى بطن
ومثواكم مقامكم في القبور وقيل معناه انه عالم بجميع احوالكم فلا يخفى عليه شيء منها **قوله**
ويقول الذين امنوا لولا نزلت سورة اي هلا ولا التفات الى قول بعضهم ان لا زائدة والاصل
لو نزلت والعامة على رفع سورة محكمة لقيامها مقام الفاعل وزيد بن علي بالنصب فيهما على الحال
والقائم مقام الفاعل ضمير السورة المتقدمة وسوغ وقوع الحال كذا وصفها كقولك الرجل جاءني
رجلا صالحا وقري فاذا انزلت سورة وقرا زيد بن علي وابن عمير وذكر مبنيا للفاعل اي الله

تعالى القتال نصبا **فصل** المعنى ويقول الذين امنوا حرصا منهم على الجهاد هلا انزلت
سورة تامرنا بالجهاد واعلم ان المومن كان ينتظر نزول الاحكام والتكاليف ويطلب
تنزيلها واذا تاخر عنه التكليف كان يقول هلا امرت بشيء من العبادة خوفا من ان لا
يوهل لها واما المنافق فاذا انزلت السورة او الاية وفيها تكليف فيشق عليه ذلك فحصل
التباين بين الفريقين في العلم والعمل والمراد بالسورة التي فيها تكليف وقوله محكمة اي لم
تنسخ وقال قتادة كل سورة ذكر فيها الجهاد فهي محكمة وهي اشد القران على المنافقين **قوله**
رايت الذين في قلوبهم مرض يعني المنافقين ينظرون اليك شزرا بتحديق شديد كراهية
منهم للجهاد وجبنا عن لقاء العدو **قوله** نظر المغشي الاصل نظرا مثل نظر المغشي عليه من
الموت كما ينظر الشاخص بصره عند الموت **قوله** فاولى لهم طاعة اختلف اللغويون والمعربون
في هذه اللفظة فقال الاصمعي انها فعل ماض بمعنى قاربه ما يهلكه وانشد •
• فعادى بين هاديتين منها • واولى ان يزيد على الثلاث • اي قارب ان يزيد قال ثعلب لم
يقل احد في اولى احسن من الاصمعي وقال البغوي معناه وليه وقاربك ما تكره ولكن الاكثرون
على انه اسم ثم اختلف فيه ولا فقيل هو مشتق من الولي وهو القرب كقوله •
• تكلفني ليلى وقد شط وليها • وعادت عواد بيننا وخطوب • وقيل هو مشتق من الويل
والاصل فيه اويل فقلبت العين الى ما بعد اللام فصار وزنه افلع والى هذا نحا الجرجاني
والاصل عدم القلب واما معناها فقيل هي تهديد ووعيد كقوله •
• فاولى ثم اولى ثم اولى • وهل للدر يحلب من مرد • وقال المبرد يقال لمن هم بالغضب اولى
لك كقول اعرابي كان يوالي رمي الصيد فيفلت منه فيقول اولى لك ثم رمى صيدا فقاربه
فافلت منه فقال • فلو كان اولى يطعم القوم صدتهم • ولكن اولى يترك القوم جوعا • هذا
ما يتعلق باشتقاقه ومعناه واما الاعراب فان قلنا بقول الجمهور ففيه اوجه احدها
ان اولى مبتدا ولهم خبره تقديره فالهلاك لهم وسوغ الابتدا بالنكرة كونه دعا نحو ويل لكل
همزة الثاني انه خبر مبتدا مضمر تقديره العقاب او الهلاك اولى لهم اي اقرب وادنى
وقال ابن الخطيب التقدير فالموت اولى لهم لان الموت سبق ذكره في قوله نظر المغشي عليه
من الموت وذلك ان الحيوة في طاعة الله ورسوله الموت خير منها ويجوز ان يكون اللام بمعنى
الباء اي اولى واحق بهم الثالث انه مبتدا ولهم متعلق به واللام بمعنى الباء وطاعة خبره
والتقدير اولى بهم طاعة دون غيرها وان قلنا بقول الاصمعي فيكون فعلا ماضيا وفاعله
مضمر يدل عليه السياق كانه قيل فاولى هو اي الهلاك وهذا ظاهر عبارة الزمخشري حيث
قال ومعناه الدعا عليهم بان يليهم المكروه وقال ابن عطيه المشهور من استعمال العرب
انك تقول هذا اولى وقال ابن عطية من هذا اي احق وقد تستعمل العرب اولى لك فقط على
جهة الحذف والاختصار لما معها من القول فتقول اولى لك يا فلان على جهة الزجر والوعيد
انتهى وقال ابو البقا اولى مونثة اولاة وفيه نظر لان ذلك انما يكون في التذكير والتانيث
الحقيقيين اما التانيث اللفظي فلا يقال فيه ذلك وسياتي له مزيد بيان في القيمة ان شا
الله تعالى **قوله** طاعة فيه اوجه احدها انه خبر اولى على ما تقدم الثاني انها صفة
لسورة اي فاذا انزلت سورة محكمة طاعة اي ذات طاعة او مطاعة ذكره مكي وابو البقا وفيه
بعد لكثرة الفواصل الثالث انها مبتدا وقول عطف عليها والخبر محذوف تقديره امثل بكم
من غيرهما وقدره مكي منا طاعة فقدره مقدما الرابع ان يكون خبر مبتدا محذوف اي امرنا
طاعة الخامس ان لهم خبر مقدم وطاعة مبتدا موخر والوقف والابتدا يعرفان مما تقدم

فصل قال المفسرون قوله طاعة وقول معروف ابتدا محذوف الخبر تقديره امثل طاعة
وقول معروف امثل اي لو اطاعوا وقالوا قولا معروفا كان امثل واحسن وساغ الابتدا بالنكرة لانها
وصفت بدليل قوله وقول معروف فانه موصوف فكانه تعالى قال طاعة مخلصة وقول معروف
خير وقيل يقول المنافقون قبل نزول السورة المحكمة طاعة رفع على الحكاية اي امرنا طاعة او منا
طاعة وقول معروف حسن وقيل متصل بما قبله واللام في قوله لهم بمعنى البا اي فاولى بهم طاعة
الله ورسوله وقول معروف بالاجابة اي لو اطاعوا الله كانت الطاعة والاجابة اولى بهم
وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطا **قوله** فاذا عزم الامر في جوابها ثلاثة اوجه احدها
قوله فلو صدقوا نحو اذا جاني طعام فلو جيتني اطعمتك الثاني انه محذوف تقديره فاصدق
كذا قدره ابو البقا الثالث تقديره ناقضوا وقيل تقديره كرهوا ذلك وعزم الامر على
سبيل الاسناد المجازي كقوله ، قد جدت الحرب بجدوا ، او يكون على حذف مضاف اي عزم اهل
الامر قال المفسرون معناه اذا جد الامر ولزم فرض القتال خالفوا وتخلفوا فلو صدقوا الله في
اظهار الايمان والطاعة لكان خيرا لهم وقيل جواب اذا محذوف تقديره فاذا عزم الامر
نكلوا وكذبوا فيما وعدوا ولو صدقوا لكان خيرا لهم **قوله** فهل عسيتم اي لعلكم ان توليتم
اعرضتم عن القران وفارقتم احكامه ان تفسدوا في الارض تعودوا الى ما كنتم عليه في
الجاهلية فتفسدوا في الارض بالمعصية والبغي وسفك الدما وترجعون الى الفرقة
بعد ما جمعكم الله بالاسلام **قوله** ان تفسدوا خبر عسى والشرط معترض بينهما وجوابه
محذوف لدلالة فهل عسيتم عليه اوهو بنفسه فهل عسيتم عند من يرى تقديمه وقرا علي
رضي الله عنه ان توليتم بضم التا والواو وكسر اللام مبنيا للمفعول من الولاية اي ان وليتم
امور الناس قال ابن الخطيب معناه لو تولاكم ولاة ظلمة جفاة غشمة ومشيتم معهم افسدتم
وقطعتم الارحام والنبي عليه السلام لا ينفصلة الارحام فلم تتقاعدون عن القتال والاول
اظهر ومعناه انكم تتركون القتال وتقولون فيه الافساد وقطع الارحام وكون الكفار
اقاربنا فلا يقع منكم الا ذلك حيث تقاتلون على ادنى شي كما كان عادة العرب الاول وقري
وليتم من الولاية ايضا **فصل** قال ابن الخطيب في استعمال عسى ثلاثة مذاهب
احدها الاتيان بها على صورة فعل ماض معه فاعل تقول عسى زيد وعسينا وعسوا وعسيتما
وعسيت وعسيتين وعسيتا وعسيتن والثاني ان يوتى بها على صورة فعل ومفعول يقال
عساه وعساهما وعساك وعساكما وعساي وعسانا والثالث الاتيان بها من غير ان يقرن
بها شي تقول عسى زيد يخرج وعسى انت تخرج وعسى انا اخرج والكل متوجه وما عليه كلام الله
اوجه لان عسى من الافعال الجامدة واقتران الفاعل بالفعل اولى من اقتران المفعول
لان الفاعل كالجزء من الفعل ولهذا لم يجوزوا فيه اربع متحركات في مثل قول القايل نصرت
وجوزوا في مثل قولنا نصرك وقد تقدم الكلام في عسى مشبعا وفي قوله عسيتم التفات الى الخطاب
من غيبة في قوله الذين في قلوبهم مرض الى الخطاب بهذه زيادة في توبيخهم والاستفهام للتقرير
الموكد فانه لو قال على سبيل الاخبار عسيتم ان توليتم لكان للمخاطب ان ينكر فاذا قال بصيغة
الاستفهام فانه يقول انا اسالك عن هذا وانت لا تقدر ان تجيب الا بلا او بنعم فهو مقرر عندك
وعندي واعلم ان عسى للتوقع والله عالم بكل شي والكلام فيه كالكلام في لعل وفي قوله لعلهم
فقال بعضهم يفعل بكم فعل المترجي والمبتلي والمتوقع وقيل كل من ينظر اليهم يتوقع منهم ذلك وقال
ابن الخطيب هو محمول على الحقيقة لان الفعل اذا كان في نفسه متوقعا فالنظر اليه غير مستلزم لامر
وانما الامر يجوز ان يحصل منه تارة ولا يحصل منه اخرى يكون الفعل لذلك الامر المطلوب على

سبيل الترجي سوا كان الفاعل يعلم حصول الامر منه اولم يعلم مثاله من نصب شبكة لاصطياد
الصيد يقال هو متوقع لذلك فاذا حصل له العلم بوقوعه فيه باخبار صادق انه سيقع فيه
او بطريق اخرى لا يخرج عن التوقع غاية ما في الباب ان في الشاهد لم يحصل لنا العلم فيما نتوقعه
فظن ان عدم العلم لازم للمتوقع فليس كذلك بل المتوقع هو المنتظر بامر ليس يوجب الوقوع نظرا
الى ذلك الامر حسب سوا كان له به علم اولم يكن **قوله** وتقطعوا قرا العامة بالتشديد
على التكثير وابو عمرو في رواية وسلام ويعقوب بالتخفيف مضارع قطع والحسن بفتح
التا والطا مشددة واصلها تتقطعوا بتاين حذفت احدهما وانتصاب ارحامكم على حذف
على اسقاط الخافض اي في ارحامكم **قوله** اوليك مبتدا والموصول خبره والمتعدد بر اوليك
المفسدون يدل عليه ما تقدم وقوله فاصمهم ولم يقل فاصم اذانهم واعمى ابصارهم ولم
يقل اعماهم قيل لانه لا يلزم من ذهاب الاذن ذهاب السمع فلم يتعرض لها والابصار
وهي الاعين يلزم من ذهابها ذهاب الابصار ولا يرد عليك قوله وفي اذانهم وقر
ونحوه لانه دون الصمم والصمم اعظم منه فقال اصمهم من غير ذكر الاذن وقال اعمى ابصارهم
مع ذكر العين لان البصر ههنا بمعنى العين ولهذا جمعه بالابصار ولو كان مصدرا لما جمع فلم
يذكر الاذن اذ لا مدخل لها في الاصمام وذكر العين لان لها مدخلا في الرؤية بل هي الكل
بدليل ان الافة في غير هذا الموضع لما اضافها الى الاذن سماها وقرا فقال تعالى حكاية
عنهم وفي اذاننا وقر ولو قرد ون الصمم **فصل** اوليك الذين لعنهم الله اشارة
الى من سبق ذكرهم من المنافقين ابعدهم الله عنه او عن الخير فاصمهم لا يسمعون الكلام
المبين واعمى ابصارهم عن الحق **قوله** افلا يتدبرون القران فيه سوال وهو انه تعالى
قال فاصمهم واعمى ابصارهم فكيف يمكنهم التدبر في القران وهو كقول القايل للاعمى ابصر وللاصم
اسمع والجواب من ثلاثة اوجه مترتبة بعضها احسن من البعض الاول تكليف ما لا
يطاق جايز والله امر من علم منه انه لا يومن بان يومن فكذلك جاز ان يصمهم ويذمهم
ويذمهم على ترك التدبر الثاني ان قوله افلا يتدبرون القران المراد منه الناس الثالث
ان يقال هذه الاية وردت محققة لمعنى الاية المتقدمة كانه تعالى قال اوليك الذين
لعنهم الله اي ابعدهم عنه او عن الصدق او عن الخير او غير ذلك من الامور الحسنة فاصمهم
لا يسمعون حقيقة الكلام واعماهم لا يتبعون طريقة الاسلام فاذن هم بين امرين اما لا يتدبرون
القران فيبعدون منه لان الله لعنهم وابعدهم عن الخير والصدق والقران منهما هو الصنف
الاعلى بل النوع الاشرف واما يتدبرون لكن لا تدخل معانيه في قلوبهم لكونها متقفلة
تقديره افلا يتدبرون لكونهم ملعونين مبعدين ام على قلوب اقفالها فيتدبرون ولا
يفهمون وعلى هذا احتاج الى ان يقول ام بمعنى بل هي على حقيقتها للاستفهام واقعة في وسط
الكلام والهمزة اخذت مكانها وهو الصدر وقيل ام بمعنى بل والمعنى ام على قلوب اقفالها
فلا يفهم مواعظ القران واحكامه روى هشام بن عروة عن ابيه قال تلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم افلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها فقال شاب من اهل اليمن بلي على
قلوب اقفالها حتى يكون الله يفتحها او يفرجها فما زال الشاب في نفس عمر حتى ولي فاستعان به
قوله ام على قلوب ام منقطعة وتقدم الكلام على ام المنقطعة وقرا العامة اقفالها بالجمع
على افعال وقري اقفلها على افعل وقري اقفالها بكسر الهمزة مصدرا كالاقبال وهذا الكلام
استعارة بليغة قيل ذلك عبارة عن عدم وصول الحق اليها **فان قيل** ما الفايدة
في تنكير القلوب فقال الزمخشري يحتمل وجهين احدهما ان يكون للتنبيه على كونه موصوفا لان النكرة

بالوصف اولى من المعرفة فكانه قال ام على قلوب قاسية او مظلمة الثاني ان يكون للتبعيض
كانه قال ام على بعض القلوب لان النكرة لا تعم تقول جاءني رجال فيفهم البعض وجاءني الرجال فيفهم
الكل والتنكير في القلوب للتنبيه على الانكار الذي في القلوب وذلك لان القلب اذا كان عارفا
كان معروفا لان القلب خلق للمعرفة فاذا لم تكن فيه المعرفة فكانه لا يعرف قلبا فلا يكون
قلبا يعرف كما يقال للانسان المؤذي هذا ليس بانسان فكذلك يقال هذا ليس بقلب هذا
حجر واذا علم هذا فالتعريف اما بالالف واللام واما بالاضافة بان يقال على قلوبهم اقفالها
وهي لعدم عود فائدة اليهم كانها ليست لهم **فان قيل** قد قال الله تعالى ختم
الله على قلوبهم وقال فويل للقاسية قلوبهم فالجواب الاقفال ابلغ من الختم فترك الاضافة
لعدم انتفاعهم راسا **فان قيل** ما الحكمة في قوله اقفالها بالاضافة ولم يقل
اقفال كما قال قلوب فالجواب لان الاقفال كانها ليست الا لها ولم يضف القلوب اليهم لعدم
نفعها اياهم واضاف الاقفال اليها لكونها مناسبة لها او يقال اراد به اقفالا مخصوصة هي
اقفال الكفر والعناد **قوله** ان الذين ارتدوا على ادبارهم رجعوا كفارا من بعد ما تبين
لهم الهدى قال قتادة هم كفار اهل الكتاب كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم بعدما عرفوا و
وجدوا نعته في كتابهم وقال ابن عباس والضحاك والسدي هم المنافقون **قوله** الشيطان
سول لهم اي زين لهم القبيح وفي هذه الجملة خبر ان الذين ارتدوا وتقدم الكلام على سول
معنى واشتقاقا وقال الزمخشري هاهنا اشتقه من السول من لا علم له بالتصريف والاشتقاق
جميعا قال شهاب الدين كانه يشير الى ما قاله ابن بحر من ان المعنى اعطاهم سولهم ووجه الغلط
فيه ان مادة السول من السؤال بالهمز ومادة هذا بالواو فافترقا فلو كان على ما قيل لقيل
سأل بتشديد الهمزة لا بالواو وفيما قاله الزمخشري نظر لان السوال له مادتان سأل بالهمز وسال
بالالف المنقلبة عن واو وعليه قراءة سال سايل وقوله .
. سالت هذيل رسول الله فاحشة . ضلت هذيل بما سالت ولم تصب . وقد تقدم هذا
في البقرة مستوفى **قوله** واملى لهم العامة على املى مبنيا للفاعل وهو ضمير الشيطان وقيل
هو الباري تعالى قال ابو علي الاول يكون معطوفا على الخبر وعلى الثاني يكون مستانفا ولا يلزم
ما قاله بل هو معطوف على الخبر في كلا التقديرين اخبر عنهم بهذا وبهذا وقرا ابو عمرو وفي اخرى
املي مبنيا للمفعول والقايم مقام الفاعل الجار وقيل القايم مقامه ضمير الشيطان ذكره ابو
البقاء وقرا يعقوب وسلام ومجاهد واملي بضم الهمزة وكسر اللام وسكون الياء فاحتملت وجهين
احدهما ان يكون مضارعا مسندا لضمير المتكلم اي واملي انا لهم وان يكون ماضيا كقراءة ابي عمرو
وسكنت ياؤه تخفيفا وقد مضى منه جملة **فصل** قال المفسرون سول لهم سهل لهم
واملى لهم اي مد لهم في الامل يعني قالوا نعيش اياما ثم نؤمن به وهو معنى قراءة واملي لهم
فان قيل الاملاء والامهال وحد الاجال لا يكون الا من الله فكيف يصح قراءة من قرا واملى
لهم فان المملي حينئذ هو الشيطان قال ابن الخطيب والجواب من وجهين احدهما جواز ان يكون
المراد واملى لهم الله فيقف على سول لهم وثانيهما هو ان المسول ايضا ليس هو الشيطان وانما
اسند اليه من حيث ان الله قدر على يده ولسانه ذلك فذلك الشيطان يمنيهم ويقول لهم في
اجالكم فسحة فتمتعوا برياستكم ثم في اخر العمر تؤمنون **قوله** ذلك بانهم قالوا يعني المنافقين
او اليهود قالوا للذين كرهوا ما نزل الله وهم المشركون اي ذلك الاملاء بسبب قولهم للذين كرهوا قاله
الواحدي وقيل ذلك اشارة الى التسويل ويحتمل ان يقال ذلك اشارة للارتداد بسبب قولهم سنطيعكم
قاله ابن الخطيب قال لانا نبين ان قوله قالوا سنطيعكم في بعض الامر هو انهم قالوا نوافقكم على ان

محمدا

محمدا ليس بمرسل وانما هو كاذب ولكن لا نوافقكم في انكار الرسالة والحشر والاشراك بالله من الاصنام
ومن لم يؤمن بمحمد عليه السلام فهو كافر وان آمن بغيره لا بل نؤمن بمحمد عليه السلام ولا نؤمن
بالله ولا برسله ولا بالحشر لان الله كما اخبر عن الحشر وهو جائز اخبر عن نبوة محمد عليه السلام
وهي جائزة وقال المفسرون ان اليهود او المنافقين قالوا للذين كرهوا ما نزل الله وهم المشركون
سنطيعكم في بعض الامر في التعاون على عداوة محمد صلى الله عليه وسلم والقعود عن الجهاد
وكانوا يقولونه سرا فقال الله تعالى والله يعلم اسرارهم **قوله** اسرارهم قرا الاخوان
وحفص بكسر الهمزة مصدرا والباقون بفتحها جمع سر **قوله** فكيف اما خبر مقدم اي
كيف علمه باسرارهم اذا توفتهم واما منصوب بفعل محذوف اي فكيف يصنعون واما خبر
لكان مقدرة اي فكيف يكونون والظرف معمول لذلك المقدر وقرا الاعمش توفاهم دون
تاء فاحتملت وجهين ان يكون ماضيا كالعامة وان يكون مضارعا حذفت احدى تائيه
قوله يضربون حال اما من الفاعل وهو الاظهر او من المفعول **فصل** قال
ابن الخطيب الاظهر ان قوله والله يعلم اسرارهم اي ما في قلوبهم من العلم بصدق محمد
عليه السلام فانهم كانوا مكابرين معاندين وكانوا يعرفون رسول الله كما يعرفون ابناءهم
ويؤيد القراءة بكسر الهمزة فانهم كانوا يسرون نبوة محمد عليه السلام وان قلنا المراد من الذين
ارتدوا هم المنافقون فكانوا يقولون للمجاهدين من الكفار سنطيعكم في بعض الامر وكانوا يسرون
انهم ان غلبوا انقلبوا كما قال الله ولئن جاءهم نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم وقال تعالى
فاذا جاء الخوف سلقوكم بالسنة حداد وقوله فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم
وادبارهم كانه تعالى قال هب انهم يسرون والله لا يظهره اليوم فكيف يبقى مخفيا وقت وفاتهم
او يقول لما قال تعالى والله يعلم اسرارهم انهم يختارون القتال لما فيه من الضرب والطعن مع انه
مفيد على الوجهين جميعا ان غلبوا فالمال والثواب في المآل وان غلبوا فالسعادة والشهادة
فكيف حالهم اذا ضرب وجوههم وادبارهم وعلى هذا فيه لطيفة وهي ان في القتال في الحال
ان اقدام المبارز قد يهزم الخصم ويسلم وجهه وقفاه وان لم يهزمه فالضرب على وجهه
ان ثبت وصبر وان لم يثبت وانهزم فان فاته بالهرب فقد سلم وجهه وقفاه وان لم يفته
فالضرب على قفاه لا غير ويوم الوفاة لا نصرة له ولا مفر فوجهه وظهره مضروب مطعون فكيف
يحترز عن الاذى ويختار العذاب الاكبر **قوله** ذلك بانهم اتبعوا ما اسخط الله اي ذلك
الضرب بانهم اتبعوا ما اسخط الله قال ابن عباس بما كتموا التوراة وكفروا بمحمد صلى الله عليه
وسلم وكرهوا ما فيه رضوان الله وهو الطاعة والايمان وقيل المراد بما اسخط الله الكفر
لان الايمان يرضيه لقوله تعالى ان تكفروا فان الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا
يرضه لكم وقيل ما اسخط الله هو تسويل الشيطان **فان قيل** هم ما كانوا يكرهون
رضوان الله بل كانوا يقولون ان الذي نحن عليه رضوان الله ولا نطلب به الا رضى الله وكيف
لا والمشركون باشراكهم كانوا يقولون انا نطلب رضى الله كما قالوا ليقربونا الى الله زلفى وقالوا
ليشفعوا لنا فالجواب معناه كرهوا ما فيه رضى الله وفي قوله ما اسخط الله ولم يقل ما
ارضى الله لطيفة وهي ان رحمة الله سابقة فله رحمة ثابتة وهي منشا الرضوان وغضب الله
متاخر فهو يكون على ذنب فقال رضوانه لانه من وصف ثابت لله سابق ولم يقل سخط الله
بل ما اسخط اشارة الى ان السخط ليس ثبوته كثبوت الرضوان ولهذا المعنى قال في اللعان في حق
المراة والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين فقال غضب الله مضافا لان
لعانه قد سبق نظهر الزنا بقوله وايمانه وقبله لم يكن غضب فرضوان الله امر يكون منه

النحل وغضب الله امر يكون من نعله **قوله** فاحبط اعمالهم حيث لم يطلبوا رضي الله وانما
طلبوا رضي الشيطان والاصنام **قوله** ام حسب الذين في قلوبهم مرض يعني المنافقين ولم
ينه جملة اخري استفهامية متباينة لو كانت للاستفهام لان كلمة ام اذا كانت تستدعي
سبق جملة اخري استفهامية يقال ازيد في الدار ام عمرو واذا كانت منقطعة لا تستدعي ذلك
يقال ان هذا لزيد ام عمرو كما يقال بل عمرو والمفسرون علي انها منقطعة وتحتمل ان يقال انها استفهامية
والسابق مفهوم من قوله تعالي والله يعلم اسرارهم فكانه تعالي قال ام حسب الذين كفروا ان لن
يعلم الله اسرارهم ام حسب المنافقون ان لن يظهرها فالكل فاسد فاما يعلمها ويظهرها ويويد
ذلك ان المنقطعة لا تكاد تقع في صدر الكلام فلا يقال ابتداء بل جا زيد ولا ام جا زيد **قوله**
ان لن يخرج الله اضغانهم الاخراج بمعني الاظهار اي لن يظهر احقادهم وان هذه مخففة ولن وما
بعدها خبرها واسمها ضمير الشان والاضغان جمع ضغن وهي الاحقاد والضغينة كذلك قال
• وذي ضغن كففت النفس عنه • وكنت علي اساءته مقيتا • وقال عمرو بن كلثوم
• فان الضغن بعد الضغن يفشو عليك ويخرج الدا الدفينا • وقيل الضغن العداوة
وانشد • قل لابن هند ما اردت بمنطق • ساء الصديق وشيد الاضغانا • يقال ضغن
بالكسر يضغن بالفتح وقد ضغن عليه واضطغن القوم وتضاغنوا واصل المادة من الالتوا في قوايم
الدابة والقناة قال • ان قناتي من صليبات القنا • ما زادها التثقيف الا ضغنا •
وقال اخر • كذات الضغن تمشي في الرقاق • والاضطغان الاحتوا علي الشي ايضا ومنه
قولهم اضطغنت الصبي اذا احتضنته وانشد • كانه مضطغن صبيا • وقال اخر
• وما اضطغنت سلاحي عنه معركها • ولا ترصنا عن لا يجري الا بالمرتب **فصل**
قال المفسرون اضغانهم احقادهم علي المومنين فيبديها حتي تعرفوا نفاقهم وقال ابن عباس
اضغانهم حسدهم **قوله** ولو نشا لارينا كهم من روية البصر وجا علي الافصح من اتصال
الضميرين ولو جا علي ارينا ك اياهم جاز وقال ابن الخطيب الاراة هنا بمعني التعريف **قوله**
فلعرفتهم عطف علي جواب لو وقوله ولتعرفنهم جواب قسم محذوف قال المفسرون معني الكلام
لارينا كهم اي لاعلمنا كهم وعرفنا كهم فلعرفتهم بسيماهم بعلامتهم قال الزجاج المعني لو
نشا لجعلنا علي المنافقين علامة تعرفهم بها قال انس ما خفي علي رسول الله صلي الله عليه وسلم
بعد نزول هذه الاية شي من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم **قوله** ولتعرفنهم في لحن
القول اي في معناه ومقصده واللحن يقال باعتبارين احدهما الكناية بالكلام حتي لا يفهمه غير
مخاطبك ومنه قول القتال الكلابي في حكاية له
• ولقد وحيت لكم لكيما تفهموا ولحنت لحنا ليس بالمرتاب • وقال اخر
• منطق صائب وتلحن احيانا وخير الحديث ما كان لحنا • واللحن صرف الكلام من الاعراب
الي الخطا وقيل عكسه هو والاول صرف الكلام عن وجهه يقال من الاول لحنت بفتح الحا الحن له
فانا لاحن والحنته الكلام افهمته اياه ولحنه بالكسر اي فهمه فهو لاحن ومنه قول النبي صلي الله عليه
ولعل بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض ويقال من الثاني لحن بالكسر اذا لم يعرب فهو لحن
فصل معني الاية انك تعرفهم فيما يعرضون به من تهجين امرك وامر المسلمين
والاستهزاء بهم فكان بعد هذا لا يتكلم منافق عند النبي صلي الله عليه وسلم الا عرفه بقوله ويستدل
بفحوي كلامه علي فساد دخلته قال ابن الخطيب معني الاية ان لن يخرج الله اضغانهم
اي يظهر ضمايرهم ويبرز سرايرهم وكان قايلا قال فلم لم يظهر فقال اخرناه لمحض المشية
لا لخوف منهم ولو نشا لارينا كهم اي لا مانع لنا والارادة بمعني التعريف وقوله فلنعرفنهم

لزيادة

لزيادة فايدة وهي ان التعريف قد يطلق ولا يلزم منه المعرفة يقال عرفته ولم يعرف
وفهمته ولم يفهم فقال ههنا فلعرفتهم يعني عرفناهم تعريفا تعرفهم به اشارة الي قوة التعريف
واللام في قوله فلعرفتهم هي التي تقع في جزاء لو كما في قوله لارينا كهم ادخلت علي المعرفة اشارة
الي المعرفة المترتبة علي المشية كانه قال ولو نشا لعرفتهم لتفهمهم المعرفة عن مشاخرة عن
التعريف فيفيد تاكيد التعريف اي لو نشا لعرفناك تعريفا معه المعرفة لا بعده وقوله
في لحن القول اي في معني القول حيث يقولون ما معناه النفاق كقولهم حين جا النصر انا كنا معكم
وقولهم لين رجعنا الي المدينة وقولهم ان بيوتنا عورة ويحتمل ان يكون المراد قولهم ما لم يعتقدوا
فاما لو كالايمان نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون
ويحتمل ان يكون المراد ومن لحن القول هو الوجه الخفي من القول الذي يفهمه النبي عليه السلام ولا
يفهمه غيرهم فالنبي عليه السلام كان يعرف المنافق ولم يكن يظهر امره الي ان اذن الله له في
اظهار امرهم ومنع من الصلاة علي جنايزهم والقيام علي قبورهم وقيل بيان امرهم الظاهر
ان المراد انه تعالي لو شا لجعل علي وجوههم علامة او يمسخهم كما قال ولو نشا لمسخناهم
وروي ان جماعة منهم اصبحوا وعلي جباههم مكتوب هذا منافق قال تعالي والله يعلم
اعمالكم وهذا وعد للمومنين وبيان لكون حالهم بخلاف حال المنافق **قوله** ولنبلونكم
حتي نعلم ونبلوا اخباركم قرا ابو بكر الثلاثة بالياء اسند الي الله تعالي والاعمش كذلك وتسكين
الواو والباقون بنون العظمة وروي كذلك وتسكين الواو والظاهر قطعه عن الاول في قراءة
تسكين الواو ويجوز ان يكون سكن الواو تخفيفا كقراءة الحسن او يعقوب الذي بسكون الواو **فصل**
المعني لنعاملنكم معاملة المختبر بان نامركم بالجهاد والقتال حتي نعلم المجاهدين منكم
والصابرين اي علم الوجود والمشاهدة فانه تعالي قد علمه علم الغيب يريد نميز المجاهد والصابر
علي دينه من غيره وقوله ونبلوا اخباركم اي يظهرها ويكشفها باباء من يابي القتال ولا يصبر علي
الجهاد **قوله** ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم
الهدي قيل هم اهل الكتاب قريظة والنضير لان اهل الكتاب تبين لهم صدق محمد عليه السلام وقيل
هم كفار قريش لن يضروا الله شيا انما يضرون انفسهم وهذا تهديد وسيحبط اعمالهم فلا يرون
لها ثوابا في الاخرة قال ابن عباس هم المطعمون يوم بدر نظيرها قوله تعالي ان الذين كفروا ينفقون
اموالهم ليصدوا عن سبيل الله الاية وقيل المراد بالاعمال ههنا مكايدهم في القتال **قوله** يا ايها
الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم قال عطا بالشك والنفاق وقال الكلبي
بالريا والسمعة وقال الحسن بالمعاصي والكباير وقال ابو العالية كان اصحاب رسول الله صلي الله عليه
وسلم يرون انه لا يضر مع الاخلاص ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل فنزلت هذه الاية فخافوا الكباير
ان تحبط الاعمال وقال مقاتل لا تمنوا علي رسول الله صلي الله عليه وسلم فتبطلوا اعمالكم نزلت في
بني اسد قال تعالي لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذي كانه يقول هذا فعلته لاجل قلبك ولولا رضاك
به لما فعلت وهذا اضاف للاخلاص والله لا يقبل الا العمل الخالص **قوله** ان الذين كفروا
وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم قيل هم اصحاب القليب وقيل اللفظ
عام **قوله** فلا تهنوا وتدعوا الي السلم يجوز جزم تدعوا عطفا علي فعل النهي ونصبه باضمار
ان في جواب النهي وقرا ابو عبد الرحمن بتشديد الدال فقال الزمخشري من ادعي القوم وتداعوا
مثل ارتموا الصيد وتراموا وقال غيره بمعني تعتدوا وتنتسبوا وتقدم الخلاف في السلم **فصل**
لما بين ان عمل الكافر الذي له صورة الحسنات محبط وذنبه الذي هو اقبح السيات غير مغفور وامر
بطاعة الله وطاعة الرسول امر بالقتال فقال فلا تهنوا اي لا تضعفوا بعد ما وجد السبب

وهو الامر بالجد والاجتهاد في القتال فقال ولا تهنوا وتدعوا الى السلم اي الى الصلح ابتدا فمنع الله
المسلمين ان يدعوا الكفار الى الصلح وامرهم بحربهم حتى يسلموا **قوله** وانتم الاعلون جملة حالية وكذلك
والله معكم واصل الاعلون الاعليون كما قال ابن الخطيب اصله في الجمع الموافق عليون ومصطفيون
فسكنت اليا لكونها حرف علة تحرك ما قبلها الواو وكانت ساكنة فالتقى ساكنان فلم يكن بد من حذف احدهما
وتحريك الاخر والتحريك كان ينفع في المحذوف الذي اصحب منه فوجب الحذف والواو فيه كانت
لمعنى لا يستغنا عنه وهو الجمع فاسقطت اليا وبقي اعلون وبهذا الدليل صار في الجر اعلين
ومصطفين ومعنى الاعلون الغالبون قال الكلبي اخر الامر لكم وان غلبوكم في بعض الاوقات والله معكم
بالعون والنصرة **قوله** ولن يتركم اعمالكم اي ينقصكم او يفردكم عنها تقول من وترت الرجل اذا قتلت
له قتيلا او نهبت ماله او من الوتر وهو الانفراد وقيل كل المعنيين يرجع الى الافراد لان من قتل
له قتيل او نهب له مال فقد افرد عنه فمعنى لن يتركم اعمالكم لن ينقصكم شيا من ثواب اعمالكم يقال
وتره يتره وترا وترة اذا نقصه حقه قال ابن عباس وقتادة والضحاك لن يظلمكم اعمالكم الصالحة
ان يوتكم اجورها ثم حض على طلب الاخرة فقال انما الحيوة الدنيا لعب ولهو باطل وغرور وان
تؤمنوا وتتقوا الفواحش يؤتكم اجوركم جزا اعمالكم في الاخرة ولا يسالكم ربكم اموالكم لايتا الاجر
بل يامركم بالايمان والطاعة ليثيبكم عليها الجنة نظيره قوله ما اريد منهم من رزق وقيل لا يسالكم
محمد اموالكم نظيره قل ما اسالكم عليه من اجر وقيل معنى الاية لا يسالكم الله ورسوله اموالكم كلها في الصدقة
انما يسالكم غيظا من فيض ربع العشر فطيبوا بها نفسا قاله ابن عيينة يدل عليه سياق الاية **قوله**
فيحفكم عطف على الشرط وتبخلوا جواب الشرط قال ابن الخطيب الفا في قوله فيحفكم للاشارة الى
ان الاحفا يتبع السوال بيانا لشح الانفس وذلك لان العطف بالواو وقد يكون لمتباينين وبالفاء
لا يكون الا لمتعاقبين او متعلقين احدهما بالاخر فكانه تعالى بين ان الاحفا يقع عقيب السوال
لان الانسان بمجرد السوال لا يعطي شيا قال المفسرون فيحفكم يجهدكم ويلحف عليكم بمسئلة جميعها
يقال احفى فلان فلانا اذا اجهده والحف عليه في المسئلة **قوله** تبخلوا وتخرج اضغانكم
العامة على سكنا وتخرج اي الضمير فاعل اما الله تعالى او الرسول او السوال لانه سبب وهو مجزوم
عطفا على جواب الشرط وروي عن ابي عمرو رفعه على الاستيناف وقري ايضا بفتح اليا وضم الرا
ورفع اضغانكم فاعلا وابن عباس في اخرين وتخرج بالتا من فوق وضم الرا اضغانكم فاعلا به ويعقوب
ونخرج بنون العظمة وكسر الرا اضغانكم نصبا وقري وتخرج باليا على البنا للمفعول اضغانكم رفعا
به وعيسى كذلك الا انه نصبه باضمار ان عطفا على مصدر متوهم اي يكن بخلكم واخراج اضغانكم
بغضكم وعداوتكم **فصل** قال قتادة علم الله ان في مسئلة الاموال خروج الاضغان
يعني ما طلبها ولو طلبها والح عليكم في الطلب لبخلتم كيف وانتم تبخلون باليسير فكيف لا تبخلون
بالكثير فيخرج اضغانكم بسببه فان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه اذا طلبوا منكم وانتم لمحبة
المال وشح الانفس يمنعون فيفضي الى القتال وتظهر به الضغاين ثم بين ذلك بقوله ها انتم
هولا قد طلبت منكم اليسير فبخلتم فكيف لو طلبت منكم الكل **قوله** ها انتم هولا قال
الزمخشري هولا موصول صلته تدعون اي انتم الذين تدعون او انتم يا مخاطبون هولا المؤمنون
ثم استانف وصفهم كانهم قالوا وما وصفنا فقيل تدعون وقال ابن الخطيب هولا يحتمل وجهين
احدهما ان تكون موصولة كانه قال انتم الذين تدعون لتنفقوا في سبيل الله وثانيهما هولا
وحدها خبر انتم كما يقال انت انت وانت هذا التنبيه والظهور اي ظهر امركم بحيث لا حاجة الى
الاخبار عنكم بامر مغاير وقد تقدم الكلام على قوله ها انتم هولا مشبعا في سورة ال عمران وقوله
تدعون اي الى الانفاق اما في سبيل الله بالجهاد واما صرفه الى المستحقين من اخوانكم **قوله**

فنكم

فمنكم من يبخل بما فرض عليه من الزكوة ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه اي ان ضرر ذلك البخل عايد
اليه فلا تظنوا انهم ينفقونه على غيرهم بل لا ينفقونه الا على انفسهم فان من يبخل باجرة الطبيب
وثمن الدوا وهو مريض على نفسه فلا يبخل الا على نفسه ثم حقق ذلك بقوله والله الغني اي غير محتاج
الى مالكم واتمه بقوله وانتم الفقرا اليه والى ما عنده من الخير حتى لا تقولوا بانا اغنينا عن القتال
ودفع حاجة الفقرا **قوله** يبخل عن نفسه بخل وشح يتعديان بعلى تارة وبعن اخرى
والاجود ان يكون حال تعديهما بعن لتضمينهما معنى الامساك **قوله** وان تتولوا هذه الجملة
الشرطية عطف على الشرطية قبلها وثم لا يكونوا عطف على يستبدل **فصل** ذكر بيان
الاستغنا كما قال ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد قال المفسرون ان تتولوا يستبدل قوما
غيركم ثم لا يكونوا امثالكم بل يكونوا امثل منكم واطوع لله منكم قال الكلبي هم كندة والنخع وقال
الحسن هم العجم وقال عكرمة فارس والروم لما روى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
تلا قوله وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم قالوا يا رسول الله من هولا الذين
ان تولينا استبدلوا بنا ثم لا يكونوا امثالنا فضرب على فخذ سلمان الفارسي ثم قال هذا وقومه
ولو كان الدين عند الثريا لتناوله رجال من الفرس وقيل هم قوم من الانصار **فصل** قال
ابن الخطيب ههنا مسئلة وهي ان النحاة قالوا يجوز في المعطوف على جواب الشرط بالواو والفاء وثم
الجزم والرفع تقول ان تاتني اتك فاحدثك بالجزم والرفع جميعا قال الله تعالى ههنا ان تتولوا
يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم بالجزم وقال في موضع اخر وان يقاتلوكم
يولوكم الادبار ثم لا ينصرون بالرفع لاثبات النون وفيه تدقيق وهو ان قوله لا يكونوا متعلق
بالتولي لانهم ان لم يتولوا يكونوا امثل من ياتي بهم الله على الطاعة وان تولوا لا يكونون مثلهم لكونهم
عاصين وكون من ياتي بهم مطيعين واما هنا سوا قاتلوا او لم يقاتلوا لا ينصرون فلم يكن التعلق
هناك بما وقع بالابتدا وههنا جزم للتعلق وقوله لا يكونوا امثالكم في الوصف لا في الجنس روى
ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة محمد كان حقا على الله عز
وجل ان يسقيه من انهار الجنة ،

سورة الفتح مدنية

وهي تسع
وعشرون اية وخمس ماية وستون كلمة والفان واربع ماية وثمانية وثلاثون حرفا روى
زيد بن اسلم عن ابيه ان عمر بن الخطاب كان يسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره
فساله عمر عن شي فلم يجبه ثم ساله فلم يجبه ثم ساله فلم يجبه قال عمر فحركت بعيري حتى تقدمت
امام الناس وخشيت ان يكون نزل في قران فما نشبت ان سمعت صارخا يصرخ بي فجيت رسول
الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه فقال لقد انزلت علي الليلة سورة لهي احب الي مما طلعت عليه
الشمس ثم قرا انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وروى انس قال
نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم انا فتحنا لك الى اخر الاية مرجعه من الحديبية واصحابه مخالطوا
الحزن والكآبة فقال نزلت علي اية هي احب الي من الدنيا جميعها فلما تلا نبي الله صلى الله عليه
وسلم قال رجل من القوم هنيا مريا قد بين الله لك ما يفعل بك فماذا يفعل بنا فانزل الله ليدخل
المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار حتى ختم الاية • بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا اختلفوا في هذا الفتح فروي عن انس انه
فتح مكة وقال مجاهد فتح خيبر والاكثرون على انه صلح الحديبية وقيل فتح الروم وقيل
فتح الاسلام بالحجة والبرهان والسيف والسنان وقيل الفتح الحكم لقوله فاحكم بيننا وبين
قومنا بالحق وقوله ثم يفتح بيننا بالحق فمن قال هو فتح مكة قال لانه يناسب لاخر السورة التي
قبلها من وجوه احدها انه تعالى لما قال ها انتم هولا تدعون لتنفقوا في سبيل الله الى ان

قال ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه وبين تعالى انه فتح لهم مكة وغنموا ديارهم وحصل لهم اضعاف ما انفقوا ولو بخلوا لضاع عليهم ذلك فلا يكون بخلهم الا على انفسهم وثانيها لما قال والله معكم وقال وانتم الاعلون بين برهانه بفتح مكة فانهم كانوا هم الاعلون وثالثها لما قال تعالى فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وكان معناه لا تسالوا الصلح بل اصبروا فانكم تسالون الصلح كما كان يوم الحديبية فكان المراد فتح مكة حيث اتوا صاغرين قريش مستامنين ومومنين ومسلمين ومستسلمين **فان قيل** ان كان المراد فتح مكة فمكة لم تكن فتحت فكيف قال فتحنا بلفظ الماضي فالجواب من وجهين احدها فتحنا في حكمنا وتقديرنا والثاني ما قدره الله تعالى فهو كائن فاخبر بصيغة الماضي اشارة الى انه امر واقع لا دافع له واما حجة قول الاكثرين على انه صلح الحديبية فلما روي البرا قال تعدون انتم الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحا ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم اربع عشرة مائة والحديبية بير فنزحناها فلم نترك قطرة فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فاتاها فجلس على شفيرها فدعا باناء من ماء فتوضا ثم تمضمض ودعا وصبه فيها فتركناها غير بعيد ثم انها اصدرتنا ما شئنا نحن وركابنا قال الشعبي قوله انا فتحنا لك فتحا مبينا قال فتح الحديبية غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر واطعموا نخل خيبر وبلغ الهدي محله وظهرت الروم على فارس ففرح المومنون بظهور اهل الكتاب على المجوس قال الزهري ولم يكن فتح مكة اعظم من صلح الحديبية وذلك ان المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فتمكن الاسلام في قلوبهم واسلم في ثلاث سنين خلق كثير وكثر بهم الاسلام قال المفسرون انا فتحنا لك فتحا مبينا اي قضينا لك قضاء بينا **قوله** ليغفر لك الله متعلق بفتحنا وهي لام العلة وقال الزمخشري فان قلت كيف جعل فتح مكة علة للمغفرة قلت لم يجعل علة للمغفرة ولكن لما عدد من الامور الاربعة وهي المغفرة واتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز كانه قال يسرنا لك فتح مكة ونصرناك على عدوك ليجمع لك بين عز الدارين واعراض العاجل والآجل ويجوز ان يكون فتح مكة من حيث انه جهاد للعدو سببا للغفران والثواب وهذا الذي قاله مخالف لظاهر الاية فان اللام داخلة على المغفرة فتكون المغفرة علة للفتح والفتح معللا بها فكان ينبغي ان يقول كيف جعل فتح مكة معللا بالمغفرة ثم يقول لم يجعل معللا وقال ابن الخطيب في جواب هذا السوال وجهين اخرين فقال بعد ان حكى الاول وقال ان اجتماع الاربعة لم يثبت الا بالفتح فان النعمة به تمت والنصر بعده عمت الثاني ان فتح مكة كان سببا لتطهير بيت الله من رجس الاوثان وتطهير بيته صار سببا لتطهير عبده الثالث ان الفتح سبب للحج وبالحج تحصل المغفرة كما قال عليه السلام في الحج اللهم اجعله حجا مبرورا وسعيا مشكورا وذنبا مغفورا الرابع المراد منه التعريف تقديره انا فتحنا لك لتعرف انك مغفور لك معصوم وقال ابن عطيه المراد هنا ان الله فتح لك لكي يجعل الفتح علامة لغفرانه لك فكانها لام صيرورة وهذا الكلام ماش على الظاهر وقال بعضهم ان هذه اللام لام القسم والاصل ليغفرن فكسرت اللام تشبيها بلام كي وحذفت النون ورد هذا بان اللام لا تكسر وبانها لا تنصب المضارع وقد يقال ان هذا ليس بنصب وانما هو بقا الفتح الذي كان قبل نون التوكيد بقي ليدل عليها ولكنه قول مردود

فصل لم يكن للنبي عليه السلام ذنب فماذا يغفر له فقيل المراد ذنب المومنين وقيل المراد ترك الافضل وقيل الصغائر فانها جائزة على الانبيا بالسهو والعمد قاله ابن الخطيب وهي تصونهم عن العجب وقيل المراد بالمغفرة العصمة ومعنى قوله وما تاخر قيل انه وعد للنبي صلى الله عليه وسلم بانه لا يذنب بعد النبوة وقيل ما تقدم على الفتح وما تاخر عن الفتح وقيل هو العموم

يقال اضرب من لقيت ومن لا تلقاه مع ان من لا يلقاه لا يمكن ضربه اشارة الى العموم وقيل من قبل النبوة وبعدها ومعناه ما قبل النبوة بالعفو وما بعدها بالعصمة وفيه وجوه اخر ساقطة قال ابن الخطيب منها قول بعضهم ما تقدم من امر مارية وما تاخر من امر زينب وهو ابعد الوجوه واسقطها لعدم التيام الكلام **قوله** ويتم نعمته عليك قيل ان التكاليف عند الفتح تمت حيث وجب الحج وهو آخر التكاليف والتكاليف نعمة وقيل يتم نعمته عليك باخلاء الارض لك عن معاندك فان من يوم الفتح لم يبق للنبي عليه السلام عدو فان بعضهم قتل يوم بدر والباقون امنوا واستامنوا يوم الفتح وقيل ويتم نعمته عليك في الدنيا والاخرة اما في الدنيا باستجابة دعائك في طلب الفتح وفي الاخرة بقبول شفاعتك ٥

فصل قال الضحاك انا فتحنا لك فتحا مبينا بغير قتال وكان الصلح من الفتح فان كانت اللام في قوله ليغفر لام كي فمعناه انا فتحنا لك فتحا مبينا لكي يجتمع لك مع المغفرة تمام النعمة في الفتح وقال الحسين بن الفضل هو مردود الى قوله واستغفر لذنبك وللمومنين والمومنات ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وليدخل المومنين والمومنات جنات تجري من تحتها الانهار وقال محمد بن جرير هو راجع الى قوله اذا جا نصر الله والفتح ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا فسبح بحمد ربك واستغفره ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر في الجاهلية قبل الرسالة وما تاخر الى وقت نزول هذه السورة وقيل ما تاخر مما يكون وهذا على طريقة من يجوز الصغاير على الانبيا وقال سفين الثوري ما تقدم مما عملت في الجاهلية وما تاخر كل شي لم تعمله كما تقدم وقال عطا الخراساني ما تقدم من ذنبك يعني ذنب ابويك ادم وحوى ببركتك وما تاخر ذنوب امتك بدعوتك ويتم نعمته عليك بالنبوة والحكمة **قوله** ويهديك صراطا مستقيما قيل يهديك وقيل يديمك على الصراط المستقيم وقيل جعل الفتح سبب الهداية الى الصراط المستقيم لانه سهل على المومنين الجهاد لعلمهم بفوايده العاجلة والآجلة وقيل المراد التعريف اي لتعرف انك على صراط مستقيم ثم قال وينصرك الله نصرا عزيزا غالبا وقيل منيعا لانه بالفتح ظهر النصر **فان قيل** ان الله تعالى وصف النصر بكونه عزيزا والعزيز من له النصر فالجواب من وجهين احدهما قال الزمخشري انه يحتمل وجوها ثلاثة الاول معناه نصرا ذا عز كقوله في عيشة راضية اي ذات رضى الثاني وصف النصر بما يوصف به المنصور اسنادا مجازيا يقال له كلام صادق كما يقال له متكلم صادق الثالث المراد نصرا عزيزا صاحبه الوجه الثاني ان يقال انما يلزم ما ذكره الزمخشري اذا قلنا العزة هي الغلبة والعزيز الغالب واما اذا قلنا العزيز هو النفيس القليل النظير او المحتاج اليه القليل الوجود يقال عز الشي في سوق كذا اي قل وجوده مع انه محتاج اليه فالنصر كان محتاجا اليه ومثله لم يوجد وهو اخذ بيت الله من الكفار المتمكنين فيه من غير عدد ولا عدد

فصل في البحث المعنوي وهو ان الله تعالى لما قال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك ابرز الفاعل وهو الله ثم عطف عليه بقوله ويتم وبقوله ويهديك ولم يذكر لفظ الله على الوجه الحسن في الكلام وهو ان الافعال الكثيرة اذا صدرت من فاعل يظهر اسمه في الفعل ولا يظهر فيما بعده تقول جا زيد وقعد وتكلم وقام وراح ولا تقول جاء زيد وقعد زيد بل جا زيد وقعد اختصارا للكلام بالاقتصار على الاول وههنا لم يقل وينصرك نصرا بل اعاد لفظ الله وجوابه هذا ارشاد الى طريق النصر ولهذا قلما ذكر الله النصر من غير اضافة فقال تعالى ولينصرن الله من ينصره ولم يقل بالنصر ينصره وقال هو الذي ايدك بنصره ولم يقل ايدك بالنصر وقال اذا جا نصر الله والفتح وقال نصر من الله وفتح قريب وقال وما النصر

الامن عند الله وهذا ادل الايات على مطلوبها وتحقيقه هو ان النصر بالصبر والصبر بالله
قال تعالى وما صبرك الا بالله وذلك لان الصبر سكون القلب واطمئنانه وذلك بذكر الله
كما قال تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب فلما قال هاهنا وينصرك الله اظهر لفظ الله ليعلم ان
بذكر الله يحصل اطمينان القلب وبه يحصل الصبر وبه يتحقق النصر **فصل** قال
انا فتحنا لك ثم قال ليغفر لك الله ولم يقل انا فتحنا لنغفر لك تعظيما لامر الفتح وذلك لان المغفرة
وان كانت عظيمة لكنها عامة لقوله تعالى ان الله يغفر الذنوب جميعا وقال ويغفر ما دون
ذلك لمن يشا وان قلنا بان المراد من المغفرة في حق النبي صلى الله عليه وسلم العصمة فلذلك لم يختص
به نبينا بل غيره من الرسل كان معصوما واتمام النعمة كذلك قال تعالى اليوم اكملت لكم دينكم
واتممت عليكم نعمتي وقال يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم وكذلك الهداية قال الله
تعالى يهدي الله وكذلك النصر قال الله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم
المنصورون واما الفتح فلم يبق لاحد غير النبي صلى الله عليه وسلم فعظمه بقوله انا فتحنا لك فتحا
مبينا وفيه التعظيم من وجهين احدهما قوله انا والثاني قوله لك اي لاجلك على وجه المنة
قوله هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين لما قال تعالى وينصرك الله نصرا عزيزا
بين وجه النصر وذلك ان الله تعالى قد ينصر رسله بصيحة يهلك بها اعداءهم او رجفة تحكم
فيها عليهم بالفناء او بشيء يرسله من السماء او بصبر وقوة وثبات قلب يرزق المؤمنين
ليكون لهم بذلك الثواب الجزيل فقال هو الذي انزل السكينة اي تحقيقا للنصر والمراد بالسكينة
قيل السكون وقيل الوقار لله وقيل اليقين قال اكثر المفسرين هذه السكينة غير السكينة المذكورة
في قوله تعالى ان ياتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم ويحتمل ان تكون هي تلك لان المقصود منها على
جميع الوجوه اليقين وثبات القلب **فصل** قال الله تعالى في حق الكفار وقذف في قلوبهم
الرعب بلفظ القذف المزعج وقال في حق المؤمنين انزل السكينة بلفظ الانزال المثبت وفيه
معنى حكمي وهو ان من علم شيئا من قبل وتذكره واستدام تذكره فاذا وقع لا يتغير ومن كان
غافلا عن شيء فيقع دفعة فانه يرجف فؤاده الا ترى ان من اخبر بوقوع صيحة وقيل له لا تنزعج
منها فوقعت الصيحة لا يرجف ومن لم يخبر به او اخبر وغفل عنه يرجف اذا وقعت فكذلك
الكافر اتاه الله من حيث لم يحتسب وقذف في قلبه الرعب فارجف والمؤمن اتى من حيث كان
يذكره فسكن فلا تنزعج نفوسهم لما يرد عليهم قال ابن عباس كل سكينة في القران فهي طمانينة الا
التي في سورة البقرة **قوله** ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم قال ابن عباس بعث الله
رسوله صلى الله عليه وسلم بشهادة ان لا اله الا الله فلما صدقوا زادهم الصلوة ثم الزكوة ثم
الصيام ثم الحج ثم الجهاد حتى اكمل لهم دينهم فكلما امروا بشيء فصدقوه ازدادوا تصديقا الى
تصديقهم وقال الضحاك يقينا مع يقينهم وقيل انزل السكينة عليهم فصبروا ورأوا عين اليقين
بما علموا من النصر علم اليقين ايمانا بالغيب فازدادوا ايمانا مستفادا من الغيب مع ايمانهم
المستفاد من الشهادة وقيل ازدادوا ايمانا بالفروع مع ايمانهم بالاصول فانهم امنوا بان محمدا
رسول الله وان الله واحد والحشر كاين فامنوا بان كلما يقول النبي عليه السلام فهو صدق وكلما يامر
الله به فهو واجب وقيل ازدادوا ايمانا استدلاليا مع ايمانهم الفطري **فان قيل**
ما الحكمة في قوله في حق الكفار انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولم يقل مع كفرهم وقال في حق المؤمنين
ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم فالجواب ان كفر الكافر عنادي وليس في الوجود كفر فطري ولا في الوجود كفر
عنادي لينضم الى الكفر الفطري بل الكفر ليس الا عناديا وكذلك الكفر بالفروع لا يقال انضم الى الكفر
بالاصول لان من ضرورة الكفر بالاصول الكفر بالفروع وليس من ضرورة الايمان بالاصول الايمان

بالفروع بمعنى الطاعة والانقياد ولهذا قال ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم **قوله** ولله جنود
السموات والارض فهو قادر على اهلاك عدوهم بجنوده بل بصيحة ولم يفعل بل انزلت السكينة
على المؤمنين ليكون اهلاك اعدائه بايديهم فيكون لهم الثواب والمراد بجنود السموات والارض
الملائكة وقيل جنود السموات الملائكة وجنود الارض الجن والحيوانات وقيل الاسباب السماوية
والارضية وكان الله عليما حكيما لما قال ولله جنود السموات والارض وعددهم غير محصور قال عليما
اشارة الى انه لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وقيل لما ذكر القلوب بقوله
انزل السكينة في قلوب المؤمنين والايمان الذي من عمل القلوب ذكر العلم اشارة الى انه يعلم
السر واخفى وقوله حكيما بعد قوله عليما اشارة الى انه يفعل على وفق العلم فان الحكيم من يعمل
شيئا متقنا ويعلمه **قوله تعالى** ليدخل المؤمنين في متعلق هذه اللام اربعة اوجه
احدها محذوف تقديره يبتلي بتلك الجنود من شاء فيقبل الخير من اهله له والشر ممن قضي له
به ليدخل ويعذب الثاني انها متعلقة بقوله انا فتحنا لانه روي ان المؤمنين قالوا للنبي عليه
السلام هنيئا لك ان الله غفر لك فما لنا فنزلت الاية فكانه تعالى قال انا فتحنا لك ليغفر لك وفتحنا
للمؤمنين ليدخلهم جنات الثالث انها متعلقة بينصرك كانه قال وينصرك الله بالمؤمنين ليدخل
المؤمنين جنات الرابع انها متعلقة بيزدادوا واستشكل هذا بان قوله ويعذب عطف عليه
وازديادهم الايمان ليس مسببا عن تعذيب الله الكفار واجيب بان اعتقادهم ان الله يعذب
الكفار يزيد في ايمانهم لا محالة وقال ابو حيان والازدياد لا يكون سببا لتعذيب الكفار واجيب
بانه ذكر لكونه مقصودا للمؤمن كانه قيل بسبب ازديادكم في الايمان يدخلكم الجنة ويعذب
الكفار بايديكم في الدنيا وفيه نظر لانه كان ينبغي ان يقول لا يكون مسببا عن تعذيب الكفار وقد
يشبه ما تقدم في قوله ليغفر لك الله واجاب ابن الخطيب بوجهين اخرين احدهما تقديره ويعذب
تقيض ما لكم من الازدياد يقال فعلت لاخبر به العدو والصديق اي لاعرف بوجوده الصديق
ويعدمه العدو فكذا هاهنا ليزداد المؤمن ايمانا يدخله الجنة ويزداد الكافر كفرا فيعذبه
وثانيهما ان بسبب زيادة ايمان المؤمن يكثر صبرهم وثباتهم ويتعب المنافق والكافر فيعذبه
ثم ذكر وجوها اخر في تعلق الجار منها ان الجار يتعلق بقوله حكيما كانه تعالى قال ويتم نعمته عليك
لان الله حكيم فعل ما فعل ليدخل المؤمنين ومنها ان يتعلق بقوله ويتم نعمته عليك فيستجيب دعاءك
في الدنيا ويقبل شفاعتك في العقبى ليدخل المؤمنين جنات ومنها انه يتعلق بامر مفهوم من قرينة
الحال وهو الامر بالقتال لانه لما ذكر الفتح والنصر علم ان الحال حال القتال فكانه تعالى قال ان الله
تعالى امر بالقتال ليدخل المؤمنين او عرف من قرينة الحال ان الله اختار المؤمنين ليدخلهم جنات
فان قيل ما الحكمة في انه تعالى ذكر في بعض المواضع المؤمنين والمؤمنات وفي بعضها
اكتفى بذكر المؤمنين ودخلت المؤمنات فيهم كقوله تعالى قد افلح المؤمنون وقوله وبشر المؤمنين بان
لهم فالجواب انه في المواضع التي فيها ما يوهم اختصاص المؤمنين بالخير الموعود به مع مشاركة المؤمنات
لهم ذكرهن الله صريحا وفي المواضع التي ليس فيها ما يوهم ذلك اكتفى بدخولهن في المؤمنين كقوله وبشر المؤمنين
مع انه علم من قوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا العموم فلا يوهم خروج المؤمنات
عن البشارة واما هاهنا فلما كان قوله تعالى ليدخل المؤمنين متعلق بفعل سابق وهو اما الامر بالقتال
او الصبر فيه او النصرة بالمؤمنين او الفتح بايديهم على ما تقدم فادخال المؤمنين كان للقتال والمرأة لا
تقاتل فلا تدخل الجنة الموعودة بها فصرح الله بذكرهن وكذا في قوله تعالى ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين
والمؤمنات لان الموضع موضع ذكر النساء واحوالهن لقوله ولا تبرجن تبرج الجاهلية وقوله واتين واطعن
واذكرن ما يتلى في بيوتكن فكان ذكر النساء هناك اصلا لكن الرجال لما كان لهم ما للنساء من الاجر العظيم

ذكرهم وذكرهن بلفظ منفرد من غير تبعية لما بينا **قوله** ويكفر عنهم سيئاتهم فيه سؤال وهو ان
تكفير السيئات قبل الادخال فكيف ذكره بعد ذكر الادخال والجواب من وجهين احدهما ان الواو لا تقتضي
الترتيب والثاني ان تكفير السيئات والمغفرة من توابع كون المكلف من اهل الجنة فقدم الادخال
في الذكر بمعنى انه من اهل الجنة **قوله** وكان ذلك عند الله فوزا عظيما عند الله متعلق بمحذوف
على انه حال من فوزا لانه صفته في الاصل وجوز ابو البقا ان يكون ظرفا لكان وفيه خلاف وان يكون
ظرفا للمحذوف دل عليه الفوز اي يفوزون عند الله ولا يتعلق بفوزا لانه مصدر فلا يتقدم معموله
عليه ومن اغتفر ذلك في الظرف جوزه قال ابن الخطيب معناه ان ذلك الادخال والتكفير
في علم الله فوز عظيم يقال عندي هذا الامر على هذا الوجه اي في اعتقادي **قوله**
ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الايه اعلم انه قدم المنافقين على
المشركين في كثير من المواضع لامور احدها انهم كانوا اشد على المؤمنين من الكافر المجاهد لان
المؤمن كان يتوقى المشرك المجاهد ويخالط المنافق لظنه بايمانه وكان يفشي اسراره والى هذا
اشار النبي عليه السلام بقوله اعدى عدوك نفسك الذي بين جنبيك ولهذا قال الشاعر
احذر عدوك مرة واحذر صديقك الف مرة فلربما انقلب الصديق فكان اعرف بالمضرة
وثانيها ان المنافق كان يظن ان يتخلص بالمخادعة والكافر لا يقطع بان المؤمن ان غلبه يعذبه
فلهذا اول ما اخبر الله عن المنافق **قوله** الظانين بالله ظن السوء صفة للفريقين وتقدم الخلاف
في السوء في التوبة وقرا الحسن السوء بالضم فيهما **فصل** قال المفسرون ظن السوء هو ان
لن ينصر محمدا والمؤمنين وقال ابن الخطيب هذا الظن يحتمل وجوها احدها هو الظن الذي ذكره
الله بقوله بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول وثانيها ظن المشركين بالله في الاشراك كقوله تعالى
ان هي الا اسماء سميتموها الى ان قال ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس وان الظن لا يغني من الحق
شيئا وثالثها ظنهم ان الله لا يرى ولا يعلم كما قال تعالى ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما
تعملون قال والاول اصح او يقال المراد جميع ظنونهم كما قال ذلك ظن الذين كفروا ويؤيد هذا
دخول الالف واللام في السوء وفي السوء وجوه احدها وهو اختيار المحققين من الادباء ان السوء
عبارة عن الفساد والصدق عبارة عن الصلاح يقال مررت برجل سوء اي فاسد وسكنت عند
رجل صدق اي صالح وهذا قول الخليل والزجاج واختاره الزمخشري وتحقيق هذا ان السوء في المعاني
كالفساد في الاجساد يقال ساء مزاجه ساء خلقه ساء ظنه كما يقال فسد اللحم وفسد الهوا بل كل ما ساء
فقد فسد وكل ما فسد فقد ساء غير ان احدهما كثير الاستعمال في المعاني والاخر في الاجرام قال
تعالى ظهر الفساد في البر والبحر وقال ساء ما كانوا يعملون **قوله** عليهم دائرة السوء اي دائرة
الفساد يعني حاق بهم العذاب بحيث لا يخرجون منه وغضب الله عليهم زيادة على التعذيب
ولعنهم اي الغضب يكون شديدا واعد لهم جهنم في العقبى وساءت مصيرا اي جهنم **قوله**
ولله جنود السموات والارض تقدم تفسيره وفائدة الاعادة ان لله جنود الرحمة وجنود
العذاب او جنود الله انزالهم قد يكون للرحمة وقد يكون للعذاب فذكرهم اولا لبيان
الرحمة بالمؤمنين كما قال وكان بالمؤمنين رحيما وثانيا لبيان انزال العذاب بالمنافقين والمشركين
وفي الاول ذكر الجنود قبل ادخال الجنة وذكرهم هنا بعد تعذيب الكفار واعداد جهنم
لان الله تعالى ينزل جنود الرحمة ليدخل المؤمن معظما مكرما الجنة ثم يلبسهم خلع الكرامة بقوله
ويكفر عنهم سيئاتهم ثم يقربهم زلفى بقوله وكان ذلك عند الله فوزا عظيما واما في حق الكفار
فيغضب عليهم اولا فيبعدهم ويطردهم الى البلاد النائية عن الرحمة وهي جهنم ثم يسلط عليهم
ملائكة العذاب وهم جنود الله كما قال تعالى عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله فلذلك

ذكر

ذكر جنود الرحمة اولا هناك وقال هاهنا وغضب الله عليهم ولعنهم وهو الابعاد الى جهنم ثم ذكر
الجنود وهم ملائكة العذاب اخرا **قوله** انا ارسلناك شاهدا على امتك بما يعملون كما قال
تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا انه لا اله الا الله كما قال تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة
واولوا العلم وهم الانبياء ومبشرا من قبل شهادته وحكم بها ونذيرا لمن رد شهادته ثم بين فائدة
الارسال فقال ليؤمنوا بالله ورسوله ويعزروه اي يعينوه وينصروه ويوقروه اي يعظموه
ويبجلوه هذه الكنايات راجعة الى النبي صلى الله عليه وسلم وهاهنا وقف ثم قال ويسبحوه اي يسبحوا الله
يريد يصلوا له بكرة واصيلا بالغداة والعشي وقيل الكنايات راجعة الى الله اي ليؤمنوا بالله ويعزروا
ويعزروا الله بتقوية دينه ويوقروا الله اي يعظموه **قوله** ليؤمنوا قرا ابن كثير وابو عمرو ليؤمنوا
وما بعده بالياء من تحت رجوعا الى قوله المؤمنين والمؤمنات والباقون بتاء الخطاب وقرا الجحدري
يعزروه بفتح الياء وضم الزاي وهو ايضا وجعفر بن محمد كذلك الا انهما كسرا الزاي وابن عباس واليماني
ويعززوه كالعامة الا انه بزايين من العز **فان قيل** ما الحكمة في قوله في الاحزاب
انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وهاهنا اقتصر على الثلاثة
الاول فالجواب من وجهين ان ذلك المقام كان مقام ذكر لان اكثر السورة ذكر الرسول واحواله وما
تقدمه من المبايعة والوعد بالدخول فنفصل هناك ولم يفصل هنا وثانيها ان قوله شاهدا لم
يستقل ان يكون داعيا لجواز ان يقول مع نفسه اشهد ان لا اله الا الله ولا يدعو الناس فقال هناك
وداعيا كذلك هاهنا لما لم يكن كونه شاهدا ينبئ عن كونه داعيا قال ليؤمنوا بالله ويعزروه ويوقروه
وقوله بكرة واصيلا يحتمل ان يكون اشارة الى المداومة ويحتمل ان يكون لمخالفة عمل المشركين فانهم كانوا
يعبدون الاصنام في الكعبة بكرة وعشية فامر الله بالتسبيح في اوقات ذكرهم الفحشاء والمنكر
قوله ان الذين يبايعونك يا محمد بالحديبية على ان لا يفروا انما يبايعون الله لانهم باعوا
انفسهم من الله تعالى بالجنة روى يزيد بن ابي عبيد قال قلت لسلمة بن الاكوع على اي شيء بايعتم
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية قال على الموت **قوله** انما يبايعون الله خبر ان
الذين ويد الله فوق ايديهم جملة حالية او خبر ثان وهو ترشيح للمجاز في مبايعة الله وقرا تمام
ابن العباس يبايعون لله والمفعول محذوف اي انما يبايعونك لاجل الله **قوله** يد الله فوق
ايديهم لما بين انه مرسل ذكر ان من بايعه فقد بايع الحق وقوله يد الله فوق ايديهم يحتمل وجوها
وذلك ان اليد في الموضعين اما ان يكون بمعنى واحد واما ان يكون بمعنيين فان كانا بمعنى واحد
ففيه وجهان احدهما قال الكلبي نعمة الله عليهم في الهداية فوق ما صنعوا من البيعة كما قال
تعالى بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان وثانيهما قال ابن عباس ومجاهد يد الله بالوفاء
بما وعدهم من النصر والخير اقوى واعلى من نصرتهم اياه يقال اليد لفلان اي الغلبة والقوة وان
كان بمعنيين ففي حق الله بمعنى الحفظ وفي حق المبايعين بمعنى الجارحة قال السدي كانوا ياخذون
بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبايعونه ويد الله فوق ايديهم في المبايعة وذلك ان المتبايعين
اذا مد احدهما يده الى الاخر في البيع وبينهما ثالث فيضع يده على يديهما ويحفظ ايديهما الى ان
يتم العقد ولا يترك احدهما يترك يد الاخر لكي يلزم العقد ولا يتفاسخا فصار وضع اليد فوق
الايدي سببا لحفظ البيعة فقال تعالى يد الله فوق ايديهم يحفظهم على البيعة كما يحفظ المتوسط
ايدي المتبايعين **قوله** فمن نكث اي نقض البيعة فانما ينكث على نفسه اي عليه وباله ومن وفى
بما عاهد عليه الله اي ثبت على البيعة فسيؤتيه اجرا عظيما قرا اهل العراق فسيؤتيه بالياء من تحت
وقرا الاخرون بالنون والمراد بالاجر العظيم الجنة وتقدم الكلام في معنى الاجر العظيم **قوله**
سيقول لك المخلفون من الاعراب قال ابن عباس ومجاهد يعني اعراب غفار ومزينة وجهينة واشجع

واسلم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اراد المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر من حول
المدينة من الاعراب والبوادي ليخرجوا معه حذرا من قريش ان يعرضوا له بحرب او يصدوه عن البيت
فاحرم بالعمرة وساق معه الهدي ليعلم الناس انه لا يريد حربا فتثاقل كثير من الاعراب وتخلفوا
واعتلوا بالشغل لظنهم انه يهزم فانزل الله هذه الاية **قوله** شغلتنا حكى الكسائي عن ابن نوح
انه قرا شغّلتنا بالتشديد اموالنا واهلونا يعني النساء والذراري اي لم يكن لنا من يخلفنا فيهم
فاستغفر لنا تخلفنا عنك فكذبهم الله في اعتذارهم فقال يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم من
الامر بالاستغفار فانهم لا يبالون استغفر لهم النبي او لا قل فمن يملك لكم من الله شيا ان اراد بكم ضرا
او اراد بكم نفعا قرا الاخوان ضُرا بضم الضاد والباقون بفتحها فقيل هما لغتان بمعنى كالفقر والفُقر
والضُعف والضَعف وقيل بالفتح ضد النفع وبالضم سوء الحال فمن فتح قال لانه قابله بالنفع والنفع
ضد الضر وذلك انهم ظنوا ان تخلفهم عن النبي صلى الله عليه وسلم يدفع عنهم الضر ويعجل لهم النفع
بالسلامة في انفسهم واموالهم فاخبرهم انه ان اراد بهم شيا من ذلك لم يقدر احد على دفعه بل كان
الله بما تعملون خبيرا اي بما تعملون من اظهار امر واضمار غيره **قوله** بل ظننتم ان لن ينقلب
الرسول والمومنون الى اهليهم ابدا اي ظننتم ان العدو يستاصلهم ولا يرجعون قرا عبد الله الى اهلهم
دونيا بل اضاف الاهل مفردا **قوله** وزين ذلك في قلوبكم قرى وزَين مبنيا للفاعل اي
الشيطان او فعلكم وزين ذلك الظن في قلوبكم وظننتم ظن السوء وذلك انهم قالوا ان محمدا واصحابه
اكلة راس فلا يرجعون فاين تذهبون معه انتظروا ما يكون من امرهم وكنتم قوما بورا اي صرتم
هلكى لا تصلحون لخير وقيل كنتم على بابه من الاخبار بكونهم في الماضي كذا والبور الهلاك وهو يحتمل
ان يكون هنا مصدرا اخبر به عن الجمع كقوله • يا رسول الاله ان لساني راتق ما فتقت اذ انا بور •
ولذلك يستوي فيه المفرد والمذكر ومقابلهما ويجوز ان يكون جمع باير كحايل وحول في المعتل وبازل
وبزل في الصحيح **قوله** ومن لم يومن يجوز ان يكون شرطية او موصولة والظاهر قايم مقام
العايد على كلي التقديرين اي فانا اعتدنا لهم وفيه فايدة وهي التعميم كانه قال ومن لم يومن
بالله ورسوله فهو من الكافرين وانا اعتدنا للكافرين سعيرا **قوله** ولله ملك السموات
والارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفورا رحيما ذكر هذا بعد ذكر من له
اجر عظيم من المبايعين ومن له في السعير عذاب اليم من الظانين الضالين وذلك يفيد عظمة
الامرين جميعا لان من عظم ملكه يكون اجره وهيبته في غاية العظمة وعذابه وعقوبته في غاية
الالم **قوله** سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم لتاخذوها يعني ها ولاء الذين تخلفوا عن
الحديبية اذا انطلقتم سرتم وذهبتم ايها المومنون الى مغانم لتاخذوها يعني مغانم خيبر
ذرونا نتبعكم الى خيبر لنشهد معكم قتال اهلها وذلك انهم لما انصرفوا من الحديبية وعدهم
الله فتح خيبر وجعل غنايمها لمن شهد الحديبية خاصة عوضا من غنايم مكة اذا انصرفوا
من الحديبية منهم على صلح ولم يصيبوا منهم شيا لان قوله سيقول المخلفون وعد للمبايعين
بالغنيمة وللمخلفين الخالفين بالحرمان **قوله** يريدون يجوز ان يكون مستانفا وان يكون
حالا من المخلفين وان يكون حالا من مفعول ذرونا **قوله** كلام الله قرا الاخوان كلم جمع
كلمة والباقون كلام قيل معناه يريدون ان يغيروا مواعيد الله تعالى لاهل الحديبية بغنيمة
خيبر خاصة وقال مقاتل يعني امر الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ان لا يسير معه منهم احد وقال
ابن زيد هو ان النبي صلى الله عليه وسلم لما تخلف القوم اطلعه الله على باطنهم واظهر له نفاقهم وقال
للنبي عليه السلام فاستاذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا والاول
اصوب وعليه اكثر المفسرين **قوله** قل لن تتبعونا الى خيبر كذلكم قال الله من قبل اي من

قبل

قبل مرجعنا اليكم ان غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية ليس لغيرهم فيها نصيب **قوله** بل
تحسدوننا بكسر السين بل للاضراب والمضروب عنه محذوف في الموضعين اما ههنا فتقديره
ما قال الله كذلك من قبل بل تحسدوننا اي يمنعكم الحسد من ان نصيب معكم الغنايم بل كانوا
لا يفقهون لا يعلمون عن الله ما لهم وعليهم من الدين الا قليلا منهم وهم من صدق الله ورسوله
فان قيل ما ذا كان الحسد في اعتقادهم قيل كانهم قالوا نحن مصيبين في عدم الخروج
حيث رجعوا من الحديبية من غير عدو حاصل ونحن استرحنا فان خرجنا معهم ويكون فيه
غنيمة يقولون هم غنموا معنا ولم يتعبوا ثم قال الله ردا عليهم كما ردوا عليه بل كانوا لا يفقهون
الا قليلا اي لم يفقهوا من قولك لا تخرجوا الا ظاهر النهي ولم يفهموا حكمه الا قليلا فحملوه على ما
ارادوه وعللوه بالحسد **قوله** قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم اولي باس
شديد لما قال النبي عليه السلام لهم لن تتبعونا ولن تخرجوا معي ابدا وكان المخلفون جمعا كثيرا
من قبايل متشعبة دعت الحاجة الى بيان قبول توبتهم فانهم لم يبقوا على ذلك ولم يكونوا من الذين
مردوا على النفاق بل منهم من حسن حاله فجعل لقبول توبتهم علامة وهو انهم يدعون الى قوم
اولي باس شديد ويطيعون بخلاف حال ثعلبة حيث امتنع من اداء الزكوة ثم اتى بها ولم يقبل
منه النبي صلى الله عليه وسلم واستمر عليه الحال ولم يقبل منه احد من الصحابة كذلك كان يستمر
حال هولاء لولا الله تعالى بين انهم يدعون فان اطاعوا اعطوا الاجر الحسن والفرق بين حال
هولاء وبين حال ثعلبة من وجهين احدهما ان ثعلبة يجوز ان يقال حاله لم يتغير في علم الله
فلم يبين لتوبته علامة وحال الاعراب تغيرت فان بعد النبي عليه السلام لم يبق من المنافقين
على النفاق احد الثاني ان الحاجة الى بيان حال الجمع الكثير والجم الغفير امس لانه لولا البيان
لافضى الامر الى قيام الفتنة بين فرق المسلمين **فصل** قال ابن عباس ومجاهد
المراد بقوله قوم اولي باس شديد اهل فارس وقال كعب الروم وقال الحسن فارس والروم وقال
سعيد بن جبير هوازن وثقيف وقال قتادة هوازن وغطفان قوم حنين وقال الزهري
ومقاتل وجماعة هم بنو حنيفة اهل اليمامة اصحاب مسيلمة الكذاب وقال رافع بن خديج كنا
نقرا هذه الاية ولا نعلم من هم حتى دعا ابو بكر الى قتال بني حنيفة فعلمنا انهم هم وقال ابو هريرة
لم تات هذه الاية بعد **قوله** او يسلمون العامة على رفعه باثبات النون عطفا على
تقاتلونهم او على الاستيناف اي او هم يسلمون وقرا ابي وزيد بن علي بحذف النون نصبا بحذفها
والنصب باضمار ان عند جمهور البصريين وباو نفسها عند الجرمي والكسائي ويكون قد عطف مصدرا
موولا على مصدر متوهم كانه قيل يكون قتال او اسلام ومثله في النصب قول امرئ القيس •
فقلت له لا تبك عينك انما نحاول ملكا او نموت فنعذرا • وقال ابو البقا او بمعنى الا
ان او حتى **فصل** معنى قوله تقاتلونهم او يسلمون اشارة الى ان احدهما يقع لان او
بين المتغايرين وينبي عن الحصر يقال العدد زوج او فرد ولهذا لا يصح قول القايل هذا زيد
او ابن عمرو اذا كان زيد بن عمرو اذا علم هذا فقول القايل الازمك او تقضيني حقي معناه ان
الزمان انحصر في قسمين قسم يكون فيه الملازمة وقسم يكون فيه قضا الحق فلا يكون بين الملازمة
وقضا الحق قسم ثالث والا لما انحصر واذا كان كذلك يكون زمان الملازمة ممتدا الى قضاء الحق
فيكون قوله الازمك او تقضيني كقوله الازمك الى ان تقضيني لامتداد زمان الملازمة الى القضاء
قوله فان تطيعوا يوتكم الله اجرا حسنا يعني الجنة وان تتولوا كما توليتم من قبل
عام الحديبية يعذبكم عذابا اليما وهو النار فلما نزلت هذه الاية قال اهل الزمانة كيف بنا
يا رسول الله فانزل الله عز وجل ليس على الاعمى حرج اي في التخلف عن الجهاد ولا على الاعرج حرج ولا

على المريض حرج وذلك لان الجهاد عبارة عن المقاتلة والكر والفر وهولاء الثلاثة لا يمكنهم الاقدام على العدو والطلب ولا يمكنهم الاحتراز والهرب وفي معنى الاعرج الاقطع والمقعد بل اولى ان يعذر ومن به عرج لا يمنعه من الكر والفر لا يعذر وكذلك المرض الذي لا يمنع من الكر والفر كالطحال والسعال وبعض اوجاع المفاصل اذا لم يضعف عن الكر والفر فهذه اعذار في نفس المجاهد وثمة اعذار خارجة كالفقر الذي لا يمكن صاحبه من استصحاب ما يحتاج له وكذا الاشتغال بمن لولاه لضاع كطفل او مريض والاعذار المبيحة مذكورة في كتب الفقه وقدم الاعمى على الاعرج لان عذر الاعمى يستمر ولو حضر القتال والاعرج ان حضر راكبا او بطريق يقدر على القتال بالرمي وغيره **قوله** ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار ومن يتول يعذبه عذابا اليما قرا اهل المدينة والشام ندخله ونعذبه بالنون فيهما وقرا الاخرون بالياء لقوله ومن يطع الله **قوله تعالى** لقد رضي الله عن المؤمنين الآية لما بين حال المخلفين بعد قوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله عاد الى بيان حال المبايعين **قوله** اذ يبايعونك منصوب برضي وتحت الشجرة يجوز ان يكون متعلقا بيبايعونك وان يتعلق بمحذوف على انه حال من المفعول **فصل** المعنى يبايعونك بالحديبية على ان يناجزوا قريشا ولا يفروا وقوله تحت الشجرة وكانت سمرة قال سعيد بن المسيب حدثني ابي انه كان فيمن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة قال فلما خرجنا من العام المقبل نسيناها فلم نقدر عليها وروي ان عمر بن الخطاب مر بذلك المكان بعد ان ذهبت الشجرة فقال اين كانت فجعل بعضهم يقول ههنا وبعضهم ههنا فلما كثر اختلافهم قال سيروا قد ذهبت الشجرة وروى جابر بن عبد الله قال قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية انتم خير اهل الارض وكنا الفا واربع مائة ولو كنت ابصر اليوم لاريتكم مكان الشجرة وروى سالم عن جابر قال كنا خمس عشرة مائة وقال عبد الله ابن ابي اوفى كان اصحاب الشجرة الفا وثلثمائة وروى جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل النار احد ممن بايع تحت الشجرة **قوله** فعلم ما في قلوبهم من الصدق والوفا فانزل السكينة الطمانينة والرضا عليهم **فان قيل** الفا للتعقيب وعلم الله قبل الرضا لانه علم ما في قلوبهم من الصدق فرضي عنهم فكيف يفهم التعقيب في العلم فالجواب قال ابن الخطيب ان قوله تعالى فعلم ما في قلوبهم متعلق بقوله اذ يبايعونك كما تقول فرحت امس اذ كلمت زيدا فقام لي او اذ دخلت عليه فاكرمني فيكون الفرح بعد الاكرام مرتبا كذلك ههنا قال تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك فعلم ما في قلوبهم من الصدق اشارة الى ان الرضا لا يكون عند المبايعة حسب بل عند المبايعة التي كان معها علم الله بصدقهم والفا في قوله فانزل السكينة للتعقيب المذكور فانه تعالى رضي الله عنهم فانزل السكينة عليهم وفي قوله فعلم لبيان وصف المبايعة تكون معقبة بالعلم بالصدق الذي في قلوبهم **قوله** واثابهم فتحا قريبا يعني فتح خيبر وقوله ومغانم كثيرة اي واتاكم مغانم واتاهم مغانم او اثابهم مغانم او اثابكم مغانم وانما قدر الخطاب والغيبة لانه يقرا ياخذونها بالغيبة وهي قراءة العامة وتاخذونها بالخطاب وهي قراءة الاعمش وطلحة ونافع في رواية سقلاب **فصل** قيل المراد بالمغانم الكثيرة مغانم خيبر وكانت خيبر ذات عقار واموال فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم وقيل مغانم هجر وكان الله عزيزا كامل القدرة غنيا عن اعانتكم اياه حكيما حيث جعل هلاك اعدائه على ايديكم ليثيبكم عليه او لان في ذلك كان اعزاز قوم واذلال اخرين فقال يذل من يشا لعزته ويعز من يشا لحكمته **قوله** وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها وهي الفتوح التي تفتح لهم الى يوم القيامة وليس المغانم كل الثواب بل الجنة قدامهم وانما هي كعاجلة عجلها لهم ولهذا

قال

قال فعجل لكم هذه يعني خيبر وكف ايدي الناس عنكم وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قصد خيبر وحاصر اهلها همت قبائل من اسد وغطفان ان يغيروا على عيال المسلمين وذراريهم بالمدينة فكف الله ايديهم بالقاء الرعب في قلوبهم وقيل كف ايدي الناس عنكم يعني اهل مكة بالصلح ولتكون كفهم وسلامتكم اية للمؤمنين على صدقك ويعلموا ان الله هو المتولي حياطتهم وحراستهم في مشهدهم ومغيبهم **قوله** ولتكون يجوز فيه ثلاثة اوجه احدها ان يتعلق بفعل مقدر بعده تقديره ولتكون فعل ذلك الثاني انه معطوف على علة محذوفة تقديره وعد فعجل وكف لينتفعوا ولتكون او لتشكروا ولتكون الثالث ان الواو مزيدة واللام لتعليل ما قبله اي وكف لتكون **قوله** ويهديكم صراطا مستقيما يثبتكم على الاسلام ويزيدكم بصيرة ويقينا بصلح الحديبية وفتح خيبر وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من الحديبية اقام بالمدينة بقية ذي الحجة وبعض المحرم ثم خرج في سنة سبع الى خيبر روى انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا غزا بنا قوما لم يكن يغير بنا حتى يصبح وينظر فان سمع اذانا كف عنهم وان لم يسمع اذانا اغار عليهم قال فخرجنا الى خيبر فانتهينا اليهم ليلا فلما اصبح لم يسمع اذانا ركب وركبت خلف ابي طلحة وان قدمي لتمس قدم النبي صلى الله عليه وسلم قال فخرجوا الينا بمكاتلهم ومساحيهم فلما راوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا محمد والله محمد والخميس اي محمد والجيش فلما راهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله اكبر الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فسا صباح المنذرين وروى اياس بن سلمة قال حدثني ابي قال خرجنا الى خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فجعل عمي يرتجز بالقوم

• تالله لولا الله ما اهتدينا • ولا تصدقنا ولا صلينا • ونحن من فضلك ما استغنينا •
• فثبت الاقدام ان لاقينا • وانزلن سكينة علينا •

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا فقال انا عامر قال غفر لك ربك وما استغفر رسول الله صلى الله عليه وسلم لانسان يخصه الا استشهد قال فنادى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو على جمل له يا نبي الله لولا متعتنا بعامر فلما قدمنا خيبر خرج ملكهم مرحب يخطر بسيفه يقول لقد علمت خيبر اني مرحب •
• شاكي السلاح بطل مجرب • اذا الحروب اقبلت تلهب •

فقال علي رضي الله عنه

• انا الذي سمتني امي حيدره • كليث غابات كريه المنظره • اكيلكم بالصاع كيل السندره •

قال فضرب راس مرحب فقتله ثم كان الفتح على يديه وفي يدي اكيلكم بالسيف كيل السندره اي اقتلكم قتلا واسعا ذريعا والسندرة مكيال واسع قيل يحتمل ان يكون اتخذ من السندرة وهي شجرة يعمل منها النبل والقسي والسندرة ايضا العجلة والنون زائدة قال ابن الاثير وذكرها الجوهري في هذا الباب ولم ينبه على زيادتها وروي فتح خيبر من طرق اخر في بعضها زيادات وفي بعضها نقصان عن بعض **قوله** واخرى يجوز فيها اوجه احدها ان تكون مرفوعة بالابتداء ولم تقدروا عليها صفتها وقد احاط الله بها خبرها الثاني ان الخبر محذوف مقدر قبلها اي ولهم اخرى لم تقدروا عليها الثالث ان تكون منصوبة بفعل مضمر على شريطة التفسير فيقدر الفعل من معنى المتاخر وهو قد احاط الله بها اي وقضى الله اخرى الرابع ان تكون منصوبة بفعل مضمر لا على شريطة التفسير بل لدلالة السابق اي ووعد اخرى او واتاكم اخرى الخامس ان تكون مجرورة برب مقدرة ويكون الواو واو رب ذكره الزمخشري وفي المجرور بعد الواو المذكورة خلاف مشهور اهو برب مضمرة ام بنفس الواو الا ان ابا حيان قال ولم تات رب جارة في القرآن على كثرة دورها يعني جارة للفظ والا فانه قبل لها جارة تقديرا واصنا وفي قوله ونعما على قولنا انها ما نكرة موصوفة **قوله** قد احاط الله بها يجوز

ان يكون خبرا لاخرى كما تقدم او صفة ثانية اذا قيل بان اخرى مبتدا وخبرها مضمرا وقال
ايضا **فصل** قال المفسرون معناه اي ووعدكم فتح بلدة اخرى لم تقدروا عليها قد احاط
الله بها حتى يفتحها لكم كانه حفظها لكم ومنعها من غيركم حتى ياخذوها قال ابن عباس علم الله انه يفتحها لكم
قال ابن الخطيب تقديره وعدكم مغانم تاخذونها ومغانم لا تاخذونها انتم ولا تقدرون
عليها وانما ياخذها من يجي بعدكم من المومنين وهذا تفسير الفرا قال معنى قوله قد احاط الله بها
اي حفظها للمومنين لا يجري عليها هلاك وفنا الى ان ياخذها المسلمون كاحاطة الحراس بالخزاين
واختلفوا فيها فقال ابن عباس والحسن ومقاتل هي فارس والروم وما كانت العرب تقدر
على قتال فارس والروم بل كانوا خولا لهم حتى قدروا عليها بالاسلام وقال الضحاك وابن زيد
هي خيبر وعدها الله نبيه صلى الله عليه وسلم قبل ان يصيبها ولم يكونوا يرجونها وقال قتادة
هي مكة وقال عكرمة حنين وقال مجاهد ما فتحوا حتى اليوم وكان الله على كل شي قديرا **قوله**
ولو قاتلكم الذين كفروا يعني اسدا وغطفان واهل خيبر لولوا الادبار قال ابن الخطيب وهذا
يصلح جوابا لمن يقول كف الايدي عنهم كان امرا اتفاقيا ولو اجتمع عليهم العرب كما زعموا لمنعوهم
من فتح خيبر واغتنام غنايمها فقال ليس كذلك بل سوا قاتلوا او لم يقاتلوا لا ينصرون والغلبة
واقعة للمسلمين فليس امرهم امرا اتفاقيا بل امر الهي محكوم به محتوم ثم قال ثم لا يجدون وليا
ولا نصيرا **قوله** سنة الله مصدر مؤكد لمضمون الجملة المتقدمة اي سن الله ذلك سنة
قال ابن الخطيب وهذا جواب عن سوال اخر يقوله قوم من الجهال وهو ان الطوالع والاتصالات
لها تاثيرات وتغييرات فقال ليس كذلك بل سنة الله نصرة رسله واهلاك عدوه والمعنى هذه
سنة الله في نصرة اوليايه وقهر اعدايه ولن تجد لسنة الله تبديلا **قوله تعالى**
وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان اظفركم عليهم وهذا تبيين لما
تقدم من قوله ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبار بتقدير الله كما انه كف ايديهم عنكم بالفرار
وايديكم بالرجوع عنهم وترككم روى ثابت عن انس بن مالك ان ثمانين رجلا من اهل مكة هبطوا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم من جبل التنعيم متسلحين يريدون غرة النبي صلى الله عليه وسلم
واصحابه فاخذهم سلما فاستحياهم فانزل الله وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة
من بعد ان اظفركم عليهم قال عبد الله بن مغفل المزني كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية
في اصل الشجرة التي قال الله تعالى في القران وعلى ظهره غصن من اغصان الشجرة فرفعته عن
ظهره وعلي بن ابي طالب بين يديه يكتب كتاب الصلح فخرج علينا ثلاثون شابا عليهم السلاح
فثاروا في وجوهنا فدعا عليهم نبي الله صلى الله عليه وسلم فاخذ الله بابصارهم فقمنا اليهم
فاخذناهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم جيتم في عهد او هل جعل لكم احد امانا فقالوا
اللهم لا فخلى سبيلهم فانزل الله هذه الاية **قوله** وكان الله بما يعملون بصيرا قرا ابو عمرو يعملون
بالياء وقرا الاخرون بالتا من فوق فمن قرا بالغيبة فهو رجوع الى قوله ايديهم عنهم ومن قرا
بالخطاب فهو رجوع الى قوله ايديكم عنكم والمعنى ان الله يرى ما فيه من المصلحة وان كنتم لا ترون ذلك
ثم بين ذلك بقوله تعالى هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام وهذا اشارة الى ان الكف لم
يكن للامر لانهم كفروا وصدوكم واحصروا وكل ذلك يقتضي قتالهم فلا يتوهم احد ان الفريقين
اتفقوا واصطلحوا ولم يبق بينهما خلاف ولا نزاع بل الاختلاف والنزاع باق مستمر لانهم هم الذين
كفروا وصدوكم ومنعوكم فازدادوا كفرا وعداوة وانما ذلك للرجال المومنين والنسا المومنات
قوله والهدي العامة على نصبه والمشهور انه نسق على الضمير المنصوب في صدوكم وقيل نصب على
المعية وفيه ضعف لامكان العطف وقرا ابو عمرو في رواية بجره عطفا على المسجد الحرام ولا بد من

حذف مضاف اي وعن نحر الهدي وقري برفعه على انه مرفوع بفعل مقدر لم يسم فاعله اي وصد
الهدي والعامة على فتح الها وسكون الدال وروي عن ابي عمرو وعاصم وغيرهما كسر الدال وتشديد
اليا وحكى ابن خالويه ثلاث لغات الهدي وهي الشهيرة لغة قريش والهدي والهدا **قوله**
معكوفا حال من الهدي اي محبوسا يقال عكفت الرجل عن حاجته وانكر الفارسي تعديه عكف
بنفسه واثبتها ابن سيده والازهري وغيرهما وهو ظاهر القران لبنا اسم المفعول منه **قوله**
ان يبلغ فيه اوجه احدها انه على اسقاط الخافض اي عن ان او من ان وحينيذ يكون في هذا
الجار المقدر ان يتعلق بصدوكم وان يتعلق بمعكوفا اي محبوسا عن بلوغ محله الثاني انه مفعول
من اجله وحينيذ يجوز ان يكون علة لمعكوفا للصد والتقدير صد والهدي كراهة ان يبلغ محله
ويكون الحبس من المسلمين الثالث انه بدل من الهدي بدل اشتمال اي صدوا بلوغ الهدي محله
فصل معنى الاية هم الذين كفروا يعني كفار مكة وصدوكم ومنعوكم عن المسجد الحرام ان تطوفوا
به والهدي اي وصدوا الهدي وهي البدن التي ساقها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت سبعين
بدنة معكوفا محبوسا يقال عكفته عكفا اذا حبسته وعكوفا اللازم كما يقال رجع رجعا ورجوعا
ان يبلغ محله منحره وحيث يحل نحره يعني الحرم ثم قال ولولا رجال مومنون ونسا مومنات
يعني المستضعفين بمكة **قوله** لم تعلموهم صفة للصنفين وغلب الذكور وقوله ان تطوهم
يجوز ان يكون بدلا من رجال ونسا وغلب الذكور كما تقدم وان يكون بدلا من مفعول تعلموهم
فالتقدير على الاول ولولا وطء رجال ونسا غير معلومين وتقدير الثاني لم تعلموا وطاهم والخبر
محذوف تقديره ولولا رجال ونسا موجودون او بالحضرة وامثالها جواب لولا ففيه ثلاثة
اوجه احدها انه محذوف لدلالة جواب لو عليه والثاني انه مذكور وهو لعذبنا وجواب
لو هو المحذوف فحذف من الاول لدلالة الثاني ومن الثاني لدلالة الاول والثالث ان لعذبنا
جوابهما معا وهو بعيد ان اراد حقيقة ذلك وقال الزمخشري قريبا من هذا فانه قال
ويجوز ان يكون لو تزيلوا كالتكرير لولا رجال مومنون لمرجعهما الى معنى واحد ويكون لعذبنا
هو الجواب ومنع ابو حيان مرجعهما لمعنى واحد قال لان ما تعلق به الاول غير ما تعلق به
الثاني **فصل** المعنى لم تعلموهم لم تعرفوهم ان تطوهم بالقتل وتوقعوا بهم فتصيبكم
منهم معرة قال ابن زيد اثم وذلك لانكم ربما تقتلونهم فيلزمكم الكفارة وهي دليل الاثم لان
الله تعالى اوجب على قاتل المومن في دار الحرب اذا لم يعلم ايمانه الكفارة دون الدية قال
تعالى وان كان من قوم عدو لكم وهو مومن فتحرير رقبة مومنة وقال ابن اسحق غرم الدية
وقيل ان المشركين يعيبونكم ويقولون قتلوا اهل دينهم وفعلوا باخوانهم ما فعلوا باعدايهم والمعرة
المشقة يقول لولا ان تطاوا رجالا مومنين ونسا مومنات لا تعلموهم فيلزمكم به كفارة وتلحقكم
به سبة لاذن لكم في دخولها ولكنه حال بينكم وبين ذلك **قوله** فتصيبكم نسق على ان تطوهم
وقال ابو البقا من الضمير المجرور يعني في منهم ولا يظهر معنا او ان يتعلق بتصيبكم وان يتعلق
بتطاوهم اي تطوهم بغير علم **فان قيل** هنا تكرار لانه ان قلنا هو بدل عن الضمير
يكون التقدير لم تعلموا ان تطوهم بغير علم فيلزم تكرار بغير علم لحصوله بقوله لم تعلموهم فالجواب
ان يقال ان قوله بغير علم هو في موضعه اي فتصيبكم منهم معرة بغير علم من الذي يعيركم ويعيب عليكم
يعني ان وطيتموهم غير عالمين يعيركم الكفار بغير علم اي بجهل لانهم لا يعلمون انكم معذورون فيه او يقال
تقديره لم تعلموا ان تطوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم اي فتقتلوهم بغير علم فيكون الوطء الذي يحصل
بغير علم معذورين فيه او يقول المعرة قسمان احدهما ما تحصل من القتل العمد العدوان ممن هو غير
عالم بحال المحل والثاني ما حصل من القتل خطا وهو عند عدم العلم فقال فتصيبكم منهم معرة بغير

علم لا التي يكون عند العلم والوطء هنا عبارة عن القتل والدوس قال عليه السلام اللهم
اشدد وطاتك على مضر كما شددوا ۞ ووطئتنا وطأ على حنق وطء المقيد نابت الهدم ۞
قوله ليدخل الله متعلق بمقدر اي كان انتفا التسليط على اهل مكة وانتفا العذاب
ليدخل الله وقال البغوي اللام في ليدخل متعلق بمحذوف دل عليه معنى الكلام يعني ليدخل
الله في رحمته اي في دين الاسلام من يشا من اهل مكة بعد الصلح قبل ان يدخلوها قوله
لو تزيلوا قرا ابن ابي عبلة وابو حيوة وابن عون لو تزايلوا على تفاعلوا والضمير في تزيلوا
يجوز ان يعود على المؤمنين فقط او على الكافرين او على الفريقين والمعنى لو تميز هؤلاء من هؤلاء
لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما بالسبي والقتل بايديكم قوله تعالى اذ
جعل الذين كفروا العامل في اذ اما لعذبنا او صدوكم او اذكر فيكون مفعولا به قال ابن الخطيب
في اذ يحتمل ان يكون ظرفا فلا بد من فعل يقع فيه ويكون عاملا له ويحتمل ان يكون مفعولا به فان
قلنا انه ظرف فالفعل الواقع فيه يحتمل ان يكون مذكورا ويحتمل ان يكون غير مذكور فان كان
مذكورا ففيه وجهان احدهما هو قوله تعالى وصدوكم اي وصدوكم حين جعلوا في قلوبهم الحمية
فلا يرجعون الى الاسلام وثانيهما المؤمنون لما انزل الله تعالى عليهم سكينته لا يتركون الاجتهاد
في الجهاد والله مع المؤمنين وان قلنا انه غير مذكور ففيه وجهان احدهما حفظ الله المؤمنين
عن ان يطؤهم اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية وعلى هذا فقوله تعالى فانزل الله سكينته
تفسيرا لذلك الاحسان وان قلنا انه مفعول به فتقديره اذكر ذلك الوقت كقولك اذكر اذ
قام زيد اي اذكر وقت قيامه وعلى هذا يكون اذ ظرفا للفعل المضاف اليه قوله في قلوبهم
يجوز ان يتعلق بجعل على انها بمعنى التي فيتعدى لواحد اي اذ القى الكافرون في قلوبهم الحمية وان
يتعلق بمحذوف على انه مفعول ثان قدم على انها بمعنى صير قوله حمية الجاهلية بدل
من الحمية قبلها والحمية الانفة من الشيء وانشد للمتلمس
۞ الا انني منهم وعرضي عرضهم ۞ كذا الراس يحمي انفه ان يهشما ۞ وهي المنع ومن نها نعيله وهي
مصدر يقال حميت عن كذا الحمية فصل المعنى اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم
الحمية حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه عن البيت وانكروا ان محمدا رسول الله
قال مقاتل قال اهل مكة قد قتلوا ابناءنا واخواننا ثم يدخلون علينا فتحدث العرب انهم دخلوا
علينا على رغم انفنا واللات والعزى لا يدخلونها علينا فهذه حمية الجاهلية التي دخلت قلوبهم
قوله فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين حين لم يدخلهم ما دخلهم من الحمية فيعصوا
الله في قتالهم قال ابن الخطيب دخول الفا في قوله فانزل الله يدل على تعلق الانزال او ترتبه
على ما ذكرنا من ان اذ ظرف لفعل مقدر كانه قال احسن الله اذ جعل الذين كفروا فانزل تفسيرا
لذلك الاحسان كما يقال اكرمني فاعطاني لتفسير الاكرام ويحتمل ان تكون الفا للدلالة على تعلق
انزال السكينة بجعلهم الحمية في قلوبهم على معنى المقابلة تقول اكرمني فاثنيت عليه قوله
والزمهم كلمة التقوى قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وعكرمة والسدي وابن زيد
واكثر المفسرين كلمة التقوى لا اله الا الله وروي عن ابي بن كعب مرفوعا وقال علي وابن عمر كلمة
التقوى لا اله الا الله والله اكبر وقال عطا بن ابي رباح هي لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك
وله الحمد وهو على كل شيء قدير وقال عطا الخراساني هي لا اله الا الله محمد رسول الله وقال الزهري
هي بسم الله الرحمن الرحيم وقيل هي الوفا بالعهد قوله وكانوا احق بها الضمير في كانوا يجوز
ان يعود على المؤمنين وهو الظاهر اي احق بكلمة التقوى من الكفار وقيل يعود على الكفار اي كانت
قريش احق بها لولا حرمانهم فصل قال البغوي وكان المؤمنون احق بها من كفار مكة

واهلها

واهلها اي وكانوا اهلها في علم الله لان الله تعالى اختار لدينه وصحبة نبيه اهل الخير قال ابن
الخطيب قوله احق بها يحتمل وجهين احدهما انه يفهم من معنى الاحق انه يثبت رجحانا ما على الكافرين
وان لم يثبت الاهلية كما لو اختار الملك اثنين لشغل وكل واحد منهما غير صالح له ولكن احدهما
ابعد عن الاستحقاق يقال للاقرب الى الاستحقاق وان كان ولا بد فهذا احق كما يقال الحبس اهون من
القتل مع انه لا هين هناك فقال واهلها دفعا لذلك الثاني ان يكون لا للتفضيل كما في قوله
خير مستقرا واحسن مقيلا اذ لا خير في غيره وكان الله بكل شيء عليما قوله تعالى لقد
صدق الله رسوله الرؤيا صدق يتعدى لاثنين ثانيهما بحرف الجر يقال صدقته في كذا وقد
يحذف كهذه الاية وقوله بالحق فيه اوجه احدها ان يتعلق بصدق الثاني ان يكون صفة
لمصدر محذوف اي صدقا ملتبسا بالحق الثالث ان يتعلق بمحذوف على انه حال من الرؤيا اي
ملتبسة بالحق الرابع انه قسم وجوابه لتدخلن فعلى هذا يوقف على الرؤيا ويبتدا بما بعدها قال
الزمخشري وعلى تقدير انه قسما اما ان يكون قسما بالله فان الحق من اسمائه واما ان يكون قسما بالحق الذي
هو نقيض الباطل وقال ابن الخطيب ويحتمل وجهين اخرين احدهما ان فيه تقديما وتاخيرا
تقديره صدق الله ورسوله بالحق الرؤيا اي الرسول الذي هو رسول بالحق الثاني ان يقال تقديره
صدق الله ورسوله الرؤيا بالحق والله لتدخلن فيكون تفسيرا للرؤيا بالحق يعني ان الرؤيا هي والله
لتدخلن فصل ذكر المفسرون ان النبي صلى الله عليه وسلم اري في المنام في المدينة
قبل ان خرج الى الحديبية انه يدخل هو واصحابه المسجد الحرام ويحلقون رؤسهم ويقصرون فاخبر
اصحابه ففرحوا وحسبوا انهم داخلوا مكة عامهم ذلك فلما انصرفوا ولم يدخلوا شق عليهم ذلك فانزل
الله هذه الاية وروي مجمع بن جارية الانصاري قال شهدنا الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما انصرفنا عنها اذا الناس يهزون الاباعر فقال بعضهم ما بال الناس قالوا اوحي الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال فخرجنا نوجف فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم واقفا على راحلته على كراع الغميم
فلما اجتمع اليه الناس قرا انا فتحنا لك فتحا مبينا فقال عمر اوفتح هو يا رسول الله قال نعم والذي
نفسي بيده انه فتح دليل على ان المراد من الفتح صلح الحديبية وتحقيق الرؤيا كان في العام المقبل
فقال تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا اراها اياه في مخرجه الى الحديبية انه يدخل هو واصحابه
المسجد الحرام صدق وحق قوله لتدخلن جواب قسم مضمر وبقوله بالحق على ذلك القول وقال
ابو البقا ولتدخلن تفسير للرؤيا او مستانف اي والله لتدخلن فجعل كونه جواب قسم قسيما
لتفسيرا للرؤيا وهذا لا يصح البتة وهو ان يكون تفسيرا للرؤيا عين جواب لقسم الا ان يريد انه
جواب قسم لكنه يجوز ان يكون هو مع القسم تفسيرا وان يكون مستانفا غير تفسير وهو بعيد من
عبارته قوله ان شا الله فيه وجوه احدها انه ذكره تعليما للعباد الادب كقوله
تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشا الله الثاني ان الدخول لما وقع عام
الحديبية وكان المؤمنون يريدون الدخول ويابون الصلح قال لتدخلن ولكن لا بجلادتكم ولا
بارادتكم وانما تدخلون بمشية الله الثالث ان الله تعالى لما قال في الوحي المنزل على النبي عليه
السلام لتدخلن ذكر انه بمشية الله لان ذلك من الله وعد ليس عليه دين ولا حق واجب لان من
وعد بشيء لا يدفعه الا بمشية الله والا فلا يلزمه به احد فصل قال البغوي استثنا
وقال لتدخلن وقال ابن كيسان لتدخلن من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه حكاية
عن رؤياه فاخبر الله عن رسوله انه قال ذلك وانما استثنى مع علمه بدخولها باخبار الله تعالى
تادبا بادب الله تعالى حيث قال ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشا الله وقال
ابو عبيدة ان بمعنى اذ مجازه اذ شا الله كقوله ان كنتم تعلمون وقال الحسين بن الفضل يجوز ان يكون

الاستثناء من الدخول لان بين الرؤيا وتصديقها سنة ومات في السنة ناس فمجاز الاية لتدخلن المسجد
الحرام كلكم ان شاء الله وقيل الاستثناء واقع على الامر لا على الدخول لان الدخول لم يكن فيه شك كقول
النبي صلى الله عليه وسلم عند دخول المقبرة وانا ان شاء الله بكم لاحقون فالاستثناء راجع الى اللحوق
لا الى الموت **قوله** آمنين حال من فاعل لتدخلن وكذا محلقين ومقصرين ويجوز ان يكون
محلقين حالا من آمنين فتكون متداخلة **فصل** قوله محلقين رؤسكم ومقصرين اي
الى ان تتموا الحج من اوله الى آخره فقوله لتدخلن اشارة الى الاول وقوله محلقين اشارة الى الاخر
فان قيل محلقين حال الداخلين والداخل لا يكون الا محرما والمحرم لا يكون محلقا فالجواب
ان قوله آمنين معناه متمكنين من ان تتموا الحج محلقين **قوله** لا تخافون يجوز ان يكون
مستأنفا وان يكون حالا ثالثة وان يكون حالا اما من فاعل لتدخلن او من ضمير آمنين ومحلقين
او مقصرين فان كانت حالا من آمنين او حالا من فاعل لتدخلن فهي حال للتوكيد وآمنين حال
مقارنة وما بعدها حال مقدرة الا قوله لا تخافون اذا جعل حالا فانها مقارنة ايضا
فان قيل قوله لا تخافون معناه غير خائفين وذلك يحصل بقوله تعالى آمنين فما
الفائدة في اعادته فالجواب ان فيه كمال الامن لان بعد الحلق تخرج الانسان عن الاحرام
فلا يحرم عليه القتال وكان عند اهل مكة يحرم قتال من احرم ومن دخل الحرم فقال تدخلون
آمنين وتحلقون ويبقى امنكم بعد خروجكم عن الاحرام **قوله** فعلم ما لم تعلموا اي ما لم
تعلموا من المصلحة وان الصلاح كان في الصلح وان دخولكم في سنتكم سبب لوطء المؤمنين والمؤمنات
وهو قوله تعالى ولولا رجال مؤمنون الاية **فان قيل** الفاء في قوله فعلم فاء التعقيب
فقوله فعلم وقع عقيب ماذا فالجواب ان قلنا ان المراد من فعلم وقت الدخول فهو عقيب
صدق وان قلنا المراد فعلم المصلحة فالمعنى علم الوقوع والشهادة لا علم الغيب والتقدير
لما حصلت المصلحة في العام القابل فعلم ما لم تعلموا من المصلحة المتجددة فجعل من دون
ذلك اي من قبل دخول المسجد الحرام فتحا قريبا وهو فتح الحديبية عند الاكثرين وقيل
فتح خيبر ثم قال وكان الله بكل شيء عليما وهنا يدفع وهم حدوث علمه في قوله فعلم لانه
وكان الله بكل شيء عليما يعني به سبق علمه **قوله** هو الذي ارسل رسوله بالهدى وهذا
تاكيد لبيان صدق الله في الرؤيا لانه لما كان مرسلا لرسوله ليهدي لا يريه ما لا يكون
فيحدث الناس فيظهر خلافه فيكون ذلك سببا للضلال ويحتمل ان الرؤيا الموافقة للواقع
قد تقع لغير المرسل لكن ذلك قليل لا يتفق لكل احد فقال تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى
وحكى له ما سيكون في اليقظة فلا يبعد ان يريه في المنام ما سيقع ولا استبعاد في صدق
رؤياه وفيها بيان وقوع الفتح ودخول مكة بقوله تعالى ليظهره على الدين كله اي من يقويه
على الاديان لا يستبعد منه فتح مكة له **فالهدى** يحتمل ان يكون هو القرآن كقوله تعالى
انزل فيه القرآن هدى للناس وعلى هذا دين الحق هو ما فيه من الاصول والفروع ويحتمل
ان يكون الهدى هو الاصول ودين الحق هو الاحكام والالف واللام في الهدى يحتمل ان يكون
للعهد وهو قوله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء وان يكون للتعريف اي كل ما هو هدى
قوله ودين الحق يحتمل ان يكون المراد دين الله لان الحق من اسماء الله ويحتمل ان يكون الحق نقيض الباطل
فكانه قال ودين الامر الحق ويحتمل ان يكون المراد الانقياد للحق اي ارسله بالهدى وهو
المعجز على احد الوجوه ليظهره على الدين كله اي جنس الدين وكفى بالله شهيدا على انك صادق
فيما تخبر او في انه رسول الله وهذا فيه تسلية قلب المؤمن فانهم تأذوا من رد الكفار عليهم
العهد المكتوب وقالوا لا نعلم انه رسول الله فلا تكتبوا محمد رسول الله بل اكتبوا محمد بن عبد الله

فقال

فقال تعالى كفى بالله شهيدا اي في انه رسول الله ويجوز ان يكون خبر مبتدأ مضمر لانه لما تقدم هو
الذي ارسل رسوله دل على ذلك المتقدم واي هو اي الرسول بالهدى محمد ورسول الله بدل او بيان
او نعت وان يكون مبتدأ وخبرا وان يكون مبتدأ ورسول الله على ما تقدم من البدل والبيان
والنعت والذين معه عطف على محمد والخبر عنهم قوله اشداء على الكفار قال ابن الخطيب كانه
قال والذين معه جميعهم اشداء على الكفار رحماء بينهم لان وصف الشدة والرحمة وجد في
جميعهم اما في المؤمنين فقوله تعالى اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين واما في حق النبي عليه
السلام فقوله تعالى واغلظ عليهم وقال في حقه بالمؤمنين رءوف رحيم وعلى هذا فقوله تراهم
لا يكون خطابا مع النبي عليه السلام بل يكون عاما خرج مخرج الخطاب تقديره تراهم ايها السامع
كائنا من كان وقرأ ابن عامر في رواية رسول الله بالنصب على الاختصاص وهي تؤيد كونه
تابعا لا خبرا حالة الرفع ويجوز ان يكون والذين على هذا الوجه مجرورا عطفا على الجلالة اي
ورسول الذين آمنوا معه لانه لما ارسل اليهم اضيف اليهم فهو رسول الله بمعنى ان الله ارسله
ورسول امته بمعنى انه مرسل اليهم ويكون اشداء حينئذ خبر مبتدأ مضمر اي هم اشداء ويجوز ان
يكون تم الكلام على رسول الله والذين معه مبتدأ واشداء خبره وقرأ الحسن اشداء رحماء بالنصب
اما على المدح واما على الحال من الضمير المستكن في معه لوقوعه صلة والخبر عن المبتدأ قوله
تراهم ركعا وركعا سجدا حالان لان الرؤية بصرية وكذلك يبتغون ويجوز ان يكون مستأنفا
واذا كانت حالا فيجوز ان يكون حالا ثالثة من مفعول تراهم وان يكون من الضمير المستتر
في ركعا سجدا وجوز ابو البقاء ان يكون سجدا حالا من الضمير في ركعا حالا مقدرة فعلى هذا
يكون يبتغون حالا من الضمير وتلك الحال الاولى حال من حال اخرى وقرأ ابن يعمر اسدا بالنقص
والنقص من ضرائر الاشعار كقوله • لا بد من صنعا وان طال السفر • فلذلك كانت شاذة
قال ابو حيان وقرأ عمرو بن عبيد ورضوانا بضم الراء قال شهاب الدين وهذه قراءة متواترة
قرأها عاصم في رواية ابي بكر عنه وتقدمت في سورة آل عمران واستثنيت له حرفا واحدا وهو
ثاني المائدة **فصل** معنى الاية اشداء على الكفار اي غلاظ عليهم كالاسد على فريسته
لا تاخذهم فيهم رأفة رحماء بينهم متعاطفون متوادون بعضهم لبعض كالولد مع الوالد كقوله
تعالى اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين تراهم ركعا سجدا اخبر عن كثرة صلاتهم ومداومتهم
عليها يبتغون فضلا من الله ان يدخلهم الجنة ورضوانا اي يرضى عنهم وهذا تمييز لركوعهم
وسجودهم عن ركوع الكافر وسجوده وركوع المرائي وسجوده فانه لا يبتغي به ذلك **قوله**
سيماهم قرئ سيمياهم بياء بعد الميم والمد وهي لغة فصيحة وانشد •
• غلام رماه الله بالحسن يافعا له سيمياء لا تشق على البصر • وتقدم الكلام عليها في اشتقاقها
في آخر البقرة وفي وجوههم خبر سيماهم ومن اثر السجود حال من الضمير المستتر في الجار
وهو في وجوههم وقرأ العامة من اثر بفتحتين وابن هرمز بكسر وسكون وقتادة من آثار
جمعا **فصل** المعنى علامتهم في وجوههم من اثر السجود قيل المراد سيماهم نور
وبياض في وجوههم يوم القيامة كما قال تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه رواه عطية
العوفي عن ابن عباس وقال عطاء بن ابي رباح والربيع بن انس استنارت وجوههم من كثرة صلاتهم
وقال شهر بن حوشب يكون مواضع السجود من وجوههم كالقمر ليلة البدر وروى الوالبي عن
ابن عباس هو السمت الحسن والخشوع والتواضع وهو قول مجاهد والمعنى ان السجود اورثهم الخشوع
والسمت الحسن الذي يعرفون به وقال الضحاك صفرة الوجه وقال الحسن اذا رأيتهم حسبتهم مرضى
وما هم بمرضى وقال سعيد بن جبير وعكرمة هو اثر التراب على الجباه وقيل المراد ما يظهر في

الجباه بكثرة السجود **قوله** ذلك مثلهم ذلك اشارة الي ما تقدم من وصفهم بكونهم اشدا رحماء
لهم سيماهم في وجوههم وهو مبتدا خبره مثلهم وفي التورية حال من مثلهم والعامل معني الاشارة **قوله**
ومثلهم في الانجيل يجوز فيه وجهان احدهما انه مبتدا خبره كزرع فيوقف علي قوله في التورية
فهما مثلان واليه ذهب ابن عباس والثاني انه معطوف علي مثلهم الاول فيكون مثلا واحدا في
الكتابين ويوقف حينيذ في الانجيل واليه نحا مجاهد والفرا وعلي هذا يكون قوله كزرع فيه
اوجه احدها انه خبر مبتدا مضمر اي مثلهم كزرع فسر بها المثل المذكور الثاني انه حال من الضمير
في مثلهم اي مماثلين زرعا هذه صفته الثالث انها نعت مصدر محذوف اي تمثيلا كزرع
ذكره ابو البقا وقال الزمخشري ويجوز ان يكون ذلك اشارة مبهمة اوضحت بقوله كزرع كقوله
وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر **قوله** اخرج شطاه صفة لزرع وقرا ابن كثير وابن
ذكوان بفتح الطا والباقون باسكانها وهما لغتان كالنهر والنهر وقرا ابو حيوه شطاه بالمد
وزيد بن علي شطاه بالف صحيحة بعد الطا فيحتمل ان يكون بدلا من الهمزة بعد نقل حركتها
الي الساكن قبلها علي لغة من يقول المراة والكماة بعد النقل وهو مقيس عند الكوفيين ويحتمل
ان يكون مقصورا من الممدود وابو جعفر ونافع في رواية شطه بالنقل والحذف وهو القياس
والجحدري شطوه ابدل الهمزة واوا ويكون لغة مستقلة وهذه كلها لغات في فراخ الزرع يقال
شطا الزرع واشطا اي اخرج فراخه وهو يخص ذلك بالحنطة فقط او بها وبالشعير فقط
اولا يختص خلاف مشهور قال الشاعر

اخرج الشطائي علي وجه الثري ومن الاشجار افنان الثمر

قوله فآزره العامة
علي المد وهو علي افعل وغلطوا من قال انه فاعل كجاهد وغيره بانه لم يسمع في مضارعه
يؤازر بل يوزر وقرا ابن ذكوان فازره مقصورا جعله ثلاثيا وقري فازّره بالتشديد
والمعني في الكل قواه وقيل ساواه وانشد

بمحنية قد آزر الضال نبتها مجر جيوش غانمين وخيب

قوله علي سوقه متعلق
باستوي ويجوز ان يكون حالا اي كاينا علي سوقه اي قايما عليها وقد تقدم في النمل انه
قنبلا يقرا سؤقه بالهمزة الساكنة كقوله احب المؤقدين الي مؤسي وبهمزة مضمومة
بعدها واو كعروج وتوجيه ذلك والسوق جمع ساق **فصل** قال المفسرون
يقال اشطا الزرع فهو مشطي اذا افرخ قال مقاتل هو نبت واحد فاذا خرج بعده فهو
شطاه وقال السدي هو ان يخرج معه الطاقة الاخري فازره قواه واعانه وشدّ
ازره فاستغلظ غلظ ذلك الزرع فاستوي تم وتلاحق نباته علي سوقه اصوله يعجب
الزراع اي يعجب ذلك زراعه هذا مثل ضربه الله لاصحاب محمد صلي الله عليه وسلم
في الانجيل انهم يكونون قليلا ثم يزدادون ويكثرون قال قتادة مثل اصحاب محمد
صلي الله عليه وسلم في الانجيل مكتوب انه سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يامرون
بالمعروف وينهون عن المنكر وقيل الزرع محمد صلي الله عليه وسلم والشطا اصحابه والمومنون
روي مبارك بن فضاله عن الحسن قال محمد رسول الله والذين معه ابو بكر الصديق اشدا
علي الكفار عمر بن الخطاب رحما بينهم عثمان بن عفان تراهم ركعا سجدا علي بن ابي طالب يبتغون
فضلا من الله ورضوانا بقية العشرة المبشرون بالجنة كزرع محمد اخرج شطاه ابو بكر فآزره عمر فاستغلظ
عثمان يعني استغلظ عثمان بالاسلام فاستوي علي سوقه علي بن ابي طالب استقام الاسلام
بسيفه يعجب الزراع قال المومنون ليغيظ بهم الكفار قول عمر لاهل مكة بعد ما اسلم لا يعبد
الله سرا بعد اليوم روي انس بن مالك عن النبي صلي الله عليه وسلم قال ارحم امتي ابو بكر

واشدهم في امر الله عمر واصدقهم حيا عثمان وافرضهم زيد واقراهم ابي واعلمهم بالحلال
والحرام معاذ بن جبل ولكل امة امين وامين هذه الامة ابو عبيدة بن الجراح وفي رواية
اخري واقضاهم علي وروي بريدة عن النبي صلي الله عليه وسلم قال من مات من اصحابي
بارض كان نورهم وقايدهم يوم القيمة **قوله** يعجب الزراع حال اي معجبا
وهنا تم المثل **قوله** ليغيظ فيه اوجه احدها انه متعلق بوعد لان الكفار
اذا سمعوا بعز المومنين في الدنيا وما اعد لهم في الاخرة غاظهم ذلك الثاني ان يتعلق
بمحذوف دل عليه تشبيههم بالزرع في نمايهم وتقويتهم قاله الزمخشري اي شبههم الله بذلك
ليغيظ الثالث انه متعلق بما دل عليه قوله اشدا علي الكفار الي اخره اي جعلهم بهذه
الصفات ليغيظ قال مالك بن انس من اصبح وفي قلبه غيظ علي اصحاب رسول الله صلي
الله عليه وسلم فقد اصابته هذه الاية وقال عليه السلام الله الله في اصحابي لا تتخذوهم
غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني
ومن اذاني فقد اذي الله فيوشك ان ياخذه وقال عليه السلام لا تسبوا اصحابي فوالذي
نفسي بيده لو ان احدكم انفق مثل احد ذهبا ما ادرك مد احدهم ولا نصيفه **قوله**
وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم من هذه للبيان لا للتبعيض لان كلهم كذلك
فهي كقوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان وقال الطبري منهم يعني من الشطا الذي اخرجه الزرع
وهم الداخلون في الاسلام الي يوم القيمة فاعاد الضمير علي معني الشطا لا علي لفظه فقال
منهم ولم يقل منه وهو معني حسن **فصل** قد تقدم الكلام علي الاجر العظيم والمغفرة
مرارا وقال هاهنا في حق الراكعين الساجدين انهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وقال
لهم اجر ولم يقل لهم ما يطلبوه من الفضل لان المومن عند العمل لم يلتفت الي عمله ولم يجعل
له اجرا يعتد به فقال لا ابتغي الا فضلك فان عملي نزر لا يكون له اجر والله تعالي اتاه ما طلب
من الفضل وسماه اجرا اشارة الي قبوله عمله ووقوعه الموقع روي انه من قرا في اول
ليلة من رمضان انا فتحنا لك فتحا مبينا في التطوع حفظ في ذلك العام

سورة الحجرات مدنية

وهي ثماني عشرة اية
وثلثماية وثلاث واربعون كلمة والف واربع ماية وستة وسبعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالي** يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي
الله ورسوله قرا العامة بضم التا وفتح القاف وتشديد الدال مكسورة وفيها وجهان
احدهما انه متعد وحذف مفعوله اما اقتصارا كقوله تعالي يحيي ويميت وكقولهم هو يعطي
ويمنع وكلوا واشربوا واما اختصارا للدلالة عليه اي لا تقدموا ما لا يصلح والثاني انه
لازم نحو وجه وتوجه ويعضده قراة ابن عباس والضحاك لا تقدموا بالفتح في الثلاثة
والاصل لا تتقدموا فحذف احدي التاين وبعض المكيين لا تقدموا كذلك الا انه بتشديد
التا كالبزي والمتوصل اليه بحرف الجر في هاتين القراتين ايضا محذوف اي لا تتقدموا
الي امر من الامور وعلي هذا فهو مجاز ليس المراد نفس التقدم بل المراد لا تجعلوا لانفسكم تقدما
عند النبي عليه السلام يقال فلان تقدم من بين الناس اذا ارتفع امره وعلا شانه وقري
لا تقدموا بضم التا وكسر الدال من اقدم اي لا تقدموا علي شي **فصل** في بيان حسن
الترتيب وجوه احدها انه في السورة المتقدمة لما جري منهم ميل الي الامتناع مما اجاز
النبي عليه السلام من الصلح والزمهم الله كلمة التقوي قال لهم علي سبيل العموم لا تقدموا بين يدي
الله ورسوله اي لا تتجاوزوا ما اتي من الله تعالي ورسوله الثاني انه تعالي لما بين علو درجة

النبي صلى الله عليه وسلم بكونه رسوله الذي يظهر دينه وانه بالمومنين رحيما قال لا تتركوا من احترامه شيا لا بالفعل ولا بالقول وانظروا الي رفعة درجته الثالث انه تعالى وصف المومنين بانهم اشدا ورحما فيما بينهم وبكونهم راكعين ساجدين وذكر انهم من الحرمة عند الله ما اورثهم حسن الثنا في الكتب المتقدمة بقوله ذلك مثلهم في التورية ومثلهم في الانجيل فان الملك العظيم لا يذكر احدا في غيبته الا اذا كان عنده محترما ووعدهم بالاجر العظيم فقال في هذه السورة لا تفعلوا ما يوجب انحطاط درجاتكم واحباط حسناتكم ولا تتقدموا **فصل** في سبب النزول روى الثعلبي عن جابر انه في الذبح يوم الاضحى قبل الصلاة وهو قول الحسن اي لا تذبحوا قبل ان يذبح النبي صلى الله عليه وسلم وذلك ان ناسا ذبحوا قبل النبي صلى الله عليه وسلم فامرهم ان يعيدوا الذبح وقال من ذبح قبل الصلاة فانما هو لحم عجله لاهله ليس من النسك في شي وروى مسروق عن عايشة انه في النهي عن صوم يوم الشك اي لا تصوموا قبل ان يصوم نبيكم وروى ابن الزبير انه قدم ركب من بني تميم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر امر القعقاع بن معبد بن زرارة وقال عمر بل امر الاقرع بن حابس قال ابو بكر ما اردت الا خلافي قال عمر ما اردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت اصواتهما فنزلت يايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله قال ابن الزبير فكان عمر لا يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الاية حتى يستفهمه وقيل نزلت في جماعة اكثروا من السوال وقال مجاهد لا تفتاتوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بشي حتى يقضيه الله على لسانه وقال الضحاك يعني في القتال وشرايع الدين اي لا تقضوا امرا دون الله ورسوله قال ابن الخطيب والاصح انه ارشاد عام يشمل الكل ومنع مطلق يدخل فيه كل افتيات وتقدم واستبداد بالامر واقدام على فعل غير ضروري من غير مشاورة **فصل** ومعنى بين يدي الله ورسوله اي بحضرتهما لان ما يحضره الانسان فهو بين يديه ناظر اليه وفي قوله بين يدي الله ورسوله فوايد احدها ان قول الانسان فلان بين يدي فلان اشارة الى ان كل واحد منهما حاضر عند الاخر مع ان لاحدهما علو الشان وللاخر درجة العبيد والغلمان لان من يجلس بجنب الانسان يكلفه تقليب الحدقة اليه وتحريك الراس اليه عند الكلام ومن يجلس بين يديه لا يكلفه ذلك ولان اليدين تنبي عن القدرة لان قول الانسان فلان بين يدي فلان اي يقلبه كيف شا في اشغاله كما يفعل الانسان بما يكون موضوعا بين يديه وذلك يفيد وجوب الاجتناب من التقدم وثانيها ذكر الله اشارة الى وجوب احترام الرسول والانقياد لاوامره لان احترام الرسول احترام للمرسل لكن احترام الرسول قد يترك لاجل بعد المرسل وعدم اطلاعه على ما يفعل برسوله فقوله بين يدي الله اي انتم بحضرة من الله وهو ناظر اليكم وفي مثل هذه الحال يجب احترام رسوله وثالثها ان العادة كما تقرر النهي المتقدم تقرر الامر المتاخر وهو قوله واتقوا الله لان من يكون بين يدي الغير كالمتاع الموضوع بين يديه يقلبه كيف شا يكون جديرا بان يتقيه وقوله واتقوا الله اي في تضييع حقه ومخالفة امره ان الله سميع لاقوالكم عليم بافعالكم **قوله تعالى** يايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي في اعادة الندا فوايد منها ان في ذلك بيان زيادة الشفقة على المسترشد كقول لقمن لابنه يا بني لا تشرك بالله يا بني انها ان تك يا بني اقم الصلوة لان الندا تنبيه للمنادى ليقبل استماع الكلام ويجعل باله منه فاعادته تفيد تجدد ذلك ومنها ان لا يتوهم متوهم ان المخاطب ثانيا غير المخاطب

اولا فان من الجايز ان يقول القايل يا زيد افعل كذا او كذا يا عمرو فاذا اعاد مرة اخرى وقال يا زيد قل كذا يا زيد قل كذا يعلم ان المخاطب اولا هو المخاطب ثانيا ومنها ان يعلم ان كل واحد من الكلامين مقصود ليس الثاني تاكيدا للاول كقولك يا زيد لا تنطق ولا تتكلم الا بالحق فانه لا يحسن ان تقول يا زيد لا تنطق يا زيد لا تتكلم كما يحسن عند اختلاف المطلوبين **فصل** قوله لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي يحتمل ان يكون المراد حقيقته رفع الصوت لان ذلك يدل على قلة الاحتشام وترك الاحترام وهو ان رفع الصوت يدل على عدم الخشية لان من خشي قلبه ارتجف وضعفت حركته الدافعة وذلك دليل على عدم الخشية ويحتمل ان يكون المراد المنع من كثرة الكلام لان من كثر كلامه يكون متكلما عند سكوت الغير فيبقى لصوته ارتفاع وان كان خايفا فلا ينبغي ان يكون لاحد عند النبي عليه السلام كلام كثير بالنسبة الى كلام النبي عليه السلام لان النبي عليه السلام مبلغ فالمتكلم عنده ان اراد الاخبار لا يجوز له وان سال فان النبي عليه السلام لما وجب عليه البيان فهو لا يسكت عما سيل وان لم يسال فربما يكون في الجواب تكليف لا يسهل على المكلف الاتيان به فيبقى في ورطة العقاب كما قال تعالى يايها الذين امنوا لا تسالوا عن اشيا ان تبد لكم تسوكم ويحتمل ان يكون المراد رفع الكلام بالتعظيم اي لا تجعلوا لكلامكم ارتفاعا على كلام النبي عليه السلام في الخطاب وهو الاول او وضعوا الكل يدخل في المراد قال المفسرون معناه بجلوه وفخموه ولا ترفعوا اصواتكم عنده ولا تنادوه كما ينادي بعضكم بعضا روي انس بن مالك قال لما نزل قوله تعالى يايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي جلس ثابت بن قيس في بيته وقال انا من اهل النار واحتبس عن النبي صلى الله عليه وسلم فسال النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ فقال يا ابا عمرو ما شان ثابت اشتكى فقال سعد انه لجاري وما علمت له شكوى قال فاتاه سعد فذكر له قول النبي صلى الله عليه وسلم فقال ثابت انزلت هذه الاية ولقد علمتم اني من ارفعكم صوتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانا من اهل النار فذكر ذلك سعد للنبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو من اهل الجنة وروي لما نزلت هذه الاية قعد ثابت في الطريق يبكي فمر به عاصم بن عدي فقال وما يبكيك يا ثابت قال هذه الاية اتخوف ان تكون نزلت في وانا رفيع الصوت اخاف ان يحبط عملي واكون من اهل النار فمضى عاصم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وغلب ثابت البكا فاتى امراته جميلة بنت عبد الله ابن ابي بن سلول فقال لها اذا دخلت بيت فرسي فشدي علي الضبة بمسمار فضربت عليه بمسمار وقال لا اخرج حتى يتوفاني الله او يرضى عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتى عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره خبره فقال اذهب فادعه لي فجا عاصم الى المكان الذي راه فلم يجده فجا الى اهله فوجده في بيت الفرس فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك فقال له اكسر الضبة فاتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا ثابت فقال انا صيت واخاف ان تكون هذه الاية نزلت في فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ترضى ان تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقال رضيت ببشرى الله ورسوله لا ارفع صوتي ابدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله الاية قال انس فكنا ننظر الى رجل من اهل الجنة يمشي بين ايدينا فلما كان يوم اليمامة في حرب مسيلمة راى ثابت من المسلمين بعض الانكسار فانهزمت طايفة منهم فقال اف لهاولا ثم قال ثابت لسالم مولى ابي حذيفة ما كنا نقاتل اعدا الله مع

رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذا ثم ثبتنا وقاتل حتى قتل واستشهد ثابت وعليه درع
فراه رجل من الصحابة بعد موته في المنام قال له اعلم ان فلانا رجل من المسلمين نزع درعي
فذهب بها وهي في ناحية من العسكر عند فرس يستن في طوله وقد وضع على درعي برمة فات
خالد بن الوليد واخبره حتى يسترد درعي وات ابا بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل له
ان علي دينا حتى يقضي وفلان من رقيقي عتيق فاخبر الرجل خالدا فوجد درعه والفرس على ما
وصفه فاسترد الدرع واخبر خالد ابا بكر تلك الرؤيا واجاز ابو بكر وصيته قال مالك بن
انس لا اعلم وصية اجيزت بعد موت صاحبها الا هذه **قوله** ولا تجهروا له بالقول كجهر
بعضكم لبعض قال ابن الخطيب ان قلنا ان المراد من قوله لا ترفعوا اصواتكم اي لا تكثروا
الكلام فقوله ولا تجهروا يكون مجازا عن الاتيان بالكلام عند النبي عليه السلام بقدر ما يؤتى
به عند غيره اي لا تكثروا وقللوا غاية التقليل وان قلنا المراد بالرفع الخطاب فقوله لا
تجهروا اي لا تخاطبوه كما تخاطبوا غيره واعلم ان قوله تعالى لا ترفعوا اصواتكم لما كان من جنس
لا تجهروا لم يستانف النداء ولما كان يخالفه المتقدم لكون احدهما فعلا والاخر قولا استانف
كقول لقمن لابنه يا بني لا تشرك وقوله يا بني اقم الصلاة لكن الاول من عمل القلب والثاني
من عمل الجوارح فقوله يا بني اقم الصلاة وامر بالمعروف وانه عن المنكر من غير استيناف النداء
لكون الكل من عمل الجوارح **فان قيل** ما الفائدة في قوله ولا تجهروا له بالقول
مع ان الجهر مستفاد من قوله لا ترفعوا اصواتكم فالجواب ان المنع من رفع الصوت هو ان لا
يجعل كلامه او صوته اعلا من كلام النبي عليه السلام وصوته والنهي عن الجهر منع من المساواة
اي لا تجهروا له بالقول كما تجهرون لنظرائكم بل اجعلوا كلمته عليا **قوله** ان تحبط مفعول
من اجله والمسئلة من التنازع لان كلا من قوله لا ترفعوا ولا تجهروا له يطلبه من حيث المعنى
فيكون معمولا للثاني عند البصريين في اختيارهم وللاول عند الكوفيين والاول اصح للحذف من
الاول اي لان تحبط وقال ابو البقا انها لام الصيرورة وانتم لا تشعرون حال **فصل**
معنى الكلام انكم ان رفعتم اصواتكم وتقدمتم فذلك يؤدي الى الاستحقار وهو يفضي الى الارتداد
والارتداد محبط وقوله وانتم لا تشعرون اشارة الى ان الردة تمكن من النفس بحيث لا يشعر
الانسان فان من ارتكب ذنبا لم يرتكبه في عمره تراه نادما غاية الندامة خايفا غاية الخوف
فاذا ارتكبه مرارا قل خوفه وندامته ويصير عادة من حيث لا يعلم متى تمكن هذا كان في المرة
الاولى او الثانية او الثالثة او غيرها وهذا كما ان بلعه حجرا فانه لا يستطع المخبر فاذا تكرر
عليه ذلك وبلغ الى حد التواتر حصل له اليقين وتمكن الاعتقاد ولا يدري متى كان ذلك
وفي اي لمحة حصل هذا اليقين فقوله وانتم لا تشعرون تاكيد للمنع اي لا تقولوا بان المرة
الواحدة تعفى ولا توجب ردة لان الامر غير معلوم بل احسموا الباب **قوله** ان الذين
يغضون اصواتهم عند رسول الله اي اجلالا له اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى اختبرها و
اخلصها كما يمتحن الذهب بالنار فيخرج خالصه **قوله** اولئك يجوز ان يكون اولئك مبتدا
والذين خبره والجملة خبر ان ويكون لهم مغفرة جملة اخرى اما مستانفة وهو الظاهر واما حالية
ويجوز ان يكون الذين امتحن صفة لاولئك او بدلا منه او بيانا ولهم مغفرة جملة خبرية
ويجوز ان يكون لهم هو الخبر وحده ومغفرة فاعل به واللام في قوله للتقوى يحتمل ان يتعلق
بمحذوف تقديره عرف الله قلوبهم صالحة اي كاينة للتقوى كقولك انت لكذا اي صالح
او كاين ويحتمل ان يكون للتعليل وهو يحتمل وجهين احدهما ان يكون تعليلا يجري مجرى بيان
السبب المتقدم كقولك جيتك لاكرامك امس اي صار ذلك السبب السابق سبب

المجي والثاني ان يكون ذلك تعليلا يجري مجرى بيان علة المقصود المتوقع الذي يكون لاحقا
لا سابقا كقولك جيتك لاداء الواجب فعلى الاول فمعناه اي ليصير مجيي سببا لاداء الواجب
فعلى الاول فمعناه ان الله علم في قلوبهم تقواه فامتحن قلوبهم للتقوى التي كانت فيها ولولا
ان قلوبهم كانت مملوة من التقوى لما امرهم بتعظيم رسوله وتقديم نبيه على انفسهم وعلى
الثاني فمعناه ان الله تعالى امتحن قلوبهم بمعرفته ومعرفة رسوله بالتقوى اي ليرزقهم
الله التقوى ثم قال لهم مغفرة واجر عظيم وقد تقدم الكلام على ذلك **قوله
تعالى** ان الذين ينادونك من وراء الحجرات هذا بيان لحال من كان في مقابلة
من تقدم فان الاول غض صوته والاخر رفعه وفيه اشارة الى ترك الادب من وجوه
احدها النداء فان نداء الرجل الكبير قبيح بل الادب الحضور بين يديه وعرض الحاجة
عليه الثاني النداء من وراء الحجرات فان من ينادي غيره ولا حايل بينهما لا يكلفه المشي والمجي
بل يجيبه من مكانه ويكلمه ومن ينادي غيره مع الحايل يريد منه حضوره الثالث
قوله الحجرات يدل على كون النبي عليه السلام في خلوته التي لا يحسن اتيان المحتاج اليه في حاجته
ذلك الوقت بل الاحسن التاخير وان كان في ورطة الحاجة **قوله** من وراء من لابتداء
الغاية وفي كلام الزمخشري ما يمنع ان من تكون لابتداء الغاية وانتهايها قال لان الشي
الواحد لا يكون مبدا للفعل ومنتهى له وهذا اثبته بعض الناس وزعم انها تدل على ابتداء
الفعل وانتهايه في جهة واحدة نحو اخذت الدراهم من الكيس والعامة على الحجرات بضمتين
وابو جعفر وشيبة بفتحها وابن ابي عبلة باسكانها وهي ثلاث لغات تقدم تحقيقها في البقرة
في قوله في ظلمات والحجرة فعلة بمعنى مفعولة كغرفة بمعنى مغروفة قال البغوي والحجرات
جمع الحجر والحجر جمع الحجرة فهي جمع الجمع **فصل** ذكروا في سبب النزول وجوها احدها
قال ابن عباس بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية الى بني العنبر وامر عليهم عيينة
ابن حصن الفزاري فلما علموا هربوا وتركوا عيالهم فسباهم عيينة وقدم بهم على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فجاء بعد ذلك رجالهم يفدون الذراري فقدموا وقت الظهيرة ووافقوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم قايلا في اهله فلما راتهم الذراري اجهشوا الى ابايهم يبكون وكان
لكل امراة من نسا رسول الله صلى الله عليه وسلم حجرة فعجلوا ان يخرج اليهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم فجعلوا ينادون يا محمد اخرج الينا حتى ايقظوه من نومه فخرج اليهم فقالوا يا محمد
فادنا عيالنا فنزل جبريل فقال ان الله يامرك ان تجعل بينك وبينهم رجلا فقال لهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم اترضون ان يكون بيني وبينكم سبرة بن عمرو وهو على دينكم فقالوا نعم قال
سبرة انا لا احكم وعمي شاهد وهو الاعور بن بشامة فرضوا به فقال الاعور ارى تفادي
نصفهم وتعتق نصفهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رضيت ففادى نصفهم واعتق
نصفهم فانزل الله ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون وصفهم بالجهل
وقلة العقل ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم لانك كنت تعتقهم جميعا وتطلقهم بلا
فدا والله غفور رحيم وقال قتادة نزلت في ناس من اعراب بني تميم جاوا الى النبي صلى
الله عليه وسلم فنادوا على الباب اخرج الينا يا محمد فان مدحنا زين وذمنا شين فخرج
النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول انما ذلكم الله الذي مدحه زين وذمه شين فقالوا نحن
ناس من بني تميم جينا بشاعرنا وخطيبنا نشاعرك ونفاخرك فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما بالشعر بعثت ولا بالفخار امرت ولكن هاتوا فقام شاب منهم فذكر فضله وفضل قومه
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن شماس وكان خطيب النبي صلى الله عليه

وقولوا فاجبه فاجابه وقام شاعرهم فذكر ابياتا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت اجبه فاجابه فقام الاقرع بن حابس فقال ان محمدا لمؤتى له تكلم خطيبنا فكان خطيبهم احسن قولا وتكلم شاعرنا فكان شاعرهم اشعر واحسن قولا ثم دنا من النبي صلى الله عليه وسلم فقال اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يضرك ما كان من قبل هذا ثم اعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكساهم وكان قد تخلف في ركابهم عمرو بن الاهتم لحداثة سنه فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اعطاهم فازرى به بعضهم وارتفعت الاصوات وكثر اللغط عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل فيهم يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الايات الاربع الى قوله غفور رحيم وقال زيد ابن ارقم جاء ناس من العرب الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم لبعض انطلقوا بنا الى هذا الرجل فان يكن نبيا فنحن اسعد الناس به وان يكن ملكا نعش في جناحه فجاؤا فجعلوا ينادون من وراء الحجرات يا محمد يا محمد فانزل الله ان الذين ينادونك الاية **فصل** في قوله اكثرهم وجوه احدها ان العرب تذكر الاكثر وتريد الكل احترازا عن الكذب واحتياطا في الكلام لان الكل مما لا يحيط به علم الانسان في بعض الاشيا فيقول الاكثر وفي اعتقاده الكل ثم ان الله تعالى مع احاطة علمه بالامور وافق بما يناسب كلامهم وفيه اشارة الى لطيفة وهي ان الله تعالى يقول انا مع احاطة علمي بكل شيء جريت على عادتكم استحسانا لتلك العادة وهي الاحتراز عن الكذب فلا تتركوها واجعلوا اختياري ذلك في كلامي دليلا قاطعا على رضاي بذلك منكم الثاني ان يكون المراد انهم في اكثر احوالهم لا يعقلون وذلك ان الانسان اذا اعتبر مع وصف ثم اعتبر مع وصف اخر يكون المجموع الاول غير المجموع الثاني مثاله اذا كان الانسان جاهلا او فقيرا فصار عالما او غنيا فيقال في العرف زيد ليس هو الذي رايت من قبل بل الان على احسن حال فيحصل كانه ليس ذلك اشارة الى ما ذكرنا اذا علم هذا فهي في بعض الاحوال اذا اعتبرتهم مع تلك الحالة مغايرون لانفسهم اذا اعتبرتهم مع غيرها فقوله تعالى اكثرهم لا يعقلون اشارة الى ما ذكرنا الثالث لعل فيهم من رجع عن ذلك الامر ومنهم من استمر على تلك العادة الردية فقال اكثرهم اخراجا لمن تقدم منهم عنهم **قوله** ولو انهم صبروا تقدم مثله وجعله الزمخشري فاعلا لفعل مضمر اي ولو ثبت صبرهم وجعل اسم كان ضميرا عايدا على هذا الفاعل وقد تقدم ان مذهب سيبويه انها في محل رفع بالابتدا وحينئذ يكون اسم كان ضميرا عايدا على صبرهم المفهوم من الفعل **قوله** والله غفور رحيم يحتمل امرين احدهما غفور لسوء صنيعهم في التعجيل وثانيهما لحسن الصبر يعني بسبب اتيانهم بما هو خير يغفر الله لهم سيئاتهم ويحتمل ان يكون ذلك حثا للنبي عليه السلام على الصفح وقوله اكثرهم لا يعقلون كالعذر لهم **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا الاية قال المفسرون نزلت في الوليد بن عقبة بن ابي معيط وهو اخو عثمان لامه بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني المصطلق بعد الوقعة واليا ومصدقا وكان بينهم وبينه عداوة في الجاهلية فلما سمع به القوم تلقوه تعظيما لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثه الشيطان انهم يريدون قتله فهابهم فرجع من الطريق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال انهم منعوا صدقاتهم وارادوا قتلي فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ان يغزوهم فبلغ القوم رجوعه فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله سمعنا برسولك فخرجنا نتلقاه ونكرمه ونؤدي اليه ما قبلنا من حق الله فبدا له في الرجوع فخشينا انه انما رده من الطريق كتاب جاءه منك لغضب غضبته علينا وانا نعوذ بالله من غضبه وغضب

رسوله فاتهمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث خالد بن الوليد خفية في عسكر وقال انظر فان رايت منهم ما يدل على ايمانهم فخذ منهم زكوة اموالهم وان لم تر ذلك فاستعمل فيهم ما يستعمل في الكفار ففعل ذلك خالد ووافاهم فسمع منهم اذان صلاتي المغرب والعشا فاخذ منهم صدقاتهم ولم ير منهم الا الطاعة والخير وانصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره الخبر فنزل يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبا يعني الوليد بن عقبة بنبا بخبر فتبينوا ان تصيبوا قوما كيلا تصيبوا بالقتل والقتال قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم من اصابتكم بالخطا نادمين قال ابن الخطيب وهذا ضعيف لان الله تعالى لم يقل اني انزلتها لكذا والنبي عليه السلام لم ينقل عنه انه قال وردت الاية لبيان ذلك حسب غاية ما في الباب انها نزلت في ذلك الوقت وهو مثل التاريخ لنزول الاية ومما يصدق ذلك ويؤكده ان اطلاق لفظ الفاسق على الوليد بعيد لانه ظن وتوهم فاخطا والمخطي لا يسمى فاسقا فكيف والفاسق في اكثر المواضع المراد به من خرج عن ربقة الايمان كقوله تعالى ان الله لا يهدي القوم الفاسقين وقوله تعالى ففسق عن امر ربه وقوله واما الذين فسقوا فماواهم النار كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها الى غير ذلك **فصل** دلت الاية على ان خبر الواحد حجة وشهادة الفاسق لا تقبل اما في المسيلة الاولى فلانه علل الامر بالتوقف بكونه فاسقا ولو كان خبر الواحد العدل لا يقبل لما كان للترتيب على الفسق فايدة واما في المسيلة الثانية فلوجهين احدهما انه امر بالتبين وقبل قوله كان الحاكم مامورا بالتبين فلم يعد قول الفاسق شيا ثم ان الله تعالى امر بالتبين في الخبر والنبا وباب الشهادة اضيق من باب الخبر الثاني انه تعالى قال ان تصيبوا قوما بجهالة والجهل فوق الخطا لان المجتهد اذا اخطا لا يسمى جاهلا فالذي يبني الحكم على قول الفاسق ان لم يصب جاهلا فلا يجوز البنا على قوله **قوله** ان تصيبوا مفعول له كقوله ان تحبط قال ابن الخطيب معناه على مذهب الكوفيين لئلا تصيبوا وعلى مذهب البصريين كراهة ان تصيبوا قال ويحتمل ان يكون المراد فتبينوا واتقوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين فقوله بجهالة في تقدير حال اي تصيبوهم جاهلين ثم حقق ذلك بقوله فتصبحوا على ما فعلتم نادمين وهذا بيان لان الجاهل لا بد وان يندم على فعله وقوله فتصبحوا معناه تصيروا قال النحاة اصبح يستعمل على ثلاثة اوجه احدها بمعنى دخول الانسان في الصباح والثاني بمعنى كان الامر وقت الصباح كما يقال اصبح المريض اليوم خيرا مما كان يريد كونه في وقت الصبح على حالة خير الثالث بمعنى صار كقولك اصبح زيد غنيا اي صار من غير ارادة وقت دون وقت وهذا هو المراد من هذه الاية وكذلك امسى واضحى قال ابن الخطيب والصيرورة قد تكون من ابتدا امر وتدوم وقد تكون في اخر الامر بمعنى ان الامر اليه وقد تكون متوسطة فمثال الاول قولك صار الطفل فاهما اي اخذ فيه وهو في الزيادة ومثال الثاني قولك صار الحق بينا واجبا اي انتهى حده ومثال الثالث قولك صار زيد عالما اذا لم ترد اخذه فيه ولا بلوغه نهايته بل كونه متلبسا به واذا علم هذا فنقول اصل استعمال اصبح فيما يصير الشي اخذا في وصف ومبتديا في امر واصل امسى فيما يصير الشي بالغا في الوصف نهايته واصل اضحى التوسط لا يقال اصل الاستعمال لا يبقى فرق بين الامور ويستعملون الالفاظ الثلاثة بمعنى واحد لانا نقول اذا تقاربت المعاني جاز الاستعمال وجواز الاستعمال لا ينافي الاصل وكثير من الالفاظ اصله معنى واستعمل استعمالا شايعا فيما يشاركه واذا علم هذا فقوله تعالى فتصبحوا اي فتصيروا اخذين في الندم ثم تستديمونه وكذلك في قوله فاصبحتم بنعمته اخوانا اي اخذتم الاخوة وانتم فيها زايدون مستمرون **قوله** نادمين الندم هم دايم والنون والدال والميم في تقلبها لا تنفك عن معنى الدوام كقول القايل ادمن في

الشرب ومدمن اي اثام ومنه المدينة **قوله** واعلموا ان فيكم رسول الله فاتقوا الله ان
تقولوا باطلا او تكذبوه فان الله يخبره ويعرفه احوالكم فتفتضحوا **قوله** لو يطيعكم يجوز
ان يكون حالا اما من الضمير المجرور في قوله فيكم واما من المرفوع المستتر في فيكم لوقوعه
خبرا ويجوز ان يكون مستانفا الا ان الزمخشري منع هذا لادايه الى تنافر النظم ولا يظهر ما
قاله بل الاستيناف واضح ايضا واتي بالمضارع بعد لو دلالة على انه كان في ارادتهم استمرار عمله
على ما يستصوبون **فصل** نقل ابن الخطيب ان الزمخشري قال وجه التعليق هو ان قوله
لو يطيعكم في تقدير حال الضمير المرفوع في قوله فيكم والتقدير كاين فيكم او موجود فيكم على
حال تريدون ان يطيعكم فلو يفعل باستصوابكم فلا ينبغي ان يكون على تلك الحال لو فعل ذلك
لعنتم اي وقعتم في شدة او اثم وهلكتم والعنت الاثم والهلاك ثم قال ولكن الله حبب
اليكم الايمان وهذا خطاب مع بعض المومنين غير المخاطبين بقوله لو يطيعكم قال الزمخشري اكتفي
بالتغاير في الصيغة واختصر ولم يقل حبب الي بعضكم الايمان وقال ايضا بان قوله تعالى لو
يطيعكم بدل اطاعكم اشارة الى انهم كانوا يريدون استمرار تلك الحالة ودوام النبي عليه السلام
على العمل باستصوابهم لكن يكون ما بعدها على خلاف ما قبلها وههنا كذلك وان لم تحصل المخالفة
بصريح اللفظ لان اختلاف المخاطبين في الوصف يدلنا على ذلك لان المخاطبين اولا بقوله
لو يطيعكم هم الذين ارادوا ان يكون عملهم مراد النبي عليه السلام هذا ما قاله الزمخشري واختا
وهو حسن قال والذي يجوز ان يقال وكانه هو الاقوى ان الله تعالى لما قال ان جاءكم فاسق بنبا
فتبينوا ان تصيبوا ولا تسعوا ثم قال بعده واعلموا ان فيكم رسول الله اي الكشف سهل
عليكم بالرجوع الى النبي عليه السلام فانه فيكم مبين مرشد وهذا كما يقول القايل عند اختلاف
تلاميذ الشيخ في مسئلة هذا الشيخ قاعد لا يريد به بيان قعوده وانما يريد امرهم بمراجعته
لان المراد انه لا يطيعكم في كثير من الامر وذلك لان الشيخ اذا كان يعتمد على قول التلاميذ
لا يطمئن قلوبهم بالرجوع اليه واذا كان لا يذكر الا النقل الصحيح ويقرره بالدليل القوي يراجعه
كل احد فكذلك ههنا فاسترشدوه فانه يعلم ولا يطيع احدا فلا يوجد فيه حيف ولا يروج
عليه زيف والذي يدل عليه ان المراد من قوله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم لبيان امتناع
الشرط لامتناع الجزاء كما في قوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وقوله ولو كان من عند
غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وذلك يدل على انه ليس فيهما الهة وانه ليس من عند غير الله
قوله ولكن الله حبب اليكم الايمان هذا استدراك من حيث المعنى لا من حيث اللفظ لان من حبب
اليه الايمان غاير بصفته صفة من تقدم ذكره **فصل** حبب اليكم الايمان بجملته
احب الاديان اليكم وزينه وحسنه في قلوبكم حتى اخترتموه وتطيعون رسول الله صلى الله عليه
وسلم وكره اليكم الكفر والفسوق قال ابن عباس يريد الكذب والعصيان جميع معاصي الله
ثم عاد من الخطاب الى الخبر فقال اولئك هم الراشدون **فصل** قال ابن الخطيب بعد
ذكره الكلام المتقدم وهذا معنى الاية جملة فلنذكره تفصيلا في مسايل المسئلة الاولى
لو قال قايل اذا كان المراد بقوله واعلموا ان فيكم رسول الله الرجوع اليه فلم لم يصرح بقوله فتبينوا
وراجعوا النبي عليه السلام وما الفايدة في العدول الى هذا المجاز نقول فايدته زيادة التاكيد
لان قول القايل في المثال المتقدم هذا الشيخ قاعد آكد في وجوب المراجعة من قوله راجعوا
شيخكم لان القايل يجعل وجوب مراجعته متفقا عليه ويجعل سبب عدم الرجوع عدم علمهم
بقعوده فكانه يقول انكم لا تشكون في ان الكاشف هو الشيخ وان الواجب مراجعته لكنكم لا تعلمون
قعوده فهو قاعد فيجعل المراجعة اظهر من القعود لانه يقول خفي عليكم قعوده فتركتم مراجعته

ولا يخفى عليكم حسن مراجعته فيجعل حسن المراجعة اظهر من الامر الخفي بخلاف ما لو قال راجعوه
لانه حينئذ يكون قايلا بانكم ما علمتم ان مراجعته هو الطريق وبين الكلامين بون بعيد فكذلك
قوله تعالى واعلموا ان فيكم جعل حسن مراجعته اظهر من كونه فيهم حيث ترك بيانه واخذ في
بيان كونه فيهم وهذا من المعاني العزيزة التي لا توجد في المجازات ولا توجد في المرابح **فان
قيل** اذا كان المراد من قوله لو يطيعكم بيان كونه غير مطيع لاحد بل هو متبع للوحي فلم
لم يصرح به نقول بيان نفي الشيء مع بيان دليل النفي اتم من بيانه من غير دليل والجملة الشرطية
بيان للنفي مع بيان دليله فان قوله ليس فيهما الهة لو قال قايل لم قلت انه ليس فيهما الهة يجب
ان يذكر الدليل فيقال لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا فكذلك ههنا لو قال لا يطيعكم لقال
قايل لم لا يطيع فوجب ان يقال لو اطاعكم لا طاعكم لاجل مصلحتكم ومصلحة ابصاركم لكن لا مصلحة لكم
فيه لانكم تعنتون وتاثمون وهو يشق عليه عنتكم كما قال عزيز عليه ما عنتم فاذا اطاعكم لا يفيده
شيا فلا يطيعكم فهذا نفي الطاعة بالدليل وبين نفي الشيء بدليل ونفيه من غير دليل فرق عظيم
واعلم ان في قوله في كثير من الامر ليعلم انه قد يوافقهم ويفعل بمقتضى مصلحتهم تحقيقا لفايدة قوله
وشاورهم في الامر **فان قيل** اذا كان المراد بقوله تعالى ولكن الله حبب
اليكم الايمان فلا تتوقفوا فلم لم يصرح به قلنا لما بيناه من الاشارة الى ظهور الامر يعني انتم
تعلمون ان اليقين لا توقف فيه اذ ليس بعده مرتبة حتى يتوقف الى بلوغ الامر الى تلك المرتبة
بخلاف الشك فانه يتوقف الى بلوغ الامر الى درجة الظن ثم الظن يتوقف الى بلوغ درجة
اليقين فلما كان عدم التوقف في اليقين معلوما متفقا عليه لم يقل فلا تتوقفوا بل قال حبب
اليكم الايمان اي بينه وزينه بالبرهان اليقيني **فصل** قال ابن الخطيب معنى
حبب اليكم اي قربه اليكم وادخله في قلوبكم ثم زينه فيها بحيث لا تفارقونه ولا يخرج من قلوبكم
وذلك لان من يحب شيئا فقد يسام منه لطول ملازمته والايمان كل يوم يزداد حسنا لكن
من كانت عبادته اكثر وتحمله مشاق التكليف اتم تكون العبادة والتكاليف عنده الذ واكمل
ولهذا قال اولا حبب اليكم الايمان وقال ثانيا وزينه في قلوبكم كانه قربه اليهم ثم اقامه في قلوبهم
قوله وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان قال ابن الخطيب هذه الامور الثلاثة
في مقابلة الايمان الكامل لان الايمان الكامل المزين هو التصديق بالجنان والاقرار باللسان
والعمل بالاركان فقوله كره اليكم الكفر هو التكذيب وهو في مقابلة التصديق بالجنان
واما الفسوق فقيل هو الكذب كما تقدم عن ابن عباس وقال تعالى ان جاءكم فاسق بنبا فسمى
الكاذب فاسقا وقال تعالى بئس الاسم الفسوق بعد الايمان فدل على ان الاسم امر قولي لاقترانه
بالاسم وقيل الفسوق الخروج عن الطاعة لقولهم فسقت الرطبة اذا خرجت واما العصيان فهو
ترك المامور به وقال بعضهم الكفر ظاهر والفسوق هو الصغيرة **قوله** فضلا يجوز ان
ينتصب على المفعول من اجله وفيما ينصبه وجهان احدهما قوله ولكن الله حبب اليكم وعلى هذا فما
بينهما اعتراض من قوله اولئك هم الراشدون والثاني انه الفعل الذي في قوله الراشدون
وعلى هذا يقال فكيف جاز ان يكون فضل الله الذي هو فعل الله مفعولا له بالنسبة الى الرشد
الذي هو فعل العبد فاختلف الفاعل لان فاعل الرشد غير فاعل الفضل واجاب الزمخشري
بان الرشد لما كان توفيقا من الله كان فعل الله فكانه تعالى ارشدهم فضلا اي يكون متفضلا
عليهم منعما في حقهم لان الرشد عبارة عن التحبيب والتزيين والتكريه وجوز ايضا ان ينتصب
بفعل مقدر اي جرى ذلك او كان ذلك فضلا من الله قال ابو حيان وليس من مواضع اضمار
كان وجعل كلامه الاول اعتراضا وليس كذلك لانه اراد الفعل المسند الى فاعله لفظا والا

فالتحقيق ان الافعال كلها مخلوقة لله تعالى وان كان الزمخشري غير موافق عليه ويجوز ان ينتصب على
المصدر المؤكد لمضمون الجملة السابقة لانها فضل ايضا الا ان ابن عطية جعله من المصدر المؤكد
لنفسه وجوز الحوفي ان ينتصب على الحال وليس بظاهر ويكون التقدير متفضلا منعما او ذا فضل
ونعمة قال ابن الخطيب ويجوز ان يكون فضلا مفعولا به والفعل مضمرا دل عليه قوله اوليك هم
الراشدون اي يبتغون فضلا من الله ونعمة قال لان قوله فضلا من الله اشارة الى ما هو من
جانب الله الغني والنعمة اشارة الى ما هو من جانب العبد من اندفاع الحاجة وهذا يؤكد قولنا
ان ينتصب فضلا بفعل مضمر وهو الابتغاء والطلب ثم قال والله عليم حكيم وفيه مناسبات
منها انه تعالى لما ذكر نبا الفاسق قال فلا تعتمدوا على ترويجه عليكم الزور فان الله عليم ولا تقل
كقول المنافق لولا يعذبنا الله بما نقول فان الله حليم لا يفعل الا على وفق حكمته وثانيها لما قال
تعالى واعلموا ان فيكم رسول الله لو يطيعكم يعني لا يطيعكم بل يتبع الوحي فان الله عليم يعلم من يكذبه
حكيم يامر بما تقتضيه الحكمة **قوله تعالى** وان طايفتان من المومنين اقتتلوا الاية
لما حذر المومنين من النبا الصادر من الفاسق اشار الى ما يلزم منه استدراكا لما يفوت فقال
فان اتفق انكم تبنون على قول من يوقع بينكم وبين الامر المفضي الى اقتتال طايفتين من المومنين فاصلحوا
بينهما فان بغت احدهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي اي الظالم تجب عليكم دفعه ثم ان الظالم ان كان
هو الرعية فالواجب على الامير دفعهم وان كان هو الامير فالواجب على المسلمين دفعه بالنصيحة
فما فوقها وشرطه ان لا يثير فتنة مثل التي في اقتتال الطايفتين او اشد منها **فصل** الضمير في
قوله اقتتلوا عايد على افراد الطايفتين كقوله هذان خصمان اختصموا والضمير في قوله بينهما
عايد على اللفظ وقرا ابن ابي عبلة اقتتلتا مراعيا للفظ وزيد بن علي وعبيد بن عمير اقتتلا
ايضا الا انه ذكر الفعل باعتبار الفريقين او لانه تانيث مجازي **فصل** روي انس قال
قيل للنبي صلى الله عليه وسلم لو اتيت عبد الله بن ابي فانطلق اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وركب حمارا فانطلق المسلمون يمشون معه وهو ارض سبخة فلما اتاه النبي صلى الله عليه وسلم قال
اليك عني فوالله لقد اذاني نتن حمارك فقال رجل من الانصار والله لحمار رسول الله صلى الله
عليه وسلم اطيب ريحا منك فغضب لعبد الله رجل من قومه فشتما فغضب لكل واحد منهم
اصحابه فكان بينهما ضرب بالجريد والايدي والنعال فنزلت وان طايفتان من المومنين اقتتلوا
الاية فقراها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصطلحوا وكف بعضهم عن بعض وقال قتادة نزلت
في رجلين من الانصار وكان بينهما مداراة في حق فقال احدهما للاخر لاخذن حقي منك
عنوة لكثرة عشيرته وان الاخر دعاه ليحاكمه الى النبي صلى الله عليه وسلم فابى ان يتبعه فلم يزل الامر
بينهما حتى تدافعوا وتناول بعضهم بعضا بالايدي والنعال وان لم يكن قتال بالسيوف وقال سفين
عن السدي كانت امراة من الانصار يقال لها ام زيد تحت رجل وكان بينها وبين زوجها شي فرقاها
الى علية وحبسها فبلغ ذلك قومها فجاوا وجا قومه فاقتتلوا بالايدي والنعال فانزل الله
عز وجل وان طايفتان من المومنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما اي بالدعاء الى حكم كتاب الله والرضا
بما فيه لهما وعليهما **فصل** قوله ان طايفتان اشارة الى ندرة وقوع الاقتتال بين
طوايف المسلمين **فان قيل** نحن نرى اكثر الاقتتال في طوايفهم فالجواب ان قوله
تعالى ان اشارة الى انه ينبغي ان لا يقع الا نادرا نهاية ما في الباب ان الامر على خلاف ما ينبغي
وكذلك ان جاكم فاسق اشارة الى ان مجي الفاسق بالنبا ينبغي ان لا يقع الا قليلا مع ان مجي الفاسق
بالنبا كثير وذلك لان قول الفاسق صار عند اولي الامر اشد قبولا من قول الصادق الصالح وقال
وان طايفتان ولم يقل فرقتان تحقيقا للمعنى الذي ذكرناه وهو التقليل لان الطايفة دون

الفرقة

الفرقة قال تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طايفة **فصل** قال من المومنين ولم يقل
منكم مع ان الخطاب مع المومنين سبق في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان جاكم فاسق بنبا تنبيها على قبح
ذلك وتبعيدا لهم عنهم كقول السيد لعبده ان رايت احدا من غلماني يفعل كذا فامنعه
فيصير بذلك مانعا للمخاطب عن ذلك الفعل بالطريق الحسن كانه يقول انت حاشاك ان تفعل
فان فعل غيرك فامنعه كذلك ههنا **فصل** قال وان طايفتان من المومنين اقتتلوا ولم
يقل وان اقتتل طايفتان من المومنين مع ان كلمة ان اتصالها بالفعل اولى وذلك لكون الابتدا
بما يمنع من التبيح فيتاكد معنى النكرة المدلول عليها بكلمة ان وذلك لان كونهما طايفتين يقتضي
ان لا يقع القتال بينهما **فان قيل** فلم لم يقل يا ايها الذين امنوا ان فاسق جاكم او ان احد
من الفساق جاكم ليكون الابتدا بما يمنعهم من الاصغا الى كلامه وهو كونه فاسقا او يزداد به
فسقه بالمجي به بسبب الفسق فالجواب ان الاقتتال لا يقع سببا للايمان ولا للزيادة فقال
ان جاكم فاسق اي سواء كان فاسقا اولا او جاكم بالنبا فصار فاسقا به ولو قال ان احد من الفساق
جاكم لم يتناول الا المشهور بالفسق قبل المجي اذا جاهم بالنبا **فصل** قال تعالى اقتتلوا ولم
يقل يقتتلوا لان صيغة الاستقبال تنبي عن الدوام والاستمرار فيفهم منه ان طايفتين من المومنين
ان تمادى الاقتتال بينهما فاصلحوا وهذا لان صيغة المستقبل تنبي عن ذلك يقال فلان يتهجد
ويصوم **فصل** قال اقتتلوا ولم يقل اقتتلا وقال فاصلحوا بينهما ولم يقل بينهم لان الفتنة
قايمة عند الاقتتال وكل احد برايه يكون فاعلا لفعل فقال اقتتلوا وعند الصلح يتفق كلمة كل
طايفة والا لم يتحقق الصلح فقال بينهما لكون الطايفتين حينيذ كنفسين **قوله** فان بغت
احدهما على الاخرى وابت الاجابة الى حكم كتاب الله وقيل الى طاعة الرسول واولي الامر وقيل
الى الصلح لقوله تعالى واصلحوا ذات بينكم وقيل الى التقوى لان من خاف الله حق الخوف لا يبقى له عدو
الا الشيطان لقوله ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا **فان قيل** كيف يصح
في هذا الموضع كلمة ان مع انها تستعمل في الشرط الذي لا يتوقع وقوعه وبغي احدهما عند الاقتتال
تحقق الوقوع فيكون مثل قول القايل ان طلعت الشمس فالجواب ان فيه معنى لطيفا وهو ان الله
تعالى يقول الاقتتال بين طايفتين لا يكون الا نادر الوقوع لان كل طايفة تظن ان الاخرى فيها
الكفر والفساد كما يتفق في الليالي المظلمة او يقع لكل طايفة ان القتال جايز باجتهاد خطا فقال
تعالى الاقتتال لا يقع الا كذا فان بان لهما او لاحدهما الخطا واستمر عليه فهو نادر وعند ذلك يكون
قد بغى فقال فان بغت يعني بعدما انكشاف الامر وهذا يفيد الندرة وقلة الوقوع **فان
قيل** لم قال فان بغت ولم يقل فان تبغ فالجواب ما تقدم في قوله تعالى اقتتلوا ولم يقل
يقتتلوا **قوله** حتى تفي الى امر الله العامة على همزة من فا يفي اي رجع كجا يجي والزهري بيا مفتوحة
كبصا يع وفاء هذا على لغة من يقصر فيقول جا يجي دون همز وحينيذ فتح اليا لانها صارت
حرف الاعراب **فصل** المعنى حتى تفي الى امر الله في كتابه وهذا اشارة الى ان القتال
جزا الباغي لحد الذنب الذي ينام وان ترك الذنب بل القتال الى حد الفية فان فات الفية
الباغية حرم قتالهم وهذا ابدل على جواز قتال الصايل لان القتال لما كان للفية فاذا حصلت
لم يوجد المعنى الذي لاجله حل القتال وفيه دليل ايضا على ان المومن لا يخرج عن الايمان بفعل
الكبيرة لان الباغي من احدى الطايفتين وقد سماهما مومنين **قوله** فان فات اي رجعت
الى الحق **فان قيل** قد تقدم ان ان تدل على كون الشرط غير متوقع الوقوع وقلتم بان
البغي من المومن نادر فاذن يكون الفية متوقعة فكيف قال فان فات فالجواب هذا
كقول القايل لعبده ان مت فانت حر مع ان المومن لا بد من وقوعه لكن لما كان وقوعه بحيث

يكون العبد محلا للعتق بان يكون باقيا في ملكه حيا بعيش بعد وفاته غير معلوم فكذلك ههنا
لما كان المتوقع فيهم من تلقا انفسهم لما لم يتبع ذلك على تاكيد الامر بينهم فقال تعالى فان
فات اي بعد اشتداد الامر والتحام القتال فاصلحوا وفيه اشارة الى ان من لم يخف الله وبغى
يكون رجوعه بعيدا **قوله** فاصلحوا بينهما بالعدل تحملهما على الانصاف والرضى بحكم الله
واقسطوا اعدلوا ان الله يحب المقسطين **فان قيل** قال ههنا فاصلحوا بينهما بالعدل
ولم يذكر العدل في قوله وان طايفتان من المومنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فالجواب ان الاصلاح
هناك بازالة الاقتتال نفسه وذلك يكون بالنصيحة وبالتهديد والزجر والتعذيب والاصلاح
ههنا بازالة اثار الاقتتال بعد ارتفاعه من ضمان المتلفات وهو حكم فقال بالعدل فكانه
قال فاحكموا بينهما بعد تركهما القتال بالحق واصلحوا بالعدل فيما يكون بينهما لئلا يودي الى
ثوران الفتنة بينهما مرة اخرى **فان قيل** لما قال فاصلحوا بينهما بالعدل فما فايدة
في قوله واقسطوا فالجواب ان قوله فاصلحوا بينهما كان فيه تخصيصا بحال الاقتتال فعمم
الامر بالعدل وقال واقسطوا اي في كل امر فانه مفض الى اشرف درجة وارفع منزلة وهي
محبة الله والاقساط ازالة القسط وهو الجور والقاسط هو الجاير **قوله** انما المومنون
اخوة اي في الدين والولاية قال بعض اهل اللغة الاخوة جمع الاخ من النسب والاخوان
جمع الاخ من الصداقة والله تعالى قال انما المومنون اخوة تاكيدا للامر واشارة الى ان ما بين
الاخوة من الاسلام والنسب لهم كالاب قال قايلهم
ابي الاسلام لا اب لي سواه اذا افتخروا بقيس او تميم **قوله** بين اخويكم العامة على
التثنية وزيد بن ثابت وعبد الله والحسن وحماد بن سلمة وابن سيرين اخوانكم جمعا على
فعلان وقد تقدم ان الاخوان تغلب في الصداقة والاخوة في النسب وقد تعكس كهذه
الاية وروي عن ابي عمرو وجماعة اخوتكم بالتاء من فوق وقد روي عن ابي عمرو ايضا بالقراات
الثلاث **فصل** المعنى واتقوا الله فلا تعصوه ولا تخالفوا امره لعلكم ترحمون قال
عليه السلام المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه من كان في حاجة اخيه كان الله في حاجته ومن
فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره
الله يوم القيامة **فان قيل** عند اصلاح الفريقين والطايفتين لم يقل اتقوا وقال
ههنا اتقوا مع ان ذلك اهم فالجواب ان الاقتتال بين طايفتين يفضي الى ان تعم المفسدة
ويلحق كل مومن منها شي وكل يسعى في الاصلاح لامر نفسه فلم يوكد بالامر بالتقوى واما
تخاصم رجلين لا يخاف الناس منه وربما يريد بعضهم تاكد الخصام بين الخصوم لغرض فاسد
فقال فاصلحوا بين اخويكم واتقوا الله او يقال قوله فاصلحوا اشارة الى الاصلاح وقوله واتقوا
الله اشارة الى ما يصونهم عن التشاجر واذا قلب الاخ لان من اتقى الله شغله تقواه عن الاشتغال
بغيره قال عليه السلام المسلم من سلم الناس من لسانه ويده فالمسلم يكون مقبلا على عبادة الله
مشتغلا بعيبه عن عيوب الناس **فصل** في هاتين الايتين دليل على ان البغي لا يزيل
اسم الايمان لان الله تعالى سماهم اخوة مومنين مع كونهم باغين ويدل عليه ما روى الحرث الاعور
ان علي بن ابي طالب سيل وهو القدوة في قتال اهل البغي عن اهل الجمل وصفين مشركون هم
فقال لا من الشرك فروا فقيل منافقون فقال لا ان المنافقين لا يذكرون الله الا قليلا قيل
فما حالهم قال اخواننا بغوا علينا والباغي في الشرع هو الخارج على امام العدل فاذا اجتمعت
طايفة لهم قوة ومنعة فامتنعوا عن طاعة امام العدل بتاويل محتمل ونصبوا اماما فالحكم
فيهم ان يبعث الامام اليهم ويدعوهم الى الطاعة فان اظهروا مظلمة ازالها عنهم وان لم يذكروا

مظلمة

مظلمة واصروا على بغيهم قاتلهم الامام حتى يفيئوا الى طاعته وحكم قتالهم مذكور في كتب الفقه
فصل انما للحصر اي لا اخوة الا بين المومنين فلا اخوة بين المومن والكافر ولهذا
اذا مات المسلم وله اخ كافر يكون ماله للمسلمين ولا يكون لاخيه الكافر وكذلك الكافر لان
في النسب المعتبر الاب الشرعي حتى ان ولدي الزنا من رجل واحد لا يتوارثان فكذلك الكفر
لان الجامع الفاسد لا يفيد الاخوة ولهذا من مات من الكفار وله اخ مسلم ولا وارث له من
النسب لا يجعل ماله للكفار ولو كان الدين يجمعهم لم يرثه الكفار وما للمسلم للمسلمين عند
عدم الوارث **فان قيل** اذا ثبت ان اخوة الاسلام اقوى من اخوة النسب بدليل
ان المسلم يرثه المسلمون اذا لم يكن له اخوة نسبية ولا يرثه الاخ الكافر من النسب فلم لا تقدم
الاخوة الاسلامية على الاخوة النسبية مطلقا حتى يكون مال المسلم للمسلمين لا لاخوته من النسب
فالجواب ان الاخ المسلم اذا كان اخا من النسب فقد اجتمع فيه اخوتان فصار اقوى **فصل**
قال النحاة ههنا ما كافة تكف ان عن العمل ولولا ذلك لقيل انما المومنين اخوة وفي قوله
تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم وقوله عما قليل ليست كافة قال ابن الخطيب والاشبه
الاقوى ان رب من حروف الجر والباء وعن كذلك وما في ربما كافة وفي عما وبما ليست
كافة والتحقيق فيه هو ان الكلام بعد ربما وانما يكون تاما ويمكن جعله مستقلا ولو حذف
ربما وانما لم يضر تقول ربما قام الامير وربما زيد في الدار ولو حذفت ربما وقلت
زيد في الدار وقام الامير لصح وكذلك في انما ولكنما واما عما وبما فليس كذلك لان قوله
تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم لو حذفت بما وقلت رحمة من الله لنت لهم لما كان
كلاما فالبا يعد متعلقة بما يحتاج اليها فهي باقية حقيقة وكذلك عما واما ربما لما
استغني عنها فكانها لم تبق حكما ولا عمل للمعدوم **فان قيل** انه اذا لم تكف بما
فما بعده كلام تام فوجب ان لا يكون لها عمل تقول ان زيدا قايم ولو قلت زيد قايم لكفى
وتم تقول ليس كذلك لان ما بعدها انه يجوز ان يكون نكرة تقول ان رجلا جاني واخبرني
بكذا وتقول جاني رجل كاخبرني ولا تحسن انما رجل جاني كما لو لم يكن هناك انما وكذلك
القول في ليتما لو حذفتهما اقتصرت على ما بعدها لا يكون تاما فلم تكف وتغير الكلام
في لعل مرارا **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم الاية نقل
الخلاف في قوم وجعله الزمخشري ههنا جمعا لقايم قال كصوم وزور جمع صايم وزاير
قال ليس من ابنية التكسير الا عند الاخفش نحو ركب وصحب والتحرية في باب لا ينظر الانسان
الى اخيه بعين الاجلال ولا يلتفت اليه ويسقطه عن درجته وحينئذ لا يذكر ما فيه من
المعايب ومعنى الاية لا تحقروا اخوانكم ولا تستصغروهم **فصل** قال
ابن عباس نزلت في ثابت بن قيس بن شماس كان في اذنه وقر فكان اذا اتى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقد سبقوه بالمجلس اوسعوا له حتى يجلس الى جنبه فيسمع ما يقول
فاقبل ذات يوم وقد فاتته ركعة من صلوة الفجر فلما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم
من الصلوة اخذ اصحابه مجالسهم فضن كل رجل بمجلسه فلا يكاد يوسع احد لاحد فكان
الرجل اذا جا فلم يجد مجلسا قام قايما فلما فرغ ثابت من الصلوة اقبل نحو رسول الله
صلى الله عليه وسلم يتخطا رقاب الناس تفسحوا تفسحوا فجعلوا يتفسحون حتى انتهى الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وبينه وبينه رجل فقال له تفسح فقال له الرجل قد اصبت
مجلسا فاجلس فجلس ثابت خلفه مغضبا فلما انجلت الظلمة غمز ثابت الرجل فقال من
هذا فقال انا فلان فقال له ثابت ابن فلانة ذكر اما له كان يعير بها في الجاهلية فنكس

الرجل راسه فاستحيا فانزل الله هذه الاية وقال الضحاك نزلت في وفد تميم كانوا يستهزؤن
بفقراء اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل عمار وخباب وبلال وصهيب وسلمان وسالم
مولى حذيفة لما راوا من رثاثة حالهم قوله عسى ان يكونوا خيرا منهم قرا ابي وعبد الله
عسوا وعسين جعلاها ناقصة وهي لغة تميم وقراءة العامة لغة الحجاز قوله ولا نساء
من نساء عسى ان يكن خيرا منهن روي انها نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم عيرن ام سلمة
بالقصر وروى عكرمة عن ابن عباس انها نزلت في صفية بنت حيي بن اخطب قال لها النساء
يهودية بنت يهوديين قوله ولا تلمزوا انفسكم اي لا يعب بعضكم على بعض قرا الحسن والاعرج
ولا تلمزوا بالضم واللمز بالقول وغيره والهمز باللسان فقط قوله ولا تنابزوا بالالقاب
التنابز تفاعل من النبز وهو التداعي بالنبز والنزب وهو مقلوب منه لقلة هذا وكثرة
ذاك ويقال تنابزوا وتنازبوا اذا دعى بعضهم بعضا بلقب سوء واصله من الرفع كان النبز
يرفع صاحبه فيشاهد واللقب ما اشعر بضعة المسمى كقفه وبطه او رفعته كالصديق
وعتيق والفاروق واسد الله واسد رسوله ولمعرفة الاسم والكنية اذا اجتمعن احكام مذكورة
في كتب النحو واصل تنابزوا تتنابزوا اسقطت احدى التائين كما سقط في الاستفهام احدى
الهمزتين كقال سواء عليهم ءانذرتهم والحذف ههنا اولى لان تاء الخطاب وتاء التفاعل حرفان
من جنس واحد في كلمة وهمزة الاستفهام كلمة براسها وانذرتهم اخرى واحتمال حرفين في كلمتين
اسهل من احتماله في كلمة واحدة فصل ذكر في الاية امور ثلاثة مرتبة بعضها
دون بعض وهي السخرية واللمز والنبز فالسخرية الاحتقار والاستصغار واللمز ذكر الرجل
في غيبته بعيب وهذا دون الاول لان من لم يلتفت اليه وانما جعله مثل المسخرة الذي
لا يغضب له ولا عليه وهذا جعل فيه شيئا ما يعاب به والنبز دون الثاني لانه يصفه
بوصف ثابت فيه ينقصه به ويحط منزلته والنبز مجرد التسمية وان لم يكن فيه لان اللقب الحسن
والاسم المستحسن اذا وضع لواحد وعلا عليه لا يكون معناه موجودا فان من سمي بسعد او سعيد
قد لا يكون كذلك وكذلك من لقب امام الدين او حسام الدين لا يفهم منه انه كذلك وانما
هو علامة وكذلك النبز فان من سمي مروان الحمار لم يكن كذلك وانما ذلك سمة وعلامة
ولا يكون اللفظ مرادا اذا لم يرد وصفه به كما ان الاعلام كذلك فكانه تعالى قال
لا تتكبروا فتستحقروا اخوانكم بحيث لا تلتفتوا اليهم اصلا واذا نزلتم عن هذا فلا تعيبوهم
طالبين حط درجتهم واذا لم تعيبوهم ولم تضعوهم عما يستحقون فلا تسموهم بما يكرهونه فصل
قال ابن الخطيب القوم اسم يقع على جمع من الرجال ولا يقع على النساء
ولا على الاطفال لانه جمع قايم والقايم بالامور هو الرجال وعلى هذا ففي افراد الرجال
والنساء فايدة وهي ان عدم الالتفات والاستحقار انما يصدر في اكثر الامر من الرجال
بالنسبة الى الرجال لان المراة في نفسها ضعيفة قال عليه السلام النساء لحم على وضم فالمراة
لا يوجد منها استحقار الرجل لانها مضطرة اليه في دفع حوايجها واما الرجال بالنسبة
الى الرجال والنساء بالنسبة الى النساء فانه يوجد فيهم ذلك فصل في قوله عسى ان
يكونوا خيرا منهم حكمة وهي انهم اذا وجد منهم التكبر المفضي الى احباط الاعمال وجعل نفسه
خيرا منهم كما فعل ابليس حيث لم يلتفت الى ادم وقال انا خير منه فصار هو خيرا منه ويحتمل
ان يكون المراد بقوله يكونوا اي يصيروا فان من استحقر انسانا لفقره او ضعفه لا يامن
ان يفتقر هو ويستغني الفقير ويضعف هو ويقوى الضعيف فصل في قوله
ولا تلمزوا انفسكم وجهان احدهما ان عيب الاخ عايد على الاخ فاذا عابه فكانه عاب

نفسه

نفسه والثاني انه اذا عابه وهو لا يخلو من عيب فيعيبه به المعاب فيكون هو بعيبه حاملا
للغير على عيبه فكانه هو العايب نفسه ونظيره قوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم ويحتمل ان يقال
لا تعيبوا انفسكم اي كل واحد منكم فانكم ان فعلتم فقد عبتم انفسكم اي كل واحد عاب
كل واحد فصرتم عايبين من وجه معيبين من وجه وهذا الوجه ههنا ظاهر ولا كذلك في
قوله ولا تقتلوا انفسكم فصل قال ولا تنابزوا ولم يقل ولا تنبزوا لان اللامز اذا
لمز فالملموز قد لا يجد فيه في الحال عيبا يلمزه به وانما يبحث ويتبعه ليطلع منه على عيب فيوجد
اللمز من جانب واما النبز فلا يعجز كل احد عن الاتيان بنبز فالظاهر ان النبز يفضي في الحال
الى التنابز ولا كذلك اللمز فصل قال المفسرون اللقب هو ان يدعى الانسان بغير
ما سمي به وقال عكرمة هو قول الرجل للرجل يا فاسق يا منافق يا كافر وقال الحسن كان اليهودي
والنصراني يسلم فيقال له بعد اسلامه يا يهودي يا نصراني فنهوا عن ذلك وقال عطا هو ان
يقول الرجل لاخيه يا حمار يا خنزير وروي عن ابن عباس التنابز بالالقاب ان يكون الرجل عمل
السيئات ثم تاب عنها فنهي ان يعير بما سلف من عمله قوله بئس الاسم الفسوق بعد
الايمان اي بئس الاسم ان يقول له يا يهودي يا فاسق بعدما امن وقيل معناه من فعل ما نهي
عنه من السخرية واللمز والنبز فهو فاسق وبئس الاسم الفسوق بعد الايمان فلا تفعلوا ذلك
فتستحقوا اسم الفسوق ثم قال ومن لم يتب اي من ذلك فاولئك هم الظالمون قوله
تعالى يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن الاية قيل نزلت في رجلين اغتابا رفيقهما
وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا غزا او سافر ضم الرجل المحتاج الى رجلين
موسرين يخدمهما ويتقدم لهما الى المنزل فيهيي لهما طعامهما وشرابهما فضم سلمان الفارسي
الى رجلين في بعض اسفاره فتقدم سلمان الفارسي الى المنزل فغلبته عيناه فلم يهيي لهما
فلما قدما قالا له ما صنعت شيا قال لا غلبتني عيناي قالا له انطلق الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاطلب لنا منه طعاما فجا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وساله طعاما
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق الى اسامة بن زيد وقل له ان كان عنده فضل
من طعام فليعطك وكان اسامة خازن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى رحله فاتاه
فقال ما عندي شي فرجع سلمان اليهما فاخبرهما فقالا كان عند اسامة ولكن بخل فبعثا سلمان
الى طايفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيا فلما رجع قالوا لو بعثناه الى بير سميحة لغار
ماؤها ثم انطلقا يتجسسان هل عند اسامة ما امر لهما به رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما جاءا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما ما لي ارى خضرة اللحم في افواهكما قالا والله
يا رسول الله ما تناولنا يومنا هذا لحما قال ظللتم تاكلون لحم اسامة وسلمان فانزل الله
عز وجل يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن فصل قال سفين الثوري الظن
ظنان احدهما اثم وهو ان يظن ويتكلم به والاخر ليس باثم وهو ان يظن ولا يتكلم به قال
عليه السلام اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث قوله اثم جعل الزمخشري همزه
بدلا من واو وقال لانه يثم الاعمال اي يكسرها وهذا غير مسلم بل تلك مادة اخرى قوله
ولا تجسسوا التجسس التتبع ومنه الجاسوس والجساسة وجوائز الانسان وحواسه ومشاعره
وقد قراها بالحاء الحسن وابو رجاء وابن سيرين فصل التجسس هو البحث عن عيوب
الناس نهى الله تعالى عن البحث عن المستور من امور الناس وتتبع عوراتهم قال عليه السلام
لا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا
وقال عليه السلام يا معشر من امن بلسانه ولم يدخل الايمان الى قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا

تتبعوا عوراتهم فانه من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته ومن تتبع عورته يفضحه ولو
في جوف رحله ونظر ابن عمر يوما الى الكعبة فقال ما اعظمك واعظم حرمتك والمومن اعظم حرمة
منك عند الله وقيل لابن مسعود هل لك في الوليد بن عقبة تقطر لحيته خمرا فقال انما نهينا
عن التجسس فان يظهر لنا شيا ناخذ به **فصل** واعلم ان الظن ينبني عليه القبايح قال العلما
اذا وقف اموره على اليقين فقلما يتيقن في احد عيبا يلمزه به لان الفعل في الصورة قد يكون
قبيحا وفي نفس الامر لا يكون كذلك لان الفاعل قد يكون فاعله ساهيا او يكون الراي مخطيا
وقوله تعالى كثيرا اخراج للظنون التي يبنى عليها الخيرات قال عليه السلام ظنوا بالمومن خيرا وقوله
ان بعض الظن اثم اشارة الى الاخذ بالاحوط وقوله ولا تجسسوا اتماما لما قبله لانه تعالى لما قال
اجتنبوا كثيرا من الظن فهم منه ان المعتبر اليقين وقوله ولا يغتب بعضكم بعضا اي لا يتناول
بعضكم بعضا في غيبته بما يسوءه مما هو فيه قال عليه السلام اتدرون ما الغيبة قالوا الله
ورسوله اعلم قال ذكرك اخاك بما يكره قيل ارايت ان كان في اخي ما اقول قال ان كان فيه ما
تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه ما تقول فقد بهته وفي هذا اشارة الى وجوب حفظ عرض
المومن **قوله** ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا نصب ميتا على الحال من لحم او اخيه
وتقدم الخلاف في ميتا فان **قيل** اللحم لا يكون ميتا فالجواب بلى قال عليه السلام ما ابين
من حي فهو ميت فسمى القطعة ميتا فان **قيل** اذا جعلناه حالا من الاخ لا يكون هيئة الفاعل
ولا المفعول فلا يجوز جعله حالا منه كقول القايل مررت باخي زيد وتريد كون زيد قايما وذلك
لا يجوز قلنا من اكل لحمه فقد اكل فصار الاخ ماكولا مفعولا بخلاف المرور باخي زيد **فصل**
في هذا التشبيه اشارة الى ان عرض الانسان كدمه ولحمه لان الانسان يتالم قلبه من قرض
العرض كما يتالم جسمه من قطع اللحم وهذا من باب القياس الظاهر لان عرض المرء اشرف من لحمه
ودمه فاذا لم يحسن من العاقل اكل لحوم الناس لم يحسن منه قرض عرضهم بالطريق الاولى لان
ذلك الم وقوله لحم اخيه اكد في المنع لان العدو يحمله الغضب على مضغ لحم العدو وفي قوله
ميتا اشارة الى دفع وهم وهو ان يقال الشتم في الوجه يولم فيحرم واما الاغتياب فلا
اطلاع عليه للمغتاب فلا يولم فقال اكل لحم الاخ وهو ميت ايضا لا يولمه ومع هذا هو في
غاية القبح لما انه لو اطلع عليه لتالم فان الميت لو احس باكل لحمه لالمه وفيه معنى لطيف وهو ان
الاغتياب باكل لحم الادمي ميتا ولا يحل اكله الا للمضطر بقدر الحاجة والمضطر اذا وجد لحم
الشاة الميتة ولحم الادمي فلا ياكل لحم الادمي فكذلك المغتاب ان وجد لحاجته مدفعا غير
الغيبة فلا يباح له الاغتياب **قوله** فكرهتموه قال الفرا تقديره فقد كرهتموه
فلا تفعلوه قال ابن الخطيب الفا في تقدير جواب كلام كانه تعالى لما قال ايحب للانكار فكانه
قال لا يحب احدكم ان ياكل لحم اخيه فكرهتموه اذن وقال ابو البقا المعطوف عليه محذوف
تقديره عرض عليكم ذلك فكرهتموه والمعنى يعرض عليكم فتكرهونه وقيل ان صح ذلك عندكم فانتم
اي تكرهونه قال ابن الخطيب هو كتعلق المسبب بالسبب وترتيبه عليه كقولك جا فلان
ماشيا فتعب فقيل هو خبر بمعنى الامر كقولهم اتقى الله امرو فعل خيرا يثب عليه وقرا ابو حيوة
والجحدري فكرهتموه بضم الكاف وتشديد الرا عدي بالتضعيف الى ثان بخلاف قوله او لا
كره اليكم الكفر فانه وان كان مضعفا لم يتعد الى اثنين لتضمنه معنى بغض **فصل** قال
ابن الخطيب الضمير في قوله فكرهتموه فيه وجوه اظهرها ان يعود الى الاكل لان قوله تعالى ايحب
احدكم ان ياكل معناه اكلا لان ان مع الفعل للمصدر اي كرهتموا الاكل وثانيها ان يعود الى اللحم اي كرهتم اللحم
وثالثها ان يعود الى الميت في قوله ميتا تقديره ايحب احدكم ان ياكل اخيه ميتا متغيرا

فكرهتموه فكانه صفة لقوله ميتا ويكون فيه زيادة مبالغة في التحذير يعني الميتة ان اكلت
في الندرة تستطاب نادرا ولكن اذا انتن واروح وتغير لا يوكل اصلا فكذلك ينبغي
ان تكون الغيبة وذلك تحقق الكراهة ويوجب التنزه الى حد لا يشتهي الانسان ان يبيت
في بيت فيه ميت فكيف يقربه بحيث ياكل منه فيه اذن كراهة شديدة فكذلك حال
الغيبة **فصل** قال مجاهد لما قيل لهم ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا قالوا
لا قيل فكرهتموه اي كما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بالسو غايبا قال الزجاج تاويله ان ذكرك
من لم يحضرك بسوء بمنزلة اكل لحمه وهو ميت لا يحس بذلك قال عليه السلام لما عرج بي مررت
بقوم لهم اظفار من نحاس يخمشون وجوههم ولحومهم فقلت من هولاء يا جبريل فقال هولاء الذين
ياكلون لحوم الناس ويقعون في اعراضهم **قوله** واتقوا الله عطفا على ما تقدم من
الاوامر والنواهي اي اجتنبوا واتقوا الله ان الله تواب رحيم واعلم انه تعالى ختم الايتين
بذكر التوبة فقال في الاولى ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون وقال ههنا ان الله تواب
رحيم لكن لما كان الابتدا في الاية الاولى بالنهي في قوله لا يسخر قوم من قوم ذكر النفي الذي هو
قريب من النهي وفي الثانية كان الابتدا بالامر في قوله اجتنبوا كثيرا فذكر الاثبات
الذي هو قريب من الامر **قوله تعالى** يايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى
الاية هذه الاية مبينة ومقررة لما تقدم لان السخرية من الغير وغيبته ان كان بسبب
الدين والايمان فهو جاير وكذلك لمزه وغيبته وان لم يكن بسبب الدين والايمان فلا يجوز
لان الناس بعمومهم كافرهم ومومنهم يشتركون فيما يفتخر به المفتخر لان التكبر والافتخار ان كان
بسبب الغنى فالكافر قد يكون غنيا والمومن فقيرا او بالعكس وان كان بسبب النسب فالكافر
قد يكون نسيبا والمومن مولى وعبدا اسود وبالعكس فالناس فيما ليس من الدين والتقوى متساوون
او متقاربون ولا يوثر شي من ذلك مع عدم التقوى كما قال تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم
فقوله تعالى يايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى يعني ادم اي انكم متساوون في النسب فلا
يتفاخر بعضكم على بعض لكونكم ابنا رجل واحد وامراة واحدة **فصل** قال ابن عباس
نزلت في ثابت بن قيس وقوله للرجل الذي لم يتفسح له ابن فلانة فقال النبي صلى الله عليه وسلم
من الذاكر فلانة قال ثابت انا يا رسول الله فقال انظر في وجوه القوم فنظر فقال ما رايت
يا ثابت قال رايت ابيض واحمر واسود قال فانك لا تفضلهم الا في الدين والتقوى فنزلت
هذه الاية ونزل في الذي لم يتفسح يايها الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا وقال مقاتل
لما كان فتح مكة امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا حتى علا ظهر الكعبة فاذن فقال
عتاب بن اسيد بن ابي العيص الحمد لله الذي قبض ابي حتى لم ير هذا اليوم وقال الحرث بن
هشام اما وجد محمد غير هذا الغراب الاسود موذنا وقال سهيل بن عمرو ان يرد الله شيا
يغيره وقال ابو سفيان اني لا اقول شيا اخاف ان تخبر به رب السموات فاتى جبريل رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بما قالوا فدعاهم وسالهم عما قالوا فاقروا فانزل الله عز وجل
هذه الاية وزجرهم عن التفاخر بالانساب والتكاثر بالاموال والازدرا بالفقرا **فان قيل**
هذه الاية تدل على عدم اعتبار النسب وليس كذلك فان للنسب اعتبارا عرفا وشرعا
حتى لا يجوز تزويج الشريفة بالنبطي فالجواب اذا جا الامر العظيم لا يبقى الامر الحقير معتبرا
وذلك في الحس والشرع والعرف اما الحس فلان الكواكب لا ترى عند طلوع الشمس وجناح
الذباب دوي ولا يسمع عند رعد قوي واما العرف فلان من جاءه غلام ملك اقبل عليه
واكرمه فاذا جاءه مع الملك لا يبقى له اعتبار ولا يلتفت اليه واذا علم هذا ففي الشرع كذلك

اذا جاء الشرف الديني الالهي لا يبقى لامر هناك اعتبار لا للنسب ولا للسبب الانزوي ان الكافر
وان كان من اعلا الناس نسبا والمؤمن وان كان من اداهم نسبا لا يقاس احدهما بالاخر
وكذلك ما هو الدين مع غيره ولهذا تشترط المناصب الدينية كالقضا والشهادة لكل شريف
ووضيع اذا كان دينا عالما ولا يصلح لشيء منها فاسق وان كان قرشي النسب وقارون النسب
ولكن اذا اجتمع في اثنين الدين المتين واحدهما نسيب يرجح بالنسب عند الناس لا عند الله
لقوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى وشرف النسب ليس مكتسبا ولا يحصل بسعي **فصل**
الحكمة في اختيار النسب من جملة اسباب التفاخر ولم يذكر المال لان الامور التي يفتخر بها في
الدنيا وان كانت كثيرة لكن النسب اعلاها لان المال قد يحصل للفقير فيبطل افتخار المفتخر
به عليه والسن والحسن وغير ذلك لا يدوم والنسب ثابت مستمر غير مقدور التحصيل لمن ليس
له ذلك فاختاره الله للذكر وابطل اعتباره بالنسبة الى التقوى ليعلم منه بطلان غيره بطريق
الاولى **فان قيل** اذا كان ورود الاية لبيان جواز الافتخار بغير التقوى فما فائدة
قوله تعالى انا خلقناكم فالجواب فائدته ان كل شيء يترجح على غيره فاما ان يرجح بامور فيه
تلحقه ويترتب عليه بعد وجوده واما ان يرجح عليه بامر قبله فالذي بعده كالحسن
والقوة وغيرهما من الاوصاف المطلوبة من ذلك الشيء واما الذي قبله فاما راجع الى اصله الذي
وجد منه او الى الفاعل الذي اوجده فالاول كقولك هذا من نحاس وهذا من فضة والثاني
كقولك هذا عمل فلان وهذا عمل فلان فقال تعالى لا ترجيح بما خلقتم منه لانكم كلكم من ذكر
وانثى ولا ترجيح بالنسبة الى فاعلكم لانكم كلكم خلق الله فان كان عندكم تفاوت فهو بامور تحصل
لكم بعد وجودكم واشرفها التقوى **قوله** وجعلناكم شعوبا وقبائل الشعوب جمع شعب
بفتح الشين وهو اعلا طبقات الانساب مثل ربيعة ومضر والاوس والخزرج وذلك ان طبقات
النسب التي عليها العرب ست الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة
وكل واحد يدخل فيما قبله فالفصيلة يدخل في الفخذ والفخذ في البطن وزاد بعض الناس
بعد الفخذ العشيرة فجعلها داخلة فيها فتكون القبائل داخلة في العشيرة وتدخل العشيرة في
الافخاذ وتدخل الافخاذ في البطون والبطون في العماير والعماير في القبيلة والقبيلة في
الشعب وذكر الاعلى لانه اذهب بالافتخار وسمي الشعب شعبا لتشعب القبائل منه واجتماعهم
فيه كتشعب اغصان الشجرة والشعب من الاضداد يقال شعب اي جمع ومنه تشعيب
القدح وشعب اي فرق والقبائل وهي دون الشعوب واحدتها قبيلة وهي كبكر من ربيعة
وتميم من مضر سميت بذلك لتقابلها تشبيها بقبائل الراس وهي قطع متقابلة وقيل الشعوب
في العجم والقبائل في العرب والاسباط في بني اسرائيل وقيل الشعب النسب الابعد والقبيلة
الاقرب وانشد . قبائل من شعوب ليس فيهم كريم قد يعد ولا نجيب . والنسب الى الشعب
شعوبية بفتح الشين وهم جيل يبغضون العرب ودون القبائل العماير واحدتها عمارة
بفتح العين وهم كشيبان من بكر ودارم من تميم ودون العماير البطون واحدتها بطن
وهم كبني هاشم وامية من بني لوي ثم الفصائل والعشائر واحدتها فصيلة وعشيرة وقال
ابو روق الشعوب الذين لا يعتزون الى احد بل ينتسبون الى المداين والقرى والقبائل العرب
الذين ينتسبون الى ابائهم **قوله** لتعارفوا العامة على تخفيف التا والاصل لتتعارفوا
فحذف احدى التائين والبزي بتشديدها وقد تقدم ذلك في البقرة واللام متعلقة بجعلناكم
وقرا الاعمش بتائين وهو الاصل الذي ادغمه البزي وحذفه الجمهور وابن عباس لتعرفوا مضارع
عرف **فصل** المعنى ليعرف بعضكم بعضا في قرب النسب وبعده لا للتفاخر وقال

في

في اول الاية خلقناكم وقال ههنا وجعلناكم شعوبا لان الخلق اصل تفرع عليه الجعل شعوبا لان الخلق
والايجاد لاجل العبادة كما قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وجعلهم شعوبا للتعارف
والاصل متقدم على الفرع فيعتبر العبادة قبل اعتبار النسب لان اعتبار الجعل شعوبا انما يتحقق بعد
تحقق الخلق وفي هذا اشارة الى انه ان كان فيكم عبادة تعتبر والا فلا اعتبار لانسابكم **فان**
قيل الهداية والضلال كذلك لقوله تعالى انا هديناه السبيل يهدي من يشا ويضل
من يشا فالجواب ان الله تعالى اثبت لنا فيه كسبا مبنيا على فعل لقوله تعالى فمن شا اتخذ
الى ربه سبيلا ثم قال وما تشاءون الا ان يشا الله واما في النسب فلا **قوله** ان اكرمكم
عند الله اتقاكم اخبر تعالى ان ارفعهم منزلة عند الله اتقاهم قال قتادة في هذه الاية الكرم
الكريم التقوى واللئيم اللئيم الفاجر وقال عليه السلام الحسب المال والكرم التقوى قال ابن عباس
كرم الدنيا الغنى وكرم الاخرة التقوى وعن ابي هريرة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي الناس اكرم فقال اكرمهم عند الله اتقاهم قالوا ليس عن هذا نسالك قال فاكرم الناس يوسف
نبي الله بن نبي الله بن خليل الله قالوا ليس عن هذا نسالك قال فعن معادن العرب تسالوني قالوا نعم
قال فخياركم في الجاهلية خياركم في الاسلام اذا فقهوا وقال عليه السلام ان الله لا ينظر الى صوركم
ولكن ينظر الى قلوبكم **فصل** قرا العامة ان اكرمكم بكسر ان وابن عباس بفتحها فان
جعلت اللام لام الامر وفيه بعد اتضح ان يكون قوله ان اكرمكم بالفتح معمول العرفان امرهم
ان يعرفوا ذلك وان جعلتها للعلة لم يظهر ان يكون معمولا لانه لم يجعلهم شعوبا وقبائل ليعرفوا
ذلك فينبغي ان يجعل المفعول محذوفا واللام للعلة اي لتعرفوا الحق لان اكرمكم **فصل**
قال ابن الخطيب في المراد بالاية وجهان الاول ان التقوى تفيد الاكرام والثاني ان الاكرام
يورث التقوى كما يقال المخلصون على خطر والاول اشهر والثاني اظهر **فان قيل**
التقوى من الاعمال والعلم اشرف لقوله عليه السلام لفقيه اشد على الشيطان من الف عابد
فالجواب ان التقوى ثمرة العلم لقوله انما يخشى الله من عباده العلماء فلا تقوى الا للعالم فالمتقي
العالم اتم علما والعالم الذي لا يتقي كشجرة لا ثمر لها لكن الشجرة المثمرة اشرف من الشجرة التي لا تثمر بل هي
حطب وكذلك العالم حصب جهنم واما العابد الذي يفضل عليه الفقيه فهو الذي لا علم له
وحينئذ لا يكون عنده من خشية الله نصاب كامل ولعله يعبده مخافة الالقاء في النار فهو
كالمكره او لدخول الجنة فهو يعمل بالعمل له اجر ويرجع الى بيته والمتقي هو العالم بالله المواظب
لبابه **فان قيل** خطاب الناس بقوله اكرمكم يقتضي اشتراك الكل في الاكرام ولا كرامة
للكافر فانه اضل من الانعام فالجواب ذلك غير لازم مع انه حاصل بدليل قوله تعالى
ولقد كرمنا بني ادم لان كل من خلق فقد اعترف بربه ثم من استمر عليه وزاد زيد في كرامته
ومن رجع عنه ازيل عنه اثر الكرامة ثم قال تعالى ان الله عليم خبير اي عليم بظواهركم
يعلم انسابكم خبير ببواطنكم لا تخفى عليه اسراركم فاجعلوا التقوى زادكم **قوله تعالى**
قالت الاعراب امنا الاية لما قال تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم والاتقا لا يكون الا بعد
حصول التقوى واصله الايمان والاتقا من الشرك قالت الاعراب لنا النسب الشريف
يكون لنا الشرف قال تعالى ليس الايمان بالقول انما هو بالقلب فما امنتم لان الله خبير يعلم ما في
الصدور ولكن قولوا اسلمنا اي انقدنا واستسلمنا قيل نزلت في نفر من بني اسد بن خزيمة
قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة مجدبة فاظهروا الاسلام ولم يكونوا مؤمنين
في السر لبغي الصدقة فافسدوا واطرق المدينة بالعذرات وكانوا يغدون ويروحون
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون اتتك العرب بانفسها على ظهور رواحلها وجيناك

بالاثقال والعيال والذراري ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان يمنون على رسول الله
صلى الله عليه وسلم ويريدون الصدقة ويقولون اعطنا فانزل الله فيهم هذه الاية وقال
السدي نزلت في الاعراب الذين ذكرهم الله تعالى في سورة الفتح وهم جهينة ومزينة واسلم
واشجع وغفار وكانوا يقولون امنا ليامنوا على انفسهم واموالهم فلما استنفروا الى الحديبية
تخلفوا فانزل الله قالت الاعراب امنا صدقنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا انقدنا واستسلمنا
مخافة القتل والسبي قال ابن الخطيب وقد بينا ان ذلك كالتاريخ للنزول لا للاختصاص بهم
فكل من اظهر فعل المتقي واراد ان يصير له ما للمتقي بالاكرام لا يحصل له ذلك لان التقوى
من عمل القلب قوله ولما يدخل هذه الجملة مستانفة اخبر تعالى بذلك وجعلها الزمخشري
حالا من الضمير في قولوا وقد تقدم الكلام في لما وما تدل عليه والفرق بينها وبين لم في البقرة
عند قوله تعالى ولما ياتكم وقال الزمخشري فان قلت هو بعد قوله لم تؤمنوا اشبه بالتكرير
من غير استقلال بفائدة متجددة قلت ليس كذلك فان فائدة قوله لم تؤمنوا هو تكذيب
دعواهم وقوله ولما يدخل توقيت لما امروا به ان يقولوه ثم قال وما في لما من معنى التوقع
دليل على ان هولا قد امنوا فيما بعد قال ابو حيان ولا ادري من اي وجه يكون النفي بلما
يقع بعد قال شهاب الدين لانها لنفي قد فعل وقد للتوقع فصل قال ابن الخطيب
لم ولما حرفا نفي وما وان ولا كذلك من حروف النفي ولم ولما يجزمان وغيرهما من حروف النفي
لا يجزم فما الفرق بينهما فالجواب ان لم ولما يتصلان بالفعل ما لا يتصل به غيرهما فانهما
يصرفان معناه من الاستقبال الى المضي تقول لم يؤمن امس وآمن اليوم ولا تقول لا تؤمن
امس فلما تعلقا بالفعل ما لم يتعلق به غيرهما جزم بهما فان قيل مع هذا لم جزم بهما
غاية ما في الباب انه تحصل ولكن ما الدليل على وجوب الجزم بهما فنقول لان الجزم والقطع
يحصل في الافعال الماضية لان من قام فقد حصل القطع بقيامه ولا يجوز ان لا يكون ما قام والافعال
المستقبلة اما متوقعة الحصول واما ممكنة من غير توقع فلا يمكن الجزم والقطع فيه فاذا كان لما
ولم يقلبان اللفظ من الاستقبال الى المضي افاد الجزم والقطع في المعنى فجعل له مناسبا لمعناه
وهو الجزم لفظا وعلى هذا نقول اذا كان السبب في الجزم ما ذكرنا فهذا قيل الامر يجزم لان
الامر كانه جزم على المامور ان يفعله ولا يتركه فاتى بلفظ مجزوم تنبيها على ان الفعل لا بد من ايقاعه
وان في الشرط كذلك لان ان تغير معنى الفعل من المضي الى الاستقبال كما ان لم تغيره من الاستقبال
الى المضي تقول ان اكرمتني اكرمتك فلما كان ان مثل لم في كونه حرفا وفي لزومه الفعل على
الافعال وتغييرها ما جازما للشبه اللفظي واما الجزاء فجزم لما ذكرنا من المعنى فان الجزاء
يجزم لو توقعه عند وجود الشرط فجزمه اذن اما للمعنى او للشبه اللفظي فصل اخبر الله
تعالى ان حقيقة الايمان هو التصديق بالقلب وان الاقرار باللسان واظهار شرايعه بالابدان
لا يكون ايمانا دون التصديق بالقلب والاخلاص وان الاسلام هو الدخول في السلم وهو الانقياد
والطاعة يقال اسلم الرجل اذا دخل في السلم كما يقال اشتى اذا دخل في الشتا واصاف اذا
دخل في الصيف واربع اذا دخل في الربيع فمن الاسلام ما هو طاعة على الحقيقة باللسان
والابدان والجنان كقوله عز وجل لابرهيم اسلم قال اسلمت لرب العالمين ومنه ما هو انقياد
باللسان دون القلب وذلك قوله ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم قال
ابن الخطيب المؤمن والمسلم واحد عند اهل السنة فنقول الفرق بين العام والخاص ان الايمان
لا يحصل الا بالقلب والانقياد قد يحصل بالقلب وقد يحصل باللسان والاسلام اعم لكن العام
في صورة الخاص متحد مع الخاص ولا يكون امرا آخر غيره مثاله الحيوان اعم من الانسان لكن الحيوان

في

في صورة الانسان امر ينفك عن الانسان ولا يجوز ان يكون ذلك الحيوان حيوانا ولا يكون انسانا
فالعام والخاص مختلفان في العموم متحدان في الوجود ولا كذلك المؤمن والمسلم وسياتي
بقية الكلام على ذلك في الذاريات عند قوله فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا
فيها غير بيت من المسلمين ان شا الله تعالى قال ابن الخطيب وفي الاية اشارة الى بيان حال
المؤلفة اذا اسلموا ويكون ايمانهم ضعيفا فقال لهم لم تؤمنوا لان الايمان ايقان وذلك بعد
لم يدخل في قلوبكم وسيدخل باطلاعكم على محاسن الاسلام قوله وان تطيعوا الله
ورسوله لا يلتكم ظاهرا وباطنا سرا وعلانية قال ابن عباس تخلصوا الايمان قوله لا يلتكم
قرا ابو عمرو لا يالتكم بالهمز من التَه يالته بالفتح في الماضي والكسر والضم في المضارع كقوله وما
التناهم والسوسي يبدل الهمزة الفا على اصله والباقون يلتكم من لاته يليته كباعه يبيعه
وهما لغتان ومعناهما لا ينقصكم فالاولى لغة غطفان واسد والثانية لغة الحجاز يقال
الته يالته التا ولاته يليته ليتا وقيل هي من ولته يلته كوعده يعده فالمحذوف على القول
الاول عين الكلمة ووزنها يفلكم وعلى الثاني فاؤها ووزنها يعلكم ويقال ايضا الاته يليته
كاباعه يبيعه والاه يوليه كآمن يؤمن وكلها لغات في معنى نقصه حقه قال الحطيئة
ابلغ سراة بني سعد مغلغلة • جهد الرسالة لا التا ولا كذبا • وقال رؤبة
وليلة ذات ندى سريت • ولم يلتني عن سراها ليت • اي لم يمنعني ويحبسني •
فصل قال ابن الخطيب معنى قوله لا يلتكم المراد منه انكم اذا اتيتم بما يليق
بضعفكم من الحسنة فهو يوتيكم بما يليق به من الجزاء لان من حمل الى ملك فاكهة طيبة يكون
ثمنها في السوق درهم فاعطاه الملك درهما انتسب الملك الى البخل وانما معناه انه يعطي مثل
ذلك من غير نقص اي يعطي ما تتوقعون باعمالكم من غير نقص ثم قال ان الله غفور رحيم
اي يغفر لكم ما تقدم ويرحمكم بما اتيتم به قوله انما المؤمنون الذين امنوا بالله
ورسوله هذا العتاب للذين قالوا امنا بين لهم حقيقة الايمان فقال ان كنتم تريدون الايمان
فالمؤمن من امن بالله ورسوله ثم لم يرتابوا اي لم يشكوا في دينهم وايقنوا بان الايمان ايقان
وثم للتراخي في الحكاية كانه يقول امنوا ثم اقول شيا اخر لم يرتابوا ويحتمل ان يكون للتراخي في
العمل اي امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا فيما قال النبي عليه السلام من الحشر والنشر وجاهدوا
باموالهم وانفسهم في سبيل الله اي ايقنوا ان بعد هذه الدار دارا اخرى فجاهدوا طالبين العقبى
اولئك هم الصادقون في ايمانهم فان قيل كيف يجوز ان يكذبوا في الاسلام
والاسلام هو الانقياد وقد وجد منهم قولا وفعلا وان لم يوجد اعتقادا وعلما وذلك القدر
كان في صدقهم في قولهم انا اسلمنا فالجواب ان التكذيب يقع على وجهين احدهما ان لا يوجد
نفس المخبر عنه والثاني ان لا يوجد كما اخبر في نفسه فيقول له ما جئتنا بل جئت للحاجة
فالله تعالى كذبهم في قولهم امنا على الوجه الاول اي ما امنتم اصلا ولم يصدقهم في الاسلام
على الوجه الثاني فانهم انقادوا للحاجة واخذ الصدقة فصل لما نزلت هاتان
الايتان اتت الاعراب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحلفون بالله انهم مؤمنون صادقون وعرف
الله غير ذلك منهم فانزل الله قل اتعلمون الله بدينكم والتعليم ههنا بمعنى الاعلام ولذلك قال
بدينكم ادخل الباء لانه مفعول بالتضعيف من علمت به بمعنى شعرت به فلذلك تعدت
لواحد بنفسها ولاخر بالباء والمعنى لا تخبرون الله بدينكم فانه عالم به لا يخفى عليه شيء لانه يعلم ما
في السموات وما في الارض والله بكل شيء عليم لا يحتاج الى اخباركم قوله يمنون عليك ان
اسلموا يجوز في قوله ان اسلموا وجهان احدهما انه مفعول به لانه ضمن يمنون معنى يعيدون

كانه قيل يمنون عليك اسلامهم ما تمن به عليك ولهذا صرح بالمفعول به في قوله قل لا تمنوا على
اسلامكم كذا استدل ابو حيان وفيه نظرا ذلنا بل ان تقول لا نسلم انتصاب اسلامكم على
المفعول به بل يجوز فيه المفعول من اجله كما يجوز في محل ان اسلموا وهو الوجه الثاني فيه اي يمنون
عليك لاجل ان اسلموا فكذلك في قوله لا تمنوا على اسلامكم وشروط النصب موجودة والمفعول
به منى كان مضافا استوي جره بالحرف ونصبه **قوله** بل الله يمن عليكم يعني لا منة لكم علينا
اصلا بل المنة عليكم حيث بينت لكم الطريق المستقيم **قوله** ان هداكم للايمان اعرابه
كقوله لان اسلموا وقرا زيد بن علي اذ هداكم باذ مكان ان وهي في مصحف عبد الله كذلك وهي تفيد
التعليل وجواب الشرط مقدر اي فهو المان عليكم لا انتم عليه وعلي **فان قيل** كيف
من عليهم بالهداية الى الايمان مع انه تبين انهم لم يومنوا فالجواب من ثلاثة اوجه احدها انه
تعالى لم يقل بل الله يمن عليكم ان رزقكم الايمان بل قال ان هداكم للايمان وثانيها ان ارسال
الرسول بالايات البينات هداية وثالثها انه تعالى يمن عليهم بما زعموا فكانه قال انتم قلتم
امنا فذلك نعمة في حقكم حيث تخلصتم من النار فقال هداكم في زعمكم ولهذا قال تعالى
ان كنتم صادقين ثم قال تعالى ان الله يعلم الايه وهذا تقرير لاول السورة حيث قال
ان الله سميع عليم فاخبرهنا عن علمه وبصره **قوله** ان الله يعلم غيب السموات والارض
والله بصير بما تعملون قرا ابن كثير بالغيبة نظرا لقوله يمنون وما بعده والباقون بالخطاب
نظرا الى قوله لا تمنوا على اسلامكم الى اخره وفي هذه الايه اشارة الى انه يبصر اعمال جوارحكم
الظاهرة والباطنة لا يخفى عليه شي قال عليه السلام من قرا سورة الحجرات اعطي من الاجر
عشر حسنات بعدد من اطاع الله وعصاه . **سورة ق مكية** وهي خمس
واربعون اية وثلثماية وسبع وخمسون كلمة والف واربع ماية واربعة وتسعون حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم . **قوله تعالى** ق قال ابن عباس هو قسم وقيل اسم السورة
وقيل اسم من اسما القران وقال القرطبي هو مفتاح اسمه قدير وقادر وقاهر وقريب وقيل
وقال عكرمة والضحاك هو جبل محيط بالارض من زمردة خضرا ومنه خضرة السما والسما
مقببة عليه وعليه كتفاها ويقال هو ورا الحجاب الذي يغيب الشمس من ورائه بمسيرة سنة
وقيل معناه قضي الامر وقضي ما هو كاين كما قالوا في حم اي حم ما هو كاين وقيل هو اسم فاعل
من قفا يقفوا **فصل** قال ابن الخطيب لما حكي القول بان ق جبل محيط بالارض
عليه اطراف السما قال وهذا ضعيف لوجوه احدها ان القرا يقف عليها ولو كان اسم جبل
لما جاز الوقف في الادراج لان من قال ذلك قال بان الله تعالى اقسم به وثانيها لو كان كذلك
لذكر بحرف القسم كقوله تعالى والطور ونحوه لان حرف القسم يحذف حيث يكون المقسم به مستحقا
لان يقسم به كقولنا الله لا فعلن كذا فاستحقاقه له يغني عن الدلالة عليه باللفظ ولا يحسن ان يقال
زيد لا فعلن كذا وثالثها انه لو كان كما ذكر لكان يكتب قاف مع الالف والفا كما يكتب عين
جارية ويكتب اليس الله بكاف وفي جميع المصاحف يكتب حرف ق ورابعها ان الظاهر كون
الامر فيه كالامر في ص ون وحم وهي حروف لا كلمات فكذلك في ق فان قيل هو منقول
عن ابن عباس نقول المنقول عنه ان قاف اسم جبل واما ان المراد ههنا ذلك فلا **فصل**
قال ابن الخطيب هذه السورة وسورة ص يشتركان في افتتاح اولهما بالحرف المعجم والقسم بالقران
بعده وقوله بعد القسم بل والتعجب ويشتركان ايضا في ان اول السورتين واخرهما متناسبان
لانه تعالى قال في اول ص والقران ذي الذكر وقال في اخرها ان هو الا ذكر للعالمين وقال
في اول ق والقران المجيد وقال في اخرها فذكر بالقران من يخاف وعيد فافتتح بما اختتم به وايضا

في

في اول ص صرف العناية الى تقرير الاصل الاول وهو التوحيد لقوله تعالى اجعل الالهة الها
واحدا وفي هذه السورة صرف العناية الى تقرير الاصل الاخر وهو الحشر فقال تعالى اذا متنا
وكنا ترابا وعظاما ذلك رجع بعيد ولما كان افتتاح سورة ص في تقرير المبدا قال في
اخرها اذ قال ربك للملايكة اني خالق بشرا من طين وختمه بحكاية بدو ادم لانه دليل الوحدانية
ولما كان افتتاح ق لبيان الحشر قال في اخرها ذلك حشر علينا يسير **فصل** قال
ابن الخطيب قد ذكرنا ان الحروف تنبيهات قدمت على القران ليكون السامع بسببها يقبل
على استماع ما يرد على الاسماع فلا يفوته شي من الكلام الرايق والمعنى الفايق وذكرنا ايضا ان
العبادة منها قلبية ومنها لسانية ومنها خارجية ظاهرة ووجد في الخارجية ما عقل
معناه ووجد فيها ما لم يعقل معناه كاعمال الحج من الرمي والسعي وغيرهما ووجد في القلبية
ما عقل بالدليل وعلم كالتوحيد وامكان الحشر وصفات الله تعالى وصدق الرسل ووجد فيها
ما لم يعقل ولا يمكن التصديق به لولا السمع كالصراط الممدود الاحد من السيف الارق من
الشعر والميزان الذي توزن به الاعمال فكذلك ينبغي ان يكون الاذكار التي هي العبادة اللسانية
فيها ما يعقل معناه كجميع القران الا قليلا منه وفيها ما لا يعقل ولا يفهم كحروف التهجي ليكون
التلفظ به لمحض الانقياد للامر لا لما يكون في الكلام من طيب الحكاية والقصد الجميل كقولنا
ربنا اغفر لنا وارحمنا بل يكون النطق به تعبدا محضا ويؤيد هذا وجه اخر وهو ان هذه الحروف
مقسم بها لان الله تعالى لما اقسم بالتين والزيتون تشريفا لهما فاذا اقسم بالحروف التي هي اصل الكلام
الشريف الذي هو دليل المعرفة والة التعريف كان اولى واذا عرف هذا فنقول القسم من الله
تعالى وقع بامر واحد كما في قوله تعالى والعصر وقوله والنجم وبحرف واحد كما في قوله ص وق
ووقع بامرين كما في قوله تعالى والضحى والليل وفي قوله والسما والطارق وبحرفين كما في قوله
طه وطس ويس وحم ووقع بثلاثة امور كما في قوله تعالى والصافات فالزاجرات فالتاليات وقوله
والسما ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود وبثلاثة احرف كما في قوله الم وطسم
والر ووقع باربعة امور كما في قوله تعالى والذاريات فالحاملات فالجاريات فالمقسمات
وفي قوله والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين وباربعة احرف كما في المص
والمر ووقع بخمسة امور كما في قوله تعالى والطور وكتاب مسطور والبيت المعمور والسقف
المرفوع والبحر المسجور وفي قوله والمرسلات فالعاصفات والناشرات فالفارقات
فالملقيات وفي والنازعات وفي والفجر وبخمسة احرف كما في كهيعص وحمعسق ولم يقسم
باكثر من خمسة اشيا الا في سورة واحدة وهي والشمس وضحاها ولما اقسم بالاشيا المعهودة ذكر
حرف القسم وهو الواو فقال والطور والنجم والشمس وعند القسم بالحروف لم يذكر حرف القسم
فلم يقل وق وحم لان القسم لما كان بنفس الحروف كان الحرف مقسما فلم يورده في موضع كونه الة
القسم تسوية بين الحروف **فصل** اقسم الله بالاشيا المركبة ولم يدخل القسم بالحروف
في اثنا السور لانه يخل بالنظم كالتين والطور ولم يقسم باصولها وهي الجواهر المفردة كالما
والتراب واقسم بالحروف من غير تركيب لان الاشيا حسن القسم عند تركيبها يكون على احسن حالها
واما الحروف ان ركبت بمعنى يقع الحلف بمعناه لا باللفظ كقولنا والسما والارض وان ركبت
لا لمعنى فكان المفرد اشرف فاقسم بمفردات الحروف **فصل** هذه السورة تقرا في صلوة
العيد لقوله تعالى فيها ذلك يوم الخروج وقوله وكذلك الخروج وقوله ذلك حشر علينا يسير فان
العيد يوم الزينة فينبغي ان لا ينسى الانسان خروجه الى عرصات الحساب ولا يكون في ذلك اليوم
فرحا فخورا ولا يرتكب فسقا وفجورا **فصل** والعامة على سكون القاف وقد

تقدم وقرأها عيسى وكسرها الحسن وابن ابي اسحق وضمها هرون وابن السميفع وقد مضى توجيه ذلك
وهو ان الفتح يحتمل البنا على الفتح للتخفيف او يكون منصوبا بفعل مقدر ومنع الصرف او مجرورا
بحرف قسم مقدر وبنا منع الصرف ايضا والضم على انه خبر مبتدأ او خبر ومنع الصرف ايضا قال ابن الخطيب
واما القراءة فيها فان قلنا هي تنبيه على ما بينا فحقها الوقف اذ لا عامل فيها ويجوز الكسر حذرا من
التقا الساكنين ويجوز الفتح اختيارا للاخف **فان قيل** كيف جاز اختيار الفتح ههنا
ولم يجز عند التقا الساكنين اذا كان احدهما اخر كلمة والاخر اول كلمة اخرى كقوله لم يكن الذين
كفروا ولا تطرد الذين نقول لان هناك انما وجب التحريك لان الكسرة في الفعل تشبه حركة الاعراب
لان الفعل لما كان محلا للرفع والنصب ولا يوجد فيه الجر اختير الكسرة التي لا تخفى على احد انها
ليست بجر ولو فتح لاشتبه بالنصب واما في اخر الاسما فالاشتباه لازم لان الاسم محل يرد
عليه الحركات الثلاث فلم يمكن الاحتراز فاختاروا الاخف وان قلنا انها حرف مقسم به
فحقها الجر ويجوز النصب على انه مفعول باقسم على وجه الاتصال وتقديره اتيا كان لم يوجد
وان قلنا هي اسم للسورة فان قلنا مقسم بها مع ذلك ففيها الفتح لانها لا تنصرف حينئذ
فتفتح في موضع الجر كما تقول وابرهيم واحمد اذا اقسمت بهما وان قلنا ليس مقسما بها فان قلنا
هي اسم السورة فحقها الرفع ان جعلناها خبرا تقديره هذه ق وان قلنا هو من قفا يقفوا
فحقه التنوين كقولنا هذا داع وراع وان قلنا اسم جبل فالجر والتنوين ان كان قسما **قوله**
والقران المجيد قسم وفي جوابه اوجه احدها انه قوله قد علمنا ما تنقص الارض الثاني ما
بعده القول الثالث ما يلفظ من قول الرابع ان في ذلك لذكرى الخامس بل عجبوا وهو
قول كوفي قالوا لانه بمعنى قد عجبوا السادس انه محذوف فقدره الزجاج والاخفش والمبرد
لتبعثن وغيرهم لقد جئتهم منذرا واعلم ان جوابات القسم سبعة ان المشددة كقوله
والعصر ان الانسان وما النافية كقوله والضحى ما ودعك ربك واللام المفتوحة كقوله
فوربك لنسئلنهم وان الخفيفة كقوله تالله ان كنا لفي ضلال ولا النافية كقوله واقسموا بالله
جهد ايمانهم لا يبعث الله وقد كقوله والشمس وضحاها قد افلح وبل كقوله والقران المجيد بل
عجبوا **والمجيد** العظيم وقيل المجيد الكثير الكرم فان قلنا المجيد العظيم فلان القران
عظيم الفائدة ولانه ذكر الله العظيم وذكر العظيم عظيم ولانه لم يقدر عليه احد من الخلق
وقال تعالى ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم ولا يبدل ولا يغير ولا ياتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه وان قلنا المجيد هو الكثير الكرم فالقران كريم كل من طلب
منه مقصودا وجده ويغني كل من لاذ به واغنا المحتاج غاية الكرم **فان قيل** القران
مقسم به فما المقسم عليه فالجواب ان المقسم عليه اما ان يفهم بقرينة حالية او قرينة مقالية
والمقالية اما ان تكون متقدمة على المقسم به او متاخرة فان فهم من قرينة مقالية
متقدمة فلا يتقدم هنا لفظا الا ق فيكون التقدير هذا ق والقران او ق انزلها الله
تعالى والقران كقولك هذا حاتم والله اي هو المشهور بالسخا وتقول الهلال والله اي رايته
والله وان فهم من قرينة مقالية متاخرة فذلك امران احدهما ان التقدير والقران المجيد
انك لمنذر او والقران المجيد ان الرجع لكاين لان كلا الامرين ورد ظاهرا اما الاول فقوله
تعالى يس والقران الحكيم الى ان قال لتنذر قوما واما الثاني فقوله تعالى والطور وكتاب
مسطور الى ان قال ان عذاب ربك لواقع قال ابن الخطيب وهذا الوجه يظهر غاية
الظهور على قول من قال ق اسم جبل فان القسم يكون بالجبل والقران وهناك اقسم بالطور والكتاب
المسطور وهو الجبل والقران وان فهم بقرينة حالية فهو كون محمد عليه السلام على الحق فان الكفار

كانوا ينكرون ذلك **قوله** بل عجبوا يقتضي ان يكون هناك امر مضروب عنه فما ذلك واجاب
الواحدي ووافقه الزمخشري انه تقديره كانه قال ما الامر كما يقولون قال ابن الخطيب والتقدير
والقران المجيد انك لمنذر فكانه قال بعده انهم شكوا فيه ثم اضرب عنه وقال بل عجبوا اي فلم
يكتفوا بالشك ولا بالرد حتى عجبوا بل جزموا بالخلاف حتى جعلوا ذلك من الامور العجيبة
فان قيل فالحكمة في هذا الاختصار العظيم في موضع واحد حذف المقسم عليه
والمضروب عنه واتى بامر لا يفهم الا بعد الفكر العظيم ولا يفهم مع الفكر الا بالتوفيق العزيز قال
ابن الخطيب اما حذف المقسم عليه فلان الترك في بعض المواضع يفهم منه ظهور لا يفهم من
الذكر لان من ذكر الملك العظيم في مجلس واثنى عليه يكون قد عظمه فاذا قال له غيره هو لا يذكر
في هذا المجلس يكون بالارشاد الى ترك الذكر دالا على عظمة فوق ما استفيد بذكره فالله تعالى
ترك المقسم عليه لبيان انه اظهر من ان يذكر واما حذف المضروب عنه فلان المضروب عنه اذا ذكر
واضرب عنه بامر اخر وكان بين المذكورين تفاوت ما فاذا عظم التفاوت لا يحسن ذكرهما
مع الاضراب مثاله يحسن ان يقال الوزير يعظم فلانا بل الملك يعظمه ولا يحسن ان
يقال البواب يعظم فلانا بل الملك يعظمه لكون البون بينهما بعيدا اذ الاضراب للتدريج
فاذا ترك المتكلم المضروب عنه صريحا واتى بحرف الاضراب استفيد منه امران احدهما الاشارة
الى امر اخر قبله مضربا عنه والثاني عظم التفاوت بينهما كذلك لان الشك بعد قيام
البرهان بعيد لكن القطع بخلافه في غاية ما يكون من البعد فالعجب منه ابعد **قوله**
ان جاءهم فيه سؤال وهو ان مع الفعل يتقدر بالمصدر تقول امرت بان اقوم وامرت بالقيام
واذا كان كذلك فلم ترك الاتيان بما هو في معنى المصدر ما يجب ذكره عند الاتيان بالمصدر
حيث جاز ان يقال امرت ان اقوم من غير با ولا يجوز ان يقول امرته القيام بل لابد من البا ولذلك
قال عجبوا ان جاءهم ولا يجوز ان يقال عجبوا مجيئه بل لابد من قولك عجبوا من مجيئه والجواب ان
قوله ان جاءهم وان كان في المعنى قائما مقام المصدر لكنه في الصورة تقديره وحروف التعدية
كلها حروف جارة والجار لا يدخل على الفعل فكان الواجب ان لا يدخل فلا اقل من ان يجوز الدخول
فجاز ان يقال عجبوا ان جاءهم ولا يجوز عجبوا مجيئهم لعدم جواز ادخال الحرف عليه **قوله** منهم
اي يعرفون نسبه وصدقه وامانته وهذا يصلح ان يكون مذكورا للتقرير تعجبهم ويصلح
ان يكون مذكورا للابطال تعجبهم اما وجه تقرير تعجبهم فلانهم كانوا يقولون ابشرا منا واحدا نتبعه
وقالوا ما انتم الا بشر مثلنا وذلك اشارة الى انه كيف يجوز اختصاصكم بهذه المنزلة الرفيعة
مع اشتراكنا في الحقيقة واللوازم واما تقرير الابطال فلانه اذا كان واحدا منهم ويرى
بين اظهرهم وظهر منهم ما عجزوا عنه كلهم ومن بعدهم فكان يجب عليهم ان يقولوا هذا ليس من
عنده ولا من عند احد من جنسنا فهو من عند الله بخلاف ما لو جاءهم واحد من خلاف جنسهم واتى
بما يعجزون عنه فانهم كانوا يقولون نحن لا نقدر على ذلك لان لكل نوع خاصية كما ان النعامة
تبلع النار والطير ان وابن ادم لا يقدر على ذلك **قوله** فقال الكافرون هذا شي عجيب
قال الزمخشري هذا تعجب اخر من امر اخر وهو الحشر الذي اشار اليه بقوله اذا متنا وكنا
ترابا ذلك رجع بعيد فتعجبوا من كونه منذرا ومن وقوع الحشر ويدل عليه قوله في اول ص وعجبوا
ان جاءهم منذر منهم وقال اجعل الالهة الها واحدا ان هذا الشي عجاب فذكر تعجبهم مرتين
قال ابن الخطيب والظاهر ان قولهم هذا اشارة الى مجي المنذر لا الى الحشر لان هناك ذكر ان هذا الشي
عجاب بعد الاستفهام الانكاري فقال اجعل الالهة الها واحدا ان هذا الشي عجاب وقال ههنا هذا
شي عجيب ولم يكن هناك ما تقع الاشارة اليه الا مجي المنذر ثم قالوا اذا متنا وايضا ان ههنا وصف

بعد الاستبعاد بالاستفهام امر يؤدي معني التعجب وهو قولهم ذلك رجع بعيد فانه استبعاد وهو كالتعجب فلو كان التعجب ايضا عايدا اليه لكان كالتكرار **فان قيل** التكرار الصريح يلزم من قولك هذا شيء عجيب انه يعود الي مجيء المنذر فانه تعجبهم منه علم من قوله وعجبوا ان جاءهم فقوله هذا شيء عجيب يكون تكرارا نقول ذلك ليس بتكرار بل هو تقرير لانه لما قال بل عجبوا بصيغة الفعل وجاز ان يتعجب الانسان مما لا يكون عجبا كقوله تعالي اتعجبين من امر الله ويقال في العرف لا وجه لتعجبك مما ليس بعجب فكانهم لما عجبوا قيل لهم لا معني لتعجبكم فقالوا هذا شيء عجيب فكيف لا نعجب منه ويدل علي ذلك قوله تعالي ههنا فقال الكافرون هذا شيء عجيب بحرف الفاء وقال في ص وقال الكافرون هذا ساحر بحرف الواو فكان نعتا غير مرتب علي ما تقدم وهنا شيء عجيب امر مرتب علي ما تقدم اي لما عجبوا انكروا عليهم ذلك فقالوا هذا شيء عجيب كيف لا نعجب منه ويدل عليه ايضا قوله تعالي ذلك رجع بعيد بلفظ الاشارة الي البعيد وقوله هذا ساحر اشارة الي الحاضر القريب فينبغي ان يكون المشار اليه بذلك غير المشار اليه بهذا وذلك لا يصح الا علي قولنا **قوله** ايذا متنا قرا العامة بالاستفهام وابن عامر في رواية وابو جعفر والاعمش والاعرج بهمزة واحدة فيحتمل الاستفهام كالجمهور وانما حذف الاداة للدلالة وتحتمل الاخبار بذلك والناصب للظرف في قراءة الجمهور مقدر اي انبعث او نرجع اذا متنا وجواب اذا علي قراءة الخبر محذوف اي رجعنا وقيل قوله ذلك رجع علي حذف الفاء وهذا راي بعضهم والجمهور لا يجوز ذلك الا في شعر وقال الزمخشري ويجوز ان يكون الرجع بمعني المرجوع وهو الجواب ويكون من كلام الله تعالي استبعادا لانكارهم ما انذروا به من البعث والوقف علي ما قبله علي هذا التفسير حسن **فان قيل** فما ناصب الظرف اذا كان الرجع بمعني المرجوع فالجواب ما دل عليه المنذر من المنذر به وهو البعث **فصل** قال ابن الخطيب ذلك اشارة الي ما قاله وهو الانذار وقوله هذا شيء عجيب اشارة الي المجيء علي ما بينا فلما اختلف الصيغتان نقول المجيء والجائي كل واحد حاضر واما الانذار وان كان حاضرا لكن المنذر به كان خارجا علي الحاضر فقالوا فيه ذلك والرجوع مصدر رجع يرجع اذا كان متعديا والرجوع مصدره اذا كان لازما وكذلك الرجعي مصدر عند لزومه والرجوع ايضا يصح مصدرا للازم فيحتمل ان يكون المراد بقوله ذلك رجع بعيد اي رجوع بعيد ويحتمل ان يكون المراد الرجعي المتعدي ويدل علي الاول قوله تعالي ان الي ربك الرجعي وعلي الثاني قوله تعالي انا لمردودون في الحافرة اي مرجوعون فانه من الرجوع المتعدي فان قلنا هو من المتعدي فقد انكروا كونه مقدورا في نفسه **فصل** قال المفسرون تقديره ايذا متنا وكنا ترابا نبعث ترك ذكر البعث لدلالة الكلام عليه ذلك رجع اي رد الي الحياة بعيد غير كاين اي بعيد ان نبعث بعد الموت **قوله** قد علمنا ما تنقص الارض منهم اي تاكل من لحومهم ودمايهم وعظامهم لا يعزب عن علمه شيء وقال السدي هو الموت يقول قد علمنا من يموت منهم ومن يبقي وهذه الاية تدل علي جواز البعث وقدرته تعالي عليه لان الله تعالي عالم باجزا كل واحد من الموتي لا يشتبه عليه جزء واحد بجزء الاخر وقادر علي الجمع والتاليف فليس الرجع منه ببعيد وهذا كقوله تعالي وهو الخلاق العليم حيث جعل للعلم مدخلا في الاعادة وهذا جواب ما كانوا يقولون ايذا ضللنا في الارض اي انه تعالي كما يعلم اجزاءهم يعلم اعمالهم فيجازيهم وينبيهم بما كانوا يقولون وبما كانوا يعملون **قوله** وعندنا كتاب حفيظ اي محفوظ من الشياطين ومن ان يدرس او يتغير وهو اللوح المحفوظ وقيل معناه حافظ لعدتهم واسمايهم واعمالهم قال ابن الخطيب وهذا هو الاصح لان الحفيظ بمعني الحافظ وارد في القران قال تعالي وما انت عليهم بحفيظ وقال الله حفيظ عليهم ولان الكتاب للتمثيل ومعناه العلم عندي كما يكون في الكتاب فهو يحفظ الاشيا وهو مستغن عن ان تحفظ **قوله**

بل كذبوا هذا الاضراب ثان قال الزمخشري اضراب اتبع للاضراب الاول للدلالة علي انهم جاءوا بما هو افظع من تعجبهم وهو التكذيب بالحق وقال ابو حيان وكان هذا الاضراب الثاني بدلا من الاول قال شهاب الدين واطلاق مثل هذا في كتاب الله لا يجوز البتة وقيل قبل هذه الاية جملة مضرب عنها تقديرها ما اجادوا النظر بل كذبوا وما قاله الزمخشري احسن **فصل** في المضروب عنه وجهان احدهما انه الشك تقديره والقران المجيد انك لمنذر وانهم شكوا فيك بل عجبوا بل كذبوا الثاني تقديره لم يكذب المنذر بل كذبوهم وفي المراد بالحق وجوه الاول البرهان القايم علي صدق الرسول الثاني الفرقان المنزل وهو قريب من الاول لانه برهان الثالث النبوة الثابتة بالمعجزة القاهرة فانها حق الرابع الحشر الذي لا بد من وقوعه فهو حق **فان قيل** ما معني الباء في قوله تعالي بالحق وايه حاجة اليها يعني ان التكذيب متعد بنفسه فهل هي للتعدية الي مفعول ثان او هي زايدة كما هي في قوله تعالي فستبصر ويبصرون بايكم المفتون فالجواب انها في هذا الموضع لاظهار التعدية لان التكذيب هو النسبة الي الكذب لكن النسبة توجد تارة في القايل واخري في القول تقول كذبني فلان وكنت صادقا وتقول كذب فلان قولي ويقال كذبه اي جعله كاذبا ويقول قلت لفلان زيد يجيء غدا فتاخر عمدا حتي كذبني او كذب قولي والتكذيب في القايل يستعمل بالباء وبدونها قال تعالي كذبت ثمود المرسلين وقال كذبت ثمود بالنذر وفي القول كذلك غير ان الاستعمال في القايل بدون الباء اكثر وقال تعالي فكذبوه فعقروها وقال فكذبوك فقد كذبت رسل وفي القول الاستعمال بالباء اكثر قال تعالي كذبوا باياتنا وقال كذبوا بالحق وقال وكذب بالصدق والتحقيق فيه ان الفعل المطلق هو المصدر لانه هو الذي يصدر من الفاعل فان من ضرب لم يصدر منه غير الضرب غير ان له محلا يقع فيه يسمي مضروبا ثم ان كان ظاهرا لكونه محلا للفعل يستغني بظهوره عن الحرف فيتعدي من غير حرف يقال ضربت عمرا وشربت ماء للعلم بان الضرب لا بد له من محل يقوم به وكذلك الشرب لا يستغني عن مشروب يتحقق فيه فاذا قلت مررت يحتاج الي الحرف ليظهر معني التعدية لعدم ظهوره في نفسه لان قولك مر السحاب يفهم منه مرور ولا يفهم منه مترتبة ثم ان الفعل قد يكون في الظهور دون الضرب والشرب وفي الخفا فوق المرور فيجوز الاتيان فيه بدون الحرف للظهور الذي فوق ظهور المرور ومع الحرف لكون الظهور دون ظهور الضرب ولهذا لا يجوز ان يقول ضربت بعمرو الا اذا جعلته آلة الضرب اما اذا ضربته بسوط او غيره لا يجوز فيه زيادة الباء ولا يجوز في مررته الا مع الاشتراك وتقول مسحته ومسحت به وشكرته وشكرت له لان المسح امرار اليد بالشيء فصار كالمرور والشكر فعل جميل غير انه يتبع المحسن فالاصل في الشكر الفعل الجميل وكونه واقعا لغيره كالتبع بخلاف الضرب فانه امساس جسم بجسم بعنف فالمضروب داخل في مفهوم الضرب اولا والمشكور داخل في مفهوم الشكر ثانيا واذا عرف هذا فالتكذيب في القايل ظاهر لانه هو الذي يصدق او يكذب وفي القول غير ظاهر فكان الاستعمال فيه بالباء اكثر والباء فيه لظهور معني التعدية **قوله** لما جاءهم العامة علي تشديد لما وهي اما حرف وجوب لوجوب او ظرف بمعني حين كما تقدم وقرا الجحدري بكسر اللام وتخفيف الميم علي انها لام الجر دخلت علي ما المصدرية وهي نظير قولهم كتبته لخمس خلون تقديره كذبوا بالحق لما جاءهم اي لم يتفكروا الي التفكر والتدبر اي عندما **قوله** فهم في امر مريج اي مختلط قال ابو واقد

ومرج الدين فاعددت له ∗ مشرف الاقطار محبوك الكتد ∗

وقال اخر ∗

فجالت والتمست به حشاها ∗ فخر كانه خوط مريج ∗

واصله من الحركة والاضطراب ومنه مرج

الخاتم في اصبعه وقال سعيد بن جبير ومجاهد ملتبس **فصل** قال قتادة معناه من ترك
الحق مرج عليه امره والتبس عليه دينه وقال الحسن ما ترك قوم الحق الا مرج امرهم وقال الزجاج
معنى اختلاط امرهم قولهم يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم مرة شاعر ومرة ساحر ومرة معلم
ومرة كاهن ومرة مفتر ومرة ينسبونه الى الجنون فكان امرهم مختلطا ملتبسا عليهم ثم ذكر الدليل
الذي يرفع قولهم ذلك رجع بعيد فقال افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها بغير عمد
وزيناها بالكواكب وهو نظير قوله تعالى وليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق
مثلهم وقوله تعالى اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن بقادر على ان
يحيي الموتى **قوله** افلم الهمزة للاستفهام واعلم ان همزة الاستفهام تارة تدخل على الكلام بغير
واو وتارة تدخل ومعها واو والفرق بينهما ان قولك ازيد في الدار بعد وقد طلعت الشمس ذكر
للانكار فاذا قلت او زيد في الدار بعد وقد طلعت الشمس تشير بالواو الى ان قبح فعله صار بمنزلة
فعلين قبيحين لان الواو تنبي عن سبق امر مغاير لما بعدها وان لم يكن هناك سبق لكنك تاتي
بالواو زيادة في الانكار **فان قيل** كيف اتى ههنا بالفا فقال افلم وفي موضع اخر
بالواو فالجواب ههنا سبق منهم انكار الرجع فقال بحرف التعقيب لمخالفة لما قبل **فان قيل**
وفي يس سبق ذلك بقوله قال من يحيي العظام فالجواب ان هناك الاستدلال ما سبق ثم عقب
الانكار بل استدل بدليل اخر وهو قوله قل يحييها الذي انشاها اول مرة ثم ذكر الدليل الاخر وههنا
الدليل كان عقيب انكارهم فذكر بالفا **فان قيل** كيف قال ههنا بلفظ النظر
وفي الاحقاف بلفظ الرؤية فالجواب انهم ههنا لما استبعدوا امر الرجع بقولهم ذلك رجع بعيد
استبعد استبعادهم فقال افلم ينظروا لان النظر دون الرؤية فكان النظر كافيا في حصول
العلم بامكان الرجع ولا حاجة الى الرؤية ليقع الاستبعاد في مقابلة الاستبعاد وهناك لم يوجد
منهم انكار فارشدهم اليه بالرؤية التي هي اتم من النظر **قوله** الى السماء فوقهم فقوله فوقهم حال
من السماء وهي مؤكدة وكيف منصوبة بما بعدها وهي معلقة للنظر قبلها **فان قيل**
كيف قال الى السماء ولم يقل في السماء فالجواب لان النظر في الشيء ينبي عن التامل والمبالغة والنظر الى الشيء لا
ينبي عنه لان الى للغاية ينتهي النظر عنده في الدخول في معنى الظرف فاذا انتهى النظر اليه ينبغي ان ينفذ
فيه حتى يصح معنى الظرفية **قوله** وما لها من فروج اي شقوق وفتوق وصدوع واحدها
فرج والارض مددناها بسطناها على وجه الماء والقينا فيها رواسي جبالا ثوابت وانبتنا فيها
من كل زوج بهيج حسن كريم يبتهج به اي يسر **قوله** تبصرة العامة على نصبها على المفعول من اجله
اي تبصيرا امثالهم وتذكيرا امثالهم وقيل منصوبان بفعل من لفظهما مقدر اي بصرهم تبصرة وذكرهم
تذكرة وقيل حالان اي مبصرين مذكرين وقيل حال من المفعول اي ذات تبصير وتذكير لمن يراها
وزيد بن علي بالرفع وقرا وذكرى اي هي تبصرة وذكر والمجرور اما صفة واما متعلق بنفس المصدر
وقال البغوي تبصرا وتذكيرا **فصل** قال ابن الخطيب يحتمل ان يكون الامران عايدين
الى السماء والارض اي خلق السماء تبصرة وخلق الارض ذكرى ويدل على ذلك ان السماء وزينتها مستمرة
غير متجددة في كل عام فهي كالشيء المرئي على مرور الزمان واما الارض فهي كل سنة تاخذ زخرفها
فتذكر فالسماء تبصرة والارض تذكرة ويحتمل ان يكون كل واحد من الامرين موجودا في كل واحد
من الامرين فالسماء تبصرة وتذكرة والارض كذلك والفرق بين
التبصرة والتذكرة هو ان فيها ايات مستمرة منصوبة في مقابلة البصاير وايات متجددة مذكرة
عند التناسي **قوله** لكل عبد منيب اي لتبصير وتذكير كل عبد منيب اي راجع الى التفكر
والتذكر والنظر في الدلايل **قوله** ونزلنا من السماء ماء مباركا كثير الخير وفيه حياة كل

شي

شي وهو المطر فانبتنا به جنات وحب الحصيد يعني البر والشعير وساير الحبوب التي تحصد فقوله
وحب الحصيد يجوز ان يكون من باب حذف الموصوف للعلم به تقديره وحب الزرع الحصيد
نحو مسجد الجامع وبابه وهذا مذهب البصريين لئلا يلزم اضافة الشيء الى نفسه ويجوز ان يكون من
باب اضافة الموصوف الى صفته لان الاصل والحب الحصيد اي المحصود **فصل** هذا
دليل اخر وهو ما بين السماء والارض فيكون الاستدلال بالسماء والارض وما بينهما وهو انزال الماء من
فوق واخراج النبات من تحت **فان قيل** هذا الاستدلال قد تقدم في قوله تعالى
وانبتنا فيها من كل زوج بهيج فما الفايدة في اعادة قوله فانبتنا به جنات وحب الحصيد
فالجواب ان قوله وانبتنا اشارة الى جعلها محلا للنبات الكرم والشجر وغيرهما وقوله وانبتنا
استدلال بنفس النبات اي الاشجار تنمو وتزيد فكذلك بدن الانسان بعد الموت ينمو ويزيد
اي يرجع الله اليه قوة النشو والنما كما يعيدها الى الاشجار بواسطة ماء السماء **قوله** والنخل
باسقات والنخل منصوب عطفا على مفعول انبتنا اي وانبتنا النخل وباسقات حال وهي حال مقدرة
لانها وقت الانبات لم تكن طوالا والبسوق الطول يقال بسق فلان على اصحابه اي طال عليهم في الفضل
ومنه قول ابن نوفل في ابن هبيرة * يا ابن الذين بمجدهم بسقت قيس فزاره * وهو استعارة والاصل
استعماله في بسقت النخلة تبسق بسوقا اي طالت قال الشاعر
* لنا خمر وليست خمر كرم * ولكن من نتاج الباسقات * كرام في السماء ذهبن طولا * وفات ثمارها ايدي الجناة
وبسقت الشاة ولدت وابسقت الناقة وقع في ضرعها اللبا قبل النتاج وفوق هذا سوق من
ذلك قال مجاهد وقتادة وعكرمة معنى باسقات اي طوالا وقال سعيد بن جبير مستويات
والعامة على السين في باسقات وقرا قطبة بن مالك ويرويها عن النبي صلى الله عليه وسلم باصقات
بالصاد وهي لغة لبني العنبر يبدلون السين صادا قبل القاف والعين والخاء والطاء اذا وليتها او فصلت
منها بحرف او حرفين **قوله** لها طلع يجوز ان تكون الجملة حالا من النخل او من الضمير في باسقات
ويجوز ان يكون الحال وحده لها وطلع فاعل به ونضيد بمعنى منضود بعضه فوق بعض في كمامه
كما في سنبلة الزرع وهو عجيب فان الاشجار الطوال ثمارها بارزة بعضها على بعض لكل واحدة
منها اصل تخرج منه كالجوز واللوز وغيرهما والطلع كالسنبلة الواحدة تكون على اصل واحد
قوله رزقا يجوز ان يكون حالا اي مرزوقا للعباد اي ذا رزق وان يكون مصدرا من
معنى انبتنا لان انبات هذه رزق فكانه قال انبتناها انباتا للعباد ويجوز ان يكون مفعولا له
وللعباد اما صفة واما متعلق بالمصدر واما مفعول للمصدر واللام زايدة اي رزقا العباد
فصل قال ابن الخطيب ما الحكمة في قوله عند ذكر خلق السماء والارض تبصرة وذكرى
وفي الثمار قال رزقا والثمار ايضا فيها تبصرة وفي السماء والارض ايضا منفعة غير التبصرة والتذكرة
فنقول فيه وجوه احدها ان الاستدلال وقع لوجود امرين احدهما الاعادة والثاني البقاء بعد
الاعادة فان النبي عليه السلام كان يخبرهم بحشر وجمع يكون بعده الثواب الدايم وانكروا ذلك
فقال اما الاول فالله القادر على خلق السموات والارض قادر على خلق الخلق بعد الفنا واما
الثاني فلان البقاء في الدنيا بالرزق والقادر على اخراج الارزاق من النخل والشجر قادر على ان
يرزق بعد الحشر فكان الاول تبصرة وتذكرة بالخلق والثاني تذكرة بالبقاء بالرزق ويدل على
هذا الفصل بينهما بقوله تعالى تبصرة وذكرى حيث ذكر ذلك بين الايتين ثم بدا بذكر الماء وانزاله
وانبات النبات ثانيها منفعة الثمار الظاهرة وهي الرزق فذكرها ومنفعة السماء الظاهرة
ليست امرا عايدا الى انتفاع العباد لبعدها عن ذهنهم حتى انهم لو توهموا عدم الزرع والثمر
لظنوا ان يهلكوا ولو توهموا عدم السماء فوقهم لقالوا لا يضرنا ذلك مع ان الامر بالعكس اولى لان السماء

سبب الارزاق بقدرة الله تعالى وفيها منافع غير ذلك والثمار وان لم تكن كان العيش كما انزل
الله على قوم المن والسلوى وعلى قوم المائدة من السما فذكر الاظهر للناس في هذا الموضع ثم انها
قوله رزقا اشارة الى كونه منعما ليكون تكذيبهم في غاية القبح فانه يكون اساءة بالمنعم وهو اقبح ما
يكون **فصل** قال تبصرة وذكرى لكل عبد منيب فقيد العبد بكونه منيبا لان العبودية
حصلت لكل احد غير ان المنيب ياكل ذاكرا شاكرا للانعام وغيره ياكل كما تاكل الانعام فلم
يخصص بقيد **قوله** فاحيينا به اي بالماء بلدة ميتا ولم يؤنث حملا على معنى
المكان والعامة على التخفيف وابو جعفر وخالد بالتثقيل **فان قيل** ما الفرق بين
هذا الموضع وبين قوله واية لهم الارض الميتة حيث اثبت الها هناك فالجواب ان الاصل
في الارض الوصف فيقال الميتة لان معنى الفاعلية ظاهر هناك والبلدة الاصل فيها الحياة
لان الارض اذا صارت حية صارت اهله واقام بها القوم وعمروها فصارت بلدة فاسقط
الهاء لان معنى الفاعلية ظاهر فتثبت فيه الها واذا كان معنى الفاعل لم يظهر لا يثبت فيه
الها وتحقيق هذا قوله بلدة طيبة حيث اثبت الها حيث ظهر معنى الفاعل ولم يثبت حيث لم
يظهر **قوله** كذلك الخروج اي من القبور اي كالاحيا الخروج **فان قيل**
الاحيا شبه به الاخراج لا الخروج فالجواب تقديره احيينا به بلدة ميتا فتشققت
وخرج منها النبات كذلك تتشقق وتخرج منها الاموات قال ابن الخطيب وهذا يؤكد قولنا ان
الرجع بمعنى الرجوع في قوله ذلك رجع بعيد لانه تعالى بين لهم ما استبعدوه فلو استبعدوا
الرجع الذي هو من المتعدي لناسبه ان يقول كذلك الاخراج فلما قال كذلك الخروج فهم انهم
انكروا الرجوع فقال كذلك الرجوع والخروج **قوله تعالى** كذبت قبلهم قوم نوح الاية
ذكر المكذبين تذكيرا لهم بحالهم وانذارهم باهلاكهم وفيه تسلية للرسول وتنبيه بان حالة
كحال من تقدمه من الرسل كذبوا وصبروا فاهلك الله مكذبيهم ونصرهم والمراد باصحاب
الرس قيل هم قوم شعيب وقيل هم الذين جاءهم من اقصى المدينة رجل يسعى وهم من قوم عيسى
عليه السلام وقيل هم اصحاب الاخدود والرس ما موضع نسبوا اليه او فعل وهو حفر البير
يقال رس اذا حفر بيرا وقد تقدم في الفرقان وقال ههنا قوم نوح وقال اخوان لوط لان لوطا
كان مرسلا الى طايفة من قوم ابرهيم هم معارف لوط ونوح كان مرسلا الى خلق عظيم وقال
فرعون ولم يقل قوم فرعون وقال قوم تبع لان فرعون كان هو المغتر المستبد بامره وتبع كان
معتضدا بقومه فجعل الاعتبار لفرعون وخصه بالذكر وتبع هو تبع الحميري واسمه سعد
ابو كرب قال قتادة ذم الله قوم تبع ولم يذمه وتقدم ذكره في سورة الدخان **قوله**
الايكة تقدم الكلام عليها في الشعرا وقرا ههنا ليكة بزنة ليلة ابو جعفر وشيبة وقال ابو حيان
وقرا ابو جعفر وشيبة وطلحة ونافع الايكة بلام التعريف والجمهور ليكة وهذا الذي نقله غفلة
منه بل الخلاف المشهور انما هو في سورة الشعرا وص كما تقدم تحقيقه واما ههنا فالجمهور على لام التعريف
قوله كل التنوين عوض من المضاف اليه وكلا بعض النحاة يجيز حذف تنوينها وبنايها على
الضم كالغاية نحو قبل وبعد واللام في الرسل قيل لتعريف العهد اي كل واحد كذب رسوله فهم
كذبوا الرسل والصحيح انها لتعريف الجنس وهو ان كل واحد كذب جميع الرسل وذلك على وجهين احدهما
ان المكذب للرسول مكذب لكل الرسل وثانيهما ان المذكورين كانوا منكرين للرسالة والحشر
بالكلية **قوله** فحق وعيد اي وجب لهم عذابي اي ما اوعد الله من نصرة الرسل عليهم واهلاكهم
قوله افعيينا العامة على يا مكسورة بعدها يا ساكنة وقرا ابن ابي عبلة افعينا بتشديد
اليا من غير اشباع وهذه القراة على اشكالها قراها الوليد بن مسلم وابو جعفر وشيبة ونافع في رواية

ودروي

وروى ابن خالويه عن ابن ابي عبلة افعيينا كذلك لكنه اتى بعد اليا المشددة بياء اخرى ساكنة
وخرجها ابو حيان على لغة من يقول في عيي عي وفي حيي حي بالادغام ثم لما اسند هذا الفعل وهو
مدغم اعتبر لغة بكر بن وايل وهو انهم لا يفكون الادغام في مثل هذا اذا اسند واذلك الفعل المدغم
لتا المتكلم ولا احدى اخواتها التي تسكن لها لام الفعل فيقولون في رد ردت ردت وردنا قال وعلى هذه
اللغة تكون اليا مفتوحة ولم يؤثر توجيه القراءة الاخرى وتوجيهها انها من عيا يعيي كحلي يحلي
فصل ومعنى افعيينا بالخلق الاول اي اعجزنا حين خلقناهم اولا فنعيا بالاعادة وهذا
تقريع لهم لانهم اعترفوا بالخلق الاول وانكروا البعث ويقال لكل من عجز عن شي عيي به بل هم في لبس اي
شك من خلق جديد وهو البعث والمراد بالخلق الاول قبل خلقهم ابتدا لقوله تعالى ولئن سالتهم
من خلقهم ليقولن الله وقيل هو خلق السموات لانه هو الخلق الاول فكانه تعالى قال افلم ينظروا الى
السما ثم قال افعيينا بهذا ويؤيده قوله تعالى اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم
يعي بخلقهن وقال بعد هذه الاية ولقد خلقنا الانسان وعطفه بحرف الواو على ما تقدم من الخلق
وهو بنا السموات ومد الارض وتنزيل الما وانبات الحب **فصل** عطف دلايل الافاق
بعضها على بعض بحرف الواو فقال والارض مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا ونزلنا من
السما ما ثم في الدليل النفسي ذكر حرف الاستفهام والفا بعده اشارة الى ان تلك الدلايل من جنس
وهذا من جنس فلم يجعل هذا تبعا لذلك ومثل هذا راعاه في سورة يس حيث قال اولم ير الانسان انا
خلقناه **فان قيل** لم يعطف الدليل الانفسي ههنا كما عطفه في سورة يس فالجواب
والله اعلم ان ههنا وجد منهم استبعاد بقولهم ذلك رجع بعيد فاستدل بالاكبر وهو خلق
السموات ثم نزل فكانه قال لا حاجة الى ذلك الاستدلال بل في انفسهم دليل جواز ذلك وفي سورة
يس لم يذكر استبعادهم من قبل فقصد بذلك ارشادهم لا لدفع استبعادهم فبدا بالادنى
وارتقى الى الاعلى **فصل** في تعريف الخلق الاول وتنكير خلق جديد وجهان الاول ان
الاول عرفه كل احد والخلق الجديد لم يعرفه كل احد ولم يعلم كيفيته ولان الكلام عنهم وهم
لم يكونوا عالمين بالخلق الجديد الثاني ان ذلك لبيان انكارهم للخلق الثاني من كل وجه كانهم
قالوا ايكون لنا خلق على وجه انكارا له بالكلية **قوله** ولقد خلقنا الانسان ونعلم
ما توسوس به نفسه قوله ونعلم خبر مبتدا مضمر تقديره ونحن نعلم والجملة الاسمية
حينئذ حال ولا يجوز ان يكون هو حالا بنفسه لانه مضارع مثبت باشره الواو وكذلك
قوله ونحن اقرب **فصل** اذا قلنا بان الخلق الاول هو خلق السموات فهذا ابتدا
استدلال بخلق الانسان وان قلنا بان الخلق الاول هو خلق الانسان فهذا تتميم للاستدلال
ببيان خلق الانسان اول مرة وقوله ونعلم ما توسوس به نفسه اي تحدث به قلبه ولا يخفى
علينا سرايره وضمايره ونحن اقرب اليه اي اعلم به من حبل الوريد لان ابعاضه تحجب
بعضها بعضا ولا يحجب علم الله شي وهذا بيان لكمال علمه **قوله** من حبل الوريد كقولهم
مسجد الجامع اي حبل العرق الوريد او لان الحبل اعم فاضيف للبيان نحو بناء ساجه او يراد
حبل العاتق فاضيف الى الوريد كما يضاف الى العاتق لانهما في عضو واحد قال البغوي حبل
الوريد عرق العنق وهو عرق بين الحلقوم والعلباوين يتفرق في البدن والحبل هو الوريد
فاضيف الى نفسه لاختلاف اللفظين والوريد اما بمعنى الوارد واما بمعنى المورود والوريد
عرق كبير في العنق يقال انهما وريدان قال الزمخشري عرقان مكتنفان بصفحتي العنق في
مقدمهما يتصلان بالوتين يردان من الراس اليه يسمى وريدا لان الروح ترد اليه وانشد
كان وريديه رشا خلب وقال ابرهم هو نهر الجسد هو في القلب الوتين وفي الظهر الابهر

وفي الذراع والفخذ الاكحل والنسا وفي الخنصر الاسلم **قوله** اذ يتلقى ظرف لاقرب ويجوز ان
يكون منصوبا باذكر والمعنى اذ يتلقى وياخذ الملكان الموكلان بالانسان عمله ومنطقه يحفظانه
ويكتبانه **قوله** عن اليمين وعن الشمال اي احدهما عن يمينه والاخر عن شماله فالذي
عن اليمين يكتب الحسنات والذي عن الشمال يكتب السيئات وقوله قعيد اي قاعد ويجوز ان
يكون مفردا على بابه فيكون بمعنى مُفعل كخليط بمعنى مخالط وفيه لطيفة وهي ان الله تعالى قال
ونحن اقرب اليه من حبل الوريد المخالط لاجزائه الداخل في اعضائه والملك متنح عنه فيكون
علمنا به اكمل من علم الكاتب او يكون عدل من فاعل الى فعيل مبالغة كعليم ويجوز الكوفيون
ان يكون فعيل واقعا موقع الاثنين اي او قعودا كالرسول يجعل للاثنين والجمع كما قال تعالى
في الاثنين فقولا انا رسول رب العالمين وقال المبرد الاصل عن اليمين قعيد وعن الشمال
فاخر عن موضعه وهذا الاصح من وقوع المفرد موقع المثنى والاجود ان يدعى حذف اما من
الاول اي عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد واما من الثاني فيكون قعيد الملفوظ به للاول
ومثله قوله ٭ رماني بامر كنت منه ووالدي ٭ بريا ومن اجل الطوي رماني ٭ قال
المفسرون اراد بالقعيد الملازم الذي لا يبرح لا القاعد الذي هو ضد القائم وقال
مجاهد القعيد الرصد **قوله** ما يلفظ من قول اي ما يتكلم من كلام فيلفظه اي يرميه
من فيه الا لديه رقيب حافظ عتيد حاضر وقرا العامة يلفظ بكسر الفا ومحمد بن ابي معدان
بفتحها ورقيب عتيد قيل هو بمعنى رقيبان عتيدان اسماكان قال الحسن ان الملائكة يجتنبون
الانسان على حالتين عند غائطه وعند جماعه وقال مجاهد يكتبان عليه حتى انينه في مرضه
وقال عكرمة لا يكتبان الا ما يوجر عليه او يوزر فيه وقال الضحاك مجلسهما تحت الشعر على
الحنك ومثله عن الحسن وكان الحسن يعجبه ان ينظف عنفقته روى ابو امامة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم كاتب الحسنات عن يمين الرجل وكاتب السيئات عن يسار الرجل وكاتب
الحسنات امين على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال
صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر **قوله** وجاءت
سكرة الموت اي غمرته وشدته التي تغشى الانسان وتغلب على عقله **قوله** بالحق يجوز ان
تكون الباء للحال اي ملتبسة بالحق والمعنى بحقيقة الموت ويجوز ان تكون للتعدية والمراد منه
الموت فانه حق كان شدة الموت تحضر الموت يقال جاء فلان بكذا اي احضره وقيل بالحق من
امر الاخرة حتى يتبينه الانسان ويراه بالعيان وقيل بما يؤول اليه امر الانسان من السعادة
والشقاوة وقرا عبد الله سكرات ويقال لمن جاءته سكرة الموت ذلك ما كنت منه تحيد
اي تميل من حاد عن الشي يحيد حيودا وحيودة وحيدا وقال الحسن تهرب وقال ابن عباس تكره
واصل الحيد الميل يقال حدت عن الشي احيد حيدا ومحيدا اذا ملت عنه وذلك يحتمل ان يكون
اشارة الى الموت وان يكون اشارة الى الحق والخطاب قيل مع النبي عليه السلام قال ابن الخطيب
وهو منكر وقيل مع الكافر وهو اقرب والاقوى ان يقال هو خطاب عام مع السامع **قوله**
ونفخ في الصور عطف على قوله وجاءت سكرة الموت يعني نفخة البعث ذلك يوم الوعيد الذي
وعد الكفار ان يعذبهم فيه قال الزمخشري ذلك اشارة الى المصدر الذي هو قوله ونفخ اي
وقت ذلك النفخ يوم الوعيد قال ابن الخطيب وهذا ضعيف لان يوم لو كان منصوبا لكان
ما ذكره ظاهرا واما رفع يوم فيفيد ان ذلك نفس اليوم والمصدر لا يكون نفس الزمان وانما
يكون في الزمان فالاولى ان يقال ذلك اشارة الى الزمان المفهوم من قوله ونفخ لان الفعل كما
يدل على المصدر يدل على الزمان فكانه تعالى قال ذلك الزمان يوم الوعيد والوعيد هو

الذي

الذي اوعد به من الحشر والمجازاة وقال مقاتل الوعيد هو العذاب الى يوم وقوع الوعيد **قوله**
وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد قيل السائق هو الذي يسوقه الى الموقف ومنه الى مقعده
والشهيد هو الكاتب والسائق لازم للبر والفاجر اما البر فيساق الى الجنة واما الفاجر فالى النار
قال تعالى وسيق الذين كفروا وقال وسيق الذين اتقوا والشهيد يشهد عليها بما عملت وقال الضحاك
السائق من الملائكة والشاهد من انفسهم الايدي والارجل وهي رواية العوفي عن ابن عباس
وقيل هما جميعا من الملائكة **قوله** معها سائق جملة في موضع جر صفة لنفس او في موضع رفع
صفة لكل او في موضع نصب حالا من كل والعامة على عدم الادغام في معها وطلحة على الادغام
محا بحا مشددة وذلك انه ادغم العين في الها ولا يمكن ذلك فقلب الهاء حاء ثم ادغم فيها العين
فقلبها حاء ومنع ذهب محم اي معهم وقال الزمخشري ومحل معها سائق النصب على الحال من كل
لتعرفه بالاضافة الى ما هو في حكم المعرفة ورد عليه ابو حيان وقال لا يقول هذا مبتدي في
النحو لانه لو نعت كل نفس ما نعت الا بالنكرة قال شهاب الدين وهذا منه غير مرضي اذ يعلم انه
لم يرد حقيقة ما قاله **قوله** لقد كنت اي يقال له لقد كنت والقول اما صفة او حال والعامة
على فتح التاء في كنت والكاف في غطاك وبصرك حملا على لفظ كل من التذكير والجحدري كنت بالكسر
مخاطبة للنفس وهو وطلحة بن مصرف عنك غطاك فبصرك بالكسر مراعاة للنفس ايضا ولم ينقل صاحب
اللوامح الكسر في الكاف عن الجحدري وعلى الجملة فيكون قد راعى اللفظ مرة والمعنى اخرى **فصل**
والمعنى لقد كنت في غفلة من هذا اليوم فكشفنا عنك غطاءك الذي كان في الدنيا على قلبك وسمعك
وبصرك فبصرك اليوم حديد نافذ تبصر ما كنت تنكر في الدنيا وقال مجاهد يعني نظرك على
لسان ميزانك حين يوزن حسناتك وسيئاتك والمعنى ازلنا غفلتك عنك فبصرك اليوم حديد
وكان من قبل كليلا **قوله** وقال قرينه هذا ما لدي عتيد قيل المراد بالقرين الملك الموكل
به وهو العتيد والشهيد الذي يشهد عليه هذا ما لدي عتيد يريد كتاب اعماله معدا محضرا وقيل
المراد بالقرين الشيطان الذي زين له الكفر والعصيان لقوله تعالى وقيضنا لهم قرناء
وقال نقيض له شيطانا فهو له قرين وقال تعالى فبئس القرين فالاشارة بهذا الى المسوق المرتكب
للفجور والفسوق والعتيد معناه المعتد للنار ومعناه ان الشيطان يقول هذا العاصي شيء هو
عندي معتد لجهنم اعتدته لها بالاغواء والاضلال **قوله** ما لدي عتيد يجوز ان يكون ما
نكرة موصوفة وعتيد صفتها ولدي متعلق بعتيد اي هذا شيء عتيد لدي اي حاضر عندي
ويجوز على هذا ان يكون لدي وصفا لما وعتيد صفة ثانية او خبر مبتدا محذوف اي هو عتيد
ويجوز ان يكون موصولة بمعنى الذي ولدي صلتها وعتيد خبر الموصول والموصول وصلته خبر
الاشارة ويجوز ان يكون ما بدلا من هذا موصولة كانت او موصوفة بلدي وعتيد خبر هذا وجوز
الزمخشري في عتيد ان يكون بدلا او خبرا بعد خبر او خبر مبتدا محذوف والعامة على رفعه وعبد
الله نصبه حالا والاجود حينئذ ان يكون ما موصولة لانها معرفة والمعرفة يكثر مجي الحال منها
قال ابو البقا ولو جاء ذلك في غير القران لجاز نصبه على الحال كانه لم يطلع عليها قراءة **قوله**
القيا في جهنم اختلفوا اهل التاويل فقيل هو واحد او اثنان فقيل واحد وانما اتى بضمير الاثنين دلالة على
تكرير الفعل كانه قيل الق الق وقيل اراد القين بالنون الخفيفة فابدلها الفا اجرا للوصل مجرى
الوقف ويؤيده قراءة الحسن القين بالنون وقيل العرب تخاطب الواحد مخاطبة الاثنين تاكيدا
كقوله ٭ فان تزجراني يا ابن عفان انزجر ٭ وان تدعاني احم عرضا ممنعا ٭ وقال اخر
٭ فقلت لصاحبي لا تحبسانا ٭ بنزع اصوله واجتز شيحا ٭ وتقول العرب ويحك ارحلاها وازجراها
وخذاها للواحد قال الفراء واصل ذلك ان ادنى اعوان الرجل في ابله وغنمه وسفره اثنان فجرى الكلام

الواحد على صاحبه ومنه قولهم في الشعر خليلي وقيل المامور مثنى وهذا هو الحق لان المراد ملكان يفعلان
ذلك قال الزجاج هذا امر للسايق والشهيد وقيل للمتقيين **قوله** كل كفار عنيد الكفار
يحتمل ان يكون من الكفر فيكون بمعنى شديد الكفر لان الشديد في اللفظ يدل على شدة في المعنى
ويحتمل ان يكون من الكفران فهو المنكر نعم الله مع كثرتها والعنيد فعيل بمعنى فاعل من عند عنودا
ومنه العناد والمعنى عاص معرض عن الحق قال عكرمة ومجاهد مجانب للحق معاند لله **قوله**
مناع للخير اي كثير المنع للمال والواجب من الزكوة وكل حق واجب في ماله هذا اذا قلنا ان الكفار
هو المنكر نعم الله وان قلنا هو من الكفر فهو الذي انكر دلايل وحدانية الله تعالى مع قوتها وظهورها
فكان شديد الكفر عنيدا حيث انكر الحق الواضح فهو مناع شديد المنع من الايمان فهو مناع للخير
وهو الايمان الذي هو خير محض كانه يقول كفر بالله ولم يقتنع بكفره حتى منع الخير من الغير **قوله**
معتد فان فسرنا المناع بمناع الزكوة فمعناه لم يعط الواجب وتعدى ذلك حتى اخذ الحرام
ايضا بالربا كما كان عادة المشركين وان كان المناع بمعنى منع الايمان فكانه يقول منع الايمان
ولم يقتنع به حتى تعداه واهان من آمن واذاه واعان من كفر واذاه قال المفسرون هو الظالم
الذي لا يقر بتوحيد الله وقوله مريب اي شاك في التوحيد ومعناه داخل في الريب وقيل
موقع للغير في الريب بالقاء الشبه وان قيل بان المناع مناع الزكوة فمعناه لا يعطي الزكوة لانه
في ريب من الاخرة والثواب قال ابن الخطيب وفيه ترتيب اخر وهو ان يقال هذا بيان لحال
الكافر بالنسبة الى الله والى الرسول والى اليوم الاخر فقوله كفار عنيد اشارة الى حاله مع الله يكفر به
ويعاند بانه وقوله مناع للخير معتد اشارة الى حاله مع الرسول يمنع الناس من اتباعه ومن
الانفاق في سبيله ويتعدى بالايذا وقوله مريب اشارة الى حاله بالنسبة الى اليوم الاخر
اي يرتاب فيه ولا يظن ان الساعة قايمة **فان قيل** قوله تعالى القيا في جهنم
كل كفار عنيد مناع للخير الى غير ذلك يوجب ان يكون الالقا خاصا بمن اجتمع فيه هذه
الصفات باسرها والكفر وحده كاف في ايجاب الالقا في جهنم فالجواب ان قوله كل
كفار عنيد ليس المراد منه الوصف المميز كما يقال اعط العالم الزاهد بل المراد الوصف المبين
لكون الموصوف موصوفا به اما على سبيل المدح او على سبيل الذم كقولك هذا حاتم السخي فقوله
كل كفار عنيد معناه ان الكفر عنيد ومناع للخير لان ايات الوحدانية ظاهرة ونعم الله على
عباده وافرة وهو مع ذلك عنيد ومناع للخير لانه يمدح دينه ويذم دين الحق فهو معتد ومريب
لانه يرتاب في الحشر وكل كافر فهو موصوف بهذه الصفات **قوله** الذي جعل يجوز ان يكون
منصوبا على الذم او على البدل من كل وان يكون مجرورا بدلا من كفار ومرفوعا بالابتدا والخبر
فالقياه وقيل ودخلت الفا لشبهه بالشرط ويجوز ان يكون خبر مبتدا مضمر اي هو الذي جعل ويكون
فالقياه تاكيدا وجوز ابن عطية ان يكون صفة لكفار قال من حيث يختص كفار بالاوصاف
المذكورة فجاز وصفه بهذه المعرفة وهذا امر دود وقري بفتح التنوين في مريب فرارا
من توالي اربع متجانسات **قوله** قال قرينه جاءت هذه بلا واو لانها قصد بها الاستيناف
كان الكافر قال رب هو اطغاني فقال قرينه ما اطغيته بخلاف التي قبلها فانها عطفت على
ما قبلها للدلالة على الجمع بين معناها ومعنى ما قبلها في الحصول اعني مجي كل نفس مع الملكين
وقول قرينه ما قال قال ابن الخطيب جاءت هذه بلا واو وفي الاولى بالواو العاطفة لان في
الاولى اشارة وقعت الى معنيين مجتمعين فان كل نفس في ذلك الوقت تجي ومعها سايق وشهيد
فيقول الشهيد ذلك القول وفي الثاني لم يوجد هناك معنيان مجتمعان حتى يذكر بالواو فان الفا
في قوله فالقياه في العذاب لا يناسب قوله قال قرينه ربنا ما اطغيته فليس هناك مناسبة

مقتضية للعطف بالواو **فصل** هذا جواب لكلام مقدر كان الكافر حين ما يلقى في
النار يقول ربنا اطغاني شيطاني فيقول الشيطان ربنا ما اطغيته بدليل قوله تعالى لا تختصموا
لدي لان المخاصمة تستدعي كلاما من الجانبين ونظيره قوله تعالى في سورة ص قالوا بل انتم لا مرحبا
بكم الى قوله ان ذلك لحق تخاصم اهل النار قال الزمخشري وهذا يدل على ان المراد بالقرين في الاية
المتقدمة هو الشيطان لا الملك الذي هو شهيد وقعيد وعلى هذا يكون قوله ربنا ما اطغيته
مناقضا لقوله اعتدته قال ابن الخطيب وللزمخشري ان يجيب بوجهين احدهما ان يقول ان قول
الشيطان اعتدته بمعنى زينت له الثاني ان يكون الاشارة الى حالين ففي الحالة الاولى فعلت
به ذلك اظهارا للانتقام من بني آدم وتصحيحا لقوله فبعزتك لاغوينهم اجمعين ثم اذا راى العذاب
وهو معه مشترك يقول ربنا ما اطغيته يرجع عن مقالته خوفا من العذاب وقال ابن عباس
وسعيد بن جبير ومقاتل المراد بالقرين هنا الملك اي يقول الكافر رب ان الملك زاد علي
في الكتابة فيقول الملك ربنا ما اطغيته يعني ما زدت عليه وما كتبت الا ما قال وعمل ولكن
كان في ضلال بعيد اي طويل لا يرجع عنه الى الحق **فان قيل** القايل هنا واحد وقال
ربنا ولم يقل رب مع ان في كثير من المواضع القايل واحد وقال رب كقوله قال رب ارني وقال
نوح رب اغفر لي رب لا تذر على الارض ومن رب السجن احب الي رب ابن لي عندك بيتا رب انظرني
فالجواب ان في جميع تلك المواضع القايل طالب ولا يحسن ان يقول الطالب يا رب اعطني واما عن
ان يقولا اعطنا لان كونه ربا لا يناسب تخصيص الطالب واما ههنا فالموضع موضع هيبة
وعظمة وعرض حال فقال ربنا ما اطغيته **فان قيل** ما الوجه في اتصاف الضلال
بالبعد فالجواب ان الضال يكون اكثر ضلالا عن الطريق فاذا تمادى في الضلال وبقي فيه مدة
يبعد عن المقصد كثيرا فاذا عدم الضلال قصرت الطريق عن قريب فلا يبعد عن المقصد كثيرا
فقوله ضلال بعيد وصف المصدر بما يوصف به الفاعل كما يقال كلام صادق وعيشة راضية
اي ضلال ذو بعد والضلال اذا بعد مداه ودامت الضلال فيه فيصير بينا ويظهر الضلال
لان من حاد عن الطريق وبعد عنه بعد عليه الصواب ولا يرى المقصد اذا تبين له انه ضل عن
الطريق وربما يقع في اودية وتظهر له امارات الضلال بخلاف من حاد قليلا فان الضلال
وصفه الله بالوصفين في كثير من المواضع فتارة قال في ضلال مبين واخرى في ضلال بعيد
فان قيل كيف قال ما اطغيته مع انه قال لاغوينهم اجمعين فالضلال من ثلاثة اوجه
تقدم منها وجهان في الاعتذار عما قاله الزمخشري والثالث ان المراد من قوله لاغوينهم اي لاديمنهم
على الغواية كما ان الضال اذا قال له شخص انت على الجادة فلا تتركها يقال انه يضله كذا ههنا
فقوله ما اطغيته اي ما كان ابتدا الاطغا مني **قوله** لا تختصموا استيناف ايضا كانه قيل
قال فماذا قال الله له فاجيب بقال لا تختصموا وقوله لدي يفيد مفهومه ان الاختصام كان
ينبغي ان يكون قبل الحضور والوقوف بين يدي **قوله** وقد قدمت جملة حالية ولا بد من
تاويلها وذلك ان النهي في الاخرة وتقدمه الوعيد في الدنيا فاختلف الزمانان فكيف يصح جعلها
حالية وتاويلها هو ان المعنى وقد صح اني قدمت وزمان الصحة وزمان النهي واحد وقد تقدمت تجوز
ان يكون بمعنى تقدمت فيكون البا للحال ولا بد من حذف مضاف اي وقد تقدم قولي لكم ملتبسا
بالوعيد ويجوز ان يكون قدمت على حاله متعديا والبا مزيدة في المفعول اي قدمت اليكم الوعيد
كقوله تعالى تنبت بالدهن على قول من قال بزيادتها هناك وقيل البا هنا للمصاحبة كقولك
اشتريت الفرس بلجامه وسرجه اي معه فكانه تعالى قال قدمت اليكم ما يجب مع الوعيد على
تركه والانذار **قوله** ما يبدل القول لدي اي لا تبديل لقولي وهو قوله لاملان جهنم من الجنة

والناس أجمعين وقيل المعنى ما يبدل القول لدي أي ما يكذب عندي ولا يغير القول عن وجهه لأني
أعلم الغيب وهذا قول الكلبي ومقاتل واختيار الفراء لأنه قال ما يبدل القول لدي ولم يقل ما يبدل
قولي وقيل معناه لا يبدل القول السابق بأن هذا شقي وهذا سعيد حين خلقت العباد فذلك
القول عندي لا تبديل له بسعي ساع وهذا يشبه قول من الوعيد فهو تخويف لا يحقق الله منه
شيئا وقالوا الكريم إذا وعد بخير وفى وإذا أوعد أخلف عفوا وقيل المعنى ما يبدل الكفر بالإيمان
لدي فإن الإيمان عند القيام بين يدي الله في القيامة غير مقبول فقوله ما يبدل القول لدي
إشارة إلى نفي الحال كأنه قال ما يبدل اليوم لدي القول لأن ما إذا دخلت على الفعل المضارع
ينفي بها الحال تقول ماذا يفعل زيد في بيته فيقال ما يفعل شيئا أي في الحال فإذا قلت ماذا
يفعل غدا قيل لا يفعل شيئا أو لن يفعل شيئا لدلالة لن على زيادة بيان النفي **قوله** وما أنا بظلام
للعبيد أي فأعاقبهم بغير جرم واعلم أن الظلام مبالغة في الظالم ويلزم من إثباته إثبات أصل
الظلم فإذا قال القائل هو كذاب يلزم أن يكون كثير الكذب ولا يلزم من نفيه نفي أصل الكذب
لجواز أن يقال ليس بكذاب ما أكثر الكذب لكنه يكذب أحيانا **فإن قيل** فقوله ما أنا بظلام لا يلزم منه نفي أصل الظلم
وأن الله ليس بظالم والوجه في ذلك من وجوه الأول أن الظلام بمعنى الظالم كالتمار بمعنى التامر
فيكون اللام في قوله للعبيد لتحقيق النسبة لأن الفعال حينئذ بمعنى ذي ظلم الثاني قال الزمخشري إن
ذلك أمر تقديري كأنه تعالى يقول لو ظلمت عبدي الضعيف الذي هو محل الرحمة لكان ذلك غاية
الظلم وما أنا بذلك فيلزم من نفي كونه ظلاما نفي كونه ظالما ويحقق هذا الوجه إظهار لفظ العبيد
حيث قال وما أنا بظلام للعبيد أن في ذلك اليوم الذي أملأ فيه جهنم مع سعتها حين تضج وتقول
لم يبق لي طاقة بهم ولم يبق في موضع لهم فهل من مزيد استفهام استنكار والثالث أنه لمقابلة
الجمع بالجمع والمعنى أن ذلك اليوم مع إلقائي في جهنم عددا لا حصر له لا أكون بسبب كثرة التعذيب
كثير الظلم لأنه قال وما أنا بظلام للعبيد يوم نقول ولم يقل ما أنا بظلام في جميع الأزمان وخصص
بالعبيد حيث قال ما أنا بظلام للعبيد ولم يطلق فكذلك خصص النفي بنوع من أنواع الظلم
ولم يطلق ولم يلزم منه أن يكون ظالما في غير ذلك الوقت وبقية الأجوبة مذكورة في آل عمران
عند قوله بظلام للعبيد كدأب آل فرعون **فصل** هذه مما لا يدل على أن التخصيص
بالذكر لا يدل على نفي ما عداه لأنه نفى كونه ظلاما ولم يلزم منه كونه ظالما ونفى كونه ظلاما للعبيد
ولم يلزم منه كونه ظلاما لغيرهم **فصل** يحتمل أن يكون المراد بالعبيد الكفار كقوله
تعالى يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الآية والمعنى أعذبهم وما أنا بظلام لهم ويحتمل أن
يكون المراد منه المؤمنين والمعنى أن الله تعالى يقول لو بدلت قولي ورحمت الكافر لكنت في تكليف
العباد ظالما لعبادي المؤمنين لأني منعتهم من الشهوات لأجل هذا اليوم فلو كان ينال من يأت
بما أتى به المؤمن ما يناله المؤمن لكان إتيان المؤمن بما أتى به من الإيمان والعبادة عبثا
وهذا معنى قوله تعالى لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة وقوله قل هل يستوي الذين يعلمون
والذين لا يعلمون ويحتمل أن يكون المراد التعميم **قوله** يوم نقول يوم منصوب إما بظلام وإما بهو
لهذا لأنه إذا لم يظلم في هذا اليوم فنفي الظلم عنه في غيره أحرى وبقوله ونفخ في الصور والإشارة بذلك
إلى يوم نقول قاله الزمخشري واستبعده أبو حيان لكثرة الفواصل أو باذكر مقدرا أو بانذر
وهو على هذين الأخيرين مفعول به لا ظرف وقرأ نافع وأبو بكر يقول لجهنم بياء الغيبة والفاعل الله تعالى
لتقدم ذكره في قوله مع الله وقوله لا تختصموا والباقون بنون المتكلم المعظم نفسه لتقدم ذكره في
قوله لدي وقد قرأت والأعمش يقال مبنيا للمفعول وقوله هل امتلأت وذلك لما سبق من وعد
إياها أنه يملأها من الجنة والناس وهذا السؤال من الله عز وجل لتصديق خبره وتحقيق وعد

قوله هل من مزيد سؤال تقرير وتوقيف وقيل معناه النفي وقيل السؤال للخزنة والجواب
منهم فلا بد من حذف مضاف أي نقول لخزنة جهنم ويقولون ثم حذف والمزيد يجوز أن يكون مصدرا
أي هل من زيادة وأن يكون اسم مفعول أي من شيء تزيدونيه أحرقه **فصل** قال
المفسرون معنى قوله هل من مزيد أي قد امتلأت ولم يبق في موضع لم يمتلئ فهو استفهام إنكار بمعنى
الاسترادة رواه أبو صالح عن ابن عباس وعلى هذا يكون السؤال وهو قوله هل امتلأت قبل دخول
جميع أهلها فيها وروي عن ابن عباس أن الله تعالى سبقت كلمته لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين
فلما سيق أعداء الله إليها لا يلقى فيها فوج إلا ذهب فيها ولا يملأها فتقول ألست قد أقسمت لتملأني فيضع
قدمه عليها ثم يقول هل امتلأت فتقول قط قط قد امتلأت وليس في من مزيد **قوله** وأزلفت
الجنة قربت وأدنيت وقوله غير بعيد يجوز أن يكون حالا من الجنة ولم يؤنث لأنها بمعنى البستان
أو لأن فعيلا لا يؤنث لأنه بزنة المصادر قاله الزمخشري وضعفه أبو حيان وقد تقدم في قوله إن
رحمة الله قريب ويجوز أن يكون منصوبا على الظرف المكاني أي مكانا غير بعيد ويجوز أن يكون نعتا
لمصدر محذوف أي إزلافا غير بعيد وهو ظاهر عبارة الزمخشري فإنه قال أو شيئا غير بعيد **فإن قيل**
ما وجه التقريب مع أن الجنة مكان والأمكنة يقرب منها وهي لا تقرب فالجواب من وجوه الأول
أن الجنة لا تزال ولا يؤمر المؤمن في ذلك اليوم بالانتقال إليها مع بعدها لكن الله تعالى يطوي المسافة
التي بين المؤمن والجنة فهو التقريب **فإن قيل** فعلى هذا ليس إزلاف الجنة من المؤمن بأولى
من إزلاف المؤمن من الجنة فما فائدة قوله أزلفت الجنة فالجواب أن ذلك إكرام للمؤمن وبيان لشرفه
وأنه ممن يمشى إليه الثاني قربت من الحصول في الدخول لا بمعنى القرب المكاني الثالث أن الله تعالى
قادر على نقل الجنة من السماء إلى الأرض فيقربها للمؤمن ويحتمل أنها أزلفت بمعنى جمعت لأنها مخلوقة
وأما معنى قرب الحصول لها لأنها تنال بكلمة وحسنة وخص المتقين بذلك لأنهم أحق بها **قوله**
هذا ما توعدون هذه الجملة يجوز فيها وجهان أحدهما أن تكون معترضة بين البدل والمبدل منه
وذلك أن لكل أواب بدل من للمتقين بإعادة العامل والثاني أن تكون منصوبة بقول مضمر ذلك
القول منصوب على الحال أي مقولا لهم وقد تقدم في ص أنه قرئ يوعدون بالياء والتاء ونسب
أبو حيان قراءة الياء من تحت هنا لابن كثير وليس هو إلا منقولا عن ابن كثير وحده **فصل**
والأواب الرجاع قيل هو الذي يرجع عن الذنوب إلى الاستغفار والطاعة قال سعيد بن المسيب
هو الذي يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب وقال الشعبي ومجاهد هو الذي يذكر ذنوبه في الخلاء
فيستغفر منها وقال ابن عباس وعطاء هو المسبح من قوله يا جبال أوبي معه وقال قتادة هو المصلي
والحفيظ هو الذي يحفظ توبته من النقض وقال ابن عباس هو الذي يحفظ ذنوبه حتى يرجع عنها
ويستغفر منها وعن ابن عباس أيضا الحفيظ لأمر الله وقال قتادة الحفيظ لما استودعه الله من
حقه والأواب والحفيظ كلاهما من باب المبالغة أي يكون كثير الأوب شديد الحفظ **قوله**
من خشي يجوز أن يكون مجرور المحل بدلا أو بيانا لكل وقال الزمخشري يجوز أن يكون بدلا بعد بدل
تابعا لكل انتهى يعني أنه بدل من كل بعد أن أبدلت كلا من للمتقين ولم يجعله من نفس للمتقين لأنه
لا يتكرر البدل والمبدل منه واحد ويجوز أن يكون بدلا من موصوف أواب وحفيظ قاله الزمخشري
يعني أن الأصل لكل شخص أواب فيكون من خشي بدلا من شخص المقدر قال ولا يجوز أن يكون في
حكم أواب وحفيظ لأن من لا يوصف بها ولا يقال الرجل من جاءني جالس كما يقال الرجل الذي
جاءني جالس والفرق بينهما يأتي في الفصل بعد لا يوصف من بين الموصولات إلا بالذي وحده
بقوله في حكم أواب أن يجعل من صفة وهذا كما قال لا يجوز إلا أن أبا حيان استدرك عليه
الحصر وقال بل يوصف بغير الذي من الموصولات كوصفهم بما فيه أل الموصولة نحو الضارب والمضروب

وكرمتهم بذو وذات الطايتين بجو قولهم بالفضل ذو فضلكم الله به والكرامة ذات اكرمكم الله به
وقد جوز ابن عطية في من خشي ان يكون نعتا لما تقدم وهو مردود بما تقدم وجوز ان يرتفع من
خشي على خبر ابتدا مضمر او ينصب بفعل مضمر وكلاهما على القطع المشعر بالمدح وان يكون مبتدا
خبره قول مضمر ناصب لقوله ادخلوها اي من خشي الرحمن يقال لهم ادخلوها وجمل اولا على اللفظ
وفي الثاني على المعنى وقيل من خشي منادى حذف منه حرف النداء اي يا من خشي ادخلوها باعتبار
الجملتين المتقدمتين وحذف حرف النداء شايع وان يكون شرطية وجوابها محذوف وهو ذلك
القول ولكن زدمعه فا اي فيقال لهم **قوله بالغيب** حال اي غايبا عنه فيحتمل ان يكون
حالا من الفاعل والمفعول او منهما وقيل الباء للسببية اي خشيه بسبب الغيب الذي اوعده
من عذابه ويجوز ان يكون صفة لمصدر خشي اي خشيه خشية ملتبسة بالغيب **فصل**
قال ابن الخطيب اذا كان من والذي يشتركان في كونهما من الموصولات فلماذا لا يشتركان في
جواز الوصف بهما فيقول لما اسم مبهم يقع على كل شي فهو وجه هو شي لكن التي هو اعم الاشيا فان الجوهر
شي والعرض شي والواجب شي والممكن شي والاعم قبل الاخص في الفهم لانك اذا رايت شبحا
من البعد تقول اولا انه شي ثم اذا ظهر لك منه ما يختص بالناس تقول انسان فاذا بان لك انه
ذكر قلت انه رجل فاذا وجدته ذا قوة تقول شجاع الى غيره ذلك فالاعم اعرف وهو قبل الاخص في
الفهم فلا يجوز ان يكون صفة لان الصفة بعد الموصوف من حيث المعقول واما من حيث
النحو فلان الحقايق لا يوصف بها فلا يقال جسم رجل جاءني كما يقال جسم ناطق جاءني لان الوصف
يقوم بالموصوف والحقيقة تقوم بنفسها لا بغيرها فقولنا عالم اي شي له علم **فصل** والخشية
والخوف معناهما واحد عند اهل اللغة لكن بينهما فرق وهو ان الخشية خوف من عظمة المخشي
لان تركيب حروف خ ش ي في تقاليبها يلزمه معنى الهيبة يقال شيخ للسيد وللرجل الكبير السن
وهما جميعا مهيبان والخوف خشيه من ضعف الخاشي لان تركيب خ و ف في تقاليبها يدل
على الضعف ويدل على ذلك انه حيث كان الخوف من عظمة المخشي قال تعالى انما يخشى الله من
من عباده العلماء وقال لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله
وقال وهم من خشيته مشفقون مع ان الملائكة والجبل اقويا وحيث كان الخوف من ضعف الخاشي
سماه خوفا قال تعالى لا تخافوا ولا تحزنوا اي بسبب مكروه يلحقكم في الاخرة وقال
تعالى خايفا يترقب وقال انا نخاف ان يتناولون لوحدته وضعفه هذا في اكثر الاستعمال
وربما يتخلف **فصل** معنى الاية من خاف الرحمن باطاعه بالغيب ولم يره وقال
الضحاك والسدي يعني في الخلوة حيث لا يراه احد قال الحسن اذا ارخى الستر واغلق الباب وجاء
بقلب منيب هذه صفة مدح لان شان الخايف ان يهرب فاما المتقي فجاء به لعلمه انه لا
ينجي الفرار منه وقوله منيب اي مخلص مقبل على طاعة الله تعالى والباء في بقلب اما للتعدية
واما للمصاحبة واما للسببية والقلب المنيب كالقلب السليم اي سليم من الشرك **قوله**
ادخلوها بسلام الجار والمجرور حال من فاعل ادخلوها اي سالمين من الافات فهي حال مقارنة
او مسلما عليكم فهي حال مقدرة كقوله فادخلوها خالدين كذا قيل وفيه نظر اذ لا مانع من
مقارنة تسليم الملائكة عليهم حال الدخول بخلاف فادخلوها خالدين فانه لا يعقل الخلود
الا بعد الدخول والضمير في ادخلوها ما يد الى الجنة اي ادخلوا الجنة بسلامة من العذاب والهموم
وقيل بسلام من الله وملائكته عليهم **قوله** ذلك يوم الخلود وقال ابو البقا اي زمن ذلك
يوم الخلود كانه جعل ذلك اشارة الى ما تقدم من انعام الله عليهم بما ذكر وقيل ذلك مشار به
لما بعده من الزمان كقولك هذا زيد قال الزمخشري في قوله يوم الخلود اضمار تقديره ذلك

يوم تقدير الخلود ويحتمل ان يقال اليوم يذكر ويراد به الزمان المطلق سوا كان يوما او ليلا
تقول يوم يولد لفلان يكون السرور العظيم ولو ولد له بالليل لكان السرور حاصلا فالمراد به
الزمان فكانه تعالى قال ذلك زمان الاقامة الدايمة **فان قيل** المومن قد علم
انه اذا دخل الجنة خلد فيها فما فايدة القول فالجواب من وجهين الاول ان قوله ذلك يوم الخلود
قول قاله الله في الدنيا اعلاما واخبارا وليس ذلك قولا يقوله عند قوله ادخلوها فكانه تعالى
اخبر في يومنا ان ذلك اليوم يوم الخلود الثاني ان اطمينان القلب بالقول اكثر **قوله** لهم
ما يشاوون فيها يجوز ان يتعلق فيها بيشاوون ويجوز ان يكون حالا من الموصول او من عايده
والاول اولى **فصل** ما الحكمة فانه تعالى قال ادخلوها بسلام على المخاطبة ثم قال لهم ولم
يقل لكم فالجواب من وجوه الاول انه قوله تعالى ادخلوها فيه مقدر اي فيقال لهم ادخلوها
فلا يكون التفاتا الثاني انه التفات والحكمة مع الجمع بين الطرفين كانه تعالى يقول لغير محل لهم
في غيبتهم وحضورهم ففي حضورهم الحبور وفي غيبتهم الحور والقصور الثالث انه يجوز ان يكون قوله
تعالى لهم كلاما مع الملايكة يقول للملايكة توكلوا بخدمتهم واعلموا ان لهم ما يشاوون فيها فاحضروا
بين ايديهم ما يشاوون واما انا فعندي ما لا يخطر ببالهم ولا تقدرون انتم عليه والمزيد
يحتمل ان يكون معناه الزيادة كقوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة ويحتمل ان يكون
بمعنى المفعول اي عندنا ما نزيده على ما يرجون وما يأملون قال انس وجابر هو النظر الى وجه الله
الكريم **قوله تعالى** وكم اهلكنا كم نصب بما بعده وقدم اما لانها استفهامية واما
لان كم الخبرية تجري مجرى الاستفهامية في التصدير ومن قرن تمييز وهم اشد صفة اما لكم
واما لقرن **قوله** فنقبوا الفا عاطفة على المعنى كانه قيل اشتد بطشهم فنقبوا والضمير في
نقبوا اما للقرون المتقدمة وهو الظاهر واما لقريش ويويده قراءة ابن عباس وابن يعمر وابي العالية
ونصر بن يسار وابي حيوة والاصمعي عن ابي عمرو فنقبوا بكسر القاف امرا لهم بذلك والتنقيب التنقير
والتفتيش ومعناه التطواف في البلاد قال الحرث بن حلزة
نقبوا في البلاد من حذر الموت وجالوا في الارض كل مجال
وقال امرو القيس
وقد نقبت في الافاق حتى رضيت من الغنيمة بالاياب
وقرا ابن عباس وابن يعمر وايضا
في رواية نقبوا بفتح القاف خفيفة ومعناها ما تقدم وقري نقبوا بكسرها خفيفة اي
نقبت اقدامهم واقدام ابلهم ونقبت بحذف المضاف وذلك لكثرة تطوافهم **قوله** هل
من محيص مبتدا او خبر مضمر تقديره هل لهم سلاك طريقهم او هل لهم من محيص وهذه الجملة
يحتمل ان تكون على اضمار قول وان لا تكون **فصل** المعنى فنقبوا اي فضربوا وساروا فروا
وتقلبوا وطافوا واصله من النقب وهو الطريق كانهم سلكوا كل طريق فلم تجد والهم محيصا من امر
الله وقيل اثروا من شدة الذين جابوا الصخر بالواد اي قوتهم خرقوا الطرق ونقبوها وقطعوا الصخور وقيل
هل من محيص مفر من الموت فلم يجدوا وهذا جمع بين الانذار بالعذاب العاجل والعقاب
الاجل لانه انذرهم بما عجل لهم من العذاب المهلك والاهلاك المدرك وهذا انذار لاهل
مكة لانهم على مثل سبيلهم **فان قيل** اذا كان ذلك للجمع بين الانذار بالعذاب العاجل
والعقاب الاجل فلم توسطهما قوله تعالى وازلفت الجنة للمتقين فالجواب ليكون ذلك ردعا بالخوف
والطمع فذكر حال الكفور وحال الشكور ترهيبا وترغيبا **فان قيل** فلم لم يجمع بين
الترهيب والترغيب في العاجلة كما جمع بينهما في الاجلة ولم يذكر حال من اسلم من قبل وانعم عليه
كما ذكر حال من اشرك به فاهلكه فالجواب ان النعمة كانت قد وصلت اليهم وكانوا مشتغلين في النعم
فلم يذكرهم به وانما كانوا غافلين عن الهلاك فانذرهم به واما في الاخرة فكانوا غافلين عن الامرين

جميعا فاخبرهم بها وقوله هل من محيص استفهام بمعنى الانكار اي لم يكن لهم محيص وقيل هو كلام مستانف كانه تعالى يقول لقوم محمد عليه السلام هم اهلكوا مع قوة بطشهم فهل من محيص لكم تعتمدون عليه ومن قرا بالتشديد بدمهو منقولا اي بحثوا عن المحيص هل من محيص والمحيص كالمحيد غير ان المحيص معدل ومهرب عن الشدة بدليل قولهم وقعوا في حيص بيص اي في شدة وضيق والمحيد معدل وان كان بالاختيار يقال حاد عن الطريق بطرا ولا يقال حاص عن الامر بطرا **قوله** ان في ذلك لذكرى ذلك اشارة الى الاهلاك او الى ازلاف الجنة والذكرى مصدر اي تذكرة وعظة لمن كان له قلب قال ابن عباس اي عقل قال الفراء هذا جايز في العربية تقول ما لك قلب ولا قلبك معك اي ما عقلك معك وقيل له قلب حاضر مع الله وقيل قلب واعي وذلك ان من لا يتذكر كانه لا قلب له ومنه قوله تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل اي هم كالجماد وقوله تعالى كانهم خشب مسندة اي لهم صور وليس لهم قلب ولا لسان للتذكر **قوله** او القى السمع العامة على القى مبنيا للفاعل والسلمي وطلحة والسدي وابو البرهشيم القي مبنيا للمفعول السمع رفع به وذكرت هذه القراءة لعاصم عن السدي فمقته وقال الس يلقون السمع والقاء السمع كناية عن الاستماع لان الذي لا يسمع كانه حفظ سمعه فامسكه ولعل سمع القارئ واستمع ما يقال له لا يحدث نفسه بغيره تقول العرب الق الي سمعك اي استمع او يكون معناه لمن كان له قلب فقصد الاستماع او القى السمع بان ارسله وان لم يقصد السماع وهو شهيد حاضر الذهن ويحتمل ان يقال الاشارة بذلك الى القران في اول السورة اي في القران الذي سبق ذكره ذكرى لمن كان له قلب او لمن استمع ويكون معنى وهو شهيد اي المنذر الذي تعجبتم منه وهو شهيد عليكم كقوله انا ارسلناك شاهدا **قوله تعالى** ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام اعاد الدليل مرة اخرى وقد مر تفسيره في الم السجدة قيل ان هذا رد على اليهود في قولهم ان الله سبحانه استراح يوم السبت والظاهر انه رد على المشركين اي لم يعي بالخلق الاول فكيف يعجز عن الاعادة قال ابن الخطيب واشار بقوله في ستة ايام الى ستة اطوار لان المراد من الايام لا يمكن ان يكون هو المفهوم من وضع اللغة لان اليوم في اللغة عبارة عن زمان مكث الشمس فوق الارض من الطلوع الى الغروب وقبل خلق السموات لم يكن شمس ولا قمر لكن اليوم يطلق ويراد الوقت يقال يوم يولد للملك ابن يكون سرور عظيم ويوم يموت فلان يكون حزن شديد وان اتفقت الولادة او الموت ليلا لا يتعين ذلك ويدخل في مراد القايل لانه اراد باليوم مجرد الوقت **قوله** وما مسنا من لغوب يجوز ان يكون حالا وان يكون مستانفا والعامة على ضم لام اللغوب وعلي وطلحة والسلمي ويعقوب بفتحها وهما مصدران بمعنى وينبغي ان يضم هذا الى ما حكاه سيبويه من المصادر الجاية على هذا الوزن وهي خمسة والى ما زاد الكسائي وهو الوزوع فتصير سبعة وقد تقدم هذا في البقرة عند قوله وقودها واللغوب العناء والتعب **قوله** فاصبر على ما يقولون من كذبهم وقولهم بالاستراحة او على قولهم ان هذا الشي عجيب وهذا قبل الامر بقتالهم وسبح بحمد ربك قيل هذا امر للنبي عليه السلام بالصلوة كقوله تعالى اقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل وقوله قبل طلوع الشمس وقبل الغروب اشارة الى طرفي النهار وقوله ومن الليل فسبحه اشارة الى زلفا من الليل وتقريره انه عليه السلام كان مشتغلا بامرين احدهما عبادة الله والثاني هداية الخلق فاذا لم يهتدوا قيل له اقبل على شغلك الاخر وهو العبادة وقيل معنى سبح بحمد ربك اي نزهه عما يقولون ولا تسام من تذكيرهم بعظمة الله بل نزهه عن الشرك والعجز عن الممكن وهو الحشر قبل الطلوع وقبل الغروب فانهما وقتا اجتماعهم ويكون المراد بقوله ومن الليل اوله لانه ايضا وقت اجتماعهم وقيل المعنى قل سبحان الله لان الفاظ جاءت بمعنى التلفظ بكلامهم كقولهم كبر لمن قال الله اكبر

وسلم

وسلم لمن قال السلام عليكم وحمد لمن قال الحمد لله وهلل لمن قال لا اله الا الله وسبح لمن قال سبحان الله وذلك ان هذه امور تتكرر من الانسان في الكلام والحاجة تدعو الى الاخبار عنها فلو قال القايل فلان قال لا اله الا الله لطال الكلام فدعت الحاجة الى استعمال لفظة واحدة مفيدة للكلام فقالوا هلل بخلاف قولهم زيد في السوق فان من قال زيد في السوق واراد ان يخبر عنه بذلك لا يجد لفظا واحدا مفيدا لذلك لعدم تكرره ومناسبة هذا الوجه هو ان تكذيبهم وانكارهم يشتغل منا بالتهم باللعن فقيل له اصبر عليهم واجعل بدل الدعاء عليهم التسبيح لله والحمد له ولا تكن كصاحب الحوت او كنوح عليهما السلام حيث قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا **فصل** وقد استعمل التسبيح مع الباء ومع اللام وبدونهما فان قلنا ان المراد بالتسبيح الصلوة فيحتمل ان يكون المراد صل بحمد ربك اي الامر بقراءة الفاتحة كقولك صلى فلان بسورة كذا وهذا بعيد وان قلنا المراد قل سبحان الله فالباء للمصاحبة وكذلك ان قلنا معناه التنزيه اي نزهه واحمده حيث وفقك لتسبيحه فيكون المفعول محذوفا للعلم به اي نزه الله بحمد ربك اي ملتبسا او مقترنا بحمد ربك واما اللام فاما ان يكون من باب شكرته وشكرت له واما ان يكون بمعنى خالصا لله واما ما تعدى به بنفسه فهو الاصل واعاد الامر بالتسبيح اما تاكيدا واما ان يكون الاول بمعنى الصلوة والثاني بمعنى التنزيه والذكر فدخلت الفاء لان المعنى واما من الليل فسبحه ولما ذكر اوقات الصلوات ذكر ادبار السجود ليعم الاوقات فيكون كقوله فاذا فرغت فانصب ومن اما لابتداء الغاية اي من اول الليل واما للتبعيض **فصل** قال المفسرون قبل طلوع الشمس يعني صلوة الصبح وقبل الغروب يعني العصر وروي عن ابن عباس قبل الغروب الظهر والعصر ومن الليل فسبحه يعني صلوة المغرب والعشا وقال مجاهد ومن الليل يعني صلاة الليل اي وقت صلى **قوله** وادبار السجود قرا نافع وابن كثير وحمزة ادبار بكسر الهمزة على انه مصدر قام مقام ظرف الزمان كقولهم اتيك خفوق النجم وخلافة الحجاج ومعنى وقت ادبار الصلوة اي انقضايها وتمامها والباقون بالفتح جمع دبر وهو اخر الصلوة وعقبها ومنه قول اوس على دبر الشهر الحرام فارضنا وما حولها جدب سنون تلمع ولم تختلفوا في وادبار النجوم وقوله وادبار معطوف اما على قبل الغروب واما على ومن الليل **فصل** قال عمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب والحسن والشعبي والنخعي والاوزاعي ادبار السجود الركعتان قبل صلاة الفجر وهي رواية العوفي عن ابن عباس وروي عنه مرفوعا وهذا قول اكثر المفسرين وقال مجاهد وادبار السجود هو التسبيح باللسان في ادبار الصلوات المكتوبات قال عليه السلام من سبح دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وكبر ثلاثا وثلاثين وحمد ثلاثا وثلاثين فذلك تسعة وتسعون ثم قال تمام المائة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شي قدير غفرت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر **قوله تعالى** واستمع يوم هو استماع على بابه وقيل بمعنى الانتظار وهو بعيد فعلى الاول يجوز ان يكون المفعول محذوفا اي استمع نداء المنادي او نداء الكافر بالويل والثبور فعلى هذا يكون يوم ينادي ظرفا لاستمع اي استمع ذلك في يوم وقيل استمع ما اقول لك فعلى هذا يكون يوم ينادي منصوبا بيخرجون مقدرا مدلولا عليه بقوله ذلك يوم الخروج وعلى الثاني يكون يوم ينادي مفعولا به اي انتظر ذلك اليوم ووقف ابن كثير على ينادي بالياء والباقون دون ياء ووجه اثباتها انه لا مقتضي لحذفها ووجه حذفها وقفا اتباع الرسم وكان الوقف محل تخفيف واما المنادي فاثبت ابن كثير ياءه وصلا ووقفا وباقي السبعة بحذفها وصلا ووقفا فمن اثبت فلانه الاصل ومن حذف فلاتباع الرسم ومن خص الوقف بالحذف فلانه محل راحة ومحل تغيير **فصل** في ما يسمعه وجوه الاول

ان يكون مفعوله محذوفا اي استمع النداء والمقصود كن مستمعا ولا تكن مثل هؤلاء المعرضين الغافلين يقال
هو رجل سميع مطيع ولا يراد مسموع بعينه والثاني استمع ما يوحى اليك والثالث استمع نداء
المنادي فان قيل استمع عطف على فاصبر وسبح وهو في الدنيا والاستماع يكون في
الدنيا وما يوحى يوم ينادي المنادي لا يسمع في الدنيا فالجواب انه لا يلزم ذلك بل يجوز ان يقال
صل وادخل الجنة اي صل في الدنيا وادخل الجنة في العقبى فكذا ههنا ويحتمل ان يكون استمع بمعنى
انتظر ويحتمل ان يكون المراد تنبه لهذه الصيحة ولا تغفل عنها فترجع ... والمراد بالمنادي اما الله
تعالى بقوله احشروا الذين ظلموا ويقول للنار هل امتلأت في جهنم او بقوله اين شركائي ويحتمل ان يكون المراد
بالمنادي اسرافيل قال مقاتل ينادي اسرافيل بالحشر يا ايتها العظام البالية والاوصال المتقطعة
واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يامركم ان تجتمعوا لفصل القضاء او يكون النداء للنفس يقال
يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك او ينادي المنادي هؤلاء للجنة وهؤلاء للنار ويحتمل ان يكون
المنادي هو المكلف لقوله ... والظاهر الاول لان اللام للعهد والتعريف والمعهود
السابق قوله ... في جهنم وقوله من مكان قريب اي لا يخفى على احد وقيل من صخرة بيت
المقدس وهي وسط الارض قال الكلبي هي اقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا **قوله** يوم
يسمعون بدل من يوم ينادي وبالحق حال من الصيحة اي ملتبسة بالحق او من الفاعل اي يسمعون
ملتبسين بسماع الحق **قوله** ذلك يوم الخروج يجوز ان يكون التقدير ذلك الوقت اي وقت
النداء والسماع يوم الخروج ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى النداء ويكون قد اتسع في الظرف
فاخبر به عن المصدر او يقدر مضاف اي ذلك النداء والاستماع نداء يوم الخروج واستماعه
واللام في الصيحة للتعريف لقوله ان كانت الا صيحة واحدة والمراد بالحق الحشر واليقين يقال
صاح فلان بيقين لا بظن وتخمين اي وجد منه الصياح يقينا لا كالصدا وغيره او يكون المراد
المقرون بالحق يقال اذهب بالسلامة وارجع بالسعادة اي مقرونا ومصحوبا وقيل بالحق قسم
اي يسمعون الصيحة بالله والحق وهو ضعيف وقوله ذلك يوم الخروج اي من القبور **قوله**
انا نحن نحيي ونميت تقدم الكلام على قوله انا نحن في سورة يس واما قوله نحيي ونميت فالمراد
من الاحياء الاحياء اولا وقوله ونميت اشارة الى الموتة الاولى والينا المصير بيان للحشر وهذا
اشارة الى قدرته على الحشر **قوله** يوم تشقق يوم يجوز ان يكون بدلا من يوم قبله وقال
ابو البقاء انه يكون بدلا من يوم الاول وفيه نظر من حيث تعدد البدل والمبدل منه واحد وقد
تقدم ان الزمخشري منعه ويجوز ان يكون اليوم ظرفا للمصير اي يصيرون الينا يوم تشقق الارض
وقيل ظرف للخروج وقيل منصوب بيخرجون مقدرا وتقدم الخلاف في تشقق في الفرقان وقرا
زيد بن علي تتشقق بفك الادغام **قوله** سراعا حال من الضمير في عنهم والعامل في تشقق
وقيل عاملها هو العامل في يوم تشقق المقدر اي يخرجون سراعا يوم تشقق لان قوله تعالى عنهم
يفيد كونهم مفعولين بالتشقق وكان التشقق عدي بحرف الجر كما يقال كشفت عنه فهو مكشوف
عنه فينصب سراعا هيئة المفعول كانه قال مسرعين والسراع جمع سريع كالكرام جمع كريم وقوله
ذلك يحتمل ان يكون اشارة الى التشقق عنهم او اشارة الى الاخراج المدلول عليه بقوله سراعا
ويحتمل ان يكون معناه ذلك الحشر حشر يسير والحشر الجمع **قوله** علينا متعلق بيسير ففصل
بمعمول الصفة بينها وبين موصوفها ولا يضر ذلك ويجوز ان يتعلق بمحذوف على انه حال منه لانه
في الاصل يجوز ان يكون نعتا وقال الزمخشري التقديم للاختصاص اي لا يتيسر ذلك الا على الله
وحده اي هو علينا هين لا على غيرنا وهو اعادة جواب قولهم ذلك رجع بعيد **قوله**
نحن اعلم بما يقولون يعني كفار مكة في تكذيبك وهذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون

تهديدا

تهديدا وتخويفا لان قوله والينا المصير ظاهر في التهديد وبالعلم يكمل ونظيره قوله تعالى ثم
الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون انه عليم بذات الصدور ويحتمل ان يكون تقريرا لامر الحشر
بالعلم لانه لما بين ان الحشر عليه يسير لكمال قدرته ونفوذ ارادته ولكن تمام ذلك بالعلم الشامل
حتى يميز جزء زيد وجزء بدن عمرو فقال ذلك حشر علينا يسير لكمال قدرتنا ولا يخفى علينا الاجزاء لكمال
علمنا وقوله اعلم ا ما ليست للمشاركة في اصل الفعل كقوله وهو اهون عليه او معناه نحن اعلم
به من كل عالم بما يعلمه **قوله** وما انت عليهم بجبار اي بمسلط تجبرهم على الاسلام وهذا
تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم اي انك لست حفيظا عليهم ومكلفا بان يؤمنوا انما انت
منذر وقد فعلت ما امرت به قال المفسرون هي منسوخة باية القتال **قوله** فذكر
بالقران من يخاف وعيد تقدم الخلاف في ياء وعيد اثباتا وحذفا والمعنى دم على الانذار ولا
تترك الهداية بالكلية بل ذكر المؤمنين فان الذكرى تنفع المؤمنين وقوله بالقران اي اتل عليهم
القران تحصل لهم المنفعة بسبب ما فيه او فذكر بالقران بين به انك رسول الله لكونه معجزا
او يكون المراد فذكر بمقتضى ما في القران من الاوامر الواردة بالتبليغ والتذكير وفي قوله
فذكر اشارة الى انه مرسل مامور بالتذكير بالقران المنزل عليه وقوله وعيد اشارة الى اليوم
الاخر وفي قوله وعيد اشارة الى الوحدانية اذ لو قال وعيد الله لذهب الوهم الى كل صوب
وضمير المتكلم اعرف المعارف وابعد عن الاشتراك وقد تقدم ان اول السورة واخرها مشتركان
في المعنى حيث قال في الاول ق والقران المجيد وقال في اخرها فذكر بالقران روى ابي بن كعب
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة ق هون الله عليه سكرات الموت

سورة والذاريات مكية

وهي ستون اية وثلاث مائة
وستون كلمة والف ومائتان وتسعة وثمانون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم **قوله
تعالى** والذاريات ذروا الايات اول هذه السورة مناسب لما قبلها لانه تعالى لما بين
الحشر بدلائله وقال ذلك حشر علينا يسير وقال وما انت عليهم بجبار تجبرهم على الايمان
اشارة الى اصرارهم على الكفر بعد اقامة البرهان وتلاوة القران عليهم لم يبق الا اليمين
فقال والذاريات انما توعدون لصادق وقال في اخرها فويل للذين كفروا من يومهم
الذي يوعدون **فصل** وفي الحكمة في القسم ههنا وجوه احدها ان الكفار كانوا ينسبون
النبي عليه السلام للجدال ومعرفة طرقه وانه غالب بفساد قولهم وانه يغلبهم لمعرفته بالجدال
وحينئذ لا يمكن ان يقابلهم بالادلة كما ان من اقام خصمه عليه الدليل ولم يبق له حجة
يقول انه غلبني لعلمه بالجدل وعجزي عن ذلك وهو يعلم في نفسه ان الحق معي فلا يبقى للمتكلم
المبرهن غير اليمين فيقول والله ان الامر كما اقول ولا اجادلك بالباطل لانه لو استدل بطريق
اخر يقول خصمه فيه كقوله الاول فلا يبقى الا السكوت او التمسك بالايمان وترك اقامة
البرهان الثاني ان العرب كانت تحترز عن الايمان الكاذبة وتعتقد انها تخرب المنازل
فكان النبي عليه السلام يكثر الاقسام دلالة على انه صادق ولذلك كان امره يتزايد ويعلو
انه لا يحلفها كاذبا الثالث ان الايمان التي اقسم بها كلها دلايل اخرجت في صورة
الايمان ليتنبه بها على كمال القدرة كقول القائل للمنعم وحق نعمك الكثيرة اني لا ازال اشكرك
فذكر النعم التي هي سبب مفيد لدوام الشكر وانما اخرجها مخرج الايمان ايذانا بانه يريد
ان يتكلم بكلام عظيم فيصغي اليه السامع اكثر ما يصغي اليه حيث يعلم ان الكلام ليس بمعتبر
فبدا بالحلف **فصل** اورد القسم على امور منها الوحدانية ولظهورها مرها واعترافهم
بها حيث يقولون انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى ولئن سالتهم من خلق السموات

ليقولن

والارض ليقولن الله لم يقسم عليها الا في سورة والصافات ومنها الرسالة وهي في سورتين
والنجم والضحى وبالحروف في يس ومنها الحشر والجزا وما يتعلق به فلكثرة انكارهم له كرر القسم عليه
فصل اقسم الله بجمع السلامة المونث في سور خمس ولم يقسم بجمع السلامة المذكر في
سورة اصلا فلم يقل والصالحين من عبادي ولا المقربين الى غير ذلك مع ان المذكر اشرف لان
جموع السلامة بالواو والنون في الغالب لمن يعقل **فصل** روي عن علي رضي الله
عنه في قوله تعالى والذاريات قال هي الرياح التي تذروا التراب ذروا يقال ذرت الريح
التراب واذرت فالحاملات وقرا هي السحاب تحمل ثقلا من الما فالجاريات يسرا هي السفن
تجري في الما جريا سهلا فالمقسمات امرا هي الملايكة يقسمون الامور بين الخلق على ما امروا به
اقسم بهذه الاشيا لما فيها من الدلالة على صنعته وقدرته قال ابن الخطيب والاقرب ان هذه
صفات للرياح فالذاريات هي التي تنشي السحاب اولا والحاملات هي التي تحمل السحب التي هي بخار
المياه التي اذا سحت جرت السيول العظيمة وهي اوقار اثقل من جبال والجاريات هي التي تجري
السحب بعد حملها والمقسمات هي الرياح التي تقسم الامطار وتفرقها على الاقطار ويحتمل ان يقال
هذه امور اربعة ذكرت لامور اربعة بها تتم الاعادة لان الاجزا المتفرقة بعضها في تخوم الارض
وبعضها في قعر البحار وبعضها في جو الهوا وهي الاجزا البخارية اللطيفة المنفصلة عن الابدان
فالذاريات هي التي تجمع الذرات من الارض وتذروا التراب من وجه الارض والحاملات
هي التي تجمع الاجزا من الجو وتحمله حملا فان التراب لا ترفعه الرياح حملا مستقلا بل تنقله من
موضع الى موضع بخلاف السحاب فانه تحمله في الجو حملا لا يقع منه شي والجاريات هي الجامعة
من الما فان من تجري السفن المثقلة في تيار البحار قادر على نقل الاجزا من البحر الى البر فاذن
تبين ان الجمع من الارض وجو الهوا ووسط البحار ممكن واذا اجتمع ذلك كله بقي نفخ الروح
وهي من امر الله تعالى والمقسمات امرا يعني الملايكة التي تنفخ الروح في الجسد بامر الله **قوله**
ذروا منصوب على المصدر المؤكد العامل فيه فرعه وهو اسم الفاعل والمفعول محذوف
اقتصارا اذ لا تعلق لما تذروه هنا وادغم ابو عمرو وحمزة تا الذاريات في ذال ذروا واما
وقرا فهو مفعول به بالحاملات كما يقال حمل فلان عدلا ثقيلا قال ابن الخطيب ويحتمل ان يكون
اسما اقيم مقام المصدر كقولك ضربه سوطا ويؤيده قراءة من قرا بفتح الواو والوقر بالكسر اسم ما
يوقر اي يحمل ووقر بالفتح وذلك على تسمية المفعول بالمصدر ويجوز ان يكون مصدرا على حاله
والعامل فيه معنى الفعل قبله لان الحمل والوقر بمعنى واحد وان كان بينهما عموم وخصوص **قوله**
يسرا يجوز ان يكون مصدرا من معنى ما قبله اي جريا يسرا وان يكون حالا اي ذات تيسير وميسرة
او جعلت نفس اليسر مبالغة **قوله** امرا يجوز ان يكون مفعولا به وهو الظاهر كقولك فلان قسم
الرزق والمال وان يكون حالا اي مامورة وعلى هذا فيحتاج الى حذف مفعول المقسمات وقد
يقال لا حاجة لتقديره كما في الذاريات وهل هذه اشيا مختلفة فتكون الفا على بابها من عطف
المتغايرات والفا للترتيب في القسم لا في المقسم به قاله الزمخشري ويجوز ان يراد الريح وحدها لانها
تنشي السحاب وتقله وتصرفه وتجري في الجو جريا سهلا وعلى هذا يكون من عطف الصفات
والمراد واحد كقوله • يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب •
• الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم • فتكون الفا على هذا الترتيب لا موجود
في الوجود **فان قيل** ان كان وقرا مفعولا فلم لم يجمع وما قبله وقرا فالجواب لان جماعة
من الرياح قد تحمل وقرا واحدا وكذا القول في المقسمات امرا اذا قيل انه مفعول به لانه قد تجتمع
جماعة من الملايكة على امر واحد **قوله** انما توعدون هذا جواب القسم وما يجوز ان يكون اسمية

وعايدها محذوف اي توعدونه وان تكون مصدرية فلا عايد على المشهور وحينيذ يحتمل ان يكون
توعدون مبنيا من الوعد وان يكون مبنيا من الوعيد لانه يصلح ان يقال اوعدته فهو موعد
ووعدته فهو موعود لا يختلف فالتقدير ان وعدكم او ان وعيدكم ولا حاجة الى قول من قال
ان قوله لصادق وقع فيه اسم الفاعل موقع المصدر اي لصدق لان لفظ اسم الفاعل ابلغ اذ
جعل الوعد او الوعيد صادقا مبالغة وان كان الوصف انما يقوم بمن يعد او يوعد قال
ابن الخطيب ويناسب من اوعده هو الحق لان اليمين مع المنكر بوعيد والصادق معناه ذو
صدق كعيشة راضية ووصف المصدر بما يوصف به الفاعل كوصف الفاعل بالمصدر في
افادة المبالغة **قوله** وان الدين لواقع اي الحشر والجزا كاين ثم ابتدا قسما اخر بقوله **قوله**
والسما ذات الحبك العامة على الحبك بضمتين قال ابن عباس وقتادة وعكرمة ذات الخلق
الحسن المستوي يقال للنساج اذا نسج الثوب فاجاد ما احسن حبكه وقال سعيد بن جبير ذات
الزينة اي المزينة بزينة الكواكب قال الحسن حبكت بالنجوم وقال مجاهد هي المتقنة البنيان
وقال مقاتل والكلبي والضحاك ذات الطرايق حبك الما اذا اصابته الريح وحبك الرمل والشعر
الجعد وهو ما لم تتبينه وتكسره قال زهير • مكلل باصول النجم تنسجه • ريح خريق لضاحي مايه حبك
والحبك جمع يحتمل ان يكون مفرده حبيكة كطريقة وطرق او حباك نحو حمار وحمر قال
• كان جلها الحواك طنفسة في وشيها حباك • واصل الحبك احكام الشي واتقانه ومنه
يقال للدرع محبوكة وقيل الحبك الشد والتوثق قال امرؤ القيس
• قد غدا يحملني في انفه لاحق الاطلين محبوك ممر • وفي هذه اللفظة قراات كثيرة فعن
الحسن ست قراات الحبك بالضم كالعامة وبضم الحا وسكون البا وتروى عن ابن عباس وابي
عمرو وبكسر الحا والبا وبكسر الحا وسكون البا وهو تخفيف المكسور وكسر الحا وفتح البا وكسر الحا
وضم البا وهذه اقلها لان هذه الزنة مهملة في ابنية العرب قال ابن عطية فهو من
التداخل يعني ان فيها لغتين الكسر في الحا والبا والضم فيهما فاخذ هذا القاري الكسر من لغة
والضم من اخرى واستبعده الناس لان التداخل انما يكون في كلمتين وخرجها ابو حيان على
ان الحا اتبعت لحركة التا في ذات قال ولم يعتد باللام فاصلة لانها ساكنة فهي حاجز غير
حصين وقد وافق الحسن على هذه القراة ابو مالك الغفاري وقرا عكرمة بالضم والفتح جمع حبكة
نحو غرفة وغرف وابن عباس وابو مالك الحبك بفتحتين جمع حبكة كعقبة وعقب وقوله
انكم لفي قول مختلف جواب القسم **فصل** المعنى انكم يا اهل مكة لفي قول مختلف في حق محمد
عليه السلام تارة يقولون انه امين واخرى انه كاذب وتارة ينسبونه الى الجنون وتارة كاهن
وشاعر وساحر وهذا القول ضعيف اذ لا حاجة الى اليمين على هذا لانهم كانوا يقولون ذلك من
غير انكار حتى يوكد باليمين وقيل يقولون انه مجنون ثم يقولون غلبنا بقوة جداله وقيل الى قول
مختلف في القران يقولون فيه انه سحر وكهانة واساطير الاولين وقيل قول مختلف اي مصدق
ومكذب وقيل غير ثابت على امر وقيل متناقض تارة تقولون لا حشر ولا حياة بعد الموت
ثم يقولون انا وجدنا ابانا على امة **قوله** يوفك عنه صفة لقول والضمير في عنه للقران او
للرسول او للدين او لما توعدون اي يصرف عنه وقيل عن السبب والمافوك عنه محذوف
والضمير في عنه على هذا القول لمختلف اي يوفك بسبب القول من اراد الاسلام بان يقول
هو سحر او كهانة والعامة على بنا الفعلين للمفعول وقتادة وابن جبير يوفك عنه من افك
الاول للمفعول والثاني للفاعل اي يصرف عنه من صرف الناس عنه وزيد بن علي يافك مبنيا
للفاعل من افك مبنيا للمفعول عكس ما قبله اي يصرف الناس عنه من هو مافوك في

نفسه دعته ايضا يافك عنه من أفك بالقصد به اي من هوا فاك في نفسه وقرئ يوفن عنه من ادن بالنون فيهما اي يحرمه من حرمه من اذن الضرع اذا نهكه حلبا **فصل** قيل في تفسير قوله يوفك عنه من افك وجوه احدها انه مدح المؤمنين ومعناه يصرف عن القول المختلف من صرف عن ذلك القول و يرشد الى القول المستوي وقيل انه ذم ومعناه يوفك عن الايمان به من صرف حتى يكذبه يعني من حرمه الله الايمان بمحمد وبالقران وقيل عن بمعنى من اجل اي يصرف من اجل هذا القول المختلف او بسببه عن الايمان من صرف وذلك انهم كانوا يتلقون الرجل اذا اراد الايمان فيقولون انه ساحر وكاهن ومجنون فيصرفونه عن الايمان قاله مجاهد **قوله** قتل الخراصون لعن الكذابون قرئ قتل بالبناء للفاعل وهو الله تعالى والخراصين مفعوله والمعني لعن الخراصون فهم الذين لا يجزمون بامر ولا يثبتون عليه بل هم ابدا كونون يتحيرون وهذا دعا عليهم شرو صفهم بانهم في غمرة ساهون فقوله ساهون يحتمل ان يكون خبرا بعد خبر والمبتدا قوله هم والتقدير هم كائنون في غمرة ساهون كقولك زيد جاهل جائر لا يتقيد به وصف الجاهل بالجائر ويحتمل ان يقال ساهون خبر وفي غمرة ظرف له كقولك زيد في بيته قاعد فالخبر هو قاعد لا غير وفي بيته بيان الظرف المقصود فكذا قوله في غمرة ظرف للسهو واعلم ان وصف الخراص بالسهو دليل على ان الخراص هو من لا يقال يخرص على فلان الباطل وقال المفسرون هم الذين اقتسموا عقاب مكة فاقتسموا القول في النبي صلى الله عليه وسلم ليصرفوا الناس عن دين الاسلام وقال مجاهد هم الكهنة الذين هم في غمرة اي غفلة وعمى وجهالة ساهون لاهون عن امر الاخرة والسهو الغفلة عن الشي وهو ذهاب القلب عنه **قوله** يسالون ايان يوم الدين فقوله ايان يوم الدين مبتدا وخبر قيل وهما ظرفان فكيف يقع احد الظرفين في الاخر واجيب بانه على حذف حدث اي ايان وقوع يوم فايان ظرف للوقوع كما تقول متى يكون يوم الجمعة وتقدم قراءة ايان بالكسر في الاعراف قيل وايان من المركبات ركب من اي التي للاستفهام والان التي بمعنى الوقت اي ايّ وقت وادوات فكانه قال اي اوان فلما ركب بني وهذا اجواب قوله وان الدين لواقع بكانه قال ايان يقع استهزا وترك السؤال دلالة على ان الغرض ليس الجواب وانما يسالون استهزا والمعني يسالون ايان يوم الدين يقولون يا محمد متى يكون يوم الجزا يعني يوم القيمة تكذيبا قال الله عز وجل يوم هم اي يكون هذا الجزا في يوم هم على النار يفتنون اي يعذبون ويحرقون بها كما يفتن الذهب بالنار وعلى هذا فالاولى ان يكون معنى يفتنون يعرضون عرض المجرب للذهب على النار لان كلمة على تناسب ذلك ولو كان المراد يحرقون لقيل بالنار او في النار **قوله** يوم هم يجوز ان يكون منصوبا بمضمر اي الجزا كاين يوم هم ويجوز ان يكون بدلا من يوم الدين والفتحة للبنا على راي من يجيز بنا الظرف وان اضيف الى الجملة اسمية وعلى هذا انكون حكاية لمعنى كلامهم قالوه على الاستهزا ولو جا على حكاية لفظهم المتقدم لقيل يوم نحن على النار نفتن ويوم منصوب بالدين وقيل بمضمر اي يجازون وقيل هو مفعول به اي متى وعدي يفتنون بعلى لانه بمعنى يختبرون وقيل على بمعنى في وقيل على بمعنى البا وقيل يوم هم خبر مبتدا مضمر اي هو يوم هم والفتح لما تقدم ويؤيد ذلك قراءة ابن ابي عبلة والزعفراني يوم هم بالرفع وكذلك يؤيد القول بالبدل وتقدم الكلام في مثل هذا في غافر **فصل** قوله يوم هم على النار يفتنون قال ابن الخطيب يحتمل وجهين احدهما ان يكون جوابا عن قولهم ايان يقع فكانهم لم يسالوا سوال مستفهم طالب للعلم لذلك لم يجبهم جواب معلم مبين بل قال يوم هم على النار يفتنون فجهلهم بالثاني اقوى من جهلهم بالاول ولا يجوز ان يكون الجواب بالاخفى فلو قال قايل متى يقدم زيد فلو اجيب بقوله يوم يقدم رفيقه ولا يعلم يوم قدوم الرفيق

لم يقع هذا الجواب الا اذا كان الكلام في صورة جواب ولا يكون جوابا كقول القائل لمن يتوعده غدا تا ترى وتحتله الى متى هذا الاخلاف فيغضب ويقول الى ان يوم عليك فالكلام في صورة سوال وجواب ولا يريد بالاول ولا الثاني يريد به الجواب فكذلك ههنا قال يوم هم على النار يفتنون مقابلة لاستهزايهم بالايعاد لا على وجه الابانة والثاني ان يكون ذلك ابتدا كلام تمامه في قوله ذوقوا فتنتكم **فان قيل** هذا يفضي الى الاضمار فالجواب ان الاضمار لا بد منه لان قوله ذوقوا فتنتكم غير متصل بما قبله الا باضمار يقال **قوله** ذوقوا اي يقال لهم ذوقوا هذا الذي كنتم به تستعجلون خبره هذا هو الظاهر وجوز الزمخشري ان يكون هذا بدلا من فتنتكم لانها بمعنى العذاب ومعنى فتنتكم عذابكم هذا الذي كنتم به تستعجلون في الدنيا تكذيبا به وهو قولهم ربنا عجل لنا قطنا وقولهم فاتنا بما تعدنا ونظاير وقوله يسالون ايان يوم الدين فانه نوع استعجال بالقول ويحتمل ان يكون المراد الاستعجال بالفعل وهو اصرارهم على العناد واظهار الفساد فانه يعجل العقوبة **قوله تعالى** ان المتقين في جنات وعيون لما بين حال المجرمين بين بعده حال المتقين والمتقي له مقامات ادناها ان يتقي الشرك واعلاها ان يتقي ما سوى الله وادنى درجات المتقي الجنة فما من مكلف اجتنب الكفر الا ويدخل الجنة **قوله** آخذين حال من الضمير في قوله جنات وما اتاهم يعني ما في الجنة فيكون حالا حقيقية وقيل ما اتاهم من اوامر ونواهيه فيكون في الدنيا فيكون حالا محكية لاختلاف الزمانين وجعل الجار هنا خبرا والصفة فضلة وعكس هذا في قوله ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون قيل لان الخبر مقصود الجملة والغرض هناك الاخبار عن تخليدهم لان المؤمن قد يدخل النار ولكن لا بد من خروجه واما اية المتقين فجعل الظرف فيها خبرا لانهم امنوا الخروج منها فجعل لذلك محط الفائدة لحصول الطمانينة فانتصبت الصفة حالا **فصل** اعلم انه تعالى وحد الجنة تارة قال تعالى مثل الجنة واخرى جمعها كقوله ههنا ان المتقين في جنات وتارة ثناها قال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان والحكمة فيه ان الجنة في توحيدها لاتصال المنازل والاشجار والانهار فجنة واحدة واما جمعها فلانها بالنسبة الى الدنيا وبالاضافة اليها جنات لا يحصرها عدد واما تثنيتها فسياتي في سورة الرحمن قال ابن الخطيب غيرانا نقول ههنا ان الله تعالى عند الوعد وحد الجنة وكذلك عند الشرا فقال ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة وعند الاعطا جمعها اشارة الى ان الزيادة في الوعد موجودة بخلاف ما لو وعد بجنات ثم يقول انه في جنة لانه دون الموعود وقوله وعيون يقتضي ان يكون المتقي بها ولا لذة في كون الانسان في ماء فالمعنى في خلال العيون اي بين الانهار كقوله في جنات معناه بين الجنات وفي خلالها لان الجنة هي الاشجار ونكرها مع كونها معرفة للتعظيم كقولك فلان رجل اي عظيم في الرجولة ومعنى اخذين اي قابضين ما اتاهم شيئا فشيئا ولا يستوفونه بكماله لامتناع استيفا ما لا نهاية له وقيل معنى اخذين اي قابلين قبول راض كقوله تعالى ويأخذ الصدقات اي يقبلها قاله الزمخشري وقال ابن الخطيب وفيه وجه ثالث وهو ان قوله في جنات يدل على السكنى حسب فاذا قال اخذين دل على انها ملكهم كما يقال لمن اشترى دارا او بستانا اخذه بثمن قليل او تسلمه كذا اي دخلها متملكا لها وكذا يقال لمن اشترى دارا او بستانا اخذه بثمن قليل اي تملكه وان لم يكن هناك قبض حسا ولا قبول برضى وحينئذ فايدته بيان ان دخولهم فيها ليس دخول مستعير او من يسترد منه ذلك بل هو ملكه الذي اشتراه بماله ونفسه من الله وقوله اتاهم لبيان ان اخذهم ذلك لم يكن عنوة وانما ذلك باعطا الله وعلى هذا الوجه ما

راجعه الى الجنات والعيون وقوله انهم كانوا قبل ذلك محسنين اشارة الى انهم اخذوها بثمنها
وملكوها بالاحسان في الدنيا والاشارة بذلك اما لدخول الجنة واما لايتاء الله واما اليوم
الدين والاحسان قيل هو قول لا اله الا الله وهذا قيل في معنى كلمة التقوى انها لا اله الا الله وفي
قوله تعالى ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وقوله هل جزاء الاحسان الا الاحسان هو الاتيان
بجملة لا اله الا الله **قوله** كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وهذا كالتفسير لكونهم محسنين
وفيه اوجه احدها ان الكلام تم على قليلا وهذا وقف بعضهم على قليلا ليواخيها قوله تعالى
وقليل ما هم وقليل من عبادي الشكور ويبتدي من الليل ما يهجعون اي ما يهجعون من
الليل والمعنى كانوا من الناس قليلا ثم ابتدا فقال ما يهجعون وجعله جحدا اي لا ينامون بالليل
البتة بل يقومون للصلوة والعبادة وهو قول الضحاك ومقاتل وهذا لا يظهر من حيث المعنى
ولا من حيث الصناعة اما الاول فلا بد ان يهجعوا ولا يتصور نفي هجوعهم واما الصناعة
فلان ما في حيز النفي لا يتقدم عليه على المذهب هذا ان جعلتها نافية وان جعلتها مصدرية
صار التقدير من الليل هجوعهم ولا فائدة فيه لان غيرهم من سائر الناس بهذه المثابة
الثاني ان تجعل ما مصدرية بدلا من اسم كان بدل اشتمال اي كان هجوعهم قليلا ومن
الليل على هذين لا يتعلق بيهجعون لان ما في حيز المصدر لا يتقدم عليه على المشهور وبعض
المانعين اغتفره في الظرف فيجوز هذا اعنى والمانع يقدر فعلا يدل عليه يهجعون اي يهجعون
من الليل الثالث ان ما زائدة ويهجعون خبر كان والتقدير كانوا يهجعون من الليل هجوعا
قليلا او زمنا قليلا فقليلا نعت لمصدر او ظرف الخامس انها بمعنى الذي وعائدها محذوف
تقديره كانوا قليلا من الليل الوقت الذي يهجعونه وهذا فيه تكلف **فصل** قال ابن
الخطيب قليلا منصوب على الظرف تقديره يهجعون قليلا يقال قام بعض الليل فنصب بعض
على الظرف وخبر كانوا هو قوله يهجعون وما زائدة هذا هو المشهور وفيه وجه اخر وهو ان يقال
كانوا قليلا معناه كانوا من الناس قليلا فيكون قليلا خبر كان وما يهجعون معناه نفي النوم
عنهم وهذا منقول عن الضحاك ومقاتل وانكر الزمخشري كون ما نافية وقال لا يجوز ان تكون نافية
لان ما بعد ما لا يعمل فيما قبلها لا تقول زيدا ما ضربت ويجوز ان يعمل ما بعد لم فيما قبلها تقول
زيدا لم اضرب وذلك ان الفعل المتعدي انما يعمل في النفي حملا له على الاثبات لانك اذا قلت
ضرب زيد عمرا تثبت تعلق فعله بعمرو فاذا قلت ما ضربته لم يوجد منه فعل حتى يتعلق به ويتعدى
اليه لكن النفي محمول على الاثبات فاذا ثبت هذا فالنفي بالنسبة الى الاثبات كاسم الفاعل
بالنسبة الى الفعل فانه يعمل عمل الفعل لكن اسم الفاعل اذا كان بمعنى الماضي لا يعمل فلا تقول زيد
ضارب عمرا امس وتقول زيد ضارب عمرا غدا واليوم والآن لان الماضي لم يبق موجودا ولا متوقع
الوجود فلا يتعلق بالمفعول حقيقة لكن الفعل لقوته يعمل واسم الفاعل لضعفه لم يعمل اذا عرف
هذا فقوله ما ضرب للنفي في الماضي فاجتمع فيه النفي والمضي فضعف واما لم اضرب فان كان يقلب
المستقبل نوجد فيه ما وجد في قول القايل زيد ضارب عمرا غدا فاعمل قال ابن الخطيب غير ان
القايل بذلك يقول قليلا ليس منصوبا بقوله يهجعون وانما ذلك خبر كانوا قليلين **فصل**
تقديم قليلا في الذكر ليس لمجرد السجع حتى يقع يهجعون ويستغفرون في اواخر الايات بل لان الهجوع
راحة لهم والمقصود بيان اجتهادهم وتحملهم السهر لله تعالى فلا يناسبه تقديم راحتهم وقد يغفل
السامع عما بعد الكلام فيعتقد كونهم محسنين بسبب هجوعهم فتقدم قوله قليلا ليسبق الى الفهم اولا
قلة الهجوع وقوله من الليل اشارة الى انه الزمن الذي يهجع الناس فيه ولا يسهره في الطاعة الا
متعبد متصل **فان قيل** الهجوع لا يكون الا بالليل والنوم نهارا لا يقال له هجوع فالجواب

ان ذكر العام وارادته بالتخصيص حسن تقول رايت حيوانا ناطقا فصيحا واما ذكر الخاص
وارادته بالعام فلا يحسن الا في بعض المواضع فلا تقول رايت ناطقا فصيحا حيوانا واذا عرف هذا
فقوله تعالى كانوا قليلا من الليل ذكرا سوا هو كالعام يحتمل ان يكون بعده كانوا من الليل
يسجدون او يستغفرون او يسهرون او غيره فلما قال يهجعون فكانه خصص ذلك الامر العام
المحتمل له ولغيره فازال الاحتمال **قوله** وبالاسحار متعلق بيستغفرون والبا بمعنى في وقدم
متعلق الخبر على المبتدا لجواز تقديم العامل **فصل** معنى قوله قليلا من الليل ما
يهجعون اي يصلون اكثر الليل وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس يعني كانوا اقل ليلة تمر بهم
الا صلوا فيها شيئا اما من اولها واما من اوسطها وقال انس بن مالك كانوا يصلون ما بين
المغرب والعشا وقال محمد بن علي كانوا لا ينامون حتى يصلوا العتمة وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير
قل ليلة اتت عليهم هجعوها كلها وقال مجاهد كانوا لا ينامون كل الليل وبالاسحار هم يستغفرون
قال الحسن لا ينامون من الليل الا اقله وربما نشطوا فمدوا الى السحر ثم اخذوا بالاسحار في الاستغفار
وقال الكلبي ومجاهد ومقاتل وبالاسحار يصلون وذلك ان صلاتهم بالاسحار لطلب المغفرة
روى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل الله الى السما كل ليلة حين يبقى ثلث
الليل فيقول انا الملك انا الملك من ذا الذي يدعوني فاستجيب له من ذا الذي يسالني فاعطيه
من ذا الذي يستغفرني فاغفر له **فصل** في بالاسحار هم يستغفرون اشارة الى انهم كانوا
يتهجدون ويجتهدون ثم يريدون ان يكون عملهم اكثر من ذلك واخلص منه فهم يستغفرون
من التقصير وهذه سيرة الكريم ياتي باعلى وجوه الكرم ويستقله ويعتذر من التقصير
واللئيم ياتي بالقليل ويستكثره ويمن به وفي الاية لطايف الاولى انه تعالى لما ذكر قلة
هجوعهم والهجوع مقتضى الطبع قال يستغفرون اي من ذلك القدر من النوم القليل الثانية
انه تعالى مدحهم بقلة الهجوع ولم يمدحهم بكثرة السهر فلم يقل كانوا كثيرا من الليل
ما يسهرون مع ان السهر هو الكلفة والاجتهاد لا الهجوع وهذه اشارة الى ان نومهم عبادة
حيث مدحهم الله بكونهم هاجعين قليلا وذلك الهجوع اورثهم الاشتغال بعبادة اخرى
وهو الاستغفار بالاسحار ومنعهم من الاعجاب بانفسهم **فصل** البا في قوله بالاسحار
استعملت للظرف هنا وهي ليست للظرف قال بعض النحاة ان حروف الجر ينوب بعضها عن
بعض يقال في ظرف الزمان خرجت لعشرين وبالليل وفي شهر رمضان فتستعمل اللام والبا
وفي وكذلك في ظرف المكان تقول اقمت بمدينة كذا وفيها ورايته ببلدة كذا وفيها قال
ابن الخطيب والتحقيق فيه ان نقول الحروف لها معان مختلفة كما ان الاسما والافعال كذلك غير
ان الحروف غير مستقلة بافادة المعنى والاسم والفعل مستقلان لكن بين بعض الحروف وبعضها
تنافر وتباعد كما في الاسما والافعال فان البيت والمسكن متخالفان متقاربان وكذلك
مكث وسكن وكذلك كل اسمين او كل فعلين يوجد فان بينهما تقارب وتباعد لان البا للالصاق
واللام للاختصاص وفي للظرف والظرف مع المظروف ملتصق ومختص به اذا عرف هذا فنقول
بين البا واللام وفي مشاركة اما البا فلانها للالصاق والمتمكن في مكان ملتصق به متصل
وكذلك الفعل بالنسبة الى الزمان فاذا قال سار بالنهار معناه ذهب ذهابا متصلا بالنهار
فقوله وبالاسحار هم يستغفرون اي متصلا بالاسحار اخبر عن الاقتران وذلك ادل على وجود
الفعل مع اول جزء من اجزاء الوقت من قوله في الليل لانه يستدعي احتواء الزمان بالفعل وكذلك
قول القايل اقمت ببلدة كذا لا يفيد انه كان مخالطا بالبلد وقوله اقمت فيها يدل على احاطتها به
فاذن قول القايل اقمت بالبلد ودعوت بالاسحار اعم من قوله اقمت فيه لان القايم فيه قايم به

قوله الرابع ... كلام المفسر كانوا قليلا هجوعهم الثالث

فالغنا بوبه ليس قابوبه وإذا علم هذا فقوله وبالاسحار هم يستغفرون اشارة الى انهم لا يخلون وقتا عن العبادة وانهم بالليل لا يهجعون ومع ذلك اوجز من السحر يستغفرون فيكون فيه بيان كونهم مستغفرين من غير ان يسبق منهم ذنب لانهم وقت الانتباه لم يخلوا الوقت للذنب ولا يطرد استعمال البا بمعنى في فلا تقول خرجت بيوم الجمعة لان يوم الجمعة مع انه زمان فيه خصوصيات وتقييدات زايدة على الزمان لانك اذا قلت خرجت بنهارنا وبليلة الجمعة لم تحسن ولو قلت خرجت بيوم سعيد وخرج بيوم نحس حسن فالنهار والليل لما لم يكن فيهما خصوص وتقييد جاز استعمال البا فيهما فاذا قيدتهما وخصصتهما زال الجواز ويوم الجمعة لما كان فيه خصوص لم يجز استعمال البا فيه والفعل حدث مستقر في زمان لانا نتباعد عن الزمان فاذا زال الخصوص وقلت خرجت بيوم سعيد جاز واما في فيصح مطلقا لان ما حصل في العام حصل في الخاص لان العام جزء داخل في الخاص فتقول في يوم الجمعة وفي هذه الساعة واما اللام فتقدم الكلام عليها عند قوله والشمس تجري لمستقرها

فصل في فايدة قوله هم قال الزمخشري فايدتها الاختصاص المستغفرين انهم الكاملون في الاستغفار لا غيرهم كقولك زيد هو العالم الكامل في العلم كانه تفرد به وايضا فلو عطف بدون هم لاوهم انهم يستغفرون قليلا والاستغفار اما طلب المغفرة كقولهم ربنا اغفر لنا واما اتيانهم بعبادات يتقربون بها طلب للمغفرة واما ان يكون من باب قولهم استحصد الزرع اي ذلك اوان المغفرة

قوله وفي اموالهم حق للسايل والمحروم لما تقدم التعظيم لامر الله ثنى بالشفقة على خلق الله واضاف الاموال اليهم لانه مدح لهم وقال في موضع اخر وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه لان ذلك تحريض وحث على النفقة وذلك يناسبه **فان قيل** كون الحق في المال لا يوجب مدحا لان كون المسلم في ماله حق وهو الزكوة ليس صفة مدح لان كل مسلم كذلك بل الكافر اذا قلنا انه مخاطب بفروع الاسلام في ماله حق معلوم غير انه اذا اسلم سقط عنه وان مات عوقب على تركه الادا وان ادى من غير اسلام لا يقع الموقع فكيف يفهم كونه مدحا فالجواب انا نفسر السايل من يطلب جزا من المال وهو الزكوة ومن لا يطلب جزا معينا وهو طالب صدقة التطوع فكانه قال في ماله زكوة وصدقة او يقال بان في للظرفية والمعنى انهم لا يجمعون المال ولا يجعلونه ظرفا للحقوق والمطلوب من الظرف والمظروف انما هو المظروف وهذا مدح عظيم **فان قيل** لو قيل اموالهم للسايل كان ابلغ فالجواب لا نسلم فانه صرف جميع المال حتى يبقى فقيرا محتاجا منهيا عنه ولذلك الصلوة والصوم والاقتصاد فيهما ابلغ لقوله عليه السلام ان هذا الدين متين فادخلوا فيه برفق فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى

فصل في السايل والمحروم وجوه احدها ان السايل هو الادمي والمحروم كل ذي روح غيره من الحيوانات المحترمة قال عليه السلام في كل كبد حرا اجر وهذا ترتيب حسن لان الادمي متقدم على البهايم الثاني ان السايل هو الذي يسال والمحروم هو المتعفف يظن انه غني فيحرم وتقدم السايل لان حاله يعرف بسواله او يكون اشارة الى كثرة العطا فيعطي السوال السوال فاذا لم يجدهم يسال عن المحتاجين فيكون سايلا ومسوولا الثالث تقدم السايل لمجانسته دون الاي

فصل قال ابن عباس وسعيد بن المسيب السايل الذي يسال الناس والمحروم الذي ليس له في الغنايم سهم ولا يجري عليه من الفي شي وقال قتادة والزهري المحروم المتعفف الذي لا يسال وقال زيد بن اسلم المحروم هو المصاب ثمره او زرعه او نسل ماشيته وهو قول محمد بن كعب القرظي فالمحروم صاحب الجايحة ثم قرا انا لمغرمون بل نحن محرومون

قوله وفي الارض ايات للموقنين اذا سافر فيها من الجبال والبحار والثمار وانواع النبات تدلهم على ان الحشر كاين كقوله تعالى ومن اياته انك ترى الارض خاشعة الى ان

قال

قال ان الذي احياها لمحيي الموتى ويحتمل ان يكون المعنى وفي الارض ايات تدل على مدبر قادر قاهر تجب ان يعبد ويحذر **فان قيل** كيف خصص الايات بالموقنين ولم يخصص في قوله واية لهم الارض الميتة احييناها فالجواب ان القسم انما يكون مع المعاند في البرهان فهو لا ينتفع بالايات وانما ينتفع بها الموقنون فلذلك اقسم ههنا فقال فورب السما والارض انه لحق وفي سورة يس لم يوكد ذلك بالقسم الدال على المعاندة او يقال اطلقت هناك باعتبار حصولها وخصصت هنا باعتبار المنفعة بها وجمعت الايات هنا لان الموقن يتنبه لامور كثيرة وكذلك قوله وفي انفسكم ايات دالة على ذلك اذ كانت نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما الى ان نفخ فيها الروح وقال عطا عن ابن عباس يريد اختلاف الالسنة والصور والالوان والطبايع وقال ابن الزبير يريد سبيل الغايط والبول ياكل ويشرب من مدخل واحد ويخرج من سبيلين وقوله افلا تبصرون قال مقاتل افلا تبصرون كيف خلقكم فتعرفوا قدرته على البعث

قوله وفي انفسكم نسق على في الارض فهو خبر عن ايات ايضا والتقدير وفي الارض وفي انفسكم ايات وقال ابو البقا ومن رفع بالظرف جعل ضمير الايات في الظرف يعني من يرفع الفاعل بالظرف مطلقا اي وان لم يعتمد يرفع بهذا الجار فاعلا هو ضمير ايات وجوز بعضهم ان يتعلق بتبصرون وهو فاسد لان الاستفهام والفا يمنعان جوازه وقرا قتادة اية بالافراد وقوله في انفسكم يحتمل ان يكون المراد وفيكم يقال الحجارة في نفسها صلبة ولا يراد بها النفس التي هي منبع الحيوة والحس والحركات ويحتمل ان يكون المراد وفي نفوسكم التي بها حياتكم ايات وقوله افلا تبصرون بالاستفهام اشارة الى ظهورها

قوله وفي السما رزقكم اي سبب رزقكم وقرا حميد وابن محيصن رازقكم اسم فاعل والله تعالى متعال عن الجهة قال ابن عباس ومجاهد ومقاتل يعني بالرزق المطر لانه سبب الارزاق وقيل في السما رزقكم مكتوب وقيل تقدير الارزاق كلها من السما ولولاه لما حصل في الارض حبة قوت

قوله وما توعدون قال عطا من الثواب والعقاب وقال مجاهد من الخير والشر وقال الضحاك وما توعدون من الجنة والنار فيكون المعنى على هذا او ما توعدون لحق كقوله انما توعدون لصادق فان قلنا ان المراد بقوله وما توعدون الجنة فهو من الوعد وان قيل المراد العذاب فيكون الخطاب مع الكفار

قوله فورب السما والارض انه لحق الضمير اما للقران واما للدين واما لليوم في قوله وان الدين لواقع وبيوم هم ويوم الدين واما للنبي صلى الله عليه وسلم ودخلت الفا بمعنى ان ما توعدون لحق بالبرهان المبين ثم بالقسم واليمين او للعطف على قوله والذاريات مع اعادة المقسم عليه لو نوع القسم واقسم اولا بالمخلوقات وههنا بربها ترقيا من الادنى الى الاعلا

قوله مثل ما قرا الاخوان وابو بكر مثل بالرفع وفيه ثلاثة اوجه احدها انه خبر ثان مستقل كالاول والثاني انه مع ما قبله خبر واحد كقولك هذا حلو حامض نقلهما ابو البقا والثالث انه نعت لحق وما مزيدة على الاوجه الثلاثة وانكم مضاف اليه اي لحق مثل نطقكم ولا يضر تقديره لان اضافتها المعرفة لانها لا تتعرف بذلك لابهامها والباقون بالنصب وفيه اوجه اشهرها انه نعت لحق ايضا كما في القراءة الاولى وانما بني الاسم لاضافته الى غير متمكن كما بناه الاخر في قوله • تتداعى منخراه بدم مثل ما اثمر حماض الجبل • فتح مثل مع انها نعت لدم وكما بنيت غير في قوله لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت حمامة في غصون ذات اوقال غير فاعل يمنع فبناها على الفتح لاضافتها الى ان نطقت وقد تقدم في قراءة لقد تقطع بينكم بالفتح ما يغني عن تقريره مثل هذا الثاني ان مثل ركبت مع ما حتى صارتا شيا واحدا قال المازني ومثله ويحما وهيما وابنما وانشد لحميد بن ثور • الا هيما مما لقيت وهيما • وويحا لمن لم يدر ما هن ويحما • قال فلولا البنا لكان منونا وانشد ايضا • فاكرم بنا اما واكرم بنا ابنما •

الزبني

وهذا الذي ذكره ذهب اليه بعض النحويين وانشد أثورما صيدكم ام ثورين ام هذه الجماء ذات
واما ما انشده من قوله واكرم بنا ابنما فليس من هذا الباب لان هذا ابن زيدت عليه الميم واذا
زيدت عليه الميم جعلت النون تابعة للميم في الحركات على الفصيح فتقول هذا ابنم ورأيت ابنما
ومررت بابنم فتجري حركات الاعراب على الميم ويتبعها النون وابنما في البيت منصوب على التمييز
فالفتح لاجل النصب لا للبنا وليس هذه ما الزائدة بل الميم وحدها زائدة والالف بدل من التنوين
الثالث انه منصوب على الظرف وهو قول الكوفيين ويجيزون زيد مثلك بالفتح ونقله ابو البقا
عن ابي الحسن ولكن بعبارة مشكلة فقال ويقرا بالفتح وفيه وجهان احدهما هو معرب ثم في نصبه
اوجه ثم قال او على انه مرفوع الموضع ولكنه فتح كما فتح الظرف في قوله لقد تقطع بينكم على قول
الاخفش ثم قال والوجه الثاني هو مبني وقال ابو عبيد بعض العرب يجعل مثل نصبا ابدا
فيقولون هذا رجل مثلك الرابع انه منصوب على اسقاط الجار وهو كاف التشبيه وقال الفرا العرب
تنصبها اذا رفع بها الاسم يعني المبتدا فيقولون مثل من عبد الله وعبد الله مثلك وانت مثله
لان الكاف قد تكون داخلة عليها فتنصب اذا القيت الكاف قال شهاب الدين وفي هذا
نظر اي حاجة الى تقدير دخول الكاف ومثل تفيد فايدتها وكانه لما راى ان الكاف قد دخلت
عليها في قوله ليس كمثله شي قال ذلك الخامس انه نعت لمصدر محذوف اي لحق حقا مثل نطقكم
السادس انه حال من الضمير في لحق لانه قد كثر الوصف بهذا المصدر حتى جرى مجرى الاوصاف
المشتقة والعامل فيها حق السابع انه حال من نكرة وان كان نكرة وقد نص سيبويه في مواضع
من كتابه على جوازه وتابعه ابو عمرو على ذلك **وما** هذه في مثل هذا التركيب نحو قولهم هذا حق
كما انك ههنا لا يجوز حذفها فلا يقال هذا حق كانك ههنا نص على ذلك الخليل رحمه الله فاذا
جعلت مثل معربة كانت ما مزيدة وانكم في محل خفض بالاضافة كما تقدم واذا جعلتها مبنية
اما للتركيب واما للاضافة الى غير متمكن جاز في ما هذه وجهان الزيادة وان تكون نكرة موصوفة
كذا قال ابو البقا وفيه نظر لعدم الوصف ههنا فان قال هو محذوف فالاصل عدمه وايضا فنصوا
على ان هذه الصفة لا تحذف لابهام موصوفها واما انكم تنطقون فيجوز ان يكون مجرورا بالاضافة
ان كانت ما مزيدة وان كانت نكرة كان في موضع نصب باضمار اعني او رفع باضمار مبتدا
فصل المعنى فورب السما والارض انه لحق اي ما ذكرت من امر الرزق لحق كمثل ما انكم
تنطقون فتقولون لا اله الا الله وقيل شبه تحقيق ما اخبر عنه بتحقيق نطق الادمي كقولك انه لحق
كما انت ههنا وانه لحق كما انك تتكلم والمعنى انه في صدقه ووجوده كالذي تعرفه ضرورة قال
الحكما كما ان كل انسان ينطق بلسان نفسه لا يمكنه ان ينطق بلسان غيره فكذلك كل انسان ياكل رزق
نفسه الذي قسم له ولا يقدر ان ياكل رزق غيره وقيل معناه ان القران لحق تكلم به الملك النازل من
السما مثل ما تتكلمون **قوله تعالى** هل اتاك حديث ضيف ابرهيم المكرمين هذا
تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتبشير له بالفرج وسماهم ضيفا لانه حسبهم كذلك ويقع على الواحد
والجمع لانه مصدر وسماهم مكرمين اي عند الله او لان ابرهيم عليه السلام اكرمهم بان عجل قراهم واجلسهم
في اكرم المواضع واختار ابرهيم لكونه شيخ المرسلين وكون النبي عليه السلام مامورا بان يتبع ملته
كما قال تعالى واوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم وقيل سماهم مكرمين لانهم كانوا ضيف ابرهيم عليه
السلام وكان ابرهيم اكرم الخليقة وضيف الكرام مكرمون وقال ابن ابي نجيح عن مجاهد لان ابرهيم
عليه السلام خدمهم بنفسه وعن ابن عباس سماهم مكرمين لانهم جاوا غير مدعوين وقال عليه السلام
من كان يومن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه **فان قيل** اذا كان المراد من الاية التسلية
والانذار فاي فايدة في حكاية الضيافة فالجواب ليكون ذلك اشارة الى ان الفرج في حق الانبيا

والبلا

والبلا على الجهلة ياتي من حيث لم يحتسبوا كقوله تعالى فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون فلم يكن عند
ابرهيم عليه السلام خبر من نزول العذاب مع ارتفاع منزلته وقد تقدم عددهم في سورة هود
قوله اذ دخلوا عليه في العامل فيه اربعة اوجه احدها انه حديث اي هل اتاك حديثهم
الواقع في وقت دخولهم عليه الثاني انه منصوب بما في ضيف من معنى الفعل لانه في الاصل
مصدر ولذلك استوى فيه الواحد المذكر وغيره كانه قيل الذين اضافهم في وقت دخولهم عليه
الثالث انه منصوب بالمكرمين ان اريد باكرامهم ان ابرهيم اكرمهم بخدمته لهم كانه تعالى يقول
اكرموا اذ دخلوا الرابع انه منصوب باضمار اذكر ولا يجوز نصبه باتاك لاختلاف الزمانين وقرا
العامة المكرمين بتخفيف الراء من اكرم وعكرمة بالتشديد **فان قيل** انهم ارسلوا
للعذاب بدليل قولهم انا ارسلنا الى قوم مجرمين وهم لم يكونوا من قوم ابرهيم عليه السلام بل كانوا
من قوم لوط فما الحكمة في مجيهم الى ابرهيم عليه السلام فالجواب من وجهين الاول ان ابرهيم
عليه السلام شيخ المرسلين ولوط من قومه ومن عادة الملك اذا ارسل رسولا الى ملك وفي طريقه من
هو اكبر منه يقول له اعبر على فلان الملك واخبره برسالتك وخذ منه راية الثاني ان ابرهيم
عليه السلام كان شديد الشفقة حليما فكان يشق عليه اهلاك امة عظيمة وكان ذلك مما يحزن
ابرهيم عليه السلام شفقة منه على العباد فقالوا لهم بشروه بغلام يخرج من صلبه اضعاف من
يهلك ويكون من صلبه خروج الانبيا عليهم السلام **قوله** فقالوا سلاما قال سلام العامة
على نصب سلاما الاول ورفع الثاني فاما نصب الاول فالمشهور انه السلام التحية اي نسلم سلاما
ويحتمل ان سلاما معناه حسنا اي قالوا كلاما حسنا لانه كلام سلم به المتكلم من ان يلغو ويأثم
فكانهم قالوا قولا حسنا سلموا به من الاثم فيكون مفعولا به لانه في معنى القول كما قيل في قوله واذا
خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما او هو بفعل محذوف اي فبلغك سلاما ولم يقولوا من الله شفقة
على قلب ابرهيم فاتوا به مجملا ثم فسروه بعد ذلك واما رفع الثاني فالمشهور انه التحية
فهو مبتدا وخبره محذوف اي عليكم ويحتمل انه السلامة اي امري سلام لاني لا اعرفكم او قولكم
سلام اي بعيد عن السلامة وانتم قوم منكرون فما خطبكم واما الفرق بين النصب والرفع فان
حملنا السلام على التحية فانه مبتدا مع انه نكرة تنبيها على اصله لانه النصب لان المعنى اسلم
سلاما وعليكم لبيان المسلم عليه لا حظ له في الاعراب واسلم الكلام اسلم سلاما فالنصب
اصل تقدم على الرفع الذي هو فرع وايضا فرد ابرهيم ابلغ لانه اتى بالجملة الاسمية الدالة
على الثبات بخلاف الفعلية فانها تدل على التجدد والحدوث ولهذا يستقيم قولنا الله موجود
الان ولا يستقيم قولنا الله وجد الان واما ان قلنا معناه حسنا او ذا سلامة فمعناه قلتم
حسنا وانتم تنكرون فالتبس الامر علي واما ان قلنا معناه المتاركة فمعناه سلمتم علي وانا
امري متاركة لاني لا اعلم حالكم ومنه واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وقال فاصفح عنهم
وقل سلام لان سلامهم على الجاهلين لا يمنع التعرض لهم بخلاف النبي صلى الله عليه وسلم فمعناه
سلم امري متاركة الى ان ياتي امر الله وتقدم تحرير نظير هذه الاية في سورة هود وتقدم
ايضا خلاف القراء في سلام بالنسبة الى فتح سينه وكسرها والى سكون لامه وفتحها وقريا مرفوعين
وقري سلاما قالوا سلما بكسر سين الثاني ونصبه ولا يخفى توجيه ذلك مما تقدم في هود وقلت
قوله الفا ههنا اشارة الى انهم لم يخلوا بادب الدخول بل جعلوا السلام عقيب الدخول
قوم منكرون خبر مبتدا مضمر تقديره انتم قوم ولم يبتغه بعضهم لان فيه عدم الانس فمثله لا يتبع
من ابرهيم عليه السلام فالاولى ان يقدر هولاء قوم اوهم قوم ويكون مقالته هذه مع اهل بيته
وخاصته لا للنفر الضيف لان ذلك يوحشهم وقال المفسرون قوم منكرون اي غربا لا نعرفكم

قال ابن عباس قال في نفسه هولاء قوم لا نعرفهم وقيل انما انكرا مرهم لانهم دخلوا عليه من غير
استيذان وقال ابو العالية انكر سلامهم في ذلك الزمان وفي تلك الارض **فان قيل**
قال في سورة هود فلما راى ايديهم لا تصل اليه نكرهم تدل على ان انكاره حصل بعد تقريب
العجل اليهم وههنا قال فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون ثم قال فراغ الى اهله بالفاء التعقيب
وذلك يدل على ان تقريب الطعام منهم بعد حصول انكاره فما وجهه فالجواب ان يقال لعلهم
كانوا مخالفين لصفة الناس في الشكل والهيئة ولذلك قال قوم منكرون اي عند كل احد واشترك
ابرهيم عليه السلام وغيره فيه ولهذا لم يقل انكرتكم بل قال انتم منكرون في انفسكم عند كل احد
منا ثم لما امتنعوا عن الطعام تاكد الانكار لان ابرهيم عليه السلام تفرد بمشاهدة امساكهم
فنكرهم فوق الانكار الاول وحكاية الحال في سورة هود ابسط مما ذكره ههنا فان ههنا لم يتبين المبشر
به وهناك ذكره باسمه وهو اسحق وههنا لم يقل ان القوم قوم من وهناك قال قوم لوط **فصل**
ذكر ههنا من اداب الضيافة تسليم المضيف على الضيف ولقاوه بالوجه الحسن والمبالغة في الاكرام
بقوله سلام وهو اكد وسلامهم بالمصدر وفي قوله سلام بالرفع زيادة على ذلك ولم يقل سلام
عليكم لان الامتناع من الطعام يدل على العداوة والعدو لا يليق بالانبيا فقال سلام اي امري
مسالمة ثم فيها من اداب المضيف تعجيل الضيافة فان الفا في قوله يدل على التعقيب واخفاوها
لان الروغان يقتضي الاخفا وغيبة المضيف عن الضيف ليستريح وياتي بما يمنعه الحيا منه
ويخدم الضيف بنفسه ويختار الاجود لقوله سمين ويقدم الطعام للضيف في مكانه لا
ينقل الضيف للطعام لقوله فقربه اليهم ويعرض الاكل عليه لا يامر لقوله الا تاكلون ولم
يقل كلوا وسروره باكله لا كما يوجد في بعض البخلا الذين يحضرون طعاما كثيرا ويجعل نظره
ونظر اهل بيته الى الطعام حتى يمسك الضيف يده عنه لقوله فاوجس منهم خيفة بعدم اكله
ومن اداب الضيف اذا حضره الطعام ولم يكن يصلح له لكونه مضرا به او يكون ضعيف القوة عن
هضم ذلك الطعام فلا يقول هذا طعام غليظ لا يصلح لي بل يا في بعبارة حسنة ويقول بي مانع
من اكل الطعام لانهم اجابوه بقولهم لا تخف ولم يذكروا في الطعام شيا ولا انه يضرهم بل بشروه
بالولد اشعارا بانهم ملايكة وبشروه بالاشرف وهو الذكر حيث فهموا انهم ليسوا ممن ياكلون ثم
وصفوه بالعلم دون المال والجمال لان العلم اشرف الصفات ثم ادب اخر في البشارة وهو ان لا
يخبر الانسان بما يسره دفعة واحدة لانه يورث مرضا لانهم جلسوا واستانس بهم ابرهيم ثم قالوا
نبشرك وتقدم الكلام على فايدة تقديم البشارة **قوله** فراغ اي عدل ومال الى اهله
وقوله فجا عطف على فراغ وتسببه عنه واضح بعجل سمين اي مشوي لقوله في مكان اخر بعجل
حنيذ فقربه اليهم ليا كلوا فلم ياكلوا قال الا تاكلون والهمزة في الا تاكلون للانكار عليهم في عدم
اكلهم او للعرض او للتحضيض فاوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم **قوله**
فاقبلت امراته في صرة قيل لم يكن ذلك اقبالا من مكان الى مكان وانما هو كقول القايل اقبل يشتمني
بمعنى اخذ في شتمي اي اخذت تولول لقوله قالت يا ويلتى وذلك انها كانت مع زوجها في خدمتهم
فلما تكلموا مع زوجها بولادتها استحت واعرضت عنهم فذكر الله تعالى ذلك بلفظ الاقبال على
الاهل ولم يقل بلفظ الادبار عن الملايكة **قوله** في صرة يجوز ان يكون حالا من الفاعل اي
كاينة في صرة والصرة قيل الصيحة قال امرو القيس
فالحقنا بالهاديات ودونه جواحرها في صرة لم تزيل . قال الزمخشري من صر الجندب والباب
والقلم اي فصاحت كما جرت عادة النسا اذا سمعن شيا من احوالهن يصحن صيحة معتادة لهن
عند الاستحيا او التعجب ويحتمل ان يقال تلك الصيحة كانت قولها يا ويلتا ومحلها النصب على

لحال

الحال اي فجات صارة ويجوز ان يتعلق باقبلت اي اقبلت في جماعة نسوة كن معها والصرة
الجماعة من النسا **قوله** فصكت وجهها قال ابن عباس لطمت وجهها واختلف في
صفته فقيل هو الضرب باليد مبسوطة وقيل بل ضرب الوجه باطراف الاصابع فعل المتعجب
وهي عادة النسا اذا انكرن شيا واصل الصك ضرب الشي بالشي العريض **قوله** عجوز خبر
مبتدا مضمر اي انا عجوز عقيم فكيف الد نظيرها الاية الاخرى استبعدت ذلك لكبرها ولعقمها فانها
كانت لا تلد في صغرها وعنفوان شبابها ثم عجزت وايست فاستبعدت ذلك فظنا منها ان ذلك
منهم على سبيل الدعا فكانها قالت يا ليتكم دعوتم دعا قريبا من الاجابة فاجابوها بان ذلك من
الله تعالى وان هذا ليس بدعا وانما هو قول الله كذلك قال ربك ثم دفعوا استبعادها بقولهم
انه هو الحكيم العليم **قوله** كذلك منصوب على المصدر بقال الثانية اي مثل ذلك القول
الذي اخبرناك به قال ربك اي انه من جهة الله تعالى فلا تتعجبي منه قال ابن الخطيب وقال
ههنا الحكيم العليم وفي سورة هود انه حميد مجيد لان الحكاية في هود ابسط فذكروا ما يدفع استبعادها
بقولهم اتعجبين من امر الله ثم لما اشتغلوا الى القيام بشكر نعم الله بقولهم حميد فان الحميد هو الذي
يفعل الافعال الحسنة والمجيد اشارة الى انه الذي لا يحمد لفعله وانما يحمد لذاته وههنا لما لم يقولوا
اتعجبين اشاروا الى ما يدفع تعجبها بقولهم حكيم عليم فالحميد يتعلق بالفعل والمجيد يتعلق بالذات
وكذلك الحكيم هو الذي فعله قاصدا اليه فان من يتقلب في نومه على حية فقتلها لا يسمى حكيما
واما اذا قصد قتلها بحيث يسلم من نهشها يقال له حكيم والعليم صفة راجعة الى الذات فتقدم
وصف الفعل وارتقي درجة الى وصف الذات اشارة الى انه يستحق الحمد وان لم يفعل فعلا **قوله**
قال فما خطبكم ايها المرسلون هذا ايضا من اداب المضيف اذا بادر الضيف للخروج قال
له ما هذه العجلة وما شانك لان في سكوته ما يوهم باستثقالهم ثم انهم اتوا بما هو من ادب
الصدق الذي لا يؤثر من الصديق شيا وكان ذلك باذن الله لهم في اطلاع ابرهيم عليه السلام على
اهلاكهم وجبر قلبه بتقديم البشارة بابي الانبيا اسحق عليه السلام **فان قيل** فالذي
اقتضى ذكره بالفا ولم لا قال ما هذا الاستعجال وما خطبكم المعجل لكم فالجواب انه لما اوجس
منهم خيفة لو خرجوا من غير بشارة وايناس ما كان يقول شيا فلما انسوه قال ما خطبكم اي بعد
هذا الانس العظيم ما هذا الايحاش الاليم **فصل** والخطب يستعمل في الامر العظيم ولذلك
قال فما خطبكم اي لعظمتكم لا ترسلون الا في امر عظيم ولو قال بلفظ مركب بان يقول ما شغلكم
الخطير وامركم العظيم للزوم التطويل فالخطب افاد التعظيم مع الايجاز وعرف انهم مرسلون بقولهم
انا ارسلنا او بقولهم لامراته كذلك قال ربك لحكايتهم قول الله تعالى وقالوا في سورة هود انا
ارسلنا الى قوم لوط وقال هنا الى قوم مجرمين لان الحكاية من معنى قولهم ويحتمل انهم قالوا الامرين
ولما حكي لعظيم في السلام اتى في الموضعين بصفة واحدة والمجرم قال ابن عباس هو المشرك لان
الشرك اشرف الذنوب واعظمها وقال ابن الخطيب المجرم هو الاتي بالذنب العظيم لان الجرم فيه
دلالة على العظم ومنه جرم الشي لعظمه ومقدار **قوله** لنرسل عليهم حجارة من طين فيه
دليل على رجم اللايط والفايدة في ارسال جماعة من الملايكة لهذا الامر وان كان يكفي فيه
الواحد منهم ان الملك العظيم قد يهلك بالامر الحقير كما اهلك النمرود بالبعوض وكما اهلك
بالقمل والجراد بل بالريح التي بها الحياة اظهارا للقدرة وقد يكثر الاسباب كما في يوم بدر امر
بخمسة الاف من الملايكة باهلاك اهل بدر مع قلتهم اظهارا لعظيم قدرته وقوله من طين اي
ليست من البرد والفاعل لذلك هو الله تعالى لا كما يقول الحكما فانهم يقولون ان البرد يسمى حجارة
فقوله من طين يدفع ذلك التوهم قال ابن الخطيب ان بعض من يدعي العقل يقول لا ينزل

من السما الا حجارة من طين مدورات على هيئة البرد وهيئة البنادق التي تتخذها الرماة قالوا
وسبب ذلك ان الاعصار تصعد الغبار من الفلوات العظيمة التي لا عمارة فيها والرياح
تسوقها الى بعض البلاد وتتفق ذلك الى هواء ندي فيصير طينا رطبا والرطب اذا نزل وتفرق
استدار بدليل انك اذا رميت الما الى فوق ثم نظرت اليه رايته ينزل كرات مدورات كاللالي
الكبار ثم في النزول ان اتفق ان تضربه النيران التي في الجو صلبته حجارة كالاجر المطبوخ فينزل
فيصيب من قدر الله هلاكه وقد ينزل كثيرا في الفلوات التي لا عمارة بها فلا يرى ولا يدرى
به فلهذا قال من طين لانها لا تكون من طين كالحجر الذي في الصواعق لا يكون كثيرا حيث يطلع هذا
تعسف لان ذلك الاعصار لما وقع فان وقع لحادث لاحتمال التسلسل ولا بد من الانتها الى
محدث ليس بحادث فذلك المحدث لا بد وان يكون فاعلا مختارا والمختار له ان يفعل ذلك
وله ان يخلق الحجارة من طين على وجه اخر من غير نار ولا غبار لكن العقل لا طريق له الى الجزم
بطريق احداثه وما لا يصل العقل اليه فلا يؤخذ الا بالنقل والنص ومن المعلوم ان نزول
حجارة الطين من السما اغرب واعجب من غيرها **قوله** مسومة فيه ثلاثة اوجه احدها انه
منصوب على النعت لحجارة والثاني انه حال من الضمير المستكن في الجار قبله الثالث انه
حال من حجارة وحسن ذلك كون النكرة وصفت بالجار بعدها ومعنى مسومة قيل على كل
حجر منها اسم صاحبه وقيل خلقت وأعدت لتعذيبهم وقيل مرسلة للمجرمين لان الارسال
يقال في التسويم يقال ارسلها لترعى كما قيل في الخيل المسومة اي مستغنى عنها **قوله** عند ربك
ظرف لمسومة اي معلمة عنده والمسرف المتمادي ولوقع الصغاير فهم مجرمون مسرفون وهنا لطيفة
وهي ان الحجارة مسومة للمسرف المصر الذي لا يترك الذنب في المستقبل وذلك انما يعلمه الله تعالى
فلذلك قال عند ربك للمسرفين ولما كان الاجرام ظاهرا قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين واللام
في المسرفين لتعريف العهد اي هولا المسرفين اذ ليس لكل مسرف حجارة مسومة واسرافهم بانهم
اتوا بما لم يسبقهم به احد من العالمين **قوله** فاخرجنا من كان فيها من المومنين هذه
الاية تدل على بيان القدرة والاختيار لانه تعالى لما ميز المجرم عن المحسن دل على الاختيار وايضا
فيها بيان ان بركة المحسن ينجو المسي فان القرية ما دام فيها المومنون لم تهلك والضمير في فيها
عايد الى القرية وهي معلومة وان لم تكن مذكورة والمعنى فاخرجنا من كان في قرى قوم لوط من
المومنين وذلك قوله فاسر باهلك بقطع من الليل وقوله فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين
يعني لوطا وابنتيه وصفهم الله تعالى بالايمان والاسلام جميعا لانه ما من مومن الا وهو مسلم
وفيه اشارة الى ان الكفر اذا غلب والفسق اذا فشا لا تنفع معه عبادة المومنين بخلاف ما لو
كان اكثر الخلق على الطريقة المستقيمة وفيهم شرذمة يسيرة يسرفون ويزنون ومثاله ان العالم
كالبدن ووجود الصالحين كالاغذية الباردة والحارة والسموم الواردة عليه الصارة ثم ان البدن
ان خلا عن النافع وفيه الضار هلك وان خلا عن الضار وفيه النافع طاب ونما وان وجدا فيه
فالحكم للغالب واعلم ان اطلاق العام على الخاص لا مانع منه لان المسلم اعم من المومن فاذا سمي المومن
مسلما لا يدل على اتحاد مفهوميهما فكانه تعالى قال اخرجنا المومنين فما وجدنا الاعم منهم الا بيتا من
المسلمين ويلزم من هذا ان لا يكون هناك غيرهم من المومنين **قوله** وتركنا فيها اية يجوز ان
يعود الضمير على القرية اي تركنا في القرية علامة اي عبرة كالحجارة او الما المنتن ويجوز ان يعود على
الاهلاك المفهوم من السياق وقوله للذين يخافون اي ما ينتفع بها الا الخايف كقوله تعالى في سورة
العنكبوت لقوم يعقلون ومعنى الاية ان الاية تدلهم على ان الله اهلكهم فيخافون مثل عذابهم **قوله**
تعالى وفي موسى فيه اوجه اظهرها انه عطف على قوله فيها باعادة الجار لان المعطوف عليه

ضمير مجرور فيتعلق بتركنا من حيث المعنى ويكون التقدير وتركنا في قصة موسى اية وهذا واضح
والثاني انه معطوف على قوله في الارض ايات اي وفي الارض وفي موسى ايات للموقنين قاله
الزمخشري وابن عطية قال ابو حيان وهذا بعيد جدا ينزه القران عن مثله قال شهاب الدين
وجه استبعاده له بعد ما بينهما وقد نص اهل العلم هذا في اكثر من ذلك والثالث انه
متعلق بجعلنا مقدرة لدلالة وتركنا قاله الزمخشري او على قوله فيها او يعطف على قوله
وتركنا فيها اية على معنى وجعلنا في موسى اية كقوله علفتها تبنا وما بارد قال ابو حيان
ولا حاجة الى اضمار وجعلنا لانه قد امكن ان يكون العامل في المجرور وتركنا قال شهاب الدين
والزمخشري انما اراد الوجه الاول بدليل قوله وفي موسى معطوف على وفي الارض او على قوله وتركنا
فيها وانما قال على معنى من جهة تفسير المعنى لا الاعراب وانما اظهر الفعل تنبيها على مغايرة الفعلين
يعني ان هذا الترك غير ذاك الترك ولذلك ابرزه بمادة الجعل دون مادة الترك لتظهر المخالفة
الرابع ان يعطف على هل اتاك حديث ضيف ابرهيم تقديره وفي حديث موسى اذ ارسلناه
وهو مناسب لان الله جمع كثيرا بين ذكر ابرهيم وموسى عليهما السلام كقوله تعالى ام لم ينبا بما في
صحف موسى وابرهيم الذي وفى وقال في صحف ابرهيم وموسى قاله ابن الخطيب **فصل**
والمعنى لك في ابرهيم تسلية وفي موسى او القوم الى لوط او في قومه عبرة وفي موسى وفرعون او فتفكروا
في ابرهيم ولوط وقومهما وفي موسى وفرعون هذا ان عطفناه على معلوم وان عطفناه على مذكور
فقد تقدم انما والسلطان المبين الحجة الظاهرة **قوله** اذ ارسلناه يجوز في هذا الظرف
ثلاثة اوجه احدها ان يكون منصوبا باية على الوجه الاول اي تركنا في قصة موسى علامة في وقت
ارسالنا اياه الثاني انه يتعلق بمحذوف لانه نعت لاية اي اية كاينة في وقت ارسالنا
الثالث انه منصوب بتركنا **قوله** بسلطان يجوز ان يتعلق بنفس الارسال وان يتعلق بمحذوف
على انه حال اما من موسى واما من ضميره اي ملتبسا بسلطان وهو الحجة والمبين الفارق بين سحره
السحرة وامر المرسلين ويحتمل ان يكون المراد بالمبين اي البراهين القاطعة التي حاج بها فرعون
قوله فتولى بركنه الجار والمجرور حال من فاعل تولى ومعنى تولى ادبر عن الايمان والبا للمصاحبة
والمراد بالركن اي بجمعه وجنوده الذي كان يتقوى بهم كالركن الذي يتقوى به البنيان كقوله تعالى
او اوي الى ركن شديد وقيل البا للتعدية فيكون بمعنى تقوى بجنده ويحتمل ان يكون المراد تولى
امر موسى بقوته كانه قال اقتل موسى لئلا يبدل دينكم فتولى امره بنفسه فيكون المفعول غير
مذكور وركنه هو نفسه القوية ويحتمل ان يكون المراد بركنه هامان فانه كان وزيره **قوله**
ساحر او مجنون او هنا على بابها من الابهام على السامع او للشك نزل نفسه مع انه يعرفه نبيا حقا
منزلة الشاك في امره تمويها على قومه وقال ابو عبيدة او بمعنى الواو وقال لانه قد قالهما قال
تعالى ان هذا الساحر عليم وقال في موضع اخر ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وتجي او بمعنى
الواو كقوله اثعلبة الفوارس او رياحا عدلت بهم طهية والخشابا ورد الناس عليه هذا وقالوا
لا ضرورة تدعوا الى ذلك واما الايتان فلا يدلان على انه قالهما معا وانما يفيدان انه قالهما اعم
من ان يكونا معا او هذه في وقت وهذه في اخر **قوله** وجنوده يجوز ان يكون معطوفا على
مفعول اخذناه وهو الظاهر وان يكون مفعولا معه فنبذناهم في اليم اغرقناهم في البحر **قوله**
وهو مليم جملة حالية فان كانت حالا من مفعول نبذناهم فالواو لازمة اذ ليس فيها ذكر يعود على
صاحب الحال وان كانت حالا من مفعول اخذناه فالواو ليست واجبة اذ في الجملة ذكر يعود
عليه وقد يقال ان الضمير في نبذناهم يعود على فرعون وعلى جنوده فصار في الحال ذكر يعود على
بعض ما شمله الضمير الاول وفيه نظر اذ يصير قولك جا السلطان وجنوده فاكرمتهم ولا كبا فرسه

فيحمل راكبا حالا من بعض ما اشتمل عليه ضمير اكرمتم **فصل** ومعني مليم اي اتي بما يلام
عليه من دعوي الربوبية وتكذيب الرسول **قوله تعالي** وفي عاد اذ ارسلنا الكلام عليه
قد تقدم علي نظيره واعلم ان المراد بهذه الحكايات تسلية قلب النبي عليه السلام وتذكيره
بحال الانبيا **فان قيل** لم يذكر في عاد وثمود انبياهم كما ذكروا برهيم وموسى ولوطا
عليهم السلام فالجواب انه ذكر ست حكايات حكاية ابرهيم وبشارته وحكاية قوم لوط ونجاة
من كان فيها من المؤمنين وحكاية موسي فهي من الحكايات الثلاث ذكر ابرهيم والمؤمنين لان
الناجين منهم كانوا كثيرين فاما في حق ابرهيم وموسى فظاهر واما في حق لوط فلان الناجين
وان كانوا اهل بيت واحد لكن المهلكين كانوا ايضا اهل بقعة واحدة واما عاد وثمود وقوم نوح
فكان عدد المهلكين بالنسبة الى الناجين اضعاف المهلكين من قوم لوط عليه السلام بذكر الحكايات
الثلاث الاول للتسلية بالنجاة وذكر الثلاث المتاخرة للتسلية باهلاك العدو والكل مذكور
للتسلية بدليل قوله تعالى في اخر هذه الايات كذلك ما اتي الذين من قبلهم من رسول الا قالوا
ساحر او مجنون الي ان قال فتول عنهم فما انت بملوم وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وقال في
سورة هود بعد الحكايات ذلك من انبا القرى نقصه عليك الي ان قال وكذلك اخذ ربك اذا
اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد **قوله** اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم وهي التي لا خير
فيها ولا بركة ولا تلقح شجرا ولا تحمل مطرا لانها كانت تكسر وتقلع فكيف تلقح واعلم ان الفعل
لا يلحق به تا التانيث اذا كان بمعنى فاعل في بعض الصور وقد تقدم ذكر سببه وهو ان
فعل لما جا للمفعول والفاعل جميعا ولم يتميز المفعول عن الفاعل فاولى ان لا يتميز المونث عن المذكر
فيه لانه لتمييز الفاعل عن المفعول قبل تمييز المذكر والمونث لان الفاعل جزء من الكلام يحتاج
اليه والمفعول فيه فايدة اكيدة واما لم يكن جزءا من الكلام محتاجا اليه فاول ما يحصل في الفعل
الفاعل ثم التذكير والتانيث بعد كالصفة للفاعل تقول فاعل وفاعلة ومفعول ومفعولة
ويدل على ذلك ايضا ان التمييز بين الفاعل والمفعول جعل بحرف ممازج للكلمة فقيل فاعل بالف
بين الفا والعين التي هي اصل الكلمة وقيل مفعول بواو فاصلة بين العين واللام والتانيث كان
بحرف في اخر الكلمة فالمميز فيهما غير نظم الكلمة لشدة الحاجة اليه ولان التمييز في الفاعل والمفعول
كان بامرين يختص كل واحد منهما باحدهما فالالف بعد الفا يختص بالفاعل والميم والواو يختص
بالمفعول والتمييز في التذكير والتانيث بحرف واحد وجوده يميز المونث وعدمه يبقي اللفظ
على اصل التذكير فاذا لم يكن فعل يمتاز فيه الفاعل عن المفعول الا بامر منفصل كذلك المونث
والمذكر لا يمتاز احدهما عن الاخر بحرف متصل به **قوله** ما تذر من شي فيه وجهان
احدهما انه نصب على انه صفة للريح بعد صفة العقيم قاله الواحدي **فان قيل**
كيف يكون وصفا والمعرف لا يوصف بالجمل وما تذر جملة فلا يوصف بها الا النكرات فالجواب
من وجهين الاول ان يكون باعادة الريح تقديرا كانه يقول واذ ارسلنا عليهم الريح العقيم ريحا
ما تذر الثاني انها لما لم تكن مشهودة صارت منكرة كانه يقول لم تكن من الرياح التي تقع الا وقع
مثلها شي فعدتها منكرة ولهذا اكثر ما ذكرت في القران منكرة ووصفت بالجملة كقوله تعالى
بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم وقوله ريح صرصر عاتية سخرها عليهم الي غير ذلك الوجه
الثاني انه نصب على الحال تقول جاني ما يتهم شيا نعلمه وتممته اي حالته كذا **فان قيل**
لم تكن حال الارسال ما تذر والحال ينبغي ان يكون موجودا مع ذي الحال وقت الفعل فلا يجوز
ان يقال جاني زيد امس راكبا غدا والريح بعد ما ارسلت بزمان صارت ما تذر شيا فالجواب
ان المراد به بيان الصلاحية اي التي ارسلناها على قوة وصلاحية ان لا تذر وتقول لمن جاءك

واقام

واقام عندك اياما ثم سالك شيا جيتني سايلا اي وقت السوال بالصلاحية والامكان هذا ان قيل
بانه نصب على المشهور ويحتمل انه رفع على حذف مبتدا محذوف تقديره هي ما تذر **فان قيل**
ما تذر للنفي حال التكلم يقال ما خرج زيد الي الآن واذا اريد المستقبل تقول لا يخرج او لن
يخرج وتقول للماضي ما خرج ولن يخرج والريح حالة الكلام مع النبي عليه السلام كانت ما تركت
من شي الا جعلته كالرميم فكيف قال بلفظ الحال ما تذر فالجواب ان الحكايات مقدرة
على انها محكية حال الوقوع كقوله تعالى وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد مع ان اسم الفاعل
بمعنى الماضي لا يعمل وانما يعمل ما كان منه بمعنى الحال والاستقبال **فان قيل** هل
في قوله تعالى ما تذر من شي اتت عليه اي كل شي تاتي عليه ولا تدخل فيه السموات لانها ما
اتت عليه وانما يدخل فيه الاجسام التي تهب عليها الرياح **فان قيل** فالجبال والصخور
اتت عليه وما جعلته كالرميم فالجواب ان المراد اتت عليه قاصدة له وهو عاد وابنيتهم
وعروشهم لانها كانت مامورة بامر من عند الله فكانها كانت قاصدة لهم فما تركت شيا من
تلك الاشيا الا جعلته كالرميم **قوله** الا جعلته كالرميم هذه الجملة في موضع المفعول الثاني
لتذر كانه قيل ما تترك من شي الا مجعولا نحو ما تركت زيدا الا عالما واعربها ابو حيان حالا وليس
بظاهر **فصل** المعنى ما تذر ما تترك من شي اتت عليه من انفسهم واموالهم وانعامهم
الا جعلته كالرميم اي كالشي الهالك البالي وهو نبات الارض اذا يبس وديس قال مجاهد كالتبن
اليابس وقال ابو العالية كالتراب المدقوق وقيل اصله من العظم البالي **قوله تعالي**
وفي ثمود الكلام عليه كما تقدم في قوله وفي موسى وقوله اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين قال بعض
المفسرين المراد منه هو ما امهلهم الله به بعد عقرهم الناقة وهو ثلاثة ايام في قوله تعالى
تمتعوا في داركم ثلاثة ايام وكان في تلك الايام تغير الوانهم فتصفر وتحمر وتسود قال ابن الخطيب
وهذا ضعيف لان قوله تعالى فعتوا عن امر ربهم بحرف الفا دليل على ان العتو كان بعد قوله
تمتعوا فاذن الظاهر ان المراد هو ما قدر الله للناس من الاجال فما من احد الا وهو ممهل مدة
الاجل **قوله** فعتوا عن امر ربهم عتى يتعدى تارة بعلى كقوله تعالى ايهم اشد على الرحمن
عتيا وهاهنا استعمل بعن لان فيه معنى الاستكبار فهو كقوله لا يستكبرون عن عبادته وحيث
استعمل بعلى فهو كقولك فلان يتكبر علينا **قوله** فاخذتهم الصاعقة هذه قراءة العامة
وقرا الكسائي الصعقة والحسن الصاعقة وتقدم ذلك في البقرة وقوله وهم ينظرون جملة حالية
من المفعول وينظرون قيل من النظر وقيل من الانتظار اي ينتظرون ما وعدوه من العذاب
قوله فما استطاعوا من قيام اي فما قاموا بعد نزول العذاب ولا قدروا على نهوض قال
قتادة لم ينهضوا من تلك الصرعة وقوله من قيام بدل قوله من هرب لان العاجز عن القيام
اولى ان يعجز عن الهرب ويحتمل ان يكون المراد منه من القيام بالامر اي ما استطاعوا من قيام
به وما كانوا منتصرين اي منتقمين منا قال قتادة ما كان عندهم قوة يمتنعون بها من الله **قوله**
تعالي وقوم نوح قرا الاخوان وابو عمرو بجر الميم والباقون بنصبها وقرا ابو السماك وابن مقسم
وابو عمرو في رواية الاصمعي وقوم بالرفع فاما الخفض ففيه اربعة اوجه احدها انه معطوف على
وفي الارض الثاني انه معطوف على وفي موسى الثالث انه معطوف على وفي عاد الرابع انه معطوف
على وفي ثمود وهو الظاهر لقربه وبعد غيره ولم يذكر الزمخشري غيره فانه قال قري بالجر على
معنى وفي قوم نوح ويقويه قراءة عبد الله وفي قوم نوح اي لكم عبرة ولم يذكر ابو البقا غير الوجه
الاخير لظهوره واما النصب ففيه ستة اوجه احدها انه منصوب بفعل مضمر اي واهلكنا
قوم نوح لان ما قبله يدل عليه الثاني انه منصوب باذكر مقدرا ولم يذكر الزمخشري غيرهما الثالث

انه منصوب عطفا على معمول اخذناه الرابع انه معطوف على مفعول فنبذناهم في اليم اي اغرقناهم
وناسب ذلك اذ قوم نوح من قبل لكن يشكل انهم لم يغرقوا في اليم واصل العطف ان يقتضي
التشريك في المتعلقات الخامس انه معطوف على فاخذتهم الصاعقة وفيه اشكال لانهم لم تاخذهم
الصاعقة وانما اهلكوا بالغرق الا ان يراد بالصاعقة الداهية والنازلة العظيمة من اي نوع كانت
فيقرب ذلك السادس انه معطوف على محل وفي موسى نقله ابو البقا وهو ضعيف واما الرفع
فعلى الابتدا والخبر مقدر اي اهلكناهم وقال ابو البقا والخبر ما بعده يعني من قوله انهم كانوا قوما
فاسقين ولا يجوز ان يكون مراده قوله من قبل لان الظرف ناقص فلا تخبر به **قوله** والسماء
بنيناها العامة على النصب على الاشتغال وكذلك قوله والارض فرشناها والتقدير وبنينا
السما بنيناها وقال ابو البقا اي ورفعنا السما فقدر الناصب من غير لفظ الظاهر وهذا
انما يصار اليه عند تعذر التقدير الموافق لفظا نحو زيدا مررت به وزيدا ضربت غلامه واما
في نحو زيدا ضربته فلا يقدر الا ضربت زيدا وقرا ابو السماك وابن مقسم برفعهما على الابتدا
والخبر ما بعدهما والنصب ارجح لعطف جملة الاشتغال على جملة فعلية قبلها **قوله** بايد
يجوز ان يتعلق بمحذوف على انه حال وفيها وجهان احدهما انها حال من فاعل بنيناها اي ملتبسين
بايد اي بقوة قال تعالى عبدنا داود ذا الايد الثاني انها حال من مفعوله اي ملتبسة بقوة
ويجوز ان تكون البا للسبب اي بسبب قدرتنا ويجوز ان تكون البا معدية مجازا على ان يجعل
الايد كالالة المبني بها كقولك بنيت بيتك بالاجر **قوله** وانا لموسعون يجوز ان يكون
الجملة حالا من فاعل بنيناها ويجوز ان يكون حالا من مفعوله ومفعول موسعون محذوف اي
موسعون بناها ويجوز ان لا يقدر له مفعول لان معناه لقادرون كقولك ما في وسعي
كذا اي ما في طاقتي وقوتي كقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها قاله ابن عباس وعنه ايضا
لموسعون الرزق على خلقنا وقيل ذو سعة قال الضحاك اغنيا دليله قوله تعالى على الموسع قدره
قال ابن الخطيب ويجوز ان يكون من السعة اي اوسعناها بحيث صارت الارض وما
يحيط بها من الما والهوا بالنسبة الى سعتها داخل فيها والبنا الواسع الفضا فيه فان القبة الواسعة
لا يقدر عليها البناؤون لانهم يحتاجون الى اقامة آلة يصح بها استقارتها ويثبت بها تماسك
اجزائها الى ان يتصل بعضها ببعض فقوله وانا لموسعون بيان للاعراب في الفعل **فصل**
والحكمة في كثرة ذكر البنا في السموات كقوله تعالى والسما وما بناها وقوله ام السما بناها
وقوله والسما بنا ان السما باق الى قيام الساعة لم يسقط منها شي ولم يعدم منها جزء واما الارض
فهي في التبدل والتغير كالفرش الذي يبسط ويطوى وينقل والسما كالبناء المبني الثابت
كما اشار اليه بقوله سبعا شدادا واما الاراضي فكم منها صارت بحرا وعادت ارضا من وقت
حدوثها وايضا فالسما ترى كالقبة المبنية فوق الروس والارض مبسوطة مدحوة وذكر
البنا بالمرفوع اليق كقوله تعالى رفع سمكها وقال بعض الحكما السما مسكن الارواح والارض
موضع الاعمال والمسكن اليق بكونه بنا والله اعلم **فان قيل** ما الحكمة في تقديم
المفعول على الفعل ولو قال وبنينا السما بايد كان اوجز فالجواب قال ابن الخطيب لان
الصنع قبل الصانع عند الناظر في المعرفة فلما كان المقصود اثبات العلم بالصانع قدم
الدليل وقال والسما المبنية التي لا تشكون في بنيانها فاعرفونا بها ان كنتم لا تعرفونا **فان
قيل** اذا كان اثبات التوحيد فكيف قال بنيناها ولم يقل بنيتها ولا بناها الله
فالجواب ان قوله بنيناها ادل على عدم الشريك لان الشركة ضعيفة فان الشريك يمنع شريكه
عن التصرف والاستبداد وقوله بنيناها يدل على العظمة وبين العظمة والضعف تنافر

فبين

فبين قوله بنيناها وبين ان يكون شريك منافاة ونقرر ان قوله تعالى بنيناها لا يورث ايهاما بان
الالهة التي كانوا يعبدونها هي التي يرجع اليها الضمير لان تلك اما اصنام منحوتة واما كواكب جعلوا
الاصنام على صورها وطبايعها فاما الاصنام المنحوتة فلا يكون انها ما بنيت من السما شيا
واما الكواكب فهي في السما محتاجة اليها فلا تكون هي بانيها وانما يقال بنيت لها وجعلت
اماكنها فلما لم توهم ما قالوا قال بنيناها نحن ونحن غير ما يقولون ويدعونه فلا يصلحون لنا شركا
ثم لما بين ان توهمهم لا يوهم شريكا اصلا لان كل ما هو غير السما فهو محتاج الى السما ودون السما في المرتبة
فلا يكون خالقا للسما ولا بانيها نعلم ان المراد جمع التعظيم فافاد النص عظمة والعظمة انفى
للشريك فعلم ان قوله بنيناها ادل على نفي الشريك من بنيتها وبناها الله **فان قيل**
لم لم يقل بنيناها بايدينا كما قال مما عملت ايدينا فالجواب ان ذلك لفائدة جليلة وهي
ان السما لا يخطر ببال احد انها مخلوقة لغير الله والانعام ليست كذلك فقال هناك عملت ايدينا
تصريحا بان الحيوان مخلوق لله تعالى من غير واسطة وكذلك خلقت بيدي وفي السما قال
بايد من غير اضافة للاستغنا عنها وفيه لطيفة اخرى وهي ان هناك لما اثبت الاضافة لم يعد
الضمير العايد الى المفعول فلم يقل خلقته بيدي ولا قال عملته ايدينا وقال هنا بنيناها لان
هناك لم يخطر ببال احد ان الانسان غير مخلوق وان الحيوان غير معمول فلم يقل خلقته ولا عملته
واما السما فبعض الجهال يزعم انها غير مجعولة فقال بنيناها بعود الضمير تصريحا بانها
مخلوقة **قوله** والارض فرشناها اي بسطناها ومهدناها وفيه دليل على ان خلق الارض
بعد خلق السما لان بنا البيت يكون في العادة قبل الفرش **قوله** فنعم الماهدون المخصوص
بالذم محذوف لفهم المعنى اي نحن كقوله نعم العبد قال ابن عباس معناه الباسطون اي نعم ما
وطات لعبادي **قوله** ومن كل شي يجوز ان يتعلق بخلقنا اي خلقنا من كل شي زوجين
وان يتعلق بمحذوف على انه حال من زوجين لانه في الاصل صفة له اذ التقدير خلقنا زوجين
كاينين من كل شي والاول اقوى في المعنى **فصل** المعنى خلقنا زوجين صنفين ونوعين مختلفين
كالسما والارض والشمس والقمر والليل والنهار والبر والبحر والسهل والجبل والشتا والصيف والجن
والانس والذكر والانثى والنور والظلمة والايمان والكفر والسعادة والشقاوة والحق والباطل
والحلو والمر لعلكم تذكرون فتعلمون ان خالق الازواج واحد لا شريك له لا يعجز عن حشر الاجساد
وجمع الارواح **قوله** ففروا الى الله اي فاهربوا من عذاب الله الى ثوابه بالايمان والطا
قال ابن عباس فروا منه اليه واعملوا بطاعته وقال سهل بن عبد الله فروا مما سوى الله الى الله اني
لكم منه نذير مبين وهذا اشارة الى الرسالة **قوله** ولا تجعلوا مع الله الها اخر تتميما للتوحيد
لان التوحيد بين التعطيل والتشريك لان المعطل يقول لا اله اصلا والمشرك يقول بوجود اله اخر
والموحد يقول قول الاثنين باطل لان نفي الواحد باطل والقول بالاثنين باطل فلما قال تعالى
ففروا الى الله اثبت وجود الله فلما قال ولا تجعلوا مع الله الها اخر نفى الاكثر من واحد فصح القول
بالتوحيد بالايتين ولهذا قال مرتين اني لكم منه نذير مبين اي في المقامين والموضعين **قوله**
كذلك فيه وجهان اظهرهما انه خبر مبتدا محذوف اي الامر مثل ذلك قال الزمخشري والاشارة
بذلك الى تكذيبهم الرسول وتسميته ساحرا ومجنونا ثم فسر ما اجمل بقوله ما اتى والثاني ان
الكاف في محل نصب نعتا لمصدر محذوف قاله مكي ولم يبين تقديره ولا يصح ان ينتصب بما
بعده لاجل ما النافية واما المعنى فلا يمتنع ولذلك قال الزمخشري ولا يصح ان يكون الكاف منصوبة
باتى لان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها ولو قيل لم يات لكان صحيحا يعني لو اتي في موضع
ما بلم لجاز ان ينتصب الكاف باتى لان المعنى يسوغ عليه والتقدير كذبت قريش تكذيبا مثل

تكذيب الامم السالفة رسلهم ويدل عليه قوله ما اتى الذين من قبلهم الاية **قوله** الا قالوا الجملة
القولية في محل نصب على الحال من الذين من قبلهم ومن رسول فاعل اتى كانه قيل ما اتى الاولين
رسول الا في حال قولهم هو ساحر **فان قيل** ان من الانبيا من قرر دين النبي الذي
كان قبله وبقي القوم على ما كانوا عليه كانبيا بني اسرايل وكشيث وآدم لما ارسل لم يكذب فالجواب
انا لا نسلم ان المقرر رسول بل هو على دين رسول ومن كذب رسوله فهو يكذبه ايضا ضرورة **فان**
قيل قوله ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا يدل على انهم كلهم قالوا ساحر والامر
ليس كذلك لان ما من رسول الا وآمن به قوم وهم ما قالوا ذلك فالجواب ان ذلك ليس بعام
فانه لم يقل الا قال كلهم وانما قال الا قالوا ولما كان كثيرهم قايلين ذلك قال الله تعالى الا قالوا
فان قيل لم لم يذكر المصدقين كما ذكر المكذبين وقال الا قال بعضهم صدقت وبعضهم
كذبت فالجواب لان المقصود التسلية وهي على التكذيب فكانه تعالى قال لا تاس على تكذيب
قومك فان اقواما قبلك كذبوا ورسلا كذبوا **قوله** اتواصوا به الاستفهام للتعجب والتوبيخ
والضمير في به يعود على القول المدلول عليه بقالوا اي اتواصى الاولون والاخرون بهذا القول
المتضمن لساحر او مجنون والمعنى كيف اتفقوا على قول واحد كانهم تواطؤا عليه وقال بعضهم لبعض
لا تقولوا الا هذا واوصى اولهم اخرهم بالتكذيب ثم قال لم يكن ذلك التواطي قول وانما كان
لمعنى جامع وهو ان الكل اترفوا فاستغنوا فنسوا الله وطغوا فكذبوا رسله قال ابن عباس حملهم
الطغيان فيما اعطيتهم ووسعت عليهم على تكذيبك **قوله** فتول عنهم فاعرض عنهم فما انت
بملوم لا لوم عليك قد اديت الرسالة وما قصرت فيما امرت به وهذه تسلية اخرى قال
المفسرون لما نزلت هذه الاية حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتد ذلك على اصحابه وظنوا
ان الوحي قد انقطع وان العذاب قد حضر اذ امر النبي صلى الله عليه وسلم ان يتولى عنهم فانزل الله
وذكر فان الذكرى تنفع المومنين فطابت انفسهم والمعنى ليس التولي مطلقا بل تول واقبل واعرض
وادع فلا التولي يضرك اذا كان عليهم ولا التذكير يضيع اذا كان مع المومنين قال مقاتل معناه
عظ بالقران كفار مكة فان الذكرى تنفع من علم الله انه يومن منهم وقال الكلبي عظ بالقران
من امن من قومك فان الذكرى تنفعهم **قوله** وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون هذا
الجار متعلق بخلقت واختلف في الجن والانس قيل المراد بهم العموم والمعنى الا لامرهم بالعبادة وليقروا
بها وهذا منقول عن علي بن ابي طالب ويويده وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا او يكون المعنى
ليطيعون وينقادوا لقضاي فالمومن يفعل ذلك طوعا والكافر كرها فكل مخلوق من الجن والانس
خاضع لقضا الله متذلل لمشيته لا يملك احد لنفسه خروجا عن ما خلق عليه او يكون المعنى
الا معدين للعبادة ثم منهم من يتاتى منه ذلك ومنهم من لا كقولك هذا القلم بريته للكتابة
ثم قد يكتب به وقد لا يكتب وقيل المراد به الخصوص اي ما خلقت السعدا من الجن والانس الا
لعبادتي والاشقيا منهم الا لمعصيتي قاله زيد بن اسلم قال هو ما جبلوا عليه من السعادة والشقاوة
ويويد قوله ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس وقال مجاهد معناه الا ليعرفون قال
البغوي وهذا احسن لانه لولم يخلقهم لم يعرف وجوده وتوحيده بدليل قوله ولين سالتهم من
خلقهم ليقولن الله وقيل الا ليعبدون اي الا ليوحدون فاما المومن فيوحده في الشدة والرخا
واما الكافر فيوحده في الشدة والبلا دون النعمة والرخا قال تعالى فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله
مخلصين له الدين وقيل المراد وما خلقت الجن والانس المومنين وقيل الطايعين قال والاول احسن **فصل**
في تعلق الاية بما قبلها ان بعثة الانبيا منحصرة في امرين عبادة
الله وهداية الخلق فلما قال تعالى فتول عنهم فما انت بملوم بين ان الهداية قد سقطت عند اليأس

واما

واما العبادة فهي لازمة للخلق المطلق وليس الخلق المطلق للهداية وقيل انه لما بين حال من قبله
في التكذيب ذكر هذه الاية ليتبين سوء صنيعهم حيث تركوا عبادة الله الذي خلقهم للعبادة
فان قيل ما الحكمة في انه لم يذكر الملايكة مع انهم من اصناف المكلفين وعبادتهم
اكثر من عبادة غيرهم من المكلفين قال تعالى بل عباد مكرمون وقال لا يستكبرون عن عبادته
فالجواب من وجوه احدها انه تقدم ان الاية سيقت لبيان قبح ما يفعله الكفرة من
ترك ما خلقوا له وهذا مختص بالجن والانس لان الكفر موجود في الجن والانس بخلاف الملايكة
الثاني ان النبي عليه السلام كان مبعوثا الى الجن والانس فلما قال وذكر بين ما يذكر به
وهو كون الخلق للعبادة وخصص امته بالذكر اي فذكر الانس والجن الثالث ان عباد
الاصنام كانوا يقولون بان الله تعالى عظيم لشانه خلق الملايكة وجعلهم مقربين فهم يعبدون
الله وخلقهم لعبادته ونحن لنزول درجتنا لا نصلح لعبادة الله فنعبد الملايكة وهم
يعبدون الله كما قالوا انما نعبدهم ليقربونا الى الله فقال تعالى ما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
ولم يذكر الملايكة لان الامر فيهم كان مسلما عند القوم فذكر المتنازع فيه الرابع فعل الجن
يتناول الملايكة لان اصل الجن من الاستتار وهم مستترون عن الخلق فذكر الجن لدخول
الملايكة فيهم **قوله** ما اريد منهم من رزق اي ان يرزقوا احدا من خلقي ولا انفسهم
وما اريد ان يطعمون اي يطعموا احدا من خلقي وانما اسند الاطعام الى نفسه لان الخلق
عيال الله ومن اطعم عيال احد فقد اطعمه قال عليه السلام يقول الله تعالى استطعمتك فلم
تطعمني اي لم تطعم عبدي **فصل** استدل المعتزلة بقوله تعالى وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون على ان افعال الله تعالى معللة بالاغراض واجيبوا بوجوه تقدمت
ومنها ان اللام قد تثبت لغير الغرض كقوله تعالى اقم الصلاة لدلوك الشمس وقوله فطلقوهن
لعدتهن ومعناه المقارنة فيكون معناه قرنت الخلق بالعبادة اي خلقتهم وفرضت عليهم
العبادة ومنها قوله تعالى الله خالق كل شي ومنها ما يدل على ان الاضلال بفعل الله كقوله
تعالى يضل من يشا واشباهه ومنها قوله تعالى لا يسال عما يفعل وقوله يفعل الله ما يشا ويحكم
ما يريد وقوله تعالى ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون معناه ان النفع يعود اليهم
لا الي **فان قيل** ما الفايدة في تكرير الارادتين مع ان من لا يريد من احد رزقا
لا يريد منه ان يطعمه فالجواب ان السيد قد يطلب من العبد التكسب له فيطلب منه
الرزق وقد يكون للسيد مال وافر يستغني به عن التكسب لكنه يطلب من العبد قضاء
حوايجه واحضار الطعام بين يديه فقال لا اريد ذلك ولا هذا وقدم طلب الرزق على
طلب الاطعام من باب الارتقا من الادنى الى الاعلا **فان قيل** ما فايدة تخصيص
الاطعام بالذكر مع ان المراد عدم طلب فعل منهم غير التعظيم فالجواب انه لما عمم النفي في الطلب
الاول بقوله من رزق وذلك اشارة الى التعميم بذكر الاطعام ونفي الادنى يستتبعه نفي
الاعلا بطريق الاولى فكانه قال ما اريد منهم من غنى ولا عمل **فان قيل** المطالب
لا تنحصر فيما ذكر فان السيد قد يشتري العبد لا لطلب عمل منه ولا لطلب رزق ولا للتعظيم
بل يشتريه للتجارة فالجواب ان عموم قوله ما اريد منهم من رزق يتناول ذلك **قوله**
ان يطعمون قيل فيه حذف مضاف اي يطعموا خلقي كما تقدم في التفسير وقيل المعنى ان ينفعون
فعبر ببعض وجوه الانتفاعات لان عادة السادة ان ينتفعوا بعبيدهم والله مستغن عن ذلك
قوله ان الله هو الرزاق يعني لجميع خلقه وهذا تقرير لعدم طلب الرزق وقوله ذو القوة
تقرير لعدم طلب العمل لان من يطلب رزقا يكون فقيرا محتاجا ومن يطلب عملا يكون عاجزا لا قوة

له فكأنه يقول ما اريد منهم من رزق فاني انا الرزاق ولا العمل فاني قوي وروي ان النبي عليه السلام قرا اني انا الرزاق وقرا ابن محيصن الرازق كما تقدم في قراته وفي السماء رازقكم **قوله** المتين العامة على رفعه وفيه اوجه اما النعت للرزاق واما النعت لذو واما النعت لاسم ان على الموضع على الوضع وهو مذهب الجرمي والفرا وغيرهما واما خبر بعد خبر واما خبر مبتدا مضمر وعلى كل تقدير فهو تاكيد لان ذو القوة يفيد فايدته وقرا يحيى بن وثاب والاعمش المتين بالجر فقيل صفة للقوة وانما ذكر وصفها لكون تانيثها غير حقيقي وقيل لانها في معنى الايد وقال ابن جني هو خفض على الجوار كقولهم هذا جحر ضب خرب يعني انه صفة للمرفوع وانما جر لما جاور مجرورا وهذا مرجوح لامكان غيره والجوار لا يصار اليه الا عند الحاجة

فصل قال تعالى ما اريد منهم من رزق ولم يقل اني رزاق بل قال على الحكاية عن الغايب ان الله هو الرزاق فما الحكمة فيه قال ابن الخطيب نقول قد روي ان النبي عليه السلام قرا اني انا الرزاق واما على القراة المشهورة فالمعنى قل يا محمد ان الله هو الرزاق او يكون من باب الالتفات من التكلم الى الغيبة او يكون قل مضمرا عند قوله ما اريد منهم اي قل يا محمد ما اريد منهم من رزق فيكون بمعنى قوله قل ما اسالكم عليه من اجر ويكون على هذا قوله تعالى ان الله هو الرزاق ولم يقل القوي بل قال ذو القوة لان المقصود تقرير ما تقدم من عدم ارادة الرزق وعدم الاستعانة بالغير لكن في عدم طلب الرزق لا يكفي كون المستغني بحيث يرزق واحدا فان كثيرا من الناس يرزق ولده وعبده ويسترزق والملك يرزق الجند ويسترزق فاذا كثر منه الرزق قل منه الطلب لان المسترزق منه يكثر والرازق لا يسترزق مرزوقه فلم يكن ذلك المقصود يحصل الا بالمبالغة في وصف الرازق فقال الرزاق واما ما يغني عن الاستعانة بالغير فهو دون ذلك لان القوي اذا كان في غاية القوة يستغني عن الغير فانه الان دون ذلك لا يعين غيره ولا يستعين به استعانة قوية بل استعانة ما ويتفاوت بعد ذلك ولما قال وما اريد ان يطعمون كفاه بيان نفس القوة فقال ذو القوة لان قولنا ذو القوة في افادة معنى القوي دون افادة القوي لان ذلك لا يقال في الوصف اللازم يقال في الادمي ذو مال ومتمول وذو جمال وجميل وذو خلق حسن الى غير ذلك بما لا يلزم لزوما بينا ولا يقال في الثلاثة ذات فردية ولا في الاربعة ذات زوجية ولهذا لم يرد في الاوصاف الحقيقية فلم يسمع ذو الوجود ولا ذو الحيوة ولا ذو العلم ويقال في الانسان ذو علم وذو حياة لانها فيه عرض عارض لا لازم بين وفي صفات الفعل قال الله تعالى ذو الفضل كبيرا لان ذا كرا بمعنى صاحب والصحبة لا ينبي منها اللزوم فضلا عن اللزوم البين ويويد هذا قوله تعالى وفوق كل ذي علم عليم فجعل غيره ذا علم ووصف نفسه بالفعل بمعنى ذا العلم والعليم فرق كذلك ذي القوة والقوي ويويده ايضا قوله تعالى فاخذهم الله انه قوي وقوله ان الله لطيف بعباده يرزق من يشا وهو القوي وقال لاغلبن انا ورسلي ان الله قوي عزيز لان هذه الصور كان المراد فيها بيان القيام بالافعال العظيمة وههنا المراد عدم الاحتياج ومن لا يحتاج الى الغير يكفيه من القوة ادنى قدر ومن يستبد بالفعل لا بد له من قوة عظيمة لان عدم الحاجة قد يكون بترك الفعل والاستغناء عنه **فصل** وقوله المتين لان ذا القوة كما يقدم لا يدل الا على ان له قوة ما فزاد في الوصف المتانة وهو الذي له ثبات لا يتزلزل وهو مع المتين من باب واحد لفظا ومعنى فان معنى متن الشي هو اصله الذي عليه ثباته والمتن هو الظهر الذي عليه اساس البدن والمتانة مع القوة كالعزة مع القوي حيث قرن العزة مع القوة في قوله قوي عزيز وقوله القوي العزيز والله اعلم **قوله** فان للذين ظلموا ذنوبا قد

تقدم

تقدم الكلام على الفا في وجه التعلق والمراد بالذين ظلموا كفار مكة ومعنى ذنوبا اي نصيبا من العذاب مثل ذنوب اصحابهم اي مثل نصيب اصحابهم الذين هلكوا من قوم نوح وعاد وثمود والذنوب في الاصل الدلو العظيمة المملوة ما وفي الحديث فاتي بذنوب من ما فان لم يكن ملأى بما فهو دلو ثم عبر به عن النصيب قال علقمة ٭ وفي كل حي قد خبطت بنعمة فحق لشاس من نداك ذنوب ٭ ويجمع في القلة على اذنبة وفي الكثرة على ذنايب ٭ وقال الملك لما انشد هذا البيت نعم واذنبة وقال الزمخشري الذنوب الدلو العظيمة وهذا تمثيل اصله في السقاة يقتسمون الما فيكون لهذا ذنوب ولهذا ذنوب قال الشاعر ٭ لنا ذنوب ولكم ذنوب ٭ فان ابيتم فلنا القليب ٭ وقال الراغب الذنوب الدلو الذي له ذنب انتهى فراعى الاشتقاق والذنوب ايضا الفرس الطويل الذنب وهو صفة على فعول والذنوب لحم اسفل المتن ويقال يوم ذنوب اي طويل الشر استعارة من ذلك **قوله** فلا يستعجلون اي بالعذاب ووجه مناسبة الذنوب ان العذاب منصب عليهم كما يصب الذنوب قال تعالى يصب من فوق رؤسهم الحميم وقال صبوا فوق راسه من عذاب الحميم والذنوب كذلك فكانه قال يصب فوق رؤسهم ذنوبا من العذاب كذنوب صب فوق رؤس اوليك ووجه اخر وهو ان العرب يستقون من الابار على النوبة ذنوبا فذنوبا وذلك وقت عيشهم الطيب فكانه تعالى قال ان للذين ظلموا من الدنيا وطيباتها ذنوبا املا وه لا يكون لهم في الاخرة من نصيب كما كان عليه حال اصحابهم استقوا ذنوبا وتركوها وعلى هذا فالذنوب ليس بعذاب ولا هلاك وانما هو رغد العيش قال ابن الخطيب وهو اليق بالعربية **قوله** فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون يعني يوم القيمة وقيل يوم بدر وحذف العايد لاستكمال شروطه اي يوعده روى الثعلبي عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والذاريات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت في الدنيا

سورة والطور مكية وهي تسع واربعون اية وثلاث ماية واثنتا عشرة كلمة والف وخمس ماية حرف بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى والطور وما بعده اقسام جوابها ان عذاب ربك لواقع والواوات التي بعد الاولى عواطف لا حروف قسم كما تقدم في اول هذا الكتاب عن الخليل وبكر الكتاب تحتها وتحتها

فصل مناسبة هذه السورة لما قبلها من حيث الافتتاح بالقسم وبيان الحشر فيهما واول هذه السورة مناسب لاخر ما قبلها لان في اخرها قوله تعالى فويل للذين كفروا وفي اول هذه السورة فويل يومئذ للمكذبين وفي اخر تلك السورة قوله فان للذين ظلموا ذنوبا وذلك اشارة الى العذاب وقال ههنا ان عذاب ربك لواقع

فصل قيل المراد بالطور الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام بالارض المقدسة اقسم الله به وقيل هو الجبل الذي قال الله تعالى وطور سينين وقيل هو اسم جنس والمراد بالكتاب المسطور كتاب موسى عليه السلام وهو التورية وقيل الكتاب الذي في السماء وقيل صحايف اعمال الخلق قال تعالى ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا وقيل القران والمراد بالمسطور المكتوب **قوله** في رق يجوز ان يتعلق بمسطور اي مكتوب في رق وجوز ابو البقا ان يكون نعتا اخر للكتاب وفيه نظر لانه يشبه تهيية العامل للعمل وقطعه عنه والرق بالفتح الجلد الرقيق يكتب فيه وقال الراغب الرق ما يكتب فيه شبه كاغد انتهى فهو اعم من كونه جلدا او غيره ويقال فيه رق بالكسر فاما ما ملك العبيد فلا يقال الا رق بالكسر وقال الزمخشري والرق الصحيفة وقيل الجلد الذي يكتب فيه

انتهى وقد غلط بعضهم من يقول كتبت في الرق بالكسر وليس بغلط لثبوته به لغة وقرأ ابو السماك
في رق بالكسر **فان قيل** ما الفائدة في قوله تعالى في رق منشور وعظمة الكتاب
بلفظه ومعناه لا بخطه ورقه فالجواب ان هذا اشارة الى الوضع لان الكتاب المطوي
لا يعلم ما فيه فقال في رق منشور اي ليس كالكتب المطوية اي منشور لكم لا يمنعكم احد من
مطالعته **قوله** والبيت المعمور قيل هو بيت في السماء العليا تحت العرش بحيال الكعبة
يقال له الضراح حرمته في السماء كحرمة الكعبة في الارض يدخله كل يوم سبعون الفا من
الملائكة يطوفون به ويصلون فيه ثم لا يعودون اليه ابدا ووصفه بالعمارة لكثرة الطائفين
به من الملائكة وقيل هو بيت الله الحرام وهو معمور بالحاج الطائفين به وقيل اللام في البيت
المعمور لتعريف الجنس كانه اقسم بالبيوت المعمورة والعمائر المشهورة **قوله** والسقف
المرفوع يعني السماء ونظيره وجعلنا السماء سقفا محفوظا **قوله** والبحر المسجور قيل هو من
الامتداد يقال بحر مسجور اي مملوء وبحر مسجور اي فارغ وروى ذو الرمة الشاعر عن ابن
عباس انه قال خرجت امة لتستقي فقالت ان الحوض مسجور اي فارغ ويؤيد هذا ان البحار
يذهب ماؤها يوم القيمة وقيل المسجور المسجون ومنه ساجور الكلب لانه يمسكه ويحبسه
وقال محمد بن كعب القرظي والضحاك يعني الموقد المحمي بمنزلة التنور المسجور وهو قول ابن عباس لما روي
ان الله تعالى يجعل البحار كلها يوم القيمة نارا فيزاد بها في نار جهنم كما قال تعالى واذا البحار
سجرت وروى عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يركبن رجل بحرا الا غازيا
او معتمرا او حاجا فان تحت البحر نارا وتحت النار بحرا وقال الربيع بن انس اختلط العذب
بالملح وروى الضحاك عن النزال بن سبرة عن علي انه قال البحر المسجور هو بحر تحت العرش كما بين
سبع سموات الى سبع ارضين فيه ماء غليظ يقال له بحر الحيوان يمطر العباد منه بعد النفخة
الاولى اربعين صباحا فينبتون في قبورهم وهذا قول مقاتل **فصل** قيل الحكمة في
القسم بهذه الثلاثة اشياء ان هذه الاماكن الثلاثة وهي الطور والبيت المعمور والبحر
المسجور كانت لثلاثة انبياء للخلوة بربهم والخلاص من الخلق وخطابهم مع الله اما الطور
فانتقل اليه موسى عليه السلام وخاطب الله تعالى هناك واما البيت المعمور فانتقل اليه
محمد عليه السلام وقال لربه سلام علينا وعلى عباد الله الصالحين لا احصي ثناء عليك انت
كما اثنيت على نفسك واما البحر المسجور فانتقل اليه يونس عليه السلام ونادى في الظلمات
لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فصارت هذه الاماكن شريفة بهذه
الاسباب فاقسم الله تعالى بها واما ذكر الكتاب فلان الانبياء كان لهم في هذه الاماكن مع الله
كلام والكلام في الكتاب **فصل** اقسم في بعض السور بجموع كقوله والذاريات
والمرسلات والنازعات وفي بعضها بافراد كقوله والطور ولم يقل والاطوار والبحار قال
ابن الخطيب والحكمة فيه ان في اكثر الجموع اقسم عليها بالمتحركات والريح الواحدة ليست ثابتة
بل هي متبدلة بافرادها مستمرة بانواعها والمقصود منها لا يحصل الا بالتبدل والتغير فقال
والذاريات اشارة الى النوع المستمر لا الى الفرد المعين المستقر واما الجبل فهو ثابت غير
متغير عادة فالواحد من الجبال دائم زمانا ودهرا فاقسم في ذلك بالواحد وكذلك في قوله
والنجم ولو قال والريح لما علم المقسم به وفي الطور علم **قوله** ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع
وقوله ما له من دافع يجوز ان تكون الجملة خبرا ثانيا وان تكون صفة لواقع اي واقع غير
مدفوع قاله ابو البقاء ومن دافع يجوز ان يكون فاعلا وان يكون مبتدأ ومن مزيدة على الوجهين
فصل قال جبير بن مطعم قدمت المدينة لاكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم

في اساري بدر فدفعت اليه وهو يصلي باصحابه المغرب وصوته يخرج من المسجد فسمعته
يقرأ والطور الى قوله ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع فكانما صدع قلبي حين سمعت
ولم اكن اسلم يومئذ قال فاسلمت خوفا من نزول العذاب وما كنت اظن اني اقوم من
مكاني حتى يقع بي العذاب **قوله** يوم تمور يجوز ان يكون العامل فيه واقع اي يقع في
ذلك اليوم وعلى هذا فيكون الجملة المنفية معترضة بين العامل ومعموله ويجوز ان يكون
العامل فيه دافع قاله الحوفي وابو البقاء ومنعه مكي قال ابو حيان ولم يذكر دليل
المنع قال شهاب الدين وقد ذكره دليل المنع في الكشف الا انه ربما يكون غلطا عليه
فانه وهم وعبارته قال العامل فيه واقع اي ان عذاب ربك لواقع في يوم تمور السماء
مورا ولا يعمل فيه دافع لان المنفي لا يعمل فيما قبل النافي لا تقول طعامك ما زيد اكلا
رفعت اكلا ونصبته او ادخلت عليه الباء فان رفعت الطعام بالابتداء وقدمت اكلا
على ما جاز وما بعد الطعام خبر انتهى وهذا الكلام صحيح في نفسه الا انه ليس في الآية شيء
من ذلك لان العامل وهو واقع والمعمول وهو يوم كلاهما بعد النافي في حيز وقوله
واو قدمت اكلا على ما اي على منه يعود على الطعام فتقول طعامك ما زيد اكله وقد يقال
ان وجه المنع من ذلك خوف الوهم انه يفهم ان احدا يدفع العذاب في غير ذلك اليوم
والغرض ان عذاب الله لا يدفع في كل وقت وهذا امر مناسب وقد ذكر مثله كثير
ولذلك منع بعضهم ان ينتصب يوم تجد كل نفس بقوله والله على كل شيء قدير لئلا يفهم
منه ما لا يليق وهو ابعد من هذا في الوهم بكثير وقال ابو البقاء وقيل يجوز ان يكون
ظرفا لما دل عليه فويل انتهى وقال ابن الخطيب والذي اظنه ان العامل هو الفعل المدلول
عليه بقوله ما له من دافع لان العذاب الواقع على هذا ينبغي ان يقع في ذلك اليوم لان
العذاب الذي به التخويف هو الذي بعد الحشر ومور السماء لانه في معنى قوله فلم يك ينفعهم
ايمانهم لما راوا باسنا **فصل** والمور الاضطراب والحركة يقال مار الشيء اي
ذهب وجاء وقال الاخفش وابو عبيدة تكفأ وانشد للاعشى
كان مشيتها من بيت جارتها ... مور السحابة لا ريث ولا عجل
وقال الزمخشري وقيل هو
تحرك في تموج وهو الشيء يتردد في عرض كالداغصة وهي الجلدة التي فوق فلك الركبة وقال
الراغب المور الجريان السريع ومار الدم على وجهه والمور اي بالضم التراب المتردد به
الريح واكد بالمصدر بن رفعا للمجاز اي هذان الجريان العظيمان مع كثافتهما يقع ذلك منهما
حقيقة وقال ابن الخطيب فيه فائدة جليلة وهي ان قوله تعالى وتسير الجبال يحتمل ان يكون
بيانا لكيفية مور السماء لان الجبال اذا سارت وسيرت معها سكانها تظهر السماء كالسايرة الى
خلاف تلك الجهة كما يشاهده راكب السفينة فانه يرى الجبل الساكن متحركا فكان لقائل ان
يقول السماء تمور في راي العين بسبب سير الجبال كما يرى القمر سائرا راكب السفينة والسماء
اذا صارت كذلك فلا يبقى مهرب ولا مفزع لا في الارض ولا في السماء **فصل** لما ذكر
ان العذاب واقع بين انه متى يقع العذاب فقال يوم تمور السماء مورا قال المفسرون اي تدور
كما تدور الرحى وتتكفأ باهلها تكفؤ السفينة قال عطاء الخراساني تختلف اجزاؤها بعضها في بعض
وقيل تضطرب وتسير الجبال سيرا تزول عن اماكنها وتصير هباء منثورا وهذا ايذان واعلام
بان لا عود الى الدنيا لان الارض والجبال والسماء والنجوم كلها لعمارة الدنيا والانتفاع لبني آدم
فاذا لم يبق لهم عود ولم يبق بها نفع فلذلك اعدمها الله تعالى **قوله** فويل يومئذ
للمكذبين يومئذ منصوب بويل والخبر للمكذبين والفاء في فويل قال مكي جواب الجملة المتقدمة

وحسن ذلك لان في الكلام معني الشرط لان المعني اذا كان ما ذكر فويل قال ابن الخطيب اذا علم
ان عذاب الله واقع وانه ليس له دافع فويل اذن للمكذبين فالفا لاتصال المعني ولمعني اخر وهو
الايذان بامان اهل الايمان لانه لما قال ان عذاب ربك لواقع وانه ليس له دافع لم يبين
موقعه بمن فلما قال فويل يومئذ للمكذبين علم المخصوص به وهو المكذب فان قيل
اذا قلت بان قوله ويل للمكذبين بيان لمن يقع به العذاب فمن لا يكذب لا يعذب فاهل الكباير
لا يعذبون لانهم لا يكذبون فالجواب ان ذلك العذاب لا يقع علي اهل الكباير وانما هذا كقوله
كلما القي فيها فوج سالهم خزنتها الم ياتكم نذير قالوا بلي قد جانا نذير فكذبنا فالمومن لا يلقي
فيها القا بهوان وانما يدخل فيها للتطهير ادخالا مع نوع اكرام والويل انما هو للمكذبين والويل
ينبي عن الشدة لان تركيب حروف الواو والياء واللام لا ينفك عن نوع شدة ومنه لوي اذا
دافع ولوي يلويه اذا فتل فتلا قويا والولي فيه القوة علي المولي عليه وقد تقدم وجه جواز التنكير
في قوله ويل مع كونه مبتدا لانه في تقدير المنصوب لانه دعا في تفسير قوله تعالي قال سلام
قوله الذين هم في خوض يلعبون الخوض هو الاندفاع في الاباطيل قال تعالي وخضتم
كالذي خاضوا وقال تعالي وكنا نخوض مع الخايضين وتنكير الخوض يحتمل وجهين الاول ان
يكون للتكثير اي في خوض عظيم الثاني ان يكون التنوين عوضا عن المضاف اليه كقوله تعالي
وان كلا والاصل في خوضهم المعروف منهم وقوله يلعبون اي غافلون لاهون واعلم ان قوله
الذين هم في خوض ليس وصفا للمكذبين بما يميزهم وانما هو للذم كقولك الشيطان الرجيم ولا
تريد بفصله عن الشيطان الذي ليس برجيم بخلاف قولك اكرم الرجل العالم فالوصف بالرجيم
للذم له لا للتعريف وتقول في المدح الله الذي خلق والله العظيم للمدح لا للتمييز ولا للتعريف
عن العلم بخلق او اله ليس بعظيم فان الله واحد لا غير قوله يوم يدعون يجوز ان يكون
ظرفا لينال المقدرة مع قوله هذه النار اي يقال لهم هذه النار يوم يدعون ويجوز ان يكون
بدلا من قوله يوم تمور وحسن يومئذ قبله تقديره فويل يومئذ يوم يدعون المكذبين
لان معناه يوم يقع العذاب ذلك اليوم هو يوم يدعون فيه الي النار والعامة علي فتح
الدال وتشديد العين من دعه يدعه اي دفعه في صدره بعنف وشدة قال
الراغب واصله ان يقال للعاثر دع كما يقال له لعا وهذا بعيد من معني هذه اللفظة وقرا
علي رضي الله عنه والسلمي وابو رجا وزيد بن علي بسكون الدال وتخفيف العين مفتوحة من
الدعا اي يدعون اليها فيقال لهم هلموا فادخلوها فصل دعا معناه
تدفعهم الملايكة دفعا علي وجوههم بعنف اي يدفعون الي النار فاذا دنوا منها قال لهم
خزنتها هذه النار التي كنتم بها تكذبون في الدنيا فان قيل قوله تعالي يدعون
الي نار جهنم يدل علي ان خزنتها يقذفونهم في النار وهم بعيدا عنها وقوله تعالي يسحبون
في النار علي وجوههم يدل علي انهم فيها فالجواب من وجوه الاول ان الملايكة يسحبونهم
في النار ثم اذا قربوا من نار مخصوصة وهي نار جهنم يقذفونهم فيها من بعيد فيكون السحب
في نار والدفع في نار اشد واقوي بدليل قوله يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون اي يسحبون
في حموة النار ثم بعد ذلك يكون لهم ادخال الثاني يجوز ان يكون في كل زمان يتولي امرهم
ملايكة فالي النار يدفعهم ملك وفي النار يسحبهم اخر الثالث يجوز ان يكون السحب بسلاسل
اي يسحبون في النار والساحب خارج النار الرابع يحتمل ان يكون الملايكة يدفعونهم
الي النار اهانة لهم واستخفافا بهم ويدخلون معهم النار ويسحبونهم فيها قوله افسحر
خبر مقدم وهذا مبتدا موخر ودخلت قال الزمخشري يعني كنتم تقولون للوحي هذا سحر فسحر

هذا

هذا يريد اهذا المصداق ايضا سحر ودخلت الفا لهذا المعني وهذا تحقيق للامر لان من يري
شيا ولا يكون الامر علي ما يراه فذلك الخطا يكون لاجل احد امرين اما لامر عايد الي المري
واما لامر عايد الي الراي فقوله افسحر هذا اي هل في الموت شك ام هل في بصركم خلل فهو استفهام
انكار اي لا واحد منهما ثابت فالذي ترونه حق وقد كنتم تقولون انه ليس بحق وذلك انهم كانوا ينسبون
محمدا صلي الله عليه وسلم الي السحر وانه يغطي الابصار بالسحر وان انشقاق القمر وامثاله سحر
فوبخوا به وقيل لهم افسحر هذا ام انتم لا تبصرون قوله اصلوها اي اذا لم يمكنكم انكارها
وتحقق انه ليس بسحر ولا خلل في ابصاركم فاصلوها اي قاسوا شدتها فاصبروا او لا تصبروا
اي الصبر وعدمه سوا وهذا بيان لعدم الخلاص قوله سوا فيه وجهان احدهما انه
خبر مبتدا محذوف اي صبركم وتركه سوا قاله ابو البقا والثاني انه مبتدا والخبر محذوف
اي سوا الصبر والجزع قاله ابو حيان قال شهاب الدين والاول احسن لان جعل النكرة خبرا اولي
من جعلها مبتدا وجعل المعرفة خبرا ونحا الزمخشري نحو الوجه الثاني فقال سوا خبره محذوف
اي سوا عليكم الامران الصبر وعدمه قوله انما تجزون ما كنتم تعملون فيه لطيفة وهي
ان المومن بايمانه استفاد ان الخير الذي ينويه يثاب عليه والشر الذي ينويه ولا يحققه
لا يعاقب عليه والكافر بكفره صار علي الضد فالخير الذي ولا يعمله لا يثاب عليه والشر الذي
يقصده ولا يقع منه يعاقب عليه ولا ظلم فان الله تعالي اخبره به فهو اختار ذلك
ودخل فيه باختياره فان الله تعالي قال بان من كفر ومات كافرا عذبته ابدا فاحذروا
ومن امن اثبته دايما فمن ارتكب الكفر ودام عليه بعد ما سمع ذلك فاذا عوقب دايما
فهو تحقيق لما اوعد به فلا يكون ظلما قوله تعالي ان المتقين في جنات ونعيم
يجوز ان يكون مستانفا اخبر الله تعالي به بشارة ويجوز ان يكون من جملة المقول للكفار
زيادة في غمهم وتحسيرهم والجنة هي موضع السرور لكن الناطور قد يكون في البستان الذي
هو في غاية الطيبة فلما قال ونعيم افاد انهم فيها متنعمون كما يكون المتفرج لا كما يكون
الناطور والعامل وقوله فاكهين يريد في ذلك لان المتنعم قد يكون اثار النعيم عليه ظاهرة
وقلبه مشغول فلما قال فاكهين دل علي غاية الطيبة قوله فاكهين هذه قراة العامة
نصب علي الحال والخبر الظرف وصاحب الحال الضمير المستكن في الظرف وقرا خالد فاكهون
بالرفع فيجوز ان يكون الظرف لغوا متعلقا بالخبر ويجوز ان يكون خبرا اخر عند من يجيز
تعدد الخبر وقري فكهين مقصورا وسياتي انه قري به في المطففين في انقلبوا فكهين
عن عاصم قوله بما اتاهم يجوز ان تكون الباء علي اصلها ويكون ما حينئذ واقعة
علي الفواكه التي في الجنة اي متلذذين بفاكهة الجنة ويجوز ان يكون ما بمعني في اي فيما
اتاهم من الثمار وغيره ذلك ويجوز ان تكون مصدرية ايضا قوله ووقاهم يجوز فيه
اوجه اظهرها انه معطوف علي الصلة اي فكهين باتيانهم ربهم وبوقايته لهم عذاب
الجحيم والثاني ان الجملة حالية فتكون قد مقدرة عند من يشترط اقترانها بالماضي الواقع
حالا الثالث ان يكون معطوفا علي في جنات قاله الزمخشري يعني فيكون مخبرا به عن المتقين
ايضا فيكون الواو انهم فاكهون باثنين احدهما بما اتاهم والثاني بانه وقاهم والعامة
علي تخفيف القاف من الوقاية وابو حيوة بتشديدها قوله كلوا واشربوا اي يقال
لهم كلوا واشربوا هنيئا وقد تقدم الكلام في هنيئا في النسا وقال الزمخشري هنيئا يقال
لهم كلوا واشربوا اكلا وشربا هنيئا او طعاما وشرابا هنيئا وهو الذي لا تنغيص به ويجوز ان
يكون مثله في قوله هنيئا مريئا غير داء مخامر لعزة من اعراضنا ما استحلت اعني

صفة استعملت استعمال المصدر القائم مقام الفعل مرتفعا به ما استحلت كما يرتفع بالفعل
كأنه قيل هنأ عزة المستحل من أعراضنا وكذلك معنى هنيئا هنا هنأكم الأكل والشرب أو هنأكم
ما كنتم تعملون أي جزاء ما كنتم تعملون والباء زيدت كما في كفى بالله والباء متعلقة بكلوا واشربوا
إذا جعلت الفاعل الأكل والشرب وهذا أحسن محاسن كلامه قال أبو حيان أما تجويزه
زيادة الباء فليست بمقيسة في الفاعل إلا في فاعل كفى على خلاف فيها فتجويزها هنا لا
يسوغ وأما قوله إنها تتعلق بكلوا واشربوا فلا يصح إلا على الإعمال فهي تتعلق بأحدهما انتهى
وهذا قريب **قوله** متكئين فيه أوجه أحدها أنه حال من فاعل كلوا الثاني أنه
حال من مفعول آتاهم الثالث أنه حال من مفعول وقاهم الرابع أنه حال من الضمير
المستكن في الظرف الخامس أنه حال من الضمير في فاكهين وأحسنها أن يكون حالا من ضمير الظرف
لكونه عمدة وقوله على سرر متعلق بمتكئين وقرأ العامة بضم الراء الأولى وأبو السمال بفتحها
وتقدم أنها لغة لكلب في المضعف يفرون من توالي ضمتين في المضعف **قوله**
وزوجناهم بحور عين بإضافة الموصوف إلى صفته على التأويل المشهور **فصل**
اعلم أنه تعالى بين أسباب التنعيم على الترتيب فأول ما يكون المسكن وهو الجنات ثم الأكل
والشرب ثم الفرش والبسط ثم الأزواج فهذه أمور أربعة ذكرها الله تعالى على الترتيب
وذكر في كل واحد منها ما يدل على كماله فقوله جنات إشارة إلى المسكن وقال فاكهين إشارة
إلى عدم التنغص وعلو المرتبة بكونه فيما آتاهم الله وقال كلوا واشربوا هنيئا أي مأمون العاقبة
من التخم والسقم وترك ذكر المأكول والمشروب دلالة على تنوعهما وكثرتهما وقوله بما كنتم تعملون
إشارة إلى أنه تعالى يقول إني مع كوني ربكم وخالقكم وأدخلتكم الجنة بفضلي فلا منة لي عليكم
اليوم وإنما منتي عليكم كان في الدنيا هديتكم ووفقتكم للأعمال الصالحة كما قال بل الله يمن عليكم
أن هداكم للإيمان وأما اليوم فلا منة عليكم لأن هذا إنجاز الوعد **فإن قيل** قال
في حق الكفار إنما تجزون ما كنتم تعملون وقال في حق المؤمن بما كنتم تعملون فما الفرق بينهما
فالجواب من وجوه الأول أن كلمة إنما للحصر أي لا تجزون إلا ذلك ولم يذكر هذا في حق المؤمن
لأنه يجزيه أضعاف ما عمل ويزيده من فضله الثاني قال هنا بما كنتم وقال هناك
ما كنتم أي تجزون عين أعمالكم وهذا إشارة إلى المبالغة في المماثلة كأنه يقول هذا عين ما
عملت وقوله في حق المؤمن بما كنتم كان ذلك أمرا ثابتا مستمرا يسعدكم هذا الثالث أنه ذكر
الجزاء هناك وقال هنا بما كنتم تعملون لأن الجزاء ينبئ عن الانقطاع فإن من أحسن إلى أحد فأتى
بجزائه لا يتوقع المحسن منه شيئا آخر **فإن قيل** إن الله تعالى قال في موضع آخر جزاء بما كنتم
تعملون في الثواب فالجواب أنه في تلك المواضع لما لم يخاطب المجزي ولم يقل بما كنت تعمل
أتى بما يفيد العلم بالدوام وعدم الانقطاع **وأما** في السرر فذكروا أمورا أحدها الاتكاء
فإنه هيئة تختص بالمنعم والفارغ الذي لا كلفة عليه وجمع السرر لأمرين أظهرهما أن يكون لكل
واحد سرر لأن قوله مصفوفة يدل على أنها للواحد لأن سرر الكل لا يكون في موضع واحد مصطفة
ولفظ السرير فيه حروف السرور بخلاف التخت وغيره وقوله مصفوفة أي متصلة بعضها
إلى جنب بعض فإنها لو كانت متفرقة لقيل في كل موضع واحد يتكي عليه صاحبه إذا حضر هذا
الموضع وقوله تعالى وزوجناهم إشارة إلى النعمة الرابعة وفيها ما يدل على كمال الحال
من وجوه الأول أنه هو المزوج وهو الولي الذي يلي الطرفين يزوج عباده بإمائه ومن يكون
كذلك لا يفعل إلا ما فيه راحة العباد والإماء الثاني قال وزوجناهم بحور ولم يقل وزوجناهم
حورا مع أن لفظ التزويج يتعدى فعله إلى مفعولين بغير حرف يقال زوجتكها قال الله تعالى

فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها وذلك إشارة إلى أن المنفعة في التزويج لهم وأنما زوجوا
للذتهم بالحور لا للذة الحور بهم الثالث عدم الاقتصار على الزوجات بل وصفهن بالحسن واختار
الأحسن من الأحسن فإن أحسن ما في صورة الآدمي وجهه وأحسن ما في الوجه العين **قوله**
والذين آمنوا فيه ثلاثة أوجه أحدها أنه مبتدأ والخبر الجملة من قوله ألحقنا بهم ذريتهم
والذريات هنا يصدق على الآباء وعلى الأبناء أي أن المؤمن إذا كان عمله أكثر ألحق به من
دونه في العمل ابنا كان أو أبا وهو منقول عن ابن عباس وغيره الثاني أنه منصوب بفعل
مقدر قال أبو البقاء على تقدير وأكرمنا الذين آمنوا قال شهاب الدين فيجوز أن يريد أنه
من باب الاشتغال وأن قوله ألحقنا بهم ذريتهم مفسر لذلك الفعل من حيث المعنى وأن يريد
أنه مضمر لدلالة السياق عليه فلا يكون من الاشتغال في شيء الثالث قال ابن الخطيب
أنه معطوف على قوله إن المتقين ثم قال فإذا كان كذلك فلم أعاد لفظ الذين آمنوا وكان
المقصود يحصل بقوله تعالى وألحقنا بهم ذرياتهم بعد قوله وزوجناهم فكان يصير التقدير
وزوجناهم وألحقنا بهم نقول فيه فائدة وهي أن المتقين هم الذين اتقوا الشرك والمعاصي
وهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات فقال هاهنا الذين آمنوا بمجرد الإيمان يصير ولده من أهل
الجنة ثم إن ارتكب الأب كبيرة أو صغيرة على صغيرة ولا يعاقب بعقوبة بل الولد يدخل
يدخل الجنة الابن قبل الأب وتقدم في الخبر أن الولد الصغير يشفع لأبيه وهذا إشارة
إلى الجزاء وذكر الزمخشري أنه مجرور عطفا على حور عين قال الزمخشري والذين آمنوا معطوف
على حور عين أي قرناهم بالحور وبالذين آمنوا أي بالرفقاء والجلساء منهم كقوله إخوانا على سرر
متقابلين فيتمتعون تارة بملاعبة الحور وتارة بمؤانسة الإخوان ثم قال الزمخشري ثم قال
بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم أي بسبب إيمان عظيم رفيع المحل وهو إيمان الآباء ألحقنا
بدرجتهم ذرياتهم وإن كانوا لا يستأهلونها تفضلا عليهم قال أبو حيان ولا يتخيل أحد أن
والذين آمنوا معطوف على حور عين غير هذا الرجل وهو تخييل أعجمي مخالف لفهم العربي القح ابن
عباس وغيره قال شهاب الدين أما ما ذكره أبو القاسم من المعنى فلا شك في حسنه ونضارته
وليس في كلام العرب البتة ما يمنعه بل لو عرض على ابن عباس وغيره لأعجبهم وأي مانع معنوي
أو صناعي يمنعه **قوله** واتبعتهم يجوز أن يكون عطفا على الصلة ويكون والذين مبتدأ
ويتعلق بإيمان بالاتباع بمعنى أن الله تعالى يلحق الأولاد الصغار وإن لم يبلغوا الإيمان
بأحكام الآباء المؤمنين وهذا المعنى منقول عن ابن عباس والضحاك ويجوز أن يكون معترضا
بين المبتدأ والخبر قاله الزمخشري ويجوز أن يتعلق بإيمان بألحقنا كما تقدم **فإن قيل**
قوله اتبعتهم ذرياتهم يفيد فائدة قوله ألحقنا بهم ذرياتهم فالجواب أن قوله ألحقنا بهم
أي في الدرجات والاتباع إنما هو في حكم الإيمان وإن لم يبلغوه كما تقدم وقرأ أبو عمرو و
وأتبعناهم بإسناد الفعل إلى المتكلم المعظم نفسه والباقون واتبعتهم بإسناد الفعل إلى الذرية
وألحق تاء التأنيث وقد تقدم الخلاف في إفراد ذرياتهم وجمعه في سورة الأعراف **فصل**
اختلفوا في معنى الآية فقيل معناها والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم بإيمان يعني أولادهم الصغار
والكبار فالكبار بإيمانهم بأنفسهم والصغار بإيمان آبائهم فإن الولد الصغير يحكم بإسلامه
تبعا لأحد الأبوين وقوله ألحقنا بهم ذرياتهم أي المؤمنين في الجنة بدرجاتهم وإن لم يبلغوا بأعمالهم
درجات آبائهم تكرمة لآبائهم لتقر بذلك أعينهم وهي رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس وقيل
معناه والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم البالغون بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم الصغار الذين لم
يبلغوا الإيمان بإيمان آبائهم وهو قول الضحاك ورواية العوفي عن ابن عباس أخبر الله عز وجل

انه يجمع لعبده ذريته في الجنة كما كان يحب في الدنيا ان يجتمعوا اليه يدخلهم الجنة بفضله ويلحقهم
بدرجته بعمل ابيهم من غير ان ينقص الاباء من اعمالهم شيا فذلك قوله وما التناهم من عملهم من شي
روي عن علي رضي الله عنه قال سالت خديجة النبي صلى الله عليه وسلم عن ولدين لها ماتا في الجاهلية
فقال النبي صلى الله عليه وسلم هما في النار فلما راي الكراهية في وجهها قال لو رايت مكانهما لابغضتهما
قالت يا رسول الله فولدي منك قال في الجنة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المومنين
واولادهم في الجنة وان المشركين واولادهم في النار ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين
امنوا واتبعناهم ذرياتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم **قوله** وما التناهم قرا ابن كثير التناهم
بكسر اللام والباقون بفتحها فاما الاولى فمن الت يالت بكسر العين في الماضي وفتحها في المضارع
كعلم يعلم واما الثانية فيحتمل ان تكون من الت يالت كضرب يضرب وان يكون من الات يليت
فالتناهم كاحسناهم وقرا ابن هرمز التناهم بالف بعد الهمزة على وزن افعلناهم يقال
الت يولت كاكرم يكرم وعبد الله وابي والاعمش وطلحة وروي عن ابن كثير لتناهم بكسر اللام
كبعناهم يقال لاته يليته كباعه يبيعه وقرا طلحة والاعمش ايضا لتناهم بفتح اللام قال
سهل لا يجوز فتح اللام من غير الف بحال وبذلك انكر التناهم بالمد وقال لا يدل عليها لغة ولا
تفسير وليس كما زعم بل نقل اهل اللغة الت يولت وقرى ولتناهم بالواو كوعدناهم نقلها هارون
قال ابن خالويه فيكون هذا الحرف من لات يليت وولت يلت والات يليت وكلها
بمعنى نقص ويقال الت بمعنى غلظ فقام رجل الى عمر يعظه فقال له رجل لا تالت امير المومنين
اي لا تغلظ عليه قال ابن الخطيب ويجوز ان يكون هذا الاثر على حاله والمعنى لا تنقص امير
المومنين حقه لانه اذا اغلظ القول نقصه حقه وفي الضمير في التناهم وجهان اظهرهما انه عايد
على المومنين الثاني انه عايد على ابنايهم قيل ويقويه قوله كل امري بما كسب رهين **قوله**
من عملهم من شي من شي مفعول ثان لالتناهم ومن مزيدة فيه والاولى في محل نصب على الحال
من شي لانها في الاصل صفة له فلما قدمت نصبت حالا ويجوز ان تتعلق بالتناهم
فصل في قوله وما التناهم تطييب لقلبهم وازالة وهم المتوهم ان ثواب عمل الاب يوزع
على الوالد والولد بل للوالد اجر عمله ولاولاده مثل ذلك فضلا من الله ورحمته وقال من عملهم
ولم يقل من اجرهم لان قوله وما التناهم من عملهم دليل على بقا عملهم كما كان والاجر على العمل
مع الزيادة فيكون فيها اشارة الى بقا العمل الذي له الاجر الكبير الزايد عليه العظيم العايد
اليه ولو قال ما التناهم من اجورهم لكان ذلك حاصلا بادني شي لان كل ما يعطي الله عبده
على عمله فهو كامل ولانه لو قال ما التناهم من اجرهم كان مع ذلك يحتمل ان يقال ان الله
تعالى تفضل عليهم بالاجر الكامل على العمل الناقص واعطاه الاجر الجزيل مع ان عمله كان له
ولولده جميعا **فان قيل** ما الفايدة في تنكير الايمان في قوله واتبعناهم ذرياتهم
بايمان الحقنا فالجواب هو اما التحقير او التنكير كانه يقول اتبعناهم ذرياتهم بايمان
مخلص كامل او يقول اتبعناهم بايمان ما اي شي منه فان الايمان كاملا لا يوجد في الولد
بدليل ان من له ولد صغير حكم بايمانه فاذا بلغ وصرح بالكفر وانكر التبعية قيل له بانه
لا يكون مرتدا فيبين بقوله انه لم يبلغ وقيل بانه يكون مرتدا لانه كفر بعد ما حكم بايمانه كولد
المسلم الاصلي فاذا لم تبين بهذا الخلاف ان الايمان ليس بقوي ذكره هذين الوجهين الزمخشري ويحتمل
ان يكون المراد ان يكون التنوين للتعويض عن المضاف اليه كقوله تعالى بعضهم لبعض وقوله وكلا
وعد الله الحسنى لان التقدير اتبعناهم ذرياتهم بايمانهم اي بسبب ايمانهم لان الاتباع ليس بايمان
كيف كان وممن كان وانما هو ايمان الابا لكن الاضافة تنبي عن تقييد وعدم كون الايمان ايمانا

علي الاطلاق فان قول القايل ما التحرو ما الرمان يصح والطلاق اسم الماء من غير اضافة لا يصح
فقوله بايمانهم يوهم انه ايمان مضاف اليهم كقوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا
حيث اثبت الايمان المضاف ولم يكن ايمانا فقطع الاضافة مع ارادتها ليعلم ان الايمان صحيح
وعوض التنوين ليعلم انه مضاف لا يوجب الايمان في الدنيا الا الايمان الاباء قال ابن الخطيب
وهذا وجه حسن **قوله** كل امري بما كسب رهين قال مقاتل كل امري كافر بما عمل من
الشرك مرتهن في النار والمومن لا يكون مرتهنا كقوله تعالى كل نفس بما كسبت رهينة الا اصحاب
اليمين قال الواحدي هذا يعود الى ذكر اهل النار وهو قول مجاهد ايضا وقال الزمخشري هذا
عام في كل احد انه يكون مرهونا عند الله بالكسب فان كسب خيرا فك رقبته والا اغلق الرهن
قال ابن الخطيب وفيه وجه اخر وهو ان يكون الرهين فعيلا بمعنى الفاعل فيكون كل امري بما
كسب راهن اي دايم ان احسن ففي الجنة مويدا وان اسا ففي النار مخلدا لان في الدنيا دوام
الاعمال بدوام الاعيان فان العرض لا يبقى الا في جوهر ولا يوجد الا فيه وفي الاخرة دوام
الاعيان بدوام الاعمال فان الله يبقي اعمالهم لكونها عند الله تعالى من الباقيات الصالحات
وما عند الله باق والباقي يبقى مع عمله **قوله** وامددناهم بفاكهة زيادة على
ما كان لهم ولحم مما يشتهون من انواع اللحمان والمعنى زدناهم ماكولا ومشروبا فالماكول
الفاكهة واللحم والمشروب الكاس في هذه الطبقة وفيه انه لما قال ما التناهم ونفي النقصان
يصدق بحصول التساوي فقال ليس بعدم النقصان بالاقتصار على التساوي بل بالزيادة
والامداد **قوله** يتنازعون في موضع نصب على الحال من مفعول امددناهم ويجوز
ان يكون مستانفا وتقدم الخلاف في قوله لا لغو فيها في البقرة والجملة في موضع نصب
صفة لكاس وقوله فيها اي في شربها وقيل في الجنة ومعنى يتنازعون اي يتعاطون ويحتمل ان
يقال التنازع التجاذب ويكون تجاذبهم تجاذب ملاعبة لا تجاذب منازعة وفيه نوع لذة
قال الشاعر ؞ نازعته طيب الراح الشمول وقد ؞ صاح الدجاج وحانت وقعة الساري ؞
وقوله لا لغو فيها ولا تاثيم قال قتادة اللغو الباطل وقال مقاتل بن حيان لا فضول فيها
وقال سعيد بن المسيب لا رفث فيها وقال ابن زيد لا سباب ولا تخاصم فيها وقال القتيبي
لا تذهب عقولهم فيلغوا ويرفثوا ولا تاثيم اي لا يكون منهم ما يوثمهم قال ابن الخطيب
ويحتمل ان يكون المراد من التاثيم السكر وقال الزجاج لا يجري منهم ما يلغي ولا ما فيه
اثم كما يجري في الدنيا لشربة الخمر وقيل لا ياثمون في شربها **قوله** ويطوف عليهم غلمان اي
يطوف عليهم بالخدمة غلمان لهم كانهم في الحسن والبياض والصفا **قوله** كانهم لولو مكنون
صفة ثانية لغلمان والمعنى يطوف عليهم بالكوس غلمان لهم وهم الولدان المخلدون كانهم
لولو مكنون اي مخزون مصون لم تمسه الايدي قال سعيد بن جبير يعني في الصدف قال
عبد الله بن عمر ما من احد من اهل الجنة الا يسعى عليه الف غلام وكل غلام على عمل ما عليه صاحبه
وروي عن الحسن انه لما تلا هذه الاية قال قالوا يا رسول الله الخادم كاللولو المكنون فكيف
المخدوم قال فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب **قوله**
واقبل بعضهم على بعض يتساءلون يسال بعضهم بعضا في الجنة قال ابن عباس يتذاكرون ما
كانوا فيه من التعب والخوف في الدنيا فقوله يتساءلون جملة حالية من بعضهم **قوله** قالوا
انا كنا قبل في اهلنا مشفقين اي خايفين من العذاب والمعنى انهم يسالون عن سبب ما وصلوا
اليه فيقولون خشية الله اي كنا نخاف الله فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم اي مَنَّ الله علينا
بالمغفرة ووقانا عذاب السموم قال الكلبي عذاب النار وقال الحسن السموم اسم من اسماء جهنم

والسموم في الاصل الريح الحارة التي تتخلل المسام والجمع سمائم وسم يومنا اي اشتد حره وقال ثعلب السموم شدة الحر او شدة البرد في النهار وقال ابو عبيدة السموم بالنهار وقد يكون بالليل والحرور بالليل وقد يكون بالنهار وقد يستعمل السموم في لفح البرد وهو في لفح الحر والشمس اكثر وقد تقدم شيء من ذلك في سورة فاطر وقرأ العامة ووقانا بالتخفيف وابو حيوة بالتشديد وقد تقدم قوله انا كنا من قبل اي في الدنيا ندعوه نخلص له العبادة وقوله انه هو البر قرأ نافع والكسائي بفتح الهمزة على التعليل اي لانه والباقون بالكسر على الاستئناف الذي فيه معنى العلة فيتحد معنى القراءتين وقوله هو البر قال ابن عباس اللطيف وقال الضحاك الصادق فيما وعد الرحيم بعباده قوله تعالى فذكر فما انت بنعمة ربك لما بين تعالى ان في الوجود قوما يخافون الله ويشفقون في اهلهم والنبي عليه السلام مامور بتذكير من يخاف الله تعالى لقوله تعالى فذكر بالقرآن من يخاف وعيد فوجب التذكير فلذلك ذكره بالفاء قوله بنعمة ربك فيه ثلاثة اوجه احدها انه مقسم به متوسط بين اسم ما وخبرها ويكون الجواب حينئذ محذوفا وقاله لدلالة هذا المذكور عليه والتقدير ونعمة ربك ما انت بكاهن ولا مجنون الثاني ان الباء في موضع نصب على الحال والعامل فيها بكاهن او مجنون والتقدير ما انت كاهنا ولا مجنونا ملتبسا بنعمة ربك قاله ابو البقاء وعلى هذا فهي حال لازمة لانه عليه السلام لم يفارق هذه الحال الثالث ان الباء سببية متعلقة بما دل عليه الكلام وهو اعتراض بين اسم ما وخبرها والتقدير ما انت في حال اذكارك بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون قاله الحوفي قال شهاب الدين ويظهر وجه رابع وهو ان تكون الباء سببية وتتعلق حينئذ بمضمون الجملة المنفية وهذا هو مقصود الاية الكريمة والمعنى انتفى عنك الكهانة والجنون بسبب نعمة الله عليك كما تقول ما انا معسر بحمد الله وغناه فصل المعنى فذكر يا محمد اهل مكة بالقرآن فما انت بنعمة ربك اي برحمته وعصمته بكاهن مبتدع القول ومخبر بما في غد من غير وحي ولا مجنون نزلت في الذين اقتسموا عقاب مكة يرمون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكهانة والسحر والجنون والشعر قوله ام يقولون قال الثعلبي قال الخليل كل ما في سورة الطور من ام فاستفهام وليس بعطف وقال ابو البقاء ام في هذه الآيات منقطعة وتقدم الخلاف في المنقطعة هل تقدر ببل وحدها او ببل والهمزة او بالهمزة وحدها والصحيح الثاني وقال مجاهد في قوله ام تأمرهم تقديره بل تأمرهم وقرأ بل هم قوم طاغون بدل ام هم قوم قوله نتربص في موضع رفع صفة لشاعر والعامة على نتربص بنا مسندا الفعل لجماعة المتكلمين ريب بالنصب وزيد بن علي يتربص بالياء من تحت على البناء للمفعول ريب بالرفع قوله ريب المنون حوادث الدهر وتقلبات الزمان لانها لا تدوم على حال كالريب وهو الشك فانه لا يبقى بل هو متزلزل قال الشاعر:

تربص بها ريب المنون لعلها * تطلق يوما او يموت حليلها *

وقال ابو ذؤيب:

أمن المنون وريبه تتوجع * والدهر ليس بمعتب من يجزع *

والمنون في الاصل الدهر وقال الراغب المنون المنية لانها تنقص العدد وتقطع المدد وجعل من ذلك قوله اجر غير ممنون اي غير مقطوع وقال الزمخشري وهو في الاصل فعول من منه اذا قطعه لان الموت قطوع ولذلك سميت شعوب وريب مفعول به اي ننتظر به حوادث الدهر او المنية فصل المعنى بل يقولون يعني هؤلاء المقتسمين الخراصين شاعر نتربص به ريب المنون حوادث الدهر فيموت وذلك ان العرب كانت تحترز عن اذية الشعراء فان الشعر كان عندهم يحفظ ويدون فقالوا لا نعارضه في الحال مخافة ان يغلبنا بقوة شعره وانما نصبر ونتربص موته ويهلك كما هلك من قبله من الشعراء وتتفرق اصحابه وان اباه مات شابا ونحن نرجو ان يكون موته كموت ابيه والمنون

تكون

تكون بمعنى الدهر وتكون بمعنى الموت سميا بذلك لانهما يقطعان الاجل ويقال انه عليه السلام كان يقول الحق دين الله وان الشرع الذي اتيت به يبقى ابد الدهر وكتابي يتلى الى قيام الساعة فقالوا ليس كذلك انما هو شاعر والذي يذكره شعر ولا ناصر له وسيصيبه من بعض الهتنا الهلاك فنتربص به ذلك وايضا المنون هو اسم للموت فعول من المن وهو القطع ويحتمل وجها اخر وهو ان يكون المراد انه اذا كان شاعرا فصروف الزمان ربما تضعف ذهنه وتورث وهنه فيتبين لكل اضربه اوهن وكساد شعره قوله قل تربصوا اي انتظروا بي الموت فان قيل هذا امر للنبي عليه السلام ولفظ الامر يوجب المامور به او يبيحه ويجوزه وتربصهم كان حراما فالجواب ليس ذلك بامر وانما هو تهديد اي تربصوا ذلك فاني متربص الهلاك بكم كقول المضنيان لعبده افعل ما شئت فاني لست عنك بغافل فان قيل لو كان كذلك لقال لا تربصوا او لا تتربصوا كما قال فاصبروا او لا تصبروا فالجواب ليس كذلك لان ذلك يفيد عدم الخوف اكثر قوله فاني معكم من المتربصين اتربص هلاككم وقد اهلكوا يوم بدر وغيره من الايام قال ابن الخطيب ويحتمل ان يكون معناه اذا قلتم ان ريب المنون يصيبه فان الدهر معناه لنكار تربص صروف الدهر بمن هو مكانه يقول انا من المتربصين حتى ابصر ماذا يأتي به دهركم الذي يجعلونه مهلكا وماذا يصيبني منه قوله ام تأمرهم احلامهم عقولهم بهذا ام هم قوم طاغون والاشارة بقوله بهذا الى ما ظهر منهم قولا وفعلا وهو عبادة الاوثان وقولهم الهذيان وقيل الاشارة الى قولهم كاهن وشاعر ومجنون وقيل اشارة الى التربص وذلك ان عظماء قريش كانوا يوصفون بالاحلام والعقول فازرى الله بعقولهم حين لم يتم لهم معرفة الحق من الباطل وذلك ان الاشياء اما ان تثبت بعقل او بنقل فقال هل ورد امر سمعي ام عقولهم تأمرهم بما كانوا يقولون ام هم قوم طاغون يفترون ويقولون ما لا دليل عليه سمعا ولا مقتضى له عقلا والطغيان مجاوزة الحد في العصيان وكذلك كل شيء ظهر ظاهر قال تعالى لما طغى الماء واعلم ان قوله ام تأمرهم متصل بما تقدم من الاقوال عليهم فكرام تأمرهم احلامهم بهذا وفي هذه الاية اشارة الى ان كل ما يكون على وفق العقل لا ينبغي ان يقال وانما ينبغي ان يقال ما يجب قوله عقلا والاحلام جمع حلم وهو العقل فهما من باب واحد من حيث المعنى لان العقل يضبط المرء فيكون كالبعير المعقول لا يتحرك عن مكانه والحلم من الاحتلام وهو ايضا سبب وقاره وثباته لان الحلم في اصل اللغة هو ما يراه النائم فينزل ويلزمه الغسل الذي هو سبب البلوغ وعنده يصير الانسان مكلفا فالله تعالى من لطيف حكمته قرن الشهوة بالعقل وعند ظهور الشهوة يكمل العقل ويكلف صاحبه فاشار تعالى الى العقل بالاشارة الى ما يقارنه وهو الحلم ليعلم انه يريد به كمال العقل قوله ام يقولون تقوله اي تخلق القرآن من تلقاء نفسه والتقول تكلف القول ولا يستعمل الا في الكذب وهذا ايضا متصل بقوله تعالى ام يقولون شاعر تقديره اكاهن ام يقولون شاعر ام يقولون تقوله والمعنى ليس الامر كما زعموا بل لا يؤمنون بالقرآن استكبارا فالزمهم الحجة وابطل جميع الاقسام فقال فليأتوا بحديث مثله اي مثل القرآن ونظمه ان كانوا صادقين ان محمدا تقوله من قبل نفسه ولما امتنع ذلك كذبوا في الكل قوله فليأتوا الفاء للتعقيب اي اذا كان كذلك فيجب عليهم ان يأتوا بمثل ما اتى به ليصح كلامهم ويبطل كلامه قال بعض العلماء وهذا الامر تعجيز قال ابن الخطيب والظاهر ان الامر ههنا على حقيقته لانه لم يقل ايتوا مطلقا بل قال ايتوا ان كنتم صادقين فهو امر معلق على شرط اذا وجد ذلك الشرط يجب الاتيان به وامر التعجيز كقوله تعالى فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر وليس هذا انما يورث خللا في كلامهم قوله بحديث مثله العامة على تنوين

حديث ووصفه بمثله والجحدري وابو السمال بحديث مثله بالاضافة حديث الى مثله على حذف
موصوف اي بحديث رجل مثله من جنسه **فصل** قالت المعتزلة الحديث محدث والقران
سماه حديثا فيكون محدثا واجيبوا بان الحديث اسم مشترك يقال للمحدث وللمنقول ومنه يجوز
ان يقال هذا احديث قديم اي متقادم العهد لا بمعنى سبب الاولية **فان قيل** الصفة
تتبع الموصوف في التعريف والتنكير والموصوف هنا حديث وهو منكر ومثله مضاف الى القران
والمضاف الى القران معرف فكيف هذا فالجواب ان مثل وغير لا يتعرفان وكذلك كل ما هو
مثله كشبه وذلك ان الغير ومثل وامثالهما في غاية التنكير لانك اذا قلت مثل زيد يتناول كل شيء
فان كل شيء يماثل زيدا في شيء فالجاد مثله في الجسم والحجم والامكان والنبات مثله في النشو والنما والذبول
والحيوان مثله في الحركة والادراك وغيرهما من الاوصاف واما غير فهو عند الاضافة
منكر وعند قطع الاضافة ربما يتعرف فانك اذا قلت غير زيد صار في غاية الابهام فانه يتناول
امورا لا تحصى واما اذا قطعته عن الاضافة فربما يكون الغير والمغاير من باب واحد وكذلك
التغير فيجعل الغير كاسم الاجناس فتجعل مبتدا او تريد به معنى معينا **قوله** ام خلقوا من غير شيء
ان ام هنا ليست بمعنى بل لكن اكثر المفسرين على ان المراد بما يقع في صدر الكلام من الاستفهام
بالهمزة كانه يقول اخلقوا من غير شيء قال ابن الخطيب ويحتمل ان يقال هو على اصل الوضع للاستفهام
الذي يقع في اثناء الكلام وتقديره اما خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون **قوله** من غير شيء
يجوز ان يكون من لابتداء الغاية بمعنى ام خلقوا من غير شيء حي كالجماد فهم لا يؤمرون ولا ينهون
كالجمادات وقيل هي للسببية على معنى من غير علة ولا لغاية ثواب ولا عقاب **فصل**
وجه تعلق الاية بما قبلها انهم لما كذبوا النبي عليه السلام ونسبوه الى الكهانة والشعر والجنون
وبرأه الله من ذلك ذكر الدليل على صدقه فبدأ بابطال التكذيب بهم وبدا بانفسهم فكانه يقول كيف يكذبونه
وفي انفسهم دليل صدقه لان قوله كان في ثلاثة اشيا في التوحيد والحشر والرسالة ففي انفسهم ما
يعلم به صدقه وهو انهم خلقوا وذلك دليل التوحيد لما تقدم ان في كل شيء له اية تدل على انه
واحد واما الحشر فلان الخلق الاول دليل على جواز الخلق الثاني **فصل** قال المفسرون معنى
الاية ام خلقوا من غير شيء خلقهم فوجدوا بلا خالق وذلك مما لا يجوز ان يكون لان تعلق الخلق بالخالق
من ضرورة الاسم فان انكروا الخالق لم يجز ان يوجدوا بلا خالق ام هم الخالقون لانفسهم وذلك في
البطلان اشد لان ما لا وجود له كيف يخلق فاذا بطل الوجهان قامت الحجة عليهم بان لهم خالقا
فليؤمنوا به قال هذا المعنى ابو سليمان الخطابي وقال الزجاج معناه اخلقوا باطلا لا يحاسبون ولا
يؤمرون وقال ابن كيسان اخلقوا عبثا وتركوا سدى لا يؤمرون ولا ينهون كقول القايل
فعلت كذا وكذا من غير شيء اي لغير شيء ام هم الخالقون لانفسهم فلا يجب عليهم لله امر وقيل
معناه اخلقوا من غير اب وام قال ابن الخطيب ويحتمل ان يقال ام خلقوا من غير شيء اي الم يخلقوا
من تراب او من ما كقوله الم نخلقكم من ماء مهين ويحتمل ان يقال الاستفهام الثاني ليس بنفي بل هو
بمعنى الاثبات كقوله تعالى اانتم تخلقونه ام نحن الخالقون اانتم تزرعونه ام نحن الزارعون اانتم
انشاتم شجرتها ام نحن المنشئون كل ذلك في الاول منفي وفي الثاني مثبت كذلك هاهنا قال
تعالى ام خلقوا من غير شيء اي ان الصادق هو الثاني وهذا احتجاج كقوله تعالى هل اتى على
الانسان حين من الدهر لم يكن شيا مذكورا **فان قيل** كيف يكون ذلك الاثبات
والادمي خلق من تراب نقول والادمي خلق من غير شيء فالانسان اذا نظرت الى خلقه ونظرت الى ابتدا
امره تجده مخلوقا من غير شيء او نقول المراد ام خلقوا من غير شيء مذكور او معتبرا وهو الماء المهين
قوله ام خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون قال الزمخشري لا يوقنون بانهم خلقوا وهو في

معنى

معنى قوله ولين سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله اي هم معترفون بانه خلق الله وليس
خلق انفسهم وقيل بل لا يوقنون بان الله خالق واحد اي ليس الامر كذلك وما خلقوا وانما لا يوقنون
بوحدة الله وقيل المعنى لا يوقنون اصلا من غير ذكر مفعول كقولك فلان ليس بمومن وفلان كافر
لبيان مذهبه وان لم ينو مفعولا والمعنى انهم ما خلقوا السموات والارض ولا يوقنون بهذه الدلايل
بل لا يوقنون اصلا وان جيتهم بكل اية بدليل قوله بعد ذلك وان يروا كسفا من السما ساقطا
يقولوا سحاب مركوم وهذه الاية دليل الافاق وقوله من قبل دليل الانفس **قوله** ام عندهم
خزاين ربك قال عكرمة يعني النبوة وقال مقاتل اي بايديهم مفاتيح ربك بالرسالة فيضعونها
حيث شاوا وقال الكلبي خزاين المطر والرزق وقيل خزاين الرحمة **قوله** ام هم المسيطرون
وهذا تتمة الرد عليهم لانه لما قال ام عندهم خزاين ربك اشار الى انهم ليسوا خزنة الله فعلموا خزاين
الله بمجرد انتفا كونهم خزنة لا ينتفي العلم لجواز ان يكون مشرفا على الخزنة فان العلم بالخزاين عند الخازن
والكاتب بالخزانة يتساوى في خزنة ولا يكتبه الخزانة المسلطين عليها قال ابن الخطيب ولا يبعد
تفسير المسيطر بكاتب الخزاين لان التركيب يدل على السطر وهو يستعمل في الكتابة قال اهل اللغة
المسيطر القاهر الغالب من سيطر عليه اذا راقبه وحفظه او قهره قال المفسرون المسيطرون المسلطون
الجبارون وقال عطا اربابا قاهرون فلا يكونوا تحت امر ونهي يفعلون ما شاوا ويجوز بالسين
والصاد جميعا وقرا العامة المصيطرون بصاد خالصة من غير اشمامها زايا لاجل الطا كما تقدم
في صراط وقرا هشام وقنبل من غير خلاف عنهما بالسين الخالصة التي هي الاصل وحفص بخلاف
عنه وقرا خلاد بصاد مشمة زايا من غير خلاف عنه وقرا خلاد بالوجهين اعني خلف والعامة
وتوجيه هذه القراات واضح مما تقدم في اول الفاتحة ولم يات على مفيعل الا خمسة الفاظ اربعة
صفة اسم فاعل نحو مهيمن ومسيطر ومبيطر ومبيقر وواحد اسم جبل وقيل اسم ارض لبني فزارة
وهو المجيمر قال امرو القيس كان ذرا راس المجيمر غدوة من السيل والغثا فلكة مغزل
قوله ام لهم سلم اي مرقى ومصعد الى السما يستمعون فيه وهذا ايضا تتميم الدليل فان
من لا يكون خازنا ولا كاتبا قد يطلع على الامر بالسماع من الخازن او الكاتب فقال انتم لستم
بخزنة ولا كتبة ولا اجتمعتم بهم لانهم ملايكة ولا صعود لكم **قوله** يستمعون فيه صفة لسلم
وفيه على بابه من الظرفية وقيل هي بمعنى على قاله الواحدي كقوله تعالى ولاصلبنكم في
جذوع ولا حاجة اليه وقدره الزمخشري متعلقا بحال محذوفة تقديره صاعدين فيه ومفعول
يستمعون محذوف فقدره الزمخشري يستمعون ما يوحى الى الملايكة من علم الغيب وقدره غيره
يستمعون الخبر بصحة ما يدعون من انه شاعر وان لله شريكا والظاهر انه لا يقدر له مفعول
بل المعنى يوقعون الاستماع اي هل لهم قوة الاستماع من السما حتى يعلموا انه ليس برسول **قوله**
فليات مستمعهم اذا ادعوا ذلك بسلطان مبين اي بحجة وبينة **فان قيل** كيف قال
فليات مستمعهم ولم يقل فلياتوا كما قال تعالى فلياتوا بحديث مثله فالجواب انه طلب منهم
الاهون على تقدير صدقه ليكون امتناعهم عنه ادل على بطلان قولهم وقال هناك فلياتوا
اي اجتمعوا عليه وتعاونوا واتوا بمثله فان ذلك عند الاجتماع اهون واما الارتقا في السلم
بالاجتماع فمتعذر لانه يرتقي واحد بعد واحد ولا يحصل في الدرجة العليا الا واحد فقال
فليات ذلك الواحد بما سمعه وفيه لطيفة وهي انه لو طلب منهم ما سمعوه لكان لواحد ان يفتري
ويقول سمعت كذا فقال لا بل الواجب ان ياتي بدليل يدل عليه **قوله** ام له البنات ولكم البنون
وهذا انكار عليهم حين جعلوا لله ما يكرهون كقوله فاستفتهم الربك البنات ولكم البنون ام تسالهم
اجرا اصلا على ما جيتهم به ودعوتهم اليه فهم من مغرم مثقلون اي اثقلهم ذلك المغرم الذي تطلبه

فيمنعهم ذلك من الاسلام **فإن قيل** ما الفائدة في سؤال النبي عليه السلام حيث قال
ام تسألهم ولم يقل ام يسألون اجرا كما قال تعالى ام يقولون ام يريدون كيدا الى غير ذلك
فالجواب ان فيه فائدتين احديهما تسلية قلب النبي صلى الله عليه وسلم لانهم لما امتنعوا من
الاستماع صعب على النبي عليه السلام فقال له ربه انت اتيت بما عليك فلا يضيق صدرك
حيث لم يؤمنوا فانت غير ملوم وانما كنت تلام ان كنت طلبت منهم اجرا فهل طلبت ذلك فانهم
فلا حرج عليك اذن الثانية لو قال ام يسألون تعين طلب الاجر مطلقا وليس كذلك لانهم كانوا متركين
مطالبين بالاجر من رؤسائهم واما النبي عليه السلام فقال انت لا تسألهم اجرا فهم لا يتبعونك
وغيرك يسألهم وهم يسألون ويتبعون السائلين هذا غاية الضلال **قوله** ام عندهم
الغيب اي علم ما غاب عنهم حتى علموا ان ما تخبرهم الرسول من امر القيامة والبعث باطل قال
قتادة هذا جواب لقوله نتربص به ريب المنون يقول اعندهم الغيب حتى علموا ان محمدا
يموت قبلهم فهم يكتبون قال ابن الخطيب وهذا ضعيف لبعده ذكره عن الان قوله تعالى قل
تربصوا متصل به وذلك يمنع انفصاله هذا بذاك قال القتيبي اي يحكمون والكاتب الحاكم قال النبي
صلى الله عليه وسلم للرجلين اللذين تحاكما اليه اقضي بينكما بكتاب الله اي بحكم الله وقال ابن عباس
معناه ام عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه ويخبرون الناس به والالف واللام في الغيب
لا للعهد ولا لتعريف الجنس بل المراد نوع الغيب كما تقول اشتر اللحم تريد بيان الحقيقة لا كل
لحم ولا لحما معينا **قوله** ام يريدون كيدا اي مكرا بك ليهلكوك فالذين كفروا هم المكيدون
اي هم المجزيون بكيدهم اي ان ضرر ذلك يعود عليهم ويحيق مكرهم بهم لانهم مكروا به في دار
الندوة فقتلوا يوم بدر **فصل** وجه التعلق اذا قيل بان قوله ام عندهم الغيب
متصل بقوله تعالى نتربص به ريب المنون فالمعنى لهم لما قالوا نتربص به ريب المنون
قيل لهم اتعلمون الغيب فتعلمون انه يموت قبلكم ام تريدون كيدا فتقولون نقتله فيموت قبل
لهم ان كنتم تدعون الغيب فانتم كاذبون وان كنتم تظنون انكم تقدرون عليه فانتم غالطون
فان الله يصونه وينصره عليكم وان قيل بان المراد انه عليه السلام لا يسألكم من الهداية
مالا وانتم لا تعلمون ما جا به لكونه من الغيوب ففي المراد بقوله ام يريدون كيدا وجهان
الاول ان المعنى ام يريدون كيدا اي من الشيطان فكانه تعالى قال انت لا تسألهم اجرا
وهم لا يعلمون الغيب فهم يحتاجون اليك واعرضوا فقد اختاروا كيد الشيطان وارتضوا
بازاغته والارادة بمعنى الاختيار كقوله تعالى من كان يريد حرث الاخرة وقوله ائفكا
الهة دون الله تريدون وقوله اني اريد ان تبوأ باثمي واثمك الثاني ان المراد ام يريدون
كيدا فهو واصل اليهم وهم عن قريب مكيدون والمعنى انه لما لم يبق لهم حجة في الاعراض فهم
يريدون نزول العذاب والله ارسل اليهم رسولا لا يسألهم اجرا ويهديهم الى ما لا علم لهم به ولا
كتاب عندهم وهم معرضون فهم يريدون اذن ان يهلكهم ويكيدهم لان الاستدراج كيد والاملا
المكر فلا يتاتى اسا الله الى الكافر ولا اعتدا الله الا وهو بادا الاثم لذلك ولا يتاتى هذا
فاسد لان الكيد والاسا لا تطلق على فعل الله الا بطريق المقابلة وكذا المكر فلا يتاتى
اسا الله الى الكافر ولا اعتدا الله الا اذا مكروا ولا يسم شيء من ذلك ثم يقال بعده مثل لفظا
في حق الله تعالى كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه ومكروا ومكر الله
يكيدون كيدا واكيد كيدا لانا نقول الكيد ما يسوء من نزل به وان حسن ممن وجد منه كقول
ابرهيم عليه السلام لاكيدن اصنامكم من غير مقابلة ونكر الكيد اشارة الى وقوع العذاب
من حيث لا يشعرون فكانه قال يأتيهم بغتة ولا يكون لهم علم بنقطه **قوله** فالذين كفروا

هذا

هذا هو وقوع الظاهر موقع المضمر تنبيها على اتصافهم بهذه الصفة القبيحة والاصل ام
يريدون كيدا انهم المكيدون او حكم على جنسهم فيدخلون فيه دخولا اوليا لتوغلهم في
هذه الصفة **قوله** ام لهم اله غير الله يرزقهم ويحفظهم سبحان الله عما يشركون قال الخليل
ما في هذه السورة من ذكر ام كله استفهام وليس بعطف **فصل** قال اهل اللغة سبحان
الله اسم علم للتسبيح **وما** في قوله عما يشركون يحتمل ان تكون مصدرية اي عن اشراكهم ويحتمل
ان تكون خبرية اي عن الذي يشركون وعلى هذا يحتمل ان يكون عن الولد لانهم كانوا يقولون له البنات
فقال سبحان الله عن البنات والبنين ويحتمل ان يكون عن مثل الالهة اي سبحان الله عن مثل ما
يعبدونه **قوله** وان يروا كسفا من السماء ساقطا ان هذه شرطية على بابها وقيل هي بمعنى
لو وليس بشيء وقوله سحاب خبر مبتدأ مضمر اي هذا سحاب والجملة نصب بالقول **فصل**
لما بين فساد اقوالهم وسقوطها اشار الى انهم لم يبق لهم عذر فالايات قد ظهرت ولم يؤمنوا
فبعد ذلك ان يروا كسفا اي قطعة من السماء ساقطا يقولوا سحاب اي يتركون كونها اية ومعنى
الاية لو عذبناهم بسقوط بعض من السما عليهم لم ينتهوا عن كفرهم ويقولوا لمعاندتهم هذا سحاب مركوم
اي بعضه على بعض يسقينا **قوله** ساقطا يحتمل ان يكون مفعولا ثانيا كقولك رايت زيدا عالما
وان يكون حالا كقولك ضربته قائما والثاني اولى لان الرؤية عند التعدي الى مفعولين في اكثر
الامر تكون بمعنى العلم تقول رايت هذا المذهب صحيحا وهذا الوجه ظاهرا وعند التعدي الى
واحد يكون بمعنى راى العين في الاكثر تقول رايته قائما قال تعالى فلما راوا باسنا وقال فاما
ترين من البشر احدا والمراد من الاية رؤية العين **فصل** قولهم سحاب مركوم اشارة
الى انهم حين يعجزون عن التكذيب ولا يمكنهم ان يقولوا وقع شيء على الارض يرجعون الى التاويل
والتخييل وقالوا سحاب ولم يقولوا هذا سحاب اشارة الى وضوح الامر فظهور العناد فاتوا بما لا
شك فيه وقالوا سحاب مركوم وحذفوا المبتدأ ليبقي للقائل فيه مجال فيقولون عند تكذيب الخلق
اياهم قلنا سحاب مركوم شبهه او مثله وان مشى الامر مع عوامهم استمروا وهذه طريق من يخاف
من كلام ولا يعلم هل يقبل منه ام لا فيجعل كلامه ذو وجهين فان راى القبول صرح بمراده
وان انكر عليه احدهما فسره بالاخر **قوله** فذرهم حتى يلاقوا يومهم مفعول به لا ظرف وقرا
ابو حيوة يلقوا مضارع لقي ويضعف ان يكون المفعول محذوفا ويومهم ظرف اي يلاقوا او يلقوا
جزاء اعمالهم في يومهم **فصل** قوله فذرهم كقوله فاعرض عنهم وتول عنهم الى حين
ذلك فقيل كلها منسوخة باية القتال وهو ضعيف وانما المراد التهديد كقول السيد لعبده
الجاني لمن يصحبه دعه فانه سينال جنايته **قوله** الذي فيه يصعقون قرا ابن عامر
وعاصم بضم الياء يصعقون مبنيا للمفعول وباقي السبعة بفتحها مبنيا للفاعل وقرا ابو عبد الرحمن
بضم الياء وكسر العين فاما الاولى فيحتمل ان يكون من صعق فهو مصعوق مبنيا للمفعول وهو ثلاثي
حكاه الاخفش فيكون مثل سعد واوان يكون من اصعق رباعيا يقال اصعق فهو مصعق قاله
الفارسي والمعنى ان غيرهم اصعقهم وقراءة السلمي تؤذن ان افعل بمعنى فعل ومعنى يصعقون
اي يموتون اي حتى يعاينوا الموت وقوله يوم لا يغني عنهم كيدهم يوم بدل من يومهم **فإن قيل**
ظرف يلاقوا يلزم منه ان يكون اليوم في يوم فيكون اليوم ظرف اليوم فالجواب
هو على حد قولك ياتي يوم قتل فلان يوم تبين جرايمه قاله ابن الخطيب وقوله ولا هم ينصرون
اي لا ينفعهم كيدهم يوم الموت ولا يمنعهم من العذاب مانع **قوله** وان للذين ظلموا
يجوز ان يكون من ايقاع الظاهر موقع المضمر وان لا يكون كما تقدم والمعنى وان للذين ظلموا اي
كفروا عذابا دون ذلك اي عذابا في الدنيا قبل عذاب الاخرة قال ابن عباس يعني القتل يوم بدر

وقال الضحاك هو الجوع والقحط سبع سنين وقال البراء بن عازب هو عذاب القبر ولكن اكثرهم لا يعلمون ان العذاب نازل بهم والمراد بالظلم هنا شركهم ثم نبيهم عليه السلام وهم اهل مكة وقيل ظلموا بعبادتهم غير الله فيكون عاما في كل ظالم والاتنا ومفعوله محذوف الى اليوم الذي فيه يصعقون ومفعول يعلمون يجوز ان يكون ما تقدم ويجوز ان يكون لا مفعول له اي اكثرهم غافلون جاهلون

قوله فاصبر لحكم ربك اي الى ان يقع بهم العذاب الذي حكمنا عليهم فانك باعيننا تراه القائمة بالفلك واجرا الكلام المقام القول فيما بعد هنا مناسب جمع الضمير فناجمع العين الا تراه افرده حيث افرده فى قوله ولتصنع على عيني قاله الزمخشري والمعنى فانك بمرأى منا قال ابن عباس نرى ما يعمل بك وقال الزجاج انك بحيث نراك ونحفظك فلا يصلون الى مكروهك قال ابن الخطيب اللام في قوله لحكم ربك تحتمل وجوها احدها هي بمعنى الى اي اصبر الى ان يحكم الله الثاني ان الصبر فيه معنى الثبات اي فاثبت لحكم ربك واحتمله الثالث هي اللام التي للسبب بنا لم خرجت فيقول لحكم تلاذنه على بالطلوع فيقال فاصبر واجعل سبب الصبر امتثال الامر اي فاصبر لهذا الحكم عليك لا لشئ اخر

قوله وسبح بحمد ربك تقدم الكلام على نظيره قوله حين تقوم قال سعيد بن جبير وعطا اي قل حين تقوم من مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك فان كان المجلس خيرا ازددت احسانا وان كان غير ذلك كان كفارة له وروي ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس مجلسا وكثر فيه لغطه فقال قبل ان يقوم سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك الا كان كفارة لما بينهما وقال ابن عباس معناه صل لله حين تقوم من مقامك وقال الضحاك والربيع اذا قمت الى الصلاة فقل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك لما روت عايشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا افتتح الصلاة قال سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك وقال الكلبي هو ذكر الله باللسان حين يقوم من الفراش الى ان يدخل في الصلاة لما روي عاصم بن حميد قال سالت عايشة باي شي كان يفتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم قيام الليل فقالت كان اذا قام كبر عشرا وحمد الله عشرا وهلل عشرا واستغفر عشرا وقال اللهم اغفر لي واهدني وارزقني وعافني ويتعوذ من ضيق المقام يوم القيمة وقيل حين تقوم لامر ما ولاسيما اذا كنت تنتصب لمجاهدة قومك ومعاداتهم والدعا عليهم فسبح بحمد ربك وبدل قيامك بالمعاداة واستعمالك للانتقام بقيامك بذكر الله وتسبيحه

قوله ومن الليل فسبحه اي صل له قال مقاتل يعني صلوة المغرب والعشا وادبار النجوم يعني الركعتين قبل صلاة الفجر وذلك حين تدبر النجوم اي تغيب بضوء الصبح هذا قول اكثر المفسرين وقال الضحاك هي فريضة صلوة الصبح

قوله وادبار النجوم العامة على كسر الهمزة مصدرا بخلاف التي في اخر ق كما تقدم فان الفتح هناك لايق لانه يراد به الجمع لدبر السجود اي اعقابه على انه قد قرا سالم الجعدي ويعقوب والمنهال بن عمرو بفتحها هنا اي اعقاب النجوم وادبارها اذا غربت

فصل هذه الاية نظير قوله فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وقد تقدم الكلام عليها قال ابن الخطيب قال هنا وادبار النجوم فيحتمل ان يكون المعنى وقال في ق وادبار السجود فيحتمل ان يكون المعنى واحد والمراد من السجود جمع ساجد والنجوم سجود قال تعالى والنجم والشجر يسجدان وقيل المراد من النجوم نجوم السما وقيل النجم ما لا ساق له من النبات قال تعالى ولله يسجد من في السموات ومن في الارض الاية او المراد من النجوم الوظايف وكل وظيفة نجم في اللغة اذا فرغت من وظايف الصلوة فقل سبحان الله كما تقدم روي ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والطور كان حقا على الله عز وجل

ان

ان يؤمنه من عذابه وان ينعمه في جنته والله اعلم

سورة والنجم مكية

في قول الحسن وعكرمة وعطا وجابر وقال ابن عباس وقتادة الا اية وهي قوله تعالى الذين يجتنبون كباير الاثم والفواحش الاية وهي احدي وستون اية وقيل ان السورة مدنية والصحيح انها مكية لقول ابن مسعود هي اول سورة اعلنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وقيل اثنتان وستون اية وثلاثمائة وستون كلمة والف واربعمائة وخمسة احرف بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى والنجم اذا هوى قال ابن عباس في رواية الوالبي والعوفي يعني الثريا اذا سقطت وغابت وهوى هويه مغيبه والعرب تسمي الثريا نجما قال قايلهم اذا طلع النجم عشا ابتغى الراعي كسا وجا في الحديث عن ابي هريرة مرفوعا ما طلع النجم قط وفي الارض من العاهة شي الا رفع واراد بالنجم الثريا قال شهاب الدين وهذا هو الصحيح لان هذا صار علما بالغلبة ومنه قول العرب طلع النجم غديه فابتغى الراعي كسيه وقال عمر بن ابي ربيعة احسن النجم في السماء الثريا والثريا في الارض زين النساء قال انها سبعة انجم ستة منها ظاهرة وواحد خفي يمتحن الناس به ابصارهم وروي القاضي عياض في الشفا ان النبي عليه السلام كان يري الثريا احد عشر نجما قال مجاهد هي نجوم السما كلها حين تغرب لفظه واحد ومعناه الجمع سمي الكوكب نجما لطلوعه وكل طالع نجم يقال نجم السن والقرن والنبات اذا طلع وروي عكرمة عن ابن عباس انها ما يرمى به الشياطين عند استراقهم السمع وقال ابو حمزة الثمالي اذا انتثرت يوم القيمة وقيل المراد بالنجم هنا الجنس قال الشاعر فباتت تعد النجم في مستحيره سريع بايدي الاكلين جمودها اي تعد النجوم وهذا هو معنى قول مجاهد المتقدم وقيل المراد بالنجم الشعري لقوله تعالى وانه هو رب الشعري وقيل الزهرة لانها كانت تعبد وقيل المراد بالنجم القران لانه نزل نجوما متفرقة في عشرين سنة وسمي التفريق تنجيما والمفرق منجما قاله الكلبي ورواه عطا عن ابن عباس والهوي النجوم من علا الى اسفل وقال الاخفش النجم هو النبت الذي لا ساق له ومنه قوله عز وجل والنجم والشجر يسجدان وهويه سقوطه على الارض وقال جعفر الصادق يعني محمدا صلى الله عليه وسلم اذ نزل من السما ليلة المعراج والهوي النزول يقال هوي يهوي هويا والكلام في قوله والنجم والطور حيث لم يقل والنجوم ولا الاطوار وقال والذاريات والمرسلات كما تقدم

فصل السور التي تقدمت وافتتاحها بالقسم بالاشيا دون الحروف هي الصافات والذاريات والطور وهذه السورة بعدها فالاولى اقسم بها لاثبات الوحدانية كما قال ان الهكم لواحد وفي الثانية اقسم لوقوع الحشر والجزا كما قال تعالى انما توعدون لصادق وان الدين لواقع وفي الثالثة لدوام العذاب بعد وقوعه كما قال تعالى ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع وفي هذه اقسم لاثبات النبوة لتكمل الاصول الثلاثة الوحدانية والحشر والنبوة واعلم انه تعالى لم يقسم على الوحدانية ولا على النبوة كثيرا لانه اقسم على الوحدانية في سورة واحدة وهو والصافات واما النبوة فاقسم عليها بامر واحد في هذه السورة وبامرين في سورة والضحى والقسم على الحشر وما يتعلق به فقال والليل اذا يغشى والشمس وضحاها والسما ذات البروج الى غير ذلك وكلها في الحشر او ما يتعلق به وذلك لان دلايل الوحدانية كثيرة كلها عقلية كما قيل وفي كل شي له اية تدل على انه واحد ودلايل النبوة ايضا كثيرة وهي المعجزات المشهورة واما الحشر ووقوعه فلا يمكن اثباته الا بالسمع فاكثر فيه القسم ليقطع به المكلف ويعتقده اعتقادا جازما

فصل قال ابن الخطيب والفايدة في تقييد القسم به بوقت هويه انه اذا كان في وسط السما يكون بعيدا عن الارض لا يهتدي به الساري لانه لا يعلم به المشرق من المغرب ولا الجنوب من الشمال فاذا زال عن وسط السما تبين بزواله جانب المغرب عن المشرق

والجنوب عن الشمال وخص الهوي دون الطلوع لعموم الاهتدا به في الدين والدنيا كما قال الخليل عليه السلام لا احب الافلين وفيه لطيفة وهي ان القسم بالنجم يقتضي تعظيمه وقد كان منهم من يعبده فنبه بهويه على عدم صلاحيته للالهية بافوله **فصل** اول هذه السورة مناسب لاخر ما قبلها لفظا ومعني اما لفظا فلقوله وادبار النجوم وافتتح هذه بالنجم مع واو القسم واما معني فلانه تعالى لما قال لنبيه ومن الليل فسبحه وادبار النجوم بين له [illegible] وبعده عما لا يجوز له فقال ما ضل صاحبكم وما غوى **قوله** اذا هوي في العامل في هذا الظرف اوجه وعلى كل منها اشكال احدها انه منصوب بفعل القسم المحذوف تقديره اقسم بالنجم وقت هويه قاله ابو البقا وغيره وهو مشكل فان فعل القسم انشا والانشا حال واذا لما يستقبل من الزمان فكيف يتلاقيان الثاني ان العامل فيه مقدر على انه حال من النجم اي اقسم به حال كونه مستقرا في زمان هويه وهو مشكل من وجهين احدهما ان النجم جثة والزمان لا يكون حالا عنها كما لا يكون خبرا والثاني ان اذا للمستقبل فكيف يكون حالا وقد اجيب عن الاول بان المراد بالنجم القطعة من القران والقران قد نزل نجوما في عشرين سنة وهذا تفسير عن ابن عباس وغيره وعن الثاني بانها حال مقدرة الثالث ان العامل فيه نفس النجم اذا اريد به القران وفيه نظر لان القران لا يعمل في الظرف اذا اريد به انه اسم لهذا الكتاب المخصوص وقد يقال ان النجم بمعني المنجم كانه قيل والقران المنجم في هذا الوقت وهذا البحث وارد في مواضع منها والشمس وضحاها وما بعده وقوله والليل اذا يغشى والضحى والليل اذا سجى وسياتي في الشمس بحث اخص من هذا ان شا الله تعالى **والهوي** قال الراغب الهوي سقوط من علو ثم قال والهوي ذهاب في انحدار والهوي ذهاب في ارتفاع وانشد يهوي مخارمها هوي الاجدل وقيل هوي في اللغة خرق الهوي ومقصده السفل او مصيره اليه وان لم يقصد قال هوي الدلو اسلمه الرشا وقال اهل اللغة هوى يهوي هويا اي سقط من علو وهوي يهوى هوى اي صبا وقد تقدم الكلام في هذا مشبعا **قوله** ما ضل هذا جواب القسم والمعنى ما ضل صاحبكم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ما ضل عن طريق الهدى وما غوى ذهب اكثر المفسرين الى ان الضلال والغي بمعنى واحد وفرق بعضهم بينهما فقال الضلال في مقابلة الهدى والغي في مقابلة الرشد قال تعالى وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وقال تعالى قد تبين الرشد من الغي قال ابن الخطيب وتحقيق القول فيه ان الضلال اعم استعمالا في الوضع تقول ضل بعيري ورحلي ولا تقول غوي فالمراد من الضلال ان لا يجد السالك الى مقصده طريقا اصلا والغواية ان لا يكون له طريق الى المقصد مستقيم ومما يدل على هذا انك تقول للمؤمن الذي ليس على طريق السداد انه سفيه غير رشيد ولا تقول انه ضال فالضال كالكافر والغاوي كالفاسق فكانه تعالى قال ما ضل اي ما كفر ولا اقل من ذلك فما فسق اوبيان الضلال كالعدم والغواية كالوجود الفاسد في الدرجة والمرتبة قال ويحتمل ان يكون المراد معنى قوله ما ضل اي ما جن فان المجنون ضال وعلى هذا فهو كقوله تعالى ن والقلم وما يسطرون ما انت بنعمة ربك بمجنون ومعنى صاحبكم اما سيدكم او مصاحبكم وما غوى اي ما تكلم بالباطل وقيل ما خاب والغي الخيبة **قوله** وما ينطق عن الهوى اي ما يصدر عن الهوى نطقه فعن على بابها وقيل هي بمعنى الباء اي ما ينطق بالهوى يريد لا يتكلم بالباطل وذلك انهم قالوا ان محمدا يقول القران من تلقاء نفسه وفي فاعل ينطق وجهان احدهما هو ضمير النبي عليه السلام وهو الظاهر والثاني انه ضمير القران لقوله تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق واعلم ان في قوله تعالى ما ضل وما غوى بصيغة الماضي وفي قوله وما ينطق بصيغة المستقبل ترتيب في غاية الحسن اي ما ضل حين اعتزلكم وما تعبدون

في

في صغره وما غوى حين اختلى بنفسه وراى في منامه ما راى وما ينطق عن الهوى الان حيث ارسل اليكم وجعل رسولا شاهدا عليكم فلم يكن اولا ضالا ولا غاويا وصار الان منقذا من الضلالة مرشدا وهاديا **قوله** ان هو الا وحي يوحى ان هو اي الذي ينطق به وقيل ان القران الا وحي من الله وقوله يوحى صفة لوحي وفائدة المجي بهذا الوصف انه ينفي المجاز اي هو وحي حقيقة لا بمجرد تسمية كقولك هذا قول يقال وقيل تقديره يوحى اليه وفيه مزيد فائدة نقل القرطبي عن السجستاني انه قال ان شئت ابدلت ان هو الا وحي يوحى من ما ضل صاحبكم قال ابن الانباري وهذا غلط لان ان الخفيفة لا تكون مبدلة من ما بدليل انك لا تقول والله ما قمت ان انا لقاعد **فصل** والوحي قد يكون اسما ومعناه الكتاب وقد يكون مصدرا وله معان منها الارسال والالهام والكتابة والكلام والاشارة والافهام وهذه الاية تدل انه عليه السلام لم يجتهد وهو خلاف الظاهر فانه اجتهد في الحروب وايضا حرم في قوله تعالى لم تحرم واذن لقوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم **قوله** علمه يجوز ان تكون هذه الهاء للرسول وهو الظاهر فيكون المفعول الثاني محذوفا اي علم الرسول الوحي اي الوحي ويجوز ان يكون للقران والوحي فيكون المفعول الاول محذوفا اي علمه الرسول والوحي ان كان هو الكتاب فظاهر وان كان الالهام فهو كقوله تعالى نزل به الروح الامين على قلبك وقوله شديد القوى قيل هو جبريل وهو الظاهر وقيل البارئ تعالى لقوله الرحمن علم القران وشديد القوى من اضافة الصفة المشبهة لمرفوعها فهي غير حقيقية والقوى جمع القوة **قوله** ذو مرة المرة القوة والشدة ومنه امررت الحبل اذا احكمت فتله والمرير الحبل ولذلك المر كانه شديد فتله مره بعد اخرى قال قطرب العرب تقول لكل جزل الراي حصيف العقل ذو مرة وانشد وانى لذو مرة مرة اذا ركبت حالة حالها وقال قد كنت قبل لقائكم ذا مرة عندي لكل مخاصم ميزانه وقال الجوهري والمرة احد الطبائع الاربع والمرة القوة وشدة العقل ايضا ورجل مرير اي قوي ذو مرة قال ترى الرجل النحيف فتزدريه وفي اثوابه اسد مرير وقال لقيط حتى استمرت على شزر مريرته مر العزيمة لا رتا ولا ضرعا **فصل** ذو مرة قوة وشدة في خلقه يعني جبريل قال ابن عباس ذو مرة اي ذو منظر حسن وقال قتادة ذو كمال وقال مقاتل ذو خلق طويل حسن وقيل ذو كمال في العقل والدين جميعا وقيل ذو منظر وهيبة عظيمة **فان قيل** قد تبين كونه ذا قوة بقوله شديد القوى فكيف قال بعد ذلك ذو مرة اذا فسرنا المرة بالقوة قال ابن الخطيب قوله هنا ذو مرة بدل من شديد القوى وليس وصفا له وتقديره ذو قوة عظيمة ووجه اخر وهو ان افراد قوة بالذكر ربما يكون لبيان ان قواه المشهورة شديدة وله قوة اخرى خصه الله بها يقال فلان كثير المال وله مال لا يعرفه احد اي امواله الظاهرة كثيرة وله مال باطن ثم قال على انا نقول المراد ذو شدة وهي غير القوة ونقدر ان علمه من قواه شديدة وفي ذاته ايضا شدة فان الانسان ربما تكون قواه شديدة وفي جسمه حقارة ويحتمل ان يكون المراد بقوله شديد القوى قوته في العلم وبقوله ذو مرة اي شدة في جسمه فقدم العلمية على الجسمية كقوله تعالى وزاده بسطة في العلم والجسم وقوله فاستوى يعني جبريل اي فاستوى جبريل في خلقته قال مكي استوى يقع للواحد واكثر ما يقع من اثنين ولذلك جعل الفرا الضمير لاثنين **قوله** وهو بالافق الاعلى في الضمير وجهان اظهرهما انه مبتدا وبالافق خبره والضمير لجبريل او للنبي

صلى الله عليه وسلم وفي هذه الجملة وجهان احدهما ان هذه الجملة حال من فاعل استوى قاله
مكي والثاني انها مستانفة اخبر الله تعالى بذلك والثاني ان وهو معطوف على الضمير المستتر
في استوى وضميرا استوى هما اما ان يكونا لله تعالى وهو قول الحسن وقيل ضميرا استوى لجبريل وهو
لمحمد صلى الله عليه وسلم قال البغوي في توجيه هذا لان اكثر كلام العرب اذا ارادوا العطف
في مثل هذا ان يظهروا كناية المعطوف فيه فيقولون استوى هو وفلان ونظير هذا قوله
عز وجل ايذا كنا ترابا وآباؤنا عطف الآباء على المكني في كنا من غير اظهار نحن ومعنى الاية
استوى جبريل ومحمد ليلة المعراج بالافق الاعلا وهو اقصى الدنيا عند مطلع الشمس وقيل
ضميرا استوى لمحمد وهو لجبريل وهذا الوجه الثاني انما تمشي على قول الكوفيين لان العطف
على الضمير المرفوع المتصل من غير تاكيد ولا فاصل وهذا الوجه منقول عن الفرا والطبري
واذا قيل بان الضميرين اعني استوى وهو لجبريل فمعناه قام في صورته التي خلقه الله فيها
وهو بالافق الاعلا وذلك ان جبريل كان ياتي رسول الله صلى الله عليه وسلم في صورة الادميين
كما كان ياتي النبيين فساله رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يريه نفسه في صورته التي جبل
عليها فاراه نفسه مرتين مرة في الارض ومرة في السما فاما في الارض ففي الافق الاعلا
وهو جانب المشرق وذلك ان محمدا صلى الله عليه وسلم كان بحرا فطلع له جبريل من المشرق
فسد الارض من المغرب فخر رسول الله صلى الله عليه وسلم مغشيا عليه فنزل جبريل في صورة الادميين
فضمه الى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه وهو قوله ثم دنى فتدلى واما في السما فعند
سدرة المنتهى ولم يره احد من الانبيا على تلك الصورة الا محمد صلى الله عليه وسلم وقيل معنى
فاستوى اي استوى القران في صدره وعلى هذا فيه وجهان احدهما في صدر جبريل عليه
السلام حين نزل والثاني في صدر محمد صلى الله عليه وسلم وفيه على هذا وجهان احدهما
فاستوى فاعتدل في قوته الثاني في رسالته نقله القرطبي عن الماوردي قال وعلى هذا
يكون تمام الكلام ذو مرة وعلى الثاني شديد القوى وقيل استوى اي ارتفع وفيه على هذا
وجهان احدهما انه جبريل عليه السلام اي ارتفع الى مكانه الثاني انه النبي عليه السلام اي
ارتفع بالمعراج وقيل معنى استوى اي الله عز وجل استوى على العرش قاله الحسن **قوله**
ثم دنا فتدلى التدلي الامتداد من علو الى سفل فيستعمل في القرب من العلو قاله الفرا وابن
الاعرابي وقال الهذلي تدلى علينا وهو زرق حمامة له طحلب في منتهى القيظ هامد
وقال الشاعر تدلى عليها بين سب وخيطة [illegible] ان راي خزانه لي وات
لم يره تولى **فصل** في قوله دنا فتدلى وجوه احدها ان جبريل دنا من النبي
صلى الله عليه وسلم اي بعد ما مد جناحه وهو بالافق عاد الى الصورة التي كان يعتاد
النزول عليها وقرب من النبي عليه السلام وعلى هذا ففي تدلى وجوه الاول فيه تقديم وتاخير
اي تدلى من الافق الاعلا فدنا من النبي عليه السلام الثاني ان الدنو والتدلي معنى واحد فكانه
قال دنا فقرب وذهب الفرا الى ان الفا في تدلى بمعنى الواو والتقدير ثم تدلى جبريل عليه السلام
ودنا ولكنه جائز اذا كان معنى الفعلين واحد قدمت ايهما شئت فقلت فدنا فقرب
وقرب فدنا وشتمني فاسا واسا فشتمني لان الاساة والشتم شي واحد وكذلك قوله اقتربت
الساعة وانشق القمر اي انشق القمر واقتربت الساعة الثالث دنا اي قصد القرب من محمد
عليه السلام وتحول عن المكان الذي كان فيه فتدلى فنزل الى النبي صلى الله عليه وسلم الوجه
الثاني ان محمدا دنا من الخلق والامة ولان لهم وصار كواحد منهم فتدلى اي تدلى اليهم
بالقول اللين والدعا بالرفق فقال انا بشر مثلكم يوحي الي الثالث دنا منه ربه تعالى

فقرب منزلته كقوله عليه السلام حكاية عن ربه تعالى من تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا
ومن تقرب الي ذراعا تقربت اليه باعا ومن مشى الي اتيته هرولة وهمنا اشارة الى
المعنى المجازي **قوله** فكان قاب ها هنا مضاف محذوف فاضطر لتقديره بوجهين
اي فكان مقدار مسافة قربه منه مثل مقدار مسافة قاب وقد فصل ابو علي هذا
في قول الشاعر وقد جعلتني من حزيمة اصبعا اي ذا مقدار مسافة اصبع
والقاب القدر تقول هذا قاب هذا اي قدره ومثله القيب والقاد
والقيد والقيس قال الزمخشري وقد جا التقدير بالقوس والرمح والسوط والذراع
والباع والخطوة والشبر والفتر والاصبع ومنه لا صلاة الى ان ترتفع الشمس مقدار
رمحين وفي الحديث لقاب قوس احدكم من الجنة وموضع قده خير من الدنيا وما فيها
والقد السوط والف قاب عن واو نص عليه ابو البقا واما قيب فلا دلالة فيه على كونها
يا لان الواو اذا انكسر ما قبلها قلبت يا كقيمة وقيمة وذكر الراغب ايضا في مادة قوب
الا انه قال في تفسيره هو ما بين المقبض والسية من القوس فعلى هذا يكون مقدار
نصف القوس لان المقبض في نصفه والسية هي الموضع منه التي يحط فيها الوتر
وفيما قاله نظر لا يخفى ويروى عن مجاهد انه من الوتر الى مقبض القوس في وسطه
وقيل ان القوس ذراع يقاس به نقل ذلك عن ابن عباس وانه لغة للحجازيين والقوس
معروفة وهي مؤنثة وشذوا في تصغيرها فقالوا قويس من غير تا نحو عريب
وحريب ويجمع على قسي وهو مقلوب من قووس والقوس برج في السما فاما القوس بالضم
فصومعة الراهب قال الشاعر لا يستبيني وذا المسيح في القوس **قوله**
او ادنى هي كقوله او يزيدون لا المعنى فكان باحد هذين المقدارين في راي الرائي
اي لتقارب ما بينهما يشك الرائي في ذلك وادنى افعل تفضيل والمفضل عليه محذوف
اي او ادنى من قاب قوسين **فصل** روى الشيباني قال سالت زرا عن
قوله فكان قاب قوسين او ادنى قال اخبرنا عبد الله يعني ابن مسعود انه محمدا راى جبريل
له ستماية جناح فمعنى الاية ثم دنا جبريل بعد استوائه بالافق الاعلا من الارض فنزل
الى محمد صلى الله عليه وسلم فكان قاب قوسين او ادنى بل ادنى وبهذا قال ابن عباس
والحسن وقتادة وقال اخرون دنا الرب من محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى فقرب
منه حتى كان قاب قوسين او ادنى قال البغوي وروينا في قصة المعراج عن شريك
ابن عبد الله عن انس ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين او ادنى
وهذا رواية ابن سلمة عن ابن عباس وقال مجاهد دنا جبريل من ربه وقال الضحاك
دنا محمد من ربه فتدلى فاهوى للسجود فكان منه قاب قوسين او ادنى وتقدم الكلام على
القاب والقوس ما يوضحه في قول مجاهد وعكرمة وعطا عن ابن عباس فاخبر انه كان
بين جبريل وبين محمد عليه السلام مقدار قوسين وقال مجاهد معناه حيث الوتر من
القوس وهذا اشارة الى تاكيد القرب والاصل فيه ان الحليفين من العرب كانا اذا ارادا
الصفا والعهد خرجا بقوسيهما فالصقا بينهما يريدان بذلك انهما متظاهران يحامي
كل واحد منهما عن صاحبه وقال عبد الله بن مسعود قاب قوسين قدر ذراعين وهو
قول سعيد بن جبير وشقيق بن سلمة والقوس الذراع يقاس بها كل شي او ادنى بل اقرب
وانما ضرب المثل بالقوس لانها لا تختلف بالقاب وان لم تجر له ذكر لعدم اللبس **قوله**
فاوحى اي اوحى الله والوحي القا الشي بسرعة ومنه الوحا الوحا الى عبده محمد وقوله ما

اوحي اليه تعظيما له ورفعا من شانه وبهذه الاية استدل ابن مالك على انه لا يشترط في الصلة ان تكون معهودة عند المخاطب ومثله فغشيهم من اليم ما غشيهم الا ان هذا الشرط هو المشهور عند النحويين **فصل** في فاعل اوحي الاول وجهان احدهما ان الله تعالى اوحي وعلى هذا ففي عبده وجهان احدهما انه جبريل اي اوحي الله الى جبريل وعلى هذا ففي فاعل اوحي الاخير وجهان احدهما انه الله تعالى ايضا والمعنى حينئذ فاوحي الله تعالى الى جبريل الذي اوحاه الله ابهمه تفخيما وتعظيما للوحي وثانيهما فاعل اوحي الثاني جبريل اي اوحى الى جبريل ما اوحي جبريل فعلى هذا فالمراد من الذي اوحي جبريل عليه السلام يحتمل وجهين احدهما ان يكون مبينا وهو الذي اوحي جبريل اليه محمد وثانيهما ان يكون عاما اي اوحي الله الى جبريل ما اوحي الى كل رسول الوجه الثاني في عبده على قولنا الوحي هو الله انه محمد عليه السلام اي اوحي الله الى محمد ما اوحي اليه للتفخيم والتعظيم الوجه الثاني في فاعل اوحي الاول انه جبريل اوحي الى عبده اي الى عبد الله يعني محمدا ما اوحي اليه ربه عز وجل قاله ابن عباس في رواية عطا والكلبي والحسن والربيع وابن زيد وعلى هذا ففي فاعل اوحي الثاني وجهان احدهما انه جبريل اي اوحي جبريل الى عبد الله ما اوحي جبريل للتفخيم وثانيهما ان يكون هو الله تعالى اي اوحي جبريل الى محمد ما اوحي الله اليه **فصل** وفي الذي اوحي وجوه الاول قال سعيد بن جبير اوحي اليه الم يجدك يتيما فاوى الى قوله ورفعنا لك ذكرك الثاني اوحي اليه الصلاة الثالث ان احدا من الانبيا لا يدخل الجنة قبلك وان امة من الامم لا تدخلها قبل امتك الرابع انه مبهم لا يطلع عليه احد وتعبدنا بالايمان به على الجملة الخامس انه ما للعموم والمراد كل ما جا به جبريل **قوله** ما كذب قرا هشام وابو جعفر بتشديد الذال والباقون بتخفيفها فاما الاولى فان معناها ان ما راه محمد بعينه صدقه قلبه ولم ينكره اي لم يقل له لم اعرفك وما مفعول به موصوله والعايد محذوف فاعل راي ضمير يعود على النبي صلى الله عليه وسلم واما قراة التخفيف فقيل فيها كذلك وكذب يتعدى بنفسه وقيل هو على اسقاط الخافض اي فيما راه قاله مكي وغيره فاسقط حرف الصفة قال حسان

• لو كنت صادقة الذي حدثتني لنجوت منجى الحارث بن هشام • اي في الذي حدثتني ويجوز في ما وجهين احدهما ان يكون بمعنى الذي والثاني ان يكون مصدرية ويجوز ان يكون فاعل راي ضميرا يعود على الفواد ولم يشك فيه قلبه فيما راه بعينه **فصل** قال الزمخشري معناه ان قلبه لم يكذب وما قال ان من يراه بعرفك لم يصحح ولو قال الفواد ذلك لكان كاذبا فيما قاله فما كذب الفواد وهذا على قراة التخفيف يقال كذبه اذا قال له الكذب واما قراة التشديد فمعناه ما قال ان المرئي خيال لا حقيقة واما الرائي فقيل هو الفواد كانه قال ما كذب الفواد ما راه الفواد اي لم يقل انه جن شيطان بل تيقن ان ما راه بفواده صدق صحيح وقيل الرائي هو البصر اي ما كذب الفواد ما راه البصر خيال وقيل ما كذب الفواد ما راي محمد عليه السلام وعلى هذا فالمراد بالفواد الجنس اي القلوب شهدت بصحة ما راه محمد صلى الله عليه وسلم وان كان المرئي فقيل هو الرب تعالى وقيل جبريل عليه السلام وقيل الايات العجيبة الالهية فان قيل بان المرئي جبريل عليه السلام هو ابن مسعود وعايشة رضي الله عنهما ومن قال بان المرئي هو الله تعالى اختلفوا في معنى الروية فقال بعضهم جعل بصره في فواده فراه بفواده وهو قول ابن عباس قال راه بفواده مرتين ما كذب الفواد ما راي ولقد راه نزلة اخرى وقال انس والحسن وعكرمة راي محمد ربه بعينه وروي عكرمة عن ابن عباس قال ان الله اصطفى ابرهيم بالخلة واصطفى موسى بالكلام واصطفى محمدا بالروية صلى الله عليه

وسلم وكانت عايشة رضي الله عنها تقول لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه وتحمل الروية على روية جبريل قال مسروق قلت لعايشة يا امتاه هل راى محمد ربه فقالت لقد قف شعري مما قلت اين انت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب من حدثك ان محمدا راي ربه فقد كذب ثم قرات لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب ومن حدثك انه يعلم ما في غد فقد كذب ثم قرات وما تدري نفس ماذا تكسب غدا ومن حدثك انه كتم شيا مما انزل الله فقد كذب ثم قرات يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك الاية ولكنه راي جبريل في صورته مرتين وروى ابو ذر قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رايت ربك قال نور انى اراه **قوله** افتمارونه قرا الاخوان افتمرونه بفتح التا وسكون الميم والباقون تمارونه وعبد الله بن مسعود والشعبي فتمرونه بضم التا وسكون الميم فاما الاولى ففيها وجهان احدهما انها من مريته حقه اذا علبته وجحدته اياه وعدي بعلى لتضمنه معنى الغلبة وانشد

• لين هجرت اخا صدق ومكرمة • لقد مريت اخا ما كان يمريكا • لانه اذا جحده حقه فقد غلبه عليه قال المبرد يقال مراه عن حقه وعلى حقه اذا امتنعه منه ودفعه قال ومثل على بمعنى عن قول بني كعب بن ربيعة رضي الله عليك اي عنك والثاني انها من مراه على كذا اي غلبه عليه فهو من المرا وهو الجدال واما الثانية فهي من ماراه يماريه مراة اي جادله واشتقاقه من مري الناقة لان كل واحد من المتجادلين يمري ما عند صاحبه وكان من حقه اي يتعدى بفي كقولك جادلته في كذا وانما ضمن معنى الغلبة فعدي تعديتها واما قراة عبد الله فمن امراه رباعيا **فصل** المعنى افتجادلونه اي كيف تجادلونه على ما يرى وذلك انهم جادلوه حين اسري به فقالوا اصف لنا بيت المقدس واخبرنا عن عيرنا في الطريق وغير ذلك مما جادلوه به والمعنى افتجادلونه جدالا ترومون به دفعه عما راه وعلمه وتيقنه **فان قيل** هلا قيل افتمارونه على ما راي بصيغة الماضي لانهم جادلوه حين اسري به كما تقدم وما الحكمة في ايراده بصيغة المضارع فالجواب ان التقدير افتمارونه على ما يرى فكيف وهو قد راه في السما فماذا تقولون فيه **قوله** ولقد راه نزلة اخرى في نصب نزلة ثلاثة اوجه احدها انها منصوبة على الظرف قال الزمخشري نصب الظرف الذي هو مرة لان الفعلة اسم للمرة من الفعل فكانت في حكمها قال شهاب الدين وهذا ليس مذهب البصريين وانما هو مذهب الفرا نقله عنه مكي الثاني انها منصوبة نصب المصدر الواقع موقع الحال قال مكي اي راه نازلا نزلة اخرى واليه ذهب الحوفي وابن عطية الثالث انه منصوب على المصدر المؤكد فقدره ابو البقا مرة اخرى او روية اخرى قال شهاب الدين وفي تاويل نزلة بروية نظر واخرى تدل على سبق روية قبلها **عند** سدرة ظرف لراه **عندها** جنة جملة ابتدائية في موضع الحال والاحسن ان يكون الحال الظرف وجنة **المأوى** فاعل به والعامة على جنة اسم مرفوع وقرا امير المومنين وابو الدردا وابو هريرة وابن الزبير وانس وزر بن حبيش ومحمد بن كعب جنه فعلا ماضيا والهاء ضمير المفعول يعود للنبي صلى الله عليه وسلم والمأوى فاعل بمعنى ستره ايواء الله تعالى وقيل المعنى ضمه المبيت والليل وقيل جنه بظلامه ودخل فيه قال ابن الخطيب والضمير في قوله عندها على هذه القراة عايد الى النزلة اي عند النزلة جن محمد المأوى والصحيح انه عايد الى السدرة وقد ردت عايشة هذه القراة وتبعها جماعة وقالوا اجن الله من قراها واذا ثبتت قراة عن مثل هؤلاء فلا سبيل الى ردها ولكن المستعمل انما هو اجنه رباعيا فان

استعمل ثلاثيا تعدى بعلى كقوله تعالى فلما جن عليه الليل وقال ابو البقا وهو شاذ والمستعمل اجنه وقد تقدم الكلام على هذه المادة في الانعام **فصل** والواو في ولقد يحتمل ان تكون عاطفة ويحتمل ان تكون للحال اي كيف تجادلونه فيما راه وقد راه على وجه لا شك فيه واعلم ان قوله نزلة هي فعلة من النزول كجلسة من الجلوس فلا بد من نزول واختلفوا في ذلك النزول وفيه وجوه الاول ان الضمير في راه عايد الى الله تعالى اي راى الله نزلة اخرى وهذا قول من قال في قوله ما كذب الفواد ما راى هو الله وقد قيل بان النبي عليه السلام راى ربه بقلبه مرتين وعلى هذا ففي النزول وجهان احدهما قول من جوز على الله الحركة وثانيهما ان النزول بمعنى القرب بالرحمة والتفضل الثاني ان محمدا راى الله نزلة اخرى والمراد من النزلة ضدها وهي العرجة كانه قال راه عرجة اخرى قال ابن عباس نزلة اخرى هو انه كانت للنبي صلى الله عليه وسلم عرجات في تلك الليلة لمسالة التخفيف من الصلوات فيكون لكل عرجة نزلة فراى ربه في بعضها وروي عن ابن عباس ان النبي عليه السلام راى ربه بفواده مرتين وعنه انه راى ربه بعينه القول الثاني ان الضمير في راه عايد الى جبريل اي راى جبريل نزلة اخرى اي راى جبريل في صورته التي خلق عليها نازلا من السماء مرة اخرى وذلك انه راه في صورته مرتين مرة في الارض ومرة في السما عند سدرة المنتهى قال ابن الخطيب ويحتمل ان يكون النزلة لمحمد عليه السلام كما تقدم في الدرجات **فصل** وقوله عند سدرة المنتهى المشهور ان السدرة شجرة في السماء السابعة وقيل في السما السادسة كما ورد عنه عليه السلام انه قال نبقها كقلال هجر وورقها كاذان الفيلة وقيل سدرة المنتهى هي الحيرة القصوى من السدرة والسدرة كالركبة من الراكب يعني عندما يحار العقل حيرة لا حيرة فوقها ما حار النبي عليه السلام وما غاب وراى ما راى وهل قوله عند سدرة المنتهى ظرف مكان او ظرف زمان في هذا الموضع قال ابن الخطيب المشهور انه ظرف مكان اي راى جبريل او غيره بقرب سدرة المنتهى وقيل ظرف زمان كما يقال صليت عند طلوع الفجر والتقدير راه عند الحيرة القصوى اي في الزمان الذي تحار عقل العقلاء فهو عليه السلام ما حار وقتا من شانه ان تحار العقل فيه **فان قيل** هذا التاويل يبطل بقوله يغشى السدرة ما يغشى فالجواب ان المراد من الغشيان غشيان حالة على حالة اي ورد على حاله الحيرة حال الرؤية واليقين وان محمدا عند ما تحار العقل ما راه وقت ما طرا على تلك الحالة ما طرا من فضل الله ورحمته والصحيح الاول **فصل** اذا قيل بان محمدا عليه السلام راى الله فمعناه انه راه عند سدرة المنتهى والظرف قد يكون ظرفا للرائي كما اذا قال القايل رايت الهلال فيقال له اين رايته فيقول على السطح وقد يقول عند الشجرة الفلانية واما قول من قال بان الله في مكان فذلك باطل وان قيل بان المرئي جبريل عليه السلام فظاهر **فصل** اضافة السدرة الى المنتهى يحتمل وجوها احدها اضافة الشي الى مكانه كقولك اشجار بلدة كذا فالمنتهى حينئذ موضع لا يتعداه ملك قال هلال بن يساف سال ابن عباس كعبا عن سدرة المنتهى وانا حاضر فقال كعب انها سدرة في اصل العرش على رؤوس حملة العرش واليها ينتهي علم الخلائق وما خلفها غيب لا يعلمه الا الله وقيل ينتهي اليها ما يهبط من فوقها ويصعد من تحتها وقال كعب ينتهي اليها الملائكة والانبياء وقال الربيع ينتهي اليها ارواح الشهدا وقال قتادة ينتهي اليها ارواح المومنين وثانيها اضافة المحل الى الحال فيه كقولك كتاب الفقه وعلى هذا فالتقدير سدرة عندها منتهى العلوم وثالثها اضافة الملك الى مالكه كقولك دار زيد وشجرة زيد وحينئذ المنتهى اليه محذوف

تقديره سدرة المنتهى اليه قال الله تعالى الى ربك المنتهى فالمنتهى اليه هو الله واضافة السدرة اليه حينئذ كاضافة البيت اليه للتشريف والتعظيم كما يقال في التسبيح يا غاية رغبتاه يا منتهى املاه **فصل** وجنة الماوى قيل هي الجنة التي وعدها المتقون كقوله دار المقامة وقيل هي جنة اخرى عندها يكون ارواح الشهدا وقيل هي جنة الملايكة **قوله** اذ يغشى منصوب براه وقوله ما يغشى كقوله ما اوحى وقال ابن الخطيب العامل في اذ اما ما قبلها او ما بعدها فيه وجهان فان قلنا ما قبلها ففيه احتمالان اظهرهما راه اي راه وقت ما يغشى السدرة الذي يغشى والثاني العامل فيه الفعل الذي في النزلة اي راه نزلة اخرى تلك النزلة وقت ما يغشى السدرة ما يغشى اي نزوله لم يكن الا بعد ما ظهرت العجايب عند السدرة وغشيها ما غشي وان قلنا العامل فيها ما بعدها فالعامل فيه ما زاغ البصر اي ما زاغ بصره وقت غشيان السدرة ما غشيها **فصل** اختلفوا فيما يغشى السدرة فقيل فراش او جراد من ذهب وهو قول ابن عباس وابن مسعود والضحاك قال القرطبي قد رواه ابن مسعود وابن عباس مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم قال القرطبي وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال رايت السدرة يغشاها فراش من ذهب ورايت على كل ورقة ملكا قايما يسبح وذلك قوله اذ يغشى السدرة ما يغشى قال ابن الخطيب وهذا ضعيف لان ذلك لا يثبت الا بدليل سمعي فان صح فيه خبر والا فلا وجه له وقيل ملايكة يغشونها كانهم طيور يرتقون اليها متشوقين متبركين بها زايرين كما يزور الناس الكعبة وقيل يغشاها انوار الله لان النبي عليه السلام لما وصل اليها تجلى ربه لها كما تجلى للجبل فظهرت الانوار لكن السدرة كانت اقوى من الجبل واثبت فجعل الجبل دكا ولم تتحرك الشجرة وخر موسى صعقا ولم يتزلزل محمد وقيل ابهمه تعظيما له والابهام يكون بمعنى التعظيم وانسد ومنه الفواغي ويكون بمعنى الاتيان يقال فلان يغشاني كل وقت اي ياتيني **فصل** قال المهدوي في معاني القران قيل لما اختيرت السدرة لهذا الامر دون غيرها من الشجر قال لان السدرة تختص بثلاثة اوصاف ظل مديد وطعم لذيذ ورايحة زكية فشابهت الايمان الذي يجمع قولا وعملا ونية فظلها من الايمان بمنزلة العمل لتجاوزه وطعمها بمنزلة النية لكمونه وريحها بمنزلة القول لظهوره وروى ابو داود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قطع سدرة صوب الله راسه في النار وسيل ابو داود عن معنى هذا الحديث فقال هو مختصر يعني من قطع سدرة في فلاة يستظل بها ابن السبيل والبهايم عبثا وظلما بغير حق يكون له فيها صوب الله راسه في النار **قوله** ما زاغ البصر وما طغى اللام في البصر يحتمل وجهين احدهما المعروف اي ما زاغ بصر محمد عليه السلام وعلى هذا فتقدم الزيغ لوجوه احدها ان الغاشي للسدرة هو الجراد والفراش فمعناه لم يلتفت اليه ولم يشتغل به ولم يقطع نظره عن مقصوده فيكون غشيان الجراد والفراش ابتلا وامتحانا لمحمد عليه السلام وثانيها قيل ان الغاشي انوار الله تعالى ففيه وجهان احدهما معناه لم يلتفت عنة ويسرة بل اشتغل بمطالعتها والثاني ما زاغ البصر بصعقة بخلاف موسى عليه السلام فانه قطع النظر وغشي عليه ففي الاول بيان ادب محمد عليه السلام وفي الثاني بيان قوته الوجه الثاني ان اللام لتعريف الجنس اي ما زاغ بصره اصلا في ذلك الموضع لعظم هيبته **فان قيل** لو كان كذلك لقال ما زاغ بصر فانه ادل على العموم لان النكرة في معرض النفي تعم فالجواب هو كقوله لا تدركه الابصار ولم يقل لا يدركه بصر **قوله** وما طغى فيه وجهان الاول انه عطف جملة مستقلة على جملة اخرى والثاني انه عطف جملة مقدرة على جملة فالاول المستقلة خرج زيد ودخل عمرو ومثال المقدرة خرج زيد ودخل والوجهان جايزان هنا اما الاول فكانه تعالى قال عند ظهور النور ما زاغ بصر محمد عليه السلام

وما طغى محمد بسبب الالتفات ولو التفت لكان طاغيا واما الثاني فظاهر فان قيل بان الغاشي للسدرة جراد فالمعنى لم يلتفت اليه وما طغى اي لما التفت الى غير الله ولم يلتفت الى الجراد ولا الى غير الجراد بل الى الله وان قيل غشيها نور فقوله ما زاغ اي ما مال عن الانوار وما طغى اي ما طلب شيئا وراءه وفيه لطيفة وهي انه يكون ذلك بيانا لوصول محمد عليه السلام الى سدرة اليقين الذي لا يقين فوقه وذلك ان بصر محمد عليه السلام ما زاغ اي ما مال عن الطريق فلم ير الشيء على خلاف ما هو بخلاف من ينظر الى عين الشمس مثلا ثم ينظر الى شيء ابيض فانه يراه اصفر واخضر يزيغ بصره عن جادة الابصار فقوله وما طغى اي ما تخيل المعدوم موجودا وقيل وما طغى اي ما جاوز ما امر به **قوله** لقد راى اي من ايات ربه الكبرى في الكبرى وجهان اظهرهما انها مفعول راى ومن ايات ربه حال مقدمة والتقدير لقد راى الايات الكبرى من ايات ربه والثاني ان من ايات ربه هو مفعول الرؤية والكبرى صفة لايات ربه وهذا الجمع يجوز وصفه بوصف المؤنثة الواحدة وحسنه هنا كونها فاصلة وقد تقدم مثله في طه عند قوله لنريك من اياتنا الكبرى قال ابن الخطيب في الكبرى وجهان احدهما انها صفة لمحذوف تقديره لقد راى من ايات ربه الاية الكبرى الثاني انها صفة لايات ربه فيكون مفعول راى محذوفا تقديره راى من ايات ربه الكبرى ايتها او شيئا **فصل** قال بعض المفسرين ايات ربه الكبرى هي انه راى جبريل عليه السلام في صورته قال ابن الخطيب والظاهر ان هذه الايات غير تلك لان جبريل عليه السلام وان كان عظيما لكن ورد في الاخبار ان لله ملائكة اعظم منه والكبرى تانيث الاكبر فكانه تعالى قال راى من ايات ربه ايات هي اكبر الايات **فصل** قال المفسرون راى رفرفا اخضر سد افق السماء قاله البيهقي الرفرف جبريل عليه السلام في صورته على رفرف والرفرف البساط وقيل ثوب كان يلبسه قال القرطبي وروى ابن عباس في قوله تعالى ثم دنا فتدلى انه على التقديم والتاخير اي تدلى الرفرف لمحمد عليه السلام ليلة المعراج فجلس عليه ثم رفع فدنا من ربه قال فارقني جبريل وانقطعت عني الاصوات وسمعت كلام ربي فعلى هذا الرفرف ما يجلس عليه كالبساط ونحوه **فصل** قال ابن الخطيب هذه الاية تدل على ان محمدا عليه السلام لم ير الله ليلة المعراج وانما راى ايات الله وفيه خلاف ووجه الدلالة انه ختم قصة المعراج ههنا برؤية الايات وقال سبحان الذي اسرى بعبده ليلا الى ان قال لنريه من اياتنا ولو كان راى ربه لكان ذلك اعظم ما يمكن فكانت الكبرى هي الرؤية فكان الاليق بالذكر **قوله** افرايتم اللات والعزى لما قرر الرسالة وذكر ما ينبغي ان يبتدي به الرسول وهو التوحيد ومنع الخلق عن الاشراك فقوله افرايتم اشارة الى ابطال قولهم وهو مثل كما اذا ادعى ضعيف الملك ثم راه العقلاء في غاية البعد عما يدعيه يقولون انظروا الى هذا الذي يدعي الملك منكرين عليه غير مشتغلين بدليل لظهور امره فكذلك قال افرايتم اللات والعزى اي كما هما فكيف تشركونهما بالله **فصل** والالف واللام في اللات زائدة لازمة فاما قوله الي لاتها فحذفت للاضافة وهل هي والعزى علمان بالوضع او صفتان غالبتان خلاف ويترتب على ذلك جواز صرف العزى وعدمه فان قلنا انهما علمان ومعناه في الاصل فلا نحذف منهما ال وان قلنا انهما صفتان وان ال للمح الصفة جاز ولو بالتقدير وان قال زائدة اي قال شهاب الدين فيه نظر لان التي للمح الصفة منصوص على زيادتها بمعنى انها لم تؤثر تعريفا واختلف في تاء اللات فقيل اصل واصله من لات يليت فالفها عن ياء فان مادة ل ي ت موجودة وقيل زائدة وهي من لوى يلوي لانهم كانوا يلوون اعناقهم اليها او يلتوون اي يعتكفون عليها واصلها لوية فحذفت لامها فالفها على هذا عن واو وقال الزمخشري هي فعلة من لوى يلوي وعلى هذا فاصلها

لويه

لويه فسكنت الياء وحذفت لالتقاء الساكنين فبقيت لوه فقلبت الواو الفا لفتح ما قبلها فصارت لات واختلف القراء في الوقف على تائها فوقف الكسائي عليها بالهاء والباقون بالتاء وهو مبني على القولين المتقدمين فمن اعتقد تاءها اصلية اقرها في الوقف كتاء بيت ومن اعتقد زيادتها وقف عليها هاء قال ابن الخطيب والتاء في اللات تاء تانيث كما في المناة لكنها تكتب ممطوطة لئلا يوقف عليها فيقال هاء فتشتبه باسم الله فان الهاء في الله اصلية ليست تاء تانيث ووقف عليها فانقلبت هاء واللات اسم صنم قيل كان لثقيف بالطائف قاله قتادة وقيل بعكاظ وقال ابن زيد بيت بنخلة وقيل صنم ورجح ابن عطية الاول بقول الشاعر

وفرت ثقيف الى لاتها * بمنقلب الخائب الخاسر *

والعامة على تخفيف تائها وقرا ابن عباس ومجاهد ومنصور بن المعتمر وابو الجوزاء وابو صالح وابن كثير في رواية بتشديد التاء فقيل هو رجل كان يلت السويق ويطعمه الحاج فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه فهو اسم فاعل في الاصل غلب على هذا الرجل وكان يجلس عند حجر فلما مات سمي الحجر باسمه وعبد من دون الله وقال مجاهد كان في راس جبل له غنيمة يسلا منها السمن ويأخذ منها الاقط ويجمع رسلها ثم يتخذ منه حيسا فيطعم الحاج وكان ببطن نخلة فلما مات عبدوه وهو اللات وقال الكلبي كان رجلا من ثقيف يقال له صرمة بن غنم وكان يسلا السمن فيضعه على صخرة ثم ياتيه العرب فتلت به اسوقتهم فلما مات الرجل حولتها ثقيف الى منازلها فعبدتها قال القرطبي كانت صخرة مربعة وكان سدنتها من ثقيف وكانوا قد بنوا عليها بناء فكانت قريش وجميع العرب تعظمها وبها كانت العرب تسمي زيد اللات وتيم اللات وكانت في موضع مسجد الطائف اليسرى فلم تزل كذلك الى ان اسلمت ثقيف فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا فهدمها وحرقها بالنار ثم اتخذوا العزى وهي احدث من اللات اتخذها ظالم بن اسعد **والعزى** فعلى من العز وهي تانيث الاعز كالفضلى والافضل وهي اسم صنم وقيل شجرة كانت تعبد قال مجاهد هي شجرة كانت بغطفان كانوا يعبدونها فبعث النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها فجعل خالد يضربها بالفاس ويقول

يا عز كفرانك لا سبحانك * اني رايت الله قد اهانك *

فخرجت منها شيطانة مكشوفة الراس ناشرة شعرها تضرب راسها وتدعو بالويل والثبور فقتلها خالد وروي ان خالدا لما قطع النخل رجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال قد قطعتها فقال ما رايت قال ما رايت شيئا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما بلغت فعاود ومعه المعول فقلعها واجتث اصلها فخرجت منها امراة عريانة فقتلها ثم رجع الى النبي صلى الله عليه وسلم واخبره بذلك فقال تلك العزى ولن تعبد ابدا وقال الضحاك هو صنم لغطفان وضعها لهم سعد بن ظالم الغطفاني وذلك انه قدم مكة فراى الصفا والمروة وراى اهل مكة يطوفون بينهما فعاد الى بطن نخلة وقال لقومه ان لاهل مكة الصفا والمروة وليستا لكم ولهم اله يعبدونه وليس لكم قالوا فما تامرنا قال انا اصنع لكم كذلك فاخذ حجرا من الصفا وحجرا من المروة ونقلهما الى نخلة ثم وضع الذي اخذ من الصفا فقال هذا الصفا ثم وضع الذي اخذه من المروة فقال هذه المروة ثم اخذ ثلاثة احجار فاسندها الى شجرة فقال هذا ربكم فجعلوا يطوفون بين الحجرين ويعبدون الحجارة حتى افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فامر برفع الحجارة وبعث خالد بن الوليد الى العزى فقطعها وقال قتادة وابن زيد هي بيت بالطائف كانت تعبده ثقيف وقال ابن جبير العزى حجر ابيض كانوا يعبدونه **قوله** ومناة قرا ابن كثير مناءة بهمزة مفتوحة بعد الالف والباقون بالالف وحدها وهي صخرة كانت تعبد

من دون الله فاما قراءة ابن كثير فاشتقاقها من النوء وهو المطر لانهم كانوا يستمطرون عندها
الانواء ووزنها حينئذ مفعلة فالفها عن واو وهمزتها اصلية وميمها زائدة وانشد واعلى ذلك
الا هل اتى تيم بن عبد مناءة على النأي فيما بيننا ابن تميم ۞ وقد انكر ابو عبيدة قراءة
ابن كثير وقال لم اسمع الهمز قال شهاب الدين قد سمعه غيره والبيت حجة عليه واما قراءة
العامة فاشتقاقها من مني يمني اي صب لان دماء النسائك كانت تصب عندها
وانشد والجرير اوثيد مناة يوعدنا يا ابن تيم تامل اين تاه بك الوعيد ۞ وقال ابو البقاء
والفه عن ياء لقولك مني يمني اذا قدر ويجوز ان يكون من الواو ومنه منوان فوزنها على
قراءة القصر فعلة **فصل** قال قتادة مناة صخرة كانت لخزاعة بقديد وقالت
عائشة في الانصار كانوا يهلون لمناة وكانت حذو قديد وقال ابن زيد بيت كان بالمشلل
تعبده بنو كعب قال الضحاك مناة صنم لهذيل وخزاعة تعبده اهل مكة وقيل
اللات والعزى ومناة اصنام من حجارة كانت في جوف الكعبة يعبدونها **قوله**
الاخرى صفة لمناة قال ابو البقاء والاخرى توكيد لان الثالثة لا تكون الا اخرى وقال
الزمخشري ذم وهي المتاخرة الوضيعة المقدار كقوله وقالت اخراهم اي وضعاؤهم لاشرافهم
ويجوز ان تكون الاولية والتقدم عندهم للات والعزى انتهى وفيه نظر لان الاخرى
انما تدل على الغيرية وليس فيها تعرض لمدح ولا ذم فان جاء شيء فلقرينة خارجية وقيل
الاخرى صفة للعزى لان الثانية اخرى بالنسبة الى الاولى وقال الحسين بن الفضل فيه
تقديم وتاخير اي العزى الاخرى ومناة الثالثة ولا حاجة الى ذلك لان الاصل عدمه
فصل قال ابن الخطيب فان قيل انما يقال الاخر والاخرى اذا تقدم اول مشارك للثاني
فلا يقال جاءني رجل وامراة اخرى فيلزم ان يكون العزى ثالثة فالجواب قد يستعمل الاخر
والاخرى للذم فالمراد بالاخرى المتاخرة الذليلة فاللات على صورة ادمي والعزى شجرة
وهي نبات ومناة صخرة جماد وهي متاخرة عنهما انتهى الكلام حذف اي اللات والعزى
المعبودين بالباطل ومناة الثالثة الاخرى او المعنى ومناة الاخرى الثالثة على التقديم
والتاخير ومعنى الاية هل رايتم هذه الاصنام حق الرؤية فان رايتموها علمتم انها لا تصلح
للالهية والمقصود ابطال الشرك واثبات التوحيد **فصل** ارايت بمعنى اخبرني فتقتضي
لاثنين اولهما اللات وما عطف عليها والثاني الجملة الاستفهامية من قوله الكم الذكر فان
قيل لم يعد من هذه الجملة ضمير على المفعول الاول فالجواب ان قوله وله الانثى في
قوة وله هذه الاصنام وان كان اصل التركيب الكم الذكر وله هن اي تلك الاصنام وانما
اوثر هذا الاسم الظاهر لوقوعه راس فاصلة وقد جعل الزجاج المفعول الثاني محذوفا
فانه قال ووجه تلقيه هذه الاية مع ما قبلها فيقول اخبروني عن الهتكم هل لها شيء من القدرة
والعظمة التي وصف بها رب العزة في الاي السالفة انتهى فعلى هذا يكون قوله الكم الذكر
متعلقا بما قبله من حيث المعنى لا من حيث الاعراب وجعل ابن عطية الرؤية هنا بصرية
فقال وهي من رؤية العين لانه احال على اجرام مرئية ولو كانت ارايت التي هي استفتاء
لم يتعد وقد تقدم الكلام على ذلك في الانعام وغيرها **فان قيل** ما فائدة
الفاء في قوله افرايتم وقد وردت في مواضع بغير فاء كقوله تعالى ارايتم ما تعبدون
من دون الله ارايتم شركاءكم فالجواب لما تقدم عظمة الله في ملكوته وان رسوله الى الرسل
يسد الافاق ببعض اجنحته ويهلك المداين بشدته وقوته ولا يمكنه مع هذا ان يتعدى
السدرة في مقام جلال الله وعزته قال افرايتم هذه الاصنام مع ذلتها وحقارتها

شركا

شركاء الله مع ما تقدم فقال بالفاء اي عقيب ما سمعتم من عظمة ايات الله الكبرى ونفاذ
امره في الملا الاعلى وما تحت الثرى انظروا الى اللات والعزى تعلموا فساد ما ذهبتم اليه
قوله الكم الذكر وله الانثى قال الكلبي كان المشركون بمكة يقولون للاصنام والملائكة
بنات الله قال وكان الرجل منهم اذا بشر بالانثى كره فقال الله تعالى منكرا عليهم الكم الذكر وله
الانثى قال ابن الخطيب معناه كيف جعلتم لله البنات وقد اعترفتم في انفسكم ان البنات
ناقصات والبنون كاملون والله كامل العظمة فكيف نسبتم اليه الناقص وهن في غاية
الذلة والحقارة حيث عبدتم الجمادات من الحجارة والجص ونسبتم اليه الكامل لا نسبتم هذه
قسمة جائرة على زعمكم وعادتكم لانه كان ينبغي ان تجعلوا الاعظم للعظيم والانقص للحقير فخالفتم
النقل والعقل والعادة **قوله** تلك اذا قسمة ضيزى تلك اشارة الى القسمة
تلك القسمة قسمة غير عادلة ويحتمل ان يقال تلك النسبة اي التي نسبتموها الى الله بان
له البنات وقوله اذا جواب لنسبتهم البنات الى الله وقوله ضيزى قرا ابن كثير ضئزى
بهمزة ساكنة والباقون بياء ساكنة مكانها وقرا زيد بن علي ضيزى بفتح الضاد والياء الساكنة
فاما قراءة العامة فيحتمل ان تكون من ضازه يضيزه اذا ضامه وجار عليه فمعنى ضيزى
اي جائرة وقال مجاهد ومقاتل قسمة عوجاء وقال الحسن غير معتدلة قال الشاعر
ضازت بنو اسد بحكمهم اذ يجعلون الراس كالذنب ۞ وعلى هذا فيحتمل وجهين احدهما ان
تكون صفة على فعلى بضم الفاء وانما كسرت الفاء لتصح الياء كبيض **فان قيل**
واي ضرورة الى ان تقدر اصلها ضم الفاء ولم لا قيل انها فعلى بالكسر فالجواب ان سيبويه
حكى انه لم يرد في الصفات فعلى بكسر الفاء وانما ورد بضمها نحو حبلى وانثى وربا وما
اشبهه الا انه قد حكى غيره في الصفات ذلك حكى ثعلب مشية حيكى ورجل كيصى وحكى
غيره امراة عزهى وامراة سعلى وهذا لا ينقض لان سيبويه يقول في حيكى وكيصى كقوله
في ضيزى لتصح الياء واما عزهى وسعلى فالمشهور فيهما سعلاة وعزهاة وقال البغوي
ليس في كلام العرب فعلى بكسر الفاء في النعوت انما يكون في الاسماء مثل ذكرى وشعرى
والوجه الثاني ان يكون مصدرا كذكرى قال الكسائي يقال ضاز يضيز ضيزى كذكر
يذكر ذكرى ويحتمل ان يكون من ضاءزه بالهمز كقراءة ابن كثير الا انه خفف همزها وان لم
يكن من اصول القراء كلهم ابدال مثل هذه الهمزة لكن التزمت لغة وامامعنى
ضازه يضوزه ظلما وجورا وهو قريب من الاول ومن جوز ان تكون الياء
بدلا من همز ابو عبيدة ان يكون اصلها ضوزى بالواو ولانه سمع ضازه يضوزه ضوزى
وضازه يضيزه ضيزى وضازه يضازه ضازا حكى ذلك كله الكسائي وحكى ابو عبيدة
ضئته وضئزه بكسر الفاء وضمها فكسرت الصاد من ضوزى لان الضمة ثقيلة مع الواو
وفعلوا ذلك ليتوصلوا به الى قلب الواو ياء وانشد الاخفش على لغة الهمز ۞
فان تناء عنا ننتقصك وان تقم فقسمك مضؤوز وانفك راغم ۞ وضئزى في قراءة
ابن كثير مصدر وصف به ولا يكون وصفا اصليا لما تقدم عن سيبويه **فان قيل**
لم لا قيل في ضئزى بالكسر والهمز ان اصله ضؤزى بالضم فكسرت الفاء كما قيل فيها مع الياء
فالجواب انه لا موجب هنا للتغيير لان الضم مع الهمز لا يستثقل استثقاله مع الياء الساكنة
وسمع منهم ضؤزى بضم الضاد مع الواو والهمز واما قراءة زيد فيحتمل ان تكون مصدرا
وصف به كدعوى وان تكون صفة كسكرى وعطشى وغضبى **قوله** ان هي الا اسماء فيه وجهان
احدهما انها ضمير الاصنام اي وما هي الا اسماء ليس تحتها في الحقيقة مسميات لانكم تدعون

الالهية لما هو ابعد شي منها واشد منافاة لها وهذا على سبيل المبالغة والتجوز كما يقال للحقير
انسان ما زيد الا اسم اذا لم يكن مشتملا على صفة معتبرة كقوله ما تعبدون من دونه الا اسما
سميتموها الثاني ان يكون ضمير الاسما وهي اللات والعزى ومناة وهم يقصدون بها اسما
الالهة يعني وما هذه الاسما الا سميتموها بهواكم وشهوتكم ليس لكم على صحة تسميتها برهان
تتعلقون به قاله الزمخشري وقال ابو البقا اسما يجب ان يكون المعنى ذوات اسما كقوله
سميتموها لان الاسم لا يسمى **فان قيل** كيف قال سميتموها انتم مع ان هذه الاسما
موضوعة قبلكم فالجواب ان كل من نطق بهذه الالفاظ فهو كالمبتدي الواضع لان الواضع
الاول لهذه الاسما لما لم يكن واضعا بدليل نقلي ولا عقلي لم يجب اتباعه ولا يجوز فصار
هو كالمبتدي اذ لا مقتدى له **فان قيل** الاسما لا تسمى وانما يسمى بها فكيف قال اسما
سميتموها فالجواب من وجهين الاول ان التسمية وضع الاسم فكانه قال اسما وضعتموها
فاستعمل سميتموها استعمال وضعتموها الثاني انه لو قال اسما سميتم بها لكان هناك غير
الاسم شي يتعلق به الباء في قوله بها لان قول القايل سميت به يستدعي مفعولا اخر تقول
سميته بزيد ابني وعبدي او غير ذلك فيكون قد جعل للاصنام اعتبارا **فان قيل**
هذا ابطل الحق بقوله تعالى واني سميتها مريم حيث لم يقل واني سميتها بمريم فلم يكن ما ذكرته
متطوبا لالكا بت موضوعة غير ملتفت اليها كما قلت في الاصنام فالجواب بينهما بون عظيم
لانه هناك قال انما هي مريم يتذكر المتقولين فاعتبر حقيقة ملونين بقوله سميتها واسمها بقوله
مريم واما هنا فقال ان هي الا اسما موضوعة فلم يعتبر الحقيقة ههنا واعتبرها في مريم
قوله ما انزل الله بها من سلطان اي حجة بما يقولون انها الهة واستعملت الباء في قوله
بها كقولك ارتحل فلان باهله ومتاعه اي ارتحل ومعه الاهل والمتاع كذلك ههنا **قوله**
ان يتبعون الا الظن فيه رجوع الى الخبر بعد المخاطبة فقال ان يتبعون الا الظن في قولهم
انها الهة قرأها العامة على الغيبة التفاتا من خطابهم الى الغيبة عنهم تحقيرا لهم كانه قطع
الكلام معهم وقال لنبيه انهم لا يتبعون الا الظن فلا تلتفت الى قولهم ويحتمل ان يكون المراد
غيرهم وفيه وجهان الاول ان يكون المراد اباهم كانه تعالى لما قال سميتموها انتم واباؤكم
قال بمن تابعوا هذه الاسماء يتبعها سنعرض الى اتباعها قال وجدنا عليها ابانا فقال وما اباوكم وما
يتبعون الا الظن **فان قيل** كان ينبغي ان يكون بصيغة الماضي فالجواب وبصيغة
المستقبل ايضا كانه يتبعون الان الى زمان الكلام كقوله تعالى وكلبهم باسط ذراعيه الثاني
ان يكون المراد عامة الكفار وقرأ عبد الله وابن عباس وطلحة وعيسى بن عمر وابن وثاب
بالخطاب وهو حسن لموافقة **فان قيل** كيف ذمهم على اتباع الظن ونحن مامورون
باتباعه في الفقه وقال عليه السلام مخبرا عن الله تعالى انه قال انا عند ظن عبدي بي فالجواب
ان الظن خلاف العلم وقد استعمل مجازا مكان العلم والعلم مكانه واصل العلم الظهور ومنه العالم
وحروف العلم في تقاليبها فيها معنى الظهور ومنها لمع البرق اذا ظهر ولمع الغزال اذا عدا وكذلك
علمت والظن اذا كان في مقابلة العلم ففيه الخفا ومنه بير ظنون لا يدري افيه ما ام لا لخفا
الامر فيه ودين ظنون لخفي الامر فيه فنقول يجوز بنا الامر على الظن عند العجز عن درك اليقين
واما الاعتقاد فليس كذلك لان اليقين لم يتعذر علينا والى هذا الاشارة بقوله ولقد جاهم
من ربهم الهدى اي اتبعوا الظن وقد امكنهم الاخذ باليقين وفي العمل يمنع ذلك ايضا والله
اعلم **قوله** وما تهوى الانفس نسق على الظن وما مصدرية او بمعنى الذي والمراد مما
تهوى الانفس هو ما زين لهم الشيطان **قوله** ولقد جاهم من ربهم الهدى يجوز ان يكون

حالا

حالا من فاعل يتبعون اي يتبعون الظن وهوى النفس في حال تنافي ذلك وهي مجي الهدى من
عند ربهم ويجوز ان يكون اعتراضا فان قوله ام للانسان متصل بقوله وما تهوى الانفس
وهي ام المنقطعة فتقدر ببل والهمزة على الصحيح قال الزمخشري ومعنى الهمزة فيها للانكار
اي ليس للانسان ما تمنى **فصل** المعنى ولقد جاهم من ربهم البيان بالكتاب
والرسول انها ليست بالهة وان العبادة لا تصلح الا لله الواحد القهار ام للانسان ما تمنى
ايظن الكافر ان له ما يتمنى ويشتهي من شفاعة الاصنام ويحتمل ان يكون معناه هل للانسان
ان يعبد بالتمني والاشتها وما تهوى نفسه **قوله** فلله الاخرة والاولى اي ليس كما ظن
وتمنى بل لله الاخرة والاولى لا تملك فيها احد شيا الا باذنه **قوله** فكم من ملك كم هنا
خبرية تفيد التكثير ومحلها الرفع على الابتدا ولا تغني شفاعتهم هو الخبر والعامة على افراد
الشفاعة وجمع الضمير اعتبارا بمعنى ملك ومعنى كم وزيد بن علي شفاعته بافرادها اعتبار
لفظ كم وملك وابن مقسم شفاعاتهم بجمعها وشيا منصوب اي شيا من الاغنا **فصل**
المعنى وكم من ملك في السموات ممن يعبده هولا الكفار ويرجون شفاعتهم عند الله لا تغني
شفاعتهم شيا الا من بعد ان ياذن الله في الشفاعة لمن يشا ويرضى اي من اهل التوحيد
قال ابن عباس يريد لا تشفع الملايكة الا لمن رضي الله عنه وجمع الكناية في قوله شفاعتهم
والملك واحد لان المراد من قوله وكم من ملك الكثرة فهو كقوله فما منكم من احد عنه حاجزين
قوله ان الذين لا يومنون بالاخرة ليسمون الملايكة تسمية الانثى اعلم ان المراد بالذين
لا يومنون بالاخرة هم الذين لا يومنون بالرسل لان كل من امن بالرسل اعترف بالحشر
وذلك انهم كانوا يقولون الملايكة وجدوا من الله فهم اولاده بمعنى الايجاد ثم انهم راوا في
الملايكة تا التانيث وصح عندهم ان يقال سجدت الملايكة فقالوا بنات الله فسموهم تسمية
الاناث **فان قيل** كيف يصح ان يقال انهم لا يومنون بالاخرة مع انهم كانوا
يقولون هولا شفعاونا عند الله وكان من عادتهم ان يربطوا مركوبا على قبر من يموت
ويعتقدون انه يحشر عليه فالجواب من وجهين احدهما انهم ما كانوا يجزمون به بل كانوا
يقولون لا حشر فان كان فلنا شفعا بدليل ما حكى الله عنهم وما اظن الساعة قايمة ولين رجعت
الى ربي ان لي عنده للحسنى الثاني انهم ما كانوا يعترفون بالاخرة على الوجه الذي ورد به
الرسل **فصل** واما مناسبة هذه الاية لما قبلها فهي انه لما قيل لهم ان الاصنام جماد
لا تشفع وبين لهم ان اعظم اجناس الخلق لا شفاعة لهم الا بالاذن قالوا نحن لا نعبد الاصنام
لانها جمادات وانما نعبد الملايكة بعبادتها فانها على صورها ونضعها بين ايدينا لنذكر
بالشاهد الغايب فنعظم الملك المقرب فرد الله عليهم بهذه الاية اي كيف تعظمونهم وانتم
تسمونهم تسمية الاناث **فان قيل** كيف قال تسمية الانثى ولم يقل تسمية الاناث
فالجواب ان المراد بيان الجنس وهذا اللفظ اليق بهذا الموضع لمواخاة رؤس الاي وقيل
انه لو قال الاناث لاوهم اعلام الاناث كعايشة وفاطمة والمراد انما سموا البنات وقد تقدمت
شبهتهم **قوله** وما لهم به من علم قال الزمخشري الضمير في به يعود على ما كانوا يقولون وقيل
يعود الى ما تقدم من عدم قبول الشفاعة وقيل يعود الى الله اي ما لهم بالله من علم فيشركون
وقال مكي انها تعود على الاسم لان التسمية والاسم بمعنى وقرا ابي بها اي بالاخرة اي ما لهم بالاخرة
من علم وقيل بالملايكة وقيل بالتسمية وهذا يقوي قول مكي فان قلنا ما لهم بالاخرة فهو جواب
كما قلنا انهم وان كانوا يقولون ان الاصنام شفعاونا عند الله وكانوا يربطون الابل على قبور
الموتى ليركبوها لكن ما كانوا يقولون به عن علم وان قلنا بالتسمية ففيه اشكال وهو ان العلم

بالتسمية حاصل لهم فانهم يعلمون انهم يسموا والجواب ان التسمية قد تكون واضعها الاول عالما بانه
وضع وقد يكون استعمالا مصنوعا يتطرق اليه الصدق والكذب والعلم فمثال الصدق من وضع اولا
اسم السما لموضوعها وقال هذا سما ومثال الكذب اذا قلنا لبعد ذلك للما والحجر هذا سما فانه
كذب ومن اعتقده فهو جاهل وكذلك قولهم في الملايكة انهم بنات الله لم يكن تسمية وضعية
وانما ارادوا به انهم موصوفون بانهم يجب استعمال لفظ البنات فيهم وذلك كذب ومعتقده
جاهل فالمراد التسمية التي هي عن وصف حقيقي لا التسمية الوضعية لانهم عالمون بها فهذا
هو المراد قاله ابن الخطيب **قوله** ان يتبعون الا الظن تقدم الكلام عليه وقوله ان الظن
لا يغني من الحق شيا قيل الحق بمعنى العلم اي لا يقوم الظن مقام العلم وقيل الحق بمعنى العذاب اي
ان ظنهم لا ينقذهم من العذاب قال ابن الخطيب المراد منه ان الظن لا يغني في الاعتقادات
شيا واما في الافعال العرفية او الشرعية فانه يتبع عند عدم الوصول الى اليقين ويحتمل
ان يقال المراد من الحق هو الله والمعنى ان الظن لا يغنيه شيا من الله اي ان الاوصاف الالهية
لا تستخرج بالظنون بدليل قوله تعالى ذلك بان الله هو الحق **فان قيل** اليس الظن
قد يصيب فكيف يحكم عليه بانه لا يغني اصلا فالجواب ان المكلف يحتاج الى تمييز الحق
من الباطل ليعتقد الحق وتمييز الخير من الشر ليفعل الخير لكن في الحق ينبغي ان يكون جازما لاعتقاده
مطابقته والظان لا يكون جازما وفي الخير ربما يعتبر الظن في مواضع **فصل** اعلم
ان الله تعالى منع من الظن في ثلاثة مواضع احدها قوله تعالى ان هي الا اسما سميتموها
انتم واباوكم ما انزل الله بها من سلطان ان يتبعون الا الظن وثانيها هذه الاية وثالثها
في الحجرات وهي قوله ولا تنابزوا بالالقاب بيس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب
فاوليك هم الظالمون الى قوله اجتنبوا كثيرا من الظن فالاول كان المنع عقيب التسمية والثاني
عقيب الدعا بالالقاب وكل ذلك دليل على ان حفظ اللسان اولى من حفظ غيره من الاركان
وان الكذب اقبح من السيات الظاهرة من الايدي والارجل فهذه المواضع الثلاثة
دلت على ان الظن فيها مذموم احدها مدح من لا يستحق المدح كاللات والعزى من العز
وثانيها ذم من لا يستحق الذم وهم الملايكة الذين هم عباد الرحمن يسمونهم تسمية الانثى
وثالثها ذم من لا يعلم حاله واما مدح من يعلم حاله فلم يقل فيه لا يتبعون الظن بل الظن
معتبر فيه والاخذ بظاهر حال العاقل واجب **قوله** فاعرض عن من تولى عن ذكرنا
يعني القران وقيل الايمان اي اترك مجادلتهم فقد بلغت واتيت بما عليك قال ابن الخطيب
واكثر المفسرين يقولون بان كل ما في القران من قوله تعالى فاعرض منسوخ باية القتال وهو
باطل لان الامر بالاعراض موافق لاية القتال فكيف ينسخ به وذلك لان النبي عليه السلام في
الاول كان مامورا بالدعا بالحكمة والموعظة الحسنة فلما عارضوه باباطيلهم امر بازالة شبههم
والجواب عن اباطيلهم وقيل له وجادلهم بالتي هي احسن ثم لما لم ينفع قال له ربه اعرض
عنهم ولا تقابلهم بالدليل والبرهان فانهم لا ينتفعون به ولا يتبعون الحق وقابلهم بالاعراض
عن المناظرة شرط لجواز المقاتلة فكيف يكون منسوخا بها **قوله** ولم يرد الا الحياة الدنيا
اشارة الى انكارهم الحشر كقوله تعالى عنهم ان هي الا حياتنا الدنيا وقوله ارضيتم بالحياة الدنيا
وذلك انه اذا ترك النظر في الا الله لا يعرفه فلا يتبع رسوله فلا ينفعه كلامه واذا لم يقل بالحشر
والحساب لا يخاف فلا يرجع عما هو عليه فلا يبقى في الدعا فايدة واعلم ان النبي عليه السلام
كان كالطبيب للقلوب فاتى على ترتيب الاطبا في ان المرض اذا امكن اصلاحه بالغذا لا
يستعملون الدوا وما امكن اصلاحه بالدوا الضعيف لا يستعملون الدوا القوي ثم اذا عجز عن المداوا

بالمشروبات وغيرها عدلوا الى الحديد والكي كما قيل اخر الدوا الكي فالنبي عليه السلام اولا امر
القلوب بذكر الله حسب فان بذكر الله تطمين القلوب كما ان بالغذا تطمين النفوس فالذكر غذا
القلب ولهذا قال عليه السلام اولا قولوا لا اله الا الله امر بالذكر فانتفع مثل ابي بكر رضي الله عنه
وغيره ومن لم ينتفع ذكر لهم الدليل وقال اولم يتفكروا قل انظروا افلا ينظرون الى غير ذلك
فلما لم ينتفعوا اتى بالوعيد والتهديد فلما لم ينفعهم قال اعرض عن المعالجة واقطع الفاسد
لئلا يفسد الصالح **قوله** ذلك مبلغهم قال الزمخشري هو اعتراض اي فاعرض عنه ولا تقابله
ان ربك هو اعلم قال ابو حيان كانه يقول هو اعتراض يعني فاعرض يعني ان ربك ولا يظهر
هذا الذي يقوله من الاعتراض قال شهاب الدين كيف يقول كانه يقول هو اعتراض وما معنى
التشبيه وهو قد نص عليه وصرح به فقال اي فاعرض عنه ولا تقابله ان ربك وقوله ولا يظهر
ما ادري عدم الظهور مع ظهور ان هذا علة لذلك اي قوله ان ربك علة لقوله فاعرض والاعتراض
بين العلة والمعلول ظاهر واذا كانوا يقولون هذا معترض فيما يجي في اثنا القصة فكيف فيما
بين علة ومعلول **فصل** ذلك اشارة الى غاية علمهم وقد زعمهم انهم اثروا الدنيا
على الاخرة وقيل اشارة الى الظن اي لم يبلغوا من العلم الا ظنهم ان الملايكة بنات الله وانها تشفع
لهم واعتمدوا على ذلك واعرضوا عن القران وقيل اشارة الى الاعراض اي فاعرض عمن تولى
فذلك الاعراض غاية ما بلغوه من العلم وعلى هذا يكون المراد من العلم المعلوم ويكون
الالف واللام للتعريف والعلم المعلوم هو ما في القران **فان قيل** ان الله تعالى
بين ان غايتهم ذلك في العلم ولا يكلف الله نفسا الا وسعها والجاهل الذي لا علم له والصبي
لا يومر بما فوق احتماله فكيف يعاقبهم الله فالجواب انه ذكر قبل ذلك انهم تولوا عن ذكر
الله فكان عدم علمهم لعدم قبول العلم وانما قدر الله توليهم ليضاف الجهل اليهم ذلك فيتحقق
العقاب **قوله** ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله يحتمل ان يكون على بابه من التفضيل اي
هو اعلم من كل احد بهذين الفريقين وبغيرهما وان يكون بمعنى عالم وتقدم ذلك مرارا
فصل المعنى ان الله عالم بالفريقين فيجازيهم ووجه المناسبة ان الله تعالى
لما قال للنبي صلى الله عليه وسلم اعرض وكان النبي عليه السلام شديد الميل الى ايمان قومه
كانه يجيش في خاطره ان في ذكراهم منفعة وربما يومن من الكفار قوم اخرون من غير
قتال فقال له ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله انه لا يومن بمجرد الدعا احد من
الضالين وانما ينفع فيهم ونعم السيف والقتال فاعرض عن الجدال واقبل على القتال
وعلى هذا فقوله بمن اهتدى اي علم في الازل من ضل ومن اهتدى فلا يشتبه عليه الامر
ولا تاس في الاعراض **فان قيل** قال في الضلال عن سبيله ولم يقل في الاهتدا
الى سبيله فالجواب ان الضلال عن السبيل هو الضلال وهو كاف في الضلال لان الضلال لا يكون
الا في السبيل واما بعد الوصول فلا ضلال اولان من ضل عن سبيله لا يصل الى المقصود سوا
سلك سبيلا اولم يسلكه واما من اهتدى الى سبيل فلا وصول له ان لم يسلكه فقال بمن اهتدى
اي الى السبيل وسلوكه **قوله** ولله ما في السموات وما في الارض وهذا معترض بين
الاية الاولى وبين قوله ليجزي الذين اساوا بما عملوا واللام في قوله ليجزي فيها اوجه احدها ان
تتعلق بقوله لا تغني شفاعتهم ذكره مكي وهو بعيد من حيث اللفظ ومن حيث المعنى الثاني
ان تتعلق بما دل عليه قوله ولله ما في السموات اي له ملكهما يضل من يشا ويهدي من يشا
ليجزي المحسن والمسي الثالث ان تتعلق بقوله بمن ضل وبمن اهتدى واللام للصيرورة اي عاقبة
امرهم جميعا للجزا بما عملوا قال معناه الزمخشري الرابع ان تتعلق بما دل عليه قوله اعلم بمن

مثل اي حفظ ذلك ليجزي قاله ابو البقاء وقرا زيد بن علي لنجزي بنون العظمة والباقون بياء الغيبة وقوله الذين اساؤا اي اشركوا بما عملوا من الشرك ويجزي الذين احسنوا وحدوا ربهم بالحسنى بالجنة وانما يقدر على مجازاة المحسن والمسي اذا كان مالكا فلذلك قال تعالى ولله ما في السموات وما في الارض **قوله** الذين يجتنبون يجوز ان يكون منصوبا بدلا من الذين احسنوا او نعتا للذين احسنوا **فان قيل** لم كان بدلا من الذين احسنوا فلم خالف ما بعده بالمضي والاستقبال حيث قال للذين احسنوا وقال الذين يجتنبون فالجواب هو كقول القايل الذين سالوني اعطيتهم الذين يترددون الي سايلين اي الذين عادتهم التردد للسؤال سالوني واعطيتهم فكذلك هاهنا اي عادتهم وداْبهم الاجتناب لا الذين اجتنبوا مرة واحدة ويجوز ان يكون الموصول منصوبا باضمار اعني وان يكون خبر مبتدا مضمر اي هم الذين وهذا نعت للمحسنين وتقدم الخلاف في كباير وكبير الاثم **قوله** الا اللمم فيه اوجه احدها انه استثنا منقطع لان اللمم الصغاير فلم يندرج فيما قبلها وهذا هو المشهور الثاني انه صفة والا بمنزلة غير كقوله لو كان فيهما الهة الا الله اي كباير الاثم والفواحش غير اللمم الثالث انه متصل وهذا عند من يفسر اللمم بغير الصغاير قالوا ان اللمم من الكباير والفواحش قالوا ومعنى الاية الا ان يلم بالفاحشة مرة ثم يتوب ويقع الوقعة ثم ينتهي وهذا قول ابي هريرة ومجاهد والحسن ورواية عطا عن ابن عباس قال عبد الله بن عمرو بن العاص اللمم ما دون الشرك قال السدي قال ابو صالح سيلت عن قول الله عز وجل الا اللمم فقلت هو الرجل يلم بالذنب ثم لا يعاوده فذكرت ذلك لابن عباس فقال لقد اعانك عليها ملك كريم وروي عن ابن عباس في قوله الا اللمم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تغفر اللهم تغفر جما واي عبد لك لا الما واصل اللمم ما قل وصغر ومنه اللمم وهو المس من الجنون والم بالمكان قل لبثه فيه والم بالطعام اي قل اكله منه وقال ابو العباس اصل اللمم ان يلم بالشي من غير ان يركبه يقال الم بكذا اذا قاربه ولم يخالطه وقال الازهري العرب تستعمل الالمام في معنى الدنو والقرب وقال جرير

بنفسي من تجنبه عزيز علي ومن زيارته لمام

وقال اخر

متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تاججا

وقال اخر

لقاء اخلاء الصفاء لمام

ومنه ايضا لمة الشعر لما دون الوفرة **فصل** قال ابن الخطيب الكباير اشارة لما فيها من مقدار السيئة والفواحش في اللغة مختصة بالقبح الخارج قبحه عن حد الخفاء وتركيب الحروف في التاليف يدل عليه فانك اذا قلبتها وقلت حشف كان فيه معنى الزيادة الخارجة عن الحد فان الحشف اردا التمر وكذلك فحج يدل على حالة ردية يقال فحجت الناقة اذا تفحجت على هيئة مخصوصة للبول فالفحش يلازمه القبح ولهذا لم يقل الفواحش من الاثم وقال في الكباير من الاثم لان الكباير اذا لم تميزها بالاضافة في قوله كباير الاثم لما حصل المقصود بخلاف الفواحش واختلفوا في الكباير والفواحش فقيل الكباير ما وعد الله عليه بالنار صريحا وظاهرا والفواحش ما اوجب عليه حدا في الدنيا وقيل الكباير ما يكفر مستحله وقيل الكباير ما لا يغفر الله لنا عليه الا بعد التوبة وهو مذهب المعتزلة قال ابن الخطيب وكل هذه التعريفات تعريف للشي بما هو مثله في الخفا او فوقه وقد ذكرنا ان الكباير هي التي مقدارها عظيم والفواحش هي التي قبحها واضح فالكبيرة صفة عايدة الي المقدار والفاحشة صفة عايدة الي الكيفية **فصل** اختلفوا في معنى الاية فقال بعضهم ما سلف في الجاهلية فلا يواخذهم الله به وذلك ان المشركين قالوا للمسلمين انهم كانوا بالامس يعملون معنا فانزل الله هذه الاية وهذا قول زيد بن ثابت وزيد بن اسلم وقيل هو صغار الذنوب كالنظرة والغمزة والقبلة وما كان دون الزنا وهذا قول

ابن

ابن مسعود وابي هريرة ومسروق والشعبي ورواية طاوس عن ابن عباس قال ما رايت اشبه باللمم مما قال ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله كتب على ابن ادم حظه من الزنا ادرك ذلك لا محالة فزنا العين النظر وزنا اللسان النطق والنفس تمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك ويكذبه وفي رواية والاذنان زناهما الاستماع واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا وقال الكلبي اللمم على وجهين كل ذنب لم يذكر الله عليه حدا في الدنيا ولا عذابا في الاخرة فذلك الذي تكفره الصلوات الخمس ما لم يبلغ الكباير والفواحش والوجه الاخر هو الذنب العظيم يلم به المسلم المرة بعد المرة فيتوب منه وقال سعيد بن المسيب هو ما لم على القلب اي خطر وقال الحسين بن الفضل اللمم النظرة من غير تعمد وهو مغفور فان اعاد النظرة فليس بلمم وهو ذنب **قوله** ان ربك واسع المغفرة قال ابن عباس لمن فعل ذلك وتاب **قوله** هو اعلم بكم اذ انشاكم من الارض في تعلق الاية وجوه احدها هو تقرير لما قال من قبل فانه لو قال هو اعلم بمن ضل كان لقايل من الكفار ان يقول نحن نعلم امورا في جوف الليل المظلم وفي البيت الخالي فكيف يعلمه الله قال ليس علمكم اخفى من احوالكم وانتم اجنة في بطون امهاتكم فالله عالم بتلك الاحوال الثاني انه اشارة الى ان الضال والمهتدي حصلا على ما هما عليه بتقدير الله فانه علم الحق وانتم في بطون الامهات فكتب على البعض انه ضال وكتب على البعض انه مهتدي الثالث انه تاكيد لبيان الجزا لانه لما قال ليجزي الذين اساؤا بما عملوا قال الكافرون هذا الحشر لا يصح الا بالحشر وجمع الاجزا بعد تفرقها واعادة ما كان لزيد من الاجزا في بدنه من غير اختلاط وذلك غير ممكن فقال تعالى هو عالم بما اذ انشاكم فيجمعها بقدرته على وفق علمه كما انشاكم **فصل** العامل في اذ يحتمل ان يكون اذكروا فيكون هذا تقريرا لكونه عالما ويكون تقديره هو اعلم بكم وقد تم الكلام ثم يقول ان كنتم في شك من علمه بكم فاذكروا حال انشايكم من التراب وقد تم الكلام على قوله خلقكم من تراب بان كل احد مخلوق من التراب فانه يصير غذا ثم يصير دما ثم يصير نطفة **فان قيل** لا بد من فرق قوله اذ انشاكم من الارض الي ادم لان قوله واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم عايد الي غيره فانه لم يكن جنينا ولانه قلت بان قوله تعالى اذ انشاكم عايد الى جميع الناس فينبغي ان يكون جميع الناس اجنة في بطون الامهات وهو قول الفلاسفة فالجواب ليس كذلك لانا نقول الخطاب مع الموجودين حالة الخطاب فقوله هو اعلم بكم خطاب مع من حضر الانزال وهم كانوا اجنة وخلقوا من الارض على ما قررناه **قوله** اجنة جمع جنين وهو الحمل في البطن لاستتاره وجنين واجنة كسرير واسرة **فان قيل** الاجنة هم الذين في بطون الامهات وبعد الخروج لا يسمى الا ولدا وسقطا فما فايدة قوله تعالى في بطون امهاتكم فالجواب ان ذلك تنبيه على كمال العلم والقدرة فان بطون الامهات في غاية الظلمة ومن علم حال الجنين فيها لا يخفى عليه ما يظهر من حال العباد **قوله** فلا تزكوا انفسكم قال ابن عباس لا تمدحوها وقال الحسن علم الله من كل نفس ما هي صانعة والى ما هي صايرة فلا تزكوا انفسكم تبروها عن الاثام ولا تمدحوها بحسن اعمالها وقال الكلبي ومقاتل كان الناس يعملون اعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فانزل الله هذه الاية ثم قال هو اعلم بمن اتقى اي بر واطاع واخلص العمل **فصل** يحتمل ان يكون هذا خطاب مع الكفار فانهم قالوا انا نعظم نعلمنا الله فرد عليهم قولهم ويحتمل ان يكون خطابا مع كل من كان في زمن الخطاب ومن بعده من المومنين والكفار ويحتمل ان يكون خطابا مع المومنين وتقديره ان الله تعالى لما قال فاعرض عمن تولى عن ذكرنا وقال لنبيه عليه السلام قد علم كونك ومن تبعك على الحق وكون

الكفار على الباطل فاعرض عنهم ولا تقولوا نحن على الحق وانتم على الضلال لانهم يقابلونكم بمثل
ذلك وفوض الامر الى الله فهو اعلم بمن اتقى ومن طغى وعلى هذا قول من قال فاعرض منسوخ
اظهر وهو كقوله تعالى وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين يعني الله اعلم بجملة الامر **قوله**
افرايت الذي تولى قال بعض المفسرين لما جهل المشركين في عبادة الاصنام ذكر
واحدا منهم معينا بسوء فعله قال مجاهد وابن زيد ومقاتل نزلت في الوليد بن المغيرة وكان قد
اتبع النبي صلى الله عليه وسلم على دينه فعيره بعض المشركين وقال له تركت دين الاشياخ وضللتهم
قال اني خشيت عذاب الله فضمن الذي عاتبه ان هو اعطاه كذا من ماله ورجع الى شركه
ان يتحمل عنه عذاب الله ففعل الوليد الى الشرك واعطى الذي عيره بعض ذلك الذي ضمن ومنعه تمامه
فانزل الله افرايت الذي تولى اي ادبر عن الايمان واعطى صاحبه قليلا واكدى بخل بالباقي
وقال السدي نزلت في العاص بن وائل السهمي وذلك انه ربما يوافق النبي صلى الله عليه وسلم
في بعض الامور وقال محمد بن كعب القرظي نزلت في ابي جهل وذلك انه قال والله ما يامرنا
محمد الا بمكارم الاخلاق فذلك قوله واعطى قليلا واكدى اي لم يؤمن به ومعنى اكدى اي قطع
قوله واكدى اصله من اكدى الحافر اذا حفر شيئا فصادف كدية منعته من الحفر
ومثله اجبل اي صادف جبلا منعه من الحفر وكديت اصابعه كلت من الحفر ثم استعمل في كل
من طلب شيئا فلم يصل اليه او لم يتممه ولمن طلب شيئا ولم يبلغ اخره قال الحطيئة
فاعطى قليلا ثم اكدى عطاءه ومن يبذل المعروف في الناس يحمد ويقال كدي النبت اذا
قل ريعه وكدت الارض تكدو كدوا فهي كادية اذا ابطا نباتها عن ابي زيد واكديت الرجل
عن الشيء رددته واكدى الرجل اذا قل خيره فقوله واعطى قليلا واكدى اي قطع القليل وارايت
بمعنى اخبرني وقوله الذي يعود الى الوليد قال ابن الخطيب والظاهر انه يعود الى المتولي في
قوله فاعرض عن من تولى **فان قيل** كان ينبغي ان يقول الذين تولوا لان من للعموم فالجواب
انه العود الى اللفظ كثير كقوله من جاء بالحسنة فله ولم يقل فلهم **قوله** اعنده علم الغيب
هو المفعول الثاني لارايت والمفعول الاول محذوف اقتصارا لاعطى **قوله** فهو يرى هذه
الجملة مترتبة على ما قبلها ترتيبا ظاهرا وقال ابو البقاء فهو يرى جملة اسمية واقعة موقع الفعلية
والاصل اعنده علم الغيب فيرى ولو جاء على ذلك لكان نصبا على جواب الاستفهام انتهى وهذا
لا حاجة اليه مع ظهور الترتيب بالجملة الاسمية وقد تقدم له نظير هذا الكلام والرد عليه
ومعنى الاية اعنده علم ذلك المتكفل علم الغيب اي علم ما غاب عنه من العذاب فهو يرى اي يعلم
ما غاب عنه من امر الاخرة وما يكون من امره حتى يضمن حمل العذاب عن غيره وكفى بهذا
جهلا وحمقا بانه يرى ما غاب عنه ويعلم ان صاحبه يتحمل عنه عذابه **قوله** ام لم ينبا اي
لم يخبر بما في صحف موسى يعني اسفار التوراة وام منقطعة اي بل الم ينبا وما في قوله بما يحتمل
ان يكون المراد جنس ما فيها اي لم ينبا بالتوحيد والحشر وغيره ويحتمل ان يكون عين ما في التوراة
لاجتنبه وعلى هذا فالكلام مع اهل الكتاب **قوله** وابرهيم عطف على موسى اي وصحف
ابرهيم كقوله في سورة الاعلى صحف ابرهيم وموسى وانما خص هذين النبيين بالذكر لانه كان
بين ابرهيم وموسى يؤخذ الرجل بجريرة غيره فاول من خالفهم ابرهيم قاله الهذيل بن شرحبيل
والعامة على وفى بالتشديد وقرا ابو امامة الباهلي وسعيد بن جبير وابن السميفع وفى بتخفيفها
وقد تقدم ان فيه ثلاث لغات واطلق التوفية والوفا ليتناول كل ما وفى به والمعنى تمم
واكمل ما امر به قال الحسن وسعيد بن جبير وقتادة عمل بما امر به وبلغ رسالات ربه الى خلقه
وقال مجاهد وفى بما فرض عليه وقال الربيع وفى رؤياه وقام بذبح ابنه وقال عطا الخراساني

استكمل

استكمل الطاعة وقال ابو العالية هو الاتمام في قوله تعالى واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات فاتمهن
والتوفية الاتمام وقال الضحاك وفى المناسك وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
ابرهيم الذي وفى اربع ركعات من اول النهار **قوله** الا تزر وازرة وزر اخرى ان
مخففة من الثقيلة واسمها محذوف هو ضمير الشان ولا تزر هو الخبر وجيء بالنفي لكون الخبر جملة
فعلية متصرفة غير مقرونة بقد كما تقدم تحريره في المائدة وان وما في حيزها فيها قولان
اظهرهما الجر بدلا من ما في قوله بما في صحف والثاني الرفع خبر المبتدا مضمرا اي ذلك الا تزر
او هو ان لا تزر وهو جواب لسؤال مقدر كان قائلا قال وما في صحفهما فاجيب بذلك قال
شهاب الدين ويجوز ان يكون نصبا باضمار اعني جوابا لذلك السائل وكل موضع اضمر فيه هذا
المبتدا لهذا المعنى اضمر فيه هذا الفعل **فصل** معنى الاية انه لا تحمل نفس حمل اخرى
اي لا تؤخذ نفس باثم غيرها وفي هذا ابطال قول من ضمن للوليد بن المغيرة انه يحمل عنه
الاثم وروى عكرمة عن ابن عباس قال كانوا قبل ابرهيم عليه السلام ياخذون الرجل بذنب
غيره وكان الرجل يقتل بقتل ابيه وابنه واخيه وامراته حتى جاءهم ابرهيم عليه السلام فنهاهم
عن ذلك وبلغهم عن الله عز وجل ان لا تزر وازرة وزر اخرى **فان قيل** الاية
مذكورة لبيان ان وزر الرجل لا يحمل عنه وبهذا الكلام لا تحصل هذه الفائدة لان الوازرة
تكون مشغولة بوزرها فكل احد يعلم انها لا تحمل شيئا ولو قال لا تحمل فارغة وزر اخرى كان ابلغ
فالجواب ان المراد من الوازرة هي التي يتوقع منها الوزر والحمل لا التي وزرت وحملت نقل
القرطبي عن ابي مالك الغفاري قال قوله تعالى ان لا تزر وازرة وزر اخرى الى قوله تعالى
فباي الاء ربك تتمارى في صحف ابرهيم وموسى **قوله** وان ليس للانسان الا ما سعى ان
هي المخففة ايضا ولم يفصل هنا بينها وبين الفعل لانه لا يتصرف ومحلها الجر او الرفع او النصب
لعطفها على ان قبلها وكذلك محل وان سعيه سوف يرى مبني للمفعول ويجوز ان يكون من البصرية اي
يبصر وان يكون من العلمية فيكون الثاني محذوفا اي يرى حاضرا والاول اوضح وقال مكي
واجاز الزجاج يرى بفتح الياء على اضمار الهاء اي سوف يراه ولم تجزه الكوفيون لان سعيه يصير
قد عمل فيه ان ويرى وهو جائز عند المبرد وغيره لان دخول ان على سعيه وعملها فيه يدل على
الهاء المحذوفة من يرى وعلى هذا اجاز البصريون ان زيدا ضربت بغير هاء قال شهاب الدين
وهو خلاف ضعيف توهموا ان الاسم توجه عليه عاملان مختلفان في الجنسية وانما قلت في
الجنسية لان راي بعضهم انه يعمل فعلين في معمول واحد ومنه باب التنازع في بعض صوره نحو قام
وقعد زيد وضربت واكرمت عمرا وان يعمل عامل واحد في اسم وفي ضميره معا نحو زيدا ضربته
في باب الاشتغال وهذا توهم باطل لانا نقول سعيه منصوب بان ويرى متسلط على ضميره
المقدر وظاهر هذا انه لم يقرا به وقد حكى ابو البقاء انه قرئ به شاذا ولكنه ضعيف من جهة
اخرى قال وقرئ بفتح الياء وهو ضعيف لانه ليس فيه ضمير يعود على اسم ان وهو السعي والضمير
الذي فيه للهاء فيبقى الاسم بغير خبر وهو كقولك ان غلام زيد قام وانت تعني قام زيد فلا خبر
لغلام وقد وجه على ان الضمير في سوف يرى عائد على السعي وفيه بعد انتهى قال
شهاب الدين وليت شعري كيف توهم المانع المذكور وكيف نظمه بما ذكر ثم اي بعد في تقدير
سوف يرى سعيه فكانه اطلع على مذهب الكوفيين في المنع الا ان المدرك غير المدرك
فصل قوله وان ليس للانسان الا ما سعى اي عمل كقوله ان سعيكم لشتى وهذا ايضا
في صحف ابرهيم وموسى قال ابن عباس هذا منسوخ الحكم في هذه الشريعة بقوله الحقنا بهم ذرياتهم
فادخل الابنا الجنة بصلاح الاباء وقال عكرمة كان ذلك لقوم ابرهيم وموسى واما هذه الامة

فلهم ما سعوا وما سعي لهم غيرهم لما روي ان امراة رفعت صبيا لها فقالت يا رسول الله الهذا حج
قال نعم ولك اجر وقال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم ان امي افتلتت نفسها فهل لها اجر ان تصدقت
عنها قال نعم قال الشيخ تقي الدين ابو العباس احمد بن تيمية من اعتقد ان الانسان لا ينتفع الا بعمله
فقد خرق الاجماع وذلك باطل من وجوه كثيرة احدها ان الانسان ينتفع بدعاء غيره وهو
انتفاع بعمل الغير الثاني ان النبي عليه السلام يشفع لاهل الموقف في الحساب ثم لاهل الجنة في دخولها
ثم لاهل الكبائر في الاخراج من النار وهذا انتفاع بسعي الغير الثالث ان كل نبي وصالح له
شفاعة وذلك انتفاع بعمل الغير الرابع ان الملائكة يدعون ويستغفرون لمن في الارض وذلك
منفعة بعمل الغير الخامس ان الله تعالى يخرج من النار من لم يعمل خيرا قط بمحض رحمته وهذا انتفاع
بغير عملهم السادس ان اولاد المؤمنين يدخلون الجنة بعمل ابائهم وذلك انتفاع بمحض عمل الغير
السابع قال تعالى في قصة الغلامين اليتيمين وكان ابوهما صالحا فانتفعا بصلاح ابيهما
وليس هو من سعيهما الثامن ان الميت ينتفع بالصدقة عنه وبالعتق بنص السنة والاجماع
وهو من عمل غيره التاسع ان الحج المفروض يسقط عن الميت بحج وليه بنص السنة وهو انتفاع بعمل
الغير **العاشر** ان الحج المنذور او الصوم المنذور يسقط عن الميت بعمل غيره بنص السنة وهو
انتفاع بعمل الغير الحادي عشر المدين الذي امتنع عليه السلام من الصلاة عليه حتى قضى دينه ابو قتادة
وقضى دين الاخر علي بن ابي طالب فقد انتفع بصلاة النبي عليه السلام وبردت جلدته بقضاء
دينه وهو من عمل الغير الثاني عشر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لمن صلى وحده الا رجل يتصدق
على هذا فيصلي معه فقد حصل له فضل الجماعة بفعل الغير الثالث عشر ان الانسان تبرا ذمته من
ديون الخلق اذا قضاها قاض عنه وذلك انتفاع بعمل غيره الرابع عشر ان من عليه تبعات ومظالم
اذا حلل منها سقطت عنه وهذا انتفاع بعمل غيره الخامس عشر ان الجار الصالح ينفع في المحيا والممات
كما جاء في الاثر وهذا انتفاع بعمل الغير السادس عشر ان جليس اهل الذكر يرحم بهم وهو لم يكن منهم ولم
يجلس لذلك بل لحاجة عرضت له والاعمال بالنيات فقد انتفع بعمل غيره السابع عشر الصلاة على
الميت والدعاء له في الصلاة انتفاع للميت بصلاة الحي عليه وهو عمل غيره الثامن عشر ان الجمعة تحصل
باجتماع العدد وكذلك الجماعة بكثرة العدد وهو انتفاع للبعض بالبعض التاسع عشر ان الله
قال لنبيه عليه السلام وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وقال ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات
وقال ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض فقد دفع الله العذاب عن بعض الناس بسبب
بعض وذلك انتفاع بعمل الغير العشرون ان صدقة الفطر تجب عن الصغير وغيره ممن يمونه
الرجل فينتفع بذلك من يخرج عنه ولا سعي له الحادي والعشرون ان الزكوة تجب في مال الصبي والمجنون
ويثاب على ذلك ولا سعي له ومن تامل العلم وجد من انتفاع الانسان بما لم يعمله ما لا يكاد
يحصى فكيف يجوز ان تتاول الاية على خلاف صريح الكتاب والسنة واجماع الامة والمراد
بالانسان العموم وقال الربيع بن انس ليس للانسان يعني الكافر واما المؤمن فله ما سعى
وما سعي له وقيل ليس للكافر من الخير الا ما عمله يثاب عليه في الدنيا حتى لا يبقى له في الاخرة
خير ويروى ان عبد الله بن ابي كان اعطى العباس قميصا البسه اياه فلما مات ارسل رسول
الله صلى الله عليه وسلم قميصه ليكفن فيه فلم يبق له حسنة في الاخرة يثاب عليها وقوله وان سعيه
سوف يرى اي يرى في ميزانه يوم القيمة من اريته الشيء اي يعرض عليه ويكشف له **فان**
قيل العمل كيف يرى بعد وجوده ومضيه فالجواب من وجهين احدهما يرى على صورة
جميلة ان كان العمل صالحا الثاني قال ابن الخطيب وذلك على مذهبنا غير بعيد فان كل
موجود يرى والله قادر على اعادة كل ما عدم فيعيد الفعل فيرى وجه اخر وهو ان ذلك

مجاز

مجاز عن الثواب كقولك سترى احسانك اي جزاءه وفيه نظر لقوله بعد ذلك ثم يجزاه الجزاء الاوفى
قوله ثم يجزاه يجوز في الضمير وجهين اظهرهما ان الضمير المرفوع يعود على الانسان والمنصوب
يعود على سعيه والجزاء مصدر مبين للنوع والثاني قال الزمخشري ويجوز ان يكون الضمير
للجزاء ثم فسره بقوله الجزاء الاوفى او ابدله منه كقوله واسروا النجوى الذين ظلموا قال ابو حيان واذا كان
تفسيرا للضمير المنصوب في يجزاه فعلى ماذا ينتصب واما اذا كان بدلا فهو من ابدال الظاهر
من المضمر وهي مسئلة خلاف والصحيح المنع قال السمين العجب كيف يقول فعلى ما
ذا ينتصب وانتصابه من وجهين اظهرهما [illegible] البيان [illegible]
عليه انه مصدر [illegible] باضمار اعني [illegible]
ايضا [illegible] مثل ذلك تفسيرا او قد منع [illegible] الجزاء الاوفى [illegible] وقال
الجزاء الاوفى [illegible] لانه [illegible] الاو [illegible] الجزاء لا
صفة العمل قال الشهاب [illegible] الاية [illegible]
بلا [illegible] لان الاول [illegible] والثاني [illegible] والثالث الجزاء
الاوفى [illegible] فكيف [illegible] وقد يجاب عنه بانه [illegible] كما تقدم عن
الزمخشري [illegible] هو [illegible] الثلاثة [illegible]
ومثل هذا [illegible] المفعول [illegible]
كما يوصف به الجزاء [illegible] في كلها [illegible] المجاز
وقال ابن الخطيب والجزاء يتعدى الى مفعولين قال تعالى وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا
ويقال جزاك الله خيرا ويتعدى الى الثالث بحرف الجر فيقال جزاه الخير على عمله
الجنة ويحذف الجار ويوصل الفعل فيقال جزاه الخير عمله الجنة **فصل** والجزاء
بالجزاء الاوفى [illegible] يجري الامثال [illegible]
قال الشاعر [illegible]
قال ابن الخطيب والجزاء الاوفى يليق بالمؤمنين الصالحين لان جزاء الطالح [illegible] تعالى
فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا [illegible] او في
فان قيل [illegible] الجزاء [illegible] اي ثم يجزاه [illegible] الجزاء
فكيف يوجد الجزاء عن الصالح [illegible] الظاهر [illegible] الصالحون [illegible]
[illegible] بالاوفى بعد ما ذكرت [illegible]
[illegible] الجزاء الاوفى [illegible] الجنة [illegible] الى الزيادة
[illegible] للذين احسنوا الحسنى وهي الجنة وزيادة وهي الرؤية [illegible]
وان سعيه سوف يرى ثم [illegible] هذا الوجه [illegible] مطلق
غير [illegible] ولا [illegible] به غير رؤية
الله تعالى **فصل** قال [illegible] الاعلى عدم الحمل
عن الوازرة ولا يلزم من ذلك [illegible] الله
ذلك الوزر [illegible] كما
الا [illegible] وقال في حق المحسن ليس للانسان الا ما سعى [illegible]
العبارة الثانية ليس فيها ان له ما سعى [illegible] الاولى [illegible] الى الاستثناء
فقال في حق المسيء بعبارة لا يطمع [illegible] وفي حق المحسن بعبارة يطمع [illegible]
الى سبقت الرحمة للغضب **قوله** وان الى ربك المنتهى [illegible] على فتح ان [illegible]

عليها بمعنى ان الجميع في صحف موسى وابرهيم وقرا ابو السماك بالكسر في الجميع على الابتدا ومعنى الايتان
منتهى الخلق ومصيرهم اليه فيجازيهم باعمالهم وقيل منه ابتدا المنة واليه انتهى الامال وروى
ابو هريرة مرفوعا تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق فان الله لا تحيط به الفكر قال
القرطبي ومن هذا المعنى قوله عليه السلام يأتي الشيطان احدكم فيقول من خلق كذا من خلق
كذا حتى يقول له من خلق ربك فاذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته ولقد احسن من قال
ولا تفكرن في ذا العلي عز وجهه فانك تردى ان فعلت وتخذل
ودونك مصنوعاته فاعتبر بها وقل مثل ما قال الخليل المبجل وقيل المراد من الاية
التوحيد وفي المخاطب وجهان احدهما انه عام تقديره الى ربك ايها السامع او العاقل
والثاني انه خطاب مع النبي عليه السلام فعلى الاول يكون تهديدا وعلى الثاني يكون تسلية
لقلب النبي عليه السلام ويحتمل على الاول ان يكون اللام في المنتهى للعهد الموعود في القران وعلى الثاني
يكون للعموم اي الى ربك كل منتهى فان قيل على هذا الوجه يكون منتهى وعلى الاول
يكون مبتدا فالجواب منتهى الادراكات المدركات فان الانسان اولا يدرك الاشيا
الظاهرة ثم يمعن النظر فينتهي الى الله فيقف عنده قوله وانه هو اضحك وابكى قال
بعضهم هذا فيه البيان بنوع الطباق والتضاد وهو نوع من البديع وهو ان يذكر ضدان
او نقيضان او متنافيان بوجه من الوجوه فاضحك وابكى لا مفعول لهما في هذا الموضع
لانهما مسوقة لقدرة الله تعالى لا لبيان المقدور فلا حاجة الى المفعول كقول القايل فلان
بيده الاخذ والعطا يعطي ويمنع ولا يريد ممنوعا ومعطى فصل اختار هذين
الوصفين المتنافيين لانهما امران لا يعللان فلا يقدر احد من الطبايعيين ان يبين لاختصاص
الانسان بالضحك والبكا وجها وسببا واذا لم يعلل بامر فلا بد له من موجد فهو الله بخلاف
الصحة والسقم فانهم يقولون سببهما اعتدال المزاج وخروجه عن الاعتدال ومما يدل على
ما ذكرنا انهم يعللون الضحك قالوا لقوة التعجب وهو باطل لان الانسان ربما بهت عند
رؤية الامور العجيبة ولا يضحك وقيل لقوة الفرح كما قال بعضهم هجم السرور علي حتى انني
من عظم ما قد سرني ابكاني وايضا فالذي يحزن غاية الحزن قد يضحك وقد تخرج الدمع
من التعجب هذا او الخصوصية لا يقدرون على تعليلها بتعليل صحيح [illegible]
في الطبايع غيره يتخطى الطبيعي كما ينقطع قول المنجم ان الذي [illegible] اسرع الى قدرة الله
وارادته تعمد الصانع الكواكب فصل اذا اقروا بان الحركة بقوله تعالى الى ربك
المنتهى اثبات الوحدانية ففي هذه الايات [illegible] عليه الاسلام من جملتها
قدرة الله تعالى فان من الفلاسفة من يقول بان الله المنتهى وانه واحد لكن يقول بانه
موجب لا قادر فقال تعالى هو اوجد ضدين الضحك والبكا في محل واحد على التعاقب
والتراخي والموت والحيا والذكر والانثى في مادة واحدة وذلك لا يكون الا من قادر
يعترف به كل عاقل [illegible] ان المراد بالايتين [illegible] فهو اشارة الى ان الانسان كما
كان يبكي في الدنيا في بعض الاحوال [illegible] كذلك في الاخرة فصل
هذه الاية تدل على ان كل ما يعمله الانسان فبقضا الله وخلقه حتى الضحك والبكا قال
مجاهد والكلبي اضحك اهل الجنة في الجنة وابكى اهل النار في النار وقال الضحاك اضحك الارض
بالنبات وابكى السما بالمطر وقال عطا بن ابي مسلم يعني افرح واحزن لان الفرح يجلب الضحك
والحزن يجلب البكا فصل روى مسلم عن عايشة قالت لا والله ما قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم قط ان الميت ليعذب ببكا احد ولكنه قال ان الكافر يزيده الله ببكا اهله

عذابا

عذابا وان الله هو اضحك وابكى وما تزر وازرة وزر اخرى وعنها قالت مر النبي عليه السلام على
قوم من اصحابه وهم يضحكون فقال لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فنزل عليه جبريل
عليه السلام فقال يا محمد ان الله يقول لك وانه هو اضحك وابكى فرجع اليهم فقال ما خطوت
اربعين خطوة حتى اتاني جبريل فقال ايت هؤلا وقل لهم ان الله يقول هو اضحك وابكى اي قضى
اسباب الضحك والبكا وقال بسام بن عبد الله اضحك الله اسنانهم وابكى قلوبهم وانشد
السن تضحك والاحشا تحترق وانما ضحكها زور ومختلق يا رب باك بعين لا دموع لها
ورب ضاحك سن ما به رمق وقيل ان الله تعالى خص الانسان بالضحك والبكا من بين سائر
الحيوان وقيل ان القرد وحده يضحك ولا يبكي وان الابل وحدها تبكي ولا تضحك وقال يوسف
بن الحسين سئل طاهر المقدسي اتضحك الملايكة فقال ما ضحكوا ولا كل من دون العرش منذ خلقت
جهنم قوله وانه هو امات واحيا اي امات في الدنيا واحيا للبعث وقال القرطبي قضى
اسباب الموت والحياة وقيل خلق الموت والحياة قاله ابن بحر وقيل امات النطفة واحيا النسمة
وقيل امات الابا واحيا الابنا وقيل امات الكافر بالكفر واحيا المومن بالايمان قال ابن الخطيب
فان قيل [illegible] امات واحيى حتى يعلم ذلك بل المناسب الاحيا والاماتة بنا على الحيوة
والموت نقول فيه وجوه احدها انه على التقديم والتاخير كانه قال احيا وامات ثانيها
هو بمعنى المستقبل فان الامر قريب المستقبل يقال كان فلانا وصل والليل دخل اذا قرب
مكانه وزمانه فكذلك الاحيا والاماتة ثالثها انه خلق الموت والجمود في العناصر ثم ركبها
واحيا اي خلق الحس والحركة فيها قوله وانه خلق الزوجين الذكر والانثى اي من كل حيوان
ولم يرد ادم وحوى لانهما ما خلقا من نطفة وهذا ايضا من جملة المتضادات الواردة
على النطفة فبعضها يخلق ذكرا وبعضها يخلق انثى ولا يصل اليه فهم الطبيعي والذي يقولونه
من البرد والرطوبة في الانثى فرب امراة احر وايبس مزاجا من الرجل فان قيل ما
الحكمة في قوله تعالى وانه خلق ولم يقل وانه هو خلق كما قال وانه هو اضحك وابكى فالجواب
ان الضحك والبكا ربما يتوهم انه بفعل الانسان والاماتة والاحيا وان كان ذلك التوهم ابعد
لكن ربما يقول به جاهل كما قال من حاج ابرهيم عليه السلام فقال انا احيي واميت فاكد
ذلك بالفصل واما خلق الذكر والانثى فلا يتوهم احد انه بفعل احد من الناس فلم يوكد بالفصل
الا ترى الى قوله وانه هو اغنى واقنى حيث كان الاغنا عندهم غير مسند الى الله وكان في معتقدهم
ان ذلك بفعلهم كما قال قارون انما اوتيته على علم عندي ولذلك قال وانه هو رب الشعرى فاكد في
مواضع استبعدوا اسناده الى الله ولم يوكد في غيره واختلفوا في الذكر والانثى هل هما اسمان
مما صفتان او اسمان ليسا بصفة فالمشهور عند اهل اللغة انهما اسمان ليسا بصفتين قال ابن الخطيب
والظاهر انهما من الاسما التي هي صفات فالذكر كالحسن والانثى كالحبلى والكبرى قوله من نطفة
اذا تمنى اي تصب في الرحم يقال منى الرجل وامنى قاله الضحاك وعطا بن ابي رباح وقيل
تقدر يقال منيت الشي اذا قدرته وهذا ايضا تنبيه على كمال القدرة وقيل تقدر يقال
منيت الشي اذا قدرته وهذا ايضا تنبيه لان النطفة جسم متناسب الاجزا ويخلق الله
منها اعضا مختلفة وطباعا متشابهة وخلق الذكر والانثى منها اعجب ما يكون ولهذا لم يقدر
احد على ان يدعيه كما لم يقدر على ان يدعي خلق السموات ولهذا قال تعالى ولين سالتهم من خلقهم
ليقولن الله كما قال تعالى ولين سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قوله وان عليه
النشاة الاخرى اي الخلق الثاني للبعث يوم القيامة قال ابن الخطيب ويحتمل ان يكون المراد
من قوله وان عليه النشاة الاخرى هو نفخ الروح الانسانية فيه كما قال تعالى ثم خلقناه نطفة

في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا
العظام لحما ثم انشاناه خلقا اخر اي غير خلق النطفة علقة والعلقة مضغة والمضغة عظاما
وبهذا الخلق الاخر وهو نفخ الروح يميز الانسان عن انواع الحيوان فكما قال هنا انشاناه
خلقا اخر بعد خلق النطفة قال هنا وان عليه النشاة الاخرى بعد خلق الروح نشاة
اخرى كما جعل هناك انشانا اخر **فان قيل** الاعادة لا تجب على الله فما معنى
قوله تعالى وان عليه فالجواب على مذهب المعتزلة عليه عقلا لان الجزا واجب وذلك لا يتم
الا بالحشر فتجب الاعادة عليه عقلا واما على مذهب اهل السنة ففيه وجهان الاول
عليه بحكم الوعد فانه قال انا نحن نحيي الموتى فعليه بحكم الوعد لا بالعقل ولا بالشرع الثاني
عليه بحكم التعيين فان من حضر بين جمع وحاولوا امرا وعجزوا عنه يقال له وجب عليك اذن
ان تفعله اي تعين لك **فصل** قرى النشا مقصورا انه مصدر بالقصر على وزن
فعلة وهي المرة يقال ضربة وضربتان يعني النشاة مرة اخرى عليه وقرى النشاه بالمد على
انه مصدر على وزن فعالة كالكفالة وكيف ما قرى فهي من نشاه وهو لازم **قوله**
وانه هو اغنى واقنى قال ابو صالح اغنى الناس بالاموال واقنى اعطى القنية واصول
الاموال وما يدخرونه بعد الكفاية وقال الضحاك اغنى بالذهب والفضة وصنوف
الاموال واقنى بالابل والبقر والغنم وقال الحسن وقتادة اخدم وقال ابن عباس اغنى واقنى
اعطى فارضى وقال مجاهد ومقاتل اقنى ارضى بما اعطى وقنع قال الراغب وتحقيقه انه
جعل له قنية من الرضى وقال سليمان التيمي اغنى نفسه وافقر خلقه اليه وقال ابن
زيد اغنى اكثر واقنى اقل وقرا يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وقال الاخفش اقنى افقر
وقال ابن كيسان اولد وقال الزمخشري اقنى اعطى القنية وهي المال الذي تاثلته وعزمت
ان لا تخرجه من يدك قال الجوهري قني الرجل يقنى قنى مثل غني يغنى غنى ثم يتعدى بتغيير
الحركة فيقال قنيت مالا اي كسبته وهو نظير شترت عينه بالكسر وشترها الله بالفتح
فاذا دخلت عليه الهمزة او التضعيف اكتسب مفعولا ثانيا فيقال اقناه الله مالا وقناه اياه
اي اكسبه اياه قال الشاعر كم من غني اصاب الدهر ثروته ومن فقير تقنى بعد اقلال
اي تقنى مالا فحذف الثاني وحذف مفعولا اغنى واقنى لان المراد نسبة هذين الفعلين
اليه وحده وكذلك في باقيها والف اقنى عن ياء لانه من القنية قال الا ان بعد العدم للمرء
قنوة ويقال قنيت كذا واقنيته قال قنيت حياي عفة وتكرما **قوله** وانه هو رب
الشعرى والشعرى في لسان العرب كوكبان يسمى احدهما الشعرى العبور وهو المراد في الاية
الكريمة فان خزاعة كانت تعبدها وسن عبادتها ابو كبشة رجل من ساداتهم فعبدها
وقال لان النجوم تقطع السما عرضا والشعرى تقطعها طولا فهي مخالفة لها فعبدتها خزاعة وحمير
وابو كبشة احد اجداد النبي عليه السلام من قبل امهاته وبذلك كان مشركوا قريش يسمون النبي
عليه السلام ابن ابي كبشة حين دعا الى الله وخالف اديانهم فكانت قريش تقول لرسول الله صلى
الله عليه وسلم ابن ابي كبشة تشبيها بذلك الرجل في انه احدث دينا غير دينهم والشعرى
العبور تطلع بعد الجوزا في شدة الحر ويقال لها مرزم الجوزا ويسمى كلب الجبار وتسمى الشعرى
اليمانية والثاني الشعرى الغميصا وهي التي في الذراع والمجرة بينهما وتسمى الشامية وسبب
تسميتها بالغميصا على ما زعمته العرب في بعض خرافاتها انهما كانا اختين او زوجين لسهيل
فانحدر سهيل الى اليمن فاتبعته الشعرى العبور وعبرت المجرة فسميت العبور واقامت الغميصا
تبكي لفقده حتى غمصت عينها ولذلك كانت اخفى من العبور وقد كان من لا يعبد الشعرى

من العرب يعظمها ويعتقد تاثيرها في العالم قال معي الطول وادنع الجرور واضحت تاوها الشعرى العبور
فصل وهذه الاية اشارة الى فساد قول قوم اخرين لان بعض الناس يذهب الى
ان الفقر والغنى بكسب الانسان واجتهاده فمن كسب استغنى ومن كسل افتقر وبعضهم يذهب
الى ان ذلك بحسب الطالع وذلك بالنجوم فقال هو اغنى واقنى وان قال قايل ان الغنى بالنجوم
فيقال هو رب النجوم ومحركها لقوله تعالى هو رب الشعرى لانكارهم ذلك اكد بالفصل **قوله**
وانه اهلك عادا الاولى اعلم ان هذه الاية الكريمة من اشكل الايات نقلا وتوجيها قال
شهاب الدين وقد يسر الله تعالى تحرير ذلك بحوله وقوته فاقول ان القرا اختلفوا في ذلك
على اربع رتب احدها قرا ابن كثير وابن عامر والكوفيون عادا الاولى بالتنوين مكسورا وسكون
اللام وتحقيق الهمزة بعدها هذا كله في الوصل فاذا وقفوا على عادا وابتدوا بالاولى فقياسهم
ان يقولوا الاولى بهمزة الوصل وسكون اللام وتحقيق الهمزة الثانية فرا قالون عادا لولى
بادغام التنوين في اللام ونقل حركة الهمزة الى لام التعريف وهمز الواو وهذا في الوصل واما
في الابتدا بالاولى فله ثلاثة اوجه الاول الولى بهمزة وصل ثم بلام مضمومة ثم
بهمزة ساكنة الثاني لولى بلام مضمومة ثم بهمزة ساكنة الثالث كابتدا ابن كثير
ومن معه الثالثة قرا ورش عادا لولى بادغام التنوين في اللام ونقل حركة الهمزة اليها
كقالون الا انه ابقى الواو على حالها غير مبدلة بهمزة هذا في الوصل واما في الابتدا فله
وجهان الولى بالهمزة والنقل ولولى بالنقل دون همزة وصل والواو ساكنة على حالها في هذين
الوجهين الرابعة قرا ابو عمرو كورش وصلا وابتدا سوا الا انه يزيد عليه في الابتدا
بوجه ثالث وهو وجه ابن كثير ومن معه فقد تحصل ان لقالون وابي عمرو في الابتدا
ثلاثة اوجه وان لورش وجهين فتامل ذلك فان تحريره صعب المآخذ من كتب القراات
واما توجيهها فيتوقف على معرفة ثلاثة اصول الاول حكم التنوين اذا وقع بعده ساكن
الثاني حكم حركة النقل الثالث اصل اولى ما هو اما الاول فحكم التنوين الملاقي ان يكسر
لالتقا الساكنين نحو قل هو الله احد الله او يحذف تشبيها بحرف العلة كقراة احد الله الصمد
وكقوله ولا ذاكر الله الا قليلا وهو قليل جدا وقد مضى تحقيقه واما الثاني فان للعرب
في الحركة المنقولة مذهبين الاعتداد بالحركة وعدم الاعتداد بها وهي اللغة الغالبة واما
الثالث فاولى تانيث اول وقد تقدم الخلاف في اصله في اول الكتاب فليلتفت اليه اذا
تقررت هذه الاصول الثلاثة فاقول اما قراة ابن كثير ومن معه فانهم صرفوا عادا اما لانه
اسم للحي او الاب فليس فيه ما يمنعه واما لانه وان كان مونثا اسما للقبيلة او الام الا انه مثل
هند ودعد فيجوز فيه الصرف وعدمه فيكون كقوله
لم تتلفع بفضل مئزرها دعد ولم تسق دعد في العلب فصرفها اولا ومنعها ثانيا
ولم ينقلوا حركة الهمزة الى لام التعريف فالتقى ساكنان فكسروا التنوين لالتقايهما على ما هو المعروف
من اللغتين وحذفوا همزة الوصل من الاولى للاستغنا عنها بحركة التنوين وصلا فلما ابتداوا
بها احتاجوا الى همزة الوصل فاتوا بها فقالوا الاولى كنظايرها من همزات الوصل وهذه قراة
واضحة لا اشكال فيها ومن ثم اختارها الجم الغفير واما قراة من ادغم التنوين في لام
التعريف وهما نافع وابو عمرو مع اختلافهما في اشيا كما تقدم فوجهه الاعتداد بحركة النقل
وذلك ان من العرب من اذا نقل حركة الهمزة الى ساكن قبلها كلام التعريف عاملها معاملتها
ساكنة ولا يعتد بحركة النقل فيكسر الساكن الواقع قبلها ولا يدغم فيها التنوين ويابى قبلها
بهمزة الوصل فيقول لم يذهب لحمر ورايت زيادا لجم من غير ادغام التنوين والحمر والنجم

بهمز الوصل لان اللام في حكم السكون وهذه هي اللغة المشهورة ومنهم من يعتد بها فلا يكسر الساكن
الاول ولا يأتي بهمزة الوصل ويدغم التنوين في لام التعريف فيقول لم يذهب لحمر بسكون الباء ولحمر
ولنجم من غير همز وزاد لنجم بتشديد اللام وعلى هذه اللغة جاءت هذه القراءة هذا من حيث
الاجمال واما من حيث التفصيل فاقول اما قالون فانه نقل حركة الى لام التعريف وان
لم يكن من اصله النقل لاجل قصده التخفيف بالادغام ولما نقل الحركة اعتد بها اذ لا يمكن الادغام
في ساكن ولا ما هو في حكمه واما همز الواو ففيه وجهان منقولان احدهما ان يكون اولى اصلها
عنده وُؤلى من وأل اي نجا كما هو قول الكوفيين ثم ابدل الواو الاولى همزة لانها واو مضمومة
وقد تقدم انها لغة مطردة فاجتمع همزتان ثانيتهما ساكنة توجب قلبها واوا نحو اومن
فلما حذفت الهمزة الاولى بسبب نقل حركتها رجعت الثانية الى اصلها من الهمز لانها انما
قلبت واوا من اجل الاولى وقد زالت وهذا تكلف لا دليل عليه والثاني انه لما نقل الحركة
الى اللام صارت الضمة قبل الواو وكانها عليها لان حركة الحرف بين يديه فابدل الواو همزة
كقوله احب المؤقدين الى موسى وكقراءة يؤقنون وهمز السؤق كما تقدم تحريره وهذا ايضا
منه على الاعتداد بالحركة ايضا وليس في هذا الوجه دليل على اصل اولى عنده ما هو فيحتمل
الخلاف المذكور وجميعه واما ابتداؤه الكلمة من غير نقل فانه الاصل ولانه انما نقل في الوصل
لقصده التخفيف بالادغام ولا ادغام في الابتداء فلا حاجة الى النقل واما الابتداء بالنقل
فلانه محمول على الوصل لجري اللفظ فيهما على سنن واحد وعلة اثبات الف الوصل مع النقل
في احد الوجهين ترك الاعتداد بحركة اللام على ما عليه القراءة في نظائره مما وجد فيه النقل
اذ الغرض انما هو جري اللفظ في الابتداء والوصل على سنن واحد وذلك يحصل بمجرد النقل
وان اختلفا في تقدير الاعتداد بالحركة وتركه وعلة ترك الاتيان بالالف في الوجه الثاني
حمل الابتداء على الوصل في النقل والاعتداد بالحركة جميعا ويقوي هذا الوجه رسم الاولى
في هذا الموضع بغير الف والكلام في همز الواو مع النقل في الابتداء كالكلام عليه في الوصل
كما تقدم واما ورش فان اصله ان ينقل حركة الهمزة على اللام في الوصل فنقل على
اصله الا انه اعتد بالحركة ليصح ما قصده من التخفيف بالادغام وليس من اصله الاعتداد
بالحركة في نحو ذلك الا ترى انه يحذف الالف في سيرتها الاولى ويحنها الانثى ولو اعتد
بالحركة لم يحذفها اما ما جاء عنه في بعض الروايات قالوا الان جئت فانه وجه نادر معلل
باتباع الاثر والجمع بين اللغتين والابتداء له بالنقل على اصله في ذلك ايضا والابتداء له
بالف الوصل على ترك الاعتداد بالحركة اذ لا حاجة الى قصده ذلك في الابتداء وترك الاتيان له
بالالف على الاعتداد له بالحركة حملا للابتداء على الوصل وموافقة الرسم ايضا ولا يبتدئ له
بالاصل اذ ليس من اصله ذلك والاولى في قراءته تحتمل الخلاف المذكور في اصلها واما ابو عمرو فالعلة
له في قراءته في الوصل والابتداء كالعلة المتقدمة لقالون الا انه يخالفه في همز الواو ولانه لم يبلغه
حكم ما جاوزها وليست عنده من وال بل من اول فيجيء الوجه كما تقدم الخلاف في اول هذا
الكتاب ويجوز ان يكون اصلها عنده من وال ايضا الا انه عدل في حال النقل مبالغة في التخفيف
او موافقة لحال النقل وقد غلب بعض القراء اعني قراءة الادغام ابو عثمان وابو العباس
ذهابا منهما الى ان اللغة الفصيحة عدم الاعتداد بالعارض ولكن لا التفات الى ردهما
لثبوت ذلك لغة وقراءة وان كان غيرها افصح منها وقد حكي عن العرب انهم يقولون الحمر ولحمر
بهمزة الوصل وعدمها مع النقل والله اعلم وقرأ ابي وهي في حرفه عاد الاولى غير مصروف
ذهابا به الى القبيلة او الام كما تقدم ففيه العلمية والتأنيث ويدل على التأنيث قوله

الاولى

الاولى فوصفها بوصف المؤنث **فصل** عاد الاولى هم قوم هود اهلكوا بريح صرصر وكان
لهم عقب فكانوا عادا الاخرى قال القرطبي سماها الاولى لانهم كانوا قبل ثمود وقيل ان ثمود
من قبل عاد وقال ابن زيد قيل لها عاد الاولى لانها اول امة اهلكت بعد نوح عليه
السلام وقال ابن اسحق هما عادان فالاولى اهلكت بالريح الصرصر ثم كانت الاخرى فاهلكت
بصيحة وقيل عاد الاولى هي عاد بن ارم بن عوص بن سام بن نوح وعاد الثانية من ولد عاد
الاولى والمعنى متقارب وقيل ان عاد الاخرى هم الجبارون وهم قوم هود **قوله** وثمودا
فما ابقى قد تقدم الخلاف في ثمود بالنسبة للصرف وعدمه في سورة هود وفي انتصابه
هنا وجهان احدهما انه معطوف على عادا والثاني انه منصوب بالفعل المقدر اي واهلك
ثمودا قاله ابو البقاء وبه بدأ ولا يجوز ان ينتصب بابقى لان ما بعد ما النافية لا يعمل فيما قبلها
والظاهر ان متعلق ابقى عائد على من تقدم وثمودا اي فما ابقى عليهم اي على عاد وثمود او يكون
التقدير فما ابقى منهم احدا ولا عينا تطرف ويؤيد هذا قوله تعالى فهل ترى لهم من باقية **قوله**
وقوم نوح كالذي قبله ومن قبل اي من قبل عاد وثمود وقوله انهم يحتمل ان يكون الضمير
لقوم نوح خاصة وان يكون لجميع من تقدم من الامم الثلاثة وقوله كانوا هم يجوز في هم ان يكون
تأكيدا وان يكون فصلا ويضعف ان يكون بدلا والمفضل عليه محذوف تقديره من عاد
وثمود على قولنا ان الضمير لقوم نوح خاصة وعلى القول بان الضمير للكل يكون التقدير من غيرهم
من مشركي العرب وان قلنا ان الضمير لقوم نوح خاصة فالمعنى اهلك قوم نوح من قبل عاد
وثمود انهم كانوا هم اظلم واطغى لطول دعوة نوح اياهم وعتوهم على الله بالمعصية والتكذيب
وهم البادئون بالظلم والمتقدمون فيه ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل
بها والبادي اظلم واما الطغي فلانهم سمعوا المواعظ وطال عليهم الامد ولم يرتدعوا حتى دعا
عليهم نبيهم ولا يدعو نبي على قومه الا بعد الاصرار العظيم والظالم واضع الشيء في غير موضعه
والطاغي المجاوز للحد **فان قيل** المراد من الاية تخويف الظالم بالهلاك فاذا
قيل انهم كانوا في غاية الظلم والطغيان فاهلكوا يقول الظالم هم كانوا اظلم فاهلكوا لمبالغتهم
في الظلم ونحن ما بالغنا فلا نهلك فلو قال اهلكوا لظلمهم لخاف كل ظالم فما الفائدة في قوله
اظلم فالجواب ان المقصود بيان شدتهم وقوة اجسامهم بانهم لم يقدروا على الظلم والطغيان
الشديد الا بتمادي ايامهم وطول اعمارهم ومع ذلك ما نجا احد منهم فما حال من هو دونهم في العمر
روي ان الرجل منهم كان يأخذ بيد ابنه فينطلق الى نوح عليه السلام فيقول احذر هذا فانه
كذاب وان ابي قد مشى بي الى هذا وقال لي ما قلت لك فيموت الكبير على الكفر وينشأ الصغير
على وصية ابيه **قوله** والمؤتفكة منصوب باهوى وقدم لاجل الفواصل والمراد بالمؤتفكة
قرى قوم لوط اهوى اسقطها اي اهواها جبريل بعد ما رفعها الى السماء **قوله** فغشاها ما
غشى اي البسها الله ما غشى يعني الحجارة المصورة المسومة وقوله ما غشى كقوله ما اوحى في الابهام
وهو المفعول الثاني ان قلنا ان التضعيف للتعدية وان قلنا انه للمبالغة والتكثير فيكون
فاعلة كقوله فغشيهم من اليم ما غشيهم والمؤتفكة المنقلبة ومنه والمؤتفكات **فان قيل**
اذا كان معنى المؤتفكة المنقلبة ومعنى اهوى قلبها فيكون المعنى والمنقلبة قلبها وقلب
المنقلبة تحصيل الحاصل فالجواب ان معناه المنقلبة ما انقلبت بنفسها بل الله قلبها
فانقلبت **قوله** فباي متعلق بتتمارى والباظرفية بمعنى في والالاء النعم واحدها الى
والى والاو والمعنى فباي نعم ربك تشك وقرأ ابن محيصن ويعقوب تمارى بالحذف كقوله
تذكرون **فصل** قيل هذا ايضا مما في الصحف وقيل هو ابتداء كلام والخطاب عام

والمعنى بأي آلاء اي نعم ربك أيها الانسان تتمارى تشك او تجادل وقال ابن عباس تكذب
وقيل هذا خطاب مع الكافر قال ابن الخطيب ويحتمل ان يقال الخطاب مع النبي عليه السلام ولا
يقال كيف يجوز ان يقول للنبي عليه السلام تتمارى لانا نقول هذا من باب لئن اشركت ليحبطن
عملك يعني لم يبق فيه امكان الشك حتى ان فارضا لو فرض النبي عليه السلام ممن يشك او يجادل في
بعض الامور الخفية لما كان يمكنه المرا في نعم الله والتعميم العموم كقوله تعالى يا ايها الانسان
ما غرك بربك الكريم وقوله وكان الانسان اكثر شيء جدلا **قوله** هذا نذير اشارة
الى ما تقدم من الاي واخبار المهلكين وقيل الى القرآن قال ابن الخطيب وهذا بعيد
لفظا ومعنى اما معنى فلان القرآن ليس من جنس الصحف الاولى لانه معجز وتلك لم تكن معجزة
واما لفظا فلان النذير ان كان كاملا فما ذكره من حكاية المهلكين اولى لانه اقرب ويكون
هذا مبني على حقيقة التبعيض اي هذا الذي ذكرناه بعض ما جرى او يكون لابتداء الغاية
اي هذا انذار من المنذرين المتقدمين يقال هذا الكتاب وهذا الكلام من فلان وقيل
اشارة الى الرسول عليه السلام اي هذا النذير من جنس النذر الاولى اي رسول من الرسل الذين
كما ارسلوا الى اقوامهم وقوله نذير يجوز ان يكون مصدرا وان يكون اسم فاعل وكلاهما لا ينافي
بل القياس في مصدر انذار وفي اسم فاعله منذر والنذر يجوز ان يكون جمعا للنذير بمعنييه
المذكورين والاولى صفة حملا على معنى الجماعة كقوله مآرب اخرى **قوله** ازفت الآزفة
دنت القيمة واقتربت والتعبير بالساعة الآزفة كقوله اقتربت الساعة ويجوز ان تكون
الآزفة علما للقيامة بالغلبة قال ابن الخطيب قوله ازفت الآزفة كقوله تعالى وقعت
الواقعة ويقال كانت الكائنة وهذا الاستعمال يقع على وجهين الاول اذا كان الفاعل
صار فاعلا لمثل ذلك الفعل من قبل ثم فعله مرة اخرى يقال فعل الفاعل كقولك حاكه الحائك
اي من شغله ذلك من قبل فعله الثاني ان يصير الفاعل فاعلا بذلك الفعل يقال اذا
مات الميت انقطع عمله واذا غصب الغاصب [illegible] منها فقوله ازفت الآزفة يحتمل ان
يكون من الاول اي قربت الساعة التي كل يوم تزداد قربا فهي كائنة قريبة وزادت في القرب
ويحتمل ان يكون من الثاني كقوله وقعت الواقعة اي قرب وقوعها فاعل ازفة في الحقيقة
القيمة او الساعة فكانه قال ازفت القيمة الآزفة او الساعة الآزفة قال ابن زيد قلت
لاعرابي ما المحبنطئ قال المتكاكئ قلت ما المتكاكئ قال المتآزف قلت ما المتآزف
قال انت احمق وتركني ومر **قوله** ليس لها من دون الله كاشفة يجوز ان يكون كاشفة
وصفا وان يكون مصدرا فان كانت وصفا احتمل ان يكون التانيث لاجل انه صفة لمونث
محذوف فيحتمل تقديرين نفس كاشفة او حال كاشفة **فان قيل** اذا قدرتها نفس
كاشفة وقوله من دون الله استثنا على المشهور فيكون الله تعالى كاشفة فالجواب من وجوه
الاول لا فساد فيه لقوله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام ولا اعلم ما في نفسك الثاني
ليس صريحا في الاستثنا فيجوز ان لا يكون نفسا الثالث الاستثنا الكاشف المبالغ ويحتمل ان
يكون التا للمبالغة كراوية وعلامة ونسابة اي ليس لها انسان كاشفة اي كثير الكشف وان
كانت مصدرا فهو كالخافية والعافية والعاقبة والمعنى ليس لها من دون الله كشف اي لا
يكشف عنها ولا يظهرها غيره فيكون من كشف الشيء اي عرفه حقيقته كقوله لا يجليها لوقتها
الا هو او بمعنى كشف الضر اي ازالة والمعنى ليس لها من يزيلها ويردها اذا غشيت الخلق اهوالها
وشدائدها لم يكشفها احد عنهم غيره وهذا قول عطا وقتادة والضحاك وتقدم الكلام على مادة
ازف في غافر **ومن** زائدة تقديره ليس لها غير الله كاشفة وهي تدخل على النفي فتؤكد

معناه تقول ما جاءني احد وما جاءني من احد وعلى هذا يحتمل ان يكون فيه تقديم وتاخير
اي ليس لها من كاشفة دون الله فيكون نفيا عاما بالنسبة الى الكواشف ويحتمل ان يكون
غير زائدة والمعنى ليس في الوجود نفس تكشفها اي تخبر عنها كما هي من غير الله يعني من يكشفها
فانما يكشفها من الله لا من غير الله كقولك كشفت الامر من زيد ويحتمل ان تكون بمعنى غير كقوله
تعالى ائفكا آلهة دون الله تريدون اي غير الله **قوله** افمن هذا الحديث تعجبون متعلق
بتعجبون ولا يجي فيه الاعمال لان من شرط الاعمال تاخير المعمول عن العوامل هنا وهو متقدم
وفيه خلاف بعيد وعليه تخريج الابيات الكريمة فان كلا من قوله تعجبون وتضحكون ولا
تبكون يطلب هذا الجار من جهة المعنى والعامة على فتح التا والجيم والضاد من تعجبون
تضحكون والحسن بضم التا وكسر الجيم والحاء من غير واو عاطفة بين الفعلين وهي ابلغ من
حيث انهم اذا اضحكوا غيرهم كان تجرؤهم اكثر وقرا ابي وعبد الله كالعامة الا انهما بلا
واو عاطفة كالحسن فيحتمل ان يكون تضحكون حالا وان يكون استينافا كالتي قبلها **فصل**
قال المفسرون المراد بالحديث القرآن قال ابن الخطيب ويحتمل ان يكون اشارة الى حديث
ازفت الآزفة فانهم كانوا يتعجبون من حشر الاجساد والعظام البالية وقوله وتضحكون اي
استهزاء من هذا الحديث كقوله تعالى في حق موسى عليه السلام فلما جاءهم باياتنا اذا هم منها يضحكون
ويحتمل ان يكون انكارا على مطلق الضحك مع سماع حديث القيمة اي اتضحكون وقد سمعتم
ان القيمة قربت فكان حقا ان لا تضحكوا حينئذ وقوله ولا تبكون مما تسمعون من الوعيد
روي ان النبي عليه السلام ما رئي بعد هذه الاية ضاحكا الا تبسما وقال ابو هريرة لما
نزل قوله افمن هذا الحديث تعجبون الاية قال اهل الصفة انا لله وانا اليه راجعون ثم بكوا
حتى جرت دموعهم على خدودهم فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بكاءهم بكى معهم فبكينا
لبكائه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يلج النار من بكى من خشية الله ولا يدخل الجنة مصر
على معصية الله ولو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولأتى بقوم يذنبون فيغفر لهم ويرحمهم انه هو
الغفور الرحيم **قوله** وانتم سامدون اي غافلون لاهون وهذه الجملة تحتمل ان
تكون مستانفة اخبر الله عنهم بذلك ويحتمل ان يكون حالا اي انتفى عنكم البكا في حال
كونكم سامدون والسمود قيل الاعراض والغفلة عن الشيء وقيل اللهو يقال دع عنا
سمودك اي لهوك رواه الوالبي والعوفي عن ابن عباس وقال الشاعر
۞ الا ايها الانسان انك سامد ۞ كانك لا تفنى ولا انت هالك ۞ فهذا بمعنى اللاعب
وقيل الجمود وقيل الاستكبار قال ۞ رمى الحدثان نسوة آل سعد ۞ بمقدار سمدن له سمودا ۞
۞ فرد شعورهن السود بيضا ۞ ورد وجوههن البيض سودا ۞ فهذا بمعنى الجمود والخشوع
وقال عكرمة وابو عبيدة السمود الغنا بلغة حمير يقولون يا جارية اسمدي لنا اي
غني لنا وكانوا اذا سمعوا القرآن تغنوا ولعبوا وقال الضحاك اشرون وقال مجاهد
غضاب يتبرطمون وقال الراغب السامد اللاهي الرافع راسه من قولهم بعير سامد
في سيره وقيل سمد راسه وسبده اي استاصل شعره وذكر باسم الفاعل لان الغفلة دائمة
واما الضحك والعجب فهما امران يتجددان ويعدمان وقال الحسن سامدون اي
واقفون للصلوة قبل وقوف الامام لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه خرج والناس
ينتظرونه قياما فقال ما لي اراكم سامدون حكاه الماوردي وروى المهدوي عن علي انه
خرج الى الصلوة فراى الناس قياما فقال ما لكم سامدون وروى وكيع عن علي ان معنى سامدون
ان يجلسوا غير مصلين ولا منتظرين الصلوة وتمهيد الارض ان يجعل فيها السماد وهو سرجين

ودماد واسماد الرجل بالجهل اسمد اسمادا اي ودم غضبا **قوله** فاسجدوا لله واعبدوا وهذا
الامر يحتمل ان يكون عاما وان يحتمل انه يكون للمؤمنين اي اشتغلوا بالعبادة ولم يقل واعبدوا
الله اما لكونه معلوما من قوله فاسجدوا لله واما لان العبادة في الحقيقة لا تكون الا لله روي
عكرمة عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم سجد بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون
والجن والانس وروي عن عبد الله قال اول سورة انزلت فيها السجدة النجم فسجد رسول الله صلى
الله عليه وسلم وسجد من خلفه الا رجلا رايته اخذ كفا من تراب فسجد عليه فرايته بعد
ذلك قتل كافرا وهو امية بن خلف وعن زيد بن ثابت قال قرات على النبي صلى الله عليه وسلم والنجم
فلم يسجد فيها وهذا يدل على ان سجود التلاوة غير واجب قال عمر بن الخطاب ان الله لم يكتبها علينا
الا ان نشاء وهو قول الشافعي واحمد وذهب قوم الى انه واجب على القارئ والمستمع جميعا وهو قول
سفيان الثوري واصحاب الراي وروى الثعلبي في تفسيره عن ابي بن كعب قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النجم اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد
وكذب به **سورة القمر مكية** في قول الجمهور وقال مقاتل مكية الا ثلاث
ايات ام يقولون نحن جميع منتصر الى قوله والساعة ادهى وامر والصحيح الاول وهي خمس وخمسون
اية وثلثمائة واثنتان واربعون كلمة والف واربعمائة وثلاثة وعشرون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر اول هذه السورة مناسب لاخر ما قبلها
وهو قوله تعالى ازفت الازفة فكانه اعاد ذلك مستدلا عليه بقوله ازفت الازفة وهو حق اذ
القمر انشق بقوله وانشق القمر ماض على حقيقته وهو قول عامة المسلمين الا من لا يلتفت الى
قوله وقد صح في الاخبار ان القمر انشق على عهده عليه السلام مرتين روى انس بن مالك ان اهل
مكة سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يريهم اية فاراهم القمر شقتين حتى راوا حراء بينهما
وقال سنان عن قتادة فاراهم انشقاق القمر مرتين وعن ابن مسعود قال انشق القمر على
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اشهدوا وان قال ابو الضحى عن مسروق عن عبد الله لم ينشق بمكة وقال مقاتل انشق
القمر ثم التام بعد ذلك وروى ابو الضحى عن مسروق عن عبد الله قال انشق القمر على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالت قريش سحركم ابن ابي كبشة فسلوا السفار فسالوهم فقالوا نعم قد
رايناه فانزل الله عز وجل اقتربت الساعة وانشق القمر وقيل انشق بمعنى سينشق يوم القيامة فاوقع
الماضي موقع المستقبل لتحققه وهو خلاف الاجماع وقيل الشق بمعنى انفلق عنه الظلام عند
طلوعه كما يسمى الصبح فلقا وانشد للنابغة فلما ادبروا ولهم دوي دعانا عند شق الصبح داعي
ولما ذكرنا من كونه شبيها على متعنت **قوله** وان يروا اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر اي ذاهب
سوف يذهب ويبطل من قولهم مر الشيء واستمر اذا ذهب مثل قولهم قر واستقر قاله
مجاهد وقتادة مثل انهم بذلك وقيل مستمر اي دائم فان محمدا عليه السلام كان ياتي كل زمان
بمعجزة فقالوا هذا سحر مستمر دائم لا يختلف بالنسبة الى شيء بخلاف سحر السحرة فان بعضهم يقدر
على امر وامرين وثلاثة ويعجز عن غيرها وهو قادر على الكل قاله الزمخشري ومنه قول
الشاعر الا انما الدنيا ليال واعصر وليس على شيء قويم بمستمر اي بدائم باق وقيل معناه شديد
المرارة قال الزمخشري اي مستبشع عندنا مر على لهواتنا لا نقدر ان نسيغه كما لا نسيغ المر انتهى
يقال مر الشيء بنفسه ومر غيره فيكون متعديا ولازما ويقال امر ايضا وقال ابو العالية
والضحاك مستمر اي قوي شديد من قولهم مر الحبل اذا صلب واشتد وامررته اذا احكمت فتله
واستمر الشيء اذا قوي واستحكم قال لقيط حتى استمرت على شزر مريرته صدق العزيمة لا رتا ولا ضرعا

والمراد

والمراد بقوله اية هي اقتراب الساعة فان انشقاق القمر من اياته وقد راوه وكذبوا فلن يؤمنوا
بغيرها ايضا بعرضون او اية النبوة فانه معجزة اما كونه معجزة ففي غاية الظهور واما كونه اية
فلان منكر خراب العالم ينكر انشقاق السماء وانفطارها وكل كوكب فاذا انشق بعضها كان ذلك
مخالفا لقوله بجواز خراب العالم والمراد بها ولا بد المتاخرين المرضيين ثم الكفار والتنكير في
قوله اية للتعظيم اي اية قوية او عظيمة يعرضوا قال ابو حيان ومعنى مستمر اي يشبه بعضه
بعضا اي استمرت افعاله على هذه الحالة وهذا راجع الى الدوام المتقدم ذكره وفي هذه الجملة
الشرطية تنبيها على ان حالهم في المستقبل كحالهم في الماضي وقري يروا مبنيا للمفعول من
اري **قوله** وكذبوا واتبعوا اهواءهم اي كذبوا النبي صلى الله عليه وسلم وما عاينوا من قدرة
الله عز وجل واتبعوا ما زين لهم الشيطان من الباطل وكذبوا بالاية وهي انشقاق القمر واتبعوا
اهواءهم في انه سحر القمر وانه خسوف في القمر وظهور شيء في جانب اخر من الجو يشبه نصف القمر
وانه سحر اعيننا والقمر لم يصبه شيء فهذا اهواؤهم **قوله** وكل امر مستقر العامة على كسر القاف
ورفع الراء اسم فاعل ورفعه خبر الكل الواقع مبتدأ وقرا شيبة بفتح القاف ويروى عن نافع
قال ابو حاتم لا وجه لها وقد وجهها غيره على حذف مضاف اي وكل امر ذو استقرار او زمان
استقرار او مكان استقرار فجاز ان يكون مصدرا وان يكون ظرفا زمانيا او مكانيا قال معناه
الزمخشري وقرا ابو جعفر وزيد بن علي بكسر القاف وجر الراء وفيها اوجه احدها ولم يذكر الزمخشري
غيره ان يكون صفة لامر ويرتفع كل حينئذ بالعطف على الساعة فيكون فاعلا اي اقتربت
الساعة وكل امر مستقر قال ابو حيان وهذا بعيد لوجود الفصل بجمل ثلاث وبعيد ان
يوجد مثل هذا التركيب في كلام العرب نحو اكلت خبزا وضربت خالدا وان يجيء زيد اكرمه
ورحل الى بني فلان ولحما فيكون ولحما معطوفا على خبزا بل لا يوجد مثله في كلام العرب انتهى قال
شهاب الدين واذا دل دليل على المعنى فلا نبالي بالفواصل واين فصاحة القران من هذا التركيب
الذي ركبه هو حتى يقيسه عليه في المنع الثاني ان يكون مستقر خبرا لكل امر وهو مرفوع الا انه
خفض على الجوار قاله ابو الفضل الرازي وهذا لا يجوز لان الجوار انما جاء في النعت او العطف
على خلاف في اثباته كما تقدم في سورة المائدة فكيف يقال به في خبر المبتدا هذا ما لا يجوز الثالث
ان خبر المبتدا قوله حكمة بالغة اخبر عن كل امر مستقر بانه حكمة بالغة ويكون قوله ولقد جاءهم
من الانباء ما فيه مزدجر جملة اعتراض بين المبتدا وخبره الرابع ان الخبر مقدر فقدره
ابو البقاء معمول به او اتي وقدره غيره بالغوه لان قبله وكذبوا واتبعوا اهواءهم اي وكل
امر مستقر لهم في القدر من خير او شر بالغوه **فصل** قال الكلبي وكل امر مستقر اي
لكل امر حقيقة ما كان منه في الدنيا فسيظهر وما كان منه في الاخرة فسيعرف وقال قتادة
وكل امر مستقر فالخير مستقر باهل الخير والشر باهل الشر وقيل كل امر من خير او شر مستقر قراره
فالخير مستقر باهله في الجنة والشر مستقر باهله في النار وقيل مستقر قول المصدقين والمكذبين حتى
يعرفوا حقيقته بالثواب والعقاب وقال مقاتل لكل حديث منتهى وقيل ما قدر كائن لا محالة
وقيل كل امر مستقر على سنن الحق يثبت والباطل يزهق فيكون ذلك تهديدا لهم وتسلية للنبي
عليه السلام وهو كقوله تعالى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم وقيل كل امر مستقر في علم الله تعالى
لا يخفى عليه شيء فهم كذبوا واتبعوا اهواءهم والانبياء صدقوا وبلغوا كقوله تعالى لا يخفى على الله منهم شيء
وكقوله وكل شيء فعلوه في الزبر وكل صغير وكبير مستطر وقيل هو جواب لقولهم سحر مستمر اي بل كل
امر مستقر **قوله** ولقد جاءهم من الانباء يعني اهل مكة من اخبار الامم المكذبة والقران ما فيه
مزدجر اي متناهي **قوله** مزدجر يجوز ان يكون فاعلا بفيه لانه وقع صلة وان يكون

مبتدا وفيه الخبر والدال بدل من تا الافتعال واصله مزتجر قلبت التا دالا وقد تقدم ان
تا الافتعال تقلب دالا بعد الزاي والدال والذال لان الزاي حرف مجهور والتا حرف
مهموس فابدلوها الي حرف مجهور قريب من التا وهو الدال ومزدجر هنا اسم مصدر اي ازدجار
او اسم مكان اي موضع ازدجار والمعنا فيه نهي وعظة يقال زجرته وازدجرته اذا نهيته
عن السو وقري مزجر بقلب تا الافتعال زايا وادغم وزيد بن علي مزجرا اسم فاعل من ازجر
اي صار ذا زجر كاعشب اي صار ذا عشب **والانبا** هي الاخبار العظام التي لها وقع
كقول الهدهد وجيتك من سبا بنبا يقين لانه كان خبرا عظيما له وقع وخطر وقال تعالي
ان جاكم فاسق بنبا اي بامر غريب وانما يجب التثبت فيما يتعلق به حكم ويترتب عليه
امر ذو بال وقال تلك من انبا الغيب نوحيها اليك والمراد بالانبا هنا اخبار المهلكين
المكذبين وقيل المراد القران قال ابن الخطيب وفي ما وجهان احدهما انها موصولة اي جاكم
الذي فيه مزدجر الثاني انها تكون نكرة موصوفة اي جاكم من الانبا شي موصوف بان فيه
مزدجر **قوله** حكمة فيه وجهان احدهما انه بدل من ما فيه مزدجر كانه قيل ولقد جاهم
حكمة بالغة من الانبا وحينيذ يكون بدل كل من كل او بدل الاشتمال الثاني انه يكون خبر مبتدا
مضمر اي هو حكمة اي ذلك الذي جاهم من ارسال الرسل وايضاح الدلايل والانذار لمن مضي
او اشارة لما فيه الانبا انه حكمة او اشارة الي الساعة المقتربة وقد تقدم انه يجوز علي قراة
ابي جعفر وزيد ان يكون خبر الكل امر مستقر وقري حكمة بالنصب حالا من ما قال الزمخشري
فان قلت ان كانت ما موصولة ساغ لك ان تنصب حكمة حالا فكيف تعمل ان كانت موصوفة
وهو الظاهر قلت تخصصها بالصفة فيحسن نصب الحال عنها انتهي وهو سوال واضح لانه يصير
النكرة يرجاهم من الانبا شي فيه ازدجار فيكون منكرا وتنكير ذي الحال قبيح **قوله** فما
تغني النذر يجوز في ما ان تكون استفهامية وتكون في محل نصب مفعولا مقدما اي اي شي
تغني النذر وان تكون نافية اي لم تغن النذر شيا **والنذر** جمع نذير والمراد به
المصدر او اسم الفاعل كما تقدم في اخر النجم وكتب تغن تباعا للفظ الوصل فانها ساقطة لالتقا
الساكنين قال بعض النحويين وانما حذفت اليا من تغني حملا لما علي لم فجزمت كما تجزم لم قال
مكي وهذا خطا لان لم تنفي الماضي وترد المستقبل ماضيا وما تنفي الحال فلا يجوز ان تقع احديهما
موقع الاخري لاختلاف معنييهما **فصل** المعني ان القران حكمة بالغة تامة قد بلغت
الغاية وقوله فما تغن النذر ان كانت ما نافية فالمعني ان النذر لم يبعثوا ليغنوا ويلجيوا
قومهم الي الايمان وانما ارسلوا مبلغين كقوله تعالي فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا وما
علي الرسول الا البلاغ ويويد هذا قوله فتول عنهم وان كانت استفهامية فالمعني واي شي تغن
النذر اذا خالفوهم وكذبوهم كقوله وما تغن الايات والنذر عن قوم لا يومنون اي انك اتيت
بما عليك من الدعوي وكذبوا بها وانذرتهم بما جري علي المكذبين فلم يفدهم فهذه حكمة بالغة
وما الذي تغن النذر غير هذا فلم يبق عليك شي اخر فتول عنهم **قوله** فتول عنهم اي اعرض
عنهم قال اكثر المفسرين نسخها اية السيف قال ابن الخطيب ان قول المفسرين في قوله فتول
منسوخ ليس كذلك بل المراد منه لا تناظرهم بالكلام **قوله** يوم يدع الداع يوم منصوب
اما باذكر مضمرة وهو اقربها واليه ذهب الرماني والزمخشري واما بيخرجون بعده واليه ذهب
الزمخشري ايضا واما بقوله فما تغن ويكون قوله فتول عنهم اعتراضا واما منصوبا بقوله يقول
الكافرون وفيه بعد لبعده منه وقيل تم الكلام عند قوله فما تغن النذر ويبتدا بقوله فتول
عنهم يوم يدع الداع فيكون منصوبا بقوله فتول وهو ضعيف جدا لان المعني ليس بالتولية

عنهم

عنهم في يوم النفخ في الصور واما منصوب بحذف الخافض اي فتول عنهم الي يوم قاله الحسن وضعف
من حيث اللفظ ومن حيث المعني اما اللفظ فلان اسقاط الخافض غير منقاس واما المعني
فليس توليه عنهم مغيا بذلك الزمان واما بانظر مضمرا فهذه ستة اوجه في ناصب يوم
قال القرطبي ومنصوب بخشعا او علي حذف حرف الفا وما عملت فيه من جواب الامر
تقديره فتول عنهم فان لهم يوم يدع الداع وقيل اي تول عنهم يا محمد فقد اقمت الحجة وابصرهم يوم
يدع الداع وقيل اعرض عنهم يوم القيمة ولا تسال عنهم وعن احوالهم فانهم يدعون الي شي نكر
وينالهم عذاب شديد كقولك لا تسال ما جري علي فلان اذا اخبرته بامر عظيم وقيل اي
وكل امر مستقر يوم يدع الداعي وحذفت الواو من يدع خطا اتباعا للفظ كما تقدم في تغن
ويمح الله الباطل وشبهه واليا من الداع مبالغة في التخفيف اجرا لال مجري ما عاقبها وهي
التنوين فكما تحذف اليا مع التنوين كذلك مع ما عاقبها **فصل** والداعي معرف
كالمنادي في قوله يوم يناد المناد لانه معلوم قد اخبر عنه فقيل ان مناديا ينادي
ود اعيا يدعوا فقيل الداعي اسرافيل ينفخ قايما علي صخرة بيت المقدس قاله مقاتل وقيل
جبريل وقيل ملك موكل بذلك والتعريف حينيذ لا يقطع حد العلمية ويكون كقولنا جا رجل
فقال الرجل قاله ابن الخطيب **قوله** الي شي نكر العامة علي ضم الكاف وهو صفة علي فعل
وفعل في الصفات عزيز ومنه امر نكر ورجل شلل وناقة اجد وروضة انف وشيء
سحج وقرا ابن كثير بسكون الكاف فيحتمل ان يكون اصلا وان يكون مخففا من قراة الجماعة وقد
تقدم هذا الحرف في البقرة والعسر في سورة المايدة وهي الشي الشديد نكرا لان النفوس تنكره قال
مالك بن عوف اقدم بجاح انه يوم نكر مثلي علي مثلك تحمي وتكر وقرا زيد بن علي والجحدري
وابو قلابه نكر فعلا ماضيا مبنيا للمفعول لان نكر يتعدي قال تعالي نكرهم واوجست
فصل المعني الي شي منكر فظيع لم يروا مثله فينكرونه استعظاما قال ابن الخطيب
وهو يحتمل وجهين احدهما ان المعني الي شي نكر في يومنا هذا لانهم انكروه اي يوم يدع الداعي
الي الشي الذي انكروه يخرجون الثاني ان المعني منكرا اي يقول القايل كان ينبغي ان لا يقع ولا
يكون لان المنكر من شانه ان لا يوجد يقال فلان ينهي عن المنكر وعلي هذا فهو عندهم كان
ينبغي ان لا يقع لانه يرديهم في الهاوية **فان قيل** ما ذلك الشي المنكر فالجواب
بانه الحساب او الجمع او النشر **فان قيل** النشر لا يكون منكرا فانه احيا ولان الكافر
من اين يعرف وقت النشر ما يجري عليه لينكره فالجواب انه يعلم ذلك لقوله تعالي عنهم ياويلنا
من بعثنا من مرقدنا **قوله** خاشعا ابصارهم قرا ابو عمرو والاخوان خاشعا وباقي
السبعة خشعا فالقراة الاولي جارية علي اللغة الفصحي من حيث ان الفعل وما جري مجراه
اذا قدم علي الفاعل وحد تقول تخشع ابصارهم ولا تقول تخشعن ابصارهم وانشد
وشباب حسن اوجههم من اياد بن نزار بن معد وقال اخر
ترمي الفجاج بها الركبان معترضا اعناق بزلها مرخي لها الجدل واما الثانية
فجات علي لغة طي يقولون اكلوني البراغيث وقد تقدم القول علي هذا في المايدة والانبيا
ومثله قوله بمطرد لدن صحاح كعوبه وذي رونق عضب يقد القوانسا قيل وجمع
التكسير في اللغة في مثل هذا اكثر من الافراد وقرا ابي وعبد الله خاشعة علي تخشع وقال
الزمخشري وخشعا علي يخشعن ابصارهم وهي لغة من يقول اكلوني البراغيث وهم طي قال
ابو حيان ولا يجري جمع التكسير مجري جمع السلامة فيكون علي تلك اللغة النادرة القليلة
ولذا قال الزاجين ذكر الافراد مذكرا ومونثا وجمع التكسير قال لان الصفة متي تقدمت

على الجماعة جاز فيها جميع ذلك والجمع موافق للفظها فكان أشبه قال أبو حيان وإنما يخرج على تلك
اللغة إذا كان الجمع جمع سلامة نحو مررت بقوم كريمين آباؤهم والزمخشري قاس جمع التكسير على جمع
السلامة وهو قياس فاسد يرده النقل عن العرب أن جمع التكسير أجود من الإفراد كما ذكره
سيبويه ودل عليه كلام الفراء قال شهاب الدين وقد خرج الناس قول امرئ القيس
° وقوفاً بها صحبي على مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتجمل ° على أن صحبي فاعل بوقوفاً وهو جمع
واقع في أحد القولين في وقوفاً وفي انتصاب خاشعاً وخشعاً وخاشعة أوجه أحدها أنه
مفعول به وناصبه يدع الداعي وهو في الحقيقة لموصوف محذوف تقديره فريقاً خاشعاً
أو فوجاً خاشعاً والثاني أنه حال من فاعل يخرجون المتأخر عنه ولما كان العامل متصرفاً
جاز تقدم الحال عليه وهو رد على الجرمي حيث زعم أنه لا يجوز ورد عليه أيضاً بقول العرب
° شتى يؤوب الحلبة ° فشتى حال من الحلبة وقال الشاعر
° سريعاً يهون الصعب عند أولي النهى إذا برجاء صادق قابلوا البأسا ° الثالث أنه
حال من الضمير في عنهم ولم يذكر مكي غيره الرابع أنه حال من مفعول يدعو المحذوف
تقديره يوم يدعوهم الداعي خشعاً فالعامل فيها يدعو قاله أبو البقاء وارتفع أبصارهم
على وجهين أظهرهما الفاعلية بالصفة قبله الثاني على البدل من الضمير المستتر في خشعاً
لأن التقدير خشعاً هم وهذا إنما يأتي على قراءة خشعاً فقط وقرئ خشع أبصارهم على أن
خشعاً خبر مقدم وأبصارهم مبتدأ والجملة في محل نصب على الحال وفيه الخلاف المذكور من
قبل كقوله ° وجدته حاضراه الجود والكرم ° فصل قال ابن الخطيب لما حكى نصب
خشعاً قال إنه منصوب على أنه مفعول بقوله يدعو أي يوم يدعو الداعي خشعاً فإن قيل
هذا فاسد من وجوه أحدها أن التخصيص لا فائدة فيه لأن الداعي يدعو كل أحد ثانيها قوله
يخرجون من الأجداث بعد الدعاء فيكونون خشعاً قبل الخروج وهو باطل ثالثها قراءة خاشعة
يبطل هذا نقول أما الجواب عن الأول فإن قوله إلى شيء نكر يدفع ذلك لأن كل أحد لا يدعى
إلى شيء نكر وعن الثاني المراد من الشيء النكر الحساب العسير يعني يوم يدع الداعي إلى الحساب العسير
خشعاً ولا يكون العامل في يوم يدعو يخرجون بل اذكروا أو فما تغن النذر كقوله تعالى فما
تنفعهم شفاعة الشافعين ويكون يخرجون ابتداء كلام وعن الثالث أنه لا منافاة بين القراءتين
وخاشعاً نصب على الحال أو على أنه مفعول يدعو كأنه يقول يدعو الداعي قوماً خاشعة
أبصارهم والخشوع السكون كما قال تعالى وخشعت الأصوات وخشوع الأبصار سكونها على حال
لا تنقلب يمنة ولا يسرة كقوله تعالى لا يرتد إليهم طرفهم وقيل خاشعة أي ذليلة خاضعة عند رؤية
العذاب قوله يخرجون يجوز أن يكون حالاً من الضمير في أبصارهم وأن يكون مستأنفاً
والأجداث القبور وقد تقدم في يس وقوله كأنهم جراد وهذه الجملة يجوز أن تكون حالاً من فاعل
يخرجون أو مستأنفة فمثلهم بالجراد المنتشر في الكثرة والتموج وقيل معنى منتشر أي منبث حائر
ونظيره قوله تعالى كالفراش المبثوث والمعنى أنهم يخرجون فزعين لا جهة لأحد منهم يقصدها كالجراد
لا جهة لها تكون مختلطة بعضها في بعض وذكر المنتشر على لفظ الجراد قال ابن الخطيب ويحتمل أن
يقال المنتشر مطاوع نشره إذا أحياه قال تعالى ثم إذا أنتم بشر تنتشرون فكأنهم جراد يتحرك من الأرض
ويدب إشارة إلى كيفية خروجهم من الأجداث وضعفهم قال القرطبي قوله تعالى كأنهم جراد منتشر
مهطعين إلى الداعي وقال في موضع آخر يوم يكون الناس كالفراش المبثوث فهما صفتان في وقتين مختلفين
أحدهما عند الخروج من القبور يخرجون فزعين لا يهتدون أين يتوجهون فيدخل بعضهم في بعض
حينئذ كالفراش المبثوث بعضهم في بعض لا جهة له يقصدها فإذا سمعوا المنادي قصدوه فصاروا

كالجراد

كالجراد المنتشر لأن الجراد لها جهة تقصدها قوله مهطعين حال أيضاً من اسم كأن أو من فاعل
يخرجون عند من يرى تعدد الحال قال أبو البقاء ومهطعين حال من الضمير في منتشر عند قوم وهو
بعيد لأن الضمير في منتشر للجراد وإنما هو حال من فاعل يخرجون أو من الضمير المحذوف وفي انتهى وهو
اعتراض حسن على هذا القول والإهطاع الإسراع وأنشد ° بمهطع دارهم ولقد أراهم بدجلة مهطعين
وقيل الإسراع مع مد العنق وقيل النظر قاله ابن عباس وأنشد ولي
° تعبدني نمر بن سعد وقد أرى ونمر بن سعد لي مطيع ومهطع ° وقد تقدم الكلام على
هذه المادة في سورة إبراهيم قال الضحاك مقبلين وقال قتادة عامدين وقال عكرمة
فاتحين آذانهم إلى الصوت قوله يقول الكافرون قال أبو البقاء حال من الضمير في مهطعين وفيه
نظر من حيث خلو الجملة من رابط يربطها بذي الحال وقد يجاب بأن الكافرون هم الضمير في
المعنى فيكون من باب الربط بالاسم الظاهر عند من يرى ذلك كأنه قيل يقولون هذا وإنما
أبرزهم تشنيعاً عليهم بهذه الصفة القبيحة وقولهم هذا يوم عسر أي صعب شديد قوله
كذبت قبلهم مفعول محذوف أي كذبت الرسل لأنهم لما كذبوا نوحاً فقد كذبوا جميع الرسل ولا يجوز
أن تكون المسألة من باب التنازع إذ لو كان منه لكان التقدير كذبت قبلهم قوم نوح عبدنا
فكذبوه ولو لفظ بهذا لكان تأكيداً إذ لم يفد غير الأول وشرط التنازع أن لا يكون الثاني تأكيداً
ولذلك منعوا أن يكون قوله ° أتاك أتاك اللاحقون احبس احبس ° من ذلك وفي كلام الزمخشري
ما يجوزه فإنه أخرجه عن التأكيد فقال فإن قلت ما معنى قوله فكذبوا بعد قوله كذبت
قلت معناه كذبوا فكذبوا عبدنا أي كذبوه تكذيباً عقب تكذيب كلما مضى منهم قرن مكذب
تبعه قرن مكذب وهذا معنى حسن يسوغ معه التنازع فصل لما فرغ من حكاية كلام
الكافرين ذكر علامات الساعة أعاد ذكر بعض الأنباء فقال كذبت قبلهم قوم نوح أي قبل أهل
مكة واعلم أن إلحاق الضمير المؤنث بالفعل قبل ذكر الفاعل جائز وحسن بالاتفاق وإلحاق ضمير الجمع
بالفعل قبيح عند الأكثرين فلا يجوزون كذبوا قوم نوح ويجوزون كذبت فما الفرق قال ابن الخطيب
لأن التأنيث قبل الجمع لأن الأنوثة والذكورة للفاعل أمر لا يتبدل ولم تحصل الأنوثة للفاعل
بسبب فعله بخلاف الجمع لأن الجمع للفاعل بسبب فعلهم فإن قيل ما الفائدة في
قوله تعالى فكذبوا عبدنا بعد قوله كذبت قال ابن الخطيب الجواب عنه من وجوه الأول
أن قوله كذبت قوم نوح أي بآياتنا فكذب هؤلاء عبدنا بآية الانشقاق فكذبوك الثاني
كذبت قوم نوح المرسلين وقالوا لم يبعث الله رسولاً وكذبوهم في التوحيد فكذبوا عبدنا كما كذبوا
غيره وذلك لأن قوم نوح كانوا مشركين يعبدون الأصنام ومن يعبد الأصنام يكذب كل
رسول وينكر الرسالة لأنه يقول لا تعلق لله بالعالم السفلي وإنما أمره إلى الكواكب فكان فيهم
التكذيب فكذبوك الثالث أن قوله تعالى فكذبوا عبدنا للتصديق والرد عليهم تقديره
كذبت قوم نوح فكان تكذيبهم تكذيب عبدنا أي لم يكن تكذيباً بحق فإن قيل لو قال
فكذبوا رسولنا كان أدل على قبح فعلهم فما الفائدة في اختيار لفظ العبد فالجواب أن قوله
عبدنا أدل على صدقه وقبح تكذيبهم من قوله رسولنا لأن العبد أخوف وأقل تحريفاً لكلام السيد
من الرسول فيكون كقوله ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين
قوله وقالوا مجنون مجنون خبر ابتداء مضمر أي هو مجنون وهذا إشارة إلى أنه أتى بالآيات
الدالة على صدقه حيث رأوا ما عجزوا عنه وقالوا مصاب بالجن أو زيادة بيان لقبح صنيعهم حيث
لم يقنعوا بتكذيبهم بل قالوا مجنون أي يقول ما لا يقبله عاقل والكاذب العاقل يقول ما يظن
به صدقه فيكون قولهم مجنون مبالغة في التكذيب قوله وازدجر الدال في ازدجر بدل

اي الاسماع

من تلك لما تقدم وهل هو من مقولهم اي قالوا انه ازدجر اي ازدجرته الجن وذهبت بلبه قاله
مجاهد او هو من كلام الله تعالى اخبر عنه بانه انتهر وزجر بالسب وانواع الاذى وقالوا لئن لم
تنته لتكونن من المرجومين قال ابن الخطيب وهذا اصح لان المقصود تقوية قلب النبي صلى الله
عليه وسلم بذكر من تقدمه وايضا ترتب عليه قوله تعالى فدعا ربه وهذا الترتيب في غاية
الحسن لانهم لما زجروه وانزجر هو عن دعايهم دعا ربه اني مغلوب **قوله** اني مغلوب العامة
على فتح الهمزة اي دعاه باني مغلوب وجاهدا على حكاية المعنى ولو جا على حكاية اللفظ لقال انه
مغلوب وهما جايزان وقرا ابن ابي اسحق والاعمش ورويت عن عاصم بالكسر اما على اضمار القول اي فقال
فسره الدعا وهو مذهب البصريين واما اجرا الدعا مجرى القول وهو مذهب الكوفيين **فصل**
في معنى مغلوب وجوه احدها غلبني الكفار فانتصر لي منهم ثانيها غلبتني نفسي وحملتني على الدعا
عليهم فانتصر لي من نفسي قاله ابن عطية وهو ضعيف ثالثها انه يقال ان النبي لا يدعوا على قومه
ما دام في نفسه احتمال وحلم واحتمال نفسه يمتد ما دام الايمان منهم محتملا ثم ان ياسه تحصل
والاحتمال والحلم يفر البارين بدليل قوله لمحمد عليه السلام لعلك باخع نفسك فلا تذهب
نفسك عليهم حسرات وقال لنوح عليه السلام ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون فقال
نوح يا الهي ان نفسي غلبتني وقد امرتني بالدعا عليهم فاهلكهم فيكون معناه مغلوب بحكم البشرية
اي غلبت وعيل صبري فانتصر لي منهم لا من نفسي قال ابن الخطيب وهذا الوجه مركب من
الوجهين وهو احسنها وقوله فانتصر اي انتصر لي او لنفسك فانهم كفروا بك او انتصر للحق **قوله**
ففتحنا تقدم الخلاف في فتحنا في الانعام والمراد من الفتح والابواب والسما حقايقها وان للسما
ابواب تفتح وتغلق قال علي رضي الله عنه هي المجرة وهي شرج السما ومنها فتحت بما منهمر وقيل
هذا على سبيل الاستعارة فان الظاهر ان الما كان من السحاب فهو كقول القايل في المطر الوابل
جرت ميازيب السما وفي قوله ففتحنا بيان بان الله انتصر منهم وانتقم بما لا بجند انزله ومن
العجب انهم كانوا يطلبون المطر سنين فاهلكهم الله بمطلوبهم **قوله** بما منهمر في البا
وجهان اظهرهما انها للتعدية ويكون ذلك على المبالغة في انه جعل الما كالالة المفتتح بها كما
تقول فتحت بالمفتاح والثاني انها للحال اي فتحناها ملتبسة بهذا الما والمنهمر الغزير النازل
بقوة وانشد امرؤ القيس * راح تمريه الصبا ثم انتحى فيه شؤبوب جنوب منهمر * واستعير
ذلك في قولهم همر الرجل في كلامه اذا اكثر الكلام واسرع وفلان يهامر الشي اي يجرفه وهمر
له من ماله اعطاه بكثرة والمنهمر الكثير قاله السدي قال الشاعر
* اعيني جودا بالدموع الهوامر على خير باد من معد وحاضر * قال المفسرون معنى منهمر اي
منصب انصبابا شديدا قال ابن عباس منهمر من غير سحاب لم ينقطع اربعين يوما وقيل
ثمان **قوله** وفجرنا الارض قرا عبد الله وابو حيوة وعاصم في رواية وفجرنا مخففا والباقون
مثقلا وقوله عيونا فيه اوجه اشهرها انه تمييز اي فجرنا عيون الارض فنقله من المفعولية الى
التمييز كما ينقل من الفاعلية ومنعه بعضهم وتاول هذه الاية على ما سياتي وقوله وفجرنا
الارض عيونا ابلغ من فجرنا عيون الارض لما ذكر في نظيره مرارا الثاني انه منصوب على البدل
من الارض ويضعف هذا خلوه من الضمير فانه بدل بعض من كل ويجاب عنه بانه محذوف
اي عيونا منها كقوله الاخدود النار فالنار بدل اشتمال ولا ضمير فهو مقدر الثالث انه مفعول
ثان لانه ضمن معنى صيرناها بالتفجير عيونا الرابع انها حال ويجوز ان حذف مضاف
اي ذات عيون وذكر انها حال مقدرة لا مقارنة قال ابن الخطيب قوله وفجرنا الارض عيونا
فيه من البلاغة ما ليس في قول القايل وفجرنا من الارض عيونا وقوله وفجرنا الارض عيونا ولم يقل

ففتحنا

ففتحنا السما ابوابا لان السما اعظم من الارض وهي للمبالغة وقال ابواب السما ولم يقل انابيب
ولا منافذ ولا مجاري اما قوله تعالى وفجرنا الارض عيونا فلا غنى عنه لان قول القايل فجرنا من
الارض عيونا يكون حقيقة لا مبالغة فيه ويكفي في صحة ذلك القول ان يحصل في الارض عيون
ثلاث ولا يصلح مع هذا في السما وماها **فصل** قال ابن الخطيب العيون جمع عين
وهي حقيقة في العين التي هي آلة الابصار ومجاز في غيرها اما في عيون الما فلانها تشبه العين الناظرة
التي تخرج منها الدمع لان الما الذي في العين كالدمع الذي في العين وهو مجاز مشهور صار
غالبا حتى لا يفتقر الى قرينة عند الاستعمال الا لا يحمل اللفظ على العين الناظرة الا بقرينة كذلك
لا يحمل على الفوارة الا بقرينة مثل شربت من العين واغتسلت منها ونحوه **فان قيل**
من اين علمت ان العين حقيقة في الناظرة قلنا لان الافعال اخذ منه ولم يوخذ من الينبوع
فيقال عانه يعينه اذا اصابه بالعين وعاينه معاينة وعيانا قال عبيد بن حميد اوحى الله الى
الارض ان تخرج ماها فتفجرت بالعيون واي عين تاخرت غضب عليها فجعل ماها مرا اجاجا الى يوم
القيمة **قوله** فالتقى الما لما كان المراد بالما الجنس صح ان يقال فالتقى الما كانه قال فالتقى ما السما
وما الارض وهذه قراة العامة وقرا الحسن والجحدري ومحمد بن كعب وتروى عن امير المومنين
ايضا الماان تثنية والهمزة سالمة اي النوعان منه ما السما وما الارض لان الالتقا انما يكون بين
اثنين وقرا الحسن ايضا الماوان بقلبها واوا وهي لغة طي قال الزمخشري كقولهم علباوان يعني
انه شبه الهمزة المنقلبة عن ها بهمزة الالحاق وروي عنه ايضا الماان بقلبها يا وهي اشد
مما قبلها **قوله** قد قدر العامة على التخفيف وقرا ابن مقسم وابو حيوة بالتشديد وهما
لغتان قرى بهما في قوله قدر فهدى فقدر عليه رزقه كما سياتي **فصل** قيل معنى
امر قد قدر اي حال قدرها الله كما شا قضى عليهم في ام الكتاب وقال مقاتل قدر الله ان يكون
الماان سوا فكانا على ما قدر وقيل على مقدار وذلك لان الناس اختلفوا فمنهم من قال كان ما
السما اكثر ومنهم من قال ما الارض ومنهم من قال كانا متساويين فقال على مقدار كان وقال
قتادة قدر لهم اذا كفروا ان يغرقوا قال ابن الخطيب ويحتمل ان يقال التقى الما اي اجتمع على امر
هلاكهم وهو كانه مقدور ومقدر وفيه رد على المنجمين الذين يقولون ان الطوفان كان بسبب
اجتماع الكواكب السبعة في برج ماي والغرق لم يكن مقصودا بالذات وانما ذلك امر لزم من
الطوفان الواجب وقوعه فرد الله عليهم بانه لم يكن ذلك الا امر قد قدر ويدل عليه
ان الله تعالى اوحى الى نوح بانهم مغرقون **قوله** وحملناه على ذات الواح ودسر اي سفينة
ذات قال الزمخشري وهي من الصفات التي تقوم مقام الموصوفات فتنوب منابها وتودي
موداها بحيث لا يفصل بينها وبينها ونحوه * ولكن قميصي مسرودة من حديد * اراد ولكن قميصي
درع وكذلك * ولو في عيون النازيات باكرع * اراد ولو في عيون الجراد الا ترى انك لو جمعت
بين السفينة وبين هذه الصفة او بين الجراد والدرع وهاتين الصفتين لم يصح وهذا اسلوب فصيح
الكلام وبديعه **والدسر** قيل المسامير جمع دسار ككتب في جمع كتاب وقال
الزمخشري جمع دسار وهو المسمار فعال من دسره اذا دفعه لانه يدسر به منفذه وقال الراغب
الواحد دسر يعني فيكون مثل سقف وسقف وقال البغوي واحدها دسار ودسير ويقال
الدسر الدفع الشديد بقهر دسره بالرمح ومنه مثل يطعن وروي ليس في العنبر زكاة انما
هو شي دسره البحر اي دفعه وقيل انها الخيوط التي تشد بها السفن وقيل هي عوارض السفينة وقيل
اضلاعها وقال الحسن الدسر صدر السفينة سميت بذلك لانها تدسر الما بجوجوها اي تدفع
وقال الضحاك الدسر الواح جانبها **قوله** تجري باعيننا اي بمراي منا وقال مقاتل

بأعيننا أي بحفظنا كقولك اجعل هذا نصب عينك وقيل بالأعين النابعة من الأرض وقيل بأعين
أوليائنا من الملائكة فقوله بأعيننا أي ملتبسة بحفظنا وهو في المعنى كقوله تعالى ولتصنع على عيني
وقرأ زيد بن علي وأبو السمّاك بأعينّا بالإدغام وقال سفيان معناه بأمرنا **قوله** جزاءً منصوب
على المفعول له ناصبه ففتحنا وما بعده وقيل منصوب على المصدر إما بفعل مقدر أي جازيناهم
جزاءً وإما على التجوّز بأن معنى الأفعال المتقدمة جازيناهم بها جزاءً **قوله** لمن كان كُفِر العامة
على كُفِر مبنيًا للمفعول والمراد بمن كُفِر نوح عليه السلام أو الباري تعالى وقرأ مسلمة بن محارب
كُفْر بإسكان الفاء كقوله لو عُصْر منه المسك والبان انعصر وقرأ يزيد بن رومان وعيسى وقتادة
كَفَر مبنيًا للفاعل والمراد بمن حينئذ قوم نوح وكفر خبر كان وفيه دليل على وقوع خبر كان ماضيًا من
غير قد وبعضهم يقول لا بد من قد ظاهرة أو مضمرة ويجوز أن يكون كان مزيدة وأما كُفِر ففيه
وجهان أحدهما أن يكون كفر مثل شكر تعديه بحرف وبغير حرف يقال شكرته وشكرت له قال
تعالى واشكروا لي ولا تكفرون وقال فمن يكفر بالطاغوت الثاني أن يكون من الكفر لا من الكفران أي
جزاءً لمن ستر أمره وأنكر آياته أو جزاءً لمن كفر به **فصل** المعنى فعلنا به وبهم من إنجاء نوح
وإغراق قومه ثوابًا لمن كفر به وجحد أمره وهو نوح عليه السلام وقيل من بمعنى ما أي جزاءً لما كان
كُفِر من أيادي الله ونعمه عند الذين غرقهم وجزاءً لما صنع بنوح وأصحابه واللام في لمن لام المفعول
له والجزاء هنا بمعنى العقاب أي عقابًا لكفرهم **قوله** ولقد تركناها آية ضمير تركناها إما
للقصة أو الفعلة التي فعلناها آية يعتبر بها أو السفينة وهو الظاهر والمعنى تركناها أي أبقاها
الله بباقردى من أرض الجزيرة آية أي عبرة حتى نظرت إليها أوائل هذه الأمة وكانت على الجودي
وقيل بأرض الهند ومعنى تركناها أي جعلناها آية لأنها بعد الفراغ منها صارت متروكة ومجعولة
قوله فهل من مدّكر أصله مذتكر فأبدلت التاء دالًا مهملة ثم أبدلت المعجمة مهملة لمقاربتها وقد
تقدم هذا في قوله وادّكر بعد أمة وقد قرئ مذتكر بهذا الأصل وقرأ قتادة فيما نقل عنه
أبو الفضل مُذَكِّر بفتح الذال المخففة وتشديد الكاف من ذكّر بالتشديد أي مذكّر نفسه أو غيره
بما مضى من قصص الأولين ونقل عنه ابن عطية كالجماعة إلا أنه بالذال المعجمة وهو شاذ لأن الأول
يقلب للثاني لا الثاني للأول روى زهير عن أبي إسحاق أنه سمع رجلًا يسأل الأسود فهل من مذكر
أو من مدّكر فقال سمعت عبد الله يقرأها فهل من مدّكر قال وسمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأها
فهل من مدّكر دالًا **فصل** وهذه الآية إشارة إلى أن الأمر من جانب الرسل قد تم ولم
يبق إلا من جانب المرسل إليهم بأن يتفكروا ويتذكروا وهذا الكلام لا يصلح أن يكون حثًا وأن يكون تخويفًا
وزجرًا وقال ابن الخطيب مدّكر مفتعل من ذكر يذكر وأصله مذتكر وقرأ بعضهم بهذا الأصل
ومنهم من يقلب التاء دالًا وفي قوله مدّكر إشارة إلى قوله ألست بربكم قالوا بلى أي هل من يتذكر
تلك الحالة وأما الحق ووضوح الأمر كأنه جعل للكل آيات الله فنسوها فهل من متذكر يتذكر شيئًا منها
قوله فكيف كان عذابي ونذر كان الظاهر فيها أنها ناقصة فكيف خبر مقدم وقيل يجوز
أن يكون تامة فيكون كيف في محل نصب إما على الظرف وإما على الحال كما تقدم تحقيقه في البقرة
فصل وحذفت يا الإضافة من نذر كما حذفت يا يسري في قوله تعالى والليل إذا
يسر وذلك عند الوقف ومثله كثير كقوله فإياي فاعبدون ولا ينقذون يا عباد فاتقون ولا
تكفرون وقرئ بإثبات الياء في عذابي ونذري **قوله** ولقد يسرنا القرآن هيأناه للذكر
من قولهم يسر فرسه أي هيأه للركوب بإلجامه قال فقمت إليه باللجام ميسّرًا هنالك يجزيني الذي
وقيل سهلنا القرآن ليتذكر ويعتبر به وقال سعيد بن جبير يسرناه للحفظ والقراءة وليس شيء
من كتب الله يقرأ كله ظاهرًا إلا القرآن وقوله فهل من مدكر متعظ بمواعظه **قوله** كذبت

كنت امنع

عاد

عاد فكيف كان عذابي ونذر ذكرها هنا فكيف كان عذابي ونذر مرتين فالأول سؤال كقول
المعلم للمتعلم كيف المسألة الفلانية ثم يبين فقال إنا أرسلنا والثاني بمعنى التعظيم والتهويل
فإن قيل قال في قوم نوح كذبت قوم نوح ولم يقل في عاد كذبت قوم هود لأن التعريف
كلما أمكن أن يؤتى به على وجه أبلغ فالأولى أن يؤتى به والتعريف بالاسم العلم أقوى من التعريف
بالإضافة لأنك إذا قلت بيت الله لا يفيده ما يفيده قولك الكعبة وكذلك إذا قلت رسول
الله وقلت محمد فإذا ثبت هذا فقوم نوح لا اسم علم لهم ولا يقال قوم هود أعرف لوجهين أحدهما أن الله تعالى وصف
عادًا بقوم هود في قوله ألا بعدًا لعاد قوم هود ولا يوصف الأظهر بالأخفى والأخص بالأعم
ثانيهما أن قوم هود واحد واللفظ يقع على أقوام فقد قال تعالى عادًا الأولى لأنا نقول
أما قوله تعالى ألا بعدًا لعاد قوم هود فليس ذلك صفة وإنما هو بدل ويجوز في البدل أن يكون دون المبدل
في المعرفة ويجوز أن يبدل عن المعرفة بالنكرة وأما عاد الأولى فهو لبيان تقدمهم أي عادًا الذين
تقدموا وليس ذلك للتمييز والتعريف كما تقول محمد النبي شفيعي والله الكريم ربي فذهب الكعبة
المشرفة لبيان الشرف لا لإثباتها وتعريفها بالشرف فقولك ... الدار المعمورة من الدارين
وجدت الرجل الزاهد من الرجلين فتبين المقول بالوصف **فإن قيل** لم لم يقل
فكذبوا هودًا كما قال فكذبوا عبدنا فالجواب أما الأول فتكذيب قوم نوح أبلغ لطول
مقامه فيهم وكثرة عنادهم وأما الآن فقصة عاد ذكرت مختصرة **قوله** إنا أرسلنا عليهم
ريحًا صرصرًا الصرصر الشديدة الصوت من صرّ الباب أو القلم إذا صوّت وقيل الشديدة
البرد من الصر وهو البرد وهو كله أصول عند الجمهور وقال مكي أصله صرر من صرّ الشيء إذا صوّت
لكن أبدلوا من الراء المشددة صادًا وهذا قول الكوفيين ومثله كبكب وكفكف وقد تقدم
هذا في فصلت وغيرها وقال ابن الخطيب الصرصر الدائمة الهبوب من أصرّ على الشيء إذا
دام وثبت **فصل** يوم نحس مستمر شؤمه أي دائم الشؤم استمر عليهم بنحوسته ولم
يبق منهم أحد إلا أهلكه قيل كان ذلك يوم الأربعاء في آخر الشهر **فإن قيل** إذا
كان يوم الأربعاء يوم نحس مستمر فكيف يستجاب فيه الدعاء وقد جاء أن النبي صلى الله عليه
وسلم استجيب له فيه فيما بين الظهر والعصر فالجواب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أتاني
جبريل فقال إن الله يأمرك أن تقضي باليمين مع الشاهد وقال يوم الأربعاء يوم نحس مستمر
ومعلوم أنه لم يرد أنه نحس على المصلحين بل على المفسدين كما كانت الحسنات على الكفار لا على نفعهم
والمؤمنين والله أعلم قال تعالى ههنا إنا أرسلنا عليهم ريحًا صرصرًا وقال في الذاريات إذ أرسلنا
عليهم الريح العقيم فعرّف الريح هناك ونكّرها ههنا لأن العقيم في الريح أظهر من البرد
الذي تضرب النبات أو الشدة التي تعصف الأشجار لأن الريح العقيم التي لا تنشئ سحابًا ولا تلقح
شجرًا وهي كثيرة الوقوع وأما الريح المهلكة الباردة فقلّ ما توجد فقال الريح العقيم أي
هذا الجنس المعروف ثم زاده بيانًا بقوله ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم فتميزت
عن الريح العقيم وأما الصرصر فقليلة الوقوع فلا تكون مشهورة فنكّرها **قوله** في يوم
نحس العامة على إضافة يوم إلى نحس بسكون الحاء وفيه وجهان أحدهما أنه من إضافة الموصوف
إلى صفته والثاني وهو قول البصريين أنه صفة لموصوف محذوف أي في يوم عذاب نحس وقرأ
الحسن بتنوينه ووصفه بنحس ولم يقيده الزمخشري بكسر الحاء وقيده أبو حيان وقد قرئ قوله
تعالى في أيام نحسات بسكون الحاء وكسرها وتنوين أيام عند الجميع كما تقدم تحريره والمستمر صفة
ليوم أو لنحس ومعناه كما تقدم أي عليهم حتى أهلكهم أو من المرارة قال الضحاك كان مرًا عليهم وكذا
حكى الكسائي أن قومًا قالوا هو من المرارة يقال مرّ الشيء وأمرّ أي كان كالشيء المر تكرهه النفوس

وقد قال نذ ونذر والذي ينبغي أن يكون نذرًا **قوله** تنزع الناس في موضع نصب اما نعتا
لريحا واما حالا منها لتخصصها بالصفة ويجوز أن تكون مستانفة وقال الناس ليعم ذكورهم واناثهم
فاوقع الظاهر موقع المضمر لذلك والاصل تنزعهم **فصل** قال تعالى هنا في يوم
نحس مستمر وقال في الحاقة في أيام نحسات وقال في الحاقة سبع ليال وثمانية أيام حسوما
والمراد من اليوم هنا الوقت والزمان كما في قوله يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث وقوله
مستمر يفيد ما تفيده الايام لان الاستمرار ينبي عن امتداد الزمان كما ينبي عنه الايام والحكاية
هنا مذكورة على سبيل الاختصار فذكر الزمان ولم يذكر مقداره على سبيل الايجاز **قوله**
كأنهم أعجاز نخل حال من الناس مقدرة ومنقعر صفة لنخل باعتبار الجنس ولو انث لاعتبر معنى الجماعة
كقوله نخل خاوية وقد تقدم تحقيق اللغتين فيه وانما ذكر هنا وانث في الحاقة مراعاة للفواصل
في الموضعين وقرأ أبو نهيك أعجز على وزن أفعل نحو ضبع وأضبع وقيل الكاف في موضع نصب
بفعل مقدر تقديره تتركهم كأنهم أعجاز قاله مكي وجعله مفعولا ثانيا على التضمين أي يصيرهم
بالنزع كأنهم لكان أقرب والأعجاز جمع عجز وهو مؤخر الشيء ومنه العجز لأنه يؤدي الى تأخر
الامور والمنقعر المنقلع من أصله يقال قعرت النخلة قلعتها من أصلها فانقعرت وقعرت البير وصلت
الى قعرها وقعرت الاناء شربت ما فيه حتى وصلت الى قعره وأقعرت البئر أي جعلت لها قعرا **فصل**
تنزع الناس تقلعهم ثم ترمي بهم على رؤوسهم فتدق رقابهم وروي أنها كانت تنزع الناس من قبورهم
كأنهم أعجاز نخل قال ابن عباس أصولها وقال الضحاك أوراك نخل منقعر منقلع من مكانه ساقط
على الارض وقيل أعجاز نخل وهي أصولها التي قطعت فروعها لان الريح كانت تبين رؤوسهم من أجسادهم
فتبقى أجسادهم بلا رؤوس قال ابن الخطيب تنزعهم نزعا بعنف كأنهم أعجاز نخل منقعر فينقعر
وهذا اشارة الى قوتهم وثباتهم على الارض ويكون ذلك اشارة الى عظم أجسادهم أو الى ثباتهم
في الارض فكأنهم كانوا يعملون أرجلهم في الارض ويقصدون المنع به على الريح قال ابن
اسحق لما هاجت الريح قام سبعة نفر من عاد من أقوامهم وأحدهم عمرو بن الحلي والحارث
ابن شداد والهلقام وابنا تيقن وخلجان بن سعد فأولجوا العيال في شعب بين جبلين ثم اصطفوا
على باب الشعب ليردوا الريح عمن في الشعب من العيال فجعلت الريح تجعفهم رجلا بعد رجل فقالت
امرأة من عاد ذهب الدهر بعمرو بن حلي والعيافات ثم بالحارث والهلقام طلاع الثنيات والذي
سد مهب الريح أيام البليات أو يكون اشارة الى يبسهم وجفافهم بالريح فهي كانت تقتلهم وتحرقهم
ببردها المفرط فيقعون كأنهم اخشاب يابسة **فصل** قال المفسرون ذكر النخل
هنا وقال منقعر وانثه في الحاقة وقال أعجاز نخل خاوية لاجل الفواصل كقوله مستمر وكبير
ومستطر وقيل ان النخل لفظه لفظ الواحد ومعناه الجمع فيقال نخل منقعر ومنقعرة ومنقعرات
ونخل خاو وخاوية وخاويات ونخل باسق وباسقة وباسقات فاذا قيل منقعر وخاو وباسق
فبالنظر الى اللفظ واذا قيل منقعرات أو خاويات أو باسقات فلاجل المعنى قال أبو بكر ابن
الانباري سئل المبرد بحضرة القاضي اسمعيل عن ألف مسألة هذه من جملتها فقيل له ما الفرق بين
قوله تعالى ولسليمان الريح عاصفة وقال وجاءتها ريح عاصف وقوله كأنهم أعجاز نخل خاوية وأعجاز
نخل منقعر فقال كلما ورد عليك من هذا الباب فان شئت رددته الى اللفظ تذكيرا أو الى المعنى
تأنيثا قال ابن الخطيب ذكر الله لفظ النخل في مواضع ثلاثة ووصفها على الاوجه الثلاثة
فقال والنخل باسقات وذلك حال عنها وهي كالوصف وقال نخل خاوية ونخل منقعر لحيث
قال منقعر كان المختار ذلك لان المنقعر في حقيقة الامر كالمفعول لانه ورد عليه القعر فهو مقعور
والخاوي والباسق فاعل واخلاء المفعول عن علامة التانيث أولى تقول امرأة قتيل واما الباسقات

فهي

فهي بالعلامات حقيقة لان البسوق امر قام بها واما الخاوية فهي من باب حسن الوجه لان الخاوي موضعها
فكانه قال نخل خاوية المواضع وهذا غاية الاعجاز حيث أتى بلفظ مناسب للالفاظ السابقة
واللاحقة من حيث اللفظ **قوله** فكيف كان عذابي ونذر قال أكثر المفسرين النذر
ههنا جمع نذير الذي هو مصدر بمعنى الانذار فالحكمة في توحيد العذاب حيث لم يقل فكيف
كان أنواع عذابي وقال انذاري قال ابن الخطيب هذه اشارة الى غلبة الرحمة لان الانذار
اشفاق ورحمة فقال الانذارات التي هي نعم ورحمة تواترت فلما لم ينفع وقع العذاب دفعة
واحدة فكانت النعم كثيرة والنقمة واحدة **قوله** كذبت ثمود بالنذر اعلم انه تعالى
لم يقل في قوم نوح كذبت قوم نوح بالنذر وكذلك في قصة عاد لان المراد بقوله كذبت قبلهم
قوم نوح أن عادتهم انكار الرسالة تكذيبهم فكذبوا نوحا بناء على منعهم وعادتهم واما التصريح هنا
لان كل قوم يأتون بعد قوم فالمكذب المتأخر يكذب المرسلين جميعا حقيقة والاولون يكذبون
رسولا واحدا حقيقة ويلزم منه تكذيب من بعده تبعا ولهذا المعنى قال في قوم نوح كذبت
قوم نوح المرسلين وقال في عاد وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله فذكر بلفظ الجمع
المستغرق ثم انه تعالى قال عن نوح رب ان قومي كذبون ولم يقل كذبوا رسلك اشارة الى ما
صدر منهم حقيقة لا الى ما لزم منه وقوله تعالى كذبت ثمود بالنذر ان قلنا ان النذر هم
الرسل فهو كما تقدم وان قلنا ان النذر هم الانذارات فنقول قوم نوح وعاد لم تستمر المعجزات
التي ظهرت في زمانهم واما ثمود فانذروا واخرج لهم ناقة من صخرة وكانت تدور بينهم
وكذبوا فكان تكذيبهم بالانذارات والآيات الظاهرة فصرح بها **قوله** أبشرا منصوب على
الاشتغال وهو الراجح لتقدم اداة هي بالفعل اولى ومنا نعت له وواحدا فيه وجهان أظهرهما
انه نعت لبشرا الا انه يشكل عليه تقديم الصفة المؤولة على الصريحة ويجاب بأن منا حينئذ
ليس وصفا بل حال من واحدا قدم عليه والثاني انه نصب على الحال من هاء نتبعه وهو مخلص
من الاعتراض المتقدم الا ان المرجح لكونه صفة قراءتهما مرفوعين أبشر منا واحد نتبعه على
ما سيأتي فهذا يرجح كون واحدا نعتا لبشرا لا حالا وقرأ أبو السمال فيما نقل الهذلي والداني
برفعهما على الابتداء وواحد صفة ونتبعه خبره وقرأ أبو السمال أيضا فيما نقل ابن خالويه
وأبو الفضل وابن عطية برفع بشر ونصب واحدا وفيه أوجه أحدها أن يكون أبشر مبتدأ
وخبره مضمر تقديره أبشر منا يبعث الينا أو يرسل واما انتصاب واحدا ففيه وجهان
احدهما انه حال من الضمير المستتر في منا لانه وقع نعتا والثاني انه حال من هاء نتبعه وهذا
كله تخريج أبي الفضل الرازي الثاني انه مرفوع بالابتداء أيضا والخبر نتبعه وواحدا حال
على الوجهين المذكورين آنفا الثالث انه مرفوع بفعل مضمر مبني للمفعول تقديره أينبأ
بشر ومنا نعت وواحدا حال أيضا على الوجهين المذكورين آنفا واليه ذهب ابن عطية
فصل قال ابن الخطيب والحكمة في تأخير الفعل الظاهر ان البليغ يقدم
في الكلام ما يكون تعلق ضرورته به أكثر والقوم كانوا يريدون بيان كونهم محقين في ترك
الاتباع فلو قالوا أنتبع بشرا أمكن أن يقال نعم اتبعوه وما دافعكم من اتباعه فاذا قدموا
حاله وقالوا هو من نوعنا بشر من صنفنا رجل ليس غريبا لعتقده فيه انه يعلم ما لا نعلم أو
يقدر على ما لا نقدر وهو واحد وليس له جند ولا حشم ولا خدم ولا خيل وهو وحيد ونحن جماعة
فكيف نتبعه فيكونون قد قدموا الموجب لجواز الامتناع عن اتباعه وفي الآية اشارات الى
ذلك منها تنكيره حيث قالوا بشرا ولم يقولوا رجلا ومنها قولهم منا وهو يحتمل أمرين أحدهما
من صنفنا ليس غريبا والثاني منا أي تبعنا لان من للتبعيض والبعض يتبع الكل لا الكل يتبع

البعض وتمنها تولهم واحدا وتحمل اسم تزايدنا احدهما وحيدا اشارة الى ضعفه وثانيهما واحدا
اي هو من احاد الناس اي هو ممن ليس بمشهور بحسب ولا نسب اذا حدث لا يعرف ولا يمكن ان يقال
عنه قال فلان بل يقال قال واحد وذلك غاية الخمول ولان الارذل لا ينضم اليه احد **قوله**
انا اذا لفي ضلال خطاء وذهاب عن الصواب وسعر يجوز ان يكون مفردا اي جنون يقال
ناقة مسعورة اي كالمجنونة في سيرها قال ●
● كانّ بها سعرا اذا العيس هزها ● ذميل وارخاء من السير متعب ● وان يكون جمع سعير
وهو النار وقاله سفيان بن عيينة والاحتمالان منقولان قال ابن عباس معنى سعر عذاب وقال
الحسن شدة عذاب وقال قتادة عنا والمعنى انا اذن لفي عناء وعذاب مما يلزمنا من
طاعته وقال وهب معناه بعيد عن الحق **قوله** االقي الذكر عليه من بيننا معناه اانزل
عليه الذكر وهو الوحي من بيننا حال من ها عليه اي التي عليه منفردا من بيننا اي خصص من
بالرسالة من بين آل ثمود وفيهم من هو اكثر مالا واحسن حالا والاستفهام بمعنى الانكار **قوله** بل هو كذاب
اشر الاشر البطر يقال اشر يأشر اشرا فهو اشر كفرح فهو فرح واشر كضارب واشران كسكران واساري
كسكارى وقرا ابو قلابة بل هو الكذاب الاشر من الكذاب الاشر بفتح الشين وتشديد الراء
جعلها افعل تفضيل وهو شاذ لانه يحذف الهمزة من لفظ الخير والشر في افعل التفضيل تقول
زيد خير من عمرو وشر من بكر ولا يقال اخير ولا اشر الا في نادر كهذه القراءة وكقول روبة
● بلال خير الناس وابن الاخير ● وثبتت فيهما في التعجب نحو ما اخير وما اشر ولا يحذف الا في
نادر عكس افعل التفضيل قالوا ما خير اللبن للصحيح وما شره للمبطون وهذا من محاسن الصناعة
وقرا ابو قيس الاودي ومجاهد الحرف الثاني الاشر بثلاث ضمات وتخريجها على ان فيه لغة اشر
بضم الشين كحذر وحذر وضمت الهمزة اتباعا لضم الشين ونقل الكسائي عن مجاهد فتح الهمزة
على انه في تلك اللغة كحذر **فصل** الاشر الحير والنشاط يقال فرس اشر اذا كان
مرحا نشيطا قال امرؤ القيس يصف كلبا ● فيدركنا فغم داجن ● سميع بصير طلوب نكر
● الص الضروس حني الضلوع ● تبوع اريب نشيط اشر ● وقيل انه المتعمه في الى منزله لا يستحيه
وقال ابن زيد وعبد الرحمن بن حماد الاشر الذي لا يبالي ما قال وعلى قراءة ابي قلابة بفتح
الشين وتشديد الراء فالمعنى اشرنا واخبثنا **فان قيل** قولهم بل هو كذاب يستدعي
امرا مضروبا عنه فما هو فالجواب قولهم االقي ثم ان قولهم االقي عليه الذكر للانكار فكانهم قالوا
ما القي ثم ان قولهم االقي عليه الذكر لا يقتضي الا انه ليس بنبي وقول القائل فلان ليس بنبي لا يلزم
منه انه كاذب فكانهم قالوا ليس بنبي ثم قالوا بل هو ليس بصادق **قوله** سيعلمون قرا ابن عامر
وحمزة بالخطاب وفيه وجهان احدهما انه حكاية قول صالح لقومه والثاني انه خطاب الله
على جهة الالتفات والباقون بيا الغيبة جريا على الغيب قبله في قوله فقالوا ابشرا واختارها
مكي قال لان عليها الاكثر **وغدا** ليس المراد به اليوم الذي يلي يومك بل الزمان المستقبل
كقول الطرماح ● الا عللاني قبل نوح النوائح ● وقبل اضطراب النفس بين الجوانح ●
● وقبل غد يا لهف نفسي على غد ● اذا راح اصحابي ولست برائح ● والمعنى سيعلمون غدا حين ينزل بهم
العذاب وقال الكلبي يعني يوم القيمة وذكر الغد للتقريب على عادة الناس يقولون ان مع اليوم غدا
فصل الكذاب فعال صيغة مبالغة لان المنسوب الى الشيء لا بد له من ان يكثر من مزاولة
الشيء فان من خاط يوما لا يقال له خياط فالمبالغة ههنا اما في الكثرة بان يكون كثير الكذب واما في
الشدة اي شديد الكذب يقول ما لا يقبله العقل ويحتمل ان يكونوا وصفوه بذلك لاعتقادهم الامرين
جميعا وقولهم اشر اشارة الى انه كذب لا لضرورة وحاجة وانما هو استغنى وطلب الرياسة **قوله**

انا مرسلوا الناقة اي مخرجوها من الهضبة التي سالوا وانّي باسم الفاعل والاضافة مبالغة في
حقيقته كانه وقع **قوله** فتنة مفعول له او مصدر من معنى الاول او في موضع الحال
روي انهم تعنتوا على صالح فسالوه ان يخرج لهم من صخرة ناقة حمراء عشراء فقال الله انا مخرجوا
الناقة فتنة لهم محنة واختبارا فقوله فتنة مفعول له لان المعجز فتنة لانه بها يتميز المثاب
من المعذب فالمعجز تصديق وحينئذ يفترق المصدق من المكذب او يقال اخراج
الناقة من الصخرة معجزة ودورانها بينهم وقسمة الما كان فتنة ولهذا قال انا مرسلوا
ولم يقل مخرجوا **قوله** فارتقبهم اي انتظر ما يصنعون واصطبر اي اصطبر على اذاهم واصله
الطا في اصطبر تا فحولت طا لتكون موافقة للصاد في الاطباق **قوله** ونبئهم اي اخبرهم
ان الما قسمة بينهم اي بين آل ثمود وبين الناقة لها يوم ولهم يوم كقوله تعالى لها شرب ولكم
شرب يوم معلوم والضمير في بينهم لقوم صالح والناقة فغلب العاقل وقرا العامة قسمة
بكسر القاف وروي عن ابي عمرو فتحها وهو قياس المرة والمعنى ان الما مقسوم بينهم فوصف بالمصدر
مبالغة كقولك فلان عين الكرم **قوله** كل شرب محتضر اي يحضره من هو له فالناقة تحضر
الما يوم وردها وتغيب عنهم يوم وردهم قاله مقاتل وقال مجاهد ان ثمود يحضرون
الما يوم غبها فيشربون ويحضرون اللبن يوم وردها فيحلبون والشرب بالكسر الحظ من الما وفي
المثل اخرها اقلها شربا واصله من سقي الابل لان اخرها يرد وقد نزف الحوض واعلم ان قسمة
الما اما لان الناقة عظيمة الخلق ينفرها حيواناتهم فكان يوم للناقة ويوم لهم واما لقلة الما
فلا يحملهم واما لان الما كان مقسوما بينهم لكل فريق يوم فيوم ورود الناقة على هولاء يرجعون
على الاخرين وكذلك الاخرون فيكون النقصان على الكل ولا تختص الناقة بجميع الما دون القوم
كانوا يكتفون في يوم ورودها بلبنها وليس في الاية الا القسمة دون كيفيتها وظاهر قوله كل شرب
محتضر يفيد الوجه الثالث وحضر واحتضر بمعنى واحد **قوله** فنادوا صاحبهم قبله
محذوف اي فتمادوا على ذلك ثم ملوه فعزموا على عقرها فنادوا صاحبهم وتعاطي مطاوع عاطي
كانهم كانوا يتدافعون ذلك حتى تولاه اشقاها والمعنى فنادوا صاحبهم نداء المستغيث وهو
قدار بن سالف وكان اشجعهم وقيل كان رئيسهم فتعاطى اي آلة العقر او الناقة او هو عبارة عن
الاقدام على الفعل العظيم وتحقيقه ان الفعل العظيم يتعاطاه كل احد ويعطيه صاحبه
او جعلوا له جعلا فتعاطاه قال محمد بن اسحق كمن لها في اصل شجرة على طريقها فرماها فانتظم
به عضلة ساقها ثم شد عليها بالسيف فكشف عرقوبها فخرت ورغت رغاة واحدة ثم نحرها
قال ابن عباس كان الذي عقرها احمر ازرق اشقر اكشف افحج يقال له قدار بن سالف
والعرب تسمي الجزار قدارا تشبيها بقدار بن سالف مشوم آل ثمود قال مهلهل ●
● انا لنضرب بالسيوف رووسهم ضرب القدار نقيعة القدام ● **قوله** انا ارسلنا عليهم
صيحة واحدة يريد صيحة جبريل كما تقدم فكانوا كهشيم المحتظر العامة على كسر الظاء اسم فاعل
وهو الذي يتخذ حظيرة من حطب وغيره وقرا ابو السماك وابو حيوة وابو رجاء وعمرو بن عبيد
بفتحها فقيل هو مصدر اي كهشيم الاحتظار وقيل هو اسم مكان وقيل هو اسم مفعول وهو الهشيم نفسه
ويكون من باب اضافة الموصوف لصفته كمسجد الجامع والحظر المنع وتقدم نحوه في سبحان
فصل كان في قوله فكانوا قيل بمعنى صاروا كقوله ● فكان من الخاسرين فيها اي صار
والهشيم المهشوم المكسور ومنه سمي هاشم لهشمه الثريد في الجفان غير ان الهشيم يستعمل كثيرا في
الحطب المتكسر اليابس قال المفسرون كانوا كالحشيش المتكسر الذي يخرج من الحظائر
لقوله هشيما تذروه الرياح وهو من باب اقامة الصفة مقام الموصوف وتشبيههم بالهشيم اما

لكونهم يابسين كالموتى الذين ماتوا من زمان او لانضمام بعضهم الى بعض كما ينضم الرفقا عند الخوف
يدخل بعضهم في بعض فاجتمعوا بعضهم فوق بعض كما يجمع الحاطب الحطب يصففه شيا فوق شيء
منتظرا لحضور من يشتري منه ويحتمل ان يكون ذلك لبيان كونهم في الجحيم اي كانوا كالحطب
اليابس الذي للوقيد كقوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وقوله فكانوا
لجهنم حطبا **فصل** بقي في الاية مباحث منها قوله تعالى فكيف كان عذابي ونذر
اعلم ان هذه الاية ذكرت في ثلاثة مواضع ذكرها في حكاية نوح بعد بيان العذاب
وذكرها في حكاية عاد قبل بيانه وبعد بيانه حيث ذكر قبل بيان العذاب فللبيان كقول
العارف لغير العارف هل تعلم كيف كان امر فلان وغرضه ان يقول اخبرني عنه وحيث
ذكرها بعد بيان العذاب ذكرها للتعظيم كقول القايل ضرب فلان اي ضرب وانما ضرب
ويقول ضربته وكيف ضربته اي قويا وفي حكاية عاد ذكرها مرتين للبيان والاستفهام
ومنها ان في حكاية نوح ذكر الذي للتعظيم وفي حكاية ثمود ذكر الذي للبيان لان عذاب
قوم نوح كان بامر عظيم عام وهو الطوفان الذي عم العالم ولا كذلك عذاب قوم هود فانه
كان مختصا بهم **فصل** اعلم انه الله تعالى ذكر في هذه السورة خمس قصص وجعل
القصة المتوسطة مذكورة على اتم وجه لان حال صالح كان اكثر مشابهة بحال محمد عليهما السلام
لانه اتى بامر عجيب ارضي وكان اعجب مما جا به الانبيا لان عيسى عليه السلام احيى الميت لكن
الميت كان محلا للحياة فقامت الحياة باذن الله في محل كان قابلا لها وموسى عليه السلام انقلبت
عصاه ثعبانا فانبت الله له في الخشب الحياة باذن الله لكن الخشبة نبات كان له قوة في النمو
فاشبه الحيوان في النمو وصالح عليه السلام كان الظاهر في يده خروج الناقة من الحجر والحجر جماد
ليس محلا للحياة ولا محلا للنمو والنبي عليه السلام اتى باعجب من الكل وهو التصرف في الجرم السماي
الذي يقول المشرك لا وصول لاحد الى السماء واما الارضيات فتناولوا انها اجسام مشتركة المواد
يقبل كل واحد منها صورة الاخرى والسماويات لا تقبل ذلك فلما اتى بما اعترفوا بانه لا يقدر
على مثله آدمي كان اتم وابلغ من معجزة صالح عليه السلام التي هي اتم من معجزة ساير الانبيا
غير محمد عليه السلام **فصل** من قرا المحتظر بفتح الظا اراد الحظيرة ومن قرا بالكسر
اراد صاحب الحظيرة ونقل القرطبي عن صاحب الصحاح قال من كسره جعله الفاعل ومن فتحه
جعله المفعول ويقال للرجل القليل الخير انه لنكد الحظيرة قال ابو عبيدة اراه سمى امواله
حظيرة لانه حظرها عنده ومنعها وهي فعيلة بمعنى مفعوله وقال المهدوي من فتح
الظا من المحتظر فهو مصدر والمعنى كهشيم الاحتظار ويجوز ان يكون المحتظر هو الشجر المتخذ منه الحظيرة
قال ابن عباس المحتظر هو الرجل يجعل لغنمه حظيرة بالشجر والشوك فما سقط من ذلك وداسته
الغنم فهو الهشيم قال ٭ اثرن عجاجة كدخان نار وتشب بغرقد بال هشيم ٭ وعنه
الحشيش تاكله الغنم وعنه ايضا كالعظام النخرة المحترقة وهو قول قتادة وقال سعيد
ابن جبير هو التراب المتناثر من الحيطان في يوم ريح وقال سفيان الثوري هو ما تناثر من
الحظيرة اذا ضربتها بالعصا وهو فعيل بمعنى مفعول وقال ابن زيد العرب تسمي كل شيء رطبا
يبس هشيما والحظر المنع والمحتظر المفتعل يقال منه احتظر على ابله وحظر اي جمع الشجر بعضه
على بعض ليمنع برد الريح والسباع عن ابله قال الشاعر
٭ ترى جيف المطي بجانبيه ٭ كان عظامها خشب الهشيم ٭ وعن ابن عباس ايضا انهم كانوا
مثل القمح الذي ديس وهشيم نبات السنبلة والتبن روى ابو الزبير عن جابر قال لما نزلنا الحجر
في مغزى رسول الله صلى الله عليه وسلم تبوك قال ايها الناس لا تسالوا في الآيات هؤلاء قوم

صالح سالوا نبيهم ان يبعث لهم ناقة فبعث الله عز وجل اليهم الناقة وكانت ترد من ذلك
الفج فتشرب ماءهم يوم ورودها ويحلبون منها مثل الذي كانوا يشربون منها يوم غبها
قوله كذبت قوم لوط بالنذر اخبر عن قوم لوط ايضا لما كذبوا لوطا ثم قال انا ارسلنا عليهم
حاصبا والحاصب فاعل من حصب اذا رمى بالحصبا وهي الحجارة قال النضر الحاصب الحصبا في
الريح وقال ابو عبيدة الحاصب الحجارة وفي الصحاح الحاصب الريح الشديدة التي تثير الحصبا
وكذلك الحصبة قال لبيد ٭ جرت عليها ان خوت من اهلها اذيالها كل عصوف حصبة ٭
عصفت الريح اي اشتدت فهي ريح عاصف وعصوف وقال الفرزدق
٭ مستقبلين شمال الشام تضربنا بحاصب كنديف القطن منثور ٭ **قوله** الا آل لوط
فيه وجهان احدهما انه متصل ويكون المعنى انه ارسل الحاصب على الجميع الا اهله فانه لم
يرسل عليهم وقال الثاني انه منقطع قال شهاب الدين ولا ادري ما وجهه فان الانقطاع وعدمه
عبارة عن عدم دخول المستثنى في المستثنى منه وهنا داخل ليس الا وقال ابو البقا هو استثنا
منقطع وقيل متصل لان الجميع ارسل عليهم الحاصب فهلكوا الا آل لوط وعلى الوجه الاول
يكون الحاصب لم يرسل على آل لوط انتهى وهو كلام مشكل **فصل** قال ابن
الخطيب الحاصب رامي الحصبا وهي الحجارة كقوله وامطرنا عليهم حجارة من سجيل وقول الملائكة
لنرسل عليهم حجارة من طين مع ان المرسل عليهم ليس بحاصب فيحتمل ان يكون المعنى انا ارسلنا عليهم
ريحا حاصبا بالحجارة ويجوز تذكير الريح لان تانيثها غير حقيقي ويحتمل ان يكون المراد عذابا
حاصبا او لان ارسلنا يدل على مرسل وهو مرسل الحجارة وحاصبها وافرد الجنس وقوله انا
ارسلنا كانه جواب من قال كيف كان امرهم والاستثنا في قوله الا آل لوط من الضمير في عليهم
وهو يعود على قوم لوط فيقتضي ان آله كذبوا لكن قد يكون لاهله قبلا لانهم ظاهر اللفظ فيبين
بالاستثنا خروجهم لان المقصود بيان من هلك ومن نجا او يكون الاستثنا من كلام مدلول عليه
اي فما انجينا من الحاصب الا آل لوط ويكون الارسال عليهم والاهلاك عاما فكان الحاصب
اهلك من كان الارسال عليه متمحضا وغيرهم كالاطفال والدواب والمراد بآل لوط من تبعه
على دينه ولم يكن الا بنتاه **قوله** نجيناهم بسحر وجواب لقايل يقول فما كان من شان
آل لوط كقوله تعالى ابى بعد قوله الا ابليس وقد تقدم في البقرة **قوله** بسحر الباحال اي ملتبسين
ظرفية وانصرف سحر لانه نكرة ولو قصد به وقت بعينه لمنع الصرف للتعريف والعدل عن ال
هذا هو المشهور وزعم صدر الافاضل انه مبني على الفتح كامس مبنيا على الكسر **قوله نعمة**
اما مفعول له واما مصدر بفعل من لفظها او من معنى نجيناهم لان تنجيتهم انعام فالتاويل
اما في العامل واما في المصدر **قوله من عندنا** اما متعلق بنعمة واما بمحذوف صفة
لها والكاف في كذلك نعت مصدر محذوف اي مثل ذلك الجزا نجزي **فصل** قال
الاخفش انما اجرى سحر لانه نكرة ولو اراد سحر يوم بعينه لما اجراه وكذا قال الزجاج سحر اذا كان
نكرة يراد به سحر من الاسحار يصرف تقول اتيته سحرا هذا واتيته بسحر والسحر هو ما بين
آخر الليل وطلوع الفجر وهو في كلام العرب اختلاط سواد الليل ببياض النهار لان في هذا الوقت
يكون مخايل الليل ومخايل النهار نعمة من عندنا انعاما منا على لوط وابنتيه كذلك نجزي من
شكر اي كما جزينا لوطا واهله بالانجا فكذلك نجزي من شكر اي آمن بالله واطاعه قال
المفسرون هو وعد لامة محمد عليه السلام بانه يصونهم عن الهلاك العام قال ابن الخطيب ويمكن ان يقال
هو وعد لهم لا بالثواب يوم القيامة كما انجاهم في الدنيا من العذاب لقوله تعالى ومن يرد ثواب
الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين **قوله** ولقد انذرهم بطشتنا البطشة هي العذاب

الذي اصابهم او هي عذاب الآخرة لقوله يوم نبطش البطشة الكبرى وقوله فتماروا بالنذر
اي فشكوا فيما انذرهم به الرسول ولم يصدقوه وهو تفاعلوا من المرية وهذه الآية تدل على ان
المراد بالنذر الانذارات قوله ولقد راودوه عن ضيفه المراودة من الرود يقال
راودته على كذا مراودة ورودا اي اردته وراد الكلأ يروده رودا وريادا وارتاده ارتيادا
اي طلبه وفي الحديث اذا بال احدكم فليرتد لبوله اي يطلب مكانا لينا او منحدرا قال
ابن الخطيب ومنه الارادة وهي المطالبة غير ان المطالبة يستعمل في العين يقال طالب زيد
عمرا بالدراهم والمراودة لا تستعمل الا في العمل فيقال راوده عن المساعدة ولهذا تعدى المراودة
الى مفعول ثان والمطالبة بالباء وذلك لان الشغل منوط باختيار الفاعل والعين قد توجد من غير
اختيار منه ولهذا يفترق الحال بين قولك اخبرني عن امر زيد واخبرني بامر زيد وكذا قولك
اخبرني زيد عن مجيء فلان وقوله اخبرني بمجيئه لان من قال عن مجيئه ربما يكون الاخبار عن كيفية
المجيء لا عن نفسه واخبرني بمجيئه لا يكون الا عن نفس المجيء والضيف يقع على الواحد وعلى الجماعة والمعنى
ارادوا منه تمكينهم ممن اتاه من الملائكة قوله فطمسنا اعينهم قرأ العامة فطمسنا مخففا
وابن مقسم مشددا على التكثير لاجل المتعلق او لشدة الفعل في نفسه والضمير في راودوه عائد
على قوم لوط وقاسه الجمهور لان جميعهم راض بذلك والمراد الذين دخلوا عليه وروي ان جبريل
عليه السلام ضربهم بجناحه فعموا وقيل صارت اعينهم كسائر الوجه لا يرى لها شق كما تطمس
الريح الاثر والاعلام بما تسفي عليها من التراب وقال الضحاك بل اعماهم الله تعالى فلم يروا الرسل
وقالوا لقد رأيناهم حين دخلوا البيت فاين ذهبوا فرجعوا ولم يروهم وهذا قول ابن عباس
فان قيل قال ههنا فطمسنا اعينهم وقال في يس ولو نشاء لطمسنا على اعينهم فما
الفرق فالجواب هذا يؤيد قول ابن عباس ان المراد من الطمس الحجب عن الادراك ولم يجعل
على بصرهم شيء وفي يس زاد انه لو شاء لجعل على بصرهم غشاوة او الزق احد الجفنين بالآخر فيكون
العين جلدة وهو يروى انهم صارت اعينهم مع وجوههم كالصفحة الواحدة قوله فذوقوا
عذابي ونذر الخطاب لهم اي فقلنا على لسان الملائكة فذوقوا وهو خطاب مع كل مكذب اي
ان كنتم تكذبون فذوقوا قال القرطبي والمراد من هذا الامر الخبر اي فاذقتهم عذابي الذي
انذرهم به لوط فان قيل النذر كيف يذاق فالجواب معناه ذوقوا مجازاة نذري
وموجبه فان قيل اذا كان المراد بقوله عذابي هو العذاب العاجل وبقوله ونذر
هو العذاب الآجل فهما لم يكونا في زمان واحد فكيف قال ذوقوا فالجواب ان العذاب الآجل
اوله متصل بآخر العذاب العاجل فهما كالواقع في زمان واحد وهو كقوله تعالى اغرقوا
فادخلوا نارا قوله ولقد صبحهم بكرة انصرف بكرة لانه نكرة ولو قصد به وقت بعينه
امتنع الصرف للتانيث والتعريف وهذا كما تقدم في غدوة ومنعها زيد بن علي الصرف ذهب
بها الى وقت بعينه قال صاحب المختصر انتصب بكرة على الظرف اي بكرة من البكر كقوله
اسرى بعبده ليلا قال الزمخشري والتنكير يدل على انه كان في بعض الليل وتمسك بقراءة من
قرأ من الليل قال ابن الخطيب وهو غير ظاهر والاظهر ان يقال بان الوقت المبهم يذكر لبيان
ان تعيين الوقت ليس بمقصود للمتكلم كقوله خرجنا في بعض الاوقات مع ان بعض الخروج لا
بد وان يكون في بعض الاوقات ولذلك قوله صبحهم بكرة اي بكرة من البكر واسرى بعبده
ليلا اي ليلا من الليالي ولا انه ومعنى صبحهم قال لم عمهم صباحا كقوله فبشرهم بعذاب اليم او
المراد بقوله بكرة اول ازمنة الصبح او انتصب بكرة على المصدر كقولك ضربته سوطا لان الضرب
يكون بالسوط وغيره وكذلك الصبح يكون بكرة وبعدها ومعنى مستقر اي ثابت عليهم لا يدفعه احد

عنهم

عنهم او دائم لانهم انتقلوا منه الى عذاب الجحيم فهو دائم او بمعنى قدره الله عليهم وقضاه
ولم يصبهم بطريق الاتفاق وذلك العذاب قلب قريتهم عليهم وجعل عاليها سافلها قوله
فذوقوا عذابي ونذر اي العذاب الذي نزل بهم من طمس الاعين غير العذاب الذي اهلكوا
به فلذلك حسن التكرير قوله ولقد جاء آل فرعون النذر المراد بآله خواصه والنذر
موسى وهرون وقد يطلق لفظ الجمع على الاثنين وقيل المراد بآل فرعون القبط فان
قيل ما الفائدة في قوله آل فرعون بدل قوم فرعون فالجواب ان القوم اعم من الآل
فالقوم كل من يقوم الرئيس بامرهم او يقومون هم بامره وقوم فرعون كانوا تحت قهره بحيث
لا يخالفونه في قليل ولا كثير فارسل اليه الرسول وحده غير انه كان عنده جماعة من
المقربين مثل قارون فقد معه وعنده لماله العظيم وهامان لدهائه فاعتبرهم الله في الارسال
حيث قال في مواضع ولقد ارسلنا موسى باياتنا الى فرعون وملائه وقال الى فرعون
وهامان وقارون وقال في العنكبوت وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى
لانهم ان آمنوا آمن الكل بخلاف الاقوام الذين كانوا قبلهم وبعدهم فقال ولقد جاء آل فرعون
النذر وقال ادخلوا آل فرعون اشد العذاب فان قيل كيف قال ولقد جاء
ولم يقل في غيره جاء فالجواب لان موسى عليه السلام لما جاءهم كان غائبا عن القوم فقدم عليهم
كما قال فلما جاء آل لوط المرسلون وقال تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم حقيقة ايضا لانه
جاءهم من الله من السموات بعد المعراج كما جاء موسى قومه من الطور حقيقة والنذر الرسل قد
جاءهم يوشع وبنوه الى ان جاءهم موسى وقيل النذر الانذارات قوله كذبوا باياتنا
فيه وجهان احدهما ان الكلام تم عند قوله ولقد جاء آل فرعون النذر وقوله كذبوا كلام
مستانف والضمير عائد الى كل من تقدم ذكرهم من قوم نوح الى آل فرعون الثاني ان الحكاية
مسوقة على سياق ما تقدم فكانه قال فكيف كان فقال كذبوا باياتنا كلها فاخذناهم فعلى
الوجه الاول اياتنا كلها ظاهر وعلى الثاني المراد الآيات التي كانت مع موسى عليه السلام
كالعصا واليد والسنين والطمس والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم قوله
فاخذناهم اخذ عزيز مقتدر هذا مصدر مضاف لفاعله والمعنى اخذناهم بالعذاب اخذ عزيز
غالب في انتقامه مقتدر قادر على اهلاكهم لا يعجزه ما اراده ثم خوف اهل مكة فقال
اكفاركم خير من اولئكم اي اشد واقوى من الذين احللت بهم نقمتي من قوم نوح وعاد وثمود وقوم
لوط وهذا استفهام بمعنى الانكار اي ليسوا باقوى منهم ومعناه النفي اي ليس كفاركم خيرا من كفار
من تقدم من الامم الذين اهلكوا بكفرهم وقوله خير مع انه لا خير فيهم اما ان يكون كقول حسان
فخيركما لشركما الفداء او هو بحسب زعمهم واعتقادهم او المراد بالخير شدة القوة او لان كل ممكن
فلا بد وان يكون فيه صفات محمودة فالمراد تلك الصفات ام لكم براءة في الزبر اي في الكتب
المنزلة على الانبياء عليهم السلام بالسلامة من العقوبة وقال ابن عباس ام لكم في اللوح المحفوظ
براءة من العذاب قوله ام يقولون العامة على الغيبة التفاتا وابو حيوة وابو البرهسم
وموسى الاسواري بالخطاب جريا على ما تقدم من قوله اكفاركم الى آخره والمعنى نحن جماعة لا نطاق
لكثرة عددهم وقوتهم ولم يقل منتصرين اتباعا لرؤوس الآي وقال ابن الخطيب قوله جميع
يحتمل الكثرة والاتفاق ويحتمل ان يكون معناه نحن جميع الناس اشارة الى ان من آمن لا عبرة
به عندهم كقول قوم نوح انؤمن لك واتبعك الارذلون فيكون التنوين فيه عوضا من الاضافة
وافرد منتصر مراعاة للفظ جميع او يكون مرادهم كل واحد منا منتصر كقولك كلهم عالم اي
كل واحد فيكون المعنى ان كل واحد منا غالب فرد الله تعالى عليهم بانهم يهزمون جميعهم قوله

سيهزم الجمع العامة على سيهزم مبنيا للمفعول والجمع مرفوع به وقرئ ستهزم بفتح التاء خطابا
للرسول عليه السلام الجمع منصوب به وابو حيوة في رواية يعقوب سنهزم بنون العظمة والجمع منصوب
ايضا وروي عن ابي حيوة ايضا وابن ابي عبلة سيهزم بيا الغيبة مبنيا للفاعل الجمع منصوب
اي سيهزم الله وقرأ العامة على الغيبة وابو حيوة وابو عمرو في رواية وتولون بتا الخطاب
وهي واضحة والدبر هنا اسم جنس وحسن هنا لوقوعه فاصلة بخلاف قوله الادبار وقال
الزمخشري اي الادبار كما قال كلوا في بعض بطنكم تعفوا وقرئ الادبار قال ابو حيان
وليس مثل بعض بطنكم لان الافراد هنا يحسن ولا يحسن الافراد بطنكم قال ابن الخطيب
وافرد الدبر هنا وجمع في غيره لان الجمع من الاصل لان الضمير ينوب مناب تكرار العاطف فكانه
قال يولي هذا وهذا وافرد هنا لمناسبة الفواصل وتنبيها الى ان جميعهم يكونون في الانهزام
كشخص واحد واما قوله فلا تولوهم الادبار فجمع لان كل واحد مبرأ منهي عن ذلك واما
قوله وليولن نصرهم ليولن الادبار فجمع لافتراق قلوبهم كقوله تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى
واما قوله ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار اي كل واحد قال انا اثبت ولا
اولي دبري **فصل** قال مقاتل ضرب ابو جهل فرسه يوم بدر وتقدم من
الصف وقال نحن ننتصر اليوم من محمد واصحابه فانزل الله ام يقولون نحن جميع منتصر وقال
سعيد بن المسيب سمعت عمر بن الخطاب يقول لما نزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر كنت لا ادري
اي جمع يهزم فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يثب في درعه ويقول
سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم جميعا والساعة ادهى وامر اعظم نايبة واشد
مرارة من الاسر والقتل يوم بدر وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يثب في
درعه ويقول اللهم ان قريشا جاءتك تحاد رسولك بفخرها وخيلائها فاخنهم الغداة ثم قال
سيهزم الجمع ويولون الدبر قال عمر فعرفت تاويلها وهذا من معجزات رسول الله صلى الله عليه
وسلم لانه اخبر عن غيب فكان كما اخبر قال ابن عباس كان بين نزول هذه الاية وبين بدر
سبع سنين فالاية على هذا مكية وفي البخاري عن عائشة ام المؤمنين قالت لقد انزل على محمد
صلى الله عليه وسلم بمكة واني لجارية العب بل الساعة موعدهم والساعة ادهى وامر وعن
ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وهو في قبة له يوم بدر انشدك عهدك ووعدك
اللهم ان شئت لم تعبد بعد اليوم ابدا فاخذ ابو بكر بيده وقال حسبك يا رسول الله فقد
الححت على ربك وهو في الدرع فخرج وهو يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم
والساعة ادهى وامر بل الساعة موعدهم يريد يوم القيمة والساعة ادهى وامر مما لحقهم يوم
بدر **فصل** ادهى من الداهية وهي الامر العظيم يقال دهاه امر كذا اي اذا اصابه
دهوا ودهيا وقال ابن السكيت دهته داهية دهوا ودهيا وهي توكيد لها **قوله**
ان المجرمين في ضلال وسعر قيل في ضلال بعد عن الحق قال الضحاك وسعر اي نار تسعر عليهم
وقيل ضلال ذهاب عن طريق الجنة في الاخرة وسعر جمع سعير نار مسعرة وقال الحسين بن
الفضل ان المجرمين في ضلال في الدنيا ونار في الاخرة وقال قتادة في عناء وعذاب
ثم بين عذابهم فقال يوم يسحبون في النار على وجوههم ويقال لهم ذوقوا مس سقر
فصل اكثر المفسرين على ان هذه الاية في القدرية وفي الحديث انما نزلت
في القدرية وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال مجوس هذه الامة القدرية وهم
المجرمون الذين سماهم الله تعالى في قوله ان المجرمين في ضلال وسعر واعلم ان الجبري
يقول القدري من يقول الطاعة والمعصية بفعلي ثم ينكرون القدر والمعتزلي يقول

الجبري قدري لانه يقول الخير والشر بقدرة الله علي فهو يثبت القدر والفريقان متفقان
على ان السني القايل بان الافعال بخلق الله وبسبب من العبد ليس بقدري قال ابن
الخطيب والحق ان القدري هو الذي ينكر القدر وينسب الحوادث لاتصالات الكواكب
لما روي ان قريشا خاصموا في القدر ومذهبهم ان الله مكن العبد من الطاعة والمعصية
وهو قادر على خلق ذلك في العبد وقادر على ان يطعم الفقير ولهذا قالوا انطعم من لو
يشا الله اطعمه منكرين لقدرته تعالى على الاطعام واما قوله عليه السلام القدرية
مجوس هذه الامة فان اريد بالامة المرسل اليهم مطلقا كالقوم فالقدرية في زمانه
هم المشركون قدرته على الحوادث فلا يدخل فيهم المعتزلة وان كان المراد بالامة
من امن به عليه السلام فمعناه ان نسبة القدرية اليهم كنسبة المجوس الى الامة المتقدمة
فان المجوس اضعف الكفرة المتقدمين شبهة واشد مخالفة للعقل وكذا القدرية
في هذه الامة وكونهم كذلك لا يقتضي الجزم بكونهم في النار فالحق ان القدري هو الذي
ينكر قدرة الله تعالى **فصل** روى مسلم عن ابي هريرة قال جاء مشركوا قريش
يخاصموا رسول الله صلى الله عليه وسلم في القدر فنزلت هذه الاية ان المجرمين في
ضلال وسعر الى قوله انا كل شيء خلقناه بقدر وروى عبد الله بن عمرو بن العاص قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كتب الله مقادير الخلايق كلها من قبل
ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة قال وعرشه على الماء وعن طاوس اليماني
قال ادركت ما شا الله من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون كل شيء بقدر
الله وسمعت من عبد الله بن عمر يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شيء بقدر
حتى العجز والكيس او الكيس والعجز وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يؤمن بالله عبد حتى يؤمن باربع يشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله بعثني
بالحق ويؤمن بالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر خيره وشره وهذه الادلة
تبطل مذاهب القدرية **قوله** ذوقوا مس سقر العامة على اظهار القول وقرأ ابو عمرو في رواية محبوب
عنه مسقر وخطاه ابن مجاهد وهو معذور لان السين الاخير من متحرك [illegible] في غيرها
لا يقال بالتحريك ادغم فيها لزوم تحريكها ومتى ادغمت [illegible] ساكنا فيا الجمع بينهما قال ابو حيان
والظن بابي عمرو انه لم يدغم حتى حذف احد الحرفين لاجتماع الامثال ثم ادغم قال شهاب الدين
كلام ابن مجاهد انما هو فيما قالوه انه ادغم اما اذا حذف وادغم فلا اشكال وسقر علم
لجهنم اعاذنا الله منها مشتقة من سقرته الشمس والنار اي لوحته ويقال صقرته بالصاد
وهو مبدلة من السين لاجل القاف قال ذو الرمة
اذا ذابت الشمس اتقى صقراتها ۞ بافنان مربوع الصريمة معبل ۞ وسقر متحتم المنع لان
حركة الوسط نزلت منزلة الحرف الرابع كعقرب وزينب قال القرطبي وسقر اسم من اسما جهنم
مونث لا ينصرف لانه اسم مونث معرفة وكذلك لظى وجهنم وقال عطا سقر الطبق السادس
من النار وقال قطرب ويوم مسمقر ومصمقر شديد الحر ومسها ما يوجد من الالم عند الوقوع
فيها **فصل** العامل في يوم يسحبون يحتمل ان يكون منصوبا بما قبل منهم يوم عزيز كونه
وهذا العامل يحتمل ان يكون سابقا وهو قوله ان المجرمين في ضلال والعامل في الحقيقة على هذا
الوجه ايضا منهوم من معنى كانه قيل [illegible] ان ذلك صار نسيا منسيا ويحتمل ان يكون متاخرا
وهو قوله ذوقوا مس سقر يوم يسحب المجرمون والخطاب حينئذ مع من خوطب بقوله اكفاركم
ام لكم ويحتمل ان يكون منصوبا بالقول المقدر اي يقال لهم يوم يسحبون ذوقوا وهو المشهور والذوق

استعارة للمبالغة لقوة الادراك في الذوق فان الانسان يشارك غيره في اللمس ويختص بادراك
الطعوم فيحصل الالم العظيم والمعنى ذوقوا ايها المكذبون محمد صلى الله عليه وسلم مس سقر يوم
يسحب المجرمون المتقدمون في النار قوله انا كل شي خلقناه العامة على نصب كل على
الاشتغال وابو السماك بالرفع وقد رجح الناس بل بعضهم اوجب النصب قال لان الرفع
يوهم ما لا يجوز على قواعد اهل السنة وذلك انه اذا رفع كل شي كان مبتدا وخلقناه صفة لكل
اولشي وبقدر خبره وحينئذ يكون له مفهوم لا يخفى على متامل فيلزم ان يكون الشي ليس مخلوقا لله
تعالى لا بقدر كذا قدره بعضهم فقال ابو البقا وانما كان النصب اولى لدلالته على عموم الخلق
والرفع لا يدل على عمومه بل يفيد ان كل شي مخلوق فهو بقدر وقال مكي بن ابي طالب كان الاختيار
على اصول البصريين رفع كل كما ان الاختيار عندهم في قولك زيد ضربته الرفع والاختيار عند
الكوفيين النصب فيه بخلاف قولنا زيد اكرمته لانه قد تقدم في الاية شي عمل فيما بعده وهو
ان والاختيار عندهم النصب فيه وقد اجمع القرا على النصب في كل على الاختيار فيه عند الكوفيين
ليدل ذلك على عموم الاشيا المخلوقات انها لله تعالى بخلاف ما قاله اهل الزيغ من ان ثم مخلوقات
لغير الله تعالى وانما دل النصب في كل على العموم لان التقدير انا خلقنا كل شي خلقناه بقدر
فخلقناه تاكيد وتفسير لخلقنا المضمر الناصب لكل واذا حذفته واظهرت الاول صار التقدير
انا خلقنا كل شي بقدر فخلقناه تاكيد وتفسير لخلقنا المضمر الناصب لكل شي فهذا لفظ عام يعم
جميع المخلوقات ولا يجوز ان يكون خلقناه صفة لشي لان الصفة والصلة لا يعملان فيما قبل الموصوف
ولا الموصول ولا يكونان تفسيرا لما يعمل فيما قبلهما فاذا لم يبق خلقناه صفة لم يبق الا انه تاكيد
وتفسير للمضمر الناصب وذلك يدل على العموم وايضا فان النصب هو الاختيار لان انا عندهم يطلب
الفعل فهو اولى به فالنصب عندهم في كل هو الاختيار فاذا انضاف اليه معنى العموم والخروج عن
الشبه كان النصب اولى من الرفع وقال ابن عطيه وقوم من اهل السنة بالرفع قال ابو الفتح هو الوجه
في العربيه وقراتنا بالنصب مع الجماعة وقال الزمخشري كل شي منصوب بفعل مضمر يفسره الظاهر
وقري كل شي بالرفع والقدر والقدر والتقدير وقري بهما اي خلقنا كل شي مقدرا محكما مرتبا على حسب
ما اقتضته الحكمة او مقدرا مكتوبا في اللوح معلوما قبل كونه قد علمنا حاله وزمانه انتهى وهو
هنا لم يتعصب للمعتزلة لضعف وجه الرفع وقال قوم اذا كان الفعل يتوهم فيه الوصف وان
ما بعده يصلح للخبر وكان المعنى على ان يكون الفعل هو الخبر اختير النصب في الاية الاولى حتى
يتضح ان الفعل ليس بوصف ومنه هذا الموضع لان قراة الرفع تخيل ان الفعل وصف وان الخبر
بقدر وقد تنازع اهل السنة والقدرية في الاستدلال بهذه الاية فاهل السنة يقولون كل
شي هو مخلوق لله تعالى بقدر ودليلهم قراة النصب لانه لا يفسر في مثل هذا التركيب الا ما يصح
ان يكون خبرا لو وقع الاول على الابتدا وقالت القدرية القراة برفع كل وخلقناه في موضع الصفة
لكل اي ان امرنا او شاننا كل شي خلقناه فهو بقدر او بمقدار على حد ما في هيته وزمنه
وقال بعض العلما في القدر هنا وجوه احدها انه المقدار في ذاته وفي صفاته الثاني
التقدير لقوله فقدرنا فنعم القادرون وقال الشاعر وقد قدر الرحمن ما هو قادر
اي ما هو مقدر الثالث القدر الذي يقال مع القضا كقولك كان بقضا الله وقدره فقوله
بقدر على قراة النصب متعلق بالفعل الناصب وفي قراة الرفع في محل رفع لانه خبر لكل وكل
وخبرها في محل رفع خبر لان وسياتي فيها انه عكس هذه اعني في اختيار الرفع وهي قوله تعالى
وكل شي فعلوه في الزبر فانه لم يختلف في رفعه قالوا لان نصبه يودي الى فساد المعنى لان الواقع
خلافه وذلك انك لو نصبته لكان التقدير فعلوا كل شي في الزبر وهو خلاف الواقع اذ في

الزبر اشيا كثيرة جدا لم يفعلوها واما قراة الرفع فتودي الى ان كل شي فعلوه هم ثابت في الزبر وهو
المقصود فلذلك اتفق على رفعه وهذان الموضعان من نكت المسايل العربية التي اتفق مجيهما في
سورة واحدة في مكانين متقاربين ومما يدل على جلالة علم الاعراب وافهامه المعاني الغامضة
فصل قال اهل السنة ان الله تعالى قدر الاشيا اي علم مقاديرها واحوالها وازمانها
قبل ايجادها ثم اوجد منها ما سبق في علمه ولا يحدث في العالم العلوي والسفلي الا وهو صادر
عن علمه تعالى وقدرته وارادته دون خلقه وان الخلق ليس لهم فيها الا نوع اكتساب ومحاولة
ونسبة واضافة وان ذلك كله انما حصل لهم بتيسير الله وبقدرته وتوفيقه والهامه سبحانه لا اله الا
الا هو ولا خالق غيره كما نص عليه القران والسنة لا كما قالت القدرية وغيرهم من ان الاعمال الينا والاجال
بيد غيرنا قال ابو هريرة قدم وفد نجران على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا الاعمال
الينا والاجال بيد غيرنا فنزلت هذه الايات الى قوله انا كل شي خلقناه بقدر فقالوا يا محمد
يكتب علينا الذنب ويعذبنا فقال انتم خصما الله يوم القيمة فصل روى ابو
الزبير عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مجوس هذه الامة المكذبين
بقدر الله ان مرضوا فلا تعودوهم وان ماتوا فلا تشهدوهم وان لقيتموهم فلا تسلموا عليهم خرجه
ابن ماجة في سننه وخرج ايضا عن ابن عباس وجابر قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
صنفان من امتي ليس لهم في الاسلام نصيب اهل الارجا والقدر قوله وما امرنا الا واحدة
اي الا كلمة واحدة وهو قوله كن كلمح بالبصر اي قضايي في خلقي اسرع من لمح البصر واللمح النظر بالعجلة
يقال لمح البرق ببصره وفي الصحاح لمحه والمحه اذا ابصره بنظر خفيف والاسم اللمحة ولمح البرق والنجم
لمحا اي لمع قال البغوي قوله واحدة يرجع الى المعنى دون اللفظ اي وما امرنا الا مرة واحدة
وقيل معناه وما امرنا للشي اذا اردنا تكوينه الا كلمة واحدة كما تقدم وفي رواية عطا عن ابن
عباس وروى الكلبي عنه وما امرنا بمجي الساعة في السرعة الا كطرف البصر فصل قال
ابن الخطيب ان الله تعالى اذا اراد شيا قال له كن فهناك شيان الارادة والقول فالارادة
قدر والقول قضا وقوله واحدة يحتمل امرين احدهما بيان انه لا حاجة الى التكرير فالقول
اشارة الى نفاذ الامر الثاني بيان عدم اختلاف الحال فامره عند خلق العرش العظيم
كامره عند خلق النملة الصغيرة فامره عند الكل واحد وقوله كلمح بالبصر تشبيه للكون لا تشبيه
للامر فكانه قال امرنا واحدة فاذا المامور كاين كلمح بالبصر لانه لو كان راجعا الى الامر لا يكون
ذلك صفة مدح يليق به فان كلمة كن شيا ايضا توجد كلمح بالبصر ومعنى كلمح بالبصر اي كنظر
العين والبا للاستعانة مثل كتبت بالقلم دخلت على الالة ومثل بها لانها اسرع حركة في الانسان
لان العين وجدنا فيها قرب المحرك منها فان المحرك العصب ومنبتها الدماغ وهو في غاية القرب
من العين ومن مخرجها فلذلك لا يثقل على المحرك ولا ينفصل عليه بخلاف العظام واستدارة شكلها فان
دحرجة الكرة اسرع من دحرجة المثلث والمربع ولانها في رطوبة مخلوقة في العضو الذي هو
موضعها وهو الحكمة في كثرة الرطوبات بخلاف الماكولات والمسموعات والمفاصل التي تتصل بالارجل
والمذوقات فلولا سرعة حركة الالة التي هي ادراك المبصرات لما وصل الى الكل الا بعد طول زمان
وقيل معنى كلمح بالبصر البرق يمر سريعا فالبا يكون للالصاق كمررت به وفي قوله كلمح بالبصر
ولم يقل كلمح البرق فايدة وهي ان لمح البرق له مبدا ونهاية فالذي يمر بالبصر منه يكون اقل من
جملته مبالغة في القلة ونهاية السرعة قوله ولقد اهلكنا اشياعكم اي اشباهكم ونظراءكم
في الكفر من الامم السالفة وقيل اتباعكم واعوانكم فهل من مدكر اي يتذكر ويعلم ان ذلك حق
فيخاف ويعتبر وكل شي فعلوه في الزبر اي جميع ما فعلته الامم قبلهم من خير او شر فانه مكتوب عليهم

اي في كتب الحفظة وقيل في اللوح المحفوظ وقيل في ام الكتاب قال القرطبي وهذا بيان انا
كل شيء خلقناه بقدر واي في الزبر اي في اللوح المحفوظ **قوله** وكل صغير وكبير مستطر اي
كل ذنب صغير وكبير مكتوب على عامله قبل ان يفعله وقيل العامة مستطر بتخفيف الراء من السطر
وهو الكتب اي مكتتب يقال سطرت واستطرت وكتبت واكتتبت وقرا الاعمش وعمران بن
حدير وروي عن عاصم بتشديد الراء وفيه وجهان احدهما انه مشتق من طر الشارب والنبات
اي ظهر ونبت يعني ان كل شيء قل او كثر ظاهر في اللوح غير خفي ووزنه مستفعل كمستخرج والثاني
انه من الاستطار كقراءة العامة وانما شددت الراء من اجل الوقف كقولهم هذا جعفر وفرخ ثم
اجري الوصل مجرى الوقف فوزنه مفتعل كقراءة الجمهور **قوله** ان المتقين في جنات ونهر
العامة بالافراد وهو اسم جنس به بدل منا رتبة الجمع والهاء مفتوحة كما هو الفصيح وسكنها مجاهد
والاعرج وابو السماك والفياض وهي لغة تقدم الكلام عليها اول البقرة قال ابن جريج يعني انهار
الماء والخمر واللبن والعسل ووحد لانه راس اية ثم الواحد بمعنى عن الجمع وقال الضحاك ليس المراد هنا
نهر الماء وانما المراد به سعة الارزاق لان المادة تدل على ذلك كقول قيس بن الخطيم
* ملكت بها كفي فانهرت فتقها * يرى قائم من دونها ما وراءها * اي وسعت ومنه انهرت الجرح
وانهار النهار وتصنيفه وقرا ابو نهيك وابو مجلز والاعرج وزهير الفرقبي ونقل القرطبي ايضا
عن طلحة بن مصرف والاعرج وقتادة ونهر بضم النون والهاء وهي تحتمل وجهين احدهما ان يكون
جمع نهر بالتحريك وهو الاولى نحو اسد في اسد والثاني ان يكون جمع الساكن نحو سقف في سقف
ورهن في رهن والجمع مناسب للجمع قبله في جنات وقرا العامة بافراده ابلغ وقد تقدم
كلام ابن عباس في قوله تعالى اخر البقرة وملائكته وكتابه بالافراد انه اكثر من الكتب وتقدم
ايضا تقرير الزمخشري لذلك قال القرطبي كانه جمع نهار لا ليل لهم كسحاب وسحب قال
الفراء انشدني بعض العرب * ان تك ليليا فاني نهر * متى اري الصبح فلا انتظر * اي صاحب النهار
وقال اخر * لولا الثريدان هلكنا بالضمر * ثريد ليل وثريد بالنهر * **فصل** لما وصف
الكفار وصف المؤمنين ايضا فقال ان المتقين في جنات الجنات اسم للاشجار اي هم في خلالها
وكنت كون الانهار في خلال الجنات وعند عيون كقوله * علفتها تبنا وماء باردا * وجمعت الجنات
اشارة الى سعتها وتنوعها وافرد النهر لان المعنى في خلاله فاستغنى عن جمعه وجمع في قوله
تجري من تحتها الانهار ليلا يتوهم انه ليس في الجنة الا نهر واحد والتنكير فيه للتعظيم **قوله**
في مقعد يجوز ان يكون خبرا ثانيا وهو الظاهر وان يكون حالا من الضمير في الجار ولو فرعه خبرا
وجوز ابو البقاء ان يكون بدلا من قوله في جنات وحينئذ يجوز ان يكون بدل بعض لان المقعد
بعضها وان يكون اشتمالا لانها مشتملة والاول اظهر والعامة على افراد مقعد مرادا به
الجنس كما تقدم في نهر وقرا عثمان البتي مقاعد وهو مناسب للجمع قبله ومقعد صدق من
باب رجل صدق في انه يجوز ان يكون من اضافة الموصوف لصفته والصدق يجوز ان يراد به
الكذب اي صدقوا في الاخبار به وان يراد به الجودة والخيرية ومليك مثال مبالغة وهو مناسب
هنا ولا يتوهم ان اصله مالك لانه هو الوارد في غير موضع وان الكسرة اشبعت فتولد منها يا
لان الاشباع لم يرد الا ضرورة او قليلا وان كان قد وقع في قراءة هشام افئدة في اخر
ابرهيم فليلتفت اليه **فصل** قال في مقعد صدق ولم يقل في مجلس صدق لان
القعود جلوس فيه مكث ومنه قواعد البيت والقواعد من النساء لا يقال جوالس لها اشارة
الى دوامه وثباته ولان حروف قعد كيف دارت تدل على ذلك والاستعمال في القعود يدل على
ذلك ومنه لا يستوي القاعدون من المؤمنين وقوله مقاعد للقتال اشارة الى الثبات وكذا

قوله

قوله عن اليمين وعن الشمال قعيد فذكر القعيد لدوامه او لطوله وقال في المجلس تفسحوا في المجالس اشارة
الى الحركة وقال انشزوا اشارة الى ترك الجلوس اي هو مجلس فلا تجب ملازمته بخلاف المقعد
فصل قال المفسرون في مقعد صدق اي حق لا لغو فيه ولا تاثيم عند مليك مقتدر
اي مالك قادر لا يعجزه شيء وعند هنا عندية المقربة والزلفة والمكانة والرتبة والكرامة والمنزلة
قال الصادق مدح الله المكان بالصدق فلا يقعد فيه الا اهل الصدق روى الثعلبي في تفسيره
عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة اقتربت الساعة
في كل غب بعث يوم القيمة ووجهه على صورة القمر ليلة البدر ومن قراها في كل ليلة كان افضل
وجاء يوم القيمة ووجهه مسفر على وجوه الخلائق *

سورة الرحمن مكية

كلها في قول الحسن وعروة بن الزبير وعكرمة وعطا وجابر وقال ابن عباس الا اية منها
وهي قوله تعالى يساله من في السموات والارض الاية وقال ابن مسعود ومقاتل هي مدنية كلها
والاول اصح لما روى عروة بن الزبير قال اول من جهر بالقران بمكة بعد النبي صلى الله عليه وسلم
ابن مسعود وذلك ان الصحابة قالوا ما سمعت قريش هذا القران يجهر به فمن رجل يسمعهموه
فقال ابن مسعود انا فقالوا نخشى عليك وانما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه فابى ثم قام عند المقام
فقال بسم الله الرحمن الرحيم الرحمن علم القران ثم تمادى بها رافعا صوته وقريش في انديتها فتاملوا
وقالوا ما يقول ابن ام عبد قالوا هو يقول الذي يزعم محمد انه انزل عليه ثم ضربوه حتى اثروا في وجهه
وصح ان النبي صلى الله عليه وسلم قام يصلي الصبح بنخلة فقرا سورة الرحمن ومر النفر من الجن فامنوا
به وهي ثمان وسبعون اية وثلاث مائة واحدى وخمسون كلمة والف وستمائة وستة وثلاثون
حرفا * بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** الرحمن فيه ثلاثة اوجه احدها انه خبر
مبتدا مضمر اي الله الرحمن الثاني انه مبتدا وخبره مضمر اي الرحمن ربنا وهذان الوجهان عند من
يرى ان الرحمن انه مع هذا المضمر سبعة فانه عد الرحمن اية ولا يتصور ذلك الا بانضمام خبر او
مخبر عنه اليه اذ الاية لا بد ان تكون مفيدة وسياتي ذلك في قوله مدهامتان الثالث انه ليس
باية وانه مع ما بعده كلام واحد وهو مبتدا خبره علم القران **فصل** افتتح السورة التي
قبلها بذكر معجزة تدل على القهر والجبروت وهو انشقاق القمر فمن قدر عليه قدر على قطع الجبال
واهلاك الامم وافتتح هذه السورة بذكر معجزة تدل على الرحمة وهي القران وايضا فاولها مناسب لاخر
التي قبلها لان اخر تلك انه مليك مقتدر واول هذه انه رحمن قال بعضهم الرحمن اسم علم واحتج
بقوله قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن اياما تدعوا فله الاسماء الحسنى واجاز ان يقال يا الرحمن بالالف واللام
كما يقال يا الله وهذا ضعيف وهو مختص بالله تعالى فلا يقال لغيره قال سعيد بن جبير وعامر
الشعبي الرحمن فاتحة ثلاث سور اذا جمعن كن اسما من اسماء الله تعالى الر وحم ون فيكون
مجموع هذه الرحمن ولله تعالى رحمتان رحمة سابقة بها خلق الخلق ورحمة لاحقة بها اعطاهم
الرزق والمنافع فهو رحمان باعتبار السابقة رحيم باعتبار اللاحقة ولما اختص بالايجاد لم يقل
لغيره رحمان ولما تخلق بعض خلقه الصالحين ببعض اخلاقه بحسب الطاقة البشرية فاطعم ونفع
جاز ان يقال له رحيم **قوله** علم القران فيه وجهان اظهرهما انها من التعدية الى اثنين اي عرف
من التعليم فعلى هذا المفعول الاول محذوف فقيل تقديره علم جبريل القران وقيل علم
محمدا وقيل علم الانسان [illegible] لعمومه ولان قوله خلق الانسان دال عليه والثاني انها من
العلامة والمعنى جعله [illegible] يعتبر بها اي هو علامة النبوة ومعجزة وهذا مناسب
لقوله تعالى وانشق القمر [illegible] تقدم من انه ذكر في اول تلك السورة معجزة من باب الهيبة
وذكر في هذه السورة معجزة من باب الرحمة وهو [illegible] من العلوم ما لا يسره غيره وهو ما في القران

او يكون معنى انه جعله بحيث يعلم كقوله تعالى ولقد يسرنا القران للذكر فالتعليم على هذا الوجه
مجاز كما يقال لمن انفق على متعلم واعطى اجرة معلمه علمه **فان قيل** لم ترك المفعول الثاني
فالجواب انه ذكر للاشارة الى ان النعمة في التعليم لا في تعليم شخص دون شخص **فان قيل**
كيف يجمع بين هذه الاية وبين قوله وما يعلم تاويله الا الله فالجواب ان قلنا بعطف الراسخين
على الله فظاهر وان قلنا بالوقف على الجلالة وبينهما بقوله والراسخون فلان من علم كتابا عظيما
فيه مواضع مشكلة قليلة وتامل بقدر الامكان فانه يقال فلان يعلم الكتاب الفلاني وان كان
لم يعلم مراد صاحب الكتاب منه في تلك المواضع القليلة وكذا القول في تعليم القران ويقال
المراد ما لا يعلمه من تلقاء نفسه بخلاف الكتب التي تستخرج بقوة الذكا **فصل** قال
المفسرون نزلت هذه الاية حين قالوا وما الرحمن وقيل نزلت جوابا لاهل مكة حين قالوا انما يعلمه
بشر وهو رحمن اليمامة يعنون مسيلمة فانزل الله تعالى الرحمن علم القران اي سهله لان يذكر ويقرا
كما قال ولقد يسرنا القران للذكر **قوله** خلق الانسان قال ابن عباس وقتادة والحسن يعني
ادم عليه السلام علمه اسما كل شي وقيل علمه اللغات كلها وكان ادم يتكلم بسبع مائة الف لغة
افضلها العربية وعن ابن عباس ايضا وابن كيسان المراد بالانسان ههنا محمد عليه السلام والمراد
من البيان بيان الحلال والحرام والهدى من الضلال وقيل ما كان وما يكون لانه بين عن الاولين
والاخرين وعن يوم الدين وقال الضحاك البيان الخير والشر وقال الربيع بن انس هو ما ينفعه
مما يضره وقيل المراد بالانسان جميع الناس فهو اسم الجنس والبيان على هذا الكلام والفهم وهو مما
فضل به الانسان على سائر الحيوان وقال السدي علم كل قوم لسانهم الذي يتكلمون به وقال
يمان الكتابة والخط بالقلم نظيره علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم **فصل** في كيفية
النظم انه علم الملائكة اولا ثم خلق الانسان وعلمه البيان يكون ابتدا بالعلوي وقابله بالسفلي
وقدم العلويات على السفليات فقال علم القران اشارة الى تعليم العلويين ثم قال خلق الانسان
علمه البيان اشارة الى تعليم السفليين وقال الشمس والقمر بحسبان في العلويات وقابلها بالسفليات
فقال والنجم والشجر يسجدان ثم قال والسماء رفعها وفي معنا بلغها والارض وضعها **فصل**
هذه الجمل من قوله علم القران خلق الانسان علمه البيان جي بها من غير عاطف لانها سيقت
لتعديد نعمه كقولك فلان احسن الى فلان اكرمه اشاد ذكره رفع من قدره فلشدة الوصل
ترك العاطف والظاهر انها اخبار وقال ابو البقا وخلق الانسان مستانف وكذلك علمه
ويجوز ان يكون حالا من الانسان مقدرة وقدمها مراده انتهى وهذا ليس بظاهر بل الظاهر ما
تقدم ولم يذكر الزمخشري غيره **فان قيل** لم قدم تعليم القران للانسان على خلقه وهو متاخر
عنه في الوجود فالجواب لان التعليم هو السبب في ايجاده وخلقه **فان قيل** كيف
صرح بذكر المفعولين في علمه البيان ولم يصرح بهما في علم القران فالجواب ان المراد من قوله
علمه البيان تعديد النعم على الانسان واستدعا للشكر منه ولم يذكر الملائكة لان المقصود ذكر
ما يرجع الى الانسان وان قيل بانه علم الانسان القران فيقال بانه ذكر نعمة التعليم وعظمها على
سبيل الاجمال ثم بين كيفية تعليمه القران فقال خلق الانسان علمه البيان واستدل
بعضهم بهذه الاية على ان الالفاظ توقيفية **قوله** الشمس والقمر بحسبان فيه ثلاثة اوجه
احدها ان الشمس مبتدا وبحسبان خبرها على حذف مضاف تقد[illegible] الشمس والقمر حساب
اي كائن او مستقرا واستقر بحسبان الثاني ان الخبر محذوف [illegible] الجار تقديره تجريان
بحسبان وعلى هذين القولين فيجوز في الحسبان وجهان احدهما ا[illegible] بمعنى الحسبان فيكون
كالشكران والكفران والثاني انه جمع حس[illegible]اب وشهبان والثالث ان بحسبان خبر والبا

ظرفيه بمعنى في اي كائنان في حسبان وحسبان على هذا اسم للفلك المستدير تشبيها
بحسبان الرحا الذي باستدارته تدور الرحا **فصل** لما ذكر خلق الانسان وانعامه
عليه بتعليمه البيان ذكر نعمتين عظيمتين وهما الشمس والقمر وانهما على قانون واحد وحساب
لا يتغيران وبذلك تتم منفعتهما للزراعات وغيرها فلولا الشمس لما زالت الظلمة ولولا القمر لفات
كثير من المنافع الظاهرة بخلاف غيرهما من الكواكب فان نعمها لا تظهر لكل احد مثل ظهور نعمتهما
وانهما بحساب لا يتغيران ولو كان سيرهما غير معلوم للخلق لما انتفعوا بالزراعات في اوقاتها
ومعرفة فصول السنة ثم لما ذكر النعم السماوية ذكر في مقابلتها ايضا نعمتين من الارض ظاهرتين
وهما النبات الذي لا ساق له وما له ساق لان النبات اصل الرزق من الحبوب والثمار والحشيش
للحيوان وقيل انما ذكرهما بين النعمتين بعد تعليم القران للاشارة الى ان من الناس من لا يكون نفسه
زكية فيكتفي بادلة القران فذكر له ايات الافاق وخص الشمس والقمر لان حركتهما بحسبان تدل على
الفاعل المختار ولو اجتمع العالم ليبينوا سبب حركتهما على هذا التقدير المعين لعجزوا وقالوا ان الله
حركهما بالارادة كما اراد وقيل لما ذكر معجزة القران بانزاله انكروا نزول الجرم من السما وصعوده
اليها فاشار تعالى بحركتهما الى انها ليست بالطبيعة وهم يقولون بان الحركة الدورية من انواع الحركات
لا يكون الا اختياريا فقال تعالى سخرهما على الاستدارة انزل الملائكة على الاستقامة والنقل
على مذهبكم لا تصعد وصعود النجم والشجر انما هو بقدرة الله تعالى فحركة الملك كحركة الفلك جائز
فصل قال المفسرون المعنى يجريان بحساب معلوم فاضمر الخبر قال ابن عباس
وقتادة وابو مالك يجريان بحساب في منازل لا يعدوانها ولا يحيدان عنها وقال ابن زيد
وابن كيسان بهما تحسب الاوقات والاعمار ولولا الليل والنهار والشمس والقمر لم يدر احد
كيف تحسب شيئا اذ كان الدهر كله ليلا او نهارا وقال السدي بحسبان تقدير اجالهما
اي تجريان باجال كاجال الناس فاذا جا اجلهما هلكا نظيره كل يجري لاجل مسمى وقال الضحاك
بقدر وقال مجاهد بحسبان كحسبان الرحا يعني قطبهما يدوران في مثل القطب والحسبان
قد يكون مصدر حسبته احسبه بالضم حسبا وحسابا وحسبانا مثل الغفران والكفران
والرجحان وحسابة ايضا اي عددته وقال الاخفش ويكون جماعة الحساب مثل شهاب
وشهبان والحسبان ايضا بالضم العذاب والسهام القصار الواحدة حسبانة والحسبانة ايضا
الوسادة الصغيرة يقول منه حسبته اذا وسدته قال لثويت غير محسب اي غير موسد
يعني غير مكرم ولا مكفن **قوله** والنجم والشجر يسجدان قال ابن عباس وغيره النجم ما لا
ساق له والشجر ما له ساق وانشد ابن عباس قول صفوان التيمي
لقد انجم القاع الكبير عضاهه ۰ وتم به حيا تميم ووايل ۰ وقال زهير بن ابي سلمى
مكلل باصول النجم تنسجه ۰ ريح الجنوب لضاحي مائه حبك ۰ واشتقاق النجم من نجم الشي ينجم
بالضم نجوما ظهر وطلع ومنه نجم ناب البعير اي طلع وسجودهما سجود ظلالهما قاله الضحاك
وقال الفرا سجودهما انهما يستقبلان الشمس اذا طلعت ثم يميلان معها حتى ينكسر الفي وقال
الزجاج سجودهما دوران الظل معهما كما قال تتفيا ظلاله وقال الحسن ومجاهد النجم نجم
السما وسجوده في قول مجاهد دورانه وهو اختيار الطبري حكاه المهدوي وقيل سجود
النجم افوله وسجود الشجر [illegible] الاختبار لثمارها حكاه الماوردي والاول اظهر لان من فسر
بنجم السما قال سجو[illegible] اذا الشمس والقمر ايضا كذلك ليعتبر بان فلا ينبغي الاختصاص
فائدة وقيل ان جميع ذ[illegible] لله فلا تعبدوا النجم كما عبد قوم من الصابئين النجوم وعبد كثير
من العجم الشجر والسجود الخضوع والمعنى به اثار الحد[illegible]كاه القشيري وقال النحاس اصل السجود

في اللغة الاستسلام والانقياد لله عز وجل فجميع الموات كله استسلامها لامر الله عز وجل وانقيادها
له ومن الحيوان كذا ويكون من سجود الصلوة وانشد محمد بن يزيد في النجم يعني النجوم
• فباتت تعد النجم في مستحيره • سريع بايدي الآكلين جمودها • **قوله** والسما رفعها العامة
على النصب على الاشتغال مراعاة لعجز الجملة التي تسميها النحاة ذات وجهين وفيها دليل لسيبويه
حيث يجوز النصب وان لم يكن في جملة الاشتغال ضمير عايد على المبتدا الذي تضمنته الجملة ذات
الوجهين والاخفش يقول لابد من ضمير مثاله هند قامت وعمرا اكرمته لاجلها قال لانك راعيت
الخبر وعطفت عليه والمعطوف على الخبر خبر فيشترط فيه ما يشترط فيه ولم يشترط الجمهور ذلك ومنا
دليلهم فان القرا كلهم نصبوا مع عدم الرابط الا من شذ منهم وتقدم نحو من هذا في سورة يس عند
قوله تعالى والقمر قدرناه وقرا ابو السماك برفع السما على الابتدا والعطف على الجملة الابتدائية
التي هي قوله الشمس والقمر قال القرطبي فجعل المعطوف مركبا من مبتدا وخبر كالمعطوف عليه **قوله**
ووضع الميزان العامة على وضع فعلا ماضيا والميزان نصب على المفعول به وقرا ابرهيم ووضع
الميزان بسكون الضاد وخفض الميزان وتخريجها على انه معطوف على مفعول رفعها اي ورفع وضع
الميزان اي جعل له مكانة ورفعة لاخذ الحقوق به وهو من بديع اللفظ حيث يصير التقدير
ورفع وضع الميزان وقال الزمخشري فان قلت كيف اخل بالعاطف في الجمل الاولى وجي به
بعده قلت بكت بالجمل الاولى واردة على سنن التعديد للذين انكروا الرحمن والاه كما
بكت منكر ايادي المنعم من الناس بتعديدها عليه في المثال الذي قدمته ثم رد الكلام الى منهاجه
بعد التبكيت في وصل ما يجب وصله للتناسب والتقارب بالعاطف فان قلت اي تناسب
بين هاتين الجملتين حتى وسط بينهما العاطف قلت ان الشمس والقمر سماويان والنجم والشجر ارضيان
فبينهما تناسب من حيث التقابل وان السما والارض لا يزالان يذكران قرينين وان جري
الشمس والقمر بحسبان من جنس الانقياد لامر الله فهو مناسب لسجود النجم والشجر
فصل قال مجاهد وقتادة ووضع الميزان عبارة عن العدل قال السدي وضع في الارض العدل الذي
امر به يقال وضع الله الشريعة ووضع فلان كذا اي القاه وقيل على هذا الميزان القران لان فيه
بيان ما يحتاج اليه وهو قول الحسين بن الفضل وقال الحسن وقتادة ايضا والضحاك هو الميزان
الذي يوزن به لينتصف به الناس بعضهم من بعض وهو خبر بمعنى الامر بالعدل يدل عليه قوله
واقيموا الوزن بالقسط والقسط هو العدل وقيل هو الحكم وقيل المراد وضع الميزان في الاخرة
لوزن الاعمال واصل ميزان موزان وقد مضى القول فيه في الاعراف قال ابن الخطيب قوله ووضع
الميزان اشارة الى العدل كقوله وانزلنا معهم الكتاب والميزان اي لتعملوا بالكتاب وتعملوا بالميزان
لكننا هنا هو القران ووضع الميزان فالمراد بالميزان العدل ووضعه شرعه كانه قيل شرع
العدل لئلا تطغوا في الميزان الذي هو الة العدل هذا هو المنقول قال والاولى العكس في الاول
الالة وفي الثاني بمعنى الوزن او بمعنى العدل **قوله** ان لا تطغوا في ان هذه وجهان احدهما
انها الناصبة ولا بعدها نافية وتطغوا منصوب بان وان قبلها لام العلة مقدرة تتعلق
بقوله ووضع الميزان التقدير لئلا تطغوا كقوله تعالى يبين الله لكم ان تضلوا وجاز الزمخشري
وابن عطية ان تكون المفسرة وعلى هذا تكون لا ناهية والفعل مجزوم بها قال القرطبي فلا يكون لان موضع
من الاعراب فيكون بمعنى اي وتطغوا مجزوما كقوله وانطلق [illegible] ان امشوا اي امشوا الا
ان ابا حيان رد هذا القول بان شرط التفسيرية تقدم جملة [illegible] القول وليست موجودة
قال شهاب الدين والى كونها مفسرة ذهب مكي وابو البقا الا ان ابا البقا [illegible] تنبه للاعتراض فقال
وان بمعنى اي والقول مقدر فجعل القول [illegible] مقدرا لا ملفوظا به الا انه قد يقال

قوله

قوله والقول مقدر ليس بجيد لانها لا تفسر القول الصريح فكيف يقدر ما لا يصح تفسيره فالصالحة
ان يقول وما هو بمعنى القول مقدر **فصل** والطغيان مجاوزة الحد فمن قال
الميزان العدل قال طغيانه الجور ومن قال انه الميزان الذي يوزن به قال طغيانه البخس قال
ابن عطية لا تخونوا من وزنتم له وعنه انه قال يا معشر الموالي وليتم امرين بهما هلك الناس
المكيال والميزان ومن قال انه الحكم قال طغيانه التحريف وقيل فيه اضمار اي وضع الميزان وامركم
ان لا تطغوا فيه **فان قيل** العدل لا شك في كونه نعمة واما الميزان فاي نعمة عظيمة
فيه حتى يعد بسببه في الالاء فالجواب ان النفوس تابى الغبن ولا يرضى احد بان يغلبه
غيره ولو في الشي اليسير ويرى ان ذلك استهانة به فلا يترك خصمه يغلبه ثم ان عند عدم المعيار
الذي به يوخذ الحقوق كل احد يذهب الى ان خصمه يغلبه فوضع الله تعالى معيارا يتبين به
التساوي ولا يقع به البغضا بين الناس وهو الميزان فهو نعمة كاملة ولا ينظر الى عدم ظهور
نعمته وكثرته وسهولة الوصول اليه كالهوا والما الذي لا يبين فضلهما الا عند فقدهما **قوله**
واقيموا الوزن بالقسط اي افعلوه مستقيما بالعدل وقال ابو الدردا اقيموا لسان الميزان
بالقسط والعدل وقال ابن عيينة الاقامة باليد والقسط بالقلب وقال مجاهد القسط
العدل بالرومية وقيل هو كقولك اقام الصلوة اي اتى بها في وقتها واقام الناس اسواقهم اي
اتوا بها لوقتها اي لا تدعوا التعامل بالوزن بالعدل **قوله** ولا تخسروا العامة على ضم
التا وكسر السين من اخسر اي نقص كقوله واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون وقرا زيد بن علي وبلال
ابن ابي بردة بفتح التاء وكسر السين فيكون فعل وافعل بمعنى يقال خسر الميزان واخسره بمعنى
واحد نحو جبر واجبر ونقل ابو الفتح وابو الفضل عن بلال فتح التا والسين ونقلها ايضا
القرطبي عن ابان بن عثمان قال وهما لغتان يقال اخسرت الميزان وخسرته كاجبرته وجبرته
قال شهاب الدين وفيها وجهان احدهما انه على حذف حرف الجر تقديره ولا تخسروا في الميزان
ذكره الزمخشري وابو البقا الا ان ابا حيان قال لا حاجة الى ذلك لان خسر جا متعديا قال تعالى
خسروا انفسهم خسر الدنيا والاخرة قال شهاب الدين وهذا ليس من ذاك الا ترى ان خسروا
انفسهم وخسر الدنيا والاخرة معناه اهلكوها واتبع بها ما اتمه وهذا المعنى ليس
مرادا في الاية قطعا وانما المراد لا تخسروا الموزون في الميزان وقري تخسروا بفتح التا
وضم السين قال الزمخشري وقري ولا تخسروا بفتح التا وضم السين وكسرها وفتحها يقال خسر
الميزان يخسره ويخسره واما الفتح فعلى ان الاصل في الميزان فحذف الجار واوصل الفعل اليه
وكرر لفظ الميزان ولم يضمر في الجملتين بعده تقوية لبيانه وهذا كقول الاخر •
لا ارى الموت يسبق الموت شي • نغص الموت ذا الغنى والفقيرا • **فصل** المعنى
ولا تنقصوا ولا تبخسوا الوزن والكيل كقوله ولا تنقصوا المكيال والميزان وقيل لا تخسروا ميزان
حسناتكم يوم القيمة فيكون ذلك حسرة عليكم وكرر الميزان لحال رؤس الاي وقيل التكرير للامر
بايفا الوزن ورعاية العدل فيه وقال ابن الخطيب ولا تخسروا الميزان اي لا تنقصوا الموزون
وذكر الميزان ثلاث مرات فالاول بمعنى الالة وهو قوله ووضع الميزان والثاني بمعنى المصدر
اي لا تطغوا في الوزن والثالث للمفعول اي لا تخسروا الموزون وبين القران والميزان مناسبة
فان القران فيه العلم الذي لا يوجد في غيره من الكتب والميزان به يقام العدل الذي لا يقام
بغيره من الالات **قوله** [illegible] وضعها للانام كقوله والسما رفعها وقرا ابو السماك بالرفع
مبتدا والانام علم للوضع والانام قيل الحيوان وقيل بنو ادم خاصة وهو مروي عن ابن عباس
ونقل النووي في التهذيب عن الزبيدي الانام الخلق قال ويجوز الانيم وقال الواحدي قال

اللبث الانام ما على ظهر الارض من جميع الخلق وقيل هم الانس والجن قاله الحسن والاول قاله الضحاك
ووزنه فعال كعذال فيجمع في القلة على آنمة بزنة أسوأة آنمه وفي الكثرة على أنم كعذال
واذلة وقذل **قوله** فيها فاكهة يجوز ان يكون هذه الجملة حالا من الارض الا ان حال
مقدرة والاحسن ان يكون الجار والمجرور هو الحال وفاكهة رفع بالفاعلية ونكرت لان الانتفاع
بها دون الانتفاع بما ذكر بعدها وهو من باب الترقي من الادنى الى الاعلى قال ابن الخطيب
الارض موضوعة لكل ما عليها وانما خص الانسان بالذكر لان انتفاعه بها اكثر فانه ينتفع بها
وبما فيها وعليها فقال للانام لكثرة انتفاع الانام بها وقوله فيها فاكهة اي ما يتفكه به الانسان
من انواع الثمار **قوله** والنخل ذات الاكمام اشارة الى الاشجار والاكمام جمع كم بالكسر وهو وعاء
الثمر قال الجوهري والكم بالكسر والكمامة وعاء الطلع وغطاء النور والجمع كمام واكمة واكمام
والاكاميم ايضا وكم الفسيل اذا اشفق عليه فيستر حتى يقوى قال العجاج
بل لو شهدت الناس اذ تكموا بغمة لو لم تفرج غموا اي اغمي عليهم وغطوا واكمت وكممت
اي اخرجت كمامها والكمام بالكسر والكمامة ايضا ما يكم به فم البعير لئلا يعض تقول منه بعير
مكموم اي محجوم وكممت الشيء غطيته ومنه كم القميص بالضم والجمع اكمام وكممة مثل حب وحببة
والكمة القلنسوة المدورة لانها تغطي الراس قال فقلت لهم كيلوا بكمة بعضكم دراهمكم اني
كذلك اكيل قال الحسن ذات الاكمام اي ذات الليف فان النخلة قد تكمم بالليف وكمامها
ليفها الذي في اعناقها وقال ابن زيد ذات الطلع قبل ان يتفتق وقال عكرمة ذات الاحمال
وقال الضحاك ذات الاكمام ذات الغلف والاكمام الاوعية التي يكون فيها الثمر لان ثمر
النخل يكون في غلاف ما لم ينشق والمراد بالفاكهة الفواكه قال ابن كيسان ما يتفكهون به
من النعم التي لا تحصى ونكر الفاكهة للتكثير والتعظيم **قوله** والحب ذو العصف والريحان
قرا ابن عامر بنصب الثلاثة وفيه ثلاثة اوجه النصب على الاختصاص اي واخص الحب قاله
الزمخشري وفيه نظر لانه لم يدخل في مسمى الفاكهة والنخل حتى يخصه من بينها وانما اراد اضمار فعل
وهو اخص فليس هو الاختصاص الصناعي الثاني انه معطوف على الارض قال مكي لان قوله والارض
وضعها اي خلقها فعطف الحب على ذلك الثالث انه منصوب بخلق مضمرا اي وخلق الحب قاله
مكي او وخلق الحب وقراءته موافقة لرسم مصاحفهم فان مصاحف الشام ذا بالالف
وجوزوا في الريحان ان يكون على حذف مضاف اي وذا الريحان فحذف المضاف واقيم المضاف
اليه مقامه كواسئل القرية وقرا الاخوان برفع الاولين وجر الريحان عطفا على العصف وهي
تؤيد قول من حذف المضاف في قراءة ابن عامر والباقون برفع الثلاثة عطفا على فاكهة
اي وفيها ايضا هذه الاشياء ذكر اولا ما تتلذذون به من الفواكه وثانيا الشيء الجامع بين
التلذذ والتغذي وهو ثمر النخل وثالثا ما يتغذى به فقط وهو اعظمها لانه قوت غالب
الناس ويجوز في الريحان على هذه القراءة ان يكون معطوفا على ما قبله اي وفيها الريحان
ايضا وان يكون مجرورا بالاضافة في الاصل اي وذو الريحان ففعل به ما تقدم **والعصف**
قال مجاهد ورق الشجر والزرع وقال ابن عباس تبن الزرع وورقه الذي تعصفه الرياح
قال الراغب اصله من العصف والعصيفة وهو ما يعصف اي يقطع من الزرع وقال
سعيد بن جبير بقل الزرع الذي اول ما ينبت منه وهو قول الفراء والعرب تقول خرجنا
نعصف الزرع اذا قطعوا منه قبل ان يدرك وكذا في الصحاح قاله القرطبي وعصفت الزرع
اي جززته قبل ان يدرك وعن ابن عباس ايضا العصف ورق الزرع الاخضر اذا ونمي وهو
ييبس نظيره كعصف ماكول قال الجوهري أعصف الزرع ومكان معصف اي كثير الزرع

قال ابو قيس بن الاسلت الانصاري • اذا جمادى منعت قطرها • زان جنابي عطن معصف •
وقيل العصف حطام النبات والعصف ايضا الكسب قال الراجز • بغير ما عصف ولا اكتساب •
وكذلك الاعتصاف والعصيفة الورق المجتمع الذي يكون فيه السنبل وحكى الثعلبي وقال
ابن السكيت تقول العرب لورق الزرع العصف والعصيفة والجل بكسر الجيم قال علقمة بن عبدة
• تسقي مذانب قد مالت عصيفتها • حدورها من اتي الماء مطموم • وفي الصحاح والجل بالكسر
قصب الزرع اذا حصد **والريحان** في الاصل مصدر ثم اطلق على الورق قال ابن عباس
ومجاهد والضحاك هو الرزق بلغة حمير كقولهم سبحان الله وريحانه اي استرزاقه وعن ابن عباس
ايضا والضحاك وقتادة انه الريحان الذي يشم وهو قول ابن زيد وعن ابن عباس ايضا انه خضرة
الزرع وقال سعيد بن جبير هو ما قام على ساق وقال الفراء العصف الماكول من الزرع والريحان
ما لا يؤكل وقال الكلبي ان العصف الورق الذي يؤكل والريحان هو الحب الماكول وقيل كل بقلة
طيبة الريح سميت ريحانا لان الانسان يراح لها رائحة طيبة اي يشم وفي الريحان قولان احدهما
انه فعلان وهو من ذوات الواو والاصل روحان من الرائحة قال ابو علي فابدلت الواو
ياء كما ابدلوا الياء واوا في اشاوي وانما قلبت الواو ياء للفرق بينه وبين الروحان وهو كل شيء له روح
قاله القرطبي والثاني ان يكون اصله ريوحان على وزن فيعلان فابدلت الواو ياء وادغمت
فيها الياء ثم خففت بحذف عين الكلمة كما قالوا كينونة وكينونة والاصل تشديد الياء فخفف كما خفف
هين وميت قال مكي ولزم تخفيفه لطوله بلحاق الزيادتين وهما الالف والنون ثم رد قول الفارسي
بانه لا موجب لقلبها ياء ثم قال وقال بعض الناس فذكر ما تقدم عن ابي علي قال القرطبي
والاصل فيما يتركب من الراء والواو والحاء الاهتزاز والحركة وفي الصحاح والريحان نبت
معروف والريحان الرزق تقول خرجت ابتغي ريحان الله وفي الحديث الولد من ريحان الله
وقولهم سبحان الله وريحانه نصبوهما على المصدر يريدون تنزيها له واسترزاقا قوله والحب
ذو العصف والريحان فالعصف ساق الزرع والريحان ورقه قاله الفراء **قوله** فبأي
آلاء ربكما تكذبان فبأي متعلق بتكذبان والتامة على اضافته اي الى الآلاء وقد نبه في جميع
السورة بتنوين اي وتخريجها على انه قطع اي عن الاضافة الى شيء بعده ثم ابدل منه الآلاء ربكما
بدل معرفة من نكرة وتقدم الكلام في الآلاء وما معناها في الاعراف والخطاب في ربكما قيل
للثقلين من الانس والجن لان الانام يتضمنهما وهو قول الجمهور ويدل عليه حديث جابر وفيه للجن
احسن منكم ردا وقيل لما قال خلق الانسان وخلق الجان دل ذلك على ما تقدم وما تاخر لهما وكذا
قوله سنفرغ لكم ايه الثقلان خطاب للانس والجن وقال ايضا يا معشر الجن والانس وقال
الجرجاني خاطب الجن مع الانس وان لم يتقدم للجن ذكر كقوله حتى توارت بالحجاب وقد سبق ذكر
الجن فيما سبق نزوله من القران والقران كالسورة الواحدة فاذا ثبت انهم مكلفون كالانس
خوطب الجنسان بهذه الآيات وقيل الخطاب للذكر والانثى وقيل هو مثنى يراد به الواحد كقوله
تعالى القيا في جهنم وكقول الحجاج بن يوسف يا حرسي اضربا عنقه وقول امرئ القيس
• قفا نبك • وخليلي مرا بي • وقيل التثنية للتاكيد وقيل التكذيب يكون بالقلب او باللسان او بهما
فالمراد هنا **فصل** قال ابن زيد المراد بالآلاء القدرة والمعنى فباي قدرة ربكما
تكذبان وهو قول الكلبي واختاره محمد بن علي الترمذي وقال هذه السورة من بين السور علم القران
والعلم امام الجند والجند تتبعه وانما صارت علما لانها سورة صفة الملك والقدرة فقال الرحمن
علم القران فافتتح السورة باسم الرحمن من بين الاسماء ليعلم العباد ان جميع ما يصفه بعد هذا من افعاله
ومن ملكه وقدرته خرج اليهم من الرحمة فقال الرحمن علم القران ثم ذكر الانسان فقال خلق الانسان

ثم ذكر ما صنع به وما من عليه به من ذكر حسبان الشمس والقمر وسجود الاشيا مما نجم وشجر وذكر رفع السماء
ووضع الميزان وهو العدل ووضع الارض للانام فخاطب هذين الثقلين الجن والانس حين راوا ما
خرج من القدرة والملك برحمانيته التي رحمهم بها من غير منفعة ولا حاجة الي ذلك فاشركوا به
الاوثان وكل معبود اتخذوه من دونه وجحدوا الرحمة التي خرجت هذه الاشيا بها اليهم فقال
سايلا لهم فباي الا ربكما تكذبان اي باي قدرة ربكما تكذبان فانما كان تكذيبهما انهم جعلوا له في
هذه الاشيا التي خرجت من قدرته وملكه شريكا يملك معه ويقدر معه فذلك تكذيبهم ثم
ذكر خلق الانسان من صلصال وذكر خلق الجان من مارج من نار ثم سالهم فقال فباي الا ربكما
تكذبان اي باي قدرة ربكما تكذبان فان له في كل خلق قدرة بعد قدرة فالتكرير في هذه
الايات للتاكيد والمبالغة في التقرير واتخاذ الحجة عليهم بما وقفهم علي خلق خلق وقال القتيبي ان
الله تعالي عدد في هذه السورة نعماه وذكر خلقه والاه ثم اتبع كل خلة وصفها ونعمة وضعها
هذه الاية وجعلها فاصلة بين كل نعمتين ليفهمهم علي النعم ويقررهم بها كما تقول لمن تتابع فيه احسانك
وهو يكفره وينكره الم تكن فقيرا فاغنيتك افتنكر هذا الم تكن خاملا فعززتك افتنكر هذا الم
تكن راجلا فحملتك افتنكر هذا والتكرير حسن في مثل هذا قال ۝ كم نعمة كانت لكم كم وكم ۝
وقال ۝ لا تقتلي مسلما ان كنت مسلمة ۝ اياك من دمه اياك اياك ۝ وقال اخر ۝
لا تقطعن الصديق ما طرفت ۝ عيناك من قول كاشح اشر ۝
ولا تملن من زيارته ۝ زره وزره وزره وزر ۝ وقال الحسين بن الفضل التكرير
طرد للغفلة وتاكيد للحجة قال شهاب الدين والتكرير هاهنا كما تقدم في قوله ولقد يسرنا
القران وكقوله فيما سياتي ويل يومئذ للمكذبين وذهب جماعة منهم ابن قتيبة الي ان التكرير
لاختلاف النعم فلذلك كرر التوقيف مع كل واحدة واحدة قال ابن الخطيب وذكره بلفظ
الخطاب علي سبيل الالتفات والمراد به التقريع والزجر وذكر لفظ الرب لانه يشعر بالرحمة
قال وكررت هذه اللفظة في هذه السورة نيفا وثلاثين مرة اما للتاكيد ولا يعقل لخصوص
العدد معني وقيل الخطاب مع الانس والجن والنعمة منحصرة في دفع المكروه وتحصيل المقصود
واعظم المكروهات عذاب جهنم ولها سبعة ابواب واعظم المقاصد نعيم الجنة ولها ثمانية
ابواب فالمجموع خمسة عشر وذلك بالنسبة للجن والانس ثلاثون والزايد لبيان التاكيد روي جابر
ابن عبد الله قال قرا علينا رسول الله صلي الله عليه وسلم سورة الرحمن حتي ختمها ثم قال
ما لي اراكم سكوتا للجن كانوا احسن منكم ردا ما قرات عليهم هذه الاية مرة فباي الا ربكما تكذبان
الا قالوا ولا بشي من نعمتك ربنا نكذب فلك الحمد **قوله** خلق الانسان من صلصال
كالفخار لما ذكر تعالي خلق العالم الكبير من السماء والارض وما فيهما من الدلالات علي وحدانيته وقدرته
ذكر خلق العالم الصغير فقال خلق الانسان قال المفسرون يعني ادم من صلصال وهو الطين اليابس
الذي يسمع له صلصلة وشبهه بالفخار الذي طبخ وقيل هو طين خلط برمل وقيل هو الطين المنتن
من صل اللحم واصل اذا انتن وقال هنا من صلصال كالفخار وقال في الحجر من صلصال من حما
مسنون وقال انا خلقناهم من طين لازب وقال كمثل ادم خلقه من تراب وكله متفق المعني
وذلك انه اخذ من تراب الارض فعجنه فصار طينا ثم انتقل فصار كالحما المسنون ثم يبس فصار
صلصالا كالفخار وقوله كالفخار نعت لصلصال وتقدم تفسيره **قوله** والجان قيل هو اسم جنس
كالانسان وقيل هو ابو الجن ابليس وقيل هو ابوهم وليس بابليس **قوله** من مارج من نار من الاولي
لابتدا الغاية وفي الثانية وجهان احدهما انها للبيان والثاني انها للتبعيض والمارج قيل ما اختلط
من احمر واصفر واخضر وهذا مشاهد في النار تري الالوان الثلاثة مختلطا بعضها ببعض وقيل

الخالص وقيل الاحمر وقيل الحمرة في طرف النار وقيل المختلط بسواد وقيل اللهب المضطرب وقال
الليث المارج الشعلة الساطعة ذات اللهب الشديد وعن ابن عباس انه اللهب الذي يعلو
النار فيختلط بعضه ببعض احمر واصفر واخضر ونحوه عن مجاهد وقيل المارج المرسل غير ممنوع
قال المبرد المارج النار المرسلة التي لا تمنع وقال ابو عبيدة والحسن المارج المختلط اللهب
واصله من مرج اذا اضطرب واختلط قال الثعلبي يقول انزل الله تعالي لهيب الله من بين
نفوح احدهما بالاخري فاكلت احديهما الاخري وهي نار السموم فخلق منها ابليس قال القشيري
والمارج في اللغة المرسل والمختلط وهو فاعل بمعني مفعول كقوله ماء دافق وعيشة راضية والمعني
ذو امتزاج ومن نار نعت لمارج وتقدم الكلام علي قوله فباي الا ربكما **قوله** رب المشرقين
العامة علي رفعه وفيه اوجه احدها انه مبتدا خبره مرج البحرين وما بينهما اعتراض الثاني
انه خبر مبتدا مضمر اي هو رب اي ذلك الذي فعل هذه الاشيا الثالث انه بدل من الضمير
في خلق وابن ابي عبلة رب بالجر بدلا او بيانا لربكما قال مكي ويجوز في الكلام الخفض علي البدل
من ربكما كانه لم يطلع علي انها قراة منقولة والمشرقان قيل مشرقا الشتاء والصيف ومغرباهما وقيل
مشرقا الشمس والقمر ومغرباهما وذكر غاية ارتفاعهما وغاية انحطاطهما اشارة الي ان الطرفين
يتناول ما بينهما كقولك في وصف ملك عظيم له المشرق والمغرب فيفهم منه ان له ما بينهما ويؤيده
قوله تعالي رب المشارق والمغارب **قوله** مرج البحرين اي خلي وارسل واهمل يقال
مرج السلطان الناس اي اهملهم واصل المرج الاهمال كما تمرج الدابة في المرعي ويقال مرج
خلط وقال الاخفش ويقول قوم امرج البحرين مثل مرج فيكون فعل وافعل بمعني والبحرين
قال ابن عباس بحر السماء وبحر الارض قال سعيد بن جبير يلتقيان في كل عام وقيل يلتقي طرفاهما
وقال الحسن وقتادة بحر فارس والروم وقال ابن جريج البحر المالح والانهار العذبة وقيل
بحر المشرق وبحر المغرب يلتقي طرفاهما وقيل بحر اللولو والمرجان بينهما برزخ حاجز **قوله**
يلتقيان حال من البحرين وهي قريبة من الحال المقدرة ويجوز ويجوز ان تكون مقارنة وبينهما
برزخ يجوز ان تكون جملة مستانفة وان تكون حالا وان يكون الظرف وحده هو الحال والبرزخ
فاعل به وهو احسن لقربه من المفرد وفي صاحب الحال وجهان احدهما هو البحرين والثاني هو فاعل
يلتقيان ولا يبغيان حال اخري كالتي قبلها اي مرجهما غير باغيين او يلتقيان غير باغيين
او بينهما برزخ في حال عدم بغيهما وهذه الحال في قوة التعليل اذ المعني لئلا يبغيا وقد تمحل
بعضهم وقال اصل ذلك لئلا يبغيا ثم حذف حرف العلة وهو مطرد مع ان وان ثم حذفت ان
ايضا وهو حذف مطرد كقوله ومن اياته يريكم فلما حذفت ان ارتفع الفعل وهذا ممنوع الا
انه يتكرر فيه الحذف ولهذا ان يقول ثم جا الحذف اكثر من ذلك فيما هو اخفي من هذا كما تقدم
في قاب قوسين وكما سياتي في قوله وتجعلون رزقكم **فصل** في تعلق الاية بما قبلها
لما ذكر الشمس والقمر وما يجريان في الفلك كما تجري الفلك في البحر لقوله كل في فلك يسبحون
ذكر البحرين عقيب المشرقين والمغربين او لان المشرقين والمغربين يكونان في البر والبحر فذكر البحر
بعد ذكر البر لانحصار البر والبحر بين المشرق والمغرب **قوله** بينهما برزخ اي حاجز لا يبغيان
فعلي القول بانهما بحر السما وبحر الارض فالحاجز الذي بينهما هو ما بين السما والارض قاله الضحاك
وعلي الاقوال الباقية الحاجز هو الارض التي بينهما قاله الحسن وقتادة وقال بعضهم الحاجز هو القدرة
الالهية وقوله لا يبغيان قال قتادة لا يبغيان علي الناس فيغرقانهم جعل بينهما وبين الناس اليبس
وقال مجاهد وقتادة ايضا لا يبغي احدهما علي صاحبه فيغلبه وقال ابن زيد لا يبغيان ان
يلتقيا تقديره مرج البحرين يلتقيان لولا البرزخ الذي بينهما لا يبغيان ان يلتقيا وقيل البرزخ

حا بين الدنيا والآخرة اي بينهما مدة قدرها الله تعالى وهي مدة الدنيا فهما لا يبغيان فاذا اذن الله في انقضا الدنيا صار البحران شيا واحدا وهو كقوله تعالى واذا البحار فجرت وقال سهل ابن عبد الله البحران طريق الخير والشر والبرزخ الذي بينهما التوفيق والعصمة

فصل قال ابن الخطيب ان الله تعالى خلق في الارض بحارا تحيط بها الارض وخلق بحرا محيطا بالارض واحاط به الهوا كما قاله اهل الهيئة وهذه البحار التي في الارض لها اتصال بالبحر المحيط ثم انهما لا يبغيان على الارض ولا يطغيانه بفضل الله لتكون الارض بارزة يتخذها الانسان مكانا وعند النظر الى امر الارض بحال الطبيعي يتحلج في الكلام فان تقدم ان طبع الارض ان تكون في المركز مغمورا بالما ويكون الما محيطا بجميع جوانبه فاذا سيلوا عن ظهور الارض من الما قالوا انه حدث في الارض فلذا قيل الحجر لما [illegible] الذي [illegible] من الحق اسند ذلك الى ارادة الله تعالى ومشيته والاخر يقول ذلك بحسب اتصالات الكواكب كاوضاعها فان قيل لم قلنا اذا اختلفوا وضاع الكواكب على الوجه الذي اوجب البروز في بعض الارض دون بعض بحث كما بحث الذي كلمن ويرجع الى الحق ان هداه الله تعالى قال ابن الخطيب ومعنى الاية ان الله تعالى ارسل بعض البحرين الى بعض ومن شانهما الاختلاط فحجزهما ببرزخ من قدرته فهما لا يبغيان اي لا يجاوز كل واحد منهما ما حد له والبغي مجاوزة الحد وهو الابتغا وهو الطلب اي لا يطلبان غير ما قدر لهما

قوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان قرا نافع وابو عمرو يخرج مبنيا للمفعول والباقون مبنيا للفاعل على المجاز فالواو ثم مثنا فمحذوفا اي من احدهما لان ذلك لم يوجد من البحر العذب حتى عابوا قول الشاعر

۞ فجاء بها ما شيت من لطمية ۞ على وجهها ما الفرات يموج ۞

قال مكي كما قال على رجل من القريتين وحذف المضاف كثير شايع وقيل هو كقوله نسيا حوتهما وانما الناسي فتاه ويعزى هذا لابي عبيدة قال البغوي وهذا جايز في كلام العرب ان يذكر شيين ثم يخص احدهما بفعل كقوله يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم وكانت الرسل من الانس وقيل يخرج من احدهما اللؤلؤ ومن الاخر المرجان وقيل بل يخرجان منهما جميعا ثم ذكروا انا وبل منها انما يخرجان من الملح في الموضع الذي يقع فيه العذب وهذا مشاهد عند الغواصين وهو قول الجمهور فناسب ذلك اسناده اليهما ومنها قول ابن عباس يكون هذه الاشيا في البحرين وان المطر والصدف يتقابلان فيها المطر فنشاهده الناس يكون قوله من بحر السما وبحر الارض وهذا قول الطبري ومنها ان العذب في الملح كاللقاح كما يقال الولد يخرج من الذكر والانثى ومنها انه قيل منهما من حيث هما نوع واحد فخروج هذه الاشيا انما هي منهما كما قال تعالى وجعل القمر فيهن نورا وانما هو في واحدة منهن وقال الزمخشري فان قلت لم قال منهما وانما يخرجان من الملح قلت لما التقيا وصارا كالشي الواحد جاز ان يقال يخرج منهما كما يقال يخرجان من البحر ولا يخرجان من جميع البحر وانما يخرجان من بعضه وتقول خرجت من البلد وانما خرجت من محلة من محاله من دار واحدة من دوره وقيل لا يخرجان الا من ملتقى الملح والعذب انتهى وقال بعضهم كلام الله اولى بالاعتبار من كلام بعض الناس فمن الجايز انه يسوقهما من البحر العذب الى الملح واتفقوا انهم لم يخرجوهما الا من الملح وانما كان في البر اشيا تخفى على التجار المترددين والقاطعين المفاوز فكيف بما في قعر البحر والجواب عن هذا ان الله لا يخاطب الناس ولا يمتن عليهم الا بما يالفون ويشاهدون

واللؤلؤ قيل هو كبار الجوهر والمرجان صغاره قاله علي وابن عباس والضحاك وقيل بالعكس وانشدوا قول الاعشى

۞ من كل مرجانة في البحر احرزها ۞ تيارها ووقاها طيبها الصدف ۞

اراد اللؤلؤة الكبيرة قاله علي وابن عباس ايضا وقيل المرجان حجر احمر وقيل حجر شديد البياض والمرجان اعجمي قال ابن دريد لم اسمع فيه فعلا متصرفا واللؤلؤ بناء غريب لم يرد على هذه الصيغة الا خمسة الفاظ اللؤلؤ

والجوهر

والجوهر وهو الصدر والدردر والبوبو للطاير والبوبو بالموحدتين وهو الاصل واللؤلؤ بهمزتين والهمز هو المشهور وابدال الهمزة واوا سايغ فصيح وقد تقدم ذلك وقرا طلحة اللولي بكسر اللام الثالثة وهي لغة محفوظة ونقل عنه ابو الفضل اللولي بقلب الهمزة الاخيرة يا ساكنة كانه لما كسر ما قبل الهمزة قلبها يا استثقالا وقرا ابو عمرو في رواية يخرج اي الله تعالى وروي عنه ايضا وعن ابن مقسم نخرج بنون العظمة واللؤلؤ والمرجان في هاتين القراتين منصوبتان

فصل قال ابن الخطيب فان قيل اي نعمة عظيمة في اللؤلؤ والمرجان حتى ذكرهما مع نعمة تعليم القران وخلق الانسان واجاب بان النعم منها خلق الضروريات كالارض الذي له مكانا وكذا الرزق الذي به بقاؤه ومنها ما يحتاج اليه وان لم يكن ضروريا كالحيوان واجرا الشمس والقمر ومنها النافع وان لم يكن محتاجا اليها كالفاكهة وخلق البحار كقوله تعالى والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ومنها الزينة وان لم تكن نافعا كاللؤلؤ والمرجان كقوله تعالى وتستخرجون منه حلية تلبسونها فالله تعالى ذكر انواع النعم الاربعة وصدرها بالنعمة العظيمة التي هي الروح وهو العلم بقوله علم القران او يقال بان المقصود منه بيان عجايب الله لا بيان النعم لان النعم سبق ذكرها فذكر خلق الانسان من صلصال وخلق الجان من نار وهذا من العجايب الداله على القدرة لا من النعم واعلم ان الاركان اربعة التراب والما والهوي والنار فالله تعالى بين بقوله خلق الانسان من صلصال ان التراب اصل لمخلوق عجيب وبين بقوله وخلق الجان من مارج من نار ان النار ايضا اصل لمخلوق عجيب وبين بقوله يخرج منهما اللؤلؤ ان الما اصل لمخلوق اخر كالحيوان عجيب بقي الهوا لكنه غير محسوس فلم يذكر انه اصل مخلوق لكن بين كونه منشي الجواري التي في البحر كالاعلام فقال وله الجوار الاية

قوله وله الجوار العامة على كسر الراء لانه منقوص على مفاعل واليا محذوفة لفظا لالتقا الساكنين وقرا عبد الله والحسن ويروى عن ابي عمرو الجوار برفع الراء تناسيا للمحذوف ومنه

۞ لها ثنايا اربع حسان ۞ واربع فثغرها ثمان ۞

وهذا كما قالوا شاك وقد تقدم تقريره هذا في الاعراف عند قوله ومن فوقهم غواش

قوله المنشات قرا حمزة وابو بكر بخلاف عنه بكسر الشين بمعنى انها تنشي الموج بجريها او تنشي السير اقبالا وادبارا او التي رفعت شراعها اي قلوعها والشراع القلع وعن مجاهد كلما رفعت قلعها فهي من المنشات والا فليست منها ونسبة الرفع اليها مجاز كما يقال انشات السحابة المطر والباقون بالفتح وهو اسم مفعول اي انشاها الله او الناس او رفعوا شراعها وقرا ابن ابي عبلة المنشات بتشديد الشين مبالغة والحسن المنشات بالافراد وابدال الهمزة الفا وتاء وبه خطا فافرد الصفة ثقة بافهام الموصوف الجمعية كقوله ازواج مطهرة واما ابداله الهمزة الفا وان كان قياسها بين بين فمبالغة في التخفيف كقوله ۞ ان السباع لتهدا في مرابضها ۞ اي لتهدا واما كتبها بالتا المجذوبة فاتباعا للفظها في الوصل وقوله **في البحر** متعلق بالمنشات ورسمه بالياء بعد الشين في مصاحف العراق يقوي قراءة الكسر ورسمه بدونها يقوي قراءة الفتح وحذفوا الالف كما يحذف في سائر جمع المؤنث السالم وقوله **كالاعلام** حال اما من الضمير المستكن في المنشات واما من الجوار وكلاهما بمعنى واحد

فصل الجوار جمع جارية وهي اسم او صفة للسفينة وخصها بالذكر لان جريها في البحر لا صنع للبشر فيه وهم معترفون بذلك فيقولون لك الفلك ولك الملك واذا خافوا الغرق دعوا الله خاصة وسميت السفينة جارية لان شانها ذلك وان كانت واقفة في الساحل كما سماها في موضع اخر بالجارية فقال انا لما طغى الما حملناكم في الجارية وسماها بالفلك قبل ان تكن كذلك فقال لنوح عليه السلام

واصنع الفلك باعيننا ثم بعد ما عملها سماها سفينة فقال فانجيناه واصحاب السفينة واعلم
ان المراة المملوكة تسمى ايضا جارية لان شانها الجري والسعي في حوايج سيدها بخلاف الزوجة فهو من
الصفات الغالبة والسفينة فعيلة بمعنى فاعلة عند ابن دريد اي تسفن الما وفعيلة بمعنى مفعوله
عند غيره بمعنى مجوزة قال ابن الخطيب فالفلك اولا ثم السفينة ثم الجارية والاعلام الجبال
والعلم الجبل الطويل قال ٭ اذا قطعنا علما بدا علم ٭ وبما اوفيت في علم ترفعن ثوبي شمالات ٭
وقالت الخنسا في صخر ٭ وان صخرا لتاتم الهداة به ٭ كانه علم في راسه نار ٭ اي جبل فالسفن
في البحر كالجبال في البر وجمع الجواري ووحد البحر وجمع الاعلام اشارة الى عظمة البحر قوله
كل من عليها فانٍ غلب من يعقل على غيره وجميعهم مراد والضمير في عليها للارض قال بعضهم وان
لم يجر لها ذكر كقوله حتى توارت بالحجاب ورد هذا بانه قد تقدم ذكرها في قوله والارض وضعها
وقيل الضمير عايد الى الجارية قال ابن عباس لما نزلت هذه الاية قالت الملايكة هلك اهل
الارض فنزلت كل شي هالك الا وجهه فايقنت الملايكة بالهلاك وهو قول مقاتل ووجه النعمة
في فنا الخلق التسوية بينهم في الموت وقيل وجه النعمة ان الموت سبب النقل الى دار الجزا والثواب
قوله ويبقى وجه ربك اي ويبقى الله فالوجه عبارة عن وجود ذاته سبحانه قال ابن
عباس الوجه عبارة عنه كما قال ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام ويقال هذا وجه الامر
ووجه الصواب وعين الصواب ومعنى ذو الجلال والاكرام اي هو اهل لان يكرم وهذا خطاب مع
كل سامع وقيل خطاب للنبي عليه السلام فان قيل كيف خاطب الاثنين بقوله فباي
الا ربكما وخاطب ههنا الواحد فقال ويبقى وجه ربك ولم يقل وجه ربكما فالجواب ان
الاشارة ههنا وقعت الى كل احد فقال ويبقى وجه ربك ايها السامع ليعلم كل احد ان غيره
فانٍ فلو قال ويبقى وجه ربكما لكان كل احد يخرج نفسه ورفيقه المخاطب عن الفناء فان قيل
فلو قال ويبقى وجه الرب من غير خطاب كان ادل على فناء الكل فالجواب ان كاف الخطاب
في الرب اشارة الى اللطف والابقا اشارة الى القهر والموضع موضع بيان اللطف وتعديد
النعم فلهذا قال بلفظ الرب وكاف الخطاب قوله ذو الجلال والاكرام العامة على ذو
بالواو صفة للوجه وابي وعبد الله ذي بالياء صفة لربك وسياتي خلاف القراء في اخر السورة
ان شا الله تعالى والجلال العظمة والكبريا والاكرام يكرم انبياه واولياه بلطفه مع جلاله
وعظمته قوله يساله من في السموات فيه وجهان احدهما هو مستانف والثاني انه حال
من وجه والعامل فيه يبقى اي يبقى مسولا من اهل السموات والارض وفيه اشكال لانه لما قال
ويبقى وجه ربك كان اشارة الى بقايه بعد فناء من على الارض فكيف يكون في ذلك الوقت
مسولا لمن في الارض قال ابن الخطيب والجواب من وجوه الاول انهم يفنون بالنظر اليه لكنهم
يبقون ببقاء الله فيصح ان يكون الله مسولا الثاني ان يكون مسولا معنى لا حقيقة لانهم اذا فنوا
فهم يسالونه بلسان الحال الثالث ان قوله ويبقى للاستمرار فهو يبقى ويفنيه من كان في الارض
ويكون مسولا الرابع ان السايلين هم الملايكة الذين هم في الارض فانهم فيها وليسوا عليها ولا تضرهم
زلزلتها فعند ما يفنى من عليها يبقى الله تعالى ولا يفنى في تلك الحال الملايكة فيسالونه ما يفعل
بامرهم بما يريد فصل وهذا السوال اما استعطاف واما استعطا فيساله كل
احد ما يحتاج اليه قال ابن عباس وابو صالح اهل السموات يسالونه المغفرة ولا يسالونه الرزق
واهل الارض يسالونهما جميعا وقال ابن جريج تساله الملايكة الرزق لاهل الارض فكانت المسيلتان
جميعا من اهل السما واهل الارض قال القرطبي وفي الحديث ان من الملايكة ملكا له اربعة
اوجه وجه كوجه الانسان يسال الله الرزق لبني ادم ووجه كوجه الاسد وهو يسال الله

الرزق للسباع ووجه كوجه الثور وهو يسال الله الرزق للبهايم ووجه كوجه النسر فهو يسال الله
الرزق للطير وقال ابن عطا انهم يسالونه القوة على العبادة قوله كل يوم منصوب بالاستقرار
الذي تضمنه الخبر وهو قوله في شان والشان الامر فصل روي ابو الدردا وعن
النبي صلى الله عليه وسلم قال كل يوم هو في شان قال من شانه ان يغفر ذنبا ويفرج كربة ويرفع
اقواما ويضع اخرين وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الله عز وجل كل يوم هو في شان
قال يغفر ذنبا ويكشف كربا ويجيب داعيا وقيل من شانه انه يحيي ويميت ويعز ويذل
ويرزق ويمنع وقال ابن بحر الدهر كله يومان احدهما مدة ايام الدنيا والاخر يوم القيمة
فشانه سبحانه في ايام الدنيا الابتلا والاختبار بالامر والنهي والاحيا والاماتة والاعطا
والمنع وشانه يوم القيمة الجزا والحساب والثواب والعقاب والظاهر ان المراد بذلك
الاخبار عن شانه في كل يوم من ايام الدنيا وقال عمرو بن ميمون في قوله تعالى كل يوم هو في شان
من شانه ان يميت حيا ويحيي ميتا ويقر في الارحام ويعز ذليلا ويذل عزيزا وقيل شانه
ان يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويشفي
سقيما ويسقم سليما ويبتلي معافا ويعافي مبتلا ويعز ذليلا ويذل عزيزا ويفقر غنيا
ويغني فقيرا وقال الكلبي يسوق المقادير الى المواقيت وعن عبد الله بن طاهر انه دعا الحسين
ابن الفضل وقال له اشكلت علي ثلاث ايات دعوتك لتكشفها لي قوله تعالى فاصبح من
النادمين وقد صح ان الندم توبة وقوله كل يوم هو في شان وصح ان القلم جف بما هو كاين الى
يوم القيمة وقوله وان ليس للانسان الا ما سعى فما بال الاضعاف فقال الحسين يجوز ان لا
يكون الندم توبة في تلك الامة ويكون في هذه الامة لان الله تعالى خص هذه الامة بخصايص
لم يشاركهم فيها الامم وقيل ان ندم قابيل لم يكن على قتل هابيل ولكن على حمله واما قوله وان ليس
للانسان الا ما سعى فمعناه ليس له الا ما سعى عدلا ولي ان اجزيه بواحدة الفا واما قوله
كل يوم هو في شان فانها شوون يبديها لا شوون يبتديها فقام عبد الله فقبل راسه وسوغ
خراجه قوله سنفرغ لكم قرا سيفرغ بالياء الاخوان اي سيفرغ الله تعالى والباقون
من السبعة بنون العظمة والرا مضمومة في القراتين وهي اللغة الفصحى لغة الحجاز وقراها
مفتوحة الرا مع النون الاعرج ويحتمل وجهين احدهما ان يكون من فرغ بفتح الرا في الماضي
وفتحت في المضارع لاجل حرف الحلق والثاني انه سمع فيه فرغ بكسر العين فيكون هذا مضارعه
وهذه لغة تميم وقرا عيسى بن عمر وابو السماك سيفرغ بكسر حرف المضارعة وفتح الرا وتو
واضح مما تقدم في الفاتحة قال ابو حاتم هي لغة سفلى مضر والاعمش وابو حيوة وابو بحريه
سيفرغ بضم اليا من تحت مبنيا للمفعول وعيسى ايضا بفتح نون العظمة وكسر الرا والاعرج ايضا
بفتح اليا والرا ويروى عن ابي عمرو فصل قال القرطبي يقال فرغت من الشغل
افرغ فروغا وفراغا وتفرغت لكذا واستفرغت مجهودي في كذا اي بذلته وليس بالله تعالى
شغل يفرغ منه وانما المعنى سنقصد لمجازاتكم ومحاسبتكم فهو وعيد لهم وتهديد قاله ابن عباس
والضحاك كقول القايل لمن يريد تهديده اذن اتفرغ لك اي اقصد قصدك وانشد ابن الانباري
لجرير ٭ الان وقد فرغت الى نمير ٭ فهذا حين كنت لهم عذابا ٭ يريد وقد قصدت وانشد
الزجاج والنحاس ٭ فرغت الى العبد المقيد في الحجل ٭ ويدل عليه قراءة ابي سنفرغ اليكم اي سنقصد
اليكم وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم انه لما بايع الانصار ليلة العقبة صاح الشيطان
يا اهل الحباجب هذا مذمم يبايع بني قيلة على حربكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا ازب
العقبة اما والله يا عدو الله لاتفرغن لك اي اقصد الى ابطال امرك وهذا اختيار القتبي

والكسائي وغيرهما قال ابن الاثير الازب في اللغة الكثير الشعر وهو ههنا شيطان اسمه ازب
العقبه وهو الحية وقيل ان الله تعالى وعد على التقوى واوعد على الفجور ثم قال سنفرغ لكم اي
مما وعدناكم ونوصل كلا الى ما وعدناه اقسم ذلك واتفرغ منه قاله الحسن ومقاتل وابن زيد
قوله ايها الثقلان تقدم الكلام في قراة ايها في النور وهو منادى والحكمة في ندا المبهم
ان ينتبه كل سامع ثم تخصص المقصود بعد ذلك فيكون فيه اهتمام بالمنادى وايضا يجعل
المبهم وصلة لندا المعرف باللام وزيد معه ها التي للتنبيه عوضا عن الاضافة لان المبهم يضاف
والثقلان الجن والانس سميا بذلك لعظم شانهما بالاضافة الى ما في الارض من غيرهما
بسبب التكليف وقيل سموا بذلك لانهما ثقلا الارض احيا وامواتا قال الله تعالى واخرجت
الارض اثقالها ومنه قولهم اعطه ثقله اي وزنه وقال بعض اهل المعاني كل شي له قدر ووزن
يتنافس فيه فهو ثقل ومنه قيل لبيض النعام ثقل لان واجده وصايده يفرح به اذا ظفر به
وقال جعفر الصادق سميا ثقلين لانهما مثقلان بالذنوب وقيل الثقل الانس لزيهم وسمي الجن بذلك
مجاز المجاورة والتغليب كالقمرين والعمرين والثقل العظيم الشريف قال عليه السلام اني تارك
فيكم ثقلين كتاب الله وعترتي فصل جمع في قوله سنفرغ لكم ثم قال ايه الثقلان
لانهما فريقان وكل فريق جمع وكذا قوله تعالى يا معشر الجن والانس ان استطعتم ولم يقل ان
استطعتما لانهما فريقان في حال الجمع كقوله تعالى فاذا هم فريقان يختصمون وهذان خصمان
اختصموا في ربهم ولو قال سنفرغ لكما وقال ان استطعتما لجاز وقرا زيد بن علي ان استطعتما خطابا
للتغليب وجهه ان يمشي على سنن واحد فيقرا ان تنفذا الا تنفذا والعامة جعلوه كقوله وان طائفتان
من المومنين اقتتلوا ادخل كل واحد افراد وقيل اتي بصيغة الجمع في قوله ان استطعتم لاجل قوله
يا معشر الجن فان المعشر جمع وقرا اهل الشام ايه الثقلان بضم الها والباقون بفتحها فصل
هذه الايات والتي في الاحقاف وفي قل اوحي دليل على ان الجن مخاطبون مكلفون مامورون
منهيون مثابون معاقبون كالانس سواء مومنهم كمومنهم وكافرهم ككافرهم قوله يا معشر الجن
والانس ان استطعتم ان تنفذوا الاية لما بين ان الله تعالى لا يشغله شان عن شان كان قائلا
قال فلم اخر عذابهم فاجيب بان الجميع في قبضته وان الذي يستعجل انما يخاف الفوت
والجميع في قبضة الله تعالى فلا يفوتونه والمعشر الجماعة العظيمة لان المعشر هو العدد الكامل
الكثير الذي لا عدد بعده الا بابتدا ما فيها من الاحاد تقول احد عشر واثنا عشر
وعشرون وثلاثون الى ثلاث عشرات فالمعشر كانه في محل العشر الذي هو الكثرة الكاملة فان
قيل ما الحكمة في تقديم الجن على الانس ههنا وتقديم الانس على الجن في قوله لئن اجتمعت
الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران فالجواب ان النفوذ من اقطار السموات والارض
بالجن اليق ان امكن والاتيان بمثل القران بالانس اليق ان امكن فقدم في كل موضع ما يليق
به فصل معنى الاية ان استطعتم ان تنفذوا تجوزوا وتخرجوا بسرعة والنفوذ
الخروج وقد تقدم في اول البقرة ان ما فاه نون وعينه فا يدل على الخروج كنفق ونفر
ثم قال من اقطار السموات والارض فاهربوا واخرجوا منها وهذا امر تعجيز والمعنى حيث ما
كنتم ادرككم الموت كما قال تعالى اينما تكونوا يدرككم الموت وهو قول الضحاك وروى جويبر
عن الضحاك ايضا قال يقال لهم هذا يوم القيمة يعني ان استطعتم ان تجوزوا اطراف السموات
والارض فتعجزوا ربكم حتى لا يقدر عليكم فجوزوا يعني لا مهرب لكم ولا خروج لكم عن ملك الله واينما
توليتم فثم ملك الله وقال ابن عباس ان استطعتم ان تعلموا ما في السموات وما في الارض فاعلموه
ولن تعلموه الا بسلطان اي ببينة من الله تعالى وعنه ايضا لا تنفذون الا بسلطان لا تخرجون

من

من سلطاني وقدرتي عليكم وقال قتادة لا تنفذون الا بملك وليس لكم ملك وقيل البا بمعنى الى
اي الا الى سلطاني كقوله تعالى وقد احسن بي اي الي وقيل معناه لا تنفذون الا ومعكم سلطان
الله وقيل معناه لا تتخلصون من عذاب الله الا بسلطان الله يجيركم والا فلا مجير لكم قوله
الا بسلطان حال او متعلق بالفعل قبله والسلطان القوة التي يتسلط بها على الامر والملك
والقدرة والحجة كلها سلطان يريد حيث ما توجهتم كنتم في ملكي قوله يرسل عليكما
شواظ قرا ابن كثير بكسر الشين والباقون بضمها وهما لغتان بمعنى واحد مثل صوار وصوار من
البقر وصوار وهو القطيع من البقر والشواظ قيل اللهب معه دخان وقال ابن عباس وغيره هو
اللهب الخالص الذي لا دخان له وقيل اللهب الاحمر وقيل هو الدخان الخارج من اللهب وقال
روبة ٥ ونار حرب تسعر الشواظا ٥ وقال حسان ٥ هجوتك فاختضعت لها بذل ٥
٥ بقافية تاجج كالشواظ ٥ وقال مجاهد الشواظ اللهب الاخضر المنقطع من النار وقال
الضحاك هو الدخان الذي يخرج من اللهب ليس بدخان الحطب وقاله سعيد بن جبير وقيل
الشواظ النار والدخان جميعا قاله ابو عمرو وحكاه الاخفش عن بعض العرب ويرسل
مبني للمفعول وهو قراة العامة وزيد بن علي نرسل بالنون شواظا ونحاسا بالنصب ومن
نار صفة لشواظ او متعلق بيرسل قوله ونحاس قرا ابن كثير وابو عمرو بجره عطفا
على نار والباقون برفعه عطفا على شواظ والنحاس قيل هو الصفر المعروف يذيبه الله تعالى
ويعذبهم به وقيل الدخان الذي لا لهب معه قال الخليل وهو معروف في كلام العرب
وانشد للاعشى ٥ يضي كضوء سراج السليط لم يجعل الله فيه نحاسا ٥ قال المهدوي
من قال ان الشواظ النار والدخان جميعا فالجر في نحاس على هذا بين فاما الجر على قول
من جعل الشواظ اللهب الذي لا دخان فيه فبعيد لا يسوغ الا على تقدير حذف موصوف كانه
قال يرسل عليكما شواظ من نار وشي من نحاس فشي معطوف على شواظ ومن نحاس جملة هي صفة
لشي وحذف شي وحذفت من لتقدم ذكرها في من نار كما حذفت على من قولهم على من تنزل
انزل عليه فيكون نحاس على هذا مجرورا بمن المحذوفة وتضم نونه وتكسر وبالكسر قرا مجاهد
وطلحة والكلبي ونقله القرطبي عن حميد ايضا وعكرمة وابي العالية وقرا ابن جندب
ونحس كقوله في يوم نحس وابن ابي بكرة وابن ابي اسحاق ونحس بضم الحاء والسين مشددة
من قوله او نحسهم اي ونقتل بالعذاب وقرا ابن ابي اسحاق ايضا ونحس بضم الحا وفتحها
وكسرها وجر السين والحسن والقاضي ونحس بفتحتين وجر السين وتقدمت قراة زيد ونحاسا
بالنصب لعطفه على شواظا في قراته والنحاس ايضا بالكسر الطبيعة والاصل يقال فلان
كريم النحاس والنحاس ايضا بالضم اي كريم النجار وقال ابن مسعود النحاس المهل وقال الضحاك
هو دردي الزيت المغلي وقال الكسائي هو النار التي لها ريح شديد وقوله فلا تنتصران اي لا
ينصر بعضكم بعضا يعني الجن والانس وثنى الضمير في عليكما لان المراد النوعان وجمع في قوله ان
استطعتم لانه خطاب للجمع وكذا قوله فلا تنتصران خطاب للحاضرين وهم نوعان قوله
فاذا انشقت السما جوابه مقدر اي رايت هولا عظيما او كان ما كان وقوله فكانت وردة
اي مثل وردة فقيل هي الزهرة المعروفة التي تشم شبهها بها في الحمرة وانشد ٥
٥ فلو كنت وردا لونه لعشقتني ولكن ربي شانني بسواديا ٥ وقيل هي من لون الفرس الورد
يكون في الربيع الى الصفرة وفي الشتا الى الحمرة وفي اشتداد البرد الى الغبرة فشبه تلون
السما بتلون الوردة من الخيل وقرا عمرو بن عبيد وردة بالرفع قال الزمخشري بمعنى فحصلت
سما وردة وهو من الكلام الذي يسمى التجريد كقوله ٥ فلئن بقيت لارحلن بغزوة نحو الغنائم او

كريمه

قوله كالدهان تجوز ان يكون خبرا ثانيا وان يكون نعتا لوردة وان يكون حالا من اسم كانت
وفي الدهان قولان احدهما انه جمع دهن نحو قرط وقراط ورمح ورماح وهو في معنى قوله
تعالى تكون السما كالمهل وهو دردي الزيت والثاني انه اسم مفرد فقال الزمخشري اسم ما يدهن
به كالحزام والادام وانشد • كانهما مزادتا متعجل فريان • لما بدهنها بدهان • وقال
غيره هو الاديم الاحمر وانشد للاعشي • واجرد من كرام الخيل طرف • كان على شواكله دهانا •
اي اديما احمر وهذا احتمل ان يكون جمعا ويؤيده ما انشده منذر بن سعيد
• يبني الدهان الحمر كل عشية • بموسم بدر او بسوق عكاظ • فقوله الحمر يؤيد كونه جمعا وقد
يقال هو كقولهم اهلك الناس الدينار الحمر والدرهم البيض الا انه خلاف الاصل وقيل شبهت
بالدهان وهو الزيت لذوبها ودورانها وقيل لبريقها فصل قال المفسرون
انشقت السما انصدعت يوم القيمة فكانت وردة كالدهان قال مجاهد والضحاك وغيرهما
الدهان الدهن والمعنى صارت في صفا الدهن والدهان على هذا جمع دهن وقال
سعيد بن جبير وقتادة المعنى تصير في حمرة الورد وجريان الدهن اي تذوب مع جريان
الدهن حتى تصير حمرا من حرارة نار جهنم وتصير مثل الدهن لرقتها وذوبانها وقيل الدهان
الجلد الاحمر الصرف ذكره ابو عبيد والفرا اي تصير السما كالاديم لشدة حر نار جهنم وعن
ابن عباس المعنى فكانت كالفرس الورد في الربيع كميت اصفر وفي اول الشتا كميت احمر فاذا
اشتد الشتا كان كميتا اغبر وقال الفرا اراد الفرس الوردة تكون في الربيع وردة الى الصفرة
فاذا اشتد البرد كانت وردة حمرا فاذا كان بعد ذلك كانت وردة الى الغبرة فشبه
تلون السما بتلون الورد من الخيل وقال الحسن كالدهان اي كصب الدهن فانك اذا صببته
ترى فيه الوانا وقال زيد بن اسلم المعنى تصير كعكر الزيت وقيل المعنى انها تمر وتجي قال
الزجاج اصل الواو والرا والدال للمجي والاتيان وهذا قريب مما تقدم من ان الفرس الوردة
يتغير الوانها والورد ايضا يطلق على الاسد وقال قتادة انها اليوم خضرا وسيكون لها لون احمر
حكاه الثعلبي وقال الماوردي وزعم المتقدمون ان اصل لون السما الحمرة وانها لكثرة الحوايل
وبعد المسافة يرى لونها ازرق وشبهوا ذلك بعروق البدن هي حمر كحمرة الدم وترى بالحايل
زرقا فان كان هذا صحيحا فان السما لقربها من النواظر يوم القيمة وارتفاع الحواجز ترى
حمرا لانه اصل لونها والله اعلم قوله فيومئذ التنوين عوض من الجملة اي فيوم اذ انشقت
السما والفا في فيومئذ جواب الشرط وقيل هو محذوف اي فاذا انشقت السما رايت امرا هولا
ونحو ذلك والها في ذنبه تعود على احد المذكورين وضمير الاخر مقدر اي ولا يسال عن ذنبه
جان ايضا وناصب الظرف لا يسال ولا عبرة بمانعه وقد تقدم الخلاف فيها في الفاتحة و
تقدمت قراة جان بالهمز فيها ايضا فصل قال المفسرون هذه الاية مثل قوله
تعالى ولا يسال عن ذنوبهم المجرمون وان في القيمة مواطن لطول ذلك اليوم فيسال في بعض ولا
يسال في بعض وهذا قول عكرمة وقيل المعنى لا يسالون اذا استقروا في النار وقال الحسن
وقتادة لا يسالون عن ذنوبهم لان الله حفظها عليهم وكتبتها الملايكة ورواه العوفي عن ابن عباس
وعن الحسن ومجاهد ايضا لا تسال الملايكة عنهم لانهم يعرفونهم بسيماهم دليله قوله يعرف المجرمون
بسيماهم ورواه مجاهد عنه ايضا في قوله تعالى فوربك لنسالنهم اجمعين وقوله تعالى فيومئذ لا
يسال عن ذنبه انس ولا جان قال لا يسال ليعرف ذلك منهم ولكنه يسالهم لم عملتموها سوال توبيخ
وقال ابو العالية لا يسال غير المجرم عن ذنب المجرم وقال قتادة يسالون قبل الختم على افواههم
ثم يختم على افواههم وتتكلم جوارحهم شاهدة عليهم قوله يعرف المجرمون بسيماهم قرا حماد

ابن

ابن ابي سليمان بسيماهم بالمد وتقدم الكلام على ذلك في اخر البقرة قوله فيوخذ بالنواصي
الاية يوخذ [illegible] ومع ذلك تعدى بالبا لانه ضمن معنى يسحب قاله ابو حيان وسحب انما
تعدى بعلى قال تعالى يسحبون في النار على وجوههم فكان ينبغي ان يقول ضمن معنى [illegible]
به تعدى وقال مكي انما يقال اخذت الناصية واخذت بالناصية ولو قلت اخذت الناصية
بالناصية لم يجز وحكي عن العرب اخذت الخطام واخذت بالخطام [illegible]
فيوخذ كل واحد بالنواصي وليس بجواب الاية لانه [illegible]
يجوز ان يتعدى الى مفعولين [illegible] المعنى
عند الاول [illegible]
بعمرو اي [illegible]
بعد من ايضا [illegible] قال ابن الخطيب فان قيل كيف عدى
الاخذ بالبا [illegible]
ان الاخذ [illegible]
ان كان مقصودا [illegible] الماخوذ
حتى [illegible] اليه
بنفسه [illegible]
[illegible] واخذ [illegible]
تعالى لا تاخذ بلحيتي ولا براسي [illegible]
ما يكون الماخوذ [illegible] الى الاستيلا
الاخذ [illegible] بالنواصي والاقدام [illegible]
عند البصريين [illegible]
تقدم [illegible]
والتي [illegible]
او [illegible] فصل [illegible] المجرمون بسيماهم اي بسواد الوجوه
وزرقة الاعين [illegible]
نوخذ بالنواصي والاقدام [illegible] الملايكة بنواصيهم اي بشعور مقدم رؤوسهم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
تاخذ بناصيته [illegible] فان قيل
ما وجه [illegible]
قوله يوخذ [illegible] بالنواصي [illegible]
[illegible] قوله هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون اي يقال لهم
هذه جهنم قال ابن الخطيب [illegible]
المضاف [illegible]
والاقدام [illegible]
التي يكذب بها المجرمون هذه [illegible]
[illegible] هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون [illegible] قوله

يطوفون قرأ السلمي يطوفون من طاف وعلي بن ابي طالب رضي الله عنه وابو عبد الرحمن يطافون مبنيا
للمفعول من الاطافة [illegible] والاعمش وطلحة وابن مقسم يطوفون بضم الياء وفتح الطاء وكسر الواو مشددة
اي يطوفون انفسهم وقرأت فرقة يطوفون بتضعيف الطاء والواو والاصل يتطوفون قوله
حميم آن اي حار متناه في الحرارة [illegible]
ويتقدم في الاعراب [illegible] بين الحميم وبين الجحيم والطبيب الشراب
وفي قوله تعالى [illegible] الذي [illegible] قاله ابن عباس وسعيد
ابن جبير والسدي [illegible]
قال قتادة [illegible]
[illegible] الذي
آن [illegible] فان قيل [illegible] الامور التي
[illegible]

آن

الآي وايضا قال ذواتا وقال عطاء وابن شوذب نزلت هذه الاية في ابي بكر رضي الله عنه حين ذكر
ذات يوم الجنة حين ازلفت والنار حين ابرزت وقال الضحاك بل شرب ذات يوم لبنا على ظما فاعجبه
فسال عنه فاخبر انه من غير حل فاستقاءه ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر اليه فقال رحمك
الله لقد انزلت فيك اية وتلا عليه الاية قوله ذواتا صفة جنتان او خبر مبتدا محذوف
اي هما ذواتا وذواتا في تثنية ذات لغتان الرد الى الاصل فان اصلها ذوية فالعين واو واللام
يا لانها مؤنثة ذو والثانية التثنية على اللفظ فيقال ذاتا قوله والافنان فيه
وجهان احدهما انه جمع فنن كطلل وهو الغصن قال النابغة الذبياني
بكا حمامة تدعو حمامة [illegible] على فنن تغني [illegible] وقال اخر [illegible]
ذنب وريقا هتوف بالضحى ذات [illegible] في فنن وقال اخر على كل افنان العضاة
والفنن جمعه افنان ثم الافانين قال الشاعر [illegible]
وشجرة فنا اي ذات افنان وفنوا ايضا على قياس [illegible] وفي الحديث اهل الجنة مرد مكحلون اولو
افانين يريد الوفين وهو جمع افنان وافنان جمع فنن من الشعر شبه بالغصن ذكره الهروي
وقيل ذواتا افنان اي ذواتا سعة وفضل على سواهما قاله قتادة وعن مجاهد ايضا وعكرمة
ان الافنان ظل الاغصان على الحيطان وقال مجاهد الفنن هو الغصن المستقيم طولا والوجه
الثاني انه جمع فن كدن وانه اثنا ابن عباس والمعنى ذواتا انواع واشكال وانشد ولي
ومن كل افنان اللذاذة والصبا لهوت به والعيش اخضر ناضر قال سعيد بن
جبير والضحاك الوان من الفاكهة واحدها فن من قولهم افتن فلان في حديثه اذا اخذ
في فنون منه وضروب الا انه الكثير في فن اي تجمع على فنون وجمع عطاء بين القولين فقال في
كل غصن فنون من الفاكهة قوله فيهما عينان تجريان اي في كل واحدة منهما عين جارية
كما قال تعالى فيها عين جارية قال ابن عباس تجريان ماء بالزيادة والكرامة من الله تعالى على
اهل الجنة وعن ابن عباس ايضا والحسن تجريان بالماء الزلال احدى العينين التسنيم والاخرى
السلسبيل وقال عطية احدهما من ماء غير آسن والاخرى من خمر لذة للشاربين وقيل تجريان
من جبل من مسك قال ابو بكر الوراق فيهما عينان تجريان لمن كانت عيناه في الدنيا تجريان
من مخافة الله قوله فيهما من كل فاكهة زوجان اي صنفان ونوعان قيل معناه ان فيهما
من كل ما يتفكه به ضربين رطبا ويابسا قال ابن عباس ما في الدنيا ثمرة حلوة ولا مرة الا وهي
في الجنة حتى الحنظل الا انه حلو فان قيل قوله ذواتا افنان وفيهما عينان تجريان
وفيهما من كل فاكهة زوجان كلها اوصاف للجنتين المذكورة فهو كالكلام الواحد تقديره جنتان
ذواتا افنان وفيهما عينان تجريان وفيهما من كل فاكهة زوجان فما الفائدة في فصل بعضها
عن بعض بقوله فبأي الاء ربكما تكذبان مع انه لم يفصل حين ذكر العذاب بين الصفات بل
قال يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران مع ان ارسال النحاس غير ارسال الشواظ
وقوله يطوفون كلام اخر فالجواب ان جمع العذاب جملة وفصل ايات الثواب ترجيحا
لجانب الرحمة على جانب العذاب وتطييبا للقلب وتهييجا للسامع فان اعادة ذكر
المحبوب محبوب وتطويل الكلام في اللذات مستحسن فان قيل ما وجه توسيط
اية العينين بين ذكر الافنان واية الفاكهة والفاكهة انما تكون على الاغصان فالمناسبة
ان لا يفصل بين اية الاغصان والفاكهة فالجواب انه على عادة المتنعمين اذا خرجوا يتفرجون
في البستان فاول قصدهم الفرجة بالخضرة والماء ثم يكون الاكل تبعا قوله متكئين يجوز
ان يكون حالا من من في قوله ولمن خاف وانما جمع حملا على معنى من بعد الافراد حملا على لفظها

وقيل حال عاملها محذوف اي يتنعمون متكئين وقيل منصوب على الاختصاص والعامة على فرش بضمتين وابو حيوة بضمه وسكون وهي تخفيف منها **قوله** بطائنها من استبرق هذه الجملة يجوز ان يكون صفة لفرش والظاهر انها صفة لفرش وتقدم الكلام في الاستبرق في سورة الكهف
وقال ابو البقاء هنا اصل الكلمة فعل على استفعل فلما سمي به قطعت همزته وقيل هو اعجمي وقرئ بحذف الهمزة وكسر النون وهو سهو لان ذلك لا يكون في الاسماء بل في المصادر والافعال انتهى
اما قوله وهو سهو لان ذلك لا يكون الى اخره يعني ان حذف الهمزة في الدرج لا يكون الا في الافعال والمصادر واما الاسماء فلا تحذف همزتها لانها همزات قطع قال شهاب الدين وهذا الكلام احق بان يكون سهوا الا انا ولا اسلم ان هذه القراءة من حذف همزة القطع اجراء لها مجرى همزة الوصل وانما ذلك من باب نقل حركة الهمزة الى الساكن قبلها وحركة الهمزة كانت كسرة فحركة النون حركة نقل لا حركة التقاء الساكنين ثم قوله الا في الافعال والمصادر ليس هذا الحصر صحيحا لانها في الوجود ذلك في اسماء عشرة ليست بمصادر تقدم ذكرها في اول الكتاب قال ابن الخطيب قوله على فرش متعلق بما في متكئين كانه يقول يتكئون على فرش كما يقال فلان اتكأ على عصاه او على مخدته وهذا يشبه لان الفراش لا يتكأ عليه وان كان متعلقا بغيره فما هو فنقول تقديره يتنعمون كالكائنين على فرش متكئين من غير بيان ما يتكئون عليه **فصل** الاستبرق ما غلظ من الديباج
قال ابن مسعود وابو هريرة اذا كانت البطائن التي تلي الارض هكذا فما ظنك بالظهارة وقيل لسعيد بن جبير البطائن من استبرق فما الظواهر قال هذا مما قال الله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقال ابن عباس انما وصف لكم بطائنها لتهتدي اليه قلوبكم فاما الظواهر فلا يعلمها الا الله قال القرطبي وفي الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ظواهرها نور يتلألأ وعن الحسن البطائن هي الظواهر وهو قول الفراء وروي عن قتادة والعرب تقول للبطن ظهرا فيقولون هذا بطن السماء وظهر الارض وقال الفراء قد تكون البطانة الظهارة والظهارة البطانة لان كل واحد منهما يكون وجها والعرب تقول هذا ظهر السماء وهذا بطن السماء لظاهرها الذي نراه وانكر ابن قتيبة وغيره هذا وقالوا لا يكون هذا الا في الوجهين المتساويين اذا ولي كل واحد منهما قوما كالحائط بينك وبين قوم وعلى ذلك امر السماء وقال ابن عباس وصف البطائن وترك الظواهر لانه ليس في الارض احد يعرف الظواهر **فصل** قال ابن الخطيب الاستبرق معرب وهو الديباج الثخين وكما ان الديباج معرب بسبب ان العرب لم يكن عندهم ذلك الا من العجم تصرفوا فيه وهو ان اصله بالفارسية ستبرك بمعنى ثخين تصغير ثخين فزادوا في اوله همزة وبدلوا الكاف قافا اما الهمزة فلان حركات اوائل الكلم في لسان العجم غير مبينة في كثير من المواضع فصارت كالسكوت فابتدؤا فيه بهمزة كما يجتلبون همزة الوصل عند سكون اول الكلمة ثم ان البعض جعلوها همزة وصل وقالوا من استبرق والاكثرون جعلوها همزة قطع لان اول الكلمة في الاصل متحرك لكن بحركة فاسدة فاتوا بهمزة تسقط عنهم الحركة الفاسدة وتمكنهم من تسكين الاول لانه عند تساوي الحركة العود الى السكون اقرب واواخر الكلمات عند الوقف يسكن ولا يبدل حركة بحركة واما القاف فلانهم لو ادوا والظاهر كونها فارسية او عجمية فاسقطوا منه الكاف التي هي حرف وعلى لسان العرب في اواخر الكلم للخطاب لو تركت الكاف لاشتبه ستبرك بدرجك اذا الحقت كاف الخطاب بها فلو تركت الكاف قافا ولانهم الحقت الهمزة باولها
وهذا وامثاله لا يخرج القران عن كونه عربيا لان العربي ما نطقت به العرب وضعا واستعمالا من لغة غيرها وذلك كله سهل عليهم وبه يحصل الاعجاز بخلاف ما لم يستعملوه من كلام العجم لصعوبته عليهم وذكر الاتكاء لانه حال الصحيح الفارغ القلب المتنعم بخلاف المريض والمهموم **قوله**

وجني

وجنى الجنتين دان مبتدأ وخبر ودان اصله دانو مثل غاز فاعل كاعلاله وقرا عيسى بن عمرو وجنى بكسر النون وتوجيهها ان يكون امال الفتحة لاجل الالف ثم حذف الالف لالتقاء الساكنين وابقى امالة النون فظنت كسرة وقرئ وجنى بكسر الجيم وهي لغة والجنى ما يقطف من الثمار وهو فعل بمعنى مفعول كالقبض والقبض **فصل** قال القرطبي الجنى ما يجتنى من الشجر يقال اتانا بجناة طيبة لكل ما يجتنى وثمرة تجنى على تفعيل حين يجنى وقوله دان اي قريب قال ابن عباس تدنو الشجرة حتى يجتنيها ولي الله ان شاء قائما وان شاء قاعدا وان شاء مضطجعا وقال قتادة لا يرد يده بعد ولا شوك قال ابن الخطيب جنة الاخرة مخالفة لجنة الدنيا من ثلاثة اوجه احدها ان الثمرة على رؤوس الشجر في الدنيا بعيدة على الانسان المتكئ وفي الجنة هو متكئ والثمرة تتدلى اليه وثانيها ان الانسان في الدنيا يسعى الى الثمرة ويتحرك اليها وفي الاخرة هي تدنو اليهم وتدور عليهم وثالثها ان الانسان في الدنيا اذا قرب من ثمرة شجرة بعد عن غيرها وثمار الجنة كلها تدنو اليهم في وقت واحد ومكان واحد **قوله** فيهن قاصرات الطرف
فان قيل كيف تقدم تثنيته اختلف في هذا الضمير فقيل يعود على الجنات في قوله فيهما عينان وفيهما من كل فاكهة ثم اتى بجمعه فالجواب ان اقل الجمع اثنان على قول وله شواهد تقدم اكثرها او يقال عاد الى الجنات المدلول عليها بالجنتين او يقال ان كل فرد فرد له جنتان فصح انها جنات كثيرة واما ان الجنة تشتمل على مجالس وقصور ومنازل فاطلق على كل واحد منها جنة **وقيل** يعود على الفرش قال الزمخشري فيهن اي في هذه الالاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش والجنى قال ابو حيان وفيه بعد وكان قد استحسن الوجه الاول وفيه نظر لان الاستعمال ان يقال على الفراش كذا ولا يقال في الفراش كذا الا بتكلف فلذلك جمع الزمخشري مع الفرش غيرها حتى صح له ان يقول فيهن بحرف الظرفية ولان الحقيقة ان يكون الانسان على الفرش لانه مستعل عليها واما كونه فيها فلا يقال الا بمجاز وقال الفراء كل موضع في الجنة جنة فلذلك صح ان يقال فيهن **والقاصرات** الحابسات الطرف اي يحبسن اعينهن عن غير ازواجهن ومعناه قصرن الحاظهن على ازواجهن قال امرؤ القيس
من القاصرات الطرف لو دب محول ۞ من الذر فوق الاتب منها لاثرا ۞ وقاصرات الطرف
من اضافة اسم الفاعل لمنصوبه تخفيفا اذ يقال قصر طرفه على كذا وحذف متعلق القصر للعلم به اي على ازواجهن كما تقدم تقريره وقيل معناه قاصرات طرف غيرهن عليهن اي اذا راهن احد لم يتجاوز طرفه الى غيرهن ووحد الطرف مع الاضافة الى الجمع لانه في معنى المصدر من طرفت عينه تطرف طرفا يقال لما فيها عين تطرف ثم سميت العين بذلك فادى عن الواحد والجمع كقولهم قوم عدل وصوم قاله القرطبي واعلم ان هذا الترتيب في غاية الحسن لانه بين اولا المسكن وهو الجنة ثم بين ما يتنزه به وهو البستان والاعين الجارية ثم ذكر الماكول فقال فيهما من كل فاكهة ثم ذكر موضع الراحة بعد الاكل وهو الفرش ثم ذكر ما يكون في الفراش معه قال ابن الخطيب وقوله قاصرات الطرف اي نساء او ازواج فحذف الموصوف لنكتة وهي انه تعالى لم يذكرهن باسم الجنس وهو النساء بل بالصفات فقال حور عين كواعب اترابا قاصرات الطرف حور مقصورات ولم يقل نساء عربا ولا نساء قاصرات لوجهين اما على عادة العظماء كبنات الملوك انما يذكرن باوصافهن واما الانهن لما كملن كانهن خرجن من جنسهن وقوله قاصرات الطرف يدل على عفتهن وعلى حسن المؤمنين في اعينهن فيحببن ازواجهن حبا يشغلهن عن النظر الى غيرهم ويدل ايضا على الحياء لان الطرف حركة الجفن والحيية لا تحرك جفنها ولا ترفع راسها **قوله** لم يطمثهن هذه الجملة يجوز ان تكون نعتا لقاصرات لان اضافتها لفظية كقوله هذا عارض ممطرنا ۞ ويارب غابطنا لو كان يطلبكم ۞ وان يكون حالا لتخصص النكرة بالاضافة واختلف

في هذا الحرف والذي بعده عن الكسائي فنقل عنه انه كان يخير في اسمعا شا القاري ونقل عنه الدوري
ضم الاول فقط ونقل عنه ابو الحارث ضم الثاني فقط وهما لغتان يقال طمثها يطمثها ويطمثها اذا جامعها
لما روى ابو اسحق السبيعي كان كنت اصلي خلف اصحاب علي فاسمعهم يقولون لم يطمثهن بالرفع وكنت
خلف اصحاب عبد الله بن مسعود فاسمعهم يقولون بكسر الميم وكان الكسائي يضم احدهما ويكسر الاخرى
لئلا تخرج عن هذين الاثرين واصل الطمث الجماع المودي الى خروج دم البكر ثم اطلق على كل جماع
طمث وان لم يكن معه دم وقيل الطمث دم الحيض او دم الجماع فيكون اصله من الدم ومنه قيل
للحايض طامث كانه قيل لم يدمهن بالجماع انس قبلهم ولا جان وقيل الطمث المس الخاص وقرا الجحدري
وطلحة بن مصرف يطمثهن بفتح الميم في الحرفين وهو شاذ اذ ليست عينه ولا لامه حرف حلق والضمير
في قبلهم عايد على الازواج الدال عليهم قوله فاصرات الطرف او الدال عليه متكئين **فصل**
قال القرطبي لم يطمثهن اي لم يصبهن بالجماع قبل ازواجهن احد قال الفرا والطمث الافتضاض وهو النكاح
بالتدمية طمثها يطمثها ويطمثها طمثا اذا افتضها ومنه قيل امراة طامث اي حايض وغير الفرا
يخالفه في هذا ويقول طمثها بمعنى وطيها على اي الوجوه كان الا ان الفرا اعرف واشهر قال الفرزدق
ه دفعن الي لم يطمثن قبلي ه وهن اصح من بيض النعام ه وقال ابو عمرو الطمث المس وذلك في كل
شي يمس ويقال للمرتع ما طمث ذا المرتع قبله احد وما طمثت هذه الناقة حبل اي ما مسها
عقال وقال المبرد اي لم يذللهن انس ولا جان والطمث التذليل وقرا الحسن جان بالهمز **فصل**
دلت هذه الاية على ان الجن تغشى كالانس وتدخل الجنة ويكون لهم فيها جنيات قال ضمرة للمومنين منهم
ازواج من الحور فالانسيات للانس والجنيات للجن وقيل معناه لم يطمثهن ما وهب الله للمومنين
من الجن في الجنة من الحور العين من الجنيات جن ولم يطمث ما وهب الله للمومنين من الانس في الجنة
من الحور العين من الانسيات انس وذلك لان الجن لا تطا بنات ادم في الدنيا ذكره القشيري قال
القرطبي قد مضى القول في هذا في سورة النمل وفي سبحان ايضا وانه جايز ان تطا بنات ادم وقد
قال مجاهد انه اذا جامع الرجل ولم يسم انطوى الجان على احليله فجامع معه فذلك قوله لم يطمثهن
انس قبلهم ولا جان يعلمك ان نسا الادميات قد يطمثهن الجان والحور العين قد برين من هذا العيب
ونزهن **فصل** قال مقاتل في قوله لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان لانهن خلقن في الجنة
فعلى قوله يكون من حور الجنة وقال الشعبي هن نسا الدنيا لم يمسهن منذ انشين خلقا وهو قول الكلبي
اي لم يجامعهن في هذا الخلق الذي انشين فيه انس ولا جان **قوله** كانهن الياقوت هذه الجملة
يجوز ان تكون نعتا لقاصرات وان تكون حالا منها ولم يذكر مكي غيره وتقدم الكلام في المرجان والياقوت
جوهر نفيس يقال ان النار لم توثر فيه وكذلك قال الحريري ه
ه وطا اما املى الياقوت حمر غضا ثم انطفى الجمر والياقوت ياقوت ه اي باق على حاله لم يتاثر
بها ووجه التشبيه كما قال الحسن في صفا الياقوت وبياض المرجان وهذا على القول بانه ابيض
كما تقدم وقيل الوجه في الصفة بما لنفاستهما لا للونهما ولذلك سموا بمرجانة ودرة وشبه ذلك
قوله هل جزا الاحسان الا الاحسان قرا ابن ابي اسحاق الا الحسان اي الا الحور الحسان قال
القرطبي هل في الكلام على اربعة اوجه تكون بمعنى قد كقوله تعالى هل اتى وهل اتاك وبمعنى
الاستفهام كقوله تعالى فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا وبمعنى الامر كقوله تعالى فهل انتم منتهون
وبمعنى ما في الجحد كقوله تعالى فهل على الرسل الا البلاغ المبين وهل جزا الاحسان الا الاحسان قال
ابن الخطيب في هذه الاية وجوه كثيرة حتى قيل ان في القران ثلاث ايات في كل واحدة منها مائة
قول احدها قوله تعالى فاذكروني اذكركم وثانيها وان عدتم عدنا وثالثها هل جزا الاحسان
الا الاحسان والمشهور منها اقوال احدها قال عكرمة اي هل جزا من قال لا اله الا الله الا الجنة وقال

ابن

ابن عباس اي ما جزا من قال لا اله الا الله الا الجنة وعمل بما جا به محمد صلى الله عليه وسلم الا الجنة
وقيل هل جزا من احسن في الدنيا الا ان تحسن اليه في الاخرة قاله ابن زيد وروى انس ان النبي
صلى الله عليه وسلم قرا هل جزا الاحسان الا الاحسان ثم قال هل تدرون ما قال ربكم قال هل
جزا من انعمت عليه بالتوحيد الا الجنة وروى ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا هذه الاية
فقال يقول الله هل جزا من انعمت عليه بمعرفتي وتوحيدي الا ان اسكنه جنتي وحظيرة قدسي برحمتي
وقال الصادق هل جزا من احسنت اليه في الازل الا حفظ الاحسان اليه في الابد قال ابن الخطيب
والاقرب انه عام جزا كل من احسن الي غيره ان يحسن هو اليه **قوله** ومن دونهما جنتان اي
من دون تينك الجنتين المتقدمتين جنتان في المنزلة وحسن المنظر وهذا على الظاهر من ان
الاوليين افضل من الاخريين وقيل بالعكس ورجحه الزمخشري وقال في قوله فيهما مدهامتان
مع قوله في الاوليين ذواتا افنان يدل على ان مرتبة هاتين دونهما وكذلك قوله في الاوليين
عينان تجريان مع قوله في هاتين فيهما عينان نضاختان لان النضخ دون الجري وقوله في الاوليين
من كل فاكهة مع قوله في هاتين فاكهة وقوله في الاوليين فرش بطاينها حيث ترك ذكر الظهاير
لعلوها ورفعتها وعدم ادراك العقول اياها مع قوله في هاتين رفرف خضر دليل عليه
وقال القرطبي لما وصف الله الجنتين اشار الي الفرق بينهما فقال في الاوليين فيهما من كل فاكهة زوجان
فعم ولم يخص وفي الاخريين فيهما فاكهة ونخل ورمان ولم يقل من كل فاكهة وقال في الاوليين
متكئين على فرش بطاينها من استبرق وهو الديباج وفي الاخريين متكئين على رفرف خضر وعبقري
حسان والعبقري الوشي والديباج اعلى من الوشي والرفرف كسر الخبا والفرش المعدة للاتكا
عليها افضل من كسر الخبا وقال في الاوليين في صفة الحور العين كانهن الياقوت والمرجان وفي
الاخريين فيهن خيرات حسان وليس كل حسن كحسن الياقوت والمرجان وقال في الاوليين ذواتا
افنان وفي الاخريين مدهامتان اي خضراوان كانهما من شدة خضرتهما سوداوان
وهذا كله بيان لتفاوت ما بينهما قال ابن الخطيب ويمكن ان
يجاب بان عطا الله تعالى في الاخرة متناسب اما ان يكون مثل الاول او خيرا منه ويمكن ان يجيب
الزمخشري بان الجنتين اللتين من دونهما لذريتهم التي الحقهم الله بهم ولاتباعهم لا لهم وانما جعلهما لهم
انعاما عليهم اي هاتين الاخريين لكم اسكنوا فيهما من تريدونه وقيل ان المراد بقوله ومن دونهما
اي دونهما في المكان كانهم في جنتين ويطلعون من فوق على جنتين اخريين دونهما بدليل
قوله تعالى لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الانهار وقال ابن عباس ومن دونهما
في الدرج وقال ابن زيد ومن دونهما في الفضل وقال ابن عباس والجنات لمن خاف مقام ربه فيكون
في الاوليين النخل والشجر وفي الاخريين الزرع والنبات وقيل المراد من قوله ومن دونهما جنتان
لاتباعه لقصور منزلتهم عن منزلته احديهما للحور العين والاخرى للولدان المخلدين ليتميز بها
الذكور من الاناث وقال ابن جريج هي اربع جنتان منها للسابقين المقربين فيهما من كل فاكهة زوجان
وعينان تجريان وجنتان نضاختان لاصحاب اليمين فيهما فاكهة ونخل ورمان وقال ابو موسى
الاشعري جنتان من ذهب للسابقين وجنتان من فضة للتابعين قال عليه السلام جنتان
من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين ان ينظروا الى
ربهم الا رداء الكبريا على وجهه في جنة عدن وقال الكسائي ومن دونهما اي امامهما وقبلهما قال
البغوي يدل عليه قول الضحاك الجنتان الاوليان من ذهب وفضة والاخريان من ياقوت
وزمرد وهما افضل من الاوليين والى هذا القول ذهب ابو عبد الله الترمذي الحكيم في نوادر
الاصول وقال ومعنى ومن دونهما جنتان اي دون هذا الى العرش اي اقرب وادنى الى العرش وقال

منازل الجنان الاوليان جنة عدن وجنة النعيم والاخريان جنة الفردوس وجنة الماوي
قوله مدهامتان اي خضراوان قاله ابن عباس وغيره وقال مجاهد مسودتان والادهام في اللغة
السواد وشدة الخضرة جعلا مدهامتين لشدة ريهما وهذا اشبه بالنظر ولذلك قالوا سواد
العراق لكثرة شجره وزروعه ويقال فرس ادهم وبعير ادهم وناقة دهما اي اشتدت زرقته
حتى ذهب البياض الذي فيه فان زاد على ذلك حتى اشتد السواد فهو جون وادهم الفرس ادهماما
اي صار ادهم وادهام الشي ادهيماما اي اسواد وكل شي اذا اخضر غاية الخضرة تضرب الى السواد
ويقال للارض المعمورة سواد ويقال سواد البلد وقال عليه السلام عليكم بالسواد الاعظم ومن كثر
سواد قوم فهو منهم قال ابن الخطيب والتحقيق فيه ان ابتدا الالوان هو البياض وانتهاها هو
السواد فان الابيض يقبل كل لون والاسود لا يقبل شيا من الالوان قوله فيهما عينان نضاختان
قال ابن عباس اي فوارتان بالماء والنضخ بالخاء المعجمة اكثر من النضح بالحاء المهملة لان النضح بالمهملة
الرش والنضخ بالمعجمة فوران الماء وقال ابن عباس والحسن ومجاهد المعنى نضاختان بالخير
والبركة وعن ابن مسعود وابن عباس ايضا وانس تنضخ على اوليا الله بالمسك والعنبر والكافور في
دور اهل الجنة كما ينضح رش المطر وقال سعيد بن جبير بانواع الفواكه والماء قوله فيهما فاكهة
ونخل ورمان قال بعض العلما ليس الرمان والنخل من الفاكهة لان الشي لا يعطف على نفسه
انما يعطف على غيره لان العطف يقتضي المغايرة وهذا ظاهر الكلام فلو حلف لا ياكل فاكهة
لم يحنث باكلهما وقال الجمهور هما من الفاكهة وانما اعاد ذكر النخل والرمان لفضلهما على الفاكهة
فهو من باب ذكر الخاص بعد العام تفضيلا له كقوله تعالى وملايكته وجبريل وميكال وقوله
حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى قال شهاب الدين وهذا لا يجوز لان فاكهة ليس عاما
لانه نكرة في سياق الاثبات وانما هو مطلق ولكن لما كان صادقا على النخل والرمان قيل فيه
ذلك قال القرطبي وقيل انما كررهما لان النخل والرمان كانا عندهم في ذلك الوقت بمنزلة البر
عندنا لان النخل عامة قوتهم والرمان كالثمرات فكان يكثر غرسهما عندهم لحاجتهم اليه وكانت
الفواكه عندهم من الوان الثمار التي يتعجبون بها فانما ذكر الفاكهة ثم ذكر النخل والرمان لعمومهما
وكثرتهما عندهم من المدينة الى مكة الى ما والاها من ارض اليمن فاخرجهما في الذكر من الفواكه
وافرد الفواكه على حدتها وقيل افردا بالذكر لان النخل ثمره فاكهة وطعام والرمان فاكهة
ودوا فلم يخلصا للتفكه ومنه قال ابو حنيفة رحمه الله اذا حلف لا ياكل فاكهة فاكل رمانا
او رطبا لم يحنث فصل قال ابن الخطيب قوله فيهما فاكهة ونخل ورمان كقوله تعالى
فيهما من كل فاكهة زوجان لان الفاكهة ارضية وشجرية فالارضية كالبطيخ وغيره من الارضيات
المزروعة والشجرية كالنخل وغيرها من الشجريات فقال مدهامتان بانواع الخضر التي منها
الفواكه الارضية والفواكه الشجرية وذكر منها نوعين وهما الرمان والرطب لانهما متنافيان لان
احدهما حلو والاخر حامض واحدهما حار والاخر بارد واحدهما فاكهة وغذا والاخر فاكهة
ودوا واحدهما من فواكه البلاد الحارة والاخر من فواكه البلاد الباردة واحدهما اشجاره
في غاية الطول والكبر والاخر اشجاره بالضد واحدهما ما يوكل منه بارز وما لا يوكل كامن
والاخر ما لا يوكل منه بارز وما يوكل كامن فهما كالضدين والاشارة الى الطرفين تتناول
الاشارة الى ما بينهما كقوله تعالى رب المشرق والمغرب فصل قال ابن عباس الرمانة
في الجنة مثل جلد البعير المقتب وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال نخل الجنة جذوعها زمرد
اخضر وكربها ذهب احمر وسعفها كسوة لاهل الجنة منها مقطعاتهم وحللهم وثمرها امثال القلال
والدلاء اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل والين من الزبد ليس له عجم وفي رواية كلما نزعت

ثمرة

ثمرة عادت مكانها اخرى وان ماءها ليجري في غير اخدود والعنقود اثنا عشر ذراعا قوله
فيهن خيرات حسان يعني خيرات وحسان احدهما انه جمع خيرة بزنة فعلة بسكون العين يقال
امراة خيرة واخرى شرة والثاني انه جمع خيرة المخففة من خيرة ويدل على ذلك قراءة ابن مقسم والنهدي
وبكر بن حبيب خيرات بتشديد اليا قال القرطبي وهي قراءة قتادة وابن السميفع وابو رجا العطاردي
وقرا ابو عمرو خيرات بفتح اليا جمع خيرة وهي شاذة لان العين معتلة والاعلى ان يكون صفة
مماثلة الصحيح فيقولون جونات وبيضات فانهم
الجون بيضات ... العقيق ... المتكلمين فصل قال المفسرون
الخيرات الحسان يعني الحور العين خيرة على معنى ذوات خير وقيل الخيرات بمعنى خيرات الخلق
لحسنهن ولهن روى الحسن عن امه عن ام سلمة قالت قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم اخبرني عن
قوله خيرات حسان قال خيرات الاخلاق حسان الوجوه وقال ابو صالح لانهن عذارى ابكار وقال
الحكيم الترمذي فالخيرة ما اختاره الله فابدع خلقهن باختياره فاختيار الله لا يشبه اختيار
الادميين ثم قال حسان فوصفهن بالحسن فاذا وصف الله خالق الحسن شيا بالحسن فانظر ما هناك
قال ابن الخطيب في باطن الخيرة وفي ظاهره الحسن قوله حور مقصورات في الخيام يعني
مقصورات اي محبوسات ومنه القصر لانه يحبس من فيه ولانه يقال للمراة المقصورة لانه حبست
عن المعاد وحبس عن الاتراب والحي للاعراب بيته والاخبا بمعنى ملازمتهن البيوت كما قال
قيس بن الاسلت ... ويقال امراة
مقصورة وقصيرة وقصورة بمعنى واحد قال كثير عزة
وانت التي حببت كل قصيرة الي ولم تعلم بذاك القصائر
عنيت قصيرات الحجال ولم ارد قصار الخطا شر النساء البحاتر والخيام جمع خيمة وهي بيوت
من عمام وسائر الحليين ما كان من شجر ولا يبنا الا حاجة بل بيت وقال جرير
متى كان الخيام بذي طلوح سقيت الغيث ايتها الخيام فصل اختلفوا ايما
اكثر حسنا واتم جمالا الحور العين او الادميات فقيل الحور لما ذكر من وصفهن في القران والسنة ولقوله
صلى الله عليه وسلم في دعايه في صلاة الجنازة وابدله زوجا خيرا من زوجه وقيل الادميات
افضل من الحور العين بسبعين الف ضعف روي ذلك مرفوعا وقيل ان الحور العين المذكورات
في القران هن المومنات من ازواج النبي والمومنات يخلقن في الاخرة على احسن صورة قاله
الحسن البصري والمشهور ان الحور العين لسن من نسا اهل الدنيا انما هن مخلوقات في الجنة لان الله
تعالى قال لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان واكثر نسا اهل الدنيا مطموثات فصل الحور جمع
حوراء وهي الشديدة بياض العين الشديدة سوادها والمقصورات المحبوسات المستورات في
الخيام وهي الحجال ليس بالطوافات في الطرق قاله ابن عباس وقال عمر رضي الله عنه الخيمة درة مجوفة
وقاله ابن عباس قال وهي فرسخ في فرسخ لها اربعة الاف مصراع من ذهب قال ابو عبد الله
الحكيم الترمذي في قوله تعالى حور مقصورات في الخيام بلغنا في الرواية ان سحابة مطرت
من العرش فخلقن من قطرات الرحمة ثم ضرب على كل واحدة خيمة على شاطئ الانهار سعتها اربعون
ميلا وليس لها باب حتى اذا حل ولي الله بالجنة انصدعت الخيمة عن باب ليعلم ولي الله ان ابصار
المخلوقين من الملايكة والخدم لم تاخذها فهي مقصورة قد قصر بها عن ابصار المخلوقين وقال
مجاهد معناه قصرن اطرافهن وانفسهن على ازواجهن فلا يبغين بدلا وقال عليه السلام لو ان امراة
من نسا اهل الجنة اطلعت على اهل الارض لاضاءت ما بينهما ولملات ما بينهما ريحا وتقدم الكلام
على قوله تعالى لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان قوله متكئين على رفرف الرفرف جمع رفرفة

فهو اسم جنس وقيل بل هو اسم جمع نقلهما مكي وهي ما تدلى من الاسرة من عالي الثياب وقال الجوهري
ثياب خضر تتخذ منها المجالس الواحدة رفرفة واشتقاقه فيما قيل من رف الطاير اذا ارتفع في الهوي
ورف بجناحيه اذا نشرهما للطيران ورفرف السحاب بخضرته ويدل على كونه جمعا وصفه بالجمع
وقال الراغب رفيف الشجر انتشار اغصانه ورف الطاير نشر جناحيه يرف بالكسر ورف
فرخه يرفه بالضم تفقده ثم استعير للتفقد ومنه ماله حاف ولا راف اي ماله من يحفه ويتفقده
والرفرف المنتشر من الاوراق وقوله على رفرف خضر ضرب من الثياب مشبه بالرياض وقيل
الرفرف طرف الفسطاط والخبا الواقع على الارض دون الاطناب والاوتاد وذكر الحسن انه
المخاد وقال ابن جبير وابن عباس ايضا رياض الجنة من رف البيت اي تنعم وحسن وقال ابن عيينة
هي الزرابي وقال ابن كيسان هي المرافق وقال ابو عبيدة هي حاشية الثوب وقيل الفرش
المرتفعة وقيل كل ثوب عريض عند العرب فهو رفرف قال القرطبي وفي الخبر في وفاة النبي صلى
الله عليه وسلم فرفع الرفرف فراينا وجهه كانه ورقة اي رفع طرف الفسطاط وقيل اصل الرفرف
من رف النبت يرف اذا صار غضا نضيرا قاله القتيبي يقال للشي اذا كثر ماوه من النعمة
والغضاضة حتى يكاد يهتز رف يرف رفيفا حكاه الهروي وقد قيل ان الرفرف شي اذا استوى
عليه صاحبه رفرف به واهوى به كالمرجاح يمينا وشمالا ورفعا وخفضا يتلذذ به مع انيسه
قاله الحكيم الترمذي في نوادر الاصول قال فالرفرف اعظم خطرا من الفرش فذكر في الاوليين
متكئين على فرش بطاينها من استبرق وقال هنا متكئين على رفرف خضر فالرفرف هو مستقر الولي
على شي اذا استوى عليه الولي رفرف به اي طار به حيث ما يريد كالمرجاح وروي في حديث
المعراج ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغ سدرة المنتهى جاءه الرفرف فتناوله من جبريل
وطار به الى سند العرش فذكر انه طار به يخفضه ويرفعه حتى وقف به على ربه ثم لما حان
الانصراف تناوله فطار به خفضا ورفعا يهوي به حتى اداه الى جبريل صلوات الله عليه وسلامه
فالرفرف خادم من الخدم بين يدي الله تعالى له خواص الامور في محل الدنو والقرب كما ان
البراق دابة يركبها الانبيا مخصوصة بذلك في ارضه فهذا الرفرف الذي سخره لاهل الجنتين
الدانيتين هو متكاهما وفرشهما يرفرف بالولي على حافات تلك الانهار وحيث شا الى خيام
ازواجه **فصل** نعت هنا بخضر لان اسم الجنس ينعت بالجمع كقوله والنخل باسقات
وبالمفرد وحسن جمعه هنا جمع حسان وقرا العامة رفرف وقرا عثمان بن عفان ونصر بن عاصم
وعاصم والجحدري والقرمي وغيرهم رفارف خضر بالجمع وسكون الضاد وعنهم ايضا خضر بضم
الضاد وهو اتباع للخاء وقيل هي لغة في جمع افعل الصفة قال القرطبي وروى ابو بكرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قرا متكئين على رفارف خضر وعباقري حسان ذكره الثعلبي وضم الضاد
من خضر قليل وانشد لطرفة ايها الفتيان في مجلسنا جردوا منها ورادا وشقر
وقال اخر وما انحسب الى جور ولا كشف ولا لئام غداة الروع اوزاع وقراوا وعباقري
بكسر القاف وفتحها وتشديد اليا منونة على منع الصرف وهي مشكلة اذ لا مانع من تنوين يا
النسب وكان هذا القاري توهم كونها في منا على تمنع من الصرف وقد روي عن النبي صلى الله عليه
وسلم وجماعة وعباقري منونا ابن خالويه وروي عن عاصم رفارف بالصرف وقد يقال في من منع
عباقري انه لما جاور رفارف الممتنع امتنع مشاكلة وفي من صرف رفارف انه لما جاور عباقري
المنصرف صرفه ليناسب كسلاسلا واغلالا كما سياتي بيانه ان شا الله تعالى وقرا ابو بهام المروزي
وكان نحويا خضارا كضراب بالتشديد وانعل وفعا لا يعرف **قوله** وعبقري حسان الجمهور
قراوا وعبقري منسوب الى عبقر تزعم العرب انها بلد الجن قال ابن الانباري الاصل فيه ان عبقر

قرية تسكنها الجن ينسب اليها كل فاين جليل وقال الخليل كل ناقص فاضل فاخر من الرجال والنسا
وغيرهم عند العرب عبقري ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في عمر رضي الله عنه فلم ار عبقريا من
الناس يفري فريه وقال ابو عمرو بن العلا وقد سئل عن قوله عليه السلام فلم ار عبقريا يفري
فريه فقال رئيس القوم وجليلهم وقال زهير [illegible]
بخيل عليها جنة عبقرية جديرون يوما ان ينالوا فيستعلوا وقال الجوهري العبقري
موضع تزعم العرب انه ارض الجن وقال لبيد كهول وشبان كجنة عبقري ثم نسبوا اليها كل
شي تعجبوا من حذقه وجودة صنعته وقوته فقالوا عبقري وهو واحد وجمع وفي الحديث
انه كان يسجد على عبقري وهو البسط التي فيها الاصباغ والنقوش والمراد به في الاية قيل البسط
التي فيها صور وتماثيل وقيل هي الزرابي وقيل الطنافس وقيل الديباج الثخين وعبقري جمع عبقرية
يعني فيكون اسم جنس كما تقدم في رفرف وقيل هو واحد دال على الجمع ولذلك وصف بحسان
قال القرطبي قرا بعضهم عباقري وهو خطا لان المنسوب لا يجمع على نسبته وقال قطرب
ليس بمنسوب وهو مثل كرسي وكراسي وبختي وبخاتي **قوله** تبارك اسم ربك ذو الجلال قرا
ابن عامر ذو الجلال بالواو وجعله تابعا للاسم وكذا هي مرسومة في مصحف الشاميين قال
القرطبي وهذا يقوي كون الاسم هو المسمى وقرا الباقون بالياء صفة للرب فانه هو الموصوف بذلك
واجمعوا على الواو في الاول الا من استثني فيما تقدم **فصل** تبارك تفاعل من البركة قال
ابن الخطيب واصل التبارك من البرك وهو الدوام والثبات ومنه برك البعير وبركة الما فان الما
يكون فيها دائما والمعنى دام اسمه وثبت ودام الخير عنده لان البركة وان كانت من الثبات
لكنها تستعمل في الخير فيكون المعنى تعالى وتعاظم **فصل** قال القرطبي كانه يريد
به الاسم الذي افتتح به السورة فقال الرحمن فافتتح بهذا الاسم فوصف خلق الانسان والجن
وخلق السموات والارض وصنعه وانه كل يوم هو في شان ووصف تدبيره فيهم ثم وصف يوم
القيامة واهوالها وصفة النار ثم ختمها بصفة الجنان ثم قال في اخر السورة تبارك اسم ربك ذي
الجلال والاكرام اي هذا الاسم الذي افتتح به هذه السورة كانه يعلمهم ان هذا كله خرج لكم من
رحمتي فمن رحمتي خلقتكم وخلقت لكم السما والارض والخليقة والجنة والنار فهذا كله لكم من اسم الرحمن
فمدح اسمه ثم قال ذي الجلال والاكرام اي جليل في ذاته كريم في افعاله
روى الثعلبي عن علي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لكل شي عروس
وعروس القران سورة الرحمن جل ذكره وعن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
قرا سورة الرحمن رحم الله ضعفه وادى شكر ما انعم الله عز وجل عليه **سورة**

الواقعة مكية

في قول الحسن وعكرمة وجابر وعطا وقال ابن عباس
وقتادة الا اية منها نزلت بالمدينة وهي قوله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون وقال الكلبي
مكية الا اربع ايات منها اثنتان افبهذا الحديث انتم مدهنون وتجعلون رزقكم انكم تكذبون
نزلتا فيه وقوله تعالى ثلة من الاولين وثلة من الآخرين نزلتا في سفره الى المدينة وهي ستة
وتسعون اية وثلاثمائة وثمان وسبعون كلمة والف وسبعمائة وثلاثة احرف
بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** اذا وقعت الواقعة في اذا اوجه احدها
انها ظرف محض ليس فيه معنى الشرط والعامل فيها ليس الثاني ان العامل فيها اذكر مقدرا قاله
الزمخشري فان قلت بم انتصب اذا قلت بليس كقولك يوم الجمعة ليس لي شغل ثم قال او باضمار
اذكر قال ابو حيان ولا يقول هذا نحوي قال لان ليس مثل ما النافية فلا حدث فيها فكيف تعمل
في الظرف من غير حدث وقسمها فعلا مجازا فان حد الفعل غير منطبق عليها ثم قال واما المثال

الذي تطرب فيها الظرف لليس معمولا لليس بل للخبر وتقدم معمول خبرها عليها وهي مسئلة خلاف انتهى قال
شهاب الدين الظروف يعمل فيها روائح الافعال ومعنى كلام الزمخشري ان النفي المفهوم من ليس هو
العامل في اذا كانه قيل ينتفي كذب وقوعها اذا وقعت ويدل على هذا قول ابي البقا والثاني
ظرف لما دل عليه ليس لوقعتها كاذبة اي اذا وقعت لم تكذب **فائدة** يجوز ذلك في
ما النافية ايضا فالجواب ان الفعل اقرب الى الدلالة على الحدث من الحرف الثالث انها شرطية
وجوابها مقدر اي اذا وقعت كان كيت وكيت وهو العامل فيها الرابع انها شرطية والعامل
فيها الفعل الذي بعدها ويليها وهو اختيار ابي حيان وتبع في ذلك مكيا قال مكي والعامل فيها
وقعت لانها قد يجازى بها فعمل فيها الفعل الذي بعدها كما يعمل في ما ومن اللتين للشرط في قولك
ما تفعل افعل ومن تكرم اكرم ثم ذكر كلاما كثيرا الخامس انها مبتدا واذا رجت خبرها وهذا
على قولنا انها تتصرف وقد مضى تحريره الان هذا الوجه جوزه ابن مالك وابن جني وابو الفضل
الرازي على قراءة من نصب خافضة رافعة على الحال وحكاه بعضهم عن الاخفش قال شهاب الدين
ولا ادري اختصاص ذلك بوجه النصب السادس انه ظرف لخافضة او رافعة قاله ابو البقا
اي اذا وقعت خفضت ورفعت السابع ان يكون ظرفا لرجت واذا الثانية على هذا اما
بدل من الاولى او تكرير لها الثامن ان العامل فيه ما دل عليه قوله فاصحاب الميمنة اي اذا
وقعت بانت احوال الناس فيها التاسع ان جواب الشرط قوله فاصحاب الميمنة الى اخره ولوقعتها
خبر متقدم وكاذبة اسم مؤخر وكاذبة يجوز ان يكون اسم فاعل وهو الظاهر وهو صفة لمحذوف
تقديره الزمخشري نفس كاذبة اي لانه ذلك اليوم لا يكذب على الله احد ولا يكذب بيوم القيمة احد
ثم قال واللام مثلها في قوله قدمت لحياتي اوليس لها نفس تكذبها وتقول لها لم تكوني كما لها نفوس
كثيرة يكذبنها اليوم يقلن لها لم تكوني وهو من قولهم كذبت فلانا نفسه في الخطب العظيم اذا شجعته
على مباشرته وقالت له انك تطيقه وما فوقه فتعرض له ولا تبال به وهو ضعيفها او وقعة لا تطاق
شدة وفظاعة وان لا نفس حينئذ تحدث صاحبها بما تحدثه به عند عظائم الامور وتزين له
احتمالها واطاقتها لانهم يومئذ اضعف من ذلك واذل الا ترى الى قوله كالفراش المبثوث
والفراش مثل في الضعف وقدر ابن عطية حال كاذبة قال ويحتمل الكلام على هذا معنيين احدهما
كاذبة اي مكذوب فيما اخبر به عنها فسماها كاذبة لهذا كما تقول هذه قصة كاذبة اي مكذوب
فيها والثاني ان لا يعني دونها كقولك فلان اذا حمل لم يكذب والثاني ان كاذبة مصدر بمعنى
التكذيب نحو خائنة الاعين قال الزمخشري من قولك حمل فلان على قرنه فما كذب اي فما جبن وما
تثبط وحقيقته فما كذب نفسه فيما حدثته به من اطاقته له واقدامه عليه وانشد لزهير
اذا ما الليث كذب عن اقرانه صدقا ... اي اذا وقعت لم يكن لها رجعة ولا ارتداد انتهى وهو
كلام حسن جدا ثم لك في هذه الجملة وجهان احدهما انها لا محل لها من الاعراب اما لانها ابتدائية
ولا سيما على راي الزمخشري حيث جعل الظرف متعلقا بها واما لانها اعتراضية بين الشرط وجوابه
المحذوف والثاني ان محلها النصب على الحال قاله ابن عطية والضمير صاحب الحال نادا وهو
واضح اذا لم يكن هناك الا اذا وقعت وتصحيح ابو الفضل بها ... وقرا العامة برفع خافضة رافعة
على خبر ابتدا مضمر اي هي خافضة قوما الى النار ورافعة اخرين الى الجنة فالمفعول محذوف
لفهم المعنى ويكون المعنى انها ذات خفض ورفع كقوله يحيي ويميت وكلوا واشربوا وقرا زيد
ابن علي وعيسى والحسن وابو حيوة وابن مقسم واليزيدي بنصبهما على الحال ويروى عن الكسائي انه
قال لولا ان اليزيدي سبقني اليه لقرات به انتهى قال شهاب الدين ولا اظن مثل هذا يصح عن مثل
هذا واختلف في ذي الحال فقال ابو البقا من الضمير في كاذبة او في وقعت واصلاحه ان يقول

او

او فاعل وقعت اذ لا ضمير في وقعت وقال ابن عطية وابو الفضل من الواقعة ثم قررا مجي الحال
متعددة من ذي حال واحد كما يجي الاخبار متعددة وقد تقدم بيانه قال ابو الفضل واذا
جعلت هذه كلها احوالا كان العامل في اذا وقعت محذوفا يدل عليه النحوي اي اذا وقعت يحاسبون
فصل قال المفسرون اي وقعت الواقعة اي قامت القيمة والمراد النفخة الاخيرة
وسميت الواقعة لانها تقع عن قريب وقيل لكثرة ما يقع فيها من الشدايد قال الجرجاني
اذا صلة اي وقعت الواقعة كقوله اقتربت الساعة واتى امر الله وهو كما يقال جا الصوم
اي دنا واقترب وقال القرطبي فيه اضمار اي اذكر اذا وقعت وعلى هذا اذا للتوقيت
والجواب قوله فاصحاب الميمنة وقال ابن الخطيب او يكون التقدير اذا وقعت الزلزلة الواقعة
يعترف بها كل احد ولا يتمكن احد من انكارها ليس لوقعتها كاذبة الكاذبة مصدر بمعنى الكذب والعرب
قد تضع الفاعل والمفعول موضع المصدر كقوله تعالى لا تسمع فيها لاغية اي لغوا والمعنى ليس لها
كذب قاله الكسائي ومنه قول العامة عائذا بالله اي معاذا الله وقم قائما اي قم قياما وقيل
الكاذبة صفة والموصوف محذوف اي ليس لوقعتها حال كاذبة او نفس كاذبة اي كل من يخبر
عن وقعتها صادق وقال الزجاج ليس لوقعتها كاذبة اي لا يردها شي ونحوه قول الحسن وقتادة
وقال الثوري ليس لوقعتها احد يكذب بها وقيل ان قيامها جد لا هزل وقوله خافضة رافعة
قال عكرمة ومقاتل والسدي خفضت الصوت فاسمعت من دنا ورفعت الصوت فاسمعت
من نأى يعني اسمعت القريب والبعيد وعن السدي خفضت المتكبرين ورفعت المستضعفين
وقال قتادة خفضت اقواما في عذاب الله ورفعت اقواما الى طاعة الله وقال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه خفضت اعدا الله في النار ورفعت اوليا الله في الجنة وقال ابن عطا خفضت
قوما بالعدل ورفعت اخرين بالفضل والرفع والخفض يستعملان عند العرب في المكان والمكانة
والعز والاهانة ونسب سبحانه الرفع والخفض الى القيمة توسعا ومجازا على عادة العرب في
اضافتها الفعل الى المحل والزمان وغيرهما مما لم يكن منه الفعل يقولون ليل قائم ونهار
صائم وفي التنزيل بل مكر الليل والنهار والخافض والرافع في الحقيقة هو الله تعالى واللام
في قوله لوقعتها اما للتعليل اي لا تكذب نفس في ذلك اليوم لشدة وقعتها واما للتعدية
كقولك ليس لزيد ضارب فيكون التقدير اذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها امر يوجد لها كاذب
يكذب اذا اخبر عنه قال ابن الخطيب وعلى هذا لا يكون ليس لها ملابسا اذا وهو بمعنى ليس لها
كاذب **قوله** اذا رجت يجوز ان يكون بدلا من اذا الاولى او تاكيدا لها او خبرا لها على انها
مبتداة كما تقدم تحريره وان يكون شرطا والعامل فيها اما مقدر واما فعلها الذي يليها
كما تقدم في نظيرتها وقال الزمخشري ويجوز ان ينتصب بخافضة رافعة اي تخفض وترفع
وقت رج الارض وبس الجبال لانه عند ذلك يخفض ما هو مرتفع ويرفع ما هو منخفض قال
ابو حيان ولا يجوز ان ينتصب بهما معا بل باحدهما لانه لا يجتمع مؤثران على اثر واحد قال
شهاب الدين معنى كلامه ان كلا منهما متسلط عليه من جهة المعنى ويكون المسئلة من التنازع وحينئذ
تكون العبارة صحيحة اذ يصدق ان كلا منهما عامل فيه وان كان على التعاقب والرج التحريك
الشديد يعني زلزلت قال مجاهد وغيره يقال رجه يرجه رجا اي حركه وزلزله وناقة رجا اي
عظيمة السنام والرجة الاضطراب وارتج البحر وغيره اضطرب وفي الحديث من ركب البحر حين يرتج
فلا ذمة يعني اذا اضطرب امواجه قال الكلبي وذلك ان الله تعالى اذا اوحى اليها تضطرب فرقا
من الله تعالى قال المفسرون ترتج كما يرتج الصبي في المهد حتى ينهدم ما عليها وينكسر كل شي عليها من
الجبال وغيرها وعن ابن عباس الرجة الحركة الشديدة يسمع لها صوت **قوله** وبست الجبال

اي سيرت من قولهم بس الغنم اي ساقها وابست الابل ابسها بسا وبسست وابسست لغتان اذا
زجرتها وقلت بس بس قاله ابو زيد او معنى فتتت كقوله تعالى ينسفها ربي نسفا ويدل عليه فكانت
هبا منبثا قال ابن عباس ومجاهد كما يبس الدقيق اي يلت والبسيسة السويق والدقيق يلت
بالسمن او بالزيت ثم يوكل ولا يطبخ وقد يتخذ زادا قال الراجز
لا تخبزا خبزا وبسا بسا ولا تطيلا بمناخ حبسا وقال الحسن بست قلعت من اصلها
فذهبت ونظيرها ينسفها ربي نسفا وقال عطية بسطت كالرمل والتراب وقال مجاهد سالت سيلا
وقال عكرمة هدت وقرا زيد بن علي رجت وبست مبنيين للفاعل على ان رج وبس يكونان لازمين
ومتعديين اي ارتجت وذهبت **قوله** فكانت هبا منبثا قرا النخعي ومسروق وابو حيوة منبتا
بنقطتين من فوق اي منقطعا من البت ومعنى الاية يقربوا منه قال علي رضي الله عنه الهبا المنبث
الرهج الذي يسطع من حوافر الخيل ثم يذهب فجعل الله تعالى اعمالهم كذلك وقال مجاهد الهبا الشعاع
الذي يكون في الكوة كهيئة الغبار وروي نحوه عن ابن عباس وعنه ايضا هو ما تطاير من
النار اذا اضطرمت يطير منه شرر فاذا وقع لم يكن شيئا وقاله عطية والمنبث المتفرق قال
تعالى وبث فيها من كل دابة اي فرق ونشر **قوله** وكنتم ازواجا ثلاثة اي اصنافا ثلاثة
كل صنف يشاكل ما هو منه كما يشاكل الزوج الزوجة ثم بين من هم فقال اصحاب الميمنة
واصحاب المشئمة والسابقون **قوله** فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة اصحاب الاول
مبتدا وما استفهام فيه تعظيم مبتدا ثان واصحاب الثاني خبره والجملة خبر الاول وتكرار
المبتدا هنا بلفظه مغن عن الضمير ومثله الحاقة ما الحاقة القارعة ما القارعة ولا يكون
ذلك الا في مواضع التعظيم **فان قيل** ان ما نكرة وما بعده معرفة فكان ينبغي
ان يقال ما خبر مقدم واصحاب الثاني وشبهه مبتدا لان المعرفة احق بالابتدا من النكرة
وهذا السوال وارد على سيبويه في قولك كم مالك ومررت برجل خير منه ابوه فانه
يعرب ما الاستفهامية وكم وافعل مبتدا وما بعدها خبرها والجواب انه كثر وقوع النكرة
خبرا عن هذه الاشيا كثرة متزايدة فاطرد الباب ليجري على سنن واحد هكذا اجابوا وهذا
لا ينهض مانعا من جواز ان يكون ما وكم وافعل خبرا مقدما ولو قيل به لم يكن خطا بل اقرب الى
الصواب والميمنة مفعلة من لفظ اليمين وكذلك المشامة من اليد الشومى وهي الشمال لتشاوم
العرب بها او الشوم **فصل** قال السدي اصحاب الميمنة هم الذين يوخذ بهم ذات
اليمين الى الجنة واصحاب المشامة هم الذين يوخذ بهم ذات الشمال الى النار والمشامة الميسرة
وكذلك الشامة يقال قعد فلان شامة ويقال شايم باصحابك اي خذ بهم شامة اي ذات
الشمال والعرب تقول لليد الشمال الشومى وللجانب الشمال الاشام وكذلك يقال لما جا عن اليمين
اليمن ولما جا عن الشمال الشوم قال البغوي ومنه سمي الشام واليمن لان اليمن عن يمين الكعبة والشام
عن شمالها قال ابن عباس والسدي اصحاب الميمنة هم الذين كانوا عن يمين ادم حين اخرجت
الذرية من صلبه فقال الله هولا في الجنة ولا ابالي وقال زيد بن اسلم الذين اخذوا من
شق ادم الايمن يومئذ واصحاب المشئمة الذين اخذوا من شق ادم الايسر وقال عطا ومحمد بن
كعب اصحاب الميمنة من اوتي كتابه بيمينه واصحاب المشامة من اوتي كتابه بشماله وقال
ابن جريج اصحاب الميمنة هم اصحاب الحسنات واصحاب المشامة هم اهل السيات وقال الحسن
والربيع اصحاب الميمنة الميامين على انفسهم بالاعمال الصالحة واصحاب المشامة المشائيم على انفسهم
بالاعمال السيئة وفي صحيح مسلم من حديث الاسرا عن ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فلما
علونا السما الدنيا فاذا رجل عن يمينه اسودة وعن يساره اسودة قال فاذا نظر قبل يمينه ضحك

وانا

واذا نظر قبل شماله بكى قال فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قال قلت يا جبريل
من هذا قال هذا ادم عليه السلام وهذه الاسودة عن يمينه وعن شماله بنيه فاهل اليمين اهل
الجنة والاسودة التي عن شماله اهل النار وذكر الحديث وقال المبرد اصحاب الميمنة اصحاب
التقدم واصحاب المشامة اصحاب التاخر والعرب تقول اجعلني في يمينك ولا تجعلني في شمالك
اي اجعلني من المتقدمين ولا تجعلني من المتاخرين ثم عجب نبيه صلى الله عليه وسلم فقال
ما اصحاب الميمنة وهذا كما يقال زيد ما زيد يريد زيد شديد فالتكرير في اصحاب الميمنة واصحاب
المشامة للتفخيم والتعجب كقوله الحاقة ما الحاقة والقارعة ما القارعة كما يقال زيد ما
زيد وفي حديث ام زرع مالك وما مالك والمقصود تكثير ما لاصحاب الميمنة من الثواب ولاصحاب
المشامة من العقاب والفا في قوله فاصحاب تدل على التقسيم وبيان ما ورد عليه التقسيم
كانه قال ازواجا ثلاثة اصحاب الميمنة واصحاب المشامة والسابقون ثم بين حال كل
قسم فقال فاما اصحاب الميمنة وترك التقسيم اولا واكتفى بما يدل عليه بان ذكر الاقسام
الثلاثة مع احوالها **فان قيل** ما الحكمة في اختيار لفظ المشامة في مقابلة الميمنة
مع انه قال في بيان احوالهم واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال فالجواب ان اليمين وضع للجانب
المعروف واستعملوا منه الفاظا في مواضع فقالوا هذا يمنا به ومنعوا مقابلة
اليمين البار من الشي اشارة الى ضمنه واستعملوا عنه الفاظا تاما به
تذكر المشامة في مقابلة الميمنة وذكر الشمال في مقابلة اليمين فاستعمل كل لفظ مع مقابله
قوله والسابقون السابقون فيه اوجه احدها انهما مبتدا وخبر وفي ذلك
تاويلان احدهما انه بمعنى السابقون هم الذين اشتهرت حالهم بذلك كقوله انت انت والناس
الناس وقوله انا ابو النجم وشعري شعري وهذا يقال في تعظيم الامر وتفخيمه وهو مذهب
سيبويه التاويل الثاني ان متعلق السبقين مختلف اذ التقدير والسابقون الى الايمان
السابقون الى الجنة او والسابقون الى الطاعة الله السابقون الى رحمته او والسابقون الى الخير السابقون
الى الجنة الوجه الثاني ان يكون السابقون الثاني تاكيدا للاول تاكيدا لفظيا واولئك المقربون
جملة ابتدائية في موضع خبر الاول والرابط اسم الاشارة كقوله تعالى ولباس التقوى ذلك خير
في قراءة من رفع لباس في احد الاوجه الثالث ان يكون السابقون الثاني نعتا للاول والخبر
الجملة المذكورة وهذا ينبغي ان لا يعرج عليه كيف يوصف الشي بلفظه واي فايدة في ذلك
قال شهاب الدين والاقرب عندي ان وردت هذه العبارة ممن يعتبر ان يكون سمى التاكيد
صفة وقد فعل سيبويه قريبا من هذا الرابع ان يكون الوقف على قوله والسابقون ويكون
قوله السابقون اولئك المقربون ابتدا وخبرا وهذا يقتضي ان يعطف والسابقون على ما
قبله لكن لا يليق عطفه على ما قبله ويليه وانما يليق عطفه على اصحاب الميمنة كانه قيل واصحاب
الميمنة ما اصحاب الميمنة والسابقون اي وما السابقون تعظيما لهم فيكونون شركا اصحاب الميمنة
في التعظيم ويكون قوله على هذا واصحاب المشامة ما اصحاب المشامة اعتراضا بين المتعاطفين
وفي هذا الوجه تكلف كثير جدا **فصل** قال عليه السلام السابقون الذين اذا اعطوا الحق
قبلوه واذا سئلوه بذلوه وحكموا للناس كحكمهم لانفسهم ذكره المهدوي وقال محمد بن كعب القرظي
هم الانبيا وقال الحسن وقتادة هم السابقون الى الايمان من كل امة وقال محمد بن سيرين هم
الذين صلوا الى القبلتين قال تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار وقال مجاهد
والضحاك هم السابقون الى الجهاد واول الناس رواحا الى الصلوة وقال علي رضي الله عنه هم السابقون
الى الصلوات الخمس وقال سعيد بن جبير الى التوبة واعمال البر قال الله تعالى وسارعوا الى مغفرة

من ربكم ثم اثني عليهم فقال اولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون وقيل هم اربعة منهم
سابق امة موسى وهو حزقيل مومن آل فرعون وسابق امة عيسى وهو حبيب النجار صاحب انطاكيه
وسابقان امة محمد وهما ابو بكر وعمر رضي الله عنهما قاله ابن عباس حكاه الماوردي وقال سميط
ابن عجلان الناس ثلاثة فرجل ابتكر للخير في حداثة سنه ثم داوم عليه حتى خرج من الدنيا فهذا هو
السابق المقرب ورجل ابتكر عمره بالذنوب ثم طول الغفلة ثم رجع بتوبته حتى ختم له بها فهذا من اصحاب
اليمين ورجل ابتكر عمره بالذنوب ثم لم يزل عليها حتى ختم له بها فهذا من اصحاب الشمال وروي عن كعب
قال هم اصحاب القرآن المتوجون يوم القيمة وقيل هم اول رواحا الى المسجد واولهم خروجا في
سبيل الله اولئك المقربون من الله في جنات النعيم **قوله** في جنات النعيم يجوز ان يكون خبرا
ثانيا وان يكون حالا من الضمير في المقربون وان يكون متعلقا به اي قربوا الى رحمة الله في جنات
ويبعد ان يكون في معنى الى وقرا طلحة في جنة بالافراد واضافة الجنة الى النعيم من اضافة المكان الى
ما يكون فيه كما يقال دار الضيافة ودار الدعوة ودار العدل وذكر النعيم هنا منكرا وفي اخر السورة
منكرا لان السابقين معلومون فعرفهم باللام المستغرقة لجنسهم واما هناك فهم غير معروفين لقوله ان
كان من المقربين فجعل موضعه غير معرف او يقال ان المذكورين هنا جميع السابقين ومنزلتهم اعلا
المنازل فهي معروفة لانها لاحد فوقها واما باقي المقربين فلكل واحد مرتبة ودرجة فمنازلهم متفاوتة
فهم في جنات متباينة في المنزلة لا تجمعها صفة فلم يعرفها **قوله** ثلة من الاولين ثلة خبر
مبتدا مضمر اي هم ويجوز ان يكون مبتدا خبره مضمر اي منهم ثلة اي من السابقين يعني ان التقسيم
وقع في السابقين وان يكون مبتدا خبره في جنات النعيم او قوله على سرر فهذه اربعة اوجه والثلة
الجماعة من الناس وقيدها الزمخشري بالكثيرة وانشد
• وجاءت اليهم ثلة خندفية • بجيش كتيار من البحر مزبد • ولم يقيدها غيره بل صرح بانها
الجماعة قلت او كثرت وقال الراغب الثلة قطعة مجتمعة من الصوف ولذلك قيل للغنم ثلة
يعني بفتح الثاء ومنه قوله • امرعت الارض لو ان مالا • لو ان نوقا لك او جمالا • او ثلة من غنم اما لا •
انتهى ثم قال ولاعتبار الاجتماع قيل ثلة من الاولين وثلة من الاخرين اي جماعة وثللت كذا
تناولت ثلة منه وثل عرشه اسقط ثلة منه والثلل قصر الاسنان لسقوط ثلة منها واثل فمه
سقطت اسنانه وتثللت الركية تهدمت انتهى فقد اطلق انها الجماعة من غير قيد بقلة ولا كثرة
والكثرة التي فهمها الزمخشري قد تكون من السياق وقال الزجاج الثلة الفرقة ومن الاولين صفة
لثلة وكذلك من الاخرين صفة لقليل **فصل** ثلة من الاولين اي جماعة من الامم
الماضية وقليل من الاخرين اي ممن امن بمحمد صلى الله عليه وسلم قال الحسن ثلة ممن مضى قبل هذه
الامة وقليل من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلنا منهم بكرمك وسموا قليلا بالاضافة
الى من كان قبلهم لان الانبيا المتقدمين كثروا فكثر السابقون الى الايمان بهم فزادوا على عدد من سبق
الى التصديق من امتنا وقيل لما نزلت هذه الاية شق على اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت ثلة من
الاولين وثلة من الاخرين فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني لارجوا ان تكونوا نصف اهل الجنة وتقاسمونهم
في النصف الثاني رواه ابو هريرة ذكره الماوردي وغيره ومعناه ثابت في صحيح مسلم من حديث عبد
الله بن مسعود وكانه اراد انها منسوخة قال ابن الخطيب وهذا في غاية الضعف من وجوه احدها
ان عدد امة محمد كان في ذلك الزمان بل الى اخر الزمان بالنسبة الى ما مضى في غاية القلة فالمراد
بالاولين الانبيا وكبار اصحابهم وهم اذا اجتمعوا اكثر من السابقين من هذه الامة الثاني ان هذا خبر
والخبر لا ينسخ الثالث ان هذه الاية في السابقين والتي بعدها في اصحاب اليمين الرابع انه اذا جعل
قليل منهم مع الانبيا والرسل المتقدمين كانوا في درجة واحدة وذلك يوجب الفرح لانه انعام عظيم

ولعل الاشارة اليه بقوله عليه السلام علما امتي كانبيا بني اسرائيل قال القرطبي والاشبه انها
محكمة لانها خبر والخبر لا ينسخ ولان ذلك في جماعتين مختلفتين قال الحسن سابقوا من مضى اكثر من
سابقينا فلذلك قال وقليل من الاخرين وقال في اصحاب اليمين وهم سوى السابقين ثلة
من الاولين وثلة من الاخرين ولذلك قال عليه السلام اني لارجوا ان تكون امتي شطر اهل
الجنة ثم تلا ثلة من الاولين وثلة من الاخرين وقال ابو بكر رضي الله عنه كلا الثلتين من امة
محمد صلى الله عليه وسلم فمنهم من هو في اول امته ومنهم من هو في اخرها وهو مثل قوله تعالى
فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات وقيل المراد ثلة من الاولين هم السابقون
الاولون من المهاجرين والانصار فان اكثرهم هو الدرجة العليا كما قال تعالى لا يستوي منكم من انفق
من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة وقليل من الاخرين لحقوهم ولهذا قال عليه السلام خيركم
قرني ثم سوى في اصحاب اليمين بين الاولين والاخرين قال ابن الخطيب وعلى هذا فقوله وكنتم ازواجا
ثلاثة يكون خطابا مع الموجودين وقت التنزيل ولا يكون فيه بيان الاولين الذين كانوا قبل
نبينا عليه السلام وهذا الظاهر لان الخطاب لا يتعلق الا بالموجودين من حيث اللفظ ويدخل فيه
غيره بالدليل ووجه اخر ان المراد بالاولين الذين امنوا وعملوا الصالحات وبالاخرين اي ذرياتهم
الملحقون بهم في قوله تعالى واتبعناهم ذرياتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم وقال الزجاج الذين
عاينوا جميع النبيين من لدن ادم وصدقوهم اكثر ممن عاين النبي صلى الله عليه وسلم **قوله**
على سرر موضونة اي السابقون في الجنة على سرر اي مجالسهم على سرر جمع سرير وقرا زيد بن علي
وابو السماك سرر بفتح الراء الاولى وقد تقدم انها لغة لبعض كلب وتميم والموضونة قال ابن عباس
منسوجة بالذهب وقال عكرمة مشبكة بالدر والياقوت وعن ابن عباس ايضا موضونة اي مصفوفة
لقوله تعالى في موضع اخر على سرر مصفوفة وعنه وعن مجاهد ايضا مرمولة بالذهب وقيل موضونة
منسوجة بقضبان الذهب مشبكة بالدر والياقوت والموضونة المنسوجة واصله من وضنت الشي
اي ركبت بعضه على بعض ومنه قيل للدرع موضونة لتراكب حلقها قال الاعشى
• ومن نسج داود موضونة • يسير مع الحي عيرا فعيرا • ومنه ايضا وضين الناقة وهو حزامها لتراكب
طاقاته قال • اليك تعدو قلقا وضينها • معترضا في بطنها جنينها • مخالفا دين النصارى دينها •
وقال الراغب الوضن نسج الدرع ويستعار لكل نسج محكم فجملة املا في نسج الدروع وقال
الاخر • اقول وقد درات لها وضيني • اهذا دينه ابدا وديني • اي حزامي والوضين هو
الحبل العريض الذي منه يكون الحزم لقوة سداه ولحمته والسرير الموضون الذي سطحه بمنزلة
المنسوج قال القرطبي ومنه الوضين بطان من سيور ينسج فيدخل بعضه في بعض **قوله**
متكئين متقابلين حالان من الضمير في على سرر ويجوز ان يكون حالا متداخلة فيكون متقابلين حالا
من ضمير متكئين **فصل** متكئين على السرر متقابلين اي لا يرى بعضهم قفا بعض بل تدور
بهم الاسرة والمعنى انهم كائنون على سرر ومتكئين على غيرها كحال من يكون على كرسي فيوضع تحته شي اخر
للاتكاء عليه قال مجاهد وغيره هذا في المؤمن وزوجته واهله اي يتكئون متقابلين قال الكلبي
طول كل سرير ثلاث مائة ذراع فاذا اراد العبد ان يجلس عليها تواضعت فاذا جلس عليها ارتفعت
قوله يطوف يجوز ان يكون حالا وان يكون استينافا ولدان مخلدون اي غلمان لا يموتون قاله
مجاهد والمعنى لا موت لهم ولا فنا او يعني لا يتغير حالهم ويبقون صغارا دائما وقال الحسن والكلبي
لا يهرمون ولا يتغيرون ومنه قول امري القيس • وهل ينعمن الا سعيد مخلد • قليل الهموم ما يبيت باوجال
وقال سعيد بن جبير مخلدون مقرطون يقال للقرط الخلد وللجماعة الحلي الخلدة وقيل مسورون
ونحوه عن الفرا قال الشاعر • ومخلدات باللجين كانما • اعجازهن اقاوز الكثبان • وقيل مقرطون

نسخه
ومن نسج داود موضونة لها ثوب
نون حبيب البدن

يعني ممنطقون من المناطق وقال عكرمة مخلدون منعمون وقيل على سن واحد انشاهم الله لاهل الجنة يطوفون عليهم كما شاء من غير ولادة لان الجنة لا ولادة فيها وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه والحسن البصري الولدان ههنا ولدان المسلمين الذين يموتون صغارا ولا حسنة لهم ولا سيئة وقال سلمان الفارسي اطفال المشركين هم خدم اهل الجنة وقال الحسن لم يكن لهم حسنات يجازون بها ولا سيئات يعاقبون عليها فوضعوا هذا الموضع والمقصود ان اهل الجنة على اتم السرور والنعمة **قوله** باكواب متعلق بيطوفون والاكواب جمع كوب وهي الآنية التي لا عرى لها ولا خراطيم وتقدم في الزخرف والاباريق جمع ابريق وهي التي لها عرى وخراطيم واحدها ابريق وهو من آنية الخمر سمي بذلك لبريق لونه من صفائه قال الشاعر • افني تلادي وما جمعت من نشب • قرع القواقيز افواه الاباريق • وقال عدي بن زيد • وتداعوا الى الصبوح فقامت • قينة في يمينها ابريق • وقال آخر • كان ابريقهم ظبي على شرف • مفدم بسبا الكتان ملثوم • ووزنه افعيل لاشتقاقه من البريق **قوله** وكاس من معين تقدم في الصافات والمعين الجاري من ماء وخمر غير ان المراد ههنا الخمر الجارية من العيون وقيل الظاهرة فيكون معين مفعولا من المعاينة وقيل هو فعيل من المعن وهو الكثرة قال ابن الخطيب وهو ماخوذ من معن الماء اذا جرى وقيل بمعنى مفعول فيكون من عانه اذا شخصه بعينه وميزه قال والاول اظهر لان المعيون يوهم بانه معيوب يقال ضربني بعينه اي اصابني بعينه ولان الوصف بالجري لا فائدة فيه واما الجريان في المشروب فان كان في الماء فهو صفة مدح وان كان في غيره فهو امر عجيب لا يوجد في الدنيا فيكون كقوله تعالى وانهار من خمر وبين انها ليست كخمر الدنيا تستخرج بتكلف ومعالجة **فان قيل** كيف جمع الاكواب والاباريق وافرد الكاس **فالجواب** ان ذلك على عادة اهل الشرب فانهم يعدون الخمر في اوان كثيرة ويشربون بكاس واحدة وفيها مباينتهم لاهل الدنيا من حيث انهم يطوفون بالاكواب والاباريق ولا يثقل عليهم بخلاف الدنيا او يقال انما افردت الكاس لانها انما تسمى كاسا اذا كانت مملوءة فالمراد اتخاذ المشروب الذي فيها واخر الكاس مناسبة لاتصاله بالشرب **قوله** لا يصدعون يجوز ان تكون مستانفة اخبر عنهم بذلك وان يكون حالا من الضمير في عليهم ومعنى لا يصدعون عنها اي بسببها قال الزمخشري وحقيقته لا يصدر صداعهم عنها والصداع هو الداء المعروف الذي يلحق الانسان في راسه والخمر يؤثر فيه قال علقمة بن عبدة في وصف الخمر • تشفي الصداع ولا يؤذيك صالبها • ولا يخالطها في الراس تدويم • قال ابو حيان هذه صفة خمر الجنة كذا قال لي الشيخ ابو جعفر بن الزبير لما قرات هذا الديوان عليه والمعنى لا تتصدع رؤوسهم من شربها اي انها لذة بلا اذى بخلاف شراب الدنيا وقيل لا يصدعون لا يتفرقون كما يتفرق الشرب من الشراب للعوارض الدنيوية ومن مجيء صدع بمعنى تفرق قوله فتصدع السحاب عن المدينة اي تفرق ويرجحه قراءة مجاهد لا يصدعون بفتح اليا وتشديد الصاد والاصل يتصدعون اي يتفرقون كقوله تعالى يومئذ يصدعون وحكى الزمخشري قراءة وهي لا يصدعون بضم اليا وتخفيف الصاد وكسر الدال مشددة قال اي لا يصدع بعضهم بعضا لا يفرقونهم **قوله** ولا ينزفون تقدم الخلاف بين السبعة في ينزفون وتفسيره في الصافات وقرا ابن ابي اسحق بفتح اليا وكسر الزاي من نزف البير اذا استقى ما فيها والمعنى لا ينفد خمرهم ومنه قول الشاعر • لعمري لئن انزفتم او صحوتم • لبئس الندامى كنتم آل ابجرا • وقال ابو حيان وابن ابي اسحاق ايضا وعبد الله والجحدري والاعمش وطلحة وعيسى بضم اليا وكسر الزاي اي لا يفنى لهم شراب قال شهاب الدين وهذا عجب منه فانه قد تقدم في الصافات ان الكوفيين يقرؤون في الواقعة بكسر الزاي وقد نقل هو هذه القراءة في قصيدته وروى الضحاك عن ابن عباس قال في الخمر اربع خصال

السكر والصداع والقيء والبول وقد نزه الله تعالى خمر الجنة عن هذه الخصال **قوله** وفاكهة العامة على جر فاكهة ولحم نسقا على اكواب اي يطوفون عليهم بهذه الاشيا الماكول والمشروب والمتفكه به وهذا كقوله العيشة الراضية **فان قيل** الفاكهة لا يطوف بها الولدان والعطف يقتضي ذلك **فالجواب** ان الفاكهة واللحم في الدنيا يطلبان في حالة الشرب فجاز ان يطوفوا بهما الولدان فيناولونهم الفواكه الغريبة واللحوم العجيبة لا للاكل بل للاكرام كما يصنع المكرم للضيف انواع الفواكه بيده او يكون معطوفا على المعنى في قوله جنات النعيم اي متقلبون في جنات وفاكهة ولحم وحور اي في هذه النعم يتقلبون وقرا زيد بن علي وابو عبد الرحمن برفعهما على الابتدا والخبر مقدر اي ولهم كذا والمعنى يتخيرون ما شاؤوا من الفواكه لكثرتها وقيل المعنى وفاكهة متخيرة مرضية والتخير الاختيار وقوله ولحم طير مما يشتهون قال ابن عباس يخطر على قلبه لحم الطير فيصير ممثلا بين يديه على ما اشتهى ثم يطير فيذهب **قوله** وحور عين قرا الاخوان بجر حور عين والباقون برفعهما والنخعي وحير عين بقلب الياء واوا وجرهما وابي وعبد الله قال القرطبي والاشهب العقيلي وعيسى بن عمر الثقفي وهو كذلك في مصحف ابي والنخعي ايضا وحورا عينا بنصبهما فاما الجر فمن اوجه احدها انه عطف على جنات النعيم كانه قيل هم في جنات وفاكهة ولحم وحور قاله الزمخشري قال ابو حيان وهذا فيه بعد وتفكيك كلام مرتبط بعضه ببعض وهو فهم اعجمي قال شهاب الدين والذي ذهب اليه الزمخشري معنى حسن جدا وهو على حذف مضاف اي وفي مقارنة حور وهذا هو الذي عناه الزمخشري وقد صرح غيره بتقدير هذا المضاف وقال الزجاج الجر على الاتباع في اللفظ وان اختلفا في المعنى لان الحور لا يطاف بهن قال الشاعر • اذا ما الغانيات برزن يوما • وزججن الحواجب والعيونا • والعين لا تزجج وانما تكحل وقال آخر • ورايت زوجك في الوغى • متقلدا سيفا ورمحا • الثاني انه معطوف على باكواب وذلك بتجوز في قوله يطوف اذ معناه ينعمون فيها باكواب وبكذا وبحور قاله الزمخشري الثالث انه معطوف عليه حقيقة وان الولدان يطوفون عليهم بالحور ايضا فان فيه لذة لهم طافوا عليهم بالماكول والمشروب والمتفكه به والمنكوح والى هذا ذهب ابو عمرو بن العلاء وقطرب ولا التفات الى قول ابي البقاء عطفا على اكواب في اللفظ دون المعنى لان الحور لا يطاف بهن **واما** الرفع فمن اوجه احدها عطفا على ولدان اي ان الحور العين يطفن عليهم بذلك كما الولائد في الدنيا وقال ابو البقاء اي يطفن عليهم للتنعيم لا للخدمة قال شهاب الدين وهو للخدمة ابلغ لانهم اذا خدمهم مثل اولئك فما الظن بالموطوءات الثاني ان يعطف على الضمير المستكن في متكئين وسوغ ذلك الفصل بما بينهما الثالث ان يعطف على مبتدا وخبر حذفا معا تقديره لهم هذا كله وحور عين قاله ابو حيان وفيه نظر لانه انما عطف على المبتدا وحده وذلك الخبر له ولما عطف هو عليه الرابع ان يكون مبتدا خبره مضمر تقديره ولهم او فيها حور او ثم حور قال الزمخشري على وفيها حور كبيت الكتاب يريد كتاب سيبويه والمراد بالبيت قوله • بادت وغير آيهن مع البلى • الا رواكد جمرهن هباء • ومشجج اما سواء قذاله • فبدا وغير ساره المعزاء • فعطف مشجج وهو مرفوع على رواكد وهو منصوب الخامس ان يكون خبر المبتدا مضمر اي نساؤهم حور قاله ابو البقاء قال الكسائي ومن قال وحور عين بالرفع وعلل بانه لا يطاف بهن يلزمه ذلك في فاكهة ولحم لان ذلك لا يطاف به وليس يطاف الا بالخمر وحدها **واما** النصب ففيه وجهان احدهما انه منصوب باضمار فعل اي يعطون او يؤتون حورا والثاني ان يكون محمولا على معنى يطوف عليهم لان معناه يعطون كذا وكذا فعطف هذا عليه وقال مكي ويجوز النصب على ان تحمل ايضا على المعنى لان معنى يطوف ولدان بكذا وكذا اي يعطون كذا وكذا ثم عطف حورا على معناه فكانه لم يطلع على انها قراءة **واما** قراءة وحير فلمجاورتها عين ولان اليا اخف من الواو ونظيره في التغيير للمجاورة قولهم اخذه ما قدم وما حدث بضم

دال حدث لاجل قدم واذا افردمنه فتحت داله فقط وقوله عليه السلام ذهب السموات ومن
الظلل ذهب الشياطين ومن اضللن وقوله ، ايتكن صاحبة الجمل الادبب تنبحها كلاب الحوأب
فك الادبب لاجل الحوأب ، وقرأ قتادة وحور عين بالرفع والاضافة لعين وابن مقسم بالنصب
والاضافة وقد تقدم توجيه الرفع والنصب واما الاضافة فمن اضافة الموصوف لصفته
مؤولا وقرأ عكرمة وحوراء عيناء بافرادهما على ارادة الجنس وهذه القراءة تحتمل وجهين احدهما
ان تكون نصبا كقراءة ابي وعبد الله وان يكون جرا كقراءة الاخوين لان هذين الاسمين لا ينصرفان
فهما محتملان للوجهين وتقدم الكلام في اشتقاق العين وكامثال صفة او حال وجزا مفعول من
اجله او مصدر اي تجزون جزا **فصل** قال المفسرون حور بيض عين ضخام الاعين كامثال
اللؤلؤ المكنون اي المخزون في الصدف لم تمسه الايدي ولم يقع عليه الغبار فهو اشد ما يكون صفا
وقوله جزاء بما كانوا يعملون قالت المعتزلة هذا يدل على ان ايصال الثواب واجب على الله
تعالى لان الجزا لا يجوز الاخلال به واجيبوا بانه لو صح ما ذكروا لما كان في الوعد بهذه الاشيا
فائدة لان العقل اذا حكم بان ترك الجزا قبيح وعلم بالعقل ان القبيح من الله تعالى لا يوجد علم
ان الله تعالى يعطي هذه الاشيا لانها اجزية وايصال الجزا واجب فكان لا يصح التمدح به **قوله**
لا يسمعون فيها لغوا ولا تاثيما قال ابن عباس كذبا وباطلا واللغو ما يلغى من الكلام والتاثيم مصدر
اثمته اي قلت له اثمت قال محمد بن كعب ولا تاثيما اي لا يؤثم بعضهم بعضا وقال مجاهد
لا يسمعون بها لغوا ولا تاثيما شتما ولا ماثما **قوله** الا قيلا فيه قولان احدهما انه استثنا
منقطع وهذا واضح لانه لم يندرج تحت اللغو والتاثيم والثاني انه متصل وفيه بعد وكان
هذا راي ان الاصل لا يسمعون فيها كلاما فاندرج عنده فيه وقال مكي وقيل منصوب بيسمعون
وكانه اراد هذا القول **قوله** سلاما سلاما فيه اوجه احدها انه بدل من قيلا اي لا يسمعون
فيها الا سلاما سلاما الثاني انه نعت لقيلا الثالث انه منصوب بنفس قيلا اي الا ان يقولوا
سلاما سلاما وهو قول الزجاج الرابع ان يكون منصوبا بفعل مقدر وذلك الفعل محكي بقيلا
تقديره الا قيلا اسلموا سلاما وقرئ سلام بالرفع قال الزمخشري على الحكاية قال مكي ويجوز
في الكلام الرفع على معنى سلام عليكم ابتدا وخبر وكانه لم يعرف فيها قراءة **فصل** معنى
قيلا سلاما اي قولا سلاما سلاما قال عطا يحيي بعضهم بعضا بالسلام قال القرطبي والسلام
الثاني بدل من الاول والمعنى الا قيلا يسلم فيه من اللغو وقيل تحييهم الملايكة او يحييهم ربهم عز وجل
وكرر السلام اشارة الى كثرة السلام عليهم ولهذا لم يكرر في قوله سلام قولا من رب رحيم والقيل
مصدر كالقول قال ابن الخطيب فيكون فعلا مصدرا لكن لا نظير له في باب فعل يفعل من
الاحرف وقيل انه اسم والقول مصدر **قوله** واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين رجع الى ذكر
اصحاب الميمنة والتكرير لتعظيم شان النعيم **فان قيل** ما الحكمة في ذكرهم بلفظ
اصحاب الميمنة عند تقسيم الازواج الثلاثة وبلفظ اصحاب اليمين عند ذكر الانعام فالجواب
ان الميمنة مفعلة اما بمعنى موضع اليمين كالحكمة موضع الحكم اي الارض التي فيها اليمن واما بمعنى
موضع اليمين كالمنارة موضع النار والمجمرة موضع الجمر وكيف ما كان فالميمنة فيها دلالة على الموضع
لكن الازواج الثلاثة في اول الامر يتميزون بعضهم من بعض ويتفرقون كقوله تعالى يومئذ يتفرقون
وقال يومئذ يصدعون فيتفرقون بالمكان فاشار في الاول الى الموضع بلفظ يدل على المكان ثم عند
الثواب وقع تفرقهم بامر فيهم لا بامر هم فيه وهو المكان فقال واصحاب اليمين اي الذين ياخذون كتبهم
بايمانهم وقيل اصحاب القوة وقيل اصحاب النور **قوله** في سدر مخضود قال ابن عباس وغيره
في سدر مخضود اي في نبق قد خضد شوكه وذكر ابن المبارك قال اخبرنا صفوان عن سليم بن عامر

قال

قال كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقولون انه لينفعنا الاعراب ومسايلهم قال اقبل
اعرابي يوما فقال يا رسول الله لقد ذكر الله في القران شجرة مؤذية وما كنت ارى في الجنة شجرة
تؤذي صاحبها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما هي قال السدر فان له شوكا مؤذيا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اوليس يقول سدر مخضود خضد الله شوكه فجعل مكان كل شوكة
ثمرة فانها تنبت ثمرا يفتق الثمرة منها على اثنين وسبعين لونا من الطعام ما فيه لون يشبه
الاخر وقال ابو العالية والضحاك نظر المسلمون الى وج وهو واد بالطايف مخصب فاعجبهم
سدره فقالوا يا ليت لنا مثل هذا فنزلت قال امية بن ابي الصلت يصف الجنة ،
ان الحدايق في الجنان ظليلة فيها الكواعب سدرها مخضود ، وقال الضحاك ومجاهد
ومقاتل بن حيان في سدر مخضود هو الموقر حملا وقال سعيد بن جبير ثمرها اعظم من القلال
قوله وطلح منضود الطلح جمع الطلحة قال علي وابن عباس واكثر المفسرين الطلح شجر الموز
واحده طلحة وقال الحسن ليس هو موز ولكنه شجر له ظل بارد رطب وقال الفرا وابو عبيدة
شجر عظام له شوك قال الجعدي ، بشرها دليلها وقالا ، غدا ترين الطلح والاجبالا ، فالطلح
كل شجر عظيم كثير الشوك وقال الزجاج هو شجر ام غيلان قال مجاهد ولكن ثمرها احلا من العسل
وقال الزجاج لها نور طيب جدا فخوطبوا ووعدوا بما يحبون مثله الا ان فضله على ما في
الدنيا كفضل سائر ما في الجنة على ما في الدنيا وقال السدي طلح الجنة يشبه طلح الدنيا لكن له
ثمر احلا من العسل وقوله منضود اي متراكب قال المفسرون موقر من الحمل حتى لا يبين ساقه من
كثرة ثمره وتثني اغصانه وقرا علي رضي الله عنه وعبد الله وجعفر بن محمد وطلع بالعين لقوله
تعالى طلعها هضيم ولما قراها علي رضي الله عنه قال وما شان الطلح واستدل بقوله لها طلع نضيد
فقيل له انحوها فقال لا ينبغي ان يهاج القران اليوم ولا يحول فقد اختار هذه القراءة وروي
عن ابن عباس مثله قال القرطبي فلم يروا اثباتها في المصحف لمخالفة ما رسمه مجمع عليه قاله
القشيري واسنده ابو بكر بن الانباري بسنده الى علي رضي الله عنه **فصل** قال
ابن الخطيب المخضود الماخوذ الشوك وقيل المنعطف الى اسفل فان روس اغصان السدر في
الدنيا تميل الى فوق لعدم ما يثقلها بخلاف اشجار الجنة فان روسها تتدلى والظاهر ان الطلح
شجر الموز وذكر طرفين ليندرج ما بينهما فان ورق السدر صغير وورق الطلح وهو الموز كبير
وبينهما انواع من الاوراق متوسطة كما ذكر في النخل والرمان كقولهم فلان يرضي الصغير والكبير
فيدخل ما بينهما والمنضود المتراكب الذي قد نضد اوله واخره بالحمل ليست له سوق بارزة
بل هو مرصوص والنضد هو الرص والمنضد المرصوص قال مسروق اشجار الجنة من عروقها الى
افنانها نضيد ثمر كله كلما اكلت ثمرة عاد مكانها احسن منها **قوله** وظل ممدود اي دايم
باق لا يزول ولا تنسخه الشمس كقوله تعالى الم تر الى ربك كيف مد الظل وذلك بالغداة وهي ما
بين الاسفار الى طلوع الشمس والجنة كلها ظل لا شمس معه قال ابن الخطيب ان الشمس اذا كانت تحت
الارض يقع ظلها في الجو فيتراكم الظل فيسود وجه الارض واذا كانت الشمس في احد جانبي الارض
من الافق فينبسط الظل على وجه الارض فيضي الجو ولا يسود وجه الارض فيكون في غاية الطيبة
فقوله وظل ممدود اي كالظل ، وعلى هذا فالظل ليس ظل الاشجار بل ظل يخلقه الله
تعالى قال الربيع بن انس يعني ظل العرش وقال عمرو بن ميمون مسيرة سبعين الف سنة وقال
ابو عبيدة تقول العرب للدهر الطويل والعمر الطويل والشي الذي لا ينقطع ممدود وقال
الشاعر ، غلب العزاء وكان غير مغلب ، دهر طويل دايم ممدود ، وفي صحيح الترمذي وغيره
عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال وفي الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها ماية عام

لا يقطعها ما قرا وان شيتم وظل ممدود وهذا الحديث يرد قول ابن الخطيب من انه لبيان ظل الاشجار
قوله وما مسكوب اي مصبوب بكثرة وقيل جار لا ينقطع واصل السكب الصب يقال
سكبه سكبا والسكوب انصبابه يقال سكب سكوبا وانسكب انسكابا ومعنى الاية وما مصبوب
يجري في غير اخدود وقال ابن الخطيب معناه مسكوب من فوق لان اكثر ما العرب من الابار
والبرك فلا ينسكب وقيل جار في غير اخدود بانجرا الهوا وكانت العرب اصحاب بادية وبلاد
حارة وكانت الانهار في بلادهم عزيزة لا يصلون الى الما الا بالدلو والرشا فوعدوا في الجنة خلاف
ذلك قوله وفاكهة كثيرة قرى برفع فاكهة اي وهناك او وهم او وفيها اي وثم فاكهة قال
ابن الخطيب لما ذكر الاشجار التي تطلب ظلها ورقها ذكر بعدها الاشجار التي تقصد ثمرها وذكر الفاكهة
بعد ذكر الاشجار لانتقالها من نعمة الى نعمة ووصفت بالكثرة دون الطيب واللذة لان الفاكهة
تدل عليهما قوله لا مقطوعة فيه وجهان اظهرهما انه نعت لفاكهة ولا للنفي كقولك مررت
برجل لا طويل ولا قصير ولذلك لزم تكرارها والثاني هو معطوف على فاكهة ولا عاطفة قاله ابو البقا
وحينيذ لابد من حذف موصوف اي لا فاكهة مقطوعة لئلا يعطف الصفة على موصوفها والمعنى
ليست كفواكه الدنيا تنقطع في اوقات وفي كثير من الاماكن ولا ممنوعة اي لا تمتنع من الناس لطلب
الاثمان وقيل لا يحظر عليها كثمار الدنيا وقيل لا تمنع من ارادها بشوك ولا بعد ولا حايط بل اذا
اشتهاها العبد دنت منه حتى ياخذها قال تعالى وذللت قطوفها تذليلا قوله وفرش
مرفوعة العامة على ضم الراء جمع فراش وابو حيوة بسكونها وهي مخففة من المشهورة والفرش قيل
هي الفراش المعهود ومرفوعة على الاسرة وقيل هي كناية عن النسا كما كني عنهن باللباس اي ونسا
مرتفعات الاقدار في حسنهن وكمالهن والعرب تسمي المراة فراشا ولباسا وازارا قاله ابو عبيدة ثم
قالوا ولذلك اعاد الضمير عليهن في قوله انا انشاناهن واجاب غيرهم بانه عايد على النسا الدال
عليهن الفرش وقيل يعود على حور المتقدمة وعن الاخفش هن ضمير لمن لم يجر له ذكر لكن يدل عليه
السياق وقيل مرفوعة القدر يقال ثوب رفيع اي عزيز مرتفع القدر والثمن بدليل قوله تعالى
متكيين على فرش بطاينها من استبرق تكون ظهايرها اعلى وقيل مرفوعة بعضها فوق بعض وروى
الترمذي عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى وفرش مرفوعة قال ارتفاعها كما
بين السما والارض مسيرة خمسمائة سنة وقال حديث غريب قوله انا انشاناهن قيل الضمير
يعود على الحور العين اي خلقناهن من غير ولادة وقيل المراد نسا بني ادم خلقناهن خلقا جديدا
وهو الاعادة اي اعدناهن الى حال الشباب وكمال الجمال ويرجحه قوله تعالى فجعلناهن ابكارا لان
المخلوقة ابتدا معلوم انها بكر والمعنى انشانا العجوز والصبية انشا واحدا واضمرن ولم يتقدم ذكرهن
لانهن قد دخلن في اصحاب اليمين اولان الفرش كناية عن النسا كما تقدم وروي عن النبي صلى الله عليه
وسلم في قوله تعالى انا انشاناهن انشا قال منهن البكر والثيب وروى النحاس باسناده ان ام سلمة
سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى انا انشاناهن انشا فجعلناهن ابكارا عربا اترابا فقال
يا ام سلمة هن اللواتي قبضن في الدنيا عجايز شمطا عمشا رمصا جعلهن الله بعد الكبر اترابا على
ميلاد واحد في الاستوا وروى انس بن مالك يرفعه في قوله انا انشاناهن انشا قال هن العجايز
العمش الرمص كن في الدنيا عمشا رمصا وعن المسيب بن شريك قال النبي صلى الله عليه وسلم في قوله
تعالى انا انشاناهن انشا فجعلناهن ابكارا عربا اترابا قال هن عجايز الدنيا انشاهن الله خلقا جديدا
كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا فلما سمعت عايشة ذلك قالت واوجعاه فقال النبي صلى الله
عليه وسلم ليس هناك وجع وعن الحسن قالت اتت عجوز النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله
ادع الله ان يدخلني الجنة فقال يا ام فلان الجنة لا يدخلها عجوز قال فولت تبكي فقال اخبروها انها لا

تدخلها وهي عجوز ان الله تعالى يقول انا انشاناهن انشا فجعلناهن ابكارا قوله عربا جمع عروب
كصبور وصبر والعروب المتحببة الى بعلها واشتقاقه من اعرب اذا بين فالعروب تبين محبتها لزوجها
بشكل وغنج وحسن كلام قاله عكرمة وقتادة وقيل الحسنا وقيل المحسنة لكلامها وقرا حمزة وابو بكر
بسكون الراء وهذا كرسل ورسل وفرش وفرش وقال ابن عباس هن العواشق وانشد للبيد
وفي الخدور عروب غير فاحشة ... ريا الروادف يعشى دونها البصر ... ويروى
وفي الخباء عروب غير فاحشة ... ريا الروادف يعشى ضوءها البصر ... وعن ابن عباس ومجاهد
وغيرهما العرب العواشق لازواجهن وعن عكرمة العروب الغنجة قال ابن زيد بلغة اهل المدينة
وانشد بيت لبيد وهي الشكلة بلغة اهل مكة وروى جعفر بن محمد عن ابيه عن جده قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى عربا قال كلامهن عربي وعن ابن عباس العروب الملقة
قوله اترابا جمع ترب وهو المساوي لك في سنك لانه مس جلدهما التراب في وقت واحد
وهو اكد في الايتلاف وهو من الاسما التي لا تتعرف بالاضافة لانه في معنى الصفة اذ معناه مساويك
ومثله خدنك لانه في معنى صاحبك قال القرطبي سن واحد وهو ثلاث وثلاثون سنة يقال
في النسا اتراب وفي الرجال اقران وكانت العرب تميل الى من جاوزت حد الصبا من النسا وانحطت
عن الكبر وقال مجاهد الاتراب الامثال والاشكال وقال السدي اتراب في الاخلاق لا تباغض
بينهن ولا تحاسد وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يدخل اهل الجنة الجنة جردا
مردا بيضا جعادا مكحلين ابنا ثلاثين على خلق ادم طوله ستون ذراعا في سبعة اذرع وعنه
عليه السلام قال من مات من اهل الجنة من صغير وكبير يردون بني ثلاثين سنة في الجنة لا يزيدون
عليها ابدا وكذلك اهل النار قوله لاصحاب اليمين في هذه اللام وجهان احدهما انها متعلقة
بانشاناهن اي لاجل اصحاب والثاني انها متعلقة باترابا كقولك هذا ترب لهذا اي مساو
له وقيل الحور العين للسابقين والاتراب العرب لاصحاب اليمين قوله ثلة من الاولين
وثلة من الاخرين رجع الكلام الى قوله تعالى واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين اي هم ثلة من
الاولين وثلة من الاخرين وتقدم الكلام في معناه وقال ابو العالية ومجاهد وعطا بن
ابي رباح والضحاك ثلة من الاولين يعني من سابقي هذه الامة وثلة من الاخرين من هذه
الامة من اخرها بدليل ما روي عن ابن عباس في هذه الاية ثلة من الاولين وثلة من
الاخرين فقال النبي صلى الله عليه وسلم هم جميعا من امتي وقال الواحدي اصحاب الجنة نصفان
نصف من الامم الماضية ونصف من هذه الامة ويرد هذا ما روى ابن ماجه في سننه
والترمذي في جامعه عن بريدة عن حصيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل
الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها من هذه الامة واربعون من ساير الامم قال
الترمذي هذا حديث حسن وثلة رفع على الابتدا وعلى حذف حرف الصفة ومجاورة لاصحاب
اليمين ثلتان ثلة من هولا وثلة من هولا فالاولون الامم الماضية والاخرون هذه الامة
على قول الواحدي قوله واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال لما ذكر منازل اهل الجنة وسماهم
اصحاب الشمال لانهم ياخذون كتبهم بشمايلهم ثم عظم ذكرهم في البلا والعذاب فقال ما اصحاب
الشمال في سموم وهي الريح الحارة التي تدخل في مسام البدن والمراد بها حر النار ولفحها وقيل
ريح حارة تهب فتمرض وتقتل واصله من السم كسم الحية والعقرب وغيرهما وقال ابن الخطيب
ويحتمل ان يكون هو السم والسم يقال في خرت الابرة قال تعالى حتى يلج الجمل في سم الخياط لان سم الافعى
ينفذ في مسام البدن وقيل السموم تختص بما يهب ليلا وعلى هذا فقوله سموم اشارة الى ظلمة ما هم
فيه قوله وحميم هو الما الحار الذي تناهى حره وهو فعيل بمعنى فاعل من حمم الما او بمعنى

مفعول من حم الماء اذا سخنه وقوله وظل من يحموم اليحموم فيعول من يقول قال ابو البقا من الحمم او الحميم
قال القرطبي هو مفعول من الحم وهو الشحم المسود باحتراق النار وقيل ماخوذ من الحم وهو الفحم
واليحموم قيل هو الدخان الاسود البهيم وقيل واد في جهنم وقيل اسم من اسمايها والاول اظهر وقيل
انه الظلمة واصله من الحمم وهو الفحم فكانه اسود يحموم فسمي باسم مشتق منه وزيادة الحرف فيه لزيادة
ذلك المعنى فيه وربما تكون الزيادة فيه جامعة بين الزيادة في سواده والزيادة في حرارته
قال ابن الخطيب وفي الامور الثلاثة اشارة الى كونهم في العذاب دايما لانهم ان تعرضوا لمهب
الهوى اصابهم السموم وان استكنوا كما يفعله الذي يدفع عن نفسه السموم بالاستكنان بالكن
تكونوا في ظل من يحموم وان ارادوا التبرد بالماء من حر السموم يكون الما من حميم فلا انفكاك لهم من
العذاب او يقال ان السموم يضربه فيعطش وتلتهب نار السموم في احشايه فيشرب الما فيقطع امعاه
فيريد الاستظلال بظل فيكون ذلك الظل اليحموم وذكر السموم والحميم دون النار تنبيها بالادنى
على الاعلى كانه قيل ابرد الاشيا في الدنيا حار عندهم فكيف احرها قال الضحاك النار
سودا واهلها سود وكل ما فيها اسود **قوله** لا بارد ولا كريم صفتان للظل كقوله من
يحموم وفيه انه قدم غير الصريحة على الصريحة فالاولى ان تجعل صفة ليحموم وان كان السياق
يرشد الى الاول وقرا ابن ابي عبلة لا بارد ولا كريم برفعهما اي هو لا بارد كقوله
فانت لا حرج ولا محروم • قال الضحاك لا بارد بل حار لانه من دخان شفير جهنم ولا كريم
عذب وقال سعيد بن المسيب ولا حسن منظره وكل ما لا خير فيه فليس بكريم وقيل وظل من
يحموم اي من النار يعذبون بها كقوله تعالى لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل قال
الزمخشري كرم الظل نفعه الملهوف ودفع اذى الحر عنه قال ابن الخطيب ولو كان كذلك
لكان البارد والكريم بمعنى واحد والاقوى ان يقال فايدة الظل امران احدهما دفع الحر
والاخر كون الانسان فيه مكرما لان الانسان في البرد يقصد الشمس ليدفا بحرها اذا كان
قليل الثياب وفي الحر يطلب الظل لبرده فاذا كان من المكرمين يكون زايدا في كن يدفع الحر
والبرد عن نفسه فيحتمل ان يكون المراد هذا ويحتمل ان يقال الظل يطلب لامر حسي وهو برده
ولامر عقلي وهو التكرمة وهذا معنى ما نقله الواحدي عن الفرا ان العرب تنفي كل شي مستحسن
معنى الكرم فيقولون الدار لا واسعة ولا كريمة **قوله** انهم كانوا قبل ذلك مترفين اي انهم انما
استحقوا هذه العقوبة لانهم كانوا في الدنيا متنعمين بالحرام والمترف المنعم قاله ابن عباس
وغيره وقال السدي مترفين اي مشركين **قوله** وكانوا يصرون على الحنث العظيم الحنث
في اصل كلامهم العدل الفصل وسمي به الذنب والاثم لثقلهما قاله الخطابي وفلان حنث في يمينه
اي لم يف بها لانه ياثم غالبا ويعبر بالحنث عن البلوغ ومنه قوله لم يبلغوا الحنث وانما قيل ذلك
لان الانسان عند بلوغه اياه يواخذ بالحنث اي بالذنب وتحنث فلان اي جانب الحنث
وفي الحديث كان يتحنث بغار حرا اي يتعبد لمجانبته الاثم نحو تحرج فتفعل في هذه كلها للسلب
فصل قال الحسن والضحاك وابن زيد يصرون على الحنث العظيم اي يقيمون على الشرك
وقال قتادة ومجاهد الذنب العظيم الذي لا يتوبون منه وقال الشعبي هو اليمين الغموس
وهي من الكباير يقال حنث في يمينه اي لم يبرها ورجع فيها وكانوا يقسمون ان لا بعث وان الاصنام
انداد الله فذلك حنثهم **فصل** قال ابن الخطيب والحكمة في ذكر سبب عذابهم
ولم يذكر في اصحاب اليمين سبب ثوابهم فلم يقل انهم كانوا قبل ذلك شاكرين مذعنين وذلك تنبيه
على ان ذلك الثواب منه فضل والعقاب منه عدل والفضل سوا ذكر سببه او لم يذكره لا يتوهم
بالمتفضل نقص وظلم واما العدل ان لم يعلم سبب العقاب يظن ان هناك ظلم ويدل على ذلك

انه

انه تعالى لم يقل في حق اصحاب اليمين جزاء بما كانوا يعملون كما قاله في السابقين لان اصحاب اليمين
نجوا بالفضل العظيم لا بالعمل بخلاف من كثرت حسناته يحسن اطلاق الجزاء في حقه واعلم
ان المترف هو المنعم وذلك لا يوجب ذما وانما حصل لهم الذم بقوله وكانوا يصرون على الحنث
العظيم فان صدور المعاصي ممن كثرت النعم عليه اقبح القبايح فقال انهم كانوا قبل ذلك مترفين
ولم يشكروا نعم الله بل اصروا على الذنب العظيم وفي الاية مبالغات لان قوله كانوا يصرون
يقتضي ان ذلك عادتهم والاصرار مداومة المعصية ولان الحنث ابلغ من الذنب لان الذنب
يطلق على الصغيرة بخلاف ذلك قولهم بلغ الحنث اي بلغ مبلغا يلحقه فيه الكبيرة واما الصغيرة
فتلحق الصغير فانه يعاقب على اساءة الادب وترك الصلوة ولان وصفه بالعظيم مبالغة
قاله ابن الخطيب **قوله** وكانوا يقولون ايذا متنا الاية هذا استبعاد منهم للبعث وتكذيب
له وقد تقدم الكلام على ذلك في الصافات وتقدم الكلام على الاستفهامين في سورة الرعد
فان قيل كيف اتى باللام المؤكدة في قوله تعالى لمبعوثون مع ان المراد هو النفي وفي النفي لا
تدخل اللام في خبر ان تقول ان زيدا ليجي ولا تقول ان زيدا لا يجي فلا يذكر اللام ومرادهم بالاستفهام
الانكار بمعنى انا لا نبعث فالجواب من وجهين احدهما التقرير بالنفي بصيغته يجب التصريح عذا
بالنفي وصيغته والثاني انهم اردوا تكذيب من يخبرهم عن البعث فذكروا ان المخبر عنه يبالغ في الاخبار
ونحن ننكر مبالغته وتاكيده فحكوا كلام المخبر على طريقة الاستفهام والانكار ثم انهم اشاروا
في الانكار الى امور اعتقدوها مقررة لصحة انكارهم فقالوا ايذا متنا فلم يقتصروا عليه بل
قالوا بعده وكنا ترابا وعظاما اي وطال العهد بعد كوننا احياء حتى صار لحوم ترابا
والعظام رفاتا ثم زادوا وقالوا مع هذا يقال لنا انكم لمبعوثون بطريق التاكيد من ثلاثة اوجه
احدها استعمال ان ثانيها اثبات اللام في خبرها ثالثها ترك صيغة الاستقبال والاتيان بالمفعول
كانه كاين ثم زادوا وقالوا او اباؤنا الاولون فقال الله تعالى لهم قل يا محمد ان الاولين من ابايكم
والاخرين منكم لمجموعون الى ميقات يوم معلوم يعني يوم القيمة ومعنى الكلام القسم ودخول اللام
في قوله تعالى لمجموعون هو دليل القسم في المعنى اي انكم لمجموعون قسما حقا خلاف قسمكم الباطل
قوله ثم انكم ايها الضالون عن الهدى المكذبون بالبعث لاكلون من شجر من زقوم وهو شجر
كريه المنظر كريه الطعم وهو المذكور في سورة والصافات وهذا الخطاب عام وقيل لاهل مكة
وهو من تمام كلام النبي صلى الله عليه وسلم وقدم هنا الضالين على المكذبين وفي اخر السورة قال
واما ان كان من المكذبين الضالين فقدم المكذبين على الضالين لانهم هنا اصروا على الحنث
العظيم فضلوا عن السبيل ثم كذبوا الرسول وقالوا ايذا متنا وفي اخر السورة قدم المكذبين بالحشر
على الضالين على طريق الخلاص ويقال ان الكلام هنا مع الكفار فهم ضلوا اولا وكذبوا ثانيا وفي
اخر السورة الكلام مع النبي صلى الله عليه وسلم فقدم التكذيب به [illegible] والعناية به صلى الله
عليه وسلم **قوله** من شجر من زقوم فيه اوجه احدها ان تكون من لابتدا الغاية والثانية
للبيان اي مبتدئون للاكل من شجر هو زقوم الثاني ان تكون من الثانية صفة لشجر فتتعلق
بمحذوف اي مستقر الثالث ان تكون من الاولى مزيدة اي لاكلون شجرا ومن الثانية على ما
تقدم فيها من الوجهين الرابع عكس هذا وهو ان تكون الثانية مزيدة اي لاكلون زقوما ومن
الاولى للابتدا وفي محل نصب على الحال من زقوم اي كاينا من شجر ولو تاخر لكان صفة الخامس
ان من شجر صفة لمفعول محذوف اي لاكلون شيا من شجر ومن زقوم على هذا نعت لشجر او لشي المحذوف
السادس ان الاولى للتبعيض والثانية بدل منها **قوله** فمالئون منها البطون الضمير في
منها عايد على الشجر وفي عليه للشجر ايضا وقد تقدم انه يجوز تذكير اسم الجنس وتانيثه وانما انث

وقيل الضمير في عليه عايد على الزقوم وقال ابو البقا للماكول او الاكل انتهي
وفي قوله الاكل بُعدٌ وقال الزمخشري وانث ضمير الشجر على المعني وذكر على اللفظ في منها وعليه
ومن قرا من شجرة من زقوم فقد جعل الضمير بن للشجرة وانما ذكر الثاني على تاويل الزقوم لانه
تفسيرها **فصل** قال ابن الخطيب اختلفت اقوال الناس في الزقوم وحاصل الاقوال
يرجع الى كون ذلك في الطعم مرا وفي اللمس حارا وفي الرائحة منتنا وفي المنظر اسود لا يكاد اكله
يسيغه والتحقيق اللغوي فيه ان الزقوم لغة عربية ولها تركيبة على فحصها لان زق لم يجتمع
الا في مهمل وفي مكروه يقال منه زرق يزرق ومنه زمق شعره اذا نتفه ومنه القرزم للدنيا واللوم
واقوى من هذا ان القاف مع كل حرف من الحرفين الباقيين يدل على الامر على مكروه فالقاف
مع الميم كالقمامة والتقمقم والقمقمة وبالعكس المتاسق لتخليط الصوت والمتمعه هو السبق واما القاف
مع الزاي فالزق ورزقه الطير والقزقه الحفة وبالعكس الخز الثوب والمقز والتنفر الطبع فتركيب
الكلمة من حروف اجتماعها دليل الكراهة والقبح ثم قرن به الاكل فدل على انه طعام ذو غصة واما
ما يقال بان العرب تقول زقمتني بمعنى المطعمتني الزبد والعسل واللبن فذلك للمجانة كما يقال
ارشقني بثوب حسن وارجمني بكيس من ذهب وقد تقدم الكلام على الزقوم في والصافات وقوله
فما لئون منها البطون بيان لزيادة العذاب اي لا يكتفى منكم بنفس الاكل كما يكتفى من ياكل الشي تحلة
القسم بل يلزمون بان يملاوا منها البطون وقوله البطون اما مقابلة الجمع بالجمع اي تملا كل
واحد منكم بطنه واما ان يكون لكل واحد بطون ويكون المراد منه ما في باطن الانسان وهو
سبعة امعا فيملاوا بطون الامعا والاول اظهر والثاني ادخل في التعذيب **قوله**
فشاربون عليه اي على الاكل او على الزقوم لاجل مرارته وحرارته تحتاجون الى شرب الما فتشربون
من الما الحار **قوله** فشاربون شرب الهيم وهذا ايضا بيان لزيادة العذاب اي لا يكون
شربكم كمن شرب ما حارا منتنا فيمتنع عنه بل تلزمون ان تشربوا منه مثل ما يشرب الاهيم
وهو الجمل العطشان فيشرب ولا يروى وقرا نافع وعاصم وحمزة بضم الشين من شرب وبا في
السبعة بفتحها ومجاهد وابو عثمان النهدي بكسرها فقيل الثلاث لغات في مصدر شرب والمقيس
منها انما هو المفتوح وقيل المصدر هو المفتوح والمضموم والمكسور اسمان لما يشرب كالرعي والطحن
قال القرطبي تقول العرب شربت شربا وشربا وشربا بضمتين قال ابو زيد سمعت العرب
تقول بضم الشين وفتحها وكسرها والفتح هو المصدر الصحيح لان كل مصدر من ذوات الثلاثة فاصله
فعل الا ترى انك ترده الى المرة الواحدة فتقول فعلة نحو شربة وقال الكسائي يقال شربت
شربا وشربا ويروى قول جعفر ايام منى ايام اكل وشرب ويقال بفتح الشين والشرب في غير
هذا اسم للجماعة قال الشاعر ذو الرمة • كانه خارج من جنب صفحته سفود شرب نسوه عند مفتاد •
والمعني مثل شرب الهيم **والهيم** فيها وجهان احدهما انه جمع اهيم او هيما وهو الجمل والناقة التي
اصابها الهيام وهو داء معطش تشرب الابل منه الى ان تموت او تسقم سقما شديدا والاصل هيم بضم
الهاء كاحمر وحمر وحمرا وحمر فقلبت الضمة كسرة لتصح اليا وذلك نحو بيض في ابيض وانشد
لذي الرمة • فاصبحت كالهيماء لا الما مبرد • صداها ولا يقضي عليها هيامها • الثاني انه جمع
هايم وهايمة من الهيام ايضا الا ان جمع فاعل وفاعلة على فعل قليل نحو نازل ونزل وعايد
وعود ومنه العوذ المطافيل فقيل هو من الهيام وهو الذهاب لان الجمل اذا اصابه ذلك هام
على وجهه الثالث انه جمع هيام بفتح الها وهو الرمل غير المتماسك الذي لا يروى من الما اصلا
فيكون مثل سحاب وسحب بضمتين ثم خففت باسكان عينه ثم كسرت فاوه لتصح اليا كما فعل
بالذي قبله الرابع انه جمع لهيام بضم الها وهو الرمل غير المتماسك ايضا لغة في الهيام

بالفتح

بالفتح حكاها ثعلب الا ان المشهور الفتح ثم جمع على فعل نحو قراد وقرد ثم خفف وكسرت فاوه لتصح
اليا وفي الصحاح والهيام بالضم اشد العطش والهيام كالجنون من العشق والهيماء ايضا المفازة
لاما بها والهيام بالكسر العطاش والمعني انه يصيبهم من الجوع ما يلجئهم الى اكل الزقوم ومن العطش
ما يضطرهم الى شرب الحميم مثل شرب الهيم وقال الزمخشري فان قلت كيف صح عطف الشاربين
على الشاربين وهما لذوات واحدة وصفتان متفقتان فكان عطفا للشي على نفسه قلت ليستا
بمتفقتين من حيث ان كونهم شاربين على ما هو عليه من تناهي الحرارة وقطع الامعا امر عجيب وشربهم
له على ذلك كما يشرب الهيم الما امر عجيب ايضا فكانتا صفتين مختلفتين انتهي يعني قوله فشاربون
عليه من الحميم فشاربون وهو سوال حسن وجوابه مثله واجاب بعضهم عنه بجواب اخر وهو ان قوله
فشاربون شرب الهيم تفسير للشرب قبله الا ترى انما قبله يصلح ان يكون مثل شرب الهيم ومثل
شرب غيرها ففسره بانه مثل شرب هاولا البهايم او الرمال وفي ذلك فايدتان احدهما التنبيه
على كثرة شربهم منه والثانية عدم جدوى الشرب وان المشروب لا ينجع فيهم كما لا ينجع في الهيم
على التفسيرين وقال ابو حيان والفا تقتضي التعقيب في الشربين وانهم اولا لما عطشوا شربوا
من الحميم ظنا منهم انه يسكن عطشهم فازدادوا عطشا بحرارة الحميم فشربوا بعده شربا لا ينقع
بعده ري ابدا وهو مثل شرب الهيم فهما شربان من الحميم لا شرب واحد اختلفت صفتاه
فعطف والمشروب منه في فشاربون شرب الهيم محذوف لفهم المعني تقديره فشاربون منه
انتهي قال شهاب الدين والظاهر انه شرب واحد بل الذي يعتقد هذا فقط وكيف يناسب
ان يكون زيادتهم العطش بشربة متقضية لشربهم منه ثانيا **قوله** هذا نزلهم يوم الدين
قرا العامة نزلهم بضمتين وروي عن ابي عمرو من طرق وعن نافع وابن محيصن بضمه وسكون
وهو تخفيف وقد تقدم ان النزل ما يعد للضيف وقيل هو اول ما ياكله فسمي به هذا
تهكما بمن اعد له وهو في المعني كقول ابي السعر الضبي •
وكنا اذا الجبار انزل جيشه جعلنا القنا والمرهفات له نزلا • ومعنى الاية هذا اول ما
يلقونه من العذاب يوم القيمة كالنزل الذي يعد للاضياف تكرمة لهم وفيه تهكم كقوله تعالى
فبشرهم بعذاب اليم **قوله** نحن خلقناكم فلولا تصدقون تحضيض اي فهلا تصدقون بالبعث
لان الاعادة اسهل من الابتدا وقيل المعني نحن خلقنا رزقكم فهلا تصدقون ان هذا طعامكم
ان لم تومنوا ومتعلق التصديق محذوف تقديره فلولا تصدقون بخلقنا **قوله** افرايتم هي
بمعنى اخبروني ومفعولها الاول ما تمنون والثاني الجملة الاستفهامية وقد تقدم تقريره والمعنى
ما تصبونه من المني في ارحام النسا وقرا العامة ما تمنون بضم التا من امنى يمني وابن عباس
وابو السمال بفتحها من مني يمني وقال الزمخشري يقال امنى النطفة ومناها قال الله تعالى
من نطفة اذا تمنى انتهي فظاهر هذا انه استشهاد للثلاثي وليس فيه دليل له اذ يقال من
الرباعي ايضا تمنى تقول انت تكرم وهو من اكرم قال القرطبي ويحتمل ان يختلف معناهما عندي
فيكون امنى اذا انزل عن جماع ومنى اذا انزل عن احتلام وفي تسمية المني منيا وجهان احدهما الامنايه
وهو اراقته الثاني لتقديره ومنه المنا الذي يوزن به لانه مقدار لذلك لذلك المني مقدار صحيح
لتصوير الخلقة **قوله** انتم تخلقونه يجوز فيه وجهان احدهما انه فاعل بفعل مقدر اي تخلقونه
فلما حذف الفعل لدلالة ما بعده عليه انفصل الضمير وهذا من باب الاشتغال والثاني ان انتم
مبتدا والجملة بعده خبره والاول ارجح لاجل اداة الاستفهام وقوله ام يجوز فيها وجهان احدهما انها
منقطعة لان ما بعدها جملة وهي انما تعطف المفردات والثاني انها متصلة واجابوا عن وقوع
الجملة بعدها بان مجي الخبر بعد نحن اتي به على سبيل التوكيد اذ لو قال ام نحن لاكتفي به دون الخبر

نخ
وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا

ونظير ذلك جواب من قال في الدار زيد في الدار او زيد فيها ولو اقتصر على زيد لكان كافيا ويؤيد كونها متصلة ان الكلام يقتضي تاويله اي الامرين واقع واذا صح ذلك كانت متصلة والجملة بتاويل المفرد ومفعول الخالقون محذوف لتمام المعنى اي الخالقوه **فصل** والمعنى أأنتم تصورون منه الانسان وهذا احتجاج عليهم وبيان للاية الاولى اذا اقررتم بانا خالقوه لا غيرنا فاعترفوا بالبعث قال مقاتل نحن خلقناكم ولم تكونوا شيئا وانتم تعلمون ذلك فهلا تصدقون بالبعث **قوله** نحن قدرنا قرا ابن كثير قدرنا بتخفيف الدال والباقون بتشديدها وهما لغتان بمعنى واحد في التقدير الذي هو القضا وهذا ايضا احتجاج اي الذي يقدر على الاماتة يقدر على الخلق واذا قدر على الخلق قدر على البعث قال الضحاك معناه اي سوينا بين اهل السما واهل الارض وقيل قضينا وقيل كتبنا قال مقاتل فمنكم من يبلغ الهرم ومنكم من يموت صبيا وشابا وما نحن بمسبوقين اي بمغلوبين عاجزين **قوله** على ان نبدل يجوز ان يتعلق بمسبوقين وهو الظاهر اي لم يسبقنا احد على تبديلنا امثالكم اي يعجزنا يقال سبقه على كذا اي عجز عنه وغلبه عليه والثاني انه متعلق بقوله قدرنا اي قدرنا بينكم على ان نبدل اي نموت طايفة ونخلفها طايفة اخرى قال معناه الطبري فعلى هذا يكون قوله وما نحن بمسبوقين معترضا وهو اعتراض حسن ويجوز في امثالكم وجهان احدهما انه جمع مثل بكسر الميم وسكون الثا اي نحن قادرون على ان نعدمكم ونخلق قوما اخرين امثالكم ويؤيده ان يشا يذهبكم ايها الناس ويات باخرين والثاني انه جمع مثل نحو مثل وهو الصفة اي نغير صفاتكم التي انتم عليها خلقا وخلقا وننشيكم في صفات غيرها وتقدم قراة النشاة في العنكبوت **فصل** قال الطبري معنى الاية نحن قدرنا بينكم الموت على ان نبدل امثالكم بعد موتكم باخرين من جنسكم وما نحن بمسبوقين في اجالكم اي لا يتقدم متاخر ولا يتاخر متقدم وننشيكم فيما لا تعلمون من الصور والهيات قال الحسن اي نجعلكم قردة وخنازير كما فعلنا باقوام قبلكم وقيل المعنى ننشيكم في البعث على غير صوركم في الدنيا فيجمل المومن ببياض وجهه ويقبح الكافر بسواد وجهه وقال سعيد بن المسيب قوله فيما لا تعلمون يعني في حواصل طير سود تكون ببرهوت كانها الخطاطيف وبرهوت واد في اليمن وقال مجاهد فيما لا تعلمون اي في خلق شيئا وقيل ننشيكم في عالم فيما لا تعلمون وفي مكان لا تعلمون قال ههنا قدرنا بينكم الموت وقال في سورة الملك خلق الموت والحياة بلفظ الخلق لان المراد هناك بيان كون الموت والحياة مخلوقين وههنا ذكر حياتهم ومماتهم **قوله** ولقد علمتم النشاة الاولى اي اذ خلقتم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ولم تكونوا شيئا قاله مجاهد وغيره وهذا تقرير للنشاة الثانية وقال قتادة والضحاك يعني خلق ادم عليه السلام فلولا تذكرون اي فهلا تذكرون وقرا طلحة تذكرون بسكون الذال وضم الكاف وفي الخبر عجبا كل العجب للمكذب بالنشاة الاخرة وهو يرى النشاة الاولى وعجبا للمصدق بالنشاة الاخرة وهو يسعى لدار الغرور **قوله** افرايتم وما بعده تقدم نظيره وهذه حجة اخرى اي اخبروني عما تحرثون من ارضكم فتطرحون فيها البذر اانتم تنبتونه وتجعلونه زرعا فيكون فيه السنبل والحب ام نحن نفعل ذلك وانما منكم البذر وشق الارض فاذا اقررتم بان اخراج السنبلة من الحبة ليس اليكم فكيف تنكرون اخراج الاموات من الارض واعادتهم واضاف الحرث اليهم والزرع اليه تعالى لان الحرث فعلهم ويجري على اختيارهم والزرع من فعل الله تعالى وينبت على اختياره لا على اختيارهم وكذلك ما روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يقولن احدكم زرعت وليقل حرثت فان الزارع هو الله قال ابو هريرة الم تسمعوا قوله تعالى اانتم تزرعونه ام نحن الزارعون قال القرطبي والمستحب لكل من زرع ان يقرا بعد الاستعاذة افرايتم ما تحرثون الاية ثم يقول بل الله الزارع والمنبت والمبلغ اللهم صل على محمد وارزقنا ثمره وجنبنا ضرره واجعلنا لانعمك من الشاكرين ويقال ان هذا

التول

التول امان لذلك الزرع من جميع الافات الدود والجراد وغير ذلك سمعناه من ثقة وجربناه فوجد كذلك **فان قيل** اذا كان الزارع هو الله فكيف قال تعالى يعجب الزراع وقال عليه السلام الزرع للزارع فالجواب ان الحرث اوايل الزرع والزرع اواخر الحرث فيجوز اطلاق احدهما على الاخر لاتصاله به ومعنى اانتم تزرعونه تجعلونه وقد يقال فلان زراع كما يقال حراث اي يفعل ما يؤول الى ان يكون زرعا وقد يطلق لفظ الزرع على بذر الارض وتكريبها قال القرطبي وهو نهي ارشاد وادب لانهي حظر وايجاب ومنه قوله عليه السلام لا يقولن احدكم عبدي وامتي وليقل غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي **قوله** لو نشا لجعلناه حطاما اتى هنا بجواب لو مقرونا باللام وهو الاكثر لانه مثبت وحذف في قوله جعلناه اجاجا لان المنة بالماكول اعظم منها بالمشروب قاله الزمخشري وهذا منقوض بقوله ولو نشا لطمسنا ولو نشا لمسخناهم وذلك ان امر الطمس اهون من امر المسخ وادخل فيهما اللام واجاب الزمخشري بجواب اخر فقال قوله تعالى لو نشا لجعلناه حطاما كان قريب الذكر فاستغنى باللام فيه عن ذكرها ثانيا قال ابن الخطيب وهذا ضعيف لان قوله تعالى لو نشا لطمسنا على اعينهم مع قوله لو نشا لمسخناهم اقرب من قوله لجعلناه حطاما وجعلناه اجاجا اللهم الا ان يقول هناك احدهما قريب من الاخر ذكرا ولا معنى لان الطمس لا يلزمه المسخ ولا بالعكس واما الماكول يكون معه المشروب في الذهن فالامران متقاربان لفظا ومعنى **فصل** قال الماوردي في هذه الاية تتضمن امرين احدهما الامتنان عليهم بان انبت زرعهم حتى عاشوا به ليشكروا على نعمته عليهم الثاني البرهان الموجب للاعتبار لانه لما انبت زرعهم بعد تلاشي بذره وانتقاله الى اسوء حالة من العفن والتتريب حتى صار زرعا اخضر ثم قوي مشتدا اضعاف ما كان عليه فهو باعادة من امات احق عليه واقدر وفي هذا البرهان مقنع لذوي الفطر السليمة ثم قال لو نشا لجعلناه حطاما اي متكسرا يعني الزرع والحطام الهشيم الهالك الذي لا ينتفع به في مطعم ولا غذا فنبه بذلك على امرين احدهما ما اولاهم به من النعم في زرعهم اذ لم يجعله حطاما ليشكروا والثاني ليعتبروا بذلك في انفسهم كما انه يجعل الزرع حطاما اذا شا كذلك يهلكم اذا شا لتتعظوا فتنزجروا **قوله** فظلتم تفكهون قرا العامة بفتح الظا مع لام واحدة وقد تقدم الكلام عليها مستوفى في طه وابو بكر في رواية بكسر الظا وعبد الله والجحدري فظللتم على الاصل بلامين اولاهما مكسورة وروي عن الجحدري فتحها وهي لغة ايضا والعامة تفكهون بالها ومعناه تندمون وحقيقته تلقون الفكاهة عن انفسكم ولا يلقى الفكاهة الا من الحزن فهو من باب تحرج وتاثم وتحوب وقيل تفكهون تتعجبون بذهابها بما نزل بكم في زرعكم قاله عطا والكلبي ومقاتل وقيل تندمون مما حل بكم قاله الحسن وقتادة وغيرهما وقيل تلاومون وقيل تفجعون وهذا تفسير باللازم وقرا ابو حرام العكلي تفكنون بالنون اي تندمون قال ابن خالويه تفكه تعجب وتفكن تندم وفي الحديث مثل العالم مثل الحمة ياتيها البعداء ويتركها القرباء فبينما هم اذ غار ماوها فانتفع بها قوم وبقي قوم يتفكنون اي يتندمون قال الفرا والنون لغة عكل وفي الصحاح التفكن التندم على ما فات وقيل التفكه التكلم فيما لا يعنيك ومنه قيل للمزاح فكاهة بالضم فاما الفكاهة بالفتح فمصدر فكه الرجل بالكسر فهو فكه اذا كان طيب النفس مزاحا **قوله** انا لمغرمون قرا ابو بكر اانا بالاستفهام وهو على اصله في تحقيق الهمزتين وعدم ادخال الف بينهما والباقون بهمزة واحدة على الخبر وقيل هذه الجملة قول مقدر على كلتي القراتين وذلك في محل نصب على الحال تقديره فظلتم تفكهون قايلين او تقولون انا لمغرمون اي لملزمون غرامة ما انفقنا او مهلكون لهلاك رزقنا من الغرام وهو الهلاك قاله الزمخشري ومن مجي الغرام بمعنى الهلاك قوله • ان تعذب يكن غراما •

وان يعط جزيلا فانه لايبالي ٭ قال ابن عباس وقتادة الغرام العذاب ومنه قول ابن المحلم ٭
وثقت بان الحلم مني سجية ٭ واما فوادي مبتلابك مغرم ٭ وقال مجاهد وعكرمة لمولع بنا
يقال اغرم فلان اي اولع بها ومنه الغرام وهو الشر اللازم وقال مجاهد ايضا الملقون شرا وقال
النحاس لمغرمون ماخوذ من الغرام وهو الهلاك وقال الضحاك وابن كيسان هو من الغرم والمغرم
الذي ذهب ماله بغير عوض اي غرمنا الحب الذي بذرناه وقال مرة الهمداني محاسبون قوله
بل نحن محرومون اي حرمنا ما طلبنا من الزرع والمحروم المحدود والممنوع من الرزق والمحروم ضد
المرزوق قاله قتادة وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم مر بارض الانصار فقال ما يمنعكم
الحرث قالوا الجدوبة فقال لاتفعلوا فان الله يقول انا الزارع ان شيت زرعت بالما وان شيت
زرعت بالريح وان شيت زرعت بالبذر ثم تلا افرايتم ما تحرثون اانتم تزرعونه ام نحن الزارعون
قال القرطبي وفي هذا الحديث والذي قبله ما يصحح قول من ادخل الزارع في اسما الله تعالى واباه
جمهور العلما قوله افرايتم الما الذي تشربون لتحيوا به انفسكم وتسكنوا به عطشكم اانتم انزلتموه
من المزن اي السحاب الواحدة مزنه قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما ان المزن السحاب وهو اسم
جنس واحده مزنه قال فلا مزنه ودقت ودقها ولا ارض ابقل ابقالها ٭ وعن ابن عباس ايضا
والثوري المزن السما والسحاب وقال ابو زيد المزنه السحابة البيضا والجمع مزن والمزنه المطرة قال
الم تر ان الله انزل مزنة ٭ وعفر الظبا في الكناس تقمع ٭ وقوله ام نحن المنزلون اي اذا عرفتم باني
انزلته فلم لا تشكروني باخلاص العبادة لي ولم تنكروا قدرتي على الاعادة قوله لو نشا جعلناه
اجاجا قد تقدم عدم دخول اللام في جواب لو هذه وقال الزمخشري فان قلت لم دخلت اللام
في جواب لو في قوله لجعلناه حطاما ونزعت منه ههنا قلت ان لو لما كانت داخلة على جملتين
معلقة ثانيهما بالاولى تعليق الجزا بالشرط ولم تكن مخلصة للشرط كان ولا عاملة مثلها وانما
سرى فيها معنى الشرط اتفاقا من حيث افادتها في مضمون جملتيها ان الثاني امتنع لامتناع الاول
افتقرت في جوابها الى ما ينصب علما على هذا التعليق فزيدت هذه اللام لتكون علما على ذلك فاذا
حذفت بعد ما صارت علما مشهورا مكانه فلان الشي اذا علم وشهر موقعه وصار مالوفا
ومانوسا به لم يبال باسقاطه عن اللفظ استغنا بمعرفة السامع الا ترى الى ما يحكى عن رويه
انه كان يقول خير لمن يقول له كيف اصبحت فيحذف الجار لعلم كل احد بمكانه وتساوي حالي
اثباته وحذفه لشهرة امره وناهيك بقول اوس حتى اذا الكلاب قال لها ٭ كاليوم مطلوبا ولا طلبا ٭
وحذفه لم ارنا وان حذفها اختصار لفظي وهي ثابتة في المعنى فاستوى الموضعان لا فرق بينهما
على ان تقدم ذكرها والمسافة قصيرة مغن عن ذكرها ثانيا ويجوز ان يقال ان هذه اللام مفيدة
معنى التوكيد لا محالة فادخلت في اية المطعوم دون اية المشروب للدلالة على ان امر المطعوم مقدم
على امر المشروب وان الوعيد بفقده اشد واصعب من قبل ان المشروب انما يحتاج اليه تبعا
للمطعوم الا ترى انك انما تسقي ضيفك بعد ما تطعمه ولو عكست قعدت تحت قول ابي العلا
٭ اذا سقيت ضيوف الناس محضا ٭ سقوا اضيافهم شبما زلالا ٭ وسقي بعض العرب فقال انا
لا اشرب الا على ثميلة ولهذا قدمت اية المطعوم على اية المشروب انتهى وقد تقدم جواب ابن الخطيب
له عن ذلك فصل قال ابن عباس الاجاج المالح الشديد الملوحة وقال الحسن مرا قعاعا
لا ينتفعون به في شرب ولا زرع ولا غيرهما فلولا اي فهلا تشكرون الذي يصنع ذلك بكم قوله
افرايتم النار التي تورون اي اخبروني عن النار التي تظهرونها بالقدح من الشجر الرطب وتورون من
اوريت الزند اي قدحته فاستخرجت ناره وورى الزند يري اي خرجت ناره واصل تورون
توريون والشجرة التي يكون منها الزنود هي المرخ والعفار ومنه قولهم في كل شجر نار واستمجد المرخ

والعفار

والعفار اي استكثرا منها كانهما اخذا من النار ما هو حسبهما وقيل لانهما يسرعان الوري ام نحن
المنشئون اي المخترعون الخالقون اي فاذا عرفتم قدرتي فاشكروني ولا تنكروا قدرتي على
البعث قوله نحن جعلناها تذكرة يعني نار الدنيا موعظة للنار الكبرى قاله قتادة
وقال مجاهد تبصرة للناس من الظلام قال عليه السلام ان ناركم هذه التي يوقد بنو ادم
جزء من سبعين جزءا من نار جهنم فقالوا يا رسول الله ان كانت لكافية قال فانها فضلت عليها
بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها قوله ومتاعا للمقوين يقال اقوى الرجل اذا حل في الارض
القوا وهي القفر كالصحرا بدخول الصحرا واقويت الدار خلت من اهلها لانها نضيت قفرا قال النابغة
٭ يا دار مية بالعليا فالسند اقوت وطال عليها سالف الابد ٭ قال الضحاك متاعا للمقوين اي
منفعة للمسافرين سموا بذلك لنزولهم القوى وهي القفر التي لا شي فيها وكذلك القوى والقواء بالمد
والقصر ومنزل قوا لا انيس به يقال اقوت الدار واقويت ايضا اي خلت من سكانها قال
٭ حييت من طلل تقادم عهده ٭ اقوى واقفر بعد ام الهيثم ٭ وقال مجاهد للمقوين اي
المنتفعين بها من الناس اجمعين في الطبخ والخبز والاصطلا والاستضا ويتذكرون بها نار جهنم فيستجار
بالله منها وقال ابن زيد للجايعين في اصلاح طعامهم يقال اقويت منذ كذا وكذا اي ما اكلت
شيا وبات فلان القوا وبات القفر اذا بات جايعا على غير طعم قال الشاعر ٭
واني لاختار القوى طاوي الحشا ٭ محافظة من ان يقال لئيم ٭ وقال قطرب المقوي من
الاضداد يكون بمعنى الفقير ويكون بمعنى الغني يقال اقوى الرجل اذا لم يكن معه زاد وبها للفقير
متواذا لم يكن معه مال ويقول العرب اقويت منذ كذا اي ما اكلت شيا واقوى اذا قويت
دوابه وكثر ماله لتقويه على ما يريد قال المهدوي والاية تصلح للجميع لان النار يحتاج اليها
المسافر والمقيم والغني والفقير وقال القشيري وخص المسافر بالانتفاع بها لان انتفاعه
بها اكثر من انتفاع المقيم لان اهل البادية لا بد لهم من النار يوقدونها ليلا لتهرب منهم السباع
وفي كثير من حوايجهم قوله فسبح باسم ربك العظيم اي فنزه الله عما اضافه اليه المشركون
من الانداد والعجز عن البعث قال ابن الخطيب والمشهور ان الاسم مقحم والاحسن انه من باب
الاولى فان تعظيم المسمى اكد وقد تقدم ان تعلق الفعل ان كان ظاهرا استغنى عن الحرف
كضرب وان كان خفيا قوي بالحرف كذهب وان كان بينهما جاز الوجهان كشكر ونصح وسبح
متعد بنفسه الا انه لما دخل على الاسم والمراد الذات خفي التعليق من هذا الوجه واما قوله
فاتى بالحرف واما قوله سبح اسم ربك فيحتمل ان ذلك لانهم كانوا يعترفون بالله ويقولون نحن
لا نشرك في المعنى وانما نسمي الاصنام الهة باللفظ فقيل لهم نزهوا الاسم كما نزهتم الحقيقة وعلى
هذا فالخطاب ليس للنبي صلى الله عليه وسلم بل هو كقول الواعظ يا مسكينا افنيت عمرك وما
اصلحت امرك ويريد السامع والمعنى مع الباء فسبح مبتديا باسم ربك فلا تكون الباء زايدة
ومعنى العظيم القريب من الكل فان الصغير اذا قرب من شي بعد عن غيره قوله فلا
اقسم قرا العامة فلا لام الف وفيها اوجه احدها انها حرف نفي وان المنفي بها محذوف وهو
كلام الكافر الجاحد تقديره فلا حجة لما يقول الكفار ثم ابتدا قسما بما ذكر واليه ذهب كثير من
المفسرين والنحويين قال الفرا هي نفي والمعنى ليس الامر كما يقولون ثم استانف اقسم
لا والله ما كان زيد كذا ولا يريد به نفي اليمين بل يريد به نفي كلام تقدم اي ليس الامر
كما ذكر بل هو كذا وضعف هذا بان فيه حذف اسم لا وخبرها قال ابو حيان ولا يجوز ولا ينبغي فان
القايل بذلك مثل سعيد بن جبير تلميذ حبر القران وبحره عبد الله بن عباس ويبعد ان يقوله سعيد
الا بتوقيف الثاني انها زايدة للتوكيد والمعنى فاقسم بدليل قوله وانه لقسم وسلمها في قوله تعالى

لئلا يعلم والتقدير ليعلم وكقوله • فلا وابي اعدائها لا اخونها • الثالث انها لام الابتداء والاصل فلأنا اقسم
فاشبعت الفتحة فتولد منها الف كقوله • اعوذ بالله من العقراب • قاله ابو حيان واستشهد بقراءة
هشام افئيدة قال شهاب الدين وهذا ضعيف جدا واستشهاد بعض القراء الحسن وعيسى فلأقسم بلام
واحدة وفي هذه القراءة تخريجان احدهما ان اللام لام الابتداء وبعدها مبتدأ محذوف والفعل خبره
فلما حذف المبتدأ اتصلت اللام بخبره وتقديره فلأنا اقسم نحو لزيد منطلق قاله الزمخشري وابن
جني والثاني انها لام القسم دخلت على الفعل الحالي ويجوز ان يكون القسم جوابا للقسم كقوله
وليحلفن ان اردنا فليحلفن لجاهل قسم جوابه ان اردنا وهو جواب لقسم مقدر وكذلك هذا وهو قول
الكوفيين يجيزون ان يقسم على فعل الحال والبصريون يأبونه ويخرجون ما يوهم ذلك على اضمار مبتدا
فيعود القسم على جملة اسمية ومنع الزمخشري ان يكون لام القسم قال لامرين احدهما ان حقها ان تقترن
بالنون المؤكدة والاخلال بها ضعيف قبيح والثاني ان لافعلن في جواب القسم للاستقبال وفعل
القسم يجب ان يكون للحال وهذا كما تقدم انه يرى مذهب البصريين ومعنى قوله وفعل القسم يجب ان
يكون للحال يعني ان فعل القسم انشاء والانشاء حال وقوله ان حقها ان تقترن بها النون هذا مذهب
البصريين ايضا واما الكوفيون فيجيزون التعاقب بين اللام والنون نحو والله لاضرب زيدا كقوله
• لئن تك قد ضاقت عليكم بيوتكم • ليعلم ربي ان بيتي واسع • ووالله اضربن زيدا كقوله
• وقتيل مرة اثارن • وقد تقدم قريب من هذه الآية في قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون
حتى يحكموك ولكن هناك ما لا يمكن القول به هنا كما ان هنا ما لا يمكن القول به هناك وسيأتي
ان شاء الله تعالى قريب منه في القيمة في قراءة ابن كثير لاقسم بيوم القيمة قال القرطبي وقيل
لا بمعنى الا للتنبيه كقوله • الا عم صباحا ايها الطلل البالي • ونبه بهذا على فضيلة القرآن •
ليتدبروه وانه ليس بشعر ولا سحر ولا كهانة كما زعموا قوله بمواقع النجوم قرأ العامة بمواقع
جمعا والاخوان بموقع مفردا بمعنى الجمع لانه مصدر فوحد ومواقعها مساقطها ومغاربها كذا قاله
قتادة وغيره وقال الحسن انكدارها وانتثارها يوم القيمة وقيل المراد نجوم القرآن قاله ابن
عباس والسدي ويؤيده وانه لقسم وانه لقرآن كريم وقال عطاء بن ابي رباح منازلها وقال الضحاك هي
الانواء التي كانت الجاهلية تقول اذا مطروا مطرنا بنوء كذا قاله الماوردي ويكون قوله تعالى فلا
اقسم مستعملا على الحقيقة من نفي القسم وقال القشيري هو قسم ولله ان يقسم بما يريد وليس لنا ان نقسم
بغير الله تعالى وصفاته القديمة قال القرطبي ويدل على هذا قراءة الحسن فلأقسم قوله وانه
لقسم لو تعلمون عظيم الضمير عائد الى القسم الذي يتضمنه قوله فلا اقسم لان الفعل يتضمن ذكر
المصدر ولهذا توصف المصادر التي لم تظهر بعد الفعل نيابة القرينة قولا
فان قيل جواب لو تعلمون ماذا قال ابن الخطيب ربما يقول بعض من لا يعلم بان جوابه ما تقدم وهو فاسد
في مواضع المواضع لان جواب الشرط لا يتقدم لان عمل الحروف في معمولاتها لا يكون قبل وجودها
فلا يقال زيدا ان قام فالجواب يحتمل وجهين احدهما ان يقال الجواب محذوف بالكلية بحيث
لا يقصد لذلك جواب وانما يراد به نفي ما دخلت عليه لو فكانه وانه لقسم عظيم لو تعلمون وتحقيقه
ان لو تذكر لامتناع الشيء لامتناع غيره فلا بد فيه من انتفاء الاول فاذا قال لو تعلمون افاد ان
علمهم منتف سواء علمنا الجزاء ام لم نعلم وهو كقولهم في الفعل المتعدي فلان يعطي ويمنع حيث لا يقصد
منه مفعول وانما يراد اثبات القدرة الثاني ان جوابه مقدر تقديره لو تعلمون لعظمتموه
لكنكم ما عظمتموه فعلم انكم لا تعلمون او لو تعلمون لعظمتم في اعينكم ولم تعظم فلا تعلمون قوله
انه لقرآن كريم هذا هو المقسم عليه وعلى هذا يكون في هذا الكلام اعتراضان احدهما الاعتراض بقوله
وانه لقسم بين المقسم والمقسم عليه والثاني الاعتراض بقوله لو تعلمون بين الصفة والموصوف ومنع ابن عطية

ان

ان يجعل قوله وانه لقسم اعتراضا فقال وانه لقسم تأكيد للامر وتنبيه من المقسم به وليس هذا باعتراض
بين الكلامين بل هذا معنى قصد التهمم به وانما الاعتراض لو تعلمون قال شهاب الدين وكونه
تأكيدا ومنبها على تعظيم المقسم به لا ينافي الاعتراض بل هذا معنى الاعتراض وفائدته والهاء في انه
لقرآن تعود على القرآن اي ان القرآن لقسم عظيم قاله ابن عباس وغيره وقيل اي ما اقسم الله به عظيم
انه لقرآن كريم ذكر المقسم عليه اي اقسم بمواقع النجوم ان هذا القرآن قرآن ليس بسحر ولا كهانة
ولا بمفترى بل هو قرآن كريم محمود جعله الله معجزة لنبيه وهو كريم على المؤمنين لانه كلام ربهم وشفاء
صدورهم كريم على اهل السما لانه تنزيل ربهم ووحيه وقيل كريم اي غير مخلوق وقيل كريم لما فيه
من كرم الاخلاق ومعالي الامور وقيل لانه يكرم حافظه ويعظم قارئه فمعنى كريم اي متعزز وقرئ
ويقرا فان معنى كريم اي لا يهون بكثرة التلاوة ويبقى ابد الدهر كالكلام الغض الحديث الطري
ومن هنا يتبين ان وصف القرآن بالحديث مع انه قديم يستمد من … هو قديم يسمعه
السامعون كانه كلام … قبل النبي … من السنين اذا سمعوه
من احدنا ولذا والتذاذ السامع لكلام جديد **فصل** وقال ابن الخطيب اي لا يهون بكثرة
التلاوة لان الكلام متى اعيد وكرر استهين به والقرآن يكرر الى اخر الدهر ولا يزداد الا عزا
والقرآن اما مصدر كالغفران والمراد به المفعول وهو المقروء به كقوله هذا خلق الله واما اسم
لما يقرا كالقربان لما يتقرب به والحلوان لما يحلى به فم الكاهن وعلى هذا يظهر فساد قول من رد
على الفقهاء قولهم في باب الزكوة يعطي سنا اعلا مما وجب واخذ الجبران او يعطي سنا دونه ويعطي
الجبران لان الجبران مصدر لا يؤخذ ولا يعطى فيقال له هو كالقرآن بمعنى المقروء **قوله**
في كتاب مكنون مصون عند الله وقيل مكنون محفوظ عن الباطل والكتاب هنا كتاب في السما قاله
ابن عباس وقال جابر بن زيد وابن عباس ايضا هو اللوح المحفوظ وقال عكرمة التورية والانجيل
فيهما القرآن وقال السدي الزبور وقال مجاهد وقتادة هو المصحف الذي في ايدينا **فصل**
قال ابن الخطيب قوله تعالى في كتاب يستدعي شيئا مظروفا للكتاب وفيه وجهان احدهما انه
القرآن اي هو قرآن في كتاب كقولك فلان رجل كريم في نفسه لا يشك السامع بان المراد منه
انه في الدار قاعد وانه لا يريد به انه رجل اذا كان في الدار وغير رجل اذا كان خارجا ولا يشك
ايضا انه لا يريد انه كريم وهو في البيت فكذلك ههنا معناه انه كريم في كتاب فاذا قيل فلان
رجل كريم في نفسه يعلم كل احد انه لم يجعل رجلا مظروفا وان القائل لم يرد انه رجل في نفسه
قاعدا وقائم وانما اراد ان كرمه في نفسه وكذلك قوله قرآن كريم في لوح اي انه لم يكن كريما
عند الكفار الثاني ان المظروف هو مجموع قوله تعالى قرآن كريم اي هو هكذا في كتاب كقوله
تعالى وما ادراك ما عليون كتاب اي في كتاب الله والمعنى انه في اللوح المحفوظ مكتوب انه
قرآن كريم **فصل** قال ابن الخطيب فان قيل كيف سمي الكتاب كتابا والكتاب فعال
وهو اما مصدر كالحساب والقيام ونحوهما او لما يكتب كاللباس ونحوه وكيف ما كان فالقرآن
لا يكون في القرطاس لانه بمعنى المصدر ولا يكون في مكتوب وانما يكون مكتوبا في لوح او ورق
فالمكتوب لا يكون في الكتاب انما يكون في قرطاس واجاب بان اللوح لما لم يكن الا لان يكتب فيه
صح تسميته كتابا وقوله في كتاب اما خبر بعد خبر واما صفة لكريم واما معمول لكريم والاصح ان
الكتاب المكنون هو اللوح المحفوظ لقوله تعالى بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ **قوله** لا يمسه
في هذه وجهان احدهما انها نافية والضمة في يمسه ضمة اعراب وعلى هذا القول نفي الجملة وجهان
احدهما انها محل الجر صفة لكتاب والمراد به اما اللوح المحفوظ والمطهرون حينئذ الملائكة
او المراد به المصاحف والمراد بالمطهرين المكلفون كلهم والثاني ان محلها الرفع صفة لقرآن

والمراد بالمطهرين الملائكة فقط اي لا يطلع عليه او لا يمس لوجه لابد من احد هذين التجوزين
لان نسبة المس الي المعاني حقيقة متعذر ويؤيد كون هذه نفيا قراة عبد الله ما يمسه
بما النافية الوجه الثاني انها ناهية والفعل بعدها مجزوم لانه لو فك عن الادغام لظهر ذلك
فيه كقوله تعالي لم يمسسهم سوء ولكنه ادغم ولما ادغم حرك اخره بالضم لاجل هاء ضمير المذكر
الغايب ولم يحفظ سيبويه في نحو هذا الا الضم وفي الحديث انا لم نرده عليك الا انا حرم
وان كان القياس يقتضي جواز فتحه تخفيفا وبهذا يظهر فساد رد من رد بان هذا لو كان نهيا
لكان يقال لا يمسه بالفتح لانه خفي عليه جواز ضم ما قبل الهاء في هذا النحو لاسيما علي راي سيبويه
فانه لا يجيز غيره وقد ضعف ابن عطية كونه نهيا بانه اذا كان خبرا فهو في موضع الصفة وقوله
بعد ذلك تنزيل صفة فاذا جعلناه نهيا كان اجنبيا معترضا بين الصفات وذلك لا يحسن في
وصف الكلام فتدبره وفي حرف ابن مسعود ما يمسه انتهي ولبس فيما ذكره ما يقتضي تضعيف
هذا القول لانا لا نسلم ان تنزيل صفة بل هو خبر مبتدا محذوف اي هو تنزيل فلا يلزم ما ذكره
من الاعتراض ولين سلمنا انه صفة فلا يمسه صفة ايضا فان اعترض علينا بانه طلب فيجاب
بانه علي اضمار القول اي مقول فيه لا يمسه كما قالوا ذلك في قوله فتنة لا تصيبن علي ان لا تصيبن
نهي وهو كقوله ٥ جاوا بمذق هل رايت الذيب قط ٥ وقد تقدم تحقيقه في الانفال وهذه
الاية يتعلق بها خلاف العلما في مس المحدث المصحف وهو مبني علي هذا وقرا العامة المطهرون
بتخفيف الطاء وتشديد الهاء مفتوحة اسم مفعول وعن سلمان الفارسي كذلك الا انه بكسر الهاء
اسم فاعل اي المطهرون انفسهم فحذف مفعوله ونافع وابو عمرو في رواية عنهما وعيسى بسكون
الطاء وفتح الهاء خفيفة اسم مفعول من اطهر زيد والحسن وعبد الله بن عوف وسلمان ايضا
المطهرون بتشديد الطاء والهاء المكسورة واصله المتطهرون فادغم وقد قري بهذا الاصل
ايضا **فصل** اختلفوا في المس المذكور في الاية هل هو حقيقة في المس بالجارحة
او معني وكذلك اختلفوا في المطهرون منهم فقال انس وسعيد بن جبير لا يمس ذلك الا المطهرون
من الذنوب وهم الملائكة وقال ابو العالية وابن زيد هم الذين طهروا من الذنوب كالرسل
من الملائكة والرسل من بني ادم وقال الكلبي هم السفرة الكرام البررة وهذا كله قول واحد
وهو اختيار مالك قال الحسن هم الملائكة الموصوفون في سورة عبس في قوله تعالي في صحف مكرمة
مرفوعة مطهرة بايدي سفرة كرام بررة وقيل معني لا يمسه لا ينزل به الا المطهرون يعني الا الرسل من
الملائكة علي الرسل من الانبيا ولا يمس اللوح المحفوظ الذي هو الكتاب المكنون الا الملائكة المطهرون
ولو كان المراد طهر الحدث لقال المتطهرون او المطهرون بتشديد الطاء والصحيح ان المراد بالكتاب
المصحف الذي بايدينا لما روي مالك وغيره ان في كتاب عمرو بن حزم لا يمس القران الا طاهر وقال
ابن عمر قال النبي صلي الله عليه وسلم لا تمس القران الا وانت طاهر وقالت اخت عمر لعمر عند اسلامه
وقد دخل عليها ودعا بالصحيفة لا يمسه الا المطهرون فقام فاغتسل واسلم وعلي هذا قال
قتادة وغيره معناه لا يمسه الا المطهرون من الاحداث والانجاس وقال الكلبي من الشرك وقال
الربيع بن انس من الذنوب والخطايا وقال محمد بن الفضيل وغيره معناه لا يقراه الا المطهرون
قال عكرمة وكان ابن عباس ينهي ان يمكن اليهود والنصاري من قراته وقال الفرا لا يجد طعمه ونفعه
وبركته الا المطهرون اي المومنون بالقران وقال الحسين بن الفضل معناه لا يعرف تفسيره وتاويله
الا من طهره الله من الشرك والنفاق وقال ابو بكر الوراق لا يوفق للعمل به الا السعدا وروي معاذ
عن النبي صلي الله عليه وسلم ان المعني لا يمس ثوابه الا المومنون **فصل** اختلف العلما
في مس المصحف علي غير وضوء فالجمهور علي المنع من مسه علي غير طهارة لحديث عمرو بن حزم وهو مذهب

علي

علي وابن مسعود وسعد بن ابي وقاص وسعيد بن زيد وعطا والزهري والنخعي والحكم وحماد
وجماعة من الفقها منهم مالك والشافعي واختلفت الرواية عن ابي حنيفة فروي عنه انه يمسه
المحدث وهذا قد روي عن ابن عباس والشعبي وغيرهما وروي عنه انه يمس ظاهره وحواشيه وما
ليس بمكتوب واما الكتاب فلا يمسه الا طاهر قال ابن العربي وهذا يقوي الحجة عليه لان حريم
الممنوع ممنوع وكتاب عمرو بن حزم اقوى دليل عليه وقال مالك لا يحمله غير طاهر بغلاف ولا علي
وسادة وقال ابو حنيفة لا باس بذلك وروي عن الحكم وحماد وداود بن علي انه لا باس بحمله ومسه
للمسلم والكافر طاهرا او محدثا الا ان داود قال لا يجوز للمشرك حمله واحتجوا في اباحة ذلك بكتاب
النبي صلي الله عليه وسلم الي قيصر ولا حجة فيه لانه موضع ضرورة والمراد بالقران المصحف سمي
قرانا لقرب الجوار علي الاتساع ولان النبي صلي الله عليه وسلم نهي ان يسافر بالقران الي ارض العدو
واراد به المصحف **قوله** تنزيل قرا العامة بالرفع وقرا بعضهم تنزيلا بالنصب علي انه حال
من النكرة وجاز ذلك لتخصصها بالصفة او ان يكون مصدرا لعامل مقدر اي نزل تنزيلا
وغلب التنزيل علي القران وقوله من رب يجوز ان يتعلق به علي الاول لا الثاني لان المؤكد لا يعمل
فيتعلق بمحذوف لانه صفة له واما علي قراة تنزيل بالرفع فيجوز الوجهان قال القرطبي تنزيل
اي منزل كقولهم ضرب الامير ونسج اليمن وقيل تنزيل صفة لقوله تعالي انه لقران كريم وقيل خبر
مبتدا محذوف اي هو تنزيل قال ابن الخطيب قوله تنزيل مصدر والقران الذي في كتاب ليس
تنزيلا انما هو منزل لقوله تعالي نزل به الروح الامين فنقول ذكر المصدر واراد المفعول كثير
كقوله تعالي هذا خلق الله واوثر المصدر لان تعلق المصدر بالفاعل اكثر **قوله** افبهذا
الحديث متعلق بالخبر وجاز تقديمه علي المبتدا لان عامله يجوز فيه ذلك والاصل انتم مدهنون
بهذا الحديث وهو القران ومعني مدهنون متهاونون كمن يدهن في الامر اي يلين جانبه ولا يتصلب
فيه تهاونا به يقال ادهن فلان اي لاين وهاود فيما لا يحمل عند المدهن قال ابو قيس بن الاسلت
٥ والحزم خير من الادهان والفهه والهاع ٥ وقال الراغب والادهان في الاصل مثل التدهين
لكن جعل عبارة عن المداراة والملاينة وترك الجد كما جعل التقريد وهو نزع القراد عبارة عن ذلك
قال القرطبي وادهن وداهن واحد وقال قوم داهنت بمعني واريت وادهنت بمعني غششت قال
ابن عباس مدهنون اي مكذبون وهو قول عطا وغيره والمدهن الذي ظاهره خلاف باطنه كانه
شبه بالدهن في سهولة ظاهره وقال مقاتل بن سليمان وقتادة مدهنون كافرون نظيره ودوا
لو تدهن فيدهنون وقال المورج المدهن المنافق الذي يلين جانبه ليخفي كفره والادهان والمداهنة
التكذيب والكفر والنفاق وقال الضحاك مدهنون معرضون وقال مجاهد ممالئون الكفار علي الكفر
وقال ابن كيسان المدهن الذي لا يعقل ما حق الله عليه ويدفعه بالعلل وقال بعض اللغويين
مدهنون تاركون للجزم في قبول القران **قوله** وتجعلون رزقكم فيه اوجه احدها انه علي
التهكم بهم لانهم وضعوا الشي غير موضعه كقولك شتمني حيث احسنت اليه اي عكس قضية الاحسان
ومنه ٥ كان شكر القوم عند المنن ٥ كي الصحيحات وفقا الاعين ٥ اي شكر رزقكم تكذيبكم
الثاني ان ثم مضافين محذوفين اي بدل شكر رزقكم ليصح المعني قاله ابن مالك وقد تقدم في
قوله فكان قاب قوسين اكثر من هذا الثالث ان الرزق هو الشكر في لغة ازد شنوة يقولون ما
رزق فلان فلانا اي ما شكره فعلي هذا لا حذف البتة ويويده قراة علي بن ابي طالب رضي الله
عنه وتلميذه عبد الله بن عباس وتجعلون شكركم مكان رزقكم قال القرطبي وانما صلح ان يوضع اسم
الرزق مكان الشكر لان شكر الرزق يقتضي الزيادة فيه فيكون الشكر رزقا لهذا المعني **قوله**
انكم تكذبون قرا العامة تكذبون من التكذيب وعلي رضي الله عنه وعاصم في رواية المفضل عنه

تكذبون نحفنا من الكذب ومعنى الاية انكم تكذبون بالرزق اي تضعون الكذب مكان الشكر كقوله تعالى وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية اي لم يكونوا يصلون ولكنهم كانوا يصفرون ويصفقون مكان الصلاة قال القرطبي وفيه بيان ان ما اصاب العباد من خير فلا ينبغي ان يروه من قبل الوسايط التي جرت العادة بان تكون اسبابا بل ينبغي ان يروه من قبل الله تعالى ثم يقابلوه بشكر ان كان نعمة او صبر ان كان مكروها تعبدا له وتذللا وروي علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا وتجعلون شكركم انكم تكذبون خفيفة وعن ابن عباس ايضا ان المراد به الاستسقاء بالانواء وهو قول العرب مطرنا بنوء كذا رواه علي بن ابي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي صحيح مسلم عن ابن عباس قال مطر الناس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اصبح من الناس شاكر ومنهم كافر فقال بعضهم هذه رحمة الله وقال بعضهم لقد صدق نوء كذا وكذا قال فنزلت هذه الاية فلا اقسم بمواقع النجوم حتى بلغ وتجعلون رزقكم انكم تكذبون وعنه ايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج في سفر فعطشوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارايتم ان دعوت الله لكم فسقيتم لعلكم ان تقولوا هذا المطر بنوء كذا فقالوا يا رسول الله ما هذا بحين الانواء فصلى ركعتين ودعا ربه فهاجت ريح ثم هاجت سحابة فمطروا فمر النبي صلى الله عليه وسلم ومعه عصابة من اصحابه برجل يغترف بقدح له وهو يقول سقينا بنوء كذا ولم يقل هذا من رزق الله فنزلت وتجعلون رزقكم انكم تكذبون اي شكركم الله على رزقه اياكم انكم تكذبون بالنعمة وتقولون سقينا بنوء كذا كقوله جعلت احسان اليك اساءة منك الي وجعلت انعامي لديك ان اتخذتني عدوا قال الشافعي لا احب لاحد ان يقول مطرنا بنوء كذا وان كان النوء عندنا الوقت المخلوق لا يضر ولا ينفع ولا يمطر ولا يحبس شيئا من المطر والذي احب ان يقول مطرنا وقت كذا كما يقول مطرنا شهر كذا ومن كان مطرنا بنوء كذا وهو يريد ان النوء انزل الما كما يقول بعض اهل الشرك فهو كافر حلال دمه ان لم يتب وقيل معنى قوله وتجعلون رزقكم اي معاشكم وتكسبكم تكذيب محمد كما يقال فلان جعل قطع الطريق معاشه فعلى هذا التكذيب عام وعلى الاول التكذيب خاص والرزق في الاصل مصدر سمي به ما يرزق كما يقال للماكول رزق وللمقدور قدر وللمخلوق خلق

قوله فلولا اذا بلغت الحلقوم ترتيب الاية الكريمة فلولا ترجعونها اي النفس اذا بلغت الحلقوم ان كنتم غير مدينين وفلولا الثانية مكررة للتوكيد قاله الزمخشري قال شهاب الدين فيكون التقدير فلولا فلولا ترجعونها من باب التوكيد اللفظي ويكون اذا بلغت ظرفا لترجعونها متقدما عليه اذ لا مانع منه اي فلولا ترجعون النفس في وقت بلوغها الحلقوم وقوله وانتم حينئذ تنظرون جملة حالية من فاعل بلغت والتنوين في حينئذ عوض من الجملة المضاف اليها اذ اي اذ بلغت الحلقوم خلافا للاخفش حيث زعم ان التنوين للصرف والكسر للاعراب وقد مضى تحقيقه وقرا العامة بفتح نون حينئذ لانه منصوب على الظرف ناصبه تنظرون وعيسى يكسرها وهي مشكلة لا تبعد عن الغلط وخرجت على الاتباع لحركة الهمزة ولا عروة في ذلك فليست بابعد من قراءة الحمد لله بكسر الدال لتلازم المتضايفين ولكنه دور وربما على الخصوص

فصل قال المفسرون معنى الاية فهلا اذا بلغت النفس اي الروح الحلقوم ولم يتقدم لها ذكر لان ذلك معروف قال حاتم · اماوي ما يغني الثراء عن الفتى · اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر · وفي الحديث ان ملك الموت له اعوان يقطعون العروق ويجمعون الروح شيئا فشيئا حتى ينتهي بها الى الحلقوم فيتوفاها ملك الموت والحلقوم مجرى الطعام وانتم حينئذ تنظرون امري وسلطاني وقيل تنظرون الى الميت لا تقدرون له على شي قال ابن عباس يريد من حضر من اهل الميت ينتظرون متى تخرج نفسه ثم قيل هو رد عليهم في قولهم لاخوانهم لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا اي فهلا ردوا روح الواحد منهم اذا بلغت الحلقوم وقيل المعنى فهلا اذا بلغت نفس احدكم الحلقوم عند النزع وانتم حضور امسكتم روحه في جسده مع حرصكم على امتداد عمره وحبكم لبقائه وهذا رد لقولهم نموت ونحيى وما يهلكنا الا الدهر

قوله ونحن اقرب يجوز ان يكون حالا اي تنظرون في هذه الحال التي تخفى عليكم وان يكون مستانفة فيكون اعتراضا والاستدراك ظاهر والبصر يجوز ان يكون من البصيرة والمعنى ونحن اقرب اليه منكم بالقدرة والعلم والرؤية قال عامر بن عبد قيس ما نظرت الى شي الا رايت الله تعالى اقرب الي منه وان يكون من البصر اي لا تنظرون اعوان ملك الموت والمعنى ان رسلنا الذين يتولون قبض روحه اقرب اليه منكم ولكن لا ترونهم

قوله فلولا ان كنتم غير مدينين ان كنتم شرط جوابه محذوف عند البصريين لدلالة فلولا عليه او متقدم عند من يرى ذلك كما تقدم تقريره والمعنى فهلا ان كنتم غير محاسبين ولا مجزيين باعمالكم ومنه قوله تعالى ائنا لمدينون اي مجزيون او محاسبون وقد تقدم وقيل غير مملوكين ولا مقهورين قاله الفراء وغيره ومنه دنته ملكته قال الحطيئة

لقد دينت امر بنيك حتى · تركتهم ادق من الطحين · يعني ملكت ودانه اي اذله واستعبده يقال دنته فدان ومنه دانت له البلاد والعباد وقد تقدم في الفاتحة عند قوله يوم الدين

قوله ترجعونها قال ابو البقاء ترجعونها جواب لولا الاولى واغنى ذلك عن جواب الثانية وقيل عكس ذلك وقال الزمخشري ان لولا الثانية تكرير انتهى قال شهاب الدين وتسميته مثل هذا جوابا ليس بصحيح البتة لان هذه تحضيضية لا جواب لها انما الجواب للامتناعيه لوجود نحو ولولا فضل الله وقال ابن عطية وقوله ترجعونها سد مسد الاجوبة والبيانات التي تقتضيها التحضيضات واذا في قوله فلولا اذا وان المتكررة وحمل بعض هذا القول بعضا ايجازا واقتصارا انتهى يحمل اذا شرطية وقوله الاجوبة يعني لاذا ولان ولان في قوله ان كنتم غير مدينين ان كنتم صادقين والبيانات يعني الافعال التي تحضض عليها وهي عبارة قلقة قال ابو حيان واذا ليست شرطا بل ظرفا يعمل فيه ترجعونها المحذوف بعد لولا لدلالة ترجعونها في التحضيض الثاني عليه فجا التحضيض الاول مقيدا بوقت بلوغ الحلقوم وجا التحضيض الثاني معلقا على انتفا مربوبيتهم وهم لا يقدرون على رجعها اذ مربوبيتهم موجودة فهم مقهورون لا قدرة لهم انتهى فجعل ترجعونها المذكور للولا الثانية وهو دال على محذوف بعد الاولى وهو احد الاقوال التي نقلها ابو البقا فيما تقدم وقوله ان كنتم صادقين شرط اخر وليس هذا من اعتراض الشرط على الشرط نحو ان ركبت ان لبست فانت طالق حتى يجي فيه ما تقدم في هذه المسيلة لان المراد هنا ان وجد الشرطان كيف كانا فهلا رجعتم بنفس الميت وقال القرطبي ترجعونها ان كنتم صادقين ترجع الروح الى الجسد ان كنتم صادقين اي ولن ترجعوها فبطل زعمكم انكم غير مملوكين ولا محاسبين وترجعونها جواب لقوله تعالى فلولا اذا بلغت الحلقوم ولقوله فلولا ان كنتم غير مدينين اجيبا بجواب واحد قاله الفراء وربما اعادت العرب الحرفين ومعناهما واحد ومنه قوله تعالى فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون اجيبا بجواب واحد وهما شرطان والمعنى ان كان الامر كما تقولون انه لا بعث ولا حساب ولا اله يجازي فهلا تردون نفس من يعز عليكم اذا بلغت الحلقوم واذا لم يمكنكم ذلك فاعلموا ان الامر الى غيركم وهو الله عز وجل فامنوا به قاله البغوي وقيل حذف احدهما لدلالة الاخر عليه وقيل فيها تقديم وتاخير مجازها فلولا وهلا ان كنتم غير مدينين ترجعونها تردون نفس هذا الميت الى جسده اذا بلغت الحلقوم ثم ذكر طبقات الخلق عند الموت وبين درجاتهم فقال

فاما ان كان قد تقدم الكلام في اما اول الكتاب وهنا امر زايد وهو وقوع شرط اخر بعدها واختلف النحاة في الجواب المذكور بعدها هل هو لاما او لان وجواب الاخرى محذوف لدلالة المنطوق عليه او الجواب لهما معا ثلاثة اقوال الاول لسيبويه والثاني للفارسي في احد قوليه وله قول اخر كسيبويه والثالث للاخفش وهذا كما تقدم في الجواب بعد الشرطين المتواردين وقال مكي ومعنى اما عند ابي اسحق الخروج من شي الى شي اي دع ما كنا فيه وخذ في غيره وعلى هذا فيكون الجواب

لان فروط لانه اما اليمنت شرطا ورجح بعضهم ان الجواب لاما لان ان كثر حذف جوابها منفردة فاذا ذكرت
مع شرط اخر اولي **قوله** فاما ان كان الضمير في كان وكان للمتوفي لدلالة قوله فلولا ترجعونها
والمراد بالمقربين السابقين لقوله تعالي والسابقون السابقون اولئك المقربون **قوله** فروح وريحان
قرا العامة فروح بفتح الرا وقرا ابن عباس وعايشة والحسن وقتادة ونصر بن عاصم والجحدري ورويس
وزيد عن يعقوب وجماعة بضم الراو وتروي عن النبي صلي الله عليه وسلم فمن قرا بالفتح فمعناه فله
روح وهو الراحة وهو قول مجاهد وقال سعيد بن جبير فرح وقال الضحاك مغفرة ورحمة وصلة
وريحان استراحة وقال مجاهد وسعيد بن جبير رزق قال مقاتل هو بلسان حمير يقال خرجنا نطلب
ريحان الله اي رزقه قيل هو الريحان الذي يشم قال ابو العالية لا يفارق احد من المقربين الدنيا حتي
يوتي بغصن من ريحان الجنة فيشمه ثم يقبض روحه وقال ابو بكر الوراق الروح النجاة من النار
والريحان دخول دار القرار وقد تقدم الكلام علي ريحان وكيفية تصريفه في السورة قبلها وقوله
فروح مبتدا خبره مقدر قبله اي فله روح ويجوز ان يقدر بعده لاعتماده علي فا الجزا **قوله**
واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين فسلام لك مبتدا وخبر ومن اصحاب قال
الزمخشري فسلام لك يا صاحب اليمين من اخوانك اصحاب اليمين اي يسلمون عليك وقال ابن جرير معناه
فسلام لك انت من اصحاب وهذا يحتمل ان يكون كقول الزمخشري ويكون انت تاكيدا للكاف في لك ويحتمل
ان يكون اراد ان انت مبتدا ومن اصحاب خبره ويويد هذا ما حكاه قوم من ان المعني فيقال لهم سلام
لك انك من اصحاب اليمين واوله هذه الاقوال هو الواضح البين ولذلك لم يعرج ابو القسم علي غيره
فصل قال القرطبي فسلام لك من اصحاب اليمين اي لست تري منهم الا ما تحب من
السلامة فلا تهتم لهم فانهم يسلمون من عذاب الله وقيل المعني سلام لك منهم اي انت سالم من الاغتمام
لهم والمعني واحد وقيل ان اهل اليمين يدعون لك يا محمد بان يصلي الله عليك ويسلم وقيل انهم يسلمون
عليك يا محمد وقيل معناه سلمت ايها العبد مما تكره فانك من اصحاب اليمين فحذف انك وقيل انه يحيا
بالسلام اكراما وعلي هذا في محل السلام ثلاثة اقوال احدها عند قبض روحه في الدنيا يسلم عليه ملك
الموت قاله الضحاك وقال ابن مسعود اذا جا ملك الموت ليقبض روح المومن قال ربك يقريك
السلام الثاني عند مسايلته في القبر يسلم عليه منكر ونكير الثالث عند بعثه في القيمة يسلم عليه
الملايكة قبل وصوله اليها قال القرطبي ويحتمل ان يسلم عليه في المواطن الثلاث ويكون ذلك اكراما بعد
اكرام **قوله** واما ان كان من المكذبين بالبعث الضالين عن الهدي وطريق الحق فنزل من حميم
كما قال ثم انكم ايها الضالون المكذبون لاكلون الي ان قال ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم **قوله**
وتصلية قرا ابو عمرو في رواية اللولوي عنه واحمد بن موسي والمنقري بجر التاء عطفا علي من حميم اي
ونزل من تصلية جحيم والمعني ادخال في النار وقيل اقامة في الجحيم ومقاساة لانواع عذابها يقال
اصلاه النار وصلاه اي جعله يصلاها والمصدر هنا يضاف الي المفعول كما يقال لفلان اعطا
مال اي يعطي المال **قوله** ان هذا الهو حق اليقين اي هذا الذي قصصناه محض اليقين وخالصه
وجاز اضافة الحق الي اليقين وهما واحد وذلك من باب اضافة المترادفين علي سبيل المبالغة
قال المبرد هو كقولك عين اليقين ومحض اليقين فهو من باب اضافة الشي الي نفسه عند الكوفيين
وان كانوا فعلوا ذلك في اللفظ الواحد فقالوا صواب الصواب ونفس النفس مبالغة فلان يفعلوه
عند اختلاف اللفظ اولي وعند البصريين معني حق الامر اليقين او الخبر اليقين وقيل هو توكيد
كقولك حق الحق وصواب الصواب قاله ابن عطية وقيل اصل اليقين يكون نعتا للحق فاضيف المنعوت
الي النعت علي الاتساع والمجاز كقوله تعالي ولدار الاخرة خير قال ابن الخطيب هذه الاضافة كقولك
ثوب كتان وباب ساج بمعني ثوب من كتان وباب من ساج اي فهو الحق من اليقين ويحتمل ان يكون المعني

انه

انه الحق الذي يستحقه اليقين كقوله عليه السلام امرت ان اقاتل الناس حتي يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها
عصموا مني دماهم واموالهم الا بحق فالضمير يرجع الي الكلمة اي الا بحق الكلمة ومن حق الكلمة ادا الزكوة والصلاة
فكذلك حق اليقين بالاعتراف اي بحق اليقين والمعني انه يعترف بما قال الله تعالي في سورة الواقعة
وفي حق الازواج الثلاثة وعلي هذا المعني ان اليقين لا يحق الا اذا صدق بما قاله فالتصديق حق
اليقين الذي يستحقه **قوله** فسبح باسم ربك العظيم اي نزه الله تعالي عن السو والثنا يجوز
ان تكون للحال اي فسبح ملتبسا باسم ربك علي سبيل التبرك كقوله نحن نسبح بحمدك وان تكون للتعدية
علي ان سبح يتعدي بنفسه تارة كقوله فسبح باسم ربك وبحرف الجر تارة كهذه الاية وقال القرطبي
والبا زايدة اي سبح ربك وادعا الجر خلاف الاصل والعظيم يجوز ان يكون صفة للاسم وان يكون
لربك لان كلا منهما مجرور وقد وصف كل منهما في قوله تبارك اسم ربك ذو الجلال وذي الجلال
والقرا بالمتضايفين وعلي هذا ظهر الفرق في الوصف **فصل** قيل معني فسبح اي فصل
بذكر ربك وبامره وقيل فاذكر اسم ربك العظيم وسبحه وعن عقبة وابن عامر قال لما نزلت فسبح
باسم ربك العظيم قال النبي عليه السلام اجعلوها في ركوعكم ولما نزلت سبح اسم ربك الاعلي قال النبي
صلي الله عليه وسلم اجعلوها في سجودكم خرجه ابو داود وروي ابو طيبة عن عبد الله بن مسعود
قال سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول من قرا سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا
وكان ابو طيبة لا يدعها ابدا وعن مسروق قال من اراد ان يعلم نبا الاولين والاخرين ونبا اهل
الجنة ونبا الدنيا ونبا الاخرة فليقرا الواقعة والله اعلم . بسم الله الرحمن الرحيم .

سورة الحديد مدنية

وهي تسع وعشرون اية عن العرباض بن سارية ان النبي صلي الله عليه وسلم كان يقرا بالمسبحات
قبل ان يرقد ويقول ان فيهن اية افضل من الف اية يعني بالمسبحات الحديد والحشر والصف
والجمعة والتغابن بسم الله الرحمن الرحيم . **قوله تعالي** سبح لله ما في السموات
والارض اي مجد الله ونزهه من السو وقال ابن عباس صلي لله ما في السموات ممن خلق من
الملايكة والارض من شي فيه روح او لا روح فيه وقيل هو تسبيح الدلالة وظهور اثار الصنعة
وانكر الزجاج هذا وقال لو كان هذا تسبيح الدلالة وظهور اثار الصنعة لكانت مفهومة فلم
قال ولكن لا تفقهون تسبيحهم وانما هو تسبيح مقال واستدل بقوله وسخرنا مع داود الجبال يسبحن
ولو كان هذا التسبيح تسبيح دلالة فاي تخصيص لداود وقال القرطبي هذا هو الصحيح **فصل**
هذا الفعل عدي باللام تارة كهذه السورة واخري بنفسه كقوله تعالي وسبحوه واصله التعدي
بنفسه لان معني سبحته بعدته عن السو فاللام اما ان تكون مزيدة كهي في نصحته لزيد ونصحته
وشكرته وشكرت له اذ يقال سبحت الله تعالي قال يسبحونه وله يسجدون واما ان تكون
للتعليل اي احدث التسبيح لاجل الله تعالي وجا في بعض الفواتح سبح بلفظ الماضي وفي بعضها
بلفظ المضارع وذلك اشارة الي ان هذه الاشيا مسبحة في كل الاوقات لا تختص بوقت
دون وقت بل هي مسبحة ابدا في الماضي وستكون مسبحة ابدا في المستقبل **قوله** وهو العزيز
الحكيم العزيز الذي لا ينازعه شي وذلك اشارة الي كمال القدرة والحكيم اشارة الي انه الذي
يفعل افعاله علي وفق الحكمة والصواب **قوله** له ملك السموات جملة مستانفة لا محل لها
من الاعراب عن نفوذ الامر فهو سبحانه المالك القادر القاهر وقيل اراد خزاين
المطر والنبات الرزق **قوله** يحيي ويميت يجوز في هذه الجملة ثلاثة اوجه
احدها انها لا محل لها من الاعراب والثاني انها خبر مبتدا مضمر اي هو له ملك والثالث انها حال
من الضمير فيها الاستقرار اي ولم يذكر مفعول

الاحيا والاماتة اذ الغرض ذكر الفعلين فقيل الاحيا في الدنيا ويحيي الاموات للبعث
وقيل يحيي النطف وهي موات ويميت الاحيا وعندي فيه وجه ثالث وهو انه ليس
المراد منه تخصيص الاحيا والاماتة بل معناه انه القادر على خلق الحياة
والموت كقوله تعالى الذي خلق الموت والحياة ومنه كونه تعالى هو المنفرد بايجاد هاتين
الماهيتين على كل شي قدير لا يعجزه شي **قوله** هو الاول والاخر
الايه والاخريه والثالثه على انه الجامع بين الظهور
والخفاء واما الوسطى فعلى انه الجامع بين مجموع الصفتين الاوليين ومجموع الصفتين الاخريين ه
فصل قال القرطبي اختلف في معاني هذه الاسما وقد شرحها رسول الله صلى الله عليه
وسلم شرحا يغني عن قول كل قايل فروى مسلم في صحيحه عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اللهم انت الاول فليس قبلك شي وانت الاخر فليس بعدك شي وانت الظاهر فليس
فوقك شي وانت الباطن فليس دونك شي اقض عنا الدين واغننا من الفقر عنى بالظاهر الغالب
وبالباطن العالم والله اعلم وهو بكل شي عليم وهذا معنى قول ابن عباس قال ابن الخطيب الظاهر
بحسب الدلايل والباطن بحسب الحواس والقول بان الباطن هو العالم ضعيف لانه يلزم التكرار
في قوله والله بكل شي عليم **فصل** قال ابن الخطيب احتج كثير من العلما في اثبات ان الاله
واحد بقوله هو الاول قالوا الاول هو الفرد السابق ولهذا لو قال اول مملوك اشتريته فهو حر ثم
اشترى عبدين لم يعتقا لان شرط كونه اولا حصول الفردية وهنا لم تحصل فلو اشترى بعد ذلك
عبدا واحدا لم يعتق لان شرط الاولية كونه سابقا وههنا لم يحصل فثبت ان الشرط في كونه اولا
ان يكون فردا فكانت الاية دالة على ان صانع العالم فردا **قوله** هو الذي خلق السموات والارض
في ستة ايام ثم استوى على العرش تقدم في الاعراف والمقصود منه دلايل القدرة يعلم ما يلج
في الارض اي يدخل فيها من مطر وغيره ويخرج منها من نبات وغيره وما ينزل من السما من رزق
ومطر وملك وما يعرج فيها يصعد فيها من الملايكة واعمال العباد وهو معكم يعني بقدرته وسلطانه
وعلمه اينما كنتم والله بما تعملون بصير يبصر اعمالكم ويراها ولا يخفى عليه منها شي **فصل**
قال القرطبي وقد جمع في هذه الاية بين استوى على العرش وبين وهو معكم والاخذ بالظاهرين
تناقض فدل على انه لا بد من التاويل والاعراض عن التاويل اعتراف بالتناقض وقد قال ابو المعالي
ان محمدا صلى الله عليه وسلم ليلة الاسرا لم يكن باقرب الى الله عز وجل من يونس بن متى حين كان في بطن
الحوت وقد تقدم **فصل** ذكر ابن الخطيب عن المتكلمين انهم قالوا هذه المعية اما بالعلم
واما بالحفظ والحراسة وعلى التقديرين فالاجماع منعقد على انه سبحانه ليس معنا بالمكان والحيز
والجهة فاذن قوله وهو معكم لا بد فيه من التاويل واذا جوزنا التاويل في موضع وجب تجويزه
في ساير المواضع **قوله** له ملك السموات والارض هذا التكرير للتاكيد اي هو المعبود على
الحقيقة والى الله ترجع الامور اي امور الخلايق في الاخرة وقد تقدم في البقرة ان الاخوين وابن عامر
يقرون ترجع بفتح التا وكسر الجيم مبنيا للفاعل والباقون مبنيا للمفعول في جميع القران وقال ابو
حيان هنا وقرا الجمهور ترجع مبنيا للمفعول والحسن وابن ابي اسحق والاعرج مبنيا للفاعل وهذا عجيب
منه وقد وقع له مثل ذلك فيما تقدم وقوله يعلم تقدم مثله في سبا **قوله** يولج الليل في النهار
ويولج النهار في الليل تقدم في ال عمران وهو عليم بذات الصدور اي لا يخفى عليه الضماير ومن كان بهذه
الصفة فلا يجوز ان يعبد سواه **قوله** امنوا بالله ورسوله اي صدقوا ان الله واحد وان محمدا
رسوله وانفقوا تصدقوا وقيل انفقوا في سبيل الله وقيل المراد الزكوة المفروضة وقيل غيرها من وجوه
الطاعات وما يقرب منه وقوله مما جعلكم مستخلفين فيه دليل على ان اصل الملك لله سبحانه وان العبد

ليس له فيه الا التصرف الذي يرضي الله فيثيبه على ذلك بالجنة فمن انفق منها في حقوق الله وهان
عليه الانفاق منها كما يهون على الرجل النفقة من مال غيره اذا اذن له فيه كان له الثواب
الجزيل وقال الحسن مستخلفين فيه بوراثتكم اياه عمن كان قبلكم وهذا يدل على انها ليست باموالكم
في الحقيقة وما انتم فيها الا بمنزلة النواب والوكلا فاغتنموا الفرصة فيها باقامة الحق
قبل ان تزال عنكم الى من بعدكم فالذين امنوا وعملوا الصالحات منكم وانفقوا في سبيل الله لهم
اجر كبير وهو الجنة **فصل** قال القاضي هذه الاية تدل على ان هذا الاجر لا يحصل
بالايمان وحده حتى يضاف اليه هذا الانفاق فمن اخل بالواجب من زكوة او غيرها فلا
اجر له قال ابن الخطيب وهذا استدلال ضعيف لانه لا يلزم من نفي الاجر الكبير نفي اصل
الاجر فلم قلتم انها تدل على انه لا اجر له اصلا **فان قيل** قوله امنوا بالله خطاب
مع من عرف الله او مع من لم يعرف الله فان كان الاول كان ذلك امرا بان يعرف من عرفه
وذلك امر بتحصيل الحاصل وهو محال وان كان الثاني كان الخطاب متوجها على من لم يكن
عارفا به ومن لم يكن عارفا يستحيل ان يكون عارفا بامره فيكون الامر متوجها على من يستحيل ان
يعرف كونه مامورا بذلك وهو تكليف ما لا يطاق قال ابن الخطيب والجواب من قال من
الناس معرفة وجود الصانع حاصلة للكل وانما المقصود من هذا الامر معرفة الصفات **قوله**
وما لكم لا تومنون مبتدا وخبر وحال اي اي شي استقر لكم غير مومنين قال القرطبي هذا
استفهام يراد به التوبيخ اي اي عذر لكم في ان لا تومنوا وقد ازيحت العلل والرسول
يدعوكم فقوله والرسول يدعوكم جملة حالية من تومنون قال الزمخشري فهما حالان متداخلان
ولتومنوا متعلق بيدعو اي يدعوكم للايمان كقولك دعوته لكذا ويجوز ان تكون اللام للعلة
اي يدعوكم الى الجنة وغفران الله لاجل الايمان وفيه بعد وهذه الاية تدل على انه لا حكم
قبل ورود الشرايع **قوله** وقد اخذ حال ايضا وقرا العامة اخذ مبنيا للفاعل وهو
الله تعالى لتقدم ذكره وقرا ابو عمرو اخذ مبنيا للمفعول حذف الفاعل للعلم به وميثاقكم
منصوب في قراة العامة ومرفوع في قراة ابي عمرو وان كنتم جواب محذوف تقديره فما يمنعكم من
الايمان وقيل تقديره ان كنتم مومنين لموجب ما فهذا هو الموجب وقدره ابن عطيه ان كنتم
مومنين فانتم في رتبة شريفة **فصل** قال مجاهد المراد بالميثاق هو الماخوذ عليهم
حين اخرجهم من ظهر ادم وقال الست بربكم قالوا بلى قال ابن الخطيب وهذا ضعيف لانه
تعالى انما ذكر اخذ الميثاق ليكون ذلك سببا في انه لم يبق لهم عذر في ترك الايمان بعد ذلك
واخذ الميثاق وقت اخراجهم من ظهر ادم غير معلوم للقوم الا بقول الرسول فقبل معرفة صدق
الرسول لا يكون ذلك سببا في وجوب تصديق الرسول بل المراد باخذ الميثاق نصب الدلايل
والبينات بان ركب فيهم العقول واقام الحجج عليهم والدلايل التي تدعوا الى متابعة الرسول وهذا
معلوم لكل احد فيكون سببا لوجوب الايمان بالرسول **فصل** قال القاضي قوله
وما لكم يدل على قدرتهم على الايمان اذ لا يجوز ان يقال ذلك لمن لا يتمكن من الفعل كما لا يقال
مالك لا تطول ولا تبيض فيدل هذا على الاستطاعة قبل الفعل وعلى ان القدرة صالحة
للضدين وعلى ان الايمان حصل بالعبد لا بخلق الله **قوله** ان كنتم مومنين اي اذ كنتم
مومنين وقيل ان كنتم مومنين بالحجج والدليل وقيل ان كنتم مومنين بحق يوما من الايام
فالان فقد صحت براهينه وقيل ان كنتم مومنين بان الله خلقكم وكانوا يعترفون بهذا
وقيل هذا خطاب لقوم امنوا واخذ النبي عليه السلام ميثاقهم فارتدوا وقوله ان كنتم مومنين
اي ان كنتم تقرون بشرايط الايمان **قوله** هو الذي ينزل على عبده تقدمت تقراتا ينزل

تخفيفا وتشديدا في البقرة وزيد بن علي نزلنا مبنيا وقوله آيات بينات يعني القرآن وقيل المعجزات
اي لزمكم الايمان بمحمد لما معه من المعجزات والقران اكبرها واعظمها ليخرجكم اي بالقران وقيل
بالرسول وقيل بالدعوة من الظلمات وهو الشرك والكفر الى النور وهو الايمان وان الله بكم لرؤوف رحيم
فصل قال القاضي هذه الاية تدل على ارادته للايمان واكد ذلك بقوله وان الله
بكم لرؤوف رحيم **فإن قيل** التزيد لظاهرها على انه يخرج من الظلمات الى النور فيجب ان
يكون الايمان من فعله قلنا اذا كان الايمان بخلقه لا يبقى لقوله انزل على عبده ليخرجكم معنى
لان ما خلقه لا يتغير بل المراد انه تلطف بهم قال ابن الخطيب وهذا على حسنه معارض بالعلم
لانه علم ان ايمانهم لا يوجد فقد كلفهم بما لا يوجد فكيف يعقل مع هذا انه اراد منهم الخير والاحسان
وحمل بعضهم قوله وان الله بكم لرؤوف رحيم على امة محمد صلى الله عليه وسلم ولا وجه لهذا التخصيص
قوله وما لكم الا تنفقوا الكلام فيه كالكلام في قوله وما لنا ان لا نقاتل فالاصل في ان لا
تنفقوا فلما حذف حرف الجر جرى الخلاف المشهور وابو الحسن يرى زيادتها كما تقدم تقريره في البقرة
قوله ولله ميراث جملة حالية من فاعل الاستقرار ومفعوله اي واي شيء يمنعكم من الانفاق
في سبيل الله والحال ان ميراث السموات والارض له فهذه حال منافية لبخلكم **فصل**
لما امر بالايمان وبالانفاق ثم اكده في الاية المتقدمة بايجاب الايمان اتبعه في طاعة الله
هذه الاية بتاكيد ايجاب الانفاق والمعنى انكم ستموتون فتورثون فهلا تقدمونه في الانفاق في
طاعة الله وتحقيقه ان المال لا بد وان يخرج من اليد اما بالموت واما بالانفاق في سبيل الله فان
خرج بالموت كان اثره اللعن والمقت والعقاب وان خرج بالانفاق في سبيل الله كان اثره المدح
والثواب واذا كان لا بد من خروجه عن اليد فكل عاقل يعلم ان خروجه عن اليد بما يستعقب المدح
والثواب اولى منه بما يستعقب اللعن والعقاب ثم لما بين تعالى ان الانفاق في سبيل الله فضيلة
بين ان المسابقة في الانفاق تمام الفضيلة فقال لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل **قوله**
لا يستوي منكم من انفق في فاعل يستوي وجهان اظهرهما انه من انفق وعلى هذا فلا بد من حذف
معطوف يتم به الكلام فقدره الزمخشري لا يستوي منكم من انفق وعلى هذا فلا بد من حذف معطوف
يتم به الكلام فقدره الزمخشري لا يستوي منكم من انفق قبل فتح مكة وقوة الاسلام ومن انفق من
بعد الفتح فحذف لوضوح الدلالة وقدره ابو البقاء ومن لم ينفق قال ودل على المحذوف قوله
من انفق من قبل الفتح والاول احسن لان السياق انما جيء بالاية ليفرق بين المنفقين في زمانين
والثاني ان فاعله ضمير يعود على الانفاق اي لا يستوي جنس الانفاق اذ منه ما وقع قبل الفتح
ومنه ما وقع بعده فهذان النوعان متفاوتان وعلى هذا فيكون من مبتدا واولئك خبرتان
واعظم خبر والجملة خبر من وهذا ينبغي ان لا يجوز البتة وكان هذا المعرب غفل عن قوله منكم
فلو اعرب هذا القايل منكم خبرا متقدما ومن مبتدا مؤخرا والتقدير منكم من انفق من قبل الفتح
ومنكم من لم ينفق قبله ولم يقاتل وحذف هذا لدلالة الكلام عليه لكان سديدا ولكنه نسيها عن لفظه
منكم **فصل** اكثر المفسرين على ان المراد بالفتح فتح مكة وقال الشعبي والزهري فتح
الحديبية قال قتادة كان قتالان احدهما افضل من الاخر ونفقتان احديهما افضل من الاخرى
كان القتال والنفقة قبل فتح مكة افضل من القتال والنفقة بعد ذلك وانما كانت النفقة قبل
الفتح اعظم لان حاجة الناس كانت اكثر لضعف الاسلام وفعل ذلك كان على المنفقين حينئذ اشق
والاجر كان على قدر النصب قال مالك ينبغي ان يقدم اهل الفضل والعزم لقوله تعالى لا يستوي منكم من
انفق من قبل الفتح وقاتل قال الكلبي نزلت في ابي بكر وفيها دليل واضح على تفضيل ابي بكر وتقدمه
لانه اول من اسلم واول من انفق في سبيل الله وقال عبد الله بن مسعود اول من اظهر الاسلام بسيفه

النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعن ابن عمر قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وعنده ابو بكر
وعليه عباءة قد خللها في صدره بخلال فنزل جبريل فقال يا نبي الله ما لي ارى ابا بكر عليه عباءة
قد خللها في صدره بخلال فقال انفق ماله علي قبل الفتح قال فان الله تعالى يقول لك اقرا على
ابي بكر السلام وقل له اراض انت عني في فقرك ام ساخط فقال ابو بكر ابي عن ربي لراض اني عن ربي
لراض قال فان الله يقول لك قد رضيت عنك كما انت عني راض فبكى ابو بكر فقال جبريل والذي
بعثك بالحق يا محمد لقد تخللت حملة العرش بالعبي منذ تخلل صاحبك هذا بالعباء ولهذا قدمه
الصحابة على انفسهم واقروا له بالتقدم والسبق وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه سبق النبي صلى
الله عليه وسلم وصلى ابو بكر وثلث عمر فلا اوتى برجل فضلني على ابي بكر الا جلدته حد المفتري
ثمانين جلدة وطرح الشهادة **فصل** التقدم والتاخر قد يكون في احكام الدنيا فاما
في احكام الدين فقالت عائشة رضي الله عنها امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ننزل الناس
منازلهم واعظم المنازل مرتبة الصلاة وقد قال صلى الله عليه وسلم في مرضه مروا ابا بكر فليصل
بالناس وقال يؤم القوم اقرؤهم لكتاب الله وقال وليؤمكما اكبركما وفهم منه العلماء انه اراد كبر المنزلة
كما قال عليه السلام الولاء للكبر ولم يعن كبر السن وقد قال مالك وغيره ان للسن حقا وراعاه
الشافعي وابو حنيفة وهو احق بالمراعاة واما احكام الدنيا فهي مرتبة على احكام الدين فمن قدم
في الدين قدم في الدنيا وفي الحديث ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا
حقه وفي الحديث ايضا ما اكرم شاب شيخا لسنه الا قيض الله له عند سنه من يكرمه
قوله وكلا وعد الله الحسنى قراءة العامة بالنصب على انه مفعول مقدم وهي مرسومة في
مصاحفهم وكلا بالالف وابن عامر برفعه وفيه وجهان اظهرهما انه ارتفع على الابتداء والجملة بعده
خبره والعايد محذوف اي وعده الله ومثله قد اصبحت ام الخيار تدعي علي ذنبا كله لم اصنع
برفع كله اي لم اصنعه والبصريون لا يجيزون هذا الا في شعر كقوله
وخالد تحمد سادتنا بالحق لا تحمد بالباطل ونقل ابن مالك الاجماع من البصريين
والكوفيين على جواز ذلك ان كان المبتدا كلا او ما اشبهها في الافتقار والعموم قال شهاب الدين
وهذا لم اره لغيره وقد تقدم نحو من هذا في سورة المائدة عند قوله تعالى افحكم الجاهلية
يبغون ولم يرو قوله كله لم اصنع الا بالرفع مع امكان ان ينصبه فيقول كله لم اصنع مفعولا
مقدما قال اهل البيان لانه قصد عموم السلب لا سلب العموم فان الاول ابلغ وجعلوا منه ذلك
قوله عليه السلام كل ذلك لم يكن ولو قال لم يكن كل ذلك لكان سلبا للعموم والمقصود عموم السلب
قال الشيخ عبد القاهر الجرجاني في ... يتفاوت بالرفع والنصب فمع الرفع يفيد انه
لم يفعل شيا من الا ... ومع النصب يفيد انه لم يفعل المجموع ولا يلزم انه لم يفعل
البعض بل ان قلنا بدليل الخطاب دل على انه فعل البعض والثاني ان يكون كل خبر مبتدا محذوف
وعد الله الحسنى صفة لما قبله والعايد محذوف اي واولئك كل وعد الله الحسنى **فإن**
قيل الحذف موجود ايضا فقد عدتم لما فررتم منه فالجواب ان حذف العايد من
الصفة كثير بخلاف حذفه من الخبر ومن حذفه من الصفة قوله وما ادري اغيرهم تناء
وطول العهد ام مال اصابوا اي اصابوه ومثله كثير وهي في مصاحف الشام مرسومة وكل
دون الف فقد وافق كل مصحفه والحسنى مفعول ثان والاول محذوف على قراءة الرفع واما النصب
فالاول مقدم على عامله ومعنى الاية ان الثقة بين السابقين والمتاخرين اللاحقين وعدهم الله
جميعا الجنة مع تفاوت الدرجات والله بما تعملون خبير اي انه لما وعد السابقين والمحسنين
بالثواب فلا بد وان يكون عالما بالجزئيات وبجميع المعلومات حتى يمكنه ايصال الثواب الى المستحقين

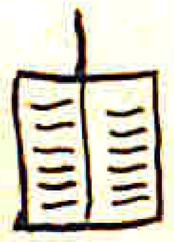
اذ لو لم يكن عالما بهم وبافعالهم على سبيل التفصيل لما امكن الخروج عن عهدة الوعد بالتمام فلهذا
السبب اتبع هذا الوعد بقوله والله بما تعملون خبير **قوله** من ذا الذي يقرض الله قرضا
حسنا تقدم الكلام عليه في سورة البقرة وقال ابن عطيه هنا الرفع على العطف او القطع والاستيناف
وقرا عاصم فيضاعفه بالنصب بالفاء على جواب الاستفهام وفي ذلك قلق قال ابو علي لان
السوال لم يقع عن القرض وانما وقع عن فاعل القرض وانما ينصب الفاء فعلا مردودا على فعل
مستفهم عنه لكن هذه الفرقة حملت ذلك على المعنى كان قوله من ذا الذي يقرض بمنزلة قوله
أيقرض الله احدا انتهى وهذا الذي قاله ابو علي ممنوع الا ترى انه ينصب بعد الفاء في جواب
الاستفهام بالاسماء وان لم يتقدم فعل نحو اين بيتك فازورك ومثل ذلك من يدعوني
فاستجيب له ومتى تسير فارافقك وكيف تكون فاصحبك فالاستفهام انما وقع عن ذات الداعي
وعن ظرف الزمان وعن الحال لا عن الفعل وقد حكى ابن كيسان عن العرب اين ذهب زيد فنتبعه
ومن ابوك فنكرمه **فصل** ندب الله تعالى الى الانفاق في سبيل الله وقد مضى
الكلام فيه في البقرة والعرب تقول لكل من فعل فعلا حسنا قد اقرض كما قال
واذا جوزيت قرضا فاجزه • انما يجزي الفتى ليس الجمل • وسماه قرضا لان المقرض اخرج لاسترداد
البدل اي من ذا الذي ينفق في سبيل الله حتى يبدله الله بالاضعاف الكثيرة قال الكلبي قرضا
اي صدقة حسنا اي محتسبا من قلبه بلا من ولا اذى فيضاعفه له ما بين سبع الى سبع مائة
الى ما شاء الله من الاضعاف وقيل القرض الحسن هو ان يقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله
والله اكبر وقال زيد بن اسلم هو النفقة على الاهل وقال الحسن التطوع بالعبادات وقيل عمل
الخير وقال القشيري لا يكون حسنا حتى يجمع اوصافا عشرة الاول ان يكون من الحلال لقوله عليه
السلام لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول الثاني ان يكون من اكرم ما يملكه ولا
يخرج الردي لقوله تعالى ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون الثالث ان يتصدق به وهو يحبه
ويحتاج اليه لقوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وقوله واتى المال على حبه وقال
عليه السلام افضل الصدقة ان تعطيه وانت صحيح شحيح تامل العيش ولا تمهل حتى اذا بلغت
التراقي قلت لفلان كذا ولفلان كذا الرابع ان يصرف صدقته الى الاحوج فالاحوج ولذلك
خص تعالى اقواما باخذها وهم اهل السهمان الخامس ان يخفي الصدقة لقوله تعالى وان تخفوها
وتوتوها الفقرا فهو خير لكم السادس ان لا يتبعها منا ولا اذى لقوله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم
بالمن والاذى السابع ان يقصد بها وجه الله تعالى ولا يرائي لقوله تعالى الا ابتغا وجه ربه
الاعلى الثامن ان يستحقر ما يعطي وان كثر لان الدنيا كلها قليلة قال تعالى ولا تمنن تستكثر
في احد التاويلات التاسع ان يكون من احب الاموال اليه وان يكون كثيرا لقوله عليه
السلام افضل الرقاب اعلاها ثمنا وانفسها عند اهلها العاشر ان لا يرى عز نفسه وذل
الفقير بل يكون الامر بالعكس فيضاعفه له تقدم في البقرة وله اجر كريم يعني الجنة **قوله**
يوم ترى المومنين فيه اوجه احدها انه معمول للاستقرار العامل في لهم اجر اي استقر لهم اجر
في ذلك اليوم الثاني انه مضمر اي اذكر فيكون مفعولا به الثالث انه يوجرون يوم ترى فهو ظرف
على اصله الرابع ان العامل فيه يسعى اي يسعى نور المومنين والمومنات يوم تراهم هذا على
اصله الخامس ان العامل فيه فيضاعفه قالهما ابو البقا **قوله** يسعى حال لان الروية
بصرية وهذا اذا لم نجعله عاملا في يوم وبين ايديهم ظرف للسعي ويجوز ان يكون حالا من نورهم
قوله وبايمانهم اي وفي جهة ايمانهم وهذه قراة العامة اعني بفتح الهمزة جمع يمين وقيل الباء بمعنى
عن اي عن جميع جهاتهم وانما خص الايمان لانها اشرف الجهات وقرا ابو حيوة وسهل بن شعيب

بكسرها

بكسرها وهذا المصدر معطوف على الظرف قبله والباء سببية اي يسعى كائنا وثابتا بسبب ايمانهم
وقال ابو البقا تقديره وبايمانهم استحقوه او وبايمانهم يقال لهم بشراكم **فصل** المراد
من هذا اليوم يوم المحاسبة واختلفوا في هذا النور فقال الحسن هو الضيا الذي يمرون فيه بين
ايديهم الى الجنة وبايمانهم قال الفرا يعني في ايمانهم او يعني عن ايمانهم وقال
الضحاك النور هداهم وبايمانهم كتبهم واختاره الطبري اي يسعى ايمانهم وعملهم الصالح بين
ايديهم وفي ايمانهم كتب اعمالهم فالبا على هذا بمعنى في ويجوز على هذا ان يوقف على بين ايديهم
ولا يوقف اذا كانت بمعنى عن وعلى قراءة سهل بن شعيب وابي حيوة وبايمانهم بكسر الالف
اراد الايمان الذي هو ضد الكفر وعطف ما ليس بظرف على الظرف لان معنى الظرف الحال وهو
متعلق بمحذوف والمعنى يسعى كائنا بين ايديهم وكائنا بايمانهم وقيل اراد بالنور القران وعن ابن
مسعود يوتون نورهم على قدر اعمالهم فمنهم من يوتى نوره كالنخلة ومنهم من يوتى نوره كالرجل
القايم وادناهم نورا من نوره على ابهام رجله فيطفى مرة ويوقد اخرى قال الحسن ليستضيئوا
به على الصراط وقال مقاتل ليكون لهم دليلا الى الجنة **قوله** بشراكم اليوم جنات بشراكم
مبتدا واليوم ظرف وجنات خبره على حذف مضاف اي دخول جنات وهذه الجملة في محل نصب
بقول مقدر وهو العامل في الظرف اي يقال لهم بشراكم اليوم دخول جنات قال القرطبي ولا بد
من تقدير حذف المضاف لان البشرى حدث والجنة عين فلا تكون هي هي وقال مكي واجاز الفرا نصب
جنات على الحال ويكون اليوم خبر بشراكم قال وكون جنات حالا لا معنى له اذ ليس فيها معنى فعل
واجاز ان يكون بشراكم في موضع نصب على يبشرونهم بالبشرى وينصب جنات بالبشرى وكله بعيد
لانه يفصل بين الصلة والموصول باليوم انتهى وعجيب من الزاكيب يصدر عنه ما لا يتعقل ولا يجوز
صناعة كيف يكون جنات حالا وما ذا صاحب الحال وقوله خالدين فيها حال من الدخول المحذوف
التقدير بشراكم اليوم دخول الجنة جنات تجري من تحتها الانهار مقدرين الخلود فيها قال القرطبي
ولا يكون الحال من بشراكم لان فيه فصلا بين الصلة والموصول ويجوز ان يكون مما دل عليه البشرى كانه
قال يبشرون خالدين فيها ويجوز ان يكون الظرف الذي هو اليوم خبرا عن بشراكم وجنات بدل
من البشرى على تقدير حذف المضاف كما تقدم وخالدين حال حسب ما تقدم **فصل**
قال شهاب الدين خالدين نصب على الحال والعامل فيه المضاف المحذوف اذ التقدير بشراكم
دخولكم جنات خالدين فيها فحذف الفاعل وهو ضمير المخاطب واضيف المصدر لمفعوله فصار دخول
جنات ثم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه في الاعراب ولا يجوز ان يكون بشراكم هو
العامل فيها لانه مصدر قد اخبر عنه قبل ذكر متعلقاته فيلزم الفصل باجنبي وظاهر كلام مكي انه
عامل في الحال فانه قال خالدين نصب على الحال من الكاف والميم والعامل في الحال هو العامل
في صاحبها فلزم ان يكون بشراكم هو العامل وفيه ما تقدم من الفصل بين المصدر ومعموله
فصل تقدم الكلام في البشارة عند قوله وبشر الذين امنوا قال ابن الخطيب وهذه
الاية تدل على ان المومنين لا ينالهم اهوال يوم القيمة لانه تعالى بين ان هذه صفتهم يوم القيمة
من غير تخصيص قال الكعبي هذه الاية تدل على ان الفاسق ليس بمومن لانه لو كان مومنا
لدخل تحت هذه البشارة ولو كان كذلك لقطع بانه من اهل الجنة ولما لم يكن كذلك ثبت انه ليس
بمومن واجاب ابن الخطيب بانا نقطع بان الفاسق من اهل الجنة لانه اما ان لا يدخل النار او ان
دخلها لكنه سيخرج منها وسيدخل الجنة ويبقى فيها ابد الاباد فاذن نقطع بانه من اهل الجنة
فسقط الاستدلال **قوله** ذلك الفوز هذه الاشارة عائدة الى جميع ما تقدم من النور
والبشرى بالجنات المخلدة **قوله** يوم يقول المنافقون والمنافقات العامل في يوم

ذلك الفوز العظيم وقيل هو بدل من اليوم الاول وقال ابن الخطيب منصوب باذكر مقدرا واعلم
انه لما شرح حال المومنين في موقف القيمة اتبع ذلك بشرح حال المنافقين فقال يوم يقول **قوله**
للذين امنوا اللام للتبليغ وانظرونا قراة العامة انظرونا امرا من النظر وحمزة انظرونا بقطع الهمزة
وكسر الظا من الانظار بمعنى الانتظار ربها قرا الاعمش ويحيى بن وثاب اي انظرونا نلحق بكم فنستضي
بنوركم والقراة الاولي يجوز ان تكون بمعنى هذه اذ يقال نظره بمعنى انتظره وذلك انه يسرع بالخاص
الي الجنة علي نجب فيقول المنافقون انظرونا لانا مشاة لا نستطيع لحوقكم ويجوز ان يكون من النظر
وهو الابصار لانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم فيضي لهم المكان وهذا اليق بقوله نقتبس
من نوركم قال معناه الزمخشري الا ان ابا حيان قال ان النظر بمعنى الابصار لا يتعدي بنفسه الا
في الشعر انما يتعدي بالي **فصل** نقتبس من نوركم اي نستضي من نوركم والقبس الشعلة
من النار والسراج قال ابن عباس وابو امامة يغشي الناس يوم القيمة ظلمة قال الماوردي اظنها
بعد فصل القضا ثم يعطون نورا يمشون فيه قال المفسرون يعطي الله كل احد يوم القيمه نورا علي
قدر اعمالهم يمشون به علي الصراط ويعطي المنافقين ايضا نورا خديعة بدليل قوله تعالى وهو خادعهم
وقيل انما يعطون النور لان جميعهم اهل دعوة دون الكافر ثم يسلب المنافق نوره لنفاقه قال
ابن عباس وقال ابو امامة يعطي المومن النور ويترك الكافر والمنافق بلا نور وقال الكلبي بل يستضي
المنافق بنور المومنين ولا يعطون النور فبينما هم يمشون اذ بعث الله ريحا وظلمة فاطفا بذلك
نور المنافقين فذلك قول المومنين ربنا اتمم لنا نورنا خشية ان لا يسلبوه كما سلبه المنافقون
فاذا بقي المنافقون في الظلمة لا يبصرون مواضع اقدامهم قالوا للمومنين انظرونا نقتبس من نوركم قيل
ارجعوا وراكم اي الي الموضع الذي اخذنا منه النور فاطلبوا هنالك نورا لانفسكم فانكم لا تقتبسون من
من نورنا فلما رجعوا وانعزلوا في طلب النور ضرب بينهم بسور وقيل معناه هلا طلبتم النور من الدنيا
بان تومنوا **قوله** وراكم فيه وجهان اظهرهما انه منصوب بارجعوا علي معنى ارجعوا الي الموقف
الي حيث اعطانا هذا النور فالتمسوا هناك نورا تقتبسون او ارجعوا الي الدنيا فالتمسوا نورا بتحصيل سببه
وهو الايمان او يكون معناه فارجعوا خائبين او تنحوا عنا فالتمسوا نورا اخر فلا سبيل لكم الي هذا النور
والثاني ان وراكم اسم للفعل فيه ضمير فاعل اي ارجعوا رجعوا قاله ابو البقا ومنع ان يكون
ظرفا لارجعوا قال لقلة فايدته لان الرجوع لا يكون الا الي ورا قاله شهاب الدين وهذا فاسد
لان الفايدة جليلة كما تقدم شرحها **قوله** فضرب بينهم بسور العامة علي بنايه للمفعول
والقايم مقام الفاعل يجوز ان يكون بسور وهو الظاهر وان يكون الظرف وقال مكي الباء مزيده
اي ضرب سور ثم قال والباء متعلقة بالمصدر اي ضربا بسور وهذا منه نقض الا ان يكون قد
غلط عليه من النساخ والاصل ان الباء متعلقة بالمصدر والقايم مقام الفاعل الظرف وعلي الجملة
هو ضعيف والسور البنا المحيط وتقدم اشتقاقه اول البقرة **قوله** له باب مبتدا وخبر في
موضع جر صفة لسور وقوله باطنه فيه الرحمة هذه الجملة يجوز ان تكون في موضع جر صفة ثانية
لسور ويجوز ان يكون في موضع رفع صفة لباب وهو اولي لقربه والضمير انما يعود الي الاقرب الا
بقرينة وقرا زيد بن علي وعمرو بن عبيد فضرب مبنيا للفاعل وهو الله او الملك **فصل**
السور حاجز بين الجنة والنار قال القرطبي روي ان ذلك السور ببيت المقدس عند موضع يعرف بوادي
جهنم فيه الرحمة يعني ما يلي منه المومنين وظاهره من قبله العذاب يعني ما يلي المنافقين قال
كعب الاحبار هو الباب الذي ببيت المقدس المعروف بباب الرحمة وقال عبد الله بن عمرو انه سور
بيت المقدس الشرقي باطنه فيه المسجد وظاهره من قبله العذاب يعني جهنم ونحوه عن ابن عباس
وقال زياد بن ابي سوادة قام عبادة بن الصامت علي سور بيت المقدس الشرقي فبكا وقال من ههنا

اخبرنا رسول الله صلي الله عليه وسلم انه راي جهنم وقال قتادة هو حايط بين الجنة والنار باطنه
فيه الرحمة يعني الجنة وظاهره من قبله العذاب يعني جهنم وقال مجاهد انه حجاب كما في الاعراف
وقد مضي القول فيه وقد قيل ان الرحمة التي في باطنه نور المومنين والظاهر الذي في ظاهره
ظلمة المنافقين وقيل السور عبارة عن منع المنافقين عن طلب المومنين **قوله** ينادونهم
يجوز ان يكون حالا من الضمير في بينهم قاله ابو البقا وهو ضعيف لمجي الحال من المضاف اليه في غير
المواضع المستثناه وان تكون مستانفة وهو الظاهر وقوله الم نكن معكم يجوز ان تكون تفسيرا
للندا وان تكون منصوبا بقول مقدر **فصل** والمعنى ينادي المنافقون المومنين
الم نكن معكم في الدنيا يعني نصلي مثل ما تصلون ونغزو مثل ما تغزون ونعمل مثل ما تعملون
قالوا بلي اي يقول المومنون بلي قد كنتم معنا في الظاهر ولكنكم فتنتم انفسكم اي استعملتموها
في الفتنة وقال مجاهد اهلكتموها بالنفاق وقيل بالمعاصي قاله ابو سنان وقال ابو نمير
الهمداني بالشهوات واللذات وقوله وتربصتم اي بالنبي صلي الله عليه وسلم الموت وبالمومنين
الدواير وقيل تربصتم بالتوبة وارتبتم اي شككتم في التوحيد او النبوة او البعث وغرتكم الاماني
اي الاباطيل وقيل طول الامل وهو ما كانوا يتمنونه من ضعف المومنين ونزول الدواير بهم
وقال قتادة الاماني هنا خدع الشيطان وقيل الدنيا قاله عبد الله بن عباس وقال ابو
سنان هو قولهم سيغفر لنا وقال بلال بن سعد ذكرك حسناتك ونسيانك سياتك غرة
حتي جا امر الله يعني الموت وقيل نصرة نبيه صلي الله عليه وسلم وقال قتادة القاهم في النار
قوله وغركم بالله الغرور قرا العامة الغرور بفتح الغين وهو صفة علي فعول والمراد
به الشيطان اي خدعكم بالله الشيطان وقرا ابو حيوة ومحمد بن السميفع وسماك بن حرب الغرور
بالضم وهو مصدر وتقدم نظيره والمراد به الاباطيل عن ابن عباس ان نبي الله صلي الله عليه وسلم
خط لنا خطوطا وخط منها خطا ناحيه فقال اتدرون ما هذا هذا مثل ابن ادم ومثل التمني
وتلك الخطوط الامال بينما يتمني اذ جاه الموت وعن ابن مسعود قال خط لنا رسول الله صلي الله
عليه وسلم خطا مربعا وخط في وسطه خطا وجعله خارجا منه وخط عن يمينه ويسارهم
خطوطا صغارا فقال هذا ابن ادم وخط اجله محيط به وهذا امله قد جاوز اجله وهذه
الخطوط الصغار الاعراض فان اخطاه هذا نهشه هذا **قوله** فاليوم منصوب بيوخذ
ولا يبالي بلا النافيه وهو قول الجمهور وقد تقدم اخر الفاتحة ان فيها ثلاثة اقوال
وقرا ابن عامر توخذ بالتانيث للفظ الفدية والباقون بالياء من تحت لان التانيث
مجازي وللفصل **فصل** فاليوم لا يوخذ منكم فدية ايها المنافقون ولا من
الذين كفروا ايسهم من النجاة والمراد بالفدية قيل لا يقبل منكم ايمان ولا توبة لان التكليف
قد زال وحصل الالجا وقيل لا يقبل منكم فدية تدفعون بها العذاب عن انفسكم كقوله تعالى
لا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة والفدية ما يفتدي به فهو يتناول الايمان والتوبة
والمال قال ابن الخطيب وهذا يدل علي ان قبول التوبة غير واجب عقلا علي ما يقوله
المعتزلة لانه تعالي بين ان لا تقبل الفدية اصلا والتوبة فدية فتكون الاية دالة علي ان
التوبة غير مقبولة اصلا واذا كان كذلك لم تكن التوبة واجبة القبول عقلا **قوله**
ولا من الذين كفروا عطف الكافر علي المنافق والعطف يقتضي المغايرة بين المعطوف
والمعطوف عليه فيقتضي ان لا يكون المنافق كافرا واجيب بان المراد منه الذين اظهروا الكفر
والا فالمنافق كافر **قوله** ماواكم النار اي مصيركم وقوله هي مولاكم يجوز ان يكون مصدرا
اي ولايتكم اي ذات ولايتكم قال القرطبي تملك امرهم بمعني ان الله تعالي يركب فيها الحياة



والعقل فهي تتميز غيظا على الكفار ولهذا خوطبت في قوله تعالى يوم نقول لجهنم وجوز ان يكون مكانا اي مكان ولا بتكم وان يكون بمعنى ولي بكم كقولك هو مولاه قاله الكلبي وهو قول الزجاج والفرا وابي عبيدة قال ابن الخطيب وهذا الذي قالوه معنى وليس تفسيرا للفظ لانه لو كان مولى واولى بمعنى واحد في اللغة لصح استعمال كل واحد منهما مكان الاخر وكان يجب ان يقال هذا اولى فلان كما يقال مولى فلان ولما بطل ذلك علمنا ان الذي قالوه معنى وليس تفسيرا وانما نبهنا على هذه الدقيقة لان الشريف المرتضى لما تمسك في امامة علي رضي الله عنه بقوله صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه فعلي مولاه قال احد معاني مولى انه اولى واحتج في ذلك باقوال ائمة اللغة في تفسير هذه الاية بان مولى معناه اولى واذا ثبت ان اللفظ محتمل له وجب حمله عليه لان ما عداه اما بين الثبوت ككونه ابن العم والناصر او بين الانتفا كالمعتق والمعتق فيكون على التقدير الاول عبثا وعلى الثاني كذبا قال ابن الخطيب واما نحن فقد بينا بالدليل ان قول هؤلا في هذا الموضع معنى لا تفسير وحينئذ يسقط الاستدلال به وفي الاية وجه اخر وهو ان معنى قوله هي مولاكم اي لا مولى لكم لان من كانت النار مولاه فلا مولى له كما يقال ناصره الخذلان ومعينه البكا اي لا ناصر له ولا معين وهذا متاكد بقوله تعالى وان الكافرين لا مولى لهم ومنه قوله تعالى يغاثوا بما كالمهل وقوله وبئس المصير اي هي ومعناه ساءت مرجعا ومصيرا **قوله** الم يان قرا العامة الم وقرا الحسن وابو السماك الما وقد تقدم الفرق بين الحرفين واصلها الم زيدت عليها ما فهي نفي لقول القايل قد كان كذا ولم نفي لقوله قد كان كذا وقوله ان تخشع فاعل يان اي الم يقرب خشوع قلوبهم وتحين قال الشاعر ❊ الم يان لي يا قلب ان اترك الجهلا ❊ وان يحدث الشيب المنير لنا عقلا ❊ وماضيه اني بالقصر ياني ويقال ان لك بالمد ان تفعل كذا يئين اينا اي حان مثل اني لك وهو مقلوب منه وانشد ابن السكيت ❊ الما يان لي ان تجلي عمايتي ❊ واقصر عن ليلى بلى قد انى ليا ❊ فجمع بين اللغتين وقرا العامة بان مضارع اني اي حان وتهيا مثل رمى يرمي والحسن يئن مضارع آن بمعنى حان ايضا مثل باع يبيع واللام للتبيين قاله ابو البقا فعلى هذا يتعلق بمحذوف اي اعني للذين **فصل** في صحيح مسلم عن ابن مسعود قال ما كان بين اسلامنا وبين ان عاتبنا الله بهذه الاية الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق الا اربع سنين قال الخليل العتاب مخاطبة الادلال ومذاكرة الموجدة تقول عاتبته معاتبة ان تخشع اي تذل وتلين قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق وروي ان المزاح والضحك كثر في اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لما ترفهوا بالمدينة فنزلت الاية ولما نزلت هذه الاية قال عليه السلام ان الله يستبطيكم بالخشوع فقالوا عند ذلك خشعنا وقال ابن عباس ان الله استبطا قلوب المؤمنين فعاتبهم على راس ثلاث عشرة سنة من نزول القران وقيل نزلت في المنافقين بعد الهجرة وذلك لما سالوا سلمان ان يحدثهم بعجايب التورية فنزلت الر تلك ايات الكتاب المبين الى قوله نحن نقص عليك احسن القصص فاخبرهم ان هذا القصص احسن من غيره وانفع لهم فكفوا عن سلمان ثم سالوه مثل الاول فنزلت الم يان للذين امنوا الاية فعلى هذا التاويل يكون الذين امنوا في العلانية باللسان قال السدي وغيره الم يان للذين امنوا بالظاهر واسروا الكفر ان تخشع قلوبهم لذكر الله وقيل نزلت في المومنين قال سعد قيل يا رسول الله لو قصصت علينا فنزل نحن نقص عليك فقالوا بعد زمان لو حدثتنا فنزل قوله الله نزل احسن الحديث فقالوا بعد مدة لو ذكرتنا فانزل الله تعالى الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله الاية وقيل هذا خطاب لمن امن بموسى وعيسى دون محمد عليهم السلام لانه قال عقيبه والذين امنوا بالله ورسله اي الم يان للذين

امنوا

امنوا بالتورية والانجيل ان تلين قلوبهم للقران وان لا يكونوا كمتقدمي قوم موسى وقوم عيسى اذ طال عليهم الامد بينهم وبين نبيهم فقست قلوبهم **قوله** وما نزل قرا نافع وحفص نزل مخففا مبنيا للفاعل وباقي السبعة كذلك الا انه مشدد والجحدري وابو جعفر والاعمش وابو عمرو في رواية نزل مشددا مبنيا للمفعول وعبد الله انزل مبنيا للفاعل وهو الله تعالى **وما** في ما نزل على قراءة نزل مخففا تتعين ان تكون اسمية ولا يجوز ان تكون مصدرية لئلا يخلو الفعل من الفاعل وما عداها يجوز ان تكون مصدرية وان تكون بمعنى الذي فان قلت فقراءة الجحدري ومن معه ينبغي ان تكون فيها اسمية لئلا يخلو الفعل من مرفوع فالجواب ان الجار وهو قوله من الحق يقوم مقام الفاعل **فصل** قال ابن الخطيب يحتمل ان يكون المراد بذكر الله وما نزل من الحق هو القران لانه جامع للوصفين للذكر والموعظة وانه حق نازل من السما ويحتمل ان يكون المراد هو ذكر الله مطلقا وما نزل من الحق هو القران وانما قدم الخشوع بالذكر على الخشوع بما نزل من القران لان الخشوع والخوف والخشية لا تحصل الا عند ذكر الله فاما حصولها عند سماع القران فذلك لاجل اشتمال القران على ذكر الله **قوله** ولا يكونوا قرا العامة بالغيبة جريا على ما تقدم وابو حيوة وابن ابي عبلة بالتا من فوق على ما تقدم سبيل الالتفات قال القرطبي وهي رواية رويس عن يعقوب وهي قراءة عيسى وابن اسحق ثم هذا يحتمل ان يكون منصوبا عطفا على تخشع كما في قراءة الغيبة وان يكون نهيا فتكون لا ناهية والفعل مجزوم بها ويجوز ان يكون نهيا في قراءة الغيبة ايضا ويكون ذلك انتقالا الى نهي اوليك المومنين عن كونهم متشبهين لمن تقدمهم نحو لا يقم زيد **قوله** فطال عليهم الامد قرا العامة بتخفيف الدال بمعنى الغاية كقولك امد فلان اي غايته وقرا ابن كثير في رواية بتشديدها وهو الزمن الطويل **فصل** ومعنى الاية لا تسلكوا سبيل اليهود والنصارى اعطوا التورية والانجيل فطالت الازمان لهم قال ابن مسعود ان بني اسرايل لما طال عليهم الامد قست قلوبهم فاخترعوا كتابا من عند انفسهم استحلته انفسهم وكان الحق يحول بينهم وبين كثير من شهواتهم حتى نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كانهم لا يعلمون ثم قالوا اعرضوا هذا الكتاب على بني اسرايل فان تابعوكم فاتركوهم والا فاقتلوهم ثم اصطلحوا على ان يرسلوه الى عالم من علمايهم وقالوا ان هو تابعنا لم يخالفنا احد وان ابى قتلناه فلا يختلف علينا بعده احد فارسلوا اليه فكتب كتاب الله في ورقة وجعلها في عنقه ثم لبس عليه ثيابه واتاهم فعرضوا عليه كتابهم وقالوا تومن بهذا فضرب بيده على صدره وقال امنت بهذا يعني المعلق على صدره فافترقت بنو اسرايل على بضع وسبعين ملة وخير مللهم اصحاب ذي القرن قال عبد الله ومن يعش منكم فيرى منكرا وبحسب على احدكم اذا راى المنكر لا يستطيع ان يغيره ان يعلم الله من قلبه انه له كاره وقال مقاتل يعني مؤمني اهل الكتاب طال عليهم الامد واستبطوا بعث النبي صلى الله عليه وسلم فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون يعني الذين ابتدعوا الرهبانية اصحاب الصوامع وقيل من لا يعلم ما يتدين به من الفقه ويخالف من يعلم وقيل هم من لا يومن في علم الله تعالى وقال ابن عباس مالوا الى الدنيا واعرضوا عن مواعظ الله وقيل طالت اعمارهم في الغفلة فحصلت القسوة في قلوبهم بذلك السبب وقيل غير ذلك وقوله وكثير منهم فاسقون اي خارجون عن دينهم رافضون لما في الكتابين وكانه اشار الى ان عدم الخشوع في اول الامر يفضي الى الفسق في اخر الامر **قوله** اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها اي يحييها بالمطر وقال صالح المري يلين القلوب بعد قساوتها وقال جعفر بن محمد يحييها بالعدل بعد الجور وقيل المعنى فكذلك يحيي الكافر بالهدى الى الايمان بعد الكفر والضلالة وقيل كذلك يحيي الموتى من الامم ويميز بين الخاشع قلبه وبين القاسي قلبه قد بينا لكم الايات لعلكم تعقلون اي احيا الله الارض بعد موتها دليل على قدرة الله وانه يحيي الموتى

قوله ان المصدقين والمصدقات بتخفيف الصاد منهما ابن كثير وثقلها باقي السبعة فقراءة
ابن كثير من التصديق اي صدقوا رسول الله فيما جاء به كقوله والذي جاء بالصدق وصدق به وقراءة الباقين
من الصدقة وهو مناسب لقوله واقرضوا والاصل المتصدقين والمتصدقات فادغم وبها قرا ابي
وقد رجح الاول بان الاقراض مغن عن ذكر الصدقة قوله واقرضوا فيه ثلاثة اوجه احدها
انه معطوف على اسم الفاعل في المصدقين لانه لما وقع صلة لال حل محل الفعل فكانه قيل ان الذين
صدقوا واقرضوا وعليه جمهور المعربين واليه ذهب الفارسي والزمخشري وابو البقا وهو فاسد
لانه يلزم الفصل بين ابعاض الصلة باجنبي الا ترى ان المصدقات عطف على المصدقين قبل
تمام الصلة ولا يجوز ان يكون عطفا على المصدقات لتغاير الضماير تذكيرا وتانيثا الثاني انه
معترض بين اسم ان وخبرها وهو يضاعف قال ابو البقا وانما قيل لك بذا ليعطف الماضي على
اسم الفاعل قال شهاب الدين ولا ادري ما معنى المانع لان اسم الفاعل متى وقع صلة لال صلح
للازمنة الثلاثة ولو منع بما ذكرته من الفصل بالاجنبي لاصاب ولكن خفي عليه كما خفي على الفارسي
والزمخشري الثالث انه صلة لموصول محذوف لدلالة الاول عليه كانه قيل والذين اقرضوا كقوله
امن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء . اي ومن ينصره واختاره ابو حيان وفيه
ما تقدم اول الكتاب قال ابن الخطيب وفي الاية اشكال وهو ان عطف الفعل على الاسم قبيح فما
فائدة التزامه هنا واجاب بان الزمخشري قال واقرضوا معطوف على معنى الفعل في التصديق
لان اللام بمعنى الذين واسم الفاعل بمعنى صدقوا واقرضوا قال وهذا لا يزيل الاشكال فانه
ليس فيه بيان انه لم عدل عن ذلك اللفظ الى هذا اللفظ والذي عندي فيه ان الالف واللام
في المصدقين والمصدقات للمعهود فكانه ذكر جماعة معينين بهذا الوصف ثم قبل ذكر الخبر
اخبر عنهم بانهم اتوا باحسن انواع الصدقة وهو القرض ثم ذكر الخبر بعد ذلك فقال يضاعف
لهم فقوله واقرضوا كقوله ان الصابين وبلغتها . قوله يضاعف لهم في القائم مقام الفاعل
وجهان اظهرهما انه الجار بعده والثاني انه ضمير التصدق ولا بد من حذف مضاف اي
ثواب التصدق وقرا الاعمش يضاعفه بكسر العين وزيادة هاء وقرا ابن كثير وابن عامر
ويعقوب يضعف بتشديد العين وفتحها ولهم اجر كريم يعني الجنة قوله والذين امنوا
مبتدا واولئك مبتدا ثان وهم يجوز ان يكون مبتدا ثالثا والصديقون خبره وهو وخبره خبر
الثاني والثاني وخبره خبر الاول ويجوز ان يكون هم فصلا فاولئك وخبره خبر الاول والصديق
هو الكثير الصدق وقال مجاهد كل من امن بالله ورسله فهو صديق وتلا هذه الاية وقال
الضحاك هم ثمانية نفر من هذه الامة سبقوا اهل الارض في زمانهم الى الاسلام . ابو بكر . وعلي
. وزيد وعثمان . وطلحة . والزبير . وسعد وحمزة . وتاسعهم عمر بن الخطاب الحقه الله بهم
لما عرف من صدق نيته قوله والشهداء يجوز فيه وجهان احدهما معطوف على ما قبله ويكون
الوقف على الشهداء تاما اخبر عن الذين امنوا انهم صديقون شهداء فان قيل الشهداء
مخصوصة باوصاف اخر زائدة على ذلك كالسبعة المذكورين اجيب بان تخصيصهم بالذكر لشرفهم
على غيرهم لا للحصر والثاني انه مبتدا وفي خبره وجهان احدهما انه الظرف بعده والثاني ان قوله
لهم اجرهم اما الجملة واما الجار وحده والمرفوع فاعل به والوقف لا يخفى على ما ذكرنا من الاعراب
والصديق مثال مبالغة ولا يجي الا من ثلاثي غالبا قال بعضهم وقد جاء مسيك من امسك وهو غلط
لانه يقال مسك ثلاثيا فمسيك منه فصل قال مجاهد وزيد بن اسلم ان الشهداء والصديقين
هم المؤمنون وانه متصل وروي معناه عن النبي صلى الله عليه وسلم وهذا قول ابن مسعود في تاويل
الاية قال القشيري اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

فالصديقون

فالصديقون هم الذين يتلون الانبياء والشهداء هم الذين يتلون الشهداء فيجوز ان تكون هذه
الاية في جملة من صدق الرسل والمعنى ان الذين امنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون
والشهداء ويكون المعنى بالشهداء من شهد لله بالوحدانية او انهم شهداء عند ربهم على العباد في
اعمالهم والمراد انهم عدول الاخرة الذين تقبل شهادتهم وقال الحسن كل مؤمن فانه شهيد
كرامة وقال الفراء والزجاج هم الانبياء لقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا
بك على هؤلاء شهيدا وقال ابن جرير الشهداء هم الذين استشهدوا في سبيل الله وروي
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما تعدون الشهداء فيكم قالوا المقتول فقال ان شهداء امتي
اذن لقليل وعلى هذا يكون منقطعا عما قبله ويكون الواو في والشهداء واو الاستيناف وهذا
مروي عن ابن عباس ومسروق وقوله لهم اجرهم مما عملوا من العمل الصالح ونورهم على الصراط
ثم لما ذكر حال المؤمنين اتبعه بذكر حال الكافرين فقال والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك
اصحاب الجحيم ولما ذكر احوال المؤمنين والكافرين ذكر بعده ما يدل على حقارة الدنيا وكمال
حال الاخرة فقال اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو ما صلة اي حياة هذه الدار لعب
باطل لا حاصل له وهو فرح ثم ينقضي وزينة منظر حسن يتزينون به قوله وتفاخر بينكم
العامة على تنوين تفاخر موصوف بالظرف او عامل فيه والسلمي اضافه اليه اي يفخر به بعضكم
على بعض قال المفسرون اللعب الباطل واللهو الفرح وقال قتادة لعب ولهو اكل وشرب
وقال مجاهد كل لعب ولهو وقيل اللعب ما رغب في الدنيا واللهو ما الهى عن الاخرة قوله
وتكاثر في الاموال والاولاد قال ابن عباس يجمع المال في سخط الله ويباهي به على اولياء الله
ويصرفه في مساخط الله فهو ظلمات بعضها فوق بعض وكان من عادة الجاهلية ان يتكاثروا بالاموال
والاولاد قال بعض المتاخرين لعب كلعب الصبيان ولهو كلهو الفتيان وزينة كزينة النسوان
وتفاخر كتفاخر الاقران وتكاثر كتكاثر الدهقان وقال علي رضي الله عنه لعمار لا تحزن على الدنيا
فان الدنيا ستة اشيا ماكول ومشروب وملبوس ومشموم ومركوب ومنكوح فاحسن طعامها العسل
وهو بزقة ذبابة واكثر شرابها الما ويستوي فيه جميع الحيوان وافضل ملبوسها الديباج وهو نسج دودة
وافضل المشموم المسك وهو دم فارة وافضل المركوب الفرس وعليها يقتل الرجال واما المنكوح فهو
النسا وهو مبال في مبال والله ان المراة لتزين احسنها يراد به اقبحها ثم ذكر تعالى لهذه الحياة مثلا
فقال كمثل غيث اي مطر اعجب الكفار نباته قال ابن مسعود المراد بالكفار هنا الزراع قال
الازهري والعرب تقول للزارع كافر لانه يكفر البذر بتراب الارض اي يغطيه والمعنى ان الحياة
الدنيا كالزرع يعجب الناظرين اليه لخضرته بكثرة الامطار ثم لا يلبث ان يصير هشيما كان لم يكن
وقيل المراد بالكفار هنا هم الكفار بالله وهم اشد اعجابا بزينة الدنيا من المؤمنين وقوله نباته
اي ما ينبت من ذلك الغيث قوله كمثل غيث يجوز ان يكون في موضع نصب حالا من الضمير
في لعب لانه بمعنى الوصف وان يكون خبرا لمبتدا محذوف اي ذلك كمثل وجوز ابن عطية ان يكون
في موضع رفع صفة لما تقدم ولم يبينه وقد بينه مكي فقال نعت لتفاخر وفيه نظر لتخصيصه
له من بين ما تقدم وجوز ان يكون خبرا بعد خبر للحيوة الدنيا وقوله ثم يهيج اي يجف بعد خضرته
فتراه مصفرا اي متغيرا عما كان عليه من النضارة وقرئ مصفارا من اصفار وهو ابلغ من اصفر
قوله وفي الاخرة خبر مقدم وما بعده مبتدا والجملة في الاخرة عذاب شديد ومغفرة
منه ورضوان وهذا معنى حسن وهو انه قابل العذاب بشيئين بالمغفرة والرضوان فهو من باب لن يغلب
عسر يسرين قال القرطبي وفي الاخرة عذاب شديد اي للكافر والوقف عليه حسن ويبتدا ومغفرة من
الله ورضوان اي للمؤمنين وقال الفراء وفي الاخرة عذاب شديد ومغفرة تقديره اما عذاب

شديد واما مغفرة فلا يوقف على شديد **قوله** وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور هذا
تاكيد لما سبق اي تغر الكفار فاما المؤمن فان الدنيا له متاع بلاغ الى الجنة وقيل العمل للحياة الدنيا
متاع الغرور تزهيدا في العمل للدنيا وترغيبا في العمل للاخرة قال سعيد بن جبير الدنيا متاع الغرور
اذا الهتك عن طلب الاخرة فاما اذا دعتك الى طلب رضوان الله وطلب الاخرة فنعم المتاع ونعم
الوسيلة **قوله** سابقوا الى مغفرة من ربكم اي سارعوا بالاعمال الصالحة التي توجب المغفرة لكم
من ربكم وقيل سارعوا بالتوبة لانها تؤدي الى المغفرة قاله الكلبي وقال مكحول هي التكبيرة الاولى مع
الامام وقيل الصف الاول **فصل** احتج القايلون بان الامر على الفور بهذه الاية
لانها دلت على وجوب المسارعة فوجب ان يكون التراخي محظورا **قوله** وجنة عرضها كعرض
السما والارض عرضها كعرض مبتدا وخبر والجملة صفة لجنة وكذلك اعدت ويجوز ان يكون اعدت
مستانفة **فصل** قال مقاتل ان السموات السبع والارضين السبع لو جعلت صفائح والزق
بعضها الى بعض لكانت عرض جنة واحدة من الجنان والعرض اقل من الطول ومن عادة العرب انها
تعبر عن الشي بعرضه دون طوله قال ٭ كان بلاد الله وهي عريضة ٭ على الخايف المطلوب كفة حابل
وقال عطا عن ابن عباس يريد ان لكل واحد من المطيعين جنة بهذه الصفة وقال السدي انه تعالى
شبه عرض الجنة بعرض السموات السبع والارضين السبع ولا شك ان طوله ازيد من عرضه وقيل هذا
تمثيل للعباد بما يعقلونه واكبر ما في نفوسهم مقدار السموات والارض قاله الزجاج وهو اختيار
ابن عباس وقال طارق بن شهاب قال قوم من اهل الحيرة لعمر رضي الله عنه ارايت قول الله عز وجل
وجنة عرضها كعرض السما والارض فاين النار قال لهم عمر ارايتم الليل اذا ولى وجا النهار اين يكون الليل
فقالوا لقد نزعت بما في التورية مثله **قوله** اعدت للذين امنوا بالله ورسله شرط الايمان
لا غير والمعتزلة وان زعموا ان لفظ الايمان يفيد جملة الطاعات لكنهم اعترفوا بان لفظ الايمان
اذا عدي بالباء فانه باق على مفهومه الاصلي وهو التصديق فالاية حجة عليهم ومما يوكد ذلك قوله
تعالى بعده ذلك فضل الله يؤتيه من يشا فبين ان الجنة فضل الله يؤتيها من يشا سوا اطاع ام عصى
فان قيل يلزمكم ان تقطعوا بحصول الجنة لجميع العصاة وان تقطعوا بانه لا عقاب لهم
فالجواب انا نقطع بحصول الجنة ولا نقطع بنفي العقاب عنهم لانهم اذا عذبوا مدة ثم نقلوا الى الجنة
وبقوا فيها ابد الاباد فقد كانت الجنة معدة لهم **فان قيل** فالمؤمن قد امن بالله
فوجب ان يدخل تحت هذه الاية قلنا خص من العموم فبقي العموم حجة فيما عداه **فصل**
احتجوا بهذه الاية على ان الجنة مخلوقة قالت المعتزلة هذه الاية لا يمكن اجراوها على ظاهرها لوجهين
الاول ان قوله تعالى اكلها دايم وظلها يدل على ان من صفتها بعد وجودها ان لا تفنى لكنها لو كانت
الان موجودة لفنيت بدليل قوله تعالى كل شي هالك الا وجهه الثاني ان المخلوقة الان هي في السما
السابعة ولا يجوز اذا كانت في واحدة منها ان يكون عرضها كعرض كل السموات والارض فثبت
بهذين الوجهين انه لا بد من التاويل وذلك من وجهين احدهما انه تعالى لما كان قادرا لا يصح
المنع عليه واذا كان حكيما لا يصح الخلف في وعده ثم انه تعالى وعد على الطاعة بالجنة فكانت الجنة
كالمعدة المهيئة لهم تشبيها لما سيقع قطعا بالواقع كما يقول المرء لصاحبه اعددت لك المكافاة اذا
عزم عليها وان لم يوجدها والثاني ان المراد اذا كانت الاخرة اعدها الله لهم كقوله ونادى اصحاب
النار اصحاب الجنة اي اذا كان يوم القيمة نادى والجواب ان قوله كل شي هالك عام وقوله اعدت
للمتقين مع قوله اكلها دايم خاص والخاص مقدم على العام واما قولهم ان الجنة مخلوقة في السما السابعة
كما قال عليه السلام في صفة الجنة سقفها عرش الرحمن فاي استبعاد في ان يكون المخلوق فوق الشي اعظم
منه اليس العرش اعظم المخلوقات مع انه مخلوق فوق السما السابعة **قوله** ذلك فضل الله يؤتيه

من

من يشا اي ان الجنة لا تنال الا بفضل الله ورحمته والله ذو الفضل العظيم **قوله** من مصيبة
فاعل اصاب ومن مزيدة لوجود الشرطين وذكر فعلها لان التانيث مجازي **قوله** في الارض
يجوز ان يتعلق باصاب وان يتعلق بنفس مصيبة وان يتعلق بمحذوف على انه صفة لمصيبة
وعلى هذا فيصلح ان يحكم على موضعه بالجر نظرا الى لفظ موصوفه وبالرفع نظرا الى محله اذ هو فاعل
والمصيبة غلبت في الشر وقيل المراد بها جميع الحوادث من خير وشر وعلى الاول يقال لم ذكرت دون
الخير واجيب بانه انما خصصها بالذكر لانها اهم على البشر **قوله** الا في كتاب حال من مصيبة
وجاز ذلك وان كانت نكرة لتخصصها اما بالعمل او بالصفة اي الا مكتوبة **قوله** من قبل
نعت لكتاب ويجوز ان يتعلق به قاله ابو البقا لانه هنا اسم للمكتوب وليس بمصدر والضمير في
نبراها الظاهر عوده على المصيبة وقيل على الانفس وقيل على الارض او على جميع ذلك قاله المهدوي وهو
حسن **فصل** قال الزجاج انه تعالى لما قال سابقوا الى مغفرة وبين ان المودي الى الجنة
والنار لا يكون الا بقضا وقدر فقال ما اصاب من مصيبة والمعنى لا توجد مصيبة من هذه
المصايب الا وهي مكتوبة عند الله والمصيبة في الارض قحط المطر وقلة النبات ونقص الثمار
وغلا الاسعار وتتابع الجوايح واما المصيبة في الانفس فقيل هي الامراض والفقر وذهاب الاولاد
واقامة الحدود عليها وقيل ضيق المعاش وقيل الجرح والتراجم لقوله بعد ذلك لكيلا تاسوا على ما
فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم وقوله الا في كتاب يعني مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ وقوله من قبل
ان نبراها قال ابن عباس من قبل ان نخلق المصيبة وقال سعيد بن جبير من قبل ان نخلق الارض
والنفس ان ذلك على الله يسير اي خلق ذلك وحفظه على الله يسير اي هين قال الربيع بن صالح
لما اخذ سعيد بن جبير رضي الله عنه بكيت فقال ما يبكيك قلت ابكي لما ارى بك ولما تذهب
اليه قال فلا تبك فانه كان في علم الله تعالى ان يكون الم تسمع قوله تعالى ما اصاب من مصيبة
في الارض ولا في انفسكم الاية وقال ابن عباس لما خلق الله القلم قال له اكتب فكتب ما هو كاين
الى يوم القيمة وقد ترك جماعة من السلف الدواء في امراضهم فلم يستعملوه ثقة بربهم وتوكلا عليه
وقالوا قد علم الله ايام المرض وايام الصحة فلو حرص الخلق على تقليل ذلك او زيادته ما قدروا
قال الله تعالى ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الاية ويؤيد هذا قوله عليه السلام
من عرف سر الله في القدر هانت عليه المصايب **فصل** قيل ان هذه الاية متصلة
بما قبلها وهو ان الله تعالى هون عليهم ما يصيبهم في الجهاد من قتل وجرح وبين ان ما يخلفهم عن
الجهاد من المحافظة على الاموال وما يقع فيها من خسران فالكل مكتوب مقدر لا مدفع له وانما على
المرء امتثال الامر ثم ادبهم فقال هذا لكيلا تاسوا على ما فاتكم اي حتى لا تحزنوا على ما فاتكم من الرزق
وذلك انهم اذا علموا ان الرزق قد فرغ منه لم ياسوا على ما فاتهم منه وعن ابن مسعود ان نبي الله
صلى الله عليه وسلم قال لا يجد احدكم طعم الايمان حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطيه وما اخطاه
لم يكن ليصيبه ثم قرا لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم اي من الدنيا قاله ابن عباس
فصل قال ابن الخطيب هذه الاية تدل على ان جميع الحوادث الارضية قبل
دخولها في الوجود مكتوب في اللوح المحفوظ قال المتكلمون وانما كتب ذلك لوجوه احدها لتستدل
الملايكة بذلك المكتوب على كونه تعالى عالما بجميع الاشيا قبل وقوعها وثانيها ليعرفوا حكمه فانه
تعالى مع علمه بانهم يقدمون على المعاصي خلقهم ورزقهم وثالثها ليحذروا امثال تلك المعاصي
ورابعها ليشكروا الله تعالى على توفيقه اياهم للطاعات وعصمته اياهم عن المعاصي **فصل**
قال ابن الخطيب ان الحكما قالوا ان الملايكة الذين وصفهم الله بانهم هم المدبرات امرا والمقسمات
امرا انما هي المبادي لحدوث الحوادث في العالم السفلي بواسطة الحركات الفلكية والاتصالات الكوكبية

ونغيراتها هي الاسباب لتلك المسببات وهذا هو المراد من قوله الا في كتاب مبين **فصل**
قوله تعالي ولا في انفسكم يتناول جميع مصايب الانفس فيدخل فيها كفرهم ومعاصيهم فالاية دالة على
ان جميع اعمالهم بتفاصيلها مكتوبة في اللوح المحفوظ مثبتة في علم الله تعالى فكان الامتناع من تلك
الاعمال محال لان علم الله بوجودها منافي لعدمها والجمع بين المتنافيين محال وخصص مصايب الارض
والانفس لتعلقها بنا ولم يدل جميع الحوادث لشمولها حركات اهل الجنة والنار لانها غير متناهية واثباتها
في الكتاب محال قاله ابن الخطيب وفي الاية دليل على ان الله تعالى يعلم الاشيا قبل وقوعها خلافا
لهشام بن الحكم **قوله** لكيلا هذه اللام متعلقة بقوله ما اصاب اي اخبرناكم بذلك لكيلا
يحصل لكم الحزن المقنط او الفرح المطغي فاما ما دون ذلك فالانسان غير مواخذ به وكي هنا
ناصبة بنفسها فهي مصدرية فقط لدخول لام الجر عليها وقرا ابو عمرو بما اتاكم مقصورا من الاتيان
اي بما جاكم قال ابو علي الفارسي لان اتاكم معادل لقوله فاتكم فكما ان الفعل للنايب في قوله
فاتكم فكذلك الفعل للاتي في قوله بما اتاكم وقرا باقي السبعة آتاكم ممدودا من الايتاء اي
بما اعطاكم الله اياه والعايد الى الموصول في الكلمتين الذكر المرفوع بانه فاعل والهاء محذوفة من
الصلة اي بما اتاكموه وقرا عبد الله بما اوتيتم **فصل** قال ابن عباس ليس من
احد الا وهو يحزن ويفرح ولكن المومن يجعل مصيبته صبرا وغنيمته شكرا والحزن والفرح المنهي
عنهما هما اللذان يتعدا فيهما الى ما لا يجوز قال جعفر بن محمد يا ابن ادم ما لك تاسف على مفقود
ولا يرده عليك الفوت وما لك تفرح بموجود لا يتركه في يديك الموت وقيل لبزرجمهر ايها
الحكيم ما لك لا تحزن على ما فات ولا تفرح بما هو آت قال لان الفايت لا يتلافى بالعبرة والاتي
لا يستدام بالحبرة وقوله والله لا يحب كل مختال اي متكبر بما اوتي من الدنيا فخور به على الناس
قيل الفخور الذي ينظر الناس بعين الاحتقار **فصل** قال ابن الخطيب المعتزلة وان
نازعوا في القدرة والارادة فهم مسلمون في العلم والخبر فيلزمهم الجبر ايضا بهما والفلاسفة
مذهبهم الجبر لان سبب الحوادث عندهم الاتصالات الفلكية والقدرية قالوا بان الحوادث
اتفاقية فجميع فرق العقلا يلزمهم الجبر سوا اقروا به او انكروه **فصل** قالت المعتزلة قوله
لكيلا تاسوا يدل على انه انما اخبرهم بكونها لتحرزوا عن الحزن والفرح ولولا قدرتهم عليها لم يكن لذلك
نايدة ويدل على انه لا يريد ان يقع منهم الفرح والحزن وهو خلاف قول المجبرة ولانه قال والله لا
يحب كل مختال فخور والمحبة هي الارادة واجيبوا بان المحبة ارادة خاصة وهي ارادة الثواب فلا
يلزم من
قوله الذين يبخلون تقدم نظيره في سورة النسا قال القرطبي الذين في موضع خفض نعتا
للمختال وقال ابن الخطيب بدل من قوله كل مختال وقيل رفع بالابتدا فهو كلام مستانف لا تعلق
له بما قبله والمعنى الذين يبخلون فالله غني عنهم قيل اراد روسا اليهود الذين بخلوا ببيان صفة
محمد صلى الله عليه وسلم في كتبهم لئلا يومن به الناس فيذهب ماكلتهم قاله السدي والكلبي
فيكون الذين مبتدا وخبره محذوف يدل عليه قوله تعالى ومن يتول فان الله هو الغني الحميد وقال
سعيد بن جبير الذين يبخلون يعني بالعلم ويامرون الناس بالبخل بان لا يعلموا الناس شيا وقال
زيد بن اسلم انه البخل باداء حق الله تعالى وقال عامر بن عبد الله الاشعري هو البخل بالصدقة
والحقوق وقال طاوس هو البخل بما في يديه **فصل** قرا العامة بالبخل بضم البا وسكون
الخا وقرا انس وعبيد بن عمير ويحيى بن يعمر ومجاهد وابن محيصن وحمزة والكساي بالبخل بفتحتين
وهي لغة الانصار وقرا ابو العالية وابن السميفع بالبخل بفتح البا واسكان الخا وعن نصر بن
عاصم البخل بضمتين وكلها لغات مشهورة قال قوم الفرق بين البخل والسخا من وجهين احدهما ان

البخيل الذي يلتذ بالامساك والسخي الذي يلتذ بالعطا الثاني ان البخيل الذي يعطي عند السوال
والسخي الذي يعطي بغير سوال وتقدم الفرق بين البخل والشح في اخر آل عمران **قوله** ومن يتول
اي عن الايمان فان الله هو الغني قرا نافع وابن عامر فان الله هو الغني الحميد باسقاط هو وهو
ساقط في مصاحف المدينة والشام والباقون باثباته وهو ثابت في مصاحفهم فقد وافق كل مصحفه
قال ابو علي الفارسي من اثبت هو يحسن ان يكون فصلا ولا يحسن ان يكون ابتدا لان الابتدا لا يسوغ حذفه
يعني انه يرجح فصليته بحذفه في القراة الاخرى اذ لو كان مبتدا لضعف حذفه لاسيما اذا صلح ما
بعده ان يكون خبرا لما قبله الا تراك لو قلت ان زيدا هو القايم لم يحسن حذف هو لصلاحية القايم
خبرا لان وهذا كما قالوا في الصلة انه يحذف العايد المرفوع بالابتدا بشروط منها ان لا يكون ما
بعده صالحا للصلة نحو جا الذي هو في الدار او هو قام ابوه لعدم الدلالة الا ان للمنازع ان ينازع
ابا علي ويقول لا التزم تركيب احدى القرايتين على الاخرى وكم من قرايتين تغاير معنيهما كقراتي والله
اعلم بما وضعت ووضعت الا ان توافق القرايتين في معنى واحد اولى هذا اما لا نزاع فيه ومن اثبت
هو فعلى ان يكون فصلا ويجوز ان يكون مبتدا والغني خبره والجملة خبر ان قال ابن الخطيب وقوله الحميد
كانه جواب من يقول اذا كان الله عالما بانه يبخل فلم اعطاه المال فاجاب بانه محمود حيث فتح ابواب
الرحمة مع تقصير العبد في الطاعة **قوله** لقد ارسلنا رسلنا بالبينات قيل هي المعجزات البينة
والشرايع الظاهرة وقيل الاخلاص لله تعالى في العبادة وانزلنا معهم الكتاب اي الكتب التي اوحينا
اليهم فيها خبر من كان قبلهم والميزان قال ابن زيد هو ما يوزن به ويتعامل روي ان جبريل عليه السلام
نزل بالميزان فدفعه الى نوح عليه السلام وقال مر قومك يزنوا به ليقوم الناس بالقسط اي بالعدل
في معاملاتهم وقيل اراد به العدل قال القشيري واذا حملناه على الميزان المعروف فالمعنى انزلنا
الكتاب ووضعنا الميزان وهو من باب علفتها تبنا وما باردا ويدل على هذا قوله تعالى
والسما رفعها ووضع الميزان **قوله** معهم حال مقدرة اي صايرا معهم وانما احتجنا الى
ذلك لان الرسل لم ينزلوا ومقتضى الكلام ان يصحبوا الكتاب في النزول واما الزمخشري فانه فسر
الرسل بالملايكة الذين يجيبون بالوحي الى الانبيا فالمعية متحققة **قوله** وانزلنا الحديد
روي ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى انزل اربع بركات من السما
الى الارض الحديد والنار والما والملح وروى عكرمة عن ابن عباس قال انزل ثلاثة اشيا
مع ادم عليه السلام الحجر الاسود وكان اشد بياضا من الثلج وعصى موسى وكانت من آس الجنة
طولها عشرة اذرع مع طول موسى والحديد انزل معه ثلاثة اشيا السندان والكلبتان والميقعة
وهي المطرقة ذكره الماوردي وروى الثعلبي عن ابن عباس قال نزل ادم من الجنة ومعه من الحديد
خمسة اشيا من آلة الحدادين السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة والابرة وحكاه القشيري
قال والميقعة ما يحدد به يقال وقعت الحديدة اقعها اي حددتها وفي الصحاح الميقعة
الموضع الذي يالفه البازي فيقع عليه وخشبة القصار التي يدق عليها والمطرقة والمسن الطويل
وروي ان الحديد انزل في يوم الثلاثا فيه باس شديد اي لهراق الدما ولذلك نهي عن الفصد
والحجامة في يوم الثلاثا لانه يوم جرى فيه الدم وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في
يوم الثلاثا ساعة لا يرقى فيها الدم وقيل انزلنا الحديد اي انشاناه وخلقناه كقوله تعالى
وانزل لكم من الانعام وهذا قول الحسن فيكون من الارض غير منزل من السما وقال اهل المعاني اي اخرج
الحديد من المعادن وعلمهم صنعته بوحيه وقوله فيه باس شديد جملة حالية من الحديد والمراد
بالحديد يعني السلاح والجنة وقيل ان فيه من خشية القتل خوف شديد ومنافع للناس قال
مجاهد يعني جنة وقيل انتفاع الناس بالماعون الحديد كالسكين والفاس ونحوه **قوله**

وليعلم عطف على قوله ليقوم الناس اي لقد ارسلنا رسلنا وفعلنا كيت وكيت ليقوم الناس وليعلم الله
وقال ابو حيان علة لانزال الكتاب والميزان والحديد والاول اظهر لان نصرة الله ورسله مناسبة
للارسال **قوله** ورسله عطف على مفعول ينصره اي وينصر رسله قال ابو البقا ولا يجوز ان
يكون معطوفا على من لئلا يفصل به بين الجار وهو بالغيب وبين ما يتعلق به وهو ينصر قال شهاب الدين
وجعله العلة ما ذكره من الفصل بين الجار وبين ما يتعلق به يوهم ان معناه صحيح لولا هذا المانع
وليس كذلك اذ يصير التقدير وليعلم الله من ينصره بالغيب وليعلم رسله وهذا معنى لا يصح البتة
فلا حاجة الى ذكر ذلك وبالغيب حال وقد تقدم مثله اول البقرة **فصل** المعنى
وليعلم الله من ينصره اي انزل الحديد ليعلم من ينصره او ليقوم الناس بالقسط اي ارسلنا رسلنا
وانزلنا معهم الكتاب وهذه الاشيا ليتعامل الناس بالحق وليرى الله من ينصر دينه وينصر رسله
بالغيب اي وهم لا يرونه ان الله قوي عزيز قوي في اخذه عزيز اي منيع غالب وقيل بالغيب
اي بالاخلاص **فصل** احتج من قال بحدوث علم الله بقوله وليعلم الله واجيب بانه
تعالى اراد بالعلم المعلوم فكانه تعالى قال وليقع نصرة الرسول صلى الله عليه وسلم ممن ينصره
فصل قال الجبائي قوله تعالى ليقوم الناس بالقسط يدل على انه تعالى انزل الميزان
والحديد ومراده من العباد ان يقوموا بالقسط وان ينصروا الرسول واذا اراد هذا من الكل بطل
قول المجبرة انه اراد من بعضهم خلاف ذلك واجيب بانه كيف يمكن ان يريد من الكل ذلك مع
علمه بان ضده موجود والجمع بين الضدين محال والمحال غير مراد **قوله** ولقد ارسلنا نوحا وابرهيم
الاية لما اجمل الرسل في قوله لقد ارسلنا رسلنا فصل ههنا ما اجمل من ارسال الرسل بالكتب
واخبر انه ارسل نوحا وابرهيم وجعل النبوة في نسلهما بقوله وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب
اي جعلنا بعض ذريتهما الانبيا وبعضهم امما يتلون الكتب المنزلة من السماء كالتورية والانجيل
والزبور والفرقان وقال ابن عباس الكتاب الخط بالقلم **قوله** فمنهم مهتد الضمير يجوز
عوده على الذرية وهو اولى لتقدم ذكره لفظا وقيل يعود على المرسل اليهم لدلالة ارسلنا والمرسلين
عليهم والمعنى ان منهم مهتد ومنهم فاسق والمراد بالفاسق ههنا قيل الذي ارتكب الكبيرة سوا كان
كافرا او لم يكن لاطلاق هذا الاسم وهو يشمل الكافر وغيره وقيل المراد بالفاسق ههنا الكافر لانه
جعل الفاسق ضد المهتدين **قوله** ثم قفينا على اثارهم اي اتبعنا على اثارهم اي على اثار
الذرية وقيل على اثار نوح وابرهيم برسلنا موسى والياس وداود ويونس وغيرهم وقفينا
بعيسى بن مريم فهو من ذرية ابرهيم من جهة امه واتيناه الانجيل وهو الكتاب المنزل عليه وقد
تقدم اشتقاقه في اول ال عمران وقراه الحسن بفتح الهمزة قال الزمخشري امره اهون من امر
البرطيل والسكينة لمن رواها بفتح الفا لان الكلمة اعجمية لا يلزم فيها حفظ ابنية العرب وقال
ابن جني قراة الحسن بفتح الهمزة مثال مبالغة لا نظير له لانه افعيل وهو عندهم من نجلت الشي
اذا استخرجته لانه يستخرج الاحكام قال ابن الخطيب وغالب الظن انه ما قراه الا عن سماع وله
وجهان احدهما انه شاذ كما حكي بعضهم في البرطيل والثاني انه ظن الانجيل اعجميا فحرف مثاله
تنبيها على كونه اعجميا **قوله** وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه على دينه يعني الحواريين واتباعهم
رافة ورحمة قرا الحسن رآفة بزنة فعالة قال مقاتل المراد من الرافة والرحمة المودة فكان
يود بعضهم بعضا كما وصف الله تعالى اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بقوله رحما بينهم وقيل
هذا اشارة الى انهم امروا في الانجيل بالصلح وترك ايذا الناس والان الله قلوبهم لذلك بخلاف
اليهود الذين قست قلوبهم وحرفوا الكلم عن مواضعه والرافة اللين والرحمة الشفقة وقيل الرافة
تخفيف الكل والرافة تحمل الثقل وقيل الرافة اشد من الرحمة وتم الكلام **فصل** دلت

هذه الاية على ان فعل العبد خلق لله تعالى لانه حكم بان هذه مجعوله وحكم بانهم ابتدعوا تلك
الرهبانية قال القاضي المراد بذلك انه تعالى لطف بهم حتى قويت دواعيهم الى الرهبانية التي
هي تحمل الكلفة الزايدة على ما يجب والجواب ان هذا ترك للظاهر من غير دليل وان سلمنا ذلك
فهو محتمل مقصودنا لان حال الاستوا يمتنع حصول الرجحان لان حصول الرجحان عند الاستوا ممتنع
فعند المرجوحية اولى بان يصير ممتنعا واذا امتنع المرجوح وجب الراجح ضرورة انه لا خروج
عن طرفي النقيض **قوله** ورهبانية ابتدعوها في انتصابها وجهان احدهما انها معطوفة
على رافة ورحمة وجعل اما بمعنى خلق او بمعنى صير وابتدعوها على هذا صفة لرهبانية وانما
خصت بذكر الابتداع لان الرافة والرحمة في القلب امر غريزة لا تكسب للانسان فيها بخلاف
الرهبانية فانها افعال البدن وللانسان فيها تكسب الا ان ابا البقا منع هذا الوجه بان ما جعله
الله لا يبتدعونه وجوابه ما تقدم من انه لما كانت مكتسبة صح ذلك فيها وقال ايضا وقيل هو
معطوف عليها وابتدعوها نعت له والمعنى فرض عليهم لزوم رهبانية ابتدعوها ولهذا قال ما
كتبناها عليهم الا ابتغا رضوان الله والوجه الثاني انها منصوبة بفعل مقدر يفسره الظاهر
قال ابو علي ابتدعوا رهبانية ابتدعوها وتكون المسيلة من الاشتغال واليه نحا الفارسي
والزمخشري وابو البقا وجماعة الا ان هذا يقال انه اعراب المعتزلة وذلك انهم يقولون ما كان
من فعل الانسان فهو مخلوق له فالرحمة والرافة لما كانت من فعل الله نسب خلقهما اليه والرهبانية
لما لم تكن من فعل الله تعالى بل من فعل العبد يستقل بفعلها نسب ابتداعها اليه ورد عليهم ابو حيان
هذا الاعراب من حيث الصناعة وذلك ان من حق الاسم المشتغل عنه ان يصلح للرفع بالابتدا
ورهبانية نكرة لا مسوغ للابتدا بها فلا يصلح نصبها على الاشتغال قال شهاب الدين وفيه نظر لانا
لا نسلم اولا اشتراط ذلك ويدل عليه قراة من قرا سورة انزلناها بالنصب على الاشتغال كما تقدم
تحقيقه ولين سلمنا ذلك فثم مسوغ وهو العطف ومن ذلك قوله

عندي اصطبار وشكوى عند قاتلتي ۞ فهل باعجب من هذا امري سمعا ۞ وقول الاخر

۞ تعشى ونجم قد اضا فمذ بدا ۞ محياك اخفى ضوءه كل شارق ۞ وكذلك ابن مالك والرهبانية

منسوبة الى الرهبان وهو فعلان من رهب كخولم الخشيان من خشي وقد تقدم معنى هذه
المادة في سورة المايدة وقري بضم الرا قال الزمخشري كانها نسبة الى الرهبان وهو جمع راهب
كراكب وركبان قال ابو حيان والاولى ان يكون منسوبا الى رهبان يعني بالفتح وغير لان النسب
باب تغيير ولو كان منسوبا لرهبان الجمع لرد الى مفرده الا ان كان قد صار كالعلم فانه ينسب
اليه كالانصار **فصل** والمراد من الرهبانية ترهبهم في الجبال فارين من الفتنة
في الدين متحملين كلفا زايدة على العبادات التي كانت واجبة عليهم من الخلوة واللباس الخشن والاعتزال
عن النسا والتعبد في الغيران والكهوف روي ابن عباس ان في ايام الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام
غير الملوك التورية والانجيل فساح قوم وبقي نفر قليل فترهبوا وتبتلوا قال الضحاك ان ملوكا بعد
عيسى عليه السلام ارتكبوا المحارم ثلاث مائة سنة فانكرها عليهم من كان بقي على منهاج عيسى فقتلوهم
فقال قوم بقوا بعدهم نحن اذا نهيناهم قتلونا فليس يسعنا المقام بينهم فاعتزلوا الناس واتخذوا
الصوامع وقال قتادة الرهبانية التي ابتدعوها رفض النسا واتخاذ الصوامع وفي خبر مرفوع هي
لحوقهم بالبراري والجبال **قوله** ما كتبناها صفة لرهبانية ويجوز ان يكون استينافا اخبار
بذلك قال ابن زيد معناه ما فرضناها عليهم ولا امرناهم بها وقوله الا ابتغا رضوان الله فيه اوجه
احدها انه استثنا متصل مما هو مفعول من اجله والمعنى ما كتبناها عليهم لشي من الاشيا الا ابتغا
مرضات الله ويكون كتب بمعنى قضى فصار المعنى كتبناها عليهم ابتغا مرضات الله وهذا قول

مجاهد والثاني انه منقطع **قال** الزمخشري ولم يذكر غيره اي ولكنهم ابتدعوها والى هذا ذهب قتادة وجماعة قالوا معناه لم نفرضها عليهم ولكنهم ابتدعوها الثالث انه بدل من الضمير المنصوب في كتبناها قاله مكي وهو مشكل كيف يكون بدلا وليس هو الاول ولا بعضه ولا مشتملا عليه وقد يقال انه بدل اشتمال لان الرهبانية الخالصة المرعية حق الرعاية قد يكون فيها ابتغاء رضوان الله ويصير نظير قولك الجارية ما احببتها الا ادبها فالا ادبها بدل من الضمير في احببتها بدل اشتمال وهذا نهاية التمحل لصحة هذا القول والضمير المرفوع في رعوها عائد على من تقدم والمعنى انهم لم يدوموا كلهم على رعايتها وان كان وجد هذا في بعضهم وقيل يعود على الملوك الذين حاربوهم وقيل على الخلائف وحق نصب على المصدر **وقال** القرطبي وقيل الا ابتغاء استثناء منقطع والتقدير ما كتبناها عليهم لكن ابتدعوها ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها اي ما قاموا بها حق القيام بل ضموا اليها التثليث والاتحاد واقام اناس منهم على دين عيسى عليه السلام حتى ادركوا نبينا محمدا عليه السلام فامنوا به فهو قوله تعالى فاتينا الذين امنوا منهم اجرهم وكثير منهم فاسقون وقيل معناه انا ما كتبنا عليهم تلك الرهبانية الا ليتوسلوا بها الى مرضات الله تعالى ثم انهم اتوا بتلك الافعال لغرض هذا الوجه وهو طلب الدنيا والريا والسمعة وقيل معناه انا كتبناها عليهم فتركوها فيكون ذلك ذما لهم لتركهم الواجب وقيل ان الذين لم يرعوها حق رعايتها هم الذين ادركوا محمدا صلى الله عليه وسلم ولم يؤمنوا به

فصل دلت هذه الاية على ان كل محدث بدعة فينبغي لمن ابتدع خيرا ان يدوم عليه ولا يعدل عنه الى ضده فيدخل في الاية وعن ابي امامة الباهلي واسمه صدي بن عجلان ان النبي صلى الله عليه وسلم قال احدثتم قيام رمضان ولم يكتب عليكم انما كتب عليكم الصيام فدوموا على القيام اذ فعلتموه ولا تتركوه فان ناسا من بني اسرائيل ابتدعوا بدعا لم يكتبها الله عليهم ابتغوا بها رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فعابهم الله تعالى بتركها فقال ورهبانية ابتدعوها الايه

فصل ودلت الاية على العزلة عن الناس وذلك مندوب اليه عند فساد الزمان وتغير الاحوال والاخوان

قوله يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وامنوا برسوله اي امنوا بموسى وعيسى اتقوا الله وامنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم يؤتكم كفلين من رحمته اي مثلين من الاجر على ايمانهم بعيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم وهذا نظير قوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين والكفل الحظ والنصيب وقد تقدم وهو في الاصل كساء يكتفل به الراكب يحفظه من السقوط قاله ابن جرير وقال الازهري اشتقاقه من الكفل الذي يحويه راكب البعير على سنامه لئلا يسقط والمعنى يؤتكم نصيبين يحفظانكم من هلكة المعاصي كما يحفظ الكفل الراكب وقال ابو موسى الاشعري كفلين ضعفين بلسان الحبشة وقال ابن زيد اجر الدنيا والاخرة وقيل لما نزلت اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا افتخر مؤمنوا اهل الكتاب على اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية **فان قيل** انه تعالى لما اتاهم كفلين واعطى المؤمن كفلا واحدا كان حالهم اعظم فالجواب انه لا يبعد ان يكون النصيب الواحد ازيد قدرا من النصيبين وروى ابو موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاثة يؤتون اجرهم مرتين رجل كانت له جارية فادبها واحسن ادبها ثم اعتقها وتزوجها ورجل من اهل الكتاب امن بكتابه وامن بمحمد صلى الله عليه وسلم وعبد احسن عبادة الله ونصح سيده **قوله** ويجعل لكم نورا قال مجاهد اي بيانا وهدى وقال ابن عباس هو القران وقيل ضياء تمشون به في الاخرة على الصراط وفي القيامة الى الجنة وهو النور المذكور في قوله تعالى يسعى نورهم بين ايديهم وقيل تمشون به في الناس تدعونهم الى الاسلام فتكونوا رؤسا في دين الاسلام لا تزول عنكم رياسة كنتم فيها وذلك انهم خافوا ان تزول رياستهم لو امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وانما كان تفوتهم اخذ رشوة يسيرة من الضعفة بتحريف احكام الله لا الرياسة الحقيقية في الدين

ثم

ثم قال ويغفر لكم ذنوبكم اي ما اسلفتم من المعاصي والله غفور رحيم **قوله** لئلا يعلم هذه اللام متعلقة بمعنى الجملة الطلبية المتضمنة لمعنى الشرط اذ التقدير ان تتقوا الله وامنتم برسوله يؤتكم كذا وكذا لئلا يعلم وفي لا هذه وجهان اشهرهما عند النحاة والمفسرين انها مزيدة كهي في ما منعك الا تسجد وانهم لا يرجعون على خلاف في ذلك الآيتين والتقدير اعلمكم الله بذلك ليعلم اهل الكتاب عدم قدرتهم على شيء من فضل الله وثبوت ان الفضل بيد الله وهذا واضح بين وليس فيه الا زيادة ما ثبتت زيادته شايعا ذايعا والثاني انها غير مزيدة والمعنى لئلا يعلم اهل الكتاب عجز المؤمنين نقل ذلك ابو البقا وهذا القطعة دكان قال قبل ذلك لا زائدة والمعنى ليعلم اهل الكتاب عجزهم وهذا غير مستقيم لان المؤمنين عاجزون ايضا عن شيء من فضل الله وكيف يعمل هذا القائل بقوله وان الفضل بيد الله فانه معطوف على معمول العلم المنفي فيصير التقدير ولئلا يعلم اهل الكتاب ان الفضل بيد الله وهذا لا يستقيم نفي العلم البته فلا جرم كان قولا مطرحا وقرا العامة لئلا بكسر لام كي وبعدها همزة مفتوحة مخففة وورش يبدلها يا محضة وهو تخفيف قياسي نحو ميه وفيه في مائه وفئه ويدل على زيادتها قراءة ابن عباس عبد الله وابن عباس وعكرمة والجحدري وعبد الله بن سلمة ليعلم باسقاطها وقراءة حطان بن عبد الله لان يعلم باظهار ان والجحدري ايضا والحسن ليتعلم واصلها كالتي قبلها لان يعلم فابدل الهمزة يا لانفتاحها بعد كسرة وقد تقدم انه قياس كقراءة ورش لئلا ثم ادغم النون في اليا **قال** ابو حيان بغير غنة كقراءة خلف ان يضرب بغير غنة انتهى فصار اللفظ ليتعلم وقوله بغير غنة ليس عدم الغنة شرطا في صحة هذه المسألة بل جاء على سبيل الاتفاق ولو ادغم بغنة لجاز ذلك سقوطها في هذه القراءات يؤيد زيادتها في المشهورة وقرا الحسن ايضا فيما روى عنه ابو بكر بن مجاهد لئلا يعلم بلام مفتوحة ويا ساكنة كاسم المراة ورفع الفعل بعدها وتخريجها على ان اصلها لان لا على ان اللام لام الجر ولكن فتحت على لغة مشهورة معروفة وانشدوا ٠ اريد لانسى ذكرها ٠ بفتح اللام وحذفت الهمزة اعتباطا وادغمت النون في اللام فاجتمع ثلاثة امثال فثقل النطق به فابدل الوسط يا تخفيفا فصار اللفظ لئلا كما ترى ورفع الفعل لان ان هي المخففة لا الناصبة واسمها على ما تقرر ضمير الشان وفصل بينها وبين الفعل الذي هو خبرها بحرف النفي وقرا الحسن ايضا فيما روي عنه وقطرب ليلا بلام مكسورة ويا ساكنة ورفع الفعل وهي كالتي قبلها في التخريج غاية ما في الباب انه جا بلام الجر مكسورة كما هي اللغة الشهيرة وروي عن ابن عباس لكي يعلم وكي يعلم وعن عبد الله لكيلا وهذه كلها مخالفة للسواد الاعظم ولسواد المصحف وقرا العامة ان لا يقدرون بثبوت النون على ان ان هي المخففة وعبد الله يحذفها على ان ان هي الناصبة وهذا شاذ جدا لان العلم لا يقع بعده الناصبة وقوله يؤتيه من يشا الظاهر انه مستانف وقيل هو خبر ثان عن الفضل وقيل هو الخبر وحده والجار قبله حال وهي حال لازمة لان كونه بيد الله لا ينتقل البته

فصل نقل ابن الخطيب عن الواحدي انه قال هذه الاية مشكلة وليس للمفسرين فيها قول واضح في كيفية اتصال هذه الاية بما قبلها واعلم ان اكثر المفسرين على ان لا ههنا صلة زائدة والتقدير ليعلم اهل الكتاب وقال ابو مسلم وجماعة ان لا ليست زائدة ونحن نفسر الاية على القولين بعون الله وتوفيقه اما على القول بزيادتها فاعلم انه لا بد ههنا من تقدير مقدمة وهي ان اهل الكتاب كانوا يقولون ان الوحي والرسالة فينا والكتاب والشرع ليس الا لنا وان الله تعالى خصنا بهذه الفضيلة العظيمة من بين جميع العالمين اذا عرف هذا فنقول انه تعالى لما امر اهل الكتاب بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ووعدهم الاجر العظيم في ذلك الايمان اتبعه بهذه الاية والغرض منها ان يزيل عن قلبهم اعتقادهم بان النبوة مختصة بهم فقال انما بالغنا في هذا البيان ليعلم اهل الكتاب انهم لا يقدرون على شيء من فضل الله لقوم معينين ولا يمكنهم حصر الرسالة والنبوة في قوم مخصوصين وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ولا اعتراض عليه في ذلك اصلا واما القول بان لا

غير زايدة فاعلم ان الضمير في قوله لا يقدرون عايد الى الرسول صلى الله عليه وسلم والى اصحابه رضي الله عنهم والتقدير لئلا يعلم اهل الكتاب ان النبي والمومنين لا يقدرون على شي من فضل الله فانهم اذا لم يعلموا انهم لا يقدرون عليه فقد علموا انهم يقدرون عليه ثم قال وان الفضل بيد الله فيصير التقدير انا فعلنا كذا وكذا لئلا يعتقد اهل الكتاب انهم يقدرون على حصر فضل الله في اقوام معينين وليعتقدوا ان الفضل بيد الله واعلم ان هذا القول ليس فيه الا انا اضمرنا فيه زيادة فعلنا في قوله وان الفضل بيد الله تقديره وليعتقدوا ان الفضل بيد الله واما القول الاول فقد افتقرنا فيه الى حذف شي موجود ومن المعلوم ان الاضمار اولى من الحذف لان الكلام اذا افتقر الى الاضمار لم يوهم ظاهره باطلا اصلا واما اذا افتقر الى الحذف كان ظاهره موهما للباطل فعلمنا ان هذا القول اولى **فصل** قال قتادة حسد اهل الكتاب المسلمين فنزلت لئلا يعلم اهل الكتاب اي لان يعلم اهل الكتاب انهم لا يقدرون على شي من فضل الله وان الفضل بيد الله وقال مجاهد قالت اليهود يوشك ان يخرج منا نبي يقطع الايدي والارجل فلما خرج من العرب كفروا فنزلت لئلا يعلم اي ليعلم اهل الكتاب الا يقدرون يعني انهم لا يقدرون كقوله لا يرجع اليهم قولا والمراد من فضل الله قيل الاسلام وقيل الثواب وقال الكلبي من رزق الله وقيل نعم الله التي لا تحصى وان الفضل بيد الله ليس بايديهم فيصرفوا النبوة عن محمد صلى الله عليه وسلم الى من يحبون وقيل ان الفضل بيد الله اي هو له يوتيه من يشا روى البخاري عن ابن عمر انه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قايم على المنبر يقول انما بقاوكم فيما سلف قبلكم من الامم كما بين صلاة العصر الى غروب الشمس اعطي اهل التورية التورية فعملوا بها حتى انتصف النهار ثم عجزوا فاعطوا قيراطا قيراطا ثم اعطي اهل الانجيل الانجيل فعملوا به حتى صلاة العصر ثم عجزوا فاعطوا قيراطا قيراطا ثم اعطيتم القران فعملتم به حتى غربت الشمس فاعطيتم قيراطين قيراطين قال اهل التورية ربنا هولا اقل عملا واكثر اجرا قال هل ظلمتكم من اجركم شيا قالوا لا قال فذلك فضلي اوتيه من اشا وفي رواية فغضبت اليهود والنصارى وقالوا ربنا الحديث

سورة المجادلة مدنية

في قول الجميع الا رواية عن عطا ان العشر الاول منها مدني وباقيها مكي وقال الكلبي نزل جميعها بالمدينة غير قوله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم نزلت بمكة وهي ثنتان وعشرون اية واربع مائة وثلاث وسبعون كلمة والف وسبع مائة واثنان وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها قد هنا للتوقع قال الزمخشري لانه عليه السلام والمجادلة كانا متوقعان ان يسمع الله مجادلتها وشكواها وينزل في ذلك ما يفرج عنها وادغم الدال في السين قراة الجماعة الا ابا عمرو والاخوين ونقل عن الكساي انه قال من بين الدال عند السين فلسانه اعجمي وليس بعربي وهذا غير معرج عليه وفي زوجها اي في شانه من ظهارها

فصل اياها التي اشتكت هي خولة بنت ثعلبة وقيل بنت حكيم وقيل بنت خويلد قال الماوردي وليس هذا بمختلف لان احدهما ابوها والاخر جدها فنسبت كل واحد منهما قيل كانت وقيل ابنة صامت وقيل امة لعبد الله بن ابي وهي التي انزل الله فيها ولا تكرهوا فتياتكم على البغا ان اردن تحصنا لانه يكرهها على الزنا وقيل هي ابنة قال النحاس وهذا ليس بمتضاد يجوز ان ينسب مرة الى ابيها ومرة الى امها ومرة الى جدها ويجوز ان تكون امة كانت لعبد الله بن ابي وكان لها انصاح بالولا لا كانا في عداد الانصار كان من المنافقين نقله الماوردي القرطبي وقيل اسمها جميلة وخولة اصح وزوجها اوس بن الصامت اخو عبادة بن الصامت روي ان عمر بن الخطاب مر بها في خلافته وهو على حمار والناس معه فاستوقفته طويلا ووعظته وقالت يا عمر قد كنت تدعى عميرا ثم قيل لك عمر ثم قيل لك امير المومنين فاتق الله يا عمر فانه من ايقن بالموت خاف الفوت ومن ايقن بالحساب خاف العذاب وهو واقف يستمع كلامها فقيل له يا امير المومنين اتقف لهذه العجوز فقال

والله لو حبستني من اول النهار الى اخره لا زلت الا للصلوة المكتوبة اتدرون من هذه العجوز هي خولة بنت ثعلبة سمع الله قولها من فوق سبع سموات ايسمع رب العالمين قولها ولا يسمعه عمر وقالت عايشة تبارك الذي وسع سمعه كل شي اني لاسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى علي بعضه وهي تشتكي زوجها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تقول يا رسول الله اكل شبابي ونثرت له بطني حتى اذا كبرت سني وانقطع ولدي ظاهر مني اللهم اني اشكو اليك فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الايات فسمع الله قول التي تجادلك في زوجها الاية وروي انها كانت حسنة الجسم فراها زوجها ساجدة فنظر عجزتها فاعجبه امرها فلما انصرفت ارادها فابت فغضب عليها قال عروة وكان امرا به لمم فاصابه بعض لممه فقال لها انت علي كظهر امي وكان الايلا والظهار من الطلاق في الجاهلية فسالت النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها حرمت عليه فقالت والله ما ذكر طلاقا وانه ابو ولدي واحب الناس الي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه فقالت اشكو الى الله فاقتي ووحدتي فقد طالت صحبتي ونفضت له بطني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اراك الا قد حرمت عليه ولم اومر في شانك بشي فجعلت تراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه هتفت وقالت اشكو الى الله فاقتي وشدة حالي وان لي صبية صغارا ان ضممتهم اليه جاعوا وان ضممتهم اليه ضاعوا وجعلت ترفع راسها الى السماء وتقول اللهم اني اشكو اليك فانزل على لسان نبيك وكان هذا اول ظهار في الاسلام فانزل الله تعالى قد سمع الله قول التي تجادلك الاية فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى زوجها وقال ما حملك على ما صنعت فقال الشيطان فهل من رخصة فقال نعم وقرا عليه الاربع ايات فقال له هل تستطيع الصوم فقال لا والله فقال هل تستطيع العتق فقال لا والله اني ان اخطاني ان اكل في اليوم مرة او مرتين لكل بصري ولظننت اني اموت قال فاطعم ستين مسكينا فقال ما اجد الا ان تعينني منك بعون وصلة فاعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر صاعا واخرج اوس من عنده مثله فتصدق به على ستين مسكينا

فصل قال ابو سليمان الخطابي ليس المراد من قوله في هذا الخبر وكان به لمم الخبل والجنون اذ لو كان به ثم ظاهر في تلك الحال لم يكن يلزمه شي بل معنى اللمم هنا الالمام بالنسا وشدة الحرص والتوقان اليهن

فصل اعلم ان الظهار كان من اشد طلاق الجاهلية لانه في التحريم اوكد ما يمكن فان كان ذلك الحكم صار مقررا في الشرع كانت الاية ناسخة له والا لم يعد نسخا لان النسخ انما يدخل في الشرايع لا في عادة الجاهلية لكن الذي روي انه عليه السلام قال لها حرمت او ما اراك الا قد حرمت كالدلالة على انه كان شرعا فاما ما روي من انه توقف في الحكم فلا يدل على ذلك وفي الاية دليل على ان من انقطع رجاوه عن الخلق ولم يبق له في مهمه احد سوى الخالق كفاه الله ذلك المهم

فصل اعلم انه تعالى حكى عن هذه المراة امرين احدهما المجادلة وهو قوله تعالى تجادلك في زوجها اي في شان زوجها وتلك المجادلة هي انه عليه السلام كلما قال لها حرمت عليه قالت والله ما ذكر طلاقا والثاني شكواها الى الله فاقتها ووحدتها وقولها ان لي صبية صغارا

فصل قال القرطبي الاصل في السماع ادراك المسموعات وهو اختيار ابي الحسن وقال ابن فورك الصحيح انه ادراك المسموع وقال الحاكم ابو عبد الله السميع هو المدرك للاصوات التي يدركها المخلوقون باذانهم من غير ان يكون له اذن وذلك راجع الى ان الاصوات لا تخفى عليه وان كان غير موصوف بالحس المركب في الاذن كالاصم من الناس لما لم يكن له هذه الحاسة لم يكن اهلا لادراك الصوت والسمع والبصر صفتان كالعلم والقدرة والحياة والارادة فهما من صفات الذات لم يزل الخالق سبحانه متصفا بهما وقرئ تحاورك اي تراجعك الكلام

قوله وتشتكي الى الله تجوز فيه وجهان اظهرهما انها عطف على تجادلك فهي صلة ايضا

والثاني انها في موضع نصب على الحال اي تجادلك شاكية حالها الى الله وكذا الجملة من قوله والله
يسمع تحاوركما والحالية فيها ابعد وشكى واشتكى بمعنى واحد والمحاورة المراجعة في الكلام حار الشيء
يحور حورا اي رجع يرجع رجوعا ومنه نعوذ بالله من الحور بعد الكور وكلمته فما احار بكلمة اي فما
اجاب والله سميع بصير اي يسمع كلام من يناديه ويبصر من يتضرع اليه **قوله** الذين يظهرون
تقدم الخلاف في يظهرون في سورة الاحزاب وكذا في اللائي وقرا ابي هنا يتظاهرون وعنه
ايضا يتظهرون وفي العزيز وجهان احدهما انه مبتدا وخبره ما هن امهاتهم الثاني انه منصوب
بصير على مذهب سيبويه في جواز اعمال فعيل قاله مكي يعني ان سيبويه يعمل فعيلا من امثلة المبالغة
وهو مذهب مطعون فيه على سيبويه لانه استدل على اعماله بقول الشاعر

حتى شآها كليل موهنا عمل ۞ باتت طرابا وبات الليل لم ينم

ورد عليه بان موهنا ظرف زمان
والظروف يعمل فيها روائح الافعال والمعنى يابى ما قاله مكي وقرا العامة امهاتهم بالنصب على
اللغة الحجازية الفصحى كقوله ما هذا بشرا وعاصم في رواية بالرفع على اللغة التميمية وان كانت
هي القياس لعدم اختصاص الحرف وقرا عبد الله بامهاتهم بزيادة الباء وهي تحتمل اللغتين وقال
الزمخشري وزيادة الباء في لغة من ينصب قال شهاب الدين هذا هو مذهب ابي علي يرى
ان الباء لا تزاد الا اذا كانت ما عاملة فلا تزاد في التميمية ولا في الحجازية اذا منع من عملها مانع نحو
ما ان زيد بقائم وهذا مردود بقول الفرزدق وهو تميمي

لعمرك ما معن بتارك حقه ۞ ولا منسئ معن ولا متيسر

وبقول الاخر

لعمرك ما ان ابو مالك ۞ بواه ولا بضعيف قواه

فزاد ها مع ما الواقع بعدها ان

فصل ذكر الظهر كناية عن معنى الركوب والادمية انما يركب بطنها ولكن كنى عنه بالظهر لان ما يركب من
غير الادميات فانما يركب ظهره فكنى بالظهر عن الركوب ويقال نزل عن امراته اي طلقها كانه
نزل عن مركوبه ومعنى انت علي كظهر امي اي انت علي محرمة لا تحلين لي ركوبك نقله القرطبي ونقل
ابن الخطيب عن صاحب النظم انه ليس ماخوذا من الظهر الذي هو عضو من الجسد لانه ليس الظهر
باولى بالذكر في هذا الموضع من سائر الاعضاء التي هي مواضع المباضعة والتلذذ بل الظهر ههنا
ماخوذ من العلو ومنه قوله تعالى فما اسطاعوا ان يظهروه اي يعلوه وكذلك امراة الرجل ظهره
لانه يعلوها بملك البضع وان لم يكن من ناحية الظهر فكان امراة الرجل مركبا للرجل وظهرا له
ويدل على صحة هذا المعنى ما نقل عن العرب انهم يقولون في الطلاق نزلت عن امراتي اي طلقتها وفي
قولهم انت علي كظهر امي حذف واضمار لان تاويله ظهرك علي اي ملكي اياك وعلوي عليك حرام كما
علوي على امي وملكها علي

فصل حقيقة الظهار تشبيه ظهر بظهر والموجب للحكم
منه تشبيه ظهر محلل بظهر محرم ولهذا اجمع الفقهاء على ان من قال لزوجته انت علي كظهر امي انه
مظاهر وقال اكثرهم اذا قال لها انت علي كظهر ابنتي او اختي او من تحرم عليه على التابيد من ذوات
المحارم انه مظاهر

فصل والفاظ الظهار صريح وكناية فالصريح انت علي كظهر امي
وانت عندي وانت مني وانت معي كظهر امي وكذلك انت علي كبطن امي او كراسها او فرجها ونحوه
وكذلك فرجك او راسك او ظهرك او بطنك او رجلك علي كظهر امي فهو مظاهر مثل قوله يدك او
رجلك او راسك او فرجك طالق تطلق عليه ومتى شبهها بامه او باحدى جداته من قبل ابيه او امه
فهو ظهار بلا خلاف وان شبهها بغيرهن من ذوات المحارم التي لا تحل له بحال كالبنت والاخت والعمة
والخالة كان مظاهرا عند اكثر الفقهاء والكناية ان يقول انت علي كامي ومثل امي فانه يعتبر
فيه النية فان اراد الظهار كان ظهارا وان لم ينو الظهار لم يكن مظاهرا على خلاف في ذلك فان شبه
امراته باجنبية فان ذكر الظهر كان ظهارا وان لم يذكر الظهر فقيل يكون ظهارا وقيل طلاقا وقال

ابو

ابو حنيفة والشافعي لا يكون شيئا قيل وهذا فاسد لانه شبه محللا من المراة بمحرم فاشبه الظهر نقله
القرطبي فان قال انت علي حرام كظهر امي كان ظهارا ولم يكن طلاقا لان قوله انت حرام يحتمل التحريم
بالطلاق فيكون طلقة ويحتمل التحريم بالظهار فلما صرح به كان تفسيرا لاحد الاحتمالين يقضي به فيه

فصل والظهار لازم في كل زوجة مدخول بها او غير مدخول بها من كل زوج يجوز طلاقه
وقال مالك يجوز الظهار من كل من يجوز له وطؤها من امائه اذا ظاهر منهن لزمه الظهار فيهن وقال
غيره لا يلزم قال ابن العربي وهي مسئلة عسيرة جدا لان مالكا يقول اذا قال لامته انت علي حرام لا يلزم
فكيف يبطل فيها صريح التحريم وتصح كنايته

فصل ويلزم الظهار قبل النكاح اذا نكح التي
ظاهر منها عند مالك ولا يلزم عند غيره لقوله تعالى من نسائهم واذا ظاهر الذي صح ظهاره مما يصح
طلاقه وقال مالك لا يلزم ظهاره لانه لا يصح تكفيره بالصيام وهذا منقوض بظهار العبد وهو لا
يكفر بالعتق والاطعام

فصل لا يصح ظهار المراة من زوجها وعليها كفارة يمين انما
الظهار على الرجال لان الحل والعقد في النكاح بيد الرجال ليس بيد المراة منه شيء وقال الحسن
ابن زياد هي مظاهرة وقال الزهري ارى ان تكفر كفارة الظهار وقال محمد بن الحسن لا شيء عليها

فصل واذا ظاهر حال غضبه لزمه حكم الظهار للحديث ويصح ظهار السكران وطلاقه واذا
ظاهر من نسائه بكلمة واحدة فكفارة واحدة وان ظاهر منهن بكلمات فعليه لكل واحدة كفارة واذا
قال لاربع نسوة ان تزوجتكن فانتن علي كظهر امي فتزوج احداهن لم يقربها حتى يكفر ثم قد سقط
عنه اليمين في سائرهن وقيل لا يطا الباقي منهن حتى يكفر فان قال لامراته انت علي كظهر امي
وانت طالق البتة لزمه الطلاق والظهار معا ولم يكفر حتى ينكحها بعد زوج ولا يطاها اذا نكحها
حتى يكفر فان قال لها انت طالق البتة وانت علي كظهر امي لزمه الطلاق ولم يلزمه الظهار لان المبتوتة
لا يلحقها طلاق ولا ظهار ويصح الظهار المؤقت كما لو قال انت اليوم علي كظهر امي فانه يصح ويبطل
بمضي اليوم وقال مالك يتابد

قوله منكم توبيخ للعرب وتهجين لعادتهم في الظهار لانه
كان من ايمان الجاهلية خاصة دون سائر الامم وقوله ما هن امهاتهم اي ما نساؤهم بامهاتهم ان
امهاتهم الا اللائي ولدنهم اي الا الوالدات

قوله منكرا من القول وزورا نعتان لمصدر
محذوف اي قولا منكرا وزورا اي كذبا وبهتانا قاله مكي وفيه نظر اذ يصير التقدير ليقولون
قولا منكرا من القول فيصير قوله من القول لا فائدة فيه والاولى ان يقال نعتان لمفعول محذوف
لفهم المعنى اي ليقولون شيئا منكرا من القول لتفيد الصفة غير ما افاده الموصوف والمنكر من القول
ما لا يعرف في الشرع والزور الكذب وان الله لعفو غفور اذ جعل الكفارة عليهم مخلصة لهم من هذا
القول المنكر وقيل لعفو غفور اما من قبل التوبة لمن يشاء كما قال تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء
او بعد التوبة

فان قيل المظاهر انما قال انت علي كظهر امي فشبهها بامه ولم يقل انها امه
فما معنى انه جعله منكرا من القول وزورا والزور الكذب وليس هذا بكذب فالجواب ان قوله
ان كان خبرا فهو كذب وان كان انشاء فكذلك لانه جعله سببا للتحريم والشرع لم يجعله سببا لذلك
وايضا فانما وصف بذلك لان الام مؤبدة التحريم والزوجة لا يتابد تحريمها بالظهار وهذا ضعيف
لان المشبه لا يلزم ان يساوي المشبه به من كل وجه

فان قيل قوله الا اللائي ولدنهم يقتضي
ان لا ام الا الوالدة وهذا مشكل لقوله تعالى وامهاتكم اللاتي ارضعنكم وقوله تعالى وازواجه امهاتهم
والحمل على حرمة النكاح لا يفيد اذ لا يلزم من عدم كون الزوجة اما عدم الحرمة وظاهر الاية
الاستدلال بعدم الامومة على عدم الحرمة فالجواب انا نقول هذه الزوجة ليست بام حتى تحصل
الحرمة بسبب الامومة ولم يرد الشرع بجعل هذه اللفظة سببا للحرمة فاذن لا تحصل الحرمة
هناك البتة فكان وصفهم لها بالحرمة كذبا وزورا

قوله والذين يظهرون من نسائهم وقوله فتحرير

رقبة مبتدأ وخبره مقدر اي فعليهم او فاعل بفعل مقدر اي فيلزمهم تحرير او خبر مبتدأ مضمر اي فالواجب عليهم تحرير وعلي التقادير الثلاثة فالجملة خبر المبتدأ ودخلت الفا لما يتضمنه المبتدأ من معني الشرط
قوله ثم يعودون لما قالوا في هذه اللام اوجه احدها انها متعلقة بيعودون وفيه معان احدها والذين من عادتهم انهم كانوا يقولون هذا القول في الجاهلية ثم يعودون لمثله في الاسلام الثاني ثم يتداركون ما قالوا لان المتدارك للامر عايد اليه ومنه عاد غيث علي ما افسد اي تداركه بالاصلاح والمعني ان تدارك هذا القول وتلافيه بان يكفر حتي يرجع حالهما كما كانت قبل الظهار الثالث ان يراد بما قالوا ما حرموه علي انفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول منزلة المقول فيه نحو ما ذكر في قوله تعالي ونرثه ما يقول والمعني ثم يريدون القول للتماس قاله الزمخشري وهذا الثالث هو معني ما روي عن مالك والحسن والزهري ثم يعودون للوطء اي يعودون لما قالوا انهم لا يعودون اليه فاذا ظاهر ثم وطئ لزمته الكفارة عند هولاء الرابع لما قالوا اي يقولونه ثانيا فلو قال انت علي كظهر امي مرة واحدة لم يلزمه كفارة لانه لم يعد لما قال وهذا منقول عن بكير بن عبد الله الاشج وابي حنيفة وابي العالية والفرا في اخرين وهو مذهب اهل الظاهر قال ابن العربي وهذا القول باطل قطعا لان قصص المتظاهرين قد رويت وليس في ذكر الكفارة عليهم ذكر بعود القول منهم والمعني ايضا ينقضه لان الله تعالي وصفه بانه منكر من القول وزور فكيف يقال اذا اعدت القول المحرم والسبب المحظور وجبت عليه الكفارة وهذا لا يعقل الا تري ان كل سبب يوجب الكفارة لا يشترط فيه الاعادة من قتل ووطي في صوم الخامس ان المعني ان يعزم علي امساكها فلا يطلقها بعد الظهار حتي يمضي زمن يمكن ان يطلقها فيه فهذا هو العود لما قال وهو مذهب الشافعي ومالك وابي حنيفة ايضا وقال العود هنا ليس تكرير القول بل بمعني العزم علي الوطء قال القرطبي وهذا ينتقض بثلاثة امور احدها انه قال ثم وهي للتراخي الثاني قوله ثم يعودون يقتضي وجود فعل من جهته ومرور الزمان ليس بفعل منه الثالث ان الطلاق الرجعي لا ينافي البقا علي الملك فلم يسقط حكم الظهار كالايلاء وقال مكي واللام متعلقة بيعودون اي يعودون لوطء المقول فيه الظهار وهن الازواج فما والفعل مصدر اي لمقولهم والمصدر في موضع المفعول به نحو هذا درهم ضرب الامير اي مضروبه فيصير المعني لقولهم للمقول فيه الظهار اي لوطئه وهذا معني قول الزمخشري في الوجه الثالث الذي تقدم تقريره عن الحسن والزهري ومالك الا ان مكيا قيد ذلك بكون ما مصدرية حتي يقع المصدر المؤول موضع اسم المفعول وفيه نظر اذ يجوز ذلك وان كانت ما غير مصدرية لكونها بمعني الذي او نكرة موصوفة بل جعلها غير مصدرية اولي لان المصدر المؤول فرع المصدر الصريح اذ الصريح اصل للمؤول به ووضع المصدر موضع اسم المفعول خلاف الاصل فيلزم الخروج عن الاصل بشيئين بالمصدر المؤول ثم وقوعه موقع اسم المفعول والمحفوظ من لسانهم انما هو وضع المصدر الصريح موضع المفعول لا المصدر المؤول فاعرفه لا يقال ان جعلها غير مصدرية يحوج الي تقدير حذف مضاف ليصح المعني به اي يعودون لوطء التي ظاهرتم منها او امراة ظاهرتم منها او يعودون لامساكها والاصل عدم الحذف لان هذا مشترك الالزام لنا ولكم فانكم تقولون ايضا لا بد من تقدير مضاف اي يعودون لوطء او لامساك المقول فيه الظهار وبه لعلي جواز كون ما في هذا الوجه غير مصدرية ما اشار اليه ابو البقا فانه قال يتعلق بيعودون بمعني يعودون للمقول فيه هذا ان جعلت ما مصدرية ويجوز ان تجعلها بمعني الذي ونكرة موصوفة الثاني ان اللام تتعلق بتحرير وفي هذا الكلام تقديم وتاخير والتقدير والذين يظاهرون من نسائهم فعليهم تحرير رقبة لما نطقوا به من الظهار ثم يعودون للوطء بعد ذلك وهذا ما نقله مكي وغيره عن الاخفش قال ابو حيان وليس بشي لانه يفسد نظم الاية وفيه نظر لانا لا نسلم فساد النظم مع دلالة المعني

علي

علي التقديم والتاخير ولكن نسلم ان ادعا التقديم والتاخير لا حاجة اليه لانه خلاف الاصل الثالث ان اللام بمعني الي واللام والي يتعاقبان قال تعالي هدانا لهذا وقال فاهدوهم الي صراط الجحيم وقال بان ربك اوحي لها وقال واوحي الي نوح قاله الاخفش الخامس انها متعلقة بيقولون قال مكي وقال قتادة ثم يعودون لما قالوا من التحريم فيحلونه فاللام علي هذا يتعلق بيقولون قال شهاب الدين ولا ادري ما هذا الذي قاله مكي وكيف فهم تعلقها بيقولون علي تفسير قتادة بل تفسير قتادة نص في تعلقها بيعودون وليس لتعلقها بيقولون وجه ونقل القرطبي عن الفرا قال اللام بمعني عن والمعني ثم يرجعون عما قالوا ويريدون الوطء وقال ابو مسلم العود هو ان تحلف اولا علي ما قال من لفظ الظهار فلو لم تحلف لم تلزمه كفارة كما لو قال في الماكول هو علي حرام كلحم الادمي فلا كفارة عليه فاذا حلف عليه لزمته كفارة يمين وهذا ضعيف لان الكفارة قد تجب بالاجماع في الحج وفي رمضان وفي قتل الخطا ولا يمين هناك **قوله** فتحرير رقبة اي فعليه اعتاق رقبة يقال حررته اي جعلته حرا ثم هذه الرقبة يجب ان تكون كاملة سالمة من كل عيب ومن كمالها اسلامها كالرقبة في كفارة القتل فان اعتق نصفي عبدين في معني العبد الواحد ولان الكفارة بالعتق طريقها المال فجاز ان يدخلها التبعيض كالاطعام ودليل الاول قوله فتحرير رقبة وهذا الاسم عبارة عن شخص واحد وبعض الرقبة ليس رقبة ولانه لو اوصي ان يعتق عنه رقبة لم يجز ان يعتق واحدهما نصفها ولو اوصي ان يشتري رقبة فيعتق عنه لم يجز ان يعتق عنه نصف عبدين كذا هنا وروي عن احمد رضي الله عنه ان كان باقيهما حرا صح واجزا والا فلا لان المقصود تكميل الحرية وقد كملت ولقوله عليه السلام ليس لله شريك فان اعتق مكاتبا عن الكفارة لم يجز وقال ابو حنيفة ان اعتقه قبل ان يودي شيا اجزاه وان اعتقه بعد ان ادي شيا لم يجزه فان اعتق ذا رحمه المحرم عن كفارته عتق ولم يجزه عن اليمين **قوله** من قبل ان يتماسا اي من قبل ان يجامعها فلا يجوز للظاهر الوطي قبل التكفير فان جامعها قبل التكفير عصي ولا يسقط عنه التكفير وحكي عن مجاهد انه اذا وطي قبل ان يشرع في التكفير لزمه كفارة اخري وعن غيره ان الكفارة الواجبة بالظهار تسقط عنه ولا يلزمه شي اصلا لان الله تعالي اوجب الكفارة وامر بها قبل المسيس فاذا اخرها حتي مس فقد فات وقتها والصحيح ثبوت الكفارة لانه بوطئه ارتكب اثما وذلك ليس بمسقط للكفارة ويأتي بها قضا كما لو اخر الصلوة عن وقتها وسوا كانت الكفارة بالعتق او الصوم او الاطعام وقال ابو حنيفة رضي الله عنه ان كانت بالاطعام جاز ان يطا ثم يطعم فاما غير الوطي من القبلة والمباشرة والتلذذ فلا يحرم في قول اكثر العلما **فصل** اذا ظاهر مرارا من امراته ولم يكفر فكفارة واحدة الا ان يكون قد كفر عن الاول فعليه للثاني كفارة قال وينبغي للمراة ان لا تدعه يقربها حتي يكفر فان تهاون بالتكفير حال الامام بينه وبينها ويجبره علي التكفير وان كان بالضرب حتي يوفيها حقها من الجماع قال الفقها ولا شي من الكفارات يجبر عليه ويحبس الا كفارة الظهار وحدها لان ترك التكفير اضرار بالمراة وامتناع من ايفاء حقها **قوله** تعالي فمن لم يجد فصيام وقوله تعالي فاطعام كقوله فتحرير في الاوجه الثلاثة المتقدمة ومن قبل متعلق بالفعل او الاستقرار المتقدم اي فيلزمه تحرير او صيام او فعليه كذا من قبل تماسهما والضمير في تماسا للظاهر والمظاهر منها لدلالة ما تقدم عليهما **فصل** من لم يجد الرقبة ولا ثمنها وكان مالكا لها الا انه شديد الحاجة اليها لخدمته او كان مالكا لثمنها الا انه يحتاج اليه لنفقته او كان له مسكن ليس له غيره ولا يجد شيا سواه فله ان يصوم وقال ابو حنيفة رضي الله عنه لا يصوم وعليه العتق ولو كان محتاجا الي ذلك والصيام الواجب في هذه الكفارة ان يصوم شهرين متتابعين فان افطر في اثنائهما بغير عذر استانفهما وان افطر لعذر من سفر او مرض فقال ابن المسيب والحسن وعطا ابن ابي رباح وعمرو بن دينار والشعبي يبني علي ما مضي وهو الصحيح من مذهب الشافعي فان ابتدا

الصيام ثم وجد الرقبة لم يلزمه الانتقال عنه لانه امر به حين دخل فيه وقال ابو حنيفة رضي الله عنه
يعتق قياسا على الصغيرة المعتدة بالشهور اذا رات الدم قبل انقضا عدتها فانها تستانف الحيض
اجماعا فان وطي المظاهر في خلال الشهرين نهارا ابطل التتابع وان وطي ليلا لم يبطل لانه ليس محلا
للصوم وقال ابو حنيفة رضي الله عنه ومالك يبطل بكل حال ويجب عليه ابتدا الكفارة لقوله تعالى
من قبل ان يتماسا وهذا اشترط عايد الى جملة الشهرين ومن طال مرضه طولا لا يرجى برؤه كان بمنزلة
العاجز من كبر فيجوز له العدول عن الصيام الى الاطعام فان كان يرجى برؤه واشتدت حاجته
الى وطي امراته فالاختيار له ان ينتظر البرء حتى يقدر على الصيام فلو كفر بالاطعام ولم ينتظر القدرة
على الصيام اجزاه فان ظاهر وهو موسر ثم اعسر قبل ان يكفر صام وانما ينظر الى حاله يوم يكفر
ولو جامعها في عدمه وعسره فلم يكفر حتى ايسر لزمه العتق ولو ابتدا بالصوم ثم ايسر قال القرطبي
رحمه الله فان كان مضى من صومه صدر صالح كالجمعة وشبهها تمادى وان كان يوما او
يومين ترك الصوم وعاد الى العتق وليس ذلك بواجب عليه ولو ظاهر من امراتين له فاعتق
رقبة عن احديهما لا بعينها لم يجز له وطي واحدة منهما حتى يكفر الكفارة الاخرى ولو عتق الكفارة
عن احديهما جاز له ان يطاها قبل ان يكفر الكفارة عن الاخرى قال القرطبي ولو ظاهر من اربع
نسوة فاعتق عنهن ثلاث رقاب وصام شهرين لم يجز العتق ولا الصيام لانه انما صام عن كل واحدة
خمسة عشر يوما فان كفر عنهن بالاطعام جاز ان يطعم عنهن مايتي مسكين وان لم يقدر فرق بخلاف
العتق والصيام لان صيام الشهرين لا يفرق والاطعام يفرق **قوله** تعالى فمن لم يستطع
فاطعام ستين مسكينا فصيام وفاطعام كقوله تعالى فتحرير في الاوجه الثلاثة المتقدمة
ومن قبل متعلق بالفعل او الاستقرار المتقدم اي فيلزمه تحريرا وصياما وفعله كذا من قبل
تماسهما والضمير في يتماسا للمظاهر والمظاهر منها لدلالة ما تقدم **فصل** اعلم ان
الله تعالى امر بكفارة الظهار مرتبة فلا سبيل الى الصيام الا عند العجز عن الاعتاق وكذلك لا
سبيل الى الاطعام الا عند عدم الاستطاعة على الصيام فمن لم يطق الصيام وجب عليه اطعام
ستين مسكينا لكل مسكين مد من طعام بمد النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عبد البر والافضل
مدان بمد النبي صلى الله عليه وسلم ولا يجزي عند مالك والشافعي رضي الله عنهما ان يطعم اقل
من ستين مسكينا وقال ابو حنيفة رضي الله عنه لو اطعم مسكينا واحدا كل يوم نصف صاع
حتى يكمل العدد اجزاه وعن احمد رضي الله عنه اذا لم يجد الا مسكينا واحدا ردد عليه بعدد
الايام **فصل** حكم الظهار ناسخ لما كانوا عليه من كون الظهار طلاقا روي ذلك عن ابن
عباس وابي قلابة وغيرهما **قوله** تعالى ذلك لتؤمنوا قال الزجاج وذلك فيه وجهان
الاول انه في محل رفع اي الفرض الذي ذلك وصفنا من التغليظ في الكفارة لتؤمنوا اي لتصدقوا
ان الله امر به الثاني فعلنا ذلك للبيان والتعليم للاحكام لتصدقوا بالله ورسوله صلى الله
عليه وسلم والعمل بشرايعه ولا تستمروا على احكام الجاهلية من جعل الظهار اقوى انواع الطلاق
فصل استدل بعض العلما على ان هذه الكفارة ايمان بالله تعالى لانه لما ذكرها
واوجبها قال جل ذكره لتؤمنوا بالله ورسوله اي ذلك لتكونوا مطيعين لله تعالى واقفين
عند حدوده لا تتعدوها فسمى التكفير ايمانا لانه طاعة ومراعاة للحد فثبت ان كل ما
اشبهه فهو ايمان **فصل** معنى قوله تعالى ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله اي لئلا تعودوا
للظهار الذي هو منكر من القول وزور قيل له هل يجوز ان يكون كلاهما مقصودا فيكون المعنى
ذلك لئلا تعودوا للظهار فتقولوا المنكر والزور بل تدعونهما طاعة لله سبحانه وتعالى اذ كان
قد حرمهما ولتجتنبوا المظاهر منها الى ان تكفروا اذا كان الله تعالى منع من مسيسها وتكفروا

اذ كان الله عز وجل امر بالكفارة والزم اخراجها منكم فتكونوا بهذا كله مومنين بالله ورسوله صلى
الله عليه وسلم لانها حدود تحفظونها وطاعات تؤدونها والطاعة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه
وسلم ايمان بالله ورسوله **فصل** قال ابن الخطيب استدل من ادخل العمل في مسمى
الايمان بهذه الاية فقال ان الله تعالى امرهم بهذه الاعمال وبين انه انما امرهم بها ليصيروا بعملها
مومنين فدل على ان العمل من الايمان ومن انكر ذلك قال انه تعالى لم يقل ذلك لتؤمنوا بالله بعمل
هذه الاشيا ونحن نقول المعنى ذلك لتؤمنوا بالله والاقرار بهذه الاحكام **فصل**
استدلت المعتزلة باللام في قوله تعالى لتؤمنوا على ان فعل الله معلل بالغرض وعلى ان غرضه ان
يومنوا ولا يستمروا على ما كانوا عليه من الكفر وهذا يدل على انه تعالى اراد منهم الايمان وعدم
الكفر **قوله** تعالى وتلك حدود الله اي بين معصيته وطاعته فمعصيته الظهار وطاعته
الكفارة وللكافرين عذاب اليم اي لمن جحد هذا او كذب به ولم يصدق باحكام الله تعالى عذاب
جهنم **قوله** تعالى ان الذين يحادون الله ورسوله قال المبرد اصل المحادة الممانعة
ومنه يقال للبواب حداد وللممنوع الرزق محدود وقال ابو مسلم الاصفهاني المحادة مفاعلة
من لفظ الحديد والمراد المقاتلة بالحديد سوا كان ذلك في الحقيقة او كان ذلك منازعة شديدة
شبيهة بالخصومة بالحديد **فصل** لما ذكر المومنين الواقفين عند حدوده ذكر
المحادين المخالفين لها قال المفسرون المحادة المعاداة والمخالفة في الحدود وهو كقوله تعالى ان
الذين يشاقون الله ورسوله وقيل يحادون الله اولياء الله كما في الخبر من اهان لي وليا فقد بارزني
بالمحاربة قال الزجاج المحادة ان يكون في حد يخالف حد صاحبك والضمير في قوله يحادون يمكن
ان يرجع الى المنافقين فانهم كانوا يوادون الكافرين ويظاهرونهم على الرسول صلى الله عليه وسلم
فاذلهم الله سبحانه ويحتمل ان يرجع لجميع الكفار فاعلم الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم انهم كبتوا
اي خذلوا قال المبرد رحمه الله يقال كبت الله فلانا اي اذله والمردود بالذل يقال له
مكبوت وقال ابو عبيدة والاخفش اهلكوا وقال قتادة اخزوا كما اخزي الذين من قبلهم
وقال ابن زيد عذبوا وقال السدي لعنوا وقال الفرا غيظوا يوم الخندق وقيل يوم بدر
وقيل معنى كبتوا اي سيكبتون وهو بشارة من الله تعالى للمومنين بالنصر واخرج الكلام بلفظ
الماضي تقريبا للمخبر عنه وقيل هي لغة مذحج ويحتمل ان يكون لتحقق وقوعه والمراد بالذين من
قبلهم اعدا الرسل صلوات الله عليهم وقد انزلنا ايات بينات فيمن حاد الله ورسوله من الذين
من قبلهم فيما فعلنا بهم وللكافرين بهذه الايات عذاب مهين يذهب بعزهم وكبرهم فبين الله
تعالى ان عذاب المحادين في الدنيا الذل والهوان وفي الاخرة العذاب الشديد **قوله**
تعالى يوم يبعثهم الله فيه اوجه احدها انه منصوب بعذاب مهين الثاني انه منصوب
بفعل مقدر فقدره ابو البقا يهانون او يعذبون او استقر ذلك يوم يبعثهم وقدره الزمخشري
باذكر قال تعظيما لليوم الثالث انه منصوب بلهم قاله الزمخشري اي بالاستقرار الذي تضمنه لوقوعه
خبرا الرابع انه منصوب باحصاه قاله ابو البقا وفيه قلق لان الضمير في احصاه يعود على
ما عملوا **قوله** تعالى جميعا اي الرجال والنسا اي كلهم لا يترك منهم احدا وقيل يجمعهم في
حال واحدة فينبيهم اي يخبرهم بما عملوا في الدنيا تخجيلا لهم وتوبيخا احصاه الله عليهم في صحايف
اعمالهم ونسوه هم حتى ذكرهم به في صحايفهم ليكون ابلغ في الحجة عليهم والله على كل شي شهيد اي
شاهد مطلع وناظر لا يخفى عليه شي ثم انه تعالى اكد بيان كونه عالما بكل المعلومات فقال
جل ذكره الم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض فلا يخفى عليه سر ولا علانية **قوله**
تعالى ما يكون من نجوى يكون تامة ومن نجوى فاعلها ومن مزيدة فيه ونجوى في الاصل مصدر

فيجوز ان يكون باقيا على اصله ويكون مضافا الى فاعله اي ما يوجد من تناجي ثلاثة ويجوز ان يكون
على حذف اي من ذوي نجوى ويجوز ان يكون اطلق على الاشخاص المتناجين مبالغة فعلى هذين
الوجهين يتخفض ثلاثة على احد وجهين اما البدل من ذوي المحذوف واما الوصف لها على التقدير
الثاني واما البدل او الصفة لنجوى على التقدير الثالث وقرا ابن ابي عبلة ثلاثة وخمسة نصبا على
الحال وفي صاحبها وجهان احدهما انه محذوف مع رافعه تقديره يتناجون ثلاثة وحذف
لدلالة نجوى والثاني انه الضمير المستكن في نجوى اذا جعلناها بمعنى المتناجين قاله الزمخشري
رحمه الله قال مكي ويجوز في الكلام رفع ثلاثة على البدل في موضع نجوى لان موضعها رفع ومن زائدة
ولو نصبت ثلاثة على الحال من الضمير المرفوع اذا جعلت نجوى بمعنى المتناجين جاز في الكلام
قال شهاب الدين فلا يقرا به فيما علمت وهو جائز في غير القرآن قال واما النصب فقد قرئ
به وكانه لم يطلع عليه **قوله** تعالى الا هو رابعهم الا هو سادسهم الا هو معهم كل هذه الجملة بعد
الا في موضع نصب على الحال اي ما يوجد شيء من هذه الاشياء الا في حال من هذه الاحوال
فالاستثناء مفرغ من الاحوال العامة وقرا ابو جعفر ما تكون بتاء التانيث لتانيث النجوى
قال ابو الفضل الا ان الاكثر في هذا الباب التذكير على ما في العامة لانه مسند الى من نجوى وهو
اسم جنس مذكر قال ابن جني التذكير الذي عليه العامة هو الوجه لوقوع الفاصل بين الفعل
والفاعل وهو كلمة من ولان تانيث النجوى غير حقيقي **قوله تعالى** ولا اكثر العامة
على الجر عطفا على لفظ نجوى وقرا الحسن والاعمش وابن ابي اسحق وابو حيوة ويعقوب ولا اكثر بالرفع
وفيه وجهان احدهما انه معطوف على موضع نجوى لانه مرفوع ومن مزيدة فيه فان كان مصدرا
كان على حذف مضاف كما تقدم اي من ذوي نجوى وان كان بمعنى المتناجين فلا حاجة الى ذلك
الثاني ان يكون ادنى مبتدا والا هو معهم خبره فيكون ولا اكثر عطفا على المبتدا وحينئذ يكون ولا
ادنى من باب عطف الجمل لا المفردات وقرا الحسن ويعقوب ايضا ومجاهد والخليل ولا اكبر بالباء
الموحدة والرفع على ما تقدم وقرا زيد بن علي ينبئهم بسكون النون من انبا الا انه حذف الهمزة وكسر
الهاء وقرئ كذلك الا انه باثبات الهمزة وضم الهاء والعامة بالتشديد من نبا **فصل**
النجوى التناجي وهو السرار وهو مصدر يوصف به يقال قوم نجوى اي ذوو نجوى قال تعالى
واذ هم نجوى قال الزجاج النجوى مشتقة من النجوة وهي ما ارتفع وتنحى بالكلام المذكور سرا المخفي
عن استماع الغير كالارض المرتفعة فانها لارتفاعها خلت عن اتصال الغير والسرار ما كان بين
اثنين **قوله** تعالى الا هو رابعهم اي يعلم ويسمع نجواهم بدليل افتتاح الاية بالعلم **فان
قيل** ما الحكمة في ذكره سبحانه وتعالى الثلاثة والخمسة واهمل ذكر الاربعة فالجواب
من وجوه الاول ان ذلك اشارة الى كمال الرحمة لان الثلاثة اذا اجتمعوا فاذا تناجى اثنان منهم
بقي الواحد ضائعا وحيدا فيضيق عليه ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا كنتم ثلاثة فلا
يتناجى اثنان دون الثالث الا باذنه فان ذلك يحزنه فكانه تعالى يقول انا جليسك وانيسك
وكذا الخمسة اذا اجتمعوا بقي الخامس وحيدا فريدا الثاني ان العدد الفرد اشرف من الزوج لان
الله تبارك وتعالى وتر يحب الوتر فخص اعداد الفرد بالذكر تنبيها على انه لا بد من رعاية الامور
الالهية في جميع الامور الثالث ان اقل ما لا بد منه في المشاورة التي يكون الغرض منها تمهيد مصلحة
ثلاثة حتى يكون الاثنان كالمتنازعين في النفي والاثبات والثالث كالحاكم بينهما فحينئذ تكمل المشورة
ويتم ذلك الغرض فلهذا السبب لا بد وان يكون ارباب المشورة عددهم فردا فذكر الله تعالى
الفردين الاولين واكتفى بذكرهما تنبيها على الباقي الرابع ان الاية نزلت في قوم من المنافقين اجتمعوا
على التناجي وكانوا على هذين العددين وقال ابن عباس رضي الله عنه نزلت هذه الاية في ربيعة

وجيب

وحبيب بن ابي عمرو وصفوان بن امية كانوا يتحدثون فقال احدهم هل يعلم الله تعالى ما نقول وقال
الثاني يعلم البعض الخامس انه في مصحف عبد الله بن عمر ما يكون من نجوى ثلاثة الا الله رابعهم ولا
اربعة الا الله خامسهم ولا خمسة الا الله سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا الله معهم اذا اخذوا
في التناجي **قوله** تعالى ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة اي يحاسب على ذلك ويجازي عليه
ان الله بكل شيء عليم وهذا تحذير من المعاصي وترغيب في الطاعات **قوله** تعالى الم تر
الى الذين نهوا عن النجوى الاية قيل هم اليهود وقيل هم المنافقون وقيل فريق من الكفار وقيل فريق من
المسلمين لما روى ابو سعيد الخدري رضي الله عنه قال كنا ذات ليلة نتحدث اذ خرج علينا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه النجوى فقلنا تبنا الى الله يا رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا كنا في ذكر المسيح يعني الدجال فرقا منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بما هو
اخوف عندي منه قلنا بلى يا رسول الله صلى الله عليك وسلم قال الشرك الخفي ان يقوم الرجل
يعمل لمكان رجل ذكره الماوردي وقال ابن عباس نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون
فيما بينهم وينظرون للمؤمنين ويتغامزون باعينهم فيقول المؤمنون لعلهم بلغهم عن اخواننا
وقرابتنا من المهاجرين والانصار قتل او مصيبة او هزيمة ويسوءهم ذلك وكثرت شكواهم الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهاهم عن النجوى فلم ينتهوا فنزلت الاية وقال مقاتل كان بين
النبي صلى الله عليه وسلم وبين اليهود موادعة فاذا مر بهم رجل من المؤمنين تناجوا بينهم حتى يظن المؤمن
شرا فيعرج عن طريقه فنهاهم الله سبحانه فلم ينتهوا فنزلت وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم
كان الرجل ياتي النبي صلى الله عليه وسلم فيسأله الحاجة ويناجيه والارض يومئذ حرب فيتوهمون
انه يناجيه في حرب او بلية او امر مهم فيفزعون لذلك فنزلت قال ابن الخطيب رحمه الله
والاولى ان تكون نزلت في اليهود لانه عز وجل حكى عنهم فقال واذا جاءوك حيوك بما لم يحيك
به الله وهذا انما وقع من اليهود كانوا اذا سلموا على الرسول صلى الله عليه وسلم قالوا السام عليك
يعنون الموت **قوله** ثم يعودون لما نهوا عنه اي يرجعون الى المناجاة التي نهوا عنها **قوله**
تعالى ويتناجون قرا حمزة وينتجون بغير الف من الانتجاء من النجوى على وزن يفتعلون والباقون
ويتناجون من التناجي من النجوى ايضا قال ابو علي والافتعال والتفاعل يجريان مجرى واحدا
ومن ثم صححوا ازدوجوا واعتوروا لما كانا في معنى تزاوجوا وتعاوروا وجاء اداركوا وادركوا
قال شهاب الدين ويؤيد قراءة العامة الاجماع على تناجيهم وفلا تتناجوا وتناجوا فهذه
من التفاعل لا غير الا ما روي عن عبد الله انه قرا اذا انتجيتم فلا تنتجوا ونقل ابو حيان عن
الكوفيين والاعمش فلا تنتجوا كقراءة عبد الله واصل ينتجون يفتعلون وتناجون فاستثقلت الضمة
على الياء فحذفت فالتقى ساكنان فحذفت لالتقائهما ويقول تحرك حرف العلة وانفتح ما قبله
فقلبت الفا فالتقى ساكنان فحذف اولهما وبقيت الفتحة دالة على الالف **قوله** تعالى
بالاثم والعدوان قرا ابو حيوة بالعدوان بكسر العين والمراد بالاثم والعدوان الكذب
والظلم ومعصية الرسول صلى الله عليه وسلم مخالفته وقرا الضحاك ومعصيات الرسول صلى الله
عليه وسلم **قوله تعالى** واذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله قال القرطبي لا خلاف بين
اهل النقل ان المراد به اليهود وكانوا اذا سلموا على النبي صلى الله عليه وسلم قالوا السام عليك
يعنون الموت كما روت عائشة رضي الله عنها ان اليهود اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليك
قال النبي صلى الله عليه وسلم عليكم فقالت عائشة رضي الله عنها السام عليكم ولعنة الله وغضبه عليكم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلا يا عائشة عليك بالرفق واياك والعنف والفحش قالت
اولم تسمع ما قالوا يا رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اولم تسمعي ما قلت رددت عليهم

يستجاب فيهم ولا يستجاب لهم فينا وقال النبي صلى الله عليه وسلم عند ذلك اذا سلم عليكم اهل الكتاب
فقولوا عليك ما قلت فانزل الله تعالى واذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله وروي انس رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم بالواو وقال
بعض العلما رضي الله عنهم ان الواو العاطفة تقتضي التشريك فيلزم منه ان يدخل معهم فيما يدعوا به
علينا من الموت او من سامة ديننا وهو الملال يقال سيم يسام سامة وساما وقال بعضهم
الواو زايدة كما زيدت في قول الشاعر فلما اجزنا ساحة الحي وانتحى اي لما اجزنا انتحى فزاد
الواو وقال اخرون هي للاستيناف كانه قال والسام عليكم وقال اخرون هي على بابها من
العطف ولا يضرنا ذلك لانا نجاب عليهم ولا يجابون علينا كما تقدم في قوله صلى الله عليه وسلم
لعايشة رضي الله عنها **فصل** اختلفوا في رد السلام على اهل الذمة فقال ابن
عباس والشعبي وقتادة هو واجب لظاهر الامر بذلك وقال مالك رضي الله عنه ليس بواجب
فان رددت فقل عليك وقال بعضهم تقول في الرد علاك السلام اي ارتفع عنك وقال بعض المالكية
تقول في الرد السلام عليك بكسر السين يعني الحجارة **قوله تعالى** ويقولون في انفسهم لولا
يعذبنا الله هذه الجملة التحضيضية في موضع نصب بالقول ومعنى الاية ان اليهود لعنهم الله
كانوا يقولون السام عليك ويوهمون انهم يسلمون وكان صلى الله عليه وسلم يرد عليهم بقوله عليكم
فاذا خرجوا قالوا لولا يعذبنا الله اي هلا يعذبنا الله بما نقول اي لو كان نبيا لعذبنا الله بما
نقول وقيل قالوا انه يرد علينا ويقول وعليكم السام فلو كان نبيا لاستجيب له فينا ومتنا وهذا
موضع تعجب منهم فانهم كانوا اهل الكتاب وكانوا يعلمون ان الانبيا صلوات الله عليهم قد يغضبوا
فلا يعاجل من يغضبهم بالعذاب **قوله** تعالى حسبهم جهنم اي كافيهم جهنم عقابا غدا يصلونها
فبيس المصير **قوله** تعالى يايها الذين امنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان
اي كفعل المنافقين واليهود قال مقاتل اراد بقوله امنوا المنافقين امنوا بلسانهم وقال
عطا يريد الذين امنوا بزعمهم قال لهم لا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول صلى الله
عليه وسلم وقيل يايها الذين امنوا بموسى صلوات الله عليه **قوله** تعالى وتناجوا بالبر والتقوى
المراد بالبر الطاعة وبالتقوى العفاف عما نهى الله عنه واتقوا الله الذي اليه تحشرون اي تجمعون
في الاخرة **قوله** تعالى انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين امنوا تقدم قراتا ليحزن بالضم
والفتح في آل عمران وقري بفتح اليا والزاي وعطا انه مسند الى الموصول بعده فيكون فاعلا **فصل**
قال ابن الخطيب الالف واللام في لفظ النجوى لا يمكن ان يكون للاستغراق لان في النجوي ما يكون
من الله ولله بل المراد منه المعهود والسابق وهو النجوى بالاثم لحزن المومنين اذا راوهم متناجين
قال المفسرون معنى قوله تعالى انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين امنوا اذا توهموا ان المسلمين
اصيبوا في السرايا او اذا راوا اجتماعهم على مكايد المسلمين وربما كانوا يناجون النبي صلى الله عليه وسلم
فيظن المسلمون انهم ينتقصونهم عند النبي صلى الله عليه وسلم وليس بضارهم اي التناجي شيا الا
باذن الله اي بمشيته وقيل بعلمه وعن ابن عباس رضي الله عنه بامره وعلى الله فليتوكل المومنون
اي يكلون امرهم اليه ويفوضون جميع شونهم الى عونه **فصل** روى ابن عمر ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كان ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الواحد وعن عبد الله بن
مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الاخر حتى
تختلطوا بالناس من اجل ان يحزنه فبين في هذا الحديث غاية المنع وهو ان يجد الثالث من يتحدث
معه كما فعل ابن عمر وذلك انه كان يتحدث مع رجل فجا اخر يريد ان يناجيه فلم يناجيه حتى دعا
رابعا فقال له وللاول تاخرا وناجا الرجل الطالب للمناجاه خرجه في الموطا وفيه تنبيه على التعليل

بقوله

بقوله من اجل ان يحزنه اي يقع في نفسه ما يحزن لاجله وذلك بان يقدر في نفسه ان الحديث عنه
بما يكره او انه لم يروه اهلا بان يشركوه في حديثهم الى غير ذلك من القيات الشيطان واحاديث
النفس وتحصل ذلك كله من بقايه وحده فاذا كان معه غيره امن ذلك وعلى هذا يستوي في ذلك كل
الاعداد فلا يتناجى اربعة دون واحد ولا عشرة ولا الف مثلا لوجود ذلك المعنى في حقه بل وجوده
في العدد الكثير امكن واوقع فيكون بالمنع اولى وانما خص الثلاثة بالذكر لانه اول عدد يتاتى
ذلك فيه قال القرطبي ظاهر الحديث يعم جميع الازمان والاحوال وذهب اليه ابن عمر ومالك
والجمهور وسوا كان التناجي في مندوب او مباح او واجب فان الحزن به وقد ذهب بعض
الناس الى ان ذلك في اول الاسلام لان ذلك كان حال المنافقين فيتناجى المنافقون دون
المومنين فلما فشى الاسلام سقط ذلك وقال بعضهم ذلك خاص بالسفر وفي المواضع التي
لا يامن الرجل فيها صاحبه فاما في الحضر وبين العمارة فلا لانه يجد من يغيثه بخلاف السفر فانه
مظنة الاغتيال وعدم المغوث والله اعلم **قوله** تعالى يايها الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا
في المجلس الاية وجه التعلق لما نهى المومنين عما يكون سببا للتباغض والتنافر امرهم الان بما يصير
سببا لزيادة المحبة والمودة وقال القرطبي لما بين ان اليهود يحيونه بما لم يحيه به الله وذمهم على
ذلك وصل به الامر بتحسين الادب في مجالسة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لا يضيقوا عليه
المجلس وامر المسلمين بالتعاطف والتالف حتى يفسح بعضهم لبعض حتى يتمكنوا من الاستماع من
رسول الله صلى الله عليه وسلم والنظر اليه **فصل** قال قتادة ومجاهد والضحاك رضي الله
عنهم كانوا يتنافسون في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم فامرهم ان يفسح بعضهم لبعض وقال
ابن عباس المراد بذلك مجالس القتال اذا اصطفوا للحرب قال الحسن ويزيد بن ابي حبيب كان النبي
صلى الله عليه وسلم اذا قاتل المشركين تشاح اصحابه رضي الله عنهم على الصف الاول فلا يوسع
بعضهم لبعض رغبة في القتال والشهادة فنزلت فيكون كقوله تعالى مقاعد للقتال وقال
مقاتل كان النبي صلى الله عليه وسلم في الصفة وكان في المكان ضيق وكان يكرم اهل بدر من
المهاجرين والانصار فجا ناس من اهل بدر وقد سبقوا الى المجلس فقاموا قبال النبي صلى الله عليه
وسلم على ارجلهم ينتظرون ان يوسع لهم فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يحملهم على القيام
وشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لمن حوله من غير اهل بدر قم يا فلان بعدد
القايمين من اهل بدر فشق ذلك على من قام وعرف النبي صلى الله عليه وسلم الكراهية في وجوههم
فقال المنافقون والله ما عدل على هولاء ان قوما اخذوا مجالسهم واحبوا القرب منه فاقامهم واجلس
من ابطا فنزلت الاية يوم الجمعة وروي عن ابن عباس قال نزلت الاية في ثابت بن قيس بن شماس وذلك
انه دخل المسجد وقد اخذ القوم مجالسهم وكان يريد القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم للوقر
الذي كان في اذنيه فوسعوا له حتى قرب من النبي صلى الله عليه وسلم ثم ضايقه بعضهم وجرى بينهم
وبينه كلام ووصف للنبي صلى الله عليه وسلم محبته للقرب منه ليسمع كلامه وان فلانا لم يفسح له فنزلت
هذه الاية **قوله** تعالى تفسحوا في المجلس قرا الحسن وداود بن ابي هند وعيسى وقتادة تفاسحوا
والباقون تفسحوا اي توسعوا والفسحة السعة وفسح له اي وسع له ومنه قولهم بلد فسيح ولك في
كذا فسحة وفسح يفسح مثل منع يمنع اي وسع في المجلس وفسح يفسح فساحة مثل كرم يكرم اي صار
واسعا ومنه مكان فسيح وقرا عاصم في المجالس جمعا اعتبارا بان لكل واحد منهم مجلسا والباقون بالافراد
اذ المراد مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم وهو احسن من كونه واحدا اريد به الجمع وقري في المجلس بفتح
اللام وهو المصدر اي تفسحوا في جلوسكم ولا تتضايقوا **فصل** قال القرطبي الصحيح في
الاية انها عامة في كل مجلس اجتمع المسلمون فيه للخير والاجر سوا كان مجلس حرب او ذكر او مجلس يوم

الجمعة وان كل واحد احق بمكانه الذي سبق اليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبق الى ما لم يسبق اليه فهو احق به ولكن يوسع لاخيه ما لم يتأذ بذلك فيخرجه الضيق عن موضعه روى البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى ان يقام الرجل من مجلسه ويجلس فيه آخر ولكن تفسحوا وتوسعوا وكان ابن عمر يكره ان يقيم الرجل من مجلسه ثم يجلس مكانه وروى ابو هريرة عن جابر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقيمن احدكم اخاه يوم الجمعة ثم يخالف الى مقعده فيقعد فيه ولكن يقول افسحوا

فصل اذا قام من مكانه فقعد فيه غيره نظرنا فان كان الموضع الذي قام اليه مثل الاول في سماع كلام الامام لم يكره له ذلك وان كان ابعد من الامام كره له ذلك لان فيه تفويت حظه

فصل اذا امر رجل انسانا ان يبكر الى الجامع فيأخذ له مكانا يقعد فيه لا يكره فاذا جاء الآمر يقوم من الموضع لان ابن سيرين كان يرسل غلامه الى مجلس له في يوم الجمعة فيجلس فيه فاذا جاء قام له منه وعلى هذا من ارسل بساطا او سجادة فيبسط له في موضع من المسجد وروى مسلم عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قام احدكم وفي حديث ابي عوانة من قام من مجلسه ثم رجع اليه فهو احق به ذكره القرطبي في تفسيره

قوله تعالى يفسح الله لكم قال ابن الخطيب هذا مطلق فيما يطلب الناس الفسحة فيه من المكان والرزق والصدر والقبر والجنة قال ولا ينبغي للعاقل ان يقيد الاية بالتفسح في المجلس بل المراد منه ايصال الخير الى المسلم وادخال السرور في قلبه

قوله تعالى فاذا قيل انشزوا فانشزوا قرأ نافع وابن عامر وحفص وابو بكر بخلاف عنه بضم شين انشزوا في الحرفين والباقون بكسرها وهما لغتان بمعنى واحد يقال نشز اي ارتفع ينشز وينشز كعرش يعرش ويعرش وعكف يعكف ويعكف وتقدم الكلام على هذه في المائدة وفي البقرة

فصل قال ابن عباس معناه اذا قيل لكم ارتفعوا فارتفعوا قال مجاهد والضحاك اذا نودي للصلاة فقوموا اليها وذلك ان رجالا تثاقلوا عن الصلاة فنزلت وقال الحسن ومجاهد ايضا اي انهضوا الى الحرب وقال ابن زيد والزجاج هذا في بيت النبي صلى الله عليه وسلم كان كل رجل منهم يحب ان يكون آخر عهده بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال الله تعالى واذا قيل انشزوا عن النبي صلى الله عليه وسلم فانشزوا فان له حوائج فلا تمكثوا وقال قتادة معناه اجيبوا اذا دعيتم الى امر بالمعروف قال القرطبي وهذا هو الصحيح لانه يعم والنشز والارتفاع مأخوذ من نشز الارض وهو ارتفاعها

قوله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم بطاعتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيامهم في مجالسهم وتوسعهم لاخوانهم وقوله تعالى والذين اوتوا العلم يجوز ان يكون معطوفا على الذين آمنوا فهو من عطف الخاص على العام لان الذين اوتوا العلم بعض المؤمنين منهم ويجوز ان يكون والذين اوتوا من عطف الصفات لذات واحدة كأنه قيل يرفع الله المؤمنين العلماء ودرجات مفعول ثان وقد تقدم الكلام على نحو ذلك في الانعام وقال ابن عباس رضي الله عنه تم الكلام عند قوله تعالى منكم وينتصب الذين اوتوا بفعل مضمر اي ويخص الذين اوتوا العلم بدرجات او ويرفع درجات

فصل قال المفسرون في هذه الاية ان الله تعالى رفع المؤمن على من ليس بمؤمن والعالم على من ليس بعالم قال ابن مسعود رضي الله عنه مدح الله العلماء في هذه الاية والمعنى ان الله تعالى يرفع الذين اوتوا العلم على الذين آمنوا ولم يؤتوا العلم درجات في دينهم اذا فعلوا ما امروا به وقيل كان اهل الغنى يكرهون ان يزاحمهم من يلبس الصوف فيسبقون الى مجلس النبي صلى الله عليه وسلم فالخطاب لهم ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من الاغنياء يقبض ثوبه نفورا من بعض الفقراء اراد ان يجلس اليه فقال يا فلان اخشيت ان يتعدى غناك اليه او فقره اليك وبين في هذه الاية ان الرفعة عند الله تعالى بالعلم

والايمان

والايمان لا بالسبق الى صدور المجالس وقيل اراد بالذين اوتوا العلم الذين قرأوا القرآن وروى يحيى ابن يحيى عن مالك رضي الله عنه يرفع الله الذين آمنوا منكم الصحابة والذين اوتوا العلم درجات يرفع الله تعالى بها العالم والطالب قال القرطبي ثبت في الصحيح ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقدم عبد الله بن عباس على الصحابة فكلموه في ذلك فدعاهم ودعاه فسألهم عن تفسير اذا جاء نصر الله والفتح فسكتوا فقال ابن عباس هو اجل رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلمه الله اياه فقال عمر ما اعلم منها الا ما تعلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفع يوم القيامة ثلاثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء فاعظم بمنزلة هي واسطة بين النبوة والشهادة بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس خير سليمان صلوات الله عليه بين العلم والمال والملك فاختار العلم فاعطي المال والملك معه ومر النبي صلى الله عليه وسلم بمجلسين في مسجده احد المجلسين يدعون الله ويرغبون اليه والآخر يتعلمون الفقه ويعلمونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا المجلسين على خير واحدهما افضل من صاحبه اما هؤلاء فيدعون الله عز وجل ويرغبون اليه واما هؤلاء فيتعلمون الفقه ويعلمون الجاهل هؤلاء افضل وانما بعثت معلما ثم جلس فيهم

قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة الاية قال ابن عباس رضي الله عنه في سبب النزول ان المسلمين كانوا يكثرون المسائل على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شقوا عليه فانزل الله تعالى هذه الاية فكف كثير من الناس وقال الحسن ان قوما من المسلمين كانوا يستخلون بالنبي صلى الله عليه وسلم يناجونه فظن بهم قوم من المسلمين انهم ينتقصونهم في النجوى فشق عليهم ذلك فامرهم الله تعالى بالصدقة عند النجوى ليقطعهم عن استخلائه وقال زيد بن اسلم ان المنافقين واليهود كانوا يناجون النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون انه اذن يسمع كل ما قيل له وكان لا يمنع احدا مناجاته فكان ذلك يشق على المسلمين لان الشيطان كان يلقي في انفسهم انهم يناجونه بان جموعا اجتمعت لقتاله فانزل الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول الاية فانتهى اهل الباطل عن النجوى لانهم لم يقدموا بين يدي نجواهم صدقة وشق ذلك على اهل الايمان وامتنعوا من النجوى لضعف مقدرة كثير منهم عن الصدقة فخفف الله تعالى عنهم بما بعد الاية قال ابن العربي وهذا الخبر يدل على ان الاحكام لا تترتب بحسب المصالح فان الله تعالى قال ذلكم خير لكم واطهر ثم نسخه مع كونه خيرا واطهر وهذا يرد على المعتزلة في التزام المصالح

فصل ظاهر الاية يدل على ان تقديم الصدقة كان واجبا لان الامر للوجوب ويؤكد ذلك قوله تعالى بعده فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم وذلك لا يقال الا فيما بفقده يزول وجوبه وقيل كان مندوبا لقوله تعالى ذلك خير لكم واطهر وهذا انما يستعمل في التطوع لا في الواجب ولانه لو كان واجبا لما ازيل وجوبه بكلام متصل به وهو قوله تعالى أأشفقتم ان تقدموا الى آخر الاية واجيب عن الاول ان المندوب كما يوصف بانه خير واطهر فكذلك ايضا يوصف به الواجب وعن الثاني انه لا يلزم من اتصال الآيتين في التلاوة كونهما متصلتين في النزول كما قيل في الاية الدالة على وجوب الاعتداد اربعة اشهر وعشرا انها ناسخة للاعتداد بحول وان كان الناسخ متقدما في التلاوة على المنسوخ

فصل اختلفوا في مقدار تأخر الناسخ عن المنسوخ في هذه الاية فقال الكلبي رحمه الله ما بقي ذلك التكليف الا ساعة من نهار ثم نسخ وقال مقاتل وابن حيان بقي ذلك التكليف عشرة ايام ثم نسخ لما روي عن علي رضي الله عنه انه قال ان في كتاب الله لاية ما عمل بها احد قبلي ولا يعمل بها احد بعدي كان لي دينار فاشتريت

به عشرة دراهم وكلما ناجيت النبي صلى الله عليه وسلم قدمت بين يدي نجواي درهما ثم نسخت فلم يعمل
بها احد وروي عن ابن جريج والكلبي وعطا عن ابن عباس رضي الله عنهم انهم نهوا عن المناجاة
حتى يتصدقوا فلم يناج احد الا علي تصدق بدينار ثم نزلت الرخصة وقال ابن عمر لقد كانت لعلي
رضي الله عنه ثلاثة لو كانت لي واحدة منهن كانت احب الي من حمر النعم تزويجه فاطمة رضي الله عنها
واعطاوه الراية يوم خيبر وآية النجوى ذلك خير لكم من امسا كها واطهر لقلوبكم من المعاصي
فان لم تجدوا يعني الفقرا فان الله غفور رحيم روى الترمذي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه
قال لما نزلت يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة سألت النبي
صلى الله عليه وسلم عنها فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما ترى دينار قلت لا يطيقونه قال
فنصف دينار قلت لا يطيقونه قال فكم قلت شعيرة قال انك لزهيد فنزلت اأشفقتم ان تقدموا
الآية ومعنى قوله شعيرة من ذهب ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم انك لزهيد اي لقليل
المال فقدرت على حسب حالك قال ابن العربي وهذا يدل على نسخ العبادة قبل فعلها وعلى النظر
في المقدرات بالقياس قال القرطبي والظاهر ان النسخ انما وقع بعد فعل الصدقة كما تقدم
فصل انكر ابو مسلم وقوع النسخ وقال ان المنافقين كانوا يمتنعون عن بذل الصدقات وقال
وان قوما من المنافقين كانوا يمتنعون عن بذل الصدقات وان قوما من المنافقين تركوا
النفاق وامنوا ظاهرا وباطنا ايمانا حقيقيا فاراد الله تعالى ان يميزهم عن المنافقين فامر
بتقديم الصدقة على النجوى ليتميز هولاء الذين امنوا عن من بقي على نفاقه الاصلي فلما كان
هذا التكليف لاجل هذه المصلحة المقدرة بذلك الوقت لا جرم تقدر هذا التكليف بذلك
الوقت قال ابن الخطيب فحاصل قول ابي مسلم ان ذلك التكليف مقدر بغاية مخصوصة فوجب
انتهاوه عند الانتها الى تلك الغاية المخصوصة ولا يكون هذا نسخا قال وهذا كلام حسن
والمشهور عند الجمهور انه منسوخ بقوله اأشفقتم وقيل انه منسوخ بوجوب الزكوة **قوله**
تعالى اأشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات هذا استفهام معناه التقرير قال ابن
عباس رضي الله عنه اأشفقتم اي ابخلتم بالصدقة وقيل خفتم والاشفاق الخوف من المكروه
اي خفتم ابخلتم بالصدقة وشق عليكم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات **قوله** تعالى
فاذ لم تفعلوا في اذ هذه ثلاثة اقوال احدها انها على بابها من المضي والمعنى انكم تركتم ذلك
فيما مضى فتداركوه باقامة الصلوة قاله ابو البقا الثاني انها بمعنى اذا كقوله تعالى اذ الاغلال
وتقدم الكلام فيه الثالث انها بمعنى ان الشرطية وهو قريب مما قبله الا ان الفرق بين ان واذا
معروف **فصل** المعنى فاذ لم تفعلوا ما امرتم به وتاب الله عليكم اي ونسخ الله تعالى
ذلك الحكم ورخص لكم في ان لا تفعلوا فلا تفرطوا في الصلوة والزكوة وساير الطاعات وهذا
خطاب لمن وجد ما يتصدق به فهذا يدل على جواز النسخ قبل الفعل قال القرطبي وما روي
عن علي رضي الله عنه ضعيف لان الله تعالى قال فاذ لم تفعلوا وهذا يدل على ان احدا لم
يتصدق بشي **فان قيل** ظاهر الآية يدل على تقصير المومنين في ذلك التكليف وبيانه
من وجوه الاول قوله تعالى اأشفقتم ان تقدموا يدل على تقصيرهم الثاني قوله تعالى
فاذ لم تفعلوا الثالث قوله عز وجل وتاب الله عليكم فالجواب قال ابن الخطيب ليس الامر كما
قلتم لان القوم لم يكلفوا بان يقدموا على الصدقة ويشتغلوا بالمناجاة بل امروا بانهم لو ارادوا
المناجاة فلا بد من تقديم الصدقة فمن ترك المناجاة لا يكون مقصرا واما لو قيل بانهم ناجوا من
غير تقديم الصدقة فهذا ايضا غير جايز لان المناجاة لا تمكن الا اذا امكن الرسول صلى الله
عليه وسلم من المناجاة فاذا لم يمكن من ذلك لم يقدروا على المناجاة فعلمنا ان الآية لا تدل

وقال

علي صدور التقصير منهم فاما قوله تعالى اأشفقتم فلا يمتنع ان انه تعالى علم ضيق صدر كثير
منهم عن اعطا الصدقة في المستقبل لو دام الوجوب فقال هذا القول واما قوله عز وجل وتاب
عليكم فليس في الآية انه تاب عليهم من هذا التقصير بل يحتمل انكم ان كنتم تائبين راجعين الى الله تعالى
واقمتم الصلوة واتيتم الزكوة فقد كفاكم هذا التكليف **قوله** تعالى والله خبير بما تعملون
روي عن ابي عمرو وخبير بما يعملون بالياء من تحت والمشهور عنه كالجماعة بتا الخطاب والمعنى محيط
باعمالكم ونياتكم **قوله** تعالى الم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم قال قتادة هم
المنافقون تولوا اليهود وقال السدي ومقاتل هم اليهود ما هم منكم ولا منهم يعني المنافقين ليسوا
من المومنين في الدين والولاء ولا من اليهود والكافرين كما قال جل ذكره مذبذبين بين ذلك
لا الى هولاء ولا الى هولاء ويحلفون على الكذب وهم يعلمون قال السدي ومقاتل رضي الله
عنهما نزلت في عبد الله بن ابي بن سلول وعبد الله بن نبتل المنافقين كان احدهما يجالس رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم يرفع حديثه الى اليهود فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجرة
من حجره اذ قال يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعيني شيطان فدخل عبد الله
ابن نبتل وكان ازرق اسمر قصيرا خفيف اللحية فقال له النبي صلى الله عليه وسلم علام تشتمني
انت واصحابك فحلف بالله تعالى ما فعل وجا باصحابه فحلفوا بالله ما شتموه فانزل الله تعالى
هذه الآية تعالى عز وجل ويحلفون على الكذب وهم يعلمون انهم كذبة قال ابن الخطيب رحمه
الله والمراد من هذا الكذب اما ادعاوهم كونهم مسلمين واما انهم كانوا يسبون الله سبحانه
وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ويكيدون المسلمين فاذا قيل لهم انكم فعلتم ذلك خافوا على
انفسهم من القتل فيحلفون انهم ما قالوا ذلك وما فعلوه فهذا هو الكذب الذي يحلفون عليه وهذه
الآية تدل على فساد قول الجاحظ ان الكذب هو الخبر المخالف لاعتقاد المخبر **قوله** تعالى
ما هم منكم ولا منهم يجوز في هذه ثلاثة اوجه احدها انها مستانفة لا موضع لها من الاعراب
اخبر عنهم بانهم ليسوا من المومنين الخلص بل كقوله تعالى مذبذبين بين ذلك لا الى هولاء ولا
الى هولاء فالضمير في ما هم عايد على الذين تولوا وهم المنافقون وفي منهم عايد على اليهود اي
الكافرين الخلص والثاني انها حال من فاعل تولوا والمعنى على ما تقدم ايضا والثالث انها صفة
ثانية لقوما فعلى هذا يكون الضمير في ما هم عايدا على قوما وهم اليهود والضمير في منهم عايد على الذين
تولوا يعني اليهود ليسوا منكم ايها المومنون ولا من المنافقين ومع ذلك تولاهم المنافقون قاله ابن
عطية الا ان فيه تنافر الضماير فان الضمير في ويحلفون عايد على الذين تولوا فعلى الوجهين الاولين
تتحد الضماير لعودها على الذين تولوا وعلى الثالث تختلف كما عرفت وقوله وهم يعلمون جملة حالية
اي يعلمون انه كذب فيمينهم يمين غموس لا عذر لهم فيها **قوله** تعالى اعد الله لهم عذابا شديدا
اي لهولاء المنافقين عذابا شديدا في جهنم وهو الدرك الاسفل من النار وقيل عذاب القبر قال
ابن الخطيب لانا اذا حملنا هذا على عذاب القبر وحملنا قوله جل ذكره فلهم عذاب مهين على عذاب
الآخرة لا يلزم منه تكرار انهم ساء ما كانوا يعملون اي بيست الاعمال اعمالهم **قوله** تعالى
اتخذوا ايمانهم جنة قرا العامة ايمانهم بفتح الهمزة جمع يمين والحسن وابو العالية بكسرها مصدرا
هنا وفي المنافقين اي اقرارهم اتخذوه جنة يستجنون بها من القتل قال ابن جني هذا على حذف
مضاف اي اتخذوا اظهار ايمانهم جنة من ظهور نفاقهم وقوله تعالى ايمانهم جنة مفعولا اتخذوا
قوله تعالى فلهم عذاب مهين في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالنار وقيل المراد من الكل عذاب
الآخرة كقوله عز وجل الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب والصد عن
سبيل الله هو المنع عن الاسلام وقيل القا الاراجيف وتثبيط المسلمين عن الجهاد **قوله** تعالى

لن تغني عنهم تقدم الكلام عليه في آل عمران قال مقاتل رحمه الله قال المنافقون ان محمدا يزعم انه
ينصر يوم القيمة لقد شقينا اذن فوالله لننصرن يوم القيمة بانفسنا واموالنا واولادنا ان كانت
قيامة فنزلت الاية **قوله** تعالى يوم يبعثهم الله جميعا اي لهم عذاب مهين يوم يبعثهم الله فيحلفون
له كما يحلفون لكم اليوم قال ابن عباس يحلفون لله تعالى يوم القيمة كذبا كما حلفوا لاوليائه في الدنيا وهو
قولهم والله ربنا ما كنا مشركين ويحسبون انهم على شيء بانكارهم وحلفهم قال ابن زيد ظنوا انهم ينفعهم في
الاخرة وقيل يحسبون في الدنيا انهم على شيء لانهم في الاخرة يعلمون الحق باضطرار والاول اظهر والمعنى
انهم لشدة توغلهم في النفاق ظنوا يوم القيمة انه يمكنهم ترويج كذبهم بالايمان الكاذبة على علام
الغيوب واليه الاشارة بقوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه قال القاضي والجبائي ان اهل
الاخرة لا يكذبون فالمراد من الاية انهم يحلفون في الاخرة انا ما كنا كافرين عند انفسنا وعلى هذا
الوجه لا يكون هذا الحلف كذبا وقوله تعالى الا انهم هم الكاذبون اي في الدنيا قال ابن الخطيب وتفسير
هذه الاية على هذا الوجه يفضي الى ركاكة عظيمة في النظم وقد استقصينا هذه المسئلة في سورة
الانعام عند قوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين روى ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ينادي مناد يوم القيمة اين خصماء الله تعالى فتقوم القدرية مسودة وجوههم مزرقة اعينهم
مائل شدقهم يسيل لعابهم فيقولون والله ما عبدنا من دونك شمسا ولا قمرا ولا صنما ولا اتخذنا
من دونك الها قال ابن عباس صدقوا والله اتاهم الشرك من حيث لا يعلمون ثم تلا ويحسبون انهم على
شيء الا انهم هم الكاذبون هم والله القدرية ثلاثا **قوله** تعالى استحوذ جاء به على الاصل وهو
فصيح استعمالا وان شذ قياسا وقد اخرجه عمر رضي الله عنه على القياس فقرا استحاذ كما استفاد وتقدمت
هذه المادة في النساء في قوله تعالى الم نستحوذ قال الزجاج استحوذ في اللغة استولى يقال حاذت
الابل اذا استوليت عليها وجمعتها وقال المبرد استحوذ على الشيء حواه واحاط به قيل المعنى غلب عليهم
الشيطان بوسوسته في الدنيا وقيل قوي عليهم فانساهم ذكر الله اي اوامره في العمل بطاعته وقيل
زواجره في النهي عن معصيته والنسيان قد يكون بمعنى الغفلة ويكون بمعنى الترك والوجهان محتملان
ههنا اولئك حزب الشيطان طائفته ورهطه الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون في بيعهم لانهم باعوا
الجنة بجهنم وباعوا الهدى بالضلالة **فصل** احتج القاضي بهذه الاية في خلق الاعمال
في وجهين الاول ان ذلك النسيان لو حصل بخلق الله تعالى لكانت اضافته الى الشيطان كذبا الثاني
لو حصل ذلك بخلق الله لكانوا كالمؤمنين في كونهم حزب الله لا حزب الشيطان **قوله** تعالى
ان الذين يحادون الله ورسوله تقدم اول السورة اولئك في الاذلين اي من جملة الاذلاء لا اذل
منهم لان ذلك احد الخصمين يدل على عز الخصم الثاني فلما كانت عزة الله تعالى غير متناهية كانت
ذلة من ينازعه غير متناهية ايضا **قوله** تعالى كتب الله لاغلبن يجوز ان يكون كتب
جرى مجرى القسم فاجيب بما يجاب به وقال ابو البقا وقيل هي جواب كتب لانه بمعنى قال وهذا
ليس بشيء لان قال لا يقتضي جوابا فصوابه ما تقدم ويجوز ان يكون لاغلبن جواب قسم مقدر وليس
بظاهر **فصل** قال المفسرون كتب الله اي قضى الله ذلك وقيل كتب في اللوح المحفوظ
قاله قتادة وقال الفرا كتب بمعنى قال وقوله انا تاكيد ورسلي من بعث منهم بالحرب فان الرسول
صلى الله عليه وسلم بالحرب غالب ومن بعث منهم بالحجة غالب ايضا فاذا انضم الى الغلبة بالحجة الغلبة
بالحرب كان اغلب واقوى قال مقاتل قال المؤمنون لئن فتح الله لنا مكة والطايف وخيبر وما حولهن
رجونا ان يظهرنا الله تعالى على فارس والروم فقال عبد الله بن ابي سلول اتظنون الروم وفارس كبعض
القرى التي غلبتم عليها والله انهم لاكثر عددا واشد بطشا من ان تظنوا فيهم ذلك فنزلت لاغلبن انا ورسلي
ونظيره ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون قوله

تعالى ورسلي قرا نافع وابن عامر بفتح اليا والباقون لا يحركون قال ابو علي التحريك والاسكان جميعا
حسنان وقوله تعالى ان الله قوي عزيز قوي على نصرة انبيائه عزيز غالب لا يدفعه احد عن مراده
قوله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله يوادون
هو المفعول الثاني لتجد ويجوز ان يكون المتعدية لواحد بمعنى صادف ولقي فيكون يوادون حالا او
صفة لقوما ومعنى يوادون اي يحبون ويوالون من حاد الله ورسوله وقد تقدم الكلام على المحادة
والمعنى انه لا يجتمع الايمان مع وداد اعداء الله **فان قيل** اجمعت الامة على انه يجوز
مخالطتهم ومعاملتهم ومعاشرتهم فما هذه المودة المحرمة فالجواب ان المودة المحرمة هي ارادة
منافعه دنيا ودينا مع كونه كافرا فاما ما سوى ذلك فلا حظر فيه **قوله** تعالى ولو كانوا
هذه واو الحال وقدم اولا الآبا لانه يجب طاعتهم على ابنائهم ثم ثنى بالابنا لانهم اعلق بالقلوب
وهم حباتها قال الحماسي ٭ وانما اولادنا بيننا ٭ اكبادنا تمشي على الارض ٭ ثم ثلث بالاخوان
لانهم هم الناصرون بمنزلة العضد من الذراع قال ٭
٭ اخاك اخاك ان من لا اخا له ٭ كساع الى الهيجا بغير سلاح ٭ وان ابن عم المرء فاعلم جناحه ٭ وهل ينهض البازي [بغير جناح ٭]
ثم ربع بالعشيرة لان بها يستغاث وعليها يعتمد قال ٭ لا يسالون اخاهم حين يندبهم ٭
في النائبات على ما قال برهانا ٭ وقرا ابو رجاء عشيراتهم بالجمع كما قراها ابو بكر في التوبة كذلك
فصل لما بالغ في المنع من هذه المودة في الاية الاولى من حيث ان المودة مع الايمان لا تجتمع
بالغ ههنا ايضا من وجوه وهي قوله تعالى ولو كانوا اباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم
والمعنى ان الميل الى هؤلا اعظم انواع المحبة ومع هذا فيجب ان يكون هذا الميل مطرحا بسبب
الدين قال ابن عباس رضي الله عنه نزلت هذه الاية في ابي عبيدة بن الجراح قتل اباه عبد الله
ابن الجراح يوم احد وعمر بن الخطاب رضي الله عنه قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم
بدر وابي بكر رضي الله عنه قال ابن جريج رضي الله عنه حدثت ان ابا قحافة سب النبي صلى الله
عليه وسلم فصكه ابو بكر رضي الله عنه صكة سقط منها على وجهه ثم اتى النبي صلى
الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال او فعلته لا تعد اليه فقال والذي بعثك بالحق نبيا لو كان
السيف مني قريبا لقتلته ومصعب بن عمير قتل اخاه عبيد بن عمير وعلي بن ابي طالب وحمزة
وعبيدة رضي الله عنهم قتلوا عتبة وشيبة والوليد بن عتبة يوم بدر اخبر ان هؤلاء لم يوادوا
اقاربهم وعشائرهم غضبا لله تعالى ودينه **فصل** قال القرطبي استدل مالك
رحمه الله بهذه الاية على معاداة القدرية وترك مجالستهم قال اشهب عن مالك لا تجالس
القدرية وعادهم في الله لقول الله عز وجل لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون
من حاد الله ورسوله قال القرطبي وفي معنى اهل القدر جميع اهل الظلم والعدوان وعن الثوري
رضي الله عنه انه قال كانوا يرون انها نزلت فيمن يصحب السلطان وعن عبد العزيز بن ابي
داود انه لقي المنصور في الطواف فلما عرفه هرب منه وتلا الاية وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انه كان يقول اللهم لا تجعل لفاجر عندي نعمة فاني وجدت فيما اوحيت الي لا تجد قوما يؤمنون
بالله واليوم الاخر الاية **قوله** تعالى اولئك كتب قرا العامة كتب مبنيا للفاعل وهو الله
سبحانه وتعالى الايمان نصبا وابو حيوة وعاصم في رواية المفضل كتب مبنيا للمفعول
الايمان رفع به والضمير في منه لله تعالى وقيل يعود على الايمان لانه روح يحيى به المؤمنون في
الدارين قاله السدي اي ايدهم بروح من الايمان يدل عليه قوله تعالى وكذلك اوحينا اليك
روحا من امرنا **فصل** معنى كتب الايمان اي خلق في قلوبهم التصديق يعني من لم
يوال من حاد الله وقيل كتب اثبت قاله الربيع بن انس وقيل جعل كقوله تعالى فاكتبنا مع الشاهدين

اي اجعلنا وقوله تعالى فساكتبها للذين يتقون ويوتون الزكوة وقيل كتب اي جمع ومنه الكتيبة
اي لم يكونوا ممن يقولوا نومن ببعض ونكفر ببعض وقيل كتب في قلوبهم اي على قلوبهم كقوله
تعالى في جذوع وخص القلوب بالذكر لانها موضع الايمان **قوله** تعالى وايدهم اي قواهم
ونصرهم بروح منه قال الحسن بنصره قال ابن عباس نصرهم على عدوهم وسمي تلك النصرة روحا
لانه به يحيى امرهم وقال الربيع بن انس رضي الله عنه بالقران وحجته وقال ابن جريج بنور وبرهان
وهدى وقيل برحمة الله وقيل ايدهم بجبريل صلوات الله عليه **قوله** تعالى ويدخلهم جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم اي قبل اعمالهم ورضوا عنه فرحوا بما اعطاهم
اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون وهذه في مقابلة قوله تعالى اولئك حزب الشيطان
الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون وهذه الاية زجر عن التودد الى الكفار والفساق والله
سبحانه وتعالى اعلم بالصواب روى الثعلبي في تفسيره عن ابي بن كعب رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المجادلة كتب من حزب الله تعالى يوم القيامة
صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم **سورة الحشر مدنية** في قول
الجميع وهي اربع وعشرون اية واربع مائة وخمس واربعون كلمة والف وتسعمائة وثلاثة عشر
حرفا بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** سبح لله ما في السموات وما في
الارض وهو العزيز الحكيم تقدم نظيره هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم
قال سعيد بن جبير قلت لابن عباس سورة الحشر قال سورة النضير وهم رهط من اليهود
من ذرية هرون صلوات الله عليه نزلوا بالمدينة في فتن بني اسرائيل انتظارا لمحمد صلى الله عليه
وسلم فكان من امرهم ما نص الله عليه **قوله** تعالى من اهل الكتاب يجوز ان يكون من للبيان
فيتعلق بمحذوف اي اعني من اهل الكتاب والثاني انها حال من الذين كفروا وقوله تعالى من ديارهم
متعلق باخرج ومعناها ابتدا الغاية وصحت اضافة الديار اليهم لانهم انشوها **قوله** تعالى
لاول الحشر هذه اللام متعلقة باخرج وهي لام التوقيت كقوله تعالى لدلوك الشمس اي عند اول
الحشر قال الزمخشري وهي اللام في قوله تعالى يا ليتني قدمت لحياتي وقوله جيت لوقت كذا وسياتي
الكلام على هذه اللام في الفجر ان شا الله تعالى **فصل** قال القرطبي الحشر الجمع وهو على اربعة
اضرب حشران في الدنيا وحشران في الاخرة اما الذي في الدنيا فقوله تعالى هو الذي اخرج الذين
كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر قال الزهري رضي الله عنه كانوا من سبط لم يصبهم
جلا وكان الله عز وجل قد كتب عليهم الجلا فلولا ذلك لعذبهم في الدنيا وكان اول حشر حشروا
في الدنيا الى الشام قال ابن عباس وعكرمة من شك ان المحشر في الشام فليقرا هذه الاية وان
النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم اخرجوا قالوا الى اين قال الى ارض المحشر قال قتادة هذا اول
المحشر قال ابن عباس هم اول من حشر من اهل الكتاب واخرج من داره وقيل انهم اخرجوا الى خيبر
وان معنى لاول الحشر اخراجهم من حصونهم الى خيبر واخره اخراج عمر اياهم من خيبر الى نجد واذرعات
وقيل تيما واريحا وذلك بكفرهم ونقض عهدهم واما الحشر الثاني فحشرهم قرب القيمة قال قتادة
تاتي نار تحشر الناس من المشرق الى المغرب تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا وتاكل من
تخلف منهم وهذا ثابت في الصحيح وذكروا ان تلك النار ترى بالليل ولا ترى بالنهار وقال ابن
العربي للحشر اول ووسط واخر فالاول اجلا بني النضير والاوسط اجلاه خيبر والاخر حشر يوم القيمة
وعن الحسن هم بنوا قريظة وخالفه بقية المفسرين وقالوا بنو قريظة ما حشروا ولكنهم قتلوا حكاه الثعلبي
فصل قال الكيا الطبري ومصالحة اهل الحرب على الجلا من ديارهم من غير شي لا يجوز الان
وانما كان ذلك في دار الاسلام ثم نسخ والان فلا بد من قتالهم او سبيهم او ضرب الجزية عليهم **قوله**

تعالى

تعالى ما ظننتم ان يخرجوا اي لعظم امر اليهود ومنعتهم وقوتهم في صدور المسلمين وا
واجتماع كلمتهم وقوله تعالى وظنوا انهم مانعتهم حصونهم قال ابن عباس رضي الله عنه ان المسلمين ظنوا
انهم لعزتهم وقوتهم لا يحتاجون الى ان يخرجوا من ديارهم قيل المراد بالحصون الوطيح والنطاة والسلالم
والكتيبة **قوله** تعالى مانعتهم حصونهم فيه وجهان احدهما ان يكون حصونهم مبتدا ومانعتهم
خبر مقدم والجملة خبر انهم لا يقال لم لا يقال مانعتهم مبتدا لانه نكرة وحصونهم خبر ولا حاجة لتقديم
ولا تاخير لان القصد الاخبار عن الحصون ولان الاضافة غير محضة فهي نكرة الثاني ان يكون مانعتهم
خبر انهم وحصونهم فاعل به نحو ان زيدا قائم ابوه وان عمرا قائمة جاريته وجعله ابو حيان اولى لان
في نحو قائم زيد على ان يكون خبرا مقدما ومبتدا موخرا خلافا والكوفيون يمنعونه فمحل الوفاق
اولى وقال الزمخشري فان قلت اي فرق بين قولك وظنوا ان حصونهم تمنعهم او مانعتهم وبين
النظم الذي جا عليه قلت بتقديم الخبر على المبتدا دليل على فرط وثوقهم ومنعها اياهم وفي تصيير
ضميرهم اسما لان واسناد الجملة اليه دليل على اعتقادهم في انفسهم انهم في عزة ومنعة لا يبالي معها
باحد يتعرض لهم وليس ذلك في قولك حصونهم تمنعهم انتهى وهذا الذي ذكره انما ياتي على الاعراب
الاول وقد تقدم انه مرجوح وتسلط الظن هنا على ان المشددة والقاعدة انه لا يعمل فيها ولا
في المخففة منها الا فعل علم وتقريرا جراله مجرى اليقين لشدته وقوته وانه بمنزلة العلم وقوله من
الله اي من امر **قوله** تعالى فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا قال الزمخشري رحمه الله قرى فاتاهم
الهلاك اي اتاهم امره وعذابه من حيث لم يحتسبوا اي لم يظنوا وقيل من حيث لم يعلموا وقال ابن
جريج والسدي وابو صالح من حيث لم يحتسبوا بقتل كعب بن الاشرف وكانوا اهل حلقة اي سلاح
وقصور منيعة فلم تمنعهم شي منها وقيل الضمير في فاتاهم الله يعود الى المومنين اي فاتاهم نصر الله
وقوته **قوله** تعالى وقذف في قلوبهم الرعب بقتل سيدهم كعب بن الاشرف وكان الذي
قتله محمد بن مسلمة وابو نايلة سلكان بن سلامة بن وقش وكان اخا كعب بن الاشرف من الرضاعة
وخبره مشهور في السيرة قال اهل اللغة الرعب الخوف الذي يرعب الصدر اي يملاه وقذفه
اثباته فيه ومنه قالوا في صفة الاسد متقذف كانما قذف اللحم قذفا لاكتنازه وتداخل اجزايه
وهذه الاية تدل على ان الامور كلها من الله تعالى لان الاية دلت على وقوع ذلك الرعب صار
سببا في اقدامهم على بعض الافعال وبالجملة فالفعل لا يحصل الا عند حصول داعية متاكدة في
القلب وحصول تلك الداعية لا يكون الا من الله تعالى فكانت الافعال باسرها مستندة الى الله
تعالى بهذا الطريق **قوله** تعالى يخربون بيوتهم يجوز ان يكون مستانفا للاخبار به وان يكون
حالا من ضمير قلوبهم وليس بذاك وقرا ابو عمرو يخربون بالتشديد والباقون بالتخفيف وهما بمعنى
لان خرب عداه ابو عمرو بالتضعيف وهم بالهمزة وعن ابي عمرو انه فرق بمعنى اخر لان خرب عداه ابو
عمرو بالتضعيف فعال خرب بالتشديد هدم وافسد واخرب بالهمزة وترك الموضع خرابا وذهب
عنه وهو قول الفرا قال المبرد ولا اعلم لهذا وجها ويخربون من خرب المنزل واخربه صاحبه كقوله
علم واعلم وقام واقام واذا قلت يخربون بيوتهم من التخريب فانما هو تكثير لانه ذكر بيوتا تصلح
للقليل والكثير وزعم سيبويه انهما يتعاقبان في بعض الكلام فيجري كل واحد مجرى الاخر نحو فرحته
وافرحته قال الاعمش واخربت من ارض قومي ديارا واختار الهذلي قراة ابي عمرو لاجل التكثير
ويجوز ان يكون يخربون تفسيرا للرعب فلا محل له ايضا قال ابو عمرو وانما اخترت التشديد لان الاخراب
ترك الشي خرابا بغير ساكن وبنو النضير لم يتركوها خرابا وانما خربوها بالهدم يويده قوله تعالى
بايديهم وايدي المومنين **فصل** قال قتادة والضحاك رحمهما الله كان المومنون يخربون
من خارج ليدخلوا واليهود من داخل ليبنوا ما خرب من حصنهم وقال مقاتل ان المنافقين دسوا اليهم

ان لا يخرجوا ددبوا عليهم الازقة وكان المسلمون سابر الجوانب وقيل ان المسلمين اذا ظهروا على درب من دروبهم خربوه وكان اليهود يتاخرون الى ما وراء بيوتهم وينقبونها من وراء ادبارهم وقيل ان المسلمين كانوا يخربون ظواهر البلد واليهود لما ايقنوا بالجلا فكانوا ينظرون الى الخشبة في منازلهم مما يستحسنونه والباب فيهدمون بيوتهم وينزعونها ويحملونها على الابل **فان قيل** ما معنى تخريبهم لها بايدي المؤمنين فالجواب لما عرضوهم لذلك وكانوا السبب فيه فكانهم امروهم به وكلفوهم اياه وقال الزهري يخربون بيوتهم بنقض المواعدة وايدي المؤمنين بالمقاتلة وقال ابو عمرو بن العلا بايديهم في تركهم لها وبايدي المؤمنين في اجلائهم عنها **قوله** تعالى فاعتبروا يا اولي الابصار الاعتبار ماخوذ من العبور والمجاوزة من شي الى شي ولهذا سميت العبرة عبرة لانها تنتقل من العين الى الخد وسمي علم التعبير لان صاحبه ينتقل من المتخيل الى المعقول وسميت الالفاظ عبارات لانها تنقل المعاني عن لسان القايل الى عقل المستمع ويقال السعيد من اعتبر بغيره لانه ينتقل عقله من حال ذلك الغير الى حال نفسه ولهذا قال المفسرون الاعتبار هو النظر في حقايق الاشيا وجهات دلالتها ليعرف بالنظر فيها شي اخر من جنسها وقوله عز وجل يا اولي الابصار قال ابن عباس يريد يا اهل اللب والعقل والبصاير وقال الفرا اي يا من عاين تلك الوقايع والابصار جمع البصر ومن جملة الاعتبار هنا انهم اعتصموا بالحصون من الله فانزلهم الله تعالى منها وسلط عليهم من كان ينصرهم وانهم هدموا اموالهم بايديهم ومن لم يعتبر بغيره اعتبر في نفسه واستدل الاصوليون بهذه الاية على وجوب العمل بالقياس **قوله** تعالى ولولا ان كتب الله عليهم الجلا العامة على مده وهو الاخراج يقال اجليت القوم اجلاء وجلا هو جلا وقال الماوردي الجلا اخص من الخروج لانه لا يقال الا للجماعة والاخراج يكون للجماعة والواحد وقال غيره الفرق بينهما ان الجلا ما كان مع الاهل والولد بخلاف الاخراج فانه لا يستلزم ذلك وقرا الحسن وعلي بن صالح الجلا بالف ثم طا وطلحة مهموزا من غير الف كالنبا والمعنى انه لو قضى انه سيجليهم عن ديارهم وانهم يبقون مدة فيومن بعضهم ويولد لهم من يومن لعذبهم في الدنيا اي بالقتل كما فعل باخوانهم بني قريظة والجلا مفارقة الوطن يقال جلا بنفسه جلا واجلاه غيره اجلا واما قوله تعالى ولهم في الاخرة عذاب النار فهو كلام مبتدا غير معطوف على ما قبله اذ لو كان معطوفا على ما قبله لزم ان لا يوجد لان لولا يقتضي انتفا الجزا لحصول الشرط **قوله** تعالى ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم اي عادوه وخالفوا امره ومن يشاق الله قرا طلحة بن مصرف ومحمد بن السميفع بالفك كالمتفق عليه في الانفال وادغم الباقون والمقصود من الاية الزجر **قوله** تعالى ما قطعتم من لينة ما شرطية في موضع نصب بقطعتم ومن لينة بيان له وفباذن الله جزا الشرط لا بد فيه من حذف اي فقطعها باذن الله فيكون باذن الله الخبر لذلك المبتدا واللينة فيها خلاف كبير قيل هي النخلة مطلقا وانشد

كان قتودي فوقها عش طاير * على لينة سوقا يهفو جنوبها * وقال ذو الرمة *

طراق الخوافي واقع فوق لينة * ندى ليلة في ريشه يترقرق * وقيل هي النخلة ما لم تكن عجوة قاله الزهري ومالك وسعيد بن جبير وعكرمة والخليل وقيل ما لم تكن عجوة ولا برنية وهو قول ابي عبيدة وقال جعفر بن محمد هي العجوة خاصة وذكر ان العتيق والعجوة كانتا مع نوح في السفينة والعتيق الفحل وكانت العجوة اصل الاناث كلها فلذلك شق على اليهود قطعها حكاه الماوردي وقيل هي النخلة الكريمة اي القريبة من الارض وانشد الاخفش * قد شجاني الحمام حين تغنى * بفراق الاحباب من فوق لينه * وقال سفين هي ضرب من النخل يقال لثمره اللون تمره اجود التمر وهو شديد الصفرة يرى نواه من خارجه ويغيب فيه الضرس النخلة منها احب اليهم من وصيف وقيل هي الفسيلة لانها الين

من

من النخلة وانشد * غرسوا لينة بمجرى معين * ثم حفوا النخيل بالاكام * وقيل اللينة هي الاشجار كلها للينها بالحياة وانشد بيت ذو الرمة المتقدم وقال الاصمعي انها الدقل قال واهل المدينة يقولون لا تنفتح الموايد حتى توجد الالوان يعنون الدقل قال ابن العربي والصحيح ما قاله الزهري ومالك وهي تعني لينة قولان احدهما انها واو لانه من اللون وانما قلبت ياء لسكونها وانكسار ما قبلها كديمة وقيمة الثاني انها يا لانها من اللين وجمع اللينة لين لانه من باب اسم الجنس كتمرة وتمر وقد كسر على ليان وهو شاذ لان تكسير ما يفرق بتا التانيث شاذ كرطبة ورطب وارطاب وانشد

وسالفة كسحوق الليان * اضرم فيه الغوي السعر * والضمير في تركتموها عايد على معنى ما **قوله** تعالى قايمة قرا عبد الله والاعمش وزيد بن علي قوما على وزن ضرب جمع قايم مراعاة لمعنى ما فانه جمع وقرا عبد الله ما قطعتم من لينة ولا تركتم قوما على اصولها اي لم تقطعوها وقرئ قايما مفردا مذكرا وقوله اصولها قرئ اصلها بغير واو وفيه وجهان احدهما انه جمع اصل نحو رهن ورهن والثاني ان يكون حذف الواو استثقالا لها واكتفي بالضمة من الواو **فصل** روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل بني النضير وتحصنوا بحصونهم امر بقطع نخيلهم واحراقها فجزع اعدا الله عند ذلك وقالوا يا محمد زعمت انك تريد الصلاح افمن الصلاح عقر الشجر وعقر النخل وهل وجدت فيما زعمت انه انزل عليك الفساد في الارض فوجد المسلمون في انفسهم وخشوا ان يكون ذلك فسادا واختلفوا في ذلك فقال بعضهم لا تقطعوا فانه مما افا الله علينا وقال بعضهم بل نغيظهم بقطعها فانزل الله هذه الاية بتصديق من نهى عن قطعه وتحليل من قطعه من الاثم وروي ابن عمر رضي الله عنه قال حرق رسول الله صلى الله عليه وسلم نخل بني النضير وقطع وهي البويرة فنزل ما قطعتم من لينة او تركتموها قايمة على اصولها فباذن الله اخبر في هذه الاية ان ما قطعوه وما تركوه فباذن الله اي بامره وليخزي الفاسقين واللام في وليخزي متعلقة بمحذوف اي وليخزي اذن في قطعها اوليسر المؤمنين ويعزهم وليخزي **فصل** احتجوا بهذه الاية على ان حصون الكفرة وديارهم يجوز هدمها وتحريقها وتغريقها وان ترمى بالمجانيق وكذلك اشجارهم وعن ابن مسعود رضي الله عنه انهم قطعوا منها ما كان موضعا للقتال وروي ان رجلين كانا يقطعان احدهما العجوة والاخر اللون فسالهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا تركتها لرسول الله وقال هذا قطعتها غيظا على الكفار واستدلوا به على جواز الاجتهاد بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم قال الماوردي في هذه الاية دليل ان كل مجتهد مصيب وقاله الكيا الطبري قال وان كان الاجتهاد يبعد في مسيلة مع وجود النبي صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم ولا شك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى ذلك وسكت فتلقوا الحكم من تقريره فقط قال ابن العربي وهذا باطل لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان معهم ولا اجتهاد مع حضور النبي صلى الله عليه وسلم وانما يدل على اجتهاد النبي صلى الله عليه وسلم فيما لم ينزل عليه اخذ بعموم الادلة للكفار ودخولا في الاذن للكل بما يقضي عليهم بالبوار وذلك قوله عز وجل وليخزي الفاسقين **قوله** تعالى ما افا الله على رسوله قال المبرد يقال فا يفي اذا رجع وافاه الله اذا رده وقال الازهري الفي ما رده الله على اهل دينه من اموال من خالف اهل دينه بلا قتال اما بان يجلوا عن اوطانهم ويخلوها للمسلمين او يصالحوا على جزية يودونها عن رووسهم او مال غير الجزية يفتدون به من سفك دمايهم كما فعله بنو النضير حين صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لكل ثلاثة منهم حمل بعير مما شاوا سوى السلاح وتركوا الباقي فهذا المال هو الفي وهو ما افا الله على المسلمين اي رده من الكفار على المسلمين وقوله منهم اي من يهود بني النضير **قوله** تعالى فما اوجفتم الفا جواب الشرط او زايدة على انها موصولة مضمنة معنى الشرط ما نافية والايجاف

حمل البعير على السير السريع يقال وجف البعير والفرس اذا اسرع يجف وجفا ووجيفا ووجفانا واوجفه
انا ايجافا اي حركه واتعبته قال العجاج ناج طواه الاين مما وجفا وقال نصيب الارب
ركب قد قطعت وجيفهم اليك ولولا انت لم يوجف الركب **قوله** تعالى من خيل ولا ركاب
اي خيلا والركاب الابل واحده راحلة ولا واحد لها من لفظها قال ابن الخطيب والعرب لا يطلقون
لفظ الراكب الا على راكب البعير ويسمون راكب الفرس فارسا والمعنى لم يتقطعوا اليها شقة ولا لقيتم
بها حربا ولا مشقة وانما كانت من المدينة على ميلين قاله الفرا فمشوا اليها مشيا ولم يركبوا خيلا ولا
ابلا الا النبي صلى الله عليه وسلم فانه ركب جملا وقيل حمارا مخطوما بليف فافتتحها صلحا قال ابن
الخطيب ان الصحابة طلبوا من الرسول عليه السلام ان يقسم الفيء بينهم كما قسم الغنيمة بينهم فذكر الله
الفرق بين الامرين وان الغنيمة هي التي اتعبتم انفسكم في تحصيلها واما الفيء فلم يوجف عليه بخيل
ولا ركاب فكان الامر فيه مفوضا الى النبي صلى الله عليه وسلم يضعه حيث يشا وههنا سوال وهو
ان اموال بني النضير اخذت بعد القتال لانهم حوصروا اياما وقاتلوا وقتلوا ثم صالحوا على الجلا
فوجب ان يكون تلك الاموال من جملة الغنايم لا من جملة الفيء فلهذا السوال ذكر المفسرون
ههنا وجهين الاول ان هذه الاية ما نزلت في قرى بني النضير لانهم اوجفوا عليه بالخيل والركاب
وحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون بل هي في فدك لان اهله انجلوا عنه فصارت
تلك القرى والاموال التي في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير حرب فكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم ياخذ من غلة فدك نفقته ونفقة من يعوله ويجعل الباقي في السلاح والكراع
فلما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ادعت فاطمة رضي الله عنها انه كان نحلها فدك فقال
ابو بكر رضي الله عنه انت اعز الناس علي فقرا واحبهم الي غنى لكني لا اعرف صحة قولك ولا يجوز لي
ان احكم بذلك فشهدت لها ام ايمن ومولى الرسول صلى الله عليه وسلم فطلب منها ابو بكر الشاهد
الذي يجوز شهادته في الشرع فلم يكن فاجرى ابو بكر ذلك على ما كان يجريه الرسول صلى الله عليه
وسلم ينفق منه على من كان ينفق عليه الرسول ويجعل ما يبقى في السلاح والكراع وكذلك عمر رضي
الله عنه جعله في يد علي رضي الله عنه يجريه على هذا المجرى ورد ذلك في اخر عهد عمر رضي الله
عنه وقال ان بنا غنى وبالمسلمين اليه حاجة وكان عثمن رضي الله عنه يجريه كذلك ثم عاد الى علي
رضي الله عنه فكان يجريه هذا المجرى والايمة الاربعة رضي الله عنهم اتفقوا على ذلك والقول
الثاني ان هذه الاية نزلت في بني النضير وقراهم وليس للمسلمين يومئذ كثير خيل ولا ركاب ولم يقطعوا
اليها مسافة كثيرة وانما كانوا على ميلين من المدينة فمشوا اليها مشاة ولم يركب الا رسول الله صلى
الله عليه وسلم فلما كانت المقاتلة قليلة والخيل والركاب غير حاصل اجراه الله تعالى مجرى ما لم
يحصل فيه المقاتلة اصلا فخص رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلك الاموال فروي انه صلى الله عليه
وسلم قسمها بين المهاجرين ولم يعط الانصار شيا منها الا ثلاثة نفر كانت بهم حاجة ابو دجانة وسهل
ابن حنيف والحرث بن الصمة قال بعض العلما لما ترك بنو النضير ديارهم واموالهم طلب المسلمون
ان يكون لهم فيها حظ كالغنايم فبين الله تعالى انها فيء وكان قد جرى بعض القتال لانهم حوصروا
اياما وقاتلوا وقتلوا ثم صالحوا على الجلا ولم يكن قتال على التحقيق بل جرى مبادي القتال وجرى الحصار
فخص الله تعالى تلك الاموال برسول الله صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد رضي الله عنه اعلمهم الله تعالى
وذكرهم انما نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصرهم بغير كراع ولا عدة ولكن الله يسلط رسله
على من يشا اي من اعدايه وفي هذا بيان ان تلك الاموال كانت خاصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
دون اصحابه رضي الله عنهم **قوله** تعالى ما افا الله قال الزمخشري لم يدخل العاطف على هذه
الجملة لانها بيان للاولى فهي منها غير اجنبية عنها قال ابن عباس رضي الله عنه هي قريظة والنضير

وما

وهما بالمدينة وفدك وهي على ثلاثة اميال من المدينة وخيبر وقرى عرينة وينبع جعلها الله تعالى
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبين ان في ذلك المال الذي خصه الله تعالى بالرسول صلى الله عليه
وسلم سهما لغير الرسول صلى الله عليه وسلم نظرا منه لعباده **فصل** قال ابن الخطيب
اجمعوا على ان المراد بذي القربى بنو هاشم وبنو المطلب وقال القرطبي وقد تكلم العلما في هذه
الاية والتي قبلها على معناهما واحد او مختلف والاية التي في الانفال فقال بعضهم ان قوله تعالى
ما افا الله على رسوله من اهل القرى منسوخ باية الانفال من كون الخمس لمن سمي له والاخماس الاربعة
لمن قاتل وكان في اول الاسلام يقسم الغنيمة على هذه الاصناف ولا يكون لمن قاتل عليها شي وهذا
قول يزيد بن رومان وقتادة وغيرهما ونحوه عن مالك رضي الله عنه وقال قوم ما غنم بصلح من غير
ايجاف خيل ولا ركاب فيكون لمن سمى الله تعالى فيه فيا الاول للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة اذا اخذ
منه حاجته كان الباقي في مصالح المسلمين وقال معمر الاولى للنبي صلى الله عليه وسلم والثانية هي الجزية
والخراج للاصناف المذكورة فيه والثالثة الغنيمة في سورة الانفال للغانمين وقال الشافعي رضي
الله عنه وبعض العلما ان معنى الايتين واحد اي ما حصل من اموال الكفار بغير قتال قسم على خمسة
اسهم اربعة منها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويقسم الخمس الباقي على خمسة اسهم سهم لرسول الله صلى
الله عليه وسلم ايضا وسهم لذوي القربى وهم بنو هاشم وبنو المطلب لانهم منعوا الصدقة فجعل لهم
حق في الفيء وسهم لليتامى وسهم للمساكين وسهم لابنا السبيل واما بعد وفاة رسول الله صلى الله
عليه وسلم فالذي كان من الفيء لرسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف عند الشافعي رضي الله عنه
في قول الى المجاهدين المترصدين للقتال في الثغور لانهم القايمون مقام الرسول صلى الله عليه وسلم
وفي قول اخر يصرف الى مصالح المسلمين من سد الثغور وحفر الانهار وبنا القناطر يقدم الاهم
فالاهم وهذا في اربعة اخماس الفيء فاما السهم الذي كان له من خمس الفيء والغنيمة فهو لمصالح المسلمين
بعد موته صلى الله عليه وسلم بلا خلاف كما قال صلى الله عليه وسلم ليس لي من غنايمكم الا الخمس والخمس
مردود فيكم ولذلك ما خلفه من المال غير موروث بل هو صدقة عنه يصرف في مصالح المسلمين لقوله
صلى الله عليه وسلم انا لا نورث ما تركنا صدقة وقيل كان مال الفيء لنبيه صلى الله عليه وسلم لقوله
تعالى ما افا الله على رسوله فاضافه اليه غير انه كان لا يتاثل مالا انما كان ياخذ بقدر حاجة
عياله ويصرف الباقي في مصالح المسلمين قال ابن العربي لا اشكال انها ثلاثة معان في ثلاث ايات
فالاية الاولى وهي قوله تعالى هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ثم
قال تعالى وما افا الله على رسوله يعني من اهل الكتاب معطوفا عليهم فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب
يريد كما بينا فلا حق لكم فيه ولذلك قال عمر انها كانت خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعني بني
النضير وما كان مثلها فهذه اية واحدة ومعنى متحد الاية الثانية قوله تعالى ما افا الله على رسوله
من اهل القرى فلله وللرسول وهذا كلام مبتدا غير الاول لمستحق غير الاول وسمى الاية الثالثة اية الغنيمة
ولا شك في انه معنى اخر باستحقاق اخر لمستحق اخر بيد ان الاية الاولى والثانية اشتركتا في ان كل واحدة
منهما تضمنت شيا افاه الله على رسوله واقتضت الاية الاولى انه حاصل بغير قتال واقتضت اية
الانفال انه حاصل بقتال وعريت الاية الثالثة وهي قوله تعالى ما افا الله على رسوله من اهل القرى
عن ذكر حصوله بقتال او بغير قتال فنشا الخلاف من ههنا فقالت طايفة هي ملحقة بالاولى وهو مال
الصلح كله ونحوه وقالت طايفة هي ملحقة باية الانفال وهولا اختلفوا هل هي منسوخة كما تقدم
او محكمة قال القرطبي والحاقها بالتي قبلها اولى لان فيه تجديد فايدة ومعنى وقد قيل ان سورة الحشر
نزلت بعد الانفال ومن المحال ان ينسخ المتقدم المتاخر **فصل** الاموال التي للايمة والولاة
فيها مدخل ثلاثة اضرب الاول ما اخذ من المسلمين على طريق التطهير لهم كالصدقات والزكوات والثاني

الغنايم وهو ما يحصل في ايدي المسلمين من اموال الكفار بالحرب والقهر والغلبة والثالث الفي وهو رجع للمسلمين من اموال الكفار عفوا صفوا من غير قتال ولا ايجاف كالصلح والجزية والخراج والعشور والماخوذ من تجار الكفار ومثل ان يهرب المشركون ويتركوا اموالهم او يموت منهم احد في دار الاسلام لا وارث له فاما الصدقة فمصرفها الفقرا والمساكين والعاملين عليها حسب ما ذكر في سورة براة واما الغنايم فكانت في صدر الاسلام للنبي صلى الله عليه وسلم يصنع فيها ما شا كما قال في الانفال قل الانفال لله والرسول ثم نسخ بقوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شي الاية وقد مضى واما الفي وقسمته وقسمة الخمس سوا قال القرطبي والامر فيهما عند مالك الى الامام فان راى حبسها لنوازل المسلمين وان راى قسمتها قسمها كلها او قسم احدهما بين الناس وسوى فيه عربيهم ومولاهم ويبدا بالفقرا من رجال او نسا حتى يغني ويعطي ذوي القربى من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفي سهمهم على ما يراه الامام وليس لهم حد معلوم وهل يعطى الغني منهم فاكثر الناس على اعطايه لانه حق لهم وقال مالك رضي الله عنه لا يعطى منه غير فقرايهم لانه جعل لهم عوضا من الصدقة وقال الشافعي رضي الله عنه انما حصل من اموال الكفار بغير قتال كان يقسم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم على خمسة وعشرين سهما عشرون سهما للنبي صلى الله عليه وسلم يفعل فيها ما شا والخمس يقسم على ما يقسم عليه خمس الغنيمة قال ابو جعفر احمد بن نصر الداودي وهذا القول ما سبقه به احد علمناه بل كان ذلك خالصا له كما ثبت في الصحيح عن عمر مبينا للاية ولو كان هذا لكان قوله خالصة يوم القيمة يجوز ان يشركهم فيها غيرهم

فصل ويقسم هذه الاموال المتقدم ذكرها في البلد الذي جبي فيه ولا ينقل عن ذلك البلد الذي جبي فيه فاقة شديدة فينقل الى اهل الفاقة حيث كانوا كما فعل عمر رضي الله عنه في اعوام الرمادة وكانت خمسة اعوام او ستة وقيل عامين وقيل عام فيه اشتد الطاعون مع الجوع وان لم يكن ما وصفنا وراى الامام ايقاف الفي اوقفه لنوايب المسلمين ويبدا بمن ابوه فقير والفي حلال للاغنيا ويساوي بين الناس فيه الا انه يوثر اهل الحاجة والفاقة والتفضيل فيه انما يكون على قدر الحاجة ويعطي منه الغرما ما يودون به ديونهم ويعطي منه الجايزة والصلة ان كان ذلك اهلا ويرزق القضاة والحكام ومن فيه منفعة للمسلمين واولاهم بتوفر الحظ منهم اعظمهم للمسلمين نفعا ومن اخذ من الفي شيا في الديوان كان عليه ان يغزوا اذا فرض الغزو

قوله تعالى كي لا يكون دولة قرا هشام تكون بالتا والبا دولة بالرفع فقط والباقون بالبا من تحت ونصب دولة فاما الرفع فعلى ان كان التامة واما التذكير والتانيث [illegible] لانه تانيث مجازي واما النصب فعلى انها الناقصة واسمها ضمير عايد على الفي والتذكير واجب لتذكير المرفوع ودولة خبرها وقيل دولة عايد على ما اعتبارا بلفظها وقرا العامة دولة بضم الدال وعلي بن ابي طالب رضي الله عنه والسلمي بفتحها فقيل هما بمعنى وهو قول عيسى بن عمر ويونس والاصمعي وهما ما يدور للانسان اي يدور من الجد والغنا والغلبة وقال الحذاق من البصريين والكساي الدولة بالفتح من الملك بضم الميم وبالضم من الملك بكسرها او بالضم في المال وبالفتح في النصرة وهذا يرده القراة المروية عن علي والسلمي فان النصرة غير مرادة قطعا وكي لا علة لقوله تعالى فلله وللرسول صلى الله عليه وسلم اي استقراره لكذا لهذه العلة قال المبرد الدولة اسم الشي الذي يتداوله القوم بينهم والدولة بالفتح انتقال حال سارة الى قوم عن قوم فالدولة بالضم اسم لما يتداول وبالفتح مصدر من هذا ويستعمل في الحالة السارة التي تحدث للانسان فيقال هذه دولة فلان اي قد اقبلت والمعنى كي لا يكون الفي الذي حقه ان يعطى الفقرا ليكون لهم بلغة يعيشون بها واقعا في يد الاغنيا ودولة لهم والمعنى فعلنا ذلك في هذا الفي كي لا يقسمه الروسا والاغنيا والاقويا بينهم دون الفقرا والضعفا منها ايضا بعد المرباع ما شاوا منها قال

شاعرهم ✱ لك المرباع فيها والصفايا ✱ يقول لئلا يعمل فيه كما كان يعمل في الجاهلية قال الكلبي انها نزلت في رؤسا المسلمين قالوا فيما ظهر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من اموال المشركين يا رسول الله خذ صفيك والربع ودعنا والباقي هكذا كنا نفعل في الجاهلية وانشدوه ✱ لك المرباع منها والصفايا ✱ وحكمك والنشيطة والفضول ✱ فانزل الله تعالى هذه الاية

قوله تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه من الاخذ والغلول فانتهوا قاله الحسن وغيره وقال السدي ما اعطاكم من مال الفي فاقبلوه وما منعكم منه فلا تطلبوه وقال ابن جريج ما اتاكم من طاعتي فافعلوه وما نهاكم عنه من معصيتي فاجتنبوه

فصل هذه الاية تدل على ان كل ما امر به النبي صلى الله عليه وسلم امر من الله تعالى لان الاية وان كانت في الغنايم فجميع اوامره صلى الله عليه وسلم ونواهيه داخل فيها قال عبد الرحمن بن زيد لقي ابن مسعود رجلا محرما وعليه ثيابه فقال انزع عنك هذا فقال الرجل تقرا بهذا اية من كتاب الله تعالى قال نعم وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقال عبد الله بن محمد بن هرون الفريابي سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول سلوني عما شيتم اخبركم من كتاب الله تعالى وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم قال فقلت له اصلحك الله ما تقول في المحرم يقتل الزنبور قال فقال بسم الله الرحمن الرحيم قال الله تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وحدثنا سفين بن عيينه عن عبد الملك بن عمير عن ربعي بن خراش عن حذيفة بن اليماني رضي الله عنهم وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا باللذين من بعدي ابي بكر وعمر رضي الله عنهما حدثنا سفيان بن عيينه عن مسعر بن كدام عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه امر بقتل الزنبور وهذا الجواب في غاية الحسن افتى بجواز قتل الزنبور في الاحرام وبين انه يقتدي فيه بعمر وان النبي صلى الله عليه وسلم امر بالاقتدا به وان الله تعالى امر بقبول ما يقوله الرسول صلى الله عليه وسلم فجواز قتله مستنبط من الكتاب والسنة وسيل عكرمة عن امهات الاولاد فقال هن احرار قال في سورة النسا في قوله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم وفي صحيح مسلم وغيره عن علقمة عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله الواشمات والمتوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات لخلق الله فبلغ ذلك امراة من بني اسد يقال لها ام يعقوب فجات فقالت انه بلغني انك لعنت كيت وكيت فقال وما لي لا العن من لعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في كتاب الله تعالى فقالت لقد قرات ما بين اللوحين فما وجدت فيه ما تقول فقال لين كنت قراتيه لقد وجدتيه وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا قالت بلى قال فانه قد نهى عنه الحديث

فصل قوله تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه وان جا بلفظ الايتا وهو المناولة فان معناه الامر بدليل قوله تعالى وما نهاكم عنه فانتهوا فقابله بالنهي ولا يقابل النهي الا بالامر بدليل ما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم اذا امرتكم بامر فاتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شي فانتهوا

قوله تعالى واتقوا الله اي عذاب الله انه شديد لمن عصاه وقيل اتقوا الله في اوامره ونواهيه فلا تضيعوها ان الله شديد العقاب

قوله تعالى للفقرا فيه ثلاثة اوجه احدها انه بدل من لذي القربى قاله ابو البقا والزمخشري قال ابو البقا قيل هو بدل من لذي القربى وما بعده وقال الزمخشري بدل من لذي القربى وما عطف عليه والذي منع الابدال من لله وللرسول والمعطوف عليهما وان كان المعنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل اخرج رسوله صلى الله عليه وسلم من الفقرا في قوله تعالى وينصرون الله ورسوله وانه تعالى يترفع برسوله صلى الله عليه وسلم عن تسميته بالفقير وان الابدال على ظاهر اللفظ من خلاف الواجب في تعظيم الله عز وجل يعني لو قيل انه بدل من لله ومن رسوله صلى الله عليه وسلم

وهو قبيح لفظا وان كان المعنى على خلاف هذا الظاهر كما قال ان معناه لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وانما ذكر الله عز وجل تفخيما والا فالله تعالى غني عن الفيء وغيره واما جعله بدلا من لذي القربى لانه حنفي (والحنفية)
يشترطون الفقر في اعطاء ذوي القربى من الفيء الثاني انه بيان لقوله تعالى والمساكين وابن السبيل
وكررت لام الجر لما كان الاولى مجرورة باللام ليبين ان البدل منها هو منها قاله ابن عطيه وهي عبارة
قلقة جدا الثالث ان للفقرا خبر لمبتدا محذوف اي ولكن الفيء للفقرا وقيل تقديره ولكن يكون للفقرا
وقيل تقديره اعجبوا للفقرا **قوله** تعالى يبتغون يجوز ان يكون حالا وفي صاحبها وجهان احدهما
للفقرا والثاني واو اخرجوا فالها مكي **فصل** ومعنى الاية ان الفيء والغنايم للفقرا والمهاجرين
وقيل كي لا يكون دولة بين الاغنيا ولكن يكون للفقرا وهو مبني على الاعراب المتقدم وعلى القول بانه
بيان لذي القربى واليتامى والمساكين اي المال لهولاء لانهم فقرا ومهاجرون وقد اخرجوا من
ديارهم فهم احق الناس وقيل ولكن الله يسلط رسله على من يشا للفقرا المهاجرين كي لا يكون المال
دولة بين الاغنيا من بني الدنيا وقيل والله شديد العقاب للمهاجرين اي شديد العقاب
للكفار بسبب الفقرا المهاجرين ومن اجلهم ودخل في هولاء الفقرا المتقدم ذكرهم في قوله تعالى
ولذي القربى واليتامى قال القرطبي وقيل هو عطف على ما مضى ولم يات بواو العطف كقولك هذا
المال لزيد لبكر لفلان لفلان والمهاجرون من هاجر الى النبي صلى الله عليه وسلم حبا فيه ونصرة
له قال قتادة هولاء المهاجرون الذين تركوا الديار والاموال والاهلين والاوطان حبا لله
عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم حتى ان الرجل منهم كان يعصب الحجر على بطنه ليقيم به صلبه
من الجوع وكان الرجل يتخذ الحفيرة في الشتا ماله دثار غيرها **قوله** تعالى الذين اخرجوا
من ديارهم اي اخرجهم كفار مكة اي احوجوهم الى الخروج وكانوا مائة رجل يبتغون يطلبون
فضلا من الله اي غنيمة في الدنيا ورضوانا في الاخرة اي مرضات ربهم وينصرون الله ورسوله في
الجهاد اولئك هم الصادقون في فعلهم ذلك وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالجابية قال
من اراد ان يسال عن القراات فليات ابي بن كعب ومن اراد ان يسال عن الفرايض فليات زيد
ابن ثابت ومن اراد ان يسال عن الفقه فليات معاذ بن جبل ومن اراد ان يسال عن المال فلياتني
فان الله تعالى جعلني له خازنا وقاسما الا واني باد بازواج النبي صلى الله عليه وسلم فمعطيهم ثم بالمهاجرين
الاولين انا واصحابي اخرجنا من مكة من ديارنا واموالنا **قوله** تعالى اولئك هم الصادقون
يعني انهم لما هجروا لذات الدنيا وتحملوا شدايدها لاجل الدين ظهر صدقهم في دينهم **قوله** تعالى
والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يجوز في قوله تعالى والذين تبوءوا وجهان احدهما انه عطف
على الفقرا فيكون مجرورا ويكون من عطف المفردات ويكون يحبون حالا والثاني ان يكون مبتدا
وخبره يحبون ويكون حينئذ من عطف الجمل وفي قوله والايمان ستة اوجه احدها انه ضمن
تبوءوا معنى لزموا فيصح عطف الايمان عليه اذ الايمان لا يتبوا الثاني انه منصوب بمقدر اي
واعتقدوا او والفوا او واحبوا واخلصوا كقوله علفتها تبنا وماء باردا ومتقلدا سيفا ورمحا
الثالث انه يتجوز في الايمان فيجعل لاختلاطه بهم وثباتهم عليه كالمكان المحيط بهم فكانهم نزلوه
وعلى هذا فيكون جمعا بين الحقيقة والمجاز في كلمة واحدة وفيه خلاف مشهور الرابع ان يكون الاصل
دار الهجرة ودار الايمان فاقام لام التعريف في الدار مقام المضاف اليه وحذف المضاف من دار
الايمان ووضع المضاف اليه مقامه الخامس ان يكون سمى المدينة لانها دار الهجرة ومكان ظهور
الايمان قال هذين الوجهين الزمخشري وليس فيه الا اقامة ال مقام المضاف اليه وهو محل نظر وانما
يعرف الخلاف هل تقوم ال مقام الضمير المضاف اليه فالكوفيون يجيزونه كقوله تعالى فان الجنة
هي الماوى اي ماواه والبصريون يمنعونه ويقولون الضمير محذوف اي الماوى له وقد تقدم

تحرير

تحرير هذا واما كونها عوضا من المضاف اليه فلا يعرف فيه خلاف السادس انه منصوب على المفعول
معه اي مع الايمان معا قال ابن عطيه وقال وبهذا الاقتران يصح معنى قوله من قبلهم فتامله قال
شهاب الدين وقد شرطوا في المفعول معه ان يجوز عطفه على ما قبله حتى جعلوا قوله تعالى فاجمعوا
امركم وشركاكم من باب اضمار الفعل لانه لا يقال اجمعت شركاي انما يقال جمعت وقد تقدم
الكلام على ذلك **فصل** التبوء التمكن والاستقرار وليس يريد ان الانصار امنوا قبل المهاجرين
بل ارادوا امنوا قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم اليهم ولا خلاف ان الذين تبوءوا الدار هم الانصار الذين
استوطنوا المدينة قبل المهاجرين اليها والمراد بالدار المدينة والتقدير والذين تبوءوا الدار من قبلهم
فصل قيل هذه الاية معطوفة على قوله للفقرا والمهاجرين وان الايات التي في الحشر
كلها معطوف بعضها على بعض قال القرطبي ولو تاملوا ذلك وانصفوا لوجدوه على خلاف ما ذهبوا
اليه لان الله تعالى يقول هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم الى قوله الفاسقين
فاخبر عن بني النضير وبني قينقاع ثم قال تعالى وما افا الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه من
خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشا فاخبر ان ذلك للرسول صلى الله عليه وسلم لانه
لم يوجف عليه حين خلوه وقد تقدم فيهم من القتال وقطع نخيلهم فقد كانوا رجعوا عنه وانقطع
ذلك الامر ثم قال تعالى ما افا الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى
والمساكين وابن السبيل وهذا كلام غير معطوف على الاول وكذا والذين تبوءوا الدار والايمان ابتدا
كلام في مدح الانصار والثنا عليهم فانهم سلموا ذلك الفيء للمهاجرين فكانه قال الفيء للمهاجرين وكانه
كان الفيء للفقرا المهاجرين والانصار يحبون لهم لم يحسدوهم على ما صفا لهم من الفيء وكذا والذين جاوا
من بعدهم ابتدا كلام والخبر يقولون ربنا اغفر لنا وقال اسمعيل بن اسحق ان قوله تعالى تبوءوا
الدار والايمان والذين جاوا معطوف على ما قبله وانهم شركا في هذا الفيء اي هذا المال للمهاجرين
والذين تبوءوا الدار وقال مالك بن اوس قرا عمر بن الخطاب رضي الله عنه هذه الاية انما الصدقات
للفقرا ثم قال هذه لهولاء ثم قرا واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه فقال هذه لهولاء
ثم قرا ما افا الله على رسوله حتى بلغ للفقرا المهاجرين والذين تبوءوا الدار والايمان جاوا من بعدهم
ثم قال لئن عشت ليا تين الراعي وهو بسرو حمير نصيبه منها لم يعرق جبينه وقيل انه دعا المهاجرين
والانصار واستشارهم بما فتح الله عليه من ذلك وقال لهم تثبتوا الامر وتدبروه ثم اغدوا علي
ففكر في ليلته فتبين له ان هذه الايات في ذلك انزلت فلما غدوا عليه قال قد مررت البارحة
بالايات التي في سورة الحشر وتلا ما افا الله على رسوله من اهل القرى الى قوله تعالى للفقرا المهاجرين
فلما بلغ قوله اولئك هم الصادقون قال ما هي لهولاء فقط وتلا والذين جاوا من بعدهم الى قوله رؤوف
رحيم ثم قال ما بقي احد من اهل الاسلام الا وقد دخل في ذلك **فصل** روى مالك
عن زيد بن اسلم عن ابيه ان عمر رضي الله عنه قال لولا من ياتي من اخر الناس ما فتحت قرية الا قسمتها
كما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر وصح عن عمر انه ابقى سواد العراق ومصر وما ظهر عليه من
الغنايم ليكون في اعطيات المقاتلة وارزاق الحشوة والذراري وان الزبير وبلالا وغيرهما واحدا من
الصحابة ارادوه على قسم ما فتح عليهم فكره ذلك منهم واختلف فيما فعل من ذلك فقيل انه استطاب
انفس اهل الجيش فمن رضي له بترك حظه بغير ثمن ليبقيه للمسلمين قبله ومن ابى اعطاه ثمن حظه فمن قال
انما ابقى الارض بعد استطابة انفس القوم جعل فعله كفعل النبي صلى الله عليه وسلم لانه قسم خيبر
لانه اشتراه اياها وترك من ترك عن طيب نفسه بمنزلة قسمها وقيل انه ابقاها بغير شيء اعطاه اهل
الجيوش وقيل انه تاول في ذلك قول الله تعالى للفقرا المهاجرين الى قوله ربنا انك رءوف رحيم على ما
تقدم **فصل** اختلفوا في قسمة العقار فقال مالك رضي الله عنه للامام ان يوقفها لمصالح

المسلمين وقال ابو حنيفة رضي الله عنه الامام مخير بين قسمتها او وقفها لمصالح المسلمين وقال الشافعي رضي الله عنه ليس للامام حبسها عنهم بغير رضاهم بل يقسمها عليهم كسائر الاموال فمن طاب نفسا عن حقه للامام ان يجعلها وقفا عليهم فله ومن لم تطب نفسه فهو احق بماله وعمر رضي الله عنه استطاب نفوس الغانمين واشتراها منهم وعلى هذا يكون قوله تعالى والذين جاوا من بعدهم متطوعا مما قبله وانهم ندبوا بالدعا للاولين والثنا عليهم **فصل** قال القرطبي روي ابن وهب قال سمعت مالكا يذكر فضل المدينة على غيرها من الافاق فقال ان المدينة تبوئت بالايمان والهجرة وان غيرها من القرى افتتحت بالسيف ثم قرا والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم الاية **قوله** تعالى ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا فيه وجهان احدهما ان الحاجة هنا على بابها من الاحتياج الا انها واقعة موقع المحتاج اليه والمعنى ولا يجدون طلب محتاج اليه مما اوتي المهاجرين من الفي وغيره والمحتاج اليه يسمى حاجة يقول خذ منه حاجتك واعطاه من ماله حاجته قاله الزمخشري فعلى هذا يكون الضمير الاول للجائين بعد المهاجرين وفي اوتوا للمهاجرين والثاني ان الحاجة هنا من الحسد قال الحسن حسدا وحزازة وغيظا مما اوتوا المهاجرين دونهم واطلق لفظ الحاجة على الحسد والغيظ والحزازة لان هذه الاشيا لا تنفك عن الحاجة فاطلق اسم اللازم على الملزوم على سبيل الكناية والضميران ما تقدم قبل وقال ابو البقا مس الحاجة اي انه حذف المضاف للعلم به وعلى هذا فالضميران للذين تبوؤا الدار والايمان وقال القرطبي المعنى لا يحسدون المهاجرين على ما خصوا به من مال الفي وغيره لذلك قال الناس وفيه تقدير حذف مضافا يعني والمعني من حاجة من فقد ما اوتوا وكلما يجد الانسان في صدره مما يحتاج الى ازالته فهو حاجة **فصل** قال القرطبي كان المهاجرون في دور الانصار فلما غنم صلى الله عليه وسلم اموال بني النضير دعا الانصار وشكرهم فيما صنعوا مع المهاجرين في انزالهم اياهم في منازلهم واشراكهم في الاموال ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان احببتم قسمت ما افا الله علي من بني النضير بينكم وبينهم وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى في مساكنكم واموالكم وان احببتم اعطيتهم وخرجوا من دياركم فقال سعد بن عبادة وسعد بن معاذ رضي الله عنهما بل تقسمه بين المهاجرين ويكونون في دورنا كما كانوا ونادت الانصار رضينا وسلمنا يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم الانصار وابنا الانصار واعطى رسول الله المهاجرين ولم يعط الانصار الا الثلاثة الذين ذكرناهم ويحتمل ان يريد به ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا اذا كانوا قليلا يقنعون به ويرضون عنه وقد كانوا على هذه الحالة حين حياة النبي صلى الله عليه وسلم دينا ثم كانوا عليه بعد موته صلى الله عليه وسلم بحكم الدنيا وقد انذرهم النبي صلى الله عليه وسلم وقال ستروون بعدي اثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض **قوله** تعالى ويوثرون على انفسهم قال ابن عباس رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم للانصار يوم بني النضير ان شيتم قسمت للمهاجرين من اموالكم ودياركم وشاركتموهم في هذه الغنيمة وان شيتم كانت لكم دياركم واموالكم ولم يقسم لكم من الغنيمة شيا فقالت الانصار بل نقسم لاخواننا من ديارنا واموالنا ونوثرهم بالغنيمة فنزل ويوثرون على انفسهم الاية قال ابن الخطيب وذكر المفسرون انواعا من ايثار الانصار للضيف بالطعام وتعللهم عنه حتى يشبع الضيف ثم ذكروا ان الاية نزلت في ذلك الايثار والصحيح انها نزلت بسبب ايثارهم المهاجرين بالفي ثم لا يمتنع ان يدخل فيها ساير الايثارات فذكر القرطبي ان الترمذي روى عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رجلا بات به ضيف ولم يكن عنده الا قوته وقوت صبيانه فقال لامراته نومي الصبية واطفي السراج وقربي للضيف ما عندك فنزلت هذه الاية وخرجه مسلم ايضا عن ابي هريرة رضي الله عنه قال جا رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني مجهود فارسل

الي

الي بعض نسايه فقالت والذي بعثك بالحق ما عندي الا ما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يضيف هذا الليلة رحمه الله فقام رجل من الانصار فقال انا يا رسول الله فانطلق به الى رحله فقال لامراته هل عندك شي قالت لا الا قوت صبياني قال فعلليهم بشي فاذا دخل ضيفنا فاطفي السراج وذكر نحو الحديث الاول وفي رواية فقام رجل من الانصار يقال له ابو طلحة فانطلق به الى رحله وذكر المهدوي انها نزلت في ثابت بن قيس ورجل من الانصار يقال له ابو المتوكل ولم يكن عند ابي المتوكل الا قوته وذكر القشيري قال اهدي لرجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم راس شاة فقال ان اخي فلانا وعياله احوج الى هذا منا فبعثه اليهم فلم يزل يبعث به واحد الى اخر حتى تداولها سبعة ابيات حتى رجعت الى اوليك فنزلت ويوثرون على انفسهم الاية وذكر الثعلبي الثعلبي عن انس قال اهدي لرجل من الصحابة راس شاة وكان مجهودا فوجه به الى جار له فتداوله سبعة انفس في سبعة ابيات ثم عاد الى الاول فنزلت الاية **فصل** الايثار هو تقديم الغير على النفس وحظوظها الدنياوية رغبة في الحظوظ وذلك ينشا عن قوة اليقين وتوكيد المحبة والصبر على المشقة يقال اثرته بكذا اي خصصته به وفضلته ومفعول الايثار محذوف اي يوثرونهم على انفسهم باموالهم ومنازلهم لا عن غنا بل مع احتياجهم اليها **فان قيل** قد صح في الخبر النهي عن التصدق بجميع ما يملكه المرء فالجواب انما كره ذلك في حق من لا يوثق منه بالصبر على الفقر وخاف ان يتعرض للمسيلة اذا فقد ما ينفقه فاما الانصار الذين اثنى الله تعالى عليهم بالايثار على انفسهم فكانوا كما قال الله تعالى والصابرين في الباساء والضراء وحين الباس فكان الايثار فيهم افضل من الامساك والامساك لمن لا يصبر ويتعرض للمسيلة اولى من الايثار كما روي ان رجلا جا الى النبي صلى الله عليه وسلم بمثل البيضة من الذهب فقال هذه صدقة فرماه بها وقال ياتي احدكم بجميع ما يملكه فيتصدق به ثم يقعد يتكفف الناس **فصل** الايثار بالنفس فوق الايثار بالمال وان عاد الى النفس ومن الامثال والجود بالنفس اقصى غاية الجود وافضل من الجود بالنفس الجود على حماية رسول الله صلى الله عليه وسلم ففي الصحيح ان ابا طلحة ترس على رسول الله يوم احد وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتطلع ليرى القوم فيقول له ابو طلحة لا تشرف يا رسول الله لا يصيبونك نحري دون نحرك ووقى بيده فشلت وقال حذيفة العدوي انطلقت يوم اليرموك اطلب ابن عم لي فاذا برجل يقول اه اه فاشار الي ابن عمي ان انطلق اليه فاذا هو هشام بن العاص فقلت اسقيك فاشار ان نعم فسمع اخر يقول اه اه فاشار هشام ان انطلق اليه فجيت اليه فاذا هو قد مات فرجعت الى هشام فاذا هو قد مات فرجعت الى ابن عمي فاذا هو قد مات وقال ابو يزيد البسطامي رحمه الله ما غلبني احد ما غلبني شاب من اهل بلخ قدم علينا حاجا فقال لي يا ابا يزيد ما حد الزهد عندكم فقلت اذا وجدنا اكلنا واذا فقدنا صبرنا فقال هكذا كلاب بلخ فقلت وما حد الزهد عندكم قال اذا فقدنا شكرنا واذا وجدنا اثرنا وسيل ذو النون ما حد الزهد قال ثلاث تفريق المجموع وترك تطلب المفقود والايثار عند القوت وحكي عن ابي الحسن الانطاكي انه اجتمع عنده نيف وثلاثون رجلا بقرية من قرى الري ومعهم ارغفة معدودة لا تشبع جميعهم فكسروا الرغفان واطفوا السراج وجلسوا للطعام فلما فرغوا فاذا الطعام بحاله لم ياكل احد منهم شيا ايثارا لصاحبه على نفسه **قوله** تعالى ولو كان بهم خصاصة هذه واو الحال والخصاصة الحاجة واصلها من خصاص البيت وهي فروجه وحال الفقير يتخللها النقص فاستعير لها ذلك وقال القرطبي اصلها من الاختصاص وهو الانفراد بالامر فالخصاصة انفراد بالحاجة اي ولو كانت بهم فاقة وحاجة ومنه قول الشاعر

اما الربيع اذا يكون خصاصة عاش السقيم به واثرى المقتر

قوله تعالى ومن يوق العامة

على سكون الواو وتخفيف القاف من الوقاية وابن ابي عبلة وابو حيوة بفتح الواو وتشديد القاف
والعامة بضم الشين من شح وابن ابي عبلة وابن عمر رضي الله عنه بكسرها قال القرطبي الشح والبخل سوا
يقال رجل شحيح بين الشح والشح والشحاحة قال عمرو بن كلثوم ترى اللحز الشحيح اذا امرت عليه لماله فيها
مهينا وجعل بعض اهل اللغة الشح اشد من البخل وفي الصحاح الشح البخل مع حرص يقول شححت بالكسر
تشح وشححت ايضا تشح وتشح ورجل شحيح وقوم شحاح واشحة والمراد بالاية الشح بالزكوة وما ليس بفرض من
صلة ذوي الارحام والضيافة وما شاكل ذلك فليس بشحيح ولا بخيل من انفق في ذلك وان
امسك عن نفسه ومن وسع على نفسه ولم ينفق فيما ذكرنا من الزكوات والطاعات فلم يوق شح نفسه
روي الاموي عن ابن مسعود ان رجلا اتاه فقال اني اخاف ان اكون قد هلكت قال وما ذاك
قال سمعت الله تعالى يقول ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وانا رجل شحيح لا اكاد اخرج
من يدي شيا فقال ابن مسعود ليس ذلك الذي ذكر الله تعالى انما الشح ان تاكل مال اخيك ظلما
ولكن ذلك البخل وبيس الشي البخل ففرق رضي الله عنه بين الشح والبخل وقال طاوس البخل ان يبخل الانسان
بما في يده والشح ان يشح بما في ايدي الناس تحب ان يكون له ما في ايديهم بالحل والحرام لا يقنع قال
ابن [illegible] ليس الشح ان يمنع الرجل ماله انما الشح ان تطمح عين الرجل فيما ليس له وقال ابن جبير الشح منع
الزكوة وادخار الحرام وقال ابن عيينة الشح الظلم وقال الليث ترك الفرايض وانتهاك المحارم وقال
ابن عباس من اتبع هواه ولم يقبل الايمان فذلك الشحيح وقال ابن زيد من لم ياخذ شيا نهاه الله
عنه ولم يمنع شيا امره الله باعطايه فقد وقاه الله شح نفسه وقال انس رضي الله عنه قال النبي
صلى الله عليه وسلم بري من الشح من ادى الزكوة وقرى الضيف واعطى في النايبة وعنه ان النبي صلى
الله عليه وسلم كان يدعو اللهم اني اعوذ بك من شح نفسي واسرافها ووسواسها وقال ابن الهياج الاسدي
رايت رجلا في الطواف يدعو اللهم قني شح نفسي لا يزيد على ذلك فقلت له فقال اذا وقيت شح نفسي
لم اسرف ولم ازن ولم افعل فاذا الرجل عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال القرطبي ويدل على
هذا قوله صلى الله عليه وسلم اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فان الشح اهلك
من كان قبلكم حملهم على ان سفكوا دماهم واستحلوا محارمهم روى ابو هريرة رضي الله عنه انه سمع رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد ابدا ولا يجتمع
الشح والايمان في قلب عبد ابدا وقال كسرى لاصحابه اي شي اضر بابن ادم قالوا الفقر فقال
الشح اضر من الفقر لان الفقير اذا وجد شبع والشحيح اذا وجد لم يشبع ابدا **قوله** تعالى
والذين جاوا يحتمل الوجهين المتقدمين في الذين قبله فان كان معطوفا على المهاجرين فيقولون حال
كيحبون اي قايلين او مستانف وان كان مبتدا فيقولون خبر **فصل** هذه الايات
قد استوعبت جميع المومنين لانهم اما المهاجرون او الانصار والذين جاوا من بعدهم قال بعض
المفسرين هذا عطف على المهاجرين وهم الذين هاجروا من بعد وقيل التابعون لهم باحسان
ومن دخل في الاسلام الى يوم القيامة قال ابن ابي ليلى الناس على ثلاثة منازل المهاجرين والذين
تبوءوا الدار والايمان والذين جاوا من بعدهم فاجتهد ان لا تخرج من هذه المنازل وقال
كن مهاجرا فان قلت لا اجد فكن انصاريا فان لم تجد فاعمل كاعمالهم فان لم تستطع فاحبهم واستغفر لهم
كما امرك الله وقال مصعب بن سعد الناس على ثلاث منازل مضت منزلتان وبقيت منزلة
فاحسن ما انتم ان تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت وعن جعفر بن محمد عن ابيه عن جده انه جا رجل فقال
يا ابن بنت رسول الله ما تقول في عثمن فقال له يا اخي انت من قوم قال الله فيهم للفقرا المهاجرين الاية
قال لا قال فانت من قوم قال الله فيهم والذين تبوءوا الدار والايمان الاية قال لا قال فوالله لين لم
تكن من اهل الاية الثالثة لتخرجنك من الاسلام وهي قوله تعالى والذين جاوا من بعدهم يقولون

ربنا

ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان وروي ان نفرا من اهل العراق جاوا الى محمد بن علي بن
الحسين فسبوا ابا بكر وعمر رضي الله عنهما ثم عثمان رضي الله عنه فاكثروا فقال لهم امن المهاجرين الاولين
انتم قالوا لا قال افمن الذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم قالوا لا قال فقد تبراتم من هذين الفريقين
انا اشهد انكم لستم من الذين قال الله والذين جاوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا
الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا فعل الله بكم وفعل ذكره النحاس
فصل هذه الاية دليل على وجوب محبة الصحابة رضي الله عنهم لانه جعل لمن بعدهم حظا
في الفي ما اقاموا على محبتهم وموالاتهم والاستغفار لهم ومن بغضهم او واحدا منهم او اعتقد فيه
شرا انه لا حق له في الفي قال مالك من كان يبغض احدا من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم او كان
في قلبه لهم غل فليس له حق في في المسلمين ثم قرا والذين جاوا من بعدهم **فصل** قال
القرطبي دلت هذه الاية على ان الصحيح من اقوال العلما قسمة المنقول وابقا العقار والارض بين
المسلمين اجمعين كما فعل عمر رضي الله عنه الا ان يجتهد الوالي فينفذ امرا فيمضي عمله فيه لاختلاف الناس
فيه وان هذه الاية قاضية بذلك لان الله تعالى اخبر عن الفي وجعله لثلاثة طوايف المهاجرين
والانصار وهم معلومون والذين جاوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا
بالايمان فهي عامة في جميع التابعين والاتين بعدهم الى يوم الدين يروى ان النبي صلى الله عليه
وسلم خرج الى المقبرة فقال السلام عليكم دار قوم مومنين وانا ان شا الله بكم لاحقون وددت
لو رايت اخواننا فقالوا يا رسول الله السنا اخوانك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل انتم
اصحابي واخواننا الذين لم ياتوا بعد وانا فرطهم على الحوض فبين النبي صلى الله عليه وسلم ان اخوانهم
كل من ياتي بعدهم لا كما قال السدي والكلبي انهم الذين هاجروا بعد ذلك وعن الحسن ايضا ان الذين
جاوا من بعدهم من قصد الى النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة بعد انقطاع الهجرة **قوله**
تعالى يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان قيل امروا ان يستغفروا لمن سبق
هذه الامة من مومني اهل الكتاب قالت عايشة رضي الله عنها فامروا ان يستغفروا لهم فسبوهم
وقيل امروا للسابقين الاولين من المهاجرين والانصار قال ابن عباس رضي الله عنه امر الله سبحانه
بالاستغفار لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وهو يعلم انهم سيفتنون وقالت عايشة رضي الله عنها
امرتم بالاستغفار لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فسببتموهم سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول لا تذهب هذه الامة حتى يلعن اخرها اولها وقال ابن عمر رضي الله سمعت النبي صلى الله عليه
وسلم يقول اذا رايتم الذين يسبون اصحابي فقولوا لعن الله شركم وقال العوام بن حوشب ادركت
هذه الامة يقولون اذكروا محاسن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تاتلف عليهم القلوب
ولا تذكروا ما شجر بينهم فتحرشوا الناس عليهم وقال الشعبي رضي الله عنه تفاضلت اليهود والنصارى
على الرافضة بخصلة سيلت اليهود من خير اهل ملتكم فقالوا اصحاب موسى صلوات الله عليه وسيلت
النصارى من خير اهل ملتكم فقالوا اصحاب عيسى صلوات الله وسيلت الرافضة من شر اهل ملتكم فقالوا
اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم امروا بالاستغفار لهم فسبوهم فالسيف عليهم مسلول الى يوم القيمة لا
تقوم لهم راية ولا تثبت لهم قدم ولا تجتمع لهم كلمة كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله بسفك دمايهم
وادحاض حجتهم اعاذنا الله واياكم من الاهوا المضلة ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا اي حسدا
وبغضا ربنا انك روف رحيم **قوله** تعالى الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم للتبليغ فقط
بخلاف قوله عز وجل وقال الذين كفروا للذين امنوا فانه يحتمل ذلك ويحتمل العلة **فصل**
قال القرطبي هذه الاية سيقت للتعجب من اغترار اليهود لما وعدهم المنافقون من النصر مع علمهم بانهم
لا يعتقدون دينا ولا كتابا قال المقاتلان يعني عبد الله بن ابي سلول وعبد الله بن نبتل ورفاعة

ابن زيد وقيل رفاعة بن تابوت واوس بن قيظي كانوا من الانصار ولكنهم نافقوا قالوا لليهود قريظة والنضير
والاخوان هم الاخوة وهي هنا تحتمل وجوها احدها الاخوة في الكفر لان اليهود والمنافقين اشتركوا في عموم
الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وثانيها الاخوة بسبب المصادقة والموالاة والمعاونة وثالثها الاخوة
بسبب اشتراكهم في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا لليهود لئن اخرجتم من المدينة لنخرجن
معكم ولا نطيع فيكم احدا ابدا وان قوتلتم لننصرنكم وقيل هذا من قول بني النضير لقريظة وقولهم ولا
نطيع فيكم احدا ابدا يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم قالوا لا نطيعه في قتالكم وفيه دليل على صحة نبوة
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من جهة علم الغيب لانهم خرجوا فلم يخرجوا معهم وقوتلوا فلم ينصروهم كما قال
سبحانه وتعالى والله يشهد انهم لكاذبون اي في قولهم وفعلهم فقولهم لا نطيع فيكم احدا ابدا اي في
قتالكم او في خذلانكم **قوله** تعالى وان قوتلتم لننصرنكم اجيب القسم المقدر لان قبل ان لام موطئة
حذفت للعلم بمكانها فان الاكثر الاتيان بها ومثله قوله تعالى وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن وقد
تقدم **قوله** تعالى لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن
الادبار ثم لا ينصرون اجيب القسم لسبقه ولذلك رفعت الافعال ولم تجزم وحذف جواب الشرط
لدلالة جواب القسم عليه ولذلك كان فعل الشرط ماضيا وقال ابو البقا رحمه الله قوله تعالى
لا ينصرونهم لما كان الشرط ماضيا ترك جزم الجواب انتهى وهو غلط لان لا ينصرونهم ليس جوابا
للشرط بل جواب للقسم وجواب الشرط محذوف كما تقدم وكانه توهم انه من باب قوله
• وان اتاه خليل يوم مسئلة • يقول لا غائب مالي ولا حرم •
وقد سبق ابا البقا ابن عطية الى ما يوهم شيئا من ذلك ولكنه صرح بانه جواب القسم فقال جاءت الافعال غير مجزومة في لا يخرجون ولا ينصرون
لانها راجعة على حكم القسم لا على حكم الشرط وفي هذا نظر فقوله وفي هذا نظر يوهم انه جاء على خلاف
ما يقتضيه القياس وليس كذلك بل جاء على ما يقتضيه القياس وفي هذه الضمائر قولان احدهما
انها كلها للمنافقين والثاني انها مختلفة بعضها لهما ولاء وبعضها لهما ولاء **فصل** اعلم انه
تعالى عالم بجميع المعلومات التي لا نهاية لها وقد اخبر تعالى ان هولاء اليهود لئن اخرجوا فالمنافقين
لا يخرجون معهم وكان الامر كذلك لان بني النضير لما اخرجوا لم تخرج معهم المنافقون وقوتلوا
ايضا فما نصروهم وهذا كما يقول المعترض الطاعن في كلام الغير لا نسلم ان الامر كما تقول ولئن
سلمنا ان الامر كما تقول الا انه لا يفيد لك فايدة فكذا ههنا ذكر تعالى انهم لا يخرجون معهم وبتقدير
ان يخرجوا لا ينصرونهم وبتقدير ان ينصروهم الا انه لا بد وان يتركوا النصرة وينهزموا ويتركوا اولئك
المنصورين في ايدي اعدايهم ونظيره هذه الاية قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم
لتولوا وهم معرضون وقيل معنى لا ينصرونهم طايعين ولئن نصروهم مكرهين ليولن الادبار وقيل معنى
لا ينصرونهم لا يدومون على نصرهم هذا على ان الضميرين متفقان وعلى اختلاف الضميرين فالمعنى لئن
اخرج اليهود لا يخرج معهم المنافقون ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم اي ولئن نصر اليهود المنافقين
ليولن الادبار **قوله** لانتم اشد رهبة مصدر من رهب المبني للمفعول فالرهبة واقعة من
المنافقين لا من المخاطبين كانه قيل لانتم اشد مرهوبية في صدورهم من الله فالمخاطبون مرهوبون
وهو كقول كعب بن زهير رضي الله عنه في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم
• فلهو اخوف عندي اذ اكلمه • وقيل انك محبوس ومقتول •
• من ضيغم ببراء الارض مخدره • ببطن عثر غيل دونه غيل •
ورهبة تمييز **فصل** المعنى
لانتم يا معشر المسلمين اشد رهبة اي خوفا وخشية في صدورهم من الله يعني صدور بني النضير وقيل
صدور المنافقين ويحتمل ان يرجع الى الفريقين اي يخافون منكم اكثر مما يخافون من ربهم ذلك اشارة الى
الخوف اي ذلك الخوف بانهم قوم لا يفقهون قدر عظمة الله تعالى وقدرته حتى يخشوه حق خشيته **قوله**

لا يقاتلونكم جميعا يعني اليهود والمنافقين لا يقدرون على مقاتلتكم مجتمعين الا اذا كانوا في قرى
محصنة بالخنادق والدروب والحيطان انما تمنعهم منكم اوس وراء جدار اي من خلف حيطان
يستترون بها لجبنهم ورهبتهم **قوله** جميعا حال والا في قرى متعلق بيقاتلونكم وقوله
جدار قرا ابن كثير وابو عمرو جدار بالافراد وفيه اوجه احدها انه السور والسور الواحد يعم
الجميع من المقاتلة ويسترهم والثاني انه واحد في معنى الجمع لدلالة السياق عليه والثالث ان كل فرقة
منهم وراء جدار لا انهم كلهم وراء جدار والباقون قرءوا جدر بضمتين اعتبارا بان كل فرقة وراء
جدار فجمع لذلك وقرا الحسن وابو رجاء وابن وثاب والاعمش وتروى عن ابن كثير وعاصم بضمة
وسكون وهي تخفيف الاولى وقرا ابن كثير ايضا في رواية هرون عنه وهي قراءة كثير من المكيين
جدر بفتحة وسكون فقيل هي في الجدار وقال ابن عطية معناه اصل بنيان كالسور ونحوه
قال ويحتمل ان يكون من جدر النخيل اي او من وراء نخيلهم يقال اجدر النخل اذا طلعت رؤسه
في اول الربيع والجدر نبت واحده جدرة وقرى جدر بفتحتين حكاها الزمخشري وهي لغة في
الجدار ايضا وقرى جدر بضم الجيم واسكان الدال جمع الجدار قال القرطبي ويجوز ان تكون الالف
في الواحد كالف كتاب وفي الجمع كالف ظراف ومثله ناقة هجان ونوق هجان لانك تقول في
التثنية هجانان فصار لفظ الواحد والجمع مشتبهين في اللفظ مختلفين في المعنى قاله ابن جني
قوله باسهم بينهم شديد بينهم متعلق بشديد وجميعا مفعول ثان اي مجتمعين وقلوبهم
شتى جملة حالية او مستانفة للاخبار بذلك والعامة على شتى بلا تنوين لانها الف تانيث ومنه
كلاهم شتى ثوب الحلبة اي متفرقين وقال اخر
• الى الله اشكو فتنة شقت العصا • هي اليوم شتى وهي امس جميع •
وقرا مبشر بن عبيد شتى
منونة كانه جعلها الف الالحاق وهي قراءة ابن مسعود وقلوبهم اشت يعني اشد تشتيتا اي اشد
اختلافا **فصل** معنى باسهم بينهم شديد اي عداوة بعضهم لبعض قاله ابن عباس وقال
مجاهد باسهم بينهم شديد بالكلام والوعيد لنفعلن كذا وقال السدي المراد اختلاف قلوبهم
حتى لا يتفقوا على امر واحد وقيل باسهم بينهم شديد اي اذا لم يلقوا عدوا نسبوا انفسهم الى الشدة
والباس واذا لقوا العدو انهزموا تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى يعني اليهود والمنافقين قاله مجاهد وعنه
ايضا يعني المنافقين وقال الثوري هم المشركون واهل الكتاب وقال قتادة تحسبهم جميعا اي مجتمعين
على امر وراي وقلوبهم شتى اي متفرقة فاهل الباطل مختلفة اراؤهم وهم مجتمعون في عداوة اهل
الحق وعن مجاهد ايضا اراد ان دين المنافقين مخالف لدين اليهود وهذا يقوي انفس المؤمنين عليهم
ذلك بانهم قوم لا يعقلون اي ذلك التشتت والكفر بانهم لا يعقلون امر الله وقيل لا يعقلون ما
فيه الحظ لهم وقيل لا يعقلون ان تشتت القلوب مما يوهن قواهم **قوله تعالى** كمثل
الذين من قبلهم خبر مبتدا مضمر اي مثلهم مثل هولاء وقريبا فيه وجهان احدهما انه منصوب
بالتشبيه المتقدم اي يشبهونهم في زمن قريب سيقع لا يتاخر ثم بين ذلك بقوله ذاقوا وبال امرهم
والثاني انه منصوب بذاقوا اي ذاقوه في زمن قريب سيقع ولم يتاخروا انتصابه في وجهيه على
ظرف الزمان **فصل** يعني مثل هولاء اليهود كمثل الذين من قبلهم قال ابن عباس يعني به
بني قينقاع امكن الله منهم بني النضير وقال قتادة يعني بني النضير امكن الله منهم قبل قريظة وكان
بينهما سنتان وقال مجاهد يعني كفار قريش يوم بدر وكان ذلك قبل غزوة بني النضير قاله
مجاهد وكانت وقعة بدر قبل غزوة بني النضير بستة اشهر فلذلك قال قريبا وقيل هو عام في كل
من انتقم منه على كفره قبل بني النضير من نوح الى محمد صلى الله عليه وسلم ووبال اي جزاء كفرهم ومن قال
هم بنو قريظة جعل وبال امرهم نزولهم على حكم سعد بن معاذ فحكم فيهم بقتل المقاتلة وسبي الذرية

وهو قول الضحاك ومن قال المراد بني النضير قال وبال امرهم الجلا والنفي ولهم عذاب اليم في الاخرة
قوله تعالى كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر وهذا مثل ضربه الله للمنافقين واليهود
في تخاذلهم وعدم الوفا في نصرتهم وحذف حرف العطف ولم يقل وكمثل الشيطان لان حرف
العطف كثير كقولك انت عاقل انت كريم انت عالم وقوله كمثل الشيطان كالبيان لقوله كمثل
الذين من قبلهم فصل روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الانسان الذي قال له
الشيطان اكفر راهب نزلت عنده امراة اصابها لمم ليدعو لها فزين له الشيطان فوطيها فحملت
ثم قتلها خوفا ان يفتضح فدل الشيطان قومها على موضعها فجاوا فاستنزلوا الراهب ليقتلوه فجا
الشيطان فوعده ان سجد له انجاه منهم فسجد له فتبرا منه فاسلمه ذكره القاضي اسمعيل وعلي
ابن المديني عن سفين بن عيينه عن عمرو بن دينار عن عروة بن عامر عن عبيد بن رفاعة الدوفي
عن النبي صلى الله عليه وسلم وذكر خبرا مطولا وذكر ابن عباس في قوله كمثل الشيطان كان راهبا
في الفترة يقال له برصيصا قد تعبد في صومعته سبعين سنة لم يعص الله فيها طرفة عين
حتى اعيا ابليس وذكر خبر برصيصا بتمامه قال ابن عباس ضرب الله مثلا للمنافقين مع اليهود وذلك
ان الله تعالى امر نبيه ان يجلي بني النضير من المدينة فدس اليهم المنافقون ان لا تخرجوا من دياركم
فان قاتلوكم كنا معكم وان اخرجوكم كنا معكم فحاربوا النبي صلى الله عليه وسلم فخذلهم المنافقون
وتبراوا منهم كما تبرا الشيطان من برصيصا العابد وقيل المعنى مثل المنافقين في غدرهم لبني
النضير كمثل ابليس اذ قال لكفار قريش لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم الاية وقال مجاهد
المراد بالانسان ههنا جميع الناس في غرور الشيطان اياهم ومعنى قوله تعالى قال له اكفر اي اغواه
حتى قال اني كافر وليس قول الشيطان اني اخاف الله رب العالمين حقيقة انما هو على وجه التبري من
الانسان فهو تاكيد لقوله تعالى اني بري منك وفتح اليا من اني نافع وابن كثير وابو عمرو واسكن
الباقون قوله فكان عاقبتهما العامة على نصب عاقبتهما خبرا والاسم ان وما في حيزها
لان الاسم اعرف من عاقبتهما وقد تقدم تحرير هذا في العمران والانعام وقرا الحسن وعمرو بن عبيد
وابن ارقم برفعها على جعلها اسما وان وما في حيزها خبرا كقراءة ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا قوله
خالدين فيها العامة على نصبه حالا من الضمير المستكن في الجار لوقوعه خبرا والتثنية ظاهرة فيمن
جعل الاية مخصوصة في الراهب والشيطان ومن جعلها في الجنس فالمعنى فكان عاقبة الفريقين والصنف
قال مقاتل يعني المنافقين واليهود ونصب عاقبتهما على انه خبر كان والاسم انهما في النار وقرا
عبد الله وزيد بن علي والاعمش وابن ابي عبلة برفعه خبرا والظرف ملغى فيتعلق بالخبر وعلى هذا
فيكون تاكيدا لفظيا للحرف واعيد معه ضمير ما دخل عليه كقوله ففي الجنة خالدين فيها وهذا مذهب
سيبويه فانه يجيز الغا الظرف وان اكد والكوفيون يمنعونه وهذا حجة عليهم وقد يجيبون بانا
لا نسلم ان الظرف في هذه القراة ملغى بل نجعله خبرا لان وخالدا خبرا ثان وهو محتمل لما قالوه الا
ان الظاهر خلافه قال القرطبي وهذه القراة خلاف المرسوم وقوله وذلك جزا الظالمين اي المشركين
لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم قوله يا ايها الذين امنوا اتقوا الله في امره ونواهيه وادا فرايضه
واجتناب معاصيه ولتنظر نفس ما قدمت لغد يعني يوم القيامة والعرب تكني عن المستقبل بالغد
وقيل ذكر الغد تنبيها على ان الساعة قريبة كقوله * وان غدا للناظر بن قريب * وقال الحسن
وقتادة قرب الساعة حتى جعلها كغد لان كل ات قريب والموت لا محالة ات ومعنى ما قدمت اي من
خير او شر ونكر النفس لاستقلال الانفس التي تنظر فيما قدمت للاخرة كانه قال فلتنظر نفس واحدة
في ذلك ونكر الغد لتعظيمه وابهام امره كانه قيل الغد لا تعرف كنهه لعظمته وقرا العامة بسكون
لام الامر وقوله ولتنظر وابو حيوة ويحيى بن الحرث بكسرها على الاصل والحسن بكسرها ونصب الفعل

جعلها

جعلها لام كي ويكون المعلل مقدرا اي ولتنظر نفس حذركم واعلمكم قوله واتقوا الله تاكيد وقيل
كرر لتغاير متعلق التقويين فمتعلق الاولى اداء الفرائض لاقترانه بالعمل والثانية ترك المعاصي
لاقترانه بالتهديد والوعيد قال معناه الزمخشري ثم قال ان الله خبير بما تعملون قال سعيد بن جبير
بما تعملون اي بما يكون منكم قوله ولا تكونوا العامة على الخطاب وابو حيوة بالغيبة على
الالتفات نسوا الله اي تركوه فانساهم انفسهم ان يعملوا لها خيرا قاله المقاتلان وقيل نسوا حق
الله فانساهم حق انفسهم قاله سفين وقيل نسوا الله بترك شكره وتعظيمه فانساهم انفسهم بالعذاب
ان يذكر بعضهم بعضا حكاه ابن عيسى وقال سهل بن عبد الله نسوا الله عند الذنوب فانساهم
انفسهم عند التوبة وقيل فانساهم انفسهم اي اراهم يوم القيمة من الاهوال ما نسوا به انفسهم
كقوله تعالى لا يرتد اليهم طرفهم وافيدتهم هوا وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب
الله شديد ونسب تعالى الفعل الى نفسه في انساهم اذ كان ذلك بسبب امره ونهيه كقولك احمدت
الرجل اذا وجدته محمودا وقيل نسوا الله في الرخا فانساهم انفسهم في الشدائد اولئك هم الفاسقون
قال ابن جبير العاصون وقال ابن زيد الكاذبون واصل الفسق الخروج اي خرجوا عن طاعة
الله قوله لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة اي في الفضل والرتبة لما ارشد المومنين
الى ما هو مصلحتهم يوم القيامة بقوله ولتنظر نفس ما قدمت لغد وهدد الكافرين الذين نسوا
الله فانساهم انفسهم بين بهذه الاية الفرق بين الفريقين واعلم ان الفرق بينهما معلوم بالضرورة وانما
ذكر الفرق ثم قال اصحاب الجنة هم الفايزون وهذا كالتفسير لنفي تساويهما وهو يجوز ان يكون
فصلا وان يكون مبتدا فعلى الاول الاخبار بمفرد وعلى الثاني بجملة ومعنى الفايزون اي المقربون
المكرمون وقيل الناجون من النار ونظير هذه الاية قوله لا يستوي الخبيث والطيب وقوله افمن
كان مومنا كمن كان فاسقا لا يستوون وقوله ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين
في الارض ام نجعل المتقين كالفجار وقد مضى الكلام في ذلك فصل احتجت المعتزلة
على ان صاحب الكبيرة لا يدخل الجنة بهذه الاية قالوا لان الاية دلت على ان اصحاب النار واصحاب
الجنة لا يستويان فلو دخل صاحب الكبيرة الجنة لكان اصحاب الجنة واصحاب النار يستويان وهو
غير جائز وجوابه معلوم فصل دلت هذه الاية على ان المسلم لا يقتل بالذمي كما هو مذكور
في كتب الفقه قوله لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله
وهذا حث على تامل مواعظ القران وبين انه لا عذر في ترك التدبر فانه لو خوطب بهذا القران
الجبال مع تركيب العقل فيها لانقادت لمواعظه ولرايتها على صلابتها ورزانتها خاشعة متصدعة
اي متشققة من خشية الله والخاشع الذليل والمتصدع المتشقق وقيل خاشعا لله بما كلفه من
طاعته متصدعا من خشية الله ان يعصيه فيعاقبه وقيل هو على وجه المثل للكفار كقوله تعالى
وتلك الامثال نضربها للناس اي انه لو انزل هذا القران على الجبل لخشع لوعده وتصدع لوعيده وانتم
ايها المقهورون باعجازه لا ترغبون في وعده ولا ترهبون في وعيده والغرض من هذا الكلام التنبيه
على فساد قلوب هولاء الكفار وغلظ طباعهم ونظيره ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة
او اشد قسوة وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي لو انزلنا هذا القران يا محمد على جبل
لما ثبت ولا تصدع من نزوله عليه وقد انزلناه عليك وثبتناك له فيكون ذلك امتنانا عليه
ان ثبته لما لم تثبت له الجبال وقيل انه خطاب للامة وان الله تعالى لو خوف بهذا القران
الجبال لتصدعت من خشية الله والانسان اقل قوة واكثر ثباتا فهو يقوم بحقه ان اطاع ويقدر على
رده ان عصى لانه موعود بالثواب ومزجور بالعقاب قوله خاشعا حال لان الروية بصرية وقرا
طلحة مصدعا بادغام التا في الصاد قوله هو الله الذي لا اله الا هو لما وصف القران بالعظم

ويعلمون ان عظم الصفة تابع لعظم الموصوف اتبع ذلك بشرح عظمة الله تعالى فقال هو الله الذي لا اله
الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم قال ابن عباس معناه عالم السر والعلانية وقيل ما كان
وما يكون وقال سهل عالم بالاخرة والدنيا وقيل الغيب ما لم يعلمه العباد ولا عاينوه والشهادة ما علموا
وشاهدوا وقوله الرحمن الرحيم تقدم مثله **قوله** هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس قرا
ابو ذر وابو السماك القدوس بفتح القاف قال الحسن هو الذي كثرت بركاته والعامة بضمها وهو المنزه
عن كل نقص والطاهر عن كل عيب والقدوس بالتحريك السطل بلغة اهل الحجاز لانه يتطهر به ومنه
القادوس لواحد الاواني التي يستخرج بها الماء من البير بالسانية وكان سيبويه يقول قدوس وسبوح
بفتح اولهما وحكى ابو حاتم عن يعقوب انه سمع عند الكسائي اعرابيا فصيحا يكنى ابا الدنيا يقرا القدوس
بفتح القاف قال ثعلب كل اسم على فعول فهو مفتوح الاول مثل سفود وكلوب وتنور وسمور وشبوط
الا السبوح والقدوس فان الضم فيهما اكثر وقد يفتحان وكذلك الذروح بالضم **قوله** السلام
اي ذو السلامة من النقايص قال ابن العربي اتفق العلما على ان قوله السلام النسبة تقديره ذو السلامة
ثم اختلفوا في ترجمة النسبة فقيل معناه الذي سلم من كل عيب وبرى من كل نقص وقيل المسلم على
عباده في الجنة كما قال سلام قولا من رب رحيم وقيل معناه الذي سلم الخلق من ظلمه وهذا قول الخطابي
قال القرطبي وعلى هذا والذي قبله يكون صفة فعل وعلى الاول يكون صفة ذات وقيل معناه المسلم
لعباده **قوله** المومن اي الذي امن اولياوه عذابه يقال امنه يومنه فهو مومن قال تعالى
وامنهم من خوف وقيل المصدق لرسله باظهار معجزاته عليهم ومصدق المومنين ما وعدهم من الثواب
ومصدق الكافرين ما اوعدهم من العقاب وقال مجاهد المومن الذي وحد نفسه بقوله شهد
الله انه لا اله الا هو وقرا العامة المومن بكسر الميم اسم فاعل من امن بمعنى امن وابو جعفر محمد
ابن علي بن الحسين وقيل ابن القعقاع بفتحها فقال الزمخشري يعني المومن به على حذف حرف الجر كقوله
واختار موسى قومه المختارون وقال ابو حاتم لا يجوز ذلك اي هذه القراة لانه لو كان كذلك لكان
المومن به وكان جايزا لكن المومن المطلق بلا حرف جر يكون من كان خايفا من نعتد رد ما قاله الزمخشري
فصل قال ابن عباس اذا كان يوم القيامة اخرج اهل التوحيد من النار واول من يخرج
من وافق اسمه اسم نبي حتى اذا لم يبق فيها من يوافق اسمه اسم نبي قال الله تعالى لما فيهم انتم المسلمون
وانا السلام وانتم المومنون وانا المومن فيخرجهم من النار ببركة هذين الاسمين **قوله** المهيمن
العزيز قيل معنى المهيمن الشاهد الذي لا يغيب عنه شي وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي
ومقاتل قال الخليل وابو عبيدة هيمن يهيمن فهو مهيمن وقد تقدم الكلام عليه عند قوله ومهيمنا عليه
وقال ابن الانباري المهيمن القايم على خلقه بقدرته وانشد
الا ان خير الناس بعد نبيه مهيمنه التاليه في العرف والنكر وقيل هو في الاصل مومن قلبت الهمزة
ها كقوله ارقت وهرقت ومعناه المومن نقله البغوي وتقدم الكلام على العزيز **قوله** الجبار
استدل به من يقول ان امثلة المبالغة تاتي من المزيد على الثلاثة فانه من اجبره على كذا اي قهره
قال الفرا ولم اسمع فعالا من افعل الا في جبار ودراك من ادرك انتهى واستدرك عليه اشيا
فهو شاذ وقيل هو من الجبر وهو الاصلاح وقيل هو من قولهم نخلة جبارة اذا لم تنلها الجناة قال
امرو القيس سوامق جبار اثيث فروعه وعالين قنوانا من البسر احمرا يعني النخل التي فاتت اليد
قال شهاب الدين فيه وجوه احدها انه فعال من جبر اذا اغنى الفقير واصلح الكسير قال الازهري
هو لعمري جابر كل كسير وفقير وهو جابر دينه الذي ارتضاه قال العجاج
قد جبر الدين الاله فجبر الثاني ان يكون من جبره اذا اكرهه على ما اراده قال السدي انه الذي يقهر
الناس ويجبرهم على ما اراده قال الازهري هي لغة تميم وكثير من الحجازيين يقولونها وكان الشافعي

رحمه الله يقول جبره السلطان على كذا بغير الف الثالث قال ابن عباس الجبار هو الملك العظيم وقيل
الجبار الذي لا يطاق سطوته قال الواحدي هذا الذي ذكرنا من معاني الجبار في صفة الله تعالى
واما معاني الجبار في صفة الخلق فلها معان احدها المسلط كقوله وما انت عليهم بجبار الثاني العظيم
الجسم كقوله تعالى ان فيها قوما جبارين الثالث القتال كقوله بطشتم جبارين وقوله ان تريد الا
ان تكون جبارا في الارض **قوله** المتكبر قال ابن عباس الذي تكبر بربوبيته فلا شي مثله وقيل
المتكبر عن كل سوء المتعظم عما لا يليق به من صفات الحدث والذم واصل الكبر والكبريا الامتناع
وقلة الانقياد قال حميد بن ثور عفت مثل ما يعفو الفصيل فاصبحت بها كبريا الصعب وهي ذلول
قال الزجاج هو الذي يعظم عن ظلم عباده وقال ابن الانباري المتكبر ذو الكبريا والكبريا عند
العرب الملك قال تعالى وتكون لكما الكبريا في الارض واعلم ان المتكبر في صفات الله مدح وفي صفات
المخلوقين ذم قال عليه السلام فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى انه قال الكبريا ردائي والعظمة
ازاري فمن نازعني واحدا منهما قصمته ثم قذفته في النار وقيل المتكبر معناه العالي وقيل معناه الكبير
لانه اجل من ان يتكلف كبرا وقد يقال تظلم بمعنى ظلم وتشتم بمعنى شتم واستقر بمعنى قر كذلك المتكبر
بمعنى الكبير وليس كما يوصف به المخلوق اذا وصف بتفعل اذا نسب الى ما لم يكن منه ثم نزه نفسه
فقال سبحان الله عما يشركون كانه قال ان المخلوقين قد يتكبرون ويدعون مشاركة الله تعالى
في هذا الوصف لكنه سبحانه منزه عن التكبر الذي هو حاصل للخلق لانهم ناقصون بحسب ذواتهم
فادعاوهم الكبر يكون ضم نقصان الكذب الى النقصان الذاتي واما الله سبحانه فله العلو والعزة
فاذا ظهر كان ذلك ضم كمال الى كمال فسبحان الله عما يشركون في اثبات صفة التكبرية للخلق
قوله هو الله الخالق البارئ الخالق هنا المقدر والبارئ المنشي المخترع وقدم ذكر الخالق
على البارئ لان الارادة متقدمة على تاثير القدرة **قوله** المصور العامة على كسر الواو ورفع
الرا اما صفة واما خبرا وقرا امير المومنين علي بن ابي طالب والحسن وابن السميفع وحاطب بن ابي
بلتعة بفتح الواو ونصب الرا وتخريجها على ان يكون منصوبا بالبارئ والمصور هو الانسان اما
ادم واما هو وبنوه وعلى هذه القراة يحرم الوقف على المصور بل يجب الوصل ليظهر النصب في الرا
والا فقد يتوهم منه في الوقف ما لا يجوز وروي عن امير المومنين ايضا فتح الواو وجر الرا وهي كالاولى
في المعنى الا انه اضاف اسم الفاعل لمعموله تخفيفا نحو الضارب الرجل والوقف على المصور في هذه
القراة ايضا حرام وقد نبه عليه بعضهم وقال مكي ويجوز نصبه في الكلام ولا بد من فتح الواو فينصبه
بالبارئ اي هو الله الخالق المصور يعني ادم عليه السلام وبنيه انتهى وكانه لم يطلع على هذه القراة
وقال ايضا ولا يجوز نصبه مع كسر الواو وتروى عن علي رضي الله عنه يعني انه اذا كسرت الواو وكان
من صفات الله تعالى وحينيذ لا يستقيم نصبه عنده لان نصبه باسم الفاعل قبله وقوله ويروى
اي كسر الواو ونصب الرا واذا صح هذا عن امير المومنين فيخرج على انه من القطع كانه قيل امدح
المصور كقولهم الحمد لله اهل الحمد بنصب اهل وقراة من قرا الله رب العالمين بنصب رب قال
مكي والمصور مفعل من صور يصور ولا يحسن ان يكون من صار يصير لانه يلزم منه ان يقال المصير
بالياء ومثل هذا من الواضحات ولا يتبدل المعنى ايضا وتقدم البارئ على المصور لان ايجاد الذوات
متقدم على ايجاد الصفات فالتصوير مرتب على الخلق والبراية وتابع لهما ومعنى التصوير التخطيط
والتشكيل وخلق الله الانسان في بطن امه ثلاث خلق جعله علقة ثم مضغة ثم جعله صورة فهو
التشكيل الذي يكون به ذا صورة يعرف بها ويتميز عن غيره فتبارك الله احسن الخالقين **قوله**
له الاسما الحسنى يسبح له ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم تقدم نظيره روي ان ابا هريرة
قال سالت خليلي ابا القسم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اسم الله الاعظم فقال عليك باخر

سورة الحشر فاكثر قراءتها فاعدت عليه فاعاد علي وقال جابر بن زيد ان اسم الله الاعظم هو الله لمكان هذه الاية وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة الحشر غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وعن ابي امامة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من قرا خواتيم سورة الحشر في ليل او نهار فقبضه الله في تلك الليلة او ذلك اليوم فقد اوجب الله له الجنة ٥

سورة الممتحنة مدنية وتسمى الممتحنة بكسر الحا اي الممتحنة واضيف الفعل اليها مجازا كما سميت سورة براءة المبعثرة والفاضحة لما كشفت من عيوب المنافقين ومن قال بفتح الحاء فانه اضافها الى المراة التي نزلت فيها وهي ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط قال الله تعالى فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن وهي ثلاث عشرة اية وثلاث مائة وثمان واربعون كلمة والف وخمس مائة وعشرة احرف بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء الاية وجه تعلق اول هذه السورة باخر ما قبلها هو ان اخر تلك السورة يشتمل على الصفات الجميلة اللايقة بحضرة الله تعالى من الوجه وغيرها واول هذه السورة يشتمل على حرمة الاحتلام مع من لم يعترف بتلك الصفات **قوله** عدوي وعدوكم اولياء هذان مفعولان الاتخاذ والعدو لما كان بزنة المصادر وقع على الواحد فما فوقه واضاف العدو لنفسه تغليظا في جرمهم روى مسلم عن علي رضي الله عنه قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم انا والزبير والمقداد فقال ايتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها فانطلقنا تعادى بنا خيلنا فاذا نحن بالمراة وهي امراة عبد الرحمن بن عوف ولدت ابرهيم بن عبد الرحمن فقلنا اخرجي الكتاب فقالت ما معي كتاب فقلنا لتخرجن الكتاب او لتلقين الثياب فاخرجته من عقاصها فاتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا فيه من حاطب بن ابي بلتعة الى ناس من المشركين من اهل مكة يخبرهم ببعض امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا حاطب ما هذا قال لا تعجل علي يا رسول الله اني كنت امرا ملصقا في قريش قال سفين يقول كنت حليفا ولم اكن من انفسها وكان معك من المهاجرين من له قرابات يحمون اهليهم واموالهم فاحببت اذ فاتني ذلك من النسب ان اتخذ عندهم يدا يحمون قرابتي ولم افعله كفرا وارتدادا عن ديني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما انه قد صدقكم فقال عمر رضي الله عنه يا رسول الله دعني اضرب عنق هذا المنافق فقال انه شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدرا فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء الى قوله سواء السبيل قيل اسم المراة سارة من موالي قريش وكان في الكتاب اما بعد فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه اليكم بجيش كالليل يسير كالسيل واقسم بالله لو لم يسر اليكم الا وحده لاظفره الله بكم وانجز له موعده فيكم فالله وليه وناصره وقيل ان سارة مولاة ابي عمرو بن صيفي بن هاشم بن عبد مناف اتت المدينة من مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتجهز لفتح مكة قيل كان هذا زمن الحديبية فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم امهاجرة جيت يا سارة قالت لا قال امسلمة جيت قالت لا قال فما جاء بك قالت كنتم الاهل والموالي والاصل والعشيرة وقد ذهبت الموالي يعني قتلى يوم بدر وقد احتجت حاجة شديدة فقدمت عليكم لتعطوني وتكسوني فقال عليه السلام فاين انت عن شباب اهل مكة وكانت مغنية نايحة قالت ما طلب مني شي بعد وقعة بدر فحث رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب وبني المطلب على اعطايها فكسوها وحملوها واعطوها فخرجت الى مكة واتاها حاطب بن بلتعة حليف بني اسد بن عبد العزى وقال اعطيك عشرة دنانير وبردا على ان تبلغي هذا الكتاب الى اهل مكة وكتب في الكتاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة ونزل جبريل عليه السلام فاخبر النبي صلى الله عليه

وسلم

وسلم بذلك فبعث عليا والزبير وابا مرثد الغنوي وفي رواية عليا والزبير والمقداد وفي رواية عليا وعمار بن ياسر وفي رواية عليا وعمارا وعمر والزبير وطلحة والمقداد وابا مرثد وكانوا كلهم فرسانا فانطلقوا حتى ادركوا روضة خاخ فان بها ظعينة ومعها كتاب من حاطب الى المشركين فخذوه منها وخلوا سبيلها فان لم تدفعه اليكم فاضربوا عنقها فادركوها في ذلك المكان فقالوا اين الكتاب فحلفت انه ما معها كتاب ففتشوا امتعتها فلم يجدوا معها كتابا فهموا بالرجوع فقال علي والله ما كذبنا ولا كذبنا وسل سيفه وقال اخرجي الكتاب والا والله لاجردنك ولاضربن عنقك فلما رات الجد اخرجته من ذوايبها وقد خباته في شعرها وفي رواية من حجزتها فخلوا سبيلها ورجعوا بالكتاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل الى حاطب فقال هل تعرف هذا الكتاب قال نعم وذكر الحديث **فصل** هذه السورة اصل في النهي عن موالاة الكفار وقد تقدم نظيره كقوله لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء وقوله يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء روي ان حاطبا لما سمع يا ايها الذين امنوا غشي عليه من الفرح بخطاب الايمان **قوله** تلقون فيه اربعة اوجه احدها انه تفسير لموالاتهم اياهم الثاني انه استيناف اخبار بذلك فلا يكون للجملة على هذين الوجهين محل من الاعراب الثالث انها حال من فاعل تتخذوا اي لا تتخذوا ملقين المودة الرابع انها صفة لاولياء قال الزمخشري فان قلت اذا جعلته صفة لاولياء وقد جرى على غير من هو له فاين الضمير البارز وهو قولك تلقون اليهم انتم بالمودة قلت ذاك انما اشترطوه في الاسماء دون الافعال لو قيل اولياء ملقين اليهم بالمودة على الوصف لما كان بد من الضمير البارز وقد تقدمت هذه الاشياء مستوفاة وفيها كلام لمكي وغيره الا ان ابا حيان اعترض على كونها صفة او حالا بانهم نهوا عن اتخاذهم اولياء مطلقا في قوله لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء والتقييد بالحال والوصف يوهم جواز اتخاذهم اولياء اذا انتفى الحال او الوصف قال شهاب الدين ولا يلزم ما قال لانه معلوم من القواعد الشرعية فلا مفهوم لها البتة وقال الفرا تلقون من صلة اولياء هذا على صولهم من ان النكرة توصل كغيرها من الموصولات **قوله** بالمودة في الباء ثلاثة اوجه احدها ان الباء مزيدة في المفعول به كقوله ولا تلقوا بايديكم وقوله ومن يرد فيه بالحاد الثاني انها غير مزيدة والمفعول محذوف ويكون معنى الباء السبب كانه قيل تلقون اليهم اسرار رسول الله صلى الله عليه وسلم واخباره بسبب المودة التي بينكم وبينهم قاله الزجاج الثالث انها متعلقة بالمصدر الدال عليه تلقون اي القاوهم بالمودة نقله الحوفي عن البصريين وجعل القول بزيادة الباء قول الكوفيين الا ان هذا الذي نقله عن البصريين لا يوافق اصولهم اذ يلزم منه حذف المصدر وابقاء معموله وهو لا يجوز عندهم وايضا فان فيه حذف الجملة بحذوف وهذا اجحاف **فصل** قال ابن الخطيب في الاية مباحث الاول اتخاذ العدو وليا كيف يمكن والعداوة منافية للمحبة والجواب لا يبعد ان تكون العداوة بالنسبة الى امر اخر الا ترى قوله تعالى انما اموالكم واولادكم عدو لكم وقال عليه السلام اولادنا اكبادنا الثاني قال عدوي وعدوكم ولم يقل بالعكس والجواب ان العداوة بين المومن والكافر بسبب محبة الله ومحبة رسوله عليه السلام فتكون محبة العبد من اصل الايمان بحضرة الله تعالى لعلة ومحبة حضرة الله تعالى للعبد لا لعلة والذي لا لعلة اقدم على الذي لعلة ولان الشي اذا كانت له نسبة الى الطرفين فالطرف الاعلى متقدم على الادنى الثالث قال اولياء ولم يقل وليا والعدو والولي مفرقا فالجواب ان المعرف بحرف التعريف يتناول كل فرد فكذلك المعرف بالاضافة **فصل** قال القرطبي قوله تلقون اليهم بالمودة يعني بالظاهر لان قلب حاطب كان سليما بدليل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم اما صاحبكم فقد صدق وهذا نص في سلامة

فواده وخلوص اعتقاده **فصل** قال القرطبي من كثرت طلعته على عورات المسلمين وينبه عليهم
ويعرف عدوهم باخبارهم لم يكن بذلك كافرا اذا كان فعله ذلك لغرض دنياوي واعتقاده على
ذلك سليم كما فعل حاطب حين قصد بذلك اتخاذ اليد ولم ينو الردة عن الدين واذا قيل بانه لا يكون
كافرا فهل يقتل حدا ام لا قال مالك وابن القاسم واشهب يجتهد الامام في ذلك وقال عبد الملك اذا
كانت عادته تلك قتل لانه جاسوس وقد قال مالك يقتل الجاسوس لاضراره بالمسلمين وسعيه بالفساد
في الارض ولعل ابن الماجشون انما اخذ التكرار في هذا لان حاطبا اخذ في اول فعله فان كان
الجاسوس كافرا فقال الاوزاعي يكون نقضا لعهده وقال الجاسوس الحربي يقتل والجاسوس المسلم
والذمي يعاقبان الا ان تظاهرا على الاسلام فيقتلان وقد روي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه
ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بعين للمشركين اسمه فرات بن حيان فامر به ان يقتل فصاح يا معشر
الانصار اقتل وانا اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فامر به النبي صلى الله عليه وسلم
فخلى عنه سبيله ثم قال ان منكم من اكله الى ايمانه منهم فرات بن حيان **قوله** وقد كفروا فيه اوجه
احدها الاستيناف الثاني الحال من فاعل تتخذوا الثالث الحال من فاعل تلقون اي لا تتولوهم ولا
توادوهم وهذه حالهم وقرا العامة بما بالباء والجحدري وعاصم في رواية لما باللام اي لاجل ما
جاءكم من الحق على هذا الشيء المكفور به غير مذكور تقديره كفروا بالله ورسوله **قوله** يخرجون
الرسول يجوز ان يكون مستانفا وان يكون تفسيرا لكفرهم فلا محل له على هذين وان يكون حالا من فاعل
كفروا **قوله** واياكم عطف على الرسول وقدم عليه تشريفا له وقد استدل به من يجوز
انفصال الضمير مع القدرة على اتصاله اذ كان يجوز ان يقال يخرجونكم والرسول فيجوز تخرجون
اياكم والرسول في غير القران وهو ضعيف لان حالة تقديم الرسول دلالة على شرفه لا نسلم انه
يقدر على اتصاله وقد تقدم الكلام على هذه الاية عند قوله تعالى ولقد وصينا الذين اوتوا
الكتاب من قبلكم واياكم في سورة النسا **قوله** ان تومنوا مفعول له وناصبه يخرجون اي
يخرجونكم لايمانكم او كراهة ايمانكم **فصل** قال القرطبي ان تومنوا بالله ربكم تعليل
ليخرجون والمعنى يخرجون الرسول ويخرجونكم من مكة لان تومنوا بالله اي لاجل ايمانكم بالله قال
ابن عباس وكان حاطب ممن اخرج مع النبي صلى الله عليه وسلم وقيل في الكلام تقديم وتاخير
والتقدير لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء ان كنتم خرجتم مجاهدين في سبيلي وقيل في الكلام
حذف والمعنى ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي فلا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء قال ابو حيان
ان كنتم خرجتم جوابه محذوف عند الجمهور لتقدم لا تتخذوا ومتقدم وهو لا عند الكوفيين ومن
تابعهم وقال الزمخشري ان كنتم خرجتم متعلق بلا تتخذوا يعني لا تتولوا اعدائي ان كنتم اولياي
وقول النحويين في مثله هو شرط جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه انتهى يريد انه متعلق به من حيث
المعنى واما من حيث الاعراب فكما قال جمهور النحويين **قوله** جهادا وابتغا يجوز ان ينصبا
على المفعول له اي خرجتم لاجل هذين او على المصدر بفعل مقدر اي تجاهدون وتبتغون او على
انهما في موضع الحال **قوله** تسرون يجوز ان يكون مستانفا ولم يذكر الزمخشري غيره ويجوز
ان يكون حالا ثانية مما انتصب عنه تلقون حالا ويجوز ان يكون بدلا من تلقون قاله ابن عطية
وشبهه ان يكون بدل اشتمال لان القا المودة يكون سرا وجهرا فابدل منه هذا للبيان باي نوع وقع
الالقا قال القرطبي تسرون بدل من تلقون ومبين عنه والافعال تبدل من الافعال كما قال
تعالى ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب وانشد سيبويه
* متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا * تجد حطبا جزلا ونارا تاججا * ويجوز ان يكون خبر مبتدا مضمر
اي انتم تسرون قاله ابن عطية ولا يخرج عن معنى الاستيناف وقال ابو البقا هو توكيد لتلقون بتكرير

معناه

معناه قال شهاب الدين وفيه نظر لان الالقا اعم من ان يكون سرا وجهرا وتقدم الكلام على البا في
قوله بالمودة **قوله** وانا اعلم هذه الجملة حال من فاعل تسرون اي واي طائل لكم في اسراركم
وقد علمتم ان الاسرار والاعلان سيان في علمي واعلم يجوز ان يكون افعل تفضيل وهو الظاهر اي انا
اعلم من كل احد بما تخفون وبما تعلنون وان يكون فعلا مضارعا قال ابن عطية وعدي بالبا لانك
تقول علمت بكذا وعلمت كذا فتكون زائدة وقيل وانا اعلم من كل احد كما يقال فلان اعلم وافضل من
غيره **فصل** قال القرطبي وهذا كله معاتبة لحاطب وهو يدل على فضله وكرامته
ونصيحته لرسوله وصدق ايمانه فان المعاتبة لا تكون الا من محب لحبيب كما قال
* اذا ذهب العتاب فليس ود * ويبقى الود ما بقي العتاب * **فان قيل** لم تقدم العلم
بالاخفا على العلم بالاعلان مع ان ذلك مستلزم لهذا من غير عكس فالجواب هذا بالنسبة الى علمنا
لا بالنسبة الى علمه تعالى اذ هما سيان في علمه تعالى لان المقصود بيان ما هو الاخفا وهو الكفر فيكون
متقدما **فان قيل** لم لم يقل بما اسررتم وما اعلنتم مع انه اليق بما سبق في قوله
تسرون فالجواب ان فيه من المبالغة ما ليس في ذلك فان الاخفا ابلغ من الاسرار بدليل قوله
يعلم السر واخفى اي اخفى من السر **فصل** والمراد بالمودة في الاية النصيحة قال
ابن عباس وانا اعلم بما اخفيتم في صدوركم وما اظهرتم بالسنتكم من الاقرار والتوحيد ومن
يفعله منكم اي من يسر اليهم ويكاتبهم منكم فقد ضل سوا السبيل اي اخطا قصد طريق الهدى **قوله**
ومن يفعله في الضمير وجهان اظهرهما انه يعود على الاسرار لانه يعود الى اقرب مذكور والثاني
انه يعود على الاتخاذ قاله ابن عطية **قوله** سوا السبيل يجوز ان يكون منصوبا على الظرف
ان قلنا ضل قاصر وان يكون مفعولا به ان قلنا هو متعد **فان قيل** ما الفائدة
في قوله منكم ومن المعلوم ان من فعل هذا فقد ضل سوا السبيل فالجواب اذا كان المراد من
قوله منكم هم المومنون فظاهر لان من يفعل ذلك لا يلزم ان يكون مو **قوله** ان
يثقفوكم يلقوكم ويصادفوكم ومنه المثاقفة اي طلب مصادفة الغرة في المسايفة
وشبهها وقيل يثقفوكم يظفروا بكم ويتمكنوا منكم يكونوا لكم اعدا ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم
بالسوء اي بالضرب والشتم **قوله** وودوا لو تكفرون في ودوا وجهان احدهما انه معطوف
على جواب الشرط وهو قوله يكونوا ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء قاله الزمخشري ثم
رتب عليه سوالا وجوابا فقال فان قلت كيف اورد جواب الشرط مضارعا مثله ثم قال
فان فيه نكتة كانه قيل وودوا قبل كل شي كفركم وارتدادكم يعني انهم يريدون ان يلحقوا بكم مضار
الدنيا والاخرة جميعا والثاني انه معطوف على جملة الشرط والجزا ويكون تعالى قد اخبر
بخبرين بما تضمنته الجملة الشرطية وبودادتهم كفر المومنين ورجح ابو حيان هذا واسقط به
سوال الزمخشري وجوابه فقال وكان الزمخشري فهم من قوله وودوا انه معطوف على جواب
الشرط والذي يظهر انه ليس معطوفا عليه لان ودادتهم كفرهم ليست مترتبة على الظفر بهم والتسليط
عليهم بل هم وادون كفرهم على كل حال سواء ظفروا بهم او لم يظفروا انتهى قال شهاب الدين والظاهر
انه عطف على الجواب وقوله هم وادون ذلك مطلقا مسلم ولكن ودادتهم له عند الظفر
والتسليط اقرب واطمع لهم فيهم وقوله لو تكفرون يجوز ان يكون لما سيقع لوقوع وان تكون
المصدرية عند من يرى ذلك وتقدم تحريرهما في البقرة **فصل** والمعنى وودوا
لو تكفرون بمحمد فلا تناصحوهم فانهم لا يناصحونكم **قوله** لن تنفعكم ارحامكم لما اعتذر

حاطب بان لن ارحامه واولاده فيما بينهم بين الله تعالى ان الاهل والاولاد لا ينفعون شيا يوم القيامة ان عصى من اجل ذلك يفصل بينكم فيدخل المومنين الجنة ويدخل الكافرين النار والله بما تعملون بصير **قوله** يوم القيامة يجوز فيه وجهان احدهما ان يتعلق بما قبله اي لن ينفعكم يوم القيمة فيوقف عليه ويبتدا بيفصل بينكم والثاني ان يتعلق بما بعده اي يفصل بينكم يوم القيامة فيوقف على اولادكم ويبتدا بيوم القيامة والقراء في يفصل بينكم على اربع مراتب الاولى لابن عامر بضم اليا وفتح الفا والصاد مثقلة الثانية كذلك الا انه بكسر الصاد للاخوين الثالثة بفتح اليا وسكون الفا وكسر الصاد مخففة للباقين وهم نافع وابن كثير وابو عمرو وهذا في السبعة وقرا ابن ابي عبلة وابو حيوة بضم اليا وسكون الفا وكسر الصاد مخففة من افصل وابو حيوة ايضا نفصل بضم النون من افصل والنخعي وطلحة نفصل بضم النون وفتح الفا وكسر الصاد مشددة وقرا ايضا وزيد بن علي نفصل بفتح النون وفتح الفا وكسر الصاد مخففة فهذه اربع فصارت ثمان قراءات فمن بناه للمفعول فالقايم مقام الفاعل اما ضمير المصدر اي يفصل الفصل او الظرف وبني على الفتح لاضافته الى غير متمكن كقوله لقد تقطع بينكم في احد الاوجه او الظرف وهو باق على نصبه كقولك جلس عندك ثم قال والله بما تعملون بصير وفيه سوال وهو انه لو لم يقل خبير مع انه ابلغ من العلم بالشي والجواب ان الخبير ابلغ في العلم والبصير اظهر منه كانه جعله كالمحسوس بحس البصر **قوله** قد كانت لكم اسوة حسنة في ابرهيم لما نهى عن موالاة الكفار ذكر قصة ابرهيم وان من سيرته التبري من الكفار اي فاقتدوا به الا في استغفاره لابيه والاسوة والاسوة ما يتاسى به مثل القدوة والقدرة ويقال هو اسوتك اي مثلك وانت مثله وتقدم قراتها اسوة في سورة الاحزاب والكلام على مادتها **قوله** في ابرهيم فيه اوجه احدها انه متعلق باسوة تقول لي اسوة في فلان ومنع ابو البقا ان يتعلق بها لانها قد وصفت وهذا لا يبالي به لانه يغتفر في الظرف ما لا يغتفر في غيره الثاني انه متعلق بحسنة تعلق الظرف بالعامل الثالث انه نعت ثان لاسوة الرابع انه حال من الضمير المستتر في حسنة الخامس ان يكون خبر كان ولكم تبيين **قوله** والذين معه يعني اصحاب ابرهيم من المومنين وقال ابن زيد هم الانبيا **قوله** اذ قالوا فيه وجهان احدهما انه خبر كان والثاني انه متعلق بخبرها قالهما ابو البقا ومن جوز في كان ان يعمل في الظرف علقه بها والمراد بقومهم الكفار **قوله** انا برآء هذه قراءة العامة بضم الباء وفتح الراء والف بين همزتين جمع بري نحو كرما في جمع كريم وعيسى الهمداني بكسر الباء وهمزة بعد الف وفيه اوجه احدها انه جمع بري ايضا والاصل واحدة بعد الف نحو كرام في جمع كريم وعيسى ايضا وابو جعفر بضم البا وهمزة بعد الف وفيه اوجه احدها انه جمع بري ايضا والاصل كسر البا وانما ابدل من الكسرة ضمة كرجال ورخال قاله الزمخشري الثاني انه جمع بري ايضا واصله براا كالقراءة المشهورة الا انه حذف الهمزة الاولى تخفيفا قاله ابو البقا الثالث انه اسم جمع لبري نحو توام وظوار اسمي جمع لتوام وظير وقرا عيسى ايضا برا بفتح الباء وهمزة بعد الف كالتي في الزخرف وفتح ذلك لانه مصدر والمصدر يقع على الجمع كوقوعه على الواحد قال الزمخشري والبرا والبراءة كالظما والظماءة وقال مكي واجاز ابو عمرو وعيسى ابن عمر برا بكسر الباء جعله ككريم وكرام قال القرطبي هو على وزن فعال مثل قصار وقصير وطوال وطويل وظراف وظريف ويجوز ترك الهمزة حتى تقول برى وتنون واجاز الفرا برا بفتح الباء ثم قال وبرا في الاصل مصدر وكانه لم يطلع على انها قراءة منقولة **فصل** قال

القرطبي الاية نص في الامر بالاقتدا بابرهيم عليه السلام في فعله وذلك يدل على ان شرع من قبلنا شرع لنا فيما اخبر الله ورسوله **قوله** كفرنا بكم اي بما امنتم به من الاوثان وقيل اي بافعالكم وكذبناها وانكرنا ان تكونوا على حق وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا اي هذا دابنا معكم ما دمتم على كفركم حتى تومنوا بالله وحده فحينئذ تنقلب المعاداة موالاة **فان قيل** ما الفايدة في قوله تومنوا بالله وحده والايمان انما هو بالله وبغيره كقوله كل امن بالله وملايكته وكتبه ورسله فالجواب ان الايمان بالله وحده مستلزم للايمان بالملايكة والكتب والرسل **قوله** الا قول ابرهيم فيه اوجه احدها انه استثنا متصل من قوله في ابرهيم ولكن لا بد من حذف مضاف ليصح الكلام تقديره في مقالات ابرهيم الا قوله كيت وكيت الثاني انه مستثنى من اسوة حسنة وجاز ذلك لان القول ايضا من جملة الاسوة لان الاسوة الاقتدا بالشخص في اقواله وافعاله فكانه قيل لكم فيه اسوة في جميع احواله من قول وفعل الا قوله كذا وهذا واضح لانه غير محوج الى تقدير مضاف وغير محوج للاستثنا من الاتصال الذي هو اصله الى الانقطاع وكذلك لم يذكر الزمخشري غيره قال فان قلت مم استثنى قوله الا قول ابرهيم قلت من قوله اسوة حسنة لانه اراد بالاسوة الحسنة قولهم الذي حق عليهم ان يتاسوا به ويتخذوه سنة يستنون بها فان قلت فان كان قوله لاستغفرن لك مستثنى من القول الذي هو اسوة حسنة فما بال قوله وما املك لك من الله من شي وهو غير حقيق بالاستثنا الا ترى الى قوله فمن يملك لكم من الله شيا قلت اراد استثنا جملة قوله لابيه والقصد الى موعد الاستغفار له وما بعده مبني عليه وتابع له كانه قال انا استغفر لك وما في طاقتي الا الاستغفار الثالث قال ابن عطية ويحتمل ان يكون الاستثنا من التبري والقطيعة التي ذكرت اي لم يبق صلة الا كذا والله اعلم الرابع انه استثنا منقطع اي لكن قول ابرهيم وهذا بناء من قايليه على ان القول لم يندرج تحت قوله اسوة وهو ممنوع **فصل** قال القرطبي معنى قوله الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك اي فلا تتاسوا به في الاستغفار فتستغفرون للمشركين فانه كان عن موعدة منه له قاله قتادة ومجاهد وغيرهما وقيل معنى الاستثنا ان ابرهيم هجر قومه وباعدهم الا في الاستغفار لابيه ثم بين عذره في سورة التوبة وفي هذا دلالة على تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم على ساير الانبيا لانا حين امرنا بالاقتدا به امرنا امرا مطلقا في قوله وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا و حين امرنا بالاقتدا بابرهيم استثنى بعض افعاله وهذا انما جرى لانه ظن انه اسلم فلما بان انه لم يسلم تبرا منه وعلى هذا يجوز الاستغفار لمن يظن انه اسلم وانتم لم تجدوا مثل هذا الظن فلم توالونهم **قوله** وما املك لك من الله من شي هذا من قول ابرهيم لابيه اي ما ادفع عنك من عذاب الله شيا ان اشركت به **قوله** ربنا عليك توكلنا يجوز ان يكون من مقول ابرهيم والذين معه فهو من جملة الاسوة الحسنة وفصل بينهما بالاستثنا ويجوز ان يكون منقطعا مما قبله على اضمار قول وهو تعليم من الله تعالى لعباده كانه قال لهم قولوا ربنا عليك توكلنا اي اعتمدنا واليك انبنا اي رجعنا واليك المصير اي الرجوع في الاخرة ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا اي لا تظهر عدونا علينا فيظنوا انهم على حق فيفتتنوا بذلك وقيل لا تسلطهم علينا فيفتنونا ويعذبونا وقال مجاهد لا تعذبنا بايديهم ولا تهلكنا بعذاب من عندك فيقولوا لو كان هولاء على الحق لما اصابهم ذلك وقيل لا تبسط عليهم الرزق دوننا فان ذلك فتنة لهم وفيه لا تجعلنا فتنة اي عذابا اي سببا يعذب به الكفرة وعلى هذه ليست الاية من قول ابرهيم عليه السلام واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم **قوله** لقد كان لكم فيهم اي في ابرهيم ومن معه من الانبيا والاوليا اسوة حسنة اي في التبري من الكفار وقيل كرر للتاكيد وقيل نزل الثاني بعد الاول

بمدة قال القرطبي وما اكثر المكررات في القران على هذا الوجه **قوله** لمن كان يرجو الله بدل
من الضمير في لكم بدل بعض من كل وقد تقدم مثله في الاحزاب والضمير في فيهم عائد على ابرهيم
ومن معه وكررت الاسوة تاكيدا وفيه بيان ان هذه الاسوة لمن يخاف الله ويخاف عذاب الاخرة ومن
يتول اي يعرض عن الايمان ويتول الكفار فان الله هو الغني عن خلقه اي لم يتعبدهم لحاجته اليهم الحميد
الى اوليائه واهل طاعته وقيل الحميد في نفسه وصفاته **قوله** عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين
عاديتم منهم مودة قال المفسرون لما نزلت الاية الاولى عادى المسلمون اقرباءهم من المشركين
فعلم الله شدة وجد المسلمين في ذلك فنزلت عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة اي
من كفار مكة مودة وقد فعل الله ذلك لان عسى من الله وعد ولا يخلف الله وعده وهذا بان
يسلم الكافر وقد اسلم قوم منهم بعد فتح مكة وخالطهم المسلمون كابي سفيان بن حرب والحارث بن
هشام وسهيل بن عمرو وحكيم بن حزام وقيل المودة تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ام حبيبة بنت
ابي سفيان وكانت تحت عبد الله بن جحش وكانت هي وزوجها من مهاجرة الحبشة فاما زوجها فتنصر
وسالها ان تتابعه على دينه فابت وصبرت على دينها ومات زوجها على النصرانية فبعث النبي
صلى الله عليه وسلم الى النجاشي فخطبها فقال النجاشي لاصحابه من اولاكم بها قالوا خالد بن سعيد
ابن العاص قال فزوجها من نبيكم ففعل واصدقها النجاشي من عنده اربعمائة دينار وقيل
خطبها النبي صلى الله عليه وسلم الى عثمان بن عفان فلما زوجه اياها بعث الى النجاشي فيها فساق
عنه المهر وبعث بها اليه فقال ابو سفيان وهو مشرك لما بلغه تزويج النبي صلى الله عليه وسلم
ابنته ذلك الفحل لا يقدع انفه قال ابن الاثير يقال قدعت الفحل وهو ان يكون غير كريم
فاذا اراد ركوب الناقة الكريمة ضرب انفه بالرمح وغيره حتى يرتدع وينكف ويروى بالراء
قوله لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين هذه الاية رخصة من الله تعالى
في صلة الذين لم يعادوا المومنين ولم يقاتلوهم قال ابن زيد كان هذا في اول الاسلام عند
الموادعة وترك الامر بالقتال ثم نسخ قال قتادة نسختها فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقيل
كان هذا الحكم لعلة وهي الصلح فلما زال الصلح بفتح مكة نسخ الحكم وبقي الرسم يتلى وقيل هي مخصوصة
في حلفاء النبي صلى الله عليه وسلم ومن بينه وبينه عهد لم ينقضه قاله الحسن قال الكلبي هم خزاعة
وبنو الحارث بن عبد مناف وهو قول ابي صالح وقال مجاهد هي مخصوصة في الذين امنوا ولم
يهاجروا وقيل يعني به النساء والصبيان لانهم ممن لا يقاتل فاذن الله في برهم وقال اكثر اهل
التاويل هي محكمة واحتجوا بان اسماء بنت ابي بكر سالت النبي صلى الله عليه وسلم هل تصل امها
حين قدمت عليها مشركة فقال نعم خرجه البخاري ومسلم وقيل ان الاية نزلت فيها روى عامر
ابن عبد الله بن الزبير عن ابيه ان ابا بكر الصديق طلق امراته قتيلة في الجاهلية وهي ام اسماء
بنت ابي بكر فقدمت عليهم في المدة التي كانت فيها المهادنة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبين كفار قريش واهدت الى اسماء بنت ابي بكر قرطا واشياء فكرهت ان تقبل منها حتى اتت رسول
الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فانزل الله تعالى لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في
الدين ذكر هذا الخبر الماوردي وغيره وخرجه ابو داود الطيالسي في مسنده **قوله**
ان تبروهم وقوله ان تولوهم بدل لان من الذين قبلهما بدل اشتمال فيكون في موضع جر والمعنى
لا ينهاكم الله تعالى عن ان تبروا هولاء الذين لم يقاتلوكم انما ينهاكم الله عن تولي هولاء وهم خزاعة
صالحوا النبي صلى الله عليه وسلم على ان لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه احدا فامر ببرهم والوفاء لهم الى
اجلهم حكاه الفراء وقوله وتقسطوا اليهم اي تعطوهم قسطا من اموالكم على وجه الصلة وليس
يريد به من العدل فان العدل واجب فيمن قاتل وفيمن لم يقاتل قاله ابن العربي **فصل**

نقل القرطبي عن القاضي ابي بكر في كتاب الاحكام له ان بعض العلماء استدل بهذه الاية على وجوب
نفقة الابن المسلم على ابيه الكافر قال وهذه وهلة عظيمة اذ الاذن في الشي او ترك النهي عنه لا
يدل على وجوب وانما يعطي الاباحة خاصة وقد بينا ان القاضي اسمعيل بن اسحق دخل عليه ذمي
فاكرمه فاخذ عليه الحاضرون في ذلك فتلا هذه الاية عليهم **قوله** انما ينهاكم الله عن الذين
قاتلوكم في الدين اي جاهدوكم على الدين واخرجوكم من دياركم وهم عتاة اهل مكة وظاهروا اي
عاونوا على اخراجكم وهم مشركوا مكة ان تولوهم ومن يتولهم اي يتخذهم اولياء وانصارا واحبابا فاولئك
هم الظالمون **قوله** يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المومنات مهاجرات الاية لما امر المسلمين بترك
موالاة المشركين اقتضى ذلك مهاجرة المسلمين من بلاد الشرك الى بلاد الاسلام وكان التناكح من اوكد
اسباب الموالاة فبين احكام مهاجرة النساء قال ابن عباس جرى الصلح مع مشركي قريش عام الحديبية
على ان من اتاه من اهل مكة رده اليهم فجاءت سبيعة بنت الحارث الاسلمية بعد الفراغ من الكتاب
والنبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية بعد فاقبل زوجها وكان كافرا وهو صيفي بن الراهب
وقيل مسافر المخزومي فقال يا محمد اردد علي امراتي فانك شرطت ذلك وهذه طينة الكتاب لم
تجف بعد فانزل الله تعالى هذه الاية وقيل جاءت ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط فجاء اهلها
يسالون رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يردها وقيل هربت من زوجها عمرو بن العاص ومعها
اخواها عمارة والوليد فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم اخويها وحبسها فقالوا للنبي صلى الله عليه
وسلم ردها علينا للشرط فقال النبي صلى الله عليه وسلم كان الشرط في الرجال لا في النساء فانزل
الله تعالى هذه الاية وعن عروة قال كان مما اشترط سهيل بن عمرو على النبي صلى الله عليه وسلم
في الحديبية ان لا ياتيك منا احد وان كان على دينك الا رددته الينا وخليت بيننا وبينه فكره
المومنون ذلك وابى سهيل الا ذلك فكاتبه النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك فرد يومئذ ابا جندل
الى ابيه سهيل بن عمرو ولم ياته احد من الرجال الا رده في تلك المدة وان كان مسلما حتى انزل الله
في المومنات ما انزل يومي الى ان الشرط في رد النساء نسخ بذلك وقيل ان التي جاءت اميمة بنت
بشر كانت عند ثابت بن الشمراخ ففرت منه وهو يومئذ كافر فتزوجها سهل بن حنيف فولدت
له عبد الله قاله زيد بن حبيب نقله الماوردي واكثر اهل العلم على انها ام كلثوم بنت عقبة
قوله المومنات تسمية للشي بما يقاربه ويشارفه او في الظاهر وقرئ مهاجرات بالرفع وخرج
على البدل **فصل** اختلفوا هل دخل النساء في عقد المهادنة لفظا او عموما فقالت طائفة قد كان
شرط ردهن في عقد المهادنة لفظا صريحا فنسخ الله ردهن من العقد ومنع منه وبقاه في الرجال على ما كان وهذا يدل على ان
للنبي صلى الله عليه وسلم ان يجتهد رايه في الاحكام ولكن لا يقره الله على خطا وقالت طائفة لم يشترط
ردهن في العقد لفظا وانما اطلق العقد في رد من اسلم فكان ظاهر العموم اشتماله عليهن مع
الرجال فبين الله تعالى خروجهن عن عمومه وفرق بينهن وبين الرجال لامرين احدهما انهن ذوات
فروج تحرم عليهم الثاني انهن ارق قلوبا واسرع تقلبا منهم فاما المقيمة منهن على شركها فمردودة
عليهم **قوله** فامتحنوهن قيل انه كان من ارادت منهن اضرار زوجها قالت ساهاجر الى محمد صلى
الله عليه وسلم فلذلك امر النبي صلى الله عليه وسلم بامتحانهن واختلفوا فيما كان يمتحنهن به فقال
ابن عباس كان يمتحنهن بان يستحلفهن بالله انها ما خرجت من بغض زوجها ولا رغبة من ارض
الى ارض ولا التماس دنيا ولا عشقا لرجل من المسلمين ولا لحدث احدثته وما خرجت الا رغبة في
الاسلام وحب الله ورسوله فاذا حلفت بالله الذي لا اله الا هو على ذلك اعطى النبي صلى الله عليه
وسلم زوجها مهرها وما انفق عليها ولم يردها فذلك قوله فان علمتموهن مومنات فلا ترجعوهن الى
الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن وروي عن ابن عباس ايضا ان المحنة كانت ان تشهد ان لا اله الا

الله وان محمدا رسول الله وروى معمر عن الزهري عن عائشة قالت ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يمتحنهن الا بالاية التي قال الله تعالى اذا جاءك المومنات يبايعنك خرجه الترمذي وقال حديث حسن
صحيح **فصل** اكثر العلما على ان هذا ناسخ لما كان عليه السلام عاهد عليه قريشا من انه
يرد اليهم من جاءه منهم مسلما فنسخ من ذلك النسا وهو مذهب من يرى نسخ السنة بالقران قال بعض العلما
كله منسوخ بالقران **فصل** قال القرطبي ولا يجوز ان يهادن الامام العدو على ان يرد اليهم
من جاءه مسلما لان اقامة المسلم بارض الشرك لا يجوز وهذا مذهب الكوفيين واجاز مالك عقد
الصلح على ذلك واحتج الكوفيون بان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث خالد بن الوليد الى قوم
من خثعم فاعتصموا بالسجود فقتلهم فقضا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بنصف الدية وقال
انا بري من كل مسلم اقام مع مشرك بدار الحرب لا تراءى ناراهما قالوا فهذا ناسخ لرد المسلمين الى
المشركين اذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد برى ممن اقام معهم في دار الحرب ومذهب
مالك والشافعي ان هذا الحكم غير منسوخ قال الشافعي وليس لاحد هذا العقد الا الخليفة او رجل
بامره فمن عقد غير الخليفة هذا العقد فهو مردود **قوله** الله اعلم بايمانهن هذه الجملة
فايدتها بيان انه لا سبيل لكم الى ما تطمين به النفس ويثلج الصدر من الاحاطة بحقيقة ايمانهن فان
ذلك مما استاثر الله به قاله الزمخشري اي ان هذا الامتحان لكم والله اعلم بايمانهن لانه متولي السراير
وسمى الظن الغالب في قوله علمتموهن علما لما بينهما من القرب كما يقع الظن موقعه وتقدم ذلك في البقرة
قوله فان علمتموهن مومنات اي بما يظهر من الايمان وقيل ان علمتموهن مومنات قبل
الامتحان فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم وقوله ولا هم يحلون لهن تاكيد للاول لتلازمهما
وقيل اراد استمرار الحكم بينهم فيما يستقبل كما هو في الحال ما داموا مشركين وهن مومنات **فصل**
معنى الاية لم يحل الله مومنة لكافر وهذا اول دليل على ان الذي اوجب فرقة المسلمة من زوجها
الكافر اسلامها لا هجرتها وقال ابو حنيفة الذي فرق بينهما هو اختلاف الدارين والصحيح
الاول لان الله تعالى بين العلة وهو عدم الحل بالاسلام لا باختلاف الدار **قوله** واتوهم
ما انفقوا اذا امسكت المراة المسلمة ان يرد على زوجها ما انفق وذلك من الوفا بالعهد لانه لما
منع من اهله بحرمة الاسلام امر برد المال حتى لا يقع عليهم خسران من الوجهين الزوجة والمال
فصل ولا غرم الا اذا طالب الزوج الكافر فاذا حضر وطالب منعناها وغرمنا فان كانت
ماتت قبل حضور الزوج لم نغرم المهر اذ لم يتحقق المنع وان كان المسمى خمرا او خنزيرا لم نغرم شيا
لانه لا قيمة له وللشافعي في هذه الاية قولان احدهما ان هذا منسوخ قال الشافعي واذا جاءتنا
المراة الحرة من اهل الهدنة مسلمة مهاجرة من الحرب الى الامام في دار الاسلام او دار الحرب فمن
طلبها من ولي سوى زوجها منع منها بلا عوض واذا طلبها زوجها لنفسه او غيره بوكالته ففيه قولان
احدهما يعطى العوض لهذه الاية والثاني لا يعطى الزوج المشرك الذي جاءت امراته مسلمة العوض
فان شرط الامام رد النسا كان الشرط باطلا منسوخا وليس عليه عوض لانه لا عوض للباطل
فصل امر الله تعالى برد ما انفقوا الى الازواج وان المخاطب بهذا الامام ينفذ
من بيت المال الذي لا يتعين له مصرف وقال مقاتل يرد المهر الذي يتزوجها من المسلمين وليس
لزوجها الكافر شي وقال قتادة الحكم في رد الصداق انما هو في نسا اهل العهد فاما من لا عهد
بينه وبين المسلمين فلا يرد عليهم الصداق قال القرطبي والامر كما قال **قوله** ولا جناح عليكم
ان تنكحوهن اي في ان تنكحوهن وقوله اذا اتيتموهن يجوز ان يكون ظرفا محضا وان يكون شرطا جوابه
مقدر اي فلا جناح عليكم **فصل** ومعنى الاية ولا جناح عليكم ان تنكحوهن اذا اتيتموهن
اجورهن اي مهورهن فاباح الله نكاحهن للمسلمين وان كان لهن ازواج في دار الكفر لان الاسلام فرق

بينهن وبين ازواجهن الكفار وقال القرطبي اباح نكاحهن اذا اسلمن وانقضت عدتهن لما ثبت في
نكاح المشركة والمعتدة فان اسلمت قبل الدخول ثبت النكاح في الحال **قوله** ولا تمسكوا بعصم
الكوافر قرا ابو عمرو في اخرين بضم التا وفتح الميم وشد السين وباقي السبعة بتخفيفها من مسك وامسك
بمعنى واحد يقال امسكت الحبل امساكا ومسكته تمسكا وفي التشديد مبالغة والتخفيف صالح لها ايضا
وقرا الحسن وابن ابي ليلى وابو عمرو وابن عامر في رواية عنهما تمسكوا بالفتح في الجميع وتشديد السين والاصل
تتمسكوا بتاين فحذفت احداهما وعن الحسن ايضا تمسكوا مضارع مسك ثلاثيا والعصم جمع عصمة والعصمة
هاهنا النكاح يقول من كانت له امراة كافرة بمكة فلا يعتد بها فقد انقطعت عصمتها والكوافر جمع
كافرة كضوارب في ضاربة وحكي عن الكرخي الفقيه المعتزلي انه قال الكوافر يشمل الرجال والنسا قال
الفارسي فقلت له النحويون لا يرون هذا الا في النسا جمع كافرة فقال اليس يقال طايفة كافرة وفرقة
كافرة قال ابو علي فبهت وقلت هذا تاييد الهي قال شهاب الدين وانما اعجب بقوله لكونه معتزليا والحق
انه لا يجوز كافرة وصفا للرجال الا ان يكون الموصوف مذكورا نحو هذه طايفة كافرة او في قوة
المذكور بل المجرد والاحتمال وجمع جمع فاعلة فهذه لا يجوز وقول الفارسي لا يرون هذا الا في النسا صحيح
ولكنه الغالب وقد يجمع فاعل وصف المذكر العاقل على فواعل وهو محفوظ نحو فوارس وتواكس **فصل**
قال النخعي المراد بالاية هي المراة المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر وكان الكفار يتزوجون المسلمات
والمسلمون يتزوجون المشركات ثم نسخ ذلك بهذه الاية فطلق عمر بن الخطاب حينيذ اثنتين له بمكة وام
كلثوم بنت عمرو الخزاعية ام عبد الله بن المغيرة فتزوجها ابو جهم بن حذافة وهما على شركهما بمكة
فلما ولي عمر قال ابو سفيان لمعوية طلق قريبة لئلا يرى عمر سلبه في بيتك فابا معوية وكانت عند
طلحة بن عبيد الله اروى بنت ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب ففرق الاسلام بينهما ثم تزوجها خالد
ابن سعيد بن العاص وكانت ممن فرت الى النبي صلى الله عليه وسلم من نسا الكفار فحبسها وتزوجها
خالد بن سعيد بن العاص بن امية وقال الشعبي كانت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم
امراة ابي العاص بن الربيع اسلمت ولحقت بالنبي صلى الله عليه وسلم واقام ابو العاص بمكة مشركا ثم
اتى المدينة فاسلم فردها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم روى ابو داود عن عكرمة عن ابن عباس
بالنكاح الاول ولم يحدث شيا قال محمد بن عمر في حديثه بعد ست سنين وقال الحسن بن علي بعد
سنتين قال ابو عمر فان صح هذا فلا يخلو من وجهين اما انها لم تحض حتى اسلم زوجها واما ان الامر
فيها منسوخ بقوله تعالى وبعولتهن احق بردهن في ذلك يعني في عدتهن وهذا ما لا خلاف فيه انه
عني به العدة قال الزهري في قصة زينب هذه كانت قبل ان تنزل الفرايض وقال قتادة
كان هذا قبل ان تنزل سورة براءة بقطع العهود بينهم وبين المشركين **فصل** المراد بالكوافر
هنا عبدة الاوثان ومن لا يجوز ابتدا نكاحها وقيل هي عامة نسخ منها نسا اهل الكتاب فعلى الاول اذا
اسلم وثني او مجوسي ولم تسلم امراته فرق بينهما وهو قول بعض اهل العلم منهم مالك والحسن وطاوس
ومجاهد وعطا وعكرمة وقتادة والحكم لقوله تعالى ولا تمسكوا بعصم الكوافر وقال بعضهم ينتظر
بها تمام العدة وهو قول الزهري والشافعي واحمد واحتجوا بان ابا سفيان بن حرب اسلم قبل هند
بنت عتبة امراته وكان اسلامه بمر الظهران ثم رجع الى مكة وهند بها كافرة مقيمة على كفرها
فاخذت بلحيته وقالت اقتلوا الشيخ الضال ثم اسلمت بعده بايام فاستقرا على نكاحهما لان عدتها لم
تكن انقضت قالوا ومثله حكيم بن حزام اسلم قبل امراته ثم اسلمت بعده فكانا على نكاحهما قال الشافعي
ولا حجة لمن احتج بقوله تعالى بعصم الكوافر لان نسا المومنين محرمات على الكفار كما ان المسلمين لا تحل
لهم الكوافر والوثنيات ولا المجوسيات كقوله تعالى لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن ثم بينت السنة
ان مراد الله من قوله هذا انه لا تحل بعضهم لبعض الا ان يسلم الثاني منهما في العدة وقال ابو حنيفة

وا صحابه في الكافرين الذميين اذا اسلمت المراة عرض على الزوج الاسلام فان اسلم والا فرق بينهما قالوا ولو كانوا حربيين فهي امراته حتى تحيض ثلاث حيض اذا كانا جميعا في دار الحرب او في دار الاسلام وان كان احدهما في دار الحرب والاخر في دار الاسلام انقطعت العصمة بينهما وقد تقدم ان اعتبار الدار ليس بشي وهذا الخلاف انما هو في المدخول بها فاما غير المدخول بها فلا نعلم خلافا في انقطاع العصمة بينهما اذ لا عدة عليها هكذا يقول مالك في المراة يرتد زوجها المسلم تنقطع العصمة بينهما لقوله تعالى ولا تمسكوا بعصم الكوافر وهو قول الحسن البصري والحسن بن صالح وقال الشافعي واحمد ينتظر بها تمام العدة فان كان الزوجان نصرانيين فاسلمت الزوجة فمذهب مالك والشافعي واحمد توقف الي تمام العدة وهو قول مجاهد وكذلك الوثني تسلم زوجته انه اذا اسلم في عدتها فهو احق بها كما ان صفوان ابن امية وعكرمة بن ابي جهل احق بزوجتيهما لما اسلما في عدتيهما لما ذكر مالك في الموطا قال ابن شهاب كان بين اسلام صفوان وبين اسلام امراته نحو من شهر قال ابن شهاب ولم يبلغنا ان امراة هاجرت الي رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجها كافر مقيم بدار الحرب الا فرقت هجرتها بينها وبين زوجها الا ان يقدم زوجها مهاجرا قبل ان تنقضي عدتها وقال بعضهم ينفسخ النكاح بينهما لما روي يزيد بن علقمة قال اسلم جدي ولم تسلم جدتي ففرق بينهما عمر رضي الله عنه وهو قول طاوس وعطا والحسن وعكرمة قالوا لا سبيل له عليها الا بخطبة **قوله** واسالوا ما انفقتم وليسالوا ما انفقوا قال المفسرون كان من ذهب من المسلمات مرتدات الي الكفار من اهل العهد يقال للكفار هاتوا مهرها ويقال للمسلمين اذا جا احد من الكافرات مسلمة مهاجرة ردوا الي الكفار مهرها وكان ذلك نصفا وعدلا بين الحالين قال ابن العربي كان هذا حكم الله مخصوصا بذلك الزمان في تلك النازلة خاصة قال الزهري ولولا هذه الهدنة والعهد الذي كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش يوم الحديبية لامسك النسا ولم يرد الصداق وكذلك كان يصنع من جاه من المسلمات قبل العهد فلما نزلت هذه الاية اقر المومنون بحكم الله عز وجل وادوا ما امروا به من نفقات المشركين على نسايهم وابي المشركون ان يقروا بحكم الله فيما امر من ادا نفقات المسلمين فانزل الله عز وجل وان فاتكم شي ايها المومنون وقوله ذلكم حكم الله اي ما ذكر في هذه الاية والله عليم حكيم **قوله** يحكم بينهم فيه وجهان احدهما انه مستانف لا محل له والثاني انه حال من حكم والراجع اما مستتر اي يحكم هو اي الحكم على المبالغة واما محذوف اي يحكمه وهو الظاهر **قوله** من ازواجكم يجوز ان يتعلق بفاتكم اي من جهة ازواجكم ويراد بالشي المهر الذي غرمه الزوج كما تقدم ويجوز ان يتعلق بمحذوف على انه صفة لشي ثم يجوز في شي ان يراد به المهر ولكن على هذا لا بد من حذف مضاف اي من مهور ازواجكم ليتطابق الموصوف وصفته ويجوز ان يراد بشي النسا اي شي من النسا اي نوع وصنف منهن وهو ظاهر وصفه بقوله من ازواجكم وقد صرح الزمخشري بذلك فانه قال وان سبقكم وانفلت منكم شي من ازواجكم احد منهن الي الكفار وفي قراة ابن مسعود احد وهذا تصريح بان المراد بشي النسا الفارات ثم قال فان قلت هل لابقاع شي في هذا الموضع فايدة قلت نعم الفايدة فيه ان لا يغادر شي من هذا الجنس وان قل وحقر غير معوض منه تغليظا في هذا الحكم وتشديدا فيه ولولا نصه على ان المراد بشي احد كما تقدم لكان قوله ان لا يغادر شي من هذا الجنس وان قل وحقر ظاهرا في ان المراد بشي المهر لانه يوصف بالقلة والحقارة وصفا شايعا وقوله تغليظا وتشديدا فيه نظر لان المسلمين ليس لهم تسبب في فرار النسا الي الكفار حتى يغلظ عليهم الحكم بذلك وعدي فات بالي لانه ضمن معنى الفرار والذهاب والسبق ونحو ذلك **قوله** فعاقبتم عطف على فاتكم وقرا العامة على عاقبتم وفيه وجهان احدهما انه من العقوبة قال الزجاج فعاقبتم فاصبتموهم في القتال بعقوبة حتى غنمتم والثاني انه من العقبة وهي النوبة شبه ما حكم به على المسلمين والكافرين

من اداها ولا يهور نسا اوليك تارة واوليك مهور نسا هولا اخري بامر فيما تعقبون فيه كما يتعاقب في الركوب وغيره ومعناه فجاءت عقبتكم من ادا المهر وقرا مجاهد والاعرج والزهري وابو حيوة وعكرمة وحميد بشد القاف دون الف فسرها الزمخشري على اصلها بعقبه اذا قفاه لان كل واحد من المتعاقبين يقفي صاحبه ولذلك عقبتم بالتخفيف يقال عقبه يعقبه انتهى والذي قراه بالتخفيف وفتح القاف النخعي وابن وثاب والزهري والاعرج ايضا وبالتخفيف وكسر القاف مسروق والزهري والنخعي ايضا وقرا مجاهد عقبتم قال الزمخشري معناه دخلتم في العقبة قال البغوي معناه اي صنعتم بهم كما صنعوا بكم وفسر الزجاج القراات الباقية فكانت العقبى لكم اي كانت الغلبة لكم حتى غنمتم والظاهر انه كما قال الزمخشري من المعاقبة بمعنى المناوبة يقال عاقب الرجل صاحبه في كذا اي جاء فعل كل واحد منهما يعقب فعل الاخر ويقال اعقب ايضا وانشد

وحاردت البلد الجلاد ولم يكن لعقبة قدر المستعيرين معقب

وقال البغوي وكلها لغات بمعنى واحد يقال عاقب وعقب واعتقب وتعقب وتعاقب واعتقب اذا غنم وقيل التعقيب غزوة بعد غزوة **فصل** روي ان المسلمين قالوا رضينا بما حكم الله وكتبوا الي المشركين فامتنعوا فنزل قوله تعالى وان فاتكم شي من ازواجكم الي الكفار فعاقبتم فاتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا روي الزهري عن عروة عن عايشة رضي الله عنها قالت حكم الله عز وجل بينهم فقال جل ثناوه واسالوا ما انفقتم وليسالوا ما انفقوا فكتب اليهم المسلمون قد حكم الله عز وجل بيننا بانه اذ جاتكم امراة منا ان توجهوا الينا بصداقها وان جاتنا امراة منكم وجهنا اليكم بصداقها فكتبوا اما نحن فلا نعلم لكم عندنا شيا فان كان لنا عندكم شي فوجهوا به فانزل الله تعالى وان فاتكم شي من ازواجكم الاية وقال ابن عباس في قوله تعالى ذلكم حكم الله اي بين المسلمين والكفار من اهل العهد من اهل مكة يرد بعضهم على بعض قال الزهري ولولا العهد لامسك النسا ولم يرد اليهم صداقا وقال قتادة ومجاهد انما امروا ان يعطوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا من الفي والغنيمة وقالا هي فيمن بيننا وبينه عهد وليس بيننا وبينه عهد وقالا ومعنى فعاقبتم فاقتصصتم فاتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا يعني الصدقات فهي عامة في جميع الكفار وقيل فعاقبتم المرتدة بالقتل وقال قتادة ايضا وان فاتكم شي من ازواجكم الي الكفار الذي ليس بينكم وبينهم عهد فاتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا ثم نسخ هذا في سورة براة وقال الزهري انقطع هذا يوم الفتح وقال سفين الثوري لا يعمل به اليوم وقال قوم هو ثابت الحكم الان ايضا حكاه القشيري **فصل** قال القرطبي الاية نزلت في ام الحكم بنت ابي سفين ارتدت وتركت زوجها عياض بن غنم القرشي ولم ترتد امراة من قريش غيرها ثم عادت الي الاسلام وقال البغوي روي عن ابن عباس قال لحق بالمشركين من نسا المومنين المهاجرات ست نسوة ام الحكم بنت ابي سفين وكانت تحت عياض بن شداد الفهري وفاطمة بنت ابي امية بن المغيرة اخت ام سلمة كانت تحت عمر بن الخطاب فلما اراد عمر ان يهاجر ابت وارتدت وبروع بنت عقبة كانت تحت شماس ابن عثمان وعزة بنت عبد العزيز بن نضله وزوجها عمرو بن عبد ود وهند بنت ابي جهل بن هشام كانت تحت هشام بن العاص بن وايل وام كلثوم بنت جرول كانت تحت عمر بن الخطاب رجعن الي الاسلام اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ازواجهن مهور نسايهن من الغنيمة **فصل** اختلفوا في رد مهر من اسلمت من النسا الي ازواجهن هل كان واجبا او مندوبا واصله ان الصلح هل كان قد وقع على رد النسا على قولين احدهما انه وقع على رد الرجال والنسا جميعا لما روي من قولهم لا ياتيك منا احد الا رددته ثم صار الحكم في رد النسا منسوخا بقوله فلا ترجعوهن الي الكفار فعلى هذا كان رد المهر واجبا والثاني ان الصلح لم يقع على رد النسا لانه روي انه لا

ياتيك منا رجل وان كان على دينك الا رددناه وذلك لان الرجل لا يخشى عليه من الفتنة في الرد
ما يخشى على المراة من اصابة المشرك اياها وانه لا يومن عليها الردة اذا خوفت واكرهت عليها
لضعف قلبها وعقلها وقلة هدايتها الى المخرج منه باظهار كلمة الكفر مع التورية واضمار الايمان
ولا يخشى ذلك على الرجل لقوته وهدايته الى التقية فعلى هذا كان رد المهر مندوبا واختلفوا في انه هل
يجب به العمل اليوم في رد المال اذا شرط في معاقدة الكفار فقال عطا ومجاهد وقتادة لا يجب
وزعموا ان الاية منسوخة وقيل هي غير منسوخة ويرد اليهم ما انفقوا **فصل** قال ابن عباس
معنى الاية ان لحقت امراة مؤمنة بكفار اهل مكة وليس بينكم وبينهم عهد ولها زوج مسلم قبلكم
فغنمتم فاعطوا هذا الزوج المسلم مهره من الغنيمة قبل ان تخمس وقال الزهري يعطى من مال
الفي وعنه يعطى من صداق من لحق بنا وقيل ان امتنعوا من ان يغرموا مهر هذه المراة التي ذهبت
اليهم فانبذوا العهد اليهم حتى اذا ظفرتم فخذوا ذلك منهم واتقوا الله اي احذروا ان تتعدوا
ما امرتم به **قوله تعالى** يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات الاية لما فتح رسول الله
صلى الله عليه وسلم مكة جاء نسا اهل مكة يبايعنه فامر ان ياخذ عليهن ان لا يشركن قالت
عايشة والله ما اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم على النسا قط الا بما امر الله عز وجل وما مست
كف رسول الله صلى الله عليه وسلم كف امراة قط وكان يقول اذا اخذ عليهن قد بايعتكن كلاما
وروي انه عليه السلام بايع النسا وبين يديه وايديهن ثوب وكان يشترط عليهن وقيل لما فرغ
من بيعة الرجال جلس على الصفا ومعه عمر اسفل منه فجعل يشترط على النسا البيعة وعمر يصافحهن
وروي انه كلف امراة وقفت على الصفا فبايعتهن قال ابن العربي وذلك ضعيف وانما التعويل
على ما في صحيح مسلم من حديث عايشة المتقدم قالت كان المؤمنات اذا هاجرن الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم يمتحنهن بقول الله تعالى يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله
شيا ولا يسرقن ولا يزنين الى اخر الاية قالت عايشة فمن اقر بهذا من المؤمنات فقد اقر بالمحنة
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اقررن بذلك من قولهن قال لهن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انطلقن فقد بايعتكن لا والله ما مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم امراة قط غير انه
بايعهن بالكلام وقالت ام عطية لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جمع نسا الانصار
في بيت ثم ارسل الينا عمر بن الخطاب فقام على الباب فسلم فرددنا عليه السلام فقال انا رسول رسول الله صلى
الله عليه وسلم اليكن ان لا تشركن بالله شيا الاية فقلن نعم فمد يده من خارج البيت ومددنا ايدينا
من داخل البيت ثم قال اللهم اشهد وروي عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان اذا بايع النسا دعا بقدح من ما فغمس يده فيه ثم امر النسا فغمسن ايديهن فيه **فصل**
روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما فرغ من بيعة الرجال يوم فتح مكة وهو على الصفا وعمر بن الخطاب
اسفل منه وهو يبايع النسا بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبلغهن عنه على ان لا يشركن بالله شيا
وهند بنت عتبة امراة ابي سفيان متنقبة متنكرة مع النسا خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يعرفها لما صنعته بحمزة يوم احد فقالت والله انك لتاخذ علينا امرا ما رايناك اخذته على الرجال
وكان بايع الرجال يوميذ على الاسلام والجهاد فقط فقال النبي صلى الله عليه وسلم ولا يسرقن فقالت
هند ان ابا سفيان رجل شحيح واني اصبت من ماله قوتنا فلا ادري احل لي ام لا فقال ابو سفيان ما
اصبت من شي فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال لها
وانك لهند بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف عفى الله عنك ثم قال ولا يزنين فقالت هند
او تزني الحرة فقال ولا يقتلن اولادهن اي لا يئدن الموودات ولا يسقطن الاجنة فقالت هند
ربيناهم صغارا وقتلتهم كبارا يوم بدر وانت وهم اعلم وكان ابنها حنظلة بن ابي سفيان وهو بكرها

قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ولا ياتين ببهتان يفترينه
بين ايديهن وارجلهن قال اكثر المفسرين معناه لا يلحقن بازواجهن ولدا من غيرهن وكانت المراة
تلتقط ولدا فتلحقه بزوجها وتقول هذا ولدي منك فكان هذا من البهتان والافترا لان النهي عن الزنا
قد تقدم ثم قال بعض المفسرين المراة اذا التقطت ولدا فانما التقطت بيدها ومشت برجلها الى
اخذه فاذا اضافته الى زوجها فقد اتت ببهتان تفتريه بين يديها ورجليها وقيل تفتريه على
انفسهن حيث يقلن هذا ولدنا وليس كذلك اذ الولد ولد الزنا وقيل ما بين يديها ورجليها كناية عن
الولد لان بطنها الذي تحمل فيه الولد بين يديها وفرجها الذي تلد منه بين رجليها وهذا عام في الاتيان
بولد والحاقه بالزوج وان سبق النهي عن الزنا وقيل معنى بين ايديهن السنتهن بالنميمة ومعنى بين ارجلهن
فروجهن وقيل ما بين ايديهن من قبلة او جسة وبين ارجلهن الجماع وروي ان هندا لما سمعت ذلك
قالت والله ان البهتان لامر قبيح ما تامر الا بالارشد ومكارم الاخلاق ثم قال ولا يعصينك في معروف
اي في كل امر وافق طاعة الله قال بكر بن عبد الله المزني في كل امر فيه رشدهن وقال مجاهد
لا تخلو المراة بالرجال وقال سعيد بن المسيب والكلبي وعبد الرحمن بن زيد هو النهي عن النوح والدعا
بالويل وتمزيق الثوب وحلق الشعر ونتفه وخمش الوجه ولا تحدث المراة الرجال الا ذا رحم ولا تسافر
الا مع ذي محرم وروت ام عطية عن النبي صلى الله عليه وسلم ان ذلك في النوح وهو قول ابن عباس وروى
شهر بن حوشب عن ام سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا يعصينك في معروف قال هو النوح وفي
صحيح مسلم عن ام عطية لما نزل قوله يبايعنك الى قوله ولا يعصينك في معروف قالت كان منه النياحة
قالت فقلت يا رسول الله الا آل بني فلان فانهم كانوا اسعدوني في الجاهلية فلا بد لي من ان اسعدهم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا آل فلان **قوله** يبايعنك حال وشيا مصدر اي شيا
من الاشراك وقرا علي والسلمي والحسن يقتّلن بالتشديد ويفترينه صفة لبهتان او حال من فاعل ياتين
فصل ذكر الله عز وجل في هذه الاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم في صفة البيعة
خصالا ستا صرح فيهن باركان النهي في الدين ولم يذكر اركان الامر وهي ست ايضا الشهادة والصلوة
والزكوة والصيام والحج والاغتسال من الجنابة وذلك لان النهي دايم في كل زمان وكل الاحوال فكان التنبيه
على اشتراط الدايم اكد وقيل ان هذه المناهي كان في النسا كثير من يرتكبها ولا يحجزهن عنها شرف النسب
فخصت بالذكر لهذا ونحو منه قوله عليه السلام لوفد عبد القيس وانهاكم عن الدبا والحنتم والنقير
والمزفت فنبههم على ترك المعصية في شرب الخمر دون ساير المعاصي لانها كانت شهوتهم وعادتهم واذا
ترك المرء شهوته من المعاصي هان عليه ترك سايرها مما لا شهوة له فيها **فصل** لما قال النبي
صلى الله عليه وسلم في البيعة ولا يسرقن قالت هند يا رسول الله ان ابا سفيان رجل مسيك فهل علي
حرج ان اخذت ما يكفيني وولدي قال لا الا بالمعروف فخشيت هند ان تقتصر على ما يعطيها فتضيع
او تاخذ اكثر من ذلك فتكون سارقة ناكثة للبيعة المذكورة فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم
ذلك اي لا حرج عليك فيما اخذت بالمعروف يعني من غير استطالة الى اكثر من الحاجة قال ابن العربي
وهذا انما هو فيما لا يخزنه عنها في حجاب ولا يضبط عليه بقفل فانه اذا هتكته الزوجة واخذت منه
كانت سارقة تعصي بها وتقطع يدها **فصل** فان قيل هلا قيل اذا جاءك المؤمنات
فامتحنوهن كما قال في المهاجرات فالجواب من وجهين احدهما ان الامتحان حاصل بقوله تعالى
على ان لا يشركن الى اخره وثانيهما ان المهاجرات ياتين من دار الحرب فلا اطلاع للمبايع على ما في قلبهن
فلا بد من الامتحان واما المؤمنات فهن في دار الاسلام وعلمن الشرايع فلا حاجة الى الامتحان مع ظاهر
حالها **فان قيل** ما الفايدة في تقديم البعض في الاية على البعض وترتيبها فالجواب قدم
الاقبح على ما هو ادنى منه في القبح ثم كذلك الى اخره وقدم في الاشيا المذكورة ما هو الاظهر فيما بينهم

فصل قال عبادة بن الصامت اخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما اخذ على النسا ان لا يشركوا بالله شيا ولا يسرقوا ولا يزنوا ولا تقتلوا اولادكم ولا يعضه بعضكم بعضا ولا تعصوا في معروف امركم به معنى يعضه يسحر والعضه السحر ولهذا قال ابن بحر وغيره في قوله تعالى ولا ياتين ببهتان انه السحر وقال الضحاك هذا نهي عن البهتان اي لا يقذفن رجلا ولا امراة ببهتان اي بسحر والجمهور على ان معنى ببهتان بولد يفترينه بين ايديهن ما اخذنه لقيطا وارجلهن ما ولدنه من زنا كما تقدم **فصل** قال المهدوي اجمع المسلمون على انه ليس للامام ان يشترط عليهن هذا والامر بذلك ندب لا الزام وقال بعض العلما اذا احتيج الى المحنة من اجل تباعد الدار كان على امام المحنة **قوله** فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم قالت عايشة كان النبي صلى الله عليه وسلم يبايع النسا بالكلام بهذه الاية ان لا يشركن بالله شيا قالت وما مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امراة الا امراة يملكها وقالت اميمة بنت رقيقة بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسوة فقال فيما استطعتن واطقتن فقلت يا رسول الله صافحنا فقال اني لا اصافح النسا انما قولي لامراة كقولي لماية امراة **قوله** يا ايها الذين امنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم وهم اليهود فقوله غضب الله عليهم صفة لقوما وكذلك قد يئسوا وقوله من الاخرة من لابتدا الغاية اي انهم لا يوقنون بالاخرة البتة ومن اصحاب القبور فيه وجهان احدهما انها لابتدا الغاية ايضا كالاولى والمعنى انهم لا يوقنون ببعث الموتى البتة فياسهم من الاخرة كياسهم من موتاهم لاعتقادهم عدم بعثهم والثاني انها لبيان الجنس يعني ان الكفار هم اصحاب القبور والمعنى انهم قد يئسوا من الاخرة كما ييس الكفار الذين هم اصحاب القبور من خير الاخرة فيكون متعلق ييس الثاني محذوفا وقرا ابن ابي الزناد بالافراد **فصل** قال ابن زيد ان ناسا من فقرا المومنين كانوا يخبرون اليهود باخبار المومنين ويواصلونهم فيصيبون بذلك من ثمارهم فنهوا عن ذلك قد يئسوا من الاخرة يعني اليهود قد يئسوا من الاخرة بان يكون لهم فيها ثواب وخير كما ييس الكفار من اصحاب القبور اي كما ييس الكفار الذين ماتوا وصاروا الى القبور من ان يكون لهم ثواب وحظ في الاخرة وقال مجاهد الكفار حين دخلوا قبورهم ايسوا من رحمة الله وقيل هم المنافقون وقال الحسن وقتادة هم اليهود والنصارى قال ابن مسعود معناه انهم تركوا العمل للاخرة واثروا الدنيا وقال الحسن وقتادة معناه ان الكفار الذين هم احيا يئسوا من الكفار من اصحاب القبور ان يرجعوا اليهم وقيل ان الله تعالى ختم السورة بما بدا من ترك موالاة الكفار وهي خطاب لحاطب بن ابي بلتعة وغيره قال ابن عباس يعني قوله لا تتولوا اي لا توالوهم ولا تناصحوهم رجع تعالى بطوله وفضله على حاطب بن ابي بلتعة يريد ان كفار قريش قد يئسوا من خير الدنيا كما ييس الكفار المقبورون من حظ يكون لهم في الاخرة من رحمة الله تعالى روى الثعلبي في تفسيره عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الممتحنة كان المومنون والمومنات له شفعا يوم القيامة والله اعلم

سورة الصف مدنية

في قول الاكثرين وذكر النحاس عن ابن عباس انها مكية وهي اربع عشرة اية ومايتان واحدى وعشرون كلمة وتسع ماية حرف بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم قال ابن الخطيب وجه تعلق هذه السورة بما قبلها هو ان في السورة التي قبلها بين الخروج الى الجهاد في سبيل الله وابتغا مرضاته بقوله ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغا مرضاتي وفي هذه السورة بين ما يحمل المومن ويحثه على الجهاد فقال ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص **فان قيل** ما الحكمة في انه تعالى قال في بعض السور سبح لله بلفظ الماضي وفي بعضها يسبح بلفظ المضارع وفي بعضها سبح بلفظ الامر فالجواب ان الحكمة في ذلك تعليم العباد ان تسبيح الله تعالى دايم لم ينقطع كما ان الماضي يدل عليه في الماضي من الزمان والمستقبل يدل عليه

في

في المستقبل من الزمان والامر يدل عليه في الحال والعزيز هو الغالب على غيره اي شي كان ذلك العزيز ولا يمكن ان يغلب عليه غيره والحكيم هو الذي يحكم على غيره اي شي كان ذلك الغير ولا يمكن ان يحكم عليه غيره **فان قلت** هلا قيل سبح لله السموات والارض وما فيهما وهو اكثر مبالغة فالجواب انما يكون كذلك اذا كان المراد التسبيح بلسان الحال اما اذا كان المراد التسبيح المخصوص بالذات بوصف معين فلا يكون كذلك **قوله** يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون روى الدارمي في مسنده قال انا محمد بن كثير عن الاوزاعي عن يحيى بن ابي كثير عن ابي سلمة عن عبد الله بن سلام قال قعدنا نفر من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فتذاكرنا فقلنا لو نعلم اي الاعمال احب الى الله لعملنا فانزل الله تعالى سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون حتى ختمها قال عبد الله فقراها علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ختمها قال ابو سلمة فقراها علينا عبد الله بن سلام حتى ختمها قال يحيى فقراها علينا ابو سلمة فقراها علينا يحيى فقراها علينا الاوزاعي فقراها علينا محمد فقراها علينا الدارمي وقال عبد الله بن عباس قال عبد الله بن رواحه لو علمنا احب الاعمال الى الله لعملناه فلما نزل الجهاد كرهوه وقال الكلبي قال المومنون يا رسول الله لو نعلم احب الاعمال الى الله لسارعنا اليها فنزلت هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم فمكثوا زمانا يقولون لو نعلمها لاشتريناها بالاموال والانفس والاهلين فدلهم الله عليها بقوله تومنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم الاية فابتلوا يوم احد ففروا فنزلت هذه الاية تعييرا لهم بترك الوفا وقال محمد بن كعب لما اخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بثواب شهدا بدر قالت الصحابة اللهم اشهد لين لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم احد فعيرهم الله بذلك وقال قتادة والضحاك نزلت في قوم كانوا يقولون نحن جاهدنا وابلينا ولم يفعلوا وقال صهيب كان رجل قد اذى المسلمين يوم بدر وانكاهم فقتله فقال رجل يا نبي الله اني قتلت فلانا ففرح النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف يا صهيب اما اخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم انك قتلت فلانا فان فلانا انتحل قتله فاخبره فقال اكذلك يا ابا يحيى قال نعم والله يا رسول الله فنزلت الاية في المنتحل وقال ابن زيد نزلت في المنافقين كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ان خرجتم وقاتلتم خرجنا معكم وقاتلنا فلما خرجوا نكصوا عنهم وتخلفوا **فصل** قال القرطبي هذه الاية توجب على كل من الزم نفسه عملا فيه طاعة ان يفي بها وفي صحيح مسلم عن ابي موسى انه بعث الى قرا اهل البصرة فدخل عليه ثلاث ماية رجل قد قروا القران فقال انتم خيار اهل البصرة وقراوهم فاتلوه ولا يطولن عليكم الامد فتقسو قلوبكم كما قست قلوب من قبلكم وانا كنا نقرا سورة نشبهها في الطول والشدة ببراة فانسيتها غير اني قد حفظت منها لو كان لابن ادم واديان من مال لابتغى واديا ثالثا ولا يملا جوف ابن ادم الا التراب وكنا نقرا سورة نشبهها باحدى المسبحات فانسيتها غير اني حفظت منها يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون فتكتب شهادة في اعناقكم فتسالون عنها يوم القيامة قال ابن العربي وهذا كله ثابت في الدين اما قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لم تقولون فثابت في الدين لفظا ومعنى في هذه السورة واما قوله شهادة في اعناقكم فتسالون عنها يوم القيامة فمعنى ثابت في الدين فان من التزم شيا لزمه شرعا والملتزم على قسمين احدهما النذر وهو على قسمين نذر تقرب مبتدا كقوله لله علي صلوة او صوم او صدقة ونحوه من القرب فهذا يلزم الوفا به اجماعا ونذر مباح وهو ما علق بشرط رغبة كقوله ان قدم غايبي فعلي صدقة او على شرط رهبة كقوله ان كفاني الله شر كذا فعلي صدقة ففيه خلاف قال مالك وابو حنيفة يلزم الوفا به وقال الشافعي في قول لا يلزم الوفا به وعموم الاية حجة لنا لانها بمطلقها تتناول ذم من قال ما لا يفعله على اي وجه كان من مطلق او مقيد بشرط وقد قال اصحابه ان النذر انما يكون بما يقصد منه القربة

مما هو من جنس القربة وهذا وان كان من جنس القربة لكنه لم يقصد منه القربة وانما قصد منع نفسه
عن فعل او الاقدام على فعل تلك القرب الشرعية مشقات وكلف وان كانت قربات وهذا التكلف
التزام هذه القربة مشقة لجلب نفع او دفع ضر فلم تخرج عن سنن التكليف ولا زالت عن قصد
التقرب قال ابن العربي فان كان المقول منه وعدا فلا تخلوا ان يكون منوطا بسبب كقوله ان
تزوجت اعنتك بدينار او ابتعت جارية كذا اعطيتك فهذا لازم اجماعا من الفقهاء وان كان
وعدا مجردا فقيل يلزم بتعلقه واستدلوا بسبب الاية فانه روي انهم كانوا يقولون لو نعلم اي
الاعمال افضل او احب الى الله لعملناه فانزل الله هذه الاية وهو حديث لا باس به وروي عن
مجاهد ان عبد الله بن رواحة لما سمعها قال لا ازال حبيسا في سبيل الله حتى اقتل والصحيح عندي
ان الوعد تجب الوفا به على كل حال قال القرطبي قال مالك فاما العدة مثل ان يسال الرجل
الرجل ان يهب له الهبة فيقول نعم ثم يبدو له ان لا يفعل فلا ارى ما يلزمه فصل قال
القرطبي ثلاث ايات منعتني ان اقص على الناس اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وما اريد
ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون وخرج ابو نعيم الحافظ من
حديث مالك بن دينار عن ثمامة عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتيت
ليلة اسري بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار كلما قرضت عادت قلت من هؤلاء
يا جبريل قال هؤلاء خطباء امتك الذين يقولون ولا يفعلون ويقرؤون كتاب الله ولا يعملون
به فصل قوله لم تقولون ما لا تفعلون استفهام على جهة الانكار والتوبيخ على ان يقول
الانسان عن نفسه من الخير ما لا يفعله اما في الماضي فيكون كذبا وفي المستقبل يكون خلفا وكلاهما
مذموم قال الزمخشري هي لام الاضافة دخلت على ما الاستفهامية كما دخلت عليها غيرها من
حروف الجر في قولك بم وفيم وعم ومم وانما حذفت الالف لان ما والحرف كشيء واحد وقد وقع
استعمالها في كلام المستفهم ولو كان كذلك لكان معنى الاستفهام واقعا في قوله تعالى لم تقولون
والاستفهام من الله تعالى محال لانه عالم بجميع الاشيا والجواب هذا اذا كان المراد حقيقة الاستفهام
اما اذا كان المراد الزام من اعرض عن الوفا بما وعد او انكر الحق واصر على الباطل فلا قال
ابن عيينة قوله لم تقولون ما لا تفعلون اي لم تقولون ما ليس الامر فيه اليكم فلا تدرون هل تفعلون
او لا تفعلون فعلى هذا يكون الكلام محمولا على ظاهره في انكار القول قوله كبر مقتا فيه اوجه
احدها ان يكون من باب نعم وبئس فيكون في كبر ضمير مبهم مفسر بالنكرة بعده وان تقولوا هو المخصوص
بالذم فيجي فيه الخلاف المشهور هل رفعه بالابتدا وخبره محذوف او خبر مبتدا محذوف كما تقدم
تحريره وهذه قاعدة مطردة كل فعل يجوز التعجب منه يجوز ان يبنى على فعل بضم العين ويجري مجرى
نعم وبئس في جميع الاحكام والثاني انه من امثلة التعجب وقد عده ابن عصفور في التعجب
المبوب له في النحو فقال لصيغة ما افعله وافعل به ولفعل نحو لرموا الرجل واليه نحا الزمخشري فقال
هذا من افصح كلام وابلغه في معناه قصد في كبر التعجب من غير لفظه كقوله
علت ناب كليب بواؤها ثم قال واسند الى ان تقولوا ونصب مقتا على تفسيره دلالة على ان قولهم
ما لا تفعلون مقت خالص لا شوب فيه الثالث ان كبر ليس للتعجب ولا للذم بل هو مسند الى ان تقولوا
ومقتا تمييز محول من الفاعلية والاصل كبر مقت ان تقولوا اي مقت قولكم ويجوز ان يكون الفاعل
مضمرا عائدا على المصدر المفهوم من قوله لم تقولون اي كبر هو اي القول مقتا وان تقولوا على هذا
اما بدل من ذلك الضمير او خبر مبتدا محذوف اي هو ان تقولوا قال القرطبي ومقتا نصب بالتمييز
المعنى كبر قولهم ما لا يفعلون مقتا وقيل هو حال والمقت والمقاتة مصدران يقال رجل مقيت
وممقوت اذا لم يحبه الناس فصل قال القرطبي قد يحتج بهذه الاية في وجوب الوفا في

اللجاج والغضب على احد قولي الشافعي قوله ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا قرا
زيد بن علي يقاتلون بفتح التاء على ما لم يسم فاعله وقري يقتلون بالتشديد وصفا نصب على الحال
اي صافين او مصفوفين قال القرطبي والمفعول مضمر اي يصفون انفسهم صفا وقوله كانهم يجوز
ان يكون حالا ثانية من فاعل يقاتلون وان يكون حالا من الضمير في صفا فيكون حالا متداخلة
قاله الزمخشري وان يكون نعتا لصفا قاله الحوفي وعاد الضمير على صفا جمعا لانه جمع في المعنى كقوله
وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فصل وجه تعلق الاية بما قبلها ان قوله تعالى
كبر مقتا عند الله في ذم المخالفين في القتال وهم الذين وعدوا بالقتال ولم يقاتلوا وهذه الاية
مدح للموافقين في القتال واعلم ان المحبة على وجهين احدهما الرضا عن الخلق وثانيهما الثنا عليهم
فصل والمرصوص قيل هو المتلائم الاجزا المستويها وقيل المعقود بالرصاص قاله الفرا
وقيل هو من التضام من تراص الاسنان وقال الراعي ما لقي البيض من الحرقوص يفتح باب المغلق
المرصوص الحرقوص دويبة تولع بالنسا الابكار قال القرطبي والتراص التلاصق ومنه وتراصوا
في الصف ومعنى الاية ان الله يحب من يثبت في الجهاد في سبيله ويلزم مكانه كثبوت البنا وقال
ابن عباس يوضع الحجر على الحجر ثم يرص باحجار صغار ثم يوضع اللبن عليه فيسمونه اهل مكة المرصوص
قال ابن الخطيب ويجوز ان يكون المعنى على ان يستوي ثباتهم في حرب عدوهم حتى يكونوا في اجتماع
الكلمة وموالاة بعضهم بعضا كالبنيان المرصوص وقال سعيد بن جبير هذا تعليم من الله
للمؤمنين كيف يكونون عند قتال عدوهم فصل قال القرطبي استدل بهذه الاية بعضهم
على ان قتال الراجل افضل من قتال الفارس لان الفرسان لا يصطفون على هذه الصفة قال
المهدوي وذلك غير مستقيم لما جا في فضل الفارس من الاجر والغنيمة ولا تخرج الفرسان من معنى
الاية لان معناه الثبات فصل لا يجوز الخروج من الصف الا لحاجة تعرض للانسان
او في رسالة يرسلها الامام او منفعة تظهر في المقام كفرصة تنتهز ولا خلاف فيها وفي الخروج
عن الصف للمبارزة خلاف فقيل انه لا باس بذلك ارهابا للعدو وطلبا للشهادة وتحريضا على
القتال وقيل لا يبرز احد طلبا لذلك لان فيه ريا وخروجا الى ما نهى الله عنه من لقا العدو وانما
تكون المبارزة اذا طلبها الكافر كما كانت في حروب النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر وفي غزوة
خيبر وعليه درج السلف وقد تقدم الكلام في ذلك في البقرة عند قوله ولا تلقوا بايديكم الى
التهلكة قوله تعالى واذ قال موسى لقومه الاية لما ذكر الجهاد بين ان موسى وعيسى
امرا بالتوحيد وجاهدا في سبيل الله وحل العقاب بمن خالفهما اي واذكر لقومك يا محمد هذه القصة
قوله لم تؤذونني وذلك حين رموه بالادرة كما تقدم في سورة الاحزاب ومن الاذى ما
ذكر في قصة قارون انه دس الى امراة تدعي على موسى الفجور ومن الاذى قولهم اجعل لنا الها كما
لهم الهة وقولهم فاذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون وقولهم انت قتلت هارون
وقد تقدم قوله وقد تعلمون جملة حالية قال ابن الخطيب وقد معناه التوكيد كانه قال
وتعلمون علما يقينا لا شبهة لكم فيه وقوله اني رسول الله اليكم والمعنى ان الرسول يحترم يقينا لا شبهة
لكم فيه قوله فلما زاغوا اي مالوا عن الحق ازاغ الله قلوبهم اي امالها عن الهدى وقيل فلما زاغوا
عن الطاعة ازاغ الله قلوبهم عن الهداية وقيل فلما زاغوا عن الايمان ازاغ الله قلوبهم عن الثواب
وقيل لما تركوا ما امروا به من احترام الرسول عليه السلام وطاعة الرب خلق الله في قلوبهم الضلالة
عقوبة لهم على فعلهم والله لا يهدي القوم الفاسقين قال الزجاج يعني من سبق في علمه انه فاسق قال
ابن الخطيب وهذه الاية تدل على عظم ايذا الرسول حتى انه يودي الى الكفر وزيغ القلوب عن الهدى
قوله واذ قال عيسى ابن مريم اي اذكر لهم هذه القصة ايضا وقال يا بني اسرائيل ولم يقل يا قوم

كما قال موسى لانه لا نسب له فيهم فيكونوا قومه وقوله اني رسول الله اليكم اي بالانجيل **قوله**
مصدقا حال وكذلك مبشرا والعامل فيه رسول لانه بمعنى المرسل قال الزمخشري فان قلت بم انتصب
مصدقا ومبشرا ابما في الرسول من معنى الارسال ام باليكم قلت بمعنى الارسال لان اليكم صلة للرسول فلا
يجوز ان يعمل شيئا لان حروف الجر لا تعمل بانفسها ولكن بما فيها من معنى الفعل فاذا وقعت صلات لم يتضمن
معنى فعل فمن اين تعمل انتهى يعني بقوله صلات انها متعلقة برسول صلة له اي متصل بمعناها به
لا الصلة الصناعية **قوله** يأتي من بعدي وقوله اسمه احمد جملتان في موضع جر نعتا لرسول
او اسمه احمد في موضع نصب على الحال من فاعل يأتي او يكون الاولى نعتا والثانية حالا وكونهما حالين
ضعيف لاتيانهما من النكرة وان كان سيبويه يجوزه وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو ومن بعدي
بفتح اليا وهي قراءة السلمي وزر بن حبيش وابو بكر عن عاصم واختاره ابو حاتم لانه اسم مثل الكاف من
بعدك والتاء من قمت والباقون بالاسكان وقرئ من بعدي اسمه احمد بحذف اليا من اللفظ واحمد
اسم نبينا صلى الله عليه وسلم وهو اسم علم يحتمل ان يكون منقولا من الفعل المضارع ويحتمل ان يكون
منقولا من صفة وهي افعل التفضيل وهو الظاهر فمعنى احمد اي احمد الحامدين لربه والانبياء صلوات
الله عليهم كلهم حمادون لله ونبينا احمد اكثرهم حمدا قال البغوي والالف في احمد للمبالغة في
الحمد وله وجهان احدهما انه مبالغة من الفاعل اي الانبياء كلهم حمادون لله عز وجل وهو اكثر
حمدا لله من غيره والثاني انه مبالغة في المفعول اي الانبياء كلهم محمودون لما فيهم من الخصال
الحميدة وهو اكثر مبالغة واجمع للفضايل والمحاسن التي يحمد بها انتهى وعلى كلا الوجهين فمنعه من الصرف
للعلمية والوزن الغالب الا انه على الاحتمال الاول يمتنع معرفة وينصرف نكرة وعلى الثاني
يمتنع تعريفا وتنكيرا لانه يخلف العلمية الصفة واذا نكر بعد كونه علما جرى فيه خلاف
سيبويه والاخفش وهي مسألة مشهورة بين النحاة وانشد حسان رضي الله عنه يمدحه عليه
السلام ويصفه ، صلى الاله ومن يحف بعرشه ، والطيبون على المبارك احمد ، احمد بدل او بيان
للمبارك واما محمد فمنقول من صفة ايضا وهو في معنى محمود ولكن فيه معنى المبالغة والتكرار فاحمد
هو الذي حمد مرة بعد مرة وكذلك الممدح ونحو ذلك فاسم محمد مطابق لمعناه والله سبحانه سماه
قبل ان يسمي به نفسه فهذا علم من اعلام نبوته اذ كان اسمه صادقا عليه فهو محمود في الدنيا لما هدى
اليه ونفع به من العلم والحكمة وهو محمود في الاخرة بالشفاعة فقد تكرر معنى الحمد كما يقتضي اللفظ
ثم انه لم يكن محمدا حتى كان احمد حمد ربه فنبأه وشرفه فلذلك تقدم اسم احمد على الاسم الذي هو محمد فذكره
عيسى فقال اسمه احمد وذكره موسى عليه السلام حين قال له ربه تلك امة احمد فقال اللهم اجعلني من
امة محمد فباحمد ذكر قبل ان يذكر بمحمد لان حمده لربه كان قبل حمد الناس له فلما وجد وبعث كان
محمدا بالفعل وكذلك في الشفاعة يحمد ربه بالمحامد التي يفتحها عليه فيكون احمد الناس لربه ثم يشفع
فيحمد على شفاعته وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اسمي في التورية احيد لاني احيد امتي عن
النار واسمي في الزبور الماحي محى الله بي عبدة الاوثان واسمي في الانجيل احمد وفي القران محمد لاني محمود
في اهل السما والارض وفي الصحيح لي خمسة اسما انا محمد واحمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا
الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب وقد تقدم **قوله** فلما جاءهم بالبينات قيل
عيسى وقيل محمد صلى الله عليه وسلم قالوا هذا سحر مبين قرأ الكسائي وحمزة ساحر نعتا للرجل وروي
انها قراءة ابن مسعود والباقون سحر نعتا لما جاء به الرسول قال ابو حيان هنا وقرأ الجمهور سحر وعبد الله
وطلحة والاعمش وابن وثاب ساحر وترك ذكر الاخيرين **قوله** ومن اظلم ممن افترى اي لا احد اظلم
ممن افترى وهذه قراءة العامة على الله الكذب **قوله** وهو يدعى جملة حالية من فاعل افترى وهذه
قراءة العامة وقرأ طلحة يدّعي بفتح اليا والدال مشددة مبنيا للفاعل وفيها تأويلان احدهما قاله

الزمخشري وهو ان يكون يفتعل بمعنى يفعل نحو لمسه والتمسه والضميران اعني هو والمستتر في يدعى لله تعالى
وحينئذ يكون القراءتان بمعنى واحد كانه قيل والله يدعو الى الاسلام وفي القراءة الاولى يكون الضميران
عايدين على من والثاني انه من ادعى كذا دعوى ولكنه لما ضمن يدعى معنى ينتمي وينتسب عدي باللام
والا فهو متعد بنفسه وعلى هذا الوجه فالضميران لمن ايضا كما في القراءة المشهورة وعن طلحة ايضا يدعى
مشدد الدال مبنيا للمفعول وخرجها الزمخشري على ما تقدم من ادعاه ودعاه بمعنى لمسه والتمسه و
والضميران عايدان على من عكس ما تقدم عنه في تخريج القراءة الاولى فان الضمير من لله تعالى كما تقدم
تحرير وهذا التعجب ممن كفر بعيسى ومحمد بعد المعجزات التي ظهرت لهما قال والله لا يهدي القوم
الظالمين اي من كان في حكمه انه يختم له بالضلالة **قوله** يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم
الاطفاء هو الاخماد يستعملان في النار وفيما يجري مجراها من الضيا والظهور ويفترق الاطفاء والاخماد
من حيث ان الاطفاء يستعمل في القليل فيقال اطفأت السراج ولا يقال اخمدت السراج وفي هذه اللام
اوجه احدها انها مزيدة في مفعول الارادة قال الزمخشري اصله يريدون ان يطفئوا كما في سورة
التوبة وكان هذه اللام زيدت مع فعل الارادة توكيدا له لما فيها من معنى الارادة في قولك
جئت لاكرمك كما زيدت اللام في لا ابا لك تاكيدا لمعنى الاضافة في لا اباك وقال ابن عطية واللام
في ليطفئوا لام مؤكدة دخلت على المفعول لان التقدير يريدون ان يطفئوا واكثر ما يلزم هذه
اللام المفعول اذا تقدم تقول لزيد ضربت ولرؤيتك قصدت انتهى وهذا ليس مذهب سيبويه
وجمهور الناس ثم قول ابي محمد واكثر ما تلزم ليس بظاهر لانه لا اقول بلزومها البتة بل هي جايزة
الزيادة وليس الاكثر ايضا زيادتها جوازا بل الاكثر عدمها الثاني انها لام العلة والمفعول محذوف
اي يريدون ابطال القران او دفع الاسلام او هلاك الرسول ليطفئوا الثالث انها بمعنى ان الناصبة
وانها ناصبة للفعل بنفسها قال الفراء العرب تجعل لام كي في موضع ان في اراد وامر واليه ذهب الكسائي
ايضا وقد تقدم نحو هذا في قوله يريد الله ليبين لكم في سورة النساء **فصل** قال
ابن عباس وابن زيد المراد بنور الله ههنا القران اي يريدون ابطاله وتكذيبه بالقول وقال
السدي الاسلام اي يريدون دفعه بالكلام وقال الضحاك انه محمد صلى الله عليه وسلم اي يريدون
هلاكه بالاراجيف وقال ابن جريج حجج الله ودلايله يريدون ابطالها بانكارهم وتكذيبهم وقيل
انه مثل مضروب اي من اراد اطفاء نور الشمس بفيه وجده مستحيلا ممتنعا كذلك من اراد ابطال
الحق حكاه ابن عيسى **فصل** قال الماوردي سبب نزول هذه الاية ما حكاه عطاء عن ابن
عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم ابطا عليه الوحي اربعين يوما فقال كعب بن الاشرف يا معشر يهود
ابشروا فقد اطفأ الله نور محمد فيما كان ينزل عليه وما كان ليتم امره فحزن رسول الله صلى الله عليه
وسلم فانزل الله تعالى هذه الاية واتصل الوحي بعدها **قوله** والله متم نوره قرأ الاخوان وحفص
وابن كثير باضافة متم لنوره والباقون بتنوينه ونصب نوره فالاضافة تخفيف والتنوين هو الاصل
وابو حيان ينازع في كونه الاصل وقد تقدم وقوله والله متم جملة حالية من فاعل يريدون او يطفئوا
والمعنى والله متم نوره اي باظهاره في الافاق **فان قيل** الاتمام لا يكون الا عند النقصان
فما معنى نقصان هذا النور فالجواب اتمامه بحسب نقصان الاثر وهو الظهور في سائر البلاد من
المشارق الى المغارب اذ الظهور لا يظهر الا بالاظهار وهو الاتمام يؤيده قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم
وعن ابي هريرة ان ذلك عند نزول عيسى عليه السلام قاله مجاهد **قوله** ولو كره الكافرون حال من هذه الحال فهما
متداخلان وجواب لو محذوف اي اتمه واظهره وكذلك ولو كره المشركون والمعنى ولو كره الكافرون من
ساير الاصناف **فان قيل** قال اولا ولو كره الكافرون وقال ثانيا ولو كره المشركون فما
فائدته فالجواب اذا انكروا الرسول وما انزل اليه من الكتاب وذلك من نعم الله تعالى عليه

والكافرون كلهم في كفران النعم فلهذا قال ولو كره الكافرون ولان الكافرون من لفظ المشرك فالمراد
من الكافرين هنا اليهود والنصارى والمشركون فلفظ الكفار اليق به واما قوله ولو كره المشركون فلان
عند انكارهم النور واصرارهم عليه فالنبي صلى الله عليه وسلم امر في الابتداء بالدعوة الى التوحيد بلا اله
الا الله فلم يقولوا لا اله الا الله فلهذا قال ولو كره المشركون **قوله** هو الذي ارسل رسوله يعني
محمدا بالهدى اي بالحق والرشاد ليظهره على الدين كله بالحجج ومن الظهور الغلبة باليد في القتال
وليس المراد بالظهور ان لا يبقى دين اخر من الاديان بل المراد ان يكون اهل الاسلام عالين غالبين
ومن الاظهار ان لا يبقى دين اخر سوى الاسلام في اخر الزمان قال مجاهد ذلك اذا انزل الله عيسى
لم يكن في الارض دين الا دين الاسلام وقال ابو هريرة ليظهره على الدين كله بخروج عيسى وحينئذ
لا يبقى كافر الا اسلم وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتركن
ابن مريم حكما عادلا فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية وليتركن القلاص فلا يسعى
اليها ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد وليدعون الى المال فلا يقبله احد وقيل ليظهره
اي ليطلع محمدا على سائر الاديان حتى يكون عالما بها عارفا بوجوه بطلانها وبما حرفوا وغيروا منها على
الدين اي على الاديان لان الدين مصدر يعبر به عن الجمع **قوله تعالى** يا ايها الذين
امنوا هل ادلكم على تجارة الاية قال مقاتل نزلت في عثمان بن مظعون قال يا رسول الله لو اذنت لي
فطلقت خولة وترهبت واختصيت وحرمت اللحم ولا انام بليل ابدا ولا افطر نهارا ابدا فقال النبي
صلى الله عليه وسلم ان من سنتي النكاح ولا رهبانية في الاسلام انما رهبانية امتي الجهاد في سبيل الله
وخصا امتي الصوم ولا تحرموا الطيبات ما احل الله لكم ومن سنتي انام واقوم وافطر واصوم فمن
رغب عن سنتي فليس مني فقال عثمان والله لوددت يا نبي الله اي التجارات احب الى الله فاتجر فيها
فنزلت وقيل ادلكم اي سادلكم والتجارة الجهاد قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم
واموالهم الاية وهذا خطاب لجميع المؤمنين وقيل لاهل الكتاب وقيل نزل هذا حين قالوا لو نعلم
اي الاعمال احب الى الله لعملناه قال البغوي وجعل ذلك بمنزلة التجارة لانهم يربحون بها رضى
الله عز وجل ونيل جنته والنجاة من النار والتجارة عبارة عن معاوضة الشيء بالشيء فكما ان التجارة
تنجي التاجر من الفقر فكذا هذه التجارة وكما ان في التجارة الربح والخسران فكذلك هذه التجارة فمن
امن وعمل صالحا فله الاجر الوافر ومن اعرض عن الايمان والعمل الصالح فله الخسران المبين **قوله**
تنجيكم هذه الجملة صفة لتجارة وقرا ابن عامر تنجيكم بالتشديد والباقون بالتخفيف من انجى ونجا
بمعنى واحد لان التضعيف والهمزة متعديان والمعنى تخلصكم من عذاب اليم اي مولم **قوله**
تومنون لا محل له لانه تفسير لتجارة ويجوز ان يكون محلها الرفع خبر المبتدا مضمرا اي تلك التجارة
تومنون والخبر نفس المبتدا فلا حاجة الى رابط وان تكون منصوبة المحل باضمار فعل اي اعني
تومنون وجاز ذلك على تقدير ان وفيه تعسف والعامة على تومنون خبر لفظا ثابت النون
وعبد الله امنوا وجاهدوا امرين وزيد بن علي تومنوا وتجاهدوا بحذف نون الرفع فاما قراة
العامة فالخبر بمعنى الامر تدل عليه القراتان الشاذتان فاما قراة زيد على حذف لام الامر اي لتومنوا
ولتجاهدوا كقوله محمد تفد نفسك كل نفس وقوله قل لعبادي الذين امنوا يقيموا في وجه اي
لتفد وليقيموا ولذلك جزم الفعل في جوابه في قوله يغفر وكذلك قولهم اتقى الله امرو وفعل خيرا
يثب عليه تقديره ليتق الله وقال الاخفش ان تومنوا عطف بيان لتجارة وهذا لا يتخيل الا بتاويل
ان يكون الاصل ان تومنوا فلما حذف ان ارتفع الفعل كقوله الا ايها ذا الزاجري احضر الوغى
الاصل ان احضر وكانه قيل هل ادلكم على تجارة منجية ايمان وجهاد وهو معنى حسن لولا ما فيه من التاويل
وعلى هذا فيجوز ان يكون بدلا من تجارة وقال الفرا هو مجزوم على جواب الاستفهام وهو قوله هل ادلكم

واختلف

واختلف الناس في تصحيح هذا القول فبعضهم غلطه قال الزجاج ليسوا اذا دلهم على ما ينفعهم يغفر لهم
انما يغفر لهم اذا امنوا وجاهدوا يعني انه ليس مرتبا على مجرد الاستفهام ولا على مجرد الدلالة قال
القرطبي وتومنون عند المبرد والزجاج في معنى امنوا ولذلك جا يغفر لكم مجزوما على انه جواب الامر قال
ابن الخطيب هل ادلكم في معنى الامر عند الفرا يقال هل انت ساكت اي اسكت وبيانه ان هل بمعنى
الاستفهام ثم يتدرج الى ان يصير عرضا وحثا والحث كالاغراء والاغراء امر وقال المهدوي انما يصح
حملا على المعنى وهو ان يكون تومنون وتجاهدون عطف بيان على قوله هل ادلكم كان التجارة لم يدر
ما هي فبينت بالايمان والجهاد فهي هي في المعنى فكانه قيل هل تومنون وتجاهدون قال فان لم يقدر
هذا التقدير لم يصح لانه يصير ان دللتم يغفر لكم والغفران انما يجب بالقبول والايمان لا بالدلالة وقال
الزمخشري قريبا منه ايضا وقال ايضا ان تومنوا استيناف كانهم قالوا كيف نعمل فقال تومنون وقال
ابن عطية تومنون فعل مرفوع تقديره ذلك انه تومنون فجملة خبر ان وهي وما في خبرها خبر المبتدا
وهذا المحمول على تفسير المعنى لا تفسير الاعراب فانه لا حاجة اليه **فصل** قال ابن الخطيب
فان قيل كيف امرهم بالايمان بعد قوله يا ايها الذين امنوا فالجواب يمكن ان يكون
المراد من هذه الاية المنافقين وهم الذين امنوا في الظاهر ويمكن ان يكون اهل الكتاب وهم اليهود
والنصارى فانهم امنوا بالكتب المتقدمة فكانه قال يا ايها الذين امنوا بالكتب المتقدمة امنوا بالله
ومحمد ويمكن ان يكون المراد الامر بالثبات على الايمان كقوله تعالى يثبت الله الذين امنوا **فان قيل**
كيف يرجى النجاة اذا امن بالله ورسوله ولم يجاهد في سبيل الله وقد علق بالمجموع فالجواب ان هذا
المجموع هو الايمان بالله ورسوله والجهاد بالنفس والمال في سبيل الله خير من نفس الامر **قوله** يغفر
لكم فيه اوجه احدها انه مجزوم باموالكم وانفسكم قال القرطبي ذكر الاموال اولا لانها التي يبدا بها في
الانفاق ذلكم اي هذا الفعل خير لكم من اموالكم وانفسكم ان كنتم تعلمون انه خير لكم **قوله** يغفر لكم
فيه اوجه احدها انه مجزوم على جواب الخبر بمعنى الامر كما تقدم والثاني انه مجزوم على جواب الاستفهام
كما قاله الفرا الثالث انه مجزوم بشرط مقدر اي ان تومنوا يغفر لكم قال القرطبي وادغم بعضهم فقرا يغفر
لكم والاحسن ترك الادغام لان الراء حرف متكرر قوي فلا يحسن الادغام في اللام لان الاقوى لا يدغم في
الاضعف **قوله** ومساكن طيبة روى الحسن قال سالت عمران بن حصين وابا هريرة عن قوله
ومساكن طيبة فقالا على الخبير سقطت سالنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فقال قصر من لولوة في
الجنة في ذلك القصر سبعون دارا من ياقوتة حمرا في كل دار سبعون بيتا من زبرجدة خضرا في كل بيت
سبعون سريرا على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش سبعون امراة من الحور العين في كل
بيت سبعون مايدة على كل مايدة سبعون لونا من الطعام في كل بيت سبعون وصيفا ووصيفة فيعطي
الله تبارك وتعالى المومن القوة في غداة واحدة ما ياتي على ذلك كله **قوله** في جنات عدن
اي اقامة ذلك الفوز العظيم اي السعادة الدايمة الكبيرة واصل الفوز الظفر بالمطلوب **قوله**
واخرى فيها اوجه احدها انها في موضع رفع على الابتدا وخبرها مقدر اي ولكم او ثم او عندي خصلة
اخرى او مثوبة اخرى وتحبونها نعت لها قاله ابو البقا الثاني ان الخبر جملة حذف مبتداها تقديره
هي نصر والجملة خبر اخرى قاله ابو البقا الثالث انها منصوبة بفعل محذوف للدلالة عليه بالسياق
اي ويعطكم او يمنحكم مثوبة اخرى وتحبونها نعت لها ايضا الرابع انها منصوبة بفعل مضمر يفسره تحبونها
فيكون من الاشتغال وحينئذ لا يكون تحبونها نعتا لانه مفسر للعامل قبله الخامس انها مجرورة عطفا على
تجارة وضعف هذا بانها ليست مما دل عليه انما هي ثواب من عند الله قال القرطبي وهذا الوجه منقول
عن الاخفش والفرا **قوله** نصر من الله خبر مبتدا مضمر اي تلك النعمة او الخلة الاخرى نصر ومن الله
نعت له او متعلق به اي ابتداوه منه ورفع نصر وفتح قراة العامة ونصب ابن ابي عبلة الثلاثة وفيه

اوجه ذكرها الزمخشري احدها انها منصوبة على الاختصاص الثاني ان ينتصب على المصدرية اي ينصرون
نصرا ويفتح لهم فتحا قريبا الثالث ان ينتصب على البدل من اخرى واخرى منصوب بمقدر كما تقدم
اي يغفر لكم ويدخلكم جنات ويؤتكم اخرى ثم ابدل منها نصرا وفتحا قريبا **نصر** ومعنى الاية
اي ولكم نصر من الله وفتح قريب اي غنيمة في عاجل الدنيا قيل فتح مكة وقال ابن عباس يريد فتح فارس
والروم وبشر المؤمنين برضى الله عنهم وقال البغوي وبشر المؤمنين يا محمد بالنصر في الدنيا والجنة في
الاخرة ثم حضهم على نصر المؤمنين وجهاد المخالفين فقال يا ايها الذين امنوا كونوا انصار الله اي كونوا
حواريي نبيكم ليظهركم الله على من خالفكم كما اظهر حواريي عيسى على من خالفهم **قوله** انصار الله قرا
نافع وابن كثير وابو عمرو انصارا منونا لله جارا ومجرورا والباقون انصار غير منون بل مضافا للجلالة
الكريمة والرسم يحتمل القراءتين معا واللام يحتمل ان تكون مزيدة في المفعول للتقوية لكون العامل فرعا
اذ الاصل انصارا الله وان تكون غير مزيدة ويكون الجار والمجرور نعتا لانصارا والاول اظهر واما قراءة
الاضافة ففرع الاصل المذكور ويؤيد قراءة الاضافة الاجماع عليها في قوله نحن انصار الله
ولم يتصور جريان الخلاف هنا لانه مرسوم بالالف قال القرطبي قيل في الكلام اضمار اي قل لهم يا محمد
كونوا انصار الله وقيل هو ابتداء خطاب من الله اي كونوا انصارا كما فعل انصار عيسى فكانوا بحمد الله
انصارا وكانوا حواريين **فصل** قال القرطبي الحواريون خواص الرسل قال معمر كان ذلك بحمد
الله اي بنصره وهم سبعون رجلا الذين بايعوه ليلة العقبة وقيل هم قريش وسماهم قتادة ابو بكر
وعمر وعلي وطلحة والزبير وسعد بن ابي وقاص وابو عبيدة واسمه عامر وعثمان بن مظعون وحمزة بن
عبد المطلب وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف ولم يذكر سعدا فيهم وذكر جعفر بن ابي طالب
رضي الله عنهم اجمعين **قوله** كما قال عيسى ابن مريم للحواريين وهم اصفياؤه اثنا عشر رجلا وقد
مضت اسماؤهم في ال عمران وهم اول من امن به من بني اسرائيل قاله ابن عباس وقال مقاتل قال الله
لعيسى اذا دخلت القرية فأت النهر الذي عليه القصارون فاسألهم النصرة فاتاهم عيسى وقال من انصاري
الى الله فقالوا نحن نصرك فصدقوه ونصروه **قوله** كما فيه اوجه احدها ان الكاف في موضع
نصب على اضمار القول اي قلنا لهم ذلك كما قال عيسى الثاني انها نعت لمصدر محذوف تقديره كونوا
كونا قاله مكي وفيه نظر اذ لا يؤمر بان يكونوا كونا الثالث انه كلام محمول على معناه دون لفظه واليه
نحا الزمخشري قال فان قلت ما وجه صحة التشبيه وظاهره تشبيه كونهم انصارا بقول عيسى صلوات
الله عليه من انصاري قلت التشبيه محمول على المعنى وعليه يصح والمراد كونوا انصار الله كما كان الحواريون
انصار عيسى حين قال لهم من انصاري الى الله وتقدم في ال عمران تعدي انصاري بالى واختلاف الناس
في ذلك وقال الزمخشري هنا فان قلت ما معنى قوله من انصاري الى الله قلت يجب ان يكون معناه
مطابقا لجواب الحواريين نحن انصار الله والذي يطابقه ان يكون المعنى من جندي متوجها الى نصرة الله
واضافة انصاري خلاف اضافة انصار الله فان قلت معنى نحن انصار الله نحن الذين ينصرون الله
ومعنى من انصاري من الانصار الذين يختصون بي ويكونون معي في نصرة الله ولا يصح ان يكون معناه
من ينصرني مع الله لانه لا يطابق الجواب والدليل عليه قراءة من قرا من انصار الله انتهى يعني ان بعضهم يدعي
ان الى بمعنى مع اي من انصاري مع الله وقوله قراءة من قرا انصار الله اي لو كانت بمعنى مع لما صح سقوطها
في هذه القراءة قال شهاب الدين وهذا غير لازم لان كل قراءة لها معنى يخصها الا ان الاولى توافق القراءتين
قوله فامنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة قال ابن عباس يعني في زمن عيسى عليه السلام
وذلك انه لما رفع تفرق قومه ثلاث فرق فرقة قالوا كان الله فارتفع وفرقة قالوا كان ابن الله فرفعه
الله اليه وفرقة قالوا كان عبد الله ورسوله فرفعه الله اليه وهم المؤمنون واتبع كل فرقة منهم طائفة
من الناس فاقتتلوا فظهرت الفرقتان الكافرتان على المؤمنين حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فظهرت

الفرقة المؤمنة على الكافرة فذلك قوله فايدنا الذين امنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين غالبين وقال
مجاهد ايدوا في زمانهم على من كفر بعيسى والاول اظهر لان عيسى لم يقاتل احدا ولم يكن في دين اصحابه بعده
قتال وقال زيد بن علي وقتادة فاصبحوا ظاهرين غالبين بالحجة والبرهان لانهم قالوا فيما روي الستم
تعلمون ان عيسى كان ينام والله لا ينام وان عيسى كان ياكل والله تعالى لا ياكل وقيل نزلت هذه الاية
في رسل عيسى عليه السلام قال ابن اسحق وكان الذي بعثهم عيسى من الحواريين والاتباع بطرس وبولس
الى رومية واندرياس ومتا الى الارض التي ياكل اهلها الناس وتوماس الى ارض بابل من ارض المشرق وفيلبس
الى قرطاجنة وهي افريقية ويحنس الى افسوس قرية اصحاب الكهف ويعقوبس الى اورشليم وهي بيت
المقدس وابن تلما الى الاعرابية وهي ارض الحجاز وسيمن الى ارض البربر ويهودا وبودس الى الاسكندرية
وما حولها فايدهم الله بالحجة فاصبحوا ظاهرين اي غالبين من قولك ظهرت على الحائط اي علوت
عليه **قوله** فايدنا الذين امنوا على عدوهم من ايقاع الظاهر موقع المضمر مبهما تنبيها على عداوة
الكافر للمؤمن اذ الاصل فايدناهم عليهم اي ايدنا المؤمنين على الكافرين من الطائفتين المذكورتين روى
الثعلبي في تفسيره عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة عيسى كان عيسى
مستغفرا له ما دام في الدنيا ويوم القيامة هو رفيقه **سورة الجمعة** وهي احدى عشرة
اية ومائة وثمانون كلمة وسبعمائة وعشرون حرفا روى مسلم عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق ادم وفيه ادخل الجنة وفيه اخرج منها ولا تقوم الساعة
الا في يوم الجمعة وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن الاخرون يوم القيامة ونحن اول من
يدخل الجنة بيد انهم اوتوا الكتاب من قبلنا واوتيناه من بعدهم فاختلفوا فهدانا الله لما اختلفوا فيه من
الحق باذنه فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه هدانا الله له قال يوم الجمعة فاليوم لنا وغدا لليهود وبعد غد
للنصارى. بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** يسبح لله ما في السموات وما في الارض تقدم
الكلام فيه وقوله الملك القدوس العزيز الحكيم وجه تعلق هذه السورة بما قبلها هو انه تعالى قال في
اول تلك السورة سبح لله بلفظ الماضي وذلك لا يدل على التسبيح في المستقبل فقال تعالى في اول هذه السورة
بلفظ المستقبل ليدل على التسبيح في الزمن الحاضر والمستقبل واما تعلق الاول بالاخر فلانه تعالى ذكر في اخر
تلك السورة انه كان يؤيد اهل الايمان حتى صاروا غالبين على الكفار وذلك على وفق الحكمة للحاجة اليه
اذ هو غني على الاطلاق ومنزه عما يخطر ببال الجهلة وفي اول هذه السورة ذكر ما يدل على كونه مقدسا
ومنزها عما لا يليق بحضرته العالية ثم اذا كان خلق السموات والارض باجمعهم في تسبيح حضرة الله تعالى
فله الملك ولا ملك اعظم من هذا ولما كان الملك كله له فهو الملك على الاطلاق ولما كان الكل خلقه
فهو المالك **قوله** الملك القدوس قرا العامة بجر الملك وما بعده نعتا لله والبدل ضعيف
لاشتقاقها وقرا ابو وائل ومسلمة بن محارب ورويت بالرفع على اضمار مبتدأ مقتضيا للمدح قال
الزمخشري ولو قرئ بالنصب على قولهم الحمد لله اهل الحمد لكان وجها وقرا زيد بن علي القدوس بفتح القاف
وتقدم ذلك ويسبح من جملة ما يجري فيه اللفظان تسبحه وتسبح له وتشكره وتشكر له وتنصحه وتنصح له
فان قيل يطلق ايضا على الغير كما يقال في لقمان انه حكيم فالجواب ان الحكيم عند اهل
التحقيق هو الذي يضع الاشياء مواضعها والله تعالى حكيم الغني **قوله** هو الذي بعث في الاميين
رسولا تقدم الكلام في الامي والاميين جمعه ويتلوا وما بعده صفات لرسول قال ابن عباس الاميون
العرب كلهم من كتب منهم ومن لم يكتب لانهم لم يكونوا اهل كتاب وقيل الاميون الذين لا يكتبون وكذلك
كانت قريش وروى منصور عن ابراهيم قال الامي يقرا ولا يكتب وعن ابن عباس الاميون الذين ليس لهم كتاب
ولا نبي بعث فيهم وقيل الاميون هم الذين هم على ما خلقوا عليه وقرئ الاميين بحذف ياء النسب **قوله**
رسولا منهم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وما من حي من العرب الا ولرسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم قرابة

وقد ولدوه قال ابن اسحق الامي تغلب فان الله تعالى طهر نبيه صلى الله عليه وسلم منهم لئلا يثبتهم فلم يجعل
لهم عليه ولادة وكان اميا لم يقرا من كتاب ولم يتعلم صلى الله عليه وسلم قال الماوردي **فان قيل**
ما وجه الامتنان بان بعث نبيا اميا فالجواب من ثلاثة اوجه احدها لموافقته ما تقدمت بشارة
الانبيا الثاني لمشاكلة حاله لاحوالهم فيكون اقرب الى موافقتهم الثالث لينتفي عنه سوء الظن في تعليمه ما
دعى اليه من الكتب التي قراها والحكم التي تلاها قال القرطبي وهذا كله دليل معجزته وصدق نبوته **قوله**
يتلوا عليهم اياته يعني القران ويزكيهم اي يجعلهم ازكيا القلوب بالايمان قاله ابن عباس وقيل يطهرهم
من دنس الكفر والذنوب قاله ابن جريج ومقاتل وقال السدي ياخذ زكوة اموالهم ويعلمهم الكتاب يعني
القران والحكمة السنة قاله الحسن وقال ابن عباس الكتاب الخط بالقلم لان الخط انما نشا في العرب بالشرع لما
امروا بتقييده بالخط وقال مالك بن انس الحكمة الفقه في الدين وقد تقدم في البقرة وان كانوا من قبل
اي من قبله وقبل ان يرسل اليهم لفي ضلال مبين اي في ذهاب عن الحق **فصل** قال ابن الخطيب
احتج اهل الكتاب بهذه الاية فقالوا قوله بعث في الاميين رسولا منهم يدل على انه عليه السلام كان رسولا الى
الاميين هم العرب خاصة قال وهذا ضعيف فانه لا يلزم من تخصيص الشي بالذكر نفي ما عداه الا ترى
قوله تعالى ولا تخطه بيمينك انه لا يفهم منه انه خطه بشماله ولانه لو كان رسولا الى العرب خاصة كان
قوله تعالى كافة للناس بشيرا ونذيرا لا يناسب ذلك وقد اتفقوا على صدق الرسالة المخصوصة فيكون
قوله تعالى كافة للناس دليلا على انه عليه السلام كان رسولا الى الكل **قوله** واخرين فيه وجهان احدهما
انه مجرور عطفا على الاميين اي وبعث في اخرين من الاميين ولما يلحقوا بهم صفة لاخرين وقيل والثاني
انه منصوب عطفا على الضمير المنصوب في يعلمهم اي ويعلم اخرين لم يلحقوا بهم وسيلحقون وكل من يتعلم
شريعة محمد صلى الله عليه وسلم الى اخر الزمان فرسول الله معلمه بالقوة لانه اصل ذلك الخير العظيم والفضل
الجسيم **قوله** لما يلحقوا بهم اي لم يكونوا في زمانهم وسيجيئون بعدهم قال ابن عمر وسعيد بن جبير
هم العجم وفي صحيح البخاري ومسلم عن ابي هريرة قال كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ نزلت عليه
سورة الجمعة فلما قرا واخرين منهم لما يلحقوا بهم قال من هولاء يا رسول الله فلم يراجعه النبي صلى الله عليه
وسلم حتى سأله مرة او مرتين او ثلاثا قال وفينا سلمان الفارسي قال فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده
على سلمان ثم قال لو كان الايمان عند الثريا لناله رجل من هولاء وفي رواية لو كان الدين عند الثريا
لذهب به رجل من فارس وقال من ابنا فارس حتى يتناوله لفظ مسلم وقال عكرمة هم التابعون وقال
مجاهد هم الناس كلهم يعني من بعد العرب الذين بعث فيهم محمد صلى الله عليه وسلم وقاله ابن زيد ومقاتل
ابن حيان قالا هم من دخل في الاسلام بعد النبي صلى الله عليه وسلم الى يوم القيمة وروى سهل بن سعد
الساعدي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في اصلاب امتي رجالا ونسا يدخلون الجنة بغير حساب
ثم تلا واخرين منهم لما يلحقوا بهم والقول الاول اثبت وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال رايتني
اسقي غنما سودا ثم اتبعتها غنما عفرا اولها يا ابا بكر فقال يا نبي الله اما السود فالعرب واما العفر فالعجم
تتبعك بعد العرب فقال النبي صلى الله عليه وسلم كذلك اولها الملك يعني جبريل عليه السلام رواه ابن
ابي ليلى عن رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهو علي بن ابي طالب رضي الله عنه **قوله** ذلك
فضل الله يوتيه من يشا قال ابن عباس حيث الحق العجم بقريش وقيل يعني الاسلام فضل الله يوتيه من
يشا قاله الكلبي وقال مقاتل يعني الوحي والنبوة وقيل انه المال ينفق في الطاعة لما روى ابو صالح عن
ابي هريرة ان فقرا المهاجرين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ذهب اهل الدثور بالدرجات
العلى والنعيم المقيم فقال وما ذاك قالوا يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون ولا نتصدق
ويعتقون ولا نعتق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افلا اعلمكم شيا تدركون به من سبقكم وتسبقون
به من بعدكم ولا يكون احد افضل منكم الا من صنع مثل ما صنعتم قالوا بلى يا رسول الله قال تسبحون وتكبرون

اهل

وتجهدون

وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين مرة قال ابو صالح فرجع فقرا المهاجرين الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالوا سمع اخواننا من اهل الاموال بما فعلنا ففعلوا مثله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذلك فضل الله يوتيه من يشا وقيل انه انقياد الناس الى تصديق النبي صلى الله عليه وسلم ودخولهم في
دينه ونصرته **قوله تعالى** مثل الذين حملوا التورية هذه قراة العامة وقرا زيد بن علي
ويحيى بن يعمر حملوا مخففا مبنيا للفاعل **قوله** كمثل الحمار هذه قراة العامة وقرا عبد الله حمار
منكرا وهو في قوة قراة الباقين لان المراد بالحمار الجنس ولهذا وصف بالجملة بعده كما سياتي وقرا
المامون بن هارون الرشيد يحمل مشددا مبنيا للمفعول والجملة من يحمل او يحمل فيها وجهان اشهرهما انها
في موضع الحال من الحمار والثاني انها في موضع الصفة للحمار لجريانه مجرى النكرة اذ المراد به الجنس
قال الزمخشري او الجر على الوصف لان الحمار كاللئيم في قوله ۞ ولقد امر على اللئيم يسبني ۞ وتقدم تحرير
هذا وان منه عند بعضهم واية لهم الليل نسلخ وان نسلخ نعت لليل والجمهور يجعلونه حالا للتعريف اللفظي
واما على قراة عبد الله فالجملة وصف فقط ولا يمتنع ان يكون حالا عند سيبويه والاسفار جمع سفر
وهو الكتاب المجتمع الاوراق **فصل** هذا مثل ضرب لليهود لما تركوا العمل بالتورية ولم يومنوا
بمحمد صلى الله عليه وسلم حملوا التورية اي كلفوا العمل بها قاله ابن عباس وقال الجرجاني هو من الحمالة
بمعنى الكفالة اي ضمنوا احكام التورية وقوله ثم لم يحملوها لم يعملوا بما فيها ولم يودوا حقها كمثل الحمار يحمل
اسفارا اي كتبا من العلم واحدها سفر قال الفرا هي الكتب العظام لانها تسفر عما فيها من المعاني
اذا قريت ونظيره شبر واشبار يعني كما ان الحمار يحملها ولا يدري ما فيها ولا ينتفع بها كذلك اليهود
يقرون التورية ولا ينتفعون بها لانهم خالفوا ما فيها قال ميمون بن مهران الحمار لا يدري اسفر على ظهره
ام زبل فكذلك اليهود وفي هذا تنبيه من الله تعالى لمن حمل الكتاب ان يتعلم معانيه ويعلم ما فيه ويعمل
به لئلا يلحقه من الذم ما لحق هولاء قال الشاعر ۞ لعمرك ما يدري البعير اذا غدا ۞ باوساقه او راح ما في
قوله بئس مثل القوم فيه اوجه احدها وهو المشهور ان مثل القوم فاعل بئس والمخصوص بالذم
الموصول بعده وهذا مشكل لانه لا بد من تصادق فاعل نعم وبئس والمخصوص وهنا المثل ليس القوم
الذين المكذبين والجواب انه على حذف مضاف اي بئس مثل القوم مثل الذين كذبوا الثاني ان الذين
صفة للقوم فيكون مجرور المحل والمخصوص بالذم محذوف لفهم المعنى تقديره بئس مثل القوم المكذبين
مثل هولاء وهو قريب من الاول الثالث ان الفاعل محذوف وان مثل القوم هو المخصوص بالذم تقديره
بئس المثل مثل القوم ويكون الموصول نعتا للقوم ايضا واليه نحا كلام ابن عطية فانه قال والتقدير
بئس المثل مثل القوم وهذا فاسد لانه لا يحذف الفاعل عند البصريين الا في مواضع ثلاثة ليس هذا منها
اللهم الا ان يقول بقول الكوفيين الرابع ان يكون التمييز محذوفا والفاعل المفسر به مستتر تقديره
بئس مثلا مثل القوم واليه نحا كلام الزمخشري فانه قال بئس مثلا مثل القوم فيكون الفاعل مستترا
مفسرا بمثلا ومثل القوم هو المخصوص بالذم والموصول صفة له وحذف التمييز وهذا لا يجيزه سيبويه
واصحابه البتة نصوا على امتناع حذف التمييز وكيف يحذف وهو مبين **فصل** قال ابن الخطيب
فان قيل ما الحكمة في تعيين الحمار من دون ساير الحيوانات فالجواب من وجوه احدها انه تعالى
خلق الخيل والبغال والحمير للركوب والزينة كما قال والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة
والحمل عليه وفي البغال الحمار دون البغال فالبغال
الخيل اكثر واظهر بالنسبة
في المعاني الثلاثة وحينئذ يكون معنى الحمل واظهر واغلب بالنسبة الى الخيل
والبغال وغيرهما من الحيوانات وثانيها ان هذا التمثيل لاظهار الجهل والبلادة لاوليك القوم والحمار
يمثل به في الجهل والبلادة وثالثها ان في الحمار من الحقارة ما ليس في غيره من الحيوانات والغرض من الكلام
ههنا تحقير القوم وتحقيرهم فيكون تعيين الحمار اليق ورابعها ان حمل الاسفار على الحمار اسهل واعم واسهل

الغرابين

لرعة انقياده فانه ينقاد للصبي الصغير من غير كلفة وهذا من جملة ما يوجب حسن الذكر بالنسبة
الى غيره وخامسها ان رعاية الالفاظ والمناسبة من لوازم الكلام لنظ الاسفار مناسبة
لفظية لا في غيره من الحيوانات فيكون ذكره اولى **فصل** قال القرطبي معنى الكلام بئس
مثل القوم المثل الذي ضربناه لهم فحذف المضاف والله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم
بتكذيب الانبيا يعني من سبق في علمه ان يكون كافرا **قوله** قل يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم
اوليا لله من دون الناس اي من دون محمد واصحابه لما ادعت اليهود الفضيلة وقالوا نحن ابنا الله
واحباوه قال الله تعالى ان كنتم اوليا الله من دون الناس فللاوليا عند الله الكرامة فتمنوا الموت
لتصيروا الى ما يصير اليه اوليا الله **قوله** انكم اوليا سد مسد المفعولين او المفعول على الخلاف
ولله متعلق باوليا او بمحذوف نعتا لاوليا ومن دون الله كذلك **قوله** فتمنوا الموت جواب
للشرط والعامة بضم الواو وهو الاصل في واو الضمير وابن السميفع وابن يعمر وابن ابي اسحق بكسرها
وهو اصل التقا الساكنين وابن السميفع ايضا بفتحها وهذا طلب للتخفيف وقد تقدم نحوه في
اشتروا الضلالة وحكى الكسائي ابدال الواو همزة **قوله** ولا يتمنونه وقال في البقرة ولن يتمنوه
وقال الزمخشري لا فرق بين لا ولن في ان كل واحد منهما نفي للمستقبل الا ان في لن تاكيدا وتشديدا ليس في
لا فاتى مرة بلفظ التاكيد ولن يتمنوه ومرة بغير لفظه ولا يتمنونه قال ابو حيان وهذا رجوع منه
عن مذهبه وهو ان لن تقتضي النفي على التابيد الى مذهب الجماعة وهو انها لا تقتضيه قال شهاب الدين
وليس فيه رجوع غاية ما فيه انه سكت عنه وتشريكه بين لا ولن في نفي المستقبل لا ينفي اختصاص لن بمعنى
اخر وتقدم الكلام على هذا مشبعا في البقرة **فصل** المعنى ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم
اي اسلفوه من تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم فلو تمنوه لماتوا فكان في ذلك بطلان قولهم وما
ادعوه من الولاية قال عليه السلام لما نزلت هذه الاية والذي نفسي بيده لو تمنوا الموت ما بقي على ظهرها
يهودي الا مات وفي هذا اخبار عن الغيب ومعجزة للنبي صلى الله عليه وسلم وتقدم معنى الكلام على هذه
الاية في البقرة عند قوله فتمنوا الموت **قوله** قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم
في هذه الفا وجهان احدهما انها داخلة لما تضمنه الاسم من معنى الشرط وحكم الموصوف بالموصول
حكم الموصول في ذلك قال الزجاج لا يقال ان زيدا فمنطلق وههنا قال فانه ملاقيكم لما في معنى
الذي من الشرط والجزا اي ان فررتم منه فانه ملاقيكم ويكون مبالغة في الدلالة على انه لا ينفع الفرار
منه الثاني انها مزيدة محضة لا للتضمن المذكور وافسدها ولا القول الاول بوجهين احدهما
ان ذلك انما يجوز اذا كان المبتدا او اسم ان موصولا واسم ان هنا ليس بموصول بل موصوفا بالموصول
والثاني ان الفرار من الموت لا ينجي منه فلم يشبه الشرط يعني انه متحقق فلم يشبه الشرط الذي هو من
شانه الاحتمال واجيب عن الاول بان الموصوف مع صفته كالشي الواحد ولان الذي لا يكون الا
صفة فاذا لم يذكر الموصوف دخلت الفا والموصوف مراد فكذلك اذا صرح به وعن الثاني بان خلقا
كثيرا يظنون ان الفرار من اسباب الموت ينجيهم الى وقت اخر وجوز مكي ان يكون الخبر قوله الذي
تفرون منه ويكون الفا جواب الجملة قال كما يقول زيد منطلق فقم اليه وفيه نظر لانه لا يترتب
بين قوله ان الموت الذي تفرون وبين قوله فانه ملاقيكم فليس نظير المثال قال القرطبي ويجوز ان يتم
الكلام عند قوله الذي تفرون منه ثم يبتدي فانه ملاقيكم وقرا زيد بن علي انه بغير فا وفيه اوجه
احدها انه مستانف وحينئذ يكون نفس الموصول كانه قيل ان الموت هو الشي الذي تفرون منه
قاله الزمخشري الثاني ان الخبر الجملة من قوله انه ملاقيكم وحينئذ يكون الموصول نعتا للموت الثالث
ان يكون انه تاكيدا لان الموت لما طال الكلام اكد الحرف تاكيدا لفظيا وقد عرف انه لا يوكد كذلك الا
باعادة ما دخل عليه او باعادة ضميره فاكد باعادة ضمير ما دخلت عليه ان وحينئذ يكون الموصول

نعتا

نعتا للموت وملاقيكم خبر كانه قيل ان الموت انه ملاقيكم وقرا ابن مسعود ملاقيكم من غير فا فانه فان قيل
الموت ملاقيهم على كل حال فروا او لم يفروا فما معنى الشرط والجزا فالجواب ان هذا على جهة الرد عليهم
اذ ظنوا ان الفرار ينجيهم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبيكم بما كنتم تعملون وهذا وعيد
بليغ وتهديد شديد **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة الاية
قرا العامة الجمعة بضمتين وقرا عبد الله بن الزبير وزيد بن علي والاعمش وابو حيوة وابو عمرو في
رواية بسكون الميم فقيل هي لغة في الاولى وسكنت تخفيفا وهي لغة تميم وقيل هو مصدر بمعنى الاجتماع
وقيل لما كان بمعنى المفعول صار كرجل هزاة اي يهزا به فلما كان في يوم الجمعة معنى التجمع اسكن لانه
مفعول به في المعنى او يشبهه فصار كهزاة الذي يهزا به قاله مكي وكذا قال ابو البقا هو بمعنى المجتمع فيه
مثل رجل ضحكة اي يضحك منه وقال مكي يجوز اسكان الميم استخفافا وقيل هي لغة وقد تقدم انها
قراءة وانها لغة تميم وقال ابو حيان ولغة بفتحها لم يقرا بها قال شهاب الدين قد نقلها ابو
البقا قراءة فقال ويقرا بفتح الميم بمعنى الفاعل اي يوم المكان الجامع مثل رجل ضحكة اي كثير
الضحك وقال مكي وفيه لغة ثالثة بفتح الميم على نسبة الفعل اليها كانها تجمع الناس كما يقال
رجل لحنة اذا كان يلحن الناس وقراة اذا كان يقرئ الناس ونقلها قراءة ايضا الزمخشري الا ان
الزمخشري جعل الجمعة بالسكون هو الاصل والمضموم مخففا منه فقال يوم الجمعة يوم الفوج
المجموع كقولهم ضحكة للمضحوك منه ويوم الجمعة بفتح الميم يوم الوقت الجامع كقولهم ضحكة
ولعنة ويوم الجمعة بتثقيل الجمعة كما قيل عسرة في عسرة وقرئ بهن جميعا وتقديره يوم الوقت
الجامع احسن من تقدير ابي البقا يوم المكان الجامع لان نسبة الجمع الى الظرفين مجاز فالاولى
ابقاوه زمانا على حاله قال القرطبي وجمعها جمع وجمعات وقال ابن عباس نزل القران بالتثقيل
والتفخيم فاقرؤوها جمعة يعني بضم الميم وقال الفرا وابو عبيد والتخفيف احسن واقيس
نحو غرفة وغرف وطرفة وطرف وحجرة وحجر وفتح الميم لغة بني عقيل وقيل انها لغة النبي
صلى الله عليه وسلم **فصل** قال ابن الخطيب قوله للصلوة اي لوقت الصلوة بدليل
قوله من يوم الجمعة ولا تكون الصلوة من اليوم وانما يكون وقتها من اليوم **فصل** روي
سلمان ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انما سميت جمعة لان الله جمع فيها خلق ادم وقيل لان الله
تعالى فرغ فيها من خلق كل شي فاجتمع فيها جميع المخلوقات وقيل لتجمع الجماعات فيها وقيل لاجتماع
الناس فيها للصلوة **قوله** من يوم من هذه بيان لاذا وتفسير لها قاله الزمخشري وقال
ابو البقا انها بمعنى في اي في يوم كقوله تعالى اروني ماذا خلقوا من الارض اي في الارض
فصل قال القرطبي قال ابو سلمة اول من قال اما بعد كعب بن لوي وكان اول من
سمى الجمعة جمعة لاجتماع قريش فيه الى كعب وكان يقال ليوم الجمعة العروبة وقيل اول من سماها
جمعة الانصار وقال ابن سيرين جمع اهل المدينة من قبل ان يقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة
وقبل ان تنزل الجمعة وهم الذين سموها الجمعة وذلك انهم قالوا ان لليهود يوما يجتمعون فيه في كل سبعة
ايام يوم وهو السبت وللنصارى يوم مثل ذلك فتعالوا فلنجتمع حتى نجعل يوما لنا نذكر الله فيه
ونصلي فيه ونستذكر فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا
الى اسعد بن زرارة فصلى بهم يومئذ ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة حين اجتمعوا فذبح لهم اسعد
شاة فتعشوا وتغدوا منها لقلتهم فهذه اول جمعة في الاسلام وروي انهم كانوا اثني عشر رجلا وقال
البيهقي وروينا عن موسى بن عقبة عن الزهري ان مصعب بن عمير كان اول من جمع الجمعة بالمدينة للمسلمين
قبل ان يقدمها النبي صلى الله عليه وسلم قال البيهقي يحتمل ان يكون مصعب جمع بهم بمعونة اسعد
ابن زرارة فاضافه كعب اليه وروي عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن ابيه كعب انه كان اذا

سمع الندا يوم الجمعة ترحم لاسعد بن زرارة قال لانه اول من جمع بنا هزم النبيت من حرة بني بياضه
في نقيع يقال له نقيع الخضمات قلت له كم كنتم يومئذ قال اربعين ذكره البغوي واما اول جمعة جمعها
النبي صلى الله عليه وسلم باصحابه فقال اهل السير قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرا حتى نزل
بقبا على بني عمرو بن عوف يوم الاثنين لاثني عشر ليلة خلت من شهر ربيع الاول حين اشتد الضحا ومن تلك
السنة يعد التاريخ فاقام بها الى يوم الخميس واسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة الى المدينة فادركته
الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم قد اتخذ القوم في ذلك الموضع مسجدا فجمع بهم وخطب
وهي اول خطبة خطبها بالمدينة وقال فيها الحمد لله واستعينه واستغفره واستهديه واومن به ولا
اكفره واعادي من يكفره واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله
ارسله بالهدى ودين الحق والنور والموعظة والحكمة على فترة من الرسل وقلة من العلم وضلالة من
الناس وانقطاع من الزمان ودنو من الساعة وقرب من الاجل من يطع الله ورسوله فقد رشد
ومن يعص الله ورسوله فقد غوى وفرط وضل ضلالا بعيدا اوصيكم بتقوى الله فانه خير ما اوصى به
المسلم ان يحضه على الاخرة وان يامره بتقوى الله واحذروا ما حذركم الله من نفسه فان تقوى الله
لمن عمل به على وجل ومخافة من ربه عون صدق على ما تبغون من الاخرة ومن يصلح الذي بينه
وبين الله من امره في السر والعلانية لا ينوي به الا وجه الله يكن له ذكرا في عاجل امره وذخرا
فيما بعد الموت حين يفتقر المرء الى ما قدم وما كان مما سوى ذلك يود لو ان بينه وبينه امدا
بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد هو الذي صدق قوله وانجز وعده لا خلف لذلك
فانه يقول ما يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد فاتقوا الله في عاجل امركم واجله في السر
والعلانية فانه من يتق الله يكفر عنه سياته ويعظم له اجرا ومن يتق الله فقد فاز فوزا عظيما وان
تقوى الله توقي مقته وتوقي عقوبته وتوقي سخطه وان تقوى الله يبيض الوجه وترضي الرب وترفع
الدرجة خذوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب الله فقد علمكم في كتابه ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا
ويعلم الكاذبين فاحسنوا كما احسن الله اليكم وعادوا اعداءه وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم
وسماكم المسلمين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ولا حول ولا قوة الا بالله فاكثروا ذكر
الله تعالى واعملوا لما بعد الموت فانه من يصلح ما بينه وبين الله يكفه الله ما بينه وبين الناس ذلك بان
الله يقضي على الناس ولا يقضون عليه ويملك من الناس ولا يملكون منه الله اكبر ولا حول ولا قوة الا
بالله العلي العظيم **فصل** خاطب الله المومنين بالجمعة دون الكافرين تشريفا لهم وتكريما
فقال يا ايها الذين امنوا ثم خصه بالندا وان كان قد دخل في عموم قوله تعالى واذا ناديتم الى الصلوة
ليدل على وجوبه وتاكيد فرضه وقال بعض العلما كون الصلوة الجمعة ههنا معلوم بالاجماع لا من نفس
اللفظ وقال ابن العربي وعندي انه معلوم من نفس اللفظ بنكتة وهي قوله من يوم الجمعة وذلك
يفيده لان الندا الذي يختص بذلك اليوم هو ندا تلك الصلوة فاما غيرها فهو عام في ساير الايام ولو لم
يكن المراد به ندا الجمعة لما كان لتخصيصه بها واضافته اليها معنى ولا فايدة **فصل** كان الاذان
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في ساير الصلوات موذن واحد اذا جلس النبي صلى الله عليه
وسلم على المنبر وكذلك فعل ابو بكر وعمر وعلي بالكوفة ثم زاد عثمن على المنبر اذانا ثانيا على داره التي تسمى
الزورا حين كثر الناس بالمدينة فاذا سمعوا اقبلوا حتى اذا جلس عثمن على المنبر اذن موذن رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثم خطب عثمن اخرجه ابن ماجه في سننه وقال الماوردي فاما الاذان الاول فمحدث
فعله عثمن بن عفان ليتاهب الناس لحضور الخطبة عند اتساع المدينة وكثرة اهلها وقد كان عمر رضي الله
عنه امر ان يوذن في السوق قبل المسجد ليقوم الناس عن بيوعهم فاذا اجتمعوا اذن في المسجد فجعله عثمن رضي
الله عنه اذانين في المسجد قال ابن العربي وفي الحديث الصحيح ان الاذان كان على عهد رسول الله

صلى

صلى الله عليه وسلم واحدا فلما كان في زمن عثمن زاد الندا الثالث على الزورا وسماه في الحديث ثالثا
لانه اضافه الى الاقامة كقوله عليه السلام بين كل اذانين صلاة لمن شا يعني الاذان والاقامة وتوهم
بعض الناس انه اذان اصلي فجعلوا الموذنين ثلاثة فكان وهما ثم جمعوهم في وقت واحد فكان وهما على
وهم **قوله** فاسعوا الى ذكر الله المراد بالسعي هنا القصد قال الحسن والله ما هو سعي على الاقدام ولكنه
سعي بالقلوب والنية وقال الجمهور السعي العمل لقوله تعالى ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو مومن
وقوله ان سعيكم لشتى وقوله وان ليس للانسان الا ما سعى والمعنى فاعملوا على المضي الى ذكر الله واشتغلوا
باسبابه من الغسل والطهر والتوجه اليه وقيل المراد به السعي على الاقدام وذلك فضل وليس بشرط
لقوله عليه السلام من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار قال القرطبي ويحتمل ظاهره
وجها رابعا وهو الجري والاشتداد وقال ابن العربي وهو الذي انكره الصحابة والفقها الاقدمون
فقراها عمر فامضوا الى ذكر الله فرارا عن طريق الجري والاشتداد الذي يدل عليه الظاهر وقرا ابن مسعود
كذلك وقال لو قرات فاسعوا لسعيت حتى يسقط ردائي وقال ابن شهاب فامضوا الى ذكر الله سالكا
تلك السبيل وهو كله تفسير منهم لا قراة قران منزل وجايز قراة قران منزل وجايز قراة القران
بالتفسير في معرض التفسير قال ابو بكر بن الانباري وقد احتج من خالف المصحف بقراة عمر وابن مسعود
وان خرشة بن الحر قال راني عمر رضي الله عنه ومعي قطعة فيها فاسعوا الى ذكر الله فقال لي عمر من اقراك هذا
قلت ابي فقال ان ابيا اقرانا للمنسوخ ثم قرا عمر فامضوا الى ذكر الله وقال الفرا وابو عبيد معنى السعي في
الاية المضي واحتج الفرا بقولهم هو يسعى في البلاد يطلب فضل الله واحتج ابو عبيدة بقول الشاعر
٭ اسعى على حي بني مالك كل امري في شانه ساع ٭ فهل يحتمل السعي في هذا البيت المعنى بالاجماع ويحال
ان يخفى هذا المعنى على ابن مسعود وعلى فصاحته واتقان عربيته قال القرطبي ومما يدل على ان المراد
هنا القصد قوله عليه السلام اذا اقيمت الصلوة فلا تاتوها وانتم تسعون ولكن ايتوها وعليكم السكينة
قال الحسن اما والله ما هو بالسعي على الاقدام ولقد نهوا ان ياتوا الصلوة الا وعليهم السكينة والوقار ولكن
بالقلوب والنية والخشوع وقال قتادة السعي ان تسعى بقلبك وعملك **فصل** هذه الاية
خطاب للمكلفين بالاجماع ويخرج منه المرضى والزمنى والمسافرون والعبيد والنسا بالدليل
والعميان والشيخ الذي لا يمشي الا بقايد عند ابي حنيفة لما روى الدارقطني عن ابي الزبير عن جابر
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كان يومن بالله واليوم الاخر فعليه الجمعة يوم الجمعة الا مريضا
او مسافرا او امراة او صبيا او مملوكا فمن استغنى بلهو او تجارة استغنى الله عز وجل عنه والله غني حميد قال
العلما لا يتخلف احد عن الجمعة ممن عليه اتيانها الا بعذر لا يمكنه معه الاتيان اليها كالمرض الحابس او خوف
الزيادة في المرض او خوف جور السلطان عليه في مال او ولد دون القضا عليه بحق والمطر الوابل مع الوحل
عذران وروى المهدوي عن مالك انهما ليسا بعذر ومن له ولي حميم قد حضرته الوفاة ولم يكن عنده
من يقوم بامره فهو معذور وقد فعل ذلك ابن عمر ومن تخلف عنها لغير عذر فصلى قبل الامام اعاد
ولا يجزيه ان يصلي قبله وهو عاص في تخلفه مع امكانه **فصل** وجوب السعي يختص بالقريب
الذي يسمع الندا فاما البعيد الذي لا يسمع الندا فلا يجب عليه السعي واختلف الناس في القريب والبعيد
فقال ابن عمر وابو هريرة وانس تجب الجمعة على من كان في المصر على ستة اميال وقال ربيعة اربعة اميال
وقال مالك والليث ثلاثة اميال وقال الشافعي اعتبار سماع الاذان ان يكون الموذن صيتا والاصوات
هادية والريح ساكنة وموقف الموذن عند سور البلد وروت عايشة ان الناس كانوا ينتابون الجمعة
من منازلهم ومن العوالي فياتون في العبا ويصيبهم الغبار فيخرج منهم الريح فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لو اغتسلتم ليومكم هذا قال العلما والصوت اذا كان رفيعا والناس في هدو وسكون فاقصى سماع الصوت
ثلاثة اميال والعوالي من المدينة اقربها على ثلاثة اميال وقال احمد بن حنبل واسحق تجب الجمعة على من سمع

الندا لقوله عليه السلام انما الجمعة على من سمع الندا وقال ابو حنيفة واصحابه تجب الجمعة على من كان في المصر سمع الندا او لم يسمعه ولا تجب على من هو خارج المصر وان سمع النداء سئل هل تجب على اهل زبارة وهي بينها وبين الكوفة مجرى نهر فقال لا وروي عن ربيعة ايضا انها تجب على من اذا سمع الندا وخرج من بيته ماشيا ادرك الصلوة **فصل** دلت هذه الاية على ان الجمعة لا تجب الا بالندا والندا لا يكون الا بدخول الوقت لقوله عليه السلام اذا حضرت الصلوة فليوذن احدكما وليومكما اكبركما كما روي انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي الجمعة حين تميل الشمس وروي عن ابي بكر الصديق واحمد بن حنبل انها تصلى قبل الزوال واستدل احمد بحديث سلمة بن الاكوع كنا نصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم ننصرف وليس للحيطان ظل وبحديث ابن عمر ما كنا نقيل ولا نتغدى الا بعد الجمعة واخرج مسلم مثله عن سهل قال القرطبي وحديث سلمة محمول على التبكير لقول سلمة كنا نجمع مع النبي صلى الله عليه وسلم اذا زالت الشمس ثم نرجع نتتبع الفيء **فصل** نقل عن بعض الشافعية ان الجمعة فرض على الكفاية وجمهور الامة على انها فرض عين لقوله تعالى اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع وقال عليه السلام لينتهين اقوام عن ودعهم الجمعات او ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين وروى ابن ماجه في سننه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك الجمعة ثلاث مرات طبع الله على قلبه اسناده صحيح وقال ابن العربي ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الرواح الى الجمعة واجب على كل مسلم **فصل** اختلفوا في العدد الذي تنعقد به الجمعة فذهب قوم الى ان كل قرية اجتمع فيها اربعون رجلا احرارا عاقلين مقيمين لا يظعنون عنها شتا ولا صيفا الا ظعن حاجة تجب عليهم اقامة الجمعة فيها وهو قول عبيد الله بن عبد الله وعمر بن عبد العزيز وبه قال الشافعي واحمد واسحق قالوا لا تنعقد الجمعة باقل من اربعين رجلا على هذه الصفة وشرط عمر بن عبد العزيز مع الاربعين ان يكون فيهم وال وعند ابي حنيفة تنعقد باربعة والوالي شرط وقال الاوزاعي وابو يوسف تنعقد بثلاثة اذا كان فيهم وال وقال الحسن وابو ثور تنعقد باثنين كساير الصلوات وقال ربيعة تنعقد باثني عشر رجلا **فصل** اذا اجتمع العيد والجمعة سقط فرض الجمعة عند احمد لتقدم العيد عليها واشتغال الناس به عنها وقال غيره لا يسقط فرض الجمعة لان الامر بالسعي متوجه يوم العيد لتوجهه في ساير الايام وقول الصحابي ليس بحجة اذا خولف فيه ولم يجمع معه عليه وفي صحيح مسلم عن النعمان بن بشير قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا في العيدين وفي الجمعة بسبح اسم ربك الاعلى وهل اتاك حديث الغاشية قال واذا اجتمع العيد والجمعة في يوم واحد يقرا بهما في الصلاتين اخرجه ابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه **قوله** الى ذكر الله اي الصلوة وقيل الخطبة والمواعظ قاله سعيد بن جبير قال ابن العربي والصحيح انه واجب في الجميع لانها تحرم البيع ولولا وجوبها ما حرمته لان المستحب لا يحرم المباح قال القرطبي واذا قلنا ان المراد بالذكر الصلوة فالخطبة من الصلوة والعبد يكون ذاكرا لله بفعله كما يكون مسبحا لله بفعله قال الزمخشري فان قلت كيف يفسر ذكر الله بالخطبة وفيها غير ذلك قلت ما كان من ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم والثنا عليه وعلى خلفائه الراشدين واتقيا المؤمنين والموعظة والتذكير فهو في حكم ذكر الله فاما ما عدا ذلك من ذكر الظلمة والقابهم والثنا عليهم والدعا لهم وهم احقا بعكس ذلك **فصل** ذهب بعضهم الى انه اذا اصبح يوم الجمعة مقيما فلا يسافر حتى يصلي الجمعة وذهب بعضهم الى الجواز لما روي عن ابن عباس قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة في سرية فوافق ذلك يوم الجمعة فغدا اصحابه وقال اتخلف فاصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الحقهم فلما صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم راه فقال ما منعك ان تغدو مع اصحابك قال اردت ان اصلي معك ثم الحقهم فقال لو انفقت ما في الارض جميعا ما ادركت فضل غدوتهم وسمع عمر بن الخطاب رجلا عليه اهبة

السفر يقول لولا ان اليوم يوم الجمعة لخرجت فقال له عمر اخرج فان الجمعة لا تحبس عن سفر **قوله** وذروا البيع يدل على تحريم البيع في وقت الجمعة على من كان مخاطبا بفرضها والبيع لا يخلو عن شرا فاكتفى بذكر احدهما كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم باسكم وخص البيع لانه اكثر ما يشتغل به اصحاب الاسواق ومن لا يجب عليه حضور الجمعة فلا ينهى عن البيع والشرا وفي وقت التحريم قولان احدهما انه من بعد الزوال الى الفراغ منها قاله الضحاك والحسن وعطا الثاني انه من وقت اذان الخطبة الى وقت الصلوة قاله الشافعي قال القرطبي ومذهب مالك ان البيع يفسخ اذا نودي للصلوة ولا يفسخ العتق والنكاح والطلاق وغيره اذ ليس من عادة الناس اشتغالهم به كاشتغالهم بالبيع قالوا وكذلك الشركة والهبة والصدقة نادر لا يفسخ وقال ابن العربي والصحيح فسخ الجميع لان البيع انما منع منه للاشتغال به فكل امر يشغل عن الجمعة من العقود كلها فهو حرام شرعا مفسوخ وحمل بعضهم النهي على الندب لقوله تعالى ذلكم خير لكم وهو مذهب الشافعي فان البيع عنده ينعقد ولا يفسخ وقال الزمخشري ان عامة العلما على ان ذلك النهي لا يودي الى فساد البيع قالوا لان البيع لم يحرم لعينه ولكن لما فيه من الذهول عن الواجب فهو كالصلوة في الارض المغصوبة والثوب المغصوب والوضوء بما مغصوب قال القرطبي والصحيح فساده وفسخه لقوله عليه السلام كل عمل ليس عليه امرنا فهو رد اي مردود ثم قال ذلكم اي ذلك اليوم الذي ذكرت من حضور الجمعة وترك البيع خير لكم من المبايعة ان كنتم تعلمون مصالح انفسكم **قوله** فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض هذا امر اباحة كقوله تعالى فاذا حللتم فاصطادوا والمعنى اذا فرغتم من الصلوة فانتشروا في الارض للتجارة والتصرف في حوايجكم وابتغوا من فضل الله اي من رزقه وكان عراك بن مالك اذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد فقال اللهم اني اجبت دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت كما امرتني فارزقني من فضلك وانت خير الرازقين وقال جعفر بن محمد في قوله تعالى وابتغوا من فضل الله انه العمل في يوم السبت وقال سعيد بن المسيب طلب العلم وقيل صلاة التطوع وعن ابن عباس لم يومروا بطلب شي من الدنيا انما هي عيادة المرضى وحضور الجنايز وزيارة الاخ في الله تعالى **فصل** في فضل يوم الجمعة احاديث كثيرة منها ما روي عن ابي هريرة قال خرجت الى الطور فلقيت كعب الاحبار فجلست معه فحدثني عن التورية وحدثته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان فيما حدثته ان قلت له قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق ادم وفيه هبط وفيه مات وفيه تيب عليه وفيه تقوم الساعة وما من دابة الا وهي مصيخة يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقا من الساعة الا الجن والانس وفيه ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي يسال الله شيا الا اعطاه اياه قال كعب ذلك في كل سنة يوم فقلت بل في كل جمعة قال فقرا كعب التورية فقال صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو هريرة ثم لقيت عبد الله بن سلام فحدثته بمجلسي مع كعب الاحبار وما حدثته في يوم الجمعة قال عبد الله بن سلام قد علمت اية ساعة هي في اخر ساعة في يوم الجمعة قال ابو هريرة وكيف تكون اخر ساعة في يوم الجمعة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي وتلك الساعة لا يصلى فيها فقال عبد الله بن سلام الم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس مجلسا ينتظر الصلوة فهو في صلاة حتى يصليها قال ابو هريرة بلى قال فهو ذاك وقال عليه السلام من اغتسل يوم الجمعة واستن ومس طيبا ان كان عنده ولبس من احسن ثيابه ثم خرج حتى ياتي المسجد فلم يتخط رقاب الناس ثم ركع ما شا الله ان يركع وانصت اذا خرج الامام كانت كفارة ما بينها وبين الجمعة الاخرى التي كانت قبلها وقال ابو هريرة وزيادة ثلاثة ايام لان الله تعالى يقول من جا بالحسنة فله عشر امثالها وروى ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من ابواب المسجد ملايكة يكتبون الناس على منازلهم الاول فالاول فاذا خرج الامام طويت الصحف واستمعوا الخطبة وقال من اغتسل

يوم الجمعة ثم راح في الساعة الاولى فكانما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكانما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكانما قرب كبشا اقرن ومن راح في الساعة الرابعة فكانما قرب دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكانما قرب بيضة فاذا خرج الامام حضرت الملائكة يستمعون الذكر **قوله** واذكروا الله كثيرا اي بالطاعة واللسان وبالشكر على ما انعم به عليكم من التوفيق لاداء فرايضه لعلكم تفلحون كي تفلحوا قال سعيد بن جبير الذكر طاعة الله فمن اطاع الله فقد ذكره ومن لم يطعه فليس بذاكر وان كان كثير التسبيح قال ابن الخطيب فان **قيل** ما الفرق بين ذكر الله اولا وذكر الله ثانيا فالجواب ان الاول من جملة ما لا يجتمع مع التجارة اصلا اذ المراد منه الخطبة والصلوة والثاني من جملة ما يجتمع مع التجارة كما في قوله تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله **قوله تعالى** واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها روى مسلم عن جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب قائما يوم الجمعة فجاءت عير من الشام فانفتل الناس اليها حتى لم يبق الا اثنا عشر رجلا وفي رواية انا فيهم فنزلت هذه الاية واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما وذكر الكلبي وغيره ان الذي قدم بها دحية بن خليفة الكلبي من الشام عن مجاعة وغلا سعر وكان معه جميع ما يحتاج اليه الناس من بر ودقيق وغيره فنزل عند احجار الزيت وضرب بالطبل ليؤذن الناس بقدومه فخرج الناس الا اثنا عشر رجلا وقيل احد عشر رجلا وحكى البغوي قال فلما راوه قاموا اليه خشية ان يسبقوا اليه قال الكلبي وكانوا في خطبة الجمعة فانفضوا اليه وبقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانية رجال وحكاه الثعلبي عن ابن عباس وذكر الدارقطني من حديث جابر قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة اذ اقبلت عير تحمل الطعام حتى نزلت بالبقيع فالتفتوا اليها وانفضوا اليها وتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس معه الا اربعين رجلا انا فيهم قال وانزل الله تعالى على النبي صلى الله عليه وسلم واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما **قال** الدارقطني لم يقل في هذا الاسناد الا اربعين رجلا غير علي بن عاصم عن حصين وخالفه اصحاب حصين فقالوا لم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم الا اثنا عشر رجلا واحتج بهذا الحديث من يرى ان الجمعة تنعقد باثني عشر رجلا وليس فيه بيان انه اقام بهم الجمعة وذكر الزمخشري ان النبي عليه السلام قال والذي نفسي بيده لو خرجوا جميعا لاضرم الله الوادي عليهم نارا **وروى** وكيع في حديث مرسل عن اسد ابن عمرو والد اسد بن موسى بن اسد وفيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبق معه الا ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن ابي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وابو عبيدة بن الجراح وسعيد بن زيد وبلال وعبد الله بن مسعود في احدى الروايتين وفي الرواية الاخرى عمار بن ياسر قال الدارقطني ولم يذكر جابر وذكر مسلم انه كان فيهم والدارقطني ايضا فيكونون ثلاثة عشر وان كان عبد الله بن مسعود فيهم فهم اربعة عشر **وروى** البغوي **قال** وكان ذلك قبل ان يسلم دحية قال فخرج الناس اليه ولم يبق في المسجد الا اثنا عشر رجلا وامراة فقال النبي صلى الله عليه وسلم كم بقي في المسجد فقالوا اثنا عشر رجلا وامراة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لولاهم لقد سومت لهم الحجارة من السما فانزل الله هذه الاية **فصل** وذكر ابو داود في مراسيله السبب الذي ترخصوا لانفسهم في ترك سماع الخطبة وقد كانوا خليقا لفضلهم ان لا يفعلوا فقال حدثنا محمود قال حدثنا الوليد قال اخبرني ابو معاذ بكير بن معروف انه سمع مقاتل ابن حيان قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الجمعة قبل الخطبة مثل العيدين حتى كان يوم جمعة والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب وقد صلى الجمعة فدخل رجل يقال له دحية بن خليفة قد قدم بتجارته وكان دحية اذا قدم تلقاه اهله بالدفوف فخرج الناس فلم يظنوا الا انه ليس في ترك الخطبة شي فانزل الله عز وجل واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها فقدم النبي صلى الله عليه وسلم الخطبة يوم الجمعة واخر الصلوة فكان لا يخرج احد لرعاف او احداث بعد النهي حتى يستاذن النبي صلى الله عليه وسلم يشير اليه باصبعه التي تلي الابهام فياذن له النبي صلى الله عليه وسلم ثم يشير اليه بيده فكان في المنافقين من تثقل عليه

الخطبة

الخطبة والجلوس في المسجد فكان اذا استاذن رجل من المسلمين قام المنافق الى جنبه مستترا به حتى يخرج فانزل الله تعالى قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا الاية قال السهيلي وهذا الخبر وان لم ينقل من وجه ثابت فالظن الجميل باصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يوجب ان يكون صحيحا والله اعلم وقال قتادة وبلغنا انهم فعلوه ثلاث مرات كل مرة عير تقدم من الشام وكل ذلك يوافق يوم الجمعة وقيل ان خروجهم لقدوم دحية الكلبي بتجارته ونظرهم الى العير تمر لهوا لا فائدة فيه الا انه كان مما لا اثم فيه لو وقع على ذلك الوجه ولكنه لما اتصل به الاعراض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والانفضاض عن حضرته غلظ وكبر ونزل فيه من القران وتهجينه باسم اللهو ما نزل **قوله** انفضوا اليها اعاد الضمير على التجارة دون اللهو لانها الاهم في السبب قال ابن عطية وقال اليها ولم يقل اليهما تهمما بالاهم اذ كانت هي سبب اللهو ولم يكن اللهو سببها وتامل ان قدمت التجارة على اللهو في الروية لانها اهم واخرت مع التفضيل لتقع النفس اولا على الابين انتهى وفي قوله ولم يقل اليهما ثم اجاب بما ذكر نظر لان العطف باو لا يثنى معه الضمير ولا الخبر ولا الحال ولا الوصف لانها لاحد الشيئين ولذلك تاول الناس ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما كما تقدم في موضعه وانما الجواب عنه انه وحد الضمير لان العطف باو وانما جي بضمير التجارة دون ضمير اللهو وان كان جائزا للاهتمام كما قاله ابن عطية وغيره وقال الزمخشري قريبا من ذلك فانه قال فان قلت كيف قال اليها وقد ذكر شيئين قلت تقديره اذا راوا تجارة انفضوا اليها او لهوا انفضوا اليه فحذف احدهما لدلالة المذكور عليه ولذلك قراه من قرا انفضوا اليه انتهى فقوله قلت تقديره الى اخره يشعر بانه كان حق الكلام ان يثنى الضمير ولكنه حذف وفيه ما تقدم من ان المانع من ذلك امر صناعي وهو العطف باو وقرا ابن ابي عبلة اليه اعاد الضمير الى اللهو وقد نص على جواز ذلك الاخفش سماعا من العرب نحو اذا جاءك زيد او هند فاكرمه وان شئت فاكرمها وقرا بعضهم اليهما بالتثنية وتخريجها كتخريج ان يكن غنيا او فقيرا كما تقدم تحريره والمراد باللهو الطبل وقيل كانت العير اذا قدمت المدينة استقبلوها بالتصفيق والتصفير **قوله** وتركوك جملة حالية من فاعل انفضوا وقد مقدرة عند بعضهم **فصل** الخطبة فريضة في صلاة الجمعة ويجب ان يخطب قائما فان هذه الاية تدل على ان القيام شرط في الخطبة ويخطب متوكيا على قوس او عصا لما روى ابن ماجة في سننه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا خطب في الحرب خطب على قوس واذا خطب في الجمعة خطب على عصا وان يخطب على منبر لانه ابلغ في اعلام الحاضرين ويسلم اذا صعد المنبر على الناس لما روى ابن ماجة عن جابر ابن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا صعد المنبر سلم ولم ير ذلك مالك وهل يشترط الطهارة للخطبة فيه قولان ينبنيان على ان الجمعة ظهر مقصورة او فريضة مستقلة فان قيل بانها ظهر مقصورة فقيل الخطبتان عوض من الركعتين الاخريين وعلى هذا فيشترط لهما الطهارة وان قيل بانها فريضة مستقلة فالخطبتان وعظ وتذكير وذلك لا يشترط له طهارة واقل ما يجزي في الخطبة ان يحمد الله تعالى ويصلي على نبيه صلى الله عليه وسلم ويوصي بتقوى الله ويقرا اية من القران وكذلك في الخطبة الثانية الا ان الواجب بدلا من قراءة الاية الدعا في قول اكثر الفقها **وقال** ابو حنيفة لو اقتصر على التحميد او التسبيح او التكبير اجزاه وقال ابو يوسف ومحمد الواجب ما يتناوله اسم خطبة قال ابن عبد البر وهذا اصح ما قيل في ذلك **قال** القرطبي والسكوت للخطبة واجب على من سمعها وجوب سنة **قوله** ما عند الله خير ما موصولة مبتدا وخير خبرها والمعنى ما عند الله من ثواب صلاتكم خير من لذة لهوكم وفائدة تجارتكم وقيل ما عند الله من رزقكم الذي قسمه لكم خير مما اصبتموه من لهوكم وتجارتكم وقرا ابو رجا العطاردي قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة للذين امنوا والله خير الرازقين اي خير من رزق واعطى فمنه فاطلبوا واستعينوا بطاعته على نيل ما عنده من خير الدنيا والاخرة **قال** ابن الخطيب والله خير الرازقين من قبيل احكم الحاكمين واحسن الخالقين والمعنى ان امكن وجود الرازقين فهو خير الرازقين وقيل لفظ الرازق لا يطلق على غيره الا بطريق

المجاز **فان قيل** التجارة واللهو من قبيل ما لا يرى فكيف يصح قوله واذا راوا تجارة او لهوا
فالجواب ليس المراد الا ما ذهب منه اللهو والتجارة كقوله حتى يسمع كلام الله اذ الكلام غير مسموع روى الثعلبي عن
ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الجمعة كتب له عشر حسنات بعدد
من ذهب الى الجمعة من مصر من امصار المسلمين ومن لم يذهب

سورة المنافقين مدنية

وهي احدى عشرة اية ومائة وثمانون كلمة وسبع مائة وستة وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى اذا جاءك المنافقون اذا شرط قيل جوابه قالوا وقيل محذوف وقالوا حال
اي اذا جاءوك قائلين كيت وكيت فلا تقبل منهم وقيل الجواب اتخذوا ايمانهم جنة وهو بعيد وقالوا
ايضا حال **فصل** قال ابن الخطيب وجه هذه السورة بما قبلها هو ان تلك السورة مشتملة
على ذكر بعثة الرسول وذكر من كان يكذبه قلبا ولسانا فضرب لهم المثل بقوله مثل الذين حملوا التورية
وهذه السورة مشتملة على ذكر من كان يكذبه قلبا دون اللسان ويصدقه لسانا دون القلب
واما الاول بالاخر فلان في اخر تلك السورة تنبيه للمومنين على تعظيم الرسول عليه السلام ورعاية
حقه بعد النداء لصلوة الجمعة وتقديم متابعته على غيره فان ترك التعظيم والمتابعة من شيم
المنافقين والمنافقون هم الكاذبون **فصل** روى البخاري عن زيد بن ارقم قال كنت
مع عمي فسمعت عبد الله بن ابي بن سلول يقول لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا وقال
لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فذكرت ذلك لعمي فذكر عمي لرسول الله صلى الله عليه
وسلم فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عبد الله بن ابي واصحابه فحلفوا ما قالوا فصدقهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبني فاصابني هم لم يصبني مثله فجلست في بيتي فانزل الله عز
وجل اذا جاءك المنافقون الى قوله هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله وقوله ليخرجن
الاعز منها الاذل فارسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ان الله قد صدقك وروى
الترمذي عن زيد بن ارقم قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان معنا اناس من
الاعراب فكنا نبتدر الماء وكان الاعراب يسبقونا فيسبق الاعرابي اصحابه فيملا الحوض ويجعل
حوله حجارة ويجعل النطع عليه حتى يجي اصحابه قال فاتى رجل من الانصار اعرابيا فارخى زمام ناقته
لتشرب فابى ان يدعه فانتزع حجرا ففاض الماء فرفع الاعرابي خشبة فضرب بها راس الانصاري
فشجه فاتى عبد الله بن ابي راس المنافقين فاخبره وكان من اصحابه فغضب عبد الله بن ابي
ثم قال لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله يعني الاعراب وكانوا يحضرون رسول الله
صلى الله عليه وسلم عند الطعام فقال عبد الله اذا انفضوا من عند محمد فاتوا محمدا بالطعام فليأكل
هو ومن عنده ثم قال لاصحابه لئن رجعتم الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل قال زيد وانا ردف
عمي فسمعت عبد الله بن ابي فاخبرت عمي فانطلق فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل اليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلف وجحد قال فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبني قال
فجاء عمي الي فقال ما اردت الى ان مقتك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبك والمنافقون
قال فوقع علي من جرائهم ما لم يقع على احد قال فبينما انا اسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في سفر قد خفقت براسي من الهم اذ اتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرك اذني وضحك في وجهي
فما كان يسرني ان لي بها الخلد في الدنيا ثم ان ابا بكر لحقني فقال ما قال لك رسول الله صلى الله عليه
وسلم قلت ما قال لي شيئا الا انه عرك اذني وضحك في وجهي فقال ابشر ثم لحقني عمي فقلت له مثل قولي
لابي بكر فلما اصبحنا قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة المنافقين قال الترمذي هذا حديث
حسن صحيح **فصل** سئل حذيفة بن اليمان عن المنافق فقال الذي يصف الاسلام ولا
يعمل به وروى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد

اخلف

اخلف واذا ائتمن خان وروى عبد الله بن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اربع من كن فيه كان
منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها اذا ائتمن خان
واذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر وروي عن الحسن انه ذكر له هذا الحديث فقال
ان بني يعقوب حدثوا فكذبوا ووعدوا فاخلفوا وائتمنوا فخانوا انما هذا القول من النبي صلى الله عليه
وسلم على سبيل الانذار للمسلمين والتحذير لهم ان يعتادوا هذه الخصال شفقا ان يفضي بهم الى النفاق
وليس المعنى ان من بدرت منه هذه الخصال من غير اختيار واعتياد انه منافق وقال عليه السلام
المومن اذا حدث صدق واذا وعد نجز واذا ائتمن وفى والمعنى المومن الكامل من اذا حدث صدق
قوله نشهد جرى مجرى القسم كفعل العلم واليقين ولذلك تلقيت بما يتلقى به القسم في قوله
انك لرسول الله وفي قوله ولقد علمت لتاتين منيتي ان المنايا لا تطيش سهامها وقد
تقدم الخلاف في الصدق والكذب واستدلالهم بهذه الاية والجواب عنها في اول البقرة وقال
القرطبي هنا قيل معنى نشهد نحلف فعبر عن الحلف بالشهادة لان كل واحد من الحلف والشهادة
اثبات لامر مغيب ومنه قول قيس بن ذريح واشهد عند الله اني احبها فهذا لها عندي فما عندها ليا
ونظيره قول الملاعن اشهد بالله قال الزمخشري والشهادة تجري مجرى الحلف في التوكيد يقول
الرجل اشهد واشهد بالله واعزم واعزم بالله في موضع اقسم واولي وبه استشهد ابو حنيفة على ان
اشهد يمين ويحتمل ان يكون ذلك محمولا على ظاهره انهم يشهدون ان محمدا رسول الله صلى الله عليه
وسلم اعترافا بالايمان ونفيا للنفاق عن انفسهم وهو الاشبه **قوله** والله يعلم جملة معترضة
بين قوله نشهد انك لرسول وبين قوله والله يشهد لفائدة قال الزمخشري لو قالوا نشهد انك لرسول
الله والله يشهد انهم لكاذبون لكان يوهم ان قولهم هذا كذب فوسط بينهما قوله والله يعلم انك
لرسوله ليميط هذا الايهام قال القرطبي والله يعلم انك لرسوله كما قالوه بالسنتهم والله يشهد ان
المنافقين لكاذبون بضمائرهم فالتكذيب راجع الى الضمائر وهذا يدل على ان الايمان تصديق
القلب وعلى ان الكلام الحقيقي كلام القلب ومن قال شيئا واعتقد خلافه فهو كاذب وقيل اكذبهم
الله في ايمانهم وهو قوله يحلفون بالله انهم لمنكم قال ابن الخطيب **فان قيل** لو قالوا
نعلم انك لرسول الله مكان قولهم نشهد انك لرسول الله هل يفيد ما افاد قولهم نشهد فالجواب
لا لان قولهم نشهد انك لرسول الله صريح في اثبات الشهادة على الرسالة وقولهم نعلم ليس بصريح في
ذلك **قوله** اتخذوا ايمانهم جنة قد تقدم انه يجوز ان يكون جوابا للشرط ويجوز ان يكون
مستانفا جيء به لبيان كذبهم وحلفهم عليه اي ان الحامل لهم على الايمان اتقاؤهم بها عن انفسهم والعامة
على فتح الهمزة جمع يمين والحسن بكسرها مصدرا وتقدم مثله في المجادلة والجنة الترس ونحوه وكل ما
يقيك سوءا ومن كلام الفصحاء جنة البرد جبة البرد وقال اعشى همدان
اذا انت لم تجعل لعرضك جنة من المال سار الذم كل مسير **فصل** قال القرطبي
وغيره اتخذوا ايمانهم جنة اي سترة وليس يرجع الى قوله نشهد انك لرسول الله وانما يرجع الى سبب
الاية التي نزلت عليه حسب ما ذكره البخاري والترمذي عن ابن ابي انه حلف ما قال وقد قال
وقال الضحاك يعني حلفهم بالله انهم لمنكم وقيل يعني بايمانهم ما اخبر الرب عنهم في سورة براءة في قوله
يحلفون بالله ما قالوا **فصل** قال القرطبي من قال اقسم بالله او اشهد بالله او اعزم بالله
او احلف بالله او اقسمت او شهدت او عزمت او حلفت وقال في كل ذلك كله بالله فلا خلاف انها
يمين وكذلك عند مالك واصحابه ان قال اقسم او اشهد او اعزم او احلف ولم يقل بالله اذا اراد
بالله فليس بيمين وقال ابو حنيفة واصحابه لو قال اشهد بالله لقد كان كذا كان يمينا ولو قال اشهد
لقد كان كذا دون النية كان يمينا لهذه الاية لان الله تعالى ذكر عنهم الشهادة ثم قال اتخذوا

وان لم يرد بالله

ايمانهم جنة وعند الشافعي لايكون ذلك يمينا وان نوي اليمين لان قوله تعالي اتخذوا ايمانهم ليس يرجع
الي قوله قالوا نشهد وانما يرجع الي ما في براءة من قوله تعالي يحلفون بالله ما قالوا **قوله** فصدوا عن
سبيل الله اي اعرضوا وهو من الصد وصدوا اوصرفوا المؤمنين عن اقامة حدود الله عليهم من القتل والسبي
واخذ الاموال فهو من الصد اومنعوا الناس عن الجهاد بان يتخلفوا ويقتدي بهم غيرهم وقيل فصدوا
اليهود والمشركين عن الدخول في الاسلام بان يقولوا ها نحن كافرون بهم ولو كان محمدا حقا لعرف هذا منا
ولجعلنا نكالا فبين الله ان حالهم لايخفي ولكن حكمه ان من اظهر الايمان اجري عليه في الظاهر حكم الايمان
قوله انهم ساء ما كانوا يعملون اي بئست اعمالهم الخبيثة من نفاقهم وايمانهم الكاذبة وصدهم
عن سبيل الله وساء يجوز ان تكون الجارية مجري بئس وان تكون علي بابها والاول اظهر وقد تقدم حكم
كل منهما **فان قيل** انه تعالي ذكر نفاق الكفرة من قبل ولم يقل انهم ساء ما كانوا يعملون قال
ابن الخطيب والجواب ان اعمالهم مقرونة بالايمان الكاذبة التي جعلوها جنة اي سترة لاموالهم ودمائهم
عن ان يستبيحها المسلمون **قوله** ذلك بانهم امنوا ثم كفروا هذا اعلام من الله بان المنافقين كفار
اي اقروا باللسان ثم كفروا بالقلب وقيل نزلت الاية في قوم امنوا ثم ارتدوا فطبع علي قلوبهم اي ختم
عليها بالكفر فهم لا يفقهون الايمان ولا الخير وقرا العامة فطبع مبنيا للمفعول والقائم مقام الفاعل
الجار بعده وزيد بن علي فطبع مبنيا للفاعل وفي الفاعل وجهان احدهما انه ضمير عائد علي الله
تعالي ويدل عليه قراءة الاعمش وقراءته في رواية عنه فطبع الله مصرحا بالجلالة وكذلك نقلها
القرطبي عن زيد بن علي **فان قيل** اذا كان الطبع بفعل الله تعالي كان ذلك حجة لهم
علي الله تعالي فيقولون اعراضنا عن الحق لغفلتنا وغفلتنا بسبب انه تعالي طبع علي قلوبنا فاجاب
ابن الخطيب بان هذا الطبع من الله تعالي لسوء افعالهم وقصدهم الاعراض عن الحق فكانه تعالي
تركهم في انفسهم الجاهلة الباطلة والثاني ان الفاعل ضمير يعود علي المصدر المفهوم مما قبله اي فطبع
هواي تلعبهم بالدين **قوله** واذا رايتهم تعجبك اجسامهم اي هياتهم ومناظرهم وان يقولوا
تسمع لقولهم يعني عبد الله بن ابي قال ابن عباس كان عبد الله بن ابي وسيما جسيما صحيحا صبيحا
ذلق اللسان فاذا قال سمع النبي صلي الله عليه وسلم مقالته وصفه الله بتمام الصورة وحسن الابانة
وقال الكلبي المراد ابن ابي وجد بن قيس ومعتب بن قشير كانت لهم اجسام ومنظر وفصاحة وفي
صحيح مسلم وقوله كانهم خشب مسندة قال كانوا رجالا اجمل شيء كانهم خشب مسندة شبههم بخشب
مسندة الي الحائط لايسمعون ولا يعقلون اشباح بلا ارواح واجسام بلا احلام وقيل شبههم بالخشب
التي قد تاكلت فهي مسندة بغيرها لايعلم ما في بطنها قال الزمخشري شبهوا في استنادهم بما هم الاجرام
خالية عن الايمان والخير بالخشب المسندة الي الحائط ولان الخشب اذا انتفع به كان في سقف او
جدار او غيرهما من مظان الانتفاع وما دام متروكا فارغا غير منتفع به فاسند الي الحائط فشبهوا به
في عدم الانتفاع ويجوز ان يراد بها الاصنام المنحوتة من الخشب المسندة الي الحائط **فصل**
قرا قنبل وابو عمرو والكسائي خشب باسكان الشين وهي قراءة البراء بن عازب واختيار ابي عبيد لان واحدتها
خشبة كما تقول بدنة وبدن قاله الزمخشري وقال ابو البقاء وخشب بالضم والاسكان جمع خشب مثل
اسد واسد قال القرطبي وليس في اللغة فعلة يجمع علي فعل ويلزم من ثقلها ان يقول البدن فيقرا
والبدن وذكر اليزيدي انه جمع الخشبا كقوله تعالي وحدائق غلبا واحدتها حديقة غلبا وقرا
الباقون من السبعة بضمتين وقرا سعيد بن جبير وابن المسيب بفتحتين ونسبها الزمخشري لابن
عباس ولم يذكر غيره فاما القراءة بضمتين فقيل يجوز ان يكون جمع خشبة نحو ثمرة وثمر قاله الزمخشري
وفيه نظر لان هذه الصيغة محفوظة في فعلة لاينقاس نحو ثمرة وثمر ونقل الفارسي عن الزيدي انه
جمع خشبا واخشبة غلط عليه لانه قد يكون قال خشب بالسكون جمع خشبا نحو حمرا وحمر لان فعلا

العقه

الصفة لاتجمع علي فعل بضمتين بل بضمة وسكون وقوله الزيدي تصحيف اما منه واما من الناسخ انما
هو اليزيدي تلميذ ابي عمرو بن العلاء نقل ذلك الزمخشري واما القراءة بضمة وسكون فقيل هي تخفيف الاولي
وقيل هي جمع خشبا كما تقدم وهي الخشبة التي نخرجوفها اي فرغ شبهوا بها لفراغ بواطنهم مما ينتفع به
واما القراءة بفتحتين فهو اسم جنس واثبت صفته كقوله نخل خاوية وهو احد الجانبين وقوله مسندة
تنبيه علي انها لاينتفع بها كما ينتفع بالخشب في سقف وغيره او شبهوا بالاصنام لانهم كانوا يسندونها
الي الحيطان شبهوا بها في حسن صورهم وقلة جدواهم وقيل شبهوا بالخشب المسندة الي الحائط لان الخشبة
المسندة الي الحائط احد طرفيها الي جهة والاخر الي جهة اخري والمنافق كذلك لان احد طرفيه وهو الباطن
الي جهة اهل الكفر والطرف الاخر وهو الظاهر الي جهة اهل الاسلام ونقل القرطبي عن سيبويه انه يقال
خشبة وخشبات وخشب مثل ثمرة وثمار وثمر والاسناد الامالة تقول اسندت الشيء اي املته
ومسندة للتكثير اي استندوا الي الايمان لحقن دمائهم **قوله** يحسبون كل صيحة عليهم فيه وجهان
اظهرهما ان عليهم هو المفعول الثاني للحسبان اي واقعة وكائنة عليهم ويكون قوله هم العدو جملة
مستانفة اخبر الله عنهم بذلك والثاني ان يكون عليهم متعلقا بصيحة وهم العدو والجملة في موضع
المفعول الثاني للحسبان **قال** الزمخشري ويجوز ان يكون هم العدو هو المفعول الثاني كما لو طرحت الضمير
فان قلت فحقه ان يقال هي العدو قلت منظور فيه الي الخبر كما ذكر في قوله هذا ربي وان يقدر مضاف
محذوف علي يحسبون كل اهل صيحة انتهي وفي الثاني بعد بعيد **فصل** وصفهم الله تعالي
بالجبن والخور قال مقاتل والسدي اي اذا نادي مناد في العسكر ان انفلتت دابة او انشدت ضالة
ظنوا انهم هم المرادون لما في قلوبهم من الرعب كما **قال** الاخطل
ما زلت تحسب كل شيء بعدهم خيلا تكر عليهم ورجالا
وقيل يحسبون كل صيحة عليهم انهم قد فطن
بهم وعلم بنفاقهم لان للريبة خوفا ثم استانف الله خطاب نبيه عليه السلام فقال هم العدو وهذا
معني قول الضحاك وقيل يحسبون كل صيحة يسمعونها في المسجد انها عليهم وان النبي صلي الله عليه وسلم
قد امر فيها بقتلهم فهم ابدا وجلون من ان ينزل الله فيهم امرا يبيح به دماءهم ويهتك به استارهم وصفهم
الله تعالي بقوله هم العدو فاحذرهم حكاه عبد الرحمن بن ابي حاتم **قوله** فاحذرهم فيه وجهان
احدهما فاحذر ان تثق بقولهم او تميل الي كلامهم الثاني فاحذر ممايلتهم لاعدائك وتخذيلهم اصحابك
قاتلهم الله قال ابن عباس اي لعنهم الله قال ابو مالك هي كلمة ذم وتوبيخ وقد تقول العرب قاتله الله ما
اشعره يضعونه موضع التعجب وقيل معني قاتلهم الله اي احلهم محل من قاتله عدو قاهر لان الله تعالي
قاهر لكل معاند حكاه ابن عيسي **قوله** اني يؤفكون اي بمعني كيف وقال ابن عطية ويحتمل ان يكون
اني ظرفا لقاتلهم كانه قال قاتلهم الله كيف انصرفوا او صرفوا فلا يكون في القول استفهام علي هذا انتهي
قال شهاب الدين وهذا لايجوز لان اني انما يستعمل بمعني كيف او بمعني اين الشرطية او الاستفهامية وعلي
التقادير الثلاثة فلا يتمحض للظرف فلا يعمل فيها ما قبلها البتة كما لا يعمل في اسماء الشرط والاستفهام
فصل قال ابن عباس اني يؤفكون اي يكذبون وقال قتادة اي يعدلون عن الحق وقال
الحسن يصرفون عن الرشد وقيل معناه كيف تضل عقولهم عن هذا مع وضوح الدلائل وهو من الافك
قوله اي بمعني كيف وقد تقدم وقال ابن عطية ويحتمل ان يكون اني ظرفا لقاتلهم كانه قال قاتلهم
الله كيف انصرفوا وصرفوا فلا يكون في القول استفهام علي هذا انتهي وهذا لايجوز لان اني انما يكون
بمعني كيف او بمعني اين الشرطية او الاستفهامية وعلي التقادير الثلاثة فلا تتمحض للظرف فلا يعمل فيها
ما قبلها البتة كما لا يعمل في اسماء الشرط والاستفهام **قوله** واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله
هذه المسالة عدها النحاة من الاعمال وذلك ان تعالوا يطلب رسول الله مجرورا بالي اي تعالوا الي
رسول الله ويستغفر يطلبه فاعلا فاعمل الثاني ولذلك رفعه وحذف من الاول اذ التقدير تعالوا اليه

ولو اعمل الاول لقيل تعالوا الى رسول الله يستغفر فيضمر في يستغفر فاعل ويمكن ان يقال ليست هذه من الاعمال في شي لان قوله تعالوا امر بالاقبال من حيث هو لا بالنظر الى مقبل عليه **قوله** لووا هذا جواب اذا وقرا نافع لووا مخففا والباقون مشددا على التكثير ويصدون حال لان الروية بصرية وكذا قوله وهم مستكبرون حالا ايضا اما من صاحب الحال الاولى واما من فاعل يصدون فتكون متداخلة واتي بيصدون مضارعا دلالة على التجدد والاستمرار وقرئ يصدون بالكسر وقد تقدم تحقيقه في الزخرف

فصل لما نزل القران بصفتهم مشى اليهم عشايرهم وقالوا افتضحتم بالنفاق فتوبوا الى رسول الله من النفاق واطلبوا ان يستغفر لكم فلووا روسهم اي حركوها استهزاء وابا قاله ابن عباس وعنه انه كان لعبد الله بن ابي موقف في كل سبت يحض على طاعة الله وطاعة رسوله فقيل له وما ينفعك ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم عليك غضبان فاته يستغفر لك فابى وقال لا اذهب اليه قال المفسرون وسبب نزول هذه الايات ان النبي صلى الله عليه وسلم غزا بني المصطلق على ماء يقال له المريسيع من ناحية قديد الى الساحل فازدحم اجراء يقال له جهجاه بن سعيد الغفاري يقود له فرسه وحليف عبد الله بن ابي يقال له سنان بن وبر الجهني حليف بني عوف بن الخزرج على ماء بالمشلل فصرخ جهجاه بالمهاجرين وصرخ سنان بالانصار فلطم جهجاه سنانا واعان جهجاه رجل من المهاجرين يقال له جعال وكان فقيرا فقال عبد الله بن ابي او قد فعلوها والله ما مثلنا ومثلهم الا كما قال الاول سمن كلبك ياكلك اما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ثم قال لقومه كفوا طعامكم عن هذا الرجل ولا تنفقوا على من عنده حتى ينفضوا فتركوه فقال زيد بن ارقم وهو من رهط عبد الله انت والله الذليل المنتقص في قومك ومحمد صلى الله عليه وسلم في عز من الرحمن ومودة من المسلمين والله لا احبك بعد كلامك هذا ابدا فقال عبد الله اسكت فانما كنت العب فاخبر زيد النبي صلى الله عليه وسلم بقوله فاقسم بالله ما فعل ولا قال فعذره النبي صلى الله عليه وسلم قال زيد فوجدت في نفسي ولامني الناس فنزلت سورة المنافقين في تصديق زيد وتكذيب عبد الله فقيل لعبد الله قد نزلت فيك ايات شديدة فاذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستغفر لك فالوى براسه فنزلت الايات خرجه البخاري والترمذي بمعناه وقيل معنى قوله يستغفر لكم اي يستتيبكم من النفاق لان التوبة استغفار ورايتهم يصدون اي يعرضون عن الرسول وهم مستكبرون اي مستكبرين عن الايمان قيل قال ابن ابي لما لوى راسه امرتموني ان اومن فقد امنت وان اعطي زكاة مالي فقد اعطيت فما بقي الا ان اسجد لمحمد **قوله** سواء عليهم استغفرت لهم قرا العامة استغفرت بهمزة مفتوحة من غير مد وهي همزة التسوية التي اصلها الاستفهام وقرا يزيد بن القعقاع استغفرت بهمزة ثم الف فاختلف الناس في تاويلها فقال الزمخشري اشباعا لهمزة الاستفهام للاظهار والبيان لا قلبا لهمزة الوصل كما في آلسحر وآلله يعني انما اشبع فتحة همزة التسوية كما تقدم في قوله آلسحر الله اذن لكم لان هذه الهمزة للوصل فهي تسقط في الدرج وايضا فهي مكسورة فلا يلتبس معها الاستفهام بالخبر بخلاف آلسحر آلله وقال اخرون هي عوض عن همزة الوصل كما في آلذكرين وهذا ليس بشي لان هذه مكسورة فكيف تبدل الفا وايضا فانما قلبناها هناك الفا ولم نحذفها وان كان حذفها مستحقا لئلا يلتبس الاستفهام بالخبر وهنا لا لبس وقال ابن عطية قرا ابو جعفر يعني يزيد بن القعقاع استغفرت بمدة على الهمزة وهي الف التسوية وقرا ايضا بوصل الالف دون همز على الخبر وفي هذا كله ضعف لانه في الاولى اثبت همزة الوصل وقد اغنت عنها همزة الاستفهام وفي الثانية حذف همزة الاستفهام وهو يريدها وهذا مما لا يستعمل الا في الشعر قال شهاب الدين اما قراءته استغفرت بوصل الهمزة فقد رويت ايضا عن ابي عمرو الا انه هو يضم ميم عليهم عند وصله الهمزة لان اصلها الضم وابو عمرو يكسرها على اصل التقاء الساكنين واما قوله وهذا مما لا يستعمل الا في الشعر

فان اراد بهذا مد الهمزة في هذا المكان فصحيح بل لا يجده ايضا وان اراد حذف همزة الاستفهام فليس بصحيح لانه يجوز حذفها اجماعا قبل ام نثرا ونظما فاما دون ام ففيه خلاف والاخفش يجوزه ويجعل منه وتلك نعمة وقول الاخر • طربت وما شوقا الى البيض اطرب • ولا لعبا مني وذو الشيب يلعب • وقول الاخر • ابرح ان ازار الكرام وان اورد • ذودا شصائصا نبلا • واما قبل ام فكثير كقوله • لعمرك ما ادري وان كنت داريا • بسبع رمين الجمر ام بثمان • وقد تقدمت هذه المسئلة مستوفاة

فصل قال قتادة هذه الاية نزلت بعد قوله استغفر لهم او لا تستغفر لهم وذلك انها لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرني ربي فلازيدنهم على السبعين فانزل الله تعالى لن يغفر الله لهم الاية قال ابن عباس المراد بالفاسقين المنافقون يعني قوله سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم اي كل ذلك سواء لا ينفع استغفارك شيئا لان الله لا يغفر لهم نظيره سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين ان الله لا يهدي القوم الفاسقين قال ابن الخطيب قال قوم فيه بيان ان الله تعالى يملك هداية وراء هداية البيان وهي خلق فعل الاهتداء فيمن علم منه ذلك وقيل معناه لا يهدي لفسقهم وقالت المعتزلة لا يسميهم المهتدين اذ فسقوا وضلوا

فان قيل ذكر الفاسقين ولم يقل الكافرين والمنافقين والمستكبرين مع ان كلا منهم تقدم ذكره فالجواب ان كل واحد منهم داخل تحت الفاسقين **قوله** هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله قد تقدم سبب النزول وان ابن ابي قال لا تنفقوا على من عند محمد حتى ينفضوا اي يتفرقوا عنه فاعلمهم الله سبحانه ان خزاين السموات والارض له ينفق كيف يشاء قال رجل لحاتم الاصم من اين تاكل فقال ولله خزاين السموات والارض وقال الجنيد خزاين السموات الغيوب وخزاين الارض القلوب فهو علام الغيوب ومقلب القلوب **قوله** ينفضوا قرا العامة ينفضوا من الانفضاض وهو التفرق وقرا ابو الفضل بن عيسى الرقاشي ينفضوا من انفض القوم اي فني زادهم ويقال نفض الرجل وعاءه من الزاد فانفض فيتعدى دون الهمزة ولا يتعدى معها فهو من باب كببته فاكب قال الزمخشري وحقيقته حان لهم ان ينفضوا مزاودهم ثم قال تعالى ولكن المنافقين لا يفقهون انه اذا اراد امرا يسره **قوله** يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل القايل ابن ابي كما تقدم وقيل انه لما قال ليخرجن الاعز منها الاذل ورجع الى المدينة لم يلبث الا اياما يسيرة حتى مات فاستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم والبسه قميصه فنزل قوله لن يغفر الله لهم وروي ان عبد الله بن عبد الله بن ابي بن سلول قال لابيه والذي لا اله الا هو لا تدخل المدينة حتى تقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الاعز وانا الاذل فقاله توهموا ان العزة بكثرة الاموال والاتباع فبين الله ان العزة والمنعة والقوة لله **قوله** ليخرجن الاعز قراءة العامة بضم اليا وكسر الراء مسندا الى الاعز والاذل منصوب به والاعز بعض المنافقين على زعمه وقرا الحسن وابن ابي عبلة والمسيبي لنخرجن بنون العظمة وبنصب الاعز على المفعول به وبنصب الاذل على الحال وبه استشهد من جوز تعريفها والجمهور جعلوا ال مزيدة على حد ادخلوا الاول فالاول وارسلها العراك وجوز ابو البقا ان يكون منصوبا على المفعول به وناصبه حال محذوفة اي مشبها الاذل وقد خرجه الزمخشري على حذف مضاف اي خروج الاذل او اخراج الاذل يعني بحسب القراءتين من خرج واخرج فعلى هذا ينتصب على المصدر لا على الحال ونقل الداني عن الحسن ايضا لنخرجن بفتح نون العظمة وضم الراء ونصب الاعز على الاختصاص كقولهم نحن العرب اقرى الناس للضيف والاذل نصب على الحال ايضا قاله ابو حيان وفيه نظر كيف يخبرون عن انفسهم انهم يخرجون في حال الذل مع قولهم الاعز اي اخص الاعز ويعنون بالاعز انفسهم وقد حكى هذه القراءة ايضا ابو حاتم وحكى الكسائي والفراء ان قوما قرءوا ليخرجن بفتح اليا وضم الراء ورفع الاعز فاعلا ونصب الاذل حالا وهي واضحة وقرئ ليخرجن بضم اليا مبنيا للمفعول الاعز قايم مقام الفاعل الاذل حال ايضا

فصل

قال ابن الخطيب **فان قيل** ما الحكمة في انه تعالى ختم الاية الاولى بقوله لا يفقهون وختم الثانية بقوله لا يعلمون فالجواب ليعلم بالاولى قلة كياستهم وفهمهم وبالثانية حماقتهم وجهلهم ويفقهون من فقه يفقه كعلم يعلم او من فقه يفقه كعظم يعظم فالاول لحصول الفقه بالتكلف والثاني لا بالتكلف فالاول علاجي والثاني مزاجي **قوله** يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله حذر المؤمنين اخلاق المنافقين اي لا تشتغلوا باموالكم كما فعل المنافقون اذ قالوا لاجل الشح باموالهم لا تنفقوا على من عند رسول الله وقوله عن ذكر الله اي عن الحج والزكوة وقيل عن قراءة القران وقيل عن ادامة الذكر وقال الضحاك عن الصلوات الخمس وقال الحسن عن جميع الفرايض كانه قال عن طاعة الله وقيل هذا خطاب للمنافقين اي امنتم بالقول فامنوا بالقلب ومن يفعل ذلك اي من يشتغل بالمال والولد عن طاعة ربه فاولئك هم الخاسرون **قوله** وانفقوا مما رزقناكم قال ابن عباس يريد زكوة الاموال من قبل ان ياتي احدكم الموت قال القرطبي هذا يدل على وجوب تعجيل اخراج الزكوة ولا يجوز تاخيرها اصلا وكذلك سائر العبادات اذا دخل وقتها قال ابن الخطيب وبالجملة فقوله لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله تنبيه على المحافظة على الذكر قبل الموت وقوله وانفقوا مما رزقناكم تنبيه على الشكر كذلك **قوله** فيقول رب لولا اخرتني اي هلا اخرتني وقيل لا صلة فيكون الكلام بمعنى التمني اي لو اخرتني الى اجل قريب فيسال الرجعة الى الدنيا ليعمل صالحا وروى الترمذي عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس قال من كان له مال يبلغه حج بيت ربه او يجب عليه فيه زكوة فلم يفعل سال الرجعة عند الموت فقال رجل يا ابن عباس اتق الله انما سال الرجعة الكفار فقال سأتلو عليك بذلك قرانا يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله الى قوله والله خبير بما تعملون قال فما يوجب الزكوة قال اذا بلغ المال مايتين فصاعدا قال فما يوجب الحج قال الزاد والراحلة قال القرطبي ذكر الحليمي في كتاب منهاج الدين مرفوعا فقال وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان عنده مال يبلغه الحج الحديث قال ابن العربي اخذ ابن عباس بعموم الاية في انفاق الواجب خاصة دون النفل فاما تفسيره بالزكوة فصحيح كله عموما وتقديرا بالمايتين واما القول بالحج ففيه اشكال لانا ان قلنا الحج على التراخي ففي المعصية بالموت قبل الحج خلاف بين العلما فلا تخرج الاية عليه وان قلنا الحج على الفور فالعموم في الاية صحيح لان من وجب عليه الحج فلم يؤده لقي من الله ما يود انه رجع ليأتي بما ترك من العبادات واما تقدير الامر بالزاد والراحلة ففي ذلك خلاف مشهور بين العلماء وليس لكلام ابن عباس فيه مدخل لاجل ان الرجعة والوعيد لا يدخل في المسايل المختلف فيها وانما يدخل في المتفق عليه والصحيح تناوله للواجب من الانفاق بالاجماع او بنص القران لان ما عدا ذلك لا يتحقق فيه الوعيد **قوله** فاصدق نصب على جواب التمني في قوله لولا اخرتني وقرا ابي وعبد الله وابن جبير فاتصدق وهي اصل قراءة العامة ولكن ادغمت التاء في الصاد **قوله** واكن قرا ابو عمرو واكون بنصب الفعل عطفا على فاصدق والباقون واكن مجزوما وحذفت الواو لالتقاء الساكنين واختلفت عبارات الناس في ذلك فقال الزمخشري عطفا على محل فاصدق كانه قيل ان اخرتني اصدق واكن وقال ابن عطية عطفا على الموضع لان التقدير ان اخرتني اصدق واكن وهذا مذهب ابي علي الفارسي وقال القرطبي عطفا على موضع الفاء لان قوله فاصدق لو لم تكن الفاء لكان مجزوما اي اصدق ومثله من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم فيمن جزم فاما ما حكاه سيبويه عن الخليل فهو غير هذا وهو انه جزم على توهم الشرط الذي يدل عليه التمني ولا موضع هنا لان الشرط ليس بظاهر وانما يعطف على الموضع حيث يظهر الشرط كقوله من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم فمن جزم عطفه على موضع فلا هادي له لانه لو وقع موقعه فعل لانجزم انتهى وهذا الذي نقله سيبويه هو المشهور عند النحويين ونظره سيبويه بذلك بقول زهير ٭ بدا لي اني لست مدرك ما مضى ولا سابق شيئا اذا كان جائيا ٭ فخفض ولا سابق عطفا على مدرك الذي هو خبر ليس على توهم زيادة الباء فيه لانه قد كثر جرها بالباء المزيدة

وهو

وهو عكس الاية الكريمة لانه في الاية جزم على توهم سقوط الفاء وهنا خفض على توهم وجود الباء ولكن الجامع توهم ما يقتضي جوازه ذلك قال شهاب الدين ولكني لا احب هذا اللفظ مستعملا في القران فلا يقال جزم على التوهم لقبحه لفظا وقال عبيد رايت في مصحف عثمن واكن بغير واو وقد فرق ابو حيان بين العطف على الموضع والعطف على التوهم فقال الفرق بينهما ان العامل في العطف على الموضع موجود واثره مفقود والعامل في العطف على التوهم مفقود واثره موجود انتهى قال شهاب الدين مثال الاول هذا ضارب زيدا وعمرا فهذا من العطف على الموضع فالعامل وهو ضارب موجود واثره وهو النصب مفقود ومثال الثاني ما نحن فيه فان العامل للجزم مفقود واثره موجود واصرح منه بيت زهير فان الباء مفقودة واثرها موجود ولكن اثرها انما ظهر في المعطوف لا في المعطوف عليه وكذلك في الاية الكريمة ومن ذلك ايضا بيت امرئ القيس ٭ وظل طهاة اللحم من بين منضج ٭ صفيف شواء او قدير معجل ٭ فانهم جعلوه من العطف على التوهم وذلك انه توهم انه اضاف منضج الى صفيف وهو لو اضافه اليه لجره فعطف قدير على صفيف بالجر توهما لجره بالاضافة وقرا عبيد بن عمير والكوفي برفع الفعل على الاستيناف اي وانا اكون وهذا عدة منه بالصلاح **نصل** قال ابن عباس هذه الاية تدل على ان القوم لم يكونوا من اهل التوحيد لانه لا يتمنى الرجوع الى الدنيا والتاخير فيها احد له عند الله خير في الاخرة قال القرطبي الا الشهيد فانه يتمنى الرجوع حتى يقتل لما يرى من الكرامة وقال الضحاك لا ينزل باحد لم يحج ولم يؤد الزكوة الموت الا وسال الرجعة ثم قال تعالى ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها والله خبير بما تعملون من خير وشر قرا ابو بكر عن عاصم والسلمي بالياء تحت على الخبر عن من مات وقال هذه المقالة والباقون بالخطاب وهما واضحتان روى الثعلبي في تفسيره عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المنافقين برئ من النفاق ٭

سورة التغابن

مدنية في قول الاكثرين وقال الضحاك مكية وقال الكلبي هي مدنية ومكية وعن ابن عباس ان سورة التغابن نزلت بمكة الا ايات من اخرها نزلت بالمدينة في عوف بن مالك الاشجعي شكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم جفاء اهله وولده فانزل الله عز وجل يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم الى اخرها وهي ثمان عشرة اية ومايتان واحدى واربعون كلمة والف وسبعون حرفا ٭ عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا وفي تشابيك راسه مكتوب خمس ايات من فاتحة سورة التغابن ٭ بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** يسبح لله ما في السموات وما في الارض تقدم نظيره قال ابن الخطيب وجه تعلق هذه السورة بما قبلها هو ان تلك السورة للمنافقين الكاذبين وهذه السورة للموافقين الصادقين وايضا فان تلك السورة مشتملة على ذكر النفاق سرا وعلانية وهذه السورة مشتملة على التهديد البالغ لهم عن ذلك وهو قوله تعالى يعلم ما تسرون وما تعلنون انه عليم بذات الصدور واما تعلق اول هذه السورة باخر التي قبلها فلانه في اخر تلك السورة التنبيه على الذكر والشكر كما تقدم وفي اول هذه السورة اشار الى انه في الناس اقوام يواظبون على الذكر والشكر دايما وهم الذين يسبحون كما قال تعالى يسبح لله ما في السموات وما في الارض **قوله** له الملك مبتدا وخبر وتقدم الخبر ليفيد اختصاص الملك والحمد بالله تعالى اذ الملك والحمد له حقيقة وهو على كل شيء قدير **قوله** هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن قال ابن عباس ان الله خلق بني ادم مؤمنا وكافرا ويعيدهم في القيمة مؤمنا وكافرا وروى ابو سعيد الخدري قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية فذكر شيئا مما يكون فقال يولد الناس على طبقات شتى يولد الرجل مؤمنا ويعيش مؤمنا ويولد الرجل كافرا ويعيش كافرا ويموت كافرا ويولد الرجل كافرا ويعيش كافرا ويموت مؤمنا وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم خلق الله فرعون في بطن امه كافرا وخلق يحيى بن زكريا في بطن امه مؤمنا وفي الصحيح من حديث ابن مسعود وان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا باع او ذراع فيسبق عليه الكتاب

فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها وان احدكم ليعمل بعمل اهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع او باع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها وفي صحيح مسلم عن سهل بن سعد الساعدي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل ليعمل عمل اهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من اهل النار وان الرجل ليعمل اهل النار فيما يبدو للناس وهو من اهل الجنة قال القرطبي قال علماؤنا والمعنى تعلق العلم الازلي بكل معلوم فيجري ما علم واراد وحكم فقد يريد ايمان شخص على عموم الاحوال وقد يريده الى وقت معلوم وكذلك الكفر وقيل في الكلام محذوف تقديره فمنكم مؤمن ومنكم كافر ومنكم فاسق فحذف لما في الكلام من الدلالة عليه قاله الحسن وقال غيره لا حذف فيه لان المقصود ذكر الطرفين وقيل انه خلق الخلق ثم كفروا وآمنوا والله هو الذي خلقكم ثم وصفهم فقال فمنكم كافر ومنكم مؤمن كقوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه الاية قالوا فالله خلقهم والمشي فعلهم وهذا اختيار الحسين بن الفضل قال لو خلقهم مؤمنين لكانوا مؤمنين ولو خلقهم كافرين لكانوا كافرين ومنهم من يجعلهم في قوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن واحتجوا بقوله عليه السلام كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه قال البغوي ورويا عن ابن عباس عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الغلام الذي قتله الخضر طبع كافرا وقال تعالى ولا يلدوا الا فاجرا كفارا وروي ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال وكل الله بالرحم ملكا فيقول اي رب نطفة اي رب علقة اي رب مضغة فاذا اراد الله ان يقضي خلقها قال يا رب اذكر ام انثى اشقي ام سعيد فما الرزق فما الاجل فيكتب ذلك في بطن امه وقال الضحاك فمنكم كافر في السر مؤمن في العلانية كالمنافق ومنكم مؤمن في السر كافر في العلانية كعمار وذويه وقال عطاء بن ابي رباح فمنكم كافر بالله مؤمن بالكوكب ومنكم مؤمن بالله كافر بالكوكب يعني في شان الانواء كما جاء في الحديث قال القرطبي وقال الزجاج وهذا احسن الاقوال والذي عليه الائمة ان الله خلق الكافر وكفره فعل له وكسب مع ان الله خالق الكفر وخلق المؤمن وايمانه فعل له وكسب مع ان الله خالق الايمان والكافر يكفر ويختار الكفر بعد خلق الله اياه لان الله تعالى قد قدر ذلك عليه وعلمه منه ولا يجوز ان يوجد من كل واحد منهما غير الذي قدر عليه وعلمه منه لان وجود خلاف المقدر عجز ووجود خلاف المعلوم جهل ولا يليقان بالله تعالى وفي هذا سلامة من الجبر والقدر وروي عن ابي سعيد الخدري انه قال فمنكم كافر حياته مؤمن في العاقبة ومنكم مؤمن حياته كافر في العاقبة وقيل فمنكم كافر بان الله خلقه وهو مذهب الدهرية ومنكم مؤمن بان الله خلقه قال ابن الخطيب **فان قيل** انه تعالى حكيم وقد سبق في علمه انه اذا خلقهم لم يفعلوا الا الكفر فاي حكمة دعته الى خلقهم فالجواب اذا علمنا انه تعالى حكيم علمنا ان افعاله كلها على وفق الحكمة فيكون خلقه تعالى هذه الطائفة على وفق الحكمة ولا يلزم من عدم علمنا بذلك ان لا يكون كذلك بل اللازم ان يكون خلقهم على وفق الحكمة **قوله** هو الذي خلق السموات والارض بالحق اي خلقها حقا يقينا لا ريب فيه وقيل الباء بمعنى اللام اي خلقها للحق وهو ان يجزي الذين اساؤوا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى **قوله** وصوركم فاحسن صوركم قرا العامة بضم صاد صوركم وهو القياس في فعله وقرا زيد بن علي والاعمش وابو زيد بكسرها وليس بقياس وهو عكس لحى بالضم والقياس لحى بالكسر **فصل** معنى وصوركم يعني ادم عليه السلام خلقه بيده كرامة له قاله مقاتل وقيل جميع الخلائق وقد مضى معنى التصوير وانه التخطيط والتشكيل **فان قيل** كيف احسن صورهم قيل بان جعلهم احسن الحيوان كله وابهاه صورة بدليل ان الانسان لا يتمنى ان تكون صورته على خلاف ما يرى من سائر الصور ومن حسن صورته انه خلق منتصبا غير منكب كما قال عز وجل لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم كما سياتي ان شاء الله تعالى قال ابن الخطيب **فان قيل** قد كان من افراد هذا النوع من كان مشوه الخلقة سمج الصورة فالجواب لا سماجة لان الحسن في المعاني وهو على طبقات ومراتب فانحطاط بعض الصور عن مراتب ما فوقه لا يمنع حسنه فهو داخل في حيز الحسن غير خارج عن حده **قوله** واليه

المصير فيجازي كلا بعمله قال ابن الخطيب **فان قيل** قوله تعالى واليه المصير يوهم الانتقال من جانب الى جانب وذلك على الله محال **فالجواب** ان ذلك الوهم بالنسبة الينا والى زماننا لا بالنسبة الى ما يكون في نفسه بمعزل عن حقيقة الانتقال اذا كان المنتقل منزها عن الجانب والجهة **قوله** يعلم ما في السموات والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون تقدم نظيره قال ابن الخطيب انه تعالى نبه بعلمه ما في السموات وما في الارض ثم بعلمه ما يسره العباد وما يعلنونه ثم بعلمه ما في الصدور من الكليات والجزئيات على انه لا يخفى عليه شيء البتة ونظيره قوله لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السما وقرا العامة بتا الخطاب في الحرفين وروي عن ابي عمرو وعاصم بيا الغيبة ويحتمل الالتفات ويحتمل الاخبار عن الغائبين والله عليم بذات الصدور وهو عالم الغيب والشهادة لا يخفى عليه شيء **قوله** الم ياتكم نبا الذين كفروا من قبل الخطاب لقريش اي الم ياتكم خبر كفار الامم السالفة فذاقوا وبال امرهم اي عوقبوا ولهم في الاخرة عذاب اليم اي مولم **قوله** ذلك بانه الهاء للشان والحديث وكانت تاتيهم رسلهم خبرها ومعنى الاشارة اي هذا العذاب لهم بكفرهم بالرسل اتتهم بالبينات بالدلالات الواضحة **قوله** ابشر يهدوننا يجوز ان يرتفع بشر على الفاعلية ويكون من الاشتغال وهو الارجح لان الاداة تطلب الفعل وان يكون مبتدا وخبرا وجمع الضمير في يهدوننا اذ البشر اسم جنس انكروا ان يكون الرسول من البشر وقد ياتي الواحد بمعنى الجمع فيكون اسما للجنس وقد ياتي الجمع بمعنى الواحد كقوله تعالى ما هذا بشر **قوله** فكفروا اي بهذا القول اذ قالوه استصغارا ولم يعلموا ان الله يبعث من يشا الى عباده **فان قيل** قوله فكفروا يفهم منه التولي فما الحاجة الى ذكره **فالجواب** قال ابن الخطيب انهم كفروا وقالوا ابشر يهدوننا وهذا في معنى الانكار والاعراض بالكلية وهذا هو التولي فكانهم كفروا وقالوا قولا يدل على التولي فلهذا قال فكفروا وتولوا وقيل كفروا بالرسل وتولوا عن البرهان واعرضوا عن الايمان والموعظة **قوله** واستغنى الله استغنى بمعنى المجرد وقال الزمخشري ظهر غناه فالسين ليست للطلب قال مقاتل استغنى الله اي بسلطانه عن طاعة عباده وقيل استغنى الله بما اظهره لهم من البرهان واوضحه لهم من البيان عن زيادة تدعوا الى الرشد وتقود الى الهداية والله غني حميد غني عن خلقه حميد في افعاله **فان قيل** قوله وتولوا واستغنى الله يوهم وجود التولي والاستغنا معا والله تعالى لم يزل غنيا فاجاب الزمخشري بان معناه انه ظهر استغنا الله حيث لم يلجيهم الى الايمان ولم يضطرهم اليه مع قدرته على ذلك ثم اخبر عن انكارهم للبعث فقال عز وجل زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا اي ظنوا والزعم هو القول بالظن وقال الزمخشري الزعم ادعا العلم ومنه قوله عليه السلام زعموا مطية الكذب وقال شريح لكل شي كنية وكنية الكذب زعموا قيل نزلت في العاص بن وائل السهمي مع خباب كما تقدم في اخر سورة مريم ثم عمت كل كافر **قوله** ان لن يبعثوا ان مخففة لا ناصبة لئلا يدخل ناصب على مثله وان وما في حيزها سادة مسد المفعولين للزعم او المفعول **قوله** بلى ايجاب للنفي ولتبعثن جواب قسم مقدر اي لتخرجن من قبوركم احيا ثم لتنبؤن لتخبرن بما عملتم اي باعمالكم وذلك على الله يسير اذ الاعادة اسهل من الابتدا **فان قيل** كيف يفيد القسم في اخبارهم عن البعث وهم قد انكروا الرسالة قال ابن الخطيب والجواب انهم انكروا الرسالة لكنهم يعتقدون انه يعتقد ربه اعتقادا جازما لا مزيد عليه فيعلموا انه لا يقدم على القسم بربه الا وان يكون صدق هذه الاخبار عنده اظهر من الشمس في اعتقاده ثم انه اكدالخبر باللام والنون فكانه قسم بعد قسم ثم انه تعالى لما اخبر عن البعث والاعتراف بالبعث من لوازم الايمان قال فامنوا بالله ورسوله وهذا يجوز ان يكون صلة لما تقدم لانه تعالى ذكر ما نزل من العقوبة بالامم الماضية وذلك لكفرهم بالله وتكذيبهم للرسل فقال فامنوا انتم بالله ورسوله لئلا ينزل بكم ما نزل بهم من العقوبة وقال القرطبي قوله فامنوا بالله ورسوله امرهم بالايمان بعد ان عرفهم قيام الساعة

والنور الذي انزلنا وهو القران لانه نور يهتدي به من ظلمة الضلال كما يهتدي بالنور في الظلمات **فان قيل** هلا قيل ونوره بالاضافة كما قال ورسوله فالجواب ان الالف واللام في النور بمعنى الاضافة كانه قال ورسوله ونوره ثم قال والله بما تعملون خبير اي بما تسرون وما تعلنون فراقبوه في السر والعلانية **قوله** يوم يجمعكم منصوب بقوله لتنبؤن عند النحاس وبخبير عند الحوفي لما فيه من معنى الوعيد كانه قال والله يعاقبكم يوم يجمعكم وباذكر مضمرا عند الزمخشري فيكون مفعولا به او بما دل عليه الكلام اي تتفاوتون يوم يجمعكم قاله ابو البقا وقرا العامة يجمعكم بفتح اليا وضم العين وروي سكونها واشمامها عن ابي عمرو وهذا منقول عنه في الراء نحو ينصركم وبابه كما تقدم في البقرة وقرا يعقوب وسلام وزيد بن علي والشعبي ونصر وابن ابي اسحق والجحدري نجمعكم بنون العظمة اعتبارا بقوله والنور الذي انزلنا والمراد بيوم الجمع اي يوم القيمة يجمع الله الاولين والاخرين والانس والجن واهل السما واهل الارض وقيل يوم يجمع الله بين كل عبد وعمله وقيل يجمع فيه بين الظالم والمظلوم وقيل يجمع فيه بين كل نبي وامته وقيل يجمع فيه ثواب اهل الطاعات وعقاب اهل المعاصي **قوله** ذلك يوم التغابن التغابن تفاعل من الغبن في البيع والشرا على الاستعارة وهو اخذ الشي بدون قيمته وقيل الغبن الاخفا ومنه غبن المبيع لاستخفايه والتفاعل هنا من واحد لا من اثنين ويقال غبنت الثوب وخبنته اي اخذت ما طال عنك من مقدارك فهو نقص واخفا وفي التفسير هو ان يكتسب الرجل مالا من غير وجهه فيرثه غيره فيعمل فيه بطاعة فيدخل الاول النار والثاني الجنة بذلك المال فذلك هو الغبن البين والمغابن ما انثنى من البدن نحو الابطين والفخذين والمغبون من غبن في اهله ومنازله في الجنة ويظهر يومئذ غبن كل كافر بتركه الايمان وغبن كل مؤمن بتقصيره في الاحسان وتضييعه الايام قال الزجاج ويغبن من ارتفعت منزلته في الجنة بالنسبة الى من هو اعلى منزلة منه **فان قيل** فاي معاملة وقعت بينهما حتى يقع الغبن فيها فالجواب هو تمثيل الغبن في الشرا والبيع كقوله اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم فلما ذكر ان الكفار اشتروا الضلالة بالهدى وما ربحوا في تجارتهم بل خسروا ذكر ايضا انهم غبنوا وذلك ان اهل الجنة اشتروا الاخرة بترك الدنيا واشترى اهل النار الدنيا بترك الاخرة وهذا نوع مبادلة اتساعا ومجازا وقد فرق الله تعالى الخلق فريقين فريقا للجنة وفريقا للنار وقال الحسن وقتادة بلغنا ان التغابن على ثلاثة اصناف رجل علم علما فضيعه ولم يعمل به فشقي به ورجل علم علما وعمل به فنجا به ورجل اكتسب مالا من وجوه يسال عنها وشح عليه وفرط في طاعة ربه بسببه ولم يعمل به خيرا وتركه لوارث لا حساب عليه فعمل ذلك الوارث بطاعة ربه ورجل كان له عبد فعمل ذلك العبد بطاعة ربه فسعد وعمل السيد بمعصية ربه فشقي وروى القرطبي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى يقيم الرجل والمراة يوم القيمة بين يديه فيقول الله تعالى لهما قولا ما انتما بقائلين فيقول الرجل يا رب اوجبت نفقتها علي فتعسفتها من حرام ومن حلال وهؤلاء الخصوم يطلبون ذلك ولم يبق لي ما اوفي فتقول المراة يا رب وما عسى ان اقول اكتسبه حراما واكلته حلالا وعصاك في رضاي ولم ارض له بذلك فبعدا له وسحقا فيقول الله تعالى قد صدقت فيؤمر به الى النار ويؤمر بها الى الجنة فتطلع عليه من طبقات الجنة فتقول له غبناك غبناك سعدنا بما شقيت انت به فذلك يوم التغابن فذلك يوم التغابن **فصل** استدل بعض العلما بقوله تعالى ذلك يوم التغابن على انه لا يجوز الغبن في المعاملات الدنيوية لان الله تعالى خصص التغابن بيوم القيامة فقال ذلك يوم التغابن وهذا الاختصاص يفيد انه لا غبن في الدنيا فكل من اطلع على غبن في مبيع فانه مردود اذا زاد على الثلث واختاره البغداديون واحتجوا عليه بقوله عليه السلام لحبان بن منقذ اذا بعت فقل لا خلابة ولك الخيار ثلاثا ولان الغبن في الدنيا ممنوع منه بالاجماع في حكم الدين اذ هو من باب الخداع المحرم شرعا في كل ملة لكن اليسير منه لا يمكن الاحتراز عنه فمضى في البيوع اذ لو حكمنا برده ما نفذ بيع ابدا لانه لا يخلو منه فاذا كان كثيرا امكن الاحتراز منه فوجب الرد به والفرق بين القليل والكثير في الشريعة معلوم فقدرناه

بالثلث وهذا الحد اعتبره الشارع في الوصية وغيرها ويكون معنى الاية على هذا يوم التغابن الجائز مطلقا من غير تفصيل وذلك يوم التغابن الذي لا يستدرك ابدا قال بعض العلما الصوفية ان الله تعالى كتب الغبن على الخلق اجمعين فلا يلقى احد ربه الا مغبونا لانه لا يمكنه الاستيفا للعمل حتى يحصل له استيفا الثواب قال عليه السلام لا يلقى الله احد الا نادما ان كان مسيئا ان لم يحسن وان كان محسنا ان لم يزدد **قوله** ومن يومن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله قرا نافع وابن عامر بالنون فيهما والباقون باليا **قوله** والذين كفروا وكذبوا باياتنا يعني القران اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير قال ابن الخطيب **فان قيل** قال تعالى في حق المؤمنين ومن يؤمن بالله بلفظ المستقبل وفي الكفار قال والذين كفروا بلفظ الماضي فالجواب ان تقدير الكلام ومن يؤمن بالله من الذين كفروا وكذبوا باياتنا ندخله جنات ومن لم يؤمن منهم اولئك اصحاب النار **فان قيل** قال تعالى من يومن بلفظ الوحدان وخالدين بلفظ الجمع فالجواب ذاك بحسب اللفظ وهذا بحسب المعنى **فان قيل** ما الحكمة في قوله وبئس المصير بعد قوله خالدين فيها وذلك بئس المصير فالجواب ان ذلك وان كان في معناه فلا بد من التصريح بما يؤكده **فصل** لما ذكر ما للمؤمنين ذكر ما للكفار قال تعالى ما اصاب من مصيبة الا باذن الله اي بارادته وقضايه وقال الفرا يريد الا بامر الله وقيل الا بعلم الله وقيل سبب نزولها ان الكفار قالوا لو كان ما عليه المسلمون حقا لصانهم الله عن المصايب في الدنيا فبين الرب تعالى ان ما اصاب من مصيبة في نفس او مال او قول او فعل يقتضي هما او يوجب عقابا اجلا او عاجلا فبعلم الله وقضايه **فان قيل** بم يتصل قوله ما اصاب من مصيبة الا باذن الله فالجواب يتعلق بقوله فامنوا بالله ورسوله كان من يومن بالله يصدق بانه لا يصيبه مصيبة الا باذن الله **قوله** ومن يؤمن بالله اي يصدق ويعلم انه لا يصيبه مصيبة الا باذن الله يهد قلبه للصبر والرضا وقيل يثبته على الايمان وقال ابو عثمان الجيري من صح ايمانه يهد الله قلبه لاتباع السنة وقيل ومن يؤمن بالله يهد قلبه عند المصيبة فيقول انا لله وانا اليه راجعون قاله ابن جبير وقال ابن عباس هو ان يجعل الله في قلبه اليقين ليعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطيه وان اخطاه لم يكن ليصيبه وقال الكلبي هو اذا ابتلي صبر واذا انعم عليه شكر واذا ظلم غفر وقيل يهد قلبه الى نيل الثواب في الجنة **قوله** يهد قلبه قراة العامة باليا مجزوما جوابا للشرط لتقدم ذكر الله وابن جبير وابن هرمز وطلحة والازرق بالنون على التعظيم والضحاك وابو حفص وابو عبد الرحمن وقتادة يهد مبنيا للمفعول قلبه قايم مقام الفاعل ومالك بن دينار وعمرو بن دينار وعكرمة يهدا بهمزة ساكنة قلبه فاعل به بمعنى يطمئن ويسكن وعمرو بن فايد يهدا بالف مبدلة من الهمزة كالتي قبلها ولم يحذفها نظرا الى الاصل وفي نص اللفتين فعكرمة ومالك ابن دينار ايضا يهد بحذف هذه الالف اجراها مجرى الالف الاصلية كقول زهير

جري متى يظلم يعاقب بظلمه سريعا والا يبد بالظلم يظلم

وقد تقدم اعراب ما قبل هذه الاية وما بعدها والله بكل شي عليم لا يخفى عليه تسليم من انقاد لامره ولا كراهة من كرهه **قوله** واطيعوا الله واطيعوا الرسول اي هونوا على انفسكم المصايب واشتغلوا بطاعة الله واعملوا بكتابه واطيعوا الرسول في العمل بسنته فان توليتم عن الطاعة فليس على الرسول الا البلاغ المبين **قوله** الله لا اله الا هو اي لا معبود سواه ولا خالق غيره قال ابن الخطيب قوله لا اله الا هو يحتمل ان يكون من جملة ما تقدم من الاوصاف الحميدة لحضرة الله تعالى من قوله له الملك وله الحمد وهو على كل شي قدير فان من كان موصوفا بهذه الاوصاف فهو الذي لا اله الا هو **قوله** وعلى الله فليتوكل المؤمنون قال الزمخشري هذا بعث لرسول الله صلى الله عليه وسلم على التوكل عليه حتى ينصره على من كذبه وتولى عنه **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم

قال ابن عباس نزلت هذه الاية بالمدينة في عوف بن مالك الاشجعي شكي الي النبي صلي الله عليه وسلم
جفا اهله وولده فنزلت ذكره النحاس وحكاه الطبري عن عطا بن يسار قال نزلت سورة التغابن كلها
بمكة الا هولاء الايات يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم نزلت في
عوف بن مالك الاشجعي كان ذا اهل وولد وكان اذا اراد الغزو بكوه ورققوه وقالوا الي من تدعنا
فيرق فيقيم فنزلت هذه الاية الي اخر السورة بالمدينة وروي الترمذي عن ابن عباس وسئل عن
هذه الاية قال هولاء رجال اسلموا من اهل مكة وارادوا ان ياتوا النبي صلي الله عليه وسلم فابي
ازواجهم واولادهم ان يدعوهم ياتوا النبي صلي الله عليه وسلم فلما اتوا النبي صلي الله عليه وسلم راوا الناس
قد فقهوا في الدين فهموا ان يعاقبوهم فانزل الله تعالي هذه الاية حديث حسن صحيح **فصل**
قال ابن العربي هذا يبين وجه العداوة فان العدو لم يكن عدوا بذاته انما كان عدوا بفعله فاذا
فعل الزوج والولد فعل العدو كان عدوا ولا فعل اقبح من الحيلولة بين العبد وبين الطاعة وفي صحيح
البخاري عن ابي هريرة عن النبي صلي الله عليه وسلم قال ان الشيطان قعد لابن ادم في طريق الايمان
فقال له اتؤمن وتذر دينك ودين ابائك فخالفه فامن ثم قعد له علي طريق الهجرة فقال له
اتهاجر وتترك اهلك ومالك فخالفه فهاجر ثم قعد له علي طريق الجهاد فقال له اتجاهد فتقتل
نفسك فتنكح نساوك ويقسم مالك فخالفه فجاهد فقتل فحق علي الله ان يدخله الجنة وقعود الشيطان
يكون بوجهين احدهما بالوسوسة والثاني ان يحمل علي ما يريد من ذلك الزوج والولد والصاحب قال
تعالي وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين ايديهم وما خلفهم وفي حكمة عيسي عليه السلام من اتخذ اهلا
ومالا وولدا كان في الدنيا عبدا وقال عليه السلام تعس عبد الدنيا وتعس عبد الدرهم تعس عبد الخميصة
تعس عبد القطيفة ولا دناءة اعظم من عبادة الدينار والدرهم ولا همة اخس من همة ترتفع بثوب
جديد واعلم قوله ان من ازواجكم يدخل فيه الذكر والانثي فكما ان الرجل تكون زوجته وولده عدوا
له كذلك المراة يكون زوجها عدوا لها بهذا المعني **قوله** فاحذروهم اي فاحذروهم علي انفسكم
والحذر علي النفس يكون بوجهين اما بضرر في البدن او بضرر في الدين وضرر البدن يتعلق بالدنيا وضرر
الدين يتعلق بالاخرة فحذر الله تعالي العبد من ذلك قال ابن الخطيب وقيل علم الله تعالي ان الاموال
والاولاد من جملة ما تقع به الفتنة وهذا عام يعم جميع الاولاد فان الانسان مفتون بولده فانه ربما
عصي الله تعالي بسببه وباشر الفعل الحرام لاجله كغصب مال الغير ونحوه **قوله** وان تعفوا وتصفحوا
وتغفروا فان الله غفور رحيم روي الطبري عن عكرمة في قوله تعالي يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم
واولادكم عدوا لكم فاحذروهم قال كان الرجل يريد ان ياتي النبي صلي الله عليه وسلم فيقول اهله اين
تذهب وتدعنا قال فاذا اسلم وفقه قال لارجعن الي الذين كانوا ينهون عن هذا الامر فلافعلن ولافعلن
قال فانزل الله عز وجل وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم وقال مجاهد في هذه
الاية ما عادوهم في الدنيا ولكن حملتهم مودتهم لهم علي ان اتخذوا لهم الحرام فاعطوه اياهم والاية عامة
في كل معصية يرتكبها الانسان بسبب الاهل والولد وخصوص السبب لا يمنع عموم الحكم **قوله**
انما اموالكم واولادكم فتنة اي بلاء واختبار يحملكم علي كسب الحرام ومنع حق الله تعالي فلا تطيعوهم في
معصية الله وفي الحديث يوتي برجل يوم القيامة فيقال اكل عياله حسناته وقال بعض السلف العيال
سوس الطاعات وقال ابن مسعود لا يقولن احدكم اللهم اعصمني من الفتنة فانه ليس احد منكم يرجع الي
مال وولد الا وهو مشتمل علي فتنة ولكن ليقل اللهم اني اعوذ بك من مضلات الفتن وقال الحسن في قوله
تعالي ان من ازواجكم ادخل من للتبعيض لان كلهم ليسوا باعداء ولم يذكر في قوله تعالي انما اموالكم واولادكم
فتنة لانهما لا يخلوان من الفتنة واشتغال القلب بهما روي الترمذي وغيره عن عبد الله بن بريدة عن ابيه
قال رايت النبي صلي الله عليه وسلم يخطب فجا الحسن والحسين عليهما السلام فحملهما ووضعهما بين يديه ثم قال

صدق الله عز وجل انما اموالكم واولادكم فتنة نظرت الي هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم اصبر حتي
قطعت حديثي ورفعتهما ثم اخذ في خطبته والله عنده اجر عظيم يعني الجنة فلا اعظم اجرا منها **قوله**
فاتقوا الله ما استطعتم قال قتادة والربيع بن انس والسدي وابن زيد هذه الاية ناسخة لقوله تعالي
اتقوا الله حق تقاته ذكر الطبري عن ابن زيد في قوله تعالي يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته قال
جا امر شديد قال ومن يعرف قدر هذا ويبلغه فلما عرف الله انه قد اشتد ذلك عليهم نسخها عنهم
وجا بهذه الاية الاخري فقال فاتقوا الله ما استطعتم وعن ابن عباس هي محكمة لا نسخ فيها ولكن حق
تقاته ان يجاهد لله حق جهاده ولا ياخذهم في الله لومة لائم ويقوموا لله بالقسط ولو علي انفسهم وابائهم
وابنائهم **فان قيل** اذا كانت الاية غير منسوخة فكيف الجمع بين الايتين وما وجه الامر
باتقائه حق تقاته مطلقا من غير تخصيص ولا مشروط بشرط والامر باتقائه بشرط الاستطاعة فالجواب
ان قوله تعالي فاتقوا الله ما استطعتم معناه فاتقوا الله ايها الناس وراقبوه فيما جعل فتنة لكم
من اموالكم واولادكم ان تغلبكم فتنتهم وتصدكم عن الواجب لله عليكم من الهجرة من ارض الكفر الي
ارض الاسلام فتتركوا الهجرة وانتم مستطيعون وذلك ان الله تعالي قد كان عذر من لم يقدر علي الهجرة
بتركها بقوله تعالي ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم الي قوله فاولئك عسي الله ان يعفو عنهم فاخبر
انه قد عفي عمن لا يستطيع حيلة ولا يهتدي سبيلا بالاقامة في دار الشرك فكذلك معني قوله
ما استطعتم في الهجرة من دار الشرك الي دار الاسلام ان تتركوها بفتنة اموالكم واولادكم ويدل
علي صحة هذا ان قوله تعالي فاتقوا الله ما استطعتم عقيب قوله يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم
واولادكم عدوا لكم فاحذروهم ولا خلاف بين علما التاويل ان هذه الايات نزلت بسبب قوم كانوا
تاخروا عن الهجرة من دار الشرك الي دار الاسلام بتثبيط اولادهم اياهم عن ذلك كما تقدم وهذا اختيار
الطبري وقال ابن جبير فاتقوا الله ما استطعتم فيما تطوع به من نافلة او صدقة فانه لما نزل قوله تعالي
اتقوا الله حق تقاته اشتدت علي القوم فقاموا حتي ورمت عراقيبهم وتقرحت جباههم فانزل الله تعالي
تخفيفا عنهم فاتقوا الله ما استطعتم فنسخت الاولي قال الماوردي ويحتمل ان يثبت هذا النقل
لان المكره علي المعصية غير مواخذ بها لانه لا يستطيع اتقاها **قوله** واسمعوا واطيعوا اي اسمعوا ما
توعظون به واطيعوا ما تومرون به وتنهون عنه وقال مقاتل اسمعوا اي اصغوا الي ما ينزل عليكم من
كتاب الله وهو الاصل في السماع واطيعوا الرسول فيما امركم او نهاكم وقيل معني واسمعوا اي اقبلوا ما
تسمعون وعبر عنه بالسماع لانه فايدته **قوله** وانفقوا قال ابن عباس هي الزكوة وقيل هي النفقة
في النفل وقال الضحاك هي النفقة في الجهاد وقال الحسن هي نفقة الرجل لنفسه قال ابن العربي وانما اوقع
قايل هذا قوله لانفسكم وخفي عليه ان نفقة الفرض والنفل في الصدقة نفقة علي نفسه قال الله تعالي ان احسنتم
احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها فكلما يفعله الرجل من خير فانما هو لنفسه والصحيح انها عامة **قوله**
خيرا لانفسكم في نصبه اوجه احدها قال سيبويه انه مفعول بفعل مقدر دل عليه وانفقوا تقديره
ايتوا في الانفاق خيرا لانفسكم او قدموا خيرا لانفسكم كقوله انتهوا خيرا لكم الثاني تقديره يكن الانفاق خيرا
فهو خبر كان المضمرة وهو قول ابي عبيد الثالث انه نعت لمصدر محذوف وهو قول الكسائي والفراء اي
انفاقا خيرا الرابع انه حال وهو قول الكوفيين الخامس انه مفعول بقوله انفقوا اي انفقوا مالا خيرا **قوله**
ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون تقدم نظيره وكذا ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم تقدم
في سورة البقرة والحديد ويغفر لكم والله شكور حليم تقدم معني الشكر في البقرة والحليم الذي لا يعجل
قال بعضهم في القرض الحسن هو التصدق من الحلال وقيل التصدق بطيب النفس والقرض هو الذي يرجي
بدله **قوله** عالم الغيب والشهادة اي ما غاب وحضر وهو العزيز اي الغالب القاهر فهو من صفات
الافعال ومنه قوله عز وجل تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم اي من الله القاهر المحكم خالق الاشيا وقال

الخطابي وقد يكون بمعنى تعالى التقديس تعالى الغز بعز بكر العين فيكون معنى العزيز على هذا انه لا يعادله
شي وانه لا مثل له الحكيم في تدبير خلقه وقال ابن الانباري الحكيم هو المحكم لخلق الاشيا صرف عن مفعل
الى فعيل ومنه قوله عز وجل الر تلك ايات الكتاب الحكيم معناه المحكم فصرف عن مفعل الى فعيل والله اعلم
روي الثعلبي عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا وفي تشابيك
راسه مكتوب خمس ايات من فاتحة سورة التغابن وعن زر بن حبيش قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قرا سورة التغابن دفع الله عنه موت الفجاة والله اعلم

سورة الطلاق مدنية

وهي احدى عشرة اية وقيل اثنتي عشرة اية ومايتان وتسع واربعون كلمة
والف وستون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** يا ايها النبي اذا طلقتم النسا
قال ابن الخطيب وجه تعلق اول هذه السورة باخر التي قبلها هو انه تعالى اشار في اخر التي قبلها الى
كمال علمه بقوله عالم الغيب والشهادة وفي اول هذه السورة اشار الى كمال علمه بمصالح النسا والاحكام
المخصوصة بطلاقهن فكانه بين ذلك الكلي بهذه الجزيات **فصل** وهذا الخطاب فيه
اوجه احدها انه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم خوطب بلفظ الجمع تعظيما له كقوله
فان شيت حرمت النسا سواكم وان شيت لم اطعم نقاخا ولا بردا الثاني انه خطاب له ولامته
والتقدير يا ايها النبي وامته اذا طلقتم فحذف المعطوف لدلالة ما بعده عليه كقوله
اذا احدهم رجعا اي وبدها كقوله سرابيل تقيكم الحر اي والبرد الثالث انه خطاب لامته
فقط بعد ندايه عليه السلام وهو من تلوين الخطاب خاطب امته بعد ان خاطبه الرابع انه على
اضمار قول اي يا ايها النبي قل لامتك اذا طلقتم قال القرطبي قيل انه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
والمراد امته وغاير بين اللفظين من حاضر وغايب وذلك لغة فصيحة كقوله اذا كنتم في الفلك
وجرين بهم والتقدير يا ايها النبي قل لهم اذا طلقتم النسا فطلقوهن لعدتهن وهذا هو قولهم ان الخطاب
له وحده والمعنى له وللمومنين واذا اراد الله بالخطاب المومنين لاطفه بقوله يا ايها النبي واذا كان
الخطاب باللفظ والمعنى جميعا له قال يا ايها الرسول قال القرطبي ويدل على صحة هذا القول نزول العدة
في اسما بنت يزيد بن السكن الانصارية روى ابو داود انها طلقت على عهد النبي صلى الله عليه وسلم
ولم يكن للمطلقة عدة فانزل الله تعالى العدة للطلاق حين طلقت اسما فكانت اول من نزل فيها
العدة للطلاق الخامس قال الزمخشري خص النبي صلى الله عليه وسلم بالندا وعم بالخطاب لان النبي
امام امته وقدوتهم كما يقال لرييس القوم وكبيرهم يا فلان افعلوا كيت وكيت اعتبارا لتقدمه
واظهارا لترويسه في كلام حسن وهذا هو معنى القول الثالث المتقدم قال القرطبي وقيل المراد به
ندا النبي صلى الله عليه وسلم تعظيما له ثم ابتدا اذا طلقتم النسا كقوله تعالى يا ايها الذين امنوا انما
الخمر والميسر الاية فذكر المومنين تكريما لهم ثم افتتح فقال انما الخمر والميسر والانصاب والازلام الاية
وقوله اذا طلقتم اي اذا اردتم كقوله اذا قمتم الى الصلوة فاذا قرات القران وتقدم تحقيقه **فصل**
روي ابن ماجه عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق حفصة ثم راجعها
وعن انس قال طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة رضي الله عنها فاتت اهلها فانزل الله
تعالى عليه يا ايها النبي اذا طلقتم النسا فطلقوهن لعدتهن وقيل له راجعها فانها صوامة قوامة وهي
من ازواجك في الجنة ذكره الماوردي والقشيري والثعلبي وزاد القشيري ونزل في خروجها
الى اهلها قوله تعالى لا تخرجوهن من بيوتهن وقال الكلبي سبب نزول هذه الاية غضب رسول
الله صلى الله عليه وسلم على حفصة لما اسر اليها حديثا فاظهرته لعايشة فطلقها تطليقة فنزلت
الاية وقال السدي نزلت في عبد الله بن عمر طلق امراته حايضا تطليقة واحدة فامر النبي صلى الله
عليه وسلم بان يراجعها ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر فان اراد ان يطلقها فليطلقها حين تطهر

من قبل ان يجامعها فتلك العدة التي امر الله ان يطلق لها النسا وقد قيل ان رجالا فعلوا مثل ما فعل
عبد الله بن عمر منهم عبد الله بن عمرو بن العاص وعمرو بن سعيد بن العاص وعتبة بن غزوان فنزلت الاية
فيهم قال ابن العربي وهذا كله وان لم يكن صحيحا فالقول الاول امثل واصح فيه انه بيان لشرع مبتدا
فصل روي الثعلبي من حديث ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من ابغض
الحلال الى الله الطلاق وعن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تزوجوا ولا تطلقوا فان الطلاق يهتز منه
العرش وعن ابي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تطلقوا النسا الا من ريبة فان الله عز
وجل لا يحب الذواقين ولا الذواقات وعن ابي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حلف
بالطلاق ولا استحلف به الا منافق اسندهم الثعلبي وروي الدارقطني عن معاذ بن جبل قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معاذ ما خلق الله تعالى شيا على وجه الارض احب اليه من العتاق
ولا خلق الله شيا ابغض اليه من الطلاق فاذا قال الرجل لمملوكه انت حر ان شا الله فهو حر ولا استثنا
واذا قال الرجل لامراته انت طالق فله استثناوه ولا طلاق عليه وعن معاذ بن جبل قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما احل الله شيا ابغض اليه من الطلاق فمن طلق واستثنى فله ثنياه قال ابن المنذر
اختلفوا في الاستثنا في الطلاق والعتق فقالت طايفة بجوازه وهو مروي عن طاوس وبه قال حماد
الكوفي والشافعي وابو ثور واصحاب الراي وقال مالك والاوزاعي لا يجوز الاستثنا في الطلاق والعتق
وقال قتادة لا يجوز الاستثنا في الطلاق خاصة قال ابن المنذر وبالقول الاول اقول **فصل**
روي الدارقطني عن ابن عباس انه قال الطلاق على اربعة وجوه وجهان حلالان ووجهان حرامان
فاما الحلال فان يطلقها طاهرا عن غير جماع وان يطلقها حاملا مستبينا حملها واما الحرام فان يطلقها
حايضا او ان يطلقها حين يجامعها لا يدري ايشتمل الرحم على ولد ام لا واعلم ان الطلاق في حال
الحيض والنفاس بدعة وكذلك في الطهر الذي يجامعها فيه لقول النبي صلى الله عليه وان شا طلق قبل
ان يمس وطلاق السنة ان يطلقها في طهر لم يجامعها فيه وهذا في حق امراة يلزمها العدة بالاقرا
فاما طلاق غير المدخول بها في حيضها او الصغيرة التي لم تحض والايسة بعد ما جامعها او طلق الحامل
بعد ما جامعها او في حال رويتها الدم والخلع في حال الحيض او في طهر جامعها فيه لا يكون بدعيا لان
النبي صلى الله عليه وسلم اذن لثابت بن قيس في مخالعة زوجته من غير ان يعرف حالها ولولا جوازه في جميع
الاحوال لاستفسره **قوله** لعدتهن قال الزمخشري مستقبلات لعدتهن كقولك اتيته لليلة بقيت
من المحرم اي مستقبلا لها وفي قراة رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبل عدتهن انتهى وناقشه ابو حيان
في تقدير الحال التي تعلق بها الجار كونا خاصا وقال الجار اذا وقع حالا انما يتعلق بكون مطلق وفي
مناقشته نظر لان الزمخشري لم يجعل الجار حالا بل جعله متعلقا بمحذوف دل عليه معنى الكلام وقال
ابو البقا لعدتهن اي عند اول ما تعتد لهن به وهن في قبل الطهر وهذا تفسير معنى لا تفسير اعراب
وقال ابو حيان هو على حذف مضاف اي لاستقبال عدتهن واللام للتوقيت نحو لقيته لليلة بقيت
من شهر كذا انتهى فعلى هذا يتعلق اللام بطلقوهن وقال الجرجاني فطلقوهن لعدتهن صفة للطلاق
كيف يكون وهذه اللام تجي لمعان مختلفة للاضافة وهي اصلها ولبيان السبب والعلة كقوله تعالى
انما نطعمكم لوجه الله وبمعنى عند كقوله تعالى اقم الصلوة لدلوك الشمس اي عنده وبمنزلة في كقوله تعالى
اخرج الذين كفروا من ديارهم لاول الحشر اي في اول الحشر وهي في هذه الاية بهذا المعنى لان المعنى فطلقوهن
في عدتهن اي في الزمان الذي يصلح لعدتهن **فصل** قال القرطبي قوله لعدتهن يقتضي انه
اللاتي دخل بهن الازواج لان غير المدخول بهن خرجن بقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المومنات
ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها وحصل الاجماع على ان الطلاق في
الحيض ممنوع منه وفي الطهر ماذون فيه وهذا يدل على ان القرء هو الطهر **فان قيل** معنى قوله

نطلقوهن لعدتهن اي في قبول عدتهن ولقبول عدتهن وهي قراة النبي صلى الله عليه وسلم كما قال ابن عمر
فقبول العدة اخر الطهر حتى يكون القرء الحيض قيل هذا هو الدليل الواضح لمن قال بان الاقرا هي الاطهار
ولو كان كما قال الحنفي ومن تابعه لوجب ان يقال ان من طلق في اول الطهر لا يكون مطلقا لقبل الحيض
لان الحيض لم يقبل بعد وايضا اقبال الحيض يكون بدخول الحيض وبانقضا الطهر لا يتحقق اقبال
الحيض ولو كان اقبال الشي اوبارمده لكان الصايم مفطرا قبل انقضا النهار ثم اذا طلق في اخر
الطهر فبقية الطهر قرء لان بعض القرء يسمى قرءا كقوله تعالى الحج اشهر معلومات يعني شوال وذو
القعدة وبعض ذي الحجة وكقوله فمن تعجل في يومين وهو ينفر في بعض اليوم الثاني وقال
البغوي معنى قوله لعدتهن اي لطهرهن الذي تحصينه من عدتهن وكان ابن عباس وابن عمر يقرآن
نطلقوهن في قبل عدتهن والاية نزلت في عبد الله بن عمر **فصل** من طلق في طهر جامع
فيه اوحايضا نفذ طلاقه واخطا السنة وقال سعيد بن المسيب في اخرين لا يقع الطلاق في
الحيض لانه خلاف السنة واليه ذهبت الشيعة **فصل** قال عبد الله بن مسعود
طلاق السنة ان يطلقها في كل طهر تطليقة فاذا كان اخر ذلك فتلك العدة التي امر الله بها قال
القرطبي قال علماونا طلاق السنة ما جمع شروطا سبعة وهي ان يطلقها واحدة وهي ممن تحيض
طاهرا لم يمسها في ذلك الطهر ولا يقدمه طلاق في حيض ولا تبعه طلاق في طهر يتلوه وخلا عن العوض
وهذه الشروط السبعة من حديث ابن عمر وقال الشافعي طلاق السنة ان يطلقها في كل طهر خاصة
ولو طلقها ثلاثا في كل طهر لم يكن بدعة قال ابن العربي وهذه غفلة عن الحديث الصحيح فانه قال
مره فليراجعها وهذا يدفع الثلاث وفي الحديث انه قال ارايت لو طلقها ثلاثا قال حرمت عليك
وبانت منك بمعصية وقال ابو حنيفة ظاهر الاية يدل على ان الطلاق الثلاث والواحدة سوا وهو
مذهب الشافعي لولا قوله بعد ذلك لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا وهذا يبطل دخول
الثلاث تحت الاية وبذلك قال اكثر العلما قال القرطبي واما مالك فلم يخف عليه الطلاق الاية
ولكن الحديث فسرها واما قول الشعبي فمردود بحديث ابن عمر واحتج الشافعي بان عبد الرحمن بن عوف
طلق امراته تماضر بنت الاصبغ الكلبية وهي ام ابي سلمة ثلاث تطليقات في كلمة واحدة ولم يبلغنا
ان احدا من الصحابة عاب ذلك وان حفص بن المغيرة طلق امراته فاطمة بنت قيس على عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثلاث تطليقات في كلمة واحدة فابانها منه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولم يبلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عاب ذلك عليه وبحديث عويمر العجلاني لما لاعن قال
يا رسول الله هي طالق ثلاثا فلم ينكر النبي صلى الله عليه وسلم **فصل** روى ابو داود عن اسما
بنت يزيد بن السكن الانصارية انها طلقت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن للمطلقة
عدة فانزل الله تعالى حين طلقت اسما بالعدة للطلاق فكانت اول من انزل فيها العدة للطلاق
قوله واحصوا العدة يعني في المدخول بها اي احفظوا الوقت الذي وقع فيه الطلاق قيل
امر باحصا العدة لتفريق الطلاق على الاقرا اذا اراد ان يطلق ثلاثا وقيل للعلم ببقا زمان الرجعة
ومراعاة امر النفقة والسكنى وفي المخاطب بالاحصا اقوال احدها انهم الازواج والثاني هم الزوجات
والثالث هم المسلمون قال ابن العربي والصحيح انهم الازواج لان الضماير كلها من طلقتم واحصوا
ولا تخرجوهن على نظام واحد فرجع الى الازواج ولكن الزوجات داخلة فيه بالالحاق لان الزوج يحصي
ليراجع وينفق او يقطع وليسكن او يخرج وليلحق نسبه او يقطع وهذه كلها امور مشتركة بينه وبين
المراة وتنفرد المراة دونه بغير ذلك وكذلك الحاكم يفتقر الى احصا العدة للفتوى عليها وفصل الخصومة
عند المنازعة فيها وهذه فوايد الامر باحصا العدة **قوله** واتقوا الله ربكم اي لا تعصوه فلا
تخرجوهن من بيوتهن اي ليس للزوج ان يخرجها من مسكن النكاح ما دامت في العدة ولا يجوز لها الخروج

ايضا لحق الزوج الا لضرورة ظاهرة فان خرجت اثمت ولا تنقطع العدة **فان قيل** ما الحكمة
في قوله تعالى واتقوا الله ربكم ولم يقتصر على قوله واتقوا الله **فالجواب** ان في هذا من المبالغة ما ليس
في ذاك فان لفظ الرب ينبه منه التربية وينبه على كثرة الانعام بوجوه كثيرة فيبالغ في التقوى حينئذ
خوفا من فوت تلك التربية **فصل** والرجعية والمبتوتة في هذا سوا وذلك لصيانة ما
الرجل وهذا معنى اضافة البيوت اليهن كقوله تعالى واذكرن ما يتلى في بيوتكن وقوله تعالى وقرن
في بيوتكن فهو اضافة اسكان لا اضافة تمليك وقوله لا تخرجوهن يقتضي ان يكون حقا على الازواج وقوله
ولا يخرجن يقتضي انه حق على الزوجات فلا يجوز لها ان تخرج ما لم تنقض عدتها فان خرجت لغير ضرورة او
حاجة اثمت فان وقعت ضرورة او خافت هدما او غرقا لها ان تخرج الى منزل اخر وكذلك ان كانت
لها حاجة من بيع غزل او شرا قطن فيجوز لها الخروج نهارا ولا يجوز ليلا فان رجالا استشهدوا باحد
فقالت نساوهم نستوحش في بيوتنا فاذن لهن النبي صلى الله عليه وسلم ان يتحدثن عند احداهن فاذا
كان وقت الليل تاوي كل امراة الى بيتها واذن النبي صلى الله عليه وسلم لخالة جابر لما طلقها زوجها ان
تخرج لجداد نخلها واذا لزمتها العدة في السفر تعتد ذاهبة وجائية والبدوية تتبوى حيث يتبوى اهلها
في العدة لان الانتقال في حقهم كالاقامة في حق المقيم وقال ابو حنيفة ذلك في المتوفى عنها زوجها
واما المطلقة فلا تخرج ليلا ولا نهارا وهذا مردود بحديث فاطمة بنت قيس لما ارسل اليها زوجها ابو حفص
ابن عمرو بتطليقة كانت بقيت من طلاقها وارسل اليها وكيله بشعير فسخطته فقال لها الحارث بن هشام
وعياش بن ابي ربيعة والله ما لك من نفقة الا ان تكوني حاملا فاتت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت
له قولهما فقال لا نفقة لك وفي رواية ولا سكنى فاستاذنت في الانتقال فاذن لها ان تعتد في
بيت ابن ام مكتوم فلما انقضت عدتها انكحها النبي صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد فارسل اليها
مروان قبيصة بن ذويب يسالها عن الحديث فحدثته فقال مروان لم نسمع هذا الحديث الا من
امراة سناخذ بالعصمة التي وجدنا الناس عليها فقالت فاطمة حين بلغها قول مروان بيني وبينكم القران
قال الله عز وجل لا تخرجوهن من بيوتهن قال هذا لمن كانت له رجعة لقوله لعل الله يحدث بعد
ذلك امرا فاي امر يحدث بعد الثلاث فكيف تقولون لا نفقة لها اذا لم تكن حاملا فعلام تحبسونها
لفظ مسلم فبين ان الاية في تحريم الاخراج والخروج انما هو في الرجعية فاستدلت فاطمة بان الاية انما
تضمنت النهي عن خروج المطلقة الرجعية لانها بصدد ان يحدث لمطلقها راي في ارتجاعها ما دامت في
عدتها فكانها تحت تصرف الزوج في كل وقت واما البائن فليس له شي من ذلك فيجوز ان تخرج اذا دعتها
لذلك حاجة **قوله** الا ان ياتين بفاحشة قال ابن عباس وابن عمر والحسن والشعبي ومجاهد هو
الزنا فتخرج ويقام عليها الحد وعن ابن عباس ايضا انه البذا على احمايها فيحل لهم اخراجها وعن سعيد
ابن المسيب انه قال في فاطمة تلك امراة استطالت على احمايها بلسانها فامرها عليه السلام ان تنتقل
وفي كتاب ابي داود قال سعيد تلك امراة فتنت الناس انها كانت لسنة فوضعت على يدي ابن ام
مكتوم الاعمى قال عكرمة في مصحف ابي الا ان يفحش عليكم ويقوي هذا ان محمد بن ابرهيم بن الحارث روى
ان عايشة قالت لفاطمة بنت قيس اتقي الله فانك تعلمين لم اخرجت وعن ابن عباس ايضا ان الفاحشة
كل معصية كالزنا والسرقة والبذا على الاهل وهو اختيار الطبري وعن ابن عمر ايضا والسدي الفاحشة
خروجها من بيتها في العدة وتقدير الاية الا ان ياتين بفاحشة مبينة بخروجهن من بيوتهن بغير حق
اي لو خرجت كانت عاصية وقال قتادة الفاحشة النشوز وذلك ان يطلقها على النشوز فيتحول عن
بيته قال ابن العربي اما من قال انه الخروج للزنا فلا وجه له لان ذلك الخروج هو خروج القتل
والاعدام وليس ذلك بمستثنى في حلال ولا احرام واما من قال انه البذا فهو مفسر في حديث فاطمة
بنت قيس واما من قال انه كل معصية فوهم لان الغيبة ونحوها من المعاصي لا يبيح الاخراج ولا الخروج

واما من قال انه الخروج بغير حق فهو صحيح وتقدير الكلام لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن شرعا الا
ان يخرجن تعديا **قوله** مبينة قرئ بكسر اليا ومعناه ان الفاحشة اذا تفكرت بها تبين انها
فاحشة وقرئ بفتح اليا المشددة والمعني انها مبرهنة بالبراهين ومبينة بالحجج **قوله**
وتلك حدود الله اي هذه الاحكام المبينة احكام الله علي العباد وقد منع التجاوز عنها فمن
تجاوزها فقد ظلم نفسه واوردها موردا الهلاك **قوله** لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك
امرا الامر الذي يحدث الله ان يقلب قلبه من بغضها الي محبتها ومن الرغبة عنها الي الرغبة فيها
ومن عزيمة الطلاق الي الندم عليه فيراجعها وقال جميع المفسرين اراد بالامر هنا الرغبة في الرجعة
ومعني الكلام التحريض علي طلاق الواحدة والنهي عن الثلاث فانه اذا طلق ثلاثا اضر بنفسه عند الندم
علي الفراق والرغبة في الارتجاع فلا يجد للرجعة سبيلا وقال مقاتل معني قوله بعد ذلك اي بعد
طلقة او طلقتين امرا اي المراجعة من غير خلاف **قوله** لعل الله هذه الجملة مستانفة لا تعلق
لها بما قبلها لان النحاة لم يعدوها في المعلقات وقد جعلها ابو حيان مما ينبغي ان يعد فيهن ومن ذلك
في قوله وان ادري لعله فتنة لكم فهنالك يطلب تحريره **قوله** فاذا بلغن اجلهن قرا العامة
اجلهن لان الاجل من حيث هو واحد وان اختلفت انواعه بالنسبة الي المعتدات والضحاك وابن سيرين
اجالهن جمع تكسير اعتبارا بان اجالهن غير اجال تلك **فصل** معني قوله فاذا بلغن
اجلهن اي قاربن انقضا العدة كقوله تعالي اذا طلقتم النسا فبلغن اجلهن فامسكوهن اي قربن من
انقضا الاجل فامسكوهن بمعروف يعني المراجعة بالمعروف اي بالرغبة من غير قصد المضارة في الرجعة
تطويلا لعدتها كما تقدم في البقرة او فارقوهن بمعروف اي اتركوهن حتي تنقضي عدتهن فيملكن انفسهن
وفي قوله فاذا بلغن اجلهن ما يوجب ان يكون القول قول المراة في انقضا عدتها اذا ادعت ذلك علي
ما تقدم في البقرة عند قوله تعالي ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن الاية **فصل**
قال بعض العلما في قوله تعالي فامسكوهن بمعروف او فارقوهن بمعروف وقوله فامساك بمعروف او تسريح
باحسان ان الزوج له حق في بدن المراة ولها حق في بدنه وذمته فكل من له دين في ذمة غيره سواء
كان مالا او منفعة من ثمن او مثمن او اجرة او منفعة او صداق او نفقة او بدل متلف او ضمان
منصوب فعليه ان يودي ذلك الحق الواجب باحسان وعلي صاحب الحق ان يتبع باحسان كما قال
تعالي في اية القصاص فمن عفي له من اخيه شي فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان وكذلك الحق الثابت
في بدنه مثل حق الاستمتاع والاجارة علي عينه ونحو ذلك الطالب يطلب بمعروف والمطلوب يودي
باحسان **قوله** واشهدوا ذوي عدل منكم امر بالاشهاد علي الطلاق وقيل علي الرجعة قال
القرطبي والظاهر رجوعه الي الرجعة لا الي الطلاق فان راجع من غير اشهاد ففي صحة الرجعة قولان
وقيل المعني واشهدوا عند الرجعة والفرقة جميعا وهذا الاشهاد مندوب اليه عند ابي حنيفة كقوله
تعالي واشهدوا اذا تبايعتم وعند الشافعي واجب في الرجعة مندوب اليه في الفرقة وفايدة الاشهاد
ان لا يقع بينهما التجاحد وان لا يتهم في امساكها ولئلا يموت احدهما فيدعي الباقي ثبوت الزوجية ليرث
فصل الاشهاد علي الرجعة ندب عند الجمهور واذا جامع او قبل او باشر يريد بذلك
الرجعة فليس براجع وقال ابو حنيفة واصحابه اذا قبل او باشر او لمس بشهوة فهو رجعة وكذلك النظر
الي الفرج رجعة وقال الشافعي وابو ثور اذا تكلم بالرجعة فهي رجعة وقيل وطيه مراجعة علي كل حال
نواها او لم ينوها وهو مذهب احمد واليه ذهب الليث وبعض المالكية قال القرطبي وكان مالك يقول
اذا وطي ولم ينو الرجعة فهو وطي فاسد ولا يعود الي وطيها حتي يستبريها من مايه الفاسد وله الرجعة
في بقية العدة الاولي وليست له رجعة في هذا الاستبرا **فصل** اوجب الاشهاد في الرجعة
الامام احمد في احدي الروايتين عنه والشافعي كذلك لظاهر الامر وقال مالك وابو حنيفة واحمد

والشافعي

والشافعي في القول الاخر ان الرجعة لا تفتقر الي القبول فلم تفتقر الي الاشهاد كسائر الحقوق وخصوصا
حل الظهار بالكفارة **فصل** اذا ادعي بعد انقضا العدة انه راجع امراته في العدة فان
صدقته جاز وان انكرت حلفت فان اقام بينة انه ارتجعها في العدة ولم تعلم بذلك لم يضره جهلها
وكانت زوجته وان كانت قد تزوجت ولم يدخل بها ثم اقام الاول البينة علي رجعتها فعن مالك في
ذلك روايتان احدهما ان الاول احق بها والاخري ان الثاني احق بها فان كان الثاني قد دخل بها فلا
سبيل للاول اليها **قوله** ذوي عدل منكم قال الحسن من المسلمين وعن قتادة من احراركم وذلك
يوجب اختصاص الشهادة علي الرجعة بالذكور دون الاناث لان ذوي للمذكر قال القرطبي ولذلك
قال علماونا لا مدخل للنسا فيما عدا الاموال وتقدم ذلك في البقرة **قوله** واقيموا الشهادة لله اي
تقربا الي الله في اقامة الشهادة علي وجهها اذا مست الحاجة اليها من غير تبديل ولا تغيير ذلكم
يوعظ به اي يرضي به من كان يومن بالله واليوم الاخر فاما غير المومن فلا ينتفع بهذه المواعظ **قوله**
ومن يتق الله يجعل له مخرجا قال الزمخشري قوله ومن يتق الله جملة اعتراضية موكدة لما سبق
من امر الطلاق علي السنة كما مر روي ان النبي صلي الله عليه وسلم سيل عمن طلق ثلاثا او الفا هل له من مخرج
فتلاها وقال ابن عباس والشعبي والضحاك هذه في الطلاق خاصة اي من طلق كما امره الله يكون له
مخرج في الرجعة في العدة وان يكون كاحد الخطاب بعد العدة وعن ابن عباس ايضا يجعل له مخرجا ينجيه
من كل كرب في الدنيا والاخرة وقيل المخرج هو ان يقنعه الله بما رزقه قاله علي بن صالح وقال الكلبي
ومن يتق الله بالصبر عند المصيبة يجعل له مخرجا من النار الي الجنة وقال الحسن مخرجا مما نهي الله عنه وقال
ابو العالية مخرجا من كل شدة وقال الربيع بن خيثم مخرجا من كل شي ضاق علي الناس وقال الحسين بن
الفضل ومن يتق الله في ادا الفرايض يجعل له مخرجا من العقوبة ويرزقه الثواب من حيث لا يحتسب
اي يبارك له فيما اتاه وقال سهل بن عبد الله ومن يتق الله في اتباع السنة يجعل له مخرجا من عقوبة اهل
البدع ويرزقه الجنة من حيث لا يحتسب وقال ابو سعيد الخدري ومن تبرا من حوله وقوته بالرجوع الي
الله يجعل له مخرجا مما كلفه الله بالمعونة له وتاول ابن مسعود ومسروق الاية علي العموم وقال ابو ذر
قال النبي صلي الله عليه وسلم اني لاعلم اية لو اخذ الناس بها لكفتهم وتلا ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه
من حيث لا يحتسب فما زال يكررها ويعيدها وقال ابن عباس قرا النبي صلي الله عليه وسلم ومن يتق الله
يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب قال مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدايد
يوم القيمة وقال اكثر المفسرين نزلت في عوف بن مالك الاشجعي اسر المشركون ابنا له يسمي سالما فاتي رسول
الله صلي الله عليه وسلم يشكو اليه الفاقة وقال ان العدو اسر ابني وجزعت الام فما تامرني فقال عليه
السلام اتق الله واصبر وامرك واياها ان تستكثرا من قول لا حول ولا قوة الا بالله فعاد الي بيته وقال
ان رسول الله صلي الله عليه وسلم امرني واياك ان نستكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
فقالت نعم ما امرنا به فجعلا يقولان فغفل العدو عن ابنه فساق غنمهم وجا بها الي ابيه وهي اربعة الاف
شاة فنزلت الاية وجعل النبي صلي الله عليه وسلم تلك الاغنام له وروي انه جا وقد اصاب ابلا من
العدو وكان فقيرا فقال الكلبي انه اصاب خمسين بعيرا وفي رواية وفي رواية فانفلت ابنه من الاسر
وركب ناقة للقوم ومر في طريقه بسرح لهم فاستاقه وقال مقاتل اصاب غنما ومتاعا فسال ابوه النبي
صلي الله عليه وسلم ايحل لي ان اكل مما اتي به ابني قال نعم ونزلت ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه
من حيث لا يحتسب وروي الحسن عن عمران بن الحصين قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم من انقطع
الي الله كفاه الله كل مونة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الي الدنيا وكله الله اليها وقال
الزجاج اي اذا اتقي واثر الحلال والصبر علي اهله فتح الله عليه ان كان ذا ضيقة ورزقه من حيث
لا يحتسب وعن ابن عباس ان النبي صلي الله عليه وسلم قال من اكثر الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن

كل ضيق مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب **قوله** ومن يتوكل على الله فهو حسبه اي من فوض اليه امره كفاه ما اهمه وقيل من اتقى الله وجانب المعاصي وتوكل عليه فله فيما يعطيه في الاخرة من ثوابه كفاية ولم يرد الدنيا لان المتوكل قد يصاب في الدنيا وقد يقتل وقال عليه السلام لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا **قوله** ان الله بالغ امره قرا حفص بالغ من غير تنوين امره مضاف اليه على التخفيف والباقون بالتنوين والنصب وهو الاصل خلافا لابي حيان وقرا ابن ابي عبلة وداود بن ابي هند وابو عمرو في رواية بالغ امره بتنوين بالغ ورفع امره وفيه وجهان احدهما ان يكون بالغ خبرا مقدما وامره مبتدا موخر والجملة خبر ان والثاني ان يكون بالغ خبر ان وامره فاعل به قال الفرا اي امره بالغ وقيل امره مرتفع ببالغ والمفعول محذوف والتقدير بالغ امره ما اراد وقرا المفضل بالغا بالنصب امره بالرفع وفيه وجهان اظهرهما وهو تخريج الزمخشري ان يكون بالغا نصبا على الحال وقد جعل الله هو خبر ان تقديره ان الله قد جعل لكل شيء قدرا بالغا امره والثاني ان يكون على لغة من ينصب الاسم والخبر بها كقوله ان حراسنا اسدا ويكون قد جعل مستانفا كما في القراة الشهيرة ومن رفع امره فمفعول بالغ محذوف تقديره ما شا كما تقدم عن القرطبي **فصل** قال مسروق يعني قاض امره فيمن توكل عليه وفيمن لم يتوكل عليه الا ان من توكل عليه يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا **قوله** قد جعل الله لكل شيء قدرا قيل انه من قوله تعالى فاذا بلغن اجلهن الى قوله مخرجا اية ومنه الى قوله تعالى قدرا اية اخرى وعند الكوفي والمدني المجموع اية واحدة وقرا جناح بن حبيش قدرا بفتح الدال والمعنى لكل شيء من الشدة والرخا اجلا ينتهي اليه وقيل تقديرا وقال السدي هو قدر الحيض في الاجل والعدة وقال عبد الله بن رافع لما نزل قوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه قال اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فنحن اذا توكلنا عليه نرسل ما كان لنا ولا نحفظه فنزلت ان الله بالغ امره فيكم وعليكم وقال الربيع بن خثيم ان الله تعالى قضى على نفسه ان من توكل عليه كفاه ومن امن به هداه ومن اقرضه جازاه ومن وثق به نجاه ومن دعاه اجاب له وتصديق ذلك في كتاب الله ومن يومن بالله يهد قلبه ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم واذا سالك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان **قوله تعالى** واللاي يئسن تقدم الخلاف فيه وابو عمرو يقراهنا واللاي يئسن بالاظهار وقاعدته في مثله الادغام الا انه لما كانت عنده عارضة لكونها بدلا من همزة فكانه لم يجتمع مثلان وايضا فان سكونها عارض فكان يا اللاي متحركة والحرف مادام متحركا لا يدغم في غيره وقرا ييسن فعلا ماضيا وقرئ ييسن مضارعا ومن المحيض من نسايكم من الاولى لابتدا الغاية وهي متعلقة بالفعل قبلها والثانية للبيان متعلقة بمحذوف واللاي مبتدا وفعدتهن مبتدا ثان وثلاثة اشهر خبره والجملة خبر الاول والشرط معترض وجوابه محذوف ويجوز ان يكون ان ارتبتم جوابه فعدتهن ثلاثة اشهر والجملة الشرطية خبر المبتدا ومتعلق الارتياب محذوف تقديره ان ارتبتم في انها يئست ام لا لامكان ظهور حمل وان كان انقطع دمها وقيل ان ارتبتم في دم البالغات مبلغ الياس اهو دم حيض او استحاضة واذا كان هذا عدة المرتاب فيها فغير المرتاب فيها اولى واغرب ما قيل ان ارتبتم بمعنى تيقنتم فهو من الاضداد **قوله** واللاي لم يحضن مبتدا خبره محذوف تقديره جملة كالاولى اي فعدتهن ثلاثة اشهر ايضا والاولى ان يقدر مفردا اي فكذلك او مثلهن ولو قيل بانه معطوف على اللاي يئسن عطف المفردات واخبر عن الجميع بقوله فعدتهن لكان وجها حسنا واكثر ما فيه توسط الخبر بين المبتدا وما عطف عليه وهذا الظاهر قول ابي حيان واللاي لم يحضن معطوف على قوله واللاي يئسن فاعرابه مبتدا كاعراب واللاي **قوله** واولات الاحمال مبتدا واجلهن مبتدا ثان وان يضعن خبر المبتدا الثاني وهو وخبره خبر الاول والعامة على افراد حملهن والضحاك اجالهن **فصل** لما بين امر

الطلاق والرجعة في التي تحيض وكانوا قد عرفوا عدة ذوات الاقرا عرفهم في هذه السورة عدة التي لا ترى الدم قال ابو عثمن عمر بن سليمن لما نزلت عدة النسا في سورة البقرة في المطلقة والمتوفي عنها زوجها قال ابي بن كعب يا رسول الله ان ناسا يقولون قد بقي من النسا من لم يذكر فيهن شي الصغار والكبار وذوات الحمل فنزلت واللاي يئسن الاية وقال مقاتل لما ذكر قوله تعالى والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء قال خلاد بن النعمن يا رسول الله فما عدة التي لم تحض وعدة التي انقطع حيضها وعدة الحبلى فنزلت واللاي يئسن من المحيض من نسايكم يعني قعدن عن الحيض وقيل ان معاذ بن جبل سال عن عدة الكبيرة التي يئست فنزلت الاية وقال مجاهد الاية واردة في المستحاضة لا تدري دم حيض هو او دم علة **فصل** قال المفسرون واللاي يئسن من المحيض من نسايكم فلا يرجون ان يحضن ان ارتبتم اي شككتم وقيل تيقنتم وهو من الاضداد يكون شكا ويقينا كالظن واختيار الطبري ان يكون المعنى ان شككتم فلم تدروا ما الحكم فيهن وقال الزجاج ان ارتبتم في حيضها وقد انقطع عنها الحيض وكانت ممن يحيض مثلها قال القشيري وفي هذا نظر لانا اذا شككنا هل بلغت سن الاياس لم نقل عدتها ثلاثة اشهر والمعتبر في سن الاياس في قول اقصى عادة امراة في العالم وقيل غالب نسا عشيرة المراة وقال مجاهد قوله ان ارتبتم للمخاطبين يعني لم تعلموا عدة الايسة والتي لم تحض فالعدة هذه وقيل المعنى ان ارتبتم ان الدم الذي يظهر منها من اجل كبر او من الحيض المعهود او من الاستحاضة فالعدة ثلاثة اشهر وقال عكرمة وقتادة من الريبة المراة المستحاضة التي لا يستقيم لها الحيض تحيض في اول الشهر مرارا وفي الاشهر مرة وقيل انه متصل باول السورة والمعنى لا تخرجوهن من بيوتهن ان ارتبتم في انقضا العدة قال القرطبي وهو اصح ما قيل فيه **فصل** المرتابة في عدتها لم تنكح حتى تستبري نفسها من ريبتها ولا تخرج من العدة الا بارتفاع الريبة وقد قيل في المرتابة التي ارتفع حيضها لا تدري ما رفعه انها تنتظر سنة من يوم طلقها زوجها منها تسعة اشهر استبرا وثلاثة عدة فان طلقها فحاضت حيضة او حيضتين ثم ارتفع حيضها بغير ياس منها انتظرت تسعة اشهر ثم ثلاثة من يوم طهرت من حيضها ثم حلت للازواج وهذا قول الشافعي بالعراق فعلى قياس هذا القول تقيم الحرة المتوفي عنها زوجها المستبراة بعد التسعة اشهر اربعة اشهر وعشرا والامة شهرين وخمس ليال بعد التسعة الاشهر وروي عن الشافعي ايضا ان اقراها على ما كانت حتى تبلغ سن الايسات وهو قول النخعي والثوري وغيرهما وحكاه ابو عبيد عن اهل العراق **فصل** اذا ارتابت المراة الشابة هل هي حامل ام لا فان استبان حملها فاجلها وضعه وان لم يستبن فقال مالك عدة التي ارتفع حيضها وهي شابة سنة وبه قال احمد واسحاق ورووه عن عمر بن الخطاب وغيره واهل العراق يرون ان عدتها ثلاث حيض بعد ما كانت حاضت مرة واحدة في عمرها وان مكثت عشرين الى ان تبلغ من الكبر سنا تياس فيه من الحيض فيكون عدتها بعد الاياس ثلاثة اشهر قال الثعلبي وهذا الاصح من مذهب الشافعي وعليه جمهور العلما ذلك عن ابن مسعود واصحابه قال الكيا وهو الحق لان الله تعالى جعل عدة الايسة ثلاثة اشهر والمرتابة ليست ايسة **فصل** فاما من تاخر حيضها لمرض فقال مالك وبعض اصحابه تعتد تسعة اشهر ثم ثلاثة وقال اشهب هي كالمرضع بعد الفطام بالحيض او بالسنة وقد طلق حبان بن منقذ امراته وهي ترضع فمكثت سنة لا تحيض لاجل الرضاع ثم مرض حبان فخاف ان ترثه فخاصم الى عثمن وعنده علي وزيد فقالا نرى ان ترثه لانها ليست من القواعد ولا من الصغار فمات حبان فورثته واعتدت عدة الوفاة **فصل** لو تاخر الحيض لغير مرض ولا رضاع فانها تنتظر سنة لا حيض فيها تسعة اشهر ثم ثلاثة كما تقدم فتحل ما لم ترتب بحمل فان ارتابت بحمل اقامت اربعة اعوام او خمسة او سبعة على الاختلاف قال القرطبي واشهر الاقوال خمسة اعوام فان تجاوزتها حلت وقال اشهب لا تحل ابدا حتى ينقطع عنها الريبة قال ابن العربي وهو الصحيح لانه اذا جاز ان يبقى الولد في بطنها خمسة اعوام

جاز ان يبقى عشرة واكثر من ذلك وروي مثله عن مالك **فصل** واما التي جهل حيضها بالاستحاضة ففيها اقوال قال ابن المسيب تعتد سنة وهو قول الليث قال الليث عدة المطلقة المتوفى عنها زوجها اذا كانت مستحاضة سنة قال القرطبي وهو مشهور قول علمائنا سواء علمت دم حيضها من دم استحاضتها وميزت ذلك او لم تميز عدتها في مذهب مالك سنة منها تسعة اشهر استبراء وثلاثة عدة وقال الشافعي في احد اقواله عدتها ثلاثة اشهر وهو قول جماعة من التابعين والمهاجرين قال ابن العربي وهو الصحيح عندي وقال ابو عمر المستحاضة اذا علمت اقبال حيضتها وادبارها اعتدت بثلاثة قروء قال القرطبي وهذا اصح في النظر واثبت في القياس والاثر **قوله** واللائي لم يحضن يعني الصغيرة فعدتهن ثلاثة اشهر فاضمر الخبر وانما كانت عدتها بالاشهر لعدم الاقراء فيها عادة والاحكام انما اجراها الله تعالى على العادات تعتد بالاشهر فان رات الدم في زمن احتماله عند النساء انتقلت الى الدم لوجود الاصل واذا وجد الاصل لم يبق للبدل حكم كما ان المسنة اذا اعتدت بالدم ثم ارتفع عادت الى الاشهر وهذا اجماع **فصل** واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن وان كان ظاهرا في المطلقة لانه عليها عطف واليها رجع عقب الكلام فانه في المتوفى عنها زوجها كذلك لعموم الاية وحديث سبيعة كما مضى في سورة البقرة فاذا وضعت المراة ما في بطنها من علقة او مضغة حلت عند مالك وقال الشافعي واحمد وابو حنيفة لا تحل الا بوضع ما يتبين فيه شي من خلق الانسان فان كانت حاملا بتوامين لم تنقض عدتها حتى تضع الثاني منهما **قوله** ومن يتق الله يجعل له من امره يسرا اي من يتقه في طلاق السنة يجعل له من امره يسرا في الرجعة وقال مقاتل ومن يتق الله في اجتناب معاصيه يجعل له من امره يسرا في توفيقه للطاعة ذلك امر الله اي الذي ذكر من الاحكام امر الله انزله اليكم وبينه لكم ومن يتق الله اي يعمل بطاعته يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا اي في الاخرة **قوله** ويعظم له هذه قراءة العامة مضارع اعظم وابن مقسم يعظّم بالتشديد مضارع عظّم مشددا والاعمش بالنون مضارع اعظم وهو التفات من غيبة الى تكلم **قوله** اسكنوهن قال ابن الخطيب اسكنوهن وما بعده بيان لما شرط من التقوى في قوله ومن يتق الله كانه قيل كيف نعمل بالتقوى في شان المعتدات فقيل اسكنوهن **قوله** من حيث سكنتم فيه وجهان احدهما ان من للتبعيض قال الزمخشري مبعضها محذوف معناه اسكنوهن مكانا من حيث سكنتم اي بعض مكان سكناكم كقوله تعالى يغضوا من ابصارهم اي بعض ابصارهم قال قتادة ان لم يكن الا بيت واحد اسكنها في بعض جوانبه قال ابن الخطيب وقال الكلبي من صلة والمعنى اسكنوهن حيث سكنتم والثاني انها لابتداء الغاية قاله الحوفي وابو البقا والمعنى تسببوا الى اسكانهن من الوجه الذي تسكنون انفسكم ودل عليه قوله من وجدكم والوجد الغنى **قوله** من وجدكم فيه وجهان اظهرهما انه بدل من قوله من حيث بتكرار العامل واليه ذهب ابو البقا كانه قيل اسكنوهن من سعتكم والثاني انه عطف بيان لقوله من حيث سكنتم واليه ذهب الزمخشري كانه قال بعد ان اعرب من حيث تبعيضية قال فان قلت فقوله من وجدكم ما قلت هو عطف بيان لقوله من حيث سكنتم ومفسر له كانه قيل اسكنوهن مكانا من مسكنكم مما تطيقونه والوجد الوسع والطاقة وناقشه ابو حيان بانه لم يعهد في عطف البيان اعادة العامل انما عهد هذا في البدل ولذلك اعربه ابو البقا بدلا وقرا العامة وجدكم بضم الواو والحسن والاعرج وابو حيوة بفتحها والفياض بن غزوان وعمرو بن ميمون ويعقوب بكسرها وهي لغات بمعنى واحد ويقال وجدت في المال اجد وجدا وجدة والوجد الغنى والمقدرة والوجد بفتح الواو الحزن ايضا والحب والغضب **فصل** قال القرطبي روى اشهب عن مالك يخرج عنها اذا طلقها ويتركها في المنزل لقوله تعالى اسكنوهن فلو كان معها ما قال اسكنوهن وقال ابن نافع قال مالك في قوله تعالى اسكنوهن من حيث سكنتم يعني المطلقات اللائي بن من ازواجهن فلا رجعة لهم عليهن وليست حاملا فلها السكنى ولا نفقة لها ولا كسوة لانها باينة منه ولا يتوارثان ولا رجعة له عليها وان كانت حاملا فلها الكسوة

والنفقة

والنفقة والمسكن حتى تنقضي عدتها قال البغوي ونعني بالكسوة مؤنة السكن فان كانت الدار التي طلقها فيها ملكا للزوج وجب على الزوج ان يخرج ويترك الدار لها مدة عدتها وان كانت باجارة فعلى الزوج الاجرة وان كانت عارية فرجع المعير فيها فعليه ان يكتري لها دارا تسكنها فاما من لم تبن منه فانها امراته يتوارثان ولا تخرج الا باذن زوجها ما دامت في العدة ولم يؤمر زوجها بالسكنى لها لان ذلك لازم للزوج مع النفقة والكسوة حاملا كانت او غير حامل وانما امر الله بالسكنى للبائن قال تعالى وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فجعل عز وجل للحوامل البائنات من ازواجهن السكنى والنفقة قال ابن العربي ان الله تعالى لما ذكر السكنى اطلقه لكل مطلقة فلما ذكر النفقة قيدها بالحمل فدل على ان المطلقة البائن لا نفقة لها قال القرطبي اختلف العلما في المطلقة ثلاثا على ثلاثة اقوال فمذهب مالك والشافعي ان لها السكنى ولا نفقة لها ومذهب ابي حنيفة واصحابه ان لها السكنى والنفقة ومذهب احمد واسحق وابي ثور لا نفقة لها ولا سكنى لحديث فاطمة بنت قيس قالت دخلت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعي اخو زوجي فقلت ان زوجي طلقني وان هذا يزعم ان ليس لي سكنى ولا نفقة قال بل لك السكنى والنفقة قال ان زوجها طلقها ثلاثا فقال النبي صلى الله عليه وسلم انما السكنى والنفقة على من له عليها رجعة فلما قدمت الكوفة طلبني الاسود بن يزيد ليسالني عن ذلك وان اصحاب عبد الله يقولون ان لها السكنى والنفقة وعن الشعبي قال لقيني الاسود بن يزيد فقال يا شعبي اتق الله وارجع عن حديث فاطمة بنت قيس فان عمر كان يجعل لها السكنى والنفقة قلت لا ارجع عن شي حدثتني فاطمة بنت قيس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولانه لو كان لها سكنى لما امر النبي صلى الله عليه وسلم ان تعتد في بيت ابن ام مكتوم واجيب عن ذلك بما روت عايشة انها قالت كانت فاطمة في مكان وحش فخيف على ناحيتها وقال سعيد بن المسيب انما نقلت فاطمة لطول لسانها على احمائها وقال قتادة وابن ابي ليلى لا سكنى الا للرجعية لقوله تعالى لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا وقوله تعالى اسكنوهن راجع الى ما قبله وهي المطلقة الرجعية **فصل** قال البغوي واما المعتدة من وطي الشبهة والمنسوخ نكاحها بعيب او خيار عتق فلا سكنى لها ولا نفقة وان كانت حاملا والمعتدة من وفاة زوج لا نفقة لها حاملا كانت او حايلا عند اكثر العلماء وروي عن علي ان لها النفقة ان كانت حاملا من التركة حتى تضع وهو قول شريح والشعبي والنخعي والثوري واختلفوا في سكناها فللشافعي قولان لا سكنى لها بل تعتد حيث شاءت وهو قول علي وابن عباس وعايشة وبه قال عطا والحسن وهو مذهب ابي حنيفة والثاني لها السكنى وهو قول عمر وعثمن وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وبه قال مالك وسفيان الثوري واحمد واسحق لما روي كعب بن عجرة عن عمته زينب بنت كعب ان الفريعة بنت مالك ابن سنان وهي اخت ابي سعيد الخدري اخبرتها انها جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تساله ان ترجع الى اهلها في بني خدرة فان زوجها خرج في طلب اعبد له ابقوا حتى اذا كانوا بطرف القدوم لحقهم فقتلوه فسالت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ارجع الى اهلي فان زوجي لم يتركني في منزل يملكه ولا نفقة فقالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم فانصرفت حتى اذا كنت في الحجرة او في المسجد دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم او امر بي فدعيت له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف قلت قالت فرددت عليه القصة التي ذكرت له من زوجي فقال امكثي حتى يبلغ الكتاب اجله قالت فاعتددت فيه اربعة اشهر وعشرا قالت فلما كان عثمن ارسل الي فسالني عن ذلك فاخبرته فاتبعه وقضى به فمن قال بهذا القول قال اذنه لفريعة اولا بالرجوع الى اهلها صار منسوخا بقوله امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب اجله ومن لم يوجب السكنى قال امرها بالمكث آخرا استحبابا لا وجوبا **قوله** ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن قال مجاهد في المسكن وقال مقاتل في النفقة وهو قول ابي حنيفة وعن ابي الضحى هو ان يطلقها فاذا بقي يومان من عدتها راجعها ثم طلقها **قوله** وان كن اولات حمل فانفقوا

عليهن حتى يضعن حملهن هذا في وجوب النفقة والسكنى للحامل المطلقة ثلاثا او اقل حتى تضع حملها فاما
الحامل المتوفى عنها زوجها فقال علي وابن عمر وابن مسعود وشريح والنخعي والشعبي وحماد وابن ابي ليلى وسفيان
واصحابه ينفق عليها من جميع المال حتى تضع وقال ابن عباس وابن الزبير وجابر بن عبد الله ومالك والشافعي
وابو حنيفة واصحابهم لا ينفق عليها الا من نصيبها وقد مضى في البقرة **قوله** فان ارضعن لكم يعني المطلقات
اولادكم منهن فعلى الآباء ان يعطوهن اجرة رضاعهن وللرجل ان يستاجر امراته للرضاع كما يستاجر اجنبية
ولا يجوز عند ابي حنيفة واصحابه الاستيجار اذا كان الولد منهن ما لم يبن ويجوز عند الشافعي وتقدم القول
في الرضاع في البقرة **قوله** وائتمروا افتعلوا من الامر يقال ائتمر القوم وتآمروا اي امر بعضهم
بعضا وقال الكسائي ائتمروا تشاوروا وتلا قوله تعالى ان الملا يأتمرون وانشد قول امرئ
القيس ويعدو على المرء ما يأتمر **فصل** الخطاب في قوله وائتمروا للازواج والزوجات
اي وليقبل بعضكم من بعض ما امر به من المعروف الجميل والجميل منه توفير الاجرة عليها للارضاع
وقيل ائتمروا في رضاع الولد فيما بينكم بمعروف حتى لا يلحق الولد اضرار وقيل هو الكسوة والدثار وقيل
معناه لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده **قوله** فسترضع قيل هو خبر في معنى الامر والضمير
في له للاب لقوله تعالى فان ارضعن لكم والمفعول محذوف للعلم به اي فسترضع الولد لوالده امراة اخرى
والظاهر انه خبر على بابه **فصل** وان تعاسرتم اي في اجرة الرضاع فابى الزوج ان يعطي
الام اجرة رضاعها وابت الام ان ترضعه فليس له اكراهها وليستاجر غيرها وقيل معناه وان تضايقتم
وتشاكستم فليسترضع لولده غيرها وقال الضحاك ان ابت الام ان ترضع استاجر لولده اخرى فان
لم يقبل اجبرت امه على الرضاع بالاجرة واختلفوا فيمن يجب عليه رضاع الولد فقال مالك رضاع
الولد على الزوجة ما دامت الزوجية الا لشرفها وموضعها فعلى الاب رضاعه يومئذ في ماله وقال
ابو حنيفة لا يجب على الام بحال وقيل يجب عليها بكل حال **فصل** فان طلقها فلا يجب عليها
رضاعه الا ان لا يقبل ثدي غيرها فيلزمها حينئذ الارضاع فان اختلفا في الاجرة فان دعت
الى اجرة المثل وامتنع الاب الا تبرعا فالام اولى باجر المثل اذا لم يجد الاب متبرعة وان دعا الاب
الى اجر المثل وامتنعت الام لتطلب شططا فالاب اولى به فان اعسر الاب باجرتها اجبرت على
رضاع ولدها **قوله** لينفق هذه قراءة العامة اعني كسر اللام وجزم المضارع بها وحكى ابو معاذ
القاري لينفق بنصب الفعل على انها لام كي نصب الفعل بعدها باضمار ان ويتعلق الحرف حينئذ بمحذوف
اي شرعنا ذلك لينفق وقرا العامة قدر مخففا وابن ابي عبلة قدر مشددا **فصل** قال
القرطبي هذه الاية اصل في وجوب النفقة للولد على الوالد دون الام خلافا لمحمد بن المواز يقول
انها على الابوين على قدر الميراث قال ابن العربي ولعل محمدا اراد انها على الام عند عدم الاب وفي البخاري
عن النبي صلى الله عليه وسلم تقول لك المراة انفق علي والا طلقني ويقول لك العبد انفق علي واستعملني
ويقول لك ابنك انفق علي الى من تكلني فقد تعاضد القران والسنة وتواردا في شرعة واحدة **قوله**
لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها اي من المال والمعنى لا يكلف الله الفقير مثل ما يكلف الغني سيجعل الله
بعد عسر يسرا اي بعد الضيق غنى وبعد الشدة سعة **فصل** قال ابن تيمية اذا اختلف
الزوجان في قبض النفقة والكسوة فقال القاضي ابو يعلى واتباعه ان القول قول الزوجة وهو
مذهب ابي حنيفة والشافعي كما لو اختلف اثنان في قبض سائر الحقوق مثل الصداق وثمن المبيع
ونحو ذلك ومذهب مالك بخلاف ذلك وقال الغزالي فيها وجهان وحسنوا قول الزوج قال ابن تيمية
وكذلك يحكى لاصحاب احمد وجهان كما لو كان الصداق منفعة حصلت لها فقالت حصلت من غيرك
وقال بل حصلت مني مثل ان يصدقها تعليم قصيدة او غيرها مما يجوز جعله صداقا فانها اذا تعلمت من
غيره كان عليه الاجرة فان قال انا علمتها وقالت بل غيري فيها وجهان فهكذا في النفقة فانها لا بد

ان تكون قد ارتزقت في الزمن الماضي فهو يقول انا رزقتها وهي تقول بل غيره والصواب المقطوع
به انه لا يقبل قولها في ذلك مطلقا فان هذا فيه فساد عظيم على هذا القول في مذهب الشافعي وقول
احمد الموافق له ولا يجيء ذلك على مذهب مالك ولا على مذهب ابي حنيفة وقول احمد الموافق له فانا اذا قلنا
نفقة الزوجة تسقط بمضي الزمان لم يقبل دعواها بالنفقة الماضية وانما يجيء على قولنا ان نفقة
الزوجة لا تسقط بمضي الزمان كما هو المشهور من مذهب احمد وهو قول الشافعي والعمدة في ذلك
الاثر المعروف عن عمر بن الخطاب قال ابن المنذر ثبت ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب الى امراء
الاجناد في رجال غابوا عن نسائهم فامرهم ان ينفقوا او يطلقوا فان طلقوا بعثوا بنفقة ما مضى
وليس قبول قول الزوجة في ذلك ما تورع عن احد ولا ملائما لاصوله فانه في تداعي الزوجين فيما
يرجح من تشهد له اليد الحكمية العرفية دون اليد الحسية ومعلوم ان المدعى عليه يترجح تارة باليد
في الاعيان وببراءة الذمة في الحقوق فكما انه في اليد لم يلتفت الى مجرد الحس بل يرجع الى اليد الحكمية
التي يستدل عليها بالافعال والتصرفات فكذلك في الاصل لا يلتفت الى مجرد العدم الحسي بل يرجع
الى الاصل الذي يدل عليه الافعال والتصرفات اذ الاصل الشرعي في الدعاوي ترجيح من الظاهر معه
والظهور يستدل عليه بالافعال والتصرفات والامور العادية كما يستدل عليه بمجرد اليد الحسية فاذا
كانت العادة الغالبة والعرف المعروف يقتضي وجود فعل لم يكن الظاهر عدمه حتى يرجح قول
من يدعي عدمه وهذا ينبني على اصول احدها انه قد وجد نفقة وكسوة وانما تنازعا في المنفق
فقال هو مني وقالت هي من غيرك فهنا الاصل عدم غيره ثم انها تطالب بتعيين ذلك الغير فان
ادعت ممتنعا لم تقبل بحال وان ادعت ممكنا فهنا محل التردد فان اتفاقه واجب والام الحادث
يضاف الى السبب القوي دون الضعيف والاصل الثاني ان العادة والعرف اذا قضى بوجود امر
فهل القول قول نافيه او قول مثبته والاصل الثالث ان ما يتعذر اقامة البينة عليه لا يكلف اقامة
البينة عليه كالوطء ومن المعلوم ان المعاشرة بالمعروف التي امر الله بها ورسوله ليس فيها شهادة على
المراة بذلك لان ذلك ليس من المعروف وهذا لم يفعله احد على عهد سلف الامة ولا يفعله جماهير
بني آدم وفعله اما متعذر واما متعسر فانه لو اطعمها مما ياكل فليس عنده من يشهد على اطعامها فان
ناولها طعاما كل يوم فمن المتعسر شهود في كل وقت وقد يكونا ساكنين حيث لا شهود وهذا ظاهر بين الاصل
الرابع ان المراة مفرطة بترك اخذ نفقتها منه بالمعروف ومطالبته بها اذا كان لا ينفق بخلاف ما اذا
كان غائبا وهي الصورة التي روي عن عمر انه امر فيها بنفقة الماضي بل قد يقال ان ذلك رضى منها بترك
النفقة وليس هذا قولا بسقوط النفقة في الماضي بل بان هذا دليل من جهة العرف على انها قد انفق عليها
او تكون راضية بترك النفقة وهنا اصل خامس وهو ان العادة المعروفة تدل على ان المراة اذا سكتت مدة
طويلة عن المطالبة بالنفقة مع القدرة على الطلب كانت راضية بسقوطها **فصل** واما النفقة
والكسوة بالمعروف وهي الواجبة بنص القرآن فهو ما كان في عرف الناس في حالها نوعا وقدرا وصفة وان
كان ذلك يتنوع بتنوع حالها من اليسار والاعسار والزمان كالشتاء والصيف والليل والنهار والمكان
فيطعمها في كل بلد مما هو عادة اهل البلد والعرف عندهم وقال بعضهم هي مقدرة بالشرع نوعا وقدرا
مدا من حنطة او مدا ونصفا او مدين قياسا على الاطعام الواجب في الكفارة والصواب المقطوع به
ما عليه الامة علما وعملا قديما وحديثا لقول الله تعالى رزقهن وكسوتهن بالمعروف وقوله عليه السلام
لهند خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف ولم يقدر لها نوعا ولا قدرا ولو كان ذلك مقدرا بالشرع لبينه
لها قدرا ونوعا كما بين فرائض الزكوات والديات وقال عليه السلام في خطبة بعرفات ولهن عليكم رزقهن
وكسوتهن بالمعروف ومن المعلوم ان الكفاية بالمعروف تتنوع بحال الزوجة في حاجتها وبتنوع الزمان
والمكان وبتنوع حال الزوج في يساره واعساره فليست كسوة القصيرة الضئيلة ككسوة الطويلة الجسيمة

اما ان يكون

ولا كسوة الشتا ككسوة الصيف ولا كفاية طعام الشتا مثل طعام الصيف ولا طعام البلاد الحارة كالباردة ولا المعروف في بلاد التمر والشعير كالمعروف في بلاد الفاكهة والخبز وقال عليه السلام للذي ساله ما حق زوجة احدنا عليه قال تطعمها اذا اكلت وتكسوها اذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر الا في البيت وهكذا قال في نفقة المماليك هم اخوانكم وخولكم جعلهم الله تحت ايديكم فمن كان اخوه تحت يده فليطعمه مما ياكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فان كلفتموهم فاعينوهم ففي الزوجة والمملوك امر واحد فالواجب على هذا هو الرزق والكسوة بالمعروف في النوع والقدر وصفة الانفاق فاما النوع فلا يتعين ان يعطيها مكيلا كالبر ولا موزونا كالخبز ولا ثمن ذلك كالدراهم بل يرجع في ذلك الى العرف فاذا اعطاها كفايتها بالمعروف مثل ان يكون عادتهم اكل التمر والشعير فيعطيها ذلك او يكون عادتهم اكل الخبز والادهم فيعطيها ذلك او الطبيخ فيعطيها ذلك وان كان عادتهم ان يعطيها حبا فتطحنه في البيت فعل ذلك وان كان يطحن في الطاحون ويخبز في البيت فعل ذلك وان كان يخبز في غير البيت فعل ذلك وان كان يشتري مخبوزا من السوق فعل ذلك فكذلك الطبيخ ونحوه فذلك هو المعروف ولا يتعين عليه دراهم ولا حبا اصلا فان تعيين ذلك من المنكر ليس من المعروف وهو مضر بها تارة وبه تارة وبهما اخرى وكذلك القدر لا يتعين مقدرا مطردا بل تتنوع المقادير بتنوع الاوقات واما الانفاق فقد قيل ان الواجب تمليكها النفقة والكسوة وقيل لا يجب التمليك وهو الصواب فان ذلك ليس من المعروف بل عرف النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين الى يومنا هذا ان الرجل ياتي بالطعام الى منزله فياكل هو وزوجته ومملوكه جميعا تارة وتارة افرادا ويفضل منه فضل تارة فيدخرونه ولا يعرف المسلمون انه يملكها كل يوم دراهم تتصرف فيها تصرف الملاك بل من عاشر امراته بمثل هذا كانا عند المسلمين قد تعاشرا بغير المعروف وتضارا في العشرة وانما يفعل احدهما ذلك بصاحبه عند الضرار لا عند العشرة بالمعروف وايضا فالنبي صلى الله عليه وسلم اوجب للزوجة مثل ما اوجب للمملوك كما تقدم وقد اتفق المسلمون على انه لا يجب تمليك المملوك نفقته فدل على عدم وجوب التمليك في حق الزوجة واذا تنازع الزوجان فمتى اعترفت الزوجة انه يطعمها اذا اكل ويكسوها اذا اكتسى وكان ذلك هو المعروف لمثلهما في بلدهما فلا حق لها سوى ذلك وان انكرت ذلك امر الحاكم ان ينفق بالمعروف ليس على الحاكم بل ولا له ان يامر بدراهم مقدرة مطلقا او حب مقدر لكن يذكر المعروف الذي يليق بهما **فصل** قال القرطبي قوله تعالى لينفق ذو سعة اي لينفق الزوج على زوجته وعلى ولده الصغير على قدر وسعه فيوسع اذا كان موسعا عليه ومن كان فقيرا فعلى قدر ذلك فيقدر النفقة بحسب حال المنفق والحاجة من المنفق عليه بالاجتهاد على مجرى العادة وقال الشافعي النفقة مقدرة محدودة ولا اجتهاد للحاكم ولا المفتي فيها وتقديرها هو بحال الزوج وحده من يسره وعسره ولا اعتبار بحالها يجب لابنة الخليفة ما يجب لابنة الحارس فيلزم الزوج الموسر مدان والمتوسط مد ونصف والمعسر مد لظاهر قوله تعالى لينفق ذو سعة من سعته فجعل الاعتبار بالزوج في اليسر والعسر ولان الاعتبار بحالها يؤدي الى الخصومة لان الزوج يدعي انها تطلب فوق كفايتها وهي تزعم انها تطلب قدر كفايتها فتقدرت قطعا للخصومة لهذه الاية ولقوله تعالى على الموسع قدره وعلى المقتر قدره واجاب القرطبي بان هذه الاية لا تعطي اكثر من الفرق بين الغني والفقير وانها تختلف بعسر الزوج ويسره فاما انه لا اعتبار بحال الزوجة فليس فيها وقد قال تعالى وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف وذلك يقتضي تعلق المعروف في حقهما لانه لم يخص في ذلك واحدا منهما وليس من المعروف ان يكون كفاية الغنية مثل نفقة الفقيرة وقد قال عليه السلام لهند خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف فاحالها على الكفاية حين علم السعة من حال ابي سفيان **قوله** وكاي من قرية عتت لما ذكر الاحكام ذكر وحذر مخالفة الامر وذكر عتو قوم وحلول العذاب بهم وتقدم الكلام في كاي في آل عمران **قوله**

عتت عن امر ربها ضمن عتت معنى اعرض كانه قيل اعرضت بسبب عتوها اي عصت يعني القرية والمراد اهلها وقوله فحاسبناها الى اخره يعني في الاخرة واتى به بلفظ الماضي لتحققه وقيل العذاب في الدنيا فيكون على حقيقته اي جازيناها بالعذاب في الدنيا وعذبناها عذابا نكرا في الاخرة وقيل في الكلام تقديم وتاخير اي فعذبناها عذابا نكرا في الدنيا بالجوع والقحط والسيف والخسف والمسخ وسائر المصائب وحاسبناها في الاخرة حسابا شديدا والنكر المنكر وقرئ مخففا ومثقلا وتقدم في سورة الكهف **قوله** فذاقت وبال امرها اي عاقبة كفرها وكان عاقبة امرها خسرا اي هلاكا في الدنيا بما ذكرنا وفي الاخرة بجهنم **قوله** اعد الله لهم تكرير للوعيد توكيدا وجوز الزمخشري ان يكون عتت وما عطف عليه صفة لقرية ويكون الخبر اي الجملة من قوله اعد الله وعلى الاول يكون الخبر عتت وما عطف عليه **قوله** الذين امنوا منصوب باضمار اعني بيانا للمنادى في قوله يا اولي الالباب اي العقول او يكون عطف بيان للمنادى او نعتا له ويضعف كونه بدلا لعدم حلوله محل المبدل منه **قوله** قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا في نصب رسولا اوجه احدها ما قاله الزجاج والفارسي انه منصوب بالمصدر المنون قبله لانه ينحل لحرف مصدري وفعل كانه قيل ان ذكر رسولا ويكون ذكره الرسول قوله محمد رسول الله والمصدر المنون كقوله تعالى او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما وقول الاخر * وضرب بالسيوف رؤوس قوم * ازلنا هامهن عن المقيل * الثاني انه جعل نفس الذكر مبالغة فابدله منه ويكون محمولا على المعنى كانه قال قد اظهر لكم ذكرا رسولا فيكون من باب بدل الشيء من الشيء وهو هو الثالث انه بدل منه على حذف مضاف من الاول تقديره انزل ذا ذكر رسولا الرابع كذلك الا ان رسولا نعتا لذلك المحذوف الخامس انه بدل منه على حذف مضاف من الثاني اي ذكرا ذكر رسول السادس ان يكون رسولا نعتا لذكر على حذف مضاف اي ذكرا ذا رسول فذا رسول نعت لذكر السابع ان يكون رسولا بمعنى رسالة فيكون رسولا بدلا صريحا من غير تاويل او بيانا عند من يرى جريانه في النكرات كالفارسي الا ان هذا يبعده قوله يتلو عليكم لان الرسالة لا تتلو الا بمجاز الثامن ان يكون رسولا منصوبا بفعل مقدر اي ارسل رسولا لدلالة ما تقدم عليه قال البغوي كانه قيل انزل اليكم قرانا وارسل رسولا وقيل مع رسول التاسع ان يكون منصوبا على الاغراء اي اتبعوا والزموا رسولا هذه صفته **فصل** اختلف الناس في رسولا هل هو النبي صلى الله عليه وسلم او القران نفسه او جبريل قال الزمخشري هو جبريل ابدل من ذكرا لانه وصف بتلاوة ايات الله فكان انزاله في معنى انزال الذكر فصح ابداله منه قال ابو حيان ولا يصح لتباين المدلولين بالحقيقة ولكونه لا يكون بدل بعض ولا بدل اشتمال انتهى قال شهاب الدين وهذا الذي قاله الزمخشري سبقه اليه الكلبي واما اعتراضه عليه فغير لازم لانه اذن بولغ فيه حتى جعل نفس الذكر كما تقدم بيانه وقرئ رسول على اضمار مبتدا اي هو رسول وقيل الذكر هنا الشرف كقوله تعالى لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم وقوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك ثم بين الشرف فقال رسولا والاكثر على ان المراد بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم وقال الكلبي هو جبريل فيكونان جميعا منزلين **قوله** يتلو عليكم ايات الله نعت للرسول وايات الله القران مبينات قرا العامة بفتح الياء اي بينها الله وبها قرا ابن عباس وهو اختيار ابي عبيد وابي حاتم لقوله تعالى قد بينا لكم الايات وقرا ابن عامر وحفص وحمزة والكسائي بكسرها اي بين لكم ما تحتاجون اليه من الاحكام **قوله** ليخرج الذين امنوا الجار متعلق اما بانزل واما بيتلو وفاعل يخرج اما ضمير الباري تعالى المنزل او ضمير الرسول او الذكر والمراد بالذين امنوا من سبق له ذلك في علم الله وقوله من الظلمات الى النور اي من الكفر الى الهدى والايمان قال ابن عباس نزلت في مؤمني اهل الكتاب واضاف الاخراج الى الرسول لان الايمان انما حصل بطاعته **قوله** ومن يؤمن بالله هذا احد المواضع التي روعي فيها اللفظ اولا ثم المعنى ثانيا ثم اللفظ اخرا وقد

تقدم ذلك في المايدة **قوله** يدخله جنات قرا نافع وابن عامر بالنون والباقون باليا وقوله
خالدين قال بعضهم ليس قوله خالدين فيه ضميرا يعود على من انما يعود على مفعول يدخله وخالدين حال
منه والعامل فيها يدخله لا فعل الشرط هذه عبارة ابي حيان وفيها نظر لان خالدين حال من مفعول
يدخله عند القايلين بالقول الاول وكان اصلاح العبارة ان يقال حال من مفعول يدخله الثاني وهو
جنات والخلود في الحقيقة لاصحابها وكان ينبغي على راي البصريين ان يقال خالدين هم فيها لجريان الوصف
على غير من هو له **قوله** قد احسن الله حال ثانية او حال من الضمير في خالدين فتكون متداخلة وفي
قوله قد احسن الله له رزقا اي وسع الله له في الجنات **قوله** الله الذي خلق سبع سموات ومن
الارض مثلهن يدل على كمال قدرته وانه يقدر على البعث والمحاسبة ولا خلاف في ان السموات سبع
بعضها فوق بعض بدليل حديث الاسرا وغيره وقوله ومن الارض مثلهن يعني سبعا واختلف فيهن
فقال الجمهور انها سبع ارضين طباقا بعضها فوق بعض بين كل ارض وارض مسافة كما بين السما والارض
وفي كل ارض سكان من خلق الله وقال الضحاك ومن الارض مثلهن اي سبعا من الارضين ولكنها مطبقة
بعضها على بعض من غير فتوق بخلاف السموات قال القرطبي والاول اصح لان الاخبار دالة عليه
كما روي البخاري وغيره روي ابو مروان عن ابيه ان كعبا حلف له بالذي فلق البحر لموسى ان صهيبا حدثه
ان محمدا صلى الله عليه وسلم لم ير قرية يريد دخولها الا قال حين يراها اللهم رب السموات السبع وما
اظللن ورب الارضين السبع وما اقللن ورب الشياطين وما اضللن ورب الرياح وما اذرين
انا نسالك خير هذه القرية وخير اهلها ونعوذ بك من شرها وشر اهلها وشر من فيها وروي مسلم عن
سعيد بن زيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من ظلم قيد شبر من الارض طوقه يوم القيمة
من سبع ارضين قال الماوردي وعلى انها سبع ارضين تختص دعوة اهل الاسلام باهل الارض العليا
ولا يلزم من في غيرها من الارضين وان كان فيها من يعقل من خلق مميز وفي مشاهدتهم السما واستمدادهم
الضوء منها قولان احدهما انهم يشاهدون السما من كل جانب من ارضهم ويستمدون الضياء منها وهذا
قول من جعل السما مبسوطة والثاني انهم لا يشاهدون السما وان الله تعالى خلق لهم ضيا يشاهدونه
وهذا قول من جعل الارض كرة وحكى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس انها سبع ارضين منبسطة
ليس بعضها فوق بعض تفرق بينها البحار وتظل جميعهم السما فعلى هذا ان لم يكن لاحد من اهل الارض
وصول الى ارض اخرى اختصت دعوة الاسلام باهل هذه الارض وان كان لقوم منهم وصول الى ارض
اخرى احتمل ان يلزمهم دعوة الاسلام لامكان الوصول اليهم لان فصل البحار اذا امكن سلوكها لا يمنع
من لزوم ما عم حكمه واحتمل ان لا يلزمهم دعوة الاسلام لانها لو لزمتهم لكان النص بها واردا ولكان النبي
صلى الله عليه وسلم بها مامورا وقال بعض العلما السما في اللغة عبارة عما علاك ففلك القمر
بالنسبة الى السما الثانية ارض وكذلك السما الثانية بالنسبة الى السما الثالثة ارض وكذلك البقية
بالنسبة الى ما تحته سما وبالنسبة الى ما فوقه ارض فعلى هذا تكون السموات السبع وهذه الارض الواحدة
سبع سموات وسبع ارضين **قوله** مثلهن قرا العامة بالنصب وفيه وجهان احدهما انه عطف
على سبع سموات قاله الزمخشري واعترض عليه ابو حيان بلزوم الفصل بين حرف العطف وهو
على حرف واحد وبين المعطوف بالجار والمجرور وهو مختص بالضرورة عند ابي علي قال شهاب الدين
وهذا نظير قوله اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة عند ابن مالك وتقدم تحريره في سورة
البقرة والنسا وهو عند قوله واذا حكمتم بين الناس والثاني انه منصوب بمقدر بعد الواو اي
وخلق مثلهن من الارض واختلف الناس في المثلية فقيل مثلها في العدد وقيل في بعض الاوصاف
فان المثلية تصدق بذلك والاول هو المشهور وقرا عاصم في رواية مثلهن بالرفع على الابتدا والجار
قبله خبره **قوله** يتنزل الامر يجوز ان يكون مستانفا وان يكون نعتا لما قبله قاله ابو البقا

وقرا

وقرا ابو عمرو في رواية وعيسى ينزل بالتشديد اي الله الامر مفعول به والضمير في بينهن عايد على
السموات والارضين عند الجمهور او على السموات والارض عند من يقول انها ارض واحدة وقوله
لتعلموا متعلق بخلق او بيتنزل والعامة لتعلموا خطابا وبعضهم بيا الغيبة **فصل** قال
مجاهد يتنزل الامر من السموات السبع الى الارضين السبع وقال الحسن بين كل سمايين ارض وامر والامر
هنا الوحي في قول مقاتل وغيره وعلى هذا يكون بينهن اشارة الى بين هذه الارض العليا التي هي ادناها
وبين السما السابعة التي هي اعلاها وقيل الامر هنا القضا والقدر وهو قول الاكثرين فعلى هذا يكون
المراد بقوله تعالى بينهن اشارة الى ما بين الارض السفلى التي هي اقصاها وبين السما السابعة التي هي
اعلاها وقيل يتنزل الامر بينهن بحياة بعض وموت بعض وغنى قوم وفقر قوم وقيل ما يدبر فيهن من
عجيب تدبيره فينزل المطر ويخرج النبات وياتي بالليل والنهار والصيف والشتا ويخلق الحيوانات
على اختلاف انواعها وهياتها فينقلهم من حال الى حال قال ابن كيسان وهذا من اتساع اللغة كما يقال
للموت امر الله وللريح والسحاب ونحوها قال قتادة في كل ارض من ارضه وسما من سمايه خلق من خلقه
وامر من امره وقضا من قضايه لتعلموا ان الله على كل شي قدير اي من قدر على هذا الملك العظيم
فهو على ما بينهما من خلقه اقدر ومن العفو والانتقام امكن وان استوى كل ذلك في مقدوره ومكنته
وان الله قد احاط بكل شي علما فلا يخرج شي عن علمه وقدرته ونصب علما على المصدر المؤكد لان احاط
بمعنى علم وقيل بمعنى وان الله احاط احاطة علما روى الثعلبي عن ابي بن كعب قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة يا ايها النبي اذا طلقتم النسا مات في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

سورة التحريم مدنية

وهي ثنتا عشرة اية ومايتان وسبع واربعون كلمة
والف وستون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** يا ايها النبي لم
تحرم ما احل الله لك قال ابن الخطيب وجه تعلق هذه السورة بما قبلها وذلك لاشتراكهما
في الاحكام المخصوصة بالنسا واشتراك الخطاب بالطلاق في اول تلك السورة بالاشتراك مع الخطاب بالتحريم
في اول هذه السورة لان الطلاق في اكثر الصور يشتمل على تحريم ما احل الله واما تعلق اول هذه السورة
باخر تلك السورة فلان المذكور في اخر تلك السورة يدل على عظمة حضرة الله تعالى وعلى كمال قدرته
وعلمه ولما كان خلق السموات والارض وما بينهما من العجايب والغرايب مما ينافي القدرة على تحريم
ما احل الله فلهذا قال تعالى لم تحرم ما احل الله **فصل** ثبت في صحيح مسلم عن عايشة رضي الله
عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب بنت جحش فيشرب عندها عسلا قالت فتواطات
انا وحفصة ان ايتنا دخل النبي صلى الله عليه وسلم عليها فلتقل اني اجد منك ريح مغافير فدخل
على احديهما فقالت له ذلك فقال بل شربت عسلا عند زينب ابنة جحش ولن اعود له فنزل لم تحرم
ما احل الله لك الى قوله ان تتوبا لعايشة وحفصة وعنها ايضا قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يحب الحلوى والعسل فكان اذا صلى العصر دار على نسايه فدخل على حفصة فاحتبس عندها اكثر مما
كان يحتبس فسالت عن ذلك فقيل لي اهدت لها امراة من قومها عكة عسل فسقت رسول الله صلى الله
عليه وسلم منه شربة فقلت اما والله لنحتالن له فذكرت ذلك لسودة وقلت اذا دخل عليك فانه
سيدنو منك فقولي له يا رسول الله اكلت مغافير فانه سيقول لك لا فقولي ما هذه الريح وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتد عليه ان يوجد منه الريح فانه سيقول لك سقتني حفصة شربة
عسل فقولي جرست نحله العرفط وساقول ذلك له وقوليه انت يا صفية فلما دخل على سودة
قالت سودة والذي لا اله الا هو لقد كدت ان اباديه بالذي قلت لي وانه لعلى الباب فرقا منك
فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت يا رسول الله اكلت مغافير فما هذه الريح قال سقتني
حفصة شربة عسل قال جرست نحله العرفط فلما دخل علي قلت له مثل ذلك ثم دخل على صفية

فقالت مثل ذلك فلما دخل على حفصة قالت يا رسول الله الا اسقيك منه قال لا حاجة لي به قالت تقول سودة سبحان الله لقد حرمناه قالت قلت لها اسكتي ففي هذه الرواية ان التي شرب عندها النبي صلى الله عليه وسلم العسل حفصة وفي الاول زينب وروى ابن ابي مليكة عن ابن عباس انه شربه عند سودة وقد قيل انما هي ام سلمة رواه اسباط عن السدي وقاله عطا بن ابي مسلم قال ابن العربي وهذا كله جهل او تصور بغير علم فقال باقي نسائه حسدا وغيرة لمن شرب ذلك عندها انا لنجد منك ريح المغافير والمغافير بقلة او صمغة متغيرة الرائحة فيها حلاوة واحدها مغفور وجرست اكلت والعرفط نبت له ريح كريح الخمر وكان عليه السلام يعجبه ان يوجد منه الريح الطيبة ويكره الريح الخبيثة لمناجاة الملك وقال ابن عباس اراد بذلك المراة التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فلم يقبلها والمراة ام شريك قاله عكرمة وقيل ان التي حرم مارية القبطية وكان قد اهداها له المقوقس ملك الاسكندرية قال ابن اسحق هي من كورة انصنا من بلد يقال لها حفن فواقعها في بيت حفصة روى الدارقطني عن ابن عباس عن عمر قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بام ولده مارية في بيت حفصة فوجدته حفصة معها فقالت له تدخلها بيتي ما صنعت بي هذا من بين نسائك الا من هواني عليك فقال لها لا تذكري هذا لعايشة فهي علي حرام ان قربتها قالت حفصة فكيف تحرم عليك وهي جاريتك فحلف لها ان لا يقربها فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم لا تذكريه لاحد فذكرته لعايشة فآلى لا يدخل على نسائه شهرا فاعتزلهن تسعا وعشرين ليلة فانزل الله تعالى يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك قال القرطبي اصح هذه الاقوال اولها واضعفها اوسطها قال ابن العربي اما ضعفه في السند فلعدم عدالة رواته واما ضعفه في معناه فلان رد النبي صلى الله عليه وسلم الموهوبة ليس تحريما لها لان من رد ما وهب له لم يحرم عليه انما حقيقة التحريم بعد التحليل واما من روى انه حرم مارية القبطية فهو امثل في السند واقرب الى المعنى ولكنه لم يدون في الصحيح بل روي مرسلا وانما الصحيح انه كان في العسل وانه شربه عند زينب وتظاهرت عليه عايشة وحفصة فحلف ان لا يشربه واسر ذلك ونزلت الاية في الجميع **فصل** قوله تعالى لم تحرم ان كان النبي صلى الله عليه وسلم لم يحلف فليس ذلك بيمين ولا يحرم قول الرجل هذا علي حرام شيا حاشا الزوجة وقال ابو حنيفة اذا اطلق حمل على الماكول والمشروب دون الملبوس وكانت يمينا توجب الكفارة وقال زفر هو يمين في الكل حتى في الحركة والسكون واستدل المخالف بان النبي صلى الله عليه وسلم حرم العسل فلزمته الكفارة وقد قال تعالى قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم فسماه يمينا قال القرطبي ودليلنا قول الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ولا تعتدوا وقوله تعالى قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل الله اذن لكم ام على الله تفترون فذم المحرم للحلال ولم يوجب عليه كفارة قال الزجاج ليس لاحد ان يحرم ما احل الله ولم يجعل لنبيه صلى الله عليه وسلم ان يحرم الا ما حرم الله عليه فمن قال لزوجته او امته انت علي حرام فان لم ينو طلاقا ولا ظهارا فهذا اللفظ يوجب عليه كفارة اليمين ولو خاطب بهذا اللفظ جمعا من الزوجات والاما فعليه كفارة واحدة ولو حرم على نفسه طعاما او شيا اخر لم يلزمه بذلك كفارة عند الشافعي ومالك وتجب بذلك كفارة عند ابن مسعود والثوري وابي حنيفة **فصل** اذا قال الرجل لزوجته انت علي حرام قال القرطبي فيه ثمانية عشر قولا احدها لا شي عليه وبه قال الشعبي ومسروق وربيعة وابو سلمة واصبغ وهو عنده كتحريم الماء والطعام لقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم والزوجة من الطيبات ومما احل الله وقوله تعالى ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام فما لم يحرمه الله فليس لاحد ان يحرمه ولا ان يصير بتحريمه حراما ولم يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لما احله الله هو حرام علي وانما امتنع من مارية ليمين تقدمت منه وهو قوله

والله

والله لا اقربها بعد اليوم وروى البغوي في تفسيره ان حفصة لما اخبرت عايشة غضبت عايشة ولم تزل بنبي الله حتى حلف ان لا يقربها فقيل له لم تحرم ما احل الله لك اي لم تمتنع منه بسبب اليمين يعني اقدم عليه وكفر وثانيها انها يمين يكفرها قاله ابو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعبد الله ابن مسعود وابن عباس وعايشة رضي الله عنهم والاوزاعي وهو مقتضى الاية قال سعيد بن جبير عن ابن عباس اذا حرم الرجل عليه امراته فانما هي يمين يكفرها وقال ابن عباس لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة يعني ان النبي صلى الله عليه وسلم كان حرم جاريته فقال تعالى لم تحرم ما احل الله لك الى قوله قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم فكفر يمينه وصير الحرام يمينا خرجه الدارقطني وثالثها انه تجب فيها كفارة وليست بيمين قاله ابن مسعود ولان معنى اليمين عنده التحريم فوقعت الكفارة على المعنى والاية ترده ورابعها هي ظهار ففيها كفارة الظهار قاله عثمن واحمد بن حنبل واسحق ولانه انما حرم وطيها والظهار اقل درجات التحريم وخامسها انه ان نوى الظهار كان ظهارا وان نوى تحريم عينها عليه بغير طلاق تحريما مطلقا وجبت كفارة يمين وان لم ينو فعليه كفارة يمين قاله الشافعي وسادسها انها طلقة رجعية قاله عمر بن الخطاب والزهري وعبد العزيز بن ابي سلمة والماجشون وسابعها انها طلقة باينة قاله حماد بن ابي سليمن وزيد بن ثابت ورواه ابن خويز منداد عن مالك ولان الطلاق الرجعي لا يحرم المطلقة وثامنها انها ثلاث تطليقات قاله علي بن ابي طالب وزيد ابن ثابت ايضا وابو هريرة لانه التحريم المتيقن وتاسعها في المدخول بها ثلاث وينوي في غير المدخول بها قاله علي بن زيد والحسن والحكم وهو مشهور مذهب مالك لان غير المدخول بها تبينها الطلقة وتحرمها وعاشرها هي ثلاث ولا ينوي بحال ولا في محل وان لم يدخل بها قاله عبد الملك في المبسوطة وبه قال ابن ابي ليلى لانه اخذ بالحكم الاعظم لها لانه لو صرح بالثلاث لغير المدخول بها لنفذ وحادي عشرها هي في التي لم يدخل بها واحدة وفي المدخول بها ثلاث قاله ابو مصعب ومحمد بن الحكم وثاني عشرها انه ان نوى الطلاق والظهار كان ما نوى وان نوى الطلاق فواحدة باينة الا ان ينوي ثلاثا فان نوى اثنتين فواحدة وان لم ينو شيا كانت يمينا وكان الرجل موليا من امراته قاله ابو حنيفة واصحابه ومثله قال زفر الا انه قال اذا نوى اثنتين الزمناه وثالث عشرها انه لا تنعقد به الا الظهار وانما يكون طلاقا قاله ابن القسم ورابع عشرها قال يحيى بن عمر يكون طلاقا فان ارتجعها لم تجز له وطيها حتى يكفر كفارة الظهار وخامس عشرها ان نوى الطلاق فما اراد من اعداده وان نوى واحدة فهي رجعية وهو قول الشافعي رضي الله عنه وروي مثله عن ابي بكر وعمر وغيرهم من الصحابة والتابعين وسادس عشرها ان نوى ثلاثا فثلاثا وان نوى واحدة فواحدة وان نوى يمينا فهي يمين وان لم ينو شيا فلا شي عليه وهو قول سفيان وبه قال الاوزاعي وابو ثور الا انهما قالا ان لم ينو شيا فهي واحدة وسابع عشرها له نيته ولا يكون اقل من واحدة قاله ابن شهاب وان لم ينو شيا لم يكن شيا قال ابن العربي ورايت لسعيد بن جبير وهو الثامن عشر ان عليه عتق رقبة وان لم يجعلها ظهارا ولست اعلم لها وجها ولا تبعد المقالات عندي قال القرطبي وقد روى الدارقطني عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه اتاه رجل فقال اني جعلت امراتي علي حراما فقال كذبت ليست عليك بحرام ثم تلا يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك عليك اغلظ الكفارات عتق رقبة وقد قال جماعة من المفسرين انه لما نزلت هذه الاية كفر عن يمينه بعتق رقبة وعاد الى مارية صلى الله عليه وسلم قاله زيد بن اسلم وغيره هذا كله في الزوجة واما الامة فلا يلزم فيها شي من ذلك الا ان ينوي به العتق عند مالك وذهب عامة العلما الى ان عليه كفارة يمين قال ابن العربي والصحيح انها طلقة واحدة لانه لو ذكر الطلاق لكان اقله وهو الواحدة الا ان يعدده فكذلك اذا ذكر التحريم يكون اقله الا ان يقيده بالاكثر مثل ان يقول انت علي حرام الا بعد زوج فهنا نص في المراد **فصل** قال ابن الخطيب

قال صاحب النظم قوله لم تحرم استفهام بمعنى الانكار وذلك من الله تعالى نهي وتحريم الحلال مكروه
لان الحلال لا يحرم الا بتحريم الله تعالى **فان قيل** قوله لم تحرم ما احل الله لك يوهم ان
هذا الخطاب بطريق العتاب وخطاب النبي عليه السلام ينافي ذلك لما فيه من التشريف والتعظيم
فالجواب ان هذا الخطاب ليس بطريق العتاب بل بطريق التنبيه على ان ما صدر منه لم يكن على ما
ينبغي **فان قيل** تحريم ما احل الله غير ممكن فكيف قال لم تحرم ما احل الله فالجواب
ان المراد بهذا التحريم هو الامتناع من الانتفاع بالازواج لا اعتقاد كونه حراما بعدما احله
الله تعالى فالنبي صلى الله عليه وسلم امتنع عن الانتفاع بها مع اعتقاد كونها حلالا فان من اعتقد
ان هذا التحريم هو تحريم ما احله الله تعالى فقد كفر فكيف يضاف الى الرسول عليه السلام مثل
هذا **قوله** تبتغي يجوز ان يكون حالا من فاعل تحرم اي لم تحرم مبتغيا به مرضات ازواجك ويجوز
ان يكون تفسيرا لتحرم ويجوز ان يكون مستانفا فهو جواب للسؤال **ومرضات** اسم
مصدر وهو الرضا واصله مرضوة وقد تقدم ذلك والمصدر هنا مضاف اما للمفعول او للفاعل
اي ان ترضي انت ازواجك او ان يرضين والمعنى تفعل ذلك طلبا لرضاهن والله غفور اي لما اوجب
المعاتبة رحيم برفع المؤاخذة قال القرطبي وقد قيل ان ذلك كان ذنبا من الصغائر والصحيح انه
معاتبة على ترك الاولى وانه لم يكن له صغيرة ولا كبيرة **قوله** قد فرض الله لكم اي بين لكم
كقوله تعالى سورة انزلناها وفرضناها وقيل قد اوجب الله وقال صاحب النظم اي وصل فرض
بعلى لم يحتمل غير الايجاب كقوله قد علمنا ما فرضنا عليهم واذا وصل باللام احتمل الوجهين **قوله**
تحلة ايمانكم تحليل اليمين كفارتها اي اذا احببتم استباحة المحلوف عليه وهو قوله تعالى في سورة
المائدة فكفارته اطعام عشرة مساكين قال القرطبي وتحصل من هذا ان من حرم شيئا من الماكول
او المشروب لم يحرم عليه لان الكفارة لليمين لا للتحريم وابو حنيفة يراه يمينا في كل شيء ويعتبر الانتفاع
المقصود فيما يحرم فاذا حرم طعاما فقد حلف على اكله او امة فعلى وطئها او زوجة فعلى الايلاء
منها اذا لم يكن له نية وان نوى الظهار فظهار وان نوى الطلاق فطلاق باين وكذلك ان نوى ثنتين
او ثلاثا وان قال نويت الكذب دين فيما بينه وبين الله تعالى ولا يدين في القضاء بابطال الايلاء وان
قال كل حلال عليه حرام فعلى الطعام والشراب اذا لم ينو والا فعلى ما نوى ولا يراه الشافعي يمينا ولكن
في الكفارة وجهان **قوله** تحلة مصدر حلل مضعفا نحو تكرمة وهذان ليسا مقيسين فان
قياس مصدر فعل التفعيل اذا كان صحيحا غير مهموز فاما المعتل اللام نحو زكى والمهموز ها نحو نبا فمصدرهما
تفعلة نحو تزكية وتنبئة على انه قد جاء التفعيل كاملا في المعتل نحو بات تنزي دلوها تنزيا
واصلها تحللة كتكرمة فادغمت وانتصابها على المفعول به **فصل** قيل ان النبي صلى الله
عليه وسلم كفر عن يمينه وقال الحسن لم يكفر لان النبي صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه
وما تاخر وكفارة اليمين في هذه السورة انما امر بها الامة والاول اصح وان المراد بذلك النبي
صلى الله عليه وسلم ثم ان الامة تقتدي به في ذلك وقد تقدم عن زيد بن اسلم انه عليه السلام كفر
بعتق رقبة وعن مقاتل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتق رقبة في تحريم مارية والله اعلم
فصل قيل قد فرض الله لكم تحليل ملك اليمين فبين في قوله تعالى ما كان على النبي من حرج
فيما فرض الله له اي فيما شرعه له في النساء المحللات اي حلل لكم ملك اليمين فلم تحرم مارية على نفسك
مع تحليل الله اياها وقيل تحلة اليمين الاستثناء اي فرض الله لكم الاستثناء المخرج عن اليمين ثم عند قوله
يجوز الاستثناء من الايمان متى شاء وان تخلل مدة وعند الجمهور لا يجوز الا متصلا فكانه قال استثن بعد
هذا فيما تحلف عليه وتحلة اليمين تحليلها بالكفارة قال القرطبي والاصل تحللة فادغمت وتفعلة من مصادر
تفعل كالتوصية والتسمية فالتحلة تحليل اليمين فكان اليمين عقد والكفارة حل وقيل التحلة الكفارة

اي

اي انما تحل الحالف ما حرم على نفسه اي اذا كفرها وكمن لم تحلف **فصل** قال ابن الخطيب
وتحلة القسم على وجهين احدهما تحليله بالكفارة كما في هذه الاية وثانيهما ان يستعمل بمعنى الشيء القليل
وهذا هو الاكثر كما روي في قوله عليه السلام لن يلج النار الا تحلة القسم يعني زمانا يسيرا وقري كفارة
ايمانكم **قوله** والله مولاكم اي وليكم وناصركم بازالة الحظر فيما تحرمونه على انفسكم وبالترخيص لكم
في تحليل ايمانكم بالكفارة وبالثواب على ما تخرجونه في الكفارة وهو العليم الحكيم **قوله** واذ اسر
العامل فيه اذكر فهو مفعول به لا ظرف والمعنى اذكروا اذ اسر النبي الى بعض ازواجه يعني حفصة حديثا
يعني تحريم مارية على نفسه واستكتامه اياها ذلك وقال الكلبي اسر اليها ان اباك وابا عايشة يكونان
خليفتي على امتي من بعدي وقال ابن عباس اسر امر الخلافة بعده الى حفصة فذكرته حفصة روى
الدارقطني في سننه عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس في قوله تعالى واذ اسر النبي الى بعض ازواجه
حديثا قال اطلعت حفصة على النبي صلى الله عليه وسلم مع ام ابرهيم فقال لا تخبري عايشة قال
فانطلقت حفصة فاخبرت عايشة فاظهره الله عليه فعرف بعضه واعرض عن بعض قال اعرض عن قولها
ان اباك واباها يكونان خليفتي من بعدي كره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينشر ذلك في الناس
فلما نبات به اخبرت عايشة لمصافاة كانت بينهما وكانتا متظاهرتين على زوجات النبي صلى الله
عليه وسلم واظهره الله عليه اي اطلعه على انها قد نبات به **قوله** فلما نبات به اصل نبا وانبا
واخبر وخبر وحدث ان يتعدى لاثنين الى الاول بنفسها والى الثاني بحرف الجر وقد يحذف الجار تخفيفا
وقد يحذف الاول للدلالة عليه وقد جاءت الاستعمالات الثلاثة في هذه الايات فقوله فلما
نبات به تعدى لاثنين حذف اولهما والثاني بحرور بالباء اي نبات به غيرها وقوله فلما نباها به
ذكرهما وقوله من انباك هذا ذكرهما وحذف الجار وقرا طلحة بن مصرف فلما انبات وهما لغتان
انبا ونبا **قوله** عرف بعضه قرا الكسائي بتخفيف الراء قال القرطبي وبها قرا علي وطلحة بن مصرف
وابو عبد الرحمن السلمي والحسن وقتادة والكلبي والاعمش عن ابي بكر قال عطا كان ابو عبد الرحمن السلمي
اذا قرا عليه الرجل عرف مشددة حصبه بالحجارة وقرا الباقون بتشديد الراء واستعيل بكون المفعول
الاول معه محذوفا اي عرفها بعضه اي وقفها عليه على سبيل العتب واعرض عن بعض تكرما منه
وحلما واختاره ابو عبيد وابو حاتم بدليل قوله تعالى واعرض عن بعض اي لم يعرفها اياه ولو كان
مخففا لقال في ضده وانكر بعضا واما التخفيف فمعناه جازا على بعضه واعرض عن بعض قال
الفراء وتاويل قوله عز وجل عرف بالتخفيف اي غضب فيه وجازا عليه كقولك لمن اساء اليك لاعرفن
لك ما فعلت اي لاجازينك عليه **فصل** قال المفسرون انه اسر الى حفصة شيا فحدثت
به غيرها وطلقها مجازاة على بعضه ولم يواخذها بالباقي وهو من قبيل قوله وما تفعلوا من خير
يعلمه الله اي يجازيكم عليه وقوله اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم وانما اضطررنا الى هذا
التاويل لان الله تعالى اطلعه على جميع ما انبات به غيرها لقوله تعالى واظهره الله عليه وقرا
عكرمة عراف بالف بعد الراء وخرجت على الاشباع كقوله ٭ اعوذ بالله من العقراب ٭
وقيل هي لغة يمانية يقولون عراف زيد عمرا واذا ضمنت هذه الافعال الخمسة معنى علم تعدت
لثلاثة وقال الفارسي تعدت بالهمزة او التضعيف وهو غلط اذ تقتضي ذلك انها قبل التضعيف
والهمزة كانت متعدية لاثنين فاكتسبت بالهمزة او التضعيف ثالثا والامر ليس كذلك اتفاقا
فصل قال السدي عرف بعضه واعرض عن بعض تكرما وقال الحسن ما استقصى كريم قط قال الله
تعالى عرف بعضه واعرض عن بعض وقال مقاتل يعني اخبرها ببعض ما قالت لعايشة وهو حديث ام
ولده ولم يخبرها ببعض ما قالت لعايشة وهو قول حفصة لعايشة ان ابا بكر وعمر سيملكان بعده
قال المفسرون ان النبي صلى الله عليه وسلم جازى حفصة بان طلقها طلقة واحدة فلما بلغ ذلك عمر فقال

عمر لو كان في آل الخطاب خير لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم طلقك فامره جبريل بمراجعتها وشفع فيها واعتزل النبي صلى الله عليه وسلم نساءه شهرا وقعد في مشربة مارية ام ابرهيم حتى نزلت اية التخيير كما تقدم وقيل هم بطلاقها حتى قال له جبريل لا تطلقها فانها صوامة قوامة وانها من نسائك في الجنة فلم يطلقها **قوله** فلما نبأها به اي اخبر حفصة بما اظهره الله عليه قالت له من انباك هذا يا رسول الله عني فظنت ان عائشة اخبرته فقال عليه السلام نبأني العليم الخبير اي الذي لا يخفى عليه شيء وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما راى الكراهية في وجه حفصة حين راته مع مارية اراد ان يتراضاها فاسر اليها شيئين تحريم الامة على نفسه وتبشيرها بان الخلافة بعده في ابي بكر وفي ابيها عمر فاخبرت حفصة بذلك عائشة واطلع الله نبيه عليه عرف حفصة واخبرت به عائشة وهو تحريم الامة واعرض عن بعض يعني عن ذكر الخلافة كره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينتشر ذلك في الناس فلما نباها به اي اخبر حفصة بما اظهره الله عليه قالت حفصة من انباك هذا اي من اخبرك باني افشيت السر قال نبأني العليم الخبير قال ابن الخطيب وصفه بكونه خبيرا بعد ما وصفه بكونه عليما لما ان في الخبير من المبالغة ما ليس في العليم **قوله** ان تتوبا الى الله شرط وفي جوابه وجهان احدهما قوله فقد صغت والمعنى ان تتوبا فقد وجد منكما ما يوجب التوبة وهو ميل قلوبكما عن الواجب في مخالصة رسول الله صلى الله عليه وسلم في حب ما يحبه وكراهة ما يكرهه وصغت مالت وزاغت عن الحق ويدل له قراءة ابن مسعود فقد زاغت قال القرطبي وليس قوله فقد صغت قلوبكما جزاء للشرط لان هذا الصغو كان سابقا فجواب الشرط محذوف للعلم به اي ان تتوبا كان خيرا لكما اذ قد صغت قلوبكما والثاني ان الجواب محذوف تقديره فذلك واجب عليكما او فتاب الله عليكما قاله ابو البقاء قال ودل على المحذوف فقد صغت لان اصغاء القلب الى ذلك ذنب قال شهاب الدين وكانه زعم ان ميل القلب ذنب وكيف يحسن ان يكون جوابا وقد غفل عن المعنى المصحح لكونه جوابا وقوله قلوبكما من افصح الكلام حيث اوقع الجمع موقع المثنى استثقالا لمجيء تثنيتين لو قيل قلباكما ومن شان العرب اذا ذكروا الشيئين من اثنين جمعوهما لانه لا يشكل وقد تقدم تحرير هذا في اية السرقة في المائدة ومن مجيء التثنية قوله • فتخالسا نفسيهما نوافذ كنوافذ العبط التي لم ترقع • والاحسن في هذا الباب الجمع ثم الافراد ثم التثنية وقال ابن عصفور لا يجوز الافراد الا في ضرورة كقوله • حمامة بطن الواديين ترنمي سقاك من الغر الغوادي مطيرها • وتبعه ابو حيان وغلط ابن مالك في كونه جعله احسن من التثنية وليس بغلط لكراهة توالي تثنيتين مع امن اللبس وقوله ان تتوبا فيه التفات من الغيبة الى الخطاب **فصل** المراد بهذا الخطاب اما المؤمنين بنتا الشيخين الكريمين عائشة وحفصة رضي الله عنهما حثهما على التوبة على ما كان منهما من الميل الى خلاف محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله فقد صغت قلوبكما اي زاغت ومالت عن الحق وهو انهما احبا ما كره رسول الله صلى الله عليه وسلم من اجتناب جاريته واجتناب العسل وكان عليه السلام كان يحب العسل والنساء قال ابن زيد مالت قلوبكما بان سرهما ان يحتبس عن ام ولده فسرهما ما كرهه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل فقد مالت قلوبكما الى التوبة **قوله** وان تظاهرا اصله تتظاهرا فادغم وهذه قراءة العامة وقرا عكرمة تتظاهرا على الاصل والحسن وابو رجاء ونافع وعاصم في رواية عنهما بتشديد الظاء والهاء دون الف وكلها بمعنى المعاونة من الظهر لانه اقوى الاعضاء واجلها **فصل** معنى تظاهرا اي تعاونا على النبي صلى الله عليه وسلم بالمعصية والايذاء روى مسلم عن ابن عباس قال مكثت سنة وانا اريد ان اسال عمر ابن الخطاب عن اية فما استطيع ان اساله هيبة له حتى خرج حاجا فخرجت معه فلما رجع وكنا ببعض الطريق عدل الى الاراك لحاجة له فوقفت حتى فرغ ثم سرت معه باداوة ثم جا فسكبت على يديه منها فتوضا فلما رجع قلت يا امير المؤمنين من اللتان تظاهرتا على النبي صلى الله عليه وسلم

فقال تلك حفصة وعائشة قال فقلت له والله ان كنت لاريد ان اسالك عن هذا منذ سنة فما استطيع هيبة لك قال فلا تفعل ما ظننت ان عندي من علم فسلني عنه فان كنت اعلمه اخبرتك وذكر الحديث **قوله** فان الله هو مولاه يجوز ان يكون مبتدا ومولاه خبره والجملة خبر ان والمعنى فان الله وليه وناصره فلا يضره ذلك التظاهر منهما **قوله** وجبريل يجوز ان يكون عطفا على اسم الله تعالى والمعنى الله وليه وجبريل وليه فلا يوقف على مولاه ويوقف على جبريل ويكون وصالح المؤمنين مبتدا والملائكة معطوفا عليه والخبر ظهير ويرفع جبريل نظرا الى محل اسم ان وذلك بعد استكمالها خبرها وقد تقدم مذاهب الناس في ذلك ويكون جبريل وما بعده داخلين في الولاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويكون جبريل ظهيرا له بدخوله في عموم الملائكة ويكون والملائكة مبتدا وظهير خبره وافرد لانه بزنة فعيل قال القرطبي هو بمعنى الجمع قال ابو علي وقد جا فعيل للكثرة قال تعالى ولا يسئل حميم حميما ومعنى ظهيرا اي اعوان وهو في معنى ظهراء كقوله تعالى وحسن اولئك رفيقا ويجوز ان يكون الكلام تم عند قوله مولاه ويكون جبريل مبتدا وما بعده عطف عليه وظهير خبر الجميع فتختص الولاية بالله ويكون جبريل قد ذكر في المعاونة مرتين مرة بالتنصيص عليه ومرة بدخوله في عموم الملائكة وهذا عكس ما في البقرة في قوله تعالى من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل فانه ذكر الخاص بعد العام تشريفا له وهنا ذكر العام بعد الخاص ولم يذكر الناس الا القسم الاول وفي جبريل لغات تقدم ذكرها في البقرة **قوله** وصالح المؤمنين قال المسيب بن شريك صالح المؤمنين ابو بكر وقال سعيد ابن جبير هو عمر وقال عكرمة ابو بكر وعمر وروى شقيق عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال وصالح المؤمنين ابو بكر وعمر وعن اسما بنت عميس قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وصالح المؤمنين علي بن ابي طالب وقيل خيار المؤمنين وصالح اسم جنس كقوله تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر قاله الطبري وقال العلا بن زياد وقتادة وسفيان هم الانبيا وقال ابن زيد هم الملائكة وقال السدي هم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقيل صالح المؤمنين ليس بلفظ الواحد وانما هو صالحو المؤمنين فاضاف الصالحين الى المؤمنين وسياتي له مزيد شان ان شا الله تعالى **فصل** قيل كان التظاهر منهما في التحكم على النبي صلى الله عليه وسلم في النفقة ولهذا آلى منهن شهرا واعتزلهن وروى مسلم عن جابر بن عبد الله قال دخل ابو بكر يستاذن على النبي صلى الله عليه وسلم فوجد الناس جلوسا ببابه لم يوذن لاحد منهم قال فاذن لابي بكر فدخل ثم اقبل عمر فاستاذن فاذن له فوجد النبي صلى الله عليه وسلم جالسا حوله نساوه واجما ساكتا قال فلاقولن شيا اضحك النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لو رايت بنت خارجة تسالني النفقة فقمت اليها فوجات عنقها فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هن حولي كما ترى يسالنني النفقة فقام ابو بكر الى عائشة يجا عنقها وقام عمر الى حفصة يجا عنقها كلاهما يقول تسالن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس عنده فقلن والله لا نسال رسول الله صلى الله عليه وسلم شيا ابدا ليس عنده ثم اعتزلهن رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا او تسعا وعشرين ثم نزلت عليه يا ايها النبي قل لازواجك حتى بلغ للمحسنات منكن اجرا عظيما الحديث **قوله** وصالح المؤمنين الظاهر انه مفرد ولذلك كتب بالحاء دون واو الجمع وجوزوا ان يكون جمعا بالواو والنون حذفت النون للاضافة وكتب دون واو اعتبارا بلفظه لان الواو ساقطة لالتقاء الساكنين نحو ويمح الله الباطل ويدع الداع وسندع الزبانية الى غير ذلك ومثل هذا ما جا في الحديث اهل القران اهل الله وخاصته قالوا يجوز ان يكون مفردا وان يكون جمعا كقوله شغلتنا اموالنا واهلونا وحذفت الواو لالتقاء الساكنين لفظا فاذا كتب هذا فالاحسن ان يكتب بالواو ولهذا الغرض وليس ثم ضرورة لحذفها كما في مرسوم الخط وجوز ابو البقا في جبريل ان يكون معطوفا على الضمير في مولاه يعني المستتر وحينئذ يكون الفصل بالضمير المجرور كافيا في تجويز العطف عليه وجوز ايضا ان يكون جبريل مبتدا وصالح عطف عليه فالخبر

محذوف اي مواليه **فصل** قال ابن عباس اراد بقوله وصالح المومنين يعني ابا بكر وعمر موالين للنبي صلى الله عليه وسلم على من عاداه وناصرين له وقيل كل من امن وعمل صالحا وقيل من بري من النفاق وقيل الانبياء وقيل الخلفا وقيل الصحابة **قوله** عسى ربه ان طلقكن قيل كل عسى في القران واجب الا هذا وقيل هو واجب ولكن الله عز وجل علقه بشرط وهو التطليق ولم يطلقهن قال النحويون ان طلقكن شرط معترض بين اسم عسى وخبرها وجوابه محذوف او متقدم اي ان طلقكن فعسى وادغم ابو عمرو القاف في الكاف على راي بعضهم قال وهو اولى من يرزقكم ونحوه لثقل التانيث **قوله** ان يبدله قري مخففا ومشددا كما تقدم في الكهف والتبديل والابدال بمعنى كالتنزيل والانزال وقوله ازواجا خيرا منكن لانكن لو كنتن خيرا منهن ما طلقكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال معناه السدي وقيل هذا وعد من الله تعالى لرسوله لو طلقهن في الدنيا ان يزوجه في الاخرة نسا خيرا منهن وكان الله عالما بانه لا يطلقهن ولكن اخبر عن قدرته على انه ان طلقهن ابدله خيرا منهن تخويفا لهن كقوله تعالى وان تتولوا يستبدل قوما غيركم وهو اخبار عن القدرة وتخويف لهم لا ان في الوجود من هو خير من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم **قوله** مسلمات الى اخره اما نعت او حال او منصوب على الاختصاص قال سعيد بن جبير مسلمات يعني مخلصات وقيل مسلمات لامر الله تعالى وامر رسوله خاضعات لله بالطاعة مومنات اي مصدقات بتوحيد الله وقيل مصدقات بما امرن به ونهين عنه قانتات مطيعات والقنوت الطاعة وقيل داعيات وقيل مصليات تائبات اي من ذنوبهن قاله السدي وقيل راجعات الى امر رسول الله صلى الله عليه وسلم تاركات لمحاب انفسهن عابدات اي كثيرات العبادة لله تعالى وقال ابن عباس كل عبادة في القران فهو التوحيد سائحات اي صائمات قاله ابن عباس والحسن وابن جبير وقال زيد بن اسلم وابنه عبد الرحمن مهاجرات قال ابن زيد وليس في امة محمد صلى الله عليه وسلم سياحة الا الهجرة والسياحة الجولان في الارض وقال الفرا والقتبي وغيرهما سمي الصائم سائحا لان السائح لا زاد معه وانما ياكل من حيث يجد الطعام وقيل يحتمل حيث ما ساح وقيل ذاهبات في طاعة الله تعالى من ساح الما اذا ذهب وتقدم في سورة براءة وقرا عمرو بن فايد سيحات **فصل** قال ابن الخطيب فان قيل كيف يكون المبدلات خيرا منهن ولم يكن على وجه الارض نسا خيرا من امهات المومنين فالجواب اذا طلقهن الرسول عليه السلام لعصيانهن له وايذايهن اياه كان غيرهن من الموصوف بهذه الصفات مع الطاعة للرسول عليه السلام خيرا منهن فان قيل قوله مسلمات مومنات يوهم التكرار لان المسلمات والمومنات سوا فالجواب الاسلام هو التصديق باللسان والايمان هو التصديق بالقلب وقد لا يجتمعان فقوله مسلمات مومنات تحقيقا لاجتماعهما **قوله** ثيبات وابكارا انما وسطت الواو بين ثيبات وابكارا لتنافي الوصفين دون ساير الصفات وثيبات ونحوه لا ينقاس لانه اسم جنس مونث فلا يقال نساخودات ولا رايت عينات والثيب وزنها فيعل من ثاب يثوب اي رجع كانها ثابت بعد زوال عذرتها واصلها ثيوب كسيد وميت اصلهما سيود وميوت فاعل الاعلال المشهور والمعنى منهن ثيب ومنهن بكر قيل انما سميت ثيبا لانها راجعة الى زوجها ان اقام معها او الى غيره ان فارقها وقيل لانها ثابت الى بيت ابويها قال القرطبي والاول اصح لان كل ثيب تعود الى زوج واما البكر فهي العذرا لانها على اول حالتها التي خلقت بها قال ابن الخطيب فان قيل ذكر الثيبات في مقام المدح وهي من جملة ما يقلل رغبة الرجل فيهن فالجواب يمكن ان يكون بعض الثيب خيرا بالنسبة الى بعض الابكار عند الرسول عليه السلام لاختصاصهن بالمال والجمال او النسب او المجموع واذا كان كذلك فلا يقدح ذكر الثيب في المدح وقال الكلبي اراد بالثيب مثل اسية امراة فرعون وبالبكر مثل مريم ابنة عمران قال القرطبي وهذا انما يمشي على قول من قال ان التبديل وعد من الله لنبيه لو طلقهن في

الدنيا زوجه في الاخرة خيرا منهن والله اعلم **قوله** يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم واهليكم نارا قوا امر من الوقاية فوزنه عوا لان الفا حذفت لوقوعها في المضارع بين يا وكسرة وهذا محمول عليه واللام حذفت حملا له على المجزوم لان اصله اوقيوا كاضربوا فحذفت الواو التي هي فا لما تقدم واستثقلت الضمة على اليا فحذفت فالتقى ساكنان فحذفت اليا وضم ما قبل الواو ليصح وهذا تعليل البصريين ونقل مكي عن الكوفيين ان الحذف عندهم فرقا بين المتعدي والقاصر فحذفت الواو التي هي فا في يقي ويعد لتعديهما ولم تحذف من يوجل لقصوره قال ويرد عليهم نحو يوم فانه قاصر ومع ذلك تحذفوا فاه قال شهاب الدين وفي هذا نظر لان يوجل لم تقع فيه الواو بين يا وكسرة لا ظاهرة ولا مضمرة وقلت ولا مضمرة نحو ان يضع ويسع ويهب وقرا بعضهم واهلوكم وخرجت على العطف على الضمير المرفوع بقوا وجوز ذلك الفصل بالمفعول قال الزمخشري بعد ذكره القراءة وتخريجها فان قلت اليس التقدير قوا انفسكم وليق اهلوكم انفسكم قلت لا ولكن المعطوف في التقدير مقارن للواو وانفسكم واقع بعده كانه قيل قوا انتم واهلوكم انفسكم لما جمعت مع المخاطب الغايب غلبته فجعلت ضميرهما معا على لفظ المخاطب **قوله** نارا مفعول ثان ووقودها الناس صفة لنارا وكذلك عليها ملايكة ويجوز ان يكون الوصف وحده عليها وملايكة فاعل به ويجوز ان يكون حالا لتخصصها بالصفة الاولى وكذلك لا يعصون الله وتقدم الخلاف في واو وقودها ضما وفتحا في البقرة **فصل** قال الضحاك المعنى قوا انفسكم واهلوكم فليقوا انفسهم نارا وروى علي بن ابي طلحة عن ابن عباس قوا انفسكم وامروا اهليكم بالذكر والدعا حتى يقيهم الله بكم وقال علي رضي الله عنه وقتادة ومجاهد قوا انفسكم بافعالكم وقوا اهليكم بوصيتكم قال ابن العربي وهو الصحيح والفقه الذي يعطيه العطف الذي يقتضي التشريك بين المعطوف والمعطوف عليه في معنى الفعل كقوله ٭ اعلفتها تبنا وما باردا ٭ وكقوله ٭ ورايت زوجك في الوغا متقلدا سيفا ورمحا ٭ فعلى الرجل ان يصلح نفسه بالطاعة ويصلح اهله صلاح الراعي للرعية وقال عليه السلام كلكم راع وكلكم مسول عن رعيته فالامام الذي على الناس راع وهو مسول عنهم والرجل راع على اهل بيته وهو مسول عنهم قال الحسن في هذه الاية يامرهم وينهاهم وقال بعض العلما لما قال قوا انفسكم دخل فيه الاولاد لان الولد بعض منه كما دخلوا في قوله تعالى ليس عليكم جناح ان تاكلوا من بيوتكم وقوله عليكم ان احل ما اكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه فلم يفرد بالذكر افراد ساير القرابات فيعلمه الحلال والحرام ويجنبه المعاصي والاثام الى غير ذلك من الاحكام وقال عليه السلام حق الولد على الوالد ان يحسن اسمه ويعلمه الكتابة ويزوجه اذا بلغ وقال عليه السلام ما نحل والد ولدا افضل من ادب حسن وقال عليه السلام مروا ابناكم بالصلاة لسبع واضربوهم على تركها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع وقال بعض العلما ويخبر اهله بوقت الصلوة ووجوب الصيام وقال عليه السلام رحم الله امرا قام من الليل فصلى فايقظ اهله فان لم تقم رش وجهها بالما ورحم الله امراة قامت من الليل تصلي وايقظت زوجها فان لم يقم رشت وجهه بالما وذكر القشيري قال لما نزلت هذه الاية قال رجل يا رسول الله نقي انفسنا فكيف لنا باهلينا فقال تنهونهم عما نهاكم الله وتامرونهم بما امر الله وقال مقاتل ذلك حق عليه في نفسه وولده واهله وعبيده وامايه قال الكيا فعلينا تعليم اولادنا واهلينا الدين والخير وما لا يستغني عنه من الادب وهو قوله تعالى وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم وانذر عشيرتك الاقربين وتقدم الكلام على قوله وقودها الناس والحجارة في البقرة **فصل** قال ابن الخطيب فان قيل انه تعالى خاطب المشركين في قوله تعالى فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة ثم قال اعدت للكافرين فما معنى مخاطبته للمومنين بذلك فالجواب ان الفساق وان كانت دركاتهم فوق دركات الكفار فانهم مع الكفار في دار واحدة فقيل للذين

امنوا قوا انفسكم باجتناب الفسوق بجاورة الذين اعدت لهم هذه النار ولا يبعد ان يامرهم بالتوقي
عن الارتداد **قوله** عليها ملائكة غلاظ شداد يعني الزبانية غلاظ القلوب لا يرحمون اذا استرحموا
خلقوا من الغضب وحبب اليهم عذاب الخلق كما حبب لبني ادم اكل الطعام والشراب شداد اي شداد
الابدان وقيل غلاظ الاقوال شداد الافعال وقيل غلاظ في اخذهم اهل النار شداد عليهم يقال
فلان شديد على فلان اي قوي عليه يعذبه بانواع العذاب وقيل غلاظ اجسامهم ضخمة شداد اي
اقويا قال ابن عباس ما بين منكبي الواحد منهم مسيرة سنة وقال عليه السلام في خزنة جهنم ما بين
منكبي احدهم كما بين المشرق والمغرب **قوله** لا يعصون الله ما امرهم يجوز ان تكون ما بمعنى الذي
والعايد محذوف اي ما امروه والاصل به لا يقال كيف حذف العايد المجرور ولم يجر الموصول
بمثله لانه يطرد حذف هذا الحرف فلم يحذف الا منصوبا وان تكون مصدرية ويكون محلها بدلا
من اسم الله بدل اشتمال كانه قيل لا يعصون امره وقوله ويفعلون قال الزمخشري فان قلت اليست
الجملتان في معنى واحد قلت لا لان الاولى معناها انهم يتقبلون اوامره ويلتزمونها والثانية
معناها انهم يؤدون ما يؤمرون به لا يتثاقلون عنه ولا يتوانون فيه وقال القرطبي لا يعصون الله
ما امرهم اي لا يخالفونه في امر من زيادة او نقصان ويفعلون ما يؤمرون اي في وقته لا يؤخرونه
ولا يقدمونه وقيل اي لذتهم في امتثال امر الله كما ان سرور اهل الجنة في الكون في الجنة ذكره بعض
المعتزلة وعندهم انه يستحيل التكليف غدا ولا يخفى معتقد اهل الحق في ان الله يكلف اليوم
وغدا ولا ينكر التكليف غدا في حق الملائكة ولله ان يفعل ما يشا **قوله تعالى**
يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم اي فان عذركم لا ينفع وهذا النهي لتحقيق اليأس انما تجزون ما
كنتم تعملون في الدنيا ونظيره فاليوم لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم **قوله** يا ايها الذين
امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا قرا الجمهور بفتح نون نصوحا وهي صيغة مبالغة اسند النصح اليها
مجازا وهي من نصح الثوب اي خاطه فكان التايب يرقع ما خرقه بالمعصية وقيل من قولهم عسل
ناصح اي خالص وقرا ابو بكر بضم النون وهو مصدر نصح يقال نصح نصحا ونصوحا نحو كفر كفرا وكفورا
وشكر شكرا وشكورا وفي انتصابه اوجه احدها انه مفعول له اي لاجل النصح الحاصل نفعه
عليكم والثاني انه مصدر مؤكد لفعل محذوف اي ينصحهم نصحا الثالث انه صفة لها اما على المبالغة
على انها نفس المصدر او على حذف مضاف اي ذات نصوح وقرا زيد بن علي توبا دون تا **فصل**
قال ابن الخطيب وجه تعلق هذه الاية بقوله يا ايها الذين كفروا انه تعالى نبههم على دفع العذاب
في ذلك اليوم بالتوبة في الدنيا اذ في ذلك اليوم لا يفيد التوبة **فصل** امر بالتوبة وهي
فرض على الاعيان في كل الاحوال وكل الازمان واختلفوا في التوبة النصوح فقيل هي التي لا عودة
بعدها كما لا يعود اللبن الى الضرع روي عن عمر وابن مسعود وابي بن كعب ومعاذ بن جبل ورفعه
معاذ الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال قتادة النصوح الصادقة الناصحة وقيل الخالصة يقال
نصح له اي اخلص له القول وقال الحسن النصوح ان يبغض الذنب الذي احبه ويستغفر منه اذا ذكره وقيل
هي التي لا يثق بقبولها ويكون على وجل منها وقال الكلبي التوبة النصوح الندم بالقلب والاستغفار
باللسان والاقلاع عن الذنب والعزم على ان لا يعود وقيل غير ذلك **فصل** في الاشيا
التي يتاب منها قال بعض العلما الذنب الذي يكون منه التوبة لا يخلوا اما ان يكون حقا لله او لادمي
فان كان حقا لله كترك صلاة او صوم او تفريط في زكوة فان التوبة لا تصح منها حتى ينضم الى الندم
قضا ما فات منها وان كان قتل نفس بغير حق فان تمكن من القضا منه ان طلب به فان عفا عنه
كفاه الندم والعزم على ترك العود بالاخلاص وكذلك ان عفي عنه في القتل بمال فعليه ان يؤديه
ان كان واجدا له قال تعالى فمن عفي له من اخيه شيء فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان وان

كان

كان ذلك من حدود الله كما كان فانه اذا تاب الى الله تعالى بالندم الصحيح سقط عنه وقد نص
الله تعالى على سقوط الحد عن المحاربين اذا تابوا قبل القدرة عليهم كما تقدم وكذلك الشراب
والسراق والزناة اذا اصلحوا وتابوا وعرف ذلك منهم ثم رفعوا الى الامام فلا ينبغي له ان يحدهم وان
رفعوا اليه فقالوا تبنا لم يتركهم في هذه الحال كالمحاربين اذا غلبوا هذا مذهب الشافعي فان
كان الذنب من مظالم العباد فلا تصح التوبة منه الا برده الى صاحبه والخروج عنه عينا كان او غيره
ان كان قادرا عليه فان لم يكن قادرا عليه فالعزم على ان يؤديه اذا قدر في اعجل وقت واسرعه
وان كان اضر بواحد من المسلمين وذلك الواحد لا يشعر به او لا يدري من اين اتى فانه يزيل ذلك الضرر
عنه ثم يساله ان يعفو عنه ويستغفر له فاذا عفى فقد سقط الذنب عنه وان ارسل من يساله
ذلك المظلوم عن ظلمه عرفه بعينه او لم يعرفه فذلك صحيح وان اسا رجل الى رجل بان فزعه بغير حق
او غمه او لطمه او صفعه بغير حق او ضربه بسوطه فالمه ثم جاءه مستعفيا نادما على ما كان منه
عازما على ان لا يعود فلم يزل يتذلل له حتى طابت نفسه فعفى عنه سقط الذنب عنه وهكذا
ان شتمه بشتم لا حد فيه **قوله** عسى ربكم ان يكفر عنكم سياتكم عسى من الله واجبة وهو معنى قوله عليه
السلام التايب من الذنب كمن لا ذنب له وان في موضع نصب **قوله** ويدخلكم معطوف على
يكفر قرا العامة بالنصب وابن ابي عبلة بسكون الرا فاحتمل ان يكون من اجرا المتصل مجرى المنفصل
فسكنت الكسرة لانه يحل من مجموع يكفر عنكم مثل نطع وقمع فيقال فيهما نطع وقمع ويحتمل ان يكون
عطفا على محل عسى ان يكفر كانه قيل توبوا يوجب تكفير سياتكم ويدخلكم قاله الزمخشري يعني ان عسى في
محل جزم جوابا للامر لانه لو وقع موقعها مضارع لانجزم كما مثل به الزمخشري وفيه نظر لانا لا نسلم
ان عسى جوابا ولا يقع جوابا لانها للانشا **قوله** يوم لا يخزي الله النبي يوم منصوب بيدخلكم
او باضمار اذكر ومعنى يخزي هنا يعذب اي لا يعذبه ولا يعذب الذين امنوا معه قالت المعتزلة
قوله تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه يدل على انه لا يعذب الذين امنوا لان الاخزا
يقع بالعذاب ولو كان اصحاب الكباير من اهل الايمان لم يجب عليهم العذاب قال ابن الخطيب واجاب
اهل السنة بانه تعالى وعد اهل الايمان بان لا يخزيهم ومن اهل السنة من يقف على قوله يوم لا يخزي
الله النبي ومعناه لا يخزيه في رد الشفاعة والاخزا الفضيحة اي لا يفضحهم بين يدي الكفار ويجوز
ان يعذبهم على وجه لا تقف الكفرة عليه **قوله** والذين امنوا يجوز فيه وجهان احدهما ان يكون
منسوقا على النبي اي ولا يخزي الذين امنوا فعلى هذا يكون نورهم يسعى مستانفا او حالا والثاني ان يكون
مبتدا وخبره نورهم يسعى ويقولون خبر ثان او حال وتقدم اعراب مثل هذه الجمل في الحديد واعراب
ما بعدها في براة وقرا ابو حيوة وابو سهل التيمي وبايمانهم بكسر الهمزة ومعنى قوله نورهم بين ايديهم
اي الى ... وبايمانهم عند الحساب لانهم يؤتون الكتاب بايمانهم وفيه نور وخير وقيل يسعى النور بين ايديهم
في موضع وضع اقدامهم وبايمانهم لان خلفهم وشمالهم طريق الكفرة وقولهم ربنا اتمم لنا نورنا وقال
ابن عباس يقولون ذلك عند اطفا نورهم **قوله** يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم
امره ان يجاهد الكفار بالسيف والمواعظ الحسنة والدعا الى الله والمنافقين بالغلظة واقامة الحجة
وان يعرفهم احوالهم في الاخرة وانهم لا نور لهم يجوزون به على الصراط مع المومنين وقال الحسن
اي جاهدهم باقامة الحدود عليهم فانهم كانوا يرتكبون موجبات الحدود وكانت الحدود تقام
عليهم وماواهم جهنم يرجع الى الصنفين وبيس المصير اي المرجع قال ابن الخطيب وفي مخاطبة النبي
صلى الله عليه وسلم بقوله يا ايها النبي في اول الامر وفي هذه الاية دون وصفه بالنبي لا باسمه كقوله لادم
يا ادم ولموسى يا موسى ولعيسى يا عيسى دليل على فضيلته عليهم فان قوله وماواهم جهنم يدل على انه غير
بيس المصير فما فايدته فالجواب ان بيس المصير مطلق والمطلق يدل على الدوام وغير المطلق لا يدل

لا　　يطهرهم　　ثم ضرب الله مثلا للصالحات والطالحات من النسا فقال ضرب الله مثلا الي اخره
فصل تقدم الكلام على ضرب مع المثل وهو بمعنى صير لا وكيف ينتصب ما بعدها في سورة النحل
ضرب الله هذا المثل تنبيها على انه لا يغني احد عن قريب ولا نسيب في الاخرة اذا فرق بينهما الدين وكان
اسم امراة نوح والهة واسم امراة لوط والعه قاله مقاتل وقال الضحاك عن عايشة رضي الله عنها ان
جبريل نزل على النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره ان اسم امراة نوح واغلة واسم امراة لوط واهلة كانتا
تحت عبدين من عبادنا صالحين يعني نوحا ولوطا ويجوز ان تكون امراة نوح بدلا من قوله مثلا على
تقدير حذف المضاف اي ضرب الله مثلا مثل امراة نوح ويجوز ان يكونا مفعولين قوله كانتا
تحت عبدين جملة مستانفة كانها مفسرة لضرب المثل ولم يات بضميرهما فيقال تحتهما اي تحت نوح ولوط
لما قصد من تشريفهما بهذه الاضافة الشريفة ٥ لا تدعني الا بيا عبدها فانه اشرف اسماي ٥
وليصفهما باجل الصفات وهو الصلاح قوله فخانتاهما قال عكرمة والضحاك بالكفر وقال
سليمان بن رقية عن ابن عباس كانت امراة نوح تقول للناس انه مجنون وكانت امراة لوط تخبر
باضيافه وعن ابن عباس ما بغت امراة نبي قط وانما كانت خيانتهما انهما كانا على غير دينهما
قال القشيري وهذا اجماع من المفسرين انما كانت خيانتهما في الدين وكانتا مشركتين وقيل كانتا
منافقتين وقيل خيانتهما النميمة اذا اوحي اليهما شيا افشتاه الى المشركين قاله الضحاك وقيل كانت
امراة لوط اذا نزل به ضيف دخنت ليعلم قومها انه قد نزل به ضيف لما كانوا عليه من اتيان
الرجال قوله فلم يغنيا العامة بالياء من تحت اي لم يغن نوح ولوط عن امراتيهما شيا من الاغنا
من عذاب الله وقرا مبشر بن عبيد تغنيا بالتاء من فوق اي فلم تغن المراتان عن انفسهما وفيها اشكال
اذ يلزم من ذلك تعدي فعل المضمر المتصل الى ضميره المتصل في غير المواضع المستثناه وجوابه ان عن
هنا اسم كهي في قوله ٥ دع عنك نهبا صيح في حجراته ٥ وقد تقدم هذا والاعتراض عليه بقوله وهزي
اليك واضمم اليك جناحك والجواب هناك فصل معنى الاية لم يدفع نوح ولوط مع كرامتهما
على الله تعالى عن زوجتيهما لما عصيا شيا من عذاب الله تنبيها بذلك على ان العذاب يدفع بالطاعة
لا بالوسيلة وقيل ان كفار مكة استهزوا وقالوا ان محمدا يشفع لنا فبين الله تعالى ان الشفاعة لا تنفع
كفار مكة وان كانوا اقربا كما لا ينفع نوح امراته وشفاعة لوط لامراته مع قربهما لهما لكفرهما وقيل ادخلا
النار مع الداخلين في الاخرة كما يقال لكفار مكة وغيرهم قطع الله بهذه الاية طمع من يرتكب المعصية
ان ينفعه صلاح غيره ثم اخبر ان معصية غيره لا تضره اذا كان مطيعا قوله وضرب الله مثلا
للذين امنوا امراة فرعون واسمها اسية بنت مزاحم قال يحيى بن سلام قوله ضرب الله مثلا للذين كفروا
مثلا ضربه الله يحذر به عايشة وحفصة في المخالفة حين تظاهرتا عليه صلى الله عليه وسلم ثم ضرب
لهما مثلا بامراة فرعون ومريم ابنة عمران ترغيبا في التمسك بالطاعة والثبات على الدين وقيل هذا
حث للمومنين على الصبر في الشدة اي لا تكونوا في الصبر عند الشدة اضعف من امراة فرعون حين
صبرت على اذى فرعون قال المفسرون لما غلب موسى السحرة امنت امراة فرعون وقيل بي عمه موسى امنت
به فلما تبين لفرعون اسلامها اوتد يديها ورجليها باربعة اوتاد والقاها في الشمس والقى عليها صخرة
عظيمة فقالت رب نجني من فرعون فرقي بروحها في الجنة فوقعت الصخرة على جسد لا روح فيه وقال
الحسن رفعها تاكل في الجنة وتشرب قال سلمان الفارسي كانت امراة فرعون تعذب في الشمس فاذا
انصرفوا عنها اظلتها الملايكة قوله اذ قالت منصوب بضرب وان تاخر ظهور الضرب ويجوز ان
ينتصب بالمثل قوله عندك يجوز تعلقه بابن وان يتعلق بمحذوف على انه حال من بيتا كان
نعته فلما قدم نصب حالا وفي الجنة اما متعلق بابن واما بمحذوف على انه نعت لبيتا فصل
قال المفسرون لما كانت تعذب في الشمس واذاها حر الشمس قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة فرافوق ذلك

حضور

حضور فرعون فضحكت حين رات بيتها في الجنة فقال فرعون الا تعجبوا من جنونها انا اعذبها وهي تضحك
فقبض روحها وروي انه وضع على ظهرها رحي فاطلعها الله حتى رات مكانها في الجنة وقيل
لما قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة اريت بيتها في الجنة من درة وانتزع روحها فالقي عليها
صخرة بعد خروج روحها فلم تجد المًا وقال الحسن وابن كيسان رفع الله امراة فرعون الى الجنة فهي فيها
تاكل وتشرب وتتنعم قوله ونجني من فرعون وعمله يعني بالعمل الكفر وقيل من عمله اي من
عذابه وظلمه وقال ابن عباس الجماع ونجني من القوم الظالمين اي الكافرين قال الكلبي اهل مصر
وقال مقاتل القبط قوله ومريم ابنة عمران عطف على امراة فرعون ضرب الله المثل للكافرين
بامراتين وللمومنين بامراتين وقال ابو البقا ومريم اي واذكر مريم وقيل ومثل مريم وقرا العامة
اي واذكر مريم وقيل ومثل مريم ابنة بنصب التا وايوب السختياني بسكون الها وصلا اجرى
الوصل مجرى الوقف والعامة ايضا فنفخنا فيه اي في الفرج وعبد الله فيها اي في الجملة وتقدم
في الانبيا مثله والعامة ايضا وصدقت فيما اخبرت به مشددا وعيسى والعامة على بكلمات جمعا
والحسن ومجاهد والجحدري بكلمة بالافراد فقيل المراد بها عيسى لانه كلمة الله فصل ضرب
الله مثلا لمريم ابنة عمران وصبرها على اذى اليهود وقوله التي احصنت فرجها اي عن الفواحش
وقال المفسرون اراد بالفرج هنا الجيب لقوله فنفخنا فيه من روحنا وجبريل عليه السلام انما
نفخ في فرجها وهي في قراة ابي فنفخنا في جيبها من روحنا وكل خرق في الثوب يسمى فرجا ومنه قوله
تعالى وما لها من فروج ويحتمل ان يكون احصنت فرجها ونفخ الروح في جيبها ومعنى فنفخنا ارسلنا
جبريل فنفخ في جيبها من روحنا اي روحا من ارواحنا وهو روح عيسى وقوله وصدقت بكلمات
ربها اي قول جبريل لها انما انا رسول ربك الاية وقال مقاتل يعني بالكلمات عيسى وانه نبي وعيسى
كلمة الله كما تقدم وقيل بكلمات ربها يعني الشرايع التي شرعها الله للعباد بكلماته المنزلة قوله
وكتبه قرا اهل البصرة وحفص كتبه على الجمع وقرا الاخرون وكتابه على التوحيد والمراد منه
الكثرة فالمراد به الجنس فيكون في معنى كل كتاب انزله الله تعالى وتقدم الكلام في كتابه وكتبه
في اخر البقرة وقرا ابو رجا وكتْبه بسكون التا وهو تخفيف حسن وروي عنه وكتبه بفتح الكاف
قال ابو الفتح مصدر وضع موضع الاسم يعني ومكتوبه فصل اراد الكتب التي انزلت
على ابرهيم وموسى وداود وعيسى وقوله وكانت من القانتين يجوز في من وجهان احدهما انها لابتدا
الغاية والثاني انها للتبعيض ويجوز ان يكون لابتدا الغاية على انها ولدت من القانتين لانها
من اعقاب هارون اخي موسى صلوات الله على نبينا وعليهما وعلى سائر الانبيا واله قال الزمخشري
فان قلت لم قيل من القانتين على التذكير قلت لان القنوت صفة تشمل من قنت من القبيلتين
فغلب ذكوره على اناثه وقيل اراد من القوم القانتين ويجوز ان يرجع هذا الى اهل بيتها فانهم
كانوا مطيعين لله والقنوت الطاعة وقال عطا من المصلين بين المغرب والعشا وعن جابر بن
جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم قال لخديجة وهي تجود بنفسها اتكرهين ما قد نزل بك وقد جعل
الله ٥ فيه خيرا فاذا قدمت على ضراتك فاقريهن مني السلام مريم بنت عمران واسية بنت مزاحم
وكلثم او قال حليمة بنت عمران اخت موسى بن عمران فقالت بالرفا والبنين يا رسول الله وروي
قتادة عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال حسبك من نسا العالمين اربع مريم ابنة عمران
وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد واسيه بنت مزاحم امراة فرعون روى الثعلبي عن ابي بن كعب
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك اعطاه الله
توبة نصوحا ٥

سورة الملك مكية وتسمى الواقية والمنجية

وتدعى في التورية المانعة لانها تقي وتنجي من عذاب القبر وعن ابن شهاب انه كان يسميها المجادلة

حـ
قال ابن الاثير الرفا الالتيام والاتفاق والبركة
والنما وهو مهموز وذكره الهروي في المعتل
قال وهو على معنيين احدهما الاتفاق وحسن
الاجتماع والاخر من الهدو والسكون واما
المهموز فمن قولهم رفات الثوب رفا ورفوته
رفوا

لانها تجادل عن صاحبها في القبر وهي ثلثون اية وثلاث مائة وثلثون كلمة والف وثلاث مائة حرف
بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** تبارك الذي بيده الملك تبارك تفاعل
من البركة وقد تقدم وقال الحسن تقدس وقيل دام فهو الدايم الذي لا اول لوجوده ولا اخر
لدوامه الذي بيده الملك اي ملك السموات والارض في الدنيا والاخرة وقال ابن عباس بيده
الملك يعز من يشا ويذل من يشا ويحيي ويميت ويغني ويفقر ويعطي ويمنع قال ابن الخطيب هذه
اللفظة تستعمل لتاكيد كونه تعالى ملكا ومالكا كما يقال بيد فلان الامر والنهي والحل والعقد
ولا مدخل للجارحة قال الزمخشري بيده الملك كل موجود وهو على كل ما لم يوجد قدير **قوله**
وهو على كل شيء قدير يدل على ان المعدوم شيء لان قدرة الله تعالى لا تتعلق بالموجود لان القدرة
مؤثرة والعدم نفي محض فلا يكون اثرها فوجب ان يكون المعدوم شيا **فصل**
احتج اهل السنة بهذه الاية على انه لا مؤثر الا قدرة الله تعالى فابطلوا القول بالطبايع كقول
الفلاسفة وابطلوا القول بالمتولدات كقول المعتزلة وابطلوا القول بكون العبد موجدا لافعال
نفسه لقوله وهو على كل شيء قدير **فصل** دلت هذه الاية على الوحدانية لانا لو قدرنا
الها ثانيا فاما ان يقدر على ايجاد شيء اولا فان لم يقدر على ايجاد شيء لم يكن الها وان قدر كان مقدور
ذلك الاله الثاني شيا فيلزم كون ذلك الشيء للاله الاول لقوله وهو على كل شيء قدير فيلزم وقوع
مخلوق من خالقين وهو محال لانه اذا كان كل واحد منهما مستقلا بالايجاد يلزم ان يستغني كل واحد
منهما عن كل واحد منهما فيكون محتاجا اليهما وغنيا عنهما وذلك محال **فصل** احتج جهم بهذه
الاية على انه تعالى ليس بشيء فقال لو كان شيا لكان قادرا على نفسه لقوله تعالى وهو على كل شيء قدير
لكن كونه قادرا على نفسه محال فيمتنع كونه شيا والجواب لما دل قوله تعالى قل اي شيء اكبر شهادة قل
الله على انه تعالى شيء وجب تخصيص هذا العموم فاذن دلت هذه الاية على ان العام المخصوص وارد
في كتاب الله تعالى ودلت على ان تخصيص العام بدليل العقل جايز بل واقع **قوله** الذي خلق
الموت والحيوة قيل خلق الموت في الدنيا والحيوة في الاخرة وقدم الموت على الحيوة لان الموت الى
القهر اقرب كما قدم البنات على البنين فقال يهب لمن يشا اناثا وقيل قدمه لانه اقدم لان الاشيا
في الابتدا كانت في حكم الموت كالنطفة والتراب ونحوه وقال قتادة كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول ان الله تعالى اذل بني ادم بالموت وجعل الدنيا دار حيوة ثم دار موت وجعل الاخرة
دار جزا ثم دار بقا وعن ابي الدردا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لولا ثلاث ما طاطا ابن
ادم راسه الفقر والمرض والموت وقيل انما قدم الموت على الحياة لان من نصب الموت بين عينيه
كان اقوى الدواعي له الى العمل قال ابن الخطيب قالوا الحيوة هي الصفة التي يكون الموصوف بها بحيث
يصح ان يعلم ويقدر واختلفوا في الموت فقيل انه عبارة عن عدم هذه الصفة وقال اصحابنا انه
صفة وجودية مضادة للحيوة واحتجوا بقوله تعالى الذي خلق الموت والعدم لا يكون مخلوقا وهذا
هو التحقيق وروى الكلبي عن ابن عباس ان الله تعالى خلق الموت في صورة كبش املح لا يمر بشيء ولا يجد
رايحته الا مات وخلق الحيوة في صورة فرس بلقا فوق الحمار ودون البغل لا تمر بشيء ولا يجد رايحتها
شيء الا حيي على ما سياتي قال ابن الخطيب وهذا لا بد وان يكون متاولا على سبيل التمثيل والتصوير
والا فالتحقيق ما ذكرنا **فصل** حكي عن ابن عباس والكلبي ومقاتل ان الموت والحياة
جسمان فالموت في هية كبش لا يمر بشيء ولا يجد ريحه الا مات وخلق الحيوة على صورة فرس انثى بلقا
وهي التي كان جبريل والانبيا عليهم السلام يركبونها خطوتها مد البصر فوق الحمار ودون البغل لا تمر
بشيء تجد ريحها الا حيي ولا تطا على شيء الا حيي وهي التي اخذ السامري من اثرها فالقاه على العجل
فحيي حكاه الثعلبي والقشيري عن ابن عباس والماوردي معناه عن مقاتل والكلبي وعن مقاتل

خلق

خلق الموت يعني النطفة والعلقة والمضغة وخلق الحياة يعني خلق انسانا ونفخ فيه الروح فصار انسانا
قال القرطبي وهذا احسن يدل عليه قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا **قوله** ليبلوكم متعلق بخلق
وقوله ايكم احسن تقدم مثله في اول هود وقال الزمخشري هنا فان قلت من اين تعلق قوله ايكم
احسن عملا بفعل البلوى قلت من حيث انه تضمن معنى العلم فكانه قيل ليعلمكم ايكم احسن عملا واذا
قلت علمته ازيد احسن عملا ام هو كانت هذه الجملة واقعة موقع الثاني من مفعوليه كما تقول
علمته هو احسن عملا فان قلت اتسمي هذا تعليقا قلت لا انما التعليق ان يقع بعده ما يسد
مسد المفعولين جميعا كقولك علمت ايهما عمرو وعلمت ازيد منطلق الا ترى انه لا فرق بعد سبق
احد المفعولين بين ان يقع ما بعده مصدرا بحرف الاستفهام وغير مصدر به ولو كان تعليقا
لافترقت الحالتان كما افترقتا في قولك علمت ازيد منطلق وعلمت زيدا منطلقا قال شهاب الدين
وهذا الذي منع تسميته تعليقا سماه به غيره ويجعلون تلك الجملة في محل ذلك الاسم الذي يتعدى
اليه ذلك الفعل فيقولون في عرفت ايهم منطلق ان الجملة الاستفهامية في محل نصب لسدها
مسد مفعول عرفت وفي نظرت ايهم منطلق ان الجملة في محل نصب على اسقاط الخافض لان نظر
يتعدى به قال الزجاج اللام في ليبلوكم يتعلق بخلق الحياة لا بخلق الموت وقال الفرا والزجاج
ايضا لم تقع البلوى على اي لان فيما بين البلوى واي اضمار فعل كما تقول بلوتكم لانظر ايكم اطوع
ومثله قوله تعالى سلهم ايهم بذلك زعيم اي سلهم ثم انظر ايهم فايهم رفع بالابتدا واحسن خبره
والمعنى ليبلوكم فيعلم او فينظر ايكم احسن عملا قال ابن الخطيب ايكم مبتدا لان الاستفهام لا يعمل
فيه ما قبله **فصل** الابتلا هو التجربة والامتحان حتى يعلم انه هل يطيع او يعصي وذلك
في حق العالم بجميع المعلومات محال وقد تقدم تحقيق هذه المسيلة في قوله تعالى واذا ابتلى
ابرهيم ربه بكلمات والحاصل ان الابتلا من الله تعالى هو ان يعامل عبده معاملة تشبه المختبر
فصل قال السدي في قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا اي اكثركم للموت ذكرا واحسن
استعدادا واشد خوفا وحذرا وقال ابن عمر تلا النبي صلى الله عليه وسلم تبارك الذي بيده الملك
حتى بلغ ايكم احسن عملا فقال اورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله وقيل يعاملكم معاملة
المختبر فيبلو العبد بموت من يعز عليه ليبين صبره وبالحيوة ليبين شكره وقيل خلق الله الموت للبعث
والجزا وخلق الحيوة للابتلا وهو العزيز في انتقامه ممن عصاه الغفور لمن تاب **فصل**
احتج القايلون بانه تعالى يفعل الفعل لغرض بقوله ليبلوكم قالوا وهذه اللام للغرض كقوله تعالى
الا ليعبدون والجواب ان الفعل في نفسه ليس بالابتلا الا انه لما اشبه الابتلا سمي به مجازا فكذا
ههنا انه يشبه الغرض وان لم يكن في نفسه غرضا فتقدم حرف الغرض **قوله** الذي خلق سبع
سموات طباقا يجوز ان يكون الموصول تابعا للعزيز الغفور نعتا او بيانا او بدلا وان يكون منقطعا
عنه خبر مبتدا او مفعول فعل مقدر وقوله طباقا صفة لسبع وفيه ثلاثة اوجه احدها انه جمع
طبق نحو جبل وجبال والثاني انه جمع طبقة نحو رحبة ورحاب والثالث انه مصدر طابق
يقال طابق مطابقة وطباقا ثم اما ان يجعل نفس المصدر مبالغة واما على حذف مضاف
اي ذات طباق واما ان ينتصب على المصدر بفعل مقدر اي طوبقت طباقا من قولهم طابق
النعل اي جعل طبقة فوق اخرى وروي عن ابن عباس طباقا اي بعضها فوق بعض والملتصق منها
اطرافها قاله القرطبي وقيل مصدر بمعنى المطابقة اي خلق سبع سموات وطبقها تطبيقا او مطابقة
او على طوبقت طباقا لانه مفعول ثان فيكون خلق بمعنى جعل وصير وقال ابان بن تغلب سمعت
بعض الاعراب يذم رجلا فقال شره طباق وخيره غير باق ويجوز في غير القران سبع سموات طباق
بالخفض على النعت لسموات نظيره سبع سنبلات خضر **فصل** قال ابن الخطيب دلت

هذه الآية على القدرة من وجوه أحدها من حيث بقاؤها في جو الهواء معلقة بلا عماد ولا سلسلة وثانيها من حيث إن كل واحد منها اختص بمقدار معين مع جواز ما هو أزيد منه وأنقص وثالثها أنه اختص كل واحد منها بحركة خاصة مقدرة بقدر معين من السرعة والبطء إلى جهة معينة ورابعها كونها في ذواتها محدثة وكل ذلك يدل على إسنادها إلى قادر تام القدرة **قوله** ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت هو مفعول ترى ومن مزيدة فيه وقرأ الأخوان تفوت بتشديد الواو دون ألف قال القرطبي وهي قراءة ابن مسعود وأصحابه والباقون تخفيفها بعد ألف وهما لغتان بمعنى واحد كالتعهد والتعاهد والتظهر والتظاهر والتصغر والتصاغر والتحمل والتحامل والتضعف والتضاعف والتباعد والتبعد قاله الفراء وقال الأخفش تفاوت أجود لأنهم يقولون تفاوت الأمر ولا يكادون يقولون تفوت واختيار أبي عبيدة تفوت قال يقال تفوت الشيء إذا فات واحتج بما روي في الحديث أن رجلا تفوت على أبيه في ماله وقال عبد الرحمن بن أبي بكر أمثلي يتفوت عليه في ماله قال النحاس وهذا مردود على أبي عبيدة لأن يتفوت أي يفات في الحديث تفاوت في الآية أشبه كما يقال تباين تفاوت الأمر إذا تباين أو تباعد أي فات بعضها بعضا نقله القرطبي وحكى أبو زيد تفاوت الشيء تفاوتا بضم الواو وفتحها وكسرها والقياس الضم كالتقابل والفتح والكسر شاذان والتفاوت عدم التناسب لأن بعض الأجزاء يفوت الآخر وهذه الجملة المنفية صفة لقوله طباقا وأصلها ما ترى فيهن فوضع مكان الضمير قوله خلق الرحمن تعظيما لخلقهن وتنبيها على سبب سلامتهن وهو أنه خلق الرحمن قاله الزمخشري وظاهر هذا أنها صفة لطباقا وقام الظاهر فيها مقام المضمر وهذا إنما يعرف في خبر المبتدأ وفي الصلة على خلاف فيهما وتفصيل وقال أبو حيان الظاهر أنه مستأنف وليس بظاهر لانفلات الكلام بعضه من بعض وخلق مصدر مضاف لفاعله والمفعول محذوف أي في خلق الرحمن السموات أو كل مخلوق وهو أولى ليعم وإن كان السياق مرشدا للأول **فصل** والمعنى ما ترى في خلق الرحمن من اعوجاج ولا تناقض ولا تباين بل هي مستقيمة مستوية دالة على خالقها وإن اختلفت صوره وقيل المراد بذلك السموات خاصة أي ما ترى في خلق السموات من عيب وأصله من الفوت وهو أن يفوت شيء شيئا فيقع الخلل لعدم استوائها يدل عليه قول ابن عباس من تفرق وقال السدي من تفاوت أي من اختلاف وعيب يقول الناظر لو كان كذا كان أحسن وقيل من التفاوت الفطور لقوله بعد ذلك فارجع البصر هل ترى من فطور ونظيره قوله تعالى وما لها من فروج قال القفال رحمه الله ويحتمل أن يكون ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت في الدلالة على حكمة الصانع وأنه لم يخلقها عبثا **فصل** الخطاب في قوله ما ترى في خلق الرحمن إما للرسول صلى الله عليه وسلم أو لكل مخاطب وكذا القول في قوله فارجع البصر ثم ارجع البصر ينقلب إليك البصر **فصل** دلت هذه الآية على كمال علم الله وذلك أن الحس دل على أن السموات السبع أجسام مخلوقة على وجه الإحكام والإتقان وكل فاعل كان فعله محكما متقنا فلا بد وأن يكون عالما فدلت الآية على كونه تعالى عالما بالمعلومات فقوله ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت إشارة إلى كونها محكمة متقنة **فصل** احتج الكعبي بهذه الآية على أن المعاصي ليست من خلق الله تعالى قال لأنه تعالى نفى التفاوت عن خلقه وليس المراد نفي التفاوت في الصغر والكبر والنقص والعيب فوجب حمله على نفي التفاوت في خلقه من حيث الحكمة فدل من هذا الوجه على أن أفعال العباد ليست من خلقه لما فيها من التفاوت الذي بعضه جهل وبعضه سفه والجواب أنا نحمله على أنه لا تفاوت فيها بالنسبة إليه من حيث إن الكل يصح منه بحسب القدرة والإرادة والداعية وأنه لا يقبح منه شيء أصلا **فصل** روى البغوي عن كعب أنه قال في السماء الدنيا موج مكفوف والثانية مرمر بيضاء والثالثة حديد والرابعة صفر أو قال نحاس والخامسة فضة والسادسة ذهب والسابعة ياقوتة حمراء وبين السماء السابعة إلى الحجب السبعة صحارى

من نور **قوله** فارجع البصر متسبب عن قوله ما ترى وكرتين نصب على المصدر كمرتين وهو مثنى لا يراد به حقيقته بل التكثير بدليل قوله ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير أي مزدجرا وهو كليل وهذان الوصفان لا يأتيان بنظرتين ولا ثلاث وإنما المعنى كرات وهذا كقولهم لبيك وسعديك وحنانيك ودواليك وهذاذيك لا يريدون بهذه التثنية تشفيع الواحد إنما يريدون التكثير أي إجابة لك بعد أخرى وإلا تناقض الغرض والتثنية تفيد التكثير لقرينة كما يفيده أصلها وهو العطف لقرينة كقوله: لو عد قبر وقبر كنت أكرمهم: أي قبور كثيرة ليتم المدح وقال ابن عطية كرتين معناه مرتين ونصبها على المصدر وقيل الأولى ليرى حسنها واستواءها والثانية ليبصر كواكبها في سيرها وانتهائها وهذا الظاهر فيهم التثنية فقط **قوله** هل ترى من فطور هذه الجملة يجوز أن تكون معلقة لفعل محذوف يدل عليه فارجع البصر أي فارجع البصر فانظر هل ترى وأن يكون فارجع البصر مضمنا معنى انظر لأنه بمعناه فيكون هو المعلق وأدغم أبو عمرو لام هل في التاء هنا وفي الحاقة وأظهرها الباقون وهو المشهور في اللغة **والفطور** جمع فطر وهو الشق يقال فطره فانفطر ومنه فطر ناب البعير كما يقال شق ومعناه شق اللحم وطلع قال المفسرون الفطور الصدوع والشقوق قال: شققت القلب ثم ذررت فيه: هواك فليط فالتام الفطور: **قوله** ينقلب العامة بجزمه على جواب الأمر والكسائي في رواية برفعه وفيه وجهان أحدهما أن يكون حالا مقدرة والثاني أنه على حذف الفاء أي فينقلب وخاسئا حال وقوله وهو حسير حال إما من صاحب الأولى وإما من الضمير المستتر في الحال قبلها فيكون متداخلة وقد تقدم معنا خاسئا وحسير في المؤمنين والأنبياء **فصل** لما قال ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت كأنه قال بعده ولعلك لا تحكم بمقتضى ذلك البصر الواحد ولا تعتمد عليه لاحتمال وقوع الغلط في النظرة الواحدة ولكن ارجع البصر واردد النظرة مرة أخرى حتى تتيقن أنه ليس في خلق الرحمن من تفاوت البتة قال القرطبي أمر أن ينظر في خلقه ليعتبروا به ويتفكروا في قدرته فقال فارجع البصر هل ترى من فطور أي اردد طرفك إلى السماء ويقال قلب البصر في السماء ويقال اجتهد بالنظر إلى السماء والمعنى متقارب وإنما قال فارجع بالفاء وليس قبله فعل مذكور لأنه قال ما ترى والمعنى انظر ثم ارجع البصر هل ترى من فطور قاله قتادة قال مجاهد والضحاك الفطور الشقوق وقال قتادة من خلل وقال السدي من خروق وقال ابن عباس من وهن وقوله ثم ارجع البصر كرتين في موضع المصدر لأن معناه رجعتين لأن الإنسان إذا نظر في الشيء مرتين ترى عيبه ما لم تنظر مرة أخرى فأخبر تعالى أنه وإن نظر إلى السماء مرتين لا يرى فيها عيبا بل يتحير بالنظر إليها وقال ابن الخطيب معناه أنك إذا كررت نظرك لم يرجع إليك بصرك بما طلبته من وجدان الخلل والعيب بل يرجع إليك خاسئا أي مبعدا صاغرا عن أن يرى شيئا من ذلك من قولك خسأت الكلب إذا باعدته وطردته وخسأ الكلب بنفسه يتعدى ولا يتعدى وانخسأ الكلب أيضا وخسأ بصره أيضا خسأ وخسوءا أي سدر قال ابن عباس الخاسئ الذي لم ير ما يهوى وقال المبرد هنا الخاسئ المبعد المصغر وقوله وهو حسير أي قد بلغ الغاية في الإعياء وهو بمعنى فاعل من الحسور الذي هو الإعياء ويجوز أن يكون مفعولا من حسره بعد الشيء وهو معنى قول ابن عباس ومنه قول الشاعر: من مد طرفا إلى ما فوق غايته: ارتد خسآن منه الطرف قد حسرا: يقال حسر بصره يحسر حسورا أي كل وانقطع نظره من طول مدى وما أشبه ذلك فهو حسير ومحسور أيضا قال: نظرت إليها بالمحصب من منى: فعاد إلي الطرف وهو حسير: وقيل هو النادم قال: ما أنا اليوم على شيء خلا: يا ابنة القين تولى بحسر: **قوله تعالى** ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح السماء الدنيا أي السماء القربى لأنها أقرب السموات إلى الناس والمعنى السماء الدنيا من الناس أي

الدنيا منكم لانها فعلى تانيث افعل التفضيل بمصابيح جمع مصباح وهو السراج وسمى الكواكب مصابيح
لاضائتها وسماها زينة لان الناس يزينون مساجدهم ودورهم بالمصابيح فكانه قال ولقد
زينا سقف الدار التي اجتمعتم فيها بمصابيح الانوار **قوله** وجعلناها رجوما للشياطين
الضمير في جعلناها نحو زينه وجهان اظهرهما انه يعود على مصابيح قيل وكيفية الرجم ان يوخذ نار
من ضوء الكوكب يرمى بها الشيطان والكوكب في مكانه لا يرجم به قاله ابو علي جوابا لمن قال كيف
تكون زينة وهي رجوم لا تبقى قال المهدوي وهذا على ان يكون الاستراق من موضع الكوكب والثاني
ان الضمير يعود على السما والمعنى وجعلنا منها لان ذات السماء ليست للرجوم قاله ابو حيان وفيه
نظر لعدم ظهور عود الضمير على السما قال القرطبي والمعنى جعلنا شهبها فحذف المضاف بدليل
قوله الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب قال وعلى هذا فالمصابيح لا تزول ولا يرجم بها
قال المهدوي وهذا على ان يكون الاستراق دون موضع الكوكب قال القشيري وامثل من قول
ابي علي ان نقول هي زينة قبل ان يرجم بها الشياطين **والرجوم** جمع رجم وهو مصدر في
الاصل اطلق على المرجوم به كضرب الامير ويجوز ان يكون باقيا على مصدريته ويقدر مضاف
اي ذات رجوم وجمع المصدر باعتبار انواعه فعلى الاول يتعلق قوله للشياطين بمحذوف على
انه صفة لرجوما وعلى الثاني لا تعلق له لان اللام مزيدة في المفعول به وفيه دلالة حينئذ على
اعمال المصدر منونا مجموعا ويجوز ان يكون صفة له ايضا كالاول فيتعلق بمحذوف وقيل الرجوم هنا
الظنون والشياطين شياطين الانس كما قال • وما هو عنها بالحديث المرجم • فيكون المعنى جعلناها
ظنونا ورجوما بالغيب لشياطين الانس وهم الاحكاميون من المنجمين **فصل** قال قتادة
خلق الله تعالى النجوم لثلاث زينة السما ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها في البر
والبحر والاوقات فمن تاول فيها غير ذلك فقد تكلف ما لا علم له به وتعدى وظلم وقال محمد
ابن كعب والله ما لاحد من اهل الارض في السما نجم ولكنهم يتخذون الكهانة ويتخذون النجوم علة
فصل قال ابن الخطيب ظاهر الاية لا يدل على ان هذه الكواكب مركوزة في السما الدنيا لان
السموات اذا كانت شفافة فالكواكب سوا كانت في السماء الدنيا او في سموات اخرى فوقها فلا بد
وان تظهر في السماء الدنيا وتلوح منها فعلى التقديرين تكون السما الدنيا متزينة بهذه المصابيح
واعلم ان اصحاب الهية اتفقوا على ان هذه الكواكب مركوزة في الفلك الثامن الذي هو فوق كرة السموات
واحتجوا بان بعض هذه الثوابت في الفلك الثامن فيجب ان تكون كلها هناك وانما قلنا ان بعضها في
الفلك الثامن لان الكواكب القريبة من المنطقة تنكسف بهذه السيارات فوجب ان تكون الثوابت
المنكسفة فوق السيارات الكاسفة وانما قلنا ان هذه الثوابت لما كانت في الفلك الثامن
وجب ان تكون كلها هناك لانها باسرها متحركة حركة واحدة بطيئة في كل مائة سنة درجة واحدة
فلا بد وان تكون مركوزة في كرة واحدة قال ابن الخطيب وهذه الاستدلالات ضعيفة فانه
لا يلزم من كون بعض الثوابت فوق السيارات كون كلها هناك لانه لا يبعد وجود كرة تحت كرة
القمر وتكون في المنظر مساوية لكرة الثوابت ويكون الكواكب المركوزة فيها مقارب القطبين مركوزة
في هذه الكرة السفلية اذ لا يبعد وجود كرتين مختلفتين بالصغر والكبر مع كونهما متشابهتين
في الحركة وعلى هذا التقدير لا يمتنع ان تكون هذه المصابيح مركوزة في السماء الدنيا فثبت بهذا
ضعف مذهب الفلاسفة **فصل** قال ابن الخطيب يروى ان السبب في الرجوم ان الجن
كانت تستمع خبر السما فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم حرست السما ورصدت الشياطين فمن جاء
منهم مسترقا للسمع رمي بشهاب فاحرقه لئلا ينزل به الى الارض فيلقيه الى الناس فيختلط على النبي امره
ويرتاب الناس بخبره ومن الناس من طعن في هذا من وجوه احدها ان انقضاض الكواكب

مذكور

مذكور في كتب قدما الفلاسفة قالوا ان الارض اذا سخنت بالشمس ارتفع منها بخار يابس فاذا بلغ
الى النار التي دون الفلك احترق بها فتلك الشعلة هي الشهاب وثانيها ان الجن اذا شاهدوا
جماعة منهم يسترقون فيحترقون امتنع ان يعودوا لذلك وثالثها ان ثخن السما مسيرة خمسمائة
سنة فالجن لا يقدرون على خرقها لانه تعالى نفى ان يكون فيها فطور وثخنها يمنعهم من السمع لاسرار
الملائكة من ذلك البعد العظيم واذا سمعوه من ذلك البعد فلم لا يسمعون كلام الملائكة حال
كونهم في الارض ورابعها ان الملائكة انما اطلعوا على الاحوال المستقبلة اما لانهم طالعوها من
اللوح المحفوظ او لانهم تلقوها من وحي الله اليهم وعلى التقديرين فلم لم يسكتوا عن ذكرها حتى لا يتمكن
الجن من معرفتها وخامسها ان الشياطين مخلوقون من النار والنار لا تحرق النار بل تقويها
وسادسها ان كان هذا القذف لاجل النبوة فلم بقي بعدها وسابعها ان هذه الرجوم انما
تحدث بالقرب من الارض لانا نشاهدها بالعين ومع البعد لا نشاهدها كما لا نشاهد حركات
الكواكب وثامنها ان كانت الشياطين ينقلون اخبار الملائكة عن المغيبات الى الكهنة فلم لا ينقلون
اخبار المومنين الى الكفار حتى يتوسل الكفار بذلك الى الحاق الضرر بالمومنين وتاسعها لم لم يمنعهم
الله ابتداء من الصعود الى السماء والجواب عن الاول انا لا ننكر ان هذه الشهب كانت موجودة قبل
مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وعن الثاني انه اذا جاء القدر عمي البصر فاذا قضى الله على طائفة منهم
الحرق لطغيانها قيض لها من الدواعي ما يقدمها الى العمل المفضي الى هلاكها وعن الثالث انما يمنع
كون ثخن الفلك ما ذكروه بل البعد بين السماء والارض مسيرة خمسمائة عام وعن الرابع ما
روى الزهري عن علي بن الحسين عن علي بن ابي طالب قال بينما النبي صلى الله عليه وسلم جالسا في نفر من
اصحابه اذ رمي بنجم فاستنار فقال ما كنتم تقولون في الجاهلية اذا حدث مثل هذا قال كنا نقول
يولد عظيم او يموت عظيم فقال صلى الله عليه وسلم فانها لا ترمى لموت احد ولا لحياته ولكن الله تعالى
اذا قضى الامر في السما سبحت حملة العرش ثم سبح اهل السما وسبح كل سماء حتى ينتهي التسبيح الى هذه
السما ويستخبر اهل السماء حملة العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم ولا يزال ينتهي ذلك الخبر من سما الى
سما الى ان ينتهي الخبر الى هذه السما فتخطفه الجن فيرمون فما جاوا به فهو حق ولكنهم يزيدون فيه وعن
الخامس ان النار قد تكون اقوى من نار فالاقوى يبطل الاضعف وعن السادس انه عليه السلام اخبر ببطلان الكهانة
فلو لم ينقطعوا لعادت الكهانة وذلك يقدح في خبر الرسول عليه السلام وعن السابع ان البعد غير
مانع من السماع عندنا وعن الثامن لعله تعالى اقدرهم على استماع الغيوب عن الملائكة واعجزهم عن
ايصال اسرار المومنين الى الكافرين وعن التاسع ان الله تعالى يفعل ما يشا ويحكم ما يريد
قوله واعتدنا لهم عذاب السعير لما ذكر منافع الكواكب وذكر من جملة تلك المنافع انها رجوم
للشياطين قال بعد ذلك واعتدنا لهم عذاب السعير اي واعتدنا للشياطين بعد الاحراق بالشهب
في الدنيا عذاب السعير في الاخرة وهو اشد الحريق المبرد سعرت النار فهي مسعورة وسعير مثل مقتول
وقتيل وهذه الاية تدل على ان النار مخلوقة الان لان قوله واعتدنا لهم خبر عن الماضي **قوله**
وللذين كفروا خبر مقدم في قراءة العامة وعذاب جهنم مبتدا وفي قراءة الحسن والضحاك والاعرج بنصب
عذاب فيتعلق باعتدنا عطفا على لهم وعذاب جهنم عطف على عذاب السعير فعطف منصوبا على
منصوب ومجرورا على مجرور واعاد الخافض لان المعطوف عليه ضمير والمخصوص بالذم محذوف اي وبئس
المصير مصيرهم او عذاب جهنم او عذاب السعير **فصل** والمعنى لكل من كفر بالله من
الشياطين وغيرهم عذاب جهنم ليس ان الشياطين المرجومين مخصوصون بذلك ثم انه تعالى وصف
ذلك العذاب بصفات اولها **قوله تعالى** اذا القوا فيها يعني الكفار اذا القوا طرحوا
كما يطرح الحطب في النار العظيمة سمعوا لها شهيقا اي صوتا قال ابن عباس الشهيق لجهنم عند القا الكفار

فيها كشهيق البغلة للشعير وقال عطا الشهيق من الكفار عند القائهم في النار وقال مقاتل سمعوا لجهنم
شهيقا قال ابن الخطيب ولعل المراد تشبيه صوت لهب النار بالشهيق وهو كصوت الحمار وقال المبرد هو
والله اعلم تنفس كتنفس المتغيظ قال الزجاج سمع الكفار للنار شهيقا وهو افظع الاصوات وقيل
سمعوا من انفسهم شهيقا كقوله تعالى لهم فيها زفير وشهيق **قوله** لها متعلق بمحذوف على انه
حال من شهيقا لانه في الاصل صفته ويجوز ان يكون على حذف مضاف اي سمعوا لاهلها وهي تفور جملة
حالية **فصل** قال القرطبي والشهيق في الصدر والزفير في الحلق وقد مضى في سورة هود وقوله
وهي تفور اي تغلي ومنه قول حسان ۝ تركتم قدركم لا شيء فيها ۝ وقدر القوم حامية تفور ۝ قال
مجاهد تفور كما يفور الحب القليل في الما الكثير وقال ابن عباس تغلي بهم على المراجل وهذا من شدة
لهب النار من شدة الغضب كما تقول فلان يفور غيظا **قوله** تكاد تميز من الغيظ قرا العامة
تميز بتا واحدة مخففة والاصل تتميز بتاين وهي قراة طلحة والبزي عن ابن كثير بتشديدها
ادغم احدى التاين في الاخرى وهي قراة حسنة لعدم التقا الساكنين بخلاف قراته اذ تلقونه ونارا
تلظى وبابه وابو عمرو يدغم الدال في التا على اصله في المتقاربين وقرا الضحاك تمايز والاصل تتمايز
بتاين فحذف احدهما وزيد بن علي تميز من ماز وهذا كله استعارة من قولهم تميز فلان من
الغيظ اي انفصل بعضه من بعض من الغيظ من سببية اي بسبب الغيظ ومثله في وصف كلب
اشتد عدوه ۝ يكاد يخرج من اهابه ۝ قال ابن الخطيب ولعل سبب هذا المجاز ان دم القلب يغلي
عند الغضب فيعظم مقداره فيزداد امتلا العروق حتى يكاد يتمزق **فان قيل** النار
ليست من الاحيا فكيف توصف بالغيظ قال ابن الخطيب والجواب ان البنية عندنا ليست شرطا
للحيوة فلعل الله تعالى يخلق فيها وهي نار حياة او يكون هذا استعارة شبه صوت لهبها وسرعة
مبادرتها بالغضبان وحركته او يكون المراد الزبانية **فصل** قال سعيد بن جبير
تكاد تميز من الغيظ يعني تتقطع وينفصل بعضها من بعض وقال ابن عباس والضحاك وابن زيد
تتفرق من الغيظ من شدة الغيظ على اعدا الله **قوله** كلما القي فيها فوج تقدم الكلام على
كلما وهذه الجملة يجوز ان تكون حالا من ضمير جهنم **والفوج** الجماعة من الناس والافواج الجماعات
في تفرقة ومنه قوله تعالى فتاتون افواجا والمراد هنا بالفوج جماعة من الكفار سالهم خزنتها
وهم مالك واعوانه سوال توبيخ وتقريع الم ياتكم نذير اي رسول في الدنيا ينذركم هذا اليوم حتى
تحذروا قال الزجاج وهذا التوبيخ زيادة لهم في العذاب **قوله** بلى قد جانا نذير
فيه دليل على جواز الجمع بين حرف الجواب ونفس الجملة المجاب بها اذ لو قالوا بلى لفهم المعنى ولكنهم اظهروه
تحسرا وزيادة في تغميمهم على تفريطهم في قبول قول النذير وليعطفوا عليه قولهم فكذبنا الى اخره **قوله**
ان انتم الا في ضلال ظاهره انه من مقول الكفار للنذير اي وقلنا ما نزل الله من شيء اي على السنتكم
ان انتم يا معشر الرسل الا في ضلال كبير اعترفوا بتكذيب الرسل ثم اعترفوا بجهلهم فقالوا وهم في النار
لو كنا نسمع من النذر يعني الرسل ما جاوا به او نعقل عنهم وجوز الزمخشري ان يكون من كلام الرسل
للكفرة وحكاه الكفرة للخزنة اي قالوا لنا هذا فلم نقبله قال ابن الخطيب يجوز ان يكون من كلام الخزنة
للكفار اي لما قالوا ذلك الكلام قالت الخزنة لهم ان انتم الا في ضلال كبير **قوله** وقالوا لو كنا نسمع
او نعقل ما كنا في اصحاب السعير قال ابن الخطيب احتج بهذه الاية من قال ان الدين لا يتم الا بالتعليم
لانه قدم السمع على العقل فدل على انه لا بد اولا من ارشاد المرشد ثم عليه بامل السامع فيما يلقيه من
العلم واجيب بانه انما قدم السمع لان الرسول اذا دعى فاول المراتب انه يسمع كلامه ثم يتفكر فيه
فلما كان السمع مقدما على التعقل لاجرم قدم عليه في الذكر **فصل** واحتج بهذه الاية من
فضل السمع على البصر قالوا لانه جعل للسمع مدخلا في الخلاص من النار والفوز بالجنة والبصر ليس كذلك

فوجب ان يكون السمع افضل من البصر **قوله** بذنبهم وحد لانه مصدر في الاصل ولم يقصد
التنويع بخلاف بذنوبهم في مواضع ولانه في معنى الجمع ولان اسم الجنس اذا اضيف عم **فصل** قال
ابن الخطيب يحتمل ان يكون المراد من الضلال الكبير ما كانوا عليه في الدنيا من ضلالهم ويحتمل ان يكون
المراد بالضلال الهلاك ويحتمل ان يكون قد سمي عقاب الضلال باسمه **فصل** احتج المرجية
بهذه الاية على انه لا يدخل النار الا الكفار قالوا لانه تعالى حكى عن كل من القي في النار انهم قالوا
فكذبنا النذير وهذا يدل على ان من لم يكذب الله ورسوله لا يلقى في النار وظاهر هذه الاية
يقتضي القطع بان الفاسق المصر لا يدخل النار واجاب القاضي عنه بان النذير قد يطلق على ما
في العقول من الادلة المخوفة وكل من يدخل النار يخالف للدليل **فصل** واحتج بهذه الاية
من قال ان معرفة الله وشكره لا تجبان الا بعد ورود السمع قالوا لانه تعالى انما عذبهم لانهم اتاهم
النذير فدل على انه لو لم ياتهم النذير لم يعذبوا **قوله** فسحقا فيه وجهان احدهما انه منصوب
على المفعول به اي الزمهم الله سحقا والثاني انه منصوب على المصدر تقديره سحقهم الله سحقا
فناب المصدر عن عامله في الدعا نحو جدعا له وعقرا فلا يجوز اظهار عامله واختلف النحاة هل
هو مصدر للفعل الثلاثي ام لفعل رباعي فجا على حذف الزوايد فذهب الفارسي والزجاج الى انه
مصدر اسحقه الله اي ابعده قال الفارسي فكان القياس اسحاقا فجا المصدر على الحذف كقوله
۝ فان اهلك الله فذلك كان قدري ۝ اي تقديري والظاهر انه لا يحتاج لذلك لانه سمع سحقه
الله ثلاثيا ومنه قول الشاعر ۝ يجول باطراف البلاد مغربا ۝ وتسحقه ريح الصبا كل مسحق ۝
والذي يظهر ان الزجاج والفارسي انما قالا ذلك فيمن يقول من العرب اسحقه الله سحقا وقرا العامة
بضمة وسكون والكسائي في اخرين بضمتين وهما لغتان والاحسن ان يكون المثقل اصلا للمخفف
ولاصحاب البيان كهيت لك وسقيا لك وقال مكي والرفع يجوز في الكلام على الابتدا اي لو قيل
فسحق جاز لا على انه تلاوة من حيث الصناعة الا ان ابن عطية قال ما يضعفه فانه قال فسحقا
نصبا على جهة الدعا عليهم وجاز ذلك فيه وهو من قبل الله تعالى من حيث هذا القول فيهم مستقر
اولا ووجوده لم يقع ولا يقع الا في الاخرة فكانه لذلك في حيز المتوقع الذي يدعى فيه كما تقول سحقا
لزيد وبعدا له والنصب في هذا كله باضمار فعل واما ما وقع وثبت فالوجه فيه الرفع كما قال
تعالى ويل للمطففين وسلام عليكم وغير هذا من الامثلة انتهى فضعف الرفع كما ترى لانه لم يقع
بل هو متوقع في الاخرة **فصل** قال المفسرون فسحقا لاصحاب السعير اي فبعدا لهم من
رحمة الله وقال سعيد بن جبير وابو صالح هو واد في جهنم يقال له السحق **قوله** الذين يخشون
ربهم بالغيب نظيره من خشي الرحمن بالغيب وقد مضى الكلام فيه اي يخافون الله ويخافون عذابه
الذي هو بالغيب وهو عذاب يوم القيمة اي يخشونه في دار التكليف اي يتقون جميع المعاصي
قال ابن الخطيب وفي الاية دليل على انقطاع وعيد الفساق لان من جا يوم القيامة مع هذه
الخشية يستحق فلله الاثواب وانقطاع الثواب بالعقاب باطل بالاجماع فتعين المكر لهم مغفرة لذنوبهم
واجر كبير وهو الجنة **قوله** لهم مغفرة الاحسن ان يكون الخبر لهم ومغفرة فاعل به لان الجار المفرد
اصل والجار من قبيل المفردات فالقرب ايها **قوله** واسروا قولكم او اجهروا به اللفظ لفظ الامر
والمراد به الخبر يعني ان اخفيتم كلامكم في امر محمد صلى الله عليه وسلم او جهرتم به فان الله عليم بذات الصدور
يعني بما في القلوب من الخير والشر قال ابن عباس نزلت في المشركين كانوا ينالون من النبي صلى الله عليه وسلم
فيخبره جبريل فقال بعضهم لبعض اسروا قولكم كي لا يسمع رب محمد فنزلت واسروا قولكم او اجهروا به يعني
واسروا قولكم في محمد وقيل انه خطاب عام في جميع الخلق في جميع الاعمال والمراد ان قولكم وعملكم على اي سبيل
وجد فالحال واحد في علمه تعالى بها فاحذروا من المعاصي سرا كما تحترزون عنها جهرا فان ذلك لا يتفاوت

بالنسبة الى علم الله تعالى انه عليم بذات الصدور وذات الصدور ما فيها كما يسمى ولد المراة وهو جنين
ذا بطنها **قوله** الا يعلم من خلق فيه من خلق وجهان احدهما انه فاعل يعلم والمفعول محذوف
تقديره الا يعلم الخالق خلقه وهذا هو الذي عليه جمهور الناس وبه بدا الزمخشري والثاني ان
الفاعل مضمر يعود على الباري تعالى ومن مفعول بداي الا يعلم الله من خلقه قال ابو حيان والظاهر
ان من مفعول والمعنى اينتفي علمه بمن خلقه وهو الذي لطف علمه ودق ثم قال واجاز بعض
النحويين ان يكون من فاعلا والمفعول محذوف كانه قال الا يعلم الخالق سركم وجهركم وهو استفهام
معناه الانكار قال شهاب الدين وهذا الوجه الذي جعله هو الظاهر بعز به الناس لاهل الزيغ
والبدع الدافعين لعموم الخلق لله تعالى وقد اطنب مكي في ذلك وانكر على القايل به ونسبه الى ما
ذكرت فقال وقد قال بعض اهل الزيغ ان من في موضع نصب اسم للمسرين والجاهرين ليخرج الكلام
عن عمومه ويدفع عموم الخلق عن الله تعالى ولو كان كما زعم لقال الا يعلم ما خلق لانه انما تقدم ذكر
ما تكن الصدور وهو في موضع ما ولو اتت ما في موضع من لكان فيه ايضا بيان للعموم ان الله خالق
كل شي من اقوال الخلق اسروها او اظهروها خيرا كانت او شرا ويقوي ذلك انه عليم بذات الصدور
ولم يقل عليم بالمسرين والجاهرين ويكون ما في موضع نصب وانما تخرج الاية من هذا العموم
اذا جعلت ما في موضع نصب اسما للانا سر المخاطبين قبل هذه الاية وقوله بذات الصدور
يمنع من ذلك انتهى قال شهاب الدين ولا ادري كيف يلزم ما قاله مكي بالاعراب الذي ذكره المعني
الذي ابداه وقد قال هذا القول اعني الاعراب الثاني جماعة من المحققين ولم يبالوا بما ذكره لعدم
افهام الاية اياه وقال الزمخشري بعد كلام ذكره ثم الا يحيط علما بالمضمر والمسر والمجهور من خلق
الاشيا وحاله انه اللطيف الخبير المتوصل علمه الى ما ظهر من خلقه وما بطن ويجوز ان يكون من خلق
منصوبا بمعنى الا يعلم مخلوقه وهذه حاله ثم قال فان قلت قدرت في الا يعلم مفعولا على معنى
الا يعلم ذلك المذكور مما اضمر في القلب واظهر باللسان من خلق فهلا جعلته مثل قولهم هو يعطي
ويمنع وهلا كان المعنى الا يكون عالما من هو خالق لان الخلق لا يصح الا مع العلم قلت ابت ذلك الحال
التي هي قوله وهو اللطيف الخبير لانك لو قلت الا يكون عالما من هو خالق وهو اللطيف الخبير لم يكن معنى
صحيحا لان الا يعلم معتمد على الحال والشي لا يوقت بنفسه فلا يقال الا يعلم وهو عالم ولكن الا يعلم كذا
وهو عالم بكل شي **فصل** معنى الاية الا يعلم السر من خلق السر يقول انا خلقت السر في القلب
افلا اكون عالما بما في قلوب العباد قال اهل المعاني ان شيت جعلته من اسما الخالق عز وجل ويكون
المعنى الا يعلم الخالق خلقه وان شيت جعلته من اسما المخلوق والمعنى الا يعلم الله من خلق ولا بد ان يكون
الخالق عالما بما خلقه وما يخلقه قال ابن المسيب بينما رجل واقف بالليل في شجر كثير وقد عصفت
الريح فوقع في نفس الرجل اترى الله يعلم ما يسقط من هذا الورق فنودي من جانب الغيضة بصوت
عظيم الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير وقال ابو اسحق الاسفرايني من اسما صفات الذات
ما هو للعلم منها العليم ومعناه تعميم جميع المعلومات ومنها الخبير ويختص بان يعلم ما يكون قبل ان يكون
ومنها الحكيم ويختص بان يعلم دقايق الاوصاف ومنها الشهيد ويختص بان يعلم الغايب والحاضر ومعناه
ان لا يغيب عنه شي ومنها الحافظ ويختص بانه لا ينسى شيا ومنها المحصي ويختص بانه لا يشغله الكثرة
عن العلم مثل ضوء النور واشتداد الريح وتساقط الاوراق فيعلم عند ذلك اجزا الحركات في كل
ورقة وكيف لا يعلم وهو الذي يخلق وقد قال الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير **فصل**
لما قال تعالى انه عليم بذات الصدور ذكر الدليل على انه عالم فقال الا يعلم من خلق الاية والمعنى
ان من خلق لا بد وان يكون عالما بما خلقه لان الخلق هو الايجاد والتكوين على سبيل القصد والقاصد
الى الشي لا بد وان يكون عالما بحقيقته ذلك المخلوق كيفية وكمية قال ابن الخطيب فنقول لو كان

العبد

العبد موجدا لافعال نفسه لكان عالما بتفاصيلها وهو غير عالم لان التفاوت بين الحركة السريعة
والبطية انما هو لتخلل السكنات فالفاعل للحركة البطية قد يفعل حركة وسكونا ولم يخطر بباله ذلك فضلا
عن كميته ولان المتحرك لا يعرف عدد اجزا الحركات الا اذا عرف عدد الاحياز التي هي من مبدا المسافة
ومنتهاها وذلك يتوقف على علمه بالجواهر المفردة التي تشتغل في تلك المسافة وعددها وذلك
غير معلوم لان النايم يتحرك مع عدم علمه ولان قوله الا يعلم من خلق انما يتصل بما قبله لو كان خالقا
لكل ما يفعلونه سرا وجهرا ومما في الصدور فان **قيل** لم لا يجوز ان يكون المراد الا يعلم من
خلق الاجساد فالجواب انه لا يجوز ان يكون المراد الا يعلم من خلق الاجساد اذ لا يلزم ان من فعل
شيا يكون عالما بشي اخر **قوله** وهو اللطيف الخبير قيل اللطيف العالم وقيل هو فاعل الاشيا
اللطيفة التي تخفى علمها على اكثر الفاعلين ولهذا يقال ان لطف الله تعالى بعباده عجيب والمراد
به دقايق تدبيره لهم وهذا اقرب والا لكان ذكر الخبير بعده تكرارا **قوله** هو الذي جعل
لكم الارض ذلولا لما بين بالدليل كونه عالما بما يسرون وما يعلنون ذكر بعده هذه الاية على
سبيل التهديد كقول السيد لعبده الذي اسا اليه سرا يا فلان انا اعرف سرك وعلانيتك فاجلس
في هذه الدار التي وهبتها منك وكل هذا الخبز الذي هياته لك ولا تامن تاديبي فكانه تعالى
يقول يا ايها الكفار انا عالم بسركم وجهركم وضمايركم فخافوني فان الارض التي تمشون عليها انا ذللتها لكم
ولو شيت خسفت بكم **والذلول** المنقاد الذي يذل لك والمصدر الذل وهو اللين والانقياد
اي لم يجعل الارض بحيث يمتنع المشي فيها بالحزونة والغلظة وقيل ثبتها بالجبال لئلا تزول باهلها
ولو كانت تتكفا متمايلة لما كانت منقادة لنا وقيل اشار الى التمكن من الزرع والغرس وشق
العيون والانهار وحفر الابار وبنا الابنية لو كانت صلبة لتعذر ذلك وقيل لو كانت مثل
الذهب والحديد لكانت تسخن جدا في الصيف وكانت تبرد جدا في الشتا **قوله** فامشوا في مناكبها
هذه استعارة حسنة جدا وقال الزمخشري مثل لفرط التذليل ومجاوزته الغاية لان المنكبين
وملتقاهما من الغارب ارق شي من البعير وانباه عن ان يطاه الراكب بقدمه ويعتمد عليه فاذا جعلها
في الذل بحيث يمشي في مناكبها لم يترك **فصل** هذا امر اباحة وفيه اظهار الامتنان وقيل
هو خبر بلفظ الامر اي لكي تمشوا في اطرافها ونواحيها واكامها وجبالها وقال ابن عباس وقتادة وبشير
ابن كعب في مناكبها في جبالها وروي ان بشير بن كعب كانت له سرية فقال لها ان اخبرتيني ما مناكب
الارض فانت حرة فقالت مناكبها جبالها فصارت حرة فاراد ان يتزوجها فسال ابا الدرداء فقال
دع ما يريبك الى ما لا يريبك وقال مجاهد في اطرافها وعنه ايضا في طرقها وفجاجها وهو قول
السدي والحسن وقال الكلبي في جوانبها ومنكبا الرجل جانباه واصل الكلمة الجانب ومنه منكب الرجل
والريح النكبا وتنكب فلان عن فلان يقول امشوا حيث اردتم فقد جعلتها لكم ذلولا وحكى قتادة
عن ابي الجلد ان الارض اربعة وعشرون الف فرسخ فللسودان اثنا عشر الف وللروم ثمانية الاف
وللفرس ثلاثة الاف وللعرب الف **قوله** وكلوا من رزقه قال الحسن مما احله لكم وقيل مما انبته
لكم وقيل مما خلقه الله لكم رزقا في الارض واليه النشور المرجع وقيل معناه ان الذي خلق السموات
لا تفاوت فيها والارض ذلولا قادر على ان ينشركم واليه تبعثون من قبوركم **قوله** اامنتم من
في السما تقدم اختلاف القرا في الهمزتين المفتوحتين نحو اانذرتهم تحقيقا وتخفيفا وادخال الف بينهما
وعدمه في سورة البقرة وان قنبلا يقرا هنا بابدال الهمزة الاولى واوا في الوصل واليه النشور وامنتم
وهو على اصله من تسهيل الثانية بين بين وعدم الف بينهما واما اذا ابتدا فيحقق الاولى ويسهل الثانية
بين بين على ما تقدم ولم يبدل الاولى واوا لزوال موجبه وهو انضمام ما قبلها وهي مفتوحة نحو موجل
ومواخذ وقد مضى في سورة الاعراف عند قوله قال فرعون امنتم وانما اعدناه تذكيرا وبيانا

قوله من في السما مفعول امنتم وفي الكلام حذف مضاف اي امنتم خالق من في السموات وقيل
في بمعني علي اي على السما كقوله ولاصلبنكم في جذوع اي على جذوع وانما احتاج القائل بهذين الي ذلك
لانه اعتقد ان من واقعة على الباري وهو الظاهر وثبت بالدليل القطعي انه ليس بمتحيز لئلا يلزم
التجسيم ولا حاجة الي ذلك فان من هنا المراد بها الملايكة سكان السما وهم الذين يتولون الرحمة والنقمة
وقيل خوطبوا بذلك على اعتقادهم فان القوم مجسمة مشبهة والذي تقدم احسن قال ابن الخطيب
هذه الاية لا يمكن اجراوها على ظاهرها باتفاق المسلمين لان ذلك يقتضي احاطة السما به من جميع
الجوانب فيكون اصغر منها والعرش اكبر من السما بكثير فيكون حقيرا بالنسبة الي العرش وهو باطل بالاتفاق
ولانه قال قل لمن ما في السموات والارض فلو كان فيهما لكان مالكا لنفسه فالمعنى اما من في السما عذابه
واما ان ذلك بحسب ما كانت العرب تعتقده واما من في السما سلطانه وملكه وقدرته كما قال
تعالى وهو الله في السموات وفي الارض فان الشي الواحد لا يكون دفعة واحدة في مكانين والغرض
من ذكر السماء تفخيم سلطان الله وتعظيم قدرته والمراد الملك الموكل بالعذاب وهو جبريل تخسفها
باذن الله **قوله** ان تخسف بكم الارض وان يرسل فيه وجهان احدهما انهما بدلان من من
في السما بدل اشتمال اي امنتم خسفه وارساله قاله ابو البقا والثاني ان يكون على حذف من اي
امنتم من الخسف والارسال والاول اظهر **فصل** قال القرطبي ويحتمل ان يكون المعنى امنتم
خالق من في السما ان تخسف بكم الارض كما خسفها بقارون فاذا هي تمور اي تذهب وتجي والمور
الاضطراب بالذهاب والمجي قال الشاعر ٭ رمين فاقصدن القلوب فلن ترى دما مايرا الا جرى في الحيا
جمع حيزوم وهو وسط الصدر واذا خسف بانسان دارت به الارض فهو المور قال ابن الخطيب
ان الله تعالى يحرك الارض عند الخسف بهم حتى تضطرب وتتحرك فتعلوا عليهم وهم يخسفون فيها فيذهبون
والارض فوقهم تمور فتقلبهم الي اسفل السافلين قال القرطبي قال المحققون امنتم من فوق السما كقوله
فسيحوا في الارض اي فوقها لا بالمماسة والتحيز لكن بالقهر والتدبير وقيل معناه انتم من على السما
كقوله ولاصلبنكم في جذوع النخل اي عليها ومعناه انه مدبرها ومالكها كما يقال فلان على العراق اي
واليها واميرها والاخبار في هذا صحيحة كثيرة منتشرة مشيرة الي العلو لا يدفعها الا ملحد او جاهل
او معاند والمراد بها توقيره وتنزيهه عن السفل والتحت ووصفه بالعلو والعظمة لا بالاماكن
والجهات والحدود لانها صفات الاجسام وانما ترفع الايدي بالدعا الي السما لان السما مهبط الوحي
ومنزل القطر ومحل القدس ومعدن المطهرين من الملايكة واليها ترفع اعمال العباد وفوقها عرشه
وجنته كما جعل الله تعالى الكعبة قبلة للصلوة ولانه خلق الامكنة وهو غير محتاج اليها وكان
في ازله قبل خلق المكان والزمان ولا مكان له ولا زمان وهو الان على ما عليه كان **قوله** ام امنتم
من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا قال ابن عباس اي حجارة من السما كما ارسلها على قوم لوط واصحاب
الفيل وقيل ريح فيها حجارة وحصبا كانها تقلع الحصبا لشدتها وقوتها وقيل هي سحاب فيها
حجارة **قوله** فستعلمون كيف نذير قيل النذير ههنا المنذر يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
وهو قول عطا عن ابن عباس والضحاك والمعنى فستعلمون رسولي وصدقه لكن حين لا ينفعكم ذلك وقيل
انه بمعنى الانذار والمعنى فستعلمون عاقبة انذاري اياكم بالكتاب والرسول وكيف في قوله كيف نذير
ينبي عما ذكرنا من صدق الرسول وعقوبة الانذار وقد تقدم ان نذير ونكير مصدران بمعنى
الانذار والانكار واثبت ورش يا نذيري ونكيري وصلا وحذفها وقفا وحذفها الباقون في الحالين **قوله**
ولقد كذب الذين من قبلهم يعني كفار الامم كقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم فكيف كان نكير اي انكاري
وتغييري قاله الواحدي وقال ابو مسلم النكير عقاب المنكر ثم قال سقطت اليا من نذيري ومن
نكيري حتى تشابه رووس الاي المتقدمة عليها والمتاخرة عنها **قوله** اولم يروا الي الطير فوقهم صافات

لما ذكر ما تقدم من الوعيد ذكر البرهان على كمال قدرته على ايصال جميع انواع العذاب اليهم ومعناه
كما ذلل الارض للادمي ذلل الهوا للطيور وصافات اي باسطات اجنحتهن في الجو عند طيرانها قال
شهاب الدين صافات يجوز ان يكون حالا من الطير وان يكون حالا من فوقهم اذا جعلناه حالا فيكون متداخله
وفوقهم ظرف لصافات على الاول او ليروا **قوله** ويقبضن عطف الفعل على الاسم لانه بمعناه
اي وقابضات فالفعل هنا مؤول بالاسم عكس قوله ان المصدقين والمصدقات واقرضوا فان
الاسم هناك مؤول بالفعل وقد تقدم الاعتراض على ذلك وقول ابي البقا معطوف على اسم الفاعل
حملا على المعنى اي يصففن ويقبضن اي صافات وقابضات لا حاجة الي تقدير يصففن ويقبضن
لان الموضع للاسم فلا يؤول بالفعل وقال ابو حيان وعطف الفعل على الاسم لما كان في معناه
ومثله قوله تعالى فالمغيرات صبحا فاثرن عطف الفعل على الاسم لما كان المعنى فاللاتي اغرن فاثرن
ومثل هذا العطف فصيح وكذا عكسه الا عند السهيلي فانه قبيح نحو قوله ٭
٭ بات يغشيها بعضب باتر ٭ يقصد في اسوقها وجاير ٭ اي قاصد في اسوقها وجاير وكذا قال
القرطبي هو معطوف عليها فان عطف المضارع على اسم الفاعل كما عطف اسم الفاعل على المضارع
في قول الشاعر بات يغشيها البيت قال شهاب الدين هو مثله في عطف الفعل على اسم الفاعل الا ان الاسم
فيه مؤول بالفعل عكس هذه الاية ومفعول يقبضن محذوف اي ويقبضن اجنحتهن قاله ابو البقا ولم
يقدر لصافات مفعولا كانه زعم ان الاصطفاف في نفسها اي مصطفة والظاهر ان المعنى صافات
اجنحتها وقابضتها فالصف والقبض منها ولذلك قال الزمخشري صافات باسطات اجنحتهن ثم قال
فان قلت لم قال ويقبضن ولم يقل وقابضات قلت لان الطيران هو صف الاجنحة لان الطيران في الهوا
كالسباحة في الما والاصل في السباحة مد الاطراف وبسطها واما القبض فطاري على البسط للاستظهار
به على التحرك فجي بما هو طاري غير اصل بلفظ الفعل على معنى انهن صافات ويكون منهن القبض تارة بعد
تارة كما يكون من السابح **قوله** ما يمسكهن يجوز ان تكون الجملة مستانفة وان تكون حالا من الضمير في
يقبضن قاله ابو البقا والاول اظهر وقرا الزهري بتشديد السين **فصل** ويقبضن اي يضربن
بها جنوبهن قال ابو جعفر النحاس يقال للطاير اذا بسط جناحيه صاف واذا ضمهما قابض لانه
لانه يقبضهما قال ابو خراش ٭ يبادر جنح الليل فهو موايل يحث الجناح بالتبسط والقبض ٭ وقيل
ويقبضن اجنحتهن بعد بسطها اذا وقفن من الطيران وقوله ما يمسكهن اي ما يمسك الطير في الجو وهي
تطير الا الله عز وجل انه بكل شي بصير قال ابن الخطيب وفيه وجهان الاول المراد من البصير كونه عالما
بالاشيا الدقيقة كما يقال فلان له بصر في هذا الامر اي حذق والثاني ان يجري اللفظ على ظاهره
فنقول قوله انه بكل شي بصير يكون رايا لنفسه ولجميع الموجودات وهذا هو الذي يقوله اصحابنا
انه تعالى شي يصح ان يكون مرييا وان كل الموجودات كذلك فان قيل البصير اذا عدي بالباء يكون
بمعنى العالم يقال فلان بصير بكذا اذا كان عالما به قلنا لا نسلم فانه يقال ان الله سميع بالمسموعات
بصير بالمبصرات **فصل** في قوله ما يمسكهن الا الرحمن دليل على ان الافعال الاختيارية
للعبد مخلوقة لله تعالى لان استمساك الطير في الهوا فعل اختياري له وقد نسبه للرحمن **قوله** امن هذا
الذي قرا العامة بتشديد الميم على ادغام ميم ام في ميم من وام بمعنى بل لا بعدها اسم استفهام وهو مبتدا
الذي خبره اسم الاشارة وقرا طلحة بتخفيف الاول وتثقيل الثاني قال ابو الفضل معناه اهذا الذي هو
جند لكم ام الذي يرزقكم ينصركم صفة لجند **فصل** قال ابن عباس جند لكم اي حزب ومنعة
لكم ينصركم من دون الرحمن فيدفع عنكم ما اراد بكم ان عصيتموه ولفظ الجند يوحد ولذلك قال هذا
الذي هو جند لكم وهو استفهام انكار اي لا جند لكم يدفع عنكم عذاب الله من دون الرحمن اي من
سوى الرحمن ان الكافرون الا في غرور من الشيطان يغرهم بان لا عذاب ولا حساب قال بعض المفسرين كان

الكفار يمنعون عن الايمان ويعاندون الرسول عليه السلام معتمدين على شيئين احدهما قوتهم باموالهم
وعددهم والثاني اعتقادهم ان الاوثان توصل اليهم جميع الخيرات وتدفع عنهم جميع الآفات فابطل
الله عليهم الاول بقوله امن هذا الذي هو جند لكم ينصركم الاية ورد عليهم الثاني بقوله امن هذا
الذي يرزقكم الاية **قوله** ان امسك رزقه شرط جوابه محذوف للدلالة عليه اي فمن يرزقكم
غيره وقدر الزمخشري شرطا بعد قوله امن هذا الذي هو جند لكم تقديره ان ارسل عليكم عذابه
ولا حاجة له صناعة **فصل** المعنى امن هذا الذي يرزقكم اي يعطيكم منافع الدنيا
وقيل المطر من المتكلم ان امسك يعني الله تعالى رزقه وهذا مما لا ينكره ذو عقل وهو انه تعالى
ان امسك اسباب الرزق كالمطر والنبات وغيرهما لما وجد رازق سواه بعينه وضوح هذا الامر
قال تعالى بل لجوا اي تمادوا واصروا في عتو وطغيان ونفور عن الحق او تباعدوا واعرضوا عن الحق
قوله افمن يمشي مكبا على وجهه مكبا حال من فاعل يمشي قال الواحدي اكب مطاوع كبه يقال
كببته فاكب قال الزمخشري هو من الغرائب والشواذ ونحوه قشعت الريح السحاب فاقشع ولا شيء
من بناء انفعل مطاوع بل قولك اكب من باب انفض والأم ومعناه دخل في الكب وصار ذا
كب وكذلك اقشع السحاب دخل في القشع ومطاوع كب وقشع انكب وانقشع قال ابو حيان وحكا
حال من اكب وهو لا يتعدي وكب متعد قال تعالى فكبت وجوههم في النار والهمزة فيه للدخول
في الشيء او للصيرورة ومطاوع كب انكب يقول كببته فانكب قال الزمخشري ولا شيء من بناء افعل
الى حمله كتاب سيبويه انتهى وهذا الرجل كثيرا ابتهج بكتاب سيبويه وكم من نص في كتاب سيبويه عمي بصره
وبصيرته عنه حتى ان الامام ابا الحجاج يوسف بن معزوز صنف كتابا يذكر فيه ما غلط الزمخشري
فيه وما جهله من كتاب سيبويه انتهى قال شهاب الدين انظر الى هذا الرجل كيف اخذ كلام الزمخشري
الذي اسلفته عنه طرزه عبارته حرفا بحرف ثم اخذ يجني عليه باساءة الادب جزاء ما لقنه تلك
الكلمات الرائقة وجعله يقول ان مطاوع كب انكب لا اكب وان الهمزة في اكب للصيرورة او للدخول
في الشيء وبالله لو بقي دهره غير ملقن اياها لما قالها ابدا ثم اخذ يذكر عن انسان مع ابي القاسم
كالنهاية مع انه غلطه في نصوص من كتاب سيبويه الله اعلم بصحتها وكم من عائب قولا صحيحا وآفته من الفهم السقيم
وعلى تقدير التسليم فالنا مثل من عدة سقطاته قال القرطبي يقال اكب الرجل على وجهه فيما
لا يتعدى بالالف فاذا تعدى قيل كبه الله لوجهه بغير الف وقوله افمن يمشي هو المبتدا والخبر من
يمشي مكبا وقال ابو البقا واهدى خبر من يمشي وخبر من الثانية محذوف يعني ان الاصل امن يمشي
سويا اهدى ولا حاجة الى ذلك لان قولك ان زيد قايم ام عمرو لا يحتاج فيه من حيث الصناعة
الى حذف الخبر بل يقول هو معطوف على زيد عطف المفردات ووحد الخبر لان ام لاحد الشيئين
فصل قال المفسرون افمن يمشي مكبا اي منكسا راسه لا ينظر امامه ولا يمينه ولا شماله
فهو لا يامن من العثور والانكباب على وجهه كمن يمشي سويا معتدلا ناظرا ما بين يديه وعن يمينه
وعن شماله قال ابن عباس هذا في الدنيا ويجوز ان يراد به الاعمى الذي لا يهتدي الى الطريق فلا
يزال ينكسه على وجهه وانه ليس كالرجل السوي الصحيح البصير الماشي في الطريق المهتدي له وقال
قتادة هو الكافر اكب على معاصي الله في الدنيا يحشره الله يوم القيامة على وجهه وقال ابن عباس
والكلبي عني بالذي يمشي مكبا على وجهه ابا جهل وبالذي يمشي سويا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل
ابو بكر وقيل حمزة وقيل عمار بن ياسر قال عكرمة وقيل هو عام في الكافر والمؤمن اي ان الكافر لا يدري
اعلى حق هو ام على باطل اي اهذا الكافر او المسلم الذي يمشي سويا معتدلا يبصر الطريق وهو على صراط
مستقيم وهو الاسلام **قوله** قل هو الذي انشاكم امر نبيه ان يعرفهم قبح شركهم مع اعترافهم
ان الله خلقهم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة يعني القلوب **قوله** قليلا نعت مصدر محذوف او

حال

حال من ضمير المصدر كما هو راي سيبويه وما مزيدة اي تشكرون قليلا والجملة من تشكرون اما مستانفة
وهو الظاهر واما حال مقدرة لانهم حال الجعل غير شاكرين والمراد بالقلة العدم او حقيقتها اي
لا تشكرون هذه النعم ولا توحدون الله تعالى تقول قل ما افعل كذا اي لا افعله قال ابن الخطيب
وذكر السمع والبصر والفؤاد هاهنا تنبيها على دقيقة لطيفة كانه تعالى قال اعطيتم هذه الاعضاء
الثلاثة مع ما فيها من القوى الشريفة فضيعتموها ولم تقبلوا ما سمعتموه ولا اعتبرتم بما ابصرتموه ولا
تاملتم في عاقبة ما عقلتموه فكانكم ضيعتم هذه النعم وافسدتم هذه المواهب فلهذا قال قليلا ما
تشكرون **قوله** قل هو الذي ذراكم في الارض قال ابن الخطيب اعلم انه تعالى استدل
باحوال الحيوان اولا ثم بصفات الانسان ثانيا وهي السمع والبصر والعقل ثم بحدوث ذاته ثالثا
فهو قوله قل هو الذي ذراكم واعلم ان الشروع في هذه الدلايل انما كان لبيان صحة الحشر ليثبت ما ادعاه
من الابتلاء في قوله ليبلوكم ايكم احسن عملا ولهذا ختم الاية بقوله واليه تحشرون لانه اثبات القدرة
على الخلق ابتدا القدرة بلى فلهذا اختمها بقوله واليه تحشرون
فصل قال ابن عباس خلقكم في الارض وقال ابن بحر نشركم فيها وفرقكم فيها على ظهرها واليه تحشرون
فيجازي كلا بعمله ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين اي متى يوم القيامة ومتى هذا
العذاب الذي تعدونا به قال ابو مسلم انه تعالى قال ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين
بلفظ المستقبل وهذا يحتمل ما يوجد من الكفار من هذا القول في المستقبل ويحتمل الماضي والتقدير
وكانوا يقولون متى هذا الوعد ولعلهم كانوا يقولون ذلك سخرية واستهزاء وكانوا يقولونه ايهاما
للضعفة ثم انه تعالى اجاب عن هذا السؤال فقال قل انما العلم عند الله اي قل لهم يا محمد علم
وقت قيام الساعة عند الله فلا يعلمه غيره نظيره قل انما علمها عند ربي الاية وانما انا نذير مبين اي مخوف
ومعلم لكم ثم انه تعالى بين حالهم عند نزول ذلك الوعد وهو **قوله تعالى** فلما راوه زلفة
راوه اي الموعود او العذاب زلفة اي قريبا فهو حال وقال القرطبي مصدر بمعنى مزدلفا اي قريبا
قاله مجاهد ولا بد من حذف مضاف اي ذا زلفة او جعل نفس الزلفة مبالغة وقيل زلفة تقديره
مكانا ذا زلفة فينتصب انتصاب المصدر **فصل** قال الحسن عيانا واكثر المفسرين على
ان المراد عذاب الآخرة وقال مجاهد عذاب يوم بدر وقيل راوا ما وعدوا من الحشر قريبا منهم
لقوله واليه تحشرون وقال ابن عباس يعني علمهم السيئ قريبا **قوله** سيئت الاصل ساء اي احزن
وجوههم العذاب ورؤيته ثم بني للمفعول وساء هنا ليست المرادفة لبئس كما تقدم مرارا واشم
كسرة السين الضم نافع وابن عامر والكسائي كما فعلوا ذلك في سيء بهم في هود كما تقدم والباقون
باخلاص الكسر وتقدم تحقيق هذا وتصريفه في اول البقرة واتى به لغات عند قوله واذا قيل لهم
فصل قال ابن عباس سيئت اي اسودت وعليها الكآبة والغبرة يقال ساء الشيء يسوء فهو
سيء اذا قبح وسيء يساء اذا قبح وهو فعل لازم ومتعدي بمعنى سيئت وجوههم اي قبحت بان عليها
الكآبة وغشيها الكسوف والغبرة وكلحوا قال الزجاج يبين فيها السوء اي ساءهم ذلك العذاب
وظهر على وجوههم سمة تدل على كفرهم كقوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه **قوله**
وقيل هذا الذي كنتم به تدعون اي قال لهم الخزنة قال الفراء يفتعلون من الدعاء وهو قول اكثر العلماء اي
تتمنون وتسالون وقال ابن عباس تكذبون وتاويله هذا الذي كنتم من اجله تدعون الاباطيل والا
والاحاديث قاله الزجاج وقرا العامة بتشديد الدال مفتوحة تفتعل من الدعوى اي تدعون انه
لا جنة ولا نار قاله الحسن وقيل من الدعاء اي تطلبونه وتستعجلونه وقرا الحسن وقتادة وابو رجاء والضحاك
ويعقوب وابو زيد وابو بكر وابن ابي عبلة ونافع في رواية الاصمعي بسكون الدال وهي مؤيدة
للقول بانها من الدعاء في قراءة العامة قال قتادة هو قولهم ربنا عجل لنا قطنا وقال الضحاك هو قول

ان كان هذا هو الحق من عندك الاية وقال النحاس تدعون وتدعون بمعنى واحد كما يقال قد دروا وقد در
وعدى واعتدى الا ان في افتعل معنى شي بعد شي وفعل يقع للقليل والكثير **قوله** قل ارايتم
ان اهلكني الله اي قل لهم يا محمد يعني مشركي مكة وكانوا يتمنون موت محمد صلى الله عليه وسلم كما قال
ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون ارايتم ان متنا او رحمنا فاخر اجالنا يعني انا ومن معي من المؤمنين
من يجيركم من عذاب الله فلا حاجة لكم الى التربص بنا ولا الى استعجال قيام الساعة واسكن الياء في
في اهلكني ابن محيصن والمسيبي وشيبة والاعمش وفتحها الباقون وكلهم فتح اليا في ومن معي الا اهل
الكوفة فانهم سكنوها وفتحها حفص كالجماعة **قوله** قل هو الرحمن امنا به وعليه توكلنا قد تقدم
لم اخر متعلق الايمان وقدم متعلق التوكل وان التقديم يفيد الاختصاص قال القرطبي لما قدم
لو وقع امنا لتوهمنا بالكافرين حين ورد عقيب ذكرهم كانه قيل امنا ولم نكفر كما كفرتم ثم قال
وعليه توكلنا خصوصا لم نتكل على ما انتم متكلون عليه من رجالكم واموالكم قاله الزمخشري وقرا الكسائي
فسيعلمون بيا الغيبة نظرا الى قوله الكافرين والباقون بالخطاب اما على الوعيد واما على الالتفات
من الغيبة المرادة في قراة الكسائي وهو تهديد اي فستعلمون عند معاينة العذاب من الضال
نحن ام انتم **قوله** قل ارايتم يا معشر قريش ان اصبح ماؤكم غورا اي غائرا ذاهبا في الارض
لا تناله الدلا وغورا خبر اصبح وجوز ابو البقا ان يكون حالا على تمام اصبح لكنه استبعده وحكى
انه قرئ غؤرا بضم الغين وهمزة مضمومة ثم واو ساكنة على فعول وجعل الهمزة منقلبة عن واو
مضمومة **فصل** كان ماؤهم من بئرين بئر زمزم وبئر ميمون فمن ياتيكم بماء معين اي
جاري قاله قتادة والضحاك فلا بد لهم من ان يقولوا لا ياتينا به الا الله تعالى فقل لهم فلم
تشركون به من لا يقدر على ان ياتيكم به يقال غار الما يغور غورا اي نضب والغور الغائر
وصف بالمصدر للمبالغة كما يقول رجل عدل ورضى وقد مضى في سورة الكهف قال ابن عباس
بماء معين اي ظاهر تراه العيون فهو مفعول وقيل هو من معن الما اي كثر فهو على هذا فعيل وعن
ابن عباس ايضا ان المعنى فمن ياتيكم بماء عذب روى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان سورة من كتاب الله ما هي الا ثلاثون اية شفعت لرجل فاخرجته يوم القيامة من النار
وادخلته الجنة وهي سورة تبارك وعن عبد الله بن مسعود قال اذا وضع الميت في قبره يؤتى من
قبل رجليه فيقال ليس لكم عليه سبيل لانه قد كان يقوم بسورة الملك ثم يؤتى من قبل راسه
فيقول لسانه ليس لكم عليه سبيل كان يقرا بي سورة الملك ثم قال هي المانعة من عذاب الله وهي في
التوراة سورة الملك من قراها في ليلة فقد اكثر واطنب وعن ابن عباس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم وددت ان تبارك الذي بيده الملك في قلب كل مؤمن

سورة ن مكية في قول الحسن وعكرمة وعطا وجابر وقال ابن عباس وقتادة
من اولها الى قوله تعالى سنسمه على الخرطوم مكي ومن بعد ذلك الى قوله تعالى فهم يكتبون
مكي ومن بعد ذلك الى قوله تعالى من الصالحين مدني وباقيها مكي قاله الماوردي وهي اثنتان
وخمسون اية وثلاث مائة كلمة والف ومائتان وستة وخمسون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى ن كقوله ص والقران وجواب القسم الجملة المنفية بعدها
قال ابن عباس هو الحوت الذي على ظهر الارض وهو قول مجاهد ومقاتل والسدي والكلبي وروى
ابو ظبيان عن ابن عباس قال اول ما خلق الله القلم فجرى بما هو كائن الى يوم القيامة ثم خلق النون
فبسط الارض على ظهره فتحرك النون فمادت الارض فاثبتت بالجبال فان الجبال لتفخر على الارض ثم
قرا ابن عباس ن والقلم وما يسطرون قال الواقدي اسم النون ليوثا وقال كعب الاحبار لوثيا وعن
علي اسمه بلهوث وقيل انه اقسم بالحوت الذي ابتلع يونس عليه السلام وقيل الحوت الذي لطخ بدمه

نمرود

نمرود بدمه وقال الكلبي ومقاتل اسم الحوت الذي على ظهر الارض البهموت قال الراجز
مالي اراكم كلكم سكوتا والله ربي خالق البهموتا وروى عكرمة عن ابن عباس ان نون اخر حروف
الرحمن وقيل انه اسم للدواة وهو ايضا مروي عن ابن عباس قال القرطبي وروى ابو هريرة قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اول ما خلق الله القلم ثم خلق النون وهي الدواة وذلك
قوله تعالى ن والقلم ومنه قول الشاعر اذا ما الشوق برح بي اليهم القت النون بالدمع السجام
ويكون على هذا اقسم بالدواة والقلم فان المنفعة بهما عظيمة بسبب الكتابة فان التفاهم تحصل تارة
بالنطق وتارة بالكتابة وقيل النون لوح من نور تكتب فيه الملايكة ما يؤمرون به رواه معوية
ابن قرة مرفوعا وقيل النون هو المداد الذي تكتب به الملايكة وقال عطا وابو العالية هو افتتاح
اسمه نصير ونور وناصر وقال محمد بن كعب اقسم الله تعالى بنصرة المؤمنين وقال جعفر الصادق هو نهر
من انهار الجنة يقال له نون وقيل هو الحرف المعروف من حروف المعجم قاله القشيري قال لانه لو كان حرفا لم
يعرب فلو كان كلمة تامة اعرب كما اعرب القلم فهو اذن حرف هجا كما في اوايل السور قال الزمخشري واما
قولهم هو الدواة فما ادري اهو وضع لغوي او شرعي ولا يخلو اذا كان اسما للدواة من ان يكون جنسا
او علما فان كان جنسا فاين الاعراب والتنوين وان كان علما فاين الاعراب وايهما كان فلا بد له
من موقع في تاليف الكلام لانك اذا جعلته مقسما به وجب ان كان جنسا ان تجره وتنونه ويكون القسم
بدواة منكرة مجهولة كانه قيل ودواة والقلم وان كان علما ان تصرفه وتجره او لا تصرفه وتفتحه للعلمية
والتانيث وكذلك التفسير بالحوت اما ان يراد نون من النينان او تجعل علما للبهموت الذي يزعمون
والتفسير باللوح من نور او ذهب والنهر في الجنة نحو ذلك قال شهاب الدين وهذا الذي اورده
ابو القسم من محاسن علم الاعراب وقل من يتقنه وقال ابن الخطيب بعد ذكر القول بانه نون اخر
اسم الرحمن وهذا ضعيف لان تجويزه يفتح باب ترهات الباطنية بل الحق هنا انه اسم للسورة او يكون
الغرض منه التحدي او ساير الوجوه المذكورة في اول سورة البقرة **فصل** قرا العامة نون
ساكن النون كنظايره وادغم ابن عامر والكسائي وابو بكر عن عاصم بلا خلاف وورش بخلاف عنه
النون في الواو واظهرها الباقون قال الفرا واظهارها اعجب الي لانها هجا والهجا كالموقوف عليه ونقل
عن من ادغم الغنة وعدمها وقرا ابن عباس والحسن وابو السماك وابن ابي اسحاق بكسر النون وسعيد
ابن جبير وعيسى بخلاف عنه بفتحها فالاولى على التقا الساكنين ولا يجوز ان يكون مجرورا على القسم حذف
حرف الجر وبقي عمله كقولهم الله لافعلن لوجهين احدهما انه مختص بالجلالة المعظمة نادر فيما عداها
والثاني انه كان ينبغي ان ينون ولا يحتج ان يقال هو ممنوع الصرف اعتبارا بتانيث السورة لانه كان
ينبغي ان لا يظهر فيه الجر بالكسرة البتة واما الفتح فيحتمل ثلاثة اوجه احدها ان يكون بناء واوثر على الاصل
للخفة كاين وكيف الثاني ان يكون مجرورا بحرف القسم المقدر على لغة ضعيفة وقد تقدم ذلك في قرا
فالحق والحق بجر الحق ومنعت الصرف اعتبارا بالسورة والثالث ان يكون منصوبا بفعل محذوف اي اقرا
نون ثم ابتدا قسما بقوله والقلم او يكون منصوبا بعد حذف حرف القسم كقوله فذاك امانة الله الثريد
ومنع الصرف لما تقدم وهذا احسن لعطف والقلم على محله **قوله** وما يسطرون ما موصولة
اسمية او حرفية اي والذي يسطرونه من الكتب وهم الكتاب او الحفظة من الملايكة وسطرهم والضمير عايد
على من يسطر للدلالة السياق عليه ولذكر الالة المكتسب بها وقال الزمخشري يجوز ان يراد بالقلم اصحابه
فيكون الضمير في يسطرون لهم يعني فيصير كقوله او كظلمات في بحر لجي يغشاه تقديره او كذي ظلمات
فالضمير في يغشاه يعود على ذي المحذوف **فصل** في القلم المقسم به قولان احدهما ان المراد
به الجنس وهو واقع على كل قلم يكتب به في السما والارض قال تعالى وربك الاكرم الذي علم بالقلم
علم الانسان ما لم يعلم ولانه ينتفع به كما ينتفع بالنطق كما قال تعالى خلق الانسان علمه البيان فالقلم

بين كما بين اللسان في المخاطبة بالكتابة للغايب والحاضر والثاني انه القلم جاء في الخبر عن ابن عباس
قال اول ما خلق الله القلم ثم قال له اكتب قال ما اكتب قال ما كان وما هو كاين الى يوم القيامة
من عمل واجل او رزق او اثر فجرى القلم بما هو كاين الى يوم القيامة قال ثم ختم فم القلم فلم ينطق
ولا ينطق الى يوم القيامة قال وهو قلم من نور طوله كما بين السما والارض وروي مجاهد قال اول
ما خلق الله القلم فقال اكتب القدر فكتب ما هو كاين الى يوم القيمة وانما يجري الناس على امر قد فرغ
منه قال القاضي هذا الخبر يجب حمله على المجاز لان القلم آلة مخصوصة للكتابة لا يجوز ان يكون حيا
عاقلا فيومر وينهى فان الجمع بين كونه حيوانا مكلفا وبين كونه آلة للكتابة محال بل المراد منه انه تعالى
اجراه بكل ما يكون وهو قوله تعالى اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون فانه ليس هناك امر ولا تكليف
بل هو مجرد نفاذ القدرة في المقدور من غير منازعة ولا مدافعة وقيل القلم المذكور ههنا هو
العقل وانه شي هو كالاصل لجميع المخلوقات قالوا والدليل عليه انه روي في الاخبار ان اول ما خلق الله
تعالى القلم وفي خبر اخر اول ما خلق الله تعالى العقل فقال الجبار ما خلقت خلقا اعجب الي منك
وعزتي وجلالي لاكملنك فيمن احببت ولانقصنك فيمن ابغضت قال ثم قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اكمل الناس عقلا اطوعهم لله واعملهم بطاعته وفي خبر اخر اول ما خلق الله جوهرة فنظر اليها بعين
الهيبة فذابت وسخنت فارتفع منها دخان وزبد فخلق من الدخان السموات ومن الزبد الارض
قالوا فهذه الاخبار بمجموعها تدل على ان القلم والعقل وتلك الجوهرة التي هي اصل المخلوقات شي واحد
والا حصل التناقض **فصل** وقوله وما يسطرون اي وما يكتبون يريد الملايكة يكتبون
اعمال بني ادم قاله ابن عباس وقيل وما يكتبون الناس ويتفاهمون به وقال ابن عباس معنى وما
يسطرون وما يعلمون قال ابن الخطيب وما يسطرون ما مع ما بعدها في تقدير المصدر فيحتمل ان يكون
المراد وسطرهم فيكون القسم واقعا بنفس الكتابة ويحتمل ان يكون المراد به المسطور والمكتوب فان حمل
القلم على كل قلم في مخلوقات الله فكانه تعالى اقسم بكل قلم وبكل ما يكتب بكل قلم وقيل المراد يسطرون
الحفظة والكرام ويجوز ان يراد بالقلم اصحابه فيكون الضمير في يسطرون لهم كانه قيل واصحاب القلم
وسطرهم او ومسطوراتهم وان حمل على القلم المعين فيحتمل ان يكون المراد بقوله وما يسطرون اي وما
يسطرون فيه وهو اللوح المحفوظ ولفظ الجمع في قوله يسطرون ليس المراد منه الجمع بل التعظيم ويكون
المراد تلك الاشيا التي سطرت فيه من جميع الامور الكاينة الى يوم القيامة **قوله** ما انت بنعمة ربك
بمجنون قد تقدم الكلام على نظيره في الطور في قوله فما انت بنعمة ربك بكاهن الا ان الزمخشري قال هنا
فان قلت بم يتعلق البا في بنعمة ربك وما محله قلت يتعلق بمجنون منفيا كما يتعلق بعاقل مثبتا كقولك
انت بنعمة الله عاقل مستويا في ذلك الاثبات والنفي استواهما في قولك ضرب زيد عمرا وما ضرب
زيد عمرا تعمل الفعل منفيا ومثبتا اعمالا واحدا ومحله النصب على الحال كانه قال ما انت مجنون منعما
عليك بذلك ولم تمنع البا ان يعمل مجنون فيما قبله لانها زايدة لتاكيد النفي قال ابو حيان وما ذهب
اليه الزمخشري من ان البا تتعلق بمجنون وانه في موضع الحال يحتاج الى تامل وذلك انه اذا تسلط
النفي على محكوم به وذلك له معمول ففي ذلك طريقان احدهما ان النفي يسلط على ذلك المعمول فقط
والاخر ان يسلط النفي على المحكوم به فينتفي معموله لانتفايه بيان ذلك تقول ما زيد قايم مسرعا فالمتبادر
الى الذهن انه منتف اسراعه دون قيامه فيكون قد قام غير مسرع والوجه الاخر انه انتفى قيامه
فانتفى اسراعه اي لا قيام فلا اسراع وهذا الذي قررناه لا يتاتى معه قول الزمخشري بوجه بل يودي
الى ما لا يجوز النطق به في حق المعصوم انتهى واختار ابو حيان ان يكون بنعمة قسما معترضا به بين المحكوم عليه
والحكم على سبيل التاكيد والتشديد والمبالغة في انتفا الوصف الذميم وقال ابن عطية بنعمة ربك اعتراض
كما تقول للانسان انت بحمد الله فاضل قال ولم يبين ما يتعلق به البا في بنعمة قال شهاب الدين والذي

يتعلق

يتعلق به البا في هذا النحو معنى مضمون الجملة نفيا واثباتا كانه قيل انتفى عنك ذلك بحمد الله والبا
سببية وثبت لك الفضل بحمد الله تعالى واما المثال الذي ذكره فالبا يتعلق فيه بلفظ فاضل وقد
نحا صاحب المنتخب الى هذا فقال المعنى انتفى عنك الجنون بنعمة ربك وقيل معناه ما انت مجنون
والنعمة لربك كقولهم سبحانك اللهم وبحمدك اي والحمد لله ومنه قول لبيد
وانزفت في الدنيا بفقد عشيرتي * وفارقني جار باربد نافع * اي وهو اربد وهذا الذي تفسير
اعراب بل تفسير معنى **فصل** ما انت بنعمة ربك بمجنون هذا جواب القسم وهو نفي قال
الزجاج انت هو اسم ما وبمجنون الخبر وقوله بنعمة ربك كلام وقع في الوسط اي انتفى عنك الجنون بنعمة
ربك كما يقال انت بحمد الله عاقل روي ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم غاب عن خديجة الى حرا وطلبته
فلم تجده فاذا به ووجهه متغيرا بلا غبار فقالت له ما لك فذكر جبريل عليه السلام وانه قال له اقرا
باسم ربك فهو اول ما نزل من القران قال ثم نزل بي الى قرار الارض فتوضا وتوضات ثم صلى وصليت معه
ركعتين وقال هكذا الصلوة يا محمد فذكر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك لخديجة فذهبت خديجة
الى ورقة بن نوفل وهو ابن عمها وكان قد خالف دين قومه ودخل في النصرانية فسالته فقال
ارسلي الي محمدا فارسلته فقال هل امرك جبريل عليه السلام ان تدعو احدا فقال لا والله لئن بعثت الى
دعوتك لانصرنك نصرا عزيزا ثم مات قبل دعا الرسول صلى الله عليه وسلم ووقعت تلك الواقعة
في السنة قريش فقالوا انه مجنون فاقسم الله تعالى على انه ليس بمجنون وهو خمس ايات من اول هذه السورة
قال ابن عباس اول ما نزل قوله تعالى سبح اسم ربك وهذه الاية هي الثانية نقله ابن الخطيب وذكر
القرطبي ان المشركين كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم مجنون به شيطان وهو قولهم يا ايها الذي نزل
عليه الذكر انك لمجنون فانزل الله تعالى ردا عليهم وتكذيبا لقولهم ما انت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون
اي برحمة ربك والنعمة ههنا الرحمة وقال عطا وابن عباس يريد بنعمة ربك عليك بالايمان
والنبوة قال القرطبي ويحتمل ان النعمة ههنا قسم تقديره ما انت ونعمة ربك بمجنون لان الواو والبا من
حروف القسم وقد تقدم **فصل** قال ابن الخطيب اعلم انه تعالى وصفه ههنا بصفات ثلاثة
الاولى نفي الجنون عنه ثم قرن بهذه الدعوى ما يكون كالدلالة القاطعة على صحتها لان قوله بنعمة ربك
يدل قطعا ان نعم الله تعالى ظاهرة في حقه من الفصاحة التامة والعقل الكامل والسيرة المرضية والبراءة
من كل عيب والاتصاف بكل مكرمة واذا كانت هذه النعم محسوسة ظاهرة ووجودها ينافي حصول
الجنون فالله تعالى نبه على ان هذه الدقيقة جارية مجرى الدلالة اليقينية في تكذيبهم في قولهم مجنون الصفة
الثانية **قوله** وان لك لاجرا غير ممنون اي ثوابا على ما تحملت غير منقوص ولا مقطوع منه يقال
مان الشي اذا ضعف ويقال منت الحبل اذا قطعته وحبل منين اذا كان غير متين قال لبيد
غبسا كواسب ما يمن طعامها * اي لا ينقطع يصف كلابا ضارية ونظيره قوله تعالى غير مجذوذ وقال
مجاهد ومقاتل والكلبي غير ممنون اي غير محسوب عليك قالت المعتزلة لانك تستوجبه على عملك وقوم
ان حمله على هذا يقتضي التكرار لان قوله اجرا يغنيك وقال الحسن غير مكدر بالمن وقال الضحاك اجرا
بغير عمل واختلفوا في هذا الاجر على اي شي حصل فقيل معناه ان لك على احتمال هذا الطعن والقول
القبيح اجرا عظيما دايما وقيل ان لك في اظهار النبوة والمعجزات وفي دعا الخلق الى الله تعالى وفي بيان
الشرع لهم هذا الاجر الخالص الدايم فلا يمنعك نسبتهم اياك الى الجنون عن الاشتغال بهذا المهم العظيم
فان لك بسببه المنزلة العالية الصفة الثالثة **قوله** وانك لعلى خلق عظيم قال ابن عباس ومجاهد
على خلق على دين عظيم من الاديان ليس دين احب الى الله ولا ارضى عنده منه وروى مسلم عن عايشة ان خلقه
كان القران وقال علي رضي الله عنه هو ادب القران وقيل رفقه بامته واكرامه اياهم وقال قتادة هو ما
كان ياتمر به من امر الله وينتهي عنه مما نهى الله عنه وقيل انك على طبع كريم وقال الماوردي حقيقة الخلق

في اللغة ما ياخذ به الانسان في نفسه من الادب يسمى خلقا لانه يصير كالخلقة فيه فاما ما طبع عليه من
الادب فهو الخيم فيكون الخلق الطبع المتكلف والخيم الطبع الغريزي قال القرطبي ما ذكره مسلم في صحيحه
عن عائشة اصح الاقوال وسئلت ايضا عن خلقه عليه السلام فقرات قد افلح المؤمنون الى عشر ايات قال
ابن الخطيب وهذا اشارة الى ان نفسه المقدسة كانت بالطبع منجذبة الى عالم الغيب والى كل ما يتعلق
بها وكانت شديدة التعري عن اللذات البدنية والسعادات الدنيوية بالطبع ومقتضى الفطرة وقالت
ما كان احد احسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دعاه احد من الصحابة ولا من اهل بيته الا قال
لبيك ولذلك قال الله تعالى وانك لعلى خلق عظيم ولم يذكر خلق محمود الا وكان للنبي صلى الله عليه وسلم
منه الحظ الاوفر وقال الجنيد سمي خلقه عظيما لاجتماع مكارم الاخلاق فيه بدليل قوله عليه السلام ان
الله بعثني لاتمم مكارم الاخلاق **فصل** قال ابن الخطيب قوله وانك لعلى خلق عظيم
كالتفسير لما تقدم من قوله تعالى بنعمة ربك وتعريف لمن رماه بالجنون بان ذلك كذب وخطا لان
الاخلاق الحميدة والافعال المرضية كانت ظاهرة منه واذا كان موصوفا بتلك الاخلاق والافعال
لم يجز اضافة الجنون اليه لان اخلاق المجانين سيئة ولما كانت اخلاقه الحميدة صلى الله عليه وسلم كاملة لا جرم
وصفها الله بانها عظيمة ولهذا قال قل لا اسالكم عليه اجرا وما انا من المتكلفين اي لست متكلفا فيما يظهر
لكم من اخلاقي لان المتكلف لا يدوم امره طويلا بل يرجع الى الطبع وقيل انما وصف خلقه بانه عظيم
لانه تعالى قال اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده فهذا الهدى الذي امر الله محمدا صلى الله
عليه وسلم بالاقتداء به ليس هو معرفة الله تعالى لان ذلك تقليد وهو غير لائق بالنبي صلى الله عليه وسلم
وليس هو الشرائع لان شريعته مخالفة لشرائعهم فتعين ان يكون المراد منه امره صلى الله عليه وسلم بان
يقتدي بكل واحد من الانبيا فيما اختص به من الخلق الكريم وكان كل واحد منهم امره صلى الله عليه وسلم
بان يقتدي بكل واحد من الانبيا فيما اختص به من الخلق الكريم وكان كل واحد منهم مختصا بنوع واحد فلما
امره صلى الله عليه وسلم بان يقتدي بالكل فكانه امره بمجموع ما كان متفرقا فيهم ولما كان ذلك درجة عالية
لم تتيسر لاحد من الانبياء قبله لا جرم وصف الله خلقه بانه عظيم وكلمة على للاستعلاء فدل اللفظ
على انه مستعلي على هذه الاخلاق ومستولي عليها وانه بالنسبة الى هذه الاخلاق الحميدة كالمولى بل
بالنسبة الى العبد وكالامير بالنسبة الى المامور وقد وردت احاديث صحيحة كثيرة في مدح الخلق
الحسن وذم الخلق السيء **قوله** فستبصر ويبصرون قال ابن عباس معناه فستعلم ويعلمون يوم
القيمة وقيل فسترى ويرون يوم القيمة حين يتبين الحق والباطل وقيل فستبصر ويبصرون في الدنيا كيف
يكون عاقبة امرك وعاقبة امرهم فانك تصير معظما في القلوب ويصيرون ذليلين ملعونين
وتستولي عليهم بالقتل والنهب قال مقاتل بن حيان هذا وعيد العذاب ببدر **قوله** بايكم
المفتون فيه اربعة اوجه احدها ان البا مزيدة في المبتدا والتقدير ايكم المفتون فزيدت كزيادتها
في نحو بحسبك زيد والى هذا ذهب قتادة وابو عبيدة معمر بن المثنى الا انه ضعيف من حيث ان البا
لا تزاد في المبتدا الا في حسبك فقط الثاني ان البا بمعنى في ظرفية كقولك زيد بالبصرة اي فيها والمعنى
في اي فرقة وطائفة منكم المفتون اي المجنون افي فرقة الاسلام ام في فرقة الكفار واليه ذهب مجاهد
والفرا ويؤيده قراءة ابن ابي عبلة في ايكم والثالث انه على حذف مضاف اي بايكم فتن المفتون فحذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه واليه ذهب الاخفش وتكون البا سببية والرابع ان المفتون مصدر
جاء على مفعول كالمعقول والميسور والتقدير بايكم الفتون فعلى القول الاول يكون الكلام تاما عند قوله
ويبصرون ويبتدا بقوله بايكم المفتون وعلى الاوجه بعده تكون البا متعلقة بما قبلها ولا يوقف
على يبصرون وعلى الاوجه الاول الثلاثة يكون المفتون اسم مفعول على اصله وعلى الوجه الرابع يكون
مصدرا وينبغي ان يقال ان الكلام انما يتم على قوله المفتون سوا قيل بان البا مزيدة ام لا لان قوله

فستبصر

فستبصر ويبصرون معلق بالاستفهام بعده لانه فعل بمعنى الروية والروية البصرية تعلق على الصحيح
بدليل قولهم اما ترى اي برق ها هنا فكذلك الابصار لانه هو الروية بالعين فعلى القول بزيادة
البا تكون الجملة الاستفهامية في محل نصب لانها واقعة موقع مفعول الابصار **فصل**
قال القرطبي فستبصر ويبصرون بايكم المفتون اي الذي فتن بالجنون كقوله تعالى تنبت بالدهن ويشرب بها
عباد الله وهو قول قتادة وابي عبيدة كما تقدم وقيل البا ليست بزائدة والمعنى بايكم المفتون الفتنة
وهو مصدر على وزن المفعول ويكون معنى المفتون كقولهم ما لفلان مجلود ولا معقول اي عقل
ولا جلادة قاله الحسن والضحاك وابن عباس وقال الراعي حتى اذا لم يتركوا لعظامه لحما ولا لفؤاده معقولا
اي عقلا والمفتون المجنون الذي فتنه الشيطان وقيل المفتون المعذب من قول العرب فتنت
الذهب بالنار اذا احميته قال تعالى يوم هم على النار يفتنون اي يعذبون وقيل المفتون الشيطان
لانه مفتون في دينه وكانوا يقولون ان به شيطانا وعنوا بالمجنون هذا فقال الله تعالى سيعلمون
غدا بايهم الشيطان الذي يحصل من مسه الجنون واختلاط العقل **قوله** ان ربك هو اعلم بمن
ضل عن سبيله اي ان الله هو العالم بمن حاد عن دينه وهو اعلم بالمهتدين اي الذين هم على الهدى
فيجازي كلا غدا **قوله** فلا تطع المكذبين نهاه عن ممايلة المشركين وكانوا يدعونه الى ان يكف عنهم
ليكفوا عنه فبين الله تعالى ان ممايلتهم كفر وقال تعالى ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا
قليلا وقيل فلا تطع المكذبين اي فيما دعوك اليه من دينهم الخبيث نزلت في مشركي قريش حين
دعوه الى دين ابائه **قوله** ودوا لو تدهن فيدهنون المشهور في قراءة الناس ومصاحفهم فيدهنون
بثبوت نون الرفع وفيه وجهان احدهما انه عطف على تدهن فيكون داخلا في حيز لو والثاني انه
خبر مبتدا مضمر اي فهم يدهنون وقال الزمخشري فان قلت لم رفع فيدهنون ولم ينصب
باضمار ان وهو جواب التمني قلت قد عدل به الى طريق اخر وهو ان جعل خبر مبتدا محذوف اي فهم
يدهنون كقوله فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا على معنى ودوا لو تدهن فهم يدهنون حينئذ
او ودوا ادهانك فهم الان يدهنون لطمعهم في ادهانك قال سيبويه وزعم هارون انها في بعض
المصاحف ودوا لو تدهن فيدهنوا انتهى وفي نصبه على ما وجد في بعض المصاحف وجهان احدهما
انه عطف على التوهم كانه توهم ان نطق بان فنصب الفعل على هذا التوهم وهذا انما يجي على القول
بمصدرية لو وفيه خلاف تقدم تحقيقه في البقرة والثاني انه نصب على جواب التمني المفهوم من
ودوا والظاهر ان لو هنا حرف لما كان سيقع لوقوع غيره وان جوابها محذوف ومفعول الودادة
ايضا محذوف تقديره ودوا ادهانك لحذف ادهانك لدلالة لو وما بعدها عليه وتقدير
الجواب لسروا بذلك **فصل** قال ابن عباس وعطية والضحاك والسدي ودوا لو تكفر فيتمادون
على كفرهم وعن ابن عباس ايضا ودوا لو ترخص لهم فيرخصون لك وقال الفرا والكلبي لو تلين فيلينون
لك والادهان التليين لمن لا ينبغي له التليين قاله الفرا والليث وقال مجاهد ودوا لو ركنت اليهم
وتركت الحق فيما لئونك وقال الربيع بن انس ودوا لو تكذب فيكذبون وقال قتادة ودوا لو تذهب
عن هذا الامر فيذهبون معك وقال الحسن ودوا لو تصانعهم في دينك فيصانعونك في دينهم وعنه ايضا
ودوا لو ترفض بعض امرك فيرفضون بعض امرهم وقال زيد بن اسلم لو تنافق وترائي فينافقون ويراؤون
وقيل ودوا لو تضعف فيضعفون قاله ابو جعفر وقال القتبي ودوا لو تداهن في دينك فيداهنون
في اديانهم وعنه طلبوا منه ان يعبد الهتهم مدة ويعبدوا الهه مدة وهذان القولان الاخيران
المتقدمان في معنى لو تكفر ومعنى لو ترخص لهم وقال ابن العربي ذكر المفسرون فيها نحو عشرة اقوال كلها
دعاوى على اللغة والمعنى امثلها ودوا لو تكذب فيكذبون ودوا لو تكفر فيكفرون وقال القرطبي كلها
ان شاء الله صحيحة على مقتضى اللغة والمعنى فان الادهان اللين والمصانعة وقيل مجاملة العدو وممايلته

وقيل المتاربة في الكلام والتليين في القول وقال المفضل النفاق وترك المناصحة فهي على هذا الوجه مذموم
وكل شي منها لم يكن قال المبرد يقال ادهن في دينه وداهن في امره اي خان فيه واظهر خلاف ما يضمر وقال
قوم داهنت بمعنى غششت قاله الجوهري وقوله فيدهنون ساقه على العطف ولو جابه جواب التمني
لقال فيدهنوا وانما اراد انهم تمنوا لو فعلت فيفعلون مثل فعلك عطفا لا جزاء عليه ولا مكافاة وانما
هو تمثيل وتنظير **قوله** ولا تطع كل حلاف مهين قال السدي والشعبي وابن اسحق يعني الاخنس
ابن شريق وقال مجاهد يعني الاسود بن عبد يغوث او عبد الرحمن بن الاسود وقال مقاتل يعني الوليد
ابن المغيرة عرض على النبي صلى الله عليه وسلم مالا وحلف له ان يعطيه ان رجع عن دينه وقال
ابن عباس هو ابو جهل بن هشام والحلاف الكثير الحلف والمهين تقدم في الزخرف قال مجاهد هو الضعيف
القلب وقال ابن عباس هو الكذاب والكذاب مهين وقال الحسن وقتادة هو المكثار في الشر وقال الكلبي
المهين الفاجر وقال عبد الله هو الحقير وقال ابن بحر هو الذليل وقال الرماني هو الوضيع لاكثاره من القبح
وهو فعيل من المهانة بمعنى القلة وهي هنا القلة في الراي والتمييز او هو فعيل بمعنى مفعل والمعنى مهان
قوله والهماز مثال مبالغة من الهمز وهو في اللغة الضرب طعنا باليد والعصا ونحوها واستعير
للمغتاب الذي يعيب على الناس كانه يضربهم باذايته قال ابن زيد الهماز الذي يهمز الناس بيده ويضربهم
واللماز باللسان وقيل الهماز الذي يذكر الناس في وجوههم واللماز الذي يذكرهم في مغيبهم وقال مقاتل
بالعكس وقال مرة هما سوا ونحوه عن ابن عباس وقتادة قال الشاعر • تدلي بودا اذا لاقيتني كذبا •
• وان اغيب فانت الهامز اللمزه • والنميم قيل مصدر كالنميمة وقيل هو اي اسم جنس كتمرة
وتمر وهو نقل الكلام الذي يسو سامعه ويحرش بين الناس وقال الزمخشري والنميم والنميمة السعاية
وانشدني بعض العرب • تشبني تشبت النميمة • تمشي بها زهرا الى تميمه • والمشا مثال مبالغة من
المشي اي يكثر السعاية بين الناس ليفسد بينهم يقال نم ينم نما ونميما ونميمة اي يمشي ويسعى بالفساد
قال عليه السلام لا يدخل الجنة نمام والعتل الذي يعتل الناس اي يحملهم ويجرهم الى ما يكرهون من حبس
وضرب ومنه خذوه فاعتلوه وقيل العتل الشديد الخصومة وقال ابو عبيدة هو الفاحش اللئيم وانشد
• بعتل من الرجال زنيم غير ذي نجدة وغير كريم • وقيل الغليظ الجافي ويقال عتلته وعتنته باللام
والنون نقله يعقوب وقيل العتل الجافي الشديد في كفره وقال الكلبي والفرا هو الشديد الخصومة
بالباطل قال الجوهري ويقال عتلت الرجل اعتله واعتله اذا جذبته جذبا عنيفا ورجل معتل بالكسر
والعتل ايضا الرمح الغليظ ورجل عتل بالكسر بين العتل اي سريع الى الشر ويقال لا انعتل معك اي لا
ابرح مكاني وقال عبيد بن عمير العتل الاكول الشروب القوي الشديد يوضع في الميزان فلا يزن شعيرة
يدفع الملك من اولئك في جهنم بالدفعة الواحدة سبعين الفا **والزنيم** الدعي ينتسب الى قوم ليس
منهم قال حسان رضي الله عنه • زنيم تداعاه الرجال زيادة • كما زيد في عرض الاديم الاكارع •
وقال ايضا • وانت زنيم نيط في ال هاشم • كما نيط خلف الراكب القدح الفرد • واصله من الزنمة
وهي ما بقي من جلد الماعز معلقا في حلقها يترك عند القطع فاستعير للدعي لانه كالمعلق بما ليس
منه **فصل** تقدم القول في الحلاف المهين عن الشعبي والسدي وابن اسحق انه الاخنس بن شريق
وعلى قول غيرهم انه الاسود بن عبد يغوث او عبد الرحمن بن الاسود او الوليد بن المغيرة او ابو جهل بن هشام
وتقدم تفسير الهماز والمشا بنميم واما قوله مناع للخير اي للمال ان ينفق في وجوهه وقال ابن عباس
يمنع عن الاسلام ولده وعشيرته قيل كان للوليد بن المغيرة عشرة من الولد وكان يقول لهم ولاقاربه
من تبع منكم محمدا منعته رفدي وقال الحسن يقول لهم من دخل منكم في دين محمد لا انفعه بشي ابدا وقوله
معتد اي على الناس في الظلم متجاوز للحد صاحب باطل وقوله اثيم اي ذا اثم ومعناه اثام وهو فعيل
بمعنى فعول قال البغوي اثيم فاجر واما العتل فتقدم الكلام عليه في اللغة وقال عليه السلام الا اخبركم

باهل الجنة قالوا بلى قال كل ضعيف متضعف لو اقسم على الله لابره الا اخبركم باهل النار قالوا بلى قال
كل عتل جواظ مستكبر وفي رواية كل جواظ زنيم متكبر الجواظ الجموع المنوع وقيل الكثير اللحم المختال في
مشيته وقيل القصير البطين وذكر الماوردي عن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل
الجنة جواظ ولا جعظري ولا العتل الزنيم وقال صلى الله عليه وسلم الجواظ الذي جمع ومنع والجعظري
الفظ الغليظ المتكبر قال ابن الاثير وقيل هو الذي يتنفخ بما ليس عنده وفيه قصر قال القرطبي وقال
عليه السلام الشديد الخلق الرحيب الجوف المصحح الاكول الشروب الواجد للطعام الظلوم للناس وعن
زيد بن اسلم في قوله تعالى عتل بعد ذلك زنيم قال قال النبي صلى الله عليه وسلم تبكي السما من رجل اصح
الله جسمه ورحب جوفه واعطاه من الدنيا بعضا فكان للناس ظلوما فذلك العتل الزنيم وقوله
بعد ذلك اي مع ذلك يريد مع ما وصفناه به زنيم وتقدم معنى الزنيم وعن ابن عباس انه رجل من
قريش كانت له زنمة كزنمة الشاة وروي عنه ابن جبير انه الذي يعرف بالشر كما تعرف الشاة بزنمتها وقال
عكرمة هو اللئيم الذي يعرف بلومه كما تعرف الشاة بزنمتها وقيل انه الذي يعرف بالابنة وهو مروي
عن ابن عباس وعنه انه الظلوم وقال مجاهد زنيم كانت له ستة اصابع في يده في كل ابهام له اصبع
زائدة وعنه ايضا وسعيد بن المسيب وعكرمة هو ولد الزنا الملحق في النسب بالقوم وكان الوليد
دعيا في قريش ليس من سنخهم ادعاه ابوه بعد ثماني عشرة سنة من مولده قال الشاعر •
• زنيم ليس يعرف من ابوه • بغي الام ذا حسب لئيم • قيل بغت امه ولم يعرف حتى نزلت الاية
وهذا لان الغالب ان النطفة اذا خبثت خبث الولد كما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل
الجنة ولد زنا ولا ولده ولا ولد ولده وقال عبد الله بن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اولاد
الزنا يحشرون يوم القيامة في صورة القردة والخنازير وقالت ميمونة سمعت النبي صلى الله عليه
وسلم يقول لا تزال امتي بخير ما لم يفش فيهم ولد الزنا او شك ان يعمهم الله بعذاب وقال عكرمة اذا كثر
ولد الزنا قحط المطر قال القرطبي ومعظم المفسرين على ان هذه الاية نزلت في الوليد بن المغيرة وكان
يطعم اهل منى حيسا ثلاثة ايام وينادي الا لا يوقدن احد تحت برمة الا لا يدخن احد بكراع الا
من اراد الحيس فليات الوليد بن المغيرة وكان ينفق في الحجة الواحدة عشرين الفا واكثر ولا يعطي المسكين
درهما واحدا فقيل مناع للخير وفيه نزل وويل للمشركين الذين لا يوتون الزكوة وقال محمد بن اسحاق
نزلت في الاخنس بن شريق لانه حليف ملحق في بني زهرة فلذلك سمي زنيما وروي عكرمة عن ابن عباس
انه قال في هذه الاية نعت فلم يعرف حتى قيل زنيم فعرف وكانت له زنمة في عنقه يعرف بها قال ابن
قتيبة لا نعلم ان الله وصف احدا ولا ذكر من عيوبه ما ذكر من عيوب الوليد بن المغيرة والحق به عارا لا
يفارقه في الدنيا والاخرة **فصل** قرا الحسن عتل بالرفع اي هو عتل وحقه ان يقرا ما بعده
بالرفع ايضا لانهم قالوا في القطع انه يبدا بالاتباع ثم بالقطع من غير عكس وقوله بعد ذلك اي بعد ما
وصفناه به قال ابن عطية فهذا الترتيب انما هو في قول الواصف لا في حصول تلك الصفات في الموصوف
والا فكونه عتلا هو قبل كونه صاحب خير يمنعه وقال الزمخشري بعد ذلك اي بعد ما عد له من المثالب
والنقايص ثم قال جعل جفاءه ودعوته اشد معايبه لانه اذا غلظ وجفا طبعه قسا قلبه واجترا على كل
معصية وننظر قوله بعد ذلك ثم كان من الذين **قوله** ان كان ذا مال القامة على فتح همزة ان
ثم اختلفوا بعد فقرا ابن عامر وحمزة وابو بكر واضاف القرطبي معهم ابو جعفر وابو حيوة والمغيرة والاعرج
بالاستفهام وباقي السبعة بالخبر والقارئون بالاستفهام على اصولهم من تحقيق وتسهيل وادخال الف بين الهمزتين
وعدمه ولا بد من بيان ذلك فنقول قرا حمزة وابو بكر وذكر القرطبي معهم المفضل بتحقيق الهمزتين وعدم
ادخال الف بينهما وهذا هو اصلهما وقرا ابن ذكوان بتسهيل الثانية وعدم ادخال الف وهشام بالتسهيل
المذكور الا انه ادخل الفا بينهما فقد خالف كل منهما اصله اما ابن ذكوان فانه يحقق الهمزتين فقد سهل الثانية

هنا وأما هشام فإن أصله أن يجري في الثانية من هذا النحو وجهين التحقيق كرفيقه والتسهيل وقد لزم التسهيل هنا وأما إدخال الألف فإنه فيه على أصله كما تقدم أول البقرة وقرأ نافع في رواية الزبير عنه إن كان بكسر الهمزة على الشرط فأما قراءة أن كان بالفتح على الخبر ففيه أربعة أوجه أحدها أنها المصدرية في موضع المفعول له مجرورة بلام مقدرة واللام متعلقة بفعل النهي أي ولا تطع من هذه صفاته لأن كان متمولا وصاحب بنين الثاني أنها متعلقة بعتل وإن كان قد وصف قاله الفارسي وهذا لا يجوز عند البصريين وكان الفارسي اغتفره في الجار الثالث أن يتعلق بزنيم ولا سيما عند من يفسره بقبيح الأفعال الرابع أن يتعلق بمحذوف يدل عليه ما بعده من الجملة الشرطية تقديره لكونه متمولا مستظهرا بالبنين كذب بآياتنا قاله الزمخشري قال ولا يعمل فيه قال الذي هو جواب إذا لأن ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله ولكن ما دلت عليه الجملة من معنى التكذيب وقال مكي وتبعه أبو البقا لا يجوز أن يكون العامل تتلى لأن ما بعد إذا لا يعمل فيما قبلها لأن إذا تضاف إلى الجمل ولا يعمل المضاف إليه فيما قبل المضاف انتهى وهذا يوهم أن المانع من ذلك ما ذكره فقط والمانع أمر معنوي حتى لو فقد هذا المانع الذي ذكره لامتنع من جهة المعنى وهو أنه لا يصلح أن يعلل تلاوة آيات الله عليه بكونه ذا مال وبنين وأما قراءة أن كان على الاستفهام ففيها وجهان أحدهما أن يتعلق بمقدر يدل عليه ما قبله أي أتطيعه لأن كان أو ألأن يكون طواعية لأن كان والثاني أن يتعلق بمقدر يدل عليه ما بعده أي ألأن كان كذا كذب وجحد وأما قراءة إن كان بالكسر فعلى الشرط وجوابه مقدر تقديره إن كان كذا يكفر ويجحد دل عليه ما بعده وقال الزمخشري والشرط للمخاطب أي لا تطع كل حلاف شارطا يساره لأنه إذا أطاع الكافر لغناه فكأنه اشترط في الطاعة الغنى ونحو صرف الشرط للمخاطب صرف الترجي إليه في قوله لعله يتذكر وجعله أبو حيان من دخول شرط على شرط يعني إن وإذا إلا أنه قال ليسا من الشروط المترتبة الوقوع وجعله نظير قول ابن دريد • فإن عثرت بعدها إن وألت نفسي من هاتا فقولا لا • قال لأن الحامل على تدبر آيات الله كونه ذا مال وبنين وهو مشغول القلب بذلك غافل عن النظر قد استولت عليه الدنيا وأبطرته وقرأ الحسن بن بزي بالاستفهام وهو استفهام تقريع وتوبيخ على قوله حين تليت عليه آيات الله أساطير الأولين **فصل** قال القرطبي فمن قرأ بهمزة مطولة أو بهمزتين محققتين فهو استفهام والمراد به التوبيخ ويحسن له أن يقف على زنيم ويبتدي أن كان على معنى ألأن كان ذا مال وبنين تطيعه ويجوز أن يكون التقدير ألأن كان ذا مال وبنين يقول إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين ويجوز أن يكون التقدير ألأن كان ذا مال وبنين يكفر ويستكبر ودل عليه ما تقدم من الكلام فصار كالمذكور بعد الاستفهام ومن قرأ أن كان بغير استفهام فهو مفعول من أجله والعامل فيه فعل مضمر والتقدير يكفر لأن كان ذا مال وبنين ودل على هذا الفعل إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين ولا يعمل في أن تتلى ولا قال لأن ما بعد إذا لا يعمل فيما قبلها لأن إذا تضاف إلى الجمل التي بعدها ولا يعمل المضاف إليه فيما قبل المضاف وقال جواب الجزاء ولا يعمل فيما قبل الجزاء إذ حكم العامل أن يكون قبل المعمول فيه وحكم الجواب أن يكون بعد الشرط فيصير مقدما مؤخرا في حال واحدة ويجوز أن يكون المعنى لا تطعه لأن كان ذا يسار وعدد قال ابن الأنباري ومن قرأ بالاستفهام لم يحسن أن يقف على زنيم لأن المعنى لأن كان ذا مال فأن متعلقة بما قبلها وقال غيره يجوز أن يتعلق بقوله مشاء بنميم والتقدير يمشي بنميم لأن كان ذا مال وبنين وأجاز أبو علي أن يتعلق بعتل ومعنى أساطير الأولين أباطيلهم وترهاتهم **قوله** سنسمه أي نجعل له سمة أي علامة يعرف بها قال جرير • لما وضعت على الفرزدق ميسمي • وعلى البعيث جدعت أنف الأخطل • والخرطوم الأنف وهو هنا عبارة عن الوجه كله من التعبير عن الكل بالجزء لأنه أظهر ما فيه وأعلاه والخرطوم أيضا الخمر وكأنه استعارة لها لأن الشنتري قال هي الخمر أول ما تخرج من الدن فجعلت كالأنف لأنه أول ما يبدو من الوجه فليست الخرطوم الخمر مطلقا ومن مجي الخرطوم بمعنى الخمر قول علقمة بن عبدة • قد أشهد الشرب فيهم مزهر رنم • والقوم تصرعهم صهباء خرطوم • وأنشد النضر بن شميل • تظل يومك في لهو وفي طرب • وأنت بالليل شراب الخراطيم • **فصل** قال ابن عباس سنسمه سنخطمه بالسيف قال وقد خطم الذي نزلت فيه يوم بدر بالسيف فلم يزل مخطوما إلى أن مات وقال قتادة سنسمه يوم القيامة على أنفه سمة يعرف بها يقال وسمه وسما وسمة إذا أثرت فيه سمة وكي قال الضحاك والكسائي سنكويه على وجهه وقد قال الله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فهي علامة ظاهرة وقال تعالى ونحشر المجرمين يومئذ زرقا وهذه علامة أخرى ظاهرة وأفادت هذه الآية علامة ثالثة وهي الوسم على الأنف بالنار وهذا كقوله يعرف المجرمون بسيماهم قاله الكلبي وغيره وقال أبو العالية ومجاهد سنسمه على الخرطوم أي على أنفه ونسود وجهه في الآخرة فيعرف بسواد وجهه قال القرطبي والخرطوم الأنف من الإنسان ومن السباع موضع الشفة وخراطيم القوم ساداتهم قال الفراء وإن كان الخرطوم قد خص بالسمة فإنه في معنى الوجه لأن بعض الشيء يعبر به عن الكل وقال الطبري نبين أمره تبيانا واضحا فلا يخفى عليهم كما لا تخفى السمة على الخراطيم وقيل المعنى سنلحق به عارا وسبة حتى يكون كمن وسم على أنفه قال القتبي تقول العرب للرجل يسب سبة سوء قبيحة باقية قد وسم ميسم سوء أي التصق به عار لا يفارقه كما أن السمة لا يمحى أثرها وهذا كله نزل في الوليد بن المغيرة ولا شك أن المبالغة العظيمة في ذمه بقيت على الدهر ولا نعلم أن الله تعالى بلغ من ذكر عيوب أحد ما بلغ منه فالحق به عارا لا يفارقه في الدنيا والآخرة كالوسم على الخرطوم وقيل ما ابتلاه الله به في الدنيا في نفسه وأهله وماله من سوء وذل وصغار قاله ابن بحر وقال النضر بن شميل المعنى سنحده على شرب الخمر والخرطوم الخمر وجمعه خراطيم وأنشد البيت المتقدم قال ابن الخطيب وهذا تعسف **قوله** إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة يريد أهل مكة والابتلاء الاختبار والمعنى أعطيناهم الأموال ليشكروا لا ليبطروا فلما بطروا وعادوا محمدا صلى الله عليه وسلم ابتليناهم بالجوع والقحط كما بلونا أصحاب الجنة المعروف خبرها عندهم وذلك أنها كانت بأرض اليمن بالقرب منهم على فراسخ من صنعاء ويقال بفرسخين كانت لرجل يؤدي حق الله منها فلما مات صارت إلى ولده فمنعوا الناس خيرها وبخلوا بحق الله فيها فأهلكها الله من حيث لم يمكنهم دفع ما حل بها قال الكلبي كان بينهم وبين صنعاء فرسخان ابتلاهم الله بأن أحرق جنتهم وقيل هي جنة بضوران على فراسخ من صنعاء وكان أصحاب هذه الجنة بعد رفع عيسى عليه السلام بيسير وقيل كانوا من بني إسرائيل وقيل كانوا من ثقيف وكانوا بخلاء وكانوا يجدون التمر ليلا من أجل المساكين فأرادوا حصاد زرعها وقالوا لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين فغدوا عليها فإذا هي قد اقتلعت من أصلها فأصبحت كالصريم أي كالليل ويقال أيضا للنهار صريم فإن كان أراد الليل فلاسوداد موضعها وكأنهم وجدوا موضعها حمأة وإن كان أراد بالصريم النهار فلذهاب الشجر والزرع وخلو الأرض منه وكان الطائف الذي طاف عليها جبريل عليه السلام فاقتلعها فيقال إنه طاف بها حول البيت ثم وضعها حيث مدينة الطائف اليوم ولذلك سميت الطائف وليس في أرض الحجاز بلدة فيها الماء والشجر والأعناب غيرها وقال البكري في المعجم سميت الطائف لأن رجلا من العرب يقال له الدمون بنى حائطا وقال قد بنيت لكم طائفا حول بلدكم فسميت الطائف والله أعلم **قوله** إذ أقسموا أي حلفوا فيما بينهم ليصرمنها أي ليجذنها مصبحين أي وقت الصبح قبل أن تخرج المساكين ولا يستثنون يعني لم يقولوا إن شاء الله **قوله** مصبحين حال من فاعل ليصرمنها وهو من أصبح التامة أي داخلين في الصباح كقوله تعالى وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وقولهم إذا سمعت بسرى القين فاعلم أنه مصبح والكاف في كما في موضع نصب نعت لمصدر محذوف أي بلوناهم ابتلاء كما بلونا وما مصدرية أو بمعنى الذي وإذ منصوبة ببلونا وليصرمنها

جواب للقسم وجا على خلاف منطوقهم ولو جا عليه لقيل لنصرمنها بنون التكلم **قوله** ولا يستثنون هذه
مستانفة ويضعف كونها حالا من حيث المضارع المنفي بلا كالمثبت في عدم دخول الواو عليه واضمار
مبتدا قبله كقولهم قمت واصك عينه مستغني عنه ومعنى لا يستثنون قيل لا يستثنون للمساكين من جملة
ذلك القدر الذي كان يدفعه ابوهم للمساكين وقيل يحلف يمينا ليس فيها ثنيا ولا مثنويه ولا استثنا
كله واحد واصله من الثني وهو الكف والرد لان الحالف اذا قال والله لا افعل كذا الا ان يشا الله غيره
فقد رد انعقاد تلك اليمين وقيل المعنى لا يثنون عزمهم على الحرمان وقيل لا يقولون ان شا الله قال
الزمخشري وسمي استثنا وهو شرط لان معنى لاخرجن ان شا الله ولا اخرج الا ان يشا الله واحد **قوله**
فطاف عليها طايف اي هلاك او بلا طايف والطايف غلب في الشر قال الفرا هو الامر الذي ياتي
ليلا ورد عليه بقوله اذا مسهم طيف من الشيطان وذلك لا يختص بليل ولا نهار وقرا النخعي طيف
وقد تقدم في الاعراف الكلام على هذين الوصفين **قوله** من ربك يجوز ان يتعلق بطاف
وان يتعلق بمحذوف صفة لطايف **قوله** فاصبحت كالصريم **والصرام** جذاذ النخل
واصل المادة الدلالة على القطع ومنه الصرم والصرم بالضم والفتح وهو القطيعة قال امرؤ القيس
افاطم مهلا بعض هذا التدلل • وان كنت قد ازمعت صرمي فاجملي • ومنه الصريمة وهي قطعة
منصرمة عن الرمل لا تنبت شيا قال وبالصريمة منهم منزل خلق • عاف تغير الا النؤي والوتد •
والصارم القاطع الماضي وناقة مصرمة اي انقطع لبنها وانصرم الشهر والسنة اي قرب انفصالهما
واصرم ساءت حاله كانه انقطع سعده فقوله كالصريم قيل هي الاشجار المنصرم حملها وقال ابن عباس
والفرا كالليل لانه يقال له الصريم لسواده والصريم ايضا النهار وقيل الصبح لانه انصرم من الليل
قاله الاخفش فهو من الاضداد وقال ثمر الصريم الليل والصريم النهار لانصرام هذا عن ذاك وذاك
عن هذا وقيل هو الرماد الاسود بلغة خزيمة قاله ابن عباس ايضا وقيل الصريم رملة معروفة باليمن
لا تنبت شيا وقال الثوري كالزرع المحصود فالصريم بمعنى المصروم اي المقطوع ما فيه وقال
الحسن صرم عنها الخير اي قطع كالصريم مفعول ايضا وقال المؤرج اي كالرملة انصرمت من معظم الرمل
يقال صريمة وصرايم فالرملة لا تنبت شيا ينتفع به وقيل سمي الليل صريما لانه يقطع بظلمة عن
التصرف ولهذا يكون فعيل بمعنى فاعل قال القشيري وفي هذا نظر لان النهار يسمى صريما ولا يقطع
عن التصرف وقيل سمي الليل صريما لانه يصرم من نور البصر ويقطعه **فصل** قال القرطبي
في الاية دليل على ان العزم مما يؤاخذ به الانسان لانهم عزموا على ان يفعلوا فعوقبوا قبل فعلهم ونظيره
قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال
المقتول قال انه كان حريصا على قتل صاحبه وقد مضى في ال عمران عند قوله ولم يصروا على ما فعلوا
قوله فتنادوا مصبحين قال مقاتل لما اصبحوا قال بعضهم لبعض اغدوا على حرثكم يعني
بالحرث الثمار والزروع والاعناب ولذلك قال صارمين لانهم ارادوا قطع الثمار من الاشجار •
قوله ان اغدوا يجوز ان تكون المصدرية اي تنادوا بهذا الكلام وان تكون المفسرة لانه
تقدمها بمعنى ما هو القول قال الزمخشري فان قلت هلا قيل اغدوا الى حرثكم وما معنى على قلت لما
كان الغدو اليه ليصرموه ويقطعوه كان غدوا عليه كما تقول غدا عليهم العدو ويجوز ان يضمن الغدو
معنى الاقبال كقولهم يغدى عليهم بالجفنة ويراح انتهى فجعل غدا متعديا في الاصل بالى فاحتاج الى
تاويل تعديه بعلى وفيه نظر لوروده تعديه بعلي في غير موضع كقوله •
• وقد اغدوا على ثبة كرام • نشاوى واجدين لما نشاء • واذا كان غدا قد عدوا مرادفة بعلي
فليعدو بها ومرادفه بكر تقول بكرت عليه وغدوت عليه بمعنى واحد قال •

بكرت

• بكرت عليه غدوة فرايته قعودا لديه بالصريم عواذله • **قوله** ان كنتم صارمين
جوابه محذوف اي فاغدوا وصارمين قاطعين جادين وقيل ماضين في العزم من قولك سيف
صارم **قوله** فانطلقوا وهم يتخافتون اي يتشاورون فيما بينهم والمعنى يخفون كلامهم
ويسرونه لئلا يعلم بهم احد قاله عطا وقتادة وهو من خفت يخفت اذا سكن ولم يبين قال ابن
الخطيب وخفي وخفت كلاهما في معنى الكتم ومنه الخمود والخفا وقيل يخفون انفسهم من الناس حتى
لا يروهم وكان ابوهم يخبر الفقرا والمساكين فيحضروا وقت الحصاد والصرام وقوله وهم يتخافتون
جملة حالية من فاعل انطلقوا **قوله** ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين ان مفسرة ويجوز
ان يكون المصدرية اي يتخافتون بهذا الكلام اي يقوله بعضهم لبعض لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين
قال ابن الخطيب والنهي للمسكين عن الدخول نهي لهم عن تمكينهم منه اي لا تمكنوه من الدخول وقرا عبد
الله وابن ابي عبلة لا يدخلها باسقاط ان اما على اضمار القول كمذهب البصريين واما على اجرا
بجراه كقول الكوفيين **قوله** وغدوا على حرد قادرين يجوز ان يكون قادرين حالا
من فاعل غدوا وعلى حرد متعلق به وان يكون على حرد هو الحال وقادرين ما حال ثانية واما
حال من ضمير الحال الاولى **والحرد** قيل الغضب والحنق قاله السدي وسفيان وانشد
للاشهب بن رميله • اسود شرى لاقت اسود خفية • تساقوا على حرد دماء الاساود •
قيل ومثله قوله • اذا جياد الخيل جات تردي • مملوة من غضب وحرد • هطف لما تعا
القطان كقوله • والفى قولها كذبا ومينا • وقال ابو عبيدة والقتبي على حرد على منع من
حاردت الابل حرادا اي قل لبنها والحرود من النوق القليلة الدر وحاردت السنة قل مطرها
وخيرها ويقال حرد بالكسر يحرد حردا وقد يفتح فيقال حردا فهو حردان وحارد ويقال اسد
حارد وليوث حوارد وقيل الحرد والحرود الانفراد يقال حرد بالفتح يحرد بالضم حردا وحرودا
اي انفرد ومنه كوكب حارد اي منفرد قال الاصمعي هي لغة هذيل وقال القرطبي يقال
حرد يحرد حرودا اي تنحى عن قومه ولم يخالطهم وقال ابو زيد رجل حريد من قوم حردا وقد
حرد يحرد حرودا اذا ترك قومه وتحول عنهم قال الاصمعي رجل حريد اي فريد وحيد قال والمنفرد
المتحرد في لغة هذيل وانشد لابي ذويب • كانه كوكب في الجو منحرد • ورواه ابو عمرو بالجيم
وفسره بالانفراد قال وهو سهيل وقيل الحرد القصد يقال حرد يحرد بالكسر حردا بقصد تقول
حردت حردك اي قصدت قصدك قال الراجز • اقبل سيل جا من عند الله • يحرد حرد الجنة المغلة •
وقال قتادة ومجاهد على حرد اي على جد وجهد وقال القرطبي ومجاهد وعكرمة اي على امر مجتمع قد
اسسوه بينهم قاله البغوي وهذا معنى القصد وقال الحسن على حاجة وفاقة وقيل الحرد اسم
جنتهم بعينها قاله السدي وقال الازهري اسم قريتهم وفيهما بعد وقادرين اما من القدرة
وهو الظاهر واما من التقدير وهو التضييق اي مضيقين على المساكين وقرا العامة بالاسكان
وقرا ابو العالية وابن السميفع بالفتح وهما لغتان **فصل** قال الفرا ومعنى قادرين
قد قدروا امرهم وبنوا عليه وقال قتادة قادرين على جنتهم عند انفسهم وقال الشعبي قادرين
على المساكين وقيل معناه من الوجود اي منعوا وهم واجدون ومعنى الاية وغدوا وكانوا عند
انفسهم وفي ظنهم انهم قادرين على منع المساكين **قوله** فلما راوها قالوا اي الجنة محترقة لا شي فيها
قد صارت كالليل الاسود ينظرون اليها كالرماد انكروها وشكوا فيها وقال بعضهم لبعض انا
لضالون اي ضللنا الطريق الى جنتنا ثم تاملوا وعرفوا انها هي قالوا بل نحن محرومون حرمنا خيرها
بشوم عزمنا على البخل ومنع الفقرا قاله قتادة وقيل انا لضالون عن الصواب في غدونا على نية
منع المساكين فلذلك عوقبنا بل نحن محرومون اي حرمنا جنتنا بما صنعنا روي ان ابن مسعود قال

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والمعاصي ان العبد ليذنب الذنب فيحرم به رزقا كان هيي
له ثم تلى فطاف عليها طايف من ربك وهم نايمون الاية **قوله** قال اوسطهم يعني اعدلهم وافضلهم
واعقلهم الم اقل لكم لولا تسبحون اي هلا تستثنون وكان استثناؤهم تسبيحا قاله مجاهد وغيره
وهذا يدل على ان هذا الاوسط كان يامرهم بالاستثنا فلم يطيعوه قال ابو صالح كان استثناؤهم
سبحان الله فقال لهم هلا تسبحون الله اي تقولون سبحان الله وتشكرونه على ما اعطاكم وقال
النحاس اصل التسبيح التنزيه لله عز وجل فجعل مجاهد التسبيح في موضع ان شا الله لان المعنى تنزيه الله
ان يكون شي الا بمشيته وقال ابن الخطيب التسبيح عبارة عن تنزيهه عن كل سو فلو دخل شي في الوجود
على خلاف ارادة الله تعالى لوجب عود النقص الى قدرة الله تعالى فقوله ان شا الله يزيل
هذا النقص فكان ذلك تسبيحا وقيل المعنى هلا تستغفرونه من فعلكم وتتوبون اليه من خبث نيتكم
قيل ان القوم لما عزموا على منع الزكوة واغتروا بالمال والقوة قال لهم اوسطهم توبوا عن هذه المعصية
قبل نزول العذاب فلما راوا العذاب ذكرهم اوسطهم كلامه الاول **وقالوا** الم اقل لكم لولا تسبحون
فحينئذ اشتغلوا بالتوبة وقالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين **وقال** ابن عباس في قولهم سبحان ربنا
اي نستغفر الله من ذنوبنا انا كنا ظالمين لانفسنا في منعنا المساكين وقال الحسن هذا التسبيح هو
الصلوة كانهم كانوا يتكاسلون في الصلوة والا لكانت ناهية لهم الى ان يواظبوا على ذكر الله وعلى
قول ان شا الله **قوله** فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون اي يلوم بعضهم بعضا يقول هذا
لهذا انت اشرت علينا بهذا الراي ويقول ذلك لهذا انت خوفتنا بالفقر ويقول الثالث لغيره
انت رغبتني في جمع المال ثم نادوا على انفسهم بالويل فقالوا يا ويلنا انا كنا طاغين اي عاصين بمنع
حق الفقرا وترك الاستثنا **وقال** ابن كيسان طغينا نعم الله فلم نشكرها كما شكرها اباونا من قبل
عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها تعاقدوا وقالوا ان ابدلنا الله خيرا منها لنصنعن كما صنع اباونا فدعوا
الله وتضرعوا فابدلهم الله من ليلتهم ما هو خير منها قرئ يبدلنا بالتخفيف والتشديد وهما
لغتان وقيل التبديل تغيير الشي او تغيير حاله وعين الشي قايم والابدال رفع الشي ووضع اخر مكا
نه ثم قالوا انا الى ربنا راغبون طالبون منه الخير راجون لعفوه **قال** المفسرون ان الله تعالى امر
جبريل ان يقتلع تلك الجنة المحترقة فيجعلها بزغر من ارض الشام وياخذ من الشام جنة فيجعلها
مكانها وقال ابن مسعود ان القوم لما اخلصوا وعرف الله منهم صدقهم ابدلهم الله جنة يقال لها الحيوان
فيها عنب يحمل البغل منها عنقودا واحدا وقال ابو خالد اليماني دخلت تلك الجنة فرايت كل عنقود
منها كالرجل الاسود القايم **وقال** الحسن قول اهل الجنة انا الى ربنا راغبون لا ادري ايمانا
كان ذلك منهم او على حد ما يكون من المشركين اذا اصابتهم الشدة فتوقف في كونهم مومنين وسيل
قتادة عن اصحاب الجنة اهم من اهل الجنة ام من اهل النار فقال لقد كلفتني تعبا والاكثرون يقولون
انهم تابوا واخلصوا حكاه القشيري **قوله** كذلك العذاب مبتدا وخبر اي مثل ذلك العذاب عذاب
الدنيا واما عذاب الاخرة فاكبر منه لو كانوا يعلمون **قال** ابن زيد كذلك العذاب اي عذاب
الدنيا وهلاك الاموال وقيل هذا وعظ لاهل مكة بالرجوع الى الله لما ابتلاهم بالجدب لدعا النبي
صلى الله عليه وسلم اي كفعلنا بهم نفعل بمن تعدى حدودنا في الدنيا ولعذاب الاخرة اكبر
لو كانوا يعلمون وقال ابن عباس هذا مثل لاهل مكة حين خرجوا الى بدر وحلفوا ليقتلن محمدا واصحابه
وليرجعوا الى مكة حتى يطوفوا بالبيت ويشربوا الخمر وتضرب القينات على رووسهم فاخلف الله ظنهم
وقتلوا واسروا وانهزموا كاهل هذه الجنة لما خرجوا عازمين على الصرام فخابوا **وقال** ابن الخطيب قوله
تعالى ان كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه اياتنا **قال** اساطير الاولين والمعنى لا تطعه لان اعطاه الله
المال والبنين كفر بالله كلا بل الله تعالى انما اعطاه ذلك للابتلا فاذا صرفه الى الكفر دمره الله عليه بدليل

ان

ان اصحاب الجنة لما اتوا بهذه المعصية اليسيرة دمر الله جنتهم فكيف حال من عاند الرسول صلى
الله عليه وسلم واصر على الكفر والمعصية **فصل** قيل ان الحق الذي منعه اهل الجنة كان
واجبا عليهم ويحتمل انه كان تطوعا والاول اظهر وقيل السورة مكية فبعد حمل الاية على ما اصاب
اهل مكة من القحط وعلى قتال بدر **قوله** ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم اي جنات ليس
فيها الا النعيم الخالص لا يشوبه ما ينغصه كما يشوب جنات الدنيا قال مقاتل لما نزلت هذه الاية
قال كفار مكة للمسلمين ان الله تعالى فضلنا عليكم في الدنيا فلا بد وان يفضلنا عليكم في الاخرة فان
لم يحصل التفضيل فلا اقل من المساواة فاجاب الله عن هذا الكلام بقوله افنجعل المسلمين كالمجرمين
ان التسوية بين المطيع والعاصي غير جايزة ثم وبخهم فقال ما لكم كيف تحكمون هذا الحكم الاعوج كان
امر الجزا مفوض اليكم حتى تحكموا فيه بما شيتم **قوله** عند ربهم يجوز ان يكون منصوبا بالاستقرار
وان يكون حالا من جنات **فصل** قال القاضي في الاية دليل واضح على وصف الانسان
بانه مسلم ومجرم كالمتنافي فالفاسق لما كان مجرما وجب ان لا يكون مسلما واجيب بانه تعالى انكر جعل
المسلم مثل المجرم ولا شك انه ليس المراد انكار المماثلة في جميع الامور فانهما متماثلان في الجوهرية والجسمية
والحدوث والحيوانية وغيرها من الامور الكثيرة بل المراد انكار استوايهما في الاسلام والجرم او في اثار
هذين الامرين فالمراد ان يكون انكار اثر اسلام المسلم مساويا لاثر جرم المجرم عند الله وهذا لا نزاع
فيه فاين يدل على ان الشخص الواحد يمتنع ان يجتمع فيه كونه مسلما ومجرما **فصل** قال
الجبائي دلت الاية على ان المجرم لا يكون البتة في الجنة لانه تعالى انكر حصول التسوية بينهما في الثواب بل
لعل ثواب المجرم ازيد من ثواب المسلم اذا كان المجرم اطول عمرا من المسلم وكانت طاعاته غير محبطة والجواب
هذا ضعيف لانا بينا التسوية في درجة الثواب ولعلهما لا يستويان فيه بل يكون ثواب المسلم الذي
لم يعص اكثر من ثواب من عصى على انا نقول لم لا يجوز ان يكون المراد من المجرمين هم الكفار الذين حكى الله
تعالى عنهم هذه الواقعة لان حمل الجمع المحلى بالالف واللام على المعهود السابق مشهور في اللغة والعرف
قوله ام لكم كتاب اي الكم كتاب تجدون فيه المطيع كالعاصي وهذا كقوله ام لكم سلطان مبين
فاتوا بكتابكم **قوله** ان لكم فيه العامة على كسر الهمزة وفيها ثلاثة اوجه احدها انها معمولة لتدرسون
اي تدرسون في الكتاب ان لكم ما تختارونه فلما دخلت اللام كسرت الهمزة كقولك علمت انك عاقل
بالفتح وعلمت انك لعاقل بالكسر والثاني ان يكون على الحكاية للمدروس كما هو كقوله وتركنا عليه في
الاخرين سلام على نوح في العالمين قالهما الزمخشري وفرق بين الوجهين عسر قال وتخير الشي
واختاره اخذ خيره كتنخله وانتخله اخذ منخوله الثالث انها على الاستيناف على معنى ان كان لكم كتاب
فلكم فيه تتخيرون قال القرطبي تم الكلام عند قوله تدرسون ثم ابتدا فقال ان لكم فيه لما تخيرون اي ان
لكم في هذا الكتاب اذن ما تخيرون اي ليس لكم ذلك والكناية في فيه الاولى والثانية راجعة الى الكتاب
وقرا طلحة والضحاك ان لكم بفتح الهمزة وهو منصوب بتدرسون الا ان فيه زيادة لام التاكيد وهي نظير
قراءة الا انهم لياكلون بالفتح وقرا الاعرج وابن هرمز اين لكم في الموضعين يعني اين لكم فيه لما تخيرون
اين لكم لما تحكمون بالاستفهام فيهما جميعا ثم انه تعالى زاد في التوبيخ **فقال** ام لكم ايمان اي عهود
ومواثيق علينا بالغة موكدة والبالغة الموكدة بالله تعالى اي ام لكم عهود على الله استوثقتم بها ان يدخلكم
الجنة قال ابن الخطيب والمعنى ام ضمنا لكم واقسمنا لكم بايمان مغلظة متناهية في التوكيد **قوله**
بالغة العامة على رفعها نعتا للايمان والى يوم متعلق بما تعلق به لكم من الاستقرار اي ثابتة لكم الى
يوم القيامة او بالغة اي تبلغ الى ذلك اليوم وتنتهي اليه وقرا زيد بن علي والحسن بنصبها فقيل على الحال من
ايمان لانها تخصصت بالعمل او بالوصف وقال القرطبي على الحال اما من الضمير في لكم لانه خبر عن ايمان ففيه
ضمير منه واما من الضمير في علينا ان قدرت علينا وصفا للايمان لا متعلقا بنفس الايمان لان فيه ضميرا

سنه كما يكون اذا كان نجراعنه وقيل من الضمير في علينا ان جعلناه صفة لايمان وقوله ان لكم لما تحكمون في
لانفسكم من الخير والكرامة **قوله** ان لكم لما تحكمون جواب القسم في قوله ايمان لانها بمعنى قسام
قوله سلهم ايهم بذلك زعيم اي سل يا محمد هولاء المتقولين علي ايهم كفيل بما تقدم ذكره والزعيم
الكفيل والضمير قاله ابن عباس وقتادة لقوله تعالى وانا به زعيم وقال ابن كيسان الزعيم هنا القايم
بالحجة والدعوي وقال الحسن الزعيم الرسول **قوله** ايهم متعلق سلهم وبذلك متعلق بزعيم
اي ضمين وكفيل وقد تقدم ان سال يعلق لكونه سببا في العلم واصله ان يتعدى بعن او الباء
كقوله فاسال به خبيرا فان تسالوني بالنساء والجملة في موضع نصب بعد اسقاط الخافض
كما تقدم تقريره **قوله** ام لهم شركا هذه قراة العامة وقرا عبد الله ام لهم شرك فلياتوا
بشركهم بلفظ المصدر وقال القرطبي ام لهم شركا اي الهة والميم صلة ومعنى شركا اي شهدا فلياتوا
بشركايهم يشهدون على ما زعموا ان كانوا صادقين في دعواهم وقيل فلياتوا بشركايهم ان امكنهم فهو امر
تعجيز وقال ابن الخطيب في تفسيره وجهان الاول ان المعنى ام لهم اشيا يعتقدون انها شركا لله
ويعتقدون ان اوليك الشركا يجعلونهم في الاخرة مثل المومنين في الثواب والخلاص من العقاب وانما
اضاف الشركا اليهم لانهم جعلوها شركا لله كقوله هل من شركايكم من يفعل من ذلكم من شي الثاني
ام لهم ناس يشاركونهم في هذا المذهب وهو التسوية بين المجرمين والمسلمين فلياتوا بهم ان كانوا صادقين
في دعواهم والمراد بيان انه كما ليس لهم دليل عقلي ولا دليل من كتاب يدرسونه فليس لهم من يوافقهم
من العقلا على هذا القول فدل ذلك على بطلانه ثم انه تعالى لما ابطل قولهم شرح بعده عظم يوم القيمة
وهو **قوله** يوم يكشف عن ساق يوم منصوب بقوله فلياتوا اي فلياتوا بشركايهم يوم يكشف
عن ساق ليشفع الشركا لهم وحينيذ لا يوقف على صادقين او باضمار اذكر فيكون مفعولا به او بمحذوف
وهو ظرف اي يوم يكشف يكون كيت وكيت او خاشعة قاله ابو البقا وعن ساق قايم مقام الفاعل
وقرا ابن مسعود وابن ابي عبلة تكشف بالتا من فوق مبنيا للفاعل اي الشدة او الساعة وعنه ايضا
كذلك مبنيا للمفعول وهي مشكلة لان التانيث لا معنى له ههنا الا ان يقال ان المفعول مستتر اي تكشف
هي اي الشدة ويتعلق قوله عن ساق بمحذوف اي تكشف عن ساقها ولذلك قال الزمخشري وتكشف
بالتا مبنيا للفاعل والمفعول جميعا والفعل للساعة او الحال اي يشتد الحال او الساعة وقري تكشف
بضم اليا او التا وكسر الشين من اكشف اذا دخل في الكشف واكشف الرجل اذا انقلبت شفته العليا
لانكشاف ما تحتها ويقال له ايضا اجلع وكشف الساق كناية عن الشدة قال الراجز
عجبت من نفسي ومن اشفاقها ومن طرادي الطير عن ارزاقها في سنة قد كشفت عن ساقها
حمرا تبري اللحم عن عراقها وقال حاتم الطاي اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها
وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا وقال الاخر كشفت لهم عن ساقها وبدا من الشر البوارح
وقال الراجز قد شمرت عن ساقها فشدوا وجدت الحرب بكم فجدوا وقال اخر
صبرا امام انه شر باق وقامت الحرب بنا على ساق قال الزمخشري الكشف عن الساق والابدا
عن الخدام مثل في شدة الامر وصعوبة الخطب واصله في الروع والهزيمة وتشمير المخدرات عن
سوقهن في الهرب وابدا خدامهن عند ذلك قال حاتم اخو الحرب البيت وقال ابن قيس الرقيات
تذهل الشيخ عن بنيه وتبدي عن خدام العقيلة العذرا انتهى **فصل** قال ابن عباس
في قوله تعالى يوم يكشف عن ساق قال كرب وشدة وعن مجاهد شدة الامر وجده وروي مجاهد عن
ابن عباس قال هي اشد ساعة في القيمة وقال ابو عبيدة اذا اشتد الامر او الحرب قيل كشف الامر عن
ساقه والاصل فيه ان من وقع في شي يحتاج فيه الى الجد شمر عن ساقه فاستعير الساق والكشف عنها
في موضع الشدة وقيل ساق الشي اصله الذي به قوامه كساق الشجرة وساق الانسان اي يوم يكشف

عن

عن اصل الامر فيظهر حقايق الامور واصلها وقيل يكشف عن ساق جهنم وقيل عن ساق العرش وقيل
يريد وقت اقتراب الاجل وضعف البدن اي يكشف المريض عن ساقه ليبصر ضعفه ويدعوه
الموذنون الى الصلوة فلا يمكنه ان يقوم ويخرج **فصل** قال القرطبي فاما ما روي ان الله
تعالى يكشف عن ساقه فانه عز وجل يتعالى عن الاعضاء والابعاض وان ينكشف ويتغطى ومعناه
ان يكشف عن العظيم من امره وقيل يكشف عن نوره عز وجل وروي ابو موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم
في قوله تعالى عن ساق قال يكشف عن نور عظيم يخرون له سجدا وروي ابو بردة عن ابي موسى قال حدثني
ابي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا كان يوم القيامة مثل لكل قوم ما كانوا يعبدونه
ويبقى اهل التوحيد فيقال لهم ما تنتظرون وقد ذهب الناس فيقولون لنا رب كنا نعبده في
الدنيا ولم نره قال وتعرفونه اذا رايتموه فيقولون نعم فيقال فكيف تعرفونه ولم تروه قالوا انه
لا شبه له فيكشف لهم الحجاب فينظرون الى الله تعالى فيخرون له سجدا ويبقى اقوام ظهورهم كصياصي
البقر فينظرون الى الله تعالى فيريدون السجود فلا يستطيعون فذلك قوله تعالى يوم يكشف عن ساق
ويدعون الى السجود فلا يستطيعون فيقول الله تعالى عبادي ارفعوا روسكم فقد جعلت بدل كل رجل
منكم رجلا من اليهود والنصارى في النار قال ابو بردة فحدثت بهذا الحديث عمر بن عبد العزيز فقال
الله الذي لا اله الا هو لقد حدثك ابوك بهذا الحديث فحلف له ثلاثة ايمان فقال عمر ما سمعت في
اهل التوحيد حديثا هو احب الي من هذا **قوله** حال من مرفوع يدعون وابصارهم فاعل
به ونسب الخشوع للابصار وان كانت الاعضا كلها كذلك لظهوره فيها وقوله وهم سالمون حال
من مرفوع يدعون الثانية ومعنى خاشعة ابصارهم اي ذليلة متواضعة ترهقهم ذلة وذلك
ان المومنين يرفعون روسهم ووجوههم اشد بياضا من الثلج وتسود وجوه الكافرين والمنافقين
حتى ترجع اشد سوادا من القار **فصل** قال ابن الخطيب بعد ان حكى اقوال اهل اللغة في تفسير
الكشف عن الساق واعلم ان هذا اعتراف من اهل اللغة بان استعماله في الشدة مجاز واجمع العلماء على
انه لا يجوز صرف الكلام الى المجاز الا بعد تعذر حمله على الحقيقة فاذا اقمنا الدلايل القاطعة على انه
تعالى يستحيل ان يكون جسما يجب حينيذ صرف هذا اللفظ الى المجاز واعلم ان صاحب الكشاف
اورد هذا التاويل في معرض اخر فقال الكشف عن الساق مثل في شدة الامر فمعنى يوم يكشف عن
ساق يوم يشتد ويتفاقم ولا كشف ثم ولا ساق كما تقول للشحيح يده مغلولة ولا يد ثم ولا غل وانما
هو مثل في البخل ثم اخذ يعظم علم البيان ويقول لولاه لما وقفنا على هذه الاسرار واقول اما ان
يدعي انه يجوز صرف اللفظ عن ظاهره بغير دليل او يقول لا يجوز ذلك الا بعد امتناع حمله على الحقيقة
والاول باطل بالاجماع ولانا ان جوزنا ذلك انفتحت ابواب تاويلات الفلاسفة في امر المعاد فانهم
يقولون في قوله جنات تجري من تحتها الانهار ليس هناك انهار ولا اشجار وانما هو مثل للذة والسعادة ويقولون
في قوله تعالى اركعوا واسجدوا ليس هناك ركوع ولا سجود وانما هو مثل للتعظيم ومعلوم ان ذلك يفضي الى
رفع الشرايع وفساد الدين واما من قال انه لا يصار الى التاويل الا عند قيام الدليل على انه لا يجوز حمله
على ظاهره فهذا قول كل احد من المتكلمين فاين الدقايق التي استبد بمعرفتها والاطلاع عليها بواسطة
علم البيان ثم قال بعد ان حكى القول بان المراد بالساق ساق جهنم او ساق العرش او ساق ملك عظيم
ان اللفظ لا يدل الا على ساق واما اي شي هو فليس في اللفظ ما يدل عليه ثم ذكر حديث ابن مسعود
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه تعالى يتمثل للخلق يوم القيامة حتى يمر المسلمون فيقول من تعبدون فيقولون
نعبد الله فيشهدهم مرتين او ثلاثا ثم يقول هل تعرفون ربكم فيقولون اذا اعرفنا نفسه عرفناه فعند ذلك
يكشف عن ساق فلا يبقى مومن الا خر ساجدا لله تعالى ويبقى المنافقون ظهورهم كالطبق الواحد كانما فيها
السفافيد قال واعلم ان هذا القول باطل لوجوه احدها ان الدلايل دلت على ان كل جسم محدث لان

كل جسم متناهي وكل متناهي محدث ولان كل جسم ممكن وكل ممكن محدث وثانيها انه لو كان المراد ذلك لكان
من حق الساق ان يعرف التعريف لانها ساق مخصوصة معهودة عنده وهي ساق الرحمن اما لو اجملت ففايدة التنكير
الدلالة على التعظيم كانه قال يوم يكشف عن شدة واي شدة لا يمكن وصفها وثالثها ان التعريف لا يحصل
بالكشف عن الساق انما يحصل بكشف الوجه ثم حكى قول ابي مسلم بانه لا يمكن حمله على يوم القيامة لانه
تعالى قال في وصفه فيدعون الى السجود ويوم القيامة ليس فيه تعبد ولا تكليف بل المراد منه اما اخر
ايام الرجل في دنياه كقوله تعالى يوم يرون الملايكة لا بشرى يومئذ للمجرمين وقوله يوم ياتي بعض
ايات ربك الاية لانه الوقت الذي لا ينفع نفسا ايمانها واما حال المرض والهرم والعجز ثم انه يرى الناس
يدعون الى الصلوة اذا حضرت اوقاتها وهو لا يستطيع الصلوة وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون
مما بهم الان من الشدة النازلة بهم من هول ما عاينوا عند الموت او من العجز والهرم ونظير هذه الاية
فلولا اذا بلغت الحلقوم ثم قال واعلم انه لا نزاع في انه يمكن حمل اللفظ على ما قاله ابو مسلم ثم قال
فاما قوله انه لا يمكن حمله على يوم القيمة بسبب ان الامر بالسجود حاصل في الدنيا والتكاليف زايلة يوم
القيامة فجوابه ان ذلك لا يكون على سبيل التكليف بل على سبيل التقريع والتخجيل فلم قلت ان ذلك غير
جايز **قوله** وقد كانوا يدعون الى السجود في الدنيا وهم سالمون معافون اصحا قال ابرهيم التيمي
اي يدعون بالاذان والاقامة فيابون وقال سعيد بن جبير كانوا يسمعون حي على الفلاح فلا يجيبون
وهم سالمون اصحا وقال كعب الاحبار والله ما نزلت هذه الاية الا في الذين يتخلفون عن الجماعات
وقيل اي بالتكليف الموجه عليهم بالشرع **قوله** فذرني ومن يكذب بهذا الحديث اي فدعني
والمكذبين بالقران وخل بيني وبينهم وقال الزجاج لا تشغل قلبك به كله الي فاني اكفيك امره **ومن**
منصوب اما نسقا على ضمير المتكلم او مفعول معه وهو مرجوح لامكان النسق من غير ضعف وتقدم
اعراب ما بعده **فصل** لما خوف الكفار بعظمة يوم القيامة زاد في التخويف بما عنده وفي
قدرته من القهر يقال ذرني واياه يريد ان كله الي فاني اكفيكه قال السدي والمراد بالحديث القران
وقيل يوم القيامة وهذه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم **قوله** سنستدرجهم من حيث لا يعلمون
اي ساخذهم على غفلة وهم لا يعرفون فعذبوا يوم بدر وقال سفيان الثوري يسبغ عليهم النعم وينسيهم
الشكر وقال الحسن كم مستدرج بالاحسان اليه وكم مفتون بالثناء عليه وكم مغرور بالستر عليه وقال ابو روق
كلما احدثوا خطيئة جددنا لهم نعمة وانسيناهم الاستغفار وقال ابن عباس سنمكر بهم وروي ان رجلا من
بني اسرايل قال يا رب كم اعصيك وانت لا تعاقبني فاوحى الله الى نبي زمانهم ان قل له كم من عقوبة لي عليك
وانت لا تشعر ان جمود عينك وقساوة قلبك استدراج مني وعقوبة لو عقلت والاستدراج ترك
المعاجلة واصله النقل من حال الى حال كالتدرج ومنه قيل درجات وهي منزلة بعد منزلة واستدرج
فلان فلانا اي استخرج ما عنده قليلا قليلا ويقال درجه الى كذا واستدرجه بمعنى ادناه منه على
التدريج فتدرج ومعنى الاية انا لما انعمنا عليهم اعتقدوا ان ذلك الانعام تفضيل لهم على المؤمنين
وهو في الحقيقة سبب اهلاكهم **قوله** واملي لهم اي امهلهم واطيل لهم المدة كقوله انما
نملي لهم ليزدادوا اثما والملاوة المدة من الدهر واملى الله له اي طال له والملوان الليل والنهار
وقيل واملي لهم اي لا اعاجلهم بالموت والمعنى واحد والملا مقصور الارض الواسعة سميت به لامتدادها
ان كيدي متين ان عذابي لقوي شديد فلا يفوتني احد وسمى احسانه كيدا كما سماه استدراجا في صورة
الكيد ووصفه بالمتانة لقوة اثر احسانه في التسبب للهلاك **فصل** قال ابن الخطيب
تمسك الاصحاب بهذه الاية في مسئلة ارادة الكاينات لان هذا الاستدراج والكيد ان لم يكن لهما اثر
في الطغيان فليسا بكيد ولا استدراج وان كان لهما اثر فيه لزم ان يكون الحق سبحانه مريدا له لان من
فعل شيا لحصول شي واكده وقواه لابد وان يكون مريدا لحصول ذلك الشي اجاب الكعبي بان المراد

سنستدرجهم الى الموت اي يخفى عنهم زمن الموت من حيث لا يعلمون وهو مقتضى الحكمة والا لكان فيه اغراء
بالمعاصي فانهم لو عرفوا الوقت الذي يموتون فيه اقدموا على المعاصي ثم صاروا تايبين واجاب ابن
الجباي بان معنى قوله سنستدرجهم اي الى العذاب من حيث لا يعلمون في الاخرة واملي لهم في الدنيا توكيدا
للحجة عليهم وان كيدي متين فامهله وازيح الاعذار عنهم ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة
ويدل على هذا قوله قبل ذلك فذرني ومن يكذب بهذا الحديث ولا شك ان هذا التهديد انما هو
بعذاب الاخرة فوجب ان يكون الاستدراج والكيد المذكور عقيبه هو عذاب الاخرة واجاب
الاصحاب بان هذا الامهال اذا كان موديا الى الطغيان كان الراضي بالامهال بتاديه الى الطغيان
لابد وان يكون راضيا بذلك الطغيان **قوله** ام تسالهم اجرا عاد الكلام الى ما تقدم من قوله
تعالى ام لهم شركا اي ام تلتمس منهم ثوابا على ما تدعوهم اليه من الايمان بالله والتزام الغرامة ثم من
غرامة ذلك مثقلون اي يثقل حمل الغرامات عليهم في بذل المال فيثبطهم ذلك عن الايمان والمعنى
عليهم كلفة في متابعتك بل يستولون بالايمان على خزاين الارض ويصلون الى جنات النعيم **قوله**
ام عندهم الغيب اي علم ما غاب عنهم فهم يكتبون وقيل اينزل عليهم الوحي بهذا الذي يقولون وعن
ابن عباس الغيب هنا اللوح المحفوظ فهم يكتبون منه ثواب ما هم عليه من الكفر ويخاصمونك به
ويكتبون انهم افضل منكم وانهم لا يعاقبون وقيل يكتبون يحكمون لانفسهم ما يريدون وهذا استفهام
على سبيل الانكار **قوله** فاصبر لحكم ربك اي لقضاء ربك والحكم هنا القضاء وقيل اصبر على ما
حكم به عليك ربك من تبليغ الرسالة وقال ابن بحر فاصبر لنصر ربك وقيل انه منسوخ باية السيف
ولا تكن كصاحب الحوت يعني يونس عليه السلام اي لا تكن مثله في الغضب والضجر والعجلة وقال
قتادة ان الله تعالى يعزي نبيه صلى الله عليه وسلم ويامره بالصبر ولا يعجل كما عجل يونس عليه
السلام وقد مضى الفرق بين ذي وصاحب في سورة يونس **قوله** اذ نادى اذ منصوب
بمضاف محذوف اي ولا يكن حالك كحاله او قصتك كقصته في وقت ندايه ويدل على المحذوف
ان الذوات لا ينصب عليها النهي انما ينصب على احوالها وصفاتها وقوله وهو مكظوم جملة حالية من
الضمير في نادى والمكظوم الممتلي حزنا وغيظا ومنه كظم السقا اذا ملاه قال ذو الرمة
وانت من حب مي مضمر حزنا عاني الفواد قريح القلب مكظوم **فصل** اذ نادى
اي حين دعا من بطن الحوت فقال لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين قال القرطبي ومعنى
وهو مكظوم اي مملوء غما وقيل كربا فالاول قول ابن عباس ومجاهد والثاني قول عطاء وابي مالك قال
الماوردي والفرق بينهما ان الغم في القلب والكرب في الانفاس وقيل مكظوم محبوس والكظم الحبس
ومنه قولهم كظم غيظه اي حبس غضبه قاله ابن بحر وقيل انه الماخوذ بكظمه وهو مجرى النفس قاله
المبرد وقد مضى في سورة يوسف وفي سورة آل عمران والمعنى لا يوجد منك ما وجد منه من الضجر
والمغاضبة فتبتلى ببلايه **قوله** لولا ان تداركه قال ابن الخطيب لم يقل تداركته
نعمة واجاب بانما حسن تذكير الفعل لفصل الضمير في تداركه ولان التانيث غير حقيقي في
النعمة وقرا ابي وعبد الله وابن عباس تداركته بتا التانيث لاجل اللفظ والحسن وابن هرمز والاعمش
تداركه بتشديد الدال وخرجت على ان الاصل تتداركه بتاين مضارعا فادغم وهو شاذ لان الساكن
الاول غير حرف لين وهي كقراة البزي اذ تلقونه ونارا تلظى وهذا على حكاية الحال لان القضية ماضية
فايقاع المضارع هنا للحكاية كانه قال لولا ان كان يقال فيه تتداركه نعمة **قوله** نعمة من ربه
قال الضحاك النعمة هنا النبوة وقال ابن جبير عبادته التي سلفت وقال ابن زيد نداوه بقوله لا اله الا
انت سبحانك اني كنت من الظالمين وقال ابن بحر اخراجه من بطن الحوت وقيل رحمة من ربه فرحمه
وتاب عليه **قوله** لنبذ بالعراء هذا جواب لولا اي لنبذ مذموما ولكنه نبذ سقيما غير مذموم

وقيل جواب لولا مقدر اي لولا هذه النعمة لبقي في بطن الحوت ومعنى مذموم قال ابن عباس مليم وقال
بكر بن عبد الله مذنب وقيل مبعد من كل خير والعراء الارض الواسعة الفضاء التي ليس فيها جبل ولا شجر
يستر وقيل لولا فضل الله عليه لبقي في بطن الحوت الى يوم القيامة ثم نبذ بعراء القيامة مذموما يدل
عليه قوله تعالى وهو مذموم على كونه فاعلا للذنب قال والجواب من ثلاثة اوجه الاول ان كلمة لولا
دلت على ان هذه المذمومية لم تحصل الثاني لعل المراد من المذمومية ترك الافضل فان حسنات
الابرار سيئات المقربين الثالث لعل هذه الواقعة كانت قبل النبوة لقوله تعالى فاجتباه ربه والفا
للتعقيب قيل ان هذه الاية نزلت باحد حين حل برسول الله صلى الله عليه وسلم ما حل فاراد ان يدعو
على الذين انهزموا وقيل حين اراد ان يدعو على ثقيف **قوله** فاجتباه ربه اي فاصطفاه واختاره
فجعله من الصالحين قال ابن عباس رد الله اليه الوحي وشفعه في نفسه وفي قومه وقبل توبته وجعله
من الصالحين بان ارسله الى مائة الف او يزيدون **فصل** قال ابن الخطيب لعل صاحب
الحوت ما كان رسولا قبل هذه الواقعة ثم بعد هذه الواقعة جعله الله رسولا وهو المراد من قوله
فاجتباه ربه والذين انكروا الكرامات والارهاص لابد وان يختاروا هذا القول لان الاحتباس في بطن
الحوت وعدم موته هناك لما لم يكن هناك ارهاصا ولا كرامة فلابد وان يكون معجزة وذلك يقتضي انه
كان رسولا في تلك الحال **فصل** قال ابن الخطيب احتج الاصحاب على ان فعل العبد خلق الله
تعالى بقوله فجعله من الصالحين وهذا يدل على ان الصلاح انما حصل بجعل الله وخلقه قال
الجبائي يحتمل ان يكون معنى جعله انه اخبر بذلك ويحتمل ان يكون لطف به حتى صلح اذ الجعل يستعمل في
اللغة في هذه المعاني والجواب ان ذلك مجاز والاصل في الكلام الحقيقة **قوله** وان يكاد الذين
كفروا ان مخففة من الثقيلة ليزلقونك اي يغتالونك بابصارهم قراها نافع بفتح الياء والباقون بضمها
فاما قراءة الجماعة فمن ازلقه اي ازل رجله فالتعدية بالهمزة من زلق يزلق واما قراءة نافع فالتعدية
بالحركة يقال زلق بالكسر وزلقته بالفتح ونظيره شترت عينه بالكسر وشترها الله بالفتح وقد تقدم
لذلك اخوات وقيل زلقه وازلقه بمعنى واحد ازلاقا اذا نحاه وابعده وزلق راسه يزلقه زلقا
اذا حلقه قال القرطبي وكذلك ازلقه وزلقه تزليقا ورجل زلق وزملق قال هذيل وزمالق وزملق
بتشديد الميم وهو الذي ينزل قبل ان يجامع حكاه الجوهري وغيره والباء في بابصارهم اما للتعدية
كالداخلة على الآلة اي جعلوا ابصارهم كالالة المزلقة لك كعملت بالقدوم واما للسببية اي بسبب
عيونهم وقرئ ليزهقونك من زهقت نفسه وازهقها ثم فيه وجوه احدها انهم من شدة تحديقهم ونظرهم
اليك شزرا بعيون العداوة والبغضاء يكادون يزلقون قدمك من قولهم نظر الي نظرا يكاد
يصرعني ويكاد ياكلني انشد ابن عباس لما مر باقوام حددوا النظر اليه
• نظروا الي باعين محمرة • نظر التيوس الى شفار الجازر • **فصل** اخبر الله تعالى بشدة
عداوتهم للنبي صلى الله عليه وسلم وارادوا ان يصيبوه بالعين فنظر اليه قوم من قريش وقالوا ما راينا
مثله ولا مثل حججه وقيل كانت العين في بني اسد حتى ان البقرة السمينة او الناقة السمينة تمر باحدهم فيعاينها
ثم يقولون يا جارية خذي المكتل والدرهم فاتينا بلحم هذه الناقة فما تبرح حتى تقع الناقة للموت فتنحر
وقال الكلبي كان رجل من العرب يمكث لا ياكل شيئا يومين او ثلاثة ثم يرفع جانب الخباء فتمر به الابل او الغنم
فيقول لم ار كاليوم ابلا ولا غنما احسن من هذه فلا يذهب الا قليلا حتى يسقط منها طائفة هالكة فسال
الكفار هذا الرجل ان يصيب لهم النبي صلى الله عليه وسلم بالعين فاجابهم فلما مر النبي صلى الله عليه وسلم
انشد • قد كان قومك يحسبونك سيدا واخال انك سيد معيون • فعصم الله نبيه صلى الله عليه
وسلم ونزلت هذه الاية وذكر الماوردي ان العرب كانوا اذا اراد احدهم ان يصيب احدا يعني في نفسه
وماله تجوع ثلاثة ايام ثم يتعرض لنفسه وماله فيقول تالله ما رايت اقوى منه ولا اشجع ولا اكثر منه ولا

احسن

احسن فيصيبه بعينه فيهلك هو وماله فانزل الله تعالى هذه الاية قال القشيري وفي هذا نظر لان الاصابة
بالعين انما تكون مع الاستحسان والاعجاب لا مع الكراهية والبغض ولهذا قال ويقولون انه لمجنون اي
ينسبونك الى الجنون اذا راوك تقرا القران قال القرطبي اقوال المفسرين واللغويين تدل على ما ذكرنا وان
مرادهم بالنظر اليه قتله ولا يمنع كراهة الشيء من ان يصاب بالعين عداوة حتى يهلك ومعنى الكلمة اذن
التنحية والازالة وذلك لا يكون في حق النبي صلى الله عليه وسلم الا بهلاكه وموته قال الهروي اراد
ليعتانوك بعيونهم فيزيلوك عن مقامك الذي اقامك الله فيه عداوة لك وقال ابن عباس ينفذونك
بابصارهم يقال زلق السهم وزهق اذا نفذ وهو قول مجاهد اي ينفذونك من شدة نظرهم وقال
الكلبي يصرعونك وعنه ايضا والسدي وسعيد بن جبير يصرفونك عما انت عليه من تبليغ الرسالة وقال
العوفي يرمونك وقال المورج يزيلونك وقال النضر بن شميل والاخفش يفتنونك وقال الحسن وابن كيسان
ليقتلونك كما يقال صرعني بطرفه وقتلني بعينه **قوله** لما سمعوا الذكر من جعلها ظرفية جعلها منصوبة
بيزلقونك ومن جعلها حرفا جعل جوابها محذوفا للدلالة اي لما سمعوا الذكر كادوا يزلقونك ومن
جوز تقدم الجواب قال هو هنا متقدم والمراد بالذكر القران ثم قال ويقولون انه لمجنون وهو على ما
افتتح به السورة ثم قال وما هو يعني القران الا ذكر للعالمين اي ان الذي يزعمون انه دلالة جنونه الا
ذكر للعالمين تذكيرا لهم وتبيان وتنبيه لهم على ما في عقولهم من ادلة التوحيد وقال الحسن دواء اصابة
العين ان يقرا الانسان هذه الاية وقيل اي وما محمد الا ذكر للعالمين يتذكرون به وقيل معناه
شرف اي القران كقوله وانه لذكر لك ولقومك والنبي صلى الله عليه وسلم شرف للعالمين ايضا شرفوا
باتباعه والايمان به صلى الله عليه وسلم عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا
سورة القلم اعطاه الله عز وجل ثواب الذين حسن الله اخلاقهم •

سورة الحاقة مكية

وهي اثنتان وخمسون اية وستة وخمسون كلمة والف واربعة وستون حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** الحاقة ما الحاقة • الحاقة مبتدا وما مبتدا ثان
والحاقة خبره والجملة خبر الاول لان معناها ما هي واللفظ استفهام ومعناه التفخيم والتعظيم لشانها قال
ابن الخطيب ووضع الظاهر موضع المضمر لانه اهول لها ومثله القارعة ما القارعة وقد تقدم تحرير هذا
في الواقعة والحاقة فيها وجهان احدهما انه وصف اسم فاعل بمعنى انها تبدي حقائق الاشياء وقيل لان
الامر يحق فيها فهي من باب ليل قائم ونهار صائم قاله الطبري وقيل سميت حاقة لانها تكون من غير شك لانها
حقت فلا كاذبة لها وقيل سميت القيامة بذلك لانها احقت لاقوام الجنة واحقت لاقوام النار وقيل من
حق الشيء ثبت اي نائبة كائنة وقيل لانها حق كل محاق في دين الله اي تغلبه من حاققته فحققته احقه اي
غلبته وفي الصحاح وحاقه اي خاصمه وادعى كل واحد منهما الحق فاذا غلبه قيل حقه ويقال ماله فيه
حق ولا احقاق اي خصومة والتحاق الاختصام والحاقة والحقة والحق ثلاث لغات بمعنى وقال الكسائي والمورج
الحاقة يوم الحق الثاني انها مصدر كالعاقبة والعافية **قوله** ما الحاقة في موضع نصب على
اسقاط الخافض لان ادري بالهمزة يتعدى لاثنين للاول بنفسه والثاني بالباء قال تعالى ولا ادراكم
به فلما وقعت جملة الاستفهام معلقة لها كانت في موضع المفعول الثاني ودون الهمزة يتعدى لواحد
بالباء نحو دريت بكذا او يكون بمعنى علم فيتعدى لاثنين **فصل** معنى ما ادراك اي اي شيء اعلمك
ما ذاك اليوم والنبي صلى الله عليه وسلم كان عالما بالقيامة ولكن لا علم له بكنهها وصفتها فقيل ذلك
تفخيما لشانها كانك لست تعلمها اذ لم تعاينها وقال يحيى بن سلام بلغني ان كل شيء في القران وما ادراك
فقد ادراه وعلمه وكل شيء قال وما يدريك فهو مما لم يعلمه وقال سفيان بن عيينة كل شيء قال فيه
وما ادراك فانه اخبر به وكل شيء قال فيه وما يدريك فانه لم يخبر به **قوله** كذبت ثمود وعاد بالقارعة
القارعة القيامة سميت بذلك لانها تقرع قلوب العباد بالمخافة وقيل لانها تقرع الناس باهوالها يقال

اصابتهم قوارع الدهر اي اهواله وشدايده وقوارض لسانه جمع قارضة وهي الكلمة الموذية وقوارع القران الايات التي يقراوها الانسان اذا فزع من الجن والانس نحو اية الكرسي كانه يقرع الشيطان وقال المبرد القارعة ماخوذة من القرعة من رفع قوم وحط اخرين وقوارع القيامة انفطار السماء وانشقاقها والارض والجبال بالدك والنسف والنجوم بالطمس والانكدار وانما قال كذبت ثمود وعاد بالقارعة ولم يقل بها ليدل على ان معنى القرع حاصل في الحاقة فيكون ذلك زيادة على وصف شدتها ولما ذكرها وفخمها اتبع ذلك بذكر من كذب بها وما حل بهم بسبب التكذيب تذكيرا لاهل مكة وتخويفا لهم من عاقبة تكذيبهم وقيل عني بالقارعة العذاب الذي نزل بهم في الدنيا وكان نبيهم يخوفهم بذلك فيكذبونه وثمود قوم صالح وكانت منازلهم بالحجر فيما بين الشام والحجاز قال ابن اسحق هو وادي القرى وكانوا عربا واما عاد فقوم هود وكانت منازلهم بالاحقاف والاحقاف الرمل بين عمان الى حضرموت واليمن كله وكانوا عربا ذوي بسطة في الخلق وقد تقدم ذلك **قوله** فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية هذه قراءة العامة وقرا زيد ابن علي فهلكوا مبنيا للفاعل وقوله بالطاغية فيه اضمار اي بالفعلة الطاغية وقال قتادة بالصيحة الطاغية المتجاوزة للحد اي لحد الصيحات من الهول كما قال انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر والطغيان مجاوزة الحد ومنه انا لما طغى الما اي جاوز وقال ابن زيد بالرجل الطاغية وهو عاقر الناقة والها فيه للمبالغة على هذه الاوجه صفة والمعنى اهلكوا بما اقدم عليه طاغيهم من عقر الناقة وكان واحدا وانما اهلك الجميع لانهم رضوا بفعله وما لووه وقيل له طاغية كما يقال فلان راوية وداهية وعلامة ونسابة ويحتمل ان يقال لسبب الفرقة الطاغية وهم التسعة رهط الذين كانوا يفسدون في الارض ولا يصلحون واحدهم عاقر الناقة وقال الكلبي بالطاغية الصاعقة وقال مجاهد بالذنوب وقال الحسن بالطغيان فهي مصدر كالكاذبة والعافية اي اهلكوا بطغيانهم وكفرهم ومو صحه كذبت ثمود بطغواها قال ابن الخطيب وهذا القول منقول عن ابن عباس قال وقد طعنوا فيه من وجهين الاول قال الزجاج انه لما ذكر في الجملة الثانية نوع الشي الذي وقع به العذاب وهو قوله تعالى بريح صرصر عاتية وجب ان يكون الحال في الجملة الاولى كذلك حتى تحصل المناسبة والثاني قال القاضي لو كان المراد ما قالوه لكان من حق الكلام ان يقال اهلكوا لها ولاجلها وانما للسببية على الاقوال كلها الا على قول قتادة فانها فيه للاستعانة كعملت بالقدوم **قوله** واما عاد فاهلكوا بريح صرصر اي باردة تحرق ببردها كاحراق النار ماخوذ من الصر وهو البرد قاله الضحاك وقيل انها الشديدة الصوت وقال مجاهد الشديدة السموم عاتية عتت على خزانها فلم تطعهم ولم يطيقوها من شدة هبوبها غضبت لغضب الله وقال عطا عن ابن عباس عتت على عاد فقهرتهم فما قدروا على ردها بحيلة من استناد الى جبل بل كانت تنزعهم من مكانهم وتهلكهم وروى سفيان الثوري عن موسى بن المسيب عن سهم بن حوشب عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ارسل الله من نسفة من ريح الا بمكيال ولا قطرة من ما الا بمكيال الا يوم عاد ويوم قوم نوح فان الما يوم قوم نوح طغى على الخزان فلم يكن لهم عليه سبيل ثم قرا انا لما طغى الما الاية والريح لما كان يوم عاد عتت على الخزان فلم يكن لهم عليها سبيل ثم قرا بريح صرصر عاتية وقيل ان هذا ليس من العتو الذي هو عصيان انما هو بلوغ الشي وانتهاوه ومنه قولهم عتا النبت اي بلغ منتهاه وجف قال تعالى وقد بلغت من الكبر عتيا اي بالغة منتهاها في القوة والشدة **قوله** سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام اي ارسلها وسلطها عليهم والتسخير استعمال الشي بالاقتدار وقال الزجاج اقامها عليهم والجملة من قولهم سخرها يجوز ان تكون صفة لريح وان تكون حالا منها لتخصصها بالصفة او من الضمير في عاتية وان تكون مستانفة قال ابن الخطيب وعندي ان فيه لطيفة وذلك ان من الناس من قال ان تلك الرياح انما اشتدت لاتصال فلكي اتفقي ذلك فقوله تعالى سخرها فيه اشارة الى نفي ذلك المذهب وان ذلك انما حصل بتقدير الله وقدرة

فانه

فانه لولا هذه الدقيقة لما حصل منه التخويف والتحذير عن العقاب وقوله سبع ليال وثمانية ايام الفايدة فيه انه تعالى لو لم يذكر ذلك لما كان مقدار زمان ذلك العذاب معلوما فلما قال سبع ليال وثمانية ايام احتمل ان يكون متفرقا في هذه المدة فازال هذا الظن بقوله حسوما اي متتابعة متوالية **فصل** قال وهب هي الايام التي تسميها العرب ايام العجوز ذات برد ورياح شديدة وقيل سميت عجوزا لانها في عجز الشتا وقيل لان عجوزا من قوم عاد دخلت سربا فتبعتها الريح فقتلتها اليوم الثامن من نزول العذاب وانقطع العذاب **قوله** حسوما فيه اوجه احدها ان ينتصب نعتا لما قبلها الثاني ان ينتصب على الحال اي ذات حسوم وقرا السدي حسوما بالفتح حالا من الريح اي سخرها عليهم مستاصلة الثالث ان ينتصب على المصدر بفعل من لفظها اي تحسمهم حسوما الرابع ان يكون مفعولا له ويتضح ذلك بقول الزمخشري الحسوم لا يخلو من ان يكون جمع حاسم كشاهد وشهود او مصدرا كالشكور والكفور فان كانت جمعا فمعنى قوله حسوما اي نحسات حسمت كل خير واستاصلت كل بركة او متتابعة هبوب الريح ما خفتت ساعة تمثيلا لتتابعها بتتابع فعل الحاسم في اعادة الكي على الداء كرة بعد اخرى حتى ينحسم وان كان مصدرا فاما ان ينتصب بفعله مضمرا اي تحسمهم حسوما بمعنى تستاصل استيصالا او يكون صفة كقولك ذات حسوم او يكون مفعولا له اي سخرها عليهم للاستيصال قال عبد العزيز بن زرارة الكلابي

ففرق بين بينهم زمان • تتابع فيه اعوام حسوم •

انتهى وقال المبرد الحسوم الفصل حسمت الشي من الشي فصلته منه ومنه الحسام قال الشاعر

فارسلت ريحا دبورا عقيما • فدارت عليهم فكانت حسوما •

وقال الليث هي الشوم يقال هذه ليالي الشوم اي تحسم الخير عن اهلها لقوله تعالى في ايام نحسات وهذان القولان يرجعان الى القول الاول لان الفصل قطع وكذلك الشوم لانه يقطع الخير قال ابن زيد حسمتهم فلم تبق منهم احدا وعنه ايضا انها حسمت الليالي والايام حتى استوفتها لانها بدات طلوع الشمس من اول يوم وانقطعت غروب الشمس من اخر يوم واختلف في اولها فقال السدي غداة يوم الاحد وقال الربيع بن انس غداة يوم الجمعة وقال يحيى بن سلام ووهب بن منبه غداة يوم الاربعا وهو اليوم النحس المستمر قيل كان اخر اربعا في السنة واخرها يوم الاربعا وهي في اذار من اشهر السريانيين ولها اسما مشهورة قال فيها ابن احمر

كسع الشتا بسبعة غبر • ايام شهلتنا من الشهر • فاذا انقضت ايامها ومضت • صن وصنبر مع الوبر • وبامر واخيه موتمر • ومعلل ومطفي الجمر • ذهب الشتا موليا عجلا • واتتك واقدة من النجر •

كسي الشتا بسبعة غبر • بالصن والصنبر والوبر • وبامر واخيه موتمر • ومعلل ومطفي الجمر •

قوله فترى القوم فيها اي في تلك الليالي والايام صرعى جمع صريع وهو حال نحو قتيل وقتلى وجريح وجرحى والضمير في فيها للايام والليالي كما تقدم او للبيوت او للريح والاول اظهر لقربه ولانه مذكور **قوله** كانهم اعجاز نخل اي اصول نخل والجملة حال من القوم او مستانفة وقرا ابو نهيك اعجز على افعل نحو ضبع واضبع وفرخ وفري نخيل حكاه الاخفش وقد تقدم ان اسم الجنس يذكر ويونث واختير هنا تانيثه للفواصل كما اختير تذكيره لها في سورة القمر وقال ابو الطفيل اصول نخل خاوية اي بالية وقيل خالية الاجواف لا شي فيها وقال القرطبي وقد قال الله تعالى في سورة القمر اعجاز نخل منقعر فيحتمل انهم شبهوا بالنخل التي صرعت من اصلها وهو اخبار عن عظم اجسامهم ويحتمل ان يكون المراد به الاصول دون الجذوع اي ان الريح قد قطعتهم حتى صاروا كاصول النخل خاوية اي ان الريح كانت تدخل اجوافهم فتصرعهم كالنخل الخاوية الجوف وقال ابن بحر كانت الريح تدخل في افواههم فتخرج ما في اجوافهم من الحشو من ادبارهم فصاروا كالنخل الخاوية وقال يحيى بن سلام انما قال خاوية لان ابدانهم خوت من ارواحهم مثل النخل الخاوية **قوله** فهل ترى لهم من باقية ادغم اللام في التا ابو عمرو وحمزة

وقال الحر

وتقدم في الملك ومن باقية مفعوله ومن مزيدة والتانية باقية قيل للمبالغة فيكون المراد بالباقية
البقا كالطاغية بمعنى الطغيان اي من بقا والاحسن ان يكون صفة لفرقة او طايفة او نفس او بقية
ونحو ذلك وقيل فاعل بمعنى المصدر كالعاقبة والعافية قال المفسرون والمعنى هل ترى لهم احدا باقيا
قال ابن جريج كانوا سبع ليال وثمانية ايام احيا في عذاب الله من الريح فلما امسوا في اليوم الثامن
ماتوا فاحتملتهم الريح فالقتهم في البحر فذلك قوله تعالى فهل ترى لهم من باقية فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم
قوله وجا فرعون ومن قبله قرا ابو عمرو والكسائي بكسر القاف وفتح البا اي ومن هو في جهته
ويويده قراة ابي موسى ومن تلقاه وقرا ابي وعبد الله ومن معه والباقون بالفتح والسكون على انه
ظرف اي ومن تقدمه والقراة الاولى اختارها ابو عبيدة وابو حاتم اعتبارا بقراة ابي وعبد الله قوله
والموتفكات بالخاطية الموتفكات اهل قرى لوط وقراة العامة بالالف وقرا الحسن والجحدري
والموتفكة على التوحيد قال قتادة انما سميت قرى لوط موتفكات لانها ائتفكت بهم اي انقلبت
وذكر الطبري عن محمد بن كعب القرظي قال خمس قريات صنعة وصعوة وعمرة ودوما وسدوم وهي
القرية العظمى وقوله بالخاطية اما ان تكون صفة اي بالفعلة او الفعلات الخاطية وهي المعصية والكفر
وقال مجاهد بالخطايا التي كانوا يعملونها وقال الجرجاني بالخطا العظيم فيكون مصدرا كالعاقبة والكاذبة
قوله فعصوا رسول ربهم ان عاد الضمير الى فرعون ومن قبله فرسول ربهم موسى عليه السلام وان كان
عايدا الى اهل الموتفكات فرسول ربهم لوط عليه السلام قال الواحدي والوجه ان يقال المراد بالرسول
كلاهما للخبر عن الاثنين بعد ذكرهما بقوله فعصوا فيكون كقوله انا رسول رب العالمين قال
القرطبي وقيل رسول بمعنى رسالة وقد يعبر عن الرسالة بالرسول كقوله
لقد كذب الواشون ما فهت عندهم بسر ولا ارسلتهم برسول قوله فاخذهم اخذة
رابية اي عالية زايدة على الاخذات وعلى عذاب الامم يقال ربا الشي يربوا اذا زاد ومنه الربا
اذا اخذ في الذهب والفضة اكثر مما اعطى والمعنى انها كانت زايدة في الشدة على عقوبات ساير
الكفار كما ان افعالهم كانت زايدة في القبح على افعال ساير الكفار وقيل لان عقوبة آل فرعون
في الدنيا متعلقة بعذاب الاخرة لقوله اغرقوا فادخلوا نارا وعقوبة الاخرة اشد من عقوبة
الدنيا فتلك العقوبة كانها كانت تنموا وتربوا ثم ذكر قصة قوم نوح وهي قوله انا لما طغى
الما حملناكم في الجارية طغى الما اي ارتفع وعلا وقال علي رضي الله عنه طغى على خزانه من الملايكة
غضبا لربه فلم يقدروا على حبسه قال المفسرون زاد على كل شي خمسماية ذراعا وقال ابن عباس
رضي الله عنه طغى الما زمن نوح على خزانه فكثر عليهم فلم يدروا كم خرج وليس من الما قطرة تنزل
قبله ولا بعده الا بكيل معلوم غير ذلك اليوم وقد تقدم مرفوعا اول السورة والمقصود من
قصص هذه الامم وذكر ما حل بهم من العذاب زجر هذه الامة عن الاقتدا بهم في معصية الرسول
ثم من عليهم بان جعلهم ذرية من نجا من الغرق بقوله حملناكم اي حملنا اباكم وانتم في اصلابهم في الجارية
اي في السفن الجارية والمحمول في الجارية انما هو نوح واولاده وكل من على وجه الارض من نسل
اوليك والجارية من اسما السفينة ومنه قوله تعالى وله الجوار المنشات في البحر كالاعلام وغلب
استعمال الجارية في السفينة كقوله في بعض الالغاز رايت جارية في بطن جارية في بطنها رجل في بطنه جمل
قوله لنجعلها لكم تذكرة اي سفينة نوح عليه السلام جعلها الله تذكرة وعظة لهذه الامة حتى
ادركها اوايلهم في قول قتادة قال ابن جريج كانت الواحها على الجودي والمعنى ابقيت لكم تلك الخشبات
حتى يذكروا ما حل بقوم نوح وانجى الله اباكم وكم سفينة هلكت وصارت ترابا ولم يبق منها شي وهذا قول
الفرا قال ابن الخطيب وهذا ضعيف بل الصواب ما قاله الزجاج ان الضمير في قوله لنجعلها يعود الى
الواقعة التي هي معلومة وان كانت هنا غير مذكورة والتقدير لنجعل نجاة المومنين واغراق الكافرين

عظة

عظة وعبرة ويدل على صحته قوله وتعيها اذن واعية فالضمير في قوله تعالى وتعيها لا يمكن عوده الى
السفينة فكذا الضمير الاول قوله وتعيها العامة على كسر العين وتخفيف اليا وهو مضارع
وعى يعي معطوف عطفا على لنجعلها وابن مصرف وابو عمرو في رواية هارون وعنه وقنبل قال القرطبي
وحميد الاعرج باسكانها تشبيها له برحم وشهد وان لم يكن منه ولكن صار في اللفظ بمنزلة فخذ الحلقي
العين قال ابن الخطيب وروي عن ابن كثير اسكان العين جعل حرف المضارعة مع ما بعده بمنزلة
واحدة فخفف واسكن كما اسكن الحرف المتوسط من فخذ وكبد وكتف وانما فعل ذلك لان حرف المضارعة
لا ينفصل من الفعل فاشبه ما هو من نفس الكلمة وصار كقول من قال وهو وهي ومثل ذلك ويتقه في
قراة من سكن القاف وروي عن حمزة اخفا الكسرة وروي عن عاصم وحمزة ايضا تشديد اليا وهو غلط
عليهما وانما سمعها الراوي يبينان حركة اليا فظنها شدة وقيل اجريا الوصل مجرى الوقف فضعفا
الحرف وهذا لا ينبغي ان يلتفت اليه وروي عن حمزة ايضا وموسى بن عبد الله العبسي وتعيها بسكون
اليا وفيها وجهان الاستيناف والعطف على المنصوب وانما سكنا اليا استثقالا للحركة على حرف
العلة كقراة تطعمون اهاليكم كامر فصل قال الزجاج يقال وعيت كذا اي حفظته
في نفسي اعيه وعيا ووعيت العلم ووعيت ما قلته كله بمعنى واوعيت المتاع في الوعا قال
الزجاج ويقال لكل ما حفظته في غير نفسك اوعيته بالالف ولما حفظته في نفسك وعيته بغير الف
قال ابن الخطيب واعلم ان وجه التذكير في هذا ان نجاة قوم من الغرق في السفينة وتغريق من
سواهم يدل على قدرة مدبر العالم ونفاذ مشيته ونهاية حكمته ورحمته وشدة قهره وروي ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال عند نزول هذه الاية سالت الله ان يجعلها اذنك يا علي قال علي رضي الله
عنه فما نسيت شيا بعد ذلك فان قيل لم قال اذن واعية على التوحيد والتنكير
فالجواب للايذان بان الوعاة فيهم قلة ولتوبيخ الناس بقلة من يعي منهم والدلالة على ان الاذن الواحدة
اذا وعت وعقلت عن الله فهي السواد الاعظم عند الله وان ما سواها لا يلتفت اليهم وان امتلا
العالم منهم ونظير هذه الاية قوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب قال قتادة الاذن
الواعية اذن عقلت عن الله تعالى وانتفعت بما سمعت من كتاب الله عز وجل قوله فاذا
نفخ في الصور نفخة واحدة لما حكى هذه القصص الثلاثة ونبه بها على ثبوت القدرة والحكمة للصانع
فحينئذ يثبت بثبوت القدرة امكان القيمة ويثبت بثبوت الحكمة امكان وقوع الحشر ولما ثبت
ذلك شرع سبحانه في تفاصيل احوال القيمة تذكرا ولا متعدما بها فقال فاذا نفخ في الصور نفخة
واحدة قوله واحدة تاكيد مصدر قام مقام الفاعل وقال ابن عطية لما نعت صح رفعه
انتهى ولو لم ينعت لصح رفعه لانه مصدر مختص لدلالته على الوحدة والممنوع عند البصريين انما هو
اقامة المبهم نحو ضرب ضرب والعامة على الرفع فيهما وقرا ابو السمال بنصبهما كانه اقام الجار مقام
الفاعل فترك المصدر على اصله ولم يونث الفعل وهو نفخ لان التانيث مجازي وحسنه الفصل
فصل قال ابن عباس هي النفخة الاولى لقيام الساعة فلا يبقى احد الا مات قال ابن الخطيب
لان عندها يحصل خراب العالم فان قيل لم قال بعده ذلك يومئذ تعرضون
والعرض انما يكون عند النفخة الثانية قلنا جعل اليوم اسما للحين الواسع الذي يقع فيه النفختان
والصعقة والنشور والوقوف والحساب فلذلك يوم تعرضون كقولك جئته عام كذا وانما كان مجيك في وقت
واحد من اوقاته وقيل ان هذه النفخة هي الاخرة وقال نفخة واحدة اي لا تثنى قال الاخفش ووقع الفعل
على النفخة اذ لم يكن قبلها اسم مرفوع فقيل نفخة قوله وحملت الارض قرا العامة بتخفيف الميم
اي وحملتها الريح او الملايكة او القدرة اي رفعت من اماكنها فدكتا اي فتتا وكسرتا دكة واحدة
اي الارض والجبال لان المراد الشيان المتقدمان كقوله وان طايفتان من المومنين اقتتلوا ولا يجوز

في دكة الا النصب لارتفاع الضمير في دكتا وقال الفراء ولم يقل فدككن لانه جعل الجبال كلها كالجملة الواحدة والارض كالجملة الواحدة ومثله ان السموات والارض كانتا رتقا ولم يقل كن وهذا الدك كالزلزلة لقوله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها واما بان بلغت من قوة عصفها انها تحمل الارض والجبال او بملك من الملائكة او بقدرة الله فدكتا اي جملة الارض وجملة الجبال تضرب بعضها في بعض حتى تندق وتصير كثيبا مهيلا وهباء منبثا والدك ابلغ من الدق وقيل دكتا اي بسطتا بسطة واحدة ومنه اندك سنام البعير اذا انفرش في ظهره وقرا ابن عامر في رواية والاعمش وابن ابي عبلة وابن مقسم وحملت بتشديد الميم فجاز ان يكون التشديد للتكثير فلم يكسب الفعل مفعولا آخر وجاز ان يكون للتعدية فيكسبه مفعولا آخر فيحتمل ان يكون الثاني محذوفا والاول هو القائم مقام الفاعل تقديره وحملت الارض والجبال ريحا تفتتها كقوله فقل ينسفها ربي نسفا وقيل التقدير وحملتها ملائكة ويحتمل ان يكون الاول هو المحذوف والثاني هو القائم مقام الفاعل

قوله فيومئذ منصوب بوقعت ووقعت الواقعة لابد فيه من تاويل وهو ان يكون الواقعة صارت علما بالغلبة على القيمة او الواقعة العظيمة والا فقيام الفاعل لا يجوز اذ لا فائدة فيه وتقدم هذا في قوله اذا وقعت الواقعة والتنوين في يومئذ للعوض من الجملة تقديره يوم اذ نفخ في الصور

فصل المعنى قامت القيمة الكبرى وانشقت السما اي انصدعت وتفطرت وقيل انشقت لنزول الملائكة بدليل قوله تعالى ويوم تشقق السما بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا فهي يومئذ واهية اي ضعيفة مسترخية ساقطة كالعهن المنفوش بعد ما كانت محكمة يقال وهي البنا يهي وهيا فهو واه اذا ضعف جدا ويقال كلام واه اي ضعيف فقيل انها تصير بعد صلابتها بمنزلة الصوف في الوهي ويكون ذلك لنزول الملائكة وقيل لهول يوم القيمة وقال ابن شجرة واهية اي متخرقة ماخوذ من قولهم وهي السقا اذا انخرق ومن امثالهم • خل سبيل من وهي سقاوه • ومن هريق بالفلاة ماوه • اي من كان ضعيف العقل لا يحفظ نفسه والملك على ارجائها لم يرد به ملكا واحدا بل المراد الجنس والجمع على ارجائها الارجا في اللغة النواحي والاقطار بلغة هذيل واحدها رجا مقصور وتثنيته رجوان مثل عصى وعصوان قال • فلا يرمي بي الرجوان اني اقل القوم من يغني مكاني • وقال آخر • كان لم ترى قبلي اسيرا مقيدا ولا رجلا يرمى به الرجوان • ورجا هذا يكتب بالالف عكس رحى لانه من ذوات الواو يقال رجا ورجوان والجمع الارجا ويقال ذلك لحرف البير وحرف القبر وما اشبهه

فصل قال ابن عباس على اطرافها حين تنشق قال الماوردي ولعله قول مجاهد وقتادة وحكاه الثعلبي عن الضحاك قال على اطرافها مما لم ينشق منها وقال سعيد بن جبير المعنى والملك على حافات الدنيا اي ينزلون الى الارض ويحرسون اطرافها وقيل اذا صارت السما قطعا تقف الملائكة على تلك القطع التي ليست متشققة **فان قيل** الملائكة يموتون في الصعقة الاولى لقوله تعالى فصعق من في السموات ومن في الارض فكيف يقال انهم يقفون على ارجا السما والجواب من وجهين الاول انهم يقفون لحظة على ارجا السما ثم يموتون والثاني المراد الذين استثنا في قوله الا من شا الله وقيل ان الناس اذا راوا جهنم هالتهم فيندوا كما تند الابل فلا ياتون قطرا من اقطار الارض الا راوا ملائكة فيرجعوا من حيث جاوا وقيل على ارجائها ينتظرون ما يومرون به في اهل النار من السوق اليها وفي اهل الجنة من التحية والكرامة وهذا كله راجع الى قول ابن جبير ويدل عليه قوله تعالى ونزل الملائكة تنزيلا

قوله على ارجائها خبر المبتدا والضمير للسما وقيل للارض على ما تقدم قال الزمخشري فان قلت ما الفرق بين قوله والملك وبين ان يقال والملائكة قلت الملك اعم من الملائكة الا ترى ان قولك ما من ملك الا وهو شاهد اعم من قولك ما من ملائكة انتهى قال ابو حيان ولا يظهر ان الملك اعم من الملائكة لان المفرد المحلى بالالف واللام قصاراه ان يكون

مرادا

مرادا به الجمع المحلى ولذلك صح الاستثنا منه فقصاراه ان يكون كالجمع المحلى بهما واما دعواه انه اعم منه بقوله الا ترى الى آخره فليس دليلا على دعواه لان من ملك نكرة مفردة في سياق النفي قد دخلت عليها من المخلصة للاستغراق فشملت كل ملك فاندرج تحتها الجمع لوجود الفرد فيه فانتفى كل فرد فرد بخلاف من ملائكة فان من دخلت على جمع منكر فعمم في كل جمع جمع من الملائكة ولا يلزم من ذلك انتفا كل فرد فرد من الملائكة لو قلت ما في الدار من رجال جاز ان يكون فيها واحد لان النفي انما انسحب على جمع ولا يلزم من انتفا الجمع ان ينتفي المفرد والملك في الآية ليس في سياق نفي دخلت عليه من وانما جي به مفردا لانه اخف ولان قوله على ارجائها يدل على الجمع لان الواحد بما هو واحد لا يمكن ان يكون على ارجائها في وقت واحد بل في اوقات والمراد والله اعلم ان الملائكة على ارجائها لا انه ملك واحد ينتقل على ارجائها في اوقات قال شهاب الدين ان الزمخشري منازع في هذا اما تقدم عنه في اواخر سورة البقرة عند قوله وكتبه ورسله فليراجع ثمة واما قول ابي حيان ما في الدار من رجال ان النفي منسحب على رتب الجمع ففيه خلاف والمحقق ما ذكره

قوله ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية الضمير في فوقهم يجوز ان يعود على الملك لانه بمعنى الجمع كما تقدم وان يعود على الحاملين الثمانية وقيل ان حملة العرش فوق الملائكة الذين في السما على ارجائها وقيل يعود على جميع العالم اي ان الملائكة تحمل عرش الله فوق العالم كله

فصل قال ابن عباس ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عددهم الا الله تعالى وقال ابن زيد ثمانية املاك وعن الحسن الله اعلم كم هم ثمانية ام ثمانية الاف او ثمانية صفوف وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان حملة العرش اليوم اربعة وقال فاذا كان يوم القيامة ايدهم الله باربعة آخرين فكانوا ثمانية خرجه الماوردي مرفوعا عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ورواه العباس بن عبد المطلب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال هم ثمانية املاك على صورة الاوعال لكل ملك منهم اربعة اوجه وجه رجل ووجه اسد ووجه ثور ووجه نسر وكل وجه منها يسال الله الرزق لذلك الجنس **فان قيل** اذا لم يكن فيهم صورة وعل فكيف سموا اوعالا فالجواب ان وجه الثور اذا كانت له قرون الوعل اشبه الوعل وفي الخبر ان فوق السما السابعة ثمانية اوعال بين اظلافهن وركبهن مثل ما بين سما الى سما وفوق ظهورهن العرش ذكره القشيري وخرجه الترمذي من حديث العباس بن عبد المطلب وفي حديث مرفوع ان حملة العرش ثمانية املاك على صور الاوعال ما بين اظلافها الى ركبها مسيرة سبعين عاما للطائر المسرع وروي ان ارجلهم في الارض السابعة

فصل اضافة العرش الى الله تعالى كاضافة البيت اليه وليس البيت للسكنى فكذلك العرش ومعنى فوقهم اي فوق رءوسهم قال ابن الخطيب قالت المشبهة لو لم يكن الله في العرش لكان حمل العرش عبثا لا فائدة فيه لا سيما وقد اكد ذلك بقوله يومئذ تعرضون والعرض انما يكون لو كان الاله حاضرا في العرش واجاب بانه لا يمكن ان يكون المراد ان الله تعالى جالس على العرش لان كل من كان حاملا للعرش فلو كان الاله على العرش لزم ان يكون الملائكة حاملين لله تعالى وذلك محال لانه يقتضي احتياج الله اليهم وان يكونوا اعظم قدرا من الله وكل ذلك كفر فعلمنا انه لابد فيه من التاويل فنقول السبب في هذا الكلام هو انه تعالى خاطبهم بما تعارفوه خلق لنفسه بيتا يزورونه ليس انه يسكنه تعالى الله عن ذلك وجعل في ركن البيت حجرا هو يمينه في الارض اذ كان من شانهم ان يعظموا روساهم بتقبيل ايمانهم وجعل على العباد حفظة لا لان النسيان يجوز عليه سبحانه وكذلك ان الملك اذا اراد محاسبة عماله جلس على سريره ووقفت الاعوان حوله فسمى الله يوم القيامة عرشا وحفت به الملائكة لا لانه يقعد عليه او يحتاج اليه بل كما قلنا في البيت والطواف

قوله يومئذ تعرضون تعرضون جواب اذا من قوله فاذا نفخ قاله ابو حيان وفيه نظر بل جوابه ما تقدم من قوله وقعت الواقعة وتعرضون على هذا مستانف

قوله لا تخفى قرا الاخوان بالياء

من تحت لان التانيث مجازي كقوله واخذ الذين ظلموا الصيحة واختاره ابو عبيد لانه قد حال بين الفعل والاسم المؤنث الجار والمجرور والاخوان على اصلهما في امالة الالف وقرا الباقون لا يخفى بالياء من فوق للتانيث اللفظي والفتح وهو الاصل واختاره ابو حاتم

فصل قال القرطبي هذا هو العرض على الله تعالى لقوله وعرضوا على ربك صفا وليس ذلك عرضا ليعلم ما لم يكن عالما به بل ذلك العرض عبارة عن المحاسبة والمسائلة وتقدير الاعمال عليهم للمجازاة قال صلى الله عليه وسلم يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال ومعاذير واما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الايدي فآخذ بيمينه وآخذ بشماله وقوله لا يخفى منكم خافية قال ابن بحر اي هو عالم بكل شيء من اعمالكم فخافية على هذا بمعنى خفية كانوا يخفونها من اعمالهم ونظيره قوله تعالى لا يخفى على الله منهم شيء قال ابن الخطيب فيكون العرض للمبالغة في التهديد يعني يعرضون على من لا يخفى عليه شيء وقيل لا يخفى عليه انسان لا يحاسب وقال عبد الله بن عمرو بن العاص لا يخفى المؤمن من الكافر ولا البر من الفاجر وقيل لا تستتر منكم عورة لقوله عليه السلام يحشر الناس حفاة عراة

قوله فاما من اوتي كتابه بيمينه وهذا دليل على النجاة قال ابن عباس اول من يعطى كتابه بيمينه من هذه الامة عمر بن الخطاب وله شعاع كشعاع الشمس قيل له فاين ابو بكر فقال هيهات زفته الملائكة الى الجنة قال القرطبي وقد ذكرناه مرفوعا من حديث زيد بن ثابت بلفظه ومعناه في كتاب التذكرة

قوله هاؤم اي خذوا اقرءوا كتابيه يقول ذلك ثقة بالاسلام وسرورا بنجاته لان اليمين عند العرب من دلائل الفرح قال الشاعر

اذا ما راية رفعت لمجد ... تلقاها عرابة باليمين

وقال

ابيني افي يمنى يديك جعلتني ... فافرح ام صيرتني بشمالك

وقال ابن زيد معنى هاؤم تعالوا فتعدى بالى وقال مقاتل هلم وقيل خذوا ومنه الحديث في الربا الا هاء وهاء اي يقول كل واحد لصاحبه خذ وهذا هو المشهور وقيل هي كلمة وضعت لاجابة الداعي عند الفرح والنشاط وفي الحديث انه ناداه اعرابي بصوت عال فاجابه النبي صلى الله عليه وسلم هاؤم بصولة صوته وقيل معناها اقصدوا وزعم هؤلاء انها مركبة من ها التنبيه وأموا امر من الأم وهو القصد فصيره التخفيف والاستعمال الى هاؤم وقيل الميم ضمير جماعة الذكور وزعم القتيبي ان الهمزة بدل من الكاف فان عنى انها تحل محلها فصحيح وان عنى البدل الصناعي فليس بصحيح فقوله هاؤم يطلب مفعولا يتعدى اليه بنفسه ان كان بمعنى خذوا واقصد وبالى ان كان بمعنى تعالوا واقرءوا يطلبه ايضا فقد تنازعا في كتابيه واعمل الثاني في الحذف من الاول وقد تقدم تحقيق هذا في سورة الكهف وفي غيرها وفيها لغات وذلك انها تكون فعلا صريحا وتكون اسم فعل ومعناها في الحالين خذ فاذا كانت اسم فعل وهي المذكورة في الاية الكريمة ففيها لغتان المد والقصر تقول ها درهما يا زيد وهاء درهما ويكونان كذلك في الاحوال كلها من افراد وتثنية وجمع وتذكير وتانيث ويتصل بهما كاف الخطاب اتصالها باسم الاشارة فتطابق مخاطبك بحسب الواقع مطابقتها وهي ضميرا نحو هاك هاءك هاكما هاءكما الى اخره وتخلف كاف الخطاب همزة هاء مصرفة تصرف كاف الخطاب فتقول هاء يا زيد هاء يا هند هاؤما هاؤم هاؤن وهي لغة القرآن واذا كانت فعلا صريحا لاتصال الضمائر البارزة المرفوعة بها كان فيها ثلاث لغات احداها انها تكون مثل عاطى يعاطي فيقال هاء يا زيد هائي يا هند هائيا يا زيدان او يا هندان هاءوا يا زيدون هائين يا هندات الثانية ان تكون مثل هب فيقال هأ هئي هآ هؤوا هأن مثل هب هبي هبا هبوا هبن الثالثة ان يكون مثل خف امرا من الخوف فيقال هأ هائي هاءا هاءوا هأن مثل خف خافي خافا خافوا خفن

قوله كتابيه منصوب بهاؤم عند الكوفيين وعند البصريين باقرءوا لانه اقرب العاملين والاصل كتابي فادخل الهاء لتبين فتحة الياء والهاء في كتابيه وحسابيه وسلطانيه وماليه للسكت وكان حقها ان تحذف وصلا وتثبت وقفا وانما اجري الوصل

بجري

مجرى الوقف او وصل بنية الوقف في كتابيه وحسابيه اتفاقا فاثبت الهاء وكذلك في ماليه وسلطانيه وماهيه في القارعة عند القراء كلهم الا حمزة فانه حذف الهاء من هذه الكلم الثلاث وصلا واثبتها وقفا لانها في الوقف يحتاج اليها لتحصين حركة الموقوف عليه وفي الوصل يستغنى عنها

فان قيل فلم لم يفعل ذلك في كتابيه وحسابيه فالجواب انه جمع بين اللغتين هذا في القراءات السبع وقرا ابن محيصن بحذفها في الكلم كلها وصلا ووقفا الا في القارعة فانه لم يتحقق عنه فيها نقل وقرا الاعمش وابن ابي اسحق بحذفها فيهن وصلا واثباتها وقفا وابن محيصن بسكن الياء في الكلم المذكورة بغير هاء وقال انها قراءة صحيحة اعني ثبوت هاء السكت وصلا لثبوتها في خط المصحف الكريم ولا يلتفت الى قول الزهراوي ان اثباتها في الوصل لحن لا اعلم احدا يجيزه وقد تقدم الكلام على هاء السكت في البقرة والانعام

قوله اني ظننت قال ابن عباس اي ايقنت وعلمت وقيل ظننت اني ان يؤاخذني الله بسيئاتي عذبني فقد تفضل علي بعفوه ولم يؤاخذني بها قال الضحاك كل ظن من المؤمن في القرآن فهو يقين ومن الكافر فهو شك وقال مجاهد ظن الآخرة يقين وظن الدنيا شك وقال الحسن في هذه الاية ان المؤمن احسن الظن بربه فاحسن العمل وان المنافق اساء بربه الظن فاساء العمل وقوله اني ملاق حسابيه اي في الآخرة ولم انكر البعث يعني انه ما نجا الا بخوفه من يوم الحساب لانه تيقن ان الله يحاسبه فعمل للآخرة

قوله راضية فيها ثلاثة اوجه احدها انه على المجاز جعلت العيشة راضية لمحلها وحصولها في مستحقها او انها لا حال لها من حالها فالمعنى في عيش يرضاه لا مكروه فيه الثاني انه على النسب اي ذات رضى نحو لابن وتامر لصاحب اللبن والتمر والمعنى ذات رضى اي يرضى بها صاحبها الثالث قال ابو عبيدة والفراء انه مما جاء فيه فاعل بمعنى مفعول نحو ماء دافق اي مدفوق كما جاء مفعول بمعنى فاعل كقوله حجابا مستورا اي ساترا

فصل قال عليه السلام انهم يعيشون فلا يموتون ابدا ويصحون فلا يمرضون ابدا وينعمون فلا يرون بأسا ابدا ويشبون فلا يهرمون ابدا

قوله في جنة عالية اي عظيمة في النفوس قطوفها دانية القطوف جمع قطف وهو فعل بمعنى مفعول كالرعي والذبح وهو ما يجتنيه الجاني من الثمار ودانية اي قريبة التناول يتناولها القائم والقاعد والمضطجع والقطف بكسر القاف وهو ما يقطف من الثمار والقطف بالفتح المصدر والقطاف بالفتح والكسر وقت القطف كلوا اي يقال لهم كلوا واشربوا وهذا امر امتنان لا امر تكليف وقوله هنيئا قد تقدم في اول النساء وجوز الزمخشري هنا ان ينتصب نعتا لمصدر محذوف اي اكلا هنيئا وشربا هنيئا وان ينتصب على المصدر بعامل من لفظه مقدر اي هنئتم بذلك هنيئا والباء في بما اسلفتم سببية وما مصدرية او اسمية ومعنى هنيئا لا تكدير فيه ولا تنغيص بما اسلفتم قدمتم من الاعمال الصالحة في الايام الخالية اي في الدنيا قالت المعتزلة وهذا يدل على ان العمل يوجب الثواب وان الفعل للعبد وقال كلوا بعد قوله فهو في عيشة راضية لقوله فاما من اوتي كتابه ومن يتضمن معنى الجمع

فصل ذكر الضحاك ان هذه الاية نزلت في ابي سلمة عبد الله بن عبد الاسد المخزومي وقاله مقاتل والاية التي تليها في اخيه الاسود بن عبد الاسد في قول ابن عباس والضحاك قال الثعلبي ويكون هذا الرجل واخوه سبب نزول هذه الايات ويعم المعنى جميع اهل الشقاوة والسعادة بدليل قوله تعالى كلوا واشربوا وقيل المراد بذلك كل من كان متبوعا في الخير والشر يدعو اليه ويأمر به

قوله واما من اوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه لما نظر في كتابه وتذكر قبائح افعاله خجل منها ويقول يا ليتني لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه ثم تمنى الموت ويقول يا ليتها كانت القاضية فالضمير في ليتها قيل يعود الى الموتة الاولى وان لم تكن مذكورة الا انها لظهورها كانت كالمذكورة والقاضية القاطعة من الحيوة قال تعالى فاذا قضيت الصلاة ويقال قضى على فلان اذا مات والمعنى يا ليت الموتة التي كانت القاطعة لامري ولم ابعث بعدها ولم الق ما وصلت اليه قال

قتادة يتمنى الموت ولم يكن عنده في الدنيا عنده شيء اكره من الموت وشر من الموت ما يطلب منه الموت
قال الشاعر. وشر من الموت الذي ان لقيته. تمنيت منه الموت والموت اعظم. وقيل يعود الى
الحالة التي شاهدها عند مطالعة الكتاب والمعنى ياليت هذه الحالة كانت الموتة التي قضت علي

قوله ما اغنى عني يجوز ان يكون نفيا وان يكون استفهام توبيخ لنفسه اي اي شيء اغنى عني
ما كان لي من اليسار هلكت عني سلطانيه قال ابن عباس هلكت عني حجتي والسلطان الحجة التي كنت
احتج بها وهو قول مجاهد وعكرمة والسدي والضحاك وقال مقاتل ضلت عني حجتي حين شهدت عليه
الجوارح وقال ابن زيد يعني ملكي وتسلطي على الناس وبقيت ذليلا فقيرا وكان مطاعا في اصحابه

قوله خذوه فغلوه كقوله كلوا في اضمار القول يقال ذلك لخزنة جهنم والغل جمع اليدين الى
العنق اي شدوه بالاغلال ثم الجحيم صلوه اي اجعلوه يصلى الجحيم وهي النار العظمى لانه كان يتعاظم
في الدنيا وتقديم المفعول يفيد الاختصاص عند بعضهم ولذلك قال الزمخشري ثم لا تصلوه الا الجحيم
قال ابو حيان وليس ما قاله مذهبا لسيبويه ولا الحذاق النحاة وقد تقدمت هذه المسئلة متقنة
وان كلام النحاة لا يأبى ما قاله

قوله ذرعها سبعون في محل جر صفة لسلسلة وفي سلسلة
متعلق باسلكوه والفاء لا تمنع من ذلك والذراع مونث ولذلك تجمع على افعل وسقطت التاء من
عدده قال. ادرعها وهي فرع اجمع. وهي ثلاث اذرع واصبع. وذكر السبعين دون غيرها
من العدد وقيل المراد به التكثير كقوله ان تستغفر لهم سبعين مرة وقيل المراد حقيقة العدد قال
ابن عباس سبعون ذراعا بذراع الملك وقال ابن نوف البكالي سبعون ذراعا كل ذراع سبعون
باعا كل باع كما بينك وبين مكة وكان في رحبة الكوفة وقال الحسن الله اعلم اي ذراع وزعم بعضهم ان
في قوله في سلسلة فاسلكوه قلبا قال لانه نقل في التفسير ان السلسلة تدخل من فيه وتخرج من
دبره فهي المسلوكة فيه لا هو المسلوك فيها والظاهر انه لا يحتاج الى ذلك لانه روي انها لطولها تجعل
في عنقه وتلتوي عليه حتى تحيط به من جميع جهاته فهو المسلوك فيها لاحاطتها به وقال الزمخشري
والمعنى في تقديم السلسلة على السلك مثله في تقديم الجحيم على التصلية اي لا تسلكوه الا في هذه
السلسلة وثم للدلالة على التفاوت لما بين الغل والتصلية بالجحيم وما بينها وبين السلك في
السلسلة لا على تراخي المدة ونازعه ابو حيان في فائدة التقديم الاختصاص كما ذكره وجوابه
ما تقدم ونازعه ايضا في ان ثم للدلالة على تراخي الرتبة وقال بل للتراخي الزماني بان يصلى
بعد ان يسلك ويسلك بعد ان يوخذ ويغل فمهلة بين هذه الاشيا انتهى وفيه نظر من حيث ان
التوعد بتوالي العذاب اكد واقطع من التوعد بتفريقه

قوله انه كان لا يومن بالله العظيم
ولا يحض على طعام المسكين الحض الحث على الفعل والحرص على وقوعه ومنه حروف التحضيض المبوب
لها في النحو لانه يطلب بها وقوع الفعل وايجاده فبين تعالى انه عذب على ترك الاطعام وعلى الامر
بالبخل كما عذب بسبب الكفر قال ابن الخطيب وفي الاية دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع كان
ابو الدرداء يحض امراته على الاطعام ويقول خلعنا نصف السلسلة بالايمان افلا نخلع نصفها
الباقي بالاطعام وقيل المراد قول الكفار انطعم من لو يشاء الله اطعمه واصل طعام ان يكون منصوبا
بالمصدر المقدر والطعام عبارة عن العين واضيف للمسكين للملابسة التي بينهما ومن اعمل الطعام
كما يعمل الاطعام فموضع المسكين نصب والتقدير على طعام المطعم المسكين فحذف الفاعل واضيف
المصدر الى المفعول

قوله فليس له اليوم ههنا حميم في خبر ليس وجهان احدهما له والثاني ههنا
وايهما كان خبرا تعلق به الاخر او كان حالا من حميم ولا يجوز ان يكون اليوم خبرا البتة لانه زمان والخبر
جثة ومنع المهدوي ان يكون ههنا خبرا ولم يذكر المانع وقد ذكره القرطبي فقال لانه يصير المعنى
ليس ههنا طعام الا من غسلين ولا يصح ذلك لان ثم طعاما غيره انتهى وفي هذا نظر لانا لا نسلم اولا
ان ثم طعاما غيره فان اوردت قوله ليس لهم طعام الا من ضريع فهذا الطعام اخر غير الغسلين فالجواب
ان بعضهم ذهب الى ان الغسلين هو الضريع بعينه فسماه في اية غسلينا وفي اخرى ضريعا ولئن سلمنا
انهما طعامان فالحصر باعتبار الاكلين يعني ان هذا الاكل الخاص طعامه في الغسلين فلا ينافي ان يكون
في النار طعام اخر واذا قلنا ان له الخبر وان اليوم وههنا متعلقان بما تعلق هو به فلا اشكال
ولذلك اذا جعلنا ههنا هو الخبر وعلقنا به الجار والظرف ولا يضر كون العامل معنويا للاتساع في الظرف
وحروف الجر وقوله الا من غسلين صفة لطعام دخل الحصر على الصفة كقولك ليس عندي رجل الا من بني
تميم والمراد بالحميم الصديق فعلى هذا الصفة مختصة بالطعام اي ليس له صديق ينفعه ولا طعام
الا من كذا وقيل التقدير ليس له حميم الا من غسلين ولا طعام قاله ابو البقاء فجعل من غسلين صفة
للحميم كانه اراد به الشيء الذي يحم به البدن من صديد النار ثم قال وقيل من الطعام والشراب لان
الحميم يطعم بدليل قوله ومن لم يطعمه فعلى هذا يكون الا من غسلين صفة لحميم ولطعام والمراد بالحميم
ما يشرب والظاهر ان خبر ليس هو قوله من غسلين اذا اريد بالحميم ما يشرب اي ليس له شراب ولا طعام
الا غسلين اما اذا اريد بالحميم الصديق فلا يتاتى ذلك وعلى هذا الذي ذكرنا فيه سوال وهو ان يقال
باي شيء تتعلق الجار والظرفان والجواب انها تتعلق بما تعلق به الجار لجعله او ههنا حال من حميم
ويتعلق اليوم بما تعلق به الحال ولا يجوز ان يكون اليوم حالا من حميم وله وههنا متعلقان بما تعلق
به الحال لانه ظرف زمان وصاحب الحال جثة وهذا موضع حسن مفيد والغسلين فعلين من الغسالة
فنونه وياوه زائدتان قال اهل اللغة هو ما يجري من الجراح اذا غسلت قال المفسرون هو صديد
اهل النار وقيل شجر ياكلونه وعن ابن عباس لا ادري ما الغسلين وسمي طعاما لقيامه مقامه فسمي
طعاما كقوله تحية بينهم ضرب وجيع.

قوله لا ياكله الا الخاطئون صفة لغسلين والعامة
يهمزون الخاطئون وهو اسم فاعل من خطئ يخطأ اذا فعل غير الصواب متعمدا والمخطئ من يفعله غير
متعمد وقرا الزهري والعتكي وطلحة والحسن الخاطيون بياء مضمومة بدل الهمزة وقد تقدم مثله في
يستهزئون اول الكتاب وقرا نافع في رواية وشيبة بطا مضمومة دون همز وفيها وجهان
احدهما انه كقراءة الجماعة الا انه خفف بالحذف والثاني انه اسم فاعل من خطا يخطو اذا اتبع خطوات
غيره فيكون من قوله لا تتبعوا خطوات الشيطان قاله الزمخشري وقد تقدم اول الكتاب ان نافعا يقرا
الصابيون بدون همز وكلام الناس فيه وعن ابن عباس ما الخاطون كلنا نخطو وروى عنه ابو الاسود
الدؤلي ما الخاطون انما هو الخاطئون وما الصابون انما هو الصابئون ويجوز ان يراد به الذين يتخطون
الحق الى الباطل ويتعدون حدود الله

قوله فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون قد تقدم
مثله في اخر الواقعة الا انه قيل ههنا ان لا نافية لفعل القسم وكانه قيل لا احتاج ان اقسم على هذا
لانه حق ظاهر مستغن عن القسم ولو قيل به في الواقعة لكان حسنا واعلم انه تعالى لما اقام الدلالة على
امكان القيمة ثم على وقوعها ثم ذكر احوال السعداء واحوال الاشقياء ختم الكلام بتعظيم القران فقال فلا
اقسم بما تبصرون قيل المراد اقسم ولا صلة والمعنى اقسم بالاشيا كلها ما ترون منها وما لا ترون فعم
جميع الاشيا على الشمول لانها لا تخرج عن قسمين مبصر وغير مبصر فقيل الخالق والخلق والدنيا والاخرة
والاجسام والارواح والانس والجن والنعم الظاهرة والباطنة وان لم تكن لا زائدة فالتقدير لا اقسم
على ان هذا القران قول رسول كريم لانه يستغني عن القسم لوضوحه قال مقاتل سبب نزول هذه الاية
ان الوليد بن المغيرة قال ان محمدا ساحر وقال ابو جهل شاعر وقال عقبة كاهن فقال الله تعالى فلا
اقسم اي اقسم وان قيل لا نافية للقسم فجوابه جواب القسم انه يعني القران لقول رسول كريم يعني جبريل قاله
الحسن والكلبي ومقاتل لقوله رسول كريم ذي قوة وقال الكلبي ايضا والقتبي الرسول ههنا محمد صلى الله
عليه وسلم لقوله وما هو بقول شاعر وليس القران من قول الرسول صلى الله عليه وسلم انما هو من قول الله

فإن قيل عزوجل ونسب القول الي الرسول لانه تاليه ومبلغه والعامل به كقولنا هذا قول مالك
كيف يكون كلام الله تعالى ولجبريل ولمحمد عليهما السلام فالجواب ان الاضافة يكفي فيها ادنى ملابسة
فالله سبحانه اظهره في اللوح المحفوظ وجبريل بلغه لمحمد عليهما السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم بلغه للامة
قوله انه لقول هو جواب القسم وقوله وما هو بقول معطوف على الجواب فهو جواب اقسم على شيئين
احدهما مثبت والآخر منفي وهو من البلاغة الرابعة قوله قليلا ما تومنون قليلا ما تذكرون
انتصب قليلا في الموضعين نعتا لمصدر او زمان محذوف اي ايمانا قليلا او زمانا قليلا والتي
يؤمنون وتذكرون وما مزيدة للتوكيد وقال ابن عطية ونصب قليلا بفعل مضمر يدل عليه تومنون
وما يحتمل ان تكون نافية فينتفي ايمانهم البتة ويحتمل ان تكون مصدرية وتتصف بالقلة فهو الايمان
اللغوي لانهم صدقوا باشياء يسيرة لا تغني عنهم شيئا اذ كانوا يصدقون ان الخير والصلة والعفاف
الذي يامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم هو حق وصواب قال ابو حيان اما قوله قليلا نصب بفعل
الي اخره فلا يصح لان ذلك الفعل الدال عليه تومنون اما ان يكون ما نافية كما ذهب اليه او مصدرية
فان كانت نافية فذلك الفعل المضمر الدال عليه تومنون المنفي بما يكون منفيا فيكون التقدير
ما تومنون قليلا ما تومنون والفعل المنفي بما لا يجوز حذفه ولا حذف ما لا يجوز زيدا ما اضربه
على تقدير ما اضرب زيدا ما اضربه وان كانت مصدرية كانت اما في موضع رفع بقليلا على الفاعلية
اي قليلا ايمانكم ويبقى قليلا لا يتقدمه ما يعتمد عليه حتى يعمل ولا ناصب له واما في موضع رفع
على الابتداء فيكون مبتدا لا خبر له لان ما قبله منصوب قال شهاب الدين لا يريد ابن عطية بدلالة
تؤمنون على الفعل المحذوف الدلالة المذكورة في باب الاشتغال حتى يكون العامل الظاهر مفسرا
للعامل المضمر بل يريد مجرد الدلالة اللفظية فليس ما اورده ابو حيان عليه من تمثيله بقوله زيدا
ما اضربه اي ما اضرب زيدا ما اضربه واما الرد الثاني فظاهر وقد تقدم لابن عطية هذا القول في
اول سورة الاعراف فليلتفت اليه وقال الزمخشري والقلة في معنى العدم اي لا يؤمنون ولا يذكرون
البتة قال ابو حيان ولا يراد بقليلا هنا النفي المحض كما زعم وذلك لا يكون الا في اقل نحو اقل رجل يقول ذلك
الا زيد وفي قل نحو قل رجل يقول ذلك الا زيد وقد يستعمل في قليل وقليلة اذا كانا مرفوعين
نحو ما جوزوا في قول الشاعر • قليل بها الاصوات الا بغامها • اما اذا كان منصوبا نحو قليلا ضربت
او قليلا ما ضربت على ان تكون ما مصدرية فان ذلك لا يجوز لانه في قليلا ضربت منصوب بضربت
ولم يستعمل العرب قليلا اذا انتصب بالفعل نفيا بل مقابلا لكثير واما في قليلا ما ضربت على ان تكون
ما مصدرية فتحتاج الى رفع قليل لان ما المصدرية في موضع رفع على الابتداء انتهى ما رد به عليه
قال شهاب الدين وهو مجرد دعوى وقرا ابن كثير وابن عامر بخلاف عن ابن ذكوان يؤمنون ويذكرون
بالغيبة حملا على قوله الخاطئون والباقون بالخطاب حملا على بما تبصرون وما لا تبصرون وقرا ابي
تتذكرون بتاءين فصل وما هو بقول شاعر لانه مباين لصنوف الشعر كلها ولا بقول كاهن
لانه ورد بسب الشياطين وشتمهم فلا ينزلون شيئا على من يشتمهم وقوله قليلا ما تؤمنون المراد بالقليل
من ايمانهم هو انهم اذا سئلوا من خلقهم قالوا الله وقيل انهم قد يومنون في قلوبهم الا انهم يرجعون عنه سريعا
ولا يتمون الاستدلال الا تري الى قوله تعالى انه فكر وقدر الا انه في اخر الامر قال ان هذا الا سحر يؤثر
وقال مقاتل يعني بالقليل انهم لا يصدقون بان القران من الله تعالى والمعنى لا يومنون اصلا والعرب يقولون
قل ما ياتينا يريدون لا تاتينا قوله تنزيل من رب العالمين هذه قراءة العامة اعني الرفع على
اضمار مبتدا اي هو تنزيل وتقدم مثله وابو السماك تنزيلا بالنصب على اضمار فعل اي نزل تنزيلا قال
القرطبي وهو عطف على قوله انه لقول رسول كريم اي انه لقول رسول كريم وهو تنزيل من رب العالمين
قوله ولو تقول هذه قراءة العامة تفعل من القول مبنيا للفاعل قال الزمخشري التقول افتعال

القول

القول لان فيه تكلفا من المفتعل وقرا بعضهم تقول مبنيا للمفعول فان كان هذا القاري رفع بعض
الاقاويل فذاك والا فالقائم مقام الفاعل الجار وهذا عند من يرى قيام غير المفعول به مع وجوده
وقرا ذكوان وابنه محمد يقول مضارع قال والاقاويل جمع اقوال واقوال جمع قول فهو نظير اناييب
جمع انياب جمع ناب وقال الزمخشري وسمي الاقوال المتقولة اقاويل تصغيرا لها وتحقيرا كقولك الاعاجيب
والاضاحيك كانها جمع افعولة من القول والمعنى لو نسب الينا قولا لم نقله لاخذنا منه باليمين
اي لاخذناه بالقوة والباء يجوز ان تكون على اصلها غير مزيدة والمعنى لاخذناه بقوة منا فالباء حالية
والحال من الفاعل ويكون من في حكم الزائدة واليمين هنا مجاز عن القوة والغلبة لان قوة كل شيء في ميامنه
قاله القتيبي وهو معنى قول ابن عباس ومجاهد ومنه قول الشماخ • اذا ما راية رفعت لمجد
تلقاها عرابة باليمين • قال ابو جعفر الطبري هذا الكلام خرج مخرج الاذلال على عادة الناس في الاخذ
بيد من يعاقب ويجوز ان يكون الباء مزيدة والمعنى لاخذنا منه يمينه والمراد باليمين الجارحة كما يفعل
بالمقتول صبرا يوخذ بيمينه ويضرب بالسيف في جيده مواجهة وهو اشد عليه قال الحسن لقطعنا يده
اليمين وقال نفطويه المعنى لقبضنا بيمينه عن التصرف وقال السدي ومقاتل المعنى لانتقمنا منه بالحق
واليمين على هذا بمعنى الحق كقوله تعالى انكم كنتم تاتوننا عن اليمين اي من قبل الحق قوله ثم لقطعنا
منه الوتين وهو العرق المتصل من القلب بالراس الذي اذا قطع مات الحيوان قال ابو زيد وجمعه
الوتن وثلاثة اوتنة والموتون الذي قطع وتينه وقال الكلبي هو عرق بين العلباء والحلقوم وهما علباوان
بينهما العرق والعلباء عصب العنق وقيل عرق غليظ تصادفه شفرة الناحر قال الشماخ
اذا بلغتني وحملت رحلي عرابة فاشرقي بدم الوتين • وقال مجاهد هو حبل القلب الذي في الظهر
وهو النخاع فاذا انقطع بطلت القوى ومات صاحبه وقال محمد بن كعب انه القلب ومراقه وما يليه
وقال عكرمة ان الوتين اذا قطع لا ان جاع عرف ولا ان شبع عرف قال ابن قتيبة ولم يرد انا نقطعه بعينه
بل المراد انه لو كذب لاميتناه فكان كمن قطع وتينه ونظيره قوله صلى الله عليه وسلم ما زالت اكلة
خيبر تعاودني فهذا اوان انقطاع ابهري والابهر عرق متصل بالقلب فاذا انقطع مات صاحبه
فكانه قال هذا اوان تقتلني السم وحينئذ صرت كمن انقطع ابهره قوله فما منكم من احد عنه
حاجزين في حاجزين وجهان احدهما انه نعت لاحد على اللفظ وانما جمع على المعنى لان احدا يعم في سياق
النفي كسائر النكرات الواقعة في سياق النفي قاله الزمخشري والحوفي وعلى هذا فيكون منكم خبرا للمبتدا او المبتدا
من احد زيدت فيه من لوجود شرطيها وضعفه ابو حيان بان النفي يتسلط على كينونته منكم والمعنى
انما هو على نفي الحجز عما يراد به والثاني ان يكون خبرا لما الحجازية ومن احد اسمها وانما جمع الخبر لما تقدم
ومنكم على هذا حال لانه في الاصل صفة لاحد او يتعلق بحاجزين ولا يضر ذلك لكون معمول الخبر جارا ولو
كان مفعولا صريحا لامتنع لا يجوز ما طعامك زيدا كلا او يتعلق بمحذوف على سبيل البيان وعنه يتعلق
بحاجزين على القولين والضمير للمقتول او للقتل المدلول عليه بقوله لاخذنا لقطعنا قال القرطبي المعنى
فما منكم قوم يحجزون عنه كقوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله هذا جمع لان بين لا تقع الا على اثنين فما زاد قال
عليه السلام لم تحل الغنائم لاحد سود الرؤوس قبلكم لفظه واحد ومعناه الجمع ومن زائدة والحجز المنع
وحاجزين يجوز ان تكون صفة لاحد على المعنى كما تقدم فيكون في موضع جر والخبر منكم ويجوز ان يكون
منصوبا على انه خبر ومنكم ملغى ويكون متعلقا بحاجزين ولا يمنع الفصل به من انتصاب الخبر في هذا
كما لم يمتنع الفصل به في ان فيك زيدا راغب قوله وانه يعني القران لتذكرة للمتقين اي الخائفين
الذين يخشون الله ونظيره فيه هدى للمتقين وقيل المراد محمد صلى الله عليه وسلم اي هو تذكرة ورحمة
ونجاة وانا لنعلم ان منكم مكذبين قال الربيع بالقران وانه لحسرة يعني القران على الكافرين اما يوم القيامة
اذا راوا ثواب المصدقين به او في الدنيا اذا راوا دولة المؤمنين به او حين لم يقدروا على معارضته عند

تخذيهم اذا باتوا يسوف مثله والحسرة الندامة وقيل انه لحسرة يعني التكذيب به لدلالة مكذبين على المصدر
دلالة السفيه عليه في قوله • اذا نهي السفيه جرى اليه • وخالف والسفيه الى خلاف • اي الى السفه
فصل قال ابن الخطيب وللمعتزلة ان يتمسكوا بهذه الاية على ان الكفر ليس من الله لانه
وصف القران بانه تذكرة للمتقين ولم يقل وانه ضلال للمكذبين بل نسب الضلال اليهم بقوله وانا
لنعلم ان منكم مكذبين والجواب ما تقدم قوله وانه لحق اليقين يعني القران العظيم تنزيل من
الله عز وجل لهو لحق اليقين وقيل حقا يقينا حقا لا بطلان فيه ويقينا لا ريب فيه ثم اضيف احد
الوصفين الى الاخر للتاكيد قاله ابن الخطيب وقال القرطبي قال ابن عباس انما هو كقولك عين اليقين
ومحض اليقين ولو كان اليقين نعتا لم يجز ان يضاف اليه كما لا تقول هذا رجل الظريف وقيل اضافه الى
نفسه لاختلاف اللفظين وقوله فسبح باسم ربك العظيم قال ابن عباس اي فصل لربك وقيل نزه
الله عن السوء والنقايص اما شكرا على ما جعلك اهلا للاجابة اليك واما تنزيها له عن الرضا بان ينسب
اليه الكاذب من الوحي روى الثعلبي عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا
سورة الحاقة حاسبه الله عز وجل حسابا يسيرا وعن فضالة بن شريك عن ابي الزاهرية قال سمعته
يقول من قرا احدى عشرة اية من سورة الحاقة اجير من فتنة الدجال ومن قراها كان له نور من فوق
راسه الى قدمه

سورة المعارج مكية

وهي اربع واربعون اية ومايتان وست عشرة كلمة والف واحدى وستون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم • قوله تعالى
سال سايل بعذاب واقع قرا نافع وابن عامر سال سايل بغير همز والباقون بالهمز فمن همز فهو من
السوال وهي اللغة الفاشية ثم لك في سال وجهان احدهما ان يكون قد ضمن معنى دعا فلذلك تعدى
بالباء كما تقول دعوت بكذا والمعنى دعا داع بعذاب والثاني ان يكون على اصله والبا بمعنى عن كقوله
• فان تسالوني بالنساء • فاسال به خبيرا وقد تقدم تحقيقه والاول اولى لان التجوز في الفعل اولى
منه في الحروف لقوته واما القراءة بالالف فيها ثلاثة اوجه احدها انها بمعنى قراءة الهمز وانما خففت
بقلبها الفا وليس بقياس تخفيف مثلها بل قياس تخفيفها جعلها بين بين والبا على هذا الوجه كما في
الوجه الذي تقدم الثاني انها من سال يسال مثل خاف يخاف وعين الكلمة واو قال الزمخشري وهي
لغة قريش يقولون سلت تسال وهما يتسايلان قال ابو حيان وينبغي ان تتثبت في قوله انها لغة قريش
لان ما جاء في القران من باب السوال هو مهموز او اصله الهمز كقراءة من قرا وسلوا الله اذ لا يجوز ان يكون
من سال التي عينها واو اذ كان يكون ذلك وسلوا الله مثل خافوا فيبعد ان يجيء ذلك كله على لغة
غير قريش وهم الذين نزل القران بلغتهم الا يسيرا فيه لغة غيرهم ثم في كلام الزمخشري وهما يتسايلان
بالياء وهو وهم من الناسخ انما الصواب يتساولان بالواو ولانه صرح اولا انه من السوال يعني بالواو
الصريحة وقد حكى ابو زيد عن العرب هما يتساولان الثالث انها من السيلان والمعنى سال واد في جهنم
يقال له سايل وهو قول زيد بن ثابت بعذاب فالعين ياء ويؤيده قراءة ابن عباس سال سيل قال
الزمخشري والسيل مصدر في معنى السايل كالغور بمعنى الغاير والمعنى اندفع عليهم وادي عذاب انتهى
والظاهر الوجه الاول لثبوت ذلك لغة مشهورة قال •
• سالت هذيل رسول الله فاحشة • ضلت هذيل بما سالت ولم تصب • وقرا ابي وعبد الله
سال سال مثل مال وتخريجها ان الاصل سايل فحذفت عين الكلمة وهي الهمزة واللام محل الاعراب وهذا
كما قيل هذا شاك في شايك السلاح وقد تقدم الكلام على مادة السوال في اول البقرة فليلتفت اليه
والبا تتعلق بسال من السيلان تعلقها بسال الماء بزيد وجعل بعضهم الباء متعلقة بمصدر دل عليه
فعل السوال كانه قيل ما سوالهم فقيل سوالهم بعذاب كذا حكاه ابو حيان عن ابن الخطيب ولم يعترضه
وهذا عجب فان قوله اولا انه متعلق بمصدر دل عليه فعل السوال ينافي تقديره بقوله سوالهم بعذاب

لان

لان البا في هذا التركيب المقدر تتعلق بمحذوف لانها خبر المبتدا لا بالسوال وقال الزمخشري وعن
قتادة سال سايل عن عذاب الله بمن ينزل وعلى من يقع فنزلت وسال على هذا الوجه مضمن معنى
عني واهتم كانه قيل اهتم مهتم بعذاب واقع فصل قال القرطبي البا يجوز ان تكون بمعنى
عن والسوال بمعنى الدعاء اي دعا داع بالعذاب عن ابن عباس وغيره يقال دعا على فلان بالويل
ودعا عليه بالعذاب ويقال دعوت زيدا اي التمست احضاره والمعنى التمس ملتمس عذابا للكافرين
وهو واقع بهم لا محالة يوم القيامة وعلى هذا فالبا زايدة كقوله تعالى تنبت بالدهن وقوله
تعالى وهزي اليك بجذع النخلة فهي تاكيد اي سال سايل عذابا واقعا للكافرين اي على الكافرين قيل
هو النضر بن الحرث حيث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ايتنا
بعذاب اليم فنزل سواله وقتل يوم بدر صبرا هو وعقبة بن ابي معيط لم يقتل صبرا غيرهما قاله
ابن عباس ومجاهد وقيل ان السايل هنا هو الحرث بن النعمان الفهري وذلك انه لما بلغه قول النبي
صلى الله عليه وسلم في علي رضي الله عنه من كنت مولاه فعلي مولاه ركب ناقته فجاء حتى اناخ راحلته بالا بطح
ثم قال يا محمد امرتنا عن الله ان نشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله فقبلناه منك وان نصلي
خمسا ونزكي اموالنا فقبلناه منك وان نصوم شهر رمضان في كل عام فقبلناه منك وان نحج فقبلناه
منك ثم لم ترض بهذا حتى فضلت ابن عمك علينا افهذا شي منك ام من الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم
والذي لا اله الا هو ما هو الا من الله فولى الحارث وهو يقول اللهم ان كان ما يقول محمد حقا فامطر
علينا حجارة من السماء او ايتنا بعذاب اليم فوالله ما وصل الى ناقته حتى رماه الله بحجر فوقع على
دماغه فخرج من دبره فقتله فنزلت سال سايل بعذاب واقع وقال الربيع السايل هنا
ابو جهل وهو القايل ذلك وقيل انه قول جماعة من كفار قريش وقيل هو نوح عليه السلام سال
العذاب على الكافرين وقيل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم انه دعا عليهم بالعقاب وطلب
ان يوقعه بالكفار وهو واقع بهم لا محالة وامتد الكلام الى قوله تعالى فاصبر صبرا جميلا اي
لا تستعجل فانه قريب وهذا يدل على ان ذلك السايل هو الذي امره الله بالصبر الجميل وقال
قتادة البا بمعنى عن فكان سايلا سال عن العذاب بمن وقع او متى يقع قال تعالى فاسال به
خبيرا اي سل عنه وقال علقمة فان تسالوني بالنساء • اي عن النساء فالمعنى سالوا بمن وقع العذاب
ولمن يكون فقال الله تعالى للكافرين قال ابو علي وغيره واذا كان من السوال فاصله ان يتعدى
الى مفعولين ويجوز الاقتصار على احدهما واذا اقتصر على احدهما جاز ان يتعدى اليه بحرف جر
سال سايل النبي صلى الله عليه وسلم او المسلمين بعذاب او عن عذاب قوله للكافرين فيه اوجه
احدها ان يتعلق بسال مضمنا معنى دعا كما تقدم اي دعا لهم بعذاب واقع الثاني ان يتعلق
بواقع واللام للعلة اي نازل لاجلهم الثالث ان يتعلق بمحذوف صفة ثانية لعذاب اي كاين
للكافرين الرابع ان يكون جوابا للسايل فيكون خبر مبتدا مضمر اي هو للكافرين الخامس ان يكون
اللام بمعنى على اي واقع على الكافرين ويؤيده قراءة ابي على الكافرين وعلى هذا فهي متعلقة بواقع
لا على الوجه الذي تقدم قبله وقال الزمخشري فان قلت بم يتصل قوله للكافرين قلت هو على
القول الاول متصل بعذاب صفة له اي بعذاب واقع كاين للكافرين او بالفعل اي دعا للكافرين
بعذاب واقع او بواقع اي بعذاب نازل لاجلهم وعلى الثاني هو كلام مبتدا جوابا للسايل اي هو للكافرين
انتهى قال ابو حيان وقال الزمخشري او بالفعل اي دعا للكافرين ثم قال وعلى الثاني وهو ثاني
ما ذكر في توجيهه للكافرين قال هو كلام مبتدا جوابا للسايل اي هو للكافرين وكان قد قرر ان
سال ضمن معنى دعا فعدي تعديته كانه قال دعا داع بعذاب من قولك دعا بكذا اذا استدعاه
وطلبه ومنه قوله تعالى يدعون فيها بكل فاكهة انتهى فعلى ما قرره انه متعلق بدعا بمعنى بسال فكيف

يكون كلاما مبتدا جوابا للسايل اي هو للكافرين هذا الابيض قال شهاب الدين وقد غلط ابو حيان في نقله
عن ابي القسم قوله وعلى الثاني الى اخره ثم جا التخبيط الذي ذكره والزمخشري انما عني بالثاني قوله وعن
قتادة سال سايل عن عذاب الله على من ينزل وبمن يقع فنزلت وسال على هذا الوجه مضمن معنى عني
واهتم فهذا هو الوجه الثاني المقابل للوجه الاول وهو ان سال مضمن معنى دعا ولا ادري كيف تخبط
على الشيخ حتى وقع فيما وقع ونسب الزمخشري الى الغلط وانه اخذ قول قتادة والحسن وافسده والترتيب
الذي ذكره الزمخشري في تعلق اللام من احسن ما يكون صناعة ومعنى قال القرطبي وقال الحسن انزل
الله تعالى سال سايل بعذاب واقع وقال لمن هو فقال للكافرين واللام في للكافرين متعلقة بواقع
وقال الفرا التقدير بعذاب للكافرين واقع من نعت العذاب فاللام دخلت للعذاب لا للواقع اي
هذا العذاب للكافرين في الاخرة لا يدفعه عنهم احد وقيل ان اللام بمعنى على اي واقع على الكافرين كما في
قراءة ابي المتقدمة وقيل بمعنى عن اي ليس له دافع عن الكافرين **قوله** ليس له دافع يجوز ان يكون
نعتا اخر لعذاب وان يكون مستانفا والاول اظهر وان يكون حالا من عذاب لتخصصه اما بالعمل واما
بالصفة وان يكون حالا من الضمير في للكافرين ان جعلناه نعتا لعذاب **قوله** من الله يجوز ان
يتعلق بدافع بمعنى ليس له دافع من جهته اذا جاء وقته وان يتعلق بواقع وبه بدا الزمخشري اي واقع من
عنده وقال ابو البقا ولم يمنع النفي من ذلك لان ليس فعل كانه استشعر ان ما قبل النفي لا يعمل فيما بعده
فاجاب بان النفي لما كان فعلا ساغ ذلك قال ابو حيان والاجود ان يكون من الله متعلقا بواقع وليس
له دافع جملة اعتراض بين العامل ومعموله انتهى فهذا انما ياتي على البدل بان الجملة مستانفة لا صفة
لعذاب فهو غير الظاهر كما تقدم لاخذ الكلام بعضه بحجز بعض **قوله** ذي صفة لله ومعنى ذي
المعارج اي ذي العلو والدرجات الفواضل والنعم لانها تصل الى الناس على مراتب مختلفة قاله
ابن عباس وقتادة فالمعارج مراتب انعامه على الخلق وقيل ذي العظمة والعلا وقال مجاهد
هي معارج السماء وقيل هي السموات قال ابن عباس اي ذي السموات سماها معارج الملايكة لان الملايكة
تعرج الى السما فوصف نفسه بذلك وقيل المعارج الغرف اي انه ذو الغرف اي جعل لاوليايه في الجنة
غرفا وقرا عبد الله ذي المعاريج بالياء يقال معرج ومعراج ومعارج ومعاريج مثل مفتاح ومفاتيح
والمعارج الدرجات ومنه ومعارج عليها يظهرون وتقدم الكلام على المعارج في الزخرف **قوله**
تعرج العامة بالتاء من فوق وقرا ابن مسعود واصحابه والسلمي والكسائي بالياء من تحت وما اكثر ابي قتادة
الملايكة ونادته وتوفاه وتوفته وادغم ابو عمرو الجيم في التاء واستضعفها بعضهم من حيث ان مخرج الجيم
بعيد من مخرج التاء واجيب عن ذلك بانها قريبة من الشين لان النفس الذي في الشين تقرب بها من مخرج التاء
والجيم تدغم في الشين لما بينهما من التقارب في المخرج والصفة كما تقدم في اخرج شطاه فحمل الادغام في التاء
على الادغام في الشين لما بين الشين والتاء من التقارب واجيب ايضا بان الادغام يكون لمجرد الصفات
وان لم يتقاربا في المخرج والجيم تشارك التاء في الاستفال والانفتاح والشدة والجملة من تعرج مستانفة
قوله والروح من باب عطف الخاص على العام ان اريد بالروح جبريل او ملك اخر من جنسهم واخر
هنا وقدم في قوله يوم يقوم الروح والملايكة صفا لان المقام هنا يقتضي تقدم الجمع على الواحد من حيث
انه مقام تخويف وتهويل **فصل** تعرج الملايكة والروح اليه اي تصعد في المعارج التي
جعلها الله لهم قال ابن عباس الروح جبريل عليه السلام لقوله تعالى نزل به الروح الامين وقيل هو ملك
اخر عظيم الخلقة وقال ابو صالح انه خلق من خلق الله كهيئة الناس وليس بالناس وقال قبيصة بن ذويب انه
روح الميت حين يقبض **قوله** اليه اي الى المكان الذي هو محلهم وهو في السماء لانها محل بره وكرامته
وقيل هو كقول ابرهيم اني ذاهب الى ربي اي الى الموضع الذي امرني به وقيل اليه الى عرشه قال شهاب الدين
الضمير في اليه الظاهر عوده الى الله تعالى وقيل يعود على المكان لدلالة الحال والسياق عليه **قوله**

في

في يوم فيه وجهان اظهرهما تعلقه بتعرج والثاني انه يتعلق بدافع وعلى هذا فالجملة من قوله تعرج الملايكة
معترضة وكان مقداره خمسين الف سنة ليوم قال ابن الخطيب الاكثرون على ان قوله في يوم صلة قوله تعرج اي
يحصل العروج في مثل هذا اليوم وقال مقاتل بل هذا من صلة قوله بعذاب واقع وعلى هذا القول
يكون في الاية تقديم وتاخير والتقدير سال سايل بعذاب واقع في يوم كان مقداره خمسين الف سنة
وعلى التقدير الاول فذلك اليوم اما ان يكون في الاخرة او في الدنيا وعلى تقدير ان يكون في الاخرة
فذلك الطول اما ان يكون واقعا واما ان يكون مقدرا فان كان معنى الاية ان ذلك العروج يقع في
يوم من ايام الاخرة طوله خمسون الف سنة وهو يوم القيامة وهذا قول الحسن قال وليس يعني ان مقدار
طوله هذا فقط اذ لو كان كذلك لحصلت له غاية ولفنيت الجنة والنار عند تلك الغاية وهذا غير
جايز بل المراد ان موقفهم للحساب حين يفصل بين الناس خمسون الف سنة من سني الدنيا ثم بعد ذلك
يستقر اهل النار في النار نعوذ بالله منها **فصل** قال القرطبي واستدل النحاس على صحة هذا
القول بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من رجل لم يود زكاة ماله الا جعل شجاعا من نار
يكوى به جبهته وظهره وجنباه في يوم القيامة في يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى يقضي الله بين الناس
وهذا يدل على انه يوم القيامة وقال ابرهيم التيمي ما قدر ذلك اليوم على المؤمن الا قدر ما بين الظهر والعصر
وروي هذا المعنى مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يحاسبكم الله تعالى بمقدار ما بين الصلاتين
ولذلك سمى نفسه سريع الحساب واسرع الحاسبين وانما خاطبهم على قدر فهم الخلايق والا فلا [illegible] شان
عن شان وكما يرزقهم في ساعة كذا يحاسبهم في لحظة كما قال تعالى ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة والمعنى
لو ولي محاسبة العباد في ذلك اليوم غير الله لم يفرغ منه في خمسين الف سنة قال البغوي وهذا معنى قول
عطا عن ابن عباس ومقاتل قال عطا ويفرغ الله منه في مقدار نصف يوم من ايام الدنيا والله اعلم
ان هذا الطول انما يكون في حق الكافر اما في حق المؤمن فلا لما روى ابو سعيد الخدري انه قال قيل لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ما اطول هذا اليوم فقال والذي نفسي بيده انه ليخف على المؤمن حتى انه يكون عليه اخف
من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا وقال بعضهم ان ذلك الموقف وان طال فيكون سببا لمزيد السرور
والراحة لاهل الجنة ويكون سببا لمزيد الحزن والغم لاهل النار واجيب بان الاخرة دار جزا فلا بد وان
يحصل للمثابين ثوابهم ودار الثواب هي الجنة لا الموقف فاذن لا بد من تخصيص طول الموقف بالكفار وقيل
هذه المدة على سبيل التقدير لا على التحقيق اي تعرج الملايكة في ساعة قليلة لو اراد اهل الدنيا العروج
اليها كان مقدار مدتهم خمسين الف سنة وعن مجاهد والحكم وعكرمة هو مدة عمر الدنيا من اول ما خلقت
الى اخرها بقي خمسون الف سنة وهو قول ابي مسلم **فان قيل** كيف الجمع بين هذه وبين
قوله في سورة السجدة في يوم كان مقداره الف سنة وقد قال ابن عباس هي ايام سماها الله تعالى
هو اعلم بها وانا اكره ان اقول فيها ما لا اعلم فالجواب يحتمل ان من اسفل العالم الى اعلى العرش خمسين
الف سنة ومن اعلى سما الدنيا الى الارض الف سنة لان عرض كل سماء خمسماية وما بين اسفل السما الى
قرار الارض خمسماية فقوله في يوم من ايام الدنيا وهو مقدار الف سنة لو صعد وانه الى السما الدنيا
ومقدار خمسين الف سنة لو صعد والى اعلى العرش **قوله** فاصبر صبرا جميلا قال ابن الخطيب هذا
متعلق بسال سايل لان استعجالهم بالعذاب كان على وجه الاستهزا برسول الله صلى الله عليه وسلم والتعنت
بامر بالصبر ومن قرا سال سايل او سيل فالمعنى جا العذاب لقرب وقوعه فاصبر على اذى قومك والصبر
الجميل هو الذي لا جزع فيه ولا شكوى لغير الله وقيل ان يكون صاحب المصيبة في القوم لا يدرى من هو
قال ابن زيد والكلبي هذه الاية منسوخة بالامر بالقتال **قوله** انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا
الضمير في انهم لاهل مكة وفي يرونه ونراه لليوم ان اريد به يوم القيامة قال القرطبي اي نعلمه لان
الرؤية انما تتعلق بالموجود لقوله الشافعي يرى في هذه المسالة كذا وقال الاعمش يرون البعث

ببعيد الا انهم لا يومنون به كانهم يستبعدونه على جهة الاحالة كما تقول لمن يناظر هذا بعيد لا يكون وقيل الضمير يعود الى العذاب بالنار اي غير كاين ونراه قريبا لان ما هو آت فهو قريب **قوله** يوم تكون فيه اوجه احدها انه متعلق بقريبا وهذا اذا كان الضمير في نراه للعذاب ظاهرا الثاني ان يتعلق بمحذوف يدل عليه واقع اي يقع يوم يكون الثالث يتعلق بمحذوف مقدر بعده اي يوم يكون كان كيت وكيت الرابع انه بدل من الضمير في نراه اذا كان عايدا على يوم القيامة الخامس انه بدل من في يوم فيمن علقه بواقع قاله الزمخشري وانما قال فيمن علقه بواقع لانه اذا علق بتعرج كما تقدم في احد الوجهين استحال ان يبدل عنه هذا لان عروج الملايكة ليس هو في هذا اليوم الذي تكون السماء فيه كالمهل والجبال كالعهن ويشتغل كل حميم عن حميمه قال ابو حيان ولا يجوز هذا ايضا ابداله من في يوم قال لان في يوم وان كان في موضع نصب لا يبدل منه منصوب لان مثل هذا ليس من الزايد ولا محكوم له بحكم الزايد كرب وانما يجوز مراعاة الموضع في حرف الجر الزايد كقوله ابني لبيني لستما بيد الا يدا ليست لها عضد ولذلك لا يجوز مررت بزيد الخياط على موضع بزيد ولا مررت بزيد وعمرا ولا غضبت على زيد وجعفرا ولا مررت بعمرو واخاك على مراعاة الموضع قال شهاب الدين قد تقدم ان قراءة فامسحوا برؤوسكم وارجلكم من هذا الباب ممن نصب الارجل فليكن هذا مثله ثم قال ابو حيان فان قلت الحركة في يوم يكون حركة بنا لا حركة اعراب فهو مجرور مثل في يوم قلت لا يجوز بناوه على مذهب البصريين لانه اضيف الى معرب لكنه يجوز على مذهب الكوفيين فيتمشى كلام الزمخشري على مذهبهم ان كان استحضره وقصده انتهى قال شهاب الدين قوله ان كان استحضره فيه تحامل على الرجل واي كبير امر في هذا حتى لا يستحضر مثل هذا وتقدم الكلام في المهل في الدخان **قوله** وتكون الجبال كالعهن فقيل العهن هو الصوف مطلقا وقيل بقيد كونه احمر وهو اضعف الصوف ومنه قول زهير . كان فتات العهن في كل منزل . نزلن به حب الفنا لم يحطم . الفتات القطع والعهن الصوف الاحمر واحده عهنة وقيل بقيد كونه مصبوغا الوانا وهذا اليق بالتشبيه لان الجبال متلونة كما قال تعالى جدد بيض وحمر والمعنى انها تلين بعد الشدة وتتفرق بعد الاجتماع وقيل اول ما تتفرق الجبال تصير رمالا ثم عهنا منفوشا ثم هبا منبثا **قوله** ولا يسال حميم حميما قرا العامة يسال مبنيا للفاعل والمفعول الثاني محذوف فقيل تقديره لا يساله نصره ولا شفاعته لعلمه ان ذلك مفقود وقيل لا يساله شيا من حمل اوزاره وقيل حميما منصوب على اسقاط الخافض اي عن حميم لشغله عنه قاله قتادة لقوله تعالى لكل امري منهم يومئذ شان يغنيه وقرا ابو جعفر وابو حيوة وشيبة وابن كثير في رواية قال القرطبي والبزي عن عاصم يسال مبنيا للمفعول فقيل حميما مفعول ثان لا على اسقاط حرف والمعنى لا يسال احضاره وقيل بل هو على اسقاط عن اي عن حميم ولاد وقرابة عن قرابته بل كل انسان يسال عن عمله نظيره كل انسان بما كسبت رهينة **قوله** يبصرونهم عدي بالتضعيف الى ثان وقام الاول مقام الفاعل وفي محل هذه الجملة وجهان احدهما انها في موضع الصفة لحميم والثاني انها مستانفة قال الزمخشري فان قلت ما موقع يبصرونهم قلت هو كلام مستانف كانه لما قال لا يسال حميم حميما قيل لعله لا يبصره فقيل يبصرونهم ثم قال ويجوز ان يكون يبصرونهم صفة اي حميما مبصرين معرفين اياهم انتهى وانما جمع الضميران في يبصرونهم وهما للحميمين حملا على معنى العموم لانهما نكرتان في سياق نفي وقرا قتادة يبصرونهم مبنيا للفاعل من ابصر اي يبصر المومن الكافر في النار **فصل** يبصرونهم اي يرونهم يقال بصرت به ابصر قال تعالى بصرت بما لم يبصروا به وتقول بصرني زيد بكذا فاذا حذفت الجار قلت بصرني زيد فاذا بنيت الفعل للمفعول وقد حذفت الجار قلت بصرت زيدا فهذا هو معنى يبصرونهم اي يعرف الحميم الحميم حين يعرفه وهو مع ذلك لا يساله عن شانه لشغله بنفسه فيبصر الرجل اباه واخاه وقرابته وعشيرته فلا يساله ولا يكلمه لاشتغالهم بانفسهم وقال ابن عباس يتعارفون ساعة

ثم

ثم لا يتعارفون بعد ذلك وقال ابن عباس ايضا يبصر بعضهم بعضا فيتعارفون ثم يفر بعضهم من بعض فالضمير في يبصرونهم على هذا للكافرين والها والميم للاقربا وقال مجاهد المعنى يبصر الله المومنين الكفار في يوم القيمة فالضمير في يبصرونهم للمومنين والها والميم للكفار وقال ابن زيد المعنى يبصر الله الكفار في النار الذين اضلوهم في الدنيا فالضمير في يبصرونهم للتابعين والها والميم للمتبوعين وقيل انه يبصر المظلوم ظالمه والمقتول قاتله وقيل ان الضمير في يبصرونهم يرجع الى الملايكة اي يعرفون احوال الناس فيسوقون كل فريق الى ما يليق بهم وتم الكلام عند قوله يبصرونهم **قوله** يود المجرم اي يتمنى الكافر لو يفتدي من عذاب يومئذ اي من عذاب جهنم وقيل المراد بالمجرم كل مذنب وتقدم الكلام على قراءة يومئذ فتحا وجرا في هود والعامة على اضافة عذاب ليومئذ وابو حيوة بتنوين العذاب ونصب يومئذ على الظرف قال ابن الخطيب وانتصابه بعذاب لان فيه معنى تعذيب وقال ابو حيان هنا والجمهور بكسرها اي ميم يومئذ والاعرج وابو حيوة بفتحها انتهى وقد تقدم ان الفتح قراءة نافع والكساي **قوله** وفصيلته [illegible] تؤويه قال ثعلب الفصيلة الاباء الادنون وقال ابو عبيدة الفخذ وقال مجاهد وابن زيد عشيرته الاقربون وقد تقدم ذكر ذلك عند قوله شعوبا وقبايل وقال المبرد الفصيلة القطعة من اعضا الجسد وهي دون القبيلة وسميت عترة الرجل فصيلته تشبيها بالبعض منه قال ابن الخطيب فصيلة الرجل اقاربه الاقربون الذين فصل عنهم وينتمي اليهم كان المراد من الفصيلة المفصولة لان الولد يكون مفصولا من الابوين قال عليه السلام فاطمة قطعة مني فلما كان مفصولا منهما كانا ايضا مفصولين عنه فسميا فصيلة لهذا السبب وكان يقال العباس رضي الله عنه فصيلة النبي صلى الله عليه وسلم لان العم قايم مقام الاب وقوله التي تؤويه اي تنصره وقال مالك امه التي تربيه حكاه الماوردي ورواه عنه اشهب قال شهاب الدين ولم يبدله السوسي عن ابي عمرو قالوا لانه يودي الى لفظ هو اثقل منه والابدال للتخفيف وقرا الزهري تؤيه وتنجيه بضم الهاءين على الاصل وثم ينجيه عطف على يفتدي فهو داخل في حيز لو وقد تقدم الكلام فيها هل هي مصدرية ام شرطية في الماضي ومفعول يود محذوف اي يود النجاة وقيل انها هنا بمعنى ان وليس بشي وفاعل ينجيه اما ضمير الافتدا الدال عليه يفتدي او ضمير من تقدم ذكرهم وهو قوله ومن في الارض ومن في الارض مجرور عطفا على بنيه وما بعده اي يود الافتدا بمن في الارض ايضا وجميعا اما حال واما تاكيد ووحد باعتبار اللفظ **فصل** اذا وقف على فصيلته او اوصى لها فمن ادعى العموم حمله على العشيرة ومن ادعى الخصوص حمله على الاباء الادنى فالادنى والاول اكثر في النطق قاله القرطبي وتؤويه تضمه وتؤمنه من خوف ان كان به ومن في الارض جميعا اي ويود لو فدي بهم لافتدى ثم ينجيه اي ويخلصه ذلك الفدا فلا بد من هذا الاضمار كقوله وانه لفسق اي وان اكله لفسق وقيل يود المجرم يقتضي جوابا بالفا كقوله ودوا لو تدهن فيدهنون والجواب في هذه الاية ثم ينجيه لانها من حروف العطف اي يود المجرم لو يفتدي فينجيه الافتدا **قوله** كلا ردع وزجر قال القرطبي وانها تكون بمعنى حقا وبمعنى لا وهي هنا تحتمل الامرين فاذا كانت بمعنى حقا كان تمام الكلام ينجيه واذا كانت بمعنى لا كان تمام الكلام عليها اذ ليس ينجيه من عذاب الله الا الافتدا **قوله** انها لظى في الضمير ثلاثة اوجه احدها انه ضمير النار وان لم يجر لها ذكر لدلالة لفظ عذاب عليها والثاني انه ضمير القصة الثالث انه ضمير مبهم يترجم عنه الخبر قاله الزمخشري وقد تقدم تحقيق ذلك في قوله تعالى ان هي الا حياتنا الدنيا فعلى الاول يجوز في لظى نزاعة اوجه احدها ان يكون لظى خبرا اي ان النار لظى ونزاعة خبر ثان او خبر مبتدا مضمر اي هي نزاعة او يكون لظى بدلا من الضمير المنصوب ونزاعة خبرا وعلى الثاني يكون لظى نزاعة جملة من مبتدا وخبر في محل الرفع خبرا لان مفسرة لضمير القصة وكذا على الوجه الثالث ويجوز ان يكون نزاعة صفة للظى اذا لم

بجعلها علما بل بمعنى اللهب وإنما أنث النعت فقيل نزاعة لأن اللهب بمعنى النار قاله الزمخشري وفيه نظر لأن لظى ممنوعة من الصرف اتفاقا قال أبو حيان بعد حكايته الثالث عن الزمخشري ولا أدري ما هذا المضمر الذي ترجم عنه الخبر وليس هذا من المواضع التي يفسر فيها المفرد الضمير ولولا أنه ذكر بعد هذا أو ضمير القصة لحملت كلامه عليه قال شهاب الدين متى جعله ضميرا مبهما لزم أن يكون مفسرا بما بعده وهو إما لظى على أن يكون نزاعة خبر مبتدأ مضمر وإما نزاعة على أن يكون لظى بدلا من الضمير وهذا أقرب ولا يجوز أن يكون لظى نزاعة مبتدأ وخبرا والجملة خبرا لأن على أن يكون الضمير مبهما لئلا يتحد القولان أعني هذا القول وقول أنها ضمير القصة ولم يتهيأ ضمير مفسر بجملة إلا ضمير الشأن والقصة وقرأ العامة نزاعة بالرفع وقرأ حفص وأبو حيوة والزعفراني واليزيدي وابن مقسم نزاعة بالنصب وفيها وجهان أحدهما أن ينتصب على الحال واعترض عليه أبو علي الفارسي وقال حمله على الحال بعيد لأنه ليس في الكلام ما يعمل في الحال قال القرطبي ويجوز أن يكون حالا على أنه حال للمكذبين بخبرها وفي صاحبها أوجه أحدها أنه الضمير المستكن في لظى لأنها وإن كانت علما فهي جارية مجرى المشتقات كالحارث والعباس وذلك لأنها بمعنى التلظي وإذا عمل العلم الصريح وما أشبهه في الظروف فلأن يعمل العلم الجاري مجرى المشتقات في الأحوال أولى ومن مجيء ذلك قوله • أنا أبو المنهال بعض الأحيان • ضمنه بمعنى أنا المشهور في بعض الأحيان الثاني أنه فاعل تدعوا وقدمت حاله عليه أي تدعو حال كونها نزاعة ويجوز أن يكون هذه الحال مؤكدة لأن لظى هذا شأنها وهو معروف من أمرها وأن يكون مبينة لأنه أمر توقيفي الثالث أنه محذوف هو والعامل تقديره تتلظى نزاعة ودل عليه لظى الثاني من الوجهين الأولين أنها منصوبة على الاختصاص وعبر عنه الزمخشري بالتهويل كما عبر عن وجه رفعها على خبر ابتداء مضمر والتقدير أعني نزاعة وأخصها وقد منع المبرد نصب نزاعة قال لأن الحال إنما يكون فيما يجوز أن يكون وأن لا يكون ولظى لا تكون إلا نزاعة قاله عنه مكي ورد عليه بقوله تعالى وهو الحق مصدقا وقوله وهذا صراط ربك مستقيما قال فالحق لا يكون إلا مصدقا وصراط ربك لا يكون إلا مستقيما قال شهاب الدين المبرد بنى الأمر على الحال المبينة وليس ذلك بلازم إذ قد وردت الحال مؤكدة كما أورده مكي وإن كان خلاف الأصل واللظى في الأصل اللهب ونقل علما لجهنم ولذلك منع من الصرف وقيل هو اسم للدركة الثانية من النار والشوى الأطراف جمع شواة كنوى ونواة قال الشاعر • إذا نظرت عرفت النحر منها • وعينيها ولم تعرف شواها • يعني أطرافها وقيل الشوى الأعضاء التي ليست بمقتل ومنه رماه فأشواه أي لم يصب مقتله وشوى الفرس قوائمه لأنه يقال عبل الشوى وقيل الشوى جمع شواة وهي جلدة الرأس وأنشد للأعشى • قالت قتيلة ماله • قد جللت شيبا شواه • وقيل هو جلد الإنسان والشوى أيضا رذال المال والشيء اليسير **فصل** قال ثابت البناني ولظى نزاعة للشوى أي لمكارم وجهه وعن الحسن أيضا أنه الهام وقال أبو العالية لمحاسن وجهه وقال قتادة لمكارم خلقته وأطرافه وقال الضحاك تبري اللحم والجلد عن العظم حتى لا تترك منه شيئا وقال الكسائي هي المفاصل وقيل هي القوائم والجلود قال امرؤ القيس •

• سليم الشظا عبل الشوى شنج النسا • له حجبات مشرفات على الفال • **قوله** تدعوا يجوز أن يكون خبرا لأن أو خبر المبتدأ محذوف أو حالا من لظى أو من نزاعة على القراءتين فيها لأنها تتحمل ضميرا •

فصل المعنى تدعو لظى من أدبر في الدنيا عن الطاعة لله وتولى عن الإيمان ودعاؤها أن تقول يا مشرك إلي يا كافر إلي وقال ابن عباس تدعو الكافرين والمنافقين بأسمائهم بلسان فصيح إلي يا كافر إلي وقال ابن عباس تدعو الكافرين إلي يا منافق ثم تلتقطهم كما يلتقط الطير الحب وقال ثعلب تدعو أي تهلك تقول العرب دعاك الله أي أهلكك وقال الخليل إنه ليس كالدعاء تعالوا ولكن دعوتها إياهم تمكنها منهم ومن تعذيبهم وقيل الداعي خزنة جهنم أضيف دعاؤهم إليها وقيل هو ضرب مثل أي إنها تدعوهم بلسان الحال أي إن مصير من أدبر وتولى إليها فكأنها الداعية لهم ومثله قول الشاعر •

• ولقد هبطنا الواديين فواديا • يدعو الأنيس به العضيض الأبكم • العضيض الأبكم الذباب وهو لا يدعو

دائما

فأعلمه نبه عليه فدعا إليه قال القرطبي والقول الأول هو الحقيقة لظاهر القرآن والأخبار الصحيحة قال القشيري ودعا لظى بخلق الحياة فيها حتى تدعو وخوارق العادة غدا كثيرة **قوله** وجمع فأوعى أي جمع المال فجعله في وعاء ومنع منه حق الله تعالى فكان جموعا منوعا قال ابن الخطيب جمع إشارة إلى حب الدنيا والحرص عليها وأوعى إشارة إلى الأمل ولا شك أن مجامع آفات الدين ليست إلا هذه وقيل جمع المعاصي فأوعى أي أكثر منها حتى أثقلته وأصر عليها ولم يتب منها **قوله** إن الإنسان خلق هلوعا قال الضحاك المراد بالإنسان هنا الكافر وقيل عام لأنه استثنى منه المصلين فدل على أن المراد به الجنس فهو كقوله إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وهلوعا حال مقدرة والهلع مفسر بما بعده وهو قوله إذا وإذا قال ثعلب سألني محمد بن عبد الله بن طاهر ما الهلع فقلت قد فسره الله ولا يكون أبين من تفسيره وهو الذي إذا ناله شر أظهر شدة الجزع وإذا ناله خير بخل به ومنعه الناس وأصله في اللغة على ما قال أبو عبيدة أشد الحرص وأسوأ الجزع وهو قول مجاهد وقتادة وغيرهما وقد هلع بالكسر يهلع هلعا وهلاعا فهو هلع وهالع وهلوع على التكثير وقيل هو الفزع والاضطراب السريع عند مس المكروه والمنع السريع عند مس الخير من قولهم ناقة هلواع أي سريعة السير قال المفسرون ومعناه أنه لا يصبر على خير ولا شر حتى يفعل فيهما ما لا ينبغي روى السدي عن أبي صالح عن ابن عباس قال الهلوع الحريص على ما لا يحل له وقال عكرمة هو الضجور • وقال الضحاك هو الذي لا يشبع والمنوع هو الذي إذا أصاب المال منع منه حق الله تعالى وقال ابن كيسان خلق الله الإنسان يحب ما يسره ويرضيه ويهرب مما يكرهه ثم تعبده الله بإنفاق ما يحب والصبر على ما يكره وقال أبو عبيدة الهلوع الذي إذا مسه الخير لم يشكر وإذا مسه الضر لم يصبر وقال عليه السلام شر ما أعطي العبد شح هالع وجبن خالع والعرب تقول ناقة هلواعة وهلواع إذا كانت سريعة السير خفيفة قال • شكاء ذعلبة إذا استدبرتها • حرج إذا استقبلتها هلواع • الذعلب والذعلبة الناقة السريعة **قوله** جزوعا ومنوعا فيهما ثلاثة أوجه أحدها أنهما منصوبان على الحال من الضمير في هلوعا وهو العامل فيهما والتقدير هلوعا حال كونه جزوعا وقت مس الشر ومنوعا وقت مس الخير والظرفان معمولان لهاتين الحالين وعبر أبو البقاء عن هذا الوجه بعبارة أخرى فقال جزوعا حال أخرى والعامل فيها هلوعا فقوله أخرى يعني أنها حال ثانية وليست متداخلة لولا قوله العامل فيها هلوعا الثاني أن يكونا خبرين لكان أو صار مضمرة أي إذا مسه الشر كان أو صار جزوعا وإذا مسه الخير كان أو صار منوعا قاله مكي وعلى هذا فإذا شرطية وعلى الأول ظرف محض العامل فيه ما بعده كما تقدم الثالث أنهما نعت لهلوعا قاله مكي إلا أنه قال وفيه بعد لأنك تنوي به التقديم بعد إذا انتهى وهذا الاستبعاد ليس بشيء فإنه غاية ما فيه تقديم الظرف على عامله وإنما المجرور وتقدمه معمول النعت على المنعوت **فصل** قال القاضي قوله تعالى إن الإنسان خلق هلوعا نظير قوله خلق الإنسان من عجل وليس المراد أنه مخلوق على هذه الصفة لأن الله تعالى ذمه عليها والله تعالى لا يذم فعله ولأنه تعالى استثنى المؤمنين الذين جاهدوا أنفسهم في ترك الخصلة المذمومة ولو كانت هذه الخصلة ضرورية حاصلة بخلق الله تعالى لما قدروا على تركها قال ابن الخطيب واعلم أن الهلع لفظ واقع على أمرين أحدهما الحالة النفسانية التي لأجلها يقدم الإنسان على إظهار الجزع والفزع والثاني تلك الأفعال الظاهرة من القول والفعل الدالة على تلك الحالة النفسانية أما تلك الحالة النفسانية فلا شك أنها تحدث بخلق الله تعالى لأن من خلقت نفسه على تلك الحالة لا يمكنه إزالة تلك الحالة عن نفسه بل الأفعال الظاهرة من القول والفعل يمكنه تركها والإقدام عليها فهي أمور اختيارية وأما الحالة النفسانية التي هي الهلع في الحقيقة فهي مخلوقة على سبيل الاضطرار **قوله** إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا قيل المراد بالخير والشر الغنى والفقر أو الصحة والمرض والمعنى أنه إذا صار فقيرا أو مريضا أخذ في الجزع والشكاية وإذا صار غنيا أو صحيحا أخذ في منع المعروف وشح بماله

فإن قيل

حاصل هذا الكلام انه نفور عن المضار وطالب للراحة وهذا هو اللائق بالعقل فلم ذمه الله عليه فالجواب
انما ذمه عليه لقصور نظره على الامور العاجلة والواجب عليه ان يكون شاكرا راضيا في كل حال **قوله**
الا المصلين قال النخعي المراد بالمصلين الذين يؤدون الصلاة المكتوبة وقال ابن مسعود هم الذين يصلونها
لوقتها فاما تركها فكفر وقيل هم الصحابة وقيل هم المؤمنون عامة **قوله** والذين هم على صلاتهم
دائمون اي على مواقيتها وقال عقبة بن عامر هم الذين اذا صلوا لم يلتفتوا يمينا ولا شمالا والدائم الساكن
وقال ابن جريج والحسن هم الذين يكثرون فعل التطوع منها **فان قيل** كيف قال على صلاتهم
دائمون وقال في موضع اخر على صلاتهم يحافظون قال ابن الخطيب دوامهم عليها ان لا يتركوها في شيء من
الاوقات ومحافظتهم عليها يرجع الى الاهتمام بحالها حتى يؤتى بها على اكمل الوجوه من المحافظة على شرائطها
والاتيان بها في الجماعة وفي المساجد الشريفة والاجتهاد في تفريغ القلب عن الوسواس والريا والسمعة
وان لا يلتفت يمينا ولا شمالا وان يكون حاضر القلب فاهما للاذكار مطلعا على حكم الصلوة متعلق القلب
بدخول اوقات الصلوات **قوله** والذين في اموالهم حق معلوم قال قتادة وابن سيرين يريد
الزكوة المفروضة وقال مجاهد سوى الزكوة وقال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس صلة الرحم وحمل الكل
والاول اصح لانه وصف الحق بانه معلوم والمعلوم هو المقدر وسوى الزكوة ليس بمعلوم انما هو على قدر
الحاجة وذلك يقل ويكثر وقال ابن عباس من ادى زكوة ماله فلا جناح عليه ان لا يتصدق وايضا
فان الله تعالى استثناه ممن ذمه فدل على ان الذي لا يعطي هذا الحق يكون مذموما ولا حق على هذه
الصفة الا الزكوة وقوله للسائل والمحروم تقدم في الذاريات **قوله** والذين يصدقون بيوم
الدين اي بيوم الجزا وهو يوم القيامة اي يؤمنون بالبعث والنشور والذين هم من عذاب ربهم مشفقون اي
خائفون والاشفاق الخوف اما من ترك واجب واما من فعل محظور ثم اكد ذلك الخوف بقوله ان عذاب
ربهم غير مامون قال ابن عباس لمن اشرك او كذب انبياءه وقيل لا يامنه احد بل الواجب على كل احد ان
يخافه ويشفق منه والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين
فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون تقدم تفسيره في سورة المومنين والذين هم لاماناتهم
وعهدهم راعون تقدم ايضا وقرئ لامانتهم على التوحيد وهي قراءة ابن كثير وابن محيصن فالامانة اسم
جنس يدخل فيها امانات الدين فان الشرايع امانات ائتمن الله عليها عباده ويدخل فيها امانات الناس
من الودايع وقد مضى ذلك **قوله** والذين هم بشهاداتهم قائمون قرا حفص بشهاداتهم جمعا اعتبارا
بتعدد الانواع والباقون بالافراد اذ المراد الجنس قال الواحدي والافراد اولى لانه مصدر فيفرد
كما تفرد المصادر وان اضيف الى الجمع كصوت الحمير ومن جمع ذهب الى اختلاف الشهادات قال اكثر المفسرين
يقومون بالشهادة على من كانت عليه من قريب وبعيد يقومون بها عند الحكام ولا يكتمونها وقال ابن عباس
بشهاداتهم ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله **قوله** والذين هم على صلاتهم يحافظون
قال قتادة على وضوئها وركوعها وسجودها وقد تقدم ان الدوام خلاف المحافظة فدوامهم عليها محافظتهم
على ادائها لا يخلون بها ولا يشتغلون عنها بشيء من الشواغل ومحافظتهم عليها ان يراعوا اسباغ الوضوء
لها ومواقيتها ويقيموا اركانها ويكملوها بسننها وادابها ويحفظوها من الاحباط باقتراف الماثم فالدوام
يرجع الى نفس الصلوات والمحافظة الى احوالها ذكره القرطبي ثم قال اولئك في جنات مكرمون اي
اكرمهم الله فيها بانواع الكرامات **قوله** فما للذين كفروا قبلك مهطعين روي ان المشركين
كانوا يجتمعون حول النبي صلى الله عليه وسلم يستمعون كلامه ويستهزءون به ويكذبونه ويقولون ان دخل
هؤلاء الجنة كما يقول محمد صلى الله عليه وسلم لندخلها قبلهم فنزلت هذه الاية الى قوله ايطمع كل امرئ
منهم ان يدخل جنة نعيم كلا وقال ابو مسلم ظاهر الاية يدل على انهم هم المنافقون فهم الذين كانوا عنده
واسراعهم المذكور هو الاسراع في الكفر كقوله تعالى ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر والاهطاع الاسراع

قال

اي

قال الاخفش مهطعين اي مسرعين قال بمكة اهلها ولقد اراهم اليه مهطعين الى السماع والمعنى ما بالهم
يسرعون اليك ويجلسون حولك ولا يعملون بما تامرهم وقيل ما بالهم يسرعون في التكذيب لك وقيل
ما بال الذين كفروا يسرعون الى السماع منك ليعيبوك ويستهزءوا بك وقال عطية مهطعين معرضين
وقال الكلبي ناظرين اليك تعجبا وقال قتادة عامدين اعناقهم مديمي النظر اليك وذلك من نظر العدو
وهو منصوب على الحال قال القرطبي نزلت في جميع المنافقين المستهزئين كانوا يحضرونه عليه السلام
ولا يؤمنون به **قوله** قبلك اي نحوك عن اليمين وعن الشمال عزين اي عن يمين النبي صلى الله
عليه وسلم وشماله حلقا حلقا وجماعات **قوله** عزين حال من الذين كفروا وقيل حال من الضمير
في مهطعين فيكون حالا متداخلة وعن اليمين يجوز ان يتعلق بعزين لانه بمعنى متفرقين قاله ابو البقا
وان يتعلق بمهطعين اي مسرعين عن هاتين الجهتين وان يتعلق بمحذوف على انه حال اي كائنين عن اليمين
قاله ابو البقا وعزين جمع عزة والعزة الجماعة قال مكي وانما جمع بالواو والنون لانه مؤنث لا يعقل
ليكون ذلك عوضا مما حذف منه قيل ان اصله عزهة كما ان اصل سنة سنهة ثم حذفت الها انتهى قال
شهاب الدين قوله لا يعقل يوهم ان الاعتبار بالمدلول ومدلوله يعقل عقلا واختلفوا في لامه
على ثلاثة اقوال احدها انها واو من عزوته اعزوه اي نسبته وذلك ان المنسوب مضموم الى المنسوب
اليه كما ان كل جماعة مضموم بعضها الى بعض الثاني انها يا اذ يقال عزيته بالياء اعزيه بمعنى عزوته نقله
هذا في لامها اقوال الثالث انها ها وتجمع تكسيرا على عزى نحو كسرة وكسر واستغنى بهذا التكسير
عن جمعها بالالف والتاء فلم يقولوا عزات كما لم يقولوا في شفة وامة شفات ولا امات استغنا بشفاه
واماء وقد كثر ورود مجموعا بالواو والنون قال الراعي

اخليفة الرحمن ان عشيرتي ... امسى سراتهم عزين فلولا ... وقال الكميت

ونحن وجندل باغ تركنا ... كتايب جندل شتى عزينا ... وقال عنترة

وقرن قد تركت لدى ولي ... عليه الطير كالعصب العزين ... وقال اخر

ترانا عنده والليل داج ... على ابوابه حلقا عزينا ... وقال اخر

فلما ان اتين على اضاخ ... تركن حصاه اشتاتا عزينا ... والعزة لغة الجماعة في تفرقة قاله ابو عبيدة

ومنه حديث النبي صلى الله عليه وسلم انه خرج الى اصحابه فراهم حلقا فقال ما لي اراكم عزين الا تصفون
كما تصف الملائكة عند ربها قالوا وكيف تصف الملائكة قال يتمون الصف الاول ويتراصون في
الصف وقال الاصمعي العزون الاصناف يقال في الدار عزون اي اصناف وفي الصحاح العزة
الفرقة من الناس وقيل العزة الجماعة اليسيرة كالثلاثة والاربعة وقال الراغب وقيل هو من
قولهم عزي عزا فهو عز اذا صبر وتعزى تصبر فكانها اسم للجماعة التي يتاسى بعضهم ببعض قال
القرطبي ويقال عزون وعزون ايضا بالضم ولم يقولوا عزات كما قالوا ثبات قيل كان المستهزءون
خمسة ارهط قال الازهري واصلها من قولهم عزا فلان نفسه الى بني فلان يعزوها عزوا
اذا انتمى اليهم والاسم العزوة والعزة كل جماعة اعتزوها الى امر واحد **قوله** ان يدخل
العامة على بنايه للمفعول وزيد بن علي والحسن وابن يعمر وابو رجا وعاصم في رواية قال القرطبي
وطلحة بن مصرف والاعرج على بنايه للفاعل **فصل** لما قال المستهزءون ان دخل هؤلاء
الجنة كما يقول محمد فلندخلها قبلهم اجابهم الله تعالى بقوله كلا لا يدخلونها ثم ابتدا فقال انا خلقناهم
مما يعلمون اي انهم يعلمون انهم مخلوقون من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة كما خلق ساير جنسهم
فليس لهم فضل يستوجبون به الجنة وانما تستوجب بالايمان والعمل الصالح ورحمة الله تعالى وقيل
كانوا يستهزءون بفقرا المسلمين ويتكبرون عليهم فقال انا خلقناهم مما يعلمون اي من القذر فلا
يليق بهم هذا التكبر وقال قتادة في هذه الاية انما خلقت يا ابن ادم من قذر فاتق الله ولا

ان مطرف بن عبد الله بن الشخير راى المهلب بن ابي صفرة يتبختر في مطرف خز وجبة خز فقال له يا
عبد الله ما هذه المشية التي يبغضها الله فقال له اتعرفني قال نعم اولك نطفة مذرة واخرك جيفة
قذرة وانت تحمل العذرة فمضى المهلب وترك مشيته قال ابن الخطيب وذكروا في تعلق هذه
الاية بما قبلها وجوها احدها لما احتج على صحة البعث دل على انهم كانوا منكرين للبعث فكانه
قيل لهم كلا انكم منكرون للبعث فمن اين تطمعون بدخول الجنة وثانيها ان المستهزئين كانوا يحقرون
المؤمنين كما تقدم فقال تعالى ان هؤلاء المستهزئين مخلوقون مما خلقوا فكيف يليق بهم هذا
الاحتقار وثالثها انهم مخلوقون من هذه الاشيا المستقذرة ولم يتصفوا بالايمان والمعرفة
فكيف يليق بالحكمة ادخالهم الجنة وقيل معنى قوله خلقناهم مما يعلمون اي من اجل ما يعلمون وهو
الامر والنهي والثواب والعقاب كقول الاعشى • ازمعت من ال ليلى ابتكارا • وشطت على ذي هوى ان
اي من اجل ليلى **قوله** فلا اقسم قد تقدم وقرا جماعة فلاقسم دون الف برب المشارق
قرا العامة بجمع المشارق والمغارب والجحدري وابن محيصن وابو حيوة وحميد بافرادهما وهي
مشارق الشمس ومغاربها وتقدم الكلام فيها وقوله انا لقادرون جواب القسم على ان نبدل خيرا
منهم اي نقدر على اهلاكهم والذهاب بهم والاتيان بخير منهم وما نحن بمسبوقين اي لا يفوتنا شي ولا
يعجزنا امر نريده **قوله** فذرهم يخوضوا ويلعبوا اي اتركهم يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في
دنياهم على جهة الوعيد واشتغل انت بما امرت به وتقدم تفسيره في سورة الطور واختلفوا فيما
وصف الله به نفسه بالقدرة عليه هل خرج الى الفعل ام لا فقيل بدل بهم الانصار والمهاجرين
وقيل بل بدل الله كفر بعضهم بالايمان وقيل لم يقع هذا التبديل وانما ذكر الله ذلك تهديدا لهم
لكي يؤمنوا **قوله** حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون قرا ابن محيصن ومجاهد وحميد وابو جعفر
يلقوا مضارع لقي والمعنى انهم قوما يلقوا فيه ما وعدوا وهذه الاية منسوخة باية السيف
ثم ذكر ذلك اليوم فقال يوم يخرجون من الاجداث يجوز ان يكون بدلا من يومهم او منصوبا باضمار
اعني ويجوز على راي الكوفيين ان يكون خبر ابتدا مضمر وبني على الفتح وان اضيف الى معرب اي هو يوم
يخرجون كقوله هذا يوم ينفع وقد مر الكلام فيه مشبعا والعامة على بنا يخرجون للفاعل وقرا
السلمي والمغيرة وروي عن عاصم بناؤه للمفعول **قوله** سراعا حال من فاعل يخرجون جمع سريع
كظراف في ظريف وكانهم حال ثانية منه او حال من ضمير الحال فتكون متداخلة والاجداث القبور ونظيره
فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون اي سراعا الى اجابة الداعي **قوله** الى نصب يوفضون يتعلق
بالخبر والعامة على نصب بالفتح واسكان الصاد وابن عامر وحفص بضمتين وابو عمران الجوني ومجاهد
بفتحتين والحسن وقتادة وعمرو بن ميمون وابو رجا وغيرهم بضم النون واسكان الصاد فالاولى هو
اسم مفرد بمعنى العلم المنصوب الذي يسرع الشخص نحوه وقال ابو عمرو وهو شبكة الصايد يسرع اليها عند
وقوع الصيد فيها مخافة انفلاته واما الثانية فتحتمل ثلاثة اوجه احدها انه اسم مفرد بمعنى
الصنم المنصوب للعبادة وانشد الاعشى • واذا النصب المنصوب لا تعبدنه • لعافية والله ربك فاعبدا
يعني اياك وذا النصب الثاني انه جمع نصاب ككتب في كتاب الثالث انه جمع نصب نحو رهن
ورهن وسقف في سقف وهذا قول ابي الحسن وجمع الجمع انصاب وقال النحاس وقيل نصب
ونصب بمعنى واحد كما قيل عمر وعمر واسد واسد جمع اسد واما الثالثة فتحتمل معنى منقول
اي منصوب كالقبض والنقض والرابعة تخفيف من الثانية والنصب ايضا الشر والبلاء
ومنه قوله تعالى اني مسني الشيطان بنصب وعذاب **فصل** قال ابن عباس الى نصب اي
الى غاية وهي التي ينتصب اليها بصرك وقال الكلبي هو شي منصوب علم او راية وقال الحسن كانوا ابتدروا
اذا طلعت الشمس الى نصبهم التي كانوا يعبدونها من دون الله لا يلوي اولهم على اخرهم ويوفضون يسرعون

وقيل

وقيل يستبقون وقيل يسعون وقيل ينطلقون وهي متقاربة والايفاض الاسراع قال الشاعر •
فوارس ذبيان تحت الحديد • كالجن يوفضن من عبقري • وعبقري موضع تزعم العرب انه من ارض
الجن قال لبيد • كهول وشبان كجنة عبقري • وقال الاخر • لانعتنه نعتا لا نعتا • وقال
الليث وفضت الابل تفض وفضا واوفضها صاحبها فالايفاض متعد والذي في الاية لازم يقال
وفض واوفض واستوفض بمعنى اسرع **قوله** خاشعة حال اما من فاعل يوفضون وهو اقرب او
من فاعل يخرجون وفيه بعد منه وفيه تعدد الحال لذي حال واحدة وفيه الخلاف المشهور وابصارهم
فاعل والمعنى ذليلة خاشعة لا يرفعونها لما يتوقعونه من عذاب الله **قوله** ترهقهم ذلة قرا
العامة بتنوين ذلة والابتدا بذلك اليوم وخبره الذي كانوا وقرا يعقوب والتمار باضافة ذلة الى
ذلك وجر اليوم لانه صفة لذلك والذي نعت لليوم وترهقهم يجوز ان يكون استينافا وان يكون
حالا من فاعل يوفضون او يخرجون ولم يذكر مكي غيره ومعنى ترهقهم اي يغشاهم الهوان قال قتادة
هو سواد الوجوه والرهق الغشيان ومنه غلام مراهق اذا غشي الاحتلام يقال رهقه بالكسر يرهقه
رهقا اي غشيه ومنه قوله تعالى لا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون
اي يوعدونه في الدنيا انهم يلقون فيه العذاب واخرج الخبر بلفظ الماضي لان ما وعد الله به فهو
حق كاين لا محالة روى الثعلبي عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا
سورة سال سايل اعطاه الله ثواب الذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلاتهم يحافظون

• سورة نوح عليه السلام مكية

وهي سبع وعشرون اية
ومايتان واربع وعشرون كلمة وسبعماية وتسعة وعشرون حرفا • بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى انا ارسلنا نوحا الى قومه روى قتادة عن ابن عباس عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال اول نبي ارسل نوح وارسل الى جميع اهل الارض ولذلك لما كفروا اغرق
الله اهل الارض جميعا وهو نوح بن لامك بن متوشلخ بن خنوخ وهو ادريس بن يرد بن
مهلاييل بن انوش بن قينان بن شيث بن ادم عليه السلام قال وهب وكلهم مؤمنون ارسل
الى قومه وهو ابن خمسين سنة وقال ابن عباس ابن اربعين سنة وقال عبد الله بن شداد بعث
وهو ابن ثلاث ماية وخمسين سنة **قوله** ان انذر يجوز ان تكون المفسرة فلا يكون لها
موضع من الاعراب لان في الارسال معنى الامر فلا حاجة الى اضمار البا ويجوز ان تكون المصدرية
اي ارسلناه بالانذار قال الزمخشري والمعنى ارسلناه بان قلنا له انذر اي ارسلناه بالامر بالانذار
انتهى وهذا الذي قدره حسن جدا وهو جواب عن سوال تقدم في هذا الكتاب وهو ان قولهم ان
ان المصدرية يجوز ان توصل بالامر مشكل لانه ينسبك منها وما بعدها مصدر وحينيذ تفوت
الدلالة على الامر الا ترى انك اذا قدرت كتبت اليه بان قم كتبت اليه القيام تفوت الدلالة
على الامر حال التصريح بالمصدر فينبغي ان تقدر كما قاله الزمخشري اي كتبت اليه بان قلت له قم
اي كتبت اليه بالامر بالقيام وقال القرطبي اي بان انذر قومك فموضع ان نصب باسقاط الخافض
وقرا عبد الله انذر قومك بغير ان بمعنى قلنا له انذر قومك وقد تقدم معنى الانذار في اول
البقرة وقوله من قبل ان ياتيهم عذاب اليم قال ابن عباس يعني عذاب النار في الاخرة وقال
الكلبي هو الطوفان وقيل انذرهم العذاب على الجملة ان لم يؤمنوا فكانوا يدعوا قومه وينذرهم
فلا يجيبونه كما تقدم قال يا قوم اني لكم نذير مبين اي مخوف مظهر لكم بلسانكم الذي تعرفونه
قوله ان اعبدوا الله اما ان تكون تفسيرية لنذير او مصدرية واللام فيها كما تقدم في اخيها
والمعنى وحدوا الله واتقوه اي خافوه واطيعون فيما امركم به فاني رسول الله اليكم يغفر لكم جزم يغفر
لجواب الامر **قوله** من ذنوبكم في من هذه اوجه احدها انها تبعيضية الثاني انها لابتدا

الغاية الثالثة انها لبيان الجنس وهو مردود لعدم تقدم ما تبينه الرابع انها مزيدة قال ابن عطية
وهو مذهب كوفي قال شهاب الدين ليس مذهبهم ذلك لانهم يشترطون تنكير مجرورها ولا يشترطون غير
والاخفش لا يشترط شيا فزيادتها هنا ماش على قوله لا على قولهم قال القرطبي وقيل لا يصح كونها زايدة
لان من لا تزاد في الواجب وانما هي هنا للتبعيض وهو بعض الذنوب وهو ما لا يتعلق بحقوق المخلوقين
وقال زيد بن اسلم المعنى يخرجكم من ذنوبكم وقال ابن شجرة المعنى يغفر لكم من ذنوبكم ما استغفرتموه منها
قوله ويوخركم الى اجل قال الزمخشري فان قلت كيف قال يوخركم مع اخباره بامتناع تاخير
الاجل قلت قضى الله ان قوم نوح ان امنوا عمرهم الف سنة وان بقوا على كفرهم اهلكهم على راس تسع ماية
فقيل لهم ان امنتم اخرتم الى الاجل الاطول ثم اخبرهم انه اذا جا ذلك الاجل الامد لا يوخر انتهى وقد
تعلق بهذه الاية من يقول بالاجلين وتقدم جوابه وقال ابن عباس اي ينسي في اعماركم ومعناه
ان الله تعالى كان قضى قبل خلقهم ان هم امنوا بارك في اعمارهم وان لم يومنوا عوجلوا بالعذاب وقال
مقاتل يوخركم الى منتهى اجالكم في عافية فلا يعاقبكم بالحفظ وغيره فالمعنى على هذا يوخركم من العقوبات
والشدايد الى اجالكم وقال الزجاج اي يوخركم عن العذاب فتموتوا غير موتة المستاصلين
بالعذاب وعلى هذا قيل اجل مسمى عندكم تعرفونه لا يميتكم غرقا ولا حرقا ولا قتلا ذكره الفرا وعلى القول
الاول اجل مسمى عند الله **قوله** ان اجل الله اذا جا لا يوخر اي اذا جا الموت لا يوخر بعذاب
كان او بغير عذاب واضاف الاجل اليه سبحانه لانه الذي اثبته وهو يضاف الى القوم كقوله تعالى
اذا جا اجلهم لانه مضروف لهم ولو بمعنى ان اي ان كنتم تعلمون وقال الحسن معناه لو كنتم تعلمون لعلمتم
ان اجل الله اذا جا لا يوخر وعلى هذا يكون جواب لو محذوفا فتقدير لبادرتم الى ما امركم به او لعلمتم
كما قال الحسن **قوله** قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا ظرفان لدعوت والمراد الاخبار
باتصال الدعا وانه لا يفتر عن ذلك وقيل معناه سرا وجهرا فلم يزدهم دعاي الا فرارا اي تباعدا
من الايمان وهذا استثنا مفرغ وهو مفعول ثان وقراة العامة بفتح اليا من دعاي واسكنها
الكوفيون ويعقوب والدوري عن ابي عمرو **قوله** واني كلما دعوتهم لتغفر لهم اي الى سبب
المغفرة وهي الايمان بك والطاعة لك جعلوا اصابعهم في اذانهم لييلا يسمعوا دعاي واستغشوا ثيابهم
اي غطوا بها وجوههم لييلا يرون قال ابن عباس جعلوا ثيابهم على رووسهم لييلا يسمعوا كلامي فاستغشا
الثياب اذن زيادة في سد الاذان حتى لا يسمعوا او لتنكيرهم انفسهم حتى يسكت او ليعرفوه اعراضهم
عنه وقيل هو كناية عن العداوة يقال لبس فلان ثياب العداوة لفلان واصروا اي على الكفر فلم
يتوبوا واستكبروا عن قبول الحق وهو قولهم انومن لك واتبعك الارذلون **قوله** لتغفر يجوز ان
يكون للتعليل والمدعو اليه محذوف اي دعوتهم للايمان بك لاجل مغفرتك لهم وان يكون لام
التعدية ويكون قد عبر عن السبب بالمسبب الذي هو حظهم والاصل دعوتهم للتوبة التي هي سبب في
الغفران وجعلوا هو العامل في كلما وهو خبراني **قوله** جهارا يجوز ان يكون مصدرا من المعنى
لان الدعا يكون جهارا وغيره فهو من باب قعد القرفصا وان يكون المراد بدعوتهم جاهرتهم وان يكون
مصدر محذوف اي دعا جهارا وان يكون مصدرا في موضع الحال اي مجاهرا او ذا جهار او جعل نفس
المصدر مبالغة قال الزمخشري فان قلت ذكر انه دعاهم ليلا ونهارا ثم دعاهم جهارا ثم دعاهم في
السر والعلن فيجب ان يكون ثلاث دعوات مختلفات حتى يصح العطف قلت قد فعل عليه السلام
كما يفعل الذي يامر بالمعروف وينهى عن المنكر في الابتدا بالاهون والترقي في الاشد فالاشد فافتتح
في المناصحة بالسر فلما لم يقبلوا ثنى بالمجاهرة فلما لم يقبلوا ثلث بالجمع بين الاسرار والاعلان ومعنى
ثم الدلالة على تباعد الاحوال لان الجهار اغلظ من الاسرار والجمع بين الامرين اغلظ من افراد احدهما
قال ابو حيان وتكرر كثيرا له ان ثم للاستبعاد ولا نعلمه لغيره وقوله استكبارا قال القرطبي تفخيم

فصل

فصل معنى جهارا اي مظهرا لهم الدعوة وهو منصوب بدعوتهم نصب المصدر ثم اني اعلنت
لهم واسررت لهم اسرارا اي لم ابق مجهودا وقال مجاهد معنى اعلنت صحت واسررت لهم اسرارا بالدعا
عن بعضهم من بعض وقيل اسررت لهم اتيتهم في منازلهم وكل هذا من نوح عليه السلام مبالغة في الدعا
وتلطف في الاستدعا وفتح اليا من اني اعلنت الحرميون وابو عمرو واسكنها الباقون **قوله** فقلت
استغفروا ربكم اي سلوه المغفرة لذنوبكم باخلاص الايمان انه كان غفارا وهذا منه تعالى ترغيب
في التوبة كقوله عليه السلام الاستغفار ممحاة للذنوب **قوله** يرسل السما عليكم مدرارا
ويمددكم باموال وبنين اي يرسل ما السما ففيه اضمار وقيل السما المطر اي يرسل المطر قال الشاعر
اذا نزل السما بارض قوم رعيناه وان كانوا غضابا • ومدرارا يجوز ان يكون حالا من السما ولم يونث
لان مفعالا لا يونث تقول امراة مسار ومذكار ولا يونث بالتا الا نادرا وحينيذ يستوي فيه
المذكر والمونث فتقول رجل محدام ومطراب وامراة محدامة ومطرابة وان يكون نعتا لمصدر محذوف
اي ارسالا مدرارا وتقدم الكلام عليه في الانعام وجزم يرسل جوابا للامر ومدرارا ذا غيث كثير
فصل قال مقاتل لما كذبوا نوحا عليه السلام زمانا طويلا حبس الله عنهم المطر واعقم ارحام
نسايهم اربعين سنة فهلكت مواشيهم وزروعهم فصاروا الى نوح عليه السلام واستغاثوا به فقال
استغفروا ربكم انه كان غفارا اي لمن تاب اليه ثم رغبهم في الايمان فقال يرسل السما عليكم مدرارا
ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا قال قتادة علم نبي الله صلى الله عليه
وسلم انهم اهل حرص على الدنيا فقال هلموا الى طاعة الله فان في طاعة الله درك الدنيا والاخرة
فصل في هذه الاية والتي في هود دليل على ان الاستغفار يستنزل به الرزق والامطار
قال الشعبي خرج عمر يستسقي فلم يزد على الاستغفار حتى رجع فامطروا فقالوا ما رايناك استسقيت
فقال لقد استسقيت بمجاديح السما التي يستنزل بها المطر ثم قرا استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل
السما عليكم مدرارا قال ابن الاثير المجاديح واحدها مجدح والبا زايدة للالصاق والمعنى ان
يكون واحدها مجداح فاما مجدح فجمعه مجادح والمجدح نجم من النجوم قيل هو الدبران وقيل هو
ثلاثة كواكب كالاثافي تشبيها بالمجدح الذي له ثلاث شعب وهو عند العرب من الانوا
الدالة على المطر فجعل الاستغفار مشبها بالانوا مخاطبة لهم بما يعرفونه لا قولا بالانوا وجا بلفظ
الجمع لانه اراد الانوا جميعها التي يزعمون ان من شانها المطر وشكى رجل الى الحسن الجدوبة فقال
له استغفر الله وشكا اخر اليه الفقر فقال له استغفر الله وقال له اخر ادع الله ان يرزقني ولدا
فقال له استغفر الله وشكا اليه اخر جفاف بساتينه فقال له استغفر الله فقلنا له في ذلك فقال
ما قلت من عندي شيا ان الله تعالى يقول في سورة نوح استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل
السما عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا **فان قيل**
ان نوحا عليه السلام امر الكفار اولا بالعبادة والطاعة فاي فايدة في ان امرهم بعد ذلك بالاستغفار
فالجواب انه لما امرهم بالعبادة قالوا له ان كان الدين الذي كنا عليه حقا فلم تامرنا بتركه وان
كان باطلا فكيف يقبلنا بعد ان عصيناه فقال نوح عليه السلام انكم وان كنتم قد عصيتموه ولكن
استغفروا ربكم من تلك الذنوب فانه سبحانه كان غفارا **فان قيل** لم قال انه كان ولم
يقل انه غفار فالجواب كانه يقول لا تظنوا ان غفرانه انما حدث الان بل هو ابدا هكذا عادته انه
غفار في حق من استغفر **قوله** ما لكم لا ترجون لله وقارا قيل الرجا هنا بمعنى الخوف اي ما لكم لا تخافون
لله عظمة وقدرة على احدكم بالعقوبة اي اي عذر لكم في ترك الخوف من الله قال الهذلي
اذا لسعته النحل لم يرج لسعها • وقال سعيد بن جبير وابو العالية وعطا بن ابي رباح ما لكم لا ترجون لله
ثوابا ولا تخافون له عقابا وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس ما لكم لا ترجون لله عقابا وترجون

منه ثوابا وقال الوالبي والعوفي عنه ما لكم لا تعلمون لله عظمة وقيل ما لكم لا تعتقدون وقال ابن عباس ايضا
ومجاهد ما لكم لا ترجون لله عظمة وعن مجاهد والضحاك ما لكم لا تبالون لله عظمة قال قطرب هذه لغة حجازية
وهذيل وخزاعة ومضر يقولون لم ارج اي لم ابال **قوله** وقارا يجوز ان يكون مفعولا به على معان
منها ما لكم لا تاملون له توقيرا اي تعظيما قال الزمخشري والمعنى ما لكم لا تكونون على حال تاملون فيها تعظيم
الله اياكم في دار الثواب ولله بيان للموقر ولو تاخر لكان صلة انتهى اي لو تاخر لله عن وقارا لكان متعلقا
به فيكون التوقير منهم لله تعالى وهو عكس المعنى الذي قصده ومنها لا تخافون لله حلما وترك معاجلة
بالعقاب فتؤمنوا ومنها لا تخافون لله عظمة وعلى الاول يكون الرجا على بابه وقد تقدم ان استعماله
بمعنى الخوف مجاز ومشترك وان يكون حالا من فاعل ترجون اي موقرين الله تعالى اي تعظمونه فلله متعلق
بمحذوف على انه حال من وقارا او تكون اللام زائدة في المفعول به وحسنه هنا امران كون العامل فرعا
وكون المعمول مقدما ولا ترجون حال وتقدم نظيره في المائدة **والوقار** العظمة والتوقير التعظيم
ومنه قوله تعالى وتوقروه وقال قتادة ما لكم لا ترجون لله عاقبة كان المعنى ما لكم لا ترجون لله عاقبة
الايمان وقال ابن كيسان ما لكم لا ترجون في عبادة الله وطاعته ان يثيبكم على توقيركم خيرا وقال
ابن زيد ما لكم لا تؤدون لله طاعة وقال الحسن ما لكم لا تعرفون لله حقا ولا تشكرون له نعمة وقيل
ما لكم لا توحدون الله لان من عظمه فقد وحده وقيل ان الوقار هو الثبات لله عز وجل ومنه قوله
تعالى وقرن في بيوتكن اي اثبتن والمعنى ما لكم لا تثبتون وحدانية الله تعالى وانه الهكم لا اله لكم
سواه قاله ابن بحر ثم دلهم على ذلك فقال وقد خلقكم اطوارا يعني نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم
عظاما ولحما ثم انشاه خلقا آخر وقيل اطوارا صبيانا ثم شبانا ثم شيوخا وضعفا ثم اقويا
وقيل اطوارا اي انواعا صحيحا وسقيما وبصيرا وضريرا وغنيا وفقيرا وقيل الاطوار اختلافهم في
الاخلاق والافعال **قوله** وقد خلقكم جملة حالية من فاعل ترجون والاطوار الاحوال المختلفة
قال الشاعر، فان افاق فقد طارت عمايته، والمرء يخلق طورا بعد اطوار، وانتصابه على
الحال اي منتقلين من حال الى حال او مختلفين من بين مسيء ومحسن وصالح وطالح **قوله** الم
تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا لما ذكرهم دلائل التوحيد من انفسهم اتبعه بدلائل
الافاق فقال الم تروا كيف خلق الله سبع سموات اي الم تعلموا ان الذي قدر على هذا فهو الذي
يجب ان يعبد ومعنى طباقا قال ابن عباس والسدي اي بعضها فوق بعض كل سماء مطبقة على
الاخرى كالقباب **فان قيل** هذا يقتضي ان لا يكون بينهما فرج واذا كان كذلك فكيف
تسلكها الملائكة فالجواب ان الملائكة ارواح وايضا قال المبرد معنى كونها طباقا اي متوازية
لا انها متماسة وقال الحسن خلق الله سبع سموات طباقا على سبع ارضين بين كل ارض وارض
وسماء وسماء خلق وامر وقوله الم تروا على جهة الاخبار لا المعاينة كما تقول الم ترني كيف صنعت
بفلان كذا وطباقا نصب على انه مصدر مطابقة طباقا او حال بمعنى ذات طباق فحذف ذات
واقام طباقا مقامه وتقدم الكلام عليه في سورة الملك وقال مكي واجاز الفراء في غير القران جر
طباق على النعت لسموات يعني انه يجوز ان يكون صفة للعدد تارة وللمعدود اخرى **قوله**
وجعل القمر فيهن اي في السموات والقمر انما هو في سماء واحدة منهن وقيل هو في السماء الدنيا وانما جاز
ذلك لان بين السماوات ملابسة نحو ذلك ويقول زيد في المدينة وانما هو في زاوية من زواياها
وقال ابن كيسان اذا كان في احداهن فهو فيهن وقال قطرب فيهن بمعنى معهن وقاله الكلبي اي خلق
الشمس والقمر مع خلق السموات والارض وقال جل اهل اللغة في قول امرء القيس،
وهل ينعمن من كان آخر عهده، ثلاثين شهرا في ثلاثة احوال، في بمعنى مع وقال النحاس سالت ابا
الحسن بن كيسان عن هذه الاية فقال الجواب النحويين انه اذا جعله في احداهن فقد جعله فيهن كما

يقول اعطني الثياب المعلمة وان كنت انما اعلمت احدها وجواب آخر انه يروى ان وجه القمر الى
السماء واذا كان الى داخلها فهو متصل بالسموات ومعنى نورا اي لاهل الارض قاله السدي وقال
عطا نورا لاهل السموات والارض وقال ابن عباس وابن عمر وجهه يضيء لاهل الارض وظهره يضيء لاهل
السماء **قوله** وجعل الشمس سراجا يحتمل ان يكون التقدير وجعل الشمس فيهن كما تقدم والشمس قيل
في الرابعة وقيل في الخامسة وقيل في الشتاء في الرابعة وفي الصيف في السابعة والله اعلم وقوله
سراجا يعني مصباحا لاهل الارض ليتوصلوا الى التصرف لمعايشهم وفي اضاءتها لاهل السما القولان
الاولان حكاه الماوردي وحكى القشيري عن ابن عباس ان الشمس وجهها في السموات وقفاها في الارض
وقيل على العكس وقيل لعبد الله بن عمرو ما بال الشمس تقلينا احيانا وتبرد علينا احيانا فقال انها
في الصيف عند عرش الرحمن ولو كانت في السما الدنيا لما قام لها شيء ولما كانت الشمس سببا لزوال
الليل وهو ظل الارض اشبهت السراج وايضا فالسراج له ضوء والقمر له نور والضوء اقوى من النور
فجعل للشمس لقوله هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا **قوله** والله انبتكم من الارض نباتا
يعني آدم عليه السلام خلقه من اديم الارض كلها قاله ابن جريج وقد تقدم بيانه ونباتا اما مصدر لانبت
على حذف الزوائد ويسمى اسم مصدر ولان مصدر انبت انباتا فجعل الاسم الذي هو النبات في موضع
المصدر واما نبتم مقدرا اي فنبتم نباتا فيكون منصوبا بالمطاوع المقدر وقال الزمخشري
او نصب بانبتكم لتضمنه معنى نبتم قال ابو حيان ولا اعقل معنى هذا الوجه الثاني قال
شهاب الدين هذا هو الوجه المتقدم وهو انه منصوب بانبتكم على حذف الزوائد ومعنى قوله
لتضمنه معنى نبتم اي انه مشتمل عليه غاية ما فيه انه حذفت زوائده قال القرطبي وقال الخليل
والزجاج انه محمول على المعنى لان معنى انبتكم جعلكم تنبتون نباتا وقيل معناه انبت لكم من الارض
النبات فنباتا على هذا نصب على المفعول الصريح والاول اظهر قال ابن بحر انبتهم في الارض بالكبر
بعد الصغر وبالطول بعد القصر ثم يعيدكم فيها اي عند موتكم بالدفن ويخرجكم اخراجا بالنشور
والبعث يوم القيامة والانبات هنا استعارة بليغة قيل المراد انبت اباكم وقيل المراد انبت الكل
لانهم من النطف وهي من الاغذية التي اصلها الارض وهذا كالتفسير لقوله خلقكم اطوارا ثم قال
ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا وهذا اشارة الى الطريقة المعهودة في القران من انه تعالى لما كان قادرا
على الابتدا فهو ايضا قادر على الاعادة وقوله ويخرجكم اخراجا اكده بالمصدر كانه قال يخرجكم
حقا لا محالة **قوله** والله جعل لكم الارض بساطا اي مبسوطة لتسلكوا منها سبلا فجاجا اي
طرقا واسعة والسبل الطرق والفجاج جمع فج وهو الطريق الواسعة قاله الفرا وقيل الفج المسلك
بين الجبلين وفي الانبيا قدم الفجاج لتناسب الفواصل وقد تقدم الكلام على ذلك **قوله**
قال نوح رب انهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا ذكر اولا انهم عصوه ثم ذكر
انهم مضوا الى عصيانه طاعة رؤسايهم الذين يدعونهم الى الكفر وانما زادهم اولادهم واموالهم
خسارا لانهم سبب لخسار الاخرة والدنيا في جنب الاخرة كالعدم فاذا ضرت الاخرة بسببها كانت
كاللقمة من الحلوى مسمومة ولذلك قال جماعة ليس لله على الكافر نعمة وانما هي استدراج للعذاب
قال المفسرون لبث فيهم نوح عليه السلام كما اخبر الله تعالى الف سنة الا خمسين عاما داعيا لهم
وهم على كفرهم وعصيانهم قال ابن عباس رجا نوح الابنا بعد الآباء فكان الآباء يأتوا باولادهم
الى نوح عليه السلام ويقولون لابنائهم اياكم وان تطيعوا هذا الشيخ فيما يامركم به حتى بلغوا سبع
قرون ثم دعا عليهم بعد الاياس منهم وعاش بعد الطوفان ستين عاما حتى كثر الناس وفشوا قال
الحسن كان قوم نوح يزرعون في الشهر مرتين حكاه الماوردي **قوله** قرا اهل المدينة والشام
وعاصم وولده بفتح اللام والواو والباقون وولده بضم الواو وسكون اللام وقد تقدم انهما

لغتان كنخل ونخل قال ابو حاتم ويمكن ان يكون المضموم جمع المفتوح كخشب وخشب وانشد لحسان
بابكر آمنة المبارك ولدها ‹ من ولد محصنة بسعد الاسعد › **قوله** ومكروا عطف على
صلة من لان المتبوعين هم الذين مكروا وقالوا للاتباع لا تذرن وانما جمع الضمير حملا على المعنى
بعد حمله على لفظه في لم يزده ماله وولده ويجوز ان يكون مستانفا اخبارا عن الكفار
قوله كبارا العامة على ضم الكاف وتشديد الباء وهو بنا مبالغة ابلغ من كبار بالضم والتخفيف
قال عيسى هي لغة يمانية وانشد ‹ والمرء يلحقه بفتيان الندى خلق الكريم وليس بالوضاء ›
وقول الاخر ‹ بيضا تصاد القلوب وتستبي بالحسن قلب المسلم القراء › ويقال رجل طوال وجمال
وجمال وحسان وعظيم وعظام وقرا عيسى وابو السمال وابن محيصن ايضا بكسر الكاف وتخفيف
الباء قال ابو بكر هو جمع كبير كانه جعل مكرا مكان ذنوب او افاعيل يعني فلذلك وصف بالجمع
فصل قيل مكرهم هو تحريشهم سفلتهم على قتل نوح وقيل هو تغريرهم الناس بما اوتوا من
الدنيا والولد حتى قالت الضعفة لولا انهم على الحق لما اوتوا هذه النعم وقال الكلبي هو ما جعلوه
لله من الصاحبة والولد وهذا بعيد لان هذا انما قاله النصارى وهم بعد قوم نوح بازمان
متطاولة وقال مقاتل هو قول كبرايهم لاتباعهم لا تذرن الهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث
ويعوق ونسرا فمنعوا القوم عن التوحيد وامروهم بالشرك واعلم انه لما كان التوحيد اعظم المراتب
لا جرم كان المنع منه اعظم الكباير فلهذا وصفه الله تعالى بانه كبار وقال ابن الخطيب وانما سماه
مكرا لوجهين الاول لما في اضافة الالهة اليهم من الحيل الموجبة لاستمرارهم على عبادتها لانها معبود اباءهم
فلو قبلتم قول نوح لاعترفتم على انفسكم بانكم كنتم جاهلين ضالين وعلى ابايكم بانهم كانوا كذلك ولما كان
اعتراف الانسان على نفسه وعلى اسلافه بالقصور والنقص والجهل صعب الكلفة وهي لفظة الهتكم وصرفهم
عن الدين فلهذه الحيلة الخفية سمى الله كلامهم مكرا الثاني انه تعالى حكى عن المتبوعين انهم كان لهم
مال وولد فلعلهم قالوا للاتباع ان الهتكم خير من اله نوح لان الهتكم يعطونكم المال والولد واله نوح
لا يعطيه شيا لانه فقير فبهذا المكر صرفوهم عن طاعة نوح وهو مثل مكر فرعون اذ قال اليس لي ملك مصر وقوله
انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين فلولا القي عليه اساورة من ذهب **قوله** ولا تذرن
ودا ولا سواعا يجوز ان يكون من عطف الخاص على العام ان قيل ان هذه الاسما لاصنام وان لا يكون ان
قيل انها اسما رجال صالحين على ما ذكره المفسرون وقرا نافع ودا بضم الواو والباقون بفتحها وانشد
بالوجهين قول الشاعر ‹ حياك ود فانا لا يحل لنا لهو النسا وان الدين قد عزما › وقول الاخر
‹ حياك ود من هداك لفتية وخوص باعلا دي فضالة منجد › قال القرطبي قال الليث ود بفتح الواو
صنم كان لقوم نوح وود بالضم صنم لقريش وبه سمي عمرو بن ود وفي الصحاح والود بالفتح الوتد في
لغة اهل نجد كانهم سكنوا التا وادغموها في الدال والود في قول امرى القيس
‹ تظهر الود اذا ما اسجذت وتواريه اذا ما تعتكر › قال ابن دريد هو اسم جبل وود صنم كان
لقوم نوح عليه السلام ثم صار لكلب وكان بدومة الجندل ومنه سموا بعبد ود **قوله** ولا يغوث
ويعوق قراهما العامة بغير تنوين فان كانا عربيين فالمنع من الصرف للعلمية والوزن وان كانا اعجميين
فللعجمة والعلمية وقرا الاعمش ولا يغوثا ويعوقا مصروفين قال ابن عطية وذلك وهم لان التعريف لازم
ووزن الفعل انتهى قال شهاب الدين وليس بوهم لامرين احدهما انه صرفهما للتناسب اذ قبله اسمان
مصروفان وبعده اسم مصروف كما صرف سلاسل والثاني انه جا على لغة من يصرف غير المنصرف مطلقا
وهي لغة حكاها الكسايي ونقل ابو الفضل الصرف فيهما عن الاشهب العقيلي ثم قال جعلهما فعولا فلذلك
صرفهما فاما في العامة فانهما صفتان من الغوث والعوق قال شهاب الدين وهذا كلام مشكل اما قوله
فعولا فليس بصحيح اذ مادة يغث ويعق مفقودة واما قوله صفتان من الغوث والعوق فليس في الصفا

ولا في الاسما يفعل والصحيح ما قدمته وقال الزمخشري وهذه قراءة مشكلة لانهما
ان كانا عربيين او اعجميين ففيهما مانع الصرف ولعله وجد الازدواج فصرفهما لمصادفته
اخواتهما منصرفات ودا وسواعا ونسرا كما قرى وضحاها بالامالة لوقوعه مع الممالات
للازدواج قال ابو حيان كانه لم يطلع على ان صرف ما لا ينصرف لغة **فصل** قال ابن عباس
وغيره هي اصنام وصور كان قوم نوح يعبدونها ثم عبدتها العرب وهذا قول الجمهور وقيل انها
للعرب لم يعبدها غيرهم وكانت اكبر اصنامهم واعظمها عندهم فلذلك خصوا بالذكر بعد قوله
لا تذرن الهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا وقال عروة بن الزبير اشتكى ادم عليه السلام وعنده
بنوه ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر وكان ود اكبرهم وابرهم به قال محمد بن كعب كان لادم
خمس بنين ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر وكانوا عبادا فمات رجل منهم فحزنوا عليه فقال
الشيطان انا اصور لكم مثله اذا نظرتم اليه ذكرتموه قالوا افعل فصوره في المسجد من صفر ورصاص
ثم مات اخر فصوره حتى ماتوا كلهم وصورهم وتناقصت الاشيا كما تنقص اليوم الى ان تركوا عبادة
الله تعالى بعد حين فقال لهم الشيطان ما لكم لا تعبدون شيا قالوا وما نعبد قال الهتكم والهة
ابايكم الا ترونها في مصلاكم فعبدوها من دون الله تعالى حتى بعث الله تعالى نوحا عليه السلام
فقالوا لا تذرن الهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا الاية وقال محمد بن كعب ايضا ومحمد بن قيس بل
كانوا قوما صالحين بين ادم ونوح وكان لهم اتباع يقتدون بهم فلما ماتوا زين لهم ابليس ان
يصوروا صورهم ليتذكروا اجتهادهم وليتسلوا بالنظر اليها فصوروهم فلما ماتوا وجا اخرون
قالوا ليت شعري ما هذه الصور التي كان يعبدها اباونا فجاهم الشيطان فقال كان اباوكم يعبدونها
فترحمهم وتسقيهم المطر فعبدوها فابتدى عبادة الاوثان من ذلك الوقت وبهذا المعنى فسر ما جا في
الصحيحين من حديث عايشة ان ام حبيبة وام سلمة ذكرتا كنيسة رايتاها بارض الحبشة تسمى مارية فيها تصاوير
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اوليك كان اذا مات فيهم الرجل
الصالح بنوا على قبره مسجدا ثم صوروا فيه تلك الصور اوليك شرار الخلق عند الله يوم القيمة
وذكر الثعلبي عن ابن عباس ان هذه الاصنام اسما رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا اوحى الشيطان
الى قومهم ان انصبوا الى مجالسهم انصابا وسموها باسمايهم وهذا بعيد لان نوحا عليه السلام هو الامر لهم
بتركها وذلك يدل على انهم كانوا قبل نوح حتى ارسل نوح اليهم وروي عن ابن عباس ان نوحا عليه السلام
كان يحرس جسد ادم عليه السلام على جبل الهند فيمنع الكافرين ان يطوفوا بقبره فقال لهم الشيطان
ان هولا يفخرون عليكم ويزعمون انهم بنوا ادم دونكم وانما هو جسد وانا اصور لكم مثله فطوفون به
فصور لهم هذه الاصنام الخمسة وحملهم على عبادتها فلما كان ايام الطوفان دفنها الطين والتراب والما
فلم تزل مدفونة حتى اخرجها الشيطان لمشركي العرب وكانت للعرب اصنام اخر فاللات كانت لقديد
واساف ونايلة وهبل لاهل مكة قال الماوردي فاما ود فهو اول معبود سمي ودا لودهم له وكان
بعد قوم نوح لكلب بدومة الجندل في قول ابن عباس وعطا وفيه يقول شاعرهم
‹ حياك ود فانا لا يحل لنا ‹ لهو النسا وان الدين قد عزما ›
واما سواع فكان لهذيل بساحل البحر في قولهم وقال ابن الخطيب وسواع لهمدان واما يغوث فكان
لغطيف من مراد بالجرف من سبا في قول قتادة وقال المهدوي لمراد ثم لغطفان واتخذت اعلى
واهم رهما من طي واهل جرش من مذحج يغوث فذهبوا به الى مراد فعبدوه زمانا ثم ان بني ناجية
ارادوا نزعه من انعم ففروا به الى الحصين اخي بني الحارث بن كعب من خزاعة وقال ابو عثمان الهندي
رايت يغوث وكان من رصاص وكانوا يحملونه على جمل اجرد ويسيرون معه لا يهيجونه حتى يبرك
بنفسه فاذا برك نزلوا وقالوا قد رضي لكم المنزل فيضربون عليه بناء وينزلون حوله واما يعوق

فكان لهمدان ببلخع في قول عكرمة وقتادة وعطا ذكره الماوردي قال الثعلبي واما يعوق
فكان لكهلان من سبا ثم توارثه بنوه الاكبر حتى صار في همدان وفيه تقول همدان الهمداني
"يريش الله في الدنيا ويبري" "ولا يبري يعوق ولا يريش" وقيل كان
يعوق لمراد واما نسرا فكان لذي الكلاع من حمير في قول قتادة ومقاتل وقال الواقدي
كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امراة ويغوث على صورة اسد ويعوق على صورة
فرس ونسرا على صورة نسر من الطير والله اعلم **قوله** وقد اضلوا اي الرؤسا فهو عطف على
قوله ومكروا مكرا كبارا او الاصنام وجمعهم جمع العقلا معاملة لهم معاملة العقلا لقوله
رب انهن اضللن كثيرا من الناس **قوله** ولا تزد الظالمين عطف على قوله رب انهم عصوني
على حكاية كلام نوح بعد قال وبعد الواو النائبة عنه اي قال انهم عصوني وقال لا تزد اي
قال هذين القولين فهما في محل النصب قاله الزمخشري قال كقولك قال زيد نودي
للصلاة وصل في المسجد تحكي قوله معطوفا احدهما على صاحبه وقال ابو حيان ولا تزد معطوف
على قد اضلوا لانها محكية بقال مضمرة ولا يشترط التناسب في الجمل المتعاطفة بل يعطف خبر على طلب
وبالعكس خلافا لمن اشترط **فصل** معنى قوله الا ضلالا قال ابن بحر اي الا عذابا لقوله
تعالى ان المجرمين في ضلال وسعر وقيل الا خسرانا وقيل الا فتنة بالمال **قوله** مما خطاياهم
ما مزيدة بين الجار والمجرور توكيدا ومن لم ير زيادتها جعلها نكرة وجعل خطاياهم بدلا وفيه تعسف
وتقدم الخلاف في قراءة خطاياهم في الاعراف وقرا ابو رجا خطيئاتهم جمع سلامة الا انه ادغم الياء
في التاء المنقلبة عن الهمزة وقال ابو عمرو قوم كفروا الف سنة فلم يكن لهم الا خطيات يريد ان الخطايا
اكثر من الخطيات وقال قوم خطايا وخطيات واحد جمعان مستعملان في القلة والكثرة واستدلوا بقوله
تعالى ما نفدت كلمات الله وقال الشاعر "لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى" "واسيافنا يقطرن
من نجدة دما" وقرا الجحدري وتروى عن ابي حيوة خطيئتهم بالافراد والهمز وقرا عبد الله من خطيئاتهم
ما اغرقوا فجعل ما المزيدة بين الفعل وما يتعلق به ومن للسببية تتعلق باغرقوا وقال ابن عطية
لابتدا الغاية وليس بواضح وقرا العامة اغرقوا من اغرق وزيد بن علي غرقوا بالتشديد
وكلاهما للنقل تقول اغرقت زيدا في الماء وغرقته فيه **فصل** قال ابن الخطيب دل قوله اغرقوا
فادخلوا نارا على اثبات عذاب القبر لانه يدل على انه حصلت تلك الحالة عقيب الاغراق ولا يمكن حملها
على عذاب الاخرة والا بطلت دلالة هذه الفاء ايضا فقوله يدل على الاخبار على الماضي وهذا انما
يصدق لو وقع ذلك وقال مقاتل والكلبي معناه انهم سيدخلون في الاخرة نارا ثم عبر عن المستقبل
بلفظ الماضي لصدق وقوع وعده كقوله ونادى اصحاب الجنة قال ابن الخطيب وهذا ترك للظاهر
من غير دليل فان قيل انما تركنا الظاهر لدليل وهو ان من مات في الماء فانا نشاهده هناك فكيف
يمكن ان يقال انهم في تلك الساعة ادخلوا نارا فالجواب ان هذا الاشكال انما جا لاعتقاد ان
الانسان هو مجموع هذا الهيكل وهذا خطا لان هذا الانسان هو الذي كان موجودا من اول
عمره مع انه كان صغير الجثة في اول عمره ثم ان اجزاءه دائما في التحلل والذوبان ومعلوم ان الباقي
غير ما يذهب فهذه الاجزاء الاصلية الباقية عبارة عن ذلك الشي الذي هو باق من اول عمره الى الان
فلم يجوز ان يقال انه تعالى نقل الاجزاء الاصلية الباقية التي الانسان عبارة عنها الى النار والى العذاب
ونقل القرطبي عن القشيري انه قال هذه الاية تدل على عذاب القبر ومنكروه يقولون صاروا
مستحقين دخول النار او عرض عليهم اماكنهم من النار كقوله تعالى النار يعرضون عليها غدوا
وعشيا وقيل اشارة الى ما في الخبر من قوله البحر نار في نار وروى ابو روق عن الضحاك في قوله
تعالى اغرقوا فادخلوا نارا قال يعني عذبوا بالنار في الدنيا في حالة واحدة كانوا يغرقون في جانب ويحترقون

في جانب ذكره الثعلبي وانشد ابن الانباري "الخلق مجتمع طورا ومفترق" "والحادثات فنون ذات
اطوار" "لا تعجبن لاضداد قد اجتمعت" "فالله يجمع بين الماء والنار" قال المعذبون فادخلوا يجوز
ان يكون من التعبير عن المستقبل بالماضي لتحقق وقوعه لقوله اتى امر الله وان يكون على بابه والمراد
عرضهم على النار في قبورهم كقوله في ال فرعون النار يعرضون عليها غدوا وعشيا **قوله** فلم يجدوا
لهم من دون الله انصارا اي من يدفع عنهم العذاب وهذا يدل على انهم انما عبدوا الاصنام لتدفع
عنهم الافات وتجلب اليهم المنافع فلما جاءهم العذاب لم ينتفعوا بتلك الاصنام ولم يدفعوا عنهم
العذاب وهو كقوله تعالى ام لهم الهة تمنعهم من دوننا **قوله** تعالى وقال نوح رب لا تذر على الارض
من الكافرين ديارا قال الزمخشري ديار من الاسما المستعملة في النفي العام يقال ما بالدار ديار
وديور كقيوم وقيوم وهو فيعال من الدور او من الدار اصله ديوار ففعل به ما فعل باصل سيد وميت
ولو كان فعالا لكان دوارا انتهى يعني انه كان ينبغي ان يصح واوه ولا يقلب ياء وهذا نظير ما تقدم
له من البحث في متحيز وان اصله متحيوز متفيعل لا متفعل اذ كان يلزم ان يكون متحوزا لانه من
الحوز ويقال فيه ايضا دوار نحو قيام وقوام وقال مكي واصله ديوار ثم ادغموا الواو في الياء مثل
ميت اصله ميوت ثم ادغموا الثاني في الاول هذا لا يجوز اذ القاعدة المستقرة في متقاربين تلت
الاول للثاني ولا يجوز العكس الا شذوذا او لعارض صناعي اما الشذوذ فكقراءة واذكر بالذال
المعجمة وفيها من مذكر بالمعجمة ايضا وقد مضى تحقيقه واما العارض الصناعي فنحو مدح هلال
بقلب الهاء حاء لئلا يدغم الاقوى في الاضعف وهذا يعرفه من عاني التصريف والديار نازل الدار
يقال ما بالدار ديار وقيل الديار صاحب الدار وقال البغوي الديار يعني احدا يدور في الارض
فيذهب ويجي فيعال من الدوران **فصل** لما ايس نوح من اتباعهم اياه دعا عليهم قال قتادة
دعا عليهم بعد ان اوحى الله تعالى اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن فاجاب الله تعالى دعوته
واغرق امته وهذا كقول النبي صلى الله عليه وسلم اللهم منزل الكتاب وهازم الاحزاب اهزمهم
وزلزلهم وقيل سبب دعائه ان رجلا من قومه حمل ولدا صغيرا على كتفه فمر بنوح فقال احذر
هذا فانه يضلك فقال يا ابت انزلني فانزله فرماه فشجه فحينئذ غضب ودعا عليهم وقال محمد بن كعب
ومقاتل والربيع وعطية وابن زيد انما قال هذا حين اخرج الله كل مؤمن من اصلابهم وارحام نسائهم
واعقم ارحام نسائهم وايبس اصلاب رجالهم قبل العذاب باربعين سنة وقيل بسبعين سنة فاخبر الله
تعالى نوحا انهم لا يؤمنون ولا يلدون مؤمنا كما قال تعالى انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن فحينئذ
دعا عليهم نوح فاجاب الله تعالى دعاءه واهلكهم كلهم ولم يكن فيهم صبي وقت العذاب لان الله تعالى
قال وقوم نوح لما كذبوا الرسل اغرقناهم ولم يوجد التكذيب من الاطفال **فصل** قال ابن العربي
دعا نوح على الكفار اجمعين ودعا النبي صلى الله عليه وسلم على من تحزب على المؤمنين والب عليهم وكان
هذا اصلا في الدعا على الكافرين في الجملة فاما كافر معين لم تعلم خاتمته فلا يدعى عليه لان ماله
عندنا مجهول وربما كان عند الله معلوم الخاتمة بالسعادة وانما خص النبي صلى الله عليه وسلم بالدعا
عتبة وشيبة واصحابه لعلمه بمالهم وما كشف له من الغطا عن حالهم والله اعلم **قوله** رب اغفر لي
ولوالدي العامة على فتح الدال على انه تثنية والد يريد ابويه واسم ابيه لمك بن متوشلخ واسم
امه سمحا بنت انوش وكانا مؤمنين وحكى الماوردي اسم امه منجل وقرا الحسن بن علي رضي الله عنهما
ويحيى بن يعمر والنخعي والولدي تثنية ولد يعني ابنيه ساما وحاما وقرا ابن جبير والجحدري
ولوالدي بكسر الدال يعني اباه فيجوز ان يكون اراد اباه الاقرب الذي ولده وخصه بالذكر لانه
اشرف من الام وان يريد جميع من ولده من لدن ادم الى من ولده قال الكلبي كان بينه وبين ادم عشرة
ابا كلهم مؤمن وذكر القرطبي عن ابن عباس قال لم يكن لنوح ولد فيما بينه وبين ادم عليهما السلام ح

قوله تعالى ولمن دخل بيتي مومنا قال ابن عباس اي مسجدي ومصلاي مومنا اي مصدقا بالله مومنا حال وكان انما يدخل بيوت الانبيا من امن بهم فجعل المسجد سببا للدعا بالمغفرة وقيل المراد بقوله بيتي اي سفينتي وعن ابن عباس اي دخل في ديني فان قيل فعلى هذا ايصير قوله مومنا مكررا فالجواب ان من يدخل في دينه ظاهرا ان يكون مومنا وقد لا يكون فالمعنى ولمن دخل دخولا مع تصديق القلب قوله تعالى وللمومنين والمومنات خص نفسه اولا بالدعا ثم المتصلين به لانهم اولى واحق بدعايه ثم عم المومنين والمومنات الى يوم القيامة قاله الضحاك وقال الكلبي من امة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل من قومه والاول اظهر ثم ختم الكلام مرة اخرى بالدعا على الكافرين فقال ولا تزد الظالمين الا تبارا اي هلاكا ودمارا والمراد بالظالمين اي الكافرين فهي عامة في كل كافر ومشرك وقيل اراد مشركي قومه وتبارا مفعول ثان والاستثنا مفرغ وتقدم الكلام في التبار وكل شي اهلك فقد تبر ومنه قوله ان هولا متبر ما هم فيه وقيل التبار الخسران قال المفسرون فاستجاب الله دعاه فاهلكهم روى الثعلبي عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة نوح كان من المومنين الذين تدركهم دعوة نوح عليه السلام •

سورة الجن مكية

وهي ثمان وعشرون اية وسبعماية وتمانون كلمة وثمانماية وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى قل اوحي هذه قراة العامة اعني كونها من اوحي رباعيا وقرا العتكي عن ابي عمرو وابن ابي عبلة وابي اياس وحي ثلاثيا وهما لغتان يقال وحي اليه كذا واوحاه اليه بمعنى واحد فقلب الواو همزة ومنه قوله تعالى واذا الرسل اقتت وانشد للعجاج • وحي لها القرار فاستقرت وقرا زيد بن علي والكسائي في رواية وابن ابي عبلة ايضا احي بهمزة مضمومة لا واو بعدها وخرجت على ان الهمزة بدل من الواو المضمومة نحو اعد وفي اعد فهذه نوع قراة وحي ثلاثيا قال الزمخشري وهو من القلب المطلق جوازه في كل واو مضمومة وقد اطلقه المازني في المكسورة ايضا كاشاح واساد واعا احيه قال ابو حيان وليس كما ذكر بل في ذلك تفصيل وذلك ان الواو المضمومة قد يكون اولا وحشوا واخرا ولكل منها احكام وفي بعض ذلك خلاف وتفصيل مذكور في كتب النحو وتقدم الكلام في ذلك مشبعا في اول هذا الكتاب ثم قال ابو حيان بعد ما تقدم عن المازني وهذا الكثير وسج قوله تعالى انه استمع هذا هو القايم مقام الفاعل لانه هو المفعول الصريح وعند الكوفيين والاخفش يجوز ان يكون القايم مقامه الجار والمجرور فيكون هذا باقيا على نصبه والتقدير اوحي الي استماع نفر ومن الجن صفة لنفر فصل قال ابن عباس وغيره قل يا محمد لامتك اوحي الي على لسان جبريل انه استمع نفر من الجن والنفر الجماعة ما بين الثلاثة الى العشرة واختلفوا اهل راهم النبي صلى الله عليه وسلم ام لا فظاهر القران يدل على انه لم يرهم لقوله تعالى استمع وقوله واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القران وفي صحيح مسلم والترمذي عن ابن عباس قال انطلق النبي صلى الله عليه وسلم في طايفة من اصحابه عامدين الى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السما وارسل عليهم الشهب فرجعت الشياطين الى قومهم فقالوا ما لكم قالوا حيل بيننا وبين خبر السما وارسلت علينا الشهب قالوا ما ذاك الا من شي حدث فاضربوا مشارق الارض ومغاربها فانظروا ما هذا الذي حال بيننا وبين خبر السما فانطلقوا يضربون مشارق الارض ومغاربها فمر النفر الذين اخذوا نحو تهامة وهو واصحابه بنخلة قاصدين الى سوق عكاظ وهو يصلي باصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القران استمعوا له قالوا هذا الذي حال بيننا وبين خبر السما فرجعوا الى قومهم فقالوا يا قومنا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد فامنا به ولن نشرك بربنا احدا فانزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن الاية قال القرطبي وفي هذا الحديث دليل على انه عليه الصلاة والسلام لم يرا الجن ولكنهم حضروه وسمعوا قراته فان قيل الذين رموا بالشهب هم الشياطين والذين سمعوا

طين

القران فما وجه الجمع فالجواب من وجهين الاول ان الجن كانوا مع الشياطين فلما رمي الشياطين اخذ الجن الذين كانوا معهم في تجسس الخبر الثاني ان الذين رموا بالشهب كانوا من الجن الا انه قيل لهم شياطين كما قيل شياطين الانس والجن فان الشيطان كل متمرد بعيد من طاعة الله تعالى قال ابن الخطيب واختلف في اوليك الجن الذين سمعوا القران من هم فروي عاصم عن زر قال قدم رهط زوبعة واصحابه على النبي صلى الله عليه وسلم ثم انصرفوا فذلك قوله واذ صرفنا اليك نفرا من الجن وقيل كانوا الشيصبان وهم اكثر الجن عددا وعامة جنود ابليس منهم وقيل كانوا سبعة ثلاثة من ارض حران واربعة من اهل نصيبين والذين اتوه بنخلة نينوى وقال عكرمة وقيل كانوا اثني عشر من جزيرة الموصل ومذهب ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه امر بالمسير اليهم ليقرا القران عليهم ويدعوهم الى الاسلام روى ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال امرت ان اتلو القران على الجن فمن يذهب فسكتوا ثم قال ثانية فسكتوا ثم قال الثالثة فقلت انا اذهب معك يا رسول الله قال فانطلق حتى جا الحجون عند شعب ابن ابي دب خط علي خطا فقال لا تجاوزه ثم مضى الى الحجون فانحدروا عليه امثال الحجل كانهم رجال الزط وكان وجوههم المكاكي يقرعون في دفوفهم كما تقرع النسوة في دفوفها حتى غشوه فغاب عن بصري فقمت فاومى بيده الى ان اجلس ثم تلا القران فلم يزل صوته يرتفع ولصقوا بالارض حتى صرت لا اراهم وفي رواية اخرى قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا من انت قال نبي قالوا فمن يشهد لك على ذلك قال هذه الشجرة تعالي يا شجرة فجات تجر عروقها لها قعاقع حتى انتصبت بين يديه فقال على ماذا تشهدين قالت اشهد انك رسول الله قال اذهبي فرجعت كما جات حتى صارت كما كانت قال ابن مسعود فلما عاد الي قال اردت ان تاتيني قلت نعم يا رسول الله قال ما كان ذلك لك هولا الجن اتوا يستمعون القران ثم ولوا الى قومهم منذرين فسالوني الزاد فزودتهم العظم والبعر فلا يستطيبن احدكم بعظم ولا بعر وفي رواية انه عليه السلام لما فرغ وضع راسه على حجر ابن مسعود فرقد ثم استيقظ فقال هل من وضو قال لا الا ان معي اداوة نبيذ فقال هل هو الا تمر وما فتوضا منه قال ابن الخطيب وطريق الجمع بين مذهب ابن مسعود من وجوه احدها لعله ما ذكره ابن عباس وقع اولا فاوحى الله تعالى اليه بهذه السورة ثم امر بالخروج اليهم بعد ذلك كما روى ابن مسعود رضي الله تعالى عنهما وثانيها ان بتقدير ان يكون الجن مرة واحدة الا انه صلى الله عليه وسلم ما راهم وما عرف انهم ماذا قالوا واي شي فعلوا فالله تعالى اوحى اليه انه كان كذا وكذا وقالوا كذا وثالثها ان الواقعة كانت مرة واحدة وهو صلى الله عليه وسلم راهم وسمع كلامهم وهم امنوا به ثم لما رجعوا الى قومهم قالوا لقومهم على سبيل الحكاية انا سمعنا قرانا عجبا وكان كذا وكذا فاوحى الله تعالى الى محمد صلى الله عليه وسلم ما قالوه لاقوامهم قال ابن العربي ابن مسعود اعرف من ابن عباس لانه شاهده وابن عباس سمعه وليس الخبر كالمعاينة قال القرطبي وقيل ان الجن اتوا النبي صلى الله عليه وسلم دفعتين احدهما بمكة وهي التي ذكرها ابن مسعود والثانية بنخلة وهي التي ذكرها ابن عباس قال البيهقي الذي حكاه عبد الله انما هو في اول ما سمعت الجن قراة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلمت بحاله وفي ذلك الوقت لم يقرا عليهم ولم يرهم كما حكاه عبد الله بن عباس ثم اتاه داعي الجن مرة اخرى فذهب معه وقرا عليهم القران كما حكاه عبد الله بن مسعود فصل قال ابن الخطيب اعلم ان قوله تعالى قل امر لرسوله صلى الله عليه وسلم ان يظهر لاصحابه رضي الله تعالى عنهم ما اوحى الله تعالى اليه في واقعة الجن وفيه فوايد احدها ان يعرفوا بذلك انه صلى الله عليه وسلم بعث الى الجن كما بعث الى الانس وثانيها ان تعلم قريش ان الجن مع تمردهم لما سمعوا القران

عرفوا اعجازه فآمنوا بالرسول صلى الله عليه وسلم وثالثها انه نعلم القوم ان الجن مكلفون كالانس
ورابعها ان يعلم ان الجن يسمعون كلاما يفهمه من لغتنا وخامسها ان يظهر المومن منهم يدعو
غيره من الجن الى الايمان وفي هذه الوجوه مصالح كثيرة اذا عرفها الناس **فصل** اختلف العلما
في اصل الجن فروي عن الحسن البصري ان الجن ولد ابليس والانس ولد ادم وهولا وهولا في
مومنون وكافرون وهم شركا في الثواب والعقاب فمن كان من هولا وهولا كافرا فهو شيطان
وروي الضحاك عن ابن عباس ان الجن هم ولد الجان وليسوا شياطين ومنهم المومن ومنهم الكافر
ومنهم الشياطين هم ولد ابليس لا يموتون الا مع ابليس وروي ان ذلك النفر كانوا يهود وذكر الحسن
ان منهم يهود ونصارى ومجوسا ومشركين **فصل** اختلفوا في دخول الجن الجنة على حسب الاختلاف
في اصلهم فمن زعم انهم من الجان لا من ذرية ابليس قال يدخلون الجنة بايمانهم ومن قال انهم من ذرية
ابليس فلهم فيهم قولان احدهما وهو قول الحسن يدخلونها الثاني وهو رواية مجاهد لا يدخلونها
فصل قال القرطبي وقد انكر جماعة من كفرة الاطبا والفلاسفة الجن وقالوا انهم بسائط
ولا يصح طعامهم اجترا على الله والقران والسنة ترد عليهم وليس في المخلوقات بسيط مركب مزدوج
انما الواحد الواحد سبحانه وغيره مركب ليس بواحد فكيف ما يصرف حاله وليس يمتنع ان يراهم
النبي صلى الله عليه وسلم في صورهم كما يرى الملايكة واكثر ما يتصورون لنا في صور الحيات ففي
الحديث ان رجلا حديث عهد بعرس استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بانصاف النهار ان يرجع الى
اهله الحديث وفيه واذا حية عظيمة مطوية على الفراش فاهوى اليها بالرمح فانتظمها وذكر الحديث
وفي الصحيح انه عليه الصلاة والسلام قال ان لهذه البيوت عوامر فاذا رايتم منها شيا فحرجوا
عليها ثلاثا فان ذهب والا فاقتلوه فانه كافر وقال اذهبوا فادفنوا صاحبكم وذهب قوم الى ان
ذلك مخصوص بالمدينة لقوله في الصحيح ان بالمدينة جنا قد اسلموا وهذا لفظ مختص بها فتختص
بحكمها قال القرطبي قلنا هذا يدل على ان غيرها من البيوت مثلها لانه لم يعلل بحرمة المدينة فيكون
ذلك الحكم مخصوصا بها وانما علل بالاسلام وذلك عام في غيرها الا ترى قوله في الحديث مخبرا
الذي لقي وكانوا من جن الجزيرة ويعضد هذا قوله ونهى عن عوامر البيوت وهذا عام وقد مضى
في سورة البقرة **قوله** تعالى انا سمعنا قرانا عجبا اي قالوا لقومهم حين رجعوا اليهم كقوله
فلما قضي ولوا الى قومهم منذرين ووصف القران بعجب مبالغة اي خارجا عن حد اشكاله
وفي فصاحة كلامه او في بلاغة مواعظه او عجبا في عظم بركته وعزيز لا يوجد مثله واما على حذف
مضاف اي ذي عجب واما المعنى اسم الفاعل اي معجب وقوله يهدي صفة اخرى اي هاديا الى
الرشد قرا العامة الرشد بضمه وسكون وابن عمر بضمهما وعنه ايضا فتحهما وتقدم هذا في
الاعراف والمعنى يهدي الى الصواب وقيل الى التوحيد **قوله** تعالى فامنا به اي بالقران
اي فاهتدينا به وصدقنا انه من عند الله تعالى ولن نشرك بربنا احدا اي لا نرجع الى ابليس ولا
نطيعه ولا نعود الى ما كنا عليه من الاشراك وهذا يدل على ان اوليك الجن كانوا مشركين **قوله**
تعالى وانه تعالى جد ربنا قرا الاخوان وابن عامر وحفص بفتح ان وما عطف عليها بالواو في اثني عشرة
كلمة والباقون بالكسر وقرا ابن عامر وابو بكر وانه لما قام بالكسر وبها الباقون بالفتح واتفقوا
على الفتح في قوله وان المساجد لله وتلخيص هذا ان المشددة في هذه السورة على ثلاثة اقسام
قسم ليس معه واو العطف فهذا لا خلاف بين القراء في فتحه او كسره على حسب ما جاءت به التلاوة
واقتضته العربية كقوله قل اوحي الي انه استمع لا خلاف في فتحه لوقوعه موقع المصدر
وكقوله انا سمعنا قرانا لا خلاف في كسره لانه محكي بالقول القسم الثاني ان يقترن بالواو وهو
اربع عشرة كلمة احدها لا خلاف في فتحها وهي قوله تعالى وان المساجد لله وهذا هو القسم الثالث

والثانية وانه لما قام كسرها ابن نافع وابن عامر وابو بكر وفتحها الباقون والاثنتا عشرة الباقية
فتحها الاخوان وابن عامر وحفص وكسرها الباقون كما تقدم تحرير ذلك كله والاثنتا عشرة
هي قوله وانه تعالى جد وانه كان يقول ٭ وانا ظننا ٭ وانه كان رجال ٭ وانهم ظنوا ٭ وانا لمسنا
وانا كنا ٭ وانا لا ندري ٭ وانا منا الصالحون ٭ وانا ظننا ٭ وانا لما سمعنا ٭ وانا منا المسلمون
فهذه اضبطها من حيث القراءات ولما توجيه ذلك فاختلف الناس فيه فقال ابو حاتم في الفتح
هو معطوف على مرفوع اوحي فتكون كلها في موضع رفع لما لم يسم فاعله ورد ذلك من حيث ان اكثرها
لا يصح دخوله تحت معمول اوحي الا ترى انه لو قيل اوحي الي انا لمسنا السما وانا كنا وانا لا ندري
وانا منا الصالحون وانا لما سمعنا وانا منا المسلمون لم يستقم معناه وقال مكي وعطف على
امنا به اتم في المعنى من العطف على انه استمع لانك لو عطفت وانا ظننا وانا لما سمعنا وانه كان
رجال من الانس وانا لمسنا وشبه ذلك على انه استمع لم يجز لانه ليس مما اوحي اليه انما هو اخبر
جمع عن انفسهم والكسر في هذا البين وعليه جماعة من القرا الثاني ان الفتح في ذلك عطف على محل
به من امنا به قال الزمخشري كانه قال صدقناه وصدقنا انه تعالى جد ربنا وانه كان يقول
سفيهنا وكذلك البواقي الا ان مكيا ضعف هذا الوجه فقال والفتح في ذلك على الحمل
على امنا به فيه بعد في المعنى لانهم لم يخبروا انهم امنوا بانهم لما سمعوا الهدى امنوا به ولم يخبروا
انهم امنوا انه كان رجال انما حكى الله عنهم انهم قالوا ذلك مخبرين به عن انفسهم لاصحابهم والكسر اولى
بذلك وهذا الذي قاله غير لازم فان المعنى على ذلك صحيح وقد سبق الزمخشري الى هذا
التخريج الفرا والزجاج الا ان الفرا استشعر اشكالا وانفصل عنه فانه قال فتحت ان لوقوع
الايمان عليها وانت تجد الايمان يحسن في بعض ما فتح دون بعض فلا يمنع من امضايها على
الفتح فانه يحسن فيه ما يوجب فتح ان نحو صدقنا وشهدنا كما قالت العرب ٭
وزججن الحواجب والعيونا فنصب العيون لاتباعها الحواجب وهي لا تزجج انما تكحل فاضمر لها
الكحل انتهى فاشار الى شي مما ذكره ثم واجاب عنه وقال الزجاج لكن وجهه ان يكون محمولا
على معنى امنا به لان معنا امنا به صدقناه وعلمناه فيكون المعنى صدقنا انه تعالى جد ربنا الثالث
انه معطوف على الهاء في به اي امنا به وبانه تعالى جد ربنا وبانه كان يقول الى اخره وهو مذهب
الكوفيين وهو وان كان قويا من حيث المعنى الا انه ممنوع من حيث الصناعة لانه لا يعطف
على الضمير المجرور الا باعادة الجار وتقدم تحرير هذين القولين في سورة البقرة عند قوله
وكفر به والمسجد الحرام على ان مكيا قد قوى هذا المدرك اخر وهو حسن جدا فقال هو يعني العطف
على الضمير المجرور دون اعادة الجار في ان اجود منه في غيرها لكثرة حذف حرف الجر مع ان ووجه
الكسر العطف على قوله انا سمعنا فتكون الجميع معمولا للقول اي فقالوا انا سمعنا وقالوا انه تعالى
جد ربنا الى اخرها وقال بعضهم الجملتان من قوله تعالى وانه كان رجال وانهم ظنوا معترضتان
من قول الجن وهما من كلام الباري تعالى والظاهر انهما من كلامهم قاله بعضهم لبعض ووجه
الكسر والفتح في قوله وانه لما قام عبد الله ما تقدم ووجه اجماعهم على فتح وان المساجد لله
وجهان احدهما انه معطوف على انه استمع فيكون موحى ايضا والثاني انه على حذف حرف الجر وذلك
الحرف متعلق بفعل النهي فلا تدعوا مع الله احدا لان المساجد لله ذكرهما ابو البقا وقال الزمخشري
انه استمع بالفتح لانه فاعل اوحي وانا سمعنا بالكسر لانه مبتدا محكي بعد القول ثم تحمل عليهما البواقي
فما كان من الوحي فتح وما كان من قول الجن كسر وكلهم من قولهم الا الثنتين الاخريين وهما وانه
المساجد وانه لما قام عبد الله ومن فتح كلهن فعطفا على محل الجار والمجرور في امنا به اي صدقنا
وصدقنا انه والهاء في انه استمع وانه تعالى وما بعد ذلك ضمير الامر والشان وما بعده خبر ان

قوله تعالى جد ربنا قرا العامة بالفتح جد ربنا بالفتح مضافا لربنا والمراد به هنا
العظمة وقيل قدرته وامره وقيل ذكره والجد ايضا الحظ ومنه قوله عليه الصلاة والسلام
ولا ينفع ذي الجد منك الجد والجد ايضا ابو الاب والجد بالكسر جد التواني في الامر وقرا
عكرمة بضم با ربنا وجد تنوين جد على ان يكون ربنا بدلا من جد والجد العظيم كانه قيل وانه تعالى
عظيم ربنا فابدل المعرفة من النكرة وعنه ايضا جدا منصوبا منونا ربنا مرفوع ووجه
ذلك ان ينتصب جدا على التمييز وربنا فاعل بتعالى وهو المنقول من الفاعلية اذ التقدير
تعالى جد ربنا ثم صار تعالى ربنا جدا ابن عطية نحو تصبب زيد عرقا اي عرق زيد وعنه
ايضا وعن قتادة كذلك الا انه بكسر الجيم وفيه وجهان احدهما انه نعت لمصدر محذوف
وربنا فاعل بتعالى والتقدير تعالى ربنا تعاليا جدا اي حقا لا باطلا والجد بكسر الجيم
ضد الهزل والثاني انه منصوب على الحال اي تعالى ربنا حقيقة ومتمكنا قاله بن
عطيه وقرا حميد بن قيس جد ربنا بضم الجيم مضافا لربنا وهو بمعنى التعظيم حكاه
سيبويه وهو في الاصل من اضافة الصفة لموصوفها اذ الاصل ربنا العظيم نحو جرد
قطيفة الاصل قطيفة جرد وهو مؤول عند البصريين وقرا بن السميع جدا ربنا
بالف بعد الدال مضافا لربنا والجدا والجدوي النفع والعطا اي تعالى عطا ربنا
ونفعه فصل قال القرطبي الجد في اللغة العظمة والجلال ومنه قول انس كان
الرجل اذا حفظ البقرة وال عمران جد في عيوننا اي عظم رجل فمعنى جد ربنا اي عظمته
رجلا له قاله عكرمة ومجاهد وقتادة وعن مجاهد ايضا ذكره وقال انس بن مالك
والحسن وعكرمة ايضا غناه ومنه قيل للحظ جد ورجل مجد وداي محظوظ وفي الحديث
ولا ينفع ذي الجد منك الجد قال ابو عبيد والخليل اي ذا الغنى منك الغنى انما تنفعه الطاعة
وقال بن عباس قدرته وقال الضحاك فعله وقال القرطبي والضحاك ايضا الاوه ونعمه
على خلقه وقال ابو عبيدة والاخفش ملكه وسلطانه امره وقال سعيد بن جبير وانه تعالى
جد ربنا اي تعالى ربنا وقيل انهم عنوا بذلك الجد الذي هو ابو الاب ويكون هذا من قول
الجن وقال محمد بن علي بن الحسين وابنه جعفر الصادق والربيع ليس لله تعالى جد
وانما قاله الجن للجهالة فلم يوجد وانه قال القشيري ويجوز اطلاق لفظ الجد في حق الله
تعالى اذ لو لم يجز لما ذكر في القران غير انه لفظ موهم فتجنبه اولى قال القرطبي ومعنى
الاية وانه تعالى جلال ربنا ان يتخذ ولدا او صاحبة للاستيناس بها او الحاجة لهما والربايعة
عن ذلك كما تعالى عن الانداد والنظراء وقوله ما تخذ صاحبة مستانف فيه لعزيز
لعفا المجد قوله تعالى وانه كان يقول سفيهنا على الله شططا الهاني انه للامر
او الحديث وسفيهنا يجوز ان يكون اسم كان ويقول الخبر ولو كان مثل هذه الجملة
غير واقعة خبرا لكان لا يمتنع تقديم الخبر حينيذ نحو سفيهنا يقول لو قلت يقول سفيهنا
على التقديم والتاخير لم يجز والفرق انه في غير باب كان بلبس بالفعل والفاعل وفي
باب كان يومن ذلك ويجوز ان يكون سفيهنا فاعل يقول والجملة خبر كان واسمها
ضمير الامر مستتر فيها وقد تقدم هذا في قوله ما كان يصنع فرعون وقومه وقوله
شططا تقدم مثله في الكهف قاله القرطبي ويجوز ان يكون كان زائدة فصل
السفيه هنا ابليس في قول مجاهد وبن جريج وقتادة ورواه ابو بردة عن ابي موسى عن ابيه
عن النبي صلى الله عليه وسلم وقيل المشركون من الجن قال قتادة عصاه سفيه الجن كما عصاه
سفيه الانس والشطط الاستطاط العلو في الكفر وقال ابو مالك هو الجور وقال الكلبي

هو

هو الكذب واصله البعد فعبر به عن الجور لبعده من العدل وعن الكذب لبعده عن الصدق
قال الشاعر ... بانه حاد حكموا فيك فاشتطوا وماذا الا حيث بمهلك الوخط قوله
تعالى وانا ظننا اي حسبنا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا ان مخففة واسمها مضمر
والجملة المنفية خبرها والفاصل هنا حرف النفي وكذبا مفعولا به اونعت مصدر محذوف
اي قولا كذبا وقرا الحسن والجحدري وابو عبد الرحمن ويعقوب تقوله بفتح القاف
والواو المشددة وهو مضارع تقول اي كذب والاصل تتقول فحذف احدي التاين
نحو تذكرون وانتصب كذبا في هذه القراة على المصدر لان التقول كذب فهو نحو قولهم
تعدت جلوسا ومعنى الايه وانا حسبنا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا فلذلك
صدقناهم في ان لله صاحبة وولدا حتى سمعنا القران وتبينا به الحق قيل انقطع الاخبار
عن الجن هنا فقال الله تعالى وانه كان رجال من الانس فمن فتح وجعله من قول الجن
ردها الى قوله تعالى انه استمع ومن كسر جعلها مبتدا من قول الله تعالى والمراد به
ما كانوا يفعلونه من قول الرجل اذا نزل بوادي اعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفها
قومه فيبيت في جواره حتى يصبح قاله الحسن وبن زيد وغيرهما وقيل كانوا في الجاهلية
اذا قحطوا بعثوا رائدهم فاذا وجد مكانا فيه كلا وماء رجع الى اهله فسار بهم فاذا انتهوا
الى تلك الارض نادوا نعوذ بك يا رب هذا الوادي اي نصيبنا افة يعنون من الجن فان لم
يفزعهم احد نزلوا وان افزعهم الجن رجعوا قال مقاتل كان اول من تعوذ بالجن قوم من
اهل اليمن ثم بني حنيفة فشا ذلك في العرب فلما جا الاسلام عاذوا بالله وتركوهم
وقال كردم بن ابي السايب خرجت مع ابي الى المدينة اول ما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فاوانا
المبيت الى راعي غنم فلما انتصف الليل جا الذيب فحمل حملا من الغنم فقال الراعي يا عامر الوادي
جارك الله فنادي مناديا سرحان ارسله فاتي الحمل يشتد حتى دخل في الغنم ولم تصبه كدمة
فانزل الله تعالى على رسوله بمكة وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم
رهقا اي زاد الانس الجن رهقا اي خطية واثما قاله بن عباس ومجاهد وقتادة والرهق
الاثم في كلام العرب وغشيان المحارم ورجل رهق اذا كان كذلك ومنه قوله تعالى
وترهقهم ذلة وقال الاعشي لا شي ينفعني من دون رويته هل يشتفي عاشق ما لم
يصب رهقا يعني اثما واضيفت الزيادة الى الجن اذ كانوا سببا لها وقال مجاهد ايضا ان
زادوهم اي ان الانس زادوا الجن طغيانا بهذا التعوذ حتى قالت الجن سدنا الانس والجن
وقال قتادة ايضا وابو العالية والربيع وبن زيد اذ زادوا الانس هذا فرقا وخوفا
من الجن وقال سعيد بن جبير كفرا ولا خفا ان الاستعاذة بالجن دون الاستعاذة بالله
كفر وشرك وقيل لا ينطلق لفظ الرجال على الجن فالمعنى وانه كان رجال من الانس يعوذون
من شر الجن برجال من الانس وكان الرجل من الانس مثلا يقول اعوذ بحذيفة من بدر من
جن هذا الوادي قال القشيري وفي هذا تحكم اذ لا يبعد اطلاق لفظ الرجال على الجن وقوله
من الانس صفة لرجال وكذلك قوله من الجن قوله تعالى وانهم ظنوا كما ظننتم ان لن يبعث
الله احدا الكلام في ان كالكلام في الاولى وان وما في حيزها سادة مسد معمولي الظن
والمسالة من باب الاعمال لان ظنوا يطلب مفعولين وظننتم كذلك وهو من اعمال الثاني
للحذف من الاول والضمير في انهم ظنوا للانس وفي ظننتم للجن ويجوز العكس فصل
هذا من قول الله تعالى للانس اي وان الجن ظنوا ان لن يبعث الله الخلق كما ظننتم وقال
الكلبي ظنت الجن كما ظنت الانس ان لن يبعث الله رسولا الى خلقه يقيم به الحجة عليهم وكل هذا

هذا توكيد للجحد على قرا نبي اي اذا امن هولا الجن بمحمد فانتم احق بذلك **قوله** تعالى
وانا لمسنا السما هذا امن قول الجن اي طلبنا خبرها كما جرت عادتنا فوجدناها مليت حرسا
شديدا اي حفظه يعني الملايكة واللمس ابليس فاستعير الطالب لان الماس طالب متعرف
فقال لمسه والتمسه وتحوه للجس يقال جسوه باعينهم وتجسسوه والمعنى طلبنا بلوغ السما
واستماع كلام اهلها **قوله** تعالى فوجدناها فيها وجهان اظهرهما انها متعد به الواحد لان
معنا ها اصبنا وصادفنا وعلى هذا فالجملة من قوله مليت في موضع نصب على الحال على اضمار
قد والثاني انها متعد به لاثنين فيكون الجملة في موضع المفعول الثاني وحرسا منصوب
على التمييز نحو امتلا الانا ما والحرس اسم جمع الحارس نحو خدم الخادم وغيب الغايب ويجمع
تكسيرا على احراس كقول امرء القيس ٥ تجاوزت احراسا واهوال معشر ٥ حواص على لو يسرون
مقتلي ٥ والحارس الحافظ الرقيب والمصدر الحراسة وشديدا صفة لحرس على اللفظ كقوله
احسبي رجالا دعا وكنا عادنا ٥ ولوجا على المعنى لقيل شدادا بالجمع لان المعنى مليت ملايكه شدادا
كقولك السلف الصالح يعني الصالحين قال القرطبي ويجوز ان يكون حرسا مصدرا على معنى حرست
حراسة شديدة وقوله وشهبا جمع شهاب ككتاب وكتب وهل المراد النجوم او الحرس انفسهم
وهو انقضاض الكوكب المحرقة لهم عن استراق السمع وقد تقدم في سورة الحجر والصافات
وانما عطف لبعض الصفات على بعض عند تغاير اللفظ كقوله ٥ وهند اتى يزدونها النأي
والبعد وقرا الاعرج مليت بياء صريحة دون همزة **قوله** تعالى وانا كنا نقعد منها
مقاعد للسمع المقاعد جمع مقعد اسم مكان والضمير في منها اي من السما والمقاعد مواضع
نقعد في مثلها لاستماع الاخبار من السما وذلك ان مردة الجن كانوا يفعلون ذلك ليستمعوا
من الملايكة اخبار السما فيلقوها الى الكهنة فحرسها الله تعالى حين بعث رسوله
بالشهب المحرقة فقالت الجن حينيذ فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا يعني بالشهاب الكوكب
المحرق **قوله** تعالى الان هو ظرف حالي واستعير هنا للاستقبال كقوله **فصل**
ولكن ساسعى لاتبعت انا ها فاقترن بحرف السغيس وقد تقدم هذا في البقره عند قوله فالان
باشروهن ورصدا اما مفعول له واما صفة لشهابا اي ذا رصد وجعل الزمخشري الرصد اسم
جمع كحرس فقال والرصد اسم للراصد كحرس على معنى ذوي شهاب راصدين بالرجم وهم الملايكه
ويجوز ان تكون صفة للشهاب بمعنى الراصد او كقوله ومعا جايعا **فصل** اختلفوا هل كانت الشياطين
تقذف قبل المبعث او ذلك امر حدث لمبعث النبي صلى الله عليه وسلم فقال قوم لم تكن تحرس السما
في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام خمس مايه عام وانما كان من اجل بعثة النبي
صلى الله عليه وسلم فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها وحرست بالملايكة
والشهب قاله الكلبي ورواه عطيه عن بن عباس ذكره البيهقي وقال عبد الله بن عمر لما كان اليوم
الذي بني رسول الله صلى الله عليه وسلم منعت الشياطين ورموا بالشهب وقال عبد الملك
بن سابور لم تكن السما تحرس في الفترة بين عيسى ومحمد صلى عليهما الصلاة والسلام فلما بعث
محمد صلى الله عليه وسلم حرست السما ورميت الشياطين بالشهب ومنعت من الدنو من السماء
قال نافع بن جبير كانت الشياطين في الفترة تسمع فلا ترمى فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
رميت بالشهب ونحوه عن ابي بن كعب قال لم يرم بنجم منذ رفع عيسى حتى نبي رسول الله صلى الله عليه
وسلم فرمي بها وقيل كان ذلك قبل المبعث وانما زادت بمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
انذارا بحاله وهو معنى قوله تعالى قد مليت اي زيدت في حرسها وقال اوس بن حجر وهو جاهلي فانقض
كالدري يتبعه نقع يخال ٥ بنور تخاله طنبا قال الجاحظ هذا البيت مصنوع وان الرمي لم يكن

قبل

قبل المبعث والقول بالرمي اصح لهذه لانها تخبر عن الجن انها اخبرت بالزيادة في الحرس وانها امتليت
من الحرس والشهب وقال بشر ابن ابي حازم والعير يلحقها الغبار وجحشها ينقض خلفهما انقضاض الكوكب
وروى الزهري عن علي بن الحسين عن بن عباس رضي الله عنهم قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
جالس في نفر من الانصار اذ رمي بنجم فاستنار فقال لهم ما كنتم تقولون في مثل هذا في الجاهلية فقالوا
كنا نقول يموت عظيم بن عظيم او يولد عظيم بن عظيم فقال عليه الصلاة والسلام انها لا ترمى لموت احد
ولا لحياته ولكن ربنا تبارك وتعالى اذا قضى امرا في السما سبح حملة العرش وسبح اهل كل سما حتى ينتهي
التسبيح الى هذه السما فيسال اهل السما حملة العرش فيخبرهم ويخبر اهل كل سما حتى ينتهي الخبر الى هذه السما
فيختطف الجن فما جاوا به فهو حق ولكنهم يزيدون فيه وهذا يدل على ان هذه الشهب كانت موجوده قبل المبعث بزيود
وهذا قول الاكثرين قال الجاحظ فلو قال قايل كيف يتعرض الجن لاحتراق نفسها بسبب سماع خبر بعد ان صار
معلوما لهم فالجواب ان الله تعالى ينسيهم ذلك حتى تعظم المحنة كما ينسى ابليس في كل وقت انه لا يسلم وان الله
تعالى قال له وان عليك اللعنة الى يوم الدين ولولا هذا لما تحقق التكليف قال القرطبي والرصد قيل
من الملايكة اي ورصدا من الملايكة والرصد الحافظ للشي والجمع ارصاد وفي غير هذا الموضع يجوز ان
يكون جمعا كالحرس والواحد راصد وقيل الرصد هو الشهاب اي شهاب قد ارصد له ليرجم به فهو فعل
بمعنى مفعول كالخبط والنقض **قوله** تعالى وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض في اشر اريد
وجهان احسنهما الرفع بفعل مضمر على الاشتغال وانما كان احسن لتقدم طالب الفعل وهو اداة الا
ستفهام والثاني الرفع على الابتدا والقايل ان يقول يتعين هنا الرفع باضمار فعل المدرك لاجر وهو انه قد
عطف بام فعل فاذا اضمرنا الفعل رافعا كنا قد عطفنا جملة فعلية على مثلها بخلاف رفعه بالابتدا
فانه حينيذ يخرج ام عن كونها عاطفة الى كونها منقطعة الا بتاويل بعيد وهو ان الاصل اشر اريد بهم ام خير
فوضع قوله ام اراد بهم موضع خير وقوله اشر سادّ مسدّ مفعولين لي ندري بمعنى انه معلق له وكرر اعي معنى
من في قوله بهم ربهم فجمع **فصل** قال بن زيد معنى الاية ان ابليس قال لا ندري هل اراد الله تعالى بهذا
المنع ان ينزل على اهل الارض عذابا او يرسل اليهم رسولا وقيل هو من قول الجن فيما بينهم قبل ان
يسمعوا قراءة النبي صلى الله عليه وسلم اي لا ندري اشر اريد بمن في الارض بارسال محمد اليهم فانهم يكذبونه
ويهلكون بتكذيبه كما هلك من كذب من الامم ام اراد ان يومنوا فيهتدوا فالشر والرشد على هذا
الكفر والايمان وعلى هذا كان عندهم علم بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم ولما سمعوا قراءته علموا انهم
منعوا من السما حراسة للوحي وقيل لا بل هذا قول قالوه لقومهم بعد انصرفوا اليهم منذرين اي لما
امنوا اشفقوا الا يومن كثير من اهل الارض فقالوا انا لا ندري ايكفر اهل الارض بما امنا به ام
يومنوا **قوله** تعالى وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك هذا من قول الجن اي قال بعضهم لبعض
لما دعوا اصحابهم الى الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وانا كنا قبل استماع القران منا الصالحون
ومنا دون ذلك يحتمل وجهين احدهما ان دون بمعنى غير اي ومنا غير الصالحين اي كافرون
وهو مبتدا وانما فتح الاضافته الى غير متمكن كقوله لقد تقطع بينكم فيمن نصب على احد الاقوال
والى هذا نحا الاخفش والثاني ان دون على بابها من الظرفية وانها صفة لمحذوف تقديره ومنا فريق
او فوج دون ذلك وحذف الموصوف مع من التبعيضية يكثر كقولهم منا ظعن ومنا اقام اي منا فريق
ومعنى الاية ومنا صالحون دون اولئك في الصلاح **قوله** تعالى كنا طرايق فيه اوجه احدها
ان التقدير كنا ذوي طرايق اي ذوي مذاهب مختلفة الثاني ان التقدير كنا في اختلاف احوالنا
مثل الطرايق المختلفة الثالث ان التقدير كنا في طرايق مختلفة كقوله كما عسل الطريق الثعلب
الرابع ان التقدير كانت طرايقنا قددا على حذف المضاف الذي هو الطرايق واقامة الضمير المضاف
اليه مقامه قال الزمخشري فقد جعل في ثلاثة اوجه مضافا محذوفا لانه قدر في الاول ذوي وفي

الثاني مثل وفي الثالث طرايقنا ورد ابو حيان عليه قوله كنا في طرايق لعوله كما عسل الطرق
بان هذا لا يجوز الا في ضرورة او ندور ولا يخرج القران عليه معني تحدي الفعل بنفسه الي
طرف المكان المختص والقدد جمع قد والمراد بها الطريقه واصلها السيرة يقال قدة فلان
حسنه اي سيرته وهو من قد السير اي قطعه علي استواء فاستعير المسيرة المعتدله قال
قال الشاعر ٭ القابض الباسط الهادي بطاعته في فتنة الناس اذ اهواوهم قدد ٭ وقال اخر
جمعت بالراي منهم كل رافضة ٭ اذ هم طرايق في اهوايهم قددا ٭ وقال لبيد يرثي اخاه ٭
٭ لم تبلغ العين كل نهمتها ٭ يوم تمشي الجياد بالقدد ٭ ولعدد الكسر مبر يقد من جلد غير مدبوغ
ويقال ما له قد ولا قحف فالقد اناء من جلد والقحف اناء من خشب **فصل** قال سعيد بن المسيب
معناه كنا مسلمين ويهود ونصارى ومجوس وقال السدي في الجن مثلكم قدرية ومرجئة ٭
وخوارج ورافضة وشيعة وسنية وقال قوم المعني وانا بعد استماع القران مختلفون
منا المومنون ومنا الكافرون وقيل اي ومنا الصالحون ومنا مومنون لم يتبعها هو في الصلاح
قال القرطبي والاول احسن لانه كان في الجن من امن بموسي وعيسي وقد اخبر الله عنهم انهم قالوا
انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسي مصدقا لما بين يديه وهذا يدل علي ايمان قوم منهم بالتورية
وكان هذا مبالغة منهم في دعاء من دعاهم الي الايمان وايضا لا فايدة في قولهم نحن الان منقسمون
الي مومن والي كافر والطرايق جمع طريقة وهي مذهب الرجل اي كنا فرقا مختلفة ويقال القوم
طرايق اي علي مذاهب شتي والعدد نحو من الطرايق وهو تاكيد لها واحدها قدة يقال لكل
طريقة قدة **قوله** تعالي وانا ظننا ان لن نعجز الله في الارض الظن هنا بمعني العلم واليقين
وهو خلاف الظن في قوله تعالي ظننا ان لن تقول وانهم ظنوا اي وعلمنا بالاستدلال والتفكر
في ايات الله تعالي انا في قبضته وسلطانه لن نفوته بهرب ولا غيره وقوله في الارض حال
وكذلك هربا مصدر في موضع الحال تقديره لن نعجزه كاينين في الارض اينما كنا فيها ولن نعجزه
هاربين منها الي السما **قوله** تعالي وانا لما سمعنا الهدي يعني القران امنا به بالله وصدقنا
محمدا صلي الله عليه وسلم علي رسالته وكان صلي الله عليه وسلم مبعوثا الي الانس والجن قال
الحسن بعث الله محمدا صلي الله عليه وسلم الي الانس والجن ولم يبعث الله تعالي قط رسولا
من الجن ولا من اهل البادية ولا من النسا وذلك قوله تعالي وما ارسلنا قبلك الا رجالا يوحي
اليهم من اهل القري وفي الصحيح وبعثت الي الاحمر والاسود اي الانس والجن وقد تقدم الكلام
علي هذه المسلة في سورة الانعام عند قوله يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم **قوله**
تعالي فمن يومن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا قال ابن عباس لا يخاف ان ينقص من حسناته ولا ان يزاد
في سياته لان البخس النقصان والرهق العدوان وغشيان المحارم وقد تقدم في بيت الاعشي **قوله**
تعالي فلا يخاف اي فهو غير خايف ولان الكلام في تقدير مبتدا وخبر فلذلك دخلت الفا ولولا
ذلك لقيل لا يخف قاله الزمخشري ثم قال فان قلت اي فايدة في رفع الفعل وتقدير مبتدا
قبله حتي يقع خبرا له ووجوب ادخال الفا وكان كل ذلك مستغني عنه بان يقال لا يخف قلت
الفايدة فيه انه اذا فعل ذلك كان فقيل فهو لا يخاف فكان دالا علي تحقيق ان المومن ناج لا محاله وانه
هو المختص بذلك دون غيره قال شهاب الدين وسبب ذلك ان الجملة تكون اسمية حينيذ
والاسمية ادل علي التحقيق والثبوت من الفعلية وقرا ابن وثاب والاعمش فلا يخف بالجزم
وفيها وجهان احدهما ولم يذكر الزمخشري غيره ان لا ناهية والفا حينيذ واجبة والثاني
انها نافية والفا حينيذ زايدة وهذا ضعيف وقوله بخسا فيه حذف مضاف اي جزا بخس
كذا قدره الزمخشري وهو مستغني عنه وقرا ابن وثاب بخسا بفتح الخا قال القرطبي وقرا

الاعمش

الاعمش ويحيي وابراهيم جزما علي جواب الشرط والفا الغا **قوله** تعالي وانا منا المسلمون
ومنا القاسطون اي وانا بعد استماع القران مختلفون فمنا من اسلم ومنا من كفر والقاسط
الجاير لانه عادل عن الحق والمقسط العادل لانه عادل الي الحق قسط اذا جار واقسط اذا
اعدل قال الشاعر ٭ قوم هم قتلوا ابن هند عنوة ٭ عمرا وهم قسطوا علي النعمان ٭ وقد تقدم في اول
النسا ان قسط الثلاثي بمعني جار واقسط الرباعي بمعني عدل وان الحجاج قال لسعيد بن جبير
ما تقول في قال انك قاسط عادل فقال الحاضرون ما احسن ما قال فقال يا جهلة جعلني
جايرا كافرا وتلا قوله واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا ثم الذين كفروا بربهم يعدلون
قوله تعالي فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا اي قصدوا طريق الحق وتوخوه وطلبوه
باجتهاد ومنه التحري في الشي قال الراغب حري الشي يحري اي قصد حراه اي جانبه وتحراه
كذلك وحري الشي يحري نقص كانه لزم حراه ولم يمتد قال الشاعر ٭ والمرء بعد تمامه
يحري ٭ ويقال رماه الله بافعي حاريه اي شديدة انتهي وكان اصله من قولهم هو حري بكذا
اي حقيق به فمن ورشدا مفعول به والعامة قرا رشدا بفتحتين والاعرج بضمه وسكون
قوله تعالي واما القاسطون اي الجايرون عن طريق الحق والايمان فكانوا لجهنم حطبا
اي وقودا وقوله فكانوا اي في علم الله تعالي فان قيل لم ذكر عقاب القاسطين ولم يذكر
ثواب المسلمين فالجواب بل ذكر ثواب المومنين بقوله تحروا رشدا اي تحروا رشدا عظيما لا يعلم
كنهه الا الله تعالي ومثل هذا لا يتحقق الا في الثواب فان قيل ان الجن مخلوقون من النار فكيف
يكونون حطبا للنار فالجواب انهم وان خلقوا من النار لكنهم تغيروا عن تلك الكيفية فصاروا لحما
ودما هكذا قيل وهذا اخر كلام الجن **قوله** تعالي وان لو استقاموا علي الطريقة ان هي
المخففة وقد تقدم انه يكتفي بلو فاصلة بين ان المخففة وخبرها اذا كان جملة فعلية في سورة
سبا قال الواحدي وفصل لو بينها وبين الفعل لا والسين في قوله الا يرجع اليهم قولا وعلم ان سيكون
منكم مرضي وقال ابو البقا هنا ولو عوض كالسين وسوف وقيل لو بمعني ان وان بمعني اللام
وليست بلازمة كقوله لين لم ينته وقال في موضع اخر وان لم ينتهوا ذكره ابن فضال في البرهان
قال شهاب الدين وهذا شاذ لا يلتفت اليه البتة لانه خلاف النحويين وقرا العامة بكسر
واو لو علي الاصل وابن وثاب والاعمش بضمها بوا والضمير وقد تقدم تحقيقه في البقرة
فصل هذا من كلام الله تعالي لو امن هولا الكفار لوسعنا عليهم في الدنيا وبسطنا لهم
في الرزق وهذا محمول علي الرزق الوحي اي اوحي الي ان لو استقاموا قال ابن بحر في هذه الكلمة كل
ما في هذه الكلمة من ان المثقلة فهي حكاية لقول الجن الذين استمعوا القران فرجعوا الي قومهم
منذرين وكلما فيها من ان المفتوحة المخففة فهي وحي الي رسول الله صلي الله عليه وسلم وقال ابن
الانباري ومن كسر الحروف وفتح وان لو استقاموا اضمر يمينا تاويلها والله ان لو استقاموا علي
الطريقة كما يقال في الكلام والله ان قمت والله لو قمت لقمت قال الشاعر ٭
٭ اما والله ان لو كنت حرا ٭ وما بالحرات ولا العتيق ٭ ومن فتح ما قبل المخففة علي اوحي الي
او علي امنا به ويستغني عن اضمار اليمين والعين في قوله استقاموا ومن كسر الحروف كلها قدر
ان المخففة علي اوحي الي او علي امنا به ويستغني عن اضمار اليمين والعين في قوله استقاموا قيل
يرجع الي الجن الذين تقدم ذكرهم ووصفهم اي هولا القاسطون لو اسلموا لفعلنا بهم كذا وكذا
وقيل بل المراد الانس لان الترغيب في الانتفاع بالما الغدق انما يتعلق بالانس لا بالجن
وايضا ان هذه الاية انما نزلت بعد ما حبس الله تعالي المطر عن اهل مكة سنين اقصي ما في الباب
انه لم يتقدم ذكر الانس ولكنه لما كان ذلك معلوما جري مجري قوله انا انزلناه في ليلة القدر

وقال القاضي الاقرب ان الكل يدخلون فيه قال ابن الخطيب و يدل على صحته قوله القا انه تعالى اثبت احكامه معللا بعلية وهي الاستقامه فوجب ان يعم الحكم لعموم العلة والغدق بفتح الدال وكسرها لغتان في الما الغزير ومنه الغيداق للما الكثير وللرجل الكثير العدو وللكثير النطق ويقال غدقت عينه تغدق اي هطل دمعها غدقا وقرا العامه غدقا بفتحتين وعاصم فيما روي عنه الاعمش بفتح الغين وكسر الدال وقد تقدم انهما لغتان **فصل** المراد بالما الغدق في هذه الايه قيل الغيث والمطر وقال ابو مسلم انه اشارة الى الجنة كقوله تعالى جنات تجري من تحتها الانهار وقيل هو المنافع والخيرات الدنيويه لان اصلها الما **قوله** تعالى وان لو استقاموا قال ابن الخطيب ان قلنا ان الضمير راجع الى الجن ففيه قولان احدهما المعنى لو ثبت ابوهم على عبادته وسجد لادم ولم يكفر وتبعه ولده على الاسلام لانعمنا عليهم لقوله تعالى ولو ان اهل الكتاب امنوا واتقوا لفتحنا عليهم الايه وقوله ولو انهم اقاموا التوريه والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم الايه وقوله ومن يتق الله يجعل له مخرجا الايه وقوله استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السما عليكم مدرارا الى قوله ويمددكم باموال وبنين الايه وانما ذكر الما كنايه عن طيب العيش وكثرة المنافع وهذا هو اللايق بالجن لا الما المشروب الثاني ان المعنى لو استقاموا الذي سمعوا القران على طريقتهم التي كانوا عليها ولم ينتقلوا الى الاسلام لوسعنا عليهم كقوله ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن الايه ويويد قوله فيه لنفتنهم فيه وهذا قول الربيع بن انس وزيد بن اسلم وابيه والكلبي والثمالي ويمان بن رباب وابن كيسان وابي مجلز لقوله فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شي والقول الاول اختيار الزجاج قال لانه تعالى ذكر الطريقة معرفة بالالف واللام فترجع الى الطريقة المعروفة وهي طريقة الهدى ومعنى لنفتنهم لنختبرهم هل يقومون بشكرها ام لا وان قلنا ان الضمير يعود الى الانس فالاحتمالان كما هو **قوله** تعالى لنفتنهم فيه يدل على انه تعالى يضل عباده واجاب المعتزله بان الفتنة هي الاختبار كما يقال فتنت الذهب بالنار لا خلق الضلال واستدل المعتزله بقوله تعالى لنفتنهم على انه تعالى انما يفعل لغرض واجيبوا بان الفتنة بالاتفاق ليست مقصوده فدلت هذه الايه على ان اللام ليست للغرض في حق الله تعالى **فصل** روى مسلم عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اخوف ما اخاف عليكم ما يخرج الله تعالى لكم من زهرة الدنيا قالوا وما زهرة الدنيا قال بركات الارض الحديث وقال عليه السلام ما الفقر اخشى عليكم وانما اخشى عليكم ان تبسط عليكم الدنيا فتنافسوا فيها كما تنافس فيها من كان قبلكم فتهلككم كما اهلكتهم **قوله** تعالى ومن يعرض عن ذكر ربه اي عن عبادته او عن موعظته او عن وحيه وقال ابن زيد يعني القران وفي اعراضه وجهان الاول عن القبول ان قيل انها في الكفار الثاني عن العمل ان قيل انها في اهل الايمان وقيل ومن يعرض عن ذكر ربه اي لم يشكره **قوله** تعالى نسلكه عذابا صعدا قرا الكوفيون يسلكه بيا الغيبة لاعادة الضمير الى الله تعالى واختاره ابو عبيد وابو حاتم وباقي السبعة بنون العظمة على الالتفات وهذا كما تقدم في قوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا ثم قال باركنا حوله لنريه من اياتنا وقرا مسلم بن جندب نسلكه بنون مضمومه من اسلكه وبعضهم باليا من تحت مضمومه وهما لغتان

يقال

يقال سلكه واسلكه وانشد ٭ حتى اذا اسلكوهم في قتايد ٭ وسلك واسلك يجوز فيهما ان يكونا ضمنا معنى الادخال فلذلك يتعديان الى اثنين ويجوز ان يقال لم يتعديا الى احد المفعولين باسقاط الخافض لقوله واختار موسى قومه والمعنى يدخله عذابا او نسلكه في عذاب هذا اذا قلنا ان صعدا مصدر قال الزمخشري يقال صعد صعدا وصعودا فوصف العذاب لانه يتصعد المعذب اي يعلوه ويغلبه فلا يطيقه ومنه قول عمر ما تصعدني شي ما تصعدتني خطبة النكاح يريد ما شق علي ولا غلبني ولما اذا جعلناه اسما لصخرة في جهنم كما قال ابن عباس وغيره فيجوز فيه وجهان احدهما ان يكون صعدا مفعولا به اي نسلكه في هذا الموضع ويكون عذابا مفعولا من اجله الثاني ان يكون عذابا مفعولا ثانيا كما تقدم وصعدا بدلا من عذاب ولكن على حذف مضاف اي عذابا صعدا وقرا العامة صعدا بفتحتين وقرا ابن عباس والحسن بضم الصاد وفتح العين وهو صفة تقتضي المبالغة كحطم ولبد وقرا بضمتين وهو صفة ايضا كجنب وشلل **فصل** ومعنى عذابا صعدا اي شاقا شديدا قال ابن عباس هو جبل في جهنم قال الخدري كلما جعلوا ايديهم عليه ذابت وعن ابن عباس ان المعنى مشقة من العذاب لان الصعد في اللغة هو المشقة يقال تصعدني الامر اذا شق عليك ومنه قول عمر المتقدم والشي في الصعود يشق وصعود العقبة الكوود وقال عكرمة هو صخرة ملسا في جهنم يكلف صعودها فاذا انتهى الى اعلاها احدر الى جهنم وقال الكلبي يكلف الوليد بن المغيرة ان يصعد جبلا في النار من صخرة ملسا يجذب من امامه بسلاسل ويضرب من خلفه بمقامع حتى يبلغ اعلاها ولا يبلغ في اربعين سنة فاذا بلغ اعلاها احدر الى اسفلها ثم يكلف ايضا صعودها فذلك دابه ابدا وهو قوله تعالى سارهقه صعودا **قوله** تعالى وان المساجد لله قد تقدم ان السبعة اجمعت على الفتح اي اوحي الي ان المساجد لله وقال الخليل اي ولان المساجد فحذف الجار ومتعلق بقوله فلا تدعوا اوحيل كقوله لايلاف قريش فانه متعلق بقوله فليعبدوا وقوله وان هذه امتكم اي ولان وقرا ابن هرمز وطلحة وان المساجد بالكسر وهو يحتمل الاستيناف والتعليل فيكون في المعنى كتقدير الخليل **قوله** والمساجد قيل هي جمع مسجد بالكسر وهو موضع السجود قال الحسن اراد بها كل البقاع لان الارض كلها جعلت مسجدا للنبي صلى الله عليه وسلم يقول اينما كنتم فصلوا فاينما صليتم فهو مسجد وقال تقدم ان قياسه الفتح وقيل هو جمع مسجد بالفتح يراد بها الاعضا الوارده في الحديث الجبهة والانف والركبتان واليدان والقدمان وهو قول سعيد بن المسيب وطلق بن حبيب والمعنى ان هذه الاعضا انعم الله بها عليك فلا تسجد لغيره فتجحد نعمة الله تعالى قال عطا مساجدك اعضاوك التي امرت بالسجود عليها لا تذللها لغير خالقها قال عليه السلام امرت ان اسجد على سبعة اعظم وذكر الحديث وقال عليه السلام اذا سجد العبد سجد معه سبعة اراب قال ابن الانباري الاعضا وهذا القول اختيار ابن الانباري وقيل بل جمع مسجد وهو مصدر بمعنى السجود ويكون الجمع لاختلاف الانواع وقال القرطبي المراد بها البيوت التي بنيها اهل الملل للعبادة قال سعيد بن جبير قالت الجن كيف لنا ان ناتي المسجد ونشهد معك الصلاة ونحن ناوون عنك فنزلت وان المساجد لله اي بنيت لذكر الله تعالى وطاعته وقال ابن عباس المساجد هنا مكة التي هي القبلة وسميت مكة مساجد لان كل احد يسجد اليها قال القرطبي والقول بانها البيوت المبنيه للعبادة اظهر الاقوال ان شا الله تعالى وهو مروي عن ابن عباس قال ابن الخطيب قال الواحدي وواحد المساجد على الاقوال كلها مسجد بفتح الميم الا على قول من يقول انها المواضع التي بنيت للصلاة فان واحدها مسجد بكسر الجيم لان المواضع والمصادر كلها من هذا الباب بفتح العين

الاراب

الا في لحرف معدودة وهي المسجد والمطلع والمسك والمسكن والمبيت والمفرق والمسقط
والمحرر والمحشر والمغرب وقد جا في بعضها الفتح وهي المسك والمسكن والمفرق والمطلع
وهو جايز في كلها وان لم يسمع **قوله** تعالي لله اضافة تشريف وتكريم حتي خص بالذكر
منها البيت العتيق فقال وطهر بيتي وقال عليه الصلاة والسلام لا تعمل المطي الا الي ثلاثة
مساجد وقال عليه الصلاة والسلام صلاة في مسجدي هذا خير من الف صلاة فيما سواه
الا المسجد الحرام قال ابن العربي وقد روي من طريق لا باس بها ان النبي صلي الله عليه وسلم
قال صلاة في مسجدي هذا خير من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام فان صلاة فيه خير من مياة
صلاة في مسجدي هذا قال القرطبي وهذا حديث صحيح **قوله** المساجد لله وان كانت ملكا
وتشريفا فانها قد ينسب الي غيره تعريفا كما قيل في الحديث سابق بين الخيل التي لم تضمر من الثنية
الي مسجد بني زريق ويقال مسجد فلان لانه حبسه ولا خلاف بين الامة في تحبيس المساجد والقناطر
والمقابر وان اختلفوا في تحبيس غير ذلك **فصل** مع ان المساجد لله ولا يذكر فيها الا الله فانه
يجوز قسمة الاموال فيها ويجوز وضع الصدقات فيها علي رسم الاشتراك بين المساكين والاكل
فيها ويجوز حبس الغريم فيها وربط الاسير والنوم فيها وسكني المريض فيه وفتح الباب للجار فيه
وانشاد الشعر فيه اذا عري عن الباطل **قوله** تعالي فلا تدعوا مع الله احدا هذا توبيخ
للمشركين في دعواهم مع الله غيره في المسجد الحرام وقال مجاهد كانت اليهود والنصاري اذا دخلوا كنايسهم
وبيعهم اشركوا بالله وامر الله نبيه والمومنين ان يخلصوا لله الدعوة اذا دخلوا المساجد كلها يقول فلا
تشركوا فيها صنما وغيره مما يعبد وقيل المعني افردوا المساجد لذكر الله تعالي ولا تجعلوا لغير الله فيها
نصيبا وفي الصحيح من نشد ضالة فقولوا لا ردها الله عليك فان المساجد لم تبن لهذا قال الحسن من
السنة اذا دخل الرجل المسجد ان يقول لا اله الا الله لان قوله لا تدعوا مع الله احدا في ضمنه امر بذكر
الله تعالي ودعايه وروي الضحاك عن ابن عباس ان النبي صلي الله عليه وسلم كان اذا دخل المسجد قدم
رجله اليمني وقال وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا اللهم عبدك وزايرك وعلي كل مزور حق وانت
خير مزور فاسالك برحمتك ان تفك رقبتي من النار فاذا خرج من المسجد قدم رجله اليسري وقال اللهم
صب علي الخير صبا ولا تنزع عني صالح ما اعطيتني ابدا ولا تجعل معيشتي كدا واجعل لي في الارض جدا **قوله**
تعالي وانه لما قام عبد الله يدعوه يجوز الفتح اي اوحي الله اليه انه ويجوز الكسر علي الاستيناف وعبد
الله هنا محمد صلي الله عليه وسلم حين كان يصلي ببطن نخلة ويقرا القران حسب ما تقدم اول السورة
يدعوه اي يعبده وقال ابن جريج يدعوه اي قام اليهم داعيا الي الله تعالي فهو في موضع الحال اي موحدا
له كادوا يكونون عليه لبدا قال الزبير بن العوام هم الجن حين استمعوا القران من النبي صلي الله عليه
وسلم اي كادوا يركب بعضهم بعضا ازدحاما ويسقطون حرصا علي سماع القران وقيل كادوا يركبونه
حرصا قاله الضحاك وقال ابن عباس رغبة في سماع القران وروي برد عن مكحول ان الجن بايعوا
رسول الله صلي الله عليه وسلم رايتما بهم في الركوع والسجود وقال المشركون يركب بعضهم بعضا
حردا علي النبي صلي الله عليه وسلم وقال الحسن وقتادة وابن زيد يعني لما قام عبد الله محمد بالدعوة
تلبدت الانس والجن علي هذا الامر ليطفوه فابا الله الا ان ينصره ويتم نوره واختار الطبري ان
يكون كادت العرب يجتمعون علي النبي صلي الله عليه وسلم ويتظاهرون علي اطفا النور الذي جاء به قال مجاهد
اللبد الجماعات فان قيل لم سمي محمد بعبد الله ولم يقل رسول الله ونبي الله فالجواب انه كان هذا الكلام
من جملة الوحي فاللايق بتواضع رسول الله صلي الله عليه وسلم ان يذكر نفسه بالعبودية وان كان من
كلام الجن كان المعني ان عبد الله لما قام يعبد الله تعالي ونزل الكفار لم اجتمعوا عليه ولم جادلوا امنعه
منه مع ان ذلك هو الموافق لقانون العقل **قوله** تعالي لبدا قرا هشام بضم اللام والباقون بكسرها

فالاولي جمع لبدة بضم اللام نحو غرفة وغرف وقيل بل هو اسم مفرد صفة من الصفات نحو حطم وعليه قوله تعالي
مالا لبدا واما الثانية فجمع لبدة بالكسر نحو قربة وقرب واللبد واللبدة الشي المتلبد اي المتراكب بعضه
علي بعض ومنه لبدة الاسد كقول زهير ٭ لدي اسد شاكي السلاح مقذف ٭ له لبد اظفاره لم تقلم
ومنه اللبد المتلبد بعضه فوق بعض واللبد اسم نسر لقمان بن عاد عاش مايتي سنة حتي قالوا طال
الامد علي لبد فالمعني كادت الجن يكونون عليه جماعات متراكمة مزدحمة عليه كاللبد وقرا الحسن
والجحدري لبدا بضمتين وقراها جماعة عن ابي عمرو وقال القرطبي وهي قراة ابي حيوة ومحمد بن السميفع
وابي الاشهب والعقيلي وهي تحتمل وجهين احدهما ان يكون جمع لبد نحو رهن جمع رهن والثاني انه جمع لبود
نحو صبور وصبر قال القشيري وهو جمع لبيد وهو الجوالق الصغير وهو مناسب للغة ايضا وقرا ابن محيصن
بضمه وسكون فيجوز ان يكون تخفيفا من القراة التي قبلها ويجوز ان يكون وصفا براسه وقرا
الحسن والجحدري ايضا وابو العالية والاعرج لبدا بضم اللام وتشديد البا وهو جمع لابد كساجد
وسجد وراكع وركع وقرا ابو رجا بكسر اللام وتشديد البا وهي غريبة جدا وقيل اللبد بضم اللام
وفتح البا الشي الدايم وقيل اللبد ايضا الذي لا يسافر ولا يبرح قال الشاعر ٭
٭ من امري ذي سماح لا تزال له ٭ بزلا تعيا بها الجثامة اللبد ٭ ويروي اللبد قال ابو
عبيد وهو اشبه ويقال لبيدات القربة جعلتها في لبيد ولبيد اسم شاعر من بني عامر **قوله**
تعالي انما ادعو ربي قرا عاصم قل بلفظ الامر التفاتا اي قل يا محمد والباقون قال اخبارا عن عبد الله
وهو محمد صلي الله عليه وسلم قال الجحدري وهي في المصحف كذلك وقد تقدم لذلك نظاير في قل
سبحان وفي اخر الاسري وكذا في اول الانبيا واخرها واخر المومنون قال المفسرون سبب نزول
هذه الاية ان كفار قريش قالوا له انك جيت بامر عظيم وقد عاديت الناس كلهم فارجع عن هذا فنحن
نجيرك قوله تعالي قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا قرا الاعرج رشدا بضمتين وجعل الضر عبارة
عن الغي لان الضر سبب عن الغي وثمرته فاقام المسبب مقام سببه والاصل لا املك غيا ولا رشدا
فذكر الاهم وقيل بل في الكلام حذفان والاصل لا املك لكم ضرا ولا نفعا ولا غيا ولا رشدا فحذف من
كل واحد ما يدل مقابله عليه **فصل** المعني لا اقدر ان ادفع عنكم ضرا ولا اسوق لكم خيرا وقيل لا املك
لكم ضرا اي كفرا ولا رشدا اي هدي انما علي التبليغ وقيل الضر العذاب والرشد النعيم وهو
الاول بعينه وقيل الضر الموت والرشد الرشد **فصل** قوله قل اني لن يجيرني من الله احد
اي لا يدفع عذابه عني احد ان استحفظته وذلك انهم قالوا اترك ما تدعوا اليه ونحن نجيرك
وروي ابو الجوزاء عن ابن مسعود قال انطلقت مع النبي صلي الله عليه وسلم ليلة الجن حتي اتا
الحجون فخط علي خطا ثم تقدم اليهم فازدحموا عليه فقال سيد لهم يقال له وردان انا ارحلهم ٭
عنك فقال اني لن يجيرني من الله احد ذكره الماوردي قال ويحتمل معنيين احدهما لن يجيرني مع
اجارة الله تعالي لي احد الثاني لن يجيرني مما قدره الله تعالي علي احد ولن اجد من دونه ملتحدا اي
ملجا الجا اليه قاله قتادة وعنه نصيرا ومولي وقال السدي حرزا وقال الكلبي مدخلا في الارض
مثل السرب وقيل مذهبا ولا مسلكا حكاه ابن شجرة قال الشاعر ٭ يا لهف نفسي ولهفي غير مجدية
عني وما من قضا الله ملتحدا ٭ اي مهرب ومذهب وملتحدا مفعول اجد لا نا عمي اجيب والقي
قوله تعالي الا بلاغا فيه اوجه احدها انه استثنا منقطع اي لكن ان بلغت عن الله رحمني لان
البلاغ من الله تعالي لا يكون داخلا تحت قوله ولن اجد من دونه ملتحدا لانه لا يكون من دون الله
بل يكون من الله وباعانته وتوفيقه الثاني انه متصل تقديره ان لا اجارة مستعان للبلاغ
اذ هو سببها وسبب رحمته تعالي والمعني لن اجد شيا اميل اليه واعتصم به الا ان ابلغ واطيع ٭
فيجيرني واذا كان متصلا جاز نصبه من وجهين احدهما ان يكون بدلا من ملتحدا لان الكلام غير موجب

وهذا اختيار الزجاج والثاني انه منصوب على الاستثناء الثالث انه مستثنى من قوله لا املك لكم قال
قتادة اي لا املك لكم الا بلاغا اليكم ونرده الزمخشري فقال اي لا املك الا بلاغا من الله وقل اني لن
يجيرني جملة معترضة اعترض بها التاكيد نفي الاستطاعة وعلى هذا فالاستثناء منقطع الرابع ان الكلام ليس
استثناء بل شرط والاصل ان لا فادغم فان شرطية وفعلها محذوف لدلالة مصدره والكلام الاول عليه ولا
تاكيد والتقدير ان لا ابلغ بلاغا من الله فلن يجيرني منه احد وجعلوا هذا كقول الاخر « فطلقها فلست
لها بكفو » والا يعل مفرقك الحسام » اي وان لا تطلقها يعل فحذف الشرط وابقى الجواب وفي هذا
الوجه ضعف من وجهين احدهما انه حذف الشرط دون اداته قليل جدا الثاني انه حذف الجزا ان معا
اعني الشرط والجزا فيكون كقوله « قالت بنات العم يا سلمى وان » كان فقيرا معدما قالت وان
اي قالت وان كان فقيرا فقد رضيته وقد يقال ان الجواب اما مذكور عند من يرى جواز تقديمه
واما في قوة المنطوق به لدلالة ما قبله عليه وقال الحسن المعنى الا بلاغا من الله ورسالاته فان
فيه النجاة والامان **فصل** تعالى من الله فيه وجهان احدهما انه من بمعنى عن لان بلغ يتعدى بها
ومنه قوله عليه الصلاة والسلام الا بلغوا عني والثاني انه متعلق بمحذوف على انه صفة لبلاغ
قال الزمخشري من ليست صلة للتبليغ انما هي بمنزلة من في قوله براءة من الله بمعنى بلاغا كاينا
من الله **قوله** تعالى ورسالاته فيه وجهان احدهما انه منسوق انها منصوبة نسقا على بلاغا كانه
قيل لا املك لكم الا التبليغ والرسالات ولم يقل الزمخشري غيره والثاني انها مجرورة نسقا على
الجلالة اي الا بلاغا عن الله وعن رسالاته كذا قدره ابو حيان وجعله هو الظاهر وتجوز
في جعله من بمعنى عن والتجوز في الحروف راي كوفي ومع ذلك فغير منقاس عندهم **قوله**
تعالى ومن يعص الله ورسوله في التوحيد والعبادة فان له نار جهنم العامة على كسر ان جعلوها
جملة مستقلة بعد فا الجزا قال الواحدي انه مكسورة الهمزة لان ما بعد فا الجزا موضع ابتدا ولذلك
حمل سيبويه قوله تعالى ومن عاد فينتقم الله منه ومن كفر فامتعه قليلا ومن يومن بربه فلا
يخاف بخسا ولا رهقا على ان المبتدا فيها مضمر وقرا طلحة بفتحها على انها مع ما في حيزها في تاويل
مصدر واقع خبر المبتدا مضمر تقديره فحكمه او فجزاوه ان له نار جهنم قال ابن خالويه
سمعت ابن مجاهد يقول لم يقرا به احد وهو لحن لانه بعد فا الشرط قال وسمعت ابن الانباري يقول
هو صواب ومعناه فجزاوه ان له نار جهنم قال شهاب الدين ابن مجاهد وان كان اماما في القراءات
الا انه خفي عليه وجهها وهو عجيب جدا كيف غفل عن قراءتي فانه غفور رحيم في الانعام لا جرم ان ابن
الانباري استصوب القراءة لطول باعه في العربية **قوله** تعالى خالدين حال من الها
في له والعامل الاستقرار الذي تعلق به هذا الجار وحمل على معنى من فلذلك جمع لان المعنى لكل
من فعل ذلك فوحد اولا للفظ ثم جمع للمعنى **فصل** استدل جمهور المعتزلة بهذه الاية على ان
فساق اهل الصلاة يخلدون في النار لان هذا العموم اقوى في الدلالة على المطلوب من سائر العمومات
وايضا فقوله ينفي قول المخالف بان المراد بالخلود المكث الطويل والجواب ان السياق في التبليغ عن الله
والرسالة ثم قال ومن يعص الله ورسوله يعني جبريل فان له نار جهنم واذا كان هذا محتملا سقط الاستدلال
او نقول هذه الصورة لا بد وان تندرج في العموم وترك التبليغ عن الله اعظم الذنوب فلا يجوز ان تساويه
الذنوب التي ليست مثله في العقوبة فلا يتعدى هذا الحكم الى غيره من الذنوب او نقول ان الله تعالى
لم يقيد في سائر عمومات الوعيد في القران بالتابيد الا في هذه الاية فلا بد وان يكون لهذا التخصيص
فايدة ومعنى وليس ثم معنى الا ان يكون هذا الذنب اعظم الذنوب واذا كان السبب في هذه التخصيص هذا
المعنى علمنا ان هذا الوعيد مختص بهذه الذنوب فلا يتعدى لما غيره من الذنوب فدلت هذه الاية على ان
حال سائر المذنبين مخالفة لذلك او نقول قوله ومن يعص الله يقتضي الاتيان بجميع المعاصي وذلك هو الكافر

لصحته استثنا كل ذنب منه كما يقال ومن يعص الله الا في الكفر والا في الزنا والا في شرب
الخمر ومن مذهب القائلين بالوعيد ان الاستثنا اخراج ما لولاه لكان داخلا تحت اللفظ
واذا كان كذلك وجب ان يكون قوله ومن يعص الله متناولا لمن اتى بكل المعاصي وهو الكافر
فان قيل يستحيل العموم هنا لان من جملة المعاصي التجسيم والتعطيل لان القائل بالتجسيم يمتنع
ان يكون مع ذلك قائلا بالتعطيل قلنا خص هذا بدليل العقل فيحمل على جميع ما لا يستحيل اجتماعه
قال المفسرون قوله ابدا دليل على ان العصيان الشرك وقيل هو المعاصي غير الشرك ويكون معنى
خالدين فيها ابدا الا ان اعفو او تلحقهم شفاعة **فصل** دلت هذه الاية على ان الامر يفيد الوجوب
لان تارك المامور به عاص لقوله افعصيت امري لا يعصون الله ما امرهم لا اعصي لك امرا والعاصي
مستحق للعقاب لقوله ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم **قوله** تعالى حتى اذا قال الزمخشري
فان قلت بم تعلق حتى وجعل ما بعده غاية له قلت بقوله يكونون عليه لبدا على انهم يتظاهرون
عليه بالعداوة ويستضعفون انصاره ويستقلون عدده حتى اذا راوا ما يوعدون من يوم بدر
واظهار الله تعالى عليهم او من يوم القيامة فسيعلمون حينئذ من اضعف ناصرا قال ويجوز
ان يتعلق بمحذوف دلت عليه الحال من استضعاف الكفار له واستقلالهم لعدده كانهم قال
لا يزالون على ما هم عليه حتى اذا راوا ما يوعدون قال المشركون متى هذا الموعود انكارا له
فقال قل انه كاين لا ريب فيه قال ابو حيان قوله بم تعلق ان عنى تعلق حرف الجر فليس
بصحيح لانها حرف ابتدا فما بعدها ليس في موضع جر خلافا للزجاج وابن درستويه فانهما زعما
انها اذا كانت حرف ابتدا فالجملة الابتدائية بعدها في موضع جر وان عنى بالتعليق اتصال ما
بعدها بما قبلها وكون ما بعدها غاية لما قبلها فهو صحيح واما تقديره انها تتعلق بقوله
يكونون عليه لبدا فهو بعيد جدا لطول الفصل بينهما بالجمل الكثيرة وقدر بعضهم ذلك المحذوف
المغيا فقال تقديره دعهم حتى اذا وقال التبريزي وجاز ان يكون غاية لمحذوف ولم يبين ما هو وقال
ابو حيان والذي يظهر انه غاية لما تضمنته الجملة التي قبلها من الحكم بكينونة النار لهم كانه قيل
ان العاصي يحكم له بكينونة النار والحكم بذلك هو وعيد حتى اذا راوا ما حكم بكينونته لهم فسيعلمون
قوله تعالى من اضعف يجوز ان يكون في من استفهامية فترتفع بالابتدا واضعف خبره والجملة
في موضع نصب سادة مسد المفعولين لانها معلقة للعلم قبلها وان تكون موصولة واضعف خبر
مبتدا مضمر اي هو اضعف والجملة صلة وعايد وحسن الحذف طول الصلة بالتمييز والموصول مفعول
للعلم بمعنى العرفان قال القرطبي حتى هنا مبتدا اي حتى اذا راوا ما يوعدون من عذاب الاخرة ومن عذاب
الدنيا وهو القتل يوم بدر فسيعلمون من اضعف ناصرا اي هم ام المومنين واقل عددا معطوف
قوله تعالى قل ان ادري اقريب ما توعدون يعني قيام الساعة وقيل عذاب الدنيا اي لا ادري
فان بمعنى لا اي لا اعرف وقت نزول العذاب ووقت قيام الساعة الا الله تعالى فهو غيب لا اعلم
امده الا ما يعلمنيه الله تعالى **قوله** تعالى اقريب خبر مقدم وما توعدون مبتدا ويجوز ان
يكون قريب مبتدا لاعتماده على الاستفهام وما توعدون فاعل به اي اقريب الذي توعدون نحو
اقايم ابواك وما يجوز ان يكون موصولة فالعايد محذوف وان يكون مصدرية فلا عايد وام الظاهر
انها متصلة وقال الزمخشري فان قلت ما معنى ام يجعل له ربي امدا والامد يكون قريبا وبعيدا الا
ترى الى قوله تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا قلت كان النبي صلى الله عليه وسلم يستقرب الموعد
فكانه قال ما ادري اهو حال متوقع في كل ساعة او مؤجل ضربت له غاية وقرا العامة باسكان اليا
ربي وفتحها الحرميان وابو عمرو **فصل** قال مقاتل لما سمعوا قوله حتى اذا راوا ما يوعدون
فسيعلمون من اضعف ناصرا واقل عددا قال النضر بن الحرث متى يكون هذا الذي توعدنا به فقال الله

تعالى قل ان ادري اقريب ما توعدون الى اخره والمعنى ان وقوعه متيقن واما وقت وقوعه فغير معلوم وقوله ام يجعل له ربي امدا اي غاية وبعدا وهذا كقوله قل ان ادري اقريب ام بعيد ما توعدون فان قيل اليس انه عليه السلام قال انا بعثت انا والساعة كهاتين وكان عالما بقرب وقوع القيامة فكيف قال ههنا لا ادري اقريب ام بعيد فالجواب ان المراد بقرب وقوعه هو ان ما بقي من الدنيا اقل مما انقضى فهذا القدر من القرب معلوم فاما معرفة القرب المرتب وعدم ذلك فغير معلوم **قوله** تعالى عالم الغيب العامة على رفعه اما بدلا من ربي واما بيانا له واما خبر المبتدا مضمر اي هو عالم وقرئ بالنصب على المدح وقرا السدي علم الغيب فعلا ماضيا ناصبا للغيب **قوله** تعالى فلا يظهر العامة على كونه من اظهر واحدا مفعول به وقرا الحسن يظهر بفتح اليا والها من ظهر ثلاثيا احدا فاعل به العيب ما غاب عن العباد وقد تقدم الكلام عليه اول البقره **قوله** تعالى الا من ارتضى يجوز ان يكون منقطعا اي لكن من ارتضاه فانه يظهره على ما يشا من غيبه بالوحي ومن في قوله من رسول لبيان المرتضين وقوله فانه يسلك بيان لذلك وقيل هو متصل ورصدا تقدم الكلام عليه ويجوز ان يكون من شرطيه او موصوله مضمنه معنى الشرط وقوله فانه خبر المبتدا على القولين وهو من الاستثنا المنقطع ايضا اي لكن والمعنى لكن من ارتضاه من الرسل فانه يجعل له ملايكة رصدا يحفظونه

فصل قال الزمخشري في هذه الايه ابطال الكرامات لان الذين يضاف اليهم الكرامات وان كانوا اوليا مرتضين فليسوا برسل وقد خص الله الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب وفيها ايضا ابطال الكهانه والتنجيم لان اصحابهما ابعد شي من الارتضا وادخله في السخط وقال الواحدي وفيها دليل على ان من ادعى ان النجوم تدله على ما يكون من حياة او موت او غير ذلك فقد كفر بما في القران قال ابن الخطيب واعلم ان الواحدي يجوز الكرامات وان يلهم الله اولياه وقوع بعض الوقايع في المستقبل ونسبة الايه الى الصورتين واحده فان جعل الايه داله على المنع من احكام النجوم فينبغي ان يجعلها داله على المنع من الكرامات على ما قاله الزمخشري فان جوز الكرامات لزمه تجويز علم النجوم وتفريقه بينهما تحكم محض قال ابن الخطيب وعندي لا دلاله في الايه على شي مما قالوه اذ لا صيغة عمومه في قوله غيبه لانه لفظ مفرد مضاف فيحمل على غيب واحد وهو وقت القيمة لانه واقع بعد قوله اقريب ما توعدون الايه فان قيل فما معنى الاستثنا حينيذ قلنا لعله اذا قرب القيمة يظهره وكيف لا وقد قال ويوم تشقق السما بالغمام ونزل الملايكة تنزيلا فيعلم الملايكة حينيذ قيام القيمه او هو استثنا منقطع اي من ارتضاه من رسول يجعل من بين يديه ومن خلفه حفظة يحفظونه من شر مردة الجن والانس ويدل على انه ليس المراد انه لا يطلع احدا على شي من المغيبات انه ثبت بما يقارب المتواتر ان شقا وسطيحا كانا كاهنين وقد عرفا بحديث النبي صلى الله عليه وسلم قبل ظهوره وكانا مشهورين بهذا العلم عند العرب حتى رجع اليهما كسرى وربيعه بن نصير فثبت ان الله تعالى قد يطلع غير الرسل على شي من المغيبات وايضا اطبق اهل الملل على ان معبر الرويا يخبر عن امور مستقبله ويكون صادقا فيه وايضا فقد نقل السلطان سنجر بن ملك شاه كاهنة من بغداد الى خرسان وسالها عن امور مستقبله فاخبرته بها فوقعت على وفق كلامها قال ابن الخطيب واخبرني اناس محققون في علم الكلام والحكمة انها اخبرت عن امور غايبة بالتفصيل فكانت على وفق خبرها وبالغ ابو البركات في كتاب التعبير في شرح حالها وقال تفحصت عن حالها ثلاثين سنة فتحققت انها كانت تخبر عن المغيبات اخبارا مطابقا وايضا فانا نشاهد ذلك في اصحاب الالهامات الصادقه وقد يوجد ذلك في السحرة ايضا وقد يرى الاحكام النجوميه

مطابقة

مطابقة وان كانت قد يتخلف فلو قلنا ان القران يدل على خلاف هذه الامور المحسوسه لتطرق الطعن الى القران فيكون التاويل ما ذكرنا **فصل** قال القرطبي المعنى فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فانه يظهره على ما يشا من غيبه لان الرسل مويدون بالمعجزات ومنها الاخبار عن بعض الغايبات كما ورد في التنزيل في قوله وانبيكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم وقال ابن جبير الا من ارتضى من رسول هو جبريل عليه السلام وفيه بعد والاولى ان يكون المعنى لا يظهر على غيبه الا من ارتضى اي اصطفاه للنبوة فانه يطلعه على ما يشا من غيبه ليكون ذلك دالا على نبوته **فصل** ذكر القرطبي ان العلما قالوا لما تمدح سبحانه وتعالى بعلم الغيب واستاثر به دون خلقه كان فيه دليل على انه لا يعلم الغيب احد سواه ثم استثنى من ارتضاه من الرسل فاعلمهم ما يشا من غيبه بطريق الوحي اليهم وجعله معجزة لهم ودلالة لتصادقه على نبوتهم وليس المنجم ومن ضاهاه ممن يضرب في الحصا وينظر في الكواكب ويزجر بالطير ممن ارتضاه من الرسل فيطلعه على ما يشا من غيبه بل هو كافر بالله مفتر عليه بحدسه وتخمينه وكذبه قال بعض العلما وليت شعري ما يقول المنجم في سفينه ركب فيها الف انسان مختلفين الاحوال والرتب فيهم الملك والسوقه والعالم والجاهل والغني والفقير والكبير والصغير مع اختلاف طوالعهم وتباين مواليدهم ودرجات نجومهم فعمهم حكم الغرق في ساعة واحده فان قال انما اغرقهم الطالع الذي ركبوا فيه فيكون على مقتضى ذلك ان هذا الطالع ابطل احكام تلك الطوالع كلها على اختلافها عند ولادة كل واحد منهم وما يقتضيه طالعه المخصوص به فلا فايده اذا في عمل المواليد ولا دلالة فيها على شقي ولا سعيد ولم يبق الا معاندة القران الكريم ولقد احسن القايل

حكم المنجم ان طالع مولدي يقتضي علي بميتة الغرق
قل للمنجم صبحة الطوفان هل ولد الجميع بكوكب الغرق

وقيل لعلي رضي الله تعالى عنه لما اراد لقا الخوارج اتلقاهم والقمر في العقرب فقال واين قمرهم وكان ذلك في اخر الشهر فانظر الى هذه الكلمة التي اجاب بها وما فيها من المبالغة في الرد على من يقول بالتنجيم وقال له مسافر بن عوف يا امير المومنين لا تسر في هذه الساعه وسر بعد ثلاث ساعات يمضين من النهار فقال له علي رضي الله تعالى عنه ولم قال له انك ان سرت في هذه الساعه اصابك واصاب اصحابك بلا وضر شديد وان سرت في الساعة التي امرتك بها ظفرت وظهرت واصبت ما طلبت فقال علي رضي الله تعالى عنه ما كان لمحمد عليه افضل الصلاة والسلام منجم ولا لنا من بعده ثم قال من صدقك في هذا القول لم امن عليه ان يكون كمن اتخذ من دون الله ندا او ضدا اللهم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ثم قال للمنجم نكذبك ونخالفك ونسير في الساعة التي تنهانا عنها ثم اقبل على الناس فقال يا ايها الناس اياكم وتعلم النجوم الا ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر انما المنجم كالكاهن والكاهن في النار والمنجم كالساحر والساحر في النار والله لئن بلغني انك تنظر في النجوم او تعمل بها لاخلدنك في الحبس ما بقيت وما بقيت ولاحرمنك العطا ما كان لي سلطان ثم سافر في الساعة التي نهاه عنها فلقي القوم فقتلهم وهي وقعة النهروان الثابته في صحيح مسلم ثم قال لو سرنا في الساعة التي امرنا بها وظفرنا وظهرنا لقال قايل انما ذلك بتنجيمي وما كان لمحمد صلى الله عليه وسلم منجم ولا لنا بعده وقد فتح الله علينا بلاد كسرى وقيصر وساير البلدان ثم قال يا ايها الناس توكلوا على الله وثقوا به فانه يكفي ممن سواه **قوله** تعالى فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا يعني ملايكة يحفظونه من ان يقرب منه شيطان فيحفظ الوحي من استراق الشياطين والالقا الى الكهنه قال الضحاك ما بعث الله نبيا الا ومعه ملايكة يحرسونه من الشياطين ان يتشبهوا له بصورة الملك فاذا جاءه شيطان في صورة الملك قالوا هذا شيطان فاحذره وان جاءه الملك قالوا هذا رسول ربك وقال ابن عباس وابن زيد رصدا اي حفظة يحفظون النبي صلى الله عليه وسلم من امامه ووراءه من الجن والشياطين وقال قتادة وسعيد بن المسيب

لهم اربعة من الملايكة حفظة وقال الفرا المراد جبريل كان اذا نزل بالرسالة نزل معه
ملايكة يحفظونه من ان يسمع الجن الوحي فيلقونه الى كهنتهم فيسبقوا به الرسول وقال السدي
رصدا اي حفظة يحفظون الوحي فما جا من عند الله قالوا جا من عند الله وما القاه الشيطان
قالوا انه من الشيطان و رصدا انتصب على المفعول قال الجوهري والرصد القوم يرصدون كالحرس
يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمونث و ربما قالوا ارصاد او الراصد للشي المراقب له يقال
رصده يرصده رصدا و رصدا او الترصد الترقب و المرصد موضع الرصد **قوله** تعالى ليعلم
متعلق بيسلك والعامة على بنايه للفاعل و فيه خلاف اي ليعلم محمد صلى الله عليه وسلم ان الرسل
قبله قد بلغوا الرسالة قاله مقاتل وقتاده قال القرطبي وفيه حذف متعلق به اللام اي اخبرناه
لحفظنا الوحي ليعلم ان الرسل قبله كانوا على مثل حالته من التبليغ بالحق والصدق وقيل ليعلم محمد
ان قد ابلغ جبريل ومن معه اليه رسالة ربه قاله ابن جبير قال ولم ينزل الوحي الا ومعه اربعة
حفظة من الملايكة عليهم السلام وقيل ليعلم الرسل ان الملايكة بلغوا رسالات ربهم وقيل ليعلم
الرسول اي رسول كان ان الرسل سواه بلغوا وقيل ليعلم الله اي ليظهر علمه للناس وقيل ليعلم
ابليس ان الرسل قد ابلغوا رسالات ربهم سليمة من تخليطه واستراق اصحابه وقال ابن قتيبة اي
ليعلم الجن ان الرسل قد ابلغوا ما انزل اليهم ولم يكونوا هم المبلغين باستراق السمع عليهم وقال
مجاهد ليعلم من كذب الرسل ان المرسلين قد بلغوا رسالات ربهم وقيل ليعلم الملايكة وهذان
ضعيفان لافراد الضمير والضمير في ابلغوا على معنى قوله من ارتضى بعد مراعاة لفظها او لافراد في قوله
من بين يديه ومن خلفه وعناها ثانيا بجمع في قوله ابلغوا الى اخره وقرا ابن عباس ومجاهد وزيد
بن علي وحميد ويعقوب ليعلم مبنيا للمفعول اي ليعلم الناس ان الرسل قد ابلغوا رسالاته وقرا ابن
ابي عبلة والزهري ليعلم بضم اليا وكسر اللام اي ليعلم الله رسوله بذلك وقرا ابو حيوة رسالة
بالافراد والمراد الجمع وقرا ابن ابي عبلة واحيط واحصي مبنيين للمفعول كل رفع باحصي تعالى
عددا يجوز ان يكون تمييزا منقولا من المفعول به والاصل احصي عدد كل شي لقوله تعالى وفجرنا الارض
عيونا اي عيون الارض على خلاف سبق ويجوز ان يكون منصوبا على المصدر من المعنى لان احصي بمعنى
عد فكانه قيل وعد كل شي عددا او يكون التقدير واحصي كل شي احصا فيرد المصدر الى الفعل او الفعل
الى المصدر ومنع مكي كونه مصدرا للاظهار فقال عددا نصب على البيان ولو كان مصدرا لادغم يعني ان
قياسه ان يكون على فعل بسكون العين لكنه غير لازم فجا مصدره بفتح العين ولما كان ليعلم مضمنا
معنى قد علم معنى ذلك المجاز عطفه واحاط على ذلك المقدر وقال القرطبي عددا نصب على الحال اي احصي كل شي
فصل المعنى احاط علمه بما عند الرسل وما عند الملايكة وقال ابن جبير المعنى ليعلم الرسل ان ربهم قد احاط
بما لديهم فيبلغوا رسالته واحصي عددا اي علم كل شي عدده فلم يخف عليه منه شي وهذه الايه تدل
على ان الله تعالى عالم بالجزئيات وبجميع الموجودات روي الثعلبي عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرا سورة الجن اعطي بعدد كل شيطان وجني صدق بمحمد وكذب به عتق رقبه

سورة المزمل

في قول الحسن وعكرمه وعطا وجابر وقال ابن عباس وقتاده الا ايتين منها واصبر على ما يقولون والتي
تليها ذكره الماوردي وقال الثعلبي ان ربك يعلم انك تقوم الى اخر السورة فانه نزل بالمدينه وهي سبع
وعشرون ايه ومايتان وخمس وثمانون كلمه وثمانمايه وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى يا ايها المزمل اصله المتزمل فادغمت التاء في الزاء يقال تزمل يتزمل تزملا فاذا اريد الادغام
اجتلبت همزة الوصل وبهذا الاصل قرا ابي ابن كعب وقرا عكرمة المزمل بتخفيف الزاء وتشديد الميم
اسم فاعل وعلى هذا فيكون فيه وجهان احدهما ان اصله المزتمل بوزن مفتعل فابدلت التاء ميما وادغمت قاله

ابو البقا وهو ضعيف والثاني انه اسم فاعل من زمل مشددا وعلى هذا فيكون المفعول محذوفا اي المزمل
جسمه وقرا كذلك الا انه بفتح الميم اسم مفعول منه اي الملفف والمزمل التلفف يقال تزمل
زيد بكسا اي التف به قال ذو الرمه ❊ وكامن بخطب نافقتي من مفاره ❊ ومن نايم عن ليلها
متزمل ❊ وقال امرو القيس ❊ كان ثبيرا في افانين ودقه ❊ كبير اناس في بجاد مزمل ❊ وهو كقراه
بعضهم المتقدمه **فصل** هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وفيه ثلاثة اقوال قال عكرمه
يا ايها المزمل بالنبوه والملتزم للرساله وعنه يا ايها الذي زمر هذا الامر اي حمله ثم فتر وكان يقرا يا ايها
المزمل بتخفيف الزاء وفتح الميم وتشديدها على حذف المفعول وكذلك المدثر والمعنى المزمل
نفسه والمدثر نفسه او الذي زمله غيره الثاني قال ابن عباس يا ايها المزمل بالقران الثالث
قال قتاده يا ايها المزمل بثيابه قال النخعي كان متزملا بقطيفة عايشة بمرط طوله اربعة عشر
ذراعا نصفه علي وانا نايمه ونصفه على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي والله ما كان خزا ولا قزا
ولا مرعزا ولا ابريسم ولا صوفا كان سداه شعرا ولحمته وبرا ذكره الثعلبي قال القرطبي وهذا القول
من عايشه يدل على ان السوره مدنيه فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يبن بها الا بالمدينه والقول
بانها مكيه لا يصح وقال الضحاك تزمل لمنامه وقيل بلغه من المشركين قول سوء فاشتد عليه فتزمل
وتدثر فنزلت يا ايها المزمل ويا ايها المدثر وقيل كان هذا في ابتدا ما اوحي اليه فانه لما سمع صوت
الملك ونظر اليه اخذته الرعدة فاتى اهله وقال زملوني دثروني وروي معناه عن ابن عباس قال
اول ما جاء جبريل خافه وظن ان به مسا من الجن فنادا فرجع من الجبل مرتعدا وقال زملوني زملوني
وقال الكلبي انما تزمل النبي صلى الله عليه وسلم بثيابه ليتهيا للصلاة وهو اختيار الفرا وقيل انه عليه
السلام كان نايما بالليل متزملا في قطيفة فنودي بما يهجن تلك الحاله فقيل له يا ايها المزمل قم
واشتغل بالعبوديه وقيل معناه يا من تحمل امرا عظيما والزمل الحمل قال البغوي قال الحكما كان هذا
الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم في اول الوحي قبل تبليغ الرساله ثم خوطب بعد بالنبي والرسول
فصل قال السهيلي ليس المزمل اسم من اسما النبي صلى الله عليه وسلم كما ذهب اليه بعض الناس
وعدوه في اسمايه عليه السلام وانما المزمل اسم مشتق من حالته التي كان عليها حين الخطاب وكذلك
المدثر وفي خطابه بهذا الاسم فايدتان احداهما الملاطفه فان العرب اذا قصدت ملاطفة المخاطب
وترك المعاتبه سموه باسم مشتق من حالته التي هو عليها كقول النبي صلى الله عليه وسلم لعلي حين غاضب
فاطمه رضي الله تعالى عنها فاتاه وهو نايم وقد لصق بجنبه التراب فقال له قم ابا تراب اشعارا له بانه
غير عاتب عليه وملاطفه له وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام لحذيفه يا نومان وكان نايما
ملاطفه له واشعارا بترك العتب والتانيب فقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم يا ايها المزمل
قم فيه تانيس له وملاطفه ليستشعر انه غير عاتب عليه والفايده الثانيه التنبيه لكل متزمل راقد ليله
ليتنبه الى قيام الليل وذكر الله تعالى فيه لان الاسم المشتق من الفعل يشترك فيه مع المخاطب كل
من عمل ذلك العمل واتصف بتلك الصفه **قوله** تعالى قم الليل العامة على كسر الميم لالتقا
الساكنين وابو السمال بضمها اتباعا لحركة القاف وقرا بفتحها طلبا للخفة قال ابو الفتح العرض العز
من التقا الساكنين فباي حركة حرك الاول حصل العرض قال شهاب الدين الا ان الاصل الكسر لدليل
ذكره النحويون والليل ظرف للقيام وان استغرقه الحدث الواقع فيه هذا قول البصريين واما
الكوفيون فيجعلون هذا النوع مفعولا به قال القرطبي وهو من الافعال القاصرة الغير المتعديه
الى المفعول فاما ظرف الزمان والمكان فسايغ فيه الا ان ظرف المكان لا يتعدى اليه الا بواسطه
لا تقول قمت الدار حتى تقول قمت وسط الدار وخارج الدار وقد قيل ان قم هنا معناه صل عبر به عنه
واستعير له حتى صار عرفا بكثرة الاستعمال **فصل** الليل حده من غروب الشمس الى طلوع الفجر

وقد تقدم بيانه في البقره قال القرطبي واختلف هل كان قيامه فرضا او نفلا والدلايل تقوي
ان قيامه كان فرضا لان الندب لا يقع على بعض الليل دون بعض لان قيامه ليس مخصوصا بوقت دون
وقت واختلف هل كان فرضا على النبي صلى الله عليه وسلم وحده او عليه وعلى من كان قبله من الانبيا
او عليه وعلى امته على ثلاثة اقوال الاول قول سعيد بن جبير لتوجه الخطاب اليه الثاني قول بن
عباس قال كان قيام الليل فريضه على النبي صلى الله عليه وسلم والانبيا قبله الثالث قول عايشه
وبن عباس ايضا وهو الصحيح انه كان فرض عليه وعلى امته لما روي مسلم ان هشام ابن عامر قال
لعايشة رضي الله تعالى عنها انبيني عن قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الست تقرا يايها
المزمل قلت بلى قالت فان الله عز وجل افترض قيام الليل في اول هذه السوره فقام نبي الله صلى الله
عليه وسلم واصحابه حولا وامسك الله عز وجل خاتمتها اثني عشر شهرا في السما حتى انزل الله عز وجل في اخر
السوره التخفيف فصار قيام الليل تطوعا بعد فريضته وروي وكيع ويعلى عن بن عباس قال لما نزلت
يايها المزمل كانوا يقومون نحوا من قيامهم في شهر رمضان حتى نزل اخرها وكان بين نزول اولها واخرها
نحو من سنه وقال سعيد بن جبير مكث النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه عشر سنين يقومون الليل فنزل
بعد عشر سنين ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل فخفف الله عنهم وقيل كان قيام الليل واجبا
ثم نسخ بالصلوات الخمس وقيل عسر عليهم تمييز القدر الواجب فقاموا الليل كله فشق ذلك عليهم فنسخ
بقوله اخرها فاقروا ما تيسر من القران وكان بين الوجوب ونسخه سنه وقيل نسخ التقدير بمكه وبقي
التهجد حتى نسخ بالمدينة وقيل لم يجب التهجد قط لقوله ومن الليل فتهجد به نافلة لك ولانه لو وجب عليه صلى
الله عليه وسلم لوجب على امته لقوله فاتبعوه والنسخ على خلاف الاصل ولانه فوض تعيين المقدار الى المكلف
وذلك ينافي الوجوب **قوله** تعالى الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا للناس في هذا الكلام
كثير واستدلال على جواز استثنا الاكثر والنصف واعتراضات واجوبه قال شهاب الدين وها انا اذكر
ذلك محررا بعون الله تعالى اعلم ان في هذه الايه الكريمه ثمانية اوجه احدها ان نصفه بدل من الليل
بدل بعض من كل والا قليلا استثنا من النصف كانه قيل قم اقل من نصف الليل والضمير في منه وعليه عايد
على النصف والمعنى التخيير بين امرين بين ان يقوم اقل من نصف الليل على البت وبين ان يختار احد الامرين
وهما النقصان من النصف والزياده عليه قاله الزمخشري وناقشه ابو حيان بانه يلزم منه تكرار
اللفظ اذ يصير التقدير قم نصف الليل الا قليلا من نصف الليل او انقص من نصف الليل قال وهذا تركيب
ينزه القران عنه قال شهاب الدين والوجه فيه اشكال لكن لا من هذه الحيثيه فان الامر فيها سهل بل المعنى
احرسا ده كره ان شا الله تعالى قريبا وجعل ابو البقا هذا الوجه مرجوحا فانه قال والثاني هو بدل من
قليلا يعني النصف وهو اشبه بظاهر الايه لانه قال او انقص او زد عليه والهاء فيهما للنصف فلو كان
الاستثنا من النصف لصار التقدير قم نصف الليل الا قليلا او انقص منه قليلا والقليل المستثنى
غير مقدر فالنقصان منه لا يعقل فاعاد الضمير على القليل وفي الاول اعادة على النصف والقايل ان
ان يقول قد ينقدح هذا الوجه باشكال قوي وهو انه يلزم منه تكرار المعنى الواحد وذلك ان قوله قم نصف
الليل الا قليلا بمعنى انقص من نصف الليل لان ذلك القليل هو بمعنى النقصان وانت اذا قلت قم نصف
الليل الا القليل من النصف وقم نصف الليل او انقص من النصف وجدتهما بمعنى واحد وفيه دقه
فتامله ولم يذكر الحوفي غير هذا الوجه المتقدم وقد عرف ما فيه وممن ذهب اليه ايضا الزجاج فانه
قال نصفه بدل من الليل والا قليلا استثنا من النصف والضمير في منه وعليه عايد للنصف المعنى قم
نصف الليل او انقص من النصف قليلا الى الثلث او زد عليه قليلا الى الثلثين فكانه قال قم ثلثي الليل او
نصفه او ثلثه قال شهاب الدين والتقديرات التي يبرزونها ظاهر حسنه الا ان التركيب لا يساعد
عليها لما عرفت من الاشكال المذكور انفا الثاني ان يكون نصفه بدلا من قليلا واليه ذهب الزمخشري

وابو

وابو البقا وبن عطيه قال الزمخشري وان شيت جعلت نصفه بدلا من قليلا وكان تخييرا بين ثلاث
بين قيام النصف بتمامه وبين قيام الناقص منه وبين قيام الزايد عليه وانما وصف النصف بالقلة
بالنسبة الى الكل وهذا هو الذي جعله ابو البقا اشبه من جعله بدلا من الليل كما تقدم الا ان ابا
حيان اعترض هذا فقال واذا كان نصفه بدلا من الا قليلا فالضمير في نصفه اما ان يعود على
البدل منه او على المستثنى منه وهو الليل لا جايز ان يعود على المبدل منه لانه يصير استثنا مجهول
من مجهول اذ التقدير الا قليلا نصف القليل وهذا لا يصح معنى البته وان عاد الضمير على الليل
فلا فايدة في الاستثنا من الليل اذ كان يكون اخصر واوضح وابعد عن الالباس قم الليل نصفه وقد
ابطلنا قول من قال الا قليلا استثنا من البدل وهو نصفه وان التقدير قم الليل نصفه
الا قليلا منه اي من النصف وايضا ففي دعوى نصفه بدل من الا قليلا والضمير في
نصفه عايد الى على الليل اطلاق القليل على النصف ويلزم ايضا ان يكون التقدير الا
نصفه فلا تقمه او انقص من النصف الذي لا تقمه وهذا معنى لا يصح وليس المراد من الايه
قطعا قال شهاب الدين نقول نجوز عوده على كل منهما ولا يلزم محذور واما ما ذكره من انه يكون
استثنا مجهول من مجهول ممنوع بل هو استثنا معلوم من معلوم لانا بينا ان القليل قد معين
وهو الثلث والليل فليس بمجهول وايضا فالاستثنا المبهم قد ورد قال تعالى ما فعلوه الا قليل
منهم وقال تعالى فشربوا منه الا قليلا منهم وكان حقه ان يقول لانه بدل مجهول من مجهول
واما ما ذكره من ان اخصر واوضح كيت وكيت اما الاخصر فمسلم واما انه ملبس فممنوع ولغا
عدل عن اللفظ الذي ذكره لانه ابلغ وبهذا الوجه استدل من قال يجوز استثنا النصف والا
كثر ووجه الدلالة على الاول انه جعل قليلا مستثنى من الليل ثم فسر ذلك القليل بالنصف
فكانه قيل قم الليل الا نصفه ووجه الدلالة على الثاني انه عطف او زد عليه على انقص منه فيكون
قد استثنى الزايد على النصف لان الضمير في منه وفي عليه عايد على النصف وهو استدلال
ضعيف لان الكثرة انما جاءت بالعطف وهو نظير ان يقول له عندي عشرة الا خمسة درهما
ودرهما فالزياده على النصف بطريق العطف لا بطريق ان الاستثنا اخرج الاكثر بنفسه الثالث
ان نصفه بدل من الليل ايضا كما تقدم في الوجه الاول لان الضمير في منه وعليه عايد على الاقل
من النصف واليه ذهب الزمخشري فانه قال وان شيت قلت لما كان معنى قم الليل الا قليلا
نصفه اذا ابدلت النصف من الليل يكون المعنى قم اقل من نصف الليل فيرجع الضمير في منه
وعليه الى الاقل من النصف فكانه قيل قم اقل من نصف الليل او قم انقص من ذلك الاقل او ازيد
منه قليلا فيكون التخيير فيما ورا النصف بينه وبين الثالث الرابع ان يكون نصفه بدلا من قليلا
كما تقدم الا انه يجعل القليل الثاني ربع الليل وقد اوضح الزمخشري هذا ايضا فقال ويجوز اذا ابدلت
نصفه من قليلا وفسرته به ان يجعل قليلا الثاني بمعنى نصف النصف بمعنى الربع كانه قيل او انقص
منه قليلا نصفه ويجعل المزيد على هذا القليل اعني الربع نصف الربع كانه قيل او زد عليه قليلا
نصفه ويجوز ان يجعل الزياده لكونها مطلقة تتمة الثلث فيكون تخييرا بين النصف والثلث
والربع انتهى واختار بن الخطيب هذا الوجه مع الوجه الثاني فقال وقد اكثر الناس في هذه الايه
وفيها وجهان ملخصان احدهما ان القليل في قوله الا قليلا هو الثلث لان قوله تعالى في اخر السوره
ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه يقتضي ان اكثر المقادير الواجبه هو الثلثان
فيكون نوم الثلث جايز وهو قوله الا قليلا فكانه قيل قم ثلثي الليل ثم قال نصفه فمعناه او قم
نصفه من باب قولهم جالس الحسن او بن سيرين على الاباحة بحذف العاطف فالتقدير قم الثلثين
او قم النصف او انقص من النصف او زد عليه فالثلثان اقصى الزياده والثلث اقصى النقصان فيكو

ن

الواجب هو الثلث والزايد عليه ندب فان قيل فيلزم علي قراءة الخفض في نصفه وثلثه ان يكون
النبي صلى الله عليه وسلم ترك من الواجب ادنى لانه تعالى قال ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي
الليل ونصفه وثلثه فيكون المعنى انك تقوم اقل من الثلثين واقل من النصف واقل من الثلث فاذا
كان الثلث واجبا كان صلى الله عليه وسلم تاركا للواجب قلنا المقدر للمثنى قد ينقص منه لعدم انضباطه
لانه باجتهاد فربما اخطا فهو لقوله تعالى علم ان لن تحصوه الثاني ان نصفه تفسير لقليلا لان النصف
قليل بالنسبة الى الكل ولان المكلف بالنصف لا يخرج عن العهدة بيقين الا بزيادة شيء قليل عليه
فيصير في الحقيقة نصفا وشيا فيكون الباقي بعد ذلك اقل من النصف فالمعنى قم نصف الليل
او انقص منه نصفه وهو الربع او زد عليه نصفه وهو الربع فيصير المجموع ثلثة ارباع فيكون خير
بين ان يقوم تمام النصف او ربع الليل او ثلاثة ارباع وحينئذ يزول الاشكال بالكلية لان الربع
اقل من الثلث وذلك ان قوله تعالى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه
يدل على انه صلى الله عليه وسلم لم يقم ثلثي الليل ولا نصفه ولا ثلثه لكن الواجب لما كان الربع فقط
لم يلزم ترك قيام الثلث الوجه الخامس ان يكون الا قليلا استثناء من القيام فيجعل الليل اسم جنس
ثم قال الا قليلا اي الا الليالي التي تخل اي يترك قيامها عند العذر البين ونحوه وهذا النظر حسن
مع القول بالندب قاله بن عطية احتمالا من عنده وهذا خلاف الظاهر وفيه بعد السادس
قال الاخفش قم الليل الا قليلا او نصفه قال كقولك اعطه درهما درهمين ثلاثة او درهمين
او ثلاثة وهذا ضعيف جدا لان فيه حذف حرف العطف وهو ممنوع لم يرد منه الا شيء شاذ يمكن
تاويله كقولهم اكلت لحما سمكا تمرا وقول الاخر كيف اصبحت كيف امسيت مما يزرع الود في فؤاد الكريم
اي لحما وسمكا وتمرا وكذا كيف اصبحت وكيف امسيت وقد خرج الناس هذا على بدل البدا السابع
قال التبريزي الامر بالقيام والتخيير في الزيادة والنقصان وقع على الثلثين من اخر الليل
لان الثلث الاول وقت العتمة والاستثناء وارد على المامور به فكانه قال قم ثلثي الليل الا قليلا
اي ما دون نصفه او زد عليه على الثلثين فكان التخيير في الزيادة والنقصان واقعا على الثلثين
وهو كلام غريب لا يظهر من هذا التركيب الثامن ان نصفه منصوب على اضمار فعل اي قم نصفه حكاه
مكي عن غيره فانه قال نصفه بدل من الليل وقيل انتصب على اضمار قم نصفه قال شهاب الدين
وهذا في التحقيق هو وجه البدل الذي ذكره اولا لان البدل على نية تكرار العامل **فصل**
اختلفوا في الناسخ للامر بقيام الليل فعن بن عباس وعايشة ان الناسخ قوله تعالى ان ربك يعلم
انك تقوم ادنى من ثلثي الليل الى اخرها وقيل قوله تعالى علم ان لن تحصوه وعن بن عباس ايضا
انه منسوخ بقوله علم ان سيكون منكم مرضى وعن عايشة ايضا والشافعي وبن كيسان هو منسوخ
بالصلوات الخمس وقيل الناسخ قوله تعالى فاقرءوا ما تيسر من القران قال ابو عبد الرحمن
السلمي لما نزلت يا ايها المزمل قاموا حتى ورمت اقدامهم وسوقهم ثم نزل قوله تعالى فاقرءوا
ما تيسر منه قال بعض العلماء وهو فرض نسخ به فرض كان على النبي صلى الله عليه وسلم خاصة
لفضله كما قال تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك قال القرطبي والقول الاول يعم جميع هذه
الاقوال وقد قال تعالى واقيموا الصلاة فدخل فيها قول من قال ان الناسخ الصلوات
الخمس وذهب الحسن وبن سيرين الى ان صلاة الليل كانت فريضة على كل مسلم ولو على قدر
حلب شاة وعن الحسن ايضا انه قال في هذه الاية الحمد لله تطوعا بعد الفريضة وهو الصحيح
ان شاء الله لما جاء في قيام الترغيب والفضل في القران والسنة قالت عايشة كنت اجعل للنبي
صلى الله عليه وسلم حصيرا يصلي عليه من الليل فتسامع الناس به فلما راى جماعتهم كره ذلك
وخشي ان يكتب عليهم قيام الليل فدخل البيت كالمغضب فجعلوا يتنحنحون ويتفلون فخرج اليهم فقال

يا ايها الناس تكلفوا من الاعمال ما تطيقون فان الله لا يمل من الثواب حتى تملوا من العمل وان خير العمل
ادومه وان قل فنزلت يا ايها المزمل فكتب عليهم وانزل بمنزلة الفريضة حتى ان كان احدهم ليربط
الحبل فيتعلق به فمكثوا ثمانية اشهر فنزل قوله تعالى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل
فردهم الله الى الفريضة ووضع عنهم قيام الليل الا ما تطوعوا به قال القرطبي ومعنى حديث
عايشة ثابت في الصحيح الى قوله وان قل وباقيه يدل على ان قوله تعالى يا ايها المزمل نزل بالمدينة
ومكثوا ثمانية اشهر يقومون وقد تقدم عنها في صحيح مسلم حولا وحكى الماوردي عنها قولا
ثالثا وهو ستة عشر شهرا لم يذكر غيره عنها وذكر عن ابن عباس انه كان بين اول المزمل
سنة قال فاما رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كان فرضا عليه وقيل في نسخه عنه قولان احدهما
انه كان فرضا عليه الى ان مات والثاني انه نسخ عنه كما نسخ عن امته وفي مدة فرضه الى ان
قولان احدهما المدة المفروضة على امته في القولين الماضيين يريد قول بن عباس حولا
وقول عايشة ستة عشر شهرا الثاني انه عشر سنين الى ان خفف عنه بالنسخ **قوله** تعالى
ورتل القران ترتيلا اي لا تعجل في قراءة القران بل اقراه على مهل وبينه تبيينا مع تدبر المعاني
قال المبرد اصله من قولهم ثغر رتل ورتل بكسر العين وفتحها اذا كان حسن التنضيد ورتلت
الكلام ترتيلا اذا تمهلت فيه ويقال ثغر رتل اذا كان بين الثنايا افتراق قليل فقوله تعالى
ترتيلا تاكيدا في ايجاب الامر به وانه مما لا بد منه للقارئ روي الحسن ان النبي صلى الله عليه
وسلم مر برجل يقرا اية ويبكي فقال الم تسمعوا الى قول الله عز وجل ورتل القران ترتيلا هذا
الترتيل وروى ابو داود عن عبد الرحمن بن عمرو قال قال النبي صلى الله عليه وسلم يؤتى بقارئ
القران يوم القيمة فيوقف في اول درج الجنة ويقال له اقرا وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا
فان منزلتك عند الله اخر اية تقراوها **قوله** تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا الجملة من
انا سنلقي مستانفة وقال الزمخشري وهذه الاية اعتراض ثم قال واراد بهذا الاعتراض انما
كلفه من قيام الليل من جملة التكاليف الثقيلة الصعبة التي ورد بها القران لان الليل وقت
السبات والراحة والهدو فلا بد لمن احياه من مضادة لطبعه ومجاهدة لنفسه انتهى يعني
بالاعتراض من حيث المعنى لا من حيث الصناعة وذلك ان قوله ان ناشية الليل هي اشد مطابق
لقوله قم الليل فكانه شابه الاعتراض من حيث دخوله بين هذين المتناسبين **فصل**
المعنى سنلقي عليك بافتراض صلاة الليل قولا ثقيلا ثقل حمله لان الليل للمنام فمن امر بقيام اكثره
لم يتهيا له ذلك الا بحمل مشقة شديدة على النفس ومجاهدة للشيطان فهو امر يثقل على العبد
وقيل المعنى سنوحي اليك القران وهو قول ثقيل يثقل العمل بشرايعه قال قتادة ثقيل والله
فرايضه وحدوده وقال مجاهد حلاله وحرامه وقال الحسن العمل به وقال ابو العالية ثقيلا
بالوعد والوعيد والحلال والحرام وقال محمد بن كعب ثقيلا على المنافقين لانه يهتك اسرارهم ويبطل
اديانهم وقيل على الكفار لما فيه من الاحتجاج عليهم والبيان لضلالهم وسب الهتهم وقال السدي
ثقيل بمعنى كريم ماخوذ من قولهم فلان ثقيل علي اي يكرم علي وقال الفراء ثقيلا اي رزينا وقال
الحسين بن الفضل ثقيل لا يحمله الا قلب مؤيد بالتوفيق ونفس مزينة بالتوحيد وقال بن زيد هو والله
ثقيل مبارك كما ثقل في الدنيا يثقل في الميزان يوم القيمة وقيل ثقيل اي ثابت كثبوت الثقيل في محله
معناه انه ثابت الاعجاز لا يزول اعجازه ابدا وقيل ثقيل بمعنى ان العقل الواحد لا يفي بادراك فوايده
ومعانيه بالكلية فالمتكلمون غاصوا في بحار معقولاته والفقهاء بحثوا في احكامه وكذا اهل اللغة
والنحو وارباب المعاني ثم لا يزال كل متاخر يفوز منه بفوايد ما وصل اليها المتقدمون فعلمنا ان
الانسان الواحد لا يقوى على الاشتغال بحمله فصار كالحمل الثقيل الذي يعجز الخلق عن حمله وقيل

سو الوحي كما جاء في الخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اوحي اليه وهو على ناقته وضعت جرانها
يعني صدرها على الارض فما تستطيع ان تتحرك حتى يسري عنه وقال القشيري القول الثقيل هنا
هو قول لا اله الا الله لانه ورد في الخبر لا اله الا الله خفيفة على اللسان ثقيلة في الميزان **قوله**
تعالى ان ناشئة الليل في الناشئة اوجه احدها انها صفة لمحذوف اي النفس الناشئة بالليل التي
تنشا من مضجعها للعبادة اي تنهض وترتفع من نشات السحابة اذا ارتفعت ونشا من مكانه ونشز
اذا نهض قال • نشانا الى حوض يروي بها السوي • واشرف منها مشرفات القماحد **فصل**
الثاني انها مصدر بمعنى قيام الليل على انها مصدر من نشا اذا قام ونهض فيكون كالعاقبة
قاله الزمخشري الثالث انها بلغة الحبشة نشا الرجل اي قام من الليل قاله ابو حيان
فعلى هذا هي جمع ناشي اي قايم يعني انها صفة لشي يفهم الجمع اي طايفة او فرقة ناشئة والا
فاعل لا يجمع على فاعلة قال القرطبي قال ابن مسعود الحبشة يقولون نشا اي قام قال القرطبي
فلعله اراد ان الكلمة عربية ولكنها شايعة في كلام الحبشة غالبة عليهم والا فليس في القران
ما في لغة ليس من لغة العرب الرابع ان ناشئة الليل ساعاته لانها تنشا شيا بعد شي قال القرطبي
لانها تنشي اولا فاولا يقال نشا الشي ينشا اذا ابتدا واقبل شيا بعد شي فهو ناشي وانشاه الله
فنشا فالمعنى ساعات الليل الناشئة فاكتفي بالوصف عن الاسم فالتانيث للفظ ساعة لان
كل ساعة تحدث وقيدها ابن عباس والحسن بما كان بعد العشا وما كان قبلها فليس ناشئة
وخصصتها عايشة بان تكون بعد نوم فلو لم يتقدمها نوم لم تكن ناشئة **قوله** تعالى هي اشد وطا
وقرا ابو عمرو بن عامر بكسر الواو وفتح الطا بعدها الف والباقون بفتح الواو وسكون الطا
وقرا قتادة وشبل عن اهل مكة وطا بكسر الواو وسكون الطا وظاهر كلام ابي البقا يوذن
انه قرا بفتح الواو مع المد فانه قال وطا بكسر الواو بمعنى مواطاة وبفتحها اسم للمصدر ووطا على
فعل وهو مصدر وطي قال والطا مصدر واطا كقتال مصدر قاتل والمعنى انها اشد مواطاة اي
اي يواطي قلبها لسانها ان اردت النفس او يواطي فيها قلب القايم لسانه ان اردت القيام او
العبادة او الساعات او اشد موافقة لما يراد من الخشوع والاخلاص والوطي بالفتح او الكسر
على معنى اشد ثبات قدم وابعد من الزلل واثقل واغلظ من صلاة النهار على المصلي من
قوله عليه السلام اللهم اشدد وطاتك مضر وعلى كل تقدير فانتصابه على التمييز **قوله** تعالى
واقوم قيلا حكى الزمخشري ان انسا قرا واصوب قيلا فقيل له يا ابا حمزة انما هي واقوم فقال
ان اقوم واصوب واهيا واحد وان ابا سرار الغنوي قرا فحاسوا خلال الديار بالحا المهملة
فقيل له هي بالجيم فقال حاسوا وجاسوا واحد قال شهاب الدين وغرضه في هاتين الحكايتين جواز
قراة القران بالمعنى وليس في هذا دليل لانه تفسير معنى وايضا فالذي بين ايدينا قرانا متواتر
الحكاية احاد وقد تقدم ان ابي الدردا كان يقرا رجلا ان شجرة الزقوم طعام الاثيم فجعل
الرجل يقول اليتيم فلما تبرم منه قال طعام الفاجر يا هذا فاستدل به على ذلك من يري جواز
وليس فيه دليل لان مقصود ابي الدردا بيان المعنى فجا بلفظ مبين قال ابن الانباري وقد ذهب
بعض الناس بعين الى ان من قال ان من قرا بحرف يوافق معنى حرف من القران فهو مصيب اذا لم
يخالف ولم يات بغير ما اراد الله تعالى واحتجوا بقول انس هذا وهذا قول لا يعرج احد عليه ولا
يلتفت الى قايله لانه لو قرا بالفاظ القران اذ اقاربت معانيها واشتملت على عامتها لجاز ان
يقرا في موضع الحمد لله رب العالمين الشكر للباري ملك المخلوقين ويتسع الامر في هذا حتى يبطل
جميع لفظ القران ويكون التالي مفتريا على الله تعالى كاذبا على رسوله صلى الله عليه وسلم
ولا حجة لهم في قول ابن مسعود نزل القران على سبعة احرف انما هو كقول احدكم تعال وتقال

واقيل

واقيل لان هذا الحديث يوجب ان القراات المنقولة بالاسانيد الصحاح عن النبي صلى الله
عليه وسلم اذا اختلفت الفاظها وبقيت معانيها كان ذلك منها بمنزلة الخلاف في هلم وتعالى
واقبل فاما ما لم يقرا به النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه وتابعوهم فان من اورد حرفا
منه لمعنى ومات وخرج عن مذهب الصواب ومذهبهم الذي حملوه قاعدتهم في هذه الصلاة
لا تصححه اهل العلم **فصل** بين تعالى في هذه الاية فضل صلاة الليل على صلاة النهار
وان الاستكثار من صلاة الليل بالقراة فيها ما امكن اعظم للاجر واجلب للثواب كان علي بن
الحسين يصلي بين المغرب والعشا ويقول هذا ناشئة الليل وقال عطا وعكرمة هو بدو الليل قال
قال في الصحاح ناشئة الليل اول ساعاته وقال ابن عباس ومجاهد وغيرهما هي الليل كله
لانه ينشا بعد النهار وهو اختيار مالك قال ابن العربي وهو الذي يعطيه اللفظ ويقتضيه
اللغة وقالت عايشة وابن عباس ايضا ومجاهد انما الناشئة القيام بالليل بعد النوم ومن
قام قبل النوم فما قام ناشئة وقال يمان وابن كيسان هو القيام من اخر الليل واما قوله
اشد وطا اي اثقل على المصلي من ساعات النهار لان الليل وقت منام وراحة فاذا قام
الى صلاة الليل فقد تحمل المشقة العظيمة هذا على قراة كسر الواو وفتح الطا واما على قراة
المد فهو مصدر واطات وطا ومواطاة اي وافقت على الامر من الوفاق تقول فلان يواطي
اسمه اسمي اي يوافقه فالمعنى اشد موافقة بين القلب والبصر والسمع واللسان لانقطاع
الاصوات والحركات قاله مجاهد وابن مليكة وغيرهما قال تعالى ليواطيوا عدة ما حرم الله اي
ليوافقوا وقيل اشد مهادا للتصرف في التفكر والتدبر وقيل اشد ثباتا من النهار فان الليل
يخلو فيه الانسان بما يعمله فيكون ذلك اثبت للعمل والوطي الثبات تقول وطيت الارض بقولك
بقدمي وقوله اقوم قيلا اي القراة بالليل اقوم منها بالنهار اي اشد استقامة واستمرارا على
الصواب لان الاصوات هادية والدنيا ساكنة فلا يضطرب على المصلي ما يقراه وقال قتادة
ومجاهد اصوب للقراة واثبت للقول لانه زمان التفهم وقيل اشد استقامة لفراغ البال بالليل
وقيل اعجل اجابة للدعا حكاه ابن شجرة وقال عكرمة عبادة الليل اتم نشاطا واتم اخلاصا واكثر بركة
قوله تعالى ان لك في النهار سبحا طويلا والعامة بالحا المهملة وهو مصدر سبح وهو استعارة
للتصرف في الحوايج من السباحة في الما وهي البعد فيه وقال القرطبي السبح الجري والدوران ومنه
السباحة في الما لتقلبه بيديه ورجليه وفرس سابح شديد الجري قال امرو القيس • اذا ما
السابحات على الونا • اثرن غبارا بالكديد المركل • وقيل السبح الفراغ اي ان لك فراغا للحاجات
بالنهار وعن ابن عباس وعطا سبحا طويلا يعني فراغا طويلا يعني لنومك وراحتك فاجعل ناشئة
الليل لعبادتك قول النبي صلى الله عليه وسلم لعايشة وقد دعت على وقرا يحيى بن يعمر وعكرمة
وابن ابي عبلة سبخا بالخا المعجمة فاختلفوا في تفسيرها فقال الزمخشري استعارة من سبخ الصوف
وهو نفشه ونشر اجزايه لانتشار الهم وتفرق القلب بالشواغل وقيل التسبيخ التخفيف حكى
الاصمعي سبخ الله عنك الحمى اي خففها قال الشاعر • فسبخ عليك الهم واعلم بانه
اذا قدر الرحمن شيا كاين • اي خففه ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لعايشة وقد دعت
على سارق ردايها لا تسبخي بدعايك اي لا تخففي وقيل التسبيخ المد يقال سبخي قطنك اي مديه والسبيخة
قطعة من القطن والجمع سبايخ قال الاخطل يصف صايدا • وكلابا فارسلوهن يذرين التراب كما
يذري سبايخ قطن ندف اوتار • وقال ابو الفضل الرازي بن يعمر وعكرمة سبخا بالخا المعجمة وقال
معناه نوما اي ينام بالنهار ليستعين به على قيام الليل وقد يحتمل هذه القراة غير هذا المعنى لكنها
فسراها فلا يجاوز عنه قال شهاب الدين في هذا نظر لانهما غاية ما في الباب انهما نقلا هذه القراة

وظهر لما تفسيرها عما ذكرا ولا يلزم من ذلك انه لا يجوز غير ما ذكر من تفسير اللفظ وقال ثعلب السبح
بالخا التردد والاضطراب والسبخ السكون ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم الحمى من فيح جهنم فسبخوها
بالما اي سكنوها وقال ابو عمرو السبخ النوم والفراغ فعلى هذا يكون من الاضداد ويكون بمعنى
السبح بالحا المهمله **قوله** تعالى واذكر اسم ربك اي ادعه باسمائه الحسنى ليحصل لك مع الصلاة
محمود العاقبة وقيل اقصد بعملك وجه ربك وقال سهل اقرا بسم الله الرحمن الرحيم في ابتدا صلاتك
توصلك بركة قراتها الى ربك وتقطعك عما سواه وقيل واذكر اسم ربك في وعده ووعيده ليوفر على
طاعته وتبعد عن معصيته وقال الكلبي صل لربك اي بالنهار قال القرطبي وهذا حسن لانه لما ذكر
الليل ذكر النهار اذ هو قسيمه وقد قال تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان
ان يذكر **قوله** تعالى وتبتل اليه تبتيلا هذا مصدر على غير الصدر وهو واقع موقع التبتل لان
مصدر تفعل تفعل نحو تصرف تصرفا وتكرم تكرما واما التفعيل فمصدر فعل نحو صرف تصريفا
كقول الاخر • وقد تطويت انطوا الحضب • فاوقع الانفعال موقع التفعل قال الزمخشري
لان معنى تبتل بتل نفسه فجي به على معناه مراعاة لحق الفواصل والتبتل الانقطاع ومنه امراة
بتول اي انقطعت عن النكاح وبتلت الحبل قطعته قال الليث البتل تمييز الشي من الشي وقالوا
اطلعه بتله وهبه بتله يعنون انقطاعها عن صاحبها فالتبتل قطع النكاح والزهد فيه ومنه سمي
الراهب متبتلا لانقطاعه عن النكاح قال امرؤ القيس • مصابيح الظلام بالعشا كانها • منارة ممسى
راهب متبتل ومنه الحديث انه نهي عن التبتل وقال يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج
والمراد به في الاية الكريمة الانقطاع الى عبادة الله تعالى دون ترك النكاح والتبتل في الاصل
الانقطاع عن الناس والجماعات وقيل ان اصله عند العرب التفرد قاله ابن عرفة قال ابن العربي
فاله فيما مضى واما اليوم وقد مرجت عهود الناس وخفت اماناتهم واستولى الحرام على الحطام
فالعزلة خير من الخلطة والعزبة افضل من التاهل ولكن معنى الاية فانقطع عن الاوثان
والاصنام وعن عبادة غير الله تعالى ولهذا قال مجاهد اخلص له العبادة ولم يرد التبتل فصار
التبتل مامورا به في القران منهيا عنه في السنة ومتعلق الامر غير متعلق النهي فلا يتناقضان وانما
بعث ليبين للناس ما نزل اليهم والتبتل المامور به الانقطاع الى الله تعالى باخلاص العبادة كما قال
تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين والتبتل المنهي عنه هو سلوك مسلك النصارى
في ترك النكاح والترهب في الصوامع لكن عند فساد الزمان يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف
الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن **قوله** تعالى رب المشرق والمغرب قرا الاخوان وابو
بكر وابن عامر بجر رب على النعت لربك او البدل منه او البيان له وقال الزمخشري وعن ابن عباس
على القسم باضمار حرف القسم كقولك الله لافعلن وجوابه لا اله الا هو كما تقول والله لا احد في الدار
الا زيد قال ابو حيان لعل هذا التخريج لا يصح عن ابن عباس لان فيه اضمار الجار ولا يجيزه البصريون
الا مع لفظ الجلالة المعظمة خاصة ولان الجملة المنفية في جواب القسم اذا كانت اسمية فانما ينفى
بما وحدها ولا تنفى بلا الا الجملة المصدرة بمضارع كثيرا او بماض في معناه قليلا نحو قول الشاعر
• ردوا فوالله لا اردناكم ابدا • ما دام في مائنا ورد لوراد • والزمخشري اورد ذلك على
سبيل التجويز والتسليم والذي ذكره النحويون هو نفيها بلا كقوله • لعمرك ما سعد بخلة اثم
• ولا نابا يوم الحفاظ ولا حصر • قال شهاب الدين قد اطلق ابن مالك ان الجملة المنفية سواء كانت اسمية
او فعلية تنفى بما او لا او ان بمعنى ما وهذا هو الظاهر والباقي السبعة يرفعه على الابتدا وخبره الجملة
من قوله لا اله الا هو او على خبر ابتدا مضمر اي هو رب وهذا احسن لارتباط الكلام بعضه ببعض وقرا
زيد بن علي رب بالنصب على المدح وقرا العامة المشرق والمغرب موحدين وعبد الله وابن عباس المشارق

والمغارب

والمغارب ويجوز ان ينتصب رب في قراءة زيد من وجهين اخرين احدهما انه بدل من اسم ربك او بيان
له او نعت له قاله ابو البقا وهذا يجي على ان الاسم هو المسمى والثاني انه منصوب على الاشتغال
بفعل مقدر اي فاتخذ رب المشرق فاتخذه وما بينهما اعتراض والمعنى ان من علم انه رب المشارق والمغارب
انقطع بعمله اليه واتخذه وكيلا اي قايما باموره وقيل كفيلا بما وعده **قوله** تعالى واصبر على
ما يقولون اي من الاذى والسب والاستهزا ولا تجزع من قولهم ولا تمتنع من دعايهم وفوض امرهم الى
فاني اذا اكنت وكيلا لك اقوم باصلاح امرك احسن من قيامك باموره نفسك واهجرهم هجرا جميلا الهجر ترك
المخالطه اي لا تتعرض لهم ولا تشتغل بمكافاتهم فان ذلك ترك للدعا الى الله وكان هذا قبل الامر بالقتال
ثم امر بعد ذلك بقتالهم قال قتادة وغيره نسختها اية القتال وقال ابو الدردا انا لنكشر في وجوه ونضحك
اليهم وان قلوبنا لتلعنهم قال ابن الخطيب وقيل وهو الاصح انها محكمة **قوله** تعالى وذرني والمكذبين
يجوز نصب المكذبين على المعيه وهو الظاهر ويجوز على النسق وهو اوفق للصناعة والمعنى ارض بي
لعقابهم نزلت في المطعمين يوم بدر وهم عشرة تقدم ذكرهم في الانفال وقال يحيى بن سلام انهم بنو
المغيرة وقال سعيد بن جبير اخبرت انهم اثنا عشر اولي النعمه اي اولي الغنى والترفه واللذة
في الدنيا ومهلهم قليلا يعني الى مدة اجالهم قالت عايشة رضي الله تعالى عنها لما نزلت هذه الاية
لم يكن الا يسيرا حتى وقعت وقعة بدر ومهلهم قليلا مدة الدنيا **قوله** تعالى اولي النعمة نعت
للمكذبين والنعمة بالفتح التنعم وبالكسر الانعام وبالضم المسرة يقال نعمة ونعمة عين وقوله قليلا
نعت لمصدر اي تمهيلا قليلا او لظرف زمان محذوف اي زمانا قليلا **قوله** تعالى ان لدينا انكالا
جمع نكل وفيه قولان اشهرهما انه القيد وقيل الغل وقالت الخنسا • دعاك فقطعت انكاله •
• وقد كن من قبل لا يقطع • وقال الحسن ومجاهد وغيرهما الانكال القيود واحدها نكل وهو
ما منع الانسان من الحركة وقيل سمي نكالا لانه ينكل به قال الشعبي اترون ان الله تعالى جعل
الانكال في ارجل اهل النار خشية ان يهربوا لا والله ولكنهم اذا ارادوا ان يرتفعوا استفلت
بهم وقال الكلبي الانكال الاغلال وقال مقاتل الانكال انواع العذاب الشديد وقال عليه
السلام ان الله تعالى يحب النكل على النكل قال الجوهري بالتحريك قيل وما النكل قال الرجل القوي
المجرب على الفرس القوي المجرب ذكره الماوردي قال ومن ذلك سمي القيد نكلا لقوته وكذلك
الغل وكل عذاب قوي قال ابن الاثير النكل بالتحريك من التنكيل وهو المنع والتنحية عما يريد
يقال رجل نكل ونكل كشبه وشبه اي ينكل به اعداؤه وقد نكل عن الامر ينكل ونكل ينكل اذا امتنع
ومنه النكول في اليمين وهو الامتناع منها وترك الاقدام عليها والجحيم النار الموقدة وطعاما ذا
غصة الغصة الشجي وهو ما ينشب في الحلق فلا ينساغ ويقال غصصت بالكسر فانت غاص وغصان
• لو بغير الما حلقي شرق • كنت كالغصان بالما اعتصاري • والمعنى طعاما غير سائغ ياخذ بالحلق
لا هو نازل ولا هو خارج وهو الغسلين والزقوم والضريع قاله ابن عباس وعنه ايضا انه
شوك يدخل الحلق فلا ينزل ولا يخرج وقال الزجاج اي طعامهم الضريع وهو شوك كالعوسج وقال
مجاهد هو كالزقوم والغصة الشجي وهو ما ينشب في الحلق من عظم او غيره وجمعها غصص والغصص
بالفتح مصدر قولك غصصت يا رجل تغص فانت غاص بالطعام وغصان واغصصته انا
والمنزل غاص بالقوم اي ممتلي بهم ومعنى الاية ان لدينا في الاخرة ما يضاد تنعمهم في الدنيا وهي
هذه الامور الاربعة الانكال والجحيم والطعام الذي يغص به والعذاب الاليم والمراد به
ساير انواع العذاب **قوله** تعالى يوم ترجف الارض والجبال اي تتحرك وفي نصب يوم اوجه
احدها انه منصوب بذرني وفيه بعد والثاني انه منصوب بالاستقرار المتعلق به لدينا والثالث
صفة لعذابا فيتعلق بمحذوف اي عذابا واقعا يوم ترجف الخامس انه منصوب باليم والعامة ترجف

بفتح التا وضم الجيم مبنيا للفاعل و زيد بن علي مبنيا للمفعول من ارجفها قوله تعالى
وكانت الجبال اي وتكون الجبال كثيبا مهيلا الكثيب الرمل المجتمع قال حسان
عرفت ديار زينب بالكثيب كخط الوحي في الورق القشيب والمهيل اصله مهيول كمضروب
فاستثقلت الضمة على اليا فنقلت الى الساكن قبلها وهو الها فالتقى ساكنان فاختلف النحاة
في العمل في ذلك فسيبويه واتباعه حذفوا الواو وكانت اولى بالحذف لانها زايدة ولانها
الفاعلة انما حذفت لالتقا الساكنين الاول ثم كسروا الها لتصح اليا ووزنه حينئذ مفعل
والكسائي والفرا والاخفش حذفوا اليا لان القاعدة في التقا الساكنين اذا احتيج الى حذف
احدهما حذف الاول وكان ينبغي على قولهم ان يقال فيه مهول الا انهم كسروا الها لاجل اليا
التي كانت فقلبت اليا واوا ووزنه حينئذ مفيلا على الاصل ومفيلا بعد القلب قال مكي وقد
اجازوا كلهم ان ياتي على اصله في الكلام فتقول مهيول ومبيوع وما اشبه ذلك من ذوات اليا
فان كان من ذوات الواو لم يجز ان ياتي على اصله عند البصريين واجازه الكوفيون نحو معوود
ومصووغ واجازوا كلهم مهول ومنوع على لغة من قال بوع المتاع وقول القول ويكون الاختلاف
في المحذوف منه على ما تقدم قال شهاب الدين السمين بني مبيوع ومهيول وبابه لغة تميم
والحذف لغة سائر العرب ويقال هلت التراب اهيله هيلا فهو مهيل وفيه لغة
اهليه رباعا اهاله فهو مهال نحو ابعته اباعة فهو مباعا والمهيل ما انهال تحت القدم اي
انصب من هلت التراب اي طرحته وقال القرطبي والمهيل الذي يمر تحت الارجل قال الضحاك
والكلبي المهيل الذي اذا وطئته بالقدم زل من تحتها واذا اخذت اسفله انهال وقال
بن عباس مهيلا اي رملا سايلا منتثرا قال القرطبي واصله مهيول وهو مفعول من قولك
هلت عليه التراب اهيله اهالة وهيلا اذا اصببته يقال مهيل ومهيول ومكيل ومكيول
ومدين ومديون ومعين ومعيون قال الشاعر قد كان قومك يحسبونك سيدا
واخال انك سيد معيون وقال عليه السلام حين شكوا اليه الجدب ايكلون ام يهيلون
قالوا نهيل قال كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه واعلم انه تعالى لما خوف الملك بين اولي النعمة
باهوال يوم القيامة خوفهم بعد ذلك باهوال الدنيا فقال انا ارسلنا اليكم رسولا يريد النبي
صلى الله عليه وسلم ارسله الى قريش كما ارسلنا الى فرعون رسولا وهو موسى عليه السلام
وهذا تهديد لاهل مكة بالاخذ الوبيل قال مقاتل وانما ذكر موسى وفرعون دون سائر الرسل
لان اهل مكة ازدروا محمدا صلى الله عليه وسلم واستخفوا به لانه ولد فيهم كما ان فرعون ازدرى
بموسى لانه رباه ونشا فيما بينهم قال تعالى الم نربك فينا وليدا وذكر بن الخطيب هذا السوال
والجواب في وهو ليس بالقوي لان ابراهيم عليه السلام ولد ونشا فيما بين قوم نمرود وكان
نمرود على ما ذكره المفسرون وكذلك القول في نوح وهود وصالح ولوط لقوله تعالى
في قصة كل واحد منهم لفظة اخاهم لانه منا لعشيرة التي بعث اليها قوله تعالى فعصى فرعون
الرسول انما عرفه لتقدم ذكره وهذه الالف واللام العهدية والعرب اذا قدمت اسما ثم حكت عنه
اتوا به معرفا بال او اتوا بضمير لئلا يلبس بغيره نحو رايت رجلا فاكرمت الرجل او فاكرمته
ولو قلت فاكرمت رجلا لتوهم انه غير الاول وسياتي تحقيق هذا عند قوله تعالى ان مع العسر
يسرا وقوله عليه السلام لن يغلب عسر يسرين قال المهدوي هنا ودخلت الالف واللام في
الرسول لتقدم ذكره ولذلك اختير في اول الكتب سلام عليكم وفي اخرها السلام عليكم قوله
تعالى فاخذناه اخذا وبيلا اي شديدا وضرب وبيل وعذاب وبيل اي شديد قال بن عباس ومجاهد
ومنه مطر وابل اي شديد قاله الاخفش وقال الزجاج اي ثقيلا غليظا ومنه قيل للمطر وابل وقيل

مهلكا

مهلكا قال اكلت بنيك اكل الضب حتى وجدت مرارة الكلا الوبيل واستوبل فلان كذا
اي لم يحمد عاقبته وما وبيل اي وخيم غير مري وكلا مستوبل فطعام وبيل ومستوبل اذا
لم يمرو ولم يستمر قال زهير فقضوا منايا بينهم ثم اصدروا الى كلا مستوبل متوخم
وقالت الخنسا لقد اكلت بجيلة يوم لاقت فوارس مالك اكلا وبيلا ولو بيل ايضا العصا
الضخمة قال الواضح في يمني يدي زمامها وفي كفي الاخرى وبيلا نحاذره ولذلك الوبيل
بكسر اليا والوبيل ايضا الحزمة من الوبيل وكذلك قال طرفه عقيلة شيخ كالوبيل البدد
فصل قال بن الخطيب هذه الاية يمكن الاستدلال بها على اثبات القياس لان الكلام انما
ينتظم لو قسنا احد الصورتين على الاخرى فان قيل هب ان القياس في هذه الصورة حجة فلم قلتم
انه في ساير الصور حجة وحينئذ يحتاج الى قياس ساير القياسات على هذا القياس فيكون
اثباتا للقياس بالقياس قلنا لا نثبت ساير القياسات على القياس على هذه الصورة والا لزم
المحذور الذي ذكرتم بل وجه التمسك ان نقول لولا انه تمهد ان الشيين اللذين يشتركان
في مناط الحكم ظنا يجب اشتراكهما في الحكم والا لما اورد هذا الكلام في هذه الصورة وذلك
لان احتمال الفرق المرجوح قايم هنا فان للقايل ان يقول لعلهم انما استوجبوا الاخذ الوبيل
لخصوصية حال العصيان في تلك الصورة وتلك الخصوصية غير موجودة هاهنا ثم انه تعالى
مع قيام هذا الاحتمال جزم بالتسوية في الحكم لا بد وان يقال انه كان مسبوقا بتقرير
انه متى وقع الاشتراك في المناط الظاهر وجب الجزم بالاشتراك في الحكم وان الفرق المرجوح
من انه لتلك الخصوص تلك الواقعة لا عبرة به لم يكن لهذا الكلام كثير فايدة ولا معنى لقولنا
القياس القياس حجة الا هذا فصل قال بن الخطيب ومعنى كون الرسول شاهدا عليهم من
وجهين الاول انه شاهد عليهم يوم القيمة بكفرهم وتكذيبهم الثاني ان المراد بكونه شاهدا كونه
مبينا للحق في الدنيا ومبينا لبطلان ما هم عليه من الكفر لان الشاهد بشهادته يبين الحق ولذلك
وصفت بانها بينة ولا يمنع ان يوصف صلى الله عليه وسلم بذلك من حيث انه يبين الحق قال بن الخطيب
وهذا بعيد ان الله تعالى قال وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهدا على الناس اي عدولا
خيارا ويكون الرسول عليكم شهيدا فبين انه شاهد عليهم في المستقبل لان حمله على الشهادة في
الاخرة حقيقة وحمله على البيان مجاز والحقيقة اولى من المجاز قوله تعالى فكيف تتقون
ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا يوما منصوبا بتتقون على سبيل المفعول به تجوزا وقال
الزمخشري يوما مفعول به اي كيف تتقون انفسكم يوم القيمة وهوله ان تقيم على الكفر
وناقشه ابو حيان فقال وتتقون مضارع اتقى واتقى ليس بمعنى وقى حتى تفسره به واتقى يتعدى
الى واحد وقد يتعدى الى اثنين قال تعالى ووقاهم عذاب الجحيم ولذلك قدره الزمخشري
تتقون انفسكم لكنه ليس تتقون بمعنى اتقون فلا يتعدى تعديته انتهى ويجوز ان ينتصب
على الظرف اي فكيف لكم بالتقوى يوم القيامة ان كفرتم في الدنيا قاله الزمخشري ويجوز ان
ينتصب مفعولا به بكفرتم اذا جعل كفرتم بمعنى جحدتم اي فكيف تتقون الله وتخشونه ان جحدتم
يوم القيامة ولا يجوز ان ينتصب ظرفا لانهم لا يكفرون ذلك اليوم بل يومنون لا محالة ويجوز ان
ينتصب على اسقاط الجار اي ان كفرتم بيوم القيامة فصل قال القرطبي هذا تقريع وتوبيخ
اي كيف تتقون العذاب ان كفرتم وفيه تقديم وتاخير اي كيف تتقون يوما يجعل الولدان شيبا
ان كفرتم وكذا قراه عبد الله وعطيه قال الحسن اي باي صلاة تتقون العذاب باي صوم تتقون
العذاب وفيه اضمار اي كيف تتقون عذاب يوم وقال قتادة والله ما يتقي من كفر بالله ذلك اليوم
بشي واليوم مفعول بتتقون على هذه القراة وليس بظرف وان قدر الكفر بمعنى الجحود كان اليوم

مفعول كفرتم وقال بعض المفسرين وقف التمام على قوله كفرتم والابتدا يوما يذهب الى ان اليوم
مفعول يجعل والفعل لله عز وجل كانه قال يجعل الله الولدان شيبا في يوم قال ابن الانباري
وهذا لا يصح لان اليوم هو الذي يفعل هذا من شدة هوله وقال المهدوي والضمير في يجعل
يجوز ان يكون لله عز وجل ويجوز ان يكون لليوم واذا كان لليوم صلح ان يكون صفة له ولا يصلح
ذلك اذا كان الضمير لله عز وجل ويجوز ان يكون لليوم الا مع تقدير حذف كانه قال يوما يجعل الله
الولدان فيه شيبا وقال ابن الانباري ومنهم من نصب اليوم بكفرتم وهذا قبيح لان اليوم اذا علق
بكفرتم احتاج الى صفة كفرتم كيوم فان احتج محتج بان الصفة قد تحذف وتنصب ما بعدها.
احتججنا عليه بقراءة عبد الله فكيف تتقون يوما قال القرطبي هذه القراة ليست بمتواترة وانما جاءت على وجه
التفسير واذا كان الكفر بمعنى الجحود فيوم مفعول صريح من غير صفة ولا حذفها اي فكيف تتقون الله
وتخشونه ان جحدتم يوم القيمة والجزا والعامة على تنوين يوما وجعل الجملة بعده نعتا له والعايد
محذوف اي يجعل الولدان فيه قال ابو البقا ولم يتعرض للفاعل في يجعل وهو على هذا الضمير
ضمير الباري تعالى اي يوما يجعل الله فيه واحسن من هذا ان يجعل العايد مضمرا في يجعل هو فاعله
ويكون نسبة الجعل الى اليوم من باب المبالغة اي ان نفس اليوم يجعل الولدان شيبا وقرا زيد بن علي
يوم يجعل باضافة الظرف للجملة والفاعل على هذا هو ضمير الباري تعالى والجعل هنا بمعنى التصيير
فشيبا مفعول ثان وقرا ابو السمال فكيف تتقون بكسر النون على الاضافة والولدان الصبيان وقال
السدي هم اولاد الزنا وقيل اولاد المشركين والعموم اصح اي يوم يشيب فيه الصغير من غير كبر وذلك
حين يقال لادم يا ادم قم فابعث بعث النار وقال القشيري ثم اهل الجنة يغير الله احوالهم واوصافهم على
ما يريد وقيل هذا ضرب مثل لشدة ذلك اليوم وهو مجاز لان يوم القيمة لا يكون فيه ولدان ولكن معناه
ان هيبة ذلك اليوم بحال لو كان هناك صبي لشاب راسه من الهيبة وقيل هذا وقت الفزع قبل ان ينفخ
في الصور نفخة الصعق والله اعلم وشيبا جمع اشيب واصل الشين الضم فكسرت لتصح اليا نحو احمر وحمر قال
الشاعر. منا الذي هو ما ان طر شاربه. والعانسون ومنا المرد والشيب وقال
لعبين بنا شيبا وشيبننا مردا قال الزمخشري وفي بعض الكتب ان رجلا امسى فاحم الشعر كحنك الغراب
فاصبح شايب الراس واللحية كالثغامة فقال رايت القيمة والجنة والنار في المنام ورايت الناس يقادون
في السلاسل الى النار فمن هول ذلك اصبحت كما ترون ويجوز ان يوصف اليوم بالطول وان الاطفال يبلغون
فيه اوان الشيخوخة والشيب قال ابن الخطيب ان الله تعالى ذكر من هول ذلك اليوم امرين الاول جعل
الولدان شيبا وفيه وجهان الاول انه مثل في الشدة يقال في اليوم الشديد يوم يشيب نواصي الاطفال والا
صل فيه ان الهموم والاحزان اذا تفاقمت على الانسان اسرع فيه الشيب لان كثرة الهموم توجب انقباض
الروح الى داخل القلب وذلك الانقباض يوجب انطفا الحرارة الغريزية وضعفها يوجب بقا الاجزا الغذايية
غير تامة النضج وذلك يوجب استيلا البلغم على الاخلاط وذلك يوجب ابياض الشعر فلما راوا ان حصول
الشيب من لوازم كثرة الهموم جعلوا الشيب كناية عن الشدة والهموم وليس المراد ان هول ذلك اليوم يجعل
الولدان شيبا حقيقة لان ايصال الالم والخوف الى الصبيان غير جايز يوم القيامة الثاني ما تقدم
من طول اليوم وان الاطفال يبلغون فيه اوان الشيخوخة والشيب قوله تعالى السما منفطر به
صفة اخرى اي متشققة بسبب هوله وشدته فيكون الباء سببية وجوز الزمخشري ان يكون للاستعانة
فانه قال فالباء في به مثلها في قولك فطرت العود بالقدوم فانفطر به وقال القرطبي ومعنى به اي فيه اي
في ذلك اليوم لهوله هذا احسن ما قيل فيه ويقال منفطر به اثقلا لا يؤدي الى انفطارها لعظمته عليها وخشيتها
من وقوعها كقوله تعالى ثقلت في السموات والارض وقيل به اي له لذلك اليوم يقال فعلت كذا بحرمتك ولحرمتك
والبا واللام وفي متقاربة في مثل هذا الموضع قال تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة اي في يوم القيامة

وقيل

وقيل به اي بالامر اي السما منفطر بما يجعل الولدان شيبا وقيل منفطر بالله تعالى اي بامره وانما لم يؤنث
الصفة لوجوه منها قال ابو عمرو بن العلا لانها بمعنى السقف تقول هذا سما البيت قال تعالى وجعلنا
السما سقفا محفوظا ومنها انها على النسب اي ذات انفطار نحو امراة مرضع وحايض اي ذات ارضاع
وذات حيض ومنها انها تذكر وتؤنث انشد الفرا فلو رفع السما اليه قوما لحقنا بالسما و
بالسحاب. ومنها انها اسم جنس يفرق بينه وبين واحده بالتا فيقال سماة وقد تقدم ان اسم
الجنس يذكر ويؤنث ولهذا قال ابو علي الفارسي هو كقوله جراد منتشر والشجر الاخضر واعجاز
نخل منقعر يعني فجا على احدى الجايزين وقيل لان تانيثها ليس بحقيقي وما كان كذلك جاز تذكيره
قال الشاعر والعين بالاثمد الحيري مكحول قوله تعالى كان وعده مفعولا يجوز ان يكون
الضمير لله تعالى وان لم يجر له ذكر للعلم به فيكون المصدر مضافا لفاعله ويجوز ان يكون لليوم
فيكون مضافا لمفعوله والفاعل وهو الله مقدر فصل قال المفسرون كان وعده بالقيامة
والحساب والجزا مفعولا كاينا لا شك فيه ولا خلف وقال مقاتل كان وعده بان يظهر دينه على الدين
كله قوله تعالى ان هذه تذكرة اي السورة او الايات عظة وقيل ايات القران اذ هو كالسورة الواحدة
فمن شا اتخذ الى ربه سبيلا لان هذه الايات مشتملة على انواع الهداية والارشاد فمن شا ان يومن
ويتخذ بذلك الى ربه سبيلا اي طريقا الى رضاه ورحمته فليرغب فقد امكن لانه اظهر له الحجج والدلايل
قيل نسخت باية السيف وكذلك قوله تعالى فمن شا ذكره قال الثعلبي والاشبه انه غير منسوخ
قوله تعالى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل العامة على ضم اللام من ثلثي وهو الاصل
كالربع والثلث وقرا هشام باسكانها تخفيفا قوله تعالى ونصفه وثلثه قرا الكوفيون
وابن كثير بنصبهما والباقون بجرهما وفي الجر اشكال ياتي ان شا الله تعالى فالنصب نسق على ادنى لانه
بمعنى وقت ادنى اي اقرب استعير الدنو لقرب المسافة في الزمان وهذا مطابق لما في اول السورة
من التقسيم وذلك انه اذا قام ادنى من ثلثي الليل فقد صدق عليه انه قام الليل الا قليلا لان
الزمان الذي لم يقم فيه يكون الثلث وشيا من الثلثين فيصدق عليه قوله الا قليلا واما قوله
ونصفه فهو مطابق لقوله او لا نصفه واما قوله وثلثه فان قوله او انقص منه قليلا قد ينتهي النقص
في القليل الى ان يكون الوقت ثلثي الليل واما قوله او زد عليه فانه اذا زاد على النصف قليلا كان
الوقت اقل من الثلثين فهو ان تطابق ادنى من ثلثي الليل ويكون قوله تعالى نصفه او انقص
منه قليلا شرحا لمبهم ما دل عليه قوله قم الليل الا قليلا وعلى قراءة النصب قرا الحسن يحصوه
بمعنى تطيقوه واما قراءة الجر فمعناها انه قيام مختلف مرة ادنى من الثلثين ومرة ادنى من
النصف ومرة ادنى من الثلث وذلك لتعذر معرفة البشر بمقدار الزمان مع عذر النوم
وقد اوضح هذا كله الزمخشري فقال وقرا نصفه وثلثه بالنصب على انك تقوم اقل من
الثلثين وتقوم النصف والثلث وهو مطابق لما مر في اول السورة من التخيير بين قيام
النصف بتمامه وبين قيام الناقص منه وهو الثلث وبين قيام الزايد عليه وهو الادنى
من الثلثين وقرا بالجر اي تقوم اقل من الثلثين واقل من النصف والثلث وهو مطابق
للتخيير بين النصف وهو ادنى من الثلثين والثلث وهو ادنى من النصف والربع وهو
ادنى من الثلث وهو الوجه الاخير انتهى يعني بالوجه الاخير ما قدمه اول السورة من
التاويلات وقال ابو عبد الله الفاسي وفي قراءة النصب اشكال الا ان يقدر نصفه
تارة وثلثه تارة واقل من النصف والثلث تارة فيصح المعنى فصل قال القرطبي
هذه الاية تفسير لقوله تعالى قم الليل الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه
كما تقدم وهي الناسخة لفرضية قيام الليل كما تقدم قوله تقوم اي تصلي وادنى اي اقل

وقرا ابن السميفع وابو حيوه وهشام عن اهل الشام ثلثي باسكان اللام ونصفه وثلثه
بالخفض قراءة العامه كما تقدم وهي اختيار ابي عبيد وابي حاتم عطفا علي ثلثي والمعني
وتقوم ادني من ثلثي الليل ومن نصفه وثلثه لقوله تعالي علم ان لن تحصوه فكيف تقومون
نصفه او ثلثه وهو لا تحصونه واما قراءة النصب عطفا علي ادني والتقدير تقوم ادني
من ثلثي الليل وتقوم نصفه وثلثه قال الفرا هو اشبه بالصواب لانه قال اقل من الثلثين
ثم ذكر نفس القلة لا اقل من القلة قال القشيري وعلي هذه القراءة يحتمل انهم كانوا يصيبون
الثلث والنصف لخفة القيام عليهم بذلك القدر وكانوا يزيدون وفي الزيادة اصابة
المقصود فاما الثلثان فكان يثقل عليهم قيامه فلا يصيبونه وينقصون منه ويحتمل انهم امروا
بالقيام نصف الليل ورخص في الزيادة والنقصان وكانوا ينتهون في الزيادة الي ادني
من الثلثين وفي النصف الي الثلث ويحتمل انهم قد رهم النصف وانقص الي الثلث والزيادة
الي الثلثين وكان فيهم من يفي بذلك وفيهم من يترك ذلك الي ان نسخ عنهم وقيل انما فرض
عليهم الربع وكانوا ينقصون من الربع قال القرطبي وهذا الحكم **قوله** تعالي وطايفة من
الذين معك رفع بالعطف علي الضمير في تقوم وجوز ذلك الفصل بالظرف وما عطف عليه
قوله تعالي والله يقدر الليل والنهار قال الزمخشري وتقديم اسم الله عز وجل مبتدا
مبنيا عليه يقدر هو الدال علي معني الاختصاص بالتقدير ونازعه ابو حيان في ذلك وقال
لو قيل زيد يحفظ القران لم يدل ذلك علي اختصاصه وجعل الاختصاص في الايه مفهوما
من السياق لا من السباق والمعني يعلم مقادير الليل والنهار علي حقايقها وانتم تعلمون بالتحري
والاجتهاد الذي يقع فيه الخطا **قوله** تعالي علم ان لن تحصوه ان لن وان سيكون كلاهما
مخففة من الثقيلة والفاصل النفي وحرف التنفيس والمعني علم ان تطيقوا معرفة حقايق ذلك
والقيام به اي ان الله هو الذي يعلم مقادير الليل والنهار علي حقيقة وقيل المعني اي لن تطيقوا
قيام الليل والاول اصح لان قيام الليل ما فرض كله قط قال مقاتل وغيره لما نزل قم
الليل الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه شق ذلك عليهم وكان الرجل لا يدري متي
نصف الليل من ثلثه فيقوم حتي يصبح مخافة ان يخطي فانتفخت اقدامهم وامتقعت الوانهم فخفف الله
عنهم وقال علم ان لن تحصوه اي علم الله ان ان زدتم ثقل عليكم واحتجتم الي تكلف ما ليس فرضا وان نقصتم
شق معرفة ذلك عليكم **قوله** تعالي فتاب عليكم اي فعاد عليكم بالعفو وهذا يدل علي انه كان
فيهم من ترك بعض ما امر به وقيل فتاب عليكم من فرض القيام او عن عجزكم واصل التوبة الرجوع
كما تقدم فالاصل رجع لكم من تثقيل الي تخفيف ومن عسر الي يسر وانما امروا بحفظ الاوقات بالتحري
فخفف عنهم ذلك التحري وقيل معني قوله والله يقدر الليل والنهار اي يخلقهما مقدرين كقوله تعالي
وخلق كل شي فقدره تقديرا قال ابن العربي تقدير الخلقه لا يتعلق به حكم وانما يربط الله تعالي
به ما شا من وظايف التكليف **قوله** تعالي فاقروا ما تيسر من القران قيل المراد نفس القراءة
اي فاقروا فيما تصلونه في الليل ما خف عليكم قال السدي مايه ايه وقال الحسن من قرا مايه
ايه في ليله لم يحاجه القران وقال كعب من قرا مايه ايه في ليله كتب من القانتين وقال سعيد
خمسون ايه قال القرطبي قول كعب اصح لقوله عليه السلام من قام بعشر ايات من القران لم يكتب من
الغافلين ومن قام بمايه ايه كتب من القانتين ومن قام بالف ايه كتب من المقنطرين خرجه ابو داود
الطيالسي وروي انس بن مالك قال سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول من قرا خمسين ايه
في يوم او في ليله لم يكتب من الغافلين ومن قرا مايه ايه كتب من القانتين ومن قرا مايتي ايه لم
يحاجه القران يوم القيامه ومن قرا خمس مايه ايه كتب له قنطار من الاجر فقوله من المقنطرين

اي اعطي قنطارا من الاجر وجا في الحديث ان القنطار الف ومايتا اوقيه والاوقيه
خير مما بين السما والارض وقال ابو عبيده القناطير واحدها قنطار ولا تجد العرب
تعرف وزنه ولا واحد للقنطار من لفظه وقال ثعلب المعمول عليه عند العرب انه
اربعة الاف دينار فاذا قالوا قناطير مقنطره فهي اثنا عشر الف دينار وقيل ان القنطار
مل جلد ثور ذهبا وقيل ثمانون الفا وقيل هو جمله كثيره مجهوله من المال نقله ابن الاثير
وقيل المعني فاقروا ما تيسر من القران اي فصلوا ما تيسر عليكم والصلاه تسمي قرانا
قال تعالي وقران الفجر اي صلاة الفجر قال ابن العربي والاول اصح لانه اخبر علي الصلاة
واليها يرجع القول قال القرطبي الاول اصح حملا للخطاب علي ظاهر اللفظ والقول الثاني
مجاز لانه من تسميه الشي ببعض ما هو من اعماله **فصل** قال بعض العلما قوله تعالي فاقروا
ما تيسر من القران نسخ قيام الليل ونصفه والنقصان من النصف والزيادة عليه ثم
يحتمل قول الله عز وجل فاقروا ما تيسر من القران معنيين ان يكون احدهما فرضا ثانيا لانه
ازيل به فرضا غيره والاخر ان يكون فرضا منسوخا ازيل بغيره كما ازيل به غيره وذلك بقوله
الله تعالي ومن الليل فتهجد به نافلة لك فاحتمل قوله تعالي ومن الليل فتهجد به نافلة لك
اي تهجد بغير الذي فرض عليه مما تيسر منه قال الشافعي فكان الواجب طلب الاستدلال
بالسنة علي احد المعنيين فوجدنا سنة رسول الله صلي الله عليه وسلم تدل علي ان لا واجب
من الصلاة الا الخمس **فصل** قال القشيري والمشهور ان نسخ قيام الليل كان في حق الامة
وبقيت الفريضة في حق النبي صلي الله عليه وسلم وقيل انما نسخ التقدير بمقدار وبقي اصل الوجوب
لقوله تعالي فما استيسر من الهدي فالهدي لا بد منه كذلك لا بد من صلاة الليل ولكن فوض
تقديرها الي اختيار المصلي وعلي هذا فقال قوم فرض قيام الليل بالقليل باق وهو مذهب
الحسن وقال الشافعي بل نسخ بالكليه فلا تجب صلاة الليل اصلا ولعل الفريضه التي
بقيت في حق النبي صلي الله عليه وسلم هي هذا وهو قيامه ومقداره مفوض الي خيرته واذا ثبت
ان القيام ليس فرضا فقوله تعالي فاقروا ما تيسر منه معناه اقروا ان تيسر عليكم ذلك
وصلوا ان شيتم وقال قوم ان النسخ بالكلية تقرر في حق الرسول صلي الله عليه وسلم
ايضا فما كانت صلاة الليل واجبة عليه وقوله نافلة لك محمول علي حقيقة النفل ومن قال
نسخ المقدار وبقي اصل وجوب قيام الليل ثم نسخ فهذا النسخ الثاني وقع ببيان مواقيت الصلاة
لقوله تعالي اقم الصلاة لدلوك الشمس الي غسق الليل الايه وقوله تعالي فسبحان الله الايه
وما في الخبر من ان الايه الزيادة علي الصلوات الخمس تطوع وقيل وقع النسخ بقوله تعالي
ومن الليل فتهجد به نافلة لك والخطاب للنبي صلي الله عليه وسلم وللامة كما ان فرضية الصلاة
وان خوطب بها النبي صلي الله عليه وسلم في قوله يا ايها المزمل قم الليل الا قليلا فهي عامة له ولغيره
وقد قيل ان فرضية قيام الليل امتدت الي ما بعد الهجرة ونسخت بالمدينة لقوله تعالي علم ان
سيكون منكم مرضي واخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله واخرون يقاتلون
في سبيل الله وانما فرض القتال بالمدينة فعلي هذا بيان المواقيت جري بمكة فقيام الليل
نسخ بقوله تعالي ومن الليل فتهجد به نافلة لك وقال ابن عباس لما قدم رسول الله صلي الله
عليه وسلم المدينة نسخ قول الله تعالي ان ربك يعلم انك تقوم وجوب صلاة الليل
تعالي علم ان سيكون منكم مرضي الايه بين سبحانه علة تخفيف قيام الليل فان الخلق منهم المريض
ويشق عليه ان يقوم الصلاة والمسافر في التجارات قد لا يطيق قيام الليل والمجاهد كذلك
فخفف الله عن الكل لاجل هولا وقال ابن الخطيب لما علم الله تعالي ان اعذارهم لا يعني المريض والمسافر

والمجاهدين فلو لم يناموا في الليل لتوالت عليهم اسباب المشقة وهذا السبب ما كان موجود في النبي صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى ان لك في النهار سبحا طويلا فلا جرم لم ينسخ وجوب التهجد في حقه عليه السلام وان في قوله ان سيكون مخففة من الثقيلة اي علم انه سيكون **قوله** تعالى واخرون عطف على مرضى اي علم ان سيوجد منكم قوم مرضى وقوم اخرون مسافرون فيصير نوع نعت لاخرون وكذلك يبتغون ويجوز ان يكون يبتغون حالا من فاعل عطف على اخرون وقاتلون صفته **فصل** سوى الله تعالى في هذه الاية بين درجة المجاهدين والمكتسبين للمال الحلال للنفقة على نفسه وعياله والاحسان فكان هذا دليل على ان كسب المال بمنزلة الجهاد لانه جمعه مع الجهاد في سبيل الله قال عليه السلام ما من جالب يجلب طعاما من بلد الى بلد فيبيعه بسعر يومه الا كانت منزلته عند الله تعالى منزلة الشهدا ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم واخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله واخرون يقاتلون في سبيل الله وقال ابن مسعود ايما رجل جلب شيا الى مدينة من مداين المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان له عند الله منزلة الشهدا وقرا واخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله واخرون يقاتلون في سبيل الله وقال ابن عمر ما خلق الله موتة اموتها بعد الموت في سبيل الله احب الي من الموت بين شعبتي رحلي ابتغي من فضل الله تعالى ضاربا في الارض وقال طاوس الساعي على الارملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله **قوله** تعالى فاقرؤوا ما تيسر منه اي صلوا ما امكن فاوجب الله تعالى من صلاة الليل ما تيسر ثم نسخ ذلك بايجاب الصلوات الخمس على ما تقدم وقال لعبد الله بن عمر قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الله لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل ثم ترك قيام الليل ولو كان فرضا ما اقره النبي صلى الله عليه وسلم ولا اخبر بمثل هذا الخبر عنه بل كان يذمه غاية الذم **فصل** اذا ثبت ان قيام الليل ليس بفرض فان قوله فاقرؤوا ما تيسر من القران فاقرؤوا ما تيسر منه محمول على ظاهره من القراة في الصلاة فاختلف العلما في قدر ما يلزمه ان يقرا به في الصلاة فقال مالك والشافعي فاتحة الكتاب لا تجزي العدول عنها ولا الاقتصار على بعضها وقدر ابو حنيفة باية واحدة من اي القران كانت وعنه ثلاث ايات لانها اقل سورة وقيل المراد به قراة القران في غير الصلاة قال الماوردي فعلى هذا القول يكون مطلق الامر محمولا على الوجوب لتقف بقراته على اعجازه ودلايل التوحيد منه ان يحفظه لا يحفظ القران من القرب المستحبة دون الواجبة والاكثرون على انه للاستحباب لانه لو وجب علينا قراته لوجب حفظه وفي قدر الواجب اقوال الاول قال الضحاك جميع القران لان الله تعالى يسره على عباده الثاني قال جويبر ثلث القران الثالث قال السدي ماية اية الرابع قال ابن عباس ماية اية الخامس قال ابو خالد الكناني ثلاث ايات كاقصر سورة **قوله** تعالى واقيموا الصلاة يعني المفروضة وهي الخمس لوقتها واتوا الزكاة الواجبة في اموالكم قال عكرمة وقتادة وقال الحرث العكلي صدقة الفطر لان زكاة الاموال وجبت بعد ذلك وقيل صدقة التطوع وقيل كل فعل خير وقال ابن عباس طاعة الله تعالى والاخلاص **قوله** تعالى واقرضوا الله قرضا حسنا القرض الحسن ما اريد به وجه الله تعالى خالصا من المال الطيب وقال زيد بن اسلم القرض الحسن النفقة على الاهل وقيل صلة الرحم وقرى الضيف وقال عمر بن الخطاب هو النفقة في سبيل الله **قوله** تعالى هو خيرا العامة وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله تقدم تفسيره في سورة البقرة **قوله** تعالى هو خيرا العامة على نصب الخير مفعول لان تجدوا وهو اما تاكيد للمفعول الاول او فصل وجوز ابو البقا ان يكون بدلا وهو غلط لانه كان يلزم ان يطابق ما قبله في الاعراب فيقال اياه وقرا ابو السمال وابن السميفع خير على ان يكون هو مبتدا وخبر

والجملة مفعول ثان لتجدوه قال ابو زيد هي لغة تميم يرفعون ما بعد الفصل وانشد سيبويه

* تحن الى ليلى وانت تركتها ۝ وكنت عليها بالملا انت اقدر ۝

والقوافي مرفوعة ويروي اقدرا بالنصب قال الزمخشري وهو فصل وجاز وان لم يقع بين معرفتين لان افعل من اشبه في امتناعه من حرف التعريف المعرفة قال شهاب الدين هذا هو المشهور وبعضهم يجوزه في غير افعل من النكرات وقال القرطبي ونصب خيرا واعظم على المفعول الثاني لتجدوه وهو فصل عند البصريين وعماد في قول الكوفيين لا محل له في الاعراب واجرا تمييز **فصل** المعنى وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا من الذي تؤخروه الى الوصية عند الموت قاله ابن عباس وقال الزجاج خير لكم من متاع الدنيا وقوله واعظم اجرا قال ابو هريرة يعني الجنة ويحتمل ان يكون اعظم اجرا لاعطايه بالحسنة عشرا واستغفروا الله اي اسلوه المغفرة لذنوبكم ان الله غفور لما كان قبل التوبة رحيم لكم بعدها قاله سعيد بن جبير وقيل غفور رحيم لمن لم يصر على الذنوب وقال مقاتل غفور لجميع الذنوب لان قوله غفور يتناول التايب والمصر بدليل انه يصح استثنا كل واحد منهما وحده والاستثنا حكمه اخراج ما لولاه لدخل ولا يضا غفران التايب واجب عند الخصم فلا يحصل المدح باداء الواجب والغرض من الاية تقرير المدح فوجب حمله على الكل تحقيقا للمدح روي الثعلبي عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة يا ايها المزمل دفع عنه العسر في الدنيا والاخرة والله اعلم

سورة المدثر مكية وهي ست وخمسون آية ومائتان وخمس وخمسون كلمة وألف وعشرة أحرف

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى يا أيها المدثر أي أيها الذي قد تدثر بثيابه أي تغشى بها ونام وقرأ العامة بتشديد الدال وكسر الثاء اسم فاعل من تدثر وأصله المتدثر فأدغم كالمزمل وفي حرف أبي المتدثر على الأصل المشار إليه وقرأ عكرمة بتخفيف الدال اسم فاعل من دثره بالتشديد ويكون المفعول محذوفا أي المدثر نفسه كما تقدم في المزمل وعنه أيضا فتح الثاء ومعنى تدثر لبس الدثار وهو الثوب الذي فوق الشعار والشعار ما يلي الجسد وفي الحديث الأنصار شعار والناس دثار وسيف داثر بعيد العهد بالصقال ومنه قيل للمنزل الدارس داثر لذهاب أعلامه وفلان دثر مال أي حسن القيام به قوله قم إما أن يكون من القيام المعهود فيكون المعنى قم من مضجعك وإما من قام بمعنى الأخذ في القيام كقوله فقام يذود الناس عنها بسيفه وقوله على ما قام يشتمني لئيم في أحد القولين فيكون المعنى قيام عزم وتصميم والقول الآخر أن قام مزيدة وفي جعلها بمعنى الأخذ في القيام نظر لأنه حينئذ يصير من أخوات عسى فلا بد له من خبر يكون فعلا مضارعا مجردا من أن قوله فأنذر مفعوله محذوف أي أنذر قومك عذاب الله والأحسن أن لا يقدر له أي أوقع الإنذار

فصل

المعنى يا أيها الذي قد تدثر بثيابه أي تغشى بها ونام وقيل ليس المراد المدثر بالثوب فإن قلنا المدثر بالثوب ففيه وجوه أحدها أن هذا من أوائل ما نزل من القرآن روى جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت على جبل حراء فنوديت يا محمد إنك فنظرت عن يميني ويساري فلم أر أحدا فنظرت فوقي فرأيت الملك الذي جاءني بحراء جالسا على كرسي بين السماء والأرض فخفت فرجعت إلى خديجة فقلت دثروني وصبوا علي ماء باردا فأنزل الله تعالى يا أيها المدثر وثانيها أن أبا جهل وأبا لهب وأبا سفيان والوليد بن المغيرة والنضر بن الحارث وأمية بن خلف والعاص بن وائل والمطعم بن عدي اجتمعوا وقالوا إن وفود العرب يجتمعون في أيام الحج وهم يسألون عن أمر محمد صلى الله عليه وسلم وقد اختلفتم في الإخبار عنه فمن قائل يقول مجنون وقائل كاهن وقائل ساحر وتعلم العرب أن هذا كله لا يجتمع في رجل واحد فيستدلون باختلاف الأجوبة على أنها أجوبة باطلة فسموا محمدا باسم واحد تجتمعون عليه وتسميه العرب به فقام رجل منهم فقال إنه شاعر فقال الوليد سمعت كلام عبيد بن الأبرص الكاهن يصدق ويكذب وما كذب محمد صلى الله عليه وسلم قط فقال آخر إنه مجنون فقال الوليد المجنون يخنق الناس وما خنق محمد قط ثم قام الوليد فانصرف إلى بيته فقال الناس صبا الوليد بن المغيرة فدخل عليه أبو جهل فقال ما لك يا أبا عبد شمس هذه قريش تجمع لك شيئا يعطونكه زعموا أنك قد احتجت وصبأت فقال الوليد ما لي إليه حاجة ولكني فكرت في محمد فقلت إنه ساحر لأن الساحر هو الذي يفرق بين الأب وابنه وبين الأخ وأخيه وبين المرأة وزوجها فشاع ذلك في الناس فصاحوا يقولون محمد ساحر والناس مجتمعون فوقعت الصيحة في الناس فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك اشتد عليه ورجع إلى بيته محزونا فتدثر بقطيفة فأنزل الله تعالى يا أيها المدثر وثالثها أنه صلى الله عليه وسلم كان نائما متدثرا بثيابه فجاءه جبريل عليه السلام وأيقظه عليه الصلاة والسلام وقال يا أيها المدثر قم فأنذر كأنه قال اترك التدثر بالثياب واشتغل بهذا المنصب الذي نصبك الله تعالى له وأن

انه لبس المراد منه المدثر بالثياب ففيه وجوه ◦ الاول قال عكرمة المعنى يا ايها المدثر بالنبوة ثم والرسالة وانقالها من قولهم البسه الله لباس التقوى وزينه برداء العلم ◦ قال ابن العربي وهذا مجاز بعيد لانه لم يكن نبيا بعد ◦ وان قلنا انها اول القران لم يكن نبيا بعد الا ان قلنا انها ثاني ما نزل ◦ الثاني ان المدثر بالثوب يكون كالمختفي فيه صلى الله عليه وسلم كان في جبل حرى كالمختفي من الناس فكانه قيل يا ايها المدثر بدثار الاختفا قم بهذا الامر واخرج من زاوية الخمول واشتغل بانذار الخلق والدعوة الى معرفة الحق ◦ الثالث انه تعالى جعله رحمة للعالمين فكانه قيل له يا ايها المدثر باثواب العلم العظيم والخلق الكريم والرحمة الكاملة قم فانذر عذاب ربك

فصل قوله تعالى يا ايها المدثر ملاطفة في الخطاب من الكريم الى الحبيب اذ ناداه بحاله وعبر عنه بصفته ولم يا محمد كما تقدم في المزمل

فصل ومعنى قوله تعالى فانذر اى خوف اهل مكة وحذرهم العذاب ان لم يسلموا وقيل الانذار هنا اعلامهم بنبوته عليه الصلاة والسلام لانها مقدمة الرسالة ◦ وقيل هو دعاؤهم الى التوحيد لانه المقصود ◦ وقال الفراء قم فصل امر بالصلاة ◦ **قوله** وربك فكبر ◦ قدم المفعول وكذا ما بعده ايذانا بالاختصاص عند من يرى ذلك او للاهتمام به ◦ قال الزمخشري واختص ربك بالتكبير قال ودخلت الفا لمعنى الشرط كانه قيل ومهما يكن فلا تدع تكبيره وقد تقدم الكلام في مثل هذا الفا في البقرة عند قوله تعالى واياى فارهبون ◦ قال ابو حيان وهو قريب مما قدره النحاة في قولك زيدا فاضرب قالوا تقديره تنبه فاضرب زيدا فالفا هي جواب الامر وهذا الامر اما مضمن معنى الشرط واما الشرط محذوف على الخلاف الذى فيه عند النحاة ◦ قال ابو الفتح الموصلي يقال زيدا اضرب وعمرا اشكر وعنده ان الفا زايدة ◦ وقال الزجاج دخلت الفا لافادة معنى الجزائية ◦ والمعنى قم فكبر ربك وكذلك ما بعده

فصل معنى قوله وربك فكبر اى سيدك ومالكك ومصلح امرك فعظمه وصفه بانه اكبر من ان يكون له صاحبة او ولد ◦ وفي الحديث انهم قالوا بم تفتتح الصلاة فنزلت وربك اى صفه بانه اكبر ◦ قال ابن العربي وهذا القول وان كان يقتضي بعمومه تكبير الصلاة فانه مراد فيه تكبير التقديس والتنزيه بخلع الانداد والاصنام دونه ولا تتخذ وليا غيره ولا تعبد سواه ◦ وروي ان ابا سفيان قال يوم احد اعل هبل فقال صلى الله عليه وسلم قولوا الله اعلا واجل وقد صار هذا اللفظ بعرف الشرع في تكبير العبادات كلها اذانا وصلاة بقوله الله اكبر وحمل عليه لفظ النبي صلى الله عليه وسلم الوارد على الاطلاق موارده ◦ منها قوله تحريمها التكبير وتحليلها التسليم والشرع يقتضي بعرفه ما يقتضي بعمومه ◦ ومن موارده اوقات الاهلال بالذبايح تخليصا له من الشرك واعلانا باسمه بالنسك وافراد لما شرع من امره بالسفك ◦ والمنقول عن النبي صلى الله عليه وسلم في التكبير في الصلاة هو لفظ الله اكبر ◦ وقال المفسرون لما نزل قوله تعالى وربك فكبر قام النبي صلى الله عليه وسلم وقال الله اكبر فكبرت خديجة رضي الله عنها وعلمت انه وحي من الله تعالى ذكره القشيري ◦ وقال الكلبي وعظم ربك عما يقوله عبدة الاوثان ◦ قال مقاتل هو ان يقال الله اكبر ◦ وقيل المراد منه التكبير في الصلاة ◦ فان قيل هذه السورة نزلت في اول البعث ولم تكن الصلاة ثم واجبة ◦ فالجواب لا يبعد انه كانت له عليه الصلاة والسلام صلوات تطوع فامر ان يكبر ربه فيها ◦ قال ابن الخطيب وعندي انه لما قيل له قم فانذر **قوله** وثيابك فطهر

قيل

قيل المراد بالثياب الملبوسة فعلى الاول يكون المعنى فعملك فاصلح قاله مجاهد وابن زيد والسدي وروى منصور عن ابى رزين قال يقول وعملك فاصلح قال واذا كان الرجل خبيث العمل قالوا ان فلانا خبيث الثياب واذا كان الرجل حسن العمل قالوا ان فلانا طاهر الثياب ◦ ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم يحشر المرء في ثوبيه الذى مات فيهما يعني عمله الصالح والطالح ذكره الماوردي ◦ ومن قال المراد به القلب فالمعنى وقلبك فطهر قاله ابن عباس وسعيد بن جبير رضي الله عنهما ◦ ومنه قول امرئ القيس ◦ سلي ثيابك في من ثيابك تنسل اى قلبي من قلبك ◦ قال الماوردي ولهم في تاويل الاية وجهان ◦ احدهما المعنى وقلبك فطهر من الغدر اى لا تغدر الاثم والمعاصي قاله ابن عباس وقتادة ◦ الثاني وقلبك فطهر من الغدر اى لا تغدر فيكون دانس الثياب وهو مروي عن ابن عباس ايضا واستشهد بقول غيلان بن سلمة الثقفي ◦

فاني بحمد الله لا ثوب غادر ◦◦ لبست ولا من غدرة اتقنع

ومن قال المراد به النفس قال معناه ونفسك فطهر اى من الذنوب ◦ والعرب تكني عن النفس بالثياب قاله ابن عباس رضي الله عنه ◦ ومنه قول عنترة ◦ فشككت بالرمح الطويل ثيابه ليس الكريم على القنا بمحرم ◦ وقول امرئ القيس المتقدم ◦ ومن قال بانه الجسم قال المعنى وجسمك فطهر من المعاصي الظاهرة ◦ ومنه قول لبيد يصف ابلا ◦ رموها باثواب خفاف فلا ترى لها شبها الا النعام المنفرا ◦ اى ركبوها فرموها بانفسهم ◦ ومن قال المراد به الاهل قال معناه واهلك طهرهم من الخطايا بالموعظة والتاديب ◦ والعرب تسمي الاهل ثوبا ولباسا وازارا قال تعالى هن لباس لكم وانتم لباس لهن ◦ قال الماوردي ولهم في تاويل الاية وجهان الاول معناه ونساءك فطهر باختيار المومنات العفايف ◦ الثاني الاستمتاع بهن في القبل دون الدبر في الطهر لا الحيض حكاه ابن بحر ◦ قال ابن الخطيب وحمل الاية على هذا التاويل يعسر لان على هذا الوجه لا يحسن اتصال الاية بما قبلها ◦ ومن قال المراد به الخلق قال معناه وخلقك فحسن قاله الحسن والقرطبي لان خلق الانسان مشتمل على احواله اشتمال ثيابه على نفسه ◦ قال ولا اب وابنا مثل مروان وابنه ◦ اذ هو بالمجد ارتدى وتازرا والسبب في حسن هذه الكناية وجهان ◦ الاول ان الثوب كالشي الملازم للانسان ثم فلهذا جعلوا الاثواب كناية عن الانسان فيقال المجد في ثوبه والعز في ازاره ◦ الثاني انه من طهر باطنه فانه يطهر ظاهره ◦ ومن قال المراد به الدين معناه ودينك فطهر جا في الصحيح انه صلى الله عليه وسلم قال رايت الناس وعليهم ثياب منها ما يبلغ الثدي ومنها دون ذلك ◦ ورايت عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعليه ازار يجره قالوا يا رسول الله فما اولت ذلك قال الدين ◦ وروى عن مالك بن انس رضي الله عنه في قوله تعالى وثيابك فطهر قال معناه لا تلبس ثيابك على غدر قال ابن ابى كبشة ◦ ثياب بني عوف طهارى نقية ◦ واوجههم عند المشاهد غرانا يعني بطهارة ثيابهم سلامتهم عن الدنايا ويعني بغرة وجوههم تنزيههم عن المحرمات او جمالهم في الخلقة او كليهما قاله ابن العربي وقال سفيان ابن عيينة لا تلبس ثيابك على كذب ولا جور ولا غدر ولا اثم ◦ قاله عكرمة ومن قال ان المراد بالثياب الملبوسة فلهم اربعة اوجه ◦ الاول وثيابك فانق ◦ الثاني وثيابك فشمر اى قصر فان تقصير الثياب ابعد من النجاسة فاذا انجرت على الارض لم يومن ان يصيبها نجاسة قاله الزجاج وطاوس ◦ الثالث وثيابك فطهر من النجاسة بالما قاله محمد بن سيرين وابن زيد والفقها ◦ الرابع لا تلبس

ثيابك الا من كسب الحلال لتكون مطهرة من الحرام ۔ وعن ابن عباس رضي الله عنه لا تكون ثيابك
التي تلبس من مكسب غير طايل ۔ قال ابن العربي وليس يمتنع ان تحمل الاية على عمومها من ان
المراد بها الحقيقة والمجاز ۔ واذا حملناها على الثياب الظاهرة المعلومة فهي تتناول معنيين
احدهما تقصير الاذيال فانها اذا ارسلت تدنست ۔ ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه
لغلام من الانصار وقد راى ذيله مسترخيا ارفع ازارك فانه انقى وابقى واتقى وقال
صلى الله عليه وسلم ازرة المومن الى انصاف ساقيه لا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين
ما كان اسفل من ذلك ففي النار فقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم الغاية في لباس الازار
الكعب وتوعد ما تحته بالنار فما بال رجال يرسلون اذيالهم ويطيلون ثيابهم ثم
يتكلفون رفعها بايديهم وهذه حالة الكبر ۔ وقال صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله
تعالى الى من جر ثوبه خيلا ۔ وفي رواية من جر ازاره خيلا لم ينظر الله اليه يوم القيمة
قال ابو بكر رضي الله عنه يا رسول الله اني اجد شق ازاري يسترخي الا اني اتعاهد ذلك
منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لست ممن تصنعه خيلا ۔ والمعنى الثاني غسلها
بالما من النجاسة وهو الظاهر ۔ قال المهدوي واستدل به بعض العلما على وجوب
طهارة الثوب وليس ذلك بفرض عند مالك واهل المدينة ۔ وكذلك طهارة البدن
للاجماع على جواز الصلاة بالاستجمار من غير غسل ۔ قال ابن الخطيب اذا حملنا لفظ
التطهير على حقيقته فنقول المراد منه انه صلى الله عليه وسلم امر بتطهير ثيابه من الانجاس
والاقذار ۔ وعلى هذا التقدير في الاية ثلاث احتمالات ۔ الاول قال الشافعي رضي
الله عنه المقصود من الاية الاعلام بان الصلاة لا تجوز الا في ثياب طاهرة من الانجاس
وثانيها قال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم كان المشركون لا يصونون ثيابهم عن النجاسات
فامره الله تعالى بان يصون ثيابه عن النجاسات ۔ وثالثها روي انهم القوا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم سلا شاة فشق عليه فرجع الى بيته حزينا وتدثر في ثيابه فقيل يا ايها
المدثر قم فانذر ولا يمنعك تلك النجاسات والقاذورات **قوله تعالى** والرجز
قرا حفص ومجاهد وعكرمة وابن محيصن بضم الرا والباقون بكسرها فقيل لغتان بمعنى وعن
ابي عبيدة الضم اقيس اللغتين واكثرها ۔ وقال مجاهد هو بالضم اسم صنم ويعزى للحسن
البصري ايضا ۔ وبالكسر اسم للعذاب وعلى تقدير كونه العذاب فلا بد من حذف مضاف
اي اهجر اسباب العذاب المودية اليه اقام السبب مقام المسبب وهو مجاز شايع وقال
السدي الرجز بنصب الزا الوعيد ۔ وقال مجاهد وعكرمة المراد بالرجز الاوثان
لقوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان وقاله ابن عباس ايضا والماثم فاهجر
اي فاترك ۔ وكذلك روي مغيرة عن ابرهيم النخعي قال الرجز الاثم ۔ وقال قتادة
الرجز اساف ونايلة ۔ واصل الرجز العذاب قال تعالى لين كشفت عنا الرجز لنومنن
لك ۔ وقال تعالى فارسلنا عليهم رجزا من السما **قوله تعالى** ولا تمنن ۔ العامة
على فك الادغام ۔ والحسن وابو السمال والاشهب العقيلي بالادغام وقد تقدم ان
المجزوم والموقوف من هذا النوع يجوز فيهما الوجهان وتقدم تحقيقه في المايدة عند
قوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه ۔ والمشهور انه من المن وهو الاعتداد على
المعطى بما اعطاه ۔ وقيل معناه ولا تضعف من قولهم حبل منين اي ضعيف **قوله**
تستكثر ۔ العامة على رفعه وفيه وجهان ۔ احدهما انه في موضع الحال اي لا تمنن
مستكثرا ما اعطيت ۔ وقيل معناه لتاخذ اكثر مما اعطيت ۔ الثاني على حذف ان بمعنى

اذ الاصل ولا تمنن ان تستكثر فلما حذفت ان ارتفع الفعل ۔ كقوله ۔ الا ايها الزاجري احضر
الوغا في احدى الروايتين قاله الزمخشري ولم يبين ما محل ان وما في حيزها وفيه وجهان
اظهرهما وهو الذي يريده هو انها اما في محل نصب او جر على الخلاف فيها بعد حذف حرف
الجر وهو هنا لام العلة تقديره ولا تمنن لان تستكثر ۔ والثاني انها في محل نصب فقط
مفعولا بها اي لا تضعف ان تستكثر من الخير قاله مكي ۔ وقد تقدم ان تمنن بمعنى تضعف
وهو قول مجاهد الا ان اباحيان قال بعد كلام الزمخشري وهذا لا يجوز ان يحمل
القران عليه لان ذلك لا يجوز الا في الشعر ۔ ولنا مندوحة عنه مع صحة معنى الكوفيين
يجيزون ذلك ۔ وايضا فقد قرا الحسن والاعمش تستكثر ايضا على اضمار ان ۔ كقولهم
مره يحفرها ۔ وابلغ من ذلك التصريح بان في قراة عبد الله ولا تمنن ان تستكثر ۔
وقرا الحسن ايضا وابن ابي عبلة تستكثر جزما وفيه ثلاثة اوجه احدها ان يكون بدلا
من الفعل قبله كقوله يلق اثاما يضاعف فيضاعف بدل من يلق ۔ وكقوله متى تاتنا تلمم
بنا في ديارنا ۔ تجد حطبا جزلا ونارا تاججا ۔ ويكون من المن الذي في قوله تعالى لا تبطلوا
صدقاتكم بالمن والاذى ۔ الثاني ان تشبه ثرو بعضد فيسكن تخفيفا قاله الزمخشري
يعني انه ياخذ من مجموع تستكثر ومن الكلمة التي بعده وهو الواو ما يكون فيه شبها بعضد
الا ترى انه قال ان يشبه ثرو فاخذ بعض تستكثر وهو الثا والراو حرف العطف من قوله
ولربك فاصبر ۔ وهذا كما قالوا في قول امرى القيس

فاليوم اشرب غير مستحقب ۔ اثما من الله ولا واغل ۔

بتسكين اشرب انهم اخذوا من المتكلمين رب كعضد ثم سكن وقد تقدم في سورة يوسف
في قراة قنبل من يتقي بثبوت اليا ان من موصولة فاعترض بجزم يصبر فاجيب بانه شبه
برف اخذوا البا والرا من يصبر والفا من فانه وهذه نظير تيك سوا ۔ الوجه الثالث
ان يعتبر حال الوقف ويجرى الوصل مجراه قاله الزمخشري ايضا يعني انه مرفوع
وانما سكن تخفيفا او اجرى الوصل مجرى الوقف ۔ قال ابو حيان وهذا لا يجوز ان يحمل
عليها مع وجود ارجح منها وهو البدل معنى وصناعة **فصل** في اتصال هذه
الاية بما قبلها انه تعالى امره قبل هذه الاية باربعة اشيا انذار القوم وتكبير الرب
وتطهير الثياب وهجر الرجز ثم قال جل ذكره ولا تمنن تستكثر اي لا تمنن على ربك بهذه
الاعمال الشاقة كالمستكثر لما تفعله بل اصبر على ذلك كله لوجه ربك متقربا بذلك اليه
غير ممتن به عليه قال الحسن رحمه الله بحسناتك فتستكثرها ۔ وقال ابن عباس وعكرمة
وقتادة ولا تعط عطية تلتمس بها افضل منها ۔ وقيل لا تمنن على الناس بما تعلمهم من امر
الدين والوحي مستكثرا بذلك الانعام فانك انما فعلت ذلك بامر الله تبارك وتعالى
فلا منة لك عليهم ۔ ولهذا قال تعالى ولربك فاصبر ۔ وقيل لا تمنن عليهم بنبوتك اي
لتستكثر اي لتاخذ منهم على ذلك اجرا تستكثر به مالك ۔ وقال مجاهد لا تضعف ان تستكثر
من الخير من قولك حبل منين اذا كان ضعيفا ۔ ودليله قراة ابن مسعود ولا تمنن ان
تستكثر من الخير ۔ وعن مجاهد ايضا والربيع لا تعظم عملك في عينك ان تستكثر من الخير
فانه مما انعم الله عليك ۔ وقال ابن كيسان لا تستكثر عملك فتراه من نفسك انما عملك
منة من الله عليك اذ جعل الله لك سبيلا الى عبادته ۔ وقال زيد ابن اسلم اذا اعطيت
عطية فاعطها لربك لا تقل دعوت فلم يستجب لي ۔ وقيل لا تفعل الخير لترائي به الناس
فان قيل هذا النهي مختص بالرسول صلى الله عليه وسلم او يتناول الامة ۔ فالجواب ان ظاهر

اللفظ وقرينة الحال لا بقيد العموم لانه صلى الله عليه وسلم انما نهي عن ذلك تنزيها لمنصب النبوة م
وهذا المعنى غير موجود في الامة ، وقيل المعنى في حق الامة هو الربا والله تعالى منع الكل من
ذلك ، فان قيل هل هذا نهي تحريم او تنزيه ، فالجواب ان الظاهر انه للتحريم **فصل**
قال القفال يحتمل ان يكون المقصود من الاية ان يحرم على النبي صلى الله عليه وسلم ان يعطي
احدا شيا لطلب عوض سوا كان العوض زايدا او ناقصا او مساويا ويكون معنى قوله تعالى
تستكثر اي طالبا للكثرة كارها ان ينتقص المال بسبب العطا فيكون الاستكثار ههنا
عبارة عن طلب العوض كيف كان ، وانما حسنت هذه العبارة لان الغالب ان الثواب لا
يكون زايدا على العطا فسمي طلب الثواب استكثارا حملا للشي على اغلب احواله كما ان الاغلب
ان المراة انما تتزوج ولها ولد للحاجة الى من يربي ولدها فسمي الولد ربيبا ثم اتسع الامر وان
كان تتزوج امه كبيرا ، ومن ذهب الى هذا القول قال السبب فيه ان يصير عطا النبي خاليا
عن انتظار العوض والتفات النفس اليه فيكون ذلك خالصا مخلصا لوجه الله تعالى ، قال
القرطبي رحمه الله اظهر الاقوال قول ابن عباس لا تعط لتاخذ اكثر مما اعطيت من المال
يقال مننت فلانا كذا اي اعطيته ويقال للعطية المن فكانه امر بان يكون عطاياه
لله تعالى لا لارتقاب ثواب من الخلق عليها لانه صلى الله عليه وسلم ما كان يجمع الدنيا
ولهذا قال ما لي مما افا الله علي الا الخمس والخمس مردود عليكم وكان ما يفضل عن نفقة
عياله مصروفا الى مصالح المسلمين ولهذا لم يورث **قوله** ولربك فاصبر التقديم
على ما تقدم وحسنه كونه فاصلة من اخت الماتقدمة ، ولربك يجوز فيه وجهان م
احدهما ان يكون لام العلة اي لوجه ربك فاصبر اي على اذى الكفار وعلى عبادة
ربك وعن كل شي مما لا يليق فترك المصبور عليه والمصبور عنه للعلم بهما ، والاحسن
ان لا يقدر شي خاص بل شي عام ، والثاني ان يضمن اصبر معنى اذعن لربك وسلم
له امرك صابرا لقوله تعالى فاصبر لحكم ربك **قوله تعالى** فاذا نقر في الناقور
قال الزمخشري الفاء في قوله فاذا نقر في الناقور قال الحلبي وفيه نظر
من حيث ان الفا تمنع من ذلك ولو اراد تفسير المعنى لكان سهلا لكنه في معرض
تفسير الاعراب لا تفسير المعنى ، الثاني ان ينتصب بما دل عليه قوله تعالى فذلك م
يومئذ يوم عسير ، قال الزمخشري فان قلت بما انتصب اذا وكيف صح ان يقع يومئذ
ظرفا ليوم عسير ، قلت انتصب اذا بما دل عليه الجزا لان المعنى فاذا نقر في الناقور عسر
الامر على الكافرين ، والذي اجاز وقوع يومئذ ظرفا ليوم عسير ان المعنى فذلك يوم
النقر وقوع يوم عسير لان يوم القيامة يقع وياتي حين ينقر في الناقور انتهى ، ولا يجوز
ان يعمل فيه نقر عسير لان الصفة لا تعمل فيما قبل موصوفها عند البصريين ، ولذلك
رد على الزمخشري قوله ان في انفسهم متعلق ببليغا في سورة النسا في قوله تعالى
وقل لهم في انفسهم قولا بليغا ، والكوفيون يجيزون ذلك وتقدم تحريره الثالث
ان ينتصب بما دل عليه فذلك لانه اشارة الى النقر قاله ابو البقا فذلك ويومئذ
بدل من اذا وذلك مبتدا والخبر يوم عسير اي نقر يوم ، الرابع ان يكون اذا ن
مبتدا وفذلك خبره والفا مزيدة فيه وهو راي الاخفش ، واما يومئذ ففيه
اوجه احدها ان يكون بدلا من اذا وقد تقدم ذلك في الوجه الثالث الثاني ان
يكون ظرفا ليوم عسير كما تقدم في الوجه الثاني ، الثالث ان يكون ظرفا لذلك لانه
مشار الى النقر ، الرابع انه بدل من فذلك ولكنه مبني لاضافته الى غير متمكن ، الخامس

ان

ان يكون مبتدا ويوم عسير خبره والجملة خبر فذلك **قوله** نقر اي صوت يقال نقرت الرجل
اذا صوت له بلسانك وذلك بان تلصق لسانك بنقرة حنكك ، ونقرت الرجل اذا
خصصته بالدعوة كانك نقرت له بلسانك مشيرا اليه وتلك الدعوة يقال لها النقرى وهي
ضد الدعوة الجفلى ، **قال** الشاعر
نحن في المشتاة ندعو الجفلى ، لا ترى الادب فينا ينتقر ،
وقال امرؤ القيس اخفضه بالنقر لما علوته ، ويرفع طرفا غير خاف غضيض والناقور
فاعول منه كالجاسوس من التجسس وهو الشي المصوت فيه ، **قال** مجاهد وغيره هو كهيئة
البوق وهو الصور الذي ينفخ فيه الملك ، والنقر ايضا قرع الشي الصلب ، والمنقار
الحديدة التي ينقر بها ، ونقرت عينه بحثت على اخباره استعارة من ذلك ، ونقرته اغتبته
ومنه قول امراة لزوجها ، مر بي على بني نظر ، ولا تمر بي على بنات نقر ، ارادت
ببني نظر الرجال لانهم ينظرون اليها وبنات نقر النسا لانهن يغتبنها ويتغزلن عن اجوالها
قوله على الكافرين ، فيه خمسة اوجه ، احدها ان يتعلق بعسير ، الثاني ان يتعلق
بمحذوف على انه نعت لعسير ، الثالث انه في موضع نصب على الحال من الضمير المستكن في عسير
الرابع ان يتعلق بيسير اي غير يسير على الكافرين قاله ابو البقا الا ان فيه تقديم معمول
المضاف اليه وهو ممنوع ، وقد جوزه بعضهم اذا كان المضاف غير بمعنى النفي كقوله ه
ان امرا خصني يوما مودته ، على التنايي لعندي غير مكفور ، وتقدم تحرير هذا اخر الفاتحة
الخامس ان يتعلق بما دل عليه غير يسير اي لا يسهل على الكافرين ، **قال** الزمخشري فان
قلت فما فايدة قوله غير يسير وعسير مغن عنه ، **قلت** لما قال سبحانه وتعالى على الكافرين
فقصر العسر عليهم قال غير يسير ليوذن بانه لا يكون عليهم كما يكون على المومنين يسيرا
هينا ليجمع بين وعيد الكافرين وزيادة غيظهم وبشارة المومنين وتسليتهم ، ويجوز ان
يراد عسير لا يرجى ان يرجع يسيرا كما يرجى تيسير العسير من امور الدنيا **فصل**
لما ذكر ما يتعلق بارشاد النبي صلى الله عليه وسلم ذكر بعده وعيد الاشقيا ، قيل المراد
بهذه الاية هو النفخة الثانية ، وقيل الاولى ، وقال الحليمي في كتاب المنهاج انه تعالى
يسمي الصور باسمين وان كان هو الذي ينفخ فيه النفختان معا فان نفخة الاصعاق تخالف
نفخة الاحيا ، وجا في الاخبار ان في الصور ثقبا بعدد الارواح كلها وانها تجمع في ذلك
الثقب في النفخة الثانية فتخرج عند النفخ من كل ثقبة روح الى الجسد الذي نزع منه
فيعود الجسد حيا باذن الله تعالى ، قال ابن الخطيب وهذا امره وذلك لان الناقور
اسم لما ينقر فيه ، ويحتمل ان يكون الصور محتويا على ثقبين ينقر في احدهما وينفخ في ه
الاخرى فاذا نفخ فيه للاصعاق جمع بين النقر والنفخ لتكون الصيحة اهد واعظم فاذا
نفخ فيه للاحيا لم ينقر فيه بل يقتصر على النفخ لان المراد ارسال الارواح من ثقب
الصور الى اجسادها لا تنقرها من اجسادها فالنفخة الاولى للتنفير وهو نظير صوت
الرعد فانه اذا اشتد فربما مات سامعه والصيحة الشديدة التي يصيح بها رجل بصبي
فيفزع منه فيموت ، قال ابن الخطيب وفيه اشكال وهو ان هذا يقتضي ان يكون النقر
انما يحصل عند صيحة الاصعاق وذلك اليوم غير شديد على الكافرين لانهم يموتون
في تلك الساعة انما اليوم الشديد على الكافرين صيحة الاحيا ولذلك يقولون يا ليتها
كانت القاضية اي يا ليتنا بقينا على الموتة الاولى ، وقوله فذلك اي فذلك اليوم يوم
شديد على الكافرين غير يسير اي غير سهل ولا هين وذلك ان عقدهم لا تنحل الا الى عقد

اشد منه فانهم ياتيهم فنون الحساب ويعطون كتبهم بشمائلهم وتسود وجوههم ويحشرون
زرقا وتتكلم جوارحهم ويفضحون على رؤوس الاشهاد بخلاف المؤمنين الموحدين المذنبين
فانها تنحل الى ما هو اخف حتى يدخلون الجنة برحمة الله تعالى فانهم لا ياتيهم فنون الحساب
ويحشرون بيض الوجوه ثقال الموازين قال ابن الخطيب ويحتمل ان يكون عسيرا
على المؤمنين والكافرين على ما روي ان الانبياء عليهم السلام يفزعون يومئذ وان
الولدان يشيبون الا انه يكون على الكفار اشد فعلى الاول لا يحسن الوقف على قوله
يوم عسير فان المعنى انه على الكافرين عسير وغير يسير وعلى الثاني يحسن الوقف
لان المعنى انه في نفسه عسير على الكل ثم الكافر الكفار فيه مخصوص بزيادة تخصه
وهو انه عليه عسير **فصل** قال ابن الخطيب استدل بهذه الاية القائلون بدليل
الخطاب قالوا لولا ان دليل الخطاب حجة والا لما فهم ابن عباس من كونه غير يسير على الكافرين
كونه يسيرا على المؤمنين **قوله تعالى** ذرني ومن خلقت وحيدا الواو في قوله
ومن خلقت كقوله والمكذبين في الوجهين المتقدمين في السورة قبلها وقوله وحيدا
فيه اوجه احدها انه حال من الياء في ذرني اي ذرني وحدي معه فانا اكفيكم
في الانتقام منه الثاني انه حال من ~~عايد المحذوف اي خلقته وحيدا لم يوجد~~ [من التاء في خلقت]
[وحدي] حال لم يشركني في خلقه احد فانا اهلكه الثالث انه حال من عايد المحذوف اي خلقته
وحيدا فوحيدا على هذا حال من ضمير المفعول المحذوف اي خلقته وحده لا مال له ولا
ولد ثم اعطيته بعد ذلك ما اعطيته قاله مجاهد الخامس ان ينتصب على الذم لانه
يقال ان وحيدا كان لقبا للوليد بن المغيرة ومعنى وحيدا ذليلا قيل كان يزعم
انه وحيد في فضله وماله وليس في ذلك ما يقتضي صدق مقالته لان هذا اللقب
لم يشتهر به وقد يلقب الانسان بما لا يتصف به واذا كان لقبا تعين نصبه على الذم
فصل معنى ذرني دعني وهي كلمة وعيد وتهديد ومن خلقت هذه واو
المعية اي دعني والذي خلقته وحيدا قال المفسرون هو الوليد بن المغيرة المخزومي
وان كان الناس خلقوا مثل خلقه فانما خص بالذكر لاختصاصه بكفر النعمة وايذاء
الرسول صلى الله عليه وسلم وكان يسمى الوحيد في قومه قال ابن عباس كان
الوليد يقول انا الوحيد ابن الوحيد ليس لي في العرب نظير ولا لابي المغيرة نظير
فقال الله تعالى ذرني ومن خلقت بزعمه وحيدا لا ان الله تعالى صدقه بانه وحيد
قال ابن الخطيب ورد هذا القول بعضهم بانه تعالى لا يصدقه في دعواه بانه
وحيد لا نظير له ذكره الواحدي والزمخشري وهو ضعيف من وجوه لانه قد
يكون الوحيد علما فيزول السؤال لان اسم العلم لا يفيد في المسمى صفة بل هو قائم
مقام الاشارة الثاني ان يكون ذلك بحسب ظنه واعتقاده كقوله تعالى ذق انك
انت العزيز الكريم الثالث انه وحيد في كفره وعناده وخبثه لان لفظ الوحيد
ليس فيه انه وحيد في العلو والشرف الرابع انه اشارة الى وحدته عن نسبه قال
ابو سعيد الضرير الوحيد الذي لا اب له كما تقدم في زنيم **قوله تعالى**
وجعلت له مالا ممدودا اي خولته واعطيته مالا ممدودا قال ابن عباس
هو ما كان للوليد بين مكة والطائف من الابل والنعم والحجور والجمال والعبيد
والجواري وقال مجاهد وسعيد بن جبير وابن عباس ايضا الف دينار وقال
قتادة ستة الاف دينار وقال سفيان الثوري اربعة الاف دينار وقال

الثوري

الثوري ايضا الف الف دينار وقال ابن الخطيب المال الممدود هو الذي يكون له مدد
ياتي منه الجزء بعد الجزء دائما ولذلك فسره عمر غلة شهر بشهر وقال النعمان الممدود
بالزيادة كالزرع والضرع وانواع التجارات قال مقاتل كان له بستان لا
ينقطع شتاء ولا صيفا كما في قوله تعالى وظل ممدود اي لا ينقطع والذي يظهر انه
المال الكثير والتقديرات تحكم **قوله** وبنين شهودا اي حضورا لا يفارقونه لانه
طيب القلب بحضورهم وقيل معنى كونهم شهودا اي يشهدون معه المجامع والمحافل
وقيل شهودا اي صاروا امثاله في شهود ما كان يشهد والقيام بما كان يباشره قال
مجاهد وقتادة كانوا عشرة وقال السدي والضحاك كانوا اثني عشر رجلا وعن
الضحاك سبعة ولدوا بمكة وخمسة بالطائف وقال مقاتل كانوا سبعة اسلم منهم
ثلاثة خالد وهشام والوليد بن المغيرة قال فما زال الوليد بعد نزول هذه الاية في نقصان
من ماله وولده حتى هلك قال ابن الخطيب كانوا سبعة الوليد بن الوليد وخالد وعمارة
وهشام والعاص والقيس وعبد شمس اسلم منهم ثلاثة خالد وعمارة وهشام **قوله
تعالى** ومهدت له تمهيدا اي بسطت له في العيش بسطا في الجاه العريض والرياسة
في قومه والتمهيد عند العرب التوطئة والتهيئة ومنه مهد الصبي وقال ابن عباس
ومهدت له تمهيدا اي وسعت له ما بين اليمن الى الشام وهو قول مجاهد وعن مجاهد
ايضا انه المال بعضه فوق بعض كما يمهد الفراش **قوله تعالى** ثم يطمع ان ازيد
كلا لفظة ثم ههنا معناها التعجب كقولك لصاحبك انزلتك داري واطعمتك
واسقيتك ثم انت تشتمني ونظيره قوله تعالى الذين كفروا بربهم يعدلون فمعنى
ثم ههنا الانكار والتعجب اي ثم الوليد يطمع بعد هذا كله ان ازيده في المال والولد
وقد كفرني قال الكلبي ومقاتل ثم قال كلا اي ليس يكون ذلك مع كفره بالنعم وقال
الحسن وغيره اي ثم يطمع ان ادخله الجنة وكان الوليد يقول ان كان محمد صادقا
فما خلقت الجنة الا لي فقال تعالى ردا عليه وتكذيبا له كلا اي لست ازيده فلم يزل في
نقصان بعد قوله كلا حتى افتقر ومات فقيرا وقيل اي ثم يطمع ان انصره على كفره
وكلا قطع للرجاء عما كان يطمع فيه من الزيادة فيكون متصلا بالكلام الاول وقيل
كلا بمعنى حقا ويبتدئ بقوله انه يعني الوليد كان لاياتنا عنيدا اي معاندا للنبي صلى
الله عليه وسلم وما جاء به قال الزمخشري انه كان لاياتنا استيناف جواب لسائل
سال لم لا يزداد مالا وما باله ردع عن طمعه فاجيب بقوله انه كان لاياتنا
عنيدا انتهى فيكون كقوله صلى الله عليه وسلم في الهرة انها ليست بنجس انها من الطوافين
عليكم والعنيد المعاند يقال عانده فهو عنيد وعاند والعاند البعير الذي يجور
عن الطريق ويعدل عن القصد والجمع عند مثل راكع وركع قاله ابو عبيدة وانشد
قول الحارثي اذا ركبت فاجعلاني وسطا ... اني كبير لا اطيق العندا وقال
ابو صالح عنيدا معناه معاندا قال الشاعر

ارانا على حال تفرق بيننا ... نوى غربة ان الفراق عنود

وقال قتادة جاحدا وقال مقاتل معرضا وقيل انه المجاهر بعداوته وعن
مجاهد انه المجانب للحق قال الجوهري ورجل عنود اذا كان لا يخالط الناس والعنود
من التجبر وعرق عاند اذا لم يرقأ دمه وجمع العنيد عند مثل رغيف ورغف والعنود
من الابل الذي لا يخالط الابل انما هو في ناحية والعنيد في معنى المعاند كالجليس

والاكليل والعسير **فصل** في الآية اشارة الى انه كان يعاند في امور كثيرة ، منها انه
كان يعاند في دلايل التوحيد والعدل والقدرة وصحة النبوة وصحة البعث ، ومنها
ان كفره كان عنادا لانه كان يعرف هذه الاشيا بقلبه وينكرها بلسانه وكفر المعاند افحش
انواع الكفر ، ومنها ان قوله كان يدل على ان هذه حرفته من قديم الزمان ، ومنها ان
هذه المعاندة كانت مختصة منه بايات الله تعالى **قوله تعالى** سارهقه صعودا
اي ساكلفه ، وكان ابن عباس رضي الله عنه يقول ساحمله والارهاق في كلام العرب
ان يحمل الانسان الشي والصعود جبل من نار يتصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوي به كذلك
فيه ابدا رواه الترمذي ، وفي رواية صخرة في جهنم اذا وضعوا ايديهم عليها ذابت
فاذا رفعوها عادت ، وقيل هذا مثل لشدة العذاب الشاق الذي لا يطاق كقوله
عقبة صعود وكوود اي شاقة المصعد ، ثم انه تعالى حكى كيفية عناده وهو قوله
انه فكر يجوز ان يكون استيناف تعليل لقوله تعالى سارهقه ، ويجوز ان يكون بدلا
من انه كان لاياتنا عنيدا ، يقال فكر في الامر وتفكر اذا نظر فيه وتدبر ثم لما تفكر
رتب في قلبه كلاما وهياه وهو المراد من قوله وقدر والعرب تقول قدرت الشي
اذا هياته **فصل** معنى الآية ان الوليد فكر في شان النبي صلى الله عليه وسلم والقران
لما نزل حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب
ذي الطول لا اله الا هو اليه المصير سمعه الوليد يقراها فقال والله لقد سمعت منه
كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن وان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان
اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه ليعلو وما يعلى عليه وما يقول هذا بشر فقالت
قريش صبا الوليد لتصبون قريش كلها ، وكان يقال للوليد ريحانة قريش فقال
ابو جهل انا اكفيكموه فانطلق اليه حزينا فقال له ما لي اراك حزينا فقال وما لي لا
احزن وهذه قريش يجمعون لك نفقة يعينونك بها ويزعمون انك زينت كلام محمد
وتدخل على ابن ابي كبشة وابن ابي قحافة لتنال من فضل طعامهما فغضب الوليد وتكبر
وقال انا احتاج الى كسر محمد وصاحبه وانتم تعلمون قدر مالي واللات والعزى
ما بي حاجة الى ذلك وانما انتم تزعمون ان محمدا مجنون فهل رايتموه قط يخنق قالوا
لا والله وتزعمون انه كاهن فهل رايتموه تكهن قط ولقد راينا للكهنة اسجاعا وتخالجا
فهل رايتموه كذلك قالوا لا والله قال وتزعمون انه شاعر فهل رايتموه نطق بشعر
قط قالوا لا والله قال وتزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه كذبا قط قالوا لا والله
وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسمى الصادق الامين من كثرة صدقه فقالت
قريش للوليد فما هو ففكر في نفسه ثم نظر ثم عبس فقال ما هذا الا سحر اما رايتموه
يفرق بين الرجل واهله وولده فذلك قوله تعالى انه فكر اي في امر محمد والقران وقدر
في نفسه ماذا يمكنه ان يقول فيهما **قوله** فقتل ، اي لعن وقيل قهر وغلب
وقال الزهري عذب وهو من باب الدعا قال ابن الخطيب وهذا انما يذكر عند
التعجب والاستعظام ، ومثله قولهم قتله الله ما اشجعه واخزاه الله ما اجوده
ومعناه انه قد بلغ المبلغ الذي هو حقيق بان يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك واذا
عرف ذلك فنقول هذا يحتمل وجهين ، الاول انه تعجب من قوة خاطره يعني انه
لا يمكن القدح في امر محمد بشبهة اعظم ولا اقوى مما ذكره هذا القايل ، الثاني في
الثنا عليه على طريقة الاستهزا يعني ان هذا الذي ذكره في غاية الركاكة والسقوط

قوله

قوله كيف قدر اي كيف تهيأ له هذا الكلام لعنه الله انظر كيف ضربوا لك الامثال ، ثم قتل
بضرب اخر من العقوبة كيف قدر على اي حال قدر ، ثم نظر باي شي يرد الحق ويدفعه ، قال
ابن الخطيب والمعنى انه اولا نظر وثانيا قدر وثالثا نظر في ذلك المقدر فالنظر السابق
للاستخراج والنظر اللاحق لتمام الاحتياط فهذه المراتب الثلاث متعلقة باحوال قلبه
قوله تعالى ثم عبس ، يقال عبس يعبس عبسا وعبوسا اي قطب وجهه ، وقال
الليث عبس يعبس فهو عابس اذا قطب ما بين عينيه فاذا ابدى عن اسنانه في عبوسه [اسنانه صح]
قيل كلح فان اهتم لذلك وفكر فيه قيل بسر فان غضب مع ذلك قيل بسر ، واعلم انه
ذكر صفات جسمه بعد صفات قلبه وهذا يدل على عناده لان من فكر في امر حسن
يظهر عليه الفرح لا العبوس والعبس ايضا ما يبس من اذناب الابل من البعر والبول
قال ابو النجم كان في اذنابهن الشول من عبس الصيف قرون الايل **فصل**
معنى الآية قطب وجهه في وجوه المومنين وذلك انه لما قال لقريش ان محمدا ساحر
مر على جماعة من المسلمين فدعوه الى الاسلام فعبس في وجوههم ، وقيل عبس على النبي
صلى الله عليه وسلم حين دعاه والعبس مصدر عبس مخففا كما تقدم **قوله** وبسر
يقال بسر يبسر بسرا وبسورا اذا قبض ما بين عينيه كراهة للشي واسود وجهه منه
يقال وجه باسر اي منقبض اسود كالح متغير اللون قاله قتادة والسدي ، ومنه
قول بشر بن الحارث ، صبحنا تميما غداة الحفار ، بشهبا ملمومة باسره ، واهل
اليمن يقولون بسر المركب وابسر اي وقف لا يتقدم ولا يتاخر ، وقد ابسرنا اي صرنا
الى البسور ، وقال الراغب البسر استعجال الشي قبل اوانه نحو بسر الرجل حاجته
طلبها في غير اوانها وما بسر متنا ولم يعد به قبل سكونه ، ومنه قيل للذي لم يدرك
من التمر بسر ، وقوله تعالى عبس وبسر اي اظهر العبوس قبل اوانه وقبل وقته
قال فان قيل فقوله تعالى ووجوه يوميذ باسرة ليس يفعلون ذلك قبل الموت
وقد قلت ان ذلك يكون فيما يقع قبل وقته ، قيل اشير بذلك الى حالهم قبل الانتها
بهم الى النار فخص لفظ البسر تنبيها على ان ذلك مع ما ينالهم من بعد يجري مجرى التكلف
ومجرى ما يفعل قبل وقته ، ويدل على ذلك قوله تظن ان يفعل بها فاقرة ، وقد عطف في هذه
الجمل بحروف مختلفة ولكل منها مناسبة ، اما ما عطف بثم فلان بين الافعال مهلة
وثانيا لان بين النظر والعبوس وبين العبوس والادبار تراخيا ، قال الزمخشري ثم [والادبار صح]
عطف على فكر وقدر والدعا اعتراض بينهما يعني بالدعا قوله فقتل ثم قال فان قلت
ما معنى ثم الداخلة على تكرير الدعا قلت الدلالة على ان الكرة الثانية ابلغ من الاولى
ونحوه ، الا يا اسلمي ثم اسلمي ثمت اسلمي ، قال قلت فما معنى المتوسط بين الافعال التي
بعدها قلت الدلالة على انه قد تأنى في التامل وتمهل وكان بين الافعال المتناسقة تراخ
وتباعد ، فان قلت فلم قال فقال بالفا بعد عطف ما قبله بثم ، قلت لان الكلمة لما
خطرت بباله بعد التطلب لم يتمالك ان نطق بها من غير تلبث ، فان قلت فلم لم [خطرت صح]
يتوسط حرف العطف بين الجملتين ، قلت لان الاخرى جرت من الاولى مجرى
التوكيد من المؤكد **قوله تعالى** ثم ادبر ، اي ولى واعرض ذاهبا عن سائر الناس
الى اهله واستكبر حين دعي الى الايمان اي تعظم وقال ان هذا الا سحر يؤثر ، اي
ما هذا الذي اتى به محمد الا سحر يؤثر اي ياثره عن غيره ، والسحر الخديعة وقيل
السحر اظهار الباطل في صورة الحق ، والاثر مصدر قولك اثرت الحديث اثره اثرا

ذكره على غيرك • ومنه قيل حديث مأثور أي ينقله خلف عن سلف • قال الأعشى
إن الذي فيه تماريتما • بين للسامع والآثر •
وقال ابن الخطيب فيه وجهان • الأول أنه من قولهم أثرت الحديث أثره أثرا إذا حدثت به عن قوم في آثارهم أي بعد ما ماتوا هذا هو الأصل ثم صار بمعنى الرواية عمن كان • والثاني يؤثر عن جميع السحر وعلى هذا يكون من الإيثار • وقال أبو سعيد الضرير يؤثر أي يورث قوله تعالى إن هذا إلا قول البشر • أي ما هذا إلا كلام المخلوقين يختدع به القلوب كما تختدع بالسحر • قال ابن الخطيب ولو كان الأمر كذلك لتمكنوا من معارضته إذ طريقتهم في اللغة متقاربة • قال السدي يعني أنه من يسار عبد لبني الحضرمي كان يجالس النبي صلى الله عليه وسلم فنسبوه إلى أنه تعلم منه ذلك • وقيل أراد أنه تلقنه ممن ادعى النبوة قبله فتنسج على منوالهم قال ابن الخطيب وهذا الكلام يدل على أن الوليد كان يقول هذا الكلام عنادا لما روي في الحديث المتقدم أنه لما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم حم خرج من عند النبي صلى الله عليه وسلم يقول لقد سمعت من محمد كلاما ليس من كلام الإنس ولا من كلام الجن الحديث فلما أقر بذلك في أول الأمر علمنا أن قوله هاهنا إن هذا إلا قول البشر إنما ذكره عنادا وتمردا لا اعتقادا قوله تعالى سأصليه سقر • هذا بدل من قوله تعالى سأرهقه صعودا قاله الزمخشري فإن كان المراد بالصعود المشقة فالبدل واضح وإن كان المراد صخرة في جهنم كما جاء في التفسير فيعسر البدل ويكون فيه شبه من بدل الاشتمال لأن جهنم مشتملة على تلك الصخرة

فصل

والمعنى سأدخله سقر يصلى حرها • وإنما سميت سقر من سقرته الشمس إذا أذابته ولوحته وأحرقت جلده وجهه ولا ينصرف للتعريف والتأنيث • قال ابن عباس سقر اسم للطبقة السادسة من جهنم • وما أدراك ما سقر • هذا مبالغة في وصفها أي وما أعلمك أي شيء هي وهي كلمة تعظيم وتهويل • ثم فسر حالها فقال لا تبقي ولا تذر • أي لا تترك لهم لحما ولا عظما ولا دما إلا أحرقته قوله لا تبقي • فيه وجهان • أحدهما أنها في محل نصب على الحال والعامل فيها معنى التعظيم قاله أبو البقاء يعني أن الاستفهام في قوله ما سقر للتعظيم فالمعنى استعظموا سقر في هذه الحال • ومفعول تبقي وتذر محذوف أي لا تبقي ما ألقي فيها ولا تذره بل تهلكه • وقيل تقديره لا تبقي على من ألقي فيها ولا تذر غاية العذاب إلا وصلته إليه • والثاني أنها مستأنفة • قال ابن الخطيب واختلفوا في قوله لا تبقي ولا تذر فقيل هما لفظان مترادفان بمعنى واحد كررا للتأكيد والمبالغة كقولك صد عني وأعرض عني بل بينهما فرق وفيه وجوه • الأول لا تبقي من اللحم والعظم والدم شيئا ثم يعادون خلقا جديدا فلا تذر أن تعاود إحراقهم بأشد مما كانت وهكذا أبدا رواه عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما وقال عطاء لا تبقي من فيها حيا ولا تذره ميتا تحرقهم كلما جددوا • وقال السدي لا تبقي لهم لحما ولا تذر لهم عظما • وقيل لا تبقي من المعذبين ولا تذر من قوتها شيئا إلا وتستعمل تلك القوة في تعذيبهم قوله تعالى لواحة للبشر • قرأ العامة بالرفع خبر مبتدأ مضمر أي لواحة وهذه مقوية للاستئناف في لا تبقي وقرأ الحسن وابن أبي عبلة وزيد بن علي وعطية العوفي ونصر بن عاصم وعيسى بن عمر بنصبها على الحال وفيها ثلاثة أوجه • أحدها أنها حال من سقر والعامل معنى التعظيم كما

تقدم

تقدم • والثاني أنها حال من لا تبقي • والثالث من لا تذر • وجعل الزمخشري نصبها على الاختصاص للتهويل • وجعلها أبو حيان حالا مؤكدة قال لأن النار التي لا تبقي ولا تذر لا تكون إلا مغيرة للأبشار ولواحة هنا مبالغة وفيها معنيان • أحدهما من لاح يلوح أي ظهر أي أنها تظهر للبشر من مسيرة خمسمائة عام • وقال الحسن تلوح لهم جهنم حتى يروها عيانا • ونظيره وبرزت الجحيم لمن يرى • والثاني وإليه ذهب جمهور الناس أنها من لوحه أي غيره وسوده • قال الشاعر
تقول ما لاحك يا مسافر • يا ابنة عمي لاحني الهواجر •
وقال رؤبة بن العجاج • لوح منه بعد بدن وسبق • تلويحك الضامر يطوى للسبق
وقال آخر • وتعجب هند أن رأتني شاحبا • تقول لشيء لوحته السمائم • ويقال لاحه يلوحه إذا غير حليته • قال أبو رزين تلفح وجوههم لفحة تدعها أشد سوادا من الليل قال تعالى تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون • وطعن القائلون بالأول في هذا القول فقالوا لا يجوز أن يصفها بتسويد الوجوه مع قوله إنها لا تبقي ولا تذر وقيل اللوح شدة العطش يقال لاحه العطش ولوحه أي غيره • قال الأخفش والمعنى أنها معطشة للبشر أي لأهلها • وأنشد
سقتني على لوح من الماء شربة • سقاها به الله الرهام الغواديا •
يعني باللوح شدة العطش والرهام جمع رهمة بالكسر وهي المطرة الضعيفة وأرهمت السحابة أتت بالرهام • واللوح بالضم الهواء بين السماء والأرض • والبشر إما جمع بشرة أي مغيرة للجلود قاله مجاهد وقتادة • وجمع البشر أبشار وإما المراد به الإنس من أهل النار وهو قول الجمهور • واللام في للبشر مقوية كهي في للرؤيا تعبرون وقرئ النصب في لواحة مقوية لكون لا تبقي في محل الحال قوله تعالى عليها تسعة عشر • هذه الجملة فيها الوجهان أعني الحالية والاستئناف • وفي هذه الكلمة قراءات شاذة وتوجيهات تشاكلها فقرأ أبو جعفر وطلحة تسعة عشر بسكون العين من عشر تخفيفا لتوالي خمس حركات من جنس واحد وهذه كقراءة أحد عشر كوكبا وقد تقدمت وقرأ أنس وابن عباس رضي الله عنهم تسعة عشر بضم التاء عشر بالفتح وهذه حركة بناء ولا يجوز أن يتوهم كونها إعرابا إذ لو كانت للإعراب لجعلت في الاسم الأخير لتنزل الكلمتين منزلة الكلمة الواحدة • وإنما عدل إلى الضمة كراهة توالي خمس حركات • وعن المهدوي من قرأ تسعة عشر فكأنه من التداخل كأنه أراد العطف فترك التركيب ورفع هاء التأنيث ثم راجع البناء وأسكن انتهى فجعل الحركة للإعراب ويعني بقوله أسكن راء عشر فإنه في هذه القراءة لذلك • وعن أنس رضي الله عنه تسعة أعشر بضم تسعة وأعشر بهمزة مفتوحة ثم عين ساكنة ثم شين مضمومة وفيها وجهان • قال أبو الفضل يجوز أن يكون جمع العشرة على أعشر ثم أجراه مجرى تسعة عشر • وقال الزمخشري جمع عشير مثل يمين وأيمن • وعن أنس أيضا تسعة وعشر بضم التاء وسكون العين وضم الشين وواو مفتوحة بدل الهمزة وتخريجها كتخريج ما قبلها إلا أنه قلب الهمزة واوا مبالغة في التخفيف والضمة كما تقدم للبناء لا للإعراب • ونقل المهدوي أنه قرئ تسعة وعشر قال فجاء به على الأصل قبل التركيب وعطف عشر على تسعة وحذف التنوين لكثرة الاستعمال وسكن الراء من عشر على نية الوقف • وقرأ سليمان بن قتة بضم التاء وهمزة مفتوحة وسكون العين وضم الشين وجر الراء من أعشر والضمة على هذا ضمة إعراب

لانه اضاف الاسم الى العدد فاعربهما اعراب المتضايفين وهى لغة لبعض العرب يفكون تركيب الاعداد ويعربونها كالمتضايفين كقوله

كلفته من عنائه وشقوته ❊ بنت ثماني عشرة من حجته

قال ابو الفضل ونحو هذه القراءة وهي قراءة من قرا اعشر مبنيا او معربا من حيث هو جمع اذ الملائكة الذين هم على سقر تسعون ملكا

فصل في الاية انه لما امر بلك النار تسعة عشر من الملائكة يلقون فيها اهلها ❊ قيل هم خزنة النار مالك وثمانية عشر ملكا ❊ وقيل التسعة عشر نقيبا ❊ وقال اكثر المفسرين تسعة عشر ملكا باعيانهم قال القرطبي وذكر ابن المبارك عن رجل من بني تميم قال كنا عند ابي العوام فقرا هذه الاية فقال ما تسعة عشر تسعة عشر الف ملك او تسعة عشر ملكا قال قلت لا بل تسعة عشر ملكا قال وانى تعلم ذلك فقلت لقول الله تعالى وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا قال صدقت قال هم تسعة عشر ملكا قال ابن جريج نعت النبي صلى الله عليه وسلم خزنة جهنم فقال اعينهم كالبرق وانيابهم كالصياصي واشفارهم تمس اقدامهم تخرج لهب النار من افواههم الحديث ❊ قال ابن الاثير الصياصي قرون البقر ❊ وروى الترمذي عن عبد الله قال قال ناس من اليهود لاناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم هل يعلم نبيكم عدد خزنة جهنم قالوا لا ندري حتى نسأله فجاء رجل الى النبي صلى الله عليه فقال يا محمد غلب اصحابك اليوم فقال وبما ذا غلبوا قال سألهم يهود هل يعلم نبيكم عدد خزنة جهنم قال فما ذا قالوا قال قالوا لا ندري حتى نسأل نبينا لكنهم قد سألوا نبيهم فقالوا ارنا الله جهرة علي باعداء الله اني سائلهم عن تربة الجنة وهي الدرمك فلما جاءوا قالوا يا ابا القاسم كم عدد خزنة جهنم قال صلى الله عليه وسلم هكذا وهكذا في مرة عشرة وفي مرة تسعة قالوا نعم فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ما تربة الجنة قال فسكتوا ثم قالوا خبزة يا ابا القاسم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبزة من الدرمك ❊ قال ابن الاثير الدرمك هو الدقيق الحواري ❊ قال القرطبي الصحيح ان شاء الله ان هؤلاء التسعة عشر هم الرؤساء والنقباء ❊ واما جملتهم فكما قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو ❊ وقد ثبت في الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك يجرونها ❊ وقال ابن عباس وقتادة والضحاك لما نزل قوله تعالى عليها تسعة عشر قال ابو جهل لقريش ثكلتكم امهاتكم اسمع ابن ابي كبشة يخبركم ان خزنة النار تسعة عشر وانتم الدهم اي العدد العظيم والشجعان فيعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا بواحد منهم ❊ قال السدي فقال ابو الاسود بن كلدة الجمحي لا يهولنكم التسعة عشر انا ادفع بمنكبي الايمن عشرة من الملائكة وبمنكبي الايسر التسعة ثم تمرون الى الجنة يقولها مستهزئا وفي رواية ان الحارث بن كلدة قال انا اكفيكم سبعة عشر واكفوني انتم اثنين ❊ قال ابو الاسود ذلك فقال المسلمون ويحكم لا تقاس الملائكة بالحدادين فجرى هذا مثلا في كل شيئين لا تساوي بينهما ومعناه لا تقاس الملائكة بالسجانين والسجان الحداد

فصل ذكر ارباب المعاني في تقرير هذا العدد وجوها ❊ منها ما قاله ارباب الحكمة ان سبب فساد النفس الانسانية في قوتها النظرية والعملية هو القوى الحيوانية والطبيعية فالقوى الحيوانية هي الخمسة الظاهرة والخمسة الباطنة والشهوة والغضب فهذه اثنا عشر ❊ واما القوى الطبيعية فهي الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة

والغاذية والنامية والمولدة فالمجموع تسعة عشر فلما كانت هذه منشأ الآفات لا جرم كان عدد الزبانية هكذا ❊ ومنها ان ابواب جهنم سبعة فستة منها للكفار وواحد للفساق ثم ان الكفار يدخلون النار لامور ثلاثة ترك الاعتقاد وترك الاقرار وترك العمل فيكون لكل باب من تلك الابواب الستة ثلاثة فالمجموع ثمانية عشر ❊ واما باب الفساق فليس هناك الا ترك العمل فالمجموع تسعة عشر مشغولة بغير العبادة فلا جرم صار عدد الزبانية تسعة عشر

قوله تعالى وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة ❊ روي ان ابا جهل لما نزل قوله تعالى عليها تسعة عشر قال ايعجز كل مائة ان يبطشوا بواحد منهم ثم تخرجون من النار فنزل قوله تعالى وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة اي لم نجعلهم رجالا فتقاتلوهم ❊ وقيل جعلهم ملائكة لانهم خلاف جنس المعذبين من الجن والانس فلا ياخذهم ما ياخذ المجانس من الرقة والرافة ولا يستروحون اليهم ولانهم اشد الخلق باسا واقواهم بطشا ولذلك جعل تعالى الرسول الى البشر من جنسهم ليكون له رافة ورحمة بهم ❊ وقيل لان قوتهم اعظم من قوة الجن والانس ❊ فان قيل ثبت في الاخبار ان الملائكة مخلوقون من النور والمخلوق من النور كيف يطيق المكث في النار فالجواب ان الله تعالى قادر على كل الممكنات فكما انه لا استبعاد في انه يبقي الحي في مثل ذلك العذاب الشديد ابد الاباد ولا يموت فكذا لا استبعاد في ابقاء الملائكة هناك من غير الم

قوله تعالى وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا اي بلية ❊ روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال المعنى ضلالة للذين كفروا ❊ وقوله فتنة مفعول ثان على حذف مضاف اي الا سبب فتنة ❊ وللذين صفة لفتنة وليست فتنة مفعولا له

فصل قال ابن الخطيب هذا العدد انما صار سببا لفتنة الكفار من وجهين الاول ان الكفار يستهزئون ويقولون لم لم يكونوا عشرين وما المقتضي لتخصيص هذا العدد ❊ والثاني ان الكفار يقولون هذا العدد القليل كيف يكونون وافين بتعذيب اكثر العالم من الجن والانس من اول ما خلق الله الى قيام القيامة ❊ والجواب عن الاول ان هذا السؤال لازم على كل عدد يفرض ❊ وعن الثاني انه لا يبعد ان الله يرزق ذلك العدد القليل قوة تفي بذلك فقد اقتلع جبريل عليه السلام مدائن قوم لوط على احد جناحيه ورفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء صياح ديكتهم ثم قلبها وجعل عاليها سافلها ❊ وايضا فاحوال القيامة لا تقاس باحوال الدنيا ولا للعقل فيها مجال

فصل دلت هذه الاية على ان الله تعالى يريد الفتنة ❊ واجاب الجبائي بان المراد من الفتنة تشديد العبيد ليستدلوا على انه تعالى قادر ان يقوي هذه التسعة عشر على ما لا يقوى عليه مائة الف ملك اقوياء ❊ واجاب الكعبي بان المراد من الفتنة الامتحان حتى يفوض المؤمنون حكمة التخصيص بالعدد المعين الى علم الله تعالى ❊ وهذا من المتشابه الذي امروا بالايمان به او يكون المراد من الفتنة ما وقعوا فيه من الكفر بسبب تكذيبهم بعدد الخزنة ❊ وحاصله ترك الالطاف ❊ والجواب ان نقول هل لانزال هذه المتشابهات اثر في تقوية داعية الكفر ام لا فان لم يكن له اثر في تقوية داعية الكفر لم يكن انزال هذه المتشابهات فتنة للذين كفروا البتة وان كان له اثر في تقوية داعية الكفر فقد حصل المقصود لانه اذا ترجحت داعية الفعل صارت داعية الترك مرجوحة والمرجوح ممتنع تاثيره فيكون الترك ممتنع الوقوع فيصير الفعل واجب الوقوع والله اعلم

قوله ليستيقن الذين ❊ متعلق بجعلنا لا بفتنة ❊ وقيل بفعل مضمر اي فعلنا ذلك ليستيقن

فصل معنى الكلام ليوقن الذين اعطوا التوراة والانجيل ان عدة خزنة جهنم موافقة لما عندهم قاله ابن عباس وقتادة والضحاك ومجاهد وغيرهم ثم يحتمل ان يريد الذين امنوا منهم كعبد الله بن سلام ويحتمل ان يريد الكل * ويزداد الذين امنوا ايمانا لتصديقهم بعدد خزنة النار * قال ابن الخطيب قال قيل حنيفة الايمان عندكم لا يقبل الزيادة والنقصان فما قولكم في هذه الاية * فالجواب نحمله على ثمرات الايمان وعلى اثاره ولوازمه **قوله تعالى** ولا يرتاب الذين اوتوا * اي اعطوا الكتاب * والمؤمنون * اي المصدقون من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في ان خزنة جهنم تسعة عشر * فان قيل لما اثبت الاستيقان لاهل الكتاب واثبت زيادة الايمان للمؤمنين فما الفائدة في قوله تعالى بعد ذلك ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون * فالجواب ان الانسان اذا اجتهد في امر غامض دقيق الحجة كثير الشبه فحصل له اليقين فربما غفل عن مقدمة من مقدمات ذلك الدليل الدقيق فيعود الشك فاثبات اليقين في بعض الاحوال لا ينافي طريان الارتياب بعد ذلك ففائدة هذه الاعادة نفي ذلك الشك وانه حصل لهم يقين جازم لا يحصل عقيبه شك البتة **قوله تعالى** وليقول الذين في قلوبهم مرض * اي في صدورهم شك ونفاق من منافقي اهل المدينة الذين يجيئون في مستقبل الزمان بعد الهجرة وهذا اخبار عما سيكون فيه معجزة * والكافرون * اي اليهود والنصارى * ماذا اراد الله بهذا مثلا * يعني بعدد خزنة جهنم وهذا قول اكثر المفسرين * وقال الحسين بن الفضل السورة مكية ولم يكن بمكة نفاق فالمرض في هذه الاية الخلاف * والمراد بالكافرين مشركو العرب * ويجوز ان يراد بالمرض الشك والارتياب لان اهل مكة كان اكثرهم مشركين وبعضهم قاطعين بالكذب * وقوله تعالى اخبارا عنهم ماذا اراد الله بهذا مثلا * اي بهذا العدد الذي ذكره حديثا اي ما هذا من الحديث قال الليث رحمه الله المثل الحديث * ومنه مثل الجنة التي وعد المتقون اي حديثها والخبر عنها وقال ابن الخطيب انما سموه مثلا لانه لما كان هذا العدد عددا عجيبا ظن القوم انه ربما لم يكن مراد الله منه ما اشعر به ظاهره بل جعله مثلا لشيء اخر وتنبيها على مقصود اخر لا جرم سموه مثلا لانهم لما استغربوه ظنوا انه ضرب به مثلا لغيره ومثلا تمييز او حال * وتسميته هذا مثلا على سبيل الاستعارة لغرابته **فصل** اللام في قوله تعالى وليقول الذين في قلوبهم مرض جار على اصول اهل السنة لان ذلك مراد * وعند المعتزلة هي لام العاقبة ونسبوه الى الله عز وجل مع انهم يشكون ذلك اما على سبيل التهكم واما على ما تقولوه **قوله** كذلك نعت لمصدر او حال منه على ما عرف * وذلك اشارة الى ما تقدم من الاضلال والهدى * اي مثل ذلك الاضلال والهدى * يضل الله من يشاء * اي كاضلال الله تعالى ابا جهل واصحابه المنكرين لخزنة جهنم يضل اي يعمي ويخزي من يشاء * ويهدي من يشاء ويرشد من يشاء كارشاد اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم * وهذه الاية تدل على مذهب اهل السنة لانه تعالى قال في اول الاية وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا * وقال تعالى في اخر الاية وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا اراد الله بهذا مثلا ثم قال تعالى كذلك يضل الله من يشاء * واما المعتزلة ثم ذكروا تاويلاتهم المشهورة وتقدم اجوبتها **قوله تعالى** وما يعلم جنود ربك

ولا يشك ج

الا

الا هو * جنود ربك مفعول واجب التقديم لحصر فاعله ولعود الضمير على ما اتصل بالمفعول **فصل** اي وما يدري عدد ملائكة ربك الذين خلقهم لتعذيب اهل النار الا هو اي الله عز وجل * وهذا جواب لابي جهل حين قال اما لرب محمد من الجنود الا تسعة عشر الا ان لكل واحد منهم من الاعوان والجنود ما لا يعلم عددهم الا هو * ويحتمل ان يكون المعنى وما يعلم جنود ربك لفرط كثرتها الا هو فلا يعز عليه تتميم الخزنة عشرين ولكن له في هذا العدد حكمة لا يعلمها الخلق وهو سبحانه يعلمها * او يكون المعنى انه لا حاجة بالله سبحانه في تعذيب الكفار والفساق الى هؤلاء الخزنة بل هو الذي يعذبهم في الحقيقة وهو الذي يخلق الالم فيهم ولو انه تعالى قلب شعرة عين ابن ادم او سلط الالم على عرق واحد من عروق بدنه لكفاه ذلك بلاء ومحنة فلا يلزم من تقليل عدد الخزنة قلة العذاب فجنود الله تعالى غير متناهية لان مقدوراته غير متناهية قال صلى الله عليه وسلم اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع اربع اصابع الا وفيها ملك ساجد **قوله** وما هي * يجوز ان يعود الضمير على سقر اي وما سقر الا تذكرة اي عظة للبشر * وان يعود على الايات المذكورة فيها او النار لتقدمها او الجنود لانه اقرب مذكور ونار الدنيا وان لم يجر لها ذكر تذكرة لنار الاخرة قاله الزجاج او ما هذه العدة الا ذكرى للبشر اي ليتذكروا ويعلموا كمال قدرة الله تعالى وانه لا يحتاج الى اعوان وانصار وللبشر مفعول لذكرى واللام فيه مزيدة **قوله تعالى** كلا والقمر * قال الفراء كلا صلة للقسم التقدير اي والقمر * وقيل المعنى حقا والقمر فلا يوقف على هذين التقديرين على كلا * واجاز الطبري الوقف عليها وجعلها ردا على الذين زعموا انهم يقاومون خزنة جهنم اي ليس الامر كما يقول من زعم انه يقاوم خزنة النار ثم اقسم على ذلك بالقمر وبما بعده * وقيل هذا انكار بعد ان جعلها ذكرى ان يكون لهم ذكرى لانهم لا يتذكرون وقيل هو ردع لمن ينكر ان يكون احدى الكبر نذيرا * وقيل ردع عن الاستهزاء بالعدة المخصوصة **قوله تعالى** والليل اذ ادبر * قرا نافع وحمزة وحفص اذ ظرفا لما مضى من الزمان * ادبر بزنة اكرم * والباقون اذا ظرفا لما يستقبل دبر بزنة ضرب والرسم محتمل لكلتاهما فالصورة الخطية لا تختلف * واختار ابو عبيدة قراءة اذا قال لان بعده اذا اسفر * قال وكذلك هي في حرف عبد الله يعني انه مكتوب بالفين بعد الذال احدهما الف اذا والاخرى همزة ادبر * قال وليس في القران قسم تعقبه اذ وانما يتعقبه اذا واختار ابن عباس رضي الله عنه اذ * ويحكى عنه انه لما سمع دبر قال انما يدبر ظهر البعير * واختلفوا هل دبر وادبر بمعنى ام لا فقيل هما بمعنى واحد يقال دبر الليل والنهار وادبر وقبل واقبل * ومنه قولهم كامس الدابر وهذا من دبر وامس الدابر * قال صخر بن عمرو بن الشريد السلمي * ولقد قتلتكم ثناء وموحدا * وتركت مرة مثل امس الدابر * ويروى المدبر وهذا قول الفراء والاخفش والزجاج * واما ادبر الراكب واقبل فرباعي لا غير * وقال يونس دبر انقضى وادبر تولى ففرق بينهما * وقال الزمخشري دبر بمعنى ادبر كقبل بمعنى اقبل وقبل * ومنه صاروا كامس الدابر * وقيل هو من ادبر الليل النهار اذا خلفه * وذكر القرطبي عن بعض اهل اللغة دبر الله اذا مضى وادبر اخذ في الادبار * وقرا محمد بن السميفع والليل اذا ادبر بالفين وكذلك هي في مصحف عبد الله وابي * وقال قطرب من قرا دبر فيعني اقبل من قول العرب دبر فلان اذا جاء من خلفي قال ابو عمرو وهي لغة قريش **قوله**

امس صح

المدبر صح

النهار صح

تعالى والصبح اذا اسفر اى اضا ٥ وفى الحديث اسفروا بالفجر ٥ ومنه قوله تعالى وجوه يومئذ
مسفرة اى مضيئة ٥ وقرا العامة اسفر بالالف ٥ وعيسى بن الفضل وابن السميفع سفر
ثلاثيا والمعنى طرح الظلمة عن وجهه على وجه الاستعارة وهما لغتان ٥ يقال اسفر وجه
فلان اذا اضا واسفر وجهه حسنا اى اشرق وسفرت المراة اى كشفت عن وجهها فهى سافرة
قال القرطبى ويجوز ان يكون سفر الظلام اى كنسه كما سفر البيت اى يكنس ٥ ومنه السفير
لما سقط من ورق الشجر ويتحات يقال انما سمى سفيرا لان الريح تسفره اى تكنسه والمسفر
للكنسة **قوله** انها ٥ اى النار ٥ وقيل ان قيام الساعة كذا حكاه ابو حيان
وفيه شيان عوده على غير مذكور وكون المضاف اكتسب تانيثا ٥ وقيل ان النذارة
وقيل هى ضمير القصة وهذا جواب القسم وتعليل لكلا والقسم معترض للتوكيد قال الزمخشرى
قال شهاب الدين وجينيذ تحتاج الى تقدير جوازه وفيه تكلف وخروج عن الظاهر
قوله لاحدى الكبر ٥ العامة لاحدى الكبر بهمزة واصلها واو من الوحدة ٥ وقرا
نصر بن عاصم وابن محيصن ويروى عن ابن كثير لحدى بحذف الهمزة وهذا من الشذوذ
بحيث لا يقاس عليه ٥ وتوجيهه ان يكون ابدل الهمزة الفا ثم حذف الالف لالتقا الساكنين
وقياس تخفيف مثل هذه بينها وبين الالف ٥ قال الواحدى الف احدى مقطوع لا تذهب
فى الوصل ٥ والكبر جمع كبرى كالفضل جمع فضلى ٥ قال الزمخشرى الكبر جمع الكبرى مثل
الف التانيث كما التانيث كما جمعت فعلة على فعل جمعت فعلى عليها ٥ ونظير ذلك السوافى
جمع السوافى وهو التراب اى التى تسفيه الريح والقواصع فى جمع القاصعا كانها جمع فاعلة
قاله ابن الخطيب **فصل** معنى احدى الكبر اى احدى الدواهى ٥ قال م م

باابن العلا نزلت احدى الكبر ٥ داهية الدهر وصما الغير

ومثله هو احد الرجال واحدى النسا لمن يستعظمونه ٥ والمراد من الكبر دركات
جهنم وهى سبعة ٥ جهنم ٥ ولظى ٥ والحطمة ٥ والسعير ٥ والجحيم ٥ والهاوية ٥ وسقر
اعاذنا الله تعالى منها ٥ وفى تفسير مقاتل الكبر اسم من اسما النار ٥ وعن ابن عباس رضى
الله عنه انها اى تكذيبهم محمد صلى الله عليه وسلم لاحدى الكبر اى لكبيرة من الكبائر **قوله**
نذيرا ٥ فيه اوجه ٥ احدها انه تمييز عن احدى لما ضمنت معنى التعظيم كانه قيل اعظم الكبر
انذارا فنذير بمعنى الانذار كالنكير بمعنى الانكار كانه قيل انها لاحدى الدواهى انذارا
ومثله هى احدى النسا عفافا ٥ الثانى انه مصدر بمعنى الانذار ايضا ولكنه نصب
بفعل مقدر قاله الفرا ٥ الثالث انه فعيل بمعنى مفعل وهو حال من الضمير فى انها قاله
الزجاج وذكر لان معناه معنى العذاب ٥ او اراد ذات انذار على معنى النسب كقولهم
امراة طالق وطاهر قال الحسن والله ما انذر الخلايق بشى ادهى منها ٥ الرابع انها حال
من الضمير فى احدى لتاويلها بمعنى العظم ٥ الخامس انه حال من فاعل قم اول السورة ثم
والمراد بالنذير محمد صلى الله عليه وسلم اى قم نذيرا للبشر اى خوفهم قاله ابو على
الفارسى وابن زيد ٥ وروى عن ابن عباس وانكره الفرا ٥ قال ابن الانبارى قال بعض
المفسرين معناه يا ايها المدثر قم نذيرا للبشر وهذا قبيح لطول ما بينهما ٥ السادس
انه مصدر منصوب بانذر اول السورة كانه قال انذر انذارا للبشر ٥ قال الفرا يجوز ان
يكون النذير بمعنى الانذار اى انذر انذارا فهو كقوله تعالى فكيف كان نذير اى انذار
فعلى هذا يكون راجعا الى اول السورة ٥ السابع هو حال من الكبر ٥ الثامن حال من
ضمير الكبر ٥ التاسع انه منصوب باضمار اعنى ٥ العاشر انه حال من لاحدى قاله ابن عطية

الحادى عشر انه منصوب بادع مقدرا والمراد به الله تعالى ٥ روى ابو معاوية الضرير حدثنا
اسمعيل بن سميع عن ابى رزين نذيرا للبشر قال يقول الله تعالى انا لكم منها نذير فاتقوها ونذيرا
على هذا نصب على الحال اى وما جعلنا اصحاب النار الا ملايكة منذرا بذلك البشر ٥ الثانى عشر
انه منصوب بما دلت عليه الجملة تقديره عظمت نذيرا ٥ الرابع عشر هو حال من الضمير فى الكبر
الخامس عشر انها حال من هو فى قوله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو ٥ السادس عشر
انها مفعول من اجله الناصب لها ما فى الكبر من معنى الفعل ٥ قال ابو البقا او انها لاحدى الكبر
لانذار البشر فظاهر هذا انه مفعول من اجله ٥ واعلم ان النصب قراة العامة ٥ وقرا
ابى بن كعب وابن ابى عبلة بالرفع فان كان المراد النار جاز فيه وجهان ان يكون خبرا بعد
خبر وان يكون خبر مبتدا مضمر اى هى نذير والتذكير لما تقدم من معنى النسب وان كان
المراد البارى تعالى او رسوله عليه الصلاة والسلام كان على خبر مبتدا مضمر اى هو نذير
وللبشر اما صفة واما مفعول لنذير واللام مزيدة لتقوية العامل **قوله** لمن شا ٥ فيه
وجهان ٥ احدهما انه بدل من للبشر باعادة العامل كقوله لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم والذين
استضعفوا لمن امن وان يتقدم مفعول شا اى نذيرا لمن شا التقدم او التاخر وفيه
ذكر مفعول شا وقد تقدم انه لا يذكر الا اذا كان فيه غرابة ٥ الثانى وبه بدا الزمخشرى
ان يكون لمن شا خبرا مقدما وان يتقدم مبتدا موخرا فان كقولك لمن توضا ان يصلى ومعناه
مطلق لمن شا التقدم او التاخر ان يتقدم او يتاخر انتهى ٥ فقوله التقدم او التاخر هو مفعول
شا المقدر ٥ قال ابو حيان قوله ان يتقدم هو المبتدا معنى لا يتبادر الذهن اليه وفيه
حذف قال القرطبى اللام فى لمن شا متعلقة بالنذير اى نذيرا لمن شا منكم ان يتقدم الى الخير
او يتاخر الى الشر والمعصية ٥ نظيره ولقد علمنا المستقدمين منكم اى فى الخير ولقد علمنا ته
المستاخرين عنه ٥ قال الحسن هذا وعيد وتهديد وان خرج مخرج الخبر لقوله تعالى
لمن شا فليومن ومن شا فليكفر ٥ وقيل المعنى لمن شا الله ان يتقدم او يتاخر فالمشية متصلة
بالله عز وجل والتقدم الايمان والتاخير الكفر ٥ وكان ابن عباس يقول هذا تهديد واعلام
ان من تقدم الى الطاعة والايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم جوزى بثواب لا ينقطع ومن تاخر
عن الطاعة وكذب محمدا صلى الله عليه وسلم عوقب عقابا لا ينقطع ٥ وقال السدى لمن شا منكم
ان يتقدم الى النار المتقدم ذكرها او يتاخر عنها الى الجنة **فصل** احتج المعتزلة بهذه
الاية على كون العبد متمكنا من الفعل غير مجبور عليه ٥ وجوابه ان هذه الاية دلت على
ان فعل العبد معلق على مشيته لكن مشية العبد على مشية الله تعالى لقوله تعالى وما
تشاون الا ان يشا الله وحينيذ تصير الاية حجة عليهم ٥ قال ابن الخطيب وذكر الاصحاب
جوابين اخرين معنى اضافة المشية الى المخاطبين التهديد كقوله فمن شا فليومن ومن
شا فليكفر ٥ الثانى ان هذه المشية لله تعالى على معنى لمن شا الله منكم ان يتقدم او
يتاخر **قوله تعالى** كل نفس بما كسبت رهينة ٥ فيه اوجه احدها ان رهينة بمعنى
رهن كالشتيمة بمعنى الشتم ٥ قال الزمخشرى ليست بتانيث رهين لان فعيلا بمعنى
مفعول يستوى فيه المذكر والمونث وانما هى اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم
كانه قيل كل نفس بما كسبت رهن ٥ ومنه بيت الحماسة ٥

ابعد الذى بالنعف نعف كويكب ٥ رهينة رمس ذى تراب وجندل ٥

كانه قال رهن رمس ٥ الثانى ان الها للمبالغة ٥ الثالث ان التانيث لاجل اللفظ
واختار ابو حيان انها بمعنى مفعول وانها كالنطيحة قال ويدل على ذلك انه لما كان

خبرا عن المذكر كان بغيرها قال تعالى كل امرئ بما كسب رهين فانث حيث كان خبرا عن المذكر
اتى بغيرها وحيث كان خبرا عن مونث اتى بالتا ، فاما التي في البيت فانث على معنى النفس
ومعنى رهينة اي مرتهنة بكسبها ماخوذة بعملها اما مخلص او موبق **فصل** **قوله**
الا اصحاب اليمين ، فيه وجهان ، احدهما انه استثنا متصل اذ المراد بهم المسلمون الخالصون
فانهم فكوا رقاب انفسهم باعمالهم الحسنة كما يخلص الراهن رهنه باداء الحق ، والثاني
انه منقطع اذ المراد بهم الاطفال والملايكة ، قال ابن عباس المراد بهم الملايكة وقال
علي بن ابي طالب وابن عمر رضي الله عنهم هم اولاد المسلمين لم يكتسبوا فيرتهنوا وقال
الضحاك هم الذين سبقت لهم منا الحسنى ونحوه عن ابن جريج قال كل نفس بعملها محاسبة
الا اصحاب اليمين وهم اهل الجنة فانهم لا يحاسبون وكذا قال مقاتل والكلبي ايضا هم اصحاب
الجنة الذين كانوا عن يمين ادم عليه السلام يوم الميثاق حين قال الله تعالى لهم هولا
في الجنة ولا ابالي ، وقال الحسن وابن كيسان هم المسلمون المخلصون ليسوا بمرتهنين
لانهم ادوا ما كان عليهم ، وعن ابي ظبيان عن ابن عباس قال هم المسلمون ، وقيل الا
اصحاب الحق واهل الايمان ، وقيل هم الذين يعطون كتبهم بايمانهم ، وقال ابو جعفر
الباقر نحن وشيعتنا اصحاب اليمين وكل من ابغضنا اهل البيت فهم المرتهنون **قوله**
في جنات ، يجوز ان يكون خبر مبتدا مضمر اي هم في جنات وان يكون حالا من اصحاب اليمين
وان يكون حالا من فاعل يتساءلون ذكرهما ابو البقا ، ويجوز ان يكون في جنات ظرفا ل
يتساءلون وهو اظهر من الحالية من فاعله ويتساءلون يجوز ان يكون على بابه اي يسال
بعضهم بعضا ، وان يكون بمعنى يسالون اي يسالون غيرهم نحو دعوته وتداعيته **قوله**
عن المجرمين ، فيه وجهان ، الاول ان يكون كلمة عن صلة زايدة والتقدير يتساءلون
المجرمين فيقولون لهم ما سلككم في سقر فانه يقال سالته كذا او سالته عن كذا ، الثاني ان
يكون المعنى ان اصحاب اليمين يسال بعضهم بعضا عن احوال المجرمين ، فان قيل فعلى هذا يجب
ان يقولوا ما سلككم في سقر ، فاجاب الزمخشري عنه فقال المراد من هذا ان المشركين
يلقون ما جرى بينهم وبين المومنين فيقولون قلنا لهم ما سلككم في سقر وفيه وجه اخر
وهو ان المراد ان اصحاب اليمين كانوا يسالون عن المجرمين اين هم فلما راوهم
قالوا لهم ما سلككم في سقر والاضمارات كثيرة في القران **قوله** ما سلككم ، يجوز
ان يكون على اضمار القول وذلك القول في موضع الحال ، اي يتساءلون عنهم قايلين
لهم ما سلككم ، قال الزمخشري فان قلت كيف طابق قوله ما سلككم وهو سوال المجرمين
قوله يتساءلون عن المجرمين وهو سوال عنهم وانما كان يتطابق ذلك لو قيل يتساءلون
المجرمين ما سلككم قلت قوله ما سلككم ليس ببيان للتساول عنهم وانما هو حكاية قول
المسولين عنهم لان المشركين يلقون الى السايلين ما جرى بينهم وبين المجرمين فيقولون
قلنا لهم ما سلككم في سقر اي ادخلكم في سقر كما تقول سلكت الخيط في كذا اذا ادخلته
فيه ، والمقصود من هذا السوال زيادة التوبيخ والتخجيل والمعنى ما ادخلكم في هذه
الدركة من النار فاجابوا ان العذاب لامور اربعة ثم ذكروها وهي قولهم لم نك من
المصلين ، قال الكلبي يسال الرجل من اهل الجنة الرجل من اهل النار باسمه فيقول له يا فلان
وفي قراءة عبد الله بن الزبير يا فلان ما سلككم في سقر وهي قراءة على التفسير لا انها قران
كما زعم من طعن في القران قاله ابن الانباري ، وقيل ان المومنين يسالون الملايكة عن
اقربايهم فتسال الملايكة المشركين فيقولون لهم ما سلككم في سقر قال الرازي في هذا انما

يقوى

يقوي ان اصحاب اليمين هم الولدان لانهم لا يعرفون الذنوب **قوله** لم نك من المصلين ، هذا
هو الدال على فاعل سلككم كذا الواقع جوابا لقول المومنين لهم ما سلككم التقدير سلكنا عدم
صلاتنا وكذا وكذا ، وقال ابو البقا هذه الجملة سدت مسد الفاعل وهو جواب ما
سلككم وهو نظير ما سلككم وقد تقدم في البقرة **فصل** قال القرطبي معنى قولهم
لم نك من المصلين يعني اهل النار اي للمومنين الذين يصلون ولم نك نطعم المسكين اي لم نكن
نتصدق ، قال ابن الخطيب وهذان يجب ان يكونا محمولين على الصلاة الواجبة والزكاة
لان ما ليس بواجب لا يجوز ان يعذبوا على تركه ، وكنا نخوض مع الخايضين اي في الاباطيل
وقال ابن زيد نخوض مع الخايضين اي في امر محمد عليه الصلاة والسلام وهو قولهم انه
كاهن مجنون شاعر ساحر كذبوا والله لم يكن فيه شي من ذلك صلى الله عليه وسلم ، وقال
قتادة كلما غوى غاو غوينا معه ، وقيل معناه وكنا اتباعا ولم نكن متبوعين ، وقولهم
وكنا نكذب بيوم الدين اي نكذب بيوم القيمة يوم الجزا والحكم ، حتى اتانا اليقين ، اي
جانا الموت قال تعالى حتى ياتيك اليقين وهذه الاية تدل على ان الكفار مخاطبون بفروع
الشريعة ، فان قيل لم اخر التكذيب وهو افحش تلك الخصال الاربع ، فالجواب اريد انهم
بعد اتصافهم بتلك الامور الثلاثة كانوا مكذبين بيوم الدين ، والغرض تعظيم هذا الذنب
لقوله تعالى ثم كان من الذين امنوا **قوله تعالى** فما تنفعهم شفاعة الشافعين
كقوله ، على لاحب لا يهتدى بمناره ، في احد وجهيه اي لا شفاعة لهم فلا انتفاع بها وليس
المراد ان ثم شفاعة غير نافعة كقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى الاية يدل على
صحة الشفاعة للمذنبين من هذه الامة بمفهومها لان تخصيص هولا بانهم لا تنفعهم شفاعة
الشافعين يدل على ان غيرهم تنفعهم شفاعة الشافعين ، قال عبد الله بن مسعود رضي الله
عنه يشفع نبيكم صلى الله عليه وسلم رابع اربعة جبريل ثم ابراهيم ثم موسى او عيسى ثم
نبيكم صلى الله عليه وسلم ثم الملايكة ثم النبيون ثم الصديقون ثم الشهدا ويبقى قوم في جهنم
فيقال لهم ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين الى قوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين
قال عبد الله بن مسعود فهولا الذين في جهنم **قوله تعالى** فما لهم عن التذكرة معرضين
اي فما لاهل مكة قد اعرضوا وولوا قال مقاتل معرضين عن القران من وجهين احدهما
الجحود والانكار ، والثاني ترك العمل بما فيه ، وقيل المراد بالتذكرة العظة بالقران
وغيره من المواعظ ومعرضين حال من الضمير في الجار الواقع خبرا عن ما الاستفهامية وقد
تقدم ان مثل هذه الحال تسمى حالا لازمة وتقدم بحث حسن ، وعن التذكرة متعلق
به ، قال القرطبي وفي اللام معنى الفعل فانتصاب الحال على معنى الفعل ، قال ابن الخطيب
هو كقولك ما لك قايما **قوله** كانهم حمر ، هذه الجملة يجوز ان يكون حالا من الضمير
في الجار ويكون بدلا من معرضين قاله ابو البقا يعني انها كالمشتملة عليها وان يكون
حالا من الضمير في معرضين فيكون حالا متداخلة ، وقرا العامة حمر بضم الميم والاعمش
باسكانها ، وقرا نافع وابن عامر مستنفرة بفتح الفا على انه اسم مفعول اي نفرها
الصياد ، والباقون بالكسر بمعنى نافرة يقال استنفر ونفر بمعنى مثل عجب واستعجب
وسخر واستسخر ، قال الشاعر
امسك حمارك انه مستنفر ، في اثر احمرة عمدن لغرب
وقال الزمخشري وكانها تطلب النفار في نفوسها في جمعها له وحملها عليه فاعطى السين معنى
بابها من الطلب وهو معنى حسن ، قال ابو علي الفارسي الكسر في مستنفرة اولى لقوله فرت

للتناسب لانه يدل على انها استنفرت ويدل على صحة ذلك ما روى محمد بن سلام قال سالت
ابا سوار الغنوي وكان عربيا فصيحا فقلت كانهم حمر ماذا فقال مستنفرة طردها
قسورة فقلت انما هو فرت من قسورة رجع الى الكسر للتناسب الا ان مثل هذه الحكاية
لا ترد القراءة المتواترة ﴿ والقسورة الصائد اى نفرت من قسورة اى من الصائد
وقيل الرماة اى رماة يرمونها قيل هو اسم جمع لا واحد له قال بعض اهل اللغة ان ان
القسورة الرامي وجمعه القسورة وكذا قال سعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد وقتادة
والضحاك وابن كيسان القسورة هم الرماة والصيادون ورواه عطا عن ابن عباس
وابن وهبان عن ابي موسى الاشعري ﴿ وانشد والبيد بن ربيعة م
﴿ اذا ما هتفنا هتفة في ندينا ﴿﴿ اتانا الرجال العايدون القساوره
وقيل القسورة الاسد قاله ابو هريرة وابن عباس رضي الله عنهما ﴿ قال ابن عرفة
من القسر بمعنى القهر اى انه يقهر السباع والحمر الوحشية تهرب من السباع ﴿ ومنه
قول الشاعر م ﴿
﴿ مضر تحذره الابطال ﴿﴿ كانه القسورة الرهال ﴿
اى الاسد الا ان ابن عباس انكره وقال لا اعرف القسورة الاسد في لغة احد من العرب
وانما القسورة عصب الرجال م وانشد ﴿﴿
﴿ يا بنت كوني خيرة لخيره ﴿﴿ اخوالها الجن واهل القسوره
وقيل القسورة ظلمة الليل ﴿ قال ابن الاعرابي وهو قول عكرمة ﴿ وعن ابن عباس
ركز الناس اى حسهم واصواتهم ﴿ وعنه ايضا فرت من قسورة اى من حبال الصيادين
وعنه ايضا القسورة بلسان الحبشة الاسد وخالفه عكرمة فقال الاسد بلسان ﴿
بلسان الحبشة عنبسة وبلسان الرماة ﴿ وبلسان فارس شير ﴿ وبلسان النبط
اريا ﴿ وقيل هو اول سواد الليل ولا يقال لاخر سواد الليل قسورة **فصل**
قال ابن عباس كان هؤلاء الكفار في فرارهم من محمد صلى الله عليه وسلم حمر مستنفرة
قال ابن عباس اراد الحمر الوحشية ﴿ قال الزمخشري وفي تشبيههم بالحمر شهادة
عليهم بالبله ولا ترى مثل نفار حمر الوحش واطرادها في العدو اذا خافت من شيء
قوله تعالى بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة ﴿ اى يعطى كتبا
مفتوحة وذلك ان ابا جهل وجماعة من قريش قالوا يا محمد لا نؤمن بك حتى ياتي
كل واحد منا بكتاب من السماء عنوانه من رب العالمين الى فلان بن فلان ونؤمر
فيه باتباعك ﴿ ونظيره لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ﴿ وقال
ابن عباس كانوا يقولون ان كان محمد صادقا فليصبح عند راس كل واحد منا صحيفة
فيها براءة من النار ﴿ وقال مطر الوراق ارادوا ان يعطوا بغير عمل ﴿ وقال الكلبي
قال المشركون بلغنا ان الرجل من بني اسرائيل كان يصبح عند راسه مكتوبا ذنبه وكفارته
فاتنا بمثل ذلك ﴿ قال ابن الخطيب من الصحف المنشرة بمعزل ﴿ وقيل المعنى ان يذكر
بخير فجعلت الصحف موضع الذكر مجازا وقالوا اذا كانت ذنوب الانسان تكتب عليه
فما بالنا لا نرى ذلك **قوله** منشرة ﴿ العامة على التشديد من نشره بالتشديد
وابن جبير منشرة بالتخفيف ونشر وانشر مثل نزل وانزل ﴿ والعامة ايضا
على ضم الحاء من صحف وابن جبير على تسكينها ﴿ قال ابو حيان والمحفوظ في الصحيفة والثوب
نشر مخففا ثلاثيا وهذا امر دود بالقراان المتواتر ﴿ وقال ابو البقا في قراءة ابن جبير

من انشرت اما بمعنى امر بنشرها مثل الحمل عرض فلان او بمعنى منشورة مثل احمدت
الرجل وبمعنى انشر الله الميت اى احياه فكانه احيا ما فيها بذكره **قوله** كلا
اى ليس يكون ذلك ﴿ وقيل حقا والاول اجود لانه رد لقولهم ثم قال بل لا يخافون
الاخرة اى لا اعطيهم ما يتمنونه لانهم لا يخافون الاخرة فلذلك اعرضوا عن التامل
اغترارا بالدنيا فانه لما حصلت المعجزات الكثيرة كفت في الدلالة على صحة النبوة
فطلب الزيادة يكون عبثا **قوله تعالى** كلا انه تذكرة ﴿ اى حقا ان القران
عظة ﴿ وقيل هذا ردع لهم عن اعراضهم عن التذكرة انه تذكرة بليغة ﴿ فمن
شاء ذكره ﴿ اى اتعظ به وجعله نصب عينيه ﴿ والضمير في انه وذكره للتذكرة
في قوله تعالى فما لهم عن التذكرة معرضين وانما ذكر لانها في معنى الذكر والقران
وقيل الضمير في انه للقران او الوعيد **قوله تعالى** وما يذكرون ﴿ قرا
نافع بالخطاب وهو التفات من الغيبة الى الخطاب ﴿ والباقون بالغيبة حملا على ما
تقدم من قوله كل امرئ ولم يؤثروا الالتفات وقراءة الخطاب هي اختيار ابي حاتم
لانه اعم ﴿ واما قراءة الغيبة فهي اختيار ابي عبيد لقوله تعالى كلا بل لا يخافون
الاخرة وانفقوا على تخفيفها **قوله** الا ان يشاء الله بمعنى الا وقت مشيئته
اذ ان تنوب عن الزمان بل على حذف مضاف ﴿ قالت المعتزلة معناه الا ان يقدرهم
الله على الذكر ويلجئهم اليه واجيبوا بانه تعالى نفى الذكر مطلقا واستثنى عنه حالة
المشيئة المطلقة فيلزم انه متى حصلت المشيئة ان يحصل الذكر مطلقا فحيث لم يحصل الذكر
علمنا انه لم تحصل المشيئة ﴿ وتخصيص المشيئة بالمشيئة القهرية ترك للظاهر **قوله تعالى**
هو اهل التقوى واهل المغفرة ﴿ اى حقيق بان يتقيه عباده ويخافوا عقابه فيؤمنوا
ويطيعوا وحقيق بان يغفر لهم ما سلف من كفرهم اذا امنوا واطاعوا ﴿ روى الترمذي
وابن ماجه عن انس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في
قوله تعالى هو اهل التقوى واهل المغفرة قال قال الله تعالى انا اهل ان اتقى فمن اتقى
فلم يجعل معي الها فانا اهل ان اغفر له ﴿ وقال بعض المفسرين اهل المغفرة لمن تاب
اليه من الذنوب الكبار واهل المغفرة ايضا للذنوب الصغار ﴿ روى الثعلبي عن ابي
ابن كعب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا يا ايها المدثر
اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق محمدا صلى الله عليه وسلم وكذب به بمكة

﴿﴿ سورة القيامة مكية ﴿﴿

وهي تسع وثلاثون اية ومائة وسبع وتسعون كلمة وستمائة واثنان وخمسون حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** لا اقسم بيوم القيامة ﴿ العامة على لا
النافية ﴿ واختلفوا حينئذ فيها على اوجه ﴿ احدها انها نافية لكلام تقدم كان الكفار
ذكروا اشياء فقيل لهم لا ابتدا الله قسما قال القرطبي ان القران جا بالرد على الذين
انكروا البعث والجنة والنار فجا الاقسام بالرد عليهم لقوله لا والله لا افعل فلا
رد لكلام قد مضى كقولك لا والله ان القيامة لحق كانك اكذبت قوما انكروه الثاني
انها مزيدة قال الزمخشري وقالوا انها مزيدة مثلها في لئلا يعلم اهل الكتاب
وفي قوله تعالى ما منعك ان لا تسجد ﴿ وقوله ﴿ في بئر لا حور سرى ولا شعر
قال ابن الخطيب وهذا القول عندي ضعيف من وجوه ﴿ احدها ان تجويز هذا

بفضي الى الطعن في القران لانه على هذا التقدير يجوز جعل النفي اثباتا والاثبات نفيا
وذلك ينفي الاعتماد على الكلام نفيا واثباتا ، وثانيها ان الحرف انما يزاد في وسط الكلام
قال امرؤ القيس زادها في مستهل قصيدته وهي قوله لا وابيك ابنة العامري
لا يدعي القوم اني افر ، وايضا هب ان هذا الحرف لا يزاد في اول الكلام الا ان القران
كله كالسورة الواحدة لاتصال بعضه ببعض بدليل انه قد يذكر الشيء في سورة ثم
يجيء جوابه في سورة اخرى كقوله تعالى يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون ثم جاء
جوابه في سورة اخرى وهو قوله تعالى ما انت بنعمة ربك بمجنون وان كان كذلك
كان اول هذه السورة جاريا مجرى وسط الكلام ، والجواب عن الاول ان قوله
لا وابيك قسم على النفي وقوله لا اقسم نفي للقسم لانه على وزان قولنا لا اقبل لا اضرب
لا ابصر وذلك يفيد النفي بدليل انه لو حلف لا يقسم كان البر بترك القسم والحنث
بفعل القسم فظهر ان البيت المذكور ليس من هذا الباب وعن الثاني ان القران الكريم
كالسورة الواحدة في عدم التناقض فاما ان يقترن بكل اية ما قرن بالاخرى
فذلك غير جائز لانه يلزم جواز ان يقترن بكل اثبات حرف النفي الوارد في سائر
الايات وذلك يقتضي انقلاب كل اثبات نفيا وانقلاب كل نفي اثباتا وانه لا يجوز
وثالثها ان المراد بقولنا لا صلة انه لغو باطل يجب طرحه واسقاطه حتى ينتظم الكلام
ووصف كلام الباري تعالى بذلك لا يجوز ، الوجه الثالث قال الزمخشري
ادخال لا النافية على فعل القسم مستفيض في كلامهم واشعارهم ، قال امرؤ القيس
لا وابيك ابنة العامري البيت المتقدم ، وقال غوير بن سلمى ، الا نادت
امامة باحتمال ، ليحزنني فلا يك ما ابالي ، وفايدتها توكيد القسم في الرد ثم
قال بعد ان حكى وجه الزيادة والاعتراض والجواب كما تقدم ، والوجه
ان يقال هي للنفي والمعنى في ذلك انه لا يقسم بالشيء الا اعظاما له يدلك عليه
قوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم فكانه بادخال
حرف النفي يقول ان اعظامي له باقسامي به كلا اعظام يعني انه يستاهل فوق ذلك
وقيل ان لا نفي لكلام ورد قبل ذلك انتهى ، وقال ابن الخطيب كانهم انكروا
البعث فقيل لا ليس الامر على ما ذكرتم ثم قيل اقسم بيوم القيمة قال وهذا
فيه اشكال لان اعادة حرف النفي اخرى في قوله ولا اقسم بالنفس اللوامة مع ان
المراد ما ذكر يقدح في فصاحة الكلام ، قال شهاب الدين فقول الزمخشري
والوجه ان يقال الى قوله يعني انه يستاهل فوق ذلك تقرير لقوله ادخال
لا النافية على فعل القسم مستفيض الى اخره ، وحاصل كلامه يرجع الى انها نافية
وان النفي متسلط على فعل القسم بالمعنى الذي شرحه وليس فيه منع لفظا ولا معنى
ثم قال فان قلت قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون والابيات التي انشدتها
المقسم عليه فيها منفي فهلا زعمت ان لا التي قبل القسم زيدت موطية للنفي بعده
ومؤكدة له وقدرت المقسم عليه المحذوف ههنا منفيا كقولك لا اقسم بيوم القيمة
لا تتركون ، قلت لو قصروا الامر على النفي دون الاثبات لكان لهذا القول
مساغ ولكنه لم يقتصر ، الا ترى كيف نفى لا اقسم بهذا البلد بقوله لقد خلقنا
الانسان ، وكذلك قوله فلا اقسم بمواقع النجوم بقوله انه لقران كريم وهذا
من محاسن كلامه تعالى ، وقرا قنبل والبزي بخلاف عنه لاقسم بلام بعدها

همزة

همزة دون الف وفيها اوجه احدها انها جواب لقسم مقدر تقديره والله لاقسم والفعل
للحال فلذلك لم تات نون التوكيد وهذا مذهب الكوفيين ، واما البصريون فلا
يجيزون ان يقع فعل الحال جوابا للقسم فان ورد ما ظاهره ذلك جعل الفعل خبر المبتدا
مضمر فيعود الجواب جملة اسمية قدر احد جزيها ، وهذا عند بعضهم من ذلك التقدير
والله لانا اقسم ، الثاني انه فعل مستقبل وانما لم يات بنون التوكيد لان افعال
الله تعالى حق وصدق فهي غنية عن التاكيد بخلاف افعال غيره على ان سيبويه حكى
حذف النون الا انه قليل ، والكوفيون يجيزون ذلك من غير قلة اذ من مذهبهم
جواز تعاقب اللام والنون نحو حذف اللام قوله ، وقتيل مرة اثارن فانه فرع
وان اخاكم لم يثار ، اي لاثارن ، ومن حذف النون وهو نظير الاية الكريمة
قول الاخر

لئن تك قد ضاقت عليكم بيوتكم ، ليعلم ربي ان بيتي واسع

الثالث انها لام الابتدا وليست بلام القسم ، قال ابو البقا كقوله وان ربك ليحكم
والمعروف ان لام الابتدا لا تدخل على المضارع الا في خبر ان نحو وان ربك ليحكم وهذه
الاية نظير الاية التي في سورة يونس ولا ادراكم به قراها بعضهم بلا الف والكلام فيها
قد تقدم ولم يختلف في قوله ولا اقسم انه بالف بعد لا لانه لم يرسم الا كذا بخلاف
الاول فانه رسم بدون الف بعد لا وكذا في قوله تعالى لا اقسم بهذا البلد لم
يختلف فيه انه بالف بعد لا وجواب القسم محذوف تقديره لتبعثن دل عليه قوله
ايحسب الانسان ، وقيل الجواب ايحسب ، وقيل هو بلى قادرين ، ويروى عن
الحسن البصري ، وقيل المعنى على نفي القسم والمعنى اني لا اقسم على شيء ولكن اسالك
ايحسب الانسان وهذه الاقوال شاذة منكرة لا يصح عن قايلها لخروجها عن لسان العرب
وانما ذكرناها للتنبيه على ضعفها ، **فصل** قال ابن عباس وابن جبير معنى الكلام
اقسم بيوم القيمة وهو قول ابي عبيدة ، ومثله قوله

تذكرت ليلى فاعترتني صبابة ، فكاد صميم القلب لا يتقطع

قوله بيوم القيمة ، اي بيوم يقوم الناس فيه لربهم ، ولله عز وجل ان يقسم بما
شا ، ولا اقسم بالنفس اللوامة لا خلاف في هذا بين القرا وانه سبحانه انما اقسم بيوم
القيمة تعظيما لشانه ، وعلى قراءة ابن كثير اقسم بالاولى ولم يقسم بالثانية ، وقيل
ولا اقسم بالنفس اللوامة رد اخر وابتدا اقسم بالنفس اللوامة ، قال الثعلبي والصحيح
انه اقسم بهما جميعا ، ومعنى بالنفس اللوامة اي نفس المؤمن الذي لا تراه يلوم الا نفسه
يقول ما اردت بكلامي ما اردت باكلي ما اردت بحديثي والفاجر لا يحاسب نفسه
وقال مجاهد هي التي تلوم على ما فات وتندم فتلوم نفسها على الشر لم فعلته وعلى الخير
لم لا تستكثر منه ، وقيل تلوم نفسها بما تلوم عليه غيرها ، وقيل المراد ادم عليه
السلام لم يزل لائما لنفسه على معصيته التي اخرج بها من الجنة ، وعن ابن عباس رضي
الله عنه انها الملومة فتكون صفة ذم وهو قول من نفى ان يكون قسما ، وعلى
الاول صفة مدح فيكون القسم بها سايغا ، وقال مقاتل نفس الكافر تلوم نفسها وتتحسر
في الاخرة على ما فرط في جنب الله تعالى **قوله تعالى** ايحسب الانسان
ان لن ، هذه ان المخففة وتقدم حكمها في المائدة وغيرها وان وما في حيزها في
موضع الجر والفاصل هنا حرف النفي وهي وما في حيزها سادة مسد مفعولي حسب

او مفعولا له على الخلاف، والعامة على نجمع بنون العظمة وعظامه نصب مفعولا به وقتادة
يُجمع بياء من فوق مضمومة على ما لم يسم فاعله عظامه رفع لقيامه مقام الفاعل **فصل**
قال الزجاج اقسم بيوم القيمة وبالنفس اللوامة ليجمعن العظام للبعث وهذا جواب
القسم محذوف اي ليبعثن، والمراد بالانسان الكافر المكذب بالبعث، قيل نزلت
في عدي بن ربيعة قال للنبي صلى الله عليه وسلم حدثني عن يوم القيمة متى يكون
وكيف امرها وحالها فاخبره النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال لو عاينت ذلك
اليوم لم اصدقك يا محمد ولم او من به او يجمع الله العظام، ولهذا كان النبي
صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اكفني جاري السوء عدي بن ربيعة والاخنس بن شريق
وقيل نزلت في عدو الله ابي جهل حين انكر البعث بعد الموت وذكر العظام والمراد
نفسه كلها لان العظام قالب الخلق، وقيل المراد بالانسان كل من انكر البعث
مطلقا **قوله** بلى ايجاب لما بعد النفي المنسحب عليه الاستفهام وهو وقف
حسن ثم يبتدي قادرين فقادرين حال من الفاعل المضمر في الفعل المحذوف
على ما ذكرنا من التقدير، وقيل المعنى بلى نجمعها نقدر قادرين، قال الفراء قادرين
نصب على الخروج من نجمع اي نقدر ونقوى قادرين على اكثر من ذلك، وقال
ايضا يصلح نصبه على التكرير اي بلى فليحسبنا قادرين، وقيل المضمر كنا اي كنا
قادرين في الابتدا وقد اعترف به المشركون، وقرا ابن ابي عبلة وابن السميفع
قادرون رفعا على خبر ابتدا مضمر اي بل نحن قادرون على ان نسوي بنانه والبنان
عند العرب الاصابع واحدها بنانة، قال عنترة،

وان الموت طوع يدي متى ما ،، وصلت بنانها بالهندوان،

فنبه بالبنان على بقية الاعضا، وايضا فانها اصغر العظام فخصها بالذكر لذلك قال
القتيبي والزجاج وزعموا ان الله تعالى لا يبعث الموتى ولا يقدر على جمع العظام
فقال الله تعالى بلى قادرين على ان نعيد السلاميات على صغرها ونؤلف بينها
حتى تستوي ومن قدر على هذا فهو على جمع الكبار اقدر، وقال ابن عباس وعامة
المفسرين على ان نسوي بنانه اي نجعل اصابع يديه ورجليه شيئا واحدا كخف البعير
او كحافر الحمار او كظلف الخنزير فلا يمكنه ان يعمل به شيئا ولكنا فرقنا اصابعه
حتى يفعل بها ما شا، وقيل نقدر ان نعيد الانسان في هيئة البهايم فكيف في
صورته التي كان عليها وهو كقوله سبحانه وما نحن بمسبوقين على ان نبدل امثالكم
وننشئكم فيما لا تعلمون والقول الاول اشبه بمساق الاية **فصل**
قال ابن الخطيب وفي الاية اشكالات، احدها ان المناسبة بين القيمة وبين
النفس اللوامة حتى جمع الله بينهما في القسم، وثانيها على وقوع القيمة، وثالثها
قال اقسم بيوم القيمة ولم يقل والقيامة كما قال في ساير السور والطور والذاريات
والضحى، والجواب عن الاول من وجوه، احدها ان احوال القيمة عجيبة جدا ثم
المقصود من اقامة القيمة اظهار احوال النفوس على ما قال صلى الله عليه وسلم من عرف
نفسه فقد عرف ربه ومن احوالها العجيبة قوله تعالى وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون وقوله تعالى انا عرضنا الامانة الى قوله وحملها الانسان وقيل
القسم وقع بالنفس اللوامة على معنى التعظيم من حيث انها ابدا تستحقر فعلها وجدها
واجتهادها في طاعة الله تعالى، وقيل انه تعالى اقسم بالقيمة ولم يقسم بالنفس

اللوامة

اللوامة تحقيرا لها لان النفس اللوامة اما ان تكون كافرة بالقيمة مع عظم امرها واما
ان تكون فاسقة مقصرة في العمل، وعلى التقديرين فانها مستحقرة، والجواب
عن الثاني ان المحققين قالوا القسم بهذه الاشيا قسم بربها وخالقها في الحقيقة فكانه
قيل اقسم برب القيمة على وقوع القيمة، والجواب عن الثالث انه حيث اقسم
قال جل ذكره والذاريات واما هنا فانه سبحانه نفى كونه مقسما بهذه الاشيا فزال
السؤال **قوله تعالى** بل يريد الانسان، فيه وجهان، احدهما ان تكون بل
لمجرد الاضراب والانتقال من غير عطف اضرب عن الكلام الاول واخذ في اخر
الثاني انها عاطفة قال الزمخشري بل يريد عطف على ايحسب فيجوز ان يكون مثله
استفهاما وان يكون ايجابا على ان يضرب عن مستفهم عنه الى اخر ويضرب عن مستفهم
عنه الى موجب، قال ابو حيان بعد ما حكى عن الزمخشري ما تقدم وهذه
التقادير الثلاثة متكلفة لا تظهر، **قال** شهاب الدين وليس هنا الا تقدير ان
ومفعول يريد محذوف يدل عليه التعليل في قوله تعالى ليفجر امامه والتقدير يريد
شهواته ومعاصيه ليمضي فيها ابدا دايما، وامامه منصوب على الظرف واصله مكان
فاستعير هنا للزمان والضمير في امامه الظاهر عوده على الانسان، وقال ابن عباس
يعود على يوم القيمة بمعنى انه يريد شهواته ليفجر في تكذيبه بالبعث بين يدي يوم القيمة
فصل قال مجاهد والحسن وعكرمة والسدي وسعيد بن جبير رضي الله عنهم
يقول سوف اتوب سوف اتوب حتى ياتيه الموت على اسوا احواله، وعن ابن عباس
بل يريد الانسان ليفجر امامه قال يعجل المعصية ويسوف بالتوبة، وجا في الحديث
قال يقول سوف اتوب ولا يتوب وهو قد اخلف فكذب، وقال عبد الرحمن بن زيد
بل يريد الانسان ليفجر امامه من البعث والحساب، ودليله يسال ايان يوم القيمة
اي يسال متى يكون على وجه الانكار والتكذيب، وقال الضحاك هو الامل يقول سوف
اعيش واصيب من الدنيا ولا يذكر الموت، وقيل يعزم على المعصية ابدا وان كان
لا يعيش الا مدة قليلة فالها على هذه الاقوال للانسان واذا قلنا بانها ليوم
القيمة فالمعنى بل يريد الانسان ليكفر بالحق بين يدي القيمة والفجور اصله الميل عن الحق
قوله يسال ايان، هذه جملة مستانفة وقال ابو البقا تفسير ليفجر فيحتمل ان يكون
مستانفا مفسرا وان يكون بدلا من الجملة قبلها لان التفسير يكون بالاستيناف
وبالبدل الا ان الثاني منع منه رفع الفعل ولو كان بدلا لنصب وقد نقل انه ابدل
الجملة من الجملة لا خصوصية الفعل من الفعل وحده وفيه بحث وتقدم نظيرها في
الذاريات وغيرها والمعنى يسال متى يوم القيمة **فصل** قال ابن الخطيب
اعلم ان انكار البعث يتولد تارة من الشبهة واخرى من الشهوة فاما تولده من
الشبهة فهو ما حكاه الله تعالى بقوله ايحسب الانسان الن نجمع عظامه وتقريره
ان الانسان هو هذا البدن فاذا مات وتفرقت اجزاوه واختلطت باجزا التراب
وتفرقت بالرياح في مشارق الارض ومغاربها فيكون تمييزها بعد ذلك محالا
وهذه الشبهة ساقطة من وجهين، الاول لا نسلم ان الانسان هو هذا البدن
بل هو شي مدبر لهذا البدن فلو افسد هذا البدن بقي هو حيا كما كان، وحينئذ
يعيده الله تعالى اي بدن اراد فسقط السؤال، وفي الاية اشارة الى هذا لانه
سبحانه اقسم بالنفس اللوامة ثم قال تعالى ايحسب الانسان الن نجمع عظامه

وهو تصريح بالفرق بين النفس والبدن، الثاني سلمنا أن الإنسان هو هذا البدن لكنه
سبحانه عالم بالجزئيات فيكون عالماً بالجزء الذي هو بدن زيد وبالجزء الذي هو بدن عمرو
وهو تعالى قادر على كل الممكنات فيلزم أن يكون قادراً على تركيبها ثانياً فزال الإشكال
وأما إنكار البعث بناء على الشهوة فهو قوله تعالى بل يريد الإنسان ليفجر أمامه ومعناه
أن الإنسان الذي يميل طبعه للشهوات واللذات فالفكرة في البعث ينغصها عليه فلا جرم
ينكره. قوله تعالى فإذا برق البصر، قرأ نافع وأبان عن عاصم برق بفتح
الراء، والباقون بالكسر فقيل لغتان في التحير والدهشة ومعناه لمع بصره من
شدة شخوصه فتراه لا يطرف، وقيل برق بالكسر تحير فزعاً قال الزمخشري
وأصله من برق الرجل إذا نظر إلى البرق فدهش بصره قال غيره كما تقول أسد وبقر
إذا رأى أسداً أو بقراً كثيرة فتحير من ذلك، قال ذو الرمة

وكنت أرى في وجه مية لمحة ** فأبرق مغشياً علي مكانيا

وأنشد الفراء: فنفسك فانع ولا تنعني ** وداو الكلوم ولا تبرق

أي لا تفزع من كثرة الكلوم التي بك، وبرق بالفتح من البريق أي لمع من شدة
شخوصه، وقال مجاهد وغيره وهذا عند الموت، وقال الحسن يوم القيامة
قال وفيه معنى الجواب عما سأل عنه الإنسان كأنه قال يوم القيامة إذا برق البصر
وخسف القمر، وقيل عند رؤية جهنم، قال الفراء والخليل بالكسر فزع وبهت
وتحير، والعرب تقول للإنسان المتحير المبهوت قد برق فهو برق، وقيل برق
يبرق بالفتح شق عينيه وفتحهما قاله أبو عبيدة وأنشد قول الكلابي

لما أتاني ابن عمير راغباً ** أعطيته عيساء منها فبرق

أي فتح عينيه، وقرأ أبو السمال بلق باللام، قال أهل اللغة إلا الفراء معناه
فتح يقال بلقت الباب وأبلقته فتحته وفرجته، وقال الفراء هو بمعنى أغلقته قال
ثعلب أخطأ الفراء في ذلك، ثم يجوز أن يكون بلق غير مادة برق ويجوز أن يكون
مادة واحدة بدل فيها حرف من آخر، وقد جاء إبدال اللام من الراء في أحرف
قالوا نثر كنانته ونثلها وقال وجل ووجر فيمكن أن يكون هذا منه، ويؤيد
أن برق قد أتى بمعنى شق عينيه وفتحها، قال أبو عبيدة وأنشد لما أتاني
ابن عمير البيت المتقدم أي فتح عينيه وهذا مناسب لبلق. قوله وخسف القمر
العامة على بنائه للفاعل، وأبو حيوة وابن أبي عبلة ويزيد بن قطيب قال
القرطبي وابن أبي إسحاق وعيسى والأعرج خسف مبنياً للمفعول وهذا لأن خسف
يستعمل لازماً ومتعدياً يقال خسف القمر وخسفه الله، وقد اشتهر أن الخسوف
للقمر والكسوف للشمس، وقال بعضهم يكونان فيهما يقال خسفت الشمس وكسفت
وخسف القمر وكسف، وتأيد بعضهم بقوله صلى الله عليه وسلم إن الشمس والقمر
آيتان من آيات الله تعالى لا يخسفان لموت أحد فاستعمل الخسوف فيهما، وفي
هذا نظر لاحتمال التغليب، وهل هما بمعنى واحد أم لا فقال أبو عبيد وجماعة هما بمعنى
واحد، وقال ابن أبي أويس الخسوف ذهاب كل ضوئهما والكسوف
قال القرطبي الخسوف في الدنيا إلى انجلاء بخلاف الآخرة لا يعود ضوؤه ويحتمل
أن يكون بمعنى غاب، ومنه قوله تعالى فخسفنا به وبداره الأرض. قوله
تعالى وجمع الشمس والقمر، لم يلحق علامة تأنيث لأن التأنيث مجازي وقيل لتغليب

التذكير

التذكير وفيه نظر لو قلت قام هند وزيد لم يجز عند الجمهور من العرب، وقال الكسائي
حمل على معنى جمع النيران، وقال الفراء لم يقل جمعت لأن المعنى جمع بينهما، قال الفراء
والزجاج جمع بينهما في ذهاب ضوئهما فلا ضوء للشمس كما لا ضوء للقمر بعد خسوفه، وقال
ابن عباس وابن مسعود جمع بينهما أي قرن بينهما في طلوعهما من المغرب أسودين مكورين
مظلمين مقرنين كأنهما ثوران عقيران، وقال عطاء بن يسار يجمع بينهما يوم القيامة ثم
يقذفان في البحر فيكونان نار الله الكبرى، وقال علي وابن عباس رضي الله عنهما يجعلان
في الحجب وقد يجمعان في نار جهنم لأنهما قد عبدا من دون الله ولا تكون النار عذاباً
لهما لأنهما جماد وإنما يفعل ذلك بهما زيادة في تبكيت الكفار وحسرتهم، وقيل هذا
الجمع أنهما يجتمعان ويقربان من الناس فيلحقهم العرق لشدة الحر فيكون المعنى يجمع حرهما
عليهم، وقيل يجمع الشمس والقمر فلا يكون ثم تعاقب ليل ولا نهار، قال ابن الخطيب وقيل
جمع بينهما في حكم ذهاب الضوء كما يقال يجمع بين كذا وكذا في حكم كذا أي كل منهما يذهب
ضوؤه.

فصل

قال ابن الخطيب طعنت الملحدة في الآية فقالوا خسوف القمر
لا يحصل حال اجتماع الشمس والقمر، والجواب أن الله تعالى قادر على أن يخسف القمر
سواء كانت الأرض متوسطة بينه وبين الشمس أو لم تكن لأن الله تعالى قادر على كل الممكنات
فيقدر على إزالة الضوء عن القمر في جميع الأحوال. قوله يقول الإنسان، جواب
إذا من قوله فإذا برق، وأين المفر منصوب المحل بالقول، والمفر مصدر بمعنى الفرار
وهذه هي القراءة المشهورة، وقرأ الحسنان ابنا علي وابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة
بفتح الميم وكسر الفاء وهو اسم مكان الفرار أي أين مكان الفرار، وجوز الزمخشري
أن يكون مصدراً قال كالمرجع، وقرأ الحسن عكس هذا أي بكسر الميم وفتح الفاء وهو الرجل
الكثير الفرار كقول امرئ القيس يصف جواده

مكر مفر مقبل مدبر معاً ** كجلمود صخر حطه السيل من عل

والأكثر استعمال هذا الوزن في الآلات. قوله يقول الإنسان يومئذ أين المفر، أي
يقول ابن آدم، وقيل أبو جهل أين المفر أي المهرب، قال الماوردي ويحتمل وجهين
أحدهما أين المفر من الله استحياء منه، والثاني أين المفر من جهنم حذراً منها، ويحتمل
هذا القول من الإنسان وجهين، أحدهما أن يكون من الكافر خاصة في عرصة القيامة
دون المؤمن لثقة المؤمن ببشرى ربه، والثاني أن يكون من قول المؤمن والكافر
عند قيام الساعة لهول ما شاهد، ومنها قوله تعالى كلا لا وزر، تقدم الكلام
في كلا، وخبر لا محذوف أي لا وزر له أي لا ملجأ من النار، وقال ابن مسعود رضي الله
عنه لا حصن، وقال ابن عباس لا منجا، وقال الحسن لا جبل، وقال ابن جبير لا محيص
وهل هذه الجملة محكية بقول الإنسان فتكون منصوبة المحل أو هي مستأنفة من الله
تعالى بذلك، والوزر الملجأ من حصن أو جبل أو سلاح، قال الشاعر

لعمرك ما للفتى من وزر ** من الموت يدركه والكبر

قال السدي كانوا في الدنيا إذا فزعوا تحصنوا في الجبال فقال الله لهم لا وزر يعصمكم
يومئذ مني. قوله تعالى إلى ربك يومئذ المستقر، أي المنتهى قاله قتادة
نظيره وأن إلى ربك المنتهى، وقال ابن مسعود إلى ربك المصير والمرجع أي المستقر
في الآخرة حيث يقدره الله، والمستقر مبتدأ خبره الجار قبله، ويجوز أن يكون
مصدراً بمعنى الاستقرار، وأن يكون مكان الاستقرار في الآخرة، ويومئذ منصوب

بفعل معذر ولا نصب بمستقر لانه ان كان جبينئذ مصدرا فلتقدمه عليه وان كان مكانا فلا عمل له البتة **قوله تعالى** ينبأ الانسان اى يخبر ابن ادم برا كان او فاجرا يوم القيمة بما قدم اى بما اسلف من عمل خير او شر او اخر من سنة سيئة او صالحة يعمل بها بعده قاله ابن عباس وابن مسعود ، وقال ابن عباس ايضا بما قدم من المعصية واخر من الطاعة وهو قول قتادة ، وقال ابن زيد بما قدم من امواله لنفسه وما اخر خلف للورثة ، وقال الضحاك بما قدم من فرض واخر من فرض ، وقال مجاهد والنخعي ينبا باول عمل واخره ، قال القشيري وهذا الانبا يكون في القيمة عند وزن الاعمال ، ويجوز ان يكون عند الموت **قوله تعالى** بل الانسان على نفسه بصيرة ، يجوز في بصيرة اوجه ، احدها انها خبر عن الانسان ، وعلى نفسه متعلق ببصيرة ، والمعنى بل الانسان بصيرة على نفسه وعلى هذا فلاى شي انث الخبر وقد اختلف النحويون في ذلك فقال بعضهم الها فيه للمبالغة ، وقال الاخفش هو كقولك فلان عبرة وحجة ، وقيل المراد بالانسان الجوارح فكانه قال بل جوارحه بصيرة اى شاهدة ، والثاني انها مبتدا وعلى نفسه خبرها والجملة خبر عن الانسان ، وعلى هذا فيها تاويلات ، احدها ان تكون بصيرة صفة لمحذوف اى عين بصيرة قاله الفرا ، وانشد

كان على ذي العقل عينا بصيرة ٭ بمقعده او منظر هو ناظره

يحاذر حتى يحسب الناس كلهم ٭ من الخوف لا يخفى عليه سرائره

الثاني ان المعنى جوارح بصيرة ، الثالث ان المعنى ملئكة بصيرة وهم الكاتبون والتا على هذا للتانيث ، وقال الزمخشري بصيرة حجة بينة وصفت بالبصارة على المجاز كما وصفت الايات بالابصار في قوله تعالى فلما جاءتهم اياتنا مبصرة قال شهاب الدين هذا اذا لم يجعل الحجة عبارة عن الانسان او يجعل دخول التا للمبالغة اما اذا كانت للمبالغة فنسبة الابصار اليها حقيقة ، الوجه الثالث ان يكون الخبر الجار والمجرور وبصيرة فاعل به وهو ارجح مما قبله لان الاصل في الاخبار الافراد

فصل قال ابن عباس رضي الله عنه بصيرة اى شاهد وهو شهود جوارحه عليه يداه بما بطش بهما ورجلاه بما مشى عليها وعيناه بما ابصر بهما ، والبصيرة الشاهد كما انشد الفرا ، ويدل عليه قوله تعالى يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون ، قال الواحدي هذا يكون من صفات الكفار فانهم ينكرون ما عملوا فيختم على افواههم وتنطق جوارحهم **قوله** ولو القى معاذيره وهذه الجملة حالية وقد تقدم نظيرها مرارا ، والمعاذير جمع معذرة على غير قياس كملاقيح ومذاكير جمع لقحة وذكر ، وللنحويين في مثل هذا قولان احدهما انه جمع لملفوظ به وهو لقحة وذكر ، والثاني انه جمع لغير ملفوظ به بل لمقدر اى ملقحة ومذكار ، وقال الزمخشري فان قلت اليس قياس المعذرة ان يجمع على معاذر لا معاذير قلت المعاذير ليس بجمع معذرة بل اسم جمع لها ، ونحوه المناكير في المنكر ، قال ابو حيان وليس هذا البنا من ابنية اسما الجموع وانما هو من ابنية جموع التكسير انتهى ، وقيل معاذير جمع معذار وهو الستر ، والمعنى ولو ارخى ستوره ، والمعاذير الستور بلغة اليمن قاله الضحاك والسدي ، وانشد

ولكنها ضنت بمنزل ساعة ٭ علينا واطت يومها بالمعاذر

قال الزجاج المعاذير الستور والواحد معذار اى وان ارخى ستره يريد ان يخفي عمله فنفسه شاهدة عليه ، وقد حذف اليا من المعاذير ضرورة ، وقال الزمخشري فان صح يعني ان المعاذير الستور فلانه يمنع رؤية المحتجب كما تمنع المعذرة عقوبة المذنب وهذا القول منه يحتمل ان يكون بيانا للمعنى الجامع بين كون المعاذير الستور او الاعتذارات وان يكون بيانا للعلاقة المسوغة في التجوز

فصل قال مجاهد وقتادة وسعيد بن جبير وعبد الرحمن بن زيد وابو العالية وعطاء والفرا والسدي المعنى ولو اعتذر وقال لم افعل شيا لكان عليه من نفسه من يشهد عليه من جوارحه فهو وان اعتذر وجادل عن نفسه فعليه شاهد يكذب عذره ، وقال مقاتل ولو ادلى بعذر وحجة لم ينفعه ذلك نظيره قوله تعالى ولا يؤذن لهم فيعتذرون فالمعاذير على هذا ماخوذ من العذر ، وحكى الماوردي عن ابن عباس ولو القى معاذيره اى ولو تجرد من ثيابه **قوله تعالى** لا تحرك به لسانك لتعجل به ، قال بعض الرافضة عدم مناسبتها لما قبلها يدل على تغيير القران قال ابن الخطيب وفي المناسبة وجوه ، الاول لعل استعجال الرسول انما كان عند نزول هذه الايات ، الثاني انه تقدم ان الانسان يستعجل بقوله ليفجر امامه ثم بين ان العجلة مذمومة في امر الدين فقال تعالى لا تحرك به لسانك ، وقال تعالى بعدها بل تحبون العاجلة ، الثالث انه قدم بل الانسان على نفسه بصيرة وكان صلى الله عليه وسلم انما يستعجل خشية النسيان فقيل له صلى الله عليه وسلم ان الامور لا تحصل الا بتوفيق الله تعالى واعانته فاعتمد على الله تعالى واترك التعجيل ، الرابع كانه قيل غرضك من هذا التعجيل ان تحفظه وتبلغه اليهم ليظهر صدقك وقبح عنادهم لكنهم يعلمون بقلوبهم ذلك فلا فايدة في هذا التعجيل ، الخامس ان الكافر لما قال اين المفر كانه يطلب الفرار من الله تعالى فكن انت يا محمد على مضادة الكافر وفر من غير الله الى الله ، السادس قال القفال الخطاب مع الانسان المذكور في قوله ينبأ الانسان فاذا قيل له اقرا كتابك تلجلج لسانه فيقال له لا تعجل فانه يجب علينا بحكم الوعد او بحكم الحكمة ان نجمع اعمالك ونقراها عليك فاذا قراناه فاتبع قرانه بالاقرار ثم ان علينا بيانه بالجزا ، وهذا فيه وعيد شديد بدونه ويل روى الترمذي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه القران يحرك لسانه يعجل به يريد ان يحفظه فانزل الله تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به قال وكان يحرك شفتيه فانزل الله تبارك وتعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرانه قال جمعه في صدرك ثم تقراه فاذا قراناه فاتبع قرانه فاستمع وانصت ثم ان علينا ان نقراه قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتاه جبريل عليه السلام استمع واذا انطلق جبريل عليه السلام قراه النبي صلى الله عليه وسلم كما اقراه خرجه البخاري ايضا ، ونظير هذه الاية ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه وقد تقدم ، وقال عامر الشعبي انما كان يعجل بذكره صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه من حبه له وحلاوته في لسانه مع الوحي مخافة ان ينساه صلى الله عليه وسلم فنزلت ولا تعجل بالقران الاية ونزل سنقرئك فلا تنسى ونزل ولا تحرك به لسانك قاله ابن عباس قوله وقرانه اى وقراءته عليك ، والقراءة والقران في قول الفرا مصدران ، وقال قتادة فاتبع

فقال ابن عباس ان اذا اوحي الله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحركهما خشية ... صح

شرايعه واحكامه **قوله** وقرانه اى قراءته وهو مصدر مضاف للمفعول واما الفاعل
فمحذوف والاصل وقراءتك اياه والقران مصدر بمعنى القراءة قال حسان رضى الله
عنه م ضحوا باشمط عنوان السجود به يقطع الليل تسبيحا وقرانا
وقال ابن عطية قرا ابو العالية ان علينا جمعه وقرته فاذا قرته فاتبع قرته بفتح القاف
والراو والتا من غير همز ولا الف ولم يذكر توجيهها فاما توجيه قوله جمعه وقرانه
وقوله فاتبع قرانه فواضح مما تقدم فى قراءة ابن كثير فى البقرة وانه هل هو نقل
او من مادة قرن وتحقيق القولين مذكور ثمة فليلتفت اليه واما قوله بفتح
القاف والراو والتا فيعنى فى قوله فاذا قرته فيشير الى انه قرى شاذا هكذا
وتوجيهها ان الاصل قراته فعلا ماضيا مسندا لضمير المخاطب اى فاذا اردت
قراءته ثم ابدل الهمزة الفا لسكونها بعد فتحة ثم حذف الالف تخفيفا كقولهم ولو ترما
الصبيان وما مزيدة فصار اللفظ قرته **فصل** قوله ان علينا جمعه
اى بمقتضى الوعد عند اهل السنة وبمقتضى الحكمة عند المعتزلة جمعه فى صدرك
وقرانه اى قراءته اى تعيده جبريل عليك حتى تحفظه او نقراه بحيث لا تنساه
فعلى الاول القارى جبريل عليه السلام وعلى الثانى محمد صلى الله عليه وسلم اذ المراد
بقرانه جمعه كقوله لم يقترحسا فيحمل الجمع على جمعه فى الخارج والقران على جمعه فى ذهنه
وحفظه لئلا يلزم التكرار واسند القراءة لله لانها بامره وقوله فاتبع قرانه
قيل حلاله وحرامه او لا تقارنه بل اسكت حتى يسكت جبريل فاذا فرغ فاقرا انت وهو اظهر
لان الاية تدل على انه صلى الله عليه وسلم كان يقرا مع جبريل وكان يساله فى اثناء قراءته
عن المشكلات فنهى عن الاول بقوله فاتبع وعن الثانى بقوله ثم ان علينا بيانه
قوله تعالى ثم ان علينا بيانه اى تفسير ما فيه من الحدود والحلال والحرام
قاله قتادة وقيل ثم ان علينا بيان ما فيه من الوعد والوعيد وقيل ان
علينا ان نبينه بلسانك والضماير تعود على القران وان لم يجر له ذكر وقوله
ثم ان علينا بيانه يدل على ان بيان المجمل واجب على الله تعالى اما عند اهل السنة
فبالوعد والتفضل واما عند المعتزلة فبالحكمة والله اعلم **فصل**
احتج من جوز تاخير البيان عن وقت الخطاب بهذه الاية واجاب ابو الحسين
فيه بوجهين الاول ان ظاهر الاية يقتضى وجوب تاخير البيان عن وقت
الخطاب وانتم لا تقولون الثانى ان عندنا الواجب ان يقرن باللفظ اشعارا
بانه ليس المراد من اللفظ ما يقتضيه ظاهره فاما البيان التفصيلى فيجوز تاخيره
فتحمل الاية على تاخير البيان التفصيلى وذكر القفال وجها اخر وهو قوله تعالى
ثم ان علينا بيانه اى ثم انا نخبرك بان علينا بيانه فيحمل على الترتيب ونظيره
قوله تعالى فك رقبة الى قوله ثم كان من الذين امنوا قال ابن الخطيب
والجواب عن الاول ان اللفظ لا يقتضى وجوب تاخير البيان بل يقتضى تاخير
وجوب البيان فيكون الجواب بالمنع لان وجوب البيان لا يتحقق الا عند الحاجة
وعن الثانى ان كلمة ثم دخلت على مطلق البيان المجمل والمفصل فالتخصيص باحدهما
تحكم بغير دليل وجواب القفال بانه ترك للظاهر بغير دليل **فصل**
اورد من جوز الذنوب على الانبيا بان هذا الاستعجال ان كان باذن فكيف
نهى عنه وان كان بغير اذن فهو ذنب قال ابن الخطيب والجواب لعله كان

ماذونا فيه الى وقت النهى **قوله** كلا قال الزمخشرى كلا ردع للنبى صلى الله عليه وسلم
عن عادة العجلة وحث على الاناة وقال جماعة من المفسرين كلا معناه حقا اى حقا تحبون
العاجلة وهو اختيار ابى حاتم لان الانسان بمعنى الناس وقال ابن عباس رضى الله عنه كلا
ان ابا جهل لا يومن بتفسير القران وبيانه وقيل كلا لا يصلون ولا يزكون يريد كفار مكة
بل تحبون قرا ابن كثير وابو عمرو يحبون ويذرون بيا الغيبة حملا على لفظ الانسان المذكور
اولا لان المراد به الجنس وهو اختيار ابى حاتم لان الانسان بمعنى الناس والباقون
بالخطاب فيهما اما خطابا للكفار قريش اى بل تحبون يا كفار قريش العاجلة اى الدار الدنيا
والحياة فيها وتذرون الاخرة اى تدعون الاخرة والعمل لها واما التفاتا عن الاخبار
عن الجنس المتقدم والاقبال عليه بالخطاب واختار الخطاب ابو عبيد قال ولولا الكراهة
لخلاف هولاء القراء لقراتها بالياء لذكر الانسان قبل ذلك **قوله تعالى** وجوه يومئذ
ناضرة فيه اوجه احدها ان يكون وجوه مبتدا وناضرة نعت ويومئذ منصوب
بناضرة وناظرة خبره والى ربها متعلق بالخبر والمعنى ان الوجوه الحسنة
يوم القيمة ناظرة الى الله تبارك وتعالى وهذا معنى صحيح والناضرة من النضرة
وهو التنعم ومنه غصن ناضر الثانى ان يكون وجوه مبتدا ايضا وناضرة خبره ويومئذ
منصوب بالخبر كما تقدم وسوغ الابتداء هنا بالنكرة كون الموضع موضع تفصيل كقوله
فثوب لبست وثوب اجر ويكون ناظرة نعتا لوجوه او خبرا ثانيا او خبر المبتدا محذوف
والى ربها متعلق بناظرة كما تقدم وقال ابن عطية وابتدا بالنكرة لانها تخصصت بقوله
يومئذ وقال ابو البقا وجاز الابتداء هنا بالنكرة لحصول الفايدة وفى كلى قوليهما
نظر اما قول ابن عطية فلان قوله تخصصت بقوله يومئذ هذا التخصيص اما لكونها
عاملة فيه وهو محال لانها جامدة واما لانها موصوفة فيه وهو محال ايضا لان الجثث
لا توصف بالزمان كما لا يخبر بها عنها واما قول ابى البقا فان اراد بحصول الفايدة
ما تقدم من التفصيل فصحيح وان عنى ما عناه ابن عطية فليس بصحيح لما تقدم
الثالث ان يكون وجوه مبتدا ويومئذ خبره قاله ابو البقا وهذا غلط من حيث
المعنى ومن حيث الصناعة اما المعنى فلا فايدة فى الاخبار عنها بذلك واما
الصناعة فانه لا يخبر بالزمان عن الجثث وان ورد ما ظاهره ذلك يؤول نحو
الليلة الهلال الرابع ان يكون المعنى وجوه مبتدا وناضرة خبره والى ربها ناظرة
جملة مستانفة فى موضع خبر ثان قاله ابن عطية وفيه نظر لانه لا ينعقد منهما
كلام اذ الظاهر تعلق الى بناظرة اللهم الا ان يعنى ان ناظرة خبر لمبتدا مضمر اى هى
ناظرة الى ربها وهذه الجملة خبر ثان وفيه تعسف الخامس ان يكون الخبر لوجوه مقدرا
اى وجوه يومئذ ثم وناضرة صفة وكذلك ناظرة قاله ابو البقا وهو بعيد لعدم
الحاجة الى ذلك والوجه الاول لخلوصه من هذه التعسفات وكون الى حرف جر وانها
تجيء وانها هو المتبادر الى الذهن وقد خرجه بعض المعتزلة على ان يكون الى اسما
مفردا بمعنى النعمة مضافا الى الرب ويجمع على الاء نحو فباى الاء ربكما وقد تقدم ان فيه
لغات اربعا وانها خفض بالاضافة وانها مفعول مقدم ناصبه ناظرة بمعنى منتظرة
والتقدير وجوه منتظرة نعمة ربها وهذا فرار من اثبات النظر لله تعالى على معتقدهم
وتحمل الزمخشرى لمذهب المعتزلة بطريق اخرى من جهة الصناعة فقال بعد ان جعل
التقديم فى الى ربها مؤذنا بالاختصاص والذى يصح معه ان يكون من قول الناس انا الى فلان

ناظرة يصنع لي بريد معنى التوقع والرجا • ومنه قول القايل •
واذا نظرت اليك من ملك • والبحر دونك زدتني نعما •
وسمعت سروبه مسجد الله بمكة وقت الظهر حين يغلق الناس ابوابهم ويأوون الى مقايلهم
يعني ناظرة الى الله والبكم والمعنى انهم لا ينتوقعون النعمة والكرامة الا من ربهم قال
شهاب الدين وهذا كالحوم على من يقول ان ناظرة بمعنى منتظرة الا ان مكيا قد رد هذا
القول فقال ودخول الى الا ترى انك لا تقول انتظرت الى زيد وتقول نظرت الى زيد
فالى تصحب نظر العين ولا تصحب نظر الانتظار فمن قال ان ناظرة بمعنى منتظرة فقد اخطا
في المعنى وفي الاعراب ووضع الكلام في غير موضعه • وقال القرطبي ان العرب اذا ارادت
بالنظر الانتظار قالوا انظرته كما قال تعالى هل ينظرون الا الساعة هل ينظرون الا
تاويله ما ينظرون الا صيحة واحدة واذا اردت به التفكر والتدبر قالوا نظرت
فيه • فاما اذا كان النظر مقرونا بذكر الى وذكر الوجه فلا يكون الا بمعنى الرؤية والعيان
وقال الازهري ان قول مجاهد ينتظر ثواب ربها خطا لانه لا يقال نظر الى كذا بمعنى
الانتظار وان قول القايل نظرت الى فلان ليس الا رؤية عين كذلك تقوله العرب
لانهم يقولون نظرت اليه اذا ارادوا نظر العين فاذا ارادوا الانتظار قالوا نظرته
قال • فانكما ان تنظراني ساعة • من الدهر ينفعني لدى ام جندب •
لما ارادوا الانتظار قال تنظراني ولما ارادوا نظر العين قالوا نظرت اليه • قال •
نظرت اليها والنجوم كانها • مصابيح رهبان تشب لقفال •
وقال اخر • نظرت اليها بالمحصب من منى • والنضرة طراوة البشرة وجمالها وذلك
من اثر النعمة • يقال نضر وجهه فهو ناضر • وقال بعضهم مسلم انه من نظر
العين الا ان ذلك على حذف مضاف اى ثواب ربها ونحوه قال مكي لو جاز هذا لجاز
نظرت الى زيد اى الى عطا زيد وفي هذا نقض لكلام العرب وتخليط في المعاني ونضر
الله ونضره مخففا ومثقلا اى حسنه ونعمه قال صلى الله عليه وسلم نضر الله امرا سمع
مقالتي فوعاها فاداها كما سمعها • يروى بالوجهين ويقال للذهب نضار
من ذلك • ويقال له النضر ايضا ويقال اخضر ناضر كاسود حالك وقدح ناضار
يروى بالاتباع والاضافة • والعامة على ناضرة بالف • وقرا زيد بن علي نضرة نضار
بدونها كفرح فهو فرح

فصل

روى مسلم في قوله تعالى للذين احسنوا
الحسنى وزيادة قال ابن عمر يقول اكرم اهل الجنة على الله من ينظر الى وجهه غدوة
وعشية ثم تلى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة • وقال عكرمة تنظر الى ربها نظرا وحكى
الماوردي عن ابن عمر وعكرمة ومجاهد ينظر امر ربها وليس معروفا الا عن مجاهد
وحده وجمهور اهل السنة تمسك بهذه الاية في اثبات ان المومنين يرون الله سبحانه
وتعالى يوم القيمة • واما المعتزلة فاحتجوا بقوله تعالى لا تدركه الابصار
ويقولون النظر المقرون بالى ليس اسما للرؤية بل لمقدمة من الرؤية وهي تقليب
الحدقة نحو المرئي التماسا لرؤيته ونظر العين بالنسبة الى الرؤية كنظر القلب بالنسبة
الى المعرفة وكالاصغا بالنسبة الى السمع ويدل على ذلك قوله تعالى وتراهم
ينظرون اليك وهم لا يبصرون فاثبت النظر حال عدم الرؤية ويقال نظرت اليه
شزرا ونظر غضبان ونظر راضي ولا يقال ذلك في الرؤية ويقال دوري متناظرة
اى متقابلة • ويقال انظر اليه حتى تراه فتكون الرؤية غاية للنظر وان النظر يحصل

والرؤية

والرؤية غير حاصلة • وقال • وجوه ناظرات يوم بدر • الى الرحمن تنتظر الخلاصا • ولا
رؤية مع النظر المقرون بالى • وقال تعالى ولا ينظر اليهم يوم القيمة ومن قال لا يراهم
كفر قالوا ويمكن ان يكون معنى قوله تعالى ناظرة اى منتظرة لقولك انا انظر اليك
في حاجتي او يكون الى مفرد الآء وهي النعم كما تقدم او المراد الى ثواب ربها لان الادلة
العقلية والسمعية لما منعت الرؤية وجب التاويل • او يكون المعنى انها لا تسال ولا
ترغب الا الى الله عز وجل كقوله اعبد الله كانك تراه قال ابن الخطيب • والجواب
لنا مقامين • احدهما ان تقول النظر هو الرؤية لقول موسى عليه السلام رب ارني
انظر اليك فلو كان المراد تقليب الحدقة نحو المرئي لاقتضت الاية اثبات الجهة والمكان
ولانه اخر النظر عن الاراة فلا يكون تقليبا • المقام الثاني سلمنا ما ذكرتموه من
ان النظر تقليب الحدقة للرؤية لكن تعذر حمله على الحقيقة فيجب الحمل على الرؤية اطلا
لاسم السبب على المسبب وهو اولى من حمله على الانتظار لعدم الملازمة لان تقليب
الحدقة كالسبب للرؤية ولا تعلق بينه وبين الانتظار • واما قولهم نحمله على الانتظار
قلنا الذي هو بمعنى الانتظار في القران غير مقرون كقوله تعالى انظرونا
نقتبس • هل ينظرون الا ان • والذي ندعيه ان النظر المقرون بالى ليس الا بمعنى
الرؤية لان وروده بمعنى الرؤية او بالمعنى الذي يستعقب الرؤية ظاهر فلا يكون بمعنى
الانتظار دفعا للاشتراك • وقوله وجوه ناظرات يوم بدر شعر موضوع
والرواية الصحيحة وجوه ناظرات يوم بكر • الى الرحمن ينتظر الخلاصا • والمراد
من هذا الرحمن مسيلمة الكذاب لانهم كانوا يسمونه رحمان اليمامة واصحابه كانوا
ينظرون اليه ويتوقعون منه الخلاص من الاعدا • وقولهم هو مفرد الآء اى نعمة
ربها • قلنا فيصدق على اى نعمة كانت وان قلت لانه انما يكون للماهية التي يصدق
عليها انها نعمة فعلى هذا يكفي في تحقيق مسمى هذه اللفظة اى جزء فرض من اجزا النعمة
واذا كانت في غاية القلة والحقارة واهل الثواب يومئذ في النعم العظيمة فكيف
ينتظرون نعمة قليلة وكيف يمكن ان يكون من حاله كذلك ان يبشر بانه يتوقع الشي
الذي ينطلق عليه اسم النعمة • ومثاله هذا ان يبشر سلطان الارض بانه سيصير حاله
في العظمة والقوة بعد سنة بحيث يكون متوقعا لحصول لقمة واحدة فكما ان ذلك
فاسد فكذلك هاهنا • سلمنا ان النظر المتعدى بالى المقرون بالوجود جا في اللغة
بمعنى الانتظار ولكن لا يمكن حمل هذه الاية عليه لان لذة الانتظار مع تيقن الوقوع
كانت حاصلة في الدنيا فلابد وان يحصل في الاخرة زيادة حتى يحصل الترغيب
في الاخرة • ولا يجوز ان يكون ذلك قرب الحصول الا • قال القشيري وهذا باطل
لان واو الالاء يكتب بالالف لا بالياء وقربا لحصول معلوم بالعقل فبطل التاويل • واما
قولهم المراد ثواب ربها فهو خلاف الظاهر • هذا ما ذكره ابن الخطيب • وروى
القرطبي في تفسيره قال اخرج مسلم عن جرير بن عبد الله قال كنا عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر فقال صلى الله عليه وسلم انكم سترون
ربكم عيانا كما ترون القمر لا تضامون في رؤيته فان استطعتم ان لا تغلبوا على
صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا ثم قرا وسبح بحمد ربك قبل
طلوع الشمس وقبل الغروب متفق عليه • وفي كتاب النسائي عن صهيب رضي الله عنه
قال فيكشف الحجاب فينظرون اليه فوالله ما اعطاهم شيا احب اليهم من النظر ولا اقر

لاعينهم • وروى ابو اسحق الثعلبي عن الزبير عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجلى ربنا سبحانه وتعالى حتى ينظروا الى وجهه فيخرون له سجدا فيقول الله تعالى ارفعوا رؤسكم فليس هذا يوم عبادة • قال القرطبي وقد اضاف النظر الى العين لان العين في الوجه وهو كقوله تعالى تجري من تحتها الانهار والماء يجري في النهر لا النهر • ثم قد يكون الوجه بمعنى العين قال تعالى فالقوه على وجه ابي يأت بصيرا اي على عينيه ثم لا يبعد قلب العادة غدا حتى يخلق النظر في الوجه • قيل يا رسول الله كيف يمشون في النار على وجوههم قال الذي امشاهم على اقدامهم قادر ان يمشيهم على وجوههم **قوله تعالى** ووجوه يومئذ باسرة • اي وجوه الكفار يوم القيمة كالحة • الباسر الشديد العبوس • والباسل اشد منه ولكنه غلب في الشجاع اذا اشتد كلوحه • وفي الصحاح وبسر الفحل الناقة وابتسرها اذا ضربها وبسر الرجل وجهه بسورا اذا كلح • يقال عبس وبسر • وقال السدي باسرة متغيرة والمعنى انها كالحة قد اظلمت الوانها **قوله تعالى** تظن ان يفعل بها فاقرة اي توقن وتعلم • قال ابن الخطيب هكذا قاله المفسرون • وعندي ان الظن هنا انما ذكر على سبيل التهكم كانه قيل اذا شاهدوا تلك الاحوال حصل فيهم ظن ان القيمة • والفاقرة هي الداهية العظيمة قال ابو عبيدة سميت بذلك لانها تكسر فقار الظهر • قال النابغة • الى قبر لاين المقابلي • وضربة فاس فوق راسي فاقره • اي داهية موترة يقال فقرته الفاقرة اي كسرت فقار ظهره • قال معناه مجاهد وغيره • ومنه سمي الفقير لانكسار فقاره من القل وقد تقدم في البقرة • وقال قتادة الفاقرة الشر • وقال السدي الهلاك وقال ابن عباس وابن زيد دخول النار واصلها الوسم على انف البعير بحديدة او نار حتى يخلص الى العظم • قال الاصمعي يقال فقرت انف البعير اذا حززته ثم جعلت على الحز الجرير وعليه وتر ملوي لتذلله وتروضه **قوله تعالى** كلا اذا بلغت التراقي • كلا ردع وزجر اي بعيد ان يومن الكافر بيوم القيمة ثم استانف فقال اذا بلغت التراقي فاخبر بما لهم • اي بلغت النفس او الروح له التراقي فاخبر عما لم يجر له ذكر لعلم المخاطب به كقوله تعالى حتى توارت بالحجاب وقوله فلولا اذا بلغت الحلقوم • وقيل كلا معناه حقا ان المساق الى الله تعالى اذا بلغت التراقي اي اذا ارتفعت النفس الى التراقي • وكان ابن عباس رضي الله عنه يقول اذا بلغت الحلقوم نفس الكافر والتراقي مفعول بلغت والفاعل مضمر اي النفس وان لم يجر لها ذكر لقول حاتم • اماوي ما يغني الثراء عن الفتى • اذا هي حشرجت يوما وضاق بها الصدر • اي حشرجت النفس • وقيل في البيت ان الدال على النفس ذكر جملة ما اشتمل عليها وهو الفتى فكذلك هنا ذكر الانسان دال على النفس • والعامل في اذا بلغت معنى قوله تعالى الى ربك يومئذ المساق اي اذا بلغت الحلقوم رفعت الى الله تعالى ويكون قوله وقيل من راق معطوف على بلغت • والتراقي جمع ترقوة اصلها ترا قو قلبت واوها يا لانكسار ما قبلها والترقوة احد عظام الصدر • قاله ابو حيان والمعروف غير ذلك • قال الزمخشري ولكل انسان ترقوتان فعلى هذا يكون من باب غليظ الحواجب وعريض المناكب وقال القرطبي هي العظام المكتنفة لثغرة النحر وهو مقدم الحلق من اعلا

الصدر

الصدر وهو موضع الحشرجة • قال دريد بن الصمة •

ورب عظيمة دافعت عنها • وقد بلغت نفوسهم التراقي •

وقال الراغب الترقوة عظم وصل ما بين ثغرة النحر والعاتق انتهى • وقال الزمخشري العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال ووزنها فعلوة فالتا اصل والواو زايدة يدل عليه ادخال اهل اللغة اياها في مادة ترق • وقال ابو البقا والتراقي جمع ترقوة وهي فعلوة وليست بفعلية اذ ليس في الكلام ترقو • وقرئ التراقي بسكون الياء وهي كقراءة زيد تطعمون اهاليكم وقد تقدم توجيهها وقد كنى ببلوغ النفس التراقي على الاشفا على الموت والمقصود تذكيرهم شدة الحال عند نزول الموت

وصل قال ابن الخطيب قال بعض الطاعنين ان النفس انما تصل الى التراقي بعد مفارقتها للقلب ومتى فارقت النفس القلب حصل الموت لا محالة والاية تدل على ان عند بلوغها التراقي تبقى الحياة حتى يقال فيه من راق وحتى تلتف الساق بالساق والجواب ان المراد من قوله حتى اذا بلغت التراقي اذا حصلت بالقرب من تلك الحال **قوله** من راق مبتدا وخبر • وهذه الجملة هي القايمة مقام الفاعل على اصول البصريين تقتضي ان لا يكون لان الفاعل عندهم لا يكون جملة بل القايم مقامه ضمير المصدر وقد تقدم تحقيق هذا في البقرة • وهذا الاستفهام يجوز ان يكون على بابه وان يكون استبعادا وانكارا فالاول مروي عن ابن عباس وعكرمة وغيرهما قالوا هو من الرقية • وروى سماك عن عكرمة قال من راق يرقي يشفي • والثاني رواه ميمون بن مهران عن ابن عباس ايضا • اي هل من طبيب يشفيه وهو قول ابي قلابة وقتادة • وقال الشاعر •

هل للفتى من بنات الدهر من واق • ام هل له من حمام الموت من راق •

وكان هذا على وجه الاستبعاد والياس اي من يقدر يرقي من الموت • وعن ابن عباس ايضا وابي الجوزاء انه من رقا يرقا اذا صعد والمعنى من يرقى بروحه الى السما املايكة الرحمة ام ملايكة العذاب • وقيل ان ملك الموت يقول من راق اي من يرقى بهذه النفس • قال شهاب الدين وراق اسم فاعل اما من رقى يرقي من الرقية وهو كلام معد للاستشفاء يرقى به المريض ليشفى • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ادراك انها رقية يعني الفاتحة وهو اسم من اسمايها واما من رقا يرقا من الرقي وهو الصعود اي ان الملايكة لكراهتها في روحه تقول من يصعد بهذه الروح تقال رقى بالفتح من الرقية وبالكسر من الرقي • ووقف حفص على نون من سكتة لطيفة وتقدم تحقيق هذا في اول الكهف • وذكر سيبويه ان النون تدغم في الرا وجوبا بغنة وبغيرها نحو من راشد • قال الواحدي ان اظهار النون عند حروف الفم لحن فلا يجوز اظهار نون من في قوله راق • وروى حفص عن عاصم اظهار النون واللام في قوله من راق وبل ران • قال ابو علي الفارسي ولا اعرف وجه ذلك • قال الواحدي والوجه ان يقال قصدوا الوقف على من وبل فاظهروهما ثم ابتدا بما بعدهما وهذا غير مرضي من القراة **قوله تعالى** وظن انه الفراق • اي ايقن الانسان انه الفراق اي فراق الدنيا والاهل والمال والولد وذلك حين يعاين الملايكة وسمى اليقين هنا بالظن لان الانسان ما دامت روحه متعلقة ببدنه فانه يطمع في الحياة لشدة حبه لهذه الحياة العاجلة ولا ينقطع رجاؤه عنها فلا يحصل له تيقن الموت بل

الظن الغالب مع رجاء الحياة او لعله سماه بالظن تهكما ، قال ابن الخطيب وهذه الاية
تدل على ان الروح جوهر قائم بنفسه باق بعد موت البدن لان الله تعالى سمى الموت
فراقا والفراق انما يكون اذا كانت الروح باقية فان الفراق والوصال صفة والصفة
تستدعي وجود الموصوف **قوله تعالى** والتفت الساق بالساق ، الالتفاف
هو الاجتماع قال تعالى جئنا بكم لفيفا ومعنى الكلام اتصلت الشدة بالشدة شدة اخر
الدنيا بشدة الاخرة قاله ابن عباس والحسن وغيرهما ، وقال الشعبي وغيره التفت
ساقا الانسان عند الموت من شدة الكرب ، قال قتادة اما رايته اذا اشرف
على الموت يضرب برجله على الاخرى ، وقال سعيد بن المسيب والحسن ايضا
هما ساقا الانسان اذا التفتا في الكفن ، وقال زيد بن اسلم التفت ساق الكفن بساق
الميت ، قال النحاس القول الاول احسنها لقول ابن عباس هو اخر يوم من الدنيا
واول يوم من الاخرة فتلتقي الشدة بالشدة الا من رحم الله والعرب لا تذكر الساق الا
في الشدائد والمحن العظام ، ومنه قولهم قامت الحرب على ساق ، قال اهل المعاني
لان الانسان اذا دهمته شدة شمر لها عن ساقيه فقيل للامر الشديد ساق ، قال
الجعدي ، اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها ، وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا م
قوله تعالى الى ربك يومئذ المساق ، اي الى خالقك يومئذ اي يوم المساق
اي المرجع ، والمساق مفعل من السوق وهو اسم مصدر ، وقال القرطبي المساق مصدر
من ساق يسوق كالمقال من قال يقول **قوله** فلا صدق ، لا هنا دخلت على الماضي
وهو مستفيض في كلامهم بمعنى لم يصدق ولم يصل ، قال ، ان تغفر اللهم تغفر
جما ، واي عبد لك لا الما ، وقال اخر ، واي خميس لا افانا نهابه ، واسيافنا من
كبشه تقطر الدما ، وقال مكي لا الثانية نفي وليست بعاطفة ومعناه فلم يصدق
ولم يصل ، قال شهاب الدين ولنف يتوهم العطف حتى ينفيه ، وجعل الزمخشري فلا
صدق ولا صلى عطفا على الجملة من قوله يسال ايان يوم القيامة قال وهو معطوف
على قوله يسال ايان اي لا يؤمن بالبعث فلا صدق بالرسول صلى الله عليه وسلم
والقران الكريم واستبعده ابو حيان ، وقال الكسائي لا بمعنى لم ولكنه يقرن
بغيره تقول العرب لا عبد الله خارج ولا فلان تقول مررت برجل لا محسن حتى
يقال ولا مجمل وقوله تعالى فلا اقتحم العقبة ليس من هذا القبيل لان معناه
فهلا اقتحم بحذف حرف الاستفهام ، وقال الاخفش فلا صدق اي لم يصدق كقوله
تعالى فلا اقتحم اي لم يقتحم ولم يشترط ان يعقبه شيء اخر ، والعرب تقول لا ذهب
اي لم يذهب فحرف النفي ينفي الماضي كما ينفي المستقبل ، ومنه قول زهير ، فلا هو ابداها
ولم يتقدم **فصل** قال ابن عباس رضي الله عنه معناه لم يصدق بالرسالة
ولا صلى اي دعا لربه عز وجل وصلى على رسوله عليه الصلاة والسلام ، وقال قتادة
فلا صدق بكتاب الله ولا صلى لله تعالى ، وقيل لا صدق بمال ذخرا له عند الله
ولا صلى الصلوات التي امره الله بها ، وقيل فلا امن بقلبه ولا عمل ببدنه قيل
المراد ابو جهل ، وقيل الانسان المذكور في قوله ايحسب الانسان **قوله** ولكن
كذب وتولى ، الاستدراك هنا واضح لانه لا يلزم من نفي التصديق والصلاة التكذيب
والتولي لان كثيرا من المسلمين كذلك فاستدرك ذلك بان سببه التكذيب والتولي
ولهذا يضعف ان يحمل نفي التصديق على نفي تصديق الرسول عليه الصلاة والسلام لئلا

يلزم التكرار فيقع لكن بين متوافقين وهو لا يجوز ، قال القرطبي ومعناه كذب بالقران
وتولى عن الايمان **قوله تعالى** ثم ذهب الى اهله يتمطى ، اي يتبختر افتخارا
بذلك قاله مجاهد وغيره ويتمطى جملة حالية من فاعل ذهب ، ويجوز ان يكون بمعنى
شرع في التمطي كقوله ، فقام يذود الناس عنها بسيفه ، ويتمطى فيه قولان احدهما
انه من المطا وهو الظهر ومعناه يتبختر اي يمد مطاه ويلويه تبخترا في مشيته ، الثاني
ان اصله يتمطط من تمطط اي تمدد ومعناه انه يتمدد في مشيته تبخترا ، ومن
لازم التبختر ذلك فهو يقرب من معنى الاول ويفارقه في مادته اذ مادة الاول
م ط و ومادة الثاني م ط ط وانما ابدلت الطاء الثانية ياء كراهة اجتماع الامثال
نحو تظنيت وقصيت اظفاري ، وقوله ، تقضي البازي اذا البازي كسر ، والمطيطا
التبختر ومد اليدين في المشي ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المطيطا وخدمتهم
فارس والروم كان باسهم بينهم ، والمطيط الماء الخاثر اسفل الحوض لانه يتمطط اي
يتمدد فيه ، وقال القرطبي التمطط هو التمدد من التكسل والتثاقل فهو يتثاقل عن
الداعي الى الحق ، والتمطي يدل على قلة الاكتراث **قوله تعالى** اولى لك فاولى
تقدم الكلام عليه في اخر سورة القتال وانما كررها هنا مبالغة في التهديد والوعيد
فهو تهديد بعد تهديد ووعيد بعد وعيد ، قالت الخنساء ، هممت بنفسي كل الهموم
فاولى لنفسي اولى لها ، وقال ابو البقاء هنا وزن اولى فيه قولان ، احدهما فعلى
والالف فيه للالحاق لا للتانيث ، والثاني هو افعل وهو على القولين هنا علم ولذلك
لم ينون ، ويدل عليه ما حكى ابو زيد في اولاة بالتاء غير مصروف لانه صار علما
للوعيد فصار كرجل اسمه احمد فعلى هذا يكون اولى مبتدا ولك الخبر ، والثاني
ان يكون اسما للفعل مبنيا ومعناه وليك شر بعد شر ولك تبيين **فصل**
قال قتادة والكلبي ومقاتل خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسجد ذات ليلة
فاستقبله ابو جهل على باب المسجد مما يلي باب بني مخزوم فاخذ رسول الله صلى الله عليه
وسلم بيده فهزه مرة او مرتين ثم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
اولى لك فاولى ثم اولى لك فاولى فقال له ابو جهل اتهددني فوالله اني
لاعز اهل هذا الوادي واكرمه ولا تستطيع انت ولا ربك ان تفعلا بي شيئا
ثم انسل ذاهبا فانزل الله تعالى كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم ومعنى
اولى لك يعني ويل لك ، قال الشاعر

فاولى ثم اولى ثم اولى ، وهل للدر يحلب من مرد ،

وقيل هو من المقلوب كانه قيل اويل ثم اخر الحرف المعتل ، والمعنى الويل لك
يوم تدخل النار ، وهذا التكرير كقوله ، لك الويلات انك مرجلي ، اي لك
الويل ثم الويل ، وقيل معناه الذم لك اولى من تركه ، وقيل المعنى انت اولى
واجدر بهذا العذاب ، وقال ابو العباس احمد بن يحيى قال الاصمعي اولى في
كلام العرب معناه مقاربة الهلاك كما تقول قد وليت الهلاك اي دانيت
الهلاك ، واصله من الولي وهو القرب قال تعالى قاتلوا الذين يلونكم اي
يقربون منكم ، قال القرطبي وقيل التكرير فيه على معنى الذم لك على عملك السيء
الاول ثم على الثاني والثالث والرابع **قوله** ايحسب الانسان ، اي يظن ابن
ادم ، ان يترك سدى ، اي يخلى مهملا فلا يؤمر ولا ينهى قاله ابن زيد ومجاهد

وقيل ان يترك في قبره كذلك ابدا لا يبعث وسدى حال من فاعل يترك ومعناه مهملا
يقال ابل سدى اي مهملة • قال • واقسم بالله جهد اليمين ما خلق الله شيئا
سدى • اي مهملا واسديت حاجتي اي ضيعتها • ومعنى اسدى اليه معروفا اي جعله
بمنزلة الضايع عند المسدى اليه لا يذكره ولا يمن به عليه **قوله** الم يك نطفة
العامة على اليا من تحت في يك رجوعا للانسان والحسن بتا الخطاب على الالتفات
اليه توبيخا له • وقوله من مني تمنى • قرا حفص يمنى باليا من تحت وفيه وجهان احدهما
ان الضمير عايد على المني اي يصب فتكون الجملة في محل جر • والثاني انه يعود
للنطفة لان تانيثها مجازي ولانها في معنى الما قاله ابو البقا وهذا انما يتمشى
على قول ابن كيسان • واما النحاة فيجعلونه ضرورة كقوله • ولا ارض ابقل ابقالها
وقرا الباقون تمنى بالتا من فوق على ان الضمير للنطفة فعلى هذه القراة وعلى الوجه
المذكور قبلها تكون الجملة في محل نصب لانها صفة لمنصوب **فصل** والمعنى
من قطرة ما تمنى في الرحم اي تراق فيه ولذلك سميت منى لاراقة الدما • والنطفة الما
القليل يقال نطف الما اي قطر اي الم يك ما قليلا في صلب الرجل وترايب المراة فنبه
تعالى بهذا على خسة قدره ثم قال تعالى فخلق فسوى اي فسواه تسوية وعدله
تعديلا بجعل الروح فيه • وقيل فخلق اي فقدر فسوى فعدل • وقيل فخلق اي
نفخ فيه فسوى فكمل اعضاه قاله ابن عباس ومقاتل • فجعل منه • اي من الانسان
وقيل من المني • الزوجين الذكر والانثى • اي الرجل والمراة فقوله تعالى الذكر والانثى
يجوز ان يكونا بدلين من الزوجين على لغة من يجري المثنى اجرا المقصور وقد تقدم
تحقيقه في طه ومن نسب اليه اللغة والاستشهاد على ذلك **فصل**
قال القرطبي وقد احتج بهذه الاية من راى اسقاط الخنثى وقد مضى في سورة الشورى
ان هذه الاية وقرينتها انما خرجت مخرج الغالب • فان قيل ما فايدة قوله يمنى
في قوله تعالى من مني يمنى • فالجواب فيه اشارة الى حقارة حاله كانه قيل
انه مخلوق من المني الذي يجري على مجرى النجاسة فلا يليق بمثل هذا ان يتمرد
عن طاعة الله تعالى الا انه عبر عن هذا المعنى على سبيل الرمز كما في قوله تعالى
في عيسى ومريم عليهما السلام كانا ياكلان الطعام والمراد منه قضا الحاجة **قوله**
تعالى اليس ذلك بقادر • اي اليس الذي قدر على خلق هذه النسمة من قطرة ما
قوله بقادر اسم فاعل مجرورا بالبا زايدة في خبر ليس هذه قراة العامة • وقرا زيد
ابن علي يقدر فعلا مضارعا • والعامة على نصب يحيي بان لان الفتحة خفيفة على حرف
العلة • وقرا طلحة بن سليمان والفياض بن غزوان بسكونها فاما ان يكون خفف
حرف العلة بحذف حركة الاعراب واما ان يكون اجرى الوصل مجرى الوقف وجمهور
الناس على وجوب فك الادغام • قال ابو البقا لئلا يجمع بين ساكنين لفظا او تقديرا
يعني ان الحا ساكنة فلو ادغمنا لسكنا اليا الاولى ايضا للادغام فيلتقي ساكنان لفظا
وهو متعذر النطق فهذان ساكنان لفظا • واما قوله تقديرا فلان بعض الناس
جوز الادغام في ذلك وقرا به ان يحيي وذلك انه لما اراد الادغام نقل حركة
اليا الاولى الى الحا وادغمها فالتقى ساكنان الحا لانها ساكنة في الاصل قبل النقل اليها
واليا لان حركتها نقلت من عليها الى الحا • واستشهد الفرا لهذه القراة بقول الشاعر
يمشي لسدة بيتها فيعي • واما اهل البصرة فلا يدغمونه البتة قالوا لان حركة اليا

عارضة

عارضة اذ هي للاعراب • وقال مكي وقد اجمعوا على عدم الادغام في حال الرفع • فاما في حال
النصب فقد اجازه الفرا لاجل تحرك اليا الثانية وهو لا يجوز عند البصريين لان الحركة
عارضة • قال شهاب الدين ادعاوه الاجماع مردود بالبيت الذي تقدم انشاده
عن الفرا وهو قوله فيعي فهذا مرفوع وقد ادغم ولا يبعد ذلك لانه لما
ادغم ظهرت تلك الحركة لسكون ما قبل اليا بالادغام **فصل** المعنى الذي
قدر على خلق هذه النسمة من قطرة ما قادر على ان يحيي الموتى اي ان يعيد هذه
الاجسام كهيتها للبعث بعد البلى • روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان
اذا قراها قال سبحانك اللهم وبلى • وقال ابن عباس من قرا سبح اسم ربك الاعلى اماما
كان او غيره فليقل سبحان ربي الاعلى ومن قرا لا اقسم بيوم القيمة الى اخرها
فليقل سبحانك اللهم بلى اماما كان او غيره • روى الثعلبي عن ابي بن كعب رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة القيمة شهدت انا وجبريل له
يوم القيمة انه كان مومنا بيوم القيمة وجا ووجهه مسفر على وجوه الخلايق يوم القيمة
والله اعلم

سورة الانسان مكية

وهي احدى وثلاثون اية ومايتان واربعون كلمة والف واربعة وخمسون حرفا
قال ابن عباس ومقاتل والكلبي هي مكية • وقال الجمهور مدنية • وقيل فيها مكي
من قوله تعالى انا نحن نزلنا عليك القران تنزيلا الى اخر السورة وما تقدمه
مدني • وذكر ابن وهب قال وحدثنا ابن زيد قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليقرا هل اتى على الانسان حين من الدهر وقد انزلت عليه وعنده لا تثقل على النبي
صلى الله عليه وسلم قال دعه يا ابن الخطاب قال فنزلت عليه هذه السورة وهو عنده
فلما قراها عليه وبلغ صفة الجنان زفر زفرة خرجت نفسه فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اخرج نفس صاحبكم او اخيكم الشوق الى الجنة • وقال القشيري ان هذه
السورة نزلت في علي بن ابي طالب كرم الله وجهه والمقصود من السورة عام وهكذا
القول في كل ما يقال انه نزل بسبب كذا وكذا • بسم الله الرحمن الرحيم **قوله**
تعالى هل اتى على الانسان • في هل هذه وجهان • احدهما انها على بابها من الاستفهام
المحض اي هو ممن يسال عنه لغرابته اتى عليه حين من الدهر لم يكن كذا فانه يكون
الجواب اتى عليه ذلك وهو بالحال المذكورة كذا قاله ابو حيان • وقال مكي في تقرير
كونها على بابها من الاستفهام والاحسن ان تكون على بابها للاستفهام الذي معناه
التقرير وانما هو تقرير لمن انكر البعث فلا بد ان يقول نعم قد مضى دهر طويل
لا انسان فيه فيقال له من احدثه بعد ان لم يكن وكونه بعد عدمه كيف يمتنع
عليه بعثه واحياوه بعد موته وهو معنى قوله ولقد علمتم النشاة الاولى فلولا
تذكرون اي فهلا تذكرون فتعلمون ان من انشا شيا بعد ان لم يكن قادر على
اعادته بعد موته وعدمه انتهى • فقد جعلها لاستفهام التقرير لا للاستفهام
المحض وهذا هو الذي يجب ان يكون لان الاستفهام لا يرد من الباري تعالى
الا على هذا النحو وما اشبهه • والثاني قال الكسايي والفرا وابو عبيدة وحكي
ايضا عن سيبويه انها بمعنى قد • قال الفرا هل تكون جحدا وتكون خبرا فهذا من الخبر
لانك تقول هل اعطيتك تقرره بانك اعطيته والجحد ان تقول هل يقدر احد

على مثل هذا وقال الزمخشري هل بمعنى قد في الاستفهام خاصة والاصل أهل بدليل قوله
سائل فوارس يربوع لشدتنا ۞ أهل رأونا بوادي القف ذي الأكم
فالمعنى أقد أتى على التقرير والتقريب جميعا اي أتى على الانسان قبل زمان قريب حين من الدهر لم يكن فيه شيئا مذكورا اي شيئا منسيا غير مذكور انتهى فقوله على التقرير يعني المفهوم من الاستفهام وهو الذي فهمه مكي من نفس هل وقوله والتقريب يعني المفهوم من قد التي وقع موقعها هل ومعنى قوله في الاستفهام خاصة اي هل لا تكون بمعنى قد الا ومعها الاستفهام لفظا كالبيت المتقدم او تقديرا كالآية الكريمة فلو قلت هل جاء زيد بمعنى قد قام من غير استفهام لم يجز وغيره جعلها بمعنى قد من غير هذا القيد وبعضهم لا يجيز ذلك البتة ويتأول البيت على انه مما جمع فيه بين حرفي معنى للتأكيد وحسن ذلك اختلاف لفظها كقوله فاصبحن لا يسألنني عن بما به فالباء بمعنى عن وهي مؤكدة لها واذا كانوا قد اكدوا مع اتفاق اللفظ كقوله فلا والله لا يلفى لما بي ۞ ولا للما بهم ابدا دواء فلان يؤكد مع اختلافه احرى ولم يذكر الزمخشري غير كونها بمعنى قد وبقي على الزمخشري قيد آخر وهو ان تقول في الجمل الفعلية لانه متى دخلت هل على جملة اسمية استحال كونها بمعنى قد لان قد مختصة بالافعال قال شهاب الدين وعندي ان هذا لا يرد لانه تقرر ان قد لا تباشر الاسما

فصل قال قتادة والثوري وعكرمة والشعبي ان المراد بالانسان هنا آدم عليه السلام وهو مروي عن ابن عباس وقيل المراد بالانسان بنو آدم لقوله تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة فالانسان في الموضعين واحد وعلى هذا فيكون نظم الآية احسن وقوله تعالى حين من الدهر قال ابن عباس في رواية ابي صالح مرت به اربعون سنة قبل ان ينفخ فيه الروح وهو ملقى بين مكة والطائف وعن ابن عباس في رواية الضحاك انه خلق من طين فاقام اربعين سنة ثم من حما مسنون اربعين سنة ثم من صلصال اربعين سنة فتم خلقه بعد مائة وعشرين سنة ثم نفخ فيه الروح وحكى الماوردي عن ابن عباس رضي الله عنه ان الحين المذكور ههنا هو الزمن الطويل الممتد الذي لا يعرف مقداره وقال الحسن خلق الله تبارك وتعالى كل الاشيا ما يرى وما لا يرى من دواب البر والبحر في الايام الست التي خلق الله تعالى فيها السموات والارض وآخر ما خلق آدم عليه السلام فهو قوله تعالى لم يكن شيئا مذكورا فان قيل ان الطين والصلصال والحما المسنون قبل نفخ الروح فيه ما كان انسانا والآية تقتضي انه مضى على الانسان حال كونه انسانا حين من الدهر مع انه في ذلك الحين ما كان شيئا مذكورا فالجواب ان الطين والصلصال اذا كان مصورا بصورة الانسان ويكون محكوما عليه بانه سينفخ فيه الروح ويصير انسانا صح تسميته بانه انسان ومن قال ان الانسان هو النفس الناطقة وانها موجودة قبل وجود الابدان فالاشكال عنهم زائل واعلم ان الغرض من هذا التنبيه على ان الانسان محدث واذا كان كذلك فلا بد من محدث قادر **قوله** لم يكن في هذه الجملة وجهان احدهما انها في موضع نصب على الحال من الانسان اي هل اتى عليه حين في هذه الحال والثاني انها في موضع رفع نعتا لحين بعد نعت وعلى هذا فالعائد محذوف تقديره حين لم يكن فيه شيئا مذكورا والاول اظهر لفظا ومعنى

فصل روى الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى لم يكن شيئا مذكورا لا في السما ولا في الارض وقيل اي كان جسدا مصورا ترابا وطينا لا يعرف ولا يذكر ولا يدرى ما اسمه ولا ما يراد

به ثم نفخ فيه الروح فصار مذكورا قاله الفراء وقطرب وثعلب وقال يحيى بن سلام لم يكن شيئا مذكورا لانه خلقه بعد خلق الحيوان كله ولم يخلق بعده حيوانا ومن قال بان المراد من الانسان الجنس من ذرية آدم عليه السلام فالمراد بالحين تسعة اشهر مدة الحمل في بطن امه لم يكن شيئا مذكورا اذ كان مضغة لانه في هذه الحالة جماد لا خطر له وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه لما قرأ هذه الآية ليتها تمت اي ليت المدة التي اتت على آدم لم يكن شيئا مذكورا تمت على ذلك فلا يلد ولا يبتلى اولاده وسمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلا يقرأ هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا فقال ليتها تمت **قوله تعالى** انا خلقنا الانسان يعني ابن آدم من غير خلاف من نطفة اي من ما يقطر وهو المني وكل ما قليل في وعا فهو نطفة كقول عبد الله بن رواحة يعاتب نفسه

مالي اراك تكرهين الجنة ۞ هل انت الا نطفة في شنة

وجمعها نطف ونطاف **قوله** امشاج نعت لنطفة ووقع الجمع نعتا لمفرد لانه في معنى الجمع كقوله تعالى رفرف خضر او جعل كل جز من النطفة نطفة فاعتبر ذلك فوصفت بالجمع وقال الزمخشري نطفة امشاج كبرمة اعشار وبرد اكياش وثوب اخلاق وارض سباسب وهي الفاظ مفردة غير جموع ولذلك وقعت صفات للافراد ويقال نطفة مشيج قال الشماخ طوت احشا مرتجة لوقت ۞ على مشج سلالته مهين ولا يصح امشاج ان يكون تكسيرا له بل هما مثلان في الافراد لوصف المفرد بهما فمنعه منع ان يكون امشاجا جمع مشيج بالكسر قال ابو حيان وقوله مخالف لنص سيبويه والنحويين على ان افعالا لا يكون مفردا قال سيبويه وليس في الكلام افعال الا ان يكسر عليه اسما للجمع وما ورد من وصف المفرد بافعال تأولوه انتهى قال شهاب الدين هو لم يجعل افعالا مفردا انما قال يوصف به المفرد يعني التأويل بل ذكر من انهم جعلوا كل قطعة من البرمة برمة وكل قطعة من البرد بردا فوصفوهما بالجمع وقال ابو حيان الامشاج الاخلاط واحدها مشج بفتحتين او مشج كعدل واعدال او مشيج كشريف واشراف قاله ابن الاعرابي وقال رؤبة

يطرحن كل معجل نشاج ۞ لم يكس جلدا من دم امشاج

وقال الهذلي يصف السهم بانه قد نفذ في الرمية فالتطخ ريشه وفوقاه بدم يسير

كأن الريش والفوقين منه ۞ خلاف النصل سيط به مشيج

ويقال مشج يمشج مشجا اذا خلط ومشيج كخليط وممشوج كمخلوط انتهى فجوز ان يكون جمعا لمشج كعدل وقد تقدم ان الزمخشري منع من ذلك وقال الزمخشري ومشجه ومزجه بمعنى والمعنى من نطفة امتزج فيها الماءان قال القرطبي ويقال مشجت هذا بهذا اي خلطته فهو ممشوج ومشيج مثل مخلوط وخليط وهو هنا اختلاط النطفة بالدم وهو دم الحيضة وذلك ان المراة اذا بلغت ما الرجل وحملت امسك حيضها فاختلطت النطفة بالدم وقال الفرا امشاج اختلاط ما المراة وما الرجل والدم والعلقة روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال الامشاج الحمرة والبياض في الحمرة وعنه ايضا قال يختلط ما الرجل وهو ابيض غليظ بما المراة وهو اصفر رقيق فيخلق منهما الولد فما كان من عصب وعظم وقوة فهو من ما الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فهو من ما المراة قال القرطبي وقد روي هذا مرفوعا ذكره

البزار، وعن ابن مسعود امشاجها عروقها المضغة، وقال مجاهد نطفة الرجل بيضا وحمرا
ونطفة المراة خضرا وصفرا، وقال ابن عباس خلق من الوان خلق من تراب ثم من ما الفرج
والرحم وهي نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظم ثم لحم ونحوه قال قتادة هي اطوار الخلق
طورا نطفة وطورا علقة وطورا مضغة وطورا عظاما ثم نكسوا العظام لحما، قال ابن
الخطيب وقيل ان الله تبارك وتعالى جعل في النطفة اخلاطا من الطبايع التي تكون في
الانسان من الحرارة والبرودة واليبوسة والتقدير من نطفة ذات امشاج فحذف
المضاف وتم الكلام **قوله** نبتليه، يجوز في هذه الجملة وجهان، احدهما انها حال
من فاعل خلقنا اي خلقناه حال كوننا مبتلين له، والثاني انها حال من الانسان
وصح ذلك لان في الجملة ضميرين كل منهما يعود على ذي الحال، ثم هذه الحال يجوز ان
تكون مقارنة ان كان المعنى نبتليه نصرفه في بطن امه نطفة ثم علقة كما قال ابن عباس
وان تكون مقدرة ان كان المعنى نبتليه نختبره بالتكليف لانه وقت خلقه غير مكلف
وقال الزمخشري ويجوز ان يكون ناقلين له من حال الى حال فسمى ذلك ابتلا على طريق
الاستعارة، قال شهاب الدين وهذا معنى قول ابن عباس المتقدم، وقال
بعضهم في الكلام تقديم وتاخير، والاصل انا جعلناه سميعا بصيرا نبتليه اي جعلنا
له ذلك للابتلا وهذا لا حاجة اليه **فصل** قوله نبتليه معناه لنبتليه كقولك
جئتك اقضي حقك اي لاقضي حقك واتيتك استمحك كذا، ونظيره قوله تعالى ولا
تمنن تستكثر اي لتستكثر، ومعنى نبتليه نختبره، وقيل نقدر فيه الابتلا وهو الاختبار
وفيما نختبره به وجهان احدهما قال الكلبي نختبره بالخير والشر، والثاني قال الحسن
نختبر شكره في السرا وصبره في الضرا، وقيل نبتليه نكلفه بالعمل بعد الخلق قاله
مقاتل رحمه الله وقيل نكلفه ليكون مامورا بالطاعة ومنهيا عن المعاصي، وقوله
تعالى فجعلناه سميعا بصيرا والمعنى انا خلقناه في هذه الامشاج لا للعبث بل للابتلا
والامتحان ثم ذكر انه اعطاه ما يصح معه الابتلا وهو السمع والبصر وهما كنايتان
عن الفهم والتمييز لان الابتلا لا يقع الا بعد تمام الخلقة والمعنى جعلنا له سمعا يسمع
به الهدى وبصرا يبصر به الهدي كما قال تعالى حاكيا عن ابرهيم عليه السلام لم تعبد
ما لا يسمع ولا يبصر، وقد يراد بالسميع المطيع كقوله سمعا وطاعة وبالبصير العالم
يقال لفلان بصر في هذا الامر، وقيل بل المراد السمع والبصر الحاستان المعروفتان
والله تعالى خصهما بالذكر لانهما اعظم الحواس واشرفها **قوله تعالى** انا هديناه
السبيل، اي بينا له وعرفناه طريق الهدى والضلال والخير والشر بعث الرسل
فامن او كفر، وقال مجاهد بينا له السبيل هنا خروجه من الرحم، وقيل منافعه
ومضاره التي يهتدي اليها بطبعه وكمال عقله **فصل** قال ابن الخطيب
اخبر الله تعالى انه بعد ان ركبه واعطاه الحواس الظاهرة والباطنة بين له
سبيل الهدى والضلالة، قال والاية تدل على ان العقل متاخر عن الحواس
وهو كذلك ثم تنشا عنها عقايد صادقة اولية كعلمنا بان النفي والاثبات
لا يجتمعان ولا يرتفعان وان الكل اعظم من الجزء وهذه العلوم الاولية هي العقل
قال الفرا هدى يتعدى بنفسه وباللام **قوله** اما شاكرا، نصب على الحال
وفيه وجهان احدهما انه حال من مفعول هديناه اي هديناه مبينا له كلتا حالتيه
قال ابو البقا وقيل هي حال مقدرة قال شهاب الدين لانه حين الهداية على اول البيان

له

له وفي ذلك الوقت غير متصف باحدى الصفتين، والثاني انه حال من السبيل على المجاز
قال الزمخشري ويجوز ان يكونا حالين من السبيل اي عرفناه السبيل اما سبيلا شاكرا
واما سبيلا كفورا كقوله تعالى وهديناه النجدين فوصف السبيل بالشكر والكفر مجازا
والعامة على كسر همزة اما وهي المراد فيها لا وتقدم خلاف النحويين فيها، ونقل مكي عن
الكوفيين ان ههنا ان الشرطية زيدت بعدها ما ثم قال هذا لا يجيزه البصريون لان
ان الشرطية لا تدخل على الاسما الا ان يضمر فعل نحو وان احد ولا يصح اضمار الفعل ههنا
لانه كان يلزم رفع شاكرا مع اضمار الفعل، ويمكن ان يضمر فعل ينصب شاكرا تقديره
ان خلقناه شاكرا فشكور وان خلقناه كافرا فكفور، وقرا ابو السمال وابو العجاج
بفتحها وفيها وجهان احدهما انها العاطفة وانها لغة بعضهم فتح همزتها، وانشدوا على
ذلك بلغتها اما شمال عرية، واما صبا جنح العشي هبوب، بفتح الهمزة ويجوز مع فتح
الهمزة ابدال ميمها الاولى يا قال ايما الى جنة ايما الى نار، وحذف الواو بينهما، والثاني
انها التفصيلية وجوابها مقدر، قال الزمخشري وهي قراة حسنة والمعنى اما شاكرا فبتوفيقنا
واما كفورا فبسوء اختياره انتهى ولم يذكر غيره **فصل** قال
ابن الخطيب بعد حكايته ان شاكرا وكفورا حالان ان المعنى كلما يتعلق بهداية الله تعالى
وارشاده فقد تم حالتي الكفر والايمان، قال وقيل انتصب شاكرا وكفورا باضمار كان
والتقدير سوا كان شاكرا او كان كفورا، وقيل معناه انا هديناه السبيل ليكون اما شاكرا
واما كفورا اي ليتميز شكره من كفره وطاعته لقوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا قال
القفال ومجاز هذه الكلمة على هذا التاويل كقولك قد نصحت لك ان شيت فاقبل وان
شيت فاترك اي فان شيت فتحذف الفا، وقد يحتمل ان يكون ذلك على جهة الوعيد
اي انا هديناه السبيل فان شا فليشكر وان شا فليكفر فانا قد اعتدنا للكافرين
كذا كقوله وقل الحق من ربكم فمن شا فليومن ومن شا فليكفر، وقيل حالان من السبيل
اي عرفناه السبيل اما سبيلا شاكرا واما سبيلا كفورا ووصف السبيل بالشكر والكفر
مجازا، قال ابن الخطيب وهذه الاقوال لايقة بمذهب المعتزلة، وقيل قول خامس
مطابق لمذهب اهل السنة واختاره الفرا وهو ان يكون اما في هذه الاية كما في قوله
تعالى اما يعذبهم واما يتوب عليهم والتقدير انا هديناه السبيل ثم جعلناه تارة
شاكرا وتارة كفورا، ويويده قراة ابي السمال المتقدمة قالت المعتزلة هذا التاويل
باطل لتهديده الكفار بعد هذه الاية بقوله تعالى انا اعتدنا للكافرين سلاسل
واغلالا وسعيرا ولو كان كفر الكافر من الله وبخلقه لما جاز منه ان يهدده عليه
ولما بطل هذا التاويل ثبت ان الحق هو التاويل الاول وانه تعالى هدى جميع المكلفين
سوا امن او كفر ولهذا بطل قول المجبرة، واجيب بانه تعالى لما علم من الكافر انه لا
يومن ثم كلفه بان يومن فقد كلفه الجمع بين العلم بعدم الايمان ووجود الايمان وهذا
تكليف بالجمع بين المتنافيين فان لم يصر هذا عذرا في سقوط التهديد والوعيد
جاز ايضا ان يخلق الكفر فيه ولا يصير ذلك عذرا في سقوط التهديد والوعيد واذا
ثبت هذا ظهر ان هذا التاويل هو الحق وبطل تاويل المعتزلة **فصل** قال
القرطبي جمع بين الشاكر والكفور ولم يجمع بين الشكور والكافر مع اجتماعهما في معنى
المبالغة نفيا للمبالغة في الشكر واثباتا لها في الكفر لان شكر الله تعالى لا يودى
فانتفت عنه المبالغة ولم تنتف عن الكفر المبالغة فقل شكره لكثرة النعم عليه وكثر كفره

وان قل مع الاحسان اليه حكاه الماوردي **قوله تعالى** انا اعتدنا للكافرين
سلاسل قرا نافع والكسائي وهشام وابو بكر بتنوين سلاسلا والباقون بغير تنوين
ووقف هولا وحمزة وقنبل عليه بالالف بلا خلاف وابن ذكوان والبزي وحفص بالالف
وبدونها يعني بالخلاف والباقون وقفوا بدون الف بلا خلاف فقد حصل من هذا
ان القرا على اربع مراتب منهم من ينون وصلا ويقف بالالف وقفا بلا خلاف
وهما حمزة وقنبل ومنهم من لم ينون ويقف بالالف بلا خلاف وهو ابو عمرو وحده
ومنهم من لم ينون ويقف بالالف تارة وبدونها اخرى وهم ابن ذكوان وحفص
والبزي فهذا اضبط ذلك فاما التنوين في سلاسل فذكروا له اوجها منها انه
قصد بذلك التناسب لان ما قبله وما بعده منون منصوب ومنها ان الكسائي
وغيره من اهل الكوفة حكوا عن بعض العرب انهم يصرفون جميع ما لا ينصرف الا افعل
منك قال الاخفش سمعنا من العرب من يصرف كل ما لا ينصرف لان الاصل في الاسما
الصرف وترك الصرف لعارض فيها وان هذا الجمع قد جمع وان كان قليلا قالوا صواحب
وصواحبات وفي الحديث انكن لصواحبات يوسف وقال قد جرت الطير ايامنينا
فجمع ايامن جمع تصحيح المذكر وانشدوا م

واذا الرجال راوا يزيد رايتهم ❊ خضع الرقاب نواكسي الابصار

بكسر السين من نواكس وبعدها يا نظهر خطا لا لفظا لالتقا الساكنين وهذا على رواية
كسر السين والاشهر فيها نصب السين فلما جمع شابه المفردات فانصرف ومنها
انه مرسوم في امام الحجاز والكوفة بالالف رواه ابو عبيد ورواه قالون عن نافع
وروى بعضهم ذلك عن مصاحف البصرة ايضا وقال الزمخشري وفيه وجهان
احدهما ان تكون هذه النون بدلا من حرف الاطلاق ويجري الوصل مجرى الوقف
والثاني ان يكون صاحب هذه القراة ممن ضري برواية الشعر ومرن لسانه على
صرف ما لا ينصرف قال شهاب الدين وفي هذه العبارة فظاظة وغلظة لا سيما
على منتجبة الاسلام وايمة العلما الاعلام ووقف هولا بالالف ظاهر واما من
لم ينونه فظاهر لانه على صيغة منتهى الجموع وقولهم قد جمع نحو صواحبات واناميين
لا يقدح لان المحذور جمع التكسير وهذا جمع تصحيح وعدم وقوفهم بالالف واضح ايضا
واما من لم ينون ووقف بالالف فاتباعا للرسم الكريم كما تقدم وايضا فان الروم
في المفتوح لا يجوزه القرا والقاري قد يبين الحركة في وقفه فاتوا بالالف لتبين
منها الفتحة وروي عن بعضهم انه يقول رايت عمرا بالالف يعني عمر بن الخطاب
رضي الله عنه والسلاسل جمع سلسلة وهي القيود في جهنم وقد تقدم الكلام
فيها في سورة الحاقة **فصل** اعلم انه بين ههنا حال الفريقين وانه تعبد
العقلا وكلفهم ومكنهم مما امرهم فمن كفر فله العقاب ومن وحد وشكر فله الثواب
والاعتداد هو اعتداد الشي حتى يكون عتيدا حاضرا متى احتيج اليه كقوله تعالى
هذا ما لدي عتيد والاغلال جمع غل تغل بها ايديهم الى اعناقهم وتقدم الكلام
في السعير ايضا **قوله تعالى** ان الابرار يشربون من كاس الاية لما
ذكر ما اعد للكافرين ذكر ما اعد للشاكرين والابرار اهل الصدق واحدهم بر
وهو من امتثل امر الله تعالى وقيل البر الموحد والابرار جمع مثل شاهد واشهاد
وقيل هو جمع بر مثل نهر وانهار وفي الصحاح وجمع البار البررة وفلان يبر

خالقه ويتبرره اي يطيعه والام برة بولدها وروى ابن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال انما سماهم الله تعالى الابرار لانهم بروا الاباء والابنا كما ان لوالدك
عليك حقا كذلك لولدك عليك حقا وقال الحسن البر الذي لا يوذي الذر وقال قتادة
الابرار الذين يودون حق الله ويوفون بالنذر وفي الحديث الابرار الذين لا يوذون
احدا يشربون من كاس اي من انا فيه الشراب قال ابن عباس يريد الخمر والكاس
في اللغة الانا فيه الشراب واذا لم يكن فيه الشراب لم يسم كاسا **قوله تعالى**
كان مزاجها كافورا المزاج ما يمزج به اي يخلط يقال مزجه يمزجه مزجا اي خلطه
يخلطه خلطا قال حسان كان سبيئة من بيت راس يكون مزاجها عسل وماء
فالمزاج كالقوام اسم لما يقام به الشي ومنه مزاج البدن وهو ما يمازجه من الصفرا
والسودا والحرارة والبرودة والكافور ايضا طيب معروف وكان اشتقاقه من الكفر
وهو الستر لانه يغطي الاشيا برايحته والكافور ايضا كمام الشجر الذي يغطي ثمرتها
قال بعضهم الكافور فاعول من الكفر وهو التغطية كالناقور من النقر والقاموس من
القمس تقول غمسته في الما اي غمرته والكفر القرية والجبل العظيم قال ليطلع رباه من
الكفرات والكافور البحر والكافر الليل والكافر الساتر لنعم الله تعالى والكافر
الزارع لتوريته الحب في الارض قال الشاعر

وكافر مات على كفره ❊ وجنة الفردوس للكافر

والكفارة تغطية الاثم في اليمين الفاجرة والنذور الكاذبة بالمغفرة والكافور
ما جوف شجر مكنون يفترزونه بالحديد فيخرج الى ظاهر الشجر فيضربه الهوا فيجمد
وينعقد كالصمغ الجامد على الاشجار ويقال كفر الرجل تكفيرا اذا وضع يده على صدره
فصل قال ابن الخطيب مزج الكافور بالمشروب لا يكون لذيذا فما السبب
في ذكره والجواب من وجوه احدها قال ابن عباس اسم عين ما في الجنة يقال له عين
الكافور اي يمازجه ما هذه العين التي تسمى كافورا في بياض الكافور ورايحته وبرده
ولكن لا يكون فيه طعمه ولا مضرته وثانيها ان رايحة الكافور عرض والعرض لا يكون
الا في جسم فخلق الله تعالى تلك الرايحة في جرم ذلك التراب فسمى ذلك الجسم كافورا
وان كان طعمه طيبا فيكون الكافور ريحها لا طعمها وثالثها ان الله تبارك وتعالى
يخلق الكافور في الجنة مع طعم لذيذ ويسلب عنه ما فيه من المضرة ثم انه تعالى يمزجه
بذلك الشراب كما انه تعالى يسلب عن جميع الماكولات والمشروبات ما معها في الدنيا
من المضار قال سعيد قال قتادة يمزج لهم بالكافور ويختم بالمسك وقيل اراد
بالكافور في بياضه وطيب رايحته وبرده لان الكافور لا يشرب كقوله تعالى حتى
اذا جعله نارا اي كنار وقيل كان في علم الله تعالى وكان زايدة اي من كاس مزاجها
قال القرطبي ويقال كافور وقافور وهي قراة عبد الله بالقاف بدل الكاف وهذا
من التعاقب بين الحرفين كقولهم عربي قح وكح ومفعول يشربون اما محذوف
اي يشربون ما او خمرا من كاس واما مذكور وهو عينا واما من كاس ومن
مزيدة فيه وهذا يتمشى عند الكوفيين والاخفش وقال الزمخشري فان قلت
لم وصل فعل الشرب بحرف الابتدا اولا وبحرف الالصاق اخرا قلت لان الكاس مبدا
شربهم واول غايته واما العين فبها يمزجون شرابهم فكان المعنى يشرب عباد الله
الخمر كما تقول شربت الما بالعسل **قوله** عينا في نصبها اوجه احدها بدل من كافورا

لان ماءها في بياض الكافور وفي رائحته وبرده. الثاني انها بدل من محل من كاس قاله مكي ولم يقدر حذف مضاف وقدر الزمخشري على هذا الوجه حذف مضاف قال كانه قيل يشربون خمرا خمر عين. واما ابو البقاء فجعل المضاف مقدرا على وجه البدل من كافورا والثاني بدلا من كافورا اي من ماء عين او خمر عين وهو معنى حسن. الثالث انها مفعول بيشربون اي يشربون عينا من كاس. الرابع ان تنتصب على الاختصاص الخامس باضمار يشربون لتفسيره ما بعده قاله ابو البقاء وفيه نظر لان الظاهر انه صفة لعين فلا يصح ان يفسر. السادس باضمار يعطون. السابع على الحال من الضمير في مزاجها قاله مكي. وقال القرطبي نصب باضمار اعني **قوله** يشرب بها في الباء اوجه. احدها انها مزيدة اي يشربها ويدل له قراءة ابن ابي عبلة يشربها معدى الى الضمير بنفسه. الثاني انها بمعنى من. الثالث انها حالية اي ممزوجة بها الرابع انها متعلقة بيشرب والضمير يعود الى الكاس اي يشربون العين بذلك الكاس. والباء للالصاق كما تقدم في قول الزمخشري. الخامس انه على تضمين يشربون معنى يلتذون بها شاربين. السادس على تضمين معنى يروى اي يروى بها عباد الله وكهذه الاية الكريمة في بعض الاوجه قول الهذلي م

شربن بماء البحر ثم ترفعت ... متى لجج خضر لهن نئيج

فهذه تحتمل الزيادة وتحتمل ان تكون بمعنى من. وقال الفراء يشربها ويشرب بها سواء في المعنى وكان يشرب بها يروى بها وينقع بها وانشد قول الهذلي قال ومثله يتكلم بكلام حسن ويتكلم كلاما حسنا. والجملة من قوله يشرب بها في محل نصب صفة لعينا ان جعلنا الضمير في بها عائدا على عينا ولم نجعله مفسرا الناصب كما قاله ابو البقاء ويفجرونها في موضع الحال **فصل** قال ابن الخطيب قوله يشرب بها عباد الله يفيد ان كل عباد الله يشربون منها والكفار بالاتفاق لا يشربون منها فدل على ان لفظ عباد الله مختص باهل الايمان. واذا ثبت هذا فقوله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر لا يتناول الكفار بل يختص بالمؤمنين فيصير تقدير الاية ولا يرضى لعباده المؤمنين الكفر ولا تدل الاية على انه تعالى لا يريد الكفر للكافر **قوله تعالى** يفجرونها تفجيرا. اي يشققونها شقا كما يفجر الرجل النهر هاهنا وهاهنا الى حيث شاءوا ويتبعهم حيث مالوا مالت معهم. روى القرطبي عن الحسن رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع عيون في الجنة تجريان من تحت العرش احداها التي ذكر الله عز وجل يفجرونها تفجيرا والاخرى وعينان تجريان من فوق العرش نضاختان احداهما التي ذكر الله تعالى سلسبيلا والاخرى التسنيم ذكره الحكيم الترمذي في نوادر الاصول وقال فالتسنيم للمقربين خاصة شربا لهم والكافور للابرار شربا لهم يمزج للابرار من ماء التسنيم شرابهم. واما الزنجبيل والسلسبيل فللابرار منها مزاج هكذا ذكره في التنزيل وسكت عن ذكر ذلك لمن هي شرب فما كان للابرار منها مزاج فهو للمقربين صرف وما كان للابرار صرف فهو لسائر اهل الجنة مزاج والابرار الصادقون والمقربون الصديقون **قوله تعالى** يوفون بالنذر يجوز ان يكون مستانفا لا محل له البتة. ويجوز ان يكون خبرا لكان مضمرة قال الفراء التقدير كانوا يوفون بالنذر في الدنيا وكانوا يخافون انتهى. وهذا لا حاجة اليه. الثالث جواب لمن قال ما لهم يرزقون ذلك فقال الزمخشري يوفون جواب

من

من عسى يقول ما لهم يرزقون ذلك. قال ابو حيان واستعمل عسى صلة لمن وهو لا يجوز واتى بالمضارع بعد عسى غير مقرون بان وهو قليل او في الشعر **فصل** معناه لا يخلفون اذا نذروا. وقال معمر عن قتادة يأتون بما فرض الله عليهم من الصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة وغيره من الواجبات. وقال مجاهد وعكرمة يوفون اذا نذروا في حق الله تعالى. وقال الفراء والجرجاني وفي الكلام اضمار اي كانوا يوفون بالنذر في الدنيا والعرب قد تزيد مرة كان. وقال الكلبي يوفون ثم بالنذر اي يتممون العهود لقوله تعالى واوفوا بعهد الله واوفوا بالعقود امروا بالوفاء بها لانهم عقدوها على انفسهم باعتقادهم الايمان. قال القرطبي والنذر حقيقة ما اوجبه المكلف على نفسه من الطاعات ما لو لم يوجبه لم يلزمه. وقال ابن الخطيب الايفاء بالشيء هو الاتيان به وافيا. وقال ابو مسلم النذر كالوعد الا انه اذا كان من العباد فهو نذر وان كان من الله فهو وعد. واختص هذا اللفظ في عرف الشرع بان يقول لله علي كذا وكذا من الصدقة او يعلق ذلك بامر يلتمسه من الله تعالى مثل ان يقول ان شفى الله مريضي او رد غائبي فعلي كذا او كذا. واختلفوا فيما اذا علق ذلك بما ليس من وجوه البر كقوله ان اتى فلان الدار فعلي كذا فمنهم من جعله كاليمين ومنهم من جعله من باب النذور **فصل** قال القشيري روى اشهب عن مالك رضي الله عنه انه قال يوفون بالنذر هو نذر العتق والصيام والصلاة وروى عنه ابو بكر بن عبد العزيز قال قال مالك يوفون بالنذر قال النذر هو اليمين. قال ابن الخطيب هذه الاية تدل على وجوب الوفاء بالنذر لانه تعالى قال عقيبه ويخافون يوما. وهذا يقتضي انهم انما وفوا بالنذر خوفا من شر ذلك اليوم والخوف من شر ذلك اليوم لا يتحقق الا اذا كان الوفاء به واجبا ويؤكده قوله تعالى ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقوله تعالى ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وهذا يحتمل ليوفوا اعمال نسكهم التي الزموها انفسهم **فصل** قال الفراء وجماعة من اهل المعاني كان في قوله تعالى كان مزاجها كافورا زائدة. واما هاهنا زائدة واما هاهنا فكان محذوفة والتقدير كانوا يوفون بالنذر. قال ابن الخطيب ولقائل ان يقول انا بينا ان كان في قوله تعالى كان مزاجها ليست بزائدة واما في هذه الاية فلا حاجة الى اضمارها لانه تعالى ذكر في الدنيا ان الابرار يشربون اي سيشربون فان لفظ المضارع مشترك بين الحال والاستقبال ثم قال السبب في ذلك الثواب الذي سيجدونه انهم الان يوفون بالنذر **قوله تعالى** ويخافون يوما كان شره مستطيرا. اي يخافون يوم القيامة وكان شره في موضع نصب صفة ليوم. والمستطير المنتشر يقال استطار يستطير استطارة فهو مستطير وهو استفعل من الطيران. قال الاعشى فبانت وقد اسارت في الفؤاد صدعا على نايها مستطيرا. والعرب تقول استطار الصدع في القارورة والزجاجة او استطال اذا امتد. ويقال استطار الحريق اذا انتشر. وقال الفراء المستطير المستطيل كانه يريد انه مثله في المعنى لا انه ابدل من اللام راء والفجر فجران مستطيل كذنب السرحان وهو الكاذب ومستطير وهو الصادق لانتشاره في الافق قال قتادة استطار والله شر ذلك اليوم حتى ملأ السموات والارض. وقال مقاتل كان شره فاشيا في السموات فانشقت وتناثرت

الكواكب وفزعت الملائكة وفي الارض نسفت الجبال وغارت المياه ، فان قيل احوال القيمة واهوالها كلها فعل الله تعالى وكلما كان فعلا لله فهو حكمة وصواب وما كان كذلك لا يكون شرا فكيف وصفها الله بانها شر ، فالجواب انها سميت شرا لكونها مضرة بمن تنزل عليه وصعبة كما سمي الامراض وساير الامور المكروهة شرورا ، قال ابن الخطيب وقيل المستطير هو الذي يكون سريع الوصول الى اهله وكان هذا التاويل ذهب الى الطيران الاسرع ، فان قيل لم قال كان شره ولم يقل سيكون شره مستطيرا فالجواب ان اللفظ وان كان للماضي الا ان معناه كان شره في علم الله وحكمه **قوله تعالى** ويطعمون الطعام على حبه ، هذا الجار والجرور حال اما من الطعام اى كاينين على حبهم الطعام كقوله تعالى واتى المال على حبه ، قال ابن عباس ومجاهد على قلته وحبهم اياه وشهوتهم له ، واما من الفاعل ، والضمير في حبه لله تعالى اى على حب الله وعلى التقديرين فهو مصدر مضاف للمفعول ، قال الفضيل ابن عياض على حب الطعام **قوله** مسكينا ، اى ذا مسكنة ، ويتيما ، اى من يتامى المسلمين ، واسيرا ، اى الذى يوسر فيحبس وذلك ان المسكين عاجز عن الاكتساب بنفسه ، واليتيم هو الذي مات من يكتسب له وبقي عاجزا عن الكسب لصغره ، والاسير هو الماخوذ من قومه المملوك رقبته الذى لا يملك لنفسه نصرا ولا حيلة ، قال ابن عباس والحسن وقتادة الاسير من اهل الشرك يكون في ايديهم ، فان قيل لما وجب قتله فكيف يجب اطعامه ، فالجواب ان القتل في حال لا يمنع من الاطعام في حال اخرى ولا يجب اذا عوقب بوجه ان يعاقب بوجه اخر ، وكذلك لا يحسن فيمن عليه قصاص ان يفعل به ما هو دون القتل ويجب على الامام ان يطعمه فان لم يفعله الامام وجب على المسلمين ، وقال مجاهد وسعيد بن جبير الاسير المحبوس ، وقال السدى الاسير المملوك ، وقيل الاسير الغريم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسيرك غريمك ، وقال عطا الاسير من اهل القبلة وغيرهم ، قال القرطبي وهذا يعم جميع الاقوال ويكون اطعام الاسير المشرك قربة غير انه من صدقة التطوع فاما المفروضة فلا ، وقيل الاسير الزوجة قال صلى الله عليه وسلم اتقوا الله في النسا فانهن عوان عندكم قال القفال واللفظ يحتمل كل ذلك لان اصل الاسر هو الشد بالقيد وكان الاسير يفعل به ذلك حبسا له

فصل

قال القرطبي قيل نسخ اية المسكين طعام الصدقات واطعام الاسير السيف قاله سعيد ابن جبير ، وقال غيره بل هو ثابت الحكم واطعام اليتيم والمسكين على التطوع واطعام الاسير لحفظ نفسه الى ان يتخير فيه الامام ، قال الماوردي ويحتمل ان يريد بالاسير الناقص العقل لانه في اسر خبله وجنونه واسر المشرك انتقام يقف على راى الامام وهذا بر واحسان **قوله تعالى** انما نطعمكم لوجه الله على اضمار القول اى يقولون بالسنتهم لليتيم والمسكين والاسير انما نطعمكم في الله جل ثناوه فزعا من عذابه وطمعا في ثوابه لا نريد منكم جزا ولا شكورا اى ولا تثنوا علينا بذلك ، قال ابن عباس كذلك كانت نياتهم في الدنيا حين اطعموا ، وعن مجاهد اما انهم ما تكلموا به ولكن علمه الله منهم فاثنى عليهم ليرغب في ذلك راغب ، قيل هذه الاية نزلت في مطعم بن ورقا الانصارى نذر نذرا فوفا به ، وقيل نزلت فيمن تكفل باسرى بدر وهم سبعة من المهاجرين ، ابو بكر ، وعمر ، وعلي ، والزبير ، وعبد الرحمن بن عوف وسعيد ، وابو عبيدة رضي الله عنهم ذكره الماوردي ، وقال مقاتل نزلت

في رجل من الانصار اطعم في يوم واحد مسكينا ويتيما واسيرا ، وقيل نزلت في علي وفاطمة رضي الله عنهما وجارية لهما اسمها فضة ، قال القرطبي انها نزلت في جميع الابرار ومن فعل فعلا حسنا فهي عامة وما ذكره عن علي وفاطمة لا يصح ، وروى جابر الجعفي في قوله تعالى يوفون بالنذر عن قنبر مولى علي رضي الله عنه قال مرض الحسن والحسين حتى عادهما اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر رضي الله عنه يا ابا الحسن لو نذرت عن ولدك نذرا فقال علي رضي الله عنه ان براء ولدى صمت لله ثلاثة ايام شكرا فقالت جارية لهم ان برا سيدى صمت لله ثلاثة ايام شكرا وقالت فاطمة رضي الله عنها مثل ذلك وقال الحسن والحسين علينا مثل ذلك وذكر الحديث قال اهل الحديث جابر الجعفي كذاب

فصل

قال ابن الخطيب اعلم ان الاحسان الى الغير تارة يكون لاجل الله وتارة يكون لغير الله اما طلبا للمكافاة او طلبا للحمد والثنا وتارة يكون لهما وهذا هو الشرك والاول هو المقبول عند الله ، واما القسمان الباقيان فمردودان قال الله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذى ينفق ماله رئا الناس ، وقال تعالى وما اتيتم من ربا ليربو في اموال الناس فلا يربو عند الله وما اتيتم من زكاة تريدون وجه الله فاوليك هم المضعفون ، ولا شك ان التماس الشكر من جنس المن والاذى اذا عرفت ذلك فنقول القوم لما قالوا انما نطعمكم لوجه الله بقي فيه احتمال انه اطعمه لوجه الله ولساير الاغراض على سبيل التشريك فلا جرم نفى هذا الاحتمال بقوله تعالى لا نريد منكم جزا ولا شكورا

فصل

الشكور والكفور مصدران كالشكر والكفر وهو على وزن الدخول والخروج وهذا قول جمهور اهل اللغة وقال الاخفش ان شئت جعلت الشكور جماعة الشكر وجعلت الكفور في قوله تعالى فابى الظالمون الا كفورا مثل برد وبرود ، وان شئت جعلته مصدرا واحدا في معنى جمع مثل قعد قعودا وخرج خروجا **قوله** انا نخاف من ربنا ، يحتمل وجهين ، احدهما ان احساننا اليكم للخوف من شدة ذلك لا لارادة مكافاتكم ، والثاني لا نريد منكم المكافاة لخوف عقاب الله على ترك المكافاة بخوف عقاب الله على طلب المكافاة بالصدقة ، فان قيل انه تعالى لما حكى عنهم الايفا بالنذر وعلل ذلك بخوف القيمة فقط ، ولما حكى عنهم الاطعام علل ذلك بامرين بطلب رضى الله تعالى وبالخوف فما الحكمة في ذلك ، والجواب ان النذر هو الذي اوجبه على نفسه لاجل الله فلما كان كذلك لا جرم علله بخوف القيمة فقط ، واما الاطعام فالله تعالى هو الذي شرعه فلا جرم ضم اليه خوف القيمة **قوله** يوما عبوسا قمطريرا ، القمطرير الشديد واصله كما قال الزجاج مشتق من اقمطرت الناقة اذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها ورمت بانفها قال الزمخشرى فاشتقه من القطر وجعلت الميم مزيدة قال اسد بن ناعصة

واصطلت بالحروب في كل يوم ، باسل الشر قمطرير الصباح

قال ابو حيان واختلف النحاة في هذا الوزن والاكثر على انه لا يثبت افعلل في اوزان الافعال ، ويقال اقمطر يقمطر فهو مقمطر ، قال الشاعر ، بلوت العذب بزبير ، تكسوا اسنها لحا ويقمطر ، ويوم قمطرير وقماطر بمعنى شديد ، قال الشاعر ، ففروا اذا ما الحرب ثار غبارها ، ولج بها اليوم الشديد القماطر وقال الزجاج القمطرير الذى يعبس حتى يجمع ما بين عينيه انتهى ، فعلى هذا استعماله

في اليوم مجاز وفي بعض كلام الزمخشري انه يجعله من القمط فعلى هذا يكون الراء فيه مزيدتين وقال القرطبي القمطرير الطويل قال الشاعر شديدا عبوسا قمطريرا تقول العرب يوم قمطرير وقماطر وعصيب بمعنى وانشد الفراء

بني عمنا هل تذكرون بلاءنا ⁂ عليكم اذا ما كان يوم قماطر

بضم القاف واقمطر اذا اشتد وقال الاخفش القمطرير اشد ما يكون من الايام واطوله في البلاء وانشد ففروا اذا ما الحرب الست المقدم وقال الكسائي يقال اقمطر اليوم وازمهر اقمطرارا وازمهرارا وهو الزمهرير والقمطرير ويوم مقمطر اذا كان صعبا شديدا قال الهذلي بنو الحرب اوضعنا لهم مقمطرة ومن يلق منا يلق يوما ذلك اليوم بهرب والعبوس ايضا صفة لليوم اي يوما تعبس فيه الوجوه من هوله وشدته والمعنى نخاف يوما ذا عبوس وقال ابن عباس يعبس الكافر يومئذ حتى يسيل عرقه كالقطران الضير وقال مجاهد ان العبوس بالشفتين والقمطرير بالجبهة والحاجبين فجعلها من صفات الوجه المتغير من شدائد ذلك اليوم قوله تعالى فوقاهم الله شر ذلك اليوم اي دفع عنهم باس ذلك اليوم وشدته وعذابه وقرا ابو جعفر فوقاهم الله بتشديد القاف على المبالغة واعلم انه تعالى لما حكى عنهم انهم اتوا بالطاعات لغرضين لاجل رضى الله والخوف من القيمة بين هاهنا انه اعطاهم هذين الغرضين وهو انه حفظهم من اهوال القيمة وهو قوله جل ثناؤه فوقاهم الله شر ذلك اليوم واما طلبهم رضى الله فاعطاهم بسببه نضرة في الوجه اي حسنا حين راوه وسرورا في القلب قال الضحاك النضرة البياض والنقا وقال ابن جبير الحسن والبها وقال ابن زيد اثر النعمة قوله تعالى وجزاهم بما صبروا ما مصدرية وجنة مفعول ثان اي جزاهم جنة بصبرهم وقدر مكي مضافا فقال تقديره دخول جنة وليس حرير المعنى وجزاهم بصبرهم على الفقر وقال القرطبي على الصوم وقال عطا على الجوع ثلاثة ايام وهي ايام نذر وقيل بصبرهم على طاعة الله وصبرهم عن معصية الله ومحارمه وهذا يدل على ان الاية نزلت في جميع الابرار ومن فعل فعلا حسنا وروى ابن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الصبر فقال الصبر اربعة اولها الصبر عند الصدمة الاولى والصبر على اداء الفرائض والصبر على اجتناب محارم الله تعالى والصبر على المصائب وقوله تعالى جنة وحريرا اي ادخلهم الجنة والبسهم الحرير قوله متكئين حال من مفعول جزاهم والعامل فيها جزا ولا يعمل فيها صبروا لان الصبر انما كان في الدنيا والاتكا في الاخرة وقرا علي رضي الله عنه وجازاهم وجوز ابو البقا ان يكون صفة لجنة وهذا لا يجوز عند البصريين لانه كان يلزم بروز الضمير فيقال متكئين فيها هم لجريان الصفة على غير من هي له وقد منع مكي ان يكون متكئين صفة لجنة لما ذكرنا من عدم بروز الضمير وممن ذهب الى كون متكئين صفة لجنة الزمخشري فانه قال ويجوز ان يكون متكئين ولا يرون ودانية كلها صفات الجنة وهو مردود بما تقدم ولا يجوز ان يكون متكئين حالا من فاعل صبروا لان الصبر كان في الدنيا واتكاوهم انما هو في الاخرة قال معناه مكي ولقائل ان يقول ان لم يكن المانع الا هذا فاجعلها حالا مقدرة لان مالهم بسبب صبرهم الى هذه الحال وله نظائر قال ابن الخطيب وقال الاخفش وقد ينصب على المدح والضمير في فيها اي في الجنة وقال

الفرا

الفراء وان شئت جعلت متكئين تابعا كانه قال جزاهم جنة متكئين فيها والارائك السرر في الحجال وجاءت عن العرب اسما تحتوي على صفات احدها الاريكة لا تكون الا في حجلة على سرير وثانيها السجل هو الدلو الملوما فاذا صفرت لم يسم سجلا وكذلك الذنوب لا يسمى ذنوبا حتى يملا قاله القرطبي وهذا فيه نظر لانه قد ورد في شعر العرب يصف البازي قال يمشي المراح كالذنوب المرسل يعني الدلو اذا التقى في البير وهي لا يلقى في البير الا اذا كان فارغا قال والكاس لا يسمى كاسا حتى يترع من الخمر قال وكذلك الطبق الذي يهدى فيه الهدية اذا كانت فيه مهدي فان كان فارغا يسمى طبقا او خوانا قال ابن الاعرابي مهدى بكسر الميم ولا يسمى الطبق مهديا الا وفيه ما يهدى والمهدا بالمد الذي من عادته ان يهدي وقيل الارائك الفرش على السرر قال ذو الرمة

خدود جفت في السير حتى كانها ⁂ يباشرن بالمعزاء مس الارائك

اي الفرش على السرر قوله لا يرون فيها شمسا فيها اوجه احدها انها حال ثانية من مفعول جزاهم الثاني انها حال من الضمير المرفوع المستكن في متكئين فتكون حالا متداخلة الثالث ان تكون صفة لجنة كمتكئين عند من يرى ذلك كما تقدم عن الزمخشري والزمهرير اشد البرد وهذا هو المعروف وقيل هو القمر بلغة طي وانشد

في ليلة ظلامها قد اعتكر ⁂ قطعتها والزمهرير ما زهر

ويروى ما ظهر اي لم يطلع القمر والمعنى لا يرون فيها شمسا كشمس الدنيا ولا قمرا كقمر الدنيا اي انهم في ضياء مستديم لا ليل فيه ولا نهار ضوء النهار بالشمس وضوء الليل بالقمر والمعنى ان الجنة لا يحتاج فيها الى شمس ولا الى قمر ووزنه فعليل وقيل المعنى لا يرون في الجنة شدة حر كحر الشمس ولا زمهريرا اي ولا بردا مفرطا قال صلى الله عليه وسلم اه اشتكت النار الى ربها سبحانه وتعالى فقالت يا رب اكل بعضي بعضا فجعل لها نفسين نفسا في الشتا ونفسا في الصيف فشدة ما تجدون من البرد من زمهريرها وشدة ما تجدونه من الحر في الصيف من سمومها قال مرة الهمداني الزمهرير البرد القاطع وقال مقاتل بن حيان هو شي مثل رؤوس الابر ينزل من السما في غاية البرد وقال ابن مسعود رضي الله عنه هو لون من العذاب وهو البرد الشديد حتى ان اهل النار اذا القوا فيه سالوا الله ان يعذبهم في النار الف سنة اهون عليهم من عذاب الزمهرير يوما واحدا قوله تعالى ودانية عليهم العامة على نصبها وفيها اوجه احدها انها عطف على محل لا يرون الثاني انها معطوفة على متكئين فيكون فيها ما فيها قال الزمخشري فان قلت ودانية عليهم ظلالها علام عطفت قلت على الجملة التي قبلها لانها في موضع الحال من المجزيين وهذه حال مثلها عنهم لرجوع الضمير منها اليهم في عليهم الا انها اسم مفرد وتلك جملة في حكم مفرد تقديره غير رائين فيها شمسا ولا زمهريرا ودانية ودخلت الواو للدلالة على ان الامرين مجتمعان لهم كانه قيل وجزاهم جنة جامعين فيها بين البعد عن الحر والبرد ودنو الظلال عليهم الثالث انها صفة لمحذوف اي وجنة دانية قاله ابو البقا كانه قيل وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا واخرى دانية عليهم ظلالها لانهم قد وعدوا جنتين لانهم خافوا مقام ربهم بقوله انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا الرابع انها صفة لجنة الملفوظ بها قاله الزجاج وقال الفرا نصب على المدح اي دنت دانية كقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وقرا ابو حيوة

ودانية بالرفع وفيها وجهان أظهرهما أن يكون ظلالها مبتدأ ودانية خبر مقدم والجملة في
موضع الحال. قال الزمخشري والمعنى لا يرون فيها شمساً ولا زمهريرا والحال أن ظلالها
دانية عليهم. والثاني أن ترتفع دانية بالابتداء وظلالها فاعل به وبه استدل
الأخفش على جواز إعمال اسم الفاعل وإن لم يعتمد نحو قائم الزيدون فإن دانية لم تعتمد على شيء
مما ذكره النحويون ومع ذلك فقد رفعت ظلالها وهذه لا حجة لجواز أن يكون
مبتدأ وخبراً مقدماً كما تقدم. وقال أبو البقا وحكي بالجر أي في جنة دانية وهو
ضعيف لأنه عطف على الضمير المجرور من غير إعادة الجار يعني أنه قرئ شاذاً
ودانية بالجر على أنها صفة لمحذوف ويكون حينئذ نسقاً على الضمير المجرور من قوله
تعالى لا يرون فيها أي ولا في جنة دانية وهو رأي الكوفيين حيث يجوزون العطف
على الضمير المجرور من قوله تعالى من غير إعادة الجار ولذلك ضعفه وتقدم الكلام على ذلك
في البقرة. وأما رفع ظلالها فيجوز أن يكون مبتدأ وعليهم خبر مقدم ولا يرتفع بدانية
لأن دنا يتعدى بإلى لا بعلى. ويجوز أن يرتفع بدانية على أن يضمن معنى مشرفة لأن
دنا وأشرف متقاربان قال معناه أبو البقا وهذان الوجهان جاريان في قراءة
من نصب دانية. وقرأ الأعمش ودانيا بالتذكير مرفوعاً للفصل بين الوصف وبين
مرفوعه بعليهم أو لأن الجمع مذكر. وقرأ أبي ودان عليهم بالتذكير مرفوعاً وهي
شاهدة لمذهب الأخفش حيث يرفع اسم الفاعل وإن لم يعتمد. ولا جائز أن يعرب مبتدأ
وخبراً لعدم المطابقة. وقال مكي وقرئ ودانيا نصب قال ويجوز ودانية بالرفع ويجوز
ذلك بالرفع والتذكير فلم يصرح بأنهما قرئا وقد تقدم أنهما معروفتان فكأنه لم يطلع
على ذلك. **فصل** قال المفسرون معناه أن ظل الأشجار في الجنة قريبة من
الأبرار فهي مظلة عليهم زيادة في نعيمهم. قال ابن الخطيب فإن قيل الظل إنما يوجد
حيث توجد الشمس وهنالك لا شمس في الجنة فكيف يحصل الظل. فالجواب أن أشجار
الجنة تكون بحيث لو كان هناك شمس لكانت الأشجار مظلة منها وإن كان لا شمس ولا قمر كما
أن أمشاطهم الذهب والفضة وإن كان لا وسخ ولا شعث. ثم قوله وذللت يجوز أن
يكون في موضع نصب على الحال عطفاً على دانية فيمن نصبها أي ومذللة. ويجوز أن يكون
حالاً من الضمير في عليهم سواء انتصبت دانية أو رفعتها أم جررتها. ويجوز أن يكون مستأنفة
وأما على قراءة رفع ودانية فيكون جملة فعلية عطفت على اسمية. ويجوز أن يكون حالاً
كما تقدم. **فصل** المعنى وسخرت لهم قطوفها ثمارها. تذليلا أي تسخيرا
فيتناولها القائم والقاعد والمضطجع لا ترد أيديهم عنها. قال ابن قتيبة ذللت أدنيت
منهم من قولهم حائط ذليل إذا كان قصير السمك. وقيل ذللت أي جعلت منقادة لا
تمتنع على قطافها كيف شاؤوا. قال البراء بن عازب رضي الله عنه ذللت لهم فهم يتناولون
منها كيف شاؤوا فمن أكل قائماً لم يؤذه ومن أكل جالساً لم يؤذه ومن أكل مضطجعاً لم يؤذه
وقال ابن عباس إذا هم أن يتناول من ثمارها تدلت إليه حتى يتناول منها ما يريد
وتذليل القطوف تسهيل التناول والقطوف الثمار الواحد قطف بكسر القاف سمي به
لأنه يقطف كما سمي الجنى لأنه يجنى. **قوله** تذليلا تأكيد لما وصف به من الذل كقوله تعالى
ونزلناه تنزيلا وكلم الله موسى تكليما. قال الماوردي ويحتمل تذليل قطوفها أن تبرز
لهم من أكمامها وتخلص لهم من نواها. وقال النحاس ويقال المذلل الذي قد ذلله
الماء أي أرواه ويقال المذلل الذي يفيئه أدنى ريح لنعمته ويقال المستوي لأن أهل

الحجاز يقولون ذلل نخلك أي سوه. **قوله تعالى** ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب
كانت قواريرا. لما وصف طعامهم ولباسهم ومسكنهم وصف شرابهم. وقدم وصف
الأواني التي يشرب بها ومعنى يطاف أي يدور على هؤلاء الأبرار الخدم إذا أرادوا الشرب
بآنية من فضة. قال ابن عباس ليس في الدنيا شيء مما في الجنة إلا الأسماء أي الذي في
الجنة أشرف وأعلى ثم لم ينف الأكواب الذهبية بل المعنى يسقون في الأواني الفضة
وقد يسقون في أواني الذهب كما قال تعالى سرابيل تقيكم الحر أي والبرد فنبه بذكر
أحدهما على الآخر. **قوله** بآنية. هذا هو القائم مقام الفاعل لأنه هو المفعول به
في المعنى. ويجوز أن يكون عليهم. والآنية جمع إناء والأصل أأنية بهمزتين الأولى مزيدة
للجمع والثانية فاء الكلمة فقلبت الثانية ألفاً وجوباً وهذا نظير كساء وأكسية وغطاء
وأغطية. ونظيره في الصحيح اللام حمار وأحمرة. وقوله تعالى من فضة نعت لآنية
قوله وأكواب. الأكواب هي الكيزان العظام التي لا آذان لها ولا عرى واحدها
كوب. قال عدي هم

متكي تقرع أبوابه ... يسعى عليه العبد بالكوب هم

وقد مضى في الزخرف. **قوله تعالى** كانت قواريرا. اختلف القراء في هذين الحرفين
بالنسبة إلى التنوين وعدمه وفي الوقوف بالألف وعدمها كما تقدم خلافهم في
سلاسلا. واعلم أن القراء فيها على خمس مراتب. إحداها تنوينهما معاً والوقف عليهما
بالألف لنافع والكسائي وأبي بكر. الثانية مقابلة هذه وهي عدم تنوينهما وعدم
الوقف عليهما بالألف لحمزة وحده. الثالثة عدم تنوينهما والوقف عليهما بالألف
وعلى الثاني بدونها لهشام وحده. الرابعة تنوين الأول دون الثاني والوقف
على الأول بالألف وعلى الثاني بدونها لابن كثير وحده. الخامسة عدم تنوينهما
معاً والوقف على الأول بالألف وعلى الثاني بدونها لأبي عمرو وابن ذكوان وحفص
فأما من نونهما فلما مر في تنوين سلاسلا لأنها صيغة منتهى الجموع ذاك على مفاعل
وذا على مفاعيل والوقف بالألف التي هي بدل من التنوين وفيه موافقة المصاحف
المذكورة فإنهما مرسومان فيها بالألف على ما نقل أبو عبيد. وأما عدم تنوينهما
وعدم الوقف بالألف فظاهر جداً وأما من نون الأول دون الثاني فإنه ناسب
بين الأول وبين رؤوس الآي ولم يناسب بين الثاني وبين الأول. والوجه في وقفه
على الأول بالألف وعلى الثاني بغير ألف ظاهر. وقد روى أبو عبيد أنه كذلك
في مصاحف أهل البصرة. وأما من لم ينونهما ووقف على الأول بألف وعلى الثاني
بدونها فلأن الأول رأس آية فناسب بينه وبين رؤوس الآي في الوقف بالألف
وفرق بينه وبين الثاني لأنه ليس برأس آية. وأما من لم ينونهما ووقف عليهما
بالألف فلأنه ناسب بين الأول وبين رؤوس الآي وناسب بين الثاني وبين الأول
وحصل مما تقدم في سلاسلا وفي هذين الحرفين أن القراء منهم من وافق مصحفه
ومنهم من خالفه لاتباع الأثر. وتقدم الكلام على قوارير في سورة النمل ولله
الحمد. وقال الزمخشري وهذا التنوين بدل من حرف الإطلاق لأنه فاصلة
وفي الثاني لاتباعه الأول يعني أنهم يأتون بالتنوين بدلاً من حرف الإطلاق الذي
للترنم كقوله. يا صاح ما هاج الدموع الذرفن. وفي انتصاب قوارير وجهان
أظهرهما أنه خبر كان. والثاني أنها حال وكان تامة أي كونت فكانت. قاله

ابو البقا وحسن التكرير لما اتصل به من بيان اصلها ولو كان التكرير لم يحسن ان يكون
الاول راس اية لشدة اتصال الصفة بالموصوف • وقرا الاعمش قواريرُ بالرفع على
اضمار مبتدا اى هى قوارير ومن فضة صفة لقوارير • والمعنى فى صفا القوارير
وبياض الفضة وصفا وهما صفا الزجاج وهى من فضة **فصل** روى ان
ارض الجنة من فضة والاوانى تتخذ من تربة الارض التى منها ذكره ابن عباس رضى الله
عنه • وقال ليس فى الجنة شى الا وقد اعطيتم فى الدنيا شبهه الا القوارير من فضة قال
ابن الخطيب ومعنى كانت هو من يكون فى قوله فيكون اى فتكون قوارير بتكوين الله
تعالى تفخيما لتلك الخلقة العجيبة الشان الجامعة بين صفتى الجوهرين المتباينين • ثم
قال فان قيل كيف تكون هذه الاكواب من فضة ومن قوارير • **فالجواب**
من وجوه احدها ان اصل القوارير فى الدنيا الرمل واصل قوارير الجنة هو فضة الجنة
فكما ان الله تعالى قادر على ان تقلب الرمل الكثيف زجاجة صافية فكذلك قادر على
ان يقلب فضة الجنة قارورة لطيفة فالغرض من ذكر هذه الاية التنبيه على ان نسبة
قارورة الجنة الى قارورة الدنيا كنسبة الفضة الى الرمل فكما انه لا نسبة بين هذين
الاصلين فكذا بين القارورتين • وثانيها ما تقدم من قول ابن عباس رضى الله عنه انه
ليس فى الدنيا شى مما فى الجنة الا الاسما • اى انها جامعة بين صفا الزجاج وشفافته وبين
نقا الفضة ونقائها وشرفها • وثالثها انه ليس المراد بالقوارير الزجاج بل العرب
تسمى ما استدار من الاوانى التى يجعل فيها الاشربة مما رق وصفا قارورة فالمعنى هذه
واكواب من فضة مستديرة صافية **قوله** تقديرا • صفة لقوارير والواو فى قدروها
فيه وجهان • احدها انها عطف عليهم • ومعنى تقديرهم اياها انهم قدروها فى انفسهم
ان تكون على مقادير واشكال على حسب شهواتهم فجاءت كما قدروا • والثانى ان الواو
للطائفين للدلالة عليهم من قوله تعالى ويطاف • والمعنى انهم قدروا شرابها
على قدر رى الشارب وهو الذ الشراب لكونه على مقدار حاجته لا يفضل عنها ولا يعجز
قاله الزمخشرى • وجوز ابو البقا ان تكون الجملة مستانفة قال ابن عباس
ومجاهد وغيرهم اتوا بها على قدر ريهم بغير زيادة ولا نقصان قال الكلبى وذلك
الذ واشهى • والمعنى قدرتها الملايكة التى تطوف عليهم • وعن ابن عباس رضى الله
عنه قدروها على ملء الكف لا تزيد ولا تنقص حتى لا تؤذيهم بثقل او بافراط صغر
وقرا على وابن عباس والسلمى والشعبى وزيد بن على وعبيد بن عمير وابو عمرو فى رواية
الاصمعى قُدِّروها بضم القاف وكسر الدال مبنيا للمفعول اى جعلت لهم على قدر ارادتهم
وجعله الفارسى من باب المقلوب قال كان اللفظ قدروا عليها وفى المعنى قلب لان
حقيقة المعنى ان يقال قدرت عليهم فهى مثل قوله تعالى لتنوء بالعصبة اولى القوة
ومثل قول العرب • اذا طلعت الجوزا • التقى العود على الحربا • قال الزمخشرى
ووجهه ان يكون من قدر منقولا من قولك قدرت وقدرنيه فلان اذا جعلك قادرا
له ومعناه جعلوا قادرين لها كما شاؤا واطلق لهم ان يقدروا على حسب ما اشتهوا
وقال ابو حاتم قدرت الاوانى على قدر ريهم ما لم يسم فاعله تحذف الرى فصارت
الواو مكان الهاء والميم لما حذف المضاف مما قبلها وصارت الواو مفعول ما لم يسم
فاعله واتصل ضمير المفعول الثانى فى تقدير النصب بالفعل بعد الواو التى تحولت
من الهاء والميم حتى اقيمت مقام الفاعل • وفى هذا التخريج تكلف مع مجرفة الفاظه

وقال

وقال ابو حيان والاقرب فى تخريج هذه القراة الشاذة قدر ريهم منها تقديرا فحذف
المضاف وهو الرى واقيم الضمير مقامه فصار قدروها فلم يكن فيه الا حذف مضاف واتسا
فى الفعل • قال شهاب الدين وهذا منتزع من تفسير كلام ابى حاتم • وقال القرطبى
وقال المهدوى ومن قراها قُدِّروها فهو راجع الى معنى القراة الاخرى وكان الاصل
قدروا عليها فحذف حرف الجر والمعنى قدرت عليهم • وانشد سيبويه • آليت حب العراق
الدهر اكله • والحب ياكله فى القرية السوس • وذهب الى ان المعنى على حب العراق
وقيل هذا التقدير هو ان الاقداح تطير فتغترف بمقدار شهوة الشارب وذلك
قوله تعالى قدروها تقديرا اى لا تفضل عن الرى ولا تنقص منه فقد الهمت الاقداح
معرفة مقدار رى المشتهى حتى تغترف مقدار ذلك ذكر ذلك الحكيم الترمذى فى نوادر
الاصول **قوله تعالى** ويسقون فيها كاسا وهى الخمر فى الانا • كان مزاجها
زنجبيلا • كان صلة مزاجها زنجبيلا او كان فى حكم الله زنجبيلا وكانت العرب
تستلذ من الشراب ما يمزج من الزنجبيل لطيب رايحته لانه يحذو اللسان ويهضم
الماكول ويحدث فى المشروب ضربا من اللذع فرغبوا فى نعيم الاخرة بما اعتقدوه
نهاية النعمة والطيب • والزنجبيل نبت معروف وسميت الكاس بذلك لوجود طعم
الزنجبيل فيها • وانشد الزمخشرى للاعشى • كان القرنفل والزنجبيل • باتا بفيها واريا
مشورا • وانشد للمسيب بن علس يصف ثغر المراة • وكان طعم الزنجبيل به • اذ ذقته
وسلافة الخمر • ويروى وسلافة الكرم • وقال مجاهد الزنجبيل اسم للعين التى منها مزاج
شراب الابرار • وكذا قال قتادة • وقيل عين فى الجنة يوجد منها طعم الزنجبيل والمعنى
كان فيها ويكون قد عطفت رايت الثانى على الاول ويكون فعل الجواب محذوفا ويكون
فعل الجواب المحذوف هو الناصب لقوله تعالى نعيما والتقدير اذا صدر منك رؤية
ثم صدر منك رؤية اخرى رايت نعيما وملكا فرايت هذا هو الجواب **فصل**
هذا الخطاب قيل للنبى صلى الله عليه وسلم • وقيل عام والنعيم ما يتنعم به • والملك
الكبير قال سفيان الثورى بلغنا ان الملك الكبير تسليم الملايكة عليهم • وقيل كون
التيجان على رؤسهم كما تكون على رؤس الملوك • وقال السدى ومقاتل هو استيذان
الملايكة عليهم • وقال الحكيم الترمذى هو ملك التكوين اذا ارادوا شيا قالوا له كن
وفى الخبر ان الملك الكبير هو ان ادناهم منزلة ينظر فى ملكه مسيرة الفى عام يرى
اقصاه كما يرى ادناه وان افضلهم منزلة من ينظر فى وجه ربه تبارك وتعالى فى
كل يوم مرتين **قوله تعالى** عاليهم • قرا نافع وحمزة بسكون اليا وكسر
الهاء والباقون بفتح اليا وضم الهاء لما سكنت اليا كسرالها ولما تحركت ضمت على ما تقرر
فى اول الكتاب • فاما قراة نافع وحمزة ففيها اوجه اظهرها ان يكون خبرا مقدما
وثياب مبتدا موخرا • والثانى ان عاليهم مبتدا وثياب مرفوع على جهة الفاعلية وان
لم يعتمد الوصف وهذا قول الاخفش • والثالث ان عاليهم منصوب وانما سكن تخفيفا
قاله ابو البقا واذا كان منصوبا فسيانى فيه اوجه وهى واردة هنا الا ان تقدير
الفتحة من المنقوص لا يجوز الا فى ضرورة او شذوذ وهذه القراة متواترة فلا ينبغى
ان يقال به فيها • واما قراة من نصب ففيه اوجه احدها انه ظرف خبرا مقدما وثياب
مبتدا موخر كانه قيل فوقهم ثياب • قال ابو البقا لان عاليهم بمعنى فوقهم • وقال
ابن عطية ويجوز فى النصب ان يكون على الظرف لانه بمعنى فوقهم • قال ابو حيان وعال وعالية

اسم فاعل فيحتاج فى كونهما ظرفين الى ان يكون منقولا من كلام العرب ، عاليك او عالينك ثوب ، قال شهاب الدين قد وردت الفاظه من صيغة اسما الفاعلين ظرفا نحو خارج الدار وداخلها وباطنها وظاهرها تقول جلست خارج الدار وكذلك البواقى فكذا هذا
الثانى انه حال من الضمير فى عليهم ، الثالث انه حال من مفعول حسبتهم ، الرابع انه حال من مضاف مقدر اى رايت اهل نعيم وملك كبير عاليهم فعاليهم حال من اهل المقدر ذكر هذه الاوجه الثلاثة الزمخشرى فانه قال وعاليهم بالنصب على انه حال من الضمير فى يطوف عليهم ولدان عاليا المطوف عليهم ثياب او حسبتهم لولوا عاليا لهم ثياب ، ويجوز ان يراد اهل نعيم ، قال ابو حيان اما ان يكون حالا من الضمير فى حسبتهم فانه لا يعنى الا ضمير المفعول وهو لا يعود الا على ولدان وهذا لا يصلح لان الضماير الاتية بعد ذلك تدل على انها للمطوف عليهم فى قوله تعالى وحلوا وسقاهم وان هذا كان لكم جزاء وفك الضماير وجعل هذا لذا وهذا لذا مع عدم الاحتياج الى ذلك لا يجوز ، واما جعله حالا من محذوف وتقديره اهل نعيم فلا حاجة الى ادعا الحذف مع صحة الكلام وبراعته دون تقدير المحذوف ، قال شهاب الدين جعل احد الضماير لشى والاخر لشى اخر لا يمنع صحة ذلك مع ما يميز عود كل واحد الى ما يليق به ، وكذلك تقدير المحذوف غير ممنوع ايضا وان كان الاحسن ان يتفق الضماير وان لا يقدر محذوف ، والزمخشرى انما ذكر ذلك على سبيل التجويز لا على انه اولى او مساو فيرد عليه ما ذكره ، الخامس انه حال من مفعول لقاهم ، السادس انه حال من مفعول جزاهم ذكرهما مكى وعلى هذه الاوجه التى انتصب فيها على الحال يرتفع به ثياب على الفاعلية ولا تضر اضافته الى معرفة فى وقوعه حالا لان الاضافة لفظية كقوله تعالى عارض ممطرنا بارف عاطفنا ، ولم يونث عاليا لان مرفوعه غير حقيقى التانيث ، السابع ان ينتصب عاليهم على الظرف ويرتفع ثياب به على جهة الفاعلية وهذا ماش على قول الاخفش والكوفيين حيث يعملون الظرف وعديله وان لم يعتمد كما تقدم ذلك فى الوصف واذا رفع عاليهم بالابتدا وثياب على انه فاعل به كان متروا على بابه لوقوعه موقع الفعل ، واذا جعل خبرا مقدما كان مفردا مرادا به الجمع فيكون كقوله تعالى فقطع دابر القوم اى ادبار قاله مكى ، وقرا ابن مسعود وزيد بن على عاليتهم مونثا بالتا مرفوعا والاعمش وابان عن عاصم كذلك الا انه منصوب وقد عرف الرفع والنصب مما تقدم ، وقرات عايشة رضى الله عنها علبتهم فعلا ماضيا متصلا بتا التانيث الساكنة وثياب فاعل به وهو مقوية للاوجه المذكورة فى رفع ثياب بالصفة فى قراة الباقين كما تقدم تفصيله ، وقرا ابن سيرين ومجاهد وابو حيوة وابن ابى عبلة وخلايق جارا ومجرورا واعرابه كاعراب عاليهم ظرفا فى جواز كونه خبرا مقدما او حالا مما تقدم ، وارتفاع ثياب به على التفصيل المذكور

فصل

قال ابن الخطيب والضمير فى عاليهم اما للولدان او للابرار فكانهم يلبسون عدة من الثياب فيكون الذى يعلوها افضلها ، ولهذا قال تعالى عاليهم اى فوق حجالهم المضروبة عليهم ثياب سندس والمعنى ان حجالهم من الحرير والديباج

قوله تعالى ثياب سندس ، قرا العامة باضافة الثياب لما بعدها وابو حيوة وابن ابى عبلة ثياب منونة سندس خضر واستبرق برفع الجميع فسندس نعت لثياب لان السندس نوع وخضر نعت لسندس يكون الاخضر

وغير اخضر كما ان الثياب تكون سندسا وغيره واستبرق نسق على ما قبله اى وثياب استبرق ، واعلم ان القرا السبعة فى خضر واستبرق على اربع مراتب ، الاولى رفعهما لنافع وحفص فقط ، الثانية خفضهما للاخوين فقط ، الثالثة رفع الاول وخفض الثانى لابى عمرو وابن عامر فقط ، الرابعة عكسه لابن كثير وابى بكر فقط ، فاما القراة الاولى فان رفع خضر على النعت لثياب ورفع استبرق نسق على الثياب ولكن على حذف مضاف اى وثياب استبرق ومثله على زيد ثوب خز وكتان اى وثوب كتان ، واما القراة الثانية فيكون جر خضر على النعت لسندس ، ثم استشكل على هذا وصف المفرد بالجمع فقال مكى هو اسم للجمع ، وقيل هو جمع سندسة كتمر وتمرة ووصف اسم الجنس بالجمع يصح قال تعالى وينشى السحاب الثقال ، واعجاز نخل منقعر ومن الشجر الاخضر واذا كانوا قد وصفوا المحلى لكونه مرادا به الجنس بالجمع فى قولهم اهلك الناس الدينار الحمر والدرهم البيض ، وفى التنزيل او الطفل الذين فلان يوصف ذلك فى اسما الجموع او اسما الاجناس الفارق بينها وبين واحدها تا التانيث بطريق الاولى وجر استبرق نسقا على سندس لان المعنى ثياب من سندس وثياب من استبرق واما القراة الثالثة فرفع خضر نعتا لثياب وجر استبرق نسقا على سندس اى ثياب خضر من سندس ومن استبرق فعلى هذا يكون الاستبرق ايضا اخضر ، واما القراة الرابعة فجر خضر على انه نعت لسندس ورفع استبرق على النسق على ثياب بحذف مضاف اى وثياب استبرق وتقدم الكلام على مادة السندس والاستبرق فى سورة الكهف وقرا ابن محيصن واستبرق بفتح القاف ، ثم اضطرب النقل عنه فى الهمزة فبعضهم ينقل عنه انه قطعها وبعضهم ينقل انه وصلها فقال الزمخشرى وقرى واستبرق نصبا فى موضع الجر على منع الصرف لانه اعجمى وهو غلط لانه نكرة يدخله حرف التعريف تقول الاستبرق الا ان يزعم ابن محيصن انه جعل علما لهذا الضرب من الثياب ، وقرى واستبرق بوصل الهمزة والفتح على انه مسمى استفعل من البريق وليس بصحيح ايضا لانه معرب مشهور تعريبه وان اصله استبره ، وقال ابو حيان ودل قوله الا ان يزعم ابن محيصن ، وقوله بعد وقرى واستبرق بوصل الالف والفتح ان قراة ابن محيصن هى بقطع الهمزة مع فتح القاف والمنقول عنه فى كتب القراات انه قرا بوصل الالف وفتح القاف ، قال شهاب الدين قد سبق الزمخشرى الى هذا مكى فانه قال وقد قرا ابن محيصن بغير صرف وهو وهم ان جعله اسما لانه نكرة منصرف وقيل بل جعله فعلا ماضيا من برق فهو جايز فى اللفظ بعيد فى المعنى ، وقيل انه فى الاصل فعل ماض على استفعل من برق فهو عربى من البريق فلما سمى به قطعت الفه لانه ليس من اصل الاسما ان يدخلها الف الوصل وانما دخلت فى اسما معتلة مغيرة عن اصلها معدودة لا يقاس عليها انتهى ، فدل قوله قطعت الفه الى اخره انه قرا بقطع الهمزة وفتح القاف ودل قوله اولا وقيل بل جعله فعلا ماضيا من برق انه قرا بوصل الالف لانه لا يتصور ان يحكم عليه بالفعلية غير منقول الى الاسما ويترك الفه الف قطع البتة هذا جهل باللغة فيكون قد روى عنه قراتان قطع الالف ووصلها فظهر ان الزمخشرى لم ينفرد بالنقل عن ابن محيصن بقطع الهمزة ، وقال ابو حاتم فى قراة ابن محيصن لا يجوز والصواب انه اسم جنس لا ينبغى ان يحمل ضميرا ويويد ذلك دخول المعرفة عليه ، والصواب قطع الالف واجراوه على قراة الجماعة ، قال ابو حيان

ونقول ان ابن محيصن قارئ جليل مشهور بمعرفة العربية وقد اخذ عن اكابر العلماء فيتطلب
لقراءته وجه وذلك انه يجعل استفعل من البريق تقول برق واستبرق كعجب واستعجب
ولما كان قوله خضر يدل على الخضرة وهي لون ذلك السندس وكانت الخضرة مما
يكون فيها لشدتها دهمة وغبش اخبر ان في ذلك بريقا وحسنا يزيل غبشته فاستبرق
فعل ماض والضمير فيه عائد على السندس او على الاخضر الدال عليه خضر ۔ وهذا التخريج
اولى من تلحين من يعرف العربية وتوهيم ضابط ثقة وهذا هو الذي ذكره مكي وهذه
القراءة قد تقدمت في سورة الكهف **قوله تعالى** وحلوا اساور من فضة
عطف على ويطوف عطف ماضيا لفظا مستقبلا معنى وابرزه بلفظ الماضي لتحققه
وقال الزمخشري بعد سؤال وجواب من حيث المعنى وما احسن بالمعصم ان يكون
فيه سواران سوار من ذهب وسوار من فضة فناقشه ابو حيان في قوله بالمعصم اما
ان يكون معمولا لاحسن وان يكون بدلا منه واما ان يكون معمولا احسن وقد فصل
بينهما بالجار والمجرور فان كان الاول فلا يجوز لانه لم يعهد زيادة الباء في معمول
افعل التعجب لا تقول ما احسن بزيد تريد ما احسن زيدا ۔ وان كان الثاني ففي هذا
الفصل خلاف والمنقول عن بعضهم لا يجوز والمولد منا ينبغي اذا تكلم ان يتحرز في كلامه
مما فيه خلاف ۔ قال شهاب الدين واي غرض له في تتبع كلام هذا الرجل حتى في الشيء اليسير
على ان الصحيح جوازه وهو المسموع من العرب نثرا ۔ قال عمرو بن معدي كرب ۔ لله
در بني فلان ما اشد في الهيجا لقاءها ۔ واثبت في المكرمات بقاءها ۔ واحسن في الكربات
عطاءها ۔ والتشاغل بغير هذا اولى **فصل** قال هنا اساور من فضة وفي سورة
فاطر يحلون فيها من اساور من ذهب وفي سورة الحج يحلون فيها من اساور من ذهب
ولؤلؤا فقيل حلي الرجال الفضة وقيل يجمع في يدي احدهم سواران من ذهب وسواران
من فضة وسواران من لؤلؤ ليجمع لهم محاسن الجنة قاله سعيد بن المسيب رضي الله عنه
وقيل يعطى كل احد ما يرغب فيه ويميل نفسه اليه ۔ وقيل اسورة الفضة انما تكون
للولدان واسورة الذهب للناس ۔ وقيل هذا للنساء والصبيان ۔ وقيل هذا بحسب
الاوقات **قوله تعالى** وسقاهم ربهم شرابا طهورا ۔ قال علي رضي الله عنه
في قوله تعالى وسقاهم ربهم شرابا طهورا قال اذا توجه اهل الجنة الى الجنة مروا
بشجرة يخرج من تحت ساقها عينان فيشربون من احداهما فتجري عليهم نضرة النعيم
فلا تتغير ابشارهم ولا تشعث شعورهم ابدا ثم يشربون من الاخرى فيخرج ما في
بطونهم من الاذى ثم تستقبلهم خزنة الجنة فيقولون لهم سلام عليكم طبتم فادخلوها
خالدين ۔ وقال النخعي وابو قلابة هو اذا شربوه بعد اكلهم طهرهم وصار ما اكلوه
وشربوه رشح مسك وضمرت بطونهم ۔ وقال مقاتل هو من عين ماء على باب الجنة
ينبع من ساق شجرة من شرب منها نزع الله ما كان في قلبه من غش وغل وحسد وما كان
في جوفه من اذى ۔ وعلى هذا فيكون فعولا للمبالغة ولا يكون فيه حجة للحنفي انه بمعنى
الطاهر قاله القرطبي ۔ قال ابن الخطيب قوله تعالى طهورا فيه قولان ۔ الاول
المبالغة في كونه طاهرا ثم على هذا التفسير احتمالات ۔ احدها ان لا يكون نجسا
كخمر الدنيا ۔ وثانيها المبالغة في البعد عن الامور المستقذرة يعني ما مسته الايدي
الوضرة والارجل الدنسة ۔ وثالثها انه لا يؤول الى النجاسة لانها ترشح عرقا من
ابدانهم له ريح كريح المسك ۔ وعلى هذين الوجهين تكون الطهور مطهرا لانه يطهر

باطنهم

باطنهم عن الاخلاق الذميمة والاشياء المؤذية ۔ فان قيل قوله تعالى وسقاهم ربهم شرابا
طهورا هو نوع مما ذكرنا قبل ذلك من انهم يشربون من عين الكافور والزنجبيل والسلسبيل
وهذا نوع اخر ۔ قلنا بل هذا نوع اخر لوجوه احدها التكرار ۔ الثاني انه تعالى
اضاف هذا الشراب الى نفسه تبارك وتعالى بقوله وسقاهم ربهم وذلك يدل
على فضل هذا على غيره ۔ والثالث ما روي من انه تقدم اليهم الاطعمة والاشربة فاذا فرغوا
منها اتوا بالشراب الطهور فيشربون فيطهر ذلك بطونهم ويفيض عرقا من جلودهم
مثل ريح المسك وكل ذلك يدل على المغايرة **قوله تعالى** ان هذا كان لكم
جزاء ۔ اي يقال لهم ان هذا جزاء وكم اي ثواب اعمالكم فيزداد بذلك القول فرحهم
وسرورهم كما ان المعاقب يزداد غمه اذا قيل له هذا جزاء عملك الردي ۔ وكان
سعيكم ۔ اي عملكم ۔ مشكورا ۔ اي من قبل الله وشكره للعبد قبول طاعته وثناؤه عليه
واثابته ۔ قال قتادة غفر لهم الذنب وشكر لهم الحسن ۔ وقيل هذا اخبار من الله
تعالى لعباده في الدنيا كانه تعالى شرح لهم ثواب اهل الجنة اي ان هذا كان في علمي
وحكمي جزاء لكم يا معاشر عبيدي لكم خلقتها ولاجلكم اعددتها **فصل** قال ابن
الخطيب وفي الاية سؤالان ۔ الاول اذا كان فعل العبد خلقا لله تعالى فكيف يعقل
ان يكون فعل الله جزاء على فعل الله ۔ والجواب ان الجزاء هو   وذلك لا ينافي
كونه فعلا لله ۔ السؤال الثاني كون سعي العبد مشكورا يقتضي كون الله شاكرا له
والجواب كون الله تعالى شاكرا للعبد محال الا على وجه المجاز وهو من ثلاثة اوجه الاول
قال القاضي ان الثواب مقابل لعملهم كما ان الشكر مقابل للنعم ۔ الثاني قال القفال
انه مشهور في كلام الناس ان يقولوا للراضي بالقليل والمثني به انه شكور فيحتمل ان يكون
شكر الله لعباده هو رضاه عنهم بالقليل من الطاعات واعطاؤه اياهم عليها ثوابا كثيرا
الثالث ان منتهى درجة العبد ان يكون راضيا من ربه مرضيا لربه كما قال تعالى يا ايتها
النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية وكونه راضيا من ربه اقل درجة من كونه
مرضيا لربه فقوله تعالى ان هذا كان لكم جزاء اشارة الى الامر بصيرورة النفس راضية
من ربه ۔ وقوله وكان سعيكم مشكورا اشارة الى كونها مرضية لربه ۔ ولما كانت
هذه الحالة اعلى المقامات واخر الدرجات لا جرم وقع الختم عليها في ذكر مراتب
احوال الابرار والصديقين **قوله تعالى** انا نحن نزلنا ۔ يجوز ان يكون نحن
توكيدا لاسم ان وان يكون فصلا ونزلنا على هذين الوجهين هو خبر ان ۔ ويجوز ان
يكون نحن مبتدأ ونزلنا خبره والجملة خبر ان ۔ وقال مكي نحن في موضع نصب على الصفة
لاسم ان لان المضمر يوصف بالمضمر اذ هو بمعنى التاكيد لا بمعنى التحلية ولا يوصف بالمظهر
لانه بمعنى التحلية والمضمر مستغن عن التحلية لانه لم يضمر الا بعد ان عرف تحليته وعينه
فهو محتاج الى التاكيد كتاكيد المخبر عنه ۔ وقال شهاب الدين وهذه عبارة غريبة
جدا كيف يجعل المضمر موصوفا بمثله ولا نعلم خلافا في عدم جواز وصف المضمر الا ما
نقل عن الكسائي انه جوز وصف ضمير الغائب بضمير اخر فلا خلاف في عدم جوازه ثم
كلامه يؤول الى التاكيد فلا حاجة الى العدول عنه **فصل** وجه اتصال هذه
الاية بما قبلها انه تعالى لما ذكر اصناف الوعد والوعيد بين ان هذا الكتاب يتضمن
ما بالناس حاجة اليه فليس بسحر ولا كهانة ولا شعر وانه حق ۔ قال ابن عباس رضي الله
عنه انزل القران متفرقا اية بعد اية ولم ينزل جملة واحدة فلذلك قال نزلنا قال

ابن الخطيب المقصود من هذه الاية تثبيت الرسول وتشرح صدره فيما نسبوه اليه من كهانة
وسحر فذكر تعالى ان ذلك وحي من الله تعالى ولاجرم بالغ في تكرار الضمير بعد ايقاعه
اسما لان تاكيدا على تاكيد فكانه تعالى يقول ان كان هولا الكفار يقولون ان ذلك
كهانة فانا الله الملك الحق اقول على سبيل التاكيد ان ذلك وحي حق وتنزيل صدق
من عندي وفي ذلك فايدتان احداهما ازالة الوحشة الحاصلة بسبب طعن الكفار
لان الله تعالى عظمه وصدقه ❁ والثانية تقويته على تحمل مشاق التكليف فكانه
تعالى يقول له اني ما نزلت عليك القران متفرقا الا لحكمة بالغة تقتضي تخصيص
كل شي بوقت معين وقد اقتضت تلك الحكمة تاخير الاذن في القتال فاصبر لحكم
ربك اي لقضاء ربك ❁ قال ابن عباس رضي الله عنه اصبر على اذى المشركين ثم نسخ
باية القتال ❁ وقيل اصبر لما حكم به عليك من الطاعات او انتظر حكم الله اذ وعدك
بالنصر عليهم ولا تستعجل فانه كاين لا محالة ولا تطع منهم اثما اي ذا اثم او كفورا
اي لا تطع الكفار ❁ روى معمر عن قتادة قال قال ابو جهل ان رايت محمدا لاطان على
عنقه فانزل الله تعالى ولا تطع منهم اثما او كفورا ❁ وقيل نزلت في عتبة بن ربيعة
والوليد بن المغيرة وكانا اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضان عليه الاموال
والتزويج على ان يترك ذكر النبوة ففيهما نزلت عرض عليه عتبة ابنته وكانت من
اجمل النسا وعرض عليه الوليد ان يعطيه من الاموال حتى يرضا ويترك ما هو عليه
فقرا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر ايات من اول حم السجدة الى قوله فان
اعرضوا فقد انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فانصرفا عنه وقال
احدهما ظننت ان الكعبة ستقع علي **قوله** او كفورا ❁ في او هذه اوجه ❁ احدها
انها على بابها وهو قول سيبويه ❁ قال ابو البقا في النهي عن الجميع
لانك اذا قلت في الاباحة جالس الحسن او ابن سيرين كان التقدير جالس احدهما
فاذا نهى فقال لا تكلم زيدا او عمرا فالتقدير لا تكلم احدهما فايهما كلمه كان احدهما
فيكون ممنوعا منه فكذلك في الاية ويؤول المعنى الى تقدير ولا تطع منهما اثما او
كفورا ❁ وقال الزمخشري رحمه الله فان قلت معنى او ولا تطع احدهما فهلا جي
بالواو ليكون نهيا عن طاعتهما جميعا ❁ قلت لو قال لا تطعهما لجاز ان يطيع احدهما
واذا قيل لا تطع احدهما علم ان الناهي عن طاعة احدهما هو عن طاعتهما جميعا انهى
كما اذا نهى ان يقول لابويه اف علم انه منهي عن ضربهما على طريق الاولى ❁ الثاني انها
بمعنى لا اي لا تطع من اثم ولا من كفر ❁ قال مكي وهو قول الفرا وهو بمعنى الاباحة
التي ذكرنا ❁ الثالث انها بمعنى الواو وقد تقدم ان ذلك قول الكوفيين والكفور
وان كان يستلزم الاثم الا انه عطف لاحد امرين اما ان يكونا شخصين بعينهما
كما تقدم فالاثم عتبة والكفور الوليد ❁ واما ما قاله الزمخشري فان قلت
كانوا كلهم كفرة فما معنى القسمة في قوله اثما او كفورا قلت معناه لا تطع منهم
راكبا لما هو اثم داعيا لك اليه او فاعلا لما هو كفر داعيا لك اليه لانهم اما ان
يدعوه الى مساعدتهم على فعل هو اثم او كفر او غير اثم ولا كفر فنهى ان يساعدهم
على الاثنين دون الثالث **فصل** قال ابن الخطيب قوله فاصبر لحكم ربك
يدخل فيه ان لا تطع اثما او كفورا فكان ذكره بعده تكرار ❁ والجواب ان الاول
امر بالمامورات والثاني نهي عن المنهيات ودلالة احدهما على الاخر بالالتزام لا

بالتصريح فيكون التصريح به مفيدا ❁ فان قيل انه صلى الله عليه وسلم ما كان يطيع احدا
منهم فما فايدة هذا النهي فالجواب ان المقصود بيان ان الناس محتاجون الى مواصلة
التنبيه والارشاد لاجل ما تركب فيهم من الشهوة الداعية الى الفساد وان احدا لو
استغنى عن توفيق الله تعالى وارشاده لكان احق الناس به هو الرسول المعصوم
عليه الصلاة والسلام ومتى ظهر ذلك عرف كل مسلم انه لا بد من الرغبة الى الله
تعالى والتضرع اليه ان يصونه عن الشهوات والشبهات ❁ فان قيل ما الفرق
بين الاثم والكفور ❁ فالجواب ان الاثم هو الاتي بالمعاصي اي معصية كانت
والكفور هو الجاحد للنعمة فكل كفور اثم وليس كل اثم كفورا لان الاثم عام في المعاصي
كلها قال الله تعالى ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما فسمى الشرك اثما وقال
تعالى ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه اثم قلبه ❁ وقال تعالى وذروا ظاهر
الاثم وباطنه ❁ وقال تعالى يسالونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير فدلت
هذه الايات على ان الاثم جميع المعاصي **قوله تعالى** واذكر اسم ربك بكرة
واصيلا اي صل لربك اول النهار واخره ففي اوله صلاة الصبح وصلاة الظهر
والعصر وهو الاصيل ❁ ومن الليل فاسجد له ❁ يعني صلاة المغرب والعشا الاخرة
وسبحه ليلا طويلا يعني التطوع في الليل قاله ابن حبيب ❁ وقال ابن عباس وسفين
كل تسبيح في القران فهو صلاة ❁ وقيل هو الذكر المطلق سوا كان في الصلاة او في
غيرها ❁ وقال ابن زيد وغيره ان قوله تعالى وسبحه ليلا طويلا منسوخ بالصلوات
الخمس ❁ وقيل هو ندب ❁ وقيل هو مخصوص بالنبي عليه الصلاة والسلام ❁ وجمع
الاصيل الاصايل والاصل كقولك سفاين وسفن والاصايل جمع الجمع ودخلت من
على الظرف للتبعيض كما دخلت على المفعول في قوله تعالى يغفر لكم من ذنوبكم
قوله وسبحه ❁ فيه دليل على عدم قول بعض اهل المعاني والبيان ان الجمع بين
الحاوالها مثلا يخرج الكلمة عن فصاحتها وجعلوا من ذلك قوله
كريم متى امدحه امدحه والورى معي ❁ واذا ما لمته لمته وحدي ❁
البيت لابي تمام ❁ ويمكن ان يفرق بين ما انشدوه وبين الاية الكريمة بان
التكرار في البيت هو المخرج له عن الفصاحة بخلاف الاية فانه لا تكرر فيها **قوله
تعالى** ان هولا يحبون العاجلة ❁ توبيخ وتقريع والمراد اهل مكة والعاجلة الدنيا
واعلم انه تعالى لما خاطب رسوله صلى الله عليه وسلم بالتعظيم والامر والنهي عدل
الى شرح احوال الكفار والمتمردين فقال تعالى ان هولا يحبون العاجلة ومعناه
ان الذي حمل هولا الكفار على الكفر والاعراض عما ينفعهم في الاخرة هو محبتهم اللذات
العاجلة والراحات الدنيوية البدنية **قوله** ويذرون وراهم اي بين ايديهم
وقال وراهم ولم يقل قدامهم لوجوه احدها انهم لما اعرضوا عنه ولم يلتفتوا اليه
فكانهم جعلوه وراظهورهم ❁ وثانيها المراد يذرون وراهم مصالح يوم ثقيل
اي عسير فاسقط المضاف ❁ وثالثها ان ورا يستعمل بمعنى قدام كقوله تعالى
من ورايه جهنم وكان وراهم ملك ❁ وقال مكي سمي ورا لتواريه عنك فظاهر
هذا انه حقيقة والصحيح انه استعير لقدام **قوله** يوما ❁ مفعول يذرون
لا ظرف ووصفه بالثقل على المجاز لانه من صفات الاعيان لا المعاني ❁ وقيل
معناه يتركون الايمان بيوم القيمة ❁ وقيل نزلت في اليهود فيما كتموه من صفة

الرسول صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته وحبهم العاجلة واخذهم الرشا على ما كتموه . وقيل
اراد المنافقين لاستبطانهم الكفر وطلب الدنيا والآية تعم . وسمي ثقيلا لشدائده واهواله
وقيل للقضاء فيه بين العباد **قوله تعالى** نحن خلقناهم . اي من طين . وشددنا
اسرهم . اي خلقهم قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة ومقاتل وغيرهم . والاسر
الخلق . قال ابو عبيدة يقال فرس شديد الاسر اي الخلق . ويقال اسره الله اذا
شدد خلقه . قال لبيد :

ساهم الوجه شديد اسره . مشرف الحارك محبوك الكتد

وقال الاخطل . من كل مجتنب شديد اسره . سلس القياد تخاله مختالا .
وقال ابو هريرة والحسن والربيع رضي الله عنهم شددنا مفاصلهم . قال اهل اللغة
الاسر الربط . ومنه اسر الرجل اذا اوثق بالقيد وفرس ماسور الخلق وقوس
ماسورة بالعقب والاسار هو القد الذي يشد به الاقتاب تقول اسرت القتب
اسرا اي شددته وربطته **فصل** قال ابن زيد الاسر القوة والكلام
خرج مخرج الامتنان عليهم بالنعم حين قابلوها بالمعصية اي سويت خلقك
واحكمته بالقوى ثم انت تكفر بي . قال ابن الخطيب وهذا الكلام يوجب عليهم
طاعة الله تعالى من حيث الترغيب والترهيب . اما الترغيب فلانه هو الذي
خلقهم واعطاهم الاعضاء السليمة التي بها يمكن الانتفاع باللذات العاجلة وخلق
لهم جميع ما يمكن الانتفاع به فاذا احبوا اللذات العاجلة وتلك اللذات لا تحصل الا
بالمنتفع والمنتفع به وهما لا يحصلان الا بتكوين الله وايجاده . وهذا مما يوجب
عليهم الانقياد لله تعالى وترك التمرد . واما الترهيب فانه قادر على اماتتهم
وان يسلب النعم عنهم وان يلقيهم في كل محنة وبلية فلاجل الخوف من فوت هذه
اللذات العاجلة يجب عليهم الانقياد لله تعالى وترك التمرد فكانه قيل هب ان
حبكم لهذه اللذات العاجلة طريقة حسنة الا ان ذلك يوجب عليكم الايمان بالله
تعالى والانقياد له فلم توسلتم به الى الكفر بالله تعالى والاعراض عن حكمه **قوله
تعالى** واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا . قال ابن عباس رضي الله عنه لو
نشاء لاهلكناهم وجئنا باطوع لله منهم . وقال ابن الخطيب معناه اذا شئنا اهلكناهم
واتينا باشباههم فجعلناهم بدلا منهم لقوله تعالى على ان نبدل امثالكم والغرض
منه بيان الاستغناء التام عنهم كانه قيل لا حاجة بنا الى احد من المخلوقين البتة
وبتقدير ان تثبت الحاجة فلا حاجة بنا الى هؤلاء الاقوام فانا قادرون على ابدالهم
وايجاد امثالهم . ونظيره قوله تعالى ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد . ان
يشا يذهبكم ايها الناس ويات باخرين . وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه
معناه لغيرنا محاسنهم الى اسمج الصور واقبحها . وقيل امثالهم في الكفر **فصل**
قال الزمخشري في قوله تعالى واذا شئنا وحقه ان يجاء بان لا باذا لقوله تعالى
وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ان يشا يذهبكم يعني ان اذا للمحقق وان للمحتمل
وهو تعالى لم يشا ذلك . وجوابه ان اذا قد تقع موقع ان كالعكس . قال
ابن الخطيب فكانه طعن في لفظ القران وهو ضعيف لان كل واحد من ان واذا
حرف شرط الا ان حرف ان لا يستعمل فيما هو معلوم الوقوع فلا تقال ان طلعت
الشمس اكرمتك . اما حرف اذا فانه يستعمل فيما يكون معلوم الوقوع تقول ابتدا اذا

طلعت

طلعت الشمس فههنا لما كان الله تعالى عالما انه سيجيء وقت يبدل الله تعالى فيه اولئك الكفرة
بامثالهم من الخلقة واضدادهم في الطاعة لا جرم حسن استعمال حرف اذا **قوله
تعالى** ان هذه تذكرة . اي هذه السورة موعظة . فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا
اي طريقا موصلا الى طاعته . وقيل سبيلا اي وسيلة وقيل وجهة وطريقا الى الخير
والمعنى ان هذه السورة لما فيها من الترتيب العجيب والوعد والوعيد والترغيب
والترهيب تذكرة للمتاملين وتبصرة للمستبصرين **فصل** قال ابن الخطيب
متى ضمت هذه الاية الى الاية التي بعدها خرج منهم صريح مذهب الجبر لان قوله
تعالى فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا يقتضي ان تكون مشيئة العبد متى كانت خالصة فانها
تكون مستلزمة للفعل . وقوله تعالى بعد ذلك وما تشاءون الا ان يشاء الله يقتضي
كون مشيئة الله تعالى مستلزمة لمشيئة العبد ومستلزم المستلزم مستلزم فاذا
مشيئة الله تعالى مستلزمة لفعل العبد وهو الجبر وكذا الاستدلال على الجبر بقوله
تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر لان هذه الاية ايضا تقتضي كون المشيئة مستلزمة
للفعل . ثم التقدير بما تقدم . قال القاضي المذكور ههنا اتخاذ السبيل الى الله تعالى
وهو امر قد شاءه لانه امر به فلا بد وان يكون قد شاءه وهذا لا يقتضي ان يقال
العبد لا يشاء الا ما قد شاء الله على الاطلاق فالمراد بذلك الامر المخصوص الذي
قد ثبت ان الله تعالى اراده وشاءه . وهذا الكلام لا تعلق له بالاستدلال
الذي ذكرناه . فحاصل ما ذكره القاضي تخصيص العام بالصور المتقدمة وذلك
ضعيف لان خصوص ما قبل الاية لا يقتضي تخصيص هذا العام لاحتمال ان يكون الحكم
في هذه الاية واردا بحيث يعم تلك الصورة وغيرها **قوله** الا ان يشاء الله . فيه
وجهان احدهما انه حال اي الا في حال مشيئة الله تعالى قاله ابو البقاء وفيه نظر لان
هذا مقدر بالمعرفة الا ان يريد تفسير المعنى . والثاني انه ظرف قال الزمخشري
فان قلت ما محل ان يشاء الله **قلت** النصب على الظرف واصله الا وقت مشيئة الله
تعالى . وكذلك قرا ابن مسعود الا ما يشاء الله لان ما مع الفعل كان . ورده
ابو حيان بانه لا يقوم مقام الظرف الا المصدر الصريح لو قلت اجيئك ان يصيح
الديك او ما يصيح لم يجز . قال شهاب الدين وقد تقدم الكلام معه في ذلك مرارا
وقرا نافع والكوفيون تشاءون خطابا لسائر الخلق او على الالتفات من الغيبة في قوله
تعالى نحن خلقناهم . والباقون بالغيبة جريا على قوله خلقناهم وما بعده **قوله
تعالى** وما تشاءون . اي الطاعة والاستقامة واتخاذ السبيل الى الله . الا ان
يشاء الله . فاخبر ان الامر اليه سبحانه ليس اليهم وانه لا ينفذ مشيئة احد ولا يتقدم
الا ان تتقدم مشيئة الله تعالى . قيل ان الاية الاولى منسوخة بالثانية . قال
القرطبي والاشبه انه ليس بنسخ بل هو تبيين ان ذلك لا يكون الا بمشيئته . قال
الفراء وما تشاءون الا ان يشاء الله جواب لقوله تعالى فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا
ثم اخبرهم ان الامر ليس اليهم فقال وما تشاءون ذلك السبيل الا ان يشاء الله لكم
قوله ان الله كان عليما . باعمالكم . حكيما . في امره ونهيه لكم **قوله تعالى**
يدخل من يشاء في رحمته . اي يدخله الجنة راحما له . قال ابن الخطيب ان فسرنا
الرحمة بالايمان فالاية صريحة في ان الايمان من الله تعالى وان فسرناها بالجنة
كان دخول الجنة بسبب مشيئة الله تعالى وفضله واحسانه لا بسبب الاستحقاق

ازم

لانه لو ثبت الاستحقاق لكان تركه يفضي الى الجهل او الحاجة وهما محالان على الله تعالى والمفضي الى المحال محال فتركه محال فوجوده واجب عقلا وعدمه ممتنع عقلا وما كان كذلك لا يكون معلقا على المشيئة البتة **قوله تعالى** والظالمين اي ويعذب الظالمين وهو منصوب على الاشتغال بفعل يفسره واعد لهم من حيث المعنى لا من حيث اللفظ تقديره وعذب الظالمين ونحوه زيدا مررت به اي جاوزت ولابست وكان النصب هنا مختارا لعطف جملة الاشتغال على جملة فعلية قبلها وهي قوله يدخل قال الزجاج نصب الظالمين لان قبله منصوبا اي يدخل من يشاء في رحمته ويعذب الظالمين اي المشركين ويكون اعد لهم تفسيرا لهذا المضمر كقوله

اصبحت لا احمل السلاح ولا ... املك راس البعير ان نفرا

والذئب اخشاه ان مررت به ... وحدي واخشى الرياح والمطرا

اي اخشى الذئب اخشاه قال الزجاج والاختيار النصب وان جاز الرفع وقوله تعالى في حم عسق يدخل من يشاء في رحمته والظالمون ارتفع لانه لم يذكر بعده فعل يقع عليه فينصب في المعنى فلم يجز العطف على المنصوب قبله فارتفع بالابتداء وههنا قوله اعد لهم عذابا يدل على ويعذب فجاز النصب وقرا الزبير وابان بن عثمان وابن ابي عبلة والظالمون رفعا على الابتداء وما بعده الخبر وهو مرجوح لعدم المناسبة وقرا ابن مسعود وللظالمين بلام الجر وفيه وجهان اشهرهما ان يكون للظالمين متعلقا باعد بعده ويكون لهم تاكيدا والثاني وهو ضعيف ان يكون من باب الاشتغال على ان تقدر فعلا مثل الظاهر وتجر الاسم بحرف جر فتقول بزيد مررت به اي مررت بزيد مررت به والمعروف في لغة العرب مذهب الجمهور وهو اضمار فعل ناصب موافق للفعل الظاهر في المعنى فان ورد نحو بزيد مررت به عد من التوكيد لا من الاشتغال والاليم المولم روى الثعلبي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة هل اتى كان جزاؤه على الله تعالى جنة وحريرا

سورة والمرسلات

مكية في قول الحسن وعكرمة وعطا وجابر وقال ابن عباس وقتادة رضي الله عنهم الا اية منها وهي قوله تعالى واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون مدنية وقال ابن مسعود رضي الله عنه نزلت والمرسلات عرفا على النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن ونحن معه نسير حتى اوينا الى غار بمنى فنزلت فبينا نحن نتلقاها منه وان فاه رطب بها اذ وثبت حية فوثبنا عليها لنقتلها فذهبت فقال النبي صلى الله عليه وسلم وقيتم شرها كما وقيت شركم وعن كريب مولى ابن عباس قال قرات سورة والمرسلات عرفا فسمعتني ام الفضل امراة العباس فبكت وقالت والله يا بني اذكرتني بقراءتك هذه السورة انها لآخر ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا بها في صلاة المغرب وهي خمسون اية وماية واحدى وثمانون كلمة وثمانماية وستة عشر حرفا بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** والمرسلات عرفا في عرفا ثلاثة اوجه احدها انه مفعول من اجله اي لاجل العرف وهو ضد النكر فان الملائكة ان كانوا بعثوا للرحمة فالمعنى فيهم ظاهر وان كانوا بعثوا للعذاب فذلك العذاب وان لم يكن معروفا للكفار فانه معروف للانبياء وللمؤمنين

والمراد بالمرسلات اما الملائكة واما الانبياء واما الرياح اي والملائكة المرسلات او والانبياء المرسلات او والرياح المرسلات للعرف المعروف والاحسان قال من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس وقد يقال كيف جمع صفة المذكر العاقل بالالف والتاء وحقه ان يجمع بالواو والنون تقول الانبياء المرسلون ولا تقول المرسلات والجواب ان المرسلات جمع مرسلة ومرسلة صفة لجماعة من الانبياء فالمرسلات جمع مرسلة الواقعة صفة لجماعة لا جمع مرسل المفرد والثاني ان ينتصب على الحال بمعنى متتابعة من قولهم جاوا كعرف الفرس وهم على فلان كعرف الضبع اذا تالبوا عليه وقال ابن الخطيب يكون مصدرا كانه قيل والمرسلات ارسالا اي متتابعة الثالث ان ينتصب على اسقاط الخافض اي والمرسلات بالعرف وفيه ضعف وقد تقدم الكلام على العرف في الاعراف والعامة على تسكين رائه وعيسى بضمها وهو على تثقيل المخفف نحو بكر في بكر ويحتمل ان يكون هو الاصل والمشهور مخففه منه ويحتمل ان يكونا وزنين مستقلين **فصل** جمهور المفسرين على ان المرسلات هي الرياح وروى مسروق عن عبد الله قال هي الملائكة ارسلت بالعرف من امر الله تعالى ونهيه والخبر والوحي وهو قول ابي هريرة ومقاتل وابي صالح والكلبي وقال ابن عباس رضي الله عنهما هم الانبياء بلا اله الا الله وقال ابو صالح الرسل ترسل بما يعرفون به من المعجزات وعن ابن عباس وابن مسعود انها الرياح كما قال تعالى وارسلنا الرياح وقال تعالى ويرسل الرياح ومعنى عرفا اي يتبع بعضها بعضا كعرف الفرس وقيل يحتمل ان يكون المراد بالمرسلات السحاب لما فيها من نعمة ونقمة عارفة بما ارسلت اليه ومن ارسلت اليه وقيل انها الزواجر والمواعظ وعرفا على هذا التاويل متتابعات كعرف الفرس قاله ابن عباس وقيل جاريات قاله الحسن يعني في القلوب وقيل معروفات في العقول **قوله تعالى** فالعاصفات عصفا هذا المصدر موكد لاسم الفاعل والمراد بالعاصفات الرياح قاله المهدوي وعن ابن عباس هي الرياح العواصف تاتي بالعصف وهو ورق الزرع وحطامه وقيل العاصفات الملائكة شبهت بسرعة جريها في امر الله تعالى بالرياح وكذلك نشرا وفرقا انتصابهما على المصدر وقيل الملائكة تعصف بروح الكافر يقال عصف بالشيء اذا اباده واهلكه وناقة عصوف اي تعصف براكبها فتمضي كانها ريح في السرعة وعصفت الحرب بالقوم اي ذهبت بهم وقيل يحتمل انها الايات المهلكة كالزلازل والخسوف **قوله تعالى** والناشرات نشرا هي الملائكة الموكلون بالسحاب ينشرونها وقال ابن مسعود ومجاهد هي الرياح يرسلها الله تعالى نشرا بين يدي رحمته اي تنشر السحاب للغيث وهو مروي عن ابي صالح وعنه ايضا هي الامطار لانها تنشر النبات فالنشر بمعنى الاحياء يقال نشر الله الميت وانشره احياه قال تعالى اذا شاء انشره وينشركم من بعد موتكم وروي عن السدي انها الملائكة تنشر كتب الله تعالى روى الضحاك عن ابن عباس قال يريد ما ينشر من الكتب واعمال بني ادم وروى الضحاك انها الصحف تنشرها على الله تعالى باعمال العباد وقال الربيع انه البعث للقيامة تنشر فيه الارواح وقال تعالى والناشرات بالواو لانه استيناف قسم اخر **قوله تعالى** فالفارقات فرقا هي الملائكة تنزل بالفرق بين الحق والباطل قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك وابو صالح وروى الضحاك عن ابن عباس قال ما تفرق الملائكة من الاقوات والارزاق والاجال وروى ابن نجيح عن مجاهد قال الفارقات الرياح

تفرق بين السحاب وتبدده ، وروى سعيد عن قتادة قال الفارقات فرقا الفارقات فرق
الله فيه بين الحق والباطل والحرام والحلال وهو قول الحسن وابن كيسان ، وقيل هم الرسل
فرقوا بين ما امر الله تعالى به ونهى عنه اى بينوا ذلك ، وقيل السحاب الماطر تشبيها لها
بالناقة الفارقة وهى الحامل التى تخرج وتند فى الارض وتضع ، ونوق فوارق وفرق
قوله تعالى فالملقيات ذكرا ، هى الملائكة اى تلقى كتب الله الى الانبيا صلوات الله
عليهم ، قال المهدوى وقيل هو جبريل عليه السلام ، وسمى باسم الجمع تعظيما لانه كان
ينزل بها ، وقيل المراد الرسل يلقون الى اممهم ما انزل عليهم ، قاله قطرب وقوله تعالى
ذكرا مفعول به ناصبه الملقيات ، وقرا العامة فالملقيات بسكون اللام وتخفيف
القاف اسم فاعل ، وقرا ابن عباس بفتح اللام وتشديد القاف من التلقية وهى ايصال
الكلام الى المخاطب ، وروى عنه المهدوى ايضا فتح القاف اسم مفعول اى تلقيه من قبل
الله تعالى لقوله تعالى وانك لتلقى القران قوله تعالى عذرا او نذرا ، فيهما اوجه
احدها انهما بدلان من ذكرا الثانى انهما منصوبان به على المفعولية واعمال المصدر
المنون جايز ، ومنه او اطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما ، الثالث انهما مفعولان من
اجلهما والعامل فيهما اما الملقيات واما ذكرا لان كلا منهما يصلح ان يكون معلولا لاحدهما
وحينئذ يجوز فى عذرا ونذرا وجهان احدهما ان يكونا مصدرين بسكون العين
كالشكر والكفر ، والثانى ان يكونا جمع عذير ونذير المراد بهما المصدر بمعنى الاعذار
والانذار كالنكير بمعنى الانكار ، الرابع انهما منصوبان على الحال من الملقيات او من الضمير
فيها وحينئذ يجوز ان يكونا مصدرين واقعين موقع الحال بالتاويل المعروف فى امثاله
وان يكونا عذير ونذير مرادا بهما المصدر او مرادا بهما اسم الفاعل بمعنى المعذر والمنذر
اى معذرين او منذرين ، وقرا العامة بسكون الذال من عذرا او نذرا ، وقرا
زيد بن ثابت وابنه خارجة وطلحة بضمها ، والحرميان وابن عامر وابو بكر بسكونها
فى عذرا وضمها فى نذرا والسكون والضم كما تقدم فى انه يجوز ان يكون كل منهما اصلا
للاخر وان يكونا اصلين ، ويجوز فى كل من المثقل والمخفف ان يكون مصدرا وان يكون
جمعا سكنت عينه تخفيفا ، وقرا ابرهيم التيمى عذرا ونذرا بواو العطف موضع او وهى
تدل على ان او بمعنى الواو فصل والمعنى يلقى الوحى اعذارا من الله تعالى او انذارا
الى خلقه من عذابه قاله الفراء ، وروى عن ابى صالح قال يعنى الرسل يعذرون وينذرون
روى سعيد عن قتادة عذرا قال عذرا الله تعالى الى خلقه ونذرا للمؤمنين ينتفعون
به وياخذون به ، وروى الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنه عذرا اى ما يقبله
الله تعالى من معاذير اوليائه وهو التوبة ونذرا ينذر اعداءه فصل
قال ابن الخطيب اعلم ان هذه الكلمات الخمس اما ان يكون المراد منها جنسا واحدا او
اجناسا مختلفة ، فالاول فيه وجوه ، احدها ان المراد بها الملائكة فالمرسلات هى
الملائكة الذين ارسلهم الله تعالى اما لايصال النعمة الى قوم او لايصال النقمة الى اخرين
وقوله تعالى عرفا اما ان يكون العرف الذى هو ضد النكر فان كانوا الملائكة المبعوثين
للرحمة فالمعنى فيهم ظاهر وان بعثوا للعذاب فذلك العذاب وان لم يكن معروفا للكفار
فانه معروف للانبيا صلوات الله عليهم والمؤمنين ، او يكون العرف التابع ، وقوله
تعالى فالعاصفات عصفا فمعناه ان الملائكة عصفوا فى طيرانهم كعصف الرياح او يعصفون
بروح الكافر يقال عصف بالشى اذا اباده ، وقوله تعالى والناشرات نشرا اى انهم

نشروا

نشروا اجنحتهم عند انحطاطهم الى الارض او نشروا الشرائع فى الارض او نشروا الرحمة
او العذاب او المراد الملائكة الذين ينشرون الكتب التى فيها اعمال بنى ادم يوم القيامة قال
تعالى ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا وقوله تعالى فالفارقات فرقا اى
انهم يفرقون بين الحق والباطل ، وقوله فالملقيات ذكرا اى انهم يلقون الذكر الى الانبيا
عليهم الصلاة والسلام والمراد بالذكر اما العلم والحكمة او القران لقوله االقى عليه الذكر
من بيننا وهذا الملقى وان كان جبريل وحده الا انه سمى باسم الجمع تعظيما له ، واعلم ان
الملائكة اقسام ، قسم يرسل لانزال الوحى على الانبيا ، وقسم يرسل لكتابة اعمال بنى ادم
وقسم يرسل لقبض الارواح ، وقسم يرسل بالوحى من سما الى سما ، الوجه الثانى ان المراد
بهذه الكلمات الخمس الرياح اقسم الله تعالى بالرياح عند ارسالها عرفا اى متتابعة كشعر
العرف ثم انها تشتد حتى تصير عواصف ورياح رحمة تنشر السحاب فى الجو قال تعالى
يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته وهو المراد بقوله فالناشرات نشرا اى انها تنشر السحاب
او انها تلقح الاشجار والنبات فتكون ناشرة ، وقوله تعالى فالفارقات فرقا اى انها
تفرق بين اجزاء السحاب او انها تخرب بعض القرى وذلك يصير سببا لظهور الفرق بين اوليا
الله واعدايه او انها عند هبوبها تفرق الخلق فمن متفكر خاضع ومن منكر جاحد وقوله
تعالى فالملقيات ذكرا اى ان العاقل اذا شاهد هبوب تلك الرياح التى تقلع القلاع
وتهدم الصخور والجبال وترفع امواج البحار تمسك بذكر الله والتجا الى اعانة الله تعالى
فصارت تلك الرياح كانها القت الذكر والايمان والعبودية فى القلب ، الوجه الثالث
قال ابن الخطيب من الناس من حمل بعض هذه الكلمات الخمس على القران ، وعندى انه يمكن
حمل جميعها على القران فقوله تعالى والمرسلات عرفا المراد منه الايات المتتابعة المرسلة
على لسان جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم ، وقوله تعالى عرفا اى هذه الايات نزلت
بكل عرف وخير وكيف لا وهى الهادية الى سبيل النجاة والموصلة الى مجامع الخيرات
والمراد بالعاصفات عصفا ان دولة الاسلام والقران كانت ضعيفة فى اولها ثم
عظمت وقهرت ساير الملل والاديان فكان دولة القران عصفت ساير الدول
والملل والاديان وقهرتها وجعلتها باطلة داثرة ، والمراد بالناشرات نشرا انه
ايات القران نشرت الحكم والهداية فى قلوب العالمين شرقا وغربا ، والمراد بالفارقات
فرقا ان ايات القران فرقت بين الحق والباطل ولذلك سمى القران فرقانا ، والمراد
بالملقيات ذكرا ان القران ذكر قال تعالى ص والقران ذى الذكر ، وانه لذكر
لك ولقومك ، وهذا ذكر مبارك انزلناه ، وانه لتذكرة للمتقين ، الوجه الرابع
قال ابن الخطيب ويمكن حملها ايضا على بعثة الرسل فالمراد بالمرسلات عرفا هم المرسلون
بالوحى المشتمل على كل خير ومعروف ، فالعاصفات عصفا ان امر كل رسول يكون فى اول امره
حقيرا ضعيفا ثم يشتد ويعظم ويصير فى القوة كعصف الرياح ، والناشرات نشرا انتشار
دينهم فالفارقات فرقا انهم يفرقون بين الحق والباطل فالملقيات ذكرا انهم يامرون
بالذكر ويحثونهم عليه ، الاحتمال الثانى وهو ان لا يكون المراد من هذه الكلمات الخمس شيئا
واحدا وفيه وجوه ، احدها قال الزجاج واختاره القاضى ان الثلاثة الاول هى الرياح
فقوله تعالى والمرسلات عرفا هى الرياح التى تتصل على العرف المعتاد والعاصفات
ما اشتد منها والناشرات ما ينشر السحاب ، وقوله تعالى فالفارقات فرقا هم الملائكة
الذين يفرقون بين الحق والباطل والحلال والحرام بما يتحملونه من القران والوحى وكذا

قوله تعالى فالملقيات ذكرا انها الملئكة المتحملون للذكر الذي يلقونه الى الرسل • فان قيل ما المجانسة بين الرياح وبين الملئكة حتى جمع بينهما في القسم • قلنا الملئكة روحانيون فهم بسبب لطافتهم وسرعة حركاتهم كالرياح • وثانيها ان الاثنين الاولين هما الرياح والثلاثة الباقية هم الملئكة لانها تنشر الوحي والدين ثم لذلك الوحي اثران • الاول حصول الفرق بين الحق والمبطل • والثاني ظهور ذكر الله في القلوب والالسنة وهو كذا هذا انه قال والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا ثم عطف الثاني على الاول بحرف الواو فقال والناشرات وعطف الاثنين الباقيين عليه بحرف الفاء وهذا يقتضي ان يكون الاولان ممتازين عن الثلاثة الاخيرة • قال ابن الخطيب ويمكن ان يكون المراد بالاولين الملئكة فقوله تعالى والمرسلات عرفا ملائكة الرحمة وقوله تعالى فالعاصفات عصفا ملئكة العذاب والثلاثة الباقية ايات القران لانها تنشر الحق في القلوب والارواح وتفرق بين الحق والباطل وتلقي الذكر في القلوب والالسنة **فصل** قال القفال الوجه في دخول الفاء في بعض ما وقع به القسم والواو في بعض مبني على اصل وهو ان عند اهل اللغة ان الفاء تقتضي الوصل والتعلق فاذا قيل قام زيد فذهب فالمعنى انه قام ليذهب فكان قيامه سببا لذهابه ومتصلا به فاذا قيل قام وذهب فهما خبران وكل واحد منهما قائم بنفسه لا يتعلق بالاخر • ثم ان القفال رحمه الله لما مهد هذا الاصل فرع عليه الكلام في هذه الاية بوجوه قال ابن الخطيب وتلك الوجوه لا يميل قلبي اليها وانا اقول على هذا الاصل فاقول اما من جعل الاولين صفة لشيء والثلاثة الاخيرة صفات لشيء واحد فنقول ان حملناها على الملئكة فالملئكة اذا ارسلت طارت سريعا وذلك الطيران هو العصف فالعصف مترتب على الارسال فان الملئكة اول ما يلقون الوحي الى الرسل لا يصير في الحال ذلك الدين مشهورا منتشرا بل الخلق يؤذون الانبيا في اول الامر ويكذبونهم وينسبونهم الى السحر والجنون فلاجرم لم يذكر الفاء الذي يفيد التعقيب بل ذكر الواو • واذا حصل النشر ترتب عليه حصول الفرق بين الحق والباطل وظهور ذلك الحق على الالسنة فلاجرم ذكر هذين الامرين بحرف الفاء فكانه والله اعلم قال يا محمد اني ارسلت الملك بالوحي الذي عنوان كل سعادة وخير ولكن لا تطمع في ان ينتشر ذلك الامر في الحال ولكن لا بد من الصبر وتحمل المشقة ثم اذا جا وقت النصر اجعل دينك ظاهرا منتشرا في شرق العالم وغربه وعند ذلك الانتشار يظهر الفرق فتصير الاديان الباطلة ضعيفة ساقطة ودينك الحق ظاهرا عاليا وهنالك يظهر ذكر الله على الالسنة وفي المحاريب وعلى المنابر ومن عرف هذا الوجه امكنه ذكر مناسبة ساير الوجوه **قوله تعالى** انما توعدون • هذا جواب القسم في قوله والمرسلات وما بعده معطوف عليه وليس قسما مستقلا لما تقدم في اول الكتاب ولو وقع الفاء هنا عاطفة لانها لا تكون للقسم وما موصولة بمعنى الذي هي اسم ان وتوعدون صلتها والعايد محذوف اي ان الذي توعدونه ولواقع خبرها وكان من حق ان ان تنفصل من ما الموصولة ولكنهم كتبوها متصلة لها **فصل** المعنى انما توعدون من امر القيمة لواقع بكم ونازل عليكم ثم لذكره علامات القيمة بعده وقال الكلبي المراد ان كل ما توعدون به من الخير والشر لواقع بين وقت وقوعه فقال تعالى فاذا النجوم طمست اي ذهب ضوءها ومحي نورها كما تطمس الكتابة يقال طمس الشي اذا درس وطمس فهو مطموس والريح تطمس الاثار فتكون الريح طامسة

والاثر

والاثر طامسا بمعنى مطموس • قال ابن الخطيب ويحتمل ان يكون محقت ذواتها وهو موافق لقوله تعالى انتثرت • والنجوم مرتفعة بفعل مضمر يفسره ما بعده عند البصريين غير الاخفش وبالابتدا عند الكوفيين والاخفش • وفي جواب اذا وجهان احدهما محذوف تقديره فاذا طمست النجوم وقع ما توعدون لدلالة قوله انما توعدون لواقع وبان الامر • والثاني انه لاي يوم اجلت على اضمار القول اي يقال لاي يوم اجلت فالفعل في الحقيقة هو الجواب وقيل يومئذ نقله مكي وهو غلط لانه لو كان جوابا للزمته الفاء لكونه جملة اسمية **قوله تعالى** واذا السما فرجت • اي فتحت وشقت ومنه قوله تعالى وفتحت السما فكانت ابوابا والفرج الشق • ونظيره اذا السما انشقت • ويوم تشقق السما بالغمام وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه قال فرجت للطي **قوله تعالى** واذا الجبال نسفت • اي ذهب بها كلها بسرعة من النسف الذي اذا اختطفه وقيل ينسف كالحب المغلق اذا انسف بالمنسف • ومنه قوله تعالى لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا ونظيره وبست الجبال بسا • وكانت الجبال كثيبا مهيلا • فقل ينسفها ربي نسفا • وقيل طمست وفرجت ونسفت مشددة • وكان ابن عباس والكلبي يقول سويت بالارض والعرب تقول فرس نسوف اذا كان يؤخر الحزام بمرفقيه • قال بشر نسوف للحزام بمرفقيها • ونسفت الناقة الكلا اذا ارعته **قوله تعالى** واذا الرسل اقتت • قرا ابو عمرو وقتت بالواو • والباقون بهمزة بدل الواو فالواو هي الاصل لانه من الوقت والهمزة بدل منها لانها مضمومة ضمة لازمة وكل واو انضمت وكانت ضمتها لازمة فانها تبدل على الاطراد همزة اولا وثانيا • تقول صلى القوم احدانا تريد وحدانا وهذه اوجه حسان لان ضمة الواو ثقيلة وبعدها ثقيل فالجمع بينهما يجري مجرى جمع المثلين فيكون ثقيلا ولم يجز البدل في قوله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم لان الضمة غير لازمة قاله الفرا وقد تقدم ذكر ذلك اول الكتاب **فصل** قال مجاهد والزجاج المراد بهذا التاقيت تبيين الوقت الذي فيه يحضرون للشهادة على اممهم اي جمعت لوقتها ليوم القيمة • والوقت الاجل الذي يكون عنده الشي المؤخر اليه فالمعنى جعل لها وقت اجل للفصل والقضا بينهم وبين الامم لقوله تعالى يوم يجمع الله الرسل • وقيل المراد بهذا التاقيت تحصيل الوقت وتكوينه وليس في اللفظ بيان انه يحصل بوقت اي شي ولم يبينه ليذهب الوهم الى كل جانب فيكون التهويل فيه اشد فيحتمل ان يكون المراد تكوين وقت جمعهم للفوز بالثواب وان يكون وقت سوال الرسل عما اجيبوا به وسوال الامم عما اجابوهم لقوله تعالى فلنسالن الذين ارسل اليهم ولنسالن المرسلين وان يكون وقت مشاهدة الجنة والنار وساير احوال القيمة • وقيل اقتت اي ارسلت لاوقات معلومة على ما علمه الله واراد **فصل** قرا ابو جعفر وشيبة بالواو وتخفيف القاف وهو فعلت من الوقت • ومنه كتابا موقوتا • وعن الحسن ايضا ووقتت بواوين وهو فوعلت من الوقت ايضا مثل عوهدت • قال القرطبي ولو قلبت الواو في هاتين القرائتين الفا لجاز • وقد قرا يحيى وايوب وخالد ابن الياس وسلام اقتت بالهمز والتخفيف لانها مكتوبة في المصحف بالالف **قوله تعالى** لاي يوم اجلت • الجار متعلق باجلت وهذه الجملة معمولة لقول مضمر اي يقال وهذا القول المضمر يجوز ان يكون جوابا لاذا كما تقدم وان يكون حالا من مرفوع اقتت اي مقولا فيها لاي يوم اجلت اي اخرت • قوله لاي يوم اجلت اي اخرت

علت صح

وهذا تعظيم لذلك وهو استفهام على التعظيم اي ليوم الفصل اجلت كانه تعالى قال يعجب العباد
من تعظيم ذلك اليوم فيقال لاي يوم اخرت الامور المتعلقة بهذه الرسل وهي تعذيب
من كذبهم وتعظيم من آمن بهم وظهور ما كانوا يدعون الخلق الى الايمان من الاهوال والعرض
والحساب ونشر الدواوين ووضع الموازين **قوله** ليوم الفصل بدل من لاي يوم باعادة
العامل وقيل بل تتعلق بفعل مقدر اي اجلت ليوم الفصل وقيل اللام بمعنى الى
ذكرهما مكي **فصل** اعلم انه تعالى بين ذلك اليوم فقال ليوم الفصل قال
ابن عباس يوم فصل الرحمن بين الخلائق لقوله تعالى ان يوم الفصل ميقاتهم اجمعين
قوله تعالى وما ادراك ما يوم الفصل اتبع التعظيم تعظيما اي وما
علمك بيوم الفصل وشدته ومهابته ثم اتبعه بتهويل ثالث وهو قوله ويل مبتدا
سوغ الابتداء به كونه دعاء قال الزمخشري فان قلت كيف وقعت النكرة مبتدا
في قوله تعالى ويل قلت هو في اصله مصدر منصوب ساد مسد فعله ولكنه
عدل به الى الرفع للدلالة على اثبات معنى الهلاك ودوامه للمدعو عليهم ونحوه
سلام عليكم ويجوز ويلا له بالنصب ولكن لم يقرا به قال شهاب الدين
هذا الذي ذكره ليس من المسوغات التي عدها النحويون وانما المسوغ كونه دعاء
وفائدة العدول الى الرفع ما ذكره ويومئذ ظرف للويل وجوز ابو البقاء ان
يكون صفة لويل وللمكذبين خبره **فصل** قال القرطبي ويل يومئذ للمكذبين
اي عذاب وخزي لمن كذب بالله تعالى وبرسله وعلى تقدير تكذيبهم فان
لكل مكذب بنبي عذاب تكذيبه بنبي آخر ورب شيء كذب به هو اعظم جرما من تكذيبه
بغيره لانه اقبح في تكذيبه واعظم في الرد على الله فانما يقسم له من الويل على قدر
ذلك وهو قوله جزاء وفاقا وقيل كرره لمعنى تكرار التخويف والوعيد وروي
عن النعمان بن بشير قال ويل واد في جهنم فيه الوان العذاب وقاله ابن عباس وغيره
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عرضت على جهنم فلم ار فيها واديا اعظم
من الويل وروي ايضا انه مجمع ما يسيل من قيح اهل النار وصديدهم وانما يسيل
الشيء فيما سفل من الارض وقد علم العباد في الدنيا ان شر المواضع في الدنيا ما استنقع
فيه مياه الادناس والاقذار والغسالات والجيف وماء الحمامات فذكر ان الوادي
مستنقع صديد اهل الكفر والشرك ليعلم العاقل انه لا شيء اقذر منه قذارة ولا
انتن منه نتنا **قوله تعالى** الم نهلك الاولين العامة على ضم حرف المضارعة
من اهلك رباعيا وقتادة بفتحه قال الزمخشري من هلكه بمعنى اهلكه قال
العجاج ومهمه هالك من تعرجا فمن معمول الهالك وهو من هلك الا ان بعض
الناس جعل هذا دليلا على اعمال الصفة المشبهة في الموصول وجعله من اللازم لان من
شرط الصفة المشبهة ان تكون من فعل لازم فعلى هذا لا دليل فيه **قوله تعالى**
ثم نتبعهم الآخرين العامة على رفع العين استئنافا اي ثم نحن نتبعهم كذا قدره ابو البقاء
وقال ليس بمعطوف لان العطف يوجب ان يكون المعنى اهلكنا الاولين ثم اتبعناهم
الآخرين في الهلاك وليس كذلك لان هلاك الآخرين لم يقع بعد قال شهاب الدين
ولا حاجة في وجه الاستئناف الى تقدير مبتدا قبل الفعل بل يجعل الفعل معطوفا على
مجموع الجملة من قوله الم نهلك ويدل على هذا الاستئناف قراءة عبد الله ثم سنتبعهم
بسين التنفيس وقرا الاعرج والعباس عن ابي عمرو بتسكينها وفيها وجهان احدهما

انه تسكين للمرفوع فهو مستانف كالمرفوع لفظا والثاني انه معطوف على مجزوم والمعنى
بالآخرين حينئذ قوم شعيب ولوط وموسى وبالاولين قوم نوح وعاد وثمود قال
ابن الخطيب وهذا القول ضعيف لان قوله تعالى نتبعهم مضارع وهو للحال والاستقبال
ولا يتناول الماضي وانما المراد بالاولين جميع الكفار الذين كانوا قبل محمد
صلى الله عليه وسلم وقوله ثم نتبعهم الآخرين على الاستئناف اي سنفعل ذلك ونتبع الاول
الآخر ويدل على الاستئناف قراءة عبد الله فان قيل قراءة في نتبعهم تدل على
الاشتراك وحينئذ يكون المراد به الماضي لا المستقبل قلنا لو كان المراد هو الماضي
لوقع التنافي بين القراءتين وهو غير جائز فعلمنا ان تسكين العين ليس للجزم بل للتخفيف
قوله تعالى كذلك نفعل بالمجرمين اي مثل ذلك الفعل الشنيع نفعل بكل من اجرم
فصل المقصود من هذه الآية تخويف الكفار وتحذيرهم من الكفر اخبر عن اهلاك
الكفار من الامم الماضين من لدن آدم عليه السلام الى محمد عليه افضل الصلاة والسلام
ثم نتبعهم الآخرين اي نلحق الآخرين بالاولين كذلك نفعل بالمجرمين اي مثل ما فعلنا
بمن تقدم نفعل بمشركي قريش اما بالسيف واما بالهلاك ثم قال تعالى ويل يومئذ
للمكذبين كانه تعالى يقول اما الدنيا فحاصلهم الهلاك واما الآخرة فالعذاب الشديد
واليه الاشارة بقوله تعالى خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين فان قيل
المراد من قوله الم نهلك الاولين هو مطلق الاماتة او الاماتة بالعذاب فان كان هو
مطلق الاماتة لم يكن ذلك تخويفا للكفار لان ذلك معلوم حاصل للمؤمن والكافر
فلا يكون تخويفا للكفار وان كانت الاماتة بالعذاب فقوله تعالى ثم نتبعهم الآخرين
كذلك نفعل بالمجرمين يقتضي ان يكون فعل بكفار قريش مثل ذلك ومعلوم ان ذلك
لم يوجد وايضا فقد قال تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم فالجواب
قال ابن الخطيب لم لا يجوز ان يكون المراد من الاهلاك معنى ثالث وهو الاماتة المستعقبة
للذم واللعن فكانه قيل اولئك المتقدمين لحرصهم على الدنيا وعقوبتهم عادوا الانبياء
وخاصموهم ثم ماتوا ففاتتهم الدنيا وبقي اللعن عليهم في الدنيا والعقوبة في الآخرة
دائما سرمدا وهكذا يكون حال الكفار الموجودين وهذا من اعظم وجوه الزجر
قوله تعالى الم نخلقكم من ماء مهين اي ضعيف حقير وهو النطفة وهذا نوع
آخر من تخويف الكفار وهو من وجهين الاول انه تعالى ذكرهم عظيم انعامه عليهم
وكلما كانت نعمه عليهم اكثر كانت جنايتهم في حقه اقبح والخيانة تكون العقاب اعظم
فلهذا قال جل ذكره عقيب هذه الانعام ويل يومئذ للمكذبين الثاني انه تعالى
ذكرهم كونه تعالى قادرا على الابتداء والظاهر في العقل ان القادر على الابتداء قادر
على الاعادة فلما انكروا هذه الدلالة الظاهرة لا جرم قال في حقهم ويل يومئذ
للمكذبين وهذه الآية نظير قوله تعالى ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين
فجعلناه في قرار مكين اي مكان حريز وهو الرحم الى قدر معلوم قال مجاهد
الى ان يصور وقيل الى وقت الولادة لقوله تعالى ان الله عنده علم الساعة
الى قوله ويعلم ما في الارحام **قوله تعالى** فقدرنا فنعم القادرون قرا
نافع والكسائي بالتشديد من التقدير وهو موافق لقوله تعالى من نطفة خلقه
فقدره والباقون بالتخفيف من القدرة ويدل عليه فنعم القادرون ويجوز ان
يكون المعنى على القراءة الاولى فنعم القادرون على تقديره وان جعلت القادرون

يعني المقدرون كان جمعا بين اللفظين ومعناهما واحد ، ومنه قوله تعالى فمهل الكافرين امهلهم رويدا ، وقول الاعشى م

وانكرتني وقد كان الذي نكرت ∴ من الحوادث الا الشيب والصلعا

وقال الكسائي والفراء هما لغتان بمعنى قال القتيبي قدرنا بمعنى قدرنا مشددة كما تقول قدرت كذا وقدرته ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في الهلال اذا غم عليكم فاقدروا له اي قدروا له المسير والمنازل ، وقال محمد بن الجهم عن الفراء انه ذكر تشديدها عن علي رضي الله عنه وتخفيفها قال ولا يبعد ان يكون المعنى في التشديد والتخفيف واحد لان العرب تقول قدر عليه الموت وقدر قال تعالى نحن قدرنا بينكم الموت قرئ بالتخفيف والتشديد ، وقدر عليه رزقه ، قال واحتج الذين خففوا فقالوا لو كان كذلك لكانت فنعم المقدرون ، قال الفراء والعرب تجمع بين اللغتين واستدل بقوله فمهل الكافرين الاية وذكر بيت الاعشى المتقدم ، وقيل المعنى قدرنا قصيرا وطويلا ونحوه ، وعن ابن عباس قدرنا ملكنا ، قال المهدوي وهذا التفسير اشبه بقراءة التخفيف **قوله تعالى** الم نجعل الارض كفاتا ، هذا هو النوع الرابع من تخويف الكفار لانه تعالى ذكرهم في الاية المتقدمة بالنعم التي له عليهم في الافاق ثم قال في اخرها ويل يومئذ للمكذبين لان النعم كلما كانت اكثر كانت الجناية افحش وكان استحقاق الذم اشد وذكر في هذه الاية النعم التي في الانفس لانها كالاصل للنعم التي في الافاق فانه لولا الحيا بهو السمع والبصر والاعضا السليمة لما كان الانتفاع بشي من المخلوقات ممكنا والله اعلم ، وانما قدم الارض لانها اقرب الاشيا الينا من الامور الخارجة ، والكفات اسم للوعا الذي يكفت فيه اي يجمع قاله ابو عبيد تقول كفته يكفته اي جمعه وضمه ، وفي الحديث اكفتوا صبيانكم ، وقال الصمامة ابن الطرماح م

فانت اليوم فوق الارض حيا ∴ وانت غدا تضمك في كفات

وقيل الكفات اسم لما يكفت كالضمام والجماع ، تقول هذا الباب جماع الابواب والمعنى نجعل الارض ضامة تضم الاحيا على ظهرها والاموات في بطنها ، والكفت الضم والجمع ، وانشد سيبويه م

كرام حين تنكفت الافاعي ∴ الى اجحارهن من الصقيع

وروي عن ربيعة في النباش قال تقطع يده فقيل له لم قال ان الله تعالى يقول الم نجعل الارض كفاتا احيا وامواتا فالارض حرز ، وكانوا يسمون بقيع الغرقد كفتة لانه مقبرة تضم الموتى فالارض تضم الاحيا الى منازلهم والاموات في قبورهم وايضا استقرار الناس على وجه الارض ثم اضطجاعهم عليها انضمام منهم اليها ، وقال الاخفش وقال ابو عبيدة ومجاهد في احد قوليه الاحيا والاموات ترجع الى الارض اي الارض منقسمة الى حي وهو الذي ينبت والى ميت وهو الذي لا ينبت ، وفي انتصاب كفاتا احيا وامواتا وجوه ، احدها انه مفعول ثان لنجعل لانها للتصيير والثاني انه منصوب على الحال من الارض والمفعول الثاني احيا وامواتا يعني الم نصيرها احيا بالنبات وامواتا بغير نبات اي بعضها كذا وبعضها كذا ، وقيل كفات جمع كافت كصيام وقيام جمع صايم وقايم ، وقيل بل هو مصدر كالكتاب والحساب وقال الخليل يقليب الشي ظهر البطن او بطنا لظهر وتقول انكفت القوم الى منازلهم

اي انقلبوا فمعنى الكفات انهم يتصرفون على ظهرها وينقلبون اليها ويدفنون فيها **قوله تعالى** احيا ، فيه اوجه ، احدها انه منصوب بكفات قاله مكي والزمخشري وبدا به ثم قال بعد ان جعل كفاتا اسم ما يكفت كقولهم الضمام والجماع وهذا يمنع ان يكون كفاتا ناصبا لاحيا لانه ليس من الاسما العاملة ، وكذلك اذا جعلناه بمعنى الوعا على قول ابي عبيدة فانه لا يعمل ايضا وقد نص النحاة على ان اسما الامكنة والازمنة والالات وان كانت مشتقة جارية على الافعال لا تعمل نحو مرمى ومنجل وفي اسم المصدر خلاف مشهور ولكن انما يمتنع نصبهما بكفات على قول ابي البقا فانه لم يجوز فيه الا ان يكون جمعا لاسم فاعل او مصدرا وكلاهما من الاسما العاملة ، الوجه الثاني ان ينتصب بفعل مقدر يدل عليه كفات اي تكفتهم احيا وامواتا في بطنها وبه ثنى الزمخشري ، الثالث ان ينتصب على الحال من محذوف اي تكفتهم احيا ~~على ظهرها~~ وامواتا لانه قد علم انها كفات للانس قاله الزمخشري والبه نحى مكي الا انه قدره عاما اي تجمعهم الارض في هاتين الحالتين ، الخامس ان ينتصب مفعولا ثانيا لنجعل وكفاتا حال كما تقدم تقريره ، وتنكير احيا وامواتا اما للتفخيم اي تجمع احيا لا يعدون وامواتا لا يحصون ، واما للتبعيض لان احيا الانس وامواتهم ليسوا بجميع الاحيا ولا الاموات ، وكذلك التنكير في ما فراتا يحتمل المعنيين ايضا اما التفخيم فواضح لعظم المنة عليهم ، واما التبعيض فلقوله تعالى وينزل من السما من جبال فيها من برد فهذا مفهم للتبعيض والقران يفسر بعضه بعضا **قوله تعالى** وجعلنا فيها رواسي شامخات ، اي جعلنا في الارض رواسي وهي الثوابت شامخات وهي الجبال الطوال جمع شامخ وهو المرتفع جدا ، ومنه شمخ بانفه اذا تكبر جعل كناية عن ذلك كثني العطف وصعر الخد وان لم يحصل شي من ذلك **قوله تعالى** واسقيناكم ما فراتا ، اي جعلنا لكم سقيا والفرات الما العذب يشرب ويسقى به الزرع اي خلقنا الجبال وانزلنا الما الفرات وهذه الامور اعجب من البعث ، وروى ابو هريرة رضي الله عنه في الارض من الجنة الفرات والنيل ونهر الاردن ، وفي مسلم سيحان وجيحان والنيل والفرات كل من انهار الجنة **قوله تعالى** انطلقوا ، اي يقال لهم ذلك ، والعامة على انطلقوا الثاني كالاول بصيغة الامر على التاكيد وروي عن يعقوب انطلقوا بفتح اللام فعلا ماضيا على الخبر اي امروا فامتثلوا ذلك وهذا موضع الفا فكان ينبغي ان يكون التركيب فانطلقوا نحو قولك قلت اذهب فذهب وعدم الفا هنا ليس بواضح **فصل** هذا هو النوع الخامس من تخويف الكفار وهو بيان كيفية عذابهم في الاخرة والمعنى يقال لهم انطلقوا الى ما كنتم به من العذاب يعني النار فقد شاهدتموها عيانا انطلقوا الى ظل ، اي دخان ، ذي ثلاث شعب يعني الدخان الذي يرتفع ثم يتشعب الى ثلاث شعب وكذلك شان الدخان العظيم اذا ارتفع تشعب ، قال ابو مسلم ويحتمل في ثلاث شعب ما ذكره بعد ذلك وهو انه غير ظليل وانه لا يغني من اللهب وبانه يرمي بشرر فهو وصف الظليل فقال لا ظليل ولا يغني من اللهب ، اي لا يدفع من لهب جهنم شيئا اي ليس كالظل الذي يقي حر الشمس ، وهذا تهكم بهم وتعريض بان ظلهم غير ظل المومنين وانه لا يمنع حر الشمس ، واللهب ما يعلو على النار اذا اضطرمت من احمر واصفر واخضر ، وقيل ان الشعب الثلاث هي الضريع والزقوم والغسلين قاله الضحاك ، وقيل اللهب هو الشرر ثم الدخان لانها ثلاثة احوال في غاية اوصاف النار اذا اضطرمت واشتدت

على ظهرها

وقيل عنق يخرج من النار فتشعب ثلاث شعب فاما النور فيقف على رؤس المومنين واما الدخان
يقف على رؤس الكفار وقيل هو السرادق وهو لسان من النار يحيط بهم تتشعب منه ثلاث
شعب فتظلهم حتى يفرغ من حسابهم لقوله تعالى احاط بهم سرادقها وتسمية النار بالظل
مجاز من حيث انها محيطة بهم من كل جانب لقوله تعالى لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم
ظلل وقال تعالى يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقيل هو الظل
من يحموم لقوله تعالى وظل من يحموم لا بارد ولا كريم وفي الحديث ان الشمس تدنو من
رؤس الخلايق وليس عليهم ولا لهم اكفان فتلحقهم الشمس وتاخذ بانفاسهم ثم ينجي الله
برحمته من يشا الى ظل من ظله فهناك يقولون فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم ويقال
للمكذبين انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون من عذاب الله وعقابه **قوله** لا ظليل صفة
لظل ولا متوسطة بين الصفة والموصوف لافادة النفي وجي بالصفة الاولى اسما وبالثانية
فعلا لدلالة على نفي ثبوت هذه الصفة واستقرارها للظل ونفي التجدد والحدوث
للاغناء عن اللهب يقال اغن عني وجهك اي ابعده لان الغني عن الشي يتباعد عنه كما ان المحتاج
اليه يقاربه قال الزمخشري في محل الجر اي وغير مغن عنهم من حر اللهب شيا **قوله**
انها اي جهنم لان السياق كله لاجلها وقرا العامة بشرر بفتح الشين وعدم الف
بين الراءين وورش يرقق الرا الاولى لكسر التي بعدها وقرا ابن عباس وابن مقسم
بكسر الشين والف بين الراءين وعيسى كذلك الا انه بفتح الشين فقراءة ابن عباس يجوز ان
تكون جمعا لشررة وفعلة تجمع على فعال نحو رقبة ورقاب ورحبة ورحاب وان تكون جمعا
لشر لا يراد به افعل التفضيل يقال رجل شر ورجال شرار ورجل خير ورجال خيار ويونثان
فيقال امراة شرة وامراة خيرة فان اريد بهما التفضيل امتنع ذلك فيهما واختصا باحكام
مذكورة في كتب النحو اي ترمي بشرار من العذاب او بشرار من الخلق واما قراءة عيسى
فهو جمع شرارة بالالف وهي لغة تميم والشررة والشرارة ما تطاير من النار متفرقا
قال القرطبي شرر واحده شررة والشرار واحده شرارة وهو ما تطاير من النار
في كل جهة واصله من شررت الثوب اي بسطته للشمس ليجف والقصر البنا العالي
قوله كالقصر العامة على فتح القاف وسكون الصاد وهو من القصر المعروف شبهت
به في كبره وعظمه وابن عباس وتلميذه ابن جبير وابن حمر والحسن بفتح القاف والصاد
وهي جمع قصرة بالفتح والقصرة اعناق الابل والنخل واصول الشجر وقرا ابن جبير
والحسن ايضا بكسر القاف وفتح الصاد جمع قصرة بفتح القاف قال الزمخشري
كحاجة وحوج وقال ابو حيان كحلقة من الحديد وحلق وقرئ كالقصر بفتح القاف
وكسر الصاد قال شهاب الدين ولم ارلها توجيها ويظهر ان يكون ذلك من باب
الاتباع والاصل كالقصر بسكون الصاد ثم اتبع الصاد حركة الرا فكسرها واذا
كانوا قد فعلوا ذلك في المشغول بحركة نحو كتف وكبد فلان يفعلوه في الخالي منها اولى
ويجوز ان يكون ذلك للنقل بمعنى انه وقف على الكلمة فنقل كسرة الرا الى الساكن قبلها
ثم اجرى الوصل مجرى الوقف وهو باب شايع عند القرا والنحاة وقرا عبد الله
وفيها وجهان احدهما انه جمع قصر كرهن ورهن قاله الزمخشري والثاني انه مقصور
من قصور كقوله فيها عناجيج اسود ونمر يريد ونمور فقصر وكقوله النجم يريد
النجوم وتخريج الزمخشري اولى لان محل الثاني اما الضرورة واما الندور **قوله**
جمالات قرا الاخوان وحفص جمالة والباقون جمالات فالجمالة نحو ذكر وذكارة وحجر

وحجارة والثاني انه جمع كالذكارة والحجارة قاله ابو البقا والاول قول النحاة واما
جمالات فيجوز ان تكون جمعا لجمالة هذه وان تكون جمعا لجمال هذه وان تكون جمعا لجمال
فتكون جمع الجمع ويجوز ان تكون جمعا لجمل المفرد وكقولهم رجالات قريش كذا قالوه
وفيه نظر لانهم نصوا على ان الاسما الجامدة غير العاقلة لا تجمع بالالف والتا الا اذا لم
تكسر فان كسرت لم تجمع قالوا ولذلك لحن المتنبي في قوله اذا كان بعض الناس سيفا
لدولة ففي الناس بوقات لهم وطبول فجمع بوقا على بوقات مع قولهم ابواق فكذلك
جمالات مع قولهم جمل وجمال على ان بعضهم لا يجيز ذلك ويجعل نحو حمامات وسجلات
شاذا وان لم يكسر وقرا ابن عباس والحسن وابن جبير وقتادة وابو رجا بخلاف عنهم
كذلك الا انهم ضموا الجيم وهي حبال السفن وقيل قلوص الجسور الواحدة جملة لاشتمالها
على طاقات الحبال وفيه وجهان احدهما ان تكون جمالات جمع جمال وجمال جمع جملة
كذا قاله ابو حيان ويحتاج في اثبات ان جمالات بالضم جمع جملة بالضم الى نقل والثاني
جمالات جمع جمالة قاله الزمخشري وهو ظاهر وقرا ابن عباس والسلمي وابو حيوة
جمالة بضم الجيم وذاله لما قاله الزمخشري انه روي عن علي رضي الله عنه انها قطع
النحاس **قوله** صفر صفة لجمالات او لجمالة لانه اما جمع او اسم جمع والعامة
على سكون الفا جمع والحسن بضمها كانه اتباع ووقع التشبيه هنا في غاية الفصاحة
قال الزمخشري وقيل صفر سود تضرب الى الصفرة وفي شعر عمران بن حطان
الخارجي دعتهم باعلا صوتها ورمتهم بمثل الجمال الصفر نزاعة الشوى
وقال ابو العلا
حمرا ساطعة الذوايب في الدجى ترمي بكل شرارة كطراف
فشبهها بالطراف وهو بيت الادم في العظم والحمرة وكانه قصد بخبثه ان يزيد على تشبيه القران
ولتبجحه بما سول له من توهم الزيادة جا في صدر بيته بقوله حمرا توطية لها ومناداة
عليها وتنبيها للسامعين على مكانها ولقد عمي جمع الله تعالى له عمى الدارين عن قوله تعالى
كانه جمالات صفر فانه بمنزلة كقوله كبيت احمر وعلى ان في التشبيه بالقصر وهو
الحصن تشبيها من جهتين من جهة العظم ومن جهة الطول في الهوى والعظم والصفرة انتهى
وكان قد قال قبل ذلك بقليل شبهت بالقصور ثم بالجمال لبيان التشبيه الا ترى انهم
يشبهون الابل بالافدان والافدان القصور كانه يشير الى قول عنترة
توقفت فيها ناقتي وكانها فدن لاقضي حاجة المتلوم
فصل قال القرطبي القصر البنا العالي وقيل القصر جمع قصرة ساكنة الصاد
مثل جمر وجمرة وتمر وتمرة والقصر الواحد من جزل الحطب الغليظ وقال سعيد بن
جبير والضحاك هي اصول الشجر والنخل العظام اذا وقع وقطع وقيل اعناقه وشبه
الشرر بالجمال الصفر وهي الابل السود والعرب تسمي السود من الابل صفرا قال الشاعر
تلك خيلي وتلك ركابي هن صفر اولادها كالزبيب اي هن سود وانما سميت
السود من الابل صفرا لانه تشوب سوادها شي من صفرة قال الترمذي وهذا
القول ضعيف ومحال في اللغة ان يكون من يشوبه شي قليل فينسب كله الى ذلك
الشايب فالعجب ممن قد قال هذا وقد قال الله تعالى جمالات صفر فلا يعلم شيا من
هذا في اللغة والجمالات الجمال وقال الفرا يجوز ان يكون الجمالات بالضم من الشي
المجمل يقال اجملت الحساب وجا القوم جملة اي مجتمعين والمعنى ان هذا الشرر يرتفع

كأنه شيء مجموع غليظ أصفر قيل شبهها بالجمالات لسرعة سيرها ۔ وقيل المتابعة بعضها بعضا قوله
تعالى هذا يوم لا ينطقون ۔ العامة على رفع يوم خبر لهذا أي تقول الملائكة هذا يوم لا
ينطقون ۔ ويجوز أن يكون قوله انطلقوا من قول الملائكة ثم يقول الله لأوليائه هذا اليوم
لا ينطق الكافر ومعنى اليوم الساعة والوقت ۔ وزيد بن علي والأعرج والأعمش وأبو حيوة
وعاصم في بعض طرقه بالفتح وفيه وجهان ۔ أحدهما أن الفتحة فتحة بناء وهو خبر لهذا كما
تقدم ۔ والثاني أنه منصوب على الظرف واقعا خبرا لهذا على أن يشار به لما تقدم من الوعيد
كأنه قيل هذا العقاب المذكور كائن يوم لا ينطقون ۔ وقد تقدم آخر المائدة ما يشبه
هذا في قوله تعالى هذا يوم ينفع إلا أن النصب هناك متواتر قوله ولا يؤذن
العامة على عدم تسمية الفاعل ۔ وحكى الأهوازي عن زيد بن علي ولا يأذن مسمى الفاعل
وهو الله تعالى ۔ وقوله فيعتذرون في رفعه وجهان ۔ أحدهما أنه مستأنف أي فهم
يعتذرون ۔ قال أبو البقاء ويكون المعنى أنهم لا ينطقون نطقا ينفعهم أو ينطقون في
بعض المواقف ولا ينطقون في بعضها ۔ والثاني أنه معطوف على يؤذن فيكون منفيا
ولو نصب لكان مسببا عنه ۔ وقال ابن عطية ولم ينصب في جواب النفي لتشابه
رؤوس الآي والوجهان جائزان أنهما بمعنى واحد وليس كذلك بل المرفوع له معنى
غير معنى المنصوب وإلى مثل هذا ذهب الأعلم فيرفع الفعل ويكون معناه النصب
ورد عليه ابن عصفور وقال الفراء في قوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون الفا نسق أي عطف
على يؤذن وأجيز ذلك لأن أواخر الكلام بالنون ولو قال فيعتذروا لم يوافق الآيات
وقد قال لا يقضى عليهم فيموتوا بالنصب وكله صواب ۔ ومثله من ذا الذي يقرض
الله قرضا حسنا فيضاعفه بالرفع والنصب فصل هذا نوع آخر من أنواع
تخويف الكفار لأن الله تعالى بين أنه ليس لهم عذر ولا حجة فيما أتوا به من القبائح
ولا لهم قدرة على دفع العذاب عن أنفسهم ۔ واعلم أن يوم القيامة له مواطن ومواقيت
فهذا من المواقيت التي لا يتكلمون فيها ولا يعتذرون ۔ روى عكرمة أن ابن عباس
رضي الله عنه سأله ابن الأزرق عن قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون ولا تسمع إلا همسا
وقد قال وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون فقال له إن الله عز وجل يقول وإن يوما
عند ربك كألف سنة فإن لكل مقدار من هذه الأيام لونا من هذه الألوان وقال
الحسن فيه إضمار أي هذا يوم لا ينطقون فيه بحجة نافعة ومن نطق بما لا ينفع ولا
يفيد فكأنه ما نطق كما يقال لمن ذكر كلاما غير مفيد ما قلت شيئا ۔ وقيل إن هذا
وقت جوابهم اخسؤوا فيها ولا تكلمون ۔ قال الفراء أراد بقوله لا ينطقون تلك الساعة
وذلك القدر من الوقت الذي لا ينطقون فيه كما تقول آتيك يوم يقدم فلان
والمعنى ساعة يقدم وليس اليوم كله لأن القدوم إنما يكون في وقت يسير ولا
يمتد في كل اليوم ۔ وأجاب ابن الخطيب بأن قوله تعالى لا ينطقون لفظ مطلق
والمطلق لا يفيد العموم لا في الأنواع ولا في الأوقات بدليل أنك تقول فلان
لا ينطق بالشر ولكنه ينطق بالخير وتارة تقول فلان لا ينطق بشيء البتة فهذا يدل
على أن مفهوم لا ينطق مشترك بين الدائم والموقت وإذا كان كذلك فمفهوم لا ينطق
يكفي في صدقه عدم النطق ببعض الأشياء وفي بعض الأوقات وإذا كان
وذلك لا ينافي حصول النطق بشيء آخر في وقت آخر فيكفي في صدق قوله لا ينطقون
أنهم لا ينطقون بعذر وعلة في وقت واحد وهو وقت السؤال ۔ فإن قيل لو حلف

لا ينطق في هذا اليوم حنث في نطقه في جزء منه ۔ قلنا ذلك لعرف الأيمان وبحثنا في مفهوم
اللفظ من حيث هو ۔ قال ابن الخطيب فإن قيل قوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون يوهم
أن لهم عذرا وقد منعوا من ذكره وهذا لا يليق بالحكمة ۔ فالجواب أن ليس لهم عذر
في الحقيقة ولكن ربما تخيلوا خيالا فاسدا أن لهم فيه عذرا فهم لا يؤذن لهم في ذكر ذلك
الفاسد قوله تعالى هذا يوم الفصل جمعناكم ۔ هذا نوع آخر من أنواع
تهديد الكفار وتخويفهم أي يقال لهم هذا اليوم الذي يفصل فيه بين الخلائق فيتبين
المحق من المبطل ۔ جمعناكم والأولين ۔ قال ابن عباس جمع الذين كذبوا محمدا والذين
كذبوا النبيين من قبله ۔ فإن كان لكم كيد ۔ أي حيلة في الخلاص من العذاب
فكيدون ۔ أي فاحتالوا لأنفسكم وقاووني ولن تجدوا ذلك ۔ وقيل فإن كان لكم
كيد أي قدرتم على حرب فكيدون أي حاربون رواه الضحاك عن ابن عباس أيضا
قال يريد كنتم في الدنيا تحاربون محمدا وتحاربونني فاليوم حاربوني ۔ وقيل إنكم كنتم
في الدنيا تعملون المعاصي وقد عجزتم الآن عنها وعن الدفع عن أنفسكم ۔ وقيل إنه من قول
النبي صلى الله عليه وسلم فيكون كقول هود عليه السلام فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون قوله
تعالى إن المتقين في ظلال وعيون ۔ قال مقاتل والكلبي المراد بالمتقين الذين يتقون
الشرك بالله تعالى لأن السورة من أولها إلى آخرها في تقريع الكفار على كفرهم وتخويفهم
قال ابن الخطيب فيجب أن تكون هذه الآية مذكورة لهذا الغرض وإلا لتفككت السور
في نظمها وترتيبها وإنما يتم النظم بأن يكون الوعد للمؤمنين بسبب إيمانهم فأما جعله
بسبب الطاعة فلا يليق بالنظم ۔ وأيضا فإن المتقي للشرك يصدق عليه أنه متق لأن
غاية هذا أنه عام مخصوص فيبقى حجة فيما عدا محل التخصيص ۔ وأيضا فإن حمل
اللفظ على المعنى الكامل أولى وأكمل أنواع التقوى تقوى الشرك فالحمل عليه أولى وقال
بعضهم هذه الآية أيضا من جملة التهديد فإن الكفار في الدنيا يكون الموت عليهم
أسهل من أن يكون للمؤمنين دولة فإذا رأوا عاقبة المؤمنين في الآخرة تضاعفت
حسراتهم وندمهم ۔ ولما أوعد الكفار بظل ذي ثلاث شعب وعد المؤمنين بظلال
وعيون وفواكه قوله في ظلال ۔ هذه قراءة العامة ۔ والأعمش والزمخشري
وطلحة والأعرج ظلل جمع ظلة يعني في الجنة وتقدم في يس مثله إلا أنهما متواتران
قوله كلوا ۔ معمولا لقول ذلك المنصوب على الحال من الضمير المستكن في الظرف
أي كائنين في ظلال مقولا لهم وكذلك كلوا وتمتعوا قليلا فإن كان ذلك مقولا
في الدنيا فواضح وإن كان مقولا لهم في الآخرة فيكون قد ذكر الحال لهم أي أحقاء بأن
يقال لهم في دنياهم كذا ۔ ومثله قوله ۔ أخوتي لا تبعدوا أبدا ۔ وبلى والله قد
بعدوا ۔ أي هم أهل بأن يدعا لهم بذلك قوله تعالى إنا كذلك نجزي
المحسنين ۔ أي نثيب الذين أحسنوا في تصديقهم محمدا صلى الله عليه وسلم وأعمالهم
في الدنيا فصل اختلفوا في قوله كلوا واشربوا هل هو أمر أو إذن فقال
ابن هشام هو أمر وأراد الله تعالى منهم الأكل والشرب لأن سرورهم يعظم بذلك
فإذا علموا أن الله تعالى أراده منهم جزاء على عملهم فكما يريد إجلالهم وإعظامهم فكذلك
يريد نفس الأكل والشرب منهم ۔ وقال أبو علي ليس بأمر وإنما يقوله على وجه
الإكرام والأمر والنهي إنما يحصلان في زمان التكليف لا في الآخرة فصل
تمسك من قال العمل يوجب الثواب بالباء في قوله بما كنتم تعملون ۔ قال ابن الخطيب

وهذا ضعيف لان الباء للالصاق ولما جعل ذلك العمل علامة لهذا الثواب كان الاتيان بذلك كالالة والوصلة الى تحصيل ذلك الثواب • وقوله تعالى انا كذلك نجزي المحسنين المقصود منه تذكير الكفار بما فاتهم من النعيم العظيم ليعلموا انهم لو كانوا من المتقين المحسنين لفازوا بمثل تلك الخيرات فلما لم يفعلوا وقعوا فيما وقعوا فيه **قوله تعالى** كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون • هذا مردود الى ما تقدم قبل المتقين وهو وعيد وتهديد وهو حال من المكذبين اي الويل ثابت لهم في حال ما يقال لهم كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون اي كافرون • وقيل مكتسبون فعلا يضركم في الاخرة من الشرك فكانه تعالى يقول للكافر كونه في الدنيا انك انما عرضت نفسك لهذه الافات التي وصفناها لحبك الدنيا ورغبتك في طيباتها الا ان طيباتها قليلة بالنسبة الى تلك الافات العظيمة فالمشتغل بتعظيمها يجري مجرى لقمة واحدة من الحلوى وفيها السم المهلك فانه يقال لا كلها تذكيرا له ونصحا كل هذا وويل لك منه بعد فانك من الهالكين بسببه فهذا وان كان في اللفظ امرا الا انه في المعنى تبليغ وزجر عظيم **قوله تعالى** واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون وهذا نوع اخر من انواع تخويف الكفار اي اذا قيل لهؤلاء المشركين اركعوا اي صلوا لا يركعون لا يصلون قاله مجاهد • قال مقاتل نزلت في ثقيف امتنعوا من الصلاة فنزل ذلك فيهم قال مقاتل قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اسلموا وامرهم بالصلاة فقالوا لا ننحني فانها مسبة علينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود وقال ابن عباس انما يقال لهم هذا في الاخرة حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون وقال قتادة هذا في الدنيا **فصل** قال ابن العربي هذه الاية تدل على وجوب الركوع وكونه ركنا في الصلاة وقد انعقد الاجماع عليه • وقال قوم ان هذا انما يكون في الاخرة وليست بدار تكليف فيتوجه فيها امر يكون عليه ويل وعقاب وانما يدعون الى السجود كشفا لحال الناس في الدنيا فمن يسجد لله تمكن من السجود ومن كان يسجد رياء لغيره صار ظهره طبقا واحدا • وقيل اي اذا قيل لهم اخضعوا للحق لا يخضعون فهو عام في الصلاة وغيرها وانما ذكر الصلاة لانها اصل الشرائع بعد التوحيد والامر بالصلاة امر بالايمان لانها لا تصح من غير ايمان **فصل** حكى ابن الخطيب عن ابن عباس رضي الله عنه ان المراد بقوله تعالى واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون هو الصلوات قال وهذا ظاهر لان الركوع من اركانها فبين تعالى ان هؤلاء الكفار من صفتهم انهم اذا دعوا الى الصلاة لا يصلون • وهذا يدل على ان الكفار مخاطبون بفروع الشرائع وانهم حال كفرهم يستحقون الذم والعقاب بترك الصلاة لان الله تعالى ذمهم حال كفرهم على ترك الصلاة **فصل** استدلوا بهذه الاية على ان الامر للوجوب لان الله تعالى ذمهم لكفرهم بمجرد ترك المامور به وهذا يدل على ان مجرد الامر للوجوب فان قيل انما ذمهم لكفرهم فالجواب انه تعالى ذمهم على كفرهم من وجوه الا انه تعالى انما ذمهم في هذه الاية لترك المامور به فدل على ان ترك المامور غير جائز **قوله** فباي حديث • متعلق بقوله يؤمنون • والعامة على الغيبة • وقرا ابن عامر في رواية ويعقوب بالخطاب على الالتفات او على الانفصال **فصل** قال ابن الخطيب اعلم انه تعالى لما بالغ في زجر الكفار من اول هذه السورة الى اخرها في الوجوه العشرة المذكورة وحث على التمسك بالنظر والاستدلال والانقياد للدين الحق ختم السورة بالتعجب من الكفار وبين انهم اذا لم يؤمنوا بهذه الدلائل اللطيفة مع تجليها ووضوحها • فباي حديث

بعده

بعده يؤمنون • قال القاضي هذه الاية تدل على ان القران محدث لان الله تعالى وصفه بانه حديث والحدوث ضد القدم والضدان لا يجتمعان فاذا كان حديثا وجب ان لا يكون قديما واجيب بان المراد منه هذه الالفاظ ولا نزاع في انها محدثة • روى الثعلبي عن ابي بن كعب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والمرسلات كتب انه ليس من المشركين

سورة النبا مكية

وهي اربعون او احدى واربعون اية • ومائة وثلاثة وسبعون كلمة • وسبعمائة وسبعون حرفا • بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** عم يتساءلون • قد تقدم ان البزي يدخل ها السكت عوضا عن الف ما الاستفهامية في الوقف • ونقل عن ابن كثير انه يقرا عمه باثباتها وصلا اجرى الوصل مجرى الوقف • وقرا عبد الله وابي وعكرمة وعيسى عما باثبات الالف وقد تقدم انه يجوز ضرورة وفي قليل من الكلام • ومنه • على ما قام يشتمني لئيم • كخنزير تمرغ في رماد • وتقدم ان الزمخشري جعل منه بما غفر لي ربي في يس وعم فيه قولان اظهرهما انه متعلق بيتساءلون • قال ابو اسحق الكلام تام في قوله عم يتساءلون ثم كان مقتضى القول ان يجيب مجيب فيقول يتساءلون عن النبا العظيم فاقتضى كمال القران وبلاغته الايراد المحتج بالجواب الذي تقتضيه الحال والمجاورة اقتضابا بالحجة واسراعا الى موضع قطعهم والثاني انه متعلق بفعل مقدر ويتعلق عن النبا العظيم بهذا الفعل الظاهر • قال الزمخشري وعن ابن كثير انه قراها عمه بهاء السكت ولا يخلو اما ان يجري الوصل مجرى الوقف واما ان يقف ويبتدي يتساءلون عن النبا العظيم على ان يضمر يتساءلون لان ما بعده يفسره كشيء مبهم ثم يفسر **فصل** قال ابن الخطيب عم اصله عما لانه حرف جر دخل على ما الاستفهامية قال حسان بن ثابت • على ما قام يشتمني لئيم • والاستعمال الكثير على الحذف والاصل قليل وذكروا في سبب الحذف وجوها • احدها قال الزجاج لان الميم يشرك الغنة في الالف فصارا كالحرفين المتماثلين • وثانيها قال الجرجاني انهم اذا وضعوها في استفهام حذفوا الفها تفرقة بينها وبين ان تكون اسما كقولهم فيم وبم ولم وحتى م • وثالثها قالوا حذفت الالف لاتصال ما بحرف الجر حتى صارت كالجزء منه لتنبئ عن شدة الاتصال • ورابعها حذفت للتخفيف في الكلام فانه لفظ كثير التردد على اللسان **فصل** قال ابن الخطيب قوله تعالى عم يتساءلون سؤال وقوله عن النبا العظيم جواب والسائل والمجيب هو الله تعالى وذلك يدل على علمه بالغيب بل بجميع المعلومات • وفائدة ذكره في معرض السؤال والجواب لانه اقرب الى التفهيم والايضاح • ونظيره قوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار **فصل** ما لفظة وضعت لطلب ماهيات الاشياء وحقائقها تقول ما الملك وما الروح وما الجن والمراد طلب ماهياتها وشرح حقائقها وذلك يقتضي كون ذلك المطلوب مجهولا ثم ان النبا العظيم الذي يكون في العظمة بمرتبة يعجز العقل عن ان يحيط بكنهه كانه مجهول فحصل بين الشيء المطلوب بلفظ وبين الشيء العظيم مشابهة من هذا الوجه فلذلك سئل عنه بما استعارة كانه مجهول • ومنه الحاقة ما الحاقة • وما ادراك ما سجين • وما العقبة ونحوه **فصل** قال الفراء التساؤل هو ان يسال بعضهم بعضا كالتقابل • وقد يستعمل ايضا في ان يتحدث نوابه وان لم يكن بينهم سؤال قال تعالى واقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال قائل منهم اني كان لي قرين الاية وهذا يدل على التحدث **فصل** والضمير في يتساءلون لقريش • روى ابو صالح عن ابن عباس رضي الله عنه قال كانت قريش تجلس لما نزل القران

فتحدث فيما بينهم فمنهم المصدق ومنهم المكذب فنزلت عم يتساءلون وقيل عم يتساءل المشركون او هم يختصمون بدليل قوله كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون وهذا التهديد والتهديد لا يليق الا بالكفار، فان قيل فما تصنع بقوله تعالى هم فيه مختلفون مع ان الكفار كانوا متفقين في انكار الحشر، فالجواب لا نسلم اتفاقهم في انكار الحشر لان منهم من كان يثبت المعاد الروحاني وهم جمهور النصارى واما المعاد الجسماني فمنهم من كان شاكا فيه لقوله وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى، ومنهم من ينكره ويقول ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين، ومنهم من يقر به لكنه ينكر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فقد حصل اختلافهم، وايضا هب انهم كانوا منكرين له لكن لعل اختلافهم في كيفية انكاره فمنهم من انكر لانكاره الصانع المختار، ومنهم من ينكره لاعتقاده ان اعادة المعدوم ممتنعة لذاتها والقادر المختار انما يكون قادرا على الممكن في نفسه وقيل الضمير في يتساءلون هم الكفار والمؤمنون كانوا جميعا يتساءلون عنه فاما المسلم فيزداد يقينا وتبصرة في دينه، واما الكافر فاستهزاء وسخرية وعلى سبيل ايراد الشكوك والشبهات قال ابن الخطيب ويحتمل انهم يسالون الرسول صلى الله عليه وسلم ويقولون ما هذا الذي تعدنا به من امر الآخرة **قوله** عن النبا، يجوز فيه كما جاز في قوله تعالى لاي يوم اجلت في البدلية والتعلق بفعل مقدر ويزيد عليه هنا انه متعلق بالفعل الظاهر ويتعلق ما قبله بمضمر كما تقدم عن الزمخشري، وقال ابن عطية قال اكثر النحاة عن النبا العظيم متعلق بيتساءلون الظاهر كانه قال لم يتساءلون عن النبا، وقوله عم هو استفهام تفخيم وتعظيم، وقال المهدوي عن ليس تتعلق بيتساءلون الذي في التلاوة لانه كان يلزم دخول حرف الاستفهام فيكون أعن النبا العظيم كقولك كم مالك أثلاثون ام اربعون فوجب لما ذكرناه امتناع تعلقه بيتساءلون الذي في التلاوة وانما يتعلق بيتساءلون آخر مضمر وحسن ذلك لتقدم يتساءلون، قال القرطبي وذكر بعضهم ان الاستفهام في قوله عم مكرر الا انه مضمر كانه قال عم يتساءلون أعن النبا العظيم فعلى هذا يكون متصلا بالآية الاولى، والنبا العظيم الخبر الكبير الذي هم فيه مختلفون اي يخالف فيه بعضهم بعضا فيصدق واحد ويكذب الآخر **قوله** مختلفون خبرهم والجار متعلق به والموصول يحتمل الحركات الثلاث اتباعا وقطعا رفعا ونصبا

فصل قال ابن عباس رضي الله عنه النبا هو القرآن قال تعالى قل هو نبا عظيم انتم عنه معرضون فالقرآن نبا وخبر وقصص وهو نبا عظيم وكانوا يختلفون فيه فمصدق ومكذب فجعله بعضهم سحرا وبعضهم شعرا وبعضهم قال اساطير الاولين، وقال قتادة هو البعث بعد الموت اختلفوا فيه فمصدق ومكذب ويدل عليه قوله تعالى ان يوم الفصل كان ميقاتا، وروي عن ابن عباس رضي الله عنه انه امر النبي صلى الله عليه وسلم لانه لما بعث سأله اليهود عن اشياء كثيرة فاخبره الله باختلافهم وايضا فجعل الكفار يتساءلون فيما بينهم ما هذا الذي حدث فانزل الله تعالى عم يتساءلون وذلك انهم عجبوا من ارسال محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب وعجبوا ان جاءهم ايضا بالتوحيد كما قال تعالى اجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب فحكى الله تعالى عن مساءلة بعضهم بعضا على سبيل التعجب بقوله عم يتساءلون **قوله تعالى** كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون، التكرار للتوكيد وزعم ابن مالك انه من باب التوكيد اللفظي، ولا يضر توسط حرف العطف والنحويون

يابون ذلك هذا ولا يسمونه الا عطفا وان افاد التاكيد والعامة على الغيبة في الفعلين والحسن وابن دينار وابن عامر بخلاف عنه بتاء الخطاب فيهما والضحاك قرأ الاول كالحسن والثاني كالعامة والغيبة والخطاب واضحان

فصل قال القفال كلا لفظة وضعت للردع والمعنى ليس الامر كما يقولونه في النبا العظيم انه باطل وانه لا يكون، وقيل معناه حقا ثم انه تعالى كرر ذلك الردع والتهديد فقال سبحانه ثم كلا سيعلمون وهو وعيد بانهم سوف يعلمون ان ما يتساءلون عنه ويضحكون منه حق لا دافع له واما تكرير الردع فقيل للتاكيد ومعنى ثم الاشعار بان الوعيد الثاني ابلغ من الوعيد الاول واشد، وقيل ليس بتكرير قال الضحاك الاولى للكفار والثانية للمؤمنين اي سيعلم الكفار عاقبة تكذيبهم وسيعلم المؤمنون عاقبة تصديقهم، وقال القاضي يحتمل ان يريد بالاول سيعلمون يعني العذاب اذا شاهدوه وبالثاني وقيل كلا سيعلمون ما الله فاعل بهم يوم القيمة ثم كلا سيعلمون ان الامر ليس كما كانوا يتوهمونه من ان الله تعالى غير باعث لهم **قوله تعالى** الم نجعل الارض مهادا، لما حكى الله تعالى عنهم انكار البعث والحشر واراد اقامة الدلايل على صحة الحشر قدم لذلك مقدمة في بيان كونه تعالى قادرا على جميع الممكنات عالما بجميع المعلومات لانه اذا ثبت هذان الاصلان ثبت القول بصحة البعث فاثبت هذين الاصلين بان عدد انواعا من مخلوقاته المحكمة المتقنة فان هذه الاشياء من جهة حدوثها تدل على القدرة ومن جهة احكامها واتقانها تدل على العلم، واذا ثبت هذان الاصلان وثبت ان الاجسام متساوية في قبول الصفات والاعراض ثبت لا محالة كونه تعالى قادرا على تخريب الدنيا بسمواتها وكواكبها وارضها وعلى ايجاد عالم الآخرة فهذا وجه النظم **قوله** مهادا، مفعول ثان لان الجعل بمعنى التصيير، ويجوز ان يكون بمعنى الخلق فتكون مهادا حالا مقدرة، وقرأ العامة مهادا وقرأ مجاهد وعيسى وبعض الكوفيين مهدا وقد تقدم [illegible] في سورة طه وان الكوفيين قرؤا مهدا في طه والزخرف فقط وتقدم الفرق بينهما ثمة **قوله تعالى** والجبال اوتادا والكلام عليها كالكلام في مهادا من المفعولية والحالية ولا بد من تأويلها بمشتق ايضا اي مثبتات والمراد بالوطاء هو الفراش لقوله تعالى جعل لكم الارض فراشا، ومعنى مهادا اي كمهد الصبي وهو ما يمهد له فينوم عليه والاوتاد اي لتسكن ولا تميد باهلها **قوله تعالى** وخلقناكم ازواجا، اي اصنافا ذكرا وانثى، وقيل الوانا، وقيل يدخل كل زوج من قبيح وحسن وطويل وقصير لتختلف الاحوال فيقع الاعتبار **قوله** وجعلنا نومكم سباتا الظاهر انه مفعول ثان ومعناه راحة لابدانكم ومنه السبت اي يوم الراحة اي قيل لبني اسرائيل استريحوا في هذا اليوم ولا تعملوا فيه شيئا وانكر ابن الانباري هذا وقال لا يقال للراحة سبات، وقيل اصله التمدد يقال سبتت المراة شعرها اذا حلته وارسلته فالسبات كالممدود ورجل مسبوت الخلق اي ممدود واذا اراد الرجل يستريح تمدد فسميت الراحة سبتا، وقيل اصله القطع يقال سبت شعره سبتا اي حلقه وكانه اذا نام انقطع عن الناس وعن الاشتغال فالسبات يشبه الموت الا انه لم تفارقه الروح، ويقال سير سبت اي سهل لين **قوله تعالى** وجعلنا الليل لباسا، فيه استعارة حسنة، وعليه قول المتنبي

وكم لظلام الليل عندك من يد ... تخبر ان المانوية تكذب

والمعنى يلبسكم ظلمته ويغشاكم قاله الطبري . قال القفال اصل اللباس هو الشي الذي يلبسه الانسان ويتغطى به فيكون ذلك مغطيا فلما كان الليل يغشى الناس بظلمته ويغطيهم جعل لباسا لهم فلهذا سمى الليل لباسا على وجه المجاز . ووجه النعمة في ذلك هو ان ظلمة الليل تستر الانسان عن العيون اذا اراد هربا من عدو او اخفاء ما لا يحب اطلاع غيره عليه . وقال ابن جبير والسدى اى سكنا لكم **قوله** وجعلنا النهار معاشا . فيه اضمار اى وقت معاش فيكون مفعولا وظرفا للتعيش اى متصرفا لطلب المعاش وهو كل ما يعاش به من المطعم والمشرب وغير ذلك فمعاشا على هذا اسم زمان ليكون الثانى هو الاول . ويجوز ان يكون مصدرا بمعنى العيش على تقدير حذف المضاف . يقال عاش يعيش عيشا ومعاشا ومعيشة ومعنى كون النهار معيشة ان الخلق انما يمكنهم التقلب في حوائجهم ومكاسبهم في النهار **قوله تعالى** وبنينا فوقكم سبعا شدادا . اى سبع سموات محكمات اى محكمة الخلق وثيقة البنيان وشدادا جمع شديدة اى قوية لا يؤثر فيها مرور الازمان لا فطور فيها ولا فروج ونظيره قوله تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا **قوله تعالى** وجعلنا سراجا وهاجا . اى وقادا وهو الشمس وجعل هنا بمعنى خلق لانها تعدت لمفعول واحد والوهاج المضئ المتلالئ من قولهم وهج الجوهر اى تلالا . وقيل الوهاج الذى له وهج يقال وهج يوهج كوجل يوجل ووهج يهج كوعد يعد وهجا قال ابن عباس رضى الله عنه وهاجا منيرا متلالئا **قوله** وانزلنا من المعصرات . يجوز في من ان يكون على بابها من ابتداء الغاية وان يكون للسببية وتدل قراءة عبد الله بن زيد وعكرمة وقتادة بالمعصرات بالباء بدل من . وهذا على الخلاف في المعصرات ما المراد بها فعن ابن عباس انها السحاب وهو قول سفيان والربيع وابى العالية والضحاك اى السحاب التى تنعصر بالماء ولم تمطر بعد كالمراة المعصر التى قد دنا حيضها ولم تحض . يقال اعصرت السحاب اى شارفت ان تعصرها الرياح فتمطر كقولك اجز الزرع اذا حان له ان يجز . وانشد ابن قتيبة لابى النجم م

فبدن تمشى الهوينا بلا اخمارها . فقد اعصرت او قد دنا اعصارها .

ولولا تاويل اعصرت بذلك لكان ينبغى ان تكون المعصرات بفتح الصاد اسم مفعول لان الرياح تعصرها . وقال الزمخشرى وقرا عكرمة بالمعصرات وفيه وجهان احدهما ان يراد بالرياح التى حان لها ان تعصر السحاب وان يراد السحاب لانه اذا كان الانزال منها فهو بها كما تقول اعطى من يده درهما واعطى بيده . وعن ابن عباس ومجاهد المعصرات الرياح ذوات الاعاصير كانها تعصر السحاب وعن الحسن وقتادة هى السموات وتاويله ان الماء ينزل من السماء الى السحاب فكان السموات معصورون اى يحملن على العصر ويمكن منه . فان **قلت** فما وجه من قرا من المعصرات وفسرها بالرياح ذوات الاعاصير والمطر لا ينزل من الرياح **قلت** الرياح هى التى تنشئ السحاب وتدر اخلافه فيصح ان يجعل مبتدأ للانزال وقد جاء ان الله تبارك وتعالى يبعث الرياح فتحمل الماء من السماء فان صح ذلك فالانزال منها ظاهر . فان **قلت** ذكر ابن كيسان انه جعل المعصرات بمعنى المغيثات والعاصر هو المغيث لا المعصر يقال عصره فاعتصر . **قلت** وجهه ان يراد اللاتى اعصرن اى حان لها ان تعصر اى تغيث يعنى ان عصرها بمعنى الاغاثة تلاق فكيف قال هنا معصرات

هذا

هذا المعنى وهو من الرباعي فاجاب عنه بما تقدم يعنى ان الهمزة بمعنى الدخول في الشي قال القرطبي ويجوز ان يكون الاقوال واحدا ويكون المعنى وانزلنا من ذوات الرياح المعصرات ماء ثجاجا . واصح الاقوال ان المعصرات السحاب كذا المعروف اذ الغيث منها ولو كان بالمعصرات لكان الريح اولى . وفي الصحاح والمعصرات السحائب تعتصر بالمطر واعصر القوم اى مطروا . ومنه قراءة بعضهم وفيه يعصرون . والمعصر الجارية التى قربت من البلوغ . والمعصر السحابة التى حان لها ان تمطر فقد اعصرت ومنه العصر بالتحريك للملجأ الذى يلجأ اليه . والعصرة بالضم ايضا الملجأ . وانشد ابو زبيد . صاديا يستغيث غير مغاث . ولقد كان عصرة المنجود م

قوله ماء ثجاجا . الثج الانصباب بكثرة وشدة . وفي الحديث احب العمل الى الله تعالى العج والثج فالعج رفع الصوت بالتلبية والثج اراقة دماء الهدى يقال ثج الماء بنفسه اى انصب وثججته انا اى صببته ثجا وثجوجا فيكون لازما ومتعديا وقال الشاعر . اذا رجفت فيها رحى مرجحنة . تبعج ثجاجا غزير الحوافل م

وقرا الاعمش ثجاحا بالحاء المهملة اخيرا قال الزمخشري ومثاجج الماء مصابه والماء ينثج في الوادي . وكان ابن عباس مثجا يعنى يثج الكلام ثجا في خطبته **قوله تعالى** لنخرج به . اى بذلك الماء . حبا كالحنطة والشعير وغير ذلك . ونباتا . من الاب وهو ما تاكله الدواب من الحشيش . وجنات . اى بساتين . الفافا . اى ملتفة بعضها ببعض لتشعب اغصانها . وفي الالفاف اوجه . احدها انه لا واحد له قال الزمخشري الفافا ملتفة لا واحد له كالاوزاع والاخياف . والثانى انه جمع لف بكسر اللام فيكون نحو سر واسرار . وانشد ابو على الطوسى . جنة لف وعيش مغدق . وندامى كلهم بيض زهر . وهذا قول اكثر اهل اللغة ذكره الكسائى الثالث انه جمع لفيف قاله الكسائى وابو عبيدة كشريف واشراف وشهيد واشهاد قال الشاعر . احابيش الفاف تباين فرعهم . وجذمهم عن نسبة المتعرف . الرابع انه جمع الجمع وذلك ان الاصل لف في المذكر ولفاء في المؤنث كاحمر وحمراء ثم جمع لف على لفاف اذا صار لف زنة فعل يجمع جمعه قاله ابن قتيبة الا ان الزمخشري قال وما اظنه واجدا له نظيرا من نحو خضر واخضار وحمر واحمار قال شهاب الدين كانه يستبعد هذا القول من حيث ان نظائره لا تجمع على افعال اذ لا يقال خضر ولا حمر واحمار وان كانا جمعين لاحمر وحمراء واخضر وخضراء وهذا غير لازم لانه جمع الجمع لا ينقاس . ويكفى ان يكون له نظير في المفردات كما رايت من ان لفا صار يضارع فعلا ولهذا امتنعوا من تكسير مفاعل ومفاعيل لعدم نظير في المفردات يحملان عليه . الخامس قال الزمخشرى ولو قيل هو جمع ملتفة بتقدير حذف الزوائد لكان قولا وجيها . وهذا تكلف لا حاجة اليه . وايضا فغالب عبارات النحاة في حذف الزوائد انما هو في التصغير يقولون تصغير الترخيم بحذف الزوائد وفي المصادر يقولون هذا المصدر على حذف الزوائد قال القرطبي ويقال شجرة لفاء وشجر لف وامراة لفاء اى غليظة الساق مجتمعة اللحم . وقيل التقدير ونخرج به جنات الفافا ثم حذف لدلالة الكلام عليه **قوله تعالى** ان يوم الفصل كان ميقاتا . اى وقتا ومجمعا وميعادا للاولين والاخرين لما وعد الله من الجزاء والثواب وسمى يوم الفصل لان الله تعالى يفصل فيه بين خلقه **قوله** يوم ينفخ . يجوز ان يكون

بدلا من يوم الفصل او عطف بيان له او منصوبا باضمار اعنى وافواجا حال من فاعل تاتون
وقرا ابو عياض فى الصور بفتح الواو وتقدم مثله **فصل** هذا النفخ
هو النفخة الاخيرة التى عندها يكون الحشر وهذا هو النفخ للارواح وقيل هو
قرن ينفخ فيه للبعث فتاتون اى الى موضع العرض افواجا اى امما كل امة
مع امامهم روى معاذ بن جبل رضى الله عنه قلت يا رسول الله ارايت قول الله
تعالى يوم ينفخ فى الصور فتاتون افواجا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا معاذ لقد سالتنى عن امر عظيم ثم ارسل عينيه باكيا ثم قال عليه الصلاة والسلام
يحشر عشرة اصناف من امتى اشتاتا قد ميزهم الله تعالى من جماعات المسلمين
وبدل صورهم فبعضهم على صورة القردة وبعضهم على صور الخنازير وبعضهم منكسين
ارجلهم اعلاهم ووجوههم يسحبون وبعضهم عميا وبعضهم صما وبعضهم يمضغون
السنتهم فهى مدلاة على صدورهم يسيل القيح من افواههم يتقذرهم الجمع وبعضهم
مقطعة ايديهم وارجلهم مصلبين على جذوع من نار وبعضهم اشد نتنا من الجيف
وبعضهم ملبسين جلابيب سابغة من القطران لاصقة بجلودهم فاما الذين على صور
القردة فالقتات من الناس يعنى النمام واما التى على صور الخنازير فاهل
السحت والحرام والمكس واما المنكبون على رؤسهم ووجوههم فاكلة الربا
واما العمى فالذين يجورون فى الحكم واما الصم البكم فالمعجبون باعمالهم واما
الذين يمضغون السنتهم فالعلما الذين خالف فعلهم قولهم واما الذين قطعت
ايديهم وارجلهم فالذين يوذون الجيران واما المصلبون على جذوع النار
فالسعاة بالناس الى السلطان واما الذين اشد نتنا من الجيف فالذين يتبعون
الشهوات واللذات ويمنعون حق الله فى اموالهم واما الذين يلبسون الجلابيب
فاهل الكبر والفخر والخيلا **قوله تعالى** وفتحت السما فكانت ابوابا قرا
ابن عامر وحمزة والكسائى فتحت خفيفة والباقون بالتثقيل والمعنى كثرت ابوابها
المفتحة لنزول الملئكة كقوله تعالى ويوم تشقق السما بالغمام ونزل الملئكة تنزيلا وقيل
تقطعت فكانت قطعا كالابواب فانتصاب الابواب على هذا بحذف الكاف وقيل
التقدير كانت ذات ابواب لانها تصير كلها ابوابا وقيل ابوابها طرقها وقيل ان
لكل عبد بابا فى السما لعمله وبابا لرزقه فاذا قامت القيمة انفتحت الابواب
قال القاضى هذا الفتح والتشقق متقاربت قال ابن الخطيب وهذا ليس بقوى لان
المفهوم من فتح الباب غير المفهوم من التشقق والتفطر فربما تفتح تلك الابواب
مع انه لا يحصل فى جرم السما تشقق ولا تفطر بل الدلايل الصحيحة دلت على ان
حصول فتح هذه الابواب تحصيل التشقق والتفطر والفنا بالكلية فان قيل قوله
تعالى وفتحت السما فكانت ابوابا يفيد ان السما بكليتها تصير ابوابا فما ذلك
فالجواب من وجوه احدها ان تلك الابواب لما كثرت جدا صارت كانها ليست
الا ابوابا كقوله تعالى وفجرنا الارض عيونا اى كان الارض كلها صارت عيونا
تتفجر وثانيها قال الواحدى هذا من باب حذف المضاف اى فكانت
ذات ابواب وثالثها ان الضمير فى قوله تعالى فكانت ابوابا يعود الى المضمر
والتقدير فكانت تلك المواضع المفتوحة ابوابا لنزول الملئكة **قوله تعالى**
وسيرت الجبال فكانت سرابا اى لا شى كما ان السراب كذلك يظنه الراى ما وليس بما

وقيل نسفت من اصولها وقيل ازيلت عن مواضعها قال ابن الخطيب ان الله تعالى
ذكر احوال الجبال بوجوه مختلفة ويمكن الجمع بينها بان نقول اول احوالها الاندكاك
وهو قوله تعالى وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة والحالة الثانية
ان تصير كالعهن المنفوش وهو قوله تعالى وتكون الجبال كالعهن المنفوش والحالة
الثالثة ان تصير كالهبا وهو قوله تعالى وبست الجبال بسا فكانت هبا منبثا والحالة
الرابعة ان تنسف لانها مع الاحوال المتقدمة قارة فى مواضعها والارض غير بارزة فترسل الرياح
فتنسفها عن وجه الارض فتطيرها فى الهوا كانها غبارة فمن نظر اليها يحسبها لتكاثفها
اجسادا جامدة وهى فى الحقيقة مارة الا ان مرورها بسبب مرور الرياح بها صيرها مندكة
متسعة والحالة السادسة ان تصير سرابا اى لا شى كما يرى السراب من بعد
قوله تعالى ان جهنم كانت مرصادا مفعالا من الرصد والرصد كل شى كان
امامك قرا ابن يعمر وابو عمرو المقبرى ان جهنم بفتح ان قال الزمخشرى على انه
تعليل قيام الساعة ان جهنم كانت مرصادا للطاغين كانه قيل كان ذلك لاقامة
الجزا يعنى انه علة لقوله تعالى يوم ينفخ فى الصور الى اخره قال القفال فى المرصاد
قولان احدهما ان المرصاد اسم للمكان الذى يرصد فيه كالمضمار اسم للمكان الذى
يضمر فيه الخيل والمنهاج اسم للمكان الذى ينهج فيه اى جهنم معدة لهم فالمرصاد
بمعنى المحل وعلى هذا فيه احتمالان الاول ان خزنة جهنم يرصدون الكفار والثانى
ان مجاز المومنين وممرهم على جهنم لقوله تعالى وان منكم الا واردها فخزنة
الجنة يستقبلون المومنين عند جهنم فيرصدونهم عندها القول الثانى ان المرصاد
مفعال من الرصد وهو الترقب بمعنى ان ذلك يكثر منه والمفعال من ابنية المبالغة
كالمعطار والمعمار والمطعان قيل انها ترصد اعدا الله وتشد عليهم لقوله تعالى
تكاد تميز من الغيظ وقيل ترصد كل منافق وكافر **فصل** دلت الاية
على ان جهنم كانت مخلوقة لقوله تعالى ان جهنم كانت مرصادا واذا كانت كذلك
كانت الجنة كذلك لعدم الفارق **قوله** للطاغين يجوز ان يكون صفة لمرصادا
وان يكون حالا من مابا كان صفته فلما تقدم نصب على الحال وعلى هذين الوجهين
فيتعلق بمحذوف ويجوز ان يكون متعلقا بنفس مرصادا او بنفس مابا لانه بمعنى
مرجع قال ابن الخطيب ان قيل بان مرصادا للكافرين فقط كان قوله للطاغين
من تمام ما قبله والتقدير كانت مرصادا للطاغين ثم قوله تعالى مابا بدل من قوله
مرصادا وان قيل ان مرصادا مطلقا للكفار والمومنين كان قوله تعالى ان جهنم
كانت مرصادا كلاما تاما وقوله جل ذكره للطاغين مابا كلاما مبتدا كانه قيل
ان جهنم كانت مرصادا للكل ومابا للطاغين خاصة فمن ذهب الى القول الاول
لم يقف على قوله مرصادا ومن ذهب الى القول الثانى وقف عليه قال القرطبى
للطاغين مابا بدل من قوله مرصادا والماب المرجع اى مرجعا يرجعون اليها يقال
آب يووب اوبة اذا رجع وقال قتادة ماوى ومنزلا والمراد بالطاغين من
طغى فى دينه بالكفر وفى دنياه بالظلم **قوله** لابثين منصوب على الحال من الضمير
المستتر فى للطاغين وهى حال مقدرة وقرا حمزة لبثين دون الف والباقون
لابثين وضعف مكى قراة حمزة قال ومن قرا لبثين شبهه بما هو خلقة فى الانسان
نحو حذر وفرق وهو بعيد لان اللبث ليس مما يكون خلقة فى الانسان وباب فعل انما

يكون لما هو خلقة في الانسان ولبس اللبس بخلقة ، ورجح الزمخشري قراءة حمزة فقال
لوي لابثين واللبث اقوى لان اللابث يقال لمن وجد منه اللبث ولا يقال لبث الا لمن
شانه اللبث كالذي يجثم بالمكان لا يكاد ينفك منه ، وما قاله الزمخشري اصوب
واما قول مكي اللبث ليس بخلقة فمسلم لكنه بولغ في ذلك فجعل بمنزلة الاشيا الخلقية
ولابثين اسم فاعل من لبث ويقويه ان المصدر منه اللبث بالاسكان كالشرب **قوله**
احقابا ، منصوب على الظرف وناصبه لابثين ، هذا هو المشهور وقيل منصوب
بقوله لا يذوقون وهذا عند من يرى تقدم معمول ما بعد لا عليها وهو احد
وقد تقدم هذا مستوفي في اواخر الفاتحة ، وجوز الزمخشري ان ينتصب على الحال
وفيه وجه اخر وهو ان يكون من حقب عامنا اذا قل مطره وخيره وحقب فلان اذا حرم
الخطا والرزق فهو حقب وجمعه احقاب فينتصب حالا عنهم بمعنى لابثين فيها حقبين
جحدين وتقدم الكلام على الحقب في سورة الكهف ، **قال** القرطبي والحقبة بالكسر
السنة والجمع حقب قال متمم بن نويرة ، وكنا كندماني جذيمة حقبة ، من الدهر
حتى قيل لن يتصدعا ، والحقب بالضم والسكون ثمانون سنة وقيل اكثر من ذلك واقل
والجمع احقاب ، قال الفرا اصل الحقب من الترادف والتتابع ، يقال احقب اذا اردف
ومنه الحقيبة ومنه كل من حمل وزرا فقد احتقب فعلى هذا معناه لابثين فيها احقابا
اي دهورا مترادفة يتبع بعضها بعضا **فصل** المعنى ماكثين في النار ما دامت
الاحقاب وهي لا تنقطع فكلما مضى حقب جاء حقب والحقب بضمتين الدهر والاحقاب
الدهور ، والمعنى لابثين فيها احقاب الاخرة التي لا نهاية لها فحذف الاخرة لدلالة
الكلام عليها اذ في الكلام ذكر الاخرة كما يقال ايام الاخرة اي ايام بعد ايام الى
غير نهاية ، اي لابثين فيها ازمانا ودهورا كلما مضى زمن يعقبه زمن ودهر يعقبه
دهر هكذا ابدا من غير انقطاع فكانه قال ابدا ، وانما كان يدل على التوقيت
لو كان خمسة احقاب او عشرة ونحوه وذكر الاحقاب لان الحقب كان ابعد شي صح
عندهم فذكر ما يفهمونه وهو كناية عن التابيد اي يمكثون فيها ابدا ، وقيل ذكر الاحقاب
دون الايام لان الاحقاب اهول في القلوب وادل على الخلود وهذا الخلود في حق
المشركين ويمكن حمله على العصاة الذين يخرجون من النار بعد احقاب ، وقيل
الاحقاب وقت لشربهم الحميم والغساق فاذا انقضت فيكون لهم نوع اخر من العذاب
ولهذا قال تعالى لابثين فيها احقابا لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا
وقيل المعنى لابثين فيها احقابا اي في الارض لتقدم ذكرها ويكون الضمير في لا
يذوقون فيها بردا لجهنم **قوله** لا يذوقون ، فيه اوجه احدها انه مستانف
اخبر عنهم بذلك ، الثاني انه حال من الضمير في لابثين غير ذائقين فهو حال
متداخلة ، الثالث انه صفة لاحقاب ، قال مكي واحتمل الضمير لانه فعل فلم يجب
اظهاره وان كان قد جرى صفة على غير من هو له وانما جاز ان يكون نعتا للاحقاب
لاجل الضمير العائد على الاحقاب في فيها فلو كان في موضع يذوقون اسم فاعل لكان لا
بد من اظهار الضمير اذا جعلته وصفا لاحقاب ، الرابع انه تفسير لقوله تعالى
احقابا اذا جعلته منصوبا على الحال بالتاويل المتقدم عن الزمخشري فانه قال
وقوله تعالى لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا تفسير له ، الخامس انه حال اخرى
من للطاغين كلابثين **فصل** قال ابو عبيدة وغيره البرد النوم ، قال

الشاعر

الشاعر ، فلو شئت حرمت النسا سواكم ، وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا ، وهو قول
مجاهد والسدي والكسائي والفضل بن خالد وابو معاذ النحوي ، والعرب تقول
منع البرد البرد يعني اذهب النوم ، وقال ابن عباس رضي الله عنه البرد برد الشراب
وعنه ايضا البرد النوم والشراب الما ، قال الزجاج لا يذوقون فيها برد ريح ولا
برد ظل ولا برد نوم فجعل البرد برد كل شي له راحة ، وقال الحسن وعطا وابن
زيد بردا اي روحا وراحة **قوله** الا حميما ، يجوز ان يكون استثنا متصلا
من قوله شرابا ، ويجوز ان يكون منقطعا ، قال الزمخشري يعني لا يذوقون فيها حميما
وغساقا ، **قال** شهاب الدين ومكي لما جعله منقطعا جعل البرد عبارة عن النوم
قال فان جعلته النوم كان حميما استثنا ليس من الاول وانما الذي حمل الزمخشري
على الانقطاع مع صدق اسم الشراب على الحميم والغساق وصفه له بقوله ولا شرابا ينفع
يسكن من عطشهم فبهذا القيد صار الحميم ليس من جنس هذا الشراب ، واطلاق البرد
على النوم لغة هذيل وانشد البيت المتقدم وقول العرب منع البرد البرد قيل وسمي
بذلك لانه يقطع سورة العطش والذوق على هذين القولين اعني كونه روحا ينفس
عنهم الحر وكونه النوم مجاز ، واما على قول من جعله اسما للشراب البارد المستلذ كما
تقدم عن ابن عباس رضي الله عنه ، وانشد قول حسان
، يسقون من ورد البريص عليهم ، بردى يصفق بالرحيق السلسل ،
قال ابن الاثير البريص الما القليل والبرض الشي القليل ، وقال الاخر
، اماني من سعدى حسانا كانما ، سقتك بها سعدى على ظما بردا ،
فالذوق حقيقة الا انه يصير فيه تكرارا بقوله بعد ذلك ولا شرابا
الثالث انه بدل من قوله ولا شرابا وهو الاحسن لان الكلام غير موجب ، قال
ابو عبيدة الحميم الما الحار ، وقال ابن زيد دموع اعينهم تجمع في حياض ثم يسقونه
وقال النحاس اصل الحميم الما الحار ، ومنه اشتق الحمام ، ومنه الحمى ، ومنه
ظل من يحموم انما يراد به النهاية في الحر والغساق صديد اهل النار وقيحهم وقيل
الزمهرير وتقدم خلاف القرا في غساقا والكلام عليه وعلى حميم قال ابو معاذ
كنت اسمع مشايخنا يقولون الغساق فارسية معربة يقولون للشي الذي يتقذرونه
خاشاك **قوله** جزا منصوب على المصدر وعامله اما قوله لا يذوقون الى اخره
لانه في قوة جوزوا بذلك ، واما محذوف وفاقا نعت له على المبالغة وعلى
حذف مضاف اي ذا موافقة ، قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما معناه موافقا
لاعمالهم فالوفاق بمعنى الموافقة كالقتال من المقاتلة ، قال الفرا والاخفش
جازيناهم جزا وافق اعمالهم ، وقال الفرا ايضا هو جمع الوفق والوفق والموافقة
واحد ، وقال مقاتل وافق العذاب الذنب فلا ذنب اعظم من الشرك ولا
عذاب اعظم من النار ، وقال الحسن وعكرمة كانت اعمالهم سيئة فاتاهم الله بما
يسوءهم ، وقرا ابو حيوة وابن ابي عبلة بتشديد الفا من وفقه كذا **قوله**
تعالى انهم كانوا لا يرجون حسابا ، اي لا يخافون حسابا اي محاسبة على اعمالهم
وقيل لا يرجون ثواب حساب ، وقال الزجاج انهم كانوا لا يؤمنون بالبعث
فيرجون حسابهم فهو اشارة الى انهم لم يكونوا مؤمنين **قوله تعالى** وكذبوا
باياتنا كذابا ، قرا العامة كذابا بتشديد الذال وكان من حق مصدر فعل ان ياتي على

روحا ينفس عنهم
بردا ولا
حر النار ولا شرابا
يسكن من عطشهم
ولكن يذوقون
فيها صح

التفعيل نحو صرف تصريفا قال الزمخشري وفعّال في باب فعّل كله فاشٍ في كلام فصحاء العرب لا يقولون غيره وسمعني بعضهم افسّر اية فقال لقد فسّرتها فسّارا ما سمع بمثله قال غيره وهي لغة بعض العرب يمانية وانشد لقد طال ما ثبّطني عن صحابتي وعن حاجة قضّاؤها من شفائيا يريد تقضيها والاصل على التفعيل وانما هو مثل زكّى تزكية وسمع بعضهم يستفتي في حجة فقال الحلق احب اليك ام القصّار يريد التقصير قال الفراء هي لغة يمانية فصيحة يقولون كذّبت كذّابا وخرّقت القميص خرّاقا وكل فعل في وزن فعّل فمصدره فعّال مشدد في لغتهم وقرا علي والاعمش وابو رجاء وعيسى البصرة بالتخفيف وهو مصدر ايضا اما لهذا الفعل الظاهر على حذف الزوائد واما الفعل مقدر كانبتكم من الارض نباتا قال الزمخشري هو مثل قوله تعالى انبتكم من الارض نباتا يعني وكذبوا باياتنا فكذبوا كذابا او ينصبه بكذبوا لانه يتضمن معنى كذبوا لان كل مكذب بالحق كاذب وان جعلته بمعنى المكاذبة فمعناه وكذبوا باياتنا فكاذبوا مكاذبة وكذبوا بها مكاذبين لانهم اذا كانوا عند المسلمين مكاذبين فكان المسلمون عندهم كاذبون فبينهم مكاذبة او لانهم يتكلمون بما هو افرط في الكذب فعل من يغالب فيبلغ فيه اقصى جهده وقال ابو الفضل وذلك لغة اليمن وذلك بان يجعلوا مصدر كذب مخففا كذابا بالتخفيف مثل كتب كتابا فصار المصدر هنا من معنى الفعل دون لفظه مثل اعطيته عطا قال شهاب الدين اما كذاب كذابا بالتخفيف فيها مشهور ومنه قول الاعشى

فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كذابه

وقرا عمر بن عبد العزيز والماجشون كذابا بضم الكاف وشد الذال وفيها وجهان احدهما انه جمع كاذب نحو ضراب في ضارب وعلى هذا فانتصابه على الحال المؤكدة اي وكذبوا في حال كونهم كاذبين قاله ابو [illegible] والثاني ان الكذاب بمعنى الواحد البليغ في الكذب تقال رجل كذاب كقول حسان فيجعل وصفا لمصدر كذبوا اي تكذيبا كذابا مفرطا كذبه قالهما الزمخشري قال القرطبي وفي الصحاح وقوله تعالى وكذبوا باياتنا كذابا وهو احد مصادر المشدد لان مصدره قد يجي على تفعيل مثل التكليم وعلى فعّال مثل كذاب وعلى تفعلة مثل توصية وعلى مفعّل مثل ومزقناهم كل ممزق قوله تعالى وكل شي العامة على النصب على الاشتغال وهو الراجح لتقدم جملة فعلية وقرا ابو السمال برفع كل على الابتدا وما بعده الخبر وهذه الجملة معترضة بين السبب والمسبب لان الاصل وكذبوا باياتنا كذابا فذوقوا فسبب عن تكذيبهم قوله احصيناه فيه ٣ اوجه احدها انه مصدر من معنى احصينا اي احصا فالتجوز في نفس المصدر انه مصدر لاحصيناه لانه في معنى كتبنا فالتجوز في نفس الفعل قال الزمخشري لالتقا الاحصا والكتب معنى في الضبط والتحصيل قال ابن الخطيب وانما عدل عن تلك اللفظة الى هذه اللفظة لان الكتابة هي النهاية في قوة العلم ولهذا قال صلى الله عليه وسلم قيدوا العلم بالكتابة فكانه تعالى قال وكل شي احصيناه كتابا احصاءً في القوة والثبات والتاكد كالمكتوب فالمراد من قوله كتابا تاكيد ذلك الاحصا والعلم وهذا التاكيد انما ورد على حسب ما يليق بافهام اهل الظاهر فان المكتوب يقبل الزوال وعلم الله تعالى بالاشيا لا يقبل الزوال لانه واجب لذاته الثالث ان يكون منصوبا

على الحال بمعنى مكتوبا في اللوح المحفوظ كقوله تعالى وكل شي احصيناه في امام مبين وقيل اراد ما كتبته الملائكة الموكلون بالعباد بامر الله تعالى اياهم بالكتابة لقوله تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين فصل معنى وكل شي احصيناه اي علمنا كل شي علما كما هو لا يزول ولا يتبدل ونظيره قوله تعالى احصاه الله ونسوه قال ابن الخطيب وهذه الاية لا تقبل التاويل لانه تبارك وتعالى ذكر هذا بعد تقرير المعاد من قوله تعالى جزاء وفاقا كانه تعالى قال انا عالم بجميع ما فعلوه وعالم بجهات تلك الافعال واحوالها واعتبارانها التي لاجلها يحصل استحقاق الثواب والعقاب فلا جرم لا اوصل اليهم من العذاب الا قدر ما يكون وفاقا لاعمالهم وهذا القدر انما يتم بثبوت كونه عالما بالجزئيات واذا ثبت هذا ظهر ان كل من انكره كان كافرا قطعا قوله تعالى فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا قال ابن الخطيب هذه الفا للجزا فنبه على ان الامر بالذوق معلل بما تقدم شرحه من قبائح افعالهم فهذه الفا افادت عين فائدة قوله جزاء وفاقا فان قيل اليس انه تعالى قال في صفة الكفار ولا يكلمهم الله فههنا لما قال تعالى لهم فذوقوا فقد كلمهم فالجواب قال اكثر المفسرين وتقال لهم فذوقوا ولقائل ان يقول قوله فلن نزيدكم لا يليق الا بالله والاقرب في الجواب ان تعالى قوله ولا يكلمهم معناه ولا يكلمهم بالكلام الطيب النافع فان تخصيص العموم سائغ عند حصول القرينة فان قوله ولا يكلمهم انما ذكره لبيان انه تعالى لا يعبا بهم وزنا وذلك لا يحصل الا من الكلام الطيب فان قيل ان كانت هذه الزيادة غير مستحقة كانت ظلما وان كانت مستحقة كان تركها في اول الامر احسانا والكريم لا يليق به الرجوع في احسانه فالجواب انها مستحقة ودوامها زيادة لعقله بحسب ذلك الدوام وايضا فترك المستحق في بعض الاوقات لا يوجب الابرا والاسقاط فصل قال ابن الخطيب قوله تعالى فذوقوا تفيد معنى التعليل وهو التفات من الغيبة للخطاب وهو دال على الغضب وفيه مبالغات منها ان لن للتاكيد ومنها الالتفات ومنها اعادة قوله فذوقوا بعد ذكر العذاب قال ابو بردة رضي الله عنه سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن اشد اية في القران قال عليه الصلاة والسلام قوله تعالى فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا اي كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب وكلما خبت زدناهم سعيرا قوله تعالى ان للمتقين مفازا تقدم تفسير المتقي والمفاز يحتمل ان يكون مصدرا بمعنى فوزا وظفرا بالنعمة ويحتمل ان يكون المراد منه فوزا بالمطلوب ويحتمل ان يكون المراد منه فوزا بالنجاة من العذاب ولذلك قيل للفلاة اذا قل ماؤها مفازة تفاؤلا بالخلاص منها وان يكون المراد مجموع الامرين وقال الضحاك متنزها قوله حدائق يجوز ان يكون بدلا من مفازا بدل اشتمال او بدل كل من كل مبالغة في ان جعل نفس هذه الاشيا مفازا ويجوز ان يكون منصوبا باضمار اعني واذا كان مفازا بمعنى الفوز فيقدر مضاف اي فوز حدائق وهي جمع حديقة وهي البستان المحوط عليه يقال احدق به اي احاط والاعناب جمع عنب اي كروم اعناب فحذف والتنكير في قوله تعالى واعنابا يدل على تعظيم تلك الاعناب قوله تعالى وكواعب اترابا الكواعب جمع كاعب وهي من كعب ثديها وتفلك اي يكون الثدي في النتو كالكعب والفلكة اي استدار وهي النواهد يقال كعبت الجارية تكعب تكعيبا ونهدت

تهد تهودا، قال: وكان مجني دون من كنت أتقي ثلاث شخوص كاعبان ومعصر
وقال قيس بن عاصم المنقري: وكم من حصان قد حوينا كريمة ومن كاعب لم تدر ما
البؤس معصر. وقال الضحاك: الكواعب العذارى، والأتراب الأقران في السن،
وقد تقدم ذكرهن في الواقعة. قوله تعالى: وكأسا دهاقا. الدهاق الملآن
المترعة، قيل: هو مأخوذ من دهقه إذا ضغطه وشده بيده كأنه ملأ اليد فانضغط
قال: لأنت إلى الفؤاد أحب قربا من الصادي إلى الكأس الدهاق. وهذا
قول ابن عباس والحسن وقتادة وأبي عبيدة والزجاج والكسائي، قال عكرمة: وربما
سمعت ابن عباس يقول: اسقنا وادهق لنا. ودعا ابن عباس غلاما له فقال: اسقنا
دهاقا، فجاء الغلام بها ملأى، فقال ابن عباس: هذا الدهاق. وقيل: الدهاق المتتابعة
قال: أتانا عامر يبغي قرانا فأترعنا له كأسا دهاقا. وهذا قول أبي هريرة
وسعيد بن جبير ومجاهد، قال الواحدي: وأصل هذا القول من قول العرب: أدهقت
الحجارة إدهاقا، وهي شدة تلازمها ودخول بعضها في بعض، ذكره الليث، والمتتابع
كالمتداخل. وعن عكرمة وزيد بن أسلم: إنها الصافية، وهو جمع دهق، وهو خشبتان يعصر
بهما. والمراد بالكأس الخمر، قال الضحاك: كل كأس في القرآن فهو خمر، والتقدير: وخمرا
ذات دهاق، أي عصرت وصفيت بالدهاق، قاله القشيري. وفي الصحاح: وأدهقت
الماء، أي أفرغته إفراغا شديدا. قال أبو عمرو: والدهق بالتحريك ضرب من العذاب،
وهو بالفارسية اشكنجه. قال المبرد: والمدهوق المعذب بجميع العذاب الذي
لا فرجة فيه. وقال ابن الأعرابي: دهقت الشيء: كسرته وقطعته، وكذلك
دعدقته، ودهمقته بزيادة الميم المثلثة. وقال الأصمعي: الدهمقة لين الطعام
وطيبه ورقته، وكذلك كل شيء لين. ومنه حديث عمر رضي الله عنه: لو شئت
أن تدهمق لي لفعلت، ولكن الله عاب قوما فقال تعالى: أذهبتم طيباتكم في حياتكم
الدنيا واستمتعتم بها. قوله تعالى: لا يسمعون فيها، أي في الجنة، وقيل: في الكأس
لغوا ولا كذابا. اللغو: الباطل، وهو ما يلغى من الكلام ويطرح، ومنه الحديث:
إذا قلت لصاحبك أنصت فقد لغوت. وذلك أن أهل الجنة إذا شربوا لم تتغير
عقولهم ولم يتكلموا بلغو بخلاف الدنيا. ولا كذابا، أي لا يتكاذبون في الجنة.
وقيل: هما مصدران للتكذيب، وإنما خففها لأنها ليست مقيدة بفعل يصير مصدرا له،
وشدد قوله: وكذبوا بآياتنا كذابا؛ لأن كذبوا يقيد المصدر بالكذاب. قال شهاب الدين:
وإنما وافق الكسائي الجماعة في الأول للتصريح بفعله المشدد المقتضي لعدم التخفيف
في كذابا، وهذا كما تقدم في قوله: تفجر الأنهار، حيث لم يختلف فيه للتصريح معه
بفعله بخلاف الأول. وقال مكي: من شدد جعله مصدر كذب، زيدت فيه الألف
كما زيدت في إكراما، وقولهم: تكذيبا، جعلوا التاء عوضا من تشديد العين، والياء
بدلا من الألف، غيروا أوله كما غيروا آخره، وأصل مصدر الرباعي أن يأتي
على عدد حروف الماضي بزيادة ألف مع تغير الحركات، وقد قالوا: تكلما، فأتى
المصدر على عدد حروف الماضي بغير زيادة ألف، وذلك لكثرة حروفه. وضم
اللام ولم يكسر لأنه ليس اسم على تفعل، ولم يفتح لئلا يشتبه بالماضي. وقرأ الكسائي
بالتخفيف، جعله مصدر كذب كذابا. وقيل: هو مصدر كذب، كقولك: كتبت كتابا.
قوله: جزاء، مصدر مؤكد منصوب بمعنى: إن للمتقين مفازا، كأنه قيل: جازى المتقين

بمفاز

بمفاز. قوله: عطاء، بدل من جزاء، وهو اسم مصدر، قال: وبعد عطائك المائة الرتاعا (قال صح)
وجعله الزمخشري منصوبا بجزاء نصب المفعول به، ورده أبو حيان بأنه جعل جزاء مصدرا
مؤكدا لمضمون الجملة التي هي: إن للمتقين، قال: والمصدر المؤكد لا يعمل لأنه لا ينحل لحرف
مصدري والفعل، ولا نعلم في ذلك خلافا. قوله: حسابا، صفة لعطاء، والمعنى:
كافيا، وهو مصدر أقيم مقام الوصف، أو بولغ فيه، أو على حذف مضاف، من قولهم:
أحسبني الشيء، أي كفاني. وقال قتادة: عطاء حسابا، أي كثيرا، يقال: أحسبت فلانا،
أي كثرت له العطايا حتى قال: حسبي. وقال الكلبي: حاسبهم فأعطاهم بالحسنة عشر
أمثالها، وقد وعد قوما جزاء لا نهاية له ولا مقدار، كما قال تعالى: إنما يوفى الصابرون
أجرهم بغير حساب. وقرأ أبو البرهسم وشريح بن يزيد الحمصي بتشديد السين
مع بناء الحاء على كسرها، وتخريجها أنه مصدر مثل كذاب، أقيم مقام الوصف، أي عطاء
محسبا، أي كافيا. وابن قطيب كذلك إلا أنه فتح الحاء. قال أبو الفتح: بنى فعالا من
أفعل، كدراك من أدرك، يعني أنه صفة مبالغة من أحسب بمعنى كفى كذا. وابن
عباس: حسنا، بالنون، من الحسن. وسراج: حسبا، بفتح الحاء وسكون السين والباء الموحدة،
أي عطاء كافيا، من قولك: حسبك، أي كافيك. قوله تعالى: رب السموات، قرأ
نافع وابن كثير وأبو عمرو برفع رب والرحمن، وابن عامر وعاصم بخفضهما، والأخوان
بخفض الأول ورفع الثاني. فأما رفعهما فيجوز من أوجه: أحدها أن يكون
رب خبر مبتدأ مضمر، أي هو رب، والرحمن كذلك، أو مبتدأ خبره لا يملكون. الثاني
أن يجعل رب مبتدأ، والرحمن خبره، ولا يملكون خبر ثان أو مستأنف. الثالث (نعته صح)
أن يكون رب مبتدأ، والرحمن نعته، ولا يملكون خبر رب. الرابع أن يكون رب
مبتدأ، والرحمن مبتدأ ثان، ولا يملكون خبره، والجملة خبر الأول، وحصل الربط بتكرير
المبتدأ بمعناه، وهو رأي الأخفش. ويجوز أن يكون لا يملكون حالا، وتكون لازمة.
وأما جرهما فعلى البدل أو البيان أو النعت، كلاهما للأول، إلا أن تكرير البدل فيه نظر،
تقدم التنبيه عليه آخر الفاتحة، أو يجعل رب السموات تابعا للأول، والرحمن تابعا
للثاني على ما تقدم. وأما جر الأول فعلى التبعية للأول، ورفع الثاني فعلى الابتداء
والخبر الجملة الفعلية، أو على أنه خبر مبتدأ مضمر، ولا يملكون على ما تقدم من الاستئناف
أو الخبر الثاني أو الحال اللازمة. قوله: لا يملكون، نقل عطاء عن ابن عباس رضي
الله عنه أن الضمير في لا يملكون راجع إلى المشركين، أي لا يخاطبهم الله، وأما المؤمنون
فيشفعون، ويقبل الله تعالى منهم بعد إذنه لهم. وقال القاضي: إنه راجع للمؤمنين،
والمعنى أن المؤمنين لا يملكون أن يخاطبوا الله تعالى في أمر من الله، لما ثبت أنه تعالى (الأمور صح)
عدل لا يجور، وثبت أن العقاب الذي أوصله إلى الكفار عدل، وثبت أن الثواب
الذي أوصله إلى المؤمنين عدل، وأنه ما بخس حقهم، فبأي سبب يخاطبونه. وقيل: الضمير
يعود لأهل السموات والأرض، وأن أحدا من المخلوقين لا يملك مخاطبة الله تعالى
ومكالمته. قال ابن الخطيب: وهذا هو الصواب. قوله تعالى: يوم يقوم
منصوب على الظرف، إما بلا يتكلمون بعده، وإما بلا يملكون، وصفا حال، أي مصطفين،
ولا تملكون إما حال أو مستأنف. (يتكلمون صح)

فصل

اختلفوا في الروح، فقال ابن عباس:
هو ملك ما خلق الله تعالى بعد العرش أعظم منه، فإذا كان يوم القيامة قام وحده
صفا، وقامت الملائكة كلهم صفا. ونحوه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: الروح ملك

اعظم من السموات السبع والارضين السبع والجبال ۰ وقيل جبريل عليه السلام قاله الشعبي
والضحاك وسعيد بن جبير ۰ وروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
الروح في هذه الاية جند من جنود الله ليسوا ملايكة لهم رؤس وايدي وارجل ياكلون
الطعام ثم قرا يوم يقوم الروح والملايكة صفا وهذا قول ابي صالح ومجاهد وعلى رضي
الله عنهم ۰ وعلى هذا هو خلق على صور بني ادم كالناس وليسوا بناس وما ينزل من السما
ملك الا ومعه واحد منهم نقله البغوي ۰ وعن ابن عباس رضي الله عنه هم ارواح الناس
وقال مقاتل وابن حيان هم اشراف الملايكة ۰ وقال ابن ابي نجيح هم حفظة على الملايكة
وقال الحسن وقتادة هم بنو ادم والمعنى ذو الروح ۰ وقال العوفي والقرطبي هذا
مما كان يكتمه ابن عباس ۰ وقيل ارواح بني ادم تقوم صفا والملايكة صفا وذلك بين
النفختين قبل ان ترد الى الاجساد ۰ قاله عطية وقال زيد هو القران وقرا
وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وصفا مصدر اي يقومون صفوفا والمصدر
يغني عن الواحد والجمع كالعدل والصوم ۰ ويقال ليوم العيد يوم الصف وقال
في موضع اخر سبحانه وجاء ربك والملك صفا صفا وهذا يدل على الصفوف ۰ وهذا
حين العرض والحساب ۰ قيل هما صفان ۰ وقيل يقوم الكل صفا واحدا لا يتكلمون
اي لا يشفعون **قوله** الا من اذن ۰ يجوز ان يكون بدلا من واو يتكلمون وهو
الارجح لكونه غير موجب وان يكون منصوبا على اصل الاستثنا والمعنى لا يشفعون الا
من اذن له الرحمن في الشفاعة ۰ وقيل لا يتكلمون الا في حق من اذن له الرحمن
وقال صوابا والمعنى لا يشفعون الا في حق شخص اذن له الرحمن في شفاعته وذلك
الشخص كان ممن قال صوابا ۰ ومعنى قال صوابا يعني حقا قاله الضحاك ومجاهد وروى
الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه قال لا يشفعون الا لمن قال لا اله الا الله محمد
رسول الله ۰ واصل الصواب السداد من القول والفعل وهو من اصاب يصيب
اصابة كالجواب من اجاب يجيب ۰ وقيل لا يتكلمون يعني الملايكة والروح الذين قاموا
صفا لا يتكلمون هيبة واجلالا الا من اذن له الرب تعالى في الشفاعة وهم
الذين قالوا صوابا وانهم يوحدون الله تعالى ويسبحونه **قوله تعالى**
ذلك اليوم الحق ۰ ذلك اشارة الى ما تقدم ذكره ۰ فمن شا اتخذ الى ربه مابا
اي مرجعا بالعمل الصالح ۰ وقال قتادة مابا سبيلا ۰ ثم انه تعالى زاد في
تخويف الكفار فقال سبحانه وتعالى انا انذرناكم عذابا قريبا يعني العذاب في
الاخرة وسماه قريبا لان كل ما هو ات قريب كقوله تعالى كانهم يوم يرونها
لم يلبثوا الا عشية او ضحاها ۰ وقال قتادة عقوبة الدنيا لانه اقرب العذابين
وقال مقاتل هو قتل قريش ببدر وهذا خطاب لكفار قريش ومشركي العرب
لانهم قالوا لا نبعث وانما سماه انذارا لانه تعالى قد حوف بهذا الوصف غاية
التخويف وهو معنى الانذار **قوله** يوم ينظر المرء ۰ يجوز ان يكون بدلا من يوم
قبله وان يكون منصوبا بعذابا اي العذاب واقع في ذلك اليوم ۰ وجوز ابو البقا
ان يكون نعتا لقريبا ولو جعل نعتا لعذابا كان اولى والعامة بفتح ميم المرء وابن
ابي عبلة وابن ابي اسحق بضمها وهي لغة يتبعون الفا اللام وخطا ابو حاتم هذه القراءة
وليس بصواب لثبوتها لغة **فصل** اراد بالمرء المومن في قول الحسن اي يجد
لنفسه عملا فاما الكافر فلا يجد لنفسه عملا فيتمنى ان يكون ترابا قال ويقول الكافر

نعلم

فنعلم انه اراد بالمرء المومن ۰ وقيل المراد هنا ابي بن خلف وعقبة ابن ابي معيط ويقول
الكافر ابو جهل ۰ وقيل هو عام في كل واحد يرى في ذلك اليوم جزا ما كسب **قوله**
ما قدمت يداه ۰ يجوز في ما ان يكون استفهامية معلقة لينظر على انه من النظر فتكون
الجملة في موضع نصب على اسقاط الخافض ۰ وان يكون موصولة مفعولا بها والنظر
بمعنى الانتظار اي ينتظر الذي قدمت يداه **قوله تعالى** ويقول الكافر يا ليتني
كنت ترابا ۰ العامة لا يدغمون تا كنت في تا ترابا قالوا لان الفاعل لا يحذف والادغام
يشبه الحذف ۰ وفي قوله تعالى ويقول الكافر وضع الظاهر موضع مضمر شاهدة
عليه بذلك **فصل** قال مقاتل نزل قوله تعالى يوم ينظر المرء ما قدمت
يداه في ابي سلمة بن عبد الاسد المخزومي ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا في اخيه
الاسود بن عبد الاسد ۰ وقال الثعلبي سمعت ابا القاسم بن حبيب يقول الكافر
هنا ابليس لعنه الله عليه وذلك بانه عاب ادم عليه السلام بانه خلق من تراب
وافتخر بانه خلق من نار فاذا عاين يوم القيمة ما فيه ادم وبنوه من الثواب
والراحة وراى ما هو فيه من الشدة والعذاب تمنى انه كان بمكان ادم فيقول يا ليتني
كنت ترابا قال ورايته في بعض التفاسير روى عن ابي هريرة رضي الله عنه قال
يحشر الخلق كلهم من دابة وطاير وانسان ثم يقال للبهايم والطير كونوا ترابا فعند
ذلك يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا ۰ وقيل معنى يا ليتني كنت ترابا اي لم ابعث
وقال ابو الزناد اذا قضي بين الناس وامر باهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار
قيل لساير الامم ولمومني الجن عودوا ترابا فيعودون ترابا فعند ذلك يقول الكافر
حين يراهم يا ليتني كنت ترابا ۰ وقال الليث بن ابي سليم مومني الجن يعودون ترابا
وقال عمر بن عبد العزيز والزهري والكلبي ومجاهد مومنو الجن حول الجنة في ربض
ورحاب وليسوا فيها وهذا الاصح وانهم مكلفون مثابون ومعاقبون كبني ادم روى
الثعلبي عن ابي بن كعب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا
سورة عم يتساءلون سقاه الله برد الشراب يوم القيمة م

سورة النازعات مكية

وهي ست واربعون اية ۰ ومائة وسبعون كلمة ۰ وسبع مائة وثلثون حرفا ۰ بسم الله
الرحمن الرحيم **قوله تعالى** والنازعات غرقا ۰ يجوز في غرقا ان يكون مصدرا
مصدرا على حذف الزوايد بمعنى اغراقا ۰ وانتصابه بما قبله لملاقاته في المعنى
واما على الحال ۰ اي ذوات اغراق يقال اغرق في الشي يغرق فيه اذا اوغل وبلغ
اقصى غايته ۰ ومنه اغرق النازع في القوس اي ابلغ غاية المد ۰ والاستغراق
الاستيعاب **فصل** اقسم الله تعالى بهذه الاشيا الخمسة على ان القيمة
حق ۰ والنازعات قيل هي الملايكة التي تنزع ارواح الكفار قاله علي وابن مسعود
وابن عباس ومسروق ومجاهد ۰ قال ابن مسعود يريد نفس الكفار ينزعها ملك الموت
من اجسادهم من تحت كل شعرة ومن تحت الاظافير واصول القدمين نزعا كالسفود
ينزع من الصوف الرطب ثم يغرقها اي يرجعها الى اجسادهم ثم ينزعها فهذا عمله في الكفار
وقال سعيد بن جبير نزعت ارواحهم ثم غرقت ثم حرقت ثم قذف بها في النار وقيل
يرى الكافر نفسه في وقت النزع كانها تغرق ۰ وقال السدي والنازعات هي النفوس

حين تغرق في الصدر، وقال مجاهد هي الموت تنزع النفوس، وقال الحسن وقتادة
هي النجوم تنزع من افق الى افق اي تذهب من قولهم نزع اليه اي ذهب او من
قولهم نزعت الخيل اي جرت غرقا اي انها تغرق وتغيب وتطلع من افق اخر وهو
قول ابي عبيدة وابن كيسان والاخفش، وقال عطا وعكرمة والنازعات القسي تنزع
بالسهام وغرقا بمعنى اغراق، واغرق النازع في القوس اذا بلغ غاية المد حتى ينتهي الى
النصل، ويقال لقشرة البيضة الداخلة غرقى، وقيل هم الغزاة الرماة وهو
الذي قبله لانه اذا اقسم بالقسي فالمراد النازعون بها تعظيما لها كقوله تعالى والعاديات
ضبحا، وقال يحيى بن سلام هي الوحش تنزع من الكلاب وتنفر، ومعنى غرقا اي ابعادا
في النزع **قوله تعالى** والناشطات نشطا، اعلم ان نشطا وسبحا وسبقا كلها
مصادر، والنشط الربط والانشاط الحل، يقال نشط البعير ربطه وانشطه حله
ومنه كانما انشط من عقال فالهمزة للسلب، ونشط ذهب بسرعة، ومنه قيل لبقر الوحش
نواشط، وقال هميان بن قحافة، ارى همومي تنشط المناشطا، الشام بي طورا وطورا
واسطا، ونشط الحبل انشطه انشوطة عقدته وانشطته مددته ونشط كانشط
قال الاصمعي بير انشاط اي قريبة القعر يخرج الدلو منها بجذبة واحدة، وبير
نشوط قال وهي التي لا يخرج منها الدلو حتى ينشط كثيرا **فصل** قال ابن عباس
رضي الله عنه يعني الملئكة تنشط نفس الكافر فتقبضها كما ينشط العقال من يد البعير اذا
حل عنه، وقيل يعني انفس الكفار والمنافقين تنشط كما ينشط العقب الذي يعقب
به السرج، والنشط الجذب بسرعة، ومنه الانشوطة عقدة يسهل انحلالها
اذا اجذبت مثل عقدة التكة، قال الليث انشطته بانشوطة وانشوطتين اي
اوثقته، وانشطت العقال اي مددت انشوطته فانحلت، قال ويقال
نشط بمعنى انشط لغتان بمعنى، وعن ابن عباس ايضا ان الناشطات الملئكة لنشاطها
تذهب وتجي بامر ربها حيث ما كان، وقال مجاهد هو الموت ينشط نفس الانسان
وقال السدي هي النفوس حين تنشط من القدمين، وقال قتادة والحسن
والاخفش هي النجوم تنشط من افق الى افق اي تذهب، قال الجوهري يعني النجوم
تنشط من برج الى برج كالثور الناشط من بلد الى بلد، وقيل النازعات للكافرين
والناشطات للمومنين فالملئكة يجذبون روح المومن برفق والنزع جذب
بشدة، وقيل هما جميعا للكفار والاثنان بعدهما للمومنين **قوله تعالى**
والسابحات سبحا، قال علي رضي الله عنه هي الملئكة تسبح بارواح المومنين
قال الكلبي كالذي يسبح في الما فاحيانا ينغمس واحيانا يرتفع يسلونها سلا رفيقا
بسهولة ثم يدعونها حتى تستريح، وقال مجاهد وابو صالح هي الملئكة ينزلون
من السما مسرعين لامر الله تعالى كما يقال للفرس الجواد سابح اذا اسرع
في جريه، وعن مجاهد السابحات الموت يسبح في نفوس بني ادم، وقيل هي الخيل
الغزاة، قال عنترة، شعر
[illegible]، والخيل تعلم حين تسبح في حياض الموت سبحا
وقال قتادة والحسن هي النجوم تسبح في افلاكها، وكذا الشمس والقمر قال تعالى
كل في فلك يسبحون، وقال عطا هي السفن تسبح في الما وقال ابن عباس ارواح
المومنين تسبح شوقا الى لقا الله تعالى ورحمته حين تخرج **قوله تعالى** فالسابقات

سبقا، قال علي رضي الله عنه هي الملئكة تسبق الشياطين بالوحي الى الانبيا عليهم الصلاة والسلام
وهو قول مسروق ومجاهد وعن مجاهد ايضا وابي روق هي الملائكة سبقت بني ادم
الى العمل الصالح فتكتبه، وعن مجاهد ايضا الموت يسبق الانسان، وقال مقاتل هي الملئكة
تسبق بارواح المومنين الى الجنة، وقال ابن مسعود هي انفس المومنين تسبق الى الملئكة
الذين يقبضونها وقد عاينت السرور شوقا الى لقا الله تعالى، وقال قتادة والحسن
ومعمر هي النجوم تسبق بعضها، وقال عطا هي الخيل التي تسبق الى الجهاد، وقيل يحتمل ان
تكون السابقات ما تسبق من الارواح قبل الاجساد الى جنة او نار حكاه الماوردي
قال الجرجاني وذكر السابقات بالفا لانها مسببة من التي قبلها اي واللاتي يسبحن فيسبقن
تقول قام فذهب فهذا يوجب ان يكون القيام سببا للذهاب، ولو قلت قام وذهب
لم يكن القيام سببا للذهاب، قال الواحدي وهذا غير مطرد في قوله تعالى فالمدبرات
امرا لانه يبعد ان يجعل السبق سببا للتدبير، قال ابن الخطيب ويمكن الجواب عن اعتراض
الواحدي بانها لما امرت سبحت فسبقت فدبرت ما امرت بتدبيره فتكون هذه افعالا
يتصل بعضها ببعض كقوله قام زيد فذهب او لما سبقوا في الطاعات وسارعوا اليها ظهرت
امانتهم ففوض اليهم التدبير **قوله تعالى** فالمدبرات امرا، قيل امرا مفعول
بالمدبرات، وقيل حال تدبره مامورات وهو بعيد، قال القشيري اجمعوا على ان
المراد الملئكة، وقال الماوردي فيه قولان احدهما الملئكة قاله الجمهور، والقول
الثاني هي الكواكب السبع حكاه خالد بن معدان عن معاذ بن جبل، وفي تدبيرها
الامور وجهان، احدهما تدبير طلوعها وافولها، والثاني في تدبير ما قضى الله
تعالى فيها من تقليب الاحوال، وحكى هذا القول ايضا في تفسيره وان الله تعالى علق
كثيرا من تدبير العالم بحركات النجوم فاضيف التدبير اليها وان كان من الله تعالى
كما يسمى الشي باسم ما يجاوره، وقال ابن الخطيب والمراد بهولا اما طوايف الملئكة واما
طوايف خيل الغزاة واما النجوم واما المنايا واما بقر الوحش وما جرى مجراها لسرعتها
واما ارواح المومنين يعني المذكورين في جميع القسم **فصل** تدبير الملئكة
نزولها بالحلال والحرام وتفصيله قال ابن عباس وقتادة وغيرهما هو الى الله عز
وجل ولكن لما نزلت الملئكة به سميت بذلك كما قال تعالى نزل به الروح الامين على قلبك
وقوله تعالى فانه نزله على قلبك يعني جبريل نزله على قلب محمد صلى الله عليه وسلم
والله سبحانه وتعالى هو الذي انزله، وروى عطا عن ابن عباس المدبرات امرا هي
الملئكة وكلت بتدبير احوال اهل الارض في الرياح والامطار وغير ذلك قال عبد الرحمن
بن سابط تدبير امر الدنيا الى اربعة جبريل وميكايل وملك الموت واسمه عزرايل
واسرافيل، فاما جبريل فموكل بالرياح والجنود واما ميكايل فموكل بالقطر والنبات
واما ملك الموت فموكل بقبض الارواح في البر والبحر واما اسرافيل فهو ينزل بالامر
عليهم وليس في الملئكة اقرب من اسرافيل وبينه وبين العرش خمس ماية عام، وقيل
وكلوا بامور عرفهم الله بها، فان قيل لم قال امرا ولم يقل امورا فانهم يدبرون
امورا كثيرة، فالجواب المراد به الجنس فهو قايم مقام الجمع، واعلم ان هذه الكلمات
اقسم الله تعالى بها ولله تعالى ان يقسم بما شا من خلقه وليس لنا ذلك **قوله تعالى**
يوم ترجف الراجفة، منصوب بفعل مقدر وهو جواب القسم تقديره لتبعثن لدلالة
ما بعده عليه، قال الفرا ويدل عليه قوله تعالى ايذا كنا عظاما نخرة الشي ترى انه

كالجواب لقولهم ايذا كنا عظاما نخرة نبعث فاكتفى بقوله ايذا كنا عظاما نخرة ٭ وقال
الاخفش والزجاج تنفخ في الصور نفختين بدليل ذكر الراجفة والرادفة وهما النفختان
قال الزمخشري فان قلت كيف جعلت يوم ترجف ظرفا للمضمر الذي هو لتبعثن ولا يبعثون
عند النفخة الاولى ٭ قلت المعنى لتبعثن في الوقت الواسع الذي تقع فيه النفختان وهم
يبعثون في الوقت الواسع وهو وقت النفخة الاولى ودل على ذلك ان قوله تتبعها
الرادفة جعل حالا لامن الراجفة ٭ وقيل العامل مقدر من جواب اذكر يوم ترجف
وفي الجواب على هذا التقدير وجوه ٭ احدها انه قوله ان في ذلك لعبرة واستقبحه
ابو بكر ابن الانباري لطول الفصل ٭ الثاني انه قوله هل اتاك حديث موسى لان هل
بمعنى قد وهذا غلط لانه كما تقدم في هل اتى انها لا تكون بمعنى قد الا في الاستفهام
على ما قاله الزمخشري ٭ الثالث ان الجواب تتبعها وانما حذفت اللام والاصل
ليوم ترجف الراجفة تتبعها فحذفت اللام ولم تدخل نون التوكيد على تتبعها للفصل
بين اللام المقدرة وبين الفعل المقسم عليه بالظرف ٭ ومثله لالى الله تحشرون
وقيل في الكلام تقديم وتاخير اي يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة والنازعات
وقال ابو حاتم هو على التقديم والتاخير كانه قال فاذا هم بالساهرة والنازعات
قال ابن الانباري وهذا خطا لان الفا لا يفتتح بها الكلام ٭ وقيل يوم منصوب بما
دل عليه واجفة اي يوم ترجف وجفت ٭ وقيل بما دل عليه خاشعة اي يوم ترجف
خشعت ٭ وقوله تتبعها الرادفة ٭ يجوز ان يكون حالا من الراجفة وان يكون
مستانفا **فصل** قال عبد الرحمن بن زيد الراجفة اي المضطربة ومعناه
ان الارض تضطرب والرادفة الساعة ٭ وقال مجاهد الزلزلة تتبعها الرادفة
اي الصيحة ٭ وعنه ايضا وابن عباس والحسن وقتادة هما الصيحتان اي النفختان
اما الاولى فتميت كل شي باذن الله واما الثانية فتحيي كل شي باذن الله قال
صلى الله عليه وسلم بين النفختين اربعون سنة ٭ وقال مجاهد الرادفة حين تنشق
السما وتحمل الارض والجبال فتدك دكة واحدة وذلك بعد الزلزلة ٭ وقيل
الراجفة تحرك الارض والرادفة زلزلة اخرى تفني الارضين ٭ واصل الرجفة
الحركة قال تعالى يوم ترجف الارض وليست الرجفة هنا من الحركة فقط بل
من قولهم رجف الرعد يرجف رجفا ورجيفا اي اظهرت الصوت والحركة ٭ ومنه
سميت الاراجيف لاضطراب الاصوات بها وافاضة الناس فيها ٭ وقيل الرجفة
هذه منكرة في السحاب ٭ ومنه قوله تعالى فاخذتهم الرجفة ٭ واما الرادفة
فكل شي جا بعده شي اخر يقال ردفه اي جا بعده **قوله** قلوب يومئذ [مبتدا] واجفة
منصوب بواجفة وواجفة صفة القلوب وهو المسوغ للابتدا بالنكرة وابصارها
مبتدا ثان خاشعة خبره وهو وخبره خبر الاول ٭ وفي الكلام حذف مضاف
تقديره ابصار اصحاب القلوب ٭ وقال ابن عطية وجاز ذلك اي الابتدا
بقلوب لانها تخصصت بقوله يومئذ ٭ ورد عليه ابو حيان بان ظرف الزمان
لا تخصص الجثث يعني لا يوصف به الجثث ٭ والواجفة الخائفة الوجلة قاله
ابن عباس ٭ يقال وجف يجف وجيفا واصله اضطراب القلب وقلقه قال
قيس بن الحطيم ٭ ان بني جحجبا واسرتهم ٭ اكبادنا من ورايهم تجف ٭ وقال السدي
زائلة عن اماكنها ٭ نظيره ٭ اذ القلوب لدى الحناجر ٭ وقال المؤرج قلقة مستفزة

مونكضة غير ساكنة ٭ وقال المبرد مضطربة والمعنى متقاربة والمراد قلوب الكفار يقال
وجف القلب يجف وجيفا اذا خفق كما يقال وجب يجب وجيبا بالبا الموحدة بدل
الفا ٭ ومنه وجيف الفرس والناقة في العدو والايجاف حمل الدابة على السير السريع
قوله تعالى ابصارها خاشعة ٭ اي منكسرة ذليلة من هول ما ترى نظيره
خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة **قوله** يقولون ٭ اي يقول هولا المكذبون
المنكرون للبعث اذا قيل انكم تبعثون قالوا منكرين متعجبين انرد بعد موتنا
الى اول الامر فنعود احيا كما قبل الموت وهو كقولهم اينا لمبعوثون خلقا جديدا
قوله في الحافرة ٭ الحافرة الطريقة التي يرجع الانسان فيها من حيث جا ٭ يقال
رجع في حافرته وعلى حافرته ثم يعبر عن الرجوع في الاحوال من اخر الامر الى اوله ٭ قال
٭ احافرة على صلع وشيب ٭ معاذ الله من سفه وعار ٭
يقول ارجع الى ما كنت عليه في شبابي مع الغزل والصبى بعد ان شبت وصلعت واصله
ان الانسان اذا رجع في طريقه اثرت قدماه فيها حفرا ٭ وقال الراغب وقوله
تعالى في الحافرة مثل لمن يرد من حيث جا اي انحيا بعد ان نموت ٭ وقيل الحافرة
الارض التي قبورهم فيها ومعناه اينا لمردودون ونحن في الحافرة اي في القبور وقوله
في الحافرة على هذا في موضع الحال ٭ ويقال رجع الشيخ الى حافرته اي هرم لقوله
تعالى ومنكم من يرد الى ارذل العمر ٭ وقولهم النقد عند الحافرة لما يباع نقدا
واصله في الفرس اذا بيع فيقال لا يزول حافره او ينقد ثمنه ٭ والحفر تاكل الاسنان
وقد حفر حفرا وقد احفر المهر للاثنا والارباع ٭ والحافرة قيل فاعلة بمعنى مفعوله
وهي الارض التي تحفر قبورهم فيها فهي بمعنى المحفورة كقوله تعالى ما دافق وعيشة
راضية والمعنى اينا لمردودون في قبورنا ٭ وقيل على النسب اي ذات حفر
وقيل سميت الارض الحافرة لانها مستقر الحوافر كما سميت الارض المقدم ارضا لانها
على الارض ٭ وقيل هي اول الامر وتقول التجار النقد في الحافرة اي اول السوم
وقال الشاعر ٭
٭ آليت لا انساكم فاعلموا ٭ حتى يرد الناس في الحافره ٭
وقال ابن زيد الحافرة النار ٭ وقرا تلك اذا كرة خاسرة ٭ وقال مقاتل وزيد
ابن اسلم هي اسم من اسما النار ٭ وقال ابن عباس الحافرة في كلام العرب الارض التي
تغيرت وانتنت بموتاها واجسادهم من قولهم حفرت اسنانه اي تاكلت وركبها
الوسخ من باطنها وظاهرها ٭ ويجوز تعلقه بمردودون او بمحذوف على انه حال
فصل قال ابن الخطيب هذه الاحوال المتقدمة هي احوال القيامة عند جمهور
المفسرين ٭ وقال ابو مسلم هذه الاحوال ليست احوال القيامة لانه فسر النازعات
بنزع القوس والناشطات بخروج السهم والسابحات بعدو الفرس والسابقات
بسبقها والمدبرات بالامور التي تحصل اداره ذلك الرمي والعدو ثم بنى على ذلك
فقال الراجفة هي خيل المشركين وكذلك الرادفة وهما طائفتان من المشركين غزوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقت احداها الاخرى ٭ والقلوب الواجفة هي القلقة
والابصار الخاشعة هي ابصار المنافقين لقوله تعالى ينظرون اليك نظر المغشي عليه
من الموت كانه قيل لما جا خيل العدو ترجف لانها اضطربت قلوب المنافقين خوفا
وخشعت ابصارهم جبنا وضعفا ثم قالوا اينا لمردودون في الحافرة اي نرجع الى

الدنيا حتى نتحمل هذا الخوف لاجلها ۰ وقالوا ايضا تلك اذا كرة خاسرة فاورد هذا الكلام حكاية لحال من غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم من المشركين وواسطة حكاية لحال المنافقين في انكار الحشر ۰ ثم انه تعالى اجاب عن كلامهم بقوله تعالى فانما هي زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة ۰ قال ابن الخطيب وكلام ابي مسلم محتمل وان كان على خلاف قول الجمهور **قوله تعالى** ائذا كنا عظاما نخرة ۰ قرأ الاخوان وابو بكر ناخرة بالف ۰ والباقون نخرة بدونها وهما كحاذر وحذر فاعل لمن صدر عنه الفعل وفعل لمن كان فيه غريزة او كالغريزة ۰ وقيل ناخرة ونخرة بمعنى بالية يقال نخر العظم بالكسر اي بلي وتفتت ۰ وقيل النخرة اي صارت الريح تنخر فيها اي تصوت ونخرة اي تنخر فيها دايما ۰ وقيل ناخرة بالية ونخرة متآكلة ۰ وعن ابي عمرو الناخرة التي لم تنخر بعد والنخرة البالية ۰ وقيل الناخرة المصوتة فيها الريح والنخرة البالية التي تفتتت ۰ قال الزمخشري نخر العظم فهو نخر وناخر كقولك طمع فهو طمع وطامع ۰ وفعل ابلغ من فاعل وقد قرئ بهما وهو البالي الاجوف الذي تمر فيه الريح فيسمع له نخير ۰ ومنه قول الشاعر ۰ واخلتها من مخها فكانها ۰ قوارير في اجوافها الريح تنخر ۰ وقال الراجز لفرسه ۰ اقدم نجاح انها الاساورة ۰ ولا يهولنك رجل بادره ۰ فانما قصرك ترب الساهره ۰ ثم تعود بعدها في الحافره من بعد ما كنت عظاما ناخره ۰ ونخرة الريح بضم النون شدة هبوبها والنخرة ايضا مقدم انف الفرس والحمار والخنزير ۰ يقال هشم نخرته اي مقدم انفه واذا منصوب بمضمر اي اذا كنا كذا نرد ونبعث **قوله تعالى** قالوا تلك اذا كرة خاسرة ۰ تلك مبتدأ مشار بها الى الرجعة والردة في الحافرة وكرة خبرها وخاسرة صفة اي ذات خسران او اسند اليها الخسار مجازا والمراد اصحابها والمعنى ان كان رجوعنا الى القيامة حقا فتلك الرجعة رجعة خاسرة خايبة وهذا افادته اذن فانها حرف جواب وجزاء عند الجمهور ۰ وقيل قد لا يكون جوابا وعن الحسن ان خاسرة بمعنى كاذبة اي ليست كاينة ۰ وقال الربيع بن انس خاسرة على من كذب بها ۰ وقيل كرة خسران والمعنى اهلها خاسرون كقولك تجارة رابحة اي يربح صاحبها ۰ وقال قتادة ومحمد بن كعب اي لئن رجعنا احياء بعد الموت لنخسرن بالنار ۰ وانما قالوا هذا لانهم وعدوا بالنار ۰ والكر الرجوع يقال كر وكر بنفسه تتعدى ولا تتعدى ۰ والكرة المرة ۰ والجمع كرات **قوله** فانما هي ۰ هي ضمير الكرة اي لا تحسبوا تلك الكرة صعبة على الله تعالى ۰ وقال الزمخشري فان قلت بم تعلق قوله فانما هي قلت بمحذوف معناه لا تستصعبوها فانما هي زجرة يعني بالتعلق من حيث المعنى وهو العطف ۰ وقوله فاذا هم ۰ المفاجاة والسبب هنا واضحان والزجرة قال ابن عباس رضي الله عنه هي النفخة الواحدة فاذا هم اي الخلايق احياء بالساهرة ۰ اي على وجه الارض من الفلاة وصفت بما يقع فيها وهو السهر لاجل الخوف وقيل لان السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة ۰ قال الزمخشري والساهرة الارض البيضاء المستوية ۰ سميت بذلك لان السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة اي جارية الماء وفي ضدها نايمة ۰ قال الاشعث بن قيس

وساهرة يضحي السراب مجللا ۰ لاقطارها قد جبتها متلثما ۰

او لان ساكنها لا ينام خوف الهلكة انتهى ۰ وقال امية ۰ وفيها لحم ساهرة وبحر ۰ وما فاهوا

لهم فيها مقيم ۰ يريد لحم حيوان ارض ساهرة ۰ وقال ابو كبير الهذلي ۰ يرتدن ساهرة كان جميمها وعميمها اسداف ليل مظلم ۰ وقال ابن الراغب هي وجه الارض ۰ وقيل ارض القيامة وحقيقتها التي يكثر الوطء بها كانها سهرت من ذلك ۰ والاسهار الذي يقال في الانف والساهور غلاف القمر الذي يدخل فيه عند كسوفه ۰ قال او شبهت اخرجت من بطن ساهورا اي هذه المراة بمنزلة قطعة القمر ۰ وقال امية ابن ابي الصلت ۰ قمر وساهور يسل ويغمد وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه قال الساهرة ارض من فضة لم يعص الله عليها قط خلقها حينيذ ۰ وقيل ارض يجددها الله تعالى يوم القيامة ۰ وقيل الساهرة اسم الارض السابعة ياتي بها الله تعالى فيحاسب عليها الخلايق وذلك حين تبدل الارض غير الارض ۰ وقال الثوري الساهرة ارض الشام ۰ وقال وهب بن منبه جبل بيت المقدس ۰ وقال عثمان بن ابي العاتكة انه اسم مكان من الارض بعينه بالشام وهو الصقع الذي بين جبل اريحا وجبل حسبان يمده الله كيف يشا ۰ وقال قتادة هي جهنم اي فاذا هؤلاء الكفار في جهنم ۰ وانما قيل لها ساهرة لانهم لا ينامون عليها حينيذ ۰ وقيل الساهرة بمعنى الصحراء على شفير جهنم اي يوقفون بارض القيامة فيدوم السهر حينيذ **قوله تعالى** هل اتاك حديث موسى ۰ اي قد جاءك وبلغك وهذه التسلية للنبي صلى الله عليه وسلم اي ان فرعون كان اقوى من كفار عصرك ثم اخذناه وكذلك هؤلاء ۰ وقيل هل بمعنى ما اي ما اتاك ولكني اخبرتك به فان فيه عبرة لمن يخشى ۰ وقال ابن الخطيب قوله هل اتاك يحتمل ان يكون معناه اليس قد اتاك حديث موسى هذا اذا كان قد اتاه ذلك قبل هذا الكلام اما ان لم يكن قد اتاه فقد يجوز ان يقال هل اتاك اي انا اخبرك وقد تقدم الكلام على موسى وفرعون **قوله تعالى** اذ ناداه ربه ۰ منصوب بحديث لا باتاك لاختلاف وقتيهما وتقدم الخلاف بين القراء في طوى في سورة طه ۰ والواد المقدس المبارك المطهر ۰ قال الفراء طوى واد بين المدينة ومصر قال وهو معدول من طاو كما عدل عمر من عامر ۰ قال الفراء من صرفه قال هو ذكر ومن لم يصرفه جعله معدولا كعمر وزفر قال والصرف احب الي اذ لم اجد في المعدول نظيرا اي لم اجد له اسما من الواو والياء عدل عن فاعل الى فعل غير طوى ۰ وقيل طوى معناه يا رجل بالعبرانية فكانه قيل يا رجل اذهب الى فرعون ۰ لا بد ان تقول جئتك بعد طوى قاله ابن عباس ۰ وقيل طوى اي ناداه بعد طوى من الليل اذهب الى فرعون لانك تقول جيتك بعد طوى اي بعد ساعة من الليل ۰ وقيل معناه بالواد المقدس طوى اي بورك فيه مرتين **قوله** اذهب يجوز ان يكون تفسيرا للندا اي ناداه اذهب ويجوز ان يكون على اضمار القول ۰ وقيل هي على حذف ان اي ان اذهب ويدل له قراءة عبد الله ان اذهب وان هذه الظاهرة او المقدرة يحتمل ان تكون تفسيرية وان تكون مصدرية اي ناداه بكذا اذهب الى فرعون انه طغى اي جاوز الحد في العصيان ۰ قال ابن الخطيب ولم يبين انه طغى في اي شيء فقيل تكبر على الله تعالى وكفر به ۰ وقيل تكبر على الخلق واستعبدهم ۰ روي عن الحسن قال كان فرعون علجا من همدان ۰ وقال مجاهد كان من اهل اصطخر ۰ وعن الحسن ايضا كان من اهل اصبهان يقال له ذو الظفر طوله اربعة اشبار **قوله** هل لك ۰ لك خبر مبتدا مضمر والى ان متعلق بذلك المبتدا وهو حذف سايغ والتقدير هل لك سبيل الى التزكي ومثله هل لك في الخير يريدون هل لك رغبة في الخير ۰ وهل لكم فيها الي فانني بصير

بما اعيا الطامي حدبها ﴿ وقال ابو البقا لما كان المعنى ادعوك جا بالى ﴿ وقال غيره يقال هل لك في كذا وهل لك الى كذا كما تقول هل ترغب فيه وهل ترغب اليه ﴿ قال الواحدي المبتدا محذوف في اللفظ مراد في المعنى ﴿ والتقدير هل لك الى ان تزكى حاجة ﴿ وقرا نافع وابن كثير بتشديد الزاى من تزكى والاصل تتزكى وكذلك تصدى في السورة تحتها فالحرميان ادغما والباقون حذفوا نحو تنزل ﴿ وتقدم الخلاف في ايهما المحذوف **فصل** معنى هل لك الى ان تزكى اى تسلم فتطهر من الذنوب وعن ابن عباس رضى الله عنه هل لك الى ان تشهد ان لا اله الا الله واهديك فتخشى اى تخافه وتتقيه ﴿ قال ابن الخطيب سائر الايات تدل على انه تعالى لما نادى موسى عليه السلام ذكر له اشيا كثيرة كقوله تعالى نودى يا موسى انى انا ربك الى قوله لنريك من اياتنا الكبرى اذهب الى فرعون انه طغى فدل قوله تعالى ههنا اذهب الى فرعون انه طغى من جملة ما ناداه به لا كل ما ناداه به ﴿ وايضا فليس الغرض انه صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا الى فرعون فقط بل الى كل من كان في الطور الا انه خصه بالذكر لان دعوته جارية مجرى دعوة كل القوم **فصل** تمسك المعتزلة بهذه الاية في ابطال القول بان الله تبارك وتعالى خلق فعل العبد فان هذا استفهام على سبيل التقرير اى لك سبيل الى ان تزكى ولو كان ذلك بفعل الله تعالى لانقلب الكلام حجة على موسى ﴿ والجواب ما تقدم في نظايره ﴿ حكى القرطبي عن صخر بن جويرية قال لما بعث الله تعالى موسى عليه السلام الى فرعون قال له اذهب الى فرعون الى قوله واهديك الى ربك فتخشى ولن يفعل فقال يا رب وكيف اذهب اليه وقد علمت انه لا يفعل فاوحى الله تعالى اليه ان امض الى ما امرت به فان في السما اثنا عشر الف ملك يطلبون علم القدر فلن يبلغوه ولا يدركوه **قوله تعالى** فاراه الاية الكبرى ﴿ الفا في فاراه معطوف على محذوف يعنى فذهب فاراه كقوله تعالى فاضرب بعصاك الحجر فانفجرت اى فضرب فانفجرت ﴿ واختلفوا في الاية الكبرى اى العلامة العظمى وهى المعجزة فقيل هى العصا ﴿ وقيل اليد البيضا تبرق كالشمس قاله مقاتل والكلبى والاول قول عطا وابن عباس لانه ليس اليد الا انقلاب لونها وهذا كان حاصلا في العصا لانها لما انقلبت حية فلا بد وان تتغير اللون الاول فاذن كل ما في اليد فهو حاصل في العصا وامور اخر وهى الحياة في الجرم الجمادى وتزايد اجزايه وحصول القدرة الكبيرة والقوة الشديدة وابتلاعها اشيا كثيرة وزوال الحياة والقدرة عنها وبقا تلك الاجزا التى عظمت وزوال ذلك اللون والشكل اللذين صارت العصا بهما حية وكل واحد من هذه الوجوه كان معجزا مستقلا في نفسه فعلمنا ان الاية الكبرى هى العصا ﴿ وقال مجاهد هى مجموع العصا واليد ﴿ وقيل فلق البحر ﴿ وقيل جميع اياته ومعجزاته ﴿ فكذب ﴿ اى كذب نبى الله موسى ﴿ وعصى ربه تبارك وتعالى ﴿ فان قيل كل من كذب بالله تعالى فقد عصى فما فايدة قوله فكذب وعصى ﴿ فالجواب كذب بالقول وعصى بالتمرد والتجبر ﴿ ثم ادبر يسعى ﴿ اى يعمل بالفساد في الارض ﴿ وقيل يعمل في نكاية موسى وقيل ادبر يسعى هاربا من الحية ﴿ قال ابن الخطيب معنى ادبر يسعى اى اقبل يسعى كما يقال اقبل يفعل كذا يعنى انشا يفعل فوضع ادبر موضع اقبل لئلا يوصف بالاقبال **قوله** فحشر فنادى ﴿ لم يذكر مفعولاهما لان المراد فعل ذلك او يكون المفعول

اى هم

فحشر فنادى قومه فناداهم ﴿ وقوله فقال تفسير للندا ﴿ وقيل في الكلام تقديم وتاخير اى فنادى فحشر لان الندا قبل الحشر ﴿ ومعنى حشر اى جمع السحرة او جمع اصحابه ليمنعوه من الحية ﴿ وقيل جمع جنوده للقتال والمحاربة والسحرة للمعارضة ﴿ وقيل حشر الناس للحضور فنادى اى قال لهم بصوت عال انا ربكم الاعلى لا رب فوقى ﴿ وقيل امر مناديا فنادى في الناس بذلك ﴿ وقيل قام فيهم خطيبا فقال ذلك وعن ابن عباس ومجاهد والسدى وسعيد بن جبير ومقاتل كلمته الاولى ما علمت لكم من اله غيرى والاخرى انا ربكم الاعلى ﴿ قال ابن عباس كان بين الكلمتين اربعون سنة والمعنى امهله في الاولى ثم اخذه في الاخرة فعذبه بكلمتيه ﴿ قال ابن الخطيب واعلم انا بينا في سورة طه انه لا يجوز ان يعتقد الانسان في نفسه كونه خالقا للسموات والارض والجبال والنبات والحيوان فان العلم بذلك ضرورى ومن شك في ذلك كان مجنونا ولو كان مجنونا لما جاز من الله تعالى بعثة الرسل اليه بل الرجل كان دهريا منكرا للصانع والحشر والنشر وكان يقول ليس لاحد امر ولا نهى الا لى فانا ربكم بمعنى مربيكم والمحسن اليكم وليس للعالم اله حتى تكون ظهور حربه عند انقلاب العصا حية ان لا يقول هذا القول لان عند ظهور الدلالة والمعجزة كيف يليق ان يقول انا ربكم فدلت هذه الاية على انه في ذلك الوقت صار كالمعتوه الذى لا يدرى ما يقول **قوله تعالى** فاخذه الله نكال الاخرة والاولى ﴿ يجوز ان يكون نكال مصدرا للاخذ والتجوز اما في الفعل اى نكل بالاخذ نكال الاخرة ﴿ واما في المصدر اى اخذه اخذ نكال ﴿ ويجوز ان يكون مفعولا له اى لاجل نكاله ويضعف جعله حالا لتعريفه وتاويله كتاويل جهدك وطاقتك غير مقيس ﴿ ويجوز ان يكون مصدرا موكدا لمضمون الجملة المتقدمة اى نكل الله به نكال الاخرة قاله الزمخشرى وجعله كوعد الله وصبغة الله ﴿ وقال القرطبى وقيل نصب بنزع حرف الصفة اى فاخذه الله بنكال الاخرة فلما نزع الخافض نصب ﴿ والنكال اسم لما جعل نكالا للغير اى عقوبة له حتى يعتبر ﴿ يقال نكل فلان بفلان اذا اثخنه عقوبة والكلمة من الامتناع ﴿ ومنه النكول عن اليمين ﴿ والنكل القيد وقد مضى في سورة المزمل ﴿ والنكال بمنزلة التنكيل كالسلام بمعنى التسليم ﴿ والاخرة والاولى اما الداران واما الكلمتان فالاخرة قوله انا ربكم الاعلى والاولى ما علمت لكم من اله غيرى كما تقدم فحذف الموصول للعلم به **فصل** قيل الاخرة والاولى هما الكلمتان كما تقدم ﴿ وقال الحسن وقتادة نكال الاخرة والاولى هو ان اغرقه في الدنيا وعذبه في الاخرة ﴿ وروى عن قتادة ايضا الاخرة قوله انا ربكم الاعلى والاولى تكذيبه بموسى عليه السلام ﴿ قال القفال وهذا كانه هو الاظهر لانه تعالى قال فاراه الاية الكبرى فكذب وعصى ثم ادبر يسعى فحشر فنادى فقال انا ربكم الاعلى فذكر المعصيتين ثم قال فاخذه الله نكال الاخرة والاولى فظهر ان المراد انه عاقبه على هذين الامرين ثم انه تعالى ختم هذه القصة بقوله ان في ذلك لعبرة لمن يخشى اى ان فيما قصصنا عليك اعتبارا وعظة لمن يخاف **قوله تعالى** اانتم اشد خلقا يريد اهل مكة اى اخلقكم بعد الموت اشد في تقديركم ام السما فمن قدر على خلق السما على عظمها وعظم احوالها قدر على الاعادة وهذا كقوله لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس ﴿ والمقصود من الاية الاستدلال

على منكري البعث ونظيره قوله تعالى اوليس الذى خلق السموات والارض بقادر
على ان يخلق مثلهم ومعنى الكلام التقريع والتوبيخ ثم وصف تعالى السما فقال ام السما
بناها عطف على انتم وقوله بناها بيان لكيفية خلقه اياها فالوقف على السما لانه
والابتدا بما بعدها ونظيره قوله تعالى فى الزخرف االهتنا خير ام هو وقوله
رفع سمكها جملة مفسرة لكيفية البنا والسمك الارتفاع قال الزمخشري
جعل مقدار ذهابها فى سمت العلو مديدا رفيعا وسمكت الشى رفعته فى الهوى
وسمك هو اى ارتفع سموكا فهو قاصر ومتعد وبنا مسموك وسنام سامك تامك
اى عال مرتفع وسماك البيت ما سمكته به والمسموكات السموات ويقال اسمك
فى الكرم اى اصعد فى الدرجة والسماك نجم معروف وهما اثنان رامح واعزل قال
الشاعر ان الذى سمك السما بنا لنا بيتا دعايمه اعز واطول
فصل قال البغوي رفع سمكها اى سقفها قال الكسائي والفرا والزجاج
هذا الكلام تم عند قوله تعالى انتم اشد خلقا ام السما بناها قال ولانه من صلة
السما والتقدير ام السما التى بناها فحذف التى ومثل هذا الحذف جايز قال
القفال يقال الرجل جاك عاقل واذا ثبت جواز ذلك فى اللغة فنقول الدليل على
ان قوله بناها صلة لما قبله انه لو لم يكن صلة لكان صفة فقوله بناها صفة
ثم قوله رفع سمكها صفة فقد توالت صفتان لا تعلق لاحديهما بالاخرى فكان
يجب ادخال العاطف بينهما كما فى قوله واغطش ليلها ولما لم يكن كذلك علمنا ان
قوله بناها صلة للسما فكان التقدير ام السما التى بناها وهذا يقتضى وجود
سما ما بناها وذلك باطل وقوله فسواها اى خلقها خلقا مستويا لا تفاوت فيه
ولا فطور ولا شقوق فصل قال ابن الخطيب واستدلوا بهذه الاية
على كون السما كرة قالوا لانه لو لم تكن كرة لكان بعض جوانبها مسطحا والبعض
زاوية والبعض خطا ولكان بعض اجزايه اقرب الينا والبعض الاخر ابعد فلا يحصل
التسوية الحقيقية ثم قالوا لما ثبت انها محدثة مفتقرة الى فاعل مختار فاى ضرر
فى الدين ينشا من كونها كرة قوله واغطش اى اظلم بلغة انمار واشعر يقال
غطش الليل واغطشته انا واغطشه قال
عقرت لهم ناقتي موهنا فليلهم مدلهما غطش
وليل اغطش وليلة غطشا قال الراغب واصله من الاغطش وهو الذي فى
عينه عمش ومنه فلاة غطشا لا اهتدى فيها والتغاطش التعامى انتهى ويقال
اغطش الليل قاصر كاظلم فافعل فيه متعد ولازم فالغطش والغبش الظلمة ورجل
اغطش اى اعمى او شبيه به وقد غطش والمراة غطشا وفلاة غطشى لا اهتدى لها
قال الاعشى ويهما بالليل غطشى الفلاة يونسني صوت قيادها
ومعنى قوله واغطش ليلها اى جعله مظلما واضاف الليل الى السما لان الليل يكون
بغروب الشمس والشمس تضاف الى السما ويقال نجوم الليل لان ظهورها بالليل قوله
واخرج ضحاها فيه حذف اى ضحى شمسها واضاف الليل والضحى لها للملابسة التى بينها
وبينهما وانما عبر عن النهار بالضحى لان الضحى اكمل اجزا النهار بالنور والضو قوله
تعالى والارض بعد ذلك دحاها اى بسطها وبعد على بابها من التاخير
ولا معارضة بينها وبين اية فصلت لانه تعالى خلق الارض غير مدحوة ثم خلق

السما ثم دحى الارض وقول ابى عبيدة انها بمعنى قبل منكر عند العلما والعرب تقول دحوت
الشى ادحوه دحوا اذا بسطته ودحى يدحى دحيا اى بسطه فهو من ذوات الواو واليا
فيكتب بالالف واليا ومنه قيل لعش النعامة ادحو وادحى لانبساطه فى الارض وقال
امية بن ابى الصلت
وبث الخلق فيها اذ دحاها فهم قطانها حتى التناد
وقيل دحى بمعنى سوى قال زيد بن ابى نفيل واسلمت وجهى لمن اسلمت له الارض تحمل
صخرا ثقالا دحاها فلما استوت شدها بايد وارسى عليها الجبالا والعامة على
نصب الارض والجبال على اضمار فعل مفسر بما بعده وهو المختار لتقدم جملة فعلية
ورفعهما الحسن وابن ابى عبلة وابو السمال وعمرو بن عبيد على الابتدا وعيسى برفع الارض
فقط فصل روى عن ابن عباس رضى الله عنه قال خلق الله تعالى الكعبة
ووضعها على الما على اربعة اركان قبل ان يخلق الدنيا بالفى عام ثم دحيت الارض من تحت
البيت وحكى القرطبى عن بعض اهل العلم ان بعد هنا فى موضع مع كانه قال والارض
مع ذلك دحاها كقوله تعالى عتل بعد ذلك زنيم ومنه قولهم انت احمق وانت
بعد هذا سيى الخلق قال الشاعر فقلت لها اليك فانى حرام وانى بعد
ذلك لبيب اى مع ذلك وقيل بعد بمعنى قبل كقوله تعالى ولقد كتبنا فى الزبور
من بعد الذكر اى من قبل الفرقان قال ابو كثير
حمدت الهي بعد عروة اذ نجى خراش وبعض الشر اهون من بعض
وزعموا ان خراشا نجى قبل عروة وقيل دحاها حرثها وشقها قاله ابن زيد وقيل
دحاها مهدها للاقوات والمعنى متقارب قوله اخرج فيه وجهان احدهما ان يكون
تفسيرا الثانى ان يكون حالا قال الزمخشرى فان قلت هلا ادخل حرف
العطف على اخرج قلت فيه وجهان احدهما ان يكون دحاها بمعنى بسطها ومهدها
للسكنى ثم فسر التمهيد بما لا بد منه فى تاتى سكناها من تسوية امر الماكل والمشرب
وامكان القرار عليها والثانى ان يكون اخرج حالا باضمار قد لقوله تعالى او
جاوكم حصرت صدورهم واعلم ان اضمار قد هو قول الجمهور وخالف الكوفيون
والاخفش قوله منها ماها اى من الارض عيونها المتفجرة بالما ومرعاها
اى النبات الذي يرعى والمراد بمرعاها ما ياكل الناس والانعام ونظيره
قوله تعالى انا صببنا الما صبا ثم شققنا الارض شقا الى قوله متاعا لكم ولانعامكم
واستعير الرعى للانسان كما استعير الرتع فى قوله نرتع ونلعب وقد قرى نرتع
من الرعي والرعى فى الاصل مكان او زمان او مصدر وهو هنا مصدر بمعنى المفعول
وهو فى حق الادميين استعارة قال ابن قتيبة قال تعالى وجعلنا من الما
كل شى حى فانظر كيف دل بقوله ماها ومرعاها على جميع ما اخرجه من الارض قوتا
ومتاعا للانام من العشب والشجر والثمر والحب والقضب واللباس والدواء حتى
النار والملح اما النار فلانها من العيدان قال جل وعلا افرايتم النار التى تورون
انتم انشاتم شجرتها ام نحن المنشؤن واما الملح فلانه من الما قوله تعالى
والجبال ارساها قرا العامة بنصب الجبال اى وارسى الجبال وارسى ثبت فيها
الجبال اوتادا لها وقرا الحسن وعمرو بن عبيد وعمرو بن ميمون ونصر بن عاصم
بالرفع على الابتدا قوله متاعا لكم العامة على النصب مفعولا له او مصدر العامل

مقدر اي متعكم او مصدر من غير اللفظ لان المعنى اخرج منها ماءها ومرعاها امتع بذلك
وقيل نصب باسقاط حرف الصفة تقديره لتتمتعوا به متاعا • والمعنى منفعة لكم
ولانعامكم **قوله تعالى** فاذا جاءت الطامة الكبرى • في جواب اذا اوجه
احدها قوله تعالى فاما من طغى نحو اذا جاءك بنو تميم فاما العاصي فاهنه واما
الطائع فاكرمه • وقيل محذوف فقدره الزمخشري فان الامر كذلك اي فان الجحيم
مأواه • وقدره غيره انقسم الراؤون قسمين وقيل عاينوا او علموا • وقيل جوابها
ادخل اهل النار النار واهل الجنة الجنة • وقال ابو البقاء العامل فيها جوابها وهو
معنى قوله يوم يتذكر الانسان • والطامة الكبرى الداهية العظمى التي تطم على غيرها
من الدواهي لعظمها • والطم الدفن • ومنه طم السيل الركية • وفي المثل جرى الوادي
فطم على القرى • وقيل مأخوذ من قولهم طم الفرس طميما اذا استفرغ جهده في الجري
والمراد بها في القرآن النفخة الثانية لان بها يحصل ذلك قال ابن عباس هي النفخة
الثانية التي يكون معها البعث • وعن ابن عباس ايضا والضحاك انها القيامة سميت بذلك
لانها تطم على كل شيء فتعمره • وقال القاسم بن الوليد الهمداني في الطامة الكبرى
حين يساق اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار **قوله** يوم يتذكر • بدل من اذا
او منصوب باضمار فعل اي اعني يوم • اي يوم يتذكر ما لبث وكيف **قوله** ما سعى
اي ما عمل من خير او شر يراه مكتوبا في كتابه فيتذكره وكان قد نسيه لقوله تعالى
احصاه الله ونسوه **قوله تعالى** وبرزت الجحيم • العامة على بنائه للمفعول
مشددا • ولمن يرى بالغيبة • وزيد بن علي وعائشة وعكرمة مبنيا للمفعول
للفاعل مخففا • وترى بتاء من فوق يجوز وفي تاء ترى ان يكون للتأنيث وفي ترى
ضمير الجحيم كقوله تعالى اذا رأتهم من مكان بعيد وان يكون للخطاب اي ترى
انت يا محمد والمراد يرى الناس • وقرأ عبد الله لمن رأى فعلا ماضيا • قال ابن عباس
رضي الله عنه برزت كشفت عنها تتلظى فيراها كل ذي بصر فالمؤمنون يمرون عليها
وان منكم الا واردها • واما الكفار فهي مأواهم • وقيل الرؤية هنا استعارة
كقولهم • قد بين الصبح لذي عينين • وقيل المراد الكافر لانه الذي يرى النار
بما فيها من اصناف العذاب • وقيل يراها المؤمن ليعرف قدر النعمة **قوله** فاما
من طغى • اي تجاوز الحد في العصيان • قيل نزلت في النضر وابيه الحرث وهي عامة
في كل كافر آثر الحياة الدنيا على الآخرة • فان الجحيم هي المأوى اما هي المأوى له
او هي مأواه وقامت ال مقام الضمير وهو رأي الكوفيين وقد تقدم تحقيق هذا
والرد على قائله بقوله م •

• رحيب قطاب الجيب منها رفيقة • بجس الندامى بضه المتجرد •

اذ لو كانت ال عوضا من الضمير لما جمع بينهما في هذا البيت ولا بد من احد هذين
التأويلين في الآية الكريمة لاجل العائد من الجملة الواقعة خبرا الى المبتدأ والذي
حسن عدم ذكر العائد كون الكلمة وقعت رأس فاصلة • وقال الزمخشري فان
الجحيم مأواه كما للرجل غض الطرف وليس الالف واللام بدلا من الاضافة ولكن لما علم
ان الطاغي هو صاحب المأوى وانه لا يغض الرجل طرف غيره ترك الاضافة ودخول
الالف واللام في المأوى والطرف للتعريف لانهما معروفان • قال ابو حيان وهو
كلام لا يتحصل منه الرابط العائد على المبتدأ اذ قد نفى مذهب الكوفيين ولم يقدر

صيرا

ضميرا كما قدره البصريون فدام حصول الرابط بلا رابط • قال الشهاب الدين ولكن لما علم
الى اخره وهو عين قول البصريين ولا ادري كيف خفي عليه هذا **قوله تعالى**
واما من خاف مقام ربه • اي حذر مقامه بين يدي ربه • وقال الربيع مقامه يوم الحساب
وقال مجاهد خوفه في الدنيا من الله عند مواقعة الذنب فيقلع عنه نظيره ولمن
خاف مقام ربه جنتان • ونهى النفس عن الهوى اي زجرها عن المعاصي والمحارم قال
ابن الخطيب هذان الوصفان مضادان للوصفين المتقدمين فقوله تعالى من خاف
مقام ربه ضد قوله فاما من طغى ونهى النفس ضد قوله وآثر الحياة الدنيا فكما دخل
في ذينك الوصفين جميع القبائح دخل في هذين الوصفين جميع الطاعات • قال
عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انتم في زمان يقود الحق الهوى وسيأتي زمان
يقود الهوى الحق فنعوذ بالله من ذلك الزمان • فان الجنة هي المأوى اي المنزل
نزلت الآيتان في مصعب بن عمير واخيه عامر بن عمير • روى الضحاك عن ابن عباس
رضي الله عنه قال اما من طغى فهو اخ لمصعب بن عمير اسر يوم بدر فاخذته الانصار
فقالوا من انت قال انا اخو مصعب بن عمير فلم يشدوه في الوثاق واكرموه
وبيتوه عندهم فلما اصبحوا حدثوا مصعب بن عمير حديثه فقال ما هو لي باخ شدوا
اسيركم فان امه اكثر اهل البطحاء حليا ومالا فاوثقوه حتى بعثت امه في فدائه • واما
من خاف مقام ربه فمصعب بن عمير وقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه يوم
احد حين تفرق الناس عنه حتى نفذت المشاقص في جوفه وهي السهام فلما رآه
رسول الله صلى الله عليه وسلم متشحطا في دمه قال صلى الله عليه وسلم عند الله احتسبك
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه لقد رأيته وعليه بردان ما تعرف
قيمتهما وان شراك نعليه من ذهب • وعن ابن عباس رضي الله عنه نزلت هذه
الآية في رجلين ابو جهل بن هشام ومصعب بن عمير • وقال السدي نزل قوله تعالى
واما من خاف مقام ربه في ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه • وقال الكلبي هما
عامتان **قوله تعالى** يسألونك عن الساعة ايان مرساها • لما سمع
المشركون اخبار القيامة ووصفها بالاوصاف الهائلة مثل الطامة الكبرى والصاخة
والقارعة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء متى تكون الساعة وقيل
يحتمل ان يكون ذلك ايهاما لاتباعهم انه لا اصل لذلك • ويحتمل انهم كانوا يسألونه
عن وقت القيامة استعجالا كقوله الذين لا يؤمنون بها • وقوله ايان مرساها اي
اقامتها والمعنى متى يقيمها الله ويوجدها ويكون المعنى ايان منتهاها ومستقرها
كما ان مرسى السفينة مستقرها الذي تنتهي اليه فاجابهم الله تعالى بقوله فيم انت
من ذكراها **قوله** فيم • خبر مقدم وانت مبتدأ مؤخر • ومن ذكراها • متعلق
بما تعلق به الخبر والمعنى انت في اي شيء من ذكراها اي ما انت من ذكراها لهم وتبيين
وقتها في شيء • وقال الزمخشري وعن عائشة رضي الله عنها لم يزل صلى الله عليه وسلم
يسأل عنها ويذكرها حتى نزلت قال فعلى هذا هو تعجب من كثرة ذكره لها كأنه قيل في اي
شغل واهتمام انت من ذكراها والسؤال عنها • وقيل الوقف على قوله فيم وهو خبر
مبتدأ مضمر اي فيم هذا السؤال ثم يبتدئ بقوله انت من ذكراها اي ارسالك وانت
خاتم الانبياء وآخر الرسل والمبعوث في نسمة الساعة ذكر من ذكراها وعلامة من علاماتها
فكفاهم بذلك دليلا على دنوها ومشارفتها والاستعداد لها ولا معنى لسؤالهم عنها

قاله الزمخشري وهو كلام حسن لولا انه يخالف الظاهر ويفكك لنظم الكلام ويعني
الى ربك منتهى علمها لقوله تعالى قل انما علمها عند الله ، وقوله تعالى ان الله عنده
علم الساعة ، قال القرطبي ويجوز ان يكون انكارا على المشركين في مسألتهم اي فيم انت
من ذلك حتى يسألونك بيانه ولست ممن يعلمه روي معناه عن ابن عباس رضي الله عنه
قوله تعالى انما انت منذر ، قرأ العامة على اضافة الصفة لمعمولها تخفيفا
وقرأ عمر بن عبد العزيز وابو جعفر وطلحة وابن محيصن بالتنوين ويكون في موضع
نصب والمعنى انما ينتفع بانذارك من يخشى الساعة ، قال الزمخشري وهو الاصل
والاضافة تخفيف وكلاهما يصلح للحال والاستقبال فاذا اريد الماضي فليس الا
الاضافة كقولك هو منذر زيد امس ، قال ابو حيان قوله هو الاصل يعني التنوين
هو قول قاله غيره ثم اختار ابو حيان ان الاصل الاضافة قال لان العمل انما
هو بالشبه والاضافة اصل في الاسماء ثم قال وقوله ليس الا الاضافة فيه تفصيل
وخلاف مذكور في كتب النحو ، قال شهاب الدين لا يلزمه ان يذكر الا محل الوفاق
بل هذا ان الذان ذكرهما مذهب جماهير الناس فصل المعنى انما انت
مخوف وخص الانذار بمن يخشى لانهم المنتفعون به وان كان منذرا لكل مكلف كقوله
انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب قوله تعالى كانهم يوم يرونها
يعني الكفار يرون الساعة ، لم يلبثوا ، في دنياهم ، الا عشية او ضحاها ، اي او
قدر الضحى الذي يلي تلك العشية ، والمراد تقليل مدة الدنيا لقوله تعالى لم يلبثوا
الا ساعة من نهار ، واضاف الضحى الى العشية اضافة الظرف الى ضمير الظرف الاخر
تجوزا واتساعا ، وذكرهما لانهما طرفا النهار ، وحسن هذه الاضافة وقوع الكلمة
فاصلة ، فان قيل قوله تعالى او ضحاها معناه ضحى العشية وهذا غير معقول
لانه ليس للعشية ضحى ، فالجواب قال ابن عباس الهاء والالف صلة للكلام
يريد لم يلبثوا الا عشية او ضحى ، وقال الفراء والزجاج المراد باضافة الضحى الى العشية
اضافتها الى يوم العشية على عادة العرب يقولون اتيتك الغداة او عشيها واتيتك
العشية او غداتها فتكون العشية في معنى آخر النهار والغداة في معنى اول النهار وانشد
بعض بني عقيل ، نحن صبحنا عامرا في دارها ، جردا تعادي طرفي نهارها ، عشية الهلال
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

سورة عبس وتسمى السفرة مكية

وهي اثنان واربعون آية ، ومائة وثلاثون كلمة ، وخمسمائة وثلاثة وثلاثون حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى عبس وتولى ، اي كلح بوجهه يقال
عبس وبسر ، وتولى ، اي اعرض بوجهه قوله ان جاءه ، فيه وجهان ، احدهما
انه مفعول من اجله ، والناصب اما تولى وهو قول البصريين واما عبس وهو
قول الكوفيين والمختار مذهب البصريين لعدم الاضمار في الثاني وتقدم
تحقيق هذا في مسائل التنازع والتقدير لان جاءه الاعمى فعل ذلك ، قال القرطبي
من قرأ بالمد على الاستفهام فان متعلقة بفعل محذوف دل عليه عبس وتولى ، والتقدير
ان جاءه اعرض عنه وتولى فيوقف على هذه القراءة على تولى ولا يوقف عليه على قراءة
العامة فصل قال المفسرون اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ام مكتوم

واسم ابن ام مكتوم عاتكة بنت عامر بن مخزوم وكان عند النبي صلى الله عليه وسلم صناديد
قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب
وامية بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم الى الاسلام رجاء ان يسلم باسلامهم غيرهم
فقال للنبي صلى الله عليه وسلم علمني مما علمك الله وكرر ذلك فكره قطعه لكلامه وعبس
واعرض عنه فنزلت هذه الآية ، قال ابن العربي اما قول المفسرين انه الوليد بن المغيرة
او امية بن خلف والعباس فهذا كله باطل وجهل لان امية والوليد كانا بمكة وابن
ام مكتوم كان بالمدينة ما حضر معهما ولا حضرا معه وماتا كافرين احدهما قبل
الهجرة والآخر في بدر ولم يقصد امية المدينة قط ولا حضر معه مفردا ولا مع احد
وانما اقبل ابن ام مكتوم والنبي صلى الله عليه مشتغل بمن حضره من وجوه قريش يدعوهم
الى الاسلام وقد طمع في اسلامهم وكان في اسلامهم اسلام من وراءهم من قومهم فجاء
ابن ام مكتوم وهو اعمى فقال يا رسول الله علمني مما علمك الله وجعل يناديه ويكثر
النداء ولا يدري انه مشتغل بغيره حتى ظهرت الكراهة في وجه رسول الله صلى الله عليه
وسلم لقطعه كلامه وقال في نفسه يقولون هؤلاء انما اتباعه العميان والسفلة والعبيد
فعبس واعرض فنزلت الآية ، قال الثوري فكان النبي صلى الله عليه وسلم بعد
ذلك اذا رأى ابن ام مكتوم بسط له رداءه ويقول له مرحبا بمن عاتبني فيه
ربي ويقول هل من حاجة ، واستخلفه على المدينة مرتين في غزوتين غزاهما قال
انس رضي الله عنه فرأيته يوم القادسية راكبا وعليه درع ومعه راية سوداء
فصل قال ابن الخطيب ما فعله ابن ام مكتوم كان يستحق التاديب
والزجر فكيف عاتب الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم على تاديبه ابن ام مكتوم
وانما قلنا انه كان يستحق التاديب لانه وان كان اعمى لا يرى القوم لكنه يسمع مخاطبة
الرسول صلى الله عليه وسلم لاولئك الكفار وكان بسماعه يعرف شدة اهتمام النبي
صلى الله عليه وسلم بشانهم فكان اقدامه على قطع كلام النبي صلى الله عليه وسلم
لغرض نفسه قبل تمام غرض النبي صلى الله عليه وسلم معصية عظيمة ، وايضا فان
الاهم يقدم على المهم وكان قد اسلم وتعلم ما يحتاج اليه من امر الدين واما اولئك
الكفار فلم يكونوا اسلموا بعد وكان اسلامهم سببا لاسلام جمع عظيم فكان كلام ابن
ام مكتوم كالسبب في قطع ذلك الخير العظيم لغرض قليل وذلك محرم ، وايضا
قال الله تعالى ذم الذين ينادونه من وراء الحجرات بمجرد ندائهم فهذا النداء
الذي هو كالصارف للكفار عن الايمان اولى ان يكون ذنبا فثبت ان الذي فعله
ابن ام مكتوم كان ذنبا ومعصية ، وايضا فمع هذا الاعتناء بابن ام مكتوم كيف
لقبه بالاعمى ، وايضا فالنبي صلى الله عليه وسلم يؤدب اصحابه بما يراه مصلحة والتعبيس
من ذلك القبيل ومع الاذن فيه كيف يعاتب عليه ، والجواب عن الاول ان ما
فعله ابن ام مكتوم كان من سوء الادب لو كان عالما بان النبي صلى الله عليه وسلم
مشغول بغيره وانه يرجو اسلامهم ولكن الله تعالى عاتبه حتى لا تنكسر قلوب اهل
الصفة او ليعلم ان المؤمن الفقير خير من الغني وكان النظر الى المؤمن اولى وان
كان فقيرا اصلح واولى من الاقبال على الاغنياء طمعا في ايمانهم وان كان ذلك ايضا
نوع من المصلحة ، وعلى هذا اخرج قوله تعالى ما كان لنبي ان يكون له اسرى
الآية ، وقيل انما قصد النبي صلى الله عليه وسلم تاليف الرجل ثقة بما كان في قلب

ابن ام مكتوم من الايمان كما قال صلى الله عليه وسلم انى لاعطى الرجل وغيره احب الى منه
مخافة ان يكبه الله على وجهه ۔ وقال ابن زيد انما عبس النبى صلى الله عليه وسلم
لابن ام مكتوم واعرض عنه لانه اشار الى الذى كان يقوده ان يكفه فدفعه ابن ام
مكتوم وابى الا ان يكلم النبى صلى الله عليه وسلم حتى يعلمه فكان فى هذا نوع جفاء منه
ومع هذا انزل الله تعالى فى حقه عبس وتولى بلفظ الاخبار عن الغايب تعظيما له
ولم يقل عبست وتوليت ثم اقبل عليه بمواجهة الخطاب تانيسا له فقال وما يدريك
اى يعلمك ۔ لعله ۔ اى ابن ام مكتوم ۔ يزكى ۔ بما استدعى منك تعليمه اياه
من القران والدين ۔ واما ذكره بلفظ الاعمى ليس للتحقير بل كانه قيل انه بسبب
عماه يستحق مزيد الرفق والرافة فكيف يليق بك يا محمد ان تخصه بالغلظة ۔ واما
كونه مادونا له فى تاديب اصحابه لكن هنا لما اوهم تقديمهم تقديم الاغنيا على
الفقرا وكان ذلك مما يوهم ترجيح الدنيا على الدين فلهذا السبب عوتب **فصل**
قال ابن الخطيب تمسك القايلون بصدور الذنب عن الانبيا عليهم الصلاة والسلام
بهذه الاية وقالوا لما عوتب النبى صلى الله عليه وسلم على ذلك الفعل دل على ان ذلك
كان معصية ۔ قال ابن الخطيب وهذا بعيد لما ذكرنا فى الجواب عن الاول
وايضا فان هذا من باب الاحتياط وترك الافضل **قوله تعالى** وما يدريك
لعله يزكى ۔ الظاهر انه اجرى الترجى مجرى الاستفهام لما بينهما من معنى الطلب
فى التعليق لان المعنى منصب على تسليط الدراية على الترجى اذ التقدير لا يدرى ما
هو مترجى منه التزكية او التذكر ۔ وقيل الوقف على يدريك والابتدا بما بعده
على معنى وما يطلعك على امره وعاقبة حاله ثم ابتدا فقال لعله يزكى **فصل**
قيل الضمير فى لعله للكافر يعنى لعل اذا طمعت فى ان يتزكى بالاسلام او يذكر فتقربه
الذكرى الى قبول الحق ثم وما يدريك ان ما طمعت فيه كاين ۔ ونظير هذه الاية
قوله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى وقوله ولا تعد عيناك
عنهم تريد زينة الحيوة الدنيا **قوله تعالى** او يذكر فتنفعه الذكرى ۔ قرا
عاصم فتنفعه بالنصب ۔ والباقون بالرفع فمن رفع نسقه على قوله او يذكر ومن
نصب فعلى جواب الترجى كقوله فى المومن فاطلع وهو مذهب كوفى تقدم الكلام
عليه ۔ وقال ابن عطية فى جواب التمنى لان قوله تعالى او يذكر فى حكم قوله لعله
يزكى ۔ قال ابو حيان وهذا ليس تمن انما هو ترج ۔ قال شهاب الدين انما
يريد التمنى المفهوم من الكلام ويدل له ما قال ابو البقا وبالنصب على جواب
التمنى فى المعنى والا فلا فرق بين التمنى والترجى لا يجهله ابن عطية ۔ وقال مكى
من نصبه جعله جواب لعل بالفا لانه غير موجب فاشبه التمنى والاستفهام وهو
غير معروف عند البصريين ۔ وقرا عاصم فى رواية والاعرج او يذكر بسكون
الذال وتخفيف الكاف مضمومة مضارع ذكر والمعنى او يتعظ بما تقول له فتنفعه
الذكرى اى العظة **قوله تعالى** اما من استغنى ۔ المراد بها هل هى لفظة
مخصوصة بالملايكة عند الاطلاق ولا يشاركهم فيها سواهم ۔ وروى الضحاك
عن ابن عباس فى كرام قال مكرمون ان يكونوا مع ابن ادم اذا خلا بزوجته
او برز لغايط ۔ وقيل يوثرون منافع غيرهم على منافع انفسهم ۔ وقوله تعالى
بررة جمع بار مثل كافر وكفرة وساحر وسحرة وفاجر وفجرة يقال بر وبار

اذا كان اهلا للصدق ۔ ومنه بر فلان فى يمينه اى صدق وفلان يبر خالقه ويتبرره اى
يطيعه فمعنى بررة مطيعين لله صادقين لله فى اعمالهم **فصل** قال ابن الخطيب
قوله تعالى بايدى سفرة يقتضى ان طهارة تلك الصحف انما حصلت بايدى هولا السفرة
فقال القفال فى تقريره لما كان لا يمسها الا الملايكة المطهرون اضيف التطهير اليها
لطهارة من يمسها ۔ وقال القرطبى ان المراد بقوله تعالى فى سورة الواقعة لا يمسه
الا المطهرون انهم الكرام البررة فى هذه السورة **قوله تعالى** قتل الانسان
ما اكفره ۔ اى لعن وقيل عذب ۔ والانسان الكافر روى الاعمش عن مجاهد قال
ما كان فى القران قتل الانسان فانما عنى به الكافر ۔ قال النحويون وهذا اما
تعجب او استفهام تعجب ۔ قال ابن الخطيب اعلم انه تعالى لما ذكر ترفع صناديد قريش
على فقرا المسلمين عجب عبادة المومنين من ذلك فكانه قيل واى سبب فى هذا الترفع
مع ان اوله نطفة مذرة واخره جيفة قذرة وهو فيما بين الوقتين حمال عذرة فلا
جرم ذكر تعالى ما يصلح ان يكون علاجا لعجبهم وعلاجا لكفرهم فان خلقة الانسان تصلح
ان يستدل بها على وجود الصانع لانه يستدل بها على القول بالبعث والحشر قيل نزلت
فى عتبة بن ابى لهب والظاهر العموم ۔ وقوله تعالى قتل الانسان دعا عليهم باشد
الاشيا لان القتل غاية شدايد الدنيا وما اكفره تعجب من افراطه فى كفران نعمة الله
تعالى ۔ فان قيل الدعا على الانسان انما يليق بالعاجز فالقادر على الكل كيف يليق ذلك
به والتعجب ايضا انما يليق بالجاهل بسبب الشى فالعالم به كيف يليق ذلك به ۔ والجواب
ان ذلك ورد على اسلوب كلام العرب لبيان استحقاقهم لاعظم العقاب حيث اتوا
باعظم القبايح كقولهم اذا تعجبوا من شى قاتله الله ما احسنه واخزاه الله ما
اظلمه ۔ والمعنى اعجبوا من كفر الانسان بجميع ما ذكرنا بعد هذا ۔ وقيل ما اكفره بالله
ونعمه مع معرفته بكثرة احسانه اليه والاستفهام ثم بقوله من اى شى خلقه قيل استفهام
توبيخ اى اى شى دعاه الى الكفر ۔ وقيل استفهام تحقير له فذكر اول مراتبه وهى
قوله تعالى من نطفة خلقه ولا شك ان النطفة شى حقير مهين ومن كان اصله ذلك
كيف يتكبر ۔ وقوله فقدره اى اطوارا ۔ وقيل سواه كقوله تعالى ثم سواك رجلا
وقدر كل عضو فى الكيفية والكمية بالقدر اللايق لمصلحته لقوله تعالى وخلق كل شى
فقدره تقديرا ۔ ثم ذكر المرتبة الوسطى فقال تعالى ثم السبيل يسره ۔ قيل المراد
تيسير خروجه من بطن امه ولا شك ان خروجه حيا من اضيق المسالك من اعجب
العجايب قيل ان راسه فى بطن امه من فوق ورجليه من تحت فاذا جا وقت الخروج
انقلب فمن الذى اعطاه ذلك الالهام المراد منه قوله تعالى وهديناه النجدين
اى التمييز بين الخير والشر ۔ وقيل مخصوص بالدين **قوله تعالى** ثم السبيل
يسره ۔ يجوز ان يكون الضمير للانسان والسبيل ظرف اى يسر للانسان الطريق اى
طريق الخير والشر كقوله تعالى وهديناه النجدين ۔ وقال ابو البقا ويجوز ان ينتصب
بانه مفعول ثان ليسره والها للانسان اى يسره السبيل اى هداه له ۔ قال
شهاب الدين فلا بد من تضمينه معنى اعطى حتى ينصب اثنين او يحذف حرف الجر اى يسره
للسبيل ولذلك قدره بقوله تعالى هداه له ۔ ويجوز ان يكون السبيل منصوبا على
الاشتغال بفعل مقدر والضمير له تقديره ثم يسر السبيل يسره اى سهله للناس
كقوله تعالى اعطى كل شى خلقه ثم هدى ۔ وتقدم مثله فى قوله تعالى انا هديناه السبيل

فصل روى عن ابن عباس رضى الله عنه ومجاهد قال سبيل الشقاوة والسعادة
وقال ابن زيد سبيل الاسلام • وقال ابو بكر ابن طاهر يسر على كل احد ما خلقه
له وقدر عليه لقوله عليه الصلاة والسلام اعملوا فكل ميسر لما خلق له قوله تعالى
ثم اماته فاقبره • هذه المرتبة الثالثة اى جعل له قبرا يوارى فيه تعالى لقبره
اذا دفنه واقبره اى جعله بحيث يقبر وجعل له قبرا اكراما له ولم يجعله ممن يلقى
على وجه الارض ياكله الطير قاله الفرا • وقال ابو عبيدة اقبره جعله قبرا وامر
ان يقبر • والقابر هو الذى يدفن بيده قال الاعشى • لو اسندت ميتا الى نحرها عاش
ولم ينقل الى قابر • يقال قبرت الميت اذا دفنته واقبره الله اى صيره بحيث
يقبر وجعل له قبرا • وتقول العرب بترت ذنب البعير وابتره الله وعضبت قرن
الثور واعضبه الله وطردت فلانا والله اطرده اى صيره طريدا قوله تعالى
ثم اذا شا انشره • اى احياه بعد موته ومفعول شا محذوف اى شا انشاره
جواب اذا • وقرا العامة انشره بالالف • وروى ابو حيان الله عن نافع وشعيب
ابن ابى حمزة نشره ثلاثيا بغير الف ونقلها ابو الفضل ايضا وقال هما لغتان في
معنى الاحيا • قال ابن الخطيب وانما قال اذا شا انشره اشعارا بان وقته غير معلوم
فتقديمه وتاخيره الى مشية الله تعالى قوله تعالى كلا لما يقض كلا ردع
للانسان عن تكبره وترفعه وعن كفره واصراره على انكار التوحيد وعلى انكار
البعث والحشر والنشر وقوله تعالى لما يقض ما امره قال مجاهد وقتادة لم
لا يقضى احد ما امر به وهو اشارة الى ان الانسان لا ينفك عن تقصير البتة • قال
ابن الخطيب وعندى في هذا التفسير نظر لان الضمير في عائد الى المذكور السابق
وهو الانسان في قوله تعالى قتل الانسان ما اكفره وليس المراد من الانسان
هنا جميع الانسان بل الانسان الكافر فقوله تعالى لما يقض ما امره كيف يمكن
حمله على جميع الناس • وقال ابن فورك كلا لما يقض لهذا الكافر ما امره به
من الايمان وترك التكبر بل امره بما لم يقض له به • وكان ابن عباس رضى الله
عنه يقول لما يقض ما امره لم يف بالميثاق الذى اخذ عليه في صلب ادم
عليه السلام • وقيل المعنى ان ذلك الانسان الكافر لم يقض ما امر به من
التامل في دلائل الله والتدبر في عجائب خلقه قوله ما امره ما موصولة ثم
قال ابو البقا بمعنى الذى والعائد محذوف اى ما امره به • قال شهاب الدين
وفيه نظر من حيث انه قدر العائد مجرورا والحرف لم يجر الموصول ولا امره
به • فان قلت امر يتعدى اليه بحذف الحرف فاقدره غير مجرور • قلت
اذا قدرته غير مجرور فاما ان تقدره متصلا او منفصلا وكلاهما مشكل
لما تقدم في اول البقرة عند قوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون • وقال
الحسن كلا معناه حقا لم يقض اى لم يعمل بما امر به • قال القرطبى وما في قوله
لما عماد الكلام كقوله تعالى فبما رحمة من الله • وقوله تعالى عما قليل ليصبحن
نادمين • وقال ابن الانبارى الوقف على كلا قبيح والوقف على امره وانشره
جيد فكلا على هذا بمعنى حقا قوله تعالى فلينظر الانسان الى طعامه
قال ابن الخطيب اعلم ان عادة الله جارية في القران كلما ذكر دلائل الانفس
يذكر عقبها دلائل الافاق فبدا ههنا بما يحتاج الانسان اليه • واعلم ان النبت

انما

انما يحصل عن المطر النازل من السما الى الارض فالسما كالذكر والارض كالانثى فبين نزول
الما من السما الى الارض بقوله انا صببنا • وقال القرطبى لما ذكر تعالى ابتدا خلق الانسان
ذكر ما يسر من رزقه اى فلينظر كيف خلق الله طعامه الذى هو قوام حياته وكيف
هيا له اسباب المعاش ليستعد بها للمعاد • وهذا النظر نظر القلب بالفكر والتدبر
قال الحسن ومجاهد فلينظر الانسان الى طعامه اى الى مدخله ومخرجه • روى الضحاك
ابن سفيان الكلابى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ضحاك ما
طعامك قلت يا رسول الله اللحم واللبن قال ثم يصير الى ماذا قلت الى ما قد علمته
قال فان الله تعالى ضرب ما يخرج من ابن ادم مثلا للدنيا • وقال ابو الوليد سالت
ابن عمر رضى الله عنه عن الرجل يدخل الخلا فينظر ما يخرج منه قال ياتيه الملك فيقول
انظر ما بخلت به الى ما صار • واعلم ان الطعام الذى يتناوله الانسان له حالتان
احداهما متقدمة وهى التى لا بد من وجودها حتى يدخل ذلك الطعام في الوجود به
والحالة الثانية متاخرة وهى الامور التى لا بد منها في بدن الانسان حتى يحصل
الانتفاع بذلك الطعام فلما كانت الحالة الاولى اظهر للحس لا جرم اكتفى الله بذكرها
قوله تعالى انا صببنا الما صبا • قرا الكوفيون انا بفتح الهمزة غير ممالة الالف
والباقون بالكسر • والحسن بن على بالفتح والامالة • فاما القراة الاولى ففيها ثلاثة
اوجه احدها انها بدل من طعامه فيكون في محل جر • واستشكل بعضهم هذا الوجه ورده
بانه ليس هو الاول والثانى بانه بدل الاشتمال بمعنى ان صبت الماء سبب في اخراج الطعام
فهو مشتمل عليه بهذا التقدير وقد نحا مكى الى هذا فقال لان هذه الاشيا مشتملة
على الطعام ومنها يتكون لان معنى الى طعامه الى حدوث طعامه كيف يتاتى فالاشتمال على
هذا انما هو من الثانى على الاول لان الاعتبار انما هو في الاشيا التى يتكون منها
الطعام لا في الطعام نفسه • والوجه الثانى انها على تقدير لام العلة اى فلينظر
لانا ثم حذف الخافض فجرى الخلاف المشهور في محلها • قال القرطبى فان في موضع خفض
كانه قال فلينظر الانسان الى طعامه انا صببنا فلا يحسن الوقف على طعامه من هذه القراة
والوجه الثالث انها في محل رفع خبر المبتدا المحذوف اى هو انا صببنا وفيه ذلك النظر
المتقدم لان الضمير ان عاد الى الطعام فالطعام ليس هو نفس الصب وان عاد الى
غيره فهو غير معلوم وجوابه ما تقدم • واما القراة الثانية فعلى الاستيناف
تعديدا للنعم عليه • واما القراة الثالثة انى التى بمعنى كيف وفيها معنى التعجب فهى
على هذه القراة كلمة واحدة وعلى غيرها كلمتان قال القرطبى فمن اخذ بهذه القراة قال
الوقف على طعامه تام وتعال معنى انى اين الا ان فيها كناية عن الوجوه وتاويلها من
اى وجه صببنا • قال الكميت م
انى ومن اين ابك الطرب • من حيث لا صبوه ولا ريب •
قوله صببنا الما صبا يعنى الغيث والامطار • ثم شققنا الارض شقا • اى بالنبات
فانبتنا فيها حبا • اى قمحا وشعيرا وسلتا وساير ما يحصد ويدخر • وانما قدم ذلك
لانها كالاصل في الاغذية • وعنبا • وانما ذكره بعد الحب لانه غذا من وجه وفاكهة
من وجه قوله وقضبا • القضب هنا قال ابن عباس هو الرطب لانه يقضب من
النخل اى يقطع ورجحه بعضهم بذكره بعد العنب وكثيرا ما يقترنان • وقيل القت
قال القتبى كذا تسميه اهل اللغة • وقيل كلما يقضب من البقول لبنى ادم • وقيل هو الرطبة

فى المواضب الارض التى بنبتها • قال الراغب والقضب كالقضيب لكن القضب من فروع
الشجر والقضب فى البقل والقضب اى بالفتح قطع القضيب والقضب • وعنه صلى الله
عليه وسلم انه كان اذا راى فى ثوب مصليبا قضبه وسيف قاضب وقضيب اى قاطع
فقضيب هنا بمعنى فاعل وفى الاول بمعنى مفعول • وناقة قضيب لما يوخذ من بين الابل
ولم ترض وكلما لم يهذب وهو مقتضب • ومنه اقتضا بالحديث لما لم تتروفيه • وقال
الخليل القضب اغصان الشجر يتخذ منها قسى او سهام • وقال ابن عباس انه القصفصة وهو
القت الرطب • وقال الخليل القضب القصفصة الرطبة • وقيل بالسين فاذا يبست
فهو قت **قوله** وزيتونا • وهى شجرة الزيتون • ونخلا • يعنى النخيل **قوله** وحدايق
غلبا • جمع اغلب وغلبا كحمر فى احمر وحمرا • يقال حديقة غلبا اى غليظة الشجر ملتفة
واغلولب العشب اى غلظ • واصله فى وصف الرقاب يقال رجل اغلب وامراة غلبا
غليظا الرقبة • قال عمرو بن معدى كرب م
• بسعى بها غلب الرقاب كانهم ؞ بزل كسين من الجنين جلالا ؞
ويقال للاسد الاغلب لانه مصمت العنق لا يلتفت الا جميعا • قال العجاج م
؞ • مازلت يوم البين الوى صلبى ؞ والراس حتى صرت مثل الاغلب • ؞
والغلبة والغهران نال ويصيب غلبة رقبته هذا اصله وحديقة غلبا ملتفة
وحدايق غلب • قال ابن عباس الغلب جمع اغلب وغلبا وهى الغلاظ • وعنه ايضا
الطوال • وقال قتادة وابن زيد الغلبة النخل الكرام • وعن ابن زيد ايضا وعكرمة
العظام الاوساط والجذوع • وقال مجاهد ملتفة وتقدم الكلام على الحدايق
فى سورة النمل **قوله** وفاكهة وابا • الفاكهة ما ياكله الناس من ثمار الاشجار
كالتين والخوخ وغيرهما • قال ابن الخطيب وقد استدل بعضهم بان الله تعالى
لما ذكر الفاكهة بعد ذكر العنب والزيتون والنخل وجب ان لا تدخل هذه الاشيا
فى الفاكهة • وهذا اقرب من جهة الظاهر لان المعطوف يغاير المعطوف عليه واما
الاب فقيل الاب للبهايم بمنزلة الفاكهة للناس • وقيل هو مطلق المرعى • قال
الشاعر يمدح النبى صلى الله عليه وسلم م ؞
؞ • له دعوة ميمونة ريحها الصبا ؞ بها ينبت الله الحصيدة والابا • ؞
وسمى المرعى ابا لانه يوب اى يوم ويقصد والاب والام بمعنى • قال الشاعر
؞ • جذنا قيس ونجد دارنا ؞ ولنا الاب بها والمكرع • ؞
واب لكذا اى تهيا يوب ابا وايابة واب الى وطنه اذا نزع اليه نزوعا تهيا
لقصده فكذا اب بسعفا اى تهيا لنيله • وقولهم ابان ذلك هو فعلان منه
وهو الشى المتهيى لفعله ومجيئه • وقيل الاب يابس الفاكهة لانها توب للشتا اى تعد
وقيل الاب هو ما ياكله البهايم من العشب • قال ابن عباس والحسن الاب كلما انبت
الارض مما لا ياكله الناس وما ياكله الادميون هو الحصيد • وعن ابن عباس وابن
ابى طلحة الاب الثمار الرطبة • وقال الضحاك هو التين خاصة وهو يحكى عن ابن عباس
ايضا • وقيل الاب الفاكهة رطب الثمار ويابسها • وقال ابرهيم التيمى سيل ابو بكر
الصديق رضى الله عنه عن تفسير الفاكهة والاب فقال اى سما تظلنى واى ارض تقلنى
اذا قلت فى كتاب الله ما لا اعلم • وقال انس سمعت عمر بن الخطاب قرا هذه الاية
ثم قال كل هذا عرفناه فما الاب ثم رفع عصا كانت بيده ثم قال هذا لعمر الله التكليف

وما

وما عليك يا ابن ام عمر ان لا تدرى ما الاب ثم قال اتبعوا ما بين لكم فى هذا الكتاب
وما لا فدعوه • وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال خلقتم من سبع ورزقتم من
سبع فاسجدوا لله على سبع وانما اراد بقوله عليه الصلاة والسلام خلقتم من سبع يعنى من
نطفة ثم علقة الخ من مضغة الاية والرزق من سبع هو قوله تعالى فانبتنا فيها حبا
وعنبا وقضبا وزيتونا الى قوله وفاكهة ثم قال وابا وهو يدل على انه ليس برزق لابن
ادم وانما يختص به البهايم والله اعلم **قوله** متاعا لكم • نصب على المصدر المؤكد
لان انبات هذه الاشيا امتاعا لجميع الحيوانات • واعلم انه تعالى لما ذكر ما يغتدى
به الناس والحيوان قال جل من قايل متاعا لكم ولانعامكم قال الفرا جعلناه منفعة
لكم ومتعة لكم ولانعامكم • وهذا مثل ضربه الله تعالى لبعث الموتى من قبورهم كنبات
الزرع بعد دثوره كما تقدم بيانه فى غير موضع **قوله تعالى** فاذا جاءت
الصاخة وهى الصيحة التى تصخ الاذان اى تصمها لشدة وقعها • وقيل هى ماخوذة من صخه بالحجر
اى صكه به • وقال الزمخشرى صخ لحديثه مثل اصاخ فوصفت النفخة بالصاخة مجازا
لان الناس يصخون لها • وقال ابن العربى الصاخة التى تورث الصمم وانها لمسمعة وهذا
من بديع الفصاحة كقوله • اصمى سرهم ايام فرقتهم • فهل سمعتم بسر يورث الصمما وقال
اخر • اصم بك الداعى وان كان اسمعا • والجواب اذا محذوف يدل عليه قوله لكل امرى
منهم يومئذ شان يغنيه • اى التقدير فاذا جاءت الصاخة اشتغل كل احد بنفسه
فصل لما ذكر امر المعاش ذكر امر المعاد ليتزودوا له بالاعمال الصالحة
وبالانفاق مما امتن به عليهم • وقال ابن الخطيب لما ذكر تعالى هذه الاشيا وكان
المقصود منها امور ثلاثة • اولها الدلايل الدالة على التوحيد • وثانيها الدلايل الدالة
على القدرة والمعاد • وثالثها ان هذا الاله الذى احسن الى عبيده هذه الانواع
العظيمة من الاحسان لا يليق بالعاقل ان يتمرد عن طاعته وان يتكبر على عبيده اتبع
ذلك بما يكون كالمؤكد لهذه الاغراض وهو شرح احوال القيمة فان الانسان اذا
سمعها خاف فيدعوه الخوف الى التامل فى الدلايل والايمان بها والاعراض عن الكفر
ويدعوه ايضا الى ترك التكبر على الناس والى اظهار التواضع فقال تعالى فاذا جاءت
الصاخة يعنى صيحة القيمة وهى النفخة الاخيرة تصخ الاسماع اى تصمها فلا تسمع الا ما
يدعى به الاحيا • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من دابة الا وهى مصيخة
يوم الجمعة شفقا من الساعة الا الجن والانس **قوله** يوم يفر • بدل من اذا
ولا يجوز ان يكون يغنيه عاملا فى اذا ولا فى يوم لانه صفة لشان ولا يتقدم
معمول الصفة على موصوفها • والعامة على يغنيه من الاغنا • وابن محيصن والزهرى
وابن ابى عبلة وحميد وابن السميقع يعنيه بفتح اليا وبالعين المهملة من قولهم عناني
الامر اى قصدنى فقيل يفر اى يهرب فى يوم مجى الصاخة من اخيه اى من موالاة اخيه
ومكالمته لانه مشتغل بنفسه لقوله بعده لكل امرى منهم يومئذ شان يغنيه اى يشغله
عن غيره • وقيل انما يفر حذرا من مطالبتهم اياه بالتبعات يقول الاخ ما واسيتنى
بمالك والابوان يقولان قصرت فى برنا والصاحبة تقول اطعمتنى الحرام والبنون
يقولون ما علمتنا • وقيل لعلمه انهم لا ينفعونه ولا يغنون عنه شيا لقوله تعالى يوم
لا يغنى مولى عن مولى شيا • وقال عبد الله بن طاهر يفر منهم لما تبين له عجزهم وقلة
حيلتهم • وذكر الضحاك عن ابن عباس قال يفر قابيل من اخيه هابيل ويفر النبى من امه

وتبرا ابرهيم من ابيه ولوط من امراته وادم من سوة بنيه ، قال ابن الخطيب
المراد ان الذين كان يفر المرء اليهم فى دار الدنيا ويستجير بهم فانه يفر منهم فى دار
الاخرة ، وذكروا فى فايدة الترتيب كانه قيل يوم يفر المرء من اخيه بل من ابويه
فانهما اقرب من الاخوان بل من الصاحبة والولد لان تعلق القلب بهما اشد من تعلقه
بالابوين ، ثم لما ذكر الفرار اتبعه بذكر سببه فقال تعالى لكل امرئ منهم يومئذ شان
يغنيه ، قال ابن قتيبة تغنيه اى يصرفه عن قرابته ، ومنه يقال اغن عنى وجهك
اى اصرفه ، وقال اهل المعانى تغنيه اى ذلك الهم الذى حصل له قد ملا صدره
فلم يبق فيه متسع لهم اخر فصار شبيها بالغنى فى انه ملك شيا كثيرا **قوله تعالى**
وجوه يومئذ مسفرة ، لما ذكر تعالى حال يوم القيمة فى الهول بين ان المكلفين فيه على
قسمين سعدا واشقيا فوصف سبحانه السعيد بقوله تعالى وجوه يومئذ مسفرة اى
مضية مشرقة قد علمت ما لها من الفوز والنعيم من اسفر الصبح اذا اضا وهى وجوه المؤمنين
ضاحكة ، اى مسرورة فرحة ، قال الكلبى يعنى بالفراغ من الحساب ، مستبشرة ، اى
بما اتاها الله تعالى من الكرامة ، وقال عطا الخراسانى مسفرة من طول ما اغبرت
فى سبيل الله ، وقال الضحاك من اثار الوضو ، وقال ابن عباس من قيام الليل لقوله
صلى الله عليه وسلم من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار **قوله تعالى**
ووجوه يومئذ عليها غبرة ، قال المبرد الغبرة الغبار والقترة سواد كالدخان
وقال ابو عبيدة القتر فى كلام العرب الغبار جمع القترة ، قال الفرزدق
، متوج برداء الملك يتبعه ، فرخ يرى فوقه الرايات والقترا ،
وفى عطفه على الغبرة ما يرد هذا الا ان يقال لما اختلف اللفظ حسن العطف
لقوله كذبا ومينا والناى والبعد وهو خلاف الاصل ، وفى الحديث ان البهايم اذا
صارت ترابا يوم القيمة حول ذلك التراب فى وجوه الكفار ، وقال زيد بن اسلم
القترة ما ارتفعت الى السما والغبرة ما انحطت الى الارض ، والغبار والغبرة
واحد ، وقال ابن عباس ترهقها اى تغشاها قترة اى كسوف وسواد ، وعنه ايضا
ذلة وشدة ، وقيل ترهقها اى تدركها عن قرب لقولك رهقت الخيل اذا ادركته
مسرعة ، والرهق عجلة الهلاك والقتر سواد كالدخان ولا يرى اوحش من
اجتماع الغبرة والسواد فى الوجه كما ترى وجوه الزنوج اذا اغبرت يجمع الله
تعالى فى وجوههم بين السواد والغبرة وكما جمعوا بين الكفر والفجور والله اعلم
والعامة على فتح التا فى قترة واسكنها ابن ابى عبلة **قوله تعالى** اوليك هم
الكفرة ، جمع كافر ، الفجرة ، جمع فاجر وهو الكاذب المفترى على الله تعالى ، وقيل
الفاسق فجر فجورا اى فسق وفجر اى كذب ، واصله الميل والفاجر المايل ، روى
الثعلبى عن ابى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة
عبس وتولى جا يوم القيمة ووجهه ضاحك مستبشر ، والله تعالى اعلم

سورة التكوير مكية

وهى تسع وعشرون اية ، ومائة واربع كلمات ، واربعمائة واربعة وثلاثون
حرفا ، بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** اذا الشمس كورت ، فى ارتفاع الشمس
وجهان اصحهما انها مرفوعة بفعل مقدر مبنى للمفعول حذف وفسره ما بعده على الاشتغال

والرفع على هذا الوجه اعنى اضمار الفعل واجب عند البصريين لانهم لا يجيزون ان يليها
غيره وثناو لو لى ما اوهم خلاف ذلك ، والثانى انها مرفوعة بالابتدا وهو قول
الكوفيين والاخفش لطوالمرجات فى الشعر ، وانتصر له ابن مالك ، وقال الزمخشرى
ارتفاع الشمس على الابتدا او الفاعلية قلت بل الفاعلية ثم ذكر نحو ما تقدم ويعنى
بالفاعلية ارتفاعها بفعل الجملة وقد مر انه يعنى مفعول ما لم يسم فاعله فاعلا وارتفاع
النجوم وما بعدها كما تقدم فى الشمس **فصل** قد تقدم تفسير التكوير
فى اول تنزيل ، قيل اللطيف على وجه الاستدارة كتكوير العمامة ، وفى الحديث نعوذ
بالله من الحور بعد الكور اى من التشتيت بعد الالفة ، وقيل من فساد امورنا
بعد صلاحها ، والحور بالحا المهملة والرا والطى واللف والكور والتكوير واحد
وسميت كارة القصار كارة لانه يجمع ثيابه فى ثوب واحد ثم ان الشى الذى يلف يصير
مختفيا عن الاعين فعبر عن ازالة النور عن جرم الشمس وتغييبها عن الاعين بالتكوير
فلهذا قال ابن عباس رضى الله عنه تكويرها ادخالها فى العرش ، وقال الحسن
ذهاب ضوئها وهو قول مجاهد وقتادة ، وروى عن ابن عباس ايضا وسعيد بن
جبير غورت ، وقال الربيع بن خيثم كورت رمى بها ، ومنه كورته فتكور اى سقط
قال الاصمعى يقال طعنه فكوره اذا صرعه ، يعنى كورت اى القيت ورميت عن الفلك
وعن ابى صالح كورت نكست ، وقال ابن الخطيب روى عن ابن عمر رضى الله عنه ان
لفظة كورت ماخوذة من الفارسية فانه يقال للاعمى كور **قوله تعالى**
واذا النجوم انكدرت ، اى تناثرت وتساقطت قال تعالى واذا الكواكب انتثرت
والاصل فى الانكدار الانصباب ، قال الخليل انكدر عليهم القوم اذا جاوا ارسالا
فانصبوا عليهم ، قال ابو عبيدة انصبت كما تنصب العقاب اذا كسرت ، قال العجاج
يصف صقرا ، ابصر خربان فضاء فانكدر ، تقضى البازى اذا البازى كسر ،
روى ابن عباس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبقى فى السما
يومئذ نجم الا سقط فى الارض ، وروى عن ابن عباس رضى الله عنه ان النجوم قناديل
معلقة بين السما والارض بسلاسل من نور بايدى الملايكة فاذا مات من فى السموات
ومن فى الارض تساقطت تلك الكواكب من ايدى الملايكة لانه مات من كان يمسكها
قال القرطبى ويحتمل ان يكون طمس انوارها ، وسميت النجوم نجوما لظهورها فى السما
بضوئها ، وعن ابن عباس ايضا انكدرت تغيرت فلم يبق لها ضوء لزوالها عن اماكنها
قوله تعالى واذا الجبال سيرت ، يعنى قلعت عن وجه الارض وسيرت
فى الهوا لقوله تعالى ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة ، وقوله تعالى
وسيرت الجبال فكانت سرابا فى الهوا لقوله تعالى وهى تمر مر السحاب ، وقيل
سيرها ان تحول عن صفة الحجارة فتكون كثيبا مهيلا اى رملا سايلا وتكون كالعهن
وتكون هبا منبثا وتكون مثل التراب الذى ليس بشى وعادت الارض قاعا صفصفا
لا ترى فيها عوجا ولا امتا **قوله تعالى** واذا العشار عطلت ، العشار
جمع عشرا وهى الناقة التى مر لحملها عشرة اشهر ثم هو اسمها الى ان تضع فى تمام
السنة ، وكذلك نفاس فى جمع نفسا قال القرطبى وهو اسمها بعدما تضع ايضا
ومن عادة العرب ان يسموا الشى باسمه المتقدم وان كان قد جاوز ذلك تقول
الرجل لفرسه وقد قدح قربوا مهرى يسميه بمتقدم اسمه ، وخص العشار بالذكر لانها

علم

سيرت

أعزما يكون عند العرب • وهذا على وجه المثل لان فى القيمة لا تكون ناقة عشرا والمعنى
ان يوم القيمة بحال لو كان للرجل ناقة عشرا لعطلها واشتغل بنفسه • يقال ناقة عشرا
او ناقتان عشراوان ونوق عشار وعشراوات يبدلون من همزة التانيث واوا
وقد عشرت الناقة تعشيرا اى صارت عشرا • وقيل العشار السحاب وعطلت اى
لا تمطر • والعرب يشبه السحاب بالحامل قال تعالى فالحاملات وقرا • وقيل الارض
تعطل زرعها • والتعطيل الاهمال • ومنه قيل للمراة عاطل اذا لم يكن عليها حلى وتقدم
فى بير معطلة • وقال امرؤ القيس • وجيد كجيد الريم ليس بفاحش • اذا هى نصته
ولا بمعطل • وقرا ابن كثير فى رواية عطلت بتخفيف الطا • قال الرازى هو غلط
انما هو بفتحتين بمعنى تعطلت لان التشديد فيه للتعدى يقال عطلت الشئ
واعطلته فعطل **قوله تعالى** واذا الوحوش حشرت • الوحوش ما لم
يانس به من حيوان البر والوحش ايضا المكان الذى لا انس فيه • ومنه لقيته
اى ببلد قفر • والوحش الذى يبيت جوفه خاليا من طعام وجمعه اوحاش
وسمى به المنسوب الى المكان الوحش وحشى • وعبر بالوحشى عن الجانب الذى يضاد
الانسى والانسى ما يقبل من الانسان وعلى هذا وحشى الفرس وانسيه • وقوله تعالى
حشرت اى جمعت • والحشر الجمع قاله الحسن وقتادة وغيرهما • وقال ابن عباس
رضى الله عنه حشرها موتها رواه عكرمة وحشر كل شئ الموت غير الجن والانس
فانهما يوافيان يوم القيمة • وعن ابن عباس قال يحشر كل شئ حتى الذباب قال
ابن عباس تحشر الوحوش غدا اى تجمع حتى يقتص لبعضها من بعض فيقتص للجماء من القرناء
ثم يقال لها موتى فتموت • وقرا الحسن وابن ميمون حشرت بتشديد الشين ومعنى
الاية ان الوحوش اذا كانت هذه حالها فكيف بنى ادم • وقيل اى انها مع نفرتها
اليوم من الناس وتبددها فى الصحارى تنضم غدا الى الناس من اهوال ذلك اليوم
قال معناه ابى بن كعب **قوله تعالى** واذا البحار سجرت • قرا ابن كثير وابو
عمرو سجرت بتخفيف الجيم • والباقون بتثقيلها على المبالغة والتكثير والمعنى ملئت
من الما • والعرب تقول سجرت الحوض اسجره سجرا اذا املاته وهو مسجور والمسجور
والساجر فى اللغة الملان • وروى الربيع بن خثيم سجرت فاضت وملئت قال تعالى
واذا البحار فجرت • وقال الحسن اختلطت فصارت شيئا واحدا وقيل ارسل عذبها
على مالحها ومالحها على عذبها حتى امتلات • وقال القشيرى يرفع الله الحاجز الذى
ذكره تعالى بينهما برزخ لا يبغيان فاذا رفع ذلك البرزخ سجرت مياه البحار
فعمت الارض كلها وصارت بحرا واحدا • وعن الحسن وقتادة وابن حيان تيبس
ولا يبقى من مائها قطرة • قال القشيرى وهو من سجرت التنور اسجره سجرا اذا
احميته واذا سلط عليه الايقاد نشف ما فيه من الرطوبة وتقدم اشتقاق هذه
المادة • قال القفال وهذا التاويل يحتمل وجوها • الاول ان يكون جهنم
فى قعر البحار فهى الان غير مسجرة لقوام الدنيا فاذا انتهت مدة الدنيا اوصل الله
تعالى تاثير تلك النيران الى البحار فصارت مسجورة بالكلية • وهذا قول ابن زيد
وعطية وسفين ووهب وابى وعلى بن ابى طالب وابن عباس وفى رواية الضحاك
رضى الله عنهم اوقدت فصارت نارا • الثانى قال ابن عباس تكور الله تعالى الشمس
والقمر والنجوم فى البحار فتصير البحار مسجورة بسبب ذلك يبعث الله تعالى لها ريحا

دبورا فتنفخه حتى يصير نارا كما جاء فى الحديث • الثالث ان يخلق الله تعالى بقعرها تحت
البحار نيرانا عظيمة حتى تسجر تلك المياه • قال ابن الخطيب وهذه متكلفة ولا حاجة الى
شئ منها لان القادر على تخريب الدنيا يقدر على ان يفعل فى البحار ما شاء من تسخين مياهها
ومن قلب مياهها نيرانا من غير حاجة الى ان يلقى فيها الشمس والقمر او يكون تحتها نار جهنم
قال القرطبى وروى عن ابن عمر رضى الله عنه لا يتوضا بماء البحر لانه طبق جهنم • قال
ابى بن كعب رضى الله عنه ست ايات قبل يوم القيمة بينما الناس فى اسواقهم اذ ذهب
ضوء الشمس فتحيروا ودهشوا فبينما هم كذلك ينظرون اذ تناثرت النجوم وتساقطت
فبينما هم كذلك اذ وقعت الجبال على وجه الارض فتحركت واضطربت واحترقت فصارت
هباء منبثا ففزعت الجن الى الانس وفزعت الانس الى الجن واختلط الدواب والوحوش
والهوام والطير وماج بعضها فى بعض فذلك قوله تعالى واذا الوحوش حشرت ثم قال
الجن للانس نحن ناتيكم بالخبر فانطلقوا الى البحار فاذا هى نار تاجج فبينما هم كذلك اذ
تصدعت الارض صدعة واحدة الى الارض السابعة السفلى والى السما السابعة العليا فبينما
هم كذلك اذ جاءتهم ريح فاماتتهم • وقال ابن الخطيب وهذه العلامات يمكن ان تكون
عند خراب الدنيا وان تكون بعد القيمة • وقيل معنى سجرت هو ماؤها حتى تصير كالدم من
قولهم عين سجرا اى حمرا **قوله تعالى** واذا النفوس زوجت على فوعلت • قال ابو حيان
والمفاعلة تكون بين اثنين • قال شهاب الدين وهى قراءة مشكلة لانه ينبغى ان تلفظ
بواو ساكنة ثم اخرى مكسورة وقد تقدم انه متى اجتمع مثلان وسكن اولهما وجب الادغام
حتى فى كلمتين ففى كلمة اولى **فصل** قال النعمان بن بشير قال النبى صلى الله
عليه وسلم واذا النفوس زوجت قال يقرن كل رجل مع كل قوم كانوا يعملون كعمله • وقال
عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقرن الفاجر بالفاجر ويقرن الصالح مع الصالح قال
ابن عباس ذلك حين يكون الناس ازواجا ثلاثة السابقون زوج يعنى صنفا واصحاب
اليمين صنفا واصحاب الشمال زوج • وعنه ايضا قال زوجت نفوس المومنين بالحور
العين وقرنت الكفار والمنافقون بالشياطين • وقال الزجاج قرنت النفوس باعمالها
وقيل قرنت الارواح بالاجساد اى ردت اليها قاله عكرمة • وقيل غير ذلك
قوله تعالى واذا الموؤدة سئلت باى ذنب قتلت • الموؤدة هى البنت تدفن
حية من الواد وهو الثقل لانها تثقل بالتراب والجندل • يقال واده يئده كوعده
يعده • وقال الزمخشرى وأد يئد مقلوب من آد يؤود اذا ثقل قال الله تعالى
ولا يؤوده حفظهما لانه اثقال بالتراب • قال ابو حيان ولا يدعى ذلك لان كلا
منهما كامل التصرف فى الماضى والامر والمضارع والمصدر واسم الفاعل واسم المفعول
وليس فيه شئ من مسوغات ادعاء القلب والذى يعلم به الاصالة من القلب ان يكون
احد النظمين فيه حكم يشهد له بالاصالة والاخر ليس كذلك او اكثر استعمالا من الاخر
وهذا على ما قرروا حكم فى علم التصريف فالاول كيئس وايس • والثانى كطامن
واطمان • والثالث كشوائع وسواعى • والرابع كلعمرى ورعملى • وقرا العامة الموؤدة
بهمزة بين واوين ساكنين كالموعودة • وقرا البزى فى رواية بهمزة مضمومة
ثم واو ساكنة وفيها وجهان احدهما ان تكون كقراءة الجماعة ثم نقل حركة الهمزة
الى الواو قبلها وحذفت الهمزة فصار اللفظ الموودة واو مضمومة ثم اخرى ساكنة
فقلبت الواو المضمومة همزة نحو اجوه فى وجوه فصار اللفظ كما ترى ووزنها

العليا صح
واحدة صح

الان المقولة لان المحذوف عين الكلمة ، والثاني ان تكون الجملة اسم مفعول من اده
يووده والاصل فاده يفوده ، والاصل ماوودة مثل مفوودة مثل حذف
احدى الواوين على الخلاف المشهور في الحذف من نحو مقول ومصوك فوزنها الان
اما مفعلة ان قلنا ان المحذوف الواو الزايدة واما مفولة ان قلنا ان المحذوف
عين الكلمة وهذا يظهر فضل علم التصريف ، وقرى الموودة بضم الواو الاولى على
انه نقل حركة الهمزة بعد حذفها ولم تقلب الواو همزة ، وقرا الاعمش الموودة
بزنة الموزة ، وتوجيهه ان حذف الهمزة احتياطا فالتقى ساكنان فحذف ثانيهما ووزنها
المقلة لان الهمزة عين الكلمة وقد حذفت ، وقال مكي بل هو تخفيف قياسي وذلك
انه لما نقل حركة الهمزة الى الواو ولم تهمزها فاستثقل الضمة عليها فسكنها فالتقى ساكنان
فحذف الثاني وهذا كله خروج عن الظاهر وانما يظهر في ذلك ما نقله الهراني وقف
حمزة انه تقف عليها كالموزة قالوا لاجل الخط لانها رسمت كذلك والرسم سنة متبعة
والعامة على سئلت مبنيا للمفعول مضموم السين والحسن بكسرها من سال يسال كما تقدم
وقرا ابو جعفر قتلت بتشديد التاء على التكثير لان المراد اسم الجنس فناسبه التكثير وقرا
علي وابن وابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم سالت مبنيا للفاعل قتلت بضم التاء
الاخيرة والتي للمتكلم حكاية لكلامها ، وعن ابي مسعود ايضا وابن عمر سالت مبنيا
للفاعل قتلت بتاء التانيث الساكنة كقراءة العامة **فصل** كانوا ابدا فنوا له
بناتهم احيا لخصلتين احداهما كانوا يقولون الملايكة بنات الله فالحقوا البنات به
تبارك وتعالى عن ذلك ، والثانية مخافة الحاجة والاملاق واما خوفا من السبي
والاسترقاق ، قال ابن عباس كانت المراة في الجاهلية اذا حملت حفرت حفرة
وتمخضت على راسها فان ولدت جارية رمتها في الحفرة وردت التراب عليها وان
ولدت غلاما حبسته ، ومنه قول الراجز ،
سميتها اذا ولدت تموت ،، والقبر صهر ضامن زميت ، وقيل كان الرجل اذا ولدت
له بنت فاراد بقاء حياتها البسها جبة من صوف او شعر ترعى له الابل والغنم في
البادية وان اراد قتلها تركها حتى اذا بلغت قامتها ستة اشبار فيقول لامها طيبيها
وزينيها حتى اذهب بها الى احمائها وقد حفر لها بيرا في الصحرا فيذهب بها الى البير
فيقول لها انظري فيها ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب حتى تستوي البير بالارض
وكان صعصعة بن ناجية ممن يمنع الوادي فافتخر الفرزدق به في قوله ،
ومنا الذي منع الوايدات ،، واحيا الوبيد فلم يوءد ،،
فصل روى ان قيس بن عاصم جا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول
الله اني وادت ثماني بنات كن لي في الجاهلية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتق
عن كل واحدة منهن رقبة قال يا رسول الله اني صاحب ابل قال عليه الصلاة والسلام
فاهد عن كل واحدة منهن بدنة ان شيت ، واعلم ان سوال الموودة سوال توبيخ
لقاتلها كما تقال للطفل اذا ضرب لم ضربت وما ذنبك قال الحسن اراد الله
توبيخ قاتلها لانها قتلت بغير ذنب ، وقال ابن اسلم باي ذنب ضربت وكانوا يضربونها
وقيل في قوله تعالى سئلت معناه طلبت بدمها كما يطلب بدم القتيل وهو كقوله
تعالى وكان عهد الله مسئولا اي مطلوبا فكانها طلبت منهم فقيل اين اولادكم
وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان المراة التي تقتل ولدها تاتي يوم القيمة

وابن صح

متعلق

متعلق ولدها بثديها ملطخا بدمائه فيقول يا رب هذه امي وهذه قتلتني والاول قول
الجمهور لقوله تعالى لعيسى بن مريم أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين على جهة
التوبيخ والتبكيت لهم فكذلك سوال الموودة توبيخ لوالديها وهو ابلغ من سوالها
عن قتلها لان هذا مما لا يصح الا بذنب اي فباي ذنب كان ذلك فاذا ظهر انه لا ذنب
لها كان اعظم في البلية وظهور الحجة على قاتلها ، وفي الاية دليل على ان اطفال المشركين
لا يعذبون وعلى ان التعذيب لا يستحق الا بذنب **قوله تعالى** واذا الصحف
نشرت ، قرا الاخوان وابن كثير وابو عمرو بالتثقيل على تكرار النشر للمبالغة في
تقريع العاصي وتبشير المطيع ، وقيل لتكرير ذلك من الانسان ، والباقون بالتخفيف
ونافع وحفص وابن ذكوان سعرت بالتثقيل ، والباقون بالتخفيف **قوله** نشرت
اي فتحت بعد ان كانت مطوية والمراد صحف الاعمال التي كتبت الملايكة فيها اعمال
العباد من خير وشر تطوى بالموت وتنشر في القيمة فتقف كل انسان على صحيفته فيعلم
ما فيها فيقول ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها **قوله
تعالى** واذا السما كشطت ، اي قشرت من قولهم كشط جلد الشاة اي سلخها وقرا
عبد الله قشطت بالقاف وقد تقدم انهما متعاقبان كثيرا وانه قرى فافوروا وكافور
في هل اتى على الانسان يقال لعكت الثريد ولعقته ، قال القرطبي يقال كشطت البعير
قشطا نزعت جلده ولا يقال سلخت لان العرب لا تقول في البعير الا كشطته او جلدته
والمعنى ازيلت عما فوقها ، وقال القرطوبت **قوله تعالى** واذا الجحيم سعرت
اي اوقدت فاضرمت للكفار وزيد في احمايها ، يقال سعرت النار واسعرتها ، قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اوقد على النار الف سنة حتى اسودت فهي مظلمة ، واحتج
بهذه الاية من قال النار مخلوقة الان لانه يدل على ان سعيرها معلق بيوم القيمة **قوله
تعالى** واذا الجنة ازلفت ، اي ادنيت وقربت من المتقين ، قال الحسن انهم يقربون
منها لا انها تزول عن موضعها ، وقال عبد الله ابن زيد زينت ، والزلفى في كلام العرب
القربة **قوله تعالى** علمت نفس ما احضرت ، هذا جواب اذا اول السورة وما
عطف عليها والمعنى تعلم ما عملت من خير وشر ، روى عن ابن عباس وعمر رضي الله
عنهما انهما قرا فلما بلغا علمت نفس ما احضرت قالا لهذا اجريت القصة ، قال ابن الخطيب
ومعلوم ان العمل لا يمكن احضاره فالمراد اذا ما احضرته في صحايفها او ما احضرته
عند المحاسبة وعند الميزان من اثار تلك الاعمال او المراد ما احضرت من استحقاق
الجنة والنار فان كل نفس تعلم ما احضرت لقوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من
خير محضرا والتنكير في قوله نفس من عكس كلامهم الذي يقصد به المبالغة وان
كان اللفظ موضوعا للتقليل لقوله تعالى ربما يود الذين كفروا ، او يكون المراد
ان الكفار كانوا يتعبون انفسهم فيما يظنونه طاعة ثم يظهر لهم في القيمة خلاف
ذلك **قوله تعالى** فلا اقسم بالخنس ، اي اقسم ولا زايدة كما تقدم له
والخنس جمع خانس ، والخنوس الانقباض ، يقال خنس بين القوم وانخنس وفي الحديث
فانخنست اي استخفيت ، يقال خنس عنه يخنس بالضم خنوسا والخنس تاخر الانف عن
الشفة مع ارتفاع الارنبة قليلا ، ويقال رجل اخنس وامراة خنسا ، ومنه الخنسا
الشاعرة ، والخنس في القران قيل الكواكب السبعة السيارة القمر وزحل
والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد لانها تخنس في المغيب او لانها تخفي نهارا وعن

بتخفيف صح

علي رضي الله عنه هي زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد لانها تخنس في . وفي تخصيصها بالذكر من بين سائر النجوم وجهان . احدهما لانها تستقبل الشمس قاله بكر بن عبد الله المزني الثاني لانها تقطع المجرة قاله ابن عباس . وقيل خنوسها رجوعها وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس . قال ابن الخطيب الاظهر ان ذلك اشارة الى رجوعها واستقامتها وقال الحسن وقتادة هي النجوم كلها لانها تخنس بالنهار اذا غربت وتظهر بالليل وتكنس في وقت غروبها اي تتاخر عن البصر لخفائها وتكنس اي تستتر كما تكنس الظباء في المغار وهي الكناس والكنس الداخلة في الكناس وهي بيت الوحش . والجواري جمع جارية وعن ابن مسعود هي بقر الوحش لان هذه صفتها . وروي عن عكرمة قال الخنس البقر والكنس هي الظباء فهي خنس اذا راين الانسان خنسن وانقبضن وتاخرن ودخلن كناسهن قال القرطبي والخنس على هذا من الخنس في الانف وهو تاخير الارنبة وقصر القصبة وانوف البقر والظباء خنس والقول الاول اظهر لذكر الليل والصبح بعده . وحكى الماوردي انها الملائكة والكنس الغيب ماخوذ من الكناس وهي كناس الوحش الذي يختفي فيه . والكنس جمع كانس وكانسة **قوله تعالى** والليل اذا عسعس يقال عسعس وسعسع اي اقبل قال العجاج

حتى اذا الصبح لها تنفسا . وانجاب عنها ليلها وعسعسا .

اي ادبر . قال الفراء اجمع المفسرون على ان معنى عسعس ادبر حكاه الجوهري وقيل دنا من اوله واظلم . وكذلك السحاب اذا دنا من الارض . وقيل ادبر بلغة قريش خاصة . وقيل اقبل ظلامه ويرجحه مقابلته بقوله تعالى والصبح اذا تنفس وهذا اقرب من ادباره . وقيل هو لهما على طريق الاشتراك . قال الخليل وغيره ان عسعس الليل اذا اقبل او ادبر قال المبرد هو من الاضداد والمعنيان يرجعان الى شيء واحد وهو ابتدا الظلام في اوله وادباره في اخره . قال الماوردي ان واصل العس الامتلا . ومنه قيل للقدح الكبير عس لامتلائه بما فيه فاطلق على اقبال الليل لابتدا امتلائه واطلق على ادباره لانتها امتلائه فعلى هذا يكون القسم باقبال الليل وبادباره وهو قوله تعالى والصبح اذا تنفس لا يكون فيه تكرار ان وعسعس اسم موضع بالبادية . وايضا هو اسم رجل . ويقال للذئب العسعس والعسعاس لانه يعس في الليل ويطلب . ويقال للقنافذ العساعس لكثرة ترددها بالليل . والتعسعس الشم والتعسعس ايضا طلب الصيد **قوله تعالى** والصبح اذا تنفس . اي امتد حتى يصير نهارا واضحا . يقال للنهار اذا زاد تنفس . ومعنى التنفس خروج النسيم من الجوف وفي كيف المجاز قولان . الاول انه اذا اقبل الصبح اقبل باقباله روح ونسيم فجعل ذلك نفسا له على المجاز فقيل تنفس الصبح الثاني انه شبه الليل المظلم بالمكروب المحزون الذي خنس بحيث لا يتحرك فاذا تنفس وجد راحة فههنا لما طلع الصبح فكانه تخلص من ذلك الحزن فعبر عنه بالتنفس وقيل اذا تنفس اي انشق وانفلق . ومنه تنفست القوس اي تصدعت وهذا اخر القسم **قوله تعالى** انه لقول رسول كريم . قال الحسن وقتادة والضحاك الرسول الكريم جبريل . والمعنى انه لقول رسول كريم من الله كريم على الله واضاف الكلام الى جبريل ثم عزاه عنه بقوله تنزيل من رب العالمين ليعلم اهل التحقيق في التصديق ان الكلام لله تعالى . وقيل هو محمد عليه الصلاة والسلام ثم حمله جبريل

قوته

بقوته ظاهرة لما روى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه قال من قوته قلعه مدائن قوم لوط بقوادم جناحه . وقوله تعالى عند ذي العرش اي عند الله سبحانه وتعالى مكين اي ذي منزلة ومكانة . وروى ابو صالح قال يدخل سبعين سرادقا بغير اذن . وقيل المراد القوة في اداء طاعة الله تعالى وترك الاخلال بها من اول الخلق الى اخر زمان التكليف . وقوله تعالى عند ذي العرش هذه العندية ليست عندية الجهة بل عندية الاكرام والتشريف والتعظيم لقوله سبحانه وتعالى انا عند المنكسرة قلوبهم . وقوله سبحانه مكين قال الكسائي يقال مكن فلان عند فلان بضم الكاف مكنا ومكانة فعلى هذا هو الجاه الذي يعطي ما سال **قوله** مطاع ثم اي في السموات . قال ابن عباس رضي الله عنه من طاعة الملائكة جبريل عليه السلام انه لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم قال جبريل لرضوان خازن الجنان افتح له ففتح فدخلها فراى ما فيها وقال لمالك خازن النار افتح له ففتح فدخلها وراى ما فيها وقوله تعالى امين اي مؤتمن على الوحي الذي يجيء به . ومن قال ان المراد محمد صلى الله عليه وسلم فالمعنى ذي قوة على تبليغ الوحي . مطاع . اي يطيعه من اطاع الله عز وجل . وما صاحبكم بمجنون كما بهتهم في قولهم وهو من جواب القسم . والضمير في قوله انه يعود الى القران الذي انزل به جبريل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم وقيل يعود الى الذي اخبركم به محمد صلى الله عليه وسلم من امر الساعة في هذه السورة ليس بكهانة ولا ظن ولا افتعال انما هو قول جبريل اتاه به وحيا من الله تعالى له

فصل قال ابن الخطيب احتج بهذه الاية من فضل جبريل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم فقال اذا وازنت بين قوله سبحانه انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين وبين قوله تعالى وما صاحبكم بمجنون ظهر التفاوت العظيم **قوله** عند ذي . يجوز ان يكون نعتا لرسول وان يكون حالا من مكين . واصله الوصف فلما قدم نصب حالا **قوله** ثم امين . العامة على فتح الثا لانه ظرف مكان للبعد والعامل فيه مطاع . وابو البرهسم وابو جعفر وابو حيوة بضمها جعلوها عاطفة والتراخي هنا في الرتبة لان الثانية اعظم من الاولى **قوله تعالى** ولقد راه بالافق المبين . اي راى جبريل في صورته في ستمائة جناح بالافق المبين . اي حيث تطلع الشمس من قبل المشرق . وقيل الافق المبين اقطار السما ونواحيها . قال الماوردي فعلى هذا فيه ثلاثة اقوال . الاول انه راه نحو اجياد وهو مشرق مكة قاله مجاهد . وقيل انه محمدا صلى الله عليه وسلم راى ربه عز وجل بالافق المبين وهو قول ابن مسعود وقد تقدم ذلك في سورة النجم . وفي المبين قولان . احدهما انه صفة للافق قاله الربيع . الثاني انه صفة لمن راه قاله مجاهد **قوله تعالى** وما هو على الغيب بظنين . قرا ابن كثير وابو عمرو والكسائي بالظا بمعنى متهم من ظن بمعنى اتهم يتعدى لواحد . وقيل معناه بضعيف القوة عن التبليغ من قولهم بير ظنون اي قليلة الما والظنة التهمة واختاره ابو عبيد وفي مصحف عبد الله كذلك والباقون بالضاد بمعنى ببخيل بما ياتيه من قبل ربه من ضننت بالشيء اضن ضنا يعني لا يكتمه كما يكتم الكاهن ذلك ويمتنع من اعلامه حتى ياخذ عليه حلوانا الا ان الطبري قال الضاد خطوط المصاحف كلها والياء كذلك لما . وكان رسول الله صلى

الله عليه وسلم بنزا ٦ وهذا دليل على تمييز بين الحرفين خلافا لمن يقول انه لو وقع احدهما
موقع الاخر لجاز لعسر معرفته ٥ وقد شنع الزمخشري على من يقول ذلك وذكره
بعض المخارج وبعض الصفات بما يطول ذكره ٥ وعلى الغيب متعلق بظنين او بضنين
والغيب القران وخبر السما هذا صفة محمد صلى الله عليه ٥ وقيل صفة جبريل عليه
السلام **قوله تعالى** وما هو بقول شيطان رجيم اي مرجوم والضمير في
هو للقران قالت قريش ان هذا القران يجي به شيطان فيلقيه على لسانه فنفى الله
ذلك يريدون بالشيطان الابيض الذي كان ياتي النبي صلى الله عليه وسلم في صورة
جبريل يريد ان يفتنه **فصل** قال ابن الخطيب فان قيل ثم حلف على ان
القران قول جبريل عليه السلام فوجب علينا ان نصدقه فان لم نقطع بوجوب
حمل اللفظ على الظاهر فلا اقل من الاحتمال واذا كان كذلك ثبت ان هذا القران
يحتمل ان يكون كلام جبريل لا كلام الله تعالى وبتقدير ان يكون كلام جبريل لا يكون
معجزا ولا يمكن ان يقال بان جبريل معصوم لان عصمته متفرعة على صدق النبي صلى
الله عليه وسلم وصدق النبي صلى الله عليه وسلم متفرع على كون القران معجزا وكون
القران معجزا متفرع على عصمة جبريل فيلزم الدور ٥ فالجواب ان الاعجاز ليس في
الفصاحة بل في سلب تلك الدواعي عن القلوب وذلك مما لا يقدر عليه احد الا الله
تعالى لان سلب القدرة عليه هو مقدور لا يقدر عليه الا الله تعالى ثم قال في قوله
تعالى وما هو بقول شيطان رجيم ٥ فان قيل القول بصحة النبوة هو موقوف
على نفي هذا الاجمال فكيف يمكن نفيه بالدليل السمعي ٥ قلنا قد بينا ان على القول
بالصرفة لا يتوقف صحة النبوة على نفي هذا الاحتمال بالدليل السمعي **قوله تعالى**
فاين تذهبون ٥ اين منصوب بتذهبون لانه ظرف مبهم ٥ وقال ابو البقا
اي الى اين فحذف حرف الجر كقولك ذهبت الشام ٥ ويجوز ان يحمل على المعنى كانه
قال اين تومون يعني انه على الحذف او على التضمين واليه نحا مكي ايضا ولا حاجة الى
ذلك البتة لانه ظرف مكان مبهم لا مختص **فصل** قال قتادة فالى
اين تعدلون عن هذا القول وعن طاعته ٥ وقال الزجاج فاي طريقة تسلكوا
ابين من هذه الطريقة التي بينت لكم ٥ ويقال اين تذهب والى اين تذهب
وحكى الفرا عن العرب ذهبت الشام وخرجت العراق وانطلقت السوق اي اليها
وانشد لبعض بني عقيل ٥ تصيح بنا حنيفة اذ رأتنا ٥ واي الارض تذهب بالصياح
يريد الى اي ارض تذهب فحذف الى **قوله تعالى** ان هو الا ذكر يعني القران
ذكر للعالمين اي موعظة وزجر وان بمعنى ما ٥ وقيل ما محمد الا ذكر **قوله** لمن شا
منكم ٥ بدل من العالمين باعادة العامل ٥ وعلى هذا فقوله ان يستقيم مفعول شا
اي لمن شا الاستقامة ٥ ويجوز ان يكون لمن شا خبرا مقدما ومفعول شا محذوف
وان يستقيم مبتدا وتقدم نظيره ٥ والمعنى لمن شا منكم ان يستقيم ٥ قال
ابو جهل الامر الينا ان شينا استقمنا وان شينا لم نستقم وهذا هو القدر
وهو راس القدرية فنزلت وما تشاؤن الا ان يشا الله رب العالمين فبين بهذا
انه لا يعمل العبد خيرا الا بتوفيق الله تعالى ولا شرا الا بخذلانه **قوله**
الا ان يشا الله ٥ اي الا وقت مشية الله تعالى ٥ وقال مكي وان في موضع
خفض باضمار البا او في موضع نصب بحذف الخافض يعني ان الاصل الا بان وحينئذ

يكون للمصاحف **فصل** قال الحسن والله ما شاءت العرب الاسلام حتى شاء
الله تعالى لها ٥ وقال وهب بن منبه رضي الله عنه قرات في سبعة وثمانين كتابا
مما انزل الله على الانبيا من جعل الى نفسه شيا فقد كفر ٥ وفي التنزيل ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة
وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شي قبلا ما كانوا ليومنوا الا ان يشا الله ٥ وقال تعالى
وما كان لنفس ان تومن الا باذن الله ٥ وقال تعالى انك لا تهدي من احببت ولكن الله
يهدي من يشا والاي في هذا كثير ٥ وكذلك الاخبار وان الله تعالى هدى بالاسلام
واضل بالكفر ٥ قال ابن الخطيب وهذا عين مذهبنا لان الافعال موقوفة على
مشيتنا ومشيتنا موقوفة على مشية الله تعالى ٥ وحمل المعتزلة ذلك ٥ والموقوف
على الشي موقوف على ذلك الشي فافعال العباد ثبوتا ونفيا موقوفة على مشية الله تعالى
وحمل المعتزلة ذلك على انها مخصوصة بمشية الالجا والقهر وذلك ضعيف لان المشية
الاختيارية حادثة فلا بد من محدوث فيعود الكلام والله تعالى اعلم ٥ روى الثعلبي
عن ابي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا اذا الشمس كورت
اعاذه الله ان يفضحه حين تنشر صحيفته ٥ والله تعالى اعلم

سورة الانفطار مكية

وهي تسع عشرة اية ٥ وكلماتها ثمانون كلمة وثلثمائة وسبعة وعشرون حرفا ٥ بسم الله
الرحمن الرحيم **قوله تعالى** اذا السما انفطرت ٥ معناه اذا وقعت هذه الاشيا
التي هي اشراط الساعة يحصل الحشر والنشر ٥ ومعنى انفطرت اي انشقت لنزول
الملائكة لقوله تعالى ويوم تشقق السما بالغمام فاذا انشقت السما فكانت وردة
كالدهان ٥ وفتحت السما فكانت ابوابا ٥ السما منفطر به ٥ قال الخليل ولم يات
هذا على الفعل بل هو كقولهم مرضع وحايض ولو كان على الفعل لكان منفطرة ٥ وقال
القرطبي تفطرت لهيبة الله تعالى والفطر الشق يقال فطرته فانفطر ٥ ومنه فطر
ناب البعير اي طلع فهو فاطر ٥ وتفطر الشي تشقق ٥ وسيف فاطر اي فيه شقوق ثم
وقد تقدم **قوله تعالى** واذا الكواكب انتثرت تساقطت لان عند انتقاض
تركيب السما تنتثر النجوم على الارض يقال نثرت الشي انثره نثرا فانتثر ٥ والنثار
بالضم ما تناثر من الشي **قوله تعالى** واذا البحار فجرت ٥ العامة على بنائه
للمفعول مثقلا ٥ وقرا مجاهد مبنيا للفاعل مخففا من الفجور نظرا الى قوله تعالى
بينهما برزخ لا يبغيان فلما زال البرزخ بغيا ٥ وقرا مجاهد ايضا والربيع بن خثيم
والزعفراني والثوري مبنيا مخففا ٥ ومعنى فجرت اي دخل بعضها في بعض واختلط العذب
بالملح فصار واحدا بارتفاع الحاجز الذي جعله الله تعالى برزخا بينهما ٥ وقيل ان
مياه البحار الان راكدة مجتمعة فاذا فجرت تفرقت وذهب ماوها ٥ وقال
الحسن فجرت يبست **قوله تعالى** واذا القبور بعثرت ٥ اي قلبت يقال بعثره
وبحثره بالعين والحا ٥ قال الزمخشري وهما مركبان من البعث والبحث مضموم
اليهما را يعني انهما مما اتفق معناهما لان الرا مزيدة فيهما اذ ليست من حروف
الزيادة وهذا كدمث ودمثر وسبط وسبطر **فصل** والمعنى قلب اعلاها
اسفلها وقلب باطنها ظاهرها وخرج ما فيها من الموتى احيا ٥ وقيل المبعثر اخراج
ما في بطنها من الذهب والفضة ثم تخرج الموتى بعد ذلك ٥ وقوله تعالى علمت

نفس ما قدمت واخرت جواب اذا والمعنى ما قدمت من عمل صالح او سيئ او اخرت من سيئة او حسنة • وقيل ما قدمت من الصدقات واخرت من التركات على ما تقدم في قوله تعالى ينبؤا الانسان يومئذ بما قدم واخر • والمقصود منه الزجر عن المعصية والترغيب في الطاعة • فان قيل اي وقت من القيامة يحصل هذا العلم قال ابن الخطيب اما العلم الاجمالي فيحصل في اول زمان الحشر لان المطيع يرى اثار السعادة والعاصي يرى اثار الشقاوة في اول الامر • واما العلم التفصيلي فانما يحصل عند قراءة الكتب والمحاسبة قوله تعالى يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم • اي المتجاوز عنه العامة على غرك ثلاثيا وما استفهامية في محل رفع على الابتداء • وقرا ابن جبير والاعمش ما اغرك فاحتمل ان يكون استفهامية وان يكون تعجبية • ومعنى اغره ادخله في الغرة او جعله غارا فصل لما اخبر في الاولى عن وقوع الحشر والنشر ذكر هنا ما يدل عقلا على امكانه او على وقوعه وذلك من وجهين الاول ان الاله الكريم الذي لا يجوز من كرمه ان ينقطع مواد نعمه عن المذنبين كيف يجوز في كرمه ان لا ينتقم من الظالم • الثاني ان القادر على خلق هذه البنية الانسانية ثم سواها وعدلها اما ان يقال انه تعالى خلقها لا لحكمة وذلك عبث وهو على الله تعالى محال لانه تعالى منزه عن العبث او خلقها لحكمة فتلك الحكمة ان تكون عايدة الى الله تعالى وذلك باطل لانه منزه عن الاستكمال والانتفاع فتعين ان تكون الحكمة عايدة الى العبد وتلك الحكمة ان تظهر في الدنيا وذلك باطل لان الدنيا دار بلاء وامتحان لا دار انتفاع وجزاء فثبت ان تلك الحكمة انما تظهر في دار الجزاء فثبت ان الاعتراف بوجود الاله الكريم الذي تقدر على الخلق والتسوية والتعديل يوجب على العاقل ان يقطع بانه تعالى يبعث الاموات فصل هذا خطاب لمنكري البعث روى عطا عن ابن عباس رضي الله عنه انها نزلت في الوليد بن المغيرة • وقال الكلبي ومقاتل نزلت في ابي الاشرم بن شريق وذلك انه ضرب النبي صلى الله عليه وسلم فلم يعاقبه الله تعالى فانزل الله هذه الاية • وقيل تتناول جميع العصاة لان الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب • ومعنى ما غرك ما خدعك وسول لك الباطل حتى تركت الواجبات واتيت بالمحرمات • والمعنى ما الذي امنك من عقابه • هذا اذا حملنا الانسان على جميع العصاة فان حملناه على الكافر فالمعنى ما الذي دعاك الى الكفر وانكار الحشر والنشر • فان قيل كونه كريما يقتضي ان يغتر الانسان بكرمه لانه جواد مطلق والجواد الكريم يستوي عنده طاعة المطيع وعصيان المذنب وهذا يوجب الاغترار • وروي عن علي رضي الله عنه انه دعا غلامه مرات فلم يجبه فنظر فاذا هو بالباب فقال له لم لا تجبني فقال لثقتي بحلمك وامني من عقوبتك فاستحسن جوابه واعتقه • وقالوا ايضا من كرم الرجل سوء ادب غلمانه • واذا ثبت ان كرمه يقتضي الاغترار به فكيف جعله هنا مانعا من الاغترار • فالجواب من وجوه • الاول ان المعنى لما كنت ترى حلم الله تعالى عن خلقه ظننت ان ذلك لا حساب ولا دار الا هذه الدار فما الذي دعاك الى الاغترار وجراك على انكار الحشر والنشر فان ربك كريم فهو من كرمه تعالى لا يعاجل بالعقوبة بسطا في مدة التوبة وتاخير الجزاء وذلك لا يقتضي الاغترار • الثاني ان كرمه تعالى لما بلغ الى حيث لا يمنع العاصي من ان يطيعه فبان ينتقم للمظلوم من الظالم كان اولى • فاذن كونه

كريما

كريما يقتضي الخوف الشديد من هذا الاعتبار او ترك الجراة والاغترار • الرابع قال بعضهم انما قال بربك الكريم ليكون ذلك جوابا عن ذلك السؤال حتى يقول غرني كرمك فلولا كرمك لما فعلت لانك رايت فسترت وقدرت فامهلت • وهذا الجواب انما يصح اذا كان المراد بقوله تعالى يا ايها الانسان ليس هو الكافر فصل قال قتادة رضي الله عنه سبب غرور ابن ادم تسويل الشيطان • وقال مقاتل غره عفو الله حين لم يعاقبه اول مرة • وقال السدي غره رفق الله • وقال ابن مسعود ما منكم من احد الا سيخلو الله به يوم القيامة فيقول له تعالى ما غرك بي يا ابن ادم ماذا عملت فيما علمت يا ابن ادم ماذا اجبت المرسلين قوله الذي خلقك فسواك يحتمل الاتباع على البدل والبيان والنعت والقطع الى الرفع والنصب • واعلم انه تعالى لما وصف نفسه بالكرم ذكر هذه الامور الثلاثة كالدلالة على تحقق ذلك الكرم فقوله تعالى الذي خلقك لا شك انه كرم لانه وجود والوجود خير من العدم والحياة خير من الموت كما قال تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم وقوله تعالى فسواك اي جعلك سويا سالم الاعضا • ونظيره قوله تعالى اكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا اي معتدل الخلق والاعضا • قال ذو النون اي سخر لك المكونات اجمع وما جعلك مسخرا لشيء منها ثم انطق لسانك بالذكر وقلبك بالعقل وروحك بالمعرفة ومدك بالايمان وشرفك بالامر والنهي وفضلك على كثير ممن خلق تفضيلا قوله فعدلك قرا الكوفيون عدلك مخففا • والباقون مثقلا فالتثقيل بمعنى جعلك متناسبا الاطراف فلم يجعل احدى يديك او رجليك اطول ولا احدى عينيك اوسع وهو من التعديل وهو كقوله تعالى بلى قادرين على ان نسوي بنانه • قال علماء التشريح انه تعالى ركب جانبي هذه الجثة على التساوي حتى انه لا تفاوت بين نصفيه لا في العظام ولا في اشكالها ولا في الاوردة والشرايين والاعصاب النافذة فيها والخارجة منها • وقال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنه جعلك قائما معتدلا احسن الصورة لا كالبهيمة المنحنية • وقال ابو علي الفارسي عدلك خلقك فاخرجك في احسن تقويم مستويا على جميع الحيوان والنبات وواصلا في الكمال الى ما لم يصل اليه شيء من اجسام هذا العالم • واما قراءة التخفيف فيحتمل هذا اي عدل بعض اعضائك ببعض • ويحتمل ان يكون من العدول اي صرفك الى ما شاء من الهيات والاشكال والاشباه وهذا اقوال الفراء ثم قال والتشديد احسن الوجهين لانك تقول عدلتك الى كذا اي صرفتك الى كذا ولا يحسن عدلتك فيه ولا صرفتك فيه ففي القراءة الاولى جعل في من قوله في اي صورة للتركيب وهو حسن وفي القراءة الثانية جعل في صلة لقوله فعدلك وهو ضعيف • ونقل القفال عن بعضهم انهما لغتان بمعنى واحد قوله في اي صورة • يجوز فيه اوجه احدها ان يتعلق بركبك وما مزيدة على هذا وشاء صفة لصورة ولم يعطف ركبك على ما قبله بالفا كما عطف ما قبله بها لانه بيان لقوله فعدلك والتقدير فعدلك ركبك في اي صورة من الصور العجيبة الحسنة التي شاها سبحانه وتعالى • والمعنى وضعك في صورة اقتضتها مشيئته من حسن وقبح وطول وقصر وذكورة وانوثة • الثاني ان يتعلق بمحذوف على انه حال اي ركبك حاصلا في بعض الصور • الثالث انه يتعلق بعدلك نقله ابو حيان عن بعض المتاولين ولم يعترض عليه وهو معترض بان في اي معنى الاستفهام

فلها صدر الكلام فكيف يعمل فيها ما تقدمها وكان الزمخشري استشعر هذا فقال ويكون في
اى معنى التعجب اى تعدلك فى اى صورة عجيبة وهذا الاحسن ان يكون يجوز التقدم العامل
على اسم الاستفهام وان دخله معنى التعجب الا ترى ان كيف واي وان دخلها معنى التعجب لا يتقدم
عاملها عليها وقد اختلف النحويون فى اسم الاستفهام اذا قصد به الاستيناف هل يجوز تقدم
عامله ام لا والصحيح انه لا يجوز ولذلك لا يجوز ان يتقدم عامل كم الخبرية عليها لشبهها
فى اللفظ بالاستفهامية وهذا اولى وعلى تعلقها بعدلك يكون ما منصوبة على المصدر
وقال ابو البقا يجوز ان يكون ما زايدة وان يكون شرطية ، وعلى الامرين الجملة نعت
لصورة والعايد محذوف اى ركبك عليها وفى متعلق بركبك ، وقيل لا موضع للجملة
لان فى متعلق باحد الفعلين والجميع كلام واحد وانما تقدم الاستفهام على ما هو حقه
قوله باحد الفعلين يعنى شا وركبك فتحصل فى ما ثلاثة اوجه الزيادة وكونها شرطية
وحينيذ جوابها محذوف والنصب على المصدرية اى واقعة موقع مصدر **قوله تعالى**
كلا بل تكذبون بالدين ، العامة على تكذبون خطابا ، والحسن وابو جعفر وشيبة
بيا الغيبة ، قال ابن الخطيب لما بين بالدلايل العقلية صحة القول بالبعث والنشور
على الجملة فرع عليها شرح تفاصيل الاحوال المتعلقة بذلك وهى انواع ، الاول انه
تعالى زجرهم عن ذلك الاغترار بقوله كلا وبل حرف وضع فى اللغة لنفى شى قد تقدم
وتحقيق غيره فلا جرم ذكروا فى تفسير كلا وجوها الاول قال القاضى معناه انكم لا
تستقيمون على توجيه نعمى عليكم وارشادى لكم بل تكذبون بيوم الدين ، الثانى كلا ارتدع
اى ارتدعوا عن الاغترار بكرم الله تعالى كانه قال وانهم لا يرتدعون عن ذلك
بل يكذبون بالدين ، الثالث قال القفال كلا اى ليس الامر كما تقولون من انه لا
بعث ولا نشور لان ذلك يوجب ان الله تعالى خلق الخلق عبثا وحاشاه من ذلك
ثم كانه قال انهم لا يسئلون لهذا البيان بل يكذبون بالدين ، وقال الغزالى كما غرك
به والمراد بالدين الجزا على الدين والاسلام ، وقيل المراد من الدين الحساب اى يكذبون
بيوم الحساب ، النوع الثانى **قوله تعالى** وان عليكم لحافظين ، يجوز ان يكون
الجملة حالا من فاعل يكذبون اى يكذبون والحالة هذه ، ويجوز ان يكون مستانفة
اخبرهم بذلك لينزجروا ، والمراد بالحافظين الرقبا من الملايكة يحفظون عليكم اعمالكم
كراما على الله كاتبين يكتبون اقوالكم واعمالكم **قوله** يعلمون ، يجوز ان يكون نعتا
وان يكون حالا من ضمير كاتبين وان يكون مستانفا ، قال ابن الخطيب والمعنى التعجب
من حالهم كانه تعالى قال انكم تكذبون بيوم الدين وهو يوم الحساب والجزا وملايكة
الله تعالى موكلون بكم يكتبون اعمالكم حتى تحاسبوا بها يوم القيمة ، ونظيره قوله تعالى
عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد ، وقوله تعالى
وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة **فصل** قال ابن الخطيب من
الناس من طعن فى حضور الكرام الكاتبين من وجوه الاول لو كان الحفظة وصحفهم
واقلامهم معنا ونحن لا نراهم لجاز ان يكون بحضرتنا جبال واشجار لا نراها وذلك دخول
فى الجهالات ، والثانى هذه الكتابة والضبط ان كان لا لفايدة فهو عبث وهو
غير جايز على الله تعالى وان كان لفايدة فلا بد وان يكون للعبد لان الله سبحانه
وتعالى متعالى عن النفع والضر وعن تطرق النسيان اليه وغاية ذلك انه حجة على الناس
وتشديد عليهم لاقامة الحجة لكن هذا ضعيف لان من علم ان الله تعالى لا يجور ولا

يظلم لا يحتاج فى حقه الى اثبات هذه الحجة والذى لا يعلم لا ينتفع بهذه الحجة لاحتمال انه
تعالى امرهم بذلك ظلما ، الثالث ان افعال القلوب غير مريية فهى من باب المغيبات
والله تعالى مختص بعلم الغيب فلا يكتبونها ولانه تنقضى كتبها ، والجواب عن الاول
ان البنية عندنا ليست شرطا فى قبول الحياة ، ولان عند سلامة الاعضا وحضور المرى
وحصول جميع الشرايط لا يجب الادراك فيجوز على الاول ان يكونوا اجراما لطيفة تمزق
وتبقى حياتها ذلك ، وعلى الثانى يجوز ان يكونوا اجراما كثيفة ونحن لا نراهم ، وعن
الثانى ان الله تبارك وتعالى اجرى اموره على عباده على ما تعارفونه فى الدنيا فيما
بينهم لان ذلك ابلغ فى تقرير المعنى عندهم فى اخراج كتاب وشهود فى الزام الحجة
كما يشهد العدول عند الحاكم على القضاء وعن الثالث ان ذلك مخصوص بافعال الجوارح
فهو عام مخصوص وفى مدح الحفظة ووصفهم بهذه الصفات يعظم الجزا وانه من جلايل
الامور **فصل** هذا الخطاب بهذه الصفات تعظيم امر الجزا ، وان كان لم
يكن خطاب مشافهة الا ان الامة اجمعت على عموم هذا الحكم فى حق المكلفين ، وقوله
تعالى لحافظين جمع يحتمل ان يكونوا حافظين لجميع بنى ادم من غير ان يختص واحد من
الملايكة بواحد من بنى ادم ، ويحتمل ان يكون الموكل بكل واحد منهم غير الموكل بالاخر ويحتمل
ان يكون الموكل بكل واحد منهم جمعا من الملايكة كما قيل اثنان بالليل واثنان بالنهار
او كما قيل انهم خمسة **فصل** اختلفوا فى الكفار هل عليهم حفظة فقيل لا لان
امرهم ظاهر وعملهم واحد قال تعالى يعرف المجرمون بسيماهم ، وقيل بل عليهم حفظة
لقوله تعالى بل تكذبون بالدين وان عليكم لحافظين ، واما من اوتى كتابه بشماله ومن
اوتى وراء ظهره فاخبر ان لهم كتابا وعليهم حفظة ، فان قيل اى شى يكتب الذى عن
يمينه ولا حسنة له ، فالجواب ان الذى عن شماله يكتب باذن صاحبه ويكون صاحبه
شاهدا على ذلك وان لم يكتب **فصل** سيل سفيان كيف تعرف الملايكة ان العبد
قد هم بمعصية او بحسنة قال اذا هم العبد بحسنة وجد منه ريح المسك وان هم
بسيية وجد منه ريح منتن **فصل** دلت هذه الاية على ان الشاهد لا يشهد
الا بعد العلم لوصف الملايكة بكونهم حافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون فدل على
انهم يكونوا عالمين بها حتى انهم يكتبونها فاذا كتبوها يكونوا عالمين عند ادا الشهادة
قال الحسن لا يخفى عليهم شى من اعمالكم ، وقيل يعلمون ما ظهر منكم دون ما حدثتم
به انفسكم **قوله تعالى** ان الابرار لفى نعيم ، الابرار الذين بروا وصدقوا
فى ايمانهم باداء فرايض الله تعالى واجتناب معاصيه ، لما وصف تعالى الكرام الكاتبين
لاعمال العباد ذكر احوال العاملين وقسمهم قسمين فقال تعالى ان الابرار لفى نعيم
وهو نعيم الجنة ، وان الفجار لفى جحيم وهو النار وهذا الحد يدعظم للعصاة وهذا
التقسيم كقوله تعالى فريق فى الجنة وفريق فى السعير **قوله** يصلونها ، يجوز فيه
ان يكون حالا من الضمير فى الجار لوقوعه خبرا ، وان يكون مستانفا ، وقرا العامة
يصلونها مخففا مبنيا للفاعل وتقدم مثله ، ومعنى يصلونها يوم الدين اى يدخلونها
يوم القيمة وما هم عنها بغايبين اى ليسوا غايبين عن استحقاق الكون فى الجحيم ثم
عظم ذلك اليوم فقال وما ادراك ما يوم الدين ، ثم كرر تعجبا لشانه فقال
ثم ما ادراك ما يوم الدين ، قال ابن عباس كل ما فى القران من قوله وما ادراك
فقد ادراه وكل شى من قوله وما يدريك فقد طوى عنه **قوله تعالى** يوم لا

يملك قرأ ابن كثير وأبو عمرو برفع يوم على أنه خبر مبتدأ مضمر أي هو يوم، وجوّز الزمخشري أن يكون بدلاً مما قبله يعني قوله يوم الدين، وقرأ أبو عمرو في رواية يومٌ مرفوعاً منوناً على قطعه عن الإضافة وجعل الجملة نعتاً له والعائد محذوف أي لا يملك فيه، وقرأ الباقون يومَ بالفتح فقيل هي فتحة إعراب ونصبه بإضمار أعني أو يتجاوزون أو بإضمار اذكر فيكون مفعولاً به، وعلى رأي الكوفيين يكون خبر المبتدأ المضمر وإنما بني لإضافته للفعل وإن كان معرباً لقوله تعالى هذا يومُ ينفع، قال الزجاج يجوز أن يكون في موضع رفع إلا أنه بني على الفتح لإضافته إلى قوله تعالى لا تملك وما أضيف إلى غير المتمكن فقد يبنى على الفتح وإن كان في موضع رفع أو جر كما قال، لم يمنع الشرب منهم غير أن نطقت حمامة، قال الواحدي والذي ذكره الزجاج من البناء على الفتح إنما يجوز عند الخليل وسيبويه إذا كانت الإضافة إلى الفعل الماضي نحو قوله، على حين عاتبت المشيب، أما مع الفعل المستقبل فلا يجوز البناء عندهم ويجوز البناء في قول الكوفيين، قال ابن الخطيب وذكر أبو علي أنه منصوب على الظرفية لأن اليوم لما جرى في أكثر الأمر ظرفاً ترك على حاله الأكثر والدليل عليه إجماع القراء في قوله تعالى منهم الصالحون ومنهم دون ذلك ولا يدفع ذلك أحد ومما يقوي النصب قوله وما أدراك ما القارعة يوم يكون الناس، وقوله تعالى يسألون أيان يوم الدين يوم هم على النار يفتنون فالنصب في يوم لا تملك مثل هذا.

فصل

تمسكوا بهذه الآية في نفي الشفاعة للعصاة وهو كقوله تعالى يوم لا تجزي نفس عن نفس وقد تقدم الجواب عنه في سورة البقرة، قال مقاتل يعني لنفس كافرة شيئاً من المنفعة، والأمر يومئذ لله، أي لم يملك الله تعالى في ذلك اليوم أحداً شيئاً كما ملكهم في الدنيا، روى الثعلبي عن أبي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ إذا السماء انفطرت أعطاه الله تعالى من الأجر بعدد كل قبر حسنة وبعدد كل قطرة ماء حسنة وأصلح الله تعالى له شأنه، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

سورة المطففين مدنية

في قول الحسن وعكرمة ومقاتل، قال مقاتل وهي أول سورة نزلت بالمدينة، وقال ابن عباس وقتادة مدنية إلا ثمان آيات وهي قوله تعالى إن الذين أجرموا إلى آخره مكي، وقال الكلبي وجابر بن زيد نزلت بين مكة والمدينة، وقال ابن مسعود والضحاك مكية وهي ست وثلاثون آية ومائة وتسعة وستون كلمة وسبعمائة وثمانون حرفاً.

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** ويل للمطففين، ويل ابتداء وسوّغ الابتداء به كونه دعاء ولو نصب لجاز، وقال مكي والمختار في ويل وشبهه إذا كان غير مضاف الرفع ويجوز النصب، فإن كان مضافاً أو معرفاً كان الاختيار فيه النصب نحو ويلكم لا تفتروا، وللمطففين خبره والمطفف المنقص وحقيقته الأخذ من كيل أو وزن شيئاً طفيفاً أي نزراً حقيراً، ومنه قولهم دون التطفيف أي الشيء التافه لقلته، قال الزجاج إنما قيل للذي ينقص المكيال والميزان مطفف لأنه لا يكاد يسرق في المكيال والميزان إلا الشيء اليسير.

فصل

قال ابن الخطيب اتصال أول هذه السورة بالمتقدمة أنه تعالى بين في آخر تلك السورة أن من صفة يوم القيامة أن لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله وذلك يقتضي تهديداً عظيماً للعصاة فلهذا أتبعه بقوله تعالى ويل للمطففين والمراد منه الزجر عن التطفيف وهو البخس في المكيال والميزان

على

على سبيل الخفية، واعلم أن الويل كلمة تذكر عند وقوع البلاء يقال ويل لك وويل عليك، وفي اشتقاق لفظ التطفيف قولان، الأول قول الزجاج المتقدم، والثاني أن طف الشيء هو جانبه وحرفه، يقال طف الوادي والإناء إذا بلغ الشيء الذي فيه حرفه ولم يمتلئ فهو طفافه وطفيفه، يقال هذا طف المكيال وطفافه إذا قارب ملأه لكنه بعد لم يمتلئ ولهذا قيل للذي يبخس الكيل ولا يوفيه مطفف لأنه إنما يبلغ الطفاف.

فصل

روى ابن عباس رضي الله عنه قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة كانوا من أخبث الناس كيلاً فأنزل الله ويل للمطففين فأحسنوا الكيل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأها عليهم وقال خمس بخمس ما نقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم ولا طففوا المكيال إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم المطر، وقال السدي قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وبها رجل يقال له أبو جهينة ومعه صاعان كيل يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر فأنزل الله تعالى هذه الآية، وروي عن ابن عمر رضي الله عنه قال المطفف الرجل يستأجر المكيال وهو يعلم أنه يحيف في كيله فوزره عليه.

قوله على الناس، فيه أوجه أحدها أنه متعلق باكتالوا وعلى ومن يعتقبان هنا، قال الفراء يقال اكتلت على الناس استوفيت منهم واكتلت منهم أخذت ما عليهم، وقيل على بمعنى اكتلت على ومنه بمعنى والأول أوضح، وقيل على متعلق بيستوفون، قال الزمخشري لما كان اكتيالهم لا يضرهم ويتحامل فيه عليهم أبدل على مكان من للدلالة على ذلك، ويجوز أن يتعلق بيستوفون وقدم المفعول على الفعل لإفادة الخصوصية أي يستوفون على الناس خاصة فأما أنفسهم فيستوفون لها وهو حسن.

قوله تعالى وإذا كالوهم أو وزنوهم، رسمتا في المصحف بغير ألف بعد الواو في الفعلين فمن ثم اختلف الناس في هم على وجهين أحدهما هو ضمير نصب فيكون مفعولاً به ويعود على الناس أي وإذا كالوا الناس أو وزنوا الناس، وعلى هذا فالأصل في هذين الفعلين التعدي لاثنين لأحدهما بنفسه بلا خلاف وللآخر بحرف الجر ويجوز حذفه وهل كل منهما أصل بنفسه أو أحدهما أصل وللآخر فيه خلاف والتقدير وإذا كالوا لهم طعاماً أو وزنوه لهم فحذف الحرف والمفعول المسرح، وأنشد، ولقد جنيتك أكمؤاً وعساقلاً، ولقد نهيتك عن بنات الأوبر، أي جنيت لك، والثاني أنه ضمير رفع مؤكد للواو والضمير عائد على المطففين ويكون على هذا قد حذف المكيل والمكيل له والموزون والموزون له إلا أن الزمخشري رد هذا فقال ولا يصح أن يكون ضميراً مرفوعاً للمطففين لأن الكلام يخرج به إلى نظم فاسد وذلك أن المعنى إذا أخذوا من الناس استوفوا وإذا أعطوهم أخسروا، فإن جعلت الضمير للمطففين انقلب إلى قولك إذا أخذوا من الناس وإذا تولوا الكيل أو الوزن هم على الخصوص أخسروا وهو كلام متنافر لأن الحديث واقع في الفعل لا في المباشر، قال أبو حيان ولا تنافر فيه بوجه ولا فرق بين أن يؤكد الضمير أو لا يؤكد والحديث واقع في الفعل غاية ما في هذا أن متعلق الاستيفاء وهو على الناس مذكور وهو في كالوهم أو وزنوهم محذوف للعلم به لأنه من المعلوم أنهم لا يخسرون ذلك لأنفسهم، قال شهاب الدين الزمخشري يريد أن يحافظ على أن المعنى مرتبط بشيئين إذا أخذوا من غيرهم وإذا أعطوا غيرهم، وهذا إنما يتم على تقدير أن يكون الضمير منصوباً عائداً على الناس لا على كونه ضمير رفع عائداً على المطففين ولا شك

تعالى

ان هذا المعنى الذى ذكره الزمخشرى واورده اتم واحسن من المعنى الثانى ورجح الاول
سقوط الالف بعد الواو ولانه دال على اتصال الضمير الا ان الزمخشرى استدركه فقال
والتعلق فى ابطاله بخط المصحف وان الالف التى تكتب بعد واو الجمع غير ثابتة فيه
ركيك لان خط المصحف لم يراع فى كثير منه حد المصطلح عليه فى علم الخط على انى رايت فى
الكتب المخطوطة بايدى الايمة المتقنين هذه الالف مرفوضة لكونها غير ثابتة فى اللفظ
والمعنى جميعا لان الواو وحدها معطية معنى الجمع وانما كتبت هذه الالف تفرقة
بين واو الجمع وغيرها فى نحو قولك هم يدعوا وهم يدعوا فمن لم يثبتها قال المعنى كاف
فى التفرقة بينهما ۝ وعن عيسى بن عمر وحمزة انهما يركبان ذلك اى يجعلان الضمير
للمطففين ويقفان عند الواوين وقيفة يبينان بها ما ارادا ولم يذكر مفعول الوزن
او لابل اقتصر على الكيل فقال اذا اكتالوا ولم يقل او اتزنوا كما قال ثانيا او وزنوهم
قال ابن الخطيب لان الكيل والوزن بهما البيع والشرا فاحدهما يدل على الاخر ۝ وقال
الزمخشرى كان المطففين كانوا لا ياخذون ما يكال ويوزن الا بالمكاييل دون
الموازين لتمكنهم بالاكتيال من الاستيفا والسرقة لانهم يدعدعون ويحتالون فى الملء
واذا اعطوا كالوا ووزنوا لتمكنهم من البخس فى النوعين جميعا **قوله** يخسرون جواب
اذا وهو متعدى بالهمزة ۝ ويقال خسر الرجل واخسرته انا مفعوله محذوف ۝ اى
يخسرون الناس متاعهم قال المؤرج يخسرون اى ينقصون بلغة قريش **فصل**
قال الزجاج المعنى اذا اكتالوا من الناس استوفوا عليهم الكيل اى الذين اذا استوفوا
لانفسهم استوفوا فى الكيل والوزن واذا كالوهم او وزنوهم اى كالوا لهم او وزنوا
لهم اى للناس ۝ ولما كان اكتيالهم من الناس اكتيالا فيه اضرار بهم وتحامل عليهم اقيم
على مقام من للدلالة على ذلك ۝ وقال الكسائي والفراء حذف الجار واوصل الفعل وهذا
من كلام اهل الحجاز ومن جاورهم يقال وزنتك حقك وكلتك طعامك اى وزنت لك
وكلت لك كما يقال نصحتك ونصحت لك وكسبتك وكسبت لك ۝ وقال الفراء المراد
اكتالوا من الناس وعلى ومن يعتقبان لانه حق عليه فاذا قال اكتلت عليك فكانه قال
اخذت ما عليك واذا قال اكتلت منك فهو كقوله استوفيت منك ۝ وقيل على حذف
مضاف اى اذا كالوا مكيلهم او وزنوا لهم موزونهم **قوله** الا يظن ۝ الظاهر انها
الا التحضيضية حضهم على ذلك ويكون الظن بمعنى اليقين ۝ وقيل هى لا النافية دخلت
عليها همزة الاستفهام ومعنى الاية الا يستيقن اوليك الذين يفعلون ذلك بانهم مبعوثون
ليوم عظيم وهو يوم القيمة ۝ وفى الظن هنا قولان احدهما ان المراد بالظن به العلم
وعلى هذا التقدير يحتمل ان يكون المخاطبون بهذا الخطاب من جملة المصدقين بالبعث
ويحتمل ان لا يكونوا كذلك لتمكنهم من الاستدلال عليه بالعقل ۝ الثانى ان المراد بالظن
هنا هو الظن نفسه لا العلم ويكون المعنى هولا المطففين هب انهم لا يجزمون بالبعث
ولكن لا اقل من الظن لوضوح ادلته فان الا يليق بحكمة الله تعالى ورحمته ورعايته مصالح
خلقه ان لا يهمل امرهم بعد الموت وان يكون لهم نشر وحشر وان هذا الظن كاف
فى حصول الخوف **قوله** يوم ۝ يجوز نصبه بمبعوثون قاله الزمخشرى او بيبعثون مقدرا او على البدل من محل ليوم او باضمار اعنى وهو مرفوع المحل خبر المبتدا مضمر
او مجرور بدلا من ليوم عظيم ۝ وانما بنى فى هذين الوجهين على الفتح لاضافته للفعل
وان كان مضارعا كما هو راى الكوفيين ۝ ويدل على صحة هذين الوجهين قراة زيد بن

على

على يوم يقوم بالرفع وما حكاه ابو معاذ القارى يوم بالجر على ما تقدم **فصل**
قيام الناس لرب العالمين اما للحساب واما قيامهم من القبور ۝ وقال ابو مسلم قيامهم
لرعاية عن طاعتهم له وانقيادهم كقوله تعالى والامر يومئذ لله ۝ وفى الحديث
ان الناس يقومون مقدار ثلثماية سنة لا يومر فيهم بامر ۝ وعن ابن عباس وهو فى
حق المومنين كقدر انصرافهم من الصلاة ۝ وفى هذه الايات مبالغات منها ان الويل
انما يذكر عند شدة البلا ۝ ومنها الانكار بقوله تعالى الا يظن اوليك ۝ ومنها استعظامه
تعالى لليوم ۝ ومنها تاكيده بما بعده وما يتوهم ذلك وتقتضيه من خضوعهم وذلهم
وفى هذا انكته وهى كان قايلا يقول هذا التشديد العظيم والوعيد البليغ كيف يكون
على التطفيف مع يسارته وزهادته وكرم المولى واحسانه فاشار بقوله رب العالمين
الى انه مربيهم ومتولى امورهم فلا يليق به ان يهمل من امورهم شيا **فصل**
قال القشيرى لفظ المطفف يتناول التطفيف فى الوزن والكيل وفى اظهار العيب
واخفايه وفى طلب الانصاف والانتصاف ويقال من لم يرض لاخيه المسلم ما يرضاه
لنفسه فليس بمنصف والمباشرة والصحبة من هذه المادة والذى يرى عيب الناس ولا
يرى عيب نفسه من هذه الجملة ومن طلب حق نفسه من الناس ولا يعطيهم حقوقهم كما
يطلبه **قوله تعالى** كلا ان كتاب الفجار ۝ كلا ردع اى ليس الامر على ما هم عليه
فليرتدعوا وههنا تم الكلام ۝ وقال الحسن كلا ابتدا متصل بما بعده على معنى حقا
ان كتاب الفجار الذى كتب فيه اعمالهم **قوله** لفى سجين ۝ اختلفوا فى نون سجين فقيل
هى اصلية واشتقاقه من السجن والتضييق كسكير من السكر وفسيق من الفسق وهو قول ابى
عبيدة والمبرد والزجاج ۝ قال الواحدى وهذا ضعيف لان العرب ما كانت تعرف
سجينا ۝ وقيل النون بدل من اللام ۝ والاصل سجيل مشتقا من السجل وهو الكتاب واختلفوا
فيه ايضا هل هو اسم موضع او اسم كتاب مخصوص ۝ وهل هو صفة او علم منقول من وصف
كحاتم وهو مصروف اذ ليس فيه الا سبب واحد وهو العلمية واذا كان اسم مكان فقوله
تعالى كتاب مرقوم اما بدل منه او خبر لمبتدا محذوف وهو ضمير يعود عليه وعلى التقديرين
فهو مشكل لان الكتاب ليس هو المكان فقيل التقدير هو محل كتاب ثم حذف المضاف
وقيل التقدير وما ادراك ما كتاب سجين فالحذف اما من الاول واما من الثانى
واما اذا قلنا انه اسم لكتاب فلا اشكال ۝ وقال ابن عطية من قال ان سجينا موضع
فكتاب مرفوع على انه خبران والظرف الذى هو لفى سجين ملغى ومن جعله عبارة عن
الخسار فكتاب خبر مبتدا محذوف التقدير هو كتاب ويكون هذا الكلام مفسرا
لسجين ما هو انتهى ۝ وهذا لا يصح البتة اذ دخول اللام يعين كونه خبرا فلا يكون ثم
ملغى لا يقال ان اللام تدخل على معمول الخبر وهذا منه فيكون ملغى لانه لو فرض الخبر وهو
كتاب عاملا او صفته عاملة وهو مرقوم لامتنع ذلك ۝ اما منع عمل كتاب فلانه موصوف
والمصدر الموصوف لا يعمل ۝ واما امتناع عمل مرقوم فلانه صفة ومعمول الصفة لا يتقدم
على موصوفها ۝ وايضا فاللام انما تدخل على معمول الخبر بشرطه وهذا ليس معمولا للخبر
فتعين ان يكون الجار هو الخبر وليس بملغى ۝ واما قوله ثانيا ويكون هذا الكلام تفسيرا
لسجين ما هو فهو مشكل لان الكتاب ليس هو الخسار الذى جعل الضمير عايدا عليه مخبرا عنه
بكتاب ۝ وقال الزمخشرى فان قلت قد اخبر الله تعالى عن كتاب الفجار بانه فى سجين
وفسر سجينا بكتاب مرقوم فكانه قيل ان كتابهم فى كتاب مرقوم فما معناه قلت سجين

كتاب جامع هو ديوان الشر دون الله فيه اعمال الشياطين واعمال الكفرة والفسقة
من الجن والانس وهو كتاب مسطور من الكتابة او معلم يعلم من راه انه لا خير فيه فالمعنى
ان ما كتب من اعمال الفجار مثبت في ذلك الديوان وسمي سجينا فعيلا من السجن وهو الحبس
والتضييق لانه سبب الحبس والتضييق في جهنم انتهى **فصل** قال عبد الله بن عمر
وقتادة ومجاهد والضحاك سجين هي الارض السابعة فيها ارواح الكفار وروى البراء قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سجين اسفل سبع ارضين وعليون في السماء السابعة
تحت العرش وقال الكلبي هي صخرة تحت الارض السابعة وقال عكرمة لفي سجين لفي خسار
وضلال قال القشيري سجين موضع في السافلين يدفن فيه كتاب هولاء فلا يظهر بل يكون
في ذلك الموضع كالمسجون **قوله تعالى** وما ادراك ما سجين ما يدل على ان
لفظ سجين ليس عربيا كما لا يدل قوله وما ادراك ما القارعة على ذلك بل هو تعظيم
لامر سجين وقد تقدم **قوله تعالى** كتاب مرقوم قال المفسرون ليس هذا
تفسير السجين بل هو بيان الكتاب المذكور في قوله ان كتاب الفجار اي هو كتاب مرقوم
اي مكتوب فيه اعمالهم مثبت عليهم كالرقم لا يبلى ولا يمحى حتى يجازى به والرقم
الخط قال م

سادرقم في المال القراح اليكم ... على بعدكم ان كان للمال راقم

وقيل الرقم الختم بلغة حمير وتقدمت هذه المادة في سورة الكهف وقال
قتادة ومقاتل رقم لهم بشر كانه اعلم بعلامة يعرف بها انه كافر **قوله تعالى**
ويل يومئذ للمكذبين قيل انه متصل بقوله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين
لمن كذب باخبار الله تعالى وقيل ان قوله مرقوم معناه مرقوم برقم يدل على الشقاوة
يوم القيمة ثم قال ويل يومئذ للمكذبين في ذلك اليوم من ذلك الكتاب ثم انه
تعالى اخبر عن صفة من يكذب بيوم الدين فقال تعالى وما يكذب به الا كل معتد اثيم
اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين فقوله تعالى الذين يكذبون يجوز فيه الاتباع
نعتا وبدلا وبيانا والقطع رفعا ونصبا واعلم انه تعالى وصف المكذب بيوم الدين
بثلاث صفات اولها كونه معتديا والاعتداء هو التجاوز عن المنهج الحق وثانيها الاثيم
وهو المبالغة في ارتكاب الاثم والمعاصي وثالثها اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين
والمراد الذين ينكرون النبوة والمراد بالاساطير قيل اكاذيب الاولين وقيل
اخبار الاولين **قوله** اذا تتلى العامة على الخبر والحسن ايذا على الاستفهام
الانكاري والعامة تتلى بتاءين من فوق وابو حيوة وابن مقسم بالياء من تحت
لان التانيث مجازي **فصل** قال الكلبي المراد بالمكذب هنا هو الوليد
ابن المغيرة لعنه الله لقوله تعالى ولا تطع كل حلاف مهين الى قوله معتد اثيم
اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين فقيل هو الوليد بن المغيرة وقيل هو
النضر بن الحارث وقيل عام في كل موصوف بهذه الصفة **قوله** كلا ردع
وزجر اي ليس هو اساطير الاولين وقال الحسن معناها حقا ران على قلوبهم
وقال مقاتل معناه لا يومنون ثم استانف بل ران على قلوبهم قد تقدم وقف
حفص على لام بل في سورة الكهف والران الغشاوة على القلب كالصدا على الشي
الصقيل من سيف ومرآة ونحوهما قال الشاعر م

وكم ران من ذنب على قلب فاجر ... فتاب من الذنب الذي ران وانجلا

واصل

واصل الرين الغلبة ومنه رانت الخمر على عقل شاربها وقال الزمخشري يقال ران عليه
الذنب وغان رينا وغينا والغين الغيم والغين ايضا شجر ملتف الواحدة غيناء اي
خضراء كثيرة الورق ملتفة الاغصان ويقال ران رانا ورينا مجاء مصدراه مفتوح العين
وساكنها وقرا حمزة والكسائي والاعمش وابو بكر والمفضل ران بالامالة لان فا
الفعل را وعينه الف منقلبة عن يا فحسنت الامالة ومن فتح فعلى الاصل مثل كال
وباع **فصل** قال ابو معاذ النحوي الرين ان يسود القلب من الذنوب
والطبع ان يطبع على القلب وهو اشد من الرين والاقفال اشد من الطبع وهو ان
يقفل على القلب قال تعالى ام على قلوب اقفالها قال الزجاج ران على قلوبهم بمعنى
غطى على قلوبهم قال الحسن ومجاهد هو الذنب على الذنب حتى تحيط الذنوب بالقلب
وتغشى فيموت القلب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والمحقرات من الذنوب
فان الذنب على الذنب يوقد على صاحبه جحيما ضخمة وقال صلى الله عليه وسلم ان المومن
اذا اذنب كانت نكتة سودا في قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها
فاذا زاد زادت حتى تعلو قلبه فذلكم الران الذي ذكر الله تعالى في كتابه كلا بل
ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون **قوله** ما كانوا هو الفاعل وما يحتمل ان يكون
مصدرية وان يكون بمعنى الذي فالعايد محذوف واميلت الف ران وفخمت فاما لها
الاخوان وابو بكر وفخمها الباقون وادغم لام بل في الرا واظهرت **قوله تعالى**
كلا انهم قال الزمخشري كلا ردع عن الكسب للران على قلوبهم وقال القفال
ان الله تبارك وتعالى حكى في ساير السور عن هذا المعتد الاثيم انه كان يقول ان
كانت الاخرة حقا فان الله تعالى يعطيني مالا وولدا ثم كذبه الله تعالى بقوله
اطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا وقال ايضا وما اظن الساعة قايمة
ولين رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى فلما تكرر ذكره في القران ترك الله ذكره
ههنا وقال تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون اي ليس الامر كما يقولون
من ان لهم في الاخرة الحسنى بل هم عن ربهم يومئذ محجوبون وقال ابن عباس ايضا
كلا يريد لا يصدقون ثم استانف فقال انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وقيل
قوله تعالى كلا تكرير وتكون كلا هذه هي المذكورة في قوله كلا بل ران على قلوبهم
قوله عن ربهم متعلق بالخبر وكذلك يومئذ والتنوين عوض من جملة تقديرها
يوم اذ يقوم الناس لانه لم يناسب الا تقديرها **فصل** قال اكثر المفسرين
محجوبون عن رويته وهذا يدل على ان المومنين يرون ربهم سبحانه وتعالى ولولا
ذلك لم يكن للتخصيص فايدة وايضا فانه تعالى ذكر هذا الحجاب في معرض الوعيد
والتهديد للكفار وما يكون وعيدا وتهديدا للكفار لا يجوز حصوله للمومنين
واجاب المعتزلة عن هذا بوجوه احدها قال الجبائي المراد انهم محجوبون عن
رحمة ربهم اي ممنوعون كما تحجب الام بالاخوة عن الثلث الى السدس ومن ذلك
يقال لمن منع من الدخول حاجب وثانيها قال ابو مسلم المحجوبون غير مقربين والحجاب
الرد وهو ضد القبول فالمعنى انهم غير مقبولين عند الله فانه قال تعالى يحجب
عن الامير وان كان قد راه عن بعد بل يحجب ان يحمل على المنع من رحمته ورابعها
قال الزمخشري كونهم محجوبين عنه تمثيل للاستخفاف بهم واهانتهم لانه لا يرد على
الملوك الا المكرمين لديهم ولا يحجب عنهم الا المهانون عندهم والجواب ان الحجب

في استعمالانه مشترك في المنع فيكون حقيقة فيه ومنع العبد بالنسبة الى الله تعالى
اما عن العلم واما عن الروية والاول باطل لان الكفار يعلمون الله تبارك وتعالى
فوجب حمله على الروية • واما الوجوه المذكورة فهو عدول عن الظاهر من غير
دليل • ويويد ما قلنا اقوال السلف من المفسرين • قال مقاتل لا يرون ربهم
بعد الحساب والمومنون يرون ربهم • وقال الكلبي محجوبون عن روية ربهم
والمومن لا يحجب • وسيل مالك بن انس رضي الله عنه عن هذه الاية فقال كما حجب
الله تعالى اعداه فلم يروه لابد وان يتجلى لاوليايه حتى يروه • وعن الشافعي
رحمه الله كما حجب قوم بالسخط دل على انهم يرونه بالرضى **قوله تعالى** ثم
انهم لصالوا الجحيم • اى ان الكفار مع كونهم محجوبين عن الله يدخلون النار ثم
يقال اى يقول لهم الخزنة هذا اى هذا العذاب الذى كنتم به تكذبون • وقوله
يقال يجوز ان يكون القايم مقام الفاعل ما دلت عليه جملة قوله هذا الذي
كنتم • ويجوز ان تكون الجملة نفسها • ويجوز ان يكون المصدر به وقد تقدم
تحريره اول البقرة **قوله تعالى** كلا ان كتاب الابرار • لما ذكر تعالى
حال الكفار والمطففين اتبعه بذكر الابرار الذين لا يطففون فقال كلا اى ليس
الامر كما تزعمه اولئك الفجار من انكار البعث ومن ان كتاب الله اساطير الاولين
بل كتابهم في سجين وكتاب الابرار في عليين • وقيل معناه حقا وللوقف وقال
مقاتل كلا اى لا يومن بالعذاب الذى يصلاه **قوله** لفى عليين هو خبر ان وقال
ابن عطية هنا كما قال هناك ويرد عليه بما تقدم وعليون جمع علي او هو اسم مكان
في اعلا الجنة وجرى مجرى جمع العقلا فرفع بالواو ونصب وجر باليا فوات
شرط العقل • وقال ابو البقا واحدهم علي وهو الملك • وقيل هي صيغة الجمع
مثل عشرين ثم ذكر ابو اما ذكره في سجين من الحذف المتقدم • وقال الزمخشري
عليون علم لديوان الخير الذى دون فيه كلما عملته الملايكة وصلحا الثقلين منقول
من جمع على فعيل من العلو كسجين من السجن سمي بذلك اما لانه سبب الارتفاع واما
لانه مرفوع في السما السابعة وتلك الاقوال الماضية في سجين كلها عايدة هنا
وروى عن ابن عباس رضي الله عنه انها السما السابعة • وقال في رواية انها السما
السابعة • وقال قتادة ومقاتل هي سدرة المنتهى • وقال الفرا يعني ارتفاعا
بعد ارتفاع لا غاية له • وقال الزجاج اعلا الامكنة • وقال اخرون
هي مراتب عالية محفوفة بالجلالة • وقال اخرون عند كتاب اعمال الملايكة لقوله
تعالى وما ادراك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون فبين ان كتابهم
في هذا الكتاب المرقوم الذى يشهده المقربون من الملايكة كانه تعالى كما وكلهم
اللوح المحفوظ فكذلك وكلهم بحفظ كتب الابرار في جملة ذلك الكتاب الذى هو
ام الكتاب على وجه الاعظام له ولا يمتنع ان الحفظة اذا صعدت بكتب الابرار بانهم
يسلمونها الى هولا المقربين فيحفظونها كما يحفظون كتب انفسهم او ينقلون ما في تلك
الصحايف الى ذلك الكتاب الذى وكلوا بحفظه ويصير عليهم شهادة لهولا الابرار
فلذلك يحاسبون حسابا يسيرا • وقيل المعنى ارتفاع بعد ارتفاع • وقال
ابو مسلم هذا كناية عن العلو والرفعة والاول كناية عن الذل والاهانة • وقال
ابن عباس رضي الله عنه عليون لوح من زبرجدة خضرا معلق تحت العرش اعمالهم

مكتوبة

مكتوبة فيه • وقال كعب وقتادة هو قايمة العرش اليمنى • وقال ابن عباس هو الجنة
وقال الضحاك سدرة المنتهى • وقوله تعالى كتاب مرقوم ليس تفسيرا لعليين اى مكتوب
اعمالهم كما تقدم في كتاب الفجار • وقيل كتب هناك ما اعد الله لهم من الكرامة **قوله**
يشهده • جملة يجوز ان تكون صفة ثانية وان تكون مستانفة والمعنى ان الملايكة
الذين هم في عليين يشهدون ويحضرون ذلك المكتوب وذلك الكتاب اذا صعد
به الى عليين **قوله تعالى** ان الابرار لفي نعيم • لما عظم كتابهم عظم منزلتهم ذه
بانهم في النعيم ثم بين ذلك النعيم بامور ثلاثة اولها قوله تعالى على الارايك هم
ينظرون قال القفال الارايك الاسرة في الحجال ولا يسمى اريكة فيما زعموا الا
اذا كان كذلك • وعن الحسن رضي الله عنه كنا لا ندرى ما الاريكة حتى لقينا رجل
من اهل اليمن اخبرنا عندهم ذلك • وقوله ينظرون قيل الى انواع نعيمهم من الحور
والولدان وانواع الاطعمة والاشربة والملابس والمراكب وغيرها • وقال مقاتل
ينظرون الى عدوهم حين يعذبون • وقيل اذا اشتهوا شيا نظروا اليه فيحضرهم
ذلك الشي في الحال • وقيل يحمل على الكل • قال ابن الخطيب انهم ينظرون الى ربهم
بدليل قوله تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم **قوله** تعرف • العامة على
اسناد الفعل الى المخاطب • اى تعرف انت يا محمد او كل من صح المعرفة • وقرا ابو جعفر
وابن ابي اسحق وشيبة وطلحة ويعقوب والزعفراني تعرف مبنيا للمفعول • نضرة بالرفع
على قيامها مقام الفاعل • وعلي ابن زيد كذلك الا انه باليا اسفل لان التانيث
مجازي والمعنى اذا رايتهم عرفت انهم من اهل النعيم مما ترى في وجوههم من النور والحسن
والبياض • وقال الحسن النضرة في الوجه والسرور في القلب **قوله تعالى**
يسقون من رحيق • قال الليث الرحيق الخمر • وقيل الخمر الصافية الطيبة • وقال
مقاتل الخمر البيضا • وقال ابن الخطيب لعله الخمر الموصوف بقوله تعالى لا فيها غول
قوله مختوم • اى ختم ومنع من ان تمسه يد الى ان تفك ختم الابرار • قال
القفال يحتمل ان يكون ختم عليه تكريما له بالصيانة على ما جرت به العادة من ختم
ما يكرم ويصان وهناك خمر اخر تجرى انهارا لقوله وانهار من خمر لذة للشاربين ثم
الا ان هذا المختوم اشرف من الجاري • وقال ابو عبيدة والمبرد والزجاج المختوم
الذي له ختام اى عاقبة • وروى عبد الله بن مسعود المختوم اشرف من الجاري الممزوج
ختامه اى اخر طعمه وعاقبته مسك وختم كل شي الفراغ منه • ومنه يقال ختمت
القران والاعمال بخواتيمها • ويويده قراة علي بن ابي طالب كرم الله وجهه واختاره
الكسايي فانه يقرا خاتمه مسك اى اخره كما يقال خاتم النبيين ومعناهما واحد
قال الفرا وهما متغايران في المعنى الا ان الخاتم اسم والختم مصدر كقولهم هو كريم
الطابع والطابع والخاتم والختام • وقال قتادة يمزج لهم الكافور ويختم لهم
بالمسك • وقال مجاهد مختوم مطين **قوله** ختامه • اى طينه مسك قال ابن
زيد ختامه عند الله مسك وختام الدنيا طين • وقال الكسايي خاتمه بفتح التا
بعد الالف • واليا فوق متقدمة على الالف فوجه قراة الكسايي انه جعله اسما
لما يختم به الكاس بدليل قوله مختوم ثم بين الخاتم ما هو • وروى عن الكسايي ايضا
كسر التا فيكون كقوله تعالى خاتم النبيين • والمعنى خاتم رايحته مسك • ووجه
قراة الجماعة ان الختام هو الطين الذى يختم به الشي فجعل بدله المسك • قال الشاعر

كان مستعملا من خمر بصرى • ثم ثم البحث مسد ود الختام • وقيل خلطه ومزاجه وقيل خاتمه اى مقطع شربه يجد فيه الانسان ريح المسك • فقيل معنى المسك مسكا لان الغزال يمسكه فى سرته والمساكة البخل وحبس المال • يقال رجل مسيك لبخله وتمسك ماله • والمسك الجلد لامساكه ما فيه • والماسكة التى اخطات خافضتها فاصابت من مسكها غير موضع الختان • والمسكة سوار من قرن او عاج لجا مسكه • والمسكة بقية الشى القليل يقال ما له مسكة عقل **قوله تعالى** وفى ذلك فليتنافس المتنافسون • التنافس المغالبة فى الشى النفيس يقال نفست به نفاسة اى بخلت به واصله من النفس لعزتها • قال الواحدى نفست الشى انفسه نفاسة بخلت به والتنافس تفاعل منه كان كل واحد من الشخصين يريد ان يستاثر به • قال البغوى واصله من الشى النفيس الذى تحرص عليه نفوس الناس ويريده كل واحد لنفسه وينفس به على غيره اى يضن والمعنى وفى ذلك فليرغب الراغبون بالمبادرة الى طاعة الله تعالى وقال مجاهد فليعمل العاملون كقوله تعالى لمثل هذا فليعمل العاملون • وقال عطا فليستبق المستبقون • وقال مقاتل بن سليمان فليتنازع المتنازعون **قوله تعالى** ومزاجه من تسنيم • التسنيم علم لعين فى الجنة • قال الزمخشرى التسنيم لعين بعينها سميت بالتسنيم الذى هو مصدر سنمه اذا رفعه • قال شهاب الدين وفيه نظر لانه كان من حقه ان يمنع الصرف للعلمية والتانيث وان كان مجازيا ولا يقدح فى ذلك كونه مذكر الاصل لان العبرة بحال العلمية الا ترى انهم نصوا على انه لو سمى بزيد امراة وجب المنع وان كان فى هند وجهان • اللهم الا ان تقول ذهب به مذهب النهر ونحوه فيكون كواسط ودابق **فصل** التسنيم شراب ينصب عليهم من علو فى غرفهم ومنازلهم • وقيل يجرى فى الهوى متسنما فينصب فى اوانيهم فيملاها قال قتادة واصل الكلمة من العلو يقال للشى المرتفع سنام • ومنه سنام البعير وتسنمت الحايط اذا علوته • وقال الضحاك هو شراب اسمه تسنيم وهو من اشرف الشراب • قال ابن مسعود وابن عباس هو خالص للمقربين يشربونها ويمزج لساير اهل الجنة وهو قوله تعالى ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون • وعن ابن عباس انه سيل عن قوله تعالى من تسنيم فقال هذا مما قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين **قوله** عينا • فيه اوجه احدها انه حال قاله الزجاج يعنى من تسنيم لانه علم لشى بعينه الا انه يشكل بكونه جامدا • الثانى انه منصوب على المدح قاله الزمخشرى • الثالث انها منصوبة بيسقون مقدارا قاله الاخفش وقوله يشرب بها اى منها او الباء زايدة او ضمن يشرب معنى يروى • وتقدم هذا مشبعا فى هل اتى • قال البغوى والمقربون صرفا **قوله تعالى** ان الذين اجرموا • اى اشركوا يعنى كفار قريش ابا جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وايل ومن معهم فى مكة كانوا من الذين امنوا عمار وخباب وصهيب وبلال واصحابهم من فقرا المومنين • يضحكون • استهزا بهم وقوله من الذين امنوا متعلق بيضحكون اى من اجلهم وقدم لاجل الفواصل **قوله تعالى** واذا مروا بهم • يعنى مر المومنين بالكفار • يتغامزون • والغمز الاشارة بالجفن والحاجب اى يشيرون اليهم بالاعين استهزا • وقيل الغمز بمعنى العيب غمزه اى عابه وما فى فلان غميزة اى ما يعاب به **قوله تعالى** واذا انقلبوا • يعنى الكفار • الى اهلهم انقلبوا

فاكهين معجبين بما هم فيه يتفكهون بذكرهم بالسوء • وقرا حفص فكهين دون الف والباقون بها فقيل هما بمعنى • وقيل فكهين اشرين • وفاكهين من التفكه • وقيل فكهين فرحين وفاكهين ناعمين • وقيل فاكهين اصحاب فاكهة ومزاح **قوله** واذا راوهم • يجوز ان يكون المرفوع للكفار والمنصوب للمومنين اى ان الكفار اذا راوا اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قالوا ان هولاء لضالون اى ياتون محمدا المختار يرون انهم على شى • اى هم على ضلال فى تركهم التنعم الحاضر بسبب ثواب لا ندرى هل له وجود ام لا ويجوز العكس • وكذلك الضميران فى ارسلوا عليهم والمعنى وما ارسلوا يعنى المشركين عليهم يعنى المومنين حافظين اعمالهم لم يوكلوا بحفظ اعمالهم **قوله تعالى** فاليوم الذين امنوا • فاليوم منصوب بيضحكون ولا يضر تقديمه على المبتدا لانه لو تقدم العامل هنا لجاز اذ لا لبس بخلاف زيد قام فى الدار لا يجوز فى الدار زيد قام • ومعنى فاليوم اى فى الاخرة يضحك المومنون من الكافرين • وفى سبب هذا الضحك وجوه • فيها ان الكفار كانوا يضحكون على المومنين فى الدنيا بسبب ما هم فيه من الضرر والبوس وفى الاخرة يضحك المومنون على الكافرين بسبب ما هم فيه من انواع العذاب والبلاء • ومنها انهم علموا انهم كانوا بالنعيم المقيم فى الدنيا على غير شى وانهم باعوا الباقى بالفانى • ومنها انهم دخلوا الجنة فاجلسوا على الارايك ينظرون الى الكفار كيف يعذبون فى النار ويرفعون اصواتهم بالويل والثبور ويلعن بعضهم بعضا • ومنها قال ابو صالح يقال لاهل النار وهم فيها اخرجوا ويفتح لهم ابوابها فاذا راوها وقد فتحت ابوابها اقبلوا اليها يريدون الخروج والمومنون ينظرون اليهم فاذا انتهوا الى ابوابها غلقت دونهم فذلك سبب الضحك **قوله** هل ثوب • يجوز ان يكون الجملة الاستفهامية معلقة للنظر قبلها فيكون فى محل نصب بعد اسقاط الخافض بينظرون • وقيل استيناف لا موضع له • ويجوز ان يكون على اضمار القول اى يقولون هل ثوب • ومعنى ثوب اى جوزى يقال ثوبه واثابه قال • ساجزيك ويجزيك عنى مثوب • وحسبك ان يثنى عليك وتحمد • وادغم ابو عمرو والكساى وحمزة لام هل فى التا وقوله ما كانوا فيه حذف اى ثواب ما كانوا وما موصول اسمى او حرفى • قال المبرد ثوب فعل من الثواب وهو ما يثوب اى يرجع على فاعله جزا ما عمله من خير او شر • والثواب يستعمل فى المكافاة بالشر وانشد ابو عبيدة م

• الا ابلغ ابا حسن رسولا •• فما لك لا تجى الى الثواب •

وثوب واثاب بمعنى واحد والاولى ان يحمل على سبيل التهكم كقوله ذق انك انت العزيز الكريم • كانه تعالى يقول للمومنين هل جازينا هولا الكفار على استهزايهم بطريقتكم كما جازيناكم على اعمالكم الصالحة فيكون هذا القول زايدا فى سرورهم والله اعلم • روى الثعلبى عن ابى بن كعب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المطففين سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيمة

سورة الانشقاق مكية

وهى ثلاث وعشرون اية • ومايه وسبع كلمات • واربعمايه وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** اذا السما انشقت • كقوله تعالى اذا الشمس كورت فى اضمار الفعل وعدمه • وفى اذا هذه احتمالات • احدها ان تكون شرطية

وقد علموا انهم يرون انفسهم قد فازوا بالنعيم المقيم وكانوا بالتعب الشديد راحة الابدية

نعم

قوله على الارايك ينظرون الجار متعلق بينظرون وينظرون حال من يضحكون اى يضحكون ناظرين اليهم والى ما هم فيه من الهوان صح

والثاني ان يكون غير شرطية فعلى الاول في جوابها خمسة اوجه احدها انه اذنت
والواو مزيدة قال ابن الانباري وهذا غلط لان العرب لا تقحم الواو الا مع حتى
اذا كقوله تعالى حتى اذا جاوها وفتحت ابوابها او مع لما كقوله تعالى فلما اسلما
وتله للجبين وناديناه اي ناديناه والواو لا تقحم مع غير هذين الثاني انه فملاقيه
اي فانت ملاقيه واليه ذهب الاخفش والثالث انه يا ايها الانسان على حذف الفا
الرابع انه يا ايها الانسان ايضا ولكن على اضمار القول اي يقال يا ايها الانسان الخامس
انه مقدر تقديره بعثتم وقيل تقديره لاقى كل انسان كدحه وهو قوله فملاقيه
ويكون قوله يا ايها الانسان معترض كقولك اذا كان كذا وكذا يا ايها الانسان ترى عند
ذلك ما عملت من خير او شر ونقل القرطبي عن المبرد انه قال فيه تقديم وتاخير
اي يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه اذا السما انشقت وقيل هو
ما صرح في سورتي التكوير والانفطار وهو قوله تعالى علمت نفس قاله الزمخشري
وهو حسن ونقل ابن الخطيب عن الكسائي انه قال ان الجواب في قوله فاما من
اوتي كتابه واعترض في الكلام في قوله يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا
والمعنى اذا انشقت السما وكان كذا وكذا فمن اوتي كتابه بيمينه فهو كذا ومن اوتي
كتابه وراظهره فهو كذا ونظيره قوله تعالى فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع
هداي فلا خوف قال النحاس وهذا اصح ما قيل فيه واحسنه وعلى الاحتمال
الثاني فيها وجهان احدهما انها منصوبة مفعولا بها باضمار اذكر والثاني انها
مبتدا وخبرها اذا الثانية والواو مزيدة تقديره وقت انشقاق السما وقت
مد الارض اي يقع الامران في وقت قاله الاخفش ايضا والعامل فيها اذا كانت
ظرفا عند الجمهور جوابها اما الملفوظ به واما المقدر وقال مكي وقيل العامل انشقت
وقال ابن عطية قال بعض النحاة العامل انشقت واباه كثير من ايمتهم لان اذا
مضافة الى انشقت ومن يجيز ذلك يضعف عند الاضافة ويقوى معنى الجزا وقراة
العامة انشقت بتا التانيث ساكنة وكذلك ما بعده وقرا ابو عمرو في
رواية عبيد بن عقيل باتمام الكسر في الوقف خاصة وفي الوصل بالسكون المحض
قال ابو الفضل وهذا من التغييرات التي تلحق الروي في القوافي وفي هذا الاتمام
بيان ان هذه التا من علامة تانيث الفعل للاناث وليست مما تنقلب في الاسما
فصار ذلك فارقا بين الاسم والفعل فمن وقف على باقي الاسما بالتا وذلك لغة
طي وقد حمل في المصاحف بعض التاات على ذلك وقال ابن عطية وقرا ابو عمرو
انشقت تقف على التا كانه يشمها شيا من الجر وكذلك في اخواتها قال ابو حاتم
سمعت اعرابيا فصيحا في بلاد قيس بكسر هذه التاات وقال ابن خالويه انشقت
بكسر التا عبيد عن ابي عمرو وقال شهاب الدين كانه يريد اشمام الكسر وانه في
الوقف دون الوصل لانه مطلق وغيره مقيد والمقيد يقضي على المطلق وقال
ابو حيان وذلك ان الفواصل تجري مجرى القوافي فكما ان هذه التا تكسر في القوافي
تكسر في الفواصل ومثال كسرها في القوافي قول كثير عزة وما انا بالداعي
لعزة بالردي ولا شامت ان نعل عزة زلت وكذلك في القصيدة واجرى
الفواصل في الوقف مجرى القوافي معروف كقوله تعالى الظنونا والرسولا في سورة
الاحزاب وحمل الوصل على الوقف موجود ايضا فصل انشقاق السما من

علامات القيمة وقد تقدم شرحه وعن علي رضي الله عنه انها تنشق من المجرة وقال
المجرة باب السما قوله واذنت عطف على انشقت وقد تقدم انه جواب على زيادة
الواو ومعنى اذنت اي استمعت امره يقال اذنت لك استمعت كلامك وفي الحديث
ما اذن الله لشي كاذنه لنبي يتغنى بالقران وانشد ابو عبيدة والمبرد والزجاج قول
قعنب صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به وان ذكرت بسو عندهم اذنوا
وقال اخر ان يادنوا ريبة طاروا بها فرحا وما هم اذنوا من صالح دفنوا
وقال الحارث بن حلزة اذنت لكم لما سمعت هريركم ومعنى الاستماعة هنا انه لم
يوجد في جرم السما ما يمنع من تاثير قدرة الله تعالى في شقها وتفريق اجزايها
فكانها في قبول ذلك التاثير كالعبد الطايع الذي اذا ورد عليه الامر من جهة
الامير المالك انصت واذعن ولم يمتنع كقوله تعالى قالتا اتينا طايعين وذلك يدل
على نفوذ القدرة في الايجاد والابداع من غير ممانعة اصلا قاله ابن الخطيب قوله
وحقت الفاعل في الاصل هو الله تعالى اي حق الله عليها ذلك اي بسمعه وطاعته
يقال هو حقيق بكذا وتحقق والمعنى وحق لها ان تفعل قال الضحاك حقت اطاعت
وحق لها ان تطيع وقال ابن الخطيب هو من قولك محقوق بكذا او حقيق به بمعنى
وهي حقيقة بان تنقاد ولا تمتنع قوله تعالى واذا الارض مدت مد الاديم
العكاظي وقيل مدت بمعنى امدت وزيد في سعتها وقال مقاتل رضي الله عنه سويت
كمد الاديم فلا يبقى فيها بنا ولا جبل كقوله تعالى ويسالونك عن الجبال الاية قوله
والقت ما فيها اي اخرجت ما فيها من الموتى والكنوز لقوله تعالى واخرجت الارض
اثقالها وتخلت اي خلت منها لم يبق في بطنها شي وذلك يوذن بعظم الامر
كما تلقي الحامل ما في بطنها عند الشدة ووصفت الارض بذلك توسعا والا فالتحقيق
ان الله تبارك وتعالى هو المخرج لتلك الاشيا من بطن الارض قوله تعالى
واذنت لربها وحقت تقدم تفسيره وهذا ليس تكرارا لان الاول في السما وهذا
في الارض قوله تعالى يا ايها الانسان انك كادح قيل المراد جنس الناس كقوله
يا ايها الرجل فكانه خطاب خص به كل واحد منهم من الناس قال القفال وهو ابلغ
من العموم لانه قايم مقام التنصيص على مخاطبة كل واحد منهم على التعيين بخلاف
اللفظ العام وقيل المراد منه رجل بعينه فقيل هو محمد عليه الصلاة والسلام
والمعنى انك تكدح في ابلاغ رسالات الله تعالى وارشاد عباده وتحمل الضرر من
الكفار فابشر فانك تلقى الله تعالى بهذا العمل وقال ابن عباس هو ابي بن خلف
وكدحه هو جده واجتهاده في طلب الدنيا وايذا الرسول صلى الله عليه وسلم والاصرار
على الكفر فصل الكدح قال الزمخشري جهد النفس والكد فيه حتى يوثر
فيها ومنه كدح جلده اذا خدشه ومعنى كادح اي جاهد الى لقا ربك وهو
الموت انتهى وقال ابن مقبل وما الدهر الا تارتان فمنهما اموت واخرى
ابتغي العيش اكدح وقال اخر وقد مضت بشاشة كل عيش صالح وبقيت
اكدح للحياة وانصب وقال الراغب وقد يستعمل الكدح استعمال الكدم بالاسنان
قال الخليل الكدح دون الكدم فصل معنى كادح الى ربك اي ساع
اليه في عملك والكدح عمل الانسان وجهده في الخير والشر قال قتادة والكلبي
والضحاك عامل لربك عملا وقوله تعالى الى ربك اي الى لقا ربك وهو الموت اي

هذا الكدح يستمر الى هذا الزمن ، وقال القفال تقديره انك كادح في دنياك كدحا تصير به الى ربك **قوله** فملاقيه ، يجوز ان يكون عطفا على كادح والسبب فيه ظاهر ، ويجوز ان يكون خبر مبتدا مضمر اى فانت ملاقيه ، وقد تقدم انه يجوز ان يكون جوابا للشرط ، وقال ابن عطية فالفاء على هذا عاطفة جملة الكلام على التي قبلها والتقدير فانت ملاقيه يعني بقوله على هذا اى على عود الضمير على كدحا ، قال ابو حيان ولا يتعين ما قاله بل يجوز ان يكون من عطف المفردات والضمير في فملاقيه اما للرب اى ملاق حكمه لا مفر لك منه قاله الزجاج واما الكدح الا ان الكدح عمل وهو عرض لا يبقى فملاقاته ممتنعة والمراد جزاء كدحك ، وقال ابن الخطيب المراد ملاقاة الكتاب الذي فيه بيان تلك الاعمال ويتاكد هذا بقوله بعده فاما من اوتي كتابه بيمينه **قوله تعالى** فاما من اوتي كتابه بيمينه ، اى ديوان اعماله بيمينه ، فسوف يحاسب حسابا يسيرا ، سوف من الله واجب كقول القائل اتبعني فسوف تجد خيرا فانه لا يريد الشك وانما يريد تحقيق الكلام ، والحساب اليسير هو عرض اعماله فيثاب على الطاعة ويتجاوز عن المعصية ولا يقال له لم فعلت هذا ولا يطالب بالحجة عليه قال صلى الله عليه وسلم من حوسب عذب قالت عائشة رضي الله عنها اوليس يقول الله تعالى فسوف يحاسب حسابا يسيرا فقال انما ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب عذب **قوله** وينقلب الى اهله ، في الجنة من الحور العين والادميات والذريات اذا كانوا مؤمنين ، قال ابن الخطيب فان قيل المحاسبة انما تكون بين اثنين وليس في القيامة لاحد مطالبة قبل ربه فيحاسبه فالجواب ان العبد يقول الهي فعلت الطاعة الفلانية والرب سبحانه وتعالى يقول فعلت المعصية الفلانية فكان ذلك من الرب سبحانه وتعالى ومن العبد محاسبة ، والدليل عليه انه تعالى خص الكفار بانه لا يكلمهم فدل ذلك على انه يكلم المطيعين فتلك المكالمة محاسبة والدليل عليه **قوله تعالى** مسرورا حال من فاعل ينقلب ، وقرا زيد بن علي ويقلب مبنيا للمفعول من قلب ثلاثيا **قوله تعالى** واما من اوتي كتابه وراء ظهره ، قيل نزلت في الاسود بن عبد الاسود قاله ابن عباس ، وقيل عامة قال الكلبي لان يمينه مغلولة الى عنقه وتجعل يده اليسرى ممدودة وراء ظهره ، وقيل يحول وجهه الى قفاه فيقرا كتابه كذلك ، وقيل يؤتى كتابه بشماله من ورائه لانه اذا حاول اخذه بيمينه كالمؤمنين منع من ذلك واوتي كتابه بشماله فكيف قال هنا واما من اوتي كتابه وراء ظهره فالجواب انه يؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره او بشماله ، فان قيل اليس انه تعالى قال في سورة الحاقة واما من اوتي كتابه بشماله وقال هنا من وراء ظهره **قوله تعالى** فسوف يدعو ثبورا ، اى ينادي بالويل والثبور الهلاك اذا قرا كتابه يقول يا ويلاه يا ثبوراه لقوله تعالى دعوا هنالك ثبورا **قوله** ويصلى سعيرا ، قرا ابو عمرو وحمزة وعاصم بفتح الياء وسكون الصاد وتخفيف اللام ، والباقون بضم الياء وفتح اللام والتثقيل وقد تقدم تخريج القراءتين في سورة النساء عند قوله تعالى وسيصلون سعيرا ، وقرا ابو الاشهب ونافع وعاصم وابو عمرو وفي رواية عنهم يصلى بضم الياء وسكون الصاد من اصلى **قوله تعالى** انه كان في اهله مسرورا ، قال القفال اى منعما مستريحا من التعب باداء العبادات

واحتمال مشقة الفرائض من الصلاة والجهاد مقدما على المعاصي امنا من الحساب والثواب والعقاب لا يخاف الله تعالى ولا يرجوه فابدله الله بذلك السرور غما باقيا لا ينقطع ، وقيل انه قوله انه كان في اهله مسرورا كقوله تعالى واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فاكهين اى متنعمين في الدنيا معجبين بما هم عليه من الكفر بالله والتكذيب بالبعث يضحك ممن امن بالله وصدق بالحساب كما قال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر **قوله تعالى** انه ظن ان لن يحور معنى يحور اى يرجع ، يقال حار يحور حورا ، قال لبيد م

وما المرء الا كالشهاب وضوئه ، يحور رمادا بعد اذ هو ساطع ،

ويستعمل بمعنى صار فيرفع الاسم وينصب الخبر عند بعضهم مستدلا بهذا البيت ومن منع نصب رمادا على الحال ، وقال الراغب الحور التردد في الامر ، ومنه نعوذ بالله من الحور بعد الكور اى من التردد في الامر بعد المضي فيه ومحاورة الكلام مراجعته ، والمحور العود الذي تجري فيه البكرة لترددها عليه ، والمحار المرجع والمصير ، وعن ابن عباس رضي الله عنه ما كنت ادري ما معنى يحور حتى سمعت اعرابيا يقول لابنته حوري اى ارجعي ، وقال عكرمة وداود بن ابي هند يحور كلمة بالحبشية ومعناها يرجع ، قال القرطبي ويجوز ان تتفق الكلمتان فانهما كلمة اشتقاق ، ومنه الخبز الحواري لانه يرجع الى البياض ، والحور ايضا الهلاك قال الراجز ، بئر لا حور سرى وما شعر ، وقوله تعالى ان لن هذه ان المخففة كالتي في اول سورة القيامة ، وهي سادة مسد المفعولين او احدهما على الخلاف ، وقوله بلى جواب للنفي في لن وان جواب قسم مقدر ، والمعنى انه ظن ان لن يرجع الينا ولن يبعث ثم قال بلى اى ليس كما ظن بل يحور الينا اى يبعث ان ربه كان به بصيرا ، قال الكلبي بصيرا به من يوم خلقه الى ان بعثه وقال عطا بصيرا بما سبق عليه في ام الكتاب من الشقاوة **قوله تعالى** فلا اقسم بالشفق ، اى فاقسم ولا صلة بالشفق اى بالحمرة التي تكون عند غروب الشمس حتى ما في صلاة العشاء الاخرة ، قال الراغب الشفق هو اختلاط ضوء النهار بسواد الليل عند غروب الشمس والاشفاق عناية مختلطة بخوف لان المشفق يحب المشفق عليه ويخاف ما يلحقه فاذا عدي بمن فمعنى الخوف فيه اظهر واذا عدي بعلى فمعنى العناية فيه اظهر ، وقال الزمخشري الشفق الحمرة التي ترى في الغروب بعد سقوط الشمس وبسقوطه يخرج وقت المغرب ويدخل وقت العتمة عند عامة العلماء الا ما روي عن ابي حنيفة في احدى الروايتين انه البياض ، وروى اسد بن عمرو انه رجع عنه سمي شفقا لرقته ، ومنه الشفقة على الانسان رقة القلب عليه انتهى والشفق شفقان الاحمر والاخر الابيض والشفق والشفقة اسمان للاشفاق وقال الشاعر م

تهوى حياتي واهوى موتها شفقا ، والموت اكرم نزال على الحرم ،

تقدم اختلاف العلماء في القسم بهذه الاشياء هل هو قسم بها او بخالقها وان من المتكلمين ذهبوا الى ان القسم واقع برب الشفق وان كان محذوفا لان ذلك معلوم من حيث ورد الحظر بان يقسم بغير الله تعالى ، واعلم ان الصحيح في الشفق انه الحمرة لان اكثر الصحابة والتابعين والفقهاء عليه وشواهد كلام العرب والاشتقاق

والسنة لتشهد له • قال الفرا سمعت بعض العرب تقول لثوب احمر كانه الشفق • قال الشا
احمر اللون كحمر الشفق • وقال اخر هم
• قم يا غلام اعني غير مرتبك • • على الزمان بكاس حشوها شفق •
ويقال للمغرة الشفق • وفي الصحاح الشفق بقية ضوء الشمس وحمرتها في اول
الليل الى قريب من العتمة • وقال الخليل الشفق الحمرة من غروب الشمس الى وقت
العشا الاخرة اذا ذهب قيل غاب الشفق واصل الكلمة من رقة الشي يقال شي شفق
اي لا تماسك له لرقته • واشفق عليه اي رق عليه • والشفقة الاسم من الاشفاق
وهو رقة القلب وكذلك الشفق فكان تلك الرقة من ضوء الشمس • وزعم الحكما
ان البياض لا يغيب اصلا • وقال الخليل صعدت منارة الاسكندرية فرمقت
البياض فرايته مترددا من افق الى افق ولم اره يغيب • وقال ابن ابي اويس رايته
يتمادى الى طلوع الفجر وكلما تجدد وقته سقط اعتباره • وروى النعمان بن بشير
قال انا اعلمكم بوقت صلاة العشا الاخرة كان النبي صلى الله عليه وسلم يصليها لسقوط
القمر لثالثة وهذا تحديد • وقال مجاهد الشفق النهار كله لانه عطف عليه الليل
وما وسق فوجب ان يكون الاول هو النهار فعلى هذا يكون القسم واقعا بالليل
والنهار اللذين احدهما معاش والثاني سكن • والشفق ايضا الردي من الاشيا يقال
عطا مشفق اي مقلل • قال الكميت م
• ملك اغر من الملوك تحلبت • • للسايلين يداه غير مشفق •
قوله تعالى والليل وما وسق • اي جمع وضم ولف • ومنه الوسق وهو
الطعام المجتمع الذي يكال او يوزن وهو ستون صاعا ثم صار اسما واستوسقت
الابل اذا اجتمعت وانضمت والراعي وسقها اي جمعها • قال الشاعر م
• ان لنا قلايصا حقايقا • • مستوسقات لو يجدن سايقا •
والوسق بالكسر الاسم وبالفتح المصدر • وطعام موسوق اي مجموع • يقال وسقته
فاتسق واستوسق ونظيره في وقوع افتعل واستفعل مطاوعين اتسع واستوسع • ومنه
قولهم وقيل وسق اي عمل فيه • قال • فيوما ترانا صالحين وتارة
تقوم بنا كالواسق المتلبب **فصل** قال عكرمة رضي الله عنه وما وسق اي
وما ساق من شي الى حيث ياوي فالوسق بمعنى الطرد • ومنه قيل للطريدة من
الابل والغنم والحمر وسيقة • وعن ابن عباس رضي الله عنه وما وسق اي وما جن وستر
وعنه ايضا وما حمل • ووسقت الناقة تسق وسقا اي حملت واغلقت رحمها على الما
فهي ناقة واسق ونوق وساق مثل نايم ونيام وصاحب وصحاب ومواسيق ايضا
واوسقت البعير حملته حمله واوسقت النخلة كثر حملها • وقال يمان والضحاك ومقاتل بن
سليمان حمل من الظلمة • وقال مقاتل حمل من الكواكب • وقال ابن جبير وما وسق
اي وما عمل فيه من التهجد والاستغفار بالاسحار **قوله تعالى** والقمر اذا
اتسق • اي امتلا قال الفرا وهو امتلاؤه واستواؤه ليالي البدر وهو افتعل من
الوسق وهو الضم والجمع كما تقدم • وامر فلان متسق اي مجتمع على ما يسر من الصلاح
منتظم • ويقال اتسق الشي اذا تتابع • قال ابن عباس رضي الله عنه اذا اتسق اي استوى
واجتمع وتكامل وتم واستدار **قوله تعالى** لتركبن طبقا عن طبق • هذا جواب
القسم • وقرا الاخوان وابن كثير وابو عمرو وابن مسعود وابن عباس وابو العالية

ومسروق وابو وايل ومجاهد والنخعي والشعبي وابن جبير بفتح البا على خطاب الواحد والبا
بضمها على خطاب الجمع فالقراءة الاولى روعي فيها اما خطاب الانسان المتقدم ذكره في قوله
تعالى يا ايها الانسان • واما خطاب غيره فقيل خطاب للرسول عليه الصلاة والسلام اي
لتركبن يا محمد مع الكفار وجهادهم او لتبدلن انصارا مسلمين من قولهم الناس طبقات ولتركبن
سما بعد سما ودرجة بعد درجة ورتبة بعد رتبة في القرب من الله تعالى • وقيل
التا للتانيث والفعل مسند لضمير السما • وقال ابن مسعود لتركبن السما حالا بعد حال
تكون كالمهل وكالدهان وتنفطر وتنشق • والقراءة الثانية روي فيها معنى الانسان
اذ المراد به الجنس • او لتركبن ايها الانسان حالا بعد حال من كونه نطفة ثم مضغة
ثم حيا ثم ميتا وغنيا وفقيرا واختاره ابو عبيد وابو حاتم قال لان المعنى بالناس اشبه
بالنبي صلى الله عليه وسلم لما ذكره قبل هذه الاية فيمن يوتى كتابه بيمينه ومن يوتى
كتابه وراء ظهره • وقوله تعالى بعد ذلك فما لهم لا يومنون اي لتركبن حالا بعد
حال من شدايد يوم القيمة • او لتركبن سنة من كان قبلكم في التكذيب والاختلاف
على الانبيا • وقال مقاتل يعني الموت ثم الحياة • وعن ابن عباس يعني الشدايد والاهوال
الموت ثم البعث ثم العرض • وقال عكرمة رضيع ثم فطيم ثم غلام ثم شاب ثم شيخ
قال ابن الخطيب ويصلح ان يكون خطابا للمسلمين بتعريف نقل احوالهم بنصرهم
وبصبرهم الى الظفر بعدوهم بعد الشدة يلقونها منهم كما قال تعالى لتبلون في
اموالكم وانفسكم • وقرا عمر ليركبن بيا الغيبة وضم البا على الاخبار عن الكفار
وقرا عمر ايضا وابن عباس رضي الله عنهما بالغيبة وفتح البا اي ليركبن الانسان وقيل
ليركبن القمر احوالا من سرار واستهلال وابدار • وقرا عبد الله وابن عباس لتركبن بكسر
حرف المضارعة وقد تقدم في الفاتحة • وقرا بعضهم بفتح حرف المضارعة وكسر البا
على اسناد الفعل للنفس اي لتركبن انت يا محمد نفس **قوله** طبقا مفعول به او حال والطبق
قال الزمخشري ما طابق غيره • يقال ما هذا بطبق كذا اي لا يطابقه ومنه قيل للغطا
الطبق • والطباق الذي ما طابق منه ثم قيل للحال المطابقة لغيرها طبق • ومنه
قوله تعالى طبقا عن طبق اي حالا بعد حال كل واحدة مطابقة لاختها في الشدة
والهول • ويجوز ان يكون جمع طبقة وهي المرتبة من قولهم على طبقات • ومنه طبقات
الظهر لفقاره الواحدة طبقة على معنى لتركبن احوالا بعد احوال هي طبقات في
الشدة بعضها ارفع من بعض وهي الموت وما بعده من مواطن القيمة انتهى • وقيل المعنى
لتركبن هذه الاحوال امة بعد امة • ومنه قول العباس فيه صلى الله عليه وسلم تنقل
من صالب الى رحم • اذا مضى عالم بدا طبق • يريد بدا عالم اخر فعلى هذا التفسير
يكون طبقا حالا او مفعولا به كانه قيل امة بعد امة • واما قول الاقرع • الى امرة
قد حلبت الدهر اشطره • وساقني طبقا منه الى طبق فيحتمل الامرين اي ساقني من حالة
الى اخرى او ساقني من امة وناس الى امة وناس اخرين • ويكون نصب طبقا على المعنيين
على التشبيه بالظرف او الحال اي متنقلا • والطبق ايضا ما طابق الشي اي ساواه
ومنه دلالة المطابقة • وقال امرؤ القيس • ديمة هطلا • والطبق من الجراد اي
جماعة **قوله** عن طبق • في عن وجهان احدهما انها في محل نصب على الحال من فاعل
تركبن • والثاني انها صفة لطبقا قال الزمخشري م فان قلت ما محل عن طبق قلت
النصب على انه صفة لطبقا اي طبقا مجاورا لطبق او مجاورة على حسب القراءة وقال ابو البقا

وعن بمعنى بعد قال ما زلت اقطع منهلا عن منهل حتى انخت بباب عبد الواحد
لان الانسان اذا صار من شي الى شي يكون الثاني بعد الاول فصلحت بعد وعن المجاوزة
والصحيح انها على بابها وهي صفة اي طبقا حاصلا عن طبق اي حالا عن حال وقيل جيلا
عن جيل انتهى يعني الخلاف المتقدم في الطبق ما المراد به هل هو الحال او الجيل او ما
الامة كما تقدم نقله وحينئذ فلا يعرف طبقا مفعولا به بل حالا كما تقدم لكنه لم يذكر
في طبق غير المفعول به وفيه نظر لما تقدم من استحالته معنى اذ يصير التقدير
لتركبن امة بعد امة فتكون الامة مركوبة لهم وان كان يصح على تاويل بعيد
جدا وهو حذف مضاف اي لتركبن سنن او طريقة طبق بعد طبق
فصل
هذا دليل على حدوث العالم واثبات الصانع قالت الحكما من كان اليوم على حالة
اخرى فليعلم ان تدبيره الى سواه وقيل لابي بكر الوراق ما الدليل على ان لهذا
العالم صانعا فقال تحويل الحالات وعجز القوة وضعف الاركان وقهر المنة وفسخ
العزيمة **قوله تعالى** فما لهم لا يومنون يعني اي شي يمنعهم من الايمان
بعد ما وضحت لهم الايات والدلالات وهذا استفهام انكار وقيل تعجب اي اعجبوا
منهم في ترك الايمان مع هذه الايات وقوله تعالى لا يومنون حال قال ابن الخطيب
فما لهم لا يومنون بالبعث والقيمة وهو استفهام انكار وانما يحسن عند ظهور الحجة
وذلك انه تعالى اقسم بتغييرات واقعة في الافلاك والعناصر فان الشفق حالة
مخالفة لما قبلها وهو ضوء النهار ولما بعدها وهو ظلمة الليل وكذا قوله والليل وما
وسق فانه يدل على حدوث ظلمة بعد نور وعلى تغيير احوال الحيوانات من اليقظة الى
النوم وكذا قوله تعالى والقمر اذا اتسق فانه يدل على حصول كمال القمر بعد نقصانه
ثم انه تعالى اقسم بهذه الاحوال المتغيرة على تغيير احوال الخلق وهذا يدل قطعا
على صحة القول بالبعث لان القادر على تغيير الاحوال العلوية والسفلية من حال الى
حال بحسب المصالح لا بد وان يكون قادرا ومن كان كذلك لا محالة قادر على البعث
والقيمة فلما كانت هذه الاية كالدلالة العقلية القاطعة بصحة البعث لا جرم
قال تعالى على سبيل الاستبعاد فما لهم لا يومنون **فصل** قال القرطبي لا يجوز
ان يقول الحكيم لمن كان عاجزا عن الايمان فما لهم لا يومنون وهذا يدل على كونهم
قادرين وهذا يقتضي ان يكون الاستطاعة قبل الفعل وان يكونوا موجدين
لافعالهم وان لا يكون تعالى خالقا للكفر فيهم فهذه الاية من المحكمات التي لا احتمال
فيها البتة وجوابه تقدم **قوله** واذا قرئ شرط جوابه لا يسجدون
وهذه الجملة الشرطية في محل نصب على الحال ايضا نسقا على ما اي فما لهم اذا قرئ عليهم
القران لا يسجدون اي لا يصلون قاله ابن عباس والحسن وعطا والكلبي ومقاتل
وقال ابو مسلم المراد الخضوع والاستكانة وقيل المراد نفس السجود لما
روى ابو هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد فيها وقال
ما لك انها ليست من عزايم السجود لان المعنى لا يذعنون ولا يطيعون **قوله
تعالى** بل الذين كفروا يكذبون العامة على ضم اليا من يكذبون وفتح
الكاف وتشديد الذال والضحاك وابن ابي عبلة بالفتح والاسكان والتخفيف
وتقدمت هاتان القراتان اول البقرة والمعنى يكذبون محمدا صلى الله عليه وسلم
وما جا به قال مقاتل نزلت في بني عمرو بن عمير وكانوا اربعة فاسلم اثنان منهم

وقيل

وقيل هو في جميع الكفار **قوله تعالى** والله اعلم بما يوعون هذه هي العامة من اوعى
يوعي اي بما يضمرون في انفسهم من التكذيب رواه الضحاك عن ابن عباس وقال مجاهد
يكتمون من افعالهم وقال ابن زيد يجمعون من الاعمال الصالحة ماخوذ من الوعا الذي
يجمع فيه يقال اوعيت الزاد اذا جعلته في وعا وقال الشاعر
الخير ابقى وان طال الزمان به والشر اخبث ما اوعيت من زاد
وقرا ابو رجا يعون من وعى يعي يقال وعاه اي حفظه يقال وعيت الحديث اعيه
وعيا واذن واعية وقد تقدم **قوله تعالى** فبشرهم بعذاب اليم اي
مولم في جهنم على تكذيبهم وكفرهم اي اجعل ذلك بمنزلة البشارة **قوله** الا الذين
امنوا يجوز ان يكون متصلا وان يكون منقطعا هذا اذا كانت الجملة من قوله لهم
اجر مستانفة او حالية اما اذا كان الموصول مبتدا والجملة خبره فالاستثنا ليس
من قبيل استثنا المفردات ويكون من قسم المنقطع اي لكن الذين امنوا لهم كيت وكيت
وتقدم معنى الممنون في حم السجدة وان معناه غير منقوص ولا مقطوع يقال مننت
الحبل اذا قطعته وسال نافع بن الازرق ابن عباس رضي الله عنه عن قوله لهم اجر
غير ممنون فقال غير مقطوع فقلت هل تعرف ذلك العرب فقال نعم قد عرفه اخو يشكر
حيث يقول فترى خلفهن من سرعة الرجع منينا كانه اهبا قال المبرد المنين
الغبار لانه يقطعه وراه وكل ضعيف منين وممنون وقيل غير ممنون لا يمن عليهم
به وقال بعضهم ليس هنا استثنا وانما هو بمعنى الواو وكانه قال والذين امنوا وقد
مضى القول فيه في سورة البقرة والله تعالى اعلم روى الثعلبي عن ابي رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة اذا السما انشقت اعاذه الله
تعالى ان يعطيه كتابه ورا ظهره وحسبنا الله ونعم الوكيل

سورة البروج مكية

وهي اثنان وعشرون اية ومايه وتسع كلمات واربعمائة وثمانية وخمسون حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** والسما ذات البروج هذا قسم
اقسم الله تعالى به وفي البروج اقوال قيل والسما ذات النجوم قاله الحسن ومجاهد
وقتادة والضحاك وقال ابن عباس وعكرمة ومجاهد هي قصور في السما وقال
مجاهد ايضا هي البروج الاثنا عشر وهو قول ابي عبيدة ويحيى بن سلام وقيل
هي منازل القمر **قوله تعالى** واليوم الموعود وهو يوم القيمة وهذا قسم
اخر قال ابن عباس رضي الله عنه وعد اهل السما واهل الارض ان يجتمعوا فيه قال
القفال يحتمل ان يكون المراد واليوم الموعود لانشقاق السما وبنائها وبطلان
بروجها وقوله تعالى الموعود اي الموعود به قال مكي الموعود نعت لليوم
وثم ضمير محذوف ثم الموعود به ولولا ذلك لما صحت الصفة اذ لا ضمير على الموصوف
من صفته انتهى وكانه يعني ان اليوم موعود به غيره من الناس فلا بد من ضمير
يرجع اليه لانه موعود به لا موعود وهنا لا موعود وهذا لا يحتاج اليه
اذ يجوز ان يكون قد تجوز بان اليوم قد وعد بكذا فيصح ذلك ويكون فيه ضمير عايد
عليه كانه **قوله تعالى** وشاهد ومشهود قال علي وابن عباس وابن عمر
وابو هريرة رضي الله عنهم الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة وهو قول الحسن

جامعه صح

ورواه ابو هريرة مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم اليوم الموعود يوم القيمة
واليوم المشهود يوم عرفة والشاهد يوم الجمعة خرجه الترمذي في جامعه ، قال
القشيري فيوم الجمعة يشهد على عامل بما عمل فيه ، قال القرطبي وكذلك ساير الايام
والليالي لما روى ابو نعيم الحافظ عن معاوية بن قرة عن معقل بن يسار عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال ليس من يوم ياتي على العبد الا ينادي فيه يا ابن ادم انا خلق جديد
وانا فيما تعمل عليك شهيد فاعمل في خيرا اشهد لك به غدا فاني لو قد مضيت لم ترني ابدا
ويقول الليل مثل ذلك حديث غريب ، وحكى القشيري عن ابن عمر وابن الزبير ان
الشاهد يوم الاضحى ، وقال سعيد بن المسيب الشاهد يوم التروية والمشهود يوم عرفة
وروي عن علي رضي الله عنه الشاهد يوم عرفة والمشهود يوم النحر ، وعن ابن عباس
والحسين بن علي رضي الله عنهما المشهود يوم القيمة لقوله تعالى ذلك يوم مجموع له
الناس وذلك يوم مشهود ، وعلى هذا فقيل الشاهد هو الله تعالى وهو مروي
عن ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير لقوله تعالى وكفى بالله شهيدا ، وقوله تعالى
قل اي شيء اكبر شهادة قل الله شهيد ، وعن ابن عباس رضي الله عنه الشاهد
محمد صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى انا ارسلناك شاهدا ، وقوله تعالى فكيف
اذا جينا من كل امة بشهيد وجينا بك على هولا شهيدا ، وقوله تعالى ويكون
الرسول عليكم شهيدا ، وقيل الانبيا عليهم الصلاة والسلام يشهدون على اممهم
لقوله تعالى فكيف اذا جينا من كل امة بشهيد وجينا بك على هولا شهيدا ، وقيل
ادم ، وقيل عيسى بن مريم عليه السلام لقوله تعالى وكنت عليهم شهيدا ما دمت
فيهم ، والمشهود امته ، وعن ابن عباس ومحمد بن كعب الشاهد الانسان لقوله تعالى
كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ، وقال مقاتل اعضا الانسان لقوله تعالى يوم
تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون ، وقال الحسين بن الفضل
الشاهد هذه الامة والمشهود ساير الامم لقوله تعالى وكذلك جعلناكم امة
وسطا لتكونوا شهدا على الناس ، وقيل الشاهد الحفظة والمشهود بنو ادم وقيل
غير ذلك **قوله** قتل ، هذا جواب القسم على المختار وانما حذفت اللام منه
والاصل لقتل لقوله

حلفت لها بالله حلفة فاجر ،، لناموا فما ان من حديث ولا صال

وانما حسن حذفها للطول كما سياتي ان شا الله تعالى في قوله جل وعلا قد افلح
من زكاها ، وقيل تقديره لقد قتل فحذف اللام وقد وعلى هذا فقوله قتل
خبر لا دعا ، وقيل بل هي دعا فلا يكون جوابا وفي الجواب حينيذ اوجه احدها
انه قوله تعالى ان الذين فتنوا ، الثاني قوله ان بطش ربك لشديد قاله
المبرد ، الثالث انه مقدر فقال الزمخشري ولم يذكر غيره هو محذوف
يدل عليه قتل اصحاب الاخدود كانه قيل اقسم بهذه الاشيا ان كفار قريش
ملعونون كما لعن اصحاب الاخدود ثم قال وقيل دعا عليهم كقوله تعالى قتل
الانسان ، وقيل التقدير لتبعثن ، وقيل فيه تقديم وتاخير اي اصحاب الاخدود
والسما ذات البروج قاله ابو حاتم ، قال ابن الانباري وهذا غلط لانه
لا يجوز للقايل ان يقول والله قام زيد على معنى قام زيد والله ، وقرا الحسن
وابن مقسم قتل بتشديد التا مبالغة او تكثيرا **قوله** اصحاب الاخدود ، اي لعن

اصحاب الاخدود ، قال ابن عباس رضي الله عنه كل شي في القران قتل فهو لعن
والاخدود الشق العظيم المستطيل الغامض في الارض ، قال الزمخشري والاخدود
الخد في الارض وهو الشق ونحوهما بنا ومعنى الحق والاحقوق ومنه فساخت قوايمه
في احاقيق جرذان انتهى ، فالخد في الاصل مصدر وقد يقع على المفعول وهو الشق نفسه
واما الاخدود فاسم له بهم ، وقال الراغب الخد والاخدود شق في الارض مستطيل
غامض ، واصل ذلك من خدي الانسان وهما ما اكتنفا الانف عن اليمين والشمال
فالخد يستعار للارض ونحوها كاستعارة الوجه وتخدد اللحم زواله عن وجه
الجسم ثم يعبر بالمتخدد عن المهزول ، والخداد ميسم في الخد ، وقال غيره سمي الخد خدا
لان الدموع تخد فيه اخاديد اي مجاري وجمع الاخدود اخاديد والمخدة لان الخد
يوضع عليها ، ويقال تخدد وجه الرجل اذا صارت فيه اخاديد من جراح **فصل** نقطه صح
هذه السورة وردت في تثبيت المومنين وصبرهم على اذى المشركين وتذكيرهم بما جرى
على من تقدمهم من التعذيب على الايمان حتى يقتدوا بهم ويعلموا ان كفارهم عند الله
تعالى بمنزلة الامم السالفة وكان من حديث اصحاب الاخدود انه كان لبعض
الملوك ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه السحر وكان في طريق الغلام راهب
فمال قلب الغلام الى ذلك الراهب ثم راى في طريقه ذات يوم حية قد حبست الناس
فقال اللهم ان كان هذا الراهب احب اليك من الساحر فقوني على قتل هذه الحية
واخذ حجرا فرماها به فقتلها فاعرض الغلام عن تعليم السحر واشتغل بطريقة
الراهب ثم صار الى حيث يبري الاكمه والابرص ويشفي من الاذى واتفق ان عمي جليس
الملك فاتاه بهدايا كثيرة وقال ان انت شفيتني فهي لك اجمع فقال الغلام اني
لا اشفي احدا انما يشفي الله تعالى فان امنت بالله دعوت الله تعالى يشفيك فامن
بالله فشفاه الله وابراه فلما راه الملك قال له من رد عليك بصرك قال ربي
فغضب الملك وقال له هل لك رب غيري فعذبه فدل على الغلام فجي بالغلام فقال
له الملك يا بني قد بلغ من سحرك ما يبري الاكمه والابرص وتفعل وتفعل فقال اني لا
اشفي احدا انما يشفي الله تعالى فاخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب فقيل له
ارجع عن دينك فابى فوضع المنشار في مفرق راسه فشقه حتى وقع شقاه ثم جي
بالغلام فقيل له ارجع عن دينك فابى فدفعه الى نفر من اصحابه فقال اذهبوا به
الى جبل كذا وكذا فان رجع عن دينه والا فاطرحوه من ذروته فذهبوا به وصعدوا
الجبل فقال الغلام اللهم اكفنيهم بما شيت فرجف بهم الجبل فسقطوا وجا يمشي الى الملك
فقال له الملك ما فعل اصحابك فقال كفانيهم الله فدفعه الى نفر من اصحابه
وقال احملوه في سفينة وتوغلوا به البحر فان رجع عن دينه والا فغرقوه فذهبوا
به فقال اللهم اكفنيهم بما شيت فانكفات بهم السفينة فغرقوا وجا يمشي الى الملك
فقال له الملك ما فعل اصحابك فقال كفانيهم الله تعالى ، وقال للملك لست
بقاتلي حتى تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع نخلة ثم تاخذ سهما من كنانتي
ثم تضع السهم في كبد القوس ثم قل بسم الله رب الغلام ثم ارم به فانك اذا فعلت
ذلك قتلتني فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع ثم اخذ سهما من كنانته
فوضعه في القوس ثم قال بسم الله رب الغلام ورماه به فوقع السهم في صدغه
فوضع يده على صدغه فمات فقال الناس امنا برب الغلام فقيل للملك نزل بك م

ماكنت تحذر فامر باخاديد فى افواه السكك واوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امراة ومعها صبى فتقاعست ان تقع فيها فقال لها الصبى يا اماه اصبرى فانك على الحق فصبرت على ذلك • وفى رواية ان الدابة التى حبست الناس كانت اسدا وان الغلام دفن فقيل انه اخرج فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه واصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل • وعن ابن عباس رضى الله عنه ان النار ارتفعت من الاخدود فصارت فوق الملك واصحابه اربعين ذراعا فاحرقتهم • وقال الضحاك هم قوم من النصارى باليمن قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم باربعين سنة احدهم يوسف بن شراحيل بن تبع الحميرى وكانوا نيفا وثمانين رجلا وحفر لهم اخدودا واحرقهم حكاه الماوردى وروى غير ذلك • قال مقاتل اصحاب الاخدود ثلاثة واحد بنجران والاخر بالشام والاخر بفارس • اما الذى بالشام فانطيانوس الرومى • والذى بفارس بخت نصر • والذى بارض العرب يوسف بن ذى نواس فلم ينزل الله تعالى فى الذى بفارس والشام قرانا وانزل قرانا فى الذى كان بنجران • قال الكلبى هم نصارى نجران اخذوا بها قوما مومنين فخدوا لهم سبعة اخاديد كل اخدود اربعين ذراعا وعرضه اثنا عشر ذراعا ثم طرح فيه النفط والحطب ثم عرضوهم عليها فمن ابى قذفوه فيها

فصل

قال ابن الخطيب يمكن ان يكون المراد باصحاب الاخدود القاتلين ويمكن ان يكون المراد بهم المقتولين • والمشهور ان المقتولين هم المومنون • وروى ان المقتولين هم الجبابرة روى انهم لما القوا المومنين فى النار عادت النار على الكفرة فاحرقتهم ونجى الله تعالى المومنين منها سالمين والى هذا القول ذهب الربيع بن انس والواحدى وتاولوا قوله تعالى فلهم عذاب جهنم اى فى الاخرة ولهم عذاب الحريق فى الدنيا فان فسرنا اصحاب الاخدود بالقاتلين فيكون قوله قتل اصحاب الاخدود دعا عليهم اى لعن اصحاب الاخدود كقوله تعالى قتل الانسان ما اكفره قتل الخراصون • او يكون المعنى قتلوا بالنار لما ارادوا قتل المومنين بالنار عادت النار عليهم فقتلتهم • وان فسرنا اصحاب الاخدود بالمقتولين كان المعنى ان المومنين قتلوا بالاحراق بالنار فيكون ذلك خبرا لا دعا

فصل

المقصود من هذه الاية تثبيت قلوب المومنين باخبارهم بما كان يلقاه من كان قبلهم من الشدايد وذكر لهم النبى صلى الله عليه وسلم قصة الغلام ليصبروا على ما يلقون من اذى الكفار ليتاسوا بهذا الغلام فى صبره على الاذى والتعب وبذله نفسه فى اظهار دعوته ودخول الناس فى الدين مع صغر سنه وكذلك صبر الراهب على التمسك بالحق حتى نشر بالمنشار • وكذلك اكثر الناس لما امنوا بالله تعالى **قوله** النار • العامة على جرها وفيها اوجه احدها انه بدل من الاخدود بدل اشتمال لان الاخدود مشتمل عليها • وحينئذ فلا بد من الضمير فقال البصريون مقدر تقديره النار فيه • وقال الكوفيون قايمة مقام الضمير تقديره ناره ثم حذف الضمير وعوض عنه ال وتقدم البحث معهم فى ذلك الثانى انه بدل كل من كل ولا بد حينئذ من حذف مضاف تقديره اخدود النار الثالث ان التقدير ذى النار لان الاخدود هو الشق فى الارض حكاه ابو البقاء وهذا يوهم ان النار خفض بالاضافة لتلك الصفة المحذوفة فلما حذف المضاف

قام المضاف اليه مقامه فى الاعراب واتفق ان المحذوف كان مجرورا • وقوله لان الاخدود هو الشق تعليل لصحة كونه صاحب نار • الرابع ان النار خفض على الجوار نقله مكى عن الكوفيين • وهذا يقتضى ان النار كانت مستحقة لغير الجر فعدل عنه الى الجر للجوار والذى يقتضيه الحال انه عدل الى الرفع • ويدل على ذلك انه قد قرى فى الشاذ النار رفعا والرفع على خبر ابتدا مضمر تقديره قتلتهم النار • وقيل بل هى مرفوعة على الفاعلية تقديره قتلتهم النار اى احرقتهم • والمراد حينئذ باصحاب الاخدود المومنون • وقرا العامة الوقود بفتح الواو والحسن وابو رجا وابو حيوة وعيسى بضمها وتقدمت القراتان فى اول البقرة **قوله تعالى** اذ هم عليها قعود • العامل فى اذ اما قتل اصحاب اى قتلوا فى هذا الوقت وقيل اذكر مقدرا فيكون مفعولا به • ومعنى قعودهم عليها اى على ما يقرب منها كحافتها • ومنه قول الاعشى • تشب لمقرورين يصطليانها • وبات على النار الندى والمحلق • وقال القرطبى ومعنى عليها اى عندها • وعلى بمعنى عند والضمير فى هم يجوز ان يكون للمومنين وان يكون للكافرين **قوله تعالى** وهم على ما يفعلون بالمومنين شهود • اى حضور يعنى الكفار كانوا يعرضون الكفر على المومنين فمن ابى القوه فى النار • وقيل على بمعنى مع اى وهم مع ما يفعلون بالمومنين شهود • قال ابن الخطيب وعلى بمعنى عند كقوله تعالى ولهم على ذنب اى عندى • وقوله شهود اما حضور قاسية قلوبهم لا يرقون على المومنين او هم يجدون فى ذلك لا يخطر لهم الا انه حق او يكون المراد وصف المومنين بالتصلب فى دينهم والثبات عليه وانه لم يوثر فيهم حضور هولاء ولا استحيوا من مخالفتهم واما ان يكون المراد بشهودهم شهادة الدعوى اى يشهد بعضهم لبعض عند الملك بما فعلوا بالمومنين واما انهم مثبتون فى فعلهم مستبصرون فيه كما تفعل الشهود ثم لا يرحمونهم مع ذلك **قوله تعالى** وما نقموا • العامة على فتح القاف • وزيد بن على وابو حيوة وابن ابى عبلة بكسرها والفصيح الفتح وقد تقدم ذلك فى سورة المايدة وبراءة والمعنى ما نقم الملك واصحابه من الذين حرقهم الا ان يومنوا اى الا ان صدقوا بالله كقوله • ولا عيب فيهم غير شكلة عينها • كذاك عتاق الطير شكلا عيونها • وكقول ابن الرقيات • ما نقموا من بنى امية الا انهم يحلمون ان غضبوا • يعنى انهم جعلوا احسن الاشيا قبيحا وتقدم الكلام على محل ان ايضا فى سورة المايدة وقوله تعالى الا ان يومنوا اتى بالفعل المستقبل تنبيها على ان التعذيب انما كان لاجل ايمانهم فى المستقبل لم يعذبوا على ما مضى من الايمان فكانه قيل الا ان يدوموا على ايمانهم والعزيز هو الغالب المنيع الحميد المحمود فى كل حال الذى له ملك السموات والارض لا شريك له فيهما والله على كل شى شهيد اى عالم باعمال خلقه لا يخفى عليه خافية وهذا وعد عظيم للمطيعين ووعيد للمجرمين **قوله تعالى** ان الذين فتنوا المومنين والمومنات لما ذكر قصة اصحاب الاخدود اتبعها بما يشترع من احكام الثواب والعقاب فقال تعالى ان الذين فتنوا المومنين والمومنات اى حرقوهم بالنار والعرب تقول فتن فلان الدرهم والدينار اذا ادخله الكور لينظر جودته • ودينار مفتون ويسمى الصايغ الفتان وكذلك الشيطان وورق فتين اى فضة محروقة • ويقال للحرة فتين وهى الارض التى تركبها حجارة سود اى كانما احرقت حجارتها بالنار لسوادها وقال ابن الخطيب ان يكون المراد بالذين فتنوا كل من فعل ذلك لان اللفظ عام والحكم

عام وقوله تعالى ثم لم يتوبوا اى من قبيح صنيعهم وهذا يدل على انهم لو تابوا لخرجوا
عن هذا الوعيد وذلك يدل على القطع بان الله تبارك وتعالى يقبل التوبة فدل على ان
توبة القاتل عمدا مقبولة **قوله** فلهم عذاب جهنم هو خبر ان الذين ودخلت الفا
لما تضمنه المبتدا من معنى الشرط ولا يضر نسخه بان خلافا للاخفش وارتفاع عذاب
يجوز على الفاعلية بالجار قبله لوقوعه خبرا وهو الاحسن وان يرتفع بالابتدا والمعنى
لهم عذاب جهنم لكفرهم وقيل ولهم عذاب الحريق اى ولهم فى الاخرة عذاب زايد
على عذاب كفرهم باحراقهم المومنين وقيل لهم عذاب الجحيم وعذاب الحريق والحريق
اسم من اسما جهنم كالسعير والنار دركات وانواع ولها اسما وكانوا يعذبون
بالزمهرير فى جهنم ثم يعذبون بعذاب الحريق فالاول عذاب ببردها والثانى عذاب
بحرها **قوله تعالى** ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اى ان هولا الذين
كانوا امنوا بالله اى صدقوا به وبرسله وعملوا الصالحات لهم جنات اى بساتين
تجرى من تحتها الانهار لما ذكر تعالى وعيد المجرمين ذكر وعد المومنين ذلك
الفوز الكبير اى العظيم الذى لا فوز يشبهه وقال ذلك الفوز ولم يقل تلك لان ذلك
ذلك اشارة الى اخبار الله تعالى بحصول الجنات وتلك اشارة الى الجنة الواحدة
واخبار الله تعالى يدل على كونه راضيا والفوز الكبير هو رضى الله تعالى لا دخول الجنة
قوله ان بطش ربك لشديد اى اخذه الجبابرة والظلمة كقوله تعالى وكذلك
اخذ ربك اذا اخذ القرى وهى ظالمة ان اخذه اليم شديد قال المبرد ان بطش
ربك جواب القسم وقد تقدم ذلك والبطش هو الاخذ بعنف فاذا وصف
بالشدة فقد تضاعف **قوله تعالى** انه هو يبدئ ويعيد يعنى الخلق عند
اكثر العلما يخلقهم ابتدا ثم يعيدهم عند البعث وروى عكرمة قال عجب الكفار
من احيايه تعالى الاموات وقال ابن عباس رضى الله عنه يبدى لهم عذاب الحريق
فى الدنيا ثم يعيده عليهم فى الاخرة وهذا اختيار الطبرى **قوله تعالى**
وهو الغفور الودود الغفور اى الستور لعباده المومنين والودود مبالغة
فى الواد قال ابن عباس رضى الله عنه هو المتودد الى عباده بالمغفرة وعن المبرد
هو الذى لا ولد له وانشد واركب فى الروع عريانة ذلول الجماع لقاحا
ودودا اى لا ولد لها تحن اليه وقيل هو فعول بمعنى مفعول كالركوب والحلوب
اى يوده عباده الصالحون **قوله تعالى** ذو العرش المجيد قرا الكوفيون
الا عاصما المجيد بالجر فقيل نعتا للعرش وقيل لربك فى قوله ان بطش ربك قاله
مكى وقيل لا يجوز ان يكون نعتا للعرش لانه من صفات الله تعالى وقرا الباقون
بالرفع على انه خبر بعد خبر وقيل هو نعت لذو واستدل بعضهم على تعدد
الخبر بهذه الاية ومن منع قال لانها فى معنى خبر واحد اى جامع بين هذه الاوصاف
الشريفة او كل منها خبر لمبتدا مضمر والمجيد هو النهاية فى الكرم والفضل والله
تبارك وتعالى هو المنعوت بذلك وان كان قد وصف عرشه بالكريم فى اخر
المومنين ومعنى ذو العرش اى ذو الملك والسلطان كما يقال فلان على سرير
ملكه وان لم يكن على سرير ويقال ثل عرشه اى ذهب سلطانه **قوله تعالى**
فعال لما يريد اى لا يمتنع عليه شى يريده قال الزمخشرى فعال خبر مبتدا
محذوف وانما قيل فعال لان ما يريده ويفعل فى غاية الكثرة وقال الفرا

هو رفع على التكرير والاستيناف لانه نكرة محضة وقال الطبرى رفع فعال وهو
نكرة محضة على وجه الاتباع لاعراب الغفور الودود وعن ابى السفر قال دخل ناس
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابى بكر رضى الله عنه يعودونه فقالوا
الا ناتيك بطبيب قال رضى الله عنه قد رانى قالوا فما قال لك قال قال انى فعال
لما اريد **فصل** دلت هذه الاية على خلق الافعال لانه تعالى يريد الايمان
فوجب ان يكون فاعلا للايمان واذا كان فاعلا للايمان وجب ان يكون فاعلا
للكفر ضرورة انه لا قايل بالفرق **فصل** قال القفال فعال لما يريد
اى يفعل ما يريد على ما يراه لا يعترض عليه ولا يغلبه غالب فيدخل اولياه الجنة
لا يمنعه مانع ويدخل اعداه النار لا ينصرهم منه ناصر ويمهل العصاة على ما يشا الى ان
يجازيهم ويعاجل بعضهم بالعقوبة اذا شا فهو يفعل ما يريد **قوله تعالى**
هل اتاك حديث الجنود اى قد اتاك يا محمد خبر الجموع الكافرة المكذبة لانبيايهم
يسليه بذلك ثم بينهم فقال تعالى فرعون وثمود يجوز ان يكون بدلا من الجنود
وحينيذ فكان ينبغى ان ياتى البدل مطابقا للمبدل منه فى الجمعية فقيل هو على حذف
مضاف اى جنود فرعون وقيل المراد فرعون وقومه واستغنى بذكره عن
ذكرهم لانهم اتباعه ويجوز ان يكون منصوبا باضمار اعنى لانه لما لم يطابق ما
قبله وجب قطعه والمعنى انك قد عرفت ما فعل بهم حين كذبوا انبيايهم ورسلهم
قوله تعالى بل الذين كفروا فى تكذيب اى بل هولا الذين لا يومنون بك
فى تكذيب لك كدأب من قبلهم وانما خص فرعون وثمود لان ثمود فى بلاد العرب
وقصتهم عندهم مشهورة فان كانوا من المتقدمين وامر فرعون كان مشهورا
عند اهل الكتاب وغيرهم وكان من المتاخرين فى الهلاك فدل بهما على امثالهما والله
اعلم **قوله تعالى** والله من ورايهم محيط اى يقدر على ان ينزل بهم ما انزل
بفرعون والمحاط به كالمحصور وقيل والله عالم بهم فيجازيهم **قوله**
بل هو قران مجيد العامة على تبعية مجيد لقران وقرا ابن السميفع باضافة
قران لمجيد فقيل على حذف مضاف اى قران رب مجيد كقوله ولكن التقى رب غفور
اى تقوى رب غفور وقيل بل هو من اضافة الموصوف الى صفته فيجد الزايد
ولكن البصريون يجيزون هذا لئلا يلزم اضافة الشى الى نفسه ويتاولون ما ورد
ومعنى مجيد اى متناه فى الشرف والكرم والبركة وقيل مجيد اى غير مخلوق **قوله
تعالى** فى لوح محفوظ قرا نافع برفع محفوظ نعتا للقران والباقون بالجر
نعتا للوح والعامة على فتح اللام وقرا ابن السميفع وابن يعمر بضمها قال الزمخشرى
يعنى اللوح فوق السما السابعة الذى فيه اللوح المحفوظ من وصول الشياطين اليه
وقال ابو الفضل اللوح الهوا وتفسير الزمخشرى امس بالمعنى وهو الذى اراده ابن
خالويه قال القرطبى فى لوح محفوظ اى مكتوب فى لوح وهو محفوظ عند الله
تعالى من وصول الشياطين اليه وقيل هو ام الكتاب ومنه انتسخ القران والكتب
وقال بعض المتكلمين اللوح شى يلوح للملايكة فيقرونه وفى الصحاح لاح الشى يلوح
لوحا ولواحا عطش وكل عظم عريض واللوح الذى يكتب فيه واللوح بالضم الهوا بين السما
والارض وانشد ابن دريد عقاب لوح الجو اعلا منتما قال ابن الخطيب
فان قلت فى لوح محفوظ وقال تعالى فى اية اخرى انه لقران كريم فى كتاب مكنون

فيحتمل ان يكون الكتاب المكنون هو اللوح المحفوظ ثم كونه محفوظا يحتمل ان يكون المراد
محفوظا عن ان يمسه الا المطهرون ، ويحتمل ان يكون كونه محفوظا عن اطلاع الخلق
عليه سوى الملائكة المقربين ، ويحتمل ان يكون المراد ان لا يتغير ولا يتبدل والله اعلم
روى الثعلبي عن ابي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا والسما
ذات البروج اعطاه الله تعالى بعدد كل يوم جمعة وكل يوم عرفة تكون في دار الدنيا
عشر حسنات

سورة الطارق مكية

وهي سبع عشرة اية ، واثنتان وسبعون كلمة ، ومائتان واحدى وسبعون حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى والسما والطارق السما قسم والطارق
قسم ، والطارق هو النجم الثاقب كما بينه الله تعالى بقوله وما ادراك ما
الطارق النجم الثاقب ، والطارق في الاصل اسم فاعل من طرق يطرق طروقا
اي جا ليلا ، قال امرء القيس ، فمثلك حبلى قد طرقت ومرضعا ، فالهيتها عن ذي
تمائم محول ، واصله من الضرب والطارق بالحصا الضارب به ، قال
لعمرك ما تدري الطوارق بالحصا ، ولا زاجرات الطير ما الله صانع ،
ثم اتسع فقيل لكل من اتى ليلا طارق سوا كان كوكبا او غيره ، ولا يكون الطارق
نهارا ، وروى انه صلى الله عليه وسلم نهى ان ياتي الرجل اهله طروقا ، وقوله النجم
الثاقب قال محمد بن الحسين هو زحل ، وقال ابن زيد هو الثريا ، وعنه ايضا انه زحل
وعن ابن عباس هو الجدي ، وعنه ايضا وعن علي ابن ابي طالب والفرا النجم الثاقب نجم
في السما السابعة لا يسكنها غيره من النجوم فاذا اخذت النجوم امكنتها من السما هبط
فكان معها ثم يرجع الى مكانه من السما السابعة وهو زحل فهو طارق حين ينزل وحين
يهبط ، وفي الصحاح الطارق النجم الذي يقال له كوكب الصبح ، ومنه قول هند
نحن بنات طارق ، نمشي على النمارق ،
وقيل هو اسم جنس فيدخل فيه ساير الكواكب ، وسمي ثاقبا لانه يثقب الظلام بضوئه
اي ينفذ فيه اي يرمى الشيطان به ويحرقه ، قال الماوردي واصل الطرق الدق
ومنه سميت المطرقة فسمي قاصد الليل طارقا لاحتياجه في الوصول الى الدق ، روى
ان ابا طالب اتى النبي صلى الله عليه وسلم بخبز ولبن فبينما هو جالس ياكل اذا انحط
نجم فامتلات الارض نورا ففزع ابو طالب وقال اي شي هذا فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم هذا النجم رمي به وانه من ايات الله فعجب ابو طالب ونزلت
السورة ، وقال مجاهد الثاقب المتوهج ، وقوله تعالى وما ادراك تفخيم لشان
هذا المقسم به قوله تعالى ان كل نفس لما عليها حافظ ، قد تقدم في سورة
هود التخفيف والتشديد في لما فمن خففها هنا كانت ان هنا مخففة من الثقيلة
وكل مبتدا وما فارقة وعليها خبر مقدم وحافظ مبتدا مؤخر والجملة خبر كل وما
مزيدة بعد اللام الفارقة ، ويجوز ان يكون عليها هو الخبر وحده وحافظ
فاعل به وهو احسن ، ويجوز ان يكون كل مبتدا وحافظ خبره وعليها متعلق به
وما مزيدة ايضا ، هذا كله تفريع على قول البصريين ، وقال الكوفيون ان
هنا نافية واللام بمعنى الا ايجابا بعد النفي وما مزيدة ، وتقدم الكلام
في هذا مستوفى ، قال الفارسي وتستعمل لما بمعنى الا في موضعين احدهما هذا

والاخر

والاخر في باب القسم تقول سالتك لما فعلت ، وروى عن الاخفش والكسائي وابي عبيدة
انهم قالوا لم نجد لما بمعنى الا في كلام العرب ، واما قراءة التشديد فان نافية
ولما بمعنى الا وتقدمت شواهد ذلك في سورة هود ، وحكى هرون انه قرئ ان
بالتشديد كل بالنصب على انه اسمها واللام هي الداخلة في الخبر وما مزيدة وحافظ خبرها
وعلى كل تقدير فان وما في حيزها جواب القسم سوا جعلت مخففة او نافية ، وقيل الجواب
انه على رجعه لقادر وما بينهما اعتراض وفيه بعد **فصل** قال قتادة حافظ اي
حفظة يحفظون عليك رزقك وعملك واجلك قال تعالى ويرسل عليكم حفظة ، وقال
تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين ، وقال تعالى له معقبات من بين يديه
ومن خلفه يحفظونه من امر الله ، وقيل الحافظ هو الله تعالى ، وقيل الحافظ هو
العقل يرشد الانسان الى مصالحه ويكفه عن مضاره ، قال القرطبي العقل وغيره
وسايط ، والحافظ في الحقيقة هو الله تعالى قال تعالى فالله خير حافظا وقال
تعالى قل من يكلوكم بالليل والنهار من الرحمن ، قال ابن الخطيب المعنى لما كانت
كل نفس عليها حافظ وجب ان يجتهد كل احد ويشتغل بالمهم واهم الاشيا معرفة المبدا
والمعاد والمبدا مقدم قوله تعالى فليتظر الانسان ، اي ابن ادم مم خلق وجه
الاتصال بما قبله وصية الانسان بالنظر في امره حتى يعلم ان من انشاه قادر على
اعادته وجزائه فليعمل ليوم الاعادة والحشر والجزا ولا يملي على الحافظ الا ما يسره
في عاقبة امره ، وقوله تعالى مم خلق استفهام اي من اي شي خلق وهو جواب الاستفهام
قوله تعالى من ما دافق ، قيل فاعل بمعنى مفعول كعكسه في قولهم سيل مفعم
وقوله تعالى حجابا مستورا على وجه ، وقيل دافق على النسب اي دافق او انه فاق
وقال ابن عطية يصح ان يكون الما دافقا لان بعضه يدفق بعضا اي يدفعه فمنه دافق
ومنه مدفوق انتهى ، والدفق الصب فعله متعد ، وقرا زيد بن علي مدفوق وكانه
فسر المعنى ، قال القرطبي الدفق ~~الصب فعله متعد ، وقرا زيد بن علي مدفوق~~
صب الما دفقت الما ادفقه دفقا اي صببته فهو ما دافق اي مدفوق كما قالت
سر كاتم اي مكتوم لانه من قولك دفق الما على ما لم يسم فاعله ولا يقال دفق الما
ويقال دفق الله روحه اذا دعي عليه بالموت ، قال الفرا والاخفش ما دافق اي من
مصبوب في الرحم ، قال الزجاج من ما ذي اندفاق يقال دارع وفارس ونابل
اي ذو فرس وذو درع وذو نبل وهذا مذهب سيبويه فالدافق هو المندفق بشدة
قوته واراد ماءين ما الرجل وما المراة لان الانسان مخلوق منهما لكن جعلهما ما واحدا
لامتزاجهما ، وعن ابن عباس دافق لزج قوله تعالى يخرج من بين الصلب
والترايب ، اي هذا الما من بين الصلب اي الظهر ، وقرا العامة يخرج مبنيا
للفاعل وابن ابي عبلة وابن مقسم مبنيا للمفعول ، وقرا ايضا واهل مكة الصلب بضم
الصاد واللام ، وقرا اليماني بفتحهما وقول العجاج في صلب مثل العنان المودم
وتقدمت لغاته في سورة النسا عند قوله تعالى الذين من اصلابكم واعربها ما لب
لقول العباس رضي الله عنه تنقل من صالب الى رحم ، والترايب جمع تريبة وهي
موضع القلادة من عظام الصدر لان الولد مخلوق من مائهما فما الرجل في صلبه
وما المراة في ترايبها وهو معنى قوله تعالى من نطفة امشاج ، وقال امرء القيس
مهفهفة بيضا غير مفاضة ، ترايبها مصقولة كالسجنجل ،

اودم

القلادة مع

وقال الشاعر والزعفران على ترائبها * شرقا به اللبات والنحر * وقال ابو عبيدة جمع التريبة التريب * قال المثقب العبدي * ومن ذهب يلوح على تريب * كلون العاج ليس بذي غضون * وقال الشاعر * اشرف ثدياها على التريب * وعن ابن عباس وعكرمة الترائب ما بين ثدييها * وفي الترائب التراقي * وقيل اضلاع الرجل التي اسفل الصلب * وحكى الزجاج ان الترائب اربعة اضلاع من يمنة الصدر واربعة اضلاع من يسرة الصدر * وعن ابن عباس اطراف المرء يداه ورجلاه وعيناه وهو قول الضحاك * وقيل عصارة القلب وهو قول معمر بن ابي حبيبة * قال ابن عطية وفي هذه الاقوال تحكم على اللغة * وقال سعيد بن جبير هو الجيد * وقال مجاهد ما بين المنكبين والصدر * وعنه الصدر * قال القرطبي والمشهور من كلام العرب انها عظام الصدر والنحر * جاء في الحديث ان الولد يخلق من ماء الرجل يخرج من صلبه العظم والعصب وماء المراة الذي يخرج من ترائبها اللحم والدم * وحكى القرطبي ان ماء الرجل ينزل من الدماغ ثم يجتمع في الانثيين وهذا لا يعارض قوله من بين الصلب والترائب لانه ان نزل من الدماغ فانما يمر بين الصلب والترائب * وقال قتادة المعنى يخرج من صلب الرجل وترائب المراة * وحكى الفراء ان مثل هذا يأتي عن العرب فيكون معنى من بين الصلب من الصلب والمعنى من صلب الرجل وترائب المراة * ثم انا نعلم ان النطفة من جميع اجزاء البدن ولذلك يشبه الرجل والديه كثيرا وهذه الحكمة في غسل جميع الجسد من خروج المني * وايضا فالمكثر من الجماع يجد وجعا في صلبه وظهره وليس ذلك الا لخلو صلبه عما كان محتبسا من الماء * قال المهدوي ومن جعل المني يخرج من بين صلب الرجل وترائبه فالضمير في يخرج للماء ومن جعله من صلب الرجل وترائب المراة فالضمير للانسان **قوله** انه * الضمير للخالق المدلول عليه بقوله تعالى خلق لانه معلوم ان لا خالق سواه سبحانه **قوله** على رجعه * في الهاء وجهان احدهما انه ضمير الانسان اي على بعثه بعد موته وهو قول ابن عباس وقتادة والحسن وعكرمة وهو اختيار الطبري لقوله تعالى يوم تبلى السرائر * والثاني انه ضمير الماء اي يرجع المني في الاحليل او الصلب قاله الضحاك ومجاهد والاول قول ايضا وعكرمة * وعن الضحاك ايضا ان المعنى انه على رد الانسان من الكبر الى الشباب ومن الشباب الى الكبر حكاه المهدوي * وفي الماوردي والثعلبي الى الصبا ومن الصبا الى النطفة * وقال ابن زيد انه على حبس ذلك الماء حتى لا يخرج لقادر وقال الماوردي ويحتمل انه على ان يعيده الى الدنيا بعد بعثه الى الاخرة لان الكفار يسالون فيها الرجعة والرجع مصدر رجعت الشيء اي رددته **قوله تعالى** يوم تبلى السرائر * فيه اوجه وقد رتبها ابو البقاء على الخلاف في الضمير فقال على القول بكون الضمير للانسان فيه اوجه * احدها انه معمول لقادر الا ان ابن عطية قال بعد ان حكى اوجها عن النحاة قال وكل هذه الفرق فرت من ان يكون العامل لقادر لئلا يظهر من ذلك تخصيص القدرة بذلك اليوم وحده * ثم قال واذا تؤمل المعنى وما يقتضيه فصيح كلام العرب جاز ان يكون العامل لقادر لانه اذا اقدر على ذلك في هذا الوقت كان في غيره اقدر بطريق الاولى * الثاني ان العامل مضمر على التبيين ان يرجعه يوم تبلى * الثالث تقديره اذكر فيكون مفعولا به وعلى عوده على الماء يكون العامل فيه اذكر انتهى ملخصا * وجوز بعضهم ان يكون العامل

فيه

فيه ناصر وهو فاسد لان ما بعد ما النافية وما بعد الفاء لا يعمل فيما قبلها * وقيل العامل رجعه وهو فاسد لانه قد فصل بين المصدر ومعموله باجنبي وهو خبر ان وبعضهم يغتفره في الظرف **قوله** تبلى تختبر وتعرف * قال الراجز * قد كنت قبل اليوم تزدريني فاليوم ابلوك وتبتليني * اي اعرفك وتعرفني * وقيل تبلى السرائر اي تخرج مخبآتها وتظهر وهو كل ما استسره الانسان من خير او شر واضمره من ايمان او كفر * قال ابن الخطيب والسرائر ما اسر في القلب والمراد هنا عرض الاعمال ونشر الصحف والمعنى اختبارها وتمييز الحسن منها من القبيح لترتب الثواب والعقاب * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ائتمن الله تعالى خلقه على اربع على الصلاة والزكاة والصيام والغسل وهي السرائر التي يختبرها الله يوم القيامة ذكره المهدوي * وروى الماوردي عن زيد بن اسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الامانة ثلاث الصوم والصلاة والجنابة استأمن الله تعالى ابن ادم على الصلاة فان شاء قال صليت ولم يصل واستأمن الله تعالى ابن ادم على الصوم فان شاء قال صمت ولم يصم واستأمن الله تعالى ابن ادم على الجنابة فان شاء قال اغتسلت ولم يغتسل اقرؤوا ان شئتم يوم تبلى السرائر * وقال مالك رضي الله عنه الوضوء من السرائر ومن السرائر ما في القلوب يجزي الله تعالى به العباد وقال ابن العربي قال ابن مسعود رضي الله عنه يغفر للشهيد الا الامانة والوضوء من الامانة والصلاة والزكاة من الامانة والوديعة من الامانة واشد ذلك الوديعة يمثل له على هيئتها يوم اخذها فيرمى بها في قعر جهنم فيقال له اخرجها فيتبعها فيجعلها في عنقه فاذا اراد ان يخرج بها زلت منه فيتبعها فهو كذلك دهر الداهرين وقال ابي بن كعب من الامانة ان ائتمنت المراة على فرجها * وقال سفيان في الحيضة والحمل من الامانة ان قالت لم احض وانا حامل صدقت ما لم تأت بما يعرف فيه انها كاذبة **قوله تعالى** فما له من قوة ولا ناصر * اي فما للانسان من قوة اي منعة تمنعه ولا ناصر ينصره مما نزل به * قال ابن الخطيب ويمكن ان يتمسك بهذه الاية في نفي الشفاعة لقوله تعالى واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا الاية * والجواب ما تقدم **قوله تعالى** والسماء ذات الرجع * قيل الرجع مصدر بمعنى رجوع الشمس والقمر اليها والنجوم تطلع من ناحية وتغيب في اخرى * وقيل الرجع المطر * قال المتنخل يصف سيفا شبهه بالماء * ابيض كالرجع رسوب * اذا ما ثاخ في محتفل يختلي * كما سمي اوبا * كقوله وباسما لا تاوي لقلتها * الا السحاب والا الاوب والسبل * قال الخليل الرجع المطر نفسه وهذا قول الزجاج * قال ابن الخطيب واعلم ان كلام الزجاج وسائر ائمة اللغة صريح في ان الرجع ليس اسما موضوعا للمطر بل سمي رجعا مجازا وحسن هذا المجاز وجوه احدها قال القفال كانه من ترجيع الصوت وهو اعادته ووصل الحروف به وكذا المطر لكونه يعود مرة بعد اخرى سمي رجعا * وثانيها ان العرب كانوا يزعمون ان السحاب يحمل الماء من بحار الارض ثم يرجعه الى الارض * والرجع ايضا نبات الربيع وقيل ذات الرجع اي ذات النفع * وقيل ذات الملائكة لرجوعهم فيها باعمال العباد وهذا قسم * والارض ذات الصدع * قسم اخر اي تتصدع عن النبات والشجر والثمار والانهار * نظيره ثم شققنا الارض الاية * والصدع بمعنى الشق لانه يصدع الارض فتنصدع به وكانه قال والارض ذات النبات لان النبات صادع للارض * وقال مجاهد الارض ذات الطرق التي تصدعها المشاة * وقيل ذات الحرث لانه يصدعها

وقيل ذات الاموات لانصداعها عنهم للنشور ، وقيل هما الجبلان بينهما شق وطريق نافذ لقوله تعالى وجعلنا فيها فجاجا سبلا ، قال ابن الخطيب واعلم انه تعالى كما جعل كيفية خلقة الحيوان دليلا على معرفة المبدا والمعاد ذكر فى هذا القسم كيفية خلقة النبات فقال تعالى والسما ذات الرجع اى كالاب والارض ذات الصدع كالام وكلاهما من النعم العظام لان نعم الدنيا موقوفة على ما ينزل من السما متكررا او على ما ينبت من الارض كذلك ثم اردف هذا القسم بالمقسم عليه وهو قوله تعالى انه لقول فصل وهذا جواب القسم والضمير فى انه للقران اى ان القران يفصل بين الحق والباطل ، وقال القفال يعود الى الكلام المتقدم ، والمعنى ان ما اخبرتكم به من قدرتى على احيايكم يوم تبلى سرايركم قول فصل وحق ، والفصل الحكم الذى ينفصل به الحق عن الباطل ، ومنه فصل الخصومات وهو قطعها بالحكم الجزم ، ويقال هذا قول فصل قاطع للشر والنزاع ، وقيل معناه جد لقوله تعالى وما هو بالهزل اى باللعب ، والهزل الجد والتشمير فى الامر ، قال الكميت ، تجد بنا فى كل يوم وتهزل ، ويقال هزل يهزل **قوله تعالى** انهم يكيدون كيدا ، اى ان اعدا الله يكيدون كيدا اى يمكرون بمحمد عليه الصلاة والسلام واصحابه مكرا قيل فالقيد القا الشبهات كقولهم ان هى الا حياتنا الدنيا من يحيى العظام وهى رميم اجعل الالهة الها واحدا ، لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم فهى تملا عليه بكرة واصيلا ، وقيل الطعن فيه بكونه ساحرا او شاعرا او مجنونا حاشاه من ذلك صلى الله وسلم عليه ، وقيل قصدهم قتله لقوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا الاية ، واما قوله تعالى واكيد كيدا اى اجازيهم جزا كيدهم ، وقيل هو ما اوقع الله تعالى بهم يوم بدر من القتل والاسر ، وقيل استدراجهم من حيث لا يعلمون وقيل كيد الله تعالى نصره واعلاء درجته صلى الله عليه وسلم تسمية لاحد المتقابلين باسم الاخر كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها ، وقال الشاعر ،

، الا لا يجهلن احد علينا ، فنجهل فوق جهل الجاهلينا ،

وقوله تعالى نسوا الله فنسيهم ، يخادعون الله وهو خادعهم **قوله تعالى** فمهل الكافرين ، اى لا تدع بهلاكهم ولا تستعجل وارض بما نريده فى امورهم ثم نسخت بقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم امهلهم هذه قراة العامة ولما كرر الامر توكيدا خالف بين اللفظين ، وعن ابن عباس رضى الله عنه فمهلهم كالاول ومهل وامهل بمعنى مثل نزل وانزل ، والامهال والتمهيل الانتظار ، يقال امهلتك كذا اى انتظرتك لتفعله ، وامهله انظره ومهله تمهيلا ، والاسم المهلة والاستمهال الانتظار ، والمهل الرفق والتؤدة ، وتمهل فى امره اى اتاه ، وانمهل تمهيلا اعتدل وانتصب والاتمهال ايضا سكون وفتور ، ويقال مهلا يا فلان اى رفقا وسكونا **قوله** رويدا ، مصدر موكد لمعنى العامل وهو تصغير ارواد على الترخيم وقيل بل هو تصغير رود كذا قال ابو عبيدة ، وانشد ، كانها ثمل تمشى على رود اى على مهل ، واعلم ان رويدا يستعمل مصدرا بدلا من اللفظ بفعله فيضاف تارة لقوله تعالى فضرب الرقاب ولا يضاف اخرى نحو رويدا زيدا ، ~~وتفسير رويدا~~ ، ويقع حالا نحو ساروا رويدا اى متمهلين ونعت المصدر نحو ساروا رويدا اى سيرا رويدا وتفسير رويدا امهلا وتفسير رويدك امهل لان الكاف انما تدخل اذا كان بمعنى افعل دون غيره ، وانما حركت الدال لالتقا الساكنين ونصب نصب المصادر وهو مصغر

بامور به لانه تصغير الترخيم من ارواد وهو مصدر ارود يرود وله اربعة اوجه اسم للفعل وصفة وحال ومصدر وقد تقدم ذكرها انفا ، قال ابن عباس رضى الله عنه رويدا اى قريبا ، وقال قتادة قليلا ، وقيل امهلهم رويدا الى يوم القيمة وانما صغر ذلك من حيث ان كل ما هو ات قريب ، وقيل امهلهم رويدا الى يوم بدر ، روى الثعلبى عن ابى بن كعب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا والسما والطارق اعطاه الله تعالى من الاجر بعدد كل نجم فى السما عشر حسنات والله تعالى اعلم

، سورة الاعلى مكية ،

فى قول الجمهور ، وقال الضحاك مدنية ، وهى تسع عشرة اية ، واثنان وسبعون كلمة ، ومايتان واربعة وثمانون حرفا ، بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** سبح اسم ربك الاعلى ، يستحب للقارى اذا قرا سبح اسم ربك الاعلى ان يقول عقيبه سبحان ربى الاعلى كذا جا فى الحديث ، وقال جماعة من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم قال ابن عباس والسدى معنى سبح اسم ربك الاعلى اى عظم ربك الاعلا والاسم صلة قصد بها تعظيم المسمى لقول لبيد ، الى الحول ثم اسم السلام عليكما ، وقيل نزه ربك عن السوء وعما يقوله الملحدون ، وذكر الطبرى ان المعنى نزه اسم ربك الاعلى عن ان تسمى به احدا سواه ، وقيل المعنى نزه تسمية ربك وذكرك اياه ان تذكره الا وانت خاشع معظم لذكره ، وجعلوا الاسم بمعنى التسمية ، قال ابن الخطيب معنى سبح اسم ربك الاعلا اى نزهه عن كل ما لا يليق به فى ذاته وفى صفاته وفى افعاله وفى اسمايه وفى احكامه ، اما فى ذاته فان تعتقد انها ليست من الجواهر والاعراض له واما فى صفاته فان تعتقد انها ليست محدثة ولا متناهية ولا ناقصة ، واما فى افعاله فان تعتقد انه سبحانه مالك مطلق لا اعتراض لاحد عليه فى امر من الامور ، وقالت المعتزلة هو ان تعتقد ان كل ما فعله صواب حسن وانه سبحانه لا يفعل القبيح ولا يرضى به ، واما فى اسمايه فان لا تذكره سبحانه وتعالى الا بالاسما التى لا توهم نقصا بوجه من الوجوه سوا ورد الاذن فيها او لم يرد ، واما فى احكامه سبحانه فهو ان تعلم انه ما كلفنا لنفع يعود اليه بل لمحض المالكية على قولنا او لرعاية مصالح العباد على قول المعتزلة **فصل** قال ابن الخطيب تمسك بهذه الاية فى ان الاسم نفس المسمى واقول ان الخوض فى هذه المسالة لا يمكن الا بعد الكشف عن محل النزاع فنقول ان كان الاسم عبارة عن اللفظ والمسمى عبارة عن الذات فليس الاسم المسمى بالضرورة فكيف يمكن الاستدلال على ما علم بالضرورة ، نعم هنا نكتة وهى ان الاسم هو اللفظ الدال على معنى فى نفسه من غير زمن والاسم كذلك فيكون اسما لنفسه فالاسم هنا نفس المسمى فلعل هذا مراد من اطلق ذلك لان الحكم بالتعميم خطأ والمراد بالذى يدل على الاسم نفس المسمى هو ان احدا لا يقول سبحان اسم الله وسبحان اسم ربنا فمعنى سبح اسم ربك والرب ايضا فلو كان غير المسمى لم يجز ان يقع التسبيح عليه وهذا الاستدلال ضعيف لما بينا انه يمكن ان يكون الامر واردا بتسبيح الاسم ويمكن ان يكون المراد سبح المسمى وذكر الاسم صلة فيه ويكون المراد سبح باسم ربك كما قال تعالى فسبح باسم ربك العظيم ويكون المعنى سبح بذكر اسمايه **فصل** روى ابو صالح عن ابن عباس رضى الله عنه صل بامر ربك الاعلى قال وهو ان يقول سبحان ربى الاعلا

وروى عن علي رضي الله عنه وابن عباس وابن عمر وابن الزبير وابي موسى وعبد الله بن مسعود
رضي الله عنهم كانوا اذا افتتحوا قراءة هذه السورة قالوا سبحان ربي الاعلى امتثالا
لامره في ابتدائها فيختار الاقتداء بهم في قراءتهم لا ان سبحان ربي الاعلى من القرآن
كما قاله بعض اهل الزيغ ، وقيل في قراءة ابي سبحان ربي الاعلى ، وروى ابن الانباري
باسناده الى عيسى بن عمر عن ابيه قال قرا علي بن ابي طالب رضي الله عنه في الصلاة
سبح اسم ربك الاعلى ثم قال سبحان ربي الاعلى فلما انقضت الصلاة قيل له يا امير
المؤمنين اتزيد هذا في القرآن قال ما هو قال سبحان ربي الاعلى قال انما امرنا
بشيء فقلته ، وعن عقبة بن عامر الجهني قال لما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها في سجودكم ، قال القرطبي وهذا كله يدل على ان الاسم
هو المسمى لانهم لم يقولوا سبحان اسم ربي ، وقيل معناه ارفع صوتك بذكر ربك قال
جرير ، قبح الاله وجوه تغلب كلما ، سبح الحجيج وكبروا تكبيرا **قوله** الاعلى ، يجوز
جره صفة لربك ونصبه صفة لاسم الا ان هذا يمنع ان يكون الذي صفة لربك بل يتعين
جعله نعتا لاسم او مقطوعا لئلا يلزم الفصل بين الصفة والموصوف بصفة غيره اذ يصير
التركيب مثل قولك جاءني غلام هند العاقل الحسنة فيفصل بالعاقل بين هند وبين صفتها
وتقدم الكلام في اضافة الاسم الى المسمى **قوله تعالى** الذي خلق فسوى ، قال
ابن الخطيب يحتمل ان يريد الناس خاصة ويحتمل ان يريد الحيوان ويحتمل ان يريد كل شيء
خلقه الله تعالى فمن حمله على الانسان ذكر للتسوية وجوها احدها اعتدال قامته
وحسن خلقته على ما قال تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم واثنى على نفسه بسبب
خلقه اياه بقوله تعالى فتبارك الله احسن الخالقين ، وثانيها ان كل حيوان مستعد
لنوع واحد من الاعمال فقط واما الانسان فانه خلق بحيث يمكنه ان ياتي بجميع الاعمال
بواسطة الآلات ، وثالثها انه تعالى هيأه للتكليف والقيام باداء العبادات
قال بعضهم خلق في اصلاب الآباء وسوى في ارحام الامهات ، ومن حمله على جميع الحيوانات
فمعناه انه اعطى كل حيوان ما يحتاج اليه من آلات واعضاء ، ومن حمله على جميع المخلوقات
كان المراد من التسوية هو انه تعالى قادر على كل الممكنات عالم بجميع المعلومات
خلق ما اراد على وفق ارادته موصوفا بالاحكام والاتقان مبرأ عن النقص والاضطراب
قوله تعالى والذي قدر فهدى ، قرأ الكسائي وعلي رضي الله عنه والسلمي
قدر بتخفيف الدال ، والباقون بالتشديد ، والمعنى قدر كل شيء بمقدار معلوم
ومن خفف قال القفال معناه ملك فهدى ، وتاويله انه تعالى خلق كل شيء
فسوى وملك ما خلق اي تصرف فيه كيف شاء واراد هذا هو الملك فهداه لمنافعه
ومصالحه ، ومنهم من قال انهما لغتان بمعنى واحد وعليه قوله تعالى فقدرنا فنعم
القادرون بالتشديد والتخفيف وقد تقدم **فصل** قال مجاهد قدر الشقاوة
والسعادة وهدى للرشد والضلالة ، وعنه هدى الانسان للسعادة والشقوة
وهدى الانعام لمراعيها ، وقيل قدر اقواتهم وارزاقهم وهداهم لمعاشهم ان
كانوا اناسا ولمراعيهم ان كانوا وحوشا ، وعن ابن عباس والسدي ومقاتل والكلبي
في قوله تعالى فهدى قال عرف خلقه كيف ياتي الذكر الانثى كما قال تعالى في سورة
طه اعطى كل شيء خلقه ثم هدى اي الذكر للانثى ، وقال عطاء جعل لكل دابة ما يصلحها
وهداها له ، وقيل قدر فهدى قدر لكل حيوان ما يصلحه فهداه اليه وعرفه وجه

الانتفاع به يقال ان الافعى اذا اتت عليها الف سنة عميت وقد الهمها الله تعالى ان مسح
العينين بورق الرازيانج الغض يرد اليها بصرها فربما كانت في برية بينها وبين الريف
مسيرة ايام فتطوي تلك المسافة على طولها وعماها حتى تهجم في بعض البساتين على شجرة
الرازيانج لا تخطئها فتحك بها عينيها فترجع باصرة باذن الله تعالى وهدايات الانسان
الى مصالحه من اغذيته وادويته وامور دنياه ودينه والهامات البهائم والطيور
وهوام الارض ثابت واسع فسبحان ربي الاعلى ، وقال السدي قدر مدة الجنين في
الرحم ثم هداه الى الخروج من الرحم ، وقال الفراء قدر فهدى واضل فاكتفى بذكر
احدهما كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر ، ويحتمل ان يكون بمعنى دعا الى الايمان كقوله
تعالى وانك لتهدي الى صراط مستقيم اي لتدعو وقد دعا الكل الى الايمان ، وقيل فهدى
اي دلهم بافعاله على توحيده وكونه عالما قادرا ، واعلم ان الاستدلال بالخلق وبالهداية
هي معتمد الانبياء قال ابراهيم عليه السلام الذي خلقني فهو يهدين ، وقال موسى عليه
السلام لفرعون ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى وقال ههنا ذلك وانما خصت
هذه الطريقة لوضوحها وكثرة عجائبها **قوله تعالى** والذي اخرج المرعى ، اي النبات
لما ذكر سبحانه ما يختص بالناس اتبعه ما يختص بسائر الحيوان من النعم ، اي هو القادر
على انبات العشب لا كالاصنام التي عبدتها الكفرة والمرعى ما تخرجه الارض من النبات
من الثمار والزرع والحشيش ، قال ابن عباس رضي الله عنه المرعى الكلأ الاخضر
قوله تعالى فجعله غثاء احوى ، غثاء اما مفعول ثان واما حال والغثاء بتشديد
الثاء وتخفيفها وهو الهشيم ما يبقى في السيل على جوانب الوادي من النبات ونحوه ، قال
امرؤ القيس ، كأن ذرا رأس المجيمر غدوة ، من السيل والاغثاء فلكة مغزل
ورواه الفراء والاغثاء على الجمع وفيه غرابة من حيث جمع فعالا على افعال ، وقوله تعالى
احوى فيه وجهان اظهرهما انه نعت لغثاء ، والثاني انه حال من المرعى ، قال ابو البقاء
قدم بعض الصلة يعني ان الاصل اخرج المرعى احوى فجعله غثاء ، قال شهاب الدين
ولا يسمى هذا تقديما لبعض الصلة ، والاحوى افعل من الحوة وهي سواد يضرب الى
الخضرة ، قال ذو الرمة ، لمياء في شفتيها حوة لعس ، وفي اللثات وفي انيابها
شنب ، وقد تقدم ان بعض النحاة استدل على وجود بدل الغلط بهذا البيت وقيل
خضرة عليها سواد ، والاحوى الظبي لان في ظهره خطتين ، قال ، وفي الحي احوى
ينفض المرد شادن ، مظاهر سمطي لؤلؤ وزبرجد ويقال رجل احوى وامرأة حواء
وجمعهما حو نحو احمر وحمراء وحمر ، قال القرطبي وفي الصحاح الحوة حمرة الشفة وقد
حويت ، وبعير احوى اذا خالط خضرته سواد وصفرة ، وتصغير احوى احيو في لغة
من قال اسيود ، قال عبد الرحمن بن زيد هذا مثل ضربه الله تعالى للكفار لذهاب
الدنيا بعد نضارتها والمعنى انه صار كذلك بعد خضرته قال ابو عبيدة فجعله اسود
من احتراقه وقدمه والرطب اذا يبس اسود **قوله تعالى** سنقرئك فلا تنسى
قال الواحدي سنقرئك اي سنجعلك قارئا اي نلهمك القراءة فلا تنسى ما تقرأه
اي نجعلك قارئا للقرآن فتحفظه وهو نفي اخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم
لا ينسى ، وقيل نهي والالف للاشباع وقد تقدم نحو هذا في سورة يوسف وطه ومنع
مكي ان يكون نهيا لانه لا نهي عما ليس باختياره وهذا غير لازم اذ المعنى النهي عن تعاطي
اسباب النسيان وهو شائع قيل هذه البشرى من الله تعالى بشره الله تعالى بان جبريل

عليه السلام لا يفرغ من اخر الوحي حتى يتكلم هو باوله مخافة النسيان فنزلت هذه الاية
فلا تنسى بعد ذلك شيا **قوله تعالى** الا ما شاء الله ٥ فيه اوجه احدها انه مفرغ
اى الا ما شاء الله ان ينسيكه فانك تنساه والمراد رفع تلاوته ٥ وفي الحديث انه
كان يصبح فينسى الايات لقوله تعالى ما ننسخ من اية او ننسها ٥ وقيل ان المعنى بذلك
الندرة والقلة ٥ قال ابن الخطيب ويشترط ان لا يكون ذلك القليل من الواجبات
بل من الاداب والسنن فانه لو نسي من الواجبات شيا ولم يتذكره ادى ذلك الى الخلل
في الشرع وهو غير جايز كما روي انه صلى الله عليه وسلم اسقط اية في صلاته فحسب
ابي انها نسخت فسال فقال صلى الله عليه وسلم نسيتها ٥ وقال الزمخشري الغرض
نفي النسيان راسا كما يقول الرجل لصاحبه انت سهيمي فيما املك الا ما شاء الله ولم يقصد
استثناء شي وهو من استعمال القلة في معنى النفي انتهى ٥ وهذا القول سبقه اليه
الفرا ومكي ٥ قال الفرا وجماعة معه هذا الاستثناء صلة في الكلام على سنة الله تعالى
في الاستثناء وليس شي ابيح استثناوه ٥ قال ابو حيان هذا لا ينبغي ان يكون في كلام الله
تعالى ولا في كلام فصيح ٥ وكذلك القول بان لا للنفي والالف فاصلة انتهى ٥ وهذا الذي قاله
ابو حيان لم يقصده القايل بكونه اي زايدا محضا بل بالمعنى الذي ذكره وهو المبالغة
في نفي النسيان او النهي عنه ٥ وقال مكي وقيل معنى ذلك الا ما شاء الله وليس يشا الله
ان ينسى شيا وهو بمنزلة قوله تعالى في سورة هود في الموضعين خالدين فيها ما دامت
السموات والارض الا ما شاء ربك وليس تعالى ترك شيا من الخلود لتقدم مشيته
بخلودهم كما روي عن ابن عباس رضي الله عنه فلم ينس بعد نزول هذه الاية
حتى مات صلى الله عليه وسلم ٥ وقيل هو استثناء من قوله تعالى فجعله غثاء احوى
نقله مكي والمعنى ما شاء الله ان يناله بنو ادم والبهايم فانه لا يصير كذلك قال
شهاب الدين وهذا ينبغي ان لا يجوز البتة ٥ قال القرطبي فقيل الا ما شاء الله ان
تنسى ثم تذكر بعد ذلك فاذا قد نسي ولكنه يتذكر ولا ينسى نسيانا كليا ٥ وقيل
هذا النسيان بمعنى النسخ اي الا ما شاء الله ان ينسخه والاستثناء نوع من النسخ
وقيل النسيان بمعنى الترك اي نعصمك من ان تترك العمل الا ما شاء الله ان تتركه
بنسخه اياه فهذا في نسخ العمل والاول في نسخ القراءة ولا للنفي لا للنهي وقيل للنهي
وانما اثبت اليا لروس الاي ٥ والمعنى لا تغفل قراءته وتكراره فتنساه الا ما
شاء الله ان ينسيكه برفع تلاوته للمصلحة والاول هو المختار لان الاستثناء
من النهي لا يكاد يكون الا موقتا معلوما ٥ وايضا فان اليا مثبتة في جميع المصاحف
وعليها القراء ٥ وقيل معناه الا ما شاء الله ان يوخر انزاله **فصل** ذكر
في كيفية هذا التعليم والاقرا وجوها ٥ الاول ان جبريل عليه السلام سيقرا
عليك القران مرات حتى تحفظه ~~بالمرة الواحدة~~ حفظا لا تنساه ٥ وثانيها انا
نشرح صدرك ونقوي خاطرك حتى تحفظه بالمرة الواحدة حفظا لا تنساه
وثالثها انه تعالى لما امره صلى الله عليه وسلم في اول السورة بالتسبيح فكانه
تعالى قال واظب على ذلك ودم عليه فانا سنقريك القران الجامع لعلوم الاولين
والاخرين ويكون فيه ذكرك وذكر قومك ونجمعه في قلبك وييسرك لليسرى
وهو العمل به **فصل** هذه الاية تدل على المعجزة من وجهين ٥ الاول انه صلى
الله عليه وسلم كان رجلا اميا فحفظه لهذا الكتاب المطول من غير دراسة

ولا تكرار ولا كتابة خارق للعادة ٥ الثاني انه اخبار عن الوقوع في المستقبل وقد وقع فكان
هذا اخبارا عن الغيب فيكون معجزا **فصل** قال بعضهم المراد بقوله تعالى
الا ما شاء الله امورا اولها التبرك بهذه الكلمة لقوله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل
ذلك غدا الا ان يشاء الله فكانه تعالى يقول اني عالم بجميع المعلومات وعالم بعواقب
الامور على التفصيل ومع ذلك لا اخبر عن وقوع شي في المستقبل الا مع هذه الكلمة
فانت وامتك يا محمد اولى بها ٥ وهذا يدل على ان الاستثناء غير حاصل في الحقيقة وانه صلى
الله عليه وسلم لم ينس بعد ذلك شيا كما قاله ابن عباس والكلبي وغيرهما ٥ وثانيها
قال الفرا انه تعالى ما شاء ان ينسى محمد صلى الله عليه وسلم شيا الا ان المقصود
من ذكر هذا الاستثناء بيان انه تعالى لو اراد ان يصير ناسيا لذلك لقدر عليه
لقوله تعالى ولين شينا لنذهبن بالذي اوحينا اليك ثم انا نقطع انه تعالى ما شا
ذلك ٥ ونظيره قوله تعالى لين اشركت ليحبطن عملك مع انه صلى الله عليه وسلم
ما اشرك البتة ففايدة هذا الاستثناء ان الله يبلغ ذلك وتعالى يعرفه قدرته
حتى يعلم ان عدم النسيان من فضل الله واحسانه لا من قوته ٥ وثالثها ان الله تعالى
لما ذكر هذا الاستثناء جوز رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ما ينزل عليه من الوحي
ان يكون ذلك هو المستثنى فلا جرم كان يبالغ في التثبت والتحفظ في جميع المواضع
فكان المقصود من ذكر هذا الاستثناء بقاه صلى الله عليه وسلم على التيقظ في جميع الاحوال
قوله تعالى انه يعلم الجهر وما يخفى ٥ الجهر الاعلان من القول والعمل وما يخفى من
السر ٥ عن ابن عباس رضي الله عنه ما في قلبك ونفسك ٥ وقال محمد بن حاتم يعلم اعلان
الصدقة واخفاها ٥ وقيل الجهر ما حفظته من القران في صدرك وما يخفى هو ما نسخ
في صدرك ما اسميه **فصل** ولا يجوز ان تكون مصدرية ليلا يلزم خلو الفعل
من فاعل ولولا ذلك لكان المصدرية احسن ليعطف مصدر مؤول على مثله صريح
قوله تعالى ونيسرك لليسرى ٥ عطف على سنقريك وهو داخل في حيز
التنفيس وما بينهما من الجملة اعتراض ٥ واليسرى هي الطريقة اليسرى وهي عمال الخير
والتقدير سنقريك فلا تنسى ونوفقك للطريقة التي هي اسهل وايسر يعني في حفظ
القران ٥ وقال ابن مسعود اليسرى الجنة اي نيسرك للعمل المودي الى الجنة ٥ وقيل
نهون عليك الوحي حتى تحفظه وتعمل به ٥ وقيل نوفقك للشريعة اليسرى وهي الحنيفية
السهلة السمحة قاله الضحاك ٥ فان قيل المعهود في الكلام ان يقال يسر الامر لفلان
ولا يقال يسر فلان للامر ٥ فالجواب ان هذه العبارة كما انها اختيار القران
هنا وفي سورة والليل فكذا هي اختيار الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله اعملوا
فكل ميسر لما خلق له ٥ وفيه لطيفة وهي ان الفاعل لا يترجح عنده الفعل على الترك
الا عند المرجح وعند ذلك المرجح يجب الفعل فالفاعل اذن ميسر للفعل لا ان
الفعل ميسر للفاعل فذلك الرجحان هو المسمى بالتيسير **قوله تعالى** فذكر
ان نفعت الذكرى ٥ اي فعظ قومك يا محمد بالقران ان نفعت الذكرى اي الموعظة
وان شرطية وفيه استبعاد لتذكرهم ٥ ومنه قوله

٥ لقد اسمعت لو ناديت حيا ٥٥ ولكن لا حياة لمن تنادي ٥

وقيل ان بمعنى اذ كقوله تعالى وانتم الاعلون ان كنتم مومنين ٥ اي اذ كنتم وقيل
هي بمعنى قد ذكره ابن خالويه وهو بعيد ٥ وقيل بعده شي محذوف تقديره ان

نفعت الذكرى وان لم تنفع كقوله تعالى يستر ابيل تقيكم الحر قاله الفرا والنحاس والجرجاني
والزهراوي • وقيل انه مخصوص في قوم باعيانهم • وقيل ان بمعنى ما اى فذكر
ما نفعت الذكرى فيكون ان بمعنى ما لا بمعنى الشرط لان الذكرى نافعة بكل حال قاله
ابن شجرة **فصل** قال ابن الخطيب انه صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا الى الكل
فيجب عليه ان يذكرهم ان نفعتهم الذكرى او لم تنفعهم فما فائدة هذا الشرط وهو
قوله ان نفعت الذكرى • والجواب من وجوه اما ان يكون المراد منه التنبيه
على اشرف الحالين وهي وجود النفع الذى لاجله شرعت الذكرى قال والمعلق
بان على الشى لا يلزم ان يكون عدما عند عدم ذلك الشى ويدل عليه ايات منها
هذه الاية • ومنها قوله تعالى واشكروا الله ان كنتم اياه تعبدون • ومنها
قوله تعالى ولا جناح عليكم ان تقصروا من الصلاة ان خفتم فان القصر جائز
عند الخوف وعدمه • ومنها قوله تعالى فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان ظنا ان
يقيما حدود الله والمراجعة جائزة بدون هذا الظن • واذا كان كذلك فهذا
الشرط فيه فوائد منها ما تقدم ومنها البعث على الانتفاع بالذكرى كما يقول الرجل
لمن يرشده قد اوضحت لك ان كنت تعقل وهو تنبيه للنبى صلى الله عليه وسلم على انه
لا تنفعهم الذكرى او يكون هذا فى تكرير الدعوة فاما الدعا الاول فعام فان
قيل الله تعالى عالم بعواقب الامور وبمن يؤمن ومن لا يؤمن • والتعليق بالشرط
انما يحسن فى حق من ليس بعالم • فالجواب ان امر البعثة والدعوة شى وعلمه
تعالى بالمغيبات وعواقب الامور غير ولا يمكن بنا احدهما على الاخر كقوله
تعالى لموسى وهرون عليهما السلام فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى وهو
تعالى عالم بانه لا يتذكر ولا يخشى • فان قيل التذكير المامور به هل هو مضبوط
بعدد اولا وكيف يكون الخروج عن عهدة التذكير • فالجواب ان المعتبر
فى التذكير والتكرير العرف **قوله تعالى** سيذكر من يخشى • يتقى الله ويخافه
قال ابن عباس رضى الله عنه نزلت فى ابن ام مكتوم • وقيل فى عثمان بن عفان
رضى الله عنه عنه قال الماوردي وقد يذكر من يرجوه الا ان تذكرة الخاشى ابلغ من
تذكرة الراجى فلذلك علقها بالخشية دون الرجا وان تعلقت بالخشية والرجا • وقيل
المعنى عمم انت التذكير والوعظ وان كان الوعظ انما ينفع من يخشى ولكن يحصل لك
ثواب الدعا حكاه القشيرى • فان قيل التذكير انما يكون بشى قد علم وهؤلا لم يزالوا
كفارا معاندين • فالجواب ان ذلك لظهوره وقوة دليله كانه معلوم لكنه
يزول بسبب التقليد والعناد فلذلك سمى بالتذكير والسين فى قوله تعالى سيذكر
يحتمل ان يكون بمعنى سوف وسوف من الله تعالى واجب كقوله تعالى سنقريك
فلا تنسى • ويحتمل ان يكون المعنى ان من خشى فانه يتذكر وان كان بعد حين بما يستعمله
من التدبر والنظر **قوله تعالى** ويتجنبها الاشقى • اى الشقى فى علم الله
تعالى • لما بين من ينتفع بالذكرى بين بعده من لا ينتفع بها وهو الكافر الاشقى
قيل نزلت فى الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة الذى يصلى النار الكبرى اى العظمى
وهى السفلى من اطباق النار قاله الفرا • وعن الحسن الكبرى نار جهنم والصغرى
نار الدنيا • وقيل فى الاخرة نيران ودركات متفاضلة كما فى الدنيا ذنوبا ومعاصى
متفاضلة فكما ان الكفار اشقى العصاة فلذلك يصلى اعظم النيران • فان قيل لفظ

الاشقى يستدعي وجود الشقى اذ فى بره هذا اللفظ من غير مشارك كقوله تعالى اصحاب
الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا • ويتجنبها الاشقى كقوله تعالى وهو اهون
عليه • وقال ابن الخطيب الفرق ثلاث العارف والمتوقف والمعاند فالسعيد هو العارف
والمتوقف له بعض الشقا والاشقى هو المعاند **قوله تعالى** ثم لا يموت فيها
ولا يحيى • لا يموت فيستريح ولا يحيى حياة تنفعه كقوله تعالى لا يقضى عليهم فيموتوا
ولا يخفف عنهم من عذابها • فان قيل هذه الاية تقتضى ان ثم حالة غير الحياة والموت
وذلك غير معقول • فالجواب قال بعضهم هذا كقول العرب للمبتلى بالبلا الشديد
لا هو حى ولا هو ميت • وقيل ان نفس احدهم فى النار تمر فى حلقه فلا تخرج للموت
ولا ترجع الى موضعها من الجسم فيحيى • وقيل حياتهم كحياة المذبوح وحركته قبل مفارقة
الروح فلا هو حى لان الروح لم تفارقه بعد ولا هو ميت لان الميت هو الذى
تفارق روحه جسده وثم للتراخى فبين الرتب فى الشدة **قوله تعالى** قد افلح
من تزكى اى صادف البقا فى الجنة اى من تطهر من الشرك بالايمان قاله ابن عباس
وعطا وعكرمة • وقال الحسن والربيع من كان عمله زاكيا ناميا وهو قول الزجاج
وقال قتادة تزكى اى عمل صالحا • وعن عطا وابى العالية نزلت فى صدقة الفطر
قال ابن سيرين قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى قال يخرج فيصلى بعد ما يؤدي
والاول اظهر لان اللفظ المعتاد ان يقال فى المال زكى ولا يقال تزكى قال تعالى
ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه • وقال الاحوص وعطا المراد بالاية زكاة الاموال
كلها • قال بعضهم لا ادرى ما وجه هذا التاويل لان هذه السورة مكية ولم
يكن بمكة عيد ولا زكاة فطر • قال البغوي يجوز ان يكون النزول سابقا
على الحكم لقوله تعالى وانت حل بهذا البلد والسورة مكية وظهر اثر الحل يوم الفتح
قال صلى الله عليه وسلم احلت لى ساعة من نهار • وقيل هذا زكاة الاعمال لا زكاة
الاموال اى زكى اعماله من الريا والتقصير • وروى جابر بن عبد الله رضى الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد افلح من تزكى اى شهد ان لا اله الا
الله وخلع الانداد وشهد انى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا مروى عن
ابن عباس رضى الله عنه ايضا • وروى عطا عن ابن عباس قال نزلت فى عثمان بن
عفان رضى الله عنه قال كان بالمدينة منافق له نخلة بالمدينة مائلة فى دار رجل
من الانصار اذا هبت الرياح اسقطت البسر والرطب فى دار الانصارى فيا كل هو
وعياله فخاصمه المنافق فشكاه الانصارى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فارسل الى المنافق وهو لا يعلم نفاقه فقال ان اخاك الانصارى ذكر ان بسرك
ورطبك يقع الى منزله فيا كل هو وعياله فهل لك ان اعطيك نخلة فى الجنة
بدلها قال ابيع عاجلا باجل لا افعل فذكروا ان عثمان بن عفان رضى الله عنه اعطاه
حائطا من نخل بدل نخلته ففيه نزلت قد افلح من تزكى ونزل فى المنافق ويتجنبها
الاشقى • وقال الضحاك نزلت فى ابى بكر الصديق رضى الله عنه **قوله تعالى**
وذكر اسم ربه فصلى • قال ابن عباس والضحاك وذكر اسم ربه فى طريق المصلى
فصلى صلاة العيد • قال القرطبي والسورة مكية فى قول الجمهور ولم يكن بمكة عيد
قال القشيرى ولا يبعد ان يكون اثنى على من يمتثل امره فى صدقة الفطر وصلاة
العيد فيما يامر به فى المستقبل • وذكر اسم ربه اى ذكر ربه • وعن ابن عباس رضى الله

معناه ذكر معاده وموقفه بين يدى الله تعالى لعبده وصلى له • وقيل ذكر اسم ربه اى ذكر ربه بالتكبير فى اول الصلاة لانها لا تنعقد الا بذكره وهو قول الله اكبر وبه يحتج على وجوب تكبيرة الاحرام وعلى انها ليست من الصلاة لان الصلاة معطوفة عليها وفيه حجة لمن قال ان الافتتاح جايز بكل اسم من اسماء الله تعالى • قال ابن عباس رضى الله عنه هذا فى الصلوات المفروضة • روى عن عبد الله رضى الله عنه من اقام الصلاة ولم يوت الزكاة فلا صلاة له **قوله تعالى** بل يوثرون الحيوة الدنيا • قرا ابو عمرو بالغيبة والباقون بالخطاب • ويويده قراءة ابى انتم توثرون وعلى الاول معناه بل يوثرون ايها المسلمون الاستكثار من الدنيا على الاستكثار من الثواب • وعن ابن مسعود رضى الله عنه انه قرا هذه الاية فقال اتدرون لم اثرنا الحياة الدنيا على الاخرة قال لان الدنيا حضرت وعجلت لنا طيباتها وطعامها وشرابها ولذاتها وبهجتها والاخرى غيبت عنا فاخذنا العاجل وتركنا الاجل ~~وذكر اسم ربه فصلى قال ابن عباس~~ **قوله تعالى** • والاخرة خير وابقى • اى والدار الاخرة خير اى افضل وابقى اى ادوم من الدنيا **قوله تعالى** ان هذا لفى الصحف الاولى • قرا ابو عمرو فى رواية الاعمش وهرون بسكون الحاء فى الحرفين • واختلفوا فى المشار اليه بهذا فقيل جميع السورة وهو رواية عكرمة عن ابن عباس • وقال الضحاك ان هذا القران لفى الصحف الاولى اى الكتب الاولى صحف ابرهيم وموسى يعنى الكتب المنزلة عليهما ولم يرد ان هذه الالفاظ بعينها فى تلك الصحف وانما معناه ان معنى هذا الكتاب فى تلك الصحف • وقال قتادة وابن زيد المشار اليه هو قوله تعالى والاخرة خير وابقى وقالا تتابعت كتب الله تعالى كما تسمعون ان الاخرة خير وابقى من الدنيا • وقال الحسن ان هذا لفى الصحف الاولى يعنى من قوله تعالى قد افلح من تزكى الى اخر السورة لما روى ابو ذر رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله هل فى ايدينا شى مما كان فى صحف ابرهيم وموسى قال صلى الله عليه وسلم نعم اقرا يا ابا ذر قد افلح من تزكى الى اخر السورة • وروى ابو ذر انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم كم انزل الله من كتاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة واربعة كتب على ادم عشرة صحف وعلى شيث خمسين صحيفة وعلى ادريس ثلاثين صحيفة وعلى ابرهيم عشرة صحايف والتوراة والانجيل والزبور والفرقان **قوله** ابرهيم • قرا العامة بالالف بعد الراء والياء بعد الهاء وابو رجا بحذفهما والهاء مفتوحة او مكسورة • بعضه قراتان • وابو وابن الزبير بالغين وكذا فى كل القران ومالك ابن دينار بالف بعد الراء فقط والهاء مفتوحة وعبد الرحمن بن ابى بكر وابرهيم بحذف الالف وكسر الهاء • وقال ابن خالويه وقد جا ابرهيم يعنى بالف وضم الهاء • وقد تقدم الكلام على هذا الاسم ولغاته مستوفى فى سورة البقرة ولله الحمد على كل حال • روى الثعلبى عن ابى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الاعلى اعطاه الله تعالى من الاجر عشر حسنات بعدد كل حرف انزله الله على ابرهيم وموسى ومحمد صلوات الله عليهم اجمعين •

سورة الغاشية مكية بالاجماع

وهى ست وعشرون اية • واثنتان وتسعون كلمة • وثلثماية واحدى وثمانون حرفا

موی

لبسم

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** هل اتاك حديث الغاشية • هل بمعنى قد كقوله تعالى هل اتى على الانسان قاله قطرب اى جاك يا محمد حديث الغاشية وهى القيمة لانها تغشى الخلايق باهوالها • وقيل هو استفهام على بابه وتسميه اهل البيان التشويق والمعنى ان لم يكن اتاك حديث الغاشية فقد اتاك وهو معنى قول الكلبى • وقال سعيد بن جبير ومحمد بن كعب الغاشية النار تغشى وجوه الكفار ورواه ابو صالح عن ابن عباس لقوله تعالى وتغشى وجوههم النار • وقيل المراد النفخة الثانية للبعث لانها تغشى الخلايق • وقيل الغاشية اهل النار يغشونها ويقتحمون فيها • وقيل معنى هل اتاك اى هذا لم يكن من علمك ولا من علم قومك • قال ابن عباس لم يكن اتاه قبل ذلك على التفصيل المذكور **قوله تعالى** وجوه يوميذ • قد تقدم نظيره فى سورة القيمة وفى النازعات • والتنوين فى يوميذ عوض من جملة مدلول عليها باسم الفاعل من الغاشية تقديره يوم اذ غشيت الناس اذ لم تتقدم جملة مصرح بها • وخاشعة وما بعده صفة

فصل

قال ابن عباس رضى الله عنه لم يكن اتاه حديثهم فاخبره عنهم فقال تعالى وجوه يوميذ اى يوم القيمة خاشعة قال سفيان اى ذليلة بالعذاب وكل متضايل ساكن خاشع • يقال خشع فى صلاته اذا تذلل ونكس راسه وخشع الصوت اذا خفى قال تعالى وخشعت الاصوات للرحمن • والمراد بالوجوه اصحاب الوجوه قاله قتادة وابن زيد خاشعة اى فى النار • والمراد بالوجوه الكفار كلهم قاله يحيى بن سلام • وقال ابن عباس اراد وجوه اليهود والنصارى **قوله تعالى** عاملة ناصبة • هذا فى الدنيا لان الاخرة ليست دار عمل فالمعنى وجوه عاملة ناصبة فى الدنيا خاشعة فى الاخرة • قال اهل اللغة يقال للرجل اذا داب فى سيره قد عمل يعمل عملا ويقال للسحاب اذا دام برقه قد عمل يعمل عملا • وقوله ناصبة اى تعبة يقال نصب بالكسر ينصب نصبا اذا تعب ونصبا ايضا وانصبته غيره قال ابن عباس هم الذين انصبوا انفسهم فى الدنيا على معصية الله تعالى على الكفر مثل عبدة الاوثان والرهبان وغيرهم لا يقبل الله تعالى منهم الا ما كان خالصا له • وعن على رضى الله عنه انهم الخوارج الذين ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم واعمالكم مع اعمالهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم فى الرمية الحديث • وروى سعيد عن قتادة عاملة ناصبة قال تكبرت فى الدنيا عن طاعة الله فاعملها الله وانصبها فى النار بجر السلاسل الثقال وحمل الاغلال والوقوف حفاة عراة فى العرصات فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة • قال الحسن وسعيد بن جبير لم تعمل لله فى الدنيا ولم تنصب له فاعملها وانصبها فى جهنم • وقرا ابن كثير فى رواية وابن محيصن وعيسى وحميد ناصبة بالنصب على الحال • وقيل على الذم • والباقون بالرفع على الصفة او على اضمار مبتدا فيوقف على خاشعة ومن جعل المعنى فى الاخرة جاز ان يكون خبرا بعد خبر عن وجوه فلا يوقف على خاشعة • وقيل عاملة ناصبة اى عاملة فى الدنيا ناصبة فى الاخرة • وعلى هذا يحمل وجوه يوميذ عاملة فى الدنيا ناصبة فى الاخرة خاشعة • وروى الحسن قال لما قدم عمر بن الخطاب رضى الله عنه الشام اتاه راهب شيخ كبير عليه سواد فلما راه عمر رضى الله عنه بكى فقيل يا امير المومنين ما يبكيك قال هذا المسكين طلب امرا فلم يصبه ورجا رجا فاخطاه وقرا قوله تعالى وجوه يوميذ خاشعة عاملة

ناصبة **قوله** تصلى هذا هو الخبر قرأ أبو عمرو وأبو بكر ويعقوب رضي الله عنهم بضم التاء على ما لم يسم فاعله والباقون بالفتح على تسمية الفاعل والضمير على كلتا القراءتين للوجوه وقرأ أبو رجاء بضم التاء وفتح الصاد وتشديد اللام وقد تقدم معنى ذلك كله في سورة الانشقاق والنساء **فصل** والمعنى يصيبها صلاؤها وحرها حامية شديدة الحر أي قد أوقدت وأحميت مدة طويلة ومنه حمي النهار بالكسر وحمي التنور حميًا أي اشتد حره وحكى الكسائي اشتد حمي الشمس وحموها بمعنى قال صلى الله عليه وسلم أوقد عليها ألف سنة حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة قال الماوردي فإن قيل فما معنى وصفها بالحمي وهي لا تكون إلا حامية وهو أقل أحوالها فما وجه المبالغة بهذه الصفة الناقصة قيل قد اختلف في المراد بالحامية هاهنا قيل المراد أنها دائمة الحمي وليست كنار الدنيا التي ينقطع حميها بانطفائها وقيل المراد بالحامية أنها تحمي من ارتكاب المحظورات وانتهاك المحارم لقول النبي صلى الله عليه وسلم إن لكل ملك حمى وإن حمى الله محارمه ومن يرتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه وقيل إنها تحمي نفسها عن أن تطاق ملامستها أو ترام مماستها كما يحمي الأسد عرينه كقول الشاعر

تعدو الذئاب على من لا كلاب له … وتتقي صولة المستأسد الحامي

وقيل المراد أنها حامية حمي غيظ وغضب مبالغة في شدة الانتقام كقوله تعالى تكاد تميز من الغيظ **قوله تعالى** تسقى من عين آنية أي حارة أي التي انتهى حرها لقوله تعالى وبين حميم آن وآنية صفة لعين وأما إمالتها هشام لأن الألف غير منقلبة عن غيرها بل هي أصل بنفسها وهذا بخلاف آنية في سورة الإنسان فإن الألف هناك بدل من همزة إذ هو جمع إناء وزنها فاعلة وهناك أفعلة فاتحد اللفظ واختلف التصريف وهذا من محاسن علم التصريف قال القرطبي والآني الذي انتهى حره من الإيناء بمعنى التأخير يقال آناه يؤنيه إيناء أي أخره وحبسه نظيره قوله تعالى يطوفون بينها وبين حميم آن روي أنه لو وقعت منها شرارة على جبال الدنيا لذابت **قوله تعالى** ليس لهم طعام إلا من ضريع لما ذكر شرابهم ذكر طعامهم والضريع شجر في النار ذو شوك لاصق بالأرض تسميه قريش الشبرق إذا كان رطبًا فإذا يبس فهو الضريع لا تقربه دابة ولا بهيمة ولا ترعاه وهو سم قاتل قاله عكرمة ومجاهد وأكثر المفسرين وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه قال شيء يرمي به البحر يسمى الضريع من أقوات الأنعام لا الناس فإذا وقعت فيه الإبل لم تشبع وهلكت هزالًا والصحيح الأول قال أبو ذؤيب

رعى الشبرق الريان حتى إذا ذوى … وعاد ضريعًا بان عنه النحائص

وقال الهذلي يذكر إبلًا وسوء مرعاها

وحبسن في هزم الضريع وكلها … قرناء دامية اليدين جرود

وقال الخليل الضريع نبات أخضر منتن الريح يرمي به البحر وقال أيضًا ويقال للجلدة التي على العظم تحت اللحم هي الضريع فكأنه تعالى وصفه بالقلة فلا جرم لا يسمن ولا يغني من جوع وعن ابن عباس رضي الله عنه شجر من نار ولو كانت في الدنيا لأحرقت الأرض وما عليها وقيل هو الزقوم وقيل يابس العرفج إذا تحطم وقيل نبت يشبه العوسج وقال سعيد بن جبير وعكرمة هو حجارة من نار قال القرطبي والأظهر أنه شجر ذو شوك حسب ما هو في الدنيا وعن ابن عباس رضي

عنه

عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الضريع شيء يكون في النار يشبه الشوك أشد مرارة من الصبر وأنتن من الجيفة وأحر من النار سماه الله تعالى ضريعًا قال القتيبي ويجوز أن يكون الضريع وشجرة الزقوم نبتين من النار أو من جوهر لا تأكله النار وكذلك سلاسل النار وأغلالها وعقاربها وحياتها ولو كانت على ما نعلم لما بقيت على النار وإنما دلنا الله تعالى على الغائب عنده بالحاضر عندنا فالأسماء متفقة الدلالة والمعاني مختلفة وكذلك ما في الجنة من شجرها وفرشها وزعم بعضهم أن الضريع ليس نبتًا في النار ولا أنهم يأكلونه لأن الضريع من أقوات الأنعام لا من أقوات الناس وإذا وقعت الإبل فيه لم تشبع وهلكوا هزالًا فأرادوا أن هؤلاء يقتاتون ما لا يشبعهم وضرب الضريع له مثلًا والمعنى أنهم يعذبون بالجوع كما يعذب من قوته بالضريع قال الحكيم الترمذي وهذا نظر سقيم من أهله يدل على أنهم تحيروا في قدرة الله تعالى وأن الذي أنبت في هذا التراب الضريع قادر على أن ينبته في حريق النار كما جعل سبحانه وتعالى لنا في الدنيا من الشجر الأخضر نارًا فإذا أنتم منه توقدون وكما قال تعالى ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميًا قالوا يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم فقال عليه الصلاة والسلام الذي أمشاهم على أرجلهم قادر فلا يتحير في مثل هذا إلا ضعيف القلب أوليس قد أخبرنا أنه كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودًا غيرها وقال تعالى سرابيلهم من قطران وعن الحسن لا أدري ما الضريع ولم أسمع فيه من الصحابة شيئًا قال ابن كيسان هو طعام يضرعون عنده ويذلون ويتضرعون منه إلى الله تعالى طلبًا للخلاص منه فسمي بذلك لأن آكله يضرع في أن يعفى عنه لكراهته والضراعة الذلة والاستكانة ومعنى الضريع المضرع كالبديع أي يحملهم على أن يضرعوا ويذلوا عند تناوله قال أبو جعفر النحاس قد يكون مشتقًا من الضارع وهو الذليل أي ذو ضراعة أي من شربه ذليل تلحقه ضراعة فإن قيل قد قال تعالى في موضع آخر فليس له اليوم هاهنا حميم ولا طعام إلا من غسلين وقال تعالى هاهنا إلا من ضريع وهو غير الغسلين فما وجه الجمع فالجواب أن النار دركات فمنهم من طعامه الزقوم ومنهم من طعامه الغسلين ومنهم من طعامه الضريع ومنهم من شرابه الحميم ومنهم من شرابه الصديد قال الكلبي الضريع في درجة ليس فيها غيره والزقوم في درجة أخرى **قوله تعالى** لا يسمن قال الزمخشري مرفوع المحل أو مجروره على وصف طعام أو ضريع قال أبو حيان أما وصفه لضريع فيصح لأنه نبت نفي عنه السمن والإغناء من الجوع وأما رفعه على وصفه لطعام فلا يصح لأن الطعام منفي ويسمن منفي فلا يصح تركيبه لأنه يصير ~~وصف~~ ~~لطعام فلا يصح لأن الطعام~~ التقدير ليس لهم طعام لا يسمن ولا يغني من جوع إلا من ضريع فيصير المعنى أن لهم طعامًا يسمن ويغني من جوع من غير الضريع كما تقول ليس لزيد مال لا ينتفع به إلا من مال عمرو ومعناه أن له مالًا لا ينتفع به من غير مال عمرو وقال شهاب الدين وهذا لا يرد لأنه على تقدير تسليم القول بالمفهوم وقد منع منه مانع كالسياق في الآية الكريمة ثم قال أبو حيان ولو قيل الجملة في موضع رفع صفة للمحذوف المقدر في إلا من ضريع كان صحيحًا لأنه في موضع رفع على أنه بدل من اسم ليس أي لهم طعام إلا كائن من ضريع أو إلا طعام من ضريع غير مسمن ولا مغن من جوع وهذا تركيب صحيح ومعنى واضح وقال الزمخشري أيضًا أو أريد أن لا طعام لهم أصلًا

لان الضريع ليس بطعام للبهايم فضلا عن الانس لان الطعام من ضريع مما اشبع او اسمن له وهو عنهما بمعزل كما تقول ليس لفلان ظل الا الشمس يريد نفي الظل على التوكيد ، قال ابو حيان فعلى هذا يكون استثنا منقطعا اذ لم يندرج الكاين من الضريع تحت لفظ طعام اذ ليس بطعام والظاهر الاتصال فيه ، وفي قوله تعالى ولا طعام الا من غسلين قال شهاب الدين وعلى قول الزمخشري المتقدم لا يلزم ان يكون منقطعا اذ المراد نفي الشي بدليله اي ان كان لهم طعام فليس الا هذا الذي لا يعده احد طعاما ، ومثله ليس له ظل الا الشمس وقد مضى تحقيق هذا عند قوله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى ، وقوله ، ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ، ومثله كثير **فصل** المعنى ان طعامهم ليس من جنس مطاعم الانس لانه نوع من انواع الشوك له والشوك مما يرعاه الابل وهذا النوع مما تنفر عنه الابل فاذا منفعة الغذا منتفية وهي اماطة الجوع وافادة القوة والسمن في البدن او يكون المعنى ليس لهم طعام اصلا لان الضريع ليس بطعام البهايم فضلا عن الانسان لان الطعام ما اشبع او اسمن ، قال المفسرون لما نزلت هذه الاية قال المشركون ان ابلنا لتسمن بالضريع فنزلت لا يسمن ولا يغني من جوع وكذا فان الابل انما ترعاه رطبا فاذا يبس لم تاكله ، وقيل اشتبه عليهم امره فظنوا انه كغيره من النبت النافع لان المضارعة المشابهة فوجدوه لا يسمن ولا يغني من جوع فيكون المعنى ان طعامهم من ضريع ليس من جنس ضريعكم انما هو من ضريع غير مسمن ولا مغن من جوع **قوله تعالى** وجوه يوميذ ناعمة اي ذات نعمة وهي وجوه المومنين نعمت بما عاينت من عاقبة امرها ، لما ذكر تعالى وعيد الكفار اتبعه بشرح احوال المومنين ، وقيل ذات بهجة وحسن لقوله تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم اي متنعمة لسعيها او لعملها التي عملته في الدنيا راضية في الاخرة حين اعطيت الجنة بعملها وفيها واو مضمرة والتقدير ووجوه يوميذ لتفصل بينها وبين الوجوه المتقدمة ، والوجوه عبارة عن الانفس في جنة عالية اي مرتفعة لانها فوق السموات ، وقيل عالية القدر لان فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين **قوله تعالى** لا يسمع فيها لاغية ، قرا ابن كثير وابو عمرو ويسمع بالياء من تحت مضمومة على ما لم يسم فاعله لاغية رفعا لقيامه مقام الفاعل وقرا نافع كذلك الا انه بالتاء من فوق والتذكير والتانيث واضحان لان التانيث مجازي ، وقرا الباقون بفتح التاء من فوق ونصب لاغية فيجوز ان يكون التاء للخطاب اي لا تسمع انت وان يكون للتانيث اي لا تسمع الوجوه ، وقرا المفضل والجحدري لا يسمع بياء الغيبة مفتوحة لاغية نصبا اي لا يسمع فيها احد ، ولاغية يجوز ان يكون صفة لجماعة اي جماعة لاغية وان يكون مصدرا كالعافية والعاقبة كقوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا ولا تاثيما واللغو اللغا واللاغية واحد ، قال الشاعر عن اللغا ورفث التكلم ، قال الفرا والاخفش اي لا يسمع فيها كلمة لغو ، والمراد باللغو قيل الكذب والبهتان والكفر بالله قاله ابن عباس ، وقال قتادة لا باطل ولا اثم ، وقال الحسن ومجاهد الشتم ، وقال الفرا الحلف الكاذب ، وقال الكلبي لا يسمع في الجنة حالف بيمين برة ولا فاجرة ، وقيل لا يسمع في كلامهم كلمة تلغى لان اهل الجنة لا يتكلمون الا بالحكمة وحمد الله تعالى على ما رزقهم من النعيم الدايم قاله الفرا وهو احسن الاقوال قاله القفال والزجاج **قوله تعالى**

فيها

فيها عين جارية ، اي بما تدفق وانواع الاشربة اللذيذة على وجه الارض من غير اخدود وقال الزمخشري يريد عيونا في غاية الكثرة كقوله تعالى علمت نفس **قوله تعالى** فيها سرر مرفوعة ، اي عالية في الهوا ، واكواب موضوعة ، والاكواب الكيزان التي لا عرى لها ، والابريق هو ما له عروة وخرطوم ، والكوب ما ليس له عروة وخرطوم ، وقوله تعالى موضوعة اي معدة لاهلها ، وقيل موضوعة بين ايديهم لاستحسانهم اياها لكونها من ذهب وفضة وجوهر وتلذذهم بالشرب منها وقيل موضوعة من حد الكبراي هي اوساط بين الصغر والكبر لقوله تعالى قدروها تقديرا **قوله تعالى** ونمارق مصفوفة النمارق جمع نمرقة وهي الوسادة ، قالت نحن بنات طارق ، نمشي على النمارق ، مصفوفة اي واحدة الى جنب اخرى ، قال الشاعر ، كهولا وشبانا حسانا وجوههم ، لهم سرر مصفوفة ونمارق ، والنمرق والنمرقة وسادة صغيرة ، والنمروق بضم النون والرا وكسرهما لغتان اشهرهما الاولى **قوله تعالى** وزرابي ، جمع زربية بفتح الزاي وكسرها لغتان مشهورتان وهي البسط العراض ، وقيل ما له منها خملة ، قال ابو عبيدة الزرابي الطنافس التي لها خمل رقيق واحدها زربية وهو قول الكلبي والفرا ، المبثوثة المبسوطة قاله قتادة ، وقال عكرمة بعضها فوق بعض ، وقال الفرا الكثيرة متفرقة ، ومنه قوله تعالى وبث فيها من كل دابة ، وقال ابو بكر الانباري وحدثنا احمد بن الحسين قال حدثنا حسين بن عرفة قال حدثنا عمار بن محمد قال صليت خلف منصور بن المعتمر فقرا هل اتاك حديث الغاشية وقرا فيها وزرابي مبثوثة متكين فيها ناعمين **قوله تعالى** افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت ، لما ذكر سبحانه وتعالى امر الدارين تعجب الكفار من ذلك فكذبوا وانكروا فذكرهم الله تعالى صنيعته وقدرته وانه تعالى قادر على كل شي كما خلق الحيوانات والسما والارض وذكر الابل اولا لانها كثيرة في بلاد العرب ولم يروا الفيلة فنبههم تعالى على عظيم من خلقه قد ذلله للصغير يقوده وينخه وينهضه ويحمل عليه الثقيل من الاحمال وهو بارك فينهض بثقيل حمله وليس ذلك في شي من الحيوان غيره فاراهم عظيما من خلقه يدلهم بذلك على توحيده وعظيم قدرته تعالى ، وعن بعض الحكما انه حدث عن البعير وبديع خلقه ولم يكن نشا في بلاد الابل ففكر ثم قال يوشك ان يكون طويل العنق ، قال ابن الخطيب الابل لها خواص ، منها انه تعالى جعل الحيوان الذي يقتني انواعا فتارة يقتنى ليوكل لحمه وتارة ليشرب لبنه وتارة ليحمل الناس في الاسفار وتارة لنقل المتاع من بلد الى بلد وتارة للزينة والجمال ، وهذه المنافع باسرها حاصلة في الابل ثم انها فاقت في كل خصلة من هذه الخصال غيرها من الحيوان المختص ببعضها مع صبرها على العطش وقطع المفاوز بالاحمال الثقيلة وقناعتها في العلف بنبات البر ، ولقد ضللنا الطريق في مفازة ففقدوا مواجملا واتبعوه فهداهم للطريق بعد زمان طويل مع كثرة المعاطف والتلول فانظر كيف ثبت واهتدى على ما عجز عنه ذوو العقول ومنها انها في غاية القوة والصبر على العمل ، ومنها انها مع لونها لذلك منقادة للصبي الصغير ، ومنها انها تحمل وهي باركة ثم تقوم بحملها ، وهذه الصفات توجب على العاقل ان ينظر في خلقها وتركيبها ويستدل بذلك على وجوب الصانع الحكيم جلت قدرته تعالى **فصل** قال قتادة ومقاتل وغيرهما لما ذكر الله تعالى السرر المرفوعة

قالوا كيف نصعدها فانزل الله تعالى هذه الاية وبين ان الابل تبرك حتى يحمل عليها
ثم تقوم فكذلك تلك الشرر تطاير من شرر تقع ، وقال المبرد الابل هنا القطع
العظيمة من السحاب ، قال الثعلبي ولم اجد لذلك اصلا في كتب الايمة ، قال القرطبي
قد ذكر عبد الملك بن قريب قال ابو عمرو من قراها افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت (الاصمعي ابو سعيد)
عنى به البعير لانه من ذوات الاربع يبرك فيحمل عليه الحمولة وغيره من ذوات الاربع لا يحمل
عليه الا وهو قايم ومن قراها بالتثقيل فقال الابل عنى بها السحاب التي تحمل الما للمطر ،
وقال الماوردي وفي الابل وجهان اظهرهما انها الابل ، والثاني انها السحاب فان كان
المراد بها السحاب فلما فيها من الايات والدلالات الدالة على قدرته تعالى والمنافع
العامة لجميع خلقه وان كان المراد بها الابل من النعم فلان الابل اجمع للمنافع من ساير
الحيوانات لان ضروبه اربعة ، حلوبة ، وركوبة ، واكولة ، وحمولة ، والابل
يجمع هذه الخلال الاربع فكانت النعمة بها اعم ، وظهور القدرة فيها اتم وقيل
لحسن الفيلة اعظم في الاعجوبة فقال العرب بعيدة العهد بالفيل ثم هو لا يوكل لحمه
ولا يركب ظهره ولا يحلب دره **فصل** الابل اسم جمع واحده بعير وناقة
وجمل ولا واحد لها من لفظها وهو مونث ولذلك تدخل عليه تا التانيث حال التصغير
فيقال ابيلة قال القرطبي لا واحد لها من لفظها اذا كانت لغير الادميين فالتانيث
لها لازم وربما قالوا للابل ابل بسكون البا للتخفيف والجمع ابال واشتقوا من لفظه
قالوا تابل زيد اي كثرت ابله وتعجبوا من هذا فقالوا ما ابله اي ما اكثر ابله وقد
تقدم في سورة الانعام **قوله** كيف ، منصوب بخلقت على حد نصبها في قوله
تعالى كيف تكفرون والجملة بدل من الابل بدل اشتمال فتكون في محل جر وهي في
الحقيقة معلقة للنظر وقد دخلت الى على كيف في قولهم انظر الى كيف تصنع وقد تبدل
الجملة المشتملة على استفهام من اسم ليس فيه استفهام كقولهم عرفت زيدا ابو من هو على
خلاف بين النحويين ، وقرا العامة خلقت ورفعت ونصبت وسطحت مبنيا للمفعول
والتا ساكنة للتانيث ، وقرا امير المومنين وابن ابي عبلة وابو حيوة قال
القرطبي وابن السميفع وابو العالية خلقت وما بعده بتا المتكلم مبنيا للفاعل
والعامة على سطحت مخففا ، وقرا الحسن وابو حيوة وابو رجا سطحت بتشديد
الطا واسكان التا ، قال القرطبي وقدم الابل في الذكر ولو قدم غيرها لجاز ،
قال القشيري وليس هذا مما يطلب فيه نوع حكمة **قوله تعالى** والى السما كيف
رفعت ، اي رفعت عن الارض بلا عمد بعيدة المدا وقيل رفعت فلا ينالها شي
والى الجبال كيف نصبت ، نصبا ثابتا راسخا لا يميل ولا يزول وذلك ان الارض
لما دحيت مادت فارساها بالجبال كما قال تعالى وجعلنا في الارض رواسي ان
تميد بكم ، والى الارض كيف سطحت ممهدة اي بسطت ومدت ، واستدل بعضهم
بهذا على ان الارض ليست بكرة ، قال ابن الخطيب وهو ضعيف لان الكرة
اذا كانت في غاية العظمة يكون كل قطعة منها كالسطح وهو ضعيف ، فان قيل
ما المناسبة بين هذه الاشيا فالجواب قال الزمخشري من فسر الابل بالسحاب
فالمناسبة ظاهرة وذلك تشبيه ومجاز ومن حملها على الابل فالمناسبة بينها وبين
السما والارض والجبال من وجهين ، الاول ان القران نزل ~~على الابل فالمناسبة بينهما~~
على العرب وكانوا يسافرون كثيرا وكانوا يسيرون بها في المهامه القفار مستوحشين

منفردين عن الناس والانسان اذا انفرد اقبل على التفكر في الاشيا لانه ليس معه من يحادثه
وليس هناك من يشتغل به سمعه وبصره فلا بد من ان يجعل دابته الفكرة فاذا فكر في تلك
الحال فاول ما يقع بصره على الجمل الذي هو راكبه فيرى منظرا عجيبا وان نظر الى
~~لم ير غير الابيض~~ ، فوقه لم ير غير السما واذا نظر يمينا وشمالا لم ير غير الجبال واذا نظر
الى ما تحته لم ير غير الارض فكانه سبحانه وتعالى امره بالنظر وقت الخلوة والانفراد
حتى لا يحمله داعية الكبر والحسد على ترك النظر ، الثاني ان جميع المخلوقات دالة على
الصانع جلت قدرته الا انها قسمان منها ما للشهوة فيه حظ كالوجه الحسن والبساتين
النزهة والذهب والفضة ونحوها فهذه مع دلالتها على الصانع قد يمنع استحسانها
عن اكمال النظر ، ومنها ما لا حظ فيه للشهوة كهذه الاشيا فامر بالنظر فيها اذ لا مانع
من اكمال النظر فيها **قوله تعالى** فذكر ، اي فعظهم يا محمد وخوفهم ، انما انت
مذكر ، واعظ ، لست عليهم بمسيطر ، اي بمسلط فتقتلهم ثم نسختها اية السيف
وقرا العامة بمصيطر بالصاد وقنبل في بعض طرقه وهشام بالسين وخلف باشمام الصاد
زايا بلا خلاف ، وعن خلاد وجهان ، وقرا هارون الاعور بمصيطر بفتح الطا اسم
مفعول لان سيطر عندهم متعد يدل على ذلك فعل مطاوعه وهو تسيطر ولم يجي اسم
واد ومديبر فيعل ويمكن ان يكون اصلها مجيمر ومدبر فصغرا قال شهاب الدين وقد
تقدم ان بعضهم جعل مهيمنا مصغرا وتقدم انه خطا عظيم وذلك في سورة الما
قال القرطبي وفي الصحاح والمسيطر والمصيطر المسلط على الشي ليشرف عليه ويتعهد
احواله ويكتب عمله واصله من السطر لان معنى السطر ان لا يتجاوز فالكتاب مسطر
ومسيطر تقول سيطرت علينا قال تعالى لست عليهم بمسيطر ومصيطر اي صرعه **قوله
تعالى** الا من تولى وكفر ، استثنا منقطع اي لكن من تولى عن الوعظ والتذكر
فيعذبه الله العذاب الاكبر ، وهو جهنم الدايم عذابها وانما قال الاكبر لانهم عذبوا
في الدنيا بالجوع والقحط والاسر والقتل ، ويويد هذا التاويل قراة ابن
مسعود الا من تولى وكفر فانه يعذبه الله ، وقيل هو استثنا متصل والمعنى لست
بمسلط الا على من تولى وكفر فانت مسلط عليه بالجهاد والله تعالى يعذبه ذلك العذاب
الاكبر فلا نسخ في الاية على هذا التقدير ، وقرا ابن عباس وزيد بن علي وزيد بن اسلم
وقتادة الا حرف استفتاح وتنبيه كقول امري القيس ، الا رب يوم لك منهن صالح
ومن على هذا شرط فالجملة بعده شرطية ، والجواب فيعذبه الله والمبتدا بعد الفا
مضمر والتقدير فهو يعذبه الله لانه لو اريد الجواب بالفعل الذي بعد الفا لكان الا
من تولى وكفر يعذبه الله ، قال شهاب الدين او موصولة مضمنة معناه **قوله تعالى**
ان الينا ايابهم ، اي رجوعهم بعد الموت ، والعامة على تخفيف اليا مصدر اب
يووب ايابا اي رجع كقام يقوم قياما ، قال عبيد ،

وكل ذي غيبة يووب ، وغايب الموت لا يووب ،

وقرا ابو جعفر وشيبة بتشديدها ، قال ابو حاتم لا يجوز التشديد ولو جاز لجاز
في الصيام والقيام ، وقيل لغتان بمعنى ، قال شهاب الدين وقد اضطربت فيها
اقوال التصريفيين فقيل هو مصدر لايب على وزن فيعل كبيطر يقال منه ايب يويب
ايابا والاصل ايوب يويوب ايوابا كبيطر بيطر فاجتمعت اليا والواو في جميع ذلك
وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو يا وادغمت اليا المزيدة فيها فاياب على هذا

فيعال . وقيل بل هو مصدر لآوب بزنة فوعل نحو قول . والاصل اوواب بواوين
الاولى زايدة والثانية عين الكلمة فسكنت الاولى بعد كسرة فقلبت يا فصار
ايوابا فاجتمعت يا وواو وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو يا وادغمت في اليا
بعدها فوزنه فيعال كجيقال والاصل حوقال . وقيل بل هو مصدر لآوب على وزن
فوعل كجهور والاصل اوواب على وزن فعوال كجهوار الاولى عين الكلمة والثانية
زايدة وفعل به ما فعل بما قبله من القلب والادغام للعلل المتقدمة وهي
تامة . قال قيل الادغام مانع من قلب الواو يا . قيل انما يمنع اذا كانت
الواو والياء عينا وقد عرفت ان اليا في فيعل والواو في فوعل وفعول زايدتان
وقيل بل هو مصدر لآوب بزنة فعال نحو كذب كذابا والاصل اواب ثم قلبت
الواو الاولى يا لانكسار ما قبلها فقيل ايوابا . قال الزمخشري كديوان في دوان
ثم فعل به ما فعل بسيد . يعني ان اصله سيود فقلبت وادغم والى هذا نحا ابو الفضل
ايضا الا ان ابا حيان رد ما قالاه بانهم نصوا على ان الواو الموضوعة على الادغام
لا تقلب الاولى يا وان انكسر ما قبلها . قالوا ومثلوا بنحو اواب مشددا وباخرواط
مصدر اخروط . قال واما تشبيه الزمخشري بديوان فليس بجيد لانهم لم
ينطقوا بها في الوضع مدغمة ولم يقولوا دوان ولولا الجمع على دواوين لم يعلم ان اصل
اصل هذه اليا واوا وقد نصوا على شذوذ ديوان فلا يقاس عليه غيره . قال
شهاب الدين اما كونهم لم ينطقوا بدوان فلا يلزم منه رد ما قاله الزمخشري
ونص النحاة على ان اصل ديوان دوان وقيراط قراط بدليل الجمع على دواوين
وقراريط وكونه شاذا لا يقدح لانه لم يذكر مقيسا عليه بل منظرا به . وقد ذهب
مكي الى نحو من هذا فقال واصل اليا واوا ولكن انقلبت يا لانكسار ما قبلها وكان يلزم
من شدد ان يقول اوابهم لانه من الواو ويقول ايوابهم فيبدل من اول المشدد
يا كما قالوا ديوان والاصل دوان انتهى . وقيل هو مصدر لآوب بزنة اكرم
من الاوب . والاصل اوواب كاكرام فابدلت الهمزة الثانية يا لسكونها بعد همزة
مكسورة فصار اللفظ ايوابا فاجتمعت اليا والواو على ما تقدم فقلبت وادغمت
ووزنه افعال وهذا واضح . وقال ابن عطية في هذا الوجه سهلت الهمزة وكان لم
الادغام يردها اوابا لكن استحسنت فيه اليا على غير قياس انتهى وهذا ليس بجيد
لما عرفت من انه لما قلبت الهمزة يا قال القياس ان يفعل ما تقدم من قلب الواو الى اليا
من دون عكس . قال شهاب الدين وانما ذكرت هذه الاوجه مشروعة اصعو بتها
وعدم من يمعن النظر في مثل هذه المواضع القلقلة . وقدم الخبر في قوله الينا وعلينا
مبالغة في التشديد في الوعيد والله اعلم . روى الثعلبي في تفسيره عن ابي رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الغاشية حاسبه الله
حسابا
يسيرا .

سورة الفجر مكية

وهي ثلاثون اية . ومائة وتسع وثلاثون كلمة . وخمسمائة وسبعة وتسعون حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى والفجر . قيل جواب القسم مذكور وهو قوله
تعالى ان ربك لبالمرصاد قاله ابن الانباري . وقيل محذوف لدلالة المعنى عليه
اي لنجازين كل احد بما عمل بدليل تعديده ما فعل بالقرون الخالية وقدره الزمخشري

لتعذبن

يتقاعس حر

لتعذبن قال لدلالة عليه قوله تعالى الم تر الى قوله فصب وقدره ابو حيان بما دلت عليه
خاتمة السورة قبله اي لايابهم الينا وحسابهم علينا . وقال مقاتل هل هنا في موضع
ان تقديره ان في ذلك قسما لذي حجر فهل على هذا في موضع جواب القسم انتهى . وهذا
قول باطل لا يصلح ان يكون مقسما عليه على تقدير تسليم ان التركيب هكذا وانما ذكرناه للتنبيه
على سقوطه . وقيل ثم مضاف محذوف اي وصلاة الفجر او ورب الفجر . والعامة على
عدم التنوين في الفجر والوتر ويسر وابو الدينار الاعرابي بتنوين الثلاث . قال
ابن خالويه هذا ما روي عن بعض العرب انه يقف على اخر القوافي وان كان فعلا وان
كان فيه الالف واللام . قال الشاعر . اقلي اللوم عاذل والعتابن . وقولي ان اصبت
لقد اصابن . يعني لهذا تنوين الترنم وهو ان العربي اذا اراد ترك الترنم
وهو مد الصوت نون الكلمة وانما يكون في الروي المطلق . وقد عاب بعضهم النحويين
تنوين الترنم وقال بل ينبغي ان يسموه تنوين تركه . ولهذا التنوين قسيم اخر يسمى
التنوين الغالي وهو ما يلحق الروي المقيد . كقوله . خاوي المخترقن على ان بعض العروضيين
انكروا وجوده . ولهذين التنوينين احكام مخالفة لحكم التنوين مذكورة في علم النحو
والحاصل ان هذا القاري اجرى الفواصل مجرى القوافي وله نظاير مر منها الرسولا
والسبيلا والظنونا في الاحزاب والمتعال في سورة الرعد ويسر هنا . قال الزمخشري
فما لها منكرة من بين ما اقسم به قلت لانها ليال مخصوصة من بين جنس الليالي العشر
بعض منها او مخصوصة بفضيلة ليست في غيرها . فان قلت هلا عرفت بلام العهد
لانها ليال معلومة قلت لو فعل ذلك لم تستقل بمعنى الفضيلة التي في التنكير ولان الاحسن
ان تكون اللامات متجانسة ليكون الكلام ابعد من الالغاز والتعمية يعني بتجانس اللامات
ان تكون كلها اما للجنس واما للعهد . والغرض ان الظاهر ان اللامات في الفجر وما
معه للجنس فلو جيء بالليالي معرفة بلام العهد لفات التجانس فصل اقسم سبحانه
بالفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل اذا يسر اقسام خمسة . واختلف في الفجر
فقال علي وابن الزبير وابن عباس رضي الله عنهم الفجر هنا انفجار الظلمة عن النهار من
كل يوم . قال ابن الخطيب اقسم الله تعالى بما يحصل فيه من ظهور النور وانتشار الناس
وساير الحيوانات في طلب الارزاق وذلك مشاكل لنشور الموتى وفيه عبرة لمن تامل
كقوله تعالى والصبح اذا تنفس وتمدح بكونه خالقا له فقال سبحانه فالق الاصباح
وعن ابن عباس رضي الله عنه انه النهار كله وعبر عنه بالفجر لانه اوله . وروى ابن
محيصن عن عطية عن ابن عباس يعني فجر المحرم قال قتادة هو فجر اول يوم من المحرم
منه تنفجر السنة وعنه ايضا صلاة الصبح . وروى ابن جريج عن عطا عن ابن عباس
قال يريد صبيحة يوم النحر لان الله تعالى جعل لكل يوم ليلة قبله الا يوم النحر
لم يجعل له ليلة قبله ولا ليلة بعده لان يوم عرفة له ليلتان ليلة قبله وليلة
بعده فمن ادرك الموقف الليلة التي بعد عرفة فقد ادرك الحج الى طلوع فجر يوم النحر
وهذا قول مجاهد . وقال عكرمة والفجر قال انشقاق الفجر من يوم جمع . وعن محمد
ابن كعب القرظي والفجر قال اخر ايام العشر اذا دفعت من جمع . وقال الضحاك فجر
ذي الحجة لان الله تعالى قرن به الايام فقال تعالى وليال عشر اي ليال عشر
من ذي الحجة . وقيل هي العيون التي تنفجر منها المياه قوله وليال عشر . العامة
على ليال بالتنوين عشر صفة لها . وقرا ابن عباس وليال عشر بالاضافة فبعضهم قال

ليال في هذه القراءة دون ياء • وبعضهم قال وليالي عشر بالياء وهو القياس • قيل
والمراد ليالي أيام عشر وكان من حقه على هذا أن يقال عشرة لأن المعدود مذكر
ويجاب عنه بأنه إذا حذف المعدود جاز الوجهان • ومنه وأتبعه بست من شوال
وسمع الكسائي صمنا من الشهر خمسا " فصل " قال ابن عباس ومجاهد والسدي
والكلبي هو عشر ذي الحجة • وقال مسروق هي العشر المذكورة في قوله تعالى
في قصة موسى عليه السلام وأتممناها بعشر وهي أفضل أيام السنة قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله تعالى من عشر ذي الحجة
ولأن ليلة يوم النحر داخلة فيه إذ خصها الله تعالى موقفا لمن لم يدرك الوقوف
يوم عرفة • وعن ابن عباس أيضا العشر الأواخر من رمضان • وقال الضحاك
أقسم الله تعالى بها لشرفها بليلة القدر وكان صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر
الأواخر من رمضان شد المئزر وأيقظ أهله للتهجد • وعن ابن عباس رضي الله عنه
ويمان والطبري هو العشر الأول من المحرم لأن آخرها يوم عاشوراء ولصومه فضل
عظيم قوله تعالى والشفع والوتر • قرأ الأخوان بكسر الواو من الوتر والباقون
بفتحها وهما لغتان كالحبر والحبر والفتح لغة قريش ومن والاها والكسر لغة تميم
وهاتان اللغتان في الوتر مقابل الشفع • فأما في الوتر بمعنى الترة أي الذحل فبا
لكسر وحده قاله الزمخشري • ونقل الأصمعي فيه اللغتين أيضا • وقرأ أبو عمرو
في رواية يونس عنه بفتح الواو وكسر التاء فيحتمل أن يكون لغة ثالثة وأن يكون
نقل كسرة الراء إلى التاء إجراء للوصل مجرى الوقف " فصل " قال ابن الخطيب
الشفع والوتر هو الذي تسميه العرب الخسا والزكا وتسميه العامة الزوج والفرد
قال يونس أهل العالية يقولون الوتر بالفتح في العدد والوتر بالكسر في الذحل وتميم
يقولون بكسر الواو فيهما وتقول أوترت أوتر إيتارا أي جعلته وترا • ومنه قوله
صلى الله عليه وسلم من استجمر فليوتر • واختلف في الشفع والوتر فروى
عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الشفع والوتر
الصلاة منها شفع ومنها وتر • وقال جابر بن عبد الله قال النبي صلى الله عليه وسلم
والفجر وليال عشر قال هو الصبح وعشر النحر والوتر يوم عرفة والشفع يوم النحر وهو
قول ابن عباس وعكرمة واختاره النحاس وقال حديث أبي الزبير عن جابر هو الذي
صح عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو أصح إسنادا من حديث عمران بن حصين فيوم عرفة
وتر لأنه تاسعها ويوم النحر شفع لأنه عاشرها • وعن أبي أيوب قال سئل النبي
صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى والشفع والوتر قال الشفع يوم عرفة ويوم
النحر والوتر ليلة يوم النحر • وقال مجاهد وابن عباس الشفع خلقه قال تعالى وخلقناكم
أزواجا والوتر هو الله تعالى فقيل لمجاهد أترويه عن أحد قال نعم عن أبي سعيد الخدري
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحوه قال محمد بن سيرين ومسروق وأبو صالح
وقتادة قال الشفع الخلق قال تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين الكفر والإيمان
والشقاوة والسعادة والهدى والضلال والنور والظلمة والليل والنهار والحر
والبرد والشمس والقمر والصيف والشتاء والسماء والأرض والجن والإنس والوتر هو الله
تعالى قال تعالى قل هو الله أحد الله الصمد • وقال صلى الله عليه وسلم إن لله تسعة وتسعين
اسما والله وتر يحب الوتر • وعن ابن عباس رضي الله عنه الشفع صلاة الصبح والوتر

صلاة

صلاة المغرب فالشفع منها الركعتان الأوليان والوتر الثالثة • وقال ابن الزبير الشفع
الحادي عشر والثاني عشر من أيام منى والوتر اليوم الثالث عشر قال تعالى فمن تعجل
في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه • وقال عطاء والضحاك الشفع عشر ذي
الحجة والوتر أيام منى الثلاثة • وقيل الشفع والوتر آدم عليه السلام كان وترا
فشفع بزوجته حواء رواه ابن أبي نجيح وحكاه القشيري عن ابن عباس رضي الله عنه
وفي رواية الشفع آدم وحواء والوتر هو الله تعالى • وقيل الشفع درجات الجنة
وهي ثمان والوتر دركات النار وهي سبعة كأنه أقسم بالجنة والنار قاله الحسين
ابن الفضل • وقيل الشفع الصفا والمروة والوتر الكعبة • وقال مقاتل بن حيان
الشفع الأيام والليالي والوتر الذي لا ليلة بعده وهو يوم القيامة • وقيل غير ذلك
قال ابن الخطيب وكل هذه الوجوه محتملة والظاهر لا إشعار له بشيء من هذه الأشياء
على التعيين • فإن ثبت في شيء منها خبر عن الرسول عليه الصلاة والسلام أو إجماع
من أهل التأويل حكم بأنه المراد وإن لم يثبت وجب أن يكون الكلام على طريقة الجواز
لا على القطع • ولقائل أن يقول أنا أحمل الكلام على الكل لأن الألف واللام في الشفع
والوتر تفيد العموم قوله تعالى والليل إذا يسر • هذا قسم خامس بعدما
أقسم بالليالي العشر على الخصوص • أقسم بالليل على العموم ومعنى يسر أي يسرى فيه
كما يقال ليل نائم ونهار صائم • قال • لقد لمتنا يا أم غيلان في السرى • ونمت
وما ليل المطي بنائم • ومنه قوله تعالى بل مكر الليل والنهار • هذا قول أكثر
أهل المعاني وهو قول القتبي والأخفش • وقال أكثر المفسرين معنى يسري سار فذهب
وقال قتادة وأبو العالية جاء وأقبل • وقيل المراد سعص لقوله إذا أدبر إذ عسعس
ويسر منصوب بمحذوف هو فعل القسم أي أقسم به وقت سراه • وحذف ياء يسري
وقفا وأثبتها وصلا نافع وأبو عمرو • وأثبتها في الحالين ابن كثير • وحذفها في الحالين
الباقون لسقوطها في خط المصحف الإمام وإثباتها هو الأصل لأنها لام فعل مضارع
مرفوع وحذفها لموافقة المصحف وموافقة رؤوس الآي وجريا للفواصل مجرى القوافي
ومن فرق بين حالتي الوقف والوصل فلأن الوقف محل استراحة • قال الزمخشري
وياء يسري تحذف في الدرج اكتفاء عنها بالكسرة • وأما في الوقف فتحذف مع
الكسرة وهذه الأسماء كلها مجرورة بالقسم والجواب محذوف وهو ليعذبن يدل عليه
قوله تعالى ألم تر كيف فعل ربك بعاد إلى قوله فصب عليهم ربك سوط عذاب
وقد تقدم الكلام على ذلك قوله تعالى هل في ذلك قسم لذي حجر • قيل هل
على بابها من الاستفهام الذي معناه التقرير كقولك ألم أنعم عليك إذا كنت قد
أنعمت • وقيل المراد بذلك التوكيد لما أقسم به وأقسم عليه • والمعنى بل في ذلك
مقنع لذي حجر • ومعنى لذي حجر أي لذي لب وعقل • قال الشاعر

وكيف يرجى أن تتوب وإنما • يرجى من الفتيان من كان ذا حجر

وقال أبو مالك لذي حجر أي لذي ستر من الناس • وقال الحسن لذي حلم • قال
الفراء الكل يرجع إلى معنى واحد لذي حجر ولذي عقل ولذي حلم ولذي ستر الكل بمعنى
العقل • وأصل الحجر المنع يقال لمن ملك نفسه ومنعها إنه لذو حجر ومنه سمي الحجر حجرا
لامتناعه بصلابته • ومنه حجر الحاكم على فلان أي منعه عن التصرف • ولذلك سميت
الحجرة حجرة لامتناع ما فيها بها • وقال الفراء العرب تقول إنه لذو حجر إذا كان قاهرا

لنفسه ضابطا لها كانه اخذ من على الرجل **فصل** والمعنى ان كل ذلك دال على ان كل ما اقسم
الله تعالى به من هذه الاشيا فيه عجايب ودلايل على التوحيد والربوبية فهو حقيق بان تقسم
به لدلالته على خالقه ۶ قال القاضي وهذه الاية تدل على ان القسم واقع برب هذه الامور
لان الاية دالة على ان هذه مبالغة في القسم والمبالغة لا تحصل الا في القسم بالله تعالى
ولان النهي قد ورد بان يحلف العاقل بغير الله تعالى **قوله تعالى** الم تر كيف
فعل ربك بعاد ارم ۶ قرا العامة بعاد مصروفا ارم بكسر الهمزة وفتح الراء والميم فعاد
اسم لرجل في الاصل ثم اطلق على القبيلة او الحي وقد تقدم الكلام عليه ۶ واما ارم فقيل
هو اسم قبيلة ۶ وقيل اسم مدينة واختلفوا في تعيينها فقيل اسكندرية وقيل دمشق
وهذان القولان ضعيفان لان منازل عاد كانت من عمان الى حضرموت وهي بلاد الرمال
والاحقاف واما الاسكندرية ودمشق فليستا من بلاد الرمال فان كانت اسم قبيلة
كانت بدلا او عطف بيان او منصوبة باضمار اعني وان كانت اسم مدينة فتعلق الاعراب
من عاد وتخريجه على حذف مضاف كانه قيل بعاد اهل ارم قاله الزمخشري وهو حسن
وسعيد ان يكون بدلا من عاد بدل اشتمال اذ لا ضمير وتقدير فلق ۶ وقد تعال انه لما
كان المعنى بعاد مدينتهم لان ارم قايمة مقام ذلك صح البدل وارم اسم جد عاد
وهو عاد بن عوص ابن ارم بن سام بن نوح عليه السلام ۶ قال زهير
واحر بن بذى المادن عدتهم ٭٭ من نسج داود واما او زنت ارم ۶
وقال قيس الرقيات ۶ مجدا تليدا ساه اولوه له ادرك عادا وقيل ارما ۶ وقرا الحسن
عاد غير مصروف ۶ قال ابو حيان مضافا الى ارم فجاز ان يكون ارم ابا او جدا او
مدينة ۶ قال شهاب الدين تعين ان يكون في قراءة الحسن غير مضاف بل يكون
كما كان منونا ويكون ارم بدلا او بيانا او منصوبا باضمار اعني ولو كان مضافا لوجب
صرفه وانما منع عاد اعتبارا بمعنى القبيلة او جاء على احد الجايزين في هند وبابه وقرا
الضحاك في رواية بعاد ارم ممنوع الصرف وفتح الهمزة من ارم كما قال مجاهد من قرا
بفتح الهمزة شبههم بالارام التي هي الاعلام ۶ وعنه ايضا بفتح الهمزة وسكون الراء
وهو تخفيف ارم بكسر الراء وهو لغة في اسم المدينة كما قرى بورقكم وهي قراءة ابن الزبير
وعنه في عاد مع هذه القراءة الصرف وتركه ۶ وعنه ايضا وعن ابن عباس ارم بفتح
الهمزة والراء والميم مشددة جعلاه فعلا ماضيا ۶ يقال ارم العظم اي بلي وارم
ايضا وارمه غيره فافعل يكون لازما ومتعديا في هذا وذات على هذه القراءة
مجرورة صفة لعاد ويكون قد راعى لفظها تارة في قوله ارم فلم يلحق علامة تانيث
ويكون ارم معترضا بين الصفة والموصوف اي ارمت هي بمعنى رمت وبليت وهو
دعا عليهم ۶ ويجوز ان يكون فاعل ارم ضمير الباري تعالى والمفعول محذوف
اي ارمها الله تعالى والجملة الدعايية معترضة ايضا وراعى معناها اخرى في ذات
فانث ۶ وروى عن ابن عباس رضي الله عنه ذات بالنصب على انها مفعول بارم
وفاعل ارم ضمير يعود على الله تعالى اي ارمها الله ويكون ارم بدلا من فعل ربك
او تبيينا له ۶ وقرا ابن الزبير بعاد ارم باضافة عاد الى ارم مفتوح الهمزة مكسور
الراء وقد تقدم انه اسم المدينة وقرى ارم ذات باضافة ارم الى ذات وروى
عن مجاهد ارم يعني بتخفيف مصدر ارم يارم اي هلك فعلى هذا يكون منصوبا بفعل
ربك نصب المصدر التشبيهي والتقدير كيف اهلك ربك عادا اهلاك ذات العماد

وهذا اغرب الاقوال ۶ وذات العماد ان كان صفة لقبيلة فمعناه انهم اصحاب خيام
لها اعمدة يظعنون بها او هو كناية عن طول ابدانهم كقوله رفيع العماد طويل النجاد قاله
ابن عباس رضي الله عنه وان كان صفة للمدينة فمعناه انها ذات عمد من الحجارة **قوله**
التي لم يخلق ۶ يجوز ان يكون تابعا وان يكون مقطوعا رفعا ونصبا ۶ والعامة على يخلق
مبنيا للمفعول مثلها مرفوع على ما لم يسم فاعله ۶ وعن ابن الزبير يخلق مبنيا للفاعل مثلها
منصوبة به ۶ وعنه ايضا نخلق بنون العظمة **فصل** قال القرطبي من لم يضف
جعل ارم اسم عاد ولم يصرفه لانه جعل عاد اسم ابيهم او اسم بلدتهم وتقديره بعاد
اهل ارم لقوله تعالى واسئل القرية ولم ينصرف قبيلة كانت او ارضا للتعريف والتانيث
والارم العلم اي بعاد اهل ذات العلم ۶ وهذه الرؤية رؤية القلب والخطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم والمراد عاد وكان امر عاد وثمود عندهم مشهورا اذ كانوا في بلاد
العرب وحجر ثمود موجود اليوم وامر فرعون كانوا يسمعونه من جيرانهم من اهل
الكتاب واستفاضت به الاخبار وبلاد فرعون متصلة بارض العرب ۶ وقوله بعاد
اي بقوم هود ۶ قال ابو هريرة كان الرجل من قوم عاد يتخذ المصراع من حجارة
لو اجتمع عليه خمسماية من هذه الامة لم يستطيعوا ان يتلوه وارم قال ابن اسحق هو سام
ابن نوح عليه السلام ۶ وعن ابن عباس وابن اسحق ايضا قال عاد بن ارم بن عوص بن سام
ابن نوح عليه السلام ۶ قال ابن اسحق كان سام بن نوح له اولاد منهم ارم بن سام وارفخشد
ابن سام فمن ولد ارم بن سام العمالقة والفراعنة والجبابرة والملوك الطغاة
والعصاة ۶ وقال مجاهد ارم امة من الامم ۶ وعنه ايضا ان معنى ارم القديمة ۶ وعنه
ايضا القوية ۶ وقال قتادة هي قبيلة من عاد ۶ وقيل هما عادان فالاولى هي ارم
قال تعالى وانه اهلك عادا الاولى فقيل لعقب عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح
عاد كما يقال لبني هاشم هاشم ثم قيل للاولين منهم عاد الاولى وارم تسمية لهم باسم جدهم
ولمن بعدهم عاد الاخرى قال قيس الرقيات ۶ مجدا تليدا بناه اوله ۶ ادرك عادا
وقبله ارما ۶ وقال معمر ارم اليه يجمع عاد وثمود ۶ وكانت القبايل تنتسب الى ارم
ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد ۶ قال ابن عباس في رواية عطا كان الرجل منهم
طوله خمسماية ذراع والقصير منهم طوله ثلثماية ذراع بذراع نفسه ۶ وعن ابن عباس
ايضا ان طول الرجل منهم كان سبعون ذراعا قال ابن العربي وهو باطل لان في الصحيح
ان الله تعالى خلق ادم عليه السلام طوله ستون ذراعا ۶ قال ابو عبيدة ذات
العماد ذات الطول يقال رجل معمد اذا كان طويلا ۶ ونحوه عن ابن عباس ومجاهد
وعن قتادة كانوا عماد القوم يقال فلان عميد القوم وعمودهم اي سيدهم
وعنه ايضا كانوا اهل خيام واعمدة ينتجعون الغيوث ويطلبون الكلا ثم يرجعون الى
منازلهم ۶ وقيل المعنى ذات الابنية المرفوعة على العمد وكانوا ينصبون الاعمدة
فيبنون عليها القصور ۶ وقال ابن زيد ذات العماد يعني احكام البنيان بالعمد
قال الجوهري الابنية الرفيعة يذكر ويونث والواحدة عمادة ۶ وقال الضحاك ذات
العماد اي ذات الشدة والقوة ماخوذ من قوة الاعمدة بدليل قوله تعالى وقالوا
من اشد منا قوة **فصل** والضمير في مثلها يرجع الى القبيلة اي لم يخلق مثل
القبيلة في البلاد قوة وشدة وعظم اجساد ۶ وعن الحسن وغيره وفي حرف عبد الله
التي لم يخلق مثلها في البلاد ۶ وقيل يرجع الى العماد وعلى هذا فالعماد جمع عمد

العمادم

وهي الاساطين والاول اظهر وعليه الاكثر **فصل** قال القرطبي روي عن مالك رضي الله
عنه ان كتابا وجد باسكندرية فلم يدر ما فيه فاذا فيه انا شداد بن عاد الذي رفع
العماد بنيتها حين لا شيب ولا موت قال مالك ان كان لتمر بهم مائة سنة لا يرون
فيها جنازة • وروي انه كان لعاد ابنان شداد وشديد ملكا وقهرا ثم مات شديد
وخلص الامر لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال ابني مثلها
فبنى ارم في بعض صحاري عدن في ثلثمائة سنة وكان عمره تسعمائة سنة وهي مدينة
عظيمة قصورها من الذهب والفضة واساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها اصناف
الاشجار والانهار فلما تم بناؤها سار اليها باهل مملكته فلما كان على مسيرة يوم
وليلة بعث الله تعالى عليهم صيحة من السماء فهلكوا • وعن عبد الله بن قلابة انه خرج
في طلب ابل له فوقع عليها فحمل ما قدر عليه مما هناك وبلغ خبره معاوية فاستحضره
فقص عليه فبعث الى كعب فسأله فقال ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين
في زمانك احمر اشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج في طلب ابل له ثم التفت
فابصر ابن قلابة فقال وهذا والله ذلك الرجل **فصل** ذكر الله تعالى ههنا
قصة ثلاث فرق من الكفار المتقدمين وهم عاد وثمود وقوم فرعون على سبيل الاجمال
حيث قال تعالى فصب عليهم ربك سوط عذاب ولم يبين كيفية ذلك العذاب وبين في
سورة الحاقة ما ابهم في هذه السورة فقال تعالى فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية
واما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية الى قوله وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات
بالخاطئة **قوله** وثمود • قرأ العامة بمنع الصرف وابن وثاب بصرفه كما تقدم
والذي يجوز فيه ما تقدم في التي لم يخلق • وجابوا • اي قطعوا ومنه فلان يجوب
البلاد اي يقطعها سيرا • قال • ولا رأيت قلوصا قبلها حملت • ستين وسقا ولا
جابت به بلدا • وجاب الشيء يجوبه اي قطعه • ومنه سمي جيب القميص لانه جيب اي
قطع وخرق فجوبا **قوله** بالواد متعلق اما بجابوا اي فيه واما بمحذوف على انه حال
من الصخر او من الفاعلين • واثبت في الحالين ابن كثير وورش بخلاف عن قنبل فروي
عنه اثباتها في الحالين • وروي عنه اثباتها في الوصل خاصة وحذفها الباقون
في الحالين • وروي عنه اثباتها في الوصل خاصة وحذفها الباقون في الحالين موافقة
لخط المصحف ومراعاة للفواصل كما تقدم في يسر **فصل** قال ابن عباس
كانوا يجوبون البلاد ويجعلون من الجبال بيوتا لقوله تعالى وتنحتون الجبال بيوتا
قيل اول من نحت من الجبال والصخور والرخام ثمود وبنوا الفا وسبعمائة مدينة كلها من
الحجارة • وقوله تعالى بالواد قال مقاتل بوادي القرى وهو على فرسخ اشقر فقال
اسرعوا السير فانكم في واد ملعون • وقيل الوادي بين جبال وكل منفرج بين جبال
وتلال يكون مسلكا للسيل ومنفذا فهو واد **قوله تعالى** وفرعون ذي الاوتاد
اي الجنود والعساكر والجموع قاله ابن عباس • وسمي ذي الاوتاد لكثرة مضاربهم
التي كانوا يضربونها اذا نزلوا • وقيل ذي الاوتاد اي ذي الملك الثابت
كقوله في ظل ملك راسخ الاوتاد • وقيل كان يشد الناس بالاوتاد الى ان يموتوا
تجبرا منه وعتوا كما فعل بامرأته آسية وماشطتها • قال عبد الرحمن بن زيد كانت
له صخرة ترفع بالبكرات ثم يؤخذ الانسان فيوتد له اوتاد الحديد ثم يرسل تلك
الصخرة عليه • وروى قتادة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان تلك الاوتاد كانت

ابهم صر

ملاعب

ملاعب يلعبون تحتها **قوله** الذين طغوا • يجوز فيه ما جاز في الذين قبله من الاتباع والقطع
على الذم • قال ابن الخطيب يحتمل ان يرجع الضمير الى فرعون خاصة لانه يليه ويحتمل
ان يرجع الى ما تقدم ذكرهم وهو الاقرب واحسن الوجوه في اعرابه ان يكون في
محل النصب على الذم • ويجوز ان يكون مرفوعا على هم الذين طغوا او مجرورا على وصف
المذكورين عاد وثمود وفرعون **فصل** الذين طغوا يعني عادا وثمود وفرعون
طغوا اي تمردوا وعتوا وتجاوزوا القدر في الظلم والعدوان • ثم فسر تعالى
طغيانهم بقوله فاكثروا فيها الفساد • قال الكلبي القتل والمعصية لله تعالى • قال
القفال والجملة ان الفساد ضد الصلاح فكما ان الصلاح يتناول جميع اقسام البر
فالفساد يتناول جميع اقسام الاثم فمن عمل بغير امر الله وحكم في عباده بالظلم فهو
مفسد **قوله تعالى** فصب عليهم ربك سوط عذاب • صب اي افرغ عليهم والقى
يقال صب على فلان خلعة اي القاها عليه • قال النابغة م
• فصب عليه الله احسن صبغة • وكان له بين البرية ناصر •
وقوله تعالى سوط عذاب اي نصيب عذاب • وقيل شدته لان السوط كان عندهم
نهاية ما يعذب به • قال م
• الم تر ان الله اظهر دينه • وصب على الكفار سوط عذاب •
والسوط هو الآلة المعروفة • قيل سمي سوطا لانه يساط به اللحم عند الضرب اي يخلط
قال كعب بن زهير • لكنها خلة قد سيط من دمها • فجع وولع واخلاف وتبديل
وقال آخر • احارث انا لو تساط دماؤنا • تزايلن حتى لا يمس دم دما • وقيل هو
في الاصل مصدر ساطه يسوطه سوطا ثم سميت به الآلة • وقال ابو زيد اموالهم
بينهم سويطة اي مختلطة فهو سابط فالسوط خلط الشيء بعضه ببعض • ومنه سمي المسواط
وسوطه اي خلطه • ويقال سوط فلان امره • قال • فسطها ذميم الراي غير موفق
فلست على تسويطها بمعان • وقال الفراء كلمة تقولها العرب لكل نوع من انواع العذاب
واصل ذلك ان السوط هو عذابهم الذي يعذبون به فجرى لكل عذاب اذ كان فيه
غاية العذاب • وقال الزجاج اي جعل سوطهم الذي ضربهم به العذاب يقال ساط
دابته يسوطها اي ضربها بسوطه • وعن عمرو بن عبيد كان الحسن اذا اتى على هذه الآية
قال ان الله تعالى عنده اسواط كثيرة فاخذهم بسوط منها • وقال قتادة كل شيء
عذب الله تعالى به فهو سوط عذاب واستعمال الصب في السوط استعارة بليغة شائعة
في كلامهم قال القاضي وشبهه بصب السوط الذي يتواتر على المضروب فيهلكه **قوله
تعالى** ان ربك لبالمرصاد • اي يرصد عمل كل انسان حتى يجازيه به • قال الحسن
وعكرمة والمرصاد كالمرصد وهو المكان الذي يترقب فيه الرصد جمع راصد
كحرس فالمرصاد مفعال من رصده كميقات من وقته قال الزمخشري • وجوز ابن
عطية في المرصاد ان يكون اسم فاعل فقال كانه قيل لبالراصد فعبر ببناء المبالغة
ورده ابو حيان بانه لو كان كذلك لم تدخل عليه الباء اذ ليس هو في موضع دخولها
لا زائدة ولا غير زائدة • قال شهاب الدين قد وردت زيادتها في خبر ان كهذه الآية وفي قول امرئ القيس • فانك مما احدثت بالمجرب • الا ان هذه ضرورة
فصل تقدم الكلام في المرصاد لا يفوته احد فضلا عن افصحه
عند قوله تعالى كانت مرصادا وهذا مثل لارصاده العصاة بالعقاب لانهم لا يفوتونه

كما قيل لبعض العرب اين ربك فقال بالمرصاد وقال الفرا معناه اليه المصير وقال الزجاج
يرصد من كفر به وعاند طاعته بالعذاب وقال الضحاك يرصد اهل الظلم والمعصية
قوله تعالى فاما الانسان اما مبتدا وفي خبرها وجهان اصحهما انه الجملة من
قوله فيقول لقوله تعالى فاما الذين امنوا فيعلمون كما تقدم والظرف حينيذ منصوب
بالخبر لانه في نية التاخير ولا يمنع الفا من ذلك قاله الزمخشري وغيره والثاني
اذا الشرطية وجوابها فيقول وقوله تعالى فاكرمه معطوف على ابتلاه والجملة الشرطية
خبر الانسان قاله ابو البقا وفيه نظر لانه لا تلزم الفا في الجملة الواقعة خبرا عما بعدها
ولا تحذف الا مع قول مضمر لقوله تعالى واما الذين اسودت كما تقدم الا في ضرورة قال
الزمخشري فان قلت بم اتصل قوله تعالى فاما الانسان قلت بقوله ان ربك لبالمرصاد
فكانه قيل ان الله تعالى لا يريد من الانسان الا الطاعة فاما الانسان فلا يريد
ذلك ولا يهمه الا العاجلة انتهى يعني بالتعليق من حيث المعنى وكيف عطفت هذه الجملة
التفصيلية على ما قبلها مترتبة عليه وقوله لا يريد الا الطاعة على مذهب المعتزلة ومذهب
اهل السنة ان الله تعالى يريد الطاعة وغيرها ولولا ذلك لم يقع ثم من لا يدخل في ملكه
ما لا يريد واصلاح العبارة ان يقول ان الله يريد من العبد والانسان من غير حصر
ثم قال فان قلت فكيف توازن قوله تعالى فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه وقوله تعالى
واما اذا ما ابتلاه وحق التوازن ان يتقابل الواقعان بعد اما واما تقول اما الانسان
فكفور واما الملك فشكور اما اذا احسنت الى زيد فهو محسن اليك واما اذا اسات
اليه فهو مسي اليك قلت هما متوازنان من حيث ان التقدير واما هو اذا ما ابتلاه
وذلك ان قوله فيقول ربي اكرمني خبر المبتدا الذي هو الانسان ودخول الفا
في اما من معنى الشرط والظرف المتوسط بين المبتدا والخبر في نية التاخير لانه قال
فاما الانسان فقايل ربي اكرمني وقت الابتلا فوجب ان يكون فيقول الثاني خبر المبتدا
واجب تقديره فصل قال ابن عباس المراد بالانسان عتبة بن ربيعة وابا
حذيفة بن المغيرة وقيل امية بن خلف وقيل ابي بن خلف اذا ما ابتلاه ربه
امتحنه واختبره بالنعمة وما زايدة صلة فاكرمه بالمال ونعمه بما اوسع عليه فيقول
ربي اكرمني فيفرح بذلك ولا يحمده واما اذا ما ابتلاه اي امتحنه بالفقر واختبره
فقدر اي ضيق عليه رزقه على مقدار البلغة فيقول ربي اهانني او لاني هوانا وهذه
صفة الكافر الذي لا يومن بالبعث وانما الكرامة في الدنيا فاما المومن فالكرامة
عنده ان يكرمه الله تعالى بطاعته وتوفيقه المودي الى حظ الاخرة وان وسع
عليه في الدنيا حمد وشكر قال القرطبي الايتان صفة كل كافر وكثير من المسلمين يظن
ان ما اعطاه الله لكرامته وفضيلته عند الله وربما يقول بجهله لو لم استحق هذا لم
يعطنيه الله وكذا اذا قتر عليه يظن ان ذلك لهوانه على الله قوله فقدر عليه قرا
عامر بتشديد الدال والباقون بتخفيفها وهما لغتان بمعنى واحد ومعناهما التضييق
قال القرطبي والاختيار التخفيف لقوله تعالى ومن قدر عليه رزقه وقوله تعالى
الله يبسط الرزق لمن يشا ويقدر وقال ابو عمرو وقدر بالتخفيف اي قتر مشددا
هو ان يعطيه ما يكفيه ولو فعل به ذلك ما قال ربي اهانن قوله اكرمني اهانني قرا نافع
باثبات يايهما وصلا وحذفهما وقفا من غير خلاف عنه والبزي عن ابن كثير وابن محيصن ويعقوب
اثباتهما في الحالين لانهما اسم فلا تحذف واختلف عن ابي عمرو في الوصل فروى عنه الاثبات

الحذف

والحذف والباقون يحذفونهما في الحالين وعلى الحذف قوله ومن كان تبع خطا يزعمه ان اذا
ما التثبيت له انكرك يريد انكرني ولانها وقعت في الموصفين بغير يا والسنة لا تخالف
خط المصحف لانه اجماع الصحابة رضي الله عنهم وقال الزمخشري فان قلت هلا قال
فاهانه وقدر عليه رزقه كما قال فاكرمه ونعمه قلت لان البسط اكرام من
الله لعبده بانعامه عليه متفضلا من غير سابقة واما التقدير فليس باهانة له لان
الاخلال بالتفضل لا يكون اهانة كما اذا اهدى لك زيد هدية تقول اكرمني فاذا لم
يهد لك شيا لا يكون مهينا لك واجاب ابن الخطيب عن هذا السوال بانه في قوله اكرمني
صادق وفي قوله اهانني غير صادق فهو ظن ان قلة الدنيا وتقتيرها اهانة وهذا
جهل واعتقاد فاسد فكيف يحكي الله تعالى ذلك عنه فان قيل لما قال فاكرمه فقد
صح انه اكرمه ثم انه لما حكى عنه انه قال ربي اكرمن ذمه عليه فكيف الجمع بينهما فالجواب
ان كلمة الانكار كلا فلم لا يجوز ان يقال انها مختصة بقوله تعالى اهانن سلمنا ان
الانكار عايد اليهما معا لكن يمكن ان يكون الذم لانه اعتقد ان ذلك الاكرام بالاستحقاق
او انه لما لم يعترف الا عند سعة الدنيا مع سبق النعم عليه من الصحة والعقل دل على ان
غرضه من ذلك الشكر ليس نفس الشكر بل محبة الدنيا والتكثير بالاموال والاولاد او لانه
كلامه يقتضي الاعراض عن الاخرة وانكار البعث كما حكى الله تعالى بقوله تعالى ودخل
جنته وهو ظالم لنفسه قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا الى قوله اكفرت بالذي خلقك من
تراب ثم من نطفة قوله كلا ردع للانسان عن تلك المقالة قال ابن عباس
رضي الله عنه المعنى لم ابتله بالغنى لكرامته علي ولم ابتله بالفقر لهوانه علي بل ذلك
لمحض القضا والقدر والمشية والحكم المنزه عن التعليل وهذا مذهب اهل السنة واما
على مذهب المعتزلة فلمصالح خفية لا يطلع عليها الا هو سبحانه فقد يوسع على الكافر
لا لكرامته ويقتر على المومن لا لهوانه وقال الفرا في هذا الموضع يعني لم يكن للعبد
ان يكون هكذا ولكن يحمد الله تعالى على الغنى والفقر قوله تعالى بل لا يكرمون
اليتيم قرا ابو عمرو يكرمون وما بعده بالغيبة حملا على معنى الانسان
المتقدم اذ المراد به الجنس على طريق الالتفات والجنس في معنى الجمع والباقون
بالتا في الجمع خطابا للانسان المراد به الجنس على طريقة الالتفات فصل
لما حكى اقوالهم كانه قال بل لهم فعل اشر من هذا القول وهو ان الله تعالى يكرمهم
بكثرة المال فلا يودون ما يلزمهم فيه من اكرام اليتيم فقرعهم بذلك ووبخهم
واما ترك اكرام اليتيم بدفعه عن حقه واكل ماله فقال مقاتل نزلت في قدامة
بن مظعون وكان يتيما في حجر امية بن خلف وكان يدفعه عن حقه قوله تعالى
ولا تحضون على طعام المسكين قرا الكوفيون تحاضون والاصل تتحاضون بحذف
احدى التايين اي لا يحض بعضكم بعضا وروى عن الكسائي تحاضون بضم التا وهي
قراة زيد بن علي وعلقمة اي تحاضون انفسكم والباقون يحضون من حض على كذا
اي اغراه به ومفعوله محذوف اي لا تحضون انفسكم ولا غيرها ويجوز ان لا يقدر
اي لا توقعون الحض قوله على طعام متعلق بتحضون وطعام يجوز ان يكون على
اصله من كونه اسما للمطعوم ويكون على حذف مضاف اي على بذل او على اعطا الطعام
وان يكون اسم مصدر بمعنى الاطعام كالعطا بمعنى الاعطا فلا حذف حينيذ فصل
اعلم ان ترك اكرام اليتيم على وجوه احدها ترك بره واليه الاشارة بقوله تعالى [illegible]

التراث اكلا لما ويحبون المال حبا جما **قوله تعالى** ويأكلون التراث
اكلا لما: التاء في التراث بدل من الواو لأنه من الوراثة ومثله تولج وتوراة
وتجاه وقد تقدم كما قالوا تجاه وتخمة وتكاه وتالله ونحو ذلك والتراث ميراث
اليتامى. وقوله تعالى اكلا لما اللم الجمع الشديد يقال لممت الشيء لما اي جمعته
جمعا. قال الحطيئة: اذا كان لما يتبع الذم ربه، فلا قدس الرحمن تلك الطواحنا. ولممت
شعثه من ذلك. قال النابغة: ولست بمستبق اخا لا تلمه، على شعث اي الرجال
المهذب. واللم الكثير. ومنه جمة الماء. قال زهير: فلما وردن الماء زرقا جمامه
ومنه الجمة للشعر وقولهم جاءوا الجماء الغفير وذلك وكتيبة ملمومة وحجر ملموم
وقولهم ان دارك لمومة اي تلم الناس وتجمعهم والآكل يلم الثريد فيجمعه لقما ثم يأكله.
قال الحسن: يأكلون نصيبهم ونصيب صاحبهم فيجمعون نصيب غيرهم الى نصيبهم. وقيل
ان المال الذي يخلفه الميت بعضه حلال وبعضه شبهة وبعضه حرام فالوارث
يلم الكل اي يجمع البعض الى البعض ويأخذ الكل ويأكله. قال الزمخشري: يجوز ان يكون الذم
متوجها الى الوارث الذي ظفر بالمال سهلا مهلا من غير ان يعرف جهته ويسرف
في انفاقه ويأكله اكلا لما جامعا بين الوان المشتهيات. وقال ابن زيد: كان اهل
الشرك لا يورثون النساء ولا الصبيان بل يأكلون ميراثهم وتراثهم مع تراثهم. **قوله
تعالى** ويحبون المال حبا جما اي كثيرا حرامه وحلاله. والجم الكثير يقال جم الشيء
يجم جموما فهو جم وجام. ومنه جم الماء في الحوض اذا اجتمع وكثر. والجمة المكان الذي يجتمع
فيه ماؤه. والجموم البئر الكثير الماء. والجموم بالضم المصدر يقال جم الماء يجم جموما اذا كثر
في البئر واجتمع. والمعنى يحبون المال كثيرا شديدا. **قوله** كلا ردع لهم عن ذلك وانكار
لفعلهم اي ما هكذا ينبغي ان يكون الامر وهو ردع لانكبابهم على الدنيا وجمعهم لها. **قوله
تعالى** اذا دكت الارض دكا دكا. في دكا وجهان احدهما انه مصدر مؤكد ودكا
الثاني تأكيد للاول تأكيد اللفظ كذا قاله ابن عصفور وليس المعنى على ذلك. والثاني
انه نصب على الحال والمعنى مكررا عليها الدك كعلمته الحساب بابا بابا وعلمته حرفا حرفا
وهذا ظاهر قول الزمخشري وكذلك صفا صفا حال ايضا اي مصطفين او ذوي
صفوف كثيرة. قال الخليل: الدك كسر الحائط والجبل والدكداك رمل متلبد ورجل
مدك شديد الوطء على الارض. وقال المبرد: الدك حط المرتفع بالبسط واندك
سنام البعير اذا انفرش في ظهره وناقة دكاء كذلك. ومنه الدكان لاستوائه
في الانفراش فمعنى الدك على قول الخليل كسر شيء على وجه الارض من جبل او شجر حين
زلزلت فلم يبق على ظهرها شيء. وعلى قول المبرد معناه انها استوت في الانفراش
فذهبت دورها وقصورها حتى صارت كالصخرة الملساء. وهذا معنى قول ابن
عباس وابن مسعود رضي الله عنهما تمد الارض يوم القيامة مد الاديم. قال
ابن الخطيب: وهذا التدكدك لا بد وان يكون متأخرا عن الزلزلة فاذا زلزلت زلزلة بعد
زلزلة تكسرت الجبال وتهدم وتمتلئ الاغوار وتصير ملساء وذلك عند انقضاء الدنيا
قوله تعالى وجاء ربك والملك صفا صفا اي جاء امره وقضاؤه قاله الحسن
وهو من باب حذف المضاف. وقيل جاءهم الرب بالآيات لقوله تعالى الا ان
يأتيهم الله في ظلل من الغمام اي بظلل. وقيل جعل مجيء الآيات مجيئا له تفخيما لشأن
تلك الآيات لقوله تعالى في الحديث يا ابن آدم مرضت فلم تعدني واستسقيتك

فلم

فلم تسقني واستطعمتك فلم تطعمني. وقيل زالت الشبه وارتفعت الشكوك وصارت المعارف
ضرورية كما تزول الشبه والشكوك عند مجيء الشيء الذي كان يشك فيه. وقيل جاء قهر
ربك كما تقول جاءتنا بنو امية اي قهرهم. قال اهل الاشارة: ظهرت قدرته واستولت
والله تعالى لا يوصف بالتحول من مكان الى مكان وانى له التحول والانتقال ولا مكان
له ولا اوان ولا يجري عليه وقت ولا زمان لان في جريان الوقت على الشيء فوت
الاوقات ومن فاته الشيء فهو عاجز. واما قوله تعالى والملك صفا صفا اي والملائكة
صفا بعد صف محدقين بالجن والانس. **قوله تعالى** وجيء يومئذ بجهنم يومئذ منصوب
بجيء والقائم مقام الفاعل بجهنم. وجوز مكي ان يكون يومئذ قائما مقام الفاعل واما
يومئذ الثاني فقيل بدل من اذا دكت والعامل فيها يتذكر قاله الزمخشري وهو
مذهب سيبويه. وهو ان العامل في اذا دكت يقول والعامل في يومئذ يتذكر قاله
ابو البقاء. **فصل** قال ابن مسعود ومقاتل تقاد جهنم بسبعين الف زمام
كل زمام معه سبعون الف ملك يجرونها حتى تنصب على يسار العرش لها تغيظ وزفير
رواه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن مسعود مرفوعا. وقال ابو سعيد الخدري
لما نزلت وجيء يومئذ بجهنم تغير لون رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرف في وجهه
حتى اشتد على اصحابه ثم قال اقرأني جبريل عليه السلام كلا اذا دكت الارض دكا دكا
الآية وجيء يومئذ بجهنم قال علي رضي الله عنه قلت يا رسول الله كيف يجاء بها قال يؤتى
بها تقاد بسبعين الف زمام يقود بكل زمام سبعون الف ملك فتشرد شردة لو تركت
لاحرقت الجميع ثم تعرض لي جهنم فتقول ما لي ولك يا محمد ان الله تعالى قد حرم لحمك علي
فلا يبقى احد الا قال نفسي نفسي الا محمد صلى الله عليه وسلم فانه يقول رب امتي امتي. وقال
ابن الخطيب: قال الاصوليون معلوم ان جهنم لا تنتقل من مكانها ومعنى وبرزت واظهرت
حتى رآها الخلق وعلم الكافر ان مصيره اليها. **قوله تعالى** يومئذ يتذكر الانسان
تقدم الكلام في اعراب يومئذ. والمعنى يتعظ الكافر ويتوب او من همته الدنيا
وقيل يتذكر ان ذلك كان حقا. وانى له الذكرى اي ومن اين له الاتعاظ والتوبة
وقد فرط فيها في الدنيا. وقيل ومن اين له منفعة الذكرى فلا بد من تقدير حذف
مضاف. والاقيس يومئذ يتذكر بدل وانى له الذكرى تنافي قاله الزمخشري. ثم
قوله وانى: خبر مقدم والذكرى مبتدأ مؤخر وله متعلق بما تعلق به الظرف.
قوله تعالى يقول يا ليتني قدمت لحياتي اي في حياتي فاللام بمعنى في. وقيل
اي قدمت عملا صالحا لحياتي اي لحياة لا موت فيها. وقيل حياة اهل النار ليست
هنيئة فكأنهم لا حياة لهم فالمعنى يا ليتني قدمت من الخير لحياتي في النار فان لولا من له
حياة هنيئة. **فصل** استدلت المعتزلة بهذه الآية على ان الاختيار كان في ايديهم
وقصدهم وارادتهم وانهم ما كانوا محجوبين عن الطاعات مجبرين على المعاصي. والجواب
ان فعلهم كان معلقا بقصد الله تعالى فبطل قولهم. **قوله تعالى** فيومئذ
لا يعذب عذابه احد. قرأ الكسائي اي لا يعذب ولا يوثق مبنيين للمفعول ورواه
ابو قلابة عن النبي صلى الله عليه وسلم. بفتح الذال والثاء والباقون قرؤوهما
مبنيين للفاعل. فاما قراءة الكسائي فاسند الفعل فيها الى احد وحذف الفاعل للعلم
به وهو الله تعالى والزبانية المتولون العذاب بامر الله تعالى. واما عذابه
ووثاقه فيجوز ان يكون المصدر مضافين للفاعل والضمير لله تعالى او مضافين

للمفعول والضمير للانسان ويكون عذاب واقعا موقع تعذيب والمعنى لا يعذب احد تعذيبا مثل تعذيب الله تعالى هذا الكافر ولا يوثق احد توثيقا مثل ايثاق الله اياه بالسلاسل والاغلال او لا يعذب احد مثل تعذيب الكافر ولا يوثق مثل ايثاقه لكفره وعناده والوثاق بمعنى الايثاق كالعطا بمعنى الاعطا الا ان في اعمال اسم المصدر عمل مسماه خلافا مضطربا فنقل عن البصريين المنع وعن الكوفيين الجواز ونقل العكس عن الزمخشري ومن الاعمال قوله العزابعد رد الموت عني ونعد عطايك المائة الرتاعا ومن منع نصب المائة بفعل مضمر واصرح من هذا قوله قال كلامهم تشفا لما بنا وقيل المعنى ولا يحمل عذاب الانسان احد كقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى قاله الزمخشري واما قراءة الباقين فانه اسند الفعل لفاعله والضمير في عذابه ووثاقه يحتمل عوده على الباري تعالى بمعنى انه لا يعذب في الدنيا مثل عذاب الله تعالى يومئذ احد اي ان عذاب من يعذب في الدنيا ليس كعذاب الله تعالى يوم القيمة كذا قاله ابو عبد الله وفيه نظر من حيث انه يلزم ان يكون يومئذ معمولا للمصدر التشبيهي وهو ممتنع لتقدمه عليه الا ان يقال يتوسع فيه وقيل المعنى لا يكل عذابه ولا وثاقه لاحد لان الامر لله تعالى وحده في ذلك وقيل المعنى انه في الشدة والفظاعة في حيز لم يعذب احد قط في الدنيا مثله ورد هذا بان لا اذا دخلت على المضارع صيرته مستقبلا واذا كان مستقبلا لم يطابق هذا المعنى ولا يطلق على الماضي الا بمجاز بعيد وبان يومئذ المراد به يوم القيمة لا دار الدنيا وقيل المعنى انه لا يعذب احد في الدنيا مثل عذاب الله الكافر فيها الا ان هذا مردود بما رد به ما قبله ويحتمل عوده على الانسان بمعنى لا يعذب احد من زبانية العذاب مثل ما يعذبون هذا الكافر او يكون المعنى لا يحمل احد عذاب الانسان لقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى وهذه الاوجه صعبة المرام على طالبها من غير هذا الكتاب وقرا نافع في رواية وابو جعفر وشيبة بخلاف عنهما ووثاقه بكسر الواو والمراد بهذا الكافر المعذب قيل ابليس لعنه الله لانه اشد الناس عذابا وقال الفرا هو امية بن خلف **قوله تعالى** يا ايتها النفس المطمئنة قرا العامة يا ايتها بتا التانيث وقرا زيد بن علي يا ايها لندا المذكر ولم يجوز ذلك احد الا صاحب البديع وهذه تساهله له ولم يوجه وهو انها لما لم يطابق صفتها تثنية وجمعا جاز ان لا يطابق تانيثا تقول يا ايها الرجلان يا ايها الرجال **فصل** لما وصف حال من اطمان الى الدنيا وصف حال من اطمان الى معرفته وعبوديته وسلم امره الى الله تعالى قيل هذا كلام الباري تعالى اكراما له كما كلم موسى عليه السلام وقيل هو من قول الملئكة لاوليا الله قال مجاهد وغيره المطمئنة الساكنة الموقنة ايقنت ان الله تعالى ربها فاخبتت لذلك وقال ابن عباس المطمئنة بثواب الله وعن الحسن رضي الله عنه المومنة الموقنة وعن مجاهد ايضا الراضية بقضا الله وقال مقاتل الامنة من عذاب الله وفي حرف ابي بن كعب يا ايتها النفس الامنة المطمئنة وقيل التي عملت على يقين بما وعد الله تعالى في كتابه وقال ابن كيسان المطمئنة هنا المخلصة وقيل المطمئنة بذكر الله لقوله تعالى الذين امنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله وقيل المطمئنة بالايمان المصدقة بالبعث والثواب وقال ابن زيد المطمئنة التي بشرت بالجنة عند الموت وعند البعث ويوم الجمع **قوله تعالى** ارجعي الى ربك راضية مرضية اي

بنت

الحساب

ارجعي الى صاحبك وجسدك قاله ابن عباس وعكرمة وعطا واختاره الطبري يدل عليه قراءة ابن عباس فادخلي في عبدي على التوحيد وقال الحسن ارجعي الى ثواب ربك وقال ابو صالح ارجعي الى الله وهذا عند الموت وقوله تعالى راضية مرضية حالان اي جامعة بين الوصفين لانه لا يلزم من احدهما الاخر والمعنى راضية بالثواب مرضية عنك في الاعمال التي عملتها في الدنيا **فصل** قال القفال هذا وان كان امرا في الظاهر فهو خبر في المعنى والتقدير ان النفس ان كانت مطمئنة رجعت الى الله تعالى وقال الله تعالى لها فادخلي في عبادي وادخلي جنتي قال ومجي الامر بمعنى الخبر كثير في كلامهم كقولهم اذا لم تستحي فاصنع ما شئت **فصل** قال سعيد بن زيد قرا رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم يا ايتها النفس المطمئنة قال ابو بكر رضي الله عنه ما احسن هذا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الملك سيقولها لك يا ابا بكر وقال سعيد بن جبير مات ابن عباس بالطايف فجا طاير لم ير على خلقته طاير قط فدخل نعشه ثم لم ير خارجا منه فلما دفن تليت هذه الاية على شفير القبر لا يدري من تلاها يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية وروى الضحاك انها نزلت في عثمان بن عفان رضي الله عنه حين وقف بير رومة وقيل نزلت في خبيب بن عدي الذي صلبه اهل مكة وجعلوا وجهه الى المدينة فحول الله وجهه للقبلة **قوله تعالى** فادخلي في عبادي يجوز ان يكون في جسد عبادي ويجوز ان يكون المعنى في زمرة عبادي وقرا ابن عباس وعكرمة وجماعة في عبدي والمراد الجنس وتعدى الفعل الاول بفي لان الظرف ليس بحقيقي نحو دخلت في غمار الناس وتعدى الثاني بنفسه لان الظرفية متحققة كذا قيل وهذا انما يتاتى على احد الوجهين وهو ان المراد بالنفس الروح وانها مامورة بدخولها في الاجساد فالظرفية متحققة فيه ايضا **فصل** قال ابن عباس هذا يوم القيمة وهو قول الضحاك والجمهور على ان المراد بالجنة دار الخلود التي هي سكن الابرار ودار الصالحين والاخيار ومعنى في عبادي اي في الصالحين كقوله تعالى ولندخلنهم في الصالحين قال ابن الخطيب ولما كانت الجنة الروحانية غير متراخية عن الموت في حق السعدا لاجرم قال تعالى فادخلي في عبادي بفا التعقيب ولما كانت الجنة الجسمانية لا يحصل الكون فيها الا بعد قيام القيمة الكبرى لاجرم قال تعالى وادخلي جنتي بالواو والله اعلم روى الثعلبي عن ابي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والفجر وليال عشر غفر له ومن قراها في ساير الايام كانت له نورا يوم القيمة

سورة البلد مكية

وهي عشرون اية واثنتان وثمانون كلمة وثلاث مائة وعشرون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** لا اقسم بهذا البلد يجوز ان يكون لا زائدة كما تقدم في لا اقسم بيوم القيمة قاله الاخفش اي اقسم لانه قال وهذا البلد الامين فكيف يجحد القسم وقد اقسم به البلد وقد اقسم به في قوله تعالى وهذا البلد الامين فكيف يجحد القسم وقد اقسم به سبحانه قال الشاعر

تذكرت ليلى فاعترتني صبابة ۞ وكاد صميم القلب لا يتقطع

اي يتقطع ودخل حرف لا صلة لقوله تعالى ما منعك ان لا تسجد وقد قال تعالى في

سورة ص ما منعك ان لا تسجد. وقرأ الحسن والاعمش وابن كثير لاقسم من غير الف
بعد اللام اثباتا. واجاز الاخفش ايضا ان تكون بمعنى الا. وقيل ليست بنفي القسم
وانما تقول العرب لا والله لا فعلت كذا ولا والله ما كان كذا ولا والله لافعلن كذا
وقيل هي نفي صحيح والمعنى لا اقسم بهذا البلد اذا لم تكن فيه بعد خروجك منه حكاه
مكي ورواه ابن ابي نجيح عن مجاهد قال لا رد عليهم. وهذا اختيار ابن العربي
لانه قال واما من قال انها رد وهو قول ليس له رد لانه لا يصح به المعنى ويتمكن اللفظ
والمراد وهو رد الكلام من انكر البعث ثم ابتدأ القسم. وقال القشيري قوله لا رد
لما توهم الانسان المذكور في هذه السورة المغرور بالدنيا اي ليس الامر كما يحسبه
من انه لم يقدر عليه احد ثم ابتدأ القسم. واجمعوا على ان المراد بالبلد مكة المشرفة
اي اقسم بالبلد الحرام الذي انت فيه لكرامتك علي وحبي لك **قوله تعالى** وانت
حل بهذا البلد. فيه وجهان احدهما ان الجملة اعتراضية على احد معنيين اما على معنى
انه تعالى اقسم بهذا البلد وما بعده على ان الانسان في كبد واعترض بينهما بهذه
الجملة يعني ومن المكابدة ان مثلك على عظم حرمتك يستحل بهذا البلد كما يستحل الصيد
في غير الحرم. واما على معنى انه اقسم ببلده على ان الانسان لا يخلو من مقاساة
الشدائد. واعترض بان وعده فتح مكة تتميما للتسلية فقال تعالى وانت حل به للتسليه صح
فيما تستقبل تصنع فيه ما تريد من القتل والاسر بمعنى حلال قال معناه الزمخشري
ثم قال فان قلت اين نظير قوله تعالى وانت حل في معنى الاستقبال قلت قوله
تعالى انك ميت وانهم ميتون ومثله واسع في كلام العباد تقول لمن تعده الاكرام
والحبا انت مكرم محبو وهو في كلام الله تعالى اوسع لان الاحوال المستقبلة
عنده كالحاضرة المشاهدة وكفاك دليلا قاطعا على انه للاستقبال وان تفسيره
بالحال محال اذ السورة بالاتفاق مكية وان الهجرة وقت نزولها فما بال الفتح الثاني
من الوجهين الاولين ان الجملة حالية اي لا اقسم بهذا البلد وانت حال بها لعظم
قدرك اي لا تقسم بشيء وانت احق بالاقسام بك منه. وقيل المعنى لا اقسم به وانت
مستحل فيه اي مستحل اذاك.

فصل اجمع المفسرون على ان ذلك البلد
مكة وفضلها معروف فانه تعالى جعله حرما امنا وقال تعالى ومن دخله كان
امنا وجعل مسجده قبلة لاهل المشرق والمغرب وقال تعالى وحيث ما كنتم فولوا
وجوهكم شطره وامر الناس بحج البيت فقال ولله على الناس حج البيت وقال
تعالى واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا وقال تعالى واذ بوأنا لابرهيم
مكان البيت وقال تعالى يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق وشرف
مقام ابرهيم عليه السلام بقوله تعالى واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وحرم
صيده وجعل البيت المعمور بازائه ودحيت الارض من تحته فهذه الفضائل
واكثر منها لما اجتمعت في مكة لا جرم اقسم الله تعالى بها.

فصل روى
منصور عن مجاهد وانت حل قال ما صنعت فيه من شيء فانت في حل. وكذا قال ابن
عباس احل له يوم الفتح دخول مكة ان يقتل من شاء فقتل ابن خطل ومقيس بن صبابة
وغيرهما ولم يحل لاحد من الناس ان يقتل بها احدا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال السدي انت في حل ممن قاتلك ان تقتله. وروى ابو صالح عن ابن عباس قال
احلت لي ساعة من النهار ثم حرمت الى يوم القيامة وذلك فتح مكة قال ابن زيد

لم

لم يكن بها احد حلالا غير النبي صلى الله عليه وسلم. وقيل معناه وانت مقيم فيه وهو محلك
اي من اهل مكة نشات بينهم ويعرفون فضلك وطهارتك لقوله تعالى لقد جاءكم
رسول من انفسكم. وقيل انت فيه محسن وانا عنك فيه راض. وذكر اهل اللغة انه
يقال رجل حل وحلال ومحل ورجل حرم وحرام ومحرم. وقال قتادة وانت حل
به اي لست باثم. وقيل معناه انك غير مرتكب في هذا البلد ما حرم عليك ارتكابه
معرفة منك بحق هذا البيت لا كالمشركين الذين يرتكبون الكفر بالله فيه. وقال
شرحبيل بن سعيد وانت حل بهذا البلد اي حلال اي يحرمون مكة ان يقتلوا بها صيدا
ويعضدوا بها شجرا ثم مع هذا يستحلون اخراجك وقتلك ففيه تعجب من جراءتهم وشدة
عداوتهم **قوله تعالى** ووالد وما ولد. قيل ما بمعنى الذي. وقيل مصدرية
اقسم بالشخص وفعله. وقال الزمخشري فان قلت هلا قيل ومن ولد قلت فيه
ما في قوله والله اعلم بما وضعت اي باي شيء وضعت اي موضوعا عجيب الشان وقيل
ما نافية فيحتاج الى اضمار موصول به يصح الكلام تقديره والذي ما ولد وان المراد
بالوالد من يولد له وبالذي لم يلد العاقر قاله معناه ابن عباس وتلميذاه ابن جبير وعكرمة

فصل هذا معطوف على قوله لا اقسم بهذا البلد وقوله تعالى وانت حل بهذا
البلد معترض بين المعطوف والمعطوف عليه. قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك
والحسن وابو صالح والطبري المراد بالوالد ادم عليه السلام وما ولد اي وما نسل
من ولده اقسم بهم لانهم اعجب ما خلق الله تعالى على وجه الارض لما فيهم من البيان والنطق
والتدبير واخراج العلوم وفيهم الانبياء والدعاة الى الله تعالى والانصار لدينه وامر
الملائكة بالسجود لادم عليه السلام وعلمه الاسماء كلها وقد قال الله تعالى ولقد كرمنا
بني ادم. وقيل هو اقسام بادم والصالحين من ذريته واما الطالحون فكانهم بهائم
كما قال تعالى ان هم الا كالانعام بل هم اضل. صم بكم عمي فهم لا يرجعون. وقيل
الوالد ابرهيم عليه السلام وما ولد ذريته. وقيل الوالد ابرهيم واسمعيل وما
ولد محمد صلى الله عليه وسلم لانه اقسم بمكة وابرهيم. قال الفراء وصلح ما للناس لقوله
ما طاب لكم وقوله تعالى وما خلق الذكر والانثى وهو الخالق للذكر والانثى قال
الماوردي ويحتمل ان الوالد النبي صلى الله عليه وسلم لتقدم ذكره وما ولد امته
لقوله عليه الصلاة والسلام انما انا لكم بمنزلة الوالد اعلمكم فاقسم به وبامته بعد ان
اقسم ببلده ومبالغة في تشريفه عليه الصلاة والسلام **قوله تعالى** لقد خلقنا
الانسان في كبد. هذا هو المقسم عليه والكبد المشقة. قال الزمخشري واصله من
كبد الرجل كبدا فهو اكبد اذا وجعت كبده فاتسع فيه حتى استعمل في كل تعب ومشقة
ومنه اشتقت المكابدة كما قيل كبته بمعنى اهلكه. واصله كبده اي اصاب كبده ثم
قال لبيد. يا عين هلا بكيت اربد اذ قمنا وقام الخصوم في كبد. اي في
شدة الامر وصعوبة الخطب. وقال ابو الاصبع لي ابن عم لو ان الناس في كبد
لظل محتجرا بالنبل يرميني. قال القرطبي ومنه تكبد اللبن غلظ وخثر واشتد ومنه
الكبد لانه يغلظ واشتد. ويقال كابدت هذا الامر قاسيت شدته

فصل
الانسان هنا ابن ادم. قال ابن عباس والحسن رضي الله عنهما في كبد اي شدة ونصب
وعن ابن عباس ايضا في شدة من حمله وولادته ورضاعه ونبت اسنانه وساير احواله
وروى عكرمة عنه قال منتصبا في بطن امه والكبد الاستواء والاستقامة وهذا امتنان

عليه في الحقيقة ولم يخلق الله تعالى دابة في بطن امها الا منكبة على وجهها الا ابن ادم فانه
منتصب انتصابا وهو قول النخعي ومجاهد وغيرهما ٭ قال ابن كيسان منتصبا في بطن امه
فاذا اراد الله تعالى ان يخرج من بطن امه قلب راسه الى رجل امه ٭ وقال الحسن
كابد مصايب الدنيا وشدايد الاخرة ٭ وقال يمان لم يخلق الله تعالى خلقا يكابد ما
يكابد ابن ادم وهو مع ذلك اضعف الخلق ٭ قال بعض العلما اول ما يكابد قطع سرته
ثم اذا لف قماطا وشد رباطا يكابد الضيق والتعب ثم يكابد الارتضاع ولو فاته ضاع ثم
يكابد نبت اسنانه ثم يكابد الفطام الذي هو اشد من اللطام ثم يكابد الختان والاوجاع
ثم المعلم وصولته والمودب وسياسته والاستاذ وهيبته ثم يكابد شغل التزوج وشغل
الاولاد والخدم وشغل المسكن ثم الكبر والهرم وضعف الركب والهدم في مصايب يكثر
تعدادها من صداع الراس ووجع الاضراس ورمد العين وهم الدين ووجع السن والم
الاذن ويكابد محنا في المال والنفس من الضرب والحبس ولا يمضي عليه يوم الا يقاسي فيه
شدة ثم يكابد بعد ذلك مشقة الموت ثم بعده مسايلة الملك وضغطة القبر وظلمته
ثم البعث والعرض على الله تعالى الى ان يستقر به القرار اما في الجنة واما في النار قال
الله تعالى لقد خلقنا الانسان في كبد فلو كان الامر اليه ما اختار هذه الشدايد ودل
هذا على ان له خالقا دبره وقضى عليه بهذه الاحوال فليمتثل امره ٭ وقال ابن زيد المراد
بالانسان هنا ادم عليه السلام ٭ وقوله تعالى في كبد اي في وسط السما ٭ وقال الكلبي
نزل هذا في رجل من بني جمح يقال له ابو الاشدين واسمه اسيد بن كلدة بن جمح وكان
شديدا قويا ياخذ الاديم العكاظي فيجعله تحت قدميه ويقول من ازالني عنه فله كذا
فيجذبه عشرة حتى يتمزق الاديم ولا تزول قدماه وكان من اعدا النبي صلى الله عليه
وسلم وفيه نزل ايحسب ان لن يقدر عليه احد يعني لقوته ٭ وقال الترمذي في كبد
اي مضيعا ما يعنيه مشتغلا بما لا يعنيه **قوله تعالى** ايحسب ان لن يقدر عليه احد
اي ايظن ابن ادم ان لن يعاقبه الله تعالى ٭ قال ابن الخطيب ان فسرنا الكبد بالشدة
والقوة فالمعنى ايحسب الانسان الشديد ان بشدته لا يقدر عليه احد وان فسرناه
بالمحنة والبلا كان المعنى ان الانسان كان في النعمة والقدرة افيظن انه في تلك
الحالة لا يقدر عليه وهو استفهام على سبيل الانكار **قوله تعالى** يقول اهلكت
مالا ٭ يجوز ان يكون مستانفة وان يكون حالا ٭ وقرا العامة لبدا بضم اللام وفتح
البا وشدد ابو جعفر البا جمع لابد مثل راكع وركع وساجد وسجد وشاهد وشهد
وعنه ايضا سكونها ومجاهد وابن ابي الزناد بضمتين وتقدم الكلام على هذه اللفظة
في سورة الجن ٭ قال ابو عبيدة لبد فعل من التلبيد وهو المال الكثير بعضه على بعض
قال الزجاج فعل للكثرة يقال رجل حطم اذا كان كثير الحطم قال الفرا واحدته لبدة
ولبد جمع وجعله بعضهم واحدا كقثم وحطم وهو في الوجهين للكثرة والمعنى انه
انفقت مالا كثيرا مجتمعا لان اهل الجاهلية يدعونه مكارم ومفاخر **قوله تعالى**
ايحسب ان لم يره احد ٭ اي ايظن ان لم يعاينه احد بل علم الله ذلك منه وكان
كاذبا في قوله اهلكت مالا وقال ايظن ان لم يره ولا يسأله عن ماله من اين كسبه
واين انفقه ٭ وقال ابن عباس كان ابو الاشدين يقول انفقت في عداوة محمد مالا
كثيرا وهو في ذلك كاذب ٭ وقال مقاتل نزلت في الحرث بن عامر بن نوفل اذنب
فاستفتى النبي صلى الله عليه وسلم فامره ان يكفر فقال لقد ذهب مالي في الكفارات والنفقات

منذ

منذ دخلت في دين محمد صلى الله عليه وسلم وهذا القول منه يحتمل ان يكون استطالة بما
انفق فيكون طغيانا منه او اسفا عليه فيكون ندما منه ٭ قال القرطبي روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه كان يقرا ايحسب بضم السين في الموضعين ٭ وقال الحسن يقول
اتلفت مالا كثيرا فمن يحاسبني به او لم يعلم بان الله تعالى قادر على محاسبته وان الله
يرى صنعه ثم عدد عليه نعمه فقال تعالى الم يعلم بان الله يرى الم يجعل له عينين يبصر
بهما ولسانا ينطق به وشفتين يستر بهما ثغره والمعنى نحن فعلنا ذلك ونحن نقدر على ان
نبعثه ونحصي عليه عمله **قوله** وشفتين ٭ الشفة محذوفة اللام والاصل شفهة بدليل
تصغيرها على شفيهة وجمعها على شفاه ٭ ونظيره سنة في احدى ٭ وشنا ههنا اي كلمته
من غير واسطة ولا يجمع بالالف والتا استغنا بتكسيرها عن تصحيحها ٭ قال القرطبي ويقال
شفهات وشفوات والها اقيس والوا واعم تشبيها بالسنوات قال الازهري يقال هذه
شفة في الوصل وشفه بالها والتا **قوله تعالى** وهديناه النجدين ٭ يعني
الطريقين طريق الخير وطريق الشر ٭ روى قتادة قال ذكر لنا ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان يقول يا ايها الناس انما هو النجدان نجد الخير ونجد الشر فلم يجعل نجد الشر
احب اليك من نجد الخير فكانه لما اوضحت الدلايل جعلت كالطريق المرتفعة العالية
لكونها واضحة للعقول لوضوح الطريق العالي للابصار ٭ ونظيره قوله تعالى انا
هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا بعد قوله فجعلناه سميعا بصيرا ٭ وروى عكرمة
قال النجدين الثديان وهو قول سعيد بن المسيب والضحاك ٭ وروي عن ابن عباس
وعلي رضي الله عنهما لانهما كالطريقين لحياة الولد فقوله النجدين اما ظرف واما على
حذف الجار اي الى الثديين ٭ والنجد في الاصل العنق لارتفاعه ٭ وقيل
الطريق العالي ٭ قال امرؤ القيس ٭ فريقان منهم قاطع بطن نخلة ٭ واخر منهم
نجد كبكب ٭ ومنه سميت نجد لعلوها على انخفاض تهامة **قوله تعالى** فلا اقتحم
العقبة ٭ قال الفرا والزجاج ذكر لا مرة واحدة والعرب لا تكاد تفرد لا مع
الفعل الماضي حتى تعيد لا كقوله تعالى فلا صدق ولا صلى وانما افردها لدلالة اخر
الكلام على معناه فيجوز ان يكون قوله تعالى ثم كان من الذين امنوا قايما مقام
التكرير كانه قال فلا اقتحم العقبة ولا امن ٭ وقال الزمخشري هي متكررة في
المعنى لان معنى فلا اقتحم العقبة فلا فك رقبة ولا اطعم مسكينا ٭ الا ترى انه فسر
اقتحام العقبة بذلك ٭ قال ابو حيان ولا يتم له هذا الا على قراءة فك فعلا
ماضيا ٭ وقال الزجاج والمبرد وابو علي وذكره البخاري عن مجاهد ان قوله
تعالى ثم كان من الذين امنوا يدل على انه لا بمعنى لم ولم يلزم التكرير مع لم فان
كررت لا كقوله فلا صدق ولا صلى فهو كقوله تعالى لم يسرفوا ولم يقتروا ٭
فصل المعنى فهلا انفق ماله الذي يزعم انه انفقه في عداوة محمد صلى الله
عليه وسلم هلا انفقه في اقتحام العقبة فيامن ٭ والاقتحام الرمي بالنفس في شي
من غير روية يقال منه قحم في الامر قحوما اي رمى بنفسه فيه من غير روية وقحم
الفرس فارسه تقحيما على وجهه اذا رماه وتقحيم النفس في الشي ادخالها فيه من غير
روية والقحمة بالضم المهلكة والسنة الشديدة يقال اصابت الاعراب القحمة اذا اصابهم
قحط فدخلوا الريف والقحم صعاب الطريق قال عطا يريد عقبة جهنم ٭ وقال مجاهد
والضحاك هي الصراط قال الواحدي وهذا فيه نظر لان من المعلوم ان هذا الانسان

صعاب صح

وغيره لم يقتحموا عقبة جهنم ولا جاوزوها . وقال ابن العربي قال مجاهد اقتحام العقبة
في الدنيا لانه فسره بعد ذلك بقوله فك رقبة او اطعم في يوم ذي مسغبة يتيما او مسكينا وهذه
الاعمال انما تكون في الدنيا وقال الحسن ومقاتل هذا مثل ضربه الله تعالى لمجاهدة
النفس والشيطان في اعمال البر قال القفال قوله تعالى فلا اقتحم العقبة معناه
هلا انفق ماله فيما فيه اقتحام العقبة . وقيل معنى قوله تعالى فلا اقتحم العقبة
دعاء اي فلا نجا ولا سلم من لم ينفق ماله في كذا وكذا . وقيل شبه عظيم الذنوب
وثقلها بعقبة فاذا اعتق رقبة او عمل صالحا كان مثله كمثل من اقتحم العقبة وهي
الذنوب تضره وتؤذيه وتثقله . ثم قال تعالى وما ادراك فانه اخبر به وكل
شيء قال فيه وما يدريك فانه لم يخبر به والمعنى وما ادراك ما اقتحام العقبة
ثم انه تعالى فسر العقبة **قوله** فك رقبة . قرا ابو عمرو وابن كثير
والكسائي فك فعلا ماضيا ورقبة نصبا . او اطعم فعلا ماضيا والباقون فك برفع
الكاف اسما رقبة خفض بالاضافة او اطعام اسم مرفوع ايضا فالقراءة الاولى الفعل
فيها بدل من قوله اقتحم فهو بيان له كانه قيل فلا فك رقبة ولا اطعم والثانية
يرتفع فيها فك على اضمار مبتدا اي هو فك رقبة او اطعام على معنى الاباحة . وفي
الكلام حذف مضاف دل عليه فلا اقتحم تقديره وما ادراك ما اقتحام العقبة
فالتقدير اقتحام العقبة فك رقبة او اطعام وانما احتيج الى تقدير هذا المضاف
ليطابق المفسِّر والمفسَّر . الا ترى ان المفسِّر بكسر السين مصدر والمفسَّر بفتح
السين وهو العقبة غير مصدر فلو لم يقدر مضافا لكان المصدر وهو فك مفسرا
للعين وهي العقبة . وقرا امير المؤمنين وابو رجاء فك او اطعم فعلين كما تقدم
الا انهما نصبا ذا بالالف . وقرا الحسن اطعام وذا بالالف ايضا وهو على هاتين
القراءتين مفعول اطعم او اطعام ويتيما حينئذ بدل منه او نعت له وهو في قراءة
العامة ذي بالياء نعتا ليوم على سبيل المجاز وصف اليوم بالجوع مبالغة كقولهم ليلك
قائم ونهارك صائم . والفاعل لاطعام محذوف وهذا احد المواضع التي يطرد
فيها حذف الفاعل وحده عند البصريين **فصل** بين وجوها من القرب
المالية . وقال ابن زيد وجماعة من المفسرين معنى الكلام الاستفهام على معنى الانكار
تقديره هلا اقتحم العقبة يقول هلا انفق ماله في فك الرقاب واطعام السغبان
فيكون خيرا له من انفاقه في عداوة محمد عليه الصلاة والسلام **فصل**
الفك التفريق . ومنه فك القيد والفك الرقبة فرق بينها وبين صفة الرق بايجاد
الحرية وابطال العبودية . ومنه فك الرهن وهو ازالة الدين عن المرتهن قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما امرء مسلم اعتق امرا مسلما كان فكاكه من
النار يجزي على كل عضو منه عضوا منه الحديث . وسمي المرقوق رقبة لانه بالرق
كالاسير المربوط في رقبته وسمي عتقها فكا كفك الاسير من الاسر . قال
كم من اسير فككناه بلا ثمن . وجز ناصية كنا مواليها
قال الماوردي ويحتمل انه اراد فك رقبة وخلاص نفسه باجتناب المعاصي وفعل
الطاعات ولا يمنع الخبر من هذا التاويل وهو اشبه بالصواب **فصل**
قال ابو حنيفة رحمه الله العتق افضل من الصدقة لانه قدم العتق في الآية على الصدقة
وقال صاحباه الصدقة افضل **قوله تعالى** واطعم في يوم ذي مسغبة . اي

مجاعة والسغب الجوع والساغب الجائع . قال الراغب الدين والمسغبة الجوع مع التعب
وربما قيل في العطش مع التعب قال الراغب يقال منه سغب الرجل يسغب سغبا وسغوبا
فهو ساغب وسغبان والمسغبة مفعلة منه انشد ابو عبيدة
فلو كنت جارا لابن قيس بن عاصم . لما بت شبعانا وجارك ساغبا
فصل اطعام الطعام فضيلة وهو مع السغب الذي هو الجوع افضل وقال
النخعي في قوله تعالى في يوم ذي مسغبة قال في يوم عزيز فيه الطعام **قوله
تعالى** يتيما ذا مقربة . اي قرابة قال الزمخشري المسغبة والمقربة والمتربة
مفعلات من سغب اذا جاع وقرب في النسب . يقال فلان ذو قرابتي وذو مقربتي
وترب اذا افتقر . وهذه الآية تدل على ان الصدقة على القرابة افضل منها على الاجانب
واليتيم قال بعض العلماء اليتيم في الناس من قبل الاب وفي البهائم من قبل الامهات
وقال بعضهم اليتيم الذي يموت ابواه . قال قيس بن الملوح
الى الله اشكو فقد ليلى كما شكا . الى الله فقد الوالدين يتيم
ويقال يتم الرجل يتما اذا ضعف **قوله تعالى** او مسكينا ذا متربة اي لا شيء له
حتى كانه قد لصق بالتراب من الفقر . يقال ترب اذا افتقر حتى لصق جلده بالتراب
فاما اترب بالالف فمعنى استغنى نحو اثرى كالتراب وكالثرى . قال المفسرون هو
الذي ليس له ماوى الا التراب . وقال ابن عباس هو المطروح على الطريق الذي لا بيت
له . وقال مجاهد الذي لا يقيه من التراب لباس ولا غيره . وقال قتادة انه ذو العيال
وقال عكرمة عن ابن عباس هو والمتربة هو البعيد عن وطنه **فصل** احتجوا
بهذه الآية على ان المسكين قد يملك شيئا لانه لو كان المسكين هو الذي لا يملك شيئا
البتة لكان تقييده بقوله ذا متربة تكريرا **قوله تعالى** ثم كان من الذين امنوا
لتراخي الايمان وتباعده في الرتبة والفضيلة عن العتق والصدقة لا في الوقت لان
الايمان هو السابق ولا يثبت عمل الا به قاله الزمخشري . وقيل المعنى ثم كان
في عاقبة امره من الذين وافوا الموت على الايمان لان الموافاة عليه شرط في الانتفاع
بالطاعات . وقيل التراخي في الذكر قال المفسرون معناه انه لا يقتحم العقبة من فك
رقبة او اطعم في يوم ذي مسغبة حتى يكون من الذين امنوا اي صدقوا فان شرط
قبول الطاعة الايمان بالله تعالى فالايمان بعد الانفاق لا ينفع قال الله تعالى في
المنافقين وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله . وقيل ثم كان
من الذين امنوا اي فعل هذه الاشياء وهو مؤمن ثم بقي على ايمانه حتى الموافاة فيكون
المعنى ثم كان مع ذلك الطاعات من الذين امنوا . ونظيره قوله تعالى واني لغفار
لمن تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدى . وقيل المعنى ثم كان من الذين يؤمنون
بان هذا نافع لهم عند الله تعالى . وقيل اتى بهذه القرب لوجه الله تعالى ثم امن
بمحمد صلى الله عليه وسلم . وقيل ان ثم بمعنى الواو اي وكان هذا المعتق للرقبة والمطعم
في المسغبة من الذين امنوا **قوله** وتواصوا بالصبر . اي وصى بعضهم بعضا على طاعة
الله تعالى وعن معاصيه وعلى ما اصابهم من البلاء والمصائب . وتواصوا بالمرحمة
اي بالرحمة على الخلق فانهم اذا فعلوا ذلك رحموا اليتيم والمسكين . ثم انه تعالى بينهم
فقال تعالى اولئك اصحاب الميمنة اي الذين يؤتون كتبهم بايمانهم قاله محمد بن كعب
وقال يحيى بن سلام لانهم ميامين على انفسهم . وقال ابن زيد لانهم اخذوا من شق

ادم الايمن . وقال ميمون بن مهران لان منزلتهم عن اليمين **قوله تعالى** والذين كفروا
باياتنا . اى القران . هم اصحاب المشأمة . اى ياخذون كتبهم بشمائلهم قاله محمد
بن كعب . وقال يحيى بن سلام لانهم مشائيم على انفسهم . وقال ابن زيد لانهم اخذوا
من شق ادم الايسر . وقال ميمون لان منزلتهم على اليسار . قال القرطبي ويجمع
هذه الاقوال اصحاب الميمنة هم اصحاب الجنة واصحاب المشأمة اصحاب النار **قوله**
قوله تعالى عليهم نار موصدة . قرا ابو عمرو وحمزة وحفص بالهمز
والباقون بالواو وكذا في الهمزة فالقراة الاولى من اصدت الباب اى اغلقته
او صدته فهو موصد . قيل ويحتمل ان يكون من اوصدت ولكنه همز الواو الساكنة
لضمة ما قبلها كما همز بالسوق والاعناق كما تقدم والقراة الثانية ايضا تحتمل
المادتين ويكون قد خففت الهمزة لسكونها بعد ضمة . وقد نقل الفرا عن السوسي
الذى قاعدته ابدال مثل هذه الهمزة انه لا يبدل هذه وعللوا ذلك بالالباس والظن
انه قد قرا موصدة بالواو ومن قاعدته تحقيق الهمزة والظاهر ان القراتين
من مادتين الاولى من اصد يوصد كاكرم يكرم . والثانية من اوصد يوصد مثل
اوصل يوصل . وقال الشاعر
. تحن الى اجبال مكة ناقتى .. ومن دونها ابواب صنعا موصده .
اى مغلقه . وقال اخر . قوم يعالج قملا ابناوهم . وسلاسلا حلقا وبابا موصدا
وكان ابو بكر راوى عاصم يكره الهمزة فى هذا الحرف وقال لنا امام يهمز موصده
فاشتهى ان اسد اذنى اذا سمعته . وقال شهاب الدين وكانه لم يحفظ عن شيخه الا
ترك الهمز مع حفظ حفص اياه عنه وهو اضبط لحرفه من ابى بكر على ما نقله القرا
وان كان ابو بكر اكبر واتقن واوثق عند اهل الحديث قال القرطبي واهل اللغة
يقولون اوصدت الباب واصدته اى اغلقته فمن قال اوصدت فالاسم الوصاد
ومن قال اصدت فالاسم الاصاد . قال الفرا ويقال من هذا الاصيد
وهو الباب المطبق . ومعنى موصدة اى مطبقة مغلقة . وقيل مبهمة لا يدرى ما
داخلها . وقوله تعالى عليهم نار يجوز ان يكون جملة مستانفة وان يكون خبرا ثانيا
وان يكون الخبر وحده عليهم ونار فاعل به وهو الاحسن . وقيل معنى عليهم نار اى
احاطت النار بهم كقوله تعالى احاط بهم سرادقها والله اعلم . روى الثعلبى
عن ابى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا لا اقسم بهذا
البلد اعطاه الله الامن من غضبه يوم القيمة

سورة والشمس مكية

وهى خمس عشرة اية . واربع وخمسون كلمة ومايتان وسبعون حرفا . بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى والشمس وضحاها . قد تقدم ان جماعة من اهل الاصول قالوا
التقدير ورب الشمس ورب ساير ما ذكر الى تمام القسم . واحتج قوم على بطلان
هذا القول بان فى الجملة هذا القسم والسما وما بناها وذلك هو الله تعالى لا
يجوز ان يكون المراد منه تعالى ان يتقدم قسمه بغيره على قسمه بنفسه فاذن لا بد
من التاويل وهو ان ما بعده فى حكم المصدر فيكون التقدير والسما وبنايها واعترض
الزمخشرى عليه فقال لو كان الامر على هذا الوجه لزم من عطف قوله فالهمها

عليه

عليه فساد النظم **قوله** وضحاها . تقدم الكلام على هذه المادة فى سورة طه قال
المبرد ان الضحى والضحوة مشتقان من الضح وهو النور فابدلت الالف والواو من الحا
تقول ضحوة وضحوات وضحى فالواو من ضحوة مقلوبة عن الحا الثانية والالف فى ضحى
مقلوبة عن الواو . وقال ابو الهيثم الضح نقيض الظل وهو نور الشمس على وجه الارض
واصله الضحى فاستثقلوا اليا مع سكون الواو فقلبوها الفا والضحى مونثة يقال ارتفعت
الضحى فوق الضحو وقد تذكر فمن انث ذهب الى انها جمع ضحوة ومن ذكر ذهب الى انه
اسم على فعل نحو صرد ونغر وهو ظرف غير متمكن مثل سحر . تقول لقيته ضحى وضحى اذا
اردت به ضحى يومك لم تنونه . وقال الفرا الضحى هو النهار كقول قتادة والمعروف
عند العرب ان الضحى اذا طلعت الشمس وبعيد ذلك قليلا فاذا زاد فهو الضحاء بالمد
ومن قال الضحى النهار كله فذلك لدوام نور الشمس . ومن قال انه نور الشمس او حر الشمس
فنور الشمس لا يكون مع حر الشمس . واستدل من قال ان الضحى حر الشمس بقوله تعالى ولا
تضحى اى لا يوذيك الحر **فصل** قال مجاهد وضحاها اى ضوءها واشراقها
واضاف الضحى الى الشمس لانه انما يكون بارتفاع الشمس . وقال قتادة نهارها . وقال
السدى حرها . وقال اليزيدى انبساطها . وقيل ما ظهر بها من كل مخلوق فيكون القسم
بها وبكل مخلوق فى الارض حكاه الماوردى . قال ابن الخطيب انما اقسم بالشمس وضحاها
لكثرة ما تعلق به من المصالح فان اهل العالم كانوا كالاموات فى الليل فلما ظهر
الصبح فى المشرق صار ذلك الضوء كالروح الذى ينفخ فيه الحياة فصارت الاموات
احيا ولا تزال تلك الحياة فى تلك الحياة فى القوة والزيادة الى غاية كمالها وقت
الضحوة وذلك يشبه استقرار اهل الجنة **قوله تعالى** والقمر اذا تلاها . اى
تبعها وذلك اذا سقطت رؤى الهلال . قال الليث يقال تلوت فلانا اى اتبعته
وقال ابن زيد اذا غربت الشمس فى النصف الاول من الشهر تلاها القمر بالطلوع وفى
اخر الشهر يتلوها بالغروب . قال الفرا تلاها اخذ منها يعنى ان القمر ياخذ من ضوء
الشمس . وقال الزجاج اذا تلاها اى حين استوى واستدار وكان مثلها فى الضيا
والنور . وقال قتادة والكلبى معناه ان الشمس اذا غربت فالقمر يتبعها ليلة
الهلال فى الغروب . وقيل يتلوها فى كبر الجرم بحسب الحس فى ارتباط مصالح هذا
العالم بحركته **قوله تعالى** والنهار اذا جلاها . الفاعل ضمير النهار . وقيل
عايد على الله تعالى والضمير المنصوب اما للشمس واما للظلمة واما للارض . ومعنى جلاها
اى كشفها فمن قال هى للشمس فالمعنى انه يبين بضوءه جرمها ومن قال هى الظلمة فهى وان
لم يجر لها ذكر كقوله اصبحت باردة اى اصبحت غداتنا باردة وهو قول الفرا والكلبى
وغيرهما ومن قال هى الدنيا والارض وان لم يجر لها ذكر كقوله تعالى حتى توارت
بالحجاب **قوله** اذا تلاها وما بعده فيه اشكال لانه ان جعل شرطا اقتضى جوابا
ولا جواب لفظا وتقديره غير صالح وان جعل محضا استدعى عاملا وليس هنا عامل
الا فعل القسم واعماله مشكل لان فعل القسم حال لانه انشا واذا ظرف مستقبل والحال
لا يعمل فى المستقبل وسياتى جوابه قريبا ان شا الله تعالى وبحث في اذا جلاها وما بعدها
اشكال اخر ذكره الزمخشرى فقال قلت الامر فى نصب اذا معضل لانك لا تخلو
اما ان تجعل الواوات عاطفة فتنصب بها وتجر فيقع العطف فى العطف على عاملين وفى نحو
قولك مررت امس بزيد واليوم عمرو . واما ان تجعلهن القسم فيقع فيما اتفق

لا

الخليل وسيبويه على استكراه قلت الجواب فيه ان واو القسم مطرح معها ابراز الفعل اطراحا كليا فكان لها شان خلاف شان الباء حيث ابرز معها الفعل واضمر فكانت قايمة مقام الفعل والباء سادة مسدهما والواوات العواطف نوايب هذه الواو فحق ان يكن عوامل عمل الفعل والجار جميعا كما تقول ضرب زيد عمرا وبكر خالدا فترفع بالواو وتنصب لقيامها مقام ضرب الذي هو عاملهما انتهى قال ابو حيان اما قوله في واوات العطف فتنصب وتجر فليس هذا بالمختار على ان يكون حرف العطف عاملا لقيامه مقام العامل بل المختار ان العمل انما هو للعامل في المعطوف عليه ثم انا لا نسلم صحة في ذلك وقوله فيمتنع في العطف على عاملين ليس ما في الاية من العطف على عاملين وانما هو من باب عطف اسمين مجرور ومنصوب على اسمين مجرور ومنصوب بحرف العطف لم ينب مناب عاملين وذلك نحو قولك امرر بزيد قايما وعمرو جالسا وانشد [illegible]
سيبويه في كتابه

وليس بمعروف لنا ان نردها صحاحا ولا مستنكر ان تعقرا

فهذا من عطف مجرور ومرفوع على مجرور ومرفوع والعطف على عاملين فيه اربعة مذاهب ونسب الجواز الى سيبويه وقوله وفي قولك مررت امس بزيد واليوم عمرو هذا المثال مخالف لما في الاية بل وزان ما في الاية مررت بزيد امس وعمرو اليوم ونحن نجيز هذا واما قوله على استكراه فليس كما ذكر بل كلام الخليل على المنع قال الخليل في قوله تعالى والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وما خلق الذكر والانثى الواوان الاخيرتان ليستا بمنزلة الاولى ولكنهما الواوان اللتان تضمان الاسماء الى الاسماء في قولك مررت بزيد وعمرو والاولى بمنزلة الباء والتاء واما قوله ان واو القسم مطرح معها ابراز الفعل اطراحا كليا فليس هذا الحكم مجمعا عليه بل اجاز ابن كيسان التصريح بفعل القسم مع الواو فتقول اقسم او احلف والله لزيد قايم واما قوله والواوات العواطف نوايب عن هذا الى آخره فمبني على ان حرف العطف عامل لنيابته مناب العامل وليس هذا بالمختار قال والذي نقوله ان [illegible] المتصل هو تقدير العامل في اذا بعد الاقسام كقوله تعالى والنجم اذا هوى والليل اذا ادبر والصبح اذا اسفر والقمر اذا تلاها والنهار اذا جلاها والليل اذا يغشى وما اشبهها فاذا ظرف مستقبل لا جايز ان يكون العامل فيه فعل القسم المحذوف لانه فعل انشائي فهو في الحال فينافي ان يعمل في المستقبل لاختلاف زمان العامل وزمان المعمول ولا جايز ان يكون ثم مضاف محذوف اقيم المقسم به مقامه اي وطلوع النجم ومجي الليل لانه معمول لذلك الفعل فالطلوع حال ولا يعمل في المستقبل ضرورة ان زمان العامل زمان المعمول ولا جايز ان يعمل فيه نفس المقسم به لانه ليس من قبيل ما يعمل لا سيما ان كان جرما ولا جايز ان يكون ثم مضاف محذوف اقيم المقسم به مقامه اي وطلوع النجم ومجي الليل لانه معمول لذلك الفعل ولا جايز ان يقدر محذوف قبل الظرف فيكون قد عمل فيه ويكون ذلك العامل في موضع الحال وتقديره والنجم كاينا اذا هوى والليل كاينا اذا يغشى لانه يلزم كاينا ان لا يكون منصوبا بعامل ولا يصح ان يكون معمولا لشي مما فرضناه ان يكون عاملا وايضا فقد يكون المقسم به جثة وظروف الزمان لا تكون احوالا عن الجثث كما لا تكون اخبارا انتهى ما رد به ابو حيان وما استشكله من امر العامل في اذا قال شهاب الدين ان المختار ان حرف العطف

لا

لا يعمل لنيابته مقام العامل فلا يلزم ابدا القسم لانه يختار القول الاخر وقوله ليس ما في الاية من العطف على عاملين ممنوع بل فيه العطف على عاملين ولكنه فيه غموض وبيان انه من العطف على عاملين ان قوله والنهار اذا جلاها هنا معمولان احدهما مجرور وهو النهار والاخر منصوب وهو الظرف عطفا على معمولي عاملين والعاملان هما فعل القسم الناصب لاذا الاولى وواو القسم الجارة فقد تحقق معك عاملان لهما معمولان فاذا عطفت مجرورا على مجرور وظرفا على ظرف معمولين لعاملين لزم ما قاله ابو القاسم وكيف يجهل هذا مع التامل والتحقيق واما قوله وانشد سيبويه الى آخره فهو اعتراف منه بانه من العطف على عاملين غايته ما في الباب انه اسند الى جاه سيبويه واما قوله اجاز ابن كيسان فلا يلزمه مذهبه واما قوله فالمثال ليس كالاية بل وزانها الى آخره فصحيح لما فيه من تقديم الظرف الثاني على المجرور المعطوف والاية الظرف فيها متاخر وانما مراد الزمخشري وجود معمولي عاملين وهو موجود في المثال المذكور الا ان فيه اشكالا آخر وهو انه كالتكرير للمسئلة واما قوله بل كلام الخليل يدل على المنع الى آخره فليس فيه رد عليه بالنسبة الى ما قصده بل فيه تقوية لما قاله غايته ما في الباب انه عبر بالاستكراه عن المنع ولم يفهم المنع وقوله ولا جايز ان يكون ثم مضاف محذوف الى آخره فاقول بل يجوز تقديره وهو العامل ولا يلزم ما قال من اختلاف الزمانين لانه يجوز ان يقسم الان بطلوع النجم في المستقبل فالقسم في الحال والطلوع في المستقبل ويجوز ان يقسم بالشي الذي سيوجد وقوله ولا جايز ان يقدر محذوف قبل الظرف فيكون قد عمل فيه الى آخره ليس بممنوع بل يجوز ذلك ويكون حالا لا مقدرة وقوله يلزم ان لا يكون له عامل ليس كذلك بل له عامل وهو فعل القسم ولا يضر كونه انشائيا لان الحال مقدرة كما تقدم وقوله وقد يكون المقسم به جثة جوابه تقدر حينيذ حدث يكون الظرف الزماني حالا عنه وسيل ابن الحاجب عن هذه المسئلة فاجاب بنحو ما ذكرناه والله اعلم ولا يخلو الكلام فيها من بحث **قوله تعالى** والليل اذا يغشاها المفعول للشمس اي يغشى الشمس فيذهب بضوءها عند سقوطها قاله مجاهد وقيل للارض اي يغشى الدنيا بالظلم فتظلم الافاق فالكناية ترجع الى غير مذكور وجي بيغشاها مضارعا دون ما قبله وما بعده لانه مراعاة للفواصل اذ لو اتى به ماضيا لكان التركيب اذا غشيها فتفوت المناسبة اللفظية بين الفواصل والمقاطع **قوله تعالى** والسماء وما بناها في ما هذه وجهان احدهما ان ما موصولة بمعنى الذي وبه استشهد من يجوز وقوعها على العقلاء لان المراد بها الباري تعالى واليه ذهب الحسن ومجاهد وابو عبيدة واختاره ابن جرير والثاني مصدرية اي وبنايها واليه ذهب الزجاج والمبرد وهذا منهما بناء على انها مختصة بغير العقلاء واعترض على هذا القول بانه يلزم ان يكون القسم بنفس المصادر بناء السماء وطحو الارض وتسوية النفس وليس المقصود الا القسم بفاعل هذه الاشياء وهو الرب تعالى واجيب عنه بوجهين احدهما يكون على حذف مضاف اي ورب اي وباني بناء السماء ونحوه والثاني انه لا غرو في الاقسام بهذه الاشياء كما اقسم سبحانه وتعالى بالصبح ونحوه وقال الزمخشري جعلت مصدرية وليس بالوجه لقوله تعالى فالهمها وما يؤدي اليه من فساد النظم والوجه ان تكون موصولة وانما اوثرت على من لارادة معنى الوصفية كانه قيل والسماء والقادر

العظيم الذي بناها ونفس الحكيم الباهر الحكمة الذي سوّاها ، وفي كلامهم سبحان من سخركن
لنا انتهى يعني ان الفاعل في فالهمها عايد على الله تعالى فليكن في بناها كذلك وحينئذ يلزم
عوده على شيء وليس هنا ما يمكن عوده عليه غير ما فتعين ان تكون موصولة ، قال ابو حيان
اما قوله وليس بالوجه لقوله تعالى فالهمها يعني من عود الضمير في فالهمها على الله تعالى
فيكون قد عاد على مذكور وهو ما المراد به الذي قال ولا يلزم ذلك لانا اذا جعلنا
مصدرية عاد الضمير على ما يفهم من سياق الكلام ففي بناها ضمير عايد على الله تعالى ، اي
وبانيها هو الله تعالى كما اذا رايت زيدا قد ضرب عمرا فيقول عجبت مما ضرب عمرا
تقديره من ضرب عمرو وهو كان حسنا فصيحا جايزا وعود الضمير على ما يفهم من
سياق الكلام كثير ، وقوله وما يؤدي اليه من فساد النظم ليس كذلك ولا يؤدي
جعلها مصدرية الى ما ذكر ، وقوله واما او نزرت الى اخره لا يراد بها ولا من الموصولتين
معنى الوصفية لانها لا يوصف بها ما دون من ، وقوله وفي كلامهم الى اخره تاوله
اصحابنا على ان سبحان علم وما مصدرية ظرفية انتهى ، قال شهاب الدين اما ما
رد به عليه من كونه يعود على ما يفهم من السياق فليس يصلح ردا لانه اذا دار الامر
بين عوده على ملفوظ به وبين غير ملفوظ به فعوده على الملفوظ به اولى لانه الاصل
واما قوله فلا تنفرد به ما دون من فليس مراد الزمخشري انها يوصف بها وصفا
صريحا بل مراده انها تقع على نوع من يعقل وعلى صفته ولذلك مثل النحويون بقوله
تعالى وانكحوا ما طاب لكم وقالوا تقديره فانكحوا الطيب من النساء ولا شك ان
هذا الحكم لا تنفرد به ما دون من **قوله تعالى** والارض وما طحاها ، اي
وطحوها ، وقيل ومن طحاها اي بسطها كذا قاله عامة المفسرين اي دحاها قال
مجاهد والحسن وغيرهما طحاها ودحاها واحد اي من كل جانب ، والطحو البسط
طحا يطحو طحوا وطحا يطحي طحيا وطحيت اضطجعت عن ابي عمرو وعن ابن عباس طحاها
اي قسمها او قيل خلقها ، قال الشاعر
، وما تدري جذيمة من طحاها ، ولا من ساكن العرش الرفيع ،
قال الماوردي ويحتمل انه ما خرج منها من نبات وعيون وكنوز لانه حياة لما
خلق عليها ، ويقال في بعض ايمان العرب لا والقمر الطاحي اي المشرق المرتفع قال
ابو عمرو وطحا الرجل اذا ذهب في الارض ، يقال ما ادري اين طحا ، ويقال طحا به
قلبه اذا ذهب به في كل شيء ، قال علقمة ، طحا بك قلب في الحسان طروب ،
قال ابن الخطيب وانما اخر هذا عن قوله تعالى والسماء وما بناها لقوله تعالى
والارض بعد ذلك دحاها **قوله تعالى** ونفس وما سواها ، قيل المعنى
وتسويتها فما مصدرية ، وقيل المعنى ومن سواها وهو الله تعالى قيل المراد
بالنفس ادم عليه السلام ، وقيل كل نفس منفوسة فالتنكير اما للتعظيم اي نفس
عظيمة وهي نفس ادم عليه السلام واما للتكثير كقوله تعالى علمت نفس ، وسوى
بمعنى هيأ ، وقال مجاهد سوى خلقها وعدل ، وهذه الاسماء كلها مجرورة على
القسم اقسم الله تعالى بخلقه لما فيه من عجايب الصنعة الدالة عليه سبحانه وتعالى
قوله تعالى فالهمها فجورها ، اي عرفها طريق الفجور والتقوى قاله ابن عباس
ومجاهد ، وعن مجاهد ايضا عرفها الطاعة والمعصية ، وعن محمد بن كعب رضي الله
عنه اذا اراد الله تعالى بعبده خيرا الهمه الخير فعمل به واذا اراد به الشر الهمه الشر

فعمل به ، وعن ابن عباس رضي الله عنه قال الهم المؤمن المتقي تقواه والهم الكافر فجوره
وعن قتادة ، بين لها فجورها وتقواها ، والفجور والتقوى مصدران في موضع المفعول
قال الواحدي الالهام هو ان يوقع الله تعالى في قلب العبد شيئا واذا اوقع في قلبه
شيئا فقد الزمه اياه من قولهم لقم الشيء والتهمه اذا ابتلعه والتهمته ذلك الشيء اي
ابلعته هذا هو الاصل ثم استعمل ذلك فيما يقذفه الله تعالى في قلب العبد لانه
كالابلاغ **قوله** قد افلح ، فيه وجهان احدهما انه جواب القسم والاصل لقد
وانما حذفت لطول الكلام ، والثاني انه ليس بجواب وانما جيء به تابعا لقوله تعالى
فالهمها فجورها وتقواها على سبيل الاستطراد وليس من جواب القسم في شيء فالجواب
محذوف تقديره ليدمدمن الله عليهم اي على اهل مكة لتكذيبهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم كما دمدم على ثمود لتكذيبهم صالحا عليه السلام قاله معناه الزمخشري
وقدره غيره لتبعثن ، وقيل هو على التقديم والتاخير بغير حذف والمعنى قد افلح من
زكاها وقد خاب من دساها اي خسرت نفس دساها الله بالمعصية ، والحق الزمخشري
على صاحب هذا القول لمنافرته مذهبه ، قال شهاب الدين والحق انه خلاف
الظاهر لا لما قال الزمخشري بل لمنافرته نظمه للاحتياج الى عود الضمير على النفس
مقيدة باضافتها الى ضمير من ، وقال ابن عباس خابت نفس اضلها الله واغواها
وقيل افلح من زكى نفسه بطاعة الله وخاب خسر من دس نفسه في المعاصي قاله
قتادة ، واصل الزكاة النمو والزيادة ، ومنه زكى الزرع اذا كثر ريعه
ومنه تزكية القاضي الشاهد لانه يرفعه بالتعديل ، وقيل دساها اغواها ، قال
، وانت الذي دسست عمرا فاصبحت ، حلايله منه اراملا ضيعا ،
واصله دسسها من التدسيس فكثرت الامثال فابدل من ثالثها حرف علة كما قالوا
قصيت اظفاري واصله قصصت ، ونقضي البازي والدسيسة الاخفا يعني اخفاها
بالفجور وقد نطق بالاصل الشاعر المتقدم ، وقال اخر ، ودسست عمرا في التراب
فاصبحت ، وقال ابن الاعرابي وقد خاب من دساها اي دس نفسه في جملة
الصالحين وليس منهم ، قال الواحدي فكانه تعالى اقسم على فلاح من طهره الله
وخسارة من خذله لئلا يظن ان المرء يتولى ذلك من غير قضاء سابق فهو لقوله تعالى
قد افلح هو جواب القسم **قوله تعالى** كذبت ثمود بطغواها ، في هذه الباء
ثلاثة اوجه ، احدها انها للاستعانة مجازا كقولك كتبت بالقلم وبه بدا الزمخشري
يعني فعلت التكذيب بطغيانها كقولك ظلمني بجراته على الله تعالى ، الثاني انها
للتعدية اي كذبت بما اوعدت به من عذابها ذي الطغيان كقوله تعالى فاهلكوا
بالطاغية قاله ابن عباس رضي الله عنه ، وكان اسم العذاب الذي جاءها الطغوى
لانه طغى عليهم ، قال ابن الخطيب وهذا لا بعد لان الطغيان مجاوزة الحد فسمي
عذابهم طغوى لانه كان صيحة مجاوزة للقدر المعتاد ، الثالث انها للسببية
اي بسبب طغيانها وهو خروجها عن الحد في العصيان قاله مجاهد وقتادة وغيرهما
وقال محمد بن كعب باجمعها ، وقيل مصدر وخرج على هذا المخرج لانه اشكل برؤوس
الاي ، وقيل الاصل بطغيانها الا ان فعلى اذا كانت من ذوات اليا ابدلت في الاسم
واوا للفصل بين الاسم والوصف ، وقرا العامة بطغواها بفتح الطا وهو مصدر بمعنى
الطغيان وانما قلبت اليا واوا لما تقدم من الفرق بين الاسم والصفة يعني الحضر

والشمس وضحاها ... فاعل زكاها ودساها الظاهر ... ضمير الباري تعالى ... صح

يترون يا فعلى بالفتح صفة نحو خزيا وصديا ويقلبونها فى الاسم نحو تقوى وسروى وهم
وكان الاقرار فى الوصف لانه اثقل من الاسم والياء اخف من الواو فلذلك جعلت
فى الاثقل ، وقرا الحسن ومحمد بن كعب والجحدرى وحماد بن سلمة وهو ايضا مصدر
كالرجعى والحسنى الا ان هذا شاذ اذ كان من حقه بقاء الياء على حالها كالسقيا
وريا بها ، هذا كله عند من يقول طغيت طغيانا بالياء فاما من يقول طغوت بالواو
فالواو اصل عنده قاله ابو البقاء وقد تقدم الكلام على اللغتين فى البقرة
قوله تعالى اذ انبعث اشقاها ، يجوز فى اذ وجهان احدهما ان يكون معمولا
ظرفا لكذبت والثانى ان يكون ظرفا للطغوى ، وانبعث مطاوع بعثت فلانا
على الامر فانبعث له ، واشقاها فاعل انبعث اى نهض ، والانبعاث الاسراع
وفيه وجهان احدهما ان يراد به شخص معين ، روى ان اسمه قدار بن سالف
والثانى ان يراد به جماعة ، قاله الزمخشرى ويجوز ان يكون جماعة للتسوية
فى افعل التفضيل اذا اضيف بين الواحد والجمع والمذكر والمونث ، وكان يجوز ان
يقول اشقوها ، وكان ينبغى ان يقيد فيقول اذا اضيف الى معرفة لان المضاف
الى النكرة حكمه الافراد والتذكير مطلقا كالمقترن بمن **فصل** قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ انبعث اشقاها انبعث لها رجل عزيز عارم منيع
فى اهله مثل ابى زمعة ، روى عن على رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال
له اتدرى من اشقى الاولين قلت الله ورسوله اعلم قال عليه الصلاة والسلام
عاقر الناقة قال اتدرى من اشقى الاخرين قلت الله ورسوله اعلم قال عليه
الصلاة والسلام قاتلك قوله تعالى فقال لهم ، ان كان المراد باشقاها
جماعة فعود الضمير من لهم عليهم واضح وان كان المراد به علما بعينه فالضمير
من لهم يعود على ثمود والمراد برسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى صالحا وقوله
تعالى ناقة الله منصوب على التحذير اى احذروا ناقة الله فلا تعقروها واظهار
الناصب هنا واجب لمكان العطف فان اضمار الناصب يجب فى ثلاثة مواضع
احدها ان يكون المحذر نفس اياك وبابه ، الثانى انه يوجد فيه عطف ، الثالث
ان يوجد فيه تكرار نحو الاسد الاسد والصبى الصبى والجدار الجدار ، وقيل ذروا
ناقة الله كقوله تعالى فذروها تاكل فى ارض الله ، وقرا زيد بن على ناقة الله
رفعا على خبر ابتداء مضمر اى هذه ناقة الله فلا تتعرضوا لها قوله وسقياها
اى ذروها وشربها فانهم لما اقترحوا الناقة واخرجها لهم من الصخرة جعل لهم
شرب يوم من بئرهم ولها شرب يوم مكان ذلك فشق عليهم فكذبوه يعنى صالحا
عليه السلام فى وعيدهم بالعذاب ان عقروها فعقروها اى عقرها الاشقى واضيف
الى الكل لانهم رضوا بفعله ، قال قتادة بلغنا انه لم يعقرها حتى تابعه
صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وانثاهم ، وقال الفرا عقرها اثنان والعرب
تقول هذان افضل الناس وهذان خير الناس ، وهذه المراة اشقى القوم
ولهذا لم يقل اشقياها قوله فدمدم ، الدمدمة قيل الاطباق تقال
دمدمت عليه القبر اى اطبقته عليه اى اهلكهم واطبق عليهم العذاب بذنبهم
الذى هو الكفر والتكذيب والعقر ، وقال المورج الدمدمة الاهلاك باستيصال
روى الضحاك عن ابن عباس دمدم عليهم دمر عليهم ربهم بذنبهم اى بجرمهم وقال

الفرا دمدم اى ارجف وحقيقة الدمدمة تضعيف العذاب وترديده يقال دمدمت على
الشى اى اطبقت عليه فاذا كررت الاطباق قلت دمدمت ، وفى الصحاح دمدمت الشى
اذا الزقته بالارض وطحطحته ، قال القشيرى وقيل دمدمت على الميت التراب
اى سويته عليه فالمعنى على هذا فجعلهم تحت التراب فسواها اى فسوى عليهم الارض
وعلى الاول فسواها اى فسوى الدمدمة ، وقيل الدمدمة حكاية صوت الهدة
وذلك ان الصيحة اهلكتهم فاتت على صغيرهم وكبيرهم ، وقال ابن الانبارى دمدم
اى غضب والدمدمة الكلام الذى يزعج الرجل ، ودمدمت الثوب طليته بالصبغ والبا
فى بذنبهم للسببية ، وقرا ابن الزبير فدهدم بها بين الدالين بدل الميم وهى بمعنى القراة
المشهورة ، قاله القرطبى وهما لغتان كقولهم امتقع لونه واهتقع قوله
فسواها ، الضمير المنصوب يجوز عوده على ثمود باعتبار القبيلة كما اعاده فى قوله تعالى
بطغواها ، ويجوز عوده على الدمدمة والعقوبة اى سواها بينهم فلم يفلت منهم احد
قوله تعالى ولا يخاف عقباها ، قرا نافع وابن عامر فلا بالفا ، والباقون
بالواو ورسمت فى مصاحف المدينة والشام بالفا وفى غيرها بالواو فقد قرا كل بما
يوافق رسم مصحفه ، وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرا ولم يخف
وهى مويدة لقراة الواو ذكره الزمخشرى فالفا تقتضى التعقيب وهو ظاهر والواو
يجوز ان يكون للحال وان يكون لاستيناف الاخبار ، قال القرطبى وروى ابن وهب
وابن القسم قالا اخرج الينا مالك رضى الله عنه مصحفا لجده وزعم انه كتبه فى ايام عثمن
ابن عفان رضى الله عنه حين كتب المصاحف وفيه ولا يخاف بالواو ، وكذا هى فى مصاحف
اهل مكة والعراق بالواو واختاره ابو عبيدة وابو حاتم ، وضمير الفاعل فى يخاف
الاظهر عوده على الرب تبارك وتعالى لانه اقرب مذكور وهو قول ابن عباس
والحسن وقتادة ومجاهد والها فى عقباها ترجع الى الفعلة وذلك لانه تعالى يفعل
ذلك بحق وكل من فعل فعلا بحق فانه لا يخاف عاقبة فعله ، وقيل المراد تحقيق ذلك
الفعل والله تعالى اجل من ان يوصف بذلك ، وقيل المعنى انه بالغ فى الاعذار اليهم
مبالغة من لا يخاف عاقبة عذابهم ، وقيل يرجع الى رسول الله اى لا يخاف صالح عليه
السلام عقبى هذه العقوبة لانذاره اياهم ونجاه الله تعالى حين اهلكهم ، وقال
السدى والضحاك والكلبى ان الضمير يرجع الى اشقاها اى انبعث لعقرها والحال
انه غير خايف عاقبة هذه الفعلة الشنعا وهو مروى عن ابن عباس رضى الله عنه
ايضا ، وفى الكلام تقديم وتاخير اى اذ انبعث اشقاها ولا يخاف عقباها وعقبى
الشى خاتمته ، روى الثعلبى عن ابى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرا سورة والشمس وضحاها فكانما تصدق بكل شى طلعت عليه الشمس
والقمر

سورة الليل مكية

وقيل مدنية ، وهى احدى وعشرون اية ، واحدى وسبعون كلمة ، وثلثماية وعشر
احرف ، بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى والليل اذا يغشى ، اى يغطى ولم
يذكر مفعولا للعلم به ، وقيل يغشى النهار ، وقيل الارض ، وقيل الخلايق ، وقيل
يغشى كل شى بظلمته ، قال قتادة اول ما خلق الله تعالى النور والظلمة ثم ميز
بينهما فجعل الظلمة ليلا اسود مظلما والنور نهارا مضيا مبصرا ، قال ابن الخطيب

عن هـ

اقسم بالليل الذي يأوي فيه كل حيوان الى مأواه وتسكن الخلق عن الاضطراب ويجيئهم
النوم الذي جعله الله تعالى راحة لابدانهم وغذاء لارواحهم ثم اقسم تعالى بالنهار
اذا تجلى لان النهار اذا انكشف بضوئه ما كان في الدنيا من الظلمة جاء الوقت الذي
تحرك فيه الناس لمعاشهم والطير والهوام من مكامنها فلو كان الدهر كله ليلا لتعذر
المعاش ولو كان كله نهارا لبطلت الراحة لكن المصلحة في تعاقبهما كما قال تعالى وهو
الذي جعل الليل والنهار خلفة وقال تعالى وسخر لكم الليل والنهار فقوله تعالى والنهار
اذا تجلى اي انكشف وظهر وبان بضوئه عن ظلمة الليل وقرأ العامة تجلى فعلا
ماضيا وفاعله ضمير عائد على النهار وعبد الله بن عمير تتجلى بتائين اي الشمس وقرئ
تجلى بضم التاء وسكون الجيم اي الشمس ايضا ولا بد من عائد على النهار محذوف اي تتجلى
له وتجلى فيه قوله تعالى وما خلق الذكر يجوز في ما ان تكون بمعنى من على ما تقدم
في سورة والشمس قال الحسن معناه والذي خلق فيكون قد اقسم بنفسه تعالى وقيل
مصدرية وقال الزمخشري والقادر العظيم القدرة الذي قدر على خلق الذكر
والانثى من ماء واحد وقد تقدم هذا القول والاعتراض عليه والجواب عنه في هذه
السورة قبلها وقرأ ابو الدرداء والذكر والانثى وقرأ عبد الله والذي خلق
وقرأ الكسائي ونقلها ثعلب عن بعض السلف وما خلق الذكر بجر الذكر قال الزمخشري
على انه بدل من محل ما خلق بمعنى وما خلقه اي ومخلوق الله الذكر وجاز اضمار الله
تعالى لانه معلوم بانفراده بالخلق وقيل المعنى وما خلق من الذكر والانثى فيكون
من مضمرة ويكون القسم منه باهل طاعته من اوليائه وانبيائه ويكون قسمه بهم تكرمة
لهم وتشريفا وقال ابو حيان وقد يخرج على توهم المصدر اي وخلق الذكر كقوله

تطوف العفاة بابوابه ... كما طاف بالبيعة الراهب

بجر الراهب على توهم النطق بالمصدر اي كطواف الراهب انتهى والذي يظهر في
تخريج البيت ان اصله الراهبي بياء النسب نسبة الى الصفة ثم خفف وهو قليل
كقولهم احمري ودواري وهذا التخريج بعينه في قول امرئ القيس فقل في مقيل
نحسه متغيب لما استشهد به الكوفيون على تقديم الفاعل وروي عن ابن مسعود
رضي الله عنه انه كان يقرأ والنهار اذا تجلى والذكر والانثى ويسقط وما خلق وفي
صحيح مسلم عن علقمة قال قدمنا الشام فاتانا ابو الدرداء فقال فيكم احد يقرأ
على قراءة عبد الله فقرأ هذه الآية والليل اذا يغشى قال سمعته يقرأ والليل اذا
يغشى والنهار اذا تجلى والذكر والانثى قال وانا والله هكذا سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها ولكن لا يريدون ان اقرأ وما خلق فلا اتابعهم وقال
ابن الانباري حدثنا محمد بن يحيى المروزي بسنده الى عبد الله قال اقرأني رسول الله
صلى الله عليه وسلم اني انا الرزاق ذو القوة المتين قال ابن الانباري كل من
هذين الحديثين مردود بخلاف الاجماع له وان حمزة وعاصما يرويان عن عبد الله
ابن مسعود فيما عليه جماعة من المسلمين وموافقة الاجماع اولى من الاخذ بقول
واحد يخالفه الاجماع **فصل** قيل المراد بالذكر والانثى آدم وحواء عليهما
السلام قاله ابن عباس والحسن والكلبي وقيل جميع الذكور والاناث من جميع الحيوان
وقيل كل ذكر وانثى من الآدميين فقط لاختصاصهم بولاية الله تعالى وطاعته
قوله تعالى ان سعيكم لشتى هذا جواب القسم والمعنى ان اعمالكم لمختلف

ويجوز ان يكون مجازا كما قيل في نظائره المتقدمة وشتى واحده شتيت مثل مريض
ومرضى وانما قيل للمختلف شتى لتباعد ما بين بعضه وبعضه اي ان عملكم لمتباعد
بعضه من بعض لشتى لان بعضه ضلال وبعضه هدى اي فمنكم مؤمن وبر وكافر
وفاجر ومطيع وعاص وقيل لشتى اي لمختلف الجزاء فمنكم مثاب بالجنة ومعاقب
بالنار وقيل لمختلف الاخلاق فمنكم راحم وقاس وحليم وطائش وجواد وبخيل قال
المفسرون نزلت هذه الآية في ابي بكر رضي الله عنه وفي ابي سفيان **قوله تعالى**
فاما من اعطى قال ابن مسعود رضي الله عنه يعني ابا بكر رضي الله عنه وعن ابن
عباس رضي الله عنه في قوله تعالى فاما من اعطى اي بذل واتقى محارم الله تعالى
التي نهى عنها وصدق بالحسنى اي بالخلف من الله تعالى على عطائه فسنيسره لليسرى
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من يوم غربت شمسه الا وبعث بجنبتيها
ملكان يناديان يسمعها خلق الله تعالى كلهم الا الثقلين اللهم اعط منفقا خلفا
واعط ممسكا تلفا وانزل الله تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى الآيات
فصل حذف مفعول اعطى ومفعول اتقى ومفعول صدق الجزاء ورمى لان الغرض
ذكر هذه الاحداث دون متعلقاتها وكذلك متعلقا البخل والاستغناء وقوله
تعالى فسنيسره للعسرى اما من باب المقابلة لقوله تعالى فسنيسره لليسرى واما
نيسره بمعنى نهيئه والتهيئة تكون في العسر واليسر **فصل** قال المفسرون
فاما من اعطى المعسرين وقال قتادة اعطى حق الله الواجب وقال الحسن
اعطى الصدق من قلبه وصدق بالحسنى اي بلا اله الا الله وهو قول ابن عباس
والضحاك والسلمي رضي الله عنهم وقال مجاهد بالجنة لقوله تعالى للذين احسنوا
الحسنى وقال زيد بن اسلم بالصلاة والزكاة والصوم وقوله تعالى فسنيسره
لليسرى اي نرشده لاسباب الخير والصلاح حتى يسهل عليه فعلها وقال زيد بن اسلم
لليسرى للجنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نفس منفوسة الا كتب الله
تعالى مدخلها فقال القوم يا رسول الله افلا نتكل على كتابنا فقال عليه الصلاة والسلام
بل اعملوا فكل ميسر اما من كان من اهل السعادة فانه ميسر لعمل اهل السعادة
ومن كان من اهل الشقاوة فانه ييسر لعمل اهل الشقاوة ثم قرأ فاما من اعطى
واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى **قوله تعالى** واما من بخل واستغنى
اي ضن بما عنده فلم يبذل خيرا وروي عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله فسوف
نيسره للعسرى قال سوف احول بينه وبين الايمان بالله ورسوله وعن ابن
عباس رضي الله عنه قال انزلت في امية بن خلف وعن ابن عباس واما من بخل واستغنى
اي بخل بماله واستغنى عن ربه وكذب بالحسنى اي بالخلف الذي وعده الله تعالى
في قوله سبحانه وما انفقتم من شيء فهو يخلفه وقال مجاهد وكذب بالحسنى اي بالجنة
وعنه بلا اله الا الله فسنيسره للعسرى اي نسهل عليه طريقة العسرى اي للشر
وعن ابن مسعود اي للنار **قوله تعالى** فسنيسره لليسرى وقوله تعالى
فسنيسره للعسرى يدل على ان التوفيق والخذلان من الله تعالى لان التيسير
يدل على الرجحان لزم الوجوب لانه لا واسطة بين الفعل والترك ومع الاستواء لا ترجح
فحال المرجوحية اولى بالامتناع ومتى امتنع احد الطرفين وجب الاخر اذ لا خروج
عن النقيضين اجاب القفال انه من باب تسمية احد الضدين باسم الاخر كقوله

تعالى وجوابه سببه فسمى الله تعالى الالفاظ الداعية الى الطاعة بتيسير اليسرى
وسمى ضد ذلك وهو ترك هذه الالفاظ بتيسير العسرى او هو من باب اضافة الفعل الى
السبب دون الفاعل كقوله تعالى انهن اضللن كثيرا او يكون على سبيل الحكم
والاخبار عنه واجيب بان هذا الكلام عدول عن الظاهر والظاهر هو من جهتنا
وهو المقصود من الحديث المتقدم ما من نفس منفوسة قال القفال
معنى الحديث ان الناس خلقوا للعبادة قال تعالى وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون وهذا ضعيف لان هذا جواب عن قولهم الا نتكل فقال اعملوا
فكل ميسر لما وافق معلوم الله تعالى **فصل** التانيث في اليسرى
والعسرى ان اريد بهم جماعة الاعمال فظاهر وان اريد عمل من الاعمال
فباعتبار الخصلة او الفعلة او الطريقة حق تبشير اليسرى بالجنة فتيسيرها
لدخولها بالاكرام وسهولة ومن فسرها بالخير فتيسيره خفته عليه ونشاطه
له بخلاف المنافق والمرائي ودخلت السين في فسنيسره بمعنى الترجي وهذا
بتفيد القطع من الله تعالى ولان الاعمال بالخواتيم فقد يعصى المطيع وبالعكس
او لان الثواب يكون في الآخرة وهي متاخرة قوله وما يغني يجوز ان
يكون ما نافية اي لا يغني عنه ماله شيئا وان يكون استفهاما انكاريا اي
اي شيء يغني عنه ماله اذا اهلك ووقع في جهنم وتردى اما من الهلاك يقال
ردى الرجل يردى ردا اذا هلك قال صرفت الهوى عنهن من خشية الردى
وقال ابو صالح وزيد بن اسلم تردى اي سقط في جهنم ومنه المتردية ويقال
ردى من في البير وتردى اذا سقط في بير او نهر او من جبل ويقال ما ادري
اين ردى اي اين ذهب ويحتمل ان يكون من تردى باكفانه وهو كناية عن الموت
كقوله وخطا باطراف الاسنة مضجعي وردوا على عيني فضل ردائيا
وقول الآخر
ونصيبك مما تجمع الدهر كله رداآن تلوى فيهما وحنوط
قوله تعالى ان علينا للهدى اي علينا ان نبين طريق الهدى من
طريق الضلال فالهدى بمعنى بيان الاحكام قاله الزجاج اي على الله بيان ان صح
حلاله وحرامه وطاعته ومعصيته وهو قول قتادة وقال الفراء من
سلك الهدى فعلى الله سبيله كقوله تعالى وعلى الله قصد السبيل وقيل
معناه ان علينا للهدى والاضلال فترك الاضلال كقوله تعالى بيدك الخير
وبيده كل شيء وقوله تعالى تقيكم الحر وهي تقي البرد قاله الفراء ايضا وهو
مروي عن ابن عباس رضي الله عنه **فصل** لما عرفهم سبحانه ان سعيهم
شتى وبين ما للمحسنين من اليسرى وللمسيئين من العسرى اخبرهم انه قد
مضى ما عليه من البيان والدلالة والترغيب والترهيب اي ان الذي يجب
علينا في الحكمة اذا خلقنا الخلق للعبادة ان نبين لهم وجوه التعبد ونبين
المتعبد به قالت المعتزلة ازاحة الاعذار تقتضي انه تعالى كلفهم بما في
وسعهم وطاقتهم وايضا فكلمة على للوجوب وايضا فلو لم يستقل العبد
بالايجاد لم يكن في نصب الادلة فائدة وجوابهم قد تقدم وزاد الواحدي
ان الفراء قال معناه ان علينا للهدى والاضلال فحذف المعطوف كقوله تعالى

سرابيل

سرابيل تقيكم الحر وهو معنى قول ابن عباس رضي الله عنه يريد ارشد اوليائي للعمل بطاعتي
واحول بين اعدائي ان يعملوا بطاعتي وهو معنى الاضلال ورد المعتزلة هذا التاويل
بقوله تعالى وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر وتقدم جوابهم **قوله تعالى**
وان لنا للآخرة والاولى اي لنا كل ما في ~~الآخرة والاولى~~ الدنيا والآخرة فلا يضرنا
ترككم الاهتداء بهدانا ولا يزيد في ملكنا اهتداؤكم بل نفع ذلك وضره عائد
عليكم ولو شئنا لمنعناكم عن المعاصي لكن ذلك يخل بالتكليف بل نمنعكم بالبيان والتعريف
والوعد والوعيد ويكون بحق تملك الدارين فليطلب منا سعادة الدارين فالاول
اوفق لقول المعتزلة والثاني اوفق لقولنا روى ابو صالح عن ابن عباس رضي الله
عنه قال ثواب الدنيا والآخرة وهو كقوله تعالى من كان يريد ثواب الدنيا فعند
الله ثواب الدنيا والآخرة فمن طلبهما من غير مالكهما فقد اخطأ الطريق **قوله تعالى**
فانذرتكم نارا تلظى قد تقدم في البقرة ان البزي يشدد مثل هذه التاء والتشديد
فيها عسر لالتقاء الساكنين فيها على غير حدهما وهو نظير قوله تعالى اذ تلقونه
وقد تقدم وقال ابو البقاء يقرأ بكسر التنوين وتشديد التاء وقد ذكر وجهه ولا
يتم الخبيث انتهى وهذه قراءة غريبة ولكنها موافقة للقياس من حيث انه
لم يلتق فيها ساكنان وقوله تعالى وقد ذكر وجهه اي الذي قاله في البقرة
ولا يفيد هنا شيئا البتة فانه قال هناك ويقرأ بتشديد التاء وقبلها الف
وهو جمع بين ساكنين وانما سوغ ذلك المد الذي في الالف وقرأ ابن الزبير وسفيان
وزيد بن علي وطلحة تتلظى بتاءين وهو الاصل قال القرطبي وهي قراءة عبيد بن عمير
ويحيى بن يعمر **فصل** المعنى حذرتكم وخوفتكم نارا تلظى اي تلتهب وتتوقد
وتتوهج يقال تلظت النار تلظيا ومنه سميت جهنم لظى **قوله تعالى** لا يصلاها
اي لا يجد صلاها وهو حرها الا الاشقى فقيل الاشقى والاتقى بمعنى الشقي والتقي
ولا تفضيل فيهما لان النار مختصة بالاكثر شقاء وتجنبها ليس مختصا بالاتقى وقيل
بل هما على بابهما واليه ذهب الزمخشري فقال فان قلت كيف قال لا يصلاها الا
الاشقى وسيجنبها الاتقى وقد علم ان كل شقي يصلاها وكل تقي يجنبها لا يختص بالصلي
اشقى الاشقياء ولا بالنجاة اتقى الاتقياء وان زعمت انه نكر النار فاراد نارا بعينها
مخصوصة بالاشقى فما تصنع بقوله وسيجنبها الاتقى فقد علم ان افسق المسلمين يجنب
تلك النار المخصوصة لا الاتقى منهم خاصة قلت الآية واردة في الموازنة بين
حالتي عظيم من المشركين وعظيم من المؤمنين فاريد ان يبالغ في صفتيهما المتناقضتين
فقيل الاشقى وجعل مختصا بالصلي كان النار لم تخلق الا له وقيل الاتقى وجعل
مختصا بالنجاة كان الجنة لم تخلق الا له وقيل ابو جهل او امية بن خلف وابو بكر
رضي الله عنه انتهى فاجاب الى ان المراد بهما شخصان معينان **فصل**
قال المفسرون المراد بالاشقى والشقي الذي كذب نبي الله صلى الله عليه وسلم
وتولى اعرض عن الايمان وقال الفراء معناه الا من كان شقيا في علم الله تعالى
قال بعضهم الاشقى بمعنى الشقي كقوله لست فيها باوحد اي بواحد ووحيد ويوضع
افعل بمعنى موضع فعيل نحو قولهم الله اكبر بمعنى كبير وهو اهون عليه بمعنى هين قالت
المرجئة الآية تدل على ان الوعيد مختص بالكافر والجواب المعارضة بآيات
الوعيد وايضا فهذا اغراء بالمعاصي وايضا فقوله تعالى بعده وسيجنبها الاتقى

يدل على شرك هذا الظاهر لان الفاسق ليس باتقا فالمراد بقوله تعالى نارا تلظى
انها مخصوصة من بين النيران لان النار دركات ولا يلزم من هذا ان الفاسق
لا يدخل النار اصلا والمراد لا يصلاها بعد الاستحقاق . واجاب الواحدي
بان معنى لا يصلاها لا يلزمها وهذه الملازمة لا تثبت الا للكافر **قوله تعالى**
وسيجنبها الاتقى . اى يبعد عنها الاتقى اى التقي الخائف . قال ابن عباس هو ابو بكر
رضي الله عنه ثم وصف الاتقى فقال سبحانه الذي يؤتي ماله يتزكى اى يطلب
ان يكون عند الله زكيا ولا يطلب بذلك رياء ولا سمعة بل يتصدق به مبتغيا به
وجه الله تعالى **قوله** يتزكى . قرا العامة يتزكى مضارع تزكى والحسن بن علي
ابن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم يزكى بادغام التاء في الزاي وفي
هذه الجملة وجهان احدهما انها في موضع الحال من فاعل يؤتي اى يؤتيه متزكيا به
والثاني انها لا موضع لها من الاعراب على انها بدل من صلة الذي ذكرهما الزمخشري
قوله تعالى وما لاحد عنده من نعمة تجزى . اى ليس يتصدق ليجازي على
نعمة وانما يبتغي وجه ربه الاعلى اى المتعالي . وتجزى صفة لنعمة اى يجزي الانسان
وانما جي به مضارعا مبنيا للمفعول لاجل الفواصل اذ الاصل يجزيها اياه او يجزيه
اياها **قوله تعالى** الا ابتغاء في نصبه وجهان . احدهما انه مفعول له قال
الزمخشري ويجوز ان يكون منصوبا لا له على المعنى لان المعنى لا يؤتي ماله الا ابتغاء وجه
ربه لا لمكافاة نعمة وهذا اخذه من قول الفراء فانه قال ونصب على التاويل ما اعطيك
ابتغاء جزائك بل ابتغاء وجه الله تعالى . والثاني انه منصوب على الاستثناء المنقطع
اذ لم يندرج تحته جنس من نعمة وهذه قراءة العامة اعني النصب والمد . وقرا يحيى
برفعه ممدودا على البدل من محل نعمة لان محلها الرفع اما على الفاعلية واما على الابتداء
ومن مزيدة في الوجهين والبدل لغة تميم لانهم يجرون المنقطع في غير الايجاب
مجرى المتصل . وانشد الزمخشري بالوجهين النصب والبدل قول بشر بن ابي حازم

اصبحت قفرا خلاء لا انيس بها ... الا الجآذر والظلمان تختلف

وقول القائل في الرفع

وبلدة ليس بها انيس ... الا اليعافير والا العيس

وفي التنزيل ما فعلوه الا قليل منهم . وقال مكي واجاز الفراء الرفع في ابتغاء على
البدل من موضع نعمة وهو بعيد . قال شهاب الدين كانه لم يطلع عليها قراءة
واستبعاده هو البعيد فانها لغة فاشية . وقرا ابن ابي عبلة ابتغا بالقصر

فصل روى عطاء والضحاك عن ابن عباس قال عذب المشركون بلالا
وبلال يقول احد احد فمر النبي صلى الله عليه وسلم فقال احد يعني الله تعالى ينجيك
ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر رضي الله عنه يا ابا بكر ان بلالا
يعذب في الله تعالى فعرف ابو بكر الذي يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانصرف
الى منزله فاخذ رطلا من ذهب ومضى به الى امية بن خلف فقال له اتبيعني بلالا
قال نعم فاشتراه فاعتقه ابو بكر رضي الله عنه لا ليد كانت له عنده فنزلت
وما لاحد عنده اى عند ابي بكر من نعمة اى من يد ومنة تجزى بل ابتغى بما فعل
وجه ربه الاعلى . قال بعضهم المراد ابتغاء ثوابه وكرامته لان ابتغاء ذاته محال
وقال بعضهم لا حاجة الى هذا الاضمار بل حقيقة هذه هذه المسألة ترجع الى ان

العبد

لان ابتغا ذاته محال

العبد هل يمكن ان يحب ذات الله او المراد من هذه المحبة ثوابه وكرامته ذكره ابن الخطيب
والاعلى من نعت الرب الذي استحق صفات العلو . ويجوز ان يكون ابتغاء وجه ربه
لا لمكافاة نعمة **قوله تعالى** ولسوف يرضى . هذا جواب قسم مضمر وقرا العامة
يرضى مبنيا للفاعل . وقرئ يرضى مبنيا للمفعول من ارضاه الله تعالى وهو قريب
من قوله تعالى في اخر سورة طه لعلك ترضى وترضى ومعنى الاية سوف يعطيه
في الجنة ما يرضى بان يعطيه اضعاف ما انفق . قال ابن الخطيب وعندي فيه وجه اخر
وهو ان المراد انه انما طلب رضوان الله تعالى وليس يرضى الله عنه . قال
وهذا اعظم من الاول لان رضى الله اكمل للعبد من رضاه من ربه والله اعلم
روى الثعلبي عن ابي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا
سورة والليل اعطاه الله تعالى حتى يرضى وعافاه الله من العسر ويسر له
اليسر . قال الثعلبي وان ابيت نزولها بمكة ضعيفا وبلها بقصة ابي الدحداح
وقويا وبلها نزولها في حق ابي بكر رضي الله عنه لانه كان بمكة وانفاقه
بمكة وقصة ابي الدحداح كانت بالمدينة والله اعلم . روى عن علي رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله ابا بكر زوجني ابنته وحملني الى
دار الهجرة واعتق بلالا من ماله م

سورة الضحى مكية

وهي احدى عشرة اية . واربعون كلمة . ومائة وسبعون حرفا . بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى والضحى والليل اذا سجى . تقدم الكلام في الضحى والمراد به
هنا النهار لمقابلته بقوله والليل اذا سجى ولقوله تعالى افامن اهل القرى ان ياتيهم
باسنا بياتا وهم نائمون او من اهل القرى ان ياتيهم باسنا ضحى وهم يلعبون
اى نهارا . وقال قتادة ومقاتل وجعفر الصادق اقسم بالضحى الذي كلم الله تعالى
فيه موسى عليه السلام وبليلة المعراج . وقيل الضحى هي الساعة التي خر وافيها السحرة
سجدا لقوله تعالى وان يحشر الناس ضحى . وقال القرطبي يعني عباده الذين يعبدونه
في وقت الضحى وعباده الذين يعبدونه بالليل اذا اظلم . وقيل الضحى نور الجنة
والليل ظلمة النار . وقيل الضحى نور قلوب العارفين كهيئة النهار والليل سواد قلوب
الكافرين كهيئة الليل اقسم تعالى بهذه الاشياء . وقال اهل المعاني فيه وفي امثاله
فيه اضمار مجازه ورب الضحى . وسجى معناه سكن قاله قتادة ومجاهد وابن زيد
وعكرمة . يقال ليلة ساجية اى ساكنة . ويقال للعين اذا سكن طرفها ساجية
يقال سجى الشيء يسجو اذا سكن . وسجى البحر يسجو سجوا اى سكنت امواجه . وطرف
ساج اى فاتر . ومنه استعير تسجية الميت اى تغطيته بالثوب قال الراغب
وقال الاعشى . وما ذا اسا ان جاش بحر ابن عمكم . وبحرك ساج لا يواري الدعامصا
وقال الفراء اظلم . وقال ابن الاعرابي اشتد ظلامه . وقال الشاعر م

يا حبذا القمراء والليل الساج ... وطرق مثل ملاء النساج

وقال الضحاك سجى غطى كل شيء . قال الاصمعي سجو الليل تغطيته النهار ومثل ما
يسجى الرجل الثوب . وعن ابن عباس سجى ادبر . وعنه اظلم . وقال سعيد بن جبير
اقبل . وعن مجاهد سجى استوى . والقول الاول اشهر في اللغة اى سكن

الناس فيه كما يقال نهار صايم وليل قايم ، وقيل سكونه استقرار ظلامه واستوايه
وهو من ذوات الواو وانما اميل لموافقته رؤس الاى كالضحى فانه من ذوات
الواو ايضا **فصل** قال ابن الخطيب وقدم هنا الضحى وفى السورة التى
قبلها قدم الليل اما لان كلا منهما اثر عظيم فى صلاح العالم والليل فضيلة السبق
لقوله تعالى وجعل الظلمات والنور وللنهار فضيلة النور فقدم سبحانه هذا تارة
وقدم هذا تارة كالركوع والسجود فى قوله تعالى اركعوا واسجدوا وقوله
واسجدى واركعى مع الراكعين ، وقيل قدم الليل فى سورة ابى بكر رضى الله عنه
لان ابا بكر سبقه كفر وقدم الضحى فى سورة محمد عليه الصلاة والسلام لانه
نور محض ولم يتقدمه ذنب ، وقيل لما كانت سورة الليل سورة ابى بكر رضى الله
عنه وسورة الضحى سورة محمد صلى الله عليه وسلم لم يجعل بينهما واسطة ليعلم
انه لا واسطة بين محمد صلى الله عليه وسلم وابى بكر رضى الله عنه **فصل**
قال ابن الخطيب وذكر الضحى وهو ساعة وذكر الليل بجملته اشارة الى ان ساعة
من النهار توازن جميع الليل كما ان محمدا صلى الله عليه وسلم توازن جميع الانبيا
عليهم السلام ، وايضا فالضحى وقت السرور والليل وقت الوحشة ففيه اشارة
الى ان سرور الدنيا اقل من شرورها وان هموم الدنيا ادوم من سرورها
فان الضحى ساعة والليل ساعات ، يروى ان الله تعالى لما خلق العرش اظلت
غمامة سودا ونادت ماذا امطر فاجيبت ان امطرى الهموم والاحزان مائة
سنة ثم انكشفت فامرت مرة اخرى بذلك وهكذا الى ثلثماية سنة ثم بعد ذلك
اظلت عن يمين العرش غمامة بيضا ونادت ماذا امطر فاجيبت ان امطرى السرور
ساعة فلهذا ترى الهموم والاحزان دايمة والسرور قليلا ونادرا وقدم
ذكر الضحى لانه يشبه الحياة واخر الليل لانه يشبه الموت **قوله تعالى**
ما ودعك ، هذا جواب القسم ، والعامة على تشديد الدال من التوديع وقرا
عروة ابن الزبير وابنه هاشم وابن ابى عبلة وابو حيوة بتخفيفها من قولهم ودعه
اى تركه والمشهور فى اللغة الاستغنا عن ودع وورد واسم فاعلهما واسم
مفعولهما ومصدرهما بترك وما تصرف منه وقد جا ودع وورد ، قال الشاعر
سل اميرى ما الذى غيره ، عن وصالى اليوم حتى ودعه ، وقال اخر
ثم ودعنا ال عمرو وعامر ، فرايس اطراف الاسنة السمر ، قيل والتوديع
مبالغة فى الودع لان من ودعك مفارقا فقد بالغ فى تركك ، قال
القرطبى واستعماله قليل يقال هو يدع كذا اى يتركه ، قال المبرد لا يكادون
يقولون ودع ولا وذر لضعف الواو اذا قدمت واستغنوا عنها بترك **قوله
تعالى** وما قلى ، اى ما ابغضك ، يقال قلاه يقليه بكسر العين فى المضارع
تقول قلا تقلاه بالفتح ، قال ايا من لست اقلاه ، ولا واديه الا قلاه
لك الله على ذلك لك الله ، وحذف قلاك مراعاة للفواصل مع العلم به وكذا
بعد فاوى وما بعده **فصل** القلا البغض اى ما ابغضك ربك منذ
احبك قال فتحت القاف مددت تقول قلاه بقليه قلا وقلا كما تقول قريت
الضيف اقريه قرا وقرا وتقلاه لغة طى ، وانشد ثعلب
يارب ام العم لا تقلاه ، اى لا تبغضه وتقلى اى تبغض ، وقال

اسبى

اسبى بنا واحسنى لا لومة ، لدينا ولا مقلية ان تقلت ، وقال امرؤ القيس ، ولست
بمقلى الخلال ولا قالى ، ومعنى الاية ما ودعك ربك وما قلاك فترك الكاف
لانه راس اية كقوله تعالى والذاكرين الله كثيرا والذاكرات **فصل** قال
المفسرون احتبس الوحى عن النبى صلى الله عليه وسلم اثنى عشر يوما ، وقال ابن
عباس خمسة عشر يوما ، وقيل خمسة وعشرين يوما ، وقال مقاتل اربعين يوما
فقال المشركون ان محمدا قلاه ربه وودعه ولو كان امره من الله تعالى لتابع
عليه كما كان يفعل بمن كان قبله من الانبيا فنزلت هذه الاية ، وروى الشيخان
البخارى عن جندب بن سفيان قال اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقم
ليلتين او ثلاثا فجاءت ام جميل امراة ابى لهب لعنة الله عليها فقالت يا محمد انى
لارجو ان يكون شيطانك قد تركك لم اره قربك منذ ليلتين او ثلاث فانزل الله
تعالى والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى ، وروى ابو عمران الجونى
قال ابطا جبريل عليه السلام على النبى صلى الله عليه وسلم حتى شق عليه فجاء وهو واضع
جبهته على الكعبة يدعو فنكت بين كتفيه وانزل عليه ما ودعك ربك وما قلى وروى
ان خولة كانت تخدم النبى صلى الله عليه وسلم فقالت ان جروا دخل البيت فدخل
تحت السرير فمات فمكث نبى الله صلى الله عليه وسلم اياما لا ينزل عليه الوحى
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا خولة ما حدث فى بيتى ان جبريل لا ياتينى
قالت خولة لو هيات البيت وكنسته فاهويت بالمكنسة تحت السرير فاذا هو
جرو ميت فاخذته فالقيته خلف الجدار فجا نبى الله صلى الله عليه وسلم ترعد لحياه
وكان اذا انزل عليه الوحى استقبلته الرعدة فقال يا خولة دثرينى فانزل
الله تعالى هذه السورة ولما نزل جبريل عليه السلام سال النبى صلى الله عليه
وسلم عن التاخر فقال اما علمت ~~اسما علمت~~ انا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة
ولما سالته اليهود عن الروح وذى القرنين واصحاب الكهف قال صلى الله عليه
وسلم ساخبركم غدا ولم يقل ان شا الله فاحتبس عنه الوحى الى ان نزل جبريل
عليه السلام بقوله تعالى ولا تقولن لشى انى فاعل ذلك غدا الا ان يشا الله فاخبره
بما سيل عنه وفى هذه القصة نزلت ما ودعك ربك وما قلى **قوله تعالى**
وللاخرة ، الظاهر فى هذه اللام انها جواب القسم وكذلك فى ولسوف اقسم
الله تبارك وتعالى على اربعة اشيا اثنان منفيان وهما توديعه وقلاه واثنان
مثبتان موكدان وهما لون الاخرة خيرله من الدنيا وانه سوف يعطيه ما يرضيه
وقال الزمخشرى فان قلت ما هذه اللام الداخلة على سوف قلت هى لام
الابتدا الموكدة لمضمون الجملة والمبتدا محذوف تقديره ولانت سوف
يعطيك كما ذكرنا فى لا اقسم ان المعنى لانا اقسم وذلك انها لا تخلو من ان تكون
لام قسم او ابتدا فلام القسم لا تدخل على المضارع الا مع نون التوكيد فبقى ان
تكون لام ابتدا ولام الابتدا لا تدخل الا على الجملة من المبتدا والخبر فلابد
من تقدير مبتدا وخبر واصله ولانت سوف يعطيك ، ونقل ابو حيان عنه
انه قال وخلع من اللام دلالتها على الحال انتهى ، وهذا الذى رده المصرى
بما منه انها لام القسم ، قوله لا تدخل على المضارع الا مع نون التوكيد هذا
استثنى النحاة منه صورتين احدهما انه لا يفصل بينها وبين الفعل حرف تنفيس

كهذه الآية وكقوله والله لساعطيك ◦ والثاني ان لا يفصل بينهما بمعمول الفعل كقوله
تعالى لالى الله تحشرون ويدل لما قلته ما قال الفارسي ليست هذه اللام
هي التي في قولك ان زيدا لقايم بل هي التي في قولك لاقومن ونابت سوف عن احدى
نوني التوكيد فكانه قال وليعطينك ◦ وقوله خلع منها دلالتها على الحال يعني ان
لام الابتدا الداخلة على المضارع تخلصه للحال وهنا لا يمكن ذلك لاجل حرف التنفيس
فلذلك جعلت الحالة منها ◦ وقال ابو حيان واللام في وللآخرة لام ابتدا
وكد بها مضمون الجملة ثم حكى بعض ما تقدم عن الزمخشري وابي علي ثم قال ويجوز
عندي ان تكون اللام في وللآخرة خير وفي ولسوف يعطيك اللام التي تتلقى
بها القسم عطفها على جواب القسم وهو قوله ما ودعك فيكون قد اقسم على هذه الثلاثة
انتهى فظاهره ان اللام في وللآخرة لام ابتدا غير متلقى بها القسم بدليل قوله ثانيا
ويجوز عندي ولا يظهر انقطاع هذه الجملة عن جواب القسم البتة ولذلك في ولسوف
وتقدير الزمخشري مبتدا بعدها لا ينافي كونها جوابا للقسم انما منع ان تكون جوابا
كونها داخلة على المضارع لفظا وتقديرا ◦ وقال ابن الخطيب فان قيل ما معنى الجمع بين
حرفي التاكيد والتاخير قلنا معناه ان العطا كاين لا محالة وان تاخر لما في التاخير
من المصلحة **فصل** قال ابن اسحق معنى قوله وللآخرة خير لك من الاولى
اي ما عندي في مرجعك الي يا محمد خير لك مما عجلت لك من الكرامة في الدنيا ◦ روى
علقمة عن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اهل
بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا ◦ وقوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى
روى عطا عن ابن عباس رضي الله عنه هو الشفاعة في امته حتى يرضى وهو قول
علي والحسن وعبد الله بن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله
تعالى في ابرهيم عليه السلام فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم
وقول عيسى عليه السلام ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم الآية فرفع يده
وقال اللهم امتي امتي وبكى فقال الله تبارك وتعالى الله اكبر الله اكبر يا جبريل
اذهب الى محمد صلى الله عليه وسلم فقل انا سنرضيك في امتك ولا نسوءك ◦ وقال
حرب بن شريح سمعت ابا جعفر محمد بن علي يقول انكم يا معشر اهل العراق تقولون
ارجى آية في القرآن الكريم يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة
الله وانا اهل البيت نقول ارجا آية في كتاب الله ولسوف يعطيك ربك فترضى ◦
وقيل يعطيك ربك من الثواب ◦ وقيل من النصر فترضى ◦ وقيل الحوض والشفاعة
فصل وجه النظم كانه قيل له انقطاع الوحي لا يكون عزلا عن النبوة
بل غايته انه امارة الموت للاستغنا عن الرسالة فان فهمت منه قرب الموت
فالموت خير لك من الاولى وهم صلى الله عليه وسلم من الخطاب بقوله ما ودعك
ربك وما قلى تشريفا عظيما فقيل له وللآخرة خير لك من الاولى ◦ اي ان الاحوال
الآتية خير لك من الماضية وهو وعد بانه سيزيده عزا الى عزه وبيان ان الآخرة
خير لانه صلى الله عليه وسلم يفعل فيها ما يريد ولانه اشتراها فهي ملكه وملكه خير
ما لا يكون ملكه او لان الكفار يرودونك وامتك في الدنيا واما في الآخرة فمحمد
شهيدا على الناس او لان خيرات الدنيا قليلة مقطوعة ولم يقل خير لكم لان فيهم من
الآخرة شر له فلو عمهم لافتضحوا ◦ ثم اخبر الله تعالى عن حاله التي كان عليها

الموت صح

قبل

قبل الوحي وذكره نعمه فقال **قوله تعالى** الم يجدك يتيما فآوى ◦ العامة على اوى
بالف بعد الهمزة رباعيا من آواه يأويه وابو الاشهب فأوى ثلاثيا ◦ قال
الزمخشري وهو على معنيين اما من اواه بمعنى اواه سمع بعض الرعاة يقول ابن
اوى هذه واما من اوى له اذا رحمه انتهى ◦ وعلى الثاني قوله ◦ اواني ولا كفران
لله ايه ◦ لنفسي فقد طالبت غير منيل ◦ اي رحمة لنفسي ووجه الدلالة من قوله اين اوي
هذه لانه لو كان من الرباعي المضموم حرف المضارعة والثانية هي فا الكلمة
واما همزة افعل فمحذوفة على القاعدة ولم تبدل هذه الهمزة كما ابدلت في اومن لئلا
تثقل بالادغام ولذلك نص النحاة على ان نوبه من قوله تعالى وفصيلته التي تؤويه
لا يجوز ابدالها للثقل **فصل** قال ابن الخطيب يجدك من الوجود الذي بمعنى
العلم والمنصوبان مفعولان وجد ◦ والوجود من الله العلم والمعنى الم يعلمك الله يتيما
فآوى ◦ قال القرطبي يتيما لا اب لك قد مات ابوك فآوى اي جعل لك ماوى تاوي
اليه عند عمك ابي طالب فكفلك ◦ وقيل لجعفر بن محمد الصادق لم اوتم النبي صلى الله
عليه وسلم من ابويه فقال لئلا يكون لمخلوق عليه حق وقال مجاهد هو من قول العرب
درة يتيمة اذا لم يكن لها نظير فالمعنى الم يجدك يتيما واحدا في شرفك لا نظير لك
فآواك الله باصحاب يحفظونك ويحوطونك **فصل** اورد ابن الخطيب
هنا سؤالا وهو انه كيف يحسن من الجواد ان يمن بنعمه فيقول الم يجدك يتيما فآوى
ويؤكد هذا السؤال ان الله تعالى حكى عن فرعون قوله لموسى عليه السلام الم نربك
فينا وليدا في معرض الذم لفرعون فما كان مذموما من فرعون كيف يحسن من
الله تعالى ◦ قال والجواب ان ذلك يحسن اذا قصد بذلك تقوية قلبه ووعده
بدوام النعمة ◦ وبهذا ظهر الفرق بين هذا الامتنان وبين امتنان فرعون
لان امتنان فرعون معناه فما بالك لا تخدمني وامتنان الله تعالى زيادة نعمة
كانه يقول ما لك تقطع عني رجاك الست شرعت في تربيتك اتظنني تاركا لما
صنعته بل لا بد وان اتم النعمة كما قال تعالى ولاتم نعمتي عليكم ◦ فان قيل ان الله
تعالى من عليه بثلاثة اشيا ثم امره بان يذكر نعمة ربه فما وجه المناسبة ◦ فالجواب
وجه المناسبة ان نقول قضا الدين واجب والدين نوعان مالي وانعامي والانعامي
اقوى وجوبا لان المالي قد يسقط بالابراء والانعامي يتاكد بالابراء والمال يقضى مرة
فينجو منه الانسان والانعامي يجب عليه قضاؤه طول عمره فاذا تعذر قضا النعمة
القليلة من منعم هو مملوك فكيف حال النعمة العظيمة من المنعم المالك فكان العبد
يقول الهي اخرجتني من العدم الى الوجود بشرا مستويا طاهر الظاهر نجس الباطن
بشارة منك تستر علي ذنوبي بستر عفوك كما سترت نجاستي بالجلد الظاهر فكيف
يمكنني قضا نعمتك التي لا احصرها فيقول تبارك وتعالى الطريق الى ذلك ان تفعل
في حق عبدي ذلك وكنت عايلا فاغنيتك فافعل في حق الايتام ذلك ◦ ثم اذا انت
فعلت كل ذلك فاعلم انما فعلته بتوفيقي ولطفي وارشادي فكن ابدا ذاكرا لهذه النعم
قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى ◦ اي غافلا عما يراد بك من امر
النبوة فهداك اي ارشدك والضلال هنا بمعنى الغفلة لقوله تعالى لا يضل ربي
ولا ينسى اي لا يغفل ◦ وقال في حق نبيه صلى الله عليه وسلم وان كنت من قبله لمن
الغافلين ◦ وقيل معنى قوله تعالى ضالا لم تكن تدري القرآن والشرايع فهداك الله

الى القران وشرايع الاسلام قاله الضحاك وشهر بن حوشب وغيرهما قال تعالى ما
كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان على ما تقدم فى سورة الشورى ، وقال السدى
والكلبى والفرا وجدك ضالا اى فى قوم ضلال فهداهم الله بك او فهداك الى ارشادهم
وقيل وجدك ضالا عن الهجرة فهداك اليها ، وقيل ضالا اى ناسيا شان الاستثنا
حين سئلت عن اصحاب الكهف وذى القرنين والروح فاذكرك لقوله تعالى ان
تضل احدهما ، وقيل ووجدك طالبا للقبلة فهداك اليها كقوله تعالى قد نرى تقلب
وجهك فى السما الاية ويكون الضلال بمعنى الطلب لان الضال طالب ، وقيل ووجدك
ضايعا فى قومك فهداك اليه ويكون الضلال بمعنى المحبة قال تعالى انك لفى ضلالك
القديم اى فى محبتك ، قال الشاعر

هذا الضلال اشاب منى المفرقا :: والعارضين ولم اكن متحققا
عجبا لعزة فى اختيار قطيعتى :: بعد الضلال فحبلها قد اخلقا

وقيل ضالا فى شعاب مكة فهداك ردك الى جدك عبد المطلب ، وقال كعب
رضى الله عنه ان حليمة لما قضت حق الرضاع جاءت برسول الله صلى الله عليه وسلم
لتردّه على عبد المطلب فسمعت عند باب مكة هنيا لك يا بطحا مكة اليوم يرد اليك النور
والدين والبها والجمال قالت فوضعته لاصلح شانى فسمعت هدة شديدة فالتفت
فلم اره فقلت يا معشر الناس اين الصبى فقالوا لم نر شيا فصحت وامحمداه فاذا
شيخ فان يتوكا على عصى فقال اذهبى الى الصنم الاعظم فان شا ان يرده اليك فعل
ثم طاف الشيخ بالصنم وقبل راسه وقال يا رب لم تزل منتك على قريش وهذه
السعدية تزعم ان ابنها قد ضل فرده ان شيت فانكب هبل على وجهه وتساقطت
الاصنام وقالت اليك عنا ايها الشيخ فهلاكنا على يدى محمد فالقى الشيخ عصاه
وارتعد وقال ان لابنك ربا لا يضيعه فاطلبيه على مهل فانحشرت قريش الى عبد المطلب
وطلبوه فى جميع مكة فلم يجدوه فطاف عبد المطلب بالكعبة سبعا وتضرع الى الله
تعالى ان يرده وقال

يا رب رد ولدى محمدا :: اردده ربى واصطنع عندى يدا

فسمعوا مناديا ينادى من السما معاشر الناس لا تضجوا فان لمحمد ربا لا يخذله
ولا يضيعه وان محمدا بوادى تهامة عند شجرة السمر صلى الله عليه وسلم فسار
عبد المطلب هو وورقة بن نوفل فاذا النبى صلى الله عليه وسلم قايم تحت شجرة
يلعب بالاغصان وبالورق ، وفى رواية فما زال عبد المطلب يردد البيت
حتى اتاه ابو جهل على ناقة ومحمد صلى الله عليه وسلم بين يديه وهو يقول ما تدرى
ماذا اجرى من ابنك فقال عبد المطلب ولم قال انى انخت الناقة واركبته
خلفى فابت الناقة ان تقوم فلما اركبته امامى قامت الناقة ، قال ابن عباس
رضى الله عنه رده الله تعالى الى جده بيد عدوه كما فعل بموسى عليه السلام حين
حفظه عند فرعون ، وقال سعيد بن جبير خرج النبى صلى الله عليه وسلم مع عمه
ابى طالب فى سفر فاخذ ابليس بزمام ناقته فى ليلة ظلما فعدل بها عن الطريق
فجا جبريل عليه السلام فنفخ ابليس نفخة وقع منها الى ارض الهند ورده الى القافلة
صلى الله عليه وسلم ، وقيل ووجدك ضالا ليلة المعراج حين انصرف عنك جبريل
وانت لا تعرف الطريق فهداك الى ساق العرش ، وقال بعض المتكلمين اذا وجدت

العرب شجرة منفردة فى فلاة من ارض لا شجر معها سموها ضالة فيهتدى بها على
الطريق فقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ووجدك ضالا اى لا احد على دينك
بل انت وحيد ليس معك احد فهديت بك الخلق الى ، وقال بعضهم ووجدك مغمورا
فى اهل الشرك فميزك عنهم ، يقال ضل الما فى اللبن ، ومنه آية اضللنا فى الارض اى
لحقنا بالتراب عند الدفن حتى كانا لا نتميز من جملته ، وقيل ضالا عن معرفة الله حين
كنت طفلا صغيرا لقوله تعالى والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا
فخلق فيك العقل والهداية والمعرفة فالمراد من الضال الخالى عن العلم لا الموصوف
بالاعتقاد ، وقيل قد يخاطب النبى صلى الله عليه وسلم والمراد قومه فقوله تعالى
ووجدك ضالا فهدى اى وجد قومك ضلالا فهداهم بك ، وقيل انه كان على
ما كان القوم عليه لا يظهر لهم فى الظاهر الحال ، فاما الشرك فلا يظن به بل على
مواسم القوم فى الظاهر اربعين سنة وقال الكلبى والسدى اى وجدك كافرا والقوم
كفارا فهداك وقد مضى الرد على هذا القول فى سورة الشورى قوله تعالى
ووجدك عايلا فاغنى العايل الفقير ، وهذه قراءة العامة يقال عال زيد اى افتقر
قال جرير

الله انزل فى الكتاب فريضة :: لابن السبيل وللفقير العايل

واعال كثرت عياله ، وقال الشاعر

وما يدرى الفقير متى غناه :: ولا يدرى الغنى متى يعيل

وقرا اليمانى عيلا بكسر اليا المشددة كسيد ، وقال ابن الخطيب العايل والعيلة
ثم اطلق على الفقير وان لم يكن له عيال ، والمشهور ان المراد به الفقير ، ويؤيده
ما روى فى مصحف عبد الله ووجدك عديما ، قوله تعالى فاغنى اى اغناك بخديجة وتربية
ابى طالب ولما اختل ذلك اغناه بمال ابى بكر رضى الله عنه ولما اختل ذلك امره
بالهجرة واغناه باعانة الانصار رضى الله عنهم ثم امره بالجهاد واغناه صلى الله
عليه وسلم بالغنايم ، وقال مقاتل اغناك بما اعطاك من الرزق ، وقال عطا
وجدك فقير النفس فاغنى قلبك ، وقيل من الحجج والبراهين فاغناك بها قوله
تعالى فاما اليتيم فلا تقهر اليتيم منصوب بتقهر وبه استدل ابن مالك على انه
لا يلزم من تقديم المعمول تقديم العامل ، الا ترى ان اليتيم منصوب بالمجزوم وقد
تقدم على الجازم ولو قدمت على لا لامتنع لان المجزوم لا يتقدم على جازمه كالمجرور
لا يتقدم على جاره وتقدم ذلك فى سورة هود عليه السلام عند قوله تعالى الا
يوم ياتيهم ليس مصروفا عنهم ، وقرا العامة تقهر بالقاف من الغلبة ، وابن
مسعود والشعبى وابرهيم النخعى والاشهب العقيلى بالكاف يقال كهر فى وجهه اى
عبس وفلان ذو كهرة اى عابس الوجه ، ومنه الحديث فبابى وامى هو ما كهرنى
وقال ابو حيان وهى لغة بمعنى قراءة الجمهور انتهى ، والكهر فى الاصل ارتفاع
النهار مع شدة الحر ، وقيل القهر الغلبة والكهر الزجر والمعنى لا تتسلط عليه بالظلم
بل ادفع اليه حقه واذكر يتمك قاله الاخفش ، وقال مجاهد لا تحتقر وخص اليتيم
لانه لا ناصر له غير الله تعالى فغلظ فى تاثير العقوبة على ظالمه ، والمعنى عامله بمثل
ما عاملناك به ونظيره واحسن كما احسن الله اليك ، وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ايمن ليس له الا الله ، فصل دلت الاية على اللطف باليتيم وبره والاحسان

اليه قال قتادة كن لليتيم كالاب الرحيم ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضم
يتيما وكان فى نفقته وكفاه مؤنته كان له حجابا من النار يوم القيمة ، وقال
النبى صلى الله عليه وسلم من مسح براس يتيم كان له بكل شعرة حسنة **فصل**
قال ابن الخطيب والحكمة فى ان الله تعالى اختار لنبيه اليتم ان يعرف حرارة اليتم
فيرفق باليتيم ، وايضا ليشاركه فى الاسم فيكرمه لاجل ذلك لقوله عليه الصلاة
والسلام اذا سميتم الولد محمدا فاكرموه ووسعوا له فى المجلس ، وايضا لتعتمد من
اول عمره على الله تعالى فيشبه ابرهيم عليه السلام فى قوله حسبى من سؤالى علمه بحالى
وايضا فالغالب ان اليتيم تظهر عيوبه فلما لم يجدوا فيه عيبا لم يجدوا فيه مطعنا
وايضا جعله يتيما ليعلم كل احد فضيلته ابتدا من الله تعالى لا من التعليم لان من
له اب فان اباه يعلمه ويودبه ، وايضا فاليتم والفقر نقص فى العادة فكونه صلى
الله عليه وسلم مع هذين الوصفين من اكرم الخلق كان ذلك قلبا للعادة فكان
معجزة ظاهرة **قوله تعالى** واما السايل فلا تنهر ، اى فلا تزجره يقال
نهره وانتهره اذا زجره واغلظ له القول ولكن يرده ردا جميلا ، قال
ابرهيم النخعى السايل بريد الاخرة يجى الى باب احدكم فيقول هل تبعثون الى اهليكم
بنى ، وقيل المراد هنا بالسايل الذى يسال عن الدين قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم سالت ربى مسالة وددت انى لم اسالها قلت يارب اتخذت ابرهيم خليلا
وكلمت موسى تكليما وسخرت مع داود الجبال يسبحن واعطيت فلانا كذا فقال
الله تعالى الم اجدك يتيما فاويتك الم اجدك ضالا فهديتك الم اجدك عايلا
فاغنيتك الم اشرح لك صدرك الم اوتك ما لم اوت احدا قبلك خواتيم سورة
البقرة الم اتخذك خليلا كما اتخذت ابرهيم خليلا قلت بلى يا رب **قوله تعالى**
واما بنعمة ربك فحدث ، الجار متعلق بحدث والفا غير مانعة من ذلك قال
مجاهد تلك النعمة هى القران والحديث فيه ان يقرا ويقرا غيره ، وعن مجاهد
ايضا تلك النعمة هى النبوة اى بلغ ما انزل اليك من ربك ، وقيل تلك النعمة
هى ان وفقك الله تعالى فراعيت حق اليتيم والسايل فحدث به لتقتدى بك غيرك
وعن الحسن بن على رضى الله عنه قال اذا عملت خيرا فحدث اخوانك ليقتدوا بك
الا ان هذا لا يحسن الا اذا لم يتضمن ريا وظن ان غيره يقتدى به ، وروى عن
مالك بن نضلة الجشمى قال كنت جالسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
فرانى رث الثياب فقال لى صلى الله عليه وسلم الك مال قلت نعم يا رسول الله
قال اذا اتاك الله مالا فليرى اثره عليك ، وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الله تعالى جميل يحب الجمال ويحب ان يرى اثر النعمة على عبده ، فان
قيل ما الحكمة فى ان الله تعالى اخر حق نفسه عن حق اليتيم والسايل فالجواب
كانه سبحانه وتعالى يقول انا غنى وهما محتاجون وحق المحتاج اولى بالتقديم
واختار قوله فحدث على قوله فخبر ليكون ذلك حديثا عنه لا ينساه ويعيده
مرة اخرى **فصل** روى عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنه وروى
البزى عن ابن كثير بكبر القارى عقيب الضحى ، وروى ابى بن كعب رضى الله عنه
عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان اذا بلغ اخر الضحى كبر بين كل سورتين تكبيرة
الى ان يختم القران ويصل بينهما بسكتة وكان المعنى فى ذلك ان الوحى تاخر عن

رسول الله صلى الله عليه وسلم اياما فقال ناس من المشركين قد ودعه صاحبه وقلاه فنزلت
هذه السورة فقال الله اكبر قال مجاهد قرات على ابن عباس رضى الله عنه فامرنى
به واخبره به رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يكبر فى قراة الباقين لانها ذريعة الى
الزيادة فى القران ، قال القرطبى القران ثبت نقله بالتواتر سوره واياته وحروفه
بغير زيادة ولا نقصان ، وعلى هذا فالتكبير ليس من القران ، روى الثعلبى عن ابى بن كعب
رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والضحى كان فيمن
يرضاه الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم ان يشفع له وكتب الله له من الحسنات
بعدد كل يتيم وسايل ، والله اعلم

سورة الم نشرح مكية

وهى ثمان ايات ، وسبع وعشرون كلمة ، ومائة وثلاثة احرف ، بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى الم نشرح لك صدرك ، الاستفهام اذا دخل على النفى قرره فصار
المعنى قد شرحنا ولذلك عطف عليه الماضى ، ومثله الم نربك فينا وليدا ولبثت
والعامة على جزم الحاء للجازم ، وقرا ابو جعفر المنصور بفتحها فقال الزمخشرى وقالوا
لعله بين الحا واشبعها فى مخرجها فظن السامع انه فتحها ، وقال ابن عطية ان الاصل
الم نشرحن بالنون الخفيفة ثم ابدلها الفا ثم حذفها تخفيفا كما انشد ابو زيد
من اى يومى من الموت افر ، ايوم لم يقدر ام يوم قدر ، بفتح را لم يقدر
وكقوله ، اضرب عنك الهموم طارقها ، ضربك بالسيف قونس الفرس ، بفتح باء اضرب
انتهى ، وهذا مبنى على جواز توكيد المجزوم بلم وهو قليل جدا ، كقوله
، يحسبه الجاهل ما لم يعلما ، شيخا على كرسيه معمما ،
فتركب هذه القراة من ثلاث اصول كلها ضعيفة لان توكيد المجزوم بلم ضعيف
وابدالها الفا انما هو فى الوقف فاجرى الوصل مجرى الوقف خلاف الاصل وحذف
الالف ضعيف لانه خلاف الاصل ، وخرجه ابو حيان على لغة خرجها اللحيانى فى
نوادره عن بعض العرب وهو الجزم بلن والنصب بلم عكس المعروف عند الناس
وجعله احسن مما تقدم وانشد قول عايشة بنت الاعجم تمدح المختار صلى الله عليه
وسلم وطلبه ثار الحسين بن على رضى الله عنهما وعن بقية الصحابة اجمعين ، قد كان
سمك الهدى ينهد قايمه ، حتى اتيح له المختار فانعمدا ، فى كل ما هم امضى رايه
قدما ، ولم يشاور فى اقدامه احدا ، بنصب رايه ورجحه تحملا للبحر
تحسين ، يشرح الصدر فتحه اى لم نفتح صدرك للاسلام ، وقال ابن عباس
الم نلين قلبك ، وعن الحسن فى قوله الم نشرح لك صدرك قال ملى حلما وعلما وروى
ان جبريل عليه السلام اتاه وشق صدره واخرج قلبه وغسله وانقاه من المعاصى
ثم ملاه علما وايمانا ووضعه فى صدره ، وطعن القاضى فى هذه الرواية من
وجوه احدها ان هذه الواقعة انما وقعت حال صغره صلى الله عليه وسلم وذلك
من المعجزات فلا يجوز ان تتقدم نبوته ، وثانيها ان تاثير الغسل فى ازالة الاجسام
والمعاصى ليست باجسام فلا يوثر الغسل فيها ، وثالثها انه لا يصح ان يملا القلب
علما بل الله تبارك وتعالى يخلق فيه العلوم ، واجيب عن الاول بان تقدم المعجزات
على زمان البعثة جايز وهو المسمى بالارهاص ، ومثله فى حق الرسول صلى الله عليه وسلم

كثير، وعن الثانى والثالث لا يبعد ان يكون حصول ذلك الدم الاسود الذى غسلوه
من قلب الرسول صلى الله عليه وسلم لميل القلب الى المعاصى واحجامه عن الطاعات
واحترازه عن الشبهات فكان ذلك كالعلامة للملائكة على عصمة صاحبه وايضا فان
الله تبارك وتعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، روى ابن عباس رضى الله عنه انهم
قالوا يا رسول الله اينشرح الصدر قال نعم قالوا وما علامته قال صلى الله عليه وسلم
التجافى عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاعتداد للموت قبل نزوله، ثم
قال القرطبى معنى الم نشرح قد شرحنا ولم يجد وفى الاستفهام طرف من الجحد
واذا وقع جحد على جحد رجع الى التحقيق كقوله تعالى اليس الله باحكم الحاكمين ومعناه
الله احكم الحاكمين، وقوله تعالى اليس الله بكاف عبده، وقول جرير يمدح عبد الله
بن مروان م
السنتم خير من ركب المطايا، واندى العالمين بطون راح
المعنى انتم كذا، فان قيل لو قال عز وجل الم نشرح لك صدرك ولم يقل ذكر الصدر
ولم يذكر القلب، فالجواب لان محل الوسوسة هو الصدر على ما قال تعالى يوسوس فى صدور الناس فابدال تلك الوسوسة بدواعى الخير هو الشرح
فلذلك خص الشرح بالصدر دون القلب، وقيل الصدر حصن القلب فيقصده
الشيطان فان وجد مسلكا اغار فيه وبث جنده فيه وبث فيه الهموم والغموم
والحرص فيقسو القلب حينئذ ولا يجد للطاعة لذة ولا للاسلام حلاوة فاذا
طرد فى الابتدا حصل الامن وانشرح الصدر، فان قيل قال الم نشرح لك
صدرك ولم يقل الم نشرح صدرك، فالجواب كانه تعالى يقول لام
فصل
بلام فانت انما تفعل الطاعات لاجلى وانا ايضا جميع ما افعله لاجلك
روى عن طاوس وعمر بن عبد العزيز انهما كانا يقولان والضحى والم نشرح
سورة واحدة وكانا يقرانهما فى ركعة واحدة ولا يفصلان بينهما ببسم الله الرحمن
الرحيم وذلك لانهما رايا ان اولها يشبه قوله تعالى الم يجدك يتيما وليس
كذلك لان ذلك حالة اغتمامه صلى الله عليه وسلم بايذا الكفار وهى حالة محنة
وضيق وهذه حالة انشراح الصدر وتطييب القلب فكيف يجتمعان، قوله
تعالى ووضعنا عنك وزرك، اى حططنا عنك ذنبك، وقرا انس رضى
الله عنه وحللنا وحططنا، وقرا ابن مسعود وحللنا عنك وقرك وهذه
الاية مثل قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر
قيل الجميع كان قبل النبوة، والوزر الذنب اى وضعنا عنك ما كنت فيه
من امر الجاهلية لانه كان صلى الله عليه وسلم فى كثير من مذاهب قومه وان لم
يكن عبد صنما ولا وثنا، قوله تعالى الذى انقض ظهرك، اى حمله على
النقيض وهو صوت الانتقاض والانفكاك لثقله مثل لما كان يثقله صلى
الله عليه وسلم، قال اهل اللغة انقض الحمل ظهر الناقة اذا سمعت له صريرا
من شدة الحمل وسمعت نقيض الرحل اى صريره، قال العباس بن مرداس
وانقض ظهرى ما تطويت منهم، وكنت عليهم مشفقا متحننا
وقال جميل، وحتى تداعت بالنقيض حباله، وهمت بوانى زوره ان تحطما، والمعنى
اثقل ظهرك حتى سمع نقيضه اى صوته، والوزر الحمل الثقيل قال المحاسبى يعنى

نقل

نقل الوزر لو لم يعف الله عنه، قال ... وانما وصفت ذنوب الانبيا عليهم السلام بهذا
الثقل مع كونها مغفورة لشدة اهتمامهم بها وندمهم فيها وتحسرهم عليها، وقال
الحسين بن الفضل يعنى الخطا والسهو، وقيل ذنوب امتك اضافها اليه لاشتغال
قلبه بها، وقال عبد العزيز بن يحيى وابو عبيدة خففنا عنك اعبا النبوة والقيام بها
حتى لا يثقل عليك، وقيل كان فى الابتدا يثقل عليه الوحى حتى كاد يرمى نفسه من شاهق
الجبل الى ان جاءه جبريل عليه السلام واراه عينه ما كان يخاف من تغيير العقل صلى الله
عليه وسلم، وقيل عصمناك من احتمال الوزر وحفظناك قبل النبوة فى الاربعين من
الادناس حتى نزل عليك الوحى وانت مطهر قوله تعالى ورفعنا لك ذكرك
قال مجاهد يعنى بالتاذين، وروى الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنه قال يقول
الله عز وجل لا ذكرت الا ذكرت معى فى الاذان والاقامة والتشهد ويوم الجمعة
على المنابر ويوم الفطر ويوم الاضحى ويوم عرفة وايام التشريق وعند الجمار وعلى
الصفا والمروة وفى خطبة النكاح وفى مشارق الارض ومغاربها، ولو ان رجلا
عبد الله تعالى وصدق بالجنة والنار وكل شى ولم يشهد ان محمدا رسول الله لم ينتفع
بشى وكان كافرا، وقيل اعلينا ذكرك فذكرناك فى الكتب المنزلة على الانبيا قبلك
وامرناهم بالبشارة بك ولا دين الا ودينك يظهر عليه، وقيل رفعنا ذكرك عند
الملائكة فى السماء وفى الارض عند المومنين ونرفع فى الاخرة ذكرك بما نعطيك من
المقام المحمود وكرايم الدرجات، وقيل عام فى كل ما ذكروا قوله تعالى
فان مع العسر يسرا العامة على سكون السين فى الكلم الاربع، وابن وثاب
وابو جعفر وعيسى بضمها وفيه خلاف هل هو اصل او مثقل من المسكن فالالف واللام
فى العسر الاول لتعريف الجنس وفى الثانى للعهد، وكذلك روى عن ابن عباس
رضى الله عنه لن يغلب عسر يسرين، وروى ايضا مرفوعا انه صلى الله عليه وسلم
خرج يضحك يقول لن يغلب عسر يسرين، والسبب فيه ان العرب اذا اتت باسم
ثم اعادته مع الالف واللام كان هو الاول نحو جا رجل فاكرمت الرجل، وقوله
تعالى كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول ولو اعاده بغير الف
ولام كان غير الاول فقوله تعالى ان مع العسر يسرا لما اعاد العسر الثانى
اعاده بال ولما كان اليسر الثانى غير الاول لم يعده بال، وقال الزمخشرى
فان قلت ما معنى قول ابن عباس وذكر ما تقدم قلت هذا عمل على الظاهر وبنا
على قوة الرجا وان موعد الله تعالى لا يحمل الا على اوفى ما يحتمله اللفظ وابلغه
والقول فيه انه يحتمل ان تكون الجملة الثانية تكريرا للاولى كما كرر قوله تعالى
ويل يومئذ للمكذبين لتقرير معناها فى النفوس وتمكنها فى القلوب وكما تكرر
المفرد فى قوله جاء زيد زيد وان تكون الاولى عدة مستانفة بان العسر متبوع
بيسر فهما يسران على تقدير الاستيناف، وانما كان العسر واحدا لانه لا يخلو
اما ان تكون تعريفه للعهد وهو العسر الذى كانوا فيه فهو هو لان حكمه
حكم زيد فى قولك ان مع زيد مالا ان مع زيد مالا واما ان تكون للجنس الذى
يعلمه كل احد فهو هو ايضا واما اليسر فمنكر متناول لبعض الجنس، واذا كان
الكلام الثانى مستانفا غير مكرر فقد تناول بعضا غير البعض الاول بغير اشكال
وقال ابو البقا العسر فى الموضعين واحد لان الالف واللام توجب تكرير الاول

واما يسرا في الموضعين فاثنان لان النكرة اذا اريد تكريرها جي بضميرها او بالالف
واللام ومن هنا قيل لن يغلب عسر يسرين ‌، وقال الزمخشري ايضا فان قلت
ان مع للصحبة فما معنى اصحاب اليسر والعسر ‌، قلت اراد ان الله تعالى يصيبهم
بيسر بعد العسر الذي كانوا فيه بزمان قريب فقرب اليسر المترقب حتى جعله
كانه كالمقارن للعسر زيادة في التسلية وتقوية للقلوب ‌، وقال ايضا
فان قلت ما معنى هذا التنكير قلت التفخيم كانه قيل ان مع العسر يسرا عظيما
واي يسر وهو في مصحف ابن مسعود مرة واحدة ‌، فان قلت فاذا ثبت في قراءته
غير مكرر فلم قال والذي نفسي بيده لو كان العسر في جحر لطلبه اليسر حتى
يدخل عليه لن يغلب عسر يسرين ‌، قلت كانه قصد باليسرين ما في قوله يسرا
من معنى التفخيم فتاوله بيسر الدارين وذلك يسران في الحقيقة **فصل**
تعلق هذه الاية بما قبلها هو ان الله تعالى بعث نبيه صلى الله عليه وسلم فقيرا
المشركون بفقره حتى قالوا له نجمع لك مالا فاغتم لذلك وظن انهم انما رغبوا
عن الاسلام لكونه فقيرا حقيرا عندهم فعدد الله تعالى عليه مننه بقوله تعالى
الم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك اي ما كنت فيه من امر الجاهلية
ثم وعده بالغنا في الدنيا ليزيل عن قلبه ما حصل فيه من التاذي بكونهم عيروه
بالفقر فقال تعالى فان مع العسر يسرا وعطفه باللقاء اي لا يحزنك ما عيروك
به من الفقر فان مع ذلك يسرا عاجلا اي في الدنيا فانجز له ما وعده فلم يمت
حتى فتح عليه الحجاز واليمن ووسع ذات يده حتى كان يعطي الرجل المائتين من
الابل ويهب الهبات السنية ويعد لاهله قوت سنة وهذا وان كان خاصا
بالنبي صلى الله عليه وسلم فقد يدخل فيه بعض امته صلى الله عليه وسلم ان شا
الله تعالى ثم ابتدا فصلا اخر من امر الاخرة فقال ان مع العسر يسرا وهذا شي
اخر والدليل على ابتدائه تعديه من فا او واو وغيرهما من حروف النسق التي
تدخل على العطف فهذا وعد عام لجميع المومنين ان مع العسر يسرا للمومنين يسرا
في الاخرة لا محالة وربما اجتمع يسر الدنيا ويسر الاخرة **قوله تعالى**
فاذا فرغت ‌، العامة على فتح الرا من فرغت وهي الشهيرة وقراها ابو السماك
مكسورة وهي لغة فيه ‌، قال الزمخشري وليست بالفصيحة ‌، وقال الزمخشري
فان قلت كيف تعلق قوله تعالى فاذا فرغت فانصب بما قبله ‌، قلت
لما عدد عليه نعمه السالفة ووعده نعمه على الشكر والاجتهاد في العبادة
عن ابن عباس رضي الله عنه فاذا فرغت من صلاتك فانصب في الدعا والعامة
على فتح الصاد وسكون البا امرا من النصب ‌، وقرى بتشديد البا مفتوحة
امرا من الانصباب وكذا قرى بكسر الصاد ساكنة البا امرا من النصب بسكون
الصاد ‌، قال شهاب الدين ولا اظن الاولى الا تصحيفا ولا الثانية الا تحريفا
فانها تروى عن الامامية وتفسيرها فاذا فرغت من النبوة فانصب الخليفة
قال ابن عطية وهي قراءة ضعيفة شاذة لم تثبت عن عالم ‌، وقال الزمخشري
ومن البدع ما روي عن بعض الرافضة انه قرا فانصب بكسر الصاد اي انصب
عليا للامامة ولو صح هذا للرافضي لصح للناصبي ان يقراها هكذا ويجعله امرا بالنصب
الذي هو بغض علي وعداوته قال ابن مسعود اذا فرغت من الفرائض

فانصب في قيام الليل ‌، وقال الكلبي اذا فرغت من تبليغ الرسالة فانصب اي استغفر
لذنبك وللمومنين والمومنات ‌، وقال الحسن وقتادة فاذا فرغت من جهاد عدوك
فانصب لعبادة ربك **قوله تعالى** والى ربك فارغب ‌، من الرغبة ‌، وقرا
زيد بن علي وابن ابي عبلة فرغب بتشديد الغين امرا من رغبه بالتشديد اي فرغب
الناس الى طلب ما عنده ‌، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرا الم نشرح لك صدرك فكانما جاني وانا مغتم
ففرج عني
والله اعلم

سورة والتين مكية

وقال ابن عباس وقتادة مدنية ‌، وهي ثمان ايات ‌، واربع وثلاثون
كلمة ومائة وخمسون حرفا ‌، بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** والتين
والزيتون ‌، قال ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة وابرهيم النخعي وعطا بن ابي
رباح وجابر بن زيد ومقاتل والكلبي هو تينكم الذي تاكلون وزيتونكم الذي
تعصرون منه الزيت قال تعالى وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ
للاكلين ‌، ومن خواص التين انه غذا وفاكهة وهو سريع الهضم لا يمكث في
المعدة ويقلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل ما في المثانة من الرمل ويسمن البدن
ويفتح مسام الكبد والطحال ‌، وروى ابو ذر رضي الله عنه انه اهدي للنبي صلى
الله عليه وسلم سل من تين فاكل منه وقال لاصحابه كلوا فلو قلت ان فاكهة نزلت
من الجنة لقلت هذا لان فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فانها تقطع البواسير وتنفع
من النقرس ‌، وعن علي بن موسى الرضا التين يزيل نكهة الفم ويطول الشعر وهو امان
من الفالج ‌، واما الزيتون فشجرته هي الشجرة المباركة ‌، وعن معاذ رضي الله
عنه انه استاك بقضيب من زيتون وقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول
نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب الحفر وهي سواكي
وسواك الانبيا من قبلي ‌، وعن ابن عباس رضي الله عنه التين مسجد نوح عليه السلام
الذي بني على الجودي والزيتون بيت المقدس ‌، وقال الضحاك التين المسجد الحرام
والزيتون المسجد الاقصى ‌، وقال ابن زيد التين مسجد دمشق والزيتون مسجد
بيت المقدس ‌، وقال قتادة التين الجبل الذي عليه دمشق والزيتون الجبل
الذي عليه بيت المقدس ‌، وقال محمد بن كعب رضي الله عنه التين مسجد اصحاب
الكهف والزيتون مسجد ايليا ‌، وقال عكرمة وابن زيد التين دمشق والزيتون
بيت المقدس وهذا اختيار الطبري ‌، وقيل هما جبلان بالشام يقال لهما طور
زيتا وطور تينا بالسريانية سميا بذلك لانهما منبتا التين والزيتون ‌، قال
القرطبي والصحيح الاول لانه الحقيقة فلا يعدل عنه الى المجاز الا بدليل **قوله
تعالى** وطور سينين ‌، الطور جبل وسينين اسم مكان فاضيف الجبل للمكان الذي هو
به ‌، قال الزمخشري ونحو سينون بيرون في جواز الاعراب بالواو واليا والاقرار
على اليا وتحريك النون بحركات الاعراب ‌، وقال ابو البقا هو لغة في سينا انتهى وقرا
العامة بكسر السين وابن اسحق وعمرو بن ميمون وابو رجا بفتحها وهي لغة بكر وتميم
وقرا عمر بن الخطاب وعبيد الله والحسن وطلحة سينا بالكسر والمد وعمر ايضا وزيد
ابن علي بفتحها والمد قال عمرو بن ميمون صليت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه العشا

ابن

بمكة فقرا والتين والزيتون وطور سينا وهذا البلد قال وهكذا في قراة عبد الله
ورفع صوته تعظيما للبيت وقرا في الثانية بالم تر كيف فعل ربك ولايلاف قريش
جمع بينهما ذكره ابن الانباري وقد تقدم في المومنين وهذه لغات اختلفت في
هذا الاسم السرياني على عادة العرب في تلاعبها بالاسما الاعجمية وقال الاخفش
سينين شجر الواحدة سينينة وهو غريب جدا غير معروف عند اهل التفسير وعن
مجاهد وطور جبل سينين اي مبارك بالسريانية وهو قول قتادة والحسن وعن
ابن عباس سينين اي حسن بلغة الحبشة وعن عكرمة قال هو الجبل الذي نادى
الله تعالى منه موسى عليه السلام وقال مقاتل والكلبي سينين كل جبل فيه شجر
مثمر وهو سينين وسينا بلغة النبط وقال ابو علي سينين فعليل فكررت اللام
التي هي نون فيه كما كررت في زحليل للمكان الزلق وكرديد للقطعة من التمر وخنديد
للطويل ولم ينصرف سينين كما لا ينصرف سينا لانه جعل اسما للبقعة او ارض ولو
جعل اسما للمكان او للمنزل او اسم مذكر لانصرف لانك سميت مذكرا بمذكر
وانما اقسم بهذا الجبل لانه بالشام والارض المقدسة وقد باركه الله تعالى كما
قال تعالى الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله ولا يجوز ان يكون سينين
نعتا للطور لاضافته اليه **قوله تعالى** وهذا البلد الامين يعني مكة والامين
هذا فعيل للمبالغة اي امن من فيه ومن دخله من انس وطير وحيوان ويجوز
ان يكون من امن الرجل بضم الميم امانة فهو امين وامانته حفظه من دخله كما يحفظ
الامين ما يوتمن عليه ويجوز ان يكون بمعنى مفعول من امنه لانه مامون الغوائل
كما وصف بالامن في قوله تعالى حرما امنا يعني ذا امن قال القرطبي اقسم الله
تعالى بجبل دمشق لانه ماوى عيسى عليه السلام وبجبل بيت المقدس لانه مقام
الانبيا وبمكة لانها اثر ابرهيم ودار محمد عليه الصلاة والسلام **قوله تعالى**
لقد خلقنا الانسان هذا جواب القسم واراد بالانسان الكافر قيل هو الوليد
ابن المغيرة وقيل كلدة بن اسيد فعلى هذا نزلت في منكري البعث وقيل
المراد بالانسان ادم عليه السلام وذريته **قوله** في احسن تقويم صفة
لمحذوف اي في تقويم احسن تقويم وقال ابو البقا في تقويم في موضع الحال
من الانسان واراد بالتقويم القوام لان التقويم فعل وذلك وصف للخالق
لا للمخلوق ويجوز ان يكون التقدير في احسن قوام التقويم فحذف المضاف
ويجوز ان يكون في زايدة اي قومناه احسن تقويم انتهى **فصل** قال
المفترون احسن تقويم هو اعتداله واستوا شبابه لانه خلق كل شي مكبا على وجهه شبابه صح
وخلق هو مستويا وله لسان ذلق وله اصابع يقبض بها قال ابن العربي ليس لله
تعالى خلق احسن من الانسان فان الله تعالى خلقه حيا عالما قادرا مريدا
متكلما سميعا بصيرا مدبرا حكيما وهذه صفات الله تعالى جلت قدرته سبحانه وتعالى
وعبر عنها بعض العلما ووقع البيان بقوله ان الله تعالى خلق ادم عليه السلام
على صورته يعني على صفاته المقدم ذكرها وفي رواية على صورة الرحمن ومن
اين يكون للرحمن صورة متشخصة فلم يبق الا ان يكون معاني روي ان عيسى بن موسى
الهاشمي كان يحب زوجته حبا شديدا فقال لها يوما انت طالق ثلاثا ان لم تكوني
احسن من القمر فنهضت واحتجبت عنه وقالت طلقتني فبات بليلة عظيمة فلما اصبح

غدا

غدا الى دار المنصور فاخبره الخبر فاستحضر الفقها واستفتاهم فقال جميع من حضر قد طلقت
الا رجلا واحدا من اصحاب ابي حنيفة فانه كان ساكتا فقال له المنصور ما لك لا تتكلم
فقال له الرجل بسم الله الرحمن الرحيم والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين
لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم يا امير المومنين فالانسان احسن الاشيا ولا شي
احسن منه فقال المنصور لعيسى بن موسى الامر كما قال الرجل فاقبل على زوجتك وارسل
المنصور الى زوجته ان اطيعي زوجك فما طلقك وهذا يدل على ان الانسان احسن
خلق الله تعالى ولذلك قالت الفلاسفة انه العالم الاصغر اذ كل ما في المخلوقات
اجتمع فيه **قوله تعالى** ثم رددناه اسفل سافلين يجوز في اسفل سافلين وجهان
احدهما انه حال من المفعول والثاني انه صفة لمكان محذوف اي مكانا اسفل سافلين
وقرا عبد الله السافلين معرفا **فصل** قال ابن عباس رضي الله عنه يريد ارذل
العمر وهو الهرم بعد الشباب والضعف بعد القوة قال ابن قتيبة السافلون هم
الضعفا الزمنا ومن لم يستطع حيلة تقول سفل يسفل فهو سافل وهم سافلون كما تقول
علا يعلو فهو عال وهم عالون وعن مجاهد وابي العالية اسفل سافلين الى النار يعني
الكافر قال علي رضي الله عنه ابواب جهنم بعضها اسفل من بعض فيبدا بالاسفل فيملا وهو
اسفل السافلين وهو على هذا التقدير ثم رددناه الى اسفل او في اسفل السافلين **قوله**
الا الذين امنوا فيه وجهان احدهما متصل على ان المعنى رددناه اسفل من سفل خلقا
وتركيبا يعني اقبح من اقبح خلقه واشوهه صورة وهم اهل النار فالاتصال على هذا
واضح والثاني انه منقطع على ان المعنى ثم رددناه بعد ذلك التقويم والتحسين
اسفل من سفل في حسن الصورة والشكل حيث نكساه في خلقه فقوس ظهره وضعف
بصره وسمعه والمعنى ولكن الذين كانوا صالحين من الهرمى فلهم ثواب دايم على طاعتهم
وصبرهم على الابتلا بالشيخوخة ومشاق العبادة قاله الزمخشري ملخصا وقال اسفل
سافلين على الجمع لان الانسان في معنى جمع قال الفرا ولو قال اسفل سافل جاز لان
لفظ الانسان واحد وتقول هذا افضل قايم ولا تقول افضل قايمين لانك تضمر
لواحد فان كان الواحد غير مقصود له رجع اسمه بالتوحيد والجمع لقوله تعالى
والذي جا بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون وقوله تعالى واذا اذقنا
الانسان منا رحمة فرح بها وان تصبهم **قوله** فلهم اجر غير ممنون قال الضحاك
اجر بغير عمل وقيل غير مقطوع اي لا يمن به عليهم **قوله تعالى** فما يكذبك
بعد بالدين ما استفهامية في محل رفع بالابتدا والخبر الفعل بعدها والمخاطب
الانسان على طريقة الالتفات توبيخا والزاما للحجة والمعنى فما يجعلك كاذبا
بسبب الدين وانكاره وقد خلقتك في احسن تقويم وانه يردك الى ارذل العمر
وينقلك من حال الى حال فما الذي يحملك بعد هذا الدليل يعني انك تكذب
اذا كذبت بالجزا لان كل مكذب بالحق فهو كاذب فاي شي يضطرك الى ان تكون
كاذبا بسبب الجزا والبا مثلها في قوله تعالى على الذين يتولونه والذين هم به
مشركون وقيل المخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى هذا القول
المعنى فماذا الذي يكذبك فيما تخبر به من الجزا والبعث وهو الدين بعد هذه
العبر التي توجب النظر فيها صحة ما قلت قاله الفرا والاخفش **قوله تعالى**
اليس الله باحكم الحاكمين اي اتقن الحاكمين صنعا في كل ما خلق واذا اثبتت القدرة

والحكمة بهذه الدلالة صح القول بامكان الحشر ووقوعه اما الامكان فبالنظر الى القدرة واما الوقوع فبالنظر الى الحكمة لان عدم ذلك يقدح في الحكمة كما قال تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما باطلا وقيل احكم الحاكمين قضاء بالحق وعدلا بين الخلق والف الاستفهام اذا دخلت على النفي في الكلام صار ايجابا كقوله الستم خير من ركب المطايا قيل هذه الاية منسوخة باية السيف وقيل هي ثابتة لانه لا تنافي بينهما وكان ابن عباس وعلي بن ابي طالب رضي الله عنهما اذا قرآ اليس الله باحكم الحاكمين قالا بلى وانا على ذلك من الشاهدين وعن ابي هريرة رضي الله عنه من قرأ سورة والتين والزيتون فقرأ اليس الله باحكم الحاكمين فليقل بلى وانا على ذلك من الشاهدين قال القاضي هذه الاية من اقوى الدلائل على انه تعالى لا يفعل القبيح ولا يخلق افعال العباد مع ما فيها من السفه والظلم لانه تعالى احكم الحكما فلا يفعل افعال السفها واجيب بالمعارضة بالعلم والداعي ثم نقول السفيه من قامت السفاهة به لا من خلق السفاهة كما ان المتحرك من قامت الحركة به لا من خلقها والله اعلم

سورة العلق مكية

وهي اول ما نزل من القران في قول ابي موسى وعايشة رضي الله عنها وقيل اول ما نزل الفاتحة ثم سورة العلق وهي عشرون اية واثنان وسبعون كلمة ومايتان وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** اقرا العامة على سكون الهمزة امرا من القراة وقرا عاصم في رواية الاعشى بفتح الراء كانه قلب الهمزة الفا كقولهم قرا تري نحو سعى يسعى فلما امر منه حذف الالف على حد حذفها من اسع وهذا كقول زهير والا بيد بالظلم يظلم وقد تقدم تحريره **قوله** باسم ربك يجوز فيه اوجه احدها ان تكون البا للحال اي اقرا مفتتحا باسم ربك قل بسم الله الرحمن الرحيم ثم اقرا قاله الزمخشري الثاني ان البا مزيدة والتقدير اقرا اسم ربك كقوله سود المحاجر لا يقرأن بالسور وقيل الاسم صلة اي اذكر ربك قالهما ابو عبيدة الثالث ان البا للاستعانة والمفعول محذوف تقديره اقرا ما يوحى اليك مستعينا باسم ربك الرابع انها بمعنى على اي اقرا على اسم ربك كما في قوله تعالى وقال اركبوا فيها بسم الله قاله الاخفش وقد تقدم في اول الكتاب لم قدم هذا الفعل على الجار وقد اخر في بسم الله الرحمن الرحيم وتحريج الناس له فاغنى عن اعادته

فصل

قال اكثر المفسرين هذه السورة اول ما نزل من القران نزل بها جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم وهو قائم على حرا فعلمه خمس ايات من هذه السورة وقال جابر بن عبد الله اول ما نزل يا ايها المدثر وقال ابو ميسرة الهمداني اول ما نزل فاتحة الكتاب وقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه اول ما نزل من القران قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم قال القرطبي والصحيح الاول قالت عايشة رضي الله عنها اول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم الرويا الصادقة فجاءه الملك فقال اقرا باسم ربك الذي خلق خرجه البخاري وروت عايشة رضي الله عنها انها اول سورة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بعدها ن والقلم ثم بعدها

يا ايها المدثر ثم بعدها والضحى ذكره الماوردي ومعنى قوله اقرا اي اقرا ما انزل عليك من القران مفتتحا باسم ربك وهو ان تذكر التسمية في ابتدا كل سورة او اقرا على اسم ربك على ما تقدم من الاعراب **قوله تعالى** الذي خلق خلق الانسان يجوز ان يكون خلق الثاني تفسيرا لخلق الاول يعني ابهمه اولا ثم فسره ثانيا بخلق الانسان تفخيما لخلق الانسان ويجوز ان يكون حذف المفعول من الاول تقديره خلق كل شي لانه مطلق فيتناول كل مخلوق وقوله تعالى خلق الانسان تخصيص له بالذكر من بين ما يتناوله الخلق لان التنزيل اليه ويجوز ان يكون تاكيدا لفظيا فيكون قد اكد الصلة وحدها كقولك الذي قام قام زيد والمراد بالانسان الجنس ولذلك قال تعالى من علق جمع علقة لان كل واحد مخلوق من علقة كما في الاية الاخرى والعلقة الدم الجامد واذا جرى فهو المسفوح وذكر العلق بلفظ الجمع لانه اراد بالانسان الجمع وكلهم خلقوا من علق بعد النطفة والعلقة قطعة من دم رطب سميت بذلك لانها تعلق بما تمر عليه لرطوبتها فاذا جفت لم تكن علقة وخص الانسان بالذكر تشريفا له وقيل اراد ان يبين قدر نعمته عليه بان خلقه من علقة مهينة حتى صار بشرا سويا عاقلا مميزا وقوله تعالى الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم قريب من قوله خلق خلق الانسان فاغنى عن اعادته

فصل

قال ابن الخطيب فان قيل لما وجب شرعية التسمية في المباح كالاكل فالجواب انه يضيف ذلك الى الله تعالى ليدفع ببركة اسمه الاذى والضرر او ليدفع شركة الشيطان ولانه انما استعان بذلك المباح على الطاعة فيصير طاعة وقال هنا باسم ربك وفي التسمية المعروفة بسم الله الرحمن الرحيم لان الرب من صفات الفعل وهي تستوجب العبادة بخلاف صفة الذات فافاد الرب هنا معنيين احدهما اني ربيتك فلزمك الفعل فلا تتكاسل والثاني ان الشروع ملزم للاتمام وقد ربيتك منذ كنت علقة الى الان فلم اضيعك وقال هنا ربك وقال في موضع اخر الذي اسرى بعبده كانه قال يقول سبحانه هو لي وانا له كقوله صلى الله عليه وسلم علي مني وانا منه لان النعم واصلة مني اليك ولم يصل الى منك خدمة فاقول انا لك ثم لما اتيت بالعبادات وشكرت بالطاعات قال سبحان الذي اسرى بعبده فقوله تعالى الذي خلق كالدليل على الربوبية كانه تعالى يقول الدليل على اني ربك انك لما كنت معدوما بذاتك وصفاتك خلقتك وربيتك ويحتمل ان يكون المعنى الذي حصل منه الخلق **قوله تعالى** اقرا وربك الاكرم فقوله تعالى اقرا تاكيد له وتم الكلام ثم استانف فقال تعالى وربك الاكرم اي الكريم وقال الكلبي يعني الحليم عن جهل العباد فلم يعجل بعقوبتهم وقرا اقرا اولا لنفسك والثاني للتبليغ او الاول للتعليم من جبريل عليه السلام والثاني للتعليم او اقرا في صلاتك وقيل اقرا وربك اي اقرا يا محمد وربك يعينك ويفهمك وان كنت غير قارئ **قوله تعالى** الذي علم بالقلم يعني الخط والكتابة اي علم الانسان الخط بالقلم قال قتادة العلم نعمة من الله تعالى عظيمة ولولا ذلك لم يقم دين ولم يصلح عيش فدل على كمال كرمه سبحانه بانه علم عباده ما لم يعلموا ونقلهم من ظلمة الجهل الى نور العلم ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة التي لا يحيط بها الا هو وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت اخبار الاولين ولا كتب الله المنزلة الا

حين كنت علقة بلطف وقدرت خلقا نفيسا بارزا موحدا كيف اضيعك
م

الا بالكتابة وسمي قلما لانه يقلم ومنه تقليم الظفر وروي عبد الله بن عمر
رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله اكتب ما اسمع منك من الحديث قال نعم
فاكتب فان الله تعالى علم بالقلم ويروى ان سليمان عليه السلام سال عفريتا
عن الكلام فقال ريح لا يبقى قال فما قيده قال الكتابة وروى مجاهد عن ابن
عمر رضي الله عنه قال خلق الله تعالى اربعة اشياء بيده ثم قال تعالى لسائر
الحيوان كن فكان القلم والعرش وجنة عدن وادم عليه السلام
وفيمن علمه بالقلم ثلاثة اقوال احدها قال كعب الاحبار اول من كتب بالقلم
ادم عليه السلام وثانيها قال الضحاك اول من كتب ادريس عليه السلام الثالث
انه جميع من كتب بالقلم لانه ما علم الا بتعليم الله تعالى قال القرطبي الاقلام
ثلاثة في الاصل القلم الاول الذي خلقه الله تعالى بيده وامره ان يكتب
والقلم الثاني قلم الملائكة الذي يكتبون به المقادير والكوائن والاعمال
والقلم الثالث اقلام الناس يكتبون بها كلامهم ويصلون بها الى مآربهم وروى
عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تسكنوا نساءكم الغرف ولا تعلموهن الكتابة قال بعض العلماء وانما حذرهم النبي
صلى الله عليه وسلم عن ذلك لان في اسكانهن الغرف تطلعا على الرجال وليس في
ذلك تحصين لهن ولا تستر وذلك انهن لا يملكن انفسهن حتى يشرفن على الرجال
فتحدث الفتنة فحذر من ان يجعلوا لهن غرفا داعية الى الفتنة لقوله عليه
الصلاة والسلام ليس للنساء خير لهن من ان لا يراهن الرجال ولا يرون الرجال
وذلك انها خلقت من اصل الرجل فهمتها في الرجل والرجل خلقت فيه الشهوة وجعلت
سكنا له فكل واحد منهما غير مأمون على صاحبه وكذلك تعليم الكتابة ربما
كانت سببا للفتنة لانها اذا علمت الكتابة كتبت الى من تهوى والكتابة عين
من العين بصر الشاهد الغائب والخط اثار يده وفيها تعبير عن الضمير بما لا
ينطق به اللسان فهو ابلغ من اللسان فاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يقطع عنهن اسباب الفتنة تحصينا لهن وطهارة لقلوبهن **قوله تعالى**
علم الانسان ما لم يعلم قيل الانسان هنا ادم عليه السلام علمه اسماء كل شيء
قال تعالى وعلم ادم الاسماء كلها وقيل الانسان هنا الرسول عليه الصلاة
والسلام لقوله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وعلى هذا فالمراد تعلم المستقبل
لان السورة من اول ما نزل وقيل عام لقوله تعالى والله اخرجكم من بطون
امهاتكم لا تعلمون شيئا ولانه تعالى بين انه خلقه من نطفة وانعم عليه بالنعم
المذكورة ثم ذكر انه اذا زاد عليه في النعمة فانه يطغى ويتجاوز الحد في المعاصي
واتباع هوى النفس وذلك وعيد وزجر عن هذه الطريقة **قوله تعالى**
كلا ان الانسان ليطغى الى اخر السورة قيل انه نزل في ابي جهل نهى النبي صلى
الله عليه وسلم عن الصلاة فامر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ان يصلي
في المسجد ويقرأ باسم الرب تبارك وتعالى وعلى هذا فليست السورة من اول
ما نزل ويجوز ان يكون خمس ايات من اولها اول ما نزل ثم نزلت البقية في
شأن ابي جهل وامر النبي صلى الله عليه وسلم بضم ذلك الى اول السورة لان تأليف
السور انما كان بامر الله تعالى الا ترى ان قوله تعالى واتقوا يوما

ترجعون

كن ص

ترجعون فيه الى الله اخر ما نزل ثم هو مضموم الى ما نزل قبله بزمان طويل وكلا بمعنى حقا
قاله الجرجاني لانه ليس قبله ولا بعده شيء يكون كلا ردا له كما قالوا في كلا والقمر
فانهم قالوا معناه اي والقمر وقيل انه ردع وزجر لمن كفر نعمة الله بطغيانه وان
لم يذكر لدلالة الكلام عليه وقال مقاتل معناه كلا لا يعلم الانسان ان الله تعالى
هو الذي خلقه من العلقة وعلمه بعد الجهل لانه عند صيرورته غنيا يطغى ويتكبر
ويصير مستغرق القلب في حب الدنيا فلا يتفكر في هذه الاحوال ولا يتأمل فيها
قوله ان رآه ان مفعول له اي لرؤيته نفسه مستغنيا وتعدى الفعل هنا الى
ضميريه المتصلين لان هذا من خواص هذا الباب قال الزمخشري ومعنى الرؤية
العلم ولو كانت بمعنى الابصار لامتنع في فعلها الجمع بين الضميرين واستغنى هو المفعول
الثاني قال شهاب الدين والمسألة فيها خلاف ذهب جماعة الى ان رأى البصرية
تعطى حكم العلمية وجعل من ذلك قول عائشة رضي الله عنها لقد رأيتنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم وما لنا طعام الا الاسودان وانشد
ولقد اراني للرماح دريئة ... من عن يميني تارة وامامي
وتقدم تحقيقه وقرأ قنبل بخلاف عنه رأه دون الف بعد الهمزة وهو
مقصور من رآه في قراءة العامة ولا شك ان الحذف في مثله جاء قليلا كقولهم
اصاب الناس جهد ولو تر اهل مكة بحذف لام ترى وقول الاخر وصاني العجاج
فيما وصني يريد فيما وصاني ولما روى ابن مجاهد هذه القراءة عن قنبل قال
قرأت بها عليه نسبه فيها الى الغلط ولا ينبغي ذلك لانه اذا ثبتت قراءة ولها وجه
وان كان غيره اشهر منه فلا ينبغي ان يقدم على تغليطه **فصل** قال ابن عباس
في رواية ابي صالح لما نزلت هذه الاية وسمع بها المشركون اتاه ابو جهل فقال
يا محمد اتزعم انه من استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة ذهبا لعلنا نأخذ منها فنطغى
فندع ديننا ونتبع دينك قال فاتاه جبريل عليه السلام فقال يا محمد خيرهم
في ذلك فان شاؤوا فعلنا بهم ما ارادوه فان لم يفعلوا فعلنا بهم كما فعلنا
باصحاب المائدة فعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم لا يقبلون ذلك فكف
عنهم اسفا عليهم وقيل ان رآه استغنى بالعشيرة والانصار والاعوان وحذف
اللام من قوله ان رآه كما يقال انكم لتطغون ان رأيتم غناكم **قوله تعالى**
ان الى ربك الرجعى هذا الكلام وقع على طريقة الالتفات الى الانسان تهديدا
له وتحذيرا من عاقبة الطغيان والمعنى ان من رجع من هذا وصفه الى الله تعالى
فيجازيه والرجعى والمرجع والرجوع مصادر يقال رجع اليه رجوعا ومرجعا
ورجعى على وزن فعلى **قوله تعالى** ارأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى تقدم
الكلام على ارأيت الذي ينهى وقال الزمخشري هنا فان قلت ما متعلق ارأيت
قلت الذي ينهى مع الجملة الشرطية وهما في موضع المفعولين فان قلت فاين جواب
الشرط قلت هو محذوف تقديره الا كان على الهدى او امر بالتقوى الم يعلم بان
الله يرى وانما حذف لدلالة ذكره في جواب الشرط الثاني فان قلت كيف
صح ان يكون الم يعلم جوابا للشرط قلت كما صح في قولك ان اكرمتك اتكرمني وان
احسن اليك زيد هل تحسن اليه فان قلت فما ارأيت الثانية وتوسطها بين
مفعولي ارأيت قلت هي زائدة مكررة للتوكيد قال شهاب الدين اعلم ان ارأيت

لا يكون مفعولها الثاني إلا جملة استفهامية كقوله تعالى قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله
إلى آخرها، ومثله كثير وههنا أرأيت ثلاث مرات وقد صرح بعد الثالثة منها
بجملة استفهامية فتكون في موضع المفعول الثاني لها ومفعولها الأول محذوف وهو
ضمير يعود على الذي ينهى عبدا الواقع مفعولا أول لأرأيت الأولى ومفعول أرأيت
الأولى الذي هو الثاني محذوف وهو جملة استفهامية كالجملة الواقعة بعد أرأيت
الثالثة وأما أرأيت الثانية فلم يذكر لها مفعول لا أول ولا ثان حذف الأول
لدلالة المفعول من أرأيت الأولى عليه وحذف الثاني لدلالة مفعول أرأيت الثالثة
عليه فقد حذف الثاني من الأولى والأول من الثالثة والاثنان من الثانية
وليس طلب كل من أرأيت للجملة الاستفهامية على سبيل التنازع لأنه يستدعي إضمارا والجمل
لا تضمر إنما يضمر المفردات وإنما ذلك من باب الحذف للدلالة، وأما الكلام على
الشرط مع أرأيت هذه فقد تقدم في الأنعام وجوّز الزمخشري وقوع جواب الشرط
استفهاما بنفسه لا يجوز بل نصوا على وجوب ذكر الفاء في مثله وإن ورد شيء فهو ضرورة
قاله القرطبي وقيل كل واحد من أرأيت بدل من الأول وألم يعلم بأن الله يرى **فصل**
قال المفسرون الذي ينهى أبو جهل وقوله تعالى عبدا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
قال أبو جهل لئن رأيت محمدا لأطأن على عنقه ثم إنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الصلاة فنكص على عقبيه فقالوا له ما لك يا أبا الحكم فقال إن بيني وبينه لخندقا
من النار وهولا شديدا قال أبو هريرة رضي الله عنه فأنزل الله تعالى هذه الآيات
تعجبا منه، وعن الحسن أنه أمية بن خلف كان ينهى مسلما عن الصلاة، وقيل في الكلام
حذف والمعنى أمن هذا الناهي عن الصلاة عن العقوبة **قوله** أرأيت إن كان على الهدى
أو أمر بالتقوى، أي أرأيت يا أبا جهل إن كان محمد صلى الله عليه وسلم على هذه الصفة
أليس ناهيه عن الصلاة والتقوى هالكا **قوله تعالى** أرأيت إن كذب وتولى
يعني أبا جهل كذب بكتاب الله وأعرض عن الإيمان، وقال الفراء أرأيت الذي ينهى عبدا
إذا صلى وهو على الهدى آمر بالتقوى والناهي مكذب متول عن الذكر فما أعجب هذا
ثم يقول ويله ألم يعلم أبو جهل بأن الله يرى أي يراه ويعلم فعله فهو تقريع وتوبيخ
قال ابن الخطيب هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم على سبيل التعجب وفي وجه هذا
التعجب وجوه أحدها أنه صلى الله عليه وسلم قال اللهم أعز الإسلام إما بأبي جهل
أو بعمر فقيل أمثل هذا يعز الإسلام وهو ينهى عبدا عن الصلاة إذا صلى، الثاني أنه
كان يلقب بأبي الحكم فقيل اللقب لهذا وهو ينهى عن الصلاة، الثالث أنه كان ذم
يأمر وينهى ويعتقد وجوب طاعته ثم إنه ينهى عن طاعة الرب تبارك وتعالى
وهذا عين الحماقة والتنكير في عبدا يدل على التعظيم كأنه قيل إنه ينهى أشد الخلق عبودية
عن العبادة وهذا عين الجهل ولهذا لم يقل ينهاك، وأيضا فإن هذا يدل على أن هذه
عادته ودأبه فهو أبلغ في الذم وأيضا فهذا عام في كل من ينهى عن الصلاة روي
عن علي رضي الله عنه أنه رأى أقواما يصلون قبل صلاة العيد فقال ما رأيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك فقيل له ألا تنهاهم فقال أخشى أن أدخل في
قوله تعالى أرأيت الذي ينهى عبدا إذا صلى فلم يصرح بالنهي عن الصلاة، وأيضا
فيه إخلال المنصب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن ينهاه رجل لا سيما مثل هذا **قوله**
كلا، ردع لأبي جهل ومنع عن نهيه عن عبادة الله تعالى أو كلا لن يصل أبو جهل إلى أن

يقتل

يقتل محمدا صلى الله عليه وسلم ويطأ عنقه، وقال مقاتل كلا لا يعلم أن الله يرى وإن
كان يعلم لكن إذا كان لا ينتفع بما صنعه يوم القيامة وليسحبنه بها إلى النار كقوله تعالى
فيؤخذ بالنواصي والأقدام فالآية وإن كانت في أبي جهل فهي عظة للناس وتهديد
لمن يمنع غيره عن الطاعة **قوله** لنسفعا، الوقف على هذه النون بالألف تشبيها لها
بالتنوين ولذلك تحذف بعد الضمة والكسرة وقفا وتكتب هنا ألفا اتباعا للوقف
وروي عن أبي عمرو لنسفعن بالنون الثقيلة والسفع الأخذ والقبض على الشيء
بشدة وجذبه يقال سفع بناصيته فرسه، قال عمرو بن معدي كرب م
قوم إذا سمعوا الصريخ رأيتهم ، ما بين ملجم مهره أو سافع ،
وقيل هو الأخذ بلغة قريش، وقال الراغب السفع الأخذ بسفعة الفرس أي بسواد
ناصيته وباعتبار السواد قيل للأثافي سفع وبه سفعة غضب اعتبارا بما يعلو من
اللون الدخاني وجه من اشتد به الغضب، وقيل للصقر أسفع لما فيه من لمع السواد
وامرأة سفعاء اللون انتهى، وفي الحديث فقامت امرأة سفعاء الخدين، وقيل هو
مأخوذ من سفعت النار والشمس إذا غيرت وجهه إلى حال تسويد، قال
أثافي سفعا في معرس مرجل ، ونؤي كجذم الحوض أثلم خاشع ، قال القرطبي وقيل
السفع الضرب أي ليلطمن وجهه وكله متقارب المعنى يجمع عليه الضرب عند الأخذ
ثم يجر إلى جهنم، وقرأ ابن مسعود لأسفعن أي يقول الله تعالى يا محمد أنا الذي
أتولى إهانته لقوله تعالى هو الذي أيدك بنصره، هو الذي أنزل السكينة
والناصية شعر مقدم الرأس وقد يعبر بها عن جملة الإنسان، وخص الناصية
بالذكر على عادة العرب فيمن أرادوا إذلاله وإهانته أخذوا بناصيته **قوله**
ناصية، بدل من الناصية بدل نكرة من معرفة، قال الزمخشري وجاز
بدلها من المعرفة وهي نكرة لأنها وصفت فاستقلت بفائدة، قال شهاب الدين
هذا مذهب الكوفيين لا يجيزون إبدال نكرة من غيرها إلا بشرط وصفها أو كونها
بلفظ الأول، ومذهب البصريين لا يشترط شيء، وأنشدوا ، فلا وأبيك خير
منك إني ليؤذيني التحمحم والصهيل ، وقرأ أبو حيوة وابن أبي عبلة وزيد بن علي
بنصب ناصية كاذبة خاطئة على الشتم، وقرأ الكسائي في رواية بالرفع على إضمار
هي ناصية ونسب الكذب والخطأ إليها مجازا، والألف واللام في الناصية قيل
عوض من الإضافة أي بناصيته، وقيل الضمير محذوف أي الناصية منه **فصل**
والمعنى لنأخذن بناصية أبي جهل كاذبة في قولها خاطئة في فعلها والخاطئ معاقب
مأخوذ والمخطئ غير مأخوذ، ووصفت الناصية بالكاذبة الخاطئة كوصف الوجوه
بالنظر في قوله تعالى إلى ربها ناظرة، وقيل إن صاحبها كاذب خاطئ كما يقال
نهاره صائم وليله قائم أي صائم في النهار وقائم في الليل، وإنما وصف الناصية
بالكاذبة لأنه كان كاذبا على الله تعالى في أنه لم يرسل محمدا صلى الله عليه وسلم
وكاذبا على رسوله صلى الله عليه وسلم في أنه ساحر أو كاذب أو ليس نبي ووصف
الناصية بأنها خاطئة بأن صاحبها متمرد على الله تعالى كما قال تعالى لا يأكله إلا
الخاطئون **قوله تعالى** فليدع ناديه، إما أن يكون على حذف مضاف
أي أهل ناديه أو على التجوز في نداء النادي لاشتماله على الناس كقوله تعالى واسأل
القرية والنادي والندي المجلس المتخذ للحديث، قال زهير، وفيهم مقامات

حسان وجوههم ، واندية يعتادها القول والفعل ، وقالت اعرابية هو سيد ناديه
وثمال عافيه ، وقال تعالى وتأتون في ناديكم المنكر ، قال ابو عبيدة ناديه اهل
مجلسه ولا يسمى المكان ناديا حتى يكون فيه اهله ، والمعنى فليدع عشيرته فليستنصر
بهم **قوله تعالى** سندع الزبانية ، قال الزمخشري الزبانية في كلام العرب
الشرط الواحد زبنية كعفرية من الزبن وهو الدفع ، وقيل زبني وكأنه نسب
الى الزبن ثم غير للنسب كقولهم امسي ، واصله زباني فقيل زبانية على التعويض
وقال عيسى بن عمر والاخفش واحدهم زابن ، وقيل هو اسم جمع لا واحد له من
لفظه كعباديد وشماطيط وابابيل ، والحاصل ان المادة تدل على الدفع ، قال
١٠ مطاعيم في القصوى مطاعين في الوغى ، زبانية عظام حلومها ، وقال
اخر ، ومستعجب مما يرى من اناتنا ، ولو زبنته الحرب لم يترمرم ، وقال عنترة
وقد زبنتنا الحرب وزبناها ، ومنه الزبون لانه يدفع من بايع الى اخر ، وقال
ابو الليث السمرقندي رحمه الله ومنه المزابنة في البيع لانهم يعملون بارجلهم
كما يعملون بايديهم ، وقرأ العامة سندع الزبانية بنون العظمة ولم ترسم بالواو
وقد تقدم نظيره نحو يدع الداع ، وقرأ ابن ابي عبلة سيدعى الزبانية مبنيا
للمفعول ورفع الزبانية لقيامها مقام الفاعل **فصل** قال ابن عباس
الملائكة الغلاظ الشداد ، وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه
السورة وبلغ الى قوله تعالى لنسفعا بالناصية قال ابو جهل انا ادعو قومي
حتى يمنعوا عني ربك قال الله تعالى فليدع ناديه سندع الزبانية فلما ذكر
الزبانية رجع فزعا فقيل له خشيت منه قال لا ولكن رأيت عنده فارسا
يهددني بالزبانية فلا ادري الزبانية ومال الي الفارس فخشيت منه ان
يأكلني ، قال ابن عباس رضي الله عنه والله لو دعا ناديه لاخذته ملائكة العذاب
من ساعته خرجه الترمذي بمعناه **قوله** كلا ، اي ليس الامر على ما يظنه
ابو جهل ، لا تطعه فيما دعاك اليه من ترك الصلاة ، واسجد اي صل لله
واقترب ، اي تقرب الى الله تعالى بالطاعة والعبادة ، وقيل المعنى اذا
سجدت اقترب من الله بالدعاء قال صلى الله عليه وسلم اما الركوع فعظموا فيه الرب
تبارك وتعالى واما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن ان يستجاب لكم وقال
صلى الله عليه وسلم اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فالسجود في قوله
تعالى واسجد واقترب يحتمل ان يكون بمعنى السجود في الصلاة ويحتمل ان
يكون سجود التلاوة في هذه السورة ، وقال ابن العربي والظاهر انه
سجود الصلاة لقوله تعالى ارأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى الى قوله كلا لا
تطعه واسجد واقترب لولا ما ثبت في صحيح مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال سجدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في اذا السماء انشقت وفي اقرأ
باسم ربك الذي خلق سجدتين وهذا نص ان المراد سجود التلاوة ، روى
الثعلبي عن ابي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ اقرأ باسم ربك فكأنما قرأ المفصل كله ، والله تعالى اعلم

سورة القدر مكية

في

في قول اكثر المفسرين ، وحكى الماوردي عكسه وذكر الواقدي انها اول سورة نزلت
بالمدينة وهي خمس ايات ، وثلاثون كلمة ، ومائة واثنا عشر حرفا ، بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى انا انزلناه ، اي القرآن اضمر للعلم به ، وفي ليلة القدر يجوز
ان يكون ظرفا للانزال ، والقرآن كله كالسورة الواحدة ، وقال تعالى شهر رمضان
الذي انزل فيه القرآن ، وقال تعالى انا انزلناه في ليلة مباركة يريد ليلة القدر
وقال الشعبي انا ابتدأنا انزاله في ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا
الى بيت العزة واملاه جبريل على السفرة ثم كان جبريل ينزل على النبي صلى الله عليه
وسلم نجوما وكان بين اوله واخره ثلاث وعشرون سنة ، وحكى الماوردي عن ابن
عباس رضي الله عنهما قال نزل القرآن في شهر رمضان وفي ليلة القدر وفي ليلة
مباركة جملة واحدة من عند الله من اللوح المحفوظ الى السفرة الكرام الكاتبين في السماء
الدنيا فنجمته السفرة على جبريل عشرين سنة ونجمه جبريل عليه السلام على النبي صلى الله
عليه وسلم عشرين سنة ، قال ابن العربي وهذا باطل ليس بين جبريل عليه السلام
وبين الله تعالى واسطة ولا بين جبريل عليه السلام ومحمد عليه الصلاة والسلام له
واسطة ، وقيل المعنى انزل في شأنها وفضلها وليست ظرفا وانما هو لقول عمر رضي الله
عنه خشيت ان ينزل في قرآن وقول عائشة رضي الله عنها لانا احقر في نفسي ان
ينزل في قرآن ، وسميت ليلة القدر اما للتقدير لان الله تعالى يقدر فيها
ما يشاء من امره الى السنة القابلة من امر الموت والاجل والرزق وغيره ويسلمه
الى مدبرات الامور من الملائكة وهم اسرافيل وميكائيل وعزرائيل وجبرائيل عليهم
السلام ، وعن ابن عباس ايضا ان الله تعالى يقضي الاقضية في ليلة نصف شعبان
ويسلمها الى اربابها في ليلة القدر ، واما لضيقها بالملائكة قال الخليل لان الارض
تضيق فيها بالملائكة لقوله تعالى ومن قدر عليه رزقه ، وقيل سميت بذلك لعظمها
وشرفها وقدرها من قولهم لفلان قدر اي شرف ومنزلة قاله الزهري
وغيره ، وقيل سميت بذلك لان للطاعة فيها قدرا عظيما وثوابا جزيلا وقيل
لانه انزل فيها كتابا ذا قدر على رسول ذي قدر على امة ذات قدر والقدر مقدم
والمراد ما يمضيه الله تعالى من الامور قال تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر
وهو بمعنى القدر الا انه بالتسكين مصدر وبالفتح اسم ، وقوله تعالى وما ادراك
ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر بين فضلها وعظمها وفضيلة الزمان
انما تكون بكثرة ما يقع فيه من الفضائل وفي تلك الليلة يقسم الخير الكثير الذي لا
يوجد مثله في الف شهر جميع الدهر لان العرب تذكر الالف لا تريد حقيقتها وانما
تريد المبالغة في الكثرة لقوله تعالى يود احدهم لو يعمر الف سنة يعني جميع الدهر
وقيل ان العابد فيما مضى كان لا يسمى عابدا حتى يعبد الله تعالى الف شهر فجعل الله
تعالى لامة محمد صلى الله عليه وسلم عبادة ليلة خيرا من الف شهر كانوا يعبدونها
وقال ابو بكر الوراق كان ملك سليمان عليه السلام خمسمائة شهر وملك ذي القرنين
خمسمائة شهر فصار ملكهما الف فجعل الله تعالى العمل في هذه الليلة لمن ادركها
خيرا من ملكهما ، وقال ابن مسعود رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر
رجلا من بني اسرائيل لبس السلاح الف شهر فعجب المسلمون من ذلك فنزلت هذه
الاية يعني خيرا من الف شهر التي لبس السلاح فيها في سبيل الله ونحوه عن ابن عباس

رضي الله عنه عنهم ۵ وقال مالك بن انس رضي الله عنه اري رسول الله صلى الله عليه وسلم
اعمار الناس فاستقصر اعمار امته فخاف ان لا يبلغوا من العمل مثل ما بلغ غيرهم
في طول العمر فاعطاه الله تعالى ليلة القدر وجعلها خيرا من الف شهر لساير الامم
وقال عكرمة وعروة ذكر النبي صلى الله عليه وسلم اربعة من بني اسرائيل فقال
عبدوا الله تعالى ثمانين سنة لم يعصوا الله تعالى طرفة عين ايوب وزكريا وحزقيل
ابن العجوز ويوشع بن نون فعجب اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك فاتاه
جبريل عليه السلام فقال يا محمد عجبت امتك من عبادة هولا النفر لم يعصوا الله تعالى
في طرفة عين فقد انزل الله تعالى عليك خيرا من ذلك ثم قرا انا انزلناه في ليلة
القدر الايات فسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم **قوله تعالى**
تنزل الملبكة ۵ اي تهبط من كل سما الى الارض ويومنون على دعا الناس الى وقت
طلوع الفجر ۵ وقوله تعالى والروح فيها ۵ يجوز ان يرتفع الروح بالابتدا والجار
بعده الخبر وان يرتفع بالفاعل عطفا على الملبكة ۵ وفيها متعلق بتنزل ۵ والمراد [عليه م]
بالروح جبريل عليه ۵ وحكى القشيري ان الروح صنف من الملبكة جعلوا حفظة على
سايرهم وان الملبكة لا يرونهم كما لا نرى نحن الملبكة ۵ وقال مقاتل هم اشرف
الملبكة واقربهم من الله تعالى ۵ وقيل هم جند من جند الله تعالى غير الملبكة رواه
ابن عباس حكاه الماوردي ۵ وقيل الروح خلق عظيم يقوم صفا والملبكة صفا
وقيل الروح الرحمة ينزل بها جبريل عليه السلام مع الملبكة في هذه الليلة على اهلها
بدليل قوله تعالى ينزل الملبكة بالروح من امره على من يشا من عباده اي بالرحمة
فيها اي في ليلة القدر **قوله تعالى** باذن ربهم ۵ يجوز ان يتعلق بتنزل وان
يتعلق بمحذوف على انه حال من المرفوع بتنزل اي ملتبس باذن ربهم اي بامره وقوله
تعالى من كل امر يجوز في من وجهان احدهما انها بمعنى اللام وتتعلق بتنزل اي
تنزل من اجل كل امر قضي الى العام القابل ۵ الثاني انها بمعنى البا اي تنزل بكل
امر فهي للتعدية قاله ابو حاتم ۵ وقرا العامة امر واحد الامور ۵ وقرا ابن
عباس وعكرمة والكلبي امرى مذكر امرا اي من اجل كل انسان ۵ كما
القرطبي وتاولها الكلبي على ان جبريل عليه السلام ينزل فيها مع الملبكة فيسلمون على
كل امرى مسلم فمن بمعنى على ۵ وقيل من اجل كل ملك وهو بعيد ۵ وقيل من كل
امر ليس متعلقا بتنزل انما هو متعلق بما بعده اي هي سلام من كل امر مخوف
وهذا لا يتم على ظاهره لان سلام مصدر لا يتقدم عليه معموله وانما المراد انه
متعلق بمحذوف يدل عليه هذا المصدر **قوله تعالى** سلام هي ۵ فيه
وجهان ۵ احدهما ان هي ضمير الملبكة وسلام بمعنى التسليم اي الملبكة ذات تسليم
على المومنين من مغيب الشمس حتى يطلع الفجر ۵ وقيل الملبكة يسلم بعضهم على بعض
فيها ۵ الثاني انها ضمير لليلة القدر ۵ وسلام بمعنى سلامة اي ليلة القدر
ذات سلامة من شي مخوف اي ليلة القدر سلامة وخير كلها لا شر فيها حتى
يطلع الفجر ۵ قال الضحاك لا يقدر الله تعالى في تلك الليلة الا السلامة
وقيل هي ذات سلامة من ان يوثر فيها شيطان في مومن ومومنة قاله
مجاهد ۵ وعلى التقديرين يجوز ان يرتفع سلام على انه خبر مقدم وهي مبتدا
موخر وهذا هو المشهور ۵ ويجوز ان يرتفع بالابتدا وهي فاعل عند الاخفش لانه

لا

لانه لا تشترط الاعتماد في عمل الوصف ۵ وقد تقدم ان بعضهم يجعل الكلام تاما على
قوله باذن ربهم ويتعلق كل امر بما بعده وتقدم ذلك وبيانه ۵ وقال ابو الفضل وقيل
المعنى هي سلام من كل امر او امرى اي سالمة مسلمة منه ۵ ولا يجوز ان يكون
سلام هذه اللفظة الظاهرة التي هي المصدر عاملا فيما قبله لامتناع تقدم
معمول المصدر على المصدر كما ان الصلة كذلك لا يجوز تقديمها على الموصول انتهى
وقد تقدم ان معنى ذلك عند هذا القايل ان يتعلق بمحذوف مدلول عليه بسلام فهو
تفسير معنى لا تفسير اعراب ۵ ومما يروى عن ابن عباس رضي الله عنه ان الكلام تم
عند قوله تعالى سلام ويبتدا بهي على انها خبر مبتدا والاشارة بذلك الى انها
ليلة السابع والعشرين لان لفظة هي سابعة وعشرون من كلم هذه السورة فلا ينبغي
ان يعتقد صحته لانه الغاز وتغيير لنظم افصح الكلام **قوله** حتى مطلع الفجر متعلق
بتنزل او بسلام وفيه اشكال للفصل بين المصدر ومعموله بالمبتدا الا ان يتوسع
في الجار ۵ وقرا الكسائي وابن محيصن مطلع بكسر اللام ۵ والباقون بالفتح والفتح
هو القياس والكسر سماع وله اخوات تحفظ فيها الكسر مما ضم مضارعه او فتح نحو المشرق
والمجزر والمغرب والمبيت والمسكن والمنسك والمحشر والمسقط ۵ قال القرطبي [كلها صح]
حكى في ذلك الفتح والكسر وهل هما مصدران والمفتوح مصدر والمكسور مكان خلاف
وعلى كل تقدير فالقياس في الفعل مطلقا مما ضمت عين مضارعه او فتحت فتح العين
وانما يقع الفرق في المكسور العين الصحيح نحو يضرب **فصل** اختلفوا في تفسير
ليلة القدر فالاكثرون على انها ليلة سبع وعشرين لحديث ابي بن كعب انها في العشر
الاواخر وانها ليلة سبع وعشرين ۵ وقال صلى الله عليه وسلم من كان متحريا ليلة القدر فليتحرها
ليلة سبع وعشرين ۵ وقال ابي بن كعب سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليلة
القدر ليلة سبع وعشرين ۵ وقال ابو بكر الوراق كرر ذكرها ثلاث مرات
وهي تسعة احرف فتكون سبعة وعشرين ۵ وقال عبيد بن عمير كنت ليلة السابع والعشرين
في البحر فاخذت من مايه فوجدته عذبا سلسلا ۵ وقال ابو هريرة وغيره هي
في ليالي السنة كلها واليه ذهب ابو حنيفة رحمه الله وعنه انها رفعت وانها انما
كانت مرة واحدة قال الخليل من قال ان فضلها لنزول القران يقول انقطعت والجمهور
على انها في كل عام من رمضان ۵ ثم اختلفوا فقيل هي ليلة احدى وعشرين واليه مال
الشافعي رحمه الله لحديث الما والطين ۵ وقيل ليلة الثاني والعشرين لما روى ابن
عمر رضي الله عنه ان رجلا قال يا رسول الله اني رايت ليلة القدر في سابعة
تبقى فقال صلى الله عليه وسلم ارى رؤياكم قد تواطات على ثلاث وعشرين فمن اراد
ان يقوم من الشهر شيا فليقم ليلة ثلاث وعشرين ۵ وقيل ليلة خمس وعشرين
لما روى مسلم عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
التمسوها في العشر الاواخر في تاسعة تبقى في سابعة تبقى في خامسة تبقى قال
مالك رضي الله عنه يريد بالتاسعة ليلة احدى وعشرين وبالسابعة ليلة ثلاث
وعشرين وبالخامسة ليلة خمس وعشرين ۵ وقيل سبع وعشرين وقد تقدم ۵ وقيل
ليلة تسع وعشرين لقول النبي صلى الله عليه وسلم ليلة القدر التاسعة والعشرون
او السابعة والعشرون ۵ وقال الحسن رضي الله عنه ارتقبت الشمس ليلة اربع وعشرين
عشرين سنة فرايتها تطلع بيضا لا شعاع لها يعني من كثرة الانوار تلك الليلة ۵ وروى

عن ابى بكر رضى الله عنه انها فى ليالى الافراد من النصف الاخير من شهر رمضان منتقلة
فى ليالى الجمع ونظمه محمد الاسيرى فقال هم

ثلاث شروط هن فى ليلة القدر ؛ كذا قال شيخ العرب فيه ابو بكر
فاولها وتر وليلة جمعة ؛ وثالثها النصف الاخير من الشهر

وقيل هى تنتقل فى جميع السنة قالوا والحكمة فى اخفائها ليجتهد الناس فى احيا جميع الليالى
كما اخفى رضاه بالطاعات حتى يرغبوا فى الكل واخفى ساعة الاجابة فى الدعا ليبالغوا
فى كل الساعات واخفى الاسم الاعظم ليعظموا كل الاسما واخفى الصلاة الوسطى ليحافظوا
على الكل واخفى قبول التوبة ليواظبوا على جميع اقسام التوبة واخفى وقت الموت
ليخاف الموت المكلف وكذا اخفى هذه الليلة ليواظبوا على جميع ليالى رمضان فصل
نقل القرطبى عن بعض العلما ان من علق طلاق امراته او عتق عبده بليلة القدر لم يقع
الطلاق والعتق الى مضى سنة من يوم حلف لانه لا يجوز ايقاع الطلاق بالشك ولم يثبت
اختصاصها بوقت فلا ينبغى وقوع الطلاق الا بمضى حول وفى هذا نظر لانه تقدم
عن ابى حنيفة فى احد قوليه انها رفعت فعلى هذا لا ينبغى ان يقع شى اصلا لوجود الخلاف
فى بقائها ؛ روى الثعلبى عن ابى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة القدر كان كمن صام رمضان واحيا ليلة القدر

سورة لم يكن مكية

فى قول يحيى بن سلام ومدنية فى قول الجمهور ؛ وهى ثمان ايات ؛ واربع وتسعون
كلمة ؛ وثلثمائة وتسعون حرفا ؛ بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** لم يكن
الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين ؛ هذه قراة العامة وخط المصحف ؛ وقرا
ابن مسعود رضى الله عنه لم يكن المشركون واهل الكتاب منفكين ؛ وهذه قراة على
التفسير ؛ قال ابن العربى وهى جائزة فى معرض البيان لا فى معرض التلاوة
فقد قرا النبى صلى الله عليه وسلم فى الصحيح فطلقوهن لقبل عدتهن وهو تفسير فان
التلاوة هو ما كان فى خط المصحف ؛ وقرئ والمشركون بالواو نسقا على الذين
كفروا **قوله** منفكين ؛ خبر يكون ومنفكين اسم فاعل من انفك وهى هنا التامة
فلذلك لم تحتج الى خبر ؛ وزعم بعضهم انها هنا ناقصة وان الخبر مقدر تقديره
منفكين عارفين محمدا صلى الله عليه وسلم ؛ قال ابو حيان وحذف خبر كان لا يجوز
اقتصارا ولا اختصارا وجعلوا قوله ؛ يبغى جوارك حين ليس مجير ؛ اى فى الدنيا
ضرورة ؛ ووجه من منع من ذلك انه قال صار الخبر مطلوبا من جهتين من جهة
كونه مخبرا به وهو احد جزئى الاسناد ومن حيث كونه منصوبا بالفعل وهذا منتقض
بمفعولى ظن فان كلا منهما فيه المعنيان المذكوران ومع ذلك يحذفان او احدهما
اختصارا ؛ واما الاقتصار ففيه خلاف وتفصيل تقدم ذكره **قوله** حتى تاتيهم
متعلقة بلم يكن او بمنفكين فصل قال الواحدى هذه الاية من اصعب
ما فى القران نظما وتفسيرا ولم يبين كيفية الاشكال ؛ قال ابن الخطيب ووجه
الاشكال ان تقدير الاية لم يكن الذين كفروا الى ان تاتيهم البينة التى هى الرسول
ثم انه تعالى لم يذكر الشى المنفك عنه والظاهر ان المراد لم ينفكوا عن كفرهم حتى
تاتيهم البينة التى هى الرسول فانفكوا عنه لان حتى لانتها الغاية فهذه الاية تقتضى

انهم صاروا منفكين عن كفرهم عند اتيان الرسول لكن قوله تعالى وما تفرق الذين
اوتوا الكتاب يقتضى زيادة كفرهم عند مجى الرسول عليه الصلاة والسلام فحينئذ يحصل
التناقض ؛ والجواب من وجوه ؛ احدها وهو احسنها ما لخصه الزمخشرى ان
الاول حكاية ما كانوا يقولونه من انه اذا بعث صلى الله عليه وسلم المدعو به لا ننفك عما
نحن فيه من ديننا ؛ والثانى اخبار عن الواقع يعنى انهم كانوا يعدون الاتفاق على
الحق اذا جاءهم الرسول صلى الله عليه وسلم والمعنى ان الذى وقع كان خلافا لما ادعوا
وثالثها المعنى لم يكونوا منفكين عن كفرهم وان جاءتهم البينة ذكره القاضى الا ان جعل
حتى بمعنى ان بعيد فى اللغة ؛ ثم المعنى لم يكونوا منفكين عن ذكر محمد صلى الله عليه وسلم
بالمناقب والفضائل حتى اتتهم البينة ؛ والمضارع هنا بمعنى الماضى كقوله تعالى واتبعوا
ما تتلوا الشياطين اى ما تلت اى ما كانوا منفكين عن ذكر مناقبه ثم لما جاءهم محمد
تفرقوا ونظيره فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ؛ وخامسها انهم كانوا متفقين على الكفر
قبل البينة فلما جاءت البينة تفرقوا وتلقى هذه المغايرة ؛ وسادسها هى كقوله تعالى
كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين الاية اى كان كل منهم جازما بمذهبه
ودينه فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم شكوا فى اديانهم لان قوله تعالى منفكين
مشعر بهذا لان الانفكاك من الشى هو الانفصال عنه فمعناه ان قلوبهم ما خلت
عن تلك العقايد وما انفصلت عن الجزم بصحتها ثم ان بعد المبعث لم يبق الامر على تلك
الحالة فصل قال ابن عباس رضى الله عنه اهل الكتاب الذين كانوا بيثرب
وهم قريظة والنضير وبنو قينقاع والمشركون الذين كانوا بمكة وحولها والمدينة
وهم مشركوا قريش ؛ وقوله تعالى منفكين اى منتهين عن كفرهم حتى تاتيهم البينة
يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ؛ وقيل الانتها بلوغ الغاية اى لم يكونوا ليبلغوا نهاية
اعمارهم فيموتوا حتى تاتيهم البينة ؛ وقيل منفكين زايلين اى لم تكن مدتهم لتزول
حتى ياتيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ والعرب تقول ما انفككت افعل كذا اى
ما زلت وما انفك فلان قائما اى ما زال قائما ؛ واصل الفك الفتح ؛ ومنه فك
الكتاب وفك الخلخال ؛ وقيل منفكين بارحين اى لم يكونوا ليبرحوا اى يفارقوا الدنيا
حتى تاتيهم البينة ؛ وقال ابن كيسان اى لم يكن اهل الكتاب تاركين صفة محمد صلى الله
عليه وسلم وتسميته الامين فى كتابهم حتى بعث صلى الله عليه وسلم فلما بعث صلى الله
عليه وسلم حسدوه وجحدوه لقوله تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ولهذا قال
تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة فعلى هذا قوله
والمشركين اى ما كانوا يقولون فى محمد صلى الله عليه وسلم وتسميته الامين حتى
تاتيهم البينة على لسانه وبعث اليهم صلى الله عليه وسلم فحينئذ عادوه ؛ وقال
بعض اللغويين منفكين اى هالكين من قولك انفك صلا المراة عند الولادة وهو ان
ينفصل ما يلتئم فتهلك ؛ والمعنى لم يكونوا معذبين ولا هالكين الا بعد قيام الحجة
عليهم بارسال الرسل وانزال الكتب فصل قال قوم المراد بالمشركين
من اهل الكتاب فمن اليهود من قال عزير ابن الله ومن النصارى من قال عيسى
هو الله ومنهم من قال هو ابنه ~~لا شريك له~~ ؛ ومنهم من قال هو ثالث ثلاثة
كذبوا فيما قالوا عن الله تعالى وان الله سبحانه وتعالى واحد لا شريك له ولا ولد
له ولا مثل له ولا ضد له ولا ند له ولا شبيه له ولا صاحبة له ولا زوجة له ولا

وزيرله ولا حاجب له ولا بواب له وهو سبحانه كما قال تعالى فى ذاته المنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد
وقيل المشركون وصفوا اهل الكتاب ايضا لانهم لم ينتفعوا بكتابهم وتركوا التوحيد
فالنصارى مثلثة وعامة اليهود مشبهة والكل شرك وهو كقولك جاءنى العقلاء
والظرفاء وانت تريد اقواما بعينهم تصفهم بالامرين قال تعالى الراكعون الساجدون
الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وهذا وصف
للطائفة الواحدة فالمعنى على هذا من اهل الكتاب المشركين ٥ وقيل اهل الكتاب
كانوا مؤمنين ثم كفروا بعد انبيائهم والمشركون ولدوا على الفطرة ثم كفروا
حين بلغوا قال والمشركين ٥ وقيل الكفر هنا هو الكفر بالنبى صلى الله عليه وسلم اى لم
يكن الذين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى الذين هم اهل الكتاب
ولم يكن المشركون الذين هم عبدة الاوثان من العرب وغيرهم وهم الذين ليس لهم
كتاب منفكين ٥ قال القشيرى وفيه بعد لان الظاهر من قوله تعالى حتى تاتيهم
البينة رسول من الله اى هذا الرسول هو محمد صلى الله عليه وسلم فيبعد ان يقال
لم يكن الذين كفروا الا ان محمد صلى الله عليه وسلم منفكين حتى ياتيهم محمد رسول الله
الا ان يقال اراد لم يكن الذين كفروا الان بمحمد صلى الله عليه وسلم وقد كانوا من
من قبل معظمين له منتهين عن هذا الكفر الى ان بعث الله تعالى محمدا وبين لهم الايات
فحينئذ يؤمن قوم ٥ وقرا الاعمش وابرهيم والمشركون رفعا عطفا على الذين
كفروا قال القرطبى والقراءة الاولى ابين لان الرفع يصير الصنفان كلهم من غير
اهل الكتاب ٥ وفى حرف ابى فما كان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين
منفكين ٥ قال ابن الخطيب فان قيل لم قال كفروا بلفظ الفعل وذكر المشركين
باسم الفاعل ٥ فالجواب ان اهل الكتاب ما كانوا كافرين من اول الامر
لانهم كانوا مصدقين بالتوراة والانجيل وبمبعث محمد صلى الله عليه وسلم
بخلاف المشركين فانهم ولدوا على عبادة الاوثان وذلك يدل على الثبات على
الكفر قوله تعالى حتى تاتيهم البينة ٥ قيل المراد بالبينة محمد صلى الله عليه
وسلم لانه فى نفسه بينة وحجة ولذلك سماه الله تعالى سراجا منيرا ولقوله
تعالى رسول من الله وهو رفع على البدل من البينة ٥ ولان اللام فى البينة
للتعريف اى هو الذى سبق ذكره فى التوراة والانجيل على لسان موسى وعيسى
وقد يكون التعريف للتفخيم اذ هو البينة التى لا مزيد عليها او البينة كل البينة
وكذا التنكير وقد جمعهما الله تعالى ههنا فى حق الرسول اى هو رسول واى
رسول صلى الله عليه وسلم ونظيره قوله تعالى حين اثنى على نفسه فقال
سبحانه وتعالى ذو العرش المجيد ثم قال سبحانه فعال لما يريد فنكر بعد التعريف
وقال ابو مسلم المراد من البينة مطلق الرسل لقوله تعالى حتى تاتيهم البينة
اى تاتيهم رسل من ملائكة الله يتلوا عليهم صحفا مطهرة ٥ نظيره بل يريد كل امرئ
منهم ان يؤتى صحفا منشرة ٥ وقال قتادة وابن زيد البينة هى القران
لقوله تعالى اولم تاتهم بينة ما فى الصحف الاولى قوله رسول ٥ العامة
على رفعه بدلا من البينة اما بدل اشتمال واما بدل كل من كل على سبيل المبالغة
جعل الرسول صلى الله عليه وسلم نفس البينة او على حذف مضاف اى بينة رسول وقال

القرا

الفراء رفع على خبر ابتداء مضمر اى هى رسول او هو رسول من الله لان البينة قد تذكر فقال
بينتى فلان ٥ وقرا عبد الله وابى رسولا على الحال من البينة ٥ وقال القرطبى النصب
على القطع ٥ وقوله من الله يجوز تعلقه بنفس رسولا وبمحذوف على انه صفة لرسول
وجوز ابو البقاء ثالثا وهو ان يكون حالا من صحفا والتقدير يتلو صحفا مطهرة
منزلة من الله تعالى يعنى كانت صفة فى الاصل للنكرة فلما تقدمت عليها نصبت
حالا قوله يتلو ٥ يجوز ان يكون صفة لرسول وان يكون حالا من الضمير فى الجار
قبله اذا جعلته صفة لرسول ٥ ويتلو اى يقرا يقال تلا يتلو تلاوة ٥ صحفا جمع صحيفة
وهى ظرف المكتوب ٥ مطهرة قال ابن عباس من الزور والشك والنفاق والضلالة
وقال قتادة من الباطل ٥ وقيل من الكذب والشبهات والمعنى واحد اى يقرا ما
يتضمن الصحف من المكتوب بدليل انه كان يتلو عن ظهر قلبه لا عن كتاب لانه كان اميا
لا يكتب ولا يقرا ٥ ومطهرة من نعت الصحف كقوله تعالى فى صحف مكرمة مرفوعة
مطهرة فالمطهرة نعت للصحف فى الظاهر وهو نعت لما فى الصحف من القران وقيل
مطهرة لا يمسها الا المطهرون كما تقدم فى سورة الواقعة ٥ وقيل الصحف المطهرة
هى التى عند الله تعالى فى ام الكتاب الذى منه نسخ ما انزل على الانبياء صلوات الله عليهم
من الكتب لقوله تعالى بل هو قران مجيد فى لوح محفوظ قوله فيها كتب ٥ يجوز
ان يكون جملة صفة لصحفا او حالا من ضمير مطهرة وان يكون الوصف او الحال الجار
والمجرور فقط وكتب فاعل به وهو الاحسن ٥ والمراد بالكتب الايات المكتوبة
فى الصحف ٥ والقيمة المستقيمة المحكمة من قول العرب قام يقوم اذا استوى وصح وقال
صاحب النظم الكتب بمعنى الحكم لقوله تعالى لاغلبن انا ورسلى ٥ ومنه حديث العسيف
لاقضين بينكما بكتاب الله ثم قضى بالرجم وليس ذكر الرجم مسطورا فى الكتاب ٥ وقيل
الكتب القيمة هى القران سمى كتبا لانه يشتمل على انواع من البيان قوله تعالى
وما تفرق الذين اوتوا الكتاب اى من اليهود والنصارى ٥ خص اهل الكتاب بالتفريق
دون غيرهم وان كانوا مجموعين مع الكافرين لانهم مظنون بهم علم فاذا تفرقوا
كان غيرهم ممن لا كتاب له ادخل فى هذا الوصف ٥ وقوله تعالى الا من بعد ما
جاءتهم البينة اى اتتهم البينة الواضحة والمعنى فيه محمد صلى الله عليه وسلم اى بالقران
موافقا للذى فى ايديهم من الكتاب بنعته وصفته وذلك انهم كانوا مجتمعين على
نبوته فلما بعث صلى الله عليه وسلم جحدوا نبوته وتفرقوا فمنهم من كفر بغيا وحسدا
ومنهم من امن لقوله تعالى وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم وقيل
البينة البيان الذى فى كتبهم انه نبى مرسل ٥ قال العلماء من اول السورة الى قوله
تعالى قيمة حكمها فى من امن من اهل الكتاب والمشركين ٥ وقوله تعالى وما تفرق
الذين حكم فى من لم يؤمن من اهل الكتاب بعد قيام الحجج قوله تعالى
وما امروا ٥ يعنى هؤلاء الكفار فى التوراة والانجيل ٥ الا ليعبدوا الله ٥ اى يوحدوه
واللام فى ليعبدوا بمعنى ان لقوله تعالى يريد الله ليبين لكم اى ان يبين لكم ويريدون
ليطفئوا نور الله قوله تعالى مخلصين له الدين ٥ العامة على كسر اللام اسم
فاعل وانتصب به الدين ٥ والحسن بفتحها على انهم مخلصون هم انفسهم فى نياتهم وانتصب
الدين على احد وجهين اما اسقاط الخافض اى فى الدين ٥ واما على المصدر من معنى
ليعبدوا كانه قيل ليدينوا الدين او ليعبدوا العبادة فالتجوز اما فى الفعل واما

معني صح

في المصدر وانتصاب مخلصين على الحال من فاعل يعبدوا **قوله** حنفاء حال ثانية او حال من الحال قبلها اى من الضمير المستكن فيها وقوله وما امروا الا لكذا او وما امروا الا ان يعبدوا اى بان يعبدوا ولو تقدم نحو مثله في قوله تعالى وامرنا لنسلم لرب العالمين في سورة الانعام

فصل

قال المعنى وما امر هولاء الكفار في التوراة والانجيل الا ليعبدوا الله اى توحدوه واللام بمعنى ان كقوله تعالى يريد الله ليبين لكم ومنه قوله تعالى قل انى امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين اى العبادة وفي هذا دليل على وجوب النية في العبادة فان الاخلاص من عمل القلب وهو ان يراد به وجه الله لا غيره وقوله تعالى حنفاء مائلين عن الاديان كلها الى دين الاسلام وكان ابن عباس رضي الله عنه يقول حنفاء على دين ابرهيم عليه السلام وقال الحنيف من اختتن وحج قاله سعيد بن جبير وقال اهل اللغة اصله ان تحنف الى الاسلام اى مال اليه **قوله تعالى** ويقيموا الصلاة اى يصلوها في اوقاتها ويؤتوا الزكاة اى يعطوها عند محلها **قوله تعالى** وذلك دين القيمة اى الامة او الملة القيمة اى المستقيمة والقيمة نعت لموصوف محذوف وقيل وذلك اشارة الى الدين اى ذلك الدين الذى امروا به اى الدين المستقيم او وذلك دين الامة القيمة بالحق اى القائمة بالحق وقال محمد بن الاشعث الطالقاني الكتب القيمة لانها قد تقدمت في الذكر قال تعالى فيها كتب قيمة فلما اعادها اعادها مع ال العهدية كقوله تعالى فعصى فرعون الرسول وهو حسن وقرا عبد الله وذلك الدين القيمة والتانيث حينئذ اما على تاويل الدين بالملة كقوله سائل بنى اسد ما هذه الصوت بتاويل الصيحة واما على انها تاء المبالغة كعلامة وقال الخليل القيمة جمع القيم والقيم والقائم واحد اضاف الدين الى القيمة وهو نعته لاختلاف اللفظين وعنه ايضا هو من باب اضافة الشيء الى نفسه ودخلت الهاء للمدح **قوله تعالى** ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين كما مر في اول السورة وقوله تعالى في نار جهنم هو الخبر وخالدين حال من الضمير المستكن في الخبر اولئك هم شر البرية قرا نافع وابن ذكوان البريئة بالهمز في الحرفين والباقون بياء مشددة واختلف في ذلك الهمز فقيل هو الاصل من برا الله الخلق ابتداه واخترعه قال تعالى من قبل ان نبراها فهي فعيلة بمعنى مفعولة وانما خففت والتزم تخفيفها عند عامة العرب وقد تقدم ان العرب التزمت غالبا تخفيف الفاظ منها ال والخابية والذرية قال القرطبي وتشديد الياء عوض من الهمز وقيل البرية دون همز مشتقة من البرا وهو التراب فهي اصل بنفسها فالقراءتان مختلفتا الاصل متفقتا المعنى الا ان ابن عطية عرض من هذا فقال وهذا الاشتقاق يجعل الهمزة خطا وهو اشتقاق غير مرضي انتهى يعني انه اذا قيل انها مشتقة من البرى وهو التراب فمن اين يجيء الهمزة في القراءة الاخرى قال شهاب الدين وهذا غير لازم لانهما قراءتان مستقلتان لكل منهما اصل مستقل فتلك من برا اى خلق وهذه من البرا لانهم خلقوا منه والمعنى بالقراءتين شيء واحد وهو جميع الخلق ولا يلتفت الى من ضعف الهمز من النحاة والقراء لثبوته متواترا قال القشيري ومن قال

امروا بان وما امروا

البرية من البرا وهو التراب قال لا تدخل الملائكة تحت هذه اللفظة وقيل البرية من بريت القلم اى قدرته فتدخل فيه الملائكة ولكنه قول ضعيف لانه يجب منه تخطية من همز وقوله تعالى شر البرية اى شر الخليقة فيحتمل ان يكون على التعميم وقيل هم شر البرية الذين كانوا في عصر النبي صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى واني فضلتكم على العالمين اى عالمي زمانهم ولا يبعد ان يكون في كفار الامم قبل من هو شر منهم مثل فرعون وعاقر ناقة صالح وكذا قوله تعالى خير البرية اما على التعميم او خير برية عصرهم وقد استدل بقراءة الهمز من فضل بني ادم على الملائكة وقال ابو هريرة رضي الله عنه المؤمن اكرم على الله تعالى من بعض الملائكة الذين عنده وقرا العامة خير البرية مقابلا لشر وعامر بن عبد الواحد خيار البرية وهو جمع خير نحو جياد وطياب في جمع جيد وطيب قاله الزمخشري قال ابن الخطيب وقدم الوعيد على الوعد لانه كالداء والوعد كالغذاء والدواء فاذا انقى البدن استعمل الغذاء فينتفع به البدن ولان الانسان اذا وقع في شدة رجع الى الله تعالى فاذا نال الدنيا اعرض **قوله تعالى** جزاؤهم عند ربهم اى ثوابهم عند خالقهم ومالكهم جنات عدن قال ابن الخطيب قال بعض الفقهاء من قال لا شيء لي على فلان انتفى الدين وله ان يدعي الوديعة وان قال لا شيء عنده انصرف الى الوديعة دون الدين وان قال لا شيء لي قبله انصرف اليهما معا فقوله تعالى عند ربهم يفيد انها اعيان مودعة عنده والعين اشرف من الدين والضمان انما يرغب فيه خوف الهلاك وهو محال في حقه تعالى وتقدم الكلام على نظيره **قوله تعالى** من تحتها الانهار والجنات البساتين والعدن الاقامة يقال عدن بالمكان يعدن عدونا اى اقام ومعدن الشيء مركزه ومستقره وقيل جنات عدن بطنان الجنة اى وسطها **قوله تعالى** خالدين فيها حال عاملها محذوف اى دخلوها او اعطوها ولا يجوز ان يكون حالا من هم في جزاؤهم لئلا يلزم الفصل بين المصدر ومعموله باجنبي على ان بعضهم اجازه من هم واعتذر بان المصدر هنا غير مقدر بحرف مصدري قال ابو البقاء وهو بعيد واما عند فيجوز ان يكون حالا من جزاؤهم وان يكون ظرفا له وابدا ظرف زمان منصوب بخالدين اى لا يضعفون ولا يموتون **قوله تعالى** رضي الله عنهم يجوز ان يكون دعاء مستانفا وان يكون خبرا ثانيا وان يكون حالا باضمار قد عند من يلزم ذلك قال ابن عباس رضي الله عنه ورضوا عنه اى رضوا بثواب الله تعالى **قوله تعالى** ذلك لمن خشي ربه اى ذلك المذكور من استقرار الجنة مع الخلود ورضى الله عنه لمن خشي ربه اى خاف ربه فانتهى عن معصيته روى انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي بن كعب ان الله تعالى امرني ان اقرا عليك لم يكن الذين كفروا قال وسماني لك قال عليه الصلاة والسلام نعم فبكى خرجه البخاري ومسلم قال القرطبي وفيه من الفقه قراءة العالم على المتعلم قال بعضهم انما قرا النبي صلى الله عليه وسلم على ابي ليعلم الناس التواضع لئلا يانف احد من التعلم والقراءة على من دونه في المنزلة وقيل لان ابيا كان اسرع اخذا لالفاظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد بقراءته عليه ان ياخذ الفاظه ويقرا كما سمع منه صلى الله عليه وسلم ويعلم غيره وفيه فضيلة عظيمة لابي رضي الله عنه اذ امر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ان يقرا عليه رضي الله تعالى عنه وعن بقية الصحابة اجمعين

سورة الزلزلة مكية

في قول ابن عباس وقتادة ومدنية في قول ابن مسعود وعطاء وجابر وهي ثمان آيات وخمس وثلاثون كلمة وماية ونسع واربعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها اذا شرط وجوابه تحدث وهو الناصب لها عند الجمهور وجوز ابو البقاء ان يكون العامل فيها مصدرا وغيرهم يجعل العامل فيها ما بعدها وليس وان كان معمولا لها بالاضافة تقديرا واختاره مكي وجعل ذلك نظير من وما يعني انهما يعملان فيما بعدهما الجزم وما بعدهما يعمل فيهما النصب ولو مثل باى لكان اوضح وقيل العامل فيها مقدر اى يحشرون وقيل اذكر وحينئذ تخرج عن الظرفية والشرط **فصل** وجه المناسبة بين اول هذه السورة وآخر السورة المتقدمة انه تعالى لما قال جزاؤهم عند ربهم فكان المكلف قال ومتى يكون ذلك فقيل له اذا زلزلت الارض فالعاملون كلهم يكونون في الخوف وانت في ذلك الوقت تنال جزاءك وتكون آمنا لقوله تعالى وهم من فزع يومئذ آمنون وقيل لما ذكر في السورة المتقدمة وعيد الكافر ووعد المؤمن اراد ان يزيد في وعيد الكافر فقال اجازيه حين يقول الكافر السابق ذكره ما للارض تزلزلت نظيره يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فذكر سبحانه الطائفتين وذكر ما لكل طائفة ثم جمع بينهما في آخر السورة بذكر الذرة من الخير فان قيل اذا الوقت فكيف وجه البداية بها في السورة فالجواب انهم كانوا يسألونه عن الساعة فقال تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها فانه تعالى يقول لا سبيل الى تعيينها بحسب وقتها ولكن اعينه بحسب علاماتها وانه تعالى اراد ان يخبر المكلف ان الارض تحدث وتشهد يوم القيمة مع انها في هذه الساعة جماد فكانه لما قيل متى يكون ذلك فقال تعالى اذا زلزلت الارض **فصل** روى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه انه كان يقول النفخة الاولى تزلزلها وهو قول مجاهد لقوله تعالى يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة ثم تزلزل ثانية فتخرج موتاها وهي الاثقال وذكر المصدر للتاكيد ثم اضيف الى الارض كقولك لاعطينك عطيتك اى عطيتي لك وحسن ذلك لموافقة رؤوس الآي فهو مصدر مضاف لفاعله والمعنى زلزالها الذي تستحقه وتقتضيه جرمها وعظمها قال الزمخشري ونحوه اكرم التقي اكرامه واهن الفاسق اهانته وزلزالها كله بكسر الزاي من الزلزال والجحدري وعيسى بفتحها فقيل هما مصدران بمعنى وقيل المكسور مصدر والمفتوح قاله الزمخشري وليس في الابنية فعلال يعني غالبا والا فقد ورد ناقة خزعال قال القرطبي والزلزال بالفتح مصدر كالوسواس والقلقال والجرجار قوله تعالى واخرجت الارض اثقالها قال ابو عبيدة والاخفش اذا كان الميت في بطن الارض فهو ثقل لها واذا كان فوقها فهو ثقل عليها وقال ابن عباس ومجاهد اثقالها موتاها تخرجهم في النفخة الثانية ومنه قيل للانس والجن الثقلان وقيل اثقالها كنوزها ومنه الحديث تلقي الارض افلاذ كبدها امثال الاسطوان من الذهب والفضة قوله تعالى وقال الانسان اى ابن آدم الكافر وقال ابن عباس هو الاسود بن عبد الاسد وقيل اراد كل انسان يشاهد ذلك عند قيام الساعة في النفخة الاولى من مؤمن

وكافر قوله ما لها ابتداء وخبر وهذا يرد قول من قال ان الحال في نحو قوله تعالى فما لهم عن التذكرة معرضين لازمة لئلا يصير الكلام غير مفيد فانه لا حال هنا ومعنى ما لها اى ما لها زلزلت وقيل ما لها اخرجت اثقالها وهي كلمة تعجب اى لاى شيء زلزلت ويجوز ان يحيي الله الموتى بعد وقوع النفخة الاولى ثم تتحرك الارض فتخرج الموتى وقد رأوا الزلزلة وانشقاق الارض عن الموتى احياء فيقولون من الهول ما لها كانهم خاطبوا انفسهم تعجبا قوله تعالى يومئذ اى يوم اذ زلزلت والعامل في يومئذ تحدث ان جعلت اذا منصوبة بما بعدها او بمحذوف وان جعلت العامل فيها تحدث كان يومئذ بدلا منها فالعامل فيه العامل فيها او شيء آخر لانه على تكرير العامل وهو خلاف مشهور **فصل** معنى تحدث اى تخبر الارض بما عمل عليها من خير او شر يومئذ ثم قيل هو من قول الله تعالى وقيل من قول الانسان اى يقول الانسان ما لها تحدث اخبارها متعجبا روى الترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية يومئذ تحدث اخبارها قال اتدرون ما اخبارها قالوا الله ورسوله اعلم قال فان اخبارها ان تشهد على كل عبد وامة بما عمل على ظهرها تقول عمل يوم كذا وكذا كذا فهذه اخبارها قال الماوردي قوله تعالى تحدث اخبارها فيه ثلاثة اقاويل احدها تحدث اخبارها باعمال العباد على ظهرها قاله ابو هريرة رضي الله عنه ورواه مرفوعا وهو قول من زعم انها زلزلة القيمة الثاني قال يحيى بن سلام تحدث اخبارها بما اخرجت من اثقالها وهو قول من زعم انها زلزلة اشراط الساعة الثالث قال ابن مسعود انها تحدث بقيام الساعة اذا قال الانسان ما لها فتخبر ان امر الدنيا قد انقضى وامر الآخرة قد اتى فيكون ذلك منها جوابا لهم عند سؤالهم ووعيدا للكافر وانذارا للمؤمن وفي حديثها باخبارها ثلاثة اقوال الاول ان الله تعالى يقلبها حيوانا ناطقا فتتكلم بذلك الثاني ان الله تعالى يحدث فيها الكلام الثالث انه يكون فيها بيان يقوم مقام الكلام قال الطبري تبين اخبارها بالرجفة والزلزلة واخراج الموتى قوله بان ربك متعلق بتحدث اى تحدث ويجوز ان يتعلق بنفس اخبارها وقيل الباء زائدة وان وما في حيزها بدل من اخبارها وقيل الباء سببية اى بسبب ايحاء الله اليها وقال الزمخشري اين مفعولا تحدث قلت حذف اولهما والثاني اخبارها واصله تحدث الخلق اخبارها الا ان المقصود ذكر تحديثها الاخبار لا ذكر الخلق تعظيما لليوم فان قلت بم تعلقت الباء في قوله بان ربك قلت بتحدث لان معناه تحدث اخبارها بسبب ايحاء ربك ويجوز ان يكون المعنى تحدث بتحديث ان ربك اوحى لها لانك تقول احبارها على ان تحدثها بان ربك اوحى لها تحدث باخبارها كما تقول نصحتني كل نصيحة بان نصحتني في الدين قال ابو حيان وهو كلام فيه عفش ينزه القرآن عنه قال شيخه ب الدين واى عفش فيه فصاحته وفصاحته ولكنه لما طال تقديره من جهة افادة هذا المعنى الحسن جعله عفشا وحاشاه ثم قال الزمخشري ويجوز ان يكون بان ربك بدلا من اخبارها كانه قيل يومئذ تحدث باخبارها بان ربك اوحى لها لانك تقول حدثته كذا وحدثته بكذا قال ابو حيان واذا كان الفعل يتعدى تارة بحرف جر وتارة يتعدى بنفسه وحرف

الجر ليس بزايد فلا يجوز في تابعه الا الموافقة في الاعراب فلا يجوز في تابعه الا الموافقة
في الاعراب فلا يجوز استغفرت الذنب العظيم بنصب الذنب وجر العظيم لجواز انك تقول
استغفرت من الذنب العظيم بنصب العظيم ٥ ولذلك في احرف فلو كان حرف الجر زايدا
جاز الاتباع على موضع الاسم بشروط مذكورة في كتب النحو تقول ما رايت من رجل
عاقلا لان من زائدة ومن رجل عاقل على اللفظ ولا يجوز نصب رجل وجر عاقل على
جواز مراعاة دخول من وان ورد شي من ذلك فبابه الشعر انتهى ٥ قال
شهاب الدين ولا ادرى كيف يلزم الزمخشري ما الزمه به من جميع المسايل التى
ذكرها فان الزمخشري يقول ان هذا بدل مما قبله ثم ذكر مسوغ دخول البا
في البدل وهو ان المبدل منه يجوز دخول البا عليه فلو حل البدل محل المبدل
منه ومعه البا لكان جايزا لان العامل يتعدى به وذكر مسوغا لخلو المبدل
منه من البا فقال لانك تقول حدثته كذا وحدثته بكذا ٥ واما كونه
يمتنع ان تقول استغفرت الذنب العظيم بنصب الذنب وجر العظيم الى اخره فليس
في كلام الزمخشري شي منه البتة ونظير ما قاله الزمخشري في باب استغفر
ان تقول استغفرت الله ذنبا من شتمي زيدا فقولك من شتمي بدل من الذنب وهذا
جايز لا محالة **قوله** اوحى لها ٥ في هذه اللام اوجه ٥ احدها انها بمعنى الى وانما
اوثرت على الى موافقة الفواصل والمعنى اوحى لها انها تحدث اخبارها بوحي
الله تعالى لها اى اليها والعرب تضع لام الصفة موضع الى ٥ قال العجاج يصف
الارض ٥ اوحى لها القرار فاستقرت ٥ وشدها بالراسيات الثبت ٥ قاله
ابو عبيدة ٥ الثاني على اصلها واوحى يتعدى باللام تارة وبالى اخرى ومنه
البيت ٥ الثالث ان اللام على بابها من العلة والموحى اليه محذوف وهو الملايكة
تقديره اوحى الى الملايكة لاجل الارض لاجل ما يفعلون فيها ٥ قال الثوري تحدث
اخبارها عما كان عليها من الطاعات والمعاصي وما عمل على ظهرها من
خير وشر **قوله** يومئذ ٥ اما بدل من يومئذ قبله واما منصوب بيصدر
واما منصوب باذكر مقدرا ٥ وقوله تعالى اشتاتا حال من الناس وهو جمع
شت اى متفرقين في الامن والخوف والبياض والسواد ٥ والصدر ضد الورود
يقال للوارد الجائي والصادر المنصرف ٥ ومنه طواف الصدر فقيل يصدرون
عن موضع الحساب فريقا الى جهة اليمين الى الجنة وفريقا الى جهة الشمال الى النار
لقوله تعالى يومئذ يتفرقون يومئذ يصدعون ٥ وعن ابن عباس رضي الله عنه
اشتاتا متفرقين على قدر اعمالهم اهل الايمان على حدة واهل كل دين على حدة
وقيل هذا الصدر انما هو عند النشور يصدرون اشتاتا من القبور الى موقف
الحساب ليروا اعمالهم في كتبهم او ليروا جزاء اعمالهم فانهم وردوا القبور فدفنوا
فيها ثم صدروا عنها ٥ وقوله تعالى ليروا متعلق بيصدر ٥ وعلى القول الاول
فيه تقديم وتاخير اى تحدث اخبارها بان ربك اوحى لها ليروا اعمالهم واعترض
قوله يومئذ يصدر الناس اشتاتا متفرقين عن موقف الحساب ٥ وعلى هذا
متعلق باوحى ٥ وقرا العامة بضم الياء مبنيا للمفعول وهو من رؤية البصر فتعدى بالهمزة
الى ثان وهو اعمالهم اى ليريهم الله اعمالهم ٥ وقرا الحسن والاعرج وقتادة
وحماد بن سلمة ونصر بن عاصم وطلحة وروى عن نافع بفتحها ٥ قال الزمخشري

حي ص

وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم مبنيا للفاعل والمعنى جزاء اعمالهم **قوله تعالى**
فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ٥ قال ابن عباس
رضي الله عنه من يعمل من الكفار خيرا يره في الدنيا ولا يثاب عليه في الاخرة ومن يعمل مثقال
ذرة من شر من المومنين يره في الدنيا ولا يعاقب عليه في الاخرة ٥ وفي بعض الحديث
ان الذرة لا زنة لها وهذا مثل ضربه الله تعالى انه لا يغفل عن عمل ابن ادم صغيرة
ولا كبيرة وهو كقوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة ٥ وقد تقدم ان الذر لا وزن
له ٥ وذكر بعض اهل اللغة ان الذر ان يضرب الرجل بيده على الارض فما علق
من التراب فهو الذر وكذا قاله ابن عباس رضي الله عنه اذا وضعت يدك على الارض
ورفعتها فكل واحد مما لزق من التراب ذرة ٥ وقيل الذرة نملة صغيرة واصغر
ما تكون اذا مضى عليها حول ٥ قال امرؤ القيس ٥
من القاصرات الطرف لو دب محول ٥ من الذر فوق الاتب منها لاثرا ٥
وقال محمد بن كعب القرظي فمن يعمل مثقال ذرة من خير من كافر يرى ثوابه في الدنيا
في نفسه وماله واهله وولده حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله خير ومن يعمل
مثقال ذرة من مومن يرى عقوبته في الدنيا في ماله ونفسه واهله وولده حتى
يخرج من الدنيا وليس له عند الله شر ٥ ودليله ما روى انس رضي الله عنه ان
هذه الاية نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم وانا لنرى ما عملنا من خير وشر قال
النبي صلى الله عليه وسلم يا ابا بكر ما رايت في الدنيا مما تكره فمثاقيل ذر الشر ويدخر
لكم مثاقيل ذر الخير حتى تعطوه يوم القيامة قال ابو ادريس ان مصداقه من كتاب
الله وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير ٥ وقال مقاتل نزلت
في رجلين وذلك انه لما نزل ويطعمون الطعام على حبه كان احدهما ياتيه السايل
فيستقل ان يعطيه التمرة والكسرة والجوزة وكان الاخر يتهاون بالذنب اليسير
كالكذبة والغيبة والنظرة ويقول انما اوعد الله تعالى النار على الكباير فنزلت
هذه الاية ترغبهم في القليل من الخير يعطوه فانه يوشك ان يكثر وتحذرهم
اليسير من الذنب فانه يوشك ان يكثر ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم اتقوا
النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة **فصل** قوله تعالى يره
جواب الشرط في الموضعين ٥ وقرا هشام بسكون هاء يره وصلا في الحرفين وباقي
السبعة بضمها موصولة بواو وصلا وساكنة وقفا كسائر هاء الكناية ٥ ونقل ابو
حيان عن هشام وابي بكر سكونها ٥ وعن ابي عمرو ضمها مشبعة وباقي السبعة
باشباع الاولى وسكون الثانية انتهى وكان ذلك لاجل الوقف على اخر السورة
غالبا ٥ اما لو وصلوا اخرها باول العاديات كان الحكم الاشباع ٥ هذا مقتضى
اصولهم وهو المنقول ٥ وقرا العامة يره مبنيا للفاعل فيهما ٥ وقرا ابن عباس
والحسن والحسين ابنا علي بن ابي طالب وزيد بن علي وابو حيوة وعاصم والكسائي
في رواية الجحدري والسلمي وعيسى وابن عمر رضي الله عنهم بضم الياء اي يريه
الله اياه ٥ قال القرطبي والاول الاختيار لقوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت
من خير محضرا الاية ٥ وقرا عكرمة يراه بالالف اما على تقدير الجزم بحذف
الحركة المقدرة واما على توهم ان من موصولة وتقدم هذا في اواخر يوسف
ومعنى يره اى يرى جزاءه لان ما عمله قد مضى وعدم ٥ وحكى الزمخشري ان اعرابيا

اذا مات ويتجاوز عنه وان عمل
مثقال ذرة من خير يتقبل
منه ويضاعف في
الاخرة
حم

قرا احرخيرا يره فقيل له قدمت واخرت فانشد حذا بطن هرشى او قفاها فانه كلا جانبي هرشى لهن طريق انتهى يريد ان التقديم والتاخير سوا وهذا لا يجوز البتة فانه خطا فلا يعتد به قراءة وفي نصب خيرا وشرا وجهان اظهرهما انهما تمييز فانه مقدار والثاني انهما بدلان من مثقال

فصل

قال ابن مسعود رضي الله عنه هذه احكم اية في القران واصدق وقد اتفق العلما على عموم هذه الاية القايلون بالعموم ومن لم يقل قال كعب الاحبار رضي الله عنه لقد انزل الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم ايتين احصتا ما في التوراة والانجيل والزبور والصحف فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسمي هذه الاية الجامعة الفاذة روى مالك في الموطا ان مسكينا استطعم عايشة رضي الله عنها وبين يديها عنب فقالت لانسان خذ حبة فاعطه اياها فجعل ينظر اليها ويتعجب فقالت عايشة اتعجب كم ترى في هذه الحبة من مثقال ذرة روى الترمذي عن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا اذا زلزلت عدلت له نصف القران ومن قرا قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد عدلت له ثلث القران وعن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا اذا زلزلت اربع مرات كان كمن قرا القران كله والله تعالى اعلم

سورة والعاديات مكية

في قول ابن مسعود وجابر والحسن وعكرمة وعطا ومدنية في قول ابن عباس وانس بن مالك وقتادة وهي احدى عشرة اية واربعون كلمة ومائة وثلاثة وستون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** والعاديات جمع عادية وهي الجارية بسرعة من العدو وهو المشي بسرعة والياء عن واو لكسر ما قبلها نحو الغازيات من الغزو ويقال عدا يعدو عدوا فهو عاد وهي عادية وقد تقدم هذا في سورة المومنين قال عامة المشتر بن بريد الافراس تعدو الى سبيل تعالى **قوله** ضبحا فيه اوجه احدها انه مصدر موكد لاسم الفاعل فان الضبح نوع من السير والعدو كالضبح يقال ضبح الفرس وضبح اذا عدا بشدة اخذا من الضبع وهو الذراع لانه يمده عند العدو وكان الحابدل من العين والى هذا ذهب ابو عبيدة والمبرد قالا الضبح من اضباعها في السير وكان عنترة والخيل تكدح في حياض الموت ضبحا الثاني انه مصدر في موضع الحال اي ضابحات او ذوي ضبح والضبح صوت يسمع من صدور الخيل عند العدو وليس بصهيل وعن ابن عباس رضي الله عنه انه حكاه فقال اح اح وقال قتادة تضبح اذا عدت اي تحمحم وقال الفرا الضبح صوت انفاس الخيل اذا عدون وقيل كانت تكعم لئلا تصهل فيعلم العدو بهم فكانت تتنفس في هذه الحال بقوة ونقل عن ابن عباس رضي الله عنه انه لم يضبح من الحيوان غير الخيل والكلب والثعلب وهذا ينبغي ان لا يصح عنه لانه روي عنه انه قال سئلت عنها ففسرتها بالخيل وكان علي رضي الله عنه تحت سقاية زمزم فسالته فذكرت ما قلت فدعاني فلما وقفت على راسه قال تفتي الناس بغير علم والله انها لاول غزوة في الاسلام وهي بدر

ولم يكن معنا الا فرسان فرس للمقداد وفرس للزبير فكيف تكون العاديات ضبحا انما العاديات ضبحا الابل والله ان كانت الابل من عرفة الى مزدلفة ومن مزدلفة الى منى يعني ابل الحاج قال ابن عباس فرجعت الى قول علي رضي الله عنه وبه قال ابن مسعود وعبيد بن عمير ومحمد بن كعب والسدي رضي الله عنهم ومنه قول صفية بنت عبد المطلب م

فلا والعاديات غداة جمع بايديها اذا سطع الغبار

الا ان الزمخشري قال بعد ذلك فان صحت الرواية فقد استعير الضبح للابل كما استعير المشافر والحافر للانسان والشفتان للمهر ونقل غيره ان الضبح يكون في الابل والاسود من الحيات والبوم والصدى والارنب والثعلب والفرس وانشد ابو حنيفة رضي الله عنه حيا به من لسم اوثالب تضبح في الكف صباح الثعلب قال شهاب الدين وهذا عندي من الاستعارة ونقل اهل اللغة ان اصل الضبح في الثعلب فاستعير للخيل وهو من ضبحته النار اذا غيرت لونه ولم تبالغ والضبح لون تغير الى السواد قليلا والضبح ايضا الرماد الثالث من اوجه النصب ان يكون منصوبا بفعل مقدر اي تضبح ضبحا وهذا الفعل حال من العاديات الرابع انه منصوب بالعاديات وان كان المراد به الصوت قال الزمخشري كانه قيل والضابحات لان الضبح يكون مع العدو فلا يكون معنى والعاديات والضابحات فلا ينبغي ان تفسر به انتهى قال شهاب الدين لم يقل انه بمعناه وانما جعله منصوبا به لانه لازم له لا يفارقه فكانه ملفوظ به وقوله كانه قيل تفسير اللازم لا انه هو هو

فصل

قال ابن العربي اقسم الله تعالى بمحمد صلى الله عليه وسلم فقال يس والقران الحكيم واقسم بحياته فقال تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون واقسم بخيله وصهيلها وغبارها وقدح النار من الحجر فقال عز وجل والعاديات ضبحا وقال الشعبي تمارى علي وابن عباس رضي الله عنهما في العاديات فقال علي هي الابل تعدو في الحج وقال ابن عباس هي الخيل الا تراه يقول فاثرن به نقعا فهل تثير الا بحوافرها وهل تضبح الابل فقال علي رضي الله عنه ليس كما قلت لقد رايتنا يوم بدر وما معنا الا فرس ابلق للمقداد وفرس لمرثد بن ابي مرثد وعلى هذا القول فالموريات قدحا اي الحافر يرمي بالحجر من شدة العدو فتضرب به حجارة اخرى فتوري النار او يكون المعنى الذين يركبون الابل وهم الحجيج اذا اوقدوا نيرانهم بالمزدلفة وقوله تعالى فالمغيرات صبحا والاغارة سرعة السير وهم يدفعون صبيحة يوم النحر مسرعين الى منى فوسطن به جمعا يعني مزدلفة لانها تسمى جمع لاجتماع الحجاج وعلى هذا التقدير فوجه القسم بها ما تقدم ذكره من المنافع الكثيرة في قوله تعالى افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت وايضا الغرض بذكر ابل الحج الترغيب في الحج كانه تعالى يقول جعلت الابل مقسما بها فلست اضيع عملك وفيه تعريض لمن رغب عن الحج فان الكنود هو الكفور والذي لم يحج بعد الوجوب موصوفا بذلك كما في قوله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين ومن قال هي الخيل وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وعطا واكثر المحققين ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث سرية الى اناس

من بني كنانة فابطا عليه خبرها وكان استعمل عليها المنذر بن عمرو الانصاري
وكان احد النقبا فقال المنافقون انهم قتلوا فنزلت هذه السورة اخبارا
للنبي صلى الله عليه وسلم بسلامتها وبشارة له باغارتها على القوم فالمراد الخيل
التي تغزو وعليها المومنون ٥ وفي الخبر من لم يعرف حرمة فرس الغازي ففيه
شعبة من النفاق ٥ وعلى هذا القول فالسورة مدنية لان الاذن في القتال
انما كان بالمدينة **قوله تعالى** فالموريات قدحا ٥ قال عكرمة وعطا
والضحاك هي الخيل حين توري النار بحوافرها وهي سنابكها ٥ وقدحا يجوز ان
يكون مصدرا موكدا لان الايرا من القدح يقال قدح فاورى وقدح فاصلد
ويجوز ان يكون حالا فالمعنى قادحات اي صاكات بحوافرها ما يوري النار
يقال قدحت الحجر بالحجر اي صككته به ٥ وقال الزمخشري انتصب بما انتصب
به ضبحا وكان جوز في نصبه ثلاثة اوجه النصب باضمار فعل والنصب باسم الفاعل
قبله لانه ملازمه ٥ والنصب على الحال وتسمى تلك النار التي تخرج من الحوافر
نار الحباحب ٥ قال م

٥ تقد السلوقي المضاعف نسجه ⁂ وتوقد بالصفاح نار الحباحب ٥

فصل روى ابن عباس رضي الله عنه اورت بحوافرها غبارا وهذا
يخالف سائر ما روى عنه في قدح النار وانما هذا في الابل ٥ وروى ابن ابي نجيح
عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى فالموريات قدحا قال هي في القتال
وهو في الحج ٥ قال ابن مسعود هي الابل تطا الحصا فتخرج منها النار واصل القدح
الاستخراج ٥ ومنه قدحت العين اذا اخرجت منها الما الفاسد واقتدحت
الزند واقتدحت المرق غرفته وركي قدوح تغرف باليد ٥ والقديح ما يبقى في
اسفل القدر فيغرف بجهد والمقدحة ما تخرج به النار والقداحة والقداح
الحجر الذي يوري النار ٥ يقال وري الزند بالفتح يري وريا اذا اخرجت
ناره وفيه لغة اخرى م وري الزند بالكسر يري فيهما وقد مضى في سورة
الواقعة ٥ وقيل هذه الايات في الخيل ولكن ايراءها ان تهيج الحرب بين
اصحابها وبين عدوهم كما قال تعالى كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله ومنه
يقال للحرب اذا التحمت حمي الوطيس روي معناه عن ابن عباس رضي الله عنه
وعن قتادة وابن عباس الموريات قدحا مكر الرجال في الحرب وهو قول مجاهد
وزيد بن اسلم والعرب تقول اذا ارادوا ان الرجل يمكر بصاحبه والله لامكرن
بك ثم لاورين لك ٥ وعن ابن عباس ايضا هم الذين يغزون فيورون نيرانهم
بالليل لحاجتهم وطعامهم ٥ وعنه ايضا انها نيران المجاهدين اذا كثرت
نارها ارها بالينظرهم العدو كثيرا ٥ وقيل هي افكار الرجال توري النار من
عظيم ما تتكلم به ويظهر لها من الحجج واقامة الدلايل وايضاح الحق وابطال
الباطل ٥ قال القرطبي وهذه الاقوال مجاز كقولهم فلان يوري زناد الضلالة
والاول الحقيقة وان الخيل من شدة عدوها تقدح النار بحوافرها قال
مقاتل تسمى تلك النار نار ابي حباحب وابو حباحب شيخ من مضر في الجاهلية من اشح
الناس وكان لا يوقد نار الخبز ولا غيره حتى تنام العيون فيوقد نويرة
تقد مرة وتخمد اخرى فان استيقظ لها احد اطفاها كراهية ان ينتفع بها احد

فنبهت

فنبهت العرب هذه النار بناره لانه لا ينتفع بها وكذلك اذا وقع السيف
على البيضة فاقتدحت نارا فكذلك يسمونها ٥ قال النابغة م

٥ ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ⁂ بهن فلول من قراع الكتايب ٥
٥ تقد السلوقي المضاعف نسجه ⁂ وتوقد بالصفاح نار الحباحب ٥

قوله تعالى فالمغيرات صبحا ٥ صبحا ظرف اي التي تغير وقت الصبح يقال
اغار يغير اغارة اذا باغت عدوه لنهب او قتل او اسر ٥ قال م

٥ فليت لي بهم قوما اذا ركبوا ⁂ شنوا الاغارة فرسانا وركبانا ٥

وغار لغية واغار وغار ايضا نزل الغور وهو المنهبط من الارض **قوله** فاثرن
عطف الفعل على الاسم لان الاسم في تاويل الفعل لوقوعه صلة لال ٥ قال الزمخشري
معطوف على الفعل الذي وضع اسم الفاعل موضعه يعني في الاصل اذ الاصل واللاتي
عدون فاورين فاغرن فاثرن **قوله** به ٥ في الها اوجه احدها انها ضمير
الصبح ٥ اي فاثرن في وقت الصبح غبارا وهذا احسن لانه مذكور بالصريح
الثاني انه عايد على المكان وان لم يجر له ذكر لان الاشارة لا بد لها من مكان
والسياق والعقل يدل عليه واذا علم المعنى جاز ان يكنى عما لم يجر له ذكر بالصريح
كقوله تعالى حتى توارت بالحجاب ٥ وفي عبارة الزمخشري وقيل الضمير لمكان الغارة
وهذا على تلك اللغية والا فالفصيح ان يقول الاغارة ٥ الثالث انه ضمير العدو
والذي دل عليه والعاديات ٥ وقرا العامة بتخفيف الثا اثار كذا اذا نشره
وفرقه مع ارتفاع ٥ وقرا ابو حيوة وابن ابي عبلة بتشديدها وخرجه الزمخشري
على وجهين الاول بمعنى فاظهرن به غبارا لان التاثير فيه معنى الاظهار ٥ والثاني
انه قلب ثورن الى وثرن وقلب الواو همزة انتهى ٥ يعني الاصل ثورن من ثور
تثويرا بالتشديد عداه بالتضعيف كما تعدى بالهمزة في قولك اثاره ثم قلب
الكلمة بان جعل العين وهي الواو موضع الفا وهي الثا فصارت وثرن ووزنها
عفلن ثم قلب الواو همزة فصار اثرن وهذا بعيد جدا وعلى تقدير
التسليم فقلب الواو المفتوحة همزة لا ينقاس انما جاءت منه الفاظ كاحد واناه
والنقع الغبار انشد م

٥ يخرجن من مستطار النقع دامية ⁂ كان اذنابها اطراف اقلام ٥

وقال ابن رواحة ٥ عدمت بنيتي ان لم تروها ⁂ تثير النقع من كنفي كداء ٥ وقال
ابو عبيدة النقع رفع الصوت ٥ قال لبيد ٥

٥ فمتى ينقع صراخ صادق ⁂ يجلبوها ذات جرس وزجل ٥

ويروى يحلبوها تقول حتى سمعوا صراخا اجلبوا الحرب اي جمعوا لها ٥ وقوله ينقع
صراخ يعني رفع الصوت قال الزمخشري ويجوز ان يراد بالنقع الصياح من
قوله عليه السلام ما لم يكن نقع ولا لقلقة ٥ وقول لبيد م فمتى ينقع صراخ صادق ٥ اي
فهيجن في المغار عليهم صياحا ٥ قال ابو عبيدة وعلى هذا رايت قول اكثر اهل العلم
انتهى ٥ فعلى هذا يكون البا بمعنى في ويعود الضمير على المكان الذي فيه الاغارة كما
تقدم ٥ وقال الكسائي قوله نقع ولا لقلقة النقع صنعة الطعام يعني في الماتم يقال
منه نقعت نقعا قال ابو عبيدة ذهب بالنقع الى النقيعة وانما النقيعة عند
غيره من العلما صنعة الطعام عند القدوم من سفر لا في الماتم ٥ وقال بعضهم يريد

بالنقع وضع التراب على الراس فذهب الى ان النقع هو التراب ۶ قال القرطبي ولا
احسب عمرا ذهب الى هذا او لا خافه منهن ۶ ولعه يبلغ خوفه ذا وهو يكره لهن
القيام فقال يسفكن من دموعهن وهن جلوس ۶ وقال بعضهم النقع شق الجيوب
قال وهو الذي لا ادري ما هو من الحديث ولا اعرفه وليس النقع عندي
في هذا الحديث الا الصوت الشديد ۶ واما القلقلة فشدة الصوت ولم اسمع
فيه اختلافا ۶ وقال محمد بن كعب القرظي النقع ما بين مزدلفة الى منى ۶ وقيل
انه طريق الوادي ولعله يرجع الى الغبار المثار من هذا الموضع ۶ وفي الصحاح
النقع الغبار والجمع نقاع والنقع محبس الماء وكذلك ما اجتمع في البير منه وفي
الحديث انه نهى ان يمنع نقع البير ۶ والنقع الارض الحرة الطين يستنقع فيها الماء
والجمع نقاع وانقع مثل بحار وبحر وابحر **قوله تعالى** فوسطن ۶ العامة
على تخفيف السين اي توسطن ۶ وفي الهاء في به اوجه احدها انها للصبح والثاني انها
للنقع اي وسطن النقع الجمع اي جعلن الغبار وسط الجمع فالباء للتعدية وعلى الاول
هي ظرفية ۶ الثالث ان الباء للحالية اي فتوسطن ملتبسات بالنقع اي بالغبار جمعا
من جموع الاعداء ۶ وقيل الباء مزيدة نقله ابو البقاء وجمعا على هذه الاوجه
مفعول به ۶ الرابع ان المراد بجمع المزدلفة وهي تسمى جمعا ۶ والمراد ان الابل
توسط جمعا الذي هو المزدلفة كما مر عن امير المؤمنين رضي الله عنه ۶ وقول بشر
ابن ابي حازم توسطن جمعهم وافلت حاجب ۶ تحت العجاج في الغبار الاقتم ۶ وجمعا
على هذا منصوب على الظرف وعلى هذا فتكون الضمير في به اما للوقت اي في وقت
الصبح واما للنقع وتكون الباء للحال اي ملتبسات بالنقع الا انه يشكل نصب الظرف
المختص اذ كان حقه ان يتعدى اليه بفي ۶ وقال ابو البقاء ان جمعا حال وسبقه اليه
مكي وفيه بعد اذ المعنى على ان الخيل توسطت جمع الناس ۶ وقرا علي وزيد بن علي وقتادة
وابن ابي ليلى بتشديد السين وهما لغتان بمعنى واحد ۶ وقال الزمخشري التشديد
للتعدية والباء مزيدة للتاكيد فقوله تعالى واثرن به نقعا وهي مبالغة
في وسطن انتهى ۶ وقوله وهي مبالغة يناقض قوله ولا التعدية لان التشديد
للمبالغة لا يكسب الفعل مفعولا اخر تقول ذبحت الغنم مخففا ثم تبالغ فتقول
ذبحتها مثقلا وهذا على رايه فقد جعله متعديا بنفسه بدليل جعله الباء مزيدة
فلا يكون للمبالغة **فصل** المعنى فوسطن بركبانهن العدو اي الجمع
الذي اغاروا عليهم ۶ وقال ابن مسعود فوسطن به جمعا يعني مزدلفة وسميت
جمعا لاجتماع الناس فيها ۶ ويقال وسطت القوم اسطهم وسطا وسطة اي
صرت وسطهم ۶ وقد اكثر الناس في وصف الخيل وهذا الذي ذكره الله تعالى
احسن ۶ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخيل معقود بنواصيها الخير
وقال ايضا ظهورها حرز وبطونها كنز ۶ وروي ان بنت امرئ القيس اتت النبي صلى الله
عليه وسلم فقالت يا رسول الله هل انزل عليك ربك في صفة الخيل كلاما افصح
مما قاله ابي فقال عليه الصلاة والسلام وما قال ابوك فقالت هو

۶ مكر مفر مقبل مدبر معا ∴ كجلمود صخر حطه السيل من عل ۶

فقال عليه الصلاة والسلام والعاديات ضبحا الايات فاسلمت **قوله تعالى**
ان الانسان لربه لكنود ۶ هذا هو المقسم عليه ولربه متعلق بالخبر وقدم للفواصل

والكنود الجحود ۶ وقيل الكفور النعمة وانشد ∴

۶ كنود لنعماء الرجال ومن يكن ∴ كنودا لنعماء الرجال يبعد ۶

وعن ابن عباس رضي الله عنه هو بلسان كندة وحضرموت العاصي ۶ وبلسان
ربيعة ومضر الكفور ۶ وبلسان كنانة البخيل ۶ وانشد ابو زيد ۶ ان نفسي لم تطب
منك نفسا ۶ غير اني امنى بدين كنود ۶ وقيل بلسان الجاحد للحق ۶ وقيل انما سميت
كندة لانها جحدت اباها ۶ وقيل الكنود من كند اذا قطع كانه يقطع ما ينبغي
ان يواصله من الشكر ۶ ويقال كند الحبل اذا قطعه ۶ قال الاعشى ۶ يعطي عطا
صلب الفؤاد ۶ وصول حبال وكنادها ۶ فهذا يدل على القطع ۶ ويقال
كند يكند كنودا اي كفر النعمة وجحدها فهو كنود وامراة كنود ايضا وكند
مثله ۶ قال الاعشى ۶ احدث لها تحدث بوصلك انها ۶ كند بوصل الزائر
المعتاد ۶ اي كفور للمواصلة ۶ روى ابو امامة الباهلي رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الكنود الذي ياكل وحده ويمنع رفده ويضرب
عبده خرجه الحكيم الترمذي في نوادر الاصول ۶ وقال الحسن الكنود اللوام
لربه يعد المحن والمصيبات وينسى النعم والراحات وهو كقوله تعالى واما اذا
ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانني ۶ واعلم ان الكنود لا يخرج الذم
يكون كفرا او فسقا وكيف ما كان فلا يمكن حمله على كل الناس فلا بد من صرفه الى
كافر معين وان حملناه على الكل فالمعنى ان طبع الانسان يحمله على ذلك الا اذا عصمه
الله بلطفه وتوفيقه ۶ وقال ابن عباس رضي الله عنه الانسان هنا الكافر يقول
انه لكنود ۶ ومنه الارض الكنود التي لا تنبت شيئا ۶ وقال الضحاك نزلت في
الوليد بن المغيرة ۶ وقال ابو بكر الواسطي الكنود الذي ينفق نعم الله في معاصي
الله ۶ وقال ذو النون المصري الهلوع ۶ والكنود هو الذي اذا اصابه الشر جزوع
واذا مسه الخير منوع ۶ وقيل هو الحقود الحسود ۶ قال القرطبي وكل هذه الاقوال
ترجع الى معنى الكفران والجحود ۶ وقال ابن عباس رضي الله عنه نزلت في قرط
ابن عبد الله بن عمرو بن نوفل القرشي ولقوله افلا يعلم اذا بعثر ما في القبور
ولا يليق الا بالكافر المنكر لذلك **قوله تعالى** وانه على ذلك لشهيد ۶ اي
وان الله تعالى على ذلك من ابن ادم لشهيد قاله ابن عباس ومجاهد والاكثرون
وقال الحسن وقتادة ومحمد بن كعب وانه وان الانسان لشاهد على نفسه بما يصنع
لقوله تعالى بعد ذلك وانه لحب الخير لشديد والاول اولى لانه كالوعيد
والزجر عن المعاصي **قوله تعالى** وانه لحب الخير ۶ اللام متعلقة بشديد
وفيه وجهان ۶ احدهما انها المعدية والمعنى وانه لقوي مطيق لحب الخير اي المال
يقال هو شديد لهذا الامر اي مطيق له ۶ ويقال للشديد اي بخيل ويقال للبخيل
شديد ومتشدد ۶ قال طرفة ۶ ارى الموت يعتام الكرام ويصطفي ۶ عقيلة
مال الفاحش المتشدد ۶ يقال اعتامه واعتماه اي اختاره ۶ والفاحش البخيل
ايضا قال تعالى ويامركم بالفحشاء اي البخل ۶ قال زيد سمى الله تعالى المال خيرا
وعسى ان يكون شرا وخبثا ولكن الناس يعدونه خيرا فسماه الله تعالى خيرا
لذلك قال تعالى ان ترك خيرا كما سمى الجهاد سوءا قال تعالى فانقلبوا بنعمة من
الله وفضل لم يمسسهم سوء على ما سماه الناس ۶ الثاني ان اللام للعلة اي وانه لاجل

حُبّ المال لبخيل، وقيل اللام بمعنى على، وقال الفراء اصل نظم الاية ان يقال وانه لشديد
الحب للخير فلما قدم الحب قال لشديد وحذف من اخره ذكر الحب لانه قد جرى
ذكره ولرؤس الاي لقوله تعالى في يوم عاصف والعصوف للريح لا لليوم كانه قال
في يوم عاصف الريح **قوله تعالى** افلا يعلم، لما عدد عليه قبائح افعاله خوفه
فقال تعالى افلا يعلم اذا بعثر ما في القبور في اذا اوجه احدها نصب نقله مكي
عن المبرد وتقدم تحريره في السورة قبلها، قال القرطبي العامل في اذا ولا يعمل
فيه خبير وان فصل اللام بينهما لان موضع اللام الابتدا وانما دخلت في الخبران على المبدا
والثاني انه ما دل عليه خبيران اي اذا بعثر جوزوا، والثالث انه يعلم واليه ذهب
الحوفي وابو البقا ورده مكي قال لان الانسان لا يراد منه العلم والاعتبار ذلك
الوقت وانما يعتبر في الدنيا ويعلم، قال ابو حيان وليس بمتضح لان المعنى افلا يعلم
الان وكان قال قيل ذلك ومفعول يعلم محذوف وهو العامل في الظرف اي افلا
يعلم ما له اذا بعثر انتهى، فجعلها متعدية في ظاهر قوله لواحد، وعلى هذا فقد
يقال انها عاملة في اذا على سبيل ان اذا مفعول به لا ظرف اذ التقدير افلا يعرف
اذا وقت بعثرت القبور يعني ان بعثر بالبعث وقته واذا قد تصرفت وخرجت
عن الظرفية ولذلك شواهد تقدم ذكرها، الرابع ان العامل فيها محذوف وهو
مفعول يعلم كما تقدم، وقرا العامة بعثر بالعين مبنيا للمفعول والموصول قائم مقام
الفاعل وابن مسعود بالحا، قال الفرا سمعت بعض اعراب بني اسد يقرا بحثر بالحا وحكاه
الماوردي عن ابن مسعود، وقرا الاسود بن زيد ومحمد بن معدان بحث من البحث
ونصر بن عاصم بعثر مبنيا للفاعل وهو الله او الملك **فصل** المعنى افلا يعلم
ابن ادم اذا بعثر اي اثير وقلب وبحث فاخرج ما فيها، قال ابو عبيدة بعثرت
المتاع جعلت اسفله اعلاه، قال محمد بن كعب ذلك حين يبعثون، فان قيل لم قال
بعثر ما في القبور ولم يقل من في القبور ثم انه تعالى لما قال ما في القبور قال
ان ربهم بهم يومئذ لخبير، فالجواب عن الاول ان ما في الارض غير المكلفين اكثر
فاخرج الكلام على الاغلب او انهم حال ما يبعثرون لا يكونون احيا عقلا بل يصيرون
كذلك بعد البعث فلذلك كان الضمير الاول ضمير غير العقلا والضمير الثاني ضمير العقلا
قوله تعالى وحصل ما في الصدور، قرا العامة حصل مبنيا للفاعل، وروي
عن ابن يعمر وعبيد بن عمير وسعيد بن جبير ونصر ايضا حَصَل خفيف الصاد مبنيا
للفاعل بمعنى جمع ما في الصحف محصلا، والتحصيل جمع الشي والحصول اجتماعه والاسم
الحصيلة، قال لبيد، وكل امرئ يوما سيعلم سعيه، اذا حصلت عند الاله الحواصل
التحصيل التمييز، ومنه قيل للمنخل محصل وحصل الشي محففا ظهر واستبان وعليه القراة
الاخيرة، وقال المفسرون وحصل ما في الصدور اي ميز ما فيها من خير وشر
وقال ابن عباس ابرز قال ابن الخطيب وخص اعمال القلوب بالذكر دون اعمال الجوارح
لان اعمال الجوارح تابعة لاعمال القلوب لانه لولا البواعث والارادات لما حصل
اعمال الجوارح **قوله** ان ربهم، العامة على كسر الهمزة لوجود اللام في خبرها
والظاهر انها معلقة ليعلم فهي في محل نصب ولكن لا يعمل في اذا خبرها لما تقدم بل
يقدر له عامل من معناه كما تقدم، ويدل على انها معلقة للعلم لا مستانفة
قراة ابي السماك وغيره ان ربهم بهم يومئذ خبير بالفتح واسقاط اللام فانها

في

في هذه القراة سادة مسد مفعوليها، ويحكى عن الحجاج الخبيث الروح انه لما فتح همزة
ان استدرك على نفسه فتعمد سقوط اللام وهذا الذي يحكى كفر ولا يقال انها قراة ثابتة
كما نقل عن ابي السماك فلا يكفر لانه لو قراها لذلك فلا لكنها لم يسمع منه ولكنه اسقط
اللام عمدا اصلاحا لسانه واجمعت على ان من زاد حرفا في القران او نقصه
عمدا فهو كافر، قال شهاب الدين وانما قلت ذلك لاني رايت ابا حيان قال
وقرا ابو السماك والحجاج ولا يحفظ عن الحجاج الا هذا الاثر السو والناس ينقلون
عنه كذلك وهو اقل من ان ينقل عنه، ويومئذ متعلقان بالخبر واللام غير
مانعة من ذلك، وقدما لاجل الفاصلة، ومعنى خبير اي عالم لا يخفى عليه منهم
خافية وهو عالم بهم في ذلك اليوم وفي غيره ولكن المعنى انه يجازيهم في ذلك اليوم
روى الثعلبي عن ابي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا
سورة والعاديات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد
جمعا، والله تعالى اعلم وهو حسبي وكفى

سورة القارعة مكية

وهي احدى عشرة اية، وست وثلاثون كلمة، ومائة واثنان وخمسون حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** القارعة ما القارعة، كقوله تعالى
الحاقة ما الحاقة وكقوله واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين وقد تقدم ما نقله مكي
انه يجوز رفع القارعة بفعل مضمر ناصب ليوم، وقيل ستاتيكم القارعة وقيل
القارعة مبتدا وما بعده الخبر، وقيل معنى الكلام على التحذير قال الزجاج
والعرب تحذر وتغري بالرفع كالنصب، وانشد
لجديرون بالوفا اذا، قال اخو النجدة السلاح السلاح
وقد تقدم ذلك في قوله تعالى ناقة الله في من رفعه ويدل على ذلك قراة
عيسى القارعة ما القارعة باضمار فعل اي احذروا القارعة وما زايدة
والقارعة الثانية تاكيد للاولى تاكيدا لفظيا، والقرع الضرب بشدة
واعتماد، والمراد بالقارعة القيامة لانها تقرع الخلايق باهوالها وافزاعها
واهل اللغة يقولون تقول العرب قرعتهم القارعة وفقرتهم الفاقرة اذا وقع
بهم امر فظيع قال تعالى ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة وهي
الشديدة من شدايد الدهر، وقوله تعالى ما القارعة استفهام على جهة التعظيم
والتفخيم لشانها كقوله تعالى الحاقة ما الحاقة، واختلفوا في سبب تسمية القيامة
بالقارعة فقيل المراد بالقارعة الصيحة التي يموتون منها الخلايق لانها تقرع
اسماعهم، وقيل ان الاجرام العلوية والسفلية يصطككان فيموت العالم بسبب
تلك القرعة فلذلك سميت القيامة بالقارعة، وقيل تقرع الناس بالاهوال
كانشقاق السموات وانفطارها وتكوير الشمس والقمر وانتثار الكواكب
ودك الجبال ونسفها وطي الارض، وقيل لانها تقرع اعدا الله بالعذاب
قوله تعالى وما ادراك ما القارعة، اي لا علم لك بكنهها لانها في
الشدة بحيث لا يبلغها وهم احد، وعلى هذا يكون اخر السورة مطابقا لاولها
فان قيل ههنا قال وما ادراك ما القارعة وقال تعالى في اخر السورة فامه

هاوية وما ادراك ما هيه ولم يقل وما ادراك ما هاوية ، فالجواب ان الفرق
ان كونها قارعة امر محسوس وكونها هاوية ليس كذلك فظهر الفرق **قوله** يوم يكون
في ناصب يوم اوجه احدها مضمر يدل عليه القارعة اي تقرعهم يوم يكون وقيل
تقديره تاتي القارعة يوم ، الثاني انه اذكر مقدرا فهو مفعول به لا ظرف
الثالث انه القارعة قاله ابن عطية وابو البقا ومكي ، قال ابو حيان فان كان
عني ابن عطية اللفظ الاول فلا يجوز للفصل بين العامل وهو في صلة ال والمعمول
باجنبي وهو الخبر ، وان جعل القارعة علما للقيمة فلا يعمل ايضا وان عني الثاني
والثالث فلا يلتيم معنى الظرفية معه ، الرابع انه فعل مقدر رافع للقارعة
الاولى كانه قيل تاتي القارعة يوم يكون قاله مكي ، وعلى هذا فيكون ما بينهما
اعتراضا وهو بعيد جدا منافر لنظم الكلام ، وقرا زيد بن علي يوم بالرفع خبرا
لمبتدا محذوف اي وقتها يوم يكون **قوله تعالى** كالفراش ، يجوز ان
يكون خبر الناقصة وان يكون حالا من فاعل التامة اي يوجدون ويحشرون
شبه الفراش وهو طاير معروف ، قال قتادة الفراش الطير الذي يتساقط في
النار والسراج الواحدة فراشة ، وقال الفرا هو الهمج من البعوض والجراد وغيرهما
وبه يضرب المثل في الطيش والهوج ، يقال اطيش من فراشة ، وانشد
، فراشة الحلم فرعون العذاب وان ، يطلب نداه فكلب دونه كلب ، ::
وقال اخر ، وقد كان اقوام رددت قلوبهم ، عليهم وكانوا كالفراش من الجهل
وقال اخر ، طويش من نفر اطياش ، اطيش من طاير الفراش ، والفراشة الما
القليل في الانا وفراشة القفل لشبهها بالفراشة ، وروى مسلم عن جابر رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلي ومثلكم كمثل رجل اوقد نارا
فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها وهو يذبهن عنها وانا اخذ بحجزكم عن النار وانتم
تفلتون من يدي ، وفي تشبيه الناس بالفراش مبالغات شتى ، منها الطيش الذي
يلحقهم وانتشارهم في الارض وركوب بعضهم بعضا والكثرة والضعف والذلة
والمجي من غير ذهاب والقصد الى الداعي من كل جهة والتطاير الى النار ، قال
جرير ، ان الفرزدق ما علمت وقومه ، مثل الفراش غشين نار المصطلي ::
والمبثوث المتفرق ، وقال تعالى في موضع اخر كانهم جراد منتشر فاول حالهم
كالفراش لا وجه له يتحير في كل وجه ثم يكون كالجراد لان لها وجها تقصده والمبثوث المتفرق المنتشور ، وانما ذكر على اللفظ لقوله تعالى اعجاز نخل منقعر
ولو قال المبثوثة فهو كقوله تعالى اعجاز نخل خاوية ، قال ابن عباس والفرا
كالفراش المبثوث كغوغا الجراد يركب بعضها بعضا كذلك الناس يجول بعضهم في بعض اذا بعثوا
فان قيل كيف يشبه الشي الواحد بالصغير والكبير معا لانه شبههم بالجراد المنتشر
والفراش المبثوث ، فالجواب ان التشبيه بالفراش فبذهاب كل واحد الى
غير جهة الاخر ، واما التشبيه بالجراد فبالكثرة والتتابع او يكون كبارا ثم
تصير صغارا **قوله تعالى** وتكون الجبال كالعهن المنفوش ، اي الصوف
الذي ينفش باليد اي يصير هبا ويزول لقوله تعالى في موضع اخر هبا منبثا
قال اهل اللغة العهن الصوف المصبوغ **قوله تعالى** فاما من ثقلت
موازينه فهو في عيشة راضية ، في الموازين قولان احدهما انه جمع موزون وهو

العمل الذي له وزن وخطر عند الله تعالى وهذا قول الفرا ، ونظيره قولك له
عندي درهم بميزان درهمك وداري بميزان دارك ووزن دارك اي حذاها
والثاني قال ابن عباس انه جمع ميزان لها لسان وكفتان لا يوزن فيه الاعمال
وقد تقدم القول في الميزان في سورة الاعراف والكهف والانبيا وانه له كفة
ولسان يوزن فيها الصحف المكتوب فيه الحسنات والسيات ، ثم قيل انه ميزان
واحد بيد جبريل عليه السلام يزن به اعمال بني ادم فعبر عنه بلفظ الجمع ، وقيل
موازين لكل حادثة ميزان ، وقيل الموازين الحجج والدلايل قاله عبد العزيز بن
يحيى ، واستشهد بقول الشاعر
، قد كنت قبل لقايكم ذا مرة ،، عندي لكل مخاصم ميزانه ،
ومعنى عيشة راضية اي عيش مرضي يرضاه صاحبه ، وقيل عيشة راضية
اي فاعلة للرضى وهو اللين والانقياد ، فالعيشة كلمة تجمع النعم التي في الجنة
فهي فاعلة للرضى كالفرش المرفوعة وارتفاعها مقدار ماية عام فاذا دنا منها ولي الله
اتضعت حتى يستوي عليها ثم ترتفع ، وكذلك فروع الشجرة تتدلى من ارتفاعها
للولي فاذا تناول من ثمرها ترتفع لقوله تعالى قطوفها دانية وحيث ما مشى
من مكان الى مكان جرى معه نهر حيث شا **قوله تعالى** واما من خفت
موازينه ، اي رجحت سياته على حسناته ، وقال مقاتل بن حيان انما رجحت
الحسنات لان الحق ثقيل والباطل خفيف **قوله تعالى** فامه هاوية ، اي هالكة
وهذا مثل يقولون لمن هلك هوت امه لانه اذا اهلك سقطت امه ثكلا وحزنا
وعليه قوله هوت امه ما يبعث الصبح غاديا ، وما ذا يرد الصبح حين يؤوب
تكانه قال تعالى ومن خفت موازينه فقد هلك ، وقيل الهاوية من اسما النار
وكانها النار العميقة يهوي اهل النار فيها ، والمعنى فماواه النار ، وقيل للماوى
ام على سبيل التشبيه بالام كما ياوي الى امه ، قال ابن زيد ومنه قول ابن ابي الصلت
، فالارض معقلنا وكانت امنا ،، فيها مقابرنا وفيها نولد ، ::
ويروى ان الهاوية اسم الباب الاسفل من النار ، وقال عكرمة لانه يهوي فيها على ام
راسه وذكره الاخفش والكلبي وقتادة ، والمهوى والمهواة ما بين الجبلين ونحو
ذلك ، وتهاوى القوم في المهواة اذا سقط بعضهم في اثر بعض ، وقرا طلحة فامه
بكسر الهمزة ، نقل ابن خالويه عن ابن دريد انها لغة والنحويون لا يجيزون ذلك
الا اذا تقدمها كسرة او يا وقد تقدم تحقيق ذلك في سورة النسا **قوله
تعالى** وما ادراك ما هيه ، الاصل ما هي فدخلت الها للسكت ، وقرا حمزة
والكسائي ويعقوب وابن محيصن ما هي بغير ها في الوصل ووقفوا بها وقد تقدم
في سورة الحاقة وما هي مبتدا او خبر سادة مسد المفعولين لادراك وهو من التعليق
وهو ضمير الهاوية ان كانت الهاوية كما قيل اسما لدركة من دركات النار والا عادت
على الداهية المفهومة من الهاوية **قوله** نار حامية ، نار خبر مبتدا مضمر اي هي
نار شديدة الحر ، روى مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ناركم هذه التي يوقد ابن ادم جزء من سبعين جزءا من حر جهنم قالوا انها لكافية
يا رسول الله قال عليه الصلاة والسلام فانها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلها مثل
حرها ، روى الثعلبي عن ابي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

من قرأ سورة القارعة ثقل الله بها موازينه يوم القيمة والله تعالى اعلم

سورة التكاثر مكية

في قول الجميع وروى البخاري انها مدنية وهي ثمان ايات
بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** الهاكم التكاثر الهاكم شغلكم قال
امرؤ القيس فالهيتها عن ذي تمائم محول اي شغلكم المباهاة بكثرة الاموال
والعدد عن طاعة الله تعالى حتى متم والالهاء الصرف الى اللهو واللهو الانصراف
الى ما يدعو اليه الهوى وقيل الهاكم اي انساكم التكاثر من الاموال والاولاد
قاله ابن عباس والحسن وقال قتادة اي التفاخر بالقبائل والعشاير وقال
الضحاك الهاكم التشاغل بالمعاش والتجارة تقال لهيت عن كذا بالكسر الهى لهيا
ولهيانا اذا سهوت عنه وتركت ذكره والهاه اي شغله ولهاه به يلهيه
اي علله والتكاثر والمكاثرة قال قتادة ومقاتل وغيرهما نزلت في اليهود
حين قالوا نحن اكثر من بني فلان وبني فلان اكثر من بني فلان الهاهم ذلك حتى
ماتوا ضلالا وقال ابن زيد نزلت في فخذ من الانصار وقال ابن عباس ومقاتل
والكلبي نزلت في حيين من قريش بني عبد مناف وبني سهم تعادوا وتكاثروا
بالسادة والاشراف في الاسلام فقال كل حي منهم نحن اكثر سيدا واعز عزا
واعظم نفرا فكثر بنو عبد مناف سهما ثم تكاثروا بالاموال فكثرتهم فنزل الهاكم
التكاثر باحيائكم فلم ترضوا حتى زرتم المقابر مفتخرين بالاموال وعن عمرو
ابن دينار حلف ان هذه السورة نزلت في التجار وعن قتادة نزلت في اهل
الكتاب والاية تعم جميع ما ذكروه وروى ابن شهاب عن انس بن مالك رضي الله
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو ان لابن ادم واديا من ذهب احب
ان يكون واديان ولن يملا فاه الا التراب ويتوب الله على من تاب قال
ثابت عن انس قال كنا نرى هذا من القران حتى نزلت الهاكم التكاثر رواه البخاري
قال ابن العربي وهذا نص صحيح غاب عن اهل التفسير وقرا ابن عباس الهاكم
على استفهام التقرير والانكار ونقل في هذا المدمع التسهيل ونقل فيه تحقيق
الهمزتين من غير مدة **قوله** حتى زرتم المقابر حتى غاية لقوله الهاكم وهو عطف
عليه والمعنى حتى اتاكم الموت فصرتم في المقابر زوارا ترجعون فيها كرجوع
الزاير الى منزله من جنة او نار تقال لمن مات قد زار قبره وقيل الهاكم التكاثر
حتى عددتم الاموات كما تقدم وقيل هذا وعيد اي اشتغلتم بمفاخرة
الدنيا حتى تزوروا المقابر فتروا ما ينزل بكم من عذاب الله والمقابر جمع
مقبرة بفتح الباء وضمها والقبور جمع القبر وسمي سعيد المقبري لانه كان يسكن
المقابر وقبرت الميت اقبره واقبره قبرا اي دفنته واقبرته اي امرت
بان يقبر **فصل** قال المفسرون معنى الاية الهاكم حرصكم على تكثير اموالكم
عن طاعة ربكم حتى اتاكم الموت وانتم على ذلك قال ابن الخطيب فان قيل
شان الزاير ان ينصرف قريبا والاموات ملازمون القبور فكيف يقال انه زار
القبر وايضا فقوله جل ذكره حتى زرتم المقابر اخبار عن الماضي فكيف يحمل على
المستقبل فالجواب عن الاول ان سكان القبور لابد ان ينصرفوا منها وعن

الثاني اما ان المراد من كان مشرفا على الموت لكبر او غيره كما يقال انه على شفير قبره
واما ان المراد من تقدمهم كقوله تعالى وتقتلون النبيين وقال ابو مسلم ان الله
تعالى يتكلم بهذه السورة يوم القيمة تعيير الكفار وهم في ذلك الوقت قد تقدمت
منهم زيارة القبور **فصل** قال القرطبي لم يات في التنزيل ذكر المقابر
الا في هذه السورة وفيه نظر لانه تعالى قال في سورة اخرى ثم اماته فاقبره واعلم
ان زيارة القبور من اعظم الادوية للقلب القاسي لانها تذكر الموت والاخرة
وذلك يحمل على قصر الامل والزهد في الدنيا وترك الرغبة فيها قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تزهد في الدنيا
وتذكر الاخرة وروى ابو هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لعن زوارات القبور قال بعض اهل العلم كان هذا قبل ان يرخص في زيارة القبور
فلما رخص دخل في الرخصة الرجال والنسا وقال بعضهم انما كره زيارة القبور
للنسا لقلة صبرهن وكثرة جزعهن وقال بعضهم زيارة القبور للرجال متفق عليه
واما النسا فمختلف فيه واما الشواب فحرام عليهن الخروج واما القواعد فمباح
لهن ذلك وجايز لجميعهن ذلك اذا انفردن بالخروج عن الرجال بغير خلاف
لعدم خشية الافتتان **فصل** ينبغي لمن زار القبور ان يتادب بادابها
ويحضر قلبه في اتيانها ولا يكون حظه منها التطواف فقط فان هذه حالة يشاركه فيها البهيمة
بل يقصد بزيارته وجه الله تعالى واصلاح فساد قلبه ونفع الميت بما يتلوه عنده من
القران والدعا ويتجنب المشي على القبور والجلوس عليها ويسلم اذا دخل المقابر واذا وصل
الى قبر ميته الذي يعرفه سلم عليه ايضا واتاه من تلقا وجهه لانه في زيارته كمخاطبته
حيا ثم يعتبر بمن صار تحت التراب وانقطع عن الاهل والاحباب ويتامل الزاير حال
من مضى من اخوانه كيف انقطعت امالهم ولم تغن عنهم اموالهم ومحى التراب محاسن
وجوههم وتفرقت في القبور اجزاؤهم وترمل من بعدهم نساؤهم وشمل ذل اليتيم
اولادهم وانه لابد صاير الى مصيرهم وان حاله كحالهم وماله كمالهم **قوله
تعالى** كلا قال الفرا اي ليس الامر على ما انتم عليه من التفاخر والتكاثر
والتمام على هذا كلا سوف تعلمون اي سوف تعلمون عاقبة هذا **قوله تعالى**
ثم كلا سوف تعلمون جعله ابن مالك من التوكيد مع توسط حرف العطف
وقال الزمخشري والتكرير تاكيد للردع والرد عليهم وثم دالة على ان الانذار
الثاني ابلغ من الاول واشد كما تقول للمنصوح اقول لك ثم اقول لك لا تفعل
انتهى ونقل عن علي رضي الله عنه كلا سوف تعلمون في الدنيا ثم كلا سوف تعلمون
في الاخرة فعلى هذا يكون غير مكرر لحصول التغاير بينهما لاجل تغاير المتعلقين
وثم على بابها من المهلة وحذف متعلق العلم في الافعال الثلاثة لان الغرض الفعل
لا متعلقه وقال الزمخشري والمعنى لو تعلمون الخطا فيما انتم عليه اذا عاينتم
ما انتم عليه انتهى فقدر له مفعولا واحدا كانه جعله بمعنى عرف **فصل**
قال ابن عباس كلا سوف تعلمون ما ينزل بكم من العذاب في القبور ثم كلا سوف
تعلمون في الاخرة اذا حل بكم العذاب فالتكرار للحالين وروى زر بن حبيش
عن علي رضي الله عنه قال كنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت هذه السورة فاشار
الى ان قوله تعالى كلا سوف تعلمون في القبور وقيل كلا سوف تعلمون اذا

نزل بكم الموت وجاتكم رسل ربكم بنزع ارواحكم ثم كلا سوف تعلمون في القيمة انكم معذبون
وعلى هذا تضمنت احوال القيمة من بعث وحشر وعرض وسوال الى غير ذلك من اهوال
القيمة ، وقال الضحاك كلا سوف تعلمون ايها المومنون وكذلك كان يقروها
الاولى بالياء والثانية بالتا فالاول وعيد والثاني وعد **قوله** كلا لو تعلمون
جواب لو محذوف اي لفعلتم ما لا يوصف ، وقيل التقدير لرجعتم عن كفركم
قال ابن الخطيب وجواب لو محذوف وليس لترون جوابها لان هذا مثبت وجواب
لو يكون منفيا ولانه عطف عليه قوله ثم لتسالن وهو مستقبل لا بد من وقوعه
وحذف جواب لو كثير ، قال الاخفش التقدير لو تعلمون علم اليقين ما الهاكم
وقيل لو تعلمون لما ذا خلقتم لاشتغلتم وحذف الجواب افخم لانه يذهب الوهم ١٠
معه كل مذهب قال تعالى لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون ، وقال تعالى ولو
ترى اذ وقفوا على ربهم واعاد كلا وهو زجر وتنبيه لانه عقب كل واحد بشي
اخر كانه قال لا تفعلوا فانكم تندمون لا تفعلوا فانكم تستوجبون العقاب
وعلم اليقين مصدر وقيل واصله العلم اليقين فاضيف الموصوف الى صفته ، وقيل
لا حاجة الى ذلك لان العلم يكون يقينا وغير يقين فاضيف اليه اضافة العام
الى الخاص ، وهذا يدل على ان اليقين اخص **فصل** قال المفسرون اضافة
العلم الى اليقين لقوله تعالى انه لحق اليقين ، قال قتادة اليقين هنا الموت
جام وعنه ايضا البعث لانه اذا اتى زال الشك اي لو تعلمون علم البعث او علم الموت فعبر
عن الموت باليقين كقولك علم الطب وعلم الحساب والعلم اشد من البواعث على العمل
فاذا كان بحيث يمكن العمل كان تذكرة وموعظة وان كان بعد فوات العمل
كان حسرة وندامة وفيه تهديد عظيم للعلماء الذين لا يعملون بعلمهم **قوله
تعالى** لترون الجحيم ، جواب قسم مقدر اي لترون الجحيم في الاخرة والخطاب
للكفار وقيل عام لقوله تعالى وان منكم الا واردها فهو للكفار مقر وللمومنين
ممر ، وقرا ابن عامر والكسائي لترون مبنيا للمفعول وهي منقولة من راى الثلاثي
الى راى اي اريته الشي فاكتسب مفعولا اخر فقام الاول مقام الفاعل وبقي
الثاني منصوبا ، والباقون مبنيا للفاعل جعلوه غير منقول فتعدى لواحد
فقط فان الروية بصرية ، وامير المومنين وعاصم وابن كثير في رواية عنهما
بالفتح في الاولى والضم في الثانية يعني لترونها ، ومجاهد وابن ابي عبلة والاشهب
بضمها فيهما ، والعامة على ان الواو بلا همزة لان حركتها عارضة وقد نص
مكي وابو البقا على عدم جوازه وعللا بعروض الحركة ، وقرا الحسن وابو عمرو
بخلاف عنهما بهمز الواو استثقالا لضمة الواو ، قال الزمخشري وهي
مستكرهة يعني لعروض الحركة عليها الا انهم قد همزوا ما هو اولى بعدم
الهمز من هذه الواو ونحو اشتروا الضلالة همزوا اشتروا بعضهم مع انها حركة
عارضة وتزول في الوقف وحركة هذه الواو وان كانت عارضة الا انها غير
زايلة في الوقف فهي اولى بهمزها ، وقوله ثم لترونها عين اليقين ، هذا مصدر
موكد كانه قيل روية اليقين نفيا لتوهم المجاز في الروية الاولى ، وقال ابو البقا
لان راى وعاين بمعنى **فصل** معنى الكلام لترون الجحيم بابصاركم على البعد
ثم لترونها عين اليقين اي مشاهدة ، وقيل هو اخبار عن دوام مقامهم م

في النار اي في روية دايمة متصلة ، والخطاب للكفار ، وقيل لو تعلمون علم اليقين
معناه لو تعلمون اليوم في الدنيا علم اليقين مما امامكم مما وصفت لترون الجحيم بعيون
قلوبكم فان علم اليقين يريك الجحيم بعين فوادك وهو ان يصور لك نار القيمة ثم لترونها
عين اليقين اي عند المعاينة بعين الراس فتراها يقينا لا تغيب عن عينك ، ثم لتسالن
يومئذ عن النعيم في موقف السوال والعرض ، قال الحسن لا يسال عن النعيم الا اهل
النار لان ابا بكر رضي الله عنه لما نزلت هذه الاية قال يا رسول الله صلى الله عليك
ارايت اكلة اكلتها معك في بيت ابي الهيثم بن التيهان من خبز شعير ولحم وبسر وماء
عذب ايكون من النعيم الذي يسال عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما
ذلك للكفار ثم قرا عليه الصلاة والسلام وهل نجازي الا الكفور ، ولان ظاهر الاية
يدل على ذلك لان الكفار الهاهم التكاثر بالدنيا والتفاخر بلذاتها عن طاعة الله
والاشتغال بشكره فالله تعالى يسالهم عنها يوم القيمة حتى يظهر لهم ان الذي
ظنوه لسعادتهم كان من اعظم الاسباب لشقاوتهم ، وقيل السوال عام في حق المومن
والكافر لقوله صلى الله عليه وسلم اول ما يسال العبد يوم القيمة عن النعيم فيقال
له الم نصحح جسمك الم نروك من الماء البارد ، وقيل الزايد عما لا بد منه ، وقيل
غير ذلك ، قال ابن الخطيب والاولى على جميع النعم لان الالف واللام تفيد
الاستغراق وليس صرف اللفظ الى البعض اولى من صرفه الى الباقي فيسال عنها هل
شكرها ام كفرها ، واذا قيل ان هذا السوال للكفار فقيل السوال في موقف
الحساب ، وقيل بعد دخول النار يقال لهم انما حل بكم هذا العذاب لاشتغالكم
في الدنيا بالنعيم عن العمل الذي ينجيكم من هذه النار ولو صرفتم عمركم الى طاعة
ربكم لكنتم اليوم من اهل النجاة ، والله اعلم م

سورة والعصر مكية

وروى ابن عباس وقتادة انها مدنية ، وهي ثلاث ايات ، واربع عشرة كلمة
وثمانية وستون حرفا ، بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** والعصر
قرا العامة بسكون الصاد ، وسلام والعصر بكسرها م والصبر بكسر البا ، قال
ابن عطية وهذا لا يجوز الا في الوقف على نقل الحركة ، وروى عن ابي عمرو بالصبر
بسكون البا اشماما وهذا ايضا لا يجوز الا في الوقف انتهى ، ونقل هذه القراءة
جماعة كالهذلي وابي الفضل الرازي وابن خالويه ، قال الهذلي والعصر والصبر
والفجر والوتر بكسر ما قبل الساكن في هذه كلها هرون وابن موسى عن ابي عمرو
والباقون بالاسكان كالجماعة انتهى ، فهذا اطلاق منه لهذه القراءة في حالتي
الوقف والوصل ، وقال ابن خالويه والصبر بنقل حركة الراء الى البا ليلا يحتاج
ان ياتي ببعض الحركة في الوقف ولا الى ان يسكن فيجمع بين ساكنين وذلك لغة شايعة
وليست بشاذة بل مستفيضة وذلك دلالة على الاعراب وانفصال من التقاء
الساكنين وتادية حق الموقوف عليه من السكون انتهى ، وهذا يوذن بما ذكر ابن
عطية انه كان ينبغي ، وانشدوا على ذلك ، واصطفافا بالرجل يريد بالرجل
وقال اخر ، انا جرير كنيتي ابو عمر ، اضرب بالسيف وسعد بالقصر م م
والنقل جايز في الضمة كقوله اوحد العمرو له شروط والعصر الليلة واليوم قال

ولو بليت العصران يوم وليلة ۞ اذا طلبا ان يدركا ما تيمما ۞ قال ابن عباس وغيره
والعصر اى الدهر ۞ ومنه قول الشاعر ۞
۞ سبيل الهوى وعر وبحر الهوى غمر ۞ ويوم الهوى شهر وشهر الهوى دهر
اقسم الله تعالى بالعصر لما فيه من الاعتبار للناظر بتصرف الاحوال وتبدلها وما فيها
من الادلة على الصانع ۞ والعصران ايضا الغداة والعشى ۞ قال
۞ وامطله العصرين حتى يملنى ۞ ويرضى بنصف الدين والانف راغم ۞
تقول اذا جائنى اول النهار وعدته اخره ۞ وقيل انه العشى وهو ما بين الزوال
والغروب قاله الحسن وقتادة ۞ ومنه قول الشاعر ۞
۞ تروح بنا عمرو وقد قصر العصر ۞ وفى الروحة الاولى الغنيمة والاجر ۞
وعن قتادة هو اخر ساعة من النهار فاقسم سبحانه باحد طرفى النهار كما اقسم بالضحى
وهو احد طرفى النهار قاله ابو مسلم ۞ وقيل اقسم تعالى بصلاة العصر وهى الوسطى
لانها افضل الصلوات قاله مقاتل تقول اذن العصر اى لصلاة العصر وصلت
العصر اى صلاة العصر ۞ وقال صلى الله عليه وسلم الصلاة الوسطى صلاة العصر
وقيل اقسم بعصر النبى صلى الله عليه وسلم لفضله بتجديد النبوة فيه ۞ وقيل معناه ورب
العصر **فصل** قال مالك رضى الله عنه من حلف ان لا يكلم الرجل عصرا لم
يكلمه سنة قال ابن العربى انما حمل مالك رحمه الله يمين الحالف ان لا يكلم الرجل عصرا
على السنة لانه اكثر ما قيل فيه وذلك على اصله فى التغليظ المعنى فى الايمان ۞ وقال
الشافعى رحمه الله يبر بساعة الا ان يكون له نية وبه اقول الا ان يكون الحالف
عربيا فيقال له ما اردت فاذا فسره بما يحتمله قبل منه الا ان يكون الاقل **قوله
تعالى** ان الانسان لفى خسر ۞ هذا جواب القسم والمراد به العموم بدليل الاستثنا
منه وهو من جملة ادلة العموم ۞ وقال ابن عباس فى رواية ابى صالح المراد به الكافر
وقال فى رواية الضحاك يريد جماعة من المشركين الوليد بن المغيرة والعاص بن
وايل والاسود بن عبد المطلب بن اسد بن عبد العزى والاسود بن يغوث
وقوله تعالى لفى خسر اى لفى غبن ۞ وقال الاخفش لفى هلكة ۞ وقال الفراء لفى
عقوبة ۞ ومنه وكان عاقبة امرها خسرا ۞ وقال ابن زيد لفى شر ۞ وقيل
لفى نقص ۞ وقرا العامة لفى خسر بسكون السين ۞ وزيد بن على وابن هرمز وعاصم
فى رواية وزاد القرطبى الاعرج وطلحة وعيسى الثقفى بضمها وهى كالعسر واليسر
وقد تقدم فى البقرة والوجه فيها الاتباع ۞ ويقال خسر وخسر مثل عسر
وعسر ۞ وكان على رضى الله عنه يقروها والعصر ونوايب الدهر ان الانسان
لفى خسر وانه فيه الى اخر الدهر ۞ وقال ابرهيم ان الانسان اذا عمر فى الدنيا
وهرم لفى نقص وضعف وتراجع الا المومنين فانه يكتب لهم اجورهم التى كانوا
يعملونها فى حال شبابهم ونظيره قوله تعالى لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم
ثم رددناه اسفل سافلين قال وقرانا والعصر ان الانسان لفى خسر وانه فى
اخر الدهر والصحيح ما عليه الامة والمصاحف ۞ وقيل المعنى ان الانسان لا
ينفك عن تضييع عمره لان كل ساعة تمر بالانسان فان كانت فى معصية
فالخسر ظاهر وكذلك ان مرت فى مباح ۞ وان مرت فى طاعة فكان يمكن
ان ياتى بها على وجه اكمل اى من الخلوص الخشوع والاخلاص وترك الاعلا والاتيان

بالادنى

بالادنى نوع خسران ۞ والخسر والخسران مصدران والتنكير الخسر اما للتعظيم واما
للتحقير بالنسبة الى خسر الشياطين والاول اظهر وافرد الخسر مع كثرة انواعه
لان الخسر الحقيقى هو حرمانه عن خدمة ربه سبحانه وما عدا ذلك فكالعدم وفيه
مبالغات دخول ان واللام واحاطة الخسر به اى هو فى طريق خسر او بسبب خسر
قوله تعالى الا الذين امنوا ۞ استثنا من الانسان اذ المراد به الجنس على
الصحيح وعملوا الصالحات اى ادوا الفرايض المفترضة عليهم وهم اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم ۞ قال ابى بن كعب رضى الله عنه قرات على رسول الله صلى الله عليه وسلم
والعصر ثم قلت ما تفسيرها يا نبى الله صلى الله عليك وسلم قال والعصر قسم من الله
اقسم ربكم باخر النهار ان الانسان لفى خسر ابو جهل الا الذين امنوا ابو بكر وعملوا
الصالحات عمر وتواصوا بالحق عثمان وتواصوا بالصبر على رضى الله عنهم اجمعين وهكذا
خطب ابن عباس على المنبر موقوفا عليه ۞ ومعنى تواصوا اى تحابوا اوصى بعضهم بعضا
وحث بعضهم بعضا بالحق اى بالتوحيد كذا روى الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنه
وقال قتادة بالحق اى بالقران ۞ وقال السدى الحق هنا الله تعالى وتواصوا
بالصبر على طاعة الله والصبر عن معاصيه ۞ روى الثعلبى عن ابى رضى الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والعصر ختم الله له بالصبر وكان
مع اصحاب الحق يوم القيمة ۞

سورة الهمزة مكية

وهى تسع ايات ۞ وثلاث وثلاثون كلمة ۞ ومائة وثلاثون حرفا ۞ بسم الله
الرحمن الرحيم **قوله تعالى** ويل لكل همزة لمزة ۞ الويل لفظ الذم والسخط
وهى كلمة كل مكروب وقد تقدم الكلام فى الويل ومعناه الخزى والعذاب
والهلكة ۞ وقيل واد فى جهنم لكل همزة اى كثير الهمز ۞ وكذلك اللمزة الكثير
اللمز ۞ وتقدم معنى الهمز فى سورة ن واللمز فى سورة براءة ۞ والعامة
على فتح ميمها على ان المراد الشخص الذى كثر منه ذلك الفعل ۞ قال زياد الاعجم ۞
۞ تدلى بودى اذا لاقيتنى كذبا ۞ وان اغيب فانت الهامز اللمزة ۞
وقرا ابو جعفر والاعرج بالسكون وهو الذى يهمز ويلمز اى ياتى بما يهمز
به ويلمز كالضحكة لمن يكثر ضحكه والضحكة لمن ياتى بما يضحك منه وهو مطرد فى
ان فعلة بفتح العين لمن يكثر منه الفعل وسكونها لمن يكون الفعل بسببه قال
ابن عباس هم المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الاحبة الباغون للبرآء العيب
فعلى هذا هما بمعنى ۞ وقال صلى الله عليه وسلم شرار عباد الله تعالى المشاؤون
بالنميمة المفرقون بين الاحبة الباغون للبراء العيب ۞ وعن ابن عباس رضى الله عنه
الهمزة القتات واللمزة العتاب ۞ القتات هو النمام يقال فى الحديث تفسير
اذا زوره وهياه وسواه ۞ وقيل النمام الذى يكون مع القوم يتحدثون
فينم عليهم ۞ والقتات الذى يتسمع على القوم وهم لا يعلمون ثم ينم ۞ والقتات
الذى يسال عن الاخبار ثم ينمها نقله ابن الاثير ۞ وقال ابو العالية والحسن
ومجاهد وعطاء بن ابى رباح الهمزة الذى يغتاب ويطعن فى وجه الرجل ۞ واللمزة
الذى يغتابه من خلفه وهذا اختيار النحاس ۞ قال ومنه قوله تعالى ومنهم

من يلمزك في الصدقات ، وقال مقاتل ضد هذا القول ان الهمزة الذي يغتاب بالغيبة
واللمزة الذي يغتاب في الوجه ، وقال قتادة ومجاهد الهمزة الطعان في
انسابهم ، وقال ابن زيد الهامز الذي يهمز الناس بيده ويضربهم واللماز الذي
يلمزهم بلسانه ويلمز بعينه ، وقال ابن كيسان الهمزة الذي يؤذي جلساءه
بسوء اللفظ واللمزة الذي يكسر عينه ويشير بعينه وراسه وبحاجبه ، وقرا
عبد الله بن مسعود وابو وايل والنخعي والاعمش ويل للهمزة اللمزة واصل الهمز
الكسر والعض على الشي بعنف ومنه همزة الحرف وهمزت راسه وهمزت الجوز بكفي كسرته
وقيل اصل الهمز واللمز الدفع والضرب لمزه يلمزه لمزا اذا ضربه ودفعه وكذلك
همزه اي دفعه وضربه ، قال الراجز ، ومن همزنا عزه تبركعا ، على استه
زوبعة او زوبعا ، البركعة القيام على اربع ، وبركعه فتبركع اي صرعه
فوقع على استه قاله في الصحاح **فصل** روى الضحاك عن ابن عباس
انها نزلت في الاخنس بن شريق كان يلمز الناس ويعيبهم مقبلين ومدبرين
وقال ابن جريج نزلت في الوليد بن المغيرة كان يغتاب النبي صلى الله عليه وسلم
من ورايه ويقدح فيه في وجهه ، وقيل نزلت في ابي بن خلف وقيل في جميل بن عامر
الثقفي ، وقيل انها عامة من غير تخصيص وهو قول الاكثرين قال مجاهد ليست
بخاصة لاحد بل لكل من كانت هذه صفته ، وقال الفرا يجوز ان يذكر الشي العام
ويقصد به الخاص ان قال لا ازورك ابدا فيقول من لم يزرني فلست بزايره يعني
ذلك القايل **فصل** قال ابن الخطيب فان قيل لم قال هاهنا ويل منكرا
وفي موضع اخر ولكم الويل معرفا ، فالجواب لان ثمة قالوا يا ويلنا انا كنا
ظالمين فقال ولكم الويل وهاهنا نكر حتى لا يعلم كنهه الا الله تعالى ، وقيل في
ويل انها كلمة تقبيح ، وويس استصغار ، وويح ترحم فنبه بهذا على قبح هذا الفعل
قوله تعالى الذي جمع ، قرا ابن عامر والاخوان بتشديد الميم على
المبالغة والتكثير لانه يوافق عدده ، والباقون مخففا وهي محتملة للتكثير
وعدمه ، وقوله تعالى وعدده ، العامة على تثقيل الدال الاولى وهي ايضا
للمبالغة ، وقرا الحسن والكلبي بتخفيفها وفيه اوجه ، احدها ان المعنى جمع
مالا وعدد ذلك المال اي وجمع عدده اي احصاه ، والثاني ان المعنى
وجمع عدد نفسه من عشيرته واقاربه وعدده وعلى هذين التاويلين اسم
معطوف على مالا اي وجمع عدد المال او عدد نفسه ، الثالث ان عدده
فعل ماض بمعنى عده الا انه شذ في اظهاره كما شذ في قوله

، اني اجود لاقوام وان ضننوا ،

اي ضنوا وبخلوا فاظهر التضعيف ، والذي بدل من كل او نصب على الذم
وانما وصفه تعالى بهذا الوصف لانه يجري مجرى السبب والعلة في الهمز
واللمز وهو اعجابه بما جمع من المال وظنه ان الفضل فيه فلاجل ذلك يستنقص
غيره **فصل** قال المفسرون جمع مالا وعدده اي اعده لنوايب
الدهر مثل كرم واكرم ، وقيل احصى عدده قاله السدي ، وقال الضحاك
اي اعد ما له لمن يرثه من اولاده ، وقيل فاخر بعدده وكثرته والمقصود
الذم على امساك المال على سبيل الطاعة لقوله تعالى مناع للخير ، وقوله تعالى

وجمع فاوعى **قوله** يحسب ، يجوز ان يكون مستانفة وان يكون حالا من فاعل جمع
واخلده بمعنى يخلده فاوقع الماضي موقع المضارع ، وقيل هو على اصله اي اطال
عمره ، قال السدي اي يظن ان ماله اخلده اي يبقيه حيا لا يموت ، وقال
عكرمة اي يزيد في عمره ، وقيل احياه فيما مضى وهو ماض بمعنى المستقبل ، يقال
هلك والله فلان ودخل النار اي يدخل النار **قوله** كلا ، رد لما توهمه
الكفار اي لا يخلد ولا يبقى له مال ، وقيل حقا لينبذن **قوله تعالى** لينبذن
جواب قسم مقدر ، وقرا علي والحسن رضي الله عنهما بخلاف عنه ومحمد بن كعب ونصر
ابن عاصم ومجاهد وحميد وابن محيصن وابو عمرو في رواية لينبذان بالف
التثنية اي لينبذان اي هو وماله ، وعن الحسن ايضا لينبذن بضم الذال وهو
مسند لضمير جماعة اي ليطرحن الهمزة وانصاره واللمزة والمال وجامعه جميعا
وقرا الحسن ايضا لينبذنه على معنى لينبذن ماله ، وعنه ايضا بالنون اي لينبذنه
على اخبار الله تعالى عن نفسه انه ينبذ صاحب المال في الحطمة وهي نار الله سميت
بذلك لانها تكسر كل ما يلقى فيها وتحطمه وتهشمه والحطمة الكثير الحطم ، ويقال رجل حطمة
اي اكول ، وحطمه كسره ، والحطام منه ، قال م

، قد لفها الليل بسواق حطم ،

وقال اخر ، انا حطمنا بالقضيب مصعبا ، يوم كسرنا انفه ليغضبا

حكى الماوردي عن الكلبي ان الحطمة هي الطبقة السادسة من طبقات جهنم ، وحكى
القشيري عنه الحطمة الدرجة الثانية من درج النار ، وقال الضحاك هي الدرك
الرابع ، وقال ابن زيد اسم من اسماء جهنم **قوله تعالى** وما ادراك ما الحطمة
تعظيم لشانها وتفخيم لامرها ثم فسرها ما هي فقال نار الله الموقدة اي هي نار الله
التي اوقد عليها الف عام حتى احمرت والف عام حتى ابيضت **قوله** التي تطلع ، يجوز
ان يكون تابعة لنار الله وان يكون مقطوعة ، قال محمد بن كعب تاكل النار جميع
اجسادهم حتى اذا بلغت الفواد خلقوا خلقا جديدا فرجعت تاكلهم وكذا روى
خالد بن ابي عمران عن النبي صلى الله عليه وسلم ان النار تاكل اهلها حتى اذا اطلعت على
افيدتهم انتهت ثم اذا صدروا تعود فذلك قوله تعالى نار الله الموقدة التي تطلع
على الافيدة ، وخص الافيدة لان الالم اذا صار الى الفواد مات صاحبه اي انهم
في حال من يموت ولا يموتون لقوله تعالى لا يموت فيها ولا يحيى فهم احيا في معنى
الاموات ، وقيل معنى تطلع على الافيدة اي تعلم مقدار ما يستحقه كل واحد منهم
من العذاب ، يقال اطلع فلان على كذا اي علمه **قوله تعالى** انها عليهم موصدة
اي مطبقة عليهم قاله الحسن والضحاك ، وقد تقدم في سورة البلد ، وقيل
مغلقة بلغة قريش يقولون اصدت الباب اذا اغلقته قاله مجاهد ، ومنه قول عبد الله
ابن قيس بن الرقيات ، ان في القصر لو دخلنا غزالا ، مصفقا موصدا عليه الحجاب
قوله في عمد ، قرا الاخوان وابو بكر بضمتين جمع عمود نحو رسول ورسل ، وقيل
جمع عماد نحو كتاب وكتب ، وروي عن ابي عمرو الضم والسكون وهو تخفيف
لهذه القراة ، والباقون عمد بفتحتين فقيل اسم جمع لعمود وقيل بل هو جمع له م
قال الفرا كاديم وادم ، وقال ابو عبيدة وهو جمع عماد ، وفي عمد يجوز ان
يكون حالا من الضمير في عليهم اي موثقين وان يكون خبر المبتدا مضمر اي هم في عمد

وان يكون صفة لموصدة قاله ابو البقا يعني فيكون النار داخل العمد • وقال القرطبي الفا بمعنى البا اى موصدة بعمد ممددة قاله ابن مسعود وهي في قراءته بعمد ممددة • قال الجوهري العمود جمع عمود البيت وجمع القلة اعمدة وجمع الكثرة عمد وعمد • وقرئ بهما في قوله تعالى في عمد ممددة • وقال ابو عبيدة العمود كل مستطيل من خشب او حديد • وقيل اصل البنا مثل العماد عمد الشي فانعمد اى فاقمته بعماد يعتمد عليه • واعتمدته جعلت تحته عمدا **فصل** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى يبعث عليهم ملايكة باطباق من نور ومسامير من نار وعمد من نار فتطبق عليهم تلك الاطباق وتشد بتلك المسامير وتمد بتلك العمد فلا يبقى فيها خلل يدخل منه روح ولا يخرج منه غم فيكون كلامهم فيها زفير وشهيق فذلك قوله تعالى انها عليهم موصدة في عمد ممددة • وقال قتادة عمد يعذبون بها واختاره الطبري • وقال ابن عباس ان العمد الممددة اغلال في اعناقهم • وقال ابو صالح قيود في ارجلهم • وقال القشيري العمد اوتاد الاطباق • وقيل المعنى في دهور ممدودة لا انقطاع لها • كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا ويل لكل همزة اعطي من الاجر حسنات بعدد من استهزا بمحمد صلى الله عليه وسلم ::

سورة الفيل مكية

وهي خمس ايات • وعشرون كلمة • وستة وتسعون حرفا • بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل • هذه قراءة الجمهور اعني فتح الرا وحذف الالف للجزم • وقرا السلمي ترْ بسكون الرا كانه لم يعتد بحذف الالف كقولهم لم ابله • وقرا ايضا ترْءَ بسكون الرا وهمزة مفتوحة وهو الاصل • وكيف معلقة للروية وهي منصوبة بفعل بعدها لا بالم تر كيف من معنى الاستفهام **فصل** المعنى الم تخبر • وقيل الم تعلم • وقال ابن عباس الم تسمع واللفظ استفهام والمعنى تقرير والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم ولكنه عام اى الم تروا ما فعلت باصحاب الفيل اى قد رايتم ذلك وعرفتم موضع منتي عليكم فما لكم لا تومنون **فصل** الفيل معروف • والجمع افيال وفيول وفيلة وقال ابن السكيت ولا تقل افيلة وصاحبه فيال • قال سيبويه يجوز ان يكون اصل فيل فعل فكسر من اجل اليا كما قالوا ابيض وبيض • وقال الاخفش هذا لا يكون في الواحد انما يكون في الجمع • ورجل فيل الراي اى ضعيف الراي والجمع افيال ورجل فال اى ضعيف الراي مخطي الفراسة وقد فال الراي يفيل فيولة وفيل رايه تفييلا اى ضعف وهو فيل الراي **فصل** روي ان ابرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن بنى كنيسة بصنعا لم ير مثلها وسماها القليس واراد ان يصرف اليها الحاج فخرج رجل من بني كنانة مختفيا وجعل يبول ثم وتغوط في تلك الكنيسة ليلا فاغضبه ذلك • وقيل اجج نارا فحملتها الريح فاحرقتها فقال من فعل هذا فقيل له رجل من اهل البيت الذي يحج العرب اليه فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بالحبشة ومعه فيل اسمه محمود وكان قويا عظيما وثمانية اخرى • وقيل اثنا عشر • وقيل الف وبعث رجلا الى بني كنانة يدعوهم الى حج تلك الكنيسة فقتلت بنو كنانة ذلك الرجل فزاد ذلك ابرهة غضبا وحنقا فسار ليهدم الكعبة

فلما

فلما بلغ قريبا من مكة خرج اليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث اموال تهامة ليرجع فابى وقدم الفيل فكانوا كلما وجهوه الى الحرم برك واذا وجهوه الى اليمن او الى ساير الجهات هرول ثم ان ابرهة اخذ لعبد المطلب مايتي بعير فخرج اليهم بسببها فلما راه ابرهة عظم في عينه وكان رجلا جسيما وقيل له هذا سيد قريش وصاحب عير مكة فنزل ابرهة عن سريره وجلس معه على بساط ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك فلما ذكر حاجته قال له سقطت من عيني جيت لاهدم البيت الذي هو دينك ودين ابايك لا تكلمني فيه والهاك عنه ذود لم احبسها لك فقال له عبد المطلب انا رب الابل وان للبيت ربا سيمنعه ثم رجع واتى البيت فاخذ بحلقة باب الكعبة وقام معه نفر من قريش يدعون الله تبارك وتعالى ويستنصرونه على ابرهة وجنده فقال عبد المطلب م ::

لاهم ان العبد يمنع رحله م فامنع حلالك • لا يغلبن صليبهم ومحالهم عدوا محالك • ان يدخلوا البيت الحرام فامر لهم ما قد بدا لك • غيره • ::

يا رب لا ارجو سواكا • يا رب فامنعهم حماكا • ان عدو البيت من عاداك • انهم لم يقهروا قواكا • فالتفت وهو يدعو فاذا هو بطير من ناحية اليمن فقال والله انها لطير غريبة ما هي بنجدية ولا تهامية وكان مع كل طير حجر في منقاره وحجران في رجليه اكبر من العدسة واصغر من الحمصة قال الراوي فارسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة ثم انطلق هو ومن معه من قريش الى شعف الجبال فتحرزوا فيها ينظرون ما يفعل ابرهة اذا دخل مكة فارسل عليهم طيرا من البحر امثال الخطاطيف والبلسان مع كل طاير منها ثلاثة احجار فكان الحجر يقع على راس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه فهلكوا في كل طريق ومنهل روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه راى من تلك الاحجار عند ام هاني نحو قفيز مخططة بحمرة كالجزع الظفاري قال الراوي وليس كلهم اصابت وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق التي منها جاوا • وروي ان ابرهة تساقطت انامله وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه وانفلت وزيره ابو يكسوم وطاير يحلق فوقه حتى قدموا صنعا وهو مثل فرخ الطاير • وقيل قدموا على النجاشي فقص عليه القصة فلما اتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه **فصل** حكى الماوردي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ولدت عام الفيل • وروي انه صلى الله عليه وسلم قال يوم الفيل وقال في كتاب اعلام النبوة ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الاول وكان بعد الفيل بخمسين يوما ووافق من شهور الروم العشرين من اسباط في السنة التاسعة عشر من ملك هرمز بن انوشروان • قال وحكى ابو جعفر الطبري ان مولده صلى الله عليه وسلم كان لاثنين واربعين سنة من ملك انوشروان • وقد قيل انه صلى الله عليه وسلم حملت به امه امنة في يوم عاشورا من شهر المحرم حكاه ابن شاهين ابو حفص في فضايل يوم عاشورا وولد يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان فكانت مدة حمله صلى الله عليه وسلم ثمانية اشهر كملا ويومين من التاسع • وقال ابن العربي قال ابن وهب عن مالك ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل • وقال قيس بن مخرمة ولدت انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل • وقال عبد الملك بن مروان لعتاب بن اسيد انت اكبر ام النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اكبر مني وانا اسن منه ولد النبي صلى الله عليه وسلم عام الفيل وانا ادركت سايسه وقايده اعميين مقعدين يستطعمان الناس **فصل** قال بعض العلما كانت قصة الفيل مما يعد من

معجزاته صلى الله عليه وسلم وان كانت قبله وقبل التحدى لانها كانت توكيدا لامره
وتمهيدا لشانه ٭ ولما تلى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه السورة كان بمكة عدد
كثير من شهد تلك الواقعة ولهذا قال الم تر ولم يكن بمكة احد الا وقد راى قايد الفيل
وسايقه اعميين يتكففان الناس ٭ قالت عايشة رضى الله عنها مع حداثة سنها لقد رايت
قايد الفيل وسايقه اعميين **قوله تعالى** الم يجعل كيدهم فى تضليل ٭ اى فى ابطال
وتضييع ٭ والكيد هو ارادة مضرة بالغير لانهم ارادوا ان يكيدوا قريشا بالقتل والسبى
والبيت بالتخريب والهدم ٭ قالت المعتزلة اضافة الكيد اليهم دليل على انه تعالى لا
يرضى بالقبيح اذ لو رضى لاضافه الى ذاته **قوله تعالى** وارسل عليهم طيرا ابابيل ٭ قال
النحاة ابابيل نعت لطير لانه اسم جمع ٭ وابابيل قيل لا واحد له كاساطير وعباديد وقيل
واحده ابول كعجول ٭ وقيل ابال ٭ وقيل ابيل مثل سكين ٭ وحكى الرقاشى انه جمع
ابالة بالتشديد ٭ وحكى الفرا ابالة مخففة **فصل** الابابيل الجماعات شيا بعد
شى ٭ قال طرق وحاردوا اصوله عليه ابابيل من الطير شعب ٭ وقد يستعار لغير
الطير كقوله م
٭ كادت تهد من الاصوات راحلتى ٭ اذ سالت الارض بالجرد الابابيل ٭
قال ابو عبيدة ابابيل جماعات فى تفرقة ٭ يقال جاءت الخيل ابابيل من ههنا وههنا
قال سعيد بن جبير كانت طيرا من السماء لم ير مثلها ٭ وروى الضحاك عن ابن عباس رضى الله
عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انها طير بين السما والارض تعشعش وتفرخ
وعن ابن عباس رضى الله عنه كان لها خراطيم كخراطيم الفيلة واكف كاكف الكلاب
وقال عكرمة كانت طيرا خضرا خرجت من البحر لها رؤس كرؤس السباع ولم تر قبل
ذلك ولا بعده ٭ وقالت عايشة رضى الله عنها هى اشبه شى بالخطاطيف ٭ وقيل بل
كانت اشبه بالوطاويط ٭ وقيل انها العنقا التى تضرب بها الامثال ٭ قال النحاس
وهذه الاقوال متفقة المعنى لان حقيقة المعنى انها جماعات عظام ٭ يقال فلان يؤبل
على فلان اى يعظم عليه ويكثر ٭ وهو مشتق من الابل **فصل** قال ابن الخطيب
هذه الاية رد على الملحدين جدا لانهم ذكروا فى الزلازل والرياح والصواعق والخسف
وساير الاشيا التى عذب الله تعالى بها الامم اعذارا ضعيفة ٭ اما هذه الواقعة فلا
يجرى فيها تلك الاعذار وليس فى شى من الطبايع والحيل ان يقصد طير معها حجارة فيقصد
قوما دون قوم فيقتلهم ولا يمكن ان يقال انه كساير الاحاديث الضعيفة لانه لم يكن
بين عام الفيل ومبعث الرسول الا نيف واربعون سنة ويوم تلا رسول الله صلى الله عليه
وسلم هذه الاية كان قد بقى جمع شاهدوا تلك الواقعة فلا يجرى فيها تلك الاعذار
ولو كان النقل ضعيفا لكذبوه فعلمنا انه لا سبيل للطعن فيه **قوله تعالى**
ترميهم بحجارة ٭ ترميهم صفة لطير ٭ وقرا العامة ترميهم بالتانيث ٭ وابو حنيفة
وابو يعمر وعيسى وطلحة بالياء من اسفل وهما واضحتان لان اسم الجمع يذكر ويونث
ومن التانيث قوله ٭ كالطير ينجو من الشوب ذى البرد ٭ وقيل الضمير لربك اى
يرميهم ربك بحجارة ٭ ومن سجيل صفة لحجارة والسجيل قال الجوهرى قالوا حجارة
من طين طبخت بنار جهنم مكتوب فيها اسما القوم لقوله لنرسل عليهم حجارة من طين
وقال عبد الرحمن بن ابزى من سجيل اى من السما وهى الحجارة التى نزلت على قوم لوط
وقيل من الجحيم وهى سجين ثم ابدلت اللام نونا كما قالوا فى اصيلال اصيلان ٭ قال

ابن نبيل ٭ ضربا تواصت به الابطال سجيلا ٭ وانما هو سجينا ٭ وقال الزجاج من سجيل
اى مما كتب عليهم ان يعذبوا به مشتقا من السجل وقد تقدم القول فى السجيل فى
سورة هود ٭ قال عكرمة كان اذا اصاب احدهم الحجر خرج معه الجدرى ولم ير قبل
ذلك اليوم ٭ وقال ابن عباس رضى الله عنه كان الحجر اذا وقع على احدهم نفط جلده
وكان ذلك اول الجدرى ٭ قال يونس وابو عبيدة والسجيل عند العرب الشديد
الصلب ٭ قال وزعم بعض المفسرين انها كلمتان بالفارسية جعلتهما العرب كلمة واحدة
وانهما سنج وجيل فالسنج الحجر والجيل الطين اى من هذين الجنسين الحجر والطين قال
ابو اسحق وحدثنى يعقوب بن عتبة انه قال اول ما رايت الحصبة بارض العرب
ذلك وانه اول ما راى بها مرائر الشجر الحرمل والحنظل والعشار ذلك العام
قوله تعالى فجعلهم كعصف ماكول ٭ كعصف هو المفعول الثانى للجعل بمعنى
التصيير وفيه مبالغة حسنة وهو انه لم يكفه ان جعلهم اهون شى من الزرع وهو ما لا يجدى
طايلا حتى جعلهم رجيعا ٭ والمعنى جعل الله تعالى اصحاب الفيل كورق الزرع اذا
اكلته الدواب فرمت به اسفل قاله ابن زيد وغيره ٭ والعصف جمع واحده عصفة
وعصافة وعصيفة ٭ وادخل الكاف فى كعصف للتشبيه مع مثل لقوله تعالى ليس كمثله
شى ٭ ومعنى ماكول ان المراد به قشر البر يعنى الغلاف الذى يكون فيه حبة القمح روى
ان الحجر كان يقع على احدهم فيخرج كلما فى جوفه فيبقى كقشر الحنطة اذا اخرجت منه الحبة
قال ابن اسحق لما رد الله تعالى الحبشة عن مكة عظمت العرب قريشا وقالوا اهل
الله قاتل الله عنهم وكفاهم مؤنة عدوهم فكان ذلك نعمة من الله عليهم ٭ روى
الثعلبى عن ابى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة
الفيل عافاه الله تعالى ايام حياته من المسخ والعدو ٭ والله اعلم

سورة قريش مكية

فى قول الجمهور مدنية فى قول الضحاك والكلبى ٭ وهى اربع ايات ٭ وسبع عشرة كلمة
وثلاث وسبعون حرفا ٭ بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** لايلاف قريش
فى متعلق هذه الاية اوجه ٭ احدها انه ما فى السورة قبلها من قوله تعالى فجعلهم
كعصف ٭ قال الزمخشرى وهذا بمنزلة التضمين فى الشعر وهو ان يتعلق معنى
البيت بالذى قبله تعلقا لا يصح الا به وهما فى مصحف ابى سورة واحدة بلا فصل
وعن عمر رضى الله عنه انه قراهما فى الثانية من صلاة المغرب وفى الاولى بسورة
التين انتهى ٭ والى هذا ذهب الاخفش الا ان الحوفى قال ورد هذا القول جماعة
بانه لو كان لذا الكان لايلاف بعض سورة الم تر وفى اجماع الجميع على الفصل بينهما
ما يدل على عدم ذلك الثانى انه مضمر تقديره فعلنا ذلك اى اهلاك اصحاب
الفيل لايلاف قريش اى لتاليف قريش او لسفق قريش او لكى تامن قريش فتولف
رحلتيها ٭ وقيل تقديره اعجبوا ٭ الثالث انه قوله تعالى فليعبدوا والا يلافهم
فانها اظهر نعمة عليهم ٭ قال الزمخشرى وهو قول الخليل قبله وقرا ابن عامر
لالاف دون يا قبل اللام الثانية ٭ والباقون لايلاف بيا قبلها ٭ واجمع الكل على
اثبات اليا فى الثانى وهو ايلافهم ٭ ومن غريب ما اتفق فى هذين الحرفين ان القرا
اختلفوا فى سقوط اليا وثبوتها فى الاول مع اتفاق المصاحف على اثباتها خطا واتفقوا

على اثبات اليا في الثاني مع اتفاق المصاحف على سقوطها فيه خطا وهذا دليل على ان القرا
متبعون الاثر والرواية لا مجرد الخط فاما قراءة ابن عامر ففيها وجهان احدهما
انه مصدر لالف ثلاثيا يقال الفته الافا نحو كتبته كتابا يقال الفته الفا والافا
وقد جمع الشاعر بينهما في قوله م

زعمتم ان اخوتكم قريش ... لهم الف وليس لكم الاف

والثاني انه مصدر الف رباعيا نحو قاتل قتالا وقال الزمخشري اي لمؤالفة
قريش واما قراءة الباقين فمصدر آلف رباعيا بزنة اكرم يقال آلفته اولفه
ايلافا قال الشاعر من المؤلفات الرمل ادماء حرة شعاع الضحى في متنها يتوضح
وقرا عاصم في رواية الائهم بهمزتين الاولى مكسورة والثانية مكسورة وهي
شاذة لانه يجب في مثله ابدال الثانية حرفا مجانسا كايمان وروي عنه ايضا
بهمزتين مكسورتين بعدهما يا ساكنة وخرجت على انه اشبع كسر الهمزة الثانية فتولد
منها يا وهذه اشذ من الاولى ونقل ابو البقا اشذ منها فقال بهمزة مكسورة
بعدها يا ساكنة بعدها همزة مكسورة وهو بعيد ووجهها انه اشبع الكسرة
فنشات اليا وقصد بذلك الفصل بين الهمزتين كالالف في أأنذرتهم وقرا ابو جعفر
لالف قريش بزنة قرد وقد تقدم انه مصدر لالف كقوله لهم الف وليس لكم الاف
وعنه ايضا وعن ابن كثير الفهم وهي ساكنة اللام بغير يا وهي قراءة مجاهد وحميد
وروت اسما رضي الله عنها انها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا الفهم
وهو مروي ايضا عن ابن عباس رضي الله عنه وغيره وعنه ايضا وعن ابن عامر
الافهم مثل كتابهم وعنه ايضا ليلاف بيا ساكنة بعد اللام وذلك انه لما ابدل
الثانية حذف الاولى على غير قياس وقرا عكرمة ليالف قريش فعلا مضارعا وعنه
ليالف على الامر واللام مكسورة وعنه فتحها مع الامر وهي لغية

فصل

قد تقدم ان هذه السورة متصلة بما قبلها في المعنى اي اهلكت اصحاب الفيل
لايلاف قريش اي لتاليف قريش او لتتفق قريش او لتامن قريش فتؤلف رحلتيها
قال ابن الخطيب فان قيل انما كان الاهلاك لكفرهم قلنا جزا الكفر يكون ثم
يوم القيامة تجزى كل نفس بما كسبت ولان كفرهم مشترك بينهم وبين غيرهم سلمناه
لكن لا يمتنع ان تكون للامرين معا سلمناه لكن تكون اللام لام العاقبة او تكون
المعنى الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل لايلاف قريش اي كل ما تضمنته السورة لايلافهم
او تكون اللام بمعنى الى اي فعلنا هذه النعم مضافا الى نعمة ايلاف قريش وقال
الكسائي والاخفش اللام في قوله تعالى لايلاف قريش لام التعجب اي اعجبوا
لايلاف قريش نقله القرطبي قال الزاهد هذه السورة متصلة بالسورة الاولى
لانه ذكر اهل مكة عظيم نعمته عليهم فيما فعل بالحبشة ثم قال جل وعلا لايلاف قريش
اي فعلنا ذلك باصحاب الفيل نعمة منا على قريش وذلك ان قريشا كانت تخرج
في تجارتها فلا يغار عليها في الجاهلية يقولون هم اهل بيت الله تعالى حتى جا صاحب
الفيل ليهدم الكعبة فاهلكه الله تعالى فذكرهم نعمته اي فجعل الله تعالى ذلك
لايلاف قريش اي ليالفوا الخروج ولا يجترا عليهم قاله مجاهد وابن عباس في
رواية سعيد بن جبير عنه قال ابن عباس لايلاف قريش قال نعمتي على قريش لايلافهم
رحلة الشتا والصيف قال كانوا يشتون بمكة ويصيفون بالطايف وعلى هذا القول

يجوز

يجوز الوقف على روس الاي وان لم يكن الكلام تاما قال ابن الخطيب والمشهور انهما سورتان
ولا يلزم من التعلق الاتحاد لان القران كسورة واحدة قال الخليل ليست متصلة
كانه قال الف الله قريشا ايلافا فليعبدوا رب هذا البيت واللام متعلقة بقوله
تعالى فليعبدوا امروا ان يعبدوا رب هذا البيت لايلافهم رحلة الشتا والصيف للامتنان
وحمل ما بعد الفا على ما قبلها لانها زايدة غير عاطفة كقولك زيدا فاضرب
واما مصحف ابي فمعارض باطباق الكل على الفصل بينهما واما قراءة عمر رضي
الله عنه فالامام قد يقرا سورتين قال ابن العربي وليست المواقف التي تنزع
بها القراء شرعا مرويا وانما ارادوا به تعليم الطلبة المعاني فاذا علموها وقفوا
حيث شاؤوا ولا دليل على ما قالوه بحال ولكني اعتمد الوقف على التمام كراهية
الخروج عنهم قال القرطبي رحمه الله واجمع المسلمون على ان الوقف عند قوله
تعالى كعصف ماكول ليس بقبيح وكيف يقال بقبحه وهذه السورة تقرا في الركعة
الاولى والتي بعدها في الركعة الثانية ولا يمنع الوقف على اعجاز الايات سوا تم
الكلام ام لا

فصل

قريش اسم القبيلة قيل هم ولد النضر بن كنانة
وكل من ولده النضر فهو قرشي دون كنانة وهو الصحيح وقيل هم ولد فهر بن
مالك بن النضر بن كنانة فمن لم يلده فهر فليس بقرشي فوقع الوفاق على
ان بني فهر قرشيون وعلى ان كنانة ليسوا بقرشيين ووقع الخلاف في النضر
ومالك واختلف في اشتقاقه على اوجه احدها انه من التقرش وهو التجمع سموا
بذلك لاجتماعهم بعد افتراقهم قال م

ابونا قصي كان يدعى مجمعا ... به جمع الله القبايل من فهر

والثاني انه من القرش وهو الكسب كانت قريش تجارا يقال قرش يقرش اي
اكتسب الثالث انه من يقال قرش يقرش عن اي فتش وكانت قريش يفتشون
على ذوي الخلات فيسدوا خلتهم قال الشاعر م

ايها الشامت المقرش عنا ... عند عمرو فهل له ابقا

الرابع ان معاوية سال ابن عباس لم سميت قريش قريشا فقال لدابة في البحر
يقال لها القرش من اقوى دوابه تاكل ولا توكل وتعلو ولا تعلى وانشد قول تبع

وقريش هي التي تسكن البحر ... وبها سميت قريش قريشا
تاكل الغث والسمين ولا ... تترك لذي الجناحين ريشا
هكذا في البلاد حي قريش ... ياكلون البلاد اكلا كميشا
ولهم اخر الزمان نبي ... يكثر القتل فيهم والخموشا

ثم قريش اما ان يكون مصغرا من مزيد على الثلاثة فيكون تصغيره تصغير ترخيم فقيل
الارض مقترش وقيل قارش واما ان يكون مصغرا من ثلاثي نحو القرش واجمعوا
على صرفه هنا مرادا به الحي ولو اريد به القبيلة لامتنع من الصرف كقوله

غلب المساميح الوليد سماحة ... وكفى قريش المعضلات وسادها

قال سيبويه في معد وقريش وثقيف وشبه هذه للاحيا اكثر وان جعلتها اسما للقبايل
فهو جايز حسن **قوله** ايلافهم مؤكد للاول تاكيدا لفظيا واعربه ابو البقا بدلا
قوله رحلة مفعول به بالمصدر والمصدر مضاف لفاعله اي لان الفوا رحلة
والاصل رحلتي الشتا والصيف ولكنه افرد لامن اللبس كقوله كلوا في بعض بطونكم

تمنعوا قاله الزمخشري وفيه نظر لان سيبويه يجعل هذا ضرورة كقوله، حمامة بطن الواديين
ترنمي، قال الليث الرحلة اسم لارتحال القوم المسير، وقيل رحلة اسم جنس وكانت
لهم اربع رحل وجعله بعضهم غلطا وليس كذلك، قال القرطبي ورحلة نصب بالمصدر
اي ارتحالهم رحلة وهو مفعول ايلافهم عليه او على الظرف محلها في محل الرفع على معنى هما رحلتان
الشتا والصيف مجاز، وقرا العامة بكسر الرا وهي مصدر وابو السماك بضمها وهي
الجهة التي يرحل اليها والشتا لامه واو لقولهم الشتوة وشتا يشتو اشتوا في النسب
اليه فقالوا شتوي والقياس شتاي او شتاوي ككساي وكساوي **فصل**
قال مجاهد في قوله تعالى ايلافهم رحلة الشتا والصيف قال لا يشق عليهم رحلة
الشتا والصيف منة منه على قريش، وقال الهروي وغيره كان اصحاب الايلاف
اربعة اخوة، هاشم، وعبد شمس، والمطلب، ونوفل بنو عبد مناف، فاما هاشم
فانه كان يؤلف ملك الشام اي اخذ منه عهدا يامن به في تجارته الى الشام واخوه
عبد شمس كان يؤلف الى الحبشة والمطلب الى اليمن ونوفل الى فارس، ومعنى يؤلف
يجير فكان هولا الاخوة يسمون المجيرين فكان تجار قريش يختلفون الى الامصار بحبل
هولا فلا يتعرض لهم، قال الازهري الايلاف شبه الاجارة بالخفارة يقال
ألف يؤلف والف يؤلف اذا اجار الحمايل بالخفارة والحمايل جمع حمولة، والمعنى ان قريشا
كانوا سكان الحرم ولم يكن زرع ولا ضرع وكانوا يميرون في الشتا والصيف آمنين
والناس يتخطفون من حولهم فكانوا اذا عرض لهم عارض قالوا نحن حرم الله فلا يتعرض
لهم احد وكانت احدى الرحلتين الى اليمن في الشتا لانها بلاد حامية والرحلة الاخرى
في الصيف الى الشام لانها بلاد باردة، وقال ابن عباس كانوا يشتون بمكة
لدفايها ويصيفون بالطايف لهوايها وهذا من اجل النعم ان يكون للقوم ناحية حر
تدفع عنهم برد الشتا وناحية باردة تدفع عنهم حر الصيف فذكرهم الله تعالى
هذه النعمة **فصل** قال مالك رضي الله عنه الشتا نصف السنة والصيف
نصفها، وقال قوم آخرون الزمان اربعة اقسام شتا وربيع وصيف وخريف
وقيل شتا وصيف وقيظ وخريف، قال القرطبي والذي قاله مالك اصح لان
الله تعالى قسم الزمان قسمين ولم يجعل لهما ثالثا **قوله تعالى** فليعبدوا
رب هذا البيت، امرهم تعالى بعبادته وتوحيده لاجل ايلافهم رحلتين وتقدم
الكلام على الفا والبيت والكعبة، وفي تعريف نفسه لهم بانه تعالى رب هذا البيت
وجهان احدهما لانه كانت لهم اوثان فميز نفسه تعالى عنها، الثاني لانهم شرفوا
بالبيت على ساير العرب فذكر لهم تذكير النعمة، وقيل المعنى فليعبدوا رب هذا
البيت اي ليالفوا عبادة رب هذا البيت كما كانوا يالفون الرحلتين **قوله تعالى**
الذي اطعمهم من جوع، اي من اجل جوع وامنهم من اجل خوف، والتنكير للتعظيم
اي من جوع عظيم وخوف عظيم، وقال ابو البقا ويجوز ان يكون في موضع الحال
من مفعول اطعمهم واخفى نون من في الخا نافع في رواية وكذلك في العين وهي
لغة حكاها سيبويه **فصل** قال ابن عباس رضي الله عنه بدعوة ابرهيم
عليه السلام حيث قال رب اجعل هذا البلد امنا، وارزقهم من الثمرات
وقال ابن زيد كانت العرب يغير بعضها على بعض ويسبي بعضهم بعضا فامنت قريش
من ذلك لمكان الحرم، وقيل شق عليهم السفر في الشتا والصيف فالقى الله تعالى

في

في قلوب الحبشة ان يحملوا اليهم طعاما في السفن فخافت قريش منهم وظنوا انهم قدموا لحربهم
فخرجوا اليهم متحرزين فاذا هم قد جلبوا اليهم الطعام واعانوهم بالاقوات
فكان اهل مكة يخرجون الى جدة بالابل والحمر فيشترون الطعام على مسيرة ليلتين وقيل
ان قريشا لما كذبوا النبي صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اجعلها عليهم سنين
كسني يوسف فاشتد القحط فقالوا يا محمد ادع الله لنا فانا مومنون فدعا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاخصبت تبالة وجرش من بلاد اليمن فحملوا الطعام الى مكة
واخصب اهلها، وقال الضحاك والربيع وشريك وسفيان وامنهم من خوف اي من
خوف الحبشة مع الفيل، وقال علي رضي الله عنه وامنهم من ان تكون الخلافة الا فيهم
وقيل كفاهم اخذ الايلاف من الملوك، روى الثعلبي عن ابي رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة لايلاف قريش اعطي من الاجر عشر
حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها، والله تعالى اعلم

سورة الدين مكية

وتسمى الماعون مكية في قول عطا وجابر واحد قولي ابن عباس رضي الله عنه، ومدنية
في قوله الآخر، وقال قتادة وغيره وهي سبع ايات، وخمس وعشرون كلمة
ومايه وثلاثة وعشرون حرفا، بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** ارايت
الذي يكذب بالدين، اي بالجزا او الحساب وقرا الكسائي اريت بسقوط الهمزة وقد
تقدم تحقيقه في الانعام، وقال الزمخشري وليس بالاختيار لان حذفها
مختص بالمضارع ولم يصح عن العرب ريت او سمعت يراع، رد في الضرع ما تري في
العلاب، وفي ارايت هذه وجهان احدهما انها بصرية فتتعدى لواحد وهو الموصول
كانه قال ابصرت المكذب، والثاني انها بمعنى اخبرني فتتعدى لاثنين فقدره
الحوفي اليس مستحقا العذاب، والزمخشري من هو ويدل على ذلك قراءة عبد الله
ارايتك بكاف الخطاب والكاف لا تلحق البصرية، قال القرطبي وفي الكلام حذف
والمعنى ارايت الذي يكذب بالدين امصيب هو ام مخطي **فصل** نقل ابو صالح
عن ابن عباس رضي الله عنه قال نزلت في العاص بن وايل السهمي وهو قول الكلبي
ومقاتل، وروى الضحاك عنه قال نزلت في رجل من المنافقين، وقال السدي نزلت
في الوليد بن المغيرة، وقيل في ابي جهل، وعن الضحاك في عمرو بن عايذ، وقال
ابن جريج في ابي سفيان وكان ينحر في كل اسبوع جزورا فطلب منه يتيم شيئا فقرعه
بعصاه فانزل الله تعالى هذه السورة، قال ابن الخطيب وقيل انه عام في كل
مكذب بيوم الدين **قوله** فذلك، فيه وجهان، احدهما ان الفا جواب شرط
مقدر اي ان تاملته او ان طلبت علمه فذلك، والثاني انها عاطفة فذلك على الذي
يكذب اما عطف ذات على ذات او صفة على صفة ويكون جواب ارايت محذوفا لدلالة ما
بعده عليه كانه قيل اخبرني وما تقول فيمن يكذب بالجزا وفيمن يوذي اليتيم ولا
يطعم المسكين انعم ما يصنع فعلى الاول يكون اسم الاشارة في محل رفع بالابتدا والخبر
الموصول بعده واما على انه الخبر لمبتدا مضمر اي فهو ذلك والموصول نعت على
الثاني يكون منصوبا لنسقه على ما هو منصوب الا ان ابا حيان رد الثاني فقال
يجعل ذلك في موضع نصب عطفا على المفعول وهو تركيب غريب كقولك اكرمت الذي

يزورنا فذلك الذي يحسن الينا فالمتبادر الى الذهن فذلك مرفوع بالابتدا وعلى تقدير
النصب يكون التقدير اكرمت الذي يزورنا فاكرمت ذلك الذي يحسن الينا فاسم الاشارة
في هذا التقدير غير متمكن تمكن ما هو فصيح اذ لا حاجة الى ان يشار الى الذي يزورنا بل
الفصيح اكرم الذي يزورنا فالذي يحسن الينا واما قوله فذلك اما عطف ذات على ذات
فلا يصح لان فذلك اشارة الى الذي يكذب فليسا بذاتين لان المشار اليه بذلك
واحد واما تقديره انعم ما يصلح فهمزة الاستفهام لا نعلم دخولها على نعم ولا بيس
لانهما انشا والاستفهام لا يدخل الا على الخبر انتهى والجواب عن قوله فاسم الاشارة
غير متمكن الى اخره ان العرف بينهما ان الاية الكريمة استفهام وهو ارايت تحسن
ان تفسر ذلك المستفهم عنه بخلاف المثال الذي مثل به فمن ثم حسن التركيب
المذكور وعن قوله لان فذلك اشارة الى القايم لا الى زيد وان كان يجوز ان
يكون اشارة اليه وعن قوله فلا يسمى جوابا ان النحاة يقولون جواب الاستفهام
وهذا قد تقدمه استفهام فحسن ذلك وعن قوله والاستفهام لا يدخل الا على الخبر
بالمعارضة بقوله فهل عسيتم فان عسى انشا فما كان جوابا له فهو جواب لنا **فصل**
قال ابن الخطيب هذا اللفظ وان كان في صورة الاستفهام لكن الغرض بمثله المبالغة
في التعجب كقولك ارايت فلانا ماذا ارتكب فقيل انه خطاب للرسول صلى الله عليه
وسلم وقيل خطاب لكل عاقل **قوله تعالى** يدع اليتيم قرا العامة بضم
الدال وتشديد العين من دعه اي دفعه وامير المومنين والحسن وابو رجا
يدع بفتح الدال وتخفيف العين اي يترك ويهمل **فصل** قال الضحاك عن ابن
عباس رضي الله عنه فذلك الذي يدع اليتيم اي دفعه عن حقه قال تعالى يوم
يدعون الى نار جهنم دعا وقال قتادة تقهره وتظلمه وقد تقدم في سورة
النسا انهم كانوا لا يورثون النسا ولا الصغار ويقولون انما يحوز المال من يطعن
بالسنان ويضرب بالحسام وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضم يتيما من
المسلمين حتى يستغني فقد وجبت له الجنة **قوله تعالى** ولا يحض على طعام المسكين
اي لا يامر به من اجل بخله وتكذيبه الجزا والحساب وقرا زيد بن علي ولا يحاض من المحاضة
وقد تقدم في الفجر قال الرازي وليس الذم عاما حتى يتناول من تركه عجزا ولكنهم
كانوا يبخلون ويعتذرون لانفسهم يقولون انطعم من لو يشا الله اطعمه فنزلت هذه
الاية فيهم فيكون معنى الاية لا يفعلون به ان قدروا ولا يحثون عليه ان عسروا
قوله فويل مبتدا ومعناه عذاب لهم وقوله للمصلين خبره والفا للتسبب
اي تسبب عن هذه الصفات الذميمة الدعا عليهم بالويل قال الزمخشري بعد قوله
كانه قيل اخبرني وما تقول فيمن يكذب بالدين انعم ما يصنع ثم قال الله تعالى
فويل للمصلين اي اذا علم انه مسي فويل للمصلين على معنى فويل لهم الا انه وضع صفتهم
موضع ضميرهم لانهم كانوا مع التكذيب وما اضيف اليهم ساهين عن الصلاة مرايين
غير مزكين اموالهم فان قلت كيف جعلت المصلين قائما مقام ضمير الذي يكذب
وهو واحد قلت معناه الجمع لان المراد به الجنس قال ابو حيان واما وضعه
المصلين موضع الضمير وان المصلين جمع لان ضمير الذي يكذب معناه الجمع فتكلف
واضح ولا ينبغي ان يحمل القران الا على ما عليه الظاهر وعادة هذا الرجل تكلف اشيا
في فهم القران ليست بواضحة فان ذهب الدين وعادة هذا الرجل التحامل على الزمخشري

حتى يحمل حسنه قبيحا وكيف يرد كلامه وفيه ارتباط الكلام بعضه ببعض وجعله شيا واحدا
ولا شك ان الظاهر من الكلام ان السورة كلها في وصف قوم جمعوا بين هذه الاوصاف
كلها من التكذيب بالدين ودفع اليتيم وعدم الحض على طعام المسكين والسهو في الصلاة
والمراآة ومنع الخير **قوله** الذين هم يجوز ان يكون مرفوع المحل وان يكون
منصوبه وان يكون مجروره تابعا او بدلا او بيانا وكذلك الموصول الثاني الا
انه يحتمل ان يكون تابعا للمصلين وان يكون تابعا للموصول الاول وقوله يراوون
اصله يرااييون كيقاتلون ومعنى المراآة ان المرائي يري الناس عمله وهم يرون
الثنا عليه فالمفاعلة فيها واضحة وقد تقدم تخفيفه **فصل** في اتصال هذه
الاية بما قبلها وجوه الاول انه لما كان ايذا اليتيم والمنع من بذل طعام المسكين
دليلا على النفاق لان هاتين الخصلتين معاملة مع المخلوق اما الصلاة فانها معاملة
مع الخالق الثاني انه تعالى لما ذكرهما بين الخصلتين مع التكذيب بيوم الدين قال
اليس الصلاة تنهى عن الفحشا والمنكر فقال ويل لمن هذه الصلاة كيف لا تنهاه عن
هذه الافعال المنكرة الثالث كانه يقول اقدامه على ايذا اليتيم وتركه للحث على
طعام المسكين تقصير في الشفقة على خلق الله عز وجل وسهوه في الصلاة تقصيره في التعظيم
لامر الله تعالى فلما وقع التقصير في الامرين دلت شقاوته **فصل** قال ابن
عباس هو المصلي الذي اذا صلى لم يرج لها ثوابا وان تركها لم يخش عليها عقابا وعنه
ايضا قال الذين يوخرونها عن اوقاتها قال سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه قال
النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون
قال النبي صلى الله عليه وسلم الذين يوخرون الصلاة عن وقتها تهاونا بها وقيل
لا يتمون ركوعها ولا سجودها وقال ابرهيم هو الذي يلتفت في سجوده وقال
قطرب هو ان لا يقرا ولا يذكر الله وفي قراة عبد الله الذين هم عن صلاتهم
لاهون وعن ابن عباس ايضا هم المنافقون يتركون الصلاة سرا ويصلونها
علانية واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى الاية وهذا يدل على انها في
المنافقين قوله الذين هم يراوون ورواه ابن وهب عن مالك رضي الله عنه **فصل**
قال ابن عباس ولو قال في صلاتهم ساهون لكانت في المومنين وقال عطا الحمد
لله الذي قال عن صلاتهم ساهون ولم يقل في صلاتهم فدل على ان الاية في المنافقين
قال الزمخشري فان قلت اي فرق بين قوله تعالى عن صلاتهم وبين قولك في
صلاتهم قلت معنى انهم ساهون عنها سهو ترك لها وقلة التفات اليها وذلك
فعل المنافقين او الفسقة الشياطين من المسلمين ومعنى في ان السهو يعتريهم فيها
بوسوسة شيطان او حديث نفس وذلك لا يكاد يخلو منه انسان وكان النبي
صلى الله عليه وسلم يقع له السهو في صلاته فضلا عن غيره قال ابن الخطيب
قال كثير من العلما انه صلى الله عليه وسلم سهى لكن اذن الله تعالى له في ذلك
الفعل بيانا للتشريع في فعل الساهي فمن شدده وقوع السهو منه فالسهو على اقسام
احدها سهو الرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه وذلك يجبر بالسنن تارة وبالسنن
والنوافل تارة والثاني ما يكثر في الصلاة من الغفلة وعدم استحضار النية
وهذا يقع كثيرا والثالث ترك الصلاة لا الى قضا والاخراج عن الوقت
ومن ذلك صلاة المنافق لانه يستهزي بالدين والفرق بين المنافق والمرائي

ان المنافق يبطن الكفر ويظهر الايمان والمرائي انما يظهر زيادة الخشوع ليعتقد من
يراه دينه ❁ او يقال ان المنافق لا يصلي سرا والمرائي تكون صلاته عند الناس
قال ابن العربي السلامة عن السهو محال **قوله تعالى** الذين هم يراؤن ❁ اي
يرى الناس انه طاعة وهو يصلي تقية كالفاسق يرى انه يصلي عبادة وهو يصلي ليقال
انه يصلي ❁ وحقيقة الرياء طلب ما في الدنيا بعبادة واصله المنزلة في قلوب الناس
وهو من وجوه اولها تحسين السمت يريد بذلك الجاه والثناء ❁ والثاني الرياء
بالثياب القصار والخشنة ليتشبه بالزهاد ❁ وثالثها الرياء بالسخط عن الدنيا
واظهار الوعظ والتاسف على فوات الخير والطاعة ❁ ورابعها اظهار الصلاة والصدقة
وتحسين الصلاة لاجل رؤية الناس وغير ذلك مما يطول ذكره **فصل** لا يكون
الرجل مرائيا باظهار العمل المفروض لان حق الفرائض الاعلان واشهارها لقوله صلى
الله عليه وسلم ولا غمة في فرائض الله تعالى لانها اعلام الاسلام وشرائع الدين
ويستحق تاركها الذم والمقت فوجب اماطة التهمة باظهارها ❁ واما التطوع فحقه
ان يخفى لانه مما لا يلام بتركه ولا تهمة فيه فان اظهره قاصدا الاقتداء به كان
جميلا ❁ وان قصد باظهاره ان الاعين وثنى عليه بالصلاح فهو الرياء **قوله تعالى**
ويمنعون الماعون ❁ في الماعون اوجه ❁ احدها فاعول من المعن وهو الشيء
القليل ❁ يقال ماله معنة اي قليل قاله قطرب ❁ الثاني انه اسم مفعول من اعانه
يعينه والاصل معوون وكان من حقه على هذا ان يقال معون كمقول ومصون
اسم مفعول من قال وصان ولكنه قلبت الكلمة بان قدمت عينها قبل فائها فصار
موعون ثم قلبت الواو الاولى الفا كقولهم تابه وصامه في توبه وصومه
فوزنه الان مفعول ❁ وفي هذا الوجه شذوذ من ثلاثة اوجه اولها كون
مفعول جاء من فعل وحقه ان يكون على مفعل كمكرم فيقال معان كمقام ❁ واما مفعول
فاسم مفعول للثلاثي ❁ الثاني القلب وهو خلاف الاصل ❁ الثالث قلب حرف العلة
الفا وان لم يتحرك وقياسه على تابه وصامه بعيد لشذوذ المقيس عليه ❁ وقد يجاب
عن الثالث بان الواو متحركة في الاصل قبل القلب فانه بزنة معوون ❁ الوجه
الثالث ان اصله معونة والالف عوض من الهاء ووزنه مفعل كملوم ووزنه
بعد الزيادة ما فعل **فصل** اختلف اقوال المفسرين في الماعون ❁
واحسنها انه كل ما يستعان به وينتفع به كالفاس والدلو والمقدحة ❁ قال
الاعشى ❁ باجود منه بماعونه ❁ اذا ما سماؤهم لم تغم ❁ ولم يذكر المفعول الاول
للمنع اما للعلم به اي يمنعون الناس او الطالبين ❁ واما لان الغرض ذكر ما يمنعونه
لا من يمنعونه تنبيها على خساستهم وضنهم بالاشياء التافهة المستقبح منعها عند
كل احد ❁ فان قيل هذه الاية تدل على التهديد العظيم بالسهو عن الصلاة والرياء
ومنع الماعون وذلك من باب الذنوب ولا يصير المرء به منافقا فلم حكم الله تعالى
بمثل هذا الوعيد على هذا الفعل ❁ فالجواب من وجوه ❁ الاول قال ابن الخطيب
المراد بالمصلين هنا المنافقون الذين ياتون بهذه الافعال ❁ وعلى هذا التقدير
دلت الاية على ان الكافر له مزيد عقوبة على فعل محظورات الشرع وترك واجبات
الشرع وذلك يدل على ان الكفار مخاطبون بفروع الاسلام ❁ الثاني قيل لعكرمة
من منع شيئا من المتاع كان له الويل فقال لا ولكن من جمع ثلاثهن فله الويل يعني

ترك

ترك الصلاة وفعل الرياء والبخل بالماعون ❁ روى الثعلبي عن ابي رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ارايت الذي يكذب بالدين غفر الله تعالى
له ان كان مؤديا للزكاة ❁

❁ ❁ سورة الكوثر مكية ❁ ❁

في قول ابن عباس والكلبي ومقاتل ❁ ومدنية في قول الحسن وعكرمة ومجاهد وقتادة
وهي ثلاث ايات وعشر كلمات واثنان واربعون حرفا ❁ بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر ❁ قرأ الحسن وابن محيصن وطلحة والزعفراني
انطيناك بالنون قال الرازي والتبريزي ابدل من العين نونا فان عنيت البدل الصناعي
فليس بمسلم لان كل مادة مستقلة بنفسها بدليل كمال تصرفها ❁ وان عنيت البدل
انه هذه وقعت موقع هذه لغة فقريب ولا شك انها لغة ثابتة قال التبريزي هي لغة
العرب العاربة من اولى قريش ❁ وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم اليد العليا المنطية
واليد السفلى المنطاة ❁ وقال الاعشى ❁

❁ جيادك خير جياد الملوك ❁ تصان الجلال وتنطى الشعيرا ❁

قال القرطبي ورويت عن النبي صلى الله عليه وسلم قراءة وهي لغة في العطا انطيته
اعطيته ❁ والكوثر فوعل من الكثرة وصف مبالغة في المفرط الكثرة مثل النوفل من النفل
والجوهر من الجهر ❁ والعرب تسمي كل كثير في العدد والقدر والخطر كوثرا ❁ قال

❁ وانت كثير يا ابن مروان طيب ❁ وكان ابوك ابن العقائل كوثرا ❁

قيل لعجوز رجع ابنها من السفر بم آب ابنك فقالت آب بكوثر اي بخير كثير ❁ والكوثر
من الرجال السيد الكثير الخير والكوثر العدد الكثير من الاصحاب والاتباع ❁ والكوثر
من الغبار الكثير ❁ وقال الشاعر ❁ وقد ثار نقع الموت حتى تكوثرا **فصل**
اختلفوا في الكوثر الذي اعطيه النبي صلى الله عليه وسلم فقيل نهر في الجنة رواه البخاري
وغيره ❁ وروى الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت وتربته اطيب
من المسك وماؤه احلى من العسل وابيض من الثلج ❁ وقال عطاء هو حوض النبي صلى الله
عليه وسلم في الموقف وفيه احاديث كثيرة ❁ وقال عكرمة الكوثر النبوة والكتاب وقال
الحسن هو القرآن ❁ وقال المغيرة الاسلام ❁ وقال الحسن بن الفضل هو تيسير القرآن
وتخفيف الشرائع ❁ وقال ابو بكر بن عياش ويمان بن رئاب هو كثرة الاصحاب والاتباع
والامة ❁ وقال ابن كيسان هو الايثار ❁ وحكى الماوردي انه رفعة الذكر ❁ وقيل
الشفاعة ❁ وقال هلال بن يساف هو لا اله الا الله محمد رسول الله ❁ وقيل الصلوات
الخمس ❁ وقيل الفقه في الدين ❁ وقيل غير ذلك قال القرطبي واصح الاقوال الاول
والثاني لانه ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم نص في الكوثر **فصل** قال ابن
الخطيب هذه السورة كالمقابلة للتي قبلها فانه ذكر في الاولى البخل وترك الصلاة والرياء
ومنع الماعون وذكر هنا في مقابلة البخل انا اعطيناك الكوثر وفي مقابلة ترك الصلاة
قوله فصل اي دم على الصلاة وفي مقابلة الرياء قوله تعالى لربك اي لرضاه خالصا
وفي مقابلة منع الماعون قوله وانحر اي تصدق بلحم الاضاحي ثم ختم السورة سبحانه
وتعالى بقوله ان شانئك هو الابتر اي ان المنافق الذي اتى بتلك الافعال القبيحة

سيموت ولا يبقى له اثر واما انت فيبقى لك فى الدنيا الذكر الجميل وفى الاخرة الثواب الجزيل

قوله تعالى فصل لربك وانحر قال ابن عباس رضى الله عنه اقم الصلاة المفروضة عليك وقال قتادة وعطا وعكرمة فصل لربك صلاة العيد يوم النحر وانحر نسكك وقال انس رضى الله عنه كان النبى صلى الله عليه وسلم ينحر ثم يصلى فامر ان يصلى ثم ينحر وقال سعيد بن جبير صل لربك صلاة الصبح المفروضة بجمع وانحر البدن بمنى وقال سعيد ابن جبير حصر النبى صلى الله عليه وسلم عن البيت فامره الله تعالى ان يصلى وينحر البدن وينصرف قال ابن العربى اما من قال ان المراد بقوله تعالى فصل الصلوات الخمس فلانها ركن العبادات وقاعدة الاسلام واعظم دعايم الدين واما من قال انها صلاة الصبح بالمزدلفة فلانها مقرونة بالنحر وهو فى ذلك اليوم ولا صلاة فيه قبل النحر غيرها فخصها من جملة الصلاة لاقترانها بالنحر قال القرطبى واما من قال انها صلاة العيد فذلك بغير مكة اذ ليس بمكة صلاة عيد باجماع فيما حكاه ابو بكر رضى الله عنه

فصل الفاء فى قوله فصل للتعقيب والتسبيب اى تسببا عن هذه المنة العظيمة وعقبها امرك بالصلى بعبادة المنعم عليك وقصدك اليه بالنحر لا كما تفعل قريش من صلاتها ونحرها للاصنام واما قوله جل ذكره وانحر قال على رضى الله عنه ومحمد بن كعب القرظى المعنى ضع اليمنى على اليسرى حذاء النحر فى الصلاة وعن على رضى الله عنه ايضا ان معناه ان يرفع يديه فى التكبير الى نحره وهو مروى عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضى الله عنه قال استقبل القبلة بنحرك وهو قول الفرا والكلبى وابى الاحوص قال الفرا سمعت بعض العرب يقول منازلنا تتناحر اى تتقابل نحر هذا بنحر هذا اى قبالته وقال ابن الاعرابى هو انتصاب الرجل فى الصلاة بازاء المحراب من قولهم منازلهم تتناحر اى تتقابل وعن عطا انه امره ان يستوى بين السجدتين جالسا حتى يبدو نحره وقال محمد بن كعب القرظى يقول ان ناسا يصلون لغير الله وينحرون لغير الله تعالى وقد اعطيناك الكوثر ولا تكن صلاتك ولا نحرك الا لله تعالى والنحر فى الابل بمنزلة الذبح فى البقر والغنم

قوله تعالى ان شانيك هو الابتر يجوز ان يكون هو مبتدا والابتر خبره والجملة خبر ان وان يكون فصلا وقال ابو البقا او توكيد وهو غلط لان المظهر لا يوكد بالمضمر والابتر الذى لا عقب له وهو فى الاصل الشى المقطوع من بتره اى قطعه وحمار ابتر لا ذنب له ورجل اباتر بضم الهمزة قاطع رحمه قال

لئيم بدت فى انفه خنزوانة ... على قطع ذى القربى احذ اباتر

وبتر هو بالكسر انقطع ذنبه قال اهل اللغة الابتر من الرجال من لا ولد له ومن الدواب الذى لا ذنب لها وكل ما انقطع من الخير اثره فهو ابتر والبتر القطع بترت الشى بترا قطعته قبل الاتمام والانبتار الانقطاع والباتر السيف القاطع وفى الحديث ما هذه البتيرا اى الموتر بركعة فانكر عليه مسعود رضى الله عنه وخطب زياد خطبة بترا لم يذكر الله عز وجل ولا صلى على النبى صلى الله عليه وسلم وكان للنبى صلى الله عليه وسلم درع يقال لها البترا سميت بذلك لقصرها وقال ابن السكيت الابتر الفرد العبد سما بذلك لقلته والبترية فرقة من الزيدية نسبوا الى المغيرة ابن سعد ولقبه الابتر وقرا العامة شانيك بالالف اسم فاعل بمعنى الحال والاستقبال او الماضى وقرا ابن عباس شنيك بغير الف فقيل يجوز ان يكون بنا مبالغة كفعال

ومفعال وقد اثبته سيبويه وانشد

حذارا امورا لا تضير وآمن ... ما ليس منجيه من الاقدار

وقول زيد الخيل اتانى انهم مزقون عرضى ... جحاش الكرملين لها فديد

فان كان بمعنى الحال فهى لا من نصب وقيل يجوز ان يكون مقصورا من فاعل كقولهم برو بار وبرد وبارد

فصل اختلف المفسرون فى المراد بقوله تعالى ان شانيك هو الابتر فقيل هو العاص بن وايل وكانت العرب تسمى من له بنون وبنات ثم مات البنون وبقى البنات ابتر فقيل ان العاص وقف مع النبى صلى الله عليه وسلم يكلمه فقال له جمع من صناديد قريش مع من كنت واقفا فقال مع ذلك الابتر وكان قد توفى قبل ذلك عبد الله ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من خديجة رضى الله عنها فانزل الله عز وجل ان شانيك هو الابتر اى المقطوع ذكره من خير الدنيا والاخرة وعن ابن عباس رضى الله عنه قال كان اهل الجاهلية اذا مات ابن الرجل قالوا بتر فلان فلما توفى ابرهيم ابن النبى صلى الله عليه وسلم وكان من خديجة رضى الله عنها فانزل الله عز وجل ان شانيك هو الابتر اى المقطوع ذكره خرج ابو جهل الى اصحابه فقال بتر محمد فانزل الله عز وجل ان شانيك هو الابتر يعنى ابا جهل وقال شهر بن عطية هو عقبة بن ابى معيط وقال السدى وابن زيد ان قريشا كانوا يقولون لمن مات ذكور ولده قد بتر فلان فلما مات لرسول الله صلى الله عليه وسلم القاسم بمكة وابرهيم بالمدينة قالوا بتر محمد فليس له من يقوم بامره من بعده فنزلت هذه الاية وقيل لما اوحى الله تعالى الى رسوله صلى الله عليه وسلم دعا قريشا الى الايمان قالوا ابتر منا محمد اى خالفنا وانقطع عنا فاخبر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم انهم هم المبترون قاله عكرمة وشهر بن حوشب

فصل قال اهل العلم قد احتوت هذه السورة على كونها اقصر سورة فى القران على معان بليغة واساليب بديعة منها دلالة استهلال السورة على انه تعالى اعطى كثيرا من كثير ومنها اسناد الفعل للمتكلم المعظم نفسه ومنها ايراده بصيغة الماضى تحقيقا لوقوعه كاتى امر الله ومنها تاكيد الجملة بان ومنها بناء الفعل على الاسم ليفيد بالاسناد مرتين ومنها الاتيان بصيغة تدل على مبالغة الكثرة ومنها حذف الموصوف بالكوثر لان فى حذفه من فرط الشياع والابهام ما ليس فى اثباته ومنها تعريفه بال الجنسية الدالة على الاستغراق ومنها فا التعقيب الدالة على التسبيب كما تقدم فان الانعام سبب للشكر والعبادة ومنها التعريض بمن كانت صلاته ونحره لغير الله تعالى ومنها ان الامر بالصلاة اشارة الى الاعمال الدينية التى الصلاة قوامها وافضلها والامر بالنحر اشارة الى الاعمال البدنية التى النحر اسناها ومنها حذف متعلق انحر اذ التقدير فصل لربك وانحر له ومنها مراعاة السجع فانها من صناعة البديع العارى عن التكليف ومنها قوله جل ذكره لربك فى الاتيان بهذه الصفة دون سائر صفاته الحسنى دلالة على انه المربى والمصلح بنعمه فلا يلتمس كل خير الا منه ومنها الالتفات من ضمير المتكلم الى الغايب فى قوله تعالى لربك ومنها جعل الامر بترك الاهتمام لشانيه للاستيناف وجعله خاتمة للاعراض عن الشانى ولم يسمه ليشمل كل من اتصف والعياذ بالله بهذه الصفة القبيحة وان كان المراد به شخصا معينا لعنه الله تعالى ومنها التنبيه بذكر هذه الصفة القبيحة على انه لم يتصف الا بمجرد قيام الصفة به من غير ان يوثر فى من شنوه شيئا البتة لان من يشنا شخصا قد

بوتر فيه شانئه شيئا ؛ ومنها تاكيد الجملة بان المؤذنة بتاكيد الخبر ولذلك تتلقى بها القسم
وتقدير القسم يصلح فهنا ؛ ومنها الاتيان بضمير الفصل المؤذن بالاختصاص والتاكيد
ان جعلناه هو فصلا وان جعلناه مبتدا فكذلك تفيد التاكيد اذ يصير الاسناد
مرتين ؛ ومنها تعريف الابتر بال المؤذنة بالخصوصية بهذه الصفة كانه قيل الكامل
في هذه الصفة ؛ ومنها اقباله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم بالخطاب من اول
السورة الى اخرها ؛ روى الثعلبي عن ابي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قرا سورة انا اعطيناك الكوثر سقاه الله تعالى من انهار الجنة واعطي من
الاجر عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد في كل عيد ويقربون من اهل الكتاب
والمشركين ؛ وعن مكحول رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا
انا اعطيناك الكوثر كان له ما بين المشرق والمغرب ابعرة على كل بعير كرار يس كل كراس
مثل الدنيا وما فيها كتب له بدقة الشعر ليس فيها الاصفة قصورة ومنازله في الجنة

سورة الكافرون مكية

في قول ابن مسعود والحسن وعكرمة ؛ ومدنية في احد قولي ابن عباس وقتادة
والضحاك ؛ وهي ست ايات ؛ وست وعشرون كلمة ؛ واربعة وتسعون حرفا ؛ بسم
الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** قل يا ايها الكافرون ؛ قال ابن الخطيب هذه
السورة تسمى سورة المنابذة وسورة الاخلاص والمقشقشة ؛ روى الترمذي من حديث
انس رضي الله عنه انها تعدل ثلث القران ؛ وروى ابن الانباري عن انس رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل يا ايها الكافرون تعدل ربع القران
وخرج الحافظ عبد الغني بن سعيد عن ابن عمر رضي الله عنهم قال صلى النبي صلى الله عليه صلى ح
وسلم باصحابه صلاة الفجر في سفر فقرا قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد ثم قال
صلى الله عليه وسلم قرات بكم ثلث القران وربعه قال فوالله لقد كنت غير كثير
المال اذا سافرت الون ابدا لهم واقلهم زادا منذ قراتهن صرت من احسنهم
هيئة واكثرهم زادا حتى ارجع ؛ قال ابن الخطيب والوجه في انها تعدل ربع القران
هو ان القران مشتمل على الامر بالمامورات والنهي عن المحظورات وكل واحد منها
ينقسم الى ما يتعلق بالقلوب والى ما يتعلق بالجوارح وهذه السورة مشتملة على النهي
عن المحرمات المتعلقة بافعال القلوب فيكون ربع القران ؛ وخرج ابن الانباري
عن نوفل بن فروة الاشجعي قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اوصني
قال اقرا عند منامك قل يا ايها الكافرون فانها براءة من الشرك ؛ وقال ابن عباس
رضي الله عنه ليس في القران اشد غيظا لابليس لعنه الله عليه من سورة الكافرون لانها
توحيد وبراءة من الشرك ؛ وقال الاصمعي كان يقال لقل يا ايها الكافرون وقل هو
الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد المقشقشتان اي انهما
تبرئان من النفاق ؛ وقال ابو عبيد رضي الله عنه كما تقشقش الهناء الجرب فيبريه
قال ابن السكيت يقال للقرح والجدري اذا يبس وتفرق وللجرب في الابل اذا
قفل قد توسف جلده وتقشر جلده وتقشقش ؛ فان قيل قال ابن عباس رضي الله عنه
سبب نزولها ان الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن عبد المطلب
وامية بن خلف لقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد فلنعبد ما تعبد

ونعبد

ونعبد ما نعبد ونشترك نحن وانت في امرنا كله فان كان الذي جئت به خيرا مما بايدينا كنا قد
شركناك فيه واخذنا بحظنا منه وان كان الذي بايدينا خيرا مما بيدك كنت قد شركتنا
في امرنا واخذت بحظك منه فانزل الله تعالى قل يا ايها الكافرون ونزل قوله تعالى
قل افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون فعدا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
المسلمين في الحرم وفيه الملا من قريش فقام صلى الله عليه وسلم فقراها عليهم حتى
فرغ من السورة فايسوا منه عند ذلك ؛ وروى ابو صالح عن ابن عباس رضي الله
عنه انهم قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم لو استلمت بعض هذه الالهة لصدقناك
فنزل جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم بهذه السورة فيئسوا منه واذوه
واذوا اصحابه ؛ فان قيل لم خصهم في هذه السورة بالكافرين وفي السورة الاخرى
بالجاهلين كما تقدم ؛ فالجواب لان هذه السورة بتمامها نزلت فيهم فيكون المبالغة
فيها اشد فبولغ فيها بالوصف الاشنع وهو الكفر لانه مذموم مطلقا والجهل كالتجرم
والكفر كالنزع فقد لا يذم عند السفيه كقوله صلى الله عليه وسلم علم الانسان بعلم
لا ينفع وجهل لا يبصر ؛ فان قيل قال في سورة التحريم يا ايها الذين كفروا بغير قل وههنا
جل وعز ذكر قل وذكره باسم الفاعل ؛ فالجواب ان في سورة التحريم انما يقال
لهم يوم القيمة وثم لا يكون رسولا اليهم فازال الواسطة ويكونون في ذلك
الوقت مطيعين لا كافرين فلذلك ذكره بلفظ الماضي ؛ واما ههنا فكانوا موصوفين
بالكفر وكان الرسول صلى الله عليه وسلم رسولا اليهم فقال تعالى قل يا ايها الكافرون
فان قيل هذا خطاب مع الكل وكان فيهم من يعبد الله تعالى كاليهود والنصارى
فلا يجوز ان يقال لهم لا اعبد ما تعبدون ؛ ولا يجوز ايضا ان يكون قوله ولا انتم
عابدون ما اعبد خطابا مع الكل لان في الكفار من امن فعبد الله ؛ فالجواب
ان هذا الخطاب مشافهة مع اقوام مخصوصين وهم الذين قالوا نعبد الهك سنة
ونعبد الهتنا سنة ؛ وايضا لو حملنا الخطاب على العموم دخله التخصيص واذا حملناه
على خطاب المشافهة لم يلزم ذلك **فصل** قال القرطبي الالف واللام
ترجع الى معنى المعهود وان كانت للجنس من حيث كانت لاي لانها مخاطبة لما سبق في
علم الله تعالى انه سيموت على كفره فهي من الخصوص الذي جا بلفظ العموم ونحوه
عن الماوردي نزلت جوابا وعنى بالكافرين معينين لا جميع الكافرين لان منهم
من امن فعبد الله تعالى ومنهم من مات على كفره وهم المخاطبون لهذا القول لهم
وهم المذكورون **فصل** قال ابن الانباري وقرا من طعن في القران قل
للذين كفروا لا اعبد ما تعبدون وزعم ان ذلك هو الصواب وذلك افترا على رب
العالمين وتضعيف لمعنى هذه السورة وابطال لما قصد الله من ان يذل نبيه المشركين
بخطابه اياهم بهذا الخطاب الزري والزامهم ما يانف منه كل ذي لب وحجى ؛ وذلك
ان الذي يدعيه من اللفظ الباطل قراتنا تشتمل عليه في المعنى وتزيد تاويلا ليس
عندهم في باطلهم وتحريفهم فمعنى قراتنا قل للذين كفروا يا ايها الكافرون دليل
صحة هذا ان العربي اذا قال لمخاطبه قل لزيد اقبل الينا فمعناه قل لزيد يا زيد اقبل
الينا فقراتنا احسن لفظا وابلغ معنى اذ كان الرسول صلى الله عليه وسلم
يعتمد في ناديهم فيقول لهم يا ايها الكافرون وهو يعلم انهم يغضبون من ان ينسبوا
الى الكفر ويدخلوا في جملة اهله الا وهو محروس ممنوع من ان تنبسط عليه صلى الله عليه

وسلم بدا و يتبع بدمن جهتهم اذ يقين لم يقرا قل يا ايها الكافرون كما انزلها الله اسقط ابقيهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم سبيل اهل الاسلام ان يسا دعوا الى مثلها ولا يعتمدوا منهم باحرار الفضايل عند الذى منحه الله تعالى وشرفه به ؛ **فصل** قال ابن الخطيب روى عن على رضى الله عنه ان يا ندا النفس واى ندا القلب وها ندا الروح وقيل يا ندا الغايب واى للحاضر وها للتنبيه كانه عز وجل يقول ادعوك ثلاثا ولا يجيئ مرة **قوله تعالى** لا اعبد ما تعبدون ؛ ما فى هذه السورة يجوز فيها وجهان احدهما بمعنى الذى فان كان المراد الاصنام كما فى الاولى والثانية فالامر واضح لانهم غير عقلا وما اصلها ان تكون لغير العقلا واذا اريد بها البارى تعالى كما فى الثانية والرابعة فاستدل به من جوز وقوعها على اولى العلم ومن منع جعلها مصدرية والتقدير ولا انتم عابدون عبادتى اى مثل عبادتى وقال ابو مسلم ما فى الاوليين بمعنى الذى والمقصود المعبود وما فى الاخريين مصدرية اى لا اعبد عبادتكم المبنية على الشك وترك النظر ولا انتم تعبدون مثل عبادتى المبنية على اليقين فتحصل من مجموع ذلك ثلاثة اقوال انها كلها بمعنى الذى او مصدرية او الاوليان بمعنى الذى والثالثة والرابعة مصدرية لكان حسنا حتى لا يلزم وقوع ما على اولى العلم وهو مقتضى قول من يمنع وقوعها على اولى العلم كما تقدم **فصل** اختلفوا فى التكرار ههنا هل هو للتاكيد ام لا واذا لم يكن للتاكيد فقوله ولا انا عابد ما عبدتم تاكيد لقوله لا اعبد ما تعبدون وقوله ولا انتم عابدون ما اعبد ثانيا تاكيد لقوله ولا انتم عابدون ما اعبد اولا ومثله فباى الا ربكما تكذبان ؛ وويل يومئذ للمكذبين فى سورتيهما ؛ وكلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون ؛ وفى الحديث فلا اذن ثم لا اذن انما فاطمة بضعة منى ؛ وقال الشاعر ؛

؛ هلا سالت جموع كنده ؛ يوم ولوا اين اينا ؛ وقوله

؛ يا علقمة يا علقمة يا علقمه ؛ خير تميم كلها واكرمه ؛

وقوله

؛ يا اقرع بن حابس يا اقرع ؛ انك ان يصرع اخاك تصرع ؛ **وقوله**

؛ الا يا اسلمى ثم اسلمى ثمت اسلمى ؛ ثلاث تحيات وان لم تكلم ؛ **وقوله**

؛ يا جعفر يا جعفر يا جعفر ؛ ان اك دحداحا فانت اقصر ؛ **وقوله**

؛ يا ال بكر انشروا لى كليبا ؛ يا ال بكر اين اين الفرارا ؛

قالوا والقران جا على اساليب كلام العرب ؛ وفائدة التاكيد هنا قطع اطماع الكفار وتحقيق الاخبار بموافاتهم على الكفر وانهم لا يسلمون ابدا ؛ وقيل هذا مطابقة لقولهم نعبد الهتنا وتعبد الهتك فنجرى على هذا ابدا سنة وسنة فاجيبوا عن كل ما قالوه بضده اى ان هذا لا يكون ابدا ؛ وقال جماعة ليس للتوكيد فقال الاخفش لا اعبد الساعة ما تعبدون ولا انتم عابدون السنة ما اعبد ولا انا عابد فى المستقبل ما عبدتم ولا انتم عابدون فى المستقبل ما اعبد فزال التوكيد اذ قد تقيدت كل جملة بزمان غير الزمان الاخر انتهى ؛ وفيه نظر كيف تقيد رسول الله صلى الله عليه وسلم نفى عبادته لما تعبدون بزمان هذا لا يصح ؛ وفى اسباب النزول انهم سالوه ان يعبد الهتهم سنة فنزلت فكيف يستقيم هذا وجعل ابو مسلم

الغابر بما تقدم عنه وهو كون ما فى الاوليين بمعنى الذى وفى الاخريين مصدرية وفيه نظر من حيث ان التكرار انما هو من حيث المعنى وهذا موجود كيف قدرنا ؛ وقال ابن عطية لما كان قوله لا اعبد محتملا ان يراد به الان ويبقى المستقبل منتظرا ما ان تكون فيه جا البيان بقوله ولا انا عابد ما عبدتم ابدا وما حييت ثم جا قوله ولا انتم عابدون ما اعبد الثانى حتما عليهم انهم لا يومنون ابدا كالذى كشف الغيب كما قيل لنوح عليه السلام انه لن يومن من قومك الا من قد امن وهذا معنى الترديد فى هذه السورة وهو بارع الفصاحة وليس بتكرار فقط بل فيه ما ذكرته ؛ وقال الزمخشرى لا اعبد اريد به العبادة فيما يستقبل لان لا لا تدخل الا على مضارع فى معنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل الا على مضارع فى معنى الحال والمعنى لا افعل فى المستقبل ما تطلبونه منى من عبادة الهتكم ولا انتم عابدون فيه ما اطلبه منكم من عبادة الهى ولا انا عابد ما عبدتم اى وما كنت قط عابدا فيما سلف فيما عبدتم فيه يعنى ما عهد منى قط عبادة صنم فى الجاهلية فكيف يرجى منى فى الاسلام ولا انتم عابدون ما اعبد اى وما عبدتم فى وقت ما انا على عبادته ؛ فان قلت فهلا قيل ما عبدتم قلت لانهم كانوا يعبدون الاصنام قبل المبعث وهو لم يكن يعبد الا الله تعالى فى ذلك الوقت ؛ فان قلت فلم جا على ما دون من ؛ قلت لان المراد الصفة كانه قيل لا اعبد الباطل ولا تعبدون الحق ؛ وقيل ان ما مصدرية اى لا اعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتى انتهى يعنى بقوله لان الصفة يعنى انه اريد بها الوصف وقد تقدم تحقيق هذا فى سورة والشمس وضحاها ؛ واعترض ابو حيان عليه ؛ والجواب عنه واصله فى سورة الساعة عند قوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النسا وناقشه ابو حيان هنا فقال اما حصره فى قوله لان لا لا تدخل وفى قوله لان ما لا تدخل فليس بصحيح بل ذلك غالب فيهما لا متحتم ؛ وقد ذكر النحاة دخول لا على المضارع يراد به الحال ودخول ما على المضارع يراد به الاستقبال وذلك مذكور فى المبسوطات من كتب النحو ولذلك لم يذكر سيبويه ذلك باداة الحصر انما قال وتكون لا نفيا لقوله يفعل ولم يقع الفعل قال واما ما فهى نفى لقوله هو يفعل اذا كان فى حال الفعل فذكر الغالب فيهما ؛ واما ما فى قوله تعالى ولا انا عابد ما عبدتم اى وما كنت قط عابدا فيما سلف ما عبدتم فيه فلا يستقيم لان عابدا اسم فاعل قد عمل فيما عبدتم فلا يفسر بالماضى انما يفسر بالحال او الاستقبال وليس مذهبه فى اسم الفاعل مذهب الكسائى وهشام من جواز اعماله ماضيا ؛ واما قوله ولا انتم عابدون ما اعبد اى وما عبدتم فى وقت ما انا على عبادته فعابدون قد اعمله فيما اعبد فلا يفسر بالماضى ؛ واما قوله وهو لم يكن الى اخره فسوء ادب على منصب النبوة وغير صحيح لانه صلى الله عليه وسلم لم يزل موحدا لله تعالى منزها له عن كل ما لا يليق بجلاله سبحانه تعالى على منهاج ابرهيم عليه السلام وحج البيت وهذه عبادة واى عبادة اعظم من توحيد الله تعالى ونبذ اصنامهم ومعرفة الله تعالى اعظم العبادات قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون قال المفسرون الا ليعرفون فسمى المعرفة بالله تعالى عبادة انتهى ؛ قال شهاب الدين ويجاب عن الاول انه بنى امره على الغالب فلذلك اتى بالحصر ؛ واما ما حكاه عن سيبويه فظاهره معه حتى يقوم دليل على غيره ؛ وعن اعماله اسم الفاعل مفسرا له بالماضى بانه على حكاية الحال كقوله تعالى وكلبهم باسط ذراعيه وقوله تعالى والله مخرج ما كنتم تكتمون ونحوه واما قوله كان صلى الله عليه وسلم موحدا منزها لله تعالى فمسلم ذلك ؛ وقوله وهذه اعظم

العبادات فمسلم ايضا ولكن المراد في الاية عبادة مخصوصة وهي الصلاة المخصوصة لانها
تقابل ما كان المشركون يفعلونه من سجودهم لاصنامهم وصلاتهم لها فعابل هذا صلى الله
عليه وسلم بصلاته لله تبارك وتعالى ولكن بقي كلام الزمخشري يوهم انه صلى الله عليه
وسلم لم يكن متعبدا قبل المبعث وهو مذهب ساقط الاعتبار لان الاحاديث الصحيحة توذن
وهي كان يتحنث كان يتعبد كان يصوم كان يطوف كان يقف صلى الله عليه وسلم ولم ينقل
بخلافه الا شذوذ من الناس، وفي الجملة فالمسئلة خلافية واذا كان متعبدا فباي شرع
كان يتعبد به، قيل شريعة نوح عليه السلام، وقيل ابرهيم عليه السلام، وقيل موسى
وقيل عيسى صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وذلك مذكور في الاصول ثم قال ابو حيان
والذي اختار في هذه الجمل انه نفى عبادته في المستقبل لان الغالب في لا ان تنفي المستقبل
ثم عطف عليه ولا انتم عابدون ما اعبد نفيا للمستقبل على سبيل المقابلة ثم قال صلى الله عليه
وسلم ولا انا عابد ما عبدتم نفيا للحال لان اسم الفاعل العامل الحقيقة فيه دلالته على الحال
ثم عطف عليه ولا انتم عابدون ما اعبد نفيا للحال على سبيل المقابلة فانتظم المعنى انه صلى الله
عليه وسلم لا يعبد ما يعبدون حالا ولا مستقبلا وهم كذلك اذ حتم الله تعالى بموافاتهم
على الكفر، ولما قال صلى الله عليه وسلم لا اعبد ما تعبدون فاطلق ما على الاصنام
قابل الكلام بما في قوله ما اعبد وان كان المراد الله تعالى لان المقابلة يسوغ فيها ما لا
يسوغ في الانفراد، وهذا على مذهب من يقول ان ما لا تقع على احاد اولي العلم اما من
يجوز ذلك وهو مذهب سيبويه فلا يحتاج الى الاستعذار بالتقابل، قال القرطبي
كانوا يعبدون الاوثان فاذا ملوا وثنا وسئموا العبادة له رفضوه ثم اخذوا وثنا
غيره بشهوة نفوسهم فاذا مروا بحجارة تعجبهم المواهذه ورفعوا ذلك فعظموها
ونصبوها الهة يعبدونها فامران تقول لا اعبد ما تعبدون اليوم من هذه الالهة
التي بين ايديكم ثم قال صلى الله عليه وسلم ولا انتم عابدون ما اعبد انما تعبدون
الوثن الذي اتخذتموه وهو عندكم الان ولا انا عابد ما عبدتم بالامس من الالهة
التي رفضتموها واقبلتم على هذه ولا انتم عابدون ما اعبد فاني اعبد الحي **قوله تعالى**
لكم دينكم ولي دين، اتى بها بين الجملتين الانشائيتين بعد جملة منفية لانه لما كان
الاهم انتفاوه صلى الله عليه وسلم من دينهم بدا في النفي في الجمل السابقة بالمنسوب
اليه فلما تحقق النفي رجع صلى الله عليه وسلم الى خطابهم بقوله لكم دينكم ولي دين
مهادنة لهم ثم نسخ ذلك الامر بالقتال وفتح اليا في لي نافع وهشام وحفص والبزي
بخلاف عنه، واسكنها الباقون وحذف يا الاضافة من ديني وقفا ووصلا السبعة
وجمهور القرا واثبتها في الحالين سلام ويعقوب قالوا لانها اسم مثل الكاف في دينك
والتاء في قمت وتقدم ايضاحه **فصل** في الكلام معنى التهديد كقوله تعالى
لنا اعمالنا ولكم اعمالكم اي ان رضيتم بدينكم فقد رضينا بديننا ونسخ هذا بالامر
بالقتال، وقيل السورة منسوخة، وقيل ما نسخ منها شي لانها خبر، ومعنى لكم دينكم
اي جزاء دينكم ولي دين جزاء ديني، وسمى دينهم دينا لانهم اعتقدوه، وقيل المعنى لكم
جزاؤكم ولي جزائي لان الدين الجزاء، وقيل الدين العقوبة لقوله تعالى ولا تاخذكم
بهما رافة في دين الله والمعنى لكم العقوبة من ربي ولي العقوبة من اصنامكم فانا لا اخشى
عقوبة الاصنام لانها جمادات واما انتم فيحق عليكم حملا ان تخافوا عقوبة جبار السموات
والارض، وقيل الدين الدعا لقوله تعالى فادعوا الله مخلصين له الدين اي لكم دعاؤكم

وما دعا الكافرين الا في ضلال، واما انا فيقول سبحانه وتعالى ادعوني استجب لكم، اجيب
دعوة الداع اذا دعان، وقيل الدين العبادة، قال الشاعر
يقول لها اذا درت رحلى، اهذا دينه ابدا وديني ..
فصل قال ابن الخطيب جرت العادة بان يتمثلوا بهذه الاية عند المتاركة وذلك
غير جائز لان القران انزل ليتدبر فيه ويعمل بموجبه لا ليتمثل به، والله اعلم.

سورة النصر مدنية بالاجماع

وتسمى سورة التوديع، وهي ثلاث ايات، وست عشرة كلمة، وتسعة وسبعون حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** اذا جاء نصر الله والفتح، عليك وعلى امتك
والمقصود اذا جاء هذان الفعلان من غير نظر الى متعلقيهما لقوله تعالى امات واحيى وال
في الفتح عوض من الاضافة اي وفتحه عند الكوفيين والعايد محذوف عند البصريين
اي والفتح منه للدلالة على ذلك والعامل في اذا اما جاء وهو قول مكي واليه ذهب
ابو حيان ونصره في مواضع وقد تقدم ذلك واما فسبح واليه نحى الزمخشري والحوفي
والتقدير فسبح بحمد ربك اذا جاء ورده ابو حيان بان ما بعد فا الجواب لا يعمل فيما
قبلها وفيه بحث تقدم بعضه في سورة والضحى **فصل** النصر العون ماخوذ
من قولهم قد نصر الغيث الارض اذا اعان على نباتها، قال الشاعر، اذا انسلخ
الشهر الحرام فودعي بلاد تميم وانصري ارض عامر، ويروى اذا دخل الشهر الحرام
فودعي بلاد تميم وانصري ارض عامر، تقول نصره على عدوه ينصره نصرا اي
اعانه والاسم النصرة، واستنصره على عدوه اي ساله ان ينصره عليه وتناصروا
نصر بعضهم بعضا، ثم قيل المراد بهذا النصر نصر الرسول صلى الله عليه وسلم على قريش
قاله الطبري، وقيل نصره على من قاتله من الكفار، وان عاقبة النصر كانت له
واما الفتح فهو فتح مكة قاله الحسن ومجاهد وغيرهما، وقال ابن عباس وسعيد بن جبير
هو فتح المداين والقصور، وقيل فتح ساير البلاد، وقيل ما فتح عليه من العلوم
واذا بمعنى قد جاء نصر الله لان نزولها بعد الفتح، ويجوز ان يكون بمعناه اذا يجيئك
فصل قال ابن الخطيب الفرق بين النصر والفتح ان الفتح هو تحصيل المطلوب
الذي كان متعلقا والنصر كالسبب للفتح فلهذا ابدا بذكر النصر وعطف الفتح عليه
او تقال النصر كمال الدين والفتح اقبال الدين الذي هو تمام النعمة كقوله تعالى
اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي، او النصر الظفر في الدنيا والفتح بالجنة
فصل قال ابن الخطيب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ابدا منصورا
بالدلايل والمعجزات فما المعنى بتخصيص لفظ النصر بفتح مكة، والجواب ان المراد من
هذا النصر هو النصر الموافق للطبع، فان قيل النصر لا يكون الا من الله تعالى
قال جل ذكره وما النصر الا من عند الله فما فايدة التقييد بقوله تعالى نصر الله
فالجواب معناه لا يليق الا بالله كما يقال هذه صنعة زيد اذا كان مشهورا فالمراد
هذا هو الذي سالتموه، فان قيل لم وصف النصر بالمجي وحقيقته اذا وقع نصر الله
فما الفايدة في ترك الحقيقة وذكر المجاز، فالجواب ان الامور مرتبطة باوقاتها
وانه سبحانه قدر لحدوث كل محدث اسبابا معينة واوقاتا مقدرة يستحيل فيها التقدم
والتاخر والتبديل والتغيير فاذا حضر ذلك الوقت وجاء ذلك الزمان حضر معه

ذلك الا ترى الى الاشارة بقوله تعالى وما ننزله الا بقدر معلوم ، فان قيل الذين عاونوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم على فتح مكة هم الصحابة رضي الله عنهم ، ثم انه تعالى سمى نصرتهم
لرسول الله صلى الله عليه وسلم نصر الله فما السبب في اضافة النصر اليه ، فالجواب
ان النصر وان كان على يدي الصحابة لكن لابد لهم من داع وباعث وهو من الله تعالى فان
قيل فعلى هذا التقدير الذي ذكرتم يكون فعل العبد متفرعا على فعل الله وهو خلاف قوله
تعالى ان تنصروا الله ينصركم فجعل نصر العبد متقدما على نصره لنا ، فالجواب انه لا
امتناع في ان يكون فعل الله سببا لفعل اخر يصدر عن الله تعالى فان اسباب الحوادث
ومسبباتها على ترتيب عجيب تعجز عن ادراكها العقول البشرية **قوله تعالى** ورايت
الناس يدخلون في دين الله ، رايت يحتمل ان يكون معناه ابصرت وان يكون معناه
علمت فان كان معناه ابصرت كان يدخلون في محل النصب على الحال والتقدير
ورايت الناس يدخلون حال دخولهم في دين الله افواجا ، وان كان معناه علمت
كان يدخلون مفعولا ثانيا لعلمت والتقدير علمت الناس داخلين في دين الله ، وفي
عبارة الزمخشري ان كان بمعنى ابصرت او عرفت وناقشه ابو حيان بان رايت لا
يعرف كونها بمعنى عرفت قال فيحتاج في ذلك الى استثبات ، وقرا العامة يدخلون مبنيا
للفاعل ، وابن كثير في رواية مبنيا للمفعول ، وفي دين ظرف مجازي وهو مجاز فصيح
بليغ هنا **قوله تعالى** افواجا ، حال من فاعل يدخلون ، قال مكي وقياسه
افوج الا ان الضمة تستثقل في الواو فشبهوا فعلا يعني بالسكون بفعل يعني بالفتح فجمعوه
جمعه انتهى ، اي ان فعلا بالسكون قياسه افعل كفلس وافلس لا انه استثقلت الضمة على
الواو فجمعوه جمع فعل بالتحريك نحو جمل واجمال لان فعلا بالسكون على افعال ليس بقياس
اذا فعل صحيحا نحو فرخ وافراخ وزيد وازياد وورد منه الفاظ كثيرة ومع ذلك
فلم يقيسوه ، وقد قال الحوفي شيئا من هذا **فصل** ظاهر لفظ الناس للعموم ف
فيدخل كل انسان افواجا اي جماعات فوجا بعد فوج وذلك لما فتحت مكة قالت العرب
اما اذا ظفر محمد صلى الله عليه وسلم باهل الحرم وقد كان الله تعالى اجارهم من اصحاب
الفيل فليس لكم به يدان فكانوا يسلمون افواجا افواجا امة بعد امة ، قال الضحاك
والامة اربعون رجلا ، وقال عكرمة ومقاتل اراد بالناس اهل اليمن وذلك انه
ورد من اليمن سبع مائة انسان مومنين طايعين بعضهم يوذنون وبعضهم يقراون
القران وبعضهم يهللون فسر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وبكى عمر وابن عباس
رضي الله عنهما ، وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قرا اذا جاء نصر الله والفتح وجاء اهل اليمن رقيقة افئدتهم لينة طباعهم سخية
قلوبهم عظيمة خشيتهم فدخلوا في دين الله افواجا ، وروى مسلم عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاكم اهل اليمن هم اضعف
قلوبا وارق افئدة الفقه يمان والحكمة يمانية ، وقال صلى الله عليه وسلم اني لاجد
من قبل اليمن وفيه تاويلان احدهما انه الفرج لتتابع اسلامهم افواجا ، الثاني ان
الله تعالى نفس الكرب عن نبيه صلى الله عليه وسلم باهل اليمن وهم الانصار ، وروى
جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان
الناس دخلوا في دين الله افواجا وسيخرجون منه افواجا ذكره الماوردي ، قال ابن
الخطيب كانت تدخل فيه القبيلة باسرها بعد ما كانوا يدخلون واحدا واحدا واثنين

اثنين

اثنين **فصل** ودين الله هو الاسلام لقوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام ، ومن
يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ، واضافة الدين الى الاسم الدال على الالهية اشارة
الى انه يجب ان يعبد لكونه الها ، وللدين اسماء اخر قال تعالى فاخرجنا من كان فيها من المومنين
فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ، ومنها الصراط قال تعالى صراط الله الذي له ما
في السموات وما في الارض ، ومنها كلمة الله ، ومنها النور يريدون ليطفيوا نور الله ف
ومنها الهدى قال تعالى هدى الله يهدي به من يشاء ، ومنها العروة الوثقى ومن يومن
بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى ، ومنها الحبل المتين ، واعتصموا بحبل الله ، ومنها
صبغة الله ، ومنها فطرة الله **فصل** قال جمهور الفقهاء واكثر المتكلمين ايمان
المقلد صحيح واحتجوا بهذه الاية قالوا انه تعالى حكم بصحة ايمان اولئك الافواج وجعله
من اعظم المنن على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولو لم يكن ايمانهم صحيحا لما ذكره في هذا المعرض
ثم انا نعلم قطعا انهم ما كانوا يعرفون حدوث الاجسام بالدليل واثبات كونه تعالى
منزها عن الجسمية والمكان والحيز ولا اثبات كونه تعالى عالما بجميع المعلومات التي لا نهاية
لها ولا اثبات الصفات والتنزيه بالدليل والعلم بان اولئك الاعراب ما كانوا عالمين
باصول دلايل هذه المسايل لان اصول هذه الدلايل ظاهرة بل كانوا جاهلين بالتفاصيل
لانا نقول ان الدليل لا يقبل الزيادة والنقصان فان الدليل اذا كان مثلا مركبا من
عشر مقدمات فمن علم تسعة منها وكان في المقدمة العاشرة مقلدا كان في النتيجة
مقلدا لا محالة **قوله تعالى** فسبح بحمد ربك واستغفره ، بحمد ربك قال ابن الخطيب
اي ملتبسا بحمده وتقدم تحقيق ذلك في سورة البقرة عند قوله تعالى ونحن نسبح بحمدك
قال ابن الخطيب انه تعالى امره صلى الله عليه وسلم بالتسبيح ثم بالحمد ثم بالاستغفار
والفايدة فيه ان تاخير النصر سنين مع ان محمدا صلى الله عليه وسلم كان على الحق مما يثقل
على القلب ويقع في القلب اني اذا كنت على الحق فلم لا تنصرون ولم سلطت على هولاء
الكفار فلاجل الاعتذار عن هذا الخاطر امر بالتسبيح ، اما على قولنا فالمراد من هذا
التنزيه انه تعالى منزه عن ان يستحق عليه احد شيئا ، واما على قول المعتزلة ففايدة
التنزيه هو ان يعلم العبد ان تنزيه الله عما لا ينبغي بسبب المصلحة لا بسبب ترجيح الباطل
على الحق ، ثم اذا فرغ العبد من تنزيه الله عز وجل فحينيذ يشتغل بحمده على ما اعطاه من
الاحسان والبر ، ثم حينيذ يشتغل بالاستغفار لذنوب نفسه **فصل** قال
المفسرون فسبح بحمد ربك واستغفره اي اذا صليت فاكثر من ذلك ، وقيل معنى
سبح صل قاله ابن عباس رضي الله عنه ، وقوله بحمد ربك حامدا له على ما اتاك من
الظفر والفتح ، واستغفره اي سل الله الغفران ، وقيل فسبح المراد به التنزيه اي نزهه
عما لا يجوز عليه مع شكرك له وبالاستغفار مداومة الذكر ، وروى في الصحيحين عن
عايشة رضي الله عنها قالت ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة بعد ان نزلت
عليه سورة اذا جاء نصر الله والفتح الا يقول فيها سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي
وقالت ام سلمة رضي الله عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم اخر امره لا يقوم ولا يقعد
ولا يجي ولا يذهب الا قال سبحان الله وبحمده استغفر الله واتوب اليه قال فاني امرت
بها ثم قرا اذا جاء نصر الله والفتح الى اخرها ، وقال عكرمة رضي الله عنه لم يكن النبي
صلى الله عليه وسلم قط اشد اجتهادا في امور الاخرة ما كان عند نزولها ، وقال
مقاتل لما نزلت قراها النبي صلى الله عليه وسلم على اصحابه وفيهم ابو بكر وعمر وسعد بن

وقاص رضي الله عنهم ففرحوا واستبشروا وبكى العباس فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عم قال نعيت اليك نفسك فعاش بعدها سنتين يوما ما رؤي فيهما ضاحكا مستبشرا وقيل نزلت في منى بعد ايام التشريق في حجة الوداع فبكى عمر والعباس رضي الله عنهما فقيل لهما هذا يوم فرح فقالا بل فيه نعي النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدقتما نعيت الي نفسي ٭ وروى البخاري وغيره عن ابن عباس قال كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأذن لاهل بدر ويأذن لي معهم قال فوجد بعضهم من ذلك فقالوا يأذن لهذا الفتى معنا ومن ابنائنا من هو مثله فقال عمر رضي الله عنه لهم انه من قد علمتم قال فأذن لهم ذات يوم واذن لي معهم فسألهم عن هذه السورة اذا جاء نصر الله والفتح فقالوا امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم اذا فتح عليه ان يستغفره وان يتوب عليه فقال ما تقول يا ابن عباس قلت ليس كذلك بل اخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم حضور اجله فقال اذا جاء نصر الله والفتح فذلك علامة موتك فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا فقال عمر رضي الله تلومونني عليه ٭ وفي رواية فقال عمر اني لا اعلم منها الا ما تقول

فصل فان قيل فماذا يغفر للنبي صلى الله عليه وسلم حتى يؤمر بالاستغفار ٭ فالجواب كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه رب اغفر لي خطيئتي وجهلي واسرافي في امري كله وما انت اعلم به مني اللهم اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اعلنت وما اسررت انت المقدم وانت المؤخر انك على كل شيء قدير كان صلى الله عليه وسلم يستقصر لنفسه لتعظيم ما انعم الله عليه ويرى قصوره عن القيام بحق ذلك ٭ وقيل حسنات الابرار سيئات المقربين ٭ وقيل يحتمل ان يكون المعنى كن متعلقا به سائلا راغبا متضرعا على رؤية التقصير في اداء الحقوق ٭ وقيل الاستغفار تعبد يجب اتيانه لا للمغفرة بل تعبدا ٭ وقيل معنى واستغفره اي استغفر لامتك انه كان توابا على المسبحين والمستغفرين يتوب عليهم ويرحمهم ويقبل توبتهم واذا كان عليه الصلاة والسلام وهو معصوم يؤمر بالاستغفار فما ظنك بغيره

فصل تقدم تفسير الحمد واما تفسير قوله تعالى فسبح بحمد ربك ففيه وجوه ٭ الاول قال الزمخشري اي قل سبحان الله والحمد لله تعجبا مما اراك من عجيب انعامه اي اجمع بينهما كقولك الماء باللبن اي اجمع بينهما خلطا وشربا ٭ الثاني ان التسبيح داخل في الحمد لانك اذا حمدت الله تعالى فقد سبحته بواسطة لان الثناء عليه والشكر له يتضمن تنزيهه عن النقائص ولذلك جعل الحمد مفتاح القرآن فمعنى سبح بحمد ربك اي سبحه بواسطة ان تحمده اي سبحه بهذا الطريق ٭ الثالث ان يكون حالا اي سبحه مقدرا ان تحمد التسبيح كانك تقول لا تنافي لك بينهما لفظا فاجمعهما نية كما ينوي الصلاة بين التحرم مقدرا انك تنحر بعدها فيجتمع لك الثواب في تلك الحالة كذا ههنا ٭ الرابع ان هذه الباء كهي في قولك فعلت هذا بفضل الله اي بحمد الله اي انه الذي هداك وارشدك لا بحمد غيره كقوله صلى الله عليه وسلم الحمد لله على الحمد ٭ الخامس قال السدي بحمد ربك اي بامر ربك ٭ السادس ان يكون الباء زائدة والتقدير سبح حمد ربك اي طهر محامد ربك عن الرياء والسمعة او اختر له اطهر المحامد وازكاها واحسنها او ائت بالتسبيح بدلا عن الحمد الواجب عليك لان الحمد انما يجب في مقابلة النعم ونعم الله تعالى غير متناهية فحمدها لا يكون في وسع البشر فكانه تعالى يقول انت عاجز عن الحمد فائت بالتسبيح والتوبة بدلا عن الحمد ٭ السابع فيه اشارة الى ان التسبيح والحمد لا يتأخر احدهما عن الآخر ولا

يمكن ان يؤتى بهما معا ٭ ونظيره من ثبت له حق الشفعة وحق الرد بالعيب وجب ان يقول اخترت الشفعة بردي ذلك المبيع كذا ههنا قال فسبح بحمد ربك ليقعا معا فيصير حامدا مسبحا في وقت واحد معا ٭ فان قيل التوبة متقدمة على جميع الطاعات ثم الحمد مقدم على التسبيح لان الحمد على النعم والنعم سابقة فالاستغفار سابق ثم التسبيح ٭ فالجواب لعله بدأ بالاشرف تنبيها على النزول من الخالق الى الخلق اشرف من الصعود من الخلق الى الخالق او نبه بذلك على التسبيح والحمد الصادر من العبد اذا قابلا جلال الحق وعزته استوجبا الاستغفار او لان التسبيح والحمد اشارة الى تعظيم امر الله والاستغفار اشارة الى الشفقة على خلق الله تعالى فالاول كالصلاة والثاني كالزكاة كما ان الصلاة مقدمة على الزكاة فكذا ههنا ٭ فان قيل قوله تعالى كان توابا يدل من الماضي وحاجتنا الى قبوله في المستقبل وايضا هلا قال سبحانه غفارا كما قال تعالى في سورة نوح عليه السلام وايضا قال تعالى نصر الله وقال في دين الله وقال بحمد ربك ولم يقل بحمد الله ٭ فالجواب عن الاول ان هذا ابلغ كانه يقول اني ثبت على من هو اقبح فعلا منهم كاليهود فانهم بعد ظهور المعجزات العظيمة كفلق البحر ونتق الجبل ونزول المن والسلوى عصوا ربهم واتوا بالقبائح ولما تابوا قبلت توبتهم فاذا كنت قابلا لتوبة اولئك وهم دونكم فلان اقبل توبتكم وانتم خير امة اخرجت للناس اولى او لاني شرعت في توبة العصاة والشروع ملزم او هو اشارة الى تخفيف جنايتهم اي لست اول من جنى والمصيبة اذا عمت خفت او كما قيل كما احسن الله فيما مضى كذلك يحسن فيما بقي ٭ والجواب عن الثاني لعله خص هذه الامة بمزيد الشرف لانه لا يقال في صفات العبد غفار ويقال توابا اذا كان آتيا بالتوبة فكانه تعالى يقول كنت لي سميا من اول الامر انت مؤمن وانا مؤمن وان اختلف المعنى فصرت فتبت حتى صرت سميا في آخر الامر فانت تواب وانا تواب ٭ ثم التواب في حق الله تعالى انه يقبل التوبة كثيرا فيجب على العبد ان يكون اتيانه بالتوبة كثيرا وانه انما قال توابا لان القائل قد يقول استغفر الله وليس بتائب كقول المستغفر بلسانه المصر بقلبه كالمستهزئ ٭ فان قيل قد يقول اتوب وليس بتائب ٭ قلنا فاذا يكون كاذبا لان التوبة اسم للرجوع او الندم بخلاف الاستغفار فانه لا يكون كاذبا فيه فيكون تقدير الكلام واستغفره بالتوبة وفيه تنبيه على ان خواتيم الاعمال يجب ان يكون بالتوبة والاستغفار وكذا خواتيم الاعمار ٭ والجواب عن الثالث انه راعى العدل فذكر اسم الذات مرتين وذكر اسم الفعل مرتين احدهما الرب والثاني التوابية فلما كانت التربية تحصل اولا والتوبة آخرا لا جرم ذكر اسم الرب اولا واسم التوبة آخرا

فصل قال ابن عمر رضي الله عنه نزلت هذه السورة بمنى في حجة الوداع ثم نزلت اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي فعاش بعدها صلى الله عليه وسلم ثمانين يوما ثم نزل لقد جاءكم رسول من انفسكم فعاش بعدها صلى الله عليه وسلم خمسة وثلاثين يوما ثم نزلت واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فعاش بعدها صلى الله عليه وسلم احد وعشرين يوما ٭ وقال مقاتل سبعة ايام ٭ وقيل غير ذلك

فصل قال ابن الخطيب اتفق الصحابة رضي الله عنهم على ان هذه السورة دلت على نعي رسول الله صلى الله ٭ فان قيل لعل دلالة السورة على هذا المعنى فالجواب من وجوه ٭ احدها قال بعضهم انما عرفوا ذلك لما روي انه صلى الله عليه وسلم خطب عقيب السورة وذكر التخيير ٭ وثانيها انه لما ذكر حصول النصر والفتح ودخول الناس

في الدين أفواجاً دلّ ذلك على حصول التمام والكمال وذلك يستعقبه الزوال كما قيل:

إذا تمّ شيء بدا نقصه ... توقّع زوالاً إذا قيل تمّ

وثالثها أنه جلّ ذكره أمره بالتسبيح والحمد والاستغفار مطلقاً واشتغاله صلى الله عليه وسلم بذلك يمنعه من الاشتغال بأمر الأمة فكان هذا كالتنبيه على أن أمر التبليغ قد تمّ وكمل وذلك يوجب الموت لو بقي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك لكان كالمعزول عن الرسالة وأنه غير جائز. ورابعها قوله تعالى واستغفره تنبيه على قرب الأجل كأنه يقول قرب الأجل ودنا الرحيل فتأهب للأمر. ونبّه به على أن سبيل العاقل إذا قرب أجله أن يستكثر من التوبة. وخامسها كأنه قيل كان منتهى مطلوبك في الدنيا هذا الذي وجدته وهو النصر والفتح والاستيلاء والله تعالى وعدك بقوله تعالى وللآخرة خير لك من الأولى فلما وجدت أقصى مرادك في الدنيا فانتقل إلى الآخرة لتفوز بتلك السعادات العالية. روى الثعلبي عن أبيّ رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النصر فكأنما شهد مع محمد صلى الله عليه وسلم فتح مكة.

سورة تبت مكية

وهي خمس آيات وثلاث وعشرون كلمة وسبعة وسبعون حرفاً بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى تبت يدا أبي لهب وتب أي خسرت وتقدم تفسير هذه المادة في سورة غافر عند قوله إلا في تباب. وأسند الفعل إلى اليدين مجازاً لأن أكثر الأفعال تزاول بهما وإن كان المراد جملة المدعو عليه. وقوله تبت دعاء وتب إخبار أي قد وقع ما دعي به عليه كقول الشاعر:

جزاني جزاه الله شرّ جزائه ... جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

ويؤيده قراءة عبد الله وقد تب. والظاهر أن كليهما دعاء ويكون في هذا شبه من مجيء العام بعد الخاص لأن اليدين بعض وإن كان حقيقة اليدين غير مراد. وقيل كلاهما إخبار أراد بالأول هلاك عمله وبالثاني هلاك نفسه. وإنما عبر باليدين لأن الأعمال غالباً تزاول بهما. وقيل المراد باليدين نفسه. وقد يعبر باليد عن النفس لقوله تعالى بما قدمت يداك أي نفسك وهذا مهيع كلام العرب تعبر ببعض الشيء عن كله تقولون أصابته يد الدهر ويد المنايا والرزايا أي أصابه كل ذلك. قال الشاعر:

لما أكبت يد الرزايا ... عليه نادى ألا مجير

وقال ابن الخطيب وباليدين إما لأنه كان يرمي النبي صلى الله عليه وسلم بالحجارة وقيل المراد دنياه ودينه وأولاه وعقباه، أو المراد بأحدهما المنفعة وبالأخرى دفع المضرة، أو لأن اليمين سلاح والأخرى جنة. وقيل بمعنى ماله وبنيه وتب هو بنفسه. وقيل تب يعني ولده عتبة وهو الذي دعى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم سلط عليه كلباً من كلابك لشدة عداوته فافترسه الأسد. وقرأ العامة لهب بفتح الهاء وابن كثير بإسكانها فقيل لغتان بمعنى نحو النهَر والنهْر والشعَر والشعْر والصخَر والصخْر. وقال الزمخشري وهو من تغيير الأعلام كقوله شمس بن مالك بالضم يعني أن الأصل بفتح الشين فغيرت إلى الضم ويشير بذلك لقول الشاعر:

وإني لمهدٍ من ثنائي فقاصد ... به لابن عم الصدق شمس بن مالك

وجوّز أبو حيان في شمس أن يكون منقولاً من شمس الجمع من قولهم ناقة شموس فلا

يكون

يكون من التغيير في شيء. وكني بذلك أبو لهب إما للتهاب وجنتيه وكان مشرق الوجه أحمره، وإما لما يؤول إليه من لهب جهنم كقولهم أبو الخير وأبو الشر وصدّر هاهنا، وإما لأن الكنية أغلب من الاسم أو لأنها أنقص منه ولذلك ذكر الأنبياء عليهم السلام بأسمائهم دون كناهم، أو لقبح اسمه لأن اسمه عبد العزى فعدل عنه إلى الكنية لأن الله تعالى لم يضف العبودية في كتابه إلى صنم. وقيل اسمه أبو لهب كما سمي أبو سفيان وأبو طالب. وقال الزمخشري فإن قلت لم كناه والكنية تكرمة ثم ذكر ثلاثة أجوبة إما لشهرته بكنيته وإما لقبح اسمه كما تقدم وإما لتجانس قوله ناراً ذات لهب لأن ماله إلى لهب جهنم انتهى. وهذا يقتضي أن الكنية أشرف وأكمل لا أنقص وهو عكس قول تقدم آنفاً. وقرئ يدا أبو لهب بالواو في مكان الجر. قال الزمخشري كما قيل علي بن أبو طالب ومعاوية بن أبو سفيان لئلا يتغير منه شيء فيشكل على السامع بن عاصم أمير مكة ابنان أحدهما عبد الله بالجر والآخر عبد الله بالنصب. ولم يختلف القراء في قوله ذات لهب أنها بالفتح. والفرق أنها فاصلة فلو سكنت زال التشاكل.

فصل

قال قتادة تبت خسرت، وقال ابن عباس خابت، وقال عطاء ضلت، وقال ابن جبير هلكت، وقال يمان بن رئاب صفرت من كل خير. وحكى الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء أنه لما قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه سمع الناس هاتفاً يقول:

لقد خلوك وانصرفوا ... فما آبوا ولا رجعوا
ولم يوفوا بنذرهم ... فيا تباً للذي صنعوا

فصل

روى البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنه قال لما نزلت وأنذر عشيرتك الأقربين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا فهتف يا صباحاه فقالوا من هذا الذي يهتف فقالوا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمعوا إليه فقال صلى الله عليه وسلم يا بني فلان يا بني فلان يا بني عبد مناف يا بني عبد المطلب فاجتمعوا إليه فقال عليه الصلاة والسلام أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقيّ قالوا ما جربنا عليك كذباً قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب فقال أبو لهب تباً لك أما جمعتنا إلا لهذا ثم قام فنزلت هذه السورة. وفي رواية لما سمعت امرأته ما نزل في زوجها وفيها من القرآن أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد عند الكعبة ومعه أبو بكر رضي الله عنه وفي يدها فهر من حجارة فلما وقفت عليه أخذ الله تعالى بصرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ترى إلا أبا بكر فقالت يا أبا بكر إن صاحبك قد بلغني أنه يهجوني والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه والله إني شاعرة:

مذمماً عصينا ... وأمره أبينا ... ودينه قلينا

ثم انصرفت فقال أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله أما تراها رأتك قال صلى الله عليه وسلم ما رأتني لقد أخذ الله تعالى بصرها عني. وكانت قريش إنما تسمي رسول الله صلى الله عليه وسلم مذمماً ثم يسبونه وكان صلى الله عليه وسلم يقول ألا تعجبون لما صرف الله تعالى عني من أذى كفار قريش يسبون ويهجون مذمماً وأنا محمد رسول الله. وحكى أبو عبد الرحمن بن زيد أن أبا لهب أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ماذا أعطى إن آمنت بك يا محمد فقال صلى الله عليه وسلم كما يعطى المسلمون فقال ما لي عليهم فضل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأي شيء تبتغي قال تباً لهذا من دين أكون أنا وهؤلاء سواء فأنزل الله تعالى فيه تبت يدا أبي لهب وتب. وحكى عبد الرحمن بن كيسان كان إذا وفد على النبي صلى الله عليه وسلم

وقد انطلق اليهم ابو لهب فيسالونه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون انت اعلم
به منا فيقول لهم ابو لهب انه كذاب ساحر فيرجعون عنه ولا يلقونه فاتى وفد ففعل مثل
ذلك فقالوا لا ننصرف حتى نراه ونسمع كلامه فقال لهم ابو لهب انا لم نزل نعالجه
فتبا له وتعسا فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكتاب لذلك فنزلت هذه السورة
وقيل ان ابا لهب اراد ان يرمي النبي صلى الله عليه وسلم بحجر فمنعه الله تعالى من ذلك
فنزلت تبت يدا ابي لهب للمنع الذي وقع به **فصل** قال ابن الخطيب من فسر
التب بالهلاك فلقوله تعالى وما كيد فرعون الا في تباب اي في هلاك ومن فسره
بالخسران فلقوله تعالى وما زادهم غير تتبيب اي تخسير ومن فسره بالخيبة قال ابن
عباس رضي الله عنه لانه كان يدفع القوم عنه صلى الله عليه وسلم بانه ساحر فينصرفوا
عنه قبل لقائه لانه كان شيخ القبيلة لعنه الله فكان لا يتهم فلما نزلت هذه السورة
وسمع بها غضب واظهر العداوة الشديدة وصار متهما فلم يقبل قوله في الرسول صلى
الله عليه وسلم بعد ذلك فكانه قد خاب سعيه ولعله انما ذكر التب لانه كان يضرب
بيده على يد الوافد عليه فيقول انصرف راشدا فانه مجنون فان المعتاد ان من يصرف
انسانا يضع يده على كتفه ويدفعه عن ذلك الموضع ومن فسر التب بقوله غلبت فلانه
كان يعتقد ان يده العليا وانه يخرجه من مكة ويذله ومن فسره بصفرت فلانه
يده خلت من كل خير **فصل** ابو لهب اسمه عبد العزى بن عبد المطلب عم النبي صلى
الله عليه وسلم وامراته العوراء ام جميل اخت ابي سفيان بن حرب وكلاهما كان شديد
العداوة للنبي صلى الله عليه وسلم قال طارق بن عبد الله المحاربي اني بسوق ذي المجاز
واذا انا بانسان يقول يا ايها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا واذا رجل خلفه
يرميه قد ادمى ساقيه وعرقوبيه ويقول انه كذاب فلا تصدقوه فقلت من هذا
فقالوا محمد زعم انه نبي وهذا عمه ابو لهب يزعم انه كذاب وروى عطاء عن ابن
عباس رضي الله عنه قال قال ابو لهب سحركم محمد ان احدنا لياكل الجذعة ويشرب
العس من اللبن ولا يشبع وان محمدا قد اشبعكم من فخذ شاة وارواكم من عس لبن **قوله**
ما اغنى يجوز في ما النفي والاستفهام فعلى الاستفهام يكون منصوب المحل بما بعدها
التقدير اي شيء اغنى المال وقدم لكونه له صدر الكلام وقوله تعالى وما كسب
يجوز في ما هذه ان تكون بمعنى الذي فالعائد محذوف وان تكون مصدرية اي
وكسبه وان تكون استفهامية بمعنى واي شيء كسب اي لم يكسب شيئا قاله ابو حيان
فجعل الاستفهام بمعنى النفي فعلى هذا يجوز ان تكون نافية ويكون المعنى على ما ذكر
وهو غير ظاهر وقرا ابن مسعود والاعمش وما اكتسب **فصل** المعنى ما
دفع عنه عذاب الله ما جمع من المال ولا ما كسب من جاه وقال مجاهد وما كسب
من ولد وولد الرجل من كسبه وقال ابو الطفيل جاء بنو ابي لهب يختصمون عند
ابن عباس رضي الله عنه فاقتتلوا فقام ليحجز بينهم فدفعه بعضهم فوقع على الفراش
فغضب ابن عباس وقال اخرجوا عني الكسب الخبيث يعني ولد ابي لهب وقال
صلى الله عليه وسلم ان اطيب ما اكل الرجل من كسبه وقال ابن عباس رضي الله عنه
لما انذر رسول الله صلى الله عليه وسلم عشيرته بالنار قال ابو لهب ان كان ما يقول
ابن اخي حقا فاني افدي نفسي ومالي وولدي فنزل ما اغنى عنه ماله وما كسب وقال
الضحاك ما ينفعه ماله وعمله الخبيث يعني كيده وعداوة رسول الله صلى الله عليه

وسلم

وسلم **قوله تعالى** سيصلى نارا ذات لهب قرا العامة سيصلى بفتح الياء واسكان
الصاد وتخفيف اللام اي يصلى هو بنفسه وابو حيوة وابن مقسم وعباس في اختياره
قال القرطبي والاشهب العقيلي وابو السمال العدوي ومحمد بن السميفع بضم الياء وفتح
الصاد والتشديد والمعنى سيصليه الله عز وجل من قوله سيصليه نارا وقرا الحسن
وابن ابي اسحق وابو رجاء والاعمش ورواها محبوب عن اسمعيل عن ابي رضي الله عنه وعن
ابي بكر عن عاصم بضم الياء ومعنى ذات لهب اي ذات اشتعال وتلهب وقد تقدم
القول فيه في سورة والمرسلات **قوله تعالى** وامراته حمالة الحطب قرا العامة
بالرفع على انها جملة من مبتدا وخبر سيقت للاخبار بذلك وقيل وامراته عطف
على الضمير في سيصلى سوغه الفصل بالمفعول وحمالة الحطب على هذا فيها اوجه كونها نعتا
لامراته وجاز ذلك لان الاضافة حقيقية اذ المراد المضي او كونها بيانا او كونها بدلا
لانها قريبت من الجوامد لتمحض اضافتها او كونها خبر المبتدا مضمرا اي هي حمالة وقرا عباس
ومويهبة ومر بينه على التصغير الا انه اقر الهمزة تارة وابدلها يا وادغم فيها اخرى
وقرا العامة حمالة بالرفع وعاصم بالنصب فقيل على الشتم وقد اتى بجميل من سب ام
جميل قال الزمخشري وكانت تكنى ام جميل لعنها الله وقيل نصب على الحال من امراته
اذا جعلناها مرفوعة بالعطف على الضمير ويضعف جعلها حالا عند الجمهور من الضمير
في الجار بعدها اذا جعلناها لامراته لتقدمها على العامل المعنوي واستشكل
بعضهم الحالية لما تقدم من ان المراد به المضي فيتعرف بالاضافة فكيف يكون حالا
عند الجمهور ثم اجاب بان المراد الاستقبال لانه ورد انها تحمل يوم القيامة حزمة
من حطب النار كما كانت تحمل الحطب في الدنيا وفي قوله تعالى حمالة الحطب قولان
احدهما هو حقيقة قال قتادة كانت تعير النبي صلى الله عليه وسلم بالفقر ثم كانت مع
كثرة مالها تحمل الحطب على ظهرها لشدة بخلها فعيرت بالبخل وقال ابن زيد والضحاك
كانت تحمل العضاة والشوك بالليل فتطرحه على طريق النبي صلى الله عليه وسلم فكان النبي
صلى الله عليه وسلم يطاه كما يطا الحرير وقال مرة الهمداني كانت ام جميل لعنها الله
تاتي في كل يوم باباله من الحسك فتطرحها على طريق المسلمين فبينا هي ذات ليلة حاملة
حزمة عيت فقعدت على حجر لتستريح فجذبها الملك من خلفها فاهلكها القول الثاني
انه مجاز عن المشي بالنميمة ورمي الفتن بين الناس قال م

ان بني الادرم حمالوا الحطب ∴ هم الوشاة في الرضى وفي الغضب
عليهم اللعنة تترى والحرب

وقال اخر من البسيط لم يصطد على ظهر لامة ولم يمش بين الحي بالحطب الرطب
وجعله رطبا تنبيها على تدخينه وهو قريب من ترشيح المجاز يعني لم يمش بالنمائم وقال
سعيد بن جبير حمالة الخطايا والذنوب من قولهم فلان يحتطب على ظهره قال تعالى
يحملون اوزارهم على ظهورهم وقرا ابو قتادة حاملة الحطب على وزن فاعلة
وهي محتملة لقراءة العامة وقرا ابن عباس حمالة للحطب بالتنوين وجر المفعول
بلام زائدة تقوية للعامل كقوله تعالى فعال لما يريد وابو عمرو في رواية وامراته
باختلاس الهاء دون اشباع **قوله تعالى** في جيدها حبل يجوز ان يكون في
جيدها خبرا لامراته وحبل فاعلا به وان يكون حالا من امراته على كونها فاعلة وحبل
مرتفع به ايضا وان يكون خبرا مقدما وحبل مبتدا مؤخرا والجملة حالية او خبر ثان

والجيد العنق ويجمع على اجياد قال امرئ القيس
وجيد كجيد الريم ليس بفاحش ❊ اذا هي نصّته ولا بمعطل
ومن مسد صفة لحبل والمسد ليف المقل وقيل الليف مطلقا وقيل الحبل شجر باليمن
قال النابغة مقذوفة بدخيس النحض بازلها ❊ له صريف صريف القعو بالمسد
وقد يكون من جلود الابل واوبارها قال ومسد امر من ايانق ❊ ليس بانياب ولا حقايق وجمع المسد امساد وقال ابو عبيدة هو حبل يكون من صوف وقال الحسن هي حبال من شجر تنبت باليمن تسمى المسد وكانت تفتل **فصل** قال الضحاك وغيره هذا في الدنيا وكانت تعير النبي صلى الله عليه وسلم بالفقر وهي تحتطب في حبل تجعله في جيدها من ليف فخنقها الله تعالى به فاهلكها وهو في الآخرة حبل من نار وعن ابن عباس حبل من مسد قال سلسلة ذرعها سبعون ذراعا وهو قول مجاهد وعروة ابن الزبير يدخل فيها ويخرج من اسفلها ويلوى سائرها على عنقها وقال قتادة حبل من مسد قال قلادة من ودع وقال الحسن انما كان خرزا في عنقها وقال سعيد بن المسيب كانت لها قلادة فاخرة من جوهر فقالت واللات والعزى لانفقنها في عداوة محمد ويكون ذلك عذابا في جيدها يوم القيمة وقيل ان ذلك اشارة الى الخذلان يعني انها مربوطة عن الايمان بما سبق لها من الشقا كالمربوط في عنقه جيده بحبل من مسد والمسد الفتل يقال مسد حبله يمسده مسدا اي اجاد فتله قال يمسد اعلى لحمه ويارمه يقول ان البقل يقوى ظهر هذا الحمار وقال ابن الخطيب وقيل المسد يكون من الحديد وظن من ظن ان المسد لا يكون من الحديد خطا لان المسد هو المفتول سوا كان من الحديد او من غيره ورجل ممسود اي مجدول الخلق وجارية حسنة المسد والعصب والجدل والارم وهي ممسودة ومعصوبة ومجدولة ومارومة والمساد على فعال لغة في المساب وهو نحي السمن وسقا العسل قال كل ذلك الجوهري فان قيل ان كان ذلك حبلها فكيف تبقى ابدا في النار **فصل** تضمنت هذه الآيات الاخبار عن الغيب من ثلاثة اوجه احدها الاخبار عنه بالتباب والخسار وقد كان ذلك وثانيها الاخبار عنه بعدم الانتفاع بماله وولده وقد كان ذلك وثالثها الاخبار بانه من اهل النار وقد كان ذلك لانه مات على الكفر هو وامراته ففي ذلك معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم فامراته خنقها الله تعالى بحبلها لعنها الله وابو لهب رماه الله في الباقي بالعدسة بعد وقعة بدر لسبع ليال فمات واقام ثلاثة ايام لم يدفن حتى انتن ثم ان ولده غسله بالماء قذفا من بعيد مخافة عدوى العدسة وكانت قريش تتقيها كما تتقي الطاعون ثم احتملوه الى اعلا مكة فاسندوه الى جدار ثم رضموا عليه الحجارة **فصل** احتج اهل السنة على تكليف ما لا يطاق بانه تعالى كلف ابا لهب بالايمان بتصديق الله تعالى في كل ما اخبر عنه ومما اخبر عنه انه لا يومن وانه من اهل النار فقد صار بانه لا يومن وهذا تكليف بالجمع بين النقيضين وهو محال وذلك مذكور في اصول الفقه ذكر الثعلبي عن ابي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة تبت رجوت ان لا يجمع الله تعالى بينه وبين ابي لهب في دار واحدة والله اعلم

سورة الاخلاص مكية

في

في قول ابن مسعود والحسن وعطاء وعكرمة وجابر ومدنية في احد قولي ابن عباس وقتادة والضحاك والسدي رضي الله عنهم وهي اربع ايات وخمس عشرة كلمة وسبعة واربعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** قل هو الله احد في هو وجهان احدهما انه ضمير عائد على ما يفهم من السياق فانه يروى في سبب النزول انهم قالوا صف لنا ربك وانسبه وقيل قالوا له انحاس هو ام حديد فنزلت وحينئذ يجوز ان يكون الله مبتدا واحد خبره والجملة خبر الاول ويجوز ان يكون الله بدلا واحد الخبر ويجوز ان يكون الله خبرا اول واحد خبرا ثانيا ويجوز ان يكون احد خبرا لمبتدا محذوف اي هو احد والثاني ضمير الشان لانه موضع تعظيم الجملة بعده خبره مفسرة وهمزة احد بدل من واو لانه من الوحدة وابدال الهمزة من الواو المفتوحة قليل منه امراة اناة من الونا وهو الفتور وتقدم الفرق بين احد هذا واحد المراد به العموم قال ان همزة ذاك اصل بنفسها ونقل ابو البقا ان همزة احد هذا غير مقلوبة بل اصل بنفسها كالمراد به العموم والاول هو المعروف وفرق ثعلب بين واحد وبين احد بان الواحد يدخله العدد والجمع والاثنان واحد لا يدخله ذلك ويقال الله احد ولا يقال زيد احد لان الله تعالى هذه الخصوصية وزيد له حالات شتى ورد عليه ابو حيان بانه يقال احد وعشرون ونحوه فقد دخله العدد انتهى وقال مكي ان احدا اصله واحد فابدلت الواو همزة فاجتمع الفان لان الهمزة تشبه الالف فحذفت احديهما تخفيفا وقرا عبد الله وابي الله احد دون قل وقرا النبي صلى الله عليه وسلم احد بغير قل هو وقرا الاعمش قل هو الله الواحد وقرا العامة بتنوين احد وهو الاصل وزيد بن علي وابان بن عثمان وابن ابي اسحق والحسن وابو السماك وابو عمرو في رواية في عدد كثير بحذف التنوين للخفة ولالتقاء الساكنين كقوله
عمرو الذي هشم الثريد لقومه ❊ ورجال مكة مسنتون عجاف
وقوله ولا ذاكر الله الا قليلا **قوله تعالى** الصمد الذي يصمد اليه في الحاجات والصمد فعل بمعنى مفعول كالقبض والنقض وهو السيد الذي يصمد اليه اي يقصد في الحوائج ولا يقدر على قضائها الا هو وانشد
الا بكر الناعي بخير بني اسد ❊ بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد
وقال اخر علوته بحسام ثم قلت له ❊ خذها حذيف فانت السيد الصمد
وقيل الصمد الذي لا جوف له ومنه قوله شهاب حروب لا تزال جياده ❊ عوابس يعلكن الشكيم المصمدا وقال ابي بن كعب رضي الله عنه تفسيره ما بعده من قوله عز وجل لم يلد ولم يولد وهذا يشبه ما قالوه من تفسير الهلوع والاحسن في هذه الجملة ان يكون مستقلة بفائدة هذا الخبر ويجوز ان يكون الصمد صفة والخبر في الجملة بعده كذا قيل وهو ضعيف من حيث السياق فان السياق يقتضي الاستقلال باخبار كل جملة قال القرطبي رحمه الله لانه ليس كل شيء يولد الا يموت وليس شيء يموت الا يورث وقيل الصمد الدائم الباقي الذي لم يزل ولا يزال وقال ابو هريرة رضي الله عنه انه المستغني عن كل احد المحتاج اليه كل احد وقال السدي انه المقصود في الرغبات والمستغاث به في المصائب وقال الحسن بن الفضل انه الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وقال مقاتل رضي الله

عنه انه الكامل الذي لا عيب فيه • قال القرطبي والصحيح من هذه الاقوال ما شهد له
الاشتقاق وهو القول الاول ذكره الخطابي **فصل** قال ابن الخطيب
وتكر لفظ احد لان الذي يعترفه الخلق من الموجودات محسوس وكل محسوس منقسم
فاما ما لا ينقسم فلا يعرف وعرف الصمد لانه الذي يقصد في الحوائج وذلك معلوم
عند الخلق • وقدم لم يلد وان كان العرف سبق المولودية لانه الاهم لقولهم ولد الله
وقوله جل ذكره ولم يولد كالحجة على انه لم يلد وبما هنا لم يلد وفي سورة الاسرا
لم يتخذ ولدا لان من النصارى من يقول عيسى ولد الله حقيقة ومنهم من يقول ان
الله اتخذه ولدا تشريفا فنفى الامرين **فصل** قال القرطبي وقد اسقط
من هذه السورة من ابعده الله واخزاه وقرا الله الواحد الصمد في الصلاة والناس
يسمعون فاسقط قل هو وزعم انه ليس من القرآن وغير لفظ احد وادعى ان هذا
هو الصواب والذي عليه الناس هو الباطل فابطل معنى الاية لان اهل التفسير
قالوا انزلت جوابا لاهل الشرك لما قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم صف لنا
ربك امن ذهب ام من نحاس ام من حديد فقال الله تعالى ردا عليهم قل هو الله
احد ففي قوله تعالى هو دلالة على موضع الرد ومكان الجواب فاذا سقط بطل
معنى الاية وصح الافترا على الله تعالى والتكذيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وروى الترمذي عن ابي بن كعب رضي الله عنه ان المشركين قالوا لرسول الله صلى الله
عليه وسلم انسب لنا ربك فانزل الله تعالى قل هو الله احد الله الصمد والصمد الذي
لم يلد ولم يولد لانه ليس شي يولد الا سيموت وليس شي يموت الا يورث وان الله
تعالى لا يموت ولا يورث • ولم يكن له كفوا احد • قال لم يكن له شبيه ولا عدل
ليس كمثله شي • وروى ابو العالية ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الهتهم فقالوا
انسب لنا ربك فاتاه جبريل عليه السلام بهذه السورة قل هو الله احد • وعن عكرمة
نحوه • وقال ابن عباس • قال الترمذي وهذا اصح • قال القرطبي ففي هذا
الحديث اثبات لفظ قل هو الله • وعن عكرمة نحوه • وقال ابن عباس لم يلد
كما ولدت مريم ولم يولد كما ولد عيسى وعزير وهو رد على النصارى وعلى من قال
عزير ابن الله • ولم يكن له كفوا احد • ولم يكن له مثلا وفي تقديم وتاخير
ولم يكن له كفوا كفوا مقدم خبر كان على اسمها لتساق اواخر الاي **فصل**
قال ابن الخطيب دل العقل على استحالة كونه تعالى ولدا او والدا • والاحدية
والصمدية توجبان نفي كونه تعالى والدا او مولودا وذكرهما بعدهما كما ذكر النتيجة
بعد الدليل **قوله تعالى** ولم يكن له كفوا احد • في نصب كفوا وجهان احدهما
انه خبر يكن واحد اسمها وله متعلق بالخبر اي ولم يكن كفوا له كما تقدم • وقد رد
المبرد على سيبويه بهذه الاية من حيث ان سيبويه يزعم انه اذا تقدم الظرف كان هو
الخبر وهنا لم يجعله خبرا مع تقدمه وقد رد على المبرد بوجهين احدهما ان سيبويه
لم يحتم ذلك بل جوزه • والثاني انا لا نسلم ان الظرف هنا ليس بخبر بل هو خبر
ونصب كفوا على الحال على ما سياتي بيانه • وقال الزمخشري الكلام العربي
الفصيح ان يوخر الظرف الذي هو لغو غير مستقر ولا يقدم • وقد نص سيبويه
في كتابه على ذلك فما باله مقدما في افصح كلام واعربه • قلت هذا الكلام انما
سبق لنفي المكافاة عن ذات الباري • وهذا المعنى مصبه ومركزه هو الظرف

١٠

فكان

فكان لذلك اهم شي واعناه واحقه بالتقدم واحراه • والثاني ان ينتصب على الحال
من احد لانه كان صفة فلما تقدم عليه نصب حالا وله هو الخبر قاله مكي وابو البقا
وغيرهما • ويجوز ان يكون حالا من الضمير المستكن في الجار لوقوعه خبرا • قال ابو حيان
بعد ان حكى كلام الزمخشري ومكي وهذه الجملة ليست من هذا الباب وذلك ان قوله
تعالى لم يكن له كفوا احد ليس الجار والمجرور فيه تاما انما هو ناقص لا يصلح ان يكون خبرا
لكان بل هو متعلق بكفوا وتقدم على كفوا للاهتمام به اذ فيه ضمير الباري تعالى وتوسط
الخبر وان كان الاصل التاخير لان تاخير الاسم هو فاصلة فحسن ذلك • وعلى هذا الذي
قررناه يبطل اعراب مكي وغيره ان له الخبر وكفوا حال من احد لانه ظرف ناقص لا يصلح
ان يكون خبرا وبذلك يبطل سوال الزمخشري وجوابه وسيبويه انما تكلم في الظرف
الذي يصلح ان يكون خبرا وان لا يكون • قال سيبويه ويقول ما كان فيها احد
خير منك وما كان مثلك فيها وليس احد فيها خير منك اذا جعلت فيها مستقرا ولم تجعله
على قولك فيها زيد قايم اجريت الصفة على الاسم • فان جعلته على فيها قايم نصبت
فتقول ما كان فيها احد خيرا منك وما كان احد خيرا منك فيها الا انك اذا
اردت الالغا فكلما اخرت الملغى فهو احسن واذا اردت ان يكون مستقرا فكلما
قدمته كان احسن والتقديم والتاخير والالغا والاستقرار عربي جيد كثير قال
تعالى ولم يكن له كفوا احد • وقال • ما دام فيهن فصيل حيا • انتهى كلام سيبويه
قال ابو حيان فانت ترى كلامه وتمثيله بالظرف الذي لا يصلح ان يكون خبرا
ومعنى قوله مستقرا اي خبرا للمبتدا لو كان • فان قلت قد مثل بالاية • قلت
هذا الذي اوقع مكيا والزمخشري وغيرهما فيما وقعوا فيه • وانما اراد سيبويه
ان الظرف التام وهو في قوله ما دام فيهن فصيل حيا • اجرى فضلة لا خبرا
كما ان له في الاية اجري فضلة فجعل الظرف القابل ان يكون خبرا كالظرف الناقص
في كونه لم يستعمل خبرا ولا يشك من له ذهن صحيح انه لا ينعقد كلام من له احد
بل لو تاخر كفوا وارتفع على الصفة وقد جعل له خبرا لم ينعقد منه كلام بل انت ترى
ان النفي لم يتسلط الا على الخبر الذي هو كفوا والمعنى لم يكن له احد مكافيه انتهى
ما قاله ابو حيان • قال شهاب الدين قوله ولا يشك الى اخره تهويل على الناظر
والا فقوله هذا الظرف ناقص ممنوع لان الظرف الناقص عبارة عما لم يكن في الاخبار
به فايدة كالمقطوع عن الاضافة ونحوه في دار رجل وقد نقل سيبويه الامثلة
المتقدمة نحو ما كان فيها احد خير منك وما الفرق بين هذا وبين الاية الكريمة
وكيف يقول هذا وقد قال سيبويه في اخر كلامه والتقديم والتاخير والالغا
والاستقرار عربي جيد كثير **فصل** قرا العامة كفوا بضم الكاف والفا
وسهل الهمزة الاعرج وسيبويه ونافع في رواية واسكن الفا حمزة وابدل الهمزة
واوا وقفا خاصة وابدلها حفص واوا مطلقا • والباقون بالهمز مطلقا قال
القرطبي وتقدم في البقرة ان كل اسم على ثلاثة احرف اوله مضموم فانه يجوز في
عينه الضم والاسكان الا قوله تعالى اتتخذنا هزوا • وقرا سليمان بن علي بن عبد
ابن عباس كفا بالكسر والمد اي لا مثل له • وانشد النابغة • لا تقذفني بركن
لا كفا له • وقرا نافع في رواية كفا بالكسر وفتح الفا من غير مد كانه نقل حركة
الهمزة وحذفها والكفو النظير تقول هذا كفولك اي نظيرك • والاسم الكفاة

بالنفخ ۰ قال ابن الخطيب والتحقيق انه تعالى لما اثبت الاحدية والصمدية ونفي الوالدية
والمولودية ختم السورة بان شيئا من الموجودات يمتنع ان يساويه في شي من صفات
الجلال والعظمة لانفراده سبحانه بوجوب الوجود **فصل** روى ابو هريرة رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى كذبني ابن ادم
ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياي فقوله لن يعيدني
كما بداني وليس باول الخلق باهون علي من اعادته ۰ واما شتمه اياي فقوله اتخذ الله
ولدا وانا الاحد الصمد لم الد ولم اولد ولم يكن لي كفوا احد **فصل** في فضائل
هذه السورة روى البخاري عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رجلا سمع رجلا يقرا
قل هو الله احد يرددها فلما اصبح جا النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له تقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده انها لتعدل ثلث القران لان القران انزل
اثلاثا ثلثا احكام وثلثا وعد ووعيد وثلثا اسما وصفات ۰ وجمعت هذه السورة
احد الاثلاث وهو الاسما والصفات ۰ وقيل لان اسم الصمد لا يوجد في غيرها
من القران ۰ وروى مسلم عن عن عايشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم
بعث رجلا على سرية فكان يقرا في صلاتهم فيختم بقل هو الله احد فلما رجعوا ذكروا
ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سلوه لاي شي يصنع ذلك فسالوه فقال
لانها صفة الرحمن عز وجل فانا احب ان اقراها فقال النبي صلى الله عليه وسلم اخبروه
ان الله تعالى يحبه ۰ وروى الترمذي عن انس بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقرا قل هو الله احد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وجبت قلت وما وجبت قال الجنة وروى انس رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرا قل هو الله احد خمسين مرة غفرت ذنوبه ۰ وروى
سعيد بن المسيب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرا قل هو
الله احد احد عشر مرة بنى الله تعالى له قصرا في الجنة ومن قراها عشرين
مرة بنى الله له قصرين في الجنة ومن قراها ثلاثين مرة بنى الله له ثلاث
قصور في الجنة فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذن تكثر قصورنا فقال عليه
الصلاة والسلام اوسع من ذلك ۰ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا
قل هو الله احد في مرضه الذي يموت فيه لم يفتن في قبره وامن من ضغطة القبر
وحملته الملكة يوم القيمة باكفها حتى يجيز من الصراط الى الجنة **فصل** في اسمايها
قال ابن الخطيب سورة التفريد ۰ وسورة التجريد ۰ وسورة التوحيد
وسورة الاخلاص ۰ وسورة النجاة ۰ وسورة الولاية ۰ وسورة النسبة لقولهم
انسب لنا ربك ۰ وسورة المعرفة ۰ وسورة الجمال ۰ وسورة البر لانها تبرى من
النفاق ۰ وسورة الاساس ۰ وسورة المحضر لان الملكة تحضر لسماعها ۰ وسورة
المانعة ۰ والمنفرة لانها تنفر الشيطان ۰ وسورة النور لانها تنور القلب
والله نور السموات والارض ۰ والله تعالى اعلم ۰ وحسبنا الله ونعم الوكيل م م

سورة الفلق مكية

في قول الحسن وعكرمة وعطا وجابر ۰ ومدنية في قول ابن عباس وقتادة وهي
خمس ايات ۰ وثلاث وعشرون كلمة ۰ واربعة وسبعون حرفا ۰ بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى قل اعوذ برب الفلق ۰ هذه السورة وسورة الناس والاخلاص نزلن
على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سحرته اليهود ۰ وقيل ان المعوذتين كان يقال
لهما المقشقشتان اي تبريان من النفاق ۰ وزعم ابن مسعود رضي الله عنه انهما دعا وليستا
من القران وخالف به الاجماع من الصحابة واهل البيت ۰ قال ابن قتيبة لم يكتب عبد الله بن
مسعود في مصحفه المعوذتين لانه كان يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن
والحسين رضي الله عنهما بهما فقدر انهما بمنزلة اعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة
ومن كل عين لامة ۰ قال ابن الانباري وهذا مردود على ابن قتيبة لان المعوذتين من
كلام رب العالمين المعجز لجميع المخلوقين واعيذ كما بكلمات الله التامة من عين لامة من قول
البشر وكلام الخالق الذي هو اية وحجة لمحمد صلى الله عليه وسلم على جميع الكافرين لا يلتبس
بكلام الادميين على مثل عبد الله بن مسعود الفصيح اللسان العالم باللغة العارف
باجناس الكلام ۰ وقال بعض الناس لم يكتب عبد الله المعوذتين لانه امن عليهما من
النسيان فاسقطهما وهو يحفظهما كما اسقط فاتحة الكتاب من مصحفه وما يشك في حفظه
واتقانه لهما فرد هذا القول على قايله ۰ واحتج عليه بانه قد كتب اذا جا نصر الله والفتح
وانا اعطيناك الكوثر وقل هو الله احد وهن يجرين مجرى المعوذتين في انهما غير
طوال والحفظ لهن اسرع والنسيان مامون وكلهن تخالف فاتحة الكتاب
اذ الصلاة لا تتم الا بقراتها وسبيل كل ركعة ان تكون المقدمة فيها قبل قراة ما
بعدها فاسقاط فاتحة الكتاب من المصحف على معنى الثقة ببقا حفظها والامن من نسيانها
صحيح وليس من السور ما يجري في هذا المعنى مجراها ولا يسلك به طريقها **فصل**
تقدم الكلام في الاستعاذة ۰ والفلق هو الصبح وهو فعل بمعنى مفعول كالقبض اي
مفلوق ۰ وفي حديث الرويا مثل فلق الصبح ۰ قال الشاعر ۰

۰ يا ليلة لم انمها بت مرتقبا ۰۰ ارعى النجوم الى نور الفلق ۰

وقال ذو الرمة ۰ حتى اذا ما انجلا عن وجهه فلق ۰ هاديه في اخريات الليل
منتصب ۰ يصف الثور الوحشي يعني بالفلق هنا الصبح بعينه ۰ وقيل هو جب في جهنم
وقيل المطمين من الارض وجمعه فلقان مثل خلق وخلقان وربما قالوا ذلك بفالق
كذا وكذا يريدون المكان المنحدر بين الربوتين ۰ وقيل الفلق الجبال والصخور
تنفلق بالمياه اي تتشقق ۰ وقيل هو التفليق بين الجبال لانها تنشق من خوف الله
تعالى ۰ قال زهير م ۰

۰ ما زلت ارمقهم حتى اذا هبطت ۰ ايدي الركاب بهم من راكس فلقا ۰

الراكس بطن الوادي ۰ وكذلك هو في قول النابغة ۰ ودوني راكس فالضواجع
والراكس ايضا الهادي وهو الثور وسط البيدر يدور عليه الثيران في الدياسة
وقيل الفلق الرحم تنفلق بالحيوان ۰ وقيل انه كلما انفلق عن جميع ما خلق من
الحيوان كله ۰ قال ۰ وسوس يدعو ارحلصا رب الفلق سرا ۰ وقد اذن ما دمن
عيره ذهب ۰ قال القرطبي وهذا القول يشهد له الاشتقاق فان الفلق
الشق فلقت الشي فلقا شققته والتفليق مثله تقال فلقته فانفلق وتفلق فكلما
انفلق عن شي من حيوان وصبح وحب ونوى فهو فلق قال تعالى فالق الاصباح
وقال جل وعز فالق الحب والنوى ۰ والفلق ايضا مقطرة السحاب ۰ فاما الفلق
بكسر اللام فالداهية والامر العجيب ۰ تقال منه افلق الرجل وافتلق وشاعر مفلق

وقد جا بالفلق ، قال الشاعر ، واعجبا من هذه الفليقة ، هل يذهبن القربا الربقه
والفلق ايضا القضيب يشق باثنين فيعمل منه قوسان يقال لكل منهم فلق ، وقولهم
جا بعلق فلق وهي الداهية لا يجرى يقال منه افلقت واعلقت اي جيت بعلق فلق
ومر يفتلق في عدوه اي ياتي بالعجب من شدته **قوله** من شر ما خلق ، متعلق
باعوذ والعامة على اضافة شر الى ما ، وقرا عمرو بن فايد بتنوينه ، وقال ابن عطية
عمرو بن عبيد وبعض المعتزلة الذين يرون ان الله تعالى لم يخلق الشر من شر بالتنوين
ما خلق على النفي وهي قراءة مردودة مبنية على مذهب باطل انتهى ولا يتعين ان
تكون ما نافية بل يجوز ان تكون موصولة بدلا من شر على حذف مضاف اي من
شر شر ما خلق عمم اولا ثم خصص ثانيا ، وقال ابو البقا وما على هذا بدل من
شر او زايدة ، ولا يجوز ان تكون نافية لان النافية لا يتقدم عليها ما في حيزها
فلذلك لم يجز ان يكون التقدير ما خلق من شر ثم هو فاسد المعنى وهو رد حسن
صناعي ولا يقال ان من شر متعلق باعوذ وحذف مفعول خلق لانه خلاف الاصل
وقد اتحاكي هذا القايل ورده بما تقدم ، وما مصدرية او بمعنى الذي
فصل روى عطا عن ابن عباس يريد ابليس خاصة لان الله تبارك
وتعالى لم يخلق اشر منه وان السورة انما نزلت في الاستعاذة من السحر
وذلك انما يتم بابليس وجنوده لعنهم الله ، وقيل جهنم وما خلق فيها ، وقيل
عام اي من شر كل ذي شر خلقه الله ، وقيل ما خلق الله من الامراض
والاسقام والقحط وانواع المحن ، قال الجبائي والقاضي هذا التنبيه باطل لان
فعل الله تعالى لا يجوز ان يوصف بانه شر لان الذي امر بالتعوذ منه هو
الذي امر به وذلك متناقض ولان افعاله تعالى كلها حكمة وصواب فلا يجوز
ان يقال انها شر ، وايضا فلان فعل الله تعالى لو كان شرا لوصف فاعله بانه شرير
تعالى الله عن ذلك ، والجواب عن الاول انه لا امتناع في قوله اعوذ بك
منك كما ورد ، وعن الثاني ان الانسان لما تالم وصف بالالم شر كقوله تعالى
وجزاء سيئة سيئة مثلها ، وقوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما
اعتدى عليكم ، وعن الثالث ان اسما الله تعالى توقيفية لا انها اصطلاحية ، ومما
يدل على جواز تسمية الامراض والاسقام بانها شرور قوله تعالى اذا مسه
الشر جزوعا ، **قوله تعالى** ومن شر غاسق اذا وقب ، الغاسق اذا
منصوب باعوذ اي اعوذ بالله من هذا في وقت كذا وكذا قيل الليل والغسق
هو اول ظلمة الليل ، يقال منه غسق الليل يغسق اي يظلم ، قال قيس بن الرقيات
ان هذا الليل قد غسقا ، واشتكيت الهم والارقا ، وهذا قول ابن عباس
والضحاك وقتادة والسدي وغيرهم ، ووقب على هذا اظلم ، وقال قتادة
ذهب ، وقال يمان بن رياب سكن ، وقيل دخل ووقب العذاب على الكافرين
نزل ، قال م
وقب العذاب عليهم فكانهم ، لحقتهم نار السموم فاحصدوا ،
وقال الزجاج قيل الليل غاسق لانه ابرد من النهار ، والغاسق البارد والغسق
البرد ولان في الليل تخرج السباع من اجامها والهوام من اماكنها وينبعث اهل
الشر على العبث والفساد فاستعير من الليل ، قال الشاعر م

باطيب

يا طيف هند لقد ابقيت لي ارقا ، اذ جيتنا طارقا والليل قد غسقا ،
اي اظلم واعتكر ، وقيل الغاسق الثريا لانها اذا سقطت كثرت الاسقام والطواعين
واذا طلعت ارتفع ذلك قاله عبد الرحمن بن زيد ، وقال ابن شهاب هو الشمس اذا
غربت ، وقال القتبي هو القمر اذا وقب اذا دخل في ساهوره وهو كالغلاف
اي اذا خسف به وكل شي اسود فهو غسق ، قال قتادة اذا وقب اذا غاب
قال القرطبي وهو اصح لما روى الترمذي عن عايشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله
عليه وسلم نظر الى القمر فقال يا عايشة استعيذي بالله من شر هذا فان هذا هو
الغاسق اذا وقب حديث صحيح ، وقيل الغاسق الحية اذا لدغت وكان الغاسق
نابها لان السم يغسق منه اي يسيل ، يقال غسقت العين تغسق غسقا اذا سالت
بالما ، وسمي الليل غاسقا لانصباب ظلامه على الارض ، ووقب نابها دخل في اللديغ
وقيل الغاسق كل هاجم يضر كاينا ما كان من قولهم غسقت القرحة اذا جرى صديدها
قال ابن الخطيب وعندي فيه وجه اخر انه صح ان القمر في جرمه غير مستنير بل هو
مظلم فهذا هو المراد من كونه غاسقا ، واما وقوبه فهو انمحاق في اخر الشهر والمنجمون
يقولون انه في اخر الشهر منحوس قليل القوة لانه لا يزال نوره بسبب ذلك يزداد
نحوسته فان السحرة انما يستعملون السحر المورث للتمريض في هذا الوقت وهذا مناسب
لسبب نزول السورة فانها نزلت لاجل انهم سحروا النبي صلى الله عليه وسلم للتمريض
قوله تعالى ومن شر النفاثات في العقد ، النفاثات جمع نفاثة مثال
مبالغة من نفث اي نفخ واختلف فيه فقال الفضل يشبه النفخ من الفم بالرقية ولا
شي معه فاذا كان بريق فهو التفل ، وانشد عنترة م
فان يبرا فلم انفث عليه ، وان يفقد فحق له الفقود ،
وقال الزمخشري نفخ بريق معه ، وقرا الحسن النفاثات بضم النون وهو اسم
كالنفاخة ، ويعقوب وعبد الرحمن بن سابط وعيسى بن عمرو وعبد الله بن القاسم
النافثات وهي محتملة لقراءة العامة والحسن ايضا وابو الربيع والنفثات دون
الف كحاذر وحذر ، ونكر غاسق وحاسد لانه قد تتخلف الضرر فيهما فالتنكير للتبعيض
وعرف النفاثات اما للعهد كما يروى في التفسير واما للمبالغة في الضرر **فصل**
قال المفسرون يعني الساحرات اللاتي ينفثن في عقد الخيط حين يرقين عليها قال
ابو عبيدة النفاثات من بنات لبيد بن الاعصم اليهودي سحرن النبي صلى الله عليه
وسلم يشبه النفخ كما يفعل من يرقي ، قال الشاعر م
اعوذ بربي من النافثات ، ومن عضه العاضه المعضه ،
وقال تميم بن نويره ، نفثت في الخيط شبيه الرقى ، من خشية الجنة والحاسد
فصل روى النسائي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر ومن سحر فقد اشرك ومن
تعلق شيا وكل اليه ، واختلف في النفث عند الرقى فمنعه قوم واجازه اخرون قال
عكرمة لا ينبغي للراقي ان ينفث ولا يمسح ولا يعقد ، وقال ابرهيم كانوا يكرهون
النفث من الرقى ، والصحيح الجواز فان النبي صلى الله عليه وسلم كان ينفث في
الرقية ، وروى محمد بن حاطب ان يده احترقت فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم
فجعل ينفث عليها ويتكلم بكلام زعم انه لم يحفظه ، وروى ان قوما لدغ رجل منهم فاتوا

اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا لهم اهل فيكم من راق فقالوا لا حتى تجعلوا لنا شيئا فجعلوا لهم قطيعا من الغنم فجعل رجل منهم يقرأ فاتحة الكتاب ويرقي ويتفل حتى برأ فاخذوا فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال وما يدريكم انها رقية خذوا واضربوا لي معكم بسهم ٭ واما ما روي عن عكرمة فكانه ذهب فيه الى النفث في العقد بما يستفاد منه بخلاف النفث بلا عقد ٭ قال ابن الخطيب هذه الصناعة انما تعرف بالنساء لانهن يعقدن في الخيط وينفثن وذلك لان الاصل الاعظم ربط القلب بذلك الامر واحكام الهمة والوهم فيه وذلك انما يتاتى من النساء لقلة علمهن وشدة شهوتهن فلا جرم كان هذا العمل منهن اقوى

قوله تعالى ومن شر حاسد اذا حسد ٭ قد تقدم في معنى الحسد وانه تمني زوال نعمة المحسود وان لم يصر للحاسد مثلها والمنافسة وهي تمني مثلها وان لم تزل عن المحسود وهي الغبطة ٭ فالحسد شر مذموم والمنافسة مباحة قال صلى الله عليه وسلم المؤمن يغبط والمنافق يحسد وقال صلى الله عليه وسلم لا حسد الا في اثنين يريد الغبطة ٭ قال ابن عباس وعائشة رضي الله عنها كان غلام من اليهود يخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدبت اليه اليهود فلم يزالوا حتى اخذ مشاطة راس النبي صلى الله عليه وسلم وعدة اسنان من مشطه فاعطاه اليهود فسحروه فيها صلى الله عليه وسلم وتولى ذلك لبيد بن الاعصم رجل من اليهود

فصل هذه السورة دالة على ان الله تعالى خلق كل شر وامر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يتعوذ من جميع الشرور فقال عز وجل من شر ما خلق وذلك خاتمة ذلك الحسد تنبيها على عظمه وكثرة ضرره والحاسد عدو نعمة الله تعالى ٭ قال بعض الحكماء الحاسد بارز ربه من خمسة اوجه ٭ احدها انه ابغض كل نعمة ظهرت على غيره ٭ وثانيها انه ساخط لقسمة ربه كانه يقول لم قسمت لي هذه القسمة ٭ وثالثها انه ضاد فعل الله تعالى اي ان فضل الله يؤتيه من يشاء وهو يبخل بفضل الله ٭ ورابعها انه خذل اولياء الله تعالى او يريد خذلانهم وزوال النعمة عنهم ٭ وخامسها انه اعان عدو الله ابليس ٭ وقيل الحاسد لا ينال في المجالس الا ندامة ولا ينال عند الملائكة الا لعنة وبغضا ولا ينال في الخلوة الا جزعا ولا ينال في الاخرة الا حزنا واحتراقا ولا ينال من الله العظيم الا بعدا ومقتا وقال صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يستجاب دعاؤهم اكل الحرام ومكثر الغيبة ومن كان في قلبه غل او حسد للمسلمين ٭ روى الثعلبي عن ابي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ المعوذتين فكانما قرأ الكتب التي انزلها الله تعالى كلها ٭ وعن عقبة بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا اخبرك بافضل ما تعوذ به المتعوذون قلت بلى يا رسول الله قال قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس ٭ والله تعالى اعلم

سورة الناس مكية

وهي ست ايات ٭ وعشرون كلمة ٭ وتسعة وسبعون حرفا ٭ بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى قل اعوذ برب الناس ٭ قرئ قل اعوذ بحذف الهمزة ونقلها الى اللام ٭ ونظيره فخذ اربعة ٭ واجمع القراء على ترك الامالة في الناس وروي عن الكسائي الامالة في الناس اذا كان في موضع الخفض ٭ ومعنى رب الناس ...

ومصلح امورهم ٭ وانما ذكر لفظ رب الناس وان كان ربا لجميع الخلق لامرين احدهما لان الناس معظمون فاعلم بذكرهم انه رب لهم وان عظموا ٭ والثاني لانه امر بالاستعاذة من شرهم فاعلم بذكرهم انه هو الذي يعيذ منهم ٭ وانما قال سبحانه ملك الناس اله الناس لان في الناس ملوكا فذكر تعالى انه ملكهم وفي الناس من يعبد غيره فذكر انه الههم ومعبودهم وانه الذي يجب ان يستعاذ به ويلجأ اليه دون الملوك والعظماء

قوله تعالى ملك الناس اله الناس يجوز ان يكونا وصفين لرب الناس وان يكونا بدلين وان يكونا عطف بيان ٭ قال الزمخشري فان قلت ملك الناس اله الناس ما هما من رب الناس قلت عطف بيان كقولك سيرة ابي حفص عمر الفاروق بين الذي يملك الناس ثم زيد بيانا لانه قد يقال لغيره رب الناس لقوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله ٭ وقد يقال ملك الناس ٭ ثم الملك قد يكون الها وقد لا يكون فلا جرم نبه بقوله تعالى اله الناس لان اله الناس خاص لا شركة فيه فجعل غاية البيان واعترض ابو حيان بان البيان بالجوامد ٭ ويجاب عنه بان هذا اجري مجرى الجوامد وقد تقدم في الرحمن الرحيم اول الفاتحة تقريره ٭ وقال الزمخشري فان قلت لم قيل برب الناس مضافا اليهم خاصة قلت لان الاستعاذة وقعت من شر الموسوس في صدور الناس فكانه قيل اعوذ من شر الموسوس الى الناس بربهم الذي يملك امرهم ثم قال فان قلت فهلا اكتفى باظهار المضاف اليه مرة واحدة قلت لان عطف البيان للبيان فكان مظنة للاظهار فلهذا اكرر لفظ الناس لان عطف البيان يحتاج الى مزيد الاظهار ولان التكرير يقتضي مزيد شرف الناس وانهم بتدبيره له واصلاحهم من اول نعمه الى ان رباه واعطاه العقل فحينئذ عرف بالدليل انه مملوك وهو مالك فبني بذكر الملك ٭ ثم لما علم ان العبادة لازمة له وعرف انه معبود مستحق لتلك العبادة عرفه بانه اله فلهذا اختتم به ٭ قال ابن الخطيب ولم يقرأ في المشهور ههنا مالك بالالف كما قرئ به في الفاتحة لان معنى المالك هو الرب فيلزم التكرار وقرئ به في الفاتحة لاختلاف المضافين فلا تكرار

قوله تعالى من شر الوسواس ٭ قال الزمخشري اسم بمعنى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر فوسواس بالكسر كالزلزال والمراد به الشيطان سمي بالمصدر كانه وسوسة في نفسه لانها صنعته وشغله او اريد ذو الوسواس انتهى ٭ وقد مضى الكلام معه في ان المكسور مصدر والمفتوح اسم في الزلزلة فليراجع ٭ والوسوسة حديث النفس يقال وسوست اليه نفسه وسوسة ووسوسة بكسر الواو قاله القرطبي ٭ ويقال لحس الصائد واصوات الكلاب والحلي وسواس ٭ قال ذو الرمة ٭ فبات يستره ثاد ويسهره تذؤب الريح والوسواس والهضب ٭ وقال الاعشى ٭ يسمع للحلي وسواسا اذا انصرفت كما استعان بريح عشرق زجل

قوله الخناس ٭ اي الرجاع لانه اذا ذكر الله عز وجل خنس وهو مثال مبالغة من الخنوس ٭ قال القرطبي ووصف بالخناس لانه كثير الاختفاء ومنه قوله تعالى فلا اقسم بالخنس يعني النجوم لاختفائها بعد ظهورها ٭ وقيل لانه يخنس اذا ذكر الله تعالى اي يتاخر ٭ وفي الخبر ان الشيطان جاثم على قلب ابن ادم فاذا غفل وسوس واذا ذكر الله تعالى خنس اي تاخر يقال خنسته فخنس اي اخرته فتاخر واخنسته ايضا وتقدم الكلام على هذه المادة في سورة اذا الشمس كورت

قوله تعالى الذي يوسوس ٭ يجوز جره نعتا وبدلا وبيانا لجريانه مجرى الجوامد

وَنصبْه وَرَفعه على القطع **فصل** قال مقاتل ان الشيطان في صورة خنزير يجري مِن
ابن ادم مجرى الدم في عروقه سلطه الله على ذلك فذلك قوله وتعالى الذي يُوسْوِسُ
في صُدور الناس، وقال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم
رواه البخاري ومسلم، **قال القرطبي** ووسوسته هو الدعا الى طاعته حتى يصل منهويه
الى القلب من غير سماع صوت **قوله** من الجنة، فيه اوجه احدها انه بدل من شر
باعادة العامل اي من شر الجنة، الثاني انه بدل من ذي الوسواس لان الموسوس من الجن
والانس، الثالث انه حال من الضمير في يوسوس حال كونه من هذين الجنسين، الرابع انه
بدل من الناس وجعل من تبيينا واطلق على الجن اسم الناس لانهم يتحركون في مرادا تهم
قال ابو البقا الا ان الزمخشري ابطله فقال بعدان حكاه واستدلوا بسعر ورجال
وما احقه لان الجن سموا جنا لاجتنانهم والناس ناسا لظهورهم من الايناس وهو الابصار
كما سموا بشرا ولو كان يقع الناس على القبيلين وصح وثبت لم يكن مناسبا لفصاحة القران
وبعده من التصنع واجود منه ان يراد بالناس الناسي لقوله يوم يدع الداعي وكما
قرى من حيث افاض الناس، ثم بين الجنة والناس لان الثقلين هما النوعان الموصوفان
بنسيان حق الله تعالى يعني انه اجتزا بالكسرة عن اليا والمراد اسم الفاعل، وتقدم
تحقيق هذا في البقرة، الخامس انه بيان للذي يوسوس على ان الشيطان ضربان جني
وانسي كما قال شياطين الجن والانس، وعن ابي ذر انه قال لرجل هل استعذت من
شياطين الانس، السادس ان يتعلق بيوسوس ومن لابتدا الغاية اي يوسوس في
صدورهم من جهة الجن ومن جهة الانس، السابع ان والناس عطف على الوسواس اي
من شر الوسواس والناس، ولا يجوز عطفه على الجنة لان الناس لا يوسوسون في
صدور الناس انما يوسوس الجن فلما استحال المعنى حمل على العطف على الوسواس قاله مكي
وفيه بعد كبير للبس الحاصل، وقد تقدم ان الناس يوسوسون ايضا بمعنى يليق بهم، الثامن
ان من الجنة حال من الناس اي كائنين من القبيلين قاله ابو البقا ولم يبين اي الناس
المتقدم انه صاحب الحال وعلى كل تقدير فلا يصح معنى الحالية في شي منها لا الاول
ولا ما بعده، ثم قال وقيل هو معطوف على الجنة يريد والناس الاخير معطوف
على الجنة وهذا الكلام يستدعي تقدم شي قبله وهو ان يكون الناس عطفا على غير
الجنة وبالجملة فهو كلام متسامح فيه **فصل** قال الحسن هما شيطانان لنا اما
شيطان الجن فيوسوس في صدور الناس، واما شيطان الانس فياتي علانية وقال
قتادة ان من الجن شياطين وان من الانس شياطين فنعوذ بالله من شياطين الجن
والانس، وعن ابي ذر انه قال لرجل هل تعوذت بالله من شيطان الانس فقال ومن
الانس شياطين قال نعم لقوله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدو شياطين الانس والجن
الاية، وذهب قوم ان المراد بالناس هنا الجن سموا بذلك ناسا كما سموا رجالا في
قوله تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن وكما سموا نفرا في قوله
تعالى وانه كان رجال من الا، قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن واذ صرفنا اليك
نفرا من الجن وكما سموا قوما، ونقل الفرا عن بعض العرب انه قال وهو يحدث جا قوم
من الجن فوقفوا فقيل من انتم فقالوا ناس من الجن فعلى هذا يكون والناس عطفا على
الجنة كما تقدم ويكون التكرير لاختلاف اللفظين، والجنة جمع جني كما يقال انس
وانسي، والها لتانيث الجماعة، وقيل ان ابليس يوسوس في صدور الجن كما يوسوس

في

في صدور الناس، وقيل معنى من شر الوسواس اي الوسوسة التي تكون من الجنة والناس
وهو حديث النفس، قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل
تجاوز لامتي عما حدثت به انفسها ما لم تعمل او تتكلم به
والله اعلم بالصواب، تم كتاب اللباب
في علوم الكتاب تفسير الامام الجليل
ابن عادل الحنبلي تغمده برحمته
وصلى الله على سيدنا محمد
واله وصحبه وسلم
تسليما
كثيرا